أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٥٤٥) محرم ١٤٣٢هـ - ديسمبر ٢٠١٠م



التازي: في الكويت تعرفت على أكبر عدد من الأدباء والمؤرخين العرب

التوجيه القرآني وشمولية النهضة

الأصولية بين المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي

نقل الفتوى من كتب المتقدمين


أسرة التحرير
تهنئكم بحلول
العام الهجري الجديد

الافتتاحية

حجة لك أو عليك

القرآن يهدي الساري، ويرشد العابر، من سار على ضوئه نجا ووصل، ومن أعرض ضل وهلك، أنزله الله ليكون للعالمين سراجًا منيرًا، فهو حبل الله المتين، ونوره المبين، وهو العروة الوثقى، لا تنقضي عجائبه، ولا تتناهى غرائبه، لا يحيط بفرائده عند أهل العلم تحديد، ولا يخلقه عند أهل التلاوة ترديد، الدال على البيان في أنواع العلوم والأحكام، المبين عند اختلاف الأنام، في أصول الدين وشرائعه، وتفصيله وجوامعه، عدة على المخالفين، وحجة على المبتدعين، فإن أكثر من ضل منهم ضل بتركه تمييز كتاب رب العالمين، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، واقتصاره على مخاريق أهل الكلام، وما وشّوه به من رائق النظام، الذي لا يفيد محصولًا، ولا يشيد معقولًا، أولا يفكر أن الله عبد بهذا الدين قبل أن يخلق، وكان حجة على عباده واضحة، ويقولون عليه، ويدعون من خالفهم إليه، متبعين فيه قوله تعالى:﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٣٥)، وهل يحسن بذي حجى أن يعين عقله في اتباع من يجهل عدله، ولا يفحص عن دينه بروية نظره، ويأتي الأمر من أقصد أبوابه، فيعلم أن ما لم يكشف عنه القرآن الذي جعله الله لكل شيء تبياناً لم يكشف عنه سواه، وهل كل من زخرف من المبتدعين كلامًا، وعُدّ فيما ألفه من البدعة إمامًا، إلا بشر مثله، فما باله يقول عليه، ويتهم نفسه في خلاف ما سبق إليه، فنحمد الله على حسن الهداية، ونستمده بالكفاية.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي



مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٤٥

العام الثامن والأربعون

محرم ١٤٣٢ هـ

ديسمبر ٢٠١٠ م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

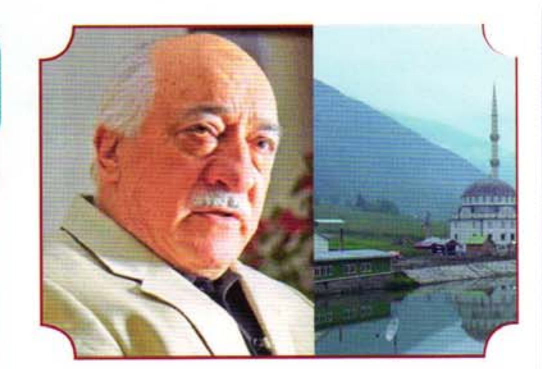
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

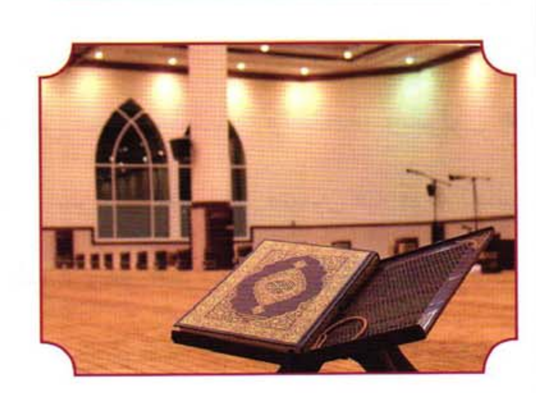
في هذا العدد



موضوع الغلاف



مهما تعاقبت العصور والدهور يظل القرآن الكريم منهاج المسلمين ورائد نهضتهم لأنه الكتاب المعجز الذي لا يأتيه الباطل ولا ينتابه الشك مهما تكالب الاعداء وادلهمت الخطوب.





التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

- **السودان**. الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١)
- **اليمن** - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر
- **لبنان** - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ٢٥/١٨٤
- **سوريا** - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- **الأردن** - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٠٠٩٦٢٦) ف ٤٦٣٥١٥٢
- **مصر** - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦
- **المغرب** - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة
- **مملكة البحرين** - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- **الإمارات العربية المتحدة** ٢٦٦٥٣٩٤ - ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع - دار الأهرام
- **المملكة العربية السعودية** - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- **سلطنة عُمان** - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- **قطر** - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.
- **المملكة المتحدة** - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

• الكويت : ٥٠٠ فلس • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان : ٥٠٠ جنيه • موريتانيا : ٢٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير • اليمن : ٧٠ ريالا • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠دراهم • ليبيا : دينار واحد • اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله • اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

التقويم الهجري هوية أمة وتاريخ حضارة

التحرير

يقترب في هذه السنوات التي نعيشها الاحتفال بميلاد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام مع الاحتفال بهجرة النبي محمد ﷺ، ولا تخطئ عينَ المتابع للأخبار والأحداث ضخامة الاحتفال بالسنة الميلادية وكمَّ الأموال الهائل الذي ينفق فيها، في الوقت الذي نلحظ فيه ضمورا وخفوتا في الاحتفال بالعام الهجري الذي يقتصر على مجموعة من الفعاليات داخل جدران المساجد في أحسن الأحوال، وبعض البرامج التي تَحكي وقائع الهجرة النبوية الشريفة التي نسمعها كما هي كل عام.

ولا يرتضي الإسلام هذه الطرائق من الاحتفال التي يتم فيها التبذير وإنفاق الأموال هباء منثورا، بل ربما تطرق الأمر إلى ارتكاب بعض الموبقات، كما أن الاحتفال بالعام الهجري يحتاج إلى استنقاذ واهتمام وتوعية.

والواقع أن الأمة الإسلامية لا ترتبط بتاريخها أو تقويمها الهجري إلا في حالات الازدهار والرقي والتقدم، وحينما يتحقق لها واقعيا مرتبة الشهود الحضاري على الأمم كما أراد لها القرآن الكريم.

وإذا تتبعنا تاريخنا وتقويماتنا التاريخية وجدنا أن ما قبل سقوط الخلافة كان يؤرخ له بالتاريخ الهجري أو قبل سقوطها بقليل حينما توزع ميراث الدولة العثمانية وصارت «رجلا مريضا»، فكان يؤرخ للأحداث والمعارك والوقائع والمواليد والوفيات بالتقويم الهجري.

وبعد ترهل الحكم الإسلامي وذهاب الخلافة الكبرى تحولت الأمة إلى تاريخ آخر هو التاريخ الميلادي الذي نجله ونحترمه أيضا؛ لأنه ميلاد نبي ورسول من أولي العزم من الرسل، ولا يتم إيمان المسلمين إلا بالإيمان به، لكننا نتحدث هنا عن تاريخنا نحن، وهويتنا نحن، وحضارتنا نحن.

على أن تاريخ النصارى تاريخ روماني الأصل، عَـدَّلَـهُ بعض الملوك ورهبان النصارى ونسبوه إلى ميلاد المسيح- عليه السلام- بعد مولده بستة قرون أو ثمانية قرون تقريبًا، والأشهر الميلادية التي يدور عليها فلك هذا التاريخ تحمل في اشتقاقها ومعناها معاني وثنية، ذات ارتباط بآلهة الرومان وعظمائهم.

والمغلوب- كما قيل- مولع بتقليد الغالب، فقلدت الأمة الإسلامية- بعد أن صارت شبه أمة- غيرها من الأمم، وكان استخدام التاريخ الميلادي مظهرًا من هذه المظاهر، فأصبحت كل الدول العربية والإسلامية تؤرخ بتواريخ أخرى غير الهجري باستثناء ما نجده في بلد كالمملكة العربية السعودية.

هوية الأمة في التاريخ الهجري

وما من شك في أن التقويم الهجري هو هوية أمة، وتاريخ حضارة امتدت عبر ثلاثة عشر قرنا من الزمان لم نكن نؤرخ فيها إلا بهذا التاريخ، ومن هنا ارتبطت أمجادنا وأيامنا ومآثرنا بهذا التاريخ الذي تحولنا عنه إلى غيره نتيجةً لأحوالنا وأوضاعنا، وأثرًا من آثار الغزو الفكري الذي امتد في فراغنا.

ولا يحسبن أحد أن المسألة هامشية أو فرعية بحيث يعد الحديث عنها نوعا من اللهو أو خوضا في الباطل، أو ضربا من ضروب الترف الفكري في الوقت الذي تعاني فيه الأمة من دماء تسيل وأرواح تزهق وبيوت تهدم وأعراض تنتهك وغير ذلك مما يمكن أن نهوِّن به من هذا الأمر، فقد استمرت المؤامرة لطمس التاريخ الهجري وإزالته وتجهيل الشعوب الإسلامية به قرونًا متوالية، ففي القرن الثاني عشر الهجري، الموافق للثامن عشر الميلادي، عندما أرادت الدولة العثمانية تحديث جيشها وسلاحها طلبت مساعدة الدول الأوروبية العظمى (فرنسا وألمانيا وإنجلترا ... الخ)، فوافقت على مساعدتها بشروط، منها: إلغاء التقويم الهجري في الدولة العثمانية، فرضخت لضغوطها، وفي القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، عندما أراد خديوي مصر أن يستقرض مبلغًا من الذهب من إنجلترا وفرنسا لتغطية مصاريف فتح قناة السويس، اشترطتا عليه ستة شروط، منها: إلغاء التقويم الهجري في مصر، فتم إلغاؤه سنة ١٢٩٢هـ- ١٨٧٥م، واستبدال التقويم القبطي والميلادي به.

فلن تفيق أمتنا إلا إذا استضاءت بهذا التاريخ العريق، واستحضرت كل أيام السنة الهجرية، ونظرت في أحداثها نظر المتأمل المتفحص الواعي الذي يحيا التاريخ ثم يعبُر إلى واقعه المعاصر بدروس تضيء دروبه وتمهد له السبيل.

من أجل هذا وجدنا المؤرخين والحكماء يقولون: «من وعى التاريخ في صدره أضاف أعمارا إلى عمره، ومن لم يعِ التاريخ في صدره لم يدرِ حلو العيش

المحتويات

كلمة العدد

«الوعي الإسلامي» في عامها الثامن والأربعين

بحلول العام الهجري الجديد 1432هـ تكون المجلة قد خطت بثبات في مسيرتها الثقافية والفكرية نحو عامها الثامن والأربعين، حيث بدأت انطلاقتها في غرة شهر محرم 1385هـ الموافق شهر مايو 1965م، وبهذه المناسبة يسرنا أن نقدم لكتابنا وقرائنا وعموم المسلمين أسمى آيات التهاني والتبريكات، مقرونة بالدعاء إلى الله عز وجل أن يأخذ بأيدينا جميعًا لما فيه خير أمتنا وديننا وقضايانا العادلة.

إن نهضة أمتنا تحتاج منا جميعًا إلى أن نفهم واقعنا فهمًا صحيحًا وأن نبني خططنا المستقبلية بناء على هذا الواقع، وذلك في إطار منظومة متوازنة تستمد قواعدها من أصول ديننا الإسلامي الحنيف، وتستوعب حركات التغيير والتنمية والإصلاح، وتحدد مواطن الخلل والقصور وتضع لها الحلول والبدائل المناسبة.

إن علماء الأمة ومفكريها، ونحن في بداية عام هجري جديد، مطالبون بتأصيل هذا النهج في رؤاهم وكتاباتهم وخطابهم الدعوي حتى تخرج الأمة من وهدتها ويكون لها دورها الإيجابي الرائد في الحضارة الإنسانية.. كل عام هجري جديد والأمة بخير.

«الوعي الإسلامي»

الاشتراكات

- داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

من مُـرِّه». وذلـك لأن الـتاريـخ تجـارب تضيف إلى وعي الإنسان وتجاربه تجاربَ مضاعفةً وتمد في عمره أعمارًا طويلة، وتبين له مواضع العثرات ومكامن الخلل، وتبرز له أسباب القوة وعلامات العافية، فالتاريخ هو الذي نستكشف به ما تحت أقدامنا، ونستبصر به واقعنا، ونستصحبه لنستشرف به مستقبلنا.

دور الدعاة في التوعية بالتاريخ الهجري

وإذا كان البعض يرى الأمة الإسلامية تمر في المنحنى الحضاري الآن بدرجة متدنية إلى حد ما في رسمه البياني، فإن الكثيرين يرون أمارات الصعود تتضح شيئا فشيئا منذ أكثر من نصف قرن، وهذا لا يعني أن نستكين لهذه السنة الحضارية أو أن نخضع لحتمية تقليد المغلوب للغالب، ثم لا نفعل شيئا أو نحرك ساكنا، بل فيه ما يحفز الهمم، ويبعث على العمل والأخذ بالأسباب.

إن الأدوار التي يجب أن نقوم بها- هي أولا- تعجل بالصعود في منحنى الرسم البياني للحضارات، وتقوّم اعوجاج أمتنا، وتعالج من عللها وأدوائها، وتعرِّف الأجيال بواجبها نحو الأخذ بالأسباب في النهوض بالأمة والرقي بها حتى تصير غالبة لا مغلوبة وشاهدة لا مشهودا عليها، وأخيرا نعذر بهذا إلى الله تعالى وإلى أمتنا لعلهم يتقون.

ومن أهم الأدوار التي نعول عليها هنا ونراهن عليها هو دور الدعاة والعلماء فعليهم يُعقد الأمل، وإليهم يرجع الشباب، وفيهم يثق الناس، وبهم يتم التغيير والإصلاح، متى كان هؤلاء الدعاة ربانيين، فاقهين لدورهم ورسالتهم، خبراء بواقعهم وعلله وأدوائه، متمكنين في الوحي الأعلى الذي يصفون منه الدواء بعد تشخيص الداء، ومن أهم الأدوار التي يمكن أن يقوموا بها ما يلي:

أولا: إشاعة الاهتمام بالتاريخ الهجري كأن يوصي الدعاة الناس أن يتواعدوا بالتاريخ الهجري، وأن يذكروا مواليدهم بالتاريخ الهجري، وقد أصبح اليوم ميسورا أن تعرف ما يقابل تاريخ المواليد الميلادية من الهجرية، وغير ذلك.

ثانيا: أن يصبغ الدعاة المجتمعات بالصبغة الإسلامية الممزوجة بهذا التقويم، فلا نؤرخ لمحاضرة تلقى إلا بهذا التاريخ، ونربط دائما بين الميلادي والهجري ابتداء، وشيئا فشيئا يستقل الهجري.

ثالثا: الاحتفال بكل مناسبة هجرية كالغزوات وأيام الإسلام في مواعيدها وتذكير الناس بها، واستخلاص أهم الدروس والعبر منها؛ لتكون وميضا يبرق للدعاة، ونورا يستضيء به العاملون.

رابعًا: تذكير الناس بأن المعتمد في الأحكام الشرعية هو التاريخ الهجري، فحولان الحول- شرطا من شروط وجوب الزكاة- هو الحول الهجري باتفاق، والصيام يكون مع الهلال في رمضان، والحج يرتبط بأشهر معلومة في السنة الهجرية هي شوال وذو القعدة وذو الحجة، وعدة المطلقة أو المتوفى عنها زوجها تحسب بالتقويم الهجري، وهكذا فكثير من الأحكام الشرعية مرتبط بهذا التقويم المجيد.

> **المعتمد في الأحكام الشرعية هو التاريخ الهجري فحولان الحول مثلا شرط من شروط وجوب الزكاة**

خامسًا: كشف المؤامرات التي تهدف إلى طمس هذا التاريخ مع اللغة العربية، لأن هذا التاريخ هو الذي يذكر الأمة بأمجادها وأيامها وصفحاتها المشرقة، وتحفظ به هويتها.

سادسًا: مطالبة الآباء والأمهات ببث الوعي في الأبناء بأهمية هذا التاريخ، وإجراء مسابقات لهم في أيامه ووقائعه حتى يظل الطفل دائما مرتبطا به، وأن نحفظهم الأشهر الهجرية، ونعوِّدهم أن يكتبوا التاريخ الهجري في كراساتهم، وأن ينظموا حياتهم عليها.

سابعًا: مطالبة المدارس أن تهتم بهذا التاريخ وكتابته، على الأقل بجانب التاريخ الميلادي، وأن ينبه المدرس على نسيانه، ويكافأ على كتابته.

ثامنا: مطالبة الصحف ومواقع الإنترنت- وبعضها يقوم بهذا- أن تؤرخ لأحداثها وأخبارها ومقالاتها وتحقيقاتها وحواراتها بهذا التاريخ على الأقل بجانب الميلادي.

تاسعًا: مطالبة الهيئات والمؤسسات المهتمة بالدعوة والأوقاف والإرشاد الديني بالتوعية بهذا الأمر والاهتمام به، وأن يثمنوا أهميته لدى الشرائح التي تقوم بالتوعية والتأثير.

عاشرًا: مطالبة المصالح الحكومية أن تؤسس سنواتها المالية وإجازاتها وبنوكها ومستشفياتها بناء على التاريخ الهجري، وفي هذا ارتباط كبير للناس به.

حادي عشر: وهي نقطة مهمة ولها أثرها في هذا الأمر، وهي مطالبة الحكومات أن تجعل رواتب الناس مرتبطة بالتاريخ الهجري لا الميلادي، وعندها سيتيقظ المسلم وغيره لكل يوم في الشهر الهجري.

هذه إحدى عشرة وسيلة جمعت بين الفرد والأسرة والمؤسسات والحكومات والإعلام والدعاة وغيرها، أعتقد أنها لو تضافرت فيما بينها، وبنى بعضها فوق بعض، وكمل بعضها نقص الآخر، وشد كل منها أزر أخيه فلن تكون هناك أدنى مشكلة في الاهتمام بهذا التأريخ الذي ينطوي على صفحاتنا المشرقة، ويحمل أيامنا المشهودة، ويحفظ هويتنا الإسلامية.

المؤرخ المغربي د.عبدالهادي التازي في حوار خاص:

في الكويت تعرفت على أكبر عدد من الأدباء والشعراء والمؤرخين العرب

حوار: بشرى شاكر

هو مؤرخ المملكة المغربية ودبلوماسي يرى في التجوال منهلا للمعرفة، وزع أيامه على قطع الأقطار والأمصار فزاد علمًا، أحب الألقاب إليه لقب «الفقيه»، فهو يحب هذا الاسم؛ لأن تكوينه الأول كان في القسم الفقهي بمدينة فاس المغربية وتحديدًا بجامعة القرويين في نظامها القديم.

ولد هذا الدكتور الفاضل في ١٥ يونيو ١٩٢١م بفاس، نال شهادة العالمية من جامعة القرويين سنة ١٩٤٧، حيث عين أستاذًا بها سنة ١٩٤٨، كما حصل سنة ١٩٥٣ على «بروفي» معهد الدراسات المغربية. حاز على دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب بالرباط سنة ١٩٦٣، وشهادة في اللغة الإنجليزية من معهد اللغات بمدينة بغداد سنة ١٩٦٦، وفي سنة ١٩٧١ تمكن من الحصول على شهادة دكتوراه الدولة من جامعة الإسكندرية، حيث كان موضوع الأطروحة «جامعة القرويين».

كما عمل د.التازي سفيرًا للمملكة المغربية لدى مجموعة من الدول منها، على سبيل المثال لا الحصر، ليبيا، العراق، إيران، والإمارات العربية.

تقلد مناصب عدة، فكان سفيرًا للمغرب بالعراق ثم سفيرًا للمغرب بليبيا، ثم مديرًا للمعهد الجامعي للبحث العلمي، له نشاط كبير في التأليف والكتابة، من كتبه «جامع القرويين المسجد والجامعة»، كما اشتغل مديرًا للمعهد الجامعي للبحث العلمي بالرباط، اسهم في تأسيس اتحاد كتاب المغرب وأكاديمية المملكة المغربية. يعتبر د.عبدالهادي التازي من الشخصيات التي تنضوي في مجموعة من الهيئات الثقافية؛ كالمجمع العلمي بالعراق ١٩٦٦، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٧٦، المعهد العربي الأرجنتيني ١٩٧٨، مجمع اللغة العربية الأردني ١٩٨٠، ومجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٦، والأكاديمية الهاشمية بالأردن.

للدكتور التازي أعمال في مجال التحقيق منها: «تاريخ المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة»، «الفريد في تقييد الشريد لأبي القاسم الفجيجي»، ومن ترجماته «حقائق عن الشمال الإفريقي.. الجنرال دولاتور»، «ساعات من القرن الرابع عشر في فاس.. ديريكح. دي صولا برايس»، «لو أبصرت ثلاثة أيام للكاتبة الأميركية كيلير هيلين أدامس»، «والحماية الفرنسية بدؤها.. نهايتها، مجموعة من الدبلوماسيين والساسة».

«الوعي الإسلامي» التقت بالتازي في بيته بالمغرب، حاورته حول كثير من الآراء والذكريات.. وإليكم نص الحوار:

بداية نرحب بكم على صفحات مجلة «الوعي الإسلامي».

أنا بدوري أرحب كثيرًا برغبة مجلة «الوعي الإسلامي» الكويتية، ولعلك تعلمين أن أول رحلة لي إلى المشرق العربي هي الرحلة التي قمت بها إلى الكويت التي استضافت أعضاء مؤتمر الأدباء العرب الرابع على أراضيها، فهناك في الكويت تعرفت على أكبر عدد من الأدباء والشعراء والمؤرخين العرب الذين كانوا زادي الأول في الانفتاح على العالم العربي، بعد أن كنت قد قمت برحلتي الأولى إلى فرنسا عام ١٩٥٢ برفقة زوجتي، كلتا الرحلتين كان لها فضل علي في بداية مشواري الذي كان مليئًا بالرحلات.. وإني لأتذكر هنا قول

أدعو المسؤولين عن النشر في الكويت إلى أن يفيضوا على المكتبات المغربية بمجموعة من كتب التراث

الشاعر:

جل الفوائد بالأسفار مكتسب
والله قد قال ﴿فامشوا في مناكبها﴾

سبق أن أخبرتني في لقاء آخر أن اللقب الذي تفضله هو لقب الفقيه، فهل لك أن تحدثنا أكثر عن ذلك؟

لقد نشأت في أسرة محافظة، يعني أن والدي كان على صلة بالفقه، وأن والدتي كانت هي الأخرى متدينة، كيف لا وهي من أسرة «الأزرق» التي كانت السبب في إدخال المطبعة إلى البلاد، فصلة الوالدين بالفقه والدين جعلت مني طالبًا فقيهًا، والإنسان ابن بيئته كما يقولون، جل المثقفين وقتئذ كانوا يسعون ليكونوا فقهاء وليس أدباء، كانوا ينظرون إلى المادة الأدبية على أنها مادة سهلة تافهة، وأن المعول عليهم في تسيير البلاد هم الفقهاء الذين يدرسون مدونات الفقه، الذين يستظهرون متن الشيخ خليل المشهور عند المالكية شرقًا وغربًا، وكذا الذين يستظهرون أرجوزة ابن عاصم التي تعتبر أبياتها كنوزًا من كنوز الفقه المالكي في المعاملات.

كان والدي- وأقولها لك بصراحة- يتطلع ليجعل مني قاضيًا من قضاة فاس، فقد كان ينافس بني عمه بمدينة الرباط الذين يوجهون أبناءهم توجيها فرنسيًا، فهو اختار الاتجاه المعاكس لهم، كان يفضل الثقافة العربية مع أنها من الناحية المادية قليلة الرزق، وهكذا كان والدي يراهن على أن أكون فقيهًا وليس تاجرًا أو غير ذلك، ومن هنا وجدت نفسي في صف الفقهاء الذين يعيشون مع الكتب التي تحتضنها المكتبات التقليدية التي توجد في الزيتونة أو القرويين أو الأزهر.

جامعة القرويين هي أول جامعة في العالم، فما الذي تمثله لك هذه الجامعة؟

سؤالك هذا في الواقع يتضمن سؤالين، ولهذا فإن جوابي عن الأول يتلخص في القول بأن مسجد القرويين الذي أصبح جامعة ظل صرحًا شامخًا يقصده كبار المشايخ الذين مروا بالمغرب، سواء أكانوا من أصل أندلسي أو كانوا من القيروان.

وقد كانت الأطر المغربية تعتمد في تكوينها على ما يدرس بين جنباتها من علوم لا تقتصر فقط على الفقه وعلوم الدين، ولكن أيضًا على الحساب والفلك بل وعلى الموسيقى، لذلك أؤكد على أن جامعة القرويين أضحت المعلم الذي يلجأ إليه الطلبة من سائر جهات المغرب، يعيشون في أحيائها الجامعية التي تعرف عندنا باسم «المدارس»، هذه المدارس تتكون من عشرات أو المئات من الغرف التي ترحب بالطلبة الواردين عليهم من مختلف الآفاق، والذين يتمتعون بحقهم في الزاد اليومي، وفي الصلات الموسمية أو السنوية.

أما عن الشق الثاني من السؤال فإن الجواب يحتاج إلى الكثير من القول، وهذا ليس مجاله الآن، ومع ذلك يمكن القول: إنه نظرًا لحاجيات البلاد من جهة ونظرا للحفاظ على ما يمكن الحفاظ عليه من جهة أخرى انتقلت الدراسة العلمية إلى الجامعات العصرية التي توجد في كل بقعة من بقاع المغرب، أما الدراسة التراثية- إذا صح هذا التعبير- فقد خصصت لها كراسي في هذه الجامعة، يجتمع حولها الطلبة الراغبون في دراسة النحو واللغة والفقه.. يأتون إليها من مختلف جهات المغرب وربما من غير المغرب من بعض بلاد السودان، بحيث يمكن القول إن من يريد ارتياد الأجواء التي كانت بالأمس هناك يجد من يرشده ويدله على الطريق، لكنني أعتقد أن المسؤولين عن تدبير الشأن العام بالمغرب واعون بأن إحياء نظام جامعة القرويين هو الكفيل بتوفر المغرب على أطر القضاة الشرعيين والأئمة ورجال

الفتوى، هذه الأطر التي لا غنى للمغرب المسلم عنها وإلا أسلمنا أنفسنا إلى جهات لا تؤمن بغير المادة، فأنا شخصيًا لا أرجو حياة كريمة مع ذلك المستقبل المظلم!

كنت سفيرًا لبلدك في العراق وهناك استطعت أن تطبع بعض مؤلفاتك، ومن هناك أيضا بدأت رحلتك نحو الكويت.. فهل يمكنك أن تحدثنا عن ذلك؟

نعم، كنت سفيرًا لدى دولة العراق.. واسمحي لي أن أقول لكِ: أثرت سواكني بسؤالي عن العراق الذي يئن من جراحه العميقة، ذكرتني بأهلي وبني قومي، ذكرتني بمجالس العراق.. بما فيها من مجالس الأدباء والأديبات، العلماء والعالمات، كنت أجد في بيوت العراق بيتي، وكنت أجد في ناسهم ناسي، ويكفي أن تعلمي أن بيتي بالرباط يحمل اسم بغداد! هناك فعلًا وجدت الوقت لتهيئة أطروحتي بجامعة الإسكندرية حول جامعة القرويين المسجد الجامعة، هناك كنت أجد من الوقت ما يساعدني على القفزات إلى الكويت، حيث كنت أجد في إخواني وأخواتي هناك ما يساعدني على فهم الدنيا أكثر.

فعلًا، كانت الكويت بالنسبة لي نافذة نافعة كنت أجد فيها ما لا أجده في بغداد، وكنت أعتبر المقام بها نزهة متصلة، ليس هذا شعوري وحدي ولكنه شعور أم سعد وأبنائي سعد وبدر وسلوى.

صدر لك بدولة الكويت كتاب عن الكويت طبعته حكومتها، وقد قلت في لقاء لك أن كتابك هذا جاء تعبيرًا صادقًا عن الهمم العظيمة التي يتمتع بها قادة الكويت الذين دفعوا بلادهم إلى المناطات العليا.. حدثنا عن ذلك؟

بالفعل، صدر لي كتاب عن الكويت، طبعته حكومة الكويت فيما بعد، وكم أتمنى إعادة طبعه بعد نفاذه، لأنه تعبير صادق عن الهمم العظيمة التي يتمتع بها قادة الكويت، الذين دفعوا بلادهم إلى المناطات العليا، وأرجوكم من خلال منبركم هذا، أن تبلغوا لتلك الديار مشاعري، إنها مما يصدق عليها قول الشاعر: أحبها وتحبني ويحب ناقتها بعيري!

قادة الكويت يتمتعون بهمم عظيمة ودفعوا بلادهم إلى مناطات عالية

من خلال تجوالك وسفراتك وإقامتك في بلدان عربية كثيرة.. هل ترى أننا أمة تستطيع أن تجمع شتات فرقتها؟ أم أن وحدتنا تبدو أمرًا مستحيلًا؟

هذا السؤال صعب وخطير كذلك؛ فإن لكل أمة خصوصياتها، ولكل دولة عربية تقاليدها ورجالها، ولذلك فالأمل كل الأمل أن نكتفي فقط بأن يعمل العرب تحت مظلة الجامعة العربية ومن فاته اللحم فعليه بالمرق.

بم تنصح المؤرخين والباحثين في هذا المجال، خاصة وأننا نرى أن العديد من القنوات الدينية بدأت تتبنى برامج تتحدث فيها عن التاريخ والحضارة؟

الذي أنصح به المؤرخين بل وسائر الكتاب أن يبذلوا جهدهم لتلطيف الأجواء بين الدول العربية وليس إثارة الثغرات والطائفيات بين الإخوة، كفى ما خلقه الاستعمار بيننا، يجب ألا نحيي أضغان الماضي.

نترك لك المجال لتنهي هذا اللقاء الشيق بكلمة منك للشعب الكويتي وقراء مجلة «الوعي الإسلامي».

كلمتي للكويت قلتها سابقًا، ويعرفها زملائي وأصدقائي، وخاصة منهم أصحاب مجلة «الوعي»، ومع ذلك فسأسمح لنفسي بتجديد الأماني والتهاني للقيادة الرشيدة التي تحظى بها دولة الكويت وبمن تحتضنه من رجال الخير، ورجال العمل، وكذلك بمن تحتضن من سيدات عالمات قادرات على الابتكار والإبداع.

وسأغتنم هذه الفرصة لأدعو المسؤولين عن النشر في دولة الكويت لأن يفيضوا على المكتبات المغربية ولاسيما المكتبات العامة والوطنية بما تنشره وزارة الثقافة من كتب التراث؛ عساه يعم بين ظهرانينا، وأنا أقصد ما نشر عن الفقه الإسلامي واللغة العربية والحياة الأدبية التي أراها آخذة في التألق والازدهار.

خبراء في الفكر والفلسفة ولكن...!

خباب بن مروان الحمد

نجتمع أحيانًا في بعض النوادي الثقافية واللقاءات الفكرية، أو من خلال اللقاءات على الشبكة العنكبوتية، نتطارح مع بعض الشباب أحاديث فكرية، وطروحات معرفية، وهمومًا نهضوية وتنموية، فأجد لدى الكثير من الشباب إقبالا كبيرًا على المطالعة والمباحثة ومحبة الحوار، حتى ويكأن المرء يشعر أن مثل هذه النقاشات صار كثير منها متكلفا، فالمهم أن نتحدث ونتناقش ونتبادل الآراء، ثمَّ بعد ذلك نمضي في أعمالنا وهمومنا الحياتية مع قلة تطبيق وحسن عمل، وهذه مشكلة، يمكن أن نطلق عليها إشكالية الترف الفكري، والغثاء الثقافي الذي يعيشه بعض الشباب المثقف والطامح لأن يكون يومًا ما مفكرًا أو مثقفًا.

على أيَّة حال فإنَّني ألحظ ساعة مناقشاتي مع بعض الشباب العربي والمسلم، والمتحمس للقراءة في المجالات الثقافية والفكرية والفلسفية أنَّهم يعدُّون كمًّا هائلًا من كتب ومدونات الكثير من مفكري الشرق والغرب، ولا يُعجزهم أن يتحدَّثوا حول جماليات منطق أرسطو، وتعريفات سقراط، ونظريات أفلاطون، وعبارات فيثاغورس، وقوانين دور كايم، وحكم فولتير، ويحشد لك عددًا من الأسماء كسبينوزا، جون لوك، ايراسموس، جان جاك روسو، مونتسيكو، ديكارت، توماس هوبز، جون ستيوارت ميل، ديدرو، بطليموس، ابكتيتوس، مارتن لوثر، غاندي، والقائمة تطول بأسمائهم، فلها في قلوبهم بهجة كبيرة، حتَّى بتُّ أشعر حالة نطقهم لأسماء أولئك القوم بأنَّهم يعيشون حالة من الزهو والخيلاء، التي تُشعرهم بأنَّهم قوم مثقفون قد نالوا قسطًا كبيرًا من الثقافة والقراءة في أفكار الغير.

هاتفني أحدهم قائلًا: أحب المطالعة في هذه الكتب الفكرية والفلسفيَّة، وكتب النظريات الغربية.

فقلت له: وما سر هذا التركيز وأنت شاب يافع؟

فأجاب: إنَّه لابدَّ لنا أن نتعلم نظريات الغرب لكي ننقدهم ونتنبه من خطورتها، ويستدل بالحديث: «الحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها كان أحق الناس بها» (١)، وأنَّ الشاعر العربي أبوفراس الحمداني قال:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه!

وأنَّه رُوِيَ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال «تُنقض عرى الإسلام عروة عروة من نشأ في الإسلام ولم يعرف الجاهلية» (٢).

إلى غير ذلك من الاستدلالات والرؤى التجميعيَّة بحشد النصوص بكليتها لمناصرة القناعة المدموغة في عقليته التنويرية!

فنصحته وقلت له: يمكنك أن تهتم الآن بمطالعة كتاب الله وأحاديث المصطفى ﷺ، وسيأتي اليوم الذي يمكنك أن تطالع فيه هذه الكتب بعد برهة من الزمن، للاستفادة ممَّا بها من جوانب تراها خيِّرة، ولنقدها فكريًا ومنهجيًا، شرط أن تكون لديك حصانة ذاتية ومناعة فكرية.

كان ذلك الأخ مقتنعًا بأنَّ لديه اطلاعاً جيداً بالعلوم الشرعية بحجَّة ما قام بدراسته سابقا، وأنا شخصيًا لم أجده بالفعل كما يقول، وحاولت محاورته وإقناعه بمرادي، وقلت له إنَّ كل نفس يعتورها ما يعتورك من ضرورة مطالعة الكتابات والأطروحات الفلسفية والفكرية المنشورة قديمًا وحديثًا وما بين الفينة والأخرى، وقد تسَوِّغ النفس لأجل ذلك أسبابًا متعددة.. لكن أحسب أنَّ لكل زمن رجالاً، ولكلِّ مرحلة أهلها، واستباق الأحداث والوقت غير المناسب لفعل شيء ما يضير أكثر ممَّا ينفع.

قناعات بديلة

أعتقد أنَّ من الأهمية بمكان، الصيرورة إلى توجيه العقول إلى ما يمكن أن تنتفع به ويكون ركنًا ركينًا، وأصلًا أصيلًا في عمليَّة التلقي، وهو التركيز على قضية أحسب أنَّها ذات أولوية في صياغة وتشكيل العقل العربي والمسلم وفي هذا الزمان خصوصًا.

تلك القناعة التربوية التي لا أزال متشبِّثًا بها وصادحًا بها في مجامع الشباب المثقف، قائلًا: وأين نصيب القرآن والسنَّة وكلام الصحابة والتابعين من مطالعاتكم؟

وهل حاولتم أن تجمعوا مثلا أقوال

داعية سعودي

الصحابة في طرق النهضة بأمتنا، وتستخرجوها من مظانها من كتب الآثار والمسانيد وإسقاط ذلك على الواقع المعاصر؟ وهل قمتم بجمع آثار التابعين في ضرورة التنمية الاجتماعية والحراك العملي الخدوم في المجتمع؟ وهل فتَّشتم في كتب سلفنا وآثارنا وتراثنا عن مظاهر التفكير الإبداعي وخدمة الأمَّة المسلمة فيه وخصوصًا من فئة الشباب؟ وهل طالعتم كتب التأريخ والسير والمغازي وجمعتم الأسباب الحقيقية لالتهاء الشعوب بأمر دنياها وقيام قلَّة قليلة منها بمقاومة النتوءات الفكريَّة، والخروقات الثقافية، وماذا كان دور عموم الناس في مناصرة علمائهم ومفكريهم حينما يصدعون بالحق، وما أسباب وقوفهم من عدمه؟

إلى غير ذلك ممَّا يخدم أمَّتنا وواقعها الفكري المعيش، وخصوصًا حينما ندرك أنَّ «العمل الجوهري للمفكر هو صناعة المفاهيم» (٣)، وهي الطريقة الفعليَّة للاستنباط من تلك النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الكثير من المفاهيم التي تهمنا في مجتمعنا بشتَّى اهتماماته.

وبالطبع كنت أجد الجواب مختلفًا بين ألسنة الشباب، ولكنّي وجدت إجماعًا واضحًا على التقصير بقراءة كتاب الله ومطالعة التفاسير لفهمه، وما في سنَّة رسوله ﷺ وما يمكن الاستعانة به من شروحات كتب الحديث لفهم معانيها.

ووجدت بعضهم وكأنَّ الأمر لا يعنيه، فهو يفهم القرآن وقد قرأه سابقًا لمرة أو مرتين، وقرأ الأربعين النووية وشيئًا من رياض الصالحين، ولكنَّ الأهميَّة الكبرى لديه الآن في مطالعة الكتب الفلسفية وغيرها من المفاهيم التي تتحدث عن الديناميكية والحيوية والارستقراطية والأتوقراطية والثيوقراطية والبيوقراطية والمادية الجدلية ونشأة الحضارة، وقراءة تاريخ الصناعة والعمران المدني إلى غير ذلك من اهتمام هو أكبر وأوثق من اهتمامهم بقراءة القرآن والسنَّة.

وهذا بالفعل شيء حاصل، فالكثير من هؤلاء باتوا يهربون من مطالعة النصوص الشرعية من كتاب الله وسنَّة رسوله ويستشهدون بها، ويحاولون أن يأتوا بآراء فلسفيَّة وحجج كلامية، وأحسنهم حالًا من لا يأبه بذكر النصوص الشرعيَّة بل يهتم بالمقاصد وفقه المقاصد، ويحاول أن يقفز على هذه النصوص بما يراه هو أنَّه من مقاصد الشريعة، وعندئذ تذكرت قول الفاروق عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: «إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها وتفلتت منهم أن يعوها واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا: لا نعلم فعارضوا السنن برأيهم فإياكم وإياهم» (٤).

إنَّ ما ذكرته من حالة مأساوية وقع فيها الكثير ممَّن يعدون أنفسهم فلاسفة وأهل رأي حصيف وفكر مكين، لكنَّ إدبارهم وإعراضهم عن الاهتمام بنصوص الوحيين تأملا وتدبرًا وتفكرًا وإسقاط هذه النصوص على الواقع، ومعالجة الواقع بالأدلة الشرعية بات شيئًا ضعيفًا، وصار الكثير منهم يستروح للحديث الإنشائي أو لذكر حِكَم وتجارب الفلاسفة، ومن لطائف ما حَصل أثناء كتابتي لهذا المقال أن أرسلته لأحد أصدقائي المصريين المثقفين والمتميزين في المجالات الفكرية والفلسفيَّة، وحينما قرأ المقال وانتهى منه أرسل لي رسالة يقول فيها: «لكني أوافقك تمام الموافقة فيما ذهبت إليه، ووالله إني لأعاني من ذلك في الجمعية الفلسفية التي أحضر ندوتها كل شهر والتي يرأسها د.حسن حنفي، حيث لا كلام إلا عن الغرب وأعلامهم، ومذاهبهم من الكلاسيكية حتى الحداثة وما بعد الحداثة.. كلها أمور تقسي القلب إلى جانب أنها لا تقيم نهضة للأمة»!

فليكن الفكر منطلقًا من أساس



متين

قد يقول قائل: وهل يُراد من عموم الشباب العربي المسلم المثقف أن يكونوا علماء في الشريعة؟ فإنَّ هذا لا يتأتَّى ولا يمكن، ونحن بالفعل بحاجة لشباب مثقف ومفكر.

هذه مشكلة كبيرة نعيشها مع شباب اليوم المقبل على النوادي الفكرية والصالونات الثقافية ظانين أنَّ مصدر السعادة ومعين الرضا والسرور هو في مناقشة فكر أحد الكتاب أو الفلاسفة الغربيين، وتجد أنَّهم قد يتكلفون ببعض العبارات وحشد الجمل واللفظات وتكديس المصطلحات حينما يتحدثون لكي يقول عنهم القائل: إنَّهم فعلا فلاسفة وحكماء عباقرة!

حتَّى إنني أتذكر واحدًا من هؤلاء قال لي يومًا: إنَّ لديه دفترا قريبًا منه كان يكتب فيه بعض المصطلحات والعبارات الرنانة التي تستهوي عقله، لكي يستخدمها في بعض مقالاته فتجد في المقال حشدًا مصطلحيًا لربما لو سئل كاتبه ما معنى ما قصدته بالضبط لحار جوابًا وأطرق رأسًا!

وعلى كُلٍّ؛ فإنَّ من يظنُّ أنَّه في بداية مطالعاته سيهتم بعلوم فلسفيَّة وقراءات في المنطق والفكر الغربي، ويغفل القرآن ويظنُّ نفسه أنَّه بالفعل يريد الجمع والدمج بين الإسلام عقيدة وشريعة وبين ما هو مسطور في كتب الفلاسفة ومزبور في تراثهم، فإنَّه سيكتشف بالفعل أنَّه لن يبلغ النتيجة التي قصدها وخصوصًا إن كان ذلك في بداية مطالعاته، بل يخشى عليه بالفعل من عقائد أولئك الفلاسفة والتي في أغلبها تجاهل لحكمة الرب، وتشكيك في كثير من الغيبيات، وإنكار علم الله الكامل، ونفي معاد الإنسان، فأي فكر فلسفي لرجل يريد أن يُنوِّر المسلمين بفلسفة أولئك الفلاسفة والمناطقة، وكأنَّ في القرآن والسنَّة نقصًا ليس موجودًا إلاَّ في كلامهم، وبعد هذا وذاك يريد ذلك الشخص أن يطلق عليه الناس أنَّه مفكر إسلامي، وهو لربما يكون إلى العلمنة والليبرالية أقرب منه إلى الإسلام، ولهؤلاء أقول وأذكرهم بما قاله المفكر الفرنسي المسلم فنساي مونتاي: «إنَّ مثل المفكر العربي الإسلامي المبعد عن تأثير القرآن كمثل رجل أفرغ من دمه»! (٥).

إنَّ المسلم يجب أن يكون على قناعة تامَّة بعظمة القرآن الكريم، وعظيم عِبَره وحكَمه، وبالرجوع لكتاب المفكر والمؤرخ الإسلامي عماد الدين خليل بعنوان: «قالوا عن القرآن»، لكي يقرأ في هذا الكتاب أولئك الذين تعلَّقت قلوبهم بكلام الفلاسفة ويرى أنَّ كثيرًا منهم يشهد بعظمة كتاب الله عزَّ وجل، ومنهم من ساقه ذلك للإسلام، ومنهم من بقي على دينه الباطل، ولكنَّه شهد بما في هذا الكتاب الكريم من آيات ودلائل وإصلاح للواقع «والحق ما شهدت به الأعداء»، وهو وإن كنَّا لسنا بحاجة لشهادة غير المسلمين على ما في كتاب رب العالمين، لكن لعلَّه يكون باعثًا لهم على عطف قلوبهم وأفئدتهم وأجسادهم للاعتناء بقراءة كتاب الله تعالى.

اهتمام المتفكر بالقرآن سبيل لأن ينال الفكر الصحيح والحكمة الحقيقية والحصافة في النظر

نقول هذا لأنَّ هنالك الكثير ممَّن يستهويهم الفكر الفسلفي والقراءة في الكتب الفكرية الغربية، والاطلاع على فكر المدرسة الفرانكفونية، والوله بالمصطلحات الفلسفيَّة، فهؤلاء في الغالب يبعدون النجعة كثيرًا عن مطالعة كتاب الله سبحانه وتعالى، وسنَّة رسول الله ﷺ.

إنَّها دعوة للمراجعة الجادة القلبيَّة لجميع المنتسبين للفكر والفلسفة، بأن يبحثوا في سويداء قلوبهم، وهل لديهم شدَّة تعلُّق بآيات القرآن وما صحَّ من أحاديث ﷺ أم لا؟

إنَّني على قناعة بأنَّ من تابع كتب ومقالات ومحاضرات فلان أو علان وهو يتحدث بفلسفة ويلوك الكلام لوكًا، فإنَّه ستظهر معه نقولاته لآراء الفلاسفة والغربيين ويدع جانبًا الاستناد والاستشهاد بالآيات والأحاديث لمقولاته، فالاهتمام لأي شيء يظهر من خلال تعامل الشخص معه.

ومن العجائب والغرائب كذلك أن نجدهم يقولون إنَّ ذكرنا لكلام هؤلاء الغربيين والفلاسفة اليونانيين وغيرهم، لكي يعرف الغربيون أنَّنا نعرف واقعهم، ونتحدث بلغة مفكريهم، وما علموا وللأسف الشديد أنَّ كثيرًا منهم- ولا أقول الكل- قد يستخدم أقوال هؤلاء بما قد يستدل به على مفهوم فهمه يكون خاطئًا أو معارضًا لكتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، ولأجل ذلك وجدنا الكثير من العبارات التي يقولها بعض الناس وما دروا خطورة قولها مع علمي أنَّ بعض من قالها من بعض الفضلاء ولكنَّهم يقولون كلامًا يحتاج لإعادة نظر حينما يتحدثون عن «ديموقراطية الإسلام، الليبراليَّة الإسلامية، اشتراكية الإسلام،

الرومانسية الإسلامية»، والإشكال الكبير أنَّ كثيرًا من منطلقات هؤلاء بالفعل يرونها منطلقات إسلاميَّة ولكنَّهم ما علموا أنَّ هذه العبارات ما هي إلاَّ بعض مما تسلَّق على ذاكرتهم أثناء قراءتهم في أفكار الآخرين!

بل وجدنا واحدًا ممن يعتبرون أنفسهم من تيار التنوير الإسلامي، يقول في مقال له بعنوان: «وثنيون هم عبدة النصوص» ويزري على الناس وبعض المهتمين بالمجالات الكتابية والذين يقولون ليتنا نرى في بعض مقالات بعض المفكِّرين نصوصًا قرآنية أو أحاديث نبويَّة مذكورة في مقالاتهم، وبدلًا من أن يشكرهم على نصيحتهم له، يعدُّهم كالوثنيين الذين يعبدون القبور ويشركون بالله، فيتهمهم ويصمهم بأنَّهم وثنيون لأنَّهم على حد زعمه: «عبدة نصوص»!

وهذا أحدهم يتحدث بأسلوب ملتو، يريد منه النيل ممَّن يستند لقراءة النصوص القرآنية، حيث يقول: «فالأمرُ هنا هو السير في الأرض، وليس السير في الكتاب، أي قراءة الواقع، وليس قراءة النصوص، والظن بأنَّ الاستغناء بالكتاب عن الواقع هو الذي قاد العالم الإسلامي إلى كارثة ثقافية مروعة» (٦).

قلت: هذا وليس من مقصدي في هذا المقال إيعاب القول وحشد جميع ما قرأته في هذا الصدد، فلو أردت جمع ما قيل لوجدته أكثر من ﴿حملُ بعير وأنا به زعيم﴾، ولكنَّ هذا دَليل ومثال على أنَّ من تربَّى في جو مفعم بالفكر والفلسفة والصحافة والإعلام واحترام الرأي والرأي الآخر فإنَّ هذا سينشأ معه ولو كان في يوم ما مفكرًا كبيرًا أو فطحلًا بطلًا من أبطال الفكر في هذا الزمان.

إنَّ المتعاملين مع القرآن أصناف ونحن نقصد بالتعامل الصحيح هو ما كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان في التقيد والانضباط بالأصول الكلية التي يرجع إليها لفهم آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم ﷺ، وإلاَّ فهنالك قوم يدَّعون أنَّهم «قرآنيون» مع أنهم في حقيقة أمرهم يخالفون القرآن الكريم فيما أمر به ونهى عنه، فما هم إلا «جهال متنطعون» لم يفهموا القرآن والسنة مع مجاهرتهم بضرورة الرجوع للقرآن، فهذا أمر لا يروج على العقلاء ولا يقصده الناصحون لأمتهم والأمناء على عقيدتها.

إنَّ اهتمام المتفكر بالذكر سبيل بإذن الله تعالى لأن ينال الفكر الصحيح والحكمة الحقيقية والحصافة في النظر، وفي هذا يقول الإمام الحسن البصري رحمه الله: «إنَّ أهل العلم لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر والفكر على الذكر، ويناطقون القلوب حتى نطقت بالحكمة» (٧)، ولكن أن يحسن التعامل مع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وفق قواعد ذكرها أهل العلم في طريقة التعامل مع كتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ، وسيجد حتمًا ما يغذي فكره ويحرك عضلات عقله من معين الحكمة الربانية وصفاء الكلمة النبوية.

فمن أراد أن يقرأ فليقرأ القرآن أولًا، وليقرأ باسم ربِّه ثانيا، وليقرأ سنَّة وسيرة رسوله ثالثًا، وليتمكَّن من فهم الوحيين كتابًا وسنَّة على الأقل إلى حد معقول، مع دوام الملازمة لهما إلى الممات: ﴿فأين تذهبون. إن هو إلا ذكر للعالمين. لمن شاء منكم أن يستقيم﴾(التكوير: ٢٦-٢٨)، فمن شاء الاستقامة الدينية والعقائدية فلا غنى له عن القرآن، ومن شاء الاستقامة السلوكية فعليه بالقرآن، ومن شاء أن يستقيم فكريًا فعليه بالقرآن، ومن لم يقنعه القرآن فلا استقام ولا أقام وما تفكر بل طبع على قلبه الران.

والقرآن لأهل الفكر مرجع لا غنى عنه، ففي القرآن الكريم أكثر من (١٣٠٠) آية كونية، وفي كتاب الله أكثر من (٧٠٠) آية تدعو للتفكر والتعقل والتدبر، فليس من جميع العلوم الإنسانية مثيل بعلوم القرآن وهو كلام الرحمن الذي «يعطيك معاني غير محدودة في كلمات محدودة» (٨)، كما يقول الأديب الرافعي- رحمه الله- لكنَّ الإشكال الكبير أنَّنا بتنا نقرأ القرآن «للتبرك لا للتحرك» كما كان يقول الشيخ الراحل محمد الغزالي- رحمه الله- وهو بهذا يشرح الحالة النفسية التي يتعامل بها كثير من المسلمين اليوم مع كتاب الله تعالى، فيهتمون به في حالة القراءة على الأموات! فصار الكتاب الذي جاء ليحيي الأحياء يقرأه الأحياء على الأموات ويكتفون بذلك! وهذه حالة عامة في كثير من بيوت العرب والمسلمين ويدخل فيهم الكثير من المنتسبين للفكر والثقافة والفلسفة!

بل تشمئز قلوب بعضهم من حفظة القرآن والسنَّة

حينما يعلم بعض المحسوبين على الفلسفة والمنطق أنَّك قارئ للقرآن فإنَّه يراك شيخًا درويشًا، وأمَّا إن قرأ قصَّة الحضارة للول ديورانت، أو قرأ كتابات فلان أو علان من المفكرين الكبار أو عمالقة الفلسفة الغربيَّة، سينظرون إلى ذلك الرجل أنَّه بالفعل شخص موسوعي، ولديه عمق معرفي وطول نظر، وخذ من هذه الأوصاف فهو الرجل المثقف والحصيف والذي

ضرب من العلوم ضربًا واسعًا وقطع بها شوطًا كبيرًا، فشابه بعضهم قول الله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليه آياتنا ولَّى مستكبرًا كأن لم يسمعها كأنَّ في أذنيه وقرًا﴾(لقمان: ٧)، وقوله تعالى: ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون﴾(الزمر: ٤٥)، وقوله تعالى: ﴿ويل لكل أفاك أثيم. يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرًا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم﴾(الجاثية: ٧-٨).

نقول هذا في زمن أدبر الناس فيه بل كثير منهم عن مطالعة آيات القرآن وأحاديث الرسول الكريم ﷺ وملازمة حلق الذكر، ومراقبة الله تنشأ من خلال مطالعة القرآن الكريم، والتفكر في هذا الكون الصامت والناطق بأنَّ له إلهًا حقًا هو الله تعالى تبارك وتعالى وتقدس عن كلام الكفرة والفجرة.

ولهذا نجد ضلال كثير ممن ضل بسبب الإدبار والإعراض عن قراءة كتاب الله تعالى، وقد نبَّه الإمام ابن تيمية رحمه الله على ذلك فقال: «وإذا تدبر العاقل وجد الطوائف كلها كلما كانت الطائفة إلى الله ورسوله أقرب، كانت بالقرآن والحديث أعرف وأعظم عناية، وإذا كانت عن الله ورسوله أبعد، كانت عنهما أنأى، حتى تجد في أئمة علماء هؤلاء من لا يميز بين القرآن وغيره، بل ربما ذكرت عنده آية فقال: لا نسلِّم صحَّة الحديث! وربما قال لقوله عليه السلام: كذا... وتكون آية من كتاب الله، وقد بلغنا من ذلك عجائب، وما لم يبلغنا أكثر» (٩).

ومع هذا كلِّه فإنَّا نجد لدى الكثير من المغرمين إلى حد الثمالة بقراءة كتب الفلاسفة والفلسفة، وليتهم يقرأونها لتقييمها، وإنَّما يقرأونها ثمَّ يكون مآلهم الأخذ ممَّا بها من أفكار، مع أنَّ هؤلاء الفلاسفة غربيين أو شرقيين ليس في كلامهم ما يفيد إيمانًا بالله إلاَّ شيئًا نادرًا، وفي هذا يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: «فإن القوم- أي الفلاسفة- لا يعرفون الله، بل هم أبعد عن معرفته من كفار اليهود والنصارى بكثير، لكن لهم معرفة جيدة بالأمور الطبيعية، وهذا بحر علمهم وله تفرغوا، وفيه ضيعوا زمانهم، وأما معرفة الله تعالى فحظهم منها مبخوس جدًا، وأما ملائكته وأنبياؤه وكتبه ورسله والمعاد فلا يعرفون ذلك ألبتة» (١٠).

وأخيرا، إنَّه لم يخطر ببالي كما أرجو ألاَّ يخطر ببال أحد أنَّ ما قلته دعوة مطلقة لعدم الاهتمام بتراث الآخرين، وأفكارهم وقيمهم، ولكنَّ هذه الكتب والآراء لها رجالاتها المتخصِّصون، والذين يسبرون أغوار الكلام، ويعقلون مقاصد الآخرين، أو على الأقل لمن نال قسطًا كبيرًا من مطالعة كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ وبشهادة أهل العلم الثقات له بذلك، أما أن يأتي لقراءة هذه الكتب كل من هبَّ ودبَّ ومشى ودرج، فإنَّ هذا أمر لا يستقيم بحال.

نعم.. على من أراد أن يكون يومًا ما صاحب فكر وتنظير، أن يدرك حتميَّة التلازم بين ضرورة الشرعي والاهتمام بطريقة فهم النصوص ومقاصدها من خلال القواعد المقرَّرة في ذلك، وبين فهم العالَم المحيط وسبر أغواره، والسير في آفاقه، والتأمل في كينونته، والتفكر في مخلوقات الرب تبارك وتعالى.

ونحن بالفعل بحاجة ماسَّة لمن يستخدم عقله في الفكر الصحيح، وأن يكون على مستوى المسؤولية في مناقشة أفكار الآخرين من المستغربين والمتفرنجين، فضلًا عن دعاوى المفكرين الغربيين أو اليونانيين المتأثرين بالفلسفة اليونانيَّة ومنطق الإغريق!

وختامًا: فليس لدي مقصد من هذا المقال إلاَّ التنبيه على ضرورة العودة إلى كتاب الله وما صحَّ من سنَّة رسول الله ﷺ ووجوبها، للنهل منهما والارتواء من معينهما، ففيهما الشفاء لكل داء، وفيهما الصلاح لكل فساد، وبهما الحق لدحر كل باطل، وفيهما خطاب العقل، ومنظومة المفاهيم والقيم، فمن تربَّى عليهما وعلى مائدتهما ونال منهما قسطًا ونصيبًا، فستنهمر على عقله منهما أفكار رائعة، ومعانٍ خلاَّقة. والله المستعان.

الفهرس

١- أخرجه الترمذي برقم (٢٦٨٧) وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، فيه إبراهيم بن الفضل المدني يضعف في الحديث من قبل حفظه، وقال العقيلي: منكر، كما في تهذيب التهذيب: (١/١٥١)، وضعَّفه الألباني في ضعيف الترمذي بقوله: حديث ضعيف جداً.

٢- انظر منهاج السنة النبوية (٢/٣٩٨) و(٤/٥٩٠) وكذلك مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٠١ (١٥/ ٥٤) وقد وردت في مصنف ابن أبي شيبة وطبقات ابن سعد بغير هذا اللفظ.

٣- كيف نفهم الأشياء من حولنا؟ كتاب الدكتور عبد الكريم بكار ص٧.

٤- إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية : (١/٥٥).

٥- رجال ونساء أسلموا (٥/٤٥).

٦- جريدة الرياض عدد ١٠١٨٨ في ١٤١٦/١٢/٢٨هـ.

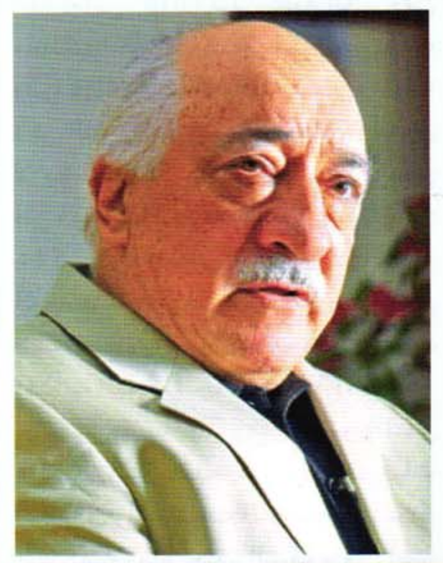
٧- مفتاح دار السعادة لاين القيم (١/١٨٣).

٨- وحي القلم للرافعي.

٩- مجموع الفتاوى (٤/٩٦).

١٠-مجموع الفتاوى (١٧/٣٣٠).

د. الطاهر الأزهر خذيري



كلّما خبا في نفسي أُوارُ الشوْق إلى جيل جديد من المصلحين يتأثّر خُطا الجِلّة الكبار من الأئمّة المتقدّمين، بسبب زَحْم الخواطر المُوهِنة بأنّ زمانَ أولئك الأبدال قد ولّى.. تملّكني تطلّعٌ حثيثٌ إلى ما وراء السِّجاف الغائرة في البُعْد، لعلّ وافدًا بَرًّا يَقْدمُ على هذا الزّمن المسكين، ويعيدُ إلى نفسي شوقَها القديم المتجدّد! فإنّ داخلتي لم ينقض رجاؤها بعْد، والأملُ لهذه الأمّة لا يزال قائمًا معقودًا، ولابدّ أن يظلّ كذلك؛ والله تعالى كريمٌ قريبٌ مجيبٌ، وهو أرحم الرّاحمين.

وبينما زفير الحسرات وأخواتها يعمل فيَّ عمَلَه، حتى ما كدتُ أقوى على مجرّد التفكير في هذه الخطرات الجُلى إذا بشعاع من الأمل يبرق من بعيد، حين قرأتُ فصولًا من حياة خادم الإسلام في تركيا «محمد فتح الله كولن»، تابعتُ مسيره في طفولته وشبابه وكهولته إلى استواء أمْره، فأثارَ فيَّ العَجَب العجيب، وعلمتُ- بعد محاولات الفهم والتحليل- أنّ الله تعالى هو الذي يصطفي للسّيادة مَن يشاء من عباده، فليست المسألة نَسَبًا ولا وراثةً، ولا حتى علمًا جمًّا، وإنما هي سرٌّ وخبيئةٌ وهمٌّ وهمّةٌ ﴿نرفع درجات من نشاء﴾.

فتح الله كولن.. الإلهام والعِبرة

سبحان الله! لقد عاش هذا الرّجل الفذّ مراحلَ عُمْريّةً قاسيةً مُضنية، تَوالد له فيها الكَدَر تباعًا لأجْل دينه وأمّته، وكأنّما جُلِيَ حتى صار صَقيلًا، ليتبيّن صفاؤه ونقاؤه، كما الذّهب الإبريز، لا تزيده ضراوةُ النّار إلاّ خُلوصًا من الشّوائب، وبريقًا بريئًا من الغشّ والزُّور، وصَدَق عمرو بن معد كرب حيث قال:

لَيْسَ الْجَمالُ بمئْزَرٍ
فَاعْلَمْ وَإنْ رُدِّيتَ بُرْدَا
إنّ الْجَمالَ مَعَادنٌ
وَمَناقبٌ أوْرَثْنَ مَجْدَا

إنّ التدبير الربّانيَ الحكيم شاء لهذا المُصْلح أنْ يولد عام توفي أتاتورك، وكأنّ تلك الوفاة وهذه الولادة كانتا رحمةً بجانب تركيٍّ وبآخر إسلاميٍّ عامّ، نَفّستا عن الجانبين بعضَ كَرْبهما بعد أن كان اقْتَمَّ لونُ الحياة، وغطّى على أعوامها الكُلْح رَهَجُ الفساد الكثيف، ولِلَطيف حكمة المولى جلّ جلاله كَلأَ هذا المَولودَ النّاشئ وحَمَاه، حتى لكأنّه في كَنَفٍ حصين؛ إذْ لم تمتدّ إليه في أيامه الأولى يدٌ باطشةٌ، ولا لَدَغَتْه عينٌ خؤون، وإن كانت سنُوهُ اللاّحقةُ امتلأتْ رَهَقًا وترويعًا، رَوّض الله فيها مسلك الشّابّ اليافع، وأوْقفه على الجادّة التي يحرص على تَقَفّيها الصّالحون المُؤيَّدون، وجَمَّله بمزاجٍ أخلاقيٍّ وروحيٍّ خلاّب، كان له بليغُ الأثر في قلوب مُحبّيه وشانئيه على حدٍّ سواء!

طَلَبَ فتح الله كولن العلْم في طفولته الرُّجولية بجدٍّ وحُبٍّ، وتَمَلّتْ نفسُه منه، وكان فيه كمَن يحفر الصّخر الصّلْد؛ فلا مُعلّمَ ولا مدرسةَ، ولا شفيقَ ولا رفيق، ولا أعوانَ على لأْواء التحصيل، اللهمّ إلاّ قلّة مِن المساكين الضّعاف، كانوا في أحيانٍ كثيرة عبئًا أكثر من كونهم رفقاءَ دربٍ وجنودَ كفاح، ومع ذلك أخذ نفسه بعَزَمَات الأمور، ومَراشد التدبير، حتى استقامت له على سَنَن الأوّابين المُحصِّلين من العلم أرفع درجاته، وكان فيه كما تصنع النّحلة بطعامها وما يُقيمُ أَوَدها.

لا يَكتفي بعِلْم واحد ولا بكتاب واحد، وإنّما هو تطواف بين الكتبِ ومصادر العلوم؛ على شُحّها ونَدْرة وجودها، وعلى خطر اقتنائها ووُعورة مسالكها.

ثم هو ليس يغفل في هذه الأجواء، المملوءة حماسًا للعلم وحِفْظ أصوله، عن مداواة روحه في مَحاريب التألّه البريء من الحَدَث والبِدْعة، الخَليّ من التحذلق في الدِّين بما يُمْليه العقلُ النّاقص أو الرأي الغَويّ، إنّها لذّةٌ عارمةٌ كان يشعر بها الأستاذ كلّما خلا بربه أو برز للنّاس، وما أكثر ما حَبَس نفسَه

ALmadani9@Gmail.com

في نافذة مسجده التي كانت مسكنَه ومَحَطّ تأوُّهاته ومناجاته!

كان يتزوّد لبوارق الأمل التي يحيا لأجلها بـزاد الـقـرآن العـظـيم الـذي يتأمّله آناء الليل وأطراف النّهار؛ درسًا وتدريسًا، فهمًا وتأمّلا، وفي سبيل ذلك كان يتعبّبُ السُّنّةَ لئلاّ يَعُوجَ هنا أو هناك، فتزلّ به القدم، أو يَشْطح به القصور، أو يَجْنح به الخيال.

للّه ما أزكى عبراته وهي تسيل على ذلكَ الخَدِّ المُنوَّر بالحياء والعفّة، إنّها رسائلُه النّاطقةُ الصّامتةُ إلى تركيا، وإلى أحياء القلوب في الأرض كلّها، إلى الذين يَهُزّهم الصِّدق، ويزلزلهم حديثُ الرّوح الوَريعُ عن صُنُوف التكلّف والتّصنّع! إنّها شاراتُه المداويةُ لجرحى الذّوات الباحثين عنها بين ركام الماضي التعيس، والحاضر المخيف البئيس، والقابلِ المُغيّب الذي لا يُدرَى ما فيه من الحُتُوف، ولا ما يُخبئُه من المآود.

هذه النّشأة البديعة صرخةٌ في وجه مَن يريد مَلاءة الدِّين والدنيا، ولمّا يبذلْ في سبيلهما مهجته ونهاية جهده، وتراه يَسْتَحط الغُرْمَ عنه، وليس يَجودُ بعُشْر معْشَار ما يَتوجّب عليه من الحقّ!

أوّاهُ كم يكتوي هـؤلاء- لو عقلوا- بقول الشاعر:

دنوتَ للمجدِ والسّاعون قد بلغوا
جهد النّفوس وشدُّوا دونه الأُزُرا
وساوَرُوا المجْدَ حتّى ملّ أكثرُهم
وعانقَ المجدَ مَن وفَى ومَن صَبرا
لا تحسب المجدَ تمرًا أنت آكلُه
لن تبلغَ المجدَ حتّى تلعَقَ الصَّبرا

كثيرٌ هم المَلأى بما لا قيمة لَه، والمُجَعْجِعون بخيْبتهم وسَفَاه نفوسهم على الرّؤوس، والنّاسُ تدري! وعجيبٌ أنّهم فيما يتعلّق بالدِّين والعلْم كثرةٌ، كما أنّهم في مَعاجيل الحياة الدّنيا أكثر وأكثر، ولكنّ المتمسّح بالدِّين والشّاريَ به عَرَضًا تافهًا، أعظمُ خطرًا وبليّةً من غيره، أفتَرى القاصرين عن الكمال المُمْكِن يتّعظون، أو يسْتَحون، أو ربّما ينكسرون؟ ربّما، ولعلّ، وعسى!!

ما أهدى زَوَافر العَظَمة حين يقوم برَكْزها العظماء! ما أهداها سبيلًا وأقومها فعالًا وقيلًا! ولست أزعُم تفرُّد هذا أو ذاك من العلماء والصّالحين بعَلَم تجديد أمْر الدِّين في الأمّة، فهُمْ بحمْد الله لا يزالون في أكثر الأصقاع مُتتابعين، كما أنّ الأشرار على شرّهم لا يزالون مُتَتَايعين، إلاّ أنّ صاحبَنا الذي أهَمَّنا؛ فألْهمَنا وألْهبنا، شاء له ربُّه الحكيم أن يكون فريدًا في خصائص، مَن تأمّل سيرته، ونظر في تاريخه؛ تبيّن له بعضها، وأدرك ببصيرته النّافذة أنّ له محلًا بسببها بين الكبار العظماء!

للّه ما أنت فيما يتراءى لي إلاّ وجهٌ مليحٌ لَمّا كان يتلجْلج في نفس الحكيم وهـو يُنْشد: «نفسُ عصام سـوّدتْ عصامًا»، وعصامٌ هذا هو ابن شهير الجَرميّ، كان من أشدّ النّاس بأسًا، وأبْينهم لسانًا، وأحْزمهم رأيًا، وكان من صُلَحاء قومه، وقد عجب الناس لسيادته حين كان على عامّة أمر النعمان، حتى قال قائلهم: كيف نزل عصامٌ هذه المنزلة من النّعمان، وليس في بيت قومه وليس بسيّدهم؟ فقال أحدهم:

نفْسُ عصام سـوّدتْ عصامًا
وجعـلـتْه مـلكًـا هُـمـامًـا
وعلّمـتْه الكَـرَّ والإقـدامـا
وألحقـتْه السّـادة الكـرامـا

فحَنانَ اللّه التظنُّنُ بك غير ما يليق بقدْرك الضّافي من التّوفيق وكمال الرُّجْلة وسُمُوق الخلال.

لقد تَفَتَّك الأستاذ المبرور بما عَنّ له من الرّشَد في الفهم والتنزيل، ومضى في حال سبيله يحْدوه الشوق إلى الله تعالى، ويملأه الأنس به كلّما نزل أو طار، ولأجل ذلك لم يقف عند عتْب المحبّ، ولا ثَنَتْه عن بُغيته مُكافرةُ الجَحود، بل راح يتأمّل الصّواب المتدلّيَ من مشكاة الوحْي وعلم النُّبوّة؛ كلّما تألّق الإيمان في حناياه وجدَّتْ روحه في مسيرها إلى الله.

وربما تَبَطّن المَكْرَةَ لدينه العظيم ودعوته الغالية إذا أحوجته ضرورةٌ، أو ضَيّقتْ عليه المحنة، ولست تَجده- وهو ينشط حِلًّا وترحالًا- إلاّ مَكْثُورًا عليه، لعظيم موقعه في قلوب مَن عرفه عن كثب، وتَرصَّد حاله، وتأمَّل كلامَه، وهو بحقٍّ مُفوّهٌ منطيق.

ولستَ مع عُظْم الشُّقّة عليه في القصد إليه واجدَه إلاّ باشًّا هاشًّا، لا يردّ سائلًا إلاّ بما يمسح على خاطره المكدود بحاجته، أو بكلمة صادقة حانية تحفر في نفس قاصدِه أخاديدَ من التأمّل، وتُمدّه بسيلٍ من العبَر الشّافية الكافية.

وها هما ديباجتاه تلمعان بنور لا يخفى على القريب والبعيد، تُومئان لمن أحْسَن الله به صُنعًا أنّ مَن صَدقَ اللّهَ صَدَقه، وأبدى له من بركة التوفيق والقبول ما يَنْصاحُ له بسببه في وَسَق الليل نورٌ وهّاجٌ يمشي في هدايته، والنّاسُ حيارى في أرضٍ بُورٍ ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ الله لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ من نُورٍ﴾.

إنّ مَن يتحجّى بوهمه وقلّةِ فهمه أنّ أحوال المصلحين محْضُ مُصادفة؛ عليه أن يعالج بَصَره، ويقرأ من جديد سيَر المتقدّمين من الصّحابة الكرام (رضي الله عنهم) وأتباعهم، ما كانت عليه أحوالهم، وما آلتْ إليه أيامهم، وكيف واكبهم التأييد واللّطف، وباركهم الرُّحْم والعَطف.

طلب «كولن» العلم في طفولته الرجولية بجد وحب وكان فيه كمن يحفر الصخر الصلب

من عوامل العظمة التي بثّها الأستاذ في ذوي الشكائم المتّقدة، وشدّ عليها بين حناياهم؛ إذابةُ الأنانية من ذَواتهم، وإفناؤها من نفوسهم إلى غير رَجعة، فإنّ الرّكز العاقلَ من عُرْض النّاس يلتذّ بنفع غيره، وينتشي بفعل المعروف، فكيف بالدّاعية ذي المبدأ والفكرة، أمّا النّكس المفرِّط فإنّه لا يبالي إذا حصّل طرفًا من لُعاعة الدّنيا أن يَهْلك الخلق كلّهم بعده، ولو أنه حُرب بعضَ مَحابّه لرأيته يتمعّج حزنًا وقَلقًا، ولكأنّه ما عَرف للّه الذي أنشأه حكمةً ولا تدبيرًا، ولا قضاءً ولا تقديرًا!

وهذا الصّنف من الموجودات النّاطقة لا يُطيق صحبةَ الأستاذ، ولا يقْوى على فهم مراده، لأنّه سُكّيتٌ في الخير، ولا شأن له بمن جَلّي في المكارم والمُروءات أو صَلّى، وهمّة الأستاذ قاضيةٌ بأنّ الطّريق ذاتُ نصب وهمّ، لا يتحمّل وعْثاءها إلاّ المَداريك الكَمَلة الذين بذلوا أرواحهم لراحة غيرهم، وتصدّقوا بأعمارهم لنشر برِّهم، وتأمّلوا من ربّهم أن يَعْفو عنهم، ويا ليتَ أنّهم خَلصوا من دنياهم كَفافًا لا لهم ولا عليهم!

وممّا تميّز به هذا العبد الصالح أنّه نَسَك إلى هدْي أَجَدَّ فيه وأخلص له، ليس من التصوّف المغشوش في شيء، بل هو من زهد النبيّ ﷺ وأصحابه في متاع الدنيا البئيس النّحيس، وعدم التفاتهم إلى شيء من زهرتها الفانية، وهو خُلق الرّبّيّين الصُّبُر عن متاع الغرور، وليس يطيق الدّوامَ على هذه الجادّة إلا رجلٌ نَضيجُ العقل حَنيكُ الرأي، مُولَعٌ بحقيقة الاتباع لا بصورته، وهذا الذي جعل عينَ صاحبنا تُذْري كلّما أَوْحل الناسُ في دنياهم، وفرحوا بمَأْتاهُم منها، وهم في غفلة مُعْرضون، أو في صحوة متهتّكون مُعاندون!

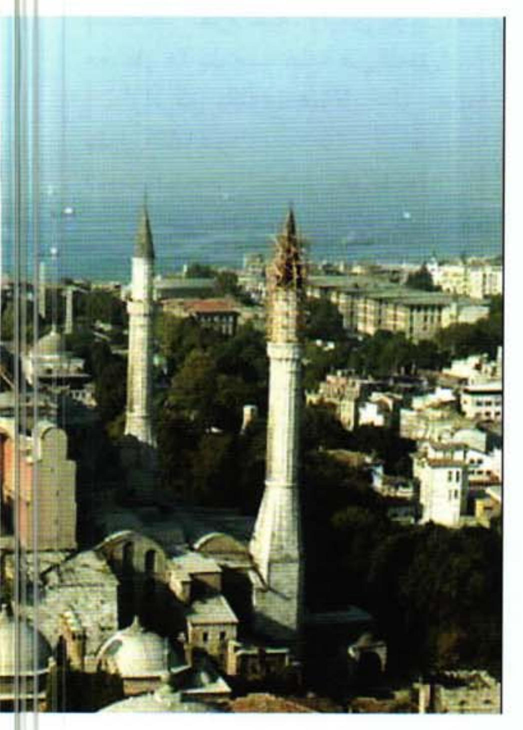
إنّ رجلاً يفهم كمثل صاحبنا لا ينْطلي عليه أنّ التّعتُّه الذي يتجمّل به بعض المَرْكوسين، وإظهارَهم الفقر والفاقة ومراءاةَ المُريدين؛ ليس جميلاً بمن تكشّفتْ له أنوار الحقّ على الحقيقة، وفَهِمَ عن الله مرادَه، ولأجْل ذلك نطق بالحق بَرَاحًا، وناء بنفسه عن خَرَف الهَذّائين ودَجَل الكذّابين، ولعلّ هذا الهمّ أشْجَب قلْبَ شيخنا «كولن»؛ فلم يزل يقاوم هذا السّلوك الأرعن المسْخَ بفعله القويم وقيله الحسن وبَشأنه كلّه؛ حتى تهزهزَ فؤادُه للخير الذي هُدي إليه، وعاش له وعليه، نُعماه لو تُقبِّل منه! والله كريمٌ واسعٌ.

> **عاش هذا الأشم حصوراً إلى يوم الناس هذا مع ما أنعم الله عليه من تمام الخلقة وقوة البدن وجمال الصورة**

لقد نَجَح الباذلون نفوسهم لله، القائمون على عيْلولة الخلق أيّما نجاح؛ حيث رَفَدوا الناس في مناحي الحياة بشتى فروعها، وتربّعتْ أكفّهم بالخير، وجادوا بالقليل والكثير، رجاءَ ورْث الآخرة المرغوب لمن آمن بالله وَعمل صالحًا، وأكرمْ ببذار الخير إذا قام عليها أهلها وذَوُوهَا! وكذلك أصرّ «كولن» على من سمع كلمته ووعاها أن يَخرُج الدّرهم والدّينار من الجيب التركيّ النّظيف، فيرجعَ على الفقير التركيّ العفيف، والغنيُّ والفقيرُ كلاهما ذؤابةٌ في الشّرف وطيب المحتَد.

وإنّك لتدرك منفَعةَ هذا الإصرار حين ترجع بصرك للعاملين في الأقطار العربية التي ضرب عليها مُتْرفوها أسورةً من الذّل والجوع والهوان، وجعلوها تتعيّشُ البُلْغة من القُوت، حين ادّرع أولئك العاملون الدعاةُ أمانيّ العطاء من بلاد المال والأعمال، وهم إن أفلحوا حينًا، فرجعتْ عليهم أمنياتهم ببعض الدُّريهمات، إلا أنّ أمانيَّهم خابت فلم يجنوا من ورائها إلا انكسار نفوسهم وقلّة حظوظهم في الأعمّ الأغلب، وإنّ في هذا الواقع المهين المُزري لعبرةً ودرسًا لمن يَعي ويفهم بأنّ مشاريع الخير التي ينشُدُها أولئك المجتهدون لا تنجح ولن تنجح ما لم يكن أصلها وفرعها من أنفسها، وكما قيل: صرّح الحقّ عند مَحْضه!

لقد مَحن بعض الدّعاة التسوّل الخيريّ فلم يروا فيه بركة، وتَحَفّى آخرون ببعض ذوي المال حتى تَوجّع منهم الأغنياء الثّقلاء، وضاقوا من عنايتهم الثقيلة ومجاملاتهم السّمْجة، فآل ذلك إلى أنْ أصْلفوا وملّوا، وصار أولئك الواقفون بين أيديهم كالمستجير من الحرّ بالقرّ، وكالمُستجيع الذي لا يَشبع! وسبحان من علّم رسوله ﷺ هدايتنا وتأديبنا؛ فقال: «يا حكيم، إنّ هذا المال خضرةٌ حلوةٌ، فمن أخذه بسخاوة نفس بُورك له فيه، ومن أخذه



بإشراف نفس لم يبارَك له فيه؛ كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى»، ورضي الله عن حكيم بن حزام حيث امتثل في اللحظة وقال: «فقلت يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أرْزأ أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا» (صحيح البخاري).

ودعاةُ الخير القائمون على أمر الناس اليوم خليقٌ بهم أن يتّعظوا بالحال التي أوصلتهم إليها رحلاتهم شرقًا وغربًا خارج ديارهم؛ طلبًا لبذل المعروف ونشر الخير، وبحثًا عن حاتم وعَرَابة، والمُشْرُون من بين أظهرهم غافلون كالحون، للماعون مانعون.

والحمدُ لله الذي جعل الأيام عُوجًا رواجع؛ فالغنيّ اليوم فقيرٌ غدًا، ودوام الحال من المحال؛ لا براح! اللهم غفرًا ورحمة.

عاش هذا الأشمّ حَصورًا إلى يوم النّاس هذا، مع ما أنعم الله عليه من تمام الخلقة وقوّة البدن وجمال الصّورة، ومع يقينه بشرف شِرْعة النكاح، وأنّها سنّة الأنبياء والمرسلين، فلم يعزف عنها رهبانيّةً، ولا تَنَكُّبًا للسَّبيل المحمودة، ولكنّه عايش أمّته وهي تذوي قيَمُها، ويضمحلّ شموخُها، ويهوي في دَكَاديك مُظلمة شيبُها وشبابُها، فرأى مع كلّ هذا الهمّ الجاثم على البلاد طولًا وعرضًا لو ربط نفسه بميثاق الزّوجية الغليظ لكان أحْكَمَ وِثاقَ حركته الوثّابة المستيقنة أنّ الأرض كلَّها أضْيقُ من أن تكون وَطنًا لمسلم، كما قرّر ذلك مفسّرُ شنقيط، فآثر لذلك التفرّغَ لدينه ودعوته، مع تمام تسليمه أنّ الزواج حنيفيّةٌ سمحةٌ لا يرغب عنها تنقّصًا لها إلاّ مخذول.

إنّ مآسيَ السَّبيلة للعظماء منذ نُعُومتهم لها أثرٌ وأيّ أثر في كثير من النّجاحات المُستقْبَلة التي يُؤتَوْن أجْرها ويُمْنحون بِرّها! وكذلك كان شأنُ صاحبنا، تُوحِشُه الأيام تباعًا حتى ليكاد يندقّ لها عنقُه، ويَندكّ تحت وطأتها كاهلُه، ثمّ يُوثبه مولاه وثْبةَ عارف بمنَح ربّه المُعطي، فيؤمن بالفتح القادم إيمانًا لا يُخالجه شكّ، ولا يَذوي ببريقه الرُّوحانيّ رَيْب.

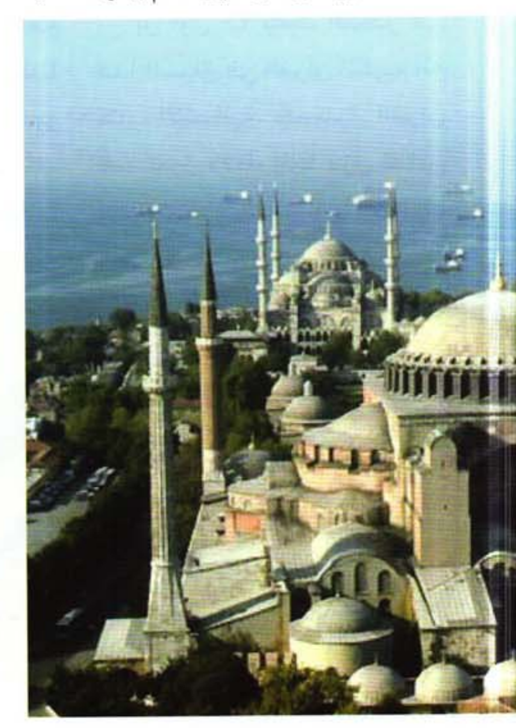
والمتعةُ بالبدايات السَّهْلة قد لا يكون لها ذلك الأثر من النّجاح إلاّ كما تترك الوَكْتةُ من الأثر في المرسوم أو الكتاب، أفَلا يَتَعقّل مَن يعقل مَراشد الأمور من الدُّعاة والمتصدِّرين لهداية الخلق أنّ معاناتهم ظاهرًا وباطنًا قد تكون سبيلَهم إلى الظَّفَر بحُمْر النَّعم؟ فلمَ يحرصون على تغْليف دعوتهم وصيانةِ حركاتهم من كلّ كَأْدَاءَ مُؤلمة؟ ألا يفهمون أنّ تلك الدَّعَة الدَّعويّةَ ليستْ بالضّرورة مَجْلبةَ خير، ولا هي دائمًا علامةَ توفيق وتأييد؟ أليسوا مُدْركين أنّها في أحَايينَ كثيرة كانت طالعَ سوءٍ على صاحبها، وفألَ خيبة عليه؟

أيها المعلّم القريب عليّ بُعْدك.. قد يطرب الممدوح لثناء مَن أحبّه وشُغف به، ولكنّا نعلم بالقطع أنّ هذا الطَّرَب الفِطريّ في نفوس الأسوياء ما هو إلاّ فرحٌ منهم بعاجل بُشرى المُومن، ومع أنّها فرحةٌ بريئةٌ من شوائب العُجْب والمَخيلة إلاّ أنّها سريعًا ما تذوي في غَمامة من الكَرْب الدّفين المُعْتلج بين جوانحً تلك النّفوس الكريمة التي طالما واجهت عظائم الأمور، وكثيرًا من سفساف عاجل الدّنيا المَهين، وانسحبتْ منه إلى بَرٍّ أمينٍ متفكّرٍ في ملكوت الله الفسيح تفكُّرَ مَن يَعي أنّ عيوبه أخْفى من أن يكتشفها مُحبٌّ أو مخالبٌ.

وكما تَهمَّم شيخ العربيّة يومًا بصنيع مثْلِ صنيعي معك أنا اليوم، وعَدّ أبتهاجه بالثناء عليه بما هو فيه وبما ليس فيه لؤمًا في الغريزة؛ لعلْمه أنّ الذي فيه من الخير مغمورٌ في بَحْر طام من النّقيصة والعيب، هكذا قال أو نَحوه... فلستَ أنت- يرعاك الله ويصونُ شيْبتك الوقورة- إلاّ كذلك، وخيرًا من ذلك؛ تجد في نفسك حرجًا من بعض الواجب الذي يتعلّق بعُنُق مَن ذكر شيئًا ممّا يليق بك في دُوّامة ما يرى ويسمع ممّا لا يفيد ولا يغني.

ولكنْ هكذا كان منّا أداء بعض الواجب في حقّك، ومَعدنُك الكريم أهلٌ للصّفح والمغفرة في بعض التجاوز إن وقع! ولستَ أبدا مُحوجًا لأنْ يكتب عنك مثلي، ولكنّي وغيري من الصّغار في مسيس الحاجة لأن نتلمّس الهدْيَ النبويّ؛ كيف عشتَه أنت، وكيف حَييتَ لأجله أنت، وكيف عانيتَ لتمثّله في حياتك أنت، وكيف سلّمكَ اللـه من براثن مَن يُبغضه حيث آثرْتَ المَسْك به، وكيف أينعتْ ثمار غراسك بسببه.

فتح الله كولن.. أسبغ الله عليك العافية ونجّاك، وأورثك التوفيق أبدًا وهداك، وأطالَ في عمرك، وباركَ في عملك، وخَلَع عليك من أنواع الرّضا وخصال الطّمأنينة ما يجعلك تفد عليه مرضي الجانب مكلوء الجناب والله المستعان.





التوجيه الشمولي للقرآن

شمولية القرآن تتضمن رسالة الإسلام بكل تفاصيلها، ففي باب الإيمان يقول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل: ٨٩) و﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، فالقرآن الكريم فيه تبيان لكل شيء، حيث يقدم القواعد العامة الشاملة لتعمير هذه الحياة الدنيا، كما يعالج بعض التفاصيل لحكم يعلمها الله تعالى، وهذا الشمول يتوافق مع كل الأزمنة والأمكنة، ولأن رحمة الرسالة واسعة استدعت أن يكون منهج القرآن واسعًا فسيحًا شاملاً.

ومن شمولية القرآن مطالبته جميع المكلفين بإسلام شامل جامع مانع، فلا يلتزمون ببعض شرائعه ويتركون بعضها، لأن ذلك لا يليق بمن أسلم وجهه لله تعالى، كما قال الله سبحانه ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ (البقرة: ٨٥).

إن القرآن الكريم برسالته العامة يهدف إلى توضيح خطوط عريضة لابد من أن يلتزمها المسلمون، وهذه الخطوط راجعة في جميع تفاصيلها إلى الاعتقاد الجازم بشمول الشريعة لمناحي الحياة كلها وكفايتها احتياجات الخلق جميعًا، وتيقن أن هذا الدستور الرباني الخالد كما قال بعضهم: «دولة ووطن، أوحكومة وأمة، وهو مادة وثروة، أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة، أو جيش وفكرة، وهو خلق وقوة، أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون، أو علم وقضاء، كما أنه عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء».

إن القرآن رسالة تجمع بين الدنيا والآخرة، بين الروحانية والمادية، بين المثالية والواقعية، رسالة تشمل شؤون الفرد، وشؤون الأسرة، وشؤون المجتمع، وشؤون الأمة، وشؤون الدولة، وشؤون العلاقات الدولية.. إنه منهج حياة ينظم حياة الإنسان من أدق تفاصيلها إلى أوسع اهتماماتها، إنه دين لكل الأمم ولسائر الشعوب، لأنه رحمة الله للعالمين ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا...﴾ (الأعراف: ١٥٨).

أهل القرآن ودورهم في النهضة

وصفي عاشور أبوزيد

حينما نقرأ في مدونات السنة النبوية الشريفة حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تعالى أهلين من الناس» قيل: يا رسول الله، ومن هم؟ قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»(١). ويقول المناوي: «أي الذين يختصون بخدمته... فإنه لما قربهم واختصهم كانوا كأهله»(٢).

حينما نقرأ ذلك ندرك تمامًا ما لأهل القرآن عند الله تعالى من مكان ومكانة، فليس بعد هذا التشريف تشريف، وليس بعد هذه الأهلية الإلهية من تكريم ورفعة، وليس بعد هذا الاختصاص والاصطفاء من كرامة وشرف: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ (فاطر: ٣٢)، وإذا كان خير الكلام كلام الله، فكذلك خير الناس بعد النبيين من يتعلم القرآن ويعمل به ويعلمه، وليس مجرد حفظ حروفه فقط، وهذا مقتضى وصف الربانيين الذين قال الله عنهم: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران: ٧٩).

حين نتحدث عن دور أهل القرآن في إحداث نهضة الأمة وقيادة تلك النهضة، فلا يسعنا أن نتجاوز الحديث عن دور القرآن نفسه في إحداث تلك النهضة وريادتها وبيان معالمها وموجباتها.

إن أول ما يلفت النظر في هذا السياق في القرآن الكريم أنه كتاب الإنسانية، فلم ينزل القرآن للمسلمين فقط إنما نزل للناس كافة؛ ليخرج الناس من الظلمات





إلى النور، إنه نداء للإنسانية قبل أن يكون نداء للمؤمنين، رغم كثرة النداءات الإيمانية في هذا الكتاب العزيز.

وحسبنا أن ﴿يأيها الناس﴾ ذكرت في القرآن ١٩ مرة، وكلمة ﴿الناس﴾ في القرآن ١٣٨مرة، و﴿بني آدم﴾ ٥ مرات، ومن ثم يفتح هذا الكتاب الباب على مصراعيه للحوار مع الآخر، واستيعاب البشرية بما فيه من مبادئ إنسانية، وتعاليم بشرية تصلح للبشر، كل البشر. رغم اختلاف الزمان والمكان والإنسان والحال، فهي الرسالة التي «امتدت طولًا. كما قال الإمام حسن البنا، حتى شملت آباد الزمن، وامتدت عرضًا حتى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عُمقًا حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة».

إنه الكتاب الوحيد من الكتب السماوية التي بين أيدينا. الذي أعلى مكان الآخر، ورفع قدره، وأوجب له التقدير والإجلال والإقساط والإحسان والبر دون نظر أو اعتبار لعقيدته أو لونه أو جنسه أو لغته، كيف لا وقد قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ...﴾ (الحجرات: ١٣).

ومع هذا الشمول في مساحات الخطاب نجد شمولًا من نوع آخر، وهو في مجالات توجيه هذا الخطاب، ففي القرآن الكريم اهتمامات واسعة بمجالات الحياة كلها، عقيدةً وعبادةً، أخلاقًا ومعاملات، نظمًا وأحكامًا، قوانينَ وتشريعات، قيمًا ومُثلا، عادات وتقاليدَ، أعرافًا وموازينَ...الخ، فالأول شمول في المستهدفين من الخطاب، والثاني شمول في مجالات هذا الخطاب.

هو الكتاب الوحيد الذي ظل محفوظًا، لم ولن تمتد إليه يد بالتحريف أو التغيير أو التبديل أو التزوير، بمقتضى وعد الله بحفظه حين قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)، فنجد فيه الأخبار الصادقة، والوقائع الحقيقية، وهو الوثيقة الوحيدة التي نطمئن إليها في قصص الأنبياء وسيرهم وتاريخهم، حيث نلتمس منها العبرة البليغة، والحكمة النافعة.

أهل القرآن ... عنه يصدرون وإليه يرجعون ومنه يغترفون وفي نوره يسيرون وبه يجاهدون

ومن معالم النهضة في هذا الكتاب أن كل شيء فيه قائم على التوازن، توازن في الخلق وتوازن في الأمر، توازن في الكون وتوازن في التشريع؛ فتعاليمه وتشريعاته جمعت بين الدعوة والحركة، ومزجتْ بين العلم والعمل، ووصلتْ بين التأصيل والتطبيق، وربطتْ بين الدنيا والآخرة، في غير ما طغيان ولا إخسار.

لم يأمر باعتبار الآخرة وإهمال الدنيا، إنما جعل عمارة الدنيا طريقًا للفوز في الآخرة، فخلق الخلق وأمرهم بعمارة الأرض: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: ٦١)، ولم يأمر المؤمنين أن يتبتلوا ويتعبدوا ثم يهملوا أبدانهم أو عقولهم، كما لم يأمرهم بالرهبنة دون زواج أو إنجاب لتسير حركة الحياة ويعمر الكون.

كل هذا يدلك على رغبة القرآن في إحداث حراك في الحياة، له شموله وتوازنه وعمقه واستمراره.

إن من خصائص هذا الكتاب ومقومات النهضة فيه أنه كما روى الترمذيُّ في سننه بسند فيه مقال عن الحارث الأعور أن النبيَّ ﷺ قال عنه: «...هو الذي لا يزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه...»، وهو الذي وصفه الإمام الشاطبي بأنه: «كليةُ الشريعة، وعمدةُ الملة، وينبوعُ الحكمة، وآيةُ الرسالة، ونورُ الأبصار والبصائر، وأنه لا طريقَ إلى الله سواه، ولا نجاةَ بغيره، ولا تَمَسُّكَ بشيء يخالفُه...، وإذا كان كذلك لَزِمَ ضرورةً لمن رامَ الاطلاعَ على كليات الشريعة، وطَمعَ في إدراك مقاصدها واللّحاق بأهلها أن يتخذَه سميرَه وأنيسَه، وأن يجعلَه جليسَه على مَرّ الأيام والليالي، نظرًا وعملًا، لا اقتصارًا على أحدهما، فيوشك أن يفوزَ بالبُغْيَة، ويَظْفرَ بالطَّلِبَة، ويجدَ نفسَه من السابقين وفي الرعيل الأول»(٣).

ومن خصائص هذا الكتاب ومعالم النهضة فيه أنه خالد وخاتم، كما أن الذي أنزل عليه خاتم، وكما أن الذين أنزل لهم خاتمون؛ فليس بعد القرآن كتاب، وليس بعد محمد بن عبدالله ﷺ رسول، وليس بعد أمة الإسلام أمة.

ومقتضى هذه الخاتمية أن أودع الله في القرآن أصولًا وكليات ومبادئَ، ثابتةً لا تتغير ولا تتبدل مهما تبدلت الأجيال والأزمان والأحوال والعوائد، فهي بمنزلة الجبال الرواسي التي تمسك الأرض أن تميد بالناس، يرجع الناس إليها، وينشئون حضارتهم وعمرانهم على أساس منها واستبصار بها وبصيرة فيها، يرجعون إليها عند الفزع، ويأوون إليها عند الخوف، ويلتمسون فيها الفرج عند الضيق، ويجدون عندها- مهما كان الألم واليأس وتردي الواقع- الرَّوْح والراحة والأمل والرضى والرضوان واليقين.

وجعل فيه أمورًا تتغير بتغير الزمان والمكان والأحوال والعوائد؛ احتضانًا للواقع، واستيعابًا لمتغيراته، وإحداثًا لأحكام وتشريعات تنبثقُ من تلك الكليات والمبادئ والمقاصد، ولا تتعارض معها أو تتصادم بها.

أهل القرآن والنهضة

إننا مهما حاولنا أن نكتب عن معالم النهضة الحضارية القرآنية لن ننتهي من





الحديث، ولن ينتهي بنا بحره إلى ساحل، فالقرآن بحر، من أي النواحي أتيته فلجته المعروف والجود ساحله؛ ذلك إن كان له بَرٌّ، أو وجد له ساحل.

ولما كان أهل القرآن- الذين هم أهل الله وخاصته- يحملون هذا القرآن: حفظًا وتلاوةً وتدبرًا وعملًا وتعليمًا، فلا يتصور أبدا أن تجدهم منفكين عن هذه المعالم أبدًا، بل دائمًا متلبسين بها جميعًا، فهم عن القرآن يصدرون، وإليه يرجعون، ومنه يغترفون، وفي نوره يسيرون، وبه يجاهدون البشرية جميعًا جهادًا كبيرًا.

إن أهل القرآن هم أهل السماحة والتواصل الفعال الحضاري بين البشر؛ حوارًا موصولًا، وعطاءً ممدودًا، لن تجد أحدًا منهم مصابًا بالتعصب أو الانغلاق، ولن تجد أحدهم موبوءًا بالتحجر أو التحلل أو احتقار الخلق، إنما هو شخص منفتح على «الإنسانية»، على «البشرية»، على «بني آدم»، كيف لا، وهو يُدرجُ بين جنبَيْه كتاب الإنسانية؟!

إنهم يحمون الناس من اليأس، ويضيئون أمامهم الطريق، وييسرون لهم العسر، ويذللون لهم الصعب، ويبثون فيهم الأمل، ويحيونهم بعد موات، ويهدون البشرية للتي هي أقوم: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٩).

أدوار أهل القرآن

ومن الأدوار التي يمكن أن يؤديها أهل القرآن للأمة في هذا السياق ما يلي:

■ **دور تربوي جماهيري**، بحيث ينشرون هدايات القرآن، ومنهجه في إصلاح النفوس وترقيتها في مدارج الكمال الإنساني المنشود، فيصير الفرد إنسانًا صالحًا مصلحًا، تتحقق فيه مقتضيات الاستخلاف والتكليف والعمارة.

■ **دور إصلاحي اجتماعي**، بحيث ينبني هذا الدور على الدور السابق، فمتى تحققت الربانية في الأفراد سهل تحقيق الإصلاح الاجتماعي العام بحفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه وهو الإنسان، وهو المقصد الأعلى من وضع الشريعة كما قال العلامة الطاهر بن عاشور وغيره.

متى تحققت الربانية في الأفراد كان من السهل تحقيق الإصلاح الاجتماعي العام

■ **دور تيسيري تبشيري**، وهو دور يتغلغل في الأدوار الأخرى ويتسرب في تضاعيفها، بحيث يظهرون سماحة الإسلام ويسر الشريعة، فيستوعبون الناس، ويبسطون مظلة الإسلام على قطاعات البشرية العريضة، بما أودع الله في هذا الدين من أصول جامعة وفروع متغيرة تتغير بتغيرات الزمان والمكان والأشخاص والأحوال والعوائد، وفي الوقت نفسه يبشرون بظهور الإسلام إن عاجلًا أو آجلًا، وينشرون الأمل بين الناس رغم وجود الألم، فإن تَبَلُّجَ الإصباح يَخْرُجُ من رحم الظلام الدامس، وإن سورة الفجر نزلت بعد سورة الليل!

وكما أن معالم النهضة الحضارية في القرآن لا تنتهي، فكذلك معاني النهضة الحضارية في أهله لن تنتهي، ولن نستطيع حصرها إلا كما روى الإمام أحمد بسنده عن سعد بن هشام بن عامر قال: أتيت عائشة- رضي الله عنها- فقلت: يا أم المؤمنين أخبريني بخلق رسول الله ﷺ قالت: كان خلقه القرآن، أما تقرأ القرآن قول الله عز وجل: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾(٤). صدقت السيدة عائشة- رضي الله عنها- وصدق رسول الله ﷺ وصدق الله العظيم.

الحواشي

(١) رواه أحمد والنسائي وابن ماجة والحاكم بسندهم عن أنس رضي الله عنه، وحسنه شعيب الأرناؤوط في تعليقاته على المسند، وقال المناوي: «قال الحاكم: روي من ثلاثة أوجه هذا أجودها» اهـ. وفي الميزان: رواه النسائي وابن ماجة من طريق ابن مهدي عن عبدالرحمن بن بديل، وأحمد عن عبدالصمد عن ابن بديل تفرد به، وقد ضعفه يحيى، ووهاه ابن حبان، وقواه غيرهما». فيض القدير: ٢/٦٢٩، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٤م.

(٢) فيض القدير: ٢/٦٢٨-٦٢٩.

(٣) الموافقات: ٤/٣٤٦. طبعة دار الفكر العربي.

(٤) مسند أحمد: (٢٤٦٤٥)، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.



الإعجاز العلمي في القرآن.. تصويب الاتجاه

د. غازي التوبة

بلغت الآيات الكريمة التي تحدثت عن مظاهر الكون والطبيعة والإنسان والحيوان والنبات ثلث القرآن الكريم، وهذا مبلغ عظيم، وقد ربط كثير من الباحثين في عصرنا الحاضر تلك الآيات ببعض النظريات العلمية والاكتشافات التي ظهرت في العصر الحديث، واعتبروا هذا إعجازًا علميًا غير الإعجاز البياني الذي جاء به القرآن الكريم، والذي هو الأصل المجمع عليه في الإعجاز، ولكننا نجد عند البحث الدقيق أنّ هناك اعتسافًا في التعامل مع الآيات الكريمة التي ربطوها بالإعجاز العلمي.

لقد اقتلع كثير من الباحثين الآيات القرآنية الكريمة من سياقها الذي وردت فيه من أجل تأدية غرض معيّن، وربطوها بالنظرية العلمية التي اكتشفت حديثًا دون النظر إلى ما قبلها وما بعدها، وهذا خطأ كبير في فهم القرآن الكريم وفي التعامل معه، وبالإضافة إلى هذا يعتبر ذلك تجاوزًا للمقاصد والحكَم والأهداف التي جاءت من أجلها تلك الآيات في السياق القرآني. وبالغ بعضهم في الإشادة بالإعجاز العلمي، فاعتبر أنّ الربط بين الآية الكريمة والنظرية الحديثة هو الذي أفهمنا إيّاها، وهذا اتهام للقرآن بأنه طلاسم وألغاز ومغاليق، كانت تُتلى من المسلمين طوال أربعة عشر قرنًا دون فهم أو استيعاب.

وهذا غير صحيح فالقرآن الكريم كتاب عربي مبين، ويتميّز عن الكتب السماوية الأخرى بأنه كتاب علم وعقل، وتوصف معجزة القرآن الكريم الخالدة بأنها معجزة بيانية عقلية، وأنا سأقدّم ثلاثة أمثلة توضّح بعض الأخطاء التي وقع فيها باحثو الإعجاز العلمي:

■ الأول: قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات: ٤٧).

يتضح البناء العقلي للمسلم من خلال أمر الآيات بالنظر في مظاهر الكون

أشار باحثو الإعجاز العلمي في القرآن الكريم إلى أنّ الآية ﴿وإنّا لموسعون﴾ أشارت إلى نظرية تمدّد الكون واتساعه التي اكتشفها العلم حديثًا، وهذا قول مجانب للصواب، وتحميل للآية ما لا يحتمله سياقها في السورة. فمن الواضح عند النظر إلى الآية في سياق سورة الذاريات أنّ الآية بدأت بمقطع يتحدّث عن بعض مظاهر قدرة الله تعالى في السماء والأرض، وعن حكمة الله في خلق الأزواج فقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ. وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ. وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات: ٤٧-٤٩).

وقد جاء هذا المقطع بعد إخبار الله لنا في المقطع السابق من السورة عن إهلاك عدّة أقوام، منها: قوم لوط، وقوم فرعون، وقوم عاد، وقوم ثمود، وقوم نوح، ثم يأتي أمران للعباد بعد آيات إهلاك الأقوام، وآيات السماء والأرض والأزواج، هما: الفرار إلى الله، والتحذير من الإشراك معه شيئًا آخر، قال تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ. وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (الذاريات: ٥٠-٥١)، وهذان الأمران مطلوبان لأنّ الله هو ربهم ومليكهم وخالقهم، وهو العظيم القادر على أن يحفظهم ويرعاهم، وأن يمدّهم بكل أسباب النماء والقوّة ...إلخ، فمن الجليّ أنّ الحديث عن سعة السماء وما فيها من أفلاك ونجوم وكواكب ومجرّات ...إلخ -وهي ظاهرة واضحة للعيان يراها الإنسان بشكل جليّ- يدل على عظمة الله وقدرته وجبروته وحكمته ...إلخ ويبني في قلب الإنسان تعظيم الله، وتقدير قدرته، ويدفعه للخضوع لله سبحانه وتعالى.

والجليّ أنّ الحديث عن سعة السماء ليس المقصود منه طرح نظرية علمية لأنه انتزاع للآية من سياقها وليس هدفًا للسورة بحال من الأحوال، بل المقصود توجيه نظر الإنسان وقت نزول القرآن الكريم والآن وفي المستقبل إلى مشهد بديع يملأ العين والقلب بعشرات الأفكار والمشاعر، ويبني الإنسان بناءً نفسيًّا إيجابيًّا نحو تعظيم الله والخضوع له والثقة به سبحانه وتعالى ...إلخ ويدفعه إلى الفرار إلى الله تعالى، وإلى عدم الإشراك به تعالى.

■ **الثاني: قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ**



﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء:٣٠).

ربط كتّاب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بين قوله تعالى: ﴿أنّ السموات والأرض كانتا رتقًا ففتقناهما﴾ وبين نظرية الانفجار العظيم (Big Bang) التي اكتشفت مؤخّرًا، والتي قالت إنّ انفجارًا عظيمًا حدث في الفضاء قبل ملايين السنين، انفصلت بعده الأرض، وبدأت التشكّل، واعتبروا أنّ هذه الآية تشير إلى هذه النظرية، وكما قلنا سابقًا إنّ هذا اعتساف في استعمال النصوص، لأنّ الآية يجب أن يُنظر إليها من خلال السياق القرآني أي من خلال النظر إلى ما قبلها وما بعدها من الآيات لنفهم المعنى الذي تشير إليه، فنجد أنّ الآيات التي سبقت الآيات السابقة تحدّثت عن نفي الشريك لله تعالى، ثم جاءت بعدها آيات تحدّثت عن الأرض والجبال الرواسي، وعن الفجاج في هذه الجبال، وعن السماء والليل والنهار، وعن الشمس والقمر، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ. وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ. وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ. وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٦-٣٣).

وبالنظر في سياق آية «الانفجار العظيم»، نجد أنها لا تشير إلى مثل هذا بحال من الأحوال، بل إنها تشير هي والآيات التي بعدها إلى أنّ هناك إلهًا واحدًا هو الذي يدبّر نزول الماء ويقيم الجبال في الأرض، ويحفظ السماء من أن تقع على الأرض، وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر من أجل استمرار الحياة، وأنّ وجود إله واحد هو الذي جعل الأمور السابقة متساوقة، ويكمل بعضها بعضًا، ولا يتناقض فيها أمران، ولا تتدافع ظاهرتان ...إلخ. فالجليّ أنّ الحديث عن السموات والأرض المقصود منه التدليل على وحدانية الله، ومما يؤكّد ذلك أنّ المفسّرين القدماء فسّروا الآية المذكورة فقالوا: إنّ السموات والأرض كانتا مغلقتين ففتحناهما، فالسماء فتحها الله بإنزال الماء منها، والأرض فتحها بأن انبثق النبات منها، ومما يدعم هذا التفسير هو انتهاء الآية بقوله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾ وهي تشير إلى أنّ إنزال الماء من السماء هو السبب في حياة كل المخلوقات: الإنسان والحيوان والنبات.

■ **الثالث: قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾(الحديد: ٢٥).**

من المعلوم أنّ الحديد معدن وصل من النيازك والشهب التي تسقط على الأرض من كواكب السماء وليس من معادن الأرض المخبوءة فيها، وقد توصّل العلماء إلى هذه النتيجة مؤخّرًا، وربط باحثو الإعجاز العلمي بين هذا الاكتشاف العلمي والآية القرآنية التي تقول: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾، فلم يقل الله ﴿وخلقنا الحديد﴾ أو ﴿وجعلنا الحديد﴾، فاعتبروا قوله تعالى: ﴿وأنزلنا الحديد﴾ إشارة إلى مجيئه من مكان آخر، وقالوا إنّ الآية تشير إلى هذه الحقيقة، لكنّ آخرين ردّوا عليهم فقالوا إنّ الله قال: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثمانية أزواج﴾ (الزمر: ٦)، وقال: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا﴾ (الأعراف: ٢٦)، فهل ذلك يعني أنّ الأنعام واللباس والريش أنزل من السماء؟ لا أحد يقول بذلك.

من هنا يتبين أنّ هناك اعتسافًا وإسرافًا في الحديث عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.. فما هي الحكَم والمقاصد والأهداف التي استهدفتها الآيات التي أشارت إلى الكون والطبيعة والإنسان والشمس والقمر والمطر والسحاب والجنين ...إلخ؟ الحقيقة أنّ هناك عدّة حكَم ومقاصد وأهداف من هذه الآيات، وهي قد تكون أجلّ وأسمى وأصوب وأجدى على الإنسان المسلم من الحديث عن الإعجاز العلمي، وهذه الحكَم والمقاصد والأهداف هي:

■ **أولاً: البناء النفسي للمسلم**

استهدفت كثير من الآيات التي تحدّثت عن الطبيعة والإنسان والسماء والأرض والماء والريح ...إلخ البناء النفسي للمسلم، وتوجيه قلبه إلى الله تعالى: تعظيمًا وخضوعًا وحبًّا وخوفًا ورجاء وثقة ...إلخ، ويمكن أن نمثّل لذلك بآيات وردت في سورة إبراهيم، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ. وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ. وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم: ٣٢-٣٤).

بدأت هذه الآيات بتقرير عدّة أمور هي: أنّ الله هو الذي خلق السموات والأرض، وهو تعالى الذي أنزل المطر الذي كان سببًا في نمو الشجر ونضج الثمر الذي أضحى طعامًا لنا، وهو الذي هيّأ الأسباب لتبحر السُّفن عباب البحر، وهو الذي سخّر لنا عدّة مخلوقات: الأنهار والشمس والقمر والليل والنهار، ثم يبيّن الله لنا فضله علينا، وهو أنه آتى العباد من كل ما سألوه، مع أنّ نِعَم الله أجلّ وأوسع من أن تحصى، ومع

ذلك فإنّ الإنسان لا يحمد الله حق الحمد ولا يشكره حق الشكر بل هو ظلوم كفّار.

يقتضي تقرير الآية أنّ الله الذي خلق السموات والأرض من العدم على غير مثال سابق، وهو خلق عظيم يحوي ملايين النجوم والأفلاك التي تسبح في الفضاء منذ ملايين السنين وإلى ما شاء الله، يقتضي تعظيمه تعالى.

ويقتضي إنزاله تعالى الماء من السماء أن نعظّمه- تعالى، لأنّ إنزال المطر تطلّب تبخير الماء، وإرسال الرياح، وتحميل السحاب، وحدوث البرق والرعد، تطلّب كل هذا وكثيرًا غيره نجهله، وهذا كله يقتضي تعظيمه تعالى، ويقتضي أن نحبّه- تعالى، لأنه أنعم علينا بهذه النعمة التي ترتبط حياتنا بها أشدّ الارتباط طعامًا وشرابًا، وأن نرجوه تعالى في أن يستمرّ في إنزاله علينا، وأن نخافه- تعالى- من أن يحرمنا منه.

ويقتضي تسخيره- تعالى- لنا الفلك التي تمشي الهوينى على سطح الماء، أن نعظّمه - تعالى، لأنّ سيرها احتاج إلى عشرات الموافقات، وأن نحبّه تعالى لأنّ نعمة استخدام السفن نعمة عظيمة ندرك قيمتها، ولو تخيّلنا عدمها كم ستصبح الحياة شاقة وصعبة.

ثم يخبرنا تعالى أنه سخّر لنا الأنهار، ويقتضي هذا التسخير أن نحبّه تعالى لأنه هيّأ لنا هذه النعمة فنشرب ماءها، وتشرب منها بهائمنا، ونسقي بها زروعنا، ونركبها في انتقالنا.

ثم يخبرنا تعالى أنه سخّر لنا الشمس والقمر وما ينجم عنهما من ليل ونهار، ويصف الشمس والقمر بصفة ﴿دائبين﴾، وهي صفة أصيلة ولصيقة بهما، فالإنسان ينشأ وهو يرى



الشمس بالنهار، والقمر بالليل، ويموت مخلّفًا وراءه تتابعهما، وكذلك الأجيال التي سبقته والأجيال التي تليه إلى أن يشاء الله.

ويقتضي هذا التسخير أن نحبّه تعالى وحده لأنه أنعم علينا بأن ذلّل لنا هذه الآيات الكبيرة: الشمس والقمر والليل والنهار، الشمس بحرارتها التي تعتبر أساسًا في حياتنا، والقمر الذي نمتّع به أبصارنا، ونستضيء به في ظلماتنا ونحسب به أيامنا، والنهار الذي يضيء أيامنا وحركتنا، والليل الذي يلفّ أجسادنا ليريحها من عناء النهار.

ثم يأتي التعقيب النهائي الذي يوضّح القصد من الحديث السابق: ﴿إنّ الإنسان لظلوم كفّار﴾ شديد الظلم للحق، لا يُؤلّه الله وحده، بل يُشرك معه آلهة أخرى، ولا يتوجّه إليه بالحبّ وحده بل يحبّ آلهة أخرى معه، وهو شديد الكفران والجحود، يقابل نعَم الله التي لا تُحصى بالمعصية وعدم الطاعة.

■ ثانياً: البناء العقلي للمسلم

قد بنى القرآن الكريم عقل المسلم البناء الصحيح، وجعله يتعامل مع الكون المحيط به تعاملاً سليمًا، وهو من أجل تحقيق هذا استخدم آيات الكون والطبيعة والإنسان ...إلخ، ووظّفها في سبيل تحقيق هذا الهدف، وليس من شك في أنّ هذه ثمرة عظيمة، ويتّضح ذلك من خلال إقرار قانون السببية، وهو أهم قانون قامت عليه حضارتنا وأخذته الحضارة الغربية من حضارتنا، وهو الذي نقل الإنسان من العقلية الخرافية إلى العقلية العلمية، ففي شأن نزول المطر قال تعالى: ﴿اللّٰهُ الّذي يُرْسِلُ الرّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (الروم: ٤٨)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الّذي يُرْسِلُ الرّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتّى إِذَا أَقَلّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مّيّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ﴾ (الأعراف: ٥٧). فالآيتان السابقتان توضّحان أنّ الرياح كانت سببًا في تكوين السحب، وكيف أنّ السحب كانت سببًا في نزول الماء، وكيف كان الماء سببًا في إنبات النبات ...إلخ وهذا بناء لعقل المسلم على الظاهرة السببية.

ويتضح البناء العقلي للمسلم من خلال أمر الآيات بالنظر في مظاهر الكون من طعام، ونزول مطر، وإنبات نبات، والشمس ...إلخ، فقال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ. أَنّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا. ثُمّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا. فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا. وَعِنَبًا وَقَضْبًا. وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً. وَحَدَائِقَ غُلْبًا. وَفَاكِهَةً وَأَبًّا. مّتَاعًا لّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ (عبس: ٢٤-٣٢)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الّذي أَنزَلَ مِنَ السّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مّتَرَاكِبًا وَمِنَ النّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنّاتٍ مّنْ أَعْنَابٍ وَالزّيْتُونَ



وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ٩٩)، وحضّ القرآن الكريم المسلم على النظر في أحوال الأمم السابقة وهلاكها، وأسباب ذلك فقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (الأنعام: ١١)، وقال تعالى أيضًا: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (النمل: ٦٩)، وحثّ القرآن الكريم على استعمال حاسّتي السمع والبصر اللتين هما الأصل في بناء العقل فقال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ (الإسراء: ٣٦)، وحثّ القرآن الكريم على التفكير فقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة: ٢١٩)، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأنعام:٥٠)، ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر: ٢١)، وحثّ القرآن الكريم على التعقّل فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (الملك: ١٠)، ﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (المؤمنون: ٨٠)، وحثّ القرآن الكريم على العلم فقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ (طه: ١١٤)، وامتدح العلماء ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨)، وحثّ الله على استعمال البصر فقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ. ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (الملك: ٣-٤).

■ ثالثًا: التدليل على وحدانية الخالق



استثمر القرآن الكريم آيات الطبيعة والكون للتدليل على وحدة الخالق، فذكرت الروايات أنّ الله أنزل على الرسول ﷺ في المدينة قوله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ١٦٣)، فقالت قريش: كيف يسع الناس إله واحد؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ١٦٤)، تحدّثت الآيات السابقة عن مظاهر وألوان من آيات الله الباهرة، منها: خلق السموات والأرض، والسُفُن التي تجري في البحر، ونزول المطر، وإنبات النبات، وخلق الدواب، وحركة الرياح والسُّحُب ...إلخ.

إنّ تلك الظواهر الكونية السابقة مع أنها متفرّقة فإنها متكاملة يكمّل بعضها بعضًا، ويخدم بعضها بعضًا، فلَمْ تصطدم أيّة ظاهرة مع أخرى بل الكل مسخّر للإنسان، متكامل معه، يحقّق هدفًا في منظومة الكون السائرة إلى الأمام، وكل هذا يدل على أنّ هناك خالقًا واحدًا، وربًّا واحدًا، وهو ما قصدته الآيات. وقد أشارت آيات أخرى إلى وحدانية الخالق بالمفهوم المخالف بأنه لو كان أكثر من إله لفسدت السموات والأرض فقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء:٢٢)، وأشارت آية أخرى إلى أنه لو كان فيهما أكثر من إله لعلا بعضهم على بعض ولاضطرب نظام الكون فقال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (المؤمنون: ٩١).

ومن الجدير بالذكر أنّ الحديث عن وحدانية الخالق من خلال استخدام مظاهر الطبيعة والإنسان يستهدف بالإضافة إلى إثبات حقيقة الوحدانية كحقيقة عقلية أمرًا آخر هو البناء النفسي، ويدلّ على ذلك أنّ الآية التالية للآية التي أثبتت وحدانية الخالق من خلال عرض مظاهر الخلق في السموات والأرض والسُّفُن ونزول المطر وإنبات النبات ...إلخ قالت: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥)، وبيّنت أنّ المقصود من الكلام عن وحدانية الخالق هو توجيه الحبّ إلى الله، وبيّنت ذلك من خلال الإشارة إلى خطأ بعض الناس بتوجيه الحبّ إلى أنداد لم تَخلق ولم تُنعم على الناس بشيء.

■ رابعًا: التدليل على وحدة المخلوقات

استثمر القرآن الكريم آيات الكون والطبيعة والإنسان والحيوان ...إلخ للتدليل على وحدة المخلوقات، وأبرز عدّة مبادئ تؤكّد ذلك منها:

أ - مبدأ الزوجية: أشارت الآيات



إلى أنّ مبدأ الزوجية هو الذي يحكم الكون كله، فهناك الذكر والأنثى في عالم الإنسان والحيوان، وهناك الطلع المذكر والطلع المؤنّث في عالم النبات، وهناك الأرض والسماء، والشمس والقمر، والليل والنهار، والبر والبحر ...إلخ في عالم الكون، فقال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات: ٤٩)، وقال تعالى: ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (ق: ٧).

ب- مبدأ إخراج الحي من الميّت والميّت من الحي: أشارت الآيات إلى أنّ الله يخرج الحي من الميّت والميّت من الحي في كل المخلوقات التي خلقها: الإنسان والحيوان والنبات، ففي شأن خلق النبات من النواة قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (الأنعام: ٩٥)، وفي شأن خلق الإنسان قال تعالى: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (يونس: ٣١).

ج- مبدأ المائية في كل المخلوقات: بيّنت الآيات أنّ الماء هو الأصل في كل المخلوقات فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٠)، فالطفل يأتي من اجتماع ماء الرجل وماء المرأة، وكذلك الحيوان يأتي من ماء الذكر والأنثى، وكذلك النبات فالماء هو الأصل في حياته، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ (الأنعام: ٩٩)، ثم بيّنت العلوم الحديثة أنّ الماء يشكّل فوق تسعين بالمائة من أجسام المخلوقات جميعها: الإنسان، والحيوان، والنبات.

ومما تجدر ملاحظته أنّ التدليل على وحدة المخلوقات يستهدف أمرًا آخر غير إثبات الحقيقة العقلية هو البناء النفسي، ويدل على ذلك أنّ الآيات التي أبرزت المبادئ التي عرضنا والتي دلّت على وحدة المخلوقات انتهت بما يوجّه إلى ذلك، ولو أخذنا مبدأ الزوجية نجد أنّ الآية التي تحدّثت عن مبدأ الزوجية في سورة الذاريات انتهت بطلب الفرار إلى الله، والفرار يقتضي الرجاء فيمن يفر الإنسان إليه. ولو أخذنا الآية التي تحدّثت عن المبدأ الثاني فسنجد أنها انتهت بقول الله تعالى ﴿أفلا تتقون﴾، وفيه توجيه وحضّ على التقوى، وهي أصل عظيم في البناء النفسي. وكذلك لو أخذنا الآية التي تحدّثت عن المبدأ الثالث لوجدنا أنها انتهت بقوله تعالى ﴿أفلا يؤمنون﴾، وهذه النهاية توجيه إلى الإيمان وهو الهدف من البناء النفسي والعقلي.

> **القرآن استثمر آيات الكون والطبيعة والإنسان والحيوان ... إلخ للتدليل على وحدة المخلوقات**

■ خامساً: التدليل على ضرورة وجود اليوم الآخر

شكّل وجود اليوم الآخر مشكلة بالنسبة للمشركين، فردّ القرآن الكريم عليهم بأنّ عدم وجوده يعني العبثية فقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ. فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ (المؤمنون: ١١٥-١١٦)، وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ (القيامة: ٣٦)، ودلّل على ضرورته بالنظر إلى كل الظواهر الكونية، فستجد الحكمة والقصد والهدف من وراء خلقها بالصورة التي خلقت عليها فقال تعالى في سورة النبأ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا. وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا. وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا. وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا. وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا. وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا. وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا. وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا. لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا. وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا. إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ (النبأ: ٦-١٧)، فأشارت الآيات إلى أنّ الله جعل الأرض ممهّدة لحكمة تسهيل السير فيها، وجعل الجبال عالية شاهقة لتثبيتها ولتقوم مقام الأوتاد بالنسبة للخيمة، وخلق البشر أزواجًا من أجل السكن والمودّة واستمرار النوع، وجعل النوم سُباتًا من أجل الراحة، وجعل النهار مضيئًا من أجل الإنتاج والمعيشة، وجعل الشمس متوهّجة من أجل إنبات النبات وإمكانية عيش الإنسان، وجعل الماء ينزل من السحُب من أجل إحياء النبات والحيوان والإنسان. إذن فكل شيء مخلوق لحكمة، وإذا كانت الحكمة والقصد والغاية والهدف قانونًا يحكم كل مخلوقات الكون، فلابد من أنّ يحكم الإنسان، لذلك لابد من اليوم الآخر، لذلك قال تعالى بعد تلك الآيات: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ (النبأ: ١٧).

■ سادساً: التدليل على إمكانية بعث الأموات

تشكّك المشركون في بعث الأموات الذين صاروا ترابًا، فنقل عنهم تشكّكهم واستغرابهم النشر، في القرآن: ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (الواقعة: ٤٧)، وقال تعالى أيضا: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ (ق: ٣)، فردّ عليهم القرآن بأمرين:

الأول: أنّ الذي خلق أول مرّة قادر على أن يعيد خلقه مرّة ثانية فقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ





يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٧٨-٧٩).

الثاني: أنّ خلق السموات والأرض وهي من خلق الله أكبر من خلق الإنسان، فالنتيجة أنّ الله قادر على أن يعيد خلق الإنسان بعد أن يموت، قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (غافر: ٥٧)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (الروم: ٢٧).

سابعاً: التدليل على بعض صفات الله

لم يتحدّث القرآن الكريم عن بعض صفات الله حديثًا نظريًا، وإنما تحدّث عنها من خلال آيات الكون والإنسان، ففصّل في صفات الخلق والقدرة والعلم والحكمة والخبرة والقوّة ...إلخ من خلال عشرات الآيات فقال تعالى عن صفات الخلق: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٢-١٤)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤). وأظنني في غنى عن استعراض آيات أخرى بيّنت صفات أخرى لله تعالى كالرزق والحكمة والخبرة والعلم ...إلخ

والسؤال الآن: هل يعني ذلك ألاّ نستفيد من كل الاكتشافات العلمية الحديثة في مجال الفلك والطب والنبات والحيوان والإنسان والأنهار والجبال ...إلخ؟ لا ليس هذا صحيحًا، بل يجب أن نستفيد، وأن نوسّع آفاق فهم الآيات ونعمّقه من خلال الربط بين الحقائق المكتشفة ومعاني الآيات، فيزداد المسلم تعظيمًا لله، وخوفًا منه، ورجاء فيه، وحبًا له سبحانه وتعالى، ويمكن أن نضرب على ذلك المثال التالي:

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ. وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ (الطارق: ١١-١٢). وقد فسّر العلماء قوله تعالى: ﴿والسماء ذات الرجع﴾ بأنها هي السماء التي ترجع المطر، وقوله تعالى: ﴿والأرض ذات الصدع﴾ بأنها الأرض التي تتشقّق فيخرج منها النبات، وليس من شك في أنّ ظاهرتي الإمطار والإنبات ظاهرتان عظيمتان، تؤثّران في قلب الإنسان وعقله، فيتوجّه إلى الله بالتعظيم لأنه أنزل المطر الذي ترتبط به حياته أشدّ الارتباط، ويحبّه تعالى لأنه أغاثه بهذا الماء، ويتفاعل عقله مع هاتين الظاهرتين فيجد في هاتين الظاهرتين علمًا لله، وحكمة وقدرة وخبرة ورحمة وقوّة ...إلخ.

لكنّ العلوم الحديثة أضافت لنا معلومات حديثة حول دور السماء، فهي ليست السماء الماطرة فقط، بل تقوم بدور آخر، فهي ترجع لنا بالإضافة للمطر ثلاثة أشياء هي: الضوء، الحرارة، موجات البث الإذاعي والتلفزيوني. وترجع عنّا أربعة أشياء، هي: الأشعة فوق البنفسجية، الشُهُب، أشعة كونية قاتلة، الجُسيمات الذرية. ويمكن أن يضيف المفسّر هذه المعاني في شرح الآية، فتعطيها أُفُقًا أوسع وأرحب، وتجعل المسلم يزداد تعظيمًا لله، وحبًا له، وخوفًا منه، ورجاء فيه، وثقة به ...إلخ، ليس لأنّ السماء أرجعت المطر فقط، بل لأنّ السماء قامت بأشياء أخرى غير المطر، ولا تقل قيمة وأهمية وفائدة عن المطر.

الخلاصة

ليس من شك في أنّ العصر الحديث أضاف لنا معلومات هائلة، وحقائق متعدّدة، ونظريّات مختلفة عن كل الظواهر المحيطة بنا، ومن الطبيعي أن يستفيد منها علماء المسلمين في تعاملهم مع القرآن، لكنهم ركّزوا ذلك في الإعجاز العلمي، وقد رصدنا بعض الأخطاء التي وقع فيها باحثو الإعجاز العلمي في عدّة مجالات، وبيّنا أنّ هذا التعامل الخاطئ حجب الأهداف الرئيسية التي جاءت الآيات من أجلها، وهي: البناء النفسي، البناء العقلي، التدليل على وحدانية الخالق، التدليل على وحدانية المخلوقات ...إلخ، وقلّل الثمرات التي يمكن أن يجنيها المسلم من تلاوته للقرآن الكريم، وتدبّره لآياته.



القُرآن وبناء العمران

أحمد عبدالجواد زايدة

بين يدي أُمتنا مفتاح نهضتها وأساس قوتها ومصدر عزها.. إن انتبهت وأحسنت التدبر والفهم.. والعمل. يُقرأ القرآن على مر العصور والأجيال ويُنزل في المجتمع فيكون مناسبًا لحل المشكلات وصناعة المجتمع وصياغة الإنسان.. وهذا أمر واضح وضوح الشمس في رابعة النهار! وسببه معروف كذلك، إذ إن هذا الكتاب أنزله الذي خلق الإنسان والكون والحياة ويعلم أسرار النفس وما تنصلح به الحياة وما يستقيم به أمرها.

يكون القول في غاية الصواب حين نقول إن أساس العمران هو الذي ينطلق منذ البدء من القُرآن إن أحسنا فهم العبارة وأجدنا تطبيقها، لذا فحين يقول القائل «على الأمة- كي تفلح- أن ترجع لكتاب ربها»، فهو عين الصواب لكن لو أحسنا الفهم بعمق- لا بسطحية! ومن وجد غير ذلك فالمشكلة في القارئ وليست في كتاب ربنا- قطعاً!

فأي عمران مبتوت الصلة بالقُرآن والوحي فهو محكوم عليه «بالتراجع» ولو استمر قليلا أو كثيرا.

لقد جاء القُرآن ليبني العُمران على كل مستوياته التي تبدأ بعمران الجنان وتستمر بعمران الوجدان وتكتمل بعمران الإنسان وتتواصل بعمران السلطان وتتم بعمران الاستخلاف عبر مفاهيم مُحكمة وسنن ربانية وقوانين إلهية تصنع الحياة وتصوغها.

فعمران الجنان إنما هو عمران العقل ببناء الأفكار والتصورات والمفاهيم؛ والإجابة عن الأسئلة الوجودية التي تاهت كثير من الفلسفات المعاصرة في محاولة الإجابة عنها والتي تُشكل جُزءًا كبيرًا من فلسفة الحياة.. من أين جئت ولماذا وإلى أين المصير؟ ومن خلال القُرآن يتم بناء النموذج المعرفي للإنسان، ويستطيع أن ينظر إلى كل المفاهيم التي يتم تصديرها «بفعل العولمة»، صالحة كانت أو فاسدة ويقيسها من خلال «المنظور القُرآني التوحيدي»، فللحرية من خلال النظرية القُرآنية معنى واضح جدًا، وكذا للعدالة والمساواة والتكريم والوسطية وغيرها من كل المصطلحات باختلاف مشاربها مع القدرة على ضبطها.

ويجب على الأمة أن تعمل على إيضاح هذه المفاهيم وتبسيطها وتنزيلها في المجتمع وترشيد فهم المجتمع للدين من خلالها.

كذلك فإن في القُرآن الكريم سننًا ربانية واضحة لقيام الأمم وهبوطها ونهضتها وسقوطها، وقواعد في المصلحة والمفسدة، ودروسًا في السياسة الشرعية، ولعل هذا يكون واضحًا في القصص القرآنية وما فيها من عِبر وما يمكن أن يُستخلص منها من مقاصد جليلة، وهو ما يمكن تسميته في مجمله «بعمارة الوعي».

أما عمران الوجدان فهو أثر القرآن الكريم، وأثر تدبره في تزكية النفس وتطهيرها بإيضاح حقيقة هذه الحياة الدنيا وموقف المؤمنين وغيرهم يوم القيامة وحال أهل الجنة وأهل النار.

وكذلك تدبر صفات الله عز وجل في آيات القرآن من حيث القدرة والقيومية والسمع والبصر، فتترسخ هذه المعاني في وجدانه فينتج «القلب السليم».

ومن عمران الجنان والوجدان ينتج «عمران الإنسان»، فيخرج إنسان التربية الإسلامية وإنسان الشهود الحضاري الذي صاغه القُرآن وتربى على مائدته فكرًا وسلوكًا وسننًا ومعايير، هذا الإنسان يعقل آيات الله وسننه ويستبصر بها في صناعة الحياة، لا أن يجعل الواقع هو الذي يُشكل هذه السنن والمفاهيم، فهو يعمل بالعقل الذي يفكر «بالفقه السنني» لا «بالفقه العرفي» (بتعبير المفكر الكبير الدكتور ماجد الكيلاني)

وللعلامة الدكتور فريد الأنصاري، رحمه الله، مشروع ختم به حياته أسماه «من القُرآن إلى العمران»، وقد أبدع رحمه الله إذ ألف كتابًا فريدًا «مجالس القرآن» وآخر «بلاغ الرسالة القرآنية.. من أجل إبصار لآيات الطريق»، وكان له رحمه الله تصنيف في مراتب العمران «عمران الإنسان»، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله..﴾، ثم «عمران السلطان»، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾، ثم «عمران الاستخلاف»، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿يا داود إنا جعلناك خلية في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾، وهو ما يمكن التعبير عنه «بإخراج الأمة المسلمة لتحقق مهمة الشهود على الأمم كلها»، شهودًا معرفيًا في المجال العلمي والمعرفي والفكري، واقتصاديًا وأخلاقيًا ومدنيًا... وغير ذلك، فهو شهود شامل، ولا شهود بغير قوة ولا قوة بدون عدالة وحرية وتكريم.

• باحث دراسات إسلامية



مقاصد القرآن منهجًا للبناء الحضاري

جاسر عودة

هناك علاقة مطّردة بين المنهج الذي نتعامل به مع قضية فهم القرآن الكريم، والمنهج الذي نتعامل به مع قضية البناء الحضاري. ففي هذا الزمان يشيع منهج في التعامل مع كتاب الله تعالى كثيرا ما تحكمه القضايا الفرعية الجزئية على حساب الاستراتيجيات والسياسات والتوجهات، والشكليات والحرفيات والمظهريات على حساب المعاني والمقاصد والغايات.

هذا المنهج الشائع ينضح ليصبّ في منهج مماثل في التعامل مع قضايا البناء الحضاري للأمة الإسلامية، وينتج تركيزا على الجزئيات والأزمات والمشكلات والشكليات والمظاهر الحضارية، كثيرا ما يكون على حساب الكلّيات والاستراتيجيات والتوجهات والمعاني والمباني الحضارية. والواقع أن تلك المنهجية التجزيئية التبسيطية في التعامل مع كتاب ربنا عز وجل هي جزء من الأزمة الحضارية للأمة، وتجاوزها إلى منهجية كلّية شاملة متكاملة هو جزء من الحلّ المنشود.

وعلماؤنا المعاصرون الروّاد قدموا لهذه الأمة إبداعا غير مسبوق في علوم القرآن، ولو أنه امتداد طبيعي لما قدّمه سلف هذه الأمة في هذا المجال، ألا وهو ما أطلقوا عليه «مقاصد القرآن» أو «محاور القرآن» أو «موضوعات القرآن» أو «كليات القرآن»، وهي معان ومبادئ نتجت عن نظرة إلى القرآن كلية شاملة جامعة، نظرة أرجعوا فيها البصر بين ما ينقدح في أذهانهم اليقظة من معان عالية، ومبادئ رفيعة، وخيوط جامعة، وبين ما تدل عليه حتى ينبرى بفضل الله تعالى من هذا الخضم الفكري مقاصد عالية وكليات جامعة يدل عليها القرآن بمجموعه، مقاصد قد لا تدل عليها الألفاظ صراحة ولكنها تؤكدها دلالات المعاني اقتضاء، تؤكدها تأكيدا يبلغ- عندهم- حدّ التواتر، فتنطلق ألسنتهم وأقلامهم ببيان هذه المقاصد وكيف تنضوي وتنتظم تحتها الآيات والأحكام والقصص والأمثال والحوارات والمواقف القرآنية بمجموعها- انتظام الدرر في العقد.

> **المطلوب أن تتحول المقاصد القرآنية إلى أهداف استراتيجية ومشروعات فكرية**

أما «المقاصد» فهي جمع «مقصد»، وهو الغاية أو الهدف أو النية أو المعنى أو الحكمة، ومقاصد القرآن هي غاياته وأهدافه ومعانيه، وهي تنقسم إلى مقاصد جزئية، ومقاصد السور، ومقاصد كلّيّة.

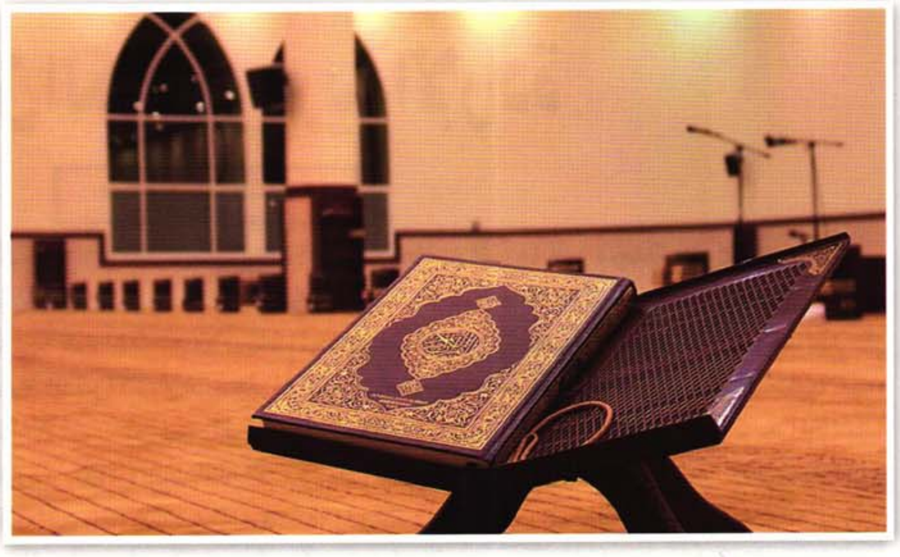
أما «المقاصد الجزئية» فهي المعاني المقصودة من آية بعينها أو حكم شرعي تدل عليه الآيات بعينه، وهذه المقاصد الجزئية لا تنتمي إلى موضوعنا عن البناء الحضاري، وإنما مظانّها في مباحث التعليل والمصالح والحكم في كتب السلف والخلف عن الأصول والفقه والاجتهاد. وأما «مقاصد السورة» فهي بمعنى المحور أو المدار أو المعنى العام الذي تدور حوله السورة، والتي كتب عنها كذلك علماء التفسير من سلف وخلف تحت عنوان «نَظْم السورة» أو «عمود السورة» أو «مقاصد السورة»، أو أخيرًا تحت عنوان التفسير الموضوعي أو المحوري أو التوحيدي للسورة. وهذان اللونان من مقاصد القرآن من الجزئية بحيث يكون المجال الأنسب في تناولهما هو مجال الفتوى فقها أو مجال الذكر والحفظ قرآنا.

ولكن العمدة في دور القرآن في عملية البناء الحضاري المنشود للأمة الإسلامية هو البحث عن المقاصد الكلية للقرآن، أي الغايات والمعاني والمبادئ والأهداف الكلية الاستراتيجية- إن شئت، وهذا النظر لا ينبغي لكل أحد، ولا يَسْلُس قياده لكل أحد، وإنما يتصدى له العلماء الراسخون، ذلك أن الخوص في أي علم بنظرة كلية مُستوعبة، فضلا عن علوم القرآن، إنما ينهض له من استوعب الجزئيات وهضمها قبل أن يخوض في الكليات، واستقرأ الحوادث والمواقف وفهمها قبل أن يخوض في الثوابت والمعايير، وتولدت عنده القدرة على تجاوز الظنيات المتعارضة إلى الكليات القطعية الراسخة.

وهذا النظر للقرآن العزيز ضرورة، قبل أن نخوض في اقتراح منهج قرآني لعملية البناء الحضاري المنشود، ذلك أن هذه العملية معقدة ومتداخلة وتتطلب منظومة قيمية نظرية شاملة ومتشعّبة، لا

* أستاذ مشارك في قسم السياسة العامة في الإسلام بكلية الدراسات الإسلامية بمؤسسة قطر





تركز على قضية وتهمل قضايا، ولا تتناول جانبا وتغفل جوانب، ولا تنطلق من بُعد ولا تعير الأبعاد الأخرى اهتماما، وإنما هي منظومة متكاملة كتكامل القرآن الذي ما فرط فيه ربنا من شيء، منظومة ربانية كربانية الذين يعلّمون الكتاب ويدرسون ولعل المتاح هنا هو أن نقدم بعض الأمثلة على «مقاصد القرآن»، تدل على ما وراءها، ونعرض باختصار ما أسهم به في هذا المجال الشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ محمد الغزالي والشيخ محمد الطاهر بن عاشور والشيخ يوسف القرضاوي، والشيخ طه جابر العلواني، وكلّها إسهامات مهمة يكمّل بعضها بعضا.

أما الشيخ محمد رشيد رضا-رحمه الله- فقد كتب عن استقرائه للقرآن بحثا عن مقاصده في كتابه «الوحي المحمدي: ثبوت النبوة بالقرآن»، وخلص إلى أن هذه المقاصد تشمل: «إصلاح أركان الدين، وبيان ما جهل البشر من أمر النبوة، وبيان أن الإسلام دين الفطرة والعقل والعلم، والحكمة والبرهان والحرية والاستقلال، والإصلاح الاجتماعي الإنساني السياسي، وإعطاء النساء حقوقهن. ولعلنا نلاحظ في «مقاصد القرآن» هذه أن الشيخ رحمه الله قد تأثر بقضايا عصره وهمومه الإسلامية، خاصة في «مقصد» الاستقلال، أو «بيان أن الإسلام دين العلم»، أو «الإصلاح السياسي»، ولكن هذا التأثير ليس مثلبا فيما طرحه الشيخ رحمه الله، إذ أن التأثر بالواقع و«رؤية العالم» لا مفرّ منه للمفسّر، وهذا المعنى نفسه هو الذي يبين لنا دور القرآن في البناء الحضاري وفي التفاعل الحيّ مع متطلبات العصر من خلال العالم الرباني الذي يُلهم ما يوفّي بتلك المتطلبات من خلال معاني الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه ولايَخْلَق على كثرة الردّ.

وأما الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، فقد قدم في كتابه «المحاور الخمسة للقرآن الكريم» مقاصد أخرى مهمة في عملية البناء الحضاري، لعل أهمها- فيما يبدو لي- هو مقصد القرآن الأسمى على حد تعبيره في أن: «يفهم المسلمون سنن الله الكونية والاجتماعية، وألا يحاولوا القفز من فوق سنن الله، وأن يعوا أنهم لن يمكنوا في الأرض إلا إذا تفاعلوا التفاعل الصحيح مع هذه السنن».

ويا له من مقصد لا مفرّ من فهمه واستيعابه وتطبيقه في عملية النهضة والبناء الحضاري المنشود، إذ أن تلك السنن هي أسوار الأقدار التي لا تتجاوزها الهمم.

وأما شيخ الزيتونة محمد الطاهر بن عاشور، فاستخلص من القرآن كله في كتابه «أصول النظام الاجتماعي في الإسلام» مقاصد وأصولا في إصلاح الفرد والمجتمع، وفي مراعاة الفطرة والسماحة والتوسط والمساواة والحرية والمؤاساة، وغير ذلك من المعاني- بل أعطى للمقاصد بعدا أمميا جديدا حين تحدث عن «مال الأمة» و«دين الأمة» وغير ذلك من الضرورات الشرعية، وهذه النظرات كذلك تضيف لبنات مهمة في الصرح الحضاري المنشود، وتوسّع نظرة المقاصد الفردية التقليدية إلى نظرة تتعلق بالأمة، دينها ونفوسها ومالها وعرضها وعقلها ونسلها.

أما الشيخ يوسف القرضاوي حفظه الله، فقد كتب فصلا تحت عنوان «مقاصد القرآن» في كتابه «كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟»، وفيه فصّل القول في مقاصد القرآن التالية:

١- تصحيح العقائد والتصورات.
٢- تكريم الإنسان ورعاية حقوقه.
٣- الأمر بعبادة الله وتقواه.
٤- تزكية النفس البشرية.
٥- تكوين الأسرة وإنصاف المرأة.
٦- بناء الأمة الشهيدة على البشرية.
٧- «الدعوة إلى عالم إنساني متعاون».

ولعلنا نلاحظ كذلك أثر التحديات المعاصرة وحاجات الأمة ومتطلبات النهضة في تصور الشيخ الجليل لمقاصد القرآن، وهو كذلك أثر مطلوب ومحمود، إذا ما أحوج المسلمين إلى نظرات قرآنية لرعاية حقوق الإنسان، وإنصاف المرأة، والدعوة إلى عالم إنساني متعاون، وما أهم هذه المعاني للبناء الحضاري المنشود، وما أجمل أن تستند إلى القرآن.

وأخيرا وليس آخرا، فمقاصد القرآن كما استقراها الشيخ طه جابر العلواني ثلاثة: التوحيد والتزكية والعمران، وهو مثلث ما أحوجنا كذلك إلى اعتباره واستثماره حاكما على فهم القرآن وتطبيقه.

والمطلوب لتفعيل واستثمار هذه الإبداعات والمقاصد القرآنية هو أن تتحول إلى أهداف استراتيجية، وأولويات مؤسسية، ومشروعات فكرية، كلها تتغيا البناء الحضاري المنشود.



القرآن الكريم وحرية الإرادة

الدكتورة بنت الشاطئ

قرأت بعناية بالغة وتقدير صادق ما كتبه الأستاذ الجليل الدكتور مصطفى الزرقا في مجلة «الوعي الإسلامي» الغراء تعليقا على المحاضرة التي ألقيتها في الكويت بدعوة من جمعية الإصلاح الاجتماعي عن «القرآن الكريم وحرية الإرادة». ولقد اغتبطت حقا لما بدا من اهتمام الأستاذ الجليل بمحاضرتي، وهو الذي نعرف له أصالته في فقه الإسلام، وجهوده السخية في خدمة الفكر الإسلامي. ولولا يقيني من حسن تقبله لردي عليه عن رحابة صدر وسعة أفق، لتحرجت من مناقشته، خشية أن يظن بي الغرور، لكني تعلمت من أدب الإسلام أن مثل هذه المناقشة إن رفعت قدري فليست بحيث تمس قدر الأستاذ الفقيه أو تجور على مكانته فينا. وقد جادلت امرأة مسلمة مثلي رسول الله عليه الصلاة والسلام، واشتكت إلى الله فسمع الله قولها ونزلت فيها آيات «المجادلة» وجادلته أخرى حين هاجرت إليه بدينها وأراد ﷺ أن يرجعها إلى قومها بمقتضى شرط من صلح الحديبية، فنزلت فيها آيتا الممتحنة:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ...﴾، وكذلك جادلت امرأة مسلمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على مسمع المسلمين بالمسجد، فأصغى رضي الله عنه إليها ورجع إلى المنبر فقال كلمته المشهورة التي بقيت ملء سمع الزمان، شاهدة على احترام الخليفة الصالح الفقيه لما كفل الإسلام للإنسان من حرية الفكر والرأي وحق الجدل والمناقشة: «أصابت امرأة وأخطأ عمر».

وأحتاج هنا إلى أن أمهر المناقشة بتلخيص موجز لفكرتي في المحاضرة ومنهجي في تناول مشكلة الجبر والاختيار التي حيرت علماء الإسلام قرونا ذات عدد.

الفكرة تقوم على أساس ما هدى إليه البيان القرآني من التفرقة بين مفهوم إرادة الخالق ومفهوم إرادة البشر..

إرادتنا كسبية مصحوبة بعزم وتصميم عن نية ورغبة..

وليست كذلك إرادة الخالق الذي لا يجوز عليه أي فعل أو صفة كسبية، على ما هو مقرر في علم التوحيد، وانما إرادته تعالى أمر نافذ وقضاء مبرم، سبحانه إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.

ومن هذا الفهم المدرك للفرق بين فعل الإرادة مسندا إلى الخالق، وفعلها مسندا إلى المخلوقين، كان منطلقي في تدبر الآيات التي حكمت الإرادة الإلهية في مصاير الأمم والأفراد، فنراها لم تعفهم من مسؤولية ما صاروا أو يصيرون إليه بمشاهد من صريح سياقها:

من هذه الآيات آية «هود» (١٠٧)، قوله تعالى فيها: ﴿إنّ ربّك فعّال لما يريد﴾ جاء حكمًا نافذًا على أمم وثنية ضلت وعتت عن أمر ربها فأخذها الله بظلمها ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴿١٠١﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾.

وآية يس (٢٣) قد أبطلت شفاعة آلهة تتخذ من دون الله أربابا، وهيهات أن تنقذ من حكم الرحمن علي من ضل باتخاذها ضلالا مبينا: ﴿أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ. إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ وآية الرعد (١١) التي جعلت إرادة الله بقوم سوءا حكمًا نافذًا لا مرد له: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ الإرادة الالهية فيها مسبوقة بقوله تعالى في صدر الآية نفسها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ ومثلها آية الأنفال (٥٣) فيمن أصروا على الكفر فحق عليهم العقاب: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وعلى هذا النحو تابعت تخريج آيات الإرادة في القرآن الكريم، فبدا لي- والله أعلم- أن الله تعالى يحكم علينا بما نريد لأنفسنا تقريرًا حاسمًا للتبعة، وإلزاما بمسؤولية إرادتنا الكسبية الحرة في عملنا ومسعانا، فالجبرية في حتمية المصير لما أرادنا تتم بها ارادة الله حكمًا عادلًا وقضاء نافذًا، وبغير هذه الحرية في إرادة البشر تنتفي حكمة إرسال الرسل وتتعطل أهلية الإنسان للتكليف.

وقد وقف الأستاذ الدكتور الزرقا عند تخريجي لآيتي هود ويس فقال، إن هذه الآيات بقيت محل تساؤل لدى قارئ محاضرتي إذ من الواضح أن مناط الحرية في آية هود إنما هو في تسليط الإرادة الإلهية على الإغواء وتعلقها به، فلو كان متعلقها غير الإغواء من عذاب

هذا المقال أرسل للمجلة بتاريخ ١٠/٨/١٩٦٨ ولم ينشر وكان تعقيبا على مقال د. مصطفى الزرقا

أو سوء عاقبة لصح التأويل «بأنها حكم الله على الناس بما أرادوا لأنفسهم».

وكذلك آية يس السياق فيها هو موازنة بين قدرة قادر وإرادته المطلقة، وعجز العاجزين.. فيبقى في ظاهر الآية متمسك للجبرية في أن ما يقع للناس من خير وشر ونفع وضر، إنما هو بإرادة الله تعالى التي لا محيص لهم منها.

ولا وجه فيما أرى لمثل هذه الوقفة، فلم أقل أن الإرادة الإلهية حين تأتي حكمًا نافذًا وقضاء مبرمًا وفق ما أردنا لأنفسنا، تقتصر على العذاب وسوء العاقبة- أو على الثواب وحسن العقبى- وإنما يصدق حكم الإرادة الإلهية النافذة على كل ما أراد الإنسان لنفسه من هدى أو ضلال ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى. وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى. وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ والله سبحانه قد هيأ للإنسان وسائل البصر والتمييز والهداية ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا. إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.

ولا أريد أن أتردد في قبول ما رآه الأستاذ الجليل من أن تلك الآيات جاءت في مقام التعبير عن قدرة الله تعالى المطلقة في ذاتها، وليست تعبيرًا عن واقع، ولذا جاءت في صورة الشرط.. فهو تعالى قادر على العدل والظلم، ولكنه لا يغوي ولا يظلم ولا يرضى لعباده الكفر ولا يسوقهم إليه، وكذلك كما تقول: إن فلانًا يستطيع أن يفعل كذا وكذا من خير أو شر، ولو أراد أن يقتل فلانا لفعل، ولا يفهم أحد من ذلك أنه فعل أو يفعل ما يستطيعه.

وأضيف إلى هذا الملحظ ما يقرره القرآن الكريم من ثبات السنن الكونية، مع قدرته تعالى على نقضها، فقوله تعالى: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾.. و﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ لا يناقض الآيات المثبتة قدرته تعالى على نقض سنن الكون، وقد جاء بها البيان القرآني معلقة على شرط المشيئة الإلهية بحرف «لو» أو «إن» «١» وكذلك تقرير حرية الإرادة الكسبية لا ينفي بحال ما قدرته تعالى على إغواء خلقه لو شاء وإضلالهم إن أراد لكنه سبحانه «لا يريد ظلمًا للعباد».

مشكلة الجبر والاختيار حيرت علماء الإسلام قرونًا ذات عدد

وعرض الأستاذ الجليل بعد ذلك لآيات: الأنعام (١٠٨)

﴿كذلك زيّنا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم يرجعون﴾ (١١١) ﴿ما كانوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ «الرعد» (٥٧) ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾، ورآها مشكلة على ما عرضت من تخريج وقد أسند فيها أصل السلوك الصالح أو الخاطئ من هداية أو ضلال إلى فعل الله تعالى ومشيئته.

ولا أراها مشكلة: فآيتا الأنعام في سياق من أصروا على الضلال عمدا وصحت إرادتهم على الشرك والعمى وانعقد عزمهم على العناد.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيل. وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

والآية كما نرى تقرر حرية العقيدة، وهي متلوة مباشرة بآية عنادهم وإصرارهم على الضلال ولو نزل الله إليهم الملائكة وكلمهم الموتى.

وآية الرعد ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ واضح من سياقها أنها تربط الضلال بعبادة الكفار ومماراتهم الفاحشة، كما تتعلق هداية الله فيها بمن أناب.

وبعدها في السياق نفسه تقرر مسؤولية الكسب، ويتعلق إضلال الله بمن حق عليهم العذاب بمكرهم وصدهم عن سبيل الله: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ، أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

ولا بأس مع ذلك بما ذهب إليه الأستاذ الجليل من «أن تزيين الأعمال يمكن فهمه بمعنى تحويطها بما يجذب إليها ويغري بها من متع وملذات ومنافع عاجلة وانفلات من القيود الملجمة في مقابل ما وضع الله في الإنسان من قوة العقل والتمييز والتبصير في العواقب، وأن مشيئته الله تتعلق بعدم الحيلولة بين مخلوقاته وبين اتباع طريق الهدى أو الضلال وتتحقق مشيئته بألا يريد الله تعالى استعمال قدرته في صرفهم وإن كان قادرًا على ذلك، فهذا القدر من التخلية بين المكلف والمنطلقات التي أمامه في الخير أو الشر يدخل في حدود المشيئة متى كان صاحب هذه المشيئة قادرا على الحيلولة».

أضيف أن تزيين الله للناس أعمالهم وحب الشهوات ومغريات الدنيا، هو أيضا من قبل الابتلاء الذي يجلو إرادة الإنسان ويؤكد حريتها في الاختيار، تقريرا لتبعة الكسب والسعي وإلزاما بما يتعلق بهما من هداية أو ضلال.

﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾. ﴿وأن لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾.

وللسيد الأستاذ الجليل تحية التقدير الصادق والشكر الجميل.

هامش

(١) يتسع المجال هنا لمزيد بيان أرجو أن أعرض له في مقال خاص بمشيئة الله.

نقل الفتوى من كتب المتقدمين


د . صالح النهام

لقد اقتضت حكمة الله عز وجل أنْ شرع الدين وحَفظه؛ عندما نصّب للناس أئمةً مجتمعًا على علمهم ودرايتهم وبلوغهم الغاية المقصودة في مرتبة العلم بالأحكام والفتوى من أهل الرأي والحديث، فصار الناس كلُهم يُعَوِّلون في الفتاوى عليهم، ويرجعون في معرفة الأحكام إليهم، وأقام الله سبحانه مَن يضبط مذاهبهم ويحرر قواعدهم، حتى حَفظ مذهبُ كل إمام منهم وأصوله وقواعده وفصوله، حتى تُرد إلى ذلك الأحكام، ويُبين الكلامُ في مسائل الحلال والحرام، وكان ذلك من لُطف الله بعباده المؤمنين، ومن جُملة عوائده الحسنة في حفظ هذا الدين (١).

لا ريب أن الأصل في الفتوى أنها بمعنى الاجتهاد، والمفتي هو المجتهد في عصر أئمة الاجتهاد في القرون الأربعة الهجرية الأولى، وبهذا ذكر أن «رأي الأصوليين قد استقر على أن المفتي هو المجتهد، أما من يحفظ أقوال المجتهدين فليس بمفت بل هو ناقل، والواجب عليه إذا سئل أن يذكر قول المجتهد الذي قلّده على وجه الحكاية(٢)» .

فعرف من هذا أن ما يكون في زماننا من فتوى الموجودين ليس بفتوى، بل هو نقل كلام المفتي ليأخذ به المستفتي، ثم إن نقله إما أن يكون له سند متصل منه إلى المفتي الذي نقل كلامه، وهذا في زماننا قريب من المتعذر، وإما أن يأخذه من كتاب معروف تداولته الأيدي(٣).

فإذا قلنا إنه من الصعب توافر هذه الشروط في هذا الزمان بحيث يمكن أن يُؤدى المطلوب، وبهذا يقول ابن دقيق العيد فيما نقله عن الزركشي: «توقيف الفتيا على حصول المجتهد يفضي إلى حرج عظيم، أو استرسال الخلق في أهوائهم، فالمختار أن الراوي عن الأئمة المتقدمين إذا كان عدلًا متمكنًا من فهم الإمام، ثم حكى للمقلّد قوله فإنه يكتفي به؛ لأن ذلك مما يغلب على ظن العامي أنه حكم الله عنده»(٤).

أولا: ضوابط نقل الفتوى من كتب المتقدمين

لاشك أن نقل الفتوى من كتب المتقدمين تضبطه قواعد علمية، ومصطلحات لها مآخذ ودلائل على راجح القول في المسألة من مرجوحها، فضلًا عن ضعيفها(٥)، فالمفتي حين يفهم مناهج المحدثين والفقهاء الاجتهادية يكون معتمدًا في فتواه على هذه الاجتهادات المعتبرة، من حيث معرفته بالمجتهد المطلق من غيره، وكذلك علمه بطبقات علماء كل مذهب يجعله يميز رأي الطبقة المتقدمة، ورأي الطبقة المتوسطة، ثم رأي الطبقة المتأخرة، وهي التي عليها مدار الفتوى في كل مذهب، بشرط أن تكون الكتب المنقول عنها موثوقًا بها وصحيحة ومحررة.

وقد بين ابن عابدين خطورة النقل من كتب متأخري المذهب الحنفي، غير الموثوق بها، وذكر: «أن من خطورة ذلك النقل أن ينسب إلى أئمة المذهب خلاف ما قالوا، أو أفتوا به»، ثم ضرب أمثلة في ذلك فقال: «وحيث علمت وجوب اتباع الراجح من الأقوال وحال المرجح له، تعلم أنه لا ثقة بما يفتي به أكثر أهل زماننا بمجرد كتاب من الكتب المتأخرة، خصوصًا غير المحررة...» (٦).

ولأهمية ما تقدم، فقد سئل بعض أهل العلم: أي كتبك أحب إليك؟ قال: «ما أتبصرهُ علمًا، وأتصوّرُهُ فهمًا»، وقال آخر: «ما أُفيدُ منه وأستفيد»، وقيل لبعض الحكماء: إن فلانًا جمع كتبًا كثيرة، فقال: «هل فَهمُهُ على قَدْرِ كُتُبه؟ قيل: لا، قال: فما صنع شيئًا، ما تَصنعُ البهيمةُ بالعلم»(٧).

ومن الضوابط والقواعد العلَمية على سبيل المثال فتاوى الإمام أحمد بن حنبل المبنية على خمسة أصول ذكرها الإمام ابن القيم وغيره(٨)، أولها: وجود النصوص، فإذا وُجد النص أفتى بموجبه، ولم يلتفت إلى ما خالفه، ولا لمن خالفه كائنًا ما كان. ثانيها: فتوى الصحابة بحيث لا يعرف لها مخالف. ثالثها: إذا اختلف الصحابة تخيّر من أقوالهم ما كان أقربها إلى الكتاب أو السنة ولم يخرُج عن أقوالهم، فإن لم يتبين له موافقة أحد الأقوال، حكى الخلاف فيها، ولم يجزم بقول. رابعها: الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف، إذا لم يكن في الباب شيءٌ يدفعه، وهو الذي رجّحه على القياس، وليس المراد بالضعيف عند الإمام أحمد هو الباطل ولا المنكر ولا ما

المراقب المالي والإداري في مجلة الوعي الإسلامي

في روايته متهم، بحيث لا يسوغ الذهاب إليه والعمل به، بل الحديث الضعيف عنده قَسِيم الصحيح، وقسم من أقسام الحسَن، ولـم يكن يقسم الحديث إلى صحيح وحسَن وضعيف، بل إلى صحيح وضعيف، وللضعف عنده مراتب. خامسها: القياس ولم يكن يستعمله إلا للضرورة.

ولا يخفى أن هناك مصطلحات في كل مذهب تدل على أن القول الفُلاني يكون إما لعالم أو لعالمين أو لمجموعة من العلماء، وهكذا، ومن العبارات المنثورة في تلك الكتب: قاله الأصحاب، أو الشيخان، أو الصاحبان، أو القاضيان، أو الشيخ، أو الإمام، أو القاضي، أو شيخ الإسلام، أو نص عليه، أو أن حكم مسألة ما هو الجواز، فيقال: وهو الراجح، أو المرجوح، أو الصحيح، أو الأصح، أو الأظهر، أو عليه المذهب، أو يُفتى به، أو المعمول به، أو أصح الوجهين، أو الروايتين، أو هو المختار، أو المشهور... وهكذا.

فكل هذه الضوابط المتعلقة بفهم المفتي بمناهج العلماء هي التي تخوله في نقل الفتاوى من كتب المتقدمين، سواء كانت هذه الكتب متعلقة بعلم الحديث أو الفقه أو غيرهما، بشرط أن تكون هذه الكتب كما قدمنا موثوقًا بها وصحيحة ومحررة؛ حتى يصح أن ينقل ما فيها إلى من استفتاه في مسألة معينة(٩).

ثانيًا: حكم نقل الفتوى من كتب المتقدمين

وفيه مسألتان

المسألة الأولى، حكم نقل الفتوى من كتب الحديث.

إن مسألة حكم نقل الفتوى من كتب الحديث الموثوق بما فيها، اختلف فيها العلماء على أقوال ثلاثة ذكرها ابن القيم(١٠)، بيانها على النحو التالي:

القول الأول: ذهب جمع من المتأخرين إلى أنه لا يجوز نقل الفتوى من كتب الحديث الموثوق بها للمتقدمين، وذلك لأنه قد يكون الحديث منسوخًا، أو معارضًا، أو يفهم من دلالته خلاف ما يدل عليه، أو يكون أمْر ندب فيفهم منه الإيجاب، أو يكون عامًا له مخصص، أو مطلقًا له مقيد، فلا يجوز العمل ولا الإفتاء به حتى يُسأل أهل الفقه والفتيا.

القول الثاني: وذهب جمع آخر إلى جواز نقل الفتوى من كتب الحديث الموثوق بها للمتقدمين، كما كان الصحابة يفعلون، إذا بلغهم الحديث عن رسول الله ﷺ وحدّث به بعضهم بعضًا، بادروا إلى العمل به من غير توقف، ولا بحث عن معارض، وكذلك فَعَل التابعون.

القول الثالث: قال ابن القيم: والصواب في هذه المسألة التفصيل، فإن كانت دلالة الحديث ظاهرة بينة لكل من سمعه، ولا يحتمل غير المراد جاز العمل والإفتاء به دون طلب تزكية من قول فقيه أو إمام، بل الحجة قول رسول الله ﷺ، وإن خالفه من خالفه، وإن كانت دلالته خفية لا يتبين المراد منها لم يجز العمل ولا الإفتاء بما يتوهمه مرادًا حتى يُطلب بيان الحديث ووجهه.

المسألة الثانية: حكم نقل الفتوى من كتب الفقه:

وفي المسألة هذه اتفق الفقهاء من الحنفية(١١)، والمالكية(١٢)، والشافعية(١٣)، والحنابلة(١٤) على أنه يجوز نقل الفتوى من كتب الفقه إذا كانت صحيحة وموثوقًا بها، وبذلك يقول العز بن عبدالسلام: «وأما الاعتماد على كتب الفقه الصحيحة الموثوق بها، فقد اتفق العلماء في هذا العصر على جواز الاعتماد عليها، لأن الثقة قد حصلت فيها كما تحصل بالرواية، ولذلك فقد اعتمد الناس على الكتب المشهورة في النحو واللغة والطب وسائر العلوم: لحصول الثقة، وبُعْد التدليس، ومن اعتقد أن الناس قد اتفقوا على الخطأ في ذلك فهو أولى بالخطأ منهم، ولولا جواز ذلك لتعطل كثير من المصالح»(١٥).

وقال ابن الصلاح: «لا يجوز لمن كانت فتياه نقلًا لمذهب إمامه، إذا اعتمد في نقله على الكتب، أن يعتمد إلا على كتاب موثوق بصحته، وجاز ذلك كما جاز اعتماد الراوي على كتابه، واعتماد المستفتي على ما يكتبه المفتي، وقد يحصل له الثقة بما يجده في نسخة غير موثوق بصحتها؛ بأن يجده في نسخ عدة من أمثالها، وقد تحصل له الثقة بما يجده في النسخة غير الموثوق بها؛ بأن يراه كلامًا منتظمًا وهو خبير فَطِنٌ لا يخفى عليه في الغالب مواقع الإسقاط والتغيير»(١٦).

وقد بين النووي أهمية مراعاة التثبت من نقل الفتوى في هذه المسألة، فقال: «لا يجوز لمفت على مذهب الشافعي إذا اعتمد النقل أن يكتفي بمصنف ومصنفين ونحوهما من كتب المتقدمين وأكثر المتأخرين، لكثرة الاختلاف بينهم في الجزم والترجيح؛ لأن هذا المفتي المذكور إنما ينقل مذهب الشافعي ولا يحصل له وثوق بأن ما في المصنفين المذكورَين ونحوهما هو مذهب الشافعي، أو الراجح منه، لما فيها من الاختلاف...»(١٧).

أما إذا لم يجده إلا في موضع لم يثق بصحته، ففي ذلك يقول ابن الصلاح: «يُنْظر: فإن وجده- أي الكلام- موافقًا لأصول المذهب وهو أهل- أي المفتي- لتخريج مثله على المذهب، لو لم يجده منقولًا فله أن يفتي به، فإن أراد أن يحكيه عن إمامه فلا يقل، قال الشافعي مثلًا: كذا وكذا، وليقل: وجدتُ عن الشافعي كذا وكذا، أو أبلغني عنه، أو ما أشبه هذا من العبارات، وأما إذا لم يكن أهلًا لتخريج مثله فلا يجوز له ذلك فيه، وليس له أن يذكره بلفظ جازم مطلق، فإن سبيل مثله النقل المحض، ولم يحصل له فيه ما يجوز له مثل ذلك، ويجوز أن يذكره في غير مقام

توعد الله تعالى من يتكلم في الفتوى بغير علم أو بينة بالعذاب الأليم

الفتوى مفصحًا بحاله فيه، فيقول: وجدته في نسخة من الكتاب الفلاني، أو من كتاب فلان لا أعرف صحتها، أو وجدت عن فلان كذا وكذا، أو بلغني عنه كذا، وما ضاهى ذلك من العبارات»(١٨).

وفي هذا يقول القرافي: «يحرم الإفتاء من الكتب الغريبة التي لم تشتهر حتى تتظافر عليها الخواطر، ويُعلم صحةُ ما فيها، وكذلك الكتب الحديثة التصنيف إذا لم يشتهر عزو ما فيها من النقول إلى الكتب المشهورة، أو يُعلَمَ أن مصنفها كان يعتمد هذا النوع من الصحة، وهو موثوق بعدالته، وكذلك حواشي الكتب تحرم الفتوى بها؛ لعدم صحتها والوثوق بها»(١٩).

وقد علّق القاضي ابن فرحون المالكي على جملة القرافي الأخيرة بقوله: «ومراده إذا كانت الحواشي غريبة النقل، وأما إذا كان ما فيها موجودًا في الأمهات، أو منسوبًا إلى محله، وهي بخط مَن يُوثق به، فلا فرق بينها وبين سائر التصانيف، ولم تزل العلماء ينقلون ما على حواشي كتب الأئمة الموثوق بعلمهم، المعروفة خطوطهم، وذلك موجود في كلام القاضي عياض والقاضي أبي الأصبغ بن سهل وغيرهما، إذا وجدوا حاشية يعرفون كاتبها نقلوا ذلك عنه ونسبوها إليه، وأدخلوا ذلك في مصنفاتهم، وأما حيث يُجهل الكاتب ويكون النقل غريبًا فلا شك فيما قاله القرافي»(٢٠).

وبعد الذي تقدم تتضح أهمية وخطورة تلك المسألة في الفتوى؛ لكون المفتي عليه أن يتثبت في نقل الفتوى من الكتب والمصادر الموثوق بها، والمشهورة لدى أهل الاختصاص، حتى يفتي بها، فهو مخبرٌ عن الله سبحانه وتعالى، والقول على الله بلا علم من أعظم الإثم، وفي هذا الشأن يقول المولى عز وجل في محكم تنزيله: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـٰذَا حَلاَلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ. مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النحل آية: ١١٦- ١١٧)، وهذا وعيد شديد وإيماء من الله سبحانه وتعالى للمسلم بأنه لا ينبغي له أن يتكلم في الفتوى إلا بعلم وبينة، وإلا أهلك نفسه وغيره، وكان من الخاسرين(٢١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يَزِلُّ بها في النار أبعد مما بين المشرق»(٢٢)، وفي ذلك قال الإمام أحمد: «ليتق الله عبدٌ، ولينظرْ ما يقول وما يتكلّم؛ فإنّه مسؤول»(٢٣).

فالذي يريد أن يفتي الناس، ويصلُحَ أن يكون واسطة بينهم وبين الله تعالى، هو مَن توافرت فيه الصفات التي ذكرها العلماء، وأما غيره فيُذّكر بما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن تَقَوّل عليّ ما لم أقُل، فليتبوَّأْ مقعدَه من النار، ومَن استشارَه أخوهُ المسلمُ، فأشارَ عليه بغيرِ رُشد فقدْ خانَه، ومَن أُفْتِيَ بِفُتْيا بغيرِ ثَبْت، فإنما إثمُهُ على مَن أفْتاهُ»(٢٤)، ولذا لزمه الزجر الشديد، وذلك لخطورة هذا المنصب الشريف، ولابد أن يؤدي عدم تثبته إلى مفاسد لا تعد ولا تحصى.

الهوامش

(١) انظر: الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة للحافظ عبد الرحمن بن رجب الحنبلي:(ص:٢٨)، تحقيق الدكتور/الوليد بن عبد الرحمن آل فريان.

(٢)انظر: حاشية ابن عابدين: (٧٧/١)، تيسير التحرير: (٢٥١/٤)، أدب الفتوى لابن الصلاح: (ص: ٣٥)، صفة الفتوى لابن حمدان: (ص: ٤، ٢٥).

(٣) انظر: تيسير التحرير:(٢٥١/٤).

(٤) انظر: البحر المحيط: (٣٠٦/٦-٣٠٧).

(٥) انظر: حاشية ابن عابدين: (٧٧/١-٧٨)، عقود رسم المفتي: (١٦/١)، فتح العلي في الفتوى على مذهب مالك: (٧٣/١)، تبصرة الحكام لابن فرحون: (٤٦/١- ٤٧)، المجموع: (٦٧/١)، مغني المحتاج للشربيني: (١٣/١-١٤)، صفة الفتوى لابن حمدان: (ص: ٩١- ٩٢)، المسودة: (ص: ٥٢٩-٥٣١).

(٦) انظر: هذه المسألة في أدب الفتوى لابن الصلاح: (ص: ٧٣-٧٤)، وهامش الكتاب نفسه: (ص:٧٦-٧٨).

(٧) انظر:الفقيه والمتفقه:(ص:٣٩٢).

(٨) انظر: إعلام الموقعين: (٢٩/١- ٣٣)، وقد ذكر الشيخ/ بكر بن عبد الله أبو زيد في كتابه المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل:(١٤٩/١-١٥٠)، أن أول من كتب في أصول مذهب الحنابلة الحسن بن حامد في كتابه تهذيب الأجوبه، ثم عبد الوهاب البغدادي في مقدمة كتبها في اعتقاد أحمد وأصول مذهبه، وقد طبعتْ في نهاية طبقات أبي يعلى:(٢٦٥/٢-٢٩٠).

(٩) انظر: حاشية ابن عابدين: (٧٧/١-٧٨)، الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام للقرافي: (ص: ٢٤٤-٢٤٥)، أدب الفتوى لابن الصلاح: (ص: ٧٣-٧٧)، إعلام الموقعين : (٢٣٤/٤-٢٣٦).

(١٠) انظر: إعلام الموقعين: (٢٣٤/٤-٢٣٦)، بتصرف يسير.

(١١)انظر: فتح القدير على الهداية: (٤٥٦/٥-٤٥٧)، البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم: (٢٨٩/٦- ٢٩٢).

(١٢)انظر: التاج الإكليل على هامش مواهب الجليل للحطاب:(٨٨/٦)، الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام : (ص: ٢٤٤- ٢٤٥).

(١٣) انظر: المجموع: (٧٧/١)، أدب الفتوى لابن الصلاح: (ص: ٧٣).

(١٤)انظر: إعلام الموقعين: (١٩٦/٤-١٩٧)، صفة الفتوى لابن حمدان: (ص: ٣٦- ٣٧).

(١٥)انظر: تاريخ القضاء في الإسلام للقاضي/ محمود عرنوس:(ص: ١٥٤- ١٥٥)، معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام: (ص:٢٧-٢٨، ٣٢)، وانظر: الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة للإمام عبد الحي اللكنوي:(ص:٥٩-٦٥)، الذي استوعب فيه مبحث النقل عن الكتب المروية بالإسناد، والكتب التي لا إسناد لها وما يقوم فيها مقام الإسناد، وما يعتمد منها وما لا يعتمد، على خير وجه وأوفاه.

(١٦)انظر: أدب الفتوى لابن الصلاح: (ص: ٧٣-٧٤).

(١٧) انظر: المجموع: (٧٧/١).

(١٨) انظر: المرجع السابق: (٧٧/١)، أدب الفتوى لابن الصلاح: (ص: ٧٣-٧٤)، آداب الفتوى والمفتي للنووي: (ص: ٤١)، صفة الفتوى والمفتي لابن حمدان: (ص: ٣٦- ٣٧).

(١٩) انظر: الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام: (ص: ٢٤٥).

(٢٠) انظر: تبصرة الحكام للقاضي ابن فرحون المالكي:(٥٤/١-٥٥، ٨٥-٥٩).

(٢١) انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح: (١٥٥/٢)، مقدمة تعظيم الفتيا وهي رسالة لطيفة لعبد الرحمن بن علي الجوزي، اعتنى بها الشيخ/فيصل يوسف العلي :(ص: ١٧).

(٢٢) أخرجه البخاري، برقم: (٦٤٧٧) واللفظ له، ومسلم، برقم: (٢٩٨٨).

(٢٣) انظر: الآداب الشرعية: (١٥٥/٢)، مقدمة تعظيم الفتيا : (ص: ١٧).

(٢٤) أخرجه أحمد في المسند، برقم: (٨٢٤٩)، وأبو داود، برقم: (٣٦٥٧).

الأصولية بين المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي (١-٢)

د. سامي عطا حسن

منذ أن ظهرت الحركات الإسلامية على الساحة السياسية، وأخذت تعمل للعودة بالاسلام إلى قيادة المجتمع، أخذ الغرب ممثلا بالولايات المتحدة الأميركية ينظر بعين الريبة والحذر إليها، ولم يتوان عن استخدام أية طريقة ممكنة لكي يتخلص منها، أو على الأقل أن يحتويها، لذلك ظهرت كثير من الاتهامات الغربية والأميركية الباطلة التي تتهم الاسلام والمسلمين، فتارة يتهم الإسلام بأنه إرهابي وأصولي، ومتطرف، ومتعصب، في محاولة لربط الحركات الإسلامية بالحركة الأصولية المسيحية المتعصبة التي خاضت صداما طويلا مع الكنيسة، انتهى بغلبة السلطة المدنية، وتحييد دور الكنيسة، وتحجيم دورها (١).

رفضت الأصولية المسيحية التجديد والعصرنة، وحاربت التقدم العلمي، واضطهدت العلماء والمفكرين، وظهرت من جراء هذه الأصولية: حركة التنوير، والفلسفات المضادة لأفكار الكنيسة الغربية التي شوهت الدين نفسه، وجعلته يضطهد ويقهر العقول، ويعارض العلم، ويحارب التقدم والتطور، وأسهمت ردة الفعل هذه في زيادة الهوة بين الدين والعلم.

وقامت الكنيسة على ترسيخ هذا مصطلح «الأصولية» في الوعي الأوروبي، وأرادت تعميمه على كل دين وملة، بهدف تشويه النظرة إلى العقائد، بغض النظر عن الاختلاف والتنوع في أفكارها ومقاصدها.

وقد تداول الإعلاميون العرب هذا المصطلح- بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢- ومن بعدهم الباحثون والمحللون الناطقون بالعربية، كما استعملته الأوساط السياسية والإعلامية والثقافية في الغرب، للإشارة إلى حالة اليقظة الإسلامية الراهنة في مختلف أرجاء العالم الإسلامي..

والحقيقة أن هذا المصطلح بما يحمل من دلالات سياسية وفكرية،

* باحث أكاديمي

مصطلح «الأصولية» أصبح بمثابة شتيمة سياسية ويرتبط بالكنيسة أولا وأخيراً

لا يعبر تعبيرا دقيقا توحي به لفظة «الأصولية» الرائجة حاليا، وخاصة لجهة ما يتضمنه هذا المصطلح من معاني الرجعية المعادية لكل تقدم، بل أصبح النعت بالأصولية بمثابة شتيمة سياسية.

معنى الأصولية في اللغة

لا نجد ذكرا لهذه الكلمة (الأصولية) في معاجم اللغة ، بل نجد جذرها اللغوي كلمة : «أصل»، والنسبة إليها: «أصولي».

قال في مختار الصحاح للرازي (محمد بن أبي بكر) (ت ٦٦٦هـ): «الأصل: واحد الأصول. ورجل أصيل: أي، محكم الرأي» (٢)

وقال ابن منظور (ت ٧١١هـ) في لسان العرب: «الأصل: أسفل كل شيء، وجمعه: أصول، وأصل الشيء: صار ذا أصل.. وأصل الشيء : قتله علما فعرف أصله» (٣).

وقال الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) في التعريفات: «الأصل: هو ما يبتنى عليه غيره. والأصول: جمع أصل، وهو في اللغة عبارة عما يفتقر إليه، ولا يفتقر هو إلى غيره. وفي الشرع: عبارة عما يبنى عليه غيره، ولا يبنى هو على غيره. والأصل ما يثبت حكمه بنفسه، ويبنى عليه غيره» (٦).

والتحقيق: أن المعنى الحقيقي في هذه المادة: هو ما يبنى عليه شيء، سواء أكان في الجمادات، أو في النباتات، أو في الحيوان، أو في المعقولات، أو في العلوم.

يقال: أصل الحائط، أصل الشجر، أصل الإنسان، أصل المعرفة، الأصل في الألفاظ، الأصل في المعاني، وغير ذلك.

وقد جاءت كلمة أصل وما اشتق منها في القرآن الكريم في عشرة مواطن تقريبا (٧)، منها:

قوله تعالى: ﴿كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء﴾ (إبراهيم: ٢٤).

وقوله: ﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها﴾ (الحشر: ٥). وغير ذلك.

والفرق بين الأصل والأساس: أن الأصل ما يبنى عليه شيء، وهذا المعنى إنما يتحقق بعد تحقق الفرع، فهو أمر نسبي، وليس بمفهوم مستقل.. وهذا بخلاف الأساس، فهو مفهوم مستقل، لا يحتاج إلى وجود غيره، فيقال: إنه أسس أساس الظلم، وأسس أساس البيت، ولا يقال: أصله (٨).

ومن كل ما سبق عرضه نخلص إلى أن مصطلح الأصولية اللغوي، يدور حول معنيين: أساسه الذي يقوم عليه، وجذوره ومنشأه الذي ينبت منه. وأصول العلوم، هي: قواعدها التي تبنى عليها الأحكام.

فالأصولي إذن: هو مرجع القواعد دراية، وفهما، واستنباطا (٩).

مفهوم الأصولية في البيئة الغربية

تقول موسوعة روبير اللغوية إن كلمة fundamentalism صيغت عام ١٩٢٠م من كلمة fundamental، وتعني تيارا لاهوتيا محافظا، أصله بروتستانتي، نشأ في الولايات المتحدة الأميركية المتحدة، أثناء الحرب العالمية الأولى، ومتمسك بالتعريف الحرفي للنصوص الانجيلية..

وقد جاءت كلمة «أصل وما يشتق منها» في الكتاب المقدس ، في سبعة وخمسين موضعا (١٠)، منها :

ما ورد في سفر حزقيال (١١): «فنبت وصار كرمة منتشرة قصيرة الساق. انعطفت عليها زراجينها، وكانت أصولها تحته، فصارت كرمة. وأنبتت فروعا وأفرخت أعصانا» (١٢).

وجاء في إنجيل متى (١٣) «والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر..» (١٤).

وجاء في إنجيل لوقا(١٥): «والذين على الصخر هم الذين متى سمعوا يقبلون الكلمة بفرح، وهؤلاء ليس لهم أصل، فيؤمنون إلى حين، وفي وقت التجربة يرتدون» (١٦).

أما كلمة الأصولي fundamentaliste فقد اشتقت عام ١٩٦٦م، لتعني معنيين:

أولهما: معنى عام، هو: من يقوم بأبحاث في الأصول.

والثاني: معنى ديني، هو: من ينتمي إلى الأصولية (١٧).

وأغلب الظن أن الذي سك المصطلح الإنجليزي fundamentalism أي الأصولية، هو رئيس تحرير مجلة «نيويورك وتشمان» (١٨) في افتتاحية عدد يوليو ١٩٢٠م، حيث عرف الأصوليين بأنهم: أولئك الذين يناضلون بإخلاص من أجل الأصول.

وأغلب الظن كذلك أن الذي مهد لسك هذا المصطلح هو سلسلة كتيبات صدرت بين عامي ١٩٠٩-١٩١٥م، بعنوان الأصول، the fundamentalism بلغ عددها اثني عشر كتيبا، وبلغ توزيعها بالمجان ثلاثة ملايين نسخة، أرسلت إلى القساوسة، والمبشرين ،واللاهوتيين، ومدارس الأحد، وسكرتيري الشبان المسيحيين، والشابات المسيحيات... ويمكن تصنيف الأفكار الواردة في الكتيبات على النحو التالي:

- أصول الإيمان مثل: حقيقة جهنم، والمجيء الثاني للمسيح.
- مهاجمة تيار نقد الإنجيل، وهو تيار يدور على أن الإنجيل تسجيل لتطور ديني.
- نقد النظريات العلمية، وبالأخص الداروينية، الناقدة لقصة الخلق الواردة في سفر التكوين (١٩).

وقد وردت هذه الأفكار كرد فعل ضد علماء اللاهوت الليبراليين الذين دارت أفكارهم على مسألتين هما :

- التشكيك في قصة الخلق الوارد في سفر التكوين، بسبب ما أحرزته علوم الجيولوجيا والبيولوجيا من تقدم.
- النظر إلى خطيئة الإنسان كما وردت في سفر التكوين، على أنها مجرد تفكير بدائي وصبياني، إذ ليس ثمة وجود لما يسمى: آدم وحواء..

ثم تبلورت سمات الأصولية في بداية القرن العشرين على النحو التالي:

١- التسليم بأن ثمة حلولا قادرة على إحراز انتصار دولي، وعلى حل المشكلات الاجتماعية، وأن أي فشل يلحق بأي أصولي فمردود إلى مؤامرات الأشرار.

٢- التسليم بأن المؤسسات السياسية للدول الرأسمالية جزء من المؤامرة الشيوعية، ومن ثم فقيادتها مشكوك في وطنيتها.

٣- أي تنازل عن المبادئ الأساسية خيانة للحق.

٤- رفض أي تأويل للنص الديني (٢٠).

وفي الغرب أطلق تعبير fundamentalism على فرق إنجيلية برزت في مطالع القرن العشرين في الولايات المتحدة، تدعو إلى العودة إلى أصول المسيحية، والتمسك بالنص الحرفي، تقول الموسوعة الكاثوليكية عن كلمة fundamentalism: إنها «اتجاه لبعض الأوساط البروتستانتية خاصة في الولايات المتحدة، تحافظ بصرامة وتشبث على العقيدة التراثية ضد تيار الحداثة، بل ضد أية محاولة تأخذ في الاعتبار بالوقائع التاريخية أو العلمية، وقد تكونت هذه الحركة في الولايات المتحدة الأميركية عام ١٩١٨م، باسم: الجمعية الأصولية المسيحية العالمية».. وتشير إلى مذهب ديني تم التعبير عنه في وثيقة من خمس نقاط هي: اعتبار النصوص الإنجيلية نصوصا متزنة، والإيمان بألوهية المسيح، والإيمان بمولده العذري، والإيمان بمعنى وأهمية الفداء في وفاة يسوع، والثقة يقينا في عودة المسيح قريبا ليحاكم البشر،

وانتشر هؤلاء الأصوليون عن طريق المؤسسات الإنجيلية، في معظم البلدان الأنجلوسكسونية، وعن طريق منظمة الشباب الدينية المسيحية (واي.إم.سي. إيه) (a.c. m. Y.) ، وكل الحركات الإحيائية أصولية، ومنها: حركة بيلى جراهام (٢١) ..

ويقول قاموس المورد في تعريف الأصولية: «الأصولية - fundamentalism» - مذهب العصمة الحرفية- حركة عرفتها البروتستانتية (٢٢)، في القرن العشرين، تؤكد على أن الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) معصوم من الخطأ، لا في قضايا العقيدة فحسب، بل في كل ما يتعلق بالتاريخ ومسائل الغيب، كقصة الخلق، وولادة المسيح من مريم العذراء، ومجيئه ثانية إلى العالم، والحشر الجسدي» (٢٣).

وعرفتها الموسوعة الميسرة بأنها: «حركة بروتستانتية ظهرت في الغرب في القرن التاسع عشر الميلادي، بعد مؤتمر نياجرا عام ١٨٩٥م، لتحيي من جديد أفكار أصحاب عقيدة المجيء الثاني للمسيح مجيئا حقيقيا حرفيا. وقد ظهرت لهم كتيبات بعنوان «الأصوليات» دعوا فيها إلى التمسك بالتعاليم الدينية القديمة، والقول بألوهية المسيح، وعصمة الكتاب المقدس عن الخطأ، ووجوب الأخذ به حرفيا، وولادته - عليه السلام - من مريم، كما دعوا إلى الإيمان بقيامة المسيح من بين الأموات بجسمه ، وعودة تجسده ثانية، بالاضافة إلى رفض كل النظريات العلمية الحديثة في علم اللاهوت، وكذلك الدراسات التي تنتقده أو تناقض ما فيه، كما ترفض الفصل بين الدين والدولة، مما يؤدي إلى زيادة اهتمامها بالجانب السياسي، والسعي إلى تكوين الأحزاب السياسية، والوصول إلى السلطة بغية سن القوانين والشرائع المؤيدة لمذهبهم، ويمكن أيضا إضافة اعتقادهم بالنبوءات الانجيلية التي تقود حسب اعتقادهم إلى استيلاء اليهود على فلسطين، والقدس، شرطا للعودة الثانية للمسيح» (٢٤).

وفي الفترة من عام ١٨٩٥م إلى عام ١٩١٠م خبت حركة الأصوليين، وإن ظلت حيوية في البعثات التبشيرية للبلدان غير المسيحية، إلا أنها عادت للازدهار ثانية عقب الحرب العالمية الأولى، وخاصة في الفترة من عام ١٩٢٠م إلى عام ١٩٣٠م، حين اتحدت مختلف التيارات المسيحية لتخليص المدارس والكنائس من المدرسين والرعاة الذين يدافعون عن التطور ، ولمحاربة تدريس الداروينية في التعليم العام.

ونخلص مما تقدم إلى أن كلمة الأصولية باللغة العربية، هي مصطلح مرتبط بالكنيسة أولا وأخيرا، وولد في البيئة الغربية (اليهودية، والمسيحية)، وليس له أصل قريب أو بعيد بالبيئة الإسلامية، وأنه قد بدأ الزج به في أواخر سبعينيات القرن المنصرم، تمهيدا لعملية محاولة اقتلاعه، بعد اقتلاع اليسار وفقا لما تم ترتيبه في المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني عام ١٩٦٥م.أو كما قال الاستاذ وجيه كوثراني: «فلما برزت الحركات الإسلامية في الشرق الإسلامي خلال السنوات العشرين الأخيرة ، استخدمت الدراسات الغربية المصطلح نفسه للدلالة عليها..» (٢٥).

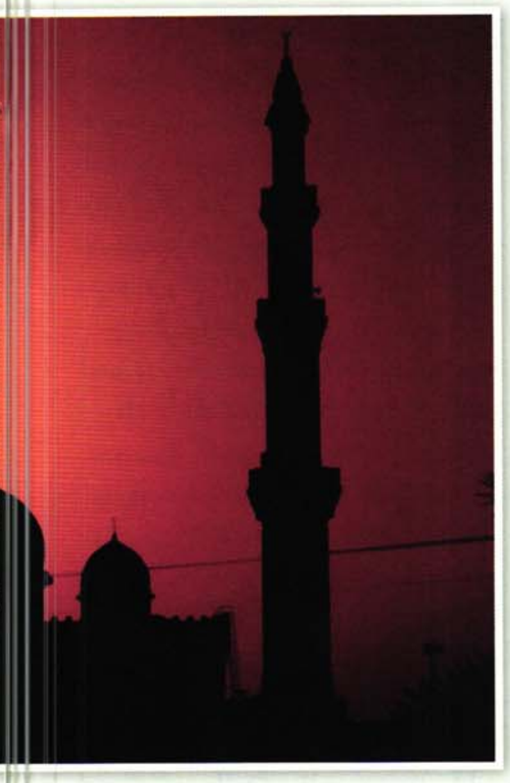
الهوامش

١- انظر إشكالية الموقف الغربي من الأمة الإسلامية: د. عمر سالم عبدالله العبيدي، ٥-٨ بتصرف.
٢- مختار الصحاح، للرازي: ص ٣٢.
٣- ابن منظور: لسان العرب: مجلد١: ص ١٥٥.
٤- المصباح المنير: للفيومي، ج١، ص ١٦.
٥- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية: ج١: ص ٢٠.
٦- الشريف علي بن محمد الجرجاني: التعريفات: ص ٢٨.
٧- انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ص ٣٤.
٨- انظر التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي: ٩٤-٩٥.
٩- الحركة المسيحية الأصولية الأميركية، محمد إبراهيم الشربيني: ص ٢٨-٢٩ بتصرف.
١٠- فهرس الكتاب المقدس، جورج بوست: ص ٢٢-٢٣.
١١- عدد إصحاحاته (١٤٨)، وكاتبه: حزقيال النبي من سنة ٥٩٧- ٥٧٧ق.م. ويتضمن دعوة حزقيال وتبليغه النبوة إلى بني إسرائيل. وفيه نبوءات عن رجوع اليهود من السبي البابلي، وإصلاح الهيكل. كما يتضمن إنذارات بالويل والخراب على يهوذا، والويلات التي ستحل بالشعوب المجاورة لإسرائيل ويهوذا. انظر: اعرف كتابك المقدس: ص : ٣٦.
١٢- حزقيال: ١٧/٦.
١٣- عدد إصحاحاته ٢٨ إصحاحا، وكاتب هذا الإنجيل: القديس متى، وهذا الإنجيل يتحدث عن نسب السيد المسيح، وميلاده، وموته، وقيامته، وغير ذلك. انظر: اعرف كتابك المقدس: ص ٤٦-٤٧.
١٤- انجيل متى: ٣/١٠.
١٥- عدد إصحاحات إنجيل لوقا: ٢٤ إصحاحا. وكاتب هذا الإنجيل: القديس لوقا، وتاريخ الكتابة: بعد البشارة حوالي سنة ٧٥م. انظر: اعرف كتابك المقدس: ص ٤٨.
١٦- إنجيل لوقا: ١٣: ٨.
١٧- انظر: د. زينب عبدالعزيز: هدم الإسلام بالمصطلحات المستوردة: ص ٦٧.
١٨- الأصولية والعلمانية: مراد وهبة: ص ٢٣
١٩- انظر المرجع السابق: ص ٢٣.
٢٠- المرجع السابق: ص ٢٤.
٢١- بلى جراهام: أشهر واعظ أصولي في الولايات المتحدة الأميركية، انظر: البعد الديني في السياسة الأميركية تجاه الصراع العربي الصهيوني: د. يوسف الحسن، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م، ص: ١٠.
٢٢- فرقة مسيحية ظهرت في القرن السادس عشر في أوروبا، لإصلاح الكاثوليكية ، بقيادة مارتن لوثر. انظر: قاموس الأديان والمذاهب، إعداد : د. حسين علي حمد، ط ١٩٨٩م، ص: ٥٢.
٢٣- قاموس المورد، منير البعلبكي، ط١١، ص ٣٨٣.
٢٤- الموسوعة الميسرة : ج٢، ص ٩٧٤.
٢٥- وجيه كوثراني: مستقبل المشروع السياسي الإسلامي: أصولية أم حزبية إسلامية ملف مستقبل الأصولية في العالم العربي، «معلومات بيروت» العدد: ٣/ آيار / مايو، ١٩٩٣م. ص: ٢-٦.

رسالة المسجد في حياة المسلمين

عبدالحميد حسن شقير

المساجد هي بيوت الله في الأرض، يُعبد الله فيها وحده، قال تعالى: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا﴾ (الجن: ١٨)، فأضافها تعالى إلى نفسه لشرفها وفضلها. وهي أشرف البقاع إلى نفوس المسلمين وقلوبهم، تهفو إليها أفئدة المسلمين، يؤدون فيها الصلاة، ويذكرون الله ويتلون كتابه الكريم، وتخشع بين جنباتها نفوس المؤمنين، وتصفو في رحابها صدور الموحدين، يتوافد عليها يوميًا في أوقات الصلاة ودون انقطاع ملايين البشر لأداء فرائض الصلاة، وتلبية لدعوة الرحمن، ونشر كلمة الله تعالى، وتلقي العلم والدروس الدينية والدنيوية فيها.



المسجد تسمية إسلامية لمكان العبادة، وفي هذه التسمية معنى الأصل الذي يأخذ أسمى صورة في الصلاة وفي ذلك الركن الخاص منها الذي نقل إليه لفظ السجود، فكأن الصلاة أخص ما بني له المسجد.

ولا توجد جماعة إنسانية يؤثر فيها مكان العبادة مثل المسجد لدى المسلمين وإن مسجد قباء الذي أسسه رسول الله ﷺ فور دخوله المدينة المنورة يعتبر اللبنة الأولى في صرح الحضارة الجديدة، أو تجسيدًا حيًا لأساس انطلاقة الإسلام والمسلمين.

فالمسجد هو فاتحة تاريخ المسلمين الحضاري، حيث أصبح التراث الإسلامي مرتبطًا به في نشأته وتطوره، ولم تكن المراكز العلمية في العالم الإسلامي طوال قرون عديدة سوى هذه المساجد التي انتشرت على خارطة الدنيا في عواصم العالم الإسلامي، في مكة المكرمة والمدينة المنورة وفلسطين وفي الكوفة والبصرة ومصر والمغرب العربي ودمشق، وفي قرطبة وغرناطة وتركيا والباكستان... وغيرها من الأمصار الإسلامية قبل أن تعرف الإنسانية المدرسة والجامعة والمعهد الثقافي والتعليمي.

وقد استطاع المسجد في تلك العصور أن يكون مجالاً تحيا فيه القيم الإسلامية، وتمارس فيه أنماط السلوك العلمي التي تجسد هذه القيم، مما أتاح للمسلمين حرية فكرية منقطعة النظير، ومن حول سواري المساجد قامت مذاهب ونشأت تيارات في الفقه والفلسفة والتوحيد والنقد والأدب، وقامت المحاورات والمناظرات، وكان المسجد بما له من قدسية ضمانًا لهذه الانطلاقة الفكرية التي يفخر بها تاريخ المسلمين، وكان لحلقات الدرس والتدريس والمناظرات التي رعاها المسجد وما زخرت به أروقته من مصادر ثقافية من علماء وكتب، أثرها في تحديد ملامح فكر الحضارة الإسلامية وقيمها الإنسانية من خلال تعاليم شريعة الإسلام وقواعده العادلة.

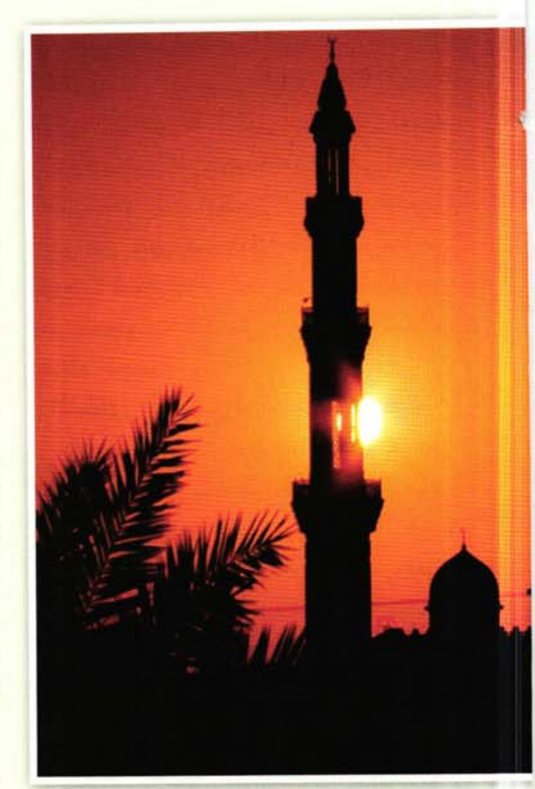
المسجد في القرآن الكريم

ورد لفظ «مسجد» في القرآن الكريم عشرين مرة، ولفظ «مسجدًا» مرتين، ولفظ «مساجد» ست مرات، كما وردت كلمة «يسجد» و «سجود» في القرآن الكريم واحدًا وسبعين مرة، وقد ورد بمعنى «بيت» ست عشرة مرة.

والمسجد هو مكان العبادة في الإسلام، وقد كان لليهود والنصارى تسميات يطلقونها على أماكن عبادتهم، ذكر منها القرآن الكريم الصوامع والبيع والصلوات، وسلكها مع المساجد في سلك واحد فجاء في القرآن الكريم: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ (الحج: ٤٠).

ويقال للمسجد بيتًا؛ لقوله تعالى: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة﴾ (النور: ٣٦)، ويرد لفظ «بيت» بمعنى البيت الحرام أو الكعبة: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركًا وهدى للعالمين﴾ (آل عمران:

باحث وكاتب سوري



٩٦)، كما تطلق «بيت» في القرآن الكريم على آل رسول ﷺ: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣).

والمسجد اسم مكان للسجود، والسجود من أركان الصلاة التي هي عماد الدين، ولقد اختير السجود كي يشتق منه اسم المسجد كدلالة على أهمية السجدة وعظمتها؛ لأنها دليل خضوع العبد لربه، «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء» (صحيح مسلم)، وكذلك قال ﷺ: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من قبلي...، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا...» (صحيح البخاري).

أما «الجامع» فهو وصف شائع للمسجد أصبح علمًا عليه، يقال في الأصل «مسجد جامع» بمعنى مسجد لصلاة الجماعة أو مسجد تقام فيه صلاة الجمعة، ثم شاع استخدام لفظ «الجامع» بمعنى المسجد الذي تعقد فيه حلقات الدرس كالجامع الأزهر وجامع القيروان.

المسجد.. منزلة ودلالة

من أفضال الله تعالى على أمة الإسلام أن شرع وهيأ لها المساجد بما تشمله من وظائف دينية واجتماعية لا تحصى فوائدها وعوائدها على الأمة، لذلك رفع الله شأنها وأضافها إلى اسمه عز وجل تشريفًا لقدرها وتعظيمًا لرسالتها، قال الله عز وجل في كتابه العزيز: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال﴾ (النور: ٣٦)، وقال جل وعلا: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا﴾ (الجن: ١٨).

وللمساجد منزلة وقدسية تتجسد في سلوكيات ينتهجها روادها، نوجز منها:

- وجوب المحافظة عليها وتنظيفها، قال الله تعالى مخاطبًا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾ (البقرة: ١٢٥)، فهذه الآية حث على طهارة المسجد الحرام، ويقاس عليه كل مسجد من مساجد الله.

- وجوب التزين عند الدخول إلى المسجد، فمن آداب دخول المساجد التزين بالمظهر الحسن والرائحة الطيبة، فالمسلم نظيف في بدنه، نظيف في ثيابه، ذلك لأنه يقابل رب العباد الذي أمره بذلك بقوله سبحانه: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ (الأعراف: ٣١).

- إن الداخل إلى المسجد يصلي ركعتي تحية المسجد مع الإتيان بالأذكار الخاصة بدخول المسجد والخروج منه، فعند الدخول والخروج من المسجد يستحب للمسلم أن يقول شيئًا من الأذكار، فيسن للداخل أن يدخل برجله اليمنى ويصلي ويسلم على الرسول ﷺ ثم يقول: اللهم اغفر لي، اللهم افتح لي أبواب رحمتك. وعند الخروج يسن أن يخرج المصلي برجله اليسرى ويصلي ويسلم على الرسول ﷺ ثم يقول: اللهم اغفر لي، اللهم إني أسألك من فضلك كما ورد في الحديث. ومن حق المسجد لمن دخله أن يصلي ركعتين سنة تحية المسجد قبل أن يجلس، عملًا بقوله ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين» (صحيح البخاري).

- النهي عن البيع والشراء في المساجد؛ وذلك لتنزيه المسجد عن أغراض الدنيا، ولما كانت هذه الأمور تصرف الناس عن العبادة وعن الغاية المتوخاة من المسجد، نهى الرسول ﷺ عنها، فقد روي عنه ﷺ قوله: «إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا: لا أربح الله تجارتك...» (سنن الترمذي).

- النهي عن نشدان الضالة، فقد روى أبوهريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «...، وإذا رأيتم من ينشد فيه ضالة فقولوا: لا رد الله عليك» (سنن الترمذي).

ولعظم شأن المساجد كان أولو العزم من الرسل ممن شادوا بناءها بأيديهم، فبنى إبراهيم الخليل عليه السلام الكعبة وجعلها قبلة للناس بأمر ربه، وأول عمل تم إنجازه بعد هجرة المصطفى محمد ﷺ هو بناء مسجد قباء، أول مسجد شيد في الإسلام ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾ (التوبة: ١٠٨)، حيث كان ﷺ يشترك بنفسه في البناء مرددًا: لا عيش إلا عيش الآخرة.. اللهم ارحم المهاجرين والأنصار، ثم بنى ﷺ مسجده العظيم داخل المدينة بل في وسطها، وهو المسجد النبوي الشريف أو مسجد الرسول ﷺ.

ولبناء المساجد ثواب كبير وفضل عظيم عند الله، فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «من بنى مسجدًا ولو كمفحص قطاة بنى الله له قصرًا في الجنة» (تخريج الإحياء للعراقي).

وعمار المساجد هم الربانيون المتطهرون الذين صلتهم بالله وثيقة ووشائجهم إليه متينة، وأعمالهم له متصلة، فهو يحبهم ويؤثرهم، يدخلهم في رحمته وفي ظله يوم لا ظل إلا ظله، وصدق الله جل ثناؤه حين قال: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾ (التوبة: ١٨).

وأهل المساجد وزوارها هم أهل الله، ينظر إليهم ويعمهم برحمته ويشملهم بمغفرته ويرعاهم بعنايته، وقد روي عن النبي ﷺ في فضل حب المساجد والتعلق بها أنه قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...، ورجل قلبه معلق في المساجد... »، فذكر منهم رجلًا قلبه معلق بالمسجد إذا خرج لا يلبث حتى يعود إليه.

وفي فضل السعي للمساجد روى أحمد والشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلًا في الجنة كلما غدا أو راح».

إن المساجد هي بيوت العبادة وفيها يتمتع المسلمون بأفضل الوشائج بينهم وبين ربهم ومعبودهم عز وجل، فكم فيها من قانت وعابد ومسبح ومستغفر وذاكر الله وتال لكتابه الكريم، وكم قبلت فيها من توبات ورفع عن طريقها من درجات وأجيب فيها من دعوات، وهي محل إزاحة الهموم والغموم، وجبر مصائب الدنيا لما يتجلى فيها للعباد من فيض رباني هو على قلوبهم أحلى ما يجده بنو الدنيا من أنس وبهجة وسرور.

أهم المساجد في الإسلام

وتتفاضل المساجد فيما بينها.. فأفضلها المسجد الحرام، ثم المسجد النبوي، ثم المسجد الأقصى، فهذه المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، وتقطع في سبيلها المسافات الطوال، وتضاعف فيها الصلوات، فالصلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة، وصلاة في المسجد النبوي الشريف تعدل ألف صلاة، وصلاة في المسجد الأقصى تعدل خمسمائة صلاة، فالمسجد الحرام بمكة المكرمة بيت الله الحرام، البيت العتيق، حيث الكعبة المشرفة، قبلة المسلمين في كل مكان، وهو أفضل المساجد وأعظمها وأجملها على وجه الأرض، وهو أول مكان وضع لعبادة الله على الأرض ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركًا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنًا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلًا﴾ (آل عمران: ٩٦)، وقد شاد أركانه ورفع بنيانه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ (البقرة: ١٢٧)، وقد تردد ذكره في كثير من آيات القرآن الكريم. ثم يأتي بعد المسجد الحرام في الفضل والقداسة المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة فهو ثاني الحرمين الشريفين وفيه قبر الرسول الكريم ﷺ وقبر صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم يأتي في المرتبة الثالثة بعد هذين الحرمين الشريفين والمسجدين العظيمين المسجد الأقصى بالقدس الشريف من أرض فلسطين المحتلة، وهو بيت المقدس وثالث الحرمين ومسرى سيد الثقلين: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ (الإسراء: ١)، ويئن اليوم تحت قبضة اليهود الصهاينة الذين يحاولون نسفه وبناء هيكلهم المزعوم، وتعرض في أواخر الستينيات من القرن الماضي لحريق كبير من تدبيرهم ولكن على الرغم من كل هذا فإنه مازال إخواننا هناك يصلون فيه الصلوات الخمس وتقام فيه شعائر صلاة الجمعة.

الصلاة في بيت الله الحرام تعدل مائة ألف صلاة وفي المسجد النبوي ألف صلاة وفي الأقصى خمسمائة صلاة

المنظور الفقهي لوظائف المسجد

إن موضوع وظائف المسجد من المنظور الفقهي يتضمن حقائق ومعلومات وأحكامًا شرعية ليست مجهولة، فمن الأمور الواضحة أن أحكام المسجد تتعلق بالعبادات، وهذه الأحكام من الدائرة التي لا يكون للاجتهاد فيها مجال، ولذا فأغلبها، ما لم يكن جميعها، مأخوذ من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة القولية والعملية، والوصفية والتقديرية.

ومن دراسة كتاب الله العزيز نجد الأحكام الفقهية المتعلقة بوظائف المسجد هي:

ـ المساجد أمكنة للصلاة وذكر الله: ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾ (التوبة: ١٠٨).

ـ المساجد أمكنة لدعوة الله وحده: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا﴾ (الجن: ١٨).

ـ المساجد أمكنة للاعتكاف: ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾ (البقرة: ١٨٧).

وأما نصوص السند ذات الصلة بالمسجد وأحكامه، من حيث بناؤه وآدابه ورسالته فهي كثيرة، ويمكننا أن نعدد من وظائف المسجد التي وردت في السنة الشريفة ما يلي:

لتلقي العلم

في المسجد كانت حلقات الدرس تعقد لتعليم كافة دروب وفنون العلم، ولم يقتصر التعليم في المساجد على علوم القرآن الكريم والسنة الشريفة، ولكنه امتد أيضًا لتعليم الطب والهندسة والرياضيات والفلك والكيمياء، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: «من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرا أو يعلمه كان له كأجر حاج تاما حجته» (صحيح الترغيب للألباني).

للتقاضي

في ساحة المسجد صدرت أكثر أحكام القضاء عدلاً، وفي ذلك يروي الإمام البخاري في صحيحه أن كعب بن مالك رضي الله عنه تقاضى ابن أبي حدرد دينًا كان له عليه في المسجد، فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله ﷺ وهو في بيته فخرج إليهما رسول الله ﷺ ونادى كعب بن مالك قائلاً: «ياكعب، ضع عنك دينك هذا» فقال: قد فعلت يا رسول الله، فقال: «قم فاقضه».

للرياضة واللعب المباح

برغم أن المسجد كان مكان عبادة وذكر، فإن رسول الله ﷺ لم ينكر على من اتخذه مكانًا للعب المباح، وخير مثال على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها في الصحيحين، عن الأحباش الذين كانوا يلعبون بالحراب في المسجد، ورسول الله ﷺ ينظر إليهم ولم ينكر عليهم، تقول عائشة: دعاني رسول الله ﷺ والحبشة يلعبون بحرابهم في المسجد فقال: «يا حميراء، أتحبين أن تنظري إليهم» ؟ فقلت نعم. فأقامني وراءه، فنظرت من فوق منكبيه، قالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «لتعلم يهود أن في ديننا فسحة».

لمداواة الجرحى وعيادتهم

تعدى دور المسجد إلى أمور أخرى مثل اتخاذه مستشفى لعلاج المصابين من المسلمين في الحروب بينهم وبين أعدائهم، وخير دليل على ذلك قصة سعد بن معاذ رضي الله عنه سيد الأوس، فقد أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق في الأكحل فضرب عليه رسول الله ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب».

لحبس الأسرى

كما كان يربط في المسجد الأسرى حتى يسلموا أو يفتدوا أنفسهم، ولعل قصة ثمامة بن أثال خير مثال على ذلك، فقد روى الشيخان أن رسول الله ﷺ بعث خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربط في سارية من سواري المسجد، وبعدما أطلق رسول الله ﷺ سراحه ذهب فاغتسل وعاد إلى المسجد وأعلن إسلامه.

للتشاور وتبادل الرأي

ثبت أنه كان إذا دهى المسلمين أمر هام نودي: الصلاة جامعة؛ للتشاور في ذلك الأمر، وفي المسجد يجتمع ولي الأمر بأهل الحل والعقد من المسلمين يتشاورون فيما فيه خير الأمة ومصلحة الجماعة، ففي مسجد رسول الله ﷺ تم التشاور قبيل غزوة بدر وغزوة أحد وغيرهما من الغزوات والسرايا التي كان يرسلها الرسول ﷺ.

لإيواء الفقراء والغرباء

في مسجد رسول الله ﷺ أقيم مكان عرف بالصفة، ونزل فيه سبعون من الفقراء ومن أشهرهم أبوهريرة رضي الله عنه.

- المساجد أمكنة لاستقبال الوفود

ومن أهمية المسجد في عهد الرسول ﷺ أنه كان مكانًا لاستقبال الوفود القادمة للدخول في الإسلام فتعتنقه عن قناعة واطمئنان، كوفد ثقيف حين قدم على رسول الله ﷺ بعد غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة، فضرب النبي ﷺ لهم قبة في ناحية المسجد ليسمعوا القرآن ويروا الناس إذا صلوا فيتأثروا بقراءتهم ويحاكوهم في صلواتهم.

للمحاسبة

روى البخاري في صحيحه في باب «تعليق العنقود في المسجد» أن محاسبة الأمراء والعاملين كانت تتم في رحاب المسجد ويعلق فيه عنقود نخل ليأكل الجائعون والغلمان.

لعقد ألوية الجيش

إذ في مسجد رسول الله ﷺ كانت تعقد الرايات للغزوات والسرايا، ومن مسجده كانت تخرج السرايا، وإلى مسجده كانت تعود الجيوش من الجهاد.

وبعد: فإن المسجد الذي خرّج أبا بكر وعمر وأبا عبيدة وخالدًا وعبدالرحمن بن عوف وسعدًا وجعفر وغيرهم لقادر اليوم- وكل يوم- على مواصلة مسيرته وأداء رسالته مهما ظن الحاقدون.

لكل هذا ينبغي أن يعود المسجد بكافة مهماته لتقوية الجانب الديني في نفوس الناس بما يتلقونه من وعظ وإرشاد وتوجيه، ولكي يصبح بحق المدرسة التي يتعلم فيها المسلم من المهد إلى اللحد.

المراجع

١ - نفيسة علي مصطفى، المساجد بيوت الله في الأرض، المجلة العربية، ع ١٢١، تشرين أول (أكتوبر) ١٩٨٧م.

٢ - د٠محمد بن عبدالله السلمان، وظيفة المسجد في الإسلام، المجلة العربية، ع ١٥٣، مايو ١٩٩٠م.

٣ - ناصر بن طالب العلوي، المسجد في الإسلام، مجلة جند عمان، ع ٣٧٩، يوليو ٢٠٠٨م.

٤ - ناصر بن مسعود السناني، المساجد.. حقوقها وفضلها، مجلة رسالة المسجد، ع ١٠٦، شوال ١٤٢٣هـ.

٥ - محمد مبارك، رسالة المسجد، مجلة الفيصل، ع ٢، س ٢، يوليو: أغسطس ١٩٧٨.

خيرة العقول المسلمة في القرن العشرين (٢-٢)

د. محمد المختار الشنقيطي
أكاديمي موريتاني

اخترت خمسة من بين علماء الإسلام ومفكريه في القرن العشرين بناءً على معايير ثلاثة، هي: الجمع بين ثقافتيْ الشرق والغرب، وبين الفهم الشرعي والموقف الشرعي، وبين عمق الفكرة وإشراق الروح. وأرجو أن تعين هذه المقالات القارئ الكريم على الإلمام السريع بحياة هؤلاء الأكابر، ثم ببعض الأفكار الكبرى التي صاغوها، لعل ذلك يستحثه على البحث بنفسه عن المزيد من نفائس الأفكار التي خلفوها لنا في كتبهم، والعبرة التي تنبض بها سير حياتهم، وبعد أن عرضنا ثلاثة من هؤلاء العلماء في العدد السابق (٥٤٤) سنعرض في هذا الجزء اثنين من هؤلاء العلماء.

- إسماعيل الفاروقي.. حامل همّ الشرق في الغرب:

■ سيرة حياته:

ولد الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي في مدينة يافا الفلسطينية عام ١٩٢١، وبدأ دراسته الإسلامية بالمسجد وفي البيت على يد والده الذي كان قاضيا شرعيا. وتابع دراسته الابتدائية والثانوية في مدارس الدومينيكان الفرنسية، ثم حصل على الباكالوريوس في الفلسفة من الجامعة الأميركية في بيروت عام ١٩٤١. عمل في ظل الانتداب البريطاني محافظا لمنطقة الجليل إلى حين ميلاد الدولة الصهيونية، فالتحق بالمقاومة برهة، ثم هاجر إلى أميركا حيث حصل على شهادتيْ الماجستير في فلسفة الأديان: الأولى من جامعة إنديانا عام ١٩٤٩، والثانية من جامعة هارفارد عام ١٩٥١. وفي عام ١٩٥٢ حصل على الدكتوراه من جامعة إنديانا، وكانت أطروحته بعنوان: «نظرية الخير: الجوانب الميتافيزيقية والإبستومولوجية للقيم».

بعد تضلعه بالفلسفة الغربية وبتاريخ وتعاليم الديانتين اليهودية والمسيحية في دراسته بأميركا، أحس الفاروقي بالحاجة إلى تعميق معرفته بدينه الإسلامي، فرحل إلى مصر، ودرس في الأزهر أربع سنوات (١٩٥٤-١٩٥٨) بنى فيها ثقافة إسلامية رصينة، ثم عاد إلى الغرب وبدأ التدريس بجامعة ماكجيل الكندية، وباحثا في كلية اللاهوت بالجامعة ذاتها، حيث أسفرت أبحاثه هناك عن كتابه القيم: «الأخلاق المسيحية: تحليل تاريخي ومنهجي لأفكارها المهيمنة». انتقل الفاروقي إلى باكستان عام ١٩٦١، ليساهم في تأسيس «معهد البحوث الإسلامية» في كراتشي، ثم عاد إلى أميركا أستاذا بجامعة شيكاغو ١٩٦٣-١٩٦٤، وفي جامعة سيراكيوز ١٩٦٤-١٩٦٨. ثم استقر قراره بجامعة تمبل التي مكث فيها حوالي ثمانية عشر عاما من العام ١٩٦٨ إلى عام استشهاده ١٩٨٦.

■ السفير المغدور:

من عادة الملوك الأقدمين أن لا يقتلوا السفراء الذين يحملون الرسائل بينهم، وهم يعتبرون هذا العرف السياسي من أمارات المروءة والشهامة. لكن سفير الشرق الإسلامي إلى الغرب المسيحي إسماعيل الفاروقي قتل غدرا وغيلة. جاء الفاروقي إلى الغرب حاملا معه مظلمته من الشرق، فوجد الظلم في انتظاره في غرب أحلّ عبادة إسرائيل محل ديانته المسيحية. ففي ليلة ١٨ رمضان ١٤٠٦ هـ، ٢٧ مايو ١٩٨٦ م، قُتل إسماعيل الفاروقي طعنا بالسكاكين هو وزوجته الدكتورة لمياء الفاروقي - وهي عالمة متمرسة بالفن والعمارة الإسلامية - بسبب مواقفه الصلبة في الدفاع عن قضيته وقضية شعبه الفلسطيني، وتعريته الأديولوجية الصهيونية وجذورها العنصرية، وبسبب عمله الدعوي الدؤوب لنشر الإسلام وثقافته في المجتمع الأميركي. بيد أن فكر الفاروقي لم يمت، بل شكل زادا على الطريق الشائك الذي اختطه، طريق كلمة الحق في وجه الجبروت.

■ العالم الموسوعي:

كان الفاروقي مثالا للعالم المسلم الموسوعي، فهو متضلع في الفلسفة، والأديان، والتاريخ، وفي مختلف العلوم الإنسانية الأخرى، وهو يتقن العربية والفرنسية والإنجليزية ويكتب باللغات الثلاث وكأن كلا منها لغته الأم. يحكي د. جمال البرزنجي أنه استدعى الفاروقي لعشاء في بيته عام ١٩٧٢، وتحدث الضيف أمام جمع من أتباع ديانات شتى لمدة ساعة.

وفي ختام الحديث، رفع قسيس يده طالبا التعقيب، فقال: «لقد تعلمتُ عن المسيحية هذه الليلة وحدها أكثر مما تعلمته في دراستي لها خلال الثلاثين سنة الماضية». خلف الفاروقي ثروة فكرية متميزة، منها خمسة وعشرون كتابا، وأكثر

من مائة بحث ومقال أكاديمي. ولا تزال جل كتبه في أصلها الإنجليزي، وهي بحق مساهمة نوعية في تحرير العقل المسلم وتجديد الفكر الإسلامي. وقد ترجمت له بضعة كتب إلى العربية، منها «أطلس الحضارة الإسلامية». كما تخرج على يديه عدد وافر من العلماء المتخصصين في الأديان. ويمكن إجمال المساهمة التجديدية التي قدمها الفاروقي في أربعة محاور: الحضارة الإسلامية، ومقارنة الأديان، وأسلمة المعرفة، والظاهرة الصهيونية.

■ **الحضارة الإسلامية:**

ففي مجال الحضارة الإسلامية ألف الفاروقي وزوجته لمياء سفرا ضخما وقيما جدا، هو «أطلس الحضارة الإسلامية»، الكتاب الذي «ولد يتيم الأبوين» كما كتب مقدمُه د.هشام الطالب، لأن د.إسماعيل وزوجته استشهدا والكتاب لا يزال في المطبعة. فكان من نعم الله أن خرج الكتاب شاهدا لهما، وحافظا لجهدهما وجهادهما. وهو عصارة فكرهما في مرحلة النضج والتمكن. ولعل بقاء هذا الكتاب دليل على ما ذهب إليه برويز منصور إذ كتب في نعي الفاروقي: «إن حبر العالِم أقوى من سكين الغادر». ويمتاز هذا الكتاب برحابة النظرة وامتدادها في الزمان والمكان، فالمعرفة الواسعة التي بناها الفاروقي في تاريخ الأديان، خصوصا اليهودية والمسيحية، والخبرة العميقة التي اكتسبتها لمياء في الفن والعمارة الإسلامية، جعلتهما يضعان الحضارة الإسلامية في إطار رحب لا مثيل له في الكتابات الشائعة في هذا المضمار، وقد تبنى المؤلفان منهجا مبتكرا، بيّنا فيه «السياق» الذي ولدت فيه هذه الحضارة، و«الجوهر» التوحيدي الذي تمحورت حوله، و«الشكل» الذي عبرت به عن نفسها، و«التجليات» التي ظهرت بها (وهذه هي المحاور الأربعة للكتاب).

■ **مقارنة الأديان:**

وفي مجال الدراسة المقارنة للأديان حرر الفاروقي «الأطلس التاريخي لأديان العالم» وكتب الفصل الخاص بالإسلام في ذلك الأطلس، كما قدم له بمدخل ضاف بين فيه جلال الرسالة الإسلامية وتفوقها على كل الأديان، واحتواءها جميع الفضائل التي جاءت بها الرسالات السماوية السابقة، واعتمادها على العقل والمنطق. كما ألف كتاب «الأخلاق المسيحية» الذي نقض فيه الأساس النظري والتاريخي لهذه الديانة من خلال مصادرها الأولى. وقد حاول عدد من القسس في جامعة ماكجيل التي كتب الفاروقي الكتاب في رحابها أن يمنعوا نشره، قائلين إنه يزلزل الإيمان المسيحي في قلوب قرائه. وللفاروقي كتب أخرى في الأديان، منها «الإسلام والديانات الأخرى» و«ثلاثية الحوار اليهودي-المسيحي-الإسلامي»، كما اشترك في تأليف كتاب «الديانات الآسيوية الكبرى»، هذا إلى جانب كتبه الخاصة بالإسلام، ومنها كتاب «التوحيد ومقتضياته في الفكر والحياة».

■ **أسلمة المعرفة:**

وفي مجال أسلمة المعرفة وضع الفاروقي الأسس النظرية لإعادة صياغة العلوم الإنسانية والاجتماعية المعاصرة صياغة إسلامية، بحيث تصبح هذه العلوم رافدا إيجابيا لثقافة المسلمين، لا سيلا جارفا يسلبهم هويتهم ودينهم وثقتهم في الذات. وقد شخص الفاروقي داء المسلمين المعاصرين في نظامهم الفكري والتعليمي السائد، وانعدام الدافع القوي والفكرة المحركة في ثقافتهم. وندد بازدواجية التعليم بين ديني تقليدي ومدني معاصر، مما أنتج ذاتا منشطرة مهزوزة، لا تحسن غير التقليد: تقليد الأجداد الذين رحلوا، أو الغربيين المختلفين دينيا وثقافيا. بينما المطلوب هو تعليم واحد تسري فيه الروح الإسلامية من خلال تدريس مادة الحضارة الإسلامية في كل الجامعات والأقسام بغض النظر عن التخصص. أما المتخصصون في الدراسات الإسلامية فلا بد أن يتضلعوا بالعلوم الإنسانية الحديثة لإثراء ذواتهم وبناء قدراتهم النظرية لتكون على مستوى الثقافة العقلية المعاصرة. وقد أسس الفاروقي مع د.عبدالحميد أبوسليمان المعهد العالمي للفكر الإسلامي ليكون مركز تنظير وتخطيط للثقافة التركيبية التي يحتاجها المسلمون اليوم.

كان إسماعيل الفاروقي مثالا للعالم الموسوعي حيث كتب في الفلسفة والأديان والتاريخ وكان يتقن الإنجليزية والفرنسية

■ **الظاهرة الصهيونية:**

وفي مجال التعريف بالظاهرة الصهيونية، كتب الفاروقي ثلاثة كتب هي: «الإسلام ومشكلة إسرائيل»، و«أصول الصهيونية في الدين اليهودي»، و«الملل المعاصرة في الدين اليهودي». وكان طرحه متميزا بالعمق والرحابة، وإن لم تخل نبرته من مرارة الظلم. كان الفاروقي متضلعا بتاريخ الديانة اليهودية وبتطور الحضارة الغربية، وقد وضع الصهيونية في ذلك السياق التاريخي، وتوصل إلى أن المسلمين يسيئون فهم أهم عدو لهم اليوم وهو إسرائيل، بالنظر إليها على أنها مجرد ظاهرة استعمارية غربية أو مجرد تكرار للحروب الصليبية، وهي كل ذلك وأكثر بكثير. ثم وضع ميلاد إسرائيل في سياق ثلاثة أفكار مهمة هي: عقيدة «الانتقال الوجودي للخطيئة» ontological passage of guilt في المسيحية، وتراجع وعود عصر الأنوار الأوروبية عن تحقيق المساواة لليهود، ثم المركزية العرقية في الديانة اليهودية. وهكذا اقتلع اليهودي جذوره من أوروبا وزرعها في فلسطين وهو محمّل بكل هذه الأثقال. لكن الحقيقة أنه فعل ذلك متأخرا جدا، وأن عمله هذا مجرد حل مؤقت ويائس لن يكون هو الحل

النهائي للمعضلة اليهودية. فتلك معضلة مسيحية غربية لا يمكن حلها على حساب أمة عظيمة تتقدم اليوم إلى مسرح التاريخ من جديد.

رحم الله الشهيد إسماعيل الفاروقي.. حامل همّ الشرق في الغرب. (٥)

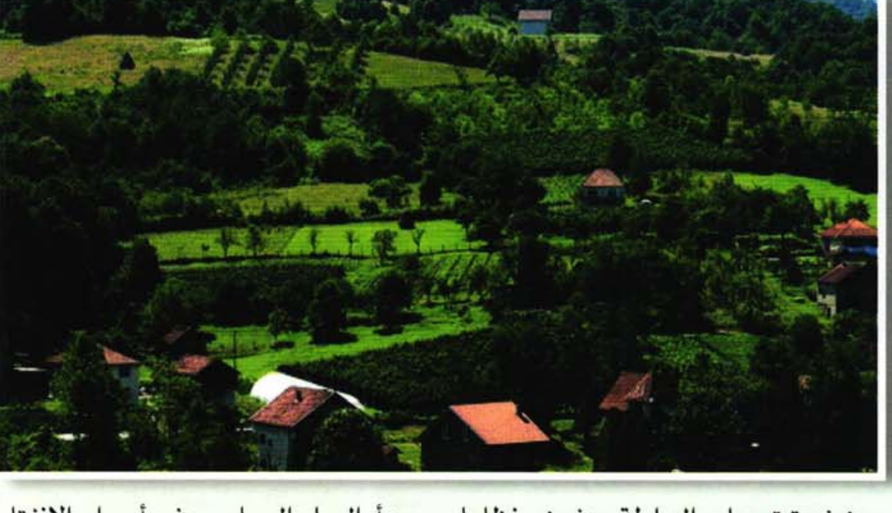
علي عَزت بيغوفيتش.. إسلامي بأفق إنساني:

■ بواكير حياة واعدة:

ولد السياسي والمفكر المخضرم علي عزت بيغوفيتش عام ١٩٢٥ في بلدة «بوسانا كروبا» في شمال غرب البوسنة، لأسرة عريقة في تاريخ الإسلام بالبلقان. وكانت أمه على قدر من الورع والتقوى، فغرست في قلبه حب الإسلام. فعشق القرآن، وخصوصا سورة الرحمن، وهو صبي يافع. ثم أسس مع زملاء له في الثانوية نادي «الشبان المسلمين» وهو طالب، وتوسع النادي فيما بعد ليصبح جمعية ثقافية وخيرية، ويجتذب العديد من طلاب جامعة سراييفو التي درس فيها علي عزت القانون، وأدت الجمعية خدمات اجتماعية جليلة خلال الحرب العالمية الثانية. وحينما احتلت النازية الألمانية مملكة يوغوسلافيا وأحالتها جمهورية فاشية، قاطعت جمعية الشبان المسلمين النظام الفاشي، وضايقها هذا النظام فحرمها من الشرعية القانونية. تخرج علي عزت محاميا، وجهد في إتقان اللغات الأوروبية الأساسية، ومنها الألمانية والفرنسية والإنجليزية، كما بنى بجهده الخاص ثقافة رصينة في العلوم الاجتماعية والفكر الإسلامي والأدب حتى أصبح ضليعا بهذه العلوم، كما تشهد به كتبه، خصوصا «الإسلام بين الشرق والغرب» و«هروبي إلى الحرية».

■ متحدّي الزحف الأحمر:

بدأت محنة المسلمين في يوغوسلافيا تتعمق أكثر بعد الحرب العالمية الثانية، حينما استولى الحزب الشيوعي بقيادة جوزيف تيتو على السلطة، وفرض نظاما قمعيا مناهضا للإسلام، واعتقل عددا وافرا من قادة المسلمين وأعدم العديد منهم، أما جمعية الشبان المسلمين، ذات المنهج الثوري واللغة السياسية الصريحة، فكانت الوطأة عليها أقوى، فاعتقل منها النظام الشيوعي حوالي الألفين، منهم علي عزت، الذي مكث في السجون الشيوعية خمسة أعوام (١٩٤٩-١٩٥٤). وبعد خروجه من السجن بدأ علي عزت العمل محاميا عام ١٩٦٢، وواصل عمله الفكري الإسلامي، من خلال الكتابة المنتظمة في مجلة «تاكفين» التي كانت تصدرها جمعية العلماء المسلمين في يوغوسلافيا.



وقد صدرت مجموعة من مقالاته في كتاب بعنوان «البيان الإسلامي» عام ١٩٨١، فأثار الكتاب ثائرة السلطة الشيوعية التي رأت فيه نوعا من المناهضة للشيوعية، خصوصا بعنوانه المثير الذي يشبه المناقضة لعنوان «البيان الشيوعي» الذي أصدره كارل ماركس وفريديريك أنغلز عام ١٨٤٨، وأصبح إنجيل الحركة الشيوعية. حوكم علي عزت محاكمة صورية وحكم عليه عام ١٩٨٣ بالسجن لمدة أربعة عشر عاما، فمكث خمس سنوات كالحة في السجون الشيوعية للمرة الثانية. ومع انهيار الشيوعية عام ١٩٨٩ خرج من السجن بعد إعادة محاكمته وتبرئته، وبدأ العمل السياسي في أجواء الانفتاح الجديد، فأسس حزبا سياسيا، وفاز برئاسة جمهورية البوسنة طيلة عقد من الزمان (١٩٩٠ - ٢٠٠٠). ثم رحل عن عالمنا عام ٢٠٠٣م، مخلِّفا ذكرى عطرة وأثرًا لا يندثر.

■ قاهر بربرية الحضارة:

تفاءل مسلمو البوسنة بسقوط الشيوعية خيرا، وحسبوا أنهم دخلوا عالم الحرية الموعودة التي طالما انتظروا إسفار فجرها على بلدانهم. بيد أن عدوا جديدا أطل برأسه القبيح، فكان أبشع من الشيوعية وأكثر دموية، وهو الفاشية الصربية، التي سعت إلى استئصال الإسلام من يوغوسلافيا، مدفوعة بأحقاد دفينة ترجع إلى ميراث العصور الخوالي من الصراع بين المسلمين الأتراك والمسيحيين السلافيين في البلقان. وقد تواطأت أوروبا مع الصرب بحصار المسلمين وحرمانهم من أي سلاح يمكنهم من الدفاع عن وطنهم المستباح. وبينما كان المسلمون يبادون كان بعض القادة الأوروبيين يتحدثون عن خطر وجود «دولة إسلامية» في أوروبا!! وكان على علي عزت أن يقود شعبه في معركة موت أو حياة، انتهت باستقلال البوسنة، لكن بعد تضحيات جسام، وبحور من الدماء في سربرنيتسا وغيرها.

كان علي عزت أبيًا في تواضع، صلبًا

في حكمة. صمد في السجن أمام الإغراء والإغواء، وصبر خارج السجن في البأساء والضراء. جمع بين العلم والعمل، بين الفكر والالتزام بالقضية. كان شديد الذكاء، عظيم الشجاعة، لكنه كان يقدر الشجاعة أكثر من الذكاء، وقد كتب يقول: «لم يغنّ الشعب للذكاء، وإنما غنّى للشجاعة... لأنها الأكثر ندرة». وفي أحلك المحن التي واجهها ظل علي عزت ذلك الرجل ذا القلب الكبير الذي لا يحمل حقدا حتى ضد أعدى أعاديه. وقد كتب عن نفسه بحق: «لا كراهية لدي، وإنما لديّ مرارة»، «لا أتذكر بأني احتقرت أحدا». ولم يكن يرى العدالة انتقاما، بل إرجاعا للأمور إلى نصابها، مع العفو والصفح حالما يرتفع الظلم عن المظلومين. وفي ذلك يقول: «الطريقة الوحيدة للانتصار على الظلم هي التسامح... أليست كل عدالة ظلما جديدا؟». وبهذا العقل الواسع والقلب الكبير قهَر علي عزت بربرية الحضارة التي أرادت استئصال شعبه تحت سمع وبصر العالم.

■ **عاشق الحرية السجين:**

كان علي عزت عاشقا للحرية التي يراها جوهر إنسانية الإنسان، كما كان يرى الدكتاتورية أعدى أعادي الإنسان. وكان يعتبر ملكة التفكير مصدرَ قوة الكائن البشري ومنبعَ حريته التي لا تستطيع قوة القهر المادي سلبها. ولذلك كتب متحدثا عن نفسه في السجون الشيوعية: «لم أستطع الكلام، لكني استطعت التفكير. وقررت استغلال هذه الإمكانية حتى النهاية.» وقد حاولت السلطة الشيوعية استدراجه إلى نوع من المساومة على مبادئ الإسلام والحرية فلم تجد منه سوى الصدود والإباء. كتب في دفتره المخفي بالسجن: «اليوم هو ٢٧ شباط ١٩٨٧م: وهو يوم قليل الإثارة. طلبوني في الصباح لإدارة السجن واضطربتُ، لأنه لم يكن وقت زيارة. وفي غرفة اللقاءات وجدت ليلى وسابينا «ابنتيّه» بوجوه مرحة. أرادتا فورا وربما على المدخل أن تقولا بأن لا شيء مكروها قد حصل. ثم تحدثتا لي كيف أن «نيقولا ستويانوفيتش» رئيس لجنة الاسترحام في رئاسة جمهورية البوسنة اقترح استدعاء للاسترحام، وسيتم الإفراج عني. وكان الوسيط «زدرافكو جوريتشش» سكرتير اللجنة آنذاك هو زميل ليلى في الدراسة، الذي كتب الاستدعاء. وقرأت النص، ولم أوقع، واستمر السجن». لقد طلبوا منه التوقيع على استرحام من سجانيه، وعلى التزام باعتزال السياسة والشأن العام، فرفض بإباء، ومكث في السجن عامين آخرين جراء ذلك.

> **كان علي عزت بيغوفيتش إسلاميا في العمق لكن بأفق إنساني رحب وكان يعتبر ملكة التفكير مصدر قوة الكائن البشري**

وقد علّمتْه محنة السجن الكثير. وكان يكتب بعض الخواطر وهو سجين، ويخفيها عن أعين سجانيه. ونشرتْ هذه الخواطر فيما بعد ضمن كتابه «هروبي إلى الحرية». وهي تدل على إيمان راسخ، وعقل ثاقب، وفهم عميق للحياة وابتلاءاتها. وفي اثنتين من هذه الخواطر كتب: «السجن يقدم معرفة يمكن أن يقال عنها إنها مؤلمة للغاية»، «يعاني الإنسان في السجن من نقص في المكان وفائض في الزمان».

■ **حامل الرسالة الإنسانية:**

كان علي عزت بيغوفيتش إسلاميا في العمق، لكن بأفق إنساني رحب. ويحتار المطالع لتراثه من سعة اطلاعه على الثقافة الإنسانية. فهو ضليع في الفلسفة، والأديان، والقانون، والتاريخ، والأدب، والرسم. وتدل هوامش كتبه وثراء استشهاداته وملاحظاته على اطلاع مذهل على ثمرات الفكر الإنساني في الشرق والغرب، وعقل منهجي ناقد لما قرأ، متمثل له في ذاته. وكان يرى أن ركام المعلومات من غير هضم عبء على حامله، وليس من المناسب تسميته معرفة أصلا. وقد كتب في ذلك: «المعرفة المفرطة تخنق أحيانا الفكرة الإبداعية... يمكن للإنسان أن يمتلك المعرفة في عدة مجالات، لكن من غير تنظيم وبدون رؤيا... الكثير من المتعلمين عاشوا وماتوا بدون معرفة حقة... كومة من المواد الجيدة من دون مخطط، تبقى كومة فقط».

أسهم علي عزت إسهاما جليلا في الفكر الإسلامي والإنساني من خلال كتبه. وأهم هذه الكتب هي «الإسلام بين الشرق والغرب» و«هروبي نحو الحرية»، ثم «البيان الإسلامي». آمن إيمانا عميقا بالإسلام رسالة إنسانية، تحتاجها البشرية اليوم حاجة مُمِضّة. وقد قدم الإسلام بصفته طريق الوسطية بين المادية العمياء التي تغلّف الأفق الإنساني وتحجب رؤيته، والروحانية العرجاء التي تؤصّل الانهزامية والانسحاب من معركة الحياة. فالإسلام هو «الطريق الثالث» كما يدعوه علي عزت.. الطريق الذي لا يشطر الذات الإنسانية شطرين، بل يصوغها صياغة متزنة، تجعلها قادرة على التوفيق بين واقعها المتناهي وأفقها اللامتناهي. فالروحانية الواقعية هي أهم سمات الإسلام، والإنسان الكامل في الإسلام - كما يراه علي عزت - ليس القديس، بل المؤمن الواقعي القوي، الملتزم برسالته الاجتماعية ودوره في الحياة. ولو فهمنا الإسلام حق الفهم - يقول علي عزت - فسنجد أن الإنسان الواقعي الملتزم أعظم من القديس، وأن ذلك هو السر وراء أمر الملائكة المعصومين بالسجود لآدم الخطّاء.

رحم الله علي عزت بيغوفيتش.. قاهر بربرية الحضارة بإيمانه الإسلامي وأفقه الإنساني.

كيف نجدد الخطاب الإسلامي؟



عصام تليمة

كثر في هذه الأيام الحديث عن الخطاب الإسلامي وتجديده، وبغض النظر عما تردد بعد أحداث سبتمبر من أميركا والدول الأوروبية من الدعوة لتجديد الخطاب الديني- على حد زعمهم- فإننا نود أن نقف وقفة مع خطابنا الإسلامي بعيدا عن هذه المطالب المشبوهة، لننظر.. هل من الممكن أن يتجدد الخطاب الإسلامي؟ وكيف؟ وما المطلوب من خطابنا الإسلامي في عصرنا كي يؤتي ثماره، ويحقق أهدافه، من هداية الناس وتعريفهم بربهم سبحانه وتعالى، والالتزام بتعاليمه، والاهتداء بهديه؟!

وبداية نقول: إن تجديد الخطاب الإسلامي أمر مطلوب ومنشود بلاشك، فمن أهم خصائص الإسلام الحنيف أنه دين صالح لكل زمان ومكان، وهذه الصلاحية تقتضي أن يتجدد أسلوب عرض الإسلام حسب الزمان والمكان والأشخاص.

نلاحظ في القرآن الكريم التجديد في العرض حسبما يقتضي المقام، فنرى خطاب المشركين غير خطاب أهل الكتاب، ونرى خطاب الله تعالى للمسلمين يختلف أيضا من مرحلة لأخرى، ففي مكة كانت كل نداءات القرآن بـ «يأيها الناس» و«يا بني آدم» و«يأيها الإنسان»، أما في المدينة المنورة بعد أن أصبح للمسلمين دولة، وباتت لهم جماعة، فناداهم بنداء جديد بـ «يأيها الذين آمنوا»، بل حتى في القضية الواحدة يختلف أسلوب القرآن في حديثه عنها من وقت لآخر، خاصة في القضايا التي سيقف فيها القرآن الكريم موقف التحريم، فيتدرج في علاجها، فمثلًا نرى ذلك واضحًا في قضية تحريم الخمر.

وأيضًا من أدلة تجديد الخطاب الإسلامي: القراءات السبع أو العشر للقرآن الكريم، فكلها تدل على مراعاة لهجات العرب؛ كي يتناسب مع فهمهم للقرآن الذي هو عربي مبين.



ليس من الواقعية في شيء أن يحدِّث خطيب أناسًا فقراء عن زكاة الأسهم والسندات

الرسول ﷺ وتجديد الخطاب الإسلامي

كذلك كان النبي ﷺ يجدد من خطابه، ويغير من أساليبه، مراعيًا بذلك الزمان والمكان والأشخاص، فقد جاءه رجل وقال له: يا رسول الله، عظني؟ فقال: «لا تغضب» (رواه البخاري)، وجاءه آخر فطلب منه نفس الطلب، فقال: «قل: آمنت بالله ثم استقم» (رواه مسلم)، فهو هنا راعى تغير الشخص في خطابه الدعوي، إذ رأى حاجة الأول لأن يسكن من غضبه ويحد منه، ورأى في الآخر حاجة لأن يعمق إيمانه بالله، ويستقيم على طريق الهداية.

كما كان يراعي تغير المكان واللهجة، فقد كانت لهجته ولغته ﷺ لهجة قرشية فصيحة، ومع ذلك لما أتاه وفد من حمير راعى اختلاف لهجتهم، فغير من خطابه الديني الدعوي معهم، وهم قوم ينطقون «الـ» التعريفية ميمًا، فمن أحاديثه ﷺ قوله: «ليس من البر الصيام في السفر» (رواه أحمد والنسائي وابن ماجة)، فلما خاطب وفد حمير تكلم بلهجتهم فقال: «ليس من امبر امصيام في امسفر» وهي لهجتهم.

كما كان ﷺ يراعي البيئة المحيطة، فلا يأتي بما هو مستغرب عنها ولا مستهجن، نرى ذلك في خطابه ﷺ عند ضربه للأمثلة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهي مثل المسلم، حدثوني ما هي؟»، فوقع الناس في شجر البادية ووقع في نفسي أنها النخلة، فقالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «النخلة» (رواه البخاري ومسلم)، فالرسول ﷺ شحذ عقولهم، وطالبهم بإعمالها في التفكير في نبات أشبه ما يكون بصفات المسلم، فما هو هذا النبات؟ إنه النخلة، فلم يأت لهم بنبات بعيد عنهم، أو نبات لا يرونه في صحرائهم وبيئتهم، فأتى بنبات صحراوي يناسب بيئتهم ويرونه ليل نهار، بل وتعتمد عليه تجارتهم وحياتهم، وهكذا في كل

• داعية اسلامي

تشبيهاته ﷺ عند استخدام ضرب المثل في الخطاب النبوي.

وفي خطابه ﷺ للملوك، نلاحظ اختلاف الأسلوب كل على حدة، وخطابات العرب غير العجم، فراعى لكل منهم مكانته، مثل كتابه للمقوقس الذي بدأه بقوله: إلى المقوقس عظيم القبط، فراعى لكل إنسان ما يناسبه، بحسب استعداده لتلقي دعوة الإسلام، وبحسب مقامه.

نخلص من ذلك إلى أن النبي ﷺ كان يجدد في خطابه على حسب الموقف والزمان والمكان والأشخاص.

مـاذا نـريـد مـن الخـطـاب الإسلامي؟

إننا نريد من خطابنا الإسلامي- في ضوء مستجدات العصر- متطلبات عدة حتى يؤتي أكله، ويستجيب له الناس، ويكون خطابًا محببًا إلى النفوس والقلوب، وحتى لا يكون خطابنا في واد والناس في واد آخر، مما يجعل الناس تعطي ظهرها للخطاب الديني، باحثة عن باب آخر يلبي رغباتها، وليس ذلك لعيب في الدين، ولكن لعيب فيمن يقدم هذا الدين.. وهذه المطالب هي:

١- الواقعية: لابد أن يكون خطابنا الإسلامي خطابًا واقعيًا، لا يحلق في أجواء من الخيال الحالم، ويبتعد عن واقع الناس المعيش، يعالج أدواءهم، ويحل مشكلاتهم، ويحدثهم عن أزمات الواقع وكيفية الخروج منها، أذكر- ونحن طلاب- داعية معروفًا قد عقدت له ندوة بجامعتنا، واحتشد له الشباب من كل صوب وحدب، فكان حديثه لهم عن «موجبات الغُسْل»، وذلك في أوج محنة المسلمين في البوسنة والهرسك!

وجلست مرة أستمع إلى داعية آخر يلقي محاضرة عن «ذكرى الهجرة النبوية» وقد ظل أكثر من ربع ساعة يعقد مقارنة بين: أي الغارَيْن أفضل: غار ثور أم غار حراء؟ ثم ظل يقارن بينهما ويقول:

أ- غار حراء نزل فيه قرآن، وغار ثور نزل فيه قرآن، إذن النتيجة التعادل (١-١).

ب - غار حراء وجد فيه النبي ﷺ، وغار ثور وجد فيه النبي ﷺ كذلك، إذن النتيجة التعادل (٢-٢).

ج - غار حراء نزل فيه جبريل عليه السلام، وغار ثور كذلك نزل فيه جبريل، إذن النتيجة التعادل (٣-٣).

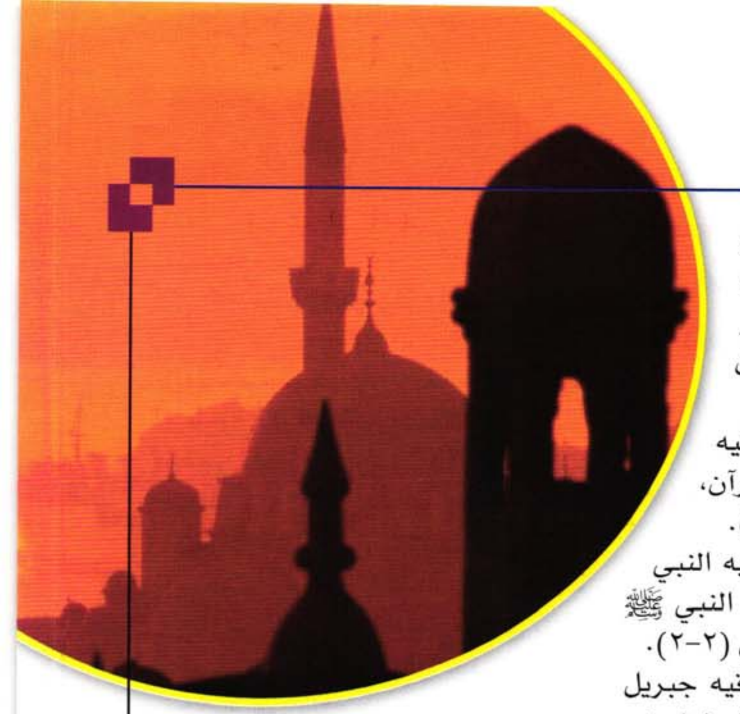
د . غار ثور وجد فيه أبوبكر الصديق رضي الله عنه، وغار حراء لم يأته أبوبكر الصديق رضي الله عنه، إذن النتيجة (٤-٣)، وأعلن المحاضر بذلك النتيجة بفوز غار ثور على غار حراء، بتفاضله عليه بأن وجد فيه أبوبكر الصديق رضي الله عنه!

فليس من الواقعية في شيء أن يقف خطيب بين أناس لا يجدون قوت يومهم، ويعيشون في العراء، ليحدثهم عن زكاة الأسهم والسندات، أو زكاة المجوهرات والذهب، وهم ممن يستحقون الزكاة، بل ممن تحل لهم الصدقة!

وليس من الحكمة والعقل كذلك ما نشاهده من بعض الدعاة الذين يذهبون إلى أميركا وأوروبا ويعقدون محاضرات عن «خطر الأضرحة على العقيدة» في بلاد لا يوجد بها ضريح واحد، ولا قبور للأولياء.

إن الخطاب الديني عندما يبتعد بالناس عن الواقع يصبح خطابًا فارغًا من قيمته وهدفه، ومن رسالته وغايته، فلابد أولًا أن ننزل على أرض الواقع، ونخاطب الناس بخطاب يناسبهم، ويناسب واقعهم المعيش.

٢. الانفتاح لا الانغلاق: فخطابنا



الإسلامي لابد أن يكون خطابًا منفتحًا على الآخر، سواء أكان ذلك الآخر من داخل المسلمين أم من خارجهم، وأن ينظر إلى مجموع المسلمين على أنهم سواسية، أما نظرة الاستعلاء التي نراها في خطاب بعض المتدينين، كأنهم وحدهم المخولون بالخطاب الديني، وأن الدين نزل لهم، وأنهم فوق مستوى البشر، فليست من الدين في شيء، وحتى لا يكون خطابنا خاصًا بفئة معينة، بل لابد من التعامل مع الأمة على أنها أمة واحدة، متدينها وغير متدينها، وأن نتعامل معهم في خطابنا واضعين نصب أعيننا قول النبي ﷺ: «لا تعينوا الشيطان على أخيكم» (رواه البخاري)، فحتى عصاة الأمة هم من أبنائها، علينا أن ننفتح عليهم بخطابنا؛ لنعود بهم إلى الإيمان، لا أن ننفرهم من التدين بانغلاقنا.

ومطلوب أيضًا الانفتاح مع غير المسلمين بخطاب يحبب إليهم الإسلام، ويصحح صورته المشوهة في أذهانهم جراء الإعلام المشبوه، وحملات التشويه المتعمدة لتعاليم الإسلام، والتي يزيدها ويؤكدها في أذهانهم خطاب بعض الدعاة الذي يمتلئ تشنجًا ودعوة لإقصاء الآخر

ورفضه.

٣-تبني المنهج العلمي: فيجب أن يتبنى الخطاب الإسلامي المنهج العلمي، وذلك بأن نتكلم بمنهجية وعلمية، لا أن يكون خطابنا مرتجلا وغير دقيق في المعلومات، إن غير المسلمين عندما يتحدث عن الحركات الإسلامية أو الإسلام يعد ويدرس ويرصد رصدًا جيدًا، وإن اختلف معنا في التحليل والمنهجية التي يبنى عليها، ولكنه يتعب في جمع مادته، يحكمه في ذلك منهج علمي، فلماذا نعتمد في خطابنا الإسلامي على المعلومة غير الدقيقة، وفي أحيان كثيرة غير الصحيحة؟ معتمدين بذلك على النقل عن الثقة، وحدثني الثقة، والنقل غير الدقيق وغير العلمي.

والقرآن الكريم تبنى منهجًا علميًا في خطابه وتعامله مع الناس، فليسوا جميعًا في درجة واحدة، إنما لكل أسلوبه، فخطابه مع المشركين غير أهل الكتاب، كما أسلفنا القول، بل نرى القرآن يصنف الناس مستويات، حتى على مستوى الكفار والمشركين، فهناك «الذين كفروا» وهناك «الذين كفروا وظلموا» و«الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله»، ولذلك قال الله تعالى في كتابه: ﴿ليسوا سواء﴾ (آل عمران: ١١٣). فكثيرًا ما نرى في خطابنا الإسلامي قول البعض: الكفر كله ملة واحدة، وهذا الكلام ليس دقيقًا مائة بالمائة خاصة في التخاطب معهم، فالكفر درجات، وأهله كذلك درجات.

وكذلك النبي ﷺ في تعامله وخطابه، فكان خطابه يعتمد على المنهج العلمي والرصد الدقيق، ومعرفة مكانة ودرجة من يخاطب، فخطابه مع الملوك والحكام من أهل الكتاب غير خطابه مع كسرى عابد النار، غير خطابه مع العرب عباد الوثن، وفي صلح الحديبية نرى كيف قرأ النبي ﷺ الناس قراءة فاحصة، وأعطى كل إنسان مكانته، ووضع طريقة التعامل معه، فعندما جاء الأحابيش، قال لهم ﷺ: إن الأحابيش قوم في قلوبهم رقة، فقدموا الهدي، فقدم الصحابة الهدي، فكف الأحابيش أذاهم عنهم، ورجعوا من حيث أتوا، ولما أرسلت قريش من يتفاوض مع رسول الله ﷺ سأل الصحابة: من القادم؟ قالوا: فلان، قال: ليس بذاك، أي ليس رجل تفاوض، ولما جاء ثالث، سأل ﷺ: من القادم؟ قالوا: سهيل بن عمرو، قال ﷺ: سهل الله عليكم به، فهذه القراءة الدقيقة للأشخاص هي منهج علمي على الداعية المسلم في خطابه أن يتوخاها، وأن يكون ملمًا بها.

مطلوب في الخطاب الإسلامي ألاّ يغلب العاطفة على العقل بل لابد من الجمع بينهما

٤-الجمع بين العاطفة والعقل: فمطلوب من خطابنا الإسلامي ألا يُغلب العاطفة على العقل، بل لابد من الجمع بينهما، فلو أننا سرنا وراء العاطفة وحدها لوقعنا في أخطاء لا حصر لها، وليس ذلك معناه إلغاء العاطفة من خطابنا، بل نعني بذلك ضبط العاطفة بالعقلانية والاتزان، فكم من خطيب يفلح في استثارة الجماهير، ويأتي من وراء استثارته ما يودي بمصير الدعوة إلى المجهول، ويفلت الزمام من يده، والسبب في ذلك أن خطابه خطاب عاطفي، يفتقد العقلانية والاتزان اللذين يضعان كل شيء في موضعه.

٥- إشاعة روح الأمل: ومطلوب من خطابنا الإسلامي أن يكون خطابًا ملؤه التفاؤل والأمل، مهما أصاب الأمة من الويلات والنكبات، فالمستقبل للإسلام، ولا يعني حديثنا عن محن الإسلام والمسلمين أن نؤيس المسلمين من نصر الله، لأن ذلك يؤدي بدوره إلى تخاذل المسلمين وتكاسلهم ويأسهم من الإصلاح، فكثيرًا ما نرى خطباء يصورون الواقع للناس على أنه واقع أسود، ولا أمل في إصلاح، ولا رجاء في دعوة، فالكفر في إقبال، والإسلام في إدبار، ولا يأتي على الإسلام يوم إلا والذي بعده شر منه، ولكن المطلوب مع الحديث عن واقع الأمة أن نربط ذلك بوعد الله بالتمكين لهذا الدين وأهله، مما يجعل الناس تنطلق للعمل ولا تخلد للراحة والدعة والخمول واليأس.

٦-خطاب وسطي معتدل: وأخيرًا مطلوب من خطابنا أن يكون وسطيًا، لا يميل إلى التطرف ولا إلى الجمود، وسط بين الإفراط والتفريط، فالإسلام دين يمتاز بأنه دين وسطي، وقد جعل الله أمة الإسلام أمة الوسطية، قال تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطًا﴾ (البقرة: ١٤٣)، ومن لطائف الآية أنها تتحدث عن وسطية الأمة الإسلامية، وقد جاءت في وسط السورة تمامًا، فسورة البقرة (٢٨٦) آية، والآية التي تحدثت عن الوسطية هي الآية رقم ١٤٣ من سورة البقرة، فنحن نريد بناء على ذلك خطابًا وسطيًا، لا يجنح إلى الإفراط ولا إلى التفريط، يزن الأمور بميزان الإسلام الوسطي.

والأمر يحتاج إلى مراجعة وإلى إعادة تخطيط، وتعميق الاطلاع على تراثنا الإسلامي، بحيث ينظر الداعية بعين على التراث الإسلامي، وعين على الحاضر ليستشرف به المستقبل.



رفقًا بنا معشر الأدباء والنقاد.. رفقًا!

تَلُفُّ كثيرًا من الكتابات النقدية والأعمال الأدبية المتأثرة بالثقافة الغربية موجات متلاحقة من الغموض، ما قد يشمُّ منه رائحة التعمد والقصد، وكأنه قد ساد بين تلك الأوساط أنه كلما زاد التعقيد ارتقى العمل إلى قمة الجودة والإتقان، وهذا لعمري في القياس شنيع!

والمرء حينما يحاول سبر أغوار تلك الأعمال، تحول دون ذلك المصاعب والأهوال، إذ تدلهم الخطوب بمصطلحات خاصة تكاد تصل إلى حد الرموز والأحاجي، وبعبارات وألفاظ أشبه بخيوط كثيفة تداخلت أطرافها في أنصافها فتعقدت فأصبحت عصية الفض (الفهم).

لذا تتطلب هذه الكتابات النقدية، فضلًا عن الأعمال الأدبية، مذكرات تفسيرية مصاحبة! وربما كان النص الأصلي عذبًا رقراقًا فيُنْقد بشيء من هذا فيستغلق! ولو قرأ مبدعُ النصِّ نفسُه ذلك النقد ما وعى شيئًا! قد يقال العيب في قصور أفهامنا، وقد يكون ذلك صوابًا، لكن إليكم هذه الواقعة:

يروى أن كاتبًا ساخرًا سطَّر في ساعة واحدة من الزمن مجموعة أوراق لا تستقيم فيها جملة في سياق مع أختها، ولا تنتظم في ذاتها، خالية مما سوى الكلمات الممزق تركيبها.. لا رسالة ولا دلالة ولا أداء فنيًا ولا ولا... إلى آخر ما تعارف عليه أهل هذه الصناعة، وزعم أن هذا العمل ترجمة لرواية غربية، وأرسلها إلى إحدى المؤسسات الأدبية الناشرة التي بعثتها إلى طائفة من النقاد ليبدوا رأيهم فيها، بعد أن اختارت طائفة من ألمع نجوم النقد عندها، فإذا التعليقات مفجِّرة لضحك الكاتب الساخر، دالة أيما دلالة على ما قد انحطت إليه سوق الأدب والنقد، فمنهم من قال: «إن هذه الرواية تعبر بحق عن مأساة الإنسان الغربي»، ومنهم من قال: «هذه هي الدراما»... ثم فجر صاحب الترجمة المزعومة القنبلة وسط ذهول الجميع وتصبب عرق النقاد العباقرة... ولا عزاء للنقد!

رفقًا بنا معشر الأدباء والنقاد.. رفقًا!

المحرر



من ضروب البلاغة والبيان العربي المعجز

الاحتراس

د. رفيق حسن الحليمي

■ **تعريفه:** هو عند البلاغيين «الاحتراس» وعند المفسرين «التقييد» (١)، وكلا المصطلحين يؤدي الهدف، ويحقق النتيجة، ويظهر ما في الأساليب من ملامح بيانية معجزة، اختص بها اللسان العربي شعرًا ونثرًا.

وهو «أن يكون على الشاعر طعن فيحترس منه» (٢)، كأن تكون عبارة الشاعر أو الكاتب محتملة للطعن أو الذم أو الوقوع في مظنة الالتباس في الفهم أو الاعتقاد الفاسد، ولدفع ذلك كله يأتي الشاعر- زيادة على قوله- بكلمة أو جملة يتمم بها المعنى أو يقيده فتتجلي بها مقاصد الكلام.

■ **بين الاحتراس والجمل المعترضة:** هو أقرب شكلًا لا مضمونًا إلى الجملة المعترضة، فهو كما هي جملة قد توضع عند الكتابة بين قوسين أو بين شرطتين، غير أن مضمون الاحتراس مخالف للجملة المعترضة، فهو محصور في معنى الاحتراس من الزلل أو الطعن أو مظنة الفهم الخاطئ، وهذا في حد ذاته غاية يتغياها الكاتب، أما الجملة المعترضة فهي جملة عارضة وبدونها لا يختل المعنى، أما جملة الاحتراس فهي ضرورية ولازمة وبها تتجلي مقاصد الكلام وبدونها يفسد المعنى، وغالبًا ما تكون الجملة المعترضة للدعاء أو للإشارة إلى معنى آخر يريده الكاتب، مثل: «وكان - إلى جانب ذلك - حسن الخط جيد الضبط» فقوله: (إلى جانب ذلك) لا يختل المعنى إذا حذفت، ومنه قوله ﷺ: «فاظفر بذات الدين - تربت يداك»، ومنه قول النابغة الذبياني:

أتاني- أبيت اللعن- أنك لمتني
وتلك التي أهتم منها وأنصب

فجملة (تربت يداك) و(أبيت اللعن) معترضة للدعاء.

■ **أمثلة للاحتراس من الشعر:** منها قول عدي بن الرقاع (٣):

فسقى ديارك- غير مفسدها-
صوب الغمام وديمة تهمي

أراد الدعاء للديار بالسقيا والغيث، فذكر (صوب الغمام وديمة تهمي) أي: بمطر يتصبب بغزارة وديمومة، وفي هذا المعنى مطعن على الشاعر لأنه قد يفهم من قوله أنه دعا على الديار بالخراب والدمار ولا يدعو لها بالغيث لأن كثرة المطر سبب في الخراب وهو ما لا يقصد إليه فأتي- للاحتراس- بعبارة (غير مفسدها) التي دفعت عنه مظنة الطعن وأبرزت المعنى الحقيقي الذي قصد إليه وهو الدعاء للديار بالسقيا والغيث العميم، ولولا هذه العبارة لظل المعنى ملتبسًا محتملًا للطعن والنقد.

ومنها قول الشاعر (٤):

ومقام الغريب في بلد الذ
ل - إذا أمكن الرحيل- محال

الأصل في المعنى: مقام الغريب في بلد الذل محال، لكن هذا المعنى يحتمل الطعن، فقد يقول قائل: ولماذا المقام إذن ولماذا يكون محالًا؟ فاستدرك الشاعر دفعًا للالتباس بعبارة (إذا أمكن الرحيل) التي أبرزت المعني الذي قصد إليه وأزالت كل لبس، فأصبح المعنى بعد الاحتراس عذرًا لمن لا يستطيع الرحيل، ولومًا وتقريعًا لمن يستطيع الرحيل ويقدر عليه ولا يرحل.

ومنها قول الآخر (٥):

فلا تأمنن الدهر حرًا ظلمته
فما ليل مظلوم- كريم- بنائم

فقوله (كريم) احتراس وتتميم للمعنى، لأن اللئيم الدنيء يغضي عن العار وينام عن الثأر، بخلاف الحر الكريم الذي يأبي الضيم وينهض لدفع الظلم عنه ولا ينام على ضيم أو ظلم لحق به حتى يحقق مراده.

ومنها قول الخنساء (٦):

يذكرني طلوع الشمس صخرًا
وأذكره لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولي
على إخوانهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل أخي
ولكن أسلي النفس عنه بالتأسي

فقولها: (يذكرني طلوع الشمس) قد يفهم منه أنها لا تذكره إلا عند الشروق، فأتمت المعنى- احتراسًا- بقولها (وأذكره لكل غروب شمس) الذي أفاد أنها تذكره أيضًا عند الغروب، فاكتمل المعنى في مبالغة طريفة كشفت عن مدى حبها لأخيها وحسرتها عليه وتأسيها على فقده بتذكره صباح مساء، وقد سئل الأصمعي (عالم لغوي ت ٢١٧هـ): لماذا خصت (طلوع الشمس وغروبها) دون أثناء النهار، فقال: لأن وقت الطلوع وقت الركوب إلى الغارات ووقت الغروب وقت قرى الأضياف، فذكرته في هذين الوقتين مدحًا له بأنه يغير على أعدائه وأنه يقري أضيافه.

ومنها قول ذي الرمة (٧):

* كاتب وأكاديمي فلسطيني



ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى
ولا زال منهلًا بجرعائك القطر

فقوله (ألا يا اسلمي) احتراس لطيف وضروري، قيد به المعنى الذي يفهم منه أنه دعا على الديار باستمرار المطر الغزير عليها (ولازال منهلًا القطر)، لأنه كلمة (لا زال) تفيد الدعاء بخلاف (مازال) التي تعني: ملازمة الخبر المخبر عنه (٨)، غير أن عبارة (ألا يا اسلمي) دفعت اللبس وأنقذت البيت من الطعن، وهذا البيت من الشواهد النحوية على نحو ما بينا.

ومما يحضرني البيت المشهور:

بلادي- وإن جارت علي- عزيزة
وأهلي- وإن ضنوا علي- كرام

فالأصل في المعنى: (بلادي عزيزة وأهلي كرام) وهذا معنى عام لا يميز الشاعر عن غيره في حب البلاد والأهل، لذلك احترس من مغبة هذا الفهم فزاد المعنى بقوله: (وإن جارت علي- وإن ضنوا علي) ليجعل من هاتين العبارتين اضافة خاصة به تميزه عن سواه، فهو رغم ما يلاقيه من ضن وعنت تبقى بلاده عزيزة عليه، ومهما يلاقي من جور وظلم يبقى أهله كرامًا عنده، وتتجلى القيمة الجمالية في هذا الاحتراس الذي جعل المحك الحقيقي للحب يكمن في احتمال كل شيء في سبيل الأهل والوطن.

■ **أمثلة من النص القرآني:** في القرآن الكريم أمثلة متعددة للاحتراس، وقد سماه النسفي في تفسيره (التقييد) تأدبًا مع كلام الله، من ذلك قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ (النساء: ٤٨)، فالشرك- والعياذ بالله- من أعظم الكبائر، وهو خطيئة لا يغتفر لها ويغتفر لسواها (ما دون ذلك)، وتأتي عبارة (لمن يشاء) لتقييد المغفرة بإرادة الخالق وحده الذي يطلع على القلوب الصادقة في توبتها، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن كثير (٩).

ومنه قوله تعالى: ﴿ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن- كأن لم تكن بينكم وبينه مودة- يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزًا عظيمًا﴾ (النساء: ٧٣)، فقد كشفت هذه الآية سلوك المنافق الذي ينتظر النتائج، فإذا انتصر المسلمون وأصابهم فضل من الله تمنى أن لو كان معهم ليفوز كما فازوا، واذا اصابتهم مصيبة حمد الله قائلًا (قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا)، وتأتي عبارة (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) لتبين أن الصلة بينكم وبينه تقوم من وجهة نظره على المصلحة والمنفعة، وهذا تقييد جعل من هذا المنافق في موقع الانتهازي الذي لا تهمه الا مصلحته بعيدًا عن الجماعة (١٠).

ومنه قوله تعالى: ﴿ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون﴾ (الزخرف: ٣٩)، فقوله: (ولن ينفعكم) تقييد للمعنى، بحيث لا يفيدهم ولن يواسيهم اشتراكهم في العذاب مع من أغواهم من شياطين الإنسان والجن، لأن الاشتراك في المصيبة وفي عموم البلوى يخفف منها، فأعلمهم الله أن أول ما يعاقبهم به أنه لا يلهمهم التأسي باشتراك من أغواهم معهم في العذاب بسبب ظلمهم وكفرهم (١١).

ومنه قوله تعالى: ﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ (البقرة: ٢٢٣)، فكلمة (أنى) تحتمل معنى المكان ومعنى الكيف، فأتى- لإزالة الالتباس والفهم المخالف للفطرة- بكلمة (حرثكم) أي موضع الحرث فيهن، وهو مجاز لغوي، شبههن بالمحارث التي تنبت الزروع، وهن يلدن البنين، وقد حصرت كلمة (حرثكم) وبينت الموضع الذي يتأدى به الاستيلاد، وهو موضع الحرث لا الفرث (١٢).

● خاتمة: لعلنا بعد هذا العرض المفصل ندرك أن تكوين الجملة لا يتأتى دون مراعاة عدة جوانب، منها:

■ المتلقي الذي يستمع أو يقرأ الجملة، ولابد للكاتب من مراعاة الفروق الفردية بين المتلقين، لذلك لابد من وضوح العبارة ووضوح الدلالة بإزالة مظنة الالتباس في الفهم، وقد عد البلاغيون هذا الجانب من مقتضيات البلاغة.

■ اللغة، وهي بحر واسع، لابد للكاتب من معرفة اللغة ودلالات المفردات بدقة، فليست اللغة مجرد مجموعة من المفردات الصماء بحيث يختار الكاتب مفرداته بطريقة عشوائية اعتباطية، فلكل كلمة حقلها الدلالي، وتأتي عملية إدراك الدلالة اللغوية من الأولويات التي ينبغي أن يتمتع بها الكاتب حتى تكون لغته من الوضوح بمكان تجعله قريبا من القلوب والأذهان.

الهوامش

١- ويسميه البلاغيون أيضًا التتميم، ويشترطون أن يقع في وسط البيت، فإذا جاء في آخره سموه التبليغ أو التتبيع، انظر: أسامة بن منقذ، البديع في نقد الشعر ص٥٤، ط الأولى- مكتبة مصطفى البابي الحلبي- مصر، وأما «التقييد» فهو عند المفسرين، نجده في مواضع من تفسير النسفي تحاشيًا لكلمة الاحتراس لما في دلالتها من معنى لا يليق مع النص القرآني.

٢- البديع في نقد الشعر ص٥٥.

٣- شاعر كبير من أهل دمشق كان معاصرًا لجرير والفرزدق وكان مقدمًا عند خلفاء بني أمية مداحًا لهم، توفي عام ٩٥هـ.

٤- البديع في نقد الشعر ص٥٦.

٥- نفسه: ٥٥.

٦- الخنساء: تماضر بنت عمرو، من بني سليم من مضر، عاشت أكثر حياتها في الجاهلية، وأدركت الاسلام، وفدت على الرسول ﷺ مع قومها فاستنشدها وأنشدته من شعرها وكان يقول لها: هيه يا خناس، كان لها أربعة أبناء حرضتهم على الجهاد فاستشهدوا في معركة القادسية، ولها في ذلك كلمتها المشهورة: «الحمد لله الذي شرفنا بقتلهم».

٧- البديع في نقد الشعر ص٥٦ (الجرعاء: الأرض الرملية لا نبت فيها).

٨- شرح ابن عقيل علي ألفية ابن مالك ج١ ص٢٦٦ط ٢٠ دار التراث - مصر ١٩٨٠م.

٩- انظر تعليل ذلك: تفسير النسفي ج١ ص٢٣٠.

١٠- تفسير النسفي ج١ ص٢٣٥-٢٣٦.

١١- البديع في نقد الشعر ص٥٥، تفسير النسفي ج٤، ص١١٩.

١٢- البديع في نقد الشعر ص٥٥، تفسير النسفي ج١ ص١١١.

الدور التأريخي للعنصرة في النتاج الخطابي

عامر أحمد عامر

يستطيع المتتبع للنتاج الخطابي للشيخ محمد حسان أن يقف على مرحلتين مهمتين، تأريخًا بعنصرة الموضوع التي تعد أبرز ما يلفت انتباه المستمع لأحاديث الشيخ بصفة عامة، وخطبه بشكل خاص، لتكون المرحلة الأولى هي «ما قبل العنصرة» والأخرى هي مرحلة «العنصرة»، ولن نتوقف كثيرًا أمام المرحلة الأولى، إذ تمثل الأخرى، بحق، اكتمال النضج الفني في بناء الخطبة عنده، ومغايرتها لغيرها من الخطب التقليدية المنتشرة.

المادة العلمية

يعتني الشيخ حسان بمادته العلمية عناية تسترعي الانتباه، فالأحاديث مخرجة تخريجًا دقيقًا، ليس بمتعال على المتلقي البسيط، ولا بمجحف لحقّ طالب العلم في الوقوف على مصدرها، والحكم عليها صحةً وتضعيفًا، إذ يشير الشيخ في كثير من الأحيان إلى الروايات المتعددة للحديث الواحد، ويوضح ما قد يعتري بعض الروايات أو الأحاديث من ضعف، ملمحًا إلى ما يحتاج إليه السياق أحيانًا مما يعرف بعلم الجرح والتعديل، وهو علم الحكم على رجال السند. ومواطن الاستشهادات كلها تقريبًا معزوة إلى مصادرها، ومنقولة بأمانة علمية جلية، وكذلك آراء المفسرين وأقوال العلماء والقصص ...إلخ.

وكثيرًا ما يطعم الشيخ حديثه بالقصص المأخوذ من واقع الحياة المعاصرة، والذي يحدث للشيخ شخصيًا أو يروى له من ثقة، ولا يخفى ما لهذا النوع من القصص من خلق ألفة بين الشيخ والسامع، فضلًا عن المتابعة الحثيثة لمجريات القصة وما يتركه القصص عمومًا من تأثير في النفس.

العنصرة

دأب الشيخ حسان على عنصرة موضوعه وذكر العناصر مجتمعة في البداية ثم التحدث في كل عنصر على حدة، في ربط عبقري بين هذه العناصر يبرزه ذلك الانتقال التلقائي الذي يجده المستمع حتميًا ومنطقيًا في كثير من الأحيان، فما إن ينتهي العنصر حتى تجد الذهن يقفز مباشرة إلى العنصر الذي يليه.

وتعد هذه العنصرة سلاحًا ذا حدين، فهي مع محافظتها على التسلسل التلقائي أو المنطقي الذي أشرنا إليه، تصيب الوحدة الموضوعية بالتفكك والضعف، إذ إن كل عنصر يعد وحده موضوعًا مستقلًا وإن صبت كلها في معين واحد أو تحدثت عن شيء بذاته، إذ من المفترض أن تكون هذه العناصر حاضرة في ذهن الخطيب دون أن يصرح بها، على أن يسهل على المتلقي تلمسها والوقوف عليها دون خلط أو اضطراب في عرضها.

وقد اختفت هذه العنصرة كثيرًا في المرحلة المتأخرة جدًا من خطاب الشيخ، وهذا يشي بأن أداءه في نمو متلاحق وفي تطوير مطرد.. زاده الله هدى وبصيرة، ونفع به وبعلمه (١).

العقل والعاطفة

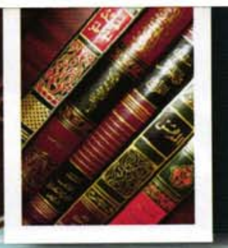
ويتنوع حديث الشيخ بين العقلانية والعاطفية، فهو تارة هادئ يخاطب العقل بالحجج الدامغة والبراهين الساطعة، وتارة أخرى يخاطب القلوب ويهيج العواطف فترى المسجد أو المجلس كله وقد تحول إلى بكاء ونحيب، وهذا إنما يعكس ما أوتي الشيخ من إخلاص في دعوته إلى ربه سبحانه وتعالى، يؤكده النَّبْر والحدة والانفعال التي يتسم بها أداؤه الخلاب المميز، إذ تشكل عناصر الإلقاء هذه قناة دائمة تعبر خلالها الأفكار والأحاسيس في خطاب الشيخ.

اللغة

ربما كان من المفيد في الحديث عن اللغة عند الشيخ حسان الوقوف قليلًا أمام المرحلة الأولى التي سبق أن أشرنا إليها، وهي مرحلة ما قبل العنصرة، لا لشيء سوى أن يعلم الخطباء أن إتقان اللغة في الخطابة والحرص عليه ليس شيئًا عويصًا، فالشيخ في هذه المرحلة المتقدمة من نتاجه الخطابي كثيرًا ما كان يلحن دون التفات أو تصحيح لذلك اللحن- كما نرى في مرحلة النضوج- وعن هذه المرحلة يقول الشيخ في أحد البرامج إنه كان حريصًا على أن يحضر الخطبة أو يسمعها نفر من أهل اللغة ثم يلفتوا انتباهه إلى ما بها من أخطاء لغوية، فيقوم بتداركها في المرات المقبلة، بل معرفة القاعدة المتعلقة بهذا الخطأ.

أما في مرحلة العنصرة فليس ثمة أخطاء تذكر، بل يتجلى في خطاب الشيخ تمكن عجيب من اللغة وتوظيفها، وإذا وقع خطأ فسرعان ما يتداركه في التو واللحظة، بيد أن هناك

باحث لغوي



حرصًا، وإن كان قليلًا، من الشيخ على السجع الذي قد يأتي متكلفًا.

وثمَّ خلل جلي يتسرب إلى البناء الفني للخطبة عند الشيخ حسان، ليصيبه بشيء من الوهن، وهو الاتكاء على الإنشائية والتعبيرية أحيانًا، ما يبدو كأنه مجرد حشو لبضع دقائق، ويشكل فراغات في جدار الخطبة تدفع المتلقي إلى التوقف عن المتابعة خلال هذه الدقائق، وليس ذلك بكثير عند الشيخ، ولعل هذا ما يجعل القليل منه ملاحظًا.

كما أن التقليدية وغياب الحيل الفنية في فن الخطابة كثيرًا ما يمسان بناء الخطبة عند الشيخ، لتصبح النتيجة النهائية للخطبة مجموعة من النصوص والتعليق عليها أو شرحها، ومع أن هذا من صميم عمل الخطيب، غير أن هنالك دروبًا أخر ومسالك شتى تُنتهج لبلوغ هذه الغاية، إذ ينبغي أن يُحصِّل المستمع من الخطبة ما ينمي ذوقه وحسه وعقله وفكره، ويغذي روحه ووجدانه، ونزر يسير من هذا يتحقق بالشكل التقليدي للخطبة، لا سيما أن النفس البشرية كثيرة الملل، تواقة إلى كل جديد، وهذا الجديد هو مهمة الحيل الفنية.

والمعذرة أن افتقرت هذه الأسطر إلى الشواهد والأدلة من خطب الشيخ على ما توقفت عنده، وقد دفعنا إلى هذا ما يتاح لهذا المقال من مساحة قليلة، وأن أكثر ما أشرنا إليه يكاد يتكرر في خطب الشيخ كلها تقريبًا، وليس بحاجة إلى جهد كبير لإخراجه.

الهوامش

(١) أضيفت هذه الفقرة إلى المقال بعد الاستماع إلى خطب حديثة للشيخ قد خلت من العنصرة ورأيت من الإنصاف إثباتها.

موقف.. وقصيدة وحبٌّ لا يدوم

عبدالعزيز العسكر

كان واصلاً لا ينقطع عن محبيه وأنا واحد منهم.. ثم فقدته زمنا وأرسلت إليه الأبيات الثلاثة الأولى.. فرد علي بأبيات لا تشفي غليلا ولا تقنع محبًا.. فكتبت بقية الأبيات:

لا ليس منّي من جفا أوطاني	بذل النفيس لنا بكل مكان
وأضاعني في غمرة النِّسيان	أنا ما فقدت سوى رسول هداية
ما كنت أحسب أنّ شهمًا مثلكم	رفض الخضوع لمنطق «العلماني»
سيبيعني، ويأرخص الأثمان	قال الحقيقة واهتدى بمنارها
أوهكذا تنسى شعوري نحوكم	وأصاب منها موطن الإحسان
ونصيحتي في السِّر والإعلان	أنا ما فقدت سوى صديق مخلص
الودّ يبقى إن تجَمَّع شملنا	أعددته لحوادث الأزمان
والصَّحب للإنسان عمرٌ ثاني	أنا ما فقدت معاشرًا قد أعرضوا
مهلًا أخيَّ ففي بعادك فرصةٌ	وتشاغلوا بثقافة «الإعلان»
لمكائد في «مرقص» الشيطان!!	أنا ما فقدت سوى الذي سعدت به
لولا غلاؤك ما كتبت رسالة	أوطاننا، وتقدمت بأمان
ولما ذكرت لشخصكم أشجاني	أما الشباب الغارقون بحمقهم
ولقد منحتك من ودادي خالصا	في حمأة التقليد والألحان
وبمثله في سابق تلقاني	العابدون اللاعبون بدينهم
قف يا «أسامة» والتفت لمعاشر	المعجبون بعالم الهذيان
باعوا المحبة في مزاد هوان	فلقد عرفت طريقهم ومصيرهم
تخذوا المصالح رابطا لودادهم	وبه أتاني محكم القرآن
وتشدقوا بالعلم والعرفان	اهجر سبيل الغافلين، وخلهم
إن المصالح لا تقيم علاقة	واسلك سبيل العالم الرباني
لمحبة في شرعة الرحمن	وإذا مررت بمجلس من لهوهم
إن المحبة غاية نسعى لها	أعرض وقل إن الإله دعاني
وبها نقيم دلائل الإيمان	لمجالس مشهودة قد زُينت
أنا ما فقدت سوى حبيب صالح	بفضائل الآيات والفرقان
أفضاله كالغيث في الجريان	تحيا الزروع إذا توالى سقْيُها
أنا ما فقدت سوى جواد نادر	وتموت بالآفات والديدان

* شاعر سعودي

قصيدة لا تصح نسبتها إلى الشاعر نزار قباني

د. محمد إقبال عروي

حمل إلينا باب «لغة وأدب» من مجلتنا الغراء «الوعي الإسلامي» في عددها (٥٤٣)(١) مقالا بعنوان «نزار قباني في مدح الرسول ﷺ» للأستاذ عبدالهادي الصافي، وهو عبارة عن سياحة وجدانية دلالية في قصيدة مطلعها:

عـز الــورود.. وطـال فيـك أوام
وأرقــت وحــدي والأنــام نــيام

وتمثل الهدف من المقال الإشادة بالقصيدة وسلكها في تيار شعر الاعتذار والتوبة والاستعطاف، وإبراز الحالة النفسية للشاعر وهو يأمل في أن يجد القبول بين يدي الرسول الكريم بعد رحلة طويلة من الضياع وفقدان البوصلة الهادية.

ولما انتهيت من قراءة المقال، رجعت بي الذاكرة إلى زمن بعيد يعود إلى ثمانينيات القرن الماضي، حيث كنت اقترحت، في حينه، على بعض الشباب العكوف على تتبع القصائد التي قالها رواد شعر الحداثة والتيارات الفكرية المغايرة في مدح الرسول ﷺ، بغية إبراز إنسانية الرسول ﷺ وأثره في وجدان أهل الحداثة، اعترفوا بذلك أم كانوا له منكرين، وكنت مكنتهم من قصيدة رائعة للشاعر يوسف الخطيب في مدح الرسول الكريم مطلعها:

إنـي لحاسـر رأسـي غيـر منتعل
حاد لك التوق لم أبلغ ولم أصل(٢)

وهي قصيدة طويلة في ستة وستين بيتا، نشرتها مجلة «الأمة» التي كانت تصدر من قطر، وجعلها الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي من ضمن مختاراته في قصائد مدح الرسول ﷺ (٣).

وكنت أشرت على بعض الشباب البحث عن قصيدة للشاعر بدر شاكر السياب في مدح النبي الكريم تقع في حوالي أربعين بيتا بعنوان «مولد المختار»، يقول في مطلعها:

دموعُ اليتامى في دجى الليل تقطر
ونوحُ الثكالى عاصفٌ فيه يصفر

وأهتبل هذه المناسبة لأتقدم بخالص الشكر إلى الأستاذ الشاعر طلال العامر، فقد أمكنه البحث عن قصيدة السياب تلك، وإدراجها ضمن القصائد التي جمعها في كتابه «محمد صلى الله عليه وسلم.. ملهم الشعراء» (٤).

وفي هذا السياق، ذكر لي بعض الشباب أن لنزار قباني قصيدة في الموضوع.

ومنذ ذلك الحين والنفس متشوفة إلى دراسة القصيدة وتحقيق النسبة، لكن شواغل صارفة حالت دون إنجاز المأمول.

وعندما قرأت المقال المنشور بمجلة «الوعي الإسلامي»، حرصت، من جديد، على قراءة القصيدة المنسوبة إلى نزار قباني، رحمه الله وتجاوز عنه، ولمست أن في القصيدة خيطين يمكن أن يكونا مدخلا للحكم بأن القصيدة لا تجوز نسبتها إليه.

خيوط مساعدة على الشك في نسبة القصيدة إلى نزار قباني

فأما الخيط الأول فهو استعمال ألفاظ من معجم غريب اللغة، والقارئ لشعر نزار يدرك أنه بعيد عن ذلك المعجم. فقد ورد في القصيدة:

عـز الــورود.. وطـال فيـك أوام
وأرقــت وحــدي والأنــام نــيام
مدحوك ما بلغوا برغم ولائهم
أســوار مـجـدك فـالـدنـو لمـام

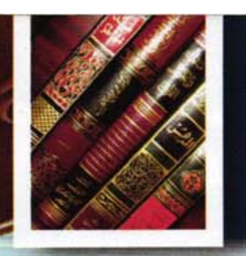
فلفظ «أوام» و«لمام» من الغريب، ولم يعهد هذا في شعر نزار.

وأما الخيط الثاني، فهو أن القصيدة نقد لاذع لأوضاع المسلمين، والغالب في شعر نزار السياسي توجهه لنقد العرب وحكامهم، ولم يشتهر عنده نقد المسلمين، يظهر هذا جليا في قصائده، وخاصة: «هوامش على دفتر النكسة»، و«تقرير سري جدا من بلاد قمعستان»، و«لماذا يتعب متعب بن تعبان في امتحان حقوق الإنسان».

هذا إضافة إلى نظم القصيدة نفسه، فقد وردت على النمط الخليلي (بحر الكامل)، ومع أن نزار قباني نظم في الشكل الخليلي، إلا أن الغالب على شعره أنه خاضع لشعر التفعيلة.

ويمكن أن ينضاف إلى ذلك طبيعة الصور الشعرية، فغير معهود في شعر

• مستشار في وزارة الأوقاف الكويتية



نزار توالي الصور التشبيهية والاستعارية بهذا الكم المتوافر في القصيدة المذكورة.

فهذه بعض الخيوط التي يمكن أن تتحول إلى مداخل لمعالجة قضية نسبة القصيدة إلى نزار. وهو ميدان خصب يذكر بجهود علماء النقد الأدبي قديما ومساعيهم الحميدة لتحقيق نسبة العديد من القصائد إلى أصحابها الشرعيين من أمثال ابن سلام الجمحي والسجستاني والأصمعي وأبي عبيدة وغيرهم كثير...

ووصلت شهرة نسبة القصيدة إلى نزار حدا أن الناس صاروا يتداولونها في رسائلهم الإلكترونية، ومنتدياتهم الحوارية، ويشيدون بها وبقائلها الذي عبر، بنظرهم، عن صادق توبته وجميل أوبته إلى الله سبحانه وتعالى.

وقد ألمح الأستاذ عبدالهادي الصافي في مقاله المذكور أعلاه إلى أنه باستحضار الشعر السياسي لنزار قباني الذي ينم عن « شعور ديني غامض أو نحوه من تقدير واعتزاز بالماضي الإسلامي المجيد، وذكر للمدن والعواصم الإسلامية التي لها دور كبير في التاريخ الإسلامي، وتوظيف للشخصيات الإسلامية... وتحسر دائم على ضياع الأندلس والقدس والحضارة العربية الإسلامية»(٥).. باستحضار هذا الشعر، تبين له «أن القصيدة من شعر نزار الذي لا يخطئه أحد»(٦). وقد ذكرت مجموعة من الخيوط التي تقوي عدم صحة نسبة القصيدة إلى نزار، وتضعف من احتمال نسبتها إليه لمجرد بروز الشعور الديني في بعض قصائده.

وليس هذا تهوينا من ذلك الشعور، أو استعظاما لاحتمال أوبته، لأننا نؤمن بأنه لا نزار قباني، غفر الله له وتجاوز عنه، ولا غيره من شعراء العربية والمسلمين بقادر على أن يكون خارج دائرة الإسلام، فكلهم مشمولون بقدر الله وحكمته ورحمته وعدله، وكل منهم يأخذ من رحيق هدايات الدين بقدر تعامله معه، وما التوبة إلا علامة قوية على رحمة الله بعباده، ولم ينصب الله النقاد حكما على عقائد الشعراء ومواقفهم الفكرية.

القصيدة للشاعر السعودي يحيى توفيق حسن وليست لنزار

الشاعر السعودي يحيى توفيق حسن هو ناظم القصيدة.

وفي يوم ٣ ديسمبر من سنة ٢٠٠٦م، نشرت جريدة الشرق الأوسط في عددها: (١٠٢٣٢) مقالا لصاحبه محمد صادق دياب بعنوان: «القصيدة اللغز بين نزار وتوفيق»، كشف فيه حقيقة الأمر، وأعلن أن النسبة الحقيقية للقصيدة إنما هي للشاعر السعودي يحيى توفيق حسن.. يقول: «وفي غمرة الضجة التي أثارتها هذه القصيدة، ظهر الشاعر السعودي يحيى توفيق حسن ليقول للجميع إن هذه القصيدة قصيدته، وإنها موجودة في دواوينه منذ ١٣ سنة، كما أنها نشرت مرات في أكثر من صحيفة سعودية دون أن يلتفت إليها أحد» (٧).

والشاعر يحيى توفيق حسن من شعراء المملكة العربية السعودية، ولد سنة ١٩٢٩م بجدة، له مجموعة من الدواوين، منها: «أودية الضياع» و«سمراء» و«افترقنا يا زمن» و«ما بعد الرحيل» و«حبيبتي أنت» (٨).

والمقارن بين قصيدة «صلى عليك الله» وبين شعر يحيى توفيق يلمس العلاقة القوية بينهما على مستوى اختيار المفردة وصياغة الصورة وتشكيل الإيقاع، مما لا يدع مجالا للشك في صحة نسبة القصيدة إليه.

وإزاء هذه النتيجة، فالأمر يستدعي صياغة بيان ينشر في العديد من المواقع الإلكترونية والمنتديات الحوارية لفصل المقال فيما بين القصيدة ويحيى توفيق من الاتصال.

وأشير، هنا، إلى أن الشبكة العنكبوتية تتضمن موقعا محترما لرابطة أدباء الشام HYPERLINK «http://www.odabasham.net» www.odabasham.net)، وقد لاحظت وجود القصيدة المنسوبة خطأ إلى نزار قباني فيه، ولعل الوضع يقتضي حذفها منه، أو الإبقاء عليها مع تصحيح النسبة إحقاقا للحق ونشرا للعدل.

والله الموفق للفلاح.

الهوامش

١- مجلة «الوعي الإسلامي»، الكويتية، عدد:٥٤٣، ذو القعدة ١٤٣١هـ، نوفمبر ٢٠١٠، ص: ٥٤.
٢- مجلة «الأمة» القطرية: قصيدة الطريق إلى محمد ﷺ، يوسف الخطيب، عدد:٥٤، مارس ١٩٨٥.
٣- «مختارات من أجمل الشعر في مدح الرسول ﷺ»، د.محمد سعيد رمضان البوطي، دار المعرفة، دمشق، ط:١، ١٩٨٨، ص: ٧٠-٧٥.
٤- « محمد ﷺ... ملهم الشعراء»، الأستاذ طلال العامر، سلسلة «روافد»، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، عدد:٣١.
٥ - مجلة «الوعي الإسلامي»، مرجع مذكور، ص:٥٥.
٦- نفسه.
٧- www.aawsat.com
٨-: انظر الموقعين الآتيين HYPERLINK «http://www.azaheer.com/vb/ http://«١٧٥٥٨=showthread.php؟t www.azaheer.com/vb/showthread. ١٧٥٥٨=php؟t
http://www.adab.com/modules. ٥٨٢=php؟name=Sh٢erdoWhat=ssd shid

ماذا ينبغي علينا تجاه لغتنا العربية؟

ليلى محمد

أقام المجتمع العلمي الفرنسي الدنيا وأقعدها من أجل وجود كلمة انجليزية في لغته تسللت إبان الحرب العالمية، وفرضت فرنسا- أخيرًا- وجوب قصر الاستعمال اللغوي المحرر من الفرنسيين على الفرنسية، وفرض غرامة على من يترخص في ذلك ويستخدم ألفاظًا من لغة أجنبية!

وثمة سؤال (موضوعنا): «ولكن ماذا ينبغي علينا تجاه اللغة العربية؟ لغة الدين الطاهر، والأدب الباهر، وديوان الفضائل والمفاخر، لغة التنزيل، ووعاء الفكر الإسلامي، والشريان الذي يربط بين أواصر الأمة، وأحد أسس الوحدة العربية ودعامتها، والأداة الحية للأدب والثقافة العربية، وعامل تجميع المسلمين، وتوحيد صفوفهم وقيام روابط قوية بينهم.

هذه اللغة التي كادت أن تتغلب اللغات الأجنبية والعامية عليها لدى ملايين المسلمين، ولاسيما مع تفشي الجهل من حيث الاهتمام باللغة العربية والجهل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ لدرجة أننا نجد بعض الأفكار التي ترى ان اللغة العربية اختفت واختفت حروفها وقواعدها، نظرًا للواقع المؤلم الذي يشهده تاريخ المسلمين الطويل من انحسار اللغة العربية وضعف الشعور باحترامها وتقدير منزلتها، ولاسيما مع ضعف الحافز الإيماني، والوعي الإسلامي بضرورة تعلمها، وانتشار الأخطاء اللغوية في بعض الصحف والمجلات والكتب.

إن هذه اللغة تتميز بمنزلة كبيرة، وتتمتع بخصائص منحتها قدرة عظيمة على الصمود أمام التحديات حية قوية، بعض هذه الميزات تنبع من إمكاناتها الذاتية التي وهبها الله لها من خلال

> **اللغة العربية جزء من منهاج الله وفقرة من بند المنهاج الرباني**

مراحل تاريخها ونموها، ومنها نعمة الله عليها وعلى المسلمين وعلى الناس كافة حين اختارها لغة رسالته إلى عباده ولغة دينه، وتعهد بحفظ دينه وقرآنه وسنة نبيه ﷺ.

ونزل الوحي الكريم من عند الله باللغة العربية، لتستقر بها قواعد الإسلام وآيات الكتاب المجيد وأحاديث الرسول ﷺ.

وجاء القرآن الكريم ليبين منزلة اللغة العربية من خصائص منهاج الله وأنها منه: ﴿الر. تلك آيات الكتب المبين. إنا أنزلناه قرآنا عربيًا لعلكم تعقلون﴾ (يوسف: ١-٢).

هذه اللغة تواجه خطرًا يتهددها ويهدف إلى إضعافها من خلال نشر لغات أجنبية وتغذيتها، وعزل العربية في معظم ديار المسلمين، واللجوء إلى ترويج الدعايات التي تدعو لتغيير حروف اللغة العربية وتغيير قواعدها وأسس بنيانها وبلاغتها.

والأخطر من ذلك، إبعاد المسلمين عن القرآن الكريم وعن سنة نبيهم ﷺ، لأن غياب اللغة العربية أو ضعفها يضعف صلة الإنسان بمنهاج الله أو على الأقل يجعلها مضطربا، وعلى قدر ما تضعف اللغة العربية يضعف التلقي من منهاج الله، وإذا ضعف التلقي من منهاج الله ضعف الإيمان والتوحيد، وبالتالي يرتبط هذا الخطر بقضية مصيرية في حياة الإنسان، إنها قضية الإيمان والتوحيد وتلقي رسالة الإسلام، قرآنا وسنة تلقيًا أمينًا دقيقًا، وأي تنازل عن اللغة العربية إنما هو التنازل الذي يؤدي إلى هجران الكتاب والسنة، والتنازل عن الدين وعن البلاد، لكي تفرق الأمة الإسلامية في ظلام الفواجع والمآسي.

لذا من واجب كل مسلم أن يسعى لدراسة اللغة العربية وإتقانها في حدود وسعه وطاقته حتى يُحسن التلاوة ويصدق في التدبر.

وأما مسؤولية الدعوة الإسلامية والدعاة وعلماء المسلمين وأولي الأمر منهم فتكمُن في وضع النهج والخطة لمعالجة الواقع الحالي، لإعادة اللغة العربية إلى منزلتها، وهذا النهج يظل قابلًا للنمو والتطور كلما صدقت النية والعزيمة.

ومن ملامح هذا النهج:

- اللغة العربية جزء لا يتجزأ من منهاج الله، وفقرة من بند المنهاج الرباني.
- لا يجوز التحدث في منهج لقاء المؤمنين إلا باللغة العربية الصحيحة ومصاحبة منهاج الله مصاحبة منهجية.
- جعل اللغة العربية اللغة الأولى في العالم الإسلامي أثناء المؤتمرات

باحثة إسلامية



إسلامنا يسع الجميع

سليمان الأهدل

هذي الكويت وشعبها المعطاءُ
ماذا أراه؟ أجنةٌ فيحاءُ؟

وأنا أطير إليك كان تلهفي
لأراك لكن هزّني الإغراءُ

كم زرت قبلك يا كويت فلم أجد
سحرًا كسحرك إنك الحسناءُ

إذ عشت فيك وإنني في مربعي
والأهل أهلي ألفة ووفاءُ

أيّاميَ الجذلى بربعك نسمة
ريًّا وساعاتي عليك ثناءُ

وإذا تغنّى الشعر أي قصيدة
لكويت فهي قصيدة عصماءُ

انظر إلى أبراجها متأمّلًا
لشموخها فيها سنًى وسناءُ

إن زرتها أدركت حكمة أهلها
وطموحهم هم للسمو سماءُ

أشياء تلمسها تدُلّ دلالة
أن الطّريق إلى البناء فضاءُ

عرفوا الطريق فشمروا عن ساعد
للجدّ حقّق ربّنا ما شاءوا

من مربع العلما زبيد أتيتكم
لأقول باسم الله طاب لقاءُ

ومهنّئًا لأميركم إجماعكم
شعب الكويت صباحكم وضّاءُ

خبر الحياة وغاص في أعماقها
متواضع لبلاده بنّاءُ

شاءت قيادتكم هنا ألا ترى
إلاّ المحبة كي يسود صفاءُ

شعب الكويت وراءها متماسك
وإلى التوحد قاده العقلاء

ووزارة الأوقاف خطت مسلكًا
وسطا كما تهوى هنا العلماءُ

من أجل جيل مؤمن متوحد
وسطيةً سادت هنا وإخاءُ

أنتم ضمير الشعب أنتم صوته
وبكم تنال العزّة القعساءُ

ويموت كلّ تشرذم وتفرّق
ويسود حبٌّ صادق ووفاءُ

انظر أوروبا كم فوارق بينها
كم سال في تلك الربوع دماءُ

نسيت خلاف الأمس صارت كتلة
مرهوبة وتوحّد الفرقاءُ

إنّا لأَولى بالتوحّد منهم
يأيّها الوعاظ والخطباءُ

ولِمهْ يفرقنا اختلاف الرأي في
فهم النصوص وتلكم الآراءُ

مهما اختلفنا في الرؤى لا ينبغي
أن تستخف بعلمنا الأهواءُ

ويكون للشيطان فينا جولة
مردودها يسعى له الأعداءُ

قد قال عنها ربّنا في آية
خطرٌ ونارٌ نقمةٌ وشقاءُ

إسلامنا يسع الجميع وهديه
نورٌ به تتبدد الظلماءُ

والنّاس في الدنيا المليئة بالأسى
عطشى وبين يديكم الإرواءُ

الناس حيرى لا يرون طريقهم
إلاّ بكم فلديكم الأضواءُ

وقلوبهم مرضى فمن ذا يا ترى
سيطبُّها وتعالجُ الأدواءُ

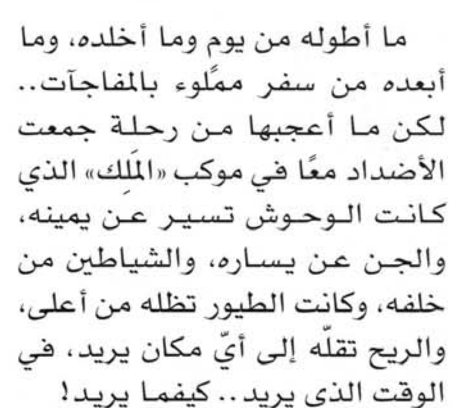
النّاس في أرجائها تبع لكم
ولما يقول العالم المعطاءُ

● ألقيت ضمن فعاليات المؤتمر الثاني للأئمة والخطباء، في الحفل الافتتاحي بالكويت الشقيق يوم السبت ٢٤ ربيع الأول ١٤٢٧هـ - ٢٢/٤/٢٠٠٦م.

قصة قصيرة

المسافرون

محمد عبدالشافي القوصي



ما أطوله من يوم وما أخلده، وما أبعده من سفر مملوء بالمفاجآت.. لكن ما أعجبها من رحلة جمعت الأضداد معًا في موكب «المَلِك» الذي كانت الوحوش تسير عن يمينه، والجن عن يساره، والشياطين من خلفه، وكانت الطيور تظله من أعلى، والريح تقلّه إلى أيّ مكان يريد، في الوقت الذي يريد.. كيفما يريد!

عند مفترق الطرق؛ لاحتْ «نملة» ذكية وبليغة.. استوقفت «المَلِك» وأطالت الحديث معه.. وعلى الرَغم من جرأتها؛ فإنها نملة عادية، فلا هي مثقفة بالمعنى الأكاديمي، وليس لها دراية بالنظريات ولا بالفلسفات الحديثة، ولم تسمع عن عالم الكتب ودور النشر من قريب أوْ بعيد!

وقد تضاربت الأقوال حول سر هذا اللقاء المفاجئ، خاصة في أوساط «الليبراليين» الذين كانوا ضمن الركب، فقد ظنوا أنها ستتحدث نيابة عنهم في موضوع «الدولة المدنية» ومخاطر «الدولة الدينية»، ومسألة «الحجاب والنقاب»، ومكافحة «الارهاب» و...!

حتى بلغ الفضول بأحدهم أنْ تسلل من الخلف، واسترقَ السمع، ليقف على الحقيقة! لكنه اسود وجهه في الحال! ونكص على عقبيْه، عندما رأى «النملة» تبكي بكاءً حارًا، وهي تسأل عن البعث، والميزان، والصراط، وتطاير الصحف، وأهوال المحشر!

وكان «الهدهد» ضمن أفراد الرحلة، فأصابته الحُمّى، فقال: يا إلهي.. عافني!

فنُودي في سره: مَنْ أنتَ حتى تتكلم في مُلكي وتختار، وأنا أعرف تدبير مُلكي أحسن منك، فاختر اختياري، ولا تُظهِر نفسك باختيارك!

ولما عَلِمَ «المَلِك» بهذه الحكاية الطريفة؛ نَظر إلى الهدهد، وقال مبتسمًا: الحمد لله؛ أنني لم أشْكُ ولم أتضجّر مثل غيري!

فخجل الهدهد من نفسه خجلًا شديدًا، ورجع إلى مؤخرة الركب.. رويدًا رويدًا حتى اختفى بعيدًا عن الأنظار! لكنه عاد قُبيْل الغروب، وقد بدا عليه الإرهاق والتعب الشديد.. فسأله المَلِك: ما الذي أخّركَ عنا؟

فبكى، وقال: لقد رأيتُ قومًا فقراء.. لا يجدون شيئًا يأكلونه إلا ورق الشجر، وأحيانًا لا يجدونه.. فيواصلون الصيام!

فقال: اذهب إليهم، وقل لهم: يا معشر الفقراء، إنكم تُعرَفون بالله، وتُكرَمون لله.. فانظروا كيف تكونون مع الله، إذا خلوتم به!

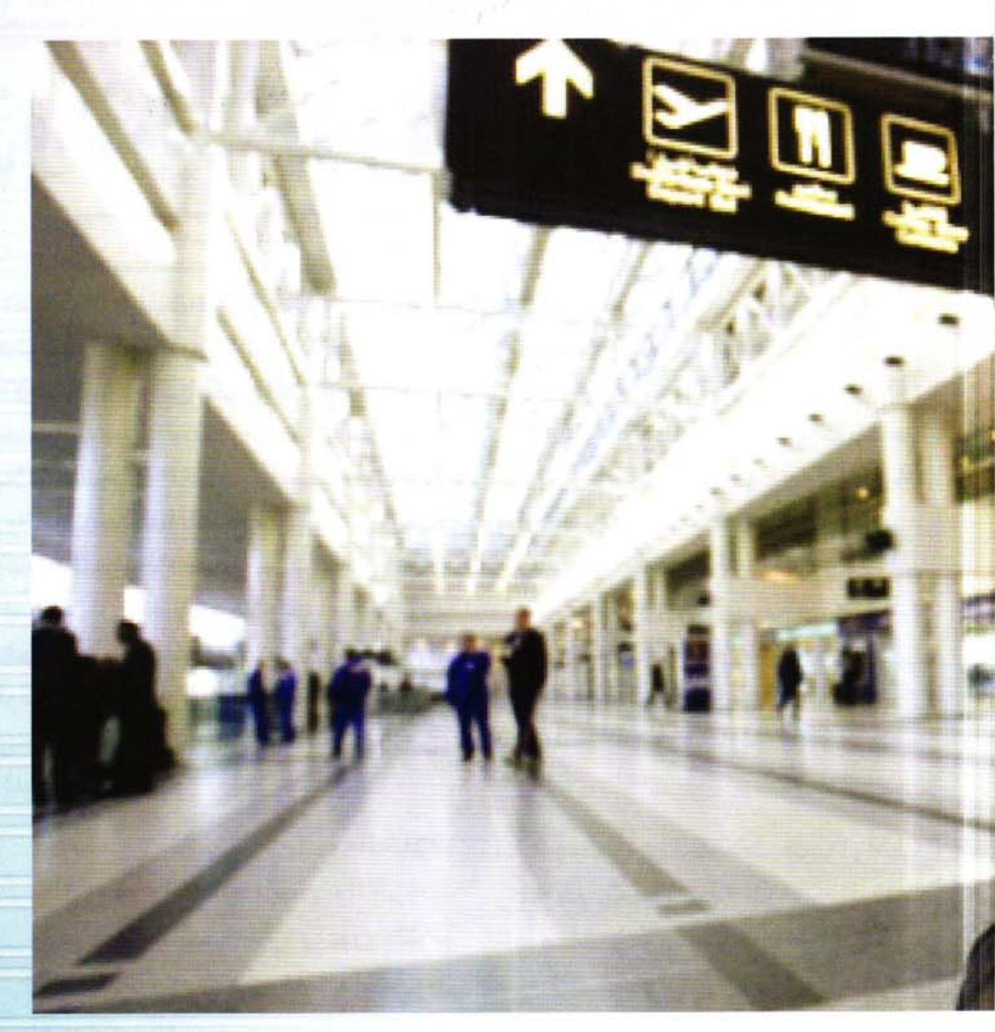


فلما ذهب الهدهد إلى هناك، وجدهم وقد فارقوا الحياة جميعًا! لكنهم تركوا وراءهم خشبة صغيرة مكتوبًا عليها: لا خير في البقاء بعدما افتُضِحَ أمرنا.. وانكشف السر!

فعاد الهدهد إلى سيده مضطربًا حزينًا، وقبل أن يروي ما حدث.. قال الملك: أيها الهدهد، منذ زمن بعيد لاَحظتُ عليكَ شيئًا استعصى

ناقد أدبي





عليّ فهمه، واستشكل عليّ تفسيره؛ أنك كثيرًا ما تختار العزلة، وتستغرق في التأمل الطويل والتفكير العميق، وأحيانًا تصيبك رعشة قوية، ثم تغرق في بحر من الدموع!

فقال: سلني- يا سيدي- شيئًا آخر غير هذا، فأجيبك.

كلا، بلْ أجبني عن ذاك فقط.

فقال: آه .. لوْ رأيتَ بعضًا مما رأيته؛ لعذرتني أيها الملِك العظيم!

إذن: قُصّ عليّ ما رأيتَ أيها الهدهد الحبيب.

أخشى ما أخشاه يا سيدي.. أن يتسلل الحزن إلى قلبك، أوْ يصيبك بعض ما أصابني!

ابتسم «الملِك» وقال: لا.. لأنك لا تعلم أكثر مما أعلمه، ولن تسمع أكثر مما سمعته.. حسبي ما أخبرني به «مَلَك الموت» من تصاريف الدهر، ومشاهد الغيب، وعجائب الأقدار، وطوارق الليل والنهار ...!

رجع الهدهد إلى الوراء بضع خطوات، وصمت ولم ينطق بكلمة واحدة.. ثم انهمرت منه دموع غزيرة بللت جسده النحيل! فأشفق عليه الملِك، وقال: ماذا أصابك أيها الهدهد؟

فقال: أيها الملِك العظيم.. ألا ترفق بي، وتعذرني عن عدم الجواب؟

لا أعذرك أبدًا.. بلْ أخبرني بكل ما رأيت!

فقال: يا سيدي؛ إنني شاهدتُ «آدم» لحظة هبوطه من أعالي الجِنان، وكان «عدوه» يضحك ساخرًا، ويتمايل بزهو وشماتة! ورأيتُ «يونس» في ظلمات الليل بين أمواج البحار، وهو يتقلب يمينًا وشمالاً في بطن الحوت! وأبصرتُ دموع «الخليل» تهطل على رأس «الذبيح» قبل أن يضع السكين على عنقه! ورأيتُ «ابن يعقوب» يُساق إلى السجن؛ وحيدًا غريبًا! وعاينتُ «الكليم» مطاردًا خائفًا جائعًا حافيًا! وشاهدتُ ...

وعندئذٍ .. انهمرت دموع «الملِك» بلا توقفٍ، وجثا على ركبتيه، وصاح بأعلى صوته: حسبك.. حسبكَ- أيها الهدهد- أوشكتَ أن تحرقني بنار أحاديثك، ولهيب أخبارك!

أطرق الهدهد هنيهة مشفقًا على سيده الذي لم يتمالك نفسه، ثم استدار إلى الخلف حزينًا أَسِفًا.. فرأى الجميع قد فارقوا الحياة! ولم يبقَ في الموكب المهيب سوى «العلمانيين» الذين ظلوا يلوكون ألسنتهم بالحديث عن «الفرانكفونية» و«الحداثة» و«البنيوية» و«التفكيك» و«حرية الإبداع» و«الدراما» و«خطوط الموضة» و«مسرح العبث» و«مسرح اللامعقول» و ...!

كتاب جديد للدكتور إبراهيم أبومحمد

الشرق والغرب.. حوار لا مواجهة

أميرة إبراهيم

طالب رئيس مجلس إدارة المؤسسة الأسترالية للثقافة الإسلامية ورئيس إذاعة القرآن الكريم باستراليا د.إبراهيم أبومحمد في أحدث كتاب صدر له تحت عنوان «الشرق والغرب.. حوار لا مواجهة» بضرورة قيام المنصفين في الشرق والغرب بالعمل على تحصين الشعوب الإنسانية؛ حتى يكونوا في مأمن من الخيانة الثقافية والاغتيال العقلي اللذين كثيرًا ما يمارسان انطلاقًا من أجندة خاصة لبعض الفئات المتطرفة التي تسعى دائمًا لتأزيم المواقف وتخويف الناس وخلق عدو وهمي، حيث أوضح من خلال صفحات الكتاب وفصوله أن العالم اليوم يواجه مشكلات خطيرة للغاية، ناجمة عن وجود متطرفين في الشرق والغرب، مؤكدًا أنه مع الإحساس الحقيقي بالخطر الذي يحمله الواقع والدعوة إلى صراع الحضارات نفض الإنسان عن نفسه شعور الانفصال، وبدأ يحل محله شعور بضرورة الاتصال للبحث عن وسائل حقيقية للإغاثة والإنقاذ، ولم يجد بدًا من أن يمد يده للآخر.. يحاوره ويتداول معه هموم الحاضر القلق، والقادم المرعب الذي لا يكن خيرًا للبشر، ويدفعهم دفعًا للفتنة والصراع، وكقطيع من الغنم يجب أن يتفرقوا ويتمزقوا حتى تتوزع قواهم ويمكن قيادتهم والسيطرة عليهم، ومن ثم تردد كثيرًا مصطلح حوار الثقافات وحوار الأديان، ثم حوار الحضارات، وأنشئت له مراكز علمية وبحثية، وتخصص فيه أكاديميون من كل التخصصات في محاولة لوقف زحف الدمار الذي يمكن أن يحدثه الصراع الدولي.

أكد الدكتور إبراهيم أبو محمد على أهمية أن يبدأ الحوار بين الشرق والغرب متحررًا من ثقافة الكراهية التي يحملها كل طرف للطرف الآخر، وكذلك بعيدًا تمامًا عن لهجة الاستعلاء، مبينًا ضرورة أن تكون هناك منهجية علمية تدرك ببصيرة نافذة قيمة ثوابتنا الدينية، وتتفاعل أيضًا بوعي كامل مع كل متغيرات الزمان والمكان، وتقدر جهود العقلاء بين أطراف الحوار من أجل إيجاد صيغة محترمة للعلاقات الدولية، تعمل على تفعيل القواسم المشتركة للعيش بين جميع الأطراف، كذلك ترفض أصوات الذين يسعون لإشعال نار الصراع والخلافات، مهما تعالت تلك الأصوات ومهما كانت قوتها، فهم لا يسعون إلا لغرس بذور الخلاف والتناحر وإشعال الفتن والحروب، ويسعون دائمًا لأن يكون التوتر والعداء الحاد هو سمة العلاقة بين الإسلام والغرب.

ثم وضح ضرورة العمل الجاد للوصول إلى الحقائق، وإزالة أي غيوم ضبابية تحجب الرؤية لدى أي طرف، وينجم عنها سوء فهم في العلاقة بين الشرق والغرب، وهذا العمل يتطلب قدرًا كبيرًا من البحث الدؤوب في طبيعة تلك العلاقة التي تختلط فيها القوة العسكرية بقوة الفكر فنًا وثقافة، كما تختلط فيها تراكمية العداء والصراع بتراكمية الثقافة والحضارة، وتلاقح المعرفة بين أخذ وعطاء، ورغبة وتمنع، فهناك مراحل متعددة شهدت مدًا وجزرًا، وتحولات في المواقف والمواقع، تحول فيها الزمن فانتقلت البوصلة ومعها مركزية الحضارة من منطقة إلى منطقة أخرى، ومن الشرق إلى الغرب في دورات حضارية رفعت أقوامًا وخفضت آخرين.

ممارسة دور مشبوه

يبين د.أبومحمد أن بعض مراكز القرار والإعلام في الغرب تمارس دورًا مشبوهًا انطلاقًا من أجندة خاصة لها دور مفضوح، تركز فيه لا على الإسلام كبديل منطقي وصحيح لبعض القيم التي أضرت بالغرب، بل على الإسلام كبديل عن الغرب كله، ومن ثم تقدمه على أنه عدو جديد لا هداية، وتصوره على أنه بعث جديد من أعماق

الزمان لغزو صحراوي زاحف يهدد الحضارة ويعيد البشرية إلى عهود الظلام والتخلف.

ويلحظ الباحث لما يجري في دول الغرب، رصدًا ومتابعة، أن حجم الأكاذيب يفوق أحيانًا قدرة الإنسان على العد والإحصاء، ففي داخل الغرف السوداء لدوائر المكر السيئ تفرخ الأكاذيب أكاذيب جديدة، وكثيرًا ما تلفق القصص و«تفبرك» الروايات في الصحف، فضلًا عما تقوم به التكنولوجيا الحديثة في عالم السمعيات والمرئيات من عمليات قص

الكتاب يؤكد ضرورة أن ينطلق الحوار بين الشرق والغرب متحررًا من ثقافة الكراهية وبعيدًا عن روح الاستعلاء

ولصق، وإذا كان بعض الساسة قد تفوه ببعض الحقائق ونطق بعض الكلمات تطييبًا لخاطر المسلمين في زيارة خاصة، أو بعد ضجة كبيرة تحدثها الإساءات المتكررة، فإن ذلك كله عكس ما تبديه مراكز القرار والأجهزة التابعة لها من وسائل صياغة رأي العالم بأنواعها، بالإضافة إلى الندوات والمؤتمرات والبحوث المختلفة التي تتناول موضوع العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي، وتحاول تلك المراكز في تفسيرها لطبيعة العلاقة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب أن تركز على التناقضات الأساسية والثقافية لا على نقاط الالتقاء والمصالح المشتركة، مؤكدًا أنه عند الحديث عن فئة المثقفين والعلماء والباحثين في الغرب لابد من التفريق بين تيارين: تيار وظف ملكاته ومواهبه لخدمة اليمين المتطرف، فهم «مثقفون تحت الطلب»، وهؤلاء غالبًا ما يكون صوتهم أعلى وضجيجهم أكثر وأشد، لكنهم لا يشكلون أغلبية في الوسط العلمي، وهناك تيار آخر يشكل أغلبية تنظر إلى الأمور بعيون مبصرة، ولم تنطل عليهم الألاعيب التي مارسها اليمين المتطرف من قبل في تبرير حروبه العبثية، وقد بدأ هذا التيار في مبادرات للتعرف على الحقائق، بل بدأ بعضهم يكتب كاشفًا ما كان يمارسه اليمين المتطرف من وسائل في التعمية على الشعوب وخداعها، وهؤلاء لا يكتفون بما يقدمه الإعلام الغربي عن الإسلام، بل يشكون فيه، ويعرفون أن أغلب ما يقدم إنما يصدر عن رؤية كارهة ومغرضة؛ ولذلك فهو في نظرهم يفتقد الموضوعية والحياد، فبعض هؤلاء يحرص على القراءة عن الإسلام،



ويبحث عن الكتاب الإسلامي باللغة التي يجيدها من المصادر المضمونة والقريبة منه فلا يجده، وربما يحاول تعلم اللغة العربية حتى لا يقع ضحية الفكر المغشوش والثقافة المسمومة التي تملأ الأسواق عن الإسلام والمسلمين.

خطط العدوان

ويشير د.إبراهيم أبومحمد إلى أن الإنسان الغربي برغم كل ما يقال له لا يزال لديه من رصيد الفطرة ما يمكنه من تقبل الحقيقة إذا عرضت عليه بذكاء، وقدمت له في صورتها النقية، ويقول: كما أن مساحة الحرية المدنية التي تربى عليها وإن كانت قد تقلصت كثيرا بعد أحداث ١١ سبتمبر إلا أن المتبقي منها تجعله يدافع عن الفكرة التي يؤمن بها، بل ويرتفع صوته في وجه حكومته بالاعتراض، مستخدمًا كل الوسائل المتاحة في الضغط، فهو إيجابي في قضايا الهم العام ولا يكتفي بالفرجة من بعيد، وصحيح أن الحكومات ومصادر القرار قد لا تستجيب لضغطه، كما حدث في حرب العراق، غير أن المظاهرات التي قادها الغربيون زلزلت الحكومات وشكلت ضغطا عليها، بل وأسقطت بعضها في أقرب انتخابات، كما حدث في أسبانيا وإيطاليا وبريطانيا وأميركا وأيضًا في أستراليا.. وهنا يوضح المؤلف أن كل ذلك يعني أن الغرب كشعوب ليس لدينا معهم مشكلة أبدًا، ويقول: حتى محاولات الغرب السيطرة وتأزيم المواقف لم تنجح رغم كل أجهزة الكذب التي تروج لها، فشعوب الغرب قد اكتشفت الخديعة وعرفت أن خطط التآمر والعدوان ترتبط بمصالح أخرى هي السيطرة على منابع الثروة، ولا ترجع لحالة الإسلام أو مواقف المسلمين، وأن لدى الغرب كمركز للقرار منظومة إعلامية تتعمد تشويه الآخر وتحط من قدره، وتحاول إشاعة الخوف منه وتلصق به أبشع الاتهامات، ولا تكف عن الهجوم عليه، واستعداء الشعوب ضده.

خارطة جديدة للحوار

يؤكد د.أبومحمد أن العودة إلى الذات تتطلب قدرًا من الثقة تزول معه حالة الالتباس وسوء الظن بين السياسة وبين الثوابت والمتغيرات، ويقول: لابد أن تتضح الفروق بين الوحي المعصوم قرآنًا وسنة، وبين المخزون الفكري والثقافي لعلمائنا، على أن يتم التعامل معه بقدر كبير من الاحترام والتقدير، وبعيدًا عن القداسة والعصمة التي لم تثبت لغير القرآن والسنة، وليس مقبولاً أو معقولاً أن ننكفئ على الذات مكتفين بالماضي، ذاكرين أنه قد كان لنا مكان الصدارة في يوم ما، وكنا نحن العالم الأول، كما أنه ليس مقبولاً ولا معقولاً أن ننطلق في حوارنا مع الآخر متجردين من ثوابت هويتنا العقدية والثقافية، وهي ثوابت حية في وجدان وشعور شعوبنا، فنتخلى عنها وكأننا ريشة في مهب الريح لا جذور لها ولا تاريخ لديها، في الوقت الذي نستجيب فيه لمطالب أطراف أخرى تحاول إحياء تراث ميت وثقافات ميتة وسخافات تتحدث عن شعب مختار وشعوب خلقت للهوان والخدمة، لابد أن تكون تلك الاستجابة مؤطرة بسقف معرفي، ولذلك فإن المضي في طريق الحوار مع الآخر يحتاج إلى خارطة جديدة تقوم على أن الفطرة قاسم مشترك بين البشر، وأن الحضارات تراكمية وبينها تلاقح وأخذ وعطاء، وأن التفاعلات في الأفكار والثقافات، وما لذلك من تأثير في نسق القيم السائدة، كل ذلك ينتقل من عصر لآخر ومن بلد إلى آخر ومن حضارة إلى حضارة أخرى.

ويضيف: الأمر يتطلب تبني خطة عمل مشتركة مع الشخصيات المنصفة ذوي الحيثيات العلمية والإعلامية في الغرب، وكذلك المؤسسات الإنسانية كمنظمات الحقوق المدنية والمنظمات المماثلة للعمل على تفويت الفرصة على الذين يثيرون روح الكراهية والعنصرية ضد الإسلام والمسلمين، وتكوين هيئة علمية تكون معنية بشؤون الجاليات المسلمة تضم متخصصين من الداخل والخارج في شؤون الحضارات ممن يجيدون اللغات المختلفة، تهدف إلى إيجاد واختيار آليات وأساليب من الشرق والغرب مناسبة للتعامل مع الآخر بعد فهم بواعثه ودوافعه وهضم مفرداته الثقافية، على أن تضع هذه الهيئة خلاصة خبراتها تحت تصرف أي مسؤول ليكون على دراية بكل أبعاد الواقع في القضية، أو المناقشة والحوار عندما تقتضي الحاجة ذلك.

شبكة الإنترنت إحدى وسائل الدعوة الإسلامية

أحمد محمد القزعل

أصبحت التقنية الحديثة أحد أهم مقاييس قوة الدول وتطورها، ففي الماضي كانت تقاس قوة الدول بما تملكه من عدد سكان ودخل ونمو اقتصادي... أما اليوم ومع التقدم المذهل في التكنولوجيا فإن عناصر القوة اختلفت، وتغيرت كثيرًا، فمن يملك تكنولوجيا الاتصالات الآن من انترنت وأقمار صناعية وقنوات فضائية هو الأقوى والأقدر على نشر دينه وحضارته، وقيم مجتمعه، ومن خلال هذه الوسائل يستطيع كسب الرأي العام العالمي، ويقنع الناس بقضاياه، ولعل شبكة الإنترنت هي الوسيلة الأهم القادرة على إيصال صوتنا لبني البشر، مخترقة بذلك حدود الزمان والمكان، فالإنترنت مجموعة ضخمة من شبكات الاتصال المرتبطة بعضها ببعض، وهذه المجموعة تنمو باستمرار على قدر ما يضاف إليها من شبكات وحسابات، وهي سلاح ذو حدين، فإما أن تحصن المجتمع بالفضائل والقيم النبيلة إذا أحسن استخدامها، وإما أن تفتت المجتمع، وتهدم أسس بنيانه إن كانت الأخرى.

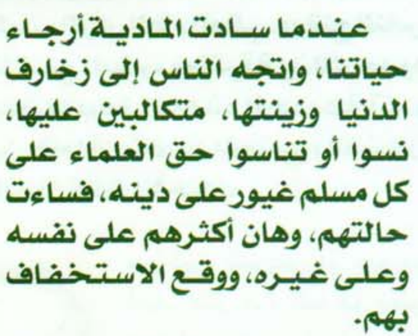
ما آلت إليه شبكة الإنترنت الآن يختلف كثيرًا عما كانت عليه في بداياتها المبكرة في نهاية العقد السابع من هذا القرن، فقد كانت حكرًا على مؤسسات عسكرية ومن ثم جامعية معينة، أما الآن فما من بيت تقريبًا إلا ويستخدم الإنترنت ولساعات طويلة، وتجاوز الأمر ذلك بتفعيل خدمة الإنترنت على الجوالات العادية، فأصبح بإمكان الأفراد تصفح الإنترنت في كل وقت وحين، وما من أحد يستطيع أن ينكر دور شبكة الإنترنت الإيجابي، وفي الوقت نفسه ما لها من سلبيات، وذلك بحسب الشخص المستخدم لهذه الوسيلة، ولاشك أننا نستطيع توظيف الإنترنت في مجال الدعوة إلى الله، واحترام الإنسان، وتنوير المجتمعات بصورة الإسلام الحضارية وقيمه وأخلاقه النبيلة.

وكما هو معروف فالدعوة إلى الله فريضة واجبة نص عليها القرآن الكريم والسنة الشريفة، فقال سبحانه:﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾(النحل:١٢٥)، وقال النبي ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»، ولما كانت الدعوة الإسلامية واجبة بنص كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فإن وسيلتها واجبة أيضًا عملًا بالقاعدة الفقهية:«ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»، فباستطاعة المسلمين اليوم الاستفادة من الانترنت لإيصال الدعوة لمن لا يعرفها أو لمن هو بحاجة إلى التذكير بها، ومن خلال هذه الشبكة نعرض قيم إسلامنا وتاريخ أمتنا وأخلاق ديننا من دون تشويش أو منع من أحد، فكل فرد كما هو معلوم يستطيع نشر ما يشاء على صفحات الإنترنت، ولا سلطة عليه غير ضميره، وإذا قمنا بذلك نكون قد أبلغنا الدعوة الإسلامية لملايين الناس في مشارق الأرض ومغاربها، ولقد رأينا أصحاب الديانات المختلفة من يهودية ونصرانية يستخدمون الإنترنت لخدمة معتقداتهم، فهناك مواقع مخصصة للتبشير ونشر المسيحية، فضلًا عن مواقع اليهود، والطوائف الغريبة كعبدة الشيطان، وغير ذلك، ولابد للقادرين على حمل الإسلام إلى العالم في صورته المضيئة المستنيرة من أن يسدوا الفراغ الروحي عند الشعوب التي تشققت أكبادها من المادية والجدلية الطبيعية، ولنتذكر أن نور الإسلام يوم أفاض المحبة بين الناس وغمر القلوب بيقين الهداية أمات في هذه القلوب مسافة البعد واليأس وجعل الدين للكل والرب الواحد للجميع.

باحث سوري

عبادة السيد نوح abadanooh@hotmail.com

مكانة العلماء



عندما سادت المادية أرجاء حياتنا، واتجه الناس إلى زخارف الدنيا وزينتها، متكالبين عليها، نسوا أو تناسوا حق العلماء على كل مسلم غيور على دينه، فساءت حالتهم، وهان أكثرهم على نفسه وعلى غيره، ووقع الاستخفاف بهم.

والمتأمل في التاريخ الحضاري للأمم يجد أن محوري التغيير والإصلاح دائمًا ما ينطلق من الحكام أو العلماء، وهذا ما نفتقده اليوم على مستوى القيادات أو الشعوب في أمتنا الإسلامية.

ولعل قدرة العلماء في التأثير والتغيير، وتحريك الشعوب، ودفع المجتمعات نحو الخيرية، وتوجيه الأمة بأسرها.. كل ذلك يسهم بلاشك في وضع شريحة العلماء ضمن دوائر الخطر بالنسبة لأعداء هذا الدين.

لذا نجد الاستهزاء بهم في الجد والهزل، حتى في الروايات والتمثيليات والفضائيات، والسعي الحثيث إلى تفقير العلماء وقهرهم للتخلص من قدراتهم في معارضتهم حتى بات كثير من شعوبنا لا يعبأون بهم.

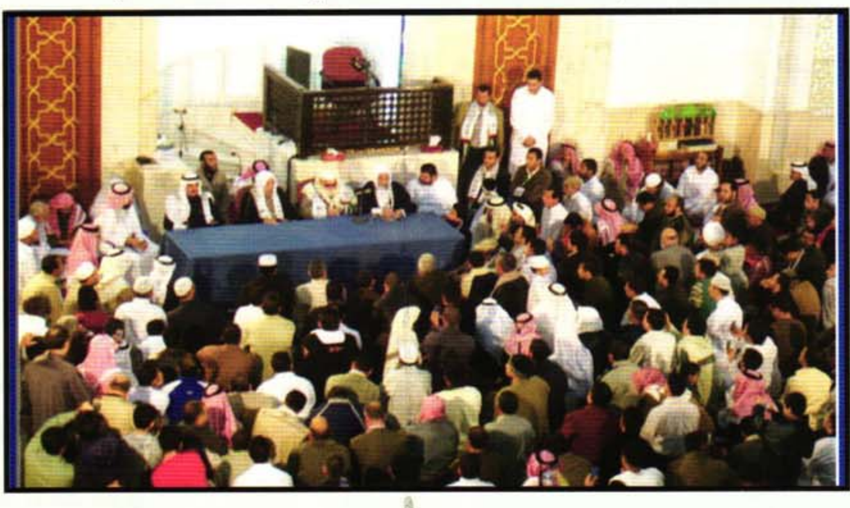
ويمكن القول: إن هذا الأمر لم يعد مستغربًا على من عادى الله ورسوله ﷺ، وبالتالي يحرصون كل الحرص إلى مواجهة هذه القوة الربانية التي إذا تحركت نهضت الأمة، خاصة فيما يتعلق بالرزق ولقمة العيش.

وانظر إلى موقف شيخ اسمه عبدالحميد عندما استدعاه المندوب السامي الفرنسي وقال له: جئنا لطمس معالم الإسلام، إما أن تقلع عن تلقين تلاميذك هذه الأفكار وإلا أرسلت جنودًا لقفل المسجد الذي تنفث منه هذه السموم ضدنا وإخماد أصواتكم المنكرة، فأجابه الشيخ عبدالحميد قائلًا: أيها المسيو... إنك لا تستطيع ذلك، لأنني إذا كنت في عرس علَّمت المحتفلين، وإذا كنت في مأتم وعظت المعزين، وإن جلست في قطار علمت المسافرين، وإن دخلت السجن أرشدت المسجونين، وإن قتلتموني التهبت مشاعر المواطنين، وخير لكم ألا تتعرضوا للأمة في دينها.

هذا الموقف يبين حجم القلق والخوف لدى أعداء هذا الدين من علماء الأمة باعتبارهم المصدر الرئيس لإحياء الدين وتجديده في قلوب المسلمين، وهذا مصداقًا لقول الرسول ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» (رواه أبوداود)

وبات واضحا للعيان مخططات هؤلاء في تفقير العلماء وتهميشهم وملاحقتهم، والتقليل من شأنهم، وتكوين قدوات سيئة منهم باستمالة بعضهم بالمال والمناصب، وتربية نفر منهم على الذل والخنوع.. وهذا موجود في كثير من مجتمعاتنا اليوم.

إن علماء الأمة الربانيين هم مصدر عزة الأمة ورفعتها، فما استهان قوم بعلمائهم إلا لقوا من أزلام الباطل من الهوان والضياع والتشرذم، وما قدر قوم علماءهم إلا ربط الله على قلوبهم، ورفع قدرهم، وارتقى بمكانتهم، وجعلهم خير خلفاء في الأرض.. والله ولي التوفيق.





الفكرة التربوية

كثيرة هي المدارس التربوية في عصرنا الحديث، فكل فكرة باتت تمثل منهجا منفصلا عن بقية المناهج في تربية الأبناء، وصار كثير منها ينتسب لأساليب التربية الإسلامية الحديثة، وهو في الأصل أبعد ما يكون عن الدين، فأي فكرة تربوية لا يسجلها الحديث النبوي أو تطبيقات السلف ومسالك الأئمة المربين من أهل العلم لا تمت بصلة إلى المنهج الإسلامي.

فالتربية مسؤولية عظيمة على أكتاف الأبوين، لذا ينبغي الحرص كل الحرص على تجنب تشويه هذه الجوهرة المكرمة (الطفل)، ولابد من بذل الجهد والعمل الدؤوب لإصلاح الأطفال وتصحيح أخطائهم، وتعويدهم على الخير، فقد دعا سيدنا نوح ابنه إلى الإيمان، ووصى سيدنا إبراهيم بنيه بعبادة الله وحده.

ويقول الشيخ محمد الخضر الحسين- رحمه الله: لا يدري كثير من الناس أن الطفل واحد من رجال الأمة إلا أنه مستتر بثياب الصبا، فلو كشف لنا عنه وهو كامن تحتها لرأيناه واقفا في مصاف الرجال القوامين، لكن جرت سنة الله ألا يتفق زوال تلك الأستار إلا بالتربية شيئا فشيئا، ولا تؤخذ إلا بالسياسات الجيدة على وجه من التدرج.

التحرير



حياتنا مظاهر

مليكة محمد الحامدي

إن الحديث عن المظاهر بشكل تفصيلي أو تحديد مدلولاتها هو ضرب من المجازفة العلمية واللغوية، إذ إنها من المواضيع الفضفاضة والمتشعبة والمهمة. تتعدد في تعريفها وتفسير أحوالها الآراء، فتختلف فيما بينها في جوانب معينة، وقد تتفق في مواطن يحكم عليها التراث والتاريخ والعلم والمنطق.

أحاول هنا وبايجاز إلى حدّ ما، أن أسلط الضوء على جوانب مهمة من المظاهر التي باتت سمة لعصرنا، وسببًا لانحلال الروابط الإنسانية فيه، علّنا نضع معاً أيادينا على مشكلاتنا اليومية، فنمسح عنها غبار التصنع والزيف والخداع، وننطلق إلى رحاب أوسع وأجمل من الحرية والبساطة والقناعة، فأقول:

المظهر لغة: ما يظهر من الشيء خلاف مخبره، جمعها مظاهر.

والمظاهر بتعريفي المبسط: هي جملة مكتسبات فنية وتقنية يفرزها مجتمع معين ضمن قواعد مادية تأخذ مع مرور الزمن شكلًا جوهريًا.

وللمظاهر أشكال كثيرة في حياة الإنسان منذ قرون بعيدة وحتى يومنا هذا.

وكلما قطعت البشرية عقودًا من الزمن، كلما اتسعت دائرة المظاهر، فشملت جوانب كثيرة من حياتنا، مما أفقد الإنسانية جوهرها وضاعت بين القشور وواقعنا الحالي يثبت ذلك، لكن التساؤلات الخطيرة التي تطرح نفسها اليوم هي:

ما مدى مصداقية العمل التمثيلي الذي نقوم به في حياتنا اليومية؟

لطالما زعزعت المظاهر أواصر زوجية وشتت علاقات أسرية وتسببت في إنهيار اقتصاديات منزلية

وما المسافة التي تفصل بين مضموننا الوجداني وظاهرنا؟

ومتى تصبح المظاهر جوهرًا ومضمونًا؟

لو قمنا باستعراض سريع لمجالات عديدة في حياتنا باتت المظاهر هي شعارها المرفوع، لأدركنا تمامًا أننا نعيش في بحر من الأوهام والشتات النفسي الحقيقي تتلاعب بنا أكف المظاهر في كل ساعة.

في المجال الديني

تتجلّى المظاهر بأبشع صورها في بعض الرجال الذين اتخذوا الدين ذريعة لهم لنيل مبتغاهم من مال وشهرة وقضاء حاجات غير شرعية، من خلال «الزي الديني» بدءاً من إطلاق اللحية إلى حمل «السبح»، إلى ارتداء الجلابيب المرقعة أو المزخرفة حسب الحاجة والهدف، إلى ارتياد المساجد وممارسة طقوس دينية معينة... الخ لإضفاء مسحة اللاهوتية على شخصياتهم، وبالتالي كسب ثقة العامة السذج وإقناعهم بأنهم «أهل الله» وأهل لثقتهم في حل مشكلاتهم وتيسير أمورهم، وما أكثرها سمعنا وقرأنا ورأينا ما حالت إليه أحوال الأفراد والأسر من نعيم إلى جحيم حين سقطوا في أيادي هؤلاء المستترين بمظاهر لا يقبلها الدين الإسلامي الحنيف أصلًا إن كانت مخالفة لمضمونها.

قال جل وعلا في كتابه العزيز: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا﴾ (النساء: ١٤٥).

في المجال الأسري

في أي منزل تلج إليه ترى أشكال المظاهر المختلفة قد اعتلت فوق الطبيعة والفطرة الإنسانية، فيبوح لك كل ركن فيه عن سر التفكك الأسري رغم المظهر الساطع و«الأبهة» وسعة الحال.

فهذا الأب مشغول في أعماله، مُنهك الجسد، ليس لديه الوقت للتفكير في مصالح أسرته الدينية والأخلاقية والتربوية، غير آبه، ولا مُبال، بما يدور حوله سوى تلبية الحاجات المظهرية له ولأولاده.



وهذه الأم المتشبثة بأقنعة مبهرة وتافهة، تقضي جُلّ وقتها في الزينة والتبرج واقتناء أحدث ما تنتجه مصانع التجارة بالعقول من وجوه مظهرية تخفي خلفها نفسية معقدة متوترة همها الأول الظهور بمرتبة الأولى بين النساء، ضاربة عرض الحائط هي الأخرى بأصول الدين والتربية والأخلاق، ناهيك عمن يعتمدن على الخادمات في أغلب الأمور التدبيرية في المنزل إن لم يكن كلها.

وذاك الابن الذي اتخذ الوسائل الالكترونية (الحاسوب- الهاتف المحمول... الخ)، أخلاء له لا يفارقونه في حلّه وترحاله.

وتلك الابنة التي جعلت الشبكة (الانترنت) أنيسة لها في وحدتها الطويلة ومكمن أسرارها.. وقس على ذلك الكثير.

وكم من وراء ذلك كله تزعزت أواصر زوجية، وتشتتت علاقات أسرية حميمة وانهارت اقتصاديات منزلية، قال الله تعالى: ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحلّ عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ (طه:٨١)، وقال أيضًا ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾ (العنكبوت:٤١).

في مجال العمل والوظيفة

لا تخلو الدوائر الحكومية والمؤسسات العامة والخاصة، وحتى المدارس والمعاهد والجامعات من زوابع المظاهر القائمة على أشدها.

حيث تسعى الغالبية للمناصب الأعلى سواء المهنية أو المعنوية، باللجوء إلى المظهر المزيف والمخادع



من خلال الثياب الفاخرة، أو اقتناء وسائل الرفاهية الحديثة أو التلفظ بلغات أجنبية، أو الافتخار بالأهل والأصدقاء ذوي النفوذ والاعتماد عليهم أحيانًا.. كل ذلك وأكثر أدى إلى تفشي الوساطة والرشوة والابتذال والمساومة وإقامة علاقات محرمة لو اضطر الأمر للوصول الى قمة المظاهر المنشودة.

فلينظر أحدنا كم ساهم في ارساء دعائم الغش والاستهتار بخيرات وطنه من أصحاب الكفاءات العلمية والفكرية والإصلاحية والادارة الجيدة في كل مجالات الدولة والوطن الأم، قال العزيز الحكيم: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾ (آل عمران: ١٨٨)، ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيجُ فتراه مصفرًا ثم يكون حطامًا وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغُرور﴾ (الحديد:٢٠).



في مجال الإعلام

في أغلب وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة نجد الكثير من المظاهر الخداعة والمغلفة بشعارات براقة توحي لمتابعيها بأنها ذات مضمون إنساني هادف، لكنها في الواقع ليست سوى وسائل ابتزاز للمشاعر والثقافة والأموال، مما صعب على المتابعين لها التمييز بين الغث والسمين منها والجيد من السيء، فكان لها من الآثار السلبية الجمّة علينا ما لا يحصرها عشرات المقالات.

قال العزيز الجبار: ﴿يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ (الصف: ٢-٣). ﴿من كان يُريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يُريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب﴾ (٢٠: الشورى).

خلاصة

إننا في الحقيقة أصبحنا نجهل الكثير من سجايانا الجوهرية، وما فُطرنا عليه من أخلاق ورغبات وحاجات نفسية وجسدية وعقلية ومعنوية، حجبتها عنا الحضارة بتياراتها المختلفة. حتى أصبحت مجتمعاتنا مصادر لنماذج مظهرية مختلفة ومنوعة، منها الجيدة ورفيعة المستوى، ومنها الرديئة والممجوجة، ومنها بين ذلك، وما علينا نحن بني البشر إلاّ أن نتسابق ونتعارك لنحصل على نموذج أو عّدة نماذج (حسب حاجاتنا) المهم أن نكون كملايين الناس الذين يدخلون مسرح الحياة الاجتماعية (التمثيلية) المزيفة.

علينا تقريب المسافة بين ظاهرنا وباطننا ثم نمثل الدور المناسب لوجداننا الذاتي وضمائرنا الحية

فهناك من الناس من يمثل الدور الذي يرغب فيه عن قصد وتدبير لتحقيق مآربه الشخصية.. وهناك من يجسدون أدوارًا معينة ليكونوا مقبولين اجتماعيًا.

وأيضًا من الناس من تجده يتقمص دور «الكمبارس» في مسرح الحياة المعاصرة ويظن بأنه الشخصية البطولية التي تدور حولها الأحداث.

والأسوأ أن تجد بين أولئك من يبالغ في التمثيل ويندمج في الدور الذي اتخذه فتراه يمارس دوره المخادع حتى في منزله ومع عائلته.

مثل هؤلاء الناس لا أقول أنهم يعانون أمراضًا نفسية أو عقلية، إذ إنني لستُ طبيبة ولا محللة نفسية، إلا أنهم وبلا شك يعانون عقدًا اجتماعية تختلف معاييرها من شخص لآخر، وهنا أقول إنه لا يستطيع أحد أن يبرئ نفسه من اجتياحات المظاهر (البروتوكولات) في جوانب معينة من شخصيتنا، لكن هناك فرق كبير وواضح بين المظهر الذي تخدع به نفسك أولا ثم تخدع به الآخرين، وبين المظهر الجمالي الذي جعله الله تعالى في خدمة الإنسانية ونبهنا إليه في آيات كثيرة في القرآن الكريم.. قال الخالق المبدع ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابًا وخير أملا﴾ (الكهف: ٤٦).

وأيضًا في بدايات سورة النحل نتلو من الآيات الحكيمة جانبًا مهمًا من ذلك أيضًا.

فنحن ننظف منازلنا ونرتبها ونقتني أثاثًا جميلًا، ونتلفظ بألفاظ منمقة جميلة نخفي خلفها مشاعرنا الباطنية التي قد تكون عكس ظاهرنا بعض الشيء، لكنّ تلك المظاهر أصبحت بمرور الزمن طبعًا فنيًا (أي جوهرًا) رسختها الأطر العرفية في مجتمعاتنا، واكتسبناها بعد رحلة طويلة من التمارين والتعاليم التي تلقيناها في البيت أو المدرسة أو المجتمع، ولا ضير من ممارستها إن لم يكن لها تداعيات سلبية علينا وعلى الآخرين.

- إنني لا أطالب اليوم بالعودة إلى التراث بعاداته وتقاليده وثقافاته وبساطته، إذ إن الإنسان المعاصر اليوم يواجه تيارًا جارفًا من الماديات والتكنولوجيا التي لا مجال لتجاهلها أو الابتعاد عنها.

لكن إذا عُدنا قليلًا إلى الطبيعة الإنسانية، وتعاملنا مع هذه الحضارة ببساطة وتواضع فسنكون حتما أكثر نجاحًا وتفوقًا في حياتنا العلمية والاجتماعية، وأكثر اتزانًا وطيبة وسماحة في حياتنا النفسية والعقلية، وأكثر صحة ونشاطًا في حياتنا الجسدية وإذا كان لابد من مواجهة الزمن الحضاري المادي بمواكبة «عصر التمثيل» فعلينا أن نعمل جاهدين على تقريب المسافة بين ظاهرنا وباطننا ثم نمثل الدور الذي يناسب وجداننا الذاتي وضمائرنا الحية، ويناسب حضارتنا الإسلامية العريقة حتى لا تكون أدوارنا ممجوجة ومدعاة للسخرية، فنخسر بها كرامتنا في الدنيا وظل الله تعالى في الآخرة، والعياذ بالله.



الاضطراب الأسري.. وبدانة الأطفال

د. محمد عيسوي الفيومي

بدانة الأطفال قد ترجع لأسباب وراثية أو لعادات غذائية خاطئة، والوقاية منها ممكنة، والتخلص من السمنة لدى الأطفال ممكن أيضًا، وللأم دور كبير في ذلك، هذا ما توضحه د. هدى عبدالرحمن أخصائية التغذية بكلية التربية النوعية التي تُعرِّف السمنة عند الأطفال بأنها: زيادة الوزن على المعدل الطبيعي نتيجة تراكم الدهون في مناطق مختلفة من الجسم، وزيادة الخلايا الدهنية.. وهي تختلف عن الضخامة التي تحدث نتيجة زيادة حجم الهيكل العظمي، وتحدث السمنة عادة بين ٩: ١١ عامًا، وترجع أسبابها إلى عدم الاستقرار العاطفي بين الوالدين مما يؤدي إلى عدم إنشاء علاقة ودية وثيقة بين الطفل وبين والديه أو بسبب شعور الطفل بأنه منبوذ وغير مرغوب فيه في محيط الأسرة، ووسط زملائه فينصرف إلى الأكل والحلويات والأطعمة الدسمة كبديل عن الصداقة أو بسبب انشغال الطفل بالواجبات المدرسية مما يدفعه للإكثار من الأكل.

جاء عن الرسول ﷺ قوله «ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فاعلا، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه».

وترجع أيضًا إلى دخول الطفل مرحلة المراهقة إذ يتطلب نموه السريع الإكثار من الأكل إلا أنه من المرجح أن الشعور بالانعزال يلعب دوره في هذه المرحلة حيث يلجأ إلى الأكل كوسيلة ترفيهية عوضًا عما يعانيه من متاعب نفسية نتيجة عدم ملائمة المناخ الأسري.

إن العامل الوراثي للإصابة بالسمنة لدى الأطفال قد يصل إلى ٥٠٪ إذا كان أحد الوالدين بدينا، ويرتفع إلى ٨٠٪ إذا كان أحد الوالدين بدينين، وتتأثر هذه النسبة بالعوامل السلوكية، ومن أهم الخطوات التي تتبع في التعامل مع الأطفال البدناء البدء بإجراء فحص مستمر في العيادة ومقارنة أوزانهم بأطوالهم، وعلى الطبيب المعالج إقناعهم بخطورة السمنة والتوعية بكيفية العلاج واضعًا في الاعتبار قول الحق: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾، وعلى الأم ألا تشعر بالذنب لحرمانها طفلها من الأكل الزائد لأنها بذلك تفيده، ولحماية الطفل من السمنة المحتملة يجب اهتمام الأم بتنظيم الغذاء بالتقليل من إعداد أصناف الحلويات وعدم شراء الحلويات والأطعمة المضرة كالبطاطس والمشروبات الغازية، والإكثار من تقديم الفاكهة لأفراد العائلة، والتقليل من الأطعمة الدسمة التي يفضلها البدناء، ويستحسن ان يذهب الطفل إلى عيادة الطبيب لتحديد نظام غذائه بحيث يولد لديه الاعتزاز بنفسه وقوة ارداته وعدم مكافأة الأطفال عند القيام بالأعمال المطلوبة بمنحهم الحلويات والأطعمة الدسمة، ذلك لأن السمنة تسبب كثيرا من المتاعب والأمراض مثل السكر وضغط الدم وأمراض القلب وأمراض الجهاز الهضمي والتهاب المفاصل وغير ذلك من الأمراض.

ومع كلمة أخيرة، ينصح بتغيير السلوك الخاطئ المصاحب لعملية إنقاص الوزن، ولا ينصح بتناول الأكل أمام التلفزيون، ويفضل الأكل ببطء، ومضغ الطعام جيدًا، ووضع الطعام في أطباق صغيرة، وتناول الفاكهة والخضراوات بين الوجبات، وعدم الأكل بسرعة، والاحتفاظ في المنزل بمجموعة من الأطعمة الصحية لتناولها عند شعور الطفل بالجوع، مع تعويد الطفل على الحركة، وممارسة الرياضة، مع تناول كمية كبيرة من المياه لأن ذلك يساعد على الاحتراق وتقليل، السعرات الحرارية لأن الجسم لا يستفيد بكل ما يلقى فيه من طعام، بل يأخذ قدر حاجاته ويجد صعوبة في التخلص من الزائد حيث تسلم الجهاز الهضمي إلى العديد من الأمراض، فينبغي تهيئة مناخ الأسرة الصحي المتسم بالود والألفة والمحبة ليشعر الصغار بالأمن والأمان والعطف والحنان، فالأسرة السوية هي التي تمد المجتمع بالأبناء الأصحاء، والتعليم وما ينفق على التربية هو من أفضل أنواع الاستثمار الذي لا يتأثر بتقلبات الأسواق، فالثروة البشرية من أفضل الثروات قاطبة فينبغي أن نحيط الأبناء بالعناية والرعاية منذ سنواتهم الأولى ونقدم لهم القدوة فهي أقوى أثرًا في السلوك.

اختصاصي دراسات نفسية



الإهانات الزوجية

أميرة سليمان أبوجبة

هل يختلف وقع إهانة الزوجة لزوجها عن وقع إهانة الزوج لزوجته؟ وماذا يجب أن يفعل كل منهما عندما يتعرض أحدهما للإهانة من الآخر؟ وهل مقدر للزوجة أن تتحمل عبء الإهانة الزوجية دائمًا؟

إن مبدأ الإهانة مرفوض في الحياة الزوجية بين الطرفين، لأن العلاقة الزوجية قائمة على الاحترام المتبادل وتقدير المشاعر المتبادلة بين الطرفين والتضحية والاحتمال وتقديم التنازلات، وليس على التراشق بالألفاظ والعنف اللفظي والتجريح بالتقليل من الشأن وعدم الاحترام وعدم التقدير، وأكثر شيء يهين الزوجة هو الطعن في شرفها أو كرامتها وعزة نفسها وأنوثتها، أما أكثر شيء يهين الرجل (الزوج) فهو معايرته بعدم قدرته الجسدية أو عدم قدرته على تحمل المسؤولية لبيته والإنفاق عليه، فالرجل الشرقي لا يحتمل إطلاقًا الإهانة من زوجته، وإذا حدث ذلك تكون الخسائر أفدح في كل شيء، ولذا يجب التحلي بالعقلانية والهدوء وقت نشوء الأزمة والتوقف عن الكلام عندما تتصاعد الأزمة، ومحاولة البحث عن أسباب هذا التصعيد بالحوار والمناقشة من دون انفعال، فإذا لم يكن هناك استعداد لتقديم التنازلات والمغفرة والتسامح والمودة تتحول الحياة الزوجية إلى جحيم وتبوء بالفشل عاجلًا أم آجلًا.

إن إهانة الشخص والتقليل من شأنه يمكن أن يحدث بالنظرة أو بالكلمة أو بالإشارة أو العنف، إن الإهانة شيء جارح للشخص وعندما يهين أحد الزوجين الآخر ويرد له الإهانة فلا ينصلح الموقف بالإهانة.. بل إن تكرارها يمكن أن يؤدي إلى الطلاق العاطفي أو الفعلي.

والمعتاد في مجتمعنا الذكوري أن الرجل هو الذي يهين زوجته، أو هو الذي يبدأ بالإهانة لأن في الموروث الثقافي الرجل لا يهان والزوجة لابد أن تتحمل وإذا أهانت زوجها فهذه الطامة الكبرى.

وتشدد خبيرة العلاقات الزوجية على أنه يجب على الطرف المخطئ أن يبادر بالاعتذار ويعد بألا يكرر الإهانة مرة أخرى على الإطلاق حتى لا تتحول الإهانة إلى درجة من درجات العنف ورد فعل مماثل من الطرف المهان وتصعيد الموقف، وقد يصل إلى حد العنف أو القتل.

ولم تنس د. فاطمة أن تلفت نظر الأزواج والزوجات إلى أن يتجنبوا الشجار أمام الأبناء، وخاصة الأطفال منهم، فليس من التربية السليمة للنشء أن يشهدوا مثل هذه المواقف.

ويحلل أطباء علم النفس طبيعة العلاقة الزوجية وما يشوبها من مواقف طارئة ويقولون: كل من الزوج والزوجة يرى نفسه من خلال الآخر، فالرجل حتى لو كانت صورته سلبية لدى زملائه في العمل أو غيرهم ولكنها ايجابية لدى زوجته، فإنه في هذه الحالة سيكون أكثر قدرة على التوافق وتكون لديه قدرة أكبر من حيث الصحة النفسية، والشيء نفسه بالنسبة للزوجة فالإنسان يرى صورته من خلال من يحبهم أو المقربين له، فإذا كانت ايجابية كان شعوره بالسعادة والرضا والتفاؤل، وإذا كانت سلبية أصبح الأمر عكس ذلك ، وهذا هو المبدأ العام بالنسبة للزوج أو الزوجة.

وعند المقارنة بين الزوجين نجد أن المجتمع وثقافته وأسلوب التنشئة الاجتماعية يعطي وزنًا أكبر للرجل مقارنة بالمرأة التي لابد أن تعتبر زوجها «سي السيد».

فالتنشئة الاجتماعية تكيل بمكيالين، فهي تعطي للزوج حرية أكبر في نقد زوجته، بل تعطيه درجة من درجات التطاول عليها مما يجعلها ترفض هذا الأسلوب وتتمرد عليه، ولعل المرأة في هذا الجانب هي الجاني والضحية في الوقت نفسه، فالأم تطلب من ابنها أن يكون «سي السيد» على زوجته، ولكن الزوجة تريد أن تكون الند للزوج، وهنا تكون الزوجة ضحية للأم.

ولكن من المبادئ الأساسية لإقامة علاقة زوجية سليمة ألا يلعب أحد الزوجين دور الضحية حتى لو لقي نوعًا من الثناء من الآخرين، ولذا يجب من البداية رسم حدود في التعامل بين الزوجين، فالسكوت على الإهانة





من الطرف المهان يجعله شريكًا في استمرارها.

وتعترف استاذة علم النفس بأن المرأة هي الضحية دائمًا في مسألة الإهانة الزوجية لأن السياق الاجتماعي يعطي هذا الحق للرجل بشكل عام سواء الأب أو الأخ أو الزوج وهذا نشهده في كثير من الطبقات الاجتماعية، حيث تطيع الأنثى شقيقها حتى لو كان أصغر منها وهذا أحد أشكال التخلف الحضاري، لذا يجب توعية الآباء والأمهات بضرورة المساواة بين الذكر والأنثي في التنشئة الاجتماعية وأن يقتصر تمييز أحدهما عن الآخر وفق عوامل موضوعية وليست بناء على النوع.

ويعلل اطباء علم النفس ما يحدث من إهانات بين الزوجين بأسباب عدة

أولها: عدم وجود الاحترام المتبادل بينهما بالاضافة إلى تراكم المشكلات السابقة والتي لم تحسم إلا من خلال الإهانة في كل مرة وأيضًا لغياب القدوة بالنسبة للزوجين، فليس هناك كبير يلجآن إليه أو يتدخل هو من تلقاء نفسه لفض المشكلة، هذا بجانب غياب الوازع الديني.

إنه ليس هناك فرق بين الإهانة من الزوجة لزوجها والعكس، ولكن القيم الشرقية هي التي جعلت بينها فرقاً وأدت الى التضخيم وجعلت الإساءة للزوج جريمة كبيرة جداً باعتباره رب الأسرة، والقيم التي توجد في المجتمع تشجع على ضرب الزوجة والنتيجة حياة مليئة بالنكد والبرود العاطفي والنقاط والثغرات التي تفرق أكثر مما تجمع، وبالتالي تكون حياتهما قائمة على الضغينة والنكد الأسري.

وينصح الأطباء أي زوجين تصدر إهانة من أي منهما للآخر أن يبتعدا عن بعضهما لفترة بسيطة حتى يراجع كل منهما نفسه، ثم يلجآن إلى الأهل، وإذا لم يوجد فهناك مكاتب للاستشارات الأسرية ومكاتب تدعيم الأسرة، وكلها تقدم خدماتها للأسرة بأسلوب علمي متخصص، وأهم من ذلك كله ما أوصت به كافة الأديان السماوية من كظم الغيظ والعفو عند المقدرة.

ومسك الختام دائما رأي الدين، فكما يقول استاذ ورئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر د.عبدالهادي عبدالقادر إن المنهج الخلقي أن تكون الأسرة قائمة على الرفق والتراحم والود المتبادل بين أفراد الأسرة، فإذا تجاوز أحد الزوجين حدوده فالقياس أن يقابل الطرف الآخر بالصفح والصبر والتحلي بمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، وكما قال الرسول ﷺ: «إذا أراد الله بأهل بلد خيرًا أدخل عليهم الرفق»، وقال أيضًا: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» والخطاب هنا موجه للزوج والزوجة فيجب على الزوج أن يكون خيرًا بأهله ويجب على الزوجة أن تكون خيرة بأهلها.

إن مقابلة الإساءة بالإساءة تجعل الحياة جحيمًا وتتحول الأسرة من وحدة استقرار الى وحدة تنافر ولا يظنن أحد الزوجين أنه إذا ضغط أو أذى الآخر أنه سيكون قد أخذ حقه أو فرض سيادته وإنما سيكون هو نفسه في قمة الضيق والإرهاب العصبي، فإذا ضايق أحد الطرفين الآخر في الصباح فيظل طوال النهار في ضيق وفي نكد، أما إذا كان الأمر بالعكس بأن يقابل الزوج الزوجة بالحلم أو قابلت الزوجة إساءة زوجها بالحلم فإن الإنسان يظل سعيدًا طوال وقته ويجني ثمرة الحلم والاستقرار في البيت وفي حياة أسرته، فالشرع يوصي بتبادل الود والرحمة حتى تستقر الأسرة وتصبح مكان استقرار، ومكان سعادة.



دور الأسرة في التربية

أ.د محمد بنعزوز

التربية لغة: جاء في لسان العرب في مادة «رب» مما يتعلق بموضوعنا:
«وربَّ ولده والصبيّ يَرُبُّه ربًا وربَّبه تَرْبيبًا وتربّة، بمعنى: رَبَّاه، وفي الحديث: لكَ نعمةٌ تَرُبُّها، أي تَحفظُها وتُراعيها وتُربّيها، كما يُربّي الرَّجُل ولده، وفي حديث ابن ذي يزن: أسْدٌ تُرَبّبُ في الغَيْضات أشْبالا أي تُربّي، وتربَّبه وارتبه ورباه تربية وترَبّاه: أحسنَ القيامَ عليه ووَلِيَه حتى يُفارقَ الطُفُوليَّة كان ابْنَه أو لم يكن، والسحاب يربُّ المطر أي يجمعه وينميه، والمطر يَربُّ النبات والثرى وينميه.

الرباني: العالم المعلم، الذي يغذو الناس بصغار العلم قبل كبارها، وقيل: «هو من الرب بمعنى التربية، كانوا يربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها»(١) نستنتج من التعاريف اللغوية لكلمة تربية ومشتقاتها المعاني الآتية:

الحفظ والرعاية وحسن القيام والولاية والتنمية والتدرج في التعليم من الجزء إلى الكل والوصول بالمربي إلى مرحلة التمام.

أما زمن التربية فهو الطفولة أي تهيئ الصبي لمرحلة الشباب والرجولة وتحمل مسؤوليته بنفسه. ويمكن تقسيم هذه المعاني إلى قسمين:

قسم مرتبط بالرعاية والولاية وما تعلق بها من حفظ وحسن قيام.

وقسم مرتبط بالتنمية عن طريق التدرج في التعليم حتى يصل إلى حد التمام.

والتنمية تقتضي أصلا التدرج، ولكن صعودا لا نزولا من نواحي مختلفة.. جسمية وعقلية ونفسية وروحية وإيمانية.

كلمة تربية في القرآن الكريم

وقد وردت بعض مشتقات كلمة تربية في القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى:﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (٢).

> **المدرسة الأولى للإنسان في حياته هي مدرسة الأسرة.. التي ترعاها في المقام الأول «الأم»**

ونستشف منها ما يأتي:

أ- أمر الولد بالترحم على والديه، وهذا مظهر من مظاهر البر والاعتراف بالجميل.

ب- التربية قام بها الوالدان معا.

ج-زمن التربية هو الصغر.

وقد فسرت هذه الآية بما يأتي: ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا﴾ رحماني حين ﴿رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾(٣). والإنسان أحوج ما يكون إلى الرحمة وهو صغير، لأنه حينها يكون ضعيفا. ومن ثم فالرحمة في حد ذاتها عنصر من عناصر التربية البناءة، لا يجب إغفاله بحال من الأحوال، بل هو أول عنصر من عناصر التربية التي تزرع أصلا في قلب الأم بعد وضعها لمولودها فتلقمه ثديها وتحوطه برعايتها وحنانها وعطفها، وهذه الأفعال كلها مشتقة من معنى الرحمة.

يقول تعالى حكاية عن فرعون وهو يعاتب موسى عليه السلام: ﴿قال ألم نربك فينا وليدا﴾ (٤) نلاحظ من خلال هذه الآية ما يأتي:

١- التربية قام بها فرعون ومن معه، أي زوجته في المقام الأول، وهذا ما أخبر عنه القرآن الكريم حينما اعترضت على قتله، كما يقتل باقي أبناء بني إسرائيل- خشية أن يبعث منهم رسول من لدن الله يحررهم من العبودية لفرعون، ويقضي على ألوهيته المزعومة- يقول الله تعالى: ﴿وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾(٥).

٢- زمن التربية: بعد الولادة، أي بدأ بتربيته الجسمية بالخصوص مباشرة بعد ولادته حينما ألقت به أمه في اليم تطبيقا لأمر الله كما أخبر بذلك القرآن الكريم.

٣- الوسط وهو ما أشارت إليه الآية بكلمة «فينا»، وله تأثير كبير على تربية الإنسان. أما بالنسبة لموسى عليه السلام فلم يكن له تأثير سلبي في حياته. وهذا استثناء خاص بأحد رسل الله سبحانه.

فموسى عليه الصلاة والسلام رباه

* أستاذ التعليم العالي بجامعة ابن طفيل- القنيطرة- المغرب.



فرعون الظالم الذي يدعي الألوهية، ومع ذلك كان صالحا ونبيا مرسلا.

وفي هذا المعنى يقول الشاعر موازنا بين موسى الرسول وموسى السامري الكافر، فالأول رباه فرعون والثاني رباه جبريل عليه السلام:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُخْلَقْ سَعِيدًا مِنَ الْأَزَلِ
فَقَدْ خَابَ مَنْ رَبَّى وَخَابَ الْمُؤَمَّلُ
فَمُوسَى الَّذِي رَبَّاهُ جِبْرِيلُ كَافِرٌ
وَمُوسَى الَّذِي رَبَّاهُ فِرْعَوْنُ مُرْسَلُ

ومن هذين البيتين يتبين لنا أن الغاية من التربية هو السعادة، أي وصول المربَّى إلى كماله «الجسمي والإيماني والعاطفي والنفسي والعقلي...» حتى تحصل له السعادة في الدنيا، ومن حصلت له السعادة المبنية على الإيمان والإسلام حصلت له السعادة في الآخرة بفضل الله وكرمه.

التربية اصطلاحا

لايختلف التعريف الاصطلاحي عن التعريف اللغوي، بل إنه استمد منه أصلا، إلا أن الاصطلاحي أكثر بيانا وإيضاحا وتفصيلا وتخصيصا.

يقول الراغب الأصفهاني (المتوفى سنة ٥٠٢ هـ) في مفرداته:

«الرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام» (٦)

وقريب من هذا التعريف تعريف القاضي البيضاوي «المتوفى سنة ٦٨٥ هـ» في تفسيره «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» الذي يقول فيه:

«الرب في الأصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا» (٧).

ويرى د. علي أحمد مدكور أن التربية هي:

«إيصال الإنسان شيئا فشيئا إلى درجة الكمال التي هيأه الله لها، وبذلك يستطيع القيام بحق الخلافة في الأرض عن طريق إعمارها وترقية الحياة على ظهرها وفق منهج الله» (٨) وفي هذا التعريف، الذي انطلق مما وصل إليه الأقدمون، نوع من التفصيل والتخصيص الذي يخرج بالتربية من المفهوم العام إلى المفهوم الخاص المرتبط بالتصور الإسلامي الذي يجعل منها تربية إسلامية.



بناء الشخصية المسلمة

إن الهدف الأساس للتربية الأسرية هو بناء الشخصية المسلمة ولن تتمكن الوسائل التربوية الأخرى كالمدرسة والمجتمع من تحقيق هذا الهدف الأسمى.

«فالبيت هو المؤثر الأول، وهو أقوى العوامل التربوية جميعا «المدرسة والشارع والمجتمع»، بحكم التصاق الطفل به، وقضائه أطول فترة من طفولته في داخله، وبحكم أنه هو أول من يتسلم خامة الطفل ويؤثر في تشكيلها» (٩). فالأسرة أو البيت عامل ثابت في حياة الطفل لا يتغير، فأبواه وإخوانه وأقاربه هم هم، أما العوامل الأخرى فهي متغيرة ومتحولة بتغير الأمكنة والأشخاص، ولضعف الارتباط الموجود بين الطفل وبينها.

إن المدرسة الأولى للإنسان في حياته هي مدرسة الأسرة.. التي ترعاها في المقام الأول «الأم» التي تسهر على الحضانة والرعاية الأولى والتربية، وقد عد حافظ إبراهيم الأم نفسها مدرسة كاملة تنهض بمهمة عظيمة حين قال:

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعبا طيب الأعراق

الأم مدرسة

لذا يفترض في الأم أن تكون معدة لهذه المسؤولية الكبيرة ألا وهي التربية، بأن تكون هي نفسها قد تلقت في صغرها تربية إسلامية كاملة تخولها تلقينها إلى أولادها وتربيتهم على غرارها، ففاقد الشيء لا يعطيه، لذا اشترط الإسلام عند اختيار الزوجة أن تكون ذات دين وخلق، حتى يرضع أبناؤها منها حسن الخلق قبل أن تلقنهم إياه، يقول الشاعر:

وليس النبت ينبت في جنان
كمثل النبت ينبت في الفلاة
وهل يرجى لأطفال كمال
إذا ارتضعوا ثدي الناقصات

يقول الله تعالى: ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج





إلا نكدا﴾ (١٠) والبيت كالبلد، فالبيت المؤمن الطيب يعطي أولادا مؤمنين طيبين صالحين والعكس صحيح. من هنا يظهر أثر البيئة والوسط في التربية. فالأسرة هي التربة الخصبة للتربية البناءة المثمرة.

فالأسرة مسؤولة عن توجيههم والأخذ بيدهم، فهم أمانة في عنقها، ونعمة من نعم الله على الأسر ولكنها نعمة مشفوعة بتكليف وهو التربية. ولولا هذا التكليف لكانت نعمة الأولاد عبثا من العبث، والإنسان مسؤول يوم القيامة عن هذه النعمة هل حافظ عليها أم ضيعها؟ يقول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (١١).

ويقول رسول الله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (١٢).

الصياغة العقدية والنفسية

إن الأسرة مسؤولة عن الصياغة التي تصوغ عليها أولادها من الناحية العقدية والنفسية والعاطفية. فهم يولدون كالصفحة البيضاء سليمة من كل خدش أو وسخ أو عيب، إنهم يولدون على الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فطرة مهيئة لعبادة الله واتباع أوامره والانتهاء عن نواهيه، فطرة مسلمة مؤمنة، فطرة لها القابلية لفعل الخير والابتعاد عن الشر.

فالفطرة كالجهاز المبرمج على طريقة خاصة، إما أن يحافظ أصحابه على برمجته وينموها ويطوروها، وإما أن يضيعوها ويخربوها. فكما أن الطفل مهيأ أصلا لتعلم اللغات لتوفر وسائل التعليم عنده من سمع وبصر ولسان وقدرة فطرية خلق عليها كامنة في عقله تمكنه من تداول ما يتداوله الناس من كلام، وإبداع أسلوب خاص في الكلام والكتابة أيضا، أو ما يسميه علماء اللغة المعاصرون بإنتاج كلام جديد. فكذلك فطرة الطفل مهيأة للإيمان بالله سبحانه كأنما برمجت في السابق، ولاشك في ذلك، ما دام الله سبحانه قد أشار إليه في أكثر من آية من القران الكريم.

يقول الله عز وجل: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون (١٣).

ويقول سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾(١٤).

الأب والأم والدور المشترك

ولكي تتحقق الاستجابة لمطالب الفطرة، لابد من أداء الأسرة، ممثلة في الأب والأم، دورها والقيام بمسؤوليتها التربوية الإيمانية. يقول رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» (١٥).

نستنتج من هذا الحديث النبوي ما يأتي:

١- أن المسؤول عن تربية الولد هو الأب والأم وليس أحدهما.

٢- أن المولود يولد على فطرة سوية مهيئة للإسلام.

٣- أن الأبوين اليهوديين يهودان مولودهما حينما يدرك ويميز، كذلك يفعل الأبوان النصرانيان أو المجوسيان مع ابنهما أو ابنتهما.

٤- أن تغيير فطرة المولود ليس محصورا في هذه العقائد الثلاث، بل جيء بها فقط للتمثيل، أما لائحة العقائد الفاسدة فهي كثيرة كالهندوسية والسيخية والبوذية والكونفوشيوسية والوثنية، تضاف إليها العقائد والمذاهب الحديثة كالشيوعية والليبرالية والعلمانية.

٥- أن مدار التربية البارز هو الجانب العقدي، أي المحافظة على فطرة المولود الأصلية وهي الفطرة المهيأة للإيمان والإسلام.

أما التربية الجسمية من إطعام ورعاية مادية وتهيئة لكسب القوت فإن جميع الحيوانات والطيور تقوم بها تجاه



صغارها. وهذا لا يقلل من شأنها بل هي ضرورية كذلك.

٦- أن الآباء اليهود أو النصارى أو المجوس يغيرون فطرة أبنائهم وينحرفون بها عن نهجها الأصلي، فتنشأ معوجة غير مستقيمة، منحرفة غير مستوية.

أما المطلوب فهو المحافظة على الفطرة وتزكيتها بالتربية الإيمانية وتنميتها حتى تنهض بفضائل الأعمال.

إذا كان الهدف الأسمى للتربية الأسرية من منظور الإسلام هو بناء الشخصية المسلمة القوية الفاعلة، فإن ذلك ينطلق من بداية حياة الإنسان، مرحلة الصبا والطفولة بالمحافظة على الفطرة من خلال التربية الإيمانية والتربية الخلقية والتربية النفسية والتربية العاطفية والتربية العقلية والتربية الجسمية.

ما المقصود بالشخصية المسلمة؟

إنها الإنسان كما يريده الله سبحانه وتعالى أن يكون، مؤمنا مسلما صالحا مجاهدا داعيا إلى الله آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر.

إنه من تحقق فيه الهدف من التربية، وهو السعادة في الدنيا. ولا يمكن أن تتحقق هذه السعادة إلا باتباع ما جاء في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ. فكتاب الله منهاج حياة، منهاج دين وأخلاق وتربية، فباتباعه ينجو الانسان من مهالك الدنيا والآخرة، ولذلك خاطب الله سبحانه نبيه محمدا ﷺ بقوله: ﴿طه. ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ (١٦).

وإذا أمعنا النظر في فاتحة الكتاب نجدها تتضمن منهجا تربويا مهما يتمثل فيما يأتي:

أولا: الإيمان.

ثانيا: العبادة.

ثالثا: منهج الحياة.

«لقد ذكر ابن عمر رضي الله عنهما في أثر صحيح محدثا عن حال الصحابة قال: لقد عشنا برهة وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وقد ذكر الله في الفاتحة العقائد أولا، ثم ثنى بالعبادة، ثم ذكر مناهج الحياة مما يدل على أن مناهج الحياة الصحيحة تكون أثرا عن عبادة وعقيدة صحيحة، من هاهنا فنحن نركز على العقيدة أولا ثم على العبادة ثانيا ثم على مناهج الحياة» (١٧).

الأسرة مسؤولة عن الصياغة التي تصوغ عليها أولادها من الناحية العقدية والنفسية والعاطفية

وهذا الخطة التي سارت عليها الفاتحة تصلح خطة لتربية الأولاد تربية إسلامية، فيجب في البداية أن نعرفهم بعقيدتهم حتى يؤمنوا بها، ثم نحثهم على التطبيق والممارسة الإيمانية من خلال أداء بعض العبادات خاصة الصلاة ثم التدرب على الصيام والمعاملات الإسلامية التي يمكن أخذها عن الوالدين نظريا وتطبيقيا من خلال سلوكهما «أي القدوة الحسنة»، وحينما يجمع الولد بين الأمرين «العقيدة والعبادة» فإنه سيكون قد تلمس طريق الهداية والاستقامة ومنهجه في الحياة وذلك حينما يصير شابا يافعا يعتمد على نفسه في المقام الأول.

وإذا أردنا أن نجمل أهداف التربية التي يجب على الأسرة المسلمة أن تقوم بها، فإننا سنحصرها فيما يأتي:

١- المحافظة على فطرة الطفل التي فطِرَ عليها، وهو أنه ولد مهيأ للتوحيد.

٢- تقوية عناصر هذه الفطرة فيه، بتربيته إيمانيا وروحيا.

٣- تهيئته لكي يكون مسلما صالحا نافعا، يقوم بدوره في المجتمع، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويؤمن بالله.

٤- هذه التهيئة تتمثل في تكوينه تكوينا يشمل كل كيانه: جسميا وعقليا وإيمانيا وخلقيا ونفسيا.

والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه.

الهوامش

١- لسان العرب، المجلد ٣، ص١٤-١٥. دار صادر- بيروت. ط١. ١٩٩٧م.
٢- سورة الإسراء، الآية: ٢٤.
٣- تفسير الجلالين، ص٣٥٩. دار الكتب العلمية- بيروت د.ت.
٤- سورة الشعراء، الآية: ١٨.
٥- سورة القصص، الآية: ٩.
٦- المفردات في غريب القرآن، ص١٩٠. دار المعرفة- بيروت. ط١. ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
٧- نقلا عن كتاب: أصول التربية وأساليبها، لعبدالرحمن النحلاوي، ص١٣. دار الفكر- دمشق .ط١. ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
٨- منهج التربية في التصور الإسلامي ص٢٦٥. دار النهضة العربية بيروت ١٩٩٠.
٩- محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، دار الشروق القاهرة بيروت ١٤١٧-١٩٩٧.ص٩٤.
١٠- سورة الأعراف، الآية ٥٨.
١١- سورة التحريم، الآية: ٦.
١٢- رواه البخاري.
١٣- سورة الروم الآية: ٣٠.
١٤- سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.
١٥- متفق عليه.
١٦- سورة طه، الآية ١-٢.
١٧- انظر كتاب: «كي لا نمضي بعيدا عن احتياجات العصر» للشيخ سعيد حوى. دار عمار- بيروت- عمان. ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، ص:٤٩٩.



دراسة تؤكد: ٣٤٪ من الأزواج يتم ضربهم بمعرفة الزوجات!

من يحمي الأزواج من عنف الزوجات؟!

تحقيق: نجاح إبراهيم

في العهود الماضية، كنا نسمع صراخ النساء من تسلط الرجال عليهن، حتى ظهرت دعوات في كثير من بلاد الله تنادي بحماية المرأة من عنف الرجل، وهذا صار عرفا عالميا، غير أنه في الآونة الأخيرة، تعالت الأصوات المطالبة بحماية الرجل من عنف المرأة، خاصة بعد الحوادث والجرائم التي اقترفتها «حواء المعاصرة» في حق الرجل المسكين، فمن يحمي الرجل الآن من عنف النساء؟!

في تقرير أعدته «منظمة حقوق الإنسان الدولية» عن الأحوال المعيشية بمصر أكد التقرير ارتفاع نسبة قضايا الأحوال الشخصية التي يرفعها الأزواج عن إصابتهم بإصابات مختلفة.

حيث أكدت دراسة ميدانية أن أكثر من ٣٤٪ من الأزواج يتم ضربهم بمعرفة شريكة حياتهم، وأن هذه الظاهرة متفشية في الأحياء الراقية، خاصة في القاهرة بينما تتراجع هذه الظاهرة في الأرياف لتصل إلى أقل من ٢٠٪.

والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة: من يحمي الرجال من عنف النساء؟!

عرضنا هذا الموضوع على أهل الاختصاص من علماء النفس والاجتماع والدين.. فماذا قالوا؟ وما هي رؤيتهم للعنف من النساء ضد الرجال؟ وما هي أسباب هذه الظاهرة المرضية الشاذة؟ وكيفية التخلص منها أو القضاء عليها؟

التفكير المضطرب

إن جرائم المرأة غالبًا ما تحدث إما نتيجة اضطراب في شخصيتها مثل الإصابة بمرض الانحراف السيكوباتي للشخصية والذي يتصف بالميول العدوانية ضد المجتمع، والرغبة في التخريب والإيذاء مع السعي وراء المكاسب الشخصية، وهذا ما أكده د.فريد عثمان، أستاذ الطب النفسي بالقاهرة، وقال: قد يكون عنف المرأة نتيجة لإحساسها بالضعف وفقدان الحنان، فهي تدافع بجريمتها عن كيانها ووجودها، وتحاول أن تثبت ذاتها وتنعم بشرفها وكرامتها، وقد تكون جرائم المرأة نتيجة لأمراض نفسية أخرى مثل حالات الفصام العقلي، حيث يحدث اضطراب في التفكير ومعتقدات خاطئة وهلوسات سمعية أو بصرية تأمرها بفعل الجريمة، وقد تكون نتيجة لمرض التخلف العقلي أو في حالات الهياج الحركي الشديد في بعض الأمراض الوجدانية مثل الهوس أو حالات الجنون.

وأضاف يقول: ليس بالضرورة أن تكون المرأة التي تقدم على الجريمة في حالة مرضية نفسية، فربما تكون سليمة وسوية من الناحية العقلية، وإنما يكون هناك دوافع اجتماعية وأسرية هي التي سببت حدوث الجريمة.

وجريمة المرأة عمومًا تأخذ الشكل المعنوي من حيث دوافعها، بمعنى أنها تكون بدافع الغيرة أو الشك أو الحب أو الحقد أو الحسد أو الخوف أو القلق.

ويؤكد د.فريد عثمان أن الدين له







فريد عثمان: ليس بالضرورة أن تكون المرأة التي تقدم على الجريمة في حالة مرضية نفسية

الجيوشي: العلاقة الزوجية في الإسلام ليست استرقاقاً بل شراكة بالمعروف

دوره البنّاء في علاج مثل هذه الحالات بالذات، فهو يدعو لتماسك الأسرة، ونشر الفضيلة، وبث روح العقيدة في نفوس الأفراد، وهو يؤكد على أهمية الترابط بين أفراد الأسرة ويحدد ضوابط العلاقة بين الزوجين، ومن ثم معدل الجريمة عند الأسرة الملتزمة دينيًا يصبح أقل بكثير من غيرها، لأن الوازع الديني هو صمام الأمان لأي عمل شاذ فيه أذى للآخرين.

المظاهر الإجرامية

ومن جانبها، ترى د.عزة كريم، الأستاذ بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، أن المظاهر الإجرامية تتغير وتتقلب عند فقدان الوعي الديني، لأن الدين هو الوازع لعدم ارتكاب الجرائم أو الاعتداء على الحرمات، فالمؤمن لا يقتل ولا يسرق ولا يكذب ولا يزني، وعمومًا فمعظم ما نعانيه من جرائم وتهديد للقيم هو شيء طبيعي لبعدنا عن الدين.

وتؤكد د.عزة: أن الدين الإسلامي وضع العلاج لهذه الجرائم، والجرائم التي ترتكبها المرأة في حق نفسها وأسرتها أنواع وقد وضع الإسلام علاجا لكل حالة، فالزنا عالجه الإسلام بمثل حديث الرسول ﷺ «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء». (متفق عليه).

والدين الإسلامي يدعو المرأة إلى التحشم والبعد عن الإثارة والإفساد حيث قال تعالى: ﴿يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ (الأحزاب: ٥٩)، ولو كان هذا الوضع الإسلامي قائمًا والتزمت به المرأة لحفظت نفسها وحفظت أسرتها ولما أساءت إلى بيتها وزوجها.

وتؤكد أن تبنينا للنظم الغربية وتقليد المرأة لها جعلها تتمرد على مجتمعها الملتزم والمتدين وجعلنا نواجه العديد من المشكلات التي غالبًا ما نعجز عن حلها.

أزمة المجتمعات المعاصرة

أمّا علماء الدين فهم يرون أن تمرد المرأة وعصيانها وعنادها على الأسرة وزوجها يرجع في المقام الأول لقصور التربية الدينية داخل الأسرة، فلو أحسنا التربية السليمة للأبناء والبنات لما حدث ما يحدث الآن من جرائم.

فالدكتور عبدالمعطي بيومي، الأستاذ بجامعة الأزهر، يؤكد أن المجتمعات المعاصرة التي تخلت عن مواريث القيم والأخلاق والأعراف الحميدة تدفع الآن ضريبة التربية الخاطئة والثقافات المنحرفة المستوردة من الشرق والغرب، متجاهلين لتراثهم العربي والإسلامي الكفيل بضمان أمنهم واستقرارهم.

علاقة المودة والتراحم

هذا، ويشير د.محمد إبراهيم الجيوشي، العميد السابق لكلية الدعوة الإسلامية بالأزهر، إلى أن العلاقة الزوجية في الإسلام بين الرجل والمرأة ليست استرقاقًا، بل هي شراكة بالمعروف تختلط فيها المصالح ويندمج بها كل طرف مع الآخر وتلتقي رغباتهما في الحاضر والمستقبل وتأكيدًا لذلك قال تعالى: ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ (النساء: ١٩)، وتحت مدلول هذه الآية يندرج كل ما من شأنه أن يغرس المودة والتراحم بين الزوجين بحيث تكون الأسرة مستقرة ومطمئنة في كل شأن من شؤونها وقد حدد الإسلام بعض الواجبات تحديدًا واضحًا حيث حدد ما يتصل بالنفقة، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها﴾ (الطلاق: ٧).

والرجل ليس مكلفًا بالنفقة في كل ما تهوى المرأة وتشتهي حقًا كان أو باطلًا، وإنما يعطي بالضروريات للمأكل والملبس والمسكن وأيضا كالخادم أو السيارة وبعض النفقات التي تتناسب مع الوضع الاجتماعي الذي يقرره الشرع الحكيم من مراعاة لقدرة الزوج المادية.

تأسست سنة (٦٧٦هـ)

المكتبة الظاهرية في دمشق الشام



تركي محمد النصر

تعد المكتبات في الحضارة الإسلامية من أهم المؤسسات الثقافية التي عني بها المسلمون، وكان لها دور كبير في الحياة الثقافية والعلمية بين المسلمين، ولقد استوعب المسلمون الإنتاج المعرفي الذي قدمته الحضارات التي سادت قبلهم، وترجموا إلى اللغة العربية جزءاً كبيرًا من تراث الأمم من يونان وأقباط وهنود وغيرهم، وقد يصح القول إن الحضارة الإسلامية حضارة كتب ومكتبات. وقد أحب المسلمون الكتب حبًا ملك مشاعرهم، يقول الكاتب ول ديورانت في كتابه (قصة الحضارة): «لم يبلغ حب الكتب في بلد آخر من العالم- إلا في بلاد الصين في عهد منغ هوانغ - ما بلغه في بلاد الإسلام في القرون الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر».

تأسست أول مكتبة أكاديمية على يد خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وتطورت المكتبات وازدهرت في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) وبلغت ذروتها في القرن الرابع.

وبنيت في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد مكتبة بيت الحكمة التي كانت مركزًا مهمًا لترجمة الكتب التي جمعها المسلمون من خزائن الكتب في مختلف أرجاء العالم، واجتمع فيها عدد كبير من العلماء والباحثين كحنين بن إسحق، والخوارزمي، وسهل بن هارون، وسعيد بن هارون، وعرفت لاحقًا المكتبات العمومية وكان من أشهرها المكتبة الظاهرية في دمشق الشام.

تمهيد

في قلب المدينة العريقة دمشق القديمة وبالقرب من الجامع الأموي الكبير، وفي نهاية سوق البريد المتفرع من سوق الحميدية الشهير توجد المكتبة الظاهرية التي تعتبر أقدم مكتبة عامة في بلاد الشام حيث تأسس بناؤها قبل حوالي ٧٠٠ سنة، وقد ذاع صيت الظاهرية كثيرًا لأنها كانت تعتبر من أكبر المكتبات في العالم، وكذلك للدور الكبير الذي لعبته في تعريب العلوم، وللعدد الكبير من المخطوطات والكتب التي تحتويها هذه المكتبة الفريدة والتي استفاد منها آلاف الباحثين والعلماء من داخل سورية وخارجها. ومازالت الظاهرية حتى يومنا هذا تؤدي دورًا كبيرًا في تقديم الخدمات العلمية والثقافية لروادها من الباحثين وطلاب العلم الدارسين في الجامعات، وأصبحت أيضًا تشكل منارة علمية وسياحية وأثرية هامة حيث تتميز أبنيتها المعمارية الجميلة بروعة هندستها، حيث تضم المكتبة بناءين أثريين هما من الأوابد الأثرية والمعالم السياحية في دمشق ويعتبران نموذجين لطراز العمارة والهندسة البنائية في العهدين الأيوبي والمملوكي.

في سنة (٦٧٦ هـ) أمَر الملك «السعيد أبوالمعالي ناصر الدين محمد بركة خان» ابن الملك الظاهر بيبرس ببناء مدرسة «الظاهرية» لتكون مدرسةً للشافعية والحنفية ودارًا للحديث، وتُربةً لوالده، فابتاع دار أحمد بن الحسين العقيقي، وكانت قصرًا للأيوبيين يقعُ من دمشق في حيّ العمارة بين بابَي الفرَج والفراديس؛ تجاه المدرسة العادلية؛ بينهما طريقُ باب البريد المُفضي إلى الجامع الأموي، ولعلّهُ توخّى من ذلك أن يجعل هذين الصّرحين المتقابلَين مُنسجمَين كلّ الانسجام كوحدة عمرانية يكمل جمال الأول روعةَ الثاني، وقد أفلَح في مسعاه فالمدرستان نهضَتا مَنارًا للثقافة العربية والإسلامية، وربضَتا وجهًا لوجه بروعة وجلال تروعان كلّ ناظِر، لتكونان فيماً بعد المكتبة الظاهرية.

عمَارتها وافتتاحها

بدأت عمارة الظاهرية يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى سنة (٦٧٦هـ)، واستمرّ العملُ في بنائها حتى يوم الأربعاء الثالث عشر من صفر سنة (٦٧٧هـ)، وافتُتحت قبل إتمام بنائها وبُدئ التدريس فيها، حيث ألقى الدّرسَ الأولَ في الإيوان الشرقي الشيخ رشيد الفارقي مُدرِّس الشافعيّة، فيما ألقى مُدرِّس الحنَفية القاضي صدر الدين سليمان ابن أبي العز في الإيوان القبلي الدرس الأول أيضًا.

وتعتبر المكتبة الظاهرية من الأبنية التاريخية التي مازالت تحتفظ بالكثير من النقوش والكتابات على جدرانها وأبوابها، ولعل واجهتي الظاهرية من أجمل ما بنى المماليك، فهما مشيدتان بالأحجار المنحوتة وفي أعلاهما كوى



إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية





مستديرة تحيط بها زخارف هندسية.

أما المدخل الرئيسي فهو مبني بأحجار بيضاء وصفراء، وأما قاعة الضريح للظاهر بيبرس التي أقيمت حولها خزائن الكتب فهي مربعة الشكل وتكسو جدرانها زخارف مرمرية ملونة من الفسيفساء الزجاجية الرائعة.

محتوياتها

تضم المكتبة ثلاث قاعات:

١. قاعة الأمير مصطفى الشهابي.
٢. قاعة الشيخ طاهر الجزائري.
٣. قاعة خليل مردم.

أما قاعة «مردم» فهي خاصة بالباحثين والمؤلفين حيث توضع تحت تصرفهم كافة المراجع والمخطوطات والكتب القيمة لإنجاز أبحاثهم، فيما خصصت قاعتا الشهابي والجزائري للطلاب من المرحلة الإعدادية وحتى الجامعية، ويبلغ عدد رواد المكتبة في العام الواحد وسطيًا حوالي ٤٥ ألف طالب علم، وتبلغ عدد الكتب المُعارة في السنة الواحدة ٣٠ ألف كتاب، كما بلغ عدد الكتب الموجودة في المكتبة الظاهرية ٧٨ ألف كتاب وما يقرب من ٨٥ ألف مجلة مقسمة إلى أصول وفروع، أما قسم المخطوطات فقد بلغت محتوياته حوالي ١٣ ألف مخطوط قديم ونادر، وتضم المكتبة كذلك قسمًا خاصًا بالصحف والمجلات وأمهات الكتب والدوريات والمعاجم.

إذا ذُكرت المكتبة الظاهرية ذُكر العلامة المحدث الشيخ ناصر الدين الألباني

أما المبنى الثاني من المكتبة الظاهرية والمقابل للمدرسة الظاهرية حيث يفصل بينهما زقاق فقط هو المدرسة العادلية التي ظلت على مدى سبعة قرون ونصف تدرس اللغة العربية كما شهدت أحداثًا هامة، وقد قسمها الملك العادل إلى قسمين.. قسم الفقه، وقسم القراءات والعلوم العربية، وفي عهد نور الدين زنكي الملقب بالشهيد صارت مقرًا للعلماء والفقهاء، وفي عام ١٩٢٠ ميلادي تأسس فيها المجمع العلمي العربي وظل يشغل المدرسة حتى انتقاله لمقره الجديد قبل حوالي ربع قرن في حي المالكي بدمشق.

موارد الظاهرية

كان للمدرسة أوقافٌ كثيرة من القُرى والبساتين والعقارات التي مَكّنَ رَيعُها الوفير من تمويلها وتأمين احتياجاتها، وحاجات القائمين عليها، وطلبة العلم المُقيمين فيها، الذين كَفتهُم مؤونة العَيش، لِتستمرّ ردْحًا من الزمن مَثابةً للعلم وطُلّابه، وتتمكّن- بسبب رَيْع هذه الأوقاف- من تقديم صُنوف العلم والمعرفة لبضعة قرون امتدّت من أواخر القرن السابع إلى أواخر القرن الثالث عشر من الهجرة.

الظاهرية دار كتب

في أواخر القرن الثالث عشر للهجرة تضاءل شأنُ المدرسة الظاهرية بعدَ عزٍّ وبعْد صيت بسبب ضياع أوقافها ونقْصِ مَواردها، وساء حالها، وبخاصة بعد أن أقامت الحكومة التركية فيها مدرسةً ابتدائية رسمية، وكادت تلفظ أنفاسَها لولا أن سخر الله لها ثلة من العُلماء أعضاء الجمعية الخيرية التي ألّفها الوالي العثماني مدحت باشا، وأسنَدَ إليها أمْرَ العناية بالتعليم والمدارس في البلاد، إذ أشاروا عليه بجمْع كنوز المخطوطات الموقوفة على مدارسَ دمشق صَوْناً لها من الاختلاس والسرقة والضياع، فكَتَبَ بذلك إلى السلطان عبدالحميد، وحصل منه على مرسوم في شهر شباط من سنة ١٢٩٥هـ بجمْعِ المخطوطات في مكتبة عامة يكونُ مَقرُّها في تربة الملك الظاهر الكائنة ضمن المدرسة الظاهرية لِمتانتها ولياقتها لتلك الغاية.

مرحلة الجَمْع

في العام ١٢٩٥هـ، ١٨٧٧م، وبإذن من والي الشام مدحت باشا، شمّر مفتش

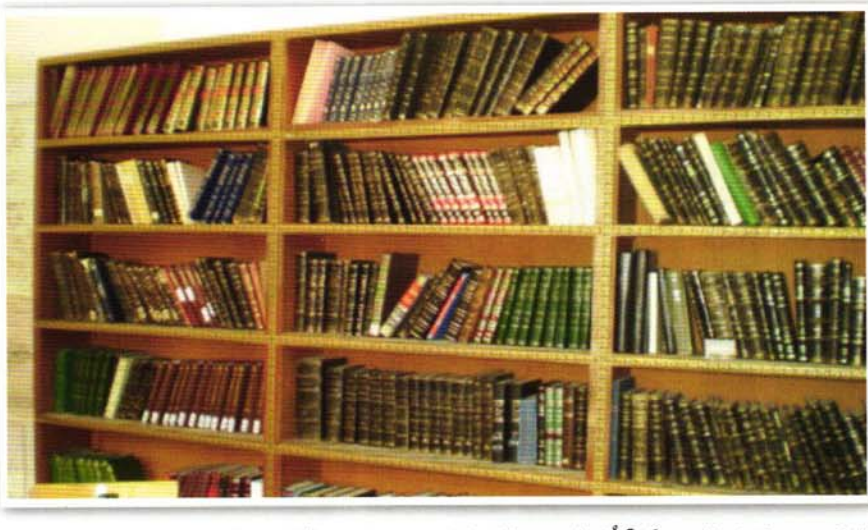
التعليم العام في دمشق الشيخ طاهر الجزائري وصَحْبهُ عن ساعد الجِدّ وانطلقوا إلى مكتبات دمشق يجمعون ما فيها، ولقي الشيخ طاهر وصحبه ما لقوا ممن استحلّوا أكل الكتب والأوقاف، وتحمّلوا منهم مقاومةً شديدة حتى هدّدوا الشيخ بالقتل إن لم يرجع عن قصْده فما زادوهُ إلا مَضاءً، وجمع وصحبه نفائس الكتُب المخطوطة والمطبوعة من تراثنا العربي والإسلامي من عشر مكتبات أساسية ومما زُوّدت به المكتبة من المؤسسات الرسمية، ومن العلماء الخيّرين الغيورين. وأُحصيَت المخطوطات والكتب وصُنِّفت وفُهرِسَت، ووضعَت في خزائن قُبة الملك الظاهر حول الضّريحَين، وتحوّلت إلى مكتبة عامة سُمّيت بـ«المكتبة العمومية»، وفتَحَت أبوابها للمُطالعين سنة ١٨٨١م؛ وأينَعت في دوحتها ثمار العِلم والمعرفة.

وظلّت الظاهرية مثابةً للعلم وطُلّابه؛ تؤدّي رسالتها العلمية والثقافية وظلّ ينبوعها الفيّاض على رُوّادها بالعلم والعطاء والمعرفة، ورفَدَت مكتبةَ الأسد الوطنية- حين تأسّست- بجميع مخطوطاتها، وبالكثير الجمّ من عيون كتُبها ودورياتها، فنقصتَ خزائنها، وشحّت مواردُها.

ترميم المكتبة الظاهرية

قيّض الله للمكتبة الظاهرية في الآونة الأخيرة مَن يُحْيي عمارتها، وبدأت فيها أوسع وأدق عملية ترميم، لإعادة مبناها إلى أصول عمارته التراثيّة الأولى. وبدأت أعمالُ التدعيم والترميم فيها في التاسع عشر من نيسان من عام ٢٠٠٧م.

هذا وقد وضَعت إدارة المكتبة خطةً شاملةً لإحياء المكتبة الظاهرية، وتحقيق الغايات المأمولة منها على الوجْه الأمثل، والارتقاء بمديريّاتها ووسائلها وأجهزتها وأنظمة تصنيف وفهرسة كتُبها؛ بما يتلاءم مع رُقيّ الطراز المعماري الرفيع



الذي سيؤول إليه صَرْحُها بعد الفراغ من ترميمه، والخطة التي رُسمت لإعداد المكتبة كالتالي:

١. إدخال جميع عناوين الكتُب التي لم تُدخَل بعدُ إلى الحاسوب مع تفاصيل نشْرها.

٢. تدقيق جميع العناوين المُدخَلة سابقًا، وبيان مدى مطابقتها للبيانات المدوّنة في سجّلات التزويد.

٣. استلال الكتُب الأجنبية من مستودعات الكتب العربية، وإحالتها على مواضعها وأرقامها في سجلات الكتب الأجنبية، وإيداعها مستودعات خاصة بها حسب اللغات المُصنّفة فيها؛ تمهيدًا لفَهرستها وتصنيفها من اللجان المُختصّة.

٤. السّعي الحثيث لتزويد المكتبة الظاهرية بما تفتقر إليه من الكتب والمراجع في مختلف فنون التراث العربي والإسلامي، وبالكتب الصادرة حديثًا في مختلف العلوم وبخاصة علوم العصر.

٥. إعادة فهرسة وتصنيف الكتب حسب نظام ديوي العشري المُعدّل؛ لعدم ملائمة التصنيف القديم المعمول به فيها، وذلك بالتعاون والتنسيق مع مكتبة الأسد الوطنية، واستغرق هذا المشروع الضخم البالغ الأهمية قرابة سنة كاملة بعد أن حُشِدَ له العدد المناسب من المؤهّلين أو من ذوي الاختصاص.

٦. فرْز الكتب النادرة في المكتبة الظاهرية عن سائر الكتب، وتجهيزها لإيداعها مستودعًا تتوافر فيه جميع الشروط الفنية اللازمة لحِفْظها وصيانتها.

علماء في الظاهرية

من العلماء الذين يذكرون إذا ذُكرت الظاهرية العلامة المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ت: ١٩٩٩م، أحد أعلام دمشق حيث أمضى فترة من الزمن في المكتبة الظاهرية وهو يقوم بفهرسة كتب الحديث فيها، وألف كتابًا بعمله أسماه فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية، ويذكر الألباني في كتابه هذا أن ما دعاه إلى فعل ذلك هو البحث عن ورقة ضائعة من مخطوط لكتاب ذم الملاهي للحافظ ابن أبي الدنيا، حيث مر ودقق آلاف المخطوطات من أجل العثور عليها إلا أنه في النهاية لم يتمكن من ذلك.

المصادر

١- المكتبة الظاهرية.. صورة التاريخ في الحاضر، لسمير الزعبي.
٢- موقع الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني على الشبكة العنكبوتية.
٣- موقع وكالة الأنباء الكويتية (كونا).
٤- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

كيف تجذب الأصدقاء إليك؟

د. ناني علي كشك

● هل أنت لبق في حياتك؟

● الطريق إلى الحديث الجذاب.

يجد بعض الشباب مشكلة بسبب عدم انجذاب الآخرين لحديثهم أو عدم الاهتمام بمتابعة ما يقولونه- كما يجدون صعوبة في مناقشة مسألة مهمة أو تبادل الآراء المختلفة بصورة سلسلة وبلا خوف أو إحراج.

وهناك طرق عديدة وسهلة تساعدك على أن يكون كلامك حلوا وجذابًا تشد الآخرين إليك.

● اهتم بأن يكون لكلامك معنى لديك ولدى الآخرين وألا يكون مبهما أو موجهًا لصديق واحد دون الآخرين حتى لا يتضايق بقية الأصدقاء نتيجة عدم فهمهم.

● تجنب أن يكون حديثك دائمًا بلا هدف أو أن يكون بغرض تسلية الآخرين فقط لنيل رضاهم فهذه الطريقة تصرف الناس عن الاهتمام بحديثك أو متابعته.

● إذا وجدت أن أصدقاءك لا يهتمون بحديثك أو لا يعيرونك الانتباه الكافي فهذا يرجع لعدة أسباب منها أن يكون موضوع حديثك غير جذاب لهم أو لا يهمهم أو هو موضوع قديم ملوا الحديث فيه وضاقوا بمناقشته فأبحث أولا عن سبب انصراف الناس عن متابعتك.

● اهتم بأن يكون كلامك جادا وطريقتك جادة مادام الموضوع جادًا لا يحتمل الاستخفاف به فلا تقحم فيه بعض النكات أو التعليقات بدون مناسبة أو ظنا منك أن هذا الأسلوب يشد الآخرين ويفرحهم.

● لا تختلق قصصًا أو مغامرات لم تحدث لك لكي تشد بها إنصات وإعجاب الأصدقاء، إذ سينكشف سريعًا أن كلامك وقصصك غير حقيقية، وهنا سيصعب على اصدقائك الوثوق بكلامك مرة اخرى.

● تجنب أن تكون كلمة «أنا» هي أكثر الكلمات في حديثك فتكرارها يشير إلى الأنانية والانفصال عن الآخرين.

● لا تفرض رأيك على الآخرين إذا لم يقتنعوا به، ولا تدَّع معرفتك بكل الأمور أو بكل التفصيلات، ولا تطالب اصدقاءك ألا يصدقوا أحدا غيرك.

● الحديث الجذاب لا يعني أن تستحوذ على الجلسة كلها أو ألا تعطي فرصة لصوت آخر غيرك فإذا رغبت أن يستمع لك اصدقاؤك أو اخوتك فيجب عليك أن تستمع أنت أيضا لهم، وأن يكون الحديث مشتركًا بعيدًا عن العصبية أو التكلم بصوت عال للفت النظر.

● لا تقاطع من يتحدث لكي تعترض أو توافق على ما يقول وانتظر حتى ينتهي من كلامه لتعبر أنت عن رأيك.

● لا تستخف برأي الآخر أو تكذبه حتى لو كنت تعرف أنه غير صادق حتى لا تحرجه ويمكنك أن توضح الصورة الحقيقية بعد ذلك بطريقة لبقة ودون الاساءة لأحد.

● تجنب الدخول في مناقشات غير مجدية أو قد تسبب حدوث شقاق وحرج بينك وبين اصدقائك واحرص على احترام رأي الآخر حتى لو لم تقتنع به.

● لا تتحيز لصديق معين أو لكل ما يقوله على حساب الآخرين فتظل تمتدح في ارائه وفي طريقة تفكيره.. فهذا الأمر يجعل بقية الأصدقاء يتجنبون الحديث معك.

● لا تجرح مشاعر أحد حتى لو كنت تعرف أشياء أو أسرارا عن أحد الأصدقاء فلا تصرح بها لأحد وتجنب أن تجرح مشاعره وإذا شعرت بالالتزام أو بالواجب نحوه فليكن حديثك مع الصديق على حدة.

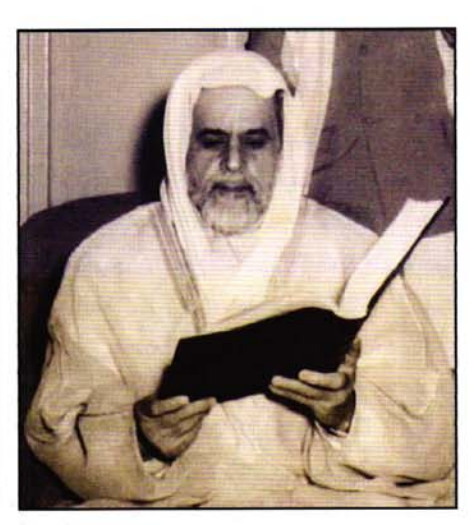
● كن لبقًا عندما يقاطعك أحد أو يختلف معك في الرأي فلا تحرج أو تصمت، بل قل إن هذا رأيه أما رأيك أنت فهو... وهكذا تتجنب حدوث صدام أو حدة في الكلام.

● إذا حدث واختلف صديقان في الرأى واحتدت مناقشتهما امامك فحاول تهدئة الجو بينهما باستخدام بعض التعليقات الخفيفة أو بمحاولة إنهاء هذه المناقشة ومحاولة لفت نظرهما لشيء آخر لصرفهما عن مناقشاتهما.

● إذا طلب منك اصدقاؤك إبداء رأيك في موضوع لا تعرفه أو تعرف أن رأيك قد يغضب الآخرين منك فلا تتحرج من إخبارهم انك لا تعرف أو أنك تفضل الاحتفاظ برأيك، ولا تتسرع بالادلاء بأي رأي إرضاء لهم.

● باحثة في التنمية البشرية

الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع «يرحمه الله»



يعتبر الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع، أحد كبار علماء منطقة الجزيرة العربية في القرن الرابع عشر الهجري، وممن ذاع صيتهم في المنطقة وكان لهم جهود مباركة في نشر العقيدة السلفية والفقه المبني على الدليل من الكتاب والسنة والإجماع، وبيان البدع والأخطاء وردّها. ارتحل الشيخ خلال طلبه للعلم إلى العديد من الدول العربية حيث درس على عدد كبير من كبار العلماء في تلك الفترة والذين أثّروا فيه كثيرًا. قام الشيخ بدور كبير في بداية التعليم النظامي الحديث في دولة قطر ويعتبر مؤسس أول مدرسة رسمية في قطر، وقد خرّجت العديد من رجالات الدولة الذين تقلدوا أرفع المناصب وخاصة في المحاكم الشرعية والشؤون الدينية وقد ترك الشيخ عددًا كبيرًا من المصنفات العلمية والتحقيقات والحواشي لكتب العقيدة السلفية والفقه الحنبلي.



اسمه ونسبه

هو العلامة الحافظ الفقيه الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن مانع الوهبي التميمي، ولد في عنيزة بنجد سنة ألف وثلاثمائة من الهجرة في بيت علم ودين وورع وتقوى حيث كان والده وجده من علماء عنيزة وقضاتها، أدخله والده في مدرسة تحفيظ القرآن عند بلوغه السابعة، وتوفي والده وهو صغير، استمر في حفظ القرآن بعد ذلك حتى ختمه، ثم شرع في قراءة مبادئ العلوم الشرعية على علماء بلدته. درس على يد كثير من العلماء في عنيزة منهم:

الشيخ عبدالله بن محمد بن دخيل.

الشيخ صالح العثمان القاضي.

الشيخ إبراهيم بن حمد الجاسر.

حيث درس عليهم العقيدة والفقه الحنبلي واللغة العربية.

رحلته في طلب العلم

سافر رحمه الله في طلب العلم إلى بريدة فدرس على علمائها كالشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، والشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، في الحديث والمصطلح والقرآن ثم سافر إلى بغداد حيث اتصل بالشيخ محمود شكري الآلوسي فقرأ عليه مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، وفي المعاني والبديع والبيان كألفية ابن مالك وشرح السيوطي، والعقيدة السفارينية، كما التقى بالشيخ علي بن السيد نعمان الآلوسي فقرأ عليه في النحو والصرف والفقه والفرائض والحساب، ثم رحل إلى الزبير ودرس على الشيخ محمد العوجان في الفقه الحنبلي والفرائض والحساب.

ثم سافر الشيخ إلى دمشق ولازم علامة الشام جمال الدين القاسمي، وسمع عليه صحيح البخاري، كما حضر عند الشيخ بدر الدين الحسني محدث الشام في الجامع الأموي، وحضر دروس علامة دمشق محمد بهجة البيطار.

حياته العملية

ترأس الشيخ نادي البحرين الذي أُنشئ للرد على الحملات التبشيرية التي انتشرت في تلك الفترة في أطراف الجزيرة العربية، وفي عام ١٩١٥م، طلبه حاكم قطر الشيخ عبدالله بن قاسم آل ثاني فولاه القضاء في قطر والتدريس والخطابة، فمضى في هذا العمل لمدة ثلاثة وعشرين عامًا ارتحل خلالها عدد كبير من الطلاب للدراسة عنده في المدرسة الأثرية من الدول المجاورة.

وفي عام ١٩٣٩م طلبه الملك عبدالعزيز آل سعود فولاه التدريس في المسجد الحرام، ثم عينه رئيسًا لثلاث هيئات، وهي هيئة تمييز الأحكام الشرعية، وهيئة الأمر بالمعروف وهيئة الوعظ والإرشاد. ثم في عام ١٩٤٥م صدر مرسوم ملكي بتعيينه مديرًا عامًا للمعارف وأسندت إليه رئاسة دار التوحيد، ثم عُين وكيلًا لوزارة المعارف، حتى عام ١٩٥٤م حيث عاد إلى قطر بطلب من حاكمها الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني الذي عينه مستشارًا للشؤون الدينية، حيث أشرف على تحقيق وطباعة الكثير من الكتب في سائر علوم الشريعة وكانت توزع بالمجان على أهل العلم.

دوره في تطوير التعليم في قطر

كان نظام التعليم في قطر يعتمد على الكتاتيب التي بلغ عددها في العام ١٩٠٨م عشرة كتاتيب، حيث يقوم شيخ الكتاب بتدريس أبناء القرية مبادئ القراءة

والكتابة والحساب والقرآن الكريم.

وفي العام ١٩١٣م أوكل الشيخ عبدالله بن قاسم آل ثاني حاكم قطر إلى الشيخ ابن مانع إنشاء أول مدرسة في الدوحة، وبالفعل فقد تم افتتاحها عام ١٩١٣م وأطلق عليها اسم: «المدرسة الأثرية»، وأحدثت هذه المدرسة نقلة كبيرة في المسار التعليمي في الخليج بشكل عام وفي قطر بشكل خاص، وكان منهجها الدراسي يتكون من المواد الشرعية والفقه واللغة والبلاغة والأدب، واستمرت هذه المدرسة لمدة خمسة وعشرين عامًا، أي حتى العام ١٩٣٨م، أي بعد أن انتقل الشيخ ابن مانع للعمل في السعودية كمستشار ديني للملك عبدالعزيز آل سعود.

وقد حظيت المدرسة الأثرية بالرعاية الكاملة من الشيخ عبدالله بن قاسم آل ثاني، وقد كانت المدرسة تشجع الطلاب على البحث والدراسة من خلال طريقة حل المشكلات، في مجال علوم الدين أو اللغة ويطلب منهم البحث عنها في الكتب والمراجع فيبدأ الطلاب بجمع المعلومات ثم يقوم الشيخ بطرح ما جمع من المعلومات وعرضها للمناقشة والتحليل والتعليق حتى يصل مع طلابه إلى معرفة أطراف المشكلة وطريقة حلها، بهذه الطريقة تخرج على يديه طلبة مؤهلون للتدريس من بعده وكان يدربهم كذلك على إلقاء خطب الجمعة والدروس، كما حرص على توفير المراجع والكتب المهمة لطلابه بتكوين مكتبة في المدرسة احتوت على عدد كبير من الكتب جمعها أو اشتراها من المتبرعين وأهل الخير.

كان للشيخ ابن مانع دور كبير في السماح للنساء بالتعلم في قطر، حيث إن افتتاح أول مدرسة للبنات في قطر لقي معارضة من معظم العائلات القطرية التي رفضت السماح لبناتها بالذهاب للمدرسة للتعلم، فأصدر الشيخ ابن مانع فتوى موجهة للشيخ علي بن عبدالله آل ثاني حاكم قطر يؤيد فيها تعليم البنات وأن هذا لا يتعارض مع تعاليم الدين الإسلامي.

آثاره العلمية

للشيخ رحمه الله العديد من المؤلفات والتحقيقات والتعليقات والحواشي على كتب العقيدة والفقه ومازال بعضها مخطوطًا، ومن أهم الكتب التي قام الشيخ بتأليفها:

«إقامة الدليل والبرهان بتحريم الإجارة على قراءة القرآن، تحقيق النظر في أخبار المهدي المنتظر، إرشاد الطلاب إلى فضيلة العلم والعمل والآداب، سبيل الهدى شرح شواهد قطر الندى، الكواكب الدرية شرح الدرة المضية في عقيدة أهل الفرقة المرضية، جامع المناسك الثلاثة الحنبلية، مختصر عنوان المجد في تاريخ نجد، القول السديد فيما يجب لله على العبيد، وله العديد من الحواشي على كتب العلم منها حاشيته المشهورة على كتاب دليل الطالب لنيل المطالب في الفقه الحنبلي، وتعليقه على رسائل الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، وحاشيته على العقيدة الطحاوية، وحاشية على رسالة المذهب الأحمد في مهذب الإمام أحمد، وحاشية على عمدة الفقه لابن قدامة المقدسي» وغيرها كثير.

تلاميذه

درّس الشيخ خلال تنقله في دول المنطقة عددًا كبيرًا من الطلاب الذين لازموه سواءً في بلده عنيزة أو في البحرين أو بعد ذلك في قطر، ومن أبرز تلامذته:

الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، علّامة القصيم وصاحب التفسير المعروف، والشيخ عثمان بن صالح القاضي، والشيخ عبدالله بن عمر بن دهيش، والشيخ عبدالله بن زيد المحمود رحمه الله، رئيس محاكم قطر، والشيخ عبدالله بن إبراهيم الأنصاري رحمه الله تلميذه ابن عقيل مدير الشؤون الدينية في قطر، والشيخ عبدالعزيز بن حسن بن عبدالله آل الشيخ الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف في المملكة العربية السعودية، وغيرهم كثير من أهل العلم والصلاح.

مرضه ووفاته

أصيب الشيخ رحمه الله بمرض «البروتستاتا» بعد أن جاوز عمره الرابعة والثمانين، فسافر إلى بيروت لإجراء عملية جراحية وقد توفي عقب العملية بالمستشفى يوم الخميس ١٤ رجب ١٣٨٥هـ الموافق ٧ نوفمبر ١٩٦٥م، وقد صلي على جثمانه في بيروت، ثم نقل إلى الدوحة حيث صلّي عليه بجامع الشيوخ يوم السبت وقد صلى عليه جمع غفير من قطر والسعودية على رأسهم حاكم قطر وولي عهده، ودفن في المقبرة الشرقية بالدوحة، كما صلّي عليه في الحرمين الشريفين بالسعودية.

ترك الشيخ ثلاثة أبناء ذكور، أكبرهم «عبدالعزيز» الذي تتلمذ على يد والده وهو فقيه ومؤرخ كان يحب جمع المخطوطات، وعمل مديرًا لمكتب وزير المعارف في المملكة العربية السعودية ثم رجع إلى قطر مع والده. و«عبدالرحمن» وهو فقيه شغل منصب مدير كلية الشريعة بمكة وكان يؤم المصلين في الجامع الكبير في الدوحة، وابنه «أحمد» وهو باحث له اهتمام بالمخطوطات النادرة عمل كمستشار ثقافي في السفارة السعودية بالقاهرة ويقيم في المملكة العربية السعودية.

رحم الله الشيخ رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

المصادر

١. الأعلام لخير الدين الزركلي.

٢. موقع ويكيبيديا (الموسوعة الحرة) على الشبكة العنكبوتية.

جراحات الأطفال وخصوصياتها

د. ناصر أحمد سنة*

لجراحة الأطفال Pediatric Surgery خصوصيات متعددة، فجراحاتهم تختلف ندرة، ونوعًا، وأسبابًا، وأعراضًا، وتشخيصاً، وعناية، وتجهيزًا، وتخديرًا وتدخلاً، ومتابعة، وتعاملاً مع الأطفال علي اختلاف جنسهم (ذكورًا أم إناثًا)، وأعمارهم (خُدَّجًا، وحديثي ولادة، ورضعًا، وصغارًا، ويافعين... الخ)، ومع ذويهم في آن معًا.

إجمالًا، من أكثر جراحات الأطفال شيوعًا: الفتوق بأنواعها، والخصية المُعلقة، والتشوهات الخلقية والشذوذات الولادية، ومشاكل الجهاز الهضمي، والجهاز البولي التناسلي.

وتفصيلًا، من مشكلات وجراحات الأطفال التخصصية: الشفة الارنبية المفردة والمزدوجة، والشق الخلقي المكتمل للحلق، ووجود كيس مخاطي أسفل اللسان، وضيق المريء، والانسداد الخلقي المعدي والمعوي لحديثي الولادة (اقل من شهر) وللرضع، وانسداد القناة المرارية، وإصلاح جدار البطن المحدود، وانسداد فتحة الشرج، أو السقوط والناصور الشرجي، واستئصال الغدة النكفية، أو الدرقية، أو أكياس ليمفاوية بالرقبة، أو الطحال، أو المرارة ، أو القولون والمستقيم ، أو لحمية شرجية، أو كيس جلدي، أو تورم دموي، ورم بالأمعاء، ناصور سرى (معوي أو بولي)، عمل فتحة قولونية، فتق بالحجاب الحاجز، ناصور القصبة الهوائية، توسيع لفتحة مجرى البول، استكمال جدار المثانة برقعة معوية، الانسداد الخلقي للكلى والحالب، استئصال ورم بالكلى أو الغدة فوق الكلى، استئصال جزئي للكبد، واستكشاف البطن، واستكشاف الأعضاء التناسلية لمرضى التخنث... الخ.

الفتق السري

يُلاحظ، بعد الولادة، وجود كيس (يختلف حجمًا) يكبر مع بكاء الطفل، ويصغر تلقائيا، وغالبا ما يختفي بدون جراحة، وقد ينتج فيما بعد بسبب التهاب مكان السرة، يجب مراجعة الطبيب في اقرب وقت، أو فورًا، إذا استمر الطفل في البكاء مع حدوث قيء، وتضخم في هذا الكيس..

الخصية المعلقة

في المرحلة الجنينية تتكون الخصيتان داخل تجويف بطن الجنين، ثم تنزلان في رحلة أثناء النمو ليخرجا من الفتحة (القناة الإربية Inguinal canal) إلى كيس الصفن Scrotum، وهو الموضع الطبيعي للخصيتين. ولهذه المرحلة مشكلات خلقية منها: أن تبقى الخصية في موضع ما دون الطبيعي، فتنتج مشكلة الخصية المُعلقة (نسبة حدوثها عالميا ما بين ١,٥ -٨٪)، وقد ترتبط بمشكلات أخرى، وغالبا ما يكون معها فتق، ويجب التدخل الجراحي قبل مرور عامين من عمر الطفل، وذلك للمحافظة على وظيفتها، وعدم ضمورها في مكانها غير الطبيعي وتعرضها لتكوين أورام خبيثة مستقبلاً.

الفتق الإربي

في رحلة النمو تلك.. قد ينزلق جزء صغير أو كبير من المساريقا، فيكون كيسًا



إربيًا (يمثل حدوثه نحو ٤٪ في المواليد)، يظهر عند الولادة عند منطقة العانة، ويجب إصلاحه في أقرب فرصة، وخاصة في حالة عدم ارتجاعه (اختناقه)، وقد يبقى هذا الكيس كامنا وينتج عنه فتاق اربي في عمر ما خصوصًا مع حدوث ضغط متمثل في: كحة شديدة، حزق شديد من إمساك أو بكاء، أو حمل أشياء ثقيلة.

القلية المائية

تتشابه مع حالات الفتق الإربي، فقد يتكون كيس الفتق ولكن ينغلق الجزء الداخلي منه، بينما يبقى جزء حول الخصية في كيس الصفن تتجمع فيه بعض السوائل المتسربة من تجويف البطن ويجب مراجعة الطبيب.

التشوهات الخلقية

هي إصابة الجنين (نحو ٣٪ من الأطفال يولدون بتشوه خلقي) بخلل شكلي ظاهري أو وظيفي لعضو ما أو خلل شكلي ووظيفي معًا. وهي تقسم إلى نوعين أحدهما مهدد للحياة، والآخر غير مهدد للحياة، وتعود أسباب التشوهات الخلقية إلى اضطرابات وخلل

* باحث أكاديمي

جيني وراثي، وعوامل بيئية (فيزيائية: وبيولوجية، وكيميائية: هرمونية وغير هرمونية) وأخري غير معروفة حتى الآن.
ومن أبرز التشوهات الخلقية: التوائم الملتصقة، وعمليات تصحيح التضاعف، وتشوه خرطوم الفيل الذي يصيب المثانة بالانشقاق، وكذلك الأعضاء التناسلية والشرج وتصبح كلها كتلة واحدة يجب فصلها وإعادتها لمكانها الطبيعي، وعمليات تصحيح الجنس، وتشوهات الأعضاء التناسلية الخثوية أو الذكرية أو الأنثوية. عمليات غياب جدار البطن وانفتاق الأحشاء الداخلية خارج البطن في إشكالها المتعددة.

كيف تشخص التشوهات الخلقية قبل الولادة؟

تشخص بالفحص السريري، وبالأشعة فوق الصوتية والمقطعية، والرنين المغناطيسي، وبذل السائل الامينوسي، وفحص دم وبول الجنين، ودم الأم (فحص دم الأم الحامل في بداية الثلث المتوسط للحمل يساعد بالكشف عن متلازمة داون واضطراب الصبغات الأخرى).

الطهور الملائكي

هناك أطفال يولدون دون الحاجة إلى ختان (طهور)، وهو ما يسمى مجازًا «الطهور الملائكي». ففي الغالب يولد الأطفال مع تشوه معين في العضو التناسلي Hypospadius، فلا يوجد ما يتم ختانه من جلد زائد. كما أن هناك تشوهًا في فتحة البول التي لا تكون في مكانها الطبيعي (في الطرف الأقصى من العضو الذكري) بل تكون إلى الأسفل منه. مما يتطلب إجراء عملية تقويم جراحي لدى مختصين.

اللسان المربوط

يكون الرباط تحت اللسان قصيرًا مما يقيد حركته فيسبب صعوبة في الرضاعة، وصعوبة أخري في النطق والكلام فيما بعد، فهذا الرباط يمنع الأطفال من نطق أحرف معينة. وفي هذه الحالات يُفضل إجراء تصليح عبر قص الغشاء المربوط باللسان، ويتم في سن مبكرة (٦-١٢ شهرًا)، وقبل أن يبدأ الولد بالنطق.

من أكثر جراحات الأطفال شيوعاً الفتوق بأنواعها والتشوهات الخلقية

موية الرأس

تجمع السائل السحائي داخل الدماغ مما يؤدي إلى زيادة في حجم الرأس، وعادة يصاحب هذه المشكلة مرض الشوكة المشقوقة.

الشوكة المشقوقة

عيب ولادي.. يحدث نتيجة لعدم اكتمال نمو الأنبوب العصبي مما يؤدي لعدم تخلق الفقرات العظمية ويؤدي ذلك إلى وجود كيس سحائي بظهر الطفل.. يحتوي على نخاع شوكي مشوه، ويؤدي ذلك إلى ولادة طفل يعاني من شلل الاطراف السفلى وتشوهًا بالإضافة إلى عدم المقدرة على التحكم في التبول والتبرز. ويحدث هذا العيب نتيجة لنقص فيتامين «فولك اسيد Folic AcidA» لدى الحوامل. ويوجد هذا الفيتامين بكثرة في الخضروات والفواكه والكبد وهي أغذية غير متوافرة لمعظم الأمهات الحوامل في الريف.

الأورام والأكياس

توجد أنواع من الأورام والأكياس يمكن تشخيصها قبل الولادة منها: الورم العجائي العجزي، الكتل الرقبية، الكسية العصبية بالظهر، العنق الجابي، الورم الرئوي، فقر جدار البطن، الاحتباس البولي الجنيني، وبعض تشوهات جهاز الرحم، وأكياس المبايض.

تخصصات وجراحات دقيقة ومتقدمة في الأطفال

ثمة تخصصات وجراحات دقيقة ومتقدمة في المخ والأعصاب وجراحة المناظير والمسالك البولية للأطفال، فضلًا عن التدخل الجراحي بالمنظار في حالات: الخصية المهاجرة غير المحسوسة بالبطن، واستئصال الزائدة الدودية الملتهبة، حالات رفع المرارة الصفراوية المصابة بتكون الحصوات، واستكشاف البطن رفع الأجزاء المصابة من الأمعاء، واخذ عينات من الأورام وترقيع الفتحة الفؤادية للمعدة وغيرها.

كما أن هناك بعض الجراحات للأجنة داخل الرحم، وتجرى للأمراض التي يتوقع شفاؤها إذا عولجت أثناء هذه الفترة، من هذه المشاكل: المكتسبة النخاعية السحائية، وانسداد عنق المثانة البولية، وبعض الأمراض الرئوية والمناعية.

في الختام ينصح دومًا بالابتعاد عن عوامل مولدات التشوه كالأشعة والمواد الكيماوية والحذر من تناول الأدوية (بالشق الأول من الحمل) إضافة إلى:

- الوقاية من الأمراض الفيروسية التي تسبب تشوهات، وتناول اللقاحات الخاصة بها.
- الاستشارة الجينية (الصبغية) قبل الحمل على الأقل.
- التقيد ببرنامج متابعة الحمل.
- وجوب إجراء الجراحة للأطفال حديثي الولادة في مراكز متقدمة وعلى أيدي جراحين متمرسين في جراحة الأطفال .
- تنفيذ برنامج المساعدة للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة.
- بالنسبة للسمنة لدى الأطفال ثمة برامج متكاملة خاصة بهم، مع استمرار برامج التوعية المجتمعية بخطورتها.



فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

٥/٣٨ع/٨٩ اختلاط الذكر بالرقص والترنم

فتوى رقم «١٧١٤»

١- ما حكم النقود التي تقدم إلى قبور بعض الصالحين عبارة عن نذور وما حكم القيام على جمعها وحيازتها وأكلها؟

٢- ما حكم ما يسمى بالذكر وهو عبارة عن ضرب الدفوف والترنم بها قاصدين التقرب لله بذلك؟

■ أجابت اللجنة بما يلي:

هذه كلها بدع منكرة ولا تجوز شرعًا، وقد جاء الإسلام لتحرير العقول من هذه البدع والخرافات، وما أكل من المال عن طريقها فهو سحت محرم. والله أعلم.

١/١٣ع/٨٩ المسح على الجوربين بدون بلل اليدين

فتوى رقم «١٧٢٦»

من عادتي حين الوضوء أن أمسح على جوربي وتكون يدي «ناشفة» أي لا أبلها بالماء، ومضى وقت طويل وأنا أصنع ذلك. فما الحكم في ذلك؟ وما أصنع فيما مضى من الصلوات؟

■ أجابت اللجنة بما يلي:

لم يصح وضوء السائل الذي كان حينما يتوضأ يمسح على جوربيه ويداه «ناشفتان»، وعليه أن يقضي الصلوات التي أداها بذلك الوضوء الناقص، ويجتهد في تقدير عدد تلك الصلوات بما يغلب على ظنه براءة ذمته به. والله أعلم.

١/٥٣ع/٨٩ المسح على الجبيرة في الوضوء

فتوى رقم «١٧٢٧»

ما كيفية غسل الرِّجْل المجبّرة أو التي عليها جبس في الوضوء أو الغسل أو غير ذلك؟ وما الحكم إذا وضعت الجبيرة على أحد أعضاء الوضوء ومسح عليها، هل يعيد الصلاة إذا أزيلت الجبيرة أم لا؟

■ أجابت اللجنة بما يلي:

إذا كان على أحد أعضاء الوضوء أو الغسل جبيرة بسبب كسر أو جرح يجوز المسح على الجبيرة مادام غسل العضو يسبب ضررا، ومن مسح على الجبيرة في وضوء أو غسل أو تيمم وصلى ثم برئ فلا إعادة عليه.

٥/٢٥ح/٨٤ حق الورثة في صندوق الضمان الاجتماعي

فتوى رقم «٣٧٣»

توفي والدي، رحمه الله، وكان مشتركًا في صندوق الضمان الاجتماعي في إحدى الوزارات، ولديه زوجة وتسعة أولاد، وأوصى بصرف الضمان الاجتماعي لزوجته وأولاده القصر وهم من الورثة الشرعيين.

الرجاء- جزاكم الله خيرًا- إفادتنا في كيفية صرف قيمة الضمان.

■ أجابت اللجنة بما يلي:

أولا: إن هذه وصية لبعض الورثة دون البعض.

ثانيا: إن هذه وصية بمعدوم، ذلك أن الوصي لم يكن مالكًا حين الوصية لما أوصى به. وبالنسبة للأول فإن الإنسان إذا أوصى لوارثه فلم يجزها باقي الورثة لم تصح، لا خلاف بين العلماء، وإن أجازها باقي الورثة فهي صحيحة نافذة، وإن أجازها بعضهم دون البعض نفذت في نصيب من أجازها.

وبالنسبة لكون الموصى به لم يكن موجودًا وقت الوصية فلا يمنع ذلك من صحة الوصية، فإن الوصية بالمعدوم جائزة، فإنه يُملَك، فلم يعتبر وجوده وقت الوصية، ولأن الوصية أجريت مجرى الميراث، ولو مات إنسان وتجدد له مال بعد موته ورثه ورثته، ولذلك قضي بثبوت الإرث في ديته وهي تتجدد بعد موته، فجائز أن تملك الوصية المعدومة حين الإيصاء، وإن أجاز باقي الورثة الوصية نفذت





وقسمت على الزوجة والأولاد بالتساوي، لأن الموصي جعلها بينهم بلا تفاضل، والشركة تقتضي المساواة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

٤/٤٥ع/٨٤ انتقال المال المشبوه إلى الوارث

فتوى رقم «٣٧٤»

توفي والدي وترك لنا إرثًا، علمًا بأنه كان يشتغل في الصيرفة، ثم مديرًا لبنك ربوي، ثم في وظائف الحكومة، ثم بعد ذلك رجع إلى العمل في البنك، ثم استقال وعمل أعمالا حرة، وكان لديه عمارة يستفيد من إيجارها، ولديه ودائع في البنوك الربوية، هل هذه التركة يحق لنا أخذها؟ علمًا بأنها تدخل فيها أموال الربا.

■ أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز للورثة أن يأخذوا ما آل إليهم من أموال المورِّث بقطع النظر عن موارد تلك الأموال، لأن الإثم على من كسبها من وجوه غير شرعية، وأما الورثة فقد أخذوها بسبب شرعي وهو الميراث، والقاعدة الشرعية: «إن تبدل سبب الملك كتبدل العين»

٤/٢٩ع/٨٩ دفع الزكاة للأولاد الفقراء

فتوى رقم «١٧٥٠»

ترك والدي مبلغًا من المال احتفظت به طول حياتي (قبل زواجي وبعده) وأخبرت عنه زوجي حينها، وهذا المال وضعته مع شقيق لي بعد وفاة زوجي لكي يستثمره لي ومر الآن عليه حول.

١) هل يجوز دفع زكاة هذا المال لأولادي علمًا أني تأتيني تبرعات وزكاة من غيري؟

٢) هل يجوز أخذ فائدة (ربا) من المصرف على هذا المال وإنفاقها على أولادي للضرورة كالطبابة والأدوية والكهرباء وغيرها؟

٣) فتحت المحكمة في البنك دفتر توفير لأولادي والبنك يسجل لي فائدة.. فهل يجوز أخذها؟

■ وأجابت اللجنة بما يلي:

لا يجوز للمزكي دفع زكاة أمواله لأصله ولا لفرعه وهم أولاده وأولاد أولادهــم، كما لا يجوز إنفاق فائدة أموال الأم على أولادها بل تصرفها على غيرهم من الفقراء أو في وجوه الخير عدا المساجد وطبع المصاحف.

٣/٣٠ع/٨٩ زكاة المال المدخر لشراء بيت

فتوى رقم «١٧٥١»

والدي عنده بيت مضت عليه فترة ثم باع البيت وفي عزمه أن يشتري بيتاً آخر، ولكن غلاء الأسعار حال دون شراء البيت الجديد وبقيت أموال البيت الأول حتى حال عليها الحول.. فهل تجب الزكاة فيها أم لا؟ وهل يجوز صرف الزكاة إلى أقربائه أو أبناء المستحقين للزكاة أم لا؟

■ أجابت اللجنة بما يلي:

إن الزكاة واجبة في الأموال التي حصل عليها ثمنًا للبيت والمعدة لشراء بيت آخر إذا حال عليها الحول، ويجوز صرف الزكاة إلى أقاربه إن كانوا مستحقين بأن كانوا من الأصناف الثمانية المذكورين في قول الله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾، ولا يجوز صرف الزكاة إلى أصول المزكي كأبيه وأمه وجده وجدته ولا إلى فروعه وهم أولاده وأولادهم. والله أعلم.

٢/٤١ع/٨٩ بيوع / تخصيص جوائز لزيادة المبيع

فتوى رقم «١٨٠٤»

من الأساليب المتبعة لترويج البضائع في السوق أو لزيادة حجم المبيعات تخصيص جوائز عينية أو نقدية على قدر معين من المشتريات تحدده الشركة المعلنة.

إننا في شركتنا لدينا النية في انتهاج هذا الأسلوب وسنذكر لكم مثلا على ذلك: كل من يشتري كرتونًا من بضاعتنا يحصل على هدية بقيمة ١٤٠.١٠٠ فلسًا؛ فهل هذا جائز شرعًا؟

■ أجابت اللجنة ما يلي:

يجوز تخصيص جوائز عينية أو نقدية لمن يشتري قدرًا معينًا من السلع يحدده البائع المعلن عن الجائزة لأن هذا من قبيل التنازل عن جزء من الثمن. والله أعلم.

٣/٤٥ع/٨٩ بيوع/ بيع وشراء شعر الآدمي

فتوى رقم «١٨٠٥»

نود الإفادة بأن لدينا مصنعًا لنسج الشعر، ويستخدم إنتاجه في عمل بيوت الشعر والمادة الخام المستعملة هي خليط من الشعر الحيواني الطبيعي وخيوط صناعية شبيهة بالشعر وهذا الخليط يشكل بحدود ٩٥٪ من المادة الخام يضاف إليها ٥٪ من الشعر الآدمي لتكسب الخليط ليونة وتساعد على الغزل والحياكة الآلية بشكل أفضل حسب رأي الفنيين في المصنع بالإضافة إلى توفره بسعر أرخص، ومعروض علينا حاليًا كمية كبيرة من هذا الشعر الآدمي لاستخدامه في هذه الصناعة، وقد رأينا قبل البت في هذا العرض أن نتوجه إليكم بهذا السؤال: هل يحل استعمال الشعر الآدمي لهذا الغرض على الوجه المبين آنفًا؟

■ أجابت اللجنة بما يلي:

لا يجوز بيع أو شراء شعر الآدمي وذلك لكرامته، والبيع يشعر بالابتذال والإهانة.





إعداد: خالد خلاوي

المبادرة طريق للتميز

إذا طرأت على بالك فكرة فيها خير لك ولدينك ولوطنك فسارع أولاً إلى تسجيلها على الورق، ثم لا تجعلها تتوقف عند حدود الأوراق التي كتبتها عليها، بل بادر إلى تفعيلها وتحويلها إلى نتائج، فكثير من الإنجازات والأعمال العظيمة للأمم والحضارات كانت مبادرات إيجابية فردية.

والمبادرة تعني المسارعة إلى كل خير، جاء في لسان العرب: «المسارعة إلى الشيء المبادرة إليه»، وهي من صفات المؤمنين التي أمرهم بها الله سبحانه وتعالى في قوله ﴿...فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ...﴾ (البقرة: ١٤٨) وقال الله تعالى ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (المؤمنون:٦١).

ومن معاني المبادرة الانتقال من مشاهدة الحدث إلى المشاركة في صنعه، دون الاستسلام للعوائق والقيود مهما كانت، وعدم إلقاء اللوم على الظروف والملابسات لتبرير التخلي عن اتخاذ موقف إيجابي تجاه ما يحدث.

يقول خبير التنمية البشرية براين ترايسي «لا توجد حدود لما يمكنك إنجازه بحياتك، سوى العوائق التي تفرضها على عقلك».

ويقول الشيخ محمد الغزالي- رحمه الله: الرجل المقبل على الدنيا بعزيمة وبصر لا تخضعه الظروف المحيطة به مهما ساءت، ولا تصرّفه وفق هواها.. إنه هو الذي يستفيد منها، ويحتفظ بخصائصه أمامها، كبذور الأزهار التي تُطمَر تحت أكوام السبخ، ثم هي تشق الطريق إلى أعلى مستقبلة ضوء الشمس برائحتها المنعشة!! لقد حوّلت الحمأ المسنون والماء الكَدِر إلى لون بهيج وعطر فوّاح.. كذلك الإنسان إذا ملك نفسه وملك وقته، واحتفظ بحرية الحركة لقاء ما يواجه من شؤون كريهة، إنه يقدر على فعل الكثير دون انتظار أمداد خارجية تَساعده على ما يريد.. إنه بقواه الكامنة، وملكاته المدفونة فيه، والفرص المحدودة أو التافهة المتاحة له يستطيع أن يبني حياته من جديد» أ.هـ

وفي هذا المعنى أيضًا يقول جلال الدين الرومي «الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يتمكن من العمل حتى بخلاف طبيعته وضد غريزته.. فلا يمكن أن تشاهد حيوانًا يصوم في النهار.. الإنسان هو الوحيد الذي يتمكن أن يتمرد على الصورة التي خُلق عليها وحتى احتياجاته المعنوية وغرائزه الجسدية.. فالإرادة هي من أعظم خصائص الإنسان».

وصاحب المبادرة يحرص على سرعة أداء النافع من الأعمال، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «بادروا بالأعمال سبعًا، هل تنظرون إلا فقرًا منسيا، أو غنى مطغيا، أو مرضًا مفسدا، أو هرمًا مفندا، أو موتًا مجهزا، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر» (رواه الترمذي).

وكان الحسن البصري رضي الله عنه يقول في موعظته «المبادرة عباد الله، المبادرة فإنما هي الأنفاس لو قد حبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تقربون بها إلى الله عز وجل، رحم الله امرأ نظر لنفسه وبكى على ذنوبه»، ثم يقرأ هذه الآية ﴿إنما نعد لهم عدًا﴾، ثم يبكي ويقول: «آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخولك في قبرك».

و كان صحابة الرسول ﷺ من السباقين المبادرين، وتروي كتب السير والتراجم عنهم مئات المواقف في هذا المجال، ومنها على سبيل المثال مبادرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى الدعوة إلى الإسلام فور إسلامه، ومبادرته المستمرة إلى الأعمال الصالحة، وكان عمر رضي الله عنه ينافسه في ذلك ولا يسبقه، وكان يقول: والله ما سابقته إلى خير قط إلا سبقني.

ومن مواقف المبادرة الشهيرة التي صارت مثلًا من الأمثال موقف عكاشة بن محصن رضي الله عنه عندما بادر يطلب من رسول الله ﷺ أن يكون من أهل الجنة الذين يدخلونها بغير حساب، فقد جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ «عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل، والرجلان، والنبي ليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى عليه السلام وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا، يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض، فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام، ولم يشركوا بالله، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: «ما الذي تخوضون فيه؟» فأخبروه.

فقال: «هم الذين لا يرقون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون».

فقام عكاشة بن محصن فقال:



ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «أنت منهم».

ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «سبقك بها عكاشة» (رواه مسلم).

ومن المبادرات الشجاعة لصحابة رسول الله ﷺ ما صنعه البراء بن مالك عندما تحصن أصحاب مسيلمة الكذاب في حديقة لها سور عال، ووقف المسلمون أمام الحديقة يفكرون في حيلة يقتحمون بها الحصن، فإذا بالبراء بن مالك، يقول: يا معشر المسلمين، ألقوني إليهم، فاحتمله المسلمون وألقوه في الحديقة، فقاتلهم حتى فتحها على المسلمين، ودخل المسلمون الحديقة.

صور من حياة المتميزين

«دلني على السوق»

كان عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه من السابقين الأولين في الإسلام، وكان أحد العشرة الذين بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة ، وتميزت حياته بالإيجابية والمبادرة إلى كل ما فيه خير للإسلام والمسلمين، فمنذ الساعات الأولى لإسلامه، رأى تعذيب المشركين للمسلمين، وكانوا قبل الإسلام أعزة، فبادر عبدالرحمن بن عوف في نفر من الصحابة إلى النبي ﷺ يقولون له: يا رسول الله، إنا كنا في عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة، فقال: «إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا»، قال عبدالرحمن: فلما حولنا الله إلى المدينة أمرنا بالقتال فكفوا، فأنزل الله عز وجل ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ...﴾.

وبعد الهجرة إلى المدينة المنورة آخى رسول الله ﷺ بين عبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، فقال سعد لعبدالرحمن: أخي أنا أكثر أهل المدينة مالاً، فانظر شطر مالي فخذه، وتحتي امرأتان، فانظر أيتهما أعجب لك حتى أطلّقها وتتزوجها، فقال عبدالرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دُلّني على السوق، وخرج إلى السوق فاشترى وباع وربح.

ومن مبادرات عبدالرحمن بن عوف ما كان بينه وبين بقية أصحاب الشورى، الذين استخلفهم عمر رضي الله عنه ليختاروا من بينهم خليفة المسلمين، فقد روي أن عبدالرحمن بن عوف قال لأصحاب الشورى: هل لكم أن أختار لكم وأنتقي منها، قال علي رضي الله عنه: أنا أول من رضي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنت أمين في أهل السماء وأمين في أهل الأرض».

كلمات في التميز

المبادرة

المبادرة إلى الطاعات من علامات التوفيق.

«علي بن سهل»

الفرق بين الأشخاص الذين ينتهجون أسلوب المبادرة وأولئك الذين لا يسلكون نفس المسلك هو بالضبط كالفرق بين الليل والنهار.

«ستيفن كوفي»

إذا استطعت ألا يسبقك أحد فافعل.

«وهيب بن الورد»

كن دائمًا الإصدار الأول من نفسك، و لا تكن الإصدار الثاني من أحد آخر.

«جودي جارلاند»

لا تنتظر أن تسنح لك الفرصة غير العادية، بل انتهز الفرص العادية واجعلها عظيمة.

«بيل كوسبي»

لا تنصح على شرط القبول، ولا تشفع على شرط الإجابة، ولا تهب على شرط الإثابة، ولكن على سبيل استعمال الفضل، وتأدية ما عليك من النصيحة والشفاعة وبذل المعروف.

«ابن حزم الأندلسي»

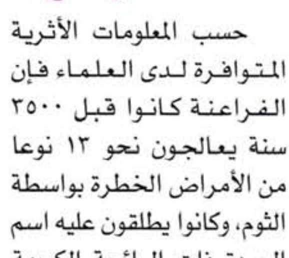
إعداد: هالة محمد

البحر الأبيض المتوسط في حالة نزاع!

أظهرت دراسة، نشرت نتائجها في باريس، أن الثروة الحيوانية والنباتية في البحر الأبيض المتوسط هي من الأغنى في العالم، لكنها كذلك الأكثر عرضة للتهديد، مشددة على تراجع المواطن الطبيعية ومواطن الصيد المكثفة وازدياد عدد الأجناس المضرة خاصة الناجمة عن الاحترار المناخي.

وجاء في التقرير أن تأثير النشاطات البشرية أكثر نسبيا في البحر المتوسط منه في بحار العالم الأخرى؛ وتفسير ذلك يعود إلى تاريخ هذا البحر فهو منطقة مأهولة منذ آلاف السنين وهو بحر شبه مغلق، فالثدييات البحرية مثل الحيتان والدلافين دفعت الثمن غاليا، فيما اختفت عمليا منه بعض الأجناس الشهيرة مثل فقمة المتوسط.

الثوم يعالج عشرات الأمراض الخطرة



حسب المعلومات الأثرية المتوافرة لدى العلماء فإن الفراعنة كانوا قبل ٣٥٠٠ سنة يعالجون نحو ١٣ نوعا من الأمراض الخطرة بواسطة الثوم، وكانوا يطلقون عليه اسم الوردة ذات الرائحة الكريهة،

وقد أثبت العلماء خلال السنوات القليلة الماضية أن الثوم يحتوي على مواد فعالة ضد السرطان وأمراض القلب والشرايين، ويمنع تكاثر الفيروسات والبكتريا الضارة، ويساعد في إحراق الشحوم، وانطلاقا من كل هذه الخصائص التي يحتوي عليها الثوم قام العلماء أخيرا بإنتاج دواء خاص مقتبس من الوصفة التي كان قد أعدها أطباء التبت في القرن الثالث عشر والتي تعتمد أيضا على مواصفات ومعلومات علمية حديثة ومتكاملة.

زيت الشاي لعلاج سرطان الجلد



كشفت دراسة استرالية حديثة أن زيت شجرة الشاي قد يستخدم كعلاج آمن وفعال لعلاج أكثر سرطانات الجلد شيوعًا وهو سرطان الجلد غير العتامي، وأثبتت الدراسات التي قام بها باحثون من جامعة وستيون في استراليا أن صبغة خاصة من زيت شجرة الشاي توقف أورام الجلد من النمو، وأن هذا العلاج قد يعد فتحا علميا في مكافحة سرطان الجلد، ويأمل العلماء أن تؤدي هذه الدراسة لتطوير كريمات ومراهم مفيدة في معالجة سرطان الجلد.

أضواء قطبية وانفجار نجمي



رصد فلكيون ألمان أضواء قطبية أخيرا؛ وذلك للمرة الأولى منذ عام ٢٠٠٥، وذلك حسبما ذكر الفليكون في مجموعة «ميتيور» في هامبورج.

وأشار العلماء إلى أن انفجارا حدث في الشمس مما أدى إلى ظهور هذه الأضواء من خلال تأثيرات متبادلة مع المجال المغناطيسي للأرض، حسبما ذكر أولريش ريز من مجموعة الباحثين في «ميتيور».

ومن ضمن ما رصده الفلكيون في الجهة الشمالية من السماء قوس يضيء باللون الأخضر وأشعة مائلة للبياض، وقام الباحثون بتصوير هذا القوس وهذه الأشعة.

كما نجح فلكيون لأول مرة في متابعة انفجار نجمي هائل وتصويره بشكل ثلاثي الأبعاد.

وذكر المرصد الأوروبي أن المادة الناتجة عن انفجار نجم «سوبرنوفا ١٩٨٧ ايه»، المعروف بالمستعر الأعظم تتحرك بسرعة مائة مليون كم/الساعة خارج النجم، وأن هذه السرعة تعادل عُشر سرعة الضوء. ورغم هذه السرعة الهائلة فإن مادة النجم المنفجر تحتاج لعشر سنوات للوصول إلى حلقة الغاز والأتربة المحيطة بالنجم، تلك الحلقة التي يعود أصلها أيضا للنجم نفسه حسب المرصد.

ذاكرة كمبيوتر تعمل كالدماغ

ينشغل عديد من المختبرات في العالم لمعرفة كيفية عمل ذاكرة الكمبيوتر، وفي السياق، تنتهي مختبرات شركة هيولت باكرد من إصدار جديد من ذاكرة الكمبيوتر، من شأنها أن تجعل الأجهزة أسرع بشكل كبير، وأكثر كفاءة في استخدام الطاقة.

ويطلق على التكنولوجيا الجديدة ميمريستر (memristor)، وهي مصممة لتعمل بشكل أشبه بأدمغة البشر وبعيدا عن الأسلوب التقليدي الإلكتروني، ومفاتيح الإطفاء والتشغيل التي تحكم عمل ذاكرة الكمبيوتر الآن، و«ميمريستر» لها خصائص مشابهة جدا لنقاط الاشتباك العصبي في الدماغ، وفقا لما يقوله الباحث في مختبرات شركة «اتش بي» ستان وليامز، والتي تعمل على هذه التقنية منذ عام ١٩٩٨م.

وخلافًا لذاكرة الكمبيوتر التقليدية، والتي تخزن البيانات على شرائح يمكن تشغيلها وإطفاؤها، فإن التكنولوجيا الجديدة ستعمل على المستوى الذري، فبينما تتحرك الإلكترونيات عبر شريحة «ميمريستر» المصنوعة من ثاني أكسيد التيتانيوم، تدفع الذرات بشكل طفيف لا يتجاوز أحيانا الناتومتر، وتلك الدفعات الطفيفة تسجل أي تغيير في البيانات، ويصفها وليامز بأنها «نوع من التحول على المستوى الذري».

وتزعم الشركة أن التكنولوجيا الجديدة أسرع بنحو ١٠٠مرة من القدرة التخزينية لذاكرة الفلاش، وتستخدم نحو عشر الطاقة فقط، ويقول وليامز: إن بعض الأجهزة، مثل مشغلات mb٣، قد تحتاج للشحن مرة واحدة في حياتها فقط، ووفقا لـ«اتش بي» فإن «ميمريستر» قد يطرح إلى الأسواق في غضون ثلاث سنوات، إذا سارت الأمور بشكل جيد.

قمة النشاط الشمسي في عام ٢٠١٢م

العواصف الحرارية الحارقة هي تيارات من الجزيئات التي تطلقها الشمس إلى خارج نطاق محيطها، وتبلغ سرعتها ٤٥٠كم/الثانية، وهي سرعة هائلة وتدميرية، والرياح الشمسية تتكون من البروتونات والشحنات الكهربائية وأجزاء من أشعة «ألف»، التي تعتبر قريبة من كوكب الأرض، حيث تنخفض سرعتها بعد ذلك إلى ٣٠٠-٨٠٠ كم/الساعة.

ومن المعروف أن الكرة الأرضية تقوم بحماية نفسها من هجوم جزيئات الرياح الشمسية بواسطة قطبها المغناطيسي، ولكن جزءا من هذه الجزيئات يصل إلى فضائها، وفي أحسن الأحوال فإن هذه الحزم الشمسية تؤدي إلى تعطيل استقبال المرسلات الفضائية والأجهزة الحساسة واحتراق الأسلاك الكهربائية وانقطاع التيار الكهربائي، ويعتقد العلماء أن عام ٢٠١٢م سيشهد قمة النشاط الشمسي، ولكن العاصفة الشمسية من الممكن أن تحدث في أي وقت من الأوقات.



من هنا وهناك

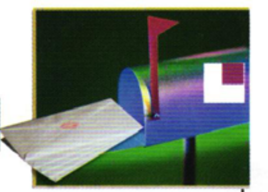
■ أكدت الحكومة الأميركية أن التغير المناخي حقيقة وليس أكذوبة كما تروج بعض المصادر، ويعتقد هؤلاء المشككون أن البيانات العلمية بشأن ظاهرة الاحتباس الحراري إما خاطئة أو تعمد أصحابها تزييفها.

■ تمكن علماء بريطانيون من اكتشاف تسعة جزيئات في أدمغة الصراصير كفيلة بقتل البكتريا، حيث استطاعت هذه الكائنات الحية التي تعيش في أوساط وسخة جدا من تطوير جزيئات فعاله جدا ضد البكتريا.

■ قال علماء وباحثون ايطاليون أن النظام الغذائي الذي اتبعه الإنسان البدائي في العصر الحجري كان يحتوي على الخبز وليس اللحوم فقط.

■ كشف باحثون أميركيون عن طريقة جديدة واعدة لإعادة برمجة خلايا جذعية بشرية بالغة قد تشكل بديلًا عن الخلايا الجنينية المثيرة للجدل لمعالجة العديد من الأمراض العضال، والطريقة الجديدة لا تتطلب تعديلات جينية خطرة وتوفر إمكانية علاجات مهمة.

■ بفضل قطعة مغناطيسية تنبعث منها ذبذبات مغناطيسية تتحول إلى ذبذبات كهربائية على مستوى منطقة معينة يمكن علاج حالة الاكتئاب التي يعاني منها بعض الأشخاص، هذه التقنية العلاجية لم تكن موجودة قبل عشر سنوات لكن الدراسات بشأنها تزايدت ما بين عامي ٢٠٠٣-٢٠٠٨م حيث نشر أكثر من ٤٠٠٠ بحث علمي بشأنها.



كيف نصحح إسلامنا؟

لابد من الاعتراف بأننا نحن المسلمين أخفقنا في الدعوة إلى ديننا وأننا لم نبلغ الإسلام بقيمه الرفيعة ومعانيه السامية إلى العالم، وأننا كنا أسوأ دعاية للإسلام وأسوأ صورة للمسلم.. وأننا برغم كنوز الطاقة والثراء الباذخ الذي أنعم علينا به الله عز وجل، فنحن ورثة أغنى منطقة في العالم بثرواتها الطبيعية، تخلفنا في العلم وفي الاقتصاد وفي السياسة ولم نتعلم من قرآننا كيف نتعامل مع الأعداء والخصوم.

هل كان هناك من هو ألد من الشيطان عداوة لله.. فماذا فعل معه رب العزة والجلال، حاوره وأجابه إلى طلبه حينما طلب الإمهال فأمهله يفعل ما يشاء.. بعد أن حذره من سوء العاقبة وسوء المآل.

وحينما أرسل رسوله موسى إلى فرعون وهو الجبار المتأله.. أرسله بآيات وكرامات ومعجزات ودعوة بالحسنى.. وقال لموسى وأخيه هارون ﴿فقولا له قولا ليِّنًا لعله يتذكر أو يخشى﴾ أمر صريح بالرفق والمعاملة بالحسنى لكافر متجبر متكبر.

هذا هو درس القرآن في الدعوة إلى الله.. إنها لاتكون إلا بالحسنى.

كيف حدث أننا أصبحنا أكثر الأمم أمية ونحن أمة أول ما أنزل عليها في كتابها: ﴿اقرأ﴾؟

والقرآن أمرنا بالسير والنظر في الكون والتفكر في سمواته وبحاره وأنهاره ونجومه وشموسه وكواكبه..﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾.

فكيف حدث أن أصبحنا أكثر الأمم جهلا بهذه الحقائق؟

لابد أن نعترف أننا نحمل إثم الإساءة إلى هذا الدين وتشويهه.. وإننا مطالبون بالتعرف على ديننا وقرآننا لنصحح مفاهيمنا التي اصابها الخلل.

محمد السيد عامر

إن في ذلك لعبرة

صحيح أن الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف أصبحت حلما.

وصحيح ان اليهود سيطروا دون الفلسطينيين الموجودين في أراضي ١٩٤٨ كما يريد السيد «أفيجدور ليبرمان».

وصحيحٌ أن اليهود يعربدون في أقدس مقدسات المسلمين دون رادع من أحد وصحيحٌ أن اليهود لم ولن يتنازلوا عن «حدودك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل».

وصحيح أن اليهود يراهنون على الزمن بالمفاوضات من أجل المفاوضات فقط.

ولكن.. ألا يكفي أننا التقطنا صورا تذكارية رائعة وجميلة مع قادة الشعب المدلل والمختار؟

وصدق الله العظيم

﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾

خالد شبيب

ضرورات الهجرة

بلغ الرسول ﷺ الرسالة لقومه بمكة المكرمة وحاول اقناعهم ولقد يسر لهم ولكن القوم عقولهم خربة ومبادئهم صدئة، قال تعالى ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء...﴾ فكانت الهجرة عن قوم قالوا لا نعبد إلا ما عبد الأجداد والآباء، واليوم في دنيا المسلمين الحاضرة يحاول المرء مع الآخرين ويرسل اليهم بالعقل والحوار فيأبى المسؤول أو الموظف إلا أن يلوذ بمبادئ الحجارة وكأنه

من للسنة النبوية الشريفة؟

نداء وبلاغ مقدم ومرفوع إلى:

■ السادة أولي الأمر: من حكام وعلماء وباحثين ودعاة

■ مؤسسات: علمية ودعوية وإعلامية تخصصية وعامة

■ أثرياء المسلمين

■ خاصة المسلمين وعامتهم

■ للاضطلاع بحماية الحديث الشريف سنة سيدنا رسول الله سيدنا محمد ﷺ من اعتداءات منكريه إنكاراً كليًا أو جزئيًا، ومن قليلي العلم متواضعي الفهم بسوء استدلال وخطأ استشهاد لمذهبية وطائفية وغيرها.

■ أدركوا مصدرا تشريعيا رئيسيا من مصادر التشريع الإسلامي، وسِجل حياة النبي الخاتم سيدنا محمد ﷺ وجزءًا من الوحي المعصوم ينبني عليه الدين الحق، ببذل الجهود لثقافة حديثية مؤثرة، تعليما وتأصيلا وتنظيرا، تهيئة وإعداد أجيال بدراسة مكثفة من صغر حتى كبر.

■ صح عن سيدنا رسول الله ﷺ قال: «نضَّر الله عبدًا سمع مقالتي فوعاها، فربَّ حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة المسلمين، ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحيط من ورائهم».

على استحياء والأمل في كل غيور محب لهدي سيدنا الحبيب سيدنا محمد ﷺ، ألا هل بلغت.. اللهم فاشهد، ويكون ذلك من خلال:

أولا: عمل دراسة تخصصية لمراحل إعدادية «متوسط» وثانوية «توجيهية» أو تسمي الأولى أولية والثانية تخصص.

■ يتبع ذلك إنشاء كلية جامعية تخصصية تمنح درجة عالية «بكالوريوس أو ليسانس» في «الحديث الشريف».

ويكفي بالنسبة لمصر عدد ستة معاهد تغطي المحافظات الكبرى، مثل: القاهرة،

الفهم كله وكأن ما عداه الهمل جله.

وهنا لا يملك صاحب العقل والحاجة إلا أن يهاجر داخل نفسه فينضوي ولاتقاد عقله ينزوي ويغلق عليه بابه، وإن كان عبقريا أو يكدح ذهنيا أو يلمع علميا هاجر للخارج وترك وراءه ديار الإسلام، والبعض الآخر يهاجر طلبا للرزق والمساواة والحرية بعيدا عن الاستبداد والحال القمعية.

عبدالله الحسين محمد

طنطا، المنصورة، الإسكندرية، أسيوط، البحر الأحمر، وما سلف تابع ومعتمد من الأزهر الشريف.

■ البديل في حالة رفض الأزهر إنشاء دار للحديث الشريف تابعة لـ«مؤسسة التآلف بين الناس الخيرية» WWW.TAALOF.COM دراسة حرة أهلية مدة ثلاث سنوات.

أ- تمهيدي «سنة».

ب- تخصص «سنتان».

وإذا كان الدارس يحمل شهادة الثانوية الأزهرية أو العامة فتعادل بدرجة كلية جامعية معتمدة.

ثانيا: أكاديمية «الحديث الشريف» وتشمل مركز الأبحاث الحديثية ومكتبة حديثية مقروءة ومسموعة ومرئية، وسجل بباحثي الحديث الشريف داخليا وخارجيا.

ثالثا: إطلاق قناة فضائية «المحدث» تعنى بعلوم الحديث الشريف وترد الشبهات.

رابعا: إعادة «مجلس السماع للمصنفات الحديثية المعتمدة» بالمساجد الكبيرة والمنتديات الحكومية والأهلية المعتمدة.

د. أحمد محمود كريمة

صورة من الأدب الرفيع

قال الحسن بن سعيد: «ما سمعت ولا وقفت على شيء أبدع من قول الجزار وقد تردد على جمال الدين بن يغمور رئيس الديار المصرية فلم يقدر له الاجتماع به قال:

أسأل الله أن يديم لك العز
ويبقيك ما أردت البقاء
كل يوم أرجو النعيم بلقياك
فألقى بالبعد عنك شقاء

فبعث إليه بما أصلح حاله، وكتب إلى ولاة الصعيد كتبًا أغنته مدة عن شكوى الزمان،

ولم أسمع في وضع الشيء موضعه أحسن من قول المتنبي:

وأصبح شعري منهما في مكانه
وفي عنق الحسناء يستحسن العقد

ولم أسمع في وضع الشيء في غير موضعه أحسن من قول أبي الفرج:

مر مدحي ضائعًا من لؤمه
كضياع السيف في كف الجبان

أقام الجزار بباب بن يغمور أيامًا، لم يؤذن له بالدخول فعافت نفسه الإقامة على الهوان الذي يلقاه الواقفون على الأبواب من ذوي الحاجة فآثر الانصراف لا مضمرًا حقدًا ولا حاملًا بغضًا ولا مرسلًا إلى الأمير عتبًا، وإنما انصرف انصراف الكريم وأرسل أبياتًا هي أرق وأعذب ما قال الشعراء في مثل هذه الحال فيها دعاء وفيها رجاء وفيها تلطف في التماس العذر.. أدب عال من الجزار وتجمل في السؤال وتلطف في الطلب أعجب به الأمير فوصله وأرضاه وأوصى به بما يريح النفس أن يقع صنيعها موقعه ويصادف موضعه وهذا ماعناه المتنبي في بيته ذاك، وأنكى ما يؤلم النفس أن يصادف المعروف منك غير أهله ويقع عند من لا يستحقه، كما في بيت أبي الفرج، وصدق زهير بن أبي سلمى:

ومن يجعل المعروف في غير أهله
يكن حمده ذمًا عليه ويندم

وهناك من يقول: أفعل الخير، لوجه الخير، صادف محله، أو لم يصادف، وقع موقعه أو لم يقع، وجزاء ذلك عند الله.

ازرع جميلًا ولو في غير موضعه
فلا يضيع جميل أينما زُرع

ومن أطيب من قيل في النصيحة قول الإمام الشافعي:

تغمدني بنصحك في انفراد
وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع
من التوبيخ لا أرضى استماعه
فإن خالفتني وعصيت أمري
فلا تجزع إذا لم تعط طاعة

محمد أحمد بدوي

إعداد: التحرير

شهر الله المحرم

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»

(رواه مسلم، وأحمد وغيرهما).

الإمام ابن كثير الدمشقي

لازم الحافظ المزي وتزوج بابنته، وسمع عليه أكثر تصانيفه، وأخذ عن الشيخ تقي الدين بن تيمية، فأكثر عنه. وقال ابن حبيب فيه: «إمام روى التسبيح والتهليل، وزعيم أرباب التأويل، سمع وجمع وصنف وأطرب الأسماع بالفتوى، وشنف وحدث وأفاد وطارت أوراق فتاويه إلى البلاد، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير، وهو القائل:

تمر بنا الأيَّام تترى وإنَّما

نساق إلى الآجال والعين تنظر

فلا عائد ذاك الشَّباب الذي مضى

ولا زائل هذا المشيب المكدَّر

(شذرات الذهب، لعبدالحي العكري الحنبلي)

بيت خال وإسناد عال

قال العلامة ابن كثير: «ولما كان الإسناد من خصائص هذه الأمة؛ وذلك أنه ليس لأمة من الأمم يمكنها أن تسند عن نبيها إسنادًا متصلًا غير هذه الأمة؛ ولهذا كان طلب الإسناد العالي مرغبًا فيه، كما قال الإمام أحمد بن حنبل: الإسناد العالي سنة عمن سلف. وقيل ليحيى بن معين في مرض موته: ما تشتهي؟ قال: بيت خال وإسناد عال؛ ولهذا دعت رغبات كثير من الأئمة النقاد والجهابذة الحفاظ إلى الرحلة إلى أقطار البلاد طلبا لعلو الإسناد، وإن كان قد منع من جواز الرحلة بعض الجهلة من العباد، فيما حكاه الرامهرمزي في كتابه الفاصل، ثم إن علو الإسناد أبعد من الخطأ والعلة من نزوله».

(اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير)

صلوات يستحب تخفيفها

بعض الصلوات يستحب تخفيفها، ومنها:

١. سنة الفجر، (المجموع شرح المهذب).

٢. سنة المغرب، (العدة شرح العمدة).

٣. تحية المسجد والإمام يخطب، (عمدة الطالب).

٤. ركعتا الطواف، (عمدة الطالب).

٥. صلاة الفرض إذا وجد ما يقتضي التخفيف.

(عمدة الطالب).

ابتسامة.. يعرف عزم الأمور

قال بخيل لغلامه: هات الطعام وأغلق الباب.

فقال الغلام: يا مولاي، هذا خطأ!

قال البخيل: ولِمَ؟

قال الخادم: قل: أغلِق الباب وهات الطعام.

فقال له البخيل: أنت حرٌّ لوجه الله تعالى لمعرفتِكَ بعزم الأمور.

(لطائف عربية)

المقادير تصيِّر العيّ خطيبًا

وُصفَ عند الحجاج رجلٌ بالجهل؛ وكانت له إليه حاجة، فقال في نفسه: لأَخْتَبِرنَّه! ثم قال له حين دخل عليه: أَعصاميٌّ أنت أم عِظاميٌّ (الذي يفتخر بآبائه الذين صاروا عظامًا)؟ فقال الرجل: عِصاميّ وعِظاميّ، فقال الحجاج: هذا أفضل النَّاس، فقضى حاجته وزاده، ومكث عنده مُدَّة.

ثم باحثه فوجده أجهل الناس، فقال له: تصدقني وإلا قتلتُك، قال له: قل ما بَدَا لك وأصدقك. قال: كيف أجبتني بما أجبت؟ قال الرجل: والله لم أعلم أعصاميٌّ خير أم عظاميٌّ! فخشيت أن أقول أحدهما فأخطىء فقلت: أقول كليهما، فإن ضَرَّني أحدهما نفعني الآخر؛ فقال الحجاج عند ذلك: المقادير تصيِّرُ العَيَّ خطيبًا.

(مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني)

إخلاصُ الأُخُوَّة ومُداهَنَتُها

«من حقيقة المؤاخاة بالله عزَّ وجلّ: إخلاصُ المَودَّة له بالغيب والشهادة، واستواءُ القلب مع اللسان، واعتدالُ السِّرِّ مع العلانية في الجماعة والخلوة، فإذا لم يختلف ذلك فهو إخلاص الأُخُوَّة، وإنْ اختلف ذلك ففيه مداهنةُ الأُخُوَّة».

وقال أبوالدرداء رضي الله عنه: «إذا تغيَّر أخوك وحالَ عَمَّا كان فلا تدعه لأجْل ذلك؛ فَإنَّ أَخَاكَ يَعْوَجُّ مَرَّة ويَسْتَقِيمَ أخرى».

(الوَعظ المطلوب للقاسمي)

أوَّل مَنْ منع الوأد في الجاهلية

صَعْصَعَة بن نَاجِية التميمي (جدُّ الفرزدق الشاعر الأموي)، مِنْ أشراف قومه في الجاهلية والإسلام، وأوَّل مَنْ قام في تميم بإنقاذ بناتهم من الوأد، ولمَّا ظهر الإسلام كان عنده مائة وأربع بنات أخذهنَّ من آبائهنَّ لئلا يُؤذَيْنَ. قال صعصعة: «إنَّ هذه مكرمة ما سبقني بها أحد من العرب»، فقال الفرزدق حفيدُه مفاخرًا:

وجدِّي الذي منع الوائدات
وأحيا الوئيد فلم يُوءَدِ

(الأعلام للزركلي. معجم الأوائل)

حُسْنُ المُعَاشرة

«مِنْ حُسن المعاشر أن تتوقَّر مِنْ غير كِبْر، وتتواضَع في غير ذِلَّة، وأَنْ تَلْقى الصَّدِيْقَ والعدوَّ بوجه الرِّضى مِنْ غير ذُلٍّ لهم ولا خَوف منْهُم، وتَتَحَفَّظ في مجالِسكَ مِنْ تَشْبِيْك أَصَابِعك، وإدْخَال أُصْبعكَ في أَنْفك، وكَثْرَة بُصَاقكَ، والتَّثاؤب، واصْغ إلى مَنْ حَدَّثَكَ، ولا تَسْأَلْهُ الإعَادَة، ولا تُحَدِّث بإعجابك بولَدك وجَاريَتك، ولا تتَصَنَّع بَصُنْع المَرْأَة في التَّزَيُّن، ولا تَتَبَذَّل تَبَذُّل العَبْد، وخَوِّف أَهلكَ مِنْ غَيْر عُنْف، ولِنْ لهُم مِنْ غَيْر ضَعْف، ولا تُهازِل أَمَتَك وعبْدَكَ فيَسْقُط وقَارك، ولا تُكْثر الالْتفاتَ إلى وَرَائك...».

(مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي، ت: ٧٤٢)

ما يجب على طالب العلم

ينبغي للعاقل أن يأخذ من كل علم طرفًا يهتم بالفقه، ثم ينظر في مقصود العلوم، وهو المعاملة لله سبحانه، والمعرفة به، والحب له. وليجتهد في مجالسة العلماء، والنظر في الأقوال المختلفة، وتحصيل الكتب، فلا يخلو كتاب من فائدة، وليجعل همته للحفظ، ولا ينظر ولا يكتب إلا وقت التعب من الحفظ. ولحيذر صحبة السلطان، ولينظر في منهاج الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، وليجتهد في رياضة نفسه و العمل بعلمه، ومن تولاه الحق وفقه.

(صيد الخاطر لابن الجوزي)

الاستغفار

■ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على دائكم ودوائكم؟ ألا إن داءكم الذنوب، ودواءكم الاستغفار» (رواه البيهقي).

■ عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب» (رواه أبو داود).

■ عن عبدالله بن بسر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا»

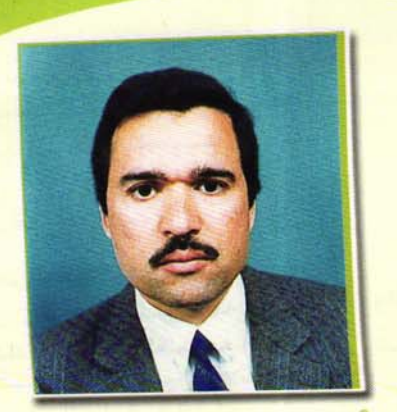
(رواه ابن ماجة).

وصية أبي بكر لسلمان عند الوفاة

أخرج الإمام أحمد في الزهد عن سلمان رضي الله عنه قال: أتيت أبابكر رضي الله عنه فقلت: اعهد إليَّ، فقال: يا سلمان اتق الله، واعلم أنه من صلى الصلوات الخمس فإنه يصبح في ذمة الله ويمسي في ذمة الله، فلا تقتلن أحدًا من أهل الله فتخفر الله في ذمته فيكبك الله في النار على وجهك.

(حياة الصحابة للكاندهلوي ٢/ ٢٥٠)

الزهد.. والعلاقة بين الدنيا والدين



إبراهيم نويري

مسألة العلاقة بين الدنيا والآخرة وضبط تفاصيل ما يتعلق بهما ضمن معادلة واحدة دقيقة على نحو يكفل ويحقق مصالح العيش والمعاد، هي قضية دقيقة وحساسة في الفكر الإسلامي، لارتباطها المؤكد بتقدم الأمة أو تخلفها، ازدهارها وانطلاقها، أو تراجعها ونكوصها القهقرى.

ولعله من المناسب قبل محاولة تسليط بعض الأضواء على هذه المعادلة في إطار الفكر الإسلامي الصحيح، بيان معنى الزهد في الدنيا .

فمن التفاصيل الجيدة التي وردت في هذا السياق أن الزهد على ثلاث درجات أو مراتب، فهناك زهد الخائفين وهو أن يكون المرغوب فيه هو النجاة من النار وعقاب الله في الآخرة، وهناك زهد الراجين ومعناه أن يزهد الزاهد رغبة ورجاءً في ثواب الله تعالى ونعيمه الذي أعده للمتقين في جنات النعيم، أما الدرجة الثالثة فهي زهد العارفين، ومؤداه ألا يكون للزاهد رغبة سوى في الله ولقائه ورضوانه والنظر إلى وجهه الكريم.

إذا كان المعنى المشترك والمستفاد من هذه المراتب هو الترفع عن الدنيا وغرورها، والتشوّف إلى الآخرة والتعلق بما أعدّه الله تعالى لعباده الصالحين في جنات النعيم وفي الحياة الأبدية المشفوعة برضوان الله.. هل يمكن أو يصحّ للمسلم أن يفهم أيضا أن الدنيا لا تعنيه لأنها ليست دار القرار؟

الحق أن هذا الفهم إنما هو لون من ألوان الانتحار، كما هو وسيلة من وسائل تخريب الدين وإفساد العمران.

يقول الشيخ الغزالي: «إن الدين يذكّر حيث يُظنّ النسيان، ويكرّر حيث يُظنّ الإهمال ، ويوقظ حيث تُظنّ الغفلة.. وليس يُفهم أبدا من الكلام عن الآخرة شلٌ الأيدي التي تعمل للدنيا، بيد أن المسلمين في عصور انهيارهم العقلي والخلقي، وهموا أن الاشتغال بالدنيا أمر منكر، فاضطربت في أيديهم مصالح الحياة، وتأدى بهم ذلك إلى شرٍّ لابدّ منه ، فضاعت من أيديهم مطالب الدين نفسه.

وظلت مضاعفات هذا الغباء تترادف حتى سقطت دولة الإسـلام، وأصبحت أرضـه كـلأً مباحاً للاستعمار الغربي واللصوصية الدولية» (الإسلام والمناهج الاشتراكية، ص ٦٤).

فهل هناك أمل في ألا تنطلي هذه السخافة العقلية مرة أخرى على الفكر الإسلامي الذي بات في صراع مرير مع الزمن، من أجل إنقاذ هذه الأمة، والعودة بها إلى موقع استئناف دورها الحضاري والإنساني الذي يليق برسالتها وبكونها أمة شاهدة على الناس؟

ينبغي أن يعي عامة المسلمين وخاصتهم، بأن الإسلام لم يجعل التمكين في الدنيا والاستخلاف في الأرض أمرا تافها أو نشاطا ثانويا، بل إن القاعدة العامة في هذه الحياة تقضي بألا يُرشّح للسيادة في الأرض إلا الصالحون، الجادون في إيصال الإنسان إلى مكانته الحقيقية ، واستشعار دوره العتيد في الاستخلاف والتعمير والإصلاح والبناء. وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة في قول الله تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون. إنّ في هذا لبلاغا لقوم عابدين﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

إن الإسلام النابع من الفطرة الصحيحة، المنبثق من الطبيعة السليمة، الذاهب مع مسارح الفكر اليقظ كلّ مذهب، المغتبط بنتاج العقل الرشيد أيما اغتباط، يعترض بشدة على الآراء والتصورات السلبية الهزيلة ، تلك التي تنخر العقيدة، وتوهي عرى الدين باسم الزهد في الدنيا، وفي مقابل ذلك يرحب ترحيبا حماسيا حارا بكلّ نظرة جادة يسعى صاحبها إلى الاستزادة من الخير واستثمار ما حباه الله به من مزايا و مواهب، بما يدعم مسار الإصلاح العام في الحياة والمجتمع.. لذلك لم يجعل الإسلام في تعاليمه كلها الإقبال على الدنيا دليل رقة في الدين أو ضعف في اليقين. بل إن الاستخلاف في الأرض لا يعني سوى إعمارها واستخراج خيراتها بما يُرضي الله ويُسعد الإنسان.

لابد أن تعرف الأجيال المسلمة الحاضرة والصاعدة بأن فقر اليد وعدم السبق في كلّ شؤون الدنيا معناه باختصار ودقة: إلحاق الهزيمة بالعقيدة الإسلامية وإحراج الإسلام، وجعل سياسات الأقوياء لا تدور إلا في فلك التآمر علينا وإذلالنا على كلّ صعيد.





وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
قطاع الشئون الثقافية

احرص على
اقتناء إصداراتنا

دراسات علمية
مقالات فكرية
حوارات حصرية



اشترك واحصل الآن على المجموعة الكاملة المصورة لمجلة «الوعي الإسلامي» بنظام P.D.F مجاناً

من أجل تأصيل فكري معتدل

منبر علمي وفكري وثقافي عريق يساهم في تنمية الوعي المجتمعي، ويعزز منطلقات الهوية العربية والإسلامية، ويؤصل القضايا الشرعية وفق منظور وسطي معتدل.

املأ قسيمة الإشتراك أو اتصل على ١٨٤٤٠٤٤

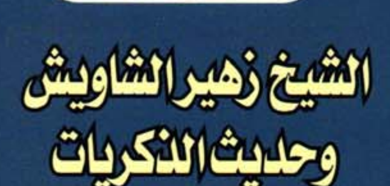
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ الكويت هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
البريد الإلكتروني: manager@alwaei.com - info@alwaei.com





AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

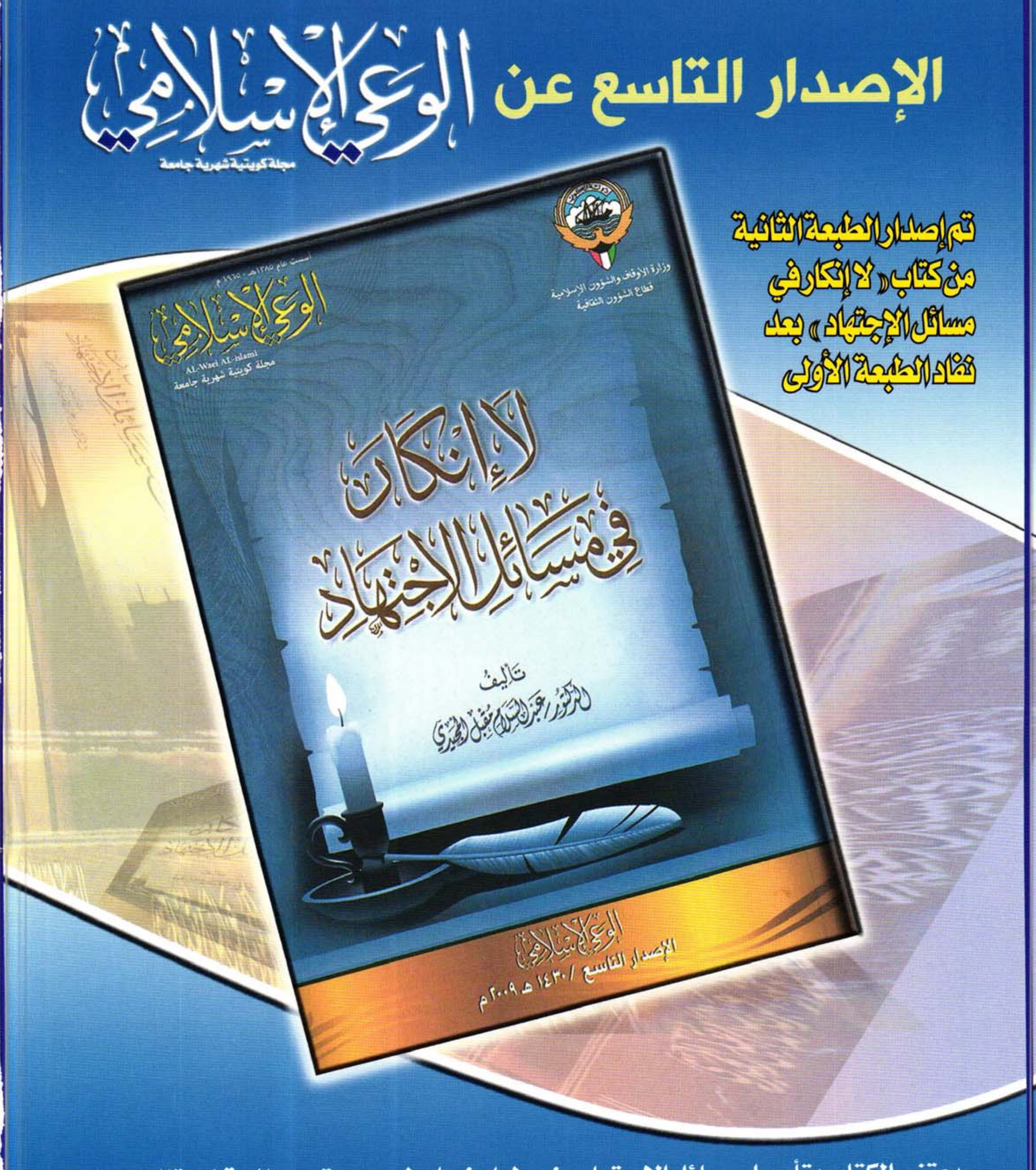


العدد (٥٤٦) صفر ١٤٣٢هـ - يناير ٢٠١١م

التاريخ الإسلامي بين الحقيقة والتزييف

فلسفة الحياة عندنا

الحفاظ على الثوابت الشرعية والاجتهاد في المتغيرات



يعتني الكتاب بتأصيل مسائل الاجتهاد وضبطها بضوابط سديدة ، ويعالج قضية الاختلاف مع الحرص على جمع الكلمة والبعد عن الفرقة وحرمة التطاول على أهل العلم .

الكتاب يؤكد أنه لا إنكار على من يسلك الاجتهاد ، والإنصاف خير الأوصاف في باب الاختلاف والرجوع إلى الاتفاق أولى من الافتراق.

الافتتاحية

الإنسان والتاريخ

إن علم التاريخ علم عظيم المقدار، شهدت بفضله الآيات والأخبار، واعتنى بنقله الأثبات والأخيار، وأنفقوا في ذلك نفائس الأعمار، يطلع به العاقل على ما مر من الأعصار، فيزيده من الكياسة والاستبصار، بما حدث للأمم الماضية من الحوادث التي فيها عظة واعتبار، وإن لكل زمان رجالاً، ولكل حلبة مضماراً ومجالاً، فغير بدع إن تشبهت بالأوائل، وتأسيت بذوي العلم والفضائل، على أن تأخر الزمان لا ينافي التقدم في الإحسان، فقد يتأخر الهاطل عن الرعد، والنائل عن الوعد، ولقد كان من فضل أولئك الرواة الأخيار، أن كشفوا عن الأمة كل غمة بما رووا من الأخبار، وجلوا غياهب كل ظلمة بنيرات الآثار، ولولا هذا العلم الجليل حقا لماتت الدول، ولم يصل إلينا من أخبار الماضين غير الأقل، شكر الله صنيعهم، وعمّر بواسع مغفرته جميعهم.

وإن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها، وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها أو ابتدعوها، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها، واقتفى تلك الآثار من بعدهم واتبعوها، وأدوها إلينا كما سمعوها، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها، ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها، فالتحقيق قليل، وفن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، وحتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا، فهو محتاج إلى مآخذ متعددة، ومعارف متنوعة، وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق، لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكم أصول العادة، وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، فربما لم يؤمن فيها من العثور، ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق، وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا، لم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار، فضلوا عن الحق، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط.

والهدف من هذا العلم، وقوف الإنسان على حقيقة نفسه، ليعرف طبيعته كإنسان، وما يستطيع أن يعمل أو يقدم لبني جنسه، للاستنارة بالماضي، لتجنب الأخطاء، والاستزادة من الصواب، لإصلاح الحاضر وبناء المستقبل، وثمرته الاتعاظ وكبح النفوس عن الاغترار بزهرة الدنيا والنظر بتقلب أحوالها..

في صورة الدهر ما أغني عن العبر
لذي فؤاد وذي فهم وذي نظر
وفي لياليه والأيام ناصحة
قد لقنت قلب مغترّ ومعتبر

ومنها ما يحصل للإنسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير إليه عواقبها، وأنه لا يحدث له أمر إلا وقد تقدم هو أو نظيره فيزداد عقلا، ويصبح لأن يقتدي به أهلاً، ولقد أحسن القائل: وجدت العقل عقلين، فمطبوع ومسموع، ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي



في هذا العدد



مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٤٦

العام الثامن والأربعون

صفر ١٤٣٢ هـ

يناير ٢٠١١ م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

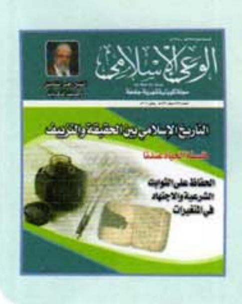
البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

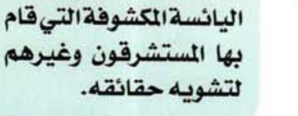
manager@alwaei.com



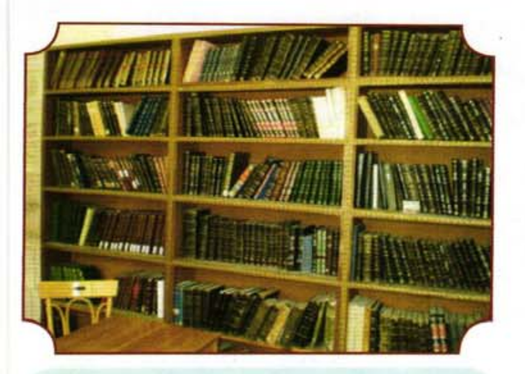
موضوع الغلاف



تاريخنا الإسلامي تاريخ ناصع البياض بني على أصول وقواعد ثابتة فهو لا يعرف التزييف على الرغم من المحاولات اليائسة المكشوفة التي قام بها المستشرقون وغيرهم لتشويه حقائقه.







التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان. الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١)

• اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر

• لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ٢٥/١٨٤

• سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات

• الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٠٠٩٦٢٦) ف ٤٦٣٥١٥٢

• مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦

• المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣١١ الدار البيضاء ت ٢٤٠١٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة

• مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع

• الإمارات العربية المتحدة ٢٦٦٥٣٩٤ - ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع - دار الأهرام

• المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف

• سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع

• قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.

• المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

•الكويت : ٥٠٠ فلس •السعودية : ٧ ريالات •البحرين : ٥٠٠ فلس •قطر : ٧ ريالات •الإمارات : ٧ دراهم •سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة •الأردن : دينار واحد •مصر : ٢ جنيه •السودان : ٥٠٠ جنيه •موريتانيا : ٢٠٠ أوقية •تونس : ٢ دينار •الجزائر : ١٠ دنانير •اليمن : ٧٠ ريالا •لبنان : ٢٠٠٠ ليرة •سورية : ٣٠ ليرة •المغرب : ١٠دراهم •ليبيا : دينار واحد •اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله •اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

المحتويات

كلمة العدد

مزيدًا من الاهتمام بثقافة الطفل

أولى الإسلام الطفولة اهتمامًا بالغًا، وقد عني القرآن الكريم في كثير من آياته بأمور تربية الأطفال وتنشئتهم على الأخلاق القويمة ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ (لقمان: 13)، كما ركزت كثير من أحاديث الرسول ﷺ على ضرورة الاهتمام بالأطفال وتربيتهم تربية إيمانية واعتبرتها مسؤولية «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...» (متفق عليه).

إن إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» التي أعطت تربية الطفل وثقافته جزءًا كبيرًا من اهتماماتها بإصدار مجلة «براعم الإيمان»، كما خصصت إصدارين من إصداراتها للأطفال، تقوم اليوم بنشر إصدارها الخامس عشر تحت عنوان «براعم الإيمان: نموذج رائد لصحافة الأطفال الإسلامية» للدكتور طارق البكري، و«الوعي الإسلامي» تدعو من خلال هذا الإصدار الذي يعد إضافة ومساهمة منها في رفد ثقافة الاطفال الى الاهتمام بإعلام الطفل وقضاياه وهذا ما نأمله من كتابنا في تواصلهم مع المجلة والله المستعان.

«الوعي الإسلامي»

الاشتراكات

- داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الشيخ العلامة محمد زهير الشاويش في حديث الذكريات لـ«الوعي الإسلامي»:

المكتب الإسلامي شارك فيه أكثر من عشرين عالماً أبرزهم الألباني والأرناؤوط والحتّاوي

حوار: التحرير

الشيخ العلامة محمد زهير الشاويش له باع طويل في حركة العلم والتعليم، ساهم على مدار ستة عقود في تكوين عشرات من الدور والمكتبات والمطابع، فضلا عن جهاده مع إخوانه في فلسطين.

كُلِّف الشيخ من وزارة المعارف في قطر بزيارة دولة الكويت، ثم البحرين، للبحث عما عندهم لإنشاء المعهد الشرعي في دولة قطر، فاجتمع مع علماء دول الخليج، واستفاد مما عندهم لتأسيس هذا المعهد.

«الوعي الاسلامي» التقت بالشيخ زهير الشاويش في دمشق لتفتح معه حديث الذكريات حول نشأته، وعلاقته بالكتب والمخطوطات، وعلاقته بالعلماء، وجهاده في فلسطين.. وإليكم نص الحوار:



■ نستهل معكم هذا الحوار بسؤالكم عن ولادتكم ونشأتكم الطيّبة؟

- ولدت في حي الميدان بدمشق، في الثامن من شهر ربيع الأول ١٣٤٤هـ، الموافق أيلول ١٩٢٥م، ونشأت في زقاق الموصلي، وألحقت بالمدرسة الأموية، وهي شبه كتّاب فيه صفين للشيخ محمد سعيد الحافظ (الحكيم)، المتعاطف مع شيخ الميدان يومها الشيخ محمد بهجة البيطار العالم السلفي، وكان الحافظ يطلعنا ونحن طلاب على بعض المجلات الإسلامية التي كان مشتركا فيها، ومنها:

١- «المنار» للشيخ رشيد رضا القلموني، وغيرها من مجلات مصر الإسلامية.

٢- ومجلتي «الفتح» و«الزهراء» للشيخ محب الدين الخطيب.

٣- مجلة «الإخوان المسلمون» التي كان يصدرها الأستاذ صالح العشماوي.

٤- مجلة «الهدي النبوي» التي كان يصدرها الشيخ حامد الفقي.

أعطاني الشيخ يوسف القناعي بعض مطبوعاته مما كان يدرسه هو ونصحني بأن يكون التعليم في قطر على منهج السلف

وكذلك بيانات الثورة التي كانت تصدر بصحف دمشق، وأصلها من الحاج أمين الحسيني.

ثم يأخذنا، نحن الطلاب الكبار، لزيارة الشيخ محمد بهجة البيطار، وتلميذه الشيخ سعدي ياسين، وتلميذه الشيخ مسلم الغنيمي.

وكان هؤلاء جميعًا يزورون والدي، وعلى الأخص عند عودته من سفره من مصر، ويأخذون ما يحضر معه من كتب، وبذلك زاد تعلقي بهم في دمشق، وعلى الأخص الشيخ سعدي ياسين الصباغ في بيروت.

أقول هذا وقد تجاوزت السادسة والثمانين سنة من عمري، ومازلت محتاجًا إلى آثار ومعلومات وتعليم، فإن المرء ينبغي عليه أن يستمر في التعليم حتى يأتيه اليقين وهو الموت، جعلنا الله على أحسن ما يحب بفضله وكرمه.

■ كيف كانت بدايتكم العلمية.. هل كانت نظامية أم في الكتاتيب؟

- بداياتي العلمية بدأت نظامية بعض الشيء، في المدرسة الأموية، ثم في المدرسة المحمدية، التي أنشأها الشيخ محمد الفقيه المصري، شقيق إمامي الحرم المكي، عبدالمهيمن وأبوالسمح - رحمهم الله.

وعندما بلغت العاشرة تقريبًا أخذني والدي معه إلى العراق، تدريبًا لي على التجارة، ومتابعة خيل السباق المشتراة في شمال العراق، ونقلها إلى مصر.

وفي هذا العام أصبت بمرض في

عيني وضعف بصري، وأدخلت المدرسة الرسمية «أنموذج الميدان»، بعد أن نالت سورية نوعًا من الاستقلال، وخف الضغط الشعبي على المدارس الحكومية، وسجلت في الصف الثاني الابتدائي، وتعرفت يومها على الداعية الشيخ علي الطنطاوي، الذي كان يثير فينا الحماس الإسلامي والوطني، ويحرضنا لمكافحة الفرنسيين في المظاهرات، وكنا نقاوم الجيش الفرنسي.

بعد نجاحي في الصف الثالث خرجت من المدرسة ولم أعد إليها، لأنني سافرت مع والدي إلى مصر، وهناك كنت أذهب للجامع الأزهر في ساحته العامة، وأعود بعد ذلك إلى مشايخ عينهم والدي لتعليمي بجانب عملي بالتجارة.

وأيامها كنت أقابل صاحب والدي وشريكه في التجارة المعتمد السعودي في سورية ومصر، العالم الشيخ فوزان السابق الذي تأثرت به كثيرًا، وكان سلفيًا كبير السن، ولم يكن له أولاد في مثل سني، فأكرمني كثيرًا، وأهداني رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية، ومنها ما طبعه الأخ الفاضل ناصر بن رميح، وغيرها.

■ مَن أشهر من درّسكم وانتفعتم به في مرحلة الطفولة والشباب؟

– تأثرت في فترة طفولتي وبداية شبابي بالعديد من الشخصيات البارزة سيأتي الحديث عنهم في سياق الكلام الآتي إن شاء الله، وفيهم عددٌ من أهل العلم الكبار أمثال: الشيخ محمد عبدالعزيز المانع، الشيخ عبدالله بن زيد المحمود، الشيخ صلاح الدين الزعيم، الشيخ السياسي محمد سعيد العرفي، العلامة الكبير الدكتور محمد تقي الدين الهلالي، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، الشيخ عبدالله القلقيلي مفتي فلسطين والأردن، الشيخ أحمد شاكر، وشقيقه الشيخ محمود شاكر، وغيرهم.

■ متى بدأت علاقتكم مع الكتب، مخطوطها ومطبوعها، وما تفسير شغفكم بها؟

المكتب الإسلامي خرج عشرات الدور والمكتبات والمطابع، وكون جيلاً من المحققين والدارسين

– أما عن علاقتي مع الكتب، فهي منذ صغري، فعلى الرغم من أنني تركت الدراسة مبكرًا، وكان عند أهلي عدد قليل من الكتب، فإني كنت أستعير الكتب من مشايخي وجيراني، واستأجر بعضها من بائع كان عندنا في «الميدان» من بيت الفقير.

وأذكر أنه كان عندنا رسالة «تودد الجارية»، ومصحف بخط والد جدتي «فاطمة» واسمه الشيخ سعيد قره بطا، وكتاب «المستطرف في كل فن مستظرف»، وكتاب «المخلاة» لمؤلف شيعي، وثلاث مخطوطات، منها مخطوطة «قاعدة بغدادية» للتعليم.

وكانت والدتي حريصة على إحضار ما أمكنها من كتب ومجلات لأطلع عليها، ولكني كنت منشغلاً أكثر وقتي مع أبي في رحلاته، وإذا استقر بي المقام في البيت كنت أقرأ ما تجمع لي من كتب، مثل كتاب «عنترة»، و «سيرة بني هلال»، وأمثال ذلك.

وبعد مدة حفظت أحاديث نبوية من كتاب الأربعين النووية، ورياض الصالحين، بإشراف المشايخ، فكنت محل إعجاب زوارنا الذين كان منهم عم والدتي أبوياسين محمود بكري رحمون، وكان جارنا في البيت، وكذلك كان يزوره المحدث الأكبر الشيخ محمد بدرالدين الحسني، ابن الشيخ محمد بن يوسف، وكان يحضر معه عدد كبير من الناس، في عدد من أيام السنة مثل المولد النبوي، ومنتصف شعبان، وليلة القدر، وزيارات العيدين.

وكنت في بيت خالة والدي، زوجة الشيخ أبوحسين شقير، المشرف على مسجد الدقاق، ولم يكن له أولاد، فأبقى عندهم الأيام ذوات العدد، وأجتمع مع المشايخ عنده، حيث كان يزوره الشيخ محمد بدرالدين، والشيخ علي الدقر، وأجتمع إليهم مع أمثالي، وبحضور الرجال الكبار.

وكان الشيخ محمد بدرالدين يسمعنا (الرجال والأطفال) حديث الرحمة، وغيره من الأحاديث، ويسجل الأسماء مرافقه الدائم الشيخ يحيى المكتبي (زميتا)، ومعه دفتر قلاب يكتب فيه أسماء المجازين، ومنهم الأطفال، وفي هذه التسجيلات إثبات سماعي منه، باسمي: محمد بن مصطفى الشاويش.

وفي هذه الأيام انفردت بالرواية عن الشيخ محمد بدرالدين، ابن الشيخ محمد بن يوسف الحسني.

■ ما أهم إنجازاتكم العلمية والعملية أثناء زياراتكم لدول الخليج العربي؟

– في سنة ١٣٧٧هـ= ١٩٥٦م، كُلِّفت من وزارة المعارف بدولة قطر بزيارة الكويت، ثم البحرين، للبحث عما عندهم لإنشاء المعهد الشرعي في قطر، وكان يرأس وزارة المعارف الشيخ قاسم الدرويش فخرو، وسماحة الشيخ عبدالله بن زيد المحمود قاضي قطر الشرعي.

ثم بعد ذاك اجتمعت بعلماء من دول الخليج، واستفدت مما عندهم لتأسيس المعهد الشرعي، ولكني وجدت لدى المملكة العربية السعودية (بعد الكويت) أكبر اهتمام بذلك.

وفي الكويت قمت بزيارة المعهد الموجود يومها، ووجدت فيه بناءً كبيرًا، وفيه عدد كبير من الإخوة المصريين، والتعليم والمنهج فيه مماثل لما عليه جامع الأزهر، وكذلك الكتب أيضًا، واجتمعت فيه بالشيخ حمادة رحمه الله تعالى.

واجتمعت بتاجر الكتب الشيخ الجودي، والشاعر عبدالرحمن المعاودة، والشيخ صالح المطوع، والشيخ قاسم الشيخ، وابنه الأستاذ حافظ.

وذهبت للشيخ يوسف القناعي- رحمه الله- ففتح لي صدره، وأعطاني بعض مطبوعاته مما كان يدرسه هو، أو يدعو إليه للتدريس في دولة الكويت، ونصحني وطلب مني أن يكون التعليم في قطر على منهج السلف، حتى يخرج الطلاب على مذهب أهل البلد.

واجتمعت كذلك بالعلامة السلفي الشيخ عبدالرحمن الدوسري، تغمده الله برحمته، وقد سبق لي أن التقيت به في الحج، وهو داعية صريح مسدد، له نشاط في الدعوة بشكل كبير في مساجد الكويت، والمجالس الخاصة، وقد توفي رحمه الله.

وأما البحرين فوجدت عندهم غرفتين فوق أحد المساجد، والتعليم فيها ابتدائي، لأربعة طلاب مع أحد المشايخ، مع أني جئت بناءً على موعد معهم، وشكوا إليّ من تقصير البعض معهم.

ثم ذهبت إلى السعودية، وقابلت الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع في مكة، ثم ذهبت إلى جدة حيث قابلت الأمير فهد بن عبدالعزيز آل سعود، وزير المعارف وقتها، والذي صار فيما بعد خادمًا للحرمين الشريفين.

وأعطاني حمولة سيارة من الكتب الدينية، وشيئًا من المناهج التي كانت تدرس عندهم، بعد أن أخبرته أن التعليم في قطر ليس بإشراف الإنجليز.

ثم زرت الشيخ محمد بن إبراهيم المفتي العام، ووكيل الإشراف على المعاهد الشرعية، في مناطق المملكة، ومنها معهد الفقه واللغة في الرياض، والشيخ عبدالملك بن ابراهيم، وابنه الشيخ محمد، ثم زرت الجامعة (قبل تسمية جامعة)، وكانت تحت إشراف أخيه العالم الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم، وأوصلني إليه الصديق الدكتور الشيخ عبدالله بن محمد بن خميس، الذي تعرفت عليه سابقًا في دمشق، حيث ألف كتابه «شهر في دمشق»، وقد أفادني كثيرًا.


الشيخ زهير مع حاكم قطر الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني

وحملت معي إلى قطر المناهج والكتب، وما حصلت عليه من معلومات، وأعطيتها لمدير المعارف الأستاذ عبدالبديع صقر، وللشيخ القاضي عبدالله بن زيد المحمود، ولوزير المعارف الشيخ قاسم بن درويش فخرو، غير أن افتتاح المعهد تأخر، وكنت بعدها قد خرجت من المعارف.

وزارنا في قطر الشيخ سيف بن مدفع، ومعه عدد من علماء الشارقة، ووضعوا عددًا من طلابهم ليدرسوا في قطر، ثم بحث معهم فكرة عزمنا على إنشاء معهد دينيّ، فرحبوا بذلك، وذكروا بأنه إذا تم ذلكً فسوف يرسلون أبناءهم إليه، وكان منهم من العائلة الحاكمة، وأبناء العلماء.

■ ما الظروف التي قرّرتم من خلالها تأسيس المكتب الإسلامي؟

- أما عن تأسيس المكتب الإسلامي، فقد أسسته عام ١٩٥٧م في دمشق، بفضل الله كان هذا العمل مدرسة في التحقيق والنشر، تعتبر الأولى في بلاد الشام، لولا سبقُ الأستاذ الفاضل أحمد عبيد- رحمه الله- في القليل مما نشر، في المكتبة العربية.

وعن المكتب- والحمد لله- انبثقت عشرات الدور والمكتبات والمطابع، ومنه خرج عشرات المحققين والدارسين، وعمل معي فيه أكثر من عشرين عالما من كبار العلماء آنذاك منهم الشيخ ناصرالدين الألباني لمدة أربعين سنة تقريبًا، والشيخ شعيب الأرناؤوط لمدة عشرين سنة، والشيخ عبدالقادر الأرناؤوط لمدة عشر سنوات، والشيخ عبدالقادر الحتّاوي الدوماني الحنبلي وغيرهم.

ومازال المكتب الاسلامي حتى اليوم يتابع الجهد والإنتاج على أوسع نطاق، ويصدر العدد الكبير من الكتب في علوم القرآن الكريم، وعلم الحديث الشريف، والمواعظ والنصائح، وروائع اللغة العربية، ويقوم بالإشراف عليه الآن ولديّ المؤرخ بلال (المدير)، والمهندس عليّ (المحاسب) بارك الله فيهما، وقد زادت مطبوعات المكتب على الألوف.

■ هل يمكنكم- شيخَنا الكريم- أن تطلعنا على كَمِ المخطوطات الأصلية التي تملكونها، أو تلك المصوَّرات التي هي في حكم الأصليّ، لنفاستها وندرتها؟

- أما عن مكتبتي، فبفضل الله خلال أكثر من ستين سنة قمت بجمع مكتبة واسعة هيأ الله لي أسباب جمعها، هي محل اعتزازي وافتخاري.

وأنا لا أعرف- الآن- عدد الكتب المطبوعة التي تحويها، ولكنني أعرف أن فيها من نوادر المطبوعات ما يُسرُّ به كل من يزورها ويستعين بها.

وعن بداية عنايتي بالمخطوطات.. لما رجعت من فلسطين عام ١٩٤٩م وكان

أبي- رحمه الله- ميسور الحال، وكان صديقي أبوجعفر أخو الشيخ ناصر عنده دكان لبيع الكتب في المسكيّة في دمشق، وكان يشتري من النّاس الكتب الدراسية القديمة، ويصلحها ويبيعها بأسعار أقل من كتب الحكومة.. بدأت بشراء مكتبات كاملة من أصحابها كمكتبة آل الشطي الحنابلة، ومكتبة آل عابدين الأحناف، ومكتبة آل الأتاسي (أقرباء رئيس جمهورية سورية الأسبق)، ومكتبات آل العطار الشافعية، ومكتبة آل الكزبري مشايخ الحديث النبوي وغيرهم.

حتى أصبحت أملك بحمد الله ما يقارب أحد عشر ألف مخطوط، وفي كل أسبوع يتصل بي أناس يطلبون مني تصوير شيء من المخطوطات التي عندي للاستفادة منها علميًا، ولم أبخل على أحد منهم في ذلك، وعلى الأخص الجامعات والكليّات الشرعية في بلاد الحرمين.

ويوجد من هذه المخطوطات حوالي ٣٠٠ مخطوطة مصورة تقريبًا، والمصورات من المخطوطات النادرة، وهي في حكم المخطوطات الأصليّة.

■ ما الدور الذي أنيط بكم القيام به في جهاد المحتلّ الفرنسي لأرض الشام؟

- في عام ١٩٤٥م اعتدت فرنسا على البرلمان السوري بالقنابل، وكذلك على القلعة ودمشق عمومًا، وبعض المدن السورية، وراحت تداهم الأحياء الدمشقيّة والبيوت، ومن ضمن هذه الأحياء حيّنا (الميدان)، وكان أهل هذا الحيّ معروفين بالجهاد والثورة على المحتل، فخرجت أنا وأقاربي وأبناء الحيّ ومعنا بعض البنادق وقطعنا الطريق على الفرنسيين بمساعدة الشيخ المجاهد محمد الأشمر، وقدر الله لنا النصر على الفرنسيين وقتها، وقتل منهم خلق كثير وغنمنا منهم بعض الخيول والبغال وكميّة كبيرة من الأسلحة.

وبعد أيّام جاء الإنجليز وأخذوا الفرنسيين خارج المدن السورية، وخرجوا من بلادنا مهزومين، وكان عمري وقتها ١٩ سنة.

خرجنا مع الشهيد عبدالقادر الحسيني للجهاد في فلسطين بمرافقة سبعين مجاهدًا

■ من المشهور أنكم تطوعتم للجهاد في فلسطين، كيف كان ذلك، ومتى كان؟

- لقد تطوعت أنا و٤٠٠٠ مجاهد من دمشق للذهاب إلى بلدة «قطنا» للتدريب على القتال ومعرفة الأسلحة الحديثة للجهاد في فلسطين، ولما أردنا الذهاب إلى القدس مُنعنا من ذلك وطُلبَ منا الانتظار، غير أننا خرجنا مع الشهيد عبدالقادر الحسيني- رحمه الله- وكان عددنا أولًا سبعين مجاهدًا، ثم انضمت إلينا مجموعة من الإخوان المسلمين من مصر جاءوا يتدربون معنا في «قطنا» وكانوا ٢٠٠ مجاهد، ثم انضمت إلينا مجموعة من حلب أسموا أنفسهم «أسود الشهباء»، وكذلك جاءتنا مجموعة من الأردن، ولمّا منعتنا بعض القوات من الخروج إلى فلسطين ذهب الحاج أمين الحسيني ومعه الشيخ مصطفى السباعي إلى رئيس الجمهوريّة السوريّة آنذاك شكري القوتلي، وكان شكري صاحب مروءة وشهامة، وسمح لهما بذلك، وكنت معهما عند مقابلة رئيس الجمهورية.

وكانت القيادة العسكرية تريدنا أن نذهب إلى نابلس للجهاد هناك مع القائد فوزي القاوقجي، وكان ضد الحاج أمين الحسيني، فقد كان مع القاوقجي مجموعة من القوميين والملحدين، وكنا نحن متدينين، ورغبتنا إنقاذ القدس، فسمحوا لنصفنا أن يذهب مع عبدالقادر الحسيني، ثم سمحوا بعد ذلك للبقية بالذهاب مع الشيخ مصطفى السباعي، ولحقوا بنا بعد عشرين يومًا.

وبعد عدة أيام من تنقلنا بين القدس والمناطق المجاورة جاءت الأوامر بأن على السوريين أن يخرجوا من القدس، فخرج الشيخ مصطفى السباعي مع مجموعتنا إلى دمشق، ولم يبق في القدس سوى ٤ أشخاص أنا منهم.

وكانت الأوامر من الجيوش العربية، ولكنني لم أغادر القدس أنا وثلاثة آخرون على أمل أن نستمر في القتال، وبعد أيام طُلب منّا المغادرة، فغادرنا القدس، ولكن ليس إلى دمشق بل إلى «صور باهر»، وكان فيها مجموعة من الإخوان الأردنيين منهم الحاج عبداللطيف أبوقورة، والأستاذ أحمد الخطيب، والضابط جادالله جادالله من أهل القرية، والضابط ممدوح الصرايرة، فقاتلنا معهم.

وبعد ثلاثة أيام ذهبنا إلى جوار بيت لحم، وجوار بلدة الخضر، والبلدات المجاورة، وقاتلنا مع المجاهدين الفلسطينيين هناك بقيادة القائد فوزي نامق القطب في العمق الفلسطيني، وسبق أن تدرب على الأسلحة في ألمانيا، مع عدد من الضباط أيام هتلر، ورجعتُ من فلسطين أواخر عام ١٩٤٩م.

■ هل من كلمة ختامية توجهونها إلى مُحبّيكم عبر صفحات مجلة «الوعي الإسلامي»؟

- إنني إذ أنهي كلامي مع مجلتكم الكريمة، فلا أملك إلا أن أدعو الله سبحانه وتعالى، أن يغفر لي ما قدمت من تاريخي وما أخرت، ويجعل عملي كله خالصًا لوجهه الكريم، جل شأنه.

وأرجو من إخوتي وأبنائي قراء مجلتكم الغراء أن يعاملوني بالتسامح، كما هو من أخلاقهم، لأنني ما بذلت، أو قلت، إلا ما هو في ظني مفيد، وموافق لما يرضي الله جل شأنه، وأن فيه النفع لإخواني من طلاب العلم.

يعيش قسم من البشر من غير ممارسة للفكر، وقسم آخر منهم يفكر لكن لا يعكس فكره على واقع الحياة قط، أما ما ينبغي فهو أن يعيش الإنسان وهو يفكر، وأن يبتكر أنماطًا فكرية جديدة إذ يعيش، فيتفتح على آفاق مُركّبات فكرية مختلفة. والذين يعيشون من غير فكر هُم دُمى تمثّل فلسفة حياة للآخرين، هؤلاء يلهثون للتغير من شكل إلى شكل، ولا يملّون تبديل قوالبهم، ويضطربون ما عاشوا في الانحراف بين الشعور والفكر، والانزلاق في الشخصية، والتمسّح بين الصورة والسيرة، وقد يتقاسمون حينًا حظوظًا حصل عليها المجتمع، ويستفيدون حينًا من توافق مجرى الأمور، وكأنها تترتب حسب تفكيرهم وحسهم وإرادتهم، لكنهم لن يريحوا أرواحهم البتة بالمحاسن والفضائل الإرادية، ولن يَشبّوا بها إلى العلى، ولن يوجهوها إلى اللانهاية، هؤلاء يشبهون برك الماء العقيمة والمحرومة من البَركة والخامدة والمعرضة إلى الأسون، فلا يبعد أن يتحولوا بمرور الزمان إلى مجمع للفيروسات ومأوى للميكروبات، بَلْه أن يفيدوا بشيء باسم الحيوية.

فلسفة الحياة عندنا

فتح الله كولن

هؤلاء هم ضحالٌ فكرًا وسطحيون رأيًا إلى درجة تجعلهم كأنهم أطفال يقلدون كل ما يرون ويسمعون، وينجرون وراء الطغام هنا وهناك، ولا يجدون سانحة للإحساس بأنفسهم والإنصات إلى دواخلهم وتمحيص قيمهم الذاتية، بل لا يشعرون البتة بوجود قيم تخصهم أنفسهم، فيحيون كعبيد لأحاسيسهم الجسمانية والبدنية عبودية لا انعتاق منها، ويُسَخّرون كل شيء حصلوا عليه، ويحصلون، لخدمة الجسمانية في إطارها الضيق، ويغيّرون أعظم الألطاف التي وهبها الله للإنسان، كالقلب والإرادة والحس والشعور، إلى وسائل رخيصة لملذاتهم البدنية، ويقضون أعمارهم في بوهيمية.. المقام والمنصب والشهرة والمنفعة والحرص على الحياة من أهم العوامل التي تُعيّن حركة هؤلاء وفعالياتهم، وسواء أعرفوا أم لم يعرفوا، فهم يقعون كل يوم في واحد أو أكثر من هذه الفخاخ القاتلة، ويذبحون أرواحهم مرات بسكين أرذل أنواع الموت.

وليس لأمثال هؤلاء ماضٍ ولا مستقبل، ما داموا يرددون قول عمر الخيام:

لا تَشغل البَال بماضي الزمان
ولا بآتي العيش قبلَ الأوان
واغنم من الحاضر لذّاته
فليسَ في طبَع اللّيالي الأمان

ويتبعون غرائزهم الحيوانية، ويرون الدنيا عشبا ومرعى، ويحيون راغمين أنف مشاعرهم ومَلَكاتهم الإنسانية، فلا ينفكون من التقلب المضطرب في المستنقع واللوثيات.

أما الذين يعيشون حياتهم مفكرين، ويجعلون- حسب درجاتهم- كل يوم أو كل ساعة من حياتهم ميناءً أو مرسى أو طريقًا للأفكار المبتكرة، فهؤلاء يمضون أعمارهم في خوارق العيش ما فوق الزمان، ومفاجآته وسحره، فيتجرعون الماضي كماء نبع مبارك، ويتنفسونه نفحةَ رائحة في رئاتهم، ويطالعونه ككتاب، ويسيرونً إلى المستقبل بهذه العُدة، ويحضنون الزمن الآتي بحرارة قلوبهم، ويلونونه بآمالهم، ويصورونه بعزمهم وإرادتهم، ويحتسبون الزمن الحاضر مركزًا استراتيجيًا لتنفيذ أفكارهم المثالية، ومصنعًا لإنتاج التقنيات الضرورية في هذا السبيل، وجسرًا للعبور من النظري إلى العملي، وَيَجدّون دوما كي يكونوا فوق الزمان وفوق المكان.

فهُم من وجهة يطالعون الوجود والزمان في هذا المستوى، ومن وجهة أخرى ينسلخون من ضيق الحياة الجسمانية، وينفسحون في رحاب عالم الفكر ويسيحون- وهم في هذه الحياة الفانية الموقوتة- على سفوح ممتدة إلى اللانهاية في عالم آخر ذي بُعْد أبدي، يسيحون ويدفعون عربون اللانهاية بأفكارهم وأحاسيسهم وآمالهم، ويتعايشون مع مشاعر اللانهاية، ويتطلعون إلى ثراء الكينونة الإنسانية في أغوار الرحاب اللّدُنّية التي حفروها في مغاوص قلوبهم، ويجدّون في اصطياد أنواع الفجاءات بالشباك التي نشروها في قلوبهم مما لا تبصره الأعين، ولا تستمع إليه الآذان، ولا يتصوره خيال الإنسان، فترشدهم علومهم ومعارفهم ومكتسباتهم العالية فوق المستويات إلى ما هو أعلى، بل أعلى المعالي، ويؤمّل كلّ منهم أن يكون عُقابًا سماويًا، فهؤلاء الذين يحيون حياة كهذه، ويجعلون أعمارهم مزارع لأشجار الفكر، سَمّوهم إن شئتم أهل الحكمة، أو أبطال الفلسفة ذوي الهدى، وعرّفوهم كما تشاءون، لكن اعلموا أن رجال النور الذين يحيكون التاريخ برقة وظرافة نسيج الحرير قد ظهروا دائمًا من بين هذه الأرواح العالية، على مر الزمان الممتد من العوالم القديمة إلى عصرنا الحاضر، وحتى أنظمة البراهمية والبوذية

* مفكر تركي

والكونفوشية والطاوية والزرادشتية، التي تشبه النظم الفلسفية وليس الأديان، هي هدايا أبطال الروح إلى الإنسانية.

إن ألحان صروح فكر هؤلاء تسمع دومًا في خرير تيار الفكر المديد إلى الماضي، وإن الرؤى المختلفة إلى الحياة وأنماط الحياة المتنوعة وأحواض الحضارات العالمية والثراء الثقافي في الجهات الأربع من العالم القديم والجديد، كانت دائمًا من نتاج بيادر الفكر لهؤلاء الأبطال، فمع كل هذا التبديل والتحريف والإبعاد عن الأصل الذي أصابه، يمكننا أن نقول باطمئنان تام: إن القسم الأعظم من البشر في الأرض مازالوا يتبعون آثار ذلك المحتوى والمعنى والروح القديم، مهما تعسر التأليف بين الحياة المعاصرة وبين هذا القول، وأظن أن الضرورة قائمة لكي نتقبل استمرارية الأخطاء- كحالة طبيعية- بحسن الظن وحسن التأويل، وذلك إلى أن يجد «الممثلون» الأبطال الأمورَ التي لم تتعرض إلى التحريف والتبديل من تلك المرجعيات.

وبناءً على ذلك فإن ما يجب علينا اليوم- ونحن نستعد للتجديد مرتبطين بأوثق الروابط بجذور معانينا الذاتية- هو أن نجهّز الأبطال الذين يجيدون تلقيح أنفسهم بأمصال الوقاية المستخرجة من ذات أرواحهم، الأبطال المُنْشِدون القادرون اليوم على أداء الكلمات لأناشيد ماضينا من غير تعثر بشيء أو بعائق، وعلى استشعار توقد الحماس في قلوبنا المتجددة كل مرة بتلون آخر.

والواقع أننا سوف يطولنا خراب عظيم على أيدي صناع أجانب أغرار، لحين إعدادنا وتجهيزنا لهؤلاء الأبطال، وإبّان ذلك، ستشتغل الإنسانية جمعاء أيضًا بصب أساطيرها القديمة لملء فراغ القيم الأزلية الكونية التي تبحث عنها بوجدانها فلا تعثر عليها بعقلها، فتتقلب من فقدان الطمأنينة إلى دوار الأزمة، ومن دوار الأزمة إلى تخريبات جديدة.

غابت عن واقعنا منظومة فكرية ذاتية وفلسفة حياة فكرية تعتمد على الحركات الإسلامية

لقد غابت عن واقعنا منذ قرون منظومة فكرية ذاتية، وفلسفة حياة ذاتية تعتمد على الحركات الإسلامية التي تشكل جذور المعنى لثقافتنا المليّة، فتشتتنا شذر مذر، نحن وعالم كبير مرتبط بنا، ومن الضروري أن نميز بين النسق الفلسفي والفكري لمترجمي نظام الفلسفة اليونانية المتجمعة في الحوض الفكري لأرسطو من أمثال الكندي والفارابي وابن رشد، وإلى حد معين ابن سينا، وبين نسقنا الفكري وفلسفتنا في الحياة الموصولة الجذور بالسموات القديمة كالأزل، لكن الجديدة بل الأكثر جدة من الجدة ذاتها، إلى درجة القدرة على استيعاب كل العصور والمنضودة من الحكمة والحِكَم، يكون موضوع نسقنا الفكري قائمًا على تفسير ذي تنزل من اللاهوت والجبروت والملكوت والناسوت، ومعلوم المنشأ ومنوّر، ومعتمد على حقيقة الخلق، فإذا استطعنًا أن نتفهم هذا التفسير والتأويل بنكاته الذاتية نكون قادرين على إبراز نظامنا الفكري، وهذا يعني في الوقت نفسه افتتاح طرق واسعة تؤدي إلى تجديد جاد على مستوى العالم كله.

لقد بذلت الجهود في سبيل نظام فكري كهذا مرات كثيرة منذ عهد محمد الفاتح- جعل الله مثواه الجنة- لكنها لم تبلغ الغايات المرجوة منها، هذه الملاحظة يمكن أن تتعرض إلى المناقشة من بعض جوانبها، لكن الحال هو هذا عمومًا، لقد جَدّ الكثيرون في أن يستجيبوا لمثل هذا البحث والترقب في الوجدان الاجتماعي العام، كأمثال خوجه زاده والملا زيرك، أو مصطفى رشيد باشا ومهندسي «المشروطية» (الحكم الدستوري)، ومنهم إلى كثيرين من عمال الفكر في المرحلة الحديثة، الخالصة نياتهم وغير الخالصة، لكن بعضهم تعثر وتوقف عند «تهافت» ابن رشد والإمام الغزالي، وبعضهم غرق في دوامات الثورة الفرنسية واوغوست كومت، وبعضهم تلهى وانشغل بهذيان دركهايم، ولم تكلّ الحركة أبدًا، لكن لم يحسبوا حساب العصر حينًا، أو تراكضوا وراء الأحلام وحدها، أو اتخذت الأهواء والرغبات آلهة من دون الله فتبدد في الحيرة والضياع ميراث ألف سنة من القيم «المليّة»، ويا ليتنا استطعنا الآن أن نتجاوز هذه السلبيات، هيهات هيهات! فلسنا ندعي أننا ننظر بعين الرضا إلى هذا الجانب من واقعنا، فكم أتمنى أن نتجاوز السلبيات كلها، وأن نطور نظامًا فكريًا وفلسفة «ملِّية» تتغذى من مصادرنا الذاتية!

وأشير هنا إلى أن آراءنا ستتناقض مع بعضها باستمرار وسينهش بعضنا بعضًا في فخ التعارض والتساقط، بسبب الاختلاف في زوايا الشعور والإحساس بالكائنات وتفسيرها، ما لم نُقم ما نبنيه على قاعدة فكرية راسخة كهذه، وما لم نمتلك نظاما فلسفيًا كهذا، فيجب تحقيق عائدية مستقبلنا إلينا، مثل حاضرنا، بهذه الأصول وبهذا النظام، وبفيض أسلوب تتقاسمه الأجيال جميعًا، فإذا لم تتحقق الوحدة في مشاعرنا وفكرنا ونمط حياتنا فستظل الوحدة المليّة والتضامن الملّي أمنية حماسية، فالمنطلق الملي والفكر الملي والمحاكمة المليّة وواردات الروح أمور بالغة الأهمية في أي نظام من الأنظمة، فأي نظام فكري يستطيع أن يحقق وحدة الحس ووحدة المنطق ووحدة المحاكمة، وسهولة التعايش معًا لشعب من الشعوب، بالمقياس والقدر الذي يستمد من عقل الشعب ووجدانه وعالم أحاسيسه، وعلى الضد إذا تصادمت المشاعر والأفكار والتفاسير

والأساليب، وتناقضت المحاكمات، فإن تزاحم الحركة في هذه الأحوال لا يعني كثرة البركة البتة، ودع عنك البركة، فكثيرًا ما يؤول المصير إلى الاضمحلال في هذه الأوضاع، إن كل حملة وجهد في المجتمع الذي يعاني من فوضى في الفهم والتفسير يشبه أمواج البحر المرتطمة ببعضها، إذ تتكاسر دومًا وتنصبّ إلى حوض عطالتها وتلف وتدور في فراغ الدور والتسلسل الفاسد، ولعلنا نجد بالتمحيص حكمةً في تكاسر أمواج البحر بالارتطام مع بعضها، لكن أمثال هذه المصادمات في المجتمع لا يخلف إلا التعفن والانحلال وإهدار النفس، ففي مثل هذا المجتمع يكون كل فرد ذئبًا يفترس الآخر، وكل فكر برنامجًا للموت، ومع أن السماء تمطر رحمة على مثل هذا العالم، لكن الهيئة الاجتماعية تبقى تحت تهديد عُثّتها، وكذلك تبقى القيم التاريخية فيها معرضة إلى الانخراق والتمزق، وتبقى المقدسات مهددة بالتبدد، ولا محل للوفاء عند الكهول في الركام البشري لهذا المجتمع، ولا مكان للفتوة عند شبابهم، فالقوى الفتية والحركية المأمول منها أن تسمو بالمستقبل كسارية العلم على هاماتها، هي التي تحتقر الراية وتشتم الماضي من جهة، وتحسب المستقبل ساحة جنون لإجراء رذائلها من جهة أخرى، أما الكهول والمثقفون الذين سلموا أنفسهم للامبالاة المفزعة، فيتصرفون كمشجعين لفكر «اللوثيات»، فتراهم يثيرون البوهيمية في الأرواح ويصبّون ماء النار على البصائر، بأقوالهم وكتاباتهم ورسومهم وبرامجهم في وسائل الإعلام.

وفي مثل هذه المرحلة، لا تحفز مآوي العلم عشق العلم وفكر العلم في الأرواح، ويلعب أصحاب أيديولوجيات معينة بالذين يمثلون القوة وكأنهم دمى، يفترس بعضهم بعضًا، ويضطر المنطق والمحاكمة والإلهام إلى المسير في الممرات الضيقة للرموز والإشارات، وبدهي أن الحياة بذاتها تكون تعذيبًا للحياة في مجتمع كهذا، عامر بالنقائض والمخالفات، مقدّم للرغبات والأهواء على الفكر.

والحال أن نظام الفكر وفلسفة الحياة عندنا رحيبة، تتناول عوالم الوجود، وماعدا الوجود، وما قبل الوجود، فتقيّم الأشياء وما عدا الأشياء في كلية، وتعيّن معالم نمط الحياة في تكامل وإحاطة، فهو نظام يحقق العدالة الكونية المرتقبة في الأرض كلها بتحويل السلوك الأخلاقي إلى حال السيولة في المجتمع وأجزائه الأفراد، ويستجيب للمتطلبات الإنسانية، فيصل المجتمع في ظل ذلك إلى القدرة على تجديد نفسه ذاتيا بالتربية على الروح والأخلاق والفضيلة والتفكر، ثم يكون فكرنا الحضاري وغنانا الثقافي كسلعة رائجة في كل أقطار الأرض، فنغدو اليد المعطاء التي تقدم في ارتياح هبات فكرنا الإنساني وفلسفتنا الأخلاقية وفهمنا للفضيلة ومتلقياتنا للعدالة، وبفضل هذا الوضع والمستوى أيضًا، تنبجس الحركات الإدارية والأصول الاجتماعية والاقتصادية في الدولة، كما في مصادرها الأخرى، من الروح الذاتية للأمة، فتتحرر من أنواع المقيِّدات كلها. إن التقيّدات الضمنية المضروبة على رقابنا حتى الآن كالنير، بسبب نقاط ضعف فينا أو مديونيات علينا ومهما كانت خفية غير جلية، عَرّضت نظامنا الإداري وأنظمتنا الاقتصادية والسياسية والعدلية إلى العطل والفشل، وأصابها بالشلل.

إن أبناء أرومتنا الذهبية الذين جعلوا الأناضول أرقى بلاد الأرض عمرانا قد نسجوا أو أنشأوا أنظمتهم الإدارية والسياسية وتشكيلاتهم العدلية بمستلزمات الروح الذاتية، فلم يسمحوا لفكر أو لمؤسسة أو لتلقٍّ أن يجتاز من أبواب هذه المؤسسات التي تُعَدّ بيوت الحرم للأمة، ما لم يُقَيّم بالمقوّمات والمعايير الذاتية، ودع عنك أن يأذنوا بذلك، فهم لم ييأسوا حتى حين انسحابهم جانبًا وقد أثخنتهم الجراح مغلوبين إلى مدة، بعد حرب ضروس مع العالم كله، ولكن مع بريق الأمل، مهزومين ولكن مع الإيمان، فلم يتوانوا عن إلقاء أيديهم إلى التهلكة لحماية أصل حياتهم الذاتية، وتراكموا حول الشعور التاريخي، وعضوا عليه بالنواجذ على الحركيات التي يدينون بوجودهم لها، فكانت نواصيهم عالية، وتَلَقّياتهم عن الدنيا والعقبى موزونة، وأنفاسهم حرة، ماضين نحو إحياء جديد.

وقد نستطيع أن نكون مثلهم، وقد نتقدم عليهم، ونحن نترقب فجرًا يتبع فجرًا في هذا الزمن، إذا قيّمنا الدنيا التي نعيش فيها تقييمًا صحيحًا من وجهة أفق الحكمة الذاتية، ففسرنا الأشياء والحوادث تفسيرًا صحيحًا، وشخّصنا المتطلبات الأساسية لبناء إنساننا الداخلي، وانشددنا بفكرة التواجد والحضور إلى الأبد، وما الذي يعيق الأجيال البصيرة عن تقدم الصفوف مادامت قادرة على تقييم الماضي والحاضر والمستقبل على صعيد واحد، وحامية لأعراف المجتمع وتقاليده وحركيات تاريخه، وماهرة في تفسير تكرر التاريخ باتجاه تجديد الذات؟ ومن المفيد أن نذكر مرة أخرى أن مسؤوليتنا الأساسية اليوم هي إشعار وجدان الأجيال بمؤثرات الكدح المبذول منذ عصور مديدة، والعقائد الإيمانية المتشربة في النفوس، والثقافات المتأصلة الجذور، على قدر أعماقها في ذاتها، وذلك بتطوير حس التاريخ في الأمة، فإذا نجحنا في هذا فلن يخطر على بال أحد بعد جيلين أو ثلاثة أجيال أن يعيش فوق تراب هذه البلاد، ثم يستعير لمؤسسات الشعب المتنوعة مصادر أجنبية عن حركيات روحنا ومعنانا.

نعم، نحن نجلب عناصر حياة الغد من ماضينا، فإن استطعنا أن نعجنها في معاجن ثقافتنا الذاتية بنور الدين وضوء العلم، نكون قد جهزنا خميرة أبديتنا.



حرصاً من إدارة مجلة (الوعي الإسلامي) على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقاً لما يلي من الشروط:

ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصاً في مجال كتابته وأن تؤهله ثقافته للكتابة في الموضوع الذي يتطرق إليه .
- أن يرسل صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة لسيرته الذاتية.
- أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.
- أن يكون العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف، والفاكس وضرورة إرسال البريد الالكتروني.

ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحاً فريداً يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- أن تكون الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تكون المراجع في هوامش المقال مشاراً إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- الالتزام التام بالأمانة العلمية.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحاتA4، وأن يبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تكون الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات مقرونة بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال منشوراً في الصحف والمجلات المطبوعة والالكترونيه.

ملاحظة : المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.



«الوعي الإسلامي» اطلعت على كنزه المخبوء

العم محمد الإبراهيم: نحتاج إلى تهدئة المجتمع نفسيًا قبل الحث على القراءة

حوار: سليمان الرومي وعامر أحد عامر

لم يكن حوار العم محمد صالح الابراهيم حوارًا تقليديًا، لا شكلًا ولا مضمونًا، بل حمل لنا قبل القراء من الإثارة والغرابة ما هو جدير بالإشادة به والإشارة إليه، فالرجل غزير الحفظ، عميق النظر، لا يتكلم إلا وفق منهج علمي مدروس ومعد، ربما صبغته به عشرته الطويلة للكتب والحياة بين أسطرها وصفحاتها.. طلب منا ساعة أن أبدينا له الرغبة في إجراء الحوار ألا يتضمن الحديث شيئًا عن سيرته الذاتية ونشأته وتعليمه...إلخ، لأن ذلك من وجهة نظره لا يفيد القارئ كثيرًا، فاحترمنا وجهة نظره وخلت أسئلتنا من هذا النوع، وإن كانت ردوده جديرة بالتعريف به وبنهمه وعشقه للكتب والقراءة والاطلاع، إذ تحوي مكتبته خزائن مليئة بمخطوطات نادرة تصل إلى ٦٠٠ مخطوط، بالإضافة إلى ٧٠ مخطوطا نادرًا فقد أثناء الغزو العراقي للكويت، ولا غرو فهو عاشق للمخطوطات ويبحث عنها أينما ذهب، وكذلك يأتي إليه تجارها ليعرضوا بضاعتهم عليه فيشتري ما يريد.

كانت إجابات العم محمد الإبراهيم أقرب إلى المقالات الأدبية أو الفكرية منها إلى إجابات على أسئلة في حوار صحافي، وهذا ما فسر لنا حرصه على الاطلاع المسبق على الأسئلة، ومن ثم الإجابة عليها باستفاضة وبيان، غير أننا حاولنا الاختصار ما أمكن، وفق ما يقتضيه المقام، على ألا يكون ذلك مخلًا.

كان أول ما يلفت النظر في لقائنا بالعم محمد الإبراهيم الهدوء والسكون اللذين يخيمان على المنطقة التي يسكنها، مع إطلالتها الخلابة على الخليج الذي تشاهده وأنت في الديوانية أيضا.. جلسنا في الديوانية وقدم لنا واجب الضيافة، وفاجأنا العم الإبراهيم بأنه قد نشرت له في «الوعي الإسلامي» منذ ما يزيد على ثلاثين سنة بعض المقالات.. خرجنا إلى الشارع الذي يقع البيت بينه وبين البحر، وعبرناه إلى آخر لندخل إلى مكتبته التي توحي لأول وهلة بأنها مكتبة عامة، لولا لافتة كتب عليها «المكتبة الخاصة»، ويسترعي الانتباه في المكتبة ما تحظى به من تبويب وترتيب، فهذه غرفة الأدب، وهذه غرفة الإسلاميات، وهذا ركن خاص بالمخطوطات وهذا...إلخ.

في البداية سألناه عن الكتب التي يهرع إليها حينما تدلهم به الخطوب وتضيق نفسه بأمر ما، فقال: «حينما تضيق نفسي لا أستطيع القراءة، لأني أقرأ بذهن متنبه وحضور نفسي ووجداني»، أما رؤيته لعلاج هذا الضيق الذي يصيب النفس البشرية من حين إلى آخر فتتمثل فيما يجب أن يتحلى به الإنسان بصفة عامة، والمسلم بصفة خاصة، من سماحة وعفو ولين «فإذا كان عيسى عليه السلام قال إذا ضربك أحدهم على خدك الأيمن فأعطه خدك الأيسر، وهذا بلا شك علو في السماحة، فإن الإسلام جاء بما هو أبلغ من ذلك، فقال الله عز وجل مخاطبًا نبيه ﷺ في الكتاب العزيز ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم، وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾، فالإسلام يريد أن يتنازل المرء عن شيء

مصطلح «الشعر المنثور» خداع.. ومن هذا ما هو نثر جيد

قصيدة.. تحقن الدماء وتنجح فيما عجزت عنه الوساطات الدبلوماسية!

من حقوقه، وعن ظلم غيره له ثم يضيف إلى ذلك أن يجعل الشخص المعتدي عليه كأنه قريب منه ولي له، ولقد أخذ هذه الحكمة أحد الشعراء في إصلاح ذات البين بين رئيسين متحاربين، كان الشريف حسن (ابن عجلان) محاصرًا للأمير موسى أمير أبها، وأراد موسى أن يفك الحصار وطلب من أجل ذلك إلى كثير من الزعماء أن يتوسطوا له، فلم يفلح أمره، ثم اتجه إلى أحد العلماء وهو إسماعيل المقري، فأرسل قصيدة إلى الشريف حسن، فلما قرأها وافق على الصلح وفك الحصار، وأخذ الحكمة في هذه القصيدة من الآيات السابقة، إذ قال في قصيدته:

أحسنت في تدبير ملكك يا حسن
وأجدت في تحليل أخلاط الفتن
ما كنت بالنزق العجول إلى الأذى
عند النزاع ولا الضعيف أخا الوهن
تمسي ورأيك عن هواك معوق
والغر ملق في يد الأهوا الرسن
داء الرياسة في متابعة الهوى
ودواؤها في الدفع بالوجه الحسن
وإذا الفتى استقصى لنصرة نفسه
قلب الصديق لحربه ظهر المجن
لا تصغ إن شر دعا فالشر إن
تنهض له ينهض وإن تسكن سكن
وسديد رأي لا يحرك فتنة
سكنت وإن حركنه الفتن اطمأن
رد العدو إلى الصداقة حكمة
صفت من الأكدار عيش ذوي الفطن

ثم قال:

موسى هزبر لا يطاق نزاله
في الحرب لكن أين موسى من حسن
هذاك في يمن وما سلمت له
يمن وذا في الشام لم يدع اليمن

وسألناه إن كانت عنده مخطوطات نادرة لم تر النور، أو لم تطبع فقال: «ربما كان ذلك قديمًا، أما الآن فلا، وهناك كتاب مطبوع حروفه مقطعة ومرسومة، تقرأ من اتجاهات مختلفة، ويحوي أربعة علوم، كل علم يقرأ من جهة، وكأن الكتاب مختص به، وعندي نسخة مخطوطة منه، وأنا أقدم دائمًا مساعدات شتى للباحثين، لكن في الأشياء النادرة غير الموجودة، أما الشائع فلا، لأن الحصول عليه سهل، والمكتبات كثيرة، فكانوا يأتون إلى هنا ويصورون ما يريدون من مخطوطات دون أن يأخذوها معهم».

ولما كان من المنطقي أن يكون جمع هذه المخطوطات نواة لمشروع طبعها سألناه عما إذا كان تبنى مشروعًا كهذا فقال: «لم يكن عندي متسع من الوقت لذلك، لأنني كنت أحب أن أؤلف، وإن كنت قد توقفت»، فسألنا متعجبين: ولكنم مقلون جدًا في التأليف فليس لديكم إلا كتابين، فقال: «العلم لا يقاس بالكم، وأنا أحيلكم إلى كتابي لتدركوا معنى ما أقول، وعمومًا كانت هناك كثير من المشاغل الأخرى المتعلقة بالكتب والمكتبة».

ومذهب العم الإبراهيم في الحداثة في شكل القصيدة في الشعر العربي الحديث أن هذا ليس شعرًا، ولكن الجيد من هذا النوع لا ينكره أحد، على أنه لا يعدو أن يكون نثرًا، «وليس هناك شيء في الحقيقة اسمه شعر منثور.. هذا خداع، فالشعر قام على الوزن، واللغة العربية بصفة عامة فيها موسيقى حتى في النثر».

ويرى العم أن من الأهمية بمكان الاهتمام بحسن تنشئة الأطفال، لأن «علماء النفس يقررون أن العلوم التي تغرس في الصغر هي أثبت الأشياء التي تبقى (كما يقرر ذلك أيضًا علماؤنا الأولون)، ولذلك بدأت العناية بالأطفال في سائر الأمم، ويحكى أن ملكًا أعجب بفطنة طفل وثقافته وعلمه، فلما استدعى أباه وجده صفر اليدين من ذلك، فلامه ووبخه، إلا أن الطفل قال لقد أحسن والدي عمله، وأنا عمله، فلا تلمه ولم والده.

والإنسان العربي- من وجهة نظر العم- لا يقرأ لأسباب عدة منها ما يرجع إليه وإلى طبيعته، ومنها ما يرجع إلى ما حوله من المؤثرات، وهناك شواغل للإنسان كثيرة لكن أكبر ما يشغله يأتي من داخله، وهنا تبرز المشكلة التي يعجز عن علاجها كثيرون، وهي المشكلة النفسية، وربما كان كثير من الناس مرضى نفسيين وما يشعرون، وعصرنا هذا مليء بالأزمات، بما لها من آثار خطرة تضايق النفس، وقد وقعت حوادث غريبة في هذا الصدد، فلمجرد وقوف سيارة أو تعطلها انتحرت صاحبتها وألقت نفسها في النهر، حدث هذا في أوروبا، ونشر في الصحف، فنحن بحاجة إلى مؤثرات نفسية تهدئ المجتمع كاملًا، وقد نبهنا القرآن إلى ذلك وأعطانا الصورة الصحيحة للعلاج، وخص المتقين بهذا العلاج ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾، وشعوبنا تحتاج إلى هذا النوع من التهدئة النفسية، وتحتاج إلى معرفة عللها ومعالجتها.



التاريخ بين الحقيقة والتزييف

إنّ الناظر للتاريخ الإسلامي العظيم يرى أنه حمل صورًا مشرقة من الحضارة والإضاءة والعدل والإنصاف مع نفسه ومع الأمم والشعوب التي انضوت تحت حكمه، وانطوت تحت لوائه، غير أن الفتن والأزمات الحادثة في مسيرته أحدثت وهَنًا حضاريًا، وصورًا من الغثاء الاجتماعي، حتى ضعضع الدهر كثيرًا من جوانب الأمة، وأشمت بها الأعداء، بل أصبح من سلوة النفس الشماتة بالذات، ولكن هذه الفتن وهذه الأزمات في الوقت ذاته شكلت تحديات، وأثارت استفزازات، وجدّدت عزائم، وشحذت هممًا، وحرّضت على استئناف الشؤون الحضارية.

إن ما يلحق تاريخ الأمة من إصابات وجراحات، إنما هو في الحقيقة منبّهات ومحرضات حضارية، تحمل بصائر الحاضر وبشائر المستقبل، ومع التسليم بأنّ ما يصيب الأمة هو بسبب نفسها وأعمالها، فإنّ من اليقين أنها- بفضل الله- تمتلك قيم الوحي الثابتة والخالدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، تؤمن بها وتقوم عليها، وهي المقياس والنبراس الذي يكشف الخلل، ويحدد زاوية الانحراف، وبه تكون الأمة قادرة على التصويب والترشيد والنهوض والتجريب.

هذا ما يقال في نسبية الحقّ والتزييف في كتابة التاريخ وسرده، فإن المنهجية العلمية تحفظ التاريخ، كما أن الزيف وعدم المصداقية فيه قد تكون له فوائد، فإن أصول الشريعة وثوابتها هي جهاز المناعة للتاريخ، وانحرافات المنهج، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنّ من غير المنكور أنّ التيارات الوافدة المعاصرة حققت نجاحات من الغزو والاحتواء واسعة النطاق في مختلف أنحاء العالم، ولكن الإسلام والمجتمع الإسلامي رغم كل ما يعاني ظل وسيظل- بإذن الله- متماسكا في مواجهة رياح التزييف، فالإيمان بالإسلام وتاريخه الناصع راسخ الجذور لدى الشعوب المسلمة كافة، والمسلمون لا يرفضون الجديد المفيد، ولكن المشكلة في أصحاب التيارات الوافدة حين يصرّون على تزوير الأحداث وقلبها، وتشويه المنجزات، وتحليل المواقف، وتفسير الوقائع، والمغالطة في المفاهيم.

إنّ تزييف التاريخ وإفساده يعني- بلا مواربة- الانحياز والتلفيق، والمغالطة والانتقائية، والهجوم والتسفيه، والله تعالى يقول: ﴿فأمّا الزبد فيذهب جفاءً وأمّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾.

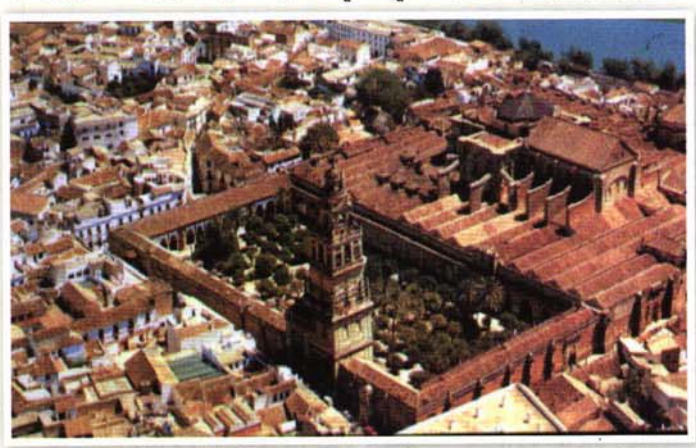
ملامح التفسير الإسلامي للتاريخ

د. مصطفى محمد طه

تأتي الأهمية القصوى للتاريخ في حياة الإنسان من منطلق أنه يمثل في بداية التحليل ونهايته حلقات متتالية في سلسلة واحدة يكمل كل منها الآخر، هي سلسلة الوجود البشري على ظهر هذا الكوكب الأرضي منذ أن وطأته لأول مرة قدم سيدنا آدم أبوالبشر، عليه السلام، وإلى آخر رجل من سلالته، وذلك وفق نسق حضاري فريد يدل على مدى دينامية الإبداع الإنساني في كل زمان ومكان، طالما توفرت له الشروط اللازمة لتفجير طاقات هذا الإبداع الذي نسميه حضارة.

بداية، نرى أن ثمة عدة تساؤلات حيوية تطرح نفسها على بساط البحث من قبيل: من الذي يصنع أحداث التاريخ ويؤثر في مساره: الأفراد أم الجماعات؟ الحكام أم الشعوب؟ هل الأحداث التي تصل إلى درجة من التأثير والفاعلية هي من صنع ساسة وقواد بلغوا مرتبة البطولة أم أن هذه الأحداث حصيلة حضارة أسهم فيها شعب بجميع أوجه نشاطه، اقتصادية واجتماعية وعلمية وفكرية وفنية وأدبية فضلاً عن أنظمته من دين ولغة وعادات؟ لمن يؤرّخ المؤرخ: لشخصيات يراها صنعت التاريخ وأثرت فيه أم يؤرّخ لحضارات؟ ما هو محور التاريخ؟ الأفراد أم الحضارات؟.

إن الإجابة الموضوعية عن هذه التساؤلات، هي التي من شأنها أن تجعل الواقعة التاريخية على قدر كبير من المصداقية، وبالتالي تكون أقرب ما تكون للحقيقة منها إلى التزييف، وذلك لأن الأهواء والنزاعات المذهبية وأحياناً الذاتية، هي التي عكرت -ولا تزال- صفو وجلاء



أكاديمي لبناني

الواقعة التاريخية، وذلك عبر محاولة بعض رجال التاريخ لي عنق الحقيقة، لجعل حقائق التاريخ -أحياناً- تكون لصالحهم من أجل تحقيق مكاسب دنيوية. ولذا فإننا نميل إلى أن يؤرخ المؤرخون لحضارات بدلاً من التأريخ لشخصيات، فهذا أجدى وأنفع من المنظور الديني والحضاري. ولذا لابد أن يصبح التاريخ في تقديرهم غير تابع للسياسة، فالسياسة ليست هي أهم أو حتى أبرز مظاهر الحضارة، أو أكثر فعالية في توجيه مسار التاريخ، بل إن مظهراً آخر من مظاهر الحضارة قد يمثل الصدارة في هذا المضمار مثل الدين أو العلم بكل مناحيه.. وحينئذ يجد المؤرخون أنفسهم يؤرخون لهذه المظاهر ممثلة في رجالها. ولعل الذي ساعد على تبني مثل هذه الوجهة، إنما هو على الحقيقة تقدم الدراسات التاريخية في واقعنا المعاصر، وذلك لأن دور الفرد-البطل- قد تضاءل رويداً رويداً لصالح المؤسسات الحضارية.

ليس هذا الأمر هو وليد اليوم، بل إنه إحدى إفرازات الإسلام الفريدة، ولهذا أصبح التاريخ الإسلامي -كما يذهب إلى ذلك د.أحمد محمود صبحي- أول تاريخ حضارات، لأنه تحكمت في الفكر الإسلامي عبر أطواره التاريخية عدة عوامل جعلت المؤرخين فيه يؤرخون للحضارات لا للحكام.

التاريخ بين الحقيقة والتزييف

إن طرح قضية التاريخ والمؤرخين في لحظتنا الراهنة -بعيداً عن التصور الإسلامي- يجعلنا لا نتفق مع من يتكلم عن الثقل الخانق للتاريخ في حضارة الإسلام إلى حدّ عدم السماح بالتنفس في هذا العصر، فلا يُرى المسلمون إلا من خلال تاريخهم، أما الحاضر والمستقبل فقضية فيها نظر، وهناك من يرى أن التاريخ ليس بهذا الثقل ولا هذا الاختناق، بل يكاد أن يكون هو هذا التاريخ، لا نقول الضائع في مجمله، ولكن في العديد من منحنياته أو من مناحيه، فهناك ما افتُقد

من الذي يصنع التاريخ الأفـراد أم الجماعات؟ الحكـام أم الشعوب؟

من التاريخ، وهناك ما صودر ومُنع من العبور عبر الأزمنة، وهناك ما شُوّه وزُيّف وصُنع في عقول المؤرخين وفي لحظات انسجامهم ورضائهم عن العطاء أو في لحظات تأزمهم نتيجة لبخل من مدحوه وكرّموه، فهو تاريخ مُقيس حسب المقاس، وباسم المردودية وما يُجنى من ورائها، أما قضية تاريخ المؤرخين فإنها كبرى القضايا.. وذلك لأنها قضية فكرية محورية، ويمكننا عن طريقها تنقية الواقعة التاريخية من شوائب وأدران التزييف التي شابتها، وبالتالي نجعلها قاب قوسين أو أدنى من الحقيقة، ولو بمعاييرنا الدنيوية حيث لا حقيقة مطلقة إلا الذات الإلهية الحقة وكل ما سواها نسبي، إلا ما أراد له الله البقاء والديمومة عبر الدينامية المتفجرة للمدّ الإيماني والإشعاع الحضاري، ويأتي في مقدمة ذلك الإسلام، ألم يقل عزّ من قائل: ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾ (البقرة: ١٣٨).

ولعل المعيار الموضوعي الوحيد، الذي يساعد المؤرخين على فرز التاريخ الحق من الزائف، إنما هو مدى سعة أفقهم في مضمار الثقافة التاريخية، التي من شأنها -ككل جهد ثقافي وباعتبارها حصيلة للثقافة الإنسانية بمجموعها- أن تُنمّي لديهم «الحكمة»، التي يولّدها عمق الاختبار وسعته، فضلاً عن أنها تلحّ في التساؤل حتى تصل إلى الأعماق والجذور. فإذا انتقلنا من مجال الفكر إلى العمل، وجدنا أن العمل التاريخي المبدع كما يتطلب صحة الإحساس بالحاضر والتطلع إلى المستقبل والإقدام عليه، فإنه لا يمكن أن يكون مبتوت الصلة بالماضي، ذلك أن الإنسان الحيّ الفاعل صانع التاريخ ليس «مستقبلياً» مطلقاً سابحاً في الرؤى والأحلام، ولا «حاضرياً» مطلقاً غارقاً كل الغرق فيما حوله من إشكاليات، ولا «تاريخياً» مطلقاً يحنّ إلى الماضي ويبغي أن يُعيده كما كان، بل هو ذلك الإنسان الداخل في صلب الحضارة المسهم فيها المتشوق إلى من يأتي من بعده ويتخطاه في مجالات الصنع والإسهام الحضاري.

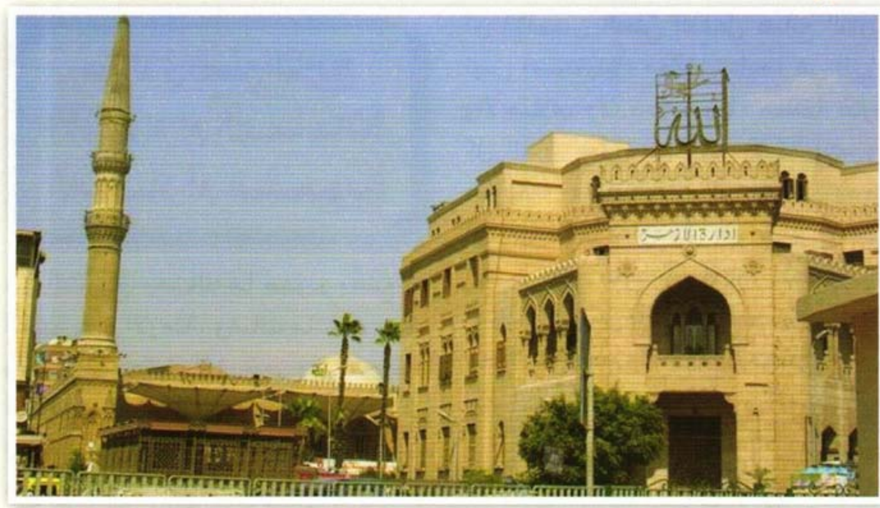
تفسير التاريخ بين الحقيقة والتزييف

تطور تفسير التاريخ ومعرفة أسباب الحوادث مع الزمن متأثراً بالموضوع وبالمفسر. فقد تطور الموضوع مع الزمن كمّاً، بزيادة مادته بفعل التراكم الزمني واتساع رقعة مساحته الجغرافية حتى شملت العالم، واتساع آفاقه من حديث عن حرب أو حاكم إلى تصوير ما كانت عليه الحياة في زمن ما بكل جوانبها، كما تطور كيفاً بتقدم تقنية جمع معلوماته، وتنويع مصادره وموضوعية نقدها، وصولاً لمعرفة ما حدث على الحقيقة -لا التزييف والظن والكذب- مما ساعد على إيجاد تفسير للتاريخ أكثر صحة.

وإذا كانت السطور السابقة قد بلورت إلى حدّ ما أبعاد الدور الحيوي لتفسير التاريخ كعلم، فيا تُرى ما هي ملامح رسالة مفسر التاريخ ونتائجها على واقع التاريخ كعلم ومنهج؟!.

وللإجابة عن مثل هذا التساؤل نقول: أما المفسر فقد زاد مع الزمن علماً بالأحداث، وكلما اقترب من أيامنا هذه ازداد المرصد الحضاري، الذي يرصد منه حركة التاريخ علواً، وتأثر ببيئته الثقافية قيماً وتنوعاً وغنى؛ فالموضوعية أصبحت من أخلاق العالم والباحث، وعلى الرغم من صعوبتها في التاريخ عموماً، وفي تفسيره خصوصاً، نظراً لصعوبة الفصل بين الذات والموضوع، إلا أن السير نحوها قدماً وجد ما ييسره لبعد أكثر ما يعالجه





المفسر في ميدان التاريخ المتسع عنه، إذ لم يعد اهتمامه قاصراً على أحداث قبيلته أو موطنه، بل حمله الطموح أحياناً للتطلع لتفسير أحداث العالم كله، كما تنوع المفسرون للتاريخ فلم يعودوا يقتصرون على المؤرخ فحسب، بكل ما أغنته به بيئته من قاعدة ثقافية عريضة، بل تعداه الأمر إلى آخرين ذوي اختصاصات علمية شتى مثل: الجغرافي وعالم الطبيعة والمحلل النفسي والفيلسوف، وقد طغى هؤلاء على هذا الميدان حتى كادوا يستأثرون به كله، ووصل الأمر بأحدهم إلى حدّ هدم الحاجز بين التاريخ والفلسفة، واعتباره تعليماً للفلسفة بالأمثلة. إن هذا التنوع الذي عرفه مفسّرو التاريخ، قد انتقل بدوره إلى مذاهب تفسير التاريخ، التي تنوعت هي الأخرى، ما بين مذاهب وضعية وأخرى دينية، ولعل أبرز التفاسير الوضعية: التفسير المثالي لدى هيجل (١٧٧٠-١٨٣١م). والتفسير المادي لدى كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣م) وإنجلز (١٨٢٠-١٨٩٥م) والتفسير البيولوجي لدى أوزفلد شبنجلر (١٨٨٠-١٩٣٦م) والتفسير الحضاري لدى أرنولد توينبي (١٨٨٩-١٩٧٥م). أما أبرز التفاسير الدينية للتاريخ فهو التفسير الإسلامي.

علم «الهرمينيطيقا»

بداية نرى أنه في مجال العلوم الإنسانية -وفي مقدمتها التاريخ- قد جرى الاهتمام بالتعليل أو التأويل أو التفسير إلى حدّ ظهور علم لهذا الغرض هو علم (الهرمينيطيقا). وتعاظم دور هذا العلم من درجة الطموح إلى التنظير باعتباره أقصى درجات العلم وأسماها. ومعلوم أن نشأة علم التاريخ عند المسلمين كانت نشأة عملاقة، بشهادة جمهرة الدارسين والباحثين، لذلك اهتم المؤرخون الروّاد بالتعليل والتفسير باعتباره مطلباً أساسياً لاكتمال عملية كتابة التاريخ، وقد تطورت جهود الأجيال التالية من مؤرخي الإسلام لتصل إلى درجة مرموقة في هذا المجال الحيوي بولوج باب فلسفة التاريخ.

وإذا كان المجتمع العربي قبل الإسلام قد افتقد المفهوم الكوني الواضح للتاريخ الذي يربط بين ماضي الحياة وحاضرها على أساس روحي عميق، أو فلسفي شامل، وذلك لافتقاد وعيه بذاته الحضارية المستقلة، وبالتالي تشتت هذا الوعي الجاهلي بين تصورات الجاهلية للماضي وما يرتبط بها من قصص الأيام والأنساب.. إلا أن فكرة التاريخ في القرآن الكريم تقوم على أن للتاريخ معنى أخلاقياً وروحياً مؤسساً على علاقة الألوهية الحقة بالكون، ودور الإنسان فيه، وذلك بوصفه خليفة الله في أرضه. وكثير من النصوص القرآنية تؤكد هذا المعنى في مناسبات مختلفة، فهي تحض الإنسان على الإقبال على الحياة والعمل، ولكنها تحذره في الوقت نفسه من غرور يتهدده فيكون مصيره الهلاك كما حدث لكثير من الأمم من قبل -تصديقاً لقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿سنّة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ (الفتح: ٢٣).

إن هناك حقيقة أساسية تبرز واضحة في القرآن الكريم، تلك هي أن مساحة كبيرة من سوره وآياته خُصصت للمسألة التاريخية، التي تأخذ أبعاداً واتجاهات مختلفة، وتتدرج بين العرض المباشر والسرد القصصي لتجارب عدد من الجماعات البشرية، وبين استخلاص يتميز بالتركيز والكثافة للسنن التاريخية التي تحكم حركة الجماعات عبر الزمان والمكان، مروراً بمواقف الإنسان المتغيرة من الطبيعة والكون، وبالصيغ الحضارية التي لا حصر لها، فهي تتأرجح بين البساطة والنضج والتركيب.. وتبلغ هذه المسألة حداً من الثقل والاتساع في القرآن الكريم، فمعظم سوره لا تكاد تخلو من عرض لواقعة تاريخية، أو إشارة سريعة لحدث ما، أو تأكيد على قانون أو سنة تتشكل بموجبها حركة التاريخ. وهذا أمر منطقي تماماً، لأنه ينسجم مع إعجاز القرآن الفارد وتوزيعه الفذّ لمساحات آياته وسوره لتغطية كافة المسائل الأساسية في حياة البشرية. وفي هذا يقول عزّ من قائل: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يُفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ (يوسف: ١١١). ولعل الذي يضفي طابعاً من التفرد والموضوعية الحضارية على التفسير القرآني للتاريخ، هو أنه ينبثق عن رؤية الله، وهي تختلف عن الرؤية الوضعية، وذلك لأنها تحيط علماً بوقائع التاريخ، بأبعادها الزمنية الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل، وببعدها الرابع، الذي يغيب كثيراً عن ذهن الإنسان مهما كان على درجة من

البصيرة والذكاء، إنه البعد الذي يغور في أعماق النفس البشرية فيلامس فطرة الإنسان وتركيبه الذاتي، والحركة الدائمة في كيانه الباطني، ويتسرب بعيداً صوب اهتزازاته العقلية والوجدانية، وإرادته المستقلة، وما تؤول إليه هذه جميعاً من معطيات تمنح حركة التاريخ أبعادها الحقيقية، ويمتد -كذلك- لكي يشتبك في العلاقات الشاملة للمصير، ذلك أنها رؤية الذات الإلهية التي وسعت كل شيء علماً، ولهذا صنعت الواقعة التاريخية ووضعتها في مكانها الطبيعي من خارطة التاريخ البشري والكوني على السواء، ولكن الرؤية الوضعية تمتد إلى الماضي لتقتبس منه وتختار ما يعزز وجهات نظرها المسبقة، والرؤية القرآنية تحيط بالماضي لكي تكثفه في قواعد وسنن تُطرح أمام كل باحث في التاريخ يسعى إلى فهمه، وإلى أن يرسم على ضوء هذا الفهم، طرائق حياته الحاضرة والمستقبلة، باعتبار أن الأزمان الثلاثة إنما هي وحدة حيوية تحكمها قوانين واحدة كتلك التي تحكم الحياة سواء بسواء.

نموذج فكري للتفسير الإسلامي للتاريخ

لعل أبرز نموذج فكري يجسّد مطالب هذه المشاركة ضمن ملف يعالج أبعاد موقع التاريخ بين الحقيقة والتزييف، إنما هو فيلسوف الحضارة الإسلامية الأول ابن خلدون (٧٣٢-٨٠٨هـ=١٣٣٢-١٤٠٦م) الذي يُعتبر -على حدّ تعبير د. عبدالحليم عويس- «نبتة حضارية.. وليس ثمرة عصره فقط!!». ولهذا فإن ابن خلدون هو علامة فارقة في تاريخ الفكر الحضاري -إسلامياً وكونياً- وذلك لأنه عبقريّ من الطراز الأول. ومن هنا فإن معطياته الفلسفية تعتبر بمثابة التأسيس الفكري لكثير من العلوم، ويأتي في مقدمتها علم الاجتماع وفلسفة التاريخ، التي ارتبطت بتفسير التاريخ لديه تفسيراً حضارياً وفقاً للتصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان. ولقد أنشأ ابن خلدون في مقدمته علماً جديداً لم يسبقه أحد إليه من قبل من مفكري الشرق أو الغرب، وقد أطلق على علمه الجديد هذا اسم العمران.

فيلسوف الحضارة الإسلامية الأول ابن خلدون هو نبتة حضارية وليس ثمرة عصره فقط

ويبدو أن مهمة علم العمران كما تصورها ابن خلدون، كانت هي تمحيص الأخبار، على أن الدراسة المتأنية لعلم العمران الخلدوني، تخرج باستنتاجات عديدة عن هوية علم العمران، فهل يمكن أن يُعد هذا العلم هو علم الاجتماع أو فلسفة التاريخ أو علم في المنهج، على غرار المنطق، أو الفلسفة السياسية؟ إن دراسة ابن خلدون للظواهر الاجتماعية يمكن أن ترقى بعلمه الجديد هذا، إلى مصاف الدراسات التي تتصل بصميم فلسفة التاريخ، وبالتالي فإن ابن خلدون هو أول فيلسوف للتاريخ والحضارة كما سبق أن ألمحنا على صعيد الفكر الإنساني.

إن ما تقدم يجعل من الضروري أن نقف كما وقف ابن خلدون لنعيد قراءة الماضي الحضاري للأمة الإسلامية على ضوء معطيات الحاضر، لنصل ما انقطع من تطور في كتابة التاريخ الإسلامي، ولتجاوز الثغرات والأخطاء والهفوات التي وقع فيها المؤرخون الأقدمون، ربما بسبب ظروف العصر التي أحاطت بهم أو الإمكانات العلمية والتقنية التي كانت تحكم نشاطهم.

تصورات ختامية

التصور الختامي الأول: هو أن التاريخ ليس حركة عبثية قائمة على المصادفة والعشوائية، إنما ينتظمه قانون، وتحكم حركته سنن، وهو من أعمال وصناعة البشر، أصحاب القدرات والإرادات والمسؤوليات، ولو لم يكن للتاريخ هذا البعد والقانون الكلي، لما استحق أن يكون علماً، ولما استحق أن يكون مصدراً للعبرة والتجربة للإنسان في كل زمان، ولما أمكن الإفادة منه لغير زمانه، ولما جاز أن يترتب على الفعل التاريخي أية مسؤولية، ولما استطاع أن يضيف عمراً يضاعف أعمارنا، وعبراً تغذي عقولنا، أو بكلمة مختصرة: لم يكن لذكر القصص القرآني أي معنى في صناعة الحاضر ورؤية المستقبل. إذن فالتاريخ هو علم الماضي والحاضر والمستقبل في آن، ولذا ينبغي أن تكون الحقيقة وحدها، وليس التزييف، هي لحمة وسداة الكتابة التاريخية في واقعنا الثقافي المعاصر، خصوصاً وأننا الآن بصدد إعادة تشكيل العقل المسلم، الذي عليه أن يتسلح بالحقيقة وهو يلج أبواب المستقبل، ويرنو إلى تكوين حضارة إسلامية معاصرة، حتى يتسنى لأمتنا مبارحة حالة السقوط الحضاري التي طال ليلها البهيم.

التصور الختامي الثاني: هو أن الدخول إلى ساحة التاريخ، ولاسيما في عصر التخصص -الذي نعيشه- لم يعد ممكناً من باب واحد، بعد إذ أصبح علماً أو نشاطاً معرفياً، ذا طبقات شتى، فكان لابد من الولوج إليه من أبواب متفرقة يُفضي كل واحد منها إلى طبقة أو دور من عمرانه ذي الطبقات والأدوار، وبقدر ما يتعلق الأمر بإسلامية هذا العلم، فإن علينا -أولاً- أن نتبين جيداً مسالكه وأبوابه، وأن نضع نصب أعيننا خرائطه التفصيلية كي لا تتبقى أية مساحة، لا تمتد إليها المحاولة -فنعيد تكييفها إسلامياً- إنْ على مستوى المنهج أو الموضوع، بغضّ النظر عن حجم الجهد والمدى الزمني المطلوب.

التصور الختامي الثالث: هو أن الدعوة لإعادة كتابة تاريخنا أو إعادة عرضه وتحليله لا تعني -بالضرورة- البدء من



نقطة الصفر، أو الرفض المطلق للصيغ التي قدمه بها مؤرّخونا القدماء، ومحاولة قلب معطياتهم رأساً على عقب، ومن يخطر على باله أمر كهذا فهو ليس من العلم في شيء، وإنما المطلوب هو منهج عدل، يتوخى الحقيقة في كتابة تاريخنا ويجعله بعيداً عن التزييف، ولتحقيق مثل هذا المنزع الحضاري، فلابد له من أن يتعامل مع معطيات الأجداد بروح علمية مخلصة، فيتقبل ما يمكن تقبله، ويرفض ما لا يحتمل القبول، ويقدّر عطاء الرواد حق قدره، دون أن يصدّه ذلك عن متابعة آخر المعطيات المنهجية والموضوعية التي يطلع علينا بها العصر الحديث، وأشدها صرامة. فالمطلوب إذن هو موقف وسط يرفض الاستسلام للرواية القديمة ويأبى إلغاءها المجاني من الحساب، رؤية موضوعية تستحضر البيئة التي تخلقت في أحضانها وقائع التاريخ الإسلامي، وتعتمد في الوقت نفسه معطيات العلوم المساعدة كافة: إنسانية وصرفة وتطبيقية، من أجل كشف أشد إضاءة لهذه البيئة، وفهم أعمق لوقائعها وأحداثها.

التصور الختامي الرابع: هو أن ضرورات الوعي التاريخي والفقه الحضاري في اللحظات الراهنة، إنما تتطلب المزيد من الاهتمام بتصنيف المعطيات القرآنية والنبوية ودراستها بخصوص هاتين المسألتين، والسعي لتوظيفها في إعادة بناء المشروع الحضاري الإسلامي وتأصيله، من أجل أن يكون جديراً بملء الفراغ الذي تركه -ولا يزال- سقوط النظم والمبادئ الوضعية عبر النصف الثاني من القرن العشرين على وجه الخصوص.

التصور الختامي الخامس: هو أن ابن خلدون قد استطاع أن يضع فعلاً رؤية تنظيرية لتفسير التاريخ، بعوامل مختلفة سماها طوراً «العصبية الدينية»، وسمّاها طوراً «البيئة»، (أي الأثر الجغرافي)، كما ألمح إلى العوامل البيولوجية والاقتصادية. وبذلك يكون ابن خلدون فيلسوفاً للحضارة الإسلامية، ذا نزعة تقدمية لأنه يعتبر أول من قدم منظوراً علمياً لفكرة التقدم في الفضاء الثقافي الإسلامي، وتأتي فرادة هذا التنظير لأن أمتنا كانت في طور سقوطها حضارياً، وكأني به قد أراد أن ينقذها من براثن السقوط، ولكن الأمة لم تُحسن الإصغاء لنداء هذه اللحظة التاريخية النادرة التي ظهر فيها ابن خلدون، فلم تأخذ بمعطياته العلمية، فسقطت حضارتها سقوطاً مروعاً، ودخلت في دورة الانحطاط. ولعل هذا يحتم علينا ضرورة الاستيعاب الموضوعي للعطاء الخلدوني في هذا المنحى، حتى يتسنى لأمتنا الإقلاع الحضاري من جديد، كما أقلعت من قبل إبان مجتمع التوحيد الأول، على يد رائدها الأول، سيدنا محمد ﷺ وصحابته الغرّ الميامين.. إن هذا أمل وما ذلك على الله بعزيز.

المراجع

(١) د.سالم أحمد محل: المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب، كتاب الأمة، العدد ٦٠، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، السنة السابعة عشرة، رجب ١٤١٨هـ=تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٧م، ص٧٧.

(٢) خاليد فؤاد طحطح: في فلسفة التاريخ، الدار العربية للعلوم، بيروت ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م، ص١٧.

(٣) د.أحمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت ١٤١٤هـ=١٩٩٤م، ص٦٣.

(٤) د.أحمد محمود صبحي: المرجع نفسه، ص٧٦.

(٥) خميس البكري: د.رشدي فكار المفكر الإسلامي العالمي، في حوار متواصل حول قضايا تراث المسلمين، مكتبة وهبة، القاهرة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م، ص٦٣.

(٦) د.محمد فتحي عثمان: المدخل إلى التاريخ الإسلامي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ=١٩٩٢م، ص٤٧-٤٨.

(٧) د.أحمد محمود بدر: تفسير التاريخ من الفترة الكلاسيكية إلى الفترة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، العدد ٤، المجلد ٢٩، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أبريل - يونيو ٢٠٠١م، ص٧.

(٨) د.أحمد محمود بدر: المرجع نفسه، ص٨.

(٩) د.محمود إسماعيل: إشكالية تفسير التاريخ عند المؤرخين المسلمين الأوائل، مجلة عالم الفكر، العدد ٤، المجلد ٢٩، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أبريل - يونيو ٢٠٠١م، ص٤٢.

(١٠) د.عفت الشرقاوي: في فلسفة الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م، ص٢٤٦.

(١١) د.عفت الشرقاوي: المرجع نفسه، ص٢٨١.

(١٢) د.عماد الدين خليل: حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، دار ابن كثير، دمشق ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م، ص٥٩-٦٠.

(١٣) د.عماد الدين خليل: مقالات إسلامية، دار ابن كثير، دمشق ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م، ص١١٣-١١٤.

(١٤) د.عماد الدين خليل وآخر: دليل التاريخ والحضارة الإسلامية في الأحاديث النبوية، دار الرازي، عمان ١٤٢٤هـ=٢٠٠٤م، ص٥.

(١٥) خاليد فؤاد طحطح: المرجع السابق، ص٤٠.

(١٦) د.سالم أحمد محل: المرجع السابق، ص١٤١.

(١٧) د.هاشم يحيى الملاح: الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٣١هـ=٢٠١٠م، ص٢٥٣.

(١٨) عمر عبيد حسنة: ضمن مقدمة: المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب، مرجع سابق، ص٢٠.

(١٩) د.عماد الدين خليل: الوحدة والتنوع في تاريخ المسلمين، دار الفكر، دمشق ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م، ص٢٢٧.

(٢٠) د.عماد الدين خليل: مدخل إلى التاريخ الإسلامي، الدار العربية للعلوم، بيروت ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م، ص٣٠.

(٢١) د.عماد الدين خليل وآخر: المرجع السابق، ص٨.

(٢٢) د.عبد الحليم عويس: التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون، كتاب الأمة، العدد ٥٠، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، السنة الخامسة عشرة، ذو القعدة ١٤١٦هـ=آذار (مارس) - نيسان (أبريل) ١٩٩٦م، ص١٠٨.



أثر الروايات الضعيفة في تشويه التاريخ الإسلامي

محمد إلهامي

للوهلة الأولى، لا يُكتشف الأثر البعيد والسيئ للروايات الضعيفة والموضوعة في التاريخ الإسلامي، لاسيما روايات العصر النبوي والراشدي، إنما يبدأ إدراك الأثر حين يبدأ عقل ما في تركيب هذه الروايات في «نموذج تفسيري» بتعبير د.عبدالوهاب المسيري، وهو في عامة الأحوال نموذج سيئ، أقله أن يثير الشكوك ويأتي بالغرائب، وأعلاه أن يطعن في رجال العصر الأول، وهم خير القرون، فينسبهم إلى ما يتنزه عنه كثير من الفساق والفجار.

إن الرواية الضعيفة في تاريخ العصر النبوي والراشدي لها من الضرر ما يساوي ضرر الحديث الضعيف والموضوع، ذلك أن سيرة النبي ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين من السنة التي أُمرَ المسلمون باتباعها والاقتداء بها، فمنها ينهلون طريق الإصلاح والتجديد والتطوير، وعبر مساراتها يستكشفون سنة النبي ﷺ وهديه في التعامل مع الأزمات والمشكلات، ولقد حدث أن فعلت روايات ضعيفة في السيرة أثرًا سيئًا حين بُنيَت عليها مناهج للتربية وطرائق للإصلاح ومسارات للنهضة، فاستهلك الكثير من الجدل والمجهود، وذهبت كثير من الأوقات- بل والأعمار- في بناء تأسس على روايات ضعيفة.

وكثيرًا ما تبدو الرواية الضعيفة وكأنها ليس فيها ما يريب، بل ربما كانت من المقبول الذي يستحسنه البعض، ويستطيبون ذكره، إلا أنها- وفي أحوال كثيرة- تسهم إلى جانب أخوات لها ضعاف في تكوين صورة شائهة، ثم تدفع هذه الصورة الشائهة بالعقول إلى تحليلات خاطئة تماما، وثمة كثير من الأمثلة التي يُمكن أن تُضرب في هذا المجال، إلا أن الأنسب في هذا المقام أن نضرب مثالًا بروايات ضعيفة لا يكاد يُستشعر منها خطر أو فتنة، وسنرى كيف أدت إلى صورة شائهة ثم تحليل موغل في الخطأ، ذلك هو تحليل المستشرق البريطاني المعروف مونتجمري وات، وهو مستشرق منصف كما يبدو من عامة كتبه، ولقد بذل مجهودًا يستحق الإعجاب في دراسته للسيرة والتي نُشرت في مجلدين هما «محمد في مكة» و«محمد في المدينة»، إلا أن مونتجمري وات بمجهوده الدءوب وعقله النبيه لم يكن يستطيع التفرقة بين الصحيح والضعيف من الآثار، فليس مؤهلًا لذلك، ولا نستطيع أن نطالب مستشرقًا باستيعاب علم لا يقدر عليه إلا القليل من أبناء أمتنا نفسها، وحيث إن أمتنا تعيش كبوة من كبواتها فقد أدى هذا إلى تأخر المجهود المطلوب في تحقيق الروايات التاريخية في مصادرها الأولى.

> **لم يفرق مونتجمري بين الصحيح والضعيف من هذه الروايات بل قرأها كلها معا من طبقات ابن سعد ومن سيرة ابن إسحق**

جاءت ثلاث روايات صحيحة، الأولى تقول: دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبي ﷺ فرأينها سيئة الهيئة، فقلن لها: ما لك فما في قريش أغنى من بعلك؟ قالت: ما لنا منه شيء؛ أما ليله فقائم، وأما نهاره فصائم. فدخل النبي ﷺ فذكرن ذلك له، فَلَقيَه، فقال: «يا عثمان بن مظعون أما لكَ بي أسوة؟». فقال: بأبي وأمي وما ذاك؟ قال: «تصوم النهار وتقوم الليل». قال: إني لأفعل. قال: «لا تفعل؛ إن لعينيك عليك حقًا، وإن لجسدك حقًا، وإن لأهلك حقًا، فصل ونم، وصم وأفطر». قال: فأتتهن بعد ذلك عطرة كأنها عروس، فقلن لها: مه؟ قالت: أصابنا ما أصاب الناس (١).

والثانية تقول: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين رأى أسماء بنت عميس- وكانت ممن هاجر إلى الحبشة ثم عادت إلى المدينة- قال لها: «سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم، فغضبت وقالت كلمة: كذبت يا عمر، كلا والله؛ كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا في دار- أو في أرض- البعداء البغضاء في الحبشة، وذلك في الله وفي رسوله، وايم الله لا أطعم طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ ، ونحن كنا نؤذى ونخاف، وسأذكر ذلك لرسول الله ﷺ وأسأله، ووالله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد على ذلك، قال: فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله، إن عمر قال كذا وكذا، فقال رسول الله

باحث في التاريخ



ﷺ : «ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان» (٢).

والثالثة مختلف في إسنادها، وإن كانت أقرب إلى الصحة، تقول: إن عثمان بن مظعون أراد أن يختصي ويسيح في الأرض فقال له رسول الله ﷺ : «أليس لك فيَّ أسوة حسنة؟ فأنا آتي النساء، وآكل اللحم، وأصوم وأفطر، إن خصاء أمتي الصيام، وليس من أمتي من خصى أو اختصى» (٣).

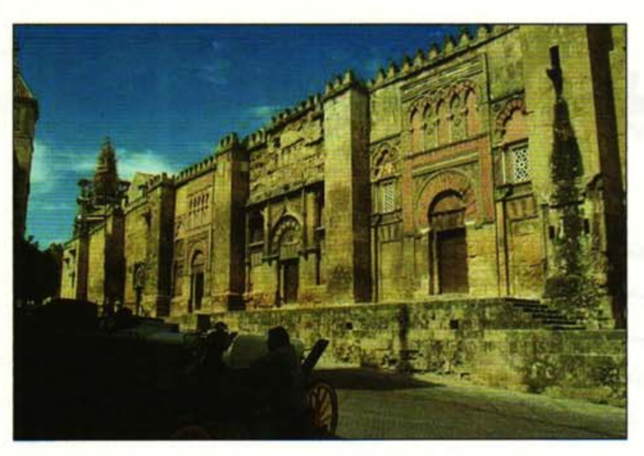
ثم يأتي دور الروايات الضعيفة، وهي التي اعتمد عليها مونتجمري وات لورودها في كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد، فانظر هذه الروايات كيف تبدو- للوهلة الأولى- غير ذات ضرر، ثم انظر كيف ركبها مونتجمري وات في صورة مضللة فخرج منها بتحليل غريب لهجرة الحبشة، وإن كان لا يُلام عليه وحده.

جاء عند ابن سعد:

١- أن عثمان بن مظعون وعبيدة بن الحارث وأبوسلمة بن عبدالأسد وأبوعبيدة بن الجراح وعبدالرحمن بن عوف أتوا رسول الله ﷺ فعرض عليهم الإسلام وأنبأهم بشرائعه، فأسلموا جميعًا في ساعة واحدة (٤). (من رواية الواقدي وهو متروك، وفي السند انقطاع عند يزيد بن رومان وهو من صغار التابعين).

٢- أن عثمان بن مظعون حرم الخمر في الجاهلية وقال إني لا أشرب شيئًا يُذهب عقلي، ويضحك بي من هو دوني ويحملني على أن أُنكح كريمتي من لا أريد. (قال الذهبي: هذا خبر منقطع لا يثبت)(٥).

٣- وأنه ذهب إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله، إني لا أحب أن ترى امرأتي عورتي، قال رسول الله ﷺ : «ولـمَ؟»، قال: أستحيي من ذلك وأكرهه. قال: «إن الله جعلها لك لباسًا وجعلك لها لباسًا وأهلي يرون عريتي». (قال الذهبي: منقطع، وحكم الألباني بضعفه)(٦).



٤- وأنه اتخذ بيتًا فقعد يتعبد فيه فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاه فأخذ بعضادتي باب البيت الذي هو فيه فقال: «يا عثمان، إن الله لم يبعثني بالرهبانية، مرتين أو ثلاثا، وإن خير الدين عند الله الحنيفية السمحة». (سنده مرسل، وفيه معاوية الجرمي لا تعرف له ترجمة)(٧).

٥- وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لما توفي عثمان بن مظعون وفاة لم يُقْتَل (أي لم يُستشهد ومات على فراشه) هبط من نفسي هبطة ضخمة، فقلت: انظروا إلى هذا الذي كان أشدنا تخليا من الدنيا ثم مات ولم يقتل، فلم يزل عثمان بتلك المنزلة من نفسي حتى توفي رسول الله ﷺ فقلت: ويك إن خيارنا يموتون (أي على فراشهم)، ثم توفي أبو بكر رضي الله عنه فقلت: ويك إن خيارنا يموتون، فرجع عثمان في نفسي إلى المنزلة التي كان بها قبل ذلك». (من رواية الواقدي وهو متروك، وفي السند انقطاع إذ لم يدرك عبيدالله بن عبدالله بن عتبة عمر بن الخطاب)(٨).

٦- وأن خالد بن سعيد- وكان من أوائل المهاجرين إلى الحبشة- تأخر عن بيعة أبي بكر لشهرين أو ثلاثة تكبرا واستنكارا أن يتولى أبو بكر- وهو من تيم- على بني هاشم وبني أمية من بني عبد مناف، فكان هذا مما أثار عمر- وهو من بني عدي الأقل شأنا من بني عبد مناف- فلما أن وَلَّى أبوبكر خالدَ بن سعيد قيادة جيش متجه إلى الشام ما زال به عمر حتى عزله أبوبكر. (وهذه الرواية من رواية الواقدي، وهو متروك، ووردت من طرق كلها ضعيفة(٩).

٧- ثم جاء خبر بلا إسناد عند ابن هشام أن عثمان بن مظعون كان هو الأمير على المهاجرين إلى الحبشة(١٠).

٨- وأخيرا ثمة صحابي اختلف في تاريخ إسلامه، وهو الحجاج بن الحارث بن قيس، فيذكر البعض أنه من السابقين إلى الإسلام والمهاجرين إلى الحبشة ثم إلى المدينة، فيما يذكر آخرون بأنه ظل مشركًا حتى أسِر في غزوة بدر ثم أسلم(١١).

لم يفرق مونتجمري وات بين الصحيح والضعيف من هذه الروايات، بل قرأها كلها معا من طبقات ابن سعد ومن سيرة ابن إسحق، ولا يمكن أن نلومه لعدم تمكنه من تمحيص الأسانيد، فهذه أمور ما نحسب أن مستشرقًا يمكنه أن يُفلح فيها، كيف وعلم الحديث والرجال من أصعب العلوم على المسلمين أنفسهم!! ولقد فعلت الروايات الضعيفة فعلها في بناء الصورة المضللة والتحليل الغريب لموضوع الهجرة إلى الحبشة، حاول وات أن يستنطق الأحداث والظروف ليفهم لماذا أمر النبي ﷺ بعضًا من أصحابه



بالهجرة إلى الحبشة، وحيث انه لن يقبل التفسير الإسلامي للحدث كما يقبله المسلم، لذا خرج بعدد من الاستنتاجات الأخرى، وكان منها هذا التحليل الذي يقول:

من الواضح أن انقسامًا حادًا جرى بين المسلمين الأوائل، ولذا نلاحظ أن المهاجرين إلى الحبشة كان أميرهم عثمان بن مظعون، وعثمان هو الرجل الذي كان- حتى في الجاهلية- لا يشرب الخمر، والذي حاول أن يُدخل إلى الإسلام بُعدا تقشفيا وأن يقود تيار الزهد، وأن محمدًا حاول في أكثر من مرة أن يرده عن هذه التصرفات والأفكار، ويبدو واضحًا من قيادته للمجموعة التي أسلمت مبكرًا، ثم قيادته للمهاجرين إلى الحبشة أنه كان شخصية قيادية وحوله مجموعات تتأثر به، وتدلنا روايات أخرى عن خلافات وتنافسات قائمة بين مجموعة عثمان بن مظعون ومجموعة أخرى يتزعمها أبو بكر ومعه عمر، فحتى بعد وفاة عثمان بن مظعون ظل عمر لا يراه ذا مكانة لأنه مات في فراشه.

كذلك فإن عمر دخل في نزاع مع أسماء بنت عميس- وهي ممن هاجر إلى الحبشة- بدعوى أن المهاجرين إلى المدينة أفضل، وهو ما أغضبها حتى تدخل محمدًا بنفسه لحل الإشكال، كذلك فإن خالد بن سعيد- وهو ممن هاجر إلى الحبشة- أظهر بعد موت محمد عداء لأبي بكر، وكذلك الحجاج بن الحارث بن قيس الذي أسلم وهاجر إلى الحبشة لكنه حارب المسلمين في بدر وأسر، ومن ثم- يقول مونتجمري- شعر محمد بضرورة معالجة هذا الانقسام في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ الدعوة في مكة، فأرسل بمجموعة عثمان بن مظعون التي تنافس مجموعة أبي بكر إلى الحبشة، ليستقيم أمر الجماعة المسلمة في مكة، وهذا هو التفسير لمبادرته بأن يطلب منهم الهجرة مع أنهم أقوياء الإيمان ولاشك في قدرتهم على الثبات على دينهم أمام التعذيب(١٢).

ومن الإنصاف أن نذكر أن مونتجمري وات فتح الباب لخطأ وصواب جميع تحليلاته، وأكثر فيها من ألفاظ الاحتمال والجواز والإمكان وما إلى ذلك من عبارات الاحتياط، كأنما يفكر بصوت مسموع.

قد كان ممكنًا اتهام هذا التحليل بالتعسف والتحيز والتآمر وما إلى ذلك، لو لم تكن مستندات الرجل في التحليل هي الروايات التي وردت فعلًا في كتبنا، وقد وثقناها في هذا المقال من مصادرها الأصلية، وطالما ظلت كتب التراث لا تلقى الاهتمام بتصحيح ما فيها من الروايات على منهج المحدثين، خصوصا في العصر النبوي والراشدي، فإن تاريخهما من السنة التي تُتَبَع، فستظل ما فيها من روايات ضعيفة تنشر مزيدًا من التشويه والتضليل، ويتكئ عليها- جهلًا أو عمدًا- من أراد الطعن في الإسلام وجيله الذهبي، هذا فضلًا عن إثارتها البلبلة والحيرة في نفوس المسلمين، ومساهمتها في تضليل مصلحين يتشوش عليهم منهج الإسلام في الإصلاح والتجديد والنهوض من الأزمات.

وقد ضربنا مثالًا لروايات تبدو بعيدة عن موضوع جوهري، وتبدو كل واحدة منها على حدة غير ذات أثر كبير، إلا أنها حين تجمعت في تحليل أخرجت صورة شائهة، ولذا فهي دعوة للعلماء والجامعات والمراكز البحثية، ولطلبة العلم- لاسيما طلاب علم الحديث- إلى بذل الجهد في هذا الباب، فإنه باب خالد ترجع إليه الأمة في كل أجيالها فيكون أجرًا خالدًا بإذن الله تعالى.

الهوامش

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٩٥/٣، وإسناده صحيح على شرط الشيخين، انظر: الألباني: إرواء الغليل ٧٩/٧، والسلسة الصحيحة ١٨٢/٤، وقال شعيب الأرناؤوط: حسن لغيره في تعليقه على صحيح ابن حبان.

(٢) البخاري (٣٩٩٠)، ومسلم (٢٥٠٣).

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٩٥/٣، وفي السند خلاف، فقال الألباني: إسناد جيد (السلسلة الصحيحة ٣٢٩/٤ - تحت الحديث ١٨٣٠)، فيما أفاد شعيب الأرناؤوط وحسين سليم أسد بأنه منقطع.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٩٣/٣.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٩٤/٣، والذهبي: سير أعلام النبلاء ١٥٥/١.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٩٤/٣، والذهبي: سير أعلام النبلاء ١٥٧/١، والألباني: السلسلة الضعيفة (٣٠٦٦).

(٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٩٥/٣، وقال الألباني عن سنده: مرسل (الصحيحة ٢٨١/٤ - حديث ١٧٨٢)، وانظر: تحقيق شعيب الأرناؤوط وحسين الأسد (حاشية: سير أعلام النبلاء ١٥٨/١).

(٨) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٩٩/٣.

(٩) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٩٧/٤، من رواية الواقدي، ورواه الحاكم في المستدرك (٥٠٨٧)، وقال الذهبي: «منقطع»، والطبري في تاريخه ٣٣١/٢ من طريق محمد بن حميد الرازي- وهو ضعيف- وفي الرواية ابن إسحق وهو مدلس وقد عنعنها. وانظر: محمد بن طاهر البرزنجي: ضعيف تاريخ الطبري ١٤٣/٨، وانظر: عبدالسلام بن محسن آل عيسى: دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م، ٥٣٢/١.

(١٠) ابن هشام: السيرة النبوية، ٤٠٩/١.

(١١) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ٣٠/٢.

(١٢) مونتجمري وات: محمد في مكة، ص٢٤٢ وما بعدها (باختصار وتصرف).



د. محمد جلاء إدريس أستاذ الدراسات العبرية والمتخصص في الرد على أباطيل المستشرقين:

المستشرقون يطرحون حالياً ما كان يطرحه كفار مكة قديماً

حوار: منير أديب

يظل تأثير الاستشراق باقيا ويتزايد مع انتشار الإسلام في الغرب يوما بعد الآخر؛ فيقوم هؤلاء المستشرقون- بتشجيع من دولهم- بإثارة الشبهات حول الإسلام وتعاليمه تارة، وبإلصاق التهم غير الصحيحة بالمسلمين تارة أخرى.. حول تاريخ هذا الاستشراق وعلاقة الصهاينة به، ومدى تأثر المسلمين بالمناهج الاستشراقية، وماذا قدم المسلمون من دراسات إسلامية للرد على المستشرقين، مقارنة بما قدموه من دراسات ألغوا فيها العقل، وما أهدافهم الحقيقية؟ كل هذه الأسئلة وغيرها حاورنا فيها د.محمد جلاء إدريس أحد أبرز المتخصصين في الدراسات العبرية، أستاذ ورئيس قسم الدراسات العربية بجامعة طنطا والمتخصص في الرد على أباطيل المستشرقين الذين يهاجمون الإسلام.. وإليكم نص الحوار:

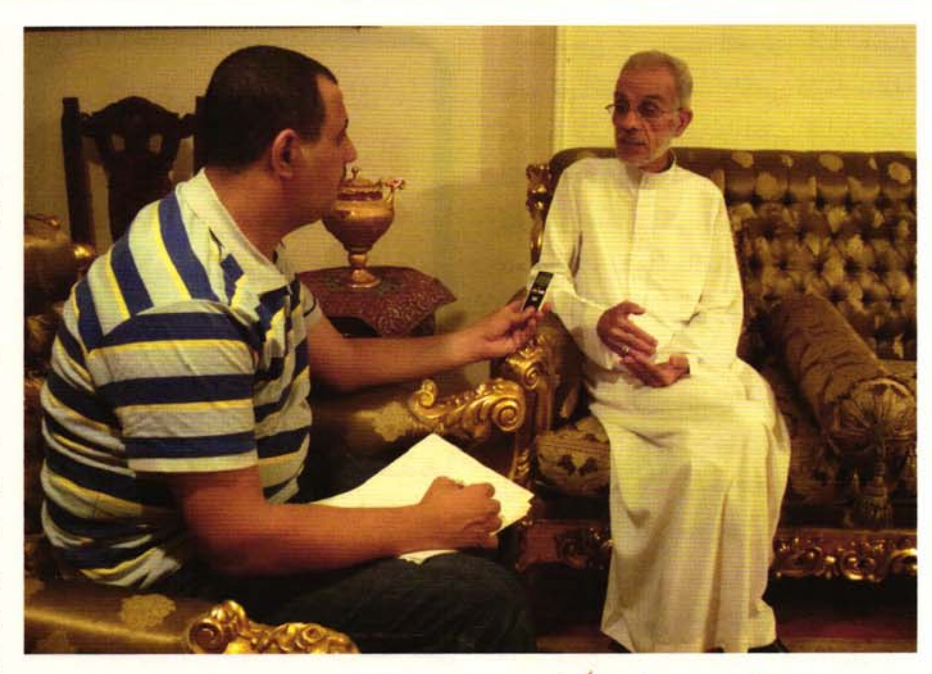
■ **حدثنا عن أهداف الاستشراق ومدى تأثيره على العالم الإسلامي.**

- هناك أهداف كثيرة للاستشراق، ولكن الهدف الأساسي الذي نشأ من أجله هو الهدف الديني، بدليل أن القضايا التي يطرحها المستشرقون في الوقت الحالي هي تلك القضايا التي كان يطرحها كفار مكة قديما وتم الرد عليها بالقرآن الكريم، ويأتي بعد ذلك الهدف العلمي حيث قام المستشرقون بإنجازات علمية أفادت الإسلام والمسلمين، وهناك الهدف التجاري حيث تبنى المستشرقين الكثيرُ من دور النشر التي روجت لهذه الأفكار، وهناك هدف حب الاستطلاع والفضول، فالاستشراق لا ينظر للعواقب بحجم ما ينظر للهدف الذي يريد تحقيقه، وأما أثر الاستشراق على العالم العربي والإسلامي، فكان له تأثيرات إيجابية ولكنها لا تذكر إذا قورنت بالتأثيرات السلبية التي عانى منها العالم العربي والإسلامي، فالمعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف هو عمل استشراقي في الأساس ولكنه أفاد الدراسات الإسلامية والمسلمين في الوقت ذاته، ولكن مقابل هذا العمل هناك عشرات الأعمال التي تحاول أن ترسم صور سلبية تسيء للإسلام والمسلمين، والمستشرقون يكتبون للغرب الذي لا يهتم إلا بالجانب السلبي ويتغاضى عن الجوانب الايجابية.

■ **ماذا عن البداية الحقيقية للاستشراق؟**

- حتى وقتنا هذا لا يوجد اتفاق على البداية الأولى للاستشراق، فهو نتيجة تفاعل نتج بين الشرق الإسلامي من ناحية والغرب غير الإسلامي من ناحية أخرى، فهناك من يرى أن الاستشراق نشأ مع بداية الفتوح الإسلامية، وهناك من يرى أن الاستشراق ظهر بوضوح مع الفتح الأندلسي والحروب الصليبية، وبالنسبة لي فأنا أرى أن الاستشراق ظهر مع بداية البعثة المحمدية، وكل ما سبق يمثل محطات بارزة في تاريخ الاستشراق.





■ ذكرت أن هناك أعمالًا أفادت العالم الإسلامي وضربت مثالا بـ «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف» فما الهدف من وراء هذه الأعمال إذن؟

- استخدم المستشرقون المنهج العلمي لدراسة الإسلام كوسيلة لتحقيق أهدافهم، ولكي يتمكنوا من هذا كان لابد من أدوات بحث تساعدهم، فاضطروا للقيام بهذه الدراسات خاصة أن العالم الإسلامي يفتقد المنهج العلمي للبحث، ولكن على الرغم من الإفادة التي قدمتها تلك الأعمال للعالم الإسلامي فإنها لا تخلو من عمليات تزييف للوقائع وإسقاط وتفسيرات خاطئة للأحداث، والهدف الأساسي وراء هذه الدراسات هو المعرفة الجيدة للعرب والمسلمين حتى يستطيع المستشرقون التأثير على الإسلام واللغة العربية.

■ من وجهة نظركم، كيف يمكن أن يتصدى العالم العربي والإسلامي للاستشراق؟

- أدعو إلى ضرورة استخلاص كل ما فيه إفادة للعالم العربي والإسلامي والبعد كل البعد عن السموم الاستشراقية التي تهدف إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين، وللأسف الشديد فالمستشرقون قدموا لنا أعمالاً تسبقنا بمئات السنين، فنحن حتى الآن لم نستطع إصدار معجم تاريخي لألفاظ اللغة العربية، ونرى الآن الكيان الصهيوني يقوم بإصدار ذلك المعجم لكي يدرس التاريخ العربي ويتعرف أكثر على الثقافة العربية والإسلامية.

المستشرقون تخفوا وراء المناهج العلمية لتزييف الحقائق ونشر التفسيرات الخاطئة للقرآن والسنة النبوية

■ من الذي يقوم بدور الرقيب على الأعمال الاستشراقية للحفاظ على الهوية العربية والإسلامية؟

- هذا هو دور العلماء والمفكرين، ولكن للأسف ينقسم العلماء في عالمنا العربي والإسلامي إلى فريقين: فريق يقبل الاستشراق بكل ما فيه، وفريق يرفضه ويعتبره مؤامرة على الإسلام، وأنا أرفض هذه النظرات، فلابد من دراسة موضوعية للأعمال الاستشراقية.

■ ما مجهوداتكم الفعلية للرد على ما يسيء للإسلام والمسلمين؟

- قمت بدراسة لكتاب يسمى «حضارة العرب» لمستشرق يسمى غوستاف لوبون قام بترجمته عادل زعيتر، وتضمن هذا الكتاب جوانب تشيد بالإسلام، وجوانب أخرى تسيء لصورة الإسلام، وتسيء لخاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ فتناولت هذا الكتاب وقمت بالرد على هذه الإساءات، فلابد أن ننقد العمل الاستشراقى وأن نستفيد بما فيه من إيجابيات ونقوم بتوظيفها للتعامل مع الغرب، وذلك لن يتم بمجهود فرد، فعلى كل من تخصص في الدراسات الإسلامية أن يقوم بالرد على الإساءات الموجهة للإسلام، وذلك من خلال فريق عمل مترابط، وعلى علماء التاريخ وأهل الأدب واللغة أن يقوموا بالرد أيضا على ما تم تزييفه من أحداث تاريخية ونصوص أدبية وغيرها، مشكلتنا أننا نعمل كأفراد، بينما يتميز المستشرقون عنا بأنهم يعملون من خلال مؤسسات.

■ تنادي بضرورة الرد على المستشرقين كمؤسسات وليس كأفراد، فما أهمية ذلك بالنسبة للعالم الإسلامي؟

- لا نريد من هذا العمل سوى تصحيح صورة الإسلام والمسلمين والعرب في الغرب، ورسم صورة تعبر عن المفهوم الحقيقي للإسلام في الغرب، فاليوم الإسلام مرتبط بمصطلح «الإرهاب» وكان من الأسباب الرئيسية



في ذلك بعض الكتابات الاستشراقية التي مهدت لطبع هذه الصورة السيئة عن الإسلام لدى الغرب، ولابد من الرد على هذه الكتابات الاستشراقية بكتابات علمية تعتمد على الجدل العقلي، وتكون بعيدة عن طابع الانفعال الذي لا يغير من المفاهيم الراسخة في المجتمع الغربي عن صورة الإسلام، فلابد من تخصيص قنوات فضائية باللغات المختلفة هدفها الرد على الإساءات الموجهة للإسلام من الغرب، وتوضيح الصورة الحقيقية للإسلام والتعريف بالقيم والمبادئ التي يحثنا عليها الدين الإسلامي والتي تتنافى تماما مع هذه الاتهامات الموجهة للإسلام من الغرب، ومن الأشياء التي تحزنني أننا ليس لدينا من المعرفة ما يؤهلنا أن نقوم بتوظيف رؤوس الأموال بشكل يخدم مصالحنا، فنحن نجيد إهلاك رأس المال، بعكس اليهود فهم يجيدون توظيف أموالهم بالشكل المناسب لصالح الكيان الصهيوني، وأتذكر أثناء دراستي بجامعة «ليدز» بانجلترا مواقف تؤكد ذلك وتبين الاختلافات بين الشخصية العربية والشخصية اليهودية، من هذه المواقف قيام أحد الأثرياء العرب بشراء نادي «شيفرد» لكرة القدم، بينما قام يهودي بشراء وكالة أنباء كانت قد قاربت على الإفلاس، فأصبح اليهودي عنده أداة يستطيع من خلالها أن يوجه الرسالة التي يريدها، بالشكل والمضمون الذي يريد، فهذا مثال يوضح حسن توظيف رأس المال.

■ **لماذا لا يكون هناك وقف للرد على المستشرقين؟**

- هذا الأمر مهم جدا، فلابد للمسلمين أن يكفلوا من يقومون بالرد على المستشرقين بالإنفاق على سفرياتهم ودراساتهم وكذلك أبحاثهم العلمية، وأن يخصص جزء من المال لهذا الجانب.

■ **ما الطرق التي يتخذها المستشرقون لتحقيق ما يسمى بالغزو الفكري؟**

من الطرق المتبعة عملية الإسقاط، فالمستشرق لا يقوم بالدراسة لكي يصل إلى النتيجة، بل عنده فكرة يريد أن يثبتها، دون الرجوع لمصدر إسلامي أصيل، وعلى سبيل المثال، مستشرقة يهودية مثل ريزا دوم تكتب عن الإسلام، تكتب بطبيعة الحال باللغة الإنجليزية ولا علم لها باللغة العربية، فقديما كان المستشرق أفضل لأنه كان على علم باللغة العربية، ومعرفة بالأدب والنحو الصرف.

■ **ما الصور التي يتخفى المستشرقون وراءها.. وهل لهم وجه غير الوجه المعلن؟**

- هم لا يخشون العرب ولا يخشون المسلمين، الشيء الغريب أن هناك بعض الدول العربية تقوم باستضافة هؤلاء لإحياء الندوات والمؤتمرات وغير ذلك، وتتعامل مع أساتذة الجامعات منهم بأضعاف أضعاف العربي، فلماذا يتخفى؟!

■ **ماذا عن حجم الدراسات العربية والإسلامية التي يقدمها المسلمون للغرب مقارنة بما يقدمه لنا الغرب من خلال المستشرقين؟**

الهدف الديني المحرك الأساسي للاستشراق في العالم لضرب الهوية الإسلامية وتشويه صورة المسلمين في الغرب

- نحن لا نكتب للغرب، أنا عندي كتاب لم أكتبه للعرب ولكني كتبته باللغة العربية لأني لا أجيد أن أكتب كتابا كاملا باللغة الإنجليزية، عرضت الكتاب على أكثر من مكان لكي يترجم، وجميع هذه المحاولات باءت بالفشل، وهذا الكتاب كان عن القدس، ويستعرض مكانة القدس عند اليهود من خلال كتبهم هم.

■ **هل تأثر التاريخ الإسلامي بتلك الطعنات التي وجهها المستشرقون وإلى أي مدى كان حجم التأثر؟**

-صورة المسلمين في الغرب صورة مشوهة، وكذلك صورة التاريخ العربي لم تنجُ من التشويه، ولذلك نحن نحتاج إلى من يحسِّن هذه الصورة، ويدفع عن المسلمين تشويه الآخرين لهم.

■ **ما أبرز القضايا الاستشراقية المثارة على الساحة في الوقت الراهن؟**

- «يهودية فلسطين» هي أبرز القضايا المثارة، عندما أتى اليهود لاحتلال فلسطين تم عمل صندوق سمي بـ«استكشاف فلسطين» وهو صندوق استشراقي الهدف منه البحث في جغرافية فلسطين وتاريخ فلسطين وآثار فلسطين لتفيدهم في تثبيت دعائم الكيان الصهيوني الغاصب، وفي الوقت ذاته تقوم بنشر كل هذه الأشياء في الغرب.. والسؤال الذي يطرح نفسه أين الكتاب الذي نشر عن فلسطين في الغرب؟ ولمَ ترتبط المفاهيم المشينة عن الإسلام والمسلمين بأحداث ١١ سبتمبر؟ فقبل هذه الأحداث كان الغرب ينظر للعرب والمسلمين على أنهم أشخاص متخلفون، وبعد هذه الأحداث أضيف مصطلح «إرهابي» فالصورة الإسلامية والعربية في الغرب ارتبطت بالتخلف منذ القدم.

الاستشراق والاستمرار في تزييف وعي الغرب

محمد فتحي النادي

لقد كان اتصال المسلمين بالغرب مبكرًا جدًا، وقد حدث ذلك في عهد رسول الله ﷺ حين بعث برسائله في عام (٦هـ) إلى الملوك والأمراء، وكان من بينهم هرقل قيصر الروم (رأس السلطة الزمنية الغربية آنذاك) -والذي تصادف وجوده في بلاد الشام ساعتها، حاجًا إلى إيلياء لشكر الله تعالى لنصره على الفرس، ولإرجاع الصليب الذي استولى عليه الفرس من قبل، والذي يزعمون أن المسيح قد صُلب عليه(١)- وقد تعاطف هرقل مع دعوة النبي محمد ﷺ وصدّقها، وراسل أحد أصدقائه فوافقه على ذلك، ثم فاتح حاشيته ومستشاريه فرأى منهم النفرة الشديدة، فتراجع عما كان ارتآه، وقد جاءت هذه الصورة في «صحيح البخاري»: «... فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا مَلِكُ هَذِهِ الأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ. ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ، وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ، وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ، فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ، ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ، هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلاَحِ وَالرُّشْدِ، وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ، فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ، فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الأَبْوَابِ، فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ، وَأَيِسَ مِنَ الإِيمَانِ قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ. وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ. فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ»(٢).

حدث بعد ذلك الصدام بين العرب المسلمين وجيش هرقل والعرب الموالين له، وذلك بعد أن قَتل شرحبيلُ الغساني (والذي كان عاملاً على البلقاء من قِبل قيصر) رسولَ رسولِ الله الحارث بن عمير الأزدي، تلك الحادثة التي وقعت على إثرها معركة مؤتة وذلك في عام (٨هـ)، ثم كانت غزوة تبوك في العام التاسع بين الفريقين، إلا أن الرومان وحلفاءهم لم يواجهوا رسول الله ﷺ، ولم يجد العرب الموالون للرومان بُدًّا من موالاة المسلمين وموادعتهم بعدما رأوا قوتهم، وكسرهم لهيبة الرومان الغربيين الذين كانوا يتحكمون في رقاب العرب ومقدرات أوطانهم.

وبعد وفاة رسول الله ﷺ حدثت الصدامات الدامية بين العرب المسلمين والرومان الغربيين، والتي كان من نتائجها أن أجلى العربُ الرومانَ عن بلاد الشام ومصر والمغرب العربي، وعاد الرومان الغربيون إلى بلادهم وهم يتجرعون آلام المرارة والحسرة بعد أن دام سلطانهم على تلك البلاد قرونًا عديدة.

بعدما وصل المسلمون إلى الأندلس نشط اللاهوتيون الغربيون ضد الإسلام واعتبروه قوة خبيثة شريرة

ولم ينته الأمر عند هذا الحد، فلم يكد ينصرم القرن الأول الهجري حتى غزا العرب والبربر المسلمون شبه جزيرة أيبيريا (أسبانيا والبرتغال)، والتي عرفت في التاريخ الإسلامي ببلاد الأندلس.

رجال اللاهوت والتأسيس للأساطير حول الإسلام

كل هذه الأمور تركت أثرًا بليغًا في أنفس الغربيين، فبعد أن كان سلطانهم ممتدًا خارج حدود قارتهم، إذا بهم مهددون في عقر دارهم، كل هذه الأمور جعلت قادة السلطة الكنسية يتخذون الإسلام عدوًا يهدد سلطانهم الديني، ومن المسلمين وحوشًا يلتهمون أوطانهم، وبدأوا ينسجون الأساطير حول هذا الدين، فقد «نشط اللاهوتيون الأوروبيون في ذلك الوقت المبكر ضد الإسلام، وراحوا ينشرون الافتراءات والأكاذيب حول الإسلام ونبيه ﷺ، وزعموا فيما زعموا أن الإسلام قوة خبيثة شريرة، وأن محمدًا ﷺ ليس إلا صنمًا أو إله قبيلة أو شيطانًا. وغزت الأساطير الشعبية والخرافات خيال الكتاب اللاتينيين، ولم يكن الهدف بطبيعة الحال هو عرض صورة موضوعية عن الإسلام، فقد كان هذا أبعد ما يكون عن أذهان المؤلفين في ذلك الزمان..»(٣).

مصادرهم التي اعتمدوا عليها

«قد اعترف جيبير النوجنتي

• باحث في الفكر الإسلامي

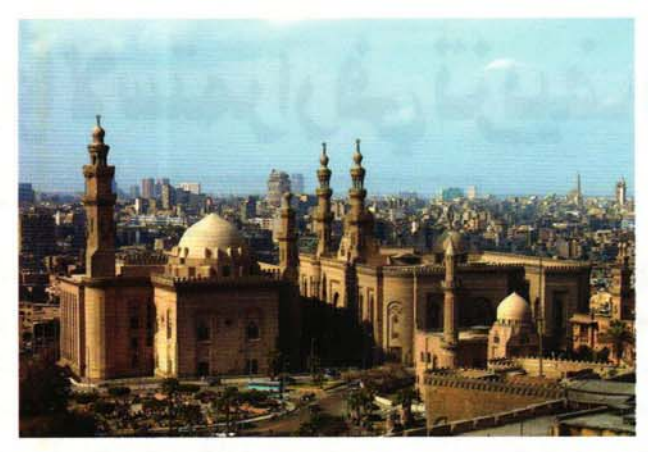


(١٢٢٤م) بأنه لا يعتمد في كتاباته عن الإسلام على أية مصادر مكتوبة، وأشار فقط إلى آراء العامة، وأنه لا يوجد لديه وسيلة للتمييز بين الخطأ والصواب، ثم قال مبررًا كتاباته غير العلمية عن الإسلام ونبيه: لا جناح على المرء إذا ذكر بالسوء من يفوق خبثه كل سوء يمكن أن يتصوره المرء»(٤).

ولكننا نستطيع تتبع أصل هذه الأساطير، فهم قد استقَوْها من النصارى العرب الذين تقلبوا في نعيم الدولة الإسلامية، ولكنهم لم يحفظوا لها هذه اليد وهذا الجميل، ففي «بلاط خلفاء الأمويين كان يوحنا الدمشقي وإخوانه النصارى يعملون على إدخال الآراء المشككة المحيرة بين المسلمين، ولقد لقن يوحنا طائفة كبيرة من أنصاره قصصًا وأخبارًا مزورة عن النبي ﷺ، وطلب منهم أن ينشروها ويروجوها بين المسلمين، كالقصة التي زعموها عن عشق النبي ﷺ لزينب زوجة زيد بن حارثة... وأن الإسلام فرقة مسيحية مارقة ظهرت في عهد الإمبراطور هرقل الروماني بفعل متنبئ من العرب يدعى حامد (أي محمد)، وأن حامدًا هذا كان قد اطلع على كتب العهد القديم والجديد، ثم اتصل بأحد أتباع آريوس المتوحد، والذي طردته الكنيسة؛ لأنه كان يعتقد بالتوحيد المجرد لله، فعرف منه نحلته الوحدوية، فأسس دعوة الإسلام على أساسها، وقد استطاع هذا المتنبئ أن يكتسب قلوب قومه وأن يقدم لهم كتابًا زعم أنه أنزل عليه من السماء، ووضع فيه فرائض مضحكة على أنها الشريعة»(٥).

صورة النبي ﷺ في الوعي الشعبي الأوروبي

النبي محمد ﷺ هو الذي اختاره الله عز وجل لحمل الرسالة الخاتمة إلى العالمين، وبفضله خرج العرب من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان، وحملوا بعده مشعل الهداية إلى العالمين، والطعن فيه هو طعن في الرسالة، لذلك دأب رجال الدين وقادة الفكر والرأي في الغرب على التشكيك في الرسالة والرسول، بل والتشكيك في وجود الرسول أصلاً، بهدف حجب نور الإسلام عن العالم الأوروبيِّ، وبذر بذور الشك حول حياة الرَّسول ﷺ وسط المسلمينَ.. «لقد وجَّهَ أعداءُ الإسلام سهامَهُم إلى شخصية الرَّسول ﷺ وَكلُّهم يَحْسبُ أن المقتلَ الذي يُصَابُ منه الإسلامُ هو تشويهُ سمعة النَّبي ﷺ وتمثيلُه لأتباعه في صورةٍ معيبة، لا تتلاءمُ وشرفُ النبوة، ولا يتَّصفُ صاحبُها بفضيلة الصِّدقَ في طَلَب الإصلاح»(٦)، وسوف نذكر طرفًا مما وصفَ به هؤلاء الغربيون الرسول ﷺ، ونستميح القارئ الكريم



لم تخرج الدراسات الاستشراقية في مجملها عن الطعن في النبي محمد ﷺ رغم دخول الغرب في «عصر العلم»

الغيور على نبيه عذرًا فيما سوف ننقله من إساءات وتجاوزات في حق نبينا ﷺ.

ففي كتاب مترجم عن الألمانية كتبه عالمان سويسريان -هما: «هوبرت هيركومر» و«جيرنوت روتر»- يقولان عن الصورة الغربية، الشائعة والمستكنة في التراث الغربي، عن رسول الإسلام ﷺ: لقد اعتبر المسيحيون الأوروبيون محمدًا رجلاً عاش حياة داعرة، وتجاوز خبثه كل حدود الدناءة والانحطاط.. ولم يتورع خيالهم عن الادعاء بأن رسول الإسلام كان في الأصل كاردينالاً كاثوليكيًا، تجاهلته الكنيسة في انتخابات البابا، فقام بتأسيس طائفة ملحدة في الشرق انتقامًا من الكنيسة، واعتبرت أوروبا المسيحية في القرون الوسطى محمدًا المرتد الأكبر عن المسيحية، الذي يحمل وزر انقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية.

وبشهادة المستشرق الفرنسي الشهير «مكسيم رودنسون» (١٩١٥-٢٠٠٤): فلقد حدث أن الكتاب اللاتين، الذين أخذوا بين عامي ١١٠٠م و١١٤٠م على عاتقهم إشباع الحاجة لدى الإنسان العامي، أخذوا يوجهون اهتمامهم نحو حياة محمد، دون أي اعتبار للدقة، فأطلقوا العنان «لجهل الخيال المنتصر» .. فكان محمد (في عرفهم) ساحرًا، هدم الكنيسة في أفريقيا والشرق عن طريق السحر والخديعة، وضمن نجاحه بأن أباح الاتصالات الجنسية، وكان محمد (في عرف تلك الملاحم) هو صنمهم الرئيسي، وكان معظم الشعراء الجوالة يعتبرونه كبير آلهة السراسنة (البدو)، وكانت تماثيله (حسب أقوالهم) تصنع من مواد غنية، وذات أحجام هائلة!!

تلك هي صورة الإسلام ورسوله في الثقافة الشعبية الأوروبية، التي تبلورت وشاعت منذ العصور الأوروبية الوسيطة قبل العلمانية.. وقبل أن يعرف الغرب شيئًا اسمه «حرية التعبير»!

وإذا كانت الملاحم الشعبية إنما تمثل أكبر المكونات لثقافة جمهور أية أمة من الأمم أو حضارة من الحضارات، فإن «ملحمة رولاند» الشعبية - حوالي عام ١٠٠٠م- تصور المسلمين الذين يبلغ التوحيد الديني للألوهية عندهم أرقى درجات التنزيه والتجريد، تصورهم هذه الملحمة الشعرية الشعبية الأوروبية- وثنيين يعبدون ثالوث:

١- أبولين apollin

٢- وتيرفاجانت tervagant

٣- ومحمد Mahamed

وإذا كان الدين واللاهوت والفلسفة الدينية قد لعبت دورًا بارزًا في تكوين العقل الغربي والثقافة الأوروبية في عصورها الوسطى، فإن «القديس- الفيلسوف توما الإكويني» (١٢٢٥-١٢٧٤) وهو أكبر فلاسفة الكاثوليكية عبر تاريخها- قد صور لقومه رسول الإسلام ﷺ فقال: لقد أغوى محمد الشعوب من خلال وعوده لها بالمتع الشهوانية، وحرّف جميع الأدلة الواردة في التوراة والأناجيل من خلال الأساطير والخرافات التي كان يتلوها على أصحابه، ولم يؤمن برسالته إلا المتوحشون من البشر، الذين كانوا يعيشون في البادية.

أما رأس البروتستانتية «مارتن لوثر» (١٤٨٣- ١٥٤٦)، فلقد قال عن رسول الإسلام -الذي جعل الحياء شعبة من شعب الإيمان، والعفة ثابتًا من ثوابت القيم الإسلامية- .. قال «مارتن لوثر» عن هذا الرسول الكريم: إن محمدًا هو خادم العاهرات، وصائد المومسات.



وإذا كانت «الكوميديا الإلهية» التي كتبها الشاعر الإيطالي الأشهر «دانتي» (١٢٩٥-١٣٢١م) قد غدت معلمًا من معالم ثقافة أوروبا منذ عصر النهضة وحتى هذه اللحظات، ونصًا يدرسه الطلاب في المدارس والجامعات، فإن هذه «الكوميديا الإلهية» قد وضعت رسول الإسلام ﷺ وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه :في الحفرة التاسعة في ثامن حلقة من حلقات جهنم؛ لأنهما -بنظر دانتي»- من أهل الشجار والنفاق الذين تقطعت أجسادهم في سعير الكوميديا الإلهية»(٧).

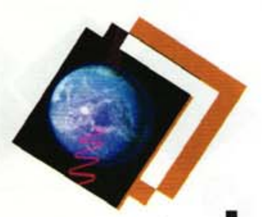
الاستشراق على طريق التزييف للوعي الغربي

«بعد انكسار الغرب إثر الحروب الصليبية -التي امتدت على فترة من الزمان قاربت مائتي عام- وقف مع نفسه وقفة متأنية حاول من خلالها تقويم أعماله الحربية وجدواها في محاولته سحق الإسلام أو حتى إضعاف شوكته، فوجد الحقيقة التي تجلت أمامه أن الفارق كبير بينه وبين الشرق من ناحية الرقي الحضاري والتقدم العلمي، فشعر بضرورة الاستفادة من التقدم الشرقي في كافة المناحي والمجالات، ولم يمض وقت طويل حتى عقد مؤتمر فيينا الكنسي بين عامي ١٣١١-١٣١٢م، وكان من أهم قراراته: إنشاء كرسي للغة العبرية والعربية في معظم جامعات أوروبا، ويعتبر كثير من المؤرخين لحركة الاستشراق أن هذا المؤتمر هو البداية المنظمة وشبه الرسمية للاستشراق، وما كان قبل ذلك إنما كان بمثابة الإرهاص لميلاد هذه الحركة، وتبع ذلك انتشار المدارس والمعاهد الاستشراقية المعنية بدراسة الشرق وعلومه الإسلامية بصفة خاصة»(٨).

ولم تخرج الدراسات الاستشراقية في مجملها إلا ما ندر عن الطعن في النبي محمد ﷺ، رغم دخولهم فيما سمي بـ«عصر العلم».

فهذا جولدزيهر يكتب عن النبي ﷺ وسيرته فيقول: «إنه خلال رحلاته المتعددة التقى ببعض اليهود والنصارى الزاهدين، وأصبح يفكر شيئًا فشيئًا في الحياة الخلقية والدينية السيئة بمكة، وأصبح ضميره يتعمق في هذه الأمور عن طريق التفكير والتأمل، وهكذا أصيب بقلق مؤلم ظهر على السطح عن طريق الاضطرابات العصبية، فانزوى في الجبال مفكرًا في مصير أمته، وهكذا أصبح ثائرًا ضد نظام الحياة المكية، واختلطت تجاربه الشخصية بالمعارف التي استقاها من اليهود والنصارى إلى أن تحولت على هيئة رؤى وأحلام وهلوسة، فعكست شعوره بالثورة ضد الماضي، وكونت هذه الأمور في مجملها ما أذاعه وبشر به في قادم الأيام»(٩).

وهذا غيض من فيض في الاتهامات والتلفيقات والأساطير التي نسجت حول النبي ﷺ، ولم يستطع الكثير من المستشرقين أن ينفلتوا منها، وكأن هؤلاء النفر أرادوا أن يروجوا لما في أذهانهم على أنه خلاصة أبحاثهم



بطريقة علمية منهجية، ويدخلوا هذه الصورة المشوهة على المسلمين ليلبسوا عليهم دينهم، ولقد قال هيكل باشا: «لقد تأثر كثير من المستشرقين في بحوثهم التي صيغت صيغة العلم بأهواء أمزجتهم»(١٠).

وقد أرجع أسباب الأخطاء التي وقعوا فيها إلى عدم إحاطتهم باللغة العربية، إلى جانب تأثير بيئتهم وثقافتهم المسيحية عليهم، فقال: «ليس من اليسير أن يقوم المستشرقون في بحوثهم الإسلامية بكل هذه الدقة وهذا الإنصاف، مهما تحسُن نيتهم ومهما يتحروا الدقة العلمية، فعسير عليهم أن يحيطوا بكل أسرار اللغة العربية وإن أحاطوا بعلومها. ثم إنهم متأثرون بالنصرانية الأوروبية تأثرًا يجعل أكثرهم ينظرون إلى الأديان نظرة تملؤها الريبة، ويجعل الأقلين المستمسكين بمسيحيتهم يتأثرون بما كان بين المسيحية والعلم من نضال، فيخضعون في بحوثهم الإسلامية لمثل ما خضع له أمثالهم في بحوثهم المسيحية أو في بحوثهم الدينية بوجه عام»(١١).

وقد أوقعهم في هذه الأخطاء -إن أحسنا النوايا- اعتمادهم المصادر الضعيفة، وتصيدهم الشاذ من الروايات، وتضخيمه، والنفخ فيه، والتعويل عليه في بناء المواقف واستخلاص القضايا، وانتقاء ما يوافق هواهم ورفض ما يُخالفه...(١٢).

ليسوا سواءً

طبعًا ليس من الإنصاف أن نتهم الجميع ببث الأغاليط وإبقاء الصورة المشوهة في الغرب عن الرسول كما هي، فهناك من أنصف تجاه النبي محمد وسيرته، وإن وقعت منه هنات فهي يسيرة مقارنة بمن لم ير الرسول وسيرته إلا من خلال نظارة سوداء، ومن برناردشو الذي يقول: «إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد، هذا النبي الذي وضع دينه دائمًا موضع الاحترام والإجلال، فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، خالد خلود الأبد... إن رجال الدين في القرون الوسطى ونتيجة للجهل أو التعصب قد رسموا لدين محمد صورة قاتمة، لقد كانوا يعتبرونه عدوًا للمسيحية، لكنني اطلعت على أمر هذا الرجل فوجدته أعجوبة خارقة، وتوصلت إلى أنه لم يكن عدوًا للمسيحية، بل يجب أن يسمى: «منقذ البشرية»، وفي رأيي أنه لو تولى أمر العالم اليوم لوفق في حل مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها».

وقال آن بيزيت: «من المستحيل لأي شخص يدرس حياة وشخصية نبي العرب العظيم ويعرف كيف عاش هذا النبي وكيف علم الناس، إلا أن يشعر بتبجيل هذا النبي الجليل، أحد رسل الله العظماء، ورغم أنني سوف أعرض فيما أروي لكم أشياء قد تكون مألوفة للعديد من الناس فإنني أشعر في كل مرة أعيد فيها قراءة هذه الأشياء بإعجاب وتبجيل متجددين لهذا المعلم العربي العظيم»(١٣).

وأخيرًا

نرى أن المستشرقين في الغالب لم يحاولوا أن يغيروا الصورة المشوهة للمسلمين عند الغرب، وأن الفئة المنصفة ما تزال ضعيفة الصوت أمام التيار العام للغربيين تجاه الإسلام ورسول الإسلام، لاسيما وأننا نجد رغم وجود هؤلاء المنصفين تلك الرسومات المسيئة للرسول ﷺ، وهذا الشعور المعادي المتنامي تجاه المسلمين في الغرب.

ونقول: إن الأساطير الباطلة التي ترسخت عبر القرون المتطاولة في الوعي الغربي عن الإسلام لن تتغير بين عشية وضحاها أو حتى في عشرات السنين، ولكنها تحتاج إلى مجهودات ضخمة من المسلمين الموجودين داخل الغرب؛ لأنهم الأقدر على فهم العقلية الغربية، وكيفية مخاطبتها، وكذلك على إخوانهم المسلمين في العالم الإسلامي أن يمدوهم بما يساعدهم على تبليغ رسالتهم، وكذلك مد جسور التواصل بهؤلاء المنصفين من الغربيين الذين طرحوا التعصب جانبًا، ولم يجعلوا بينهم وبين المسلمين سدًا منيعًا من التصورات المسبقة.

الهوامش

(١) أخرج مسلم في «الجهاد والسير»، باب: «كِتَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى هِرَقْلَ يَدْعُوهُ إِلَى الإِسْلَامِ»، ح(١٧٧٣) أن قيصر «لَمَّا كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ جُنُودَ فَارِسَ مَشَى مِنْ حِمْصَ إِلَى إِيلِيَاءَ شُكْرًا لِمَا أَبْلَاهُ اللَّهُ»، وانظر: الرحيق المختوم، دار إحياء التراث، ص(٣٢٥).

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في «بدء الوحي»، ح(٧) ومواضع أخر.

(٣) د. زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص(٢١-٢٢).

(٤) السابق، ص(٢٢).

(٥) المستشار محمد عزت الطهطاوي: التبشير والاستشراق أحقاد وحملات على النبي محمد ﷺ وبلاد الإسلام، ص(٣٦، ٣٨-٣٩).

(٦) عباس محمود العقاد: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، نقلاً عن د. محمد موسى البر: الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، ص(٤).

(٧) د. محمد عمارة: الإسلام والغرب افتراءات لها تاريخ، دراسة حول الإساءات الغربية الأخيرة للإسلام، ص(٢٦-٣٠) باختصار.

(٨) محمد فتحي النادي: الإسلام والآخر.. رؤية في علم الاستغراب، مقالة على موقع العربية نت.

(٩) د. علي مشاعل: عداوة المستشرقين للنبي ﷺ، موقع إسلام ويب.

(١٠) حياة محمد، ص(٧٦).

(١١) السابق، ص(٧٧).

(١٢) انظر: د. عباس أرحيلة: عن منهج المستشرقين في دراسة السيرة النبوية، موقعه الخاص.

(١٣) حياة وتعاليم محمد، دار مادرس للنشر ١٩٣٢.



تاريخ مُنصِف!

محمد شعبان عبدالحميد

الإنصاف عزيز، وتاريخ التراث الإنساني لا يخلو من الإجحاد والمجحدين، والتاريخ الإسلامي جزء لا يتجزأ من مسيرة هذا التراث الإنساني، وكل علم من العلوم الإنسانية يخضع لمبدأ النسبية في حقيقته وغايته، كل هذه قواعد يعلمها طلاب العلوم الإنسانية، لكن ألم يسأل أحدنا نفسه، ما القيم المستقاة من العلوم الإنسانية، ومنها التاريخ؟

نعم، قد نجيب بمنتهى السرعة والفصل أن غاية التاريخ وفلسفته هي العظة والعبرة والتعرف على أحوال الماضين لتلافي ما وقعوا فيه من مشكلات وبلايا، لكن هذا- في رأيي- لا يكفي؛ ذلك لأن قراءة التاريخ لا يجب أن تضع غايتها في التحصّل على الثمرة المرجوة من النص ذاته، بل التحصل على اللحظة الأخلاقية والتاريخية التي كُتب فيها النص، وأقصدُ الوعي بالزمان والمكان والشخوص ثم الغاية المرجوة.

واللافت أن القراءة المتأنية في تاريخنا الإسلامي تتيح لنا التعرف والتحصل على قيم لا تُعد ولا تحصى منها قيمة «الإنصاف»، وإن محاولة سريعة لاستقصاء هذه الظاهرة في مؤلفات التاريخ الإسلامي في كافة أعصره لن تكفيها مثل هذه الوريقات الصغيرة التي تفي الحق، وتشفي غليل طالب العلم في معرفة ما تُستحق معرفته من هذه الظاهرة الإسلامية الفريدة.

حقيقة تاريخنا

إن التاريخ الإسلامي هو سلوك الأمة الإسلامية وإرادتها الجماعية، ورؤيتها لما جاء به الإسلام، مع التأكيد على أن ثمة فارقًا لا يستهان به بين الإنسان المسلم وبين الإسلام ذاته الذي هو الكمال والذروة التي حاول ويحاول المسلمون- منذ البعثة وحتى اليوم- تفيؤ ظلالها الوارفة، وثمارها الطيبة؛ فالعبث بهذا التاريخ، والاستهزاء به، والتقليل من شأنه، وإقصاؤه، هدرٌ للتجربة الإسلامية الحضارية.

وظاهرة الإنصاف التي نحاول إبرازها في المؤلفات التاريخية الإسلامية لا يمكن أن نفهم سياقاتها والحوافز التي أوجدتها دون معرفة الجذور والأصول والقواعد الأولى، فأصل العلوم الإسلامية- ومنها التاريخ- إنما وجدت وانتشرت وتعددت أوجه تطورها خدمة للإسلام ذاته، فهي الوسائل الكبرى لمعرفة الإسلام والتعريف به، وإن تجربة النبي ﷺ وسيرته كانت حية أمام المسلمين أثناء الكتابة والتأليف والدرس، ومن ثم امتزجت هذه التجربة النبوية المحفزة على تعلم العلم ونشره مع الأخلاق العامة التي جاء الإسلام لإكمالها وتتميمها فأخرجت في نهاية المطاف العالم المسلم المنضبط بالأخلاق والقيم الإسلامية في باطنه وظاهره، فأضحى الضمير الواعي الحي هو المقوّم لكل عالم، فتجد بين السطور ومن خلفها الأثر الأخلاقي الذي تميز به هذا العالم أو انتفاءه وانعدامه عند ذاك، وهذا لن نستطيع العثور عليه في كثير من الكتابات الغربية؛ ذلك أن الوازع الأخلاقي والضمير الوجداني النقي لا نكاد نعثر عليه عند الكثيرين منهم.

ومن ثم، فإن العلوم الإسلامية هي علوم فريدة من هذا الجانب، أي أن نسبتها للإسلام لتصبح إسلامية لم يأت اعتباطًا، أو خبط عشواء، والتساهل الذي نجده في بعض الكتابات التي توسم هذه العلوم بأنها عربية فقط هو تساهل غير موضوعي يضع هذه العلوم على ذات المستوى مع العلوم الغربية؛ وهو إجحاف لا داعي له؛ لأن الفارق بين هذه العلوم المنسوبة للمسلمين وبين تلك المنسوبة للغربيين هو الفارق بين فلسفة الإسلام ورؤيته للإنسان والكون والحياة وبين الفلسفة الغربية المتقيدة بعالم الشهادة، والتي لا تعرف حقيقة ما وراء الطبيعة!

تجربة عبقرية!

إن النبي ﷺ هو القدوة، وصدق الله حينما وصفه بأنه الأسوة لهذه الأمة الممتدة عبر الزمان، والمترامية عبر المكان، حينما قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١)، وإننا ما علمنا الإنصاف إلا منه؛ فلقد كانت الحرب شديدة بينه وبين كفار مكة ومن عاونهم وسار على نهجهم من الأعراب، ومع هذا لم يكن ﷺ يجد حرجًا أو عيبًا في ذكر الصفات الطيبة والإيجابيات التي يراها في أعدائه، وكثيرة هي أقواله ومواقفه

باحث مصري في التاريخ والتراث



المنصفة فيهم.

ومع اتساع الرقعة الجغرافية للحضارة الإسلامية، وتوالي الأيام على الأجيال الجديدة والكثيرة، حفز ذلك المسلمين على الاهتمام بتدوين العلوم، فبدأ صحابة النبي ﷺ منذ عهد الخليفة الأول أبي بكر ؓ في مناقشة هذه القضية المحورية التي تحافظ على ما جاء به الإسلام خاصة في حفظ القرآن الكريم من خلال تدوينه، ثم ما لبث القرن الأول الهجري في الانتهاء حتى عُني أبناء هذه الحضارة بتدوين الحديث النبوي الشريف، وقد استتبع تدوين الحديث مجموعة من القيود كان من الواجب تقعيدها ووضعها، خوفًا من تقويل رسول الله ﷺ ما لم يقله، هذه القيود أفرزت لنا في نهاية الأمر تجربة عقلية فريدة من نوعها وسمت بأنها علم جديد من جملة العلوم التي تمخضت عن هذا الدين الجديد.

وخدمة لهذا العلم الجديد، الذي يهتم بدراسة متن الحديث وسنده، بدأت الأسئلة تترى وتتوالى وتجول في عقل المحدث، منها: من راوي هذا الحديث؟ وكيف رواه؟ ومن أين أخذه؟ ولمن أعطاه؟ وكيف جاء إلينا؟ وإزاء هذه الأسئلة الملحة، بدأ المخلصون وعلماء كل قطر في تقييم رجالاتهم تقييمًا يهتم بالجوانب العلمية والأخلاقية لناقل الحديث، ثم بدأت هذه التجربة تنتشر، ويستفيد كل قطر إسلامي بما كتبه الآخرون عن أبنائهم والعكس، وترتب على هذا أن وصلت إلينا كتب السنة منها الصحيح، ومنها الضعيف، ومنها الموضوع، ومنها المنكر...، بفضل نقد أولئك الأفذاذ، ثم استفادت الأجيال اللاحقة من الأجيال السابقة حتى يومنا هذا.

تلك المصنفات التي اهتمت بنقد الرجال وتعديلهم وجرحهم، أطلق عليها كتب الطبقات والتراجم، ولاشك أن علم التاريخ وعلومًا أخرى قد استفادت استفادة عظمى من تجربة رجال الحديث في هذا المضمار، هذه التجربة المبهرة لا نستطيع إلا أن نصفها بأنها «الإنصاف».. إنصاف يضع كل امرئ في مكانه الصحيح، طبقًا للمعيار الجماعي الذي ارتآه العلماء المنصفون من أمتنا الراشدة.

إن هذا الإنصاف لرجالات هذه الأمة وجدناه حاضرًا بقوة منذ القرن الأول الهجري، السابع الميلادي، فأين كانت تقييمات الرومان والفرس واليونان لأبناء جلدتهم ولعلومهم في تلكم الأوقات؟ لا ندري، بل ويعجب المستشرق الألماني سبرنجر مثل عجبنا، فلا يستطيع كتم هذا الإعجاب فيقول: «لم تكن فيما مضى أمة من الأمم السالفة، كما أنه لا توجد الآن أمة من الأمم المعاصرة أتت في علم أسماء الرجال بمثل ما جاء به المسلمون في هذا العلم العظيم الخطر الذي يتناول أحوال خمسمائة ألف رجل وشؤونهم» (١).

تلك التجربة العبقرية يتتبعها المتأمل فيها؛ محاولا تبريرها وتفسير ظهورها ونضوجها فلا يجد إلا الصبغة الإسلامية المهيمنة على العقل الواعي المتقيد بالضوابط الأخلاقية الإسلامية الراشدة، التي أنتجت هذا العلم وغيره من العلوم التي أبهرت الشرق والغرب ولا تزال.

تميزت الرؤية الإسلامية للذات والآخر بأنها رؤية موضوعية تحق الحق وتبطل الباطل

وإن نظرة في أحد هذه المؤلفات، كسير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (ت٧٤٨هـ)، يدهشك كل الدهشة، بل يضع لك أنموذجًا خالدًا في كيفية تعلم الإنصاف وتعليمه، وانظر كيف ترجم الذهبي لعالم الأندلس الشهير محمد بن عبدالله بن العربي، الشهير بابن العربي بقوله: «أدخل الأندلس إسنادًا عاليًا، وعلما جمًا، وكان ثاقب الذهن، عذب المنطق، كريم الشمائل، كامل السؤدد، ولي قضاء إشبيلية، فحمدت سياسته، وكان ذا شدة وسطوة، فعزل، وأقبل على نشر العلم وتدوينه» (٢) ، وكان والد ابن العربي عالمًا أخذ العلم من عالم الأندلس ابن حزم (ت٤٥٦هـ) معجبًا به غاية الإعجاب، متتبعًا لمعظم مؤلفاته، غير أن ولده ابن العربي لم يكن مقتنعًا بعلم ابن حزم ومكانته، وكثيرًا ما تناوله، ولذلك قال الذهبي بأسلوب العالم المدقق الذي يعلم حقيقة الإنصاف ومغزاه: «ولم أنقم على القاضي ابن العربي رحمه الله إلا إقذاعه في ذم ابن حزم واستجهاله له، وابن حزم أوسع دائرة من أبي بكر في العلوم، وأحفظ بكثير، وقد أصاب في أشياء وأجاد، وزلق في مضايق كغيره من الأئمة، والإنصاف عزيز» (٣).

نعم، صدق الذهبي: الإنصاف عزيز، والحق أن الذهبي لم يكن الوحيد من علماء الإنصاف في هذه الأمة؛ إذ هو- مع ما له من المكانة والفضل- واحد من آلاف علمائنا في هذا الشأن.

إنصاف العدو!

ولنرَ كيف رأى المؤرخون المسلمون «الفرنج» الأعداء؟ وكيف كتبوا عنهم سواء في المشرق أو المغرب؟ أمامنا تجربتان في غاية الأهمية، الأولى مع المؤرخ الأديب والفارس البطل الهمام أسامة بن منقذ (ت٥٨٤هـ) في سيرته





الشهيرة الجميلة «الاعتبار»، وهو ممن تعامل بسلام مع الفرنج وقت السلم، وجاهد حق الجهاد أمامهم وقت الحرب في زمن الحروب الصليبية، والثاني الأديب الوزير، وصاحب الرياستين في الدولة النصرية بالأندلس، الذي ذاعت شهرته وهو لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ) الذي تناول الأوضاع السياسية والعلمية والأدبية في كتابه الشهير «الإحاطة في أخبار غرناطة»، وقد كانت الدولة النصرية في حروب متصلة مع صليبيي الشمال الأندلسي في زمانه.

لقد أفرد أسامة بن منقذ في كتابه «الاعتبار» فصلاً عن طبائع الإفرنج (الصليبيين) وأخلاقهم، وهو فصل يكشف لك عن دقته وملاحظاته القيمة عن «الآخر» العدو؛ فهو يتحدث عن بعض علومهم ومنها الطب، وعن طبائعهم ومعاملاتهم، وقوانينهم وقضائهم، وبعض العادات والتقاليد التي لاحظها ورآها عن قرب، وهو في هذا كله يكشف الإيجابيات والسلبيات، وهو حينما يتحدث عن انعدام الغيرة من خلال بعض القصص التي يُدلل بها على هذا الأمر، نراه مختتمًا حديثه عن دياثة الإفرنج بقوله: «فانظروا إلى هذا الاختلاف العظيم.. ما فيهم غَيْرة ولا نخوة وفيهم الشجاعة العظيمة» (٤) ، ويقول عنهم في موضع آخر: «سبحان الخالق البارئ إذا خبُر الإنسان أمور الإفرنج سبّح الله تعالى وقدّسه، ورأى بهائم فيهم فضيلة الشجاعة والقتال لا غير» (٥) ، وليس أدلّ على الإنصاف من هذا القول.

تلك الرؤية نجدها بتمامها عند ابن الخطيب في «الإحاطة في أخبار غرناطة»، فبالرغم من الحروب القوية والمتواصلة بين الصليبيين وأهل الأندلس، والتي أسفرت في النهاية عن سقوط الأندلس بالكلية في أيديهم فإننا نجد ابن الخطيب يصف هؤلاء الأعداء بقوله: «وحال هذه الأمة غريبة في الحماية الممزوجة بالوفاء والرقة، والاستهانة بالنفوس في سبيل الحمد.. وأخبارهم في القتال غريبة، من الاسترجال والزحف على الأقدام، أميرهم ومأمورهم، والجثُوّ (٦) في الأرض، أو دفن ببعض الأرض في التراب، والاستظهار في حال المحاربة ببعض الألحان المهَيّجة، ورماتهم قسيهم غريبة جافية، وكلهم في دروع، والإحجام عندهم، والتقهقر مقدار الشبر ذنبٌ عظيم، وعار شنيع، ورماتهم يثبُتُون للخيل في الطّراد» (٧).

تلك هي الرؤية الإسلامية للذات والآخر، رؤية موضوعية في مجملها، تحق الحق وتبطل الباطل، ولو تتبعنا ميراثنا العلمي والأدبي والتاريخي لعلمنا وعلم غيرنا من علماء الشرق والغرب ماهية الإنصاف، والحق أن كثيرًا من مؤرخي الغرب ينصفون التراث الإسلامي- مع إجحاف البقية الباقية منهم- وينظرون إلى قيمه بشيء من الإكبار والإجلال، وليس أدل على ذلك من أن كثيرًا من مؤرخي الإسبان لا ينخرطون في الاحتفالات السنوية لذكرى خروج المسلمين من الأندلس؛ إذ يعدون ذلك خسارة للحضارة الإسبانية، ولكن ظاهرة الإسلاموفوبيا التي تناست حضارتنا وغذتها روح العنصرية والجحود يجب أن يتصدى لها المخلصون من علمائنا وقادتنا، ويذكّروا الغرب والشرق بالإسلام وحضارته وعلومه، فهذا بلا ريب فرض كفاية علينا.

الهوامش

١- أحمد عادل كمال: الطريق إلى دمشق ص٦١.
٢- الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٠٠/٢٠.
٣- الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٠٢/٢٠، ٢٠٣.
٤- أسامة بن منقذ: الاعتبار، تحقيق فليب حتي ص١٣٧.
٥- أسامة بن منقذ: السابق ص١٣٢.
٦- أي التخفي والتربص.
٧- لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان ٤٣/٢، ٤٤.

الحفاظ على الثوابت الشرعية والاجتهاد في المتغيرات

حريٌّ بنا أن نلقي الضوء على موضوع يعلمه البعض ويخفى عن آخرين، وهو موضوعنا هذا، ولأهميته وددتُ أن أوضّحه في مسألتين اثنتين، هما:



د. صالح النهام

المسألة الأولى: الشريعة الإسلامية خاتمة الشرائع.

لقد اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى أن تكون هذه الشريعة الإسلامية هي خاتمة الشرائع(١)، إذ ليس كتاب بعد كتابها، ولا نبي بعد نبيها، حيث قال الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ (آل عمران: ٨٥)، وقد قال بعض المفسرين عن هذه الآية بأنها إبطال لجميع الأديان غير الإسلام(٢).

وإن من رحمة الله سبحانه وتعالى بالخلق أن أكرمهم بالرسالة المحمدية: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾(الأنبياء: ١٠٧)، ومن مقتضيات تلك الرحمة تحقيق مصالح الناس في الدنيا والآخرة.

يقول الشاطبي عن هذه الآية وأشباهها: «إنها من الآيات الدالة على وضع الشريعة لمصالح العباد»(٣).

ومما يؤكد مراعاة المصالح أن هذه الشريعة تشتمل على أحكام عامة هي العزيمة، وأحكام خاصة هي الرخصة؛ وذلك مراعاة للظروف والأحوال الاستثنائية، والأعذار الطارئة دون مشقة أو حرج يقع فيه المسلم عند قيامه بأحكام الإسلام(٤).

وحين أراد الله عز وجل أن تكون هذه الأمة آخر الأمم وشاهدة عليها، جعل شريعتها خاتمة الشرائع وناسخة لها؛ لتبقى خالدة باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولهذا كان القرآن العظيم، بما حوى من عقائد وأحكام، متضمنًا للتعاليم السابقة، وملبيًا لحاجات الناس الراهنة والقادمة، صالحا للتطبيق والعمل مهما اختلفت الظروف والأحوال وتعاقبت الأزمنة والأيام، والإسلام عقيدة وشريعة، ودين ودولة، وهذا ما يجعل حياة المسلم وحدة مترابطة منسجمة لا تعارض فيها ولا تناقض، فعقيدة المسلم تحكم باطنه، وشريعة الإسلام تحكم ظاهره ومجتمعه(٥).

ألا وإن الشريعة الإسلامية شريعة دعوة ربانية عالمية للناس كافة، في كل زمان ومكان، تلزم كل من تبلغه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»(٦). ومعنى الأمة في هذا الحديث: عموم أهل الدعوة، أي: كل من دعاه إلى الإيمان؛ لأن قوله ﷺ: «يهودي ولا نصراني» بدل من قوله: «من هذه الأمة»، أي: بدل من «الأمة» بدل بعض من كل(٧).

وإذا كان الإسلام ختم الشرائع السابقة كلها، ومحمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، فذلك يعني أن الشرائع الإلهية انقطعت، وأن الوحي الإلهي لم يَعُد ينزل على أحد، يقول الله عز وجل: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما﴾(الأحزاب: ٤٠)، وعلى هذا فلا يُتَصور أن يُنْسخ الإسلام أو يغيره شيء(٨).

المسألة الثانية: خصائص الشريعة الإسلامية.

لما كانت الرسالة المحمدية آخر الرسالات السماوية كان من خصائصها البارزة حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية، والشمول، والعموم، والثبات(٩)، أي أنها صالحة لكل زمان ومكان، وخالدة بخلود الإنسان، وفي جميع الظروف والأحوال، وبهذا تتحقق مصالح الناس وفق قواعد هذه الشريعة الغراء وأحكامها الصالحة لكل زمان ومكان، والمهيأة للبقاء والاستمرار لهذا العموم، وهذا فضل من الله جل جلاله على بني الإنسان.

وقد أوجب الله سبحانه وتعالى على المسلمين التمسك بأحكام الشريعة الإسلامية، وفرض عليهم الالتزام بها في كل أوجه نشاط حياتهم وعلاقاتهم، قال الله عز وجل: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون﴾(الأعراف: ٣).

مراقب مجلة الوعي الإسلامي

أولاً: حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية.

لاريب أن القرآن الكريم والسنة النبوية هما المصدران الأساسيان للشريعة الإسلامية؛ وقد تكفل الله عز وجل بحفظ كتابه العزيز بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر: ٩)، وحفظ القرآن الكريم حفظ للسنة الشريفة؛ لكون السنة شطر الدين، وفيها بيان لمجملات القرآن، وتقييد لظواهره؛ بحيث لا يمكن العمل بكثير من آيات الأحكام إلا بالرجوع إلى ما يفسرها من السنة، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾(النحل: ٤٤).

وفي هذا الصدد قال المعلمي وغيره(١٠): «فأما السنة؛ فقد تكفّل الله بحفظها أيضًا؛ لأن تكفله بحفظ القرآن يستلزم تكفله بحفظ بيانه وهو السنة، وحفظ لسانه وهو العربية؛ إذ المقصود بقاء الحجة قائمة والهداية باقية؛ بحيث ينالها من يطلبها؛ لأن محمدًا خاتم الأنبياء، وشريعته خاتمة الشرائع، بل دلّ على ذلك قوله تعالى:﴿ثم إن علينا بيانه﴾(القيامة: ١٩)، فحفظ الله السنة في صدور الصحابة والتابعين حتى كتبت ودونت»(١١). ويدل على هذا قول رسول الله ﷺ: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين»(١٢)، وقد قيل: إن النبي ﷺ قد أضاف السنة إلى صحابته الكرام كما أضافها إلى نفسه، فسنتهم هي ما عملوه استنادًا لسنته ﷺ وإن لم تطلع عليها منقولة عنه، وكذا ما استنبطوه بما اقتضاه نظرهم في المصلحة(١٣).

والمعبر في السنة هو بمنزلة البيان والتفسير والشرح لمعاني أحكام الكتاب، وحفظ المبيّن يقتضي حفظ البيان؛ لأنه لازم له (١٤). والسنة أيضًا مكملة لأصول الشريعة، فلقد حددت الآيتان من سورة النساء من يَحرم زواجُهن في قوله عز وجل: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم...﴾إلى قوله تعالى: ﴿وأحل لكم ما وراء ذلكم...﴾(النساء: ٢٣-٢٤)، فجاءت السنة فأخرجت من ذلك زواج المرأة على عمتها أو خالتها؛ وذلك حين قال النبي ﷺ: «لا تُنْكَح المرأة على عمّتها، ولا على خالتها»(١٥) ثم نبّه ﷺ بعد ذلك على علة هذا الحكم بقوله: «فإنكم إذا فعلتم ذلك فقد قطعتم أرحامكم»(١٦).

الشريعة الإسلامية عامة لا يختص بها قبيل من البشر دون قبيل ودائمة فلا يختص بها جيل دون جيل

وقد تعدد معنى السنة اصطلاحًا عند كل من: المحدثين، والأصوليين، ثم الفقهاء؛ وسبب ذلك بيانه فيما يلي:

- يذكر المحدثون السنة بأنها: «ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول، أو فعل أو تقرير أو وصف أو سيرة»(١٧)، وهذا عند بعضهم، وعند الأكثر أنها: «تشمل ما أضيف إلى الصحابي أو التابعي»(١٨)، ويشمل الوصف صفاته الخَلقية والخُلقية، كما تشمل السيرة حياته ﷺ قبل البعثة وبعدها.

- ويذكر الأصوليون السنة بأنها دليل من أدلة الفقه في مقابلة الكتاب والإجماع والقياس، ويعرفونها من بين هذه الأدلة بأنها: «ما ثبت عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير»(١٩).

- ويذكر الفقهاء السنة في أبواب العبادات مثلًا في مقابلة الفرض، فغسل الوجه في الوضوء فرض، بينما تثليث الغسل سنة؛ فهي تطلق عند الفقهاء على: «ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه»(٢٠)، وتنقسم عندهم إلى سنة هدى، وسنة زوائد؛ فما فعله النبي ﷺ على سبيل العبادة يُسمى سنة هدى، وتسمى أيضًا السنة المؤكدة كالأذان والإقامة، وما فعله على سبيل العادة فهي سنة زوائد، كطريقة النبي ﷺ في قيامه وقعوده ومشيه ولباسه وأكله(٢١).

وحول سبب الاختلاف في تعريف السنة إليك ما قاله د. السباعي: «ومرد هذا الاختلاف في الاصطلاح إلى اختلافهم في الأغراض التي يُعنى بها كل فئة من أهل العلم، فعلماء الحديث إنما بحثوا عن رسول الله ﷺ الإمام الهادي الذي أخبر الله عنه أنه أسوة لنا وقدوة، فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة وخلق وشمائل وأخبار وأقوال وأفعال، سواء أثبت ذلك حكمًا شرعيًا أم لا.

وعلماء الأصول إنما بحثوا عن رسول الله ﷺ المشرّع الذي يضع القواعد للمجتهدين من بعده، ويُبيّن للناس دستور الحياة، فعنوا بأقواله وأفعاله وتقريراته التي تثبت الأحكام وتقررها.

وعلماء الفقه إنما بحثوا عن رسول الله ﷺ الذي لا تخرج أفعاله عن الدلالة على حكم شرعي، وهم يبحثون عن حكم الشرع على أفعال العباد وجوبًا أو حرمةً أو إباحةً أو غير ذلك»(٢٢).

هذا وقد يرد لفظ السنة ولا يراد به معناها في اصطلاح المحدثين أو الأصوليين أو الفقهاء؛ وذلك كما إذا ورد لفظ السنة في الحديث النبوي وكلام الصحابة والتابعين، كحديث أنس رضي الله عنه في النفر الثلاثة الذين تقالّوا عبادته ﷺ فقال لهم: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(٢٣). فالسنة في كلام النبي هاهنا معناها: «الطريقة المشروعة المتبعة في الدين»(٢٤).

ثانيًا: الثبات والشمول.

الشريعة الإسلامية عامة؛ لا يختص بها قبيل من البشر دون قبيل، ودائمة؛ فلا يختص بها جيل دون جيل، قال سبحانه وتعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس

بشيرا ونذيرا...﴾(سبأ: ٢٨)، وقال عز وجل: ﴿قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾(الأعراف: ١٥٨)، وأفعال البشر على اختلاف أجناسهم وتعاقب عصورهم لا تنتهي إلى حد، ولا تدخل تحت حصر(٢٥).

وقد ذكر الشافعي كلامًا نفيسًا في قوله عز وجل: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ (النحل: ٨٩)، يقول فيه: «فليست تنزل بأحد من أهل دين نازلة إلا وفي كتاب الله على سبيل الهدى فيها»(٢٦)، ولاشك أن في هذه الآية دلالة صريحة على شمول هذه الشريعة لجميع ما يحتاجه الناس في جميع المجتمعات على مر العصور وتغير الأحوال(٢٧)، وهذا من شرفها على سائر الملل والشرائع.

وذكر القرطبي تفسيرًا للآية السابقة فقال: «إن القرآن العظيم فيه تبيان لكل شيء، وذلك إما على سبيل الإجمال، وإما على سبيل التفصيل والشرح، والمجمل يتلقى بيانه من الرسول ﷺ، أو من الإجماع، أو من القياس»(٢٨).

ثالثا: تعليل الأحكام الشرعية.

قال الخطيب البغدادي: «التعبد من الله تعالى لعباده على معنيين:

المعنى الأول: التعبد في الشيء بعينه لا لعلة معقولة؛ فما كان من هذا النوع؛ لم يجز أن يقاس عليه.

المعنى الثاني: التعبد لعلل مقرونة به، وهي الأصول التي جعلها الله تعالى أعلامًا للفقهاء؛ فردوا عليها ما حدث من أمر دينهم، مما ليس فيه نص بالتشبيه والتمثيل عند تساوي العلل من الفروع بالأصول، وليس يجب أن يشارك الفرع الأصل في جميع المعاني، ولو كان ذلك واجبًا؛ لكان الأصل هو الفرع، ولما كان يتهيأ قياس شيء على غيره، وإنما القياس تشبيه الشيء بأقرب الأصول به شَبَهًا، ألا ترى أن الله تعالى حكم في الصيد بالمثل في النَّعم، وحكموا في النعامة بالبدنة، وإنما يتفقان في بعض المعاني، وكذلك الحكم بالقيم والأمثال في الأشياء المتلفة، والله أعلم»(٢٩).

تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والإنسان أمر في غاية الأهمية يتطلب اجتهاداً يبين حكم الله تعالى

رابعًا: احتواء التشريع الإسلامي على مبادئ عدة تحكمه.

وهذه المبادئ تعود في جملتها إلى علم القواعد الفقهية، حيث دلت النصوص الشرعية على اعتبارها، ومن ذلك القواعد الخمس التي عليها مدار الفقه الإسلامي(٣٠):

قاعدة: الأمور بمقاصدها.
قاعدة: اليقين لا يزال بالشك.
قاعدة: الضرر يزال.
قاعدة: المشقة تجلب التيسير.
قاعدة: العادة محكمة.

ومن القاعدة الثالثة والأخيرة انبثق قول الفقهاء: «لا ينكر تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان»(٣١)، والذي يعتبر كلمة حق؛ لأن المقصود من تغير الزمان (٣٢) هو تغير العادات والأحوال للناس في زمن عنه في زمن آخر، أو في مكان عنه في مكان آخر، مهما اختلفت المؤثرات التي أدت إلى تغير الأعراف والعادات، وقد أُسند التغيير إلى الزمان مجازًا؛ فالزمن لا يتغير، وإنما يطرأ التغير على الناس، والتغير لا يشمل جوهر الإنسان في أصل جبِلّته وتكوينه؛ فالإنسان إنسان منذ خُلق، ولكن التغيير يتناول أفكاره وصفاته وعاداته وسلوكه؛ مما يؤدي إلى وجود عرف عام أو خاص، يترتب عليه تبديل الأحكام المبنية على الأعراف والعادات، والأحكام الاجتهادية التي استُنبطت بدليل القياس أو المصالح المرسلة أو الاستحسان أو غيرها من الأدلة الفرعية(٣٣).

غير أن هذه القاعدة ليست على إطلاقها؛ فالمأمورات والمنهيات المعلومة من الدين بالضرورة لا تخضع لقاعدة التغير بسبب الزمان، لأن الذي يتغير هو الأحكام الاجتهادية، وأما القطعيات من الأحكام فلا تتغير؛ فلا يمكن أن تتغير المواريث بدعوى أن المرأة أصبح لها شأن، ولا يمكن أن يتغير تحريم ربا النسيئة في بلاد الإسلام، ولا تحريم أكل الميتة والخنزير، وتغير الفتوى لا يكون إلا لترجيح مصلحة شرعية لم تكن راجحة في وقت من الأوقات، أو لدرء مفسدة حادثة لم تكن قائمة في زمن من الأزمنة(٣٤).

ولاريب أن الأحكام الشرعية بثبوتها ورسوخ قواعدها، وشمولها لكل ما يجد في الحياة قادرة على تنظيم حياة الناس الفردية والجماعية بما يضمن لهم السعادة والنجاح في الدنيا والآخرة، ولاشك أن هذا الأمر لا يمكن أن يكون واقعًا ملموسًا ما لم يوجد من العلماء المجتهدين من يعالج ضرورات الواقع وتطورات الحياة، وما تقذفه من قضايا ومستجدات تتطلب حلًا سريعًا، وفكرًا حرًا طليقًا، وحيوية علمية، تتجاوب مع المقتضيات، وتواكب تقدم الحياة، بل وترسي دعائم المستقبل وفق الشروط والضوابط التي نص عليها الأصوليون في كتبهم ومؤلفاتهم.

والناس اليوم كما هو معلوم في وضع يختلف كثيرًا عما كانت عليه أوضاع السابقين، بحيث صار لهم من الحاجات والمشكلات ما لم يكن عند أسلافهم، فيجب مراعاة هذا التغير، وأن يفتى لهم في القضايا المعاصرة في ضوء ملابساتها، ولا يجوز إخضاعها لآراء قديمة قيلت في ضوء ملابسات مختلفة،

وشاهد ذلك ما عرفه التاريخ من فقه الإمام الشافعي القديم، ومذهبه الجديد، حيث غيَّر بعض اجتهاده في عصرين متقاربين.. فعصره الأول: كان قبل أن يستقر في مصر، بينما عصره الثاني: فكان بعد أن استقر في مصر(٣٥).

وللعلم فإن مذهب الإمام الشافعي القديم والجديد إنما توصف بهما أقواله وكتبه، فأقواله بالعراق وكتبه التي ألفها قبل مجيئه مصر يقال لها: القديم، وأقواله بمصر وكتبه التي صنفها فيها يقال لها: الجديد، وإطلاق القديم والجديد على مذهبه فمجاز؛ لأن مذهبه واحد لا ثاني له، ويسير وفقًا لقانون التطور والنمو، وكذلك كثيرًا ما يوصف مذهبه القديم والجديد بهما فقهه؛ لأنه يتعلق بالفروع، والفروع أغلبها مبنية على الاجتهاد، والاجتهاد كثيرًا ما يتعرض للتغير لأسباب اقتضت ذلك، أما الأصول فإنها تتعلق بالقواعد العامة، والقواعد العامة قلما تتغير(٣٦).

فإذا كان ذاك قد حدث في تلك العصور، فكيف يكون اليوم في عصر تغيرت فيه أشياء كثيرة بعد الانقلاب الصناعي، والتقدم التكنولوجي؟ لذا على من تصدر منصب الإفتاء الاجتهاد في ضوء المتغيرات، وأن يُقَدِّر ظروف العصر وضروراته، مما عمت به البلوى، وأن يُطبِّق على الواقع ما قرره علماؤنا من تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والعرف والحال، ورحم الله ابن أبي زيد القيرواني حيث كان يسكن في أطراف المدينة، فاتخذ كلبًا للحراسة، فقيل له: كيف تفعل ذلك ومالك يكرهه؟ فقال: لو أن مالكًا في زماننا لاتخذ أسدًا ضاريًا (٣٧).

هذا فاعتبار تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والإنسان، والإلمام بثقافة العصر وضروراته ومستجداته لأمر في غاية الأهمية؛ حيث يتطلب اجتهادًا يبين فيه حكم الله عز وجل.

الهوامش

(١) انظر: أصول التشريع الإسلامي للشيخ/ علي حسب الله: (ص: ٤٢٠-٤٤٢)، شريعة الإسلام خلودها وصلاحها للتطبيق في كل زمان ومكان للدكتور/ يوسف القرضاوي، الفقه الإسلامي آفاقه وتطوره لعباس حسني محمد: (ص: ٥٣-٦٧)، أصول الدعوة للدكتور/ عبدالكريم زيدان: (ص: ٤٦-٤٧).
(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي: (١/ ١١٢).
(٣) انظر: الموافقات للشاطبي: (٢/ ٤).
(٤) انظر: أصول الدعوة (ص: ٥٣-٥٤).
(٥) انظر: منهج استنباط أحكام النوازل الفقهية المعاصرة للدكتور/ مسفر القحطاني: (ص: ٢٥- ٢٦).
(٦) أخرجه أحمد في المسند، برقم: (٨١٨٨)، ومسلم، برقم: (٤٠٣).
(٧) انظر: إكمال إكمال المعلم شرح أبي عبدالله محمد الأبي على مسلم، ومعه مكمل إكمال الإكمال للسنوسي: (١/ ٢٦٣).
(٨) انظر: أصول الدعوة (ص: ٥٧) بتصرف.
(٩) ومن خصائص الإسلام أيضا: الجزاء في الإسلام- المثالية والواقعية. انظر: المرجع السابق: (ص: ٤٥-٧٨).
(١٠) كالإمام أحمد والشاطبي وغيرهما. انظر: أحمد بن حنبل للشيخ أبي زهرة: (ص: ٢٤٤)، أحمد بن حنبل للدكتور/ مصطفى الشكعة: (٤/ ٢٢١)، الموافقات: (٤/ ٦).
(١١) انظر: الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة للمعلمي: (ص: ٣٣).
(١٢) أخرجه أحمد في المسند، برقم: (١٧١٨٥)، والترمذي، برقم: (٢٦٧٦).
(١٣) انظر: هامش الموافقات: (٤/ ٥).
(١٤) انظر: الموافقات: (٤/ ٦).
(١٥) أخرجه البخاري، برقم: (٥١٠٨)، ومسلم، برقم: (١٤٠٨)، واللفظ له.
(١٦) قال ابن حجر: «وهي زيادة الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما»، وصححه ابن حبان. ولأبي داود في المراسيل عن عيسى بن طلحة: «نهى رسول الله ﷺ أن تنكح المرأة على قرابتها مخافة القطيعة». انظر: الدراية في تخريج الهداية: (٢/ ٥٦).
(١٧) انظر: شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر المسمى نزهة النظر لابن حجر العسقلاني، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث لمحمد جمال الدين القاسمي.
(١٨) انظر: منهج النقد في علوم الحديث لنور الدين عتر: (ص: ٢٨).
(١٩) انظر: التقرير والتحبير على التحرير في أصول الفقه لابن أمير الحاج الحلبي: (٢/ ٢٨٨)، إحكام الفصول في أحكام الأصول للباجي: (ص: ٢٢٢-٢٢٣)، حاشية البناني على شرح المحلي على متن جمع الجوامع: (٢/ ٩٥)، شرح الكوكب المنير للفتوحي: (٢/ ١٥٩-١٦٦).
(٢٠) انظر: الفتاوى الهندية: (١/ ٦٧)، جواهر الإكليل: (١/ ٧٣)، مطالب أولي النهي: (١/ ٩٢).
(٢١) انظر: التعريفات للجرجاني: (ص: ١٦١-١٦٢)، بتصرف.
(٢٢) انظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور/ مصطفى السباعي: (ص: ٤٨-٤٩).
(٢٣) أخرجه أحمد في المسند، برقم: (٦٤٧٧)، والبخاري، برقم: (٥٠٦٣)، واللفظ له.
(٢٤) انظر: السنة النبوية وبيان مدلولها الشرعي للدكتور/ عبدالفتاح أبوغدة: (ص: ١٧).
(٢٥) انظر: شريعة الإسلام خلودها وصلاحها للتطبيق في كل زمان ومكان للدكتور/يوسف القرضاوي: (ص: ١٢)، الفقه الإسلامي آفاقه وتطوره لعباس حسني محمد: (ص: ٥٣-٦٧).
(٢٦) انظر: الرسالة للشافعي: (ص: ٢٠).
(٢٧) انظر: منهج استنباط أحكام النوازل الفقهية المعاصرة: (ص: ٤٤).
(٢٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن تفسير للقرطبي: (٦/ ٤٢٠)، الموافقات: (٣/ ٣٦٦-٣٧٥).
(٢٩) انظر: صحيح الفقيه والمتفقه: (ص: ٢٢٦-٢٢٧).
(٣٠) انظر: الأشباه والنظائر في الفقه للسيوطي: (ص: ٧-٨).
(٣١) انظر: رسائل ابن عابدين: (٢/ ١٢٥-١٣٣)، إعلام الموقعين: (٤/ ١٤، ١٧، ٢٨١)، الإحكام في أصول الفقه لابن حزم: (٥/ ٣-٥)، المدخل الفقهي العام للدكتور/مصطفى الزرقا: (٢/ ٩٣٧)، الوجيز في أصول الفقه للدكتور/ عبدالكريم زيدان: (ص: ٤٠٧).
(٣٢) ويعبر عنه أيضا بفساد الزمان أي فساد الناس وانحطاط أخلاقهم وفقدان الورع وضعف التقوى؛ مما يؤدي إلى تغيّر الأحكام تبعًا لهذا الفساد ومنعًا له، وقد أصبح في انتشاره عرفًا يقتضي تغير الحكم لأجله، وقد حدث مثل هذا في عصر الصحابة رضي الله عنهم، وفي كل العصور الإسلامية. انظر: بحث تغير الفتوى لتغير جهاتها الأربع للدكتور/علي جمعة: (١/ ٥٦٧).
(٣٣) انظر: المرجع السابق: (١/ ٥٦٧).
(٣٤) انظر: بحث الإفتاء عبر الإنترنت آفاق وعوائق للأستاذ محمد زيدان: (١/ ٥٦٧).
(٣٥) انظر: الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والانفراط للدكتور/ يوسف القرضاوي: (ص: ٩٦)، بتصرف.
(٣٦) انظر: الإمام الشافعي في مذهبيه القديم والجديد للدكتور/ أحمد نحراوي: (ص: ٤٤٣).
(٣٧) انظر: الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والانفراط: (ص: ٩٦).

المعتقدات الدينية في المجتمع الجزائري بين الموروث المحلي ورسوخ الإسلام

(مقاربة تاريخية أنثروبولوجية - تبسة أنموذجا)

د. مها عيساوي

في المجتمع الجزائري القديم يعد الإنسان التبسي جزءًا من المجتمع المغاربي القديم، عرف تسميات عديدة تحت إطار المسميات العلمية التي تدرجه ضمن المنظومة الدولية لمجتمعات ما قبل التاريخ، وخلال الفترة التاريخية كان الإنسان التبسي القديم لوبياً ثم نوميدياً ثم إفريقياً ثم بربرياً.

والمعتقدات الدينية عند الإنسان التبسي القديم لها جذورها التي بدأت منذ بداية التفكير الديني في مرحلة الباليوليتي الأعلى، ثم انتقلت إلى مبدأ التعددية وعبادة الظواهر الطبيعية وتقديس مجمع الآلهة.

وإشكالية الدراسة من الوجهة التاريخية تتناول عرضًا عن المعتقدات الدينية للإنسان التبسي القديم عبر التاريخ. أما من حيث الوجهة الأنثروبولوجية فتجدر الإشارة إلى أن الإسلام لم يمس مجموعة الأعراف والتقاليد الدينية كثيرًا إلا فيما تعارض مع مبادئ التوحيد، فعلى سبيل المثال في وقتنا الراهن وأثناء مراسيم الجنازة نجد عادة وضع سكين على المتوفى، وهذه الممارسة لها ما يبررها تاريخيًا، إذ تعد أحد الملامح البارزة في تواصل شعائر الدفن التي مارسها الإنسان التبسي منذ أقدم المراحل التاريخية.

أولا: المعتقدات الدينية عند الإنسان التبسي القديم:

١ - التعريف الاصطلاحي بالإنسان التبسي القديم

يقصد به من الناحية التاريخية: الإنسان القديم الذي عاش في منطقة تبسة بدءًا من عصور ما قبل التاريخ وإلى غاية الوجود البيزنطي، ووفقا للتسلسل الكرونولوجي فإنه يعرف بمسميات تاريخية عديدة، فهو أحيانا مستقل بخصائصه الحضارية وأحيانا أخرى جزء من المجتمع الدولي القديم السائد في المنطقة، إنه: إنسان ما قبل التاريخ المعروف في المصادر التاريخية والأثرية بـ «الإنسان العاتري» الذي عاش في مرحلة العصر الحجري القديم الأوسط منذ ٣٧ ألف سنة. (١)

وهو كذلك إنسان العصور التاريخية:

- الإنسان اللوبي منذ القرن السادس ق.م.
- الإنسان الماصيلي النوميدي: منذ القرن الثالث ق.م.
- الإنسان التيفستي: خلال الاحتلال الروماني والبيزنطي.
- الإنسان التبسي: منذ دخول الإسلام وإلى يومنا هذا.

ويقصد بالإنسان التبسي القديم من الناحية الأنثروبولوجية ذلك الإنسان الذي حمل هوية محلية أصيلة ميزته عن غيره في إطار مجتمعات مونوغرافية متميزة الخصائص والصفات العرقية والسلوكية.

٢ - ملامح الديانة عند الإنسان التبسي القديم:

يقصد بها مجموعة المعتقدات والشعائر الدينية والعبادة الجنائزية التي مارسها الإنسان التبسي القديم عبر العصور التاريخية بدءًا من مرحلة ما قبل التاريخ ووصولاً بالعهود التاريخية.(٢)

ويصعب كثيرا على الباحثين في التاريخ الديني للنوميديين أن يلموا بفكرة واضحة عن المعتقدات الدينية في هذه المنطقة الممتدة تقريبا في تلك الفترة بين هيبون شمالا وتيفست جنوبا ودوقة شرقا وكالاما غربا، وذلك لعدة أسباب من أهمها:

- ندرة النصوص التاريخية القديمة التي تتناول معتقد النوميديين.
- قلة الشواهد المادية بسبب فناء معظم المدافن القديمة نظرا للظروف الطبيعية والبشرية.
- قلة الحفريات والأبحاث الأثرية التي

* أستاذة تاريخ الحضارات والمغرب القديم في جامعة تبسة - الجزائر

تركز على مظاهر الاحتلال الروماني، متناسية فترة حكم المملكة النوميدية في شقها الشرقي فيما يعرف بمملكة الماصيل.

ورغم ذلك تسنى لنا رصد بعض المظاهر الدينية من خلال البقايا الأثرية التي عثر عليها في الضريح الملكي بالخروب لماسينيسان وضريح المدغاسن بباتنة، وكذلك في المدافن الطبيعية التي تنتشر في ربوع القرى والأرياف النوميدية والتي لا يزال معظمها بكرا وبحاجة إلى المزيد من البحث والاكتشاف.

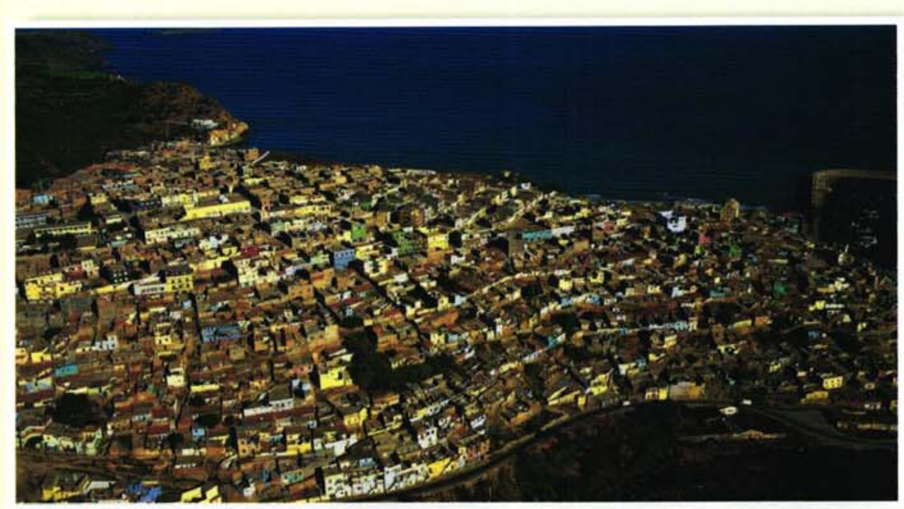
ومن الواضح أن مكانة الميت في المجتمع التبسي القديم كانت على درجة عالية من التقديس له، فإيمانهم بالحياة الأخرى كان جزءًا من عقيدة راسخة ترجمتها العناية بمظاهر وطقوس الدفن كما سيرد لاحقا من خلال المعطيات التاريخية والأثرية.

٣ - الشعائر الدينية:

أ- أنواع المدافن الباكرة في تبسة:

تنوعت المدافن الباكرة في العصر الحجري القديم والحديث، فنجد أن الإنسان المغاربي عموما قد شيد أنواعا عديدة من القبور، ولشدة التنوع أطلق عليها عدة اصطلاحات فمنها:

الجثوة (التومولوس) والمصاطب (الدولمان) والبازينات والدوائر الحجرية (الكروملش) والحوانيت والشوشات.(٣)



كان الدفن عند الإنسان التبسي القديم يتم بادئ الأمر في المغارات والكهوف الطبيعية،(٤) كما كانت تحفر الجثوات في الصخر وتعرف بالحوانيت، وهي كلمة عربية الأصل أطلقها آثاريو المدرسة الفرنسية في بداية القرن العشرين للدلالة على قبور تنحت في الصخور والنتوءات الكلسية، وتكون فتحاتها مربعة وضيقة، أبعادها (١٠٠ سم.٨٠سم.٧٠ سم)، وتغلق بواسطة بلاطة حجرية، وتكون منحوتة في صخور معزولة بأعالي الجبال وتتواجد في منطقة قصطل. (٥)

وتأريخ هذه القبور صعب نظرا لندرة الأثاث الجنائزي والبقايا العظمية، فمعظم الحوانيت المكتشفة كانت بدون أبواب وقد كانت عرضة للتخريب.

دُفن التبسي القديم في قبور التومولوس وهي عبارة عن جثوة جنائزية تتكون من مجموعة من الركام الحجري على شكل نصف مخروط تغطي غرفة الميت، وتأخذ أحيانا أشكالا مربعة لكن في الغالب هي دائرية.

ودفن أيضا في قبور البازينة وهي جثوة متطورة، أطلقها فيرو L.Féraud على التلال الجنائزية الترابية المنتشرة في سهل مسكيانة سنة ١٨٦٨.(٦)

وتوجد في جبل مستيري بتبسة.

أما منطقة قصطل بتبسة فتوجد بها القبور الميغاليتية وهي قبور منضدية. (٧)

وخلاصة لما سبق فإن الإنسان التبسي القديم قد توصل إلى النواة الأولى للمقبرة وهي الحوانيت، حيث إنها جاءت استجابة لرغبته في تكوين مساكن للمتوفين على غرار ما كانوا فيه في الحياة الدنيا. (٨)

ب - وضعيات الدفن:

مارس التبسي القديم وضعيتين للدفن من ثلاث وضعيات كانت شائعة في المغرب القديم، وباستثناء الوضعية المنكمشة La position Contractée)) التي تحبس الميت في حفرة ضيقة، فإن الوضعيتين هما:

- الأولى الوضعية المنطوية position La (Repliée):

تعتبر أقدم أشكال الدفن بحيث يمدد الميت على الأرض على جانبه الأيمن، بحيث تكون الأطراف السفلى منثنية باتجاه البطن، والأطراف العليا ملتصقة بالصدر ومتجهة نحو الوجه. وقد رصدت في عين الدّكارة (بين صفصاف الوسرة وأم علي).

وقد لجأ إلى هذه الوضعية لأنها تحاكي صورة الإنسان النائم الذي يخلد للراحة، وهي محاولة لتسجية الميت في أفضل وضعية تعينه على الراحة في حياته الثانية.(٩)

- الوضعية الثانية (La position Allongée):

كان الميت يدفن ممددا سواء على جانبه الأيمن أو الأيسر أو على ظهره، وقد انتشرت كثيرا في غربي تونس وشرقي الجزائر.(١٠)

جـ - طقوس الدفن:

استعمل التبسي القديم المُغرة الحمراء (L●ocre rouge) وهي عبارة عن تراب صلصالي يستعمل في التخضيب، إذ كانت تعد صباغة حمراء ترش بها عظام الميت، كما تطلى بواسطتها القبور والأثاث الجنائزي، وتوضع في الأواني الفخارية بداخل القبر ليتمكن الميت من تزيين

نفسه في الحياة الأخرى، وهي كناية عن الدم رمز الحياة مانح الحيوية للإنسان.

وقد تم العثور بمنطقة الداموس الأحمر (بوشبكة) على جمجمة عليها بقايا اللون الأحمر، مما يعكس أن العظام الإنسانية كانت تمارس عليها الطقوس الجنائزية المستمدة من الاعتقاد بأن اللون الأحمر يعوض الدم. (١١)

د - الإنسان التبسي القديم واستمرارية عادات الدفن:

تجدر بنا الإشارة إلى أن معظم المدافن الباكرة السابقة الذكر ظلت مستخدمة طوال الفترة التاريخية، ولم تختف إلا بعد أن اعتنق النوميديون الإسلام في العصور الوسطى، بحيث كان دخول الإسلام إلى المغرب القديم خلال القرن السابع الميلادي حدثا عظيما كان له أثره البالغ على عقيدة السكان الوثنية.

فكان المسيحيون منهم يدفنون في نواويس حجرية إلا أنهم اعتبروا قلة إذا ما قيسوا بالسواد الأعظم من أبناء المجتمع الريفي المعتنق للمذهب الدوناتي، هؤلاء الذين حافظوا على النسق القديم في الدفن فيما بين القرن الثالث والسابع الميلاديين إلى أن انتشر الإسلام.

وقد عمل السكان على التخلي تدريجيا عن المدافن القديمة، بل واستبدلوها بالقبور الإسلامية التي لا تزال تستعمل إلى يومنا هذا. (١٢)

إن التحول الجذري والأبدي إلى الإسلام جعلهم ينسون أصول وبناة المعالم الجنائزية وطقوس الدفن والأثاث الجنائزي رغم أنهم كانوا يؤمنون بالحياة الأخرى بعد الموت، ثم آمنوا بالمسيح المخلّص من بطش الرومان، وعندما انتهوا إلى الإسلام تخلصوا تقريبا من الطقوس القديمة، إلا أن هذا لم يمنع من تواصل بعض العادات والأعراف التي لم ير فيها الإسلام ما يمس صميم العقيدة وجوهر الدين الإسلامي الحنيف كما سيرد لاحقا. (١٣)



٤ - العبادة الجنائزية عند التبسي القديم:

أ- ظاهرة الموت وطقوس التقديس:

كانت ظاهرة الموت وطقوس التقديس من نوع العبادة الوثنية للعديد من الظواهر الطبيعية مثل: الجبال والشمس والقمر ومنابع المياه، وبعض الحيوانات مثل: الكبش. (١٤)

كما تأثروا بالقرطاجيين فعبدوا الآلهة تانيت وبعل حمون. (١٥)

عبد التبسي القديم إلهًا محليًا أطلق عليه «سوقن» ولا تزال قمة جبل الدكان تعرف بهذا الاسم، وهو مذكور في نقيشة ماغيفا التي عثر عليها بتازبنت، وهذا الأخير هو واحد من سبعة آلهة محلية (جيلفا، مسيديشي، أوزيوس، سوقن، أبادير، بونشور، بالدير) عبدت خلال الفترة الرومانية، تعكس الفكرة المحلية المعروفة بالرقود السبعة، وهي في صميم المعتقد التبسي القديم، وفي الموروث الشعبي لا تزال قائمة بعد أن ألبست بلبوس الإسلام، ويكون مقر الرقود السبع عادة مغارة جبلية يطلق عليها اسم «معمّرة» أي الذي تعمره الأرواح. (١٦)

أما ظاهرة الموت فكانت مقدسة عند التبسي القديم ولذلك اعتمد في عبادته الجنائزية على:

- **تقديم القرابين:** وذلك عن طريق إقامة الأضحيات.

- **تقديم السوائل:** وفي مقدمتها الحليب والماء والزيت، حيث كانت تقام لها حفر صغيرة قرب الحوانيت، وكانت السوائل تراق فيها تقديسا للميت. (١٧)

- **الطواف:** كانت شعيرة الطواف تمارس في تحقيق دورة كاملة للمتوفى في الغرف الجنائزية وفي موقع الدفن.

- **النوم بجوار الميت:** اقتضت هذه العادة أن ينام الأحياء بجوار قبور موتاهم قصد استشارتهم في أمور غيبية عن طريق الحلم، وظلت تمارس طوال الفترة التاريخية.

ويظهر أن أغلب الطقوس التي مارسها الإنسان التبسي القديم كانت تدل على مقدار تدينه وتمسكه بسيرة ومناقب أسلافه. (١٨)

ب- الأثاث الجنائزي (المرفقات الجنائزية):

كان التبسي القديم يجهز الميت بالأثاث الجنائزي الذي يدل على طبقته في مجتمعه، إذ يمكن بسهولة تمييز الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها المتوفى من خلال ملاحظة نوع أثاثه الجنائزي، فمثلا: في ضريح الخروب الذي يقال بأنه يعود للملك ماسينيسان عثر الآثاريون على أثاث جنائزي فاخر ومتنوع من أسلحة هجومية

ودفاعية وجرار وأوان فضية.

في حين كان الماصيلي من الطبقة البسيطة يرفق إلى جانبه أثاث جنائزي فخاري، وقد كان التبسي القديم لا يختلف عن أبناء جلدته من حيث إنه جزء لا يتجزأ من قبائل الماصيل.

لقد مارس الماصيلي شعيرة الحرق للمتوفى في مرحلة لاحقة على استخدام التومولوس والبازينات، وكانت هذه العادة قد عرفها النوميديون منذ احتكاكهم بالفينيقيين خلال القرن الخامس ق.م، كما أثبتت الاكتشافات الأثرية أنها استعملت في القرن الرابع ق.م.(١٩)

ويعد فخار قصطل (كيسة) من نوع الفخار النموذجي الذي يحفظ فيه متاع الميت، وهو متعدد الألوان الأسود والأحمر. وقد سمحت الحفريات بمعرفة أنماط الأواني الجنائزية من فخار منعدم المقابض والمناقير بالإضافة إلى كؤوس كبيرة ذات فتحات مسطحة. (٢٠) وقد كان من نوع الفخار المصنوع بواسطة الدولاب الخزاف.

وقد عثر كامبس في قسطل على أثاث جنائزي معدني يتكون من: ٢٢ خلخال، خاتم، ٠٨ أقراط، وهذا ما يعكس أيضا أن الإنسان التبسي القديم كان يجلب معه إلى القبر أنفس ما عنده من حلي وأدوات زينة.(٢١)

ثانياً: مقاربة تاريخية أنثروبولوجية في تواصل شعائر وعادات الدفن عند الإنسان التبسي القديم

١- الإرهاصات الأولية للمقاربات التاريخية الأنثولوجية:

يعتبر ستيفان جزال (S. Gsell) (٢٢) وغابريال كامبس (G.Camps) (٢٣) وبرتولون (Bértholon) (٢٤) من المؤرخين الذين انتهجوا أسلوب المقارنات والمقاربات في البحوث التاريخية، رغم ما ينطوي عليه هذا المنهج من مخاطر تستدعي توخي الحيطة والحذر، حيث

ظاهرة الموت كانت مقدسة عند الإنسان التبسي القديم

قدمت الأنثروبولوجيا شروحات لفهم بعض ما خفي من حياة المجتمعات الهامشية في المصادر التاريخية، وخاصة بالنسبة للمجتمعات الريفية.(٢٥)

فمثلا: لمعرفة خصائص المجتمع التبسي القديم لابد من الرجوع إلى المفردات الأنثروبولوجية المعينة على المقاربات التاريخية وتشمل: الوشم وزخارف الزرابي وزخارف الخيام والحلي واللباس التقليدي للرجال والنساء وأدوات الحرث والحصاد والمعتقدات وأسماء الأماكن وتفاصيل سير الحياة اليومية، وكل هذه قضايا ضرورية جدا في فهم الهوية القديمة للإنسان التبسي القديم.(٢٦)

ولكن: ماذا يمكن أن يكون في التاريخ من عادات وتقاليد متوارثة عبر الأجيال يمكن أن تكون لها شروحات في الأنثربولوجيا؟

من هذا المنطلق فإن المتتبع لجانب الممارسات الدينية عند الإنسان التبسي القديم يجد بأن هناك الكثير مما يستدعي الدقة والتمحيص والتدبر لممارسات لها أصولها المغرقة في القدم، حيث حافظت على ملامحها العامة لتتواصل عند الإنسان التبسي لأيامنا هذه؛ ذلك أن المعتقدات تكتسي أهمية بسبب التحول الكامل الذي طرأ عليها، ومع أن العبادة الوثنية ظلت مستمرة في ظل المسيحية، إلا أن الأمر كان مختلفا مع الدين الإسلامي الحنيف.

٢- الصورة المعاصرة للعادات والتقاليد الدينية:

هناك ثلاث حالات في الصورة الدينية للعادات الجنائزية المعاصرة هي:

- **الأولى:** تتعلق بعبادات وممارسات دينية اندثرت تماما ولم يعد لها أي وجود لكونها تتنافى مع مبدأ توحيد الله - عز وجل - مثل المرفقات الجنائزية والقرابين والتفنن في التسجية والتي حرمها الإسلام في أحكام الجنائز.

- **الثانية:** تتعلق ببعض العادات والتقاليد التي تصنف من بدع المآتم وهي ممارسات مكروهة كالإطعام والجلوس بجانب القبر.

- **الثالثة:** تتعلق ببعض العادات والتقاليد التي لم ينافها الإسلام،لأنه عندما انتشر في تبسة انتشر بين مجتمع كانت قد تأصلت فيه عادات وتقاليد دينية واجتماعية موروثة عن السلف كالألبسة والمراسيم والأعياد الاحتفالية وكذلك الطعام والآداب والسلوكات ومصطلحات التخاطب وغيرها، مما لم يجد فيها الإسلام ضيرا في بقائها، فكل ما زاوله الناس بعيدا عن الهيكل والمذبح وما نزل فيه نص في مصادر التشريع فهو مباح ولا يسأل فاعله عنه، ولا يبالى به أن ينزع من أصحابه، ولأن روح الإسلام لم تجمد العادات الموروثة فقد انتقل الكثير منها مما يمكن ملاحظته بسهولة تامة، وهو جوهر المقاربة التاريخية الأنثروبولوجية.

٣- مظاهر التواصل:

من خلال عينة الدراسة تم رصد عشرين مأتما تفصيليا في قبائل مختلفة من منطقة تبسة وضواحيها سنة ٢٠٠٤ و٢٠٠٨، والنتائج نسبية فكل مجتمع يمثل وحدة مونوغرافية.(٢٧)

١ - في مجال المعتقد الديني: لم ترصد هناك أية حالة من الحالات المدروسة في مجال الدعاء لغير الله - عز وجل - ولكن، هناك الدعاء بأمل التبرك بالأجداد، مثل قول: «ببركة جدوده ادعوا له بالرحمة»، هذه الجملة تعكس عادة عبادة الموتى من الأجداد.(٢٨)

٢ - في مجال عادات الدفن: تم رصد العادات الآتية:

- **وضع السكين على الميت:** يوضع سكين صغير حاد، القصد منه منع انفجار الجثة، هذا له ما يبرره تاريخيًا فالمرفق الجنائزي الأساسي كان سلاح الميت الذي يعتبر درعه الحامي.

- **تغطية الميت برداء أحمر فوق الكفن:** إنه رمز للمغرة الحمراء التي كانت تصبغ بها عظام الميت وهي كناية عن الدم الساري في العروق منبع الحياة.

- **طواف الميت ببيته قبل خروجه إلى مثواه الأخير:** وذلك بغرض توديع سكنى الدنيا، وتعكس هذه العادة الطواف في الغرفة الجنائزية المخصصة للميت إن كان من الطبقة الثرية، أما من كان من الطبقة البسيطة فيطاف به وتجهل العملية التفصيلية عند الطواف.

- **وجود حفرة صغيرة أو إناء مثبت في وسط القبر:** يملأ بالماء لتشرب الطير والحيوان العابر منه، وهو صدقة جارية على المتوفى، وكانت هذه العادة شعيرة مقدسة تتمثل في جعل إناء يفيض بالماء أو الحليب كناية عن تذكر أهل الميت له.

- **التصدق على روح المتوفى:** كانت تعكس شعيرة تقديم الأضاحي والقرابين ولو بعد سنوات من زمن الوفاة، وقد تناولت النقوش البونية في معبد الحفرة بقسنطينة مواضيع مشابهة.

- **إنشاء مقابر صغيرة عائلية:** وتكون منفردة في أماكن مرتفعة وعلى قمم التلال، مثلا: مقبرة الطوالبية.

- **الإطعام على الميت:** رغم كراهية الشارع الإسلامي لهذه العادة من قبل أهل البيت (٢٩)، فإنه ثبت تاريخيا أن أهل الميت يعدون الطعام ويذهبون به للهيكل إحياء لروح المتوفى.

الخاتمة

خلاصة لما سبق تجدر بنا الإشارة إلى أن كل ما كان في المقاربة التاريخية الأنثروبولوجية هي مجموعة من النتائج المباشرة التي استقيناها بعد دراستنا لموضوع صعب في المجال الإثنوغرافي التخصصي، فكما هو معروف أن العادات الاجتماعية في سير الحياة اليومية يمكن ملاحظتها وتدوينها كون معظمها يرتبط بالأحداث السعيدة التي يجد المرء مفخرة في تدوينها، لكن مع الأحداث المؤلمة كفقدان عزيز فالأمر مختلف.

ولذلك فإن النتيجة الكبرى التي توصلنا إليها تتمثل في أن بقاء هذه العادات إلى يومنا هذا لا يعكس قوة الشعائر القديمة واستفحالها بين أبناء المجتمع بدعوى الجهل وبدعوى ما يروج له في الدراسات الاستعمارية من كون الأنثروبولوجيا هي بوق من أبواق الغرب، لا يمكن الاستفادة منها فيما يخدم المجتمعات المونوغرافية بشكل إيجابي وعلمي ممنهج.

وبقدر ما تعكس هاته العادات روح الماضي العتيق، فإنها تعكس أيضا سماحة مبادئ الدين الإسلامي وتلطفه بالشعوب التي اعتنقته في السماح لمن غلب عليهم الإيمان بالعرف بمواصلة استخدامهم لمثل هذه العادات ومنها: المجتمع المغاربي عموما، والجزائري خصوصا، والتبسي على وجه دقيق.

الهوامش

١-ليونال بالو، الجزائر في ما قبل التاريخ، تر: محمد الصغير غانم ، ط ، ١، دار الهدى، ٢٠٠٥، ص ، ٧ ، و : محمد الصغير غانم، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، دار الهدى، الجزائر ، ٢٠٠٣، ص ٥٨ .

٢-رابح لحسن، أضرحة الملوك النوميد والمور ، ط ، ١، دارهومة، ٢٠٠٤، ص. ٢٥٥ .

٣- رابح لحسن، المرجع السابق، ص٢٦ - ٣٨ .

٤-فراس السواح، دين الإنسان، منشورات دار علاء الدين، دمشق ، ٢٠٠٢ ص ٧١.

٥-محمد الصغير غانم، المعالم الحضارية في الشرق الجزائري (فترة فجر التاريخ)، ط١، دار الهدى ، الجزائر ، ٢٠٠٦ ص ١٠١.

٦- رابح لحسن، المرجع السابق، ص ٢٦ - ٢٩ .

٧- Stéphane Gsell. Atlas Archéologique de l' Algérie . T: I . Feuille . ٢ème éd.: ٢٩ .

٨- رشيد الناضوري، المغرب الكبير، ج١ - العصور القديمة -، ط١، دار النهضة العربية، بيرت، ١٩٨١ص ١٢٧ .

٩- رابح لحسن، المرجع السابق، ص٢٦٢ . و انظر: محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم، ط١، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، ١٩٩٥ص١٥١ .

١٠- المرجع نفسه، ص٢٦٤ .

١١- Stéphane Gsell . Atlas Archéologique de l'Algérie . T: I ، ٢ ème éd. . Alger . Feiulle Num ٢٨ .

١٢- رابح لحسن، المرجع السابق، ص (٢٠ - ٢١).

١٣- عباس محمود العقاد، التفكير فريضة إسلامية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د. ت، ص١٧٢ .

١٤- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم، ط١، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، ص١٤٥ .

١٥- محمد حسين فنطر، الحرف والصورة في عالم قرطاج، منشورات أليف ومركز النشر الجامعي، تونس، ١٩٩٩ص٤٠ .

١٦- محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ط١، دار الهدى ٢٠٠٨، ص٢٣١ .

١٧- رابح لحسن، المرجع السابق، ص٢٧٣ .

١٨- محفوظ قداش، الجزائر في العصور القديمة، تر: صال عباد، ط١، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٩٤، ص١٣.

١٩- المرجع نفسه، ص٢١٤ .

٢٠- محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص١٠٤ .

٢١- المرجع نفسه، ص١١٠ .

٢٢- Stéphane Gsell . Histoire Ancienne de l ■ Afrique du Nord .T. I . ١٩١٣ . P. . Librairie Hachette . Paris P .- (٢٧٥ - ٣٠٨)

٢٣- غابريال كامبس، البربر، منشورات أليف، تونس، ١٩٩٧، ص٧ - ٩ .

٢٤- محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص١٩٢ .

٢٥- محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص٥١ .

٢٦- المرجع نفسه، ص١٦٢ .

٢٧- إن الدراسة التطبيقية قد تمت باتباع مختلف الأدوات والمناهج العلمية فيما عدا التصوير، وذلك نظرا لحرمة فعل التصوير للمتوفى أمام أسرته، واستهجان ذلك خاصة ونحن من أقرباء أو أصدقاء المتوفى، كما ان العقلية المحلية ترفض بتاتا فكرة التصوير لأنها تعتبره رمزا للأحداث السعيدة وليس رمزا للأحداث المؤلمة، هذا وتوجد عادة تصوير المآتم فقط في المشرق وللشخصيات النافذة وعند الأسر المسيحية.

٢٨- محمد الصغير غانم، الملامح الباكرة للفكر الوثني في شمال إفريقيا، ط١، دار الهدى، الجزائر ٢٠٠٥، ص.

٢٩- أبوبكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، ط١، دار ابن باديس، الجزائر، ١٩٩٨، ص٢٩٢ - ٣٠٨ .

الأصولية في البيئة الغربية (٢/٢)

د. سامي عطا حسن ◆

منذ أن ظهرت الحركات الإسلامية على الساحة السياسية، وأخذت تعمل للعودة بالاسلام إلى قيادة المجتمع، أخذ الغرب ممثلا بالولايات المتحدة الأميركية ينظر بعين الريبة والحذر إليها، ولم يتوان عن استخدام أية طريقة ممكنة للتخلص منها، أو على الأقل أن يحتويها، لذلك ظهرت كثير من الاتهامات الغربية والأميركية الباطلة التي تتهم الاسلام والمسلمين، فتارة يتهم الإسلام بأنه إرهابي وأصولي، ومتطرف، ومتعصب، في محاولة لربط الحركات الإسلامية بالحركة الأصولية المسيحية المتعصبة التي خاضت صداما طويلا مع الكنيسة، انتهى بغلبة السلطة المدنية، وتحييد دور الكنيسة، وتحجيم دورها (١).

أ- الأصولية اليهودية

يتمثل مفهوم الأصولية اليهودية في:

١- تقديس النص.

٢- تقديس الشخص.

فتقديس النص، بتطبيقه حرفيا، وإعطائه سلطة أعلى من أي سلطة أخرى.

وتقديس الشخص: بتقديس كلامه، بل يعتبرون كلامه نصا، وهذا متمثل في الحاخام(١)عند اليهود. ويلخص د.عبدالله بركات الأصولية اليهودية بقوله: «تجسد النصوص المقدسة عند اليهود (الأسفار الكتابية، والتلمود) هذا المفهوم الأصولي من مصادمة للعلم، والثوابت اليقينية، والبدهيات العقلية، وتعميق العنصرية والدموية، والتهاون بمحرمات كل الأجناس غير اليهودية، كل ذلك في نصوص لا تقبل المناقشة والجدل، بينما تنفرد التعاليم الشفوية باعتبار الشخص المعتبر عندهم (الحاخام) أصلا تفوق أهميته وقداسته واعتباره النص ذاته. ومن هنا كانت المصادر اليهودية (نصوصا وأشخاصا) محور الأصولية الذميمة في المجتمع الغربي(٢) ويقدس اليهود كثيرا من النصوص التي تصادم العقل، وتناقض النقل، من ذلك مثلا:

أولاً: ما جاء في سفر أشعيا: «ويكون الملوك حاضنيك، وسيداتهم مرضعاتك، بالوجوه إلى الأرض يسجدون لك، ويلحسون غبار رجليك» (٣) فهم يتخذون من هذا النص وغيره أنهم: شعب الله المختار المفضل على جميع الخلق..

ثانياً: وجاء في التلمود (٤): «اقتل الصالح من غير الإسرائيليين، ومحرم على اليهودي أن ينقذ أحدا من باقي الأمم من هلاك، أو يخرجه من حفرة يقع فيها، لأنه بذلك يكون قد حفظ حياة أحد الوثنيين» (٥).

هذه بعض النصوص التي تفوح منها رائحة العنصرية، والقتل، وغير ذلك من الصفات الذميمة.

> **«الأصولية» في الإسلام مصطلح محمود ويطلق على العالم بأصول الفقه**

واليهود يقدسون الشخص (الحاخام) ويرفعون مرتبته فوق مرتبة الأنبياء، ومما يؤكد تقديس الشخص (الحاخام) عند اليهود ما ذكره صاحب كتاب «الأصولية اليهودية» على لسان المتحدث باسم إحدى المستوطنات اليهودية قوله: «لو طلب منا حاخاماتنا الرحيل بهدوء فلن تجد الحكومة في مدينة يهوذا والسامرة (٦) أسهل في الاخلاء من مدينتنا، أما إذا طلبوا البقاء فسنناضل أكثر من أي مدينة» (٧).

وخلاصة القول: أن الأصولية اليهودية تعني: تقديس النص، والأخذ بحرفيته، والتمسك به. وكذلك تقديس أقوال الحاخامات، وإعطاءها سلطة أعلى من سلطة التوراة (٨).

الأصولية المسيحية الصهيونية

ليس وجود اتجاهات صهيونية لدى بعض المسيحيين أمرا جديدا، أو حدث فقط بعد قيام دولة «إسرائيل» الغاصبة في فلسطين، كما يظن البعض، بل قد وجدت مثل هذه النزعات الصهيونية - أي المؤمنة بتوطين اليهود في أرض فلسطين - لدى بعض المسيحيين الأصوليين من مختلف المذاهب والطوائف، خاصة بين البروتستانت، منذ القرن السادس عشر الميلادي، أي: بعد قيام حركة الاصلاح

◆ باحث أكاديمي

البروتستانتية، ولم تتحول تلك الرغبات والأماني إلى تيار قوي إلا في القرنين الأخيرين، حيث بدأت بعض الجماعات، والجمعيات، ورجال دين بارزين، في أوساط المسيحيين الغربيين، وخاصة بين الأصوليين من البروتستانت، تطالب صراحة بلزوم عودة الشعب اليهودي إلى أرض الميعاد، وأنها وطنه الأبدي.

وفي العقدين الأخيرين من القرن العشرين نشأ تجمع لعدة منظمات مسيحية بروتستانتية أصولية ، أطلق أتباعه على أنفسهم اسم : «الصهيونيون المسيحيون»، وأنشأوا لأنفسهم مركزا في القدس أسموه: «السفارة المسيحية الدولية في أورشليم»(٩).

وقد وصفهم الدكتور القس رياض جرجور- الأمين العام لمجلس كنائس الشرق الأوسط – في كلمة تحت عنوان «صهيومسيحية أم صهيوأميركية؟»، ألقاها في ندوة فكرية في مركز الإمام الخميني الثقافي – بيروت، في ٨ نيسان (أبريل) ٢٠٠٣، قال فيها: «تم تعريف الصهيونية المسيحية على أنها «الدعم المسيحي للصهيونية». وقد قيل أيضًا: إنها «حركة قومية تعمل من أجل عودة الشعب اليهودي الى فلسطين وسيادة اليهود على الأرض». ويعتبر الصهيونيون المسيحيون أنفسهم مدافعين عن الشعب اليهودي وخاصة «دولة إسرائيل» ويتضمن هذا الدعم معارضة كل من ينتقد أو يعادي «إسرائيل»... ثم يقول: أما القس «جيري فالويل» مؤسس جماعة العمل السياسي الأصولي المسماة «الأغلبية الأخلاقية» وهو الذي منذ فترة تكلم واتهم دين الإسلام بأنه دين إرهابي، فإنه يقول: «إن من يؤمن بالكتاب المقدس حقا يرى المسيحية ودولة «إسرائيل» الحديثة مترابطتين على نحو لا ينفصم، إن إعادة إنشاء دولة «إسرائيل» في العام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين لهي في نظر كل مسيحي مؤمن بالكتاب المقدس تحقيق لنبوءات العهدين القديم والجديد». ثم قال: وفي ختام التعريفات أقول إن الصهيونية المسيحية في نهاية المطاف تعبر- وكما جاء في بيان اللجنة التنفيذية لمجلس كنائس الشرق الأوسط في نيسان (إبريل) عام ألف وتسعمائة وستة وثمانين (١٩٨٦)- عن مأساة في استعمال الكتاب المقدس، واستغلال المشاعر الدينية في محاولة تقديس إنشاء دولة ما، وتسويغ سياسات حكومة مخصوصة.

لا يوجد مكان للصهيونية المسيحية في الشرق الأوسط ويجب أن تنبذ من قبل الكنيسة العالمية

إذن لا يوجد مكان للصهيونية المسيحية في الشرق الأوسط، ويجب أن تنبذ من قبل الكنيسة العالمية، إنها تشويه خطير وانحراف كبير عن الإيمان المسيحي الحقيقي المتركز في السيد المسيح، كما أنها تدافع عن برنامج سياسيٍ قومي يعتبر الجنس اليهودي متفوقا. وبكلمات رجل دين فلسطيني محلي: «إنهم أدوات تدمير وخراب، وهم لا يعطون أي اعتبار أو أهمية للمسيحيين الأصليين في هذه البلاد»(١٠).

وتدعو الأصولية المسيحية للعودة إلى الأصول، وتعتقد بالعصمة الحرفية للكتاب المقدس، أي عصمته من الخطأ والتحريف، فالنص الانجيلي له السلطة العليا فوق الجميع، وهو كلمة الله المعصومة من كل عيب ونقص، وكل ما يعارض النص فهو مرفوض .. وتفسر النص تفسيرا حرفيا، وتحصر فهمه في اللاهوتيين من رجال الكنيسة، وتهتم اهتماما كبيرا بالنبوءات المستقبلية، وتحاول تحقيقها تحقيقا حرفيا، وخاصة ما يتعلق بـ«إسرائيل»، والمجيء الثاني للمسيح – عليه السلام – فالأصولية المسيحية كمثيلتها الأصولية اليهودية، تقوم على تقديس النص، وتقديس الشخص(١١).

هل هناك أصولية في البيئة الاسلامية؟

اعتاد الكتاب الغربيون إطلاق تعبير الأصولية الإسلامية على حركة الصحوة الإسلامية، في محاولات لربطها بالحركة الأصولية المسيحية المتعصبة، التي ظهرت في الولايات المتحدة الأميركية مع كل سلبياتها التي رسبتها في الضمير الأميركي بصورة خاصة، والغربي المسيحي بصورة عامة، ومما يلفت النظر في هذا المجال، تركيز الخطاب الاتهامي على «الأصولية الإسلامية» دون غيرها من الأصوليات المعاصرة التي سبق ذكرها. والذي يهمنا هنا، الأصولية ليس كمصطلح، ولكن كمفهوم سائد متداول في وعينا العام، وفي الخطاب العربي المعاصر، ارتبطت به مفردات اشتق بعضها من فعل «أصل» أصالة، فهو أصيل، وتأصل: صار ذا أصل، والتأصيل والأصالة، والأصولية. وصفة الأصولي تطلق – دون تحديد موقف فكري محدد – على المشتغل بأصول الدين، أو أصول الفقه، أو المهتم بدراسة أصول القضايا والظواهر عامة (١٢).

أما الأصولية فهي وإن تكن تعني الانتساب إلى الأصل، أو إلى الأصول، فإنها تعني شيئا مختلفا ومغايرا تماما، على حد قول الاستاذ محمود أمين العالم، حيث يقول: «الأصولية تختلف وتتمايز عن هذه المفردات جميعا، وتشكل دلالة مذهبية وأيديولوجية خاصة، بمعنى أنها الرؤية التي تتخذ من الأصل – سواء أكانت نصوصا دينية، أم مذهبا دينيا، أم

سياسيا - مرجعا أساسيا وسندا مطلقا نهائيا في مفاهيمها وسلوكها. فليست كل مرجعية إلى أصل ثابت تتسم بالأصولية، وإنما تصبح هذه المرجعية أصولية إذا تكررت هذه المرجعية، واحتكرت وطغت بشكل مطلق، وأصبحت منهجا مسيطرا» (١٣) ويذهب الأستاذ فهمي هويدي إلى أنه يجب ضبط المصطلح، ويقول: «ومشكلتنا مع الأصولية: أن هذا التعبير- أساسا- لا أصل له في اللغة العربية، ولا أصل له في الخطاب الإسلامي، ولذلك هو ترجمة لكلمة «فندمنتاليزم» التي لها أصولها المسيحية البروتستانتية المعروفة، إن الحالة الإسلامية فيها درجات لا تستطيع أن تصفها كلها بأنها أصولية، هناك معتدلون ومتطرفون، وإن كان الانطباع الذي ساد هو أن كل من تحدث عن الإسلام كمشروع، أو ما يسمى بالإسلام السياسي قد صنف أصوليا» (١٤).

وجاء في الموسوعة الميسرة أن مصطلح الأصولية في الاسلام «مصطلح محمود غير مذموم، فهو يطلق على العالم بأصول الفقه، وأصول الدين «علم العقيدة والتوحيد» فيقال: عالم أصولي، كما يقال: فقيه، ومفسر، ومحدث» (١٥).ويرى فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي أنه لا مانع من قبول مصطلح «الأصولية» باعتباره يعني العودة إلى الأصول، والتي هي الكتاب والسنة، والتمسك بهما عمليا، ويقول: «إن كان التمسك بالإسلام الصحيح عقيدة وشريعة ومنهاج حياة، والدعوة إليه، والاعتزاز به، والدفاع عن مبادئه، وحرماته «أصولية» فليشهد الثقلان أننا أصوليون أقحاح» (١٦).

ومما سبق عرضه تجدر الإشارة إلى اختلاف معنى الأصولية في الثقافة العربية الإسلامية، عنه في البيئة الغربية، لاختلاف ظروف كل منها من حيث النشأة، والفكر، والعقيدة، ولأنه في البيئة الإسلامية رمز لأهل الاجتهاد والاستنباط، ويطلق على علمين هامين هما: علم أصول الدين، وعلم أصول الفقه، بينما في البيئة الغربية، عنوان على أهل الجمود والتطرف والتدمير(١٧).. بل إن هذا المصطلح غريب عن البيئة الإسلامية، ومقحم عليها بقوة الإعلام الغربي، ولأن الغرب عموما، والولايات المتحدة خصوصا، تحاول أن تلصق بالحركة الإسلامية، وصف الحركة الأصولية بمدلولها الغربي، الذي هو على النقيض تماما من دلالات هذا المصطلح في البيئة الإسلامية. فالإسلام لا يعرف كلمة تدل على الأصولية بمفهومها الغربي، فلا يبرر الإسلام الإكراه في الدين، بل الواقع أن الإسلام يدعو إلى عقائده الخالصة، ودعوته الشاملة بالحكمة والموعظة الحسنة، فمن يجد في نفسه اقتناعا تاما، فالباب مفتوح ليدخل فيه، وإلا فله الحق بأن يبقى على ما هو عليه من دينه، فلا إكراه في الدين.. هذه أصوليتنا الرحبة، والتي لابد من تمييزها عن أصولياتهم المتنوعة، وتياراتها السياسية العنصرية، الإقصائية.. الإمبريالية..لذلك فإن استعمال هذا المصطلح (Fundamentalism) في توصيف بعض الحركات الإسلامية، من قبل العقل الغربي وبعض المتأثرين به ليس صحيحًا، لأن هذا الاستخدام لم يأت في سياقه السياسي والاجتماعي والثقافي الذي نشأ فيه هذا المصطلح، ولأن الإسلام وحركاته السياسية لم يعرف هذا المصطلح، لا تاريخًا، ولا شرائع، أو فقهًا، وأي اتجاه مغالط عن الحقيقة إنما ينبىء عن تبعية فكرية، إن لم يكن أحد أوجه الاغتراب، والتبعية الحضارية للأنموذج الغربي (١٨).

الهوامش

١- الحاخام: كلمة عبرية معناها الرجل الحكيم، أو العاقل. انظر الموسوعة اليهودية، للمسيري مجلد: ٥ ص ١٥١.

٢- مفهوم الأصولية الإسلامية عند الغربيين، عرض ونقد. ص: ٢٤.

٣- سفر اشعيا: ٤٩: ٢٣.

٤- التلمود: كلمة مشتقة من الجذر العبري: لامد، الذي يعني: الدراسة والتعليم. والتلمود من أهم الكتب الدينية عند اليهود. وهو الثمرة الأساسية للشريعة الشفوية، أي: تفسير الحاخامات للشريعة المكتوبة (التوراة). انظر: الموسوعة اليهودية، للمسيري: مجلد ٥: ص ١٢٤.

٥- انظر: من التلمود، إعداد المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: ص ٦٢.

٦- يهوذا والسامرة: هو الاسم الذي يطلقه اليهود على الضفة الغربية التي احتلوها في حرب الأيام الستة. انظر الأصولية اليهودية، إيمانويل هيمان: ص ١٢٣.

٧- الأصولية اليهودية: إمانويل هيمان، ص: ١٢٣.

٨- الحركة المسيحية الأصولية الأميركية وعلاقتها بالصهيونية، إعداد: محمد إبراهيم الشربيني: ص ٣٠-٣١.

٩- انظر كل شيء عن أهدافها وأغراضها ونشاطاتها في موقعها على الانترنت، وعنوانه: www.icej.org.il //http:

١٠- نشرت مع كلمات ومحاور أخرى في كتيب خاص ضمن سلسلة الندوات الفكرية التي يصدرها وينشرها مركز الإمام الخميني الثقافي - بيروت، في ٨ نيسان (أبريل) ٢٠٠٢.

١١- الحركة المسيحية الأصولية الأميركية (مرجع سابق): ص ٣١.

١٢- إشكالية الموقف الغربي من الأمة الإسلامية: بحث مقدم إلى مؤتمر «الإسلام والتحديات المعاصرة» المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية - مكة المكرمة، في الفترة: ٢-٢٠٠٧/٤/٣م. إعداد: أ.د. عمر سالم سعدالله العبيدي.ص:٩.

١٣- انظر مراد وهبة: أصوليات هذا الزمان، سلسلة كتاب قضايا فكرية، بإشراف محمود أمين العالم، الكتاب الثالث، والرابع عشر. ١٩٩٣م. نقلا عن سليمان حريتاني، توظيف المحرم ط١، دار الحصاد، سوريا، ٢٠٠٠م. ص: ٣٥٦. وانظر: إشكالية الموقف الغربي من الأمة الإسلامية: ص: ٩-١٠.

١٤- انظر: عمرو عبد السميع: المتطرفون (ندوات ودوائر حوار)، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ١٩٩٣م. ص: ٣٥٤.

١٥- انظر: الموسوعة الميسرة: ج٢: ص ٩٧٥.

١٦- انظر: مستقبل الأصولية الإسلامية: د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٧م. ص: ١٦.

١٧- انظر: الحركة المسيحية الأصولية، محمد إبراهيم الشربيني، ص: ٤٠.

١٨- انظر: د.حميد حمد السعدون، الغرب والإسلام والصراع الحضاري، دار وائل للطباعة، عمان ٢٠٠٢م، ص: ١٣٥.

بيع الاسم التجاري - الحقوق المعنوية(1)

د. سيد حبيب

الاسم التجاري يطلق على التسمية التي يستخدمها التاجر كعلامة مميزة لمشروعه التجاري عن نظائره؛ ليعرف المتعاملون معه نوعًا خاصًا من السلع وحسن المعاملة والخدمة (٢).

والاسم التجاري يشتمل على المضامين الثلاثة التالية:

أ- **العلامة التجارية**: وهي عبارة عن كل إشارة مميزة تُستخدم لتمييز البضائع، للدلالة على مصدرها أو نوعها أو مرتبتها أو ضمانها أو طريقة تحضيرها. وهي ما قد تسمى اليوم بـ «الماركة» المسجلة.

ب- **العنوان التجاري**: هو عبارة عن تسمية مبتكرة أو رمز يختاره التاجر كشعار خارجي لتمييز محله التجاري عن نظائره واجتذاب العملاء. فـ «العلامة التجارية إشارة مميزة للمنتجات، بينما الاسم التجاري تسمية للمنشأة التجارية، وقد تشتق العلامة التجارية من الاسم التجاري، أو من العنوان التجاري» (٣).

جـ - **الترخيص التجاري**

هو عبارة عن الإذن من الجهات المعنية بمزاولة نشاط تجاري محدد ضمن شروط وضوابط محددة (٤).

حق براءة الاختراع

وهو عبارةٌ عن حقّ يُعطي المخترعَ أو المبتكرَ الحَقّ في استّخدام الاختراع الذي اخترعه لمدة معينة تحميه منَ دعوى التقليد أو الغش، وله حق التنازل عنه بالبيع وغيره.

حق التأليف

وهو عبارة عن حق يُعطي المؤلف الحق في الاحتفاظ بثمرة جهده الفكري ونسبة هذا الجهد إليه، واحتجاز المنفعة المالية التي يمكن الحصول عليها من نشره وتعميمه(٥).

المراد بالحقوق في الفقه الإسلامي وأقسامها

أ- **تعريف الحق لغة واصطلاحًا**

الحق في اللغة: نقيض الباطل، ويطلق على عدة معان منها: المال، الملك، الموجود الثابت، والنصيب، والواجب، واليقين(٦).

أما في الاصطلاح: فقد عرف بتعريفات عدة متقاربة المعنى، ومنها: أنه «مصلحة شرعية تخوّل صاحبها الاختصاص أو ترتب التكليف». وقيل: «اختصاص يقرر به الشرع سلطة أو تكليفًا» (٧).

ب- **أقسام الحقوق:**

يقسم الحق في الفقه الإسلامي عدة تقسيمات باعتبارات مختلفة حسب المعنى الذي يدور عليه الحق، ومن أهم هذه التقسيمات:

التقسيم الأول: باعتبار مستحقها (صاحب الحق)

ينقسم الحق بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: حق الله تعالى، وهو ما قصد به تعظيم الله تعالى، أو تحقيق النفع العام لجميع العالم، كالعبادات والكف عن المعاصي.

القسم الثاني: حق العبد، وهو ما قصد به مصلحة الشخص الخاصة كحرمة مال الغير.

القسم الثالث: حق مشترك بين حق الله وحق العبد، فقد يكون حق الله تعالى غالبًا مثل القذف؛ ففيه حق الله من جهة عدم شيوع الفاحشة، وفيه حق العبد من جهة الاعتداء على عرضه. وقد يكون حق العبد غالبا، كالقصاص(٨).

التقسيم الثاني: باعتبار محل الحق (وهو ما يتعلق به الحق ويرد عليه)

ينقسم الحق بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: من حيث المالية، ينقسم إلى قسمين

القسم الأول: الحقوق المالية، وهي التي تتعلق بالأموال ومنافعها كحق استحقاق العوض.

القسم الثاني: الحقوق غير المالية، هي التي ليس محلها المال، كحق القصاص.

النوع الثاني: من حيث تعلقه بالشخص، ينقسم إلى قسمين

القسم الأول: الحق الشخصي، وهو ما يقره الشرع لشخص على آخر، كحق البائع في الثمن والمشتري في السلعة.

القسم الثاني: الحق العيني، وهو ما يقره الشرع لشخص على شيء معين، كحق تصرف المالك في ملكه.

النوع الثالث: من حيث تقرره في محله، ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: حق مجرد، وهو ما كان غير متحرر في محله، وهو ما كان

• باحث دراسات اسلامية في وزارة الأوقاف الكويتية

الإسم التجاري مال يجري فيه الاختصاص والملك

مرجعه رغبة المالك ومشيئته إن شاء انتفع به وإن شاء تركه، كحق الشفعة.

القسم الثاني: حق غير مجرد، وهو ما له تعلق بمحله تعلق استقرار، بمعنى أن لتعلقه أثرًا أوحكمًا قائمًا يزول بالتنازل عنه، كحق القصاص.

التقسيم الثالث: باعتبار كيفية الثبوت، وينقسم إلى قسمين

القسم الأول: الحق القضائي، وهو ما يدخل تحت ولاية القاضي، ويمكن لصاحبه إثباته أمام القضاء.

القسم الثاني: الحق الرباني، وهو ما لا يدخل تحت ولاية القاضي، وإنما يكون مسؤولًا عنه أمام الله، كالذي عجز صاحبه عن إثباته.

التقسيم الرابع: من حيث سبب ثبوته لصاحبه، ينقسم إلى قسمين

القسم الأول: حقوق تثبت لأجل دفع الضرر كحق الشفعة.

القسم الثاني: حقوق تثبت لأصحابها أصالة لا على وجه رفع الضرر، كحق الزوج في إبقاء عقد النكاح قائمًا(٩).

التكييف الشرعي لـ «الاسم التجاري»

إن معرفة طبيعة الاسم التجاري هي أساس الحكم الشرعي ومبناه ومبرره، وكلما تحددت صفة وطبيعة الموضوع أمكن إلحاق الحكم المناسب له.

وقد توصل العلماء المعاصرون من خلال معرفة طبيعة الاسم التجاري إلى أمرين مهمين ينبني الحكم الشرعي على وفقهما، وهما:

١- أن الاسم التجاري يعتبر حقًا

«يفهم من تعريف الاسم التجاري أنه في حقيقته عبارة عن علاقة تنشأ بين هذا الاسم التجاري المتضمن لسلع معينة وبين الجمهور، جسد هذه العلاقة جهد التاجر واجتهاده في تمييز سلعته وتجويدها بحيث اكتسب الاسم التجاري سمعة وشهرة جعل الإقبال عليه كبيرًا، وتعارف جمهور الناس على صلاحيته، وجودة ما يشير إليه هذا الاسم دون غيره.

ولاشك أن جهده هذا قد ساعده فيه استشاريون ومختصون ليضمن أحسن المواصفات لسلعه، وأفضل طرق ترويج هذه السلع وتسويقها، وهذا لا ريب كلفه أموالًا طائلة أخصها وأهمها ما بذله من دعاية لازمة لترويج الاسم التجاري.

وقد أثبتنا سابقًا أن الحقوق أموال وهي من هذا الجانب يجري فيها الملك والاختصاص مادام محلها مالًا أو له تعلق بالمال وكان قابلًا للتجزيء، فالاسم التجاري من هذا الوجه مال يجري فيه الاختصاص والملك» (١٠).

٢- أن الاسم التجاري يعتبر منفعة

«يشكل الاسم التجاري عنوانها ووعاءها، وتنسب المنافع حينئذ للاسم التجاري، وهذه المنافع أشبه بمنافع الأعيان ولكنها منافع إيجابية نامية.

والمنفعة مال متقوم على رأي جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة ومتأخري الحنفية، وهي كذلك أموال متقومة على رأي متقدمي الحنفية إذا ورد العقد عليها تحقيقًا لمصلحة الناس، فإذا كان ذلك كذلك فيمكن القول: إن الاسم التجاري يعتبر مالًا في الفقه الإسلامي لاريب، وإذا كان الاسم التجاري منفعة ومالًا متقومًا صلح أن يكون محلًا للملك لأن الناس تعارفوا على تموله وتقويمه واعتباره» (١١).

المراد بالمال عند الفقهاء

أ- **تعريف المال لغة:** هو «كل ما ملكته من جميع الأشياء» سواء أكان عينًا أم منفعة، ويشمل أيضًا الحق، وإن كان أمرًا معنويًا إلا أنه يملك سواء أطلق عليه عين أو منفعة أو مباح (١٢).

ب- **المال في اصطلاح الفقهاء:**

اتفق جمهور الفقهاء على مفهوم المال من حيث الجملة، وإن اختلفت عباراتهم في تعريفه وبيان حقيقته، وتحرير محل النزاع:

■ اتفق الفقهاء على أن الأعيان أموال متى أمكن حيازتها وتملكها والانتفاع بها على وجه ما.

■ كما اتفقوا على أن الحقوق المجردة وهي التي لا تدرك بالحس ولا تعلق لها بالمال، كحق الحضانة والولاية والوظيفة ليست مالًا(١٣).

■ واختلفوا في (الأشياء غير المادية) كالحقوق المتعلقة بالمال، والمنافع هل هي أموال أم لا؟ على قولين:

القول الأول: قول الجمهور من المالكية والشافعية والحنابلة ومتأخري الحنفية، أنه لا يشترط في المال أن يكون له وجود في الخارج ويمكن إحرازه، حيث:

- عرفه المالكية بأنه: «ما يقع عليه الملك ويستبد به المالك عن غيره إذا أخذه من وجهه».

- وعرفه الشافعية بأنه: «ما له قيمة يباع بها وتلزم متلفه».

- وعند الحنابلة: «ما كان فيه منفعة مباحة لغير حاجة أو ضرورة».

- وعند متأخري الحنفية: «يطلق المال على القيمة وهي ما يدخل تحت تقويم مقوم من الدراهم والدنانير» (١٤).

وعليه فجمهور العلماء ومتأخرو الحنفية اعتبروا المنافع والحقوق أموالًا؛ لأن المقصود من الأشياء منافعها لا ذواتها، وهذا هو الرأي الصحيح المعمول به في القانون وفي عرف الناس

ومعاملاتهم، ويجري عليها الإحراز والحيازة (١٥).

القول الثاني: وهو قول متقدمي الحنفية، والمذهب عندهم: أنه يشترط في المال أن يكون له وجود في الخارج ويمكن إحرازه، حيث عرفوا المال بقولهم: «كل ما يمكن حيازته وإحرازه وينتفع به عادة» (١٦).

وعليه فقد حصر متقدمو الحنفية معنى المال في الأشياء أو الأعيان المادية أي التي لها مادة وجرم محسوس. وأما المنافع والحقوق فليست أموالاً عندهم وإنما هي ملك لا مال(١٧).

● المال والاسم التجاري

إذا علم ما تقدم من تعريف المال، «فإن الاسم التجاري عند التحقيق هو مال على مفهوم الجمهور ومتأخري الحنفية، فمن حيث اشتراط النفع في المال؛ فإن الاسم التجاري يتضمن نفعا ومصلحة خاصة لمالكه، ومصلحة عامة لأفراد المجتمع. وهو وإن كان حقا معنويا إلاّ أن فائدته الخاصة مادية وكذا العامة أيضًا، ومن حيث اشتراط القيمة، فإن الاسم التجاري قد تعارف الناس على أنّه له قيمة يعتاض عنها بما يقابلها من نقد، فيمكن تقويمه كما تقوم الأعيان. ولو اعتدى عليه أجنبي بالتزييف والتقليد فإنه يعرض نفسه للمساءلة والضمان»(١٨).

أقوال علماء العصر في بيع الحقوق المعنوية

١- بيع الاسم التجاري

«اتفق العلماء المعاصرون على اعتبار الاسم التجاري حقًا ماليًا، وذا قيمة مالية ودلالة تجارية معينة، يحقق رواج الشيء الذي يحمل ذلك الاسم، وهو مملوك لصاحبه، والملك يفيد الاختصاص أو الاستبداد أو التمكن من الانتفاع والتصرف فيه بالبيع أو الإجارة أو غير ذلك، ويمنع الغير من الاعتداء عليه إلا بإذن صاحبه، والعرف الذي يستند إليه هذا الحق عام، ولا يتصادم مع نص شرعي خاص أو قاعدة كلية عامة في الشريعة الإسلامية»(١٩).

٢- حق التأليف:

اختلف العلماء المعاصرون في حق التأليف على قولين

القول الأول: عدم اعتبار حق التأليف، وبالتالي عدم حل المقابل المالي لهذا الحق، وإليه ذهب بعض المعاصرين؛ وذلك لما يلي:

- أن اعتبار هذا الحق يؤدي إلى حبس المؤلف لمصنفه العلمي عن الطبع والتداول إلا في مقابل مالي يحصل عليه، وهذا من قبيل كتمان العلم المنهي عنه.

- أن العلم قربة وطاعة، وما كان كذلك فلا يجوز أخذ أجر مالي مقابله.

- قياس حق المؤلف على حق الشفعة من حيث كونه حقًا مجردًا.

القول الثاني: اعتبار حق التأليف، وبالتالي حل المقابل المالي لهذا الحق، وإليه ذهب أكثر المعاصرين. وذلك لما يلي:

- أن المنافع تعتبر أموالاً عند جمهور الفقهاء، والتأليف من الأمور المعنوية، والإنتاج الذهني يمثل منفعة من منافع الإنسان، فيعدّ مالاً، يجوز المعاوضة عنه شرعًا.

- أن العرف العام جار على اعتبار حق المؤلف.

- أن الشريعة الإسلامية حرمت انتحال الرجل قولاً لغيره أو إسناده إلى غير من صدر منه، وعدم اعتبار حق التأليف فيه وقوع في هذا الأمر المنهي عنه.

- إذا كان المؤلف مسؤولاً عما يكتبه ويتلفظ به ويحاسب عليه، فيكون له الحق فيما أبدعه من خير عملاً بالقاعدة «الغنم بالغرم».

- أن الإبداع الذهني أصل الوسائل المادية من سيارة وطيارة ومذياع وغيرها مما له صفة المالية، فلابد من اعتبار الأصل في صفته المالية.

- التخريج على قاعدة «المصالح المرسلة» في ميدان الحقوق الخاصة، ويتحقق ذلك بأمرين:

الأول: من ناحية كونه حقًا مميزًا ماليًا، إذ المصلحة فيه خاصة عائدة إلى المؤلف أولاً، وإلى الناشر والموزع ثانيا.

الثاني: أن فيه مصلحة عامة راجعة إلى المجتمع الإنساني كله، وهي الانتفاع بما فيه من قيم فكرية.

والراجح: ما ذهب إليه أصحاب القول الثاني لقوة ما استدلوا به.

والإجابة عمّا استدل به أصحاب القول الأول، هي كالتالي:

- كون اعتبار هذا الحق يؤدي إلى حبس العلم غير مسلّم، بل أكثر الكتب المنشورة والمتداولة بها اليوم- وهي كثيرة- روعي فيها هذا الاعتبار، فكلامهم غير صحيح.

- أن أخذ الأجرة على عمل الطاعات موجود ومقرر شرعًا، وإن حصل نزاع في بعضها.

- أما القياس على حق الشفعة، فهو قياس مع الفارق، لأن حق الشفعة لأجل دفع الضرر، وحق التأليف حق ثابت لصاحبه أصالة، وليس لدفع الضرر(٢٠).

٣- حق براءة الاختراع:

خرّجه بعض المعاصرين على قاعدة «المصالح المرسلة» التي سبقت الإشارة إليها في حق التأليف «ووجه المصلحة في حماية هذا الحق تشجيع الاختراع والإبداع، كي يعلم من يبذل جهده في الاختراع أنّه سيختص باستثماره، وسيكون محميا من الذين يحاولون أن يأخذوا ثمرة ابتكاره وتفكيره ويزاحموه في استغلالها»(٢١).

● فتاوى العلماء في بيع الحقوق

المعنوية(الاسم التجاري، التأليف، الاختراع، الابتكار) الفتاوى والقرارات كلها متفقة في الحكم بأنها حقوق خاصة لأصحابها ويعتد بها شرعا ولا يجوز الاعتداء عليها، ومن تلك الفتاوى والقرارات:

١- قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي بشأن «الحقوق المعنوية»:

«أولاً: الاسم التجاري، والعنوان التجاري، والعلامة التجارية، والتأليف والاختراع أو الابتكار هي حقوق خاصة لأصحابها أصبح لها في العرف المعاصر قيمة مالية معتبرة؛ لتمول الناس لها. وهذه الحقوق يعتد بها شرعًا فلا يجوز الاعتداء عليها.

ثانيًا: يجوز التصرف في الاسم التجاري أو العنوان التجاري أو العلامة التجارية ونقل أي منها بعوض مالي إذا انتفى الغرر والتدليس والغش باعتبار أن ذلك أصبح حقًا ماليًا.

ثالثًا: حقوق التأليف والاختراع أو الابتكار مصونة شرعًا ولأصحابها حق التصرف فيها، ولا يجوز الاعتداء عليها، والله أعلم (٢٢).

٢- فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية:

«لا مانع من تسجيل الأشرطة النافعة وبيعها، وتصوير الكتب وبيعها، لما في ذلك من الإعانة على نشر العلم، إلاّ إذا كان أصحابها يمنعون من ذلك فلابد من إذنهم»(٢٣).

وفي موضع آخر: «لا يجوز نسخ البرامج التي يمنع أصحابها نسخها إلاّ بإذنهم»(٢٤).

٣- فتوى لجنة الأوقاف الكويتية: حيث سئلت عن استنساخ كتب أو برامج أصلية بقصد بيعها بغرض التجارة أو الربح، فأجابت بأن «ذلك ممنوع شرعًا في حالة منع المؤلف أو المنتج الأصلي أو وجود قانون أو عرف يمنع من ذلك؛ لما فيه من الإضرار بالمؤلف أو ورثته، أو المنتج الأصلي»(٢٥).

نتيجة أقوال العلماء

١- أن حقوق الاسم التجاري، والتأليف والاختراع أو الابتكار حقوق خاصة لأصحابها، ولهم حق التصرف فيها، ولا يجوز الاعتداء عليها.

٢- جواز التصرف في الاسم التجاري أو العنوان التجاري أو العلامة التجارية بشرط انتفاء الغرر والغش.

٣- الأصل هو جواز نسخ الأشرطة، وتصوير الكتب ما لم يعلم أن أصحابها يمنعون من ذلك، فحينئذ لابدّ من إذنهم.

هذا ما تيسر جمعه في هذه المسألة، والله تعالى أعلم، وصلى الله تعالى على خير خلقه نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش

١- انظر: أبوالحسين أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون، ج١: ص٣١١، مادة «بهم». والجوهري: الصحاح «تاج اللغة وصحاح العربية» تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، ج٥: ص ١٨٧٥. مادة «بهم»، وابن منظور «لسان العرب»، دار صادر، بيروت. ١٩٦٨م. ج١: ص٥٢٣ وما بعدها. مادة «بهم».

٢ - انظر: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي مختار الصحاح، المكتبة الأموية، دمشق، ص : ٢٧ .

٣ - انظر: السهيلي عبدالرحمن بن عبدالله الأندلسي، التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام: ص٥٠.

٤-ابن جماعة، بدر الدين الكناني الحموي الشافعي، (ت ٧٣٣هـ)، غرر البيان لمبهمات القرآن: ص٣٨.

٥- انظر: السيوطي، تفسير الجلالين، بهامش حاشية الجمل ج١: ص ١٠٧.

٦- انظر: الإمام أحمد بن حنبل، المسند: ج٤: ، ص ٣٨٤. وأحمد بن علي بن محمد بن حجر في فتح الباري ج٨ ، ص ١٥٩.

٧- تفسير الماوردي «النكت والعيون في تفسير القرآن الكريم»، ج١: ص٦١.

٨ - انظر: الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ج١: ص ٢٥.

٩ - انظر: صديق حسن خان القنوجي الأنصاري، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١: ص ٥٣.

١٠- انظر : البقرة : ٦٣ وَ ٩٣، والنساء: ١٥٤، ومريم: ٥٢، وَطه: ٨٠ ، والمؤمنون: ٢٠، والقصص: ٢٩ وَ ٤٦، والطور: ١، والتين: ٢، وانظر: المعجم المفهرس: ص ٤٢٩.

١١- انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مجلد ٧، ج٢١، ص ٢٠.

١٢- انظر: الزركشي، البرهان: ج ١: ص١٥٦، والسيوطي : مفحمات الأقران: ص ٢٠ وَ٢١ .

١٣- الزركشي، بدرالدين محمد بن عبدالله، البرهان ، ج١: ص ٢٠٣.

١٤- انظر : السهيلي، التعريف والإعلام، ص: ٦٣. والزركشي، البرهان في علوم القرآن : ج١: ص ٢٠٥.

١٥- انظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ٣، ص ٢١ .

١٦- مكان بينه وبين مكة المكرمة فرسخان، يُحرِم منه من أراد العُمرة. انظر: عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي (ت٤٨٧هـ) معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا، ط٣، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٣م . ج١: ص ٣٢١.

١٧- انظر: د. محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط : ج١٨، ص٤٢.

١٨- انظر: الطبري، جامع البيان، ٣٠: ٣٢٩.

١٩- الزركشي، بدرالدين محمد بن عبدالله، البرهان الزركشي، بدرالدين محمد بن عبدالله، البرهان: ج١، ص٢٠٧، ٢٠٩.

٢٠- انظر: الواحدي، أسباب النزول، ص ٢٢٨-٢٢٩. وصحيح البخاري: ج٣، ص ١٥ .

٢١- انظر : الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مجلد : ١٢ ، ج ٢٨، ص ٢ .

٢٢- انظر : السيوطي: لباب النقول، ص ١٣٥، والآلوسي : روح المعاني ، ج ٢١ ص٦٧. والقينة هي: المُغنية.

٢٣- انظر: السهيلي، الأعلام ، ص ١٩.

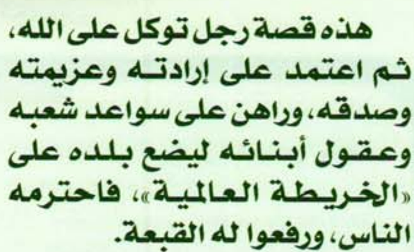
٢٤- أخرجه البخاري: حديث رقم: ٣١٥٣. وانظر: د. فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم، ص ١٣٧.

٢٥- أبوجعفر محمد بن جرير الطبري: جامع البيان، ج١ : ص ٥٢٠.

٢٦- ابن الجوزي: زاد المسير : ج١، ص ١٠٢. والسيوطي، مفحمات الأقران: ص ١٤.

٢٧- الزركشي: البرهان في علوم القرآن ، ج١، ص ١٥٥.

عبادة السيد نوح abadanooh@hotmail.com



بائع الموز الحكيم

هذه قصة رجل توكل على الله، ثم اعتمد على إرادته وعزيمته وصدقه، وراهن على سواعد شعبه وعقول أبنائه ليضع بلده على «الخريطة العالمية»، فاحترمه الناس، ورفعوا له القبعة.

ففي بلد مساحته ٣٢٠ ألف كيلو متر مربع، وعدد سكانه ٢٧ مليون نسمة كانوا حتى عام ١٩٨١ يعيشون في الغابات، ويعملون في زراعة المطاط والموز والأناناس، وصيد الأسماك، وكان متوسط دخل الفرد أقل من ألف دولار سنويًا، والصراعات الدينية (١٨ ديانة) هي الحاكم حتى أكرمهم الله برجل اسمه «mahadir bin mohamat»، حسبما هو مكتوب في السجلات الماليزية.. أو«مهاتير محمد» كما نسميه نحن، فهو الأخ الأصغر لتسعة أشقاء.

هذا الجراح الماليزي استطاع رسم خريطة لمستقبل ماليزيا حدد فيها الأولويات والأهداف والنتائج، التي يجب الوصول إليها خلال ١٠ سنوات، وبعد ٢٠ سنة حتى عام ٢٠٢٠!

فقرر أن يكون التعليم والبحث العلمي هما الأولوية الأولى على رأس الأجندة، وبالتالي خصص أكبر قسم في ميزانية الدولة ليضخ في تدريب وتأهيل الحرفيين والتربية والتعليم ومحو الأمية وتعليم الإنجليزية وفي البحوث العلمية، كما أرسل عشرات الآلاف كبعثات للدراسة في أفضل الجامعات الأجنبية.

وأعلن للشعب بكل شفافية خطته واستراتيجيته، وأطلعهم على النظام المحاسبي الذي يحكمه مبدأ الثواب والعقاب للوصول إلى «النهضة الشاملة»، فصدقه الناس ومشوا خلفه ليبدأوا «بقطاع الزراعة» فغرسوا مليون شتلة «نخيل زيت» في أول عامين لتصبح ماليزيا أولى دول العالم في إنتاج وتصدير «زيت النخيل»!

وأراد بائع الموز أن يكون المستهدف في عشر سنوات هو ٢٠ مليار دولار بدلًا من ٩٠٠ مليون دولار عام ١٩٨١، لتصل الآن إلى ٣٣ مليار دولار سنويًا، فحوّل المعسكرات اليابانية التي كانت موجودة من أيام الحرب العالمية الثانية إلى مناطق سياحية تشمل جميع أنواع الأنشطة الترفيهية والمدن الرياضية والمراكز الثقافية والفنية، لتصبح ماليزيا «مركزًا عالميًا» للسباقات الدولية في السيارات والخيول والألعاب المائية والعلاج الطبيعي.

وفي قطاع الصناعة حققوا في عام ١٩٩٦ طفرة تجاوزت ٤٦٪ عن العام السابق بفضل المنظومة الشاملة والقفزة الهائلة في الأجهزة الكهربائية والحاسبات الإلكترونية.

وأنشئت أكبر جامعة إسلامية على وجه الأرض، وأصبحت ضمن أهم خمسمائة جامعة في العالم يقف أمامها العالم بانبهار وإقبال، كما أنشئت عاصمة إدارية جديدة putrajaya بجانب العاصمة التجارية «كوالالمبور» التي يقطنها الآن أقل من مليوني نسمة، ولكنهم خططوا أن تستوعب ٧ ملايين عام ٢٠٢٠، ولهذا بنوا مطارين وعشرات الطرق السريعة تسهيلًا للسائحين والمقيمين والمستثمرين الذين يأتون من كل بقاع الأرض.

باختصار.. استطاع الحكيم «مهاتير» من عام ١٩٨١ إلى عام ٢٠٠٣ أن يحلق ببلده في الآفاق لتتربع على قمة الدول الناهضة التي يشار إليها بالبنان، بعد أن زاد دخل الفرد من ١٠٠ دولار سنويًا في عام ١٩٨١ عندما تسلم الحكم إلى ١٦ ألف دولار سنويًا أخيرًا، وأن يصل الاحتياطي النقدي من ٣ مليارات إلى ٩٨ مليارًا، وأن يصل حجم الصادرات إلى ٢٠٠ مليار دولار.

وفي عام ٢٠٠٣ وبعد ٢١ سنة، قرر بإرادته المنفردة أن يترك الحكم بعدما أدى دوره على أكمل وجه، رغم كل المناشدات، ليستريح تاركًا لمن يخلفه «خريطة طريق» و«خطة عمل» اسمها «عشرين.. عشرين» أي شكل ماليزيا عام ٢٠٢٠، إذ ستصبح رابع قوة اقتصادية في آسيا بعد الصين واليابان والهند.. فهل تعي مجتمعاتنا العربية والإسلامية هذه التجربة الواقعية لدولة باتت اليوم رقمًا صعبًا في الساحة العالمية بعدما كانت صفرًا على الهامش قبل عقدين من الزمان، وتعرف أن السر وراء هذا النجاح هو الصدق في الإخلاص؟ والله ولي التوفيق.



غاية الأدب

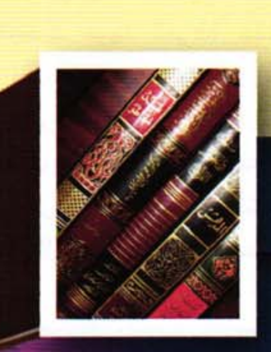
ثمَّ رؤى متباينة تجاه ما يناط بـالأدب من رسالة، وما يسعى إليه من هدف، فطائفة ترى أن غايته تربية المجتمعات وتقويمها، وتجنيبها تنكب السبل، وضلال الدروب، مترفعين به عن كونه مجرد وسيلة للتلهي والتسلية، والإمتاع والتسرية، عادِّين ما جاء على هذا النسق قليل الفائدة، ضئيل الأثر، مقطوع العمر، ضيق التأثير.

وطائفة أخرى ترى أن الأدب نابع عن ذات صاحبه، يرتبط نجاحه بصدق تعبيره عما بداخله، أيًا كان ووفق ما جاء، على أن يلبس ثوبًا حسنًا يناسب ما يعبر عنه، وتنساب ألفاظه، ومن ثم جمله وتراكيبه، بصورة تحرك مكنون النفس، وتداعب مجوش الصدر، فإن هو فعل شُكر سعيُه على سنيع صنيعه، دون النظر لما سوى ذلك.

لكن التساؤل المُلِحَّ الآن، بعد قراءة للرأيين لا تستطيع أن تركن لأحدهما على حساب الآخر، لقوة ما يقدمان من حجة، وتسامي ما يسوقان من دليل، هو: ألا يمكن أن تسير الغايتان معًا دون تضارب المصالح، وتعارض النكات، على حد تعبير أرباب البلاغة؟

وهذا التوفيق الأخير هو ما تطمئن إليه النفس، وبقدره تقاس درجة الجودة وبلوغ الكمال، وهو مع هذا ليس صعب المنال، إن تنزهت وسمت نفس الأديب، وهكذا ينبغي أن تكون.

التحرير



في كتاب «سر الفصاحة» لابن سنان الخفاجي

نظرات في بلاغة القرآن وبلاغة العرب (٢/١)

د. محمد بن محمد الحجوي *

قال الله تعالى: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا﴾ (الكهف: ١).لقد أجمع الدارسون في مختلف عصور الثقافة الإسلامية، وعلى تباين مذاهبهم في الدرس الأسلوبي أن السبيل لمعرفة أسرار بيان القرآن وإعجازه هو الدراسة العميقة لضروب الأساليب التي قامت عليها بلاغة العرب في شعرهم ونثرهم مع الاستعانة بالوسائل التي تعين على فهم تراكيبه ومعانيه وصوره الفنية.

في مقدمة هذه الوسائل الطبع والذوق والملكة اللغوية التي تجعل الدارس قادرا على التمييز بين أسلوب وأسلوب، وتركيب وتركيب، وصياغة وصياغة، وبهذه الوسائل كان الناس يتفاوتون في إدراك الخفي والدقيق في البيان العربي.

ومن البديهي أن نقول إن تلك الوسائل لا تكتمل للدارس في عصرنا الحديث إلا بتتبع فصيح كلام العرب في أشعارهم وخطبهم، مع الوقوف على ملحوظات العلماء في اللغة والنحو والبلاغة، وفي ضروب المعاني والأساليب التي جعلت العلماء يعجبون بها(١).

وقد تعددت طرق الشعراء والأدباء في اكتساب المهارات اللغوية والفنية، وانعكس هذا التعدد في شعرهم وأدبهم مما جعله يحمل وجوها عديدة من التراكيب الدقيقة، والدلالات الخفية، والصور البديعة.

وهذا التعدد في الخبرات والمهارات يجعل معرفة ما في التراكيب من محاسن ومساوئ يتفاوت بين الأفراد بمقدار ما استوعبوا من معارف في الأدب العربي. ومن هنا نجد لكل ناقد منهجه في كيفية الاهتداء الى وجوه المحاسن والمساوئ في أسرار علوم اللغة العربية وآدابها، فذهبوا مذاهب متعددة في الاجتهاد والاستنباط والتفسير والتأويل والتخريج، إلا أن هذا الاختلاف لا يبلغ حد التناقض الذي يجعل الحسن قبيحا، والقبيح حسنا، وإنما تجلى اختلافهم في تباعد رؤيتهم في تصور المعاني والدلالات والصور الفنية، وتقويم وجوه المحاسن والمساوئ.

على الدارس للأحكام الشرعية وعلوم القرآن أن يبحث في أسرار البيان لإدراك أسرار الإعجاز

وهذا الاختلاف ايضا لا يمنع الدارس في علوم اللغة العربية وآدابها من الاطلاع عليها، والاستفادة من جزئيات اختلافهم من أجل تقويم بيان العرب عامة، وادراك اسرار بلاغة القرآن الكريم واعجازه خاصة، لأن آراء هؤلاء العلماء رغم ما فيها من اختلافات، جاءت بعد دراسة مستفيضة للتراث العربي، ولبيان القرآن الكريم والأحاديث الشريفة.

وإذا كان البحث في أسرار البيان هدفا وغاية لكل من أراد اكتساب المهارة الأدبية والفنية، والقدرة على إبداع الأدب الجيد، ونقده وتحليله، وتمييز جيده من رديئه، فإن الدارس للأحكام الشرعية، ولعلوم القرآن، أولى بالبحث فيها لمعرفة مقاصد الشريعة وأغراضها، وإدراك أسرار الإعجاز، والرد على دعاة الباطل، ومن ذهب مذهب أصحاب الصرفة (٢)، قال الخفاجي: «وأما العلوم الشرعية فالمعجز الدال على نبوة محمد نبينا

* أكاديمي مغربي



ﷺ هو القرآن. والخلاف الظاهر فيما به كان معجزا على قولين:

أحدهما، أنه خرق العادة بفصاحته، وجرى ذلك مجرى قلب العصا حية.

وليس للذاهب الى هذا المذهب مندوحة عن بيان ما الفصاحة التي وقع التزايد فيها موقعا خرج عن مقدور البشر.

والقول الثاني، إن وجه الإعجاز في القرآن صرف العرب عن المعارضة مع أن فصاحة القرآن كانت في مقدورهم لولا الصرف. وأمر القائل بهذا يجري مجرى الأول في الحاجة الى تحقيق الفصاحة ما هي؟ ليقطع على أنها كانت في مقدورهم من جنس فصاحتهم (٣).

هذه الفكرة تؤكد حاجة الأديب والفقيه الى معرفة أسرار البيان، فالأديب والشاعر والخطيب، وكل من يبدع في جنس الأدب يحتاج إليها، لأن الإبداع الأدبي يقوم على أساس سلامة الأسلوب والمعاني، والقدرة على التصوير الفني البديع. أما الفقيه والمحدث والباحث في علوم الشريعة ومقاصدها فإنه يحتاج إليها لفهم المعاني، وإدراك خصائص الإعجاز، وتقديم الدليل اللغوي والمعنوي في منهج تفسيره واجتهاده وافتائه، لأن تراكيب اللغة العربية عامة ولغة القرآن خاصة، جاءت بالتعبير الحقيقي والمجازي، ومن لم يفهم مجازات اللغة العربية لا يكون قاصرا عن فهم الحقائق فحسب، وإنما يحرف ويغير الدلالة، وهذا هو الأمر المفزع الذي يقع فيه بعض من يتعاطى التفسير وهو جاهل باللغة والمعاني.

والمجاز في اللغة العربية تعبير أصيل تميزت به عن بقية اللغات



الأخرى، قال الخفاجي: «إلا أن لغتنا فيها من الاستعارات والألفاظ الحسنة الموضوعة ما ليس مثله في غيرها من اللغات» (٤).

وهذه الميزة اللغوية والأدبية والفنية في اللغة العربية لا يدرك سرها إلا من عرف طبيعة اللغات الأخرى بدرس خصائصها التركيبية والأسلوبية. لقد كانت الأمم الأخرى ترى المجازات ضربا من العبث اللغوي، لأنهم لم يفهموا ايحاءاتها ورموزها واشاراتها، لكون لغتهم تخلو منها، ذكر الخفاجي أن أحد ملوك الروم سأل عن شعر المتنبي، فأنشد أحدهم قوله:

كأن العيس كانت فوق جفني

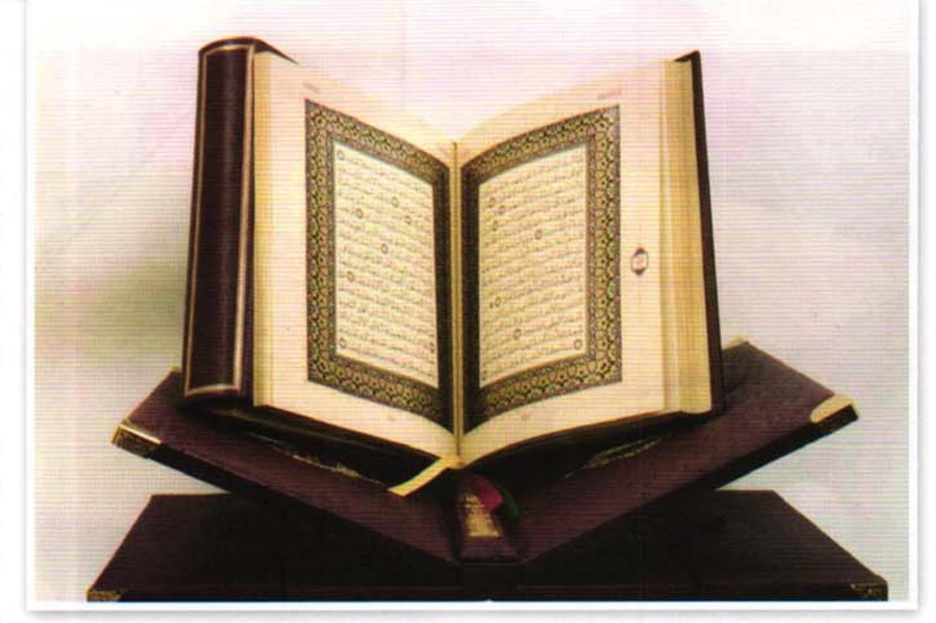
مناخات فلما ثرن سالا

فلما فسر له معناه بالرومية استغرب وأخذه العجب، ثم قال: «ما أكذب هذا الرجل! كيف يمكن أن يناخ جمل على عين إنسان»؟ (٥).

إن التعبير المجازي في اللغة العربية اهتدى إليه الأعرابي بعد تجارب طويلة في ميدان الأدب والشعر كي يتخلص من قيود بيئة عانى من جدبها وشظفها وقساوتها، فلم يكن يجد وسيلة للترويح عن نفسه إلا بالخيال، يسبح في عوالمه ليعانق قمرا، أو يصافح أسدا، أو يحادث زهرة، أو يسامر نجما، بل يتحول بواسطة المجاز إلى أسد شاكي السلاح، وفارس يقهر أعداءه، ويرد غارة المغيرين وكيد الكائدين، وإلى بحر يجود بكل ما يملك على المتعففين وذوي الحاجات في زمن الشدة، والى سيد فخور بنفسه، يتعالى على الملوك وأصحاب العروش.

وبالمجاز حاور الانسان العربي الجماد، وشكا إليه حزنه وتقاسم معه أفراحه، وأضفى عليه صفة القدرة والارادة، ان العربي الذي نشأ في بيئة الفصاحة والبيان لم يجد غموضا في مجازات القرآن، لأنها في شعره ولغته وخياله، وهي جزء من علاقاته الاجتماعية والإنسانية.





وابن سنان الخفاجي من الأعلام الذين درسوا هذه الخصائص في البيان العربي وفي القرآن الكريم، ولذلك فإن الوقوف على آرائه يبرز جزءا كبيرا من عبقرية اللغة العربية، وإعجاز القرآن، وللتعرف على هذه الخصائص بدقة ينبغي الإشارة إلى خصائص الألفاظ المفردة والمركبة في مباحثه.

خصائص حروف القرآن في انتظامها مع الجهاز الصوتي أعطتها شأنا عجيبا في التركيب والفصاحة

فصاحة الألفاظ المفردة

إن رصد وجوه الفصاحة في الألفاظ المفردة عند الخفاجي لا يتم بمراعاة الجوانب التي تركز على تلاؤم حروفها، وعلاقتها بجهاز النطق والسمع فقط، وإنما بجوانب أخرى منها النظر في سلامة مخارج حروف اللفظة من الحلق والشفة، ومدى تأثيرها الموسيقي على جهاز السمع، وارتباطها بالعرف العربي سليقة وملكة، وما يوجد فيها من خصائص الطبع والذوق والبعد عن الغريب الحوشي والمبتذل والشاذ.

وحينما نستعرض ألفاظ القرآن الكريم بالإشارة الى ما ذكره البلاغيون من الوجوه الملائمة للفصاحة والبيان نجدها جمعت كل المحاسن، وخلت من كل العيوب التي تشين تركيب حروفها واستواء ألفاظها. فحروف كتاب الله تألفت تأليفا بديعا متناسقا جعل مخارجها مستوية ومنتظمة مع الجهاز الصوتي همسا وجهرا، وشدة ورخاوة، وتفخيما وترقيقا، مصداقا لقوله تعالى: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا﴾ (الكهف: ١).

هذه الخصائص المتميزة والبديعة في حروف ألفاظ القرآن أعطتها شأنا عجيبا في التركيب والفصاحة والبيان، فكانت الآيات البينات تنزل بردا وسلاما على الأسماع، وتجد طريقها الى القلوب الواعية التي هداها الله الى هذا الكلام الطيب، فتحدث فيها أثرا بليغا يفوق ما يحدثه الماء في التربة الكريمة. وأعداء الإسلام برغم رفضهم لرسالة النور واليقين فإنهم كانوا يقفون متعجبين من نمط أسلوب القرآن، وكان منهم من يأتي مستترا في الليل ليستمع الى الآيات البينات التي كان يتلوها الرسول ﷺ وأصحابه، رضوان الله عليهم، ولم يستطيعوا تصنيفه فيما كان متداولا عندهم من أنماط التعبير قصيدا كان أو رجزا أو خطابة أو سجعا، ولهذا عبروا عن إعجابهم ببيانه بقولهم: «والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجناة» (٦).

وكما تميزت حروف كتاب الله بسلامة الوضع والمخرج تميزت ألفاظه كذلك بهذه الخاصية البديعة للدلالة عن الشيء كما هو في عرف اللغة دون لبس أو غموض او اشتراك او اشتكال يفسد المعنى، لأن القرآن كتاب شريعة سماوية وضع للناس القوانين والأحكام التي تخص أحوالهم في العبادات، وضروب المعاملات والسلوك والعلاقات الاجتماعية والخلقية والسياسية والاقتصادية.

ومن طبيعة التعبير الذي ينظم العلاقات الإنسانية أن يكون واضحا لا لبس ولا غموض في تركيبه ودلالته، ومن هنا كانت ألفاظ كتاب الله وتعابيره مادة تشريعية يعتمد عليها الفقهاء لوضع أصول الفقه وأحكام الشريعة للبث في النوازل التي تحدث في المجتمع، وكذلك تعد مادة لغوية لتصحيح التعابير والنظر في مدى ملاءمتها لسلامة البيان.

وهذا الشاعر أبوتمام كان فحلا



من فحول الشعراء المحدثين وأعلمهم بفصاحة العربية وطرق البيان غابت عنه أشياء كثيرة في دقة التعبير مثل قوله:

حلت محل البكر من معطى وقد
زفت من المعطي زفاف الأيم

لقد لجأ اللغويون إلى تصحيح الخطأ في البيت الشعري من كتاب الله الذي جاء سليما في وضعه اللغوي والتركيبي، واللفظة التي وقع فيها الخطأ في بيت الشاعر هي لفظة «الأيم» التي وضعت موضع «الثيب»، وهي ليست كذلك في الكلام الفصيح البليغ، لأن «الأيم» هي التي لا زوج لها، بكرا كانت أو ثيبا، قال تعالى: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾ (النور: ٣٢).

ليس المراد في الآية الكريمة نكاح الثيبات من النساء دون الأبكار وإنما أريد النساء اللواتي لا زوج لهن (٧).

وظل التعبير القرآني في مختلف عصور الثقافة والفكر مادة لغوية يجد فيها العلماء والفقهاء التركيب السليم الذي يؤدي المعنى دون غموض أو إشكال، كما وجدوا فيه سمة الأسلوب الذي يتجنب التعبير بألفاظ يكره ذكرها، ويعد القرآن نموذجا لهذا الضرب من الأساليب، إذ لم يجد فيه الباحثون لفظة واحدة تؤذي السمع، أو تجعل الإنسان يخجل وهو يتلفظ بها أمام الناس. ومن هذا الضرب من الألفاظ ما نجده في الآيات البينات التي وردت عن طريق الكناية للتعبير عن معان قد يجد فيها الإنسان حرجا إذا عبر عنها بلفظ الحقيقة كقوله تعالى: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ (البقرة: ١٨٧)، والرفث هو مقدمة الجماع من تقبيل وغيره، وقد تجنب القرآن التعبير عن الجماع بالعبارة الصريحة كي يظل التعبير في قدسيته الربانية.

وقوله تعالى: ﴿كانا يأكلان الطعام﴾ (المائدة: ٧٧)، إن الكناية عن قضاء الإنسان حاجته بالأكل تعبير في غاية السمو والروعة، لأن الكائن الحي النشط يحتاج إلى طعام وشراب وهواء، ويحتاج كذلك الى التخلص من الزوائد والفضلات في جسمه لكي يستمر في الحياة، ويؤدي وظائفه الضرورية.

وقوله تعالى: ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ (النساء: ٤٣)، والغائط كالوادي يحجب الأشياء، وذكره هنا تعبير عن قضاء الحاجة في الخلوة والستر.

وقوله تعالى: ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا﴾ (النساء: ٤٣)، إن الكناية عن الأعضاء التناسلية بالجلود من الأشياء التي يستحب ذكرها دون خجل.

وقوله تعالى: ﴿أو لامستم النساء﴾ (فصلت: ٢٠)، الملامسة هنا كناية عن الجماع، وفيها الكثير من رقة التعبير وعذوبته، لأن لفظ اللمس فيه دعوة إلى العلاقة الطيبة بين الرجل والمرأة.

الهوامش

١- مما يبين أن وجوه الفصاحة والبلاغة لم تكن تكتسب بسهولة عند الشعراء والخطباء والنقاد أن المتميزين منهم خاصة كانوا يقضون سنوات طويلة في التحصيل والنظر الدقيق في كلام العرب لعلهم يهتدون إلى معنى خفي، أو تركيب دقيق، أو أسلوب بليغ، وبرغم هذا التأني في النظر فقد كانت تغيب عنهم أسرار من التراكيب الدقيقة. وهذان العالمان أبو عمرو بن العلاء، وخلف الأحمر كانا من أعلم الناس في زمانهما باللغة وأشعار العرب، ومع ذلك غاب عنهما سر من أسرار البيان العربي في قول بشار:

بكرا صاحبي قبل الهجير
إن ذاك النجاح في التبكير

فقد قالا له: لم لا تقول: بكرا فالنجاح في التبكير؟ فقال لهما: إنما قلتها عربية أعرابية. وحينما تأملا وجه التركيب قاما وقبلا بين عينيه إعجابا ببيانه، وقدرة تمكنه وعلمه بأسرار التركيب العربي البليغ.

وبلاغة مثل هذا التركيب هي التي جاءت في البيان القرآني قال الله تعالى: ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾ (هود: ٣٧).
وقوله عز من قائل: ﴿يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ (الحج: ١).

٢- كان أول من نادى بهذا الرأي واصل بن عطاء، ثم تبعه تلميذه إبراهيم بن سيار النظام، وهما من فرقة المعتزلة التي دعت الى استعمال العقل في كل شيء، وعدم التقيد بظواهر النص القرآني، لكن فئة منهم لم تعتد بهذا المذهب، ومنهم أديب العربية الأكبر الجاحظ الذي كان صاحب فرقة في الاعتزال سميت الجاحظية، فقد ألف هذا الأديب كتابا في نظم القرآن واسلوبه رد فيه على الطاعنين في بيانه، وأظهر أن القرآن معجز بنظمه وأسلوبه، وغريب تأليفه، وبديع تركيبه، وأن العرب عجزوا فعلا عن مجاراة آياته، لأنهم رأوها فوق قدرتهم اللغوية والبيانية.

٣- سر الفصاحة: ٣-٤.

٤- المصدر نفسه: ٤٩.

هذا الرأي ليس مقصورا على القدماء، وإنما توصل إليه الباحثون في فلسفة اللغات وتطورها في عصرنا الحديث، ومنهم الباحث عباس محمود العقاد الذي أكد هذه الظاهرة المتميزة في اللغة العربية بقوله: «وليس في اللغات التي نعرفها أو نعرف شيئا كافيا عن أدبها لغة واحدة توصف بأنها لغة شاعرة غير لغة الضاد، أو لغة الإعراب أو اللغة العربية» (اللغة الشاعرة: ٧).

٥- سر الفصاحة: ٤٩.

٦- السيرة: ١/٢٨٩.

٧- سر الفصاحة: ٧٠.

خصائص اللغة العربية وخلودها (٢/١)

محمد مصطفى ناصيف

اللغة ظاهرة خاصة لأنها منطوق دال ذو مظهر حسي يكتنف أفكارا ومشاعر واستخدامات وإشارات قوامها البنية المحسة والمعنى والمفهوم. وهي من أقدم وسائل الاتصال، وكذلك هي عبارة عن أصوات مركبة ذات مقاطع تتألف من كلمات وجمل ذات دلالة وضعية يعبر بها الانسان تعبيرا مقصودا عما يجول بخاطره من معان، ويتفاهم بها مع أبناء جنسه، وقد اختص الإنسان من بين الفصائل الحيوانية جميعها بظاهرة اللغة.

كما أن اللغة مجموعة من النظم أنتجها المجتمع والتزم بها على مر العصور، لأنها حقيقة اجتماعية.

واللغة كما يعرّفها ذوّاق العربية ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) بأنها: «أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم» فهي النطق يعّبر عن فكر، ووسيلة تخاطب جماعية، وأداة للاتصال والتواصل، كما أنها وسيلة للتعبير عن العواطف والمشاعر والرغبات.

وهي تعني: الشخصية العربية، والهوية القومية فضلًا عن كونها مستودع القيم والتجارب والعلوم التي انتقلت إلينا من أسلافنا وهي مختزن ثقافة الآباء والأجداد، وقبلها جميعًا أنها لغة ديننا الحنيف وقرآننا الكريم الخالد.

واللغة هي الكلام، ولها صورتان:

<u>الصورة الصوتية</u>: وهي الكلام المنطوق.

<u>الصورة المكتوبة</u>: وهي الكلام المرسوم.

كما أن الكلام دلالة عن عبارات أو جمل تؤدي معنى معينا ومفيدا على الأقل، وكل جملة تتكون من كلمات، وكل كلمة تتكون من أصوات، أو وحدات صوتية، وهي التي يعبر عنها بما يسمى «الحروف الهجائية في كل اللغات.

أسواق العرب التجارية قديما كانت أشبه ما تكون بمعارض للكلمة كمعارض الكتاب حالياً

والكلمات كالاحياء لها مولد وحياة وموت وتبدل وتحول وتطور من معنى إلى آخر واكتساب معنى جديد.

وكذلك فإن الحرف يدل على صوت معين، أو وحدة صوتية ، وتظهر الاصوات عن طريق الفراغ الفمي، ويشترك في إصدارها مخارج كثيرة منها:

الجوف والحلق واللسان والشفة، وكل مخرج من هذه المخارج معدٌّ للوظيفة التي يؤديها، وتتشكل جميع اللغات العالمية من حرف، وكلمة، وجملة.. إلا اللغة العربية فإنها تمتاز عن باقي لغات العالم قاطبة بإضافة الصوت والمعنى، وهاتان الصفتان افتقدتهما لغات العالم كافة سواها.

ومن خصائص اللغة العربية وميزاتها الفريدة أنها لغة اشتقاق، وأن مشتقاتها المتعددة تعود في أصولها إلى جذر لغوي تتفرع عنه فروع عدة، استطاع العلماء بها تتبع رحلة المعاني والدلالات الواسعة بين العديد من المفردات، وأن يجتهدوا فيما تستفهم به المصادر والمعجمات.

وقبل الإسلام عاشت اللغة العربية ردحًا طويلًا من الزمن في بيئات منفصلة جغرافيا، بحكم إقامة أهلها في مواقع موغلة في قلب الصحراء، فكانت تصدر عنهم جافة، قاسية، صلبة، مفخّمة الألفاظ والنبرات، تلفّها ملامح تلك الحياة الصحراوية القاسية المنعزلة، تمثلت بذلك كل ما يختلج في صدر ذلك الإنسان، وقديمًا قيل: «الإنسان ابن بيئته». وهذه من خصوصيات اللغة.

وقد تواضع العرب على أسواق عامة يحملون إليها تجارتهم وآدابهم وسيرهم القبلية والذاتية، ومن أشهر أسواقهم: عكاظ والمجنّة والمربد، والتي كانت معارض للكلمة لديهم، كمعرض الكتاب هذه الأيام، وأهمها أثرًا في اللغة «سوق عكاظ» حيث كان لهذه السوق العظيمة تأثير كبير في تهذيب اللغة العربية في «قبيلة قريش» التي كان لقرب السوق منها أسبق القبائل لالتقاط كل معنى حسن، ولفظ جزل وعبارة بليغة، كما تجاوزت تلك الأسواق حدود التجارة إذ كانت ميدانًا رحبا لجميع الأغراض والشؤون الاجتماعية، فكانت سوق عكاظ، مثلًا، مسرحًا عامًا يخطب فيها كل خطيب مصقع، ويلقي فيها كل شاعر

عضو رابطة الأدب الإسلامي





مميز متفرد، حيث كان الشعر ديوانهم، وكان رواد هذه السوق يعودون إلى أماكن إقامتهم ببضائع ابتضعوها ومشاهدات دفعتهم إلى محاكاتها أثناء رحلاتهم، من ألفاظ لغوية، ومصطلحات وأساليب طبعت العربية بطابع المرونة والحياة فجاء على ألسنتهم ما ترقّى من الألفاظ، وتأهل للدخول إلى حضرة اللغة الرسمية الجميلة في أدائها وألفاظها، الغنّية بكلماتها ومفرداتها وتراكيبها، العميقة في مدلولاتها ومعانيها، المرنة في صياغتها واشتقاقها، الأنيقة في رسمها وأشكالها، هذا وقد كان للعرب في زمن الجاهلية لهجات وطرق في النطق تختلف بين قبيلة وأخرى ويسمونها لغات فيقولون مثلًا: لغة قريَش، ولغة هذيل، ولغة تميم.

وقد كان لسان رسول البشرية ومعلمها الخير ﷺ هو العربية، والعربية لغة، ولهجة قريش من أهل مكة المكرمة خاصة، لذا فالراجح أن يكون القرآن قد أنزل بلسان قريش، وفي قوله تعالى بكتابه الخالد: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه...﴾ (إبراهيم: ٤) ما يؤيد هذا الترجيح ويؤكده، وكذلك جاء في مسند أبي داود أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى عبدالله بن مسعود وهو في الكوفة: «أما بعد: فإن الله أنزل القرآن بلغة قريش، فإذا أتاك كتابي هذا فأقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل» وأفصح الناس قريش لأنهم قوم ارتفعوا عن رتة أهل العراق، وتياسروا عن كشكشة بكر، وتيامنوا عن شنشنة تغلب، ليس فيهم غمغمة قضاعة، ولا طمطمانية حمير لخلو لغتهم مما ذكر، ولقريش درج تنزلق عنها أقدام الرجال وأفعال تخضع لها رقاب الأموال، وألسنة تكل عنها الشفار المشحوذة.

كما كان للقبائل الأخرى لغاتها (لهجاتها) ومن الطبيعي أن يوجد «تباين لغوي في أمور معينة بين تلك اللهجات، وهو تباين لا يطغى على وجوه الاتفاق والتقارب بين اللهجات العربية، ولا يحول دون تفاهم أفراد تلك القبائل» (في اللهجات العربية ص١٦ للدكتور ابراهيم أنيس») فأراد الله- برحمته ولطفه- أن يجعل متسعًا في اللغات، ومتصرفًا في الحركات. (تأويل مشكل إعراب القرآن ص ٢٨).

وفيما يلي توضيح لبعض اللهجات العربية ومسمّياتها:

الاستنطاء: وهي لهجة أهل اليمن، تقوم على إبدال العين الساكنة نونًا إذا جاورت الطاء، فمثلًا: «أعطى» يلفظونها: «أنطى».

الإمالة: وهي لهجة قبيلتين من قبائل العرب:

الأولى: لهجة قبيلة «تغلب» حيث يبدلون الألف واوًا، فمثلًا كلمة «باب» تصبح عندهم «بوب»، ولهذا السبب عرفنا سبب كتابة كلمتين هما:

«الصلاة والزكاة» في المصحف العثماني بالواو: «الصلوة والزكوة»

والثانية لهجة قبيلة «تميم» حيث يبدلون الألف ياءً، ففي قوله تعالى: «والضحى والليل إذا سجى» يقرأونها: ﴿والضحي. والليل إذا سجي﴾.

التسكين: وهي لهجة قبيلة «ربيعة».

تقوم هذه اللهجة على تسكين آخر كلمة في الجملة، ففي قولنا: «كتبت خطابا» ينطقونها: «كتبتْ خطابْ» وهذا مصداق قول علماء اللغة:

«العرب لا تبدأ بساكن، ولا تقف على متحرّك، ولا تجمع بين ساكنين».

التسهيل: لهجة أهل الحجاز.

تقوم هذه اللهجة على تغيير الهمزة بحرف يناسب الحرف الذي قبله، فكلمة «فأس» يلفظونها «فاس».

وكلمة «بئر» يلفظونها «بير»، وكلمة «رؤوس» يلفظونها «روس».

الحذف: وهي لهجة قبيلتين من قبائل اليمن، وهما: قبيلة خثعم، وقبيلة زبيد.

تقوم هذه اللهجة على حذف نون «مِنْ» إذا وليها ساكن، مثل: «خرجت من المسجد. يلفظونها: خرجت ملمسجد.

وكلمة «بيضاء» تصبح: «بيضا» . وكلمة «حمراء» تصبح: «حمرا» وكلمة «السماء» تصبح «السما».

أما قبيلة بلحارث فتقوم على حذف الألف واللام من بعد «على» الجارّة.

مثل: ركبتُ على الحصان. يلفظونها: ركبت علحصان.

الشنشنة: وهي لهجة اليمن.

تقوم هذه اللهجة على قلب الكاف مطلقًا إلى شين، فمثلًا: «لبيك اللهم» تصبح: «لبيش اللهم».

الطمطمانية: وهي لهجة قبائل الأزد وحِميَرَ ويافع.

تقوم هذه اللهجة على إبدال لام التعريف ميمًا. مثل: «الهواء» تصبح: «أمْهواء». وكلمة «الجو» تصبح «أمْجوّ» وكذلك إجابته ﷺ لسائل من أصحاب هذه اللغة: «ليسَ من امبّر امصيام في امسفر» أي «ليس من البرّ الصيام في السفر».

العجعجة: وهي لهجة قبائل قضاعة، وبعض قبائل حضرموت، وبعض قبائل بادية الحجاز.

تقوم هذه اللهجة على قلب الياء جيمًا، فمثلًا كلمة «الراعي» تصبح: «الراعج».

العنعنة: وهي لهجة قبائل: كلاب وهذيل وتميم وقضاعة.

تقوم هذه اللهجة على تحويل همزة «أن» إلى عين. فمثلاً قولنا: قد علمتُ أنّي تصبح: قد علمتُ عني.

الفحفحة: وهي لهجة قبيلة «هذيل».

تقوم هذه اللهجة على قلب الحاء عينًا مثل «حتّى» تصبح: «عتّى».

القلب: وهي لهجة قبيلة مازن.

تقوم هذه اللهجة على قلب الحرف إلى حرف آخر، مثل: «برطعَ الولد» أصلها: «سَرْطَعَ». «وبعزقَ» أصلها: «بَعْثَق» و«جَرَمَ اللحم» أصلها: «جَلَمَ».

الكسكسة: وهي لهجة قبيلة بكر وقبيلة ربيعة وقبيلة تميم.

تقوم هذه اللهجة على جعل السين مكان كاف المخاطب، فمثلًا: «أبوك وأمك» تصبح: «أبوسَ وأمّسَ».

الكشكشة: وهي لهجة قبيلة سعد وسكان حضرموت وتميم.

تقوم هذه اللهجة على تبديل كاف الخطاب شينًا، ففي قولنا: «أكرمتك وعليك» تصبح: أكرمتُش وعليش.

اللخلخانية: وهي لهجة أعراب الشّحْر وعُمان.

تقوم هذه اللهجة على اختصار الهمزة كقولهم: «ما شاء الله». تصبح: مشا الله.

الوتم: وهي لهجة قبيلة حِمَير.

تقوم هذه اللهجة على إبدال السين تاء، مثل: الناس بالناس. تصبح: النات بالنات.

وهذا من فضل رسول البشرية ومعلمها الخير محمد ﷺ في الارتقاء حضاريا بمستوى العرب بعد عصور الظلام في أوروبا وعهود الجهل في الجزيرة العربية من العمق وبُعدِ الأثر لا يحصره زمان أو يحدّه مكان، عاشته أمة الإسلام ومازالت وسيظل خالدًا باقيًا.

قال الشاعر في وصفه «ﷺ»:

بليغ علم الدنيا بوحي ولم يقرأ
بلوح أو دواة

قال عنه الباحث قسطاكي حمصي- من أدباء نصارى حلب- (١٨٥٨م-١٩٤١م):

«كان سيد قريش نبيّ المسلمين ومؤسس دينهم، وهو أيضًا نبيّ العرب ومؤسس حياتهم، وجامعتهم القومية، وإنه من الحمق والمكابرة أن ننكر ما لسيد قريش من بعيد الأثر في توحيد اللهجات العربية، وقتل العصبيات الفرعية في نفوس القبائل».

هي أم اللغات لا يذكر الدهر
صباها وما تزال كعابا

آفاق جديدة للغة العـ

فوزي تاج الدين

تتغير كثير من المفاهيم مع تغير المعرفة، فالخريطة لم تعد حسبما يشير الرسم إلى الأرض فقط وخطوط الطول ودوائر العرض، كذلك الحال بالنسبة للمدركات الشخصية المحدودة- طبقًا لمفهوم الخريطة- فتلك المدركات تتعدى حدود الأرقام والأشكال، لتصل إلى آفاق جديدة، لم يكن الوصول إليها بالشيء اليسير، ولكن هذا ما تحقق بالفعل بعد ظهور ما يعرف بالبرمجة اللغوية العصبية.. وهي ليست قاصرة على لغة بذاتها، بل اللغة بشكل عام.

تتضح الفكرة عزيزي القارئ حينما تشير إلى أن اللغة العربية بوجه خاص جذبت اهتمام بعض المفكرين والكتاب العالميين في مقدمتهم «صموئيل هنتجتون» صاحب الكتاب الشهير «صراع الحضارات» والذي أشار من خلاله إلى أن عدد المتكلمين باللغة العربية يزيد بينما يقل عدد المتكلمين باللغة الأجنبية- خاصة الإنجليزية- وعلل ذلك بعودة بعض الدول إلى استخدام الحرف العربي مثل دور جمعيات الاتحاد السوفيتي السابق.. وكذلك ما ذكره كل من «وليم باسكوم» و«ملفيل هيرسكوفتز» في كتابهما «الثقافة الإفريقية» الذي عقد مقارنة بين أثر كل من اللغة العربية، والأوروبيين في الحياة اللغوية الإفريقية، حيث أكد أن اللغة العربية أثرت بشكل كبير في

باحث لغوي



ــربية داخـل الوطـن وخارجـه

الحياة اللغوية الإفريقية بشكل فاق أثر الأوروبيين.

إلى جانب هذا هناك بعض الكتب التي تحدثت عن اللغة بوجه عام.. وأشير هنا إلى ما جاء في كتابين

أولهما: «المساومة عبر الحدود» لكل من «فوستر» و «دين آلين»، وثانيهما: «البرمجة اللغوية العصبية في ٢١ يومًا» لكل من «هاري ألور» و «بريل هيوز».

أشار الكتاب الأول إلى حقيقة مؤداها أنه عندما تتحدث إلى أجنبي يعرف لغتك يجب مراعاة التحدث بلغة بسيطة وببطء، واستخدام كلمات وعبارات قصيرة واضحة، سهلة شائعة ومباشرة، بل وكلمات قصيرة المقاطع، واستخدام الحركة والإيماءة مكان الكلمات ما أمكن، وتجنب استخدام الألفاظ ذات الشكل البلاغي أو ذات اللهجة المحلية الدارجة، وأشار الكتاب الثاني الذي يعد بمثابة المنهج الفعال في عملية التواصل مع الآخرين وتطور الذات، حيث يرتكز الكتاب على أحدث ما وصل إليه العلم من مهارات في مختلف علوم الاتصال، وأفضل السبل العلمية والعملية لتغيير طريقة التفكير، ولكون هذا المنهج يعتمد على كل من علوم اللغة وعلم النفس يعد منهجًا أكاديميًا أصيلًا، وتمتد تطبيقاته إلى عدة مجالات (العلاج النفسي- التعليم والتدريب- الرياضة- التنمية الشخصية- إدارة الموارد البشرية- العلاقات مع الغير).

والسؤال الذي نطرحه هنا: كيف نستفيد من هذا المنهج في خدمة لغتنا القومية سواء على المستوى القومي أو العالمي؟

هناك الكثير من المصطلحات والمفاهيم التي تضمنها هذا المنهج نستطيع الإفادة منها مثلما أوضح أستاذ اللغة العربية بجامعة المنصورة د.أحمد مصطفى أبوالخير، ومن أمثلة تلك المصطلحات والمفاهيم: الخريطة ليست الأرض، الصندوق الأسود، التناسق والتواؤم، فأما مصطلح الخريطة ليست الأرض، فحاجتنا شديدة إلى إعادة النظر في الخريطة اللغوية العربية، وهي خريطة رديئة تشير إلى صعوبة تعلم الفصحى، والصراع الدائر بينها وبين العامية!، وعدم وجود ربط بين قواعدها، ورغم هذا وتطبيقا لمنهج البرمجة اللغوية العصبية لابد من الاعتراف بأن صورة تلك الخريطة ليست دليلًا على صحتها، ومن ثم حتمية تغيير نظرتنا إليها وتعديلها في ضوء الإحساس بقيمة اللغة العربية.

أما عن الصندوق الأسود: فهو صندوق الأسرار الذي يحتفظ به كل إنسان لا يبوح بشيء منه بسهولة، وهكذا لغتنا العربية لديها الكثير من الأسرار الذي يحتفظ به كل إنسان بعد البحث والغوص، وفي هذا السياق هناك ما لا يحصى من قواعد اللغة العربية التي نراها في خريطة غير متناسقة وغير مفهومة إذا أمعنا النظر فيها قليلًا وجدناها منطقية، فالفعل «ظن» قد ينصب مفعولًا واحدًا في «كسر الزجاج فظننا الغلام»، في حين ينصب مفعولين في «ظننت الجو حارًا»، في الجملة الأولى ظن بمعنى «اتهم» ولا يناسب إلا مفعولًا واحدًا في حين يتسع الظن لمفعولين.

وأما عن التناسق والتواؤم: بداية نقول إن التناسق يكون مع الذات والقيم والمبادئ، أما التواؤم فيكون مع الآخرين رغم اختلافهم عنا، لا يستطيع الإنسان أن ينجح في حياته دون التوازن بين أمرين: التناسق مع الذات والتواؤم مع الآخرين، فإذا ما طبقنا هذا على اللغة العربية فإنه يجب علينا أن نلزم أبناءنا بتعلم لغة الأم أولًا حتى يتناسق العقل مع الذات، فإذا ما تم له تعلم لغته، يستطيع تعلم ما يشاء من اللغات الأجنبية حتى يتواءم مع الآخرين.

هذا عن مجال رعاية لغتنا داخل الوطن، لكن ماذا عن لغتنا خارج الوطن أي تعليمها لغير العرب، هناك أمران: أولهما التواصل غير اللفظي، وثانيهما التركيب اللغوي البسيط.

ففيما يتعلق بالتواصل غير اللفظي نجد أن الكلمات لا تمثل أكثر من ٧ ٪ من الرسائل بين طرفي الاتصال- عندما يكون الاتصال وجها لوجه- وهنا يمكن التعامل مع المبتدئين في تعلم العربية من خلال استخدام الإشارة، وفي هذا تنوع من التواصل غير اللفظي لتسيير عملية الشرح والفهم لدرس أعضاء الجسم، أما عن التركيب اللغوي البسيط: فيناسبه ضرورة الابتعاد عن استخدام المجهول والركون إلى الجملة الفعلية خصوصا أفعال الحركة المحددة الواضحة.

فتلاحظ الفرق بين الأمثلة التالية «كُتبت الرسالة- الولد مُسافر- قُطعت الورقة» وبين «كتب الطالب الرسالة- سافر الولد- قطع الولد الورقة»، إن غياب الفعل أو جهالته يزيد الجملة غموضًا وكذا الجملة الاسمية والأفعال غير المحددة، فإذا كان تبسيط اللغة أمرًا مهمًا في التواصل العادي بين أصحاب اللغة فإنه ألزم وأهم في تعليم اللغة لغير أصحابها.

الشاعر محمد عاكف.. حين يوظف الشعر لخدمة قضايا الأمة

علاء فاروق

نظمت جامعة القاهرة مؤخراً احتفالية كبرى للاحتفاء بشاعر القومية التركية محمد عاكف أرصوي، والتي جاءت تحت عنوان «محمد عاكف أرصوي.. جسر لتعزيز الصداقة التركية المصرية»، وذلك بمشاركة لفيف من المفكرين والإعلاميين من تركيا والدول العربية وآسيا الوسطى، على رأسهم أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي د.أكمل الدين إحسان أوغلو، والسفير حسني عوني سفير تركيا في مصر.

أكد الحضور أن الشاعر الكبير كان همزة وصل بين الثقافتين المصرية والتركية، حيث أقام الشاعر أرصوي في مصر في السنوات الأخيرة من عمره وعاش في حلوان وقام بتدريس اللغة التركية في جامعة القاهرة.

الشعر وقضايا الأمة

في البداية، أكد أوغلو حرصه على المشاركة في هذه الاحتفالية الكبرى، مشيرا إلى أن أرصوي كان رمزا لكل تركيا، وهو صاحب النشيد القومي التركي، وقال: إن عاكف لم يكن «شاعر الوطنية التركية» بل هو شاعر «الوحدة الإسلامية».

وذكر أوغلو أن الشاعر الإسلامي محمد عاكف هو نموذج شعري رائع وهب حياته للإسلام والوحدة الإسلامية، فكان جديرا بأن يلقبه الشعراء بشاعر الإسلام تشبيها بزميله محمد إقبال.

وأوضح أوغلو أن عاكف وظف شعره في الدفاع عن قضايا الأمة ومعايشة معاناتها؛ مؤمنا أن للشعر دورا كبيرا في خدمة القضايا السياسية، مضيفا أن عاكف كان يعتز بذلك، وأنه كان يعتبر نفسه مجاهدا بقلمه، وظهر ذلك جليا في شعره وكتاباته؛ حيث إن معظم قصائده تنادي بالدفاع عن القومية التركية وعن كافة الحقوق في كل مكان بعيدا عن العنصرية.

واستشهد الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي ببعض كلمات عاكف التي توضح حرصه على الوحدة والتي تؤكد أيضا انخراطه في العملية السياسية بقلمه، ومنها قوله: «من الجدير بك أن تعتز بقومية الإسلام. وقوله أيضا: الأتراك لا يستطيعون العيش من دون العرب ومن يدعي غير ذلك فهو مجنون، أما الترك فهم ساعد العرب الأيمن، فتكاتفوا وإلا فهو الخسران المبين، وعندئذ لا يبقى في الأرض دين».

ثم عقد أوغلو مقارنة مختصرة بين شاعري الإسلام محمد إقبال ومحمد عاكف موضحا أن هناك تشابها كبيرا بين الشاعرين، فكلاهما عاشق للإسلام ووحدة المسلمين، وأنهما لم يختلفا إلا في طريقة شعرهما، فعاكف في حداد مستمر طوال قصائده يستعرض فيها الكوارث النازلة على العالم الإسلامي عامة وعلى بلاده تركيا خاصة، أما إقبال فكانت فلسفته بناءة تنصب على الذات، ودعا إلى ضرورة عودة كل إنسان إلى ذاته يقويها ويدعمها وينفي عنها الخوف والضعف.

وأكد اوغلو في نهاية كلمته أن الشاعر التركي محمد عاكف أرصوي كان مميزا جدا في توظيف الشعر في خدمة قضايا بلاده السياسية، وظهر ذلك في النشيد الوطني الذي ألفه الشاعر وقدمه إلى بلاده، ومازال يصدح في أركان تركيا ليؤكد وجود الشاعر في أخص خصوصيات السياسة.

الإسلام.. جسر تواصل

وأكد رئيس جامعة القاهرة د.حسام كامل عمق العلاقات بين الشعبين المصري والتركي، وقال: إن الإسلام أسهم في تحقيق التقارب بين الشعب التركي والشعوب الإسلامية، وخاصة مصر وصولا إلى عهد محمد علي الذي شهد التاريخ أنه أحد بناة مصر الحديثة، مشيرا إلى أنه بعد ما يقرب من ١٠٠٠عام منذ عهد بن طولون اندمجت العائلات المصرية والتركية.

وأضاف كامل أن الشاعر التركي الكبير محمد عاكف أرصوي عاش ١١سنة في مصر، وأثرى الحياة الأدبية، موضحا أن جامعة القاهرة قد كرمته وأطلقت اسمه على إحدى قاعات كلية الآداب.

وقال عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة د.زين العابدين محمود: تركيا دولة يمتزج فيها النسيج الاجتماعي التركي بالنسيج الاجتماعي المصري، وأما شاعرها ارصوي فقد كان أحد أساتذة جامعة القاهرة لمدة ١٢ عاما، وكان له الفضل في نقل وتعليم اللغة والثقافة التركية للدارسين المصريين.

وتحدث المستشار الأول للسفارة التركية سعدي التنوك عن مجال جديد للدبلوماسية الحديثة، وهو المجال الثقافي الأدبي، موضحا أن الأدب يعد جسرا للتواصل بين الشعوب، خاصة بين مصر وتركيا، لأن تواصلهما يمتد لمئات السنين، وأضاف: أما شاعرنا أرصوي، فهو يحمل الروح التي تعبر عن الاستقلال في فترة صعبة من تاريخ تركيا، كان عاكف ينادي فيها بالأخذ عن الغرب مع التمسك بالقيم الإسلامية، وكان في الوقت نفسه، وخلال السنوات التي قضاها في مصر، يعبر عن

صحفي مصري



روح الشاعر المحب للعالم الإسلامي بأسره.

قصة النشيد الوطني

ويذكر أستاذ اللغة التركية بجامعة القاهرة د.شوقي حسن قصة اختيار عاكف لكتابة النشيد الوطني، حيث أعلنت وزارة المعارف العمومية في تركيا عن مسابقة لتأليف نشيد قومي في أثناء حرب الاستقلال ضد الإمبريالية الأوروبية، وخصصت جائزة ضخمة وتقدم إليها ٧٠٠ شاعر لم يجدوا في أشعارهم ما يجسد أحلام الأمة، فطلب الوزير من عاكف تأليف النشيد واشترط عاكف ألا يحصل على مقابل، في وقت لا يملك فيه شراء معطف يقيه برد الشتاء القارس.

ويتابع د.شوقي: وقد حاول ضعاف النفوس النيل من النشيد بتوجيه نقد لاذع للشاعر الذي استقدم كلمات كالأذان في نشيد دولة دستورها علماني، إلا أن الشاعر أشار إلى أن الأذان محبب ككلمة للشعب التركي المسلم، كما أنه ليس عدوا للحضارة ولكنه عدو للاستعمار الغربي الذي يتربص بالإسلام والمسلمين.

محمد عاكف في سطور

- ولد في اسطنبول عام ١٢٩٠هـ - ١٨٧٢م.
- حفظ القرآن الكريم قبل العاشرة من عمره على يد شيخ من شيوخ جامع الفاتح في اسطنبول.
- تخرج في مدرسة الطب البيطري.
- كان يتلقى دروسا في اللغة العربية والفارسية في الرشدية والمدرسة المُلكية فأتقنهما أيما إتقان.
- كان مولعا بالرياضة البدنية كالمصارعة والتجديف وحمل الأثقال.
- توفي في اسطنبول عام ١٩٢٦م إثر مرض ألم به وألزمه الفراش.

حياته العملية

تولى رئاسة تحرير مجلة «الصراط المستقيم» الأسبوعية و«سبيل الرشاد».

- كان يدعو المسلمين إلى النهضة والتقدم من خلال شعره، ويدعوهم إلى الأخذ بنصيب من العلوم الغربية مما هو صالح ولا يتناقض والمفاهيم الإسلامية، ونبذ ما هو طالح ويتنافى معها.
- عمل معلما في الجزيرة العربية.
- عُين رئيسا للكتاب في «دار الحكمة الإسلامية».
- درس مادة الأدب التركي في جامعة القاهرة.
- انتخب نائبا في البرلمان عن منطقة «بوردر» سنة ١٩٢٠م.

إنتاجه الأدبي

١- خطاب إلى القرآن، قصيدة نشرت بتاريخ ١٥ آذار ١٩٨٥م.

٢- النشيد الوطني، قصيدة.

٣- الصفحات، ديوان شعر.

٤- المرأة المسلمة، لفريد وجدي، ترجمة.

٥- ردا على الكنيسة الانجليكية، لعبدالعزيز شاويش، ترجمة.

٦- العودة للإسلام ، لسعيد حلمي باشا، ترجمة.

٧- التشكيلات السياسية للإسلام ، لسعيد حلمي باشا، ترجمة.

نماذج من شعره المترجم

لا، لن أصفق للظلم ولن أحابي الجبار العنيد

ولن أندّد بالماضي إرضاءً للقادم الجديدْ

ولن أرضى الذّل لأجل بضعة لئامْ

لا، لن أرضى عن الغبن أبدا باسم الحق والوئام

إن كنت سمحا فمن قال إني غنمٌ من الأغنام

وقد يُضربُ عُنقي ولكن يأبى أن يجرّ أو يهان

ولن أقول دعك يا هذا وامض بسلام

إنني عدوٌ للظالم ونصير للمظلوم

من نشيد الاستقلال:

إلهي.. رجاء روحي الوحيد

ألا تمس أيدي الرجل الأجنبي صدر المساجد

وألا ينقطع أنين الأذان..

الذي شهادته أساس الدين

أبدًا في سماء البلاد..

إذ يسجد ألف مرة في بلادي الحجر

ويسيل الدمع- يا إلهي- من كل الجوارح ويتفجر

ويندفع من الأرض مثل روح صافية منعشة

ويسجد برأس شامخا نحو العرش

وأخفق أمواجًا مثل الشفق يا مجد الهلال

حق لك كل الدماء المسكوبة من أجلك وحلال

لا زوال لك إلى الأبد ولأمتي.. لا زوال

حق لرايتي التي عاشت حرة الحرية لا محال

حق لشعبي العابد لله الاستقلال

ومن شعره الإسلامي

في المحنة ألف قصيدة بعنوان (لا يأس) افتتحها بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ﴾، ثم قال يحذر الأتراك من الاستسلام لليأس ويستنهضهم لإعادة مجدهم الإسلامي:

أين مني نفحة من الأمل فيك؟

أتحسب أنه قد انطفأ؟

ما كان لفجر الحق الأزلي أن يُمحى

أيها الظالم!

بعد قليل ترى ما أظلم أيام غدك!

ويأيها القلب المؤمن الذي حار وهو يعبد الحق

إن صدرا واحدا فقط يعيش بدون أمل وهو صدر الكافر

أيجتمع اليأس والإيمان؟

حاشا لله، وقد علمت وأيقنت أنه ضرب من المحال

فلماذا إذن أذللت عنقك ووقفت مطرق الرأس؟

ألا تشفق على ذريتك إن لم تشفق على نفسك؟

لو أطبقت على الآفاق آلاف الكوارث

لما انهارت هذه الأمة.. ما دمنا نتجنب أن نقول: إنها سوف تضمحل

ما كانت لتنهار كلا، لن تنهار ولن تسقط!

فاقتل أنت اليأس العاوي وأيقظ العزم

فحسبها نفحة من الإيمان حتى تعود إلى الحياة

فلينتعش أملك، ما هذه الخيبة؟ وما هذا الخسران؟

ابدأ بإسكات الآلام الماضية

وبث الأمل القوي في أبنائك

وتوكل على الله واعتصم بحبل السعي

واخضع للحكمة

هذا هو الطريق ولا أعرف صراطا مستقيما سواه

في حلقة نقاشية أدبية

«الوعي الإسلامي» ناقشت أسباب الانصراف عن الأدب والنقد

التحرير

كما تتلاقى خلاصة أفكار الكتاب والمفكرين والعلماء على صفحات مجلة «الوعي الإسلامي»، التفت نخبة من أدبائها المميزين في حلقة نقاشية تناولت قضية حساسة وساخنة، هي أسباب الانصراف عن الأدب والنقد، واستضافت الحلقة الشيخ طلال العامر من مشايخ وزارة الأوقاف، وهو أديب له جهود أدبية إعلامية واضحة، والدكتور محمد إقبال عروي المستشار الثقافي بوزارة الأوقاف والمشرف على سلسلة روافد التي تعنى عناية بالغة بالأدب والنقد، والأستاذة حياة الياقوت رئيسة تحرير موقع دار ناشري الإلكتروني.

في البداية رحب سكرتير تحرير المجلة سليمان الرومي بالضيوف، مشيرًا إلى أهمية إقامة الحلقات النقاشية في خلق روح المحاورة الإيجابية، وتوفير الجو العلمي المثمر لمعالجة ما يستجد من قضايا تعرقل مسيرة نهضة الأمة الإسلامية.

ووعد الرومي بمواصلة إقامة مثل هذه الحلقات البناءة، قائلًا: «هذه أول حلقة نقاشية أدبية تقيمها مجلة «الوعي الإسلامي»، وإن شاء الله لن تكون الأخيرة، فنحن الآن بصدد الإعداد لحلقة نقاشية أدبية أخرى، وربما تكون في صورة ندوة عامة، نناقش من خلالها أدب الطفل».

وأبدى الرومي أسفه على عدم انتشار مجلة «الوعي الإسلامي» في الكويت بالصورة المأمولة، رغم أنها مجلة كويتية عريقة تؤدي دورها على أكمل وجه منذ صدورها الأول في عام ١٩٦٥، دون توقف، باستثناء فترة الغزو العراقي الغاشم على الكويت، «وما نسعى إليه الآن هو ربط المجتمع الكويتي بهذه المجلة العريقة من خلال بعض الوزارات مثل وزارتي التربية والشؤون الاجتماعية والعمل، هذا إلى جانب وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية التابعة لها المجلة».

الياقوت: المحنة موقوفة على الأدب الملتزم.. والفصحى أمة ولدت ربتها

بدوره أوضح مدير الحلقة الزميل عامر أحمد عامر أن «الوعي الإسلامي» حريصة على أن تتلاقى العقول الناضجة متحاورة في ساحة المجلة كما تتلاقى أقلامها على صفحاتها، وهذه غاية لا تقل أهمية، بل ربما تزيد، عن مناقشة عنوان معين أو قضية بعينها.

أما عن عنوان الحلقة، وهو «أسباب الانصراف عن الأدب والنقد»، فأوضح عامر أن هناك أسبابًا متعددة لذلك، منها ما هو مرتبط بالأدب والنقد ذاتهما أو ناتج منهما، ومنها ما لا دخل لهما فيه، مبينًا أن النوع الثاني «لا يعنينا كثيرًا الآن، وربما أفردنا له حلقة خاصة».

ويأتي التعقيد والغموض من أهم أسباب النوع الأول، كما يرى عامر الذي لفت إلى أن بعض المتخصصين في الأدب يقرأون في الأدب ولا يفهمون شيئًا، و«الغريب أن ذلك قد يحدث مع أسماء لها ثقلها في عالم الأدب، وهو ما يدفع القارئ إلى الشك في عقليته وفهمه وإدراكه»، لكنه دلل على أن المشكلة في كثير من الأحيان ليست في القارئ بل هي في العمل ذاته، أو في الأديب نفسه أو الناقد، بقصة رواها وهي أن كاتبًا ساخرًا كتب مجموعة صفحات في ساعة واحدة لا ترابط بينها ولا علاقة بين جملها، وهو خلو من كل ما تعارف عليه أهل هذا الفن، وزعم أنها ترجمة لرواية أجنبية لراوٍ مشهور، وأرسلها إلى إحدى دور النشر التي أرسلتها بدورها إلى مجموعة من النقاد لتأتي آراؤهم عجبًا، فناقد يقول «هذه هي الدراما»، وآخر يقول «إن الرواية تمثل بحق مأساة الإنسان الغربي»، ثم فجر الكاتب الساخر قنبلته لتكون المفاجأة المضحكة للجماهير، المصيبة لعرق النقاد العظام، ولا عزاء للأدب.

ومن هذه الأسباب أيضًا، من وجهة نظر مدير الحلقة، ظهور ما يعرف بالقوالب الجامدة الجاهزة في النقد وانتشارها، فكل ما يقال في قصيدة يكرر في غيرها، بنفس الألفاظ والعبارات، وكل ما يوجه إلى أديب من استحسانات أو انتقادات تراه ينال غيره، لدرجة أصبحت معها صفحات الأدب في





كثير من الجرائد والمجلات مجالًا خصبًا للتندر والفكاهة، وهو ما دفع كثيرًا من كتاب الدراما إلى التقاط وتصوير هذا المشهد للناقد الذي يتشدق بألفاظ نمطية فضفاضة يمكن أن تقال في كل ميدان.

واستهل د.محمد إقبال عروي حديثه قائلًا: «الحديث العلمي عن ظواهر اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو ثقافية أو فكرية يعلمنا أن هناك ظواهر لا يمكن أن تسند إلى سبب واحد، بل تتساند لإيجادها مجموعة من الأسباب، والظاهرة موضوع الحديث من هذه الظواهر المتعددة الأسباب، لكن الشعور بأن هناك نقصًا في التعامل مع الأدب أو أن هناك انصرافًا عنه مجرد ظن، والقضية كي تصير حقيقة علمية لابد أن تكون مستندة إلى بحوث ميدانية، تتمثل في الاستقراءات والاستبيانات واللقاءات، فمثل هذه الأشياء هي التي تعكس حقيقة ما يجري في الواقع، وقضية انصراف الناس عن الأدب والنقد مما يدعمه الحس، والحس أصل معتبر حتى في الأحكام الفقهية والفتاوى، وأنا لا أريد أن أقول إنه ليس هناك انصراف عن الأدب والنقد، لكن حبذا لو تتبنى مجلة «الوعي الإسلامي» بشكل مؤسسي هذا الموضوع، وتنجز لنا أو تكلف من ينجز لنا استبيانات واستقراءات حول هذا الموضوع، حتى يكون نقدنا على بينة وعملنا على هدى.

أما الشيخ طلال العامر فقال: إن النفس البشرية تلوذ بطبيعتها بالأدب حين تلوذ في بعض الأحايين، وتأكد لي من تجارب شخصية أن الناس فيهم أصالة

عروي: الشعور بالانصراف عن الأدب مجرد ظن.. وهو دليل معتبر على وجوده

حب الأدب، لكن عملية الاهتمام بالأدب هي التي ربما تكون مشكلة، وإذا كان د.إقبال قد أثار الآن قضية إقامة الأدلة على الانصراف، فلدي بعض ما يمكن أن يقوم دليلًا على ذلك الانصراف، وإن كان لا يرقى إلى وسائل البحث العلمي، من هذا أن بعض دور النشر هنا في الكويت تأتي بنسخ معدودة من كتاب أدبي نادر لا يباع في الكويت كلها إلا في دار النشر هذه، ثم لا تنفد هذه النسخ المعدودة (٥ نسخ) إلا بعد مرور مدة طويلة، قد تصل إلى أربع أو خمس سنوات.

وقال العامر: «وإذا نظرنا إلى الكويت نجد أن الحياة الأدبية فيها اتخذت شكلًا مغايرًا تمامًا بعد الغزو العراقي عما كان سائدًا قبله، فقبل الغزو كانت هناك دعوات قومية، وهي بدورها لها أدبها الذي يتحدث عنها، وفوجئنا بعد الغزو بأصحاب هذه الدعوات القومية يتحدثون باسم الغربية والليبرالية... إلخ، وتولدت لدى كثير من هؤلاء خيبة أمل في العروبة والعربية، وإذا كان بعض النصارى في وقت من الأوقات يحملون لواء الذود عن العربية مثل لويس شيخو، وإن كانت هناك اعتراضات شرعية على بعض ما كان يثير في كتاباته، لكنه بشكل عام كان مدافعًا عن العربية، فإن العربية الآن لاذت إلى كنف الإسلامية، ولكن مع الأسف الشديد تقاعست الإسلامية عن حماية العربية، ولدي مؤكدات لهذا الموضوع، فمع أنه أصبحت لدينا قنوات فضائية فإننا نفتش فيها بالمجهر عن المعنى الأدبي فلا نجده، ولقد وقفت أمام هذه القضية عن كثب، وإذا قدمت إحدى القنوات شيئًا من هذا فيأتي تقليديًا ساذجًا مملًا، وغالبًا ما يكون ضيوفه من الشيوخ وعلماء الشريعة وليس من الأدباء المختصين، فلا روى الظامئ المبتدئ ولا علّ الناهم المختص، وأذكر أن د.عبدالرحمن العشماوي، وهو رجل متخصص في الأدب، خرج في برنامج أدبي فكان البرنامج متواضعًا إلى حد كبير، من حيث الديكور والإخراج، وتوقيت العرض لم يكن مناسبًا بالرغم مما كان في البرنامج من مادة جيدة».

وزاد العامر أن المسألة الثانية «وقد اكتشفتها منذ نعومة أظفاري، وهي أن هناك جفوة واضحة للأدب في عموم الخطاب الإسلامي، من خلال الخطب والدروس والمواعظ، مع استصغار المشتغل بالأدب، واحتقار شأنه، وفي أحسن الأحوال اعتباره مشتغلًا بفضول

الأشياء، وإذا استضيف في برنامج فإنه يستضاف لقضاء أوقات الفراغ وذكر النوادر والطرف، هذه هي الصورة الغالبة للأدباء الآن، وإن كانت هناك صور أخرى جيدة لكنها نادرة».

وتابع العامر أن هناك ظاهرة غريبة يمكن تسميتها «التغريب الإسلامي»، ومن صورها إطلاق أسماء أجنبية على مشاريع إسلامية وأعمال خيرية، «ومما أفرحني في هذا الصدد أنني سمعت أنه في مكة أعطوا مهلة ٦ أشهر لتعريب أسماء المحال».

من ناحيتها قالت حياة الياقوت، في بداية أدبية معبرة ساخرة: «جئت هنا محمّلة بكثير من التحايا، وواجب عليّ إيصالها.. النبطي، والملحون، والزجل يحيونكم جميعًا، ويخبرونكم أنهم في خير خير حال.. القصص الرومانسية للجيب، والروايات المعربة المهرّبة تقرئكم وافر السلام وتقول لكم: الكمية محدودة، احجز نسختك الآن.. الأدب يا قوم في صحة وعافية وبحبوحة، حتى إن وزنه ازداد أخيرًا بضعة كيلوجرامات! هذه كانت مقدمة واجبة، لنعرف أن المعضلة ليست معضلة أدب، بقدر ما هي معضلة يواجهها صنف معين من الأدب، مصائب ومصاعب الأدب الفصيح، الأدب الملتزم، على العمومية المزعجة لهذه الكلمة».

ثم تساءلت الياقوت عن العزوف عن الأدب والنقد، قائلة: عزوف من؟ من الذي عزف؟ وعلى أي وتر حساس؟ قد نقصد عزوف القارئ، وقد نقصد عزوف الأدباء المحتملين عن خوض غمار الأدب.. أيًا ما قصدنا، فكل منهما يقود إلى الآخر، فأديب متحمس لا يلقي بالا للقراء سينكفئ في محارته، والقارئ المتوقد إن لم يجد أدبًا يناسب ذائقته ويناسب روح عصره وتطلعاته، ستتخطفه كلاليب كثيرة، لكن لابد من أن نحدد المتهم الرئيس، ثم



طلال العامر: تقاعسنا عن حماية العربية.. وهذه هي الأدلة

الرومي: نعد بمواصلة إقامة الحلقات النقاشية.. ونجهز لندوة عن أدب الطفل

المتهم المتواطئ معه، وحتى لا ندخل في معضلة الدجاجة والبيضة التي حلها لها الشيخ محمد متولي الشعراوي- يرحمه الله- بأن جزم بأن الدجاجة جاءت قبل البيضة، نقول بكل ثقة إن عزوف الأديب هو الدجاجة، والبيضة هي عزوف القارئ، كلاهما مليم إن عزف، لكنّ الأديب عليه واجب دفع زكاة موهبته، جنى ثمارها أو لم يفعل، فالحق عليه مضاعف وهو يعلم جيدًا خط سير الدنيا، وأنها تهوى تكريم المبدعين بعد أن يردوا قبورهم!

واستطردت الياقوت: الفصحى أَمَةٌ ولدت ربتها! الفصحى.. تلك الحرة، تلك السيدة التي صارت اليوم أَمَة وولدت ربتها (العامية)، وهذا على أي حال من أشراط قيام الساعة.. لماذا نتعامى عن العاميّة؟ إنه عصرها اللامع، ومن الطبيعي أن يربو ويزهو الأدب المكتوب بها، ودون إحصائيات، حاولوا أن تقارنوا مثلًا بين مشاهدي البرامج الفصيحة ونظيراتها العامية وستعلمون جيدًا ما أقصد.

وكي أدلل على أهمية تضافر الأدب والفن والإعلام، خذوا مثلا «الأناشيد» التي غالبها بالفصحى، كم قربت «مواطن الشارع» من الفصحى وأسهمت في تعريفه ببعض روائع الشعر، وأسهمت في كسر جمود الفصحى والصورة النمطية التي رسمتها لها المسلسلات التاريخية.

وحَمّلت الياقوت الإعلام والتعليم المسؤولية، قائلة: في حصة التعبير تأتي التعليمات كما يلي: «يعد كذا وكذا مهمًا جدا، عبر عن رأيك بهذا الأمر بأسطر وقدرها كذا»، تعليمنا ممتاز ليس في قتل الملكات اللغوية، بل في قتل ملكات التفكير، إنه يستولي على مقدرة الطالب على تكوين رأي بنفسه، إنه يُكوّن له الرأي سلفا، ثم يطلب منه الانطلاق والتعبير عن الرأي «الصحيح» الذي هبط فجأة.. العصفور يغرد في القفص، نظن أن صوته جميل.. لا نفقه ما يقول، لعله يدعو علينا!

والإعلام لا يبحث عن المادة الأدبية الجيدة بقدر ما يبحث عن المادة التجارية الرائجة، لكن هل من الأفضل خسارة رؤوس الأموال أم خسارة الرؤوس التي تحوي العقول؟

وختمت الياقوت قائلة: «الأدب يمكنه أن يكون بعافية بشرطين: أن يعي دوره الرسالي، وأن يمد كل أياديه إلى الفن والإعلام، وأن ينظر بتفاؤل وجدية إلى الآفاق الإلكترونية، هنا سيمتطي صاروخًا، ويشاهد من علٍ مقبرة القطارات المحكوم عليها بالإعدام».

تغير الظروف وأثره في اختلاف الأحكام في الشريعة الإسلامية

محمد عويس

وجد الفقهاء أنفسهم مطالبين بضرورة البحث في أصول الشريعة عن حلول وإجابات عملية لما جد من مشكلات ووقائع ظهرت مع تطور الحياة واختلاف البيئات، وكان هذا البحث هو البداية الحقيقة لتطور الفقه الإسلامي، الذي ظل ينمو باطراد مع كثرة الوقائع، واختلاف الظروف، وتبلور فيما بعد، في شكل مدارس أو مناهج فقهية اتسم كل منها بطابع خاص في فهم نصوص الشريعة.

الدكتور محمد قاسم محمود المنسي في كتابه (تغير الظروف وأثره في اختلاف الأحكام في الشريعة الإسلامية- دار السلام للنشر والترجمة والطباعة والتوزيع) اشار إلى أن هذا البحث- هو الأساس الذي أقيمت عليه نظرية الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، ذلك أن الاجتهاد- وهو مجهود عقلي صرف- لا يستهدف فقط إنشاء أحكام جديدة في مسائل لم ترد فيها نصوص خاصة من القرآن والسُنة، وإنما يستهدف أيضا إعمال الجهد، في تفهم نصوص الشريعة، وخصوصًا تلك التي تقبل تعدد المعاني والتفسيرات، وفقه الظروف والملابسات التي تحيط بالواقع، مجال التطبيق، ابتغاء الفهم الصحيح والتطبيق السليم، الذي يتفق مع مقاصد الشريعة ويحقق مصالح الناس في الوقت نفسه.

ولئن كان ميدان البحث في نصوص الشريعة يدور حول المعاني والدلالات التي يمكن أن تستخرج منها في ضوء المعطيات اللغوية والتشريعية، التي تكون مادة الأحكام، فإن ميدان البحث في الواقع بظروفه وملابساته يدور حول الخصائص التي يتميز بها واقع عن آخر، من حيث العوامل المؤثرة في تشكيله، والمشكلات التى تواجهه.

وحول تفسير ذلك أشار الباحث إلى أن النص جاء في الأصل حاكما للواقع، ومهيمنا عليه، وهذا مقتضى ثبوته وعدم قابليته للتغير وبعبارة أخرى هذا هو الدليل العملي على صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان، ومن ثم تظل وظيفة النص ثابتة وهى ضبط الحركة الواقعية بما يتفق مع مقاصد المشرع، ويحقق مصالح الناس. أما الواقع فإنه يتسم دائما بالتغيير، أثرا لسنة الله في الخلق، وينشأ عن هذا التغير وقائع جديدة تقتضي أحكاما جديدة، قد تعارض أحكامها الأصلية، إذ إن وحدة الحكم تقتضي تشابه الظروف، وهذا غير واقع، لأن الظروف تتغير باطراد، ومن ثم وجب اعتبارها عند إنشاء الأحكام وصياغتها، حتى لا يؤدي إغفال هذه الظروف إلى تطبيق أحكام تناقض مقاصد الشرع.

وأكد على أن هذا يوجب ألا ينقطع الاجتهاد لأن الظروف الملابسة، للأشخاص أو للوقائع والأحداث في تغير مستمر، كما أنها تؤثر في تشكيل علة الحكم، وتوجيه الاستدلال بمدركه الشرعي. ومن ثم فإن تغير هذه الظروف يكون سببا في اختلاف الأحكام الشرعية، ذلك أن الحكم يتعلق- عند التطبيق- بواقع ذات ملابسات وأحوال محددة، فإذا ما تغيرت هذه الملابسات أو الأحوال كان ذلك علامة على أننا أمام وقائع جديدة تستلزم أحكاما جديدة، وهكذا تختلف الأحكام باختلاف الظروف.



واختتم الباحث دراسته بالإشارة إلى أنه

أولا: فيما يتصل بحقيقة التغير وموقف الشريعة منه: لابد من التفرقة بين نوعين من التغيرات.. تغيرات ايجابية،

• باحث مصري

ظهرت في واقع الحياة نتيجة طبيعية لرقي الإنسان ونموه العقلي، وارتقائه في الأسباب والوسائل المادية، وتغيرات سلبية، نتجت عن محض الرغبة في تقليد الأنظمة أو العادات التي ظهرت في مجتمعات لا تعترف بالشريعة. وحول قيامه بالتفرقة بين هذين النوعين، أرجع ذلك إلى أن التغير- عادة- لا يمضي في اتجاه واحد بل يمضي في اتجاهات مختلفة بعضها ايجابي وبعضها سلبي، ومن ثم يختلف موقف الشريعة من كل منهما:

فالتغير الإيجابي ينبغي الحفاظ عليه وتطويره، أما التغير السلبي فينبغي رفضه ومقاومته أو تعديله بحيث يصبح موافقًا لمقاصد الشريعة وأهدافها.

ثانيا: أن التغير الذي تعتد به الشريعة ويُبنى على أساسه القول بتغير الأحكام، يشترط فيه عدة شروط:

١- ألا يكون مخالفا للنصوص الشرعية، لأن الشريعة جاءت حاكمة للواقع لا محكومة به، ومقتضى ذلك أنه إذا تعارض التغير- بصورة قطعية- مع بعض أحكام الشريعة فإنه لا يلتفت إليه، مهما كان له من القبول والانتشار، لأن الالتفات إليه في مثل هذه الحالة يعد إهدارًا أو تعطيلا لنصوص الشريعة.

٢- أن يكون مطردا أو غالبا، ويعني المؤلف بذلك أن يكون التغير قد استقر في حياة الناس، وتتابعوا على العمل به وصار أمرا شائعا بينهم، ومن ثم لا يلتفت الى التغيرات النادرة أو التي لم يتحقق فيها شرط الاطراد وغلبة الاستعمال.

٣- أن يكون جوهريا ونعني بذلك أن التغير يكون جوهريا إذا ترتب عليه أحد هذه الأمور: اختلال مصلحة من المصالح الضرورية للناس، كمصلحة حفظ الدين أوالعقل أوالنفس أو النسل أو المال، وقوع الناس في الحرج والمشقة المعتبرين شرعا، حدوث تغير جوهري في فطرة الإنسان بحيث يصبح كائنًا مختلفًا عن الإنسان الذي خلقه الله.

الاستحسان وسد الذرائع يمكن أن يسهما في حل المشكلات المتعلقة بتطبيق أحكام الشريعة

٤- ان يكون يقينيًا أو قريبًا من اليقين: ويُقصد بذلك أن ما بُني من الأحكام الفقهية على ما كان متاحًا من معارف وخبرات العصور الماضية، لا يؤخذ به، اذا تغيرت هذه المعارف، بصورة يقينية أو قريبة من اليقين، اذ لا يصح بناء الأحكام الفقهية على معارف ما تزال في طور الدراسة أو الظن، أو لم ترق الى اعتبارها حقائق علمية.

٥- ان يكون موافقا لمقاصد الشريعة: ونعني بذلك ان كل ما يحقق مصالح الناس-التي هي مقاصد الشريعة- من السياسات أو التدابير التي يحدثها أولو الأمر، ويقتضيها التطور الاجتماعي، يدخل في إطار الأعمال الشرعية- مع انه لم ينص عليها بذاتها- لأن الشريعة لم تحصر كل الوسائل التي يتوصل بها الى تحقيق مصالح الناس، اتساقًا مع منهجها في إجمال ما يتغير وتفصيل ما لا يتغير.

ثالثًا: وفيما يتصل بأثر التغيير في اختلاف الأحكام، فقد توصل الباحث الى ان الأحكام الشرعية- المنصوص عليها- وإن كانت تتسم بالثبات وعدم التغير، إلا أنها تتغير- عند التطبيق- بسبب اختلاف الظروف، وهذا التغيير لا يُعد من باب نسخ الحكم أو تعطيله، إذ لا يجوز ذلك بعد عصر التشريع، وإنما مراعاة لأحوال الواقع المختلفة، حيث يتطلب الأمر- في بعض الظروف- إباحة المحظور، أو حظر المباح، وذلك دفاعا للتناقض بين جزئي الشريعة وكليها، وحرصا على الأصل التشريعي العام وهو جلب المصالح ودرء المفاسد، إن الحكم- الذي بُني على اجتهاد فقهي- يتغير بتغير الظروف، زمانا ومكانا، بسبب تغير الأعراف، أو حدوث المشقة، أو وقوع الضرورة، أو تغير أحوال الناس، فكل هذه ظروف مؤثرة في اختلاف الأحكام. ومن ثم فإذا كان الحكم الفقهي مبنيا على عرف سابق أو ترتب على العمل به- في غير زمانه ومكانه- وقوع الضرر أو المشقة، فإن المصلحة تقتضي أن يتغير الحكم دفعا للضرر أو المفسدة.

رابعًا: وفيما يتصل بالأصول الشرعية التي يستند إليها الفقه في تغير الأحكام، فقد اشار الباحث الى أن الفقه الاسلامي قد أقر مبدأ التغير في الظروف، وبُني عليه جواز اختلاف الأحكام، وذلك من خلال أصول فقهية منضبطة، وهي الاستحسان، وسد الذرائع، والمصلحة المرسلة.

فمن خلال هذه الأصول استطاع الفقه الإسلامي أن يواكب المتغيرات الاجتماعية، وأن يلبي حاجة المجتمعات المختلفة إلى التشريعات التي تتطلبها حياة الناس ومعاملاتهم، ويؤكد الكاتب على أن الفقه الإسلامي لا يزال قادرا- بهذه الأصول- على تلبية حاجة المجتمع المعاصر إلى التشريعات المختلفة على الرغم من تغير الظروف واختلاف الحاجات. فالاستحسان وسد الذرائع يمكن أن يسهما في حل المشكلات المتعلقة بتطبيق أحكام الشريعة - في الواقع المعاصر - وذلك إما باستثناء الحالات أو الوقائع التي سيؤدي فيها التطبيق إلى ضرر معتبر شرعا أو بتأجيل العمل بالحكم بصورة محددة، إلى أن تتوافر الظروف المناسبة التي يؤدي فيها التطبيق إلى نتائج إصلاحية، وإما بإباحة المحظور أو حظر المباح، إذا دعت الضرورة إلى ذلك.أما المصلحة المرسلة فإنها توفر سندا شرعيا لكل التشريعات التي تتعلق بالأوضاع التي آل إليها حال المجتمع المعاصر، ذلك أن كل ما يحقق مصالح الناس يعتبر عملا مشروعا، وإن لم ينص عليه بذاته، ما لم يكن مخالفا لنص شرعي أو يؤول إلى مخالفته.



الدعوة النسائية

تعد الدعوة النسائية من الفروض الواجبة في عصرنا الحالي، لاسيما أننا نعيش في زمن تضيع فيه الهوية الإسلامية ويقصى الناس عن الدين، الأمر الذي يوجب على كل امرأة مسلمة الاجتهاد في أن تكون خير سفيرة للإسلام في حلها وترحالها.

لكن العمل الدعوي النسائي يواجه عديدًا من المعوقات التي تقف في طريق تحقيق أهدافه، بداية من أزمة التقوقع على الذات والانغلاق، ربما لسوء الفهم والإدراك الضيق، أو للعوائق التي تقابل العمل الدعوي النسائي بشكل عام.

لذا ينبغي الاهتمام بالداعيات من حيث تثقيفهن وإفهامهن دورهن الأساس في خدمة دعوتهن، بالإضافة إلى الحرص على استغلال الإمكانات والطاقات المتوافرة مع التوظيف الأمثل لهذه الطاقات، ومحاولة إقناع الرجل والأسرة والمجتمع بالدور المهم للأخت الداعية في مجال دعوتها، وأهميته في عرض وسرد قصص الشخصيات النسائية التي ضحت من أجل دعوتها، وبذلت الغالي والنفيس للحفاظ على الدعوة حتى وصلت إلينا.

هذا إلى جانب أن تكون الداعية اجتماعية، وأن تخالط من حولها، مع مراعاة التدرج في الدعوة، حتى لا يرفضها المجتمع، وقبل كل ذلك الاستعانة بالله عز وجل، و إخلاص النية لله والتوكل عليه.

التحرير





الأسرة المسلمة وتوحيد القيادة

شعبان محمود شعبان

لابد للسفينة من ربان واحد يحسن القيادة ويجيد الحكمة ويرعى الأمور ويتجنب العواصف، فإن واجهته قابلها بالاتزان وضبط النفس حتى تمر بسلام. وكذلك سفينة البيت.. إنها تشبه سفينة البحر تماما.. مرة هادئة ومرة مضطربة! وقضت سنة الحياة أن يكون الربان رجلا، ورجلا ماهرا، فالمرأة مشوبة بالعاطفة متوقدة الذكاء ولكنها قليلة الاحتمال لأعباء الحياة. والاطمئنان على السفينة ليس من حق الزوج والزوجة وحدهما، بل يشاركهما في ذلك فلذات أكبادهما ونتاج زرعهما. فلابد للسفينة أن تسير في انتظام لا تنحرف بها العواطف ولا ينزلق بها الإغراء، فإن انحراف العواطف وراءه كارثة وان انزلاق الاغراء ينتهي بمصيبة!

الدين حين أمر بالحشمة ونهى عن الاختلاط وحرّم التبرج واستفحش الفاحشة، كان غرضه من ذلك أن يحفظ سفينة الأسرة من العواصف وأن يبعدها عن تقلبات الأجواء خشية أن تتحطم أو مخافة أن تغرق في البحر.

وحين يسود هذا النظام، نظام توحيد القيادة، سنشاهد علائم الاستقرار وسعادة الأسر وراحة البيوت.

وأقول: حين يسود؛ لأن مجتمعنا الأسري اليوم تضطرب فيه القيادة بين الرجل والمرأة.

كلٌ يريد أن يمسك «العجلة»، الرجل يطالب بحقه، والمرأة تقول إن عهد الرجل قد انقضى.. والحقيقة ضائعة.

ومن وراء هذا الاضطراب عاش فتيان اليوم وفتياته حائرين مضطربين، هل ينحازون الى اليمين أم الى اليسار؟

وما حل الاضطراب في بيت إلا أفسده، ولا في جمع إلا شتته.. وهنا تظهر فضيلة الاسلام حين نادى بتوحيد القيادة وضبط العواطف وإنصاف المرأة والذرية.

مشكلة المشاكل أمام امرأة اليوم مسألة «قوامة الرجل» إنها «البعبع» الذي تخافه المرأة وتخشاه، فهل هي على صواب في ذلك؟

وقبل أن نجيب: ينبغي أن نرى حدود هذه القوامة ومنتهى ما تؤدى إليه.

باحث أسري



إن الـرجـل الـقـيـم لا يـصـح لـه أن يتصرف في مال زوجته بغير إذنها، حتى المال الذي يهبه هو لها أو يتنازل عنه لها، لا يصح كذلك أن يتصرف فيه إلا بإذن منها.

وإن الرجل القيم لا يجوز له بحال أن يحجر على امرأته العاقلة، أو يستبد بها أو يضغط عليها في رأى معين، فحرية الـرأي وحـريـة الـتـصـرف وحـريـة الـديـن مكفولة كل الكفالة للمرأة مع قوامة الرجل عليها.. فهل هي على صواب في نفورها من الاسـلام أو في فـرارهـا من قوامة الرجل؟

ولـئـن كـانـت هـنـاك وظـائـف تـعـجـز المرأة عن القيام بأعبائها، فلقد خصت الطبيعة المرأة بوظائف لا يستطيع الرجل أن يقوم بها.

كم سلما ارتقته المرأة حتى وصلت الى هذه المنزلة السنية العالية.

إن الإســلام اسـتـطـاع أن يتطـور بـالأذهـان حتى هضمت هـذه الأفكـار وحتى رقت القلوب القاسية وحتى يبكي عمر فيسأل عن سبب بكائه فيجيب: تذكرت ابنتي وقد دفنتها أيام الجاهلية وبينما أحفر الحفرة لها طار تراب الى ذقني فأخذت تنفضه عني.. ومع ذلك فقد دفنتها.

وحق لعمر أن يبكي، ويبكي طويلا.

لقد كانت المرأة لعبة فجعلها الإسلام حقيقة، وكانت شهوة رخيصة فجعلها الإسلام معنى رفيعا، وكانت لهوا ومتاعا فجعلها الإسلام نورا وضياء.

تمنت أم مسلمة يوما أن يكون للنساء من القوة مثلما للرجال حتى يقمن بأعباء مماثلة.. فنزل الوحي يرتل:

﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما﴾ (النساء: ٣٢).

هل المرأة على حق حين تعتقد أن قوامة الرجل هي «البعبع» الذي تخشاه؟!

فعظمة الإسلام في مرونته وتمشيه مع مقتضيات الأشياء وطبيعة الأمور، ولا جعجعة ولا غلبة ولا قهر، كل يسير في طريقه المرسوم له، وقد خاب من افترى.

إننا نعلم جميعا- ومن غير استثناء- جمال التشريع الإسلامي ولكن مشكلة المشاكل أن نهيئ أنفسنا لقبوله وأن نخضع أفكارنا لدستوره.

هـل يستطيع أحـد كائنـا مـن كان أن يدعـى أن تكوين المـرأة الجسماني والروحي، كتكوين الرجل سواء بسوء؟

وهـل يسـتطيـع أحـد- كـائـنـا من كـان- أن يدعي بأن تقوم المرأة بجميع الأدوار التي يقوم بها الرجل مع أمومتها وحضانتها؟

لا يشك أحد أن التكوينين مختلفان، والمهمتين مختلفتان كذلك، وأن هذا الاختلاف يستتبع دائما اختلافا دائما في نظام الحياة المتصلة بكل منهما، وهـذا هو سر ما جاء في الإسـلام من تفريق بين وظائف الرجل والمرأة.

إن الإسلام يوجب على الآباء تعليم الفتيات علـى آخـر طـراز مـن التربية الكاملة المهذبة ووعدهم على ذلك ثوابا عظيما من رب كريم.

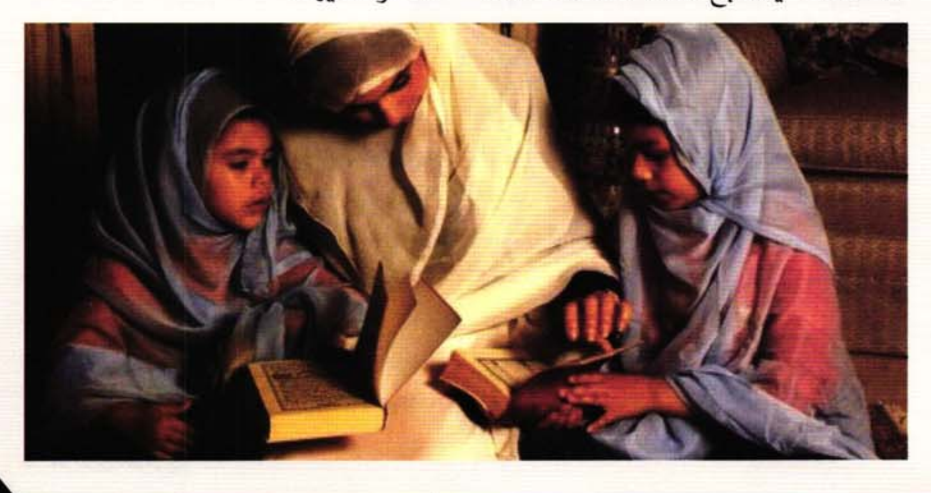
عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخـوات، أو بنتان أو أخـتـان، فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن، وفي رواية فـأدبهن وأحـسـن إليهن وزوجـهـن، فله الجنة».

ومن حسن الأدب: التعليم، والتثقيف، والتهذيب، ولكن: يجب أن تعلم المرأة في تعليمها وتثقيفها وتهذيبها أن المرأة لبناء أسرة سعيدة أولا وأخيرا.

وصدق الله العظيم ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم﴾.

وإذا كان من حق الرجل أن يطمئن على سلامة سفينته فإن من حق المرأة أن تراقب حركات القائد وتحاسبه إن مال أو حاد، فلا محسوبية ولا محاباة ولا تحيز ولا تعصب.

إن درجـة الـرجـل لـيـس مـعـنـاهـا الاستبداد بالمرأة أو التحكم فيها.. أو القسوة عليها.



جرح الطلاق النفسي لا يستثني الرجال

د. خالد سعد النجار

«الطلاق» تلك الكلمة الكئيبة، والمضمون المعبر عن فشل التوافق، والشبح الذي يؤرق الحياة الزوجية.. أبغض الحلال عند الله تعالى، لكنه في بعض الأحيان قد يكون الحل الوحيد والمثالي لمشكلات زوجية استعصت على الحل، حيث استحالت الحياة والعشرة.. ورغم جرحه وألمه فالطلاق لا يعني نهاية المسيرة سواء للرجل أو المرأة، ومهما كانت الحالة، فالانفصال يعني أسوأ لحظات الزواج وأكثرها كآبة، ويترك في النفس جرحا يطال الرجل كما يطال المرأة على عكس ما يتوهم البعض أن الخاسر الأكبر في كل الأحوال يكون المرأة فقط.

الآراء التي تزعم أن الرجل بعد الطلاق أسرع على التأقلم في الحياة، وأقدر على تجاوز المحنة ما هي إلا معتقدات منبثقة من إرث ثقافي خاطئ، لأن الرجل مثله مثل المرأة كلاهما يتأثر جدا بالحدث، وهناك عوامل خارجية وأخرى داخلية تؤثر على تكيف الفرد مع الموقف، أهمها تاريخه الشخصي، وكيفية نمط حياته، والخبرات السابقة، بالإضافة إلى الثقافة والبيئة الاجتماعية التي تحيط سواء بالرجل أو المرأة والتي لها دور رئيسي في مدى تأثر كل منهما بالآثار النفسية السلبية الناجمة عن الطلاق.

تقول إحدى الدراسات الغربية التي أجرتها مجلة «صحة الرجال» على شبكة الإنترنت: إن أول رد فعل للرجل بعد انتهاء العلاقة، هو سرعة الخروج مع أصدقائه وسرعة الارتباط بأخرى، فحوالي ٢٦٪ من الرجال يتعالى على ما حدث، وكأنه يحتفل مع أصدقائه، وأن الموضوع برمته غير مهم وهؤلاء أقلية، لأن ٣٦٪ من المشاركين في الدراسة، قالوا: إنهم يودعون طليقاتهم بابتسامة لامبالاة، وكلا النسبتين تمثل شكلا من أشكال الأقنعة الزائفة التي يخفي بها الرجال مشاعرهم الحقيقية، لأنهم لا يستطيعون التعامل مع آلامهم أو



غضبهم أو إحباطهم، وقد لا يتنبه الرجال إلى حالة الوحدة، إلا بعد تخطي المرحلة الأولى من ردود الفعل الأولية، فيبدأون في الحداد على حياتهم.

أما النساء فلا يضيعن الوقت، وفور انتهاء العلاقة يبدأن في البكاء، ثم يبدأن مرحلة الحديث مع الأخريات بصراحة عن مشاعرهن بعد الطلاق.. إنهن يواجهن الأحزان فورًا- كما أكدت الدراسة- الأمر الذي يساعدهن على التخلص من المحنة بشكل أسرع، وتفريغ شحنة الانفعالات بصورة إيجابية، عكس الرجال الذين يكبتون مشاعرهم فتظل تنتقل معهم في سراديب حياتهم.

كما وجد باحثون أن ٩٥٪ من الرجال المطلقين يغيرون مسكن الزوجية، ولا يحبون العيش فيه بعد الانفصال، فنفسية الرجل ووضعه الاجتماعي ليسا بالقوة المعتقدة كما هو متعارف، فهو غالبا ما يشعر بالفراغ والوحدة بعد الطلاق.

من ناحية أخرى أكدت دراسة ميدانية مصرية أجراها باحثون في قسم الاجتماع بكلية الآداب جامعة عين شمس بمصر، أن معظم الرجال الذين سبق لهم الزواج وفشلوا فيه، معرضون للإصابة بالاضطرابات النفسية جراء هذا الفشل، وأن «الرجل المطلق» يعاني غالبا من عدم القدرة على التكيف اجتماعيا بعد الطلاق، كما يواجه صعوبات في خوض التجربة مرة أخرى باعتباره رجلا له ماض.

معاناة صامتة

«ينبغي على الرجال دوما ألا يفصحوا عن أحاسيسهم وخصوصا الحزينة، خشية أن ينتقص هذا الإفصاح من رجولتهم».. تلك هي الستارة الزائفة التي تختفي ورائها مشاعر الرجل بعد الطلاق، خاصة أن عادات المجتمع لا تسمح للرجل بإظهار ضعفه وحاجته للمرأة لأنه ببساطة رجل، ولأن مجتمعاتنا رجولية بالدرجة الأولى، الأمر الذي يحتم على الرجل كتم أحزانه، والمعاناة من حالة احتقان نفسي داخلي غير مأمونة العواقب.



أي أن الرجل المطلق يعاني في صمت، ويتألم بدون صوت، ويقاسي جرح الماضي زمنا طويلا بلا بوح، لأن المجتمع ونظرة الرجال لبعضهم البعض جعلت الرجل لا يجسر على البوح بآلامه وخسائره.

أما أطباء الصحة النفسية فيؤكدون بحسب مجلة «الصدى»، أن السبب الآخر الذي يضايق الرجال بعد الطلاق ليس فقط فقدان دورهم كأزواج، ولكن خسارتهم لدورهم كآباء، فالأم تلعب بعد الطلاق دور الأب والأم معًا، أما الزوج فيخسر دوره كأب.

وعن الانعكاسات المرضية العضوية يذكر د. مصطفى الحاروني أستاذ علم النفس التربوي بجامعة حلوان المصرية أن الطلاق يعد منجما للأمراض ولا يستثني الرجل من الآثار النفسية والاجتماعية المدمرة. وأكثر الأمراض شيوعا لدى هؤلاء هي الإرهاق المزمن، القرحة، تساقط الشعر، أمراض القلب، والأمراض الجلدية «الحساسيات».

حالات صعبة

إذن لاشك أن الزوج يتأثر عاطفيا بالطلاق، بل وقد يصاب بأعراض وأمراض نفسية وعضوية، خاصة في حالات معينة تزيد الموقف صعوبة، أهمها:

- مبادرة الزوجة بطلب الطلاق، سواء باللجوء لفسخ العقد لخلل في جانب الزوج، أو حتى في طلب المخالعة من أجل عتق نفسها من الارتباط بذلك الزوج.

- وجود أبناء محصلة ذلك الزواج، فلا مكان إطلاقا للطلاق الذهني أو النفسي بين الزوجين عند وجود الأبناء.

- طول مدة الحياة الزوجية التي قضاها الزوجان معًا، فلا يزال شبح الذكريات يؤرق الطرفين..إذ إنهما قضيا زهرة حياتهما معا.

- تأخر الدخول في تجربة الزواج مرة أخرى بعد الطلاق، نتيجة العزوف والكره للجنس الآخر.

- الطلاق بعد الخمسين بالنسبة للرجل يكون شديد الوطأة عليه بخلاف الطلاق في مقتبل العمر.

- ملاحظة الرجل المطلق للحساسية الكبيرة والتحفظ المفرط عند التعامل مع الزملاء، وخصوصا لدى دخوله منازلهم، حيث ينظر إليه الجميع كشاب أعزب، يفتقد لزوجة تعصمه وتصونه وتعفه.

لا شك أن الرجل يتأثر عاطفياً بالطلاق وقد يصاب بأمراض نفسية وعضوية

وإن كان هذا لا ينفي وجود آثار إيجابية يمكن أن تحدث نتيجة للطلاق، فقد يدفع الرجل الإحساس بالفشل إلى الثورة على نفسه، فيحاول التركيز في عمله وإثبات ذاته والتغلب على مرارة التجربة وقسوة الذكريات.

الكل يخسر

الفرد حين ينوي الطلاق يكون تفكيره قائما على الخلاص، لكن ما يشعر به عقب ذلك من وحدة وعدم استقرار يضعه في أتون حياة صعبة. فلاشك أن كل الأطراف تكون خاسرة، حيث تفقد الزوجة الدعم والأمان والحماية التي يوفرها لها الزوج، وهو الآخر يخسر الحضن الدافئ والسكن النفسي والراحة التي تحققها لها زوجته، علاوة على عودته مرة أخرى لحياة «العزوبية»، وعدم وجود من يهتم بشؤونه، وبعض الرجال يهرب من خيال زوجته السابقة بالزواج السريع من امرأة أخرى ليسترد جزءًا من اعتباره وكبريائه المحطم، ولكن الحقيقة التي لا مناص منها أن الزوج يدخل في دوامة المقارنة ما بين طليقته وزوجته الجديدة، خاصة لو كان مغرما بطليقته.

ولاشك أن التأثير سلبي وكبير على الأطفال سواء عاشوا مع أمهاتهم أو آبائهم، لأن الأسرة هي أول بقعة ضوء تتجلى فيها للطفل القيم والنظرة إلى العالم، وتسمح للصغير بالنمو والحفاظ على التوازن والاستمرار، والطلاق يشوه في داخل الطفل نقاءه وعالمه المثالي فيسيطر عليه الحزن والقلق، وقد يحدث هذا شرخا في نفسيته يحمله معه إلى الكبر فيصبح انطوائيا ويفقد الطموح ويتراجع وينهزم أمام أقل الصعاب، وأكبر الآثار سلبية على أطفال المطلقين عندما يحاول أحد الطرفين تشويه صورة الآخر أمام أبنائه، كأن يقول الأب لأطفاله: إن أمكم لا تحبكم، وهي امرأة لا تصلح كزوجة وأم... الخ أو تحاول الأم أن تزرع الكراهية في نفوس الأبناء تجاه أبيهم، وما أقساها من سلوكات انتقامية خاطئة كفيلة بأن تدمر حياة هذه البراعم الغضة، وتؤثر على مستقبلهم.

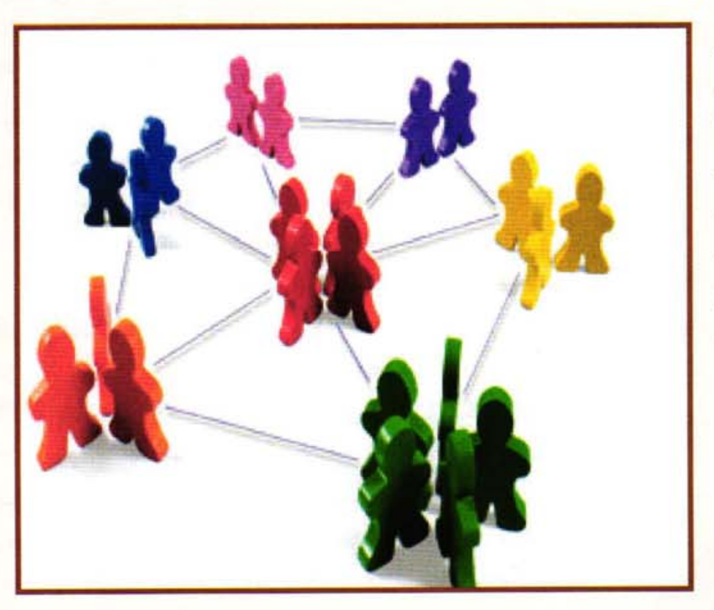


فن التعامل مع الناس

كمال عبدالمنعم خليل

إن ديننا الإسلامي هو دين الألفة والمودة، فهو يدعو إلى المعايشة والمخالطة، وينفر من المقاطعة والمنافرة، كيف لا، وقد قال ربنا سبحانه وتعالى مخاطبًا الناس جميعًا، مؤمنهم وكافرهم، عربهم وعجمهم: ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا...﴾ (الحجرات: ١٣)، وروى الترمذي وابن ماجة من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»، والمؤمن في تعامله مع البشر كافة صورة عملية لهذا الدين الحنيف الذي يدين به، فلينظر في أي صورة يظهر هذا الدين، فقد رسخ في أذهان البعض أن التدين معناه الجفاء والغلظة والعبوس في وجه الآخر، إلا أن هذا الفهم- لاشك- خاطئ وبعيد تمامًا عن الحقيقة، والوسطية التي تميز بها ديننا تجعل المسلم في قصد واعتدال في كل شيء، فلا يحيد عن الصراط المستقيم، ولا يميل عن المنهج القويم الذي ارتضاه للناس رب العالمين.

لا يزال الواحد منا يتذكر هذا الرجل الذي عبس في وجهه أثناء إبداء النصيحة له، وهي صورة قل أن تمحى من الذاكرة، وإن غابت بعض الوقت، فهي لا تزال تتردد بين الحين والحين، إن رسولنا ﷺ وصفه أصحابه بأنه كان بسام المحيا، فلا يتكلم إلا ووجهه مبسوط، وكان ذلك غالب حاله إلا إذا انتهكت حرمات الله تعالى، بل وصل به الأمر أن كان يمزح ولا يقول إلا حقًا، فقد روى ابن ماجة في سننه أن أنس بن مالك رضي الله عنه كان له أخ صغير اسمه عمير، وكان ﷺ يمازحه ويقول له: يا أبا عمير، ما فعل النغير؟ (والنغير طائر كان يلعب به عمير)، وهذه امرأة يقال لها أم أيمن الحبشية جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن زوجي يدعوك، فقال: من هو؟ أهو الذي بعينه بياض؟ فقالت: ما بعينه بياض، فذهبت المرأة فوجدت زوجها نائمًا، فأخذت



تفتح عينيه لترى هل بهما بياض أم لا؟، ودخلت امرأة عجوز عليه ﷺ وسألته أن يدعو الله لها أن يدخلها الجنة، فقال: يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز، وحضرت الصلاة فخرج رسول الله ﷺ وبكت المرأة بكاءً شديدًا حتى رجع النبي ﷺ فقالت عائشة: إن هذه المرأة تبكي لما قلت لها: إنه لا يدخل الجنة عجوز، فضحك النبي ﷺ وقال: لا يدخل الجنة عجوز، ولكن قال الله تعالى: ﴿إنا أنشأناهن إنشاءً. فجعلناهن أبكارًا. عربًا أترابًا﴾ (الواقعة: ٣٥-٣٧).

فاحرص على أن تخاطب الناس بوجه بشوش، وتذكر أنه لا سلطان لك عليهم، وإنما السلطان فقط هو هذا القبول الذي لا يتأتى إلا بالكلمة الحانية والبسمة اللطيفة والنصيحة الهادئة، عندها يقبلون النصيحة، وتكون سببًا في هدايتهم.

التوازن الانفعالي

إن بعض الدعاة الذين يحملون على عاتقهم توجيه الناس ودعوتهم، لا يبالي إن تعرض لموقف يغضبه ويثيره أن يرفع صوته ويصرخ ويتكلم بما لا يليق من القول، وهذا- لا شك- موقف سلبي له مردوده العكسي على دعوته ورسالته، لأنه في أعين الناس المتزن الذي لا يدفعه إلى التهور شيء، بل يضبط نفسه

كاتب وباحث أسري



ويكبح جماحها، وقد بين الرسول ﷺ أن الشدة والقوة لا تكون بشدة الغضب ولا بالاعتداء على الناس، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»، وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: «لا تغضب، فردد مرارًا فقال: لا تغضب»، وقدوتنا في ذلك النبي ﷺ فقد روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد (نوع من الثياب) نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجذبه بردائه جذبة شديدة، فنظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ، وقد أثر بها حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: يا محمد يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء».

وقد ورد عن ابن عباس- رضي الله عنهما- في قوله تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ (فصلت:٣٤) قال: الصبر عند الغضب، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم، ومعنى ادفع: أي ادفع السيئة وقابلها بالتي هي أحسن من الصفح والعفو، وقد ضرب الصحابة والتابعون أروع الأمثلة في عدم الاندفاع والتهور، فهذا رجل شتم أبا ذر رضي الله عنه فقال له: يا هذا لا تستغرق في شتمنا، ودع للصلح موضعًا، فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكبر من أن نطيع الله فيه، وقال معاوية رضي الله عنه: لا يبلغ العبد مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله، وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم، وحكي عن الأحنف بن قيس أنه قال: ما عاداني أحد قط إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث خصال: إن كان أعلى مني عرفت له قدره، وإن كان دوني رفعت قدري عنه، وإن كان نظيري تفضلت عليه، ومن نصائح سيدنا علي رضي الله عنه لولده الحسن رضي الله عنه: احذر الغضب، فإنه يسفه الحليم، ويطيش العالم، ويفقد معه العقل، ويظهر معه الجهل، وقد أحسن الإمام الشافعي حين قال:

أحب مكارم الأخلاق جهدي
وأكره أن أعيب وأن أعابا
وأصفح عن سباب الناس حلمًا
وشر الناس من يهوى السبابا
ومن هاب الرجال تهيبوه
ومن حقر الرجال فلن يهابا

فلا ينبغي للمسلم أن يخرج عن مشاعره المعتادة وسلوكه الهادئ من أجل سبب بسيط حتى لا يسقط من أعين الناس.

عدم الصراع على المادة

إن الرجل لا يزال في عزة وعلو مكانة حتى يجاري الناس في صراعهم على زخارف هذه الحياة الدنيا، فتدب إليه الأخلاق والصفات الذميمة التي نهى عنها الرسول ﷺ مثل الحرص والحسد والبغضاء، وكل هذا يكون بسبب المادة والرغبة في جمع المال والإكثار منه حتى ولو دفعه ذلك إلى الخصام وقطع الأرحام.

وقد رهب القرآن الكريم من الصراع على هذه الحياة الدنيا لأنها زائلة وفانية، قال الله تعالى: ﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ (الحديد:٢٠).

ورغبنا في الآخرة لأنها باقية، قال تعالى: ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ (العنكبوت:٦٤)، والحيوان هي الحياة الدائمة الباقية.

والمؤمن يترفع دائمًا عن الصراع على المادة والرغبة في جمع المال والإكثار منه، والنبي ﷺ كان أجود الناس، وكان دائمًا ما يحث أصحابه على الزهد في هذه الدنيا، والزهد معناه جعل الدنيا في الأيدي وليست في القلوب، وبين النبي ﷺ لنا أقصر طريق لنيل حب الله وحب الناس في وقت واحد، فقد روى ابن ماجة وغيره عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس؟ فقال: ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس»، والصراع على المادة والحرص على جمعها يفسد على الإنسان دينه، فقد روى الترمذي بسند حسن صحيح عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه».

فينبغي للمسلم أن ينتبه لما يضره فيتجنبه، ولا يدخل نفسه في صراع على هذه الحياة الدنيا، فهي لا تستحق الصراع ولا النزاع عليها، فقد روى مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بالسوق والناس كنفتيه (عن جانبيه)، فمر بجدي أسك (صغير الأذن)، فتناوله، فأخذ بأذنه، ثم قال:

«أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم؟»، فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ ثم قال: «أتحبون أنه لكم؟» قالوا: والله لو كان حيًا كان عيبًا، إنه أسك، فكيف وهو ميت، فقال: «فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء».

وما أجمل القول في هذه الحياة الدنيا:

فلو كانت الدنيا جزاءً لمحسن
إذن لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الأنبياء كرامة
وقد شبعت فيها بطون البهائم





الرحمة شعار تعاملك

لقد سمى الله تعالى نفسه بالرحمن الرحيم، وجعل هاتين الصفتين آية من سورة الفاتحة التي هي أم الكتاب وأساس القرآن، كذلك وصف الله تعالى نفسه بالرحمة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم حيث قال سبحانه: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ (الأعراف: ١٥٦)، وقال عز من قائل: ﴿إن الله كان بكم رحيمًا﴾ (النساء: ٢٩)، كذلك فإن السنة الشريفة مليئة بالأحاديث التي تحث على الرحمة والتعامل بها، فقد روى أبوداود والترمذي عن عبدالله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»، والرحمة خلق يتعامل به الخلق جميعًا، العاقل منهم وغير العاقل، فقد روى ابن ماجة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي رضي الله عنه قال: «لله مائة رحمة، قسم منها جزءًا واحدًا بين الخلق، به يتراحم الناس والوحش والطير»، فالرحمة تشمل الوالدين في الحياة وبعد الممات، قال تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا﴾ (النساء: ٣٦)، فليس أقل من الرحمة كأسلوب للتعامل معهما جزاء ما قدموا وسهرا وتعبا، هذه الرحمة تكون في الحياة بالإحسان إليهما والرفق واللين في معاملتهما، وطاعتهما في المعروف، وبعد الممات تكون بالدعاء والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما، والصدقة عليهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وقد جعل الله تعالى الدعاء لهما بالرحمة قرآنًا يتلى إلى قيام الساعة، قال تعالى:﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا﴾ (الإسراء:٢٣)، والرحمة بالأبناء وبالزوجة لها شأن عظيم، إذ إن أسس العلاقة الزوجية هي السكن والمودة والرحمة، قال سبحانه:﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ (الروم: ٢١)، فالتعامل بين الزوجين يجب أن تعلوه الرحمة، من أجل حياة هادئة هانئة، وفق منهج الله ورسوله، والرحمة بالأبناء حث عليها النبي ﷺ، فقد روى مسلم وأبوداود عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قبَّل الحسن والحسين وعنده الأقرع بن حابس التميمي فقال: «إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا، فقال له الرسول ﷺ: «من لا يرحم لا يُرحم»، كذلك فإن الرحمة تشمل الأقارب الذين سماهم الله تعالى بأولى الأرحام، قال تعالى: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ (الأحزاب: ٦).

وقد رغب الرسول ﷺ في صلة الرحم، فقال فيما رواه البزار والحاكم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «من سره أن يمد له في عمره، ويوسع له في رزقه، وتدفع عنه ميتة السوء، فليتق الله وليصل رحمه»، وحذر الله من قطع الرحم فقال تعالى: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾ (محمد: ٢٢)، وروى البخاري ومسلم من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع» (يعني قاطع رحم)، ولا تعجب إن قلنا: إن الحيوانات والطيور نالت جزءًا من رحمة الإسلام، فقد روى البخاري ومسلم عن ابن عمر- رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «دخلت امرأة النار في هرة سجنتها حتى ماتت، لا هي أطعمتها وسقتها، إذ هي حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض» كذلك حرم الإسلام أن يتخذ الطائر غرضًا بغير منفعة، فقد روى النسائي وابن حبان عن الشريد بن السويد أن الرسول ﷺ قال: «من قتل عصفورًا عج (اشتكى) إلى الله يوم القيامة يقول : يا رب، إن فلانًا قتلني عبثًا ولم يقتلني منفعة».

والرحمة ينبغي أن تسود المجتمع الإنساني بأثره على اختلاف ملله ونحله، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لن تؤمنوا حتى تراحموا، قالوا: يا رسول الله، كلنا رحيم، قال: «إنه ليس رحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة العامة» (رواه الطبراني)، أما الرحمة مع غير المسلم فهي دعوة صادقة لبيان صورة الإسلام، ما لم يحدث منهم



ظلم أو بغي، وما انتشر الإسلام في سائر أقطار الأرض إلا بمثل هذا الخلق الحسن، السيرة النبوية العطرة مليئة بمواقف شتى تظهر رحمة النبي ﷺ بغير المسلمين، وموقفه من أهل الطائف، وموقفه من قريش يوم الفتح خير دليل على ذلك، وكان الرسول ﷺ يوصي قادة الجند وأمراء الجيوش بالتعامل بالرحمة حتى أثناء الحرب، فقد روى مسلم عن سليمان بن بريدة أن النبي ﷺ أوصى أحد قادة الجند في إحدى السرايا قائلاً له: «اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، تقاتلون من صد عن سبيل الله، ولاتغالوا ولاتغدوروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا امرأة ولا طفلاً ولا تحرقوا نخلاً ولا تخربوا عامرًا»، فهذه رحمة الإسلام بالمحاربين وأترك للقارئ الكريم المقارنة بما يحدث في حروب ونزاعات اليوم وما فيها من قسوة وهمجية تأتي على الأخضر واليابس.

فما أسعد البشرية إن هي تعاملت بالرحمة التي هي عنوان ديننا الإسلامي الحنيف.

كن سليم الصدر

هل تستطيع أن تكون كذلك؟ وأن تتحصل على هذه المزية التي لا يقدر عليها إلا من صفا قلبه، وصفح عن المسيئين إليه؟ فكم من الآيات تحدثت عن الصفح الجميل والصبر الجميل والدفع بالتي هي أحسن، الذي لا يعقبه انتقام للنفس ولا انتصار للهوى، قال الله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل﴾ (الحجر: ٨٥)، ولقد نهى النبي ﷺ عن سوء الظن الذي هو ناتج عن تشويش ووسواس في الصدر، فقد روى البخاري في صحيحه والترمذي في سننه وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولاتحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا».

المؤمن يترفع دائماً عن الصراع على المادة والرغبة في جمع المال

وحتى يصل المسلم إلى سلامة الصدر عليه أن يحسن الظن بالله أولاً ثم بإخوانه، كما يجب عليه أن يلزم القرآن الكريم لأن شفاء الصدور في تلاوته وتدبره والعمل به، كذلك عليه أن يرضى بما قسم الله وقدر فإن في الرضا اطمئنانًا للنفس وراحةً للقلب، والصدقة تعالج كل داء، كما أن الصوم يذهب وحر الصدر (أي الغل)، وقبل ذلك وبعده فإن اللجوء إلى الله تعالى بالدعاء في جوف الليل أن يجعل القلب تقيًا نقيًا خاليًا من كل وسواس خناس، طاهرًا من كل حقد وغل للمؤمنين، وعلى المؤمن أن يتذكر دائمًا أن رسولنا ﷺ كان أنقى وأصفى الناس سريرة، وتشبه به الصحابة الأطهار- رضوان الله عليهم- فهذا أبودجانة رضي الله عنه دخل الناس عليه وهو مريض فرأوا وجهه يتهلل ويستبشر، فقيل له: ما لوجهك يتهلل؟ قال: ما من عمل أوثق عندي من اثنتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، والأخرى كان قلبي للمسلمين سليمًا، وهذا ابن عباس- رضي الله عنهما- عندما شتمه رجل قال له: إنك لتشتمني وفيَّ ثلاث خصال: إني لآتي على الآية في كتاب الله عز وجل فلوددت أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به ولعلي لا أقاضي إليه أبدًا، وإني لأسمع أن الغيث قد أصاب بلدًا من بلدان المسلمين فأفرح به، وما لي به من سائمة».

فكن سليم الصدر تكن من أهل الجنة كهذا الرجل الذي بشره النبي ﷺ بالجنة، فقد روى أحمد في مسنده بسند جيد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا مع الرسول ﷺ فقال: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» فطلع رجل من الأنصار تنطف (تقطر) لحيته من وضوئه، وتكرر ذلك ثلاثة أيام... الحديث» فلما تتبعه عبدالله بن عمرو بن العاص وراقب عمله الذي أوصله إلى هذه المنزلة، فلم يجده كثير صلاة ولا كثير صيام فسأله عن هذا السر، فقال له هذا الرجل: لا أزيد على عملي إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًا ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه، فقال له عبدالله: هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق.

تلطف في النصيحة

لا تتوقع من كل من تدعوه إلى الهدى أن يقول لك: سمعنا وأطعنا، ولو كان الأمر بهذه السهولة ما تعب أحد، وما تعدد إرسال الرسل من قبل الله تعالى، لذلك عليك أن تتوقع الرفض والمعارضة والجدال، فكما أنت تحب الهدى والرشاد فإن الآخر يزين له الشيطان عمله، فعليك أن تتودد وأن تتلطف في النصيحة، فما عليك إلا التذكرة بأسلوب هين لين، فإن الله تعالى أمر موسى وهارون عليهما السلام أن يلينا القول لأعتى المجرمين فرعون قال تعالى: ﴿فقولا له قولاً لينًا لعله يتذكر أو يخشى﴾ (طه:٤٤)، كذلك نبه النبي ﷺ لمثل هذا فقال له ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ (آل عمران: ١٥٩).

هكذا يكون التعامل مع الناس، من أجل هداية قريبة ومن أجل رحمة مرجوة من الله تعالى.

خصوصية المرأة في كتابة قصص الأطفال

عبدالباقي يوسف

العلاقة بين الأم والطفل هي علاقة وثيقة وقويمة بدرجة تؤهل الأم لمخاطبة الطفل بشكل أكثر تأثيرًا من الرجل، ذلك أن الطفل يتعرف على رائحة الأم قبل أن يتعرف على رائحة الأب، ويسمع خفقات قلب الأم قبل أن يسمع خفقات قلب الأب، ويسمع صوت الأم قبل أن يسمع صوت الأب.

أريد أن أقول هنا بأن المرأة يحالفها النجاح في توجيه الطفل بدرجة أعلى من الرجل، ذلك أن المرأة تمضي مع الطفل فترة أكثر من الرجل، وهي تتحاور مع الطفل أكثر مما يتحاور الرجل، كذلك فهي تحمل الطفل وهو جنين وتعقد علاقة أولية معه لمدة تسعة أشهر، وهذا ما لايكون للرجل.

حتى في البيت يمكن أن نلاحظ بأن المرأة تستوعب الطفل أكثر من الرجل، ويمكن للرجل أن ينفر من إزعاجات ابنه، أو من بكائه الطويل في الليل، فيخرج إلى غرفة أخرى ليبتعد عنه ويحقق لنفسه راحة وسكينة، بيد أن المرأة لايمكن لها أن تفعل ذلك، بل تبقى تتحايل على طفلها بكل الوسائل، وتهدهده حتى ترضيه ويغفو بين يديها.

إنها لاتتهرب من مسؤوليتها عندما يهرب الأب من مسؤوليته، وتصبر على طفلها عندما ينفد صبر الأب، ولذلك فإن هذه الأم يمكنها مخاطبة طفلها قصصيًا بدرجة أكثر قربًا من الرجل.

أقول طفلها لأن أي امرأة عندما تنظر إلى أي طفل في العالم، ينتابها إحساس بأنه جزء منها بسبب المعاناة المشتركة التي تشترك فيها نساء العالم، وبسبب مشاعر الأمومة الفطرية المشتركة

شخصية الأم تذكرنا بسنوات الطفولة أكثر مما تذكرنا شخصية الأب

بين النساء كافة سواء أكن أمهات، أم كن عانسات، أم كن فتيات.

أقول مشاعر الأمومة الفطرية المشتركة، لأن مشاعر الأب هي مشاعر مكتسبة بالمقارنة مع مشاعر الأم، كونه لايشعر بمعنى الأبوة الحقيقية إلا بعد ولادة الطفل، ونموه، ومداعبته، والتعرف على ملامحه، وكلما كبر الطفل، أكسب الأب مشاعر مسؤولية الأبوة، بينما الأم تطعمه وتسقيه، وتعالجه، وتداعبه، وتحدثه قبل أن تراه رأي العين، وهي بذلك لا تزداد أمومة له فقط، بل تزداد حنانًا له أيضًا، هذا الحنان الذي يجعلها تفدي طفلها بعمرها من خلال كلماتها اليومية معه، في حين لا يجعل الأب من نفسه قربانًا لابنه على الأقل من خلال الألفاظ كما تفعل الأم بمسرة.



متابعة الأم لمراحل نمو الطفل

في الشهر الأول: تنظر إلى يديه القريبتين من بعضهما، وتشابك أصابعه.

في الشهر الثاني: يبدأ يرفع رأسه، وينظر إلى الحركات من حوله، وترتسم على شفتيه بسمة صغيرة.

في الشهر الثالث: يحرك قدميه، ويمص أصابعه، يكثر البكاء.

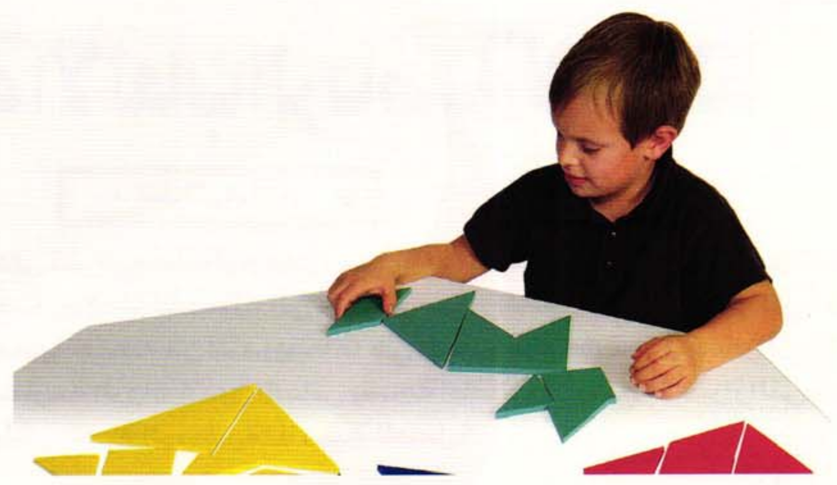
في الشهر الرابع: يرفع رأسه بشكل جيد، ويريد أن يتحرك في محاولة ليتقلب على يمينه أو يساره، يضحك بصوت واضح.

في الشهر الخامس: يستقيم ظهره والأم تحاول أن تجلسه، يحدق في الوجوه وكأنه يبدأ في تمييزها.

في الشهر السادس: تنظر إليه وهو ينقلب على بطنه ويحاول أن يرفع جسده بواسطة يديه، وتتابع تشكّل أسنانه اللبنية المؤقتة.

• مؤلف وكاتب قصص الأطفال





في الشهر السابع: توقفه على قدميه، فيلبث واقفًا بمساعدتها، ينتزع الدمى والألعاب من يديها، وتسمعه لأول مرة يلفظ: مم.. أي.. آه.

في الشهر الثامن: توقفه على قدميه، وتدعه لبريهات فيميل، تمد يديها لتسنده وهي تدربه على الوقوف، يعتمد على يديه في مسك زجاجة الحليب، ينقلها من يد إلى أخرى.

في الشهر التاسع: تراقبه وهو يزحف بشكل جدي على يديه وقدميه، يقول: ما.. با.. دا.

في الشهر العاشر: يقف على قدميه بمساعدة أقل منها، يحاول أن يقلدها في بعض الحركات، يبحث بيديه عن الدمى والألعاب.

في الشهر الحادي عشر: تمسك به من الخلف فيمد خطواته نحو المشي وهو يقول: ماما.. دادا.

تضع خيطا في أسفل قدميه ليقطع الخيط ويمد خطواته.

بعد شهر يمد خطوات المسير بشكل أفضل ويبتعد عنها، يرفع الملعقة ويأكل بها، ويصفق لأول مرة.

في الشهر الخامس عشر يرفع جسده إلى الأرجوحة، وينزل منها، يصر على بعض الأشياء التي يريدها.

بعد ثلاثة أشهر تلاعبه، ويركض، يسمّي بعض الأشياء التي يراها.

إنها تعيش كل هذه المراحل مع طفلها، وتتابعه خطوة بخطوة، لذلك يمكننا ببساطة ملاحظة امرأة في أي شارع من شوارع العالم، أو في أي حافلة، تتقدم نحو طفل وتأذن أمه حتى تظفر منه بقبلة، وقد تبيّنتُ لي هذه الحقيقة من خلال التجربة الشخصية بعد ولادة ابنتي «روهات» التي هي مع كتابة هذه السطور في سنتها الثالثة والنصف، وولادة ابني «لوند» الذي هو في سنته الأولى والنصف، أذكر هذا لأنني ما أزال في ذروة المشاهدة اليومية لِما تبيّن، ويتبيّن معي.

لاحظتُ هذه الحقيقة التي لفتت نظري بسبب التكرار، ولأننا نسافر كثيرًا، يمكنني القول بأن آلاف النسوة تقدمن من زوجتي وهن يقلن: أتسمحين يامدام أن أقبلها.

ثم تأتي امرأة اخرى وهي تنظر إلى أخيها قائلة: أتسمحين يامدام أن أقبله؟

وعند الموافقة أرى المرأة تحمل الطفل في حضنها، وتقبله، ثم تعطيه هدية صغيرة مثل قطعة سكر، أو شوكولا، أو بسكوت، عندئذ أرى بأن صدر المرأة انشرح وهي تمضي بسرور.

وما كان يحدث بتكرار مع ابنتي، يحدث الآن مع ابني لأنه يجذب عيون النساء أكثر بسبب صغر سنه.

أذكر هذه الوقائع الشخصية لأنني أرغب في أن أعزّز فكرة إمكانية توجيه الأم للطفل بدرجة أبلغ وأعمق مما قد يقوم به أي رجل في العالم، في الوقت الذي لا أكاد أذكر فيه رجلًا واحدًا تقدم من زوجتي واستأذنها كي يظفر بقبلة من ابنتي أو من أخيها مقارنة بكل تلك الأعداد الهائلة من النسوة المختلفات الأعمار والمواقع والألوان واللغات والأديان.

وأمام جواب واحد كنتُ أردد لنفسي: الرجل الذي يتهرب من مسؤوليته الأبوية بعد منتصف الليل، لا يصعب عليه ألاّ تنتابه مشاعر أبوية تجاه طفل رآه صدفة في حافلة نقل مّا، أو في حانوت مّا.

إذن، هذا الرجل إذا كان مربيًا للأطفال، هل سيبلغ المبلغ الذي تحققه المرأة في التعبير عن عالم الطفل، وفي اعتقادي أن الأمومة ذاتها هي لمسة ناعمة قادمة من بستان الطفولة، في حين أن الأبوة هي كلمة تحتمل الخشونة والرعونة أكثر مما تتسع لها كلمة «الأمومة».

من جهة أخرى، فإن شخصية الأم تذكرنا بسنوات الطفولة أكثر مما تذكرنا شخصية الأب، فإذا نظرنا إلى أمهاتنا، تذكرنا ملامح الطفولة وفيض براءتها، وفصول سنواتها.

لذلك فإن أول ما يوجه للرجل العاق لأمه: تذكّر بأنها حملتك تسعة أشهر في بطنها، وأرضعتك حليبًا من ثديها.

بمعنى تذكّر سنوات طفولتك فيها، ولا تنس تلك البصمات الخالدة التي تركتها على بدنك، وعلى نفسك أيضًا.

فضل ممارسة الألعاب الرياضية لأطفالنا

د. ناني علي إبراهيم

يحرص الكثير من الآباء والأمهات على تشجيع أطفالهم على ممارسة الألعاب الرياضية المختلفة، وذلك في الأندية والساحات الشعبية وغيرها وهذا يدفعنا للتساؤل: إلى أي مدى يمكن للطفل أن يشارك في الرياضات المختلفة؟ وكم عدد الساعات التي يتحملها جسمه من التدريب؟ ما هي أهم الاحتياطات التي يمكن أن يتبعها الأهل حتى نجني الفائدة المرجوة من ممارسة الرياضة دون المساس بصحة أطفالنا ولتجنب الأضرار التي تنجم عن الإفراط في بذل المجهود؟ كيف نختار اللعبة الرياضية المناسبة للطفل؟

أولا: عندما يطلب المدرب إحضار شهادة طبية بعدم وجود ما يمنع من ممارسة الطفل واللعبة الرياضية فلابد من إجراء الكشف الطبي الدقيق وعمل التحاليل الطبية اللازمة، التي تؤكد سلامة جميع أعضاء جسمه وقدرته على ممارسة نشاط اللعبة الرياضية، والابتعاد عن تقديم شهادة طبية روتينية دون كشف أو عمل التحاليل المطلوبة.

وهذا من أجل صحة الطفل أولا لأنه إذا تبين من خلال الكشف أو التحاليل وجود مانع مرضي، فإنه بالتالي سيتم علاجه، وفي الوقت نفسه لا يؤذي أقرانه إذا كان المرض معديا.

ثانيا: عندما تختار الأسرة اللعبة الرياضية التي يمارسها الطفل لابد أن تتعرف على مدى قدرته على ممارستها بالفعل، فالطفل قليل الوزن والحجم لا ينصح بممارسته الرياضات العنيفة نوعا ما مثل الجودو والكونج فو، وكذلك الطفل قصير القامة، لأسباب وراثية، لا ينصح أيضا بممارسته رياضة كرة السلة.

ثالثا: تعتبر رياضة السباحة متاحة لجميع الأعمار ولكن بشرط أن يعرف الأهل أن ممارسة الطفل أقل من ١٤ سنة للرياضة تكون لأسباب ترويحية وترفيهية،



وهذا هو المتبع في العالم فلا توجد بطولات للسباحة أقل من ١٤ سنة، لأن ممارسة الرياضة للحصول على بطولة تتطلب جهدا يفوق قدرة الطفل، خصوصا مع التدريبات اليومية طوال أيام الأسبوع ولساعات محددة يحددها المدرب، يزيد عددها باقتراب موعد البطولات.

رابعا: ضرورة تعويض الطفل بعد التدريبات المجهدة بقدر كاف من الراحة، والحرص على أن ينال قسطا وافرا من النوم الليلي، لايقل عن ٨ ساعات ليلا لأن نوم النهار لا يعوض نوم الليل، وبالتالي السهر مرفوض.

وقد يعتقد كثير من الآباء والأمهات أن زيادة ساعات نوم الطفل بالنهار يعوض قلة ساعات نومه ليلا، وهذا اعتقاد خاطئ ينبهنا إليه د.محمد التونسي، لأن هرمون النمو لدى الطفل يفرز فقط أثناء نومه ليلا طوال فترة نموه وحتى البلوغ، إلى جانب أن السهر ليلا قد يسبب خللا في دورة الكورتيزون بجسم الطفل، وهبوطا في ضغط الدم أثناء النهار.

خامسا: أن تهتم الأم بتغذية طفلها تغذية صحية سليمة في جميع الوجبات خاصة وجبة الإفطار المهملة في معظم البيوت، إما بسبب الذهاب المبكر إلى المدرسة أو الحضانة، أو نتيجة الاستيقاظ متأخرا أثناء الإجازة الصيفية نتيجة السهر مع الأسرة أو مشاهدة التليفزيون، وممارسة الألعاب الالكترونية وغيرها.

وينصح أطباء الأطفال بأن يحتوي غذاء الطفل على جميع العناصر الغذائية الرئيسية، خاصة الفيتامينات والمعادن الموجودة في الخضروات والفواكه الطازجة وكذلك البروتينات، كما أنه من المهم أن يحتوي غذاء الطفل المتدرب على حوالي ٦٠٪ مواد كربوهيدراتية حيث إنها مصدر السعرات الحرارية التي يحتاجها لممارسة الرياضة.

سادسا: الاهتمام بشرب الماء بكثرة خاصة في فترات الحر، بالإضافة إلى العصائر الطازجة والاستفادة من الأملاح

استشاري الأطفال بمستشفى الحميات - مصر



التي توجد في الخضراوات والفاكهة الطازجة والعصائر الطبيعية لصحة جسمه، ويراعى عقب التدريبات وقاية الطفل من التعرض للتيارات الهوائية كالمراوح أو أجهزة التكييف حتى لا يصاب بالمرض.

نصيحة أخرى

تعتقد الأسرة أن الطفل الذي يعاني الحساسية الصدرية أو الربو الشعبي، والذي يصاب بالأزمة عندما يقوم ببذل المجهود يجب منعه من ممارسة الرياضة وهذا اعتقاد خاطئ، فالرياضة في الحدود المعقولة مطلوبة بشرط أن يتوقف الطفل المصاب عن اللعب إذا أحس بالتعب، لأن الرياضة تؤدي إلى تفتح حويصلات الشعب الهوائية، كما أن السباحة تعتبر من أكثر الرياضيات المناسبة لمن يعاني من الحساسية الصدرية والربو لأنها تقوي عضلات التنفس.. ولكن مع الحرص دائما وحسب إرشادات الطبيب المختص على إعطاء الطفل الدواء المناسب الموسع للشعب الهوائية قبل ممارسة الرياضة بنصف ساعة.

وينصح الآباء والأمهات بأن يمارس أطفالهم أكثر من لعبة رياضية قبل مرحلة البلوغ لتنمية قدراتهم الحركية، وأن يوضع في الاعتبار دائما أن هناك فوارق بين الأطفال في القدرات الجسمية والفسيولوجية وأيضا النفسية يترتب عليها طريقة ونوعية وشدة التدريبات التي تناسب الطفل، ولذلك فليس هناك «روشتة» ثابتة للتدريب على رياضة معينة ولكن يوضع برنامج التدريب بما يتناسب مع قدرات الطفل المتدرب.

وعموما فإن التدريب على لعبة رياضية بهدف تعلمها وممارستها يختلف عن التدريب بهدف الدخول في المسابقات والحصول على بطولات.

ثرثرات عجوز طيبة

محمد محمود غدية

تجاوزتْ من العمر الكثير.. لاتعرف متى ولدت! ولا كم عمرها! لكنها تعرف الكثير من الحكايات المدهشة ترويها في عذوبة بالغة.. أستأذنكم في أن أنقل عنها بعض الحكايات الطريفة.

الحكاية الأولى

العريس والعروس في فترة الخطوبة، كل منهم ينتقي أجمل وأرق الألفاظ، هو يتكلم وهي تسمع، وبعد عقد القران هي تتكلم وهو يسمع.. وبعد الزواج.. يتكلمان معا في وقت واحد.. ويسمعهم كل الناس.



الحكاية الثانية

تسكن بجوارهم جارة سيئة الطباع، تتشاجر مع جيرانها طول الوقت بسبب ودون سبب حتى ضاق بها الجميع، قالت يوما لجارتها: سننتقل للسكن في مكان أفضل، ردت جارتها قائلة: ونحن سنسكن في حي هادئ.. قالت: هل ستنتقلون مثلنا؟ أجابت: لا، لكن هكذا سيكون حال المكان بعد رحيلكم.

الحكاية الثالثة

عجزت الأم عن إقناع طفلها المريض بتناول حبة الدواء شديدة المرارة التي رفضها الطفل، فأخفتها في قطعة حلوى وأعطتها له، وشغلت في أعمال المنزل ثم سألته: هل تناولت الحلوى؟ أجاب الطفل: نعم، بعد أن أخرجت منها البذرة وألقيتها في القمامة.

الحكاية الرابعة

أوقف أحدهم سيارته أمام منزلنا.. وألقىَ بعلبة عصائر فارغة، أخذتها حفيدتي ذات السنوات العشر، وكان تلعب أمام المنزل، وتوجهت بها لصاحب العربة قائلة: ألا تريدها؟ قال: لا، قالت: ولا نحن.. وألقتها داخل سيارته.

الحكاية الخامسة

كريم الحفيد الصغير، دأب على تقليد والده في ارتداء بدلته التي يختفي بداخلها، ذات يوم ارتدى حذاء والده وأخذ يدور بداخله حتى تعثر وسقط وجرح.. بعدها تعلم ان ارتداء أحذية الكبار وملابسهم لا يجعلنا مثلهم ولا يزيد في الخطو وانما يعرقل السير، تقليد الكبار في تفوقهم وأحلامهم.. لا في ملابسهم.

آخر الحكايات

انهمرت الدموع من عيني العجوز الطيبة المنطفئتين كالمطر المباغت والإعصار، انسكبت في داخلنا.. أربكتنا وأبكتنا وأوجعتنا وهي تطلب منا حث أولادها على البر بها، لا تريد اتصالاتهم الهاتفية الباردة المتباعدة، يموت منها جزء كل يوم في غياب الألفة والدفء.

كاتب صحافي

مكتبات قرطبة العامرة

محمد شعبان

كلما مررت بتاريخ الأندلس شعرت بأن ثمة حضارة لا يجب أن تخبو جذوتها في عقل وضمير القارئ العربي والمسلم؛ ذلك لأن هذا التاريخ الساحر والدافئ، الذي تنساب كلمات أبنائه عنه انسيابًا، يشل حركة المتلقي فلا يستطيع أن يتحرك يمنة أو يسرة من حلاوته وطلاوته، فأسطر المؤلفات الأندلسية لا تكاد تخلو من الإبداع في التاريخ والتراجم والأدب والعلوم والمؤلفات الفقهية والتشريعية.

هذا الإبداع ما كان ليظهر وينتشر ويترك الأثر في أبناء الحضارة الأندلسية إلا بوجود عوامل مساعدة، ألهبت الحماسة، ونشرت المعارف والعلوم، وقدمت الميراث الثقافي في صورة ميسرة لمن أراد أن يستكمل المسيرة التربوية والثقافية والحضارية للإسلام عامة.

لقد كانت المكتبات هي المحاضن المناسبة لهذا التراث الماضي الذي استفاد به الأندلسيون وشغفوا به، حتى كانت المنطلق لإظهار علوم جديدة، أكملت المنظر العام للثقافة الأندلسية، وحسبنا في هذه الصفحات القليلة أن نقف مع الكتب والمكتبات في قرطبة وحدها لنعلم مقدار عظمة ومجد هذه المدينة العريقة.

المكتبة الأموية

ما إن استقرت أحوال الأندلس تحت حكم عبدالرحمن الداخل (ت ١٧٢هـ)، حتى بدأ الاهتمام بالعلوم والثقافة والتربية، ففي عهد محمد بن عبدالرحمن الأوسط (ت٢٧٣هـ) بدأ المؤرخون يُشيرون إلى المكتبة الأموية كواحدة من أشهر مكتبات قرطبة، واشتهر عبدالرحمن الناصر (ت٣٥٠هـ) بحب الكتب، وبلغت شهرته الآفاق حتى وصلت إلى بيزنطة، فحين أراد إمبراطورها قسطنطين السابع أن يستميل الخليفة الأندلسي، فكر أن يهدي عبدالرحمن الناصر أحب شيء إلى قلبه: كتابًا جديدًا لم يعرفه من قبل، فأرسل إليه كتاب ديسقوريدس في الطب «مصور الحشائش بالتصوير الرومي العجيب، وكان الكتاب مكتوبًا بالإغريقي الذي هو اليوناني، وبعث معه كتاب هروسيس صاحب القصص، وهو تاريخ للروم عجيب» (١).

وفي ذلك الحين كان اثنان من أبناء عبدالرحمن الناصر، وهما: الحكم ومحمد، قد بدآ دراستهما تحت إشراف مؤدبين وعلماء كان لهم شهرة واسعة، ومن ثم استيقظت هوايتهما، حتى إن خوليان ريبيرا ذلك المؤرخ الإسباني الكبير كان يقول عنهما «إن مكتبة أبيهما لم تعد تشبع نهمهما، وتنافس كلاهما أيهما يستطيع أن يسبق الآخر في تكوين مكتبة أدق اختيارًا وأكثر عددًا، وبعد فترة توفي الأمير محمد، وورث أخوه الحكم مكتبته، وبوفاة عبدالرحمن الناصر والدهما أخذ الحكم مكتبته، وجمع المكتبات الثلاث في واحدة، وأصبحت هذه مكتبة القصر، وكان أسلافه من قبله قد أحاطوها بكل رعايتهم» (٢).

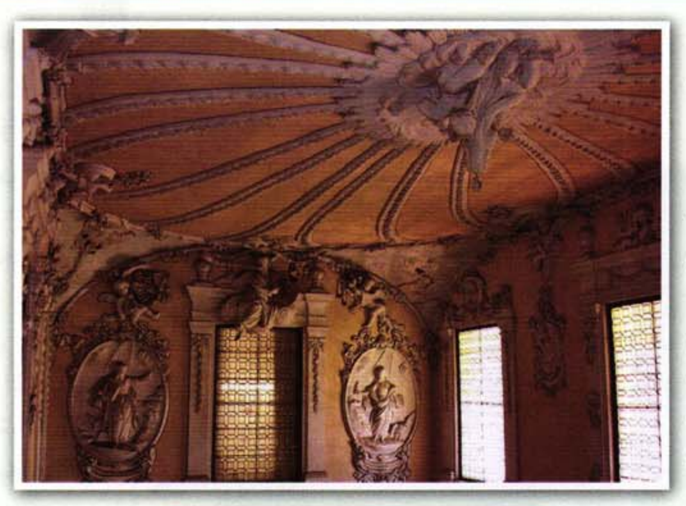
ولقد كان يعمل في مكتبة القصر، دون توقف، أمهر المجلدين في الأندلس، إلى جانب آخرين جيء بهم من صقلية وبغداد، ومعهم جمهرة من الرسامين والمزوقين والمنمقين، فكانوا يزخرفون الكتب بالزخارف الجميلة، بعد أن نسخها أدق الخطاطين لتقديمها إلى لجنة من كبار العلماء تقوم بمعارضتها وتصحيحها، وتدفع لهم الدولة مرتباتهم في سخاء.

وقد ذكر ابن الفرضي طائفة من هؤلاء العلماء الذين كانت مهمتهم تنحصر في مراجعة الكتب ومعارضتها وتصحيحها في المكتبة الأموية في قرطبة والزهراء، منهم الرباجي محمد بن يحيى الأزدي، قال عنه ابن الفرضي «كان فَقيهًا، إمامًا، موثوقًا أخذ كتاب سيبويه رواية عن ابن النّحاس، وكان جَيّد النظر، دقيق الاسْتِنْبَاط، حاذقًا بالقياس، نظر النّاسَ عنده في الإعراب، وأدّب عند الملوك، وَاسْتَأدَبه أمير المؤمنين الناصر رضي الله عنه لابنه المغيرة، ثم صار إلى خدمة المُستَنْصِر بالله في مقابلة الكتب وتوسع له في الجراية، وكان رجُلًا صَالِحًا متدينًا. وتُوفِّي (رحمه

الله) في شهر رمضَان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة» (٣).

وكان من بين هؤلاء المعارضين والمصححين الأديب اللغوي محمد بن الحسين الفهري القرطبي، وهو ناسخ ووراق، وقد تقدم أقرانه في حفظ الأدب والعلم باللغات، وقد استعمله الحكم المستنصر في مهمة علمية لمكتبته؛ فقد «تولى مع رفيقه محمد بن معمر الجياني نسخ ما لم يهذبه أبوعلي القالي من تأليفه الذي سماه «البارع» وتهذيبه مع أصوله التي بخطه وخطهما عما كتب بين يديه، وكان هو قد عمل فيه من سنة خمسين إلى أن توفي لسبع خلون من جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، وصحح منه كتاب الهمزة وكتاب العين، فلما كمل الكتاب وارتفع إلى الحكم المستنصربالله وأراد أن يقف على ما فيه من الزيادة على النسخة المجتمع عليها من كتاب العين، فبلغ ذلك إلى خمسة آلاف وستمائة وثلاث وثمانين كلمة» (٤).

ومن الغريب والطريف أن الدولة كانت تستخدم الخطاطات من النساء في المكتبات والخزائن العامة، فقد كن مشتهرات بحذق هذه الصنعة، فعلى سبيل المثال اشتهرت الخطاطة الأندلسية «لُبنى»، وكانت كاتبة للخليفة الحكم المستنصر (ت٣٦٦هـ)، قال عنها ابن بشكوال: «كانت حاذقة بالكتابة، نحوية شاعرة، بصيرة بالحساب، مشاركة في العلم، لم يكن في قصرهم أنبل منها، وكانت عروضية، خطاطة جدًا. وتوفيت سنة أربع وسبعين وثلاثمائة» (٥). وهناك «مزنة: كاتبة



المؤلفات الأندلسية لا تكاد تخلو من الإبداع في التاريخ والتراجم والأدب والعلوم الفقهية

الخليفة الناصر لدين الله. كانت حاذقة من أخط الناس، توفيت سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة» (٦)، وهناك فاطمة بنت زكرياء بن عبدالله الكاتب المعروف بالشبلاري، فهي كاتبة ابنة كاتب، قال عنها ابن بشكوال: «كانت كاتبة جذلة متخلصة عمرت عمرًا كثيرًا واستكملت أربعًا وتسعين سنة تكتب على ذلك الكتب الطوال، وتجيد الخط، وتحسن القول. ذكرها ابن حيان وقال: توفيت سلخ جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وأربعمائة. ودفنت بمقبرة أم سلمة وشهدها جمع الناس، ماتت بكرًا، رحمها الله» (٧).

ويصف لنا العلامة ابن حزم (ت٤٥٦هـ) ضخامة المكتبة الأموية، بحديثه الذي أجراه مع القائم بأعمالها في عهد الحكم المستنصر ويُدعى تليد الفتى، قال ابن حزم: «وأخبرني تليد الفتى- وكان على خزانة العلوم بقصر بني مروان بالأندلس- أن عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة، في كل فهرسة خمسون ورقة، ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط» (٨). أي أن عدد فهارس المكتبة الأموية كان ٢٢٠٠ ورقة فيها أسماء المؤلفات فقط، وهذا دليل عظيم على مقدار ضخامة تلك المكتبة الملكية.

والحق أن تشجيع الناصر (ت٣٥٠هـ) ومن بعده ابنه الحكم المستنصر (ت٣٦٦هـ) للعلماء والأدباء والفقهاء من كل صنف ونوع، قد ضخم المكتبة الأموية ضخامة جعلتها أعظم المكتبات في أوروبا في ذلك الوقت، فقد كان للحكم المستنصر «وراقون بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التواليف، ورجال يوجههم إلى الآفاق عنها، ومن وراقيه ببغداد محمد بن طرخان، ومن أهل المشرق والأندلس جماعة. وكان مع هذا كثير التهمّم بكتبه والتصحيح لها والمطالعة لفوائدها، وقلما تجد له كتابًا كان في خزانته إلا وله فيه قراءة ونظر من أي فن كان من فنون العلم، يقرأه ويكتب فيه بخطه- إما في أوله أو آخره أو في تضاعيفه- نسب المؤلف ومولده ووفاته والتعريف به، ويذكر أنساب الرواة له، ويأتي من ذلك بغرائب لا تكاد توجد إلا عنده، لكثرة مطالعته وعنايته بهذا الفن. وكان موثوقًا به مأمونًا عليه.. صار كل ما كتبه حجة عند شيوخ الأندلسيين وأئمتهم، ينقلونه من خطه ويحاضرون به. قلتُ (أي ابن الأبّار): وقد اجتمع لي من ذلك جزء مفيد مما وجد بخطه، ووجدتُ أنه يشتمل على فوائد جمة في أنواع شتى. وكان قد قيد كثيرًا من أنساب أهل بلده، وكلف

أهل كور الأندلس أن يلحقوا كل عربي أخمل ذكره قبل ولايته، وأن يصحح نسبهم أهل المعرفة بذلك، ويؤلف من الكتب، ويرد كل ذي نسب إلى نسبه، وفرج ذلك بالعلم فتم له من ذلك ما أراد، ونفع الله بكرم قصده البلاد والعباد» (٩).

مكتبات القرطبيين

إن مما يلفت الانتباه أن المكتبات كان لها دور عظيم في مسيرة التربية والتثقيف في الأندلس قاطبة، وفي قرطبة خاصة، ولم تكن المكتبات والخزائن حكرًا على الأسرة الحاكمة الأموية في قرطبة أو من بعد ذلك في عصر ملوك الطوائف أو المرابطين أو الموحدين أو عهد ملوك الطوائف الثاني أو في عهد الدولة النصرية في غرناطة، لقد انتشرت المكتبات في كل أرجاء الأندلس، وفي الأوقات كافة، قال ول ديورانت عن عدد المكتبات في الأندلس وحال علمائها «كان في الأندلس الإسلامية وحدها سبعون مكتبة عامة، وظل النحاة وعلماء اللغة وأصحاب الموسوعات والمؤرخون موفوري العدد والثراء» (١٠).

فمن جملة المكتبات التي اشتهرت في قرطبة، وكانت ملكًا لأحد أعرق وأرهب القضاة في تاريخ الأندلس، مكتبة أبي المطرف بن فطيس، عبدالرحمن بن محمد بن عيسى (ت٤٠٢هـ)، وكانت أعجوبة من عجائب قرطبة بلونها الأخضر في كل شيء، وهذا من الطرافة والجمال و«الديكور» الراقي الذي تمتع الأندلسيون به، وقد وصفها النباهي بقوله: «كان له بداره مجلس عجيب الصنعة، حسن الآلة، ملبس كله بالخضرة: جدرانه وأبوابه. وسقفه وفرشه وستوره ونمارقه، وكل ذلك متشاكل الصفات، قد ملأه



بدفاتر العلم ودواوين الكتب التي ينظر فيها ويخرج منها؛ وبهذا المجلس كان أنسه وخلوته رحمه الله» (١١).

وكان لابن فطيس- رحمه الله- «ستة وراقين ينسخون له دائمًا، وكان قد رتب لهم على ذلك راتبًا معلومًا (أجرة)، وكان متى علم بكتاب حسن عند أحد من الناس طلبه للابتياع منه، وبالغ في ثمنه، فإن قدر على ابتياعه وإلا انتسخه منه وردّه عليه» (١٢). وكان له تقليد صارم، وحب زائد لكتبه ومكتبته، حتى إن حفيده يحكي عنه أنه «كان لا يعير كتابًا من أصوله البتة، وكان إذا سأله أحد ذلك وألحف عليه أعطاه للناسخ فنسخه وقابله ودفعه إلى المستعير فإن صرفه وإلا تركه عنده» (١٣).

ومما يُدلل على كبر حجم هذه المكتبة وغلاء الكتب التي كانت تحويها أنه عندما أجبر أولاده وأحفاده على بيعها في زمن الفتنة في قرطبة، فقد ظلت كُتبها تُباع مدة عام كامل، قال ابن بشكوال: «أخبرني حفيده أبوسليمان (أي حفيد ابن فطيس) أنه سمع عمه وغير واحد من سلفه يحكون أن أهل قرطبة اجتمعوا لبيع كتب جده هذا مدة عام كامل في مسجده في الفتنة في الغلاء، وانه اجتمع فيها من الثمن أربعون ألف دينار قاسمية» (١٤).

لقد كانت قرطبة بحق عاصمة الأندلس في الكتب والمكتبات، وقد أثرت هذه الطفرة المعلوماتية في أهلها، حتى وسم الأندلسيون بأنهم أهل الكتب، قال ابن سعيد المؤرخ كلمات مهمة عن شغف القرطبيين بالكتب: « قال والدي: وهي أكثر بلاد الأندلس كتبًا، وأشد الناس اعتناء بخزائن الكتب، صار ذلك عندهم من آلات التعيين والرياسة حتى إن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب، وينتخب فيها، ليس إلا لأن يقال: فلان عنده خزانة كتب، والكتاب الفلاني ليس هو عند أحد غيره، والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصله وظفر به» (١٥).

وهذا الرجل لا ينتسب لأسرة ابن حزم الشهيرة المعروفة التي منها الإمام ابن حزم رحمه الله.

لقد كان هذا المعلم المغمور يشتغل ساعات فراغه في نسخ الكتب التي يعيرها له أصدقاؤه، ورغم أن ظروفه

لا تتيح له ترف أن يستخدم لها خازنًا لكن ذلك لا يعني أنها كانت مهملة، أو غير مرتبة، أو يجهل قيمتها، وكان أدباء قرطبة يغبطونه على دقة مخطوطاته، وروعة بعضها، وندرة البعض الآخر، وقد أحضرها في رحلة له من المشرق استهدف بها هذه الغاية، ويمكن أن تراه في ملابس متواضعة، ويتناول طعامًا أشد تواضعًا، ولكن مكتبته تعكس بوضوح إلى أي حد يمكن أن يبلغ حب الكتب الجيد بصاحبه حتى عند أصحاب الدخول المحدودة، والأرزاق المتواضعة (١٦).

منافسة مستعرة!

مكتبة في البيوت أحد المظاهر الدالة على وجوب الاحترام والتوقير لذلك الشخص بين الأندلسيين، ويحدثنا الحضرمي أحد جماعي الكتب، وطلاب العلم عن منافسة بينه وبين رجل آخر في كتاب بحث عنه كثيرًا بقوله: "أقمتُ مرة بقرطبة، ولازمتُ سوق كتبها مدة، أترقبُ فيها وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء إلى أن وقع وهو بخط جيد، وتسفير مليح، ففرحت به أشد الفرح، فجعلت أزيدُ في ثمنه فيرجع إلي المنادي بالزيادة علي، إلى أن بلغ فوق حدّه، فقلتُ له: يا هذا أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه إلى ما لا يساوي؟ قال: فأراني شخصًا عليه لباس رياسة. فدنوت منه وقلت له: أعز الله سيدنا الفقيه، إن كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك، فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده. قال: فقال لي: لستُ بفقيه ولا أدري ما فيه، ولكني أقمتُ خزانة كُتُب، واحتفلت فيها لأتجمل بها بين أعيان البلد، وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب، فلما رأيتُه حسن الخط، جيد التجليد استحسنته، ولم أُبال بما أزيد فيه، والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير. قال الحضرمي: فأحرجني وحملني على أن قلتُ له: نعم لا يكون الرزق كثيرًا إلا عند مثلك، يُعطي الجوز من لا عنده أسنان، وأنا الذي أعلم ما في هذا الكتاب، وأطلب الانتفاع به يكون الرزق عندي قليلًا، وتحول قلة ما بيدي بيني وبينه!" (١٧).

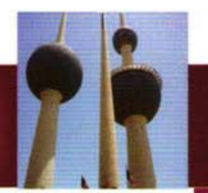
لقد كانت قرطبة بحق عاصمة الأندلس في الكتب والمكتبات، وقد أثرت هذه الطفرة المعلوماتية في أهلها، حتى وسم الأندلسيون بأنهم أهل الكتب، قال ابن سعيد المؤرخ كلمات مهمة عن شغف القرطبيين

بالكتب: " قال والدي: وهي أكثر بلاد الأندلس كتبًا، وأشد الناس اعتناء بخزائن الكتب، صار ذلك عندهم من آلات التعيين والرياسة حتى إن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب، وينتخب فيها، ليس إلا لأن يقال: فلان عنده خزانة كتب، والكتاب الفلاني ليس هو عند أحد غيره، والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصله وظفر به» (١٨).

هذه هي حال الثقافة في العاصمة الأموية في الأندلس: قرطبة، تؤكد لنا بوضوح وجلاء أن من أراد تسنم الذروة العليا في الخافقين، وإعلاء شأن أمته في العالمين، عليه أن يبذل قصارى جهده في نشر العلم، وتحبيبه للناس عامة، أمثال أولئك القرطبيين الذين شغفهم العلم حتى كانت المكتبات العامة والخاصة أحد أهم الملامح العامة لمجتمعهم، بل لتفاخرهم فيما بينهم، ونعمت المفاخرة إن كان هدفها إعلاء قيمة العلم، وإثراء روح التربية العلمية والعملية والثقافية.

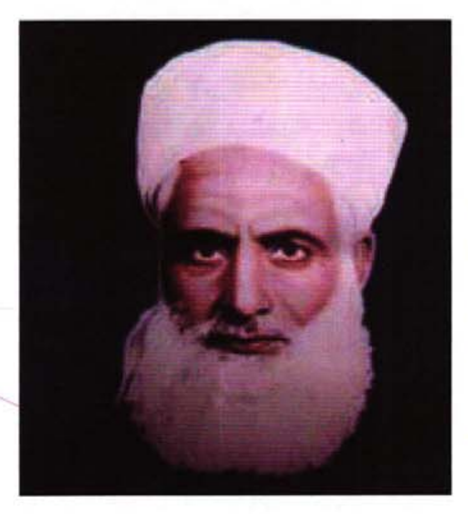
الهوامش

١- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا ص٤٩٣، منشورات دار الحياة- بيروت.
٢- خوليان ريبيرا: التربية الإسلامية في الأندلس، ترجمة الطاهر مكي ص١٥٦، الطبعة الثانية، دار المعارف- القاهرة، ١٩٩٤م.
٣- ابن الفرضي: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تحقيق عزت العطار ٧١/٢، مطبعة المدني- القاهرة، ١٩٨٨م.
٤- أبوعبدالله القضاعي: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبدالسلام الهراس ٢٩٨/١، دار الفكر للطباعة- لبنان، ١٩٩٥م.
٥- ابن بشكوال: الصلة، تحقيق إبراهيم الإبياري ٣/ ٩٩٢، ترجمة رقم ١٥٤١، الطبعة الأولى، دار الكتاب المصري- القاهرة، ١٩٨٩م.
٦- ابن بشكوال: الصلة ٣/ ٩٩٢، ترجمة رقم ١٥٤٢.
٧- ابن بشكوال: السابق ٣/ ٩٩٤، ترجمة رقم ١٥٤٨.
٨- ابن الأبار: الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس ٢/ ٢٠٣، الطبعة الثانية، دار المعارف- القاهرة، ١٩٨٥م.
٩- ابن الأبار: الحلة السيراء ٢/ ٢٠٣.
١٠- ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود ٥/ ٤٧٣٨. الهيئة العامة المصرية للكتاب- القاهرة، ٢٠٠١م.
١١- النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة ص٨٨، الطبعة الخامسة، دار الآفاق الجديدة- بيروت، ١٩٨٣م.
١٢- ابن بشكوال: الصلة ٢/ ٤٦٧، ترجمة رقم ٦٨٩.
١٣- ابن بشكوال: الصلة ٢/ ٤٦٨.
١٤- ابن بشكوال: الصلة ٢/ ٤٦٨.
١٥- القضاعي: التكملة لكتاب الصلة ١/ ٢٣١.
١٦- خوليان ريبيرا: التربية الإسلامية في الأندلس ص١٦٥.
١٧- المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس ١/ ٤٦٣. دار صادر- بيروت، ١٩٦٨م.
١٨- المقري: نفح الطيب ١/ ٤٦٢، ٤٦٣.



الشيخ محمد محمود الحامد الحموي

تركي النصر



ولد الشيخ العلامة محمد بن محمود الحامد في العام ١٣٢٨هـ بمدينة حماة وسطًا بين أخوين شقيقين، أكبرهما شاعر حماة بدرالدين الحامد، وأصغرهما عبدالغني الحامد، وكلاهما اشتغل في تدريس العربية.

كان والده الشيخ محمود الحامد في بلده موضع التقدير والتوقير من أهل حماة، وتوفي- رحمه الله- ولما يبلغ ابنه الشيخ محمد السادسة من عمره، ثم فجع الشيخ بوفاة أمه بعد سنة من وفاة والده، فذاق مرارة اليتم مبكرًا، ولم يكن من بين إخوته من يصلح للتكسب إذ كان أكبرهم في الخامسة عشرة، وكلهم في نطاق الدراسة، فتكفلهم بعض أهل الصلاح من أقربائهم، فعاش الشيخ مع إخوته بمرارة وحرمان، حيث كان يبقى دون طعام الساعات الطوال، الأمر الذي اضطر أكبر إخوته لترك دراسته لمساعدة إخوته في دراستهم.

على أن هذا المأزق الصعب لم يقطع اليتيمين عن الدراسة، فقد حزم بدرالدين عزمه على تعليمهما مهما لقي في ذلك من العنت، وقد ركز اهتمامه بوجه خاص على محمد، لما كان يبدو عليه من ملامح الذكاء والاجتهاد، وخاصة بعد أن رأى تفوقه على سائر رفاقه، وهكذا أتيح له أن يتنقل من صف إلى آخر من المدرسة الابتدائية، حتى فرج الله كربة الحرب، وعين بدرالدين معلمًا في العام ١٩٢٠، فكان في راتبه متسع لتوفير حياة أيسر لهم جميعًا.. وكان المأمول أن يتابع محمد دراسته بعد إنهائه المرحلة الابتدائية في القسم الإعدادي، بيد أنه لم ينسجم مع ذلك الجو الجديد، وظل متطلعًا إلى إيثار التعليم الشرعي في حلقات الشيوخ، فاستجاب له أخوه، وألحقه بدكان خياطة فكان يعمل فيها نهاره، فإذا جاء المساء قصد إلى دروس العلماء في المساجد، واستمر على ذلك حتى افتتحت مدرسة «دار العلوم الشرعية» فما لبث أن هجر الخياطة إليها، مع استمراره في حضور تلك الحلقات.

أبرز شيوخه في حماة

كانت فترة دراسة الشيخ في «دار العلوم الشرعية» من أسعد مراحل حياته، لما فيها من ملازمة مشايخه الذين كانوا أحب الناس إليه ومنهم خاله العلامة السلفي الشيخ سعيد الجابي، والشيخ العلامة محمد توفيق الصباغ الشيرازي، شيخ الشافعية ومدير دار العلوم في حماة، والعلامة الشيخ محمد سعيد النعساني، مفتي محافظة حماة، والشيخ العلامة أحمد المراد، والد زوجته، وكان له أكبر الأثر في حياته حيث اعتنى به وأحسن تربيته وتعليمه، وزوجه ابنته... وغيرهم.

أنهى الشيخ- رحمه الله- دراسته في حماة سنة ١٩٢٨م، ثم ذهب إلى حلب يبحث فيها عن مجالس العلماء، فوفقه الله للانتساب لأرقى وأقوى المدارس علمًا في سورية آنذاك، وهي المدرسة الخسروية، حيث أبدع الشيخ فيها وظهرت مواهبه وقوّته العلمية وتفوقه على أقرانه، الأمر الذي لفت إليه أنظار مشايخ وعلماء المدرسة، فأثنوا عليه وشجعوه، ودعوا له بالخير.

كان الشيخ- رحمه الله- يحرص بشدة على شهود الدروس العلمية التي تلقى في مساجد حلب، فكان يداوم على دروس علامة حلب الشيخ نجيب سراج الدين الحسيني- رحمه الله تعالى، ولم يقتصر في دراسته على المناهج الرسمية بل كان يطالع الكثير من المصنفات، يدفعه إلى ذلك شغفه العلمي، وحرصه على بناء شخصيته العلمية بناءً كاملًا.

وفي أثناء وجود الشيخ في حلب كان كثير الحنين لمدينته حماة، عُرف ذلك منه لكثرة ذكرها، ونظم الشعر فيها ومنه:

آهًا على وادي حماة
إذا نسيم الصبح هبا
آهًا على تلك الربوع
وأهلها بعدًا وقربًا
النهر يخترق الرياض
وقد جرى حلوًا وعذبًا

• إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

دولابــــه يبكــي ويســـقي

الــدمــعُ فـاكـهــة وأبــَـا

أنـــي أرى ذاك الحمـــى

إنــي رأيــت الـبـعــد صعبـًا

مذ غبتُ عنه بكى الفؤاد

ومــات هــذا الـقـلـب كربــا

يــا مــن بـقـلـبــي وِدُّهـــم

وبحـقـهـم لـم أجــن ذنبــا

لا تــقـطـعـوني إنـــــي

قــد كنــــت والله المحبــا

أبرز شيوخه في حلب

الشيخ العلامة الفقيه أحمد الزرقا، والشيخ العلامة أحمد الكردي مفتي الأحناف في حلب، والشيخ العلامة إبراهيم السلقيني، والمؤرخ الشيخ محمد راغب الطبّاخ، والشيخ أحمد الشماع، والشيخ المحقق فيض الله الأيوبي الكردي، ومفتي الشافعية في حلب الشيخ محمد أسعد العبجي... وغيرهم من المشايخ والعلماء.

ومما يذكر في مرحلة وجود الشيخ في حلب هو التغير في بعض أفكاره ومنهجه العلمي، حيث تأثر بأفكار شيخه محمد أبوالنصر خلف- رحمه الله- بعد أن كان شديد التأثر بفكر خاله العلامة السلفي الشيخ سعيد الجابي.

الشيخ في مصر

أنهى الشيخ- رحمه الله- دراسته في حلب، وفي سنة ١٣٥٣هـ، عاد إلى حماة التي لم تنعم كثيرًا بمكثه فيها، حيث سافر منها إلى القاهرة، وفيها التحق بجامعة الأزهر التي أثبت فيها مكانته العلمية فجذب أنظار العلماء وطلاب العلم، واشتهر بينهم بالشيخ الحموي، وحصل على شهادة «العالمية» وأتبعها بتخصص القضاء، وعلى الرغم من توافر الفرص أمامه للالتحاق بالدراسات العليا مع رفيقه وزميل دراسته الشيخ مصطفى السباعي ومع الشيخ محمد نمر الخطيب؛ إلا أن الشيخ أبى إلا اللحاق بمسقط رأسه.

وعندما غادر مصر إلى حماة سنة ١٣٦٤هـ/١٩٤٤م كان شديد الحزن على فراق إخوانه بها، وبكى على هذا الفراق، في عدّة قصائد، ومنها قوله:

ذبت يا مصر مذ عزمت رحيلًا

ولو استطعت عشت فيك طويلًا

تابع الشيخ- رحمه الله- رحلته العلمية، وكان كثير المطالعة، ويسر الله له أن يستلم حجرة في الجامع الجديد، وجعل منها مكانًا لدارسة العلم ومدارسته، كما بدأ- رحمه الله- يلقي دروسه العامة.

في سنة ١٣٥٣هـ عهد إليه الشيخ أحمد المراد- رحمه الله- بالتدريس مكانه في الجامع الجديد، كما درَّس وخطب في جامع السلطان بطلب من الشيخ أديب الحوراني- رحمه الله- وأصبح هذا الجامع مركزًا لنشاطه العلمي.

أقوال العلماء فيه

قال الشيخ علي الطنطاوي- رحمه الله: «كنت أخالف الشيخ الحامد في مسائل الفقه... وأشهد مع ذلك أن الشيخ كان صادقًا مع الله، صادقًا مع نفسه، وقد جعل الله له من الأثر في الناس ما لم يجعل لعشرات من أمثالي أنا».

عودته إلى حماة وجهاده

في عام ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٢م عاد رحمه الله إلى حماة، وبدأ يطالب باستقلال بلاده، حيث كانت البلاد في ذروة جهادها الوطني الذي كان يذكيه الشيخ بخطبه الحماسية، داعيًا إلى الثورة على المستعمرين، وتطهير البلاد منهم، وفي المأساة الفلسطينية تألم الشيخ كثيرًا، وأراد أن يخرج بنفسه، ولكن كبار العلماء أشاروا عليه بالبقاء لحاجة الأمة إليه، ولكثرة عدد المجاهدين، ولقد استحوذت قضية فلسطين على اهتمامه، فخصص لها الكثير من خطبه المنبرية، وفي عام ١٩٥٦م أثناء الاعتداء الثلاثي على مصر انضم الشيخ إلى صفوف المقاومين الشعبيين، وحمل السلاح بنفسه، وكان يخرج على رأس إحدى المجموعات إلى حقول التدريب.

لقد وقف الشيخ نفسه وجهوده على توعية المسلمين بحقائق دينهم، ليل نهار، خطيبًا ومدرسًا ومناقشًا ومؤلفًا، لا يهادن أحدًا في حق الإسلام، ولو كان أقرب الناس إليه وأعزهم عليه، وكثرت ردوده حتى على أحبابه.

مؤلفاته

للشيخ رحمه الله الكثير من المؤلفات منها ما هو مطبوع ومنها بخطه رحمه الله، أشهرها:

نظرات في كتاب اشتراكية الإسلام، ردود على أباطيل، كتاب في تحريم نكاح المتعة في الإسلام، حكم الإسلام في الغناء، رحمة الإسلام للنساء، آدم لم يؤمر باطنًا بالأكل من الشجرة، القول في المسكرات وتحريمها من الناحية الفقهية، حكم اللحية في الإسلام، التدارك المعتبر لبعض ما في كتاب القضاء والقدر، بدعة زيادة التنويرات في المساجد ليالي رمضان وغيرها، لزوم اتباع مذاهب الأئمة حسمًا للفوضى الدينية، حكم مصافحة المرأة الأجنبية... وغيرها كثير.

وفاته

توفي الشيخ سنة (١٩٦٩م) بحماة، ودفن به، رحم الله الشيخ رحمة واسعة.

المصادر

١. الشيخ المجاهد محمد الحامد رحمه الله لعبدالحميد طهماز.

٢. العظات والمحامد في سيرة الشيخ محمد الحامد.

مشاكل البلوغ

د.عبدالرحمن النمر

البلوغ مرحلة من العمر تتميز بأحداث مهمة تمهد لانتقال الإنسان من طور الطفولة إلى طور النضج الجسماني ومطلع الشباب، إذ فيها تحدث طفرة النمو ويكتمل نضج الأعضاء التناسلية وتبرز فيها ملامح الذكورة أو الأنوثة التي سوف تلازم الإنسان فيما بقي له من عمر، وهذه المرحلة المهمة من العمر لها مشاكلها الخاصة بها، سواء منها المرضية أو تلك الناشئة عن التغيرات الوظيفية في الجسم.

تبدأ مرحلة البلوغ عند الصبيان والفتيات في سن الحادية عشرة (١١) أو بعدها بشهور قليلة، ويأتي الإذن ببداية مرحلة البلوغ من مكان في المخ يسمى «الجسم تحت المهاد: hypothalamus»، إذ يفرز الجسم تحت المهاد هورمونا يسمى «الهورمون الحاث لإطلاق الهورمونات الجنسية».

ويؤثر هذا الهورمون مباشرة على الغدة النخامية التي تنتج بدورها نوعين من الهورمونات يطلق عليهما اسم «الهورمونات الحاثة (المنشطة) للغدد الجنسية».

تحت تأثير هورمونات الغدة النخامية، وهي غدة صغيرة تقع عند قاعدة المخ داخل تجويف الجمجمة، تنشط الغدد التناسلية عند الذكور والإناث لإنتاج هورمونات الذكورة والأنوثة، والغدة التناسلية عند الذكر هي الخصية، وهي تنتج هورمون الذكورة المسمى تيستوسترون «testosterone»، أما الغدة التناسلية عند الأنثى فهي المبيض الذي ينتج هورمون الأنوثة المسمى ستراديول «oestradiol» أو اختصارا «E ٢»، وهورمونات الذكورة والأنوثة هي السبب في حدوث التغيرات الوظيفية والجسمانية في مرحلة البلوغ.

وإذا كانت سلسلة الأحداث المؤدية إلى بداية واستمرار مرحلة البلوغ معروفة، فمن غير المعروف السبب أو المنبه الذي يحفز الجسم تحت المهاد في المخ لإطلاق شرارة ابتداء مرحلة البلوغ! ومن غير المعروف كذلك لماذا ينشط الجسم تحت المهاد لإطلاق شرارة البدء عند هذا العمر المحدد دون غيره (حول سن الحادية عشرة)؟!

علامات البلوغ

أول علامات البلوغ عند الفتيات ظهور كتلة صغيرة جامدة أو صلبة نوعًا ما تحت حلمة الثدي، تكون مؤلمة عند الضغط عليها بأصابع اليد، أما الطمث أو الحيض (الدورة الشهرية) فعادة يبدأ بعد عامين أو ثلاثة أعوام من بداية مرحلة البلوغ، بينما تكون أول علامات البلوغ عند الصبيان كِبَر (زيادة) حجم الخصيتين، وقد تظهر في أثداء (جمع ثدي) الصبيان كتلة صغيرة مؤلمة كتلك التي تظهر في أثداء الفتيات، إلا أنها تكون متأخرة في الظهور ولذلك لا تعتبر أول علامات البلوغ.

أما طفرة النمو التي تتميز بها مرحلة البلوغ فتحدث عند البنات في أول البلوغ، بينما تحدث عند الصبيان قرب نهاية مرحلة البلوغ، وهذا الفارق في التوقيت في حدوث طفرة النمو هو سبب الاعتقاد الخاطئ الشائع بين الناس بأن الفتيات ينضجن قبل الصبيان، والحقيقة العلمية تؤكد أن مرحلة البلوغ تبدأ عند الجنسين في سن واحدة تقريبا، وتنتهي كذلك في سن واحدة تقريبا، وفوارق البداية والنهاية لا تتجاوز شهورا معدودة.

ويحدث النضج أو النمو الجسماني في مرحلة البلوغ أولا في العظام الطويلة في الطرفين العلوي والسفلي، ثم يحدث بعد ذلك في العمود الفقري (سلسلة الظهر)، والطرف العلوي يشمل «العَضُد»، وهو ما يمتد بين مفصل الكتف إلى مفصل الكوع، و«الساعد» الذي يمتد من مفصل الكوع إلى الرسغ، وكذلك «اليد» التي تمتد من مفصل الرسغ إلى أطراف الأصابع. أما الطرف السفلي فيتكون من «الفخذ» الذي يمتد من مفصل الحقو إلى مفصل الركبة، ثم «الساق» التي تمتد من مفصل الركبة إلى رسغ القدم، ثم «القدم» التي تمتد من مفصل الرسغ إلى نهاية الأصابع، ويؤدي نمو العظام بسرعة إلى زيادة طول الجسم زيادة ملحوظة في زمن وجيز نسبيا، إذ يتحول الصبي أو الفتاة في ظرف سنوات قليلة تتراوح ما بين ثلاث إلى خمس سنوات (٣:٥) إلى إنسان فارع القوام، وتتغير هيئة الجسم من الشكل الطفولي الذي استمر لأكثر من عشر سنوات إلى هيئة الإنسان البالغ.

وخلافا لزيادة طول الجسم، فإن التغيرات الجسمانية في مرحلة البلوغ تشمل كذلك تغير الصوت من النبرة الطفولية إلى النبرة البالغة المميزة لكل جنس، كما تصبح أكتاف الصبيان عريضة بالنسبة إلى منطقة الحوض، بينما يحدث العكس عند الفتيات فتكون منطقة الحوض أعرض من منطقة الكتفين، ويكتسي جسم الفتاة بطبقة من الدهن تحت الجلد تؤدي إلى ما يسمى باستدارة الجسم، فيما يكبر حجم الثديين تدريجيا إلى حجم الثدي

البالغ، كذا يكبر حجم الأعضاء التناسلية عند الجنسين إلى الحجم البالغ.

تستمر مرحلة البلوغ زمنا يتراوح بين ثلاث إلى خمس (٣-٥) سنوات، وفي نهايتها يكون الإنسان قد اكتسب طول الجسم الذي سوف يبقى ثابتا إلى آخر العمر، ويكون النضج الجسماني، بما في ذلك نضج أعضاء التناسل، قد اكتمل من الناحية التشريحية والوظيفية.

المشاكل الوظيفية للبلوغ

المقصود بالمشكلات الوظيفية للبلوغ تلك الحالات التي تنشأ كنتيجة طبيعية للتغيرات الحادثة في وظائف الأعضاء في مرحلة البلوغ، دون أن تكون هذه الحالات مرضا في حد ذاتها أو دالة على وجود مرض.. من ذلك ما يلي:

حَبّ الشباب:

من المشكلات الشائعة في مرحلة البلوغ ظهور حَب الشباب في مناطق مختلفة من الجلد، خصوصا الوجه، ويعتقد أن سبب ظهور حب الشباب في هذه المرحلة من العمر هو ارتفاع نسبة الهورمونات الجنسية في الدم، خصوصا هورمون الذكورة، إذ يؤثر هورمون الذكورة على الغدد الدهنية في الجلد فيزيد إفرازاتها، الأمر الذي يعرض الغدد الدهنية إلى تراكم تلك الإفرازات الكثيرة في قنواتها، وبالتالي انسداد تلك القنوات، وعندما تنسد قناة إحدى الغدد الدهنية فإن الإفرازات الدهنية المتجمعة تحت الجلد تظهر على هيئة حبة صغيرة، وهذه الحبوب الصغيرة هي ما يسمى «حَبّ الشباب: acne».

كِبَر حجم الثدي:

هذه مشكلة شائعة عند الصبيان في مرحلة البلوغ، إذ يصاب بها خمسة وسبعون في المائة (٧٥٪) من الصبيان في وقت ما في مرحلة البلوغ، وعادة تستمر هذه المشكلة لمدة عام تقريبا، تختفي بعده نهائيا.

وفي أحوال قليلة يكون كبر حجم الثدي مشكلة مؤرقة عندما يوشك حجم ثدي الصبي أن يبلغ نفس حجم ثدي الفتاة في نفس عمره، وفي هذه الأحوال ينبغي طمأنة الصبي إلى أن هذه مشكلة عابرة سوف تزول بعد حين، لكن إذا أدى كبر حجم الثدي إلى متاعب نفسية، بسبب سخرية الأقران من الصبي، فيمكن تصغير حجم الثدي باستئصال بعض النسيج الدهني فيه جراحيا، لكن يجب التنبيه إلى أنه لا يوجد عقار (دواء) لتصغير حجم الثدي عند الصبيان، ويجب عدم معالجة هذه المشكلة بالعقاقير.

تأخر البلوغ:

هذه كذلك مشكلة شائعة عند الصبيان، قد تسبب انزعاجا شديدا للوالدين، وربما للطفل نفسه عندما يلاحظ الاختلاف الجسماني بينه وبين أقرانه، سيما وأن مرحلة البلوغ هي الفترة من العمر التي تستحوذ فيها صورة الجسم على تفكير الإنسان.

وفي هذه الأحوال يتعين فحص الصبي طبيا للتأكد من عدم وجود سبب مرضي لتأخر البلوغ، ويجب أن يشتمل الفحص الطبي على فحص الأعضاء التناسلية والتأكد من سلامة الخصيتين.

اضطراب الدورة الشهرية:

من المعتاد أن تستمر الدورة الشهرية مضطربة لمدة عامين أو ثلاثة أعوام في أول البلوغ، لذلك تكفي طمأنة الفتاة في هذه الحالة بعد استبعاد وجود أي علة مرضية، إذ لا يلزم علاج هنا، لكن في الأحوال النادرة التي يكون فيها نزيف الدم مفرطا أو مستمرا فيتعين علاج الفتاة وفق ما يشير به طبيب متخصص في أمراض النساء، وعادة يكون النزيف مفرطا بسبب زيادة إفراز هورمون « استروجين oestrogen».

مرحلة البلوغ عند الجنسين تبدأ في سن واحدة بعكس الإعتقاد الخاطئ بأن الفتيات ينضجن قبل الصبيان

مشاكل البلوغ المرضية

المشكلات المرضية المتعلقة بالبلوغ كلها نادرة وتتمثل فيما يلي:

نضج الثديين المبكر:

من الحالات النادرة أن يكبر الثديان عند طفلة قبل سن الثالثة أو الرابعة، ويحدث هذا نتيجة زيادة إفراز أحد الهورمونات الحاثة للغدد التناسلية، والذي تفرزه الغدة النخامية (يعرف اختصارا بحروف الإنجليزية FSH)، ويستجيب أحد المبيضين للهورمون الحاث فينتج هورمون الأنوثة «استروجين»، الذي يؤدي بدوره إلى كبر حجم الثديين.

ظهور شعر العانة المبكر:

من العلامات الثانوية للبلوغ ظهور ونمو شعر في منطقة العانة، وهي منطقة أعضاء التناسل، ومن الحالات النادرة ظهور شعر العانة قبل سن السابعة أو الثامنة، وغالبا ما يكون ذلك مصحوبا بدرجة بسيطة من زيادة سرعة نمو الجسم (أقل مما هي في مرحلة البلوغ).

البلوغ المبكر:

هذه كذلك حالة نادرة يكون معظم المصابين بها من البنات، إذ تقدر نسبة حدوثها بين البنات والبنين بثمانية إلى واحد (٨: ١)، (أي ثماني بنات مقابل كل صبي واحد).

السبب وراء البلوغ المبكر هو النشاط المبكر للجسم تحت المهاد في المخ في إطلاق شرارة ابتداء سلسلة أحداث البلوغ، ويعتقد أن النشاط المبكر للجسم تحت المهاد راجع إلى وجود ورم فيه، لذلك فمن الأهمية بمكان المحافظة على مراجعة طبية متخصصة، إما في أقسام الأطفال أو في أقسام الجهاز العصبي، في جميع حالات البلوغ المبكر.



إعداد التحرير

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

١/٣٦ع/٨٨ الاقتراض من البنوك الربوية لشراء سكن

فتوى رقم ١٤٩٩٢

أنا بحاجة ضرورية لشراء مسكن لي في بلدي، وأحتاج إلى مبلغ من المال وأردت أن أقترض من بيت التمويل الكويتي، فأنا محول راتبي على بيت التمويل ولكن بيت التمويل لا يعطي قروضًا.. فهل يجوز لي وأنا في هذه الحالة أن أقترض من البنوك الربوية؟

أجابت اللجنة بما يلي:

إنّ الحالة التي شرحها المستفتي في استفتائه لا تبيح له الاقتراض بالربا، لأن ملايين الناس من أمثاله ليست لهم بيوت يملكونها، فيمكنه دفع حاجته بالسكنى بأجر كأمثاله من غير أن يتورط في الاقتراض بالربا.. والله أعلم.

١/٣٤ح/٨٨ بيع ما هو مخلّ بالآداب الإسلامية

فتوى رقم ١٥١٥

لقد دأبت بعض المحلات، التي صرح لها من قبل وزارة الإعلام ببيع الأشرطة فقط، على وضع صور مخلة بالآداب وخادشة للحياء ومنافية للأخلاق والذوق فضلا عن خروجها عن تعاليم الدين الحنيف؛ لما فيها من خلاعة وإثارة لغرائز الشباب، وكل ذلك من أجل لفت نظر المارة من الرجال والشباب والفتيات لشراء الأشرطة، دونما وجود علاقة بين بيع الأشرطة المرخص لها والصور الفاضحة، وهو أيضا خروج عن حدود الترخيص المصرح به للمحل، وإذا كان الأمر كذلك نرجو منكم إفتاءنا عن:

١. مدى سلامة أو خطأ هذا العرض من الناحية الشرعية من جهة صاحب المحل، والعاملين فيه والجهة المسؤولة عنه والمنوط بها الرقابة عليه.

٢. مدى شرعية الكسب المادي الذي يجنيه أصحاب المحال من حيث كونه حلالا أم حراما؟

أجابت اللجنة بما يلي:

أولا: الإعلان عن المبيعات يجب أن يخلو من الوجوه المحرمة، وعن كل وسائل الإثارة والإغراء بالمفاسد، وذلك في عباراته وما اشتمل عليه من الصور، فلا تظهر فيه العورات أو المفاتن أو التصرفات المحرمة المنافية للآداب الإسلامية، ويجب على الجهات المسؤولة عن الترخيص بالإعلانات أن تمنع عرض مثل هذه الإعلانات، كما يحرم على صاحب المحل ذلك.

ثانيا: ترويج المبيعات بمثل هذه الإعلانات ينتج عنه كسب مشبوه إن كان أصل البيع والمبيع حلالا.. والله أعلم.

٢/٣٧ع/٨٨ الوساطة في بيع وشراء الأسهم

فتوى رقم ١٥١٧

أنا موظف أعمل في البورصة (سوق الأوراق المالية) وعملي ينحصر فقط في تدوين بيانات المشترين للسهم (اسم المشتري والبائع- سعر السهم- كمية الأسهم)، ولا شأن لي بما يعد بعد ذلك، فهل تصح لي مزاولة هذا العمل أم لا؟ أو بمعنى آخر هل الراتب الذي أتقاضاه من هذا العمل حلال أم حرام؟

واستفسرت منه اللجنة فتبين من كلامه أن من جملة عمله أن يقوم بتبليغ القائم بالشراء والبيع في قاعة التداول بأن يبيع أو يشتري بالسعر المرغوب حسب رغبة العميل.

أجابت اللجنة بما يلي:

أما العمل في التوسط لبيع وشراء الأسهم التي منها أسهم بنوك ربوية ومنها أسهم شركات مباحة، فإن حكمه يختلف بحسب نوع الأسهم، فيحرم التوسط ببيع وشراء أسهم البنوك الربوية والشركات التي غرضها الأساسي في التعامل لا يباح، وأما الراتب فإن استقل العمل في التوسط لبيع وشراء أسهم الشركات المباحة فيكون الراتب كله حلالا، وأما إذا استمر العمل

في كلا النوعين وكان الغالب الحلال فالراتب مشبوه وعليه التخلص من المقدار الذي يغلب على ظنه أنه ناتج من العمل المحرم وذلك بالتصدق به في وجوه البر العامة عدا طبع المصاحف وبناء المساجد.. والله أعلم.

٨٨/٤٢٧/١ موت الكفيل هل يلغي الكفالة؟

فتوى رقم ١٥٢٦

توفي أخي من والدتي، وهو كافل بمبلغ ١٦٠ مائة وستون ألف دينار كويتي، ومعطي مستندا (شيكا) على نفسه حسب طلب الدائن، فهل يعتبر هذا دينا في ذمة المتوفى أمام الله عز وجل أم كفالة؟ وهل الكفالة انتهت مع موت الكفيل؟ علما بأن المستفيدين على قيد الحياة.

أجابت اللجنة بما يلي:

المبلغ الذي كفل به المتوفى يعتبر شاغلا لذمته، وعند المطالبة يُبدأ بسداده من التركة قبل قسمتها ما لم تنته الكفالة، إمّا بالإبراء أو بأداء المدين الأصلي، ولا تنتهي الكفالة بموت الكفيل أو المكفول أو المستفيد من الكفالة (المكفول له).. والله أعلم.

٨٨/٤٤٧/٢ العمل في تحرير الكفالات

فتوى رقم ١٥٢٧

شركة تجارية نشاطها التجاري قائم على النقليات العامة البرية والبحرية والركاب داخل الكويت وخارجها، تقوم هذه الشركة بكفالة السيارات الشاحنة وخلافها والبواخر وتأمين عملها داخل البلاد وخارجها، وتتحمل مسؤولية ذلك أدبيا، ومحتمل ماديا أمام جهات الاختصاص، صاحب هذه الشركة عرض عليّ العمل معه في أوجه هذه النشاطات الخاصة بها مقابل نصف الإنتاج، سواء كان ذلك من تسجيل السيارات وضمانها أو مباشرة مقاولات النقل وما شابه.

هل يعتبر عملي هذا وما أتقاضاه من أجر يمثل نصف الإنتاج بعد خصم كافة المصاريف المكتبية والموظفين هل يعتبر من وجه الشرع حلالا أم حراما؟ علما بأنني لست مالكا للشركة ولا الترخيص بل أعمل بمجهودي فقط، وجزاكم الله خيرا.

وحضر السائل إلى اللجنة وأفاد بأن ما يؤخذ من المال على الكفالة إنما هو عن الأعمال التي تتعلق بالكفالة ولا يؤخذ المال على مجرد الكفالة، كما أن المكتب لا يتعامل في كفالات الأشخاص (عمل الإقامة).

أجابت اللجنة بما يلي:

حيث إن الأعمال هي الغالبة في نشاط المكتب على الرغم من وجود الكفالة، وبما أن هذا المكتب لا يتعامل بالكفالات المجردة عن الأعمال، كما أنه لا يتعامل في كفالات الأشخاص (عمل الإقامات) فإن الإيراد الذي يحصل عليه هو مقابل خدمات وأعمال هو كسب مشروع.. والله أعلم.

٨٨/٤٣٤/٢ الحجر على الوالد المخرف

فتوى رقم ١٥٢٨

السؤال خاص بالوالد البالغ من العمر ٩٠ عاما والخوف من عقوق الوالدين.

حسب التشخيص الطبي أصيب الوالد أخيرا بما يسمى بفقدان الذاكرة أو «عته الشيخوخة» وهو ما يؤدي إلى عدم تذكر الأماكن ولا الأسماء.

حسب تعود الوالد قبل ذلك كان يخرج من المنزل يوميا مرة أو مرتين ويعود مباشرة بمفرده بعد جولة خفيفة حول المنزل، في ٢١ من شهر يونيو الماضي خرج الوالد ولم يعد إلا بعد أربعة أيام مضنية من البحث عنه في المستشفيات وأقسام البوليس.

السؤال: ١. حيث إنه ما زال يصرّ على الخروج يوميا من المنزل كما كان في السابق ولا يوجد في المنزل إلا أختي التي لا تستطيع منعه من الخروج.. هل يصح إيداعه في إحدى المستشفيات الخاصة وليست العامة التي ترعى مثل هذه الحالات؟

٢. هل يمكن التحفظ على ماله الخاص والنفقة عليه منه؟ مع ملاحظة أن هناك تفاصيل أخرى لا بد من توضيحها ولا يكفيها مجال هذه الورقة.

وبعد أن استمعت اللجنة إلى بيان حال والد المستفتي، وما يحصل منه وما يعرض له من الخروج من بيته واحتمال الضياع وأنه خرج وغاب أربعة أيام ثم وجد في الشارع بعد عثور رجال الشرطة عليه، وأخذوا على أولاده تعهدا بالمحافظة عليه ومنعه من الخروج وحده ولم تحصل جدوى من وجود ابنته معه ولا بتفرغ أحد أولاده للقيام برعايته.

أجابت اللجنة بما يلي:

لا مانع من إيداعه في احدى المستشفيات والإنفاق على حاجاته الضرورية المتصلة بطعامه وعلاجه مع استمرار تفقده والتأكد من حسن معاملته من قبل العاملين في المستشفى إلى أن يتم شفاؤه.. والله تعالى أعلم.

٨٨/ح١٧/٢ بالرضاع صار خاله أخا له فحرمت عليه ابنته

فتوى رقم ١٥٣٧

السؤال: أرضعت أمي ابن خالي مع أختي الكبيرة أكثر من خمس رضعات زمن الرضاع، ويريد أخي الأصغر الزواج من بنت ابن خالي هذا.. فهل يصح هذا الزواج؟ علما بأن أخي الأصغر هذا أخ شقيق لي ولأختي الكبيرة.

أجابت اللجنة بما يلي:

بأنه إذا كان الأمر كما جاء في السؤال فتكون من يريد زواجها بنت أخ من الرضاع لجميع أبناء المرضعة فلا تحل له لحرمة بنت الأخ من الرضاع كما تحرم من النسب.. والله أعلم.



إعداد: خالد خلاوي

ثق بنفسك.. تتميز

الثقة بالنفس من أهم الطرق التي تؤدي إلى النجاح والتميز في كل مجالات الحياة، وذلك لأن الواثق بنفسه متميز في قوله وعمله واعتقاده، ففي القول يتحدث بانطلاقة وبكل صراحة معبرًا بقوة عن شخصيته وعما يريد، وفي الوقت نفسه يفعل ما يؤمن به ولا يخشى رأي الناس مادام ما يعمله صحيحًا وليس فيه معصية، قال سفيان الثوري- رحمه الله: من عرف نفسه لم يضره ما قاله الناس عنه مدحًا أو ذمًّا!.

ومن ناحية الاعتقاد، فثقته بنفسه مستمدة أساسًا من الثقة بالخالق عز وجل وبما منحه من مواهب وإمكانيات، وهذا الاعتقاد يحمي الواثق بنفسه من آفات الغرور والعجب بالعمل والتكبر على من حوله لأنه موقن أن هذه الإمكانات إنما هي من نعم الله تعالى عليه، وإن فاعليتها إنما هي مرهونة بعون الله تعالى وتوفيقه.

فالثقة بالنفس كما يعرفها أحد خبراء التنمية البشرية: هي إيمان الإنسان بأهدافه وقراراته وقدراته وإمكاناته، أي الإيمان بذاته. ويحتاج هذا الإيمان إلى العمل والإنجاز ليبرهن على صدق وقوة هذه الثقة، فالإنجاز من أكبر وسائل تعزيز الثقة بالنفس، ليس على مستوى الفرد وحسب بل على مستوى الأمم والشعوب أيضًا، فكثير من الإنجازات التي حققتها أمة من الأمم نتاج تعزيز الثقة بالنفس لدى أبنائها، وما لحقت الهزائم والإخفاقات بأمة من الأمم إلا وكان من أسبابها هزيمة نفسية استشرت بين أبنائها، يقول مونتغمري في كتابه (الحرب عبر التاريخ): أهم مميزات الجيوش الإسلامية لم تكن في المعدات أو التسليح أو التنظيم، بل كانت في الروح المعنوية العالية.

و سئل القائد الشهير نابليون: كيف استطعت أن تولد الثقة في نفوس أفراد جيشك.؟! فأجاب: كنت أرد على ثلاث بثلاث

- من قال لا أقدر.. قلت له.. حاول.
- من قال لا أعرف.. قلت له.. تعلم.
- من قال مستحيل.. قلت له.. جرب.

فتعزيز الثقة بالنفس والتخلص من الأفكار السلبية من أهم خطوات التنمية البشرية سعيًا إلى تحقيق التقدم والازدهار للأفراد والمجتمعات، وهناك بعض الخطوات التي يُمكن بها التخلص من كثير من الأفكار والمشاعر السلبية، سواء كانت في الفكر أو السلوك أو الأخلاق أو العادات أو الكلمات أو غيرها؛ لترفعها من على كاهلك وتحرر نفسك من وطأتها وتنطلق بالنفس نحو الحياة بثقة أكبر وآمال مشرقة أوسع طرحها الدكتور عوض بن محمد القرني في كتابه (حتى لا تكون كَلًّا.. طريقك للتفوق والنجاح) وهذه الخطوات هي:

١- حدد- بتجرد وبلا مبالغة- أهم الأفكار والصفات السلبية في حياتك.

٢- أفرد كل فكرة أو صفة على حدة.

٣- فكّر فيها تفكيرًا منطقيًا تحليليًا يؤدي إلى معرفتها وذلك بمعرفة أسبابها وحقيقتها، وهل هي واقع حقيقي فعلًا أو وهم وخيال؟

٤- إن كانت من الأوهام فحرر نفسك منها وإن كانت واقعًا حقيقيًا فتخلص من أسبابها وقلصها إلى أدنى قدر ممكن، واعلم أن الصفة كلما كانت أكثر رسوخًا في حياتك كلما كان استبعادها يحتاج لجهد أكبر وزمن أطول.

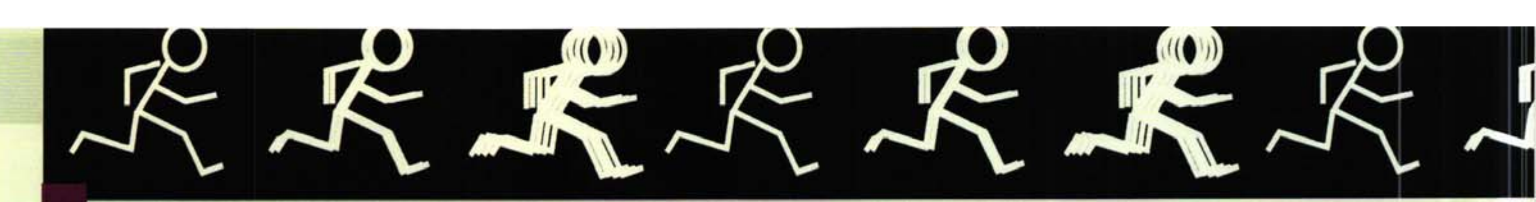
٥- اربط ذهنك وفكرك بشكل مركز - وليكن في لحظات صفاء وبعد عن الشواغل والقلق- بموقف إيجابي مهمّ في حياتك مستعيدًا كل تفاصيله من صوت وصورة ومشاعر وأجواء محيطة، فإذا بلغت الذروة من النشاط الذهني والارتياح النفسي والانشراح القلبي وغبت عن واقعك أو كدت.. فحرك شيئًا من جوارحك حركة معينة متميزة تمامًا كأن تكبر أو تسبح أو تهلل مشيرًا مع ذلك بأصبعك إشارة خاصة، وليكن هذا الموقف مثلًا خبر نجاحك أو يوم زواجك أو ليلة قمتها لله أو سماعك خبرًا سارًا للمسلمين أو أول يوم رأيت فيه أحد الحرمين أو نحو ذلك.

٦- كرر ذلك مرات ومرات حتى يرتبط هذا الموقف الإيجابي بكل مشاعرك وتداعياته النفسية والشعورية بهذه الحركة آليًا، فبمجرد صدور هذه الحركة منك تنتقل آليًا إلى تلك الحالة النفسية الإيجابية العالية، وإن لم تتذكر الموقف المادي الذي كان سببًا لها.

٧- إذا وردت عليك أي من تلك المشاعر أو الأفكار السلبية في أي موقف فما عليك إلاّ أن تغمض عينيك قليلًا وتخرج من تلك الأفكار ثم تتخيل أمامك لوحة كتب عليها بخط بارز ولون صارخ كلمة «قف»!.

تأمل هذه الكلمة بعض الوقت وكرر النظر فيها مرة بعد أخرى حتى كأنك لم تعد ترى غيرها.

٨- تجاوزها بنظرك متخيلًا وراءها حدائق غناء وأنهارًا جارية وطيورًا مغردة ونسيمًا من الهواء عليلًا وتمتع به قليلًا، كل ذلك وأنت مغمض لعينيك.



٩- انتقل إلى المثير الإيجابي وحرك الجارحة التي أصبحت مفتاحًا له كما في الفقرة رقم (٥) واستغرق فيه قليلًا حتى تتبدل حالتك النفسية وتختفي مشاعرك السلبية تمامًا.

١٠- عد للتفكير فيما كنت فيه من شأن ومن عمل.

١١- إذا عادت الأفكار السلبية للإلحاح مرة أخرى فتوقف عن العمل تمامًا في هذه اللحظات، وعش فقط في ذكريات الحالة الإيجابية.

١٢- لا تنس اللجوء إلى الله ابتداء ونهاية؛ لأنه هو الذي أضحك وأبكى، فبالتوبة والاستغفار ودوام ذكر الله تحيا القلوب.

صور من حياة المتميزين

ربعي بن عامر

كان الصحابي الجليل ربعي بن عامر مثالًا على تربية النبي ﷺ على الثقة بالنفس وفي قوة رؤية المسلمين لاعتقادهم ورسالتهم في الحياة، وبدا ذلك واضحًا جليًا في حواره الشهير مع قائد الفرس رستم، فتروي المصادر التاريخية المختلفة أن ربعي رضي الله عنه دخل على رستم وهو يجلس على كرسي من ذهب وحوله الحرس وقد فرش الأرض بالسجاد الفاخر فلم يأبه لذلك ولم تهتز ثقته بنفسه، بل مضى يمشي بعزة وهو يضرب برمحه على السجاد ووقف أمام رستم شامخًا، ولما سأله عن سبب مجيء المسلمين إلى الفرس

قال له: الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفضي إلى موعود الله، قال رستم: وما موعود الله؟ قال ربعي: الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقي.

فقال رستم: قد سمعت مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا.

فرد عليه ربعي: إن مما سن لنا رسول الله ﷺ وعمل به أئمتنا ألا نمكن الأعداء من آذاننا ولا نؤجلهم عند اللقاء أكثر من ثلاث فنحن مترددون عنكم ثلاثا فانظر في أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل، اختر الإسلام وندعك وأرضك أو الجزاء فنقبل ونكف عنك وإن كنت عن نصرنا غنيا تركناك منه وإن كنت إليه محتاجا منعناك أو المنابذة في اليوم الرابع ولسنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا، أنا كفيل لك بذلك على أصحابي وعلى جميع من ترى.

فتعجب رستم من قوة حديثه وقال: أسيدهم أنت، قال: لا، ولكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض يجير أدناهم على أعلاهم.

كلمات في التميز

الثقة في النفس

الشخص الواثق بنفسه له ضحكة تختلف عن الآخرين.. حتى تنفسه وحركاته لهما شكل يختلف عن الآخرين.

إبراهيم الفقي

ربما لم يعلق الآخرون آمالا عريضة علي.. ولكني كنت أعلق آمالا عريضة على نفسي.

شانون ميلر

من وثق بنفسه لا يحتاج إلى مدح الناس إياه، ومن طلب الثناء فقد دلّ على ارتيابه في قيمة نفسه.

غوستاف لوبون

تحدثك دائما عن نفسك دليل على أنك لست واثقا منها.

مصطفى السباعي

الشخص الواثق بنفسه يقول: يبدو الأمر صعبًا ولكنه ممكن.. أما غير الواثق فيردد: الأمر ممكن ولكنه يبدو صعبًا.

توماس كارليل

إعداد: هالة محمد

نظام مساند لدماغ الانسان؟

يبدو الأمر كأنه من حكايات الخيال العلمي، لكن العالم «ريموند كورز ويل» يؤكد أنه سيصبح من الممكن خلال عشرين عامًا بلورة نظام مساند لدماغ الإنسان يحفظ فيه كل ذكرياته وإجراء عملية نسخ احتياطية لما يحتويه الدماغ من أفكار ومعلومات.

«كورز ويل» الذي اخترع عددًا من الابتكارات الرائدة في مجال الحاسوب من بينها تكنولوجيا التعرف على الأصوات يقول: إن نظريته هذه تعتمد على التوقع -القائم باستمرار - بشأن تطوير وتوسيع استخدام الروبوتات الصغيرة التي يمكن لها ان تتحرك داخل الدم والقيام فيه بعمليات محددة ودقيقة.

حقائق عن كوكب المريخ

■ بالرغم من تسميته بالكوكب الأحمر فإن لون المريخ يميل إلى البرتقالي الداكن.

■ المريخ يضم اعلى جبل معروف في النظام الشمسي وهو جبل اولمبس البالغ ارتفاعه ٣٤ كليو مترا اي ثلاث مرات ارتفاع ايفرست.

■ حجم المريخ نصف حجم الأرض وبه منطقتان قطبيتان يغطيهما الجليد، كما أن به مواسم تشبه مواسم كوكبنا الارضي. واليوم المريخي اطول بـ٤١ دقيقة من اليوم في الارض.

■ إن ثبوت وجود حياة على كوكب المريخ سوف يتم الاعلان عنه هذا العام، وذلك بعد تحليل قطع من الكوكب جلبت الى الارض.

اكتشاف فيروس كروف العملاق

اكتشف العلماء فيروسًا ضخمًا في البحر يعتقد أنه يلعب دورًا جوهريًا في سلسلة الغذاء في البحار، ويعتبر هذا الفيروس الذي اكتشفه العلماء أكبر فيروس في البحار وثاني أكبر فيروس في العالم على الإطلاق. وعثر على الفيروس الذي أعطي اسم «كافيتريا ريونبرجينسيس فايروس» والذي يعرف اختصارًا بـ«كروف» في المناطق البحرية قبالة ولاية تكساس الأمريكية ويصيب أحد الأجسام العضوية الهائمة في مياه البحر.

ويشتمل الفيروس على ٧٣ ألف زوج من القواعد في الحمض النووي.

ولا تعتبر الفيروسات في الأصل كائنات حية حيث إنها لا تستطيع التكاثر، إلا في الخلايا التي تصيبها من النباتات والحيوانات أو الإنسان.

وتم التقاط الفيروس كروف من البحر في مطلع التسعينيات من القرن الماضي، ولكن العلماء لم يكتشفوا حجمه وما يمكن أن يكون له من أهمية إلا الآن.

أما أكبر فيروس عرفه العلماء حتى الآن فيصيب أميبيا المياه العذبة ويشتمل على ١,٢ مليون زوج من القواعد في الحمض النووي ويحمل اسم «اكانثاموبا بوليفاجا ميميفايرس».

كوكب جديد باسم «اتش اي بي ١٣٠٤٤»

بعد اكتشاف حوالي ٥٠٠ كوكب من خارج النظام الشمسي تقع ضمن مجرتنا منذ عام ١٩٩٥م رصد علماء فلك أوربيون للمرة الأولى كوكبًا من مجرة أخرى، وقد أطلق على هذا الكوكب وهو من خارج نظامنا الشمسي ومجرتنا اسم «اتش اي بي ١٣٠٤٤» ويقع هذا الكوكب في مدار نجمة بعيدة باتت في نهاية مشوارها على مسافة ٢٠٠٠ سنة ضوئية عن الأرض (السنة الضوئية توازي ٩٤٦٠ مليار كيلو مترًا) في كوكبة الكور الجنوبية.

ويقول الباحثون: إن اكتشافهم الأخير مختلف، لأن الكوكب يدير شمسًا تنتمي الى مجموعة من النجوم تسمى «تيار هيلمي» وكذلك تنتمي إلى مجرة قزمية منفصلة التهمتها مجرة درب التبانة قبل ٦-٩ مليارات سنة عبر ما يمكن أن يوصف بأمر شبيه بـ «آكل النجوم»، ويعتقد أن كتلة الكوكب الجديد أكبر بمرة ونصف المرة من كتلة المشتري وهو كوكب غازي يعتبر الأكبر في نظامنا الشمسي وفي النقطة الأقرب الى مداره البيضوي يمر الكوكب على عُشر المسافة الفاصلة بين الأرض والشمس، ويكمل دورته في ١٦٢ يومًا فقط، واكتشاف هذا الكوكب الجديد الخارج عن النظام الشمسي يثير أسئلة مهمة حول تشكل الكواكب الضخمة، إذ إن هذه النجمة تتضمن على ما يبدو عددًا قليلًا من العناصر الثقيلة مثل المعادن وفيها فقط الهيدروجين والهيليوم.

رقاقة تسمح للمكفوفين برؤية جزئية

استطاع الفنلندي ميكا تيرهو (٤٦ عاما)، الكفيف بالوراثة، أن يتعرف على أحرف وعلى الساعة عبر رقاقة زرعت وراء شبكية العين.

وقال الباحثون الذين أجروا الزراعة لتيرهو في ألمانيا، بأن هذا قد ينجح في المرضى الآخرين.

وتسمح الرقاقة للكفيف الكشف عن الكائنات عبر عيونهم، وقد نشرت تفاصيل هذا المشروع البحثي في مجلة الجمعية الملكية B. وقد نجح البروفيسور أيبرت زرينير، من جامعة توبنجن في ألمانيا مع زملائه في شركة خاصة في تجربة الرقاقة التي تشبه شبكية العين على ١١ شخصا.

وتعمل الرقاقة عن طريق تحويل الضوء الذي يدخل العين إلى نبضات كهربائية تغذي بدورها العصب البصري وراء العين. وقد كانت الرقاقة في التجربة الأولية مدعومةً من الخارج بكابل، الذي يخرج من الجلد من خلف الأذن ليوصل ببطارية.

ويختبر فريق البحث حالياً تطوير الرقاقة بحيث تزرع من تحت الجلد وتربط بالأذن.

الجلد يتحول إلى دم!

اكتشف علماء كنديون طريقة لتحويل الجلد إلى دم فيما يعتبر اختراقًا طبيًا كبيرًا يمكن أن يولد مصادر جديدة للدم.

فهذا الاكتشاف، الذي يقف وراءه باحثون من جامعة ماكماستر، يمكن في يوم من الأيام أن يسمح لأي شخص بحاجة للدم بعد الخضوع لجراحة أو علاج كيميائي، أو يعاني من اضطرابات دموية مثل فقر الدم، أن يحصل عليه من رقعة صغيرة من جلده الخاص، مما يلغي خطر رفض نظام المناعة في الجسم لدم من متبرع ما، وتوقع الباحثون التمكن من تطبيق التجارب على الإنسان خلال سنتين.

الكويكبات قد تدمر طبقة الأوزون

قال باحثون أميركيون أن اصطدام كويكب بالأرض قد يؤدي إلى إزالة طبقة الأوزون، دافعا الناس للعيش كمصاصي الدماء والاختباء في المنازل خلال ساعات النهار والخروج ليلا.

ووفق الباحثين في معهد «بلانتاري ساينس» بمدينة تاكسون في ولاية اريزونا، فإن كويكبا على بعد حوالي كيلومتر واحد من طبقة الأوزون قد يخلق ثقبا فيها ويؤدي إلى خسارة كبيرة للحماية ضد الأشعة ما فوق البنفسجية المنبعثة من الشمس، وأظهرت نماذجهم على جهاز الحاسوب دمار الأوزون الناتج عن تأثير الكويكب في المحيطات في العالم التي تطلق الأبخرة مئات الأميال في اتجاه الغلاف الجوي.

وقال الباحثون: إن المواد الكيماوية مثل الكلوريد والبروميد التي تنفصل عن بخار الماء قد تتسبب في تدمير طبقة الأوزون التي تحمي الحياة على الأرض، مما قد تحدثه الأشعة ما فوق البنفسجية.

من هنا وهناك

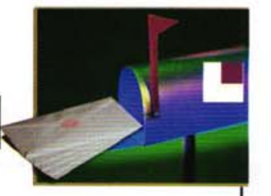
■ أنتج علماء نسخة مصغرة جدا من الكبد البشري في المعمل باستخدام الخلايا الجذعية، ويزيد النجاح في تلك التجربة من الآمال بإمكانية تصنيع اكباد للزرع في المستقبل، وان كان الخبراء يقولون ان ذلك امامه سنوات طوال.

وعرض الفريق البحثي، من المركز الطبي المعمداني في جامعة ويك فورست في الولايات المتحدة، نتائج تجربته في مؤتمر في بوسطن، وقال علماء بريطانيون ان التجربة «تطور مثير» لكنه ليس من المؤكد بعد امكانية انتاج كبد كاملة.

■ بات بإمكان الهاتف القيام بكل معاملات الوصول والمغادرة في أحد فنادق العاصمة السويدية الكبرى، فيحل مكان مفتاح الغرفة في تجربة ريادية حول تطبيقات جديدة للهواتف النقالة.

■ كشفت الصين أخيرًا عن جهاز حاسوب خارق قادر على إجراء أكثر من ٢٥ ألف تريليون عملية حسابية في الثانية ولكي يتوصل إلى مثل هذه السرعة الخارقة يعتمد الحاسوب في أدائه على أكثر من ٧٠٠٠ معالج رسوم وصور غرافيك واكثر من ١٤ ألف رقاقة إنتل.

■ تمكن العلماء للمرة الأولى من إظهار أن جهاز المناعة لجسم الإنسان قادر على تدمير فيروسات البرد بعد ان تكون هذه الفيروسات قد غزت العرين الداخلي للخلية البشرية، وهو التطور الذي كان يعتقد حتى وقت قريب أنه ليس ممكنًا، ومن شأن هذا الاكتشاف أن يفتح الطريق لتطوير طبقة جديدة من الأدوية المضادة للفيروسات.



شاب.. الفراغ صديقه

ماذا أكتب أو ماذا أقول، هذه كلمات ليست من كاتب، أكتب لكي أدرك معنى الحياة، فالحياة أتعبتني.

في ظل انغماس العالم باللذائذ والشهوات، وتفجر الطاقات وظهور النزوات ظهر شخص غريب في عالم غريب إنه أنا، وأنت الذي تشبهني أكتب لك لكي تساعدني، أنصفني ولا تخذلني، وهاك قصتي:

قصتي قصتك وقصة كل شاب لم يدخل في قلبه نور الإيمان أو فلنقل منصفين ربما دخل ولكن إلى أين؟

دخل ليدفن كما يدفن الميت في التراب!

فلطالما سمعنا عنه من أهلينا الذين ولدونا مسلمين من آباء مسلمين وهلم جرا، لكن لا أحد منا يدري كيف يعيش!.

معظمنا يعيش لأنه يعيش، إني كمن يضحك على نفسه، ساعة تراني ملتزما، وساعة أترك لنفسي العنان تسرح بي كيفما تشاء، لكن حبذا ساعة الالتزام كساعة اللهو فهي كالبذرة بالنسبة للبطيخة.

أتسألني عن إنجازاتي؟ أقول لك لا شيء.

أتسألني عن أصدقائي؟ أقول لك لا شيء.

لطالما سمعنا بالمقولة التي تقول: «قل لي من تصاحب؟ أقل لك من أنت» فكيف بمن يكون الفراغ صديقه، أنيسه وجليسه، والفراغ إنجازه، ماذا ستقول عني؟ قل ما تشاء. فأنا الفراغ بذاته.

وجودي لا معنى له.

أطمح كي أكون.

أكون كلمة لها معنى في هذه الحياة، أو فلأذهب أبعد من ذلك لأكون الفاعل ولو ليوم واحد فدائما أكون مفعولا به.

لعلي أجد ذاتي، أجدني وأجدك أنت الذي مثلي.

يا أخي ألم في صدري يصرخ، أمسك بيدي، دعنا نسلم من جديد، دع نور الإيمان يحيي قلوبنا، دعنا نطاول النجوم.

أقولها ولا أعرف ما دفعني لذلك؟

لعلها الفطرة أو الفراغ نفسه.

لا أعرف، لكن دعنا نحاول لكي نجد أنفسنا، ولا تنس ما لك وما عليك، فلنكن كما كان أصحاب نبي الهداية محمد ﷺ.

معاذ أيمن أبوالشعر

فرصة هذه الجموع

أرى جموع المسلمين وقد اتجهت لبيت الله الحرام وزيارة قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام في مشهد مؤثر كل عام حيث يؤدي هؤلاء الحج، فريضة وقرت في القلب ودمعت من أجلها العيون، حيث ترجو هذه الجموع رحمة ربها وتطلب مغفرته، ولكن وللأسف فإن الأكثرية تأبى أن تدفع الثمن، فالثمن غال وأغلبية الجموع تعايشت مع الذنوب وأحزنها أن حال المسلمين اليوم تتنازعه ريب المنون، فالقتل والذبح والفقر والذل من رموز حياتهم مع الحزن والأنين، وتقطعت بهم السبل حيث هجروا قرآنهم المبين، واليوم يجأرون إلى الله في الصعدات بالتلبية، فلعلهم يكونون مخلصين ليعودوا إلى أوطانهم مغفورا لهم أجمعين.

عصام الحسين حميد

«الإسلام والفقر»

الفقر داء لعين يفتك بجسد وعقل وروح وكيان وحاضر ومستقبل الفرد والأسرة والمجتمع والأمة، ويحيل الأمة قعيدة طريحة لا تقوم لها قائمة، الإسلام يقدم لنا الوقاية منه والعلاج له فهو المصل الواقي والعلاج الشافي، وذلك وفق نظام شامل فريد متوازن لتحقيق التنمية الشاملة وعمارة الأرض ولتحقيق المعنى الحقيقي للاستخلاف.

الإسلام يقدم لنا الحل الأمثل لمشكلة الفقر، الحل الوافي الشافي الكافي وفق نظام دقيق وعميق ينظر إلى الإنسان وإلى الحياة وإلى الكون نظرة فريدة، لا شرقية ولا غربية، نظرة شمولية لا تقبل الأخذ والرفض أو الخيار أو الجدل أو التجزئة، نظرة أساسها منهج العلي القدير في كتابه العزيز وسنة نبيه الكريم ﷺ وسيرة الصحابة والتابعين.

الإسلام يقدم لنا التدابير والوسائل للوقاية من هذا الداء اللعين ألا نقع فيه، كذلك التدابير والوسائل للعلاج منه.

المنهج موجود وساطع سطوع الشمس ظهيرة الصيف، لكنه لما ضعف الإيمان في حياة الناس ومجريات الأمور كان الفقر والتخلف والمرض والهوان.

- أين الإيمان الحق الذي هو روح الأمة وريحانها وقلبها وعقلها وعلمها وعملها؟!

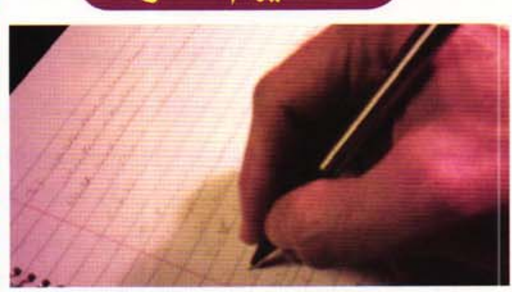
- أين العقل الفصيح والقلم المعلم والساعد السحري والسيف المنتصر؟!

- أين الإيمان الحق الذي ينعكس على الحياة كلها فيصبغها بصبغة الربانية ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٨).

إن الإيمان الحق- اعتقادا وعملا- هو الطريق الوحيد المنقذ للأمة جمعاء من براثن الفقر والمحقق للتنمية الشاملة بكل أبعادها، كي ترفع هامتها وتعلو قامتها وتشرق جبهتها وترفرف رايتها وتعود إلى مكانتها قائدة ورائدة تنشر الرخاء والأمن والخير والعدل والنور والعلم والحرية في العالمين.

محمد علي الشريف

ماتت فيهم النخوة



لقد أيقن بنو صهيون أن المعتصم قد ولّى ومات وأن شبيه صلاح الدين لن يأتي في قريب الأوقات وأن حال العرب والمسلمين اليوم أشبه بالأموات وبالتالي تغول بنو صهيون كل يوم في هتك الأعراض ودهس المقدسات، حيث أيقنوا أن ردود الفعل في الغالب الأعم هي الصراخ وعالي الأصوات، فزادوا طغيانا واستهانة بكل ما كان يهب المسلمون من أجله قبل النفس والذات، فشاهدنا بني صهيون وهم يحرقون المساجد مرات، ويحرقون المصحف الشريف أمام الجماعات، ويحفرون الأنفاق في القدس ويزيفون التاريخ ويهدمون البوابات، ويهتكون عرض الأسيرات الطاهرات ويكسرون عظام المجاهدين أمام الشاشات، وفي الخليل وأمام العالم أجمع قتلوا نشأت الكرمى ومأمون النتشة في يوم جمعة ثم هدموا البيت على من فيه بالدبابات، هذا فضلا عما يقومون به يوميا من احتلال وهدم وطغيان وقتل وغارات، وترويع لأصحاب الأرض وبناء مستعمرات.

عبدالله الحسين محمد

معلمة الرجال

إلى كل من خاض في عرض أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها وإلى كل من سبها سواء في الماضي أو في الحاضر، إلى كل من لم يعلم مكانتها رضى الله عنها وإلى كل من أحبها وعرف منزلتها ووقرها أكتب هذا الموضوع وأدعو الله أن يجعله في ميزان حسناتي.

فالسيدة عائشة رضي الله عنها أثبتت للعالم منذ أكثر من أربعة عشر قرنا أن المرأة يمكن أن تكون أعلم من الرجال فيتعلمون منها، فالسيدة عائشة رضي الله عنها ملأت الدنيا نورًا بعلمها لأنه أتيح لها ما لم يتح لغيرها فلقد تولاها في طفولتها الصديق أبوبكر شيخ المسلمين وأفضلهم، وتولاها في شبابها معلم البشرية وخاتم الرسل وأكرم البشر زوجها رسول الله ﷺ فجمعت من العلم والبيان ما لم يتسن لغيرها.

ولو كان النساء كمثل هذي

لفضلت النساء على الرجال

فهي البكر التي تزوجها وأحبها الرسول ﷺ واختار الإقامة عندها عندما مرض وتوفي بين سحرها ونحرها ودفن في بيتها، فلقد بلغت السيدة عائشة رضي الله عنها من العلم منزلة عظيمة حتى قال أبوموسى الأشعري: كنا أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام إذا أشكل علينا أمر سألنا عائشة رضي الله عنها وأرضاها، وكانت بلاغتها تعادل علمها فقال الأحنف: سمعت خطب أبي بكر وعمر وعلي والخلفاء إلى يومي هذا فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم ولا أحسن من فم عائشة، وكانت رضي الله عنها كريمة النفس كريمة اليد صبرت مع رسول الله ﷺ على الفقر والجوع حتى كانت تمر عليها الأيام الطويلة وما يوقد في بيت الرسول ﷺ نار لخبز أو طبخ، وإنما كانا يعيشان على التمر والماء، وعندما أقبلت الدنيا على المسلمين كانت تتصدق بكل مالها على الفقراء حتى إنها كانت تنسى أن تبقي معها درهمًا واحدًا لتشتري لنفسها طعامًا تفطر به وهي صائمة، هكذا كانت معلمة الرجال صابرة راضية في الضراء شاكرة جوادة في الرخاء، فداك نفسي وروحي يا أمي، ويا أمة الإسلام لصون عرضها قومي وقولي لمن سبها: خسئت، فهي ليست أمه بل أم المؤمنين.

رضا ابوالغيط

العقل والفطرة

عندما سئل كبير محرري ديرشبيجل الألمانية عن سبب إسلامه أجاب:

«لقد عدت إلى فطرتي»، إنها إجابة بليغة حكيمة فطرية نقية.. إنه الإسلام الذي فطر الله عليه الناس جميعًا ولم يكن لأحد من المسلمين فضل في إسلام أمثال هذا الصحفي الألمعي، والأمر نفسه جرى مع المذيعة الإعلامية اللامعة «كريستينا» والتي عملت بالقنوات الشهيرة من أمثال «إم تي في» و«ان بي سي» وغيرها، وهي فرنسية الجنسية وأسلمت في نهاية القرن الماضي وقالت عن سبب إسلامها: إنها استجابت لنداء الحق داخلها وإنها شعرت بأن الله أرشدها وإليه قربها وإنها لا تعبأ بمن يحاربها ومن أجل حجابها فصلها وبسبب إسلامها طاردها.

إنها نماذج أسلمت وبالعقل والفطرة آمنت.

ناهد السيد شعبان

إعداد: التحرير

منجيات ومهلكات

قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ منجياتٌ، وثلاثٌ مهلكات؛ فأمَّا المُنجيات: فَخَشية الله في السِّرِّ والعلانية، وكلمة العدل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى؛ وأمَّا المهلكات: فشُحٌّ مطاعٌ، وهوىً مُتَّبَعٌ، وإعجابُ المَرْءِ بنفسِه».

(شعب الإيمان)

شهر صفر

هو أحد الشهور الإثنى عشر الهجرية، وهو الشهر الذي بعد المحرم، قال بعضهم: سمِّي بذلك لإصفار مكَّة من أهلها (أي خلّوها من أهلها) إذا سافروا فيه، وقيل: سَمَّوا الشهر صفرًا لأنهم كانوا يغزون فيه القبائل فيتركون من لقوا صِفْرًا من المتاع (أي يسلبونه متاعه فيصبح لا متاع له).(لسان العرب لابن منظور)

وكان للعرب في شهر صفر منكران عظيمان، الأول: التلاعب فيه تقديمًا وتأخيرًا، والثاني: التشاؤم منه، ولكن النبي ﷺ هذب هذا الاعتقاد بقوله: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامَة ولا صَفَر، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد»

(رواه البخاري ومسلم).

غدر الأخلَّاء

قال الشَّافعي رحمه الله تعالى:

إنِّي صَحِبتُ أُناسًا ما لهم عــددٌ
وكنتُ أحسبُ أنِّي قد ملأتُ يدي

لمَّا بلوتُ أخلائي وَجَدْتُهــم
كالدَّهر في الغدرِ لم يُبقوا على أحدِ

إنْ غِبتُ عنهم فَشَرُّ النَّاسِ يَشتُمُني
وإنْ مرضتُ فخيرُ النَّاسِ لم يعُـدِ

وإنْ رأَوني بخيرٍ ساءَهُم فَرحــي
وإنْ رأَوني بشَرٍّ سَرَّهم نَكَــدي

(ديوان الإمام الشَّافعي)

أصبحت تطلبني ثمانية!

قيل للإمام الشافعي رحمه الله كيف أصبحت؟ قال: أصبحت تطلبني ثمانية:

الله تعالى بفروضه، ورسوله ﷺ بالسنة، والدهر بصروفه، والعيال بقوتهم، والحفظة بما ينطق لساني، والشيطان بالمعاصي، والنفس بالشهوات، وملك الموت بقبض روحي.

(عين الأدب والسياسة)

إنك لا تنال ما تريد

كتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء: أما بعد، فإنك لا تنال ما تريد إلا بترك ما تشتهي، ولن تبلغ ما تأمل إلا بالصبر على ما تكره، فليكن قولك ذكرًا، وصمتك فكرًا، ونظرك عبرة، واعلم أن أعجز الناس من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله، وأن أكيسهم من أتعب نفسه وعمل لما بعد الموت.

(بهجة المجالس)

كناية جميلة

وقفت امرأة على باب قيس بن عبادة فقالت: أشكو إليك قلة الجرْذَان!

فقال قيس: ما أَحْسَنَ هذهِ الكِناية! املأوا بيتها خُبْزًا وسمنًا.

(طرائف عربية)

علامات النِّفاق

عن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- أنَّ النبي ﷺ قال: "أَربعٌ مَنْ كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كان في خصلةٌ منهنَّ كان فيه خصلة من النِّفاق حتى يدعها: إذَا اؤتمنَ خَانَ، وإذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذَا خاصَمَ فَجَر" (البخاري).

وما أحسن قول الشاعر:

إذا قلتَ في شيءٍ "نعم" فأتمه
فإنَّ "نعم" حقٌّ على الحرِّ واجبُ

وإلا فَقُلْ "لا" تستَرِح وتُرِحْ بها
لئلا يقولَ النَّاس إنَّــك كاذِبُ

(القول العلي للسفاريني)

تكره منه مثل ما يكره منها!

مرَّ رجل أشمط بامرأة عجيبة في الجَمال فقال: يا هذه إن كان لك زوج فبارك الله لك فيه، وإلا فأعلمينا، فقالت: كأنك تخطبني؟ قال: نعم، فقالت له: إنَّ فيَّ عيبًا، قال: وما هو؟ قالت: شيب في رأسي؛ فثنى عنان دابته (أي أراد الذهاب) فقالت: على رسلك، فلا والله ما بلغت عشرين سنة، ولا رأيت في رأسي شعرة بيضاء، ولكني أحببت أن أعلمك أني أكره منك كما تكره مني.. فأنشد:

رأين الغواني الشيب لاح بمفرقي
فأعرضن عني بالخدود النواضر

(نوادر من التاريخ)

قراقوش

بهاء الدين أبوسعيد قراقوش، نشأ في خدمة القائد صلاح الدين، وناب عنه في أحايين، وخاض معه بعض المعارك، وتولى «عكا» بعد أخذها من الإفرنج الذين عادوا واستولوا عليها فأسروه وافتداه صلاح الدين منهم بعشرة آلاف دينار.

وأما شهرته بالظلم فهي تلفيق من الأسعد بن مَمَّاتي في كتابه: «الفاشوش في أحكام قراقوش» الذي لا يصح شيء فيه، غير أنه كان رجلًا حازمًا شجاعًا.

(مشاهير العالم)

الحذر من الإفراط في إظهار النعم

مازال العقلاء يظهرون التجلد عند المصائب والفقر والبلاء، لئلا يتحملوا مع النوائب شماتة الأعداء، وإنها لأشد من كل نائبة، كان فقيرهم يظهر الغنى، ومريضهم يظهر العافية، ثم نكتة ينبغي التفطن لها، ربما أظهر الإنسان كثرة المال وسبوغ النعم فأصابه عدوه بالعين، فلا يفي ما تبجح به بما يلاقي من انعكاس النعمة.

والعين لا تصيب إلا ما يستحسن، ولا يكفي الاستحسان في إصابة العين حتى يكون من حاسد، ولا يكفي ذلك حتى يكون من شرير الطبع.

فليكن الإنسان مظهرًا للتجميل مقدار ما يأمن إصابة العين ويعلم أنه في خير، وليحذر الإفراط في إظهار النعم، فإن العين هناك محذورة.

(صيد الخاطر لابن الجوزي)

تحمّل الإمام عن المأموم

يتحمل الإمام عن المأموم في الصلاة:

١. القراءة.

٢. سجود السهو، إذا دخل مع الإمام من أوّل الصلاة.

٣. سجود التلاوة، إذا قرأ في صلاته آية السجدة.

٤. السترة، لأن سترة الإمام سترة لمن خلفه.

٥. التشهد الأوّل، إذا سُبق بركعة في الرباعية.

(منار السبيل في شرح الدليل)

قَنَاعَةٌ

رأى أبوالعتاهية أعرابيًا في ظلِّ مِيلٍ (منار يُبنى للمسافر) فقال له: مِن أين معاشكم؟ فقال: منكم معشر الحُجَّاج تمرون بنا فننال من فُضُولكم، وتنصرفون فيكون مثل ذلك. فقال له: إنما نمرُّ وننصرف في وقت من السنة، فمن أين معاشكم؟ فأطرَقَ الأعرابيُّ ثم قال: لا والله ما أدري ما أقول إلَّا أنَّا نُرْزَقُ من حيث لا نحتسب أكثر مما نرزق من حيث نحتسب؛ فولَّى أبوالعتاهية وهو يقول:

ألا يا طالب الدُّنيا دَع الدُّنيا لشانيكَا
وما تَصْنَعُ بالدُّنيا وَظلُّ الميل يكفيكا

(قصص العرب ٢/٢٨٢)

علماءُ الآخرة

«من صفات علماء الآخرة أن يعلموا أنَّ الدنيا حقيرة، وأنَّ الآخرة شريفة، وأنهما كالضَّرَّتَيْن، فهم يُؤْثِرون الآخرة، ولا تخالف أفعالُهم أقوالَهم، ويكون ميلهم إلى العلم النَّافع في الآخرة، ويجتنبون العلوم التي يَقِل نفعها إيثارًا لِمَا يعظم نفعه».

(مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي ت: ٧٤٢)

هذا الحنين إليه..!

روت كتب تاريخ الأدب أنه عندما ترجموا «لكسرى الفرس» قول الأعشى في مطلع قصيدة له:

أرقتُ وما هذا السهاد المؤرّقُ

وما بيّ من شوقٍ ولا بي تعشّقُ

قال: إن سهرًا بلا ألمٍ من مرضٍ أو عشق لمريب، لابدَّ أنه لص.

ولقد كان كسرى في قوله هذا مجانبًا الواقع، بعيدًا عن الجنب الإنساني الذي هو الفطرة البشرية في الحنين إلى الموطن الأول، إلى مرابع الصبا ومعاهد الطفولة، وقد يكون السبب في تعليقه على بيت الشاعر الأعشى المذكور، أنه لم يترك مراتع طفولته، وملاعب صباه، وأركان إيوانه.

إنه الحنين إلى الوطن، ذلك الذي يجعل الطيور تحنّ إلى أعشاشها، وهو الذي جعل «ميسون بنت بحدل الكلبي» امرأة الخليفة معاوية بن أبي سفيان تحنّ إلى عشقها الأزلي للصحراء، وإلى خيمة أهلها، فبكت ببيت شعر متواضع من شرفة قصر الخضراء قائلة:

لَبيتُ تخفق الأرواح فيهِ

أحبُّ إليّ من قصرٍ منيفُ

والوطن هو الأم التي تستحقّ من أبنائها الرفق والعطف والشوق والبذل والتضحية.

وهو هو الحنين وليس غيره من جعل كلّ سيّدات القصر الفرعوني يعجزن عن إسكات بكاء الطفل (موسى) ، فهو بفطرته حنّ إلى وطنه، الذي يتمثل في حضن أمّه.

ونفسه هو الحنين الذي جعل شاعر العربية الكبير أبا الطيب المتنبي بكل عنفوانه وكبريائه وغروره، يتذمر ويتضجر من شعب «بوان»، وهو إحدى جنان الأرض الفاتنة البديعة آنذاك، فلم يستطع هذا المكان الرائع أن يمحو صورة الصحراء من ذاكرته! بل فضل الصحراء بقساوتها وحرارتها وجدبها، ولم يرَق له نعيم غير نعيم حضن وطنه لينام على وسادته، وهي لم تكُ أكثر من بردتهٍ يجمع أطرافها ويضعها تحت رأسه.

هكذا هو العربي الأصيل، إنه لا ينسى بلده ولا يرى أجمل من وطنه، كما قال الجاحظ في رسالته «الحنين إلى الأوطان»: كانت العرب إذا غزت أو سافرت حملت معها من تربة موطنها رملًا.

فلا غرابة ولا عجب من أن يسهر العربي المغترب عن وطنه من غير مرض أو عشق، وأن يكون سبب سهاده وأرقه الحنين والشوق إلى الوطن الحبيب الغالي.

وكم من مغترب بكى وسيبكي عندما يسمع الشاعر الصمّة القشيري يحنّ باكيًا لبعده عن موطنه وبلاده فيقول:

وأذكر أيّام الحمى ثم انثني

على كبدي من خشيةٍ أن تصدّعها

اللهم آمنا في أوطاننا.

• أحمد بشار بركات





أماكن توزيع مجلة الوعي الإسلامي في العالم

الكويت - المسجد الكبير - بدالة : ١٨٤٤٠٤٤ - هاتف : ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ (٩٦٥+) - فاكس : ٢٢٤٧٣٧٠٩ (٩٦٥+)

E-mail: info@alwaei.com - Website: www.alwaei.com

الوعي الإسلامي







وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

براعم الإيمان

نموذج رائد لصحافة الأطفال الإسلامية

مجلات الأطفال الكويتية ودورها في بناء شخصية الطفل المسلم

تأليف
د. طارق البكري

الإصدار الخامس عشر
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

الإصدار الخامس عشر لمجلة «الوعي الإسلامي

هذا الكتاب يعد رافداً لثقافة الطفل المسلم وهو يؤسس لمجلة أطفال نموذجية رائدة

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م



Alwaei Al-Islami
مجلة شهرية كويتية جامعة
العدد (٥٤٧) ربيع الأول ١٤٣٢هـ - فبراير ٢٠١١م

د. نذير الحكيم : معهد الكندي في فرنسا ثغرة من ثغور الوجود الإسلامي

فهم الأولويات ... ترف فكري أم مطلب شرعي؟

معهد المخطوطات العربية قلعة من قلاع التراث

هل خوفنا على ثقافتنا أم من ثقافتنا؟

الافتتاحية

ثقافة الأمة

إن ثقافة الأمة هي عبارة عن مجموعة من القيم والسلوك تحكم فعاليات المجتمع وتوجهاته، وتتميز بالوحدة والتجانس والتناسق وفق معايير الإسلام وقيمه، فالثقافة تكاد تكون سرًّا من الأسرار في كل أمة من الأمم، وفي كل جيل من الأجيال، وهي معارف كثيرة متنوعة لا يكاد يحاط بها، مطلوبة في كل مجتمع للإيمان والعمل بها، يحفظها من التفكك والضياع، وكن على حذر، فإنه قد يدب إليك منها دبيبًا خفيًّا مكر الماكر، وعبث العابث، واحتيال المحتال، فكل ثقافة لها منابعها ومصادرها، وأصول ثقافة الأمة الوحي الإلهي الذي يتمثل بالكتاب والسنة، وسيرة الرسول ﷺ، ولا تزال هذه الأصول هي التي تحكم ثقافة الأمة وتقومها، والأفراد في هذه الأمة تتفتح عيونهم على الحياة، حيث تؤثر ثقافة الأمة التي يعيشون فيها في تكوينهم الفكري والخلقي، وتتكون منها عاداتهم وتقاليدهم، كما قال ﷺ «ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

وأهم معالم الثقافة بناء العقل، ووضوح الهدف والغاية، والإيمان الصادق العميق، ومجاهدة الباطل، والسعي لاستعمار الأرض بالعلم والمعرفة، وتحقيق مبادئ الحرية والعدل والمساواة والإخاء، ووضع الضوابط والتنظيمات والتشريعات، فهي ثقافة فريدة متميزة بين الثقافات، لأن أصولها ربانية عالمية وشمولية وواقعية، ومن خصائصها أنها تقوم على العقل وتحترم منطقه، ومبنية على التفكير الصائب والنظر العميق، والتوافق بين صريح المعقول وصحيح المنقول، ودعوة القرآن العظيم إلى النظر والتفكير لا يحدها حد ما دام ذلك ممكنًا وما دام يؤدي إلى نتيجة صحيحة.

قال روجيه جارودي: لقد وجدت في الإسلام نظامًا اجتماعيًّا واقتصاديًّا وأخلاقيًّا يصلح لإخراج البشرية من ورطتها الحاضرة.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي





مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٤٧

العام الثامن والأربعون

ربيع الأول ١٤٣٢ هـ

فبراير ٢٠١١ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
manager@alwaei.com

في هذا العدد

موضوع الغلاف







مناهل التراث والفكر والثقافة بشتى أنواعها قلاع يجب العناية بها وابرازها ودعمها حتى تواصل رسالتها ودورها في الحفاظ على هوية الأمة في عالم يعج بالأفكار والثقافات.

التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات
هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت:١٨٣٤٩٥٧٧٠ (٠٠٢٤٩)

• اليمن - دار القلم للنشر- ف: (٠٠٩٦٧١)٤٦٩٤١٥

• لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠

• سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات

• الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣

• مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت: ٢٧٧٠٥٠٦٦ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٧٧٠٥٤١٣- دار الأهرام

• المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية

• مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع

• الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع

• المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف

• سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع

• قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.

• المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

•الكويت : ٥٠٠ فلس •السعودية : ٧ ريالات •البحرين : ٥٠٠ فلس •قطر : ٧ ريالات •الإمارات : ٧ دراهم •سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة •الأردن : دينار واحد •مصر : ٢ جنيه •السودان : ٥٠٠ جنيه •موريتانيا : ٢٠٠ أوقية •تونس : ٢ دينار •الجزائر : ١٠ دنانير •اليمن : ٧٠ ريالا •لبنان : ٢٠٠٠ ليرة •سورية : ٣٠ ليرة •المغرب : ١٠دراهم •ليبيا : دينار واحد •اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله •اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

المحتويات

كلمة العدد

المسلمون والتحدي الحضاري

يعيش العالم اليوم بداية مرحلة حضارية جديدة، من أهم سماتها أنها تقوم على الفرز الحضاري المستند إلى عناصر القوة والمصلحة والنفوذ والإقصاء والعنصرية الضيقة التي لا تستوعب الآخر ولا تقيم له وزنًا، ولا تعيره اهتمامًا، وفي خضم هذه المرحلة يقف المسلمون حائرين تائهين مشتتين مسلوبي الإرادة، مع أنهم يملكون إرثًا حضاريًا عظيمًا يستوعب مناحي الحياة كافة، ويمكنه إخراجهم من الدائرة المغلقة والحلقة المفرغة ليضعهم على الجادة السوية التي تعيد لهم دورهم الريادي الإيجابي في صنع القرار على الساحتين الإسلامية والعالمية.

إن مسلمي اليوم، وهم يعيشون ذكرى مولد رسولهم العظيم محمد ﷺ، مطالبون بتنمية الإحساس بإمكاناتهم وقدراتهم الذاتية وتجربتهم الحضارية الفريدة، والاستفادة من تجارب الآخرين بعد غربلتها وفرزها لإخراج ما لا يتوافق وثوابتنا، والاسترشاد بهديه ﷺ وتتبع خطواته في معالجة قضايا الأمة، وبذلك نقف بثبات وشموخ على الطريق الصحيح الموصل إلى غايتنا المنشودة.. والله الهادي إلى سواء السبيل.

«الوعي»

الاشتراكات

- **داخل الكويت:** للأفراد ٥,٧ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- **الدول العربية:** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم:** للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات:** ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

في المؤتمر الدولي الأول لمعهد المخطوطات العربية

مستقبل التراث.. إلى أين يسير؟

وضعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في أواخر ثمانينات القرن الماضي «الخطة الشاملة للثقافة العربية» فأفردت للتراث صفحات فيها، ضمنتها «قراءة جديدة للتراث»، وأثار جهازها المتخصص «معهد المخطوطات العربية» غير مرة في اجتماعات «الهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي»، وفي ندواته المتخصصة مسألة وضع خطة شاملة خاصة بالتراث. والمثقفون اليوم بمختلف اتجاهاتهم وتياراتهم يقرون بأن التراث هو السؤال الصعب في الثقافة، بل في الحياة الحضارية والتنموية على مختلف الأصعدة، السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، وغيرها، ويقولون: إن التراث ليس جزءا ساكنا من الماضي، بل هو حركة لازمة في صياغة الحاضر، وبناء المستقبل. لذلك كله كان هذا التوجه نحو خطة شاملة (إستراتيجية) خاصة بالتراث، تكشف عن طبيعة علاقتنا به، وتستكشف خريطته وتضاريسه، وتحدد ميادين عمله، وترسم سلم أولوياته، وتقنن الجدل القائم بينه وبين الثقافة، وبينه وبين الحداثة، والعولمة والإعلام والتربية والتعليم وثورة الاتصالات، وقضايا العصر جملة. لذا جاء مؤتمر «مستقبل التراث» الذي أقيم أخيرًا في القاهرة برعاية رئيس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم د. محمد العزيز بن عاشور وبحضور ثلة من المفكرين والمثقفين خطوة على الطريق، بغرض التركيز على التأسيس النظري: المفاهيم، والحدود، والجدل، وبعض أوجه العلاقات، والتشابكات، وتحديدا مع الثقافة، ومع الحداثة أيضًا.

التحرير

إن التأسيس من الضرورة بمكان، للانطلاق على بصيرة في العمل التراثي، ولبناء أسس أو قوائم مشتركة يلتقي عليها العاملون في حقل التراث بمختلف توجهاتهم ومنطلقاتهم، وإن البدء بالتأسيس لازم، إذ إن أية خطة لابد أن تستند إلى رؤية تقوم عليها، وتنهض بها خطوات العمل، وبرامجه وأهدافه.

ولن يكون التأسيس إلا من خلال إثارة أسئلة، بعضها مما يظن أنه قريب، لكن أقرب الأشياء إلينا قد تكون أخفاها عنا، وبعضها مما لا تملك إلا أن تعترف بأنه إشكالية كبيرة وعميقة، على أن النوعين هما من الأسئلة المراوغة التي تختلف الإجابة عنها، تبعًا للأفكار والتوجهات للمسؤول عنها أو المتصدي لها، ومن هذه الأسئلة: ما هو مفهوم التراث؟ وما هي حدوده؟ وهل التراث هو المخطوط (الوعاء) أم هو المحتوى (النص) أم شيء آخر؟ وهل التراث جزء من الثقافة، أم أنها جزء منه؟ أم أن كلا منهما رأس بنفسه؟ وهل قرأنا- حقا- تراثنا؟ وكيف قرأناه؟...إلخ.



أسئلة تتطلب الإجابة عنها الكثير من الشروط الضرورية حتى لا نقع أسرى استقطاب من أيٍّ نوع، وحتى لا نضحي بالدقة العلمية، وحتى يكون العمل التراثي عملا يبدأ بالتراث، وينتهي به.

التراث والحداثة.. لقاء أم تصادم

عنوان هذه الورقة للدكتور. يوسف زيدان، كان السؤال «المقترح» الذي طلب مني د. فيصل الحفيان، مقرر هذه الندوة، أن أكتب حوله أو بالأحرى أكتب فيه.. وهو المقترح «السؤال» الذي ردني من الوهلة الأولى إلى بحوث وأوراق سابقة تعرضت فيها بالتفصيل إلى مفهوم «التراث» والدلالات المختلفة لهذه الكلمة. وبالطبع، لن أعاود هنا طرح ما سبق، خاصة أن المشاركين في الندوة من المتخصصين الذين تجاوزوا الكلام في المقدمات

إن التراث ليس جزءا ساكنا من الماضي بل هو حركة لازمة في صياغة الحاضر وبناء المستقبل


د. عبدالله الغنيم وسفير دولة الكويت لدى مصر ورئيس التحرير في مقدمة الحضور

والمداخل العامة. وعليه فسوف أدخل مباشرة في الموضوع المقترح.

مادام نص «الحداثة» قد وضع في مقابل «التراث» فالمراد منه، مجازا، هو نقيض التراث! مع أن مفردة الحداثة تحمل في معظم دلالاتها معاني معاصرة ترتبط بالتطور الثقافي في العالم الغربي، وهو ما سوف نتحدث عنه تفصيلا في ندوتنا هذه. فإذا أردنا إيضاح الأمر، وتيسيره، قلنا: القديم والجديد.. وهو ما سوف نتحدث عنه فيما يأتي.

العلاقة بين القديم «التراث» والجديد «الحداثة» في ثقافتنا العربية الإسلامية ليست تصادمية. فهذه الأمة كما وصفها الإمام الشافعي: أمة السند. وهو وصف يلخص كثيرا من المعاني المرتبطة بالنزعة «الماضوية» في ثقافتنا.

كما أن العلاقة بين هذين المعنيين، ليست «لقاء» لأن ذلك يتضمن الانقطاع أو المغايرة. فاللقاء إنما يكون بين مختلفين أو متغايرين، والعلاقة بين القديم والجديد في ثقافتنا، لا يمكن النظر إليها على هذا النحو.

قد يستساغ وصف «اللقاء» فيما بين الثقافة اليونانية قديما، والثقافة الغربية حديثا. ولكن الذات الواحدة، لا تلتقي ببعضها بعضا!

ما نراه في أمر هذه العلاقة، إنما تعبر عنه كلمة: التواصل.. فمن خلال وسيط «اللغة العربية» الذي لم يتغير ويختلف، وإنما تطور كالحال في بقية اللغات، امتد «المتصل التراثي المعاصر» الذي تم امتداده أيضًا عبر: المفاهيم العليا للوجود، وتعاقب الخبرات السياسية والاجتماعية.. وعديد من «السبل» التي اتصل من خلالها ما صرنا نسميه: الثقافة العربية الإسلامية.

ضبط المصطلح وبناء المفهوم

عنوان هذه الورقة للدكتور فيصل الحفيان، وقد يبدو في الحديث عن ضبط المصطلح وبناء المفهوم أن ثم اضطرابا في هذا المصطلح «التراث» على الرغم من شيوعه، سواء بين النخبة أو العامة، وفي قاعات الدرس، أو عبر وسائل الإعلام المختلفة، كما يبدو أن ثم خللا في المفهوم، قد يكون مرجعه الاختزال، أو التشويش.

وهذا الذي يبدو، صحيح تماما، فالاضطراب والخلل حاضران حضورا ينعكس سلبا على وعينا نحن بـ«التراث» أولا، وعلى الطرائق التي نسلكها للعمل فيه ثانيا، ومن ثم على التوظيف الحقيقي له، سواء في الدرس المعرفي الخالص، أو في المشروع النهضوي ثالثا، والشواهد على هذا الذي نقول عديدة، أولها الخلط بين المقدس والبشري، فالنص «القرآن والحديث» ليس النص «الذي أنتجه عقل الإنسان» وليس هذا بالخلط الهين أو اللفظي، بل إن له آثاره الخطيرة في النظر إلى التراث، وفي منهج التعامل معه.

ثم إننا مازلنا حتى اليوم مترددين في تحديد هوية هذا التراث، هل هو عربي أم إسلامي، أم هو عربي إسلامي معا؟ بل إننا نجاوز ذلك، فنخلط بين الأزمنة، ونسقط الحاضر على الماضي، فينسب بعضنا التراث الموجود في بلد «قطري» إلى ذلك البلد، ولا مسوغ لذلك سوى وجوده فيها! وإذا ما انتقلنا إلى الوعاء الذي صب فيه التراث «اللغة» ثار السؤال: هل التراث العربي هو المكتوب بالعربية فحسب، أم إننا يمكن أن ندخل فيه ذلك المكتوب بالحرف العربي، وقد نوغل فنتساءل عن التراث ذي الموضوع العربي، وإن خرج من دائرة اللغة والحرف.

لقد دخلنا في القرن الخامس عشر الهجري، ولا نزال نختلف في الحدود التاريخية لهذا التراث: هل نقف به قبل عصر الطباعة، أم نمتد به إلى لحظتنا الحاضرة؟ وأخيرا وليس آخرا: هل التراث هو المخطوطات، أم محتواها، أم شيء آخر؟

منهجيات القراءة ومآزقها

عنوان هذه الورقة للدكتور معتز الخطيب، ويتناول البحث مفهوم القراءة



وتعدد مستوياتها، مع إيضاح تطورات التعامل مع مفهوم التراث وآليات الاشتغال عليه، بدءًا من نشر التراث وتحقيقاته على شكل «اختيارات» تنطوي على لون من ألوان القراءة الأولى، وصولا إلى القراءات التأويلية. وينبه البحث إلى مسألة شديدة الأهمية فيما يتعلق بمفهوم التراث الذي تمت قراءته أو قراءاته، وهو ذلك التراث القابل للتأويل والمتعلق بالمسائل الإنسانية والفلسفية والدينية، في سياق الصراع على التأويل.

يمسك البحث بالإطار المرجعي الحاكم لمشاريع قراءة التراث، وتنوع منهجياتها، سواء الماركسية أو القومية أو الأبستمولوجية أو التاريخانية، مركزا على التمايز الواقع في مستويات القراءة وترددها بين المعرفي والأيديولوجي، ليصل إلى مساءلة لمفهوم القراءة ومدى إمكان تحققه في مشاريع القراءة الموجودة.

يريد البحث أن يخلص إلى طرح مسألة مصائر التراث بين المعرفي والأيديولوجي، بعد الصراع على تأويله لدرجة الوقوع في التناقضات حين تخلص بعض القراءات- مجتمعة- إلى الشيء ونقيضه!، في محاولة للقول بضرورة الحاجة إلى وجود قراءة علمية معرفية للتراث بعيدا عن إسقاطات الحاضر، وإكراهات صراع الأيديولوجيات ومآزقها.

العمل في التراث

عنوان هذه الورقة للدكتور. بشار عواد معروف من المعلوم أن العاملين في إحياء التراث العربي أنواع، فيهم الأكاديمي البارع والعالم المتمكن من علمه، وفيهم الموظف والمتكسب لعيشه من هذه المهنة التي تدر عليه شيئًا من المال، ومنهم الدخيل عليه. وعلم تحقيق النصوص ليس بدعا ولا جديدا على الثقافة العربية، فقد عني به كبار العلماء في عصور ازدهار الحضارة العربية ولكن همم المتأخرين من علماء الأمة فترت عنه وقلت عنايتهم به.

وقد لاحظنا منذ مطلع القرن العشرين عناية بهذا التراث قادها أكاديميون في مصر وبلاد الشام والعراق والمغرب العربي وكان من الطبيعي أن يكون هناك نوع من الانتقائية لضخامة هذا التراث غير المحقق.

وقد اعتنى كثير من الأقطار العربية بما يتصل بتراث ذلك القطر ولذلك أسباب لعل من أبرزها توفر المخطوط في ذلك القطر لاسيما قبل شيوع سهولة التصوير، أو اتصال موضوع المخطوط بذلك القطر، أو انتماء المؤلف إليه، ولعل كتاب خريدة القصر للعماد الأصبهاني خير ممثل ذلك.

وقد أسهمت الانتماءات الفكرية في نشر كتب ذات طابع معين مثل: كتب المعتزلة والباطنية والصوفية والفكر السلفي، أو نشر كتب مذهب معين.

كما أسهم الاختصاص بنشر كتب معينة، فقد اعتنى بعضهم بالعلوم لبراعته فيها، ومنهم من اختص بكتب الحديث أو رجاله، علاوة عن اختصاصيين في العربية لغة وشعرا ونحوا وبلاغة. وقد يتوجه بعضهم إلى علم من الأعلام، فيعنى بكتبه وتراثه مما قد يجعله أسيرا لهذه الشخصية، أو الكتب التي يعمل عليها فيتأثر بأفكارها.

ومن حسنات العناية بالتراث اختصاص بعضهم بحقبة تاريخية معينة يتمرس المحقق فيها، فيتعرف على أعلامها وأماكنها، وطبيعة المؤلفات فيها، فيكون أكثر قدرة على تمثلها، وحل بعض مشكلاتها.

ومما يؤسف عليه أن أكثر العاملين في التراث مازالوا أسرى النص تصحيحا وضبطا وتعليقا وتخريجا، وقد لاحظنا أن وضع النص في سياقه التاريخي والمعرفي لم يزل قاصرا عند أكثر المحققين، لقصورهم عن دراسات معمقة كان يتعين أن تسبق هذا النص بعد إنجازه.

أما توظيف التراث في الدراسات الحديثة فهو أمر مهم، لأن التراث هو خبرة الأمة على مدى قرون متطاولة، وهو المثبت لهويتها الحضارية.

معهد المخطوطات العربية قلعة من قلاع التراث

يعتبر «معهد المخطوطات العربية» جهاز خدمات علمية متخصصًا من أجهزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (إحدى منظمات جامعة الدول العربية)، يُعنى بالتراث العربي المخطوط بمختلف أصعدته؛ جمعًا وإتاحةً، صيانةً وترميمًا، فهرسةً وتعريفًا، دراسةً وتوظيفًا.

ويقوم المعهد على تجميع نصوص التراث وييسر تداولها، ويساعد على صيانة المخطوط العربي وحفظه، ويكشف عن المخبوء من التراث بالفهرسة والتعريف، ويشارك وينسق عملية الدّرس العلمي للكتاب المخطوط، تحقيقًا ونشرًا، وتوظيفًا للمعرفة الإنسانية المعاصرة، معتنيًا بجانبيه المادي (علم المخطوطات) والمعنوي (التحقيق والدّرس).

تأسس المعهد سنة ١٩٤٦م ملحقًا بالدائرة الثقافية بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية التي تأسست سنة ١٩٤٥م، باسم «معهد إحياء المخطوطات»، ثم استقل المعهد عن الدائرة الثقافية سنة ١٩٥٥م، حتى أُلحق سنة ١٩٦٩م بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، واستمر عمل المعهد بالقاهرة حتى سنة ١٩٧٩م، ثم انتقل بعدها إلى تونس وظل بها حتى أوائل سنة ١٩٨١م، ثم إلى الكويت حتى سنة ١٩٩٠م، وأخيرًا استقر في القاهرة بداية من سنة ١٩٩١م حتى الآن.

أقسام المعهد

يتألف المعهد من خمسة أقسام هي:

الفهرسة

يهتم قسم التوثيق والفهرسة بالكشف عن واقع المخطوطات العربية في العالم، وتزويد المعهد عن طريق البعثات بأكبر عدد ممكن من نفائسها، وإعداد البطاقات والفهارس المتنوعة والمتجددة التي تخدم التراث العربي.

وقد وجه المعهد اهتمامه منذ إنشائه إلى وضع فهارس للمخطوطات المصورة التي يقتنيها، فيصفها وصفًا يتيح للباحثين التعرف عليها والإفادة منها، ولما كان هذا العمل يحتاج إلى وقت فقد درج المعهد على إخراج ما يصوره في قوائم أولية ينشرها في مجلته أو نشرته، ومن ثم يصدر فهارسه تباعًا في حدود مجلد واحد في العام، ليتعرف العلماء والباحثون وطلبة العلم على ما لدى المعهد من مخطوطات مصوّرة.



الرئيس الأسبق للمعهد د. عبدالله الغنيم في إحدى الفعاليات

وقد أصدر المعهد أثناء وجوده في الكويت فهرسًا لمخطوطات التاريخ (سيرة نبوية- تاريخ- تراجم) الجزء الأول، وصدر هذا الفهرس سنة ١٩٨٤م، كما يعمل المعهد على نشر فهارس لمكتبات لم تفهرس مخطوطاتها من قبل.

المكتبة

يعنى قسم المكتبة والدراسات والتحقيق بخدمة العاملين في التراث وإرشادهم، ودعم الهيئات العلمية، وتنسيق حركة التحقيق في الوطن العربي، ومتابعة حفظ حقوق المحققين الأدبية والمادية وتنمية عدد المحققين المنهجيين والإشراف على تغذية مكتبة المعهد بالفهارس والمصادر والمراجع والدوريات.

وقد عمل المعهد منذ أن استقر في الكويت على تأسيس مكتبة جديدة وافية بأغراضه حتى تعينه على تنفيذ مشروعاته العلمية وخططه التدريبية، ضمت حتى الآن خمسة آلاف كتاب، بالإضافة إلى مجموعة من فهارس المخطوطات والدوريات المتخصصة، والمكتبة تستقبل الباحثين في الفترة الصباحية لكي يستفيدوا من المراجع المتوافرة فيها، وألحق بالمكتبة مكتبة أخرى للميكروفيلم تضم ما لدى المعهد من مخطوطات مصوّرة، ويستطيع الباحثون الاطلاع على ما يريدون الاطلاع عليه من خلال أجهزة القراءة المتوفرة في المكتبة.

النشر

يتولى قسم الإعلام التراثي إصدار «نشرة أخبار التراث العربي» و«مجلة معهد المخطوطات العربية» ومتابعة إصدار مطبوعات المعهد ومنشوراته.

وقد أظهرت التجارب أن أهمية المعاهد العلمية والأكاديمية تقاس بقيمة منشوراتها ومطبوعاتها، وكان معهد المخطوطات العربية ولا يزال يولي هذه القضية جل اهتمامه، فمن المهام الرئيسية للمعهد تحقيق المخطوطات ذات القيمة العلمية ونشرها، وقد اختار المعهد مجموعة من نفائس المخطوطات وعهد بتحقيقها إلى عدد من كبار الباحثين والمحققين، وأصدر خلال وجوده في القاهرة مجموعة من الكتب القيمة، أهمها: «سير أعلام النبلاء» للذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ، صدر منه ثلاثة أجزاء، و«المحكم» لابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨هـ، صدر منه سبعة أجزاء، و«شرح السير الكبير» للسرخسي المتوفى سنة ٤٨٣هـ، صدر منه ثلاثة أجزاء، ثم صدر كاملاً في خمسة أجزاء سنة ١٩٧١م، و«أنساب الأشراف» للبلاذري المتوفى سنة ٢٧٩هـ، صدر منه الجزء الأول سنة ١٩٥٩م، و«مختار الأغاني» لابن منظور المتوفى سنة ٧١١هـ، صدر في ثمانية أجزاء.

المجلة والنشرة

بدأ المعهد في إصدار «مجلة معهد المخطوطات العربية» سنة ١٩٥٥م لنشر النصوص المحققة وفهارس المخطوطات والبحوث المتعلقة بالمخطوطات والتعريف بها ودراسة نصوصها، وهي تصدر مرتين في العام، وقد صدر منها خلال فترة وجود المعهد في القاهرة خمسة وعشرون مجلدًا، وصدر منها في الكويت ثمانية أجزاء في أربعة مجلدات (من ١٩٨٢- ١٩٨٥).

وانطلاقًا من اهتمام المعهد بتوثيق الروابط العلمية بين المهتمين بالتراث العربي وتعريف الباحثين والعلماء بكل جديد في ميدان التراث بدأ سنة ١٩٧٢م في إصدار «نشرة أخبار التراث العربي» التي تهتم بمتابعة أخبار هذا التراث في جميع أنحاء العالم عن طريق مراسلين متخصصين، وتوزع هذه النشرة على الهيئات العلمية العربية ودوائر الاستشراق والعلماء والباحثين في ميدان التراث العربي، وهي تصدر مؤقتا مرة كل شهرين.


رئيس الإليسكو ابن عاشور يتوسط رئيس المعهد د. أحمد يوسف (على الشمال) ومنسق المعهد د. فيصل الحفيان (على اليمين)

التصوير

ويتولى القسم الفني شؤون التصوير والمحافظة على الأفلام والصيانة الدورية لها ولأجهزة التصوير والتحميض والتكبير.

ولدى المعهد قسم للتصوير يضم أجهزة حديثة لتصوير المخطوطات على ميكروفيلم، ولعمل نسخ إضافية من كل ميكروفيلم، ولتصوير الميكروفيلم على ورق، وأجهزة للتحميض ومعالجة الأفلام، كما يضم ثمانية أجهزة لقراءة الميكروفيلم.

ويعمل قسم التصوير على تزويد الجامعات والباحثين بما يحتاجون إليه من مخطوطات مصوّرة، على ورق أو على ميكروفيلم بأسعار رمزية، أو عن طريق التبادل.

المعهد بالأرقام

- يوجد في معهد المخطوطات العربية نحو أربعين ألف مخطوطة.
- يضم المعهد قاعدة بيانات للمخطوطات العربية نحو خمسة وعشرين ألف مخطوطة.
- قدم المعهد معونات مادية لهيئة القدس العلمية لصيانة مخطوطات المدينة المقدسة، وأجهزة تصوير لأحد مراكز البحث العلمي الموريتانية، وموّل الندوة العلمية لتاريخ العلوم عند العرب في سورية، وأسّس مخبر ترميم في نواكشوط (موريتانيا) وأوفد خبيرًا لهذا الغرض.
- أرسل المعهد أكثر من (٣٥) بعثة للتصوير داخل الوطن العربي وخارجه.
- أقام المعهد أكثر من (١٦) دورة تدريبية في شؤون المخطوطات وترميمها وصيانتها وفهرستها.
- أصدر المعهد قرابة (٣٠٠) مخطوطة في فهارس وتقارير عن المخطوطات، وأدلة وكشافات، وكتب تراث.
- استحدث المعهد درجات (دبلوم دراسات عليا، ماجستير، دكتوراه) في علم المخطوطات وتحقيق النصوص (بالتعاون مع معهد البحوث والدراسات العربية).

مؤتمر «الوطن والمواطنة» الذي عقدته وزارة الأوقاف بالتعاون مع رابطة علماء الشريعة:

صحيفة المدينة المنورة أول وثيقة دستورية تحقق معنى التعايش السلمي

حنان عبدالعال

عقدت رابطة علماء الشريعة بدول مجلس التعاون الخليجي بالتعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت مؤتمر «الوطن والمواطنة في ميزان الشريعة» تحت شعار ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه﴾، برعاية نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون القانونية ووزير العدل ووزير الأوقاف والشؤون الإسلامية المستشار راشد عبدالمحسن الحماد في الفترة من ١٧-١٨ محرم ١٤٣٢هـ الموافق ٢٣-٢٤ ديسمبر ٢٠١٠م بفندق كراون بلازا بدولة الكويت بحضور أكثر من ٧٥ عالمًا ومفكرًا من دول مجلس التعاون الخليجي.



وقد أوصى المؤتمرون في البيان الختامي بإقامة مشروعات عملية إلى جانب التوصيات الرئيسة وكانت على النحو التالي:

أولا: المشاريع العملية

مشروع مركز التأصيل الشرعي لقضايا الانتماء الوطني

تأسيس كيان مؤسسي تحت مسمى «مركز التأصيل الشرعي لقضايا الانتماء الوطني» لتقديم الرؤية الشرعية في المسائل التي تتعلق بالوطنية والمواطنة بدول مجلس التعاون الخليجي، وذلك بالتعاون مع الجهات ذات الصلة كوزارة التربية والإعلام والداخلية والشؤون الاجتماعية ومؤسسات المجتمع المدني، على أن تقوم رابطة علماء الشريعة بدول مجلس التعاون الخليجي بتقديم دراسة متكاملة للمشروع بالتعاون والتنسيق مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت إلى الجهات المعنية في دول المجلس.

مشروع ميثاق الوطنية والمواطنة

تكوين لجنة من أعضاء رابطة علماء الشريعة بدول مجلس التعاون الخليجي لإعداد ميثاق حول الوطنية والمواطنة في ميزان الشريعة الإسلامية يشمل جميع الجوانب المتعلقة بالواقع المعاصر لدول المجلس، ويعتبر الميثاق من مخرجات هذا المؤتمر وتتولى اللجنة التأكيد على التوافق على الميثاق من قبل أعضاء الرابطة.

ثانيا: التوصيات

- الأنتماء أوسع من المواطنة، فانتماء المسلم لدينه وأمته، ولا تعارض بين الانتماء لأمة الإسلام والمواطنة.

- الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والطاعة في المعروف واجبة للأئمة المسلمين، فالمواطنة استحقاقات والتزامات محكومة بالنصوص الشرعية والقواعد المرعية للراعي والرعية.

- حب الوطن والتعلق به فطرة إنسانية معتبرة، وقيمة شرعية محفوظة، وحق وطني مشروع.

- واجب علماء الشريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح لولاة الأمر وبيان الحقوق والواجبات للراعي والرعية، ومن حقوقهم على الوطن تقديرهم واحترامهم وتمكينهم من أداء رسالتهم والقيام بواجبهم والرجوع إليهم لمعرفة الأحكام الشرعية على مستوى الفرد والمجتمع والدولة.

- تمكين المواطنين من المشاركة في الشؤون العامة والتمتع بالحقوق السياسية وتحقيق العدالة بكفالة الأمن والحرية والمساواة وتكافؤ الفرص وتوفير خدمات التعليم والصحة وسبل العيش الكريم.

- العناية بتربية الشباب دينيا وخلقيا وتأهيلهم علميا ومهنيا، وتوظيف طاقاتهم لخدمة أوطانهم وتوفير فرص العمل المناسبة لمؤهلاتهم.

- تعزيز ثقافة الوطنية والمواطنة في وسائل الإعلام المختلفة وفق الرؤية الشرعية ومطالبة المؤسسات الإعلامية المختلفة بتحقيق ذلك، وتحري الدقة والموضوعية والبعد عن إثارة العصبيات والفتن التي تفرق ولا تجمع.

- تعزيز ثقافة الوطن والمواطنة وفق الرؤية الشرعية في المقررات الدراسية والبرامج التعليمية في جميع المراحل الدراسية المختلفة.

- تعد صحيفة المدينة المنورة أول وثيقة دستورية تحقق معنى المواطنة والتعايش السلمي، ولذلك يطالب المؤتمر المعنيين بدراستها والاستفادة منها في العلاقات الداخلية والخارجية.

- تعزيز مفاهيم الوحدة الوطنية وتجديد ممارسات المواطنة تحت ظلال الوسطية بعيدا عن الغلو والتشدد والجمود.

الرئيس العام لمؤسسة الكندي التعليمة بفرنسا د.محمد نذير الحكيم في حوار خاص:

معهد الكندي.. ثغرة من ثغور الوجود الإسلامي في فرنسا

حوار: تمام الصباغ وعبادة نوح



أكد الرئيس العام لمؤسسة الكندي التعليمة بفرنسا د.محمد نذير الحكيم أن مشروع الكندي حلم راوده منذ سنين، انتظرته بناتنا وأخواتنا كانتظار العطشان في صحراء ساحقة قطرة ماء، حتى رأيناه حقيقة أمام أعيننا.وقال: إن هذه المؤسسة ليست مجرد مدرسة لتعليم أبنائنا في مدينة ليون، بل هي القطب الشامل لمشاريع ومؤسسات في كل أنحاء فرنسا.

وأوضح في حوار صحفي مع «الوعي الاسلامي» على هامش زيارته للكويت: ركزنا اهتمامنا وكل طاقاتنا في إعداد مشروع تعليمي متطابق مع البرنامج التعليمي بفرنسا، بالإضافة إلى ترسيخ قيمنا الإسلامية الواعية العاملة لبناء شخصية الطالب التي تثق بقدراتها وتعتز بتلك القيم الجوهرية في حياة الفرد المسلم والمجتمع.

وبين أن معهد الكندي رافد ومصدر دعم واهتمام وعناية، حيث أسهم بشكل مباشر في افتتاح مؤسسات تعليمية مماثلة وهي الآن عشر مؤسسات، مقارنة بالمدارس والمؤسسات التي تشرف عليها الكنيسة، التي يصل عددها الى ٥٢٤٣ مدرسة ومؤسسة، والمدارس والمؤسسات التي تشرف عليها الجالية اليهودية وعددها ٧٠٤ مدارس.. واليكم نص الحوار:

المدرسة أعطت للعديد من الجمعيات التربوية الإسلامية الجرأة على تحدي الصعوبات

■ بداية نود أن تعرفنا بمدرسة الكندي؟

- أسس معهد الكندي للتعليم الخاص منذ سنة ٢٠٠٧ للوقوف على ثغرة من ثغور الوجود الإسلامي في فرنسا، بهدف انتشال الشباب المسلم من براثن الفشل والضياع وإعطائه مقومات النجاح، بل التفوّق أيضا في الدراسة والحياة.

■ ما الأهداف الرئيسة وراء إنشاء المدرسة؟

- يرجع ذلك الى الصعوبات التي تعاني منها المدارس العامة الموجودة في الأحياء الشعبية، والتي أظهرتها التقارير الرسمية من كثرة إضراب المدرسين فيها، وظاهرة التدني الملحوظ في المستوى التعليمي، وتفشي ظواهر العنف في المدارس مع عدم وجود حلول تربوية لهذه الظواهر والتي كان أول ضحاياها أبناؤنا.

والنتائج السلبية الناجمة عن تطبيق قانون ١٥ آذار ٢٠٠٤ والذي يحد من حرية الطلبة في تطبيق تعاليم دينهم وإقامة الشعائر الدينية ومحافظة الفتاة المسلمة على حجابها ومتابعة دراستهم في نفس الوقت.

وكذلك وصول طبقة من الشباب المسلم الذي ولد أو عاش في الغرب إلى درجة من النضوج والتأهل العلمي.

■ ما الذي يميز مؤسسة الكندي عن غيرها؟

- بغض النظر عن أن الساهرين عليها أرادوها في القمة، ورمزا وقيمة نيرة في مجال التعليم والتربية في فرنسا، إلا أنهم وضعوا لها أسسا فولاذية، مما جعل وزارة التعليم والتربية تعترف بنا وبمستوى طلبتنا بعد سنة ونصف، مع العلم أن الفترة القانونية لهذا الاعتراف بعد خمس سنوات.

كذلك حصلت إحدى طالباتنا على منحة التفوق الفرنسية، وهذا راجع إلى البرنامج الفريد من نوعه الذي نقدمه لطلبتنا، من دورات تدريبية في مجالات شتى، والسهر على تنمية المهارات المدفونة في تلك العقول التي مازالت تنمو وتستوعب وتلتقط كل معلومة.

■ كيف يمكن أن نقيم مناهج المدرسة العلمية؟

- مناهجنا في أغلبها عصرية، حيث

الاعتماد على الطرق المتبعة من قبل الجهات التعليمية الحكومية لنجاعتها في تذليل العقبات التي تعترض الطلبة في فرنسا، وتجديدنا في طرق التعليم وابتكارنا جعلنا نحقق نجاحا ملحوظا يخرج عن نطاق المنهج البيداغوجي الفرنسي التقليدي، الذي لم يتغير منذ عشرات السنين، وهذا رأيناه على أرض الواقع بالنتائج السنوية التي حققناها بفضل الله، وهي: نسبة النجاح في الامتحان الوطني للإعدادية العامة والتي تطورت لتصل إلى ٩٣٪، في حين أن نسبة النجاح على المستوى الوطني لم تتجاوز نسبة ٨١٪، ولقد شهد طلبتنا تمايزًا في معدلات نجاحهم حيث حصل ٦٩٪ على معدلات عليا (وهي أعلى نسبة تحققها مدرسة في منطقتنا)، ونسبة النجاح في امتحان الثانوية العامة بلغت من السنة الأولى نسبة ٨٤٪، وتساوي هذه النسبة المعدل الوطني.

■ ما أبرز انجاز حققتموه على ارض الواقع؟

- أهم انجاز حققناه هو إنشاء مؤسسة خيرية مستقلة (فنديشن)، هدفها دعم المشاريع القائمة وكل مشروع مستقبلي، وتترأسه مؤسسة الكندي التعليمية، ويكون تحت رعاية اتحاد المؤسسات التعليمية بفرنسا ليكون لنا جهة رسمية في مجال التمويل تتابع جمع التبرعات، تتبنى وتمنح لكل دراسة مشروع الأهمية اللازمة.

■ كيف تصف العلاقة بينكم وبين وزارة التربية الفرنسية؟

- العلاقة بيننا وبين وزارة التربية والتعليم الفرنسية علاقة تعاون دائم منذ شهر مارس ٢٠٠٧، فهم يمدوننا بكل التغييرات والقرارات ذات الصلة بالتعليم، وقد تكثفت زيارات مسؤولي التعليم بالمحافظة إلى مدرستنا لمعاينة مطابقة منهجنا، والحمد لله كانت التقارير جيدة في صالح مؤسستنا، ونتيجة لهذه التقارير المشجعة قررت الوزارة الاعتراف بمدرستنا وتقديم منح دراسية لأغلب طلبتنا، أمّا حصولنا على الدعم المالي من الحكومة الفرنسية فذلك محكوم بعدّة شروط، أهمها وأشدّها على المؤسسة التعليمية وجوب انتظار سنوات خمس قبل الحصول على مساعدة الدولة التي تضمن لنا استمرارية عطاء المؤسسة التعليمية، ودعم المشاريع المماثلة من خلال الفائض المتحقق من هذا الدعم.

وضعنا أسسا فولاذية جعلت وزارة التعليم تعترف بنا بعد سنة ونصف.. مع العلم أن الاعتراف لا يكون إلا بعد خمس سنوات

■ ماذا حقق مشروع الكندي؟ وهل هو نواة لمشاريع أخرى؟

- مشروع الكندي، حلم راودنا منذ سنين، وانتظرته بناتنا وأخواتنا كانتظار العطشان في صحراء ساحقة قطرة ماء.. وأخيرا رأيناه حقيقة أمام أعيننا، وهذه المؤسسة ليست مجرد مدرسة لتعليم أبنائنا في مدينة ليون، بل هي القطب الشامل لمشاريع مؤسسات في كل أنحاء فرنسا.

المشروع قطرة الندى التي تسعى للتحول إلى منبع ماء تتدفق منها جداول تسهم في تكوين جيل جديد في فرنسا

عند انطلاقتنا سهرنا يوما بعد يوم على دراسة القانون الفرنسي وفهمه وتطبيقه لنكوّن مرجعية لأي مشروع، ولم نكتف بذلك بل نظمنا دورات تدريبية في هذا المجال لكل من استدعانا من إخوتنا الراغبين في بناء وتأسيس المؤسسات التعليمية الإسلامية.

ركزنا اهتمامنا وكل طاقاتنا في إعداد مشروع تعليمي متطابق مع البرنامج التعليمي بفرنسا، وإضافة إلى الجانب الأهم الذي يسعى لترسيخ قيمنا الإسلامية الواعية العاملة لبناء شخصية الطالب، والتي تثق بقدراتها وتعتز بتلك القيم الجوهرية في حياة الفرد المسلم والمجتمع.

هذا ما جعلنا جسر تواصل صلب ومتين بين كل مشروع مدرسة أو مؤسسة تعليمية ترى النور في قطر من أقطار فرنسا ووزارة التربية والتعليم التي برهنا لها خلال الفترة الماضية على قدراتنا على التفوق في مجال التعليم الفرنسي.

كل هذه المعطيات دفعت وأعطت الحافز للعديد من الجمعيات التربوية الإسلامية والجرأة على تحدي الصعوبات والعراقيل التي تواجه كل مشروع، كافتتاح مدرسة أو مؤسسة إسلامية في هذه الأجواء المضطربة.

فنحن قطرة ندى في بحر عميق، لكن هذا لم يزدنا إلا همة ومثابرة، مما جعل الجمعيات الإسلامية التربوية في مدن عديدة تتصل بنا لتدخل معنا في إطار هذا العمل النبيل.. إن هذه العملية التربوية والتعليمية لن تتوج بنجاح إلا بدعم الجميع على تحويل قطرة الندى إلى منبع ماء تتدفق منها جداول توصلنا إلى أهدافنا السامية للعمل على تكوين جيل جديد من المسلمين في فرنسا.

خطاب الغزالي بين ارتجال الحكمة وتحليل الواقع

عامر أحمد علي عامر

كنت كلما استمعت إلى خطب الشيخ محمد الغزالي، رحمه الله، تزداد لدي قناعة بأنه ليس ثَمَّ فارق كبير بين أسلوبه الخطابي وأسلوبه الكتابي، فهو يخطب كما يكتب، وكأنما يقرأ مكتوبًا، ويكتب كما يخطب، يرتجل في كليهما ارتجالًا تدل عليه سهولة العبارة ووضوح الأسلوب، والبعد عن التعقيد والغريب من الألفاظ والتراكيب، مع الحفاظ على عذوبة اللفظ ورشاقة التعبير وروعة البيان، وكان يخيل إلي أن الرجل إنما يملي كتاباته على مدونٍ لها ولا يراجع شيئًا مما أملاه، أو هو يلتقط القلم ويطلق له العنان دون الحاجة إلى مُعالجة ما يكتب بالتغيير والتبديل، والتقديم والتأخير، والحذف والإضافة، على عادة جل الكتاب، وكنت بصدد إعداد شاهد تجريبي على هذا بأن أعمد إلى نص له مكتوب، وآخر مخطوب، على أن أجرد الأخير مما تحتمه لغة الخطاب وتقتضيه، كأن أفرغ نص الخطبة من المقدمة وما شابهها من مثل «أيها المسلمون.. أقم الصلاة... الخ» ثم أقارن بين خصائصهما، حتى يتبين القارئ ما أريد، إلى أن وقعت على هذا النص من كلام الشيخ فكان فيه يقين ما ظننت، وراحة لي مما عليه عزمت، يقول الشيخ رحمه الله في مقدمة الكتاب الذي حوى خطبه «خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة» التي جمعها الأستاذ قطب عبدالحميد قطب وراجعها الدكتور محمود عاشور: «وأحبُّ أوقات الكتابة إليَّ بعد صلاة الفجر، عند هذا الوقت أشعر باجتماع فكري ويقظة أعصابي وقدرتي على إفراغ ما في نفسي فوق الصفحات، ويغلب أن تكون الكتابة الأولى هي الأخيرة، وقلّما أمحو منها أو أزيد عليها إلا القليل، بل قلّما أعود إلى قراءة كتاب أصدرته، إلا إذا كانت هناك حاجة ملحة في ذلك، كمناقشة له أو حوار حوله».

مثار العجب الحقيقي في هذا، بالإضافة إلى ما سبق أن ألمحت إليه من تمكن وبراعة في الأسلوب والبيان، أن الحكمة تجري في هذا النتاج كله مجرى يكاد يتحدث عن نفسه، فتدرك مراده القلوب بلا عناء، وحينما نذكر الحكمة، فإننا نعني لفظها وفحواها، معناها ومبناها، إذ تحتاج حكمة الحكيم في العادة إلى ترتيب سابق، وتهذيب لاحق، والعهد بمثل هذا الكلام المرتجل أن يخلو من ذلك أو حتى يندر فيه، وإن جاء فعرضًا، يحتاج إلى مراجعة وضبط، وسأقلب الآن بين يدي كتابة هذه الأسطر صفحات هذا الكتاب لنخرج بالحكم المرتجلة الآتية:

«إن الطيبة ليست نوعًا من العجز أو الغفلة، الطيبة في الإسلام ما تكون طيبة إلا إذا كانت قدرة متفوقة وبصيرة بعيدة المدى تلمح الخفي وتحسن أن تؤدي ما عليها».

«إن المصنع نوعان، مصنع للسلع أو الأسلحة، والمسجد مصنع للرجال، وكل أمة ليست لديها مصانع للرجال فإن الأسلحة مهما تكاثرت في أيديها لا تغني عنها لا قليلًا ولا كثيرًا».

«الغنى المُطغي والفقر المُنسي من البلاء الذي يصيب الناس».

«هناك ناس سكارى بخمرة الدنيا يقفون بين يدي الله فلا يعلمون ما يقولون».



«التاجر الذي لا يدري من تجارب الماضي ولا من العبر التي مرت به ما هي مواطن الربح والخسارة في أحواله وأعماله فإنه يتعرض للبوار في غده القريب أو في مستقبله البعيد».

«قليل من القرآن تقوم به ليلًا مع كثير من الجهاد يستنفد وقتك نهارًا.. هذا هو الدين».

«التمكين في الأرض وظيفة لها مؤهلات، وما يستطيع أن يكون مكينًا في الأرض إلا من استجمع الخصائص الأدبية، والمواهب العقلية، والإمكانات المادية التي تجعل له هذا التمكين المطلوب».

وليس هذا بأبلغ ما جاء من الحكمة في خطب الشيخ، بل هو حصيلة تقليب عشوائي في صفحات خطبه، ومن تحرَّ جمع الحكمة فيها جاء من ذلك بما هو أعجب وأبلغ، وعلى أي حال فهذه ظاهرة تحتاج إلى دراسة موسعة في نتاج الشيخ مقروءًا ومخطوبًا.

ولعل هذه الحكمة كانت محصلة لما تميز به الشيخ من قراءة التاريخ

باحث لغوي وشرعي

واستلهامه، وهذان من أجلى ما يتسم به نتاجه رحمه الله، ولا غرو فقد روي عن الإمام الشافعي(١)، رحمه الله، أن من تعلم التاريخ زاد عقله، ونماذج هذا الاستلهام عند الشيخ أبين من أن يستدل لها، بل ربما استغرق الخطبة كلها أو جلها مثل خطبة «سياحة تاريخية»، وخطبة «فلسطين.. الدرة المغتصبة» وغيرهما.

وفي مقدمة الكتاب السابقة الذكر رسم الغزالي، رحمه الله، صورة متكاملة واضحة المعالم عن الخطبة الجيدة، وعن ثقافة الخطيب، يحسن بخطبائنا أن يعوها جيدًا، فهي مع قصرها قد حوت دررًا، ولخصت عبرًا يمكن أن تشرح في كتب طوال، ومما جاء فيها فيما يتعلق باستلهام التاريخ، يقول الشيخ، رحمه الله، عن ثقافة الداعية: «والدعوة إلى الله لا يصلح لها، بداهة، أي شخص.. إن الداعية المسلم في عصرنا هذا يجب أن يكون ذا ثروة طائلة من الثقافة الإسلامية والإنسانية، بمعنى أن يكون عارفًا للكتاب والسنة، والفقه الإسلامي والحضارة الإسلامية، وفي الوقت نفسه يجب أن يكون ملمًا بالتاريخ الإنساني وعلوم الكون والحياة، والثقافات الإنسانية المعاصرة التي تتصل بشتى المذاهب والفلسفات».

وإن كانت العادة قد جرت على أن يذكر الخطيب نصًا يخرج من شرحه إلى ما يريد أن يثبت من حقائق أو يقرر من فكر، فإن الشيخ، رحمه الله، كان صاحب طريق مغاير لهذا، فكان يبدأ بالحقائق مجردة أو بأمثلة تقربها حتى إذا استوت الفكرة وتمكنت من لب السامع، جاء النص يتوجها، ويزيدها نضارة وبهاء، ولعله بذلك يفترض أنه ربما قد يستمع إلى خطابه أو يقرأ كلامه ملحد لا يعترف بالنصوص الدينية، فيحسن البدء بالحجج العلمية والبراهين العقلية، حتى لا ينفر مثل هذا من الحديث ابتداء، فضلًا عن سعيه الحثيث إلى إثبات ما كان يعتقده، رحمه الله، في فهمه للإسلام على أنه دين يحترم العقل ويبجله، ولا تتعارض معه أبدًا حقيقة من حقائقه، ذلك الاعتقاد الذي طالما خاض المعارك مع شتى المذاهب الفكرية والاتجاهات العقدية من أجل إظهاره وتأكيده.

وهذا ما يحدونا على أن نعرج إلى سمة أخرى في نتاج الشيخ، تلك أن خطبه، رحمه الله، لم تكن بمعزل عن الواقع المعيش، والحياة الدائرة، والعلم المنطلق بسرعة الصاروخ، ولم تكن يومًا في واد وهذه كلها في آخر، بل كثيرًا ما كان يخْتار موضوعاته مما يدور حوله من قضايا يذكر فيها رأيه الذي يستند فيه إلى القرآن والسنة الصحيحة، بالإضافة إلى استلهام السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، كما سبق أن أشرنا، متأسيًا بما ثبت من اجتهاد الصحابة رضي الله عنهم في المسائل المختلفة، رضي عن رأيه هذا من رضي وسخط من سخط.. ومن هذا أنه قد تحدث أناس بعدما أصاب مصر من نكسة في يونيو من عام ١٩٦٧عن أن هذه الهزيمة قريبة الشبه بغزوة أحد، فعقد الشيخ مقارنة أفاض فيها وفصل وأجاد ردًا على هؤلاء، بما يشعر المتلقي بأنه أمام محلل سياسي أو خبير استراتيجي، وكذلك فعل مع انتصارات أكتوبر الخالدة، وإن كان نشوبها قد وافق زيارة دعوية له إلى المغرب.. وغير ذلك كثير، وعلى كل المستويات الفكرية والسياسية والاجتماعية...إلخ.

وما نختم به هذه النظرة العجلى في النتاج الغزالي أنه كان متجدد الطرح، حاويًا لكل جديد ومثير، ففي الخطبة نشرة أسبوعية لما يهم المسلم من أحداث والتعليق عليها، وفيها غذاء للعقل، وشراب للروح، وإلهاب لحماسة النفس، وإحياء لموات القلب، وإيقاظ لكاسل الهمم، والمدهش حقًا أن كل هذا وغيره ربما جاء تحت عنوان تقليدي يُظن معه أن ما يندرج تحته سيتماهى مع ما يماثله عند غيره، ولعله بهذا يريد أن يعلم الدعاة أن الخطاب الديني معين لا ينضب، يستطيع المتأمل فيه بنفس صافية وعقل واع أن يأتي بما لم يأت به الأوائل.

من ذلك أن مسجد عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو أول مسجد بني في مصر، بل في إفريقيا كلها، كان مهجورًا، فلما أن أرادت الجهات المسؤولة أن تعمره اختارت الشيخ لأداء الخطبة فيه، لما كان له من جماهير عريضة، فاختار الشيخ موضوع الخطبة الأولى عن بناء النبي ﷺ للمسجد أول دخوله المدينة، وكيف كان دور ذلك المسجد في بناء الأمة، فكرًا وروحًا وسياسة وإيمانًا وثباتًا وجهادًا، وقد يكون هذا الموضوع، رغم مناسبته للمقام، تقليديًا، وكذلك حينما يكون الحديث عن الاستغفار وعن الباقيات الصالحات... لكن السامع لمحتوى هذه الموضوعات عند الغزالي يشعر بأنه يتلقاها لأول مرة، بفهم جديد وعناصر مختلفة ومضمون مغاير لما قد اعتاد عليه، وبسط ذلك والتمثيل له يطول، لكن حسب من أراد أن يقف عليه أن يستمع إلى هذه العناوين السابقة الذكر في خطب الشيخ وأحاديثه الموجودة بأكملها على الشبكة العنكبوتية على هذا الرابط http://www.ghazaly.mohdy.com/index.html

رحم الله الشيخ محمد الغزالي رحمة واسعة وسقى قبره بالبقيع الطاهر شآبيب الرحمة.. وصدق الله العلي الكبير الذي لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه إذ يقول ﴿فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾.

المراجع:

- كتاب «خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة» ط دار الاعتصام، ج١.
- خطب وأحاديث الشيخ على شبكة الإنترنت على الرابط http://www.ghazaly.mohdy.com/index.html

(١) نقلًا عن عبدالرحمن الجبرتي في مقدمة كتابه عجائب الآثار في التراجم والأخبار.



الثقافة في الغرب.. سقوط المبادئ وزيف الادعاءات

مولاي المصطفى البرجاوي

تشْهد أميركا وأوروبا وغيرُهما من بلاد العالم منذ سنوات قريبة جنونًا جنسيًا خطيرًا، سواء في عالم الأزْياء والتجْميل، أو في عالم الكتُب والأفلام، أو في عالم الواقع على كلِّ صعيد، حتّى غدا الجنْس الشُغل الشّاغل لمعظَم أفراد المَجموعة البشريّة؛ بل أضْحت مُمارسته والإغْراق فيه حياة وقمّة للأمنيات لدى كثير من النّاس.

أدّى التدَهور في العلاقات الجنسيّة إلى أن هاجَمت الحركة النسويّة نظام الأسرة، واعتبرتْه مؤسّسة قهْر المرأة جنسيًا، وطرحت الشّذوذ الجنْسي كبديل للزّواج، ومُخلّص للمرأة من سيْطرة الرّجُل، وفي بداية الخمسينيّات طالبت الحركة النسويّة بشرعيّة مُمارسة الشّذوذ الجنسي قانونيًا، وهكذا حدث الانتقال من المساواة إلى الاستعلاء ثمّ الاستغْناء.

في فرنسا مثلاً: أصبح ما يسمّى بـ «الرّباط الحرّ» موضةً شائعة، وقد نتج عنه ظهورُ «أمّهات بدون أزواج»، حيث يوجد ٣٠٠ ألف مولود سنويًا بلا أب شرْعي، وهؤلاء ينتهي بهم الأمر إلى فقدان الأب مدى الحياة!

في الغرْب إذن إباحيّة جنسيّة وشذوذ وهوس جنْسي دون رادع ولا ضابط، فبعض القوانين تُبيح زواج الشواذّ، وهناك الاعتِداء على المحارم والأبناء والبنات والأمّهات، ولكيْ يمكن



• باحث في العلوم الاجتماعية والتواصل - كلية علوم التربية - الرباط

ثقافتنا.. ثقافة السلطان المطلق

ثقافة كل أمة وكل لغة هي حصيلة أبنائها المثقفين بقدر مشترك من أصول وفروع، كلها مغموس في «الدين» المتلقى عند النشأة. فهو لذلك صاحب السلطان المطلق المخفي على اللغة وعلى النفس وعلى العقل جميعًا، سلطان لا ينكره إلا من لا يبالي بالتفكر في المنابع الأول التي تجعل الإنسان ناطقًا وعاقلاً ومبينًا عن نفسه، ومستبينًا عن غيره، فثقافة كل أمة مرآة جامعة في حيزها المحدود كل ما تشعث وتشتت وتباعد من ثقافة كل فرد من أبنائها على اختلاف مقاديرهم ومشاربهم ومذاهبهم ومداخلهم ومخارجهم في الحياة، وجوهر هذه المرآة هو «اللغة»، و«الدين» و«اللغة»، كما أسلفت، متداخلان تداخلاً غير قابل للفصل البتة.

فباطل كل البطلان أن يكون في هذه الدنيا على ما هي عليه «ثقافة» يمكن أن تكون «ثقافة عالمية»، أي ثقافة واحدة يشترك فيها البشر جميعًا ويمتزجون على اختلاف لغاتهم ومللهم ونحلهم وأجناسهم وأوطانهم، فهذا تدليس كبير، وإنما يراد بشيوع هذه المقولة بين الناس والأمم، هدف آخر يتعلق بفرض سيطرة أمة غالبة على أمم مغلوبة، لتبقى تبعًا لها، فالثقافات متعددة بتعدد الملل، ومتميزة بتميز الملل، ولكل ثقافة أسلوب في التفكير والنظر والاستدلال منتزع من «الدين» الذي تدين به لا محالة.

فالثقافات المتباينة تتحاور وتتناظر وتتناقش، ولكن لا تتداخل تداخلاً يفضي إلى الامتزاج البتة، ولا يأخذ بعضها عن بعض شيئًا، إلا بعد عرضه على أسلوبها في التفكير والنظر والاستدلال، فإن استجاب للأسلوب أخذته وعدلته وخلصته من الشوائب، وإن استعصى نبذته واطرحته.

محمود محمد شاكر

التّعامل مع بعض نتائج الانفلات الأخلاقي شرعَت القوانين التي تُبيح الإجهاض وتَمنع الحمل، ويتمّ توزيع وسائل منع الحمل على نطاق واسع في مُختلف أنحاء العالم بأسعار زهيدة جدًّا، وبأقلّ من التكلفة، وخصوصًا في دول العالم الثّالث والإسلامي، في حين أنّ الأصل هو نشر قيم الفضيلة والعفّة التي تمنع الإنسان من اقتراف الرّذائل.

قال الدكتور البار محمد علي البار المستشار الصحّي لرابطة العالم الإسلامي: «إنّ الأمر وصل إلى تعليم الأطفال مُمارسة الجنس في سنّ مبكّرة ومن خلال المدارس، تحت دعوى نشر الثّقافة الجنسيّة، وفي إحدى المدارس الأميركيّة قامت المعلّمة بممارسة الجنس مع التّلاميذ تحت ذريعة تثقيفهم جنسيًّا».

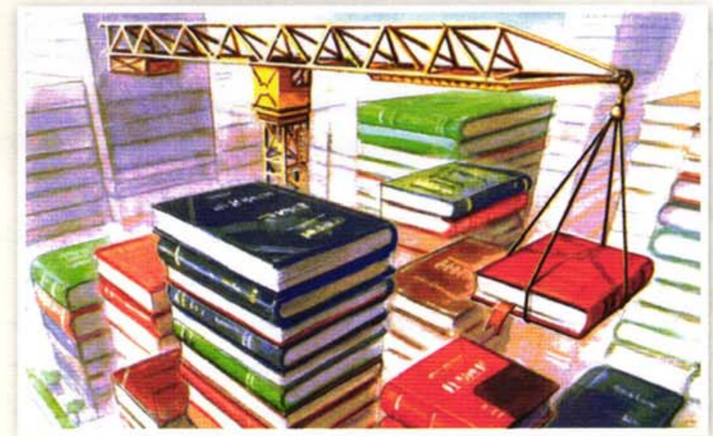
آليّات الثقافة الجنسيّة الغربيّة

تعرّف الأمم المتّحدة الثّقافة الجنسيّة بأنّها: «توفير معلومات كاملة ودقيقة عن السّلوك الجنسي الإيجابي المأمون والمسؤول (١)، بما في ذلك الاستخدام الطّوعي لوسائل الوقاية الذّكريّة المناسبة والفعّالة؛ بغية الوقاية من فيروس الإيدز» (٢).

ومع انتشار أمراض جنسيّة مستعصية على العلاج في الغرب، من بينها الإيدز، دأبت منظمة الأمم المتّحدة من خلال مؤتمراتها على سَنّ مجموعة من الطرق، وهي في العمق تكريس وتعميق لجراح هذه الأمراض.

من بين هذه الطرُق للوقاية من الانتقال الجنسي لفيروس العوز المناعي البشري، على حدّ تصوّرهم

الإجهاض الآمن الّذي يروّجون له بطريقة أو بأخرى هو إجهاض أجنّة الزنا



١- استعمال العازل الطبي: في وثيقة مؤتمر القاهرة للسكّان عام ١٩٩٤م، جاء تحت بند معالجة الإيدز: «يرى المشروع أنّه ينبغي أن يُصبح تشجيع استخدام العوازل الطبّية الجيّدة النوعية، وتوريدها وتوزيعها بصورة موثوقة، عناصر لا تتجزّأ من جميع خدمات رعاية الصحّة التناسُليّة، وينبغي على جميع المنظّمات الدوليّة ذات الصّلة، لاسيّما منظّمة الصحّة الدّوليّة، أن تزيد بصورة كبيرة من شرائها، كما ينبغي العمل على إتاحة الواقي الذّكري والعقاقير، للوقاية والعلاج من الأمراض المنقولة عن طريق الاتّصال الجنسي، على نطاق واسع وبأسعار زهيدة، مع إدراجها في جميع قوائم العقاقير الأساسية» (٣).

٢- **الإخلاص للشريك**: تعني كلمة «شريك» في مواثيق الأمم المتّحدة أيّ نوع من المساكنة بين اثنين، رجل وامرأة (ولو بدون رباط شرعي)، أو مُعاشرة بين رجُلين (اللواط)، أو امرأتين (السحاق)؛ ترويجًا لمصطلح الجندر (٤).

٣- الامتناع (٥): المقصود بالامتناع في لغة الأمم المتّحدة الاستمناء باليد (العادة السرّيّة المزدوجة)، ومُمارسة الجنس بدون تلامُس الأعضاء التناسليّة- ومُمارسة الجنس الفموي بدون قذف بالفم.

كما دعَوا إلى ما يسمّونه بـ «الإجهاض الآمن» (Safe Abortion)، هذا الإجهاض الآمن الّذي يروّجون له بطريقة أو بأخرى هو إجهاض أجنّة الزنا والحمل غير الشّرعي والمراهقات، والّذي يجرى بالطرُق غير المأمونة ومن وراء الكواليس، وفيه ما فيه من المضاعفات والمشاكل الصحّية.

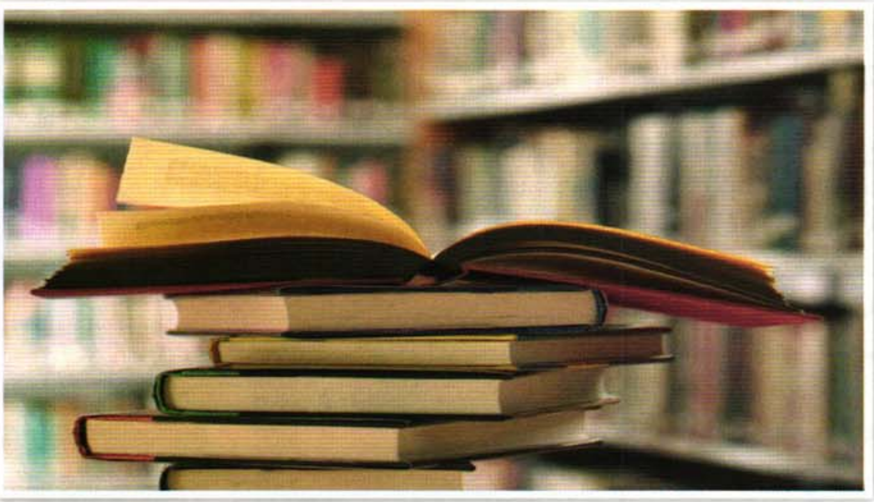
ولكن هل يبرر لنا ذلك إباحة الإجهاض لهؤلاء الفتيات، أو حتّى المتزوّجات؛ تلبية لرغباتهنّ وحقوقهنّ الإنسانيّة؟

إنّ الإجهاض غير مسموح به في الشّريعة الإسلاميّة إلاّ في حالات خاصّة جدًّا ومَحدودة جدًّا، ثمّ يُقام بعد ذلك بالطّريقة المأمونة الصّحيحة تحت الإشراف الطبّي المتخصّص.

وحسب منظّمة مكافحة الإيدز العالمية، فإنّ أكثر من٦٠٪ من الأزواج في هولندا والدنمارك وفرنسا والسويد وبريطانيا صاروا يلجأون إلى مُمارسات شاذّة أثناء المعاشرة الزوجيّة، ويبتعدون عن الممارسة الطبيعيّة الفطريّة؛ خوفًا من انتقال العدوى إليهم من أزواجهنّ أو زوجاتهم.

وكمثال نُورد شهادة أحَد الشبّان





الأميركيّين، وفيها يقول: «إنّني متزوّج منذ ثلاث سنوات، وكنتُ متحمّسًا لإنجاب طفلَين، ومع أنّني صرت أَقلق من أن تَنقل لي زوجتي فيروس الإيدز؛ لأنّني لا أعلم إن كانت تُمارس الجنس مع غيري، وبدوْرِها صارت تَخاف منّي كلّما جَمعنا فِراشٌ واحد؛ لقلَقها من أن أكون حاملاً لفيروس الإيدز من ممارسة جنسيّة قُمت بها خارج فراش الزوجيّة، ومع أنّنا نقوم بزيارة مخابر التّحاليل كلّ ثلاثة أشهُر معًا لنتأكّد من خلوّنا من الفيروس فإنّ الشّكّ يلازم كلَيْنا، وقد تحوّل الشّكّ إلى خوف من أن نُنْجِب أولادًا يكونون مصابين بالإيدز؛ لهذا قمتُ بعمليّة «نسلس» لأمنع أي احتمال للإنجاب» (٦).

والخطير في الأمر: ما ذكرتْه بعض وكالات الأنباء الغربيّة عن دور الأفلام الغربيّة في التربية على الثّقافة الجنسية المزعومة، وتأثيرها الواضح على المراهقين، وهذه قصة واقعية حيثُ كانت إحدى العاملات الأميركيّات- تدعى باتس بايرز- قد تعرّضت لعمليّة اغتصاب في مارس سنة ١٩٩٥م، ممّا أَقعدها عن العمل نتيجة الشّلل الذي أصابها من جرّاء العمليّة (الاغتصاب)، وأرجعت السّبب وراء هذه الجريمة إلى فيلم «مولد القتلى» للمخرج الأميركي أليفرستون، ممّا أدّى إلى مُحاكمة هذا الأخير على فيلمه، لكنّ المخرج دافع عن نفسه معتمدًا على مقولة للكاتب المسرحي شكسبير: «إنّ الفنّانين لا يَخترعون الأحداث، إنّما يعكسون الواقِع في أعمالهم!»

هذه بعض الأفكار- ولم أقف عند كل التفاصيل- الّتي طرحتها، ليس تهكّمًا واستهزاءً وشماتةً في أمّة الإسلام، لا وألف لا، ولكنْ إسدَاءً للنُّصح عَسَى- إن شاء الله- أن تُبصر عيونًا عُميًا وتُنير قلوبًا غُلفًا، وإلا ما فائدة القَلَم إذا لم يفتح فكرًا، أو يضمّد جرحًا، أو يُطهّر قلبًا، أو يَكشف زَيفًا، أو يَبني صَرحًا، ويرد الإنسان المسلم عن غيّه وضلاله؟!

ورَحم الله الشاعر إذ يقول:

وَمَا مِنْ كَاتِبٍ إلاّ سَيَفْنَى
وَيبْقي الدَهْرُ مَا كَتَبَتْ يَدَاه
فَلا تَكْتُبْ بِكَفِكَ غَيْرَ شَيْءٍ
يَسُرُكَ فِي الْقِيَامَةِ أنْ تَرَاه

الهوامش

١- تعريف الجنس الآمن: هو استخدام كافّة الوسائل أثناء الممارسة الجنسيّة لمنع الحمْل ومنْع الإصابة بالأمراض الجنسيّة، وأما الجنس المسؤول: فهو الاستخدام الطّوعي لهذه الوسائل بالاتّفاق مع الآخر، الغريب في الأمر أنْ نرى هذا الطّرح يتم عرضُه من قبل العلمانيين؛ إذ يردّون النسبة المهولة من أمراض الإيدز المتزايدة في بعض بلدان العالم الإسلامي إلى عدم استعمال وسائل الوقاية منه!

٢- وثيقة بكين ١٩٩٥، البند ١٠٨.

٣- الأمم المتحدة، إعلان ومنهاج عمل بكّين مع الإعلان السياسي والوثيقة الختاميّة لمؤتمر بكين بعد خمس سنوات، نيويورك، إدارة شؤون الإعلام بالأمم المتحدة، ٢٠٠٢م.

٤- ومن الطّرائف السّائدة في إنجلترا، ما ذكره المفكّر فهمي هويدي، أنّ رجلاً كبيرًا في السّنّ أراد الهِجْرة خارج إنجلترا، فاستغرب النّاس وسألوه: لماذا، أنت الذي عشت عمرَك فيها حتّى كبرت؟! فقال: والله زمان كان الشّذوذ أمرًا يعاقب عليه القانون، والآن أصبح القانون يُدافع عنه، وأصبح للشاذّين حقوق، فأنا أهاجر من هنا قبل أن يُصبح الشّذوذ إجباريًّا! أمّا مصطلح الجندر Gender، فهو من المصطلحات الجديدة، وأوّل ظهور لهذا المصطلح كان في وثيقة مؤتمر المرأة الرّابع في بكين، وقد اعترضت كثيرٌ من الدول والوفود على هذا المصطلح، وطلبت تفسيرًا دقيقًا لمعناه، ولم تكن إجابات واضحة في ذلك الوقت، لكن فيما بعد اتّضح أنّ الجندر يعْني النّوع، وهو بديل عن كلمة جنس SEX الّتي تشير إلى الذّكر والأنثى، وهذا التّحريف في اللغة والمفهوم يهدف إلى إزالة كل الفوارق البيولوجيّة والنفسيّة بين الجنسين، ويتجاهَل في الوقت نفسه الأدْوارِ التكامليّة بينهما إلى حدّ التّطابق، وإلى تمرير ما سمّته مؤتمرات الأمم المتّحدة «التنوع الجنسي» أو «المثليّة الجنسيّة» الذي يعني الاتّصال الجنسي بين رجُلين (اللواط) أو بين امرأتين (السحاق)، أو بين رجل وامرأة (الاتّصال الفطري)، ذلك أنّ كلمة SEX لا تشمل هذه المعاني كلّها فهي مقيدة بضوابط لا تخلّ بالفطرة الإنسانيّة السليمة.

٥- انظر كتاب (الرعاية التمريضيّة لمرضى الإيدز)، جمهورية مصر العربية، ١٩٩٧م، ص١٨

٦- أحمد بن أحمد حمادة: هذا ما أوصلتهم إليه تشريعاتهم الإباحية! مجلة الوعي الإسلامي، العدد٤٨٧، ربيع أول١٤٢٧، ص: ٨٢.



الدور الثقافي للاستشراق

د. محمد العمراوي

لا يشك باحث أن المستشرقين عكفوا على دراسة التراث الإسلامي، وبذلوا جهودا مضنية في التعامل مع هذا التراث- بدءا بتعلم اللغة العربية، وانتهاء بدراسة القرآن والحديث - ونشروا الكثير من الدراسات والابحاث عن الإسلام وتاريخه وحضارته وعلومه وآدابه، وفتحوا أبوابا لم يكن المسلمون في الأزمنة المتأخرة يفكرون في فتحها، وقد أدت هذه الحركة الثقافية الاستشراقية الى نتائج إيجابية وأخرى سلبية، نعرض لكليهما بإيجاز في النقاط الآتية:

في القسم الأول نذكر..

١- المشاركة في إحياء التراث الإسلامي، بالتحقيق والطبع والفهرسة والنشر وغير ذلك- وإن كان كل ذلك لا يخلو من هنات، ولا يسلم من العثرات، والأمثلة على ذلك كثيرة، مثل ما قام به «ونسنك» في «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي» و«مفتاح كنوز السنة» وكتاب «التيسير في القراءات السبع» لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، طبع باعتناء أوتويرتزل، وكتاب «طبقات القراء» للذهبي طبع باعتناء المستشرق: برجتشتراسر. وكتاب «اختلاف الفقهاء» للطبري، طبع باعتناء مستشرق آخر، لا يحضرني اسمه... وهلم جرا.

٢- التعريف بالثقافة الإسلامية ونشر مفاهيمها بين المثقفين الغربيين، مثاله: ما قام به غوستاف لوبون في كتاب «حضارة العرب» وكارل بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» وغيرهما ممن كان العلم رائده والحق مقصده مع الأخذ بعين الاعتبار ما يقع فيه هؤلاء من أخطاء، بحكم خلفيتهم الثقافية والدينية، ومع كون بروكلمان أجاد بعض إجادة في كتابه السالف الذكر، فإنه لم يسلم في غيره من التحامل على المجتمع الإسلامي، وتلك طبيعة المستشرقين في الأعم الأغلب.. يقول في كتابه «تاريخ الشعوب الإسلامية»: وإذا كان العرب يؤلفون طبقة الحاكمين، فقد كان الأعاجم من الجهة الثانية هم الرعية- أي القطيع! (١١).

أدت الحركة الثقافية الإستشراقية إلى نتائج إيجابية وأخرى سلبية

٣- إثارة همم المثقفين المسلمين، وتحفيزهم للمشاركة في تحقيق التراث، وإزاحة غبار القرون عنه، هذا من جهة ومن جهة أخرى دفع هؤلاء المثقفين وتحريكهم لتوضيح حقائق الإسلام ورد الشبهات وكشف زيف دعوات الخصوم، وقد أدى هذا بالفعل الى الخروج من جمود القرون الماضية، وأحدث في المجتمع الإسلامي ديناميكية ثقافية جديدة، «ورب ضارة نافعة».

وفي القسم الثاني نذكر..

١- إثارة الشبهات حول الوحي بعامة والسنة بخاصة، والذي تولى كبر ذلك: المستشرق المجري المسمى «جولد تسهير» ١٨٥٠-١٩٢١ ويعتبر جولد شيخ المستشرقين وإمامهم.

٢- تعمد تشويه التاريخ الإسلامي، ومن غريب ما وقع من ذلك ما زعمه مرجليوث من أن حديث القرآن عن مجيء إبراهيم الى مكة، حديث مفتعل، ومرد ذلك الافتعال: الرغبة في تأليف اليهود، وهذه وحدها كافية لمعرفة مستوى القوم في البحث العلمي الحر والنزيه.

٣- التشكيك في قيمة الفقه الإسلامي، والدعوى بأن هذا الفقه العظيم الذي لم تعرف له البشرية مثيلا- لا من جهة قواعده وأصوله، ولا من حيث ما يشتمل عليه من ثروة قانونية هائلة- مأخوذ من فقه الرومان، وأن المصطلحات الشرعية مستقاة من كتب اليهود..

٤- تخريج جيل متشبع بثقافة الاستشراق، يقلد القوم في أخطائهم، ويردد بوعي أو بلا وعي مقولاتهم، وهذه أخطر نتائج الاستشراق. يقول ليبولد فايس: «أصبح احتقار الإسلام جزءا اساسيا من التفكير الأوروبي، ومن هنا كان عمل الفرنسيين متجها الى تشكيك المسلمين في دينهم

باحث مغربي



في مؤتمر دولي نظمته كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة

أهمية دور المرأة المسلمة في حوار الحضارات والثقافات

القاهرة: بدر محمد بدر

عقد مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة مؤتمرًا دوليًا بعنوان «دور المرأة في حوار الثقافات والحضارات.. الحضور والفاعلية» على مدى يومي ٣١ أكتوبر والأول من نوفمبر ٢٠١٠م شارك فيه نخبة من الخبراء من مصر وفلسطين وقطر والإمارات والمغرب ولبنان وإنجلترا وإيطاليا.

ناقش المشاركون في المؤتمر عدة أبحاث اخترنا منها أثنين، سنعرض لها في هذه المساحة، من يمثل المرأة المسلمة؟

والبحث الثاني الذي اخترناه قدمته د.أميمة أبوبكر أستاذ الأدب الإنجليزي بكلية الآداب جامعة القاهرة، وهو بعنوان: «من يتحدث باسم المرأة المسلمة اليوم: قراءة في أدبيات السير الذاتية في الغرب» وهذا البحث معني بقضية إنتاج المعرفة عن «المرأة المسلمة» من خلال السير أو المذكرات والسرديات الشخصية في الغرب، والتي أصبحت صناعة وتسويقا لصورة معينة يتم تشكيلها وتوظيفها لأغراض مسبقة، تتعلق بأطروحات صدام الثقافات أو تراتبها ما بين ثقافات ليبرالية تنويرية وثقافات متخلفة ظلامية، أي الهدف هو النظر بالأساس إلى «سياسات» هذا التصنيع والترويج والتنافس على تقديم الذات مع الزعم بتمثيل الكل.

ويقدم البحث عرضا لثلاثة أعمال لاقت رواجا كثيرا في السنوات العشر الأخيرة باعتبارها تجتمع على تجسيد معاناة ذلك المخلوق الغامض «المرأة في الإسلام»، وبالإضافة إلى ذلك فهي سرديات شخصية بقلم «إمرأة مسلمة»

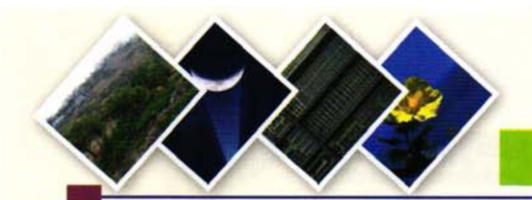
> القوامة تعني توفير الرجل المتطلبات المادية لسد احتياجات الأسرة.. وتوفير الحماية والرعاية وسياسة الأسرة بالعدل

تتحدث عن نفسها وباسم النساء المسلمات في كل زمان ومكان، وكذلك تذكر الباحثة أعمالا من فصيل مغاير يقدم تجربة المرأة المسلمة في المجتمع الغربي، من وجهة نظر مختلفة أكثر صدقا وخالية من الاستخدام السياسي، وتحاول الدراسة تحليل هذه الظاهرة من منظور النقد الأدبي والثقافي.

وتشير الباحثة إلى أنه ظهر في السنوات العشر الأخيرة كتابات مثل «مأزق الإسلام: ٢٠٠٣» لإرشاد منجي، و«الوقوف وحيدة في مكة: ٢٠٠٥» لإسراء نعماني، و«كافرة: ٢٠٠٧» لأيان حرزي علي، وتم الاحتفاء بها من قبل الغرب، بزعم أنها كتابات تفسح المجال لأول مرة لنساء مسلمات يتحدثن عن أنفسهن -على طريقة وشهد شاهد من أهلها- وتقدم إطلالة أصيلة حقيقية من الداخل على النشأة والحياة كفتاة في ظل الإسلام والثقافة الإسلامية، ولكن عند تحليل هذه الكتابات تحليلا دقيقا، نجد أنها مجرد إعادة وتطوير لنفس الصور النمطية القديمة، التي عرفت في الدراسات الثقافية والتاريخية بظاهرة «الحريم الكولونيالي» ولكن في ثوب جديد، وتحت مسمى الشهادات من الداخل، وهذا أخطر وأكثر تسللا، لأن الكتابات تستدرج المستهلك الغربي في سياق ما بعد سبتمبر ٢٠٠١، المجهز لاستقبال أي معلومات تغذي وتبرر «الإسلاموفوبيا» المتصاعدة.

وتتساءل الباحثة في النهاية: من إذن يعبر عن صوت المرأة المسلمة الصادق؟ ومن له حق التمثيل ليس فقط عن المسلمات والمسلمين في كل مكان، ولكن عن مبادئ الإسلام وتراثه وثقافته؟ وتجيب: «أعتقد أنه من واجبنا كباحثات أن ننفي صفة التمثيل المطلق عن مثل هذه الأدبيات، الموجهة لخدمة عنصرية جديدة واستشراقية جديدة، ونكشف زيف هذا الزعم بالأصالة والشجاعة ونقد الذات، بينما نشجع الإبداعات التي تتسم فعلا بتعبيرية صادقة عن تجربة المسلمة في المجتمعات الغربية «كمسلمة»، والتي لا تكون ورقة سياسية أو أوراق اعتماد وقبول لدى ماكينة الاستهلاك الغربية.

والبحث الثاني قدمه د.سعيد عبدالله حارب مستشار مدير جامعة



الإمارات العربية المتحدة بعنوان: «دور المرأة في حوار الثقافات من منظور إسلامي» أكد فيه أن الحوار بين الحضارات ضرورة إنسانية من أجل التعايش بين البشر والتعاون بينهم لمواجهة المشكلات والتحديات التي يسببها الإنسان كالحروب والصراعات، أو لمعالجة الآثار التي تخلفها الطبيعة، ولذا فلابد من تعزيز الحوار بين الحضارات والثقافات.



أسس وشروط

ولابد للحوار من أسس وقواعد وشروط تضبطه، ومن أبرز هذه الشروط الاعتراف بالآخر وبثقافته وإسهامه الحضاري، واحترام خصوصيته الثقافية، واعتبار التنوع الثقافي وسيلة لإثراء الحضارة الإنسانية وليس سببا في تفريقها.

ويرى حارب أن الثقافة هي أبرز ما أبدعته البشرية على مر التاريخ، فهي المعبر الحقيقي عن حياة الإنسان في فكره وعمله وعاداته وتقاليده وفنونه، والثقافة عمل تراكمي يزداد مع مرور الزمن ويتطور مع أيامه، وهي تزيد ولا تنقص لأن كل جيل من الأجيال يضيف رصيدا جديدا من الثقافة إلى من سبقه من البشر، وهكذا نشأ التقدم العلمي، والثقافة هي الصورة الواضحة للتعبير عن الإنسان والشعوب بشخصيتها المعبر عنها بأديانها وقيمها وعاداتها وإبداعها.

والحوار الثقافي هو المنهج الطبيعي في التواصل بين البشر، وإذا كانت أسباب الاختلاف تتعدد لتقسم الناس بسبب أديانهم أو ألوانهم أو لغاتهم أو أعرافهم، فإن الثقافة هي المساحة الواسعة للتواصل وتكوين القاسم المشترك بين الناس.

ولاشك أن تعرف كل ثقافة على ثقافة الآخرين يولد لدى أبناء هذه الثقافات وعيا مزدوجا، وعيا بخصوصية وطبيعة الثقافة الوطنية أولا، ووعيا بوجود إرث ثقافي مشترك لدى سائر الثقافات الإنسانية ثانيا، مما يعني أن معرفة الآخرين تتيح فرصة معرفة الذات، وأثناء ذلك علينا أن ندرك ما تواجهه ثقافتنا من تحديات التجديد والتجويد وامتحان الانغماس الضروري في الحضارة العلمية الثقافية وإبداعها، وما تواجهه أيضا من مخاطر تهدد خصوصيتها وهويتها أصلا وجوهرا.

وأكد حارب أن الحوار يعد سمة رئيسية للحضارة العربية الإسلامية التي تؤمن بها وتستمدها من عالمية الرسالة الإسلامية واعترافها بالتنوع الثقافي والإنساني، وقد قامت على أساس التفاعل الحضاري، وكانت حضارة الإسلام ولا تزال مثالا نادرا للتفاعل بين الحضارات.

وأشار إلى أهمية الحوار بين الثقافات وضرورته لأسباب منها: تراجع التنوع الثقافي بين البشر ومحاولة فرض ثقافة أحادية على بقية الثقافات البشرية، مما يهدد بضياع الهوية الوطنية للأفراد ويدفعها للبحث عنها والتعبير عن ذلك بأساليب قد تتجه نحو العنف أو الانعزال.

وأكد الباحث أن المرأة عنصر فاعل في الحياة البشرية، وتمارس أدوارا أساسية لا يمكن التخلي عنها، لذا فإن دورها في حوار الحضارات والثقافات جزء من هذه الأدوار، ويجب أن تمكن المرأة من القيام به.

وحتى يكون الحوار ناجحا لابد من تحديد أهداف واضحة مبتغاة منه وفي مقدمتها السعي للتعارف بين شعوب العالم ونشر ثقافة السلام والتسامح والعدالة والحرية وحقوق الإنسان ونشر الخير للبشرية.

مكانة متميزة

وأكد حارب أن الإسلام وضع المرأة في مكانة عالية ومتميزة، وقد عني القرآن الكريم بإبراز نماذج من حوار المرأة ليس في الإسلام وحده بل في الديانات السماوية الأخرى، وجعل الإسلام المرأة مساوية للرجل في التكاليف والأدوار، ولابد من إبراز هذا التكريم وإعطاء المرأة دورها الطبيعي لتقوم بدورها في الحوار.

ويجب مواجهة الرؤية الاجتماعية السلبية لدور المرأة في الحياة، وإزالة المعوقات التي تقف أمام المرأة ومنها التفسيرات المتشددة لبعض النصوص الدينية وضعف مشاركة المرأة في مؤسسات المجتمع المدني وفي الحياة العامة، وانتشار الأمية بنسب مرتفعة وغيرها.



ثقافة مطمئنة

محمد إلهامي

كان السويسري هانس كونج قسيسا مرموقا، وأستاذا للّاهوت، وقد وصل في المراتب إلى أن عينه البابا السابق للفاتيكان يوحنا بولس مستشارا وخبيرا لأعضاء مجلس الفاتيكان، وهو قرينٌ للبابا الحالي بندكت السادس عشر، إلا أنه نشر عام ١٩٧١ كتابه «معصوما من الخطأ» والذي تبنى فيه القول بعدم معصومية البابوية، فأزيح من مناصبه وحرم من التدريس كعالم لاهوت، ثم إنه ابتكر مشروعا وتبناه وعمل عليه بدأب شديد، ذلك هو مشروع «الأخلاق العالمية» الذي يدعو جميع البشر إلى التوحد على الأخلاق الأساسية التي وُجدت في كل الأديان والثقافات الكبرى.. يؤمن هانس كونج بأن البشر جميعا متفقون في أصول هذه الأخلاق، ومن ثم فإنه يمكنهم بالتمسك بها أن يصنعوا حياة أفضل يظللها تعايش إنساني واقفٌ على هذه الأرضية المشتركة.

لفت نظري عبارة قالها هانس كونج في محاضرته التي ألقاها في افتتاح ملتقى أديان العالم بجامعة سانتا كلارا في (٢٠٠٥/٣/٣١)، ففيها كان يؤكد على أن الأديان ليست عقبة في سبيل التعايش الإنساني، بل إن لديها القدرة الدائمة على تطوير نفسها وتقديم نماذج جديدة استجابة للمستجدات الحديثة، واستدل على هذا بأن هذه الأديان تعرضت من قبل لحركات إصلاحية؛ فلقد «مرّ عصر الإصلاح المسيحي بمرحلة أخرى من تغير النموذج، تلك المعروفة بالتنوير، أما اليهودية بعد الثورة الفرنسية ونابليون فقد مرت بتجربة حقبة التنوير أولا، وكنتيجة، مرت أيضا على الأقل بمرحلة الإصلاح اليهودي، وبتجربة الإصلاح الديني»، لكنه عند الإسلام قال: «أما الإسلام، على الرغم من ذلك، فلم يشهد أي إصلاح ديني، ولهذا فإنه حتى يومنا هذا يواجه بعض المشكلات الخاصة أيضا فيما يتعلق بتعامله مع الحداثة وعناصرها الجوهرية، حرية الوعي، والدين، حقوق الإنسان، التسامح والديموقراطية» (١).

ولست ممن يسيء الظن بالرجل، فإن عامة كلامه من قبل ومن بعد عن الإسلام جيد بل جميل جدا، لاسيما في كتابه «الإسلام.. الماضي والحاضر والمستقبل» والذي جعل فصله الأخير بعنوان «الإسلام رمز الأمل».

> **الأمة الإسلامية لا تعاني هزيمة ثقافية بل هي حقاً مطمئنة إلى دينها الذي هو ثقافتها**

إلا أن الشاهد الذي يهمنا الآن يتمثل في أن خبير الأديان هذا أَقَرَّ- وإن بعبارة مهذبة لطيفة- بأن الديانات الأخرى أُجْبِرَت على تطوير نفسها، من خلال حركات إصلاحية وعبر مجازر ومذابح وحروب دينية طويلة، وأن هذا لم يحدث للإسلام الذي ظل على حاله ولم يتعرض لمحاولات «إصلاحية عميقة».

وهذه النتيجة التي وصل إليها كونج، وإن كانت في نظره من السلبيات، يرى المسلمون عكسها تماما؛ إذ يؤمنون بأن الله يبعث في كل مائة عام من يجدد لهذه الأمة أمر دينها، وأن الشريعة الإسلامية لها من عوامل السعة والمرونة ما يُمَكّنها من استيعاب كل المستجدات في عالم البشر، كما أن تاريخا كاد يبلغ ألفا وخمسمائة من السنين يشهد بأن الثقافة الإسلامية لم تتعرض لما يمكن أن نسميه «محنة ثقافية»، فكلما بدا في الأفق شيء من الخروج على أصول الثقافة الإسلامية هيأ الله لها من المجددين من يجابهها، فكان- كما يقول العلامة رشيد رضا- الإمام أحمد في مواجهة المعتزلة، وكان الغزالي في مواجهة تيار الفلسفة والباطنية، وكان ابن حزم في مواجهة الجمود والتقليد وتعظيم أقوال الأئمة على النصوص الشرعية، وكان ابن تيمية وابن القيم في مواجهة المذاهب الكلامية والتصوفية الإلحادية(٢)... وهكذا.

إن رؤية كونج صحيحة على مستوى أن الإسلام لم يتعرض لحركة «إصلاح» جذرية، فلم تتعرض المفاهيم الأصيلة أو الثوابت الكبرى للنقد والتغيير، فضلا عن العبادات والطقوس.

يتجلى هذا المعنى حين نرى أن الكَمّ الأكبر من الفلسفات الغربية والتيارات الإصلاحية الغربية مَثّلت «انقلابا»

• باحث في التاريخ والتراث

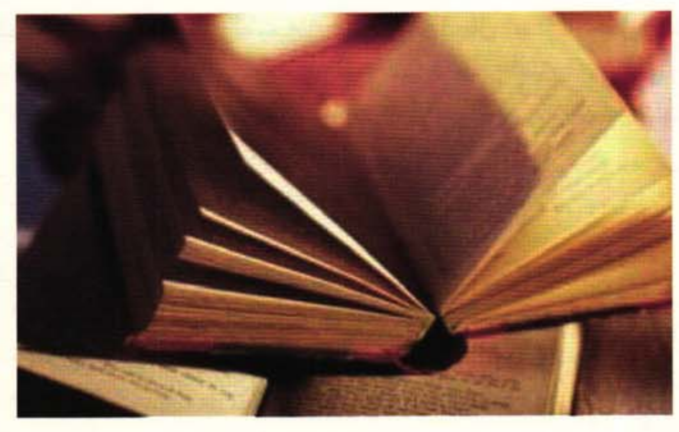
على الدين نفسه أو على أصول راسخة فيه، بينما كانت الفلسفات والتيارات الإصلاحية الإسلامية عبر التاريخ الإسلامي تُقدّم نفسها على أنها «الفهم الصحيح للدين» لا على أنها «انقلاب» عليه، ولم تدخل العلمانية- التي تمثل انقلابا على الدين نفسه- بلاد المسلمين إلا على يد الاستعمار أو أتباعه بالقوة والقهر ثم هي لم تنجح في أن تكون تيارا أو ظاهرة حتى الآن برغم كل ما امتلكته من وسائل وانفراد بساحة التأثير أكثر من مائة عام.

وإذن، فقد احتفظت الثقافة الإسلامية بالاستقرار والرسوخ في أصولها وثوابتها ومفاهيمها الكبرى، غير أنها في ذات الوقت كانت قادرة على أن تستوعب وتتعايش وتتفاعل مع ثقافات تمتد على طول المساحة التي وصل إليها الإسلام من المعمورة، فتعرضت «لاختبارات ثقافية» بعدد ما واجهته من شعوب مختلفة وبيئات مختلفة، وهي اختبارات استمرت لأربعة عشر قرنا، ثم هي مازالت تنجح في هذا الاختبار.

هي إذن ثقافة راسخة وثابتة في أصولها، ولكنها ذات قدرة على التفاعل والتعايش والمواجهة.. هي إذن «ثقافة مطمئنة».

والثقافة التي نعنيها- كما قال العلامة محمود شاكر- هي «التي تذوب في بنيان الإنسان وتجري منه مجرى الدم لا يكاد يحس به، لا من حيث هي معارف متنوعة تُدرك بالعقل وحسب، بل من حيث هي معارف يؤمن بصحتها من طريق العقل والقلب، ومن حيث هي معارف مطلوبة للعمل بها، والالتزام بما يوجبه ذاك الإيمان»(٣).

ولقد تجلى هذا مبكرا في الحياة الإسلامية، منذ وقف جعفر- رضي الله



عنه- أمام النجاشي وشرح له الإسلام بعبارات جامعة مانعة، برغم أنه رجل خارج من بيئة قبلية وهو الآن في بيئة حضرية، ويعتنق فكرة جديدة مطاردة وضعيفة ثم هو يشرحها للملك يعتنق ديانة رسخت منذ ستة قرون وصار لها دول وحضارة.. لقد كان مطمئنا، حتى بعد أن اضطر إلى أن يخوض في موطن الخلاف الجوهري «ماذا تقولون في المسيح؟»، لم يفارقه اطمئنانه بالدين فقال ما يؤمن به ولو كان فيه احتمال الهلكة.

كذلك تجلى هذا الاطمئنان بأوضح من هذا في موقف ربعي بن عامر أمام رستم، إذ تجاوز «الصدمة الحضارية» التي أرادها قائد الفرس، أو قل لم ينتبه لها أصلا، فسار يخرق النمارق ويُفسد الوسائد ثم قال بثبات واعتزاز «جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام».

ونحن نؤمن بأن هذا الاطمئنان سيظل إلى آخر لحظات الدنيا، إلى ذلك الرجل الذي أخبر النبي ﷺ أنه يخرج لمواجهة المسيح الدجال، والدجال يومئذ جعل من نفسه ربًا وله عبيد، ومعه كنوز الأرض، ومعه جنة ونار؛ قال ﷺ: «يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فتلقاه المسالح (الشُرطَة) مسالح الدجال فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج. قال: فيقولون له: أوما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء. فيقولون: اقتلوه. فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدًا دونه؟ قال: فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال: يأيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ، قال: فيأمر الدجال به فيُشبَح فيقول: خذوه شجوه فيوسع ظهره وبطنه ضربا، قال: فيقول أوما تؤمن بي؟ قال: فيقول أنت المسيح الكذاب، قال: فيؤمر به فيؤشر بالمئشار (يُنشر بالمِنْشار) من مفرقه (رأسه) حتى يفرق بين رجليه. قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقول له: قم. فيستوي قائما، قال: ثم يقول له أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة، قال: ثم يقول يأيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس. قال: فيأخذه الدجال ليذبحه فيُجعَل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسا فلا يستطيع إليه سبيلا، قال: فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار وإنما ألقي في الجنة، فقال رسول الله ﷺ: هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين» (رواه مسلم).

إن هذا يُثبت لنا أن الحضارة ليست تفوقا ماديا فقط، بل هي- قبل هذا ومعه- تفوق ثقافي، أو إذا أردنا الدقة «اطمئنان ثقافي».. ويحتاج هذا لبعض تفسير.

إن سقوط الحضارات كان دائما أمام مجموعات أقل منها في المظاهر الحضارية، وقد حدث غير مرة أن أَسَرَت الحضارةُ المهزومة مجموعات المنتصرين، يحدث هذا الأَسْر إذا كانت ثقافة المهزومين متفوقة على ثقافة المنتصرين.

وبهذا نفسر كيف لم تتهيب جيوش المسلمين حضارات الروم وفارس التي قضت في الزمان أكثر من عشرة قرون، فيما هم بدو خرجوا قبل قليل من



الصحراء، كانت الجيوش مطمئنة إلى دينها - الذي هو هو ثقافتها - فلم تأسرهم حضارات الآخرين، بل استفادوا هم منها لصنع حضارتهم الجديدة.

وبهذا نفسر أيضا دخول المغول والأتراك في الإسلام؛ ذلك أن لم تكن لهم حضارة من قبله، فهم على الرغم من انتصارهم العسكري على المسلمين فإنه لم يمض كثير وقت حتى دخلوا في الإسلام وجددوا حضارته مرة أخرى في الهند ووسط آسيا والقوقاز وفي آسيا الصغرى وأوروبا.

ولا نجد حتى في لحظات الانهيار الحضاري للمسلمين انخلاعا من الإسلام إلا على مستوى القليل النادر ممن خطف أبصارهم بريقٌ آخر، وهؤلاء هم الذين لم يكونوا مطمئنين بالإيمان، فهُزموا في ميدان الحضارة، أما عامة المسلمين ومعهم نخبتهم الأصيلة فلهم موقف آخر؛ فالجبرتي مثلا نراه في لحظة الانهيار العسكري والحضاري أمام الحملة الفرنسية يفسر الحال بأنه «اختلال الزمن وانعكاس المطبوع وانقلاب الموضوع»(٤)، ثم يأخذ في نقد الفرنسيين نقد مطمئن بنفسه وثقافته، فلم يبهره تفوقهم، بل أبان عن عوامل تفوقهم وعن غوائل تجبرهم.

وتاريخ القرن الماضي كله ينتصب دليلا على أن الأمة المسلمة احتفظت بثقافتها برغم كل ما سُلّط عليها من وسائل تحملها على أن تسير ذات اليمين وذات الشمال، ولا يعوز الأمة الآن إلا أن يقودها من يعبر عنها، فإن نكبتنا الثقافية والحضارية في هذه الحقبة ليست إلا لغياب هذا العامل.

إن الغوص في أعماق الناس يكشف أن الأمة لا تعاني هزيمة ثقافية، بل هي حقا مطمئنة إلى دينها الذي هو ثقافتها، وليست تجري انتخابات «شبه» نزيهة في أي دولة إلا ويكتسحها المعبرون عن هويتها وثقافتها بسهولة، وكل هذه المظاهر التي تبدو على السطح من آثار التغريب والانحلال ليست إلا كحال عمار بن ياسر - رضي الله عنه - حين نطق بكلمة الكفر بعد طول العذاب الشديد، إلا أن قلبه كان مطمئنا بالإيمان!

ثمة دليلان رئيسيان يثبتان أن الإسلام «ثقافة مطمئنة»:

الأول: أنه لم يُكره أحدا على اعتناقه، واعترف للآخرين بحرية اختيار أديانهم، بل سار في المسار بأبعد من هذا، فجعل رعاية هذه الحرية من مهماته، بل إن مونتجمري وات يسير أبعد من هذا فيقول «هناك اهتمام في الإحصاءات الإرسالية (التبشيرية) بعدد المتحوّلين للمسيحية، وبزيادة الأعضاء المنتمين للكنائس المحلية، والمسيحية في هذا الصدد تصل إلى حَدّ التناقض مع الإسلام، فرغم أنه دين دعوة كالمسيحية، إلا أنه أقلُّ تباهيًا بالداخلين فيه؛ فالمجتمع الإسلامي يجذب أناسًا إلى الإسلام لمجرّد قبولهم كإخوة (في الإسلام)، وهذا الاتجاه لا يَتّخذه إلا أصحاب دين واثقون من دينهم ثقة عظيمة لا تجعلهم يُؤكدونها بالإحصاءات، بينما نجد المسيحيين الغربيين يمرُّون بأزمة ثقة في النفس»(٥).

الثاني: أنه على طول هذا التاريخ لم يتعرض «لمحنة ثقافية» كتلك التي تعرضت لها المسيحية في أوروبا مع اكتشاف الحقائق العلمية، ومع ظهور المذاهب الإصلاحية المسيحية، ومع ظهور الإسلام كذلك.. وغاية ما يمكن أن يُذْكَر في هذا الأمر هو نشوء المذاهب المنحرفة، وهي المذاهب التي لم يُكتب لها البقاء طويلا، ولا تُقرأ الآن إلا في مجال دراسة التاريخ الفكري.

إن العولمة الثقافية أزمة حقيقية تواجه أصحاب الثقافات التي لا تمتلك من الإمكانات ما تستطيع به التعبير عن نفسها أو حتى صد الهجمة الثقافية التي تتسلح بالإمكانات الحديثة، ولهذا فالنظر إلى هذه الأزمة من حيث إدراك خطورتها والتنبيه عليها والدعوة للحذر منها وترتيب الخطط والوسائل لدفعها عن ثقافتنا الإسلامية هو عمل جليل ولا ريب، بل هو عمل واجب يفرضه الدين وتَطْلبه الفطرة الإنسانية، ولذا فلاريب في أن تصوير خطر العولمة والتهديد الثقافي على سبيل التنبيه والتحفيز وإعداد العدة هو من واجبات المرحلة.

لكن توسيع دائرة الرؤية وعدم حصرها في هذه اللحظة التاريخية يكشف لنا أن أزمة العولمة على الثقافة الإسلامية ستكون كغيرها من الأزمات التي اشرأبت بنفسها واكتست زينة واكتسبت بريقا، ثم تهاوت بعدئذ وصارت أحاديث!

ولذا فلسنا نخاف على الثقافة الإسلامية، فهي ثقافة راسخة أصيلة.. إنما التحدي الواجب في هذه اللحظة أن ننظر في الطريقة الأمثل التي تتفاعل بها مع هذه التحديات المستجدة، فهي - أيضًا - ثقافة قادرة على التفاعل والاستيعاب والتعايش وكذلك على المواجهة.. ونحن لن نفعل هذا ولا ذاك على وجه الصحة ما لم نوقن ونؤمن في قرارة أنفسنا أولا بأن الإسلام «ثقافة مطمئنة».

الهوامش

(١) هانس كونج: الإسلام رمز الأمل؛ القيم الأخلاقية المشتركة للأديان، ترجمة رانيا خلاف، دار الشروق - القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م. ص٣٧.

(٢) محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام، دار الفضيلة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦، ١/ج.

(٣) محمود شاكر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ص٣٠.

(٤) الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل - بيروت. ١٧٩/٢.

(٥) مونتجمري وات: الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، ص٢٢٥، ٢٢٦.



المصلحون والثقافة

أحمد عبدالجواد زايدة

إذا كان الحديثُ عن الثقافة أمرًا إنسانيا بالمقام الرئيسي فإن الحديثَ عن «المصلحين والثقافة» أمرٌ في غايةِ الأهمية والحساسية، إذ أنه من المفترض أن «المصلحين» هم المتصدرون للإصلاح والإرشاد والتوجيه، فكل إنسان مسلم يتصدرُ ويواجه هذه المهمة فأمر الثقافة بالنسبة له أمر واجب وأساسي لا غنى عنه، بل قل إنه لا يمكن وجود «مصلح» ولا يليق به أن يكون «مصلحا» بدون أن يكون له قدرٌ من الثقافة والمعرفة «وبناء الوعي»!

لا يخفى أن بوابةَ الثقافة والمعرفة ومفتاحَها الأساسي إنما هو «اقرأ» ذلكم الأمر القُرآني الذي نزل- أول ما نزل- على رسول الله ﷺ قبل كل الأوامر والنواهي للتبليغ والنذارة وبدء الدعوة.. كانت «اقرأ» (في البدء كانت اقرأ)، فهذا هو البيان المناسب لوقت الحاجة، والمقرر أصوليًا أنه «لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة» .

ولأحد المفكرين تعقيب لطيف هنا، أنه لم يكن أولُ أمر نَزل على رسول الله ﷺ «جاهد أو دافع» مع أن مجاهدة الكافرين الصادين عن دعوة الله ومدافعتهم في أول نشأتها كانت ملحة، ولم تكن «بلغ واصدع وادع» مع أن النذارة والتبليغ في ذلك الوقت كانا مطلوبين كي يعلمَ الناسُ دعوةَ الله ودينَه الحق، ولكن الأمر الرباني كان «اقرأ» سابقا على كل هذه الأمور وله الأولوية، فكان «اقرأ» لأن «جاهد وبلغ وادع» لا يمكن أن تكون صالحة إلا بعد «اقرأ» فكلها مبنية على هذه المرحلة.. «مرحلة اقرأ»!

إن «اقرأ» هي المقدمة لكل هذه النتائج، وهي المرشد والدليل والموجه لكل هذه الأعمال وهي المقياس والمعيار الذى تضبط به، فلا علم بدون قراءة ولا وعي ولا إدراك بدون تدبر وتفكر وسير! وللشيخ الدكتور طه جابر العلوانى كتاب لطيف أسماه «الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون»، فاقرأ «أمر لقراءة كتاب الله المسطور ولكون الله المنظور».

إن المصلح المثقف لا يمكن أن يكون كذلك- مصلحا مثقفا- إلا إذا كان مُلما بكل ما يُصلحُ مجتمعه- وبالتحديد في مجال عمله الإصلاحي- بحيث تكون لديه «المعرفة والوعي» لصناعة مجتمعه وصناعة وعيه وإدراكه.

وبدون هذه المعرفة والرصيد المعرفي (والذي يسميه البعض السلطة المعرفية) لا يليق ولا يجوز أن يتصدر أي شخص مواطن الصدارة والتوجيه، ولا يجوز لغيره أن يدفعوه إلى ذلك والقاعدة الحاكمة هنا هي قول النبي ﷺ: «يا أبا ذر إنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها».

وكذلك فإن «حركة الفكر» والثقافة والمعرفة والوعي يجب أن تسبق «فكر الحركة» (بتعبير العلامة الدكتور أحمد الريسوني)، وإلا فلن يكون المصلحون سوى ردة فعل للأحداث الجارية تصنعهم وفقما وكيفما تريد، لا أن يصنعوا هم الأحداث والواقع بسنن الصناعة والبناء وقوانينه، لأن العمل هو فى الحقيقة تجل لما هو موجود في العقل، فإن التصرفات (العمل) مبنية على «القناعات» الناتجة من «التصورات»، أي الأفكار وثقافة الإنسان ومرجعيته التي ينهل منها»، فإن كان فكر الحركة سابقا لحركة الفكر، فلن يكون فكر الحركة سوى تسويغ للحركة ولأعمالها-إن كانت صحيحة أم سوى ذلك، وإن سبقت حركة الفكر كانت الحركة نتاج الفكر وتطبيقا له.

فإذا كان المصلح يرغب في تأسيس حضارة ونهضة أمة ويقظة وعي فعليه أن يكون لديه علم بكل ذلك ووعي مقاصدي ومعرفة شرعية وفكرية واجتماعية، وإدراك للواقع السياسي والعالمي، وإدراك كذلك لسنن النهضة والبناء والوعي بسنن التاريخ، وإلا فكيف يصل إلى مبتغاه بدون هذا؟!

وفي هذا المقام نشير لبعض الكتب البالغة الأهمية في هذا الباب، أولها وأهمها كتاب العلامة الدكتور فريد الأنصاري- رحمه الله- «مفهوم العالمية من الكتاب إلى الربانية.. دراسة في مفهوم العلم وصفة العالمية وظيفة وبرنامجًا»، وكتاب العلامة الدكتور يوسف القرضاوي «ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق» وكتاب المفكر الكبير الدكتور عبدالكريم بكار «تكوين المفكر.. خطوات عملية».

في كتاب الله أمر بالقراءة (للكتاب المسطور والكون المنظور)، وأمر بالتفكر والتدبر، وأمر بالسير والنظر في الأمم السابقة وعواقب الأمم، وأمر باتخاذ العبر من القصص السابقة، وأمر بسؤال أهل الذكر، وتحفيز على العمل والمسارعة له، تلك هي دائرة التكوين «اقرأ»، «أفلا يتدبرون»، «لعلهم يتفكرون»، «أفلم يسيروا في الأرض- قل سيروا في الأرض فانظروا»، «فاسألوا أهل الذكر»، «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون»، والله الموفق لما فيه الخير.

باحث دراسات إسلامية



إنّ التراث الثقافي مُلكٌ جماعي وإرثٌ تتناقله الأجيال ولا يمكن القضاء عليه بسهولة، فالثقافة لا تندثر في أغلب الأحيان، ولكنها قد تضمحل بمرور الزمن، ما لم يتم الحفاظ عليها من قِبَل أبنائها.. حيث الثقافة هي مجموعة الأفكار والقيم والمعتقدات والتقاليد والعادات والأخلاق، والمبادئ الدينية واللغة والمهارات وطرق التفكير وأساليب الحياة.. التي يجتمع عليها مجموعة كبيرة من الأفراد في مكان ما فتشمل الثقافة كل ما أنتجه العقلُ البشريّ أو توارثته الأجيال نتيجة عيشها في مجتمع معيّن.

في عالَمٍ يزدادُ عَوْلمةً.. هل خوفُنا على ثقافتنا أم من ثقافتنا؟!

د. آندي محمد حسن

كنّا بالأمس لا نخافُ على ضياع الثقافة والهويّة العربية والإسلامية، حيث كان الآباء يحفظونها ويرعونها كرعايتهم لأبنائهم فلا يسمحون لأحد بالمساسَ بها، فهم يعتزّون بما يملكون من معتقدات وتقاليد وقيم وثروات فكرية متناقلة، وهم يلجأون للثقافة في كلّ حين، لأنهم يدركون أن الثقافة هي مصدر قوة الأمة ورقيّها ومجدها، فلو جلست اليوم مع جدٍّ لك لسمعت منه أحاديثَ يفوح منها عبَقُ العادات والتقاليد والمعتقدات والقيم وأساليب الحياة، لأبناء جلدته وقبيلته وقريته وديانته، فتشعر أن هذا الجَدّ يمتلك ثقافةً ما ويعتزّ بها، فترى بعينك ثقافته وتشتمُّ عبقَها وتتذوَّقُ طعمها وتتلمّسُ أثرها في قلبك وعقلك، وفي المقابل، عندما تسمع لحفيد هذا الجَد فإنك تجد أنه من الصعب أن تُحَدّد هويته الثقافية أو أن تتذوّقها أو تشعر بها، وكأنّه قد فقدَ البوصلة.

وإنّنا اليوم نلمسُ تخوّفَ أبناء الثقافة العربية والإسلامية من الثقافة ذاتها بل ومقاومتهم لها، وكأنّ الالتزام بمكوّنات ثقافة مُحافظة في زمن العولمة هو دربٌ من التخلّفَ والرجعيّة، ويُعطِّلُ على أبنائها الكثيرِ من الفوائد والمكاسب.. وكأنّ التمسك بهويتنا الثقافية سيقف حجرَ عثرةٍ في وجه المضي قُدمًا في مواكبة تيارِ التقدّم التكنولوجيّ السائد اليوم.. وكأنّ الخروجَ عن ثوب الثقافة هو ما سيجني لنا الفوائدَ الجَمة.. وكأنّ التقصيرَ في إبداعاتنا واختراعاتنا اليوم هو ناتج عن الالتزام بثقافتنا.. فهل التوازن بين إرث الماضي وثقَافة الحاضر أصبح من الأمور المستعصية في الزمن الراهن؟

إنّ ما لا يفهمه الناشئة اليوم وأنصار ثقافة الانفتاح على العولمة بكل ما تتضمنه من إيجابيّات وسلبيّات؛ هو أن الثقافة عملية مستمرة ومَرنة، فتقبل التعديلَ والتطويرَ والتحوّرَ وتقبَلُ المستجدات بل والخروج عن المألوف بالشكل المُنتج المفيد.. وممّا يصعب على تلك الفئة فهمه أيضًا أنّ الالتزام بالهوية الثقافية العربية والإسلامية يعني الالتزام بروح الأمة وبأمجادها وبمستقبلها، وأما الهروب إلى هويةٍ عالميةٍ فقد يفوّت علينا الكثير مما نملك.

إنّ الالتـزام بثقافة العولمة والقرية العالمية الواحدة يفرض على المجتمعات البشرية التمسك بالماديات وبالفكر المادي في أقصى درجاته، ويجعله في سلّم الأولويات، وذلك على حساب التمسك بالروحانيات والقيم العقائدية والتي هي جزءٌ لا يتجزأ من حياة البشر.. ولذلك فإنّ التعاطي لجرعات كبيرة من الثقافة التي توفرها العولمة اليوم، وبما تمتلك من أدوات كالمحطات الفضائية وشبكات الإنترنت ووسائل الاتصال المختلفة.. يجعلُ الإنسان ينتقلُ سريعًا إلى عالم الماديات وعالم الفراغ الدائم في القلب والفكر والروح.. وقد قال اللهُ تعالى في محكم كتابه: ﴿ألا بذكرِ الله تطمئنُّ القلوب﴾ (الرعد: ٢٨)، فأينَ الجانب الروحيّ من تلك الثقافة؟!

إنّ التعامل مع ثقافة العولمة اليوم يتضمن الكثير من الإغراءات والأمور البرّاقة، وهذا ما يتطلب الكثير من الحذر والتأني فيما نأخذ وفيما نترك، وفيما نأكل ونشرب ونلبس، وفيما نسمع ونشاهد، وفيما نبني من علاقات ونمارس من معتقدات. فبالأمسِ القريب على سبيل المثال؛ كان احترام الكبير واجبًا تفرضه أغلب الثقافات الإنسانيّة، وهو أساسٌ في عقيدتنا حضّت عليه شريعتنا الإسلامية.

لقد تعدّدت الأمثلة على تغلغل ثقافة العولمة في حياتنا، فنجد مثلًا انتشار المقاهي التي لم تعد حكرًا على

* أستاذة في جامعة البلقاء التطبيقية - الأردن





التعامل مع ثقافة العولمة بما تتضمنه من إغراءات يتطلب الكثير من الحذر والتأني فيما نأخذ وفيما نترك

الرجال بل أصبحت الإناث يسبقْنَ إليها ويتعاطينَ النرجيلة وأنواع التدخين، إنّ هذا ممّا يستدعي التفكير به مليًا؛ فهل رباتُنا وأخواتُنا وأمهاتُنا هنّ بحاجة لتلك الجلسات؟ وهل هي مناسبةٌ لتربية أبنائهنّ؟، ليس كل ما تأتينا به ثقافة العولمة هو ملائمٌ لثقافتنا وعلينا تقبّله على علاّته لكي نجاريَ تلك الثقافة العالمية أو لكي لا تطلقَ علينا وَصْمةَ التّخلّف والرجعيّة!

وفي واقعنا اليوم، أصبحت الفتاة العربية والمرأة العربية المسلمة تخرج إلى العمل جنبًا إلى جنب مع الرجل لتعمل في المجالات المختلفة، وهذا ما لا نخالفه، ولكن هل ستحافظُ الفتاة أو المرأة العربية في ظل عملها على معتقدات ثقافتها وقيمها الحميدة التي ورثتها من آبائها وأجدادها، أم ستنقادُ في أفكارها ومعتقداتها وسلوكاتها وأساليب حياتها وراء ما تسوِّقه لها الثقافة العالمية في ظل الانفتاح والعولمة وبدعوى التطوّر والتقدّم ومحاربة الرجعيّة؟، والذي يزيد الأمر تخوّفًا في زمنٍ يزدادُ عولمةً يومًا بعد يوم، هو تحكّم الفضائيات بما يدخل إلى عقول أبنائنا وبناتنا بل وإلى عقولنا بلا قيدٍ أو شرط أو رادع.. فهل من لحظة تفكّر وتدبّر؟

إنّ لكلِّ أمة ثقافة ولكلِّ مجتمع هوية ثقافية يتمسك بها ويحاول الحفاظ عليها، وإنّ فرضَ الهوية العالمية اليوم أو ثقافة العولمة يجعل الثقافات متداخلة، بل ومنصهرة، ويجعل هويّة الأمم والشعوب ذات الحضارات العريقة تضيع وتضمحل وتنصهر في بوتقة العولمة، ولذلك تحاول المجتمعات المحافظة كالمجتمعات العربية والإسلامية وحتى اليابانية وبعض الأوروبية اليوم التثبّث بثقافتها- على الرغم من المعوقات- لأنها تعلم أن ضياع هويتها الثقافية يعني ضياع الحضارة وتفكك الأسر وضياع الكثير من الأخلاق والعادات والمعتقدات والقيم، التي تحمي تلك المجتمعات والأفراد والعلاقات والأسر من الانهيار، وتعلم أنّ الأخذ بكل ما تفرضه علينا اليوم ثقافة القرية العالمية الواحدة بلا تأنٍ وتفكّر؛ لابد وأن له مخاطر لا تحمد عقباها في ظل من يملكون زمام الأمور ومن يسيطرون على دفة التحكم بقيادة السفينة العالمية. وقد أنزلَ الله تعالى: ﴿ولا تتبع أهواءهم عمّا جاءك من الحق لكلٍّ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجًا ولو شاء اللهُ لجعلكم أمّةً واحدةً ولكن ليبلُوَكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعُكم جميعًا فينبّئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ (المائدة: ٤٨).

إنّ الخوفَ اليوم من الثقافة الأم ومن التمسك بالهوية الثقافية العربية الأصيلة غير مُبرَّر، ولكن الخوف على الثقافة العربية والإسلامية هو ما له مبرراته وما يجب التفكير به، حيث إن المجتمعات التي بقيت متماسكةً إلى اليوم بقيت بثوابتها، وبصلاحية معتقداتها، وبما تناقلته من أجدادها، فجعلتها قويةً ثابتةً في وجه التحديات وعلى مرّ الزمن، وإنّ الحفاظ على الهوية الثقافية الاصيلة ووضوحها يجعل الفرد مميّزا ومقدّرا في أعين الآخرين، وتكون له مُعينًا حين تختلط الأمور، وعلى العقول المفكّرة أن تدرك أن ليس كل ما تأتي به ثقافة العولمة اليوم هو الصحيح والثمين والذي يجب العمل به! وأنّ ما يكونُ مستمرًا في ثقافة الشعوب المحافظة على التراث والمعتقدات هو الغثُّ والضعيفُ والذي يجب أن يُنبذ!

وأخيرًا نؤكّد، إنّ التوازنَ مطلوبٌ بين الماضي والحاضر، وبين الجديد والقديم، وبين العقل والروح، وبين الأخذ والكف، فبالأمس مثلا لم تكن السيارات، ولكن آداب الطريق وآداب التعامل مع الدواب كانت متوارثة وموجودة في الثقافات منذ القدم، فماذا يُضيرنا لو جعلنا نقطة التقاء بين الماضي والحاضر وأخذنا من ماضيناً لحاضرنا، ومن معتقداتنا لعالَمنا، وتكيّفنا مع واقعنا، بلا تضييع أو تنازلات فادحة في الهوية، ولكيلا تكون الخسائر أكثرَ فداحة، فلابد من النظر والتفكّر والصحوة والوعي قبل فوات الأوان، ولكي نبقى كأمة وصفها الله تعالى بأعظم الصفات في قوله تعالى: ﴿كنتم خيْرَ أُمّةٍ أخرجتْ للنّاس تأمرونَ بالمعروفِ وتنهوْنَ عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (آل عمران: ١١٠). وقولهُ أيضًا: ﴿وكذلك جعلناكم أمةً وسطًا لتكونوا شهداءَ على الناس ويكونَ الرسولُ عليكم شهيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

ليس من باب الترف الفكري وليس من باب التشبه بالغير نتعاطى مع أولوياتنا، إنما فهم الأولويات هو مطلب شرعي يلازم مسيرة حياتنا الإسلامية مادمنا ارتضينا الإسلام دينًا، فالإسلام منظومة واحدة متكاملة لا تنفك عن بعضها البعض، ومن يحاول أن يقدم الإسلام أجزاء منفصلة إنما يقدمه منقوصًا فيسيء إليه. وذات الخطأ يقع فيه من لا يراعي فقه الأولويات في فهمه الإسلامي أو في تقديمه للإسلام.

فهم الأولويات.. ترف فكري أم مطلب شرعي؟

د. رامز طنبور

المسلمون بأسرهم مطالبون بإعادة ترتيب أولوياتهم، ليقدموا الأهم على المهم، وليوازنوا بين تطلعاتهم الذاتية وتطلعات الأمة التي ينتمون إليها. فالقضايا والاهتمامات التي يعمل عليها المسلمون لا تتساوى في الأهمية مع بعضها البعض، فمنها أمور مهمة يمكن تأجيلها ولا ضرر في ذلك، وأمور أيضًا مهمة يجب القيام بها ويترتب الضرر إذا ما تم تأجيلها بمعنى أنها لا تحتمل التأجيل. كما توجد أمور ضرورية ومهمة ترتبط بالأهداف التي نسعى إليها وأمور أيضًا مهمة ولكن قد لا ترتبط بأهدافنا. لكن الأولوية تكون دائمًا للأهم ثم المهم وللأهم الذي لا يمكن تأجيله، وكذلك الأولوية دائمًا لأنشطتنا وأعمالنا المرتبطة بأهدافنا.

ومن الضروري أن نعلم بأن مسألة تحديد الأولويات بين العمل الدعوي وغيره من الأعمال هي مسألة شرعية بالدرجة الأولى، ثم يأتي بعد ذلك الاجتهاد المبني على الظروف الخاصة في حال عدم وجود النص الشرعي الحاسم. وقد أرشدنا رسول الله ﷺ إلى ذلك بقوله: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق». فالأولوية الأهم التي تنطلق منها سائر الاهتمامات هي قول لا إله

باحث وأكاديمي لبناني

الأخذ بالأولويات هو الرؤية الواضحة والمسيرة المتصاعدة باتجاه تحقيق الهدف

إلا الله، وهنا ينبغي ألا نضيع البوصلة وألا تأخذنا سفاسف الأمور عن هذا الأمر الأصل. فالأصل عندنا هو الإسلام وتوحيد الخالق وكل الأولويات الأخرى تنتظر وتتأجل أمام تحقيق هذه الأولوية. ولقد أمضى رسول الله ﷺ طيلة المرحلة المكية لتثبيت تلك الأولوية التي أنتجت جيلًا فريدًا. وإلا فما فائدة الدعوة إلى الصلاة والزكاة والصيام والجهاد والحجاب لقوم لا يدركون معنى التوحيد، فالصلاة صلة بالله وعبادة له فهي تستدعي الإيمان أولًا، وكذلك الصيام والزكاة والجهاد والحجاب كلها مرتبطة بأداء العبادة والطاعة والانصياع للرب الخالق، وإذا خرجت عن هذا الإطار تحولت إلى طقوس وصور وأشكال فارغة من محتواها وبعيدة عن الهدف الذي شرعت من أجله وهو تعميق الوحدانية وتألقها في النفس البشرية والتي تستتبع سلوكًا فعالًا ونافعًا.

وفي هذا المضمار من الأولويات ما روي عن النبي ﷺ أنه ابتعث معاذا إلى اليمن وقال له: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب». إنه التأسيس والانطلاقة القوية المتجذرة، حيث إن الإسلام يقوم أصلًا على فكرة التوحيد والعودة بهذه الفكرة إلى أصلها بعدما طرأ عليها التحريف والتشويه، وانطلاقًا من التأسيس عليها تتدرج الأمور التي تعزز من رسوخها واستمراريتها وتجلياتها كالصلاة والصدقات وما إلى ذلك.

ومما لا يقل أهمية عن الأولويات ذاتها هو التوازن في الأولويات بشكل لا تطغى واحدة على الأخرى، فكل شيء بمقدار. وقد حدثنا عن ذلك عَوْن بْن أَبي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيه قَالَ: «آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاء فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً:

فَقَالَ لَهَا مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُوالدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُوالدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ، قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ قَالَ فَأَكَلَ. فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُوالدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ نَمْ فَنَامَ ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ نَمْ فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، قَالَ سَلْمَانُ قُمِ الآنَ، فَصَلَّيَا. فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ». فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ صَدَقَ سَلْمَانُ».



وهنا تتبين لنا أولوية تحقيق التوازن في النفس الإنسانية بين طاعتها لله وهو حق الله، وبين خدمتها لنفسها واستكمال متطلباتها الحياتية من مطعم وملبس وشهوة وهو حق النفس، وبين تفاعلها وتكاملها مع الأسرة التي تنتمي إليها، وهذه الأسرة تبدأ من الأهل وتصل إلى الأمة، وحق الأهل والأمة عليك أن تلبيها عند الحاجة إليك لأن وجودك الحالي هو من نتاج ما تلقيته من رعاية وتأهيل وتكوين من أهلك وممن حولك من أبناء الأمة. والأصل في أولوية التوازن بين حق الله وحق النفس وحق الأهل أنها تسعى لهدف واحد، وبهذا تنسجم مع بعضها البعض ولا تتضارب فيما بينها على الإطلاق. فطاعة الله تأتي من خلال حفظ النفس والسير بها على طريق الاستقامة وهذا ما يتطابق تمامًا مع بر الوالدين وصلة الرحم والنصيحة والتعاون مع أبناء الأمة في عملية تكاملية بناءة.

لقد جعل الله عزّ وجلّ لنا جملة أولويات من أجل فلاحنا وسؤددنا في الحياة الدنيا والآخرة، إلا أن فئة من المسلمين لم تلحظها ولم تعرها الاهتمام الكافي فكان ما نشهده من تردد واختلال وزن، ومن أولى تلك الأولويات نشر الدعوة التي تؤدي إلى انتشار الإسلام وسيادته للكون، قال الرسول ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم». ونظرًا لأن الجهاد يحمي الدعوة ممن يقف في وجهها ويدافع عن كيان المسلمين، فقد جعله الله تعالى من الأولويات وقدمه على الكثير من الأعمال، فعن النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنه قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فقال رجل منهم: ما أبالي ألا أعمل لله عملًا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام، وقال ثالث: بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم، فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله، واليوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله ﷺ فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظالمين. الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

فالأخذ بالأولويات هو البناء الصلب والرؤية الواضحة والمسيرة المتصاعدة باتجاه تحقيق الهدف، أما الاستعجال وحرق المراحل وخلط الأولويات فإنه وبال على الأمة وتراجع إلى الوراء، حيث اعتادت جماهير الأمة المتحمسة الاهتمام بالأعمال التي تتطلب وقتًا قصيرًا لتحقيقها والبعد عن الأعمال التي تتطلب وقتًا طويلًا لإنجازها، أي إعطاء الأولوية للأسهل على الأصعب، وذلك معيار خاطئ لأن الأصل في معيار الأولويات هو درجة الأهمية، وإذا تساوت الأهمية فمن الفطنة عندئذ إعطاء الأولوية للأسهل الذي يوصلنا للهدف بشكل أسرع.

فلابد من فهم للأولويات، هذا الفهم الذي يساعدنا على تصنيف طموحاتنا وتوازنها وتبويبها والعمل على تحقيقها. وفهم الأولويات ليس وليد الفكر المعاصر بل هو جزء من ثقافتنا الإسلامية التي ابتعد عنها الكثير من أبناء الأمة وقادتها فتساقطت طموحاتهم وتاهوا في مسيرتهم رغم وضوح الطريق إلى الإسلام من خلال النص القرآني والممارسة النبوية: ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

فالبصيرة والتبصر في أن نفهم الأولويات من خلال شريعتنا والأخذ بها بحق وأن نعمل على فهمها ومعرفة أبعادها وربطها بالواقع كي نتمكن من تحديد خياراتنا وتبويبها والعمل على تنفيذها بحكم الأكثر أهمية والأشد ضرورة، وبذلك نقترب بخطى واثقة وراسخة من إنجاز المهام وتحقيق الأهداف.

هو عند النخب العربية المثقفة- كما هو عند الغرب- أسطورة من أساطير الفكر وأحد علماء اللغة وصاحب النظرية «التحويلية» التي ذاعت شهرتها في الستينيات من القرن الماضي، وهو إلى جانب ذلك أحد العلماء الأفذاذ في السياسة والفكر وفي التنظير للسياسة الأميركية والإسرائيلية.

قدم إلى إسرائيل بهدف الدخول إلى قطاع الضفة الغربية لإلقاء محاضرة في جامعة بير زيت لكن السلطات الإسرائيلية منعته من الدخول، ثم أجرت معه قناة «الجزيرة» في بيروت حوارًا مفتوحًا نقلته في ١٧/٧/٢٠١٠م، وكنت حريصًا على مشاهدته لمعرفة أفكاره الجديدة بعد أن جاوز السبعين.

مراجعة ضرورية لموقف النخب العربية من:

ناعوم تشومسكي المفكر اليهودي

د.رفيق حسن الحليمي

الصورة النمطية التي تكونت عن ناعوم تشومسكي لدى النخب العربية جاءت من محورين أساسيين:

الأول: نظريته اللغوية «التحويلية» التي ترجع منطق التفكير اللغوي عند جميع البشر إلى طريقة واحدة، وبمعنى آخر: تذهب نظريته إلى أن الناس على اختلافهم يفكرون بمنطق لغوي واحد وأن لديهم نظامًا واحدًا مشتركًا تخضع له عملية التفكير العميق التي تتم داخل الذهن، وقد عبّر عما تنتجه من أفكار بالتراكيب العميقة Deep Structure وهي المشتركة بين البشر، وبذلك لا يكون الاختلاف بين البشر في طريقة التفكير، وإنما في طريقة «التعبير» أي في اللغة المنطوقة التي نسمعها من الآخرين عندما ينطقون، وقد عبّر عنها بالتركيب السطحي Surface Structure، وقد كان لهذه النظرية عندما ظهرت في الستينيات من القرن الماضي أصداؤها الواسعة وبريقها الأخاذ.

وكانت النخب العربية المتغربة منبهرة أشد الانبهار بها، وكان كثير من المهتمين بالألسنيات يلهجون بأقواله، وبالأمثلة التي ساقها لتعزيز نظريته، غير أنها ذوت وصوّح عودها، فقد تجاوز علم اللغة الحديث نظريته- التي أصبحت من التاريخ وعفا عليها الزمان- إلى نظريات أخرى أكثر منها حداثة، منها التركيبية والتفكيكية وهي جميعًا محاولات لفهم طبيعة الاختلاف في اللغات بين البشر.

الثاني: عداؤه لدولة إسرائيل وانتقاده لسياستها على مدى سنوات وعقود، ولكني- وقد أكون على خطأ- رأيت الرجل من خلال طروحاته في ذلك اللقاء على وئام تام مع دولة إسرائيل، ومع الصهيونية أيضا، ويبدو لي ولغيري أنه يلهج ظاهريًا بالتنديد بإسرائيل وبسياستها في المنطقة لكنه يخفي قناعة كبرى وفرحة غامرة بنشأة تلك الدولة التي أعلن بصراحة عن تأييده لقيامها، وبرر ذلك بنظريات متداخلة ومغلوطة سنأتي عليها واحدة بعد الأخرى:

في بداية حديثه أعلن أنه يهودي متدين، وأنه لا يتبرأ من الصهيونية، وأنه منسجم مع الثقافة اليهودية، ولا أحد منا يمكنه الاعتراض على ذلك.

ويعترف تشومسكي بأن اليهود قدموا من الشتات وأقاموا دولة، وهو يؤيد قيام هذه الدولة (!)، ويقول إنه كان يعارض الدولة اليهودية قبل أربعين سنة ولكنه لم يعد كذلك، ويرى أن الشمس أشرقت عام ١٩٦٧م وعام ١٩٩٠م، في إشارة إلى انتصار إسرائيل وهزيمة العرب البشعة عام ١٩٦٧م، وإلى حرب الخليج الثانية عام ١٩٩٠م التي غزت فيها العراق دولة الكويت (!!).

والسؤال: هل بعد هذه الاعترافات يبقى ناعوم تشومسكي في نظر النخب العربية التي هللت له ورقصت على إيقاع انتقاداته معاديًا لدولة إسرائيل؟

و يبرر تشومسكي قيام إسرائيل بأنه يأتي ضمن الحراك الاجتماعي الذي شهده العالم منذ فجر التاريخ، فلا غرابة- على حد زعمه- من قيام هذه الدولة التي تأتي في سياق الحراك الاجتماعي. أقول: لا أحد ينكر ظاهرة الحراك الاجتماعي عبر تاريخ البشرية، لكن هناك فرق كبير بين حراك سلمي نظيف يأتي ضمن هجرات جماعية مسالمة تريد العيش بأمن وسلام ولا تعتدي ولا تغتصب حقوق الآخرين وبين حراك حربي دموي

كاتب فلسطيني

يقوم على المؤامرة والعدوان واستلاب الأوطان، ولم يكن قيام إسرائيل بحال من الأحوال حراكًا سلميًا، والتاريخ خير شاهد على ما اقترفته من نكبات وما جنته من ويلات.

وقد شبه قيام إسرائيل بما حدث في جنوب إفريقيا وأميركا، حيث جاءت أمم من أوروبا واستوطنوا أميركا كما استوطنوا جنوب إفريقيا، ونسي هذا العالم اليهودي أن الزحف الأوروبي خارج القارة الصغيرة (أوروبا) إلى أميركا وغيرها لم يطرد الهنود الحمر ولم يطرد الأفارقة السود من أراضيهم، صحيح أنه عاملهم بقسوة وعنصرية، كما نسي أو تناسى عن ذكاء ودهاء أن بواعث الحراك الأوروبي كانت في بداياتها نتيجة الأطماع الاستعمارية المادية ولم تكن النية مبيتة لديهم للاستيطان طويل الأجل، وأما قيام إسرائيل فقد كان بدوافع توراتية تلمودية، ويهدف إلى الاستيطان واقتلاع الشعب الفلسطيني من أرضه، والغريب في الأمر أن هذا العالم نسي أنه سبق قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م وعد بلفور الصادر عام ١٩١٧م بإنشاء «وطن قومي لليهود»، وهذا يعني أن الوطن القومي «الدولة المفترضة» حددت معالمه قبل قيام الدولة العبرية على أرض فلسطين بثلاثة عقود، وهذا لم يحدث عندما جاء الحراك الأوروبي إلى إميركا وغيرها على الأقل في بداياته، والمفارقة كبيرة بين حراك وحراك.

الغريب أننا نصدق ونصفق لهذا اليهودي ونعتقد أن كلامه في غاية الأهمية، وهو في الواقع كلام مدسوس يخدم به دولة إسرائيل

هل بعد اعترافات تشومسكي يبقى في نظر النخب العربية معاديًا لإسرائيل؟!

من حيث لا تدري نخبنا المتغربة، ولكن تشومسكي يدري حقيقة ما يقول وتدري به إسرائيل، وعلينا ألا ننخدع بأنها منعته من دخول الضفة لإلقاء محاضرة في جامعة بير زيت، فالأمر لا يعدو توزيع أدوار بين مؤيدين لها ومعارضين لها ظاهريًا، وكم يكون بين «الأدعياء» من جواسيس يعملون لصالحها من حيث لا ندري.

ويؤمن تشومسكي بأن أرض الميعاد (أرض فلسطين) لليهود، وأن القدر وعدهم بها وأن بني إسرائيل دخلوها بأمر الله وبوعد منه، هذا هو ناعوم تشومسكي الذي قال ذلك صراحة ومن دون خجل، لكن ماذا ستقول نخبنا؟

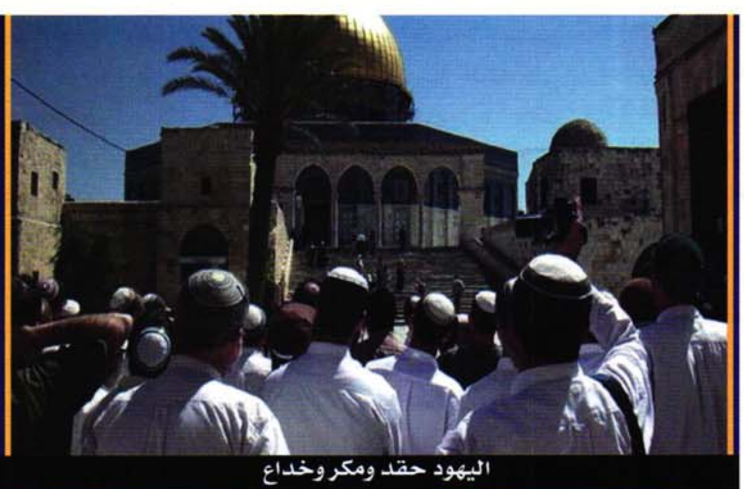
هذه الفكرة تحتاج منا ومن غيرنا إلى وقفة نستجلي بها مايعرف بالوعد الإلهي المزعوم لليهود، إذ إن فكرة هذا الوعد تشيع كثيرًا في أدبيات الثقافة اليهودية، وقد استغلتها وما زالت تستغلها الصهيونية على مدى عقود بهدف الإقناع بالهجرة إلى أرض الميعاد، ولكي نصل إلى حقيقة هذا الوعد علينا أن نتعرف إلى مصدر هذا الوعد، وكيف فرغوه من مضمونه وسيسوه لمآربهم، وهل هو وعد مطلق أم مقيد برجال معينين وزمان محدد.

مصدر هذا الوعد هو التوراة: «قال الرب لأبرام (إبراهيم) اذهب من أرضك ومن عشيرتك، ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك، فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك» (سفر التكوين، الإصحاح الثاني عشر، عدد: ١-٢)، فالخطاب موجه إلى إبراهيم عليه السلام.

وفيها أيضا: «في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقًا قائلًا: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات» (سفر التكوين، الإصحاح الخامس عشر، عدد: ١٨-١٩)، فالخطاب موجه لإبراهيم عليه السلام بعطاء الله له الأرض ولنسله من بعده.

وفي القرآن الكريم على لسان موسى قوله تعالى: ﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم﴾ (المائدة:٢١)، جاء ذلك بعد خروج بني إسرائيل من مصر وبعد نجاتهم من عذاب فرعون، قال تعالى: ﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين. ونمكن لهم في الأرض ونُري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ (القصص:٥-٦).

إذن هناك وعد إلهي لإبراهيم ولنسله ولبني إسرائيل (يعقوب) وهو وعد مقيد بمن وجه إليهم ممن كانوا مستضعفين في الأرض وليس ذلك


اليهود حقد ومكر وخداع

الوعد مطلقًا ومشاعًا لمن هب ودب، بحيث يدخلها ممن اعتنقوا اليهودية وليسوا من بني إسرائيل كيهود الخزر (اعتنقوها هروبًا من الدخول في المسيحية والإسلام) والفلاشا وغيرهم ممن لا يتحدرون من سلالة إسرائيل، وإنما كان الوعد الإلهي لإبراهيم ولبني إسرائيل قوم موسى وعدهم الله بذلك ليستقروا وليأمنوا الأذى والعذاب، ولم يقترن الوعد الإلهي بأكثر من الدخول للاستقرار والعيش بأمان وقد وعدهم الله بذلك لأنهم كانوا على عقيدة ولم يكن غيرهم كذلك، كما أن الوعد الإلهي لم يطلب طرد سكان الأرض أو إلحاق الأذى بهم.

استغلت الحركة الصهيونية العالمية ذلك الوعد أبشع استغلال فاستصدرت وعد بلفور بإقامة وطن قومي لليهود، وخدعت العالم باختلاقاتها التاريخية وأكاذيبها، وأشعلت غداة قيام دولة إسرائيل الحرائق في عدد من الأحياء اليهودية في بعض المدن العربية (الإسكندرية- بغداد- مراكش) بهدف تسريع هجرة اليهود إلى أرض الميعاد وزينت لكل من يعتنق اليهودية أهمية العودة.

وللحق وللتاريخ لم يكن قيام دولة إسرائيل لمجرد إقامة وطن قومي لليهود بحيث يعيشون فيه مع السكان الأصليين بأمن وسلام، وإنما كان الهدف طرد السكان واغتصاب الأرض، وإقامة دولة على أنقاض دولة، وإقامة أمة على أشلاء أمة، والكل يعرف كيف بيتوا النوايا وأعدوا العدة لإقامة دولة عدوانية عدائية، مدججة بالسلاح، لتمثل رأس حربة لخدمة أهداف محددة.

هذه الحقائق - إذا أحسنا الظن - كان يدركها تشومسكي مع بداية قيام دولة إسرائيل، لذلك راح ينتقدها ويندد بها، وكان كثير من يهود العالم غير راضين عن قيامها يوم أن قامت لأنهم كانوا متخوفين ويتوقعون مصيرًا سيئًا لليهود إذا ما فشلوا، ولكنها عندما قامت وتحقق لها النصر وطاب لها المقام بدأت الأمور تتغير عند كثير من المعتدلين، كما تغيرت عند تشومسكي وقد عبّر عن ذلك بإشراقة الشمس عام ٦٧م وعام ٩٠م.

أفكار تشومسكي لا تختلف عن أفكار أي يهودي متطرف

ويرى تشومسكي أن اليهود القدامى، وربما هم الفلسطينيون وهم السكان الأصليون في أرض الميعاد، وهذه الفكرة صهيونية تلمودية تتبناها شريحة واسعة من اليهود اليمينيين المتطرفين، وقد قالها من قبل رئيس وزراء إسرائيل الأسبق مناحيم بيغن في إحدى لقاءاته عبر التلفزة بعد اتفاقية «كامب ديفد»، وهذا يدل على خلط في المفاهيم وفي مفردات التعاليم اليهودية إذ إن مصطلح «يهود» لم يظهر إلى الوجود إلا بعد قيام مملكة يهوذا في فلسطين، أي بعد خروج بني إسرائيل من مصر بقيادة موسى عليه السلام وبعد أربعين سنة من التيه في سيناء، فلم يكن إبراهيم يهوديًا، وقد رد القرآن الكريم على مزاعم اليهود عندما قالوا قديماً: إن إبراهيم يهودي، قال تعالى: ﴿ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾ (آل عمران: ٦٧)، ومن اليهود المؤرخين المنصفين من يفرق في استخدام المصطلحات إذ يفرقون بين إسرائيلي وبين يهودي وبين صهيوني ويجعلون كل مصطلح حقبة زمنية معينة، وتشومسكي لا يخلط في المفاهيم فحسب بل يجهل حقائق التاريخ أو يقفز عليها، فأرض فلسطين كان يسكنها قبائل عربية تعود في أصولها إلى «العرب البائدة» وهم أقدم موجة من العرب الأوائل الذين بادوا ولم تتبق منهم إلا ذكراهم، ومنهم الكنعانيون والحيثيون واليبوس وغيرهم، والتوراة التي يدين بها تشومسكي تعترف بذلك، فقد ترددت كلمة «أرض فلسطين وأرض كنعان والحيثيين (بني حث) في التوراة كثيرًا، ثم إن إبراهيم عليه السلام دخل فلسطين وهي عامرة بمن فيها من السكان، ففي التوراة «وتغرب إبراهيم في أرض فلسطين أيامًا» (التكون ٢١ عدد:٣٤)، وعندما توفيت زوجته سارة اشترى قطعة أرض كما تنص التوراة في حبرون في أرض كنعان بأربعمائة شاقل فضة ليدفنها فيها.

ويلح تشومسكي على ضرورة الاعتراف بالواقع والتعايش معه (!)، وليس الاعتراف بالواقع الذي يعنيه إلا الاعتراف بدولة إسرائيل كواقع على الأرض وحقيقة ثابتة لا مراء فيها، عندما اعترض على كلامه أحد الحضور في ذلك اللقاء رد عليه بأنه إذا بقي على رفضه لهذا الواقع مائة عام فلن يحقق شيئًا مما يتمناه في العودة إلى وطنه وأرضه في فلسطين، ورأى أن تحقيق شيء من ذلك يكون بالاعتراف بالواقع أولا، ثم في اتخاذ مواقف على مراحل لتحقيق الهدف المنشود، كما رأى أن الحل للصرع القائم يمكن أن يكون بحل الدولتين، لكن المشكلة من وجهة نظره في أن إسرائيل ترفض هذا الحل.

هذا هو ناعوم (ناحوم) تشومسكي وهذه هي حقيقته، وهاهو كما بدا في اللقاء، وهذه هي أفكاره التي لا تختلف عن أفكار أي يهودي متطرف.

ابن حزم ورينان يتفقان على أن العهد القديم مليء بالتناقضات والخرافات

صلاح حسن رشيد

كشفت أطروحة علمية حديثة اللثام عن جهود كل من: ابن حزم الأندلسي والمستشرق الفرنسي إرنست رينان في نقد نصوص العهد القديم وتمحيصها، وإخضاع الروايات اليهودية والأسفار لمنهج النقد العلمي القائم على الضوابط العلمية واستقراء النصوص وتحليلها، والاهتداء إلى ما يوافق التاريخ والعقل والقرائن الدينية.

قالت الباحثة نهى السيد عبدالمقصود في رسالتها المعنونة بـ «مقارنة منهج ابن حزم ورينان في نقد نصوص العهد القديم» والتي نالت بها درجة الماجستير بامتياز من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة: إن القارئ للعهد القديم يشعر أنه أمام أكثر الكتب جمعًا بين المتناقضات، ولذلك فقد كان محلًا للنقد على مدار تاريخ طويل، حيث مرّ هذا النقد بمرحلتين حاسمتين: الأولى، كانت مع النقد الإسلامي للعهد القديم، الذي استمد معظم مقولاته ومنهجه الأساسي من القرآن الكريم، والثانية، كانت مع منهج نقد الحديث النبوي الشريف، الذي وضع الأسس المنهجية لنقد الروايات التاريخية بشكل عام، ومن ثم طبّقها العلماء المسلمون على الكتاب المقدس.

أول ناقد للعهد القديم

وتضيف الباحثة قائلة: ثم برز اسم ابن حزم الأندلسي على وجه الخصوص، في هذا المجال، حيث أتاحت له ثقافته الموسوعية، وعقليته المنهجية، واحتكاكه بنصوص العهد القديم، أن يُقدّم نقدًا منهجيًا رصينًا، دفع علماء العصر الحديث مثل جولد تسيهر إلى الاعتراف بأنه أول من بشّر بعلم نقد العهد القديم، ثم كانت نقطة التحوّل الحاسمة الأخرى في تاريخ نقد نصوص العهد القديم مع بدايات العصر الحديث، الذي شهد تحوّلات فكرية قوية، بدأت بذورها مع عصر النهضة والثورة العلمية على الكنيسة في أوروبا؛ حيث بدأ مفكروها ينظرون للكتاب المقدس بعيون نقدية، والتفتوا إلى التناقضات والمغالطات التي تعج بها نصوصه، خاصةً بعد أن اصطدمت مقولاته مع الاكتشافات العلمية الحديثة، فبدأوا ينظرون إليه على أنه عمل أدبي، ومن ثم نزعوا عنه غلاف القداسة الهش الذي لم يصمد أمام مناهج النقد التاريخي والفيلولوجي.

جهود المدرسة الألمانية في النقد

ورأت الأطروحة أن علم نقد العهد القديم بدأ يبرز كمجال مستقل، وبزغت مناهجه وطرائقه في العصر الحديث، وكان الفضل الأكبر للمدرسة الألمانية في النقد، والتي انتقلت جهودها وتأثيراتها إلى فرنسا، حيث ورث إرنست رينان ميراثًا نقديًا ضخمًا، أعاد إنتاجه وفق قريحته الخاصة، وقد اشتُهر رينان بكونه أديبًا وفيلسوفًا ومؤرخًا وفقيهًا لغويًا وعالمًا في اللغات السامية، إلا أن جهوده في نقد العهد القديم لم تلق العناية والاهتمام من جانب الباحثين، حيث يشير زالمان شازار إلى أنه تمّ تجاهُل ذكر رينان كأحد مؤسّسي علم نقد العهد القديم؛ لأن آراءه لم تلق استحسانًا داخل الأوساط اليهودية!

اعتراف يهودي بسبق ابن حزم

وشددت الباحثة على أهمية دراسة الجهود النقدية التي قدّمها رينان في هذا المجال، مع ضرورة مقارنته بالجهد الإسلامي الذي مثله ابن حزم؛ للكشف عن نقاط التقارب والاختلاف بين التراث الفكري للحضارتين الإسلامية والغربية في مجال نقد نصوص العهد القديم، وإبراز قضايا التأثير والتأثّر، وقد أشار بعض الباحثين الغربيين من أمثال اليهودية هافا لازاروز إلى انتقال النقد الإسلامي للعهد القديم- لاسيما جهود ابن حزم- إلى أوروبا مع بدايات عصر النهضة، عبر قنوات الاتصال بين الشرق والغرب، في إسبانيا وصقلية، وذلك على يد يهود العصر الوسيط، ومن أهم تلك الشخصيات: إبراهام بن داود، وإبراهام بن عزرا، وسليمان بن عدريت، كما نقلها أيضًا بعض اليهود المُتحوّلين للمسيحية من أمثال بتروس ألفونس، وبعض الرّهبان المسيحيين مثل ريموندس مارتيني.

نتائج وتوصيات

وتوصّلت الباحثة إلى عدة نقاط ونتائج بعد المقارنة بين منهجي ابن حزم ورينان، منها أنه بينما كان يسعى ابن حزم إلى تجلية كيف حُرّفت التوراة الأصلية، وأن مخطوطات موسى عليه السلام الأصلية التي كُتبت في سيناء بمصر قد ضاعت، وانقطع سندها، وتحوّلت إلى نص بشري مليء بالخرافات.. كان رينان يسعى نحو التكريس إلى أن أصل الروايات كان لادينيًا بالأساس، وأنه لا وجود فعليًا للوحي الموسوي، وأن الأصل- حسب رينان- كان مجرد أساطير وقصص شعبية خرافية لادينية تحوّلت عبر جهود أنبياء بني إسرائيل إلى نص ديني مقدس!

ورأت الباحثة أن غاية ابن حزم في نقده لنصوص العهد القديم كانت الوصول للحق عبر قول فصل، وهو أن الدين عند الله الإسلام، بينما كانت غاية رينان هدم فكرة الدين من أساسها، وإحالتها إلى جمع من الأساطير؛ ليصبح العلم وحده هو دين الإنسانية الجديد، كما يقول هنري بيري!

وانتهت الرسالة إلى اختلاف منطلقات الرجلين المنهجية والفكرية، فابن حزم انطلق من عقل مُعانق للوحي، ورينان انطلق من عقل مُفارق له، إلا أنهما اتفقا على حقيقة واحدة هي أن العهد القديم مُحرّف ومليء بالتناقضات والخرافات، وأنه خضع عبر قرون طويلة للتحريف والتشويه والحذف والإضافة!

* باحث دراسات إسلامية

معالجة النوازل وفق نظر الفقهاء القدامى وتأويلات المعاصرين



د. صالح النهام

إن دراسة النوازل ومعالجتها تعد ضرورة قصوى، لذا ينبغي أن تكون واقعة ضمن دائرة شمولية وكلية وعامة تأخذ بعين الاعتبار جملة الكليات والجزئيات الشرعية، حتى يكون الحكم المتوصل إليه متطابقا مع المقصود الشرعي أو قريبًا منه، قال الشاطبي: «فمن الواجب اعتبار تلك الجزئيات بهذه الكليات عند إجراء الأدلة الخاصة من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، إذ محال أن تكون الجزئيات مستغنية عن كلياتها، فمن أخذ بنص مثلًا في جزئي معرضًا عن كلية فقد أخطأ، وكما أن من أخذ بالجزئي معرضًا عن كلية فهو مخطئ، كذلك من أخذ بالكلي معرضًا عن جزئية»(١).

حتى نقف على المقصود إليك البيان في المسائل التالية:

المسألة الأولى: التعريف بالنوازل:

١- النوازل لغةً: «جمع نازلة، وهي مأخوذة من نزل بمعنى هبط وحل في المكان، كما تطلق أيضًا على المصيبة الشديدة التي تنزل على الناس»(٢).

٢- النازلة اصطلاحًا: «الحادثة التي تحتاج إلى استنباط حكم شرعي لها»(٣).

ومن المعاني التي تطلق على النازلة: القضية المستجدة، أي: المسألة المستحدثة التي تعرض على القاضي أو المجتهد ليحكم فيها من خلال معرفة أصل المسألة والذي هو محل الحكم الذي يريد المجتهد التسوية فيه بينه وبين النازلة المعروضة.

المسألة الثانية: محل الحكم(٤)

وهذا الأصل إما أن يكون نصًا في القرآن أو السنة، أو إجماعًا، أو قاعدة كلية، أو نصًا فقهيًا لإمام من أئمة الفقه، وبيان ذلك فيما يلي:

١- كون الأصل نصًا في القرآن أو السنة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وانظر في عموم كلام الله عز وجل ورسوله لفظًا ومعنى، حتى تعطيه حقه، وأحسن ما استدل به على معناه آثار الصحابة الذين كانوا أعلم بمقاصده»(٥)، ومما يدل على وجوب حمل النوازل المستجدة على النوازل المنصوص عليها في الكتاب والسنة، قوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا﴾ (النساء: ٦٥).

٢- كون الأصل إجماعًا(٦)، وقد عُرِّف بأنه: «اتفاق جميع المجتهدين من أمة محمد ﷺ في عصر من العصور بعد وفاته ﷺ على حكم عقلي أو شرعي في واقعة»(٧).

٣- كون الأصل قاعدة كلية، لكون الشريعة الإسلامية جاءت بقواعد كلية عامة تتسع لكثير من النوازل المستجدة، فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ (الشورى: ٣٨)، ومن السنة: قول رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات...»(٨).

٤- كون الأصل نصًا فقهيًا لإمام من أئمة الفقه، وذلك حين لم يجد الفقيه ما يسعفه في الكتاب والسنة والإجماع في نصوص الفقهاء واجتهاداتهم(٩)، وفي هذا الصدد قال الأوزاعي: «عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك ورأي الرجال وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم»(١٠)، وإذا لم يجد الفقيه ما يسعفه في أقوال الصحابة، نظر في أقوال التابعين وأتباعهم من الأئمة الأربعة وغيرهم من الفقهاء، قال ابن عبدالبر: «لا يكون فقيهًا في الحادث من لم يكن عالمًا بالماضي»(١١).

وقد أجمع العلماء على أنه لا اجتهاد في مورد النص، وبهذا يذكر ابن القيم أن الإمام الشافعي قال: «أجمع العلماء على أنه من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس»(١٢)، والقاعدة الفقهية تقول: «لا مساغ للاجتهاد في مورد النص»(١٣)، ولذا ينبغي في أي نازلة أن تكون خالية من النصوص أو الإجماع الذي يدل على وجود حكم شرعي لها.

المسألة الثالثة: منهج الفقهاء القدامى في النظر في النوازل:

إن معالجة النوازل تستوجب على الناظرين اتباع منهج واضح من خلال السنن التي بينها النبي ﷺ لصحابته- رضي الله عنهم- عندما تحدث لهم نازلة لم ينص عليها في الشرع؛ أن يتدرجوا من خلال أصول ثابتة تُبنى عليها الأحكام، ومن ذلك ما قاله رسولنا الكريم ﷺ لمعاذ رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن: «كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟» قال: أقضي بكتاب الله، قال: «فإن لم يكن في كتاب الله» قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: «فإن لم يكن في سنة رسول الله ﷺ» قال: اجتهد رأيي ولا آلو، قال: فضرب رسول الله ﷺ صدره ثم قال: «الحمد لله الذي وفّق رسول الله لما يرضي رسول الله»(١٤).

وفي الحديث دلالة واضحة على أن العالم عليه ألا يقف مكتوف اليدين أمام الوقائع المستجدة، ويجب عليه أن يبحث عن حكمها الشرعي في الكتاب والسنة، فإن لم يجد اجتهد في إلحاق القضايا الجديدة بأشباهها وأعطاها حكم الشبيه، وقد أمّر النبي ﷺ معاذًا على هذا المنهج في معرفة الأحكام.

ومما يؤكد وعي الصحابة الكرام لمعالم هذا المنهج ما رواه الإمام الشعبي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمّا كتب إلى شريح يقول له: «إذا وجدت شيئًا في كتاب الله فاقض به ولا تلتفت إلى غيره، وإذا أتى شيء- أراه قال- ليس في كتاب الله وليس في سنة رسول الله ولم يقل فيه أحد قبلك فإن شئت أن تجتهد رأيك فتقدم، وإن شئت أن تتأخر فتأخر وما أرى التأخر إلا خيرًا لك»(١٥)، فهذا المنهج الأصيل لم يختلف فيه أحد من الصحابة الكرام والتابعين ومَن بعدهم، حيث كان جميعهم يؤكد لزوم الرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيِّه ﷺ، واعتماد فقه الصحابة- رضي الله عنهم- وإجماعهم في الأحكام والأقضية، حتى الأئمة الأربعة لم يختلف النقل عنهم في أنهم أقاموا مذاهبهم في ضوء النصوص من الكتاب والسنة، وقد نهوا مَن بعدهم عن متابعتهم فيما ذهبوا إليه من غير النظر في مآخذهم وأدلتهم، وحرَّموا على أتباعهم متابعتهم إذا ظهر لهم من النصوص ما يخالف أقوالهم، وطالبوا أتباعهم بترك أقوالهم إذا كانت النصوص على خلاف ما ذهبوا إليه، وإليك بعض أقوال الأئمة الأربعة في ذلك أسوقها على النحو التالي:

على الناظر في النوازل أن يكون قويًا في استنباطه رصينًا في فكره بصيرًا بما فيه المصلحة

١- روى أبو يوسف عن شيخه أبي حنيفة أنه قال: «لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه»(١٦).

٢- عن الإمام مالك أنه قال: «إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه»(١٧).

٣- عن الإمام الشافعي أنه قال: «إذا صح الحديث فهو مذهبي»(١٨).

٤- قال الإمام أحمد: «لا تقلدني ولا تقلد مالكًا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري، وخذ من حيث أخذوا»(١٩).

وإليك ما قاله الإمام الزركشي توضيحًا لمعالم هذا المنهج والخطوات التي ينبغي أن يراعيها المجتهد عند نظره في النوازل حينما قال: «اعلم أنه حق على المجتهد أن يطلب لنفسه أقوى الحجج عند الله ما وجد إلى ذلك سبيلًا، لأن الحجة كلما قويت أمن على نفسه من الزلل، وما أحسن قول الشافعي في الأم: وإنما يؤخذ العلم من أعلى» وقال- أي الشافعي- فيما حكاه عنه الغزالي:

- إذا وقعت الواقعة فيه فليعرضها- أي المجتهد- على نصوص الكتاب.
- فإن أعوزه فعلى الخبر المتواتر، ثم الآحاد.
- فإن أعوزه لم يخض في القياس بل يلتفت إلى ظواهر الكتاب، فإن وجد ظاهرًا نظر في المخصصات من قياس وخبر.
- فإن لم يجد مخصصًا حكم به.
- وإن لم يعثر على ظاهر من كتاب ولا سنة نظر إلى المذاهب، فإن وجدها مجمعًا عليها اتبع الإجماع.
- وإن لم يجد إجماعًا خاض في القياس.
- ويلاحظ القواعد الكلية أولًا ويقدمها على الجزئيات، كما في القتل بالمثقل، فيقدم قاعدة الردع على مراعاة الألم.
- فإن عَدم قاعدة كلية نظر في النصوص، ومواقع الإجماع.
- فإن وجدها في معنى واحد ألحق به، وإلا انحدر إلى قياس مُخيل، فإن أعوزه تمسك بالشبه، ولا يعول على طرد.

قال الغزالي: «هذا تدرج النظر على ما قاله الشافعي، ولقد أخر الإجماع عن ذلك الأخبار، وذلك منه تأخير مرتبة لا تأخير عمل؛ إذ العمل به مقدم ولكن الخبر مقدم في المرتبة عليه فإنه مستند قبول الإجماع» (٢٠).

وهذا المنهج الذي يتبعه المجتهد في نظره إلى ما يجدّ ويقع من مسائل، سار عليه الأصوليون واعتبروا ما سبق الإشارة إليه من خطوات وطرق هي المنهج المتبع للمجتهد للوصول إلى أحكام النوازل والوقعات(٢١).

المسألة الرابعة: منهج العلماء المعاصرين في النظر في النوازل:

للعلماء المعاصرين ثلاثة مناهج برزوا فيها، ليست من ولادة هذا العصر، وإنما

هي امتداد اجتهادات ووجهات نظر قديمة، بيانها فيما يلي:

أولاً: المنهج المتشدد

هو منهج ذمَّ الله تعالى اتِّباعه مع الناس، سواء كان ذلك إفتاء أو تدريسًا، وقد أوقع المسلمين في حرج شديد؛ لكونه إما امتدادًا لمنهج الخوارج الذي يشدد ويضيِّق على الناس فضلًا عن أنفسهم، أو هو منهج الظاهرية الذين شذوا في بعض الأفهام الغريبة، والآراء العجيبة؛ حيث لا يبالون بعواقب الأمور ومآلات النصوص، وشواهد هذا المنهج كثيرة، منها:

١- إلزام الناس برأي معين، وهذا منهج منعه جمهور العلماء(٢٢) وفي ذلك يقول الإمام أحمد: «من أفتى الناس ليس ينبغي أن يحمل الناس على مذهبه ويشدد عليهم»(٢٣).

٢- التمسك بظاهر النصوص دون فهمها، قال غير واحد من السلف: ليحذر أحدكم أن يقول: أحل الله كذا أو حرّم كذا، فيقول الله له كذبت لم أحل كذا، ولم أحرمه»(٢٤).

٣- الغلو في الأخذ بمبدأ سد الذرائع، حين تؤول المبالغة في الأخذ بها إلى تعطيل مصالح راجحة مقابل مصلحة أو مفسدة متوهمة يظنها الفقيه، فيغلق الباب إساءة للشرع من حيث لا يشعر، كمن ذهب إلى منع زراعة العنب خشية اتخاذه خمرًا، والمنع من المجاورة في البيوت خشية الزنا، وغيرها من الأمثلة التي اتفقت الأمة على عدم سد الذرائع فيها؛ لأن مصلحته راجحة فلا تترك لمفسدة مرجوحة متوهمة(٢٥).

ثانيًا: منهج الغلو في التيسير

هو منهج سلكه كثير من العلماء المعاصرين بسبب كثرة المغريات بالشر والعوائق عن الخير، وأصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر، حيث تواجهه التيارات الكافرة عن يمين وشمال تحاول إبعاده عن دينه وعقيدته ولا يجد مَن يعينه، بل ربما يجد من يعوقه، وبناء على ذلك قام عدد ليس بقليل من الفقهاء المعاصرين، تمشيًا مع هذا الواقع، إلى الأخذ بمبدأ التيسير ما استطاعوا في فتاويهم؛ ترغيبًا للمستفتين وتثبيتًا لهم على الطريق القويم(٢٦).

إلا أن من أصحاب هذا المنهج من وقع في تجاوزات في اعتبار التيسير والأخذ بالرخص، وربما وقع أحدهم في رد بعض النصوص وتأويلها بما لا تحتمل وجهًا في اللغة أو في الشرع، وهذا الواقع ليس مسوغًا للتضحية بالثوابت والمسلمات، أو التنازل عن الأصول والقطعيات مهما بلغت المجتمعات من تغير وتطور(٢٧).

اشترط العلماء قديمًا وحديثًا وجوب معرفة وفهم المقاصد ولزوم الاستنباط على وفقها

ومن العلماء المعاصرين الذين سلكوا مبدأ التساهل في العمل بالمصالح(٢٨)، ولو عارضت النصوص، من أفتى بجواز الفوائد المصرفية مع معلومية الربا فيها، ومخالفته للنصوص والإجماع المحرم للربا قليله وكثيره، وأيضًا ما جاء عن بعض الفتاوى التي أباحت بيع الخمر من أجل مصلحة البلاد في استقطاب السياحة، وإباحة الربا من أجل تنشيط الحركة التجارية والنهوض بها(٢٩)، وفي ذلك تحذير من النبي ﷺ حيث قال: «لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل»(٣٠)، وعلى هذا فقد حصل اتفاق أكثر أهل العلم على عدم تجويزه؛ وقد جاء عن أبي الوليد الباجي أنه قال: «ان أحد أهل زمانه أخبره أنه وقعت له واقعة، فأفتاه جماعة من المفتين بما يضره وكان غائبًا، فلما حضروا قالوا: لم نعلم أنها لك، فأفتوه بالرواية الأخرى، قال: وهذا مما لا خلاف بين المسلمين المعتد بهم في الإجماع أنه لا يجوز»(٣١).

ثالثًا: المنهج المعتدل

لا يخفى على أحد أن شريعتنا الإسلامية تنادي بمبدأ الوسطية في كل شيء، الأمر الذي يلزم العلماء باتباع الوسط المعتدل الذي يكون فيه الأمر بلا إفراط ولا تفريط، وفي هذا يقول الإمام الشاطبي: «المفتي البالغ ذروة الدرجة هو الذي يحمل الناس على المعهود الوسط فيما يليق بالجمهور، فلا يذهب بهم مذهب الشدة، ولا يميل بهم إلى طرف الانحلال، أما طرف التشديد فإنه مهلكة، وأما طرف الانحلال فكذلك أيضًا؛ لأن المستفتي إذا ذُهبَ به مذهب العنت والحرج بُغِّض إليهَ الدين وأدى إلى الانقطاع عن سلوك طريق الآخرة، وهو مشاهد، وأما إذا ذُهبَ به مذهب الانحلال كان مظنة للمشي على الهوى والشهوة، والشرع إنما جاء بالنهي عن الهوى، واتباع الهوى مهلك، والأدلة كثيرة(٣٢).

وبعد عرض مناهج العلماء المعاصرين يتبين أن على الناظر في النوازل أن يكون قويًا في استنباطه، رصينًا في فكره، صاحب أناة وتؤدة، بصيرًا بما فيه المصلحة، حافظًا لدينه، مشفقًا على أهل ملته، لأن منهج التشديد قد يحتاجه العلماء، وذلك في السياسة لمن هو مُقْدمٌ على المعاصي متساهل فيها، وقد يُحتاج أيضًا إلى منهج التيسير(٣٣).

وختامًا إليك كلامًا نفيسًا ذكره ابن عبد البر يبين فيه المنهج الصحيح في الوقوف على أحكام النوازل حين قال: «فعليك يا أخي بحفظ الأصول والعناية بها، واعلم أن من عني بحفظ السنن

والأحكام المنصوصة في القرآن، ونظر في أقاويل الفقهاء، فجعله عونًا له على اجتهاده، ومفتاحًا لطرائق النظر، وتفسيرًا لجمل السنن المحتملة للمعاني، ولم يقلد أحدًا منهم تقليد السنن التي يجب الانقياد إليها على كل حال، دون نظر، ولم يرح نفسه مما أخذ العلماء به أنفسهم من حفظ السنن وتدبرها، واقتدى بهم في البحث والتفهم والنظر، وشكر لهم سعيهم فيما أفادوه ونبهوا عليه، وحمدهم على صوابهم الذي هو أكثر أقوالهم، ولم يبرئهم من الزلل كما لم يبرئوا أنفسهم منه، فهذا هو الطالب المتمسك بما عليه السلف الصالح، وهو المصيب لحظه، والمعاين لرشده، والمتبع لسنة نبيه ﷺ، وهدي صحابته، رضي الله عنهم، ومن أعف نفسه من النظر، وأضرب عما ذكرنا، وعارض السنن برأيه، ورام أن يردها إلى مبلغ نظره، فهو ضال مضل، ومن جهل ذلك كله أيضًا، وتقحم في الفتوى بلا علم، فهو أشد عمى، وأضل سبيلًا»(٣٤).

ومن الأهمية بمكان أن يراعى لكل حال معاصر إعمال المقاصد والأدلة معًا، وذلك من خلال إعمال المقاصد بصفة مباشرة، وبصفتها قواعد مستنتجة من الأدلة، وبإعمال الأدلة بصفة غير مباشرة بصفتها الشرعية، وباعتبار كونها أساس تلك المقاصد، وكما هو معلوم أن المقاصد تعد إحدى المعطيات التي يستند إليها المجتهدون في معرفة أحكام القضايا والمستجدات، وقد اشترط العلماء قديمًا وحديثًا وجوب معرفة وفهم المقاصد ولزوم الاستنباط على وفقها(٣٥)، قال الشاطبي: «إنما تحصل درجة الاجتهاد لمن اتصف بوصفين، أحدهما: فهم مقاصد الشريعة على كمالها، والثاني: التمكن من الاستنباط بناء على فهمه فيها»(٣٦).

الهوامش

١- انظر: الموافقات للشاطبي: (٨/٣).
٢-انظر: مادة: (ن ز ل) في كل من: المصباح المنير: (ص:٣٠٩)، مختار الصحاح: (ص:٥٧٦)، المعجم الوسيط: (٩٢٣/٢).
٣- انظر: معجم لغة الفقهاء لقلعه جي وقنيبي: (ص:٤٩٧).
٤- انظر: كشف الأسرار شرح المصنف على المنار للنسفي: (٢٤٨/٢)، لباب المحصول في علم الأصول لحسين بن رشيق المالكي: (٦٦٣/٢ وما بعدها)، مناهج العقول شرح منهاج الوصول للبدخشي: (٤٩/٣ وما بعدها)، شرح الكوكب المنير للفتوحي: (١١/٤ وما بعدها).
٥- انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: (٨٥/٢٩).
٦- وقد اختلف الأصوليون في صحة حمل النوازل على الإجماع على قولين أصحهما الجواز. انظر: المستصفى للغزالي: (٣٥٢/٢)، المحصول للرازي: (٣٦٠/٥)، المسودة لآل تيمية: (ص: ٤٠٨)، إرشاد الفحول للشوكاني: (ص:٣٤٩)
٧-انظر: الإحكام للآمدي: (٢٤٥/١).
٨- أخرجه البخاري، برقم: (٦٦٨٩)، وأبو داود، برقم: (٢٢٠١)، النسائي، برقم: (٧٥).
٩- انظر: الموافقات: (٣٩/١)، الفروق للقرافي: (٤٠/٤).
١٠-انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: (٤٧/٢).
١١- انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: (١٢٠/٧).
١٢- انظر: إعلام الموقعين لابن القيم: (٢٨١/٢).
١٣-انظر: شرح مجلة الأحكام العدلية لمنير القاضي: (٧٣/١).
١٤-أخرجه أبو داود، برقم: (٣٥٩٢)، والترمذي، برقم: (١٣٢٧).
١٥- أخرجه الدارمي في المقدمة:(٦٠/١)، وذكره الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه: (٤٩٢/١).
١٦-انظر: التقرير والتحبير لابن أمير الحاج: (٣٤٦/٣).
١٧- انظر: جامع بيان العلم وفضله: (٧٧٥/١).
١٨-انظر: المجموع للنووي: (٦٣/١).
١٩-انظر: إعلام الموقعين: (٣٠٢/٢).
٢٠-انظر: المنخول للغزالي: (ص: ٤٦٦)، البحر المحيط: (٢٢٩/٦).
٢١-انظر: فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت لعبد العلي الأنصاري: (١٩١/٢)، شرح العضد على مختصر ابن الحاجب: (٣١٢/٢)، المستصفى: (٣٩٢/٢)، شرح الكوكب المنير: (٦٠١/٤)، إرشاد الفحول: (ص: ٢٧٣).
٢٢-انظر: شرح تنقيح الفصول للقرافي:(ص: ٤٣٢)، شرح المحلي على جمع الجوامع: (٣٩٣/٢)، شرح الكوكب المنير: (٥٧٤/٤).
٢٣-انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح: (٤٥/٢).
٢٤-نظر: إعلام الموقعين: (١٣٤/٤).
٢٥-انظر: شرح تنقيح الفصول: (ص: ٤٤٨-٤٤٩)، الفروق للقرافي: (٣٣/٢).
٢٦-انظر: الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والانفراط للدكتور/ يوسف القرضاوي: (ص: ١١١).
٢٧-انظر: بعضًا من هذه الفتاوى من كتاب تغليظ الملام على المتسرعين في الفتيا وتغيير الأحكام للشيخ/حمود التويجري: (ص: ٥٨-٨٨).
٢٨-والمصالح ثلاثة: مصالح شهد الشارع الحكيم باعتبارها، لكونها توافق النصوص، ومصالح لم يعتبرها الشارع الحكيم، لكونها تخالف النصوص، ومصالح مرسلة سكت الشارع الحكيم عن اعتبارها أو إلغائها، وسميت بالمرسلة، لأنها تلقب بالاستدلال المرسل، وتفصيل ذلك ينظر في كتب الأصول.
٢٩-انظر: الاقتصاد الإسلامي والقضايا الفقهية المعاصرة للسالوس: (٣٣٠/١-٣٥٦).
٣٠-ذكره ابن بطة العكبري في جزء إبطال الحيل: (ص: ٢٤).
٣١-انظر: تبصرة الحكام لابن فرحون: (٦٤/١)، إعلام الموقعين:(١٧٠/٤ - ١٧١).
٣٢- انظر: الموافقات: (٢٧٦/٥- ٢٧٨).
٣٣-انظر: المرجع السابق: (٢٨٦/٢)، أدب المفتي والمستفتي لابن الصلاح: (ص:١١١-١١٢).
٣٤-انظر: جامع بيان العلم وفضله: (١٧٢/٢).
٣٥-انظر: نظرية المقاصد عند الشاطبي للدكتور/الريسوني: (ص:٣٤٤-٣٥٢).
٣٦-انظر: الموافقات: (١٠٥/٤-١٠٦).

إن شريعة الإسلام هي شريعة الفطرة، والمراد أنها قائمة على مقتضيات الفطرة، ووفق حاجاتها، قال تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم...﴾ (الروم: ٣٠)، ومعنى الفطرة كل ما خلق الله تعالى الناس عليه، مما لا مدخل لهم فيه، بما في ذلك شهواتهم ونقائصهم، ومادام الاختلاف بين الناس ترجع بعض أسبابه إلى عوامل مخلوقة فيهم ولازمة لهم فلابد من مراعاة الشريعة لذلك، فتقرره وتبني عليه، وهذا ما يوجد فعلا بحيث لا نجد في نصوص الشريعة وأحكامها ما يمنع الخلاف رأسا، ويسعى إلى محوه وتخليص الحياة منه، بل الذي نجده هو الاعتراف بواقع الخلاف، والتقرير لصور عدة منه، ووضع الحدود والضوابط له، كما هو الشأن في سائر ما هو مباح بأصله مقيد بحدود وضوابط قد تجعله محرما أو مكروها في حالات، أو تشترط له شروطا.

فقه الاختلاف في الإسلام.. دراسة شرعية في ضوابطه وقواعد ترشيده من خلال هدايات الوحي وبصائره

د. محمد الأنصاري

إن إقرار الشريعة للاختلاف وبناءها عليه اعتراف مبدئي بحق الاختلاف وحرية التعبير وحق الآخر في الرأي.

والمراد بالرأي الآخر الذي تقره الشريعة هو الرأي المضبوط بضوابط الاختلاف وآدابه وقواعده المقررة شرعا، الموزون بميزان العلم والأخلاق والقيم الشرعية، فهو بهذه الصورة يعتبر وسيلة تفاعل وتلاقح وتكامل وتواصل وإنضاج لجميع القضايا المختلف فيها بين الناس، وخاصة بين العلماء والفقهاء والعاملين في حقل الدعوة الإسلامية.

ومن التنبيهات الشرعية على تقرير الاختلاف والاعتراف بالرأي الآخر من حيث الأصل:

١- كون القرآن والسنة قد قصا علينا حالات عدة من الاختلاف المشروع، وهذه الاختلافات وقعت بين المعصومين من الأنبياء، الذين تدل أفعالهم على الإباحة والمشروعية.

ومن اختلافات الأنبياء التي حكاها القرآن الكريم:

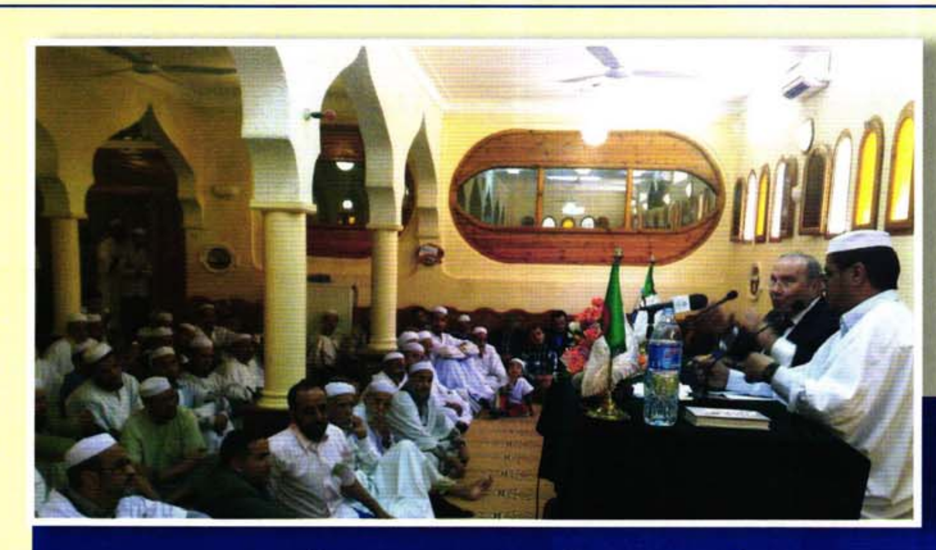
أ - اختلاف داود وولده سليمان عليهما السلام المقرر في قوله تعالى: ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين. ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما﴾ (الأنبياء: ٧٨)، فداود وسليمان حكم كل واحد منهما بحكم مختلف عن الآخر في واقعة واحدة.

ب - ومنه أيضا اختلاف موسى وأخيه هارون، وكل منهما نبي (١)، قال تعالى: ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ (الأعراف: ١٤٢)، ويؤكد خلاف موسى لهارون قوله تعالى مقررا أثر ذلك الاختلاف بينهما: ﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾ (الأعراف: ١٥٠).

ج - وكذلك اختلاف موسى عليه السلام مع الخضر اختلافات كثيرة، انتهت بافتراقهما، قال تعالى مقررا ذلك ومثبتا له: ﴿قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا﴾ (الكهف: ٦٥ إلى ٧٨).

٢ - كون القرآن والسنة قد قصا علينا حالات عدة من الاختلاف المشروع، وهذه الاختلافات وقعت بين الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومن صورها

• أستاذ الفقه والأصول بشعبة الدراسات الإسلامية كلية الآداب/ جامعة شعيب الدكالي/ الجديدة/ المغرب.



القرآن والسنة هما المرجعية العليا التي يجب الاحتكام إليها عند أي خلاف

المقررة في القرآن ما أشار إليه الحق سبحانه وتعالى في قوله:﴿ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون﴾ (ص:٦٩).

٣ - اختلاف الصحابة زمن النبوة والخلافة وإقرار الرسول ﷺ لذلك الاختلاف:

ويؤكد هذا المسلك ما حدث بين الصحابة رضي الله عنهم من اختلاف في قضايا عدة، دونها العلماء في مصنفاتهم، حتى صارت متواترة بين الأجيال، وقد أقر بعضها الرسول عليه الصلاة والسلام وسددها، كما هو الأمر في اختلافهم في فهم قوله، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ لنا لما رجع من الأحزاب: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك، فذكر للنبي ﷺ، فلم يعنف واحدا منهم (٢).

وقد أشار الإمام الغزالي- رحمه الله- إلى هذا النوع من اختلاف الصحابة حيث قال: « إن اختلافهم معلوم تواترا»(٣). وكذلك الشأن بالنسبة للتابعين وتابعيهم، وفي مقدمتهم أئمة المذاهب وغيرهم من العلماء والفقهاء المجتهدين.

ومعرفة هذه الاختلافات والاطلاع عليها سبيل لتنوير العقل، وإنضاج الرأي وتكامله. وهاهنا لابد من الإشارة إلى أن الشريعة بإقرارها لمبدأ الاختلاف والاعتراف به، واعتباره حقا مشروعا داخل مؤسسات العلم والعلماء، وبين جميع مكونات المجتمع ابتداء بالأسرة مرورا بمؤسسات المجتمع المدني، ومنها هيئات ومؤسسات الدعوة الإسلامية، وانتهاء بمؤسسات الدولة، لا تقصد بذلك جميع أنواع الاختلاف، إذ إن هناك اختلافات مذمومة لا تقبل في ميزان الشريعة، ولا يتقبلها العقل السليم، ومنها الاختلاف الذي سببه الهوى والتعصب للرأي دون دليل قاطع أو برهان ساطع، واتباع نزغات النفس الأمارة بالسوء، إذ من شأن هذا أن يؤدي إلى الاختلاف في أصول الدين وكلياته، وإلى الاختلاف في قطعياته ومحكماته، أو يفضي إلى تفرق كلمة المسلمين ووحدتهم، وضرب الأمة بعضها ببعض، ولهذا وضعت الشريعة لسنة الاختلاف فقها له آدابه وقواعده وضوابطه ومجالاته وحدوده، لترشيده وتهذيبه سدا لذريعة اتباع الأهواء ورغبات الأنفس ونزغات الشيطان.

قواعد في ترشيد فقه الاختلاف

إذا سلمنا بقاعدة شرعية الاختلاف في الإسلام، المؤطر بضوابط الشريعة وقواعدها وبمنطق العقل وأصول الأخلاق، تأطيرا يسهم في توجيهه، وتخلق المختلفين بآداب الإسلام وأخلاقه الرفيعة ليصبح الاختلاف وسيلة نافعة بناءة وسبيلا للتنوع والتكامل، فإنه لابد من عرض مجموعة من القواعد المنهجية والعلمية والسلوكية، تسهم بشكل فعال في تطوير البناء الحضاري والعمران البشري للأمة، وفي مقدمة ذلك البناء والتعمير تطوير أدوات التدبير لمؤسسات العلم والعلماء، ومؤسسات الدعوة والدعاة وغيرها من مؤسسات الدولة والمجتمع المسلم، وتسهم أيضا في تجاوز معيقات الاختلاف وآثاره في الأنفس والعقول والسلوك، وعلى رأسها معيقات وآثار الاختلاف الضار بمسيرة الاختلاف المقبول النافع الباني.

ومن تلك القواعد والضوابط ما يلي:

١- اعتبار القرآن والسنة المرجعية العليا التي يحتكم إليها عند أي اختلاف، إذ بالرجوع إليهما يهتدي المختلفون في الرأي بنورهما ومقاصدهما وأحكامهما، التي جاءت

لدرء الفساد عن الناس وجلب الصلاح لهم في المعاش والمعاد.

والمقصود بالعودة إلى الكتاب والسنة، إزالة جميع الوسائط التي قد تعكر سبل الوصول إلى الرأي الصائب القويم السديد، ومن ذلك الرجوع إلى الأشخاص واعتبار آرائهم صوابا لا تناقش، في حين أن المطلوب الاستئناس بأقوال العلماء وآراء الدعاة، والعمل بما وافق الصواب منها واعتبارها آراء تقبل الصواب والخطأ كما عند أئمة المذاهب الفقهية، وفي مقدمتهم الإمام مالك إمام دار الهجرة رضي الله عنه، حيث صار مشهورا بينهم قول: «كل كلام يؤخذ منه ويرد إلا كلام صاحب هذا القبر» أي كلام الرسول ﷺ، فكلامه وحي، قال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى﴾ (النجم: ٣، ٤).

والأصل في قاعدة اعتبار القرآن والسنة المرجعية العليا الحاكمة بين المختلفين، واعتبار هذا الرجوع سبيلا للوصول إلى رؤى وتصورات ناضجة سديدة، قوله تعالى: ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه﴾ (النحل: ٦٤)، وقوله تعالى: ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾ (الشورى: ١٠)، وقوله سبحانه: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ (النساء: ٥٩)، فمن مقتضيات الإيمان الحق بالله وباليوم الآخر، رد المتنازع فيه إلى أصلي التشريع في الإسلام: القرآن والسنة البيان، إذ بهذا الرد يهتدي المختلفون في الرأي إلى الحق والرشد، ويبتعدون عن كل ضلال وهوى، مصداقا لقوله ﷺ: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه» (٤).

٢- العلم: والشرط فيه أن يكون مسددا بالوحي وهداياته، فيقرأ صاحبه كل المقروءات بمنهج القراءة القرآني في قراءة آيات الكتاب المسطور وآيات الكتاب المنظور، هذه القراءة التي تتأسس على قاعدة: «قراءة كل مقروء باسم الله» لقوله تعالى في أول ما نزل: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق...﴾ (العلق: ١ الى ٥).

فالعلم بهذا المعنى من أولى القواعد في هذا المجال، إذ به يتم الإدراك والفهم والاستيعاب، والتحقق الصحيح بالأمور، وهو يسبق كل شيء في الإسلام، ففي حديث معاذ: «العلم إمام والعمل تابعه» (٥)، وفي صحيح البخاري من كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل لقوله تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين﴾ (محمد: ١٩)، ولهذا وجب على المختلفين التسلح بسلاح العلم ليكون إماما لهم ودليلا ومرشدا، فالعلم يورث صاحبه الخشية الدافعة إلى العمل والبحث عن الصواب حيث كان، قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (فاطر: ٢٨)، والعلم نور وبصيرة يبصر المختلفين بالحق ويهديهم إلى صراط الله المستقيم، ويفتح أمامهم آفاق التفاهم والتقارب والتكامل والتوحد.

والمراد بالعلم هنا الحد الأدنى من فقه الدين، وفقه الدعوة، وفقه الواقع، وفقه التنزيل، إذ بهذه الأفقاه الأربعة يتسع الإدراك ويستقيم الفكر، ويقوى العقل على التفكير السليم، ويكون المسلم المعاصر قادرا على حسن التفكير وحسن التعبير وحسن التدبير لقضايا العصر ومستجدات الحياة، وعلى التواصل الإيجابي مع مختلف مكونات مجتمعه وأمته خاصة، ومع الناس على اختلاف معتقداتهم ومشاربهم عامة، ولهذا كان العلم نورًا ينير السبيل لصاحبه، ويفتح له الآفاق، وكان الجهل ظلامًا يضل صاحبه ويعمي بصيرته عن الصواب، وحيثما وجد وجد معه الخلاف الضار المذموم شرعا وعقلا، قال أحد السلف الصالح: «لو سكت الجاهل لقل الخلاف»، وما أصدق ما قاله الخليفة عمر بن عبدالعزيز: «من عمل في غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح» (٦)، والمخالف بدون علم هذا شأنه، فقد ينتهي به الأمر إلى حمل السلاح على أخيه، وهذا ما حدث لبعض الفرق الضالة كالخوارج (حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد ﷺ ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا) (٧).

ومن مقتضيات العلم المراد: العلم بالقضية المختلف فيها، وبحيثياتها، وكل ما يتعلق أو يتصل بها، إذ بهذا يحصل السداد والتقارب والتوافق والنضج في الرأي.

وخلاصة القول في هذا العنصر، أنه بتفاوت الناس في العلم والإدراك والتجربة والخبرة والتذكر والنسيان وغير ذلك، تتفاوت اختلافاتهم في تقديراتهم، وتتباين تحليلاتهم وتوقعاتهم، ومن ثم اختلافهم في تدبير أمور الدين والدنيا وقضايا العصر ومستجدات الحياة وشؤون الدولة والمجتمع، وهذا ما لخصه العلامة ابن المرتضى في كلمة جامعة قال فيها: «علة الاختلاف التفاضل في العلم» (٨). فالعلم سلاح نافذ وقوة لا تهزم أبدا، لأن العالم من صفاته خشية الله تعالى ومراقبته في السر والعلن وابتغاء مرضاته بالسير

على هدايات الوحي المنهجية وبصائره التي تبصر بصيرة العالم المتفقه في الدين وتنور عقله وفكره وتعبيره وتدبيره، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أمرنا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٤٩)، وقال سبحانه: ﴿قَدْ جَاءكُم بَصَائِرُ من رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ (الأنعام: ١٠٥)، فالتسلح بالوحي ومعارفه وثقافته خير سبيل لمعرفة الحق من الباطل والصواب من الخطأ، وهو السبيل لتوحيد الأفكار والفهوم المختلفة.

قواعد العلم

ويدخل في قاعدة العلم قواعد أساسية عدة منها:

أ - قاعدة فقه المقاصد والمصالح والمفاسد والموازنة بينهما، إذ بفقهها تتم معرفة ضروريات الدين وحاجياته ومكملاته، وهي المعيار الذي توزن به الأمور، والمسلك الدقيق إلى معرفة المصلحة الراجحة من المرجوحة، والمفسدة الصغيرة من الكبيرة، والجاهل بهذا الفقه لا يعرف هذه الأمور فيخبط خبط عشواء، وبذلك يكون سببا في الخلاف الضار الناتج عن رواسب الجهل ومخلفاته.

ب - فقه الأولويات: وهو من ثمار فقه المقاصد ونتائجه، والمراد به: وضع كل شيء في مرتبته بالعدل، من الأحكام والقيم والأعمال، ثم يقدم الأولى فالأولى، بناء على معايير شرعية صحيحة يهدي إليها نور الوحي وهداياته، فلا يقدم غير المهم على المهم، ولا المهم على الأهم، ولا المرجوح على الراجح، ولا المفضول على الفاضل أو الأفضل، بل يقدم ما حقه التقديم، ويؤخر ما حقه التأخير، ولا يكبر الصغير ولا يهون الخطير، بل يوضع كل شيء في موضعه (٩)، وأساس هذا: أن القيم والأحكام والأعمال والتكاليف متفاوتة في نظر الشرع تفاوتا بليغا، وليست كلها في رتبة واحدة، فمنها الكبير ومنها الصغير، ومنها الأصلي ومنها الفرعي وهكذا، ولهذا فإن غياب هذا النوع من العلم يفضي إلى الجهل بقاعدة عظيمة مفيدة، فلا يعرف الجاهل بها أولويات الأحكام ولا أولويات الدعوة ولا غيرها. وعلى هذا الأساس وجب على المتحاورين والمتشاورين الاهتداء بنور فقه الأولويات حتى يتأدبوا بآداب الخلاف ويتجاوزوا الضار منه إلى النافع المتكامل المتنوع، وربما إلى الرأي الواحد الراسخ.

ج - فقه الاختلاف: ولا يتم إلا بفقه أسبابه ومجالاته، والمراد به الاختلاف الذي عرفه خير قرون الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى، فلم يضرهم الاختلاف في أمور عدة شيئا، ومن فقه الاختلاف معرفة ما يجوز فيه الخلاف وما لا يجوز فيه، وأن منطقة ما يجوز فيه تعدد الرأي أوسع بكثير مما لا يجوز، ومنها حقل الدعوة الإسلامية ومجالاتها، وحقل السياسة الشرعية وغيرها.

والمهم من هذا كله أن نتعلم «فن الاختلاف» ونفقه آدابه الشرعية وقواعده الخلقية التي قعدها أئمة الهدى وعلماء الشريعة الأعلام، وأن نتعلم منهم كذلك كيف تتسع صدورنا لمن يخالفنا الرأي، في فقه الدين وفي قضايا الدعوة، من حيث ترتيب أولوياتها، وتحديد وسائلها، وأهدافها ومراحلها، وفي تربية الفرد وبنائه، وكذا في صياغة الرأي العام الإسلامي، وإقامة التحالفات والمشاركة السياسية وغير ذلك. وهذه كلها مجالات في حاجة إلى رؤى مستنيرة بنور العلم والمقاصد والأولويات الشرعية، فهي مجالات قائمة على الاجتهاد المشروع المسدد بقواعد الترجيح بين المصالح والمفاسد والموازنة بينها.

من المهم أن نتعلم فقه الاختلاف وفقه آدابه الشرعية وقواعده الخلقية

٣- الانطلاق من القاعدة التي تواضع عليها السلف الصالح واعتمدوها في قضية الاختلاف لإنضاج الأمر المختلف فيه، والوصول في النهاية إلى رأي سديد وعميق، ومفاد هذه القاعدة: «رأيي صحيح يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب» فهي قاعدة تجعل المختلفين على قدم المساواة في عدم التشبث بالرأي الوحيد والتعصب له، واعتباره الصواب الذي لا يقبل النقاش والحوار، إنها قاعدة التفكير السليم، والمنطلق السديد، والمنطق الصحيح، إذ بإمكان المختلفين في الرأي باعتمادهم على هذه القاعدة التوصل إلى الاتفاق، حيث إن هدف الجميع هو الحق والصواب، حيثما وجد، ومن أي طرف صدر، ثم تبنيه والعمل به.

٤- اعتماد المختلفين في جميع قضايا الخلاف على قاعدة: «الحوار بالتي

الإختلاف المشروع هو الذي يكون القصد منه المصلحة العامة والبناء لا الهدم

هي أحسن أساس التواصل والتفاهم والتقارب»، ومنها قضايا الاجتهاد في مستجدات العصر المختلفة، وقضايا الدعوة الإسلامية، من حيث منهجها وأولوياتها ووسائلها وغير ذلك، وكذا في قضايا الأمة التربوية والتعليمية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية، وفي أسلوب العمل السياسي، وقواعد المشاركة السياسية والتحالف مع المخالفين، وغيرها من أمور تبني هموم الناس وكيفية التعامل معها، وتحديد أولوياتها.

فاعتماد المختلفين في هذه القضايا وغيرها قاعدة: «الحوار بالتي هي أحسن أساس التواصل والتفاهم والتقارب»، هو السبيل لحلها بالتي هي أحسن.

والمقصود بالحوار هنا، الحوار الهادئ الهادف البناء، ولا يمكن أن يكون كذلك إلا إذا كان قصد جميع المتحاورين سليما، إذ لا مجال لاتباع الهوى، أو التعصب للرأي دون دليل قاطع، أو تغليب العقلية الحزبية الضيقة، أو تقديس الرأي والمكابرة، إذ كل ذلك فتح لثغرة الشيطان جاثم عليها يتولى رعايتها، فليحذر العلماء والفقهاء الدعاة الحكماء الوقوع في حبائلها، قال تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ (فاطر: ٦)، إن قاعدة الحوار لا تثمر ولا تفضي إلى رأي سديد إلا باعتماد المتحاورين أسلوب المجادلة بالتي هي أحسن، هذا الأسلوب المتحضر الذي عبر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ (النحل: ١٢٥)، فالجدال والحوار بهذا الأسلوب القرآني الهادف، دعوة بالحكمة وسبيل إلى رأي سديد ناضج قد يفضي إلى الاتفاق أو التقارب والتكامل.

٥- اعتماد المختلفين على القاعدة التي تواضع عليها أحد الدعاة: «لنتعاون فيما اتفقنا عليه، وليعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه»، يقول الداعية محمد الغزالي- رحمه الله- في هذا المعنى «وكان من الممكن أن يتعاون الأتباع فيما اتفقوا عليه، وأن يعذر بعضهم بعضا فيما اختلفوا فيه، وهذا ما آثره أولو الألباب، ولكن المرضى بالشقاق عكروا الصفو ومزقوا الشمل» (١٠).

إن هذه القاعدة تفتح باب التواصل باستمرار، ومن ثم التعاون والتآزر، وهذا من شأنه أن يشرح القلوب ويفتح البصائر وينير الطريق أمام المختلفين، للوصول في الأخير إلى رأي سديد موحد في قضايا كثيرة اختلفوا فيها سابقا.

٦- قاعدة الاتحاد والترابط فريضة إسلامية وضرورة واقعية، إن أهم ما ينبغي أن يهتم به أهل العلم والفقه في الدين والدعوة والواقع وقادة الأمة، ويجعلوه من أهداف الدين ومقاصد دعوته الاتحاد والألفة واجتماع القلوب، والتئام الصفوف، والبعد عن الخلاف المفرق، وكل ما يمزق الجماعة المؤمنة ويفرق الأمة المسلمة، مما يوهن دين الأمة ودنياها، ومن توجيهات القرآن هاهنا: ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون. واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم...﴾ (آل عمران: ١٠٢-١٠٣)، وقوله تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ (الشورى: ١٣)، ومن السنة قوله ﷺ: «إياكم وسوء ذات البين فإنها الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين» (١١)، وقوله ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ويجير عليهم أقصاهم وهم يد على من سواهم» (١٢)، فالوحدة والترابط والتماسك قوة ونصرة تعصم الصف المرصوص الموحد من الهلكة والهزيمة، قال تعالى: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ (الصف: ٤).

٧- سلامة القصد: فسلامة القصد سلوك قلبي باطني يعبر عنه سلوك خارجي يتمثل في القول والعمل، وهذا ما تقتضيه القاعدة الشرعية: «الأمور بمقاصدها» بدليل قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» (١٣)، ومن هنا فإخلاص النية وسلامة القصد دعامتان أساسيتان من أهم الدعائم السلوكية والأخلاقية في إنجاح الحوار والتشاور.

وعلى هذا الأساس يجب أن يكون هدف الإنسان المسلم هو الوصول إلى الحق والصواب لا الغلبة وإظهار الفضل والعلم، والمباهاة واستمالة

الناس، ففي الحديث الصحيح: «من تعلم العلم ليباهي به العلماء ويماري به السفهاء ويصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله جهنم» (١٤).

علامات سلامة القصد

ومن علامات سلامة القصد عند العلماء:

أ - أن يكون هم المحاور هو معرفة الحقيقة سواء ظهرت على لسانه أو لسان محاوره.

ب - أن يرى في محاوره ومخالفه معينا يعينه على التعرف على الحقيقة والصواب، لا خصما ينافسه.

ج - أن يعترف بفضل الآخر ويشكره على ما أعانه عليه، وخصوصا إذا ظهر بعض الحق في كلامه.

٨ - قاعدة الشورى الملزمة: لقوله تعالى:﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ (الشورى: ٣٨)، فالشورى قاعدة إسلامية لتدبير أمور المسلمين وحل قضاياهم، وخضوع المختلفين إلى التشاور والتزامهم بنتائجه من العواصم التي تعصم المسلمين من الزلل والتعصب للرأي، والشورى مبدأ وخلق إسلامي يستوعب كل نواحي الحياة كما دلت على ذلك سنة الرسول العملية، فقد كان أكثر الناس مشاورة لأصحابه، ولعل الآفة الخطيرة التي يعاني منها المختلفون هي الاستبداد في الرأي وهو سبب الاستبداد في الحكم وفي غيره من مجالات حياة المسلمين اليوم.

٩- التخلق بخلق التقوى: فالتقوى خلق كريم يجعل المختلفين من العلماء والدعاة حريصين كل الحرص على الحق والصواب بدافع التقوى التي تخلق فيهم ضمير المراقبة الدائمة لله تعالى والخوف منه في السر والعلن، فهي سبيل الخروج من العسر إلى اليسر ومنه الخروج من عسر الخلاف الضار إلى يسر الاتفاق والتكامل والتعاون، قال تعالى:﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾ (الطلاق: ٢)، وقوله:﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾ (الطلاق: ٤).

وخلاصة الأمر مما تقدم فإن المشروعية العليا في حياة المسلمين، يجب أن تكون دائما للكتاب والسنة، كما كان الأمر في عصر الرسالة والخلافة الراشدة، فهما المعيار الدقيق الذي توزن به الأمور، والمقياس المنضبط الذي يجب أن يحكم الأمور، ومنها حرية التعبير وحدوده وضوابطه، وأسس الحوار وقواعده، وحق الاختلاف ومجالاته وآدابه، وهاهنا فإن وزن هذه الأمور ينبغي أن يكون بهذا المعيار فتعار به وتقاس بقياسه، لتكون وسيلة إشعاع للفكر والعقل يهتديان بها إلى سبيل الرشاد، حينئذ يصبح الاختلاف المشروع-باعتباره حقا- وسيلة للتفكير السليم، والرأي السديد، والحوار الهادئ الهادف والتشاور النافع.

ومن هذا المنطلق فإن أي اختلاف لا ينضبط بمعيارية القرآن والسنة يكون اختلافا شاذا وضارا غير مقبول في ميزان الشرع والعقل معا، فيندرج حينئذ تحت قوله ﷺ في الحديث الذي روته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» (١٥).

إذن فالاختلاف المشروع هو الذي يكون القصد منه المصلحة العامة والبناء لا الهدم، ويعمل أصحابه على الجمع لا التفريق، وعلى التواصل لا التقاطع، وعلى التآزر والتعاون لا التآكل والتصادم، وعلى التحاب والموالاة لا العداوة وموالاة الأعداء، وبهذا التصور الإسلامي المتحضر لحرية التعبير والرأي في قضايا الدين والدعوة وشؤون تدبير قضايا الناس ومصالح الأمة، تكون دائرة الخلاف مضبوطة بميزان الشرع الحكيم، والضمير الحي المراقب لله تعالى، والعقلية المستنيرة بنور الوحي وبصائره، المراعية لمصلحة الإسلام ودعوته، المعتبرة ذلك كله هو المصلحة العليا التي بالحفاظ عليها تحفظ مصالح الناس في المعاش والمعاد، وهذا هو مقصود الشرع من الشريعة.

الهوامش

١- (انظر سورة الأعراف آية ١٤٢ إلى ١٥٣)
٢ - صحيح البخاري - كتاب الجمعة أبواب صلاة الخوف - باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء، حديث:٩١٨.
٣ - الغزالي المستصفى: ٢/٢٥٠.
٤ - مالك، الموطأ في كتاب الجامع برقم: ١٣٩٥.
٥ - رواه ابن عبد البر في كتابه: جامع بيان العلم وفضله، عن معاذ بن جبل.
٦ - جامع بيان العلم: ١/٢٧.
٧ - قولة للحسن البصري/ مفتاح دار السعادة لابن القيم: ٨٢.
٨ - ابن المرتضي: إيثار الحق على الخلق: ٨٩.
٩ - يوسف القرضاوي: في فقه الأولويات:٩.
١٠ - دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ص ١٢٥.
١١ - الترمذي في سننه كتاب صفة القيامة برقم: ٢٤٣٣، وقال حديث صحيح.
١٢ - أبوداود في الجهاد برقم:٢٣٧١. وابن ماجة في الديات برقم: ٢٦٧٣. وأحمد في مسند المكثرين برقم: ٦٤٠٥.
١٣ - البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي برقم: ١، وأبوداود في الطلاق برقم: ١٨٨٢، وابن ماجة في الزهد برقم: ٤٢١٧.
١٤ - ابن ماجة في سننه في المقدمة برقم: ٢٥٦.
١٥ - البخاري في البيوع باب النجش ومن قال لا يجوز ذلك البيع. ومسلم في الأقضية برقم: ٣٢٤٣.

دعنا نستكشف من خلال هذا البعد التاريخي ومحاولة تعقب وسرد الأزمات الكبرى التي لازمت النظام الرأسمالي للاقتصاد منذ ما يزيد على قرنين من الزمان حتى الأزمة الكارثية الكبرى الحالية (سبتمبر- أكتوبر سنة ٢٠٠٨م) حيث تجلت آثارها وظهر دمارها.. نستكشف: هل هي أزمة نظام اقتصادي تشكل فيه الأزمة المالية العالمية الكارثية عرضًا لمرض عضال وخللًا فنيًا هيكليًا وفكريًا؟ أم هي أزمة طارئة وتسونامي مالي جديد كما يقول ألن جريس بان رئيس بنك الاحتياطي الفيدرالي الأميركي السابق؟ وللإجابة على هذا التساؤل ندع أمورا ثلاثة تدلي بوقائعها، التاريخ الاقتصادي، والتقارير الاقتصادية، وأقوال المتخصصين من العلماء والباحثين.

البعد التاريخي للأزمة المالية العالمية

د. عبدالحميد البعلي

بات العالم يعيش الأزمات المالية المتلاحقة والمتناقضات الاقتصادية الفادحة، أما الأزمات المالية أو «الانهيارات المالية» المفزعة فباتت متكررة ومدمرة ومستشرية، ففي النصف الثاني من تسعينيات القرن الماضي منذ ديسمبر سنة ١٩٩٤ حتى يناير سنة ١٩٩٩م فقط شهد العالم أربع أزمات أو انهيارات، بدءًا بالمكسيك سنة ١٩٩٥م، ثم جنوب شرق آسيا، ولنقرأ التصريح الشهير لرئيس وزراء ماليزيا في مقابلة مع مجلة «بيزنس ويك» حين سئل:

■ «هناك من يحاجج بأنه بعد فترة من المعاناة على المدى القصير، فإن بلادكم ستصبح أقدر على المنافسة؟ فأجاب:

- إنني لا أؤمن بهذه الفكرة، فبعد أن قتلتم كمًّا هائلا من الشعب، وأطحتم بعدد كبير من الشركات، وتسببتم في انهيار البنوك، وقلصتم الثقة في النظام بأكمله تقول لي: إننا أقوياء مرة أخرى: لا، إن الأمور لا تسير على هذا النحو، لقد احتجنا الى ٤٠ عاما من العمل الشاق حتى بلغنا ما كنا عليه قبل الأزمة، أما اليوم فقد أعدنا إلى الوراء بما يزيد على ٢٥ سنة».

ثم أزمة روسيا عام ١٩٩٨، والبرازيل عام ١٩٩٩.

ولا ننسى الأزمة الطاحنة في الثلاثينيات من هذا القرن والتي استمرت عشر سنوات، ونشأ في أحضانها النظام الرأسمالي الكيتري الحديث، ولا الأزمات السابقة في أعوام ١٨٧٢، ١٨٨٤، ١٨٩٣، ١٩٠٤، ١٩٠٧، وكساد الحرب العالمية الأولى من ١٩١٤، وكساد فترة ما بعد الحرب عام ١٩٢١، والكساد العظيم في ١٩٢٩- ١٩٣٢ وقيل ١٩٣٩م.. هذا ما يقوله التاريخ.

ماذا تقول التقارير

١- تشير التقارير الى أن مقابل كل دولار يستثمر في الاقتصاد الحقيقي المنتج، فإنه يجري استثمار ما يتراوح بين (٢٠-٥٠) دولارًا في الأسواق العالمية غير الحقيقية القائمة على المضاربات والمجازفة والتي تسهم في توليد المزيد من الأموال لا في إنتاج السلع والخدمات التي تعتبر وثيقة الاتصال والارتباط بالاقتصاد الإنتاجي. ومع ذلك فلا أحد يعلم على وجه التأكيد والدقة مقادير وحجم الأموال التي يجري استغلالها في عمليات المضاربة.

وقد ذكر جويل كيرتزمان kurtizman محرر مجلة «هارفارد بزنس ريفيو» HARVARDBUSINESS REVIEW في كتابه «موت الأموال» THE DEATH OF MONEY تقدير البعض أن ما معدله ٣٪ فقط من المعاملات المالية اليومية والتي تزيد عن ١٢٠٠ مليار دولار في اليوم تستثمر في تجارة السلع والخدمات في الاقتصاد المنتج، بينما يتم تسخير حوالي ٩٧ في المائة من حجم تلك المبادلات المالية اليومية في أعمال المضاربة وتدار من خلال الوسائل الالكترونية وبرامج الحاسوب لهدف واحد فقط هو الحصول على المزيد من الأموال من الاقتصاد الانتاجي وامتصاص طاقات الشعوب وقدراتها.

٢- أكد تقرير منظمة الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (أنكتاد) لعام ١٩٩٩ أن النظام الاقتصادي العالمي ما يزال يتسم باختلالات وعدم توازن يضر بمصالح الدول الفقيرة مما يؤكد أن هذا القرن سيختم بأزمة تنمية حقيقية، حيث إن معدل النمو العالمي المتوقع العام الحالي ٢٪ فقط وهي نتيجة مخيبة للآمال وتخفي حقيقة أن الفجوة بين الدول النامية والمتقدمة مازالت تتسع في أكثر من مجال، وأن السبيل الوحيد لتفادي ركود اقتصادي عالمي يكمن في تحمل الدول الصناعية لمسؤولياتها في تنشيط النمو الاقتصادي العالمي، وتناول التقرير آثار العولمة على التنمية التي منها أن الأزمات المالية المتعاقبة في الأسواق الناشئة أصبحت تشكل ظاهرة ثابتة ومزمنة في النظام المالي العالمي.

* أستاذ الفقه المقارن- الكويت

٣- جاء في تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٢ الصادر عن برنامج التنمية التابع للأمم المتحدة أن أغنى ٢٠٪ يمتلكون ٨٢,٧٪ من دخل العالم، و٢٠٪ يمتلكون ١١,٧٪ من دخل العالم، و١٠٪ يمتلكون ٢,٣٪ من دخل العالم، و١٠٪ يمتلكون ١,٩٪ من دخل العالم، و٢٠٪ يمتلكون ١,٤٪ من دخل العالم.

الرأسمالية «المعلوماتية» وطبقة الواحد بالمائة (١٪)

يُعَدُّ ذلك نتيجة طبيعية وحتمية لما أنجبته الرأسمالية الأنجلو أميركية والرأسمالية «المعلوماتية» من تفاوت بشع في توزيع الثروات حتى بين أبناء الشعب الواحد.

فطبقا لتقرير التنمية البشرية الصادر عن برنامج التنمية التابع للأمم المتحدة (مطبعة جامعة أكسفورد U.K) فإن:

طبقة الواحد بالمائة من الأميركيين تمتلك النسب المئوية التالية من إجمالي الموجودات في الولايات المتحدة في عام ١٩٩٢:

- الأسهم ٤٩,٦٪ من إجمالي الأسهم الأميركية.
- السندات ٦٢,٤٪ من إجمالي السندات الأميركية.
- الائتمان ٥٢,٩٪ من إجمالي عمليات الائتمان.
- حقوق في النشاطات التجارية ٦١,٦٪ من إجمالي حقوق النشاطات التجارية الأميركية.
- العقارات غير المخصصة للسكن ٤٥,٩٪ من إجمالي العقارات، ففي عام ١٩٩٢ كانت طبقة الواحد بالمائة الأميركية تمتلك ٤٥,٦٪ من إجمالي الثروة المالية فيما يمتلك أفقر ٨٠٪

هل الأزمة المالية العالمية طارئة أم أنها عرض لمرض عضال؟

من الشعب ٧,٨٪ من الثروة المالية، وعلى الصعيد العالمي فإن (٣٥٨) مليارديرا يمتلكون ثروة مجمعة تعادل الثروة التي يمتلكها أفقر (٢,٥) مليار شخص في العالم مجتمعين (١).

لقد أفرزت الرأسمالية المعلوماتية الحديثة طبقة الـ ١٪ في الكثير من الدول، وأصبحت مصالحها متطابقة ومتشابكة وطغت على المصالح الوطنية.. هنا أتساءل: أين الآن ما زعمه أبوالاقتصاد آدم سميث في أوائل القرن الـ ١٨ من فكرة «اليد الخفية» التي تستطيع أن توفق بين المصلحة الخاصة والعامة وبين المصلحة الشخصية والمجتمعية في توازن دقيق؟!

ولهذا قال كيتز مؤسس المدرسة الاقتصادية الحديثة في الأربعينيات من القرن العشرين: «يجب أن نتظاهر أمام أنفسنا وأمام الجميع أن العدل خطأ وأن الخطأ عدل» فالعدالة «عرضية» في الرأسمالية الأنجلوأميركية.

٤- أطلق البرنامج الانمائي بالأمم المتحدة تقرير التنمية البشرية السنوي العاشر وجاء فيه:

- «متوسط الدخل في أغنى خمس دول في العالم يبلغ (٧٤) ضعف متوسط الدخل في أفقر خمس دول في العالم.

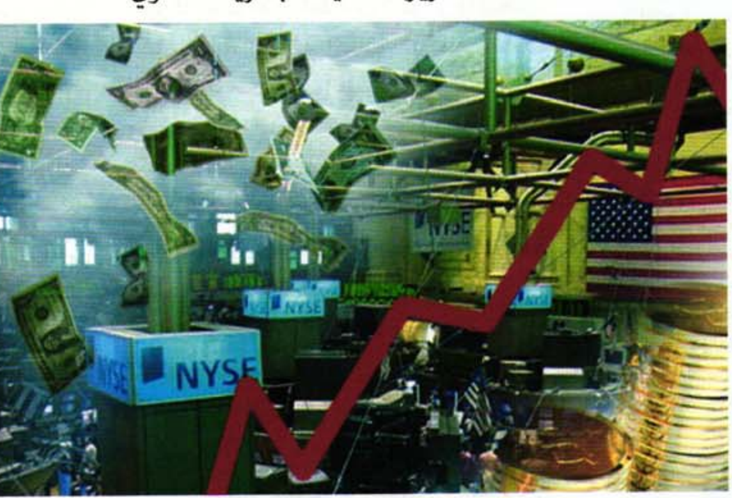
- ويذكر التقرير أن ثروات أكبر ثلاثة أغنياء في العالم تفوق قيمتها إجمالي الناتج المحلي لمجموعة الدول الأقل تقدما والتي يناهز عدد سكانها (٦٠٠) مليون نسمة.

- ويشير التقرير الى أن الرعاية الاجتماعية التي تعد المحور الخفي للتنمية البشرية تواجه تهديدا في ظل اقتصاد السوق المنافسة، ويشير في هذا الصدد إلى افتقار حياة البشر بشكل متزايد إلى الأمان، وتزايد معدلات التفكك الأسري والجريمة في حين يبلغ إجمالي الأرباح العالمية ١,٥ تريليون دولار في العام (٢).

وعلى هذا النحو بات التفاوت الصارخ بين الأغنياء والفقراء خصيصة من خصائص النظام الاقتصادي، وأصبح الفقر وتوابعه من انعدام الرعاية الاجتماعية ومشتقاتها هو الغالب، مما يتعين معه على العلماء أصحاب الفكر أن يهبوا للغوث وكشف الغمة (انظر إلى الاهتمامات الآن في وسائل الإعلام المختلفة)، فمما لا يعقل في عصر الفضاء أن يوجد أكثر من ١٠٠ مليون شخص تحت خط الفقر في أغنى دول العالم إضافة إلى ٣٧ مليونا عاطلين عن العمل و١٠٠ مليون بلا مأوى، ويؤكد التقرير الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي أن تلك الأعداد مرتفعة بدرجة مذهلة وسط الوفرة (٣).

أقوال المتخصصين من العلماء والباحثين:

١- يقول عالم الاقتصاد السويدي ميردال الحائز على جائزة نوبل: إن آليات السوق الحرة تجعل التقدم يؤدي إلى



المزيد من التقدم، كما تجعل التخلف يؤدي إلى المزيد من التخلف.

مما يؤدي إلى القول بضرورة الدور المتوازن للدولة في قيادة العملية الاقتصادية إنتاجا وتوزيعا واستهلاكا، والملكية بأشكالها المختلفة والتوليفة المناسبة منها والاستثمار والأسواق ووسائل الرقابة الفعالة عليها.

٢- دعا آلان بلانيدروا (٤) إلى إصلاح النظام المالي العالمي الحالي لحماية المواطنين الأبرياء في شتى أنحاء العالم من مخاطر الأزمات المالية التي تخلقها الممارسات الحالية.

وأكد أن الوضع قد تغير الآن ولم يعد الاهتمام بالأزمات المالية مقصورا على نخبة اقتصادية حيث توالت الانهيارات المالية المفزعة.

وقال بلانيدروا في دراسة نشرتها مجلة «فورين أفيرز»: «إن الانهيارات المالية قد باتت متكررة ومدمرة ومستشرية حتى لم يعد بمقدور أحد أن يتجاهلها أو يغض الطرف عنها. وأكد بلانيدروا أن النظام المالي العالمي الراهن قد فشل فشلا ذريعا في حماية البشر البسطاء الفقراء من مخاطره الضارية.

٣- على مستوى الدول يدعو خبير دولي آخر إلى تأسيس نظام مالي جديد في العالم (٥) حيث أكد مدير مجموعة الـ٢٤ في واشنطن د. وليام لارالدي على ضرورة صياغة نظام مالي عالمي جديد يحافظ على مصالح الدول النامية ويقلل من هيمنة الدول الصناعية الكبرى ويحول دون حدوث أزمات أو هزات تزعزع الاستقرار المالي والنقدي في العالم. وما ترتب عليها من ضرورة وضع هيكل جديد للنظام المالي العالمي الذي يعاني مما وصفه بسوء أداء المؤسسات والهياكل المالية القائمة ضمن هذا النظام.

والآن أختتم الجواب على هذا السؤال بتداعي النظم الاقتصادية وسقوط النظام الاشتراكي «النظرية الماركسية/ الشيوعية» في بداية التسعينيات للأسباب الآتية:

١- عزل الطموح الإنساني عن آلية الانتاج «تمثل ذلك في شكل الملكية العامة الوحيد».

٢- حرمان الإنسان من الحوافز في توزيع الثروة لمن يحتاج إليها بغض النظر عن الإنتاج.

٣- تحت شعار «لكلٍ ما يحتاجه والكل يعمل» عزلت عن الإنسان القدرة في الإبداع، فتساوى في ذلك من يعمل ومن لا يعمل.

ومع تراجع العمل في طموحات العامل وعدم تحقيق إيراد محفز للإنتاج مقابل العمل الفعلي وبسقوط خصوصية العامل في الإبداع والإنتاج سقطت النظرية.

■ وفي المقابل قام نظام «نظرية اقتصاد السوق وميكانيكية الحوافز» حيث:

١- يعطي الحوافز دون حدود تاركا العنان للجشع والسعي وراء الثروة والمال دون قيود، وكان للحوافز دور بارز في الأزمة الحالية.

٢- سيطرة الشركات متعددة الجنسيات والقارات على القرار السياسي وتحولها إلى احتكارات جشعة هدفها المال والثروة.

٣- حماية الحوافر تحت غطاء حماية الحرية.

ومع سقوط الاشتراكية برزت الأزمات الاقتصادية الرأسمالية والتي نجد أهم جذورها في عام ١٩٧١م عندما قامت أميركا بفك الارتباط بين الدولار والذهب، وكان ذلك بمنزلة إعلان مرحلة جديدة للنظام الرأسمالي «الليبرالية الاقتصادية» وتراجع دور الدولة في الحياة الاقتصادية وتحرير أسعار الفائدة وأسعار الصرف.

إذن نستطيع القول، بالنسبة للرأسمالية، إنه مطلوب إنقاذ الرأسمالية مما يأتي:

١- عدم الاستقرار: فالدولار هو العملة المعتمدة في ثلثي احتياطي الحكومات بالعملات الأجنبية البالغ مجموعه ٦,٧ تريليون دولار.

٢- عدم المساواة «اتساع الهوة بين الفقراء والأغنياء»، ٥٥ مليون شخص يعيشون في فقر مدقع سنة ٢٠٠٩م، ٤٠ مليونًا منهم في أميركا.

٣- البطالة التي تخطت في أميركا ١٠٪ للمرة الأولى منذ الحرب العالمية الثانية، وقد تبقى عند حدود ٨,١٧٪ حتى عام ٢٠١٤م مما يعني أن عملية النهوض ستكون أبطأ.

وفي تحقيق صحافي في «نيوزويك انترناشيونال» قال وزير الخزانة الأميركي غايتنر في جوابه على سؤال: ما أكبر مفاجأة غير سارة؟

قال: نسبة البطالة العالية بما يجري في الاقتصاد عموما، كل التوقعات أغفلت ذلك ولهذا تأثير كبير، لأنه العدسة التي ينظر الناس من خلالها إلى سلامة الاقتصاد ككل.

الهوامش

١- كما اقتبسته مجلة الأمة ١٩٩٤/١٢/١٩ Richard Baraet، كتاب «مؤسسات بلا دولة» للمؤلف.

٢- تقرير مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية- الاقتصاد في أسبوع- العدد ١٤٣ - ٩٩/٧/٢٠ ص٣ وما بعدها.

٣- انظر تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٨ الصادر عن البرنامج الإنمائي بالأمم المتحدة المنشور في مجلة اقتصاديات الإمارات- العدد ٤١ لسنة ٤- ديسمبر ١٩٩٨ ص٣٨ وما بعدها.

٤- استاذ الاقتصاد بجامعة برينستون ونائب رئيس مجلس محافظي بنك الاحتياط الفيدرالي في الفترة من ١٩٩٤م إلى ١٩٩٦م، في دراسة نشرتها مجلة «فورين أفيرز» أن الانهيارات المالية قد باتت متكررة ومدمرة ومستشرية حتى لم يعد بمقدور أحد أن يتجاهلها أو يغض الطرف عنها وأكد بلانيدروا أن النظام المالي العالمي الراهن قد فشل فشلا ذريعا في حماية البشر البسطاء الفقراء من مخاطره الضارية.

٥- الاقتصاد في أسبوع العدد رقم ١٥٨ من ٢٧ أكتوبر- ٢ نوفمبر ١٩٩٩م.

عبادة السيد نوح abadanooh@hotmail.com

ويكي صحافة



تعيش الساحة الصحافية في العالم المعاصر حالة من التخبط واللامسؤولية تجاه قداسة مهنة الصحافة. ولعل الواقع المهني يعكس هذه الصورة القاتمة التي تفرض ضرورة البحث عن وسائل لتنمية المسؤولية الاجتماعية لدى الصحفيين، والتزامهم بأخلاقيات المهنة ومواثيق الشرف المهني.

ولكن ما أحدثه مؤسس موقع ويكيليكس الصحفي الأسترالي جوليان أسانج يعطي مؤشرا واضحا على وجود بعض الصحفيين الذين يعملون وفق ضميرهم الحي وليس وفق أهوائهم الغريزية، ويحترمون أصول المهنة، ويقدرون حجم القضية التي يعملون من أجلها، وبرغم تطور الصحافة الحديثة، واتساع نطاق أثرها، وسرعة تدفق الأنباء في العالم المعاصر، فإنه مازال هناك أصحاب رسالة في بلاط السلطة الرابعة.

ويعد موقع ويكيليكس الذي غير أصول المعادلة الصحافية اليوم أحد الأدوات الإعلامية للخدمة العامة، وبات مخصصا لحماية الأشخاص الذين يكشفون الفضائح والأسرار التي تنال من المؤسسات أو الحكومات الفاسدة، وتكشف كل الانتهاكات التي تمس حقوق الإنسان أينما وكيفما كانت.

ويعتمد الموقع – كما يقول أسانج – في مصادره على أشخاص يوفرون له المعلومات اللازمة من خلال الوثائق التي يكشفونها، ويتبع إجراءات معينة من أجل حماية مصادر المعلومات من وسائل متطورة في التشفير تمنع أي طرف من الحصول على معلومات تكشف المصدر الذي وفر تلك التسريبات.

هذا الحدث العالمي في مجتمع الصحافة يكشف حقيقة نوايا أرباب الصحف العالمية، فأغلبها أصبح يعمل وفق أهداف خفية ومصالح مستترة، في الوقت الذي تكون فيه الأخلاق المهنية في آخر سلم الأولويات، الأمر الذي يفرض سؤالا مهما.. هل هؤلاء الصحفيون يتقمصون المهنية لتحقيق مآربهم الخاصة؟

إن هذه السلوكات شائنة ولا تخلو من الخداع والتضليل والاستخفاف بعقول القراء، لذا ينبغي الوعي بأهمية السعي الحثيث وراء الحقيقة عن طريق التحري الدقيق والتسلح بشجاعة اقتحام مصادر الخبر علانية سواء كانت أشخاصا أو أماكن.

إن حق الجمهور على وسائل الإعلام أن يعرف حقيقة الأحداث التي لها أهمية عامة، خاصة أن هدف النشر الصحفي في الأول والأخير هو تنوير الرأي العام بما وراء الأحداث. فما فعله أسانج يثبت أن الصحفي لابد أن يبحث دائما عما يخدم مصالح الجمهور، وهو ما نجح فيه بالفعل برغم المعوقات، لاسيما أنه بذل مجهودا خارقا لضمان وصول الحقائق والأحداث إلى الجمهور علنا من خلال نشرها في فضاء واسع بلا قيود أو حدود.

إن المسؤولية المهنية والأخلاقية للصحفي تقتضي ألا تكون أخباره متأثرة بالمصالح الشخصية أو السياسية وغير متحيزة إلى أي مصلحة اقتصادية أو تجارية، كذلك لابد من تفادي تضارب المصالح والانحياز لقضية على حساب أخرى.

ويمكن أن نقتبس جزءًا من مقولة للفيزيائي الأميركي «ريتشارد فاينمان» الذي كتب مُتحدثا عن الاكتشافات المبهرة بالكون في الوقت الذي نرى ما يحدثه وسيحدثه ويكيليكس في خريطة العالم الإعلامية والسياسية: «إننا نحُس دومًا بنفس الرجفة، وبنفس الدهشة، ونقف مبهورين أمام أسرار وألغاز جديدة كلما تطرقنا إلى مسألة ما بتعمق، ومع تكاثر المعلومات تأتي تساؤلات أعمق، تطرح مسائل أكثر غرابة، وإننا لا نفكر أبدا أن الأجوبة قد تأتي مخيبة لظننا، بل نمضي بثقة ونبحث تحت الأحجار وخلف الأشجار عن غرائب أخرى لم يتصورها أحد من قبل، تؤدي دومًا إلى تساؤلات جديدة مثيرة وإلى أسرار مذهلة.. إنها مغامرة كبرى».

درس بعض الباحثين تاريخ حضارتنا، وقسّموه إلى عصور عدة، هي: عصر نشأة، وعصر ترجمة، وعصر إبداع فكري، ثم عصر جمود وانحطاط، ثم عصر نهضة، وهم اعتبروا العصرين المملوكي والعثماني من عصور الانحطاط، كما اعتبروا أن عصر النهضة يبدأ باحتلال نابليون لمصر عام ١٧٩٨، وتجسدت تلك النهضة في إصلاحات محمد علي باشا الذي حكم مصر بين عامي ١٨٠٥ و١٨٤٨ وأولاده من بعده، فهل هذا التحقيب والتصنيف صحيح وسليم؟ وما المقصود بالانحطاط والنهضة؟ وما تقييمنا لهذين المصطلحين؟

قراءة في مقولتي «عصر الانحطاط وعصر النهضة»

د.غازي التوبة

أطلق بعض الدارسين على الفترة العثمانية عصر انحطاط، ومدّ بعضهم عصر الانحطاط ليشمل الفترة المملوكية وجانباً من العصور العباسية المتأخرة، فما أبرز مظاهر الانحطاط في رأيهم؟ إن أبرز مظاهر الانحطاط في رأيهم: جمود العقول، وقلة الإبداع العلمي، والتكرار والاجترار في الإنتاج العلمي...إلخ، ومن أبرز الذين شرحوا هذه الحالة ونظروا لها، اثنان هما: مالك بن نبي ومحمد عابد الجابري، الأول، في كتبه عن مشكلات الحضارة، والثاني، في كتبه عن العقل العربي.

لقد اعتبر مالك بن نبي أن عوامل التعارض الداخلية في المجتمع الإسلامي بلغت قمتها في نهاية دولة الموحدين، ولم يعد الإنسان والتراب والوقت عوامل حضارة، بل أضحت عناصر خامدة ليس بينها صلة مبدعة، لقد طرح مالك بن نبي آراءه عن مشكلات الحضارة في الخمسينيات من القرن المنصرم، ثم جاء محمد عابد الجابر في الثمانينيات ليطرح دراسته عن العقل العربي في كتابين: الأول عن تكوين العقل العربي، والثاني عن بنية العقل العربي، فماذا جاء فيهما مما له علاقة بموضوع مقالنا وهو انحطاط الأمة وجمودها العقلي والعلمي؟



نهضة اليابان.. محاولة حثيثة للحاق بالغرب

لقد اعتبر الجابري أن أهم عامل ساهم في تكوين العقل العربي هو عصر التدوين، لأنه الإطار المرجعي الذي يشد إليه جيمع فروع الثقافة وينظم مختلف تموجاتها اللاحقة إلى يومنا هذا، فصورة العصر الجاهلي وصورة صدر الإسلام والقسم الأعظم من العصر الأموي إنما نسجتها خيوط منبثقة من عصر التدوين الذي ابتدأ في العام ١٤٣ للهجرة، ثم درس الجابري الأنظمة المعرفية التي شكلت بنية العقل العربي، وأشار إلى أزمته التي نتجت عن تصادم وتداخل الأنظمة المعرفية الثلاثة وهي: البيان والعرفان والبرهان، واعتبر أن شخصية أبي حامد الغزالي تجسد هذا التصادم والتداخل، وتجلى ذلك في أزمته الروحية التي أفقدته توازنه مرتين، والتي تحدث عنها في كتابه «المنقذ من الضلال».

ثم أشار الجابري إلى لحظتين متمايزتين في العقل العربي: الأولى، تمتد من بدايات عصر التدوين إلى لحظة الغزالي وقد كان العقل العربي فيها فاعلاً منتجًا، والثانية، ما بعد لحظة الغزالي حيث ابتدأ ما أسماه بالتداخل التلفيقي بين النظم المعرفية الثلاثة وأصبح العقل العربي فيها جامدا.

لكن د.جورج صليبا توصل في كتاب جديد تحت عنوان «الفكر العلمي العربي: نشأته وتطوره» إلى

مفكر اسلامي

نتائج مخالفة لما توصل إليه الكاتبان السابقان، لأنه اتبع منهجية جديدة في دراسة العلوم العربية، وتقوم هذه المنهجية على رصد التطورات العلمية للعلوم العربية وعلى عدم الانطلاق من نظريات مسبقة، وطبق ذلك على علم الفلك فتوصل إلى أن العصر الذهبي لعلم الفلك هو العصر الذي يطلقون عليه عصر الانحطاط بالنسبة للعلوم العربية بشكل عام، ويشير في هذا الصدد إلى نظريات ابتدعها نصير الدين الطوسي في كتابه «تحرير المجسطي» الذي ألفه عام ١٢٤٧م، «والتذكرة في الهيئة» الذي ألفه بعد الكتاب السابق بنحو ثلاث عشرة سنة.

وقد أفرد الطوسي فصلًا كاملًا للرد على علم الفلك اليوناني، ولإقامة هيئته البديلة، وفي أثناء هذا العرض يستخدم الطوسي مرة ثانية النظرية الجديدة التي كان قد اقترحها بشكل مبدئي في كتاب «تحرير المجسطي»، وإذا بهذه النظرية تظهر هي الأخرى بعد نحو ثلاثة قرون في أعمال كوبرنيك بالذات وبالشكل الذي ظهرت فيه في «تذكرة» الطوسي.

ولم يتوقف الأمر عند الطوسي وحده بل شمل الإبداع في علم الفلك عشرات من الآخرين في القرون التالية وكان من أبرزهم شمس الدين الخفري الذي كان معاصرا لكوبرنيك والذي كان يتحلى بمقدرة رياضية وبدراية في دور الرياضيات في صياغة العلوم، ندر أن يوجد مثلها في أعمال الذين أتوا قبل القرن السابع عشر الذي تم فيه فعلًا تكوين العلم الحديث.

نجحت نهضة اليابان بعد الحرب العالمية الثانية لأنها حققت شروط النهضة

وعند التدقيق نجد أن تقسيم تاريخ حضارتنا إلى فترات: عصر نشأة، وعصر ترجمة، وعصر إبداع فكري، ثم عصر جمود وانحطاط، ثم عصر نهضة، هو تقسيم استشراقي يستلهم دورة الحضارة الغربية، وينطلق من تأكيد مركزيتها، ويعمم حالة العصور الوسطى في الحضارة الغربية التي كانت عصور جمود وانحطاط على العصور الوسطى عندنا التي يجب أن تكون أيضا عصور جمود وانحطاط حسب زعمهم، ولكن النظرة الفاحصة المدققة المتبصرة تلغي مثل هذا الحكم وتبين أن علم الفلك- على الأقل- لا ينطبق عليه مثل هذا الحكم حسب الدراسة المتبحرة التي قام بها د.صليبا وحسب النتائج الأكيدة التي توصل إليها ودعا في نهايتها إلى تقصي واقع العلوم العربية الأخرى من أجل الوصول إلى نتائج مشابهة في عدم جمود العقل العربي.

أما فيما يتعلق بعصر النهضة فقد اعتبر بعض الدارسين أن نهضة بدأت في مصر في عهد محمد علي باشا (١٨٠٥ -١٨٤٨)، ودللوا على تلك النهضة بالتحديثات التي قام بها في المجالات العسكرية والتعليمية والاقتصادية، ولعب محمد علي باشا دورًا أساسيًا بارزًا في المنطقة سواء مع الخلافة العثمانية أم ضدها، لكن مصر انتهت إلى أن ارتهن اقتصادها للدول الغربية وشركاتها في النصف الثاني للقرن التاسع عشر، مما ترك المجال لأوسع التدخلات في الشؤون المصرية، وأدى ذلك إلى استعمار مصر في العام ١٨٨٢م من قبل الإنجليز إلى حين توقيع اتفاقية الجلاء في العام ١٩٥٤م، وهي تعاني الآن ضعفًا في الاقتصاد والسياسة والزراعة والصناعة... إلخ.

وهنا يأتي السؤال: لماذا لم تتحقق النهضة في مصر؟ لم تتحقق النهضة لأنها تتولد بعمليتين مترافقتين، هما: تكنولوجيا غربية، ورؤية فكرية، وبمقدار ما تكون الرؤية الفكرية معمقة في توصيف الحاضر وتشريح الماضي واستشراف المستقبل بمقدار ما تكون النهضة ناجحة وذات أثر مستمر.

وقد غابت النهضة عن تجربة محمد علي باشا بسبب غياب الرؤية الفكرية عنده، مع أنه نقل كثيرًا من التكنولوجيا الغربية، وقام بكثير من الإصلاحات الإدارية والزراعية والصناعية والاقتصادية... إلخ، فلم يكن له أي موقف فكري من الواقع، مع أنه كان مليئا بالإيجابيات والسلبيات التي تحتاج إلى المعالجة على مستويين: الأخذ بالإيجابيات ومعالجة السلبيات، وقد أدى انعدام الرؤية الفكرية عنده إلى انزلاق تجربته إلى التغريب عند حفيده الخديوي إسماعيل الذي اعتبر مصر قطعة من أوروبا، وأخذ بكل مظاهر التغريب، وأدى هذا التوجه إلى إضعاف مصر وخسارة الاستقلال السياسي عندما احتلها الإنجليز عام ١٨٨٢.

ونحن من أجل توضيح وتأكيد وجهة نظرنا لعملية توليد النهضة يمكن أن نأخذ مثالا على ذلك مما جرى في اليابان، وهو البلد الذي تطلع إلى النهضة كما تطلعت مصر لها وفي وقت متقارب، لكن اليابان استطاعت أن تحقق النهضة في حين أن مصر عجزت عن ذلك، والسبب في ذلك أن اليابان حققت الشرطين المطلوبين للنهضة في حين أن مصر حققت واحداً منهما، فلنر كيف سارت الأمور في اليابان.

انطلقت اليابان في منتصف القرن

التاسع عشر وحاولت اللحاق بالغرب، وقد جاءت هذه الانطلاقة بعد إنذار وجهته القوات الأميركية بقيادة بيري يوم ١٤ يوليو ١٨٥٣ إلى فتح الموانئ اليابانية أمام الملاحة الدولية، وتم لاحقا توقيع اتفاقيات مذلة ومجحفة بحق اليابانيين أجبرتهم فيها الولايات المتحدة الأميركية يوم ٣١ مارس ١٨٥٤ على فتح موانئهم لأساطيل الدول الغربية، وجاء رد الفعل الشعبي بإزالة الأسرة الحاكمة آنذاك وهي أسرة توكوغاوا لصالح صعود الحكم الإمبراطوري، ثم طرح الشعب الياباني شعار «المجد للإمبراطور وليطرد البرابرة» ثم اعتلى الحكم إمبراطور صغير السن تمسى باسم الإمبراطور مايجي أي «الإمبراطور المصلح» (١٨٦٨ -١٩١٢)، وطرحت القيادة اليابانية آنذاك شعارين يعبران عن المرحلة القادمة خير تعبير، الأول: «جيش قوي ليابان غنية» والثاني: «تقنية غربية وروح يابانية»، وقد جمع الإمبراطور مايجي في حاشيته نخبة متميزة من كبار قادة الرأي في اليابان، بلغت ٤٠٠ شخصية من ذوي الاتجاهات المتنوعة والمبادئ المتنورة، وقد بدأ حكمه بإعلان مبادئ الإصلاح الخمسة يوم ١٤ مارس ١٨٦٨، وتناولت التأكيد على أولوية المصلحة العامة، وعلى المساواة بين اليابانيين، وعلى ضرورة توحد السلطتين العسكرية والمدنية، وعلى البحث لاكتساب الثقافة والتعليم العصريين في أي مكان في العالم واستخدامهما في بناء ركائز الإمبراطورية اليابانية.

ثم أصبحت اليابان دولة صناعية متقدمة طوال القرن العشرين، ولعبت دورًا أساسيًا في الحربين العالميتين الأولى والثانية، ومع أنها دمرت في الحرب العالمية الثانية بشكل كامل، فإنها استطاعت في نهاية القرن العشرين أن تصبح من أكثر الدول تقدما في الابتكارات التكنولوجية والأمور العلمية، وأن تصبح ذات اقتصاد قوي راسخ، وذات مجتمع حيوي فعال...إلخ.

غابت النهضة عن تجربة محمد علي باشا في مصر بسبب غياب الرؤية الفكرية عنده

رأينا- فيما سبق- أن بعض الدارسين أخطأوا في إطلاق عصر الانحطاط على فترات من تاريخنا، لأن العقل العربي لم يكن في موات كامل كما تصوروا، ولأن دراسة الدكتور صليبا أكدت ذلك وما أحب أن أنبه إليه وأستدركه أننا عندما نقول: إن الباحثين أخطأوا عندما أطلقوا عصر الانحطاط على الفترتين المملوكية والعثمانية لا نقصد أن هاتين الفترتين كانتا خاليتين من الضعف والأمراض والقصور والفجوات والهنات...إلخ، بل هناك ضعف وقصور وأمراض .. تحتاج إلى معالجة، وهذا يقتضي منا أن نعالج تلك الأمراض والأخطاء من خلال المنظومة الثقافية للأمة.

وكذلك رأينا - فيما سبق- أن إطلاق اسم «عصر النهضة» على الفترة التي حكم فيها محمد علي باشا وأسرته من بعده مصر في القرن التاسع عشر تسمية غير صحيحة، وذلك لأنها لم تمتلك عناصر استحداث النهضة، فاستجلاب التكنولوجيا، وإقامة المصانع، وإجراء بعض الإصلاحات في المجالات الزراعية والاقتصادية... إلخ، لا تكفي لإقامة نهضة، بل لابد من عنصر آخر، هو عنصر الرؤية الفكرية للواقع.

وهذه الرؤية هي التي تشرح الواقع على ضوء المنظومة الثقافية للأمة، وتعيد النظر والترتيب والتصنيف والفرز في كل معطيات هذا الواقع من أجل الخلوص إلى إبقاء ما هو نافع وسليم وإبعاد ماهو غير نافع وسليم، على ضوء معايير مرتبطة بالمنظومة الثقافية للأمة، وهو ما لم يقم به محمد علي باشا وأسرته على مدى قرن مما أدى إلى انزلاق تجربته في هوة التغريب على يد إسماعيل باشا الذي اعتبر مصر قطعة من أوروبا، وأدى إلى ارتهان مصر لأوروبا في المرحلة الأولى، ثم إلى استعمارها عام ١٨٨٢ في المرحلة الثانية، في حين أن النهضة نجحت في بلد آخر هو اليابان بسبب أن قيادتها حققت الشرطين اللذين تحتاجهما النهضة وهما: التكنولوجيا الغربية، والرؤية الفكرية.



محمد علي باشا.. دور بارز في المنطقة



ماض تليدٌ ولكن...!

في الوقت الذي تتطلع فيه أنظار ثلة من مثقفينا إلى احتذاء السير الغربي في دروب الحياة المتباينة، مصوبين إليه نظرات الإعجاب والرضا، غير عابئين بملاءمة ذلك لشريعتنا أو طبيعة حياتنا المختلفة المغايرة لما سواها أو لا، تحدثنا المصادر الموثوقة أن الثقافة العربية كانت قبلة لأرباب النهضة الأوروبية وأولي الفكر الغربي في العصور الوسطى، وكانت العربية لغة العالم العلمية والثقافية الأولى، وحرص على تعلمها ملوك الغرب أنفسهم، بل ألّف بعضهم بها، واقتفى جل أعلامهم أثر الأفذاذ المسلمين الذين أرسوا مبادئ كثير من العلوم الإنسانية والكونية، وحسبنا دليلًا على ذلك، وما أكثر الأدلة، أن عثر على نسخة من كتاب حجة الإسلام أبي حامد الغزالي «المنقذ من الضلال» في مكتبة رينيه ديكارت، وغني عن البيان مدى التشابه بين منهجيهما.

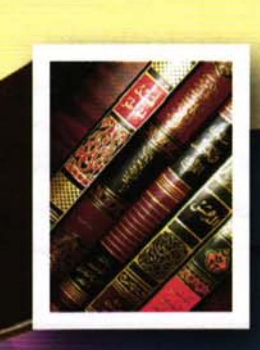
غير أنه لا جدوى من البكاء على الأطلال، وصمِّ الآذان عما ينشده العلم الحديث، والتقوقع حول الذات، ومجرد الفخر بالماضي التليد، وقد أحسن شوقي أمير الشعراء حين قال:

قد آن لنا أن نقول نحن

ولا نسمع أبناءنا يقولون كنا

فالنهضة النهضة بالعربية مرة أخرى، وتعريب العلوم والألسن، وإحياء العربية في القلوب حتى تحيا في الدروب، والفكاك من الولع بكل ما هو أجنبي، وإن انفصم عن طبائعنا وشريعتنا.. فعزة القوم من عزة لغتهم.. و«السلام».

التحرير



العواطف البشرية في أدب د. نجيب الكيلاني

محمد الشحات أبوعيد

تحية طيبة إلى كل روح طاهرة تركت بصمة ظاهرة في حياتنا البشرية المعاصرة، فقد يعيش المرء عمرًا مديدًا ولا يترك أثرًا، اللهم إلا ذكر الاسم فحسب، وهذا غالب حال الناس، وقليل من البشر من صنع تميزًا نادرًا في مجال عمله وحرفته فأفاد واستفاد وترك للأجيال رصيدًا طيبًا تحيا بكلماته ومواقفه الناس فترة من الزمن، وهكذا تتواصل البشرية عبر الماضي والحاضر والمستقبل، وخلود الروح أبقى من خلود الجسد، فالجسد يفنى بسرعة، أما الروح فتحلق في ملكوت الحق تسبح حيث يشاء، وحديثي معكم عن شخصية كتب عنها الكثير من أوجه متعددة، هذه الشخصية تعد من النوادر الذكية التي حملت في حياتها الإصرار والتحدي والعمل المستمر والرغبة في التميز ومحاولة الوصول للقمة، إنه الأديب الطبيب الدكتور نجيب الكيلاني الروائي الإسلامي الشهير ابن قرية شرشابة بمحافظة الغربية، لقد بدأ حياته بكفاح مرير حتى من الله عليه بالالتحاق بكلية الطب، وهذه أمنية عزيزة، ثم سرعان ما تبددت الأحلام وانطفأت الشموع فتم اعتقاله وإيداعه السجن، وفي ظلمة السجن أضاء شمعة في حياته وتفتحت قريحته الأدبية، فكتب كتابًا عن «إقبال» الشاعر الإسلامي وأصر على مواصلة النجاح، فشارك بأولى أعماله الروائية في مسابقة تابعة لوزارة التربية والتعليم، وفاز فيها بالمركز الأول وخرج لتسلم الجائزة بعزة واقتدار، ونجح

* كاتب صحافي





د. نجيب الكيلاني

الرجل في وسط الظلام وأضاء لنفسه شمس الأمل وصنع واقعًا فرض نفسه فيه على الآخرين، وبدأ التقعيد لفكرة الأدب الإسلامي فكتب كتابه الشهير في هذا المضمار، وتوالت النجاحات الواحدة تلو الأخرى وكأن كل نجاح ينادي على أخيه، وانطلق الرجل وتوالت الإصدارات الروائية لتقعد لفكرة الحرية في الأدب الإسلامي، ومقالي هذا هو تسليط للضوء على العواطف البشرية في أدب نجيب الكيلاني، فغالب كتاب الرواية وكذلك قراؤها يعمدون للبحث عن مخاطبة الغرائز الحسية غير المتعففة اعتقادًا منهم أن هذا هو الطريق الأمثل للترويج والنشر وركوب سفينة الشهرة أو أن هذا مطلب القراء، ولكن أديبنا الطبيب- رحمه الله- عف قلمه ولسانه ورواياته وأعماله القصصية عن هذا المنحدر، وربى جيلًا من النقاد يحترمون أعماله وقطاعًا عريضًا من القراء يتهافتون على قراءة قصصه ورواياته، والسبب في ظني هو أن أديبنا لم يجمد ولم يبعد عن العواطف البشرية والغرائز الحسية بصورة كلية، ولم يفرط في الوصف والتحليل فيها وإنما وقف عندها بما يبرز الجانب الأصيل فيها والطبيعي الذي لا يتنافى مع أصول الذوق القويم والفطرة السوية، فكل إنسان عنده مشاعر وأحاسيس يجب أن يراها فيما يقرأ وفيما يسمع وفيما يرى، لكن الإنسان المتزن في عواطفه تأبى نفسه الانحراف عن أصول الذوق في وصف المشاعر والأحاسيس التي تجنح بالعاقل إلى هاوية الرذيلة، فكان أدب الكيلاني صوراً حية تبرز إشراقات النفس بصورة طيبة.

وتعال معي قارئي العزيز لنعيش محللين لهذا الجانب الأصيل في أدب الرجل لنلمس وجوده وحيويته وأثره ثم عفته واحترامه لمشاعر القارئ واحترامه لدينه وقيمه الأصيلة، فمن الروايات والأعمال التي تناول فيها أديبنا هذا الجانب رواية «ليالي تركستان» والتي ركز فيها على الحرية كمطلب حيوي وهام للكائن البشري، إذ لا قيمة لحياته بدونها، من أجل ذلك نلمس في الرواية وقوف أديبنا مع الشخصيات التحررية المجاهدة، ويظهر هذا جليًا في حوار الأمير مع أحد رجاله وهو مصطفى فيقول: يا مصطفى ما معنى أن تكون أميرًا؟ فرد عليه، أن تطاع وأن تكون حولك هذه الأبهة كلها، قهقه في مرارة ثم قال الأمير: هو الحر الذي يرضى عن نفسه، ثم استأنف قائلًا: وأين الحرية إذن؟ ثم كيف أرضى عن نفسي وأنا أرى العدو يعبث في الأرض فسادًا؟



إذن يتضح من خلال هذا الحوار القيمة العليا في أدب الكيلاني، وهي بحث الشعوب عن حريتها ووجودها الحقيقي، وفي الفصل الرابع سلط الأديب الضوء على جانب من مشاعر الحب الممزوج بالقيم، فالبطل مصطفى حضرت أحد رجال الأمير قد أحب فتاة في القصر تُدعى «نجمة الليل»، وفي البداية كانت تتدلل عليه، ولما توالت الأحداث وأظهر مصطفى حضرت بطولة نادرة في الحفاظ على الأمير وابنته هو والشرفاء من العلماء المجاهدين كبر في عين محبوبته المتدللة عليه، ففي إحدى الحوارات قالت «نجمة الليل»: ها أنا قادمة إليك، فيرد ما الذي جاء بك يا نجمة الليل؟ فتقول أنت روحي وحياتي رأيتك تضرب بسيفك يمينًا ويسارًا وتجندل الأبطال فعظمت في عيني، هنا السمو في الرغبة والتطلع لقيم الروح قبل رغبات الجسد فهي تشتاق إليه لأنه بطل، فيتولى عنها وهو المشتاق إليها في الماضي، يا «نجمة الليل» ابحثي لك عن رجل آخر، فترد أنت الذي أبحث عنه يا مصطفى، ثم يتوالى الحديث ويقول: أفراح الروح معلقة بالسماء، بالجهاد الأعظم، فتقول له: هذا لا يمنع أن تضمني إليك، تستطيع أن تحارب وأنت تنجب الأطفال، فيرد يا «نجمة الليل» ليس الليلة موعدنا، متى إذن؟ شيء يعلمه الله، ويغوص مصطفى حضرت في أعماق المجهول بحثًا عن الحقيقة والحرية عبر الجهاد الأعظم مع رجال الجبل، وتستمر الأحداث وتراق الدماء وتهدم البيوت ويعلو صوت الباطل بعض الأوقات، ولكن عزائم الأبطال لا تلين، وفي خضم الدماء تتقابل نجمة الليل مع مصطفى حضرت ويتزوجان ويستمران في القتال، وفي أتون الحدث الرهيب والبرد الشديد العتيد تلد الزوجة الوفية الصابرة المجاهدة ابنا لمصطفى حضرت الذي انتظره منذ زمن كي يرى فيه الأمل القادم، وبطريقة السرد

تميز أدب الكيلاني باحترامه لمشاعر القارئ واحترامه لدينه وقيمه الأصيلة

تستطيع أن تعيش الحديث بكل مشاعرك النقية الطاهرة التي وضعها د.الكيلاني في روايته العظيمة، ومن «ليالي تركستان» إلى «عذراء جاكرتا» التي سلط فيها الضوء أيضًا على الحرية المنشودة للشعوب الأبية، فأظهر سلطة الباطل في رجال الأحزاب المستبدة التي لا تعرف إلا الظلم كمنهج لحياة الطغاة الذين يمارسون أبشع صور التعذيب والإيلام للأحرار العاشقين للحرية الموعودة، ومن باب حرص أديبنا على إعلاء شأن العنصر الإنساني ودوره كانت «فاطمة» عذراء جاكرتا الشخصية المحورية الأساسية، فهي فتاة جامعية واجهت الظلم بالعلم والحكمة والأدب والعفة والحفاظ على الشرف فلم تلن لها قناة، ولم تضعف حتى بعد أن أخذوا والدها ذلك الشيخ المُسن وأودعوه في غياهب السجن ظلمًا وعدوانًا، وهناك ذاق العذاب ألوانا، فلم تبع الفتاة شرفها ولم تتنازل قيد أنملة عنه، بل قاومت في كل المنتديات وكشفت كل المؤامرات، وكان يعاونها أبوالحسن الراغب في الزواج منها، لكن أمله في الزواج لن يتم إلا على أنغام السيوف وأتون المعركة المخلصة للأمة من شراذم الباطل.

وأبوالحسن يتابع الموقف في السجن.. يتابع حركة الثوار وحاجي محمد والد فاطمة في محبسه على وشك الخروج، وتتوالى الأحداث لتعلن الثورة المقدسة عن نفسها ويهدم السجن ويخرج أبوالحسن ويتحرك المجاهدون ويعدم الزعيم- زعيم الحزب السلطوي المستبد- ويعود أبوالحسن مع صهره حاجي محمد ليحقق أمنية ملأت قلبه حبًا وأحاسيس طيبة طالما تمناها وهي الزواج من فاطمة، فيعلق الأديب د. الكيلاني قائلًا: فمع النصر الكبير كانت الفرحة تعمر القلوب، وعيون كثيرة تذرف الدموع، وعاد أبوالحسن وحاجي محمد إدريس لكن فاطمة لا تعود إلا في صندوق خشب، وملابسها البيضاء الطاهرة مخضبة بالدماء الزكية، لقد انطلقت في الظلام رصاصة آثمة أودت بحياتها، وسقطت «عذراء جاكرتا» شهيدة وفي يدها وردة حمراء ذات أشواك، فالحصول على الحرية لا يكون إلا عبر اللون الأحمر والتضحيات الغالية، هذا هو طريق الشرفاء الأعزاء، وانظر لروعة السرد لمشهد النهاية، ففيه رسالة تقول: هناك في دار الخلود الزواج الأبدي للمحبين حبًا طاهرًا، ولن يكون ذلك إلا برسم الطريق الواضحة عبر أشلاء ودماء طاهرة.

لقد حرص الدكتور على إبراز الجانب القيمي في أدبه من الحرية وسمو الهدف وطهارة الوسيلة بأسلوب أدبي تلمس فيه العفة والبعد عن الابتذال وإعلاء شأن قيم السماء وقيم الإسلام.

كذلك حرص الرجل- رحمه الله- على التقعيد لفكرة أسلمة الأدب وإثبات أن الإسلام لم يكن يومًا ما وسيلة كبت للمشاعر الفياضة، فلقد سمح لها د.الكيلاني في الانطلاق لكن وفق أطر من الاحترام والعفة وعدم الابتذال، حتى اللغة كانت لغة عفيفة سامية تعلمنا أن نرتقي بأذواقنا ومشاعرنا وكلامنا عن الحضيض، فالإسلام جاء ليفجر المشاعر حتى تكون شعلة في السعي نحو الحرية والحب والخير والجمال، هكذا كان أدب الكيلاني، فرحمة الله على أديب عاش عفيف اللسان كريم الأصال، فلله دره، رحمه الله رحمة واسعة يلقاها عند رب لا يضيع عنده الأجر.

في كتاب «سر الفصاحة» لابن سنان الخفاجي

نظرات في بلاغة القرآن وبلاغة العرب (٢/٢)

د. محمد بن محمد الحجوي

يعيد ابن سنان الخفاجي في هذا المبحث بعض ما ذكره في الألفاظ المفردة، لأن المبحثين مرتبطان من حيث الدلالة على مواطن الفصاحة والبيان، إلا أنه يوسع البحث في علاقة اللفظة بالدلالة، والقرينة الدالة على السياق، ومناسبة اللفظة لما يجاورها، وبحث الخفاجي في هذه الأوجه، أي في العلاقة بين التركيب والدلالة، ينطلق من كون اللغة تحتوي على ثروة هائلة من المفردات تشترك في المعاني، وكل معنى يحدده السياق والقرينة الدالة عليه، وهذه الخصائص هي التي جعلت الشعراء والأدباء يعبرون عن المعاني بطرق وأشكال متعددة الأوجه حيث يمكنهم تغيير لفظة، أو صياغة، أو تركيب للبحث عن المعنى الجيد والبديع الذي يروق في موضعه، ويؤدي غرضه على وجه السلامة.

من هنا وجدنا الخفاجي ينقد رأي بعض العلماء الذين احتفلوا بالمعاني من دون الاهتمام بالتركيب والصياغة والديباجة والنسج والتحبير، وكأن المعاني- في رأيهم- هي دار البلاغة، وقاعدة الفصاحة، ومن العلماء الذين رد عليهم في هذه القضية قدامة بن جعفر الكاتب الذي أولى عناية للمعاني دون الألفاظ، قال الخفاجي: «ويجب أن يقال له، إذا ذهب إلى أن المعاني هي الموضوع: خبرنا عن الألفاظ التي أخذها هذا الصانع المؤلف فألفها إذا لم تكن عندك موضوعًا لصياغة فما منزلتها من الأقسام التي اعتبرها الحكماء في كل صناعة؟ والتأمل قاض بصحتها، ونحن نرى الألفاظ تأثيرها في هذه الصناعة التي كلامنا عليها تأثير بيِّن في الحسن والقبح، ولا يجوز أن تكون مع هذه العلقة الوكيدة غريبة عنها» (١).

هذه الفكرة هي التي دعا إليها الجاحظ من قبل حين كان يرد على الشعوبيين الذين هونوا من شأن البيان العربي، وبيان القرآن خاصة وإن لم يشيروا إليه صراحة خوفا من هيبة السلطان، وهذا ما جعل الجاحظ أيضا يورد في كتابه «البيان والتبيين» آيات بينات، وأحاديث شريفة، وأشعارا بليغة، وخطبا محكمة، بين من خلالها أن البيان لا يقتصر على المعنى، وإنما هو معنى شريف، ولفظ محكم، سهل في مخرجه، جيد في سبكه، حسن في ديباجته، بارع في تصويره، وهي مزايا لا تتحقق إلا للقلة، بينما المعاني مادة مشتركة بين جميع الناس، كل واحد

> **يرى الخفاجي أن بعض كلام العرب قريب من المرتبة العليا للقرآن بيانا وفصاحة وتركيبا**

يتناولها من الجانب الذي يرغب فيه.

كما نقد الخفاجي في هذا الموضوع رأي الرماني في تقسيمه تأليف الكلام إلى ثلاثة أضرب: متنافر، ومتلائم في الطبقة الوسطى، ومتلائم في الطبقة العليا.

ورأى الخفاجي أن تأليف الكلام ينبغي أن يحصر في ضربين فقط، متنافر ومتلائم (٢).

وما يلفت انتباه الباحث في نقد الخفاجي للرماني أن هذا الأخير جعل أسلوب القرآن في الضرب الثالث أي متلائم في الطبقة العليا، وكلام العرب لا يتعدى ضربي المتنافر، والمتلائم في الطبقة الوسطى، ولكون نقد الخفاجي للرماني ربما يحدث التباسا عند الذين لا يحققون في الرؤية النقدية والبلاغية عند هؤلاء الأعلام، فيتوهمون أن الخفاجي يجعل أسلوب القرآن مثل أسلوب العرب تأليفًا وتركيبًا، ولهذا نرى أن نثبت قول الخفاجي هنا لكي نبحث في حقيقته ومضامينه.

أكاديمي مغربي



قال الخفاجي: «وأما قوله: إن القرآن من المتلائم في الطبقة العليا، وغيره في الطبقة الوسطى، وهو يعني بذلك جميع كلام العرب، فليس الأمر على ذلك ولا فرق بين القرآن وبين فصيح الكلام المختار في هذه القضية، ومتى رجع الإنسان إلى نفسه، وكان معه أدنى معرفة بالتأليف المختار وجد في كلام العرب ما يضاهي القرآن في تأليفه» (٣).

ينبغي النظر في هذا النص من سياقه العام، ومن رؤية الخفاجي الشمولية لبلاغة القرآن، وبلاغة العرب. ويمكن أن نحدد رؤيته في الآتي:

أولا: إن الخفاجي يرد في هذا النص رأي الرماني في بيان القرآن وبيان العرب، ولكي يميز الرماني بين النوعين جعل كلام العرب - الجيد منه فقط- متلائما في الطبقة الوسطى، وبذلك أخرجه من الدائرة التي وضع فيها بيان القرآن- وإن كان من صنف كلام العرب- وبهذا المفهوم لا يمكن وضع كلام في الطبقة العليا إلا القرآن الكريم، والخفاجي حينما رد على الرماني، وجعل بعض كلام العرب في الطبقة العليا فإنه يقصد بذلك اشتماله على الجيد البليغ مثل القرآن، وهذا الرأي لا ينفي المرتبة العليا للقرآن، وإنما القصد منه وجود بلاغة جيدة في كلام العرب مثل ما يوجد فيها المتوسط والرديء، أما القرآن فيبقى في المرتبة العالية، ومن هنا لا نرى في رده على الرماني ما يجعل مرتبة كلام العرب تساوي المرتبة العليا للقرآن، وإنما الذي نراه هو اعتباره بعض كلام العرب قريبًا من هذه المرتبة العليا بيانًا وفصاحة وتركيبا، وهذه الخصائص البيانية لا ينكرها أحد، وقد كان النبي ﷺ يستمع إلى شعر العرب ويستحسنه، وهو القائل: «إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمًا»، كما كان الصحابة رضوان الله عليهم يحفظون الأشعار، ويروونها، ويستشهدون بها لتفسير كلام الله، أو للتمثل بها في مواطن الجود والشجاعة ومكارم الأخلاق.

انتقد الخفاجي بعض العلماء الذين احتفلوا بالمعاني من دون الاهتمام بالتركيب والصياغة والديباجة

ثانيًا: إن الخفاجي يقول في هذا النص: «ولا فرق بين القرآن وبين فصيح الكلام المختار في هذه القضية»، قوله: في هذه القضية، تنصيص واضح على أن المقارنة في التراكيب والصياغة وسلامة المعاني حقيقة كانت أو مجازًا، إذ من كلام العرب المختار ما هو سليم في تركيبه ومعناه مثل القرآن الكريم، وإذا كانت قاعدة الجودة والإحسان والمرتبة العليا تنطبق على النص القرآني كله، فهذه الخاصية لا تنطبق على جميع شعر العرب ونثرهم، إذ نجد فيه الجيد والمتوسط والرديء، ولذلك وجدنا الخفاجي يورد في كتابه أشعارًا رديئة في صياغتها ومعانيها لفحول الشعراء ليبين أن شعرهم لم يخل من هنات، بينما القرآن ينفرد بالإحسان والجودة التي لاتوجد في كلام آخر.

ثالثًا: إن الخفاجي حينما يورد آيات القرآن للاستشهاد على صحة المعنى وسلامة التركيب في فن من فنون البلاغة يعتبر تلك الآيات قد بلغت الغاية المثلى في البيان والفصاحة، وإذا أراد الحديث عن التنافر والإحالة وغموض المعاني وفسادها فإنه يورد الشواهد من شعر العرب، وهذا المنهج كاف للدلالة على أنه لا يجعل كلام العرب يضاهي الآيات البينات في سمو معانيها، وصحة مبانيها مما جعلها تكتسب خاصية الإعجاز والتفوق، ولكي نبرهن على هذا الرأي نورد بعض ملحوظاته في وضع الألفاظ موضعها، حيث اعتبر ذلك شرطًا في الفصاحة والبيان، من ذلك حديثه عن القلب الذي يهجن المعنى، ويصرفه عن وجهه الصحيح، قال: «ومن وضع الألفاظ موضعها ألا يكون الكلام مقلوباً فيفسد المعنى، ويصرفه عن وجهه» (٤).

وبعدما أورد عيوب القلب في الشعر خاصة، لأن العرب كانوا يعتبرون هذا الفن النموذج الأمثل في البيان، ذكر الآيات التي يعدها بعض البلاغيين من باب القلب، وهي ليست منه، لأن كلام الله منزه عن كل ما يمكن أن يصرف معناه عن وجهه الصحيح، ومن الآيات التي استشهد بها لتأكيد هذه الحقيقة في البيان القرآني قوله تعالى: ﴿وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة﴾ (القصص: ٧٦).

أظهر المعنى الذي يبين أن الآية ليست من باب القلب، فقال: «وإنما المراد- والله أعلم- أن المفاتح تنوء العصبة أي تميلها من ثقلها، وقد ذكر هذا الفراء وغيره» (٥).

وقوله تعالى: ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾ (العاديات: ٨)، معناه، «أنه لحب المال لبخيل، والشدة: البخل، أي من حبه للمال يبخل» (٦).

كذلك نجد هذه الملحوظات في دراسته للاستعارة فقد استشهد بأبيات من الشعر تفاوتت استعارتها بين الجودة والرداءة، وما أكثر ما وقع الشعراء في المعيب المرذول لعدم التزامهم الشروط المطلوبة في العلاقة بين المستعار منه والمستعار له، مما يجعل الألفاظ تبدو متنافرة، وغير مستقرة في موضعها، أما استعارات القرآن فقد بلغت مرتبة

عالية في سلامتها من كل عيب في اللفظ والمعنى، فألفاظها متلائمة على نحو ما تقتضيه الفصاحة والبيان من حيث العلاقة المتناسبة بين المستعار منه والمستعار له، كقوله تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورًا﴾ (الفرقان: ٢٣).

اللفظ الذي يجعل المعنى يأتي على وجه الحقيقة هو «عمدنا» لكن ﴿قدمنا﴾ أبلغ لأنه يدل على أنه عاملهم معاملة القادم يقدم من سفر، لأنه من أجل إمهاله لهم عاملهم كما يفعل الغائب عنهم إذا قدم فرآهم على خلاف ما أمرهم به، وفي هذا تحذير من الاغترار بالإمهال (٧).

وقوله تعالى: ﴿إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية﴾ (الحاقة: ١١).

المعنى بلفظ الحقيقة هو «علا»، ولكن الاستعارة بلفظة «طغا» أبدع وأجود للدلالة على علو الماء بقوة وشدة، لاسيما في هذا الموضوع حيث الهول والفزع من طغيان الماء وتلاطم أمواجه، وترامیه إلى جميع الأطراف، وكذلك تجد هذه الدقة في لفظة الاستعارة في قوله تعالى: ﴿والصبح إذا تنفس﴾ (التكوير: ١٨).

إن التنفس هنا بمعنى الانتشار، ولفظة الانتشار لا تبلغ مبلغ التنفس التي استعملها القرآن، لأن التنفس يحمل في دلالته معنى الترويح والطمأنينة والهدوء، إنه «أبلغ لما فيه من الترويح عن النفس» (٨)، هذه البلاغة الرفيعة لا تجدها في لفظة الحقيقة، ولذلك نرى في استعارة القرآن خصائص الحياة والتشخيص والتلوين والدفء الذي يجعل الصورة مفعمة بالإشراق والأنس والحياة، فالصبح هنا كائن حي تنفس ويشعر بالاطمئنان بعدما أخذ قسطًا من الهواء النقي الذي يجدد به الحياة، ويجعله قادرًا على الاستمرار كباقي الكائنات الحية.

اعتبر الخفاجي أن السجع الوارد في القرآن سجع محمود لأنه جاء طوعًا سهلًا وتابعًا للمعاني

وإذا تحدث الخفاجي عن السجع، وهو من الفنون التي يصحبها التكلف غالبًا كما جاء في سجع الكهان، فإنه يميز سجع القرآن، وأحاديث الرسول ﷺ وأقوال الأعراف الفصحاء التي جاءت سهلة مطبوعة، ودالة على البلاغة، لقد وجد الخفاجي في هذه الأساليب نماذج مثالية للسجع المطبوع الذي يحتذيه البلغاء، ويتمثل به الفصحاء، قال: «وحجة من يختاره أنه مناسبة بين الألفاظ يحسنها، ويظهر آثار الصنعة فيها، ولولا ذلك لم يرد في كلام الله تعالى، وكلام النبي ﷺ، والفصيح من كلام العرب» (٩).

والقرآن حينما نزل بلغة العرب فإنه اختار أجودها تركيبًا، وأبلغها معنى، وأسماها فنًا ونظمًا، ولذلك كان أسلوبه مراعيًا للعرف اللغوى السائد عند بلغائهم، فإذا كانوا قد أعجبوا بالسجع السهل في كلام بعض البلغاء، فإن هذه السمة وجدوها بلغت درجة عالية في أسجاع القرآن، وفي أساليب اخرى مما جعلهم يعجبون أيما إعجاب بأسلوبه المتنوع تركيبًا ودلالة وفنونا، ومن أسجاع القرآن التي تحققت فيها هذه البلاغة العالية قوله تعالى: ﴿في سدر مخضود. وطلح منضود. وظل ممدود﴾ (الواقعة: ١٨-٢٠)، وقوله تعالى: ﴿والمرسلات عرفا. فالعاصفات عصفًا﴾ (المرسلات: ١-٢).

لقد استوت الجمل، وعتدلت اعتدالًا منتظمًا مثلما تتوجه قافية الشعر لإيجاد موسيقى في نهاية الكلمات متلائمة مع المعنى والسياق.

وبعض الباحثين يسمي هذا اللون من التعبير «فواصل» لكون مصطلح السجع ارتبط بالتكلف عند الكهان في الجاهلية، فلذلك تجنبوا تسميته في التعبير القرآني سجعًا، وقالوا إن الفواصل تتبع المعاني، ولا تكون مقصودة في نفسها، أما السجع فتكون الألفاظ أظهر فيه، لكن الخفاجي يرد في هذا الرأي ويعتبر المحمود منه ما جاء طوعًا سهلًا، وتابعاً للمعاني فواصل كان أو أسجاعًا (١٠).

وفي حديث الخفاجي عن دلالة الألفاظ على المعاني، وهو باب تتفاوت فيه مراتب الفصحاء والبلغاء، حيث تتوزع التعابير بين ضروب الإطناب والمساواة والإيجاز والتذييل والإشارة واللمحة الدالة، فإنه حدد سمات البلاغة الرفيعة بمراعاة تلاؤم الكلام لفظا ومعنى في هذه الضروب من البيان فقال: «والذي عندي في هذا ما ذكرته، وهو أن المختار في الفصاحة، والدال على البلاغة هو أن يكون اللفظ القليل يدل على المعنى الكثير دلالة واضحة ظاهرة، لا أن تكون الألفاظ لفرط ايجازها قد ألبست المعنى وأغمضته حتى يحتاج في استنباطه إلى طرف من التأمل، ودقيق الفكر، فإن هذا عندي عيب في الكلام ونقص» (١١).

هذا الكلام الذي حدد فيه الخفاجي سمات الأسلوب الفصيح البليغ لفظًا ومعنى هو النموذج المثالي الذي جاء في القرآن الكريم، ولننظر في الحد الذي وضعه لبلاغة الايجاز حيث قال: «هو إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ» (١٢).

هذا الحد اعتبر جامعا لتعريف



البلاغة، ولذلك قالوا: البلاغة هي الايجاز، ومن هنا وجدنا الخفاجي يقدم نموذجًا بتعبيرين، أحدهما من كتاب الله، والآخر من أقوال الأعراب الفصحاء، والتعبيران يلتقيان في معنى واحد ويختلفان في طريقة التركيب، وهذا الاختلاف هو الذي يحدد وجوه البلاغة في كل واحد منهما.

فالنموذج القرآني في قوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾ (البقرة: ١٧٩)، هذا المعنى عبر عنه الأعراب بقولهم: «القتل أنفى للقتل».

والملاحظ أن ما يجمع بين الآية الكريمة وقولة الأعراب هو «الإيجاز البليغ»، والدلالة على معنى واحد له تأثير على حياة الفرد والجماعة، وهو إيجاد الأمن والاستقرار في المجتمع من دون خوف من قوي جبار، أو ظالم متسلط أو حاكم مستبد، وهذا ما نستخلصه من قانون القصاص الذي أقره الإسلام، وجعله مبدأ أساسيًا في العلاقات الفردية والاجتماعية، قال الخفاجي: «وذلك أن المراد بها أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتَلَ قُتل كان داعيًا له قويا إلى ألا يقدم على القتل، فارتفع بالقتل إلى هو قصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض، فكان ارتفاع القتل حياة لهم» (١٣).

وتجد هذا المعني في قولة الأعراب حيث قصدوا بها القصاص أيضًا، لكن الاختلاف بين التعبيرين يبدو في أوجه الفصاحة والبلاغة التي يصاغ بها الكلام، يدرك هذا كل من نظر في التعبيرين بتأمل، وكان قادرًا على التمييز بين الجيد والأجود، والحسن والأحسن، أما من لا يحقق في خصائص الأساليب بالكيفية التي أشار إليها العلماء فيبدو له أنه لا توجد فروق كبيرة بين التعبيرين مادام كل واحد منهما قد عبر عن المعنى المقصود وأدى الغرض المطلوب، لكن علماء البيان وذوي الاختصاص في علوم اللغة العربية يعرفون وجوه التفاوت بينهما، ولماذا اختصت الآية الكريمة بمزايا بلاغية لا توجد في قولة الأعراب، ويمكن بيان الفرق بين التعبيرين في الآتي:

أولا: في الآية الكريمة تنصيص واضح ومحدد على الوجه الذي يتم فيه القتل، وهو القصاص لكون المجتمع في حاجة إلى هذا القانون الذي ينظم به نفسه، ويوفر شروط السلم والأمن الدائمين لأفراده «وإنما القتل الذي ينفيه ما كان على وجه القصاص والعدل، ففي ذكر القصاص بيان للمعنى وكشف للغرض»(١٤).

أما قولة الأعراب «القتل أنفى للقتل» فإنها تعم القتل دون تحديد الهدف والغاية التي يشعر بها المجتمع، وتنعكس على حياة الفرد.

ثانيًا: إن الآية الكريمة تدعو للشيء المرغوب فيه، وهو الحياة الآمنة المطمئنة التي ينعم الناس فيها بوئام ومحبة وسلام، وهذه الزيادة في الإيضاح لا توجد في قولة الأعراب، لأن لفظة «أنفى» اختصت بالقتل الذي ينفي القتل عمومًا.

ثالثا: إن في قولة الأعراب خاصية مذمومة في البلاغة، يعرفها أصحاب البيان، وهي التكرار الذي لا يزيد في المعنى، ولا يوسع أفق التأويل والاستنباط والاستنتاج عند المتلقي، لأن لفظة القتل الثانية جاءت بمعنى الأولى «وإذا كان يقبح تكرار الحروف المتقاربة للمخارج، فتكرار الكلمة بعينها أقبح وأشنع» (١٥).

والتكرار في البيان العربي قد يكون محمودًا إذا اختص بشروط نص عليها النقاد، وهي لا توجد في هذه القولة (١٦).

لهذه المزايا، وهي كثيرة في كتاب الله، كانت بلاغة القرآن متميزة عن بلاغة الأعراب، ولذلك اعتبر العلماء كلام الله أسمى كلام وأرقه وألطفه وأبدعه وأجدر أن تبحث فيه خصائص البيان (١٧).

ومما عني به الخفاجي في بلاغة القرآن الإيجاز بالحذف، وهو من الخصائص المتميزة في اللغة العربية، وقد جاءت فيها تراكيب كثيرة وقع فيها حذف مع استيفاء المعنى المطلوب بدون إخلال أو نقص أو غموض، كقوله تعالى: ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى﴾ (الرعد: ٣١).

إن الحذف في الآية لم يُخِلّ بالمعنى فيبدو غامضا أو مبهمًا، والسامع لهذا البيان وخاصة المتمرسين بكلام الأعراب يدرك بلاغة الحذف والمحذوف، وهو «لكان هذا القرآن»، ولم يقل ذلك» (١٨).

وهذه خاصية فريدة في عبقرية تراكيب اللغة العربية تجعل الأدباء والمترسلين يتفننون في أنواع الأساليب لبيان قدرتهم، ومهارتهم في الكتابة الأدبية، وقوله تعالى: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ (الزمر: ٧٣).

إن الحذف في الآية دال على شرف المعنى، وتأويله من طرف البلاغيين يظهر هذا الشرف، إذ أريد به، «لما كان هذا كله حاصلا حصلوا على النعيم الذي لا يشوبه كدر» (١٩).

إن الزيادة في مثل هذه التعابير تطويل معيب بخلاف المعنى الذي يراد

به الإطناب، حيث يحتاج للتفصيل والتفريع، إنه مذهب مستحسن ومحمود لكونه يخرج المعنى مستوفيًا، ولذلك جاءت بعض آيات القرآن الكريم في هذا الضرب من البلاغة دالة على الإحسان مثلما جاء الإيجاز بليغًا بأقل الألفاظ، وهذه هي البلاغة التي عبر عنها الأعراب بقولهم: «الإيجاز من غير عجز، والإطناب من غير خطل»، لقد اعتبروا البليغ هو من كان قادرًا على الجمع بين الإيجاز والإطناب، مراعيًا في أساليب خطابه ذهنية ونفسية المتلقى، وذلك أن الذكي الفطن يخاطب بعبارات لا يخاطب بها البطيء الفهم، إذ الأول يكتفي بالإشارة واللمحة الدالة، بينما الثاني يحتاج إلى التكرير والتفصيل والتفريع والزيادة.

ومذهب الخفاجي في ترجيحه بلاغة القرآن على بلاغة العرب يظهر أيضًا في اعتماده أسلوب القرآن حجة في تصحيح قوانين البلاغة، فهذا قدامة بن جعفر من النقدة المهرة الذين كان لهم رأي نافذ في البيان، وقد شهد له بذلك المتقدمون والمتأخرون، ينقده الخفاجي، ويصحح ما وقع فيه من أخطاء في الفصاحة والبيان باعتماد أسلوب القرآن حجة في سلامة التراكيب وروعة البيان، لقد عد قدامة قول ابن هرمة:

تراه إذا ما أبصر الضيف مقبلًا
يكلمه من حبه وهو أعجم

من الكلام المتناقض، لكون الشاعر أفنى الكلب الكلام في قوله: يكلمه، ثم أعدمه إياه عند قوله: إنه أعجم (٢٠).

هذا التخريج من قدامة يرده الخفاجي، ويعتبره غلطا في تقدير المعاني، وحجته في ذلك من كتاب الله الذي جاء فصيحًا بليغًا بلسان عربي مبين، قال الخفاجي: «وهذا غلط من أبي الفرج طريف، لأن الأعجم ليس هو الذي قد عدم الكلام جملة كالأخرس، وإنما هو الذي يتكلم بعجمة ولا يفصح، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ (النحل: ١٠٣)، وإذا قيل: فلان يتكلم، وهو أعجم، لم يكن ذلك متناقضًا (٢١).

اعتماد الخفاجي على بيان القرآن في تصحيح المعاني يدل دلالة قوية على أن كتاب الله حجة في سلامة المعاني والتراكيب.

رأي الخفاجي في تفاوت الآيات في الفصاحة والبيان

إذا كانت آيات القرآن الكريم قد نزلت من لدن خبير حكيم لتكون حجة لرسالة نبينا ﷺ، يتحدى بها الجهابذة في عصر البيان حتى بلغ التحدي مبلغا عظيما جعل العرب عاجزين عن الإتيان بآية واحدة تشبه آيات كتاب الله، فإنه لا يمكن لأي باحث في البيان والأساليب الاعتقاد بتفاوت الآيات البينات في البلاغة والفصاحة، فيكون منها ما يبلغ المرتبة العليا، ومنها ما ينزل عن هذه المرتبة، والله سبحانه وتعالى وصف كتابه العزيز جملة وتفصيلًا بحكمة الإبلاغ والإبانة، ونفى عنه العوج والاضطراب في التراكيب والمعاني دون أن يميز بين سورة وآيات.

وإذا كان العلماء قد عنوا ببعض الآيات لاشتمالها على أحكام وشرائع وقوانين فإن هذه العناية ليست دالة على التفاوت بين آيات القرآن، وإنما القصد تخصيصها لبيان أحكامها وفضائلها ومزاياها، وما حملته للمسلمين من فضائل تدعو إلى تأملها وتدبرها، وما يوجد في كتاب الله من شرائع وقوانين لا يمكن حصره والإحاطة به، ولذلك تجد العلماء في كل عصر يكتشفون جوانب عديدة منها تعين الناس على إسعادهم في حياتهم الدنيا والآخرة.

وإذا كان التفاوت البلاغي منعدما بين آيات القرآن الكريم فإن ما يميزه جملة وتفصيلًا هو سمو معانيه، وضبط أحكامه، وقوة شرائعه وقوانينه، لا فرق بين السور الطوال والقصار، والعرب الذين نزل إليهم الكتاب العزيز، وخاصة الذين أمعنوا في الكفر، لو كان في مقدورهم أن يأتوا بسورة أو آية واحدة تشبهه لفعلوا، لكنهم- لعجزهم- لجأوا إلى المكر والخداع والمواجهة بأشكال متعددة، وقد أدركوا في نهاية الأمر أنهم أخطأوا بصدهم عن هذا النور، وأنهم عطلوا قواهم العقلية ووجدانهم وإحساسهم عن التفكير في أسراره وبدائعه، وكان من نتائج إقبالهم على تدبر آياته البينات بإيمان وصدق أن أصبحوا في فترة وجيزة سادة الناس في العلم والحكم والسياسة والإدارة بعدما كانوا مستضعفين ومتفرقين تفتك بهم الحروب، وتمزقهم الأحقاد والضغائن، وقد وصف الله سبحانه وتعالى حالهم قبل الإسلام، فقال عز من قائل: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ (آل عمران: ١٠٣).

ولكن الخفاجي في هذه القضية خاصة يذهب مذهبًا يخالف فيه إجماع العلماء، إذ يرى آيات القرآن غير متساوية في الفصاحة، وحجته في ذلك أنه وجد الناس منذ بدأوا يبحثون في بيان القرآن وإعجازه كانوا يدرسون آيات معينة، تتردد في مباحثهم لكونها اختصت بمزايا بيانية. قال: «أما زيادة بعض القرآن على بعض في الفصاحة فالأمر فيه ظاهر لا يخفى على من علق بطرف من هذه الصناعة، وشدا شيئًا يسيرًا، ومازال الناس يفردون مواضع



من القرآن يعجبون منها في البلاغة، وحسن التأليف، كقوله تعالى: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين﴾ (هود: ٤٤)، وقوله: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ (البقرة: ١٨٦)، وقوله: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾ (البقرة: ١٧٨)، فلو كانوا يذهبون إلى تساويه في الفصاحة لم يكن لإفرادهم هذه المواضع المعينة المخصوصة دون غيرها معنى» (٢١).

الظاهر من هذا النص أن الحجة التي اعتمدها الخفاجي لتدعيم رأيه هي إفراد آيات معينة بالدرس والتحليل عند الباحثين، مما يظهر إعجابهم بحسن تأليفها، وسر فصاحتها، والحق أن هذه الآيات التي أشار إليها مع آيات كثيرة ترددت في مؤلفات البلاغيين، والدارسين لاعجاز القرآن، لكن هذا الاختيار والإعجاب والانبهار لم يكن نابعًا من تفضيل الآيات من جانب الفصاحة، وإنما جاء نتيجة الحديث عن فنون بلاغية معينة أو أحكام وقوانين ينبغي ذكرها في موضعها، والقرآن الكريم لم ينزل ليكون قواعد للفنون وللأحكام والقوانين فقط، مما يجعل البلاغيين يذكرون جميع آياته البينات في علوم البلاغة شرحا وتحليلًا وتبيانا، فهذا مجال المفسرين، وإنما هو كتاب عقيدة يدعو الناس إلى الإيمان والتقوى والعمل الصالح بآيات بينات، وفي نفس الآن يشرع لهم الأحكام والقوانين التي تسعدهم في حياتهم الدنيا، وتجعل أعمالهم مقبولة عند الله، وكل كلام كيفما بلغت درجة بلاغته لا يمكن أن يكون قواعد للفنون اللبلاغية، وكتاب الله لم يخرج عن القاعدة التي كان العرب يفرغون فيها كلامهم البياني على وجه الصحة، إن كلامهم المختار هو الذي جاء سهلًا مطبوعًا، ومنقحًا بدون تكلف وتمحل، قد تجد في القصيدة كلها فنًا من فنون البلاغة أو تخلو منها، لأنهم كانوا أحرص الناس على أن يكون بيانهم بعيدًا عن التكلف، والبلاغيون حين اختاروا آيات بينات من كتاب الله للاستشهاد بها على فنون البلاغة فإنهم كانوا يدرسون تلك الوجوه من البيان في آيات معينة للبحث عن استعارة نادرة، أو تشبيه طريف، أو تمثيل بارع، أو تطبيق خفي، وغيرها من الفنون التي جاء كتاب الله أنموذجًا مثاليًا لها، ومن هنا فإننا لا نتفق مع الخفاجي في كون آيات كتاب الله تختلف في وجوه البيان والفصاحة، ولا ندري السبب الذي جعله يذكر ذلك، وهو في كل موضع من كتابه يردد عبارات تنم عن علو بلاغة القرآن الكريم على سائر بلاغات العرب، كما كان يقف طويلًا عند حسن كلامه، وصحة نسقه، وقوة نظمه، وجمال انسجامه مع الأغراض والمضامين الروحية والتشريعية والأخلاقية والاجتماعية، ولم يجد فيه مطعنًا واحدًا في الاستحالة والتناقض والاضطراب والتفكك الذي وجده في أشعار العرب، ورغم وجود هذا النص في كتابه فإن كتابه يعد مصدرًا من مصادر البيان القرآني، والبيان العربي عامة، لأنه لم يقلل من شأن هذا البيان، أو يشكك فيه.

الهوامش

١- سر الفصاحة: ١٠٤.
٢- المصدر نفسه ١١٠.
٣- المصدر نفسه.
٤- سر الفصاحة: ١٢٨.
٥- سر الفصاحة: ١٣١.
والفراء هو يحيى بن زياد إمام الكوفيين في النحو واللغة والأدب، توفي سنة ٢٠٧هـ.
٦- سر الفصاحة: ١٣١، وشرحه «الخير» بالمال من قوله تعالى: ﴿إن ترك خيرًا الوصية﴾ (البقرة: ١٨٠).
وأما شرحه «الشديد» بمعنى البخيل، فلأن العرب تقول: فلان شديد ومتشدد، أي بخيل.
٧- سر الفصاحة: ١٣٦.
٨- سر الفصاحة: ١٣٧.
٩- المصدر نفسه: ٢٠٢.
١٠- سر الفصاحة: ٢٠٣، وانظر كتابنا: «البديع في التراث النقدي والبلاغي» ص ٤٠٧.
١١- سر الفصاحة: ٢٤٤.
١٢- المصدر نفسه: ٢٤٨.
١٣-سر الفصاحة: ٢٤٥.
١٤- سر الفصاحة: ٢٤٦.
١٥- سر الفصاحة: ١١٣.
١٦- منها أن يكون التكرار للتأكيد، أو لاستحضار اسم محبوب يجد المرء في ذكره لذة.
١٧- من ذلك إشارة الجاحظ، وهو من البلاغيين الأوائل الذين بحثوا في خصائص الإيجاز بين القرآن وكلام الأعراب، فقال في كتاب «الحيوان»: «ولي كتاب جمعت فيه آيا من القرآن لتعرف بها فضل ما بين الايجاز والحذف، وبين الزوائد والفضول، فإذا قرأتها رأيت فضلها في الايجاز، والجمع بين المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، فمنها قوله تعالي حين وصف خمر أهل الجنة ﴿لا يصدعون عنها ولا ينزفون﴾ (الواقعة: ١٩)، وهاتان الكلمتان قد جمعتا جميع عيوب خمر أهل الدنيا، ومنها قوله عز وجل حين ذكر فاكهة أهل الجنة، فقال: ﴿لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾ (الواقعة: ٣٣)، جمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعاني. (الحيوان: ٤/٢٧٨).
١٨- سر الفصاحة: ٢٤٦.
١٩- سر الفصاحة: ٢٤٦.
وبعض البلاغيين يرى في مثل هذا الحذف مبالغة طريفة، القصد منها ترك السامع يقدر أشياء لا يحيط بها الوصف المذكور، ومنهم السجلماسي حيث قال: «وإنما يحذف الجواب في مثل هذه الأدوات المقتضية الجواب لقصد المبالغة، لأن السامع يترك مع أقصى تخيله بتقديره أشياء لا يحيط بها الوصف، وذلك حيث يسوق السياق الى معنى واحد يقع على أنحاء كثيرة، ووجوه متعددة وآخذة بالنوع، ولأخذ بعضها بدل بعض في زمن كأنها تقع فيه دفعة يحار الوهم ويعظم التخيل لها بذلك، ولو صرح بالجواب لوقف الذهن عند المصرح به المعين، فلا يكون له ذلك الوقع» (المنزع البديع: ١٩٠).
٢٠- تناقض الكلام واستحالته من عيوب المعاني، وذلك أن يكون التقابل من جهة واحدة، كقول أحد الشعراء:
أرى هجرها والقتل مثلين فاقتصروا
ملامكم فالقتل أعفى وأيسر
لقد جعل الهجر والقتل مثلين، ثم قال: إن القتل أعفى وأيسر.
٢١-سر الفصاحة: ٢٨٤.
٢٢-سر الفصاحة: ٢٦٣.

سطوة اللغة العربية وتأثيرها في الشعوب الأخرى

صلاح الشهاوي

اللغة العربية منذ أقدم عصورها لغة علم وحضارة حتى في العصر الجاهلي، لذا نرى بعض المؤرخين المحدثين يقولون إن المجتمع العربي الجاهلي كان مجتمعًا آخذًا ببعض أسباب الحضارة، ويستدلون على ذلك بكثرة ألفاظ اللغة الدالة على القلم والورق، اليراع والأنبوبة والقرطاس والطرس والرق والصحيفة، ومن الألفاظ الدالة على الكتب: الصك - الزّبور - الرقيم - السّفر- الوصيرة (الصك للسجلات) وهكذا.

كما أن هناك فريقًا من المؤرخين يرون أن الشعر الجاهلي لم يحفظ عن طريق الرواية والسماع فقط وإنما كانت الوسيلة الأولى لحفظه هو القلم والكتابة، ويستدلون على ذلك بكثرة ورود كلمتي الكتابة والقلم في ألفاظ الشعر الجاهلي أو في بعض تشبيهاته وصوره، فالمرقش الأكبر مثلا يقول مشبهًا بقايا أطلال منزل الحبيبة ببقايا آثار سطور خطها قلم:

الدار قفر والرسوم كما
رقش في ظهر الأديم قلم

ويستهل لبيد معلقته بأبيات يصور فيها أيضا بقايا أطلال الحبيبة تصويرًا أقرب إلى تصوير المرقش ونجد هذه الصورة لدى شعراء آخرين.

وكان بعض الشعراء الجاهليين يكتبون أشعارهم بل كتب بعضهم- كلقيط بن يعمر الإيادي- رسائل شعرية مكتوبة إلى قومه، وكان بعضهم يعرفون لغات أجنبية كعدي بن يزيد الذي كان يعمل في بلاط ملك الحيرة.

وليس أدل على معرفة الجاهليين الكتابة والقراءة من أن معلقاتهم الطوال كانت تذاع وتشتهر بين الناس بسبب تعليقها مكتوبة على جدار الكعبة المشرفة، وبعد ظهور الإسلام أصبحت اللغة العربية لغة عقيدة قدم أبناؤها للعالم أرقى الحضارات وأسماها، ويكفي أن نعرف أن هذه اللغة تربط العلم والثقافة بالعقيدة رباطا لا فكاك منه، فالقرآن الكريم يرفع العلم والعلماء إلى أسمى منزلة ويقسم الله في محكم آياته بالكتاب الكريم ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ (القلم: ١) كما حض القرآن الكريم على القراءة والتعليم في أول سورة نزلت على الرسول الأمين محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام، ومن هنا فليس بغريب أن توصف الحضارة العربية الإسلامية بأنها حضارة كتب ومكتبات؛ فلقد أعطى الإسلام دفعة قوية للاتجاه الحضاري في اللغة العربية، ولذلك رأينا شعوب البلاد المفتوحة تسرع إلى تعلم اللغة العربية لغة القرآن الكريم والحديث النبوي، ولم يمض نحو قرن من الزمن حتى أخذت العربية تسود في كل أنحاء العالم الإسلامي لا بين المسلمين وحدهم بل بين غيرهم أيضا ممن بقي على دينه القديم، وقد وصل أثرها إلى البيئات التي كانت نائية أيضا في إيران ومصر وبلاد المغرب وهي بيئات لم يكن لها بالعربية عهد من قبل فإذا هي تتعرب وتتعرب معها الأطراف الغربية للقارة الأوروبية في الأندلس ولا نكاد نتقدم في هذه البيئات بعد فتحها بنحو قرن حتى نجد العربية قد ملكت ألسنة الناس وقلوبهم في جميع أنحائها القريبة والبعيدة.

> **الملك الإسباني «ألفونسو العاشر» كان عالما بالعربية ومتقنا لآدابها وألف عددا من الكتب بالعربية**

وقادت اللغة العربية العالم حضاريا وأدبيا وعلميا وفلسفيا طوال تسعة قرون منذ القرن الثامن الميلادي حين كان نشر المعارف والعلوم يكاد يقتصر عليها طيلة المرحلة التاريخية التي ساد فيها العرب العالم، وهي مستعدة بطبيعتها للعموم والشيوع والنهوض بالأمانة الإنسانية، والتاريخ شاهد صادق على هذا عندما يحدثنا «أنه كان التراث العلمي لعلماء العرب والمسلمين باللغة العربية لذا انكب الأوروبيون على تعلم العربية وكان الذي يتقنها يعتبر مثقفا» من ذلك، ملك صقلية، وليام الثاني، الذي كان عالما بالعربية ومتقنا لها وكان فريدريك الثاني متمكنا من اللغة العربية وآدابها، ووليام الثاني كان لا يتكلم بغير اللغة العربية إلا لضرورة قصوى، في حين أن فريدريك الثاني، قرر أن تكون اللغة العربية إجبارية في المدارس الحكومية في طول البلاد وعرضها في عهده، وقامت الراهبتان الشقيقتان الألمانيتان: هالديغراد ويراس هيتاغراد، بفتح العديد من المدارس في أنحاء ألمانيا لتعليم اللغة العربية وآدابها واشتهرت من بينها مدرسة «فهماس»، في



بون ومدرسة «ناربون» في برلين

ولما دخل وليام إنجلترا فاتحا اصطحب معه العشرات من يهود فرنسا الذين كانوا متمكنين من العربية وقاموا بفتح مدارس لتعليم اللغة العربية في بريطانيا وكان من أشهرها صيتا وسمعة مدرسة «أكسفورد»، التي تحولت فيما بعد إلى جامعة متكاملة والتحق بها بعد مائتي سنة المثقف والمفكر الأوروبي الشهير «روجر بيكون» الذي كان يحث طلابه في الجامعة على تعلم اللغة العربية ويعتبرها الطريقة المثلى للثقافة.. على صعيد آخر وصل إبراهيم بن عزرا، وكان عالما بالتوراة ويهوديا قحا من مسقط رأسه طليطلة، إلى لندن عام ١١٥٨م ودرس العربية في جامعتها عشرات السنين، كما تنص كتب التاريخ على أن الفيلسوف الألماني «ألبرتوس ميكنوس» والفيلسوف الإيطالي الأسقف النصراني الشهير «طاموس إيكوناس» كانا ماهرين في اللغة العربية وألفا عددًا من الكتب الفلسفية باللغة العربية.. وفي القرن الحادي عشر الميلادي أنشئت في مدينة «سالرنو» في إيطاليا مدرسة طبية كانت تقدم خدماتها التدريسية والتدريبية باللغة العربية.. وعين في عهد ملوك الأرمن الأسقف الأفريقي الأصل «قسطنطين» مديرًا لها وهو الذي قام بترجمة ثمانين كتابا في الطب لابن سينا والرازي وغيرهما إلى اللاتينية وكان يتقن العربية إتقانا تاما.. وفي عام ١٤٧٣م أصدر ملك فرنسا «لويس الحادي عشر» مرسومه الملكي القاضي باعتماد كتب ابن رشد في الفلسفة وفي اللغة العربية مقررا دراسيا في جامعات فرنسا.. وكانت كتب ابن رشد في الفلسفة تدرس في جامعات «بدوا» في إيطاليا حتى القرن الثامن عشر الميلادي.

ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن ابن ميسرة الصوفي الأندلسي الشهير الذي ألف كتبا عدة في التصوف لخصها بالعربية العالم اليهودي الأندلسي «اوس بروان» في كتاب واحد وترجم هذا الكتاب في القرن الثاني عشر الميلادي بعنوان fonsvitca، ترجمه «اتن ديث».

وفي إسبانيا كان هناك عالمان بارزان أحدهما «رميندلال» الذي فتح مدرسة للعلوم الإسلامية والشرقية وكان يتقن العربية ويتحدث بها بطلاقة لدرجة أن زائره يحسبه عربيا، وقد صنف في العربية كتابا في الأسماء الإلهية وأسرارها وخواصها.

وثانيهما «رميند مارتين» الذي تخرج من مدرسة طليطلة للعلوم الشرقية وكان متبحرا في علوم القرآن والحديث والفقه والفلسفة، وقد لخص كتاب «تهافت الفلاسفة» للإمام الغزالي بعنوانpugio fidei وكتب كتابا ضخما في الإلهيات يحتوي علي موضوعات: ذات الإله، والروح، نظام الكون والآخرة، وهو ما يمثل نسخة طبق الأصل لنظريات الغزالي حول هذه القضايا.. كما قام الأسقف «هيراب» بترجمة التقويم العربي إلى الإسبانية.

ومن الجدير بالذكر أن نشير هنا إلى أن الملك الإسباني «ألفونسو العاشر» كان عالما بالعربية ومتقنا لآدابها وألف عددا من الكتب بالعربية وسعى إلى ترويج العربية إبان فترة حكمه، ولعل مما يتعجب له البعض أنه ألف كتابا ضخما في سيرة النبي محمد ﷺ، اطلع عليه المفكر الألماني «مراد هوفمان» في متحف «لائيدن» للتراث في هولندا، كما ألف «ألفونسو» كتابا آخر بالعربية في خواص الأحجار الكريمة ويوجد هذا الكتاب في مكتبة «الإسكوريال»، وفي عام ١١٣٠م قام الأسقف الإسباني «ريمند» بإنشاء جامعة في طليطلة، استقطب للتدريس فيها علماء متخصصين في علوم العربية واللاتينية كانوا يقومون جنبا إلى جنب مع التدريس- وظيفتهم الأساسية- بمهمة ترجمة التراث العربي إلى اللاتينية والإسبانية، وظلت هذه الجامعة تقدم خدماتها للمجتمع على مدار ثلاثة قرون وقدرت الكتب التي ترجمت طوال هذه الفترة من العربية إلى اللاتينية بأكثر من ثلاثة آلاف وثلثمائة كتاب.

وفي عام ١٢٢٤م أنشأ «فريدريك الثاني» جامعة ضخمة في «نيبلز» وكان من ضمن المقررات الإجبارية والمتطلبات الجامعية الأساسية كتب ابن رشد في الفلسفة التي كانت تدرس باللغة العربية وكانت مكتبة الجامعة زاخرة بآلاف المجلدات في اللغة العربية.

وأنشأ ملك البرتغال «هنري الرابع» أكاديمية بحرية وظف للتدريس فيها عالمين بالعربية متقنين لفنونها وتخرج عنها الرحالة والمغامر البحري «فاسكو دي غاما» الذي خرج من بلده البرتغال حتى وصل إلى الهند. وهو أول ملاح بحري أوروبي خرج من قارته إلى بلد آخر.

صور من الماضي تثبت عالمية اللغة العربية

اللغة العربية ليست قاصرة عن مسايرة الحياة وتطوراتها منذ دفع بها الإسلام إلى ارتياد آفاق العلم التجريبي حتى صارت لغة العلم كما هي لغة الدين والأدب ولم يطرأ عليها شيء يخلع عنها هذا الثوب الذي كساها به الإسلام.

إن علماء العرب لم يكتبوا أعمالهم التي نهل منها الغرب وكانت سبب رقيه ونهضته إلا باللغة العربية.. عندها صارت وعاء للعلوم وأصبح لها اليد الطولى والسيطرة على سائر لغات العالم أجمع. وقد رأينا كثيرا من رواد ومشاهير الأدب العالمي هرولوا إلى تعلم اللغة العربية بعدما استهوتهم جماليات الثقافة العربية الإسلامية أمثال بوشكين وتوليستوي وغيرهما ويكفي لإجمال الأثر الذي تركه الأدب الإسلامي باللغة العربية في آداب الأوروبيين أننا لا نجد أديبا واحدا من نوابغ الأدباء عندهم خلا شعره أو نثره من بطل إسلامي أو نادرة إسلامية ومنهم شكسبير وأديسون وبيرون وسوزي وكولردج وشلي، بين أدباء الإنجليز، ومنهم جوته وهردر ولسنغ وهيني بين أدباء الألمان، وفولتير ومنتسيكو وهيجو بين أدباء الفرنسيين، ولافونتين الفرنسي الذي صرح باقتدائه في الأساطير بكتاب كليلة ودمنة الذي عرفه الأوروبيون عن طريق المسلمين ولغتهم العربية.

في ذكرى مولد سيد الأكوان ﷺ

رسول الله عذرًا

الشيخ/ وليد عبدالباري الخطيب

ربيع نوَّر الدنيا ببدرهْ
كذا ملأ الوجود بطيب عطرهْ

وأيقظنا وقد كنا رقودًا
على خير هدانا نُورُ فَجْرِه

وعلَّمَنا وقد عشنا زمانًا
بلا ذكر فأحيانا بذكره

سلكنا دربه سُدنا قرونًا
نصرنا دينَهُ فزنا بنصره

نحب محمدًا ونذودُ عنه
ونبذلُ كُل غالٍ دون حصره

عشقناهُ ومن يعتب علينا
إذا ما العشق أغرقنا ببحره

فقدرُ المصطفى فينا عظيم
كريم كلُّ من يعلو بقدره

ومن جهل النبي أتى بوزرٍ
وما وزر ثقيل مثل وزره

وما بعث الإله رسول قوم
كأحمد رحمةً بعظيم أمره

به ختمت رسالات توالت
وأقسم ربنا بفريد عصره

به مُحيت ضلالات وتمحى
على مر العصور بنور بدره

بمولد سيد الأكوان قامت
حضارتنا على ساقٍ وجذره

وبات الكفر ينفثُ سُم قهرٍ
فآذانا وشوكتنا بنحره

ومكرُ الكفر معهود لدينا
نعوذ بربنا من سوء مكره

ولكنّا على ضعف نصرنا
فمات بغيظه ومضى لقبره

رسول الله عذرًا إن قعدنا
فما كان القعود بغير عذره

تمالأ جمعهم وبغوا علينا
وآل الأمر ما قاموا بأمره

ندبناهم فما ردوا علينا
كتبنا شعرنا قمنا بنشره

وعظنا في مساجدنا برفقٍ
لعل الرفق ينفعنا بيسره

وأدلى كل ذي رأي برأي
جهاراً ثم أودعه بسره

وكتّاب الصحافة ما توانوا
وكاتبنا سما أدبًا بنثره

أبوا سلما يجرُ إلى خسار
إلى ذل يلفلفنا بمره

تنادي من تنادي يا أخانا؟
ضميرًا ميتًا في جوف قصره

فرادى ما تخاذلنا ولكن
قمعنا شرهم فزوى بوكره

بعون الله أمتنا ستبقى
وإن الله بشرها بنصره

أديب سوري

تاريخ الديانة اليهودية

د. محمد بن المختار الشنقيطي

قلة هم العلماء المسلمون المتخصصون في الديانة اليهودية، رغم أهمية هذا الموضوع من الناحيتين العلمية والعملية. والدكتور محمد خليفة حسن من هؤلاء القلة الذين تضلعوا بالديانة اليهودية من منابعها الأصلية من خلال تخصصه في اللغة العبرية القديمة وغيرها من اللغات السامية كالحبشية والآرامية، ثم في تاريخ الأديان الذي حصل على شهادة الدكتوراه فيه من جامعة تمبل الأميركية.



بدأ الدكتور محمد خليفة كتابه «تاريخ الديانة اليهودية» بمقدمة بيّن فيها أهمية دراسة اليهودية بالنسبة للباحث في تاريخ الأديان والقارئ العربي عموما. فدراسة اليهودية معينة على معرفة تاريخ فكرة التوحيد، وتميز لغة الفكر التوحيدي العقلية الصريحة عن لغة الشرك الأسطورية الرمزية، كما أنها معينة على فهم التاريخ اليهودي الذي حوّله أهله دينا، وفهم الصهيونية المعاصرة التي حولت الخلاص الديني إلى خلاص سياسي. ثم إن اليهودية تمثّل خلفية دينية وتاريخية للمسيحية -بما فيها الأصولية الإنجيلية المعاصرة- بحيث يستحيل الفهم العميق للمسيحية ومشتقاتها دون إلمام بهذه الخلفية. كما أن دراسة اليهودية مُعِينة على فهم بعض قصص القرآن الكريم، وعلى تجريد كتب التفسير من الإسرائيليات بردها إلى أصولها التوراتية.

بعد هذه المقدمة التمهيدية، قسم المؤلف الكتاب إلى أربعة أبواب، اشتمل كل منها على عدة فصول. فتناول في الباب الأول منها الدلالة الدينية والتاريخية للمصطلحات: «عبري» و«إسرائيلي» و«يهوذي» في التراث اليهودي، ثم في التراثين المسيحي والإسلامي. فأوضح أن لكل من هذه الألفاظ معنى خاص في التراث اليهودي، وقد عبرت كل منها عن مرحلة تاريخية مخصوصة. فـ«عبري» في معناها الاشتقاقي تعني «متنقل»، «مترحل»، «غريب»، وقد كساها اليهود فيما بعد معنى «العبور» من مصر. و«إسرائيلي» لها دلالة عرقية عامة مأخوذة من قصة يعقوب في التوراة، ولها أيضا دلالة سياسية-جغرافية خاصة، وهي الانتساب إلى مملكة إسرائيل الشمالية، مقابل مملكة يهودا الجنوبية، بعد انشطار مملكة داود وسليمان إلى شطرين. أما مصطلح «يهودي» (بالدال وبالذال) فله مدلول ديني عام، إذ هو وصف لكل من اعتنق هذه الديانة، وله مدلول سياسي خاص هو الانتماء إلى مملكة يهوذا الجنوبية. ثم عمّت هذه التسمية فيما بعد كل الإسرائيليين، واكتست طابعا دينيا محضا بعد هدم الآشوريين لمملكة إسرائيل، وبقاء مملكة يهودا بعدها قرنا وربع القرن حتى قضى عليها البابليون.

أما في التراث المسيحي والإسلامي، فقد وردت مسميات «يهودي» و«عبراني» بمعناهما القديم متكررتين في العهد الجديد (الإنجيل)، كما استخدم الإنجيل مصطلح «إسرائيلي» أحيانا بمعنى «مسيحي»، وذلك باعتبار الكنيسة هي إسرائيل الجديدة، وإن كان اليهود يرفضون هذا الاستخدام. ولم يستخدم القرآن لفظ «عبري» أو «عبراني» أبدا، لكنه توسّع في استخدام مسمى «بني إسرائيل» إشارة إلى انفصال ذرية إبراهيم إلى شعبين منذ أيام يعقوب. كما استخدم القرآن «قوم موسى» و«ذرية إبراهيم وإسرائيل». ووصف القرآن أنبياء بني إسرائيل بأنهم مسلمون، ودينهم الإسلام لا اليهودية أو المسيحية، لأن لفظ «الإسلام» تعبير عن جوهر الدين، مجردا عن الأشخاص والأماكن. ويرى بعض المفسرين المسلمين أن لفظ «يهود» مشتق من فعل «هاد»

* أكاديمي موريتاني

أي تاب، لكن د. خليفة يرجح أن «هاد» تعني دان باليهودية، وأنه مشتق من لفظ «اليهودية».

وفي الباب الثاني من الكتاب بعنوان «الديانة الموسوية»، تناول د. خليفة الخصائص العامة للديانة الموسوية، مقارنا لها بالديانات السامية القديمة. وأهم هذه الخصائص كما عرضها هي: ثورتها على الفكر الديني الطبيعي، والاعتماد على العقل. وبالتأكيد على سلطان العقل يضعف سلطان الطبيعة على الفكر الديني، فينتقل من الإيمان بالآلهة المتعددة، إلى الإيمان بالإله الواحد داخل الطبيعة (وحدة الوجود) إلى الإيمان بالإله الواحد خارج الطبيعة (التوحيد الخالص). ومن خصائص الديانة الموسوية كذلك نهاية الرابطة الدموية الأسطورية بين الخلق والخالق التي كان يؤمن بها العبرانيون وغيرهم من شعوب المنطقة قبل موسى عليه السلام (وقد انتكست اليهودية بعد موسى في هذا المجال فتحولت ديانة قومية عرقية). ومن خصائصها أيضا ربط الخلق بإرادة الخالق، وأزلية الحياة الإلهية، وتحول لغة الدين إلى لغة عقلية مفهومة، ونهاية فكرة الصراع بين الآلهة، وترسيخ فكرة الإله الواحد العادل المسيطر على حركة التاريخ.

وقد أفرد المؤلف في هذا الباب مناقشة ضافية لنظرية العالم النفساني الإنكليزي من أصل يهودي «فرويد»، الذي زعم أن موسى عليه السلام مصري وديانته مصرية. واستدل على ذلك بأن موسى تربى في مدارس الحكمة المصرية -طبقا للتوراة- وأن اسمه مصري الاشتقاق وليس اسما عبريا، وأن رسالته مرتبطة بديانة الفرعون إخناتون، خصوصا في فكرة التوحيد، والتنزيه، ومنع الكهنوت، والختان...الخ وقد بين د. خليفة أن نظرية فرويد متهافتة المنطق، بناء على أدلة كثيرة منها: أن التوحيد الذي جاء به موسى امتداد لتوحيد الأنبياء قبله، وهو مبْنيٌّ على فكرتيْ الوحي والنبوة، خلافا للفكر المصري الوثني، الطبيعي حتى في توحيده. كما أن القول بتأثر مصر بالتوحيد القادم من فلسطين من خلال الفتوحات المصرية هناك، ومن خلال الوجود الإسرائيلي بمصر منذ أيام يوسف عليه السلام، أوْلى من القول بنظرية فرويد التي تفيد العكس. أما الدليل اللغوي الذي تقدم به فرويد فهو لا يستقيم، لأن الأقلية المستضعَفة تتبنّى لغة الأكثرية أحيانا، مداراة وخوفا من الاضطهاد أو اندماجا وانبهارا. فالتسليم بأن اسم موسى مصري الاشتقاق لا يدل على مصريته. وهناك احتمال أقوى بأن يكون اسم موسى عبري لا مصري، ويكون أصله «موشيّع» أي المخلّص، ثم حُرّف اللفظ تخفيفًا للنطق. وقد ختم المؤلف هذا الباب بشرح مكانة موسى في تاريخ الديانة اليهودية، فهو نموذج النبي المخلِّص عند الإسرائيليين، وقد تحول خروجه بهم من مصر نموذجا للخلاص عندهم، ثم هو نموذج النبي-الملك في التراث اليهودي المتأخر.

بعض المفسرين يرى أن لفظ «يهود» مشتق من فعل «هاد» أي «تاب» ولكن د. خليفة يرى أنه مشتق من «هاد» وتعني دان باليهودية

وفي الباب الرابع عن «طبيعة النبوة الإسرائيلية ووظائفها» بيّن المؤلف ظاهرة الانتكاس إلى الوثنية في تاريخ بني إسرائيل، وكثرة الأنبياء الذين جاءوا لردهم إلى التوحيد الخالص، والفراغ السياسي الذي جعل بعض أنبياء بني إسرائيل ساسةً وقادة عسكريين إلى جانب مهمتهم النبوية. ومن الغريب على العقل المسلم في هذا الباب ما أوضحه المؤلف من أن النبوة عند اليهود لم تبدأ من آدم، بل من آباء بني إسرائيل (إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام) وأن داود وسليمان عليهما السلام ليسا نبيّيْن عند اليهود، بل كان لكل منهم نبي يستشيره في أمر مملكته!! وأن اليهود يصنّفون أنبياءهم إلى أوائل وأواخر، وإلى كبار وصغار!! ثم يظهر عند اليهود غبش في التوحيد والنبوة حينما ينص سفر الخروج على أن موسى إله هارون: «وهو يكون لك فمًا، وأنت تكون له إلها»!! ولم يخْلُ فهم اليهود للوحي من أثر أفلاطوني غنوصي، تجده في قول موسى بن ميمون مثلا: إن «النبوة فيض من الله عز وجل بوساطة العقل الفعّال على القوة الناطقة...». وقد بيّن د. خليفة ما اتسمت به النبوءات الإسرائيلية -مقارنة مع ديانات المنطقة السابقة عليها- من الصفة التاريخية، والتجرد النسبي من الأسطورة، واندماج الأنبياء في حياة عصرهم مؤثرين ومتأثرين.

ومن أثمن ما ورد في الكتاب التحليل الوافي في هذا الباب لطبيعة النبوة وصفاتها، ولوسائل التمييز بين النبي الصادق والمتنبئ الكاذب. فالنبي الصادق مدفوع لا إراديا لأداء رسالة ثقيلة إلى الناس. وهذا «الدافع القهري» -كما يدعوه المؤلف- يؤدي إلى التردد والخوف من مسؤولية الدعوة ابتداء، قبل التسليم والقبول بها انتهاء. ويعرض المؤلف لما دعاه «الأعراض السيكولوجية» للنبوة الحقّة، ومن هذه الأعراض ما نجده من المفاجأة والرهبة والتردد عند موسى، ومن اليأس عند أرميا، ومن الخوف عند يونان (يونس). ويُجمِل المؤلف القول في علامات صدق النبوة بأنها: «حرية النبي، واستقلالُه عن مستمعيه ومتلقّي دعوته، وبعدُه عن سيطرتهم عليه، ومقاومتُه

لهذه السيطرة، إلى جانب كونه محكوما في دعوته بإرادة (يهوه) لا برغباته وأمانيه، بالإضافة إلى عنصر الشقاء والمعاناة في نشاطه...» (ص ١٤٨). وهذه المعاناة منها ما يتعلق بالصلة بالله (امحاء الإرادة الشخصية أمام الوحي، والوصول إلى حافة اليأس من النصر أحيانا) ومنها ما يتعلق بالصلة بالناس (التكذيب والاستهزاء والاضطهاد). وقد عانى أنبياء بني إسرائيل في علاقتهم بالمؤسسات الدينية والسياسية: توترا مع طبقة الكهنة، وتشكيكا من الأنبياء الكذبة، واضطهادا من الحكام.

ومن الواضح أن ما عرضه المؤلف هنا في تاريخ أنبياء بني إسرائيل يؤيده القرآن الكريم في العديد من الآيات، من مثل قوله عز وجل: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن...﴾ (القصص: ٨٥) ﴿إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا﴾ (المزمل: ٥)، ﴿حتى إذا استيأس الرسل...﴾ (يوسف: ١١٠) أما تركيز المؤلف على مثال النبي أرميا في الحديث عن معايير صدق النبوة، فهو في انسجام مع ما ذهب إليه مالك بن نبي في كتابه «الظاهرة القرآنية» حيث اتخذ مالك من حياة أرميا مثالا لهذه المعايير. وهذا توارد جميل للخواطر من هذين العالِمين الجليلين.

وقد ختم المؤلف هذا الباب بالحديث عن طبيعة ديانة الأنبياء الإسرائيليين من بعد موسى، فذكر تركيزهم على العودة إلى الأصل الموسوي، وإحياء ذكرى الخروج من مصر، والتذكير بالبعث والجزاء الأخروي، والتبشير بالمسيح المخلص، والتأكيد على المسؤولية الفردية، وبعث الحس الأخلاقي بعد هيمنة الجمود التشريعي واليبوسة الشعائرية على التدين اليهودي. فخلاصة فكر الأنبياء الإسرائيليين من بعد موسى هي العودة إلى النموذج الديني لموسى، وإلى النموذج السياسي لداود. ثم عرض المؤلف للوظيفة السياسية والاجتماعية للنبوة، فلخص الوظيفة السياسية في تقديم المشورة، وتقويم سلوك الملوك، والتعويض عن تقصيرهم، والتفسير الديني للأحداث السياسية. ثم أجمل الوظيفة الاقتصادية والاجتماعية في التنديد بالأثرياء الجشعين، والدعوة إلى العدل والرحمة بالمحرومين. كما أشار إلى دور أنبياء بني إسرائيل في تدوين التاريخ الإسرائيلي وتفسيره تفسيرا لاهوتيا غائيا.

وفي الفصل الرابع والأخير من الكتاب عن تطور الديانة اليهودية عبر التاريخ يبدأ المؤلف بتوضيح مهم، وهو أن اليهودية -على خلاف الإسلام- لم تولد ديانة كاملة، بل تطورت مع الزمن، فهي ديانة تاريخية بامتياز. فقد تم تدوين العهد القديم على مدى ألف عام، وتأثرت اليهودية بثقافة الأمم التي أخضعت اليهود لسلطانها عبر التاريخ من آشوريين وبابليين ومصريين وفرس ويونان وروماني ومسلمين... فتكيفت اليهودية مع الشتات والسبي والمنفى تكيفا أثر تأثيرا عميقا في تكوينها وبنيتها.

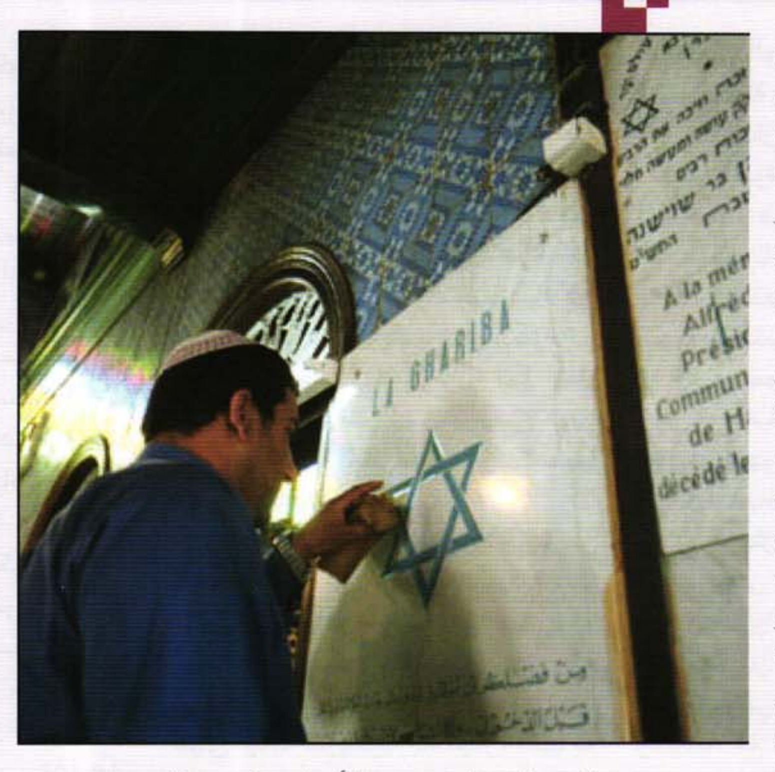
ويقدم د.خليفة تحقيبا لتاريخ اليهودية من مراحل تاريخية ستّ. أولها مرحلة ديانة الآباء (شخصيات ما قبل موسى، وأهمها إبراهيم) وقد كانت في هذه الحقبة ديانة بسيطة بدوية، أهم مبادئها التوحيد والعهد بين الرب وإبراهيم عليه السلام. وثانيها مرحلة موسى عليه السلام، وقد صاحبتها تطورات مهمة، منها الاعتماد على المصدر المكتوب، والوصايا العشر ببعدها الاعتقادي والشعائري والأخلاقي، ثم تبلوُرُ فكرة العهد بين الرب وشعبه بشكل أوضح، وبعض التشريعات الشرطية والأمْرية المختلفة. وفي المرحلة الثالثة الممتدة من بعد عصر موسى حتى انقسام المملكة كان أهم تطور هو تأثر اليهودية بالوثنية الكنعانية ثم البابلية، وقيام مملكة داود وسليمان. وفي المرحلة الرابعة كان السبي، وكان ما يدعى «عصر النبوة الكلاسيكية». أما المرحلة الخامسة فهي تعكس اليهودية في العصر اليوناني والمرحلة التلمودية. ومن مظاهر هذه المرحلة الهزيمة الفكرية اليهودية أمام الفكر اليوناني العقلاني - بخلاف صمودها النسبي أمام الوثنيات الغازية- وما استتبع تلك الهزيمة من انقسام اليهود حول العلاقة بين العقل والنقل ما بين سلفي وعقلاني، وتوصل بعضهم -مثل فيلون- إلى رؤية توفيقية بين موسى وأفلاطون، مثل توفيقية ابن رشد واكتشافه لـ«ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال». ويعكس التطور التلمودي في هذه المرحلة ثباتا تشريعيا وعباديا، مع إهمال لأي جهد نظري من أجل صياغة العقيدة اليهودية صياغة لاهوتية. وأخيرا يتحدث المؤلف عن المرحلة السادسة وهي عن الديانة اليهودية في العصرين الإسلامي والمسيحي. ففي العصر المسيحي كانت العلاقة قلقة بين الديانتين منذ البداية بسبب الخلاف حول طبيعة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وإن كانت اليهودية استفادت من النقد المسيحي لجمودها وجفافها، فغيرت بعض مساراتها تحت مطارق هذا النقد. وفي العصر الإسلامي كانت العلاقة طيبة في الغالب، ولم يكن استهداف المسلمين لليهود في العهد النبوي بدافع اعتقادي أو لتمسك اليهود بعقيدتهم الموروثة، بل بدافع سياسي هو غدرهم بالمسلمين ومساعدة عدوهم. وقد ازدهر اليهود ثقافيا في ظل الإسلام، وساهموا في الحضارة الإسلامية، وتأثروا بها كثيرا، واستفادوا من نقد المسلمين، فبنوا نظاما اعتقاديا محدّد الملامح لأول مرة في تاريخهم الطويل. وكما لاحظ المؤلف بعمق، فقد «ساعد الإسلام اليهوديّ على

فهم يهوديته، ووضعها في نظام عقائدي وتشريعي منسق» (ص ٢١٧)، وذلك على يديْ سعديا بن يوسف الفيومي في القرن العاشر الميلادي، وموسى بن ميمون في القرن الثاني عشر الميلادي.

ولعل أكثر الفرق اليهودية القديمة إثارة لاهتمام القارئ العربي قد تكون طائفة القرائين، فهم يعترفون بالعهد القديم دون المصادر الشفوية، ويرفضون التلمود والمصادر الشفوية. تهتم هذه الطائفة بنهاية العالم وقدوم المخلص، وقد تفرعت عنها فرق متأثرة بالإسلام، منها فرقة الموشكانية التي اعترفت بنبوة محمد ﷺ، لكنها حصرت رسالته في العرب دون اليهود. وقد تأثروا بالمعتزلة في هجومهم على الاتجاهات التشبيهية في تفسير العقيدة اليهودية. حقد عليهم اليهود الحاخاميون وكفروهم وعزلوهم... وأخيرا طائفة الحسيديم: وتأسست في القرن الثامن عشر الميلادي في أوروبا الشرقية، وهي ذات منزع صوفي غنوصي. يقول أتباعها بوحدة الوجود، ويعتقدون بالتطهر من العلائق الجسدية، ويمارسون الغناء الديني مع الوجد والرقص، ولديهم قائد يدعونه «الصديق» هو بمثابة شيخ الطريقة.

أما الحركات اليهودية الحديثة والمعاصرة، فيحصي منها د.خليفة الحركة الأوثودوكسية، وهي تتركز في يهود أوروبا الشرقية، وتتمسك بالنمط التقليدي لليهودية، خصوصا حرمة السبت واستخدام اللغة العبرية، والتمييز بين الرجل والمرأة... والحركة المحافظة، وهي حاصل الجهد الساعي إلى التوفيق بين الأورثودوكسية والتجديدية، فهي محافظة على التقاليد في إطار حديث، تؤكد على احترام السبت، واستخدام اللغة العبرية في العبادة، وصيانة الأسرة اليهودية، وبناء المدارس الدينية، ورفض البدع، مع التشجيع الخجول للصهيونية، مصحوبا بالتحفظ على علمانيتها المفرطة. لكنها تسوي بين الرجل والمرأة في المعبد على عكس الأورثودوكس... وحركة إعادة بناء اليهودية، وهي مدرسة فكرية تنظر إلى اليهودية على أنها «حضارة دينية»، وتسعى إلى التوفيق بين الثقافة الأميركية والهوية اليهودية، وتؤكد على وحدة اليهود بمختلف مدارسهم الفكرية، وتتبنى مقولة الصهيونية الروحية...

لكن أهم هذه الحركات وأعمقها أثرا على اليهودية المعاصرة هي الحركة الإصلاحية، وقد ولدت هذه الحركة استجابة للثورة الفرنسية، وما وعدت به من مساواة بين المواطنين في أوروبا بغض النظر عن المعتقد.



ويختم د.خليفة كتابه بتلخيص خصائص الديانة اليهودية في أربع، هي: أولا: الطبيعة التوحيدية، وإن لم يخل ذلك التوحيد من غبش ولبس. ثانيا: الطبيعة التاريخية، فقد تطورت هذه الديانة تحت ضغط الخروج والسبي والنفي، فـ«اليهودية من صنع الأزمات التاريخية» (ص ٢٥٥) كما لاحظ د.خليفة بحق. ثالثا: الصفة القومية الخصوصية، فهي تتأسس على عهد خاص، وخلاص خاص، وحتى إله خاص، مما أدى إلى ازدواجية أخلاقية عميقة في العقل اليهودي. رابعا: أنها ديانة غير تبليغية، فقد حرّمت على غير اليهود نسبًا الدخول فيها، وفرّطت في نشر التوحيد في أمم وثنية كثيرة احتكت بها. خامسا: الصفة الأسطورية، فقد تأثرت اليهودية بالوثنيات الغازية، وأدى ذلك إلى تشوه التوحيد فيها، من خلال القول بتجسد الإله، والرفع من شأن المسيح المخلص، والغض من شأن الإله الخالق.

وفي الأخير أقول إن من الظلم لهذا السِّفر القيم أن يتم اختزاله في هذه الصفحات. وإنما أردت أن يكون هذا العرض حافزا للقارئ الكريم على قراءة الكتاب كله، والاستفادة مما فيه من معلومات قيمة وتحليلات عميقة للديانة اليهودية. فنحن المسلمين في مسيس الحاجة اليوم إلى تأصيل رؤيتنا ومواجهتنا مع أتباع هذه الديانة على أساس من العلم والفعل، بعد أن أخذ منا الجهل والانفعال مأخذا عظيما حقبةً من الزمان.



الحوار الأسري

من أفضل أساليب التكوين في بناء الشخصية التي تمثل أحد أعمدة الأسرة وأركانها المترابطة هو المشاورة الدائمة، والمناقشة القائمة على الحوار الهادئ والأدب الرفيع.

وقد تجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة: ١).

ولاستكمال الحوار الأسري في القرآن يعرض لنا السياق القرآني لوحة لمشهد يكشف فيه عن استسماح إخوة يوسف أباهم في حقه وحق أخيهم يوسف، قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (يوسف: ٩٧).

ثم يحكي لنا القرآن الكريم نتائج الحوار الأسري وتقارب المجتمع المسلم الصغير، وبروز الحنو والعاطفة الأبوية في تلافي المشاكل والقضاء على الخلاف، قال يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (يوسف: ٩٨).

ثم يعرض لنا الحوار القرآني لوحة من مشهد الحوار الأسري الإيجابي الذي تجتمع فيه الأسرة يحدوها الحنان الأبوي والأخوي بين يوسف عليه السلام وهو يضم إليه أبويه وإخوته، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ. وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (يوسف: ٩٩-١٠٠).

التحرير

سيكولوجية تكوين الأسرة وإصلاح المجتمع في المنظور الإسلامي

حسين محيي الدين سباهي

من خلال التعاليم التي جاء بها الإسلام.. نجد أن على كل فرد منا أن يختار ذلك الطريق المستقيم الذي هدانا الله اليه بمحكم تنزيل كتابه الكريم، وسنة رسوله ﷺ، لما فيه من ايمان واطمئنان، وصدق الله العظيم اذ يقول: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾، هذا هو الطريق الذي التقينا عليه نحن المسلمين، وسرنا على هديه، فمن أين يبدأ؟ وما مراحله؟ وكيف ينتهي؟ والجدير بالذكر هنا أن الإسلام اعتبر نقطة البداية هي الفرد، إذ هو النواة الأولى للمجتمع، ففي صلاحه صلاح الأسرة، وفي صلاح الأسرة صلاح الأمة، وعند الحديث عن تكوين الأسرة في الإسلام لابد من الاجابة على هذين السؤالين: مم تنشأ الأسرة؟ وممم ينشأ المجتمع؟

الحياة الزوجية، هي الأساس في تكوين الأسرة والمجتمع، فمن هذه الحياة التي قوامها الزوج والزوجة ينشأ الأولاد، ومن الأولاد يكون الإخوة والأخوات ثم الأعمام والعمات، والأخوال والخالات، ومن هؤلاء جميعا تتكون الأسرة الخاصة أو المجتمع الأصغر، ومن الأسرة الخاصة تنشأ الأسرة العامة، فالأسرة اذن هي الخلية الأساسية التي يتركب منها ومن أمثالها جسم المجتمع الكبير، فإن كانت هذه الخلية سليمة قوية، سلم المجتمع وقوي، ولهذا شرع الله الزواج حفظا للنوع الانساني وصيانة للناس من الأمراض والآثام واحتراما للانسان بإلحاق الأولاد بآبائهم ومساعدة كلا الزوجين للآخر، ولهذا قال تعالى ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾. وقال ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾.

لهذا كان من أهم واجبات الفرد بالإسلام أن يحرص على تكوين الأسرة المسلمة، وذلك بأن يحمل أهله على اعتقاد فكرته وتبنيها والمحافظة على آداب الإسلام في كل مظاهر الحياة المنزلية.

وذلك لا يكون إلا بحسن اختيار الزوجة وتعليمها واجباتها وحقوقها وحسن تربية الأولاد والأسرة على مبادئ الإسلام، ونحب أن نشير هنا إلى أن كثيرا من الأفراد يفشلون في هذه التجربة الهينة فنجده بمجرد زواجه، يقل نشاطه في الدعوة، ويتعلل بقول الرسول ﷺ «إن لأهلك عليك حقا»، على هؤلاء أن يذكروا قول الله: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون. واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم﴾. وليذكروا دائما قول الخنساء الخالد على مر الزمان حينما علمت بمقتل أولادها الأربعة في القادسية فقالت: «الحمد لله الذي شرفني بقتلهم»، ومازلنا، رغم أننا حملنا أمانة الدعوة أسرى عادات جاهلية، نغلي المهور، ونعقّد الاجراءات، واذا تقدم لنا من نرضى دينه وامانته بحثنا عن حسبه ونسبه وغناه وفقره، ونسينا أننا حملة رسالة وأصحاب عقيدة تعمل لاجتناب كل نظام فاسد لا يقوم على العبودية لله، والتحلي بآداب الإسلام.

إصلاح المجتمع بما يتفق والآداب الإسلامية

للبيئة أثر مهم في تربية الفرد، فالأفراد الذين ترعرعوا في المجتمع الإسلامي الأول لم يكونوا بحاجة الى من يربيهم على الإسلام ويصقلهم بالايمان، لأن مجتمعهم كان يقوم على أساس إسلامي، فكل من نشأ فيه واستنشق هذا العبير تخلق بعادات مجتمعه، ولهذا نجد ان المجتمعات الإسلامية تحرص على إيجاد الواحة الإسلامية لأفرادها حتى يهرعوا اليها ليتقوا بظلها مر الفساد ونار الفتنة، ولكن هل نكتفي بذلك المجتمع الصغير ونعتزل الناس في واحتنا هذه مخالفين بذلك الأمر الصريح من الله: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر



وأولئك هم المفلحون﴾، وقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا». ومعنى ذلك ان نأخذ على ايدي الذين يحسبون انهم يحسنون صنعا وما هم كذلك.

واصلاح المجتمع لا يكون الا بنشر دعوة خيرية فيه، ومحاربة الرذائل والمنكرات وتشجيع الفضائل والأمر بالمعروف والمبادرة الى فعل الخير وكسب الرأي العام الى جانب الفكرة الإسلامية، ولا يكون هذا إلا بأن نجعل الدعوة مسألة مهمة يتحدث بها الناس في مجالسهم ومنازلهم مع أصدقائهم وأهليهم.

علينا أن نهتم بالتربية الإسلامية وأن نقتحم بها كل مجلس وناد، ونتحين لها كل فرصة مناسبة، ولا نكف عن الكتابة والخطابة والحديث والسعي والعمل حتى يحيا الإسلام وتعاليمه في الضمائر ويشتغل به الناس جميعًا في حضورنا وغيابنا، وبهذا تكون الفكرة الإسلامية سيدة الأفكار في المجتمع.

ولا ننسى أنا ندعو الى دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وأن ديننا دين القيمة، أي الوصاية على الدنيا القاصرة، فغايتنا لا تقف عند حد إسعاد المسلمين، ولكنها تمتد حتى تتم هداية الناس أجمعين: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾.

ريحانة الحياة

عبدالعزيز العسكر

بك يا بُنَيَّة أشرقت ألحاني ... وبك ارتقى بين الورى ديواني

أوليتني بِرًّا يفوح عبيره ... فزهوت في صدق على الأقران

البنت في بيتي سحائب رحمة ... وموا‌طن للبر والإحسان

أصغي إليَّ فقد وهبتك خافقي ... وأفضت في سر وفي إعلاني

لا تعبئي بالحاسدين إذا دعوا ... لتبرج في مرقص العصيان

لا تسمعي لمخرف يسعى إلى ... حرية الفئران والجرذان

قالوا لنا: إنَّ النساء مواهبٌ ... قد كبلت بالسور والحيطان

وهي السَّواعد في بناء بلادنا ... إن خالطت جمعًا من الشبان

في مسرح أو قاعة أو مصنع ... أو ملعب في دولة «اليابان»!!

قد حاربوا شرع الإله وحكمه ... وتجرَّأوا بالزور والبهتان

قالوا الحضارة أن تقود نساؤنا ... سيارة في حشمة وأمان!!

قالوا التَّحرر أن تكون نساؤنا ... «كناسة» في فندق «العميان»!!

قالوا التقدُّم أن تبيع نساؤنا ... في متجر للنَّعل والقمصان

قالوا التطور أن تنال بناتنا ... كأس النجوم بملعب الرومان!!

تلك الحضارة في خطيرة شؤمهم ... فيها تباع كرامة الإنسان

فيها الضَّياع لحرَّةٍ قد شُرِّفَتْ ... بكرامةٍ في مُنزل القرآن

الله شرَّفها وأعلى قدرها ... بالسَّتر والإحصان والإيمان

البنت فينا حصن كل فضيلة ... وبدينها تحمي حمى الأوطان

* شاعر سعودي

الدلال إكسير الحياة الزوجية

منى السعيد الشريف

الدلال مرتبة من مراتب الحب بين الزوجين، ولكنه غالبا صفة أخص بالزوجة، وبه تحلو الحياة الزوجية، وتبدو غضة طرية، وبدونه تكون العلاقة الزوجية جافة قاتمة، ويكون تعامل الزوجين فيها أشبه بتعامل الموظفين في القطاعات الإدارية، يتحدثون بصوت مرتفع، وبأوامر تنفيذية، لا تُشتَمُّ منها رائحة التواصل العاطفي، ولا يُتذوق فيها طعم المودة والرحمة.

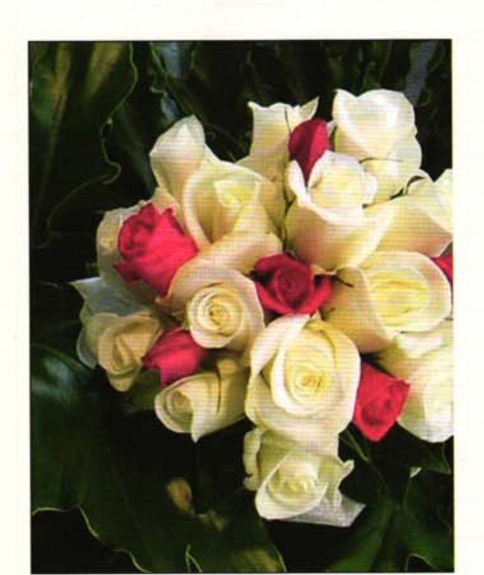
يقال دائما: إن المرأة بطبعها طيبة وحنونة، ويقال أيضا: إن الرجل ما هو إلا طفل كبير، ولذلك فإن كلًا من الطرفين في حاجة ماسة إلى التدليل من الطرف الآخر، سواء عن طريق الكلمة أو اللمسة أو أي تصرف آخر يعبر به الزوج أو الزوجة عن حبه للطرف الآخر.

طبيعة المشكلة

أغلب الزوجات- إلا ما رحم ربي- تركْنَ رقة الدلال، وتحولن إلى الخشونة، ولبسن عباءات الرجال تحت مسميات المساواة وإثبات الذات.. أما الرجولة فحدث ولا حرج عن ذكورة سُرقت منها معاني الرجولة والبذل والعطاء، واكتفت بالمظاهر الخشنة، وأنماط السيطرة، ولغة الأوامر وكأننا في ثكنة عسكرية.

والقضية غريبة، فلا المرأة صارت ترضى بأنوثتها وتعتز بدلالها، ولا هي تريد أن تعرف كيف توظف دلالها ورقتها لإنجاح حياتها الزوجية، بل بعضهن يرون أنه لا جدوى من الدلال في ظل حياة مليئة بالمشاكل والضغوط، تفترض منا الأسلوب العملي الجاف في التعاطي.

كما يجهل الزوج بدوره الاعتراف بأن له دورًا إيجابيًا في تدليل زوجته للاستمتاع بأنوثتها كاملة، وكي يصبح هو بدوره الزوج المدلل في البيت.. فلا



المرأة تصبح أنثى دون رجولة زوج يعرف معنى العطاء، ولا الرجل سينعم بمعاملة كريمة ترضي غروره إذا تعمد إهمال أنوثة زوجته.

الوعي المتهم الأول

يقول استشاري الطب النفسي د.طاهر شلتوت: إن عدم وجود وعي بمتطلبات ومهارات الزواج الناجح هو الذي يدفع الزوجين لإهمال سلوك التدليل والرقة بينهما، كما أن هناك اعتبارات أخرى تعوق إمكانية أن يتعاملا بدلال، خصوصا أن كثيرا من الزيجات يضطر فيها الزوجان أن يعيشا في بداية حياتهما الزوجية مع الأهل، مما يخلق نوعا من الحرج الشديد لدى الزوجين في إظهار عواطفهما بصراحة، لأنهما قد يتعرضان للّوم والتقريع من قبل الحماة مثلا، وقد تبدأ أطراف أخرى في اتهام الزوج الذي يدلل زوجته بأنه ضعيف الشخصية، مما يدفع بالزوج المخدوع إلى الشدة والجدية في تعاطيه مع زوجته ليثبت أمام الجميع أنه «سي السيد».

من هنا نبدأ

يقول أهل اللغة: الدلال والتدلل من المرأة: حسن حديثها ومزحها، وفي الدلال على الزوج تكسر وملاحة محببة تسعد النفس وتنعش الفؤاد، وفي الدلال جمال وأي جمال، ويقولون: امرأة دلٌّ، أي ذات شكل تُدِلُّ به.

تختلف آراء الرجال حول المرأة التي يرغبونها زوجة، لكنهم يتفقون في شيء واحد هو أن تكون «أنثى» بمعنى الكلمة.. الأنوثة هي رأس جمال المرأة، وأهم ما يميزها، فإذا ما استهانت المرأة بأنوثتها فأخفتها عن زوجها، أو تجاهلت أهميتها ودورها فإنها سوف تفقد مكانتها عند الزوج.. الأنوثة هي السحر الحلال الذي يحرك مشاعر الزوج ليجعل منه محبًا،

* كاتبة في شؤون الأسرة



وليس شرطًا للأنوثة أن تكون المرأة فائقة الجمال، لكن الأنوثة تحمل معاني كبيرة، وأساسها أن تكون امرأة بمعنى الكلمة.. امرأة ظاهرًا وباطنًا.. بشكلها.. ونطقها.. ودقات قلبها.. بروحها التي تتوارى داخل جسدها.. امرأة تتقن فن الأنوثة.

إياكِ والحياء المزيف، وهو الحياء في غير موضعه بينك وبين زوجك؛ فرسولنا الكريم ﷺ رغّب في تنمية العواطف بين الزوجين، وحث على اختيار المرأة التي تمتلك صفة «تداعبك» و«تلاعبك» من النساء، ويدخل في ذلك كله طريقة اللبس، والعطور، والحركات، والكلمات، والإشارات، والإيماءات.. وكل وجوه الجاذبية والتفنن في إشباع الحواس والفؤاد.

تغيرت أشياء كثيرة على مدى العقود الماضية، ولكن بقي شيء واحد على حاله، وهو أن تقدير الزوج لذاته وثقته بنفسه مرتبطان بمدى إتقانه لوظيفة الرجل الكامل، فإذا لم تعبري لزوجك عن إعجابك به، لن يثق بنفسه حتى لو كان دخله ألوفًا مؤلفة، وسيظل في دوامة جلد الذات، لكن احرصي أن يكون ثناؤك عليه حقيقيًا وصادقًا ويشعره برجولته أيضا.

جددي في أسلوب الحديث مع زوجك.. انتقي عبارات عذبة وسريعة الوصول للقلب والعقل.

حاولي أن تكون طريقة تجميل وجهك وتصفيف شعرك بأسلوب متجدد، مع إضافة لمسات وابتكارات، فهذا يجعلك تتمتعين بمظهر جذاب على الدوام.

الزوجة الناجحة يجب أن تعلم ما يرغبه زوجها، فتحرص على الالتزام به، وهذا له تأثير كبير في المزاج النفسي للزوج، وفي تحقيق الانجذاب بين الشريكين.

التدليل ليس ترفاً زوجياً إنما احتياج إنساني مهم جداً

التفاني في الاهتمام بالآخر مفتاح سحري لقلبه وعقله.. حين تشترين لزوجك معجون الأسنان الذي يفضله قبل أن ينفد القديم سيطير فرحا.. وحين تأتين له بكوب الماء الدافئ الذي يشربه على الريق قبل أن يطلبه، سيقول فيك شعرا.. هذه الأفعال البسيطة تكشف له مدى مراعاتك لمشاعره واهتمامك الخاص به.

عندما تغادرين المنزل اتركي له ملحوظة بأسلوب جميل ومرح واختميها بعبارة «أنا احبك».. هذا الأمر من شأنه أن يزيد من محبة زوجك لك ويحافظ على دفء العلاقة الزوجية بينكما.

الابتسامة الصادقة تأسر القلوب وتسحر النفوس، ولها رونق وجمال وتعابير، وتضفي على وجه صاحبها ما لا يضفيه العبوس، فالابتسامة تعتبر بمنزلة الكنز الذي لا يكلفك درهمًا ولا دينارًا، فهي مفتاح كل خير ومغلاق كل شر، ولها أثر عجيب في نفوس الآخرين؛ ولهذا قال ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك صدقة» (سنن الترمذي)، وقال أيضًا: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» (مسلم). ويقول الإمام ابن عيينة: البشاشة مصيدة المودة، والبر شيء هين: وجه طليق وكلام لين.

لا تلاحقيه بحبك حتى لا يهرب منك، فإن من الحب ما قتل.

يقول رئيس قسم الطب النفسي بجامعة الأزهر د.محمد مهدي: لا يفوتنا أن نؤكد أن التدليل لا يحدث إلا إذا كان الطرف الآخر يشعر أساسا بقيمة شريكه «المدلِّل»، فهذه العلاقة فيها رعاية وتضحية وعطاء بلا مقابل وبدرجة عالية، ومن المهم أيضا أن يستقبل الطرف «المدلَّل» هذا التدليل بفرح وانبساط وقبول، فبعض الناس لا يقوم بذلك مما يشكل صدمة للطرف الآخر الذي قام بعملية التدليل ولم يلق استجابة، فالتدليل يجب ألّا يُحسن استقباله فحسب، بل لابد من تبادله، ولا يبقى طرف على طول الخط مدللا بينما يظل الطرف الآخر متلقيًا فقط.. لذلك نشجع الأزواج والزوجات على الاهتمام بهذه العلاقة الجميلة وتبادلها لأنها ليست ترفا كما يتصور البعض وإنما احتياج إنساني مهم جدا.





لا تخرجوهن.. ولا يخرجن

كمال عبدالمنعم خليل

«اذهبي إلى بيت أهلك».. «سوف أترك لك البيت وأذهب إلى بيت أبي» هاتان الجملتان ما أكثر تكرارهما في بيت الزوجية لأتفه الأسباب، ولأبسط الأمور، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على عدم الفهم الصحيح لأحكام ديننا الإسلامي الحنيف الذي ارتضاه لنا رب العالمين، وبينه لنا هدي رسولنا الكريم محمد ﷺ، والإسلام هو الدين الوحيد بين الأديان والعقائد الذي يحفظ للأسرة هيبتها وكرامتها، فلا تجد تماسكا وتوحدا وتآلفا كما هو في الأسرة المسلمة، فكم من الآيات حثت على نشر الألفة والمحبة بين أفراد الأسرة، قال الله تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١)، فالسكن والمودة والرحمة هي الأسس والركائز لكل أسرة مسلمة تريد حياة هادئة هانئة مستقرة.

وأي أسرة عرضة للخلاف في الرأي، فالعقول تتفاوت في تلقي الأحداث، وكل له رأيه وقوله، وهذه سنة الله في خلقه، إلا أن المحزن والمؤسف أن يترتب على أبسط خلاف في أبسط قضية خلاف حاد يصل إلى حد التشاجر، وربما إلى أبعد من ذلك، وعند ذلك تثور ثائرة الزوجين، فالزوج يهدد بطرد زوجته، ويرغمها على ترك بيت الزوجية والذهاب إلى بيت أبيها نكاية فيها، وقد تبادر الزوجة بترك البيت معاقبة لزوجها وأولادها، لأنه أغلظ لها في القول، أو أغضبها بسبب أو آخر.

وإن كان هذا أو ذاك فكلاهما مخطئ في تصرفه، لأن الأمور ليست بالهينة إلى هذه الدرجة، زوج يطرد زوجته، وزوجة تترك بيتها!

ولو فهم الاثنان كيف تدار الحياة الزوجية وكيف يدار الخلاف لما حدث هذا بينهما، إن الذي يتدبر آيات الله تعالى يجدها تشدد على هذه المسألة، حيث ينهى الله تعالى الأزواج عن طرد الزوجات وإخراجهم من بيت الزوجية، قال تعالى ﴿واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين فاحشة مبينة﴾ (الطلاق: ١)، فقد قدم الأمر بالتقوى حتى يذكر كل غافل ويحذره من الوقوع في هذه المخالفة، كما عبر عن بيت الزوجية بقوله «بيوتهن»، لأن المرأة أصبح لها ترتيب في الأولويات بعد زواجها، ليكون بيت زوجها في المقدمة، لذلك نسب بيت الزوجية إليها.



أما بيت أبيها فيأتي في المرتبة الثانية، كذلك أكد على الزوجة ونهاها عن الخروج وترك بيت الزوجية إلا في حال ارتكاب الفحشاء وهي جريمة الزنا، أما أي أمر آخر فلا تترك البيت حتى ولو كان الطلاق.

قال الإمام ابن كثير- رحمه الله- في قوله تعالى ﴿لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن﴾، أي في مدة العدة، لها حق السكنى على الزوج مادامت معتدة منه، فليس للرجل أن يخرجها، ولا يجوز لها الخروج أيضا لأنها معتقلة لحق الزوج. أ.هـ.

وإنك لتعجب من المرأة إذا طلقها زوجها طلاقا رجعيا جمعت ملابسها وحاجاتها وشدت الرحال إلى بيت أبيها، أوَما درت أنها بجلوسها في بيت زوجها تضيق الخناق على المشكلة فتجعلها في أضيق الحدود؟ وقد يفيق الزوج ويفيء إلى رشده ويراجعها- وذلك حقه- وتعود الأمور إلى ما كانت عليه.

إن الزوجين يريدان غير ذلك، فكل منهما يرغب في أن يعرف الرائح والغادي قصتهما، ولا ينفع الإصلاح عندئذ.

إن هذا النهي المتكرر في آية واحدة ﴿لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن﴾ مقصده الإبقاء على رباط الزوجية، والحفاظ على كيان هذه الأسرة، فديننا يجمع ولا يفرق، يوحد ولا يشتت. ألا فليعمل كل زوجين ذلك.

اختصاصي تربوي



الحياة.. وتحقيق السعادة

د. محمد عيسوي الفيومي *

دعني أطرح عليك سؤالا.. اجلس أمام المرآة وانظر في وجهك نظرة عميقة، سترى قسمات وجهك وقد تجاوزت عقدك الثاني ببضع شهور، فلتسأل نفسك في خلال هذين العقدين.. هل قمت بفعل شيء تفخر به أمام أهلك وأصدقائك والأهم أمام نفسك؟ دعنا من هذا الحديث فكما يقال لا يفيد البكاء على اللبن المسكوب، ولكن وجه لنفسك هذه الأسئلة، متى ستعرف معنى السعادة الحقيقية؟ وما هو حلمك الذي سيحقق لك ذلك؟ وماذا تفعل لتحقيق هذا الحلم؟!

كثير من الناس لديهم هذا الحلم الذي يتمحور حول الحياة التقليدية السعيدة نظريا التي تبدأ بقصة حب طويلة، كتلك التي لم تعد تسمع عنها إلا في الأفلام، ثم زواج، ثم إنجاب الأطفال، ثم تربيتهم.. ثم..ثم.. إلى أن تأتي ساعته فيموت وهو مطمئن على التراث الذي تركه خلفه.

أنا لا أعاتب هؤلاء الأشخاص، فهذا حلم مشروع للجميع، ولكني حزين لافتقار هؤلاء الأشخاص إلى التخيل والإبداع والسعي إلى حلم جديد والبحث عن السعادة الحقيقية، فلا ينبغي أن تكون مهنتك في الحياة هي أن تصبح آله تعمل لضمان نجاح استمرار الجنس البشري.. إليك الواقع الذي ينتظرك!

نحن نقنع أنفسنا بأن حياتنا ستصبح أفضل بعد أن نتزوج ونستقبل طفلنا الأول، ثم طفلا آخر بعده، ثم نصاب بالإحباط لأن الأطفال ما زالوا صغارًا، ونؤمن بأن الأمور ستصبح على ما يرام بمجرد أن يكبروا، ثم يدق الإحباط بابك مرة آخرى حين يصل طفلك مرحلة المراهقة، فتبدأ بالاعتقاد أنك ستجد الراحة ما أن تنتهي هذه المرحلة.. وهكذا تستمر الحكاية كأننا ندور في حلقة لا نعرف من أين بدأت ولا أين ستنتهي! والآن في خضم هذه المعركة، هل تظن أنك وجدت السعادة؟!

الحقيقة أنه لا يوجد وقت أفضل من الآن لكي تشعر بالسعادة فإن لم يكن الآن فمتى إذن؟!

الحياة قصيرة جدا مهما طال العمر، فالفرص التي تأتيك لتغير مسار حياتك وتشعرك بالسعادة قليلة، فاستغل هذه الفرص فإنك إن أهملتها فستنسى هدفك في الحياة وسوف تخرج منها دون أن تترك بصمة في حياة من حولك. السعادة هي ما تجعلك قادرا على تغيير الواقع من حولك، لتجعل من نفسك قدوة للآخرين وتترك بصمة في حياتهم ويكون هذا الفعل هو ما تفخر به في حياتك.

قطعا لا أنفي أن بعض الأشخاص سعادتهم في الزواج، ولكن هناك البعض من يجدون سعادتهم في العلم.. المال.. العمل.. مساعدة الآخرين في حل مشاكلهم وإضفاء البهجة على حياتهم، لا أحد يعلم كيف تشعر بالسعادة أكثر منك، فاعثر على حلمك وتمسك به.

السعادة هي رحلة وليست محطة تصلها، لا وقت أفضل كي تكون سعيدا أكثر من الآن، فعش اللحظة وتمتع بها، وابحث عن السعادة مهما كلفك الأمر.. بما يرضي ربك!!



* باحث أكاديمي



محاولة لرؤية الغد

محمد نشمي كلش

هي المرة الأولى التي ترتجف فيها يداي وأنا أقيس الملابس والتي أصبحت عريضة عليّ، يبدو أني نحفتُ أكثر من اللازم خلال الفترة الأخيرة ولكن سألتقيه غدًا، سأجلس معه ساعة كاملة، لقد اشتقتُ إلى صورة وجهه، أتراهُ نحف هو أيضًا؟!

البارحةُ قال لي وأنا أكلمهُ بالهاتف إنهُ قد سمن قليلًا ولكني أشك في كلامه، هو فقط يريد أن يريحني.. لقد عرفت ذلكَ من خلال صوته المخنوق، وأذكر أني سألته عن حالته، أجابني وكيف يكون حال السجين؟ الملابس بعضها قصرت وبعضها طالت وبعضها أصبح أكثر عرضًا عليّ. منذ ثمانية أشهر لم أجرب أيّ قطعة ملابس منها، فبغيابه عني افتقدتُ الجمال وروح الأناقة.. أريدهُ فقط أن يأتي، أن يفك أقفال السجن ويصبح قبالتي ويقف بجانبي.. ثمانية أشهر مرت عليّ كأنهن مقصلة تقص عنقي وتعدمني حياتي!

العيد الأول مرّ علي وكأنه واحة حزن تسقيني همًا وكآبة، وكلما حاولت أن سأكتبُ له رسالة.. هو دائمًا كان يطلب مني ذلك سابقًا حينما كنت أعجز عن الكلام أمامه، اكتبي لي ما تشعرين به وعندما أراكِ ابقي صامتة ودعيني أستوحي من عينيكِ جمال الحياة.. سأكتب له رسالة. أمور كثيرة تجعلني في حيرة من أمري، لم أعد أقوى على التركيز ولكن كلّ الذي أعرفه أن موعدي معه غدًا، أحاول ألا أتعثر بالأشياء، ألا تنزلق قدماي، ألا تنكسر يداي، شديدة الحرص أنا اليوم، على الأقل فقط كي أراه.. ارتديت أفضل لباس لدي وحملت الرسالة في جيبي واستنهضتُ الطفلين من نومهما باكرًا تحت قصف من عويل وبكاء دون أن يعرفا السبب، أكلمهم كما لو أني أكلم حائط جدار، أسير بهم في الشارع العريض وأنا أراقب بعيني سيارة أجرة وأرى وجوه أهل الحارة تحدق بي، الكل مستغرب، أسمع همساتهم وتعليقاتهم ولكنني غير مكترثة بهم، أعرفهم جيدًا، فنفوسهم مطبوعة على هذه الأمور.

المهم أني سأراه.. فرؤيته اليوم تعادل عمرًا بأكمله!

تنزلني السيارة عند باب السجن، حشدٌ كبير من الناس اجتمعوا أمام نافذة عليها بضع ورقات بأسماء السجناء. الشرطيّ الذي يسجل الأسماء انزلقت من يده كاسة الشاي فابتلت الأوراق وأثارت موجة غضبه فصبها على كل الموجودين حول النافذة، وربما منع أحدهم من الزيارة، وعندما جادله أحد الأشخاص بالكلام أضاف بأن الكل مسؤول هنا، لذلك تؤجل الزيارة ساعة أخرى، صوت بكاء ولديّ أزعج القريبين مني، أحدهم تمتم بكلام لم أسمعه أو أفهمهُ جيدًا.. إحدى العجائز نسيت هويتها فلم تكتب لها زيارة، توسلت إليه طويلًا ثم خرجت من عنده وهي تتمتمُ: دائمًا أصحاب السلطة لسانهم بذيء وتراهم معبئين بعقد نقص كثيرة، لذلك يلجأون إلى الكلام غير اللائق ليظهروا لنا أنهم ذوو شأن عال، أعجبني منطق المرأة المسنة التي بدأت تتحدث مع نساء كثيرات اجتمعن حولها. حاولتُ أن أجد لنفسي مكانًا بينهن إلا أنّ بكاء طفلي جعلني أتراجع عن قراري. قدماي لم تعودا تحملاني والجلوس هنا أمر غير ممكن. أحد الأطفال قدم لولدي بالونًا منفوخًا فتطاير فوق رؤوس الجميع، رفع ولدي يده ونسي بكاءَهُ، تحسستُ الرسالة في جيبي.. إنها بأمان، أخرجها لأراها وأطمئن بأن الكلمات لا تزال عالقة بين الأسطر. الهواجس والقلق يجدان مكانًا داخل عقلي، واضطراب بداخلي يعتريني.. يا الله ما هذه الفوضى؟ ما الذي يحدث؟ لا أدري، الكل من حولي يتراجعون مسرعين وهم يتخبطون ببعضهم.. أصواتٌ تعلو وتهبط وأصواتٌ من شتائم وسباب تُسمع أيضًا على كل الموجودين!

ما الذي يحصل؟ أصرخُ بأعلى صوتي.. لا، أرجوكم ليس اليوم.. ولداي يبدآن ببكاء لا متناهي.. رأيتهم يقبضون على ثلاثة أو أربعة رجال، لا أدري، وبدأوا بضربهم، فخرج مدير السجن حانقًا غاضبًا وصرخ بالموجودين وصوتهُ بالكاد يخرج لأن كرشه الممتد إلى حلقه يكاد يبتلع حباله الصوتية.. نظرًا لسلوك بعض الزائرين غير الأخلاقية وعدم التزامهم بالقواعد والنظام تلغى جميع الزيارات حتى إشعار آخر!

بالله قولوا لي إن هذا الكلام مزاحًا وليس صحيحًا.. بالله قل لي أني لم أسمع شيئًا لا أريد الذهاب.. أريد رؤيته..

ومن بعيد أغلق باب السجن ومن أعلى حائطه ظهر شخصان وهما يسحبان خرطوم ماء إلى الأعلى وبدآ برشّ جميع الموجودين ليبعدوهم.

أمّا أنا فقد بقيتُ مع ولديّ جامدين كتمثال نُصب في وسط الساحة غير مبالين بالماء الذي بللنا.. عندها تراءت لي ريحٌ قادمة نحوي، أنزلتُ الطفلين إلى الأرض.. أخرجتُ الرسالة من جيبي وعندما اقتربت الرّيح طيرتها معها لتقذفها إلى داخل السجن آملةً أن توصلها إلى أعز إنسان لدي!

* باحث اجتماعي



غيرة المرأة

علي إبراهيم كشك

الغيرة بين النساء تشتد في مختلف مجالات الحياة في الجمال، العمل، الاستقرار، الوصول إلى القمة، فلماذا تغار النساء من بعضهن البعض؟ ولماذا يملن إلى النميمة على الصديقات من خلفهن؟ وهل كراهية النساء لبعضهن طبيعة أنثوية أم مرض؟.. كل هذه التساؤلات اجابت عنها كاتبة فرنسية تدعى إليزابيث الكسندر في مجلة ماري كلير فقالت: إن غيرة المرأة تمتد ايضا إلى نساء لا تعرفهن مثل فنانة جميلة أو عارضة أزياء مشهورة فتطلق عليها الشائعات أو تنتقد شكلها بعبارات مثل نحيفة للغاية أو العكس سمينة جدا، وغالبا ما يكون نقد النساء لبعضهن البعض غير موضوعي ومليئاً بالحقد والرغبة في التحقير، فإذا واجهت امرأة وسألتها لماذا تكرهين فلانة؟ تسارع بنفي هذا الأمر وتردد «انها ليست أفضل مني»!

أرجعت الكاتبة غيرة النساء إلى جينات أنثوية داخل كل امرأة تجعلها ترفض ان تكون امرأة غيرها على القمة سواء في العمل، في الجمال، في الزواج، في الثراء... الخ، كما ترجع الغيرة النسائية إلى شعور البعض بقلة الحيلة وضآلة الشأن مما ينتج عنه كراهية الذات.. وترى ان الحل الوحيد لدى المرأة الغيورة من نظيراتها هو ان تصب الغضب الموجود بداخلها على امرأة أخرى سواء بانتقادها والتقليل من شأنها أو محاربتها في مشوار نجاحها في عملها... الخ.

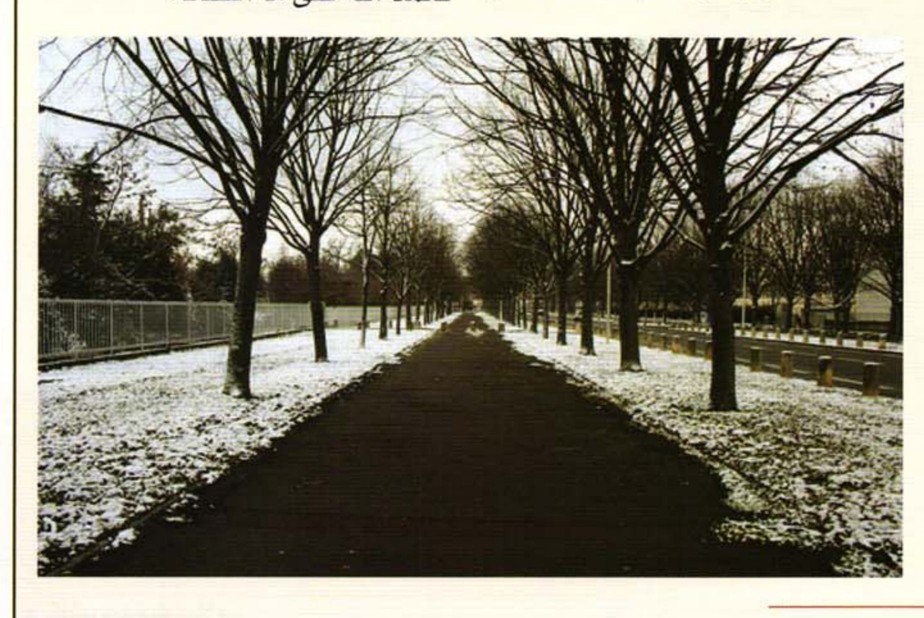
وإذا كان هذا هو التفسير الفرنسي لغيرة النساء من بعضهن البعض، فما التحليل الصحيح لها؟

تقول أستاذة الطب النفسي: إن الغيرة شعور بالضيق مرتبط بزيادة موجودة لدى شخص آخر وغالبا ما ترتبط الغيرة بين النساء بالحقد وتمني زوال النعمة عن الأخرى.

إن إحساس النساء بالغيرة بشكل يكون في بعض الأحيان مرضيًّا إلى زيادة درجات التوتر المصاحبة للتغيرات البيولوجية الشهرية والتي تحدث في اثناء الحمل والولادة بالاضافة الى الضغوط النفسية والجسدية في العمل والمنزل.

والغيرة سمة بشرية بدأت منذ فجر التاريخ مع قابيل وهابيل وهي موجودة لدى الرجال والأطفال وهي أمر يمكن علاجه وترويضه باتباع النصائح التالية:

- البحث عن الجوانب الايجابية في حياتك وفي شخصيتك والعمل على تنميتها.
- تحويل المشاكل والتوترات التي تشتعل في ذهنك إلى طاقة مفيدة من خلال ممارسة رياضة ذهنية أو بدنية.
- الابتعاد عن الطمع والنظر إلى ما هو موجود في يد الآخرين.
- وأخيرا والأهم يجب الاهتمام بتنمية الوازع الديني لك ولأسرتك وأن نحمد الله على ما أعطانا.



* باحث أسري

قواعد شرعية لتكامل شخصية المرأة المسلمة

يحيى السيد النجار

تناول الخطاب القرآني بعض معالم شخصية المرأة بما يعبر عن حقوقها وواجباتها.. كما أن المرأة في عصر الرسالة كانت تشارك في الحياة الاجتماعية وعنيت آيات القرآن الكريم بالتأكيد على شخصية المرأة وبيان استقلال شخصيتها واختيارها بين الإيمان والكفر، وبيان مكانتها في الأسرة، وأن المرأة سكن للرجل، وبيان التوازن بين حقوق المرأة أو الزوجة وواجباتها وحق المطلقة في العودة للزوج بعد الطلاق.

والإسلام دعم شخصية المرأة ورفع من قدرها وأكرمها وليدة وناشئة وزوجة وأمًّا واعتبرها مساوية للرجل في التشريعات والعبادات والمعاملات والحلال والحرام، فكل ما خاطب الله عز وجل به الرجال هو خطاب في نفس الوقت للنساء، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).

والمرأة ناصرت الدعوة الإسلامية من أول يوم مع السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وكانت أول من آمن بالرسول ﷺ وآزرته وصدقته وواسته بمالها.

وكانت سمية رضي الله عنها أول شهيدة في الإسلام ولم تنطق بكلمة تجامل بها المشركين.. وماتت بروح الإيمان ولم تخف من التعذيب.

والإسلام رد للمرأة حريتها وكرامتها واحترم شخصيتها، والدين الإسلامي أعلى قيمة المرأة، والله عز وجل اصطفى آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة وفاطمة رضي الله عنهما.

وذكر القرآن الكريم قصة بلقيس ملكة سبأ في سورة النمل وعنايتها بالشورى مع رجال دولتها وحسن استقبالها لكتاب سليمان عليه السلام، وبارك القرآن الكريم الشورى وحث عليها.. فما أحوج المرأة المسلمة لوعي ملكة سبأ التي كانت على مستوى راق من الحضارة والفكر والاستجابة للحق وترك العقيدة الخاطئة وهداية قومها إلى الإسلام لله رب العالمين.. وآسية امرأة فرعون نموذج آخر، فقد شاهدت موسى عليه السلام وهو رضيع فوقع حبه في قلبها.. وقالت: ﴿لاَ تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ (القصص: ٩) فبقي الطفل حياً.. وكبر موسى عليه السلام في قصر فرعون وقامت أمه بمهمة إرضاعه ولا يدري أحد قصتها، وآمنت آسية بموسى عليه السلام وتعرضت لشتى ألوان العذاب.. لكنها طلبت من الله النجاة من القصر والملك وأعمال الظالمين، وجعلها الله عز وجل نموذجا ومثلا لكل مؤمن ومؤمنة.

ومع إبراهيم عليه السلام كان للمرأة دور في قصة هاجر وهجرة إبراهيم عليه السلام بهاجر وطفله إسماعيل عليه السلام وتركها بواد غير ذي زرع ودعا ربه.. قال تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم: ٣٧).

وفي قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام رؤى تأملية لإعداد الأمة الإسلامية.

والأسرة هي المجتمع الصغير، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١). وقال الرسول ﷺ: «إنما النساء شقائق الرجال» (رواه أبوداود)، والمرأة قبل الإسلام كانت مهدرة الحقوق والشخصية فجاء الإسلام ليأمر الرجل بحسن العشرة قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ١٩).

وجاءت القواعد الشرعية في الإسلام لتنعش من شخصية المرأة المسلمة.. لأن الحياة الزوجية لا تقوم إلا على السكن والمودة والرحمة والتعاون والصبر والتودد، كما أن في أحكام الطلاق نقاطا تأملية منها:

١- أن ينتظر الرجل فترة طويلة قبل طلاق زوجته لعل الله عز وجل أن يزيل التنافر والتباغض وأن يتحول الكره إلى مودة ورحمة.

٢- الإشهاد على الطلاق والرجعة.

٣- أن يتم الطلاق في جو من المكارمة والإحسان.

كاتب وباحث إسلامي

مشيّدة من العهد المملوكي و تحتضن بدائع التراث العربي

دار القرآن الهلالية في دمشق

محمد مروان مراد

اهتم العرب قبل الإسلام بالكتابة، واستخدموها في شؤون حياتهم كتسجيل العقود والمواثيق التجارية والسياسية، وكذلك في أمور الأدب والشعر ومجالات الحياة الأخرى، ويمدنا الشعر الجاهلي برصيد وافر من الألفاظ التي تدل على أن الكتابة كانت موجودة عند عرب الحجاز، بل ومتطورة، فهناك القلم والقرطاس والدواة، والمداد واللوح، والصحف والرق، والنمنمة والكتاب، وغير ذلك مما له صلة بهذا الشأن.

حمل أهل الحجاز حرفهم خلال رحلة الشتاء والصيف من بلاد الشام، ونقلوه من أبناء عمومتهم الأنباط الذين كانوا قد استعادوه ممن سبقهم من الآراميين، الذين سطروه في جدران معابدهم، وتعلموه وطوروه في دمشق الشام، وبالذات في معبد «حدد» الآرامي الجامع الأموي الكبير اليوم.

نزل القرآن على سيدنا محمد ﷺ في البدء بكلمة: اقرأ، والقراءة تحتاج إلى كتابة، استمدت رفعتها من قسم الله سبحانه وتعالى بالعديد من أدواتها في آيات كريمة عديدة: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ (القلم: ١)، ﴿والطور. وكتاب مسطور. في رق منشور﴾ (الطور: ٢)، ﴿كان ذلك في الكتاب مسطورا﴾ (الإسراء: ٥٨) وغيرها.

الفنان المسلم.. ابتكار وإبداع

ساد الإسلام في الأرض، يخرج الناس من ظلام العبودية والتخلف إلى ضياء العز والسؤدد، فارتفعت الكتابة العربية إلى الدرجة السمية، وهي تخط كلمات القرآن المجيد بخطوط جميلة شامخة، وصار الخط العربي معلما بارزا من معالم الإبداع الفني عند العرب المسلمين، لأنه بجانب تعبيره الفني الراقي، يسجل الكلمة المقدسية ذات المعنى، فتتحد فيه الثقافة بالفن، ويصبح من أبلغ وسائل المعرفة للإنسان.

تطور الخط العربي على يد المبدعين المسلمين ليغدو فنا جميلا يحتل مكان الصدارة بين الفنون العربية، وساعد على ذلك ما تتميز به طبيعة الخط العربي وأشكال حروفه من الحيوية، بفضل ما فيها من الموافقة والمرونة والمطاوعة والوصل، وهو ما هيأ لها فرص التنوع والزخرفة بطرق وأساليب مختلفة، وليس أدل على ما تحمله أشكال الحروف العربية من بذور الخصب والابتكار والتنوع من أن هذه الحروف كتبت بآلاف الصور والهيئات.. وما من فنان أضفى على حروف الكتابة حياة نابضة بالألق والجمال كالفنان الخطاط العربي، سواء كان ذلك باستلهام الأشكال أو في تحوير الحروف، وكانت الخطوط العربية مجالا لتفنن المبدعين، حفظت هذا التراث، وقدمت شواهد على تطوره، وظلت لوحات تأخذ مكانها في الدور والقصور، كأنيس للروح، ومتعة للوجدان، بما تحمله من معان، وما يضفي عليها الفنان من صياغة وتشكيل يتفق وأصول هذا الفن.

لقد أصبح للخط شأن مهم في التطور والإبداع بظهور ابن مقلة ٣٢٨هـ، إذ استطاع أن يقدم منهجا في الخط وهو النسبة، طول الحرف وانحنائه وانخفاضه، وارتقى بالخط إلى المستوى الفني الجميل، فقيل: الخط المنسوب، كما كتب مصحفين حفظ أحدهما في إشبيلية والثاني في مكتبة بهاء الدين البويهي في شيراز ٣٧٩هـ، وتلاه «ابن البواب» ٤١٣هـ، فاستمر على نهجه، وكتب مصاحف عديدة لم يصلنا منها غير واحد موجود في مكتبة «تشستربيتي» بدبلن، ويقدم لنا فكرة واضحة عما كان عليه الخط حتى ذلك التاريخ.

ولقد تركت لنا حضارتنا الراقية تراثا خالدا من الخطوط نفتخر به، لأن تلك الخطوط تحكي تاريخنا المجيد عبر الأجيال، فمن خطوط العصر الإسلامي الأول، إلى عصر الأمويين، فالعباسيين فالسلاجقة والأيوبيين والمماليك ثم العثمانيين، وكان كل عهد يضيف إلى من سبقه، لتكون المحصلة كنزًا غاليًا لا يقدر بثمن.

• كاتب صحفي

مشيدة تاريخية لبدائع التراث

يستطيع زائر دمشق عند طوافه بأحياء المدينة القديمة أن يتتبع الإبداع الفني للخطاط المسلم، والذي لا يزال ماثلا للأنظار في المشيدات التاريخية الباقية، وحرصًا من سلطات الآثار والمتاحف على حماية ذلك الإبداع، وإتاحته للجمهور المهتم وللباحثين، فقد اختيرت واحدة من مشيدات العهد المملوكي، وهي «المدرسة الجقمقية» في حي الكلاسة بجوار الجامع الأموي الكبير، لتكون مقرا لمتحف الخط العربي، وذلك بعد ترميمها، وإحياء معالمها الفنية الجميلة.

تراثنا الأصيل يعود للحياة

خطط المُعلم «سنجر الهلالي» لبناء مدرسة للتعليم الديني، وبدأ بإنشائها في عام ٧٦٠هـ فسميت «دار القرآن الهلالية»، وقد أتم بناءها السلطان الناصر حسن عام ١٣٦٠م لترتفع جدرانها المبنية بالحجارة البلقاء (السوداء والبيضاء) وتغدو ميتما للأطفال و«خانقاه» وحين اقتحم تيمورلنك دمشق عام ٨٠٣هـ أصاب الدمار المدرسة، فقام الأمير سيف الدين جقمق نائب دمشق في عهد المماليك ٨٢٤ هـ بإعادة تشييدها من جديد لتصبح من أهم المدارس الدينية في ذلك العهد، وحين توفيت أمه ووريت فيها، أغدق على فرشها بالبسط الثمينة والقناديل المكفتة بالذهب، وكان ينفق عليها من طاحون في سوق وادي بردى، ولقي الأمير جقمق مصيرا أسود حين أعلن تمرده على سلاطين مصر، فاعتقل وأعدم عام ٨٢٤هـ ليدفن بجوار أمه.



تطور الخط العربي على يد المبدعين المسلمين ليغدو فنا جميلا يحتل مكان الصدارة بين الفنون العربية

ظلت المدرسة تقوم بدورها بعد تولي خلفه أبي سعيد جقمق الذي أهدى المدرسة مخطوطات ثمينة، من ضمنها مخطوط الدعاء السيفي المتضمن أدعية وأسماء الله الحسنى، وتواصل دور المدرسة التعليمي حتى الأربعينيات من القرن الماضي، حيث تعرضت للدمار خلال القصف الفرنسي لدمشق، وتهدم «حي الكلاسة» حتى قامت مديرية الآثار والمتاحف بتجديدها وترميمها في الستينيات، لتعيد إليها الألق ونبض الحياة.

نموذج جديد للعمارة الإسلامية

يدخل الزائر إلى المدرسة من بوابة مرتفعة في الواجهة الشمالية للمبنى، معقودة بالمقرنصات الفنية وطاستها المظلية، وتحت المقرنصات شريط كتابي يزين جدران البناء وفيه نص طويل، يبتدئ بالاستعاذة فالبسملة فآيات من القرآن الكريم، ثم تاريخ إنشاء المدرسة واسم بانيها سيف أمير المؤمنين، جقمق الدودار المؤيدي، ويجتاز الزائر دهليزا على صحن المدرسة المربع الذي تتوسطه بركة ماء ذات ثمانية اضلاع، وقد استخدمت في بلاط الأرض حجارة ملونة ورخام مزخرف والصحن مسقوف بجسور وألواح خشبية مزينة برسوم نباتية وزهور في غاية الإتقان، وتحيط بالصحن أربعة إيوانات مفتوحة عليه بثلاث قناطر، قائمة على أقواس من الحجارة متناوبة الألوان ومحمولة على أعمدة بتيجان.

وأجمل قاعات المدرسة، هي القاعة المخصصة للصلاة والتعليم، فجدرانها مكسوة إلى النصف بالرخام الملون المزخرف، ويتصدرها المحراب وخزائن الكتب والشبابيك الملونة، وتمتد على النصف الآخر من الجدران شرائط نقشت فيها- بحروف بارزة ومذهبة بخط نسخي متقن- آيات كريمة من القرآن الكريم، تفصل بينها حليات مستديرة من الزخارف النباتية، ويزنر الكتابة إطار من أوراق الزنابق على أرضية زرقاء، وأما القاعة الثانية فتضم تربتي الأمير جقمق وأمه.

ثروة من المخطوطات التاريخية

في قاعة المخطوطات التاريخية الخالدة، تحتضن الجامات الزجاجية، أهم محتويات متحف الخط العربي، منذ عصور ما قبل الإسلام ومرورا بالعهود الإسلامية المتوالية، وحتى العصر العثماني.

١- «نقش النمارة» وهو نسخة جصية عن كتابات عربية نبطية وجدت في النمارة «الواقعة شمال

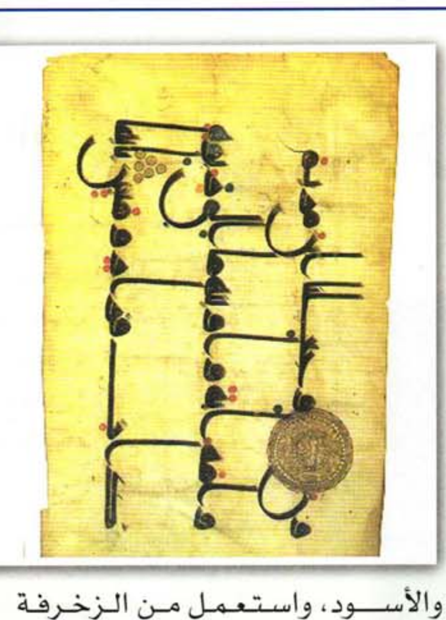
الصفا والقصر الأبيض في حوران» على قبر امرئ القيس أحد ملوك العرب من لخم، مؤرخة سنة ٣٢٨م، النص الأصلي لهذه النسخة موجود في متحف اللوفر في باريس.

ويتألف النقش من خمسة سطور كتبت بالقلم النبطي ونصه الآتي: «هذا قبر امرئ القيس بن عمر ملك العرب كلهم، الذي حاز التاج، قهر الأسديين ونزار وملوكهم وهزم مذحج القوية، يجزي من أنحاء نجران ومدينة شمر وملك معد وأظهر بنيه على الشعوب، ووكلهم الفرس لصد الروم فلم يبلغ مبلغ ملك مبلغه قوة، ملك سنة ٢٢٣ نبطي يوم ٧ كانون أول (ديسمبر) ليسعد اولاده»، طول ١٧٣/ عرض ٤٢ سم.

٢- جزء من حجر بازلت نقش عليه باللغة السريانية نص مؤرخ سنة ٥٧٦م. وجد في الدير الوسطاني شرق بحيرة العتيبة، الأصل محفوظ في متحف دمشق الوطني.

٣- كتابات عربية منقوشة بالخط الكوفي من القرن الحادي عشر ميلادي، وجزء من لوحة يزينها من الأعلى شريط كتابي منفذ بالخط الكوفي ونصه: «الذي يشفع عنده» والأسفل زخرفي، وجزء من لوحة من الحجر مزينة، بوجهها شريط كتابي بالكوفي: «بن تغلب وكليب وقابور» ونطاق آخر «إنه لا إله إلا هو والملائكة» أما النطاق المكتوب على الظهر فهو من آية الكرسي وهو أيضا بالخط الكوفي ونصه: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾.

٤- وفي المتحف بعض الكتابات المنقوشة على الأحجار رقمت بالخط الثلث يعود تاريخها إلى القرنين ١٨ و١٩ العهد العثماني، ومخطوطة ملكية نفذت الكتابة بالحبرين الأحمر





والأسود، واستعمل من الزخرفة التذهيب والألوان «باسم السلطان ناصر الدين قاجارشاه، بالخط الثلث ١٥٩٣م ومخطوطة لسان الحكام نفذت كتابتها بالحبر الأسود واستعمل في تزيينها الألوان والتذهيب، ألفها أثير الدين بن الشحنة، تاريخها ١٦١٨م وورقة تحوي حِكَمًا دونت بالخطين العربي والفارسي، ومخطوطة «قنديل حرم» في الغزل، ذات جلد نفيس جدا، وهي بالخط الفارسي، وكتابات كوفية من العهد العباسي على ثلاثة أقمشة تعود للقرنين التاسع والعاشر الميلاديين، إحدى هذه القطع تحمل اسم الخليفة المقتدر بالله بن الإمام المكتفي بالله، وهي مؤرخة ٢٩١هـ/ ٩٠٣-٩٠٤م ومخطوطة يحتوي على سجل مخابرات الحكومة العثمانية في سورية ١٦٣١-١٦٤٤ ومرسوم سلطاني باسم السلطان محمود الأول، زينت أعلاه «الطغراء» ومخطوطة الجزء التاسع من القرآن الكريم بالخط الثلث، أوقفها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي على المدرسة النورية في دمشق سنة ١١٩٢م، والجزء الخامس من القرآن الكريم وهو ذو جلد مذهب وكتابة بالثلث منمقة (القرن ١٤)، ومخطوطة جامعة لكتابين وهما «مرج البحرين في مدح الملكين الناصرين» و«الكواكب الدرية» ١٤م، وهناك ورقة من رق الغزال عليها أربع صفحات مكتوبة بآيات قرآنية من سورة العنكبوت- الخط البديع- مشكولة باللونين الأحمر والأخضر، وكتابة كوفية منقوشة على جلاميد بازلتية يتسم تنفيذها بالبساطة والسرعة، وجدت على جبل أسيس حيث قصر الوليد بن عبدالملك.

يفد الباحثون إلى متحف الخط العربي في المدرسة الجقمقية، لدراسة مقتنياته من الألواح الفنية الأثرية، كما يقصده الزوار من كل مكان في الوطن العربي للتعرف إلى وجه من وجوه التراث الإسلامي المعماري والفني مازال متألقا برغم تقادم السنين.

المصادر

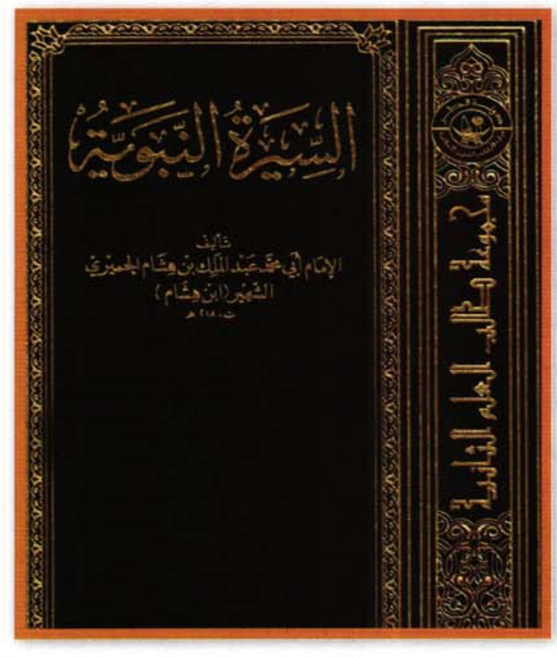
١- مشيدات دمشق ذوات الأضرحة، د.قتيبة الشهابي.
٢- الدراس في تاريخ المدارس، النعيمي.
٣- خطط دمشق، أكرم حسن العلي.
٤- متحف الخط العربي، أكرم قطريب.

أعلام مؤرخي السيرة النبوية

د. بليغ حمدي إسماعيل

بين الخصومة والكراهية والحقد الدفين ومشاعر أخرى سوداء، وبين محبة وشوق وحنين وإخلاص وشعور بالعظمة وإحساس بعبقرية الشخصية استقرت دوافع الاهتمام بسيرة الرسول الأكرم ﷺ، وحسبنا أننا من المشتاقين إليه محبة وشوقًا وغرامًا وشفاعة، ولا أدري ما فائدة عمل خصوم الإسلام عمومًا، ومع الرسول الأكرم ﷺ خاصة واتهاماتهم الزائفة القذرة لرسول رب العالمين.

ولقد طالعت ما كتبه محررو دائرة المعارف الفرنسية لاروس LaRousse عن أشرف الخلق أجمعين بقولهم المغلوط: «بقي محمد مع ذلك ساحرًا ممعنًا في فساد الخلق لص نياق، كردينالاً لم ينجح في الوصول إلى كرسي البابوية فاخترع دينا جديدًا لينتقم من زملائه».



سأترك للقارئ سهولة تأويل ما قرأه، وكأن محمدًا ﷺ طالب في مدرسة يغار من زملائه فأراد الانتقام منهم، منتهى السفه الغربي المغلوط، ويكفينا شرفًا ومنعة أننا وإخواننا من الباحثين الجادين لا ولن نهتم بالرد على مثل هذه الأمور التي يريد الغرب وأعداء الإسلام والحاقدون عليه أن يجرونا إلى هاوية الجدل والعبث الفكري واللغط التاريخي بالرد والمناظرة واستخدام آليات حوار فاشلة سلفًا، لقد اخترنا لأنفسنا دورًا نراه عظيمًا وحسبنا، وهو أننا لا نكتب إلا للقارئ العربي، وعن سيرة المعصوم محمد ﷺ، ومن أراد أن يعرف سيرته فعليه معرفة لغتنا وقبول منطقنا، ومن هنا نبدأ.

فلقد قدمنا الكثير من التنازلات الفكرية والتاريخية للغرب بدعوى حوار الحضارات، وحوار الثقافات، ودعوى الحريات ومزاعم التعرف إلى الغرب، ومالنا وهذا، من يرد أن يعرفنا فليقبل هويتنا الفكرية وآلياتها، والمناحي المميزة لمنطلقاتنا الفكرية. ومن الدوافع لكثير من الباحثين إلى كتابة السيرة النبوية أن هذه السيرة وهذه الحياة مثالية في كل جوانبها على الإطلاق، ففيها القدوة الحسنة، والمثل الأعلى، يقول الله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ (الأحزاب: ٢١).

كما أنه الأعظم والأبلغ تأثيرًا في حياة التاريخ البشري، فلقد تحقق له النجاح الكامل على المستويين الديني والدنيوي، وليس موضوعنا الآن أن نذكر كتابات المستشرقين وعلماء ما بعد البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهادي أمثال وليام ماكنيل وجون ماسرمان، ومايكل هارت، وغيرهم ممن أسردوا ضرورة الحديث عن سيرة الرسول ﷺ الذي أثر في الدنيا والتاريخ والأخلاق والبشرية جميعها.

ويجمع المؤرخون على أهمية الذاكرة الحافظة التي امتاز بها العرب، دون السند والدليل والمنهج العلمي الدقيق الذي يعتمد على الأدوات والمعايير، إلا أننا لا نستطيع أن نختلف في فترة صدر الإسلام وعهود الخلفاء الراشدين، فلاشك أن رجال هذه الفترة هم شهود وحفاظ السيرة، وأعتقد أنه لم تكن هناك حاجة ضرورية تدعوهم لتدوين أحداث ووقائع سيرة الرسول ﷺ لاستغنائهم بالمشاهدة والحفظ، وانشغالهم بالغزوات والفتوحات الإسلامية.

ولقد بدأت حركة التدوين والتسجيل للسيرة النبوية مبكرًا على يد أبان بن عثمان وهو ابن الخليفة الراشد عثمان بن عفان، وهو من أعلام السيرة النبوية ورواية الحديث الشريف، وقد تتلمذ على يديه كثيرون من كبار المحدثين والفقهاء من أمثال محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، وكذلك محمد بن إسحق بن يسار المطلبي، ولكن للأسف قد ضاعت مؤلفاته كما ضاع معظم تراث الإسلام من قبل.

ومن رجال التأليف أيضًا عروة بن الزبير وهو من رجال الطبقة الأولى من كتاب المغازي والسير، وأبوه هو الزبير بن العوام بن خويلد، ولقد شهد عروة الفتنة الكبرى التي عصفت بالمسلمين، وهي فتنة خلافة عثمان بن عفان وما بعدها، واشتهر أيضًا بأنه أحد فقهاء المدينة السبعة الكبار، وكان قد شغلته السياسة كثيرًا عن طلب العلم، وهو كسابقه لم تصلنا مؤلفاته أيضًا.

ومنهم شرحبيل بن سعد، وهو من كتاب المغازي. ووهب بن منبه وهو من مواليد اليمن وليس المدينة، لذلك فهو مختلف عن الثلاثة السابقين، وكان ثقة واسع العلم، ويعتبر من

أستاذ في جامعة الأزهر

العلماء الموسوعيين الذين تناولوا موضوعات شتى، ويوجد مجلد في مجموعة البرديات الموجودة بمدينة هيدلبرج الألمانية، ويقول عنه المستشرق الألماني بيكر : إنه يرجح أنه يحتوي على قطعة من كتاب المغازي لوهب بن منبه.

ومن رجال التأليف في المغازي والسير الأوائل محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، وهو من كبار التابعين وأعلامهم، ويعتبره المؤرخون من أعظم مؤرخي المغازي والسير، وإليه يرجع الفضل في تأسيس مدرسة المدينة التاريخية، وقد امتاز محمد بن شهاب الزهري عن معاصريه بكثرة الكتابة والتدوين واقتناء الكتب، ولقد ضاع ما كتبه ودونه الزهري بنفسه، وإلى ابن إسحق يرجع الفضل الأكبر في حفظ علم أستاذه الزهري.

وينبغي علينا أن نشير إلى أن الزهري قام ببحث واسع لجمع تراث الرسول ﷺ من أفواه شهوده، ومن هنا تأتي أهمية الزهري في أنه أول من دون الحديث، فهو إذن يمثل مرحلة فارقة حاسمة، وهي مرحلة الانتقال من التراث الشفوي إلى التراث المكتوب بالنسبة للتاريخ الإسلامي. ولكن الذي ينبغي ملاحظته أن هذا الانتقال قد تم داخل ارتباط السياسة والسلطان، فالزهري كان ذا علاقة وثيقة بخليفتين أمويين هما عبدالملك وابنه هشام اللذان قاما برعاية عمل الزهري.

ومن الضروري، ونحن بصدد الحديث عن أعلام مؤرخي السيرة النبوية، أن نشير إلى ابن إسحق بوصفه المصدر الرئيس للسيرة النبوية بصورتها التأريخية، وكل من كتب في السيرة النبوية نقل عنه، ونجد من يطالعنا بأن محمد بن إسحق هو إمام الأئمة والعمدة في ميدانه، وأكبر علماء السير والمغازي على إطلاقهم. وأقوال العلماء فيه حقا مستفيضة، فهو- كما يذكرون- أحد أوعية العلم، وحبر في معرفة المغازي والسير.

ومحمد بن إسحق هو محمد بن إسحق بن يسار بن خيار، وقيل يسار بن كوتان المطلبي بالولاء، المديني، نسبة إلى مدينة رسول الله ﷺ، وكان جده يسار من أهل قرية عين التمر بالعراق، وقد وقع في أسر المسلمين عندما قام خالد بن الوليد بفتح عين التمر، وأرسل يسار بن خيار مع غيره من الأسرى إلى المدينة المنورة.

ابن اسحق يعتبر المصدر الرئيسي للسيرة النبوية بصورتها التاريخية وكل من كتب فيها نقل عنه

الأمر المهم الذي نريد أن ندركه هو معرفة أن ابن إسحق أدرك بعض الصحابة ممن طالت أعمارهم،

وكذلك تتلمذ على يد كبار التابعين وعلماء المدينة المنورة، ومنهم القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأبان بن عثمان بن عفان، ومحمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، وأبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف، ونافع مولى عبدالله بن عمر بن الخطاب، وعاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان الأنصاري، وغيرهم.

ورحلة ابن إسحق العلمية معروفة ومنظورة للرائي، والمشهود لنا أن ابن إسحق اتصل برأس السلطة ببغداد ومؤسسها أبي جعفر المنصور، حتى عرف أن كتاب المغازي أو ما شاع ذكره بـ «سيرة ابن إسحق» قد وضعه استجابة لرغبة المنصور وطلبه لابنه محمد الذي عرف بعد ذلك بالخليفة المهدي.

وتجب الإشارة إلى أحد أعلام السيرة النبوية، والذي لم يلق نصيبًا من الشهرة التي لقيها محمد بن إسحق، وهو محمد بن عمر بن واقد، الملقب بالواقدي، وهو مولى من الموالي، ويعتبر الواقدي من أبرز رجال السير والمغازي، ولقد ولد الواقدي بالمدينة المنورة سنة ١٣٠هـ، وتوفي ببغداد سنة ٢٠٧هـ، ودفن- كما يروي تلميذه محمد بن سعد- في مقابر الخيزران، ومن أشهر من لقيه الواقدي في رحلته طلبًا للعلم مالك بن أنس وسفيان الثوري.

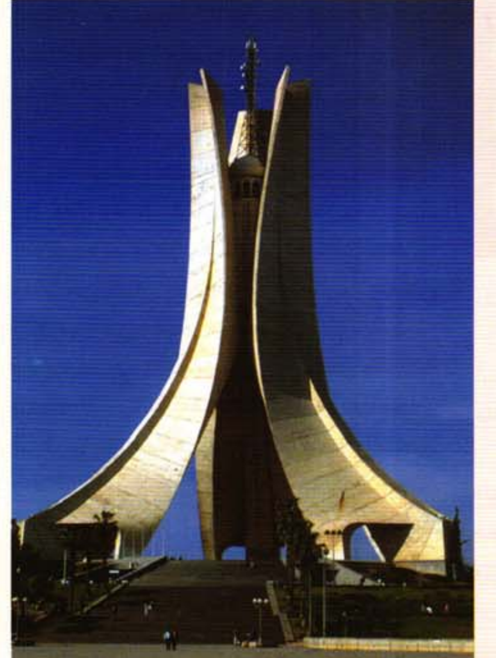
واتصل الواقدي بالخلفاء العباسيين، بداية من الخليفة هارون الرشيد، وتذكر القصة سبب تعارف كل منهما على الآخر، والتي أوردها د.عبدالشافي محمد في كتابه الماتع «أوائل المؤلفين في السيرة النبوية» أن أمير المؤمنين هارون الرشيد لما حج في أول عام من خلافته سنة ١٧٠هـ، قال ليحيى بن خالد البرمكي : ارتد لي رجلًا عارفًا بالمدينة والمشاهد، وكيف كان نزول جبريل، عليه السلام، على النبي ﷺ، ومن أي وجه كان يأتيه، وقبور الشهداء، فطفق يحيى يسأل عن الرجل الذي تتوفر فيه تلك الصفات التي طلبها وحددها هارون الرشيد، فدله الناس على الواقدي.

وكان الواقدي غزير الإنتاج، كثير التأليف، فله أكثر من أربعين كتابًا في المغازي والسير والتاريخ، وهو الأمر الذي يزيدنا غموضًا في عدم ذيوع شهرته كسابقه ابن إسحاق، وربما اتصاله بالبرامكة هو الذي جعل شهرته ومكانته في العصور التي تليه تقل وتخفت، لكننا نرى أن الواقدي أكثر دقة من الناحية المنهجية والعلمية في تناول الأحداث التاريخية عن ابن إسحق وابن هشام، فهو يحاول أن يتحرى الدقة في المعلومات التي يوردها في نصه، عن طريق أقارب وأصحاب وأتباع وتلاميذ الشخصيات الواردة بكل حادثة يذكرها.

وكانت كتب الواقدي مصدرًا أصيلًا لكل المؤرخين الذين جاءوا بعده، فما من مؤرخ إلا واقتبس من كتبه، ولكن لسوء الحظ ضاعت معظم هذه المؤلفات العلمية العظيمة التي خلفها، ولم يبق من كتبه سوى كتابي فتوح الشام، والمغازي، ومع الواقدي أصبح الاعتماد أساسًا على المكتوب، وهذا ما يؤكده مترجموه من أنه كان يمتلك مكتبة بها آلاف الكتب وغلامين يكتبان الليل والنهار.

ولعلنا أكثر تحمسًا للواقدي عن ابن إسحق، رغم شهرة الأخير بين العامة والعموم والسواد، لأنه أكثر إخبارًا عن سيرة الرسول ﷺ في المدينة، وهو أميل في إخباره إلى الفقه والحديث من ابن إسحق، وهو- أحيانًا- يرجع إلى مادة علمية مكتوبة في صحف رآها واعتمد عليها، كما أنه يمتاز عن سابقيه بالدقة في تعيين تاريخ الحوادث، ويكفي الواقدي فخرًا وشرفًا أن الإمام مالك بن أنس كان يثق في رواياته، بينما كان لا يثق في روايات ابن إسحق، وقد لقبه الفقيه محمد بن الحسن الشيباني، من فقهاء الحنفية، بأمير المؤمنين في الحديث.

د. مرزوق العمري



نسبه: هو الشيخ طاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب السمعوني الوغليسي الجزائري، فوالده هو الشيخ صالح بن أحمد الوغليسي، وقد كان عالما من العلماء.

قال عنه الزركلي في الأعلام بأنه: فاضل من الجزائر قدم إلى دمشق ومن آثاره رسالة في غرائب الخلاف بين الأئمة (١) وينتهي نسبه إلى السيد عبدالله الكامل بن السيد الحسين المثنى بن السيد الحسن السبط بن الإمام علي رضي الله عنه. ونتيجة لمضايقات تعرض لها السيد عبدالله الكامل رحل إلى بلاد المغرب وكان له خمسة أبناء وولد سادسهم في المغرب وهو إدريس ومنه الأدارسة الذين عاد بعضهم إلى المشرق وبقي بعضهم في المغرب، ومن الذين بقوا في بلاد المغرب تتحدر أسرة الشيخ طاهر التي هاجرت إلى الشام في القرن ١٣هـ/١٩م. وقد كانت هجرتها إلى المشرق سنة ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م (٢). والسمعوني نسبة إلى بني سمعون وهي القرى التي كانت تسكنها عائلة الشيخ طاهر وتقع بضواحي مدينة بجاية في الجزائر.

هاجر قسرياً من الجزائر إلى الشام لاعتبار ديني بالدرجة الأولى

الشيخ طاهر الجزائري داعية الإصلاح في بلاد الشام

كانت هجرة عائلة الشيخ طاهر الجزائري إلى المشرق واختيار ديار الشام تحديداً محل دراسة عند المؤرخين، من خلال تركيزهم على ظاهرة الهجرة ودوافعها والديار التي كان يهاجر إليها الجزائريون، أما عن ظاهرة الهجرة فقد كانت طبعا إبّان الاحتلال الفرنسي للجزائر، ويفهم من هذا أن سببها السياسة الاستعمارية التي حرمت الجزائريين من كل حقوقهم، الأمر الذي اضطر الكثير منهم إلى الهجرة، يقول د.أبوالقاسم سعدالله: «امتاز عهد بيجو (١٨٤١/١٨٤٧) بتهجير من نوع آخر لأعيان الجزائر، وهو النفي والطرد خارج الوطن، فقد حكم على كل مشبوه وكل زعيم سياسي أو إداري من الجزائريين لم يتعاون صراحة مع العدو، وأجبره على مغادرة وطنه وعائلته» (٣).

ندرك من خلال هذا أن الهجرة كانت تهجيرا قسريا وليست هجرة اختيارية، وقد امتازت هجرة الجزائريين في القرن التاسع عشر بكونها هجرة إلى بلاد المشرق بدل أوروبا أو أميركا، وذلك لاعتبار ديني بالدرجة الأولى، أي أنها كانت فرارا بالدين، يقول الأستاذ سهيل الخالدي: «لو سألت أحد الجزائريين خلال النصف الأول من القرن الماضي- القرن ١٩ - لم تتوجه إلى المشرق بينما غيرك يتوجه إلى أميركا بحثا عن الرزق والأمن والفرص؟، لربما قال لك بأنه يكفيه أن يعيش في أرض الإسلام ويساكن أهل العروبة، إذ معهم الرزق والأمن والفرص» (٤).

وقد كانت هجرة عائلة الشيخ طاهر الجزائري إلى بلاد الشام سنة ١٢٨٥هـ/١٨٤٦م، أي أنها كانت قبل هجرة الأمير عبدالقادر، وهذا خلاف ما ذهب إليه الشيخ عبدالفتاح أبوغدة الذي ذكر أن هجرة والده كانت مع الأمير عبدالقادر (٥) ومادام أنها تمت في هذه الفترة يرجح أن هذه العائلة تعرضت للتهجير الذي مارسه الجنرال بيجو على الجزائريين والذي تمت الإشارة إليه، بل هذا ما يؤكده د.أبوالقاسم سعدالله حينما يذكر الفئات التي خضعت للتهجير على عهد بيجو أنها تمثلت في: الأعيان والقواد، والعلماء، ويذكر أن الشيخ صالح السمعوني والد الشيخ طاهر كان أحد هؤلاء (٦).

مولده ونشأته

قصدت عائلة الشيخ طاهر بلاد الشام واستقرت بدمشق التي ولد بها الشيخ طاهر ليلة الأربعاء ٢٠ ربيع الأول سنة ١٢٦٨هـ/١٨٥١م وبها تعلم على أيدي علماء كبار كان في مقدمتهم والده الشيخ صالح السمعوني

• كاتب وباحث إسلامي

الذي بذل في سبيل تربيته وتعليمه جهدا كبيرا، ثم التحق بالمدرسة الجقمقية (٧) الابتدائية وفيها تتلمذ على يد علماء مثل الشيخ عبدالرحمن البستاني الذي أخذ عنه العربية والفارسية والتركية، ثم اتصل بشيخ عصره عبدالغني الغنيمي الميداني (١٢٢٢هـ/١٢٩٨هـ) وهو فقيه أصولي نظار، قال عنه المؤرخ محمد كرد علي بأنه كان: «على جانب عظيم من التقوى والورع، يمثل صورة من السلف الصالح، فطبع الشيخ طاهر بطبعه، وأنشأه على الأصول العلمية الدينية، وكانت دروسه دروسا صافية المشارب، يرمي فيها إلى الرجوع بالشريعة إلى أصولها والأخذ من آدابها بلبابها، ومحاربة الخرافات، وإنقاذ الدين من المبتدعين والوضاعين» (٨).

وقد درس عليه حاشية السعد التفتازاني، والتلويح على التوضيح لصدر الشريعة رحمة الله عليهما، كما درس العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية والتاريخية والأثرية، وما إن بلغ الثلاثين حتى أتقن أكثر لغات الشرق مثل: التركية، الفارسية، السريانية، العبرية، الحبشية، العربية، والأمازيغية لغة أهله الأصلية، بالإضافة إلى اللغة الفرنسية كلغة غربية (٩).

وهذه الموهبة وهذا النبوغ جعلاه يحظى باحترام الكثيرين، وصار يشهد له بغزارة العلم تحصيلا وإنتاجا، يقول المؤرخ محمد كرد علي: «كان متضلعا في علوم الشريعة، وتاريخ الملل والنحل، منقطع القرين في تاريخ العرب والإسلام، وتراجم رجاله ومناقشات علمائه ومناظراتهم وتآليفهم ومراميهم، وكان إماما في علوم اللغة والأدب، وهو هكذا في علوم الشريعة لاسيما في التفسير والحديث والأصول إنه خزانة علم متنقلة» (١٠)، ولا أدل على ذلك من الكتب الكثيرة التي تركها والتي توزعت على مختلف الفنون والعلوم الإسلامية.

شخصيته:

أما عن شخصيته فجل الذين ترجموا للشيخ طاهر الجزائري ذكروا أنه اتصف بكل مواصفات الشخصية القوية من حدة ذكاء، وغزارة علم، ورهافة حس، وعلو همة، بالإضافة إلى القوام البدني، فاهتموا بمختلف صفاته الخلقية والخلقية على حد سواء، فمن صفاته الخَلقية فقد وصف بأنه حسن الطلعة، واسع الجبهة، معتدل القامة، حنطي اللون، كث اللحية، أسود الشعر والعينين، سريع الحركة، كما أنه وصف بعصبية المزاج وهذه عموما صفات الفرد الجزائري، كما أنه عاش ومات دون أن يتزوج، وقد اعتبر مترجموه عدم ارتباطه بالأسرة هو الذي جعله يعطي عمره كله للعلم فتفرغ له بشكل كلي، كما أنه كان يتساهل في مظهره ولا يأبه للتأنق، وكان يحب السباحة والسياحة والمشي على الأقدام رياضة، وكان لا ينام إلا قليلا فيقضي ليله سهرا ويواصله بالنهار بحثا ودراسة وتعليما.

وكان حريصا على اغتنام وقته والانتفاع به، وقد اغتنم عمره في طلب العلم ونشره وهذا ما جعله يدمن على شرب القهوة حتى يجافي النوم ما أمكنه ذلك، ومن مظاهر حرصه على طلب العلم أنه كان يحمل بعض الكتب التي تعتبر كتب جيب ليقرأ حيث تتيسر له القراءة كي لا يضيع شيء من وقته، وفي هذا يقول أحد تلامذته: «كان لا يذر مزاولة العلم في كل وقت وحين ما بين تصنيف وتنقيح، أو بحث وتنقيب، أو مذاكرة ومطالعة، وإذا استحسن كتابا يعاود مطالعته مرارا عديدة» (١١) وعلى الرغم من هذا الإدمان على المطالعة فقد أثر عنه أنه كان ينصح غيره بالإقلال من القراءة أيام العطلة والإكثار من الرياضة والتنقل في الحدائق؛ ذلك أن الانعكاف على الكتب يحبب الوحشة والانعزال إلى النفس عن الناس، فتصبح نفورا من كل جليس (١٢) مما اشتهر به أيضا طيب الكلام فكان لا يتفوه بما ينبو عنه السمع أو يبادر إلى هجر أحد وهذا على الرغم من حدة طبعه كما سبقت الإشارة، فقد كان: «لا يعرف الهجر، ولا يسب سبا قبيحا، هذا مع حدة ظاهرة فيه إذا صفا ذهنه تفصح عبارته في محاضرته، وإلا فيعتريها شيء من اللكنة المغربية ممزوجة بالعامية الدمشقية، ولم

موهبة الجزائري ونبوغه جعلاه يحظى باحترام الكثيرين وقد شهد له أحد المؤرخين بغزارة العلم تحصيلا وإنتاجا

يجر لسانه بجملة واحدة باللهجة المصرية مع أنه أقام في مصر أعواما كانت تكفي لتقلب فيه اللهجة الشامية إلى اللهجة المصرية، وله تعبيرات خاصة وأساليب في مصطلحاته، ونبراته لطيفة تحلو من فمه، وما أحصي عليه أن نطق يوما بفحش أو هراء أو سب، أو استعمل ما ينافي الأدب ويقدح في المروءة، ويمزح ويتندر أحيانا» (١٣).

مما اتصف به الشيخ طاهر الجزائري صداقاته الكثيرة، فإيمانه بالعلم وضرورة تبليغه جعله يقدم العلم لطالبه مهما كان جنسه أو معتقده، وهذا الذي جعله يعقد صداقات كثيرة مع غير المسلمين بمن فيهم كبار المستشرقين في العصر الحديث من أمثال: مرغليوث، وجولدزيهر، وحتى بعض اليهود والنصارى، بالإضافة إلى علاقاته بالمسلمين من مختلف المذاهب والفرق.

آراؤه

وقد كان لهذه المواصفات التي حباه الله بها، ثم لعلمه الغزير الأثر الجلي في مواقفه وآرائه في مسائل كثيرة، تلك الآراء التي تعتبر حكما تلخص لنا تجربة الشيخ طاهر في ميادين الحياة كلها؛ فمثلا عن سر النجاح والإخفاق في الحياة كان يقول: «إذا أردتم النجاح فلا تلقوا بآذانكم لما يقال فيكم من مدح وقدح، وسيروا إلى الهدف بخطى ثابتة تفلحوا، واتقوا إضاعة الوقت

بالقال والقيل... وفي هذا عمل بحديث النبي ﷺ الذي نهى فيه عن القيل والقال، بل كان الشيخ طاهر يرى أن رضى الناس جميعا على الإنسان نقيصة وليست ميزة تحسب له؛ لأن الذي أدرك رضى الناس لا يعدو أن يكون منافقا لعوبا»، لذا كان يقول: لو بلغني أن أهل البلد كلهم راضون عني، ليس لي منهم عدو لعددت نفسي ساقطا؛ لأن من يرضى عنه كل الناس لا يكون إلا خداعا منافقا، يظهر لكل واحد بما يرضيه، والمصلح لا يخلو من أعداء وأصحاب...، وبخصوص مطابقة السر للعلانية في حياة الفرد كشرط من شروط النجاح والاتزان نجده يقول: إياكم أن تخطوا في رسائلكم إلى إخوانكم ما لا تريدون أن تقولوه جهرة، فكل ما يكتب لا يؤمن نشره، يفتضح به صاحبه فيؤذيه ولا ينفعه (١٤).

وعن العلم وأهميته وحاجة الإنسان إليه في كل الأحوال يدعو إلى ضرورة تعلم العلم مهما كان، حتى وإن كان الإنسان لا يدرك نفعه في العاجل، ولذلك عليه أن يتعلم من العلم ما أتيح له فيقول: تعلموا ما تيسر لكم تعلمه ولو لغة مالطة، فقد يجيء زمن تحتاجون إليها وإياكم أن تقولوا: إنها لا تدخل في اختصاصنا، فالعلم كله نافع والمرء يتعلم ما حسنت به الحياة... ومما كان يحث عليه أن لا يبقى أهل العلم ينتظرون منصبا أو وظيفة يعتمدونها في معاشهم بل كان يرى أن يتعلموا إلى جانب العلم الحرف التي يحصلون بها العيش الكريم فيقول: تعلموا العلم لله ولفائدة العلم ولذته، وليكن لكل واحد منكم صناعة أو تجارة، أو زراعة تعيشون منها أحراراً حتى لا تحتاجوا إلى قرع أبواب الملوك والحكومات، فإذا احتاجوكم نادوكم، وإلا فأنتم بما لكم من أسباب المعايش لا تحتاجونهم (١٥). وفي مجال الإصلاح والعمل النهضوي يرسم الشيخ طاهر نظرة متميزة في كيفية الخروج من دائرة التخلف واللحاق بالأمم المتقدمة، هي ذات الطريقة التي صارت تعرف في الكتابات المعاصرة بالطريقة التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة فيقول: إن أفضل الطرق في إنهاض شعب تثقيفه بثقافة العصر، وثقافة الدين، وهذه طريق طويلة ولكنها أمينة الفائدة لا تخرج عن طريق النشوء الطبيعي، أما القول بالتوارث وطرق العنف فقد تنجح، ونجاحها قليل وليست مضمونة... وكان يرى أنه من شروط نجاح العمل النهضوي الاقتباس والأخذ عن الأمم المتقدمة فيما ينفع وعدم الانغلاق على الذات فيقول: إن الاقتباس عن الأمم المترقية دليل على النباهة لا كما يظن البله من أن في الاقتباس غضاضة. ونريد بالاقتباس ما يشعر به هذا اللفظ من تلقي الأمور النافعة (١٦).

جهوده الإصلاحية

هذه المواقف وهذه الآراء للشيخ طاهر الجزائري لاشك أنها تنم على سعة الأفق وغزارة العلم، وعمق التجربة، والتوازن في الموقف، وهذه خصائص العلماء العاملين، وهو أحدهم، فكل الذين ترجموا له يوردون ذكره على أنه أحد رجالات الإصلاح في بلاد الشام في العصر الحديث. ولهذا نجد د.أبا القاسم سعدالله في حديثه عن دور المهاجرين الجزائريين في النهضة العربية في بلاد الشام يذكر إلى جانب الأمير عبدالقادر وأسرته الشيخَ طاهر الجزائري فيقول: «لم تكن أسرة الأمير وحدها في الميدان، فقد ظهرت إلى جانبها أسماء لامعة من المهاجرين ساهم أصحابها في عدة ميادين تهم القضية العربية، ومن أبرزهم بلا منازع الشيخ طاهر بن صالح الجزائري المعروف بالطاهر السمعوني، فقد كان لهذا الشيخ فضل كبير في بعث الثقافة العربية، وتكوين جيل من الأدباء والمفكرين والسياسيين بالإضافة إلى دوره في حزب اللامركزية وإنشائه، وإدارته لعدة مؤسسات مثل: المكتبة الظاهرية» (١٧).

من هنا ندرك أن الجهود الإصلاحية للشيخ طاهر كانت متنوعة ولكن المجال الذي طغى على هذه الجهود هو مجال التربية والتعليم والذي توزع بين التدريس، والتفتيش، وإنشاء المدارس والمكتبات، وإنشاء الجمعيات الخيرية، وتأليف الكتب والكتب المدرسية خاصة، والانخراط في المجامع العلمية، بالإضافة إلى الندوة الفكرية التي كان يعقدها في أواخر حياته، والتي كان يؤمها نخبة من المفكرين والعلماء.

الهوامش

١ - خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت ط ٥ (١٩٨٠)، ج٦، ص١٦٥.
٢ - انظر الترجمة التي وضعها له محمد الصالح الصديق، في كتابه الجواهر الكلامية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، بلا تاريخ، ص١١.
٣ - أبوالقاسم سعدالله: الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي ص٤ (١٩٩٢)، ج٢، ص١٩٨.
٤ - سهيل الخالدي نقلا عن أبو القاسم سعدالله الحركة الوطنية الجزائرية، ص١٩٢.
٥ - انظر الترجمة التي وضعها الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، في كتاب توجيه النظر إلى أصول الأثر، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، ج١، ص١٦.
٦ - أبوالقاسم سعدالله، الحركة الوطنية الجزائرية، ص١٩٥.
٧ - نسبة إلى نائب دمشق سيف الدين جقمق.
٨ - مقال من الإنترنت بعنوان: الشيخ طاهر الجزائري رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث، انظر موقع: www.isLamweb.net.
٩ - عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، ط١ (١٤١٤هـ/١٩٩٣)، ص١١.
١٠ - انظر موقع: www.islamweb.net.
١١ - نقلا عن الشيخ عبدالفتاح أبوغدة، انظر توجيه النظر، ج١، ص٢٢.
١٢ - أنور الجندي، نقلا عن الشيخ عبدالفتاح أبوغدة، توجيه النظر، ج١، ص٢٢/٢٣.
١٣ - انظر الترجمة التي وضعها الشيخ عبدالفتاح أبوغدة، توجيه النظر، ج١، ص١٩.
١٤ - محمد الصالح الصديق، الجواهر الكلامية، ص٢١.
١٥ - المرجع نفسه، ص٢١/٢٢.
١٦ - المرجع نفسه، ص٢١.
١٧ - أبو القاسم سعد الله، آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ط١ (١٩٩٦)، ج٤، ص١٩٨.

الأمن الدوائي.. مخاطر الأدوية المغشوشة

د.ناصر أحمد سنة

تتعدد مجالات «الأمن الدوائي» من حيث توفير الكميات الكافية من الأدوية والمستحضرات الطبية في الوقت المناسب، ولفترات مستقبلية وبكميات تكفي الاستهلاك، هذا فضلًا عن جودة وكفاءة وفاعلية هذا المنتج والمستحضر الدوائي، لذا فمخاطر انتشار الأدوية المغشوشة والمُهربة أكثر تهديدًا وخطورة من توفر الدواء.. أي دواء.

يقصد بالأدوية المغشوشة والمُهربة «أدوية ومنتجات دوائية يُتعمد تغيير محتواها بقصد التربح غير المشروع، كما تصل إلى يد المريض عبر قنوات وأساليب غير شرعية، ويتم تغيير محتواها عبر الاحتيال سواءً في تركيبها (مكوناتها الحقيقية أو غير الحقيقية)، أو موادها الفعالة، كافية أو غير كافية، أو مزيفة، أو دون مواد فعالة على الإطلاق، كذلك يتم الاحتيال في هويتها: اسمها- مصدرها- تاريخ انتهاء صلاحيتها، أو وضعها في عبوات مزيفة أو ملوثة».

أما الأدوية المقلدة فتأتي عن طريق السطو على علامة تجارية لدواء أو مستحضر مشهور، يحوي بعض المواد الفعالة سواء أكانت كافية أم غير كافية.

حجم المشكلة عالميًا

مع زيادة حركة البضائع والمسافرين والتجارة الالكترونية عبر شبكة الانترنت، توغلت هذه الظاهرة في دول العالم أجمع، ولقد دقت منظمة الصحة العالمية ناقوس الخطر بشأن الانتشار السريع لتلك الأدوية المغشوشة والمهربة، وهي تقدر حجم السوق العالمية لهذه الأدوية بحوالى ٢٠٠ مليار دولار، وتشير إلى أن حوالى ١٠٪ من مجمل الأدوية المطروحة للبيع في العالم يمكن أن تكون مغشوشة، كما أن ٧٠٪ من هذه الأدوية تضبط في الدول النامية (٣٥٪- ٤٨.٧٪ في دول آسيوية، وفي الدول الإفريقية بنسبة ١٨.٧٪،



وبعض الدول الأوروبية بنسبة ١٣.٦٪)، ويصل حجم التجارة السنوية إلى٣٥ مليار دولار.

كما تؤكد الإحصاءات الدولية على أن الأدوية المغشوشة على مستوى العالم تتراوح بين ١٠-٣٠٪ في الدول التي أنظمتها الرقابية ضعيفة أو متوسطة، وتكون أقل من ١٪ في الدول التي لديها أنظمة رقابية صارمة.

وفي عام ٢٠٠١م أشارت مجلة بزنس ويك إلى أن ٨٪ من حجم الأدوية المستوردة إلى الولايات المتحدة إما مغشوشة أو غير مسجلة أو ذات مستوى جودة منخفض، وفي الفلبين فإن ٨٪ من الأدوية التي يتم شراؤها بوصفات طبية تعتبر مغشوشة، أما في كمبوديا وجد أن ٦٠٪ من وكلاء الأدوية يبيعون أدوية الملاريا التي لا تحتوي على أي مادة فعالة، وفي إحدى الدراسات وجد أن ٤٨٪ من الأدوية تم فحصها في نيجيريا مخالفة لمواصفات دستور الأدوية البريطاني.

وتشير بعض الأرقام إلى أن منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا تنتج نحو ٧ ٪ من الإنتاج العالمي من الأدوية المغشوشة، وحسب إحصائيات المنظمة فإن سوق الأدوية المهرّبة تحرم القارة السمراء من حوالى ٢,٥ ٪ من إيراداتها السنوية.

عربيًا.. تعاني معظم الدول العربية بنسب متفاوتة من هذه المشكلة، بسبب رخص أسعارها مقارنة بالأدوية الأصلية، ففي اليمن- على سبيل المثال- تشير مقابلة أجرتها صحيفة «سبتمبر» في مايو ٢٠٠٤م مع مسؤولي الجمارك وتجار الأدوية إلى خطورة وكبر حجم مشكلة تهريب الأدوية المزورة والمغشوشة، كما تعاني مصر من الحجم الكبير لهذه الأدوية التي تتباين أرقام حجم تجارتها السنوية.

أنواع الأدوية المغشوشة والمُهربة

- أدوية موجودة ومعروفة ومستخدمة مسبقا، وأيضا أدوية مستحدثة مزيفة.
- المسكنات بكافة أنواعها.
- أدوية الأوبئة والطفيليات (الملاريا).
- المضادات الحيوية.
- هرمونات البناء.
- أدوية الجنس.
- أدوية التنحيف.
- الأدوية النفسية.
- أدوية القلب والشرايين، والسكر

أكاديمي مصري

والضغط.

- بالإضافة إلى أدوية علاج أنفلونزا الطيور حديثًا.

- أدوية بيطرية تباع كأنها عقاقير للبشر.

- الأدوية الأغلى ثمنًا.

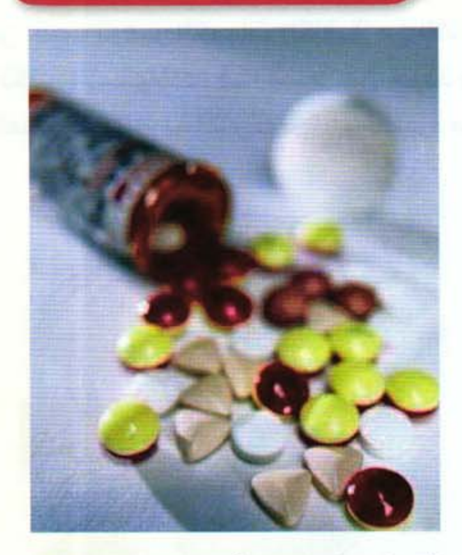
مخاطر وأضرار صحية

- تتراوح بين قلة فاعليتها علاجيًا إلى عدمها، فثمة أدوية من دون أي فاعلية، وأدوية بفاعلية ضعيفة (نصف المادة الفعالة)، فعلى سبيل المثال غش المضادات الحيوية يقوي الميكروب المسبب للأمراض ويضر بالمريض، فيجعله عرضة للإصابة المتكررة، كذلك المرضى المصابون بالصرع يتعين على الأدوية التي يتناولونها أن تسيطر على هذا المرض وتمنع حدوث نوبات الصرع، إلا أن الدواء المزيف لا يأتي بهذه المهمة، كذلك مرضى القلب الذين يحتاجون لأدوية مميعة للدم والتي من المفترض أنها تسيل الدم بدرجة كافية، إلا أن الدواء المغشوش يأتي بنسبة تميع أقل من الحد المطلوب مما يسبب زيادة نسبة حدوث التجلطات لدى هؤلاء المرضى، مؤخرًا.. انتشرت ظاهرة تسويق أدوية لعلاج الضعف الجنسي عبر الانترنت بأسعار أرخص من سعرها المحدد في الصيدليات، وهي بالتالي تكون غير فعالة ويمكن أن تسبب تأثيرات جانبية خطيرة على صحة الفرد.

- مرضى تليف الرئتين والأزمات الرئوية الحادة يحتاجون لتناول أدوية الكورتوزون، والتي إن كانت مغشوشة فإنها ستعرض المصاب إلى مرحلة متقدمة من المرض وتليف شديد في الرئتين وفشل الجهاز التنفسي، إضافة إلى الإصابة بأعراض الكورتوزون الجانبية، منها زيادة الوزن وارتفاع ضغط الدم، وارتفاع نسبة السكر في الدم، والتهابات وتقرحات المعدة.

- أدوية تحوي مواد شبيهة بالدواء الأصلي، وأدوية شبيهة التركيب وهو أكثر ضررًا على المريض، وقد تؤدي إلى

هناك أضرار جسيمة لحقت بالصيدليات جراء توفر الأدوية المغشوشة



الإصابة بالتسمم، أو بعاهات مستديمة، أو تتسبب في الوفاة.

يشار إلى انه في وباء للحمى الشوكية في نيجيريا عام ١٩٩٥ أصيب أكثر من ٥٠ ألف شخص كانوا قد تناولوا تحصينًا مغشوشًا ضد المرض مما أدى إلى وفاة ٢٥٠٠ مصاب منهم، وفي نفس العام توفي ٩٨ طفلًا في هايتي و٣٠ طفلًا في الهند نتيجة تناول دواء مغشوش بمادة سامة لعلاج الكحة، وفي كمبوديا توفي ٣٠ شخصًا عام ١٩٩٩ بعد تناول دواء مغشوش لعلاج الملاريا، إضافة إلى وفاة عدد من السيدات الحوامل في الأرجنتين عامي ٢٠٠٤ -٢٠٠٥ بعد تناولهن دواء مغشوشًا.

- بعض الأدوية المغشوشة بدلًا من غشها بالنشا تم استبداله بـ «الأسمنت الأبيض» الذي يسبب تخرشات أو تقرحات في الجهاز الهضمي، كالمريء والمعدة والأمعاء، فتسبب آلام الصدر والبطن، كما أنه قد يسبب التهابات المجاري البولية وتكوين حصوة وفشل كلوي.

- قد تكون الأدوية المزيفة غير معقمة بصورة جيدة فتسبب التهابات معوية بالجراثيم، مما يصيب الفرد بأعراض عدة، منها آلام البطن والإسهال وأحيانا الغثيان والقيء.

- من الأدوية المغشوشة التي لاقت إقبالًا شديدًا هرمونات بناء العضلات وتقويتها وزيادة تضخمها وتحملها- خاصة في المسابقات والمنافسات الرياضية- ويؤدي استعمالها إلى أمراض الكبد والصفراء وزيادة الكوليسترول واختزان الماء، وغزارة شعر الوجه، وأعراض الاسترجال في النساء.

- أدوية التخسيس، ضبطت مستحضرات منها تحتوي على الأمفيتامين، وهو مادة منشطة بالمداومة على استعمالها قد تسبب الإدمان، كذلك وجدت مستحضرات للتخسيس تحتوي على هرمونات الغدة الدرقية، واستمرار تناولها يؤدي إلى أعراض التسمم الدرقي، والإصابة بالذبحة الصدرية، وفشل القلب في مرضى القصور الدموي لعضلة القلب.

- مستحضرات ومواد التجميل المغشوشة والمهربة، منتهية صلاحيتها وغير مطابقة للمواصفات القياسية تركيبًا وتغليفًا وحفظًا وتخزينًا...الخ، فتفسد وتتحلل فتصبح ضارة بالجسم والبشرة وتسبب مشكلات جلدية.

أضرار اقتصادية

- هناك أضرار جسيمة لحقت بالصيدليات جراء توفر الأدوية المغشوشة، مثل زعزعة الثقة بين المريض والصيدلي الذي وقع على كاهله بيان ما يجري للمريض.

- تضر بالصناعة الوطنية والاقتصاد القومي للبلاد، فستنزف الموارد المالية للبلد المستهدف، لأنها تعتمد على فرق دعاية تروج لهذه الأدوية المهربة التي يتم شراؤها من التجار وعصابات المافيا بأسعار رخيصة، ثم تباع بأضعاف السعر، مدعين أنه أفضل من المنتج المحلي، كما

قد يُروج للدواء في عيادات الأطباء.

- البذخ في الدعاية والخصومات والهدايا العينية والسحب والجوائز...الخ، فالدواء مسعر جبريًا، وتقديم خصومات يتنافى مع آداب المهنة، لأن معنى ذلك أنه يأتي بدواء مغشوش بأقل من السعر المعتمد، في حين أن هامش الربح محدد بـ١٥٪، ولكنه عندما يعطي خصمًا ٥٪ فإن هذا يدل على قيامه بترويج وبيع الدواء المهرب.

كيف تتعرف على الدواء المغشوش؟

- الوعي الصحي قبل شراء أي دواء، حيث يبادر الفرد بالسؤال، ليس عن السعر، بل عن المصدر والمصنع للدواء حتى لو كان الفرد ممن يعاني من الأمراض المزمنة كالسكري والضغط، ويتناول الدواء منذ سنوات فإنه دائم السؤال عن قوة الشركة المصنعة وموطنها والآثار الجانبية للدواء وفعاليته.

- بالفحص الجيد للعبوة الداخلية والخارجية وتعبئة الدواء، والتأكد من بلد المنشأ والشركة المصنعة وتاريخ الصلاحية ورقمي ترخيص الشركة المصدرة والمستوردة للدواء، فقد يتبين اختلاف رقم التشغيل الموجود على العلبة الخارجية وبين الملصق على العبوة، إلى جانب الألوان الباهتة على العلبة الخارجية، كذلك ضعف مستوى الطباعة على الملصقات والأشرطة الداخلية لعبوة الدواء أو خارجها.

- عند وجود أكثر من مصدر يوزع الدواء نفسه على الصيدليات.

- العودة إلى الصيدلي والطبيب المختص في حالة الشعور بالقلق من دواء معين.

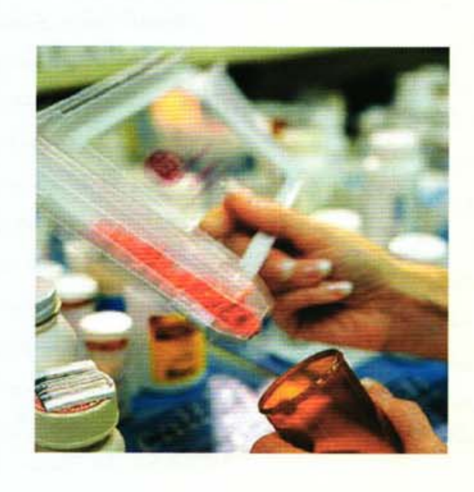
كيف يمكن التصدي لهذه المشكلة؟

- التركيز على الدور الإعلامي وزيادة توعية المواطنين بخطورة الأدوية والمستحضرات المغشوشة والمزورة والمهربة.

- عند استخدام الدواء لأول مرة ينبغي استشارة الطبيب المعالج للمقارنة بين شكل الدواء وتغليفه ومفعوله.

- التزام قاعدة الحذر لدى شراء أي دواء، إلا من صيدليات مرخصة، والحذر من شراء أدوية تباع في التنزيلات بأسعار رخيصة، والحذر كذلك عند شراء أدوية من خلال الانترنت، حيث يصعب التمييز بين المغشوش منها والأصلي لتشابه الشكل والتغليف.

- التحكم والسيطرة على دخول الأدوية، وذلك بتحديد منافذ جمركية معينة لدخول الأدوية، وتعيين صيادلة مؤهلين للعمل بالمنافذ الجمركية ومراقبة



السوق، وذلك بالتفتيش المستمر على مستودعات الأدوية والصيدليات.

- تشجيع مبادرات وجمعيات «حماية المستهلك»، وتكوين مجلس أعلى لمراقبة أسعار الدواء لتوفيره للمواطنين بأسعار مناسبة، وإنشاء صناديق لدعم الخدمات الدوائية.

- وضع بطاقة بيانية مثبتة على المنتجات الأصلية، يكون فيها علامة مميزة يصعب تزييفها، مع إلزام مصانع الدواء بتقديم حلول تقنية لمكافحة الغش، مثل التغليف الذكي بعلامات وطبعات مائية مميزة، إلى جانب تطبيق نظم إدارية مطورة لمنع تسريب المعلومات الاستراتيجية عن الدواء.

- وضع استراتيجية لمكافحة الغش والتهريب في مجال الطب والدواء عبر أنظمة رقابية صارمة تتعلق بهيئة التفتيش الصيدلي، والتشريعات والقوانين التي تجرم المزورين والمهربين، وإيجاد قوانين متعلقة بالمواصفات والمقاييس وضبط الجودة تشمل المستشفيات الخاصة والصيدليات وتركيب وصناعة الأدوية والاتجار بها وكيفية تخزينها ورقابة العاملين في إطارها.

- ملاحقة المتاجرين بالأدوية مجهولة المصدر أو المهربة من خارج البلاد، وكذلك الأدوية التي تباع من خلال الانترنت بالتعاون والتنسيق مع إدارة مباحث التموين بوزارة الداخلية، والجهات المختصة.

- وضع حد للتداخل بين الاختصاصات والصلاحيات من مختلف الجهات ذات العلاقة، مثل وزارة الصحة العامة والهيئة العليا للأدوية ومكاتب الشؤون الصحية في المحافظات والمجالس المحلية.

- تشجيع الاستثمار العربي المشترك في مجال الدواء، حيث إنه يفوق طاقة أي شركة عربية واحدة، فحجم الاستثمارات في هذا القطاع لا تتعدى ٥ مليارات دولار، في حين يصل حجم أصول أي شركة عملاقة إلى ١٣٠ مليار دولار.

- ضرورة صياغة سياسة دوائية تتصف بالشفافية، مع وضع استراتيجية سريعة للارتقاء بحالة الدواء، واتخاذ إجراءات دفاعية والاستفادة من الفرص التي توفرها اتفاقية «التربس» من خلال الاستثناءات والمرونة المتاحة لمواجهة التحديات التي تنطوي عليها تلك الاتفاقية.

- ضرورة تعديل نظام التسجيل للأدوية، بحيث لا تتعدى فترة التسجيل ٦ شهور لكل صنف، مع إعلام مقدمي طلب التسجيل بمواعيد طلباتهم، وضرورة وضع سياسة دوائية جديدة لتسعير الدواء المستورد والمصنع على نحو يحقق التوازن بين مصلحة المواطنين ومصلحة الشركات المنتجة، وأهمية تحالف الشركات الوطنية لإنشاء مراكز بحوث وتطوير دوائية تهتم بصنع أدوية جديدة، وتوحيد منظومة التسجيل الدوائي.



فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

إعداد التحرير

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

٢/٧١ح/٨٧.. زنى الزوج.. هل تطلق به الزوجة؟

مرفق لفضيلتكم صورة من صفحتي الفتاوى من مجلة ما، نرجو التفضل بالاطلاع على الفتوى الأولى المرفقة بعنوان: «أغوته نساء الغرب» وإني أرجو بيان نص الأحاديث الصحيحة ومرجعها بهذا الخصوص وتوضيح هذه الفتوى، والله المستعان.

- واطلعت اللجنة على صورة الفتوى المرفقة مع الاستفتاء بعنوان «أغوته نساء الغرب» ونصها الآتي:

«...أخت فاضلة تقول: عهدها في زوجها أنه رجل صالح، غير أنه غوى حين سافر إلى الخارج واعترف لها بأنه لم يملك نفسه أمام فتنة النساء في تلك البلاد، فسامحته وطلبت منه أن يتوب ولا يعود، فأبى أن يفعل، وقال: إنه يخشى أن يغلبه شيطانه وينقض التوبة إذا سافر مرة أخرى، والسؤال: ما حكم عشرتها له مادام مصرًا على خطيئته؟»

- قلت (أي المحرر الديني في الصفحة) مستعينا بالله تعالى:

- أولا: لا يجوز نكاح الزاني أو الزانية إذا علم زناهما ولم يتوبا، أما إذا وقع الزنى من أحدهما بعد الزواج فلا يؤثر في صحة العقد ودوام العشرة بينهما، ومن شاء منهما أن يفارق صاحبه فله ذلك، إلا أن الصفح والستر أفضل ما لم يترتب على ذلك ضرر أكبر.

ثانيا: الخوف من العودة إلى الذنب لا يبيح تأخير التوبة، لأن الندم الصادق والعزم على الاستقامة توبة مقبولة، إن شاء الله، تمحو ما سلف، ومن عاد مغلوبًا على أمره فليجدد الندم والاستغفار، والعزم على عدم العودة في كل مرة.. والله أعلم بما في قلوبكم.

أجابت اللجنة: بأن الإفتاء صحيح، ويدل على صحته قوله تعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ (النور: ٣١)، وقوله تعالى: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملًا صالحًا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورًا رحيمًا﴾ (الفرقان: ٧٠)، وقوله تعالى: ﴿قل يا عباديَ الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم﴾ (الزمر: ٥٣)، وقد قال المفسرون في تفسير هذه الآية: إنها دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعا لمن تاب عنها ورجع وإن كانت مهما كانت، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، ولا يصح حمل هذه على غير توبة، لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه.

ويدل كذلك على قبول توبة التائب ما روى أبوموسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها» (رواه مسلم والنسائي).

وقال رسول الله ﷺ: «يأيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة» (رواه مسلم)، وقوله ﷺ: «من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الإنابة» (رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد)، قال النووي: قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بينه وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط:

أحدها: أن يقلع عن المعصية.

الثاني: أن يندم على فعلها.

والثالث: أن يعزم على ألا يعود إليها أبدًا.

وإن كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فشروطها أربعة: هذه الثلاثة وأن يبرأ من حق صاحبها، ويجب أن يتوب من جميع الذنوب فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب، وبقي عليه الباقي، والنصوص السابقة تدل على صحة ما جاء في الإفتاء المرفق مع مراعاة ما قاله العلماء في شروط التوبة. والله أعلم.



٢/٤١٩/٨٧... الرعاية الصحية للراغبين في الزواج

نرسل لكم مشروع مرسوم بقانون مقدم من وزارة الصحة في شأن الرعاية الصحية للراغبين في الزواج وحماية النشء، ونرجو التكرم بعرضه على لجنة الفتوى بالوزارة وموافاتنا برأي اللجنة في هذا الشأن.

اطلعت اللجنة على مشروع المرسوم بالقانون المقترح في شأن الرعاية الصحية للراغبين في الزواج وحماية النشء والمكوّن من ست مواد وجدول ملحق.

والمواد الخمس الأخيرة إجرائية، ونص المادة الأولى التالية هو ما تتعلق به الإجابة التي تتبعها.

(مادة أولى)

لا يجوز للموثق أن يوثق عقد الزواج إلا إذا قدم له ذوو الشأن شهادة طبية وفقًا للنموذج المحدد من وزير الصحة العامة، تثبت خلو طرفي العقد من الأمراض الواردة بالجدول المرافق لهذا القانون.

ويجوز، بقرار من وزير الصحة العامة، إضافة أمراض أخرى أو حذف بعض الأمراض الواردة بالجدول المذكور.

■ وأجابت اللجنة بخصوص هذه المادة بما يلي:

أن منع توثيق عقد الزواج في حالة وجود أحد الأمراض المشار إليها في الجدول الملحق بالمشروع يؤدي إلى منع الزواج لمن هو محتاج إليه لتحصين نفسه وتحصيل مقاصد الزواج الأخرى غير النسل، أو يؤدي إلى شيوع الزواج العرفي الذي تضيع به حقوق الزوجة، إذ يمنع سماع دعواها- في حال عدم التوثيق- وقد تحتاج إلى طلب حقوقها من نفقة وسكن وميراث.

ولذا ترى اللجنة أن هذا لا يتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية، وتقترح اللجنة تعديل المادة الأولى حتى تكون خالية من المحاذير الشرعية، وذلك على الصيغة التالية:

«لا يجوز للموثّق أن يوثق عقد الزواج إلاّ إذا قدم له ذو الشأن شهادة طبية وفقًا للنموذج المحدد من وزير الصحة العامة تثبت خلوّ طرفي العقد من الأمراض الواردة بالجدول المرافق لهذا القانون، ما لم يثبت علم أحد الطرفين بما في الطرف الآخر من تلك الأمراض ورضاه بالزواج منه، ويجوز بقرار إضافة أمراض أخرى...الخ، وبهذا النص المعدل يُحافَظ على تيسير الزواج ويُتقَى من خطر تغرير أحد الزوجين بالآخر، على أنه إذا ثبت يقينًا أو بظنّ راجح أن هناك خطرًا على الذرية، فيجوز منع الإنجاب بوسيلة مأمونة العاقبة. والله أعلم».

١/٣٣/٨٧/ع... اختيار الزوجة الصالحة

إنني أريد الزواج، والمرأة المختارة لي ليست متحجبة، فهل يصح لي الزواج من امرأة غير متحجبة؟ ومع العلم أنني سأسعى جاهدا وبكل تأكيد لتحجيبها وإلزامها باللباس الشرعي، فهل يجوز لي ذلك؟ مع العلم بقدرتي على القيام بإقناعها وإلزامها.

■ وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

ينبغي أن يتخيّر المرأة الصالحة الملتزمة بالواجبات الشرعية ومنها اللباس الشرعي للمرأة، فإن اختار امرأة على غير هذه الصورة وعرف من نفسه من سلوكها إمكان التزامها بما يجب عليها شرعًا فله ذلك؛ لأن مسؤوليته عن هذه المرأة تبدأ بعد عقد الزواج. والله اعلم.

٢/٣هـ/٨٧... الزواج من أخرى لأخذ بويضتها للأولى

هل يجوز أن يتزوج الرجل من امرأة ليأخذ منها البويضة وعمل التلقيح خارجيا وزرعه في رحم الزوجة الأولى؟

وكانت قد حضرت صاحبة السؤال أمام لجنة الأحوال الشخصية وأفادت أن الزواج بالمرأة الأخرى ينحصر القصد منه في أخذ البويضة منها، ولا يراد الدخول بها، وأن الزوج اشترط على نفسه أن يطلقها عقب الحصول على البويضة.

وأجابت الهيئة بما يلي:

لا يجوز أخذ البويضة من امرأة وزرعها في رحم امرأة أخرى ولو كانت المرأتان زوجتين لصاحب الحيوان المنوي الذي ستلقح به البويضة، كما أن الزواج مع الاتفاق بين الزوجين على الطلاق بعد أخذ البويضة زواج باطل. والله أعلم.

٣/٤٨ح/٨٧... لم تقبل الهدية فلم يقع الظهار المعلق

على أثر سوء تفاهم مع زوجتي قلت لها ما يلي: «إذا حضرَ أهلك وقبلت منهم أي شيء تكونين خالصة من الأربع مذاهب وتكونين حرمانة علي زي أمي وأختي» وحصل أن جاء أهلها إلى البيت ومعهم هدايا، وقد أجبرت على قبول الهدايا بضغط والدها وأبناء عمي، ولكن القبول والاستلام لم يحصل من زوجتي، وهذا الموضوع مضى عليه سنتان، الرجاء النظر في الموضوع وإبداء الحكم الشرعي؟

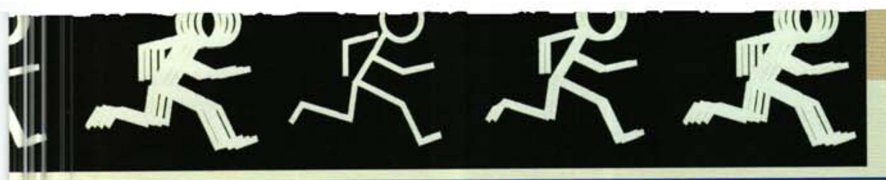
وسألته اللجنة:

- كم مرة نطقت على زوجتك بالطلاق؟ قال: هذه المرة الأولى.

- ما ظروف هذه الطلقة؟ قال: حصل خلاف مع أهلها فحلفت عليها يمينًا وقلت لها «إذا قبلت أنت من أهلك أي حاجة فتحرمين عليّ» وقصدت بذلك منعها هي من أخذ أي شيء من أهلها، وعندما جاء أهلها بالهدية أنا قبلتها وهي لم تقبل.

■ أجابت اللجنة:

بأنه مادام المنع منصبا على قبول الزوجة واستلامها للهدية ولم يحصل منها ذلك، بل الذي قبل الهدية هو زوجها الحالف فلا شيء يقع عليه لا طلاق ولا ظهار ولا كفارة يمين. والله أعلم.





إعداد: خالد خلاوي

حب الوطن طريق للإبداع والتميز

الحب من أقوى دوافع التميز والإبداع والعطاء المستمر، ومن ذلك حب الوطن الذي يبدع المرء من أجله ويقدم له كل غال، وفاء لأرض ولد عليها وتربى في ربوعها، فحب الوطن انتماء وعطاء، والوطنية الحقة انتماء فريد وإحساس يرقى بصاحبه إلى شرف التضحية بالمال والوقت والجهد، بل وبالروح والنفس، وهذه التضحية تكون ممزوجة بلذة وإقدام.

وحب الوطن عند العرب والمسلمين له عاطفة قوية عبروا عنها قولاً وعملاً، يقول الجاحظ في رسالة الحنين إلى الأوطان: «كانت العرب إذا غزت أو سافرت حملت معها من تربة بلدها رملاً وعفرًا تستنشقه».

ويروى عن النبي ﷺ مواقف كثيرة تدل على حبه لموطنه مكة، روي أنه سمع قول ورقة بن نوفل أنهم يؤذونه ويكذبونه فلم يظهر منه انزعاج لذلك فلما قال له ورقة: يا ليتني أكون حيًا حين يخرجك قومك، فأبدى انزعاجه لإخراجه من بلده الحبيب إلى قلبه، وقال ﷺ: «أو مخرجي هم؟!» قال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا.

وصح عن النبي ﷺ أنه وقف يُخاطب مكة المكرمة مودعًا لها وهي وطنه الذي أُخرج منه، فقد روي عن عبدالله بن عباس- رضي الله عنهما- أنه قال: قال رسول الله ﷺ لمكة: «ما أطيبك من بلد، وأحبّك إليّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنتُ غيرك»(رواه الترمذي).

وبشّر الله تعالى نبيه ﷺ وهوّن عليه لوعته بفراق مكة، وأنزل عليه قوله تعالى ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادّكَ إلى معاد﴾(القصص: ٨٥)، قال ابن عباس، رضي الله عنهما، في تفسيره: أي إلى مكة.

وقرن الله سبحانه وتعالى كره الناس الخروج من ديارهم؛ بكرههم قتل أنفسهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾(النساء: ٦٦).

وعن إبراهيم بن أدهم رحمه الله قال: «عالجت العباد فما وجدت شيئًا أشد عليّ من نزاع النفس إلى الوطن». وقال الشيخ محمد الغزالي: «والبشر يألفون أرضَهم على ما بها، ولو كانت قفرًا مستوحَشًا، وحبُّ الوطن غريزةٌ متأصّلة في النفوس، تجعل الإنسانَ يستريح إلى البقاء فيه، ويحنُّ إليه إذا غاب عنه، ويدافع عنه إذا هُوجم، ويَغضب له إذا انتقص».

وإذا كان الإنسان يتأثر بالوطن الذي ولد فيه، ونشأ على ترابه، وعاش من خيراته فإن لهذا الوطن عليه حقوقًا وواجبات كثيرة، يأتي في مقدمتها التفوق والتميز في كافة مجالات الحياة لرفع اسم الوطن عاليًا، وما المنجزات العلمية والعسكرية والرياضية والأدبية وغيرها، التي أنتجها عباقرة العالم، إلا وكان لحب أوطانهم نصيب في تحقيقها.

ويأتي الحب الصادق والانتماء الحقيقي للوطن من خلال استشعار المسلم أنه مستخلف من قبل الله- عز وجل- لعمارة هذا الوطن الذي يعيش فيه، فاستحضار هذه النية يكون بها المسلم مثابًا ومأجورًا من الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (هود: ٦١).

وعن ذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «عَمر الله البلدان بحب الأوطان»، وقال أيضا: «لولا حب الوطن لخرب بلد السوء».

وخلاصة القول: ان المسلم الصادق يحب وطنه، ويعمل كل خير لبلده، ويتفانى في خدمته، ويضحي للدفاع عنه، ولذلك يصبح لزامًا على الآباء تربية الأجيال الناشئة على استشعار ما للوطن من أفضال سابقة ولاحقة عليهم، بعد فضل الله سبحانه وتعالى، منذ نعومة أظفارهم، ومن ثم تربيتهم على رد الجميل، ومجازاة الإحسان بالإحسان، فللوطن ديْن في عنق كل فرد من أبنائه، ورد هذا الدين يكون بالعمل والإنتاج والتميز.. يعني الانتماء الإيجابي لهذا الوطن، وللوطن حقوق عند الأجيال الجديدة يذكرها الشاعر حافظ إبراهيم بقوله:

رجال الغد المأمول إن بلادكم
تناشدكم بالله أن تتذكروا
عليكم حقوق للبلاد أجلها
تعهد روض العلم، فالروض مقفر
قصارى منى أوطانكم أن ترى لكم
يدًا تبتني مجدًا ورأسًا يفكر
فكونوا رجالا عاملين أعزة
وصونوا حمى أوطانكم وتحرروا

ويقول شوقي:

وللأوطان في دم كل حر
يد سلفت ودين مستحق

صور من حياة المتميزين

سر صناعة الموتور الياباني

في أحد مقالاته بمجلة أكتوبر القاهرية يحكي د.حسين مؤنس- رحمه الله تعالى- عن الياباني الذي كان مبعوثًا في أوائل القرن العشرين للحصول على الدكتوراه في الهندسة من بريطانيا، ثم وجد نفسه يضيع وقته وجهده في دراسات نظرية لا طائل منها، وكيف أنه وزملاءه المبعوثين أغرقوا أنفسهم في المعادلات والتحليلات دون جدوى، سأل هذا الياباني نفسه: ما هو مفتاح التكنولوجيا الغربية التي صنعت التقدم الاقتصادي؟ وأجاب بأنه الموتور، إذن فليعد لبلاده بسر صناعته، واشترى بالفعل موتورًا من ماله الخاص الذي يأكل به، وعكف عليه يفكه قطعة قطعة، وكلما فك قطعة رسمها ورقّمها، حتى فك الموتور كاملا، ثم أعاد تركيبه، وأعاد ذلك مرات عدة حتى أدرك كل أجزاء الموتور ووعاها، ثم عاد للكتب يتفقه في بعض النظريات الحاكمة لعمل الموتور.

بعد ذلك أراد هذا الياباني المحب لوطنه أن يعمل في بعض المصانع التي تصنع الموتور، فذهب إليها عاملا يكتشف في هدوء أسرار صناعة هذه الأداة ودقائقها، ولما أيقن أنه عرف كل أسرار الموتور، وما بقي إلا أن ينقلها لبلاده كتب للملحق الثقافي الياباني بقصته، فنقلها لوزير التعليم الذي أخبر بدوره الإمبراطور الذي بعث لهذا المهندس بأموال ليشتري كل ما يلزمه من معدات لصناعة الموتور الياباني، ولما فرغ من مهمته بعد سنوات عدة ذهب لزيارة الإمبراطور ومعه عينة من هذه الموتورات التي استمع الإمبراطور إلى شرح حولها في نشوة، قائلا: هذه أعذب موسيقى سمعتها في حياتي.

هذا الياباني العبقري لم يعد لبلاده بدكتوراه نظرية لا تفيد صناعاتهم، وإنما عاد إليها بعزتها ومجدها.. عاد إليها بتقليد مفتاح الصناعة الأوروبية ومن ثم تقدمها الاقتصادي، وعاونه على ذلك الملحق الثقافي ووزير التعليم والإمبراطور، ولم يحاولوا أن يخذلوه أو يتهموه، وإنما ساعدوه وشجعوه وتعاون الجميع على ما فيه الخير لوطنهم.

كلمات في التميز

حب الوطن

بلادي هواها في لساني وفي دمي
يمجدها قلبي ويدعو لها فمي
ولا خير فيمن لا يحب بلاده
ولا في حليف الحب إن لم يتيّم

(مصطفى صادق الرافعي)

وحبب أوطان الرجال إليهم
مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم
عهود الصبا فيها فحنوا لذلك

(ابن الرومي)

ليس هناك شيء في الدنيا أعذب من أرض الوطن.

(هوميروس)

أنا مغرم جدا ببلادي، ولكنني لا أبغض أي أمة أخرى.

(بليكو)

جميل أن يموت الإنسان من أجل وطنه، ولكن الأجمل أن يحيى من أجل هذا الوطن.

(كاريل)

يستروح العليل بنسيم أرضه، كما تستروح الأرض المجدبة بوابل المطر.

(جالينوس)

إعداد: هالة محمد

الخليجيون أقدم البشر خارج إفريقيا

يعتقد العلماء بوجود أرض كانت خصبة في يوم من الأيام تحت مياه الخليج وكانت تؤوي بعض أقدم البشر خارج إفريقيا قبل ٧٥ إلى ١٠٠ ألف سنة.

ووفق جيفري روز، الباحث الرئيسي ومعد الدراسة، وهو عالم آثار من جامعة برمنجهام البريطانية، فإن هذه الأرض المنبسطة التي يعتقد أنها موجودة تحت مياه الخليج «كانت بحجم بريطانيا، ثم تقلصت بعدما بدأت المياه تفيض في المنطقة، ومن ثم ابتلعها المحيط الهندي».

اعتبر روز أن هذه الدراسة المفصلة في مجلة «علم الإنسان»، عدد ديسمبر الماضي قد تترك تأثيرًا كبيرًا في تاريخ البشر، وأوضح انها (الدراسة) تسلط مزيدًا من الضوء على تاريخ خروج البشر من إفريقيا، الذي يقول العلماء: إنه كان قبل ما بين ١٢٥ و ١٦٠ ألف سنة.

يشار إلى أن هذه النتائج أثارت نقاشًا بين الباحثين بشأن البشر الذين احتلوا حوض الخليج آنذاك.

وقال روز: «نظرًا إلى وجود مجتمعات النياندرتال في أعالي مناطق نهري دجلة والفرات، وشرق منطقة البحر الأبيض المتوسط قد تكون هذه المنطقة نقطة الاتصال بين الإنسان الحديث وإنسان النياندرتال»، الذي عاش في أوروبا، الشرق الأوسط، وغرب آسيا منذ نحو ٢٠٠٠٠ إلى ٢٨٠٠٠ سنة مضت.

يذكر أن علماء الآثار اكتشفوا في السنوات الأخيرة آثارًا على مستوطنات بشرية، وما يزيد على٦٠ موقعًا أثريًا، على شواطئ الخليج تعود إلى نحو٧٥٠٠ سنة، تحتوي على منازل دائمة من الحجر وجيدة البناء، إضافة إلى شبكات تجارة طويلة، وحيوانات منزلية وحتى وجود أقدم قوارب في العالم.

مائة تريليون جرثومة في جسم الإنسان!

إلى جانب الـ ١٠٠ تريليون جرثومة التي يحملها الإنسان البالغ في جسده، اكتشف العلماء عنصرًا جديدًا في الجسم البشري، وهو أن كل واحد منا يحمل أنواعًا من جينات الأمراض الوراثية يتراوح عددها من ٥٠ إلى ١٠٠ جين، إضافة إلى ٢٠ ألف جين وراثي موجودة حاليًا، يضاف إليها أيضًا ٣,٣ مليون جين وراثي تحملها الميكروبات داخلنا، وتوصل الباحثون في دراسة دورية لهذه النتيجة خلال مشروع الألف جين الدولي، وبعد تحليل بيانات حصلوا عليها خلال المرحلة التمهيدية للمشروع، وستستخدم نتائج المشروع والتقنيات الجديدة التي سيسفر عنها في دراسة دور أنواع الجينات المختلفة في نشأة الأمراض مثل السرطان، وستتاح البيانات الهائلة الناتجة عن المشروع للعامة ضمن مكتبة الحمض النووي، وينتظر أن تتضمن ٩٥ ٪ من أنواع الجينات لدى جميع البشر.

التنوع الحيوي عززه الإبداع الجيني

قبل نحو ثلاثة مليارات سنة شهدت البكتيريا والكائنات البدائية التي كانت موجودة على سطح الأرض فورة من الإبداع الجيني أدت إلى نشوء أكثر من ربع الجينات الموجودة حاليًا لدى الأجناس الحية، ولاشك أن التوصل إلى وصف كيفية ظهور الحياة على كوكبنا يشكل أحد أكبر التحديات بالنسبة لعلماء الوراثة وعلماء الإحاثة، وبفضل الأحافير الكثيرة المكتشفة نعرف أن الحياة على الأرض شهدت حقبة من التغييرات السريعة قبل نحو ٥٨٠ مليون سنة، وهي فترة يطلق عليها اسم «الانفجار الكمبري».

واستمر تطور الأجناس هذا طوال ملايين السنوات ليؤدي إلى التنوع الحيوي الذي نعرفه حاليًا.

الهندسة البيئية للسيطرة على المناخ

عقدت الجمعية الملكية البريطانية اخيرًا في لندن اجتماعًا حضره علماء متخصصون في الهندسة البيئية وقدموا بعض المقترحات حول استخدام تكنولوجيات على مستوى الكوكب للسيطرة على ظروفه المناخية، وهذه التكنولوجيات التي اقترحوها لا وجود لها حتى الآن ولكن مع مرور الوقت واستمرار انبعاث الغازات الناتجة عن الاحتباس الحراري فقد بدأ العلماء يأخذون قضية الهندسة البيئية مأخذًا جادًا، وقد تراوحت مقترحاتهم فيما بين تركيب مرايا تعكس أشعة الشمس إلى إنتاج ماكينات لإزالة ثاني أكسيد الكربون من الهواء إلى استنباط طحالب في المحيطات قادرة على امتصاص غاز ثاني أكسيد الكربون وجذبه إلى قاع البحر وإبقائه هناك.



«منف» المصرية أول عاصمة ومدينة في تاريخ البشرية

كانت مدينة «منف» أو «ممفيس» (٢٠ كلم جنوب القاهرة) على الضفة الغربية لنهر النيل والمعروفة بـ «ميت رهينة» في محافظة الجيزة أول عاصمة ومدينة في تاريخ البشرية اتخذها الملك مينا موحد القطرين عاصمة لمصر في العصر الفرعوني القديم قبل أكثر من ٥ آلاف عام.

وأخيرًا قررت وزارة الثقافة المصرية تنفيذ أضخم وأكبر مشروع لحماية وتطوير وصيانة منطقة آثار ميت رهينة بكلفة اجمالية تبلغ حوالي ٤١ مليون جنيه، ويستغرق هذا المشروع الكبير نحو ١٨ شهرًا.

وذكر الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار د.زاهي حواس أن هذه المدينة اكتسبت أهمية خاصة في التراث المصري لما تحمله من آثار يندر وجودها في أماكن أخرى، مشيرًا إلى أنه خرج منها تمثال رمسيس الثاني، وتضم قطعًا اثرية نادرة، منها معبد الإله بتاح، ومعبد التحنيط ومعبد الإلهة حاتحور.

أسرع تيار بحري

تم أخيرًا رصد أسرع تيار بحري في العالم في جزر «كيرغلان» التي تقع جنوب المحيط الهندي، وقد قدر فريق من الباحثين اليابانيين والاستراليين متوسط سرعة التيار بـ ٢٠ سم في الثانية، ويحمل هذا التيار الذي ينبع من المحيط المتجمد الجنوبي باتجاه الاكوادور أكثر من ١٢ مليون م٣ من المياه التي تقل درجة حرارتها عن الصفر في الثانية الواحدة، على عمق يزيد على ٣٥٠٠ متر، ويحاول الباحثون في الوقت الحالي فهم دور هذا التيار البحري في حركة المحيطات كلها بالإضافة إلى دراسة متوسط تدفق المياه وتغيره بمرور الوقت.

طريقة جديدة لإنتاج المطر

نجح أخيرًا فريق فرنسي ألماني في تكثيف قطرات الماء عن طريق الليزر، فبواسطة جهاز خاص وجه أعضاء الفريق أشعة الليزر نحو فضاء مشبع بالماء، مما تسبب في تكاثف قطرات المياه حول الأيونات فتكونت سحابة استطاع العلماء رؤيتها بالعين المجردة.

كانت هذه أول مرحلة من مراحل صناعة المطر، وإن كانت قطرات الماء أصغر بكثير مقارنة بالمطر الحقيقي، سيسمح هذا الانجاز باستبدال التقنيات المستعملة حاليًا في إنتاج الأمطار الصناعية الملوثة.



من هنا وهناك

● اللغة العربية هي اللغة التي ازدادت نسبة تعلمها بأسرع وتيرة في الجامعات الأميركية العام الماضي مقارنة بعام ٢٠٠٦ مع ارتفاع بلغت نسبته ٤٦ ٪.

فالتسجيل في مقررات اللغة العربية في الجامعات الأميركية فاق نسبة التسجيل في مقررات اللغة الروسية واللاتينية، وأتى في المرتبة الثامنة، وفقا لجمعية «مودرن لانجوادج اسوسييشن» التي نشرت بيانات ذات صلة ٢٢ مرة منذ عام ١٩٥٨.

● أكد العلماء أن بكتيريا جمعت من حطام السفينة (تيتانيك) قبل عقدين من الزمن هي سلالة جديدة من البكتيريا يقف العلماء في حيرة من أمرهم حيالها، لأن هذه البكتيريا من سلالة «راستكلس» وهي تشكيلة من الصدأ تبدو مثل رقاقات الثلج تلتهم بدن تيتانيك، وتمثل هذه البكتيريا آكلة المعادن معضلة للعلماء، وغرقت تيتانيك في أول رحلة لها، بعد تدشينها كأضخم سفينة ركاب في العالم عام ١٩١٢، في حادث أدى الى غرق ١٥٠٠ شخص، وعثر على حطامها عام ١٩٨٥، من قبل فريق استكشاف على عمق أكثر من ميلين في المحيط الأطلسي.

● أظهرت دراسة حديثة التأثيرات الوراثية للعملية المسماة «التخلق المتعاقب» الذي يظهر كيف أن محيطنا ونمط عيشنا قادران على تغيير موروثاتنا خلال فترة نمونا، وهذه الموروثات المتغيرة قابلة للانتقال إلى الأطفال.

تعقيب

بالإشارة إلى ما تضمنته مقالة «صفحات مجهولة من تاريخ الأندلس» بعدد المجلة رقم ٥٤٤ ذوالحجة ١٤٣١هـ، نتشرف بالتعقيب الآتي:

لقد جاءت لغة المقال على منوال لغة الخطاب العربي التي تنشد ما لا يخرج عن التفاخر والتباهي والذي غالبا ما يصرف الهمة عن التماس الجهد فيما هو حال وحاضر على وتيرة من إذا سألته من هو فيقول كان أبي.. هذا التفاخر الذي وإن كان أقله صحيحًا فأكثره متوهم، فزاوية الرؤية فيه غير موضوعية وتأتي تعبيرًا عن إشباع الوجدان بما يفقد الوعي بالمطلوب مما يبحر في سكرات الوهم الفاقد حتى لسداد المنطق في الطرح.

فقد بلغ المقال في تجسيده لهذه المأساة أن بدل بمنطق الانتقاد للقصور والخذلان زهوًا وفخارا واضح الصنعة إذا ما كانت المعلومات التي استند إليها صحيحة.

فإذا كان الجيش الإسباني عند دخوله مدينة «غرناطة» وجد الآلاف من الأسلحة من سيوف ودروع ومجانيق واستولى على ٢٢٠٠٠ سيف منها عشرة آلاف مطلية أطرافها بالذهب، فأين من كانت لهم هذه السيوف والمجانيق فعدد من كان في هذه المدينة لا يقل في المتوسط في ضوء هذا العتاد عن خمسين أو ستين الفا في مدينة ومحيطها؟ وأين العقيدة القتالية لهم والتي يقيمها الإسلام عند المصداقية، ولو في حالة ضعف، أن الألف بها يغلبون ألفين.. وكيف فر كل هؤلاء الجمع؟ ولم أصابهم الخذلان؟ ألم يكن في مقدورهم ولو ببعض المصداقية مع العقيدة أن يحموا مدينتهم بمحيط ذراعاتها؟ فأي صفحات يشير إليها بغمة فخار هذا المقال؟ ألم يكن في مقدور المقاتل أن يذود عما لا يتجاوز عشرة أمتار في محيطه أو أقل؟ إن تنصروا الله ينصركم.

على أبوالنصر بخيت

رسالة قارئ

أنتهز الفرصة لأشد على أيديكم مصافحًا ومهنئًا بالتنوع في الأعداد الأخيرة للمجلة، وقد سعدت بما كتبه الباحث المجيد والناقد المتفرد الدكتور/علاء الدين رمضان عني في مقاله الرائع عن «ظاهرة الهروب إلى النصير في الشعر الديني المعاصر» في العدد (٥٤٢) شوال ١٤٣١هـ، سبتمبر- اكتوبر ٢٠١٠ من ص٥٨ إلى ٦٠، عارضا نماذج شعرية من قصيدتي «رسالة إلى رسول اللهﷺ» وهي القصيدة الفائزة بجائزة أفضل قصيدة عام ٢٠٠٦ في مسابقة مؤسسة البابطين للإبداع الشعري (في دورة شوقي ولا مارتين) ووزعت جوائزها بقاعة اليونسكو بباريس.

جميل محمود عبدالرحمن

النظرية الإسلامية في العلاقات الدولية

أعتقد أن النظرية الإسلامية في مجال العلاقات الدولية يمكن أن تسهم في بناء وتوجيه نظام عالمي قائم على العدل ونفي الظلم، وتحقيق الاستقرار وازالة مصادر الصراع والقضاء على أسباب التوتر والعنف، وهذه مهمة لا يشارك فيها المسلمون وحدهم، وإنما يشاركهم غيرهم من أمم الأرض بعيدًا عن التأثيرات السلبية للصور النمطية Steryo Types التي تروجها بعض الأوساط العلمية والاعلامية والسياسية عن الإسلام، إما بسبب الجهل او لسوء النية، أو بالاستناد الى تصرفات وسلوكات منسوبة زورًا الى الإسلام.

إن الاسلام يعلمنا أنه بوسعنا- دوماً- أن نتشاور ونتحاور مع الآخرين من أجل اكتشاف الحقول المشتركة، ولتعميق ادراكنا للمثل الإنسانية العليا، وللاسهام معًا في بناء علاقات دولية بناءة تتسم بالايجابية والموضوعية، والمستقبلية، وتسهم في إعمار الأرض وفي تحقيق السلام العالمي على أسس الحق والعدل.

إبراهيم البيومي

كيف يحقق الإسلام نعمة الأمن؟

الأمن من نعم الله عز وجل، وللإسلام نظرته المتميزة في تحقيق الأمن للبلاد والعباد حيث يغرسه في ضمائر الناس ويعمقه في قلوبهم، وجعل من أهم أسباب وجوده على أرض الواقع واستمتاع البشر به الإيمان والطاعة لله عز وجل والعمل الصالح والمثمر الذي يعود على صاحبه بالثمرات النافعة في الدنيا والآخرة.

إذ إن الأمن كثمرة للإيمان والعمل الصالح يمتد إلى ما بعد

واجبنا نحو رسول الله ﷺ

يجب علينا أن ندافع عن الرسول ﷺ وعن سيرته العطره ضد شياطين الارض وخفافيش الظلام أمثال شياطين الرسوم الكاركاتيرية ويكون ذلك بكل الطرق فلكل مقام مقال ولكل فعل رد فعل.

كما يجب علينا أن نملأ قلوبنا وعقولنا وكل جوارحنا بحب رسول الله ﷺ حتى يكون أحب الينا من أنفسنا ومن آبائنا ومن ابنائنا ومن الناس أجمعين، فعنه ﷺ أنه قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» (رواه البخاري ومسلم) ولكي يزيد حبنا لرسول الله ﷺ شرع الله لنا الصلاة والسلام على رسول الله فعندما نسلم عليه يرد علينا السلام والملائكة تصلي عليه ﷺ وعلينا، فعنه ﷺ قال «من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا» ولم يبق أمامي إلا أن أردد قول الشاعر:

ليس الطريق سوى طريق محمد
فهي الصراط المستقيم لمن سلك
من يقتفي آثاره فقد اهتدي
سبل الرشاد ومن يزغ عنها هلك

رضا أبو الغيط

دَيْن يساوي خلافة

تأوه سليمان بن عبدالملك في مرقده لثقل في أمعائه واستعصى الداء على الأطباء حتى بدا الموت لعينه، فدعا مستشاره رجاء بن حيوة الكندي وأخذ يتجاذب أطراف الحديث مع الخليفة، وفجأة غلب المدمع سليمان فسأله رجاءُ بن حيوة لِمَ ذلك؟ فقال: لقد مات ولدي أيوب وكنت أتمنى أن يكون ولي عهدي وصاحب أمر الناس من بعدي، وبقية أبنائي مازالوا صغارا، فرد عليه رجاء قائلا: إن الخلافة أعباء ثقال ولعل الله قد رحم أفلاذ أكبادكم أن يصطلوا بنيرانها.

فاختلف سليمان مع رجاء وظلا يتحدثان، وفجأة قال رجاء: إن أردت وجه الله فإلى عمر بن عبدالعزيز بن مروان، ثم إن اردت الأمر بعد ذلك لبني عبدالملك فبايع ليزيد أخيك من بعده.

فرد سليمان لقد نسيت عمر بن عبدالعزيز، فجزاك الله خيرا أن ذكرتني به الآن، فابتسم كالمرتاح، وقال: بربك يا أمير المؤمنين أترى في بني مروان أعدل منه سيرة وأنقى سريرة وأصلب إيمانا وأصدق يقينا في النائبات.

فقال سليمان مؤمِّنا على قوله: لا والله، ثم إن له علي دينا ثقيلا حان أوان وفائه دون إمهال، فقال رجاء: قل لي يا أمير المؤمنين كيف اقترضت منه هذا الدين الثقيل؟

فاعتدل سليمان من نومه، وقال في همس وخفوت: تعلم يا رجاء أن أخي الوليد- عفا الله عنه- أراد خلعي من ولاية العهد وكاتب عماله في الأمصار فأيدوه وظاهروه، ولكن عمر بن عبدالعزيز، وكان واليا في مدينة رسول الله ﷺ، جاهره بالعصيان، وقال قولته الخالدة: لا أنقض بيعتي الصادقة لسليمان فأغضب الرحمن.

فقال رجاء: ليس هذا بمستغرب من عمر فهو لا يخشى في الحق لومة لائم.

وتابع الخليفة حديثه: ولقد تعرض عمر بسبب موقفه لاضطهاد شديد وعزل من المدينة وسجن، وأغلظ له الوليد في الوعيد، فثبت عمر وكان كالطود الأشم، ويمينا لولا ثباته وصلابته لطارت عني الخلافة، وتابع حديثه لرجاء بن حيوة الكندي: لقد استجبت إليك يا رجاء، فاكتب عهدي إلى عمر ثم إلى يزيد من بعده ومر الناس أن يبايعوا من نصصت عليه.

أرأيتم يا أعزائي كيف كان الوفاء وكيف كان سداد الدين بخلافة المسلمين. فالوفاء من شيم الرجال الأبطال.

محمد الشحات أبوعيد

حياة الإنسان إلى ذريته من بعده.. يقول تعالى﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ وهكذا جعل الله الإيمان والتقوى سبيلا يحقق للأبناء الأمن والأمان من تقلبات الأيام.

إذن.. كيف يحقق الإسلام نعمة الأمن؟

إن كل إرشادات الإسلام وهداياته تصب في تكريس الأمن والأمان للفرد وللمجتمع على السواء.

فإذا كان الإسلام يأمر الفرد ألا يتعرض بسوء لأموال الناس وأعراضهم ودمائهم والمحافظة عليها، فإنه في نفس الوقت يأمر كل الناس في مجتمع الإيمان والتقوى أن يحافظوا على أموال الفرد وعرضه ودمه.. فالنبي ﷺ يقول: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم» وقال ﷺ «خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره».

محمد السيد

ينابيع المعرفة

إعداد: التحرير

مراتب النفس

مراتب النفس خمسٌ «هاجس» ذكروا

«فخاطرٌ» «فحديث النفس» فاستمعا

يليه «همٌّ» و «عزمٌ» كلُها رُفعت

سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا

قوله: رفعت، أي لا يؤاخذ بها الإنسان، سوى الأخير وهو العزم.

(الصبابات فيما وجدته على ظهور الكتب من الكتابات للعظم)

فوائد الأسفار

قالِ الشّافعي رحمه الله تعالى:

تغرّب عن الأوطانِ في طَلَبِ العُلا
وسافِر ففي الأَسفارِ خمس فوائدِ

تفريجُ هَمَ واكتسابُ معيشـــةٍ
وعلمٌ وآدابٌ وصُحبةُ ماجـدِ

فإنْ قيل: في الأسفار ذُلٌ ومحنـةٌ
وقطعُ الفَيافي وارتكابُ الشدائـدِ

فموتُ الفتى خيرٌ له منْ قيامــه
بدار هَوانٍ بينَ واشٍ وحَاسـدِ

(ديوان الإمامَ الشّافعيَ)

ربيع الأول

سمي بذلك لوقوعه في الربيع، حيث تتساقط الأمطار، وينبت الكلأ وتزهر الأزهار.

وهو مليء بالمناسبات ففيه ولد النبي ﷺ وفيه هاجر وفيه دخل المدينة المنورة، وفيه توفي ضحى يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول عام ١١ للهجرة.

أول مَنْ روّض الخيل وركبها

نبيّ الله ورسوله إسماعيل بن إبراهيم الخليل بن آزر، مِنْ نَسْلِ سام بن نوح، المكي نشأةً وإقامة ووفاة.

هو رأس السلالة العربية الثالثة المعروفة بالمستعربة، وردَ اسمه اثنتي عشرة مرّة في القرآن الكريم. نزل بمكة مع أمه هاجر وهو طفل، ولمّا كبر ساعد أباه في بناء الكعبة. تزوج إسماعيل بعد وفاة أمِّه بامرأة من «جرهم» فولدت له اثني عشر ذكرًا، منهم «قَيْدَار» جدّ عدنان.

هو أوّل من ركب الخيل، وكانت قبل ذلك وحشيّة لا تُروّض ولا تُرْكَب، فأخذها وروّضها فارتاضتْ، تعلّم أولاده ترويضها منه فبقي علمها فيهم، ولهذا اختصّ العرب بالمعرفة بها. قال ﷺ: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» (البخاري).

(الأوائل لأبي هلال العسكري، معجم الأوائل)

مِنْ دُرَرِ الفاروق رضي الله عنه

«عليك بإخوان الصدق فعش في أكنافهم، فإنّهم زينة في الرّخاء، وعدّة في البلاء، وضَع أمر أَخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يقليك منه، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا مَن يخشى الله، ولا تصحب الفاجر فتتعلّم مِنْ فجوره، ولا تطلعه على سرّك، واستشر في أَمرك الذين يخشون الله تعالى».

وقال رضي الله عنه: «ثلاث يصفين لك وُدّ أَخيك: تُسَلِّم عليه إذا لقيته، وتُوسِّع له في المجلِس، وتدعوه بِأَحبّ الأَسماء إليه».

(مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي ت: ٧٤٢)

طبقات الشعراء

الشعراء خمس طبقات:

الطبقة الأولى: الجاهلية ورأسها امرؤ القيس.

الطبقة الثانية: المخضرمون ورأسهم حسان.

الطبقة الثالثة: الإسلامية ورأسها جرير.

الطبقة الرابعة: المحدثون، ورأسهم علي بن العباس الرومي.

وهذه الأسماء واقعة على من جاء بعد هذه الطبقة إلى يوم القيامة.

وشعراء الأندلس طبقة واحدة ورأسها أحمد بن عبدربه.

(سرور النفس بمدارك الحواس الخمس)

عاقبة الظّلم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إنّ النّاس لم يتنازعوا في أنّ عاقبة الظّلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة، ويُروى: الله ينصر الدولة العادلة، وإنْ كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظّالمة وإنْ كانت مؤمنة».

(موسوعة أقوال الحكماء)

تعبدًا لا تلذذًا

سَألَ الحافظُ ابن حجر العسقلاني الشيخَ ابن عرفة حين اجتماعه به في مصر عن ماء زمزم: لِمَ لم يكن عذبًا؟

فقال ابن عرفة في جوابه: إنما لم يكن عذبًا ليكون شربه تعبدًا لا تلذذًا، فاستحسن ابن حجر جوابه وطرب به.

(مفيد الأنام ونور الظلام للجاسر)

سلسلة الذهب وسلسلة الكذب

سلسلة الذهب: ما رواه أحمد عن الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر. وتسمى هذه الترجمة سلسلة الذهب وليس في مسند أحمد على كبره منها سوى حديث واحد.

سلسلة الكذب: ما رواه عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن الحارث عن علي والسدي الصغير محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر)

الأمهات خمس

١. أمٌّ ما خُلقت وهي الفاتحة (أم الكتاب).
٢. أمٌّ ما وُلدت وهي حواء (أم البَشَر).
٣. أمٌّ ما وَلَدت وهي (أم المؤمنين) عائشة رضي الله عنها.
٣. أمٌّ ما نكحت وهي مريم عليها السلام (أم المسيح).
٤. أمٌّ ما أكلت وهي مكة (أم القرى).

(الصبابات فيما وجدته على ظهور الكتب من الكتابات للعظم)

ثلاث خصال

قال بعض الحكماء: إن لم يكن في التاجر ثلاث خصال افتقر في الدارين جميعًا:

١- أن يكون لسانه نقيًا عن ثلاثة: الكذب، واللغو، والحلف.
٢- أن يكون صافيًا من ثلاثة: الغش، والخيانة، والحسد.
٣- أن يكون محافظًا على ثلاثة: الجمعة، والجماعات، وطلب العلم في بعض الساعات.

(شرح لامية ابن الوردي للقناوي)

أبوالحارث

الليث بن سعد بن عبدالرحمن، أبوالحارث الفهمي، إمام أهل مصر في عصره، حديثًا وفقهًا، قال ابن تغري بردي: «كان كبير الديار المصرية ورئيسها وأمير من بها في عصره، بحيث أن القاضي والنائب من تحت أمره ومشورته».

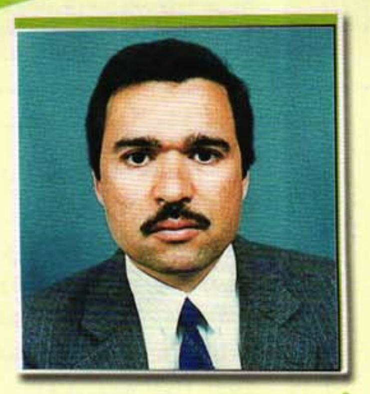
أصله من خراسان، ومولده في قلقشندة، ووفاته في القاهرة سنة ١٧٥هـ. وكان من الكرماء الاجواد.

وقال الإمام الشافعي: الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به. أخباره كثيرة، وله تصانيف، ولابن حجر العسقلاني كتاب «الرحمة الغيثية في الترجمة الليثية».

(الأعلام للزركلي ٥/ ٢٤٨)

ابتسامة «طُفَيْلي»

عُوتِبَ طفيلي على التّطَفُلِ فقال: «والله ما بُنيَت المنازلُ إلا لتُدخَل، ولا نُصبَت الموائد إلا لتُؤكَل، وإنّي لأَجْمَعُ فيها خلالًا، وأَدْخلُ مُجالسًا، وأَقْعُدُ مؤانسًا، وأَنبَسِط وإنْ كانَ ربُّ الدارِ عابِسًا، ولاَ أَتَكَلّف مغرمًا، ولا أُنْفقُ دِرْهَمًا، ولا أُتْعِبُ خادمًا».



شمائل نبي الهدى ﷺ النموذج الأول

إبراهيم نويري

الخيرية والجود والكرم من آكد خصال النبي ﷺ، كما يُستفاد من السيرة العطرة، ولقد عبّر ابن عباس عن هذا الجانب من أخلاقه فقال «أجود الناس». هكذا عبّر ابن عباس لتكون كلماته شاهدة على مدى سعة كرم رسولنا صلوات الله وسلامه عليه، إذ كانت تلك الخصلة خلقا أصيلا راسخا جُبل عليه منذ بروزه للحياة، ومنذ نشأته الأولى ونعومة أظفاره.. ثم ازدادت رسوخا حتى باتت سجية فطرية من خلال البيئة العربية والبادية العربية التي نشأ وتربى بين جنباتها، وترعرع في أكنافها، وهي بيئة مشهورة بكلّ ألوان وضروب العطاء والجود والكرم.

إن سيرة المصطفى ﷺ ينبغي أن تكون النموذج الأول والمثال الأسمى للقدوة والائتساء والاتباع، وإنه لحريّ بكلّ مسلم أن يستمد من سيرة رسوله ﷺ ،في سلوكه وأخلاقه ومعاملاته، وأن يتمثلها بوعي وفهم ونباهة في حياته وفيما يعرض له فيها من صعوبات وطوارئ وأحداث.

وصدق الشيخ محمد الغزالي رحمه الله حين يقول عن هذا الموضوع الجاد: «إن محمدا ليس قصة تُتلى في يوم ميلاده، ولا التنويه به يكون في الصلوات المخترعة التي قد تُضمّ إلى ألفاظ الأذان، ولا إكنان حبه يكون بتأليف مدائح له أو صياغة نعوت مستغربة يتلوها العاشقون.. فرباط المسلم برسوله الكريم أقوى وأعمق من هذه الروابط الملفقة المكذوبة على الدين. وما جنح المسلمون إلى هذه التعابير في الإبانة عن تعلقهم بنبيّهم، إلا يوم أن تركوا اللباب المليء وأعياهم حمله، فاكتفوا بالمظاهر والأشكال، ولما كانت هذه المظاهر والأشكال محدودة في الإسلام، فقد افتنّوا في اختلاق صور أخرى، إن الجهد الذي يتطلب العزمات هو الاستمساك باللباب المهجور، والعودة إلى جوهر الدين ذاته، فبدلا من الاستماع إلى قصة المولد يتلوها صوتٌ رخيمٌ، ينهض المرء إلى تقويم نفسه وإصلاح شأنه حتى يكون قريبًا من سنن محمد ﷺ، في معاشه ومعاده، وحربه وسلمه، وعلمه وعمله، وعاداته وعباداته.. إن المسلم الذي لا يعيش الرسول ﷺ في ضميره، ولا تتبعه بصيرته في عمله وتفكيره، لا يُغني عنه أبدا أن يحرّك لسانه بألف صلاة في اليوم والليلة» (من مقدمة كتابه: فقه السيرة).

الحق الذي لا ريب فيه، ولا ظنّة تحتوش أطرافه، أن نبيّنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين، كان بشرا اكتملتْ في أخلاقه ومسالكَه كلّها عناصر الكمال الإنساني، وانتهتْ إلى شخصيته الفذة أمجاد الفطرة البشرية الصحيحة، حتى بات صورة مجسدة حيّة لأخلاق القرآن، تنبثق من فؤاده البر النبيل عواطف جياشة لا ينضب لها معين، لذلك فقد اتسعت للسابقين واللاحقين من أمته، بل اتسعت حتى للجمادات التي لا تنطق، فعندما لاح له جبل أحد من بعيد، وهو في طريق العودة من غزوة تبوك قال «هذا جبل أحد، إنه جبل يحبنا ونحبّه»، فأي قلب هذا الذي اتسع لكلّ الكائنات؟. إنها النبوّة وكفى.. وإنها أخلاق محمد بن عبدالله التي ما طاولتها أخلاق على مرّ الزمن كله، ولن يكون، إلى أن يرث الله هذه الأرض، وهو عز وجلّ خير الوارثين.

ملتقى العطاء

أيتام - مسنون - معاقون

نهدف أن نكون صلة الوصل بين
أصحاب القرار وذوي الاحتياجات الخاصة

بطاقة حياتي عطاء

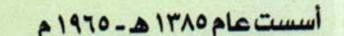
إشترك الآن وساهم
باقتراحاتك وآرائك للارتقاء
بذوي الاحتياجات الخاصة

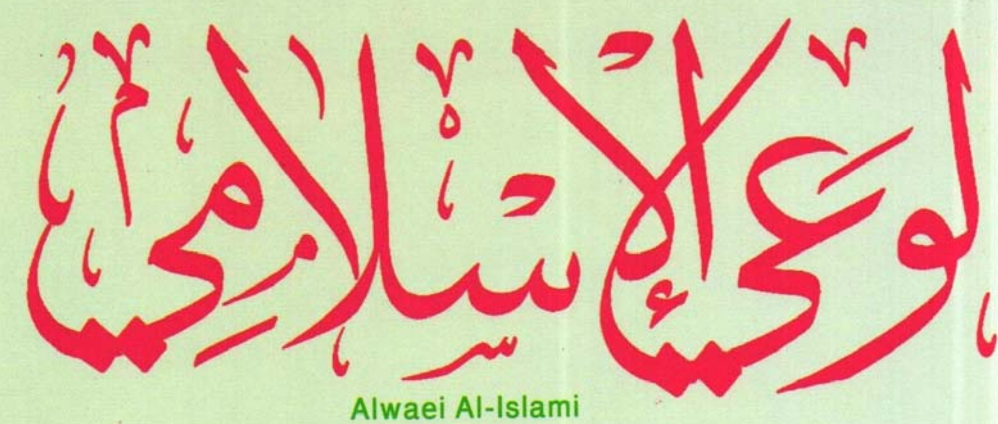




للتواصل:0096597777158


أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م
الوعي الإسلامي
AL-Waei Al-Islami
مجلة كويتية شهرية جامعة
قطاع الشؤون الثقافية
الاختلاف الأصولي
في
الترجيح بكثرة الأدلة والرواة
وأثره
تأليف
الدكتور صالح سالم النهام
الإصدار
السادس عشر
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م


أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م



Alwaei Al-Islami

مجلة شهرية كويتية جامعة

العدد (٥٤٨) ربيع الآخر ١٤٣٢هـ - مارس- ابريل ٢٠١١م

الذكرى الخمسون لاستقلال دولة الكويت 1961-2011

20 عاماً على تحرير دولة الكويت 1991 - 2011

5 أعوام على تولي حضرة صاحب السمو أمير البلاد مقاليد الحكم

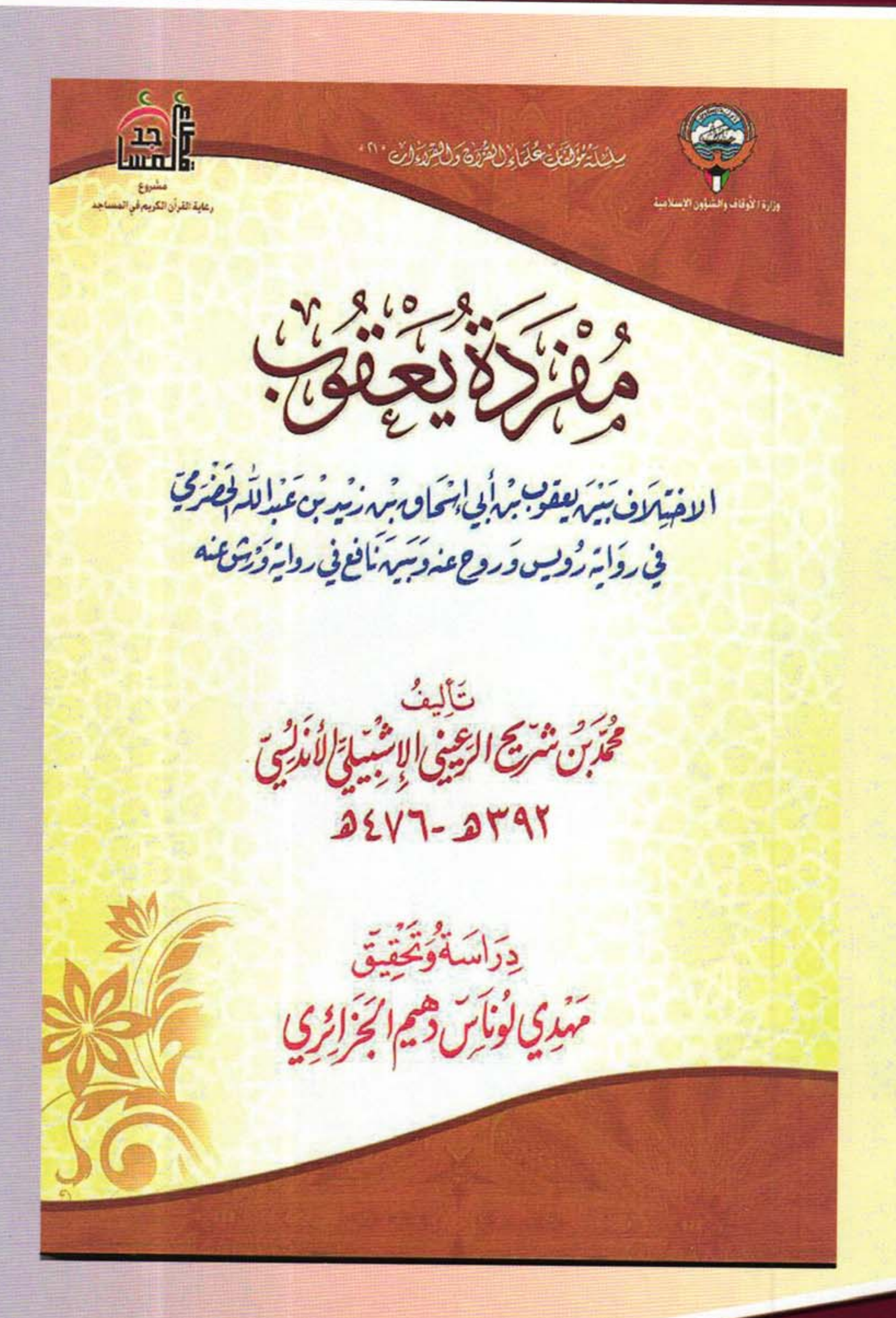
الأبعاد الحضارية للتصنيف المعاصر في السيرة النبوية



الكويت تحتفل باليوبيل الذهبي لاستقلالها وذكرى التحرير الـ ٢٠ والذكرى الخامسة لتولي سمو الأمير الحكم

ملف العدد: العدل أساس العمران

مشروع رعاية القرآن الكريم بالمساجد



هذا الإصدار القرآني هو مفردة لقراءة يعقوب للإمام محمد بن شريح الرعيني رحمه الله، قام بدراستها وتحقيقها الشيخ مهدي دهيم، وهذه الرسالة مهمة في بابها حيث بينت أوجه الإتفاق والخلاف بين قراءة يعقوب وغيره من القراء، وهي مفيدة للمعتنين بعلم القراءات خصوصاً، ولطلبة العلم عموماً.

الافتتاحية

كرامة الإنسان

خلق الله تعالى الإنسان ماس الحاجة، ظاهر العجز، وجعل لنيل حاجته أسبابا، ولدفع عجزه حيلة، دلّه عليها بالعقل، وأرشده إليها بالفطنة، وجعل الله تعالى الإدراك والظفر موقوفا على ما قسم وقدّر، كي لا يعتمد خلقه في الأرزاق على عقولهم، وفي العجز على فطنهم، لتدوم لهم الرغبة والرهبة، والإسلام بتشريعه السامي، ومبادئه الخالدة، قد عالج مشكلة الفقر بحلول علمية، ونظم تشريعية، لتحقيق العيش الأكرم، والمستقبل الأفضل، لبني الإنسانية جميعًا، وقضى على الفقر والجهل والمرض والبطالة، بوسائل إيجابية متكاملة، تحقق للفرد سعادته، وللأسرة كفايتها، وللمجتمع سلامته، وللدولة ولايتها، عدل شامل يدعو إلى الألفة، ويبعث على الطاعة وتعمر به الأرض، وتثمر به الأموال، ويأمن به السلطان.. عدلت فأمنت فنمت. وليس شيء أسرع في خراب الأرض، ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور، فالعدل باتباع الميسور، وحذف المعسور، وترك التسلط بالقوة، وأمن عام تطمئن إليه النفوس، ويسكن فيه البريء، ويأنس به الضعيف، فليس لخائف راحة، ولا لحاذر طمأنينة، وخصب دار تتسع النفوس به في الأحوال، ويشترك فيه ذوو الإكثار والإقلال، فيقل في الناس الحسد، وتكثر المواساة والتواصل، وأن يكون آحاد الشعب في كفالة جماعتهم، وأن يكون كل قادر أو ذي سلطان كفيلاً في مجتمعه يمده بالخير، لقوله ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان» وقوله «كمثل الجسد»، لهذا نجد أن الإسلام اهتم بوضع الحلول الاقتصادية، وسن النظم المالية، حتى يعيش الناس في تكافل العيش، وكرامة الحياة، فالإسلام يقدس العمل، ويحرم التواكل، فالمسلم الحق هو الذي يمضي في طريق الكفاح، ليحقق لأسرته ومجتمعه موارد العيش والنجاح، ولأمته سبيل التقدم والفلاح.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي





مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٤٨

العام الثامن والأربعون

ربيع الآخر ١٤٣٢هـ

مارس - ابريل ٢٠١١م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
manager@alwaei.com

في هذا العدد



موضوع الغلاف



حجم نهضة الأمم لا يقاس بالزمن بقدر ما يقاس بالإنجازات الملموسة في شتى ميادين الحياة وهذا ما حققته الكويت خلال خمسين عامًا مضت على استقلالها.





التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات
هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت:١٨٣٤٩٥٧٧٠ (٠٠٢٤٩)

• اليمن - دار القلم للنشر- ف: ٤٦٩٤١٥(٠٠٩٦٧١)

• لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠

• سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات

• الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣

• مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت: ٢٧٧٠٥٠٦٦ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٧٧٠٥٤١٣- دار الأهرام

• المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية

• مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع

• الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع

• المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف

• سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع

• قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.

• المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

• الكويت : ٥٠٠ فلس • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان : ٥٠٠ جنيه • موريتانيا : ٢٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير • اليمن : ٧٠ ريالا • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠ دراهم • ليبيا : دينار واحد • اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله • اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

المحتويات

كلمة العدد

وقفة تقييمية

يتزامن صدور هذا العدد مع احتفالات دولة الكويت بالذكرى الخمسين لاستقلالها، وإذا كانت نهضة الأمم وتقدمها في عالمنا المعاصر تقاس بمدى اعتمادها على المواكبة لتطورات العصر وتقنياته والاستفادة منها في مسيرتها الحضارية مع التمسك بهوية الأمة وثوابتها، فإن الكويت ومنذ فجر استقلالها وضعت هاتين الركيزتين نصب عينها، وفي مقدمة اهتماماتها، وبنت على أساسها خططها الاستراتيجية والتنموية الأمر الذي مكنها أن تخطو خطوات نوعية سريعة في سلم الحضارة والرقي والتقدم.

إن المناسبات في تاريخ الأمم الحية نقاط انطلاق نحو أهداف جديدة ومحطات سريعة، وهذا ما تطمح إليه الكويت وتنوي تحقيقه بإذن الله لتؤدي دورها الإيجابي الفاعل في مسيرة الحضارة الإنسانية.

التحرير

الاشتراكات

- **داخل الكويت:** للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- **الدول العربية:** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم:** للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات:** ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية **(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)**



الكويت تحتفل باليوبيل الذهبي لاستقلالها وذكرى التحرير الـ ٢٠ والذكرى الخامسة لتولي سمو الأمير الحكم

التحرير

تعيش الكويت هذه الأيام الاحتفالات الوطنية بشكل مختلف وفريد من نوعه، حيث يصادف فبراير من هذا العام الذكرى الخمسين للاستقلال، والعشرين لتحرير الكويت، والخامسة لتولي سمو أمير الكويت مقاليد الحكم في البلاد.

تنطلق باكورة الاحتفالات الوطنية مع رفع سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح علم الكويت بالتزامن مع رفع العلم في جميع المحافظات، وسينقل تلفزيون الكويت هذا الحدث التاريخي للعالم عبر قنواته المختلفة.

ويبدأ احتفال الكويت باليوبيل الذهبي للاستقلال يوم ٢٦ فبراير من خلال إبراز الوحدة الوطنية في تلك الاحتفالات وتماسك الشعب الكويتي، لاسيما أن الكويت درة الخليج.

وتأتي الاحتفالات الوطنية بشكل مختلف عن السنوات السابقة، فهناك شعار تم تصميمه على شكل رقم ٥٠ وضع عليه عبارة «لو دامت لغيرك ما اتصلت إليك»، خاصة أن مثل هذه الكلمات المضيئة لابد أن نؤمن بها وتكون هي القاعدة التي نتحرك من خلالها.

نبذة عن الكويت

أسست دولة الكويت من مجموعة من القبائل بزعامة أسرة آل الصباح، وآل الصباح أسرة عربية كانت تعيش في منطقة الهدار بنجد، وتعتبر نجد منطقة صحراوية قليلة المياه والأعشاب، اعتمد السكان فيها على حرفة الرعي كأساس لمصدر الرزق، وأصاب نجد الجفاف فتنازعت القبائل المقيمة هناك على ما تبقى من المراعي القليلة، وأصبحت الحياة صعبة، فقرر آل الصباح الهجرة مع بعض الأسر من نجد إلى مكان أكثر استقرارا وأمنا وتتوافر فيه سبل العيش.

وقرر آل الصباح والأسر التي معهم الهجرة إلى قطر بعد أن استأذنوا أميرها بالنزول في بلاده فسمح لهم ورحب بهم، ومن خلال إقامة آل الصباح ومن معهم من القبائل في قطر تعلموا حرفا جديدة لم يعرفوها أثناء وجودهم في منطقة الهدار في شبه الجزيرة العربية، حيث ارتبطت هذه الحرف بالبحر، وبعد أن تمكن آل الصباح ومن معهم من القبائل من تعلم وممارسة الحرف البحرية وركوب البحر غادروا قطر بحرا متجهين إلى شمال الخليج العربي حيث نزلوا قرب كوخ أو حصن صغير يضع فيه الصيادون أسلحتهم وأدوات الصيد، يسمى الكوت، وحين استقر

المقام بآل الصباح والقبائل التي معهم بدأوا في بناء أساسيات الحياة حول هذا الكوت، فبنوا مسجدا، وسوقا، وبيوتا، وغيرها... ومنذ تلك الفترة بدأت الكويت تظهر حتى أصبحت دولة حرة ذات سيادة.

وعندما بدأت الحياة تزدهر في الكويت وتتسع مساحتها من منازل وأسواق هاجرت إليها جماعات من البادية والبلاد المجاورة، وبدأ الشعب الكويتي يفكر فيمن سيقوم بإدارة شؤون البلاد ويفصل في المنازعات بين سكانها فكان لابد من تعيين حاكم على دولة الكويت، واتفق سكان الكويت جميعهم على اختيار الشيخ صباح بن جابر زعيم آل الصباح حاكما لهم، وكان رحمه الله أهلا للإمارة لكرمه وعدله وإخلاصه وحكمته وحسن سيرته، ومنذ هذا التاريخ بدأ حكم آل الصباح لدولة الكويت.

ازدهار دولة الكويت وتطورها

منذ أن تولى آل الصباح حكم دولة الكويت نمت البلاد وازدهرت وزادت ثروتها بفضل جهود شعبها ونشاطه، وقد حرص حكامها على استقلالها ونشر الأمن والعدل فيها، وزادت الأطماع الأجنبية في السيطرة على دولة الكويت، فاضطر حكامها لبناء أسوار عديدة لحماية الوطن من الاعتداءات الخارجية، ففي عهد الشيخ عبدالله بن صباح بني السور الأول حول مدينة الكويت، ثم بني السور الثاني في عهده أيضا.

من جانب آخر يعتبر الشيخ مبارك الصباح بحق مؤسس دولة الكويت الحديثة وراعي نهضتها، فقد تولى الحكم في عام ١٨٩٦م وكان عهده حافلا بالأحداث المهمة، فقد عقد معاهدة عام ١٨٩٩م مع بريطانيا لحماية دولة الكويت من الأخطار التي هددتها آنذاك، وافتتحت في عهده أول مدرسة وهي المدرسة المباركية في عام ١٩١١م، وأسس أول مستشفى في العام نفسه، ومنح امتياز للتنقيب عن النفط، ثم تولى حكم دولة الكويت الشيخ سالم بن مبارك الصباح، وقد بذل الشيخ سالم جهودا ملموسة في سبيل تطوير وازدهار

التجارة، وأهم الأحداث في عهده بناء سور الكويت الثالث عام ١٩٢٠م، حيث أمر سموه ببناء السور بعد أن تعرضت دولة الكويت لغارات القبائل، وكان من أبرز الأحداث في عهد الشيخ سالم بن مبارك الصباح معركة الجهراء، حيث استطاع الكويتيون بقيادته الانتصار على القبائل المعادية بفضل شجاعتهم وبسالتهم وصبرهم وتضحيتهم ووقوفهم صفا واحدا.

وتميز حكم المغفور له الشيخ أحمد الجابر الصباح باستتباب الأمن والاستقرار، ودام حكمه فترة طويلة، ومن أبرز الأحداث في عهده قيام أول مجلس للشورى في دولة الكويت، واكتشاف النفط وإنتاجه وتصديره.

أما في عهد الشيخ عبدالله السالم الصباح فقد دخلت دولة الكويت مرحلة جديدة من التقدم والازدهار، وأخذت شكل الدولة العصرية الحديثة، وشهدت فترة حكمه إنجازات كثيرة منها: التوسع في نشر الخدمات التعليمية في دولة الكويت ودول الخليج العربية، وتأسيس شركة البترول الوطنية الكويتية، وإلغاء معاهدة عام ١٨٩٩م التي عقدت مع بريطانيا، وحصول دولة الكويت على استقلالها عام ١٩٦١م، كذلك انضمت دولة الكويت إلى جامعة الدول العربية عام ١٩٦١م، وإلى الأمم المتحدة عام ١٩٦٣م، وتم التصديق على دستور دولة الكويت عام ١٩٦٢م،

وأجريت أول انتخابات نيابية، وافتتح أول مجلس أمة بعد الاستقلال في عام ١٩٦٣م، وواصلت دولة الكويت تقدمها في عهد الشيخ صباح السالم الصباح، وحققت الكثير من المكاسب والرفاهية لأبنائها، ففي عهد سموه افتتحت جامعة الكويت عام ١٩٦٦م، وتملكت الدولة شركات النفط العاملة في أراضيها ابتداءً من عام ١٩٧٥م، وأنشئت مؤسسة الكويت للتقدم العلمي عام ١٩٧٦م، كذلك عقدت دولة الكويت اتفاقات اقتصادية مع دول الخليج العربية، واشتركت دولة الكويت في العديد من المنظمات والهيئات العالمية.

أما سمو الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الصباح فقد تولى الحكم في نهاية عام ١٩٧٧م، وقد كان رحمه الله يتمتع بخبرة واسعة في إدارة شؤون الحكم لتقلده العديد من المناصب الحكومية العليا، ومن أبرز إنجازاته المحلية إصدار قانون الخدمة الإلزامية (التجنيد) عام ١٩٧٨م، وإنشاء مجلس الخدمة المدنية عام ١٩٧٨، أما على صعيد السياسة الخارجية فقد وضع أساس التعاون الخليجي عندما نادى بإنشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية الذي أسس في عام ١٩٨١م.

الاستقلال

حصلت دولة الكويت على الاستقلال في عهد الشيخ عبدالله السالم الصباح في عام ١٩٦١م، حيث طلبت الكويت من بريطانيا إلغاء معاهدة ٢٣ يناير١٨٩٩م المعقودة بينهما، وبدأت مرحلة جديدة من التقدم والازدهار وأخذت شكل الدول العصرية، وحين استقلت دولة الكويت عام١٩٦١م أصدر سمو الأمير المغفور له الشيخ عبدالله السالم الصباح مرسوما أميريا يقضي بانتخاب أعضاء المجلس التأسيسي الذي وضع دستور دولة الكويت الدائم.

وصدق الشيخ عبدالله السالم الصباح على الدستور في نوفمبر عام ١٩٦٢م، وفي يناير عام ١٩٦٣م انتخب أول مجلس أمة بعد الاستقلال، ويتألف مجلس الأمة من خمسين عضوا ينتخبون بصورة مباشرة



من أفراد الشعب ويمثلون جميع محافظات دولة الكويت.

وينص دستور دولة الكويت على أن:

- الكويت دولة عربية مستقلة ذات سيادة تامة.
- شعب الكويت جزء من الأمة العربية.
- لغة الدولة الرسمية هي اللغة العربية.
- دين الدولة الإسلام والشريعة الإسلامية مصدر رئيسي للتشريع.

العيد الوطني

أعلن استقلال دولة الكويت في التاسع عشر من شهر يونيو عام ١٩٦١م في عهد المغفور له الشيخ عبدالله السالم الصباح الذي تولى الحكم عام ١٩٥٠م، وكان عيد جلوس سموه في الخامس والعشرين من شهر فبراير، فاتفق على أن يجمع العيدان في يوم واحد، ومنذ ذلك الحين ودولة الكويت تحتفل بعيدها الوطني في الخامس والعشرين من فبراير من كل عام.

الاحتلال والصمود والتحرير

دخلت القوات العراقية الآثمة أراضي دولة الكويت في الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠م واحتلتها لمدة سبعة أشهر، ولكنها وجدت مقاومة شديدة ورفضا تاما من أبناء دولة الكويت جميعهم الذين قاوموا احتلال النظام العراقي البائد بشتى الوسائل العسكرية والمدنية، وتعددت أشكال المقاومة ضد الاحتلال العراقي البائد، حيث تشكلت فرق المقاومة العسكرية التي ألحقت أكبر الضرر بالقوات العراقية، كذلك اشتدت المقاومة المدنية التي تمثلت في الامتناع عن العمل في الوزارات والمؤسسات الحكومية، ولم يلتحق الطلاب بالمدارس والكليات ورفضوا كذلك تبديل أرقام سياراتهم وبطاقاتهم المدنية بأخرى عراقية.

أرسى الشيخ عبدالله السالم (رحمه الله) دعائم الدولة داخلياً بإنشاء المؤسسات الدستورية

وعانت كثير من الأسر الكويتية من قسوة الاحتلال وأساليبه الهمجية، فقد تعرض الكثير من أبنائها للتعذيب، كما استشهد الكثير من أبنائها البررة ووقع آخرون أسرى في أيدي الغزاة، مما جعل الأسر الكويتية جميعها تهب للتناصر فيما بينها مقتدين بما كان يفعله أجدادهم وآباؤهم من عادات وتقاليد حسنة، فقد شارك الكثير منهم في توزيع الغذاء والملابس والنقود على المحتاجين.

ولقد وقفت دول مجلس التعاون الخليجي والدول العربية ودول العالم الصديقة مع دولة الكويت ضد الاحتلال، وأدانته، حيث طلبت انسحاب القوات العراقية من دولة الكويت، وعودة الحكم بقيادة صاحب السمو أمير البلاد وولي عهده الأمين وحكومته الرشيدة، ولكن لم يستجب الحاكم العراقي لطلب الانسحاب.

لذلك قرر مجلس الأمن استخدام القوة ضد النظام العراقي لرفضه الانسحاب ففي ١٧ يناير عام ١٩٩١م بدأت حرب تحرير دولة الكويت بتعاون قوات التحالف الصديقة

والشقيقة، وتم تحرير دولة الكويت من براثن الغزو العراقي الغاشم في يوم ٢٦ فبراير عام ١٩٩١م.

تاريخ الكويت

يرجع تاريخ الكويت إلى أكثر من ٤٠٠ عام حينما استوطنها آل الصباح والعتوب عام ١٦١٣م، وذكر حاكم الكويت الشيخ مبارك الصباح في رسالته المؤرخة عام ١٩١٢م للمقيم البريطاني في الخليج ما نصه «الكويت أرض قفراء نزلها جدنا صباح ١٠٢٢هـ»، وتدل الآثار على أن تاريخ المنطقة ككل يرجع إلى ما قبل الميلاد حيث استوطنت جزيرة فيلكا من قبل الهيلينستيين في القرن السادس قبل الميلاد ثم استولت قوات الإسكندر الأكبر على الجزيرة، والتي أطلق عليها اليونانيون اسم إيكاروس.

في القرن السادس عشر أسست المدينة، وكان غالب سكانها منذ تأسيسها يمتهنون الغوص على اللؤلؤ والتجارة البحرية بين الهند وشبه الجزيرة العربية، الأمر الذي ساعد في تحويل الكويت إلى مركز تجاري في شمال الخليج العربي وميناء رئيسي لكل من شبه الجزيرة وبلاد الرافدين، وقد بلغت مهنة الغوص ذروتها زمن حكم مبارك الصباح إذ بلغ عدد السفن بالكويت قرابة الثمانمائة سفينة.

بعد اكتشاف النفط وبدء تصديره في منتصف القرن العشرين، شهدت مدينة الكويت وقراها نهضة عمرانية واسعة فكان ذلك نقطة تحول في تاريخ الكويت، حيث هدم سور مدينة الكويت واستوطن البدو الرحّل وتغير نمط البناء والحياة بشكل عام.

وعلى الرغم من أن الكويت حكمها ١٥ شيخا منذ عام ١٦١٣م حتى اليوم، فإن الشيخ مبارك الصباح (١٨٩٦- ١٩١٥) يُعتبر المؤسس الحقيقي والفعلي للدولة، وقد نص الدستور الكويتي في مادته الرابعة على أن جميع حكام الكويت من بعده هم من ذريته بأبنائه وأبناء أبنائه.



وقفت دول مجلس التعاون الخليجي والدول العربية ودول العالم الصديقة مع دولة الكويت ضد الاحتلال

حكام الكويت

الشيخ صباح الأول بن جابر (١٧٥٦- ١٧٦٢).
الشيخ عبدالله الأول (١٧٦٢- ١٨١٢).
الشيخ جابر الأول (١٨١٢- ١٨٥٩).
الشيخ صباح الثاني (١٨٥٩- ١٨٦٦).
الشيخ عبدالله الثاني (١٨٦٦- ١٨٩٢).
الشيخ محمد الأول (١٨٩٢- ١٨٩٦).
الشيخ مبارك الصباح (١٨٩٦- ١٩١٥).
الشيخ جابر الثاني (١٩١٥- ١٩١٧).
الشيخ سالم المبارك (١٩١٧- ١٩٢١).
الشيخ أحمد الجابر (١٩٢١- ١٩٥٠).
الشيخ عبدالله السالم (١٩٥٠- ١٩٦٥).
الشيخ صباح السالم (١٩٦٥- ١٩٧٧).
الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح (١٩٧٧- ٢٠٠٦).
الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح (٢٠٠٦- حتى الآن).

الشيخ عبدالله السالم الصباح

الشيخ عبدالله السالم الصباح هو مؤسس دولة الكويت الدستورية، فقد دشن أول برلمان في البلاد وهو الحاكم الحادي عشر من أمراء آل الصباح، وكان أول استثناء لمبدأ تعاقب الحكم بين أسرتي الجابر والسالم في الستينيات عندما خلف الشيخ عبدالله أخوه الشيخ صباح السالم (والد وزير الخارجية الحالي) في الفترة من (١٩٦٥- ١٩٧٧)، وفي عام ١٩٧٧م عادت الإمارة إلى أسرة الجابر وتولى الشيخ جابر الأحمد الصباح الحكم.

ولد الشيخ عبدالله السالم في عام ١٨٩٥، وفي عهد الشيخ أحمد الجابر (١٩٢١- ١٩٥٠) تولى رعاية شؤون البلاد الإدارية والمالية قبل أن يتولى في عام ١٩٥٠ ولاية الإمارة التي أصبحت في عهده دولة مستقلة ذات سيادة تامة يحكمها نظام دستوري، وجاءت هذه التطورات في فترة شهدت فيها الكويت تدفق العائدات النفطية، وعم الرخاء الاقتصادي الكويت مع تزايد إنتاج النفط، واتجهت البلاد إلى نهضة عمرانية شاملة كان وراء مسيرتها شخصية الأمير الشيخ عبدالله، فقد تولى رئاسة المجلس التشريعي ثم رئاسة مجلس الشورى، كما ترأس الكثير من الجمعيات الأدبية والعلمية وأشرف على مالية الكويت.

وإن كان الشيخ مبارك الصباح حافظ على مكانة الكويت السياسية والدولية، فإن الشيخ عبدالله السالم الصباح أرسى دعائمها داخليا بالمؤسسات الدستورية والقانونية، ففي عهده..

- انتشر التعليم وزودت المدارس بالأجهزة والوسائل التعليمية الحديثة وأنشئت معاهد المعلمين والمعاهد الخاصة للمعوقين.
- وتم تأمين العلاج للمواطنين والمقيمين مجانا، وأنشئت المستوصفات والمراكز الصحية ومستشفى الصباح النموذجي

• كما أنشئت أكبر محطة لتقطير مياه البحر، وأنشئت محطة كبيرة لتوليد الكهرباء، وبنيت المساكن لذوي الدخل المحدود، ونظمت المساعدات المالية لذوي الحاجة.

• نشطت التجارة في عهده في الميادين شتى.

• شهد عام ١٩٦١م في عهده استقلال الكويت وإلغاء معاهدة الحماية المبرمة مع بريطانيا عام ١٨٩٩م واستعيض عنها ب معاهدة صداقة وتعاون، وأصبحت الكويت دولة مستقلة ذات سيادة وعضوا في جامعة الدول العربية في يوليو/ تموز ١٩٦١م.

• شكلت في عهده أول وزارة في الكويت بعد الاستقلال، وأجريت انتخابات عامة لاختيار عشرين عضوا يكونون المجلس التأسيسي الذي اضطلع بمهمة وضع الدستور.

• أجريت في عهده انتخابات لاختيار أول مجلس أمة بعد الاستقلال في يناير/ كانون الثاني ١٩٦٣م وتوالت بعد ذلك المجالس النيابية.

• تبادلت الكويت في عهده التمثيل الدبلوماسي مع معظم دول العالم، وانضمت إلى هيئة الأمم المتحدة في ١٩٦٣/٥/١٤م.

• صدر في عهده أول دستور كويتي.

الشيخ صباح الأحمد الصباح

تمّت مُبايعة سموه بالإجماع أميرًا لدولة الكويت في ٢٩ يناير ٢٠٠٦.

صدر مرسوم أميري بتاريخ ٢٠٠٣/٧/١٣م بتعيينه رئيسا لمجلس الوزراء.

وُلي منصب النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء ووزير للخارجية في ١٨ أكتوبر ١٩٩٢م.

عيِّن نائبا لرئيس مجلس الوزراء ووزيرا للخارجية في ٣ مارس ١٩٨٥م.

عين وزيرًا للإعلام بالوكالة بالإضافة إلى منصبه نائبا لرئيس مجلس الوزراء ووزيرًا للخارجية في الفترة من ٤ مارس ١٩٨١م وحتى ٩ فبراير ١٩٨٢م.

عين نائبا لرئيس مجلس الوزراء بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٧٨م إضافة إلى منصب وزير الخارجية.

عين وزيرا للإعلام بالوكالة في الفترة من ٢ فبراير ١٩٧١م وحتى ٣ فبراير ١٩٧٥م إضافة إلى منصبه وزيرا للخارجية.

تولى منصب وزير الخارجية ابتداء من ٢٨ يناير ١٩٦٣م واستمر متقلدا هذا المنصب في جميع الوزارات التي شكلت منذ عهد الاستقلال وحتى ٢٠ إبريل ١٩٩١م.

عين وزيرا للإرشاد والأنباء في ١٧ يناير ١٩٦٢م.

عين رئيسا لدائرة الشؤون الاجتماعية والعمل ودائرة المطبوعات والنشر عام ١٩٥٥م.

الوزير الحماد يفتتح معرض «إصدارات الأوقاف» الثالث احتفالا بالأعياد الوطنية



افتتح نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون القانونية وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية المستشار راشد الحماد أخيرًا معرض «إصدارات الأوقاف» الثالث الذي يقام في مسجد الدولة الكبير احتفالا بأعياد الكويت الوطنية.

وعقب الافتتاح قام المستشار الحماد بجولة ضمن أرجاء المعرض اطلع خلالها على إصدارات الإدارات التابعة للأوقاف إضافة إلى الجهات المشاركة في فعالياته.

من جهته قال وكيل وزارة الأوقاف د.عادل الفلاح في تصريح صحافي: إن تنظيم المعرض يأتي انطلاقا من إستراتيجية الوزارة التي جعلت من التنمية كفريضة شرعية وضرورة بشرية ومن الشراكة المجتمعية ركنين أساسيين من أركانها.

وأضاف د.الفلاح أن «المعرض من شأنه المساهمة بتعزيز التنمية الثقافية للمجتمع في سبيل النهوض بوطننا العزيز الكويت ومن خلال مشاركة عدد من جمعيات النفع العام وغيرها من الجهات في مثل هذه الفعاليات».

وذكر أن المعرض يتضمن عرضا لكل إصدارات قطاعات الوزارة وإداراتها المختلفة وعلى رأسها «الموسوعة الفقهية» التي أصدرها قطاع الإفتاء والتي تعد مفخرة للكويت وللعالم العربي والإسلامي إضافة إلى إصدارات أخرى.

يذكر أن المعرض استمرت فعالياته خمسة أيام بمشاركة ٣٠ جهة من إدارات الوزارة إضافة إلى سفارات دول مجلس التعاون الخليجي ومنظمات المجتمع المدني وجمعيات النفع العام في الكويت.

د. محمد رجب البيومي في ذمة الله

التحرير

ودعت الأمة الإسلامية منذ أيام واحدًا من أعلام العالم الإسلامي هو الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي رئيس تحرير مجلة الأزهر والأمين العام الأسبق لمجمع البحوث الإسلامية.

ولد الدكتور محمد رجب البيومي عام ١٩٢٣م في قرية الكفر الجديد التابعة لمدينة المنزلة بمحافظة الدقهلية بمصر، ونال عالمية الأزهر عام ١٩٤٩م، ودبلوم معهد التربية عام ١٩٥٠م، والماجستير عام ١٩٦٥م، والدكتوراه في الأدب والنقد ١٩٦٧م.

وقد تدرج في السلك الوظيفي الحكومي، فعمل مدرسًا بالمدارس الثانوية بالإسكندرية عام ١٩٤٨م، ثم بالفيوم، ثم انتقل إلى كلية اللغة العربية مدرسًا، فأستاذًا مساعدًا، فأستاذًا، فرئيسًا لقسم الأدب والنقد، فعميدًا للكلية، فأستاذًا متفرغًا.

كتب في مجلة الرسالة الشهيرة منذ عام ١٩٤٨م وكان صديقًا شخصيًا لأحمد حسن الزيات والإمام عبدالحليم محمود والشيخ محمود شلتوت، وهو تلميذ محمد فريد وجدي ومحب الدين الخطيب.

أعير البيومي إلى السعودية وكوّن صداقة قوية مع صاحب مجلة «المنهل»، وأثناء الإعارة فقد زوجته وألف ديوان «حصاد الدمع»، ثم بعد العودة عيِّن عميدًا لكلية اللغة العربية بالمنصورة لمده عشر سنوات، كما شغل منصب الأمين العام الأسبق لمجمع البحوث الإسلامية وأستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية.

من أبرز مؤلفات البيومي البيان القرآني، وخطوات التفسير البياني،



والبيان النبوي، وأدب السيرة النبوية عند الرواد المعاصرين، والأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير، والنقد الأدبي للشعر الجاهلي، وأحمد حسن الزيات بين البلاغة والنقد، وحديث القلم، وقطرات المداد، والتفسير القرآني، بالإضافة إلى بعض الدواوين الشعرية مثل ديوان «صدى الأيام»، وديوان «حنين الليالي»، و«من نبع القرآن»، و«فاتنة الخورنق» (قصة أدبية)، ومسرحية «انتصار» وغيرها... ومن الكتب التاريخية «الأزهر بين السياسة وحرية الفكر»، و«مواقف خالدة لعلماء الإسلام»، و«النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين» (٥ أجزاء)، و«ابن حنبل»، و«من القصص الإسلامي» (جزءان)، و«في ميزان الإسلام» (جزءان)، و«من منطلق إسلامي» (جزءان)، بالإضافة إلى أنه كتب منذ الخمسينيات بمجلات: الأزهر والهلال والرسالة والثقافة والأديب اللبنانية وجريدة صوت الأزهر.

- ومن الجوائز الأدبية التي حصل عليها:

جائزة شوقي بالمجلس الأعلى للفنون والآداب بمصر، سنة ١٩٦١م، عن المسرحية الشعرية «انتصار».

- نال جائزة مجمع اللغة العربية الأولى، عن المسرحية الشعرية «فوق الأبوة» سنة ١٩٦٢م.

جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٣م، عن ديوانه الشعري «صدى الأيام».

- جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الأولى سنة ١٩٦٤م، في الدراسات الأدبية عن كتاب «الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير».

- جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٥م، في التراجم الأدبية عن حياة «محمد توفيق البكري».

- جائزة مجمع اللغة العربية سنة ١٩٧٢م، عن المسرحية الشعرية «بأي ذنب».

- جائزة وزارة التربية والتعليم سنة ١٩٥٨م، عن المسرحية الشعرية «ملك غسان».

توفي- رحمه الله- يوم السبت الموافق الخامس من فبراير سنة ألفين وإحدى عشرة من الميلاد، ودُفن في مسقط رأسه، تاركًا من الذرية سبع بنات وولدًا واحدًا يعمل طبيبًا للأطفال.

ومن المعلوم أن الفقيد كتب في مجلة (الوعي الإسلامي) مقالات عديدة أبرزها: رسول معجزته البيان، تاريخ يجب أن نتجاوزه، نظرات في تفسير القرآن، مناقشة هادئة حول أصحاب الفيل، نظرات قرآنية، الأسبانيون يعترفون بحضارة الإسلام، مسجد الفسطاط وعبدالله بن عمر.



مخطوطات مكتبة الجامع الكبير في صنعاء

- وزارة الأوقاف والإرشاد اليمنية -

التحرير

في التراث اليمني تكثر المكتشفات وتزيد المخبوءات، وكل يوم يطالعنا البحث بعيون قيمة من روائع التراث اليمني، سواء كتب في اليمن أم ألف بأقلام يمنية.

وقد حفظت المكتبة اليمنية تراث الأمة بعد أن كاد يندثر، فظهرت الرؤية الصادقة لهذا التراث الإسلامي المهضوم، وكان للتراث اليمني أمجاد عظيمة في مجال الفكر الإسلامي، لم تكتشف بعد، وهي بحاجة إلى باحثين مهتمين متخصصين، يجدون لإظهار تلك المفاخر الموضوعية وبأمانة علمية.


وزير الأوقاف القاضي حمود الهيتار

لاقى التراث اليمني من التشريد والضياع ما نحن في غنى عن إعادته، وقد عرف هجرات كبيرة خارج وطنه الأصلي تعرض لها عن طريق السطو من ناحية وعن طريق البيع والمتاجرة به- من قبل من لا ضمير لهم- من ناحية أخرى.

وكما هو معروف فاليمن مشهور بثروته الخطية من خلال ما تقتنيه المكتبة اليمنية وغيرها من نفائس، لا من حيث الكم فقط وإنما كذلك من حيث الكيف، وقد رفع من قيمتها العلمية والمادية معا أن كثيرا منها بأقلام مؤلفيها أمثال العلامة محمد بن إبراهيم الوزير ٨٤٠هـ، والعلامة الشوكاني ١٢٥٠هـ، والعلامة ابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ... وغيرهم، كما أنه توجد على بعضها خطوط كثير من العلماء.

إن المخطوطات جزء من تراث الأمة، ووثيقة تاريخية تعكس الصورة الحضارية لأي أمة، ولأنها ذات أهمية يجب أن تبذل نحوها كل الجهود، وتوفر لخدمتها كل الإمكانات حفاظًا على تاريخنا وحضارتنا.

وفي العصر التركي الأخير (القرن الثالث عشر الهجري) كان لشغف الأتراك بنوادر المخطوطات أثر كبير في تسرب كتب أهل اليمن، وعرف من هؤلاء هواة كبار كالشيخ الجليل علي أميري الذي يقول عنه الأستاذ أيمن فؤاد السيد: «كان مجردا طول حياته في ابتياع الكتب، وكان دفتر دار للأتراك في اليمن، فبلغت الكتب التي ابتاعها منها



دائرة الأوقات



مدير المكتبة عبدالله الوشلي

نحو ألف مجلد».

وكان لجهد هذا الشيخ الجليل أثر كبير في التعرف على نوادر من المخطوطات اليمنية هي الآن محفوظة في تركيا.

وحدث ولا حرج عن قصة تسرب المخطوطات اليمنية إلى العالم، ويكفي أن نعلم أن أمهات من عيون التراث الإسلامي لم تعرف إلا عن طريق المكتبة اليمنية، ومن أهمها كتب ابن عبدالبر والتنوخي وغيرهم.

ولكنه مما يثلج الصدر أن ما تعرض للهجرة من المخطوطات هو محفوظ معتنى به في مكتبات أوروبا وتركيا، وهذا عام في أغلب الكتب التي اقتنتها المؤسسات العامة، أما ما حصل عليه أشخاص فإن أمره في ظل النسيان والله أعلم.

لقد كان من أمر وزارة الأوقاف اليمنية الجليلة، تحت رعاية القاضي حمود الهيتار، أن تلافت فداحة النقص الذي سبب الضياع والتلف، وقامت بإعادة فهرسة مكتبة الجامع الكبير في صنعاء (مكتبة الأوقاف).

وقد حاولت بقدر الإمكان تحاشي ما وقع من أخطاء فادحة في هذا المجال.. فتحرت الدقة في ضبط عناوين الكتب والمؤلفين، ولم تتساهل في تحديد كل كتاب حتى لا نقع في التكرار والخطأ.

ومن ثم جمعت لكل كتاب مخطوطاته ووصفتها وصفا دقيقا، وأعطت كل كتاب بمخطوطاته أرقامًا متسلسلة، فنقول مثلا، بعد إيراد عنوان الكتاب الأصلي ووصفه من إحدى المخطوطات الخاصة به نقول في حالة تعدد مخطوطاته: نسخة أخرى ثانية - ثالثة.. وهكذا.

ثم راعت الوزارة الدقة في أسماء المؤلفين، والبحث عن أسمائهم إذا كانت غير موجودة في بعض المخطوطات، وما أكثر المخطوطات التي لا تحمل أسماء مؤلفيها، أو أنها كتبت مضطربة أو ناقصة أو مبتورة، فكان جهدها في هذا العمل أن جندت كل ما لها من معرفة واطلاع والبحث عن أسماء مؤلفي تلك الكتب الحقيقية، ولم تكتف بثقافة الناسخ ومعلوماته إذ أكثرهم من محدودي الثقافة.

ثم أضافت عملا آخر جديدا لا أظن أن أحدا قد سبقها إليه في مجال الفهرسة، وهو إلى أصحاب الخطوط من العملاء والأدباء والزعماء وسائر المشاهير...، فكان هذا العمل تكملة لما بدأه العلامة الجليل خير الدين الزركلي في كتابه «الأعلام» الذي حشد جملة وافرة من خطوط العلماء.

لقد حوت المكتبة في جملتها على ٢٤٠٩ مجلدات عدا المجاميع والكتب والرسائل داخل تلك المجلدات، وكانت المجاميع قد بلغت ١٢٤ مجلدا. وبلغت مجلدات علم التفسير وفروعه ٣٩٧ مجلدًا.

وعلم الحديث ٢٩٤ مجلدا.

وعلم الكلام ٢٥٤ مجلدا.

وعلم الفقه وفروعه ٨٥٧ مجلدا.

وعلم التصوف ٥١ مجلدا.

وعلم النحو واللغة والبلاغة والأدب ٤٣٧ مجلدا.

وعلم التاريخ ١٠٠ مجلد.

وعلم الطب ٦١ مجلدًا.

ومتفرقات ٩٦ مجلدًا.

هذا فيما يتعلق بالمجلدات، أما العناوين فهي أكثر من هذه الأرقام، وقد حوت المجاميع جملة وافرة من الرسائل والكتب، سيجدها القارئ في طيات الفهرست الخاص بالمكتبة.

مركز البحوث الكويتية

التحرير

يعد مركز البحوث والدراسات الكويتية أحد مصادر المعرفة للبحوث والدراسات المتعلقة بشئون الكويت السياسية والاقتصادية والأدبية وتراثها الحضاري، وبالإضافة إلى ذلك فإن هذا المركز يسهم في جمع الوثائق والكتب والدراسات والدوريات ذات الصلة بتراث الكويت وقضاياها وعلاقاتها الإقليمية والدولية والإفادة منها في التعريف بالكويت وهويتها العربية.

وقد تفضل أ. د. عبدالله يوسف الغنيم رئيس المركز - كعادته حفظه الله - بإرسال هاتين القصيدتين اللتين حصل عليهما المركز من مخطوطات محمد صالح العدساني تبينان أهمية هذا العمل في إبراز التراث الوطني الكويتي الثمين، لذا ارتأت المجلة نشرهما لتعميم الفائدة .

بسم الله الرحمن الرحيم هذا نظم للصور التي يجب على المسافر إتمام الصلاة فيها للشيخ عبدالعزيز بن عبدالرحمن الرزيني الحنبلي

يَا سَائِلِي نَظْمَ حَالاَتٍ يَكُونُ بِهَا
عَلَى المُسَافِرِ إتْمَامٌ لَدَى البُصَرَا

اسْمَعْ لَهُ صُورَةً فِي العَدِّ يَتبعُهَا
عِشْرُونَ يَأْثَمُ مَنْ فِيهِنَّ قَدْ قَصَرَا

نَظَمْتُهَا يَا أَخَا الإِتْقَانِ فَاعْنَ بِهَا
نَظْمًا يَفِي لَكَ بِالمَقْصُودِ مُخْتَصَرا

مَنْ مَرَّ يَومًا بِأَوْطَانٍ لَهُ وَكَذَا
بِبَلْدَةٍ لَهُ فِيهَا زَوْجَةٌ ذُكِرَا

أَوْ قَدْ تَزَوَّجَ فِيهَا يَا أُخَيَّ وَلَوْ
قَدْ كَانَ فَارَقَهَا فَاعْمَلْ بِمَا سُطِرَا

أَتَمَّ مِثْلُ الذِي فِي الْحَضَرِ أَدْرَكَهُ
وَقْتٌ لِمَفْرُوضَةٍ فَأوقعَتْ سَفَرَا

أَوْ بَعْضُهَا فِيهِ وَالثَّانِي لَدَى وَطَنٍ
كَمِثْلِ رَاكِبِ فُلْكٍ تَسْبِقُ النَّظَرَا

أَوْ كَانَ أُنْسِيَ فَرْضًا وَهْوَ فِي حَضَرٍ
أَتَمَّ فِي سَفَرٍ فِيهِ لَهُ ذَكَرَا

أَوْ عَكْسُهُ مِثْلُ مَنْ قَدْ كَانَ مُقْتَدِيَا
بِذِي مُقَامٍ وَمَنْ قَدْ شَكَّ فِيهِ جَرَى
مَجْرَاهُ أَوْ شَكَّ فِي أَثْنَائِهَا أَحَدٌ
أَعِنْدَ إِحْرَامِهَا نَوَى وَلَوْ خَبَرَا
أَوْ قَدْ أَعَادَ صَلاَةً قَبْلَ فَاسِدَةٍ
عَلَيْهِ إِتْمَامُهَا فَالْقَصْرُ قَدْ حُضِرَا
أَوْ كَانَ لَمْ يَنْوِ قَصْرًا عِنْدَ أَوَّلِهَا
أَوْ قَدْ نَوَاهُ وَلَكِنْ رَفْضَهُ ابْتَدَرَا
وَإِنْ يَكُنْ جَاهِلاً أَنَّ الإِمَامَ نَوَى
قَصْرًا فَبَعْضُهُمُ عَنْ قَصْرِهَا زَجَرَا
وَمَنْ نَوَى فِي مَكَانٍ أَنْ يُقِيمَ بِهِ
وَلَمْ يُقَيِّدْ فَبِالإِتْمَامِ قَدْ أُمِرَا
أَوِ الإِقَامَةُ يَا ذَا الحَزْمِ أَكْثَرَ مِنْ
عِشْرِينَ مَفْرُوضَةً فَالْحُكْمُ قَدْ ظَهَرَا
أَوْ ظَنَّ ذُو حَاجَةٍ أَنْ لَا يُحَصِّلَهَا
فِيهَا فَإِتْمَامُهُ فِي الكُتْبِ قَدْ ذُكِرَا
وَشَكَّ هَلْ قَدْ نَوَى إِقَامَةً بِمَكَا
نٍ تَمْنَعُ القَصْرَ فَالإِتْمَامُ قَدْ نُصِرَا
وَفِي الصَّلاَةِ مَتَى يَعْزِمْ عَلَى سَفَرٍ
لِقَصْدِ مَعْصِيَةٍ فَلْيُتْمِمِ القَصْرَا
أَوْ تَابَ مِنْهُ بِهَا أَوْ كَانَ أَخَّرَهَا
مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ مُبِيحٍ فَارْجِعِ البَصَرَا
حَتَّى تَضَايَقَ عَنْهَا وَقْتُهَا فَهُنَا
إِتْمَامُهَا وَاجِبٌ فِي الكُتْبِ قَدْ سُطِرَا
وَتَمَّ نَظْمِي لَهَا فَاحْفَظْهُ يَا عَضُدِي
فِي ظَهْرِ قَلْبِكَ كَيْمَا تَضْبِطَ الصُّوَرَا

بسم الله الرحمن الرحيم وقال الأقل صالح بن سيف: ليعلم الواقف على هذه الأبيات أن شيخنا الشيخ محمد بن فيروز أراد أن ينظم الشهداء في أبيات فنظم منهن اثني عشر بيتًا من أولها إلى «وقل شهيد... الخ» وباقيها وهو أحد عشر بيتًا لي نظمتها مستعينا بالله تعالى.

اللهَ أَحْمَدُ فِي سِرِّيْ وَفِي جَهْرِيْ
حَمْدًا بِهِ أَرْتَجِي مِنْ وَاسِعِ الْغَفْرِ

عَفْوًا وَغُفْرَانَ ذَنْبٍ مُثْقِلًا ظَهْرِي
وَخَتْمَهُ بِالْهُدَى الْبَاقِيْ مِنَ الْعُمْرِ

وَبَعْدَ حَمْدِي أُصَلِّيْ مَا جَرَى فَلَكٌ
عَلَى الرَّسُولِ الزَّكِيِّ الْكَامِلِ الشُّكْرِ

مُحَمَّدٍ خَيْرِ خَلْقِ اللّهِ قَاطِبَةً
شَفِيعِنَا يَوْمَ جَمْعِ النَّاسِ فِي الْحَشْرِ

وَالْآلِ وَالصَّحْبِ مَنْ حَازُوا بِهِ شَرَفًا
مَادَامَ بَدْرُ السَّمَا فِي أُفْقِهِ يَسْرِي

وَبَعْدَ ذَا خُذْ هَدَاكَ الله عِدَّةَ مَنْ
سُمِّيْ شَهِيدًا بِنَصِّ المصْطَفَى تَدْرِي

فَهُمْ قَتِيلَانِ فِي ظُلْمٍ وَمَعْرَكَةٍ
وَذَانِ أَعْلَاهُمُ أُيِّدْتَ بِالنَّصْرِ

وَمَنْعُ غُسْلٍ لِذَيْنِ وَالصَّلَاةَ مَعَ التْـ
تَكْفِينِ خُذْهُ عَنِ الْعَلَّامَةِ الْحَبْرِ

أَعْنِي المبَجَّلَ بَحْرَ الْعِلْمِ سَيِّدَنَا
إِمَامَنَا أحمدًا مِنْ غَيْرِ مَا نُكْرِ

وَذَا لِمَنْ مِنْهُمَا فِي الْحِينِ مَوْتَتُهُ
وَإِنْ بَقِي اغسِلْ وَكَفِّنْ وَادْعُ بِالْغَفْرِ

وَانْزِعْ جُلُودًا وَآلَاتِ الْقِتَالِ وَلَا
تَغْسِلْ فَفِيهَا الحكم بالطهر

وَقُــــلْ شَــهِـيـدٌ فَــتــى قَــدْ مَـــاتَ مُــغْــتَــرِبًـا

وَمَــــــنْ بِـــبَـــطْــنٍ وَطَـــاعُـــونٍ وَمَـــــا يَـجْـــرِي

عَــلَــيْــه سُــلٌّ وَذاتُ الْجَــنْــبِ مَــعْ غَــرَقِ

كَـــذَا شَـــرِيـــقٌ حَـــرِيــقٌ فَـــاسْـــتَـمِـعْ وَادْرِ

وَصَـاحِـبُ الْـــهَـــدْمِ وَالْمَــجْـــنُـــونُ ثُـــمَّـــتَ مَـــنْ

مِـــنَ الْجِـــبَـــالِ تَـــرَدَّى فَـــاحْـــفَـــظَـــنْ خُـــبْـــرِي

وَنُـــفَـسَـــاءُ لَـــدِيـــغٌ ثُـــمَّ بَـــعْـــدَهُـــمُ

مُـــرَابِـــطٌ مَـــيِّـــتٌ فِــي سُــبُــلِ الــبِــرِّ

وَصَــابِـــرٌ فِـــي أَذَى الــطَّــاعُـــونِ مُــحْــتَــسِــبًـا

وَصَـــاحِـــبُ الـــلَّـــقْـــوَةِ افْــهَـــمْ مَـــا عَـــسَــى تَـــدْرِي

كَـــذَاكَ مَـــنْ مَـــاتَ فِـــي حَـــجٍّ وَفِـــي طَـــلَــبِ الـــ...

عِـــلْــمِ الــشَّــرِيــفِ الْكَــثِــيــرِ الــنَّــفْــعِ وَالأَجْـــرِ

وَأُمَـــــنَـــــاءُ إِلَـــــهِــــي جَـــلَّ عَــــنْ وَلَـــدِ

فِـــي الأَرْضِ هُـــمْ عُـــلَـــمَـــاءُ فَـضْـلُـهُـم يَـــسْـــرِي

وَطَـــالِـــبٌ مَـــوْتَـــهُ بِـــنِـــيَّـــةٍ صَـــدَقَـــتْ

عَـــلَـــى الـــشَّـــهَـــادَةِ مِـــنْ مَـــوْلاهُ فَـــاسْـــتَـــقْـــرِ

كَـــذَاكَ يَـــا صَـــاحِ مَـــنْ رَمَـــتْـــهُ دَابَّـــتُـــهُ

فَـــرِيـــسُ سَـــبْـــعٍ فَـــخُـــذْ وَاحْـــذَرْ مِـــنَ الـــشَّـــرِّ

وَمَـــــنْ يُـــقَـــتَّـــلُ دُونَ مَـــالِـــهِ وَكَـــذَا

أَهَــيْـــلِـــهِ دَمِـــهِ أَوْ دِيـــنِـــهِ الـــيُـــسْـــرِ

كَـــذَاكَ مَـــظْـــلِـــمَـــةٍ بِـــكَـــسْـــرِ لامَــــةِ

ثُـــمَّ عَـــاشِـــقٌ ذُو عَـــفَـــافٍ كَـــاتِـــمُ الـــسِّـــرِّ

فَـــهَـــذِهِ نُـــبْـــذَةٌ فِـــي ضَـــبْـــطِـــنَـــا الـــشُّـــهَـــدَا

وَأَحْـــمَـــدُ الـــلَّـــهَ حَـــمْـــدًا دَائِـــمَ الـــشُّـــكْـــرِ

مفتي البوسنة والهرسك: العجم يشعرون بروحانية القرآن أكثر من بعض العرب

مسلمو البوسنة حجة على انتشار الإسلام بالإقناع لا بالسيف

حوار: سليمان الرومي وعامر أحمد عامر

حث المفتي العام الرسمي للبوسنة والهرسك مصطفى سيريتش جموع المسلمين على تحري الدقة والحيطة فيمن يأخذون عنهم الفتاوى، ودعا إلى ضرورة إقامة مرجعيات رسمية مختصة بذلك تكون ذات مصداقية لإفتاء الناس وعدم إلجائهم إلى غير المختصين. ودعا سيريتش في حوار خص به «الوعي الإسلامي» إلى ضرورة إعادة النظر في تقسيم الفقهاء القدامى للعالم إلى دار حرب ودار سلام، مؤكدًا أن هناك الآن ما يسمى دار عهد، وهي التي يعيش فيها الآن كثير من الأقليات المسلمة، ومنها المسلمون في البوسنة، لافتا إلى ضرورة استيعاب الشباب المسلم لحمايته من براثن المتطرفين، كما أشار إلى أن الصحوة الإسلامية في البوسنة في ذروتها الآن، وهي في طريقها للازدياد... وفيما يلي تفاصيل الحوار.

• بصفتكم المفتي العام الرسمي للبوسنة والهرسك.. كيف ترون مستقبل الفتوى الرسمية في ظل انتشار الفضائيات الإسلامية؟

- على المسلمين أن يتحروا الدقة والحيطة فيمن يأخذون عنهم الفتاوى، وليعلم الجميع أن تحليل الحرام وتحريم الحلال من أعظم الكبائر، والمفتي بغير علم يحمل إثمًا كبيرًا، كما أن جانبًا من المسؤولية كذلك ملقى على من يذهبون لأخذ الفتوى من غير المتخصصين، والله عز وجل يقول ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾، ولابد من وجود مرجعيات تضبط هذه الأمور، تكون على قدر عالٍ من التخصص والقدرة على التطور المتلاحق لما يجري في العالم من حولنا، وتشكلها المؤسسات الرسمية التي تتمتع بالمصداقية والمرجعية.

• هلّا أطلعتم قراء «الوعي الإسلامي» على نظام الإفتاء في البوسنة؟

- هناك مجلس للفتاوى تابع للمشيخة، وبصفتي المفتي العام أرأس هذا المجلس الذي يتكون من ثلاثة عشر مفتيًا، ليسوا للبوسنة والهرسك فقط ولكن لكرواتيا وصربيا وسلوفونيا، وقد رأيت من الأفضل أن نعين أمينًا للفتوى ليتابع الأحداث، ويتلقى الفتاوى اليومية، ويصدر الفتاوى الرسمية، ونحن نجتمع كلما دعت الحاجة إما بطلب الأمين العام، أو بتكاثر الأسئلة أو غير ذلك، لمناقشة القضايا الكبرى التي تتعلق بالفتوى، ومن بين علماء هذا المجلس امرأتان، ونحن نميل في كثير من الأمور الفقهية إلى المذهب الحنفي، وهذا لا يمنعنا من النظر في بقية المذاهب المعتبرة الأخرى والأخذ بها في بعض المواطن، أما على المستوى العقدي فنميل إلى العقيدة الماتريدية (أهل السنة والجماعة).

• هل صحيح أن الصحوة الإسلامية تراجعت في البوسنة في الفترة الأخيرة؟

- إذا نظرنا إلى الوعي الإسلامي في البوسنة في الفترات ما قبل الحرب، وأثناء الحرب، وبعد الحرب ندرك أن الصحوة الإسلامية تعيش أقوى فترة لها الآن، فالشباب يملأ المساجد، وقد كنا من قبل لا نرى إلا كبار السن، لكن هذا لا يمنعنا أن نصير إلى الأفضل، ولا أدري على أي أساس بنى هؤلاء كلامهم حول ضعف الصحوة، وتبقى لهم الحرية في التعبير عن وجهات نظرهم.

• أين تقع البوسنة على خريطة العالم الإسلامي اليوم؟

- الفقهاء قديمًا قسموا العالم إلى دار السلام ودار حرب، أما نحن في البوسنة فنعيش في النوع الثالث وهو دار العهد، أو دار الصلح، ولذلك علينا نحن المسلمين أن نعيد النظر في هذا التقسيم مرة أخرى، لأن المسلمين الآن يعيشون في كل ركن في العالم، فلا يصح أبدًا أن نقول لهذه الأقليات هاجروا إلينا أنتم في دار حرب! وعلى أية حال هذا التقسيم ليس من القرآن ولا من السنة، بل هو من عندالفقهاء، وبناء على تجارب تاريخية.

• ماذا عن الهوية الإسلامية لمسلمي البوسنة في ظل ما يلقونه من تحديات من خلال العيش بين أغلبية غير مسلمة؟

- نعيش في البوسنة تحديًا كبيرًا في ظل تعدد الثقافات والحضارات والعقائد، ما يضطرنا أن نثبت كل يوم بشكل أو بآخر هويتنا الإسلامية، لكن هذا التحدي في الحقيقة ليس خاصًا بمسلمي البوسنة وحدهم، بل يواجهه المسلمون في العالم كله، ويتعاظم هذا التحدي في ظل الانفتاح الفضائي والإعلامي الذي يعيشه العالم اليوم، وهذا لا يمنع أن تكون الأوضاع في البلاد ذات الأكثريات المسلمة مختلفًا عنه في البلاد ذات الأقليات، فنحن نواجه بعض الكراهية والأحقاد ونسمع بعض


لقطة من الحوار

من المسلمين جاهلون بالإسلام أكثر من الآخرين.. والقرن الـ٢١ روحاني بالدرجة الأولى

الكلمات التي قد تؤذينا في الإعلام ونعد ذلك نوعًا من الابتلاء.

الذي أود أن يعرفه قراء «الوعي الإسلامي» والعالم أجمع أن مسلمي البوسنة خير حجة على أن الإسلام لم ينتشر بالسيف، فلو أدخلونا إلى الإسلام بالسيف لسهل عليهم إخراجنا منه بالسيف أو بغيره، فنحن قدمنا للإسلام من دمائنا مائتي ألف شهيد من الرجال والنساء والأطفال، ولم يستطع أحد أن يزحزحنا عن ديننا المتجذر في أعماقنا، وقد احتفلنا في عام ٢٠٠٧ بمرور ستة قرون على دخول الإسلام إلى شبه جزيرة البلقان.

• ما الذي تقدمونه من أجل نشر الإسلام في الغرب الذي تعدون بوابة الإسلام إليه؟

- مازالت الشمس تطلع من الشرق، والله عز وجل لم يرسل نبيًا ولا رسولاً في أوروبا ولا الغرب، فنحن في الغرب ننظر إلى ما يأتي من الشرق من حكمة ورسالة وغيرهما، ومصير الإسلام في الغرب مرتبط بما يحدث في الشرق، ونحن ننتظر انبثاق الثورة الروحية الكبرى من الشرق، لأن الإنسان لديه احتياج جسدي واحتياج فكري واحتياج روحي، والقرن الواحد والعشرون سيكون روحيًا بالدرجة الأولى، لأن الحضارة الغربية تركز على الحاجات الجسدية والفكرية وتتغافل عن الحاجات الروحية وتتهاوى من هذه الناحية.

نعم نحن نبذل جهدًا كبيرًا لنشر الإسلام، وخير جهد يبذل من وجهة نظري هو القدوة الحسنة، والله تكفل بحفظ دينه وكتابه ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾، لكن يجب علينا أولاً وقبل أي شيء أن نحسن فهم الإسلام، لأن هناك من المسلمين من يجهل الإسلام أكثر مما يجهله غير المسلمين، ولذلك علينا أن نفكر في تعليم الإسلام للمسلمين قبل أن نعلمه لغيرهم، وكثير من الضرر الذي وقع على الإسلام جاء من المسلمين أنفسهم، وغير المسلمين حينما ينظرون إلى وضع المسلمين ينكرون عليهم فإذا ما قرأوا في القرآن والسنة والسيرة بتجرد ونزاهة أيقنوا أنه دين صحيح ودخلوا فيه من غير جهد من المسلمين.

• ماذا عن التبادل الرسمي للخبرات والثقافات بينكم وبين العالم الإسلامي؟

- التبادل الرسمي يكون من خلال الزيارات إلى دول العالم الإسلامي، بهدف فتح حوارات فكرية لنشر الدين الصحيح بين الشباب حتى لا ينتشر الفكر التكفيري والمتعصب بينهم، ونشيد في هذا الصدد بمشروع الوسطية الذي تقيمه الكويت في تجربة رائدة في العالم الإسلامي، وكذلك ندعو علماء العالم الإسلامي إلى القدوم إلينا بين حين وآخر، وفي شهر أبريل المقبل، إن شاء الله، تنظم وزارة الأوقاف في البوسنة بالتعاون مع المشيخة مؤتمرًا حول تدريب الأئمة والدعاة والوقوف على التجارب المختلفة في تنظيم الأوقاف بيت الزكاة... إلخ.

• علمنا أن خطبة الجمعة في البوسنة تبدأ في المقدمة باللغة العربية ثم تكون باللغة البوسنوية، فهل هناك جهود مبذولة لتعليم البوسنويين اللغة العربية؟

- أخبرنا وزارة الأوقاف والمؤسسات المعنية باللغة العربية أننا بصدد إنشاء دورات في اللغة العربية، وكذلك إنشاء أقسام في بعض جامعاتنا، تعنى بتخريج معلمين مختصين يقومون على تعليم اللغة العربية في المدارس الابتدائية، لتصبح العربية هي اللغة الثانية في البلاد يتحدث بها أهل البوسنة جميعا في غضون السنوات المقبلة، والآن عشرون في المائة من الشعب البوسنوي يفهمون خطب الجمعة باللغة العربية، وبعضهم يتفاعل مع الأدعية باللغة العربية ويبكي وهو لا يفهمها، والعجم المسلمون بصفة عامة يصغون إلى القرآن ويتأثرون به ويشعرون بروحانياته ربما أكثر من بعض العرب أنفسهم، ويقطعون بما لا يدع مجالاً للشك أنه منزل من عند الله.



العدل أساس العمران

إن الملك لا يتم عزه إلا بالشريعة، والقيام لله بطاعته، والتصرف تحت أمره ونهيه، ولا قوام للشريعة إلا بالملك، ولا عز للملك إلا بالرجال، ولا قوام للرجال إلا بالمال، ولا سبيل للمال إلا بالعمارة، ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل، والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة، نصبه الرب وجعل له قيمًا وهو الملك، والملك بالجند، والجند بالمال، والمال بالخراج، والخراج بالعمارة، والعمارة بالعدل، والعدل بإصلاح العمال، وإصلاح العمال باستقامة الوزراء، ورأس الكل بافتقاد المَلك حال رعيته بنفسه، واقتداره على تأديتها حتى يملكها ولا تملكه.

فإذا انتزعت الحقوق من أهلها، وأعطيت لغير أهلها، ووقع الظلم على الناس؛ قلت العمارة، وخربت الضياع، وهلكت الأموال، وتفرقت الجنود والرعية، وبإقامة العدل في القضاء والعمل تصلح أحوال الرعية، وتؤمن السُبل، وينتصف المظلوم، ويأخذ الناس حقوقهم، وتحسن المعيشة، ويُؤدى حق الطاعة، ويرزق الله العافية والسلامة، ويقيم الدين، ويُجري السنن والشرائع في مجاريها.

والعدوان على الناس في أموالهم ذاهبٌ بآمالهم في تحصيلها واكتسابها، وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب، والعمران إنما يكون بالأعمال، والظلم عام يشمل كل مَن أخذ ملك أحد أو غصبه في عمله، أو طالبه بغير حق، أو فرض عليه حقًا لم يفرضه الشرع، فجُباة الأموال بغير حقها ظلمة، والمعتدون عليها ظلمة، والمنتهبون لها ظلمة، والمانعون لحقوق الناس ظلمة، ووبال ذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران.

وهذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم، وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه، وذلك مُؤذن بانقطاع النوع البشري، وهي الحكمة العامة المراعية للشرع في جميع مقاصده الضرورية الخمسة من حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال.

(من مقدمة ابن خلدون)

الفوضى المجتمعية

رشيد ناجي الحسن

«أيها البعير لا تخاصمني إلى ربك فإني لم أحَمّلك يوما ما لا تطيق»، كلمات قالها أبوالدرداء رضي الله عنه في حق بعير خشي على نفسه منه أن يكون خصمًا له يوم القيامة إن هو ظلمه فيقتص الله بعدله للبعير من جور العبد، مع ما لأبي الدرداء من صحبة وفضل وقدر.

إن نفوس الناس مهما أحيطت بالعظة البالغة، والكلمة الطيبة، والتربية المتزنة قد تطغى عليها في لحظة من لحظات الضعف أو الغفلة بواعث الغريزة، وتتمرد في وجدانهم دوافع الشر وعوامل الطغيان، وفي هذه الحالة تداس قيم وتنتهك حرمات ويستبد الظلم، وتقوم القوة مقام الموعظة.

والظلم من السجايا الراسخة في أغلب النفوس، وقد عانت منه البشرية في تاريخها المديد ألوان المآسي والأهوال، مما جهّم الحياة، ووسمها بطابع كئيب رهيب. قال تعالى: ﴿إن الإنسان لظلوم كفّار﴾ (إبراهيم: ٣٤) وقال كذلك: ﴿إنه كان ظلوما جهولا﴾ (الأحزاب: ٧٢).

ويُعدُّ الظلمُ من أخطر الآفات المهددة للمجتمعات البشرية بالانهيار والزوال والدمار، فما ساد الظلم في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية إلا وساده انتهاك حقوق الإنسان، وانعدام الاستقرار الاجتماعي، وسلب الحريات الفردية والعامة، وضياع الحقوق، وغياب العدل، وانتشار الفساد والمفسدين.

كما أن الظلم يسرع بزوال الأمم الظالمة و يعجل انهيارها لأنها تعمل عكس سنن الله تعالى في البقاء والتمكين وان كانت هذه الأمم تظن أنها بظلمها وعدوانها تعزز مكانتها وسلطانها. لذلك أعلن الله عز وجل في كتابه الكريم في أكثر من موضع أنه لا يحب الظالمين، فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: ٥٧)، كما حذر القرآن الكريم من ممارسة الظلم، وتوعّد الظالمين بسوء العاقبة كما في قوله تعالى:﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (الأنعام: ٢١)، وقوله تعالى:﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ (الشعراء: ٢٢٧).

ولـمَّا كانَ الظُّلمُ والعُدوانُ مُنافِيَين للعدْلِ والحقّ الذي اتّصفَ به الملكُ الديّانُ، ومنافِيَين للميزانِ الذي قامتْ به الأرضُ والسمواتُ، وحُكِمَ به قسطاً وعدلاً بيْنَ جميع المخلوقات، كانَ الظُّلمُ والعُدوانُ عندَ اللهِ تعالى منْ أكبرِ الكبائرِ والمُوبقات، وكانتْ درَجتُهُ في الجُرْم والإثم بحَسَبِ مفسدتِه في الأفرادِ والمُجتمعات. ويكفي في تحريمَ الظلمَ أنّ اللهَ تعالى ملكَ الملوك الجبارَ القهار حرّم الظلم على نفسه

* إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

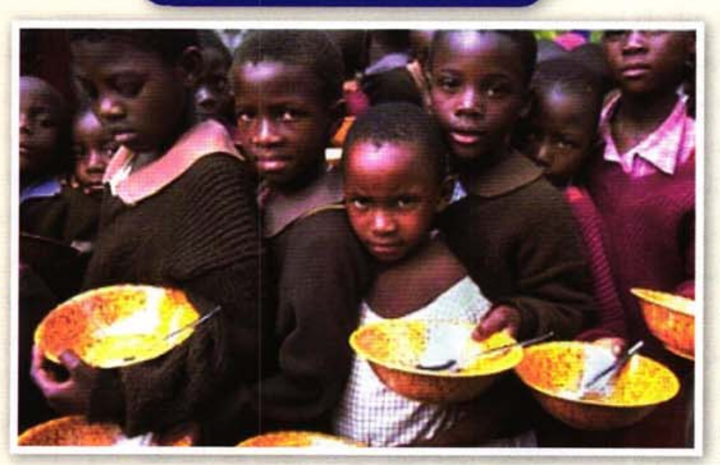
المقدسة والمنزهة عن الظلم، فقال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا» (مسلم).

وإنما حرّم اللهُ الظلمَ بين عباده ليحفَظوا بذلك دينَهم ودُنياهم، وليَصلُحوا بترك الظلم، وليُصلحوا آخرَتهم ودنياهم، وليتمّ بين العباد التعاوُن والتّراحمُ بترك الظّلم، وأداءُ الحقوق لله ولخلق الله تعالى. قال ابن خلدون رحمه الله: «واعلم أن هذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه؛ وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري... ثم قال: فلما كان الظلم كما رأيت مؤْذنا بانقطاع النوع لما أدى إليه من تخريب العمران كانت حكمة الخطر فيه موجودة فكان تحريمه مهمًا وأدلته من القرآن والسنة كثيرة» اهـ.

وقد أعلن النبيُّ ﷺ حرمة الظلم في أعظم مجمع وموقف، فقال في خطبته يوم عرفة: «ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»، وفي الصحيحين أنّ النبيّ ﷺ قال: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة» وقوله ظلمات: قيل على ظاهره فيكون ظلمات على صاحبه لا يهتدي يوم القيامة سبيلاً حتى يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم. ويحتمل أن الظلمات هنا الشدائد وبه فسروا قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ أي: شدائدهما، وقيل: إنها عبارة عن الأنكال والعقوبات. كما قال ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره» رواه البخاري (٩٨/٣) ومسلم (١٩٩٦/٤).

إنّ تدمير الظلم لحياة البشر وتقويضه لصرح الأخوة الإسلامية أمر معلوم بالضرورة لا يحتاج إلى شرح وإيضاح..

الظلم يسرّع من زوال الأمم الظالمة ويعجل انهيارها



فإن المسلم إذا ظلمه أخوه المسلم سيحاول دفع الظلم عن نفسه ومن هنا يحدث النزاع والخصومات.. ولو فرض أن المظلوم صبر على ظلم ظالمه، فإنه لا يثق فيه ولا يأمنه على شيء من حقوقه.. ولهذا كان الظلم من أول ما يناقض الأخوة الإسلامية، فيجب اجتنابه والقضاء عليه للمحافظة على رابطة الأخوة الإسلامية.. فقوله ﷺ: «المسلم أخو المسلم» تقرير للأصل الذي يجب أن يكون بين المسلم والمسلم، وهو الأخوة الإسلامية المقتضية للود والصفاء وسلامة الصدور والنصح والتعاون بينهما.. وقوله بعد ذلك: «لا يظلمه» تحذير من أهم العوامل المناقضة لتلك الأخوة، وفي طليعتها الظلم أي أن يظلم المسلم أخاه المسلم... وفي قوله ﷺ: «ولا يسلمه» أنه يجب على المسلم ألا يسلم أخاه المسلم إذا ظلمه أحد، بل يجب أن يدفع عنه الظلم إذا كان قادرًا عليه.. فالمسلم ليس منهيًا عن ظلم أخيه المسلم فحسب، بل هو مأمور مع ذلك بدفع الظلم عن أخيه إذا صدر من غيره عليه ولا يسلمه له.

وإذا كان الظلم بهذه الخطورة الشديدة فلنتعرف على معناه، فقد عرفه أهل اللغة بأنه: وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة وإما بعدول عن وقته أو مكانه، ومن هذا يقال: ظلمت السقاءَ: إذا تناولته في غير وقته، ويسمى ذلك اللبن ظليمًا. وظلمت الأرض: حفرتها ولم تكن موضعًا للحفر، وتلك الأرض يقال لها: المظلومة، والتراب الذي يخرج منها ظليم. (ابن منظور، ٢٦٦/١٥)، وفي ضوء هذه التعريفات يتبين لنا أنّ كل ذنب عُصي اللهُ به سواء كان ذلك الذنب شركًا بالله عز وجل أو دون ذلك من سائر المعاصي ومظالم العباد داخل في مسمى الظلم؛ لأنه وضع للشيء في غير موضعه الذي يرضاه الله عز وجل، مع التفريق بين ظلم أكبر وظلم دون ظلم.

قال ابن الجوزي: «الظلم يشتمل على معصيتين: أخذ مال الغير، ومبارزة الرب بالمخالفة، والمعصية فيه أشد من غيرها، لأنه لا يقع غالبًا إلا بالضعيف الذي لا يقدر على الانتصار، وإنما ينشأ الظلم عن ظلمة القلب، ولو استنار بنور الهدى لاعتبر» (كشف المشكل ٥٥٩/٢).

وبعد بيان معنى الظلم لنا أن نتساءل: ما بواعث الظلم؟ وما أنواعه؟ وكيف نعالجه؟ وهل للظالم من توبة؟ وما واجبنا تجاه الظالم؟

أما بواعث الظلم فمن مصادر شتى، فإن كان الباعث العداوة والحسد فيكون الظلم من رذائل قوة الغضب، وإن كان باعثه الحرص والطمع في المال، فيكون من رذائل قوة الشهوة.

وأما أنواع الظلم فهي ثلاثة:

الأول: أن يظلم الناسُ فيما بينهم وبين الله تعالى، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق، ولذلك قال تعالى: ﴿إن الشرك



لظلم عظيم﴾ (لقمان:١٣).

الثاني: ظلم بينه وبين الناس، وإياه قصد بقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى:٤٠)، وبقوله: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الشورى: ٤٢) وهذا القسم هو ظلم العبد للعباد، وهو نوعان: ظلم بترك الواجب لهم، وظلم بالعدوان عليهم بأخذ أو بانتهاك حرماتهم. ومثاله ما ذكره النبي عليه الصلاة والسلام في قوله: «مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ»، يعني ممانعة الإنسان الذي عليه دين عن الوفاء وهو غني قادرٌ على الوفاء ظلم، وهذا منع ما يجب؛ لأنّ الواجب على الإنسان أن يبادر بالوفاء إذا طلبه صاحبه، أو أجله وانتهى الأجل. إذا كان له قدرة، وإلا كان ظالماً والعياذ بالله.

الثالث: ظلم بين العبد وبين نفسه، وذلك بأن يوردها المهالك، وإياه قصد بقوله: ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ (فاطر:٣٢)، وقوله على لسان نبيه موسى: ﴿رب إني ظلمت نفسي﴾ (القصص:١٦)، وكل هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس، فإن الإنسان في أول ما يهمّ بالظلم فقد ظلم نفسه، وما أكثر ما قال الله عند ذكر العصاة والمذنبين والظالمين: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (النحل:١١٨). فالنفس البشريّة مَفطورة ومَجبولة على العبودية لخالقها وبارئها الحق، فمنه وجودها، وبأمره بقاؤها؛ فهو القيّم عليها في كل حين وعلى كل حال، فإذا صرفها صاحبُها عن ربّها، وأخضعها لغير مولاها، فيكون قد صدّها عن سبيل الرب الحقيقي كَرْهًا، وحرمها مُقتضى فطرتها الأصليّة، فتصبح النفس في هذا الوضع الشاذ مَظلومة.

● وأما علاج الظلم فمن العسير جدًا علاجه، واجتثاث جذوره المتغلغلة في أعماق النفس، بيد أنه من الممكن تخفيف حدته وتلطيف هواه، وذلك بالتوجيهات الآتية:

– تذكر تنزهه عزّ وجلّ عن الظلم:

الظلم لا يدوم ولا يطول وسرعان ما ينتهي ويزول وسيعلم الظالمون عاقبة الغرور

قال تعالى: ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ (فصلت:٤٦).

– تذكر ما جاء في مزايا العدل وجميل آثاره في حياة الأمم والأفراد، من إشاعة السلام ونشر الوئام والرخاء.

– النظر في سوء عاقبة الظالمين، واستقراء سِيرَ الطغاة وما عانوه من غوائل الجور وعواقبه الوخيمة: قال تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا. ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ (مريم:٧١-٧٢).

– تقوية الوازع الديني، وذلك بتربية الضمير والوجدان، وتنويرهما بقيم الإيمان ومفاهيمه الهادفة الموجهة.

– عدم اليأس من رحمة الله، قال تعالى: ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ (يوسف:٨٧).

– استحضار مشهد فصل القضاء يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون. ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون﴾ (الزمر: ٦٩-٧٠).

– الذكر والاستغفار، قال تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ (آل عمران:١٣٥).

– كف النفس عن الظلم ورد الحقوق لأصحابها.

● وأما توبة الظالم وغيره فبابها مفتوح إذا توافرت شروطها، وأعيد حق الآدمي له، أو تحلل منه، قال تعالى ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِه وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة:٣٩).

● وأما واجبنا تجاه الظالم فيكون بما يلي:

– وجوب مناصحة الظالم وردعه ونصرة المظلوم، فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: سمعت رَسُولَ اللَّه ﷺ يقول: «مَن رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيده فَإِنْ لم يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانه فَإِنْ لم يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِه وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ» (مسلم)، وعن أَنَس رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أو مَظْلُومًا» قالوا: يا رَسُولَ اللَّه هذا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قال: «تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْه» (البخاري).

– أن نعلم أن ترك الأخذ على يديه آذنٌ بعقوبة الجميع: فعن أبي بَكْر الصِّدِّيق رضي الله عنه قال: أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذا اهْتَدَيْتُم﴾ وإني سمعت رَسُولَ اللَّه ﷺ يقول «إنّ الناس إذا رَأَوُا الظَّالِمَ فلم يَأْخُذُوا على يَدَيْه أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ الله بِعِقَابِه» (رواه أحمد (٣٠) وأبوداود (٤٣٣٨) والنسائي، وصححه ابن حبان).

وختاما: فالظلم لا يدوم ولا يطول، وسرعان ما ينتهي ويزول، وسيعلم الظالمون عاقبة الغرور، فالزمان عليهم سيدور، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (إبراهيم:٤٢).

فاتقوا الله عباد الله، واحذروا مظالم العباد، وتحللوها فيما بينكم واتقوا ظلم بعضكم لبعض، قبل ألا يكون درهم ولا دينار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «مَن كانت عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخيه فَلْيَتَحَلَّلْهُ منها فإنه ليس ثَمَّ دينَارٌ ولا دِرْهَمٌ من قَبْل أَنْ يُؤْخَذَ لأَخيه من حَسَنَاته فَإِنْ لم يَكُنْ له حَسَنَاتٌ أُخِذَ من سيئات أَخيه فَطُرِحَتْ عليه». (البخاري، ٦١٦٩).

دعوة لإجراءات عاجلة لتفادي المجاعة في العالم

التحرير

نبه كبير المستشارين العلميين في الحكومة البريطانية إلى الحاجة الملحة لاتخاذ خطوات عملية لحماية الجيل القادم من أزمة غذائية طاحنة في العالم. وأفاد تقرير أعد بتكليف من الحكومة البريطانية أن هناك حاجة ملحة لاتخاذ إجراءات لتفادي المجاعة في العالم.

ويتوج التقرير دراسات استمرت سنتين وشارك فيها ٤٠٠ خبير من ٣٥ بلدا.

ويقول كبير مستشاري الحكومة البريطانية للشؤون العلمية، البروفيسور جون بادينجتون إن ما جاء بالتقرير المذكور لهو دليل على أن هناك حاجة ملحة لاتخاذ الحكومة خطوات فورية.

ويؤكد التقرير على ضرورة إجراء تغييرات في أساليب الزراعة، بينها تقديم محفزات للقطاع الزراعي للتعامل مع سوء التغذية.

ويوصي التقرير أيضا بتضييق نطاق إنتاج الأغذية التي تتطلب موارد كثيرة واستثمار ما يتوفر بفعل هذا الإجراء في إنتاج الطعام.

ويرى التقرير أن هناك ضرورة لانتهاج أساليب جديدة في الإنتاج الغذائي.

وقال بادينجتون لإذاعة بي بي سي: «نحن نعرف أن سكان العالم سيبلغون ٨،٣ مليار نسمة في السنوات العشرين القادمة، وأن ٦٥-٧٠ من السكان سيعيشون في المدن بحلول ذلك الوقت، وأنه سيكون هناك إقبال كبير على السلع الأساسية كالغذاء والماء والطاقة مع ارتفاع مستوى الرخاء، وذلك بموازاة زيادة عدد السكان».

وأضاف بادينجتون أن لدى العالم ٢٠ سنة لتأمين زيادة في المواد الغذائية بنسبة ٤٠ في المائة وفي الماء العذب بنسبة ٣٠ في المائة وفي الطاقة بنسبة٥٠ في المائة.

وقال إن العالم لا يستطيع أن ينتظر ٢٠ سنة أخرى ولا حتى ١٠ سنوات، فالموضوع ملح.

تغييرات جذرية

وكان البروفيسور بادينجتون الذي كلف الخبراء بإعداد الدراسة من أوائل من حذر من تأثيرات زيادة عدد السكان والتغير المناخي وتراجع مصادر الإنتاج الغذائي.

وينص التقرير على ضرورة إجراء تغييرات جذرية في نظام إنتاج الغذاء، ويوصي بانتهاج أسلوب للإنتاج الغذائي قابل للاستمرارية.

ويرى التقرير أن نظام الإنتاج الغذائي يعمل لمصلحة الغالبية، ولا يأخذ بالاعتبار الشريحة المهمشة.

ويقول بروفيسور بادينجتون إن مليار شخص يأكلون أكثر مما يجب ويعانون من السمنة وهذا دليل على عجز نظام إنتاج الغذاء الحالي عن تأمين الصحة الجيدة لسكان العالم.

ويدعو معدو التقرير إلى صعود موضوع الغذاء والتغذية إلى مرتبة أعلى في الأجندة السياسية، وأن يأخذ اهتماما كالذي يحظى به التغير المناخي.

ويرى التقرير أن الأبحاث العلمية قد تستطيع المساعدة في حل المشكلة وأنه لا يجب استبعاد وسائل علمية كالتعديل الوراثي والاستنساخ.

ويدعو التقرير إلى حماية الشرائح الأكثر فقرا من الزيادة الحادة في الأسعار، ويلاحظ التقرير أن الصين استثمرت الكثير في قطاع الزراعة وهي الوحيدة التي استطاعت إنجاز هدف التنمية الألفي الرامي إلى تخفيض مستوى المجاعة إلى النصف.





الظلم الاقتصادي.. وأثره في استقرار المجتمع وأمنه

د. حسين حسين شحاتة

يقول العلماء وأساتذة الاقتصاد الإسلامي: إن الظلم الاقتصادي معناه ضياع الحقوق والمصالح، وهو من أشكال أكل أموال الناس بالباطل، ولقد نهى الله ورسوله عنه و أجمع على ذلك الفقهاء، ويترتب عليه الحياة الضنك، وهذا هو ما أشار الله إليه في كتابه الكريم:﴿فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى. ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾ (طه: ١٢٣-١٢٤).

ولقد ظهر الظلم الاقتصادي بكافة صوره في المعاملات المعاصرة مثل: الربا والاحتكار وغلو الأسعار والجشع والاستغلال والرشوة والاختلاس والتطفيف في الكيل والميزان، والغش والمماطلة في أداء الحقوق، والمحسوبية، وتسلط المال والجاه، وضياع الحقوق المشروعة للفقراء في أموال الأغنياء... وغير ذلك من أشكال أكل أموال الناس بالباطل.

لقد نجم عن الظلم الإقتصادي الحياة الضنك ولا سيما للطبقة الفقيرة التي تعيش دون حد الكفاية، و أحيانا دون حد الكفاف، مما أدى إلى سلوكات من بعض الناس منها على سبيل المثال: السرقة والاختلاس وقبول الرشوة والخيانة للوطن والعنف والارهاب والتذمر وتنظيم المظاهرات السلمية وغير السلمية... ونحو ذلك، وهذا بدوره يقود إلى عدم استقرار المجتمع وأمنه.

وتحاول الحكومات علاج هذه الظاهرة بسياسات مختلفة تختلف من دولة إلى دولة، وما يصلح في مجتمع لا يصلح لمجتمع آخر، منها القمع والاعتقالات وإصدار القوانين الاستثنائية وإعلان حالة الطوارئ ونحو ذلك ولكن دون جدوى، فالعنف يولد عنفا، والقمع يولد انتفاضا، ويتساءل كثير من الناس: ما هو الحل؟

تدور هذه الدراسة حول منهج الإسلام في علاج قضية الظلم الاقتصادي بما يحقق استقرار المجتمع وأمنه ورخاءه وتكافله، وذلك في ضوء معايير وضوابط الشريعة الإسلامية.

> **من نتائج الظلم الاقتصادي بأشكاله المختلفة زعزعة المجتمع والتذمر والمظاهرات للتعبير عن الغضب**

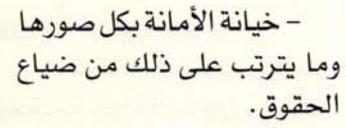
من أشكال الظلم الاقتصادي المعاصرة

لقد ورد في القرآن الكريم أن انتشار الظلم بكافة أشكاله من أسباب هلاك الأمم، ومن النماذج البارزة على ذلك في القرآن الكريم نموذج قوم شعيب الذين كانوا يطففون المكيال والميزان في المعاملات، ولقد وصفهم الله بالمفسدين في الأرض، ونموذج قارون الذي بغى بماله وقال إنما أوتيته عن علم عندي، وامتنع عن أداء الزكاة والصدقات، ونصحه قومه فقالوا له كما ورد في القرآن الكريم:﴿... وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾ (القصص: ٧٧)، ونموذج أصحاب الجنة الذين أقسموا بألا يعطوا الفقراء حقهم في الحرث، ولقد وصفهم الله بأنهم كانوا ظالمين طاغين، وفي زماننا المعاصر توجد النماذج والأشكال نفسها.

ومن أشكال الظلم الاقتصادي المعاصرة و الظاهرة والمنتشرة على سبيل المثال:

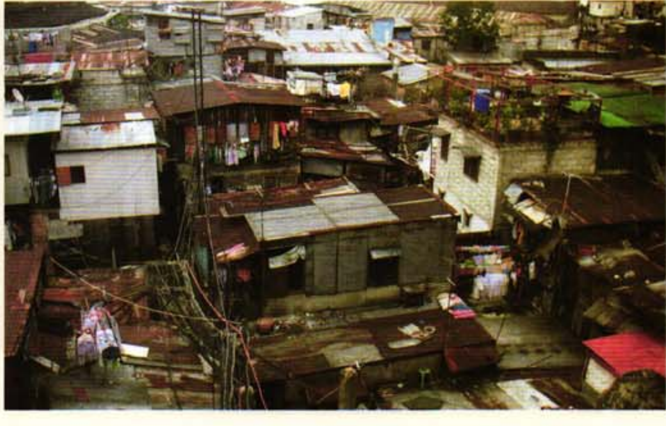
- عدم العدالة في توزيع الدخول والثروات، وزيادة الغني غنا والفقير فقرا.
- الاحتكار وغلو الأسعار وعدم التوازن بين الأجور وتكاليف المعيشة الأصلية.
- الغش والتدليس والتطفيف في الكيل والميزان، والتزوير والمعاملات الوهمية.
- الرشوة والاختلاس والاعتداء على المال الخاص والعام دون حق شرعي.
- استغلال الجاه والسلطان والوظيفة للتربح والكسب دون حق مشروع.

• الأستاذ بجامعة الأزهر - خبير استشاري في المعاملات المالية الشرعية



- خيانة الأمانة بكل صورها وما يترتب على ذلك من ضياع الحقوق.
- المحسوبية وعدم تكافؤ الفرص بين الجميع فقيرهم وغنيهم.
- بخس حقوق العمال بسبب القوانين الظالمة التي تنصف صاحب العمل على العامل.
- التعامل بالربا بصفة عامة وما ينجم عنه من ظلم ومحْق.
- عدم تطبيق نظم التكافل والتضامن الاجتماعي ولاسيما بالنسبة لأصحاب المعاشات.
- تقاعس الحكومات في حل مشكلة البطالة والعنوسة والمديونية والمرض وغيرها.

ولقد حرّمت الشريعة الإسلامية كل الأشكال السابقة بأدلة من الكتاب والسنة؛ لأنها جميعا تدور حول جريمة أكل أموال الناس بالباطل، وبخس الناس حقوقهم، ولاسيما الفقراء، ولقد تناولها الفقهاء بالتفصيل وبيان العلل من تحريمها، ومن تلك العلل أنها تؤدي إلى ضياع الحقوق وهلاك المال والأعيان والموارد، وكل هذا يقود إلى التخلف والفقر والحياة الضنك، والتي أشار إليها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾ (طه: ١٢٤) ومن آثارها: التذمر والمظاهرات والانتفاضات الشعبية من جانب المظلومين المقهورين، ويقابله من الناحية الأخرى القمع والاعتقالات والسجن والعنف من جانب النظم الحاكمة، وهذا وذاك يؤديان إلى عدم استقرار في المجتمع وأمنه، وهذا هو السائد في الواقع المعاصر في معظم دول العالم الغنية والفقيرة، والكبيرة والصغيرة، والمتقدمة والمتخلفة.. فما هو العلاج والحل؟



أسباب الظلم الاقتصادي

يستنبط من مظاهر الظلم الاقتصادي وأشكاله المعاصرة أنه ينجم بصفة أساسية عن عدم تطبيق ما أمر الله به، وعدم الانتهاء عما نهى الله عنه، أي عدم الالتزام بأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية بصفة عامة، وفي مجال المعاملات الاقتصادية بصفة خاصة، وهذا يرجع إلى مجموعة من الأسباب نوجزها في الآتي:

● ضعف الإيمان مع عدم الخشية والخوف من الله وانعدام المراقبة والمحاسبة الذاتية، ونسيان المحاسبة الأخروية أمام الله سبحانه وتعالى، يوم يسأل المرء عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وطغيان المادية التي لا ترقب في الفقير والمسكين إلا ولا ذمة.

● انتشار الأخلاق الفاسدة مثل الكذب والنفاق والرياء والغلظة وسوء الظن وعدم الوفاء بالعهود والعقود، وخيانة الأمانة والرشوة والمحسوبية والاحتيال مما يقود إلى طغيان أصحاب المال والسلطة على مقاليد الأمور ولا يهمهم إلا مصلحتهم المادية.

● انتشار السلوكات السيئة، ومنها المادية، وتفكك عرى التكافل والتضامن الاجتماعي، وانتشار الأنانية والحقد والكراهية، وهذا أدى إلى ضياع الحقوق المشروعة في أموال الأغنياء للفقراء ومنها: زكاة المال والصدقات والوقف الخيري وما في حكم ذلك.

● تسلط الحكومات الظالمة على كل شيء، ولا تعمل لتحقيق العدل والمساواة بين الناس بصرف النظر عن عقيدتهم وانتماءاتهم الفكرية والحزبية، و تتسلط على رعاياها وتكبت حرياتهم، وتركز في المقام الأول على مقاعد الحكم وتحقيق مصالح رجال المال والأعمال، وتطبق نظم وقوانين الطوارئ و الأحكام العرفية ونحو ذلك مما يخالف أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، وهذا أدى إلى زيادة الكراهية والبغض بين الحكام وشعوبها.

● التضييق الشديد من قبل الحكومات الظالمة على منظمات التكافل والتضامن والرعاية الاجتماعية، بأن تقوم بدورها في تقديم العون للفقراء والمساكين والمعوزين ومن في حكمهم، بدعوى أن بعض هذه المنظمات تمول الإرهاب دون أي دليل.

● التدخل الأجنبي بكافة صوره، والذي ينهب ثروات بعض الدول، ولا يسهم مساهمة فعلية في مساعدتها في علاج مشكلاتها ومنها: التخلف والفقر والمرض ونحو ذلك، بل يظهر دوره الجلي في دعم النظم الحاكمة في قمع شعوبها بدعوى التصدي للإرهاب.

آثار الظلم الاقتصادي على استقرار المجتمع وأمنه

يسبب الظلم الاقتصادي بأشكاله المختلفة الظاهرة والباطنة، الجلية والخفية، مجموعة من الآثار السيئة على الإنسان المظلوم والمقهور بصفة عامة وعلى فئة الفقراء والمساكين والغارمين والعوانس والمراهقين العاطلين ومن في حكمهم بصفة خاصة، وهذا بدوره يؤدي



إلى قلق وزعزعة المجتمع ومن مظاهر ذلك على سبيل المثال:

- الهم والغم والكرب النفسي الذي ينتاب بعض أفراد المجتمع ويؤدي إلى السلبية؛ بسبب الخوف على تأمين حاجاته الضرورية والأصلية للمعيشة، فالجوع يقود إلى الخوف والكفر، وهذا يؤدي إلى الإحباط والاستسلام للظلم خوفا من الاعتقالات وما في حكمها، وينتظر فرصة للانتفاضة، وهذا عندما يحدث يسبب قلقا في المجتمع.

- التذمر والمظاهرات من قبل فئة من النشطاء للتعبير عن الغضب بسبب نقص في الحاجات المعيشية الضرورية، وهذا واقع نجده في الوقت المعاصر، وما يطلق عليه ثورة الجياع، أو مظاهرة العاطلين، أو تذمر الموظفين المعدومين، أو إضراب أصحاب المعاشات، أو مظاهرة المشردين بدون مأوى... إلى غير ذلك من المسميات، وهذا دون شك يسبب عدم استقرار في المجتمع.

- انتشار الفساد الأخلاقي والاجتماعي، ومن أخطر صوره ارتكاب الفاحشة، والتجارة في المحرمات بكافة صورها، والعنوسة، والبطالة، والسرقة، والاغتصاب، والحرابة وغير ذلك مما يسبب خللا في قِيَم ومُثُل المجتمع.

- ارتكاب جريمة الخيانة الوطنية، ومن صورها الوقوع في شبكات الجاسوسية والتعاون مع أعداء الوطن تحت تأثير ضغوط الحاجة والفقر.. هذه الآثار وغيرها تسبب عدم الاستقرار في المجتمع.

سلوكات النظم الحاكمة تجاه تداعيات آثار الظلم الاقتصادي

تدفع التداعيات السابقة للظلم



الاقتصادي بعض الحكومات أو النظم الحاكمة سواء أكانت رأسمالية أو ليبرالية أو اشتراكية أو غير ذلك إلى اتخاذ بعض الإجراءات الاستثنائية مثل:

- مقابلة الانتفاضات والمظاهرات والتذمر الشعبي بالقمع والعنف، وهذا ما يطلق عليه أحيانا: مقابلة العنف بالعنف، و يولد ذلك مزيدا من الغضب والقلق الأمني وعدم استقرار المجتمع، وإصدار قرارات وقوانين استثنائية حتى تستطيع الأجهزة الحكومية الأمنية قمع المظاهرات والسيطرة على المجتمع، وهذا ما يطلق عليه مصطلح: القوانين الاستثنائية، أو الأحكام العرفية أو قانون الطوارئ أو قانون الإرهاب بما يمكن الحكومة من اعتقال بعض المتظاهرين وتقديمهم إلى المحاكمات لإسكات الآخرين.

- قيام الحكومة بإقالة بعض المسؤولين الحكوميين من مناصبهم، وأحيانا محاكمتهم محاكمات فعلية أو صورية شكلية أو تهريبهم إلى خارج البلاد، بهدف امتصاص غضب المتظاهرين.

- توجيه أجهزة الإعلام الحكومية وما في حكمها لنشر معلومات للتهوين من أمر المظاهرات والتذمرات، وأن الأمور هادئة وتكذيب ما تنشره أجهزة الإعلام المستقلة أو المعارضة.

- الاستجابة لبعض مطالب المتظاهرين المكنة لامتصاص غضبهم وتهدئة الأوضاع مثل: تخفيض الأسعار وزيادة الدعم ونحو ذلك.

- استقالة الحكومة والإتيان بحكومة بديلة لتستجيب لمطالب المتظاهرين ولتهدئة الأحوال، ولو لفترة مؤقتة، وهذا في الدول الديموقراطية حقا.

- تدخل بعض المنظمات العالمية المعنية بحقوق الإنسان تحت أي ذريعة لتجبر الحكومات على القيام بإصدار قوانين وقرارات تحت إشرافها لمنع الظلم.

- تدخل بعض الحكومات الأجنبية لتسقط الحكومة الوطنية تحت ذريعة حقوق الإنسان وتحتل البلاد.

الإسلام يحقق العدل الاقتصادي المنشود

مهما كانت الترتيبات الحكومية لإزالة آثار الظلم الاقتصادي السابقة وأثرها في استقرار المجتمع وأمنه، فهي ترتيبات مسكنة ومؤقتة، وريثما يرجع الغضب والتذمر مرة أخرى، والحل الإسلامي هو تحقيق العدل الاقتصادي ومن مقوماته ما يلي:

- التصدي للفساد المستشري في المجتمع بكل صوره، سواء كان فسادا سياسيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا، وتطهير المجتمع من المفسدين الذين لا يصلحون، وصدق الله القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (يونس: ٨١).

- توفير الحاجات الأصلية للمواطن من الضروريات والحاجيات لحفظ دينه ونفسه وعقله وعرضه وماله، من خلال السياسات الاقتصادية والمالية التي تحقق الضمان الاقتصادي.

- إلغاء القوانين والقرارات والتعليمات التي تقيد الحريات، ومنها حرية العقيدة، وحرية الفكر، وحرية التعبير عن الرأي ونحو ذلك.

- ضمان حق المواطنة للجميع دونما

النظر إلى الديانة أو الانتماء إلى حزب أو جماعة أو نحو ذلك.

- عدالة توزيع الدخول والثروات بين المواطنين ووضع ضوابط ومعايير لذلك في ضوء قاعدة: لا كسب بلا جهد ، ولا جهد بلا كسب.

- تحقيق التوازن بين الأجور والمعاشات من ناحية والأسعار من ناحية أخرى، لاسيما فيما يتعلق بالحاجات الأساسية للإنسان.

- الالتزام بفقه الأولويات وهي الضروريات، فالحاجيات، فالكماليات في الإنفاق الحكومي، وتجنب استفزاز الطبقة الفقيرة التي ترى البذخ والترف الحكومي وكذلك الترف من كبار رجال الأعمال والمال وهي محرومة من الضروريات.

- تجنب الاستفزازات من قبل الطبقة المترفة للطبقة الفقيرة المقهورة ولاسيما إذا كانت من ذوي النفوذ في الحكم، ومنها على سبيل المثال من يمارسون الاحتكار السياسي والاقتصادي، فقد قيل: ما عدل حاكم تاجَر مع رعيته.

العدل المنشود

الحاكم العادل هو أساس العدل الاقتصادي، فإذا ظلم الحاكم رعيته ثار الناس ضده، ويعبرون عن ذلك بصور شتى غير حميدة، وإذا بعد الحاكم عن شرع الله العادل انتشر الظلم وعمت الفوضى وازداد القلق، وعلى أساس هذه الحقيقة يجب على الحاكم وأجهزته الالتزام بالمنهج الإسلامي لتحقيق العدل الاقتصادي المنشود، ويتمثل في الأمور الآتية:

أولا: التربية الروحية القائمة على التقوى والإيمان والمراقبة والمحاسبة الذاتية، ودليل ذلك من الكتاب قول الله تبارك وتعالى:﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ (الأعراف: ٩٦)، وكذلك التربية الأخلاقية القائمة على العدل والصدق والأمانة والشفافية والتعاون والتكافل والبر، ولقد أجمع علماء الاقتصاد الإسلامي على أنه لا اقتصاد بلا أخلاق.

ثانيا: الرجوع إلى شريعة الله عز وجل وهدي رسوله ﷺ فهما أساس العدل والخير والحياة الرغدة والآمنة السعيدة، ودليل ذلك من الكتاب قول الله تبارك وتعالى:﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى. قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا. قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ (طه: ١٢٤ . ١٢٦)، وقول الرسول ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي» (البخاري).

ثالثا: تطبيق الحدود الواردة في شرع الله ضد مرتكبي الجرائم الاقتصادية؛ فهي تأكيد لسلطان العقيدة والأخلاق، ويقول العلماء: إصلاح الناس بالإيمان وإصلاح الدولة بالشريعة.

رابعا: حسن اختيار العاملين على أساس القيم الإيمانية والأخلاقية؛ لأن ذلك من موجبات الوقاية من الفساد قبل وقوعه، ولقد طبق ذلك في صدر الدولة الإسلامية.

خامسا: القدوة في تطبيق أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، فإذا صلح الراعي صلحت الرعية، ومن سيرة رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان نستطيع أن نستنبط النماذج المشرفة لدور ولي الأمر في منع الظلم الاقتصادي، وفي هذا المقام نذكر من قال لعمر بن الخطاب: «لو رتعت لرتعت الرعية».. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

ارتفاعات قياسية في أسعار المواد الغذائية بالعالم

قالت منظمة الأغذية والزراعة الدولية، التابعة للأمم المتحدة، إن أسعار المواد الغذائية في العالم وصلت إلى ارتفاعات جديدة في ديسمبر/ كانون الأول الماضي.

فقد ارتفع مؤشر أسعار المواد الغذائية إلى معدل أعلى من المعدل القياسي الذي وصله في عام ٢٠٠٨، حين شهدت عدة بلدان مظاهرات واحتجاجات ضد الارتفاع الحاد في الأسعار.

وقال التقرير الصادر من المنظمة إن ارتفاع أسعار مواد مثل السكر والحبوب والزيت هو السبب وراء الارتفاع العام في المؤشر.

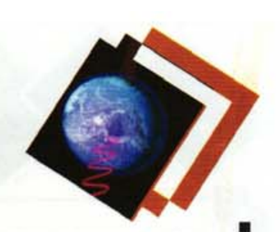
وقد وصل معدل المؤشر، الذي يقيس التغيرات الشهرية في أسعار سلة مواد غذائية أساسية مكونة من الحليب ومنتجاته، واللحوم، والسكر، والحبوب ومنتجاتها، وبذور الزيوت النباتية، إلى ٢١٤،٧ نقطة في ديسمبر، مقابل ٢٠٦ نقاط في نوفمبر/ تشرين الثاني السابق له.

وكان المؤشر قد وصل في يونيو/حزيران من عام ٢٠٠٨ إلى ٢١٣،٥ نقطة، مما تسبب في اندلاع احتجاجات ومظاهرات واسعة في بلدان منها الكاميرون وهاييتي ومصر.

كما شهدت موزمبيق مظاهرات مماثلة ولنفس السبب في سبتمبر/ أيلول من العام الماضي.

ويقول الخبير الاقتصادي في المنظمة عبدالرضا أباحسن إنه على الرغم من ارتفاع الأسعار، فإنه لم تظهر عوامل عديدة أسهمت في تلك الاحتجاجات في عام ٢٠٠٧ و ٢٠٠٨، ومنها مثلا تراجع مستوى الإنتاج الزراعي في البلدان الفقيرة، وهو ما يعني أن الخطر أقل مما كان عليه في السابق.

لكن الخبير الاقتصادي قال أيضا إن «تقلبات الطقس» تعني أن الأسعار قد تتجه نحو الارتفاع، وهو أمر «مقلق».



مظالم العباد

محمد عبدالرحمن النجار*

إن المتدبر لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ يجد نصوصًا كثيرةً قد ذمت الظلم وأهله وحذرت العباد منه، وقد ذكر الله تعالى الظلم في أكثر من مائتين وأربعين موضعًا، محذرًا منه بأساليب مختلفة واشتقاقات متنوعة، فتارةً بتنزيه الله تعالى نفسه عن هذه الصفة، قال تعالى: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ (فصلت:٤٦)، وتارة بالأمر بالعدل بين الناس كلهم حتى مع غير المسلمين، قال عز وجل: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى﴾ (النحل:٩٠). وقال تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ (المائدة:٨)، وأحيانا يأتي ذم الظلم بذم أهله مقرونًا بمقت الله لهم، كقوله تعالى: ﴿وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما﴾ (طه:١١١)، ووصف سبحانه ما دون الشرك من المعاصي بالظلم فقال سبحانه: ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ (الأعراف:٢٣).

مع أن الله توعد الظالمين بعقوبات شديدة وقاسية فإن بعض الظالمين لا يزالون في غيهم وعلى ظلمهم بل يتعهدون استشراء الظلم جيلا بعد جيل ويحسبون أنهم يحسنون صنعا، حتى امتلأت المحاكم ودور القضاء من خصومات الناس ومظالمهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ومنها:

- ظلم العمال وعدم إعطائهم حقوقهم في وقتها والمماطلة في ذلك والتأخير، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرًا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره» (البخاري). فحقوق العمال واجبة في وقتها، وتحرم المماطلة بها وتأخيرها كما يحرم ظلمهم واستغلالهم بغير حق. روى البخاري ومسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم».

- غصب الأرض: فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين» (متفق عليه).

- مماطلة من له عليه حق: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَطل الغني ظلم» (متفق عليه).

- التطاوُل على أموال اليتامى والبسطاء والعامة الذين لا يستطيعون حيلة لاسترداد حقوقهم ولا يهتدون سبيلا، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ أو التعدي على حقوق الغير ولو كانوا أغنياء ففي الحديث الصحيح «مطل الغني ظلم».

- الحلف كذبًا لاغتصاب حقوق العباد: فعن أبي أمامة رضي الله عنه إياس بن ثعلبة الحارثي أن رسول الله ﷺ: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة» فقال رجل: «وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟ قال: «وإن قضيبًا من أراك» (مسلم).

مظالم العباد كثيرة ومتنوعة ولابد من التحلل منها والتخلص من عواقبها

ولابد من القول بأن كثيرا من الناس حين يسمع الحديث عن الظلم ينصرف ذهنه إلى الظلم الحسي الظاهر من تعد على الأموال والدماء والأعراض ونحو ذلك مما تنفر منه الطباع السليمة ويعرفه الجاهل والعالم والصغير والكبير، ولكن ثمة نوع خفي يتساهل فيه كثير من الناس ويخفى عليهم حتى الصالحين، وينتشر في بعض البيئات المحافظة ألا وهو الظلم الاجتماعي!

والمقصود به الظلم المعنوي الذي يصدر من بعض أفراد المجتمع تجاه الآخرين في التعامل معهم والانحياز عنهم وتفضيل غيرهم عليهم أو عدم تحقيق العدل معهم أو الإساءة إليهم، وهذا له صور كثيرة منها:

- ميل الوالد لبعض ولده وعدم العدل بين الأبناء وتفضيله واحدًا منهم على سائر الأولاد في العطية والقبلة والثناء والذكر والمدح ونحوه من التعامل الجائر، ويتخذ ذلك عادة ويشتهر عنه هذا السلوك مما يوقع العداوة والبغضاء بين أولاده وينشب الحسد والحقد بينهم، إلا إذا وقع ذلك طارئًا في مناسبة فمعفو عنه ولا يؤاخذ به ولا يكاد يسلم منه أحد!! روى النعمان بن بشير قال أتى بي أبي إلى النبي ﷺ فقال: إني نحلت ابني هذا غلامًا كان لي فقال الرسول: «أفعلت هذا بولدك كلهم»؟ قال: لا! قال: «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم». فرجع أبي فرد تلك الصدقة (متفق عليه).

- جفاء الإخوة لأخيهم وترك ما يجب

* إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

تجاهه من التكريم والسؤال عنه، وعدم دعوته في المناسبات، وأخذ مشورته أو إقصاؤه، وعدم إخباره بما يجد من الأفراح والأحزان، وعدم إكرام أهله، ونحو ذلك من التعامل الجائر، مع كونهم يبذلون البر والصلة والإحسان لغيره من الإخوة الذين ربما لا يصلون إلى مستواه وخلقه. وهذا كله يجعل الأخ يشعر أنه ليس أخًا لهم ولا تربطه بهم رابطة الرحم.

- ظلم أم الزوج للزوجة: كجفائها، وإنكار معروفها، وعدم مكافأتها على ما تقوم به من البر والإحسان، وانتقاصها والتهجم عليها في مجامع النساء كلما سنحت الفرصة، وعدم دعوتها في المناسبات الاجتماعية، وأشد من ذلك أن تُزهد الأم ولدها في زوجته وربما أفسدته عليها، وأمرته بطلاقها.

- جفاء الزوجة لأم زوجها والتقصير في السؤال عنها وزيارتها، وتزهيد زوجها في أمه وأهله، وعدم احتمال هفوات الأم اليسيرة العابرة، وربما تطاولت عليها في الكلام والفعال! والإنكار على الزوج في بذل ماله لأمه وأهله ونحو ذلك.

وفي المقابل تبالغ في بذل مالها ووقتها لأهلها، وربط أبنائها بهم، وحث الزوج دائمًا على صلتهم ولو كان على حساب صلته بأهله وأمه! وهذا التصرف كثير في الزوجات، والاعتدال أمر مطلوب شرعًا، وأشد من ذلك أن تبغض الزوجة زوجها في أهله، وتربي أبناءها على كراهتهم.

- السحر بجميع أنواعه: وأخص سحر التفريق بين الزوجين، قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ (البقرة:١٠٢)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» (البخاري ومسلم).

- حبس الحيوانات والطيور حتى تموت: عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعًا فدخلت فيها النار» (البخاري ومسلم) حبستها: أي بدون طعام.

- شهادة الزور: أي الشهادة بالباطل والكذب والبهتان والافتراء وانتهاز الفرص للإيقاع بالأبرار والانتقام من الخصوم فعن أنس رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الكبائر فقال: «الشرك بالله، وعقوق الوالدين وقتل النفس، وقال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قول الزور، أو قال شهادة الزور (متفق عليه).

- ومن أشد أنواع الظلم منع مساجد الله من أن يذكر فيها اسمه والسعي في خرابها، وهاهو المسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين وثالث الحرمين، وأحد المساجد التي تشد إليها الرحال، تاج عز العرب والمسلمين، يئن من ظلم الاحتلال، ويشكو قلة الوافدين إليه من أبناء هذه الأمة، الذين يمنعون، ويحرمون من الصلاة فيه بسبب الحصار المفروض على المدن والقرى الفلسطينية.

- الركون إلى الظالم لأنه سبب في انتشار الظلم، قال تعالى: ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾ (هود:١١٣)، ولأن الركون إلى الظالم سكوت عن ظلمه. وقد نبهنا الله سبحانه على هجر الظالم وعدم إعانته على ظلمه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام:٦٨).

ومن صور الظلم الكثيرة: أكل صداق الزوجة بالقوة ظلم.. والسرقة ظلم.. وإيذاء المؤمنين والمؤمنات والجيران ظلم.. والغش ظلم.. وكتمان الشهادة ظلم.. والتعريض للآخرين ظلم.. وطمس الحقائق ظلم.. والغيبة ظلم.. وإهدار الكرامة ظلم.. والنميمة ظلم.. وخداع الغافل ظلم.. ونقض العهود وعدم الوفاء ظلم.. والمعاكسات ظلم.. والسكوت عن قول الحق ظلم.. وعدم رد الظالم عن ظلمه ظلم.. إلى غير ذلك من أنواع الظلم الظاهر والخفي.

إن مظالم العباد لابدَ من التحلل منها والتخلص من عواقبها، فرسولنا ﷺ يقول: «إذا خَلَصَ المؤمنون مِنَ النار حُبِسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالمَ كانت بَينهم، حتى إذا نُقُوا وهُذبوا أُذن لهم بدخول الجنة» (البخاري)، فيا أيها الظالم لغيره: اعلم أن دعوة المظلوم مستجابة لا ترد مسلمًا كان أو كافرًا، ففي حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرًا؛ فإنه ليس دونها حجاب» (مسند أحمد). فالجزاء يأتي عاجلًا من رب العزة تبارك وتعالى.

وأخيرا: يا ظلم قد افترشتْ جذورُه وترعرت أغصانُه الجرداء، لا تفرح برسوخ جذورك وطول أغصانك فالعدل قادر على أن يصحب الماء إليه فتهلك جذورك في الأعماق وتناطح أغصانه المثمرة أغصانك فتهوي بها إلى ما كانت إليه، ويا ظلم لا تفرح بدوام ظلمك فبقدر ما امتد ظلمك بقدر ما سيهوي به عليك، فالحق أحق أن ينتصر والباطل بطل ما أوى إليه. نسأل الله تعالى أن يجنبنا أسباب الظلم والبغي والعدوان وأن يصرف عنا والمسلمين ظلم الظالمين وبغي الباغين وعدوان المعتدين.



الْعَدْلُ: خِلافُ الْجَوْرِ، وَهُوَ فِي اللُّغَةِ: الْقَصْدُ فِي الأُمُورِ، وَهُوَ كَما قالَ الجرجاني: عِبارَةٌ عَنِ الأَمْرِ الْمُتَوَسِّطِ بَيْنَ طَرَفَي الإِفْراطِ وَالتَّفْرِيطِ. وَالْعَدْلُ مِنَ النَّاسِ: هُوَ الْمَرْضِيُّ قَوْلُهُ وَحُكْمُهُ، وَرَجُلٌ عَدْلٌ: بَيِّنُ الْعَدْلِ، وَالْعَدالَةُ وَصْفٌ بِالْمَصْدَرِ مَعْناهُ: ذُو عَدْلٍ. قالَ تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنكُمْ﴾ وَالْعَدْلُ يُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالاثْنَيْنِ وَالْجَمْعِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُطَابِقَ فِي التَّثْنِيَةِ وَالْجَمْعِ فَيُقَالُ: عَدْلانِ، وَعُدُولٌ، وَفِي الْمُؤَنَّثَةِ: عَدْلَةٌ.

العدل أساس الملك

محمد الهنداوي

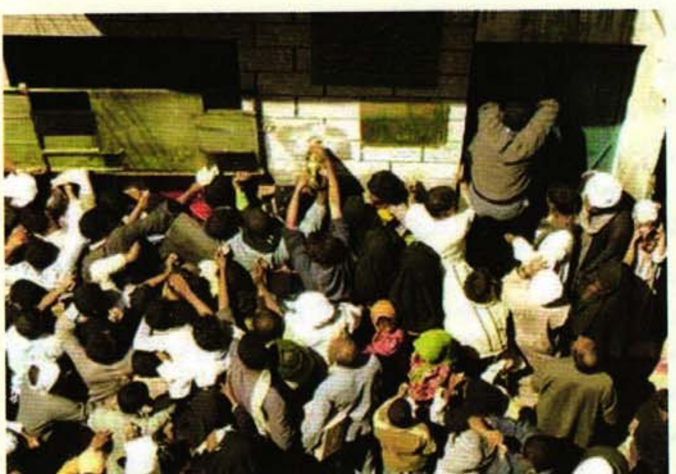
وَالْعَدَالَةُ: صِفَةٌ تُوجِبُ مُرَاعَاتُهَا الاحْتِرَازَ عَمَّا يُخِلُّ بِالْمُرُوءَةِ عَادَةً فِي الظَّاهِرِ.

وقد جاء ذكر العدل كثيرًا في القرآن الكريم فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان...﴾ وقال أيضًا: ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل...﴾ وقال تعالى: ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾.

إن من أهداف الحكم الاسلامي، الحرص على إقامة قواعد النظام الاسلامي التي تساهم في إقامة المجتمع المسلم، ومن أهم هذه القواعد العدل والمساواة.

إن إقامة العدل بين الناس أفرادًا وجماعات ودولًا ليست من الأمور التطوعية التي تترك لمزاج الحاكم و هواه، بل إن إقامة العدل في الدين الاسلامي تعد من أقدس الواجبات وأهمها، قال الفخر الرازي: أجمعوا على أن من كان حاكمًا وجب عليه أن يحكم بالعدل.

وهذا الحكم تؤيده النصوص القرآنية، والسنة النبوية، فإن من أهداف دولة الاسلام اقامة المجتمع المسلم الذي تسود فيه قيم العدل ورفع الظلم، وعليها أن تفسح المجال، وتيسر السبل أمام كل انسان يطلب حقه أن يصل اليه، دون أن يكلفه ذلك جهدًا



أو مالًا، وعليها أن تمنع أي وسيلة من شأنها أن تعيق صاحب الحق من الوصول اليه، قال الله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾ (المائدة: ٨).

وقد وقف الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أول تسلمه للخلافة يبين أحقية اقامة العدل بين الناس فقال: «ولست أدع أحدًا يظلم أحدًا، أو يتعدى عليه حتى أضع خده على الأرض، وأضع قدمي على خده الآخر حتى يذعن للحق»، وقد قال له المرزبان، حين رآه وقد نام متبذلًا: عدلت فأمنت فنمت.

لقد جاء هذا الدين لينشئ أمة وينظم مجتمعًا، جاء دعوة عالمية انسانية لا تعصب فيها لعرق أو جماعة أو جنس، وليس شيء أسرع في خراب الأرض ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور؛ لأنه ليس يقف على حد ولا ينتهي الى غاية، ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل.

وان النبي عليه الصلاة السلام ما ترك شأنًا من شؤون الحياة الا ودعا الى العدل فيها، في المطعم والمشرب والملبس، في البيع و الشراء والمعاملات، في التحدث والانصات و الضحك، في كسب المال وانفاقه، في العلاقة مع الخلق، من زوجة وأولاد وجيران وشركاء وغير ذلك من العلاقات الكثيرة التي يتقلب الانسان فيها غدوًا ورواحًا، ولعل من أعظم الأمور التي دعا الاسلام الى اقامة العدل فيها: الامامة العظمى، من ملك وامارة ورياسة، قال الله تعالى: ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل...﴾.

ان العدل ميزان الله الذي وضعه للخلق، ونصبه للحق، وقد أنزل الله كتبه و أرسل رسله من أجل هذه المهمة وقد قال: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط...﴾ (الحديد: ٢٥)، وقال لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيمًا﴾

* باحث شرعي



(النساء: ١٠٥).

وقد أكد النبي عليه الصلاة والسلام هذه المعاني فقال: «اذا حكمتم فاعدلوا، واذا قتلتم فأحسنوا فإن الله عز و جل محسن يحب المحسنين» (رواه الطبراني في الأوسط، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله ثقات) وقد جعل العدل من الصدقات فقال ﷺ: «كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الناس صدقة...» (متفق عليه).

وأخبر أن العدل من أعظم أسباب النجاة فقال ﷺ: «وأما المنجيات فالعدل في الغضب والرضا...». (رواه الطبراني في الأوسط، وحسنه الألباني). وقد بشر النبي ﷺ الحاكم الذي يقيم العدل بين الناس بمقام عظيم، ومنزلة رفيعة فقال: «ان المقسطين عند الله على منابر من نور، الذين يعدلون في حكمهم و ما ولوا».

وقد ورد في الصحيحين: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل...».

وروى مسلم في صحيحه، أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قربى ومسلم، ورجل فقير عفيف متصدق».

ومن أجل ازالة الظلم وتوطيد العدل الكامل بين الناس قيد الله سبحانه وتعالى حرية بني البشر ببعض القيود وهي الحدود الشرعية التي جعلها واجبة التنفيذ. قال تعالى: ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾ (البقرة: ٢٢٩).

وقد طبق رسول الله ﷺ مضمون هذه الآية، وذلك لاستتباب العدل، كما ثبت في المرأة المخزومية القرشية التي سرقت، وقرر رسول الله ﷺ تنفيذ الحد عليها، فعظم ذلك على رجال من قريش، فطلبوا من أسامة بن زيد رضي الله عنه أن يشفع لها عند رسول الله ﷺ، فلما حدث أسامة النبي ﷺ في أمرها، غضب ﷺ وقال لأسامة مستنكرا: «أتشفع في حد من حدود الله، انما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد» ثم ختم حديثه بقوله ﷺ «وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطعت يدها».

إقامة العدل بين الناس أفراداً ودولاً ليست من الأمور التطوعية التي تترك لمزاج الحاكم وهواه

وقد حذر النبي ﷺ ولاة أمور المسلمين من عدم اقامة العدل بين الناس فقال: «مَنْ وَلِيَ أُمَّةً مِنْ أُمَّتِي قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ فَلَمْ يَعْدِلْ فِيهِمْ كَبَّهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ». (رواه الطبراني).

وقال ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَكُونُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ هَذِهِ الأُمَّةِ فَلَا يَعْدِلُ فِيهِمْ الَّا كَبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ» (رواه الحاكم وصححه).

وقال ﷺ: «انَّ فِي جَهَنَّمَ وَادِيًا وَفِي الْوَادِي بِئْرٌ يُقَالُ لَهُ هَبْهَبُ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُسْكِنَهُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ». (رواه الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ وَأَبُويَعْلَى وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ).

وقال ﷺ: «مَا مِنْ أَمِيرِ عَشَرَةٍ الَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولًا لَا يَفُكُّهُ الَّا الْعَدْلُ» (رواه أَحْمَدُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ).

وقال ﷺ «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ» (رواه مسلم).

وقال ﷺ فيما رواه الشيخان: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيه اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ رَعِيَّتَهُ الَّا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» وَفِي رِوَايَةٍ لَهُمَا: «فَلَمْ يُحِطْهَا بِنُصْحِه لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ».

وَفِي صحيح مُسْلِمٌ: «مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ لَهُمْ الَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمْ الْجَنَّةَ».

وَ روى الْحَاكِمُ بِنَحْوِ ذَلِكَ وَصَحَّحَهُ وَالتِّرْمِذِيُّ بِلَفْظِ: «مَا مِنْ امَامٍ يُغْلِقُ بَابَهُ دُونَ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْخَلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ الَّا أَغْلَقَ اللَّهُ تَعَالَى أَبْوَابَ السَّمَاءِ دُونَ خَلَّتِهِ وَحَاجَتِهِ وَمَسْكَنَتِهِ».

وقد قام الصحابة ببيان عملي لهذا المبدأ، فقد وقف أبو بكر رضي الله عنه، يوم ولي أمر المسلمين فقال لهم: «وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأطيعوني، وان أسأت فقوموني...».

وهذا علي رضي الله عنه يخاطب ولاته على الأمصار فيقول لهم: «أيها الرعاء، ان لرعيتكم حقوقاً: الحكم بالعدل، والقسم بالسوية، وما من حسنة أحب الى الله من حكم امام عادل».

حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا علي بن عبدالعزيز، حدثنا أبوعبيد، حدثنا عبدالرحمن بن مهدي، عن محمد بن طلحة، عن داود بن سليمان الجعفي، قال: كتب عمر بن عبدالعزيز الى عبدالحميد بن عبدالرحمن: لا سلام عليك فان أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام وسنن خبيثة، سنتها عليهم عمال السوء، ان قوام الدين العدل والاحسان، فلا يكونن شيء أهم





اليك من نفسك أن توطنها لطاعة الله فانه لا قليل من الإثم.

وقد أعلن الإسلام مبدأ العدل في العقيدة والشريعة والأسرة والعهود والقضاء وكل شؤون الحياة. ومن هنا صار العدل التزاما للمسلم في كل ميادين حياته الروحية والمادية، ومناطا للثواب على صالح الأعمال، فالعدل الحقيقي لا يكتمل بعيدا عن شريعة الله، لأن شريعة الله تعالى هي العدل.

وَقَالَ كَعْبٌ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: وَيْلٌ لِسُلْطَانِ الْأَرْضِ مِنْ سُلْطَانِ السَّمَاءِ، فَقَالَ عُمَرُ الَّا مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ، فَقَالَ كَعْبٌ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه انَّهَا لَكَذَلِكَ الَّا مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ، مَا بَيْنَهُمَا حَرْفٌ يَعْنِي فِي التَّوْرَاةِ.

- التأصيل الفقهي لاشتراط العدالة في الحاكم اختيارًا واستمرارية ذَهَبَ الْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ الَى أَنَّ الْعَدَالَةَ شَرْطُ صِحَّةٍ، فَلا يَجُوزُ تَقْلِيدُ الْفَاسِقِ الا عِنْدَ فَقْدِ الْعَدْلِ.

وَذَهَبَ الْحَنَفِيَّةُ الَى أَنَّهَا شَرْطُ أَوْلَوِيَّةٍ، فَيَصِحُّ تَقْلِيدُ الْفَاسِقِ وَلَوْ عِنْدَ وُجُودِ الْعَدْلِ.

واختلفوا في العدالة هل تشترط لدوام الامامة؟

عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ لَيْسَت الْعَدَالَةُ شَرْطًا لِصِحَّةِ الْوِلَايَةِ، فَيَصِحُّ تَقْلِيدُ الْفَاسِقِ الامَامَةَ عِنْدَهُمْ مَعَ الْكَرَاهَةِ، وَاذَا قُلِّدَ انْسَانٌ الامَامَةَ حَالَ كَوْنِه عَدْلا، ثُمَّ جَارَ فِي الْحُكْمِ، وَفَسَقَ بِذَلِكَ أَوْ غَيْرِه لا يَنْعَزِلُ، وَلَكِنْ يَسْتَحِقُّ الْعَزْلَ انْ لَمْ يَسْتَلْزِمْ عَزْلُهُ فِتْنَةً، وَيَجِبُ أَنْ يُدْعَى لَهُ بِالصَّلاحِ وَنَحْوِه، وَلا يَجِبُ الْخُرُوجُ عَلَيْه، كَذَا نَقَلَ الْحَنَفِيَّةُ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ، وَكَلِمَتُهُمْ قَاطِبَةً مُتَّفِقَةٌ فِي تَوْجِيهِه عَلَى أَنَّ وَجْهَهُ: هُوَ أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ صَلَّوْا خَلْفَ أَئِمَّةِ الْجَوْرِ وَقَبِلُوا الْوِلايَةَ عَنْهُمْ. وَهَذَا عِنْدَهُمْ لِلضَّرُورَةِ وَخَشْيَةِ الْفِتْنَةِ.

وَقَالَ الدُّسُوقِيُّ: يَحْرُمُ الْخُرُوجُ عَلَى الامَامِ الْجَائِرِ لأنَّهُ لا يُعْزَلُ السُّلْطَانُ بِالظُّلْمِ وَالْفِسْقِ وَتَعْطِيلِ الْحُقُوقِ بَعْدَ انْعِقَادِ امَامَتِه، وَانَّمَا يَجِبُ وَعْظُهُ وَعَدَمُ الْخُرُوجِ عَلَيْه، انَّمَا هُوَ لِتَقْدِيمِ أَخَفِّ الْمَفْسَدَتَيْنِ.



وأما المالكية فقد قَالَ الْخَرَشِيُّ: رَوَى ابْنُ الْقَاسِمِ عَنْ مَالِك: انْ كَانَ الامَامُ مِثْلَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَجَبَ عَلَى النَّاسِ الذَّبُّ عَنْهُ وَالْقِتَالُ مَعَهُ، وَأَمَّا غَيْرُهُ فَلا، دَعْهُ وَمَا يُرَادُ مِنْهُ، يَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنَ الظَّالِمِ بِظَالِمٍ، ثُمَّ يَنْتَقِمُ مِنْ كِلَيْهِمَا.

وَقَالَ حَنْبَلٌ: في ولايَةِ الْوَاثِقِ اجْتَمَعَ فُقَهَاءُ بَغْدَادَ الَى أَبِي عَبْدِاللَّه، يعني الامام أحمد فقالوا: هَذَا أَمْرٌ قَدْ تَفَاقَمَ وَفَشَا- يَعْنُونَ اظْهَارَ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ- نُشَاوِرُكَ فِي أَنَّا لَسْنَا نَرْضَى بِإِمْرَتِه وَلا سُلْطَانِه. فَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِالنَّكِيرِ بِقُلُوبِكُمْ، وَلا تَخْلَعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، وَلا تَشُقُّوا عَصَا الْمُسْلِمِينَ. وَقَالَ أَحْمَدُ فِي رِوَايَةِ الْمَرْوَزِيِّ، وَذَكَرَ الْحَسَنَ بْنَ صَالِحِ بْنِ حَيٍّ الزَّيْدِيَّ فَقَالَ: كَانَ يَرَى السَّيْفَ، وَلا نَرْضَى بِمَذْهَبِه.

طاعة الامام

اتَّفَقَت الأُمَّةُ جَمْعَاءُ عَلَى وُجُوبِ طَاعَةِ الامَامِ الْعَادِلِ وَحُرْمَةِ الْخُرُوجِ عَلَيْه لِلأَدِلَّةِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ كَخَبَرِ: «مَنْ بَايَعَ امَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِه وَثَمَرَةَ قَلْبِه فَلْيُطِعْهُ ان اسْتَطَاعَ، فَانْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ».. وَقَوْلِه تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩). وَحَدِيث: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

واجبات الامام

مِنْ تَعْرِيفِ الْفُقَهَاءِ لِلإمَامَةِ الْكُبْرَى بِأَنَّهَا: رِئَاسَةٌ عَامَّةٌ فِي سِيَاسَةِ الدُّنْيَا وَإِقَامَةِ الدِّينِ نِيَابَةً عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. يَتَبَيَّنُ أَنَّ وَاجِبَاتِ الامَامِ اجْمَالا هِيَ كَمَا يَلِي:

أ - حِفْظُ الدِّينِ عَلَى أُصُولِه الثَّابِتَةِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَاجْمَاعِ سَلَفِ الأُمَّةِ، وَإِقَامَةُ شَعَائِرِ الدِّينِ.

ب - رِعَايَةُ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ بِأَنْوَاعِهَا.

كَمَا أَنَّهُمْ- فِي مَعْرِضِ الاسْتِدْلالِ لِفَرْضِيَّةِ نَصْبِ الإمَامِ بِالْحَاجَةِ الَيْه- يَذْكُرُونَ أُمُورًا لابُدَّ لِلأُمَّةِ مِمَّنْ يَقُومُ بِهَا، وَهِيَ: تَنْفِيذُ الأَحْكَامِ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ، وَسَدُّ الثُّغُورِ، وَتَجْهِيزُ الْجُيُوشِ، وَأَخْذُ الصَّدَقَاتِ، وَقَبُولُ الشَّهَادَاتِ، وَتَزْوِيجُ الصِّغَارِ وَالصَّغَائِرِ الَّذِينَ لا أَوْلِيَاءَ لَهُمْ، وَقِسْمَةُ الْغَنَائِمِ.

يقول عمر رضي الله عنه: «ولكم علي أيها الناس خصال أذكرها لكم، فخذوني بها: لكم علي ألا أجتبي شيئًا من خراجكم، ولا مما أفاء الله عليكم الا في وجهه، ولكم علي اذا وقع بين يدي ألا يخرج مني الا في حقه، ولكم علي أن أزيد في عطاياكم، وأسد ثغوركم، ولكم علي ألا ألقيكم في المهالك، واذا غبتم في البعوث، فأنا أبوالعيال حتى ترجعوا اليهم، فاتقوا الله عباد الله، وأعينوني على أنفسكم بكفها عني، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، و احضار النصيحة فيما ولاني الله من أمركم... ».

وأخيرًا: فلنعلم أن في توطيد العدل ومحاربة الظلم والحيلولة دون وقوعه اقرارًا للأمن وتحقيقًا للمساواة بين أفراد المجتمع، والأمر الذي يمكن لكل فرد الوصول الى حقه دون مشقة وعناء، واذا فقد العدل أكل الناس بعضهم حق بعض، وسادت الفتن، وكثرت الجرائم والمنكرات وأصبح كل فرد من أفراد المجتمع عرضة لاعتداء الأشرار، وضعاف النفوس، فتفقد الحياة بهجتها وجمالها.

عبادة السيد نوح abadanooh@hotmail.com

قيمة العدل

«إن الله يقيم الدول العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدول الظالمة وإن كانت مسلمة»... بهذه الكلمات التي توزن بماء الذهب لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يمكن توصيف الأحداث والحراك الشعبي الواسع في مجتمعاتنا الرافض للظلم والظالمين، بأنها نهاية عصر الفساد وبداية حقبة جديدة من المساواة، شعارها العدل أساس الملك، وشريان الحياة، وضبط أطر العلاقة بين مكونات الأمة من خلال العقد الاجتماعي بين الحاكم والمحكوم.

إن من أجلِ أسباب النصر الإلهي، العدل.. والمسلمَ مأمور به مع الأعداء، والأصدقاء على السواء، إذ يقول الحق تبارك وتعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: ١٣٥)، وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ...﴾ (النحل: ٩٠).

ولقد أمر الله الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام بالعدل، وإذا كان الأنبياء والمرسلون، وهم الذين لا يتأتى منهم الجور قد أمروا به، فكيف بنا نحن الذين لا تمضي علينا ساعة إلا وحياتنا ملطخة بصورة من صور الجور والظلم، لذا لابد من اليقين بأن العدل هو الذي يوجب عون الله، وتأييده، ونصره، إذ بالعدل يدوم السلطان والملك، وقد جاء في الأمثال: «من جعل العدل عدة طالت به المدة».

والكل يتذكر موقف سيدنا عمر بن الخطاب مع القبطي عندما أتاه ليشكو الظلم الذي لحق به على يد ابن والي مصر عمرو بن العاص، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أتى رجل من أهل مصر إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين عائذ بك من الظلم، قال: عذت بمعاذ، قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين، فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم عليه، ويَقْدم بابنه معه، فقدم، فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب، فجعل يضربه بالسوط، ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين، قال أنس: فضرب، فوالله لقد ضربه ونحن نحب ضربه، فما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه، ثم قال عمر للمصري: ضع على صلعة عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذي ضربني، وقد اشتفيت منه، فقال عمر لعمرو: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟! قال: يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني.

وهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول لعبد له: إني كنت عركت أذنك، فاقتص مني، فأخذ بأذنه، ثم قال عثمان رضي الله عنه اشدد، يا حبذا قصاص في الدنيا، لا قصاص في الآخرة.

إن هذه الصور من التناصف فيما بينهم تعد مظهرا أساسيا من مظاهر النصرة الإسلامية.

ولشيوع العدل أو التناصف فيما بينهم على النحو الذي قدمنا أمدهم الله عز وجل بالنصر، والتمكين في الأرض، فصاروا سادة الدنيا وأئمة العالمين.

ويمكن أن يمدنا الله عز وجل بذلك كما أمدهم به أول مرة إذا حرصنا على التحلي فيما بيننا بالعدل والإنصاف، وإن مما يعيننا على ذلك دوام النظر في سيرة السلف فيما يتعلق بهذا الخلق، لاسيما الصحابة، والتذكير الدائم بهذا الخلق، فإن الإنسان من شأنه أن ينسى، ولا علاج لهذا النسيان إلا بالتذكير والتنبيه ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات: ٥٥). والله ولي التوفيق.



التداوي في الإسلام

لاشك أن الإسلام اعتنى بصحة المسلم أيما اعتناء، وذلك من خلال إباحته لكل ما هو نافع له، وحَظْره لكل ما هو ضار به؛ لأن الصحة التامة والسلامة من العلل والأسقام في البدن ظاهرًا وباطنًا هي مكمن من مكامن الحياة الطيبة، وقد أحسن من قال: «إن الصحة تاج على رؤوس الأصحاء»، فلا يَعرف حينئذٍ أهميتها وقيمتها إلا من حرمها من الناس.



د. صالح النهام

ويتضح هذا جليًا من خلال عموم الأدلة الشرعية، وفي نواح عدة، منها:

أ- الصلاة؛ حيث اشتُرِطَ فيها الطهارة، فقال جل جلاله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ (المائدة: ٦)، وقال رسول الله ﷺ لبلال رضي الله عنه عند صلاة الفجر: «يا بلال! حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت دَفَّ نَعْلَيك بين يديَّ في الجنة»، قال: ما عملتُ عملًا أرجى عندي أني لم أتطهَّر طُهُورًا في ساعة ليل أو نهارٍ إلا صليتُ بذلك الطُّهُور ما كُتِبَ لي أن أُصلّي (١)، ومعلوم أن للطهارة فوائد كثيرة منها: نيل العبد محبة الله ورضاه، وعن طريقها تشاع النظافة في المجتمع، فينبعث في النفس السرور والانشراح، وهي أيضًا: وسيلة مهمة من وسائل الوقاية من الأمراض، ومن المعروف كما قيل: إن الوقاية خيرٌ من العلاج (٢).

ب- تقوية البدن؛ من خلال الاهتمام بالصحة البدنية والنفسية، ويظهر ذلك عندما قال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر رضي الله عنه حينما كان يحمل حجرين عند بناء مسجده: «إن عمارًا مليء إيمانًا من قرنه إلى قدمه» (٣)، وبهذه القوة الروحية كان النبي ﷺ يواصل الصوم (٤) أيامًا عديدة (٥)، ولهذا جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صوموا تصحوا» (٦)، وقد قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: العلم علمان: علم الأديان، وعلم الأبدان (٧).

فمن دواعي اعتزازنا بشريعتنا الإسلامية أنها أباحت الطب والطبابة، قال الحموي: كان رسول ﷺ يديم التطبب في حالة صحته ومرضه، وشاهد على ذلك ما جاء عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: «إن رسول الله ﷺ كثرت أسقامه وكان يقدم عليه أطباء العرب والعجم فيصفون له فنعالجه» (٨).

ومع هذا الاهتمام الواضح بصحة البدن، نستطيع القول: إن من عناية شريعتنا بالصحة وسلامة الأبدان مما يُضادها أو يعكِّر تمامها هو حسن تعاملها مع التداوي والتطبب والأخذ بالأسباب؛ لمقاومة الأدواء والأسقام، وهذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أن موقف الشريعة من التداوي لم يكن مقتصرًا على السعي في رفع الداء بعد وقوعه، بل إنه تعدَّى إلى أبعد من ذلك حين اهتم بالوقاية واعتبرها خيرا من العلاج، فإن من القواعد المقررة في الشريعة تلكم القاعدة التي تنص على أن الدفع أولى من الرفع، ومما يدل على ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال، قال رسول الله ﷺ: «لا يُورِدَنَّ ممرِضٌ على مُصحّ» (٩)، هذا ولاريب تأكيد على سعة وأفق هذه الشريعة الغراء.

وبعد هذا التقديم إليك بيان معنى التداوي وحكمه بشيء من التفصيل، وذلك في المسائل التالية:

المسألة الأولى: معنى التداوي.

التداوي لغةً:

مصدر تداوى، أي: تعاطى الدواء، وأصله: دوِي يدوي دوى، أي: مرض، وأدوى فلانًا يدويه، بمعنى: أمرضه، وبمعنى: عالجه أيضًا، فهي من الأضداد، ويداوي، أي: يعالج، وتداوى بالشيء: تعالج به، والدِّواء والدَّواء والدُّواء: ما داويته به.

التداوي اصطلاحًا:

لا يخرج استعمال الفقهاء له عن معناه اللغوي، كما تدل على ذلك عباراتهم(١٠).

ومن الألفاظ ذات الصلة: الطِّب(١١) الذي هو في اللغة: المداواة والعلاج، أي: علاج الجسم والنفس، فيقال: رجل طَبٌّ وطبيب، وجمع القلة: أطبة، والكثرة أطباء، والطِّب: العالم بالأمور، وكذلك الطبيب يقال له: طَبٌّ(١٢).

المسألة الثانية: التداوي والتوكل.

لاريب أن الشريعة الإسلامية لم تدع المرء المسلم مذبذبًا بين النظرة إلى التسليم بالقدر والقضاء وبين النظرة إلى مدافعة ذلكم القدر، فالداء والدواء كله من عند الله، فكما أن الداء ينزل بقدر، فإن فعل الأسباب ونفع الدواء لا يكون إلا بقدر، فالمرء في كلتا حالتيه يفر من قدر الله إلى قدر الله، وشاهد ذلك ما جاء عن أبي خزامة رضي الله عنه أنه قال: قلت يا رسول الله، أرأيت رُقًى نسترقيها ودواءً نتداوى به وتُقاةً نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئًا؟ فقال: «هي من قدر الله»(١٣).

وقد ذكر ابن القيم في ذلك كلمة عظيمة لمن يعقلون شرع الله، حين أورد في هذا الصدد جملة من الأحاديث الصحيحة، فقال: في هذه الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع داء الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها... إلى أن قال: ولابد من هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلًا للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلًا، ولا توكله عجزًا(١٤).

أضف إلى ذلك أنه لا يجوز اليأس من روح الله أو القنوط من رحمته، بل ينبغي بقاء الأمل في الشفاء بإذن الله جل جلاله، وهذا ما تقتضيه عقيدة المسلم، والدليل على عدم مناقضة التداوي للتوكل، هو فعل رسول الله، وقوله، وأمره به، صلوات الله وسلامه عليه.

أما فعله ﷺ فعن جابر رضي الله عنه قال: «رُميَ سعد بن معاذ في أكحله، قال: فحَسَمه النبي ﷺ بيده بمشقص ثم ورمت فحَسَمه ثانية»(١٥).

وأما قوله، فقد قال ﷺ: «ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء»(١٦).

وأما أمره به ﷺ: «فقد أمر غير واحد من الصحابة الكرام بالتداوي وبالحمية»، «وبعث طبيبًا لأبي بن كعب فقطع منه عرقًا ثم كواه عليه»(١٧)، وقال لعلي رضي الله عنه وكان رَمِد العين: «لا تأكل من هذا»، يعني الرطب، «وكل من هذا فإنه أوفق لك»، يعني سلقًا قد طبخ بدقيق شعير(١٨).

الأمر بالتداوي لا ينافي التوكل بل ينبغي بقاء الأمل في الشفاء بإذن الله تعالى

المسألة الثالثة: حكم التداوي.

الأصل في حكم التداوي أنه مشروع من حيث الجملة؛ وذلك لكثرة الأدلة التي جاءت في كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه التي توضح أن من فعل النبي ﷺ أنه تداوى، وأنه كان يأمر بالتداوي أحيانًا، وأحيانًا يجيب السائل بأن التداوي لا بأس به؛ لما في ذلك من حفظ النفس البشرية، الذي هو أحد المقاصد الكلية من التشريع، مع العلم أن أحكام التداوي تختلف بناء على اختلاف الأحوال والأشخاص، ولذا اختلف الفقهاء في حكم التداوي على أقوال خمسة(١٩).

فمنهم من اعتبر التداوي: واجبًا، ومنهم من اعتبره: مستحبًا، ومنهم من عده: حرامًا، وآخرون قالوا: تركه أفضل، وغيرهم قال: هو مباح مطلقًا، ولكل فريق أدلته ووجهته، وتوضيح ذلك في الأقوال التالية:

القول الأول: ذهب بعض علماء الحنفية (٢٠)، والشافعية(٢١)، والحنابلة(٢٢)، إلى أن التداوي حكمه الوجوب، وبالأخص حال وجود الخطر، كأن يكون السبب المزيل للمرض مقطوعًا به كالماء المزيل لضرر العطش، والخبز المزيل لضرر الجوع.

ومن أدلتهم أن أبا الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا، ولا تداووا بالحرام»(٢٣).

القول الثاني: ذهب جمع من علماء الحنفية(٢٤)، والمالكية(٢٥)، والشافعية(٢٦)، والحنابلة(٢٧)، إلى أن التداوي مستحب فعله، وذكر النووي أنه مذهب جمهور السلف وعامة الخلف، وإن تركه توكلًا فهو فضيلة، واستدل أصحاب هذا القول على ذلك بأحاديث كثيرة توضح أن النبي ﷺ كان يُذكر بمنافع الأدوية والأطعمة، كالحبة السوداء والقسط والصبر، ومن هذه الأدلة ما جاء عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ: «أن نتداوى من ذات الجَنْب بالقُسْط البحري والزيت»(٢٨)، وذاتُ الجَنْب: يعني السِّل. وقوله ﷺ: «إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء».

القول الثالث: قال غلاة الصوفية(٢٩)، إن حكم التداوي حرام؛ وحجتهم أنهم يعتقدون أن الله تعالى هو الفاعل، وأن التداوي هو أيضًا من قدر الله، وهذا كالأمر بالدعاء، وكالأمر بقتال الكفار، وبالتحصن...والأجل لا يتغير، والمقادير لا تتأخر، ولا تتقدم عن أوقاتها، ولابد من وقوع المقدرات(٣٠). ومادام كل شيء بقضاء وقدر فلا حاجة إلى التداوي(٣١).

القول الرابع: يرى بعض الشافعية(٣٢)، ونص عليه الإمام أحمد(٣٣): أن التداوي يجوز وتركه أفضل، ولا يجب وإن ظن نفعه؛ لأنه أقرب إلى التوكل، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الإمام أحمد قال: أحب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوي من شرب الدواء وغيره، وقد كانت تكون به علل فلا يخبر الطبيب بها إذا سأله، ومن أدلتهم: قول رسول الله ﷺ: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب، وهم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»(٣٤)، وقد ثبت أن جمعًا من الصحابة الكرام رضي الله عنهم لم يكونوا يتداوون، بل فيهم من اختار المرض، كأبي بن كعب، وأبي ذَرّ، ومع هذا فلم يُنكر عليهم ترك التداوي(٣٥).

القول الخامس: قال الإمام مالك إن التداوي مباح مطلقًا؛ وقد نقل عنه أنه قال: «لا بأس بالتداوي ولا بأس بتركه»(٣٦)، واستدلوا بأدلة منها: قالت الأعراب: يا رسول الله، ألا نتداوى؟ قال: «نعم يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء، أو دواء، إلا داء واحدًا»، فقالوا: يا رسول الله، ما هو؟ قال: «الهَرَمُ»(٣٧).

وقد قال الخطابي: إن في هذا الحديث إثبات الطب والعلاج، وأن التداوي مباح غير مكروه، وقال العيني: فيه إباحة التداوي وجواز الطب، وبمثلهما قول القرطبي(٣٨).

فالذي يمكن قوله في نهاية مسألة التداوي هو: أن أدلة الأقوال السابقة يمكن جمعها والتوفيق بينها ما أمكن؛ وذلك لأن الجمع بين الأدلة خير من إعمال أحدها وإهمال الآخر؛ وذلك حسب ما هو معروف في مسائل التعارض والترجيح(٣٩)، وهذه المسألة تعتريها الأحكام الخمسة، بمعنى إذا كان المرض خطيرًا ويترتب على تركه هلاك النفس أو أحد أعضائه أو عجزه، أو كان المرض ينتقل ضرره إلى غيره، كالأمراض المعدية، فهنا يترجح قول من قال بوجوب التداوي؛ وذلك حفظًا للنفس البشرية التي هو مسؤول عنها يوم القيامة، وقد أوجب الأئمة الأربعة وجمهور العلماء أكل الميتة عند المخمصة، قال مسروق: من اضطر إلى أكل الميتة فلم يأكل حتى مات دخل النار، ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية(٤٠)، وإذا لم يترتب عليه ضرر كالذي تقدم، فالأمر يكون مستحبًا؛ لكون المرض هنا من الأمراض البسيطة التي لا يترتب على إهمالها هلاك، وإنما تركه قد يؤدي إلى ضعف البدن، فإن صبر ولم يتداوى أجر؛ ولهذا قالوا تركه أفضل، وإذا تداوى فله ذلك، وقد يكون الأمر مباحًا إذا لم ينطبق عليه ما سبق.

مما يدل على أهمية التداوي حاجة البشر إلى المستشفيات المتوفرة في كل بلدان العالم

أما كون التداوي حرامًا ولا حاجة إليه؛ لأن كل شيء بقضاء وقدر، فغير صحيح، ولابد أن يحمل التحريم على أن رسول الله ﷺ نهى عن التداوي بما حرَّم الله، فقال: «إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا، ولا تتداووا بحرام»، وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرَّم عليكم»(٤١)، ومن الدواء المحرَّم أن تكون الأدوية والعقاقير تحوي شيئًا من النجاسات أو المحرمات التي حرمها الشارع الحكيم(٤٢)، كالمستحضَرات المستخلَصة من بعض الميتة كرئَة البقر مثلًا أو مخاطيات أمعاء الخنازير أو أبوال الحُمُر الأهلية وألبانَها، أو أن تكون وسيلةُ العلاج وسيلةً محرمة كالعلاج بالغناء والموسيقى المحرمة إجماعًا؛ لأن غايةَ الشفاء لا تبرر الوسيلة المحرمة في الوصول إليه، وكذلك في حال إذا أضر بنفسه؛ حين يكون سليمًا، وليس بحاجة إلى التداوي.

فالأمر كما قلت يختلف حكمه باختلاف حال المرض والمريض؛ من حيث التحمل وأثر هذا الضرر، فقد جاءت جارية تسأل رسول الله ﷺ عن حالها أنها تصرع، وأنها تطلب أن يدعو لها، فقال ﷺ: «إن أحببت تصبري ولك الجنة، وإن أحببت دعوت الله أن يشفيك». فقالت: بل أصبر، ولكنني أنكشف، فادع الله لي أن لا أنكشف، «فدعا الله لها أن لا تنكشف»(٤٣)، وقد قال ابن عبدالبر: قد كان من خيار هذه الأمة سلفها وعلماؤها قوم يصبرون على الأمراض حتى يكشفها الله ومعهم الأطباء، فلم يعابوا بترك المعالجة(٤٤).

ولاشك أن الأخذ بالتداوي هو من باب الأخذ بالأسباب وحصول الشفاء بالدواء: كدفع الجوع بالأكل، ودفع العطش بالشرب، ولأهمية التطبيب منع رسول الله ﷺ من ليس بأهل لهذه المهنة أن يزاولها، وأوجب عليه الضمان لما يحدث من ضرر بالمريض(٤٥)، وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم أن ضمان النفس أمر مطلوب، ولذا امتنع عمرو بن العاص من الاغتسال بالماء البارد حين أُجنب؛ خوفًا على نفسه منه وتيمم، ولما أخبر الرسول ﷺ قرر قوله(٤٦).

ومما يدل على أهمية التداوي في هذه الدنيا حاجة البشر للمستشفيات المتوافرة في كل بلدان العالم، حيث وضعوا فيها الأطباء، وجعلوا لهم الأجور نظير قيامهم في هذه المهنة الشريفة، التي أباحت الشريعة تعلمها، بل لعلها عند بعض العلماء فرض كفاية؛ لما فيها من حفظ الصحة، ودفع العلل والأمراض، فخلاف ذلك يكون فتح باب لهلاك الأنفس، ولا يخفى على أحد ما ابتلي به العالم الغربي والعربي، من ظهور أمراض فتاكة في هذا العصر، شغلت العالم بخطورتها وما تؤول إليه، مثل: أمراض الإيدز، وجنون البقر، وإنفلونزا الطيور، وإنفلونزا الخنازير، ونفوق الأسماك، وغيرها من الأمراض التي تؤثر على حياة الإنسان، ولهذا نشط العالم كله تجاه هذه الأمراض الخطيرة، آخذًا بالأسباب والحيطة، من خلال تعاون دولي؛ لاجتنابها، ولرصد عدم تكاثرها، فإذا كان التداوي حرامًا، فلماذا كل هذه الاستعدادات الدولية والتي تشارك بها الدول الإسلامية، فما هذا إلا مما نادت به الشريعة الإسلامية من حفظ للنفس البشرية، من خلال مجموع الأدلة التي جاءت بالكتاب والسنة والآثار والتي يحكم بها العقل السليم.

الهوامش

(١) أخرجه البخاري، رقم: (١١٤٩)، مسلم، رقم: (٢٤٥٨).
(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ: (٢٧٤٠/٧).
(٣) ذكره البزار في مجمع الزوائد: (٢٩٥/٩)، الإصابة في تمييز الصحابة، حديث رقم: (٥٦٩٩).
(٤) أخرجه البخاري، رقم: (١٩٦١)، مسلم، رقم: (١١٠٥).
(٥) انظر: فتاوى معاصرة للدكتور/ يوسف القرضاوي: (ص: ٥٨٧-٥٩٣).
(٦) أخرجه الطبراني في الأوسط، رقم: (٨٣١٢)، كنز العمال: (٢٣٦٠٥).
(٧) انظر: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني للنفراوي المالكي: (٤٣٩/٢)، روضة الطالبين للنووي: (٩٦/٢).
(٨) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة: (١٦/٢-١٧)، وانظر: التراتيب الإدارية للكتاني: (٤٥٥/١)، تخريج الدلالات السماعية للتلمساني: (ص: ٦٧٧).
(٩) أخرجه البخاري، رقم: (٥٧٧١)، مسلم، رقم: (٢٢٢١).
(١٠) انظر: مادة: (د وي)، في كل من: مختار الصحاح: (ص: ٩٠)، المصباح المنير: (٢٧٨/١)، معجم مقاييس اللغة: (ص: ٣٦٨).
(١١) ومن الألفاظ ذات الصلة أيضًا: التمريض والإسعاف. انظر: مادة: (م ر ض) و(س ع ف)، في كل من: المصباح المنير: (٧٨٠/٢)، مختار الصحاح: (ص: ٢٥٩)، المعجم الوجيز: (ص: ٥٧٨)، معجم مقاييس اللغة: (ص: ٩٨٠). وقد قال ابن مفلح الحنبلي: الطب بكسر الطاء في اللغة على معان: وذكر منها: الحذق، كل طبيب عند العرب، وأصل الطب الحذق بالأشياء والمهارة بها. انظر: كتابه، الآداب الشرعية: (٩٤/٣-٩٥).
(١٢) انظر: مادة: (ط ب ب)، في كل من: المصباح المنير: (٥٠٢/٢)، مختار الصحاح: (ص: ١٦٣)، المعجم الوجيز: (ص: ٣٨٥). وانظر: الآداب الشرعية: (٩٤/٣-٩٥)، زاد المعاد: (١٣٩/٢).
(١٣) أخرجه الترمذي، رقم: (٢٠٦٥)، ابن ماجه، رقم: (٣٤٣٧).
(١٤) انظر: الطب النبوي: (ص: ١٠٥).
(١٥) أخرجه مسلم، رقم: (٢٢٠٨).
(١٦) أخرجه البخاري، رقم: (٥٦٧٨)، ابن ماجه، رقم: (٣٤٣٨-٣٤٣٩).
(١٧) أخرجه مسلم، رقم: (٢٢٠٧).
(١٨) أخرجه أبوداود، رقم: (٣٨٥٦)، ابن ماجة، رقم: (٣٤٤٢).
(١٩) انظر: الفتاوى لابن تيمية: (١٢/١٨).
(٢٠) انظر: الهداية تكملة فتح القدير: (١٣٤/٨)، تخريج الدلالات السماعية للتلمساني: (ص: ٦٧٧).
(٢١) انظر: إحياء علوم الدين للإمام الغزالي: (٢٧٦/٤)، حاشية الشرواني وابن القاسم على التحفة: (١٨٢/٣).
(٢٢) انظر: كشاف القناع للبهوتي: (٧٦/٢)، الإنصاف للمرداوي: (٤٦٣/٢).
(٢٣) أخرجه أبوداود، رقم: (٣٨٧٤)، الترمذي، رقم: (٢٠٤٦).
(٢٤) انظر: الهداية تكملة فتح القدير: (١٣٤/٨)، حاشية ابن عابدين: (٢٢٨/٥).
(٢٥) انظر: التمهيد لابن عبدالبر: (٢٢٧/٢)، الزرقاني على الموطأ: (٣٢٩/٤).
(٢٦) انظر: المجموع للنووي: (٩٦/٥)، معالم السنن للخطابي: (٢٢٩/٤)،
(٢٧) انظر: الآداب الشرعية: (٣٦٥/٢)، كشاف القناع: (٧٦/٢).
(٢٨) أخرجه أبوداود، رقم: (٣٨٧٧)، الترمذي، رقم: (٢٠٧٨).
(٢٩) ذكره النووي في كتابه شرح صحيح مسلم: (١٩١/١٤)، وانظر: طرح التثريب للعراقي: (١٨٤/٨).
(٣٠) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم: (١٩١/١٤).
(٣١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (١٣٩/١٠).
(٣٢) انظر: إحياء علوم الدين: (١٦٨/٥-١٦٩)، المجموع: (٩٦/٥).
(٣٣) انظر: منتهى الإرادات للفتوحي: (٣٨٥/١)، كشاف القناع: (٧٦/٢).
(٣٤) أخرجه البخاري، رقم: (٥٧٠٥)، مسلم، رقم: (٢١٦).
(٣٥) انظر: الفتاوى لابن تيمية: (٢٦٩/٢٤)، قوت القلوب لأبي طالب المكي: (٢٢/٢).
(٣٦) انظر: الفواكه الدواني: (٤٤٢/٢)، تفسير القرطبي: (١٩٩/١٠).
(٣٧) أخرجه أبوداود، رقم: (٣٨٥٥)، الترمذي، رقم: (٢٠٣٨).
(٣٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن: (١٩٧/١٠-١٩٩).
(٣٩) انظر: فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت لعبدالعلي الأنصاري: (٣٦٨/٢)، تنقيح الفصول للقرافي: (ص: ٤٢١)، المحصول للرازي: (٤٠٦/٥)، العدة لأبي يعلى: (١٠١٩/٣).
(٤٠) انظر: الفتاوى: (١٢/١٨).
(٤١) أخرجه البخاري، رقم: (٥٦١٤)، والحاكم، رقم: (٧٥٠٩).
(٤٢) بينما يجوز استعمال الأدوية المشتملة على الكحول بنسب مستهلكة تقتضيها الصناعة الدوائية بشرط أن يصفها طبيب عدل، كما يجوز استعمال الكحول مطهرًا خارجيًا. انظر: قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته السادسة عشرة المنعقدة في مكة من: (٢١-٢٦/١٠/١٤٢٢هـ) الموافق (٥-١٠/١/٢٠٠٢م)، في كتاب: فقه النوازل للجيزاني: (١٦٨/٤)، بخصوص حكم الأدوية المشتملة على الكحول والمخدرات.
(٤٣) أخرجه البخاري، رقم: (٥٦٥٢)، مسلم، رقم: (٢٥٧٦).
(٤٤) انظر: التمهيد لابن عبدالبر: (٧٨/٥).
(٤٥) انظر: الطب النبوي لابن القيم: (ص: ٤٠-٤١) بتصرف يسير.
(٤٦) أخرجه البخاري: في كتاب التيمم، أبوداود، رقم: (٣٣٤). وقد ذكره القرطبي في تفسيره: (١٥٦/٥).

نظرة الإنسان إلى الكون والحياة في الإسلام (٢/١)

يحض القرآن الكريم الإنسان حضًا على النظر في نفسه وفي الكون من حوله بأسلوب علمي منهجي سليم، لأنه بذلك يتعرف على ذاته وعلى شيء من حقائق الكون وأسراره، ومن سنن الله الحاكمة له، فيعينه ذلك على حسن القيام بواجب الاستخلاف في الأرض، وحسن عمارتها، وهو من صميم رسالة الإنسان في هذه الحياة، كما يعينه في التعرف على خالقه، وعلى شيء من صفات هذا الخالق العظيم، فيسجد الإنسان لخالقه سجود العبودية والطاعة، وهذا السجود للخالق العظيم وطاعته يمثل الحكمة من خلق الإنسان، حيث يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات: ٥٦).



د. زغلول النجار

الإنسان في موقفه أمام الكون الشاسع الاتساع، الدقيق البناء، المحكم الحركة يرى ضآلة وجوده حجمًا، ومكانًا، وزمانًا، وقدرة، فيرى حاجته وحاجة الوجود من حوله إلى رعاية خالقه، وإلى رحمة هذا الخالق العظيم، كما يرى في السنن الحاكمة لهذا الكون بثبات واطراد صورة من صور طلاقة القدرة الإلهية المبدعة، ويرى في تمكنه من استقرائها وتوظيفها في عمارة الأرض صورة من صور التكريم الإلهي للإنسان الذي قال ربنا تبارك وتعالى في حقه: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠).

وفي الحض على التفكر في الكون يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب. الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلًا سبحانك فقنا عذاب النار﴾ (آل عمران: ١٩٠-١٩١).

ويقول عز من قائل: ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (غافر: ٥٧).

ويقول: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين﴾ (الأنعام: ٧٥).

ويقول: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ (فصلت: ٥٣).

ويقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين. وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (الذاريات: ٢٠-٢١).

ويقول عز من قائل: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت﴾ (الغاشية: ١٧-٢٠).

من هنا كان في تعرف الإنسان على الكون تحقيق لرسالته في هذه الحياة وضرورة من ضرورات وجوده.

ماهية الكون

يقصد بلفظة الكون مجموع الموجودات الكائنة من مختلف صور المادة والطاقة والمكان والزمان، وما تتشكل عليه من الجمادات والأحياء والأناسي كافة، وما يرتبط بها من قوى وعمليات وظواهر، ولمّا كان ذلك يشمل حيزًا كبيرًا من المعارف الإنسانية، خرج الناس بلفظة الكون إلى مدلول أكثر تحديدًا، يقتصر على ذلك النظام الشامل للأجرام السماوية (المدرك منها حسيا وغير المدرك)، بأشكالها وأحجامها، وكتلها، وأبعادها، وحركاتها، وقوى الترابط بينها، وتركيبها الكيميائي، وصفاتها الفيزيائية، والهيئات المختلفة التي تنتظمها، وكيفيات نشأتها وتاريخها، والمصير الذي ينتظرها، وعلى ذلك فإن الدراسات الكونية تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما: علم الكون (Cosmology)، وعلم أصل الكون (Cosmogenesis)، وهما من المعارف الكلية التي ينطوي تحتها أفرع عديدة من الدراسات المتعلقة بالكون (Cosmic Sciences).

ولاشك أن الإنسان قد شغل بالتفكير في الكون منذ أن وطئت قدماه الأرض، وأن الله تعالى قد أعانه بالعديد من الإشارات في كافة صور الوحي السماوي التي كلما استضاء الإنسان

● عالم جيولوجي

بهديها فهم حقيقة موقعه من الكون، ورسالته فيه، وعلاقته به كما حددها له رب العالمين، وكلما انصرف الإنسان عن هداية الله امتلأ فكره عن الكون بالخرافات والأساطير، أو بالاستعلاء والكبر إذا قدر له فهم شيء من أسرار الكون باتباع المنهج العلمي في تفسير بعض السنن والظواهر الكونية، وقد سجل لنا التاريخ أن أغلب الحضارات القديمة قد اهتمت برصد حركات عدد من الأجرام السماوية، واستخدمت الحسابات الرياضية لتفسير العلاقات والروابط بينها من مثل مراحل منازل القمر المتتابعة، وعلاقة الأرض بالشمس، وظهور واختفاء بعض الكواكب بصورة دورية، وظواهر الكسوف والخسوف وغيرها.

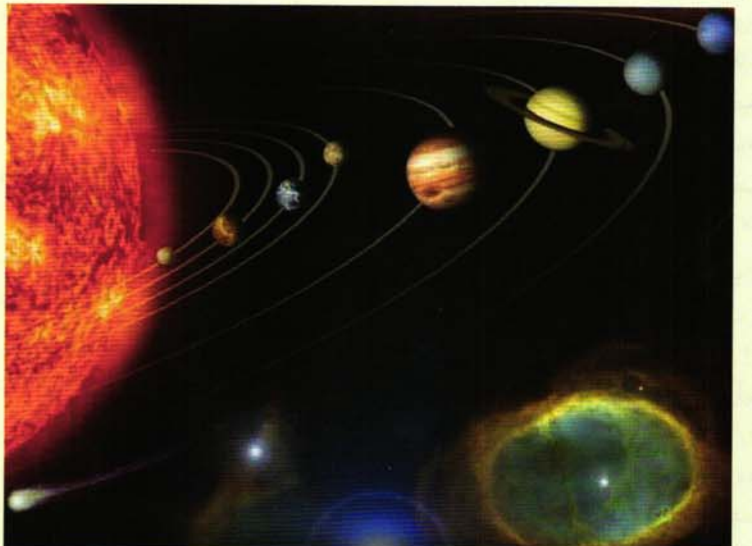
وكان الإنسان إلى عهد غير بعيد يعتقد أن الأرض هي مركز الكون، وأن كل ما حولها يدور في فلكها، حتى أثبتت الدراسات العلمية أنها جزء ضئيل جدًا من بناء محكم دقيق، شاسع الاتساع يشمل أرضنا وقمرنا وشمسنا، وغير ذلك من الكواكب والكويكبات، والأقمار في مجموعتنا الشمسية، وهذه المجموعة الشمسية تشكل جزءًا من مجرتنا التي تحتوي على أكثر من أربعمائة ألف مليون نجم كشمسنا، لكل توابعه من الكواكب والكويكبات والأقمار، كما أن لشمسنا حشدا من كواكب تسع وأعدادا كبيرة من الأقمار والكويكبات.

ومجرتنا جزء من عنقود مجرّي يسمى باسم المجموعة المحلية (local group) يبلغ قطره عشرات الملايين من السنين الضوئية (والسنة الضوئية تساوي ٩,٥٠ مليون بليون

شُغل الإنسان بالتفكير في الكون منذ أن وطئت قدماه الأرض وأعانه الله تعالى بالعديد من صور الوحي السماوي

كم)، والمجموعة المحلية جزء من عناقيد مجرية أكبر (Superclusters) وهذه تشكل جزءا من تكون المجرات العظمى (Superglalaxies) ويحصي العلماء أكثر من ألفي مليون مجرة تسبح في جزء من السماء الدنيا على هيئة جزر من المجرات، و تتباعد المجرات عن بعضها البعض بسرعات تقترب من سرعة الضوء (المقدرة بحوالي ٣٠٠,٠٠٠ كم في الثانية)، وتتخلق المادة لتملأ المسافات الناشئة عن هذا التباعد من حيث لا يعرف الإنسان.

ولما كانت أغلب معلوماتنا عن الكون مستمدة أصلًا من معرفتنا بالأرض ومادتها وما ينزل عليها من نيازك، كان من الضروري أن نبدأ حديثنا عن الكون بالأرض.



الأرض

يعيش الإنسان على شبه كرة من الصخر تعرف باسم كوكب الأرض الذي يبلغ متوسط قطره ١٢,٧٤٠ كم، ومتوسط محيطه ٤٠,٠٤٢ كم، ومساحة سطحه أكثر قليلًا من ٥١٠ مليون كم، وحجمه أكثر من مليون كم مكعبًا، ومتوسط كثافته ٥,٥ جم/سم٣، وعلى ذلك تقدر كتلته بما يعادل ٥٩٧٦ مليون مليون مليون طنا، (ن ٦ x ١٠ طناً ٢١) ويغطى ثلاثة أرباع سطح الأرض بغلالة مائية يبلغ متوسط سمكها حوالي أربعة كم تقريبًا (٣٧٩٥ مترًا في المتوسط)، بينما يبلغ متوسط ارتفاع الأرض ٨٤٠ مترًا فوق مستوى سطح البحر، وأعلى قمة فوقها (وهي قمة إفرست) تصل الى ٨٨٤٨ مترًا فوق مستوى سطح البحر، وأعمق الأغوار إلى ١١,٠٣٣ مترًا، ويحيط بالأرض غلاف هوائي له تركيب كيميائي محدد، ويتناقص ضغطه بالارتفاع حتى لا يكاد يدرك فوق ارتفاع ٤٠ كم من سطحها، وإن استمرت المادة الغازية لتملأ الجزء المدرك من الكون بتركيز متناه في الصغر كلما بعدنا عن الأجرام السماوية على هيئة ما يسمى باسم المادة بين النجوم (Inter -Stellar Matter).

ويحيا على الأرض، وفي مياهها، وتحت هوائها من صور الحياة النباتية والحيوانية والإنسية بلايين الأفراد التي نعرف منها حوالي المليونين من أنواع الحياة التي تنتظمها أجناس محددة، وعائلات، ورتب، وطوائف، وقبائل، وممالك، ولا يزال العلماء في كشوف مستمرة لمزيد

من أنواع الحياة يوما بعد يوم، وسبحان الله القائل: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون﴾ (الأنعام: ٣٨).

والمادة بين الأرض، ومائها، وهوائها، وصور الحياة على سطحها، بل بينها وبين الجزء المدرك لنا من الكون في حركة مستمرة لا تتوقف ولا تنقطع من أجل استمرارية الحياة.

وللأرض غلاف صخري يتراوح سمكه بين ٦٢، ١٥٠كم ويتكون من:

١- قشرة الأرض (Earth.s Crust) بسمك يتراوح بين ٣٠، ٥٠ كم في القارات، وبين ٥، ٨ كم في قيعان البحار والمحيطات.

٢- الوشاح الأعلى من أوشحة الأرض (Uppermost Mantle) ويتراوح سمكه بين ٣٥، ١٠٠كم فوق القارات، وبين ٦٥،٥٧كم فوق قيعان البحار والمحيطات ويحيط الغلاف الصخري للأرض بعدد من النطق الداخلية التي تترتب من الخارج إلى الداخل على النحو التالي:

٣- نطاق الضعف الأرضي (Asthenosphere) ويمثل النطاق الفوقي من أوشحة الأرض (Upper Mantle) ويمتد إلى عمق ٧٠٠ كم في داخل الأرض، وهو في حالة مائعة، لزجة، شبه منصهرة، تحت ضغط عال، وفي درجة حرارة قريبة من درجة الانصهار، مما يؤدي إلى سلوك المادة فيه سلوكا مرنا.

(٤،٥)- الوشاحان الأوسط والأدنى (Middle and Lower Mantle) ويمتدان إلى عمق ٢٩٠٠ كم، ويتكونان من مواد صلبة، ذات كثافة عالية، في درجة حرارة مرتفعة وتحت ضغوط فائقة، وتزداد هذه الصفات كلها مع تزايد العمق.

٦- اللب الخارج للأرض (Outer Core) ويتكون من مواد سائلة تتركب أساسًا من الحديد والنيكل وقليل من الكبريت (أو السيليكون) ويمتد إلى عمق ٥٢٠٠ كم ويطلق عليه اسم اللب السائل أو اللب المائع (Liquid of Fluid Core).

٧- اللب الداخل للأرض (Inner Core) وهو عبارة عن كرة مصمتة من الحديد والنيكل مع بعض العناصر الأخرى مثل الكبريت (أو السيليكون)، يبلغ نصف قطرها ١١٧٠ كم، وتسمى باسم اللب الصلب للأرض (Solid Core) أو نواة الأرض الصلبة (Solid Earth'xcleous) .

ولعل هذه النطق السبع هي المقصودة بالأرضين السبع التي يصفها الحق تبارك وتعالى في ختام سورة الطلاق بقوله: ﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا﴾ (الطلاق: ١٢).

فكما أن السموات السبع متطابقة (أي يغلف الخارج منها الداخل) حسب وصف القرآن الكريم لها بقول الحق سبحانه: ﴿الذي خلق سبع سموات طباقًا ...﴾ (الملك: ٣).

فلابد أن تكون الأرضين السبع متطابقة بمعنى أن الخارج منها يغلف الداخل، ويتحقق ذلك في النطق السبعة التي أمكن التعرف عليها في الأرض.

ويتكون الغلاف الصخري للأرض (Lithosphere) من كل من قشرتها ووشاحها الأعلى، ويتمزق هذا الغلاف الصخري بشبكة هائلة من الصدوع التي تحيط بالأرض إحاطة كاملة إلى عمق يتراوح بين ٦٢كم، ١٥٠كم والتي تقسم هذا الغلاف إلى عدد من الألواح (Plates) تسمى باسم ألواح الغلاف الصخري للأرض (Lithospheric Plates) وتتحرك هذه الألواح بفعل تيارات الحمل النشطة في نطاق الضعف الأرضي، أما تباعدها عن بعضها البعض فيؤدي إلى توسع قيعان البحار والمحيطات (Sea- Floor Spreading) أو مصطدمة ببعضها البعض فتؤدي إلى تكون السلاسل الجبلية، أو منزلقة عبر بعضها البعض. ويكثر حدوث كل من الزلازل والثورانات البركانية عند حدود ألواح الغلاف الصخري، خاصة عند مناطق تصادمها، وحركة ألواح الغلاف الصخري للأرض تتم ببطء شديد جدا يتراوح معدله بين ١، ١٠ سنتيمترات في السنة ليتعاظم أثرها عبر ملايين السنين.

والأرض ثالثة الكواكب السيارة بعدًا عن الشمس، ويبلغ متوسط بعدها عنها حوالي ١٥٠ مليون كم، وهي تدور حول الشمس في فلك شبه دائري قليل الاستطالة (إهليلجي) بسرعة تقدر بحوالي ٣٠ كم في الثانية (٢٩،٦ كم/ث) لتتم دورتها هذه في سنة شمسية مقدارها ٣٦٥،٢٥ يوم تقريبًا (٩،٦ ثانية، ٩ دقيقة، ٦ ساعة، ٣٦٥ يوم)، وهذا بالإضافة إلى دوران الأرض حول محورها في حركة مغزلية بسرعة مقدارها ٢٧،٨ كم في الدقيقة لتكوِّن يومَ الأرض الذي يتقاسمه ليل ونهار، بتفاوت يزيد وينقص حسب الفصول التي تحدث بسبب ميل محور الأرض على مستوى مدارها حول الشمس بزاوية مقدارها (٣٠/١، ٢٣/٥).

وسرعة دوران الأرض حول محورها في تناقص مستمر بمعدل جزء من الثانية كل قرن من الزمان، وذلك بسبب عمليات

سرعة دوران الأرض حول محورها في تناقص مستمر بمعدل جزء من الثانية كل قرن من الزمان

المد والجزر التي ينتج عنها ما يشبه فعل الفرملة (الكابح)، وهذا التناقص المستمر في سرعة دوران الأرض حول محورها يؤكد على السرعة الفائقة التي كانت الأرض تدور بها حول محورها عند بدء خلقها وعلى قصر طول اليوم عند بدء خلق الأرض (أقل من أربع ساعات يتقاسمها ليل ونهار)، وعلى زيادة هائلة في عدد أيام السنة (أكثر من ٢٢٠٠ يوم) التي أخذت في التناقص بالتدريج حتى وصلت إلى عددها الحالي (٣٦٥,٢٥ يوم تقريبًا)، وسبحان ربنا الذي أنزل في كتابه قبل ألف وأربعمائة من السنين قوله الحق: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا...﴾ (الأعراف: ٥٤).

وهي الآية الوحيدة من آيات إغشاء الليل والنهار التي ارتبطت بالوصف ﴿حثيثا﴾ أي بسرعة فائقة لأنها أشارت إلى بداية الخلق، وصلى الله وسلم وبارك على خاتم الأنبياء والمرسلين الذي أخبرنا قبل أكثر من ألف وأربعمائة من السنين أن من العلامات الكبرى للساعة طلوع الشمس من مغربها، فيأتي العلم الحديث ليؤكد على أن استمرار تباطؤ سرعة دوران الأرض حول محورها سيؤدي بالقطع إلى تغير اتجاه دوران الأرض من الاتجاه الحالي حيث تدور من الغرب إلى الشرق (فتبدو الشمس وكأنها تشرق من الشرق وتغيب في الغرب) لكي تدور من الشرق إلى الغرب) (فتبدو الشمس وكأنها تشرق من الغرب وتغرب في الشرق)، ويسبق ذلك فترة من الاضطراب يطول فيها اليوم بشكل غير عادي ليطابق نبوءة المصطفى ﷺ في حديث الدجال.

والأرض في حالة من التوازن المعجز، فلولا الجاذبية الأرضية لما تماسكت مكوناتها فصارت كرة، ولولا دوران الأرض حول محورها لما تأثرت بالقوة الطاردة المركزية فأصبحت شبه كرة، ولولا تباين صخور الأرض في تركيبها الكيميائي وبالتالي تباين كثافاتها لما اختلف مستوى سطحها فغارت قيعان البحار والمحيطات وارتفعت أسطح القارات وقمم الجبال، ولولا الحركات الدائبة في داخل الأرض وانعكاسات ذلك على غلافها الصخري، والنشاطات المستمرة في نطق الأرض الهوائية والمائية والحياتية وما يسقط عليها من شهب ونيازك لفسدت الأرض وما عادت صالحة للحياة.

القمر

هو تابع صغير للأرض يبلغ قطره ربع قطر الأرض تقريبًا (٣٤٧٦كم)، وتبلغ مساحة سطحه ٣٨ مليون كم٢، ومتوسط كثافته ٣,٣٦جم/سم٣ وتقدر جاذبيته بسدس جاذبية الأرض والقمر يدور حول الأرض في مدار شبه دائري يتراوح نصف قطره بين ٣٥٦ ألف، ٤٠٧ ألف كم، وعلى ذلك فإن متوسط بعد القمر عن الأرض يقدر بحوالي ٣٨٤ ألف كم، ويستغرق القمر نفس المدة الزمنية في دورانه حول محوره ليدور دورة كاملة حول الأرض في ٢٧,٥ يوم، وتتراوح درجة الحرارة على سطح القمر بين ١٠٠ و ٤٠٠ درجة مطلقة (أي بين - ١٧٣ درجة مئوية بالليل، - ١٢٧ درجة مئوية ظهرًا).

ولما كان القمر هو أقرب أجرام السماء إلينا، كانت دورته هي أدق وسائل التقويم الزمني للأرض.

الشمس

هي نجم متواضع يبلغ متوسط قطره حوالي مليون ونصف المليون من الكيلومترات، وكثافته ربع كثافة الأرض تقريبًا، (١,٢٥ جم/سم٣)، وكتلته ألفا مليون مليون مليون مليون طن (أي ٣٣٥ ألف مرة قدر كتلة الأرض)، والشمس كأي نجم عادي توجد على هيئة كرة ضخمة من غاز الإيدروجين الذي تكثف على ذاته بقدرة الله فبدأت بداخله عمليات من الاندماج النووي الذي تتحد به نوى ذرات الإيدروجين مع بعضها البعض مكونة غاز الهيليوم، وتتحدر ذرات الهيليوم مكونة عناصر أعلى في وزنها الذري، ويكون غاز الإيدروجين حوالي ٧٠٪ من كتلة الشمس، بينما يكون غاز الهيليوم حوالي ٢٨٪ من كتلتها ويغلب على الـ ٢٪ الباقية عنصرا الكربون والأوكسجين.

وتبلغ درجة حرارة سطح الشمس ٦٠٠٠ ْم، ودرجة حرارة ألسنة اللهب الممتدة منها إلى مليون درجة مئوية، وتزداد درجة الحرارة في اتجاه مركز الشمس لتصل إلى حوالي ١٥ مليون درجة مئوية، ويزداد كل من الضغط والكثافة مع ازدياد درجة الحرارة في اتجاه مركز الشمس.

ويبلغ قطر قلب الشمس حوالي ٤٠٠,٠٠٠كم، يحيط به نطاق إشعاعي يبلغ سمكه حوالي٣٠٠,٠٠٠ كم ثم نطاق موصل يبلغ سمكه ٢٠٠,٠٠٠كم، ثم نطاق الضوء (Photosphere) ويبلغ سمكه حوالي ٥٠٠كم، فنطاق الألوان (Chromosphere) الذي يمتد لآلاف الكيلومترات، وتنطلق منه هالة الشمس (The Solar Corona) التي تمتد لملايين الكيلومترات، ومنها الرياح الشمسية (Solar Winds) ويمتد المجال المغناطيسي للشمس إلى ما بعد حدود المجموعة الشمسية، وتسمى منطقة هيمنة الشمس باسم النطاق الشمسي (Heliosphere).

وتفقد الشمس من كتلتها في كل ثانية ما يعادل ٤,٦ مليون طن من المادة على هيئة طاقة مما يؤكد على حتمية فنائها بهذه الطريقة إن لم يقدر الله فناءها قبل ذلك.

يتبع في الحلقة القادمة.

كثيرا ما تتعرض حقوق الإنسان للمحنة، والانحسار، والإلغاء، والإهانة، وخاصة إذا توجهت الشبهة نحو إنسان ما، ووقف في قفص الاتهام، حتى يخطر لبعض الظلمة أن يقرر أن المتهم مسلوب الحقوق عامة، وتهدر حتى حقوقه الإنسانية، متذرعين بالقاعدة الفاسدة «الغاية تبرر الوسيلة». فيعامل المتهم أسوأ مما يعامل به الحيوان، ويعامل المتهم بالقسوة، والإرهاب، والوحشية بأشد من العقوبة التي ستنزل به، وهو ما نسمع به تحت بصر العالم وسمعه، وفي مختلف البلدان التي تعترف نظريا ودعائيا بحقوق الإنسان، وترفع هذا الشعار زورا، وبهتانا، ورياء، ونفاقا، ثم تعامل المتهم أثناء الدعوى والتحقيق معاملة يندى لها الجبين، ويخجل العاقل من تصوره وذكره.

ضمانات شرعية لحقوق المتهم

السيد أحمد المخزنجي

تجدر الإشارة إلى أن الشريعة الإسلامية تركز على جملة أسس من بينها أساس العدل.

وفي القرآن الكريم آيات عديدة، وفي السنة أحاديث كثيرة تأمر بالعدل وتنهى عن الظلم وتقرن الأمر بالثواب والنهي بالعقاب. وقد عاقبت الشريعة الإسلامية بنصوص صريحة على جرائم محددة، وفيها نصوص أخرى تجيز العقاب على ما تقتضي المصلحة العامة تجريمه، ولا سبيل إلى تطبيق هذه النصوص إلا من خلال القضاء، والقضاء في الإسلام من أشرف الأعمال، بل هو من أفضل العبادات. وقد وليه الرسول ﷺ ومن بعده الخلفاء.

لذلك حدد الإسلام أحكام معاملة المتهم، وقرر جمهور الفقهاء منع ضرب المتهم لانتزاع الإقرار منه، قال الإمام أبويوسف القاضي: «ومن ظن به أو توهم عليه سرقة، أو غير ذلك، فلا ينبغي أن يعزر بالضرب، والتوعد، والتخويف، فإن أقر بسرقة أو بحد، أو بقتل، وقد فعل ذلك به، فليس إقراره بشيء، ولا يحل قطعه ولا أخذه بما أقر به» ونقل قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ليس الرجل بمأمون على نفسه إن أجعته، أو أخفته، أو حبسته أن يقر على نفسه» (١)، ولأن الإسلام لا يقر أصلا الإقرار والاعتراف الناجم عن الإكراه، لقوله ﷺ: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه» (٢)، ولم يرد دليلٌ صحيحٌ يبيح تعذيب المتهم، أو يسلبه حقوقه المقررة شرعا، مما لا مجال للتوسع فيه الآن.

وقد اهتم فقهاء الشريعة الإسلامية بالأدلة التي تثبت بها الحقوق، وحصرها جمهورهم في ثلاث هي: الكتابة والبينة والإقرار. وبينوا- تفصيلا- شروط كل دليل وطريقة تحصيله واعتبروا هذه المسألة حكمًا شرعيًا.

ولما كان الحاكم أو القاضي هو المختص أصلا بالفصل فيما ينشأ من منازعات حول الحقوق فقد أوجب الفقهاء عليه التزام هذه الأدلة حتى أصبحت دستوره في الفصل في كل ما يعرض عليه من دعاوى أيا كانت طبيعة الدعوى.

تعريف المتهم

وردت كلمة «المتهم» في بعض الأحاديث النبوية والآثار، منها ما رواه عبدالرزاق في المصنف من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ مناديا في السوق: إنه لا يجوز شهادة خصم ولا ظنين. قيل: وما الظنين؟ قال: المتهم في دينه (٣).

وعن إبراهيم قال: «كان يقول لا تجوز شهادة متهم» (٤).

أما في عرف الفقهاء، فقد شاع استعمال لفظ «المدعى عليه» بدلا من «المتهم» أخذاً من «الادعاء» وهو: «قول يطلب الإنسان به إثبات حق على الغير» (٥).

وكما حرص الإسلام على حماية الحقوق الخاصة للإنسان حرص أيضا على حماية المجتمع، فليس للفرد أن يطغى على الجماعة تحت ستار حقوقه وحريته، كما ليس للمجتمع أن يطغى على الفرد ويظلمه، ويصادر حرياته بحجة دفع الضرر المحتمل عنه (٦).

فالمجتمع، بوصفه مجتمعًا يتمتع بحقوق مماثلة، فلابد من تحقيق الأمن للمجتمع وحماية مصالحه، ومنع ظهور الجريمة فيه، وإذا كان تحقيق هذه الحقوق يتوقف على الحد من تلك الحقوق التي يتمتع بها الفرد، أو إيقاف العمل ببعضها فإن ذلك يكون من قبيل ما تفرضه الضرورة، والضرورة تقدر بقدرها، فما تقتضيه الضرورة- إذن- يمثل الحد الذي يعطى- من السلطة- للمحقق على المتهم، فسلطة المحقق خروج عن أصل مقرر شرعا لتحقيق أصل آخر مقرر شرعًا لا يتم إلا بها.

ويثور السؤال إذن: ما هي الضمانات أو

صحفي- عضو اتحاد الكتاب- القاهرة

الحقوق التي وضعتها الشريعة الإسلامية للمتهم والتي تمثل في الوقت ذاته قيودًا على سلطة التحقيق؟

قبل الإجابة على السؤال المطروح لابد أن نبين- أولا- سلطات المحقق، وهي سلطات غير مطلقة، لأنها من قبيل الاستثناء الذي لا يجوز القياس عليه، ولا يجوز التوسع فيه.

على أنه تختلف التشريعات المعاصرة في مدى ما تمنحه للمحقق من سلطات، كما تختلف في تحديد الأحوال والشروط التي يتقيد بها المحقق عند استعمال هذه السلطات، إلا أنها على أي حال لا تطلق يد المحقق، بل تحرص على تقرير عديد من الضمانات حماية للمتهم من جهة، ورعاية للنظام العام والآداب من جهة أخرى.

سلطات المحقق

فللمحقق- في سبيل الكشف عن الحقيقة أو تأمين التحقيق- أن يقبض على المتهم، وأن يفتش شخصه ومسكنه وأن يسجل أحاديثه الخاصة، وأن يضبط رسائله وأمتعته، وأن يحبسه احتياطيا.

واختلف الفقهاء فيمن له أن يصدر قرارات الحبس، فذهب الماوردي إلى أن سلطة المحقق تختلف باختلاف صفته، فإن كان حاكما أو قاضيا، واتهم لديه شخص بسرقة أو زنى فليس لهذه التهمة- عنده- من أثر، فلا يجوز له أن يحبسه حتى يكشف عن حاله، فيتحقق من براءته أو إدانته، أما إذا كان الناظر في التهمة الأمير أو والي الجرائم فله أن يأمر بالحبس إذا رأى التهمة قوية أو غليظة، وعليه أن يطلق المتهم إذا تبين أنها ضعيفة أو تافهة. وقد تبع الماوردي على هذا كثير من الفقهاء (٧).

و«الحبس الاحتياطي» جائز عند الحاجة إليه بشروط كثيرة، منها: ما يتعلق بالغاية التي حبس المتهم من أجلها، ومنها ما يتصل بصفة الآمر بالحبس واختصاصه، ومنها ما يعود إلى الأمر به، ومنها ما يرجع إلى مدته. فهذه كلها أمور لولي الأمر مجال واسع لتنظيمها حسبما تقتضيه السياسة الشرعية في كل زمان ومكان (٨).

وللمحقق أيضا أن يسأل المتهم الأسئلة التي يرى أن الجواب عنها يساعد على كشف الحقيقة، وله أن يواجهه بالتهمة الموجهة إليه. ولكن ذلك لا يفرض على المتهم أن يجيب، فله أن يصمت عن الكلام كما سنبين ذلك فيما بعد.

> **قرر جمهور الفقهاء منع ضرب المتهم لانتزاع الاعتراف منه**

ضمانات حقوق المتهم الشرعية

يحرص الإسلام على حماية الحقوق الأساسية للإنسان، وهو لا يفرق في هذه الحماية بين مسلم وغير مسلم. وبعبارة أدق فإن هناك حدا أدنى من الحقوق يثبت للإنسان بوصفه إنسانا فلا يجوز المساس به إلا لضرورة تعلو على ضرورة حمايته، وذلك مقتضى التكريم الذي ورد في قوله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ والحقوق التي يقرها الإسلام ويحميها عديدة، وأهمها حق الحياة وسلامة البدن والعرض والشرف والحرية الشخصية وحرمة المال والمسكن والحياة الخاصة بوجه عام، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية في هذا الخصوص كثيرة. ولذلك فإن كفالة هذه الحقوق هي من صميم الشرع، والدولة مسؤولة عن حمايتها بحكم كونها القائمة على تطبيق هذا الشرع (٩).

غير أن هذا الأصل يقابله أصل آخر، وهو أن الحقوق كلها يمكن الحد منها أو حتى العصف بها نزولا على حكم الضرورة، ومن القواعد المجمع عليها في الفقه الإسلامي بل وعلى مستوى الفكر الإنساني أن الضرورات تبيح المحظورات وأنها تقدر دائما بقدرها.

وحق المتهم في هذه الأحوال يتمثل أولا في ألا يتخذ المحقق ضده إجراء يمس بحق من حقوقه إلا إذا كان في القانون نص يقرره، ولذلك فإنه لا يجوز حمله على الإجابة على أسئلة المحقق.

ويتمثل هذا الحق كذلك في أن تمارس سلطات التحقيق في حدودها القانونية، سواء من حيث الجهة التي خصها القانون بمباشرة الإجراء، أو من حيث شكله والأحوال الداعية لاتخاذه وشروط صحته وطريقة تنفيذه. «فإذا باشر المحقق إجراء يخرج عن نطاق اختصاصه أو في غير أحواله المقررة قانونا أو دون توفر شروطه أو تجاوز حدوثه أو وكل تنفيذه إلى غير مختص وقع الإجراء باطلا وثبت للمتهم الحق في التمسك ببطلانه وبطلان ما أسفر عنه، وقد تؤدي المخالفة- فضلا عن ذلك- إلى

ترتيب مسؤولية المحقق مدنيا أو إداريا أو جنائيا» (١٠).

فالشريعة الإسلامية- إذن- تمنع تفتيش الشخص والمسكن والتصنت لأحاديث الشخص، ومراقبته، والاطلاع على رسائله، واستباحة حياته الخاصة بأي شكل من الأشكال إلا إذا قامت دلائل أو قرائن تدل على علاقته بالجريمة، أما تقدير تلك الدلائل أو القرائن فمتروك للسلطة المنفذة لحكم الشرع، الفاقهة «الفاهمة» لتعاليمه وأحكامه.

كما أن على هذه السلطة أن تدرك أن هذه الحقوق ثابتة للإنسان بكتاب الله وسنة رسوله، وأن تقييدها أو الانتقاص منها خروج عن الأصل الثابت بالكتاب والسنُة لا يباح إلا لضرورة الكشف عن الجريمة، وحماية المجتمع من أن ينجو من العقاب فيه المجرمون، أو يحكم فيه على الأبرياء، «ولذلك فإنه لا يجوز لسلطة التحقيق أن تتجاوز ما تقتضيه الضرورة، وينبغي أن تراعى في كل ذلك الآداب الشرعية، فليس لرجل- مثلا- أن يقوم بتفتيش امرأة، أو اقتحام البيت على نساء أو نحو ذلك كإتلاف أموال، أو مصادرة حاجات لا صلة لها بالجريمة» (١١) وبشرط أن ينحصر الأمر في حدود ما تقضي به الضرورة «وعلى ذلك فالقيود التي ترد على حقوق المتهم تقابلها في الوقت نفسه قيود على سلطة المحقق، وهذه القيود من وجهة نظر المتهم تعتبر ضمانات» (١٢).

ويتبين مما سبق أن الحبس الاحتياطي جائز بوجه عام في الفقه الشرعي، ولكنه محاط بقيود منها ما يتصل بالغاية منه، ومنها ما يتصل بمدته، «وتلعب السياسة الشرعية دورا كبيرا في تحديد هذه القيود وتنظيم أحكامها، وليس في أصول الشريعة العامة ولا في نصوصها ما يحول دون تنظيم هذه المسائل على نحو يختلف باختلاف الزمان والمكان إذا اقتضت ذلك دواعي المصلحة العامة» (١٣).

حق الدفاع حق أصيل ينشأ منذ اللحظة التي يواجه فيها الشخص بالاتهام

وإذا كانت حرمات الإنسان واجبة الصيانة فذلك مشروط بألا يقوم من الأسباب ما يوجب الحد أو النيل منها، وقد بين القرآن هذا الشرط ضمنا حين قصر الإثم في آية الحجرات على بعض الظن ولم يبسطه على سائره. قال المفسرون: الظن في الآية هو التهمة، ومحل التحذير والنهي إنما هو تهمة لا سبب لها يوجبها. كمن يتهم بالفاحشة أو بشرب الخمر مثلا ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك. «ودليل كون الظن هنا بمعنى التهمة قوله تعالى: ﴿ولاتجسسوا﴾، وذلك أنه قد يقع له خاطر التهمة ابتداء ويريد أن يتجسس خبر ذلك ويبحث عنه، ويتبصر ويستمع ليتحقق مما وقع له من تلك التهمة، فنهى النبي ﷺ عن ذلك» (١٤).

وحاصل هذا القول أنه لا يجوز تفتيش شخص الإنسان ولا تفتيش مسكنه ولا تسجيل أحاديثه الخاصة ولا هتك أسراره بوجه عام لمجرد الاعتقاد بأنه ارتكب ما يوجب عقابه، لأن الاعتقاد المجرد ظن آثم، وهو لا يغني من الحق شيئا، ولا اعتبار لهذا الظن إلا إذا عززته أمارة صحيحة أو شهد على صحته دليل.

والذي يعنينا تقريره في هذا الخصوص أن الشريعة الإسلامية تحظر تفتيش الشخص والمسكن واستباحة الحياة الخاصة بغرض التحقق من وقوع الجريمة، «وإنما هي تسمح بذلك فحسب إذا قامت القرائن، أو الدلائل على وقوع الجريمة. وهذا الحكم من صميم الشرع، أما تقدير قوة القرائن ومدى كفايتها فمتروك للقائم على تنفيذ حكم الشرع» (١٥).

ولما كان من المقرر أن تقييد حقوق المتهم وحرياته هو خروج على الأصل نزولا على حكم الضرورة فإنه يتعين ألا يجاوز القيد مداه، ويتحدد هذا المدى بالغاية التي استوجبت فرض القيد وهو الكشف عن الحقيقة، فما لا تقتضيه هذه الضرورة لا يباح بل يظل على أصله من الحظر، وإذا اقتضت الضرورة تقييد حرية المتهم أو حق من حقوقه فإنه يتعين تنفيذ هذا الإجراء بطريقة مع الآداب الإسلامية. فإذا دعا الأمر إلى تفتيش أنثى فلا يحل لرجل أن يمس عورة من عوراتها. وهذا الشرط مسلم به، وهو عند المسلمين من البدهيات الشرعية.

على أن «المتهم» يتمتع بمجموعة أخرى من الحقوق- في ظل الشريعة الإسلامية- يمكن إيجازها فيما يلي:

أولا: حق الدفاع

حق الدفاع حق أصيل ينشأ منذ اللحظة التي يواجه فيها الشخص بالاتهام ويقصد بهذا الحق تمكين الشخص من درء الاتهام عن نفسه، إما بإثبات فساد دليله أو بإقامة الدليل على نقيضه وهو البراءة، والاتهام بطبيعته يقتضي الدفاع، فهو ضرورة منطقية له. ذلك أن الاتهام إذا لم يقابله دفاع كان إدانة لا مجرد اتهام، فهما في الحقيقة وجهان لمسألة واحدة. والاتهام كما قررنا يحتمل الشك بطبيعته، وقدر الشك فيه هو قدر الدفاع ومجاله، ومن اقتران الدفاع بالاتهام تبرز الحقيقة، وهي ما يسعى التحقيق إلى الكشف عنها، فكلا الأمرين عاجز وحده عن جلاء الحقيقة. «ولهذا السبب عينه فإن الدفاع لا يعتبر حقا خالصا للمتهم وحده، يمارسه إن شاء أو يهمله، بل هو حق للمجتمع وواجب عليه أيضا. وإذا كانت للمتهم مصلحة في ألا يدان وهو بريء، فحق المجتمع لا يقل عن حقه، لأن العدالة الجنائية والمصلحة الاجتماعية توجبان ألا تنزل العقوبة بغير الجاني،

وإلا تحملت الجماعة ضررين عقاب بريء وإفلات مجرم» (١٦).

والأصل في الدفاع أن يتولاه الشخص بنفسه، غير أنه يجوز له أن يستعين فيه بغيره، وفي هذه الحالة يكون للمدافع عن المتهم نفس حقوقه. ووجود المدافع لا يلغي دور المتهم ولا يغل يده في إبداء ما يشاء من وجوه الدفاع، لأنه الطرف الأصيل أما المدافع فنائب أو وكيل.

ولحق الدفاع مظاهر عديدة، منها (١٧):

١- حق المتهم في أن يعلم بالواقعة المسندة إليه، وبالأدلة القائمة ضده، وبالإجراءات التي تتخذ لجمع الأدلة لتحقيقها وتمحيصها، ويقتضي هذا الحق إخطار المتهم بمكان كل إجراء وزمانه وتمكينه من الحضور أثناء مباشرته والاطلاع على ما يثبته المحقق في أوراقه. وكل حق من هذه الحقوق قائم بذاته، فلا يجوز حرمان المتهم من حضور التحقيق بغير ضرورة اكتفاء بحقه في الاطلاع بعد ذلك على ما يتم في غيبته وما يسري على المتهم في هذا الشأن يسري على من يدافع عنه.

٢- حق المتهم في إبداء دفاعه للمحقق، سواء تعلق الدفاع بوقائع الدعوى أو بالقانون، وسواء كان تفنيدا لدليل إدانة أو إبداء لدليل براءة، ويتفرع عن ذلك حق المتهم في تقديم الطلبات والدفوع في التظلم أو الطعن فيما يصدر من قرارات، وفي الاستعانة بمحام أو بخبير فني أو في دعوة من يرى سماع شهادته أو في إجراء معاينة، ويتصل بذلك أيضا حقه في الاجتماع بمن يدافع عنه دون رقيب وفي التراسل معه وفي حصانة ما يرسله أو يسلمه إليه، وكذلك حقه في أن يستجوب وأن يواجه بغيره من المتهمين أو الشهود.

شروط دفاع المتهم

ولكي يمارس المتهم حقه في الدفاع عن نفسه يجب أن يكون على بينة من الواقعة المسندة إليه والأدلة القائمة ضده، وهذا يقتضي أن يحيطه المحقق علما بذلك، وفقهاء الشريعة متفقون على ذلك بالنسبة للدعاوى التي ينظرها الحاكم أو القاضي «وإذا كان إعلام المدعى عليه بما يطلب خصمه الحكم به عليه لازما في الدعاوى المدنية ودعاوى الأحوال الشخصية فهو ألزم بغير شك في الدعاوى الجنائية. وليس من المتصور على أي حال أن يسلم نظام قانوني بحق المتهم في الدفاع عن نفسه ثم يحجب عنه الواقعة المسندة إليه والأدلة القائمة ضده» (١٨).

«ويشترط أن يكون المتهم قادرا على الدفاع عن نفسه، فإن كان عاجزا عن ذلك لم تصح إدانته، لأن العجز عن الدفاع كالحرمان منه سواء بسواء. وقد بلغ تشدد فقهاء الشريعة في هذا الشأن حدا لم يبلغه المعاصرون من فقهاء القانون الوضعي، فالأحناف يمنعون عقاب الأخرس في الجرائم الخطيرة ولو اكتمل نصاب الشهادة ضده، وحجتهم أنه لو كان ناطقا فربما ادعى شبهة تدرأ الحد عنه، لأنه لا يقدر على إظهار كل ما في نفسه بالإشارة، فلو أقيم عليه الحد لم يكن ذلك عدلا لتحكم الشبهة» (١٩)..

أما استعانة المتهم بمن يدافع عنه فلا نجد في نصوص الشريعة ما يصرح بحظره ولا بإباحته، ولم يجر العمل أو لم يطرد على أن يحضر مع المتهم من يدافع عنه، وربما كان مرجع ذلك إلى أن القضاة كانوا يستشيرون الفقهاء فيما يغم عليهم، ولهذا لم تكن حاجة المتهم شديدة إلى الاستعانة بمن يقدم له الرأي الشرعي، غير أنه يلاحظ أن دور المدافع لا يقف عند هذا الحد، بل يشمل كذلك إبداء الرأي في مدى توفر شروط الحكم الشرعي في الواقعة، وفي مدى صحة أدلة الإدانة، كما يشمل إبداء الأدلة الواقعية المثبتة للبراءة، وعندنا أن أصول الشريعة الإسلامية- بغض النظر عن الواقع العملي- لا تأبى أن يستعين المتهم بمن يدافع عنه.

ثانيا: عدم الإكراه على الاعتراف

ومقتضى هذا الحق تمكين المتهم من إبداء أقواله في حرية تامة، ودون ضغط أو إكراه أو تعذيب أو خديعة، أو أي شيء يؤثر على الإرادة الحرة للمتهم، ويدفعه إلى الإدلاء بأقوال معينة كاستخدام العقاقير المخدرة، أو التنويم المغناطيسي أو غير ذلك.

وللمتهم كذلك الصمت والامتناع عن الإجابة عن كل أو بعض أسئلة للمحقق، وإذا أجاب، وتبين أن ما أجاب به كان كذبا فلا يعتبر شاهد زور، ولا يعاقب بعقابه.

وإذا أقر على نفسه بحق أو بحد فله الرجوع عنه، ورجوعه عن الإقرار مسقط لاعتباره مطلقا.

«فلا يجوز إكراه المتهم لحمله على الإقرار، قال ابن حزم: فلا يحل الامتحان في شيء من الأشياء بضرب ولا بسجن أو بتهديد، لأنه لم يوجب ذلك قرآن ولا سنة ثابتة ولا إجماع، ولا يحل أخذ شيء من الدين إلا من هذه الأصول الثلاثة بل قد منع الله تعالى من ذلك على لسان رسوله ﷺ بقوله: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم وأبشاركم عليكم حرام» فحرم الله- تعالى- البشر والعرض، فلا يحل ضرب مسلم ولا سبه إلا بحق أوجبه قرآن أو سنة ثابتة» (٢٠).

وإن من أهم شروط صحة الإقرار الاختيار، فالمقر مخير بصدق في إقراره لغلبة الظن برجحان صدقه على كذبه، إذ لا يتصور من العاقل أن يخبر عن نفسه بشيء يعرف أنه ضار بها ما لم يكن له ما يبرره.

ولعدم مشروعية الإكراه على الكلام ذهب جمهور العلماء إلى إبطال الإقرار الناجم عن ضغط، وعدم إيجاب أي شيء به.

ولاشك أن الراجح مذهب الجمهور

في منع الإكراه وفي إبطال آثاره، فذلك هو الذي يتفق مع ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من وجوب إقامة الحق والعدل، وإقرار المكره ليس حقا، ومعاقبته بمقتضاه ليس عدلا، والذي يدرأ عن المجتمع الخطر حقيقة هو التزام الحق وإقامة العدل، وسد الذرائع إلى الباطل، واعتبار الإكراه وسيلة لإحقاق الحق ذريعة إلى شرور لا تحصى، وخطأ في عفو خير من إصابة بظلم.

ثالثا: الحق في محاكمة عادلة

ننتقل بعد ذلك للحديث عن جزئية أخرى من الضمانات الإسلامية لحقوق المتهم، ألا وهي «الحق في محاكمة عادلة» على نحو ما تقرره أحكام الشريعة الإسلامية الغراء، وذلك على التفصيل الآتي:

(أ) علانية المحاكمات

أ- الأصل في المحاكمات أن تكون علنية يحضرها من يشاء، والاستثناء أن تكون سرية إذا رأى القاضي مصلحة الطرفين في ذلك، خاصة قضايا الأسرة التي ينبغي أن يصان لأطرافها خصوصياتهم.

ب- وتوسيع نطاق العلانية بحضور وسائل الإعلام ونقلهم ما يجري في المحكمة يخرج بالمسألة من نطاق العلانية إلى نطاق النشر والإعلام الواسع الذي ينبغي الاحتياط لنتائجه، خاصة وأن المتهم بريء حتى تثبت إدانته (٢١).

(ب) المحاكمة دون تأخير

أ- يتنازع هذه المسألة اعتباران:

أحدهما: أهمية سرعة البت في القضايا لوصول الحق إلى صاحبه، وأهمية التأني لفهم القضية في جانبيها.. الشق المتعلق بالحقيقة أو الواقع والشق المتعلق بتطبيق القانون، وفي كل من الشقين أهمية إعطاء طرفي الخصومة المهلة اللازمة لتقديم أدلته ومناقشته أدلة خصمه، وبين هذه الاعتبارات يتحرك

لكي يمارس المتهم حقه في الدفاع عن نفسه يجب أن يكون على بينة من الأدلة القائمة ضده

القاضي وهمه الوحيد هو التوصل إلى الحقيقة وتطبيق الحكم الشرعي عليها دون إتاحة فرصة لأحد الخصمين للمماطلة دون مبرر.

ومن هنا كان تحديد المواعيد مما لا يمكن تعميمه، فيترك ذلك للقاضي ليقدر كل حالة بقدرها، فقد يؤخر الفصل إلى آخر المجلس أو يوما أو أياما أو أكثر من ذلك حسبما تقتضيه الظروف (٢٢).

استئناف الحكم أو إعادة النظر فيه في محكمة أعلى

أ- يتنازع هذا الموضوع اعتباران:

أحدهما: ضرورة استقرار الأحكام وما يترتب عليها من حقوق، وبالتالي أن يكون للحكم حجية كعلامة على الحق.

والثاني: ضرورة تصحيح ما يقع من خطأ، لأن القضاة بشر يجري عليهم الخطأ.

ب- وللتوفيق بين هذين الاعتبارين وجدت طرق الطعن المختلفة في الأحكام من معارضة واستئناف وتمييز والتماس إعادة النظر مما هو معروف في النظم القضائية المعاصرة.

جـ- وقد عرفت الشريعة الإسلامية جميع طرق الطعن المعروفة حاليا وما جد الآن من تنظيم لهذه الطرق وتحديد مواعيد لها، وإن لم يكن قد تكلم فيه الفقهاء من قبل، إلا أن قواعد الفقه الإسلامي لا تنافيه بل تتفق معه (٢٣).

د- وإعادة النظر في الحكم تكون من نفس القاضي الذي أصدره أو من غيره من نفس درجته أو من درجة أعلى كقاضي القضاة أو ديوان المظالم أو الخليفة على حسب الأحوال (٢٤).

هـ- كما أن إعادة النظر تكون بناء على طلب المحكوم عليه أو بدون طلب، على حسب الأحوال.

و- أما الحالات التي يعاد فيها النظر في الحكم فيمكن تصنيفها إلى الآتي:

١- وجود خطأ مادي في الحكم، فيصحح من قبل القاضي الذي أصدره أو غيره (٢٦).

٢- وجود خطأ في استظهار القاضي لوقائع الدعوى بناء على ما قدم إليه من أدلة إثبات وأدلة نفي، وله حالتان:

■ حالة صدور الحكم في غيبة المدعى عليه، ثم حضوره بعد ذلك وتقديمه لأدلة نفي لم تكن أمام القاضي حين أصدر الحكم، فيمكن نقض الحكم الغيابي وإصدار حكم جديد من نفس القاضي الأول أو من غيره.

■ حالة صدور الحكم في حضور الخصوم، ووقوع القاضي في خطأ استظهار وقائع الدعوى، فيمكن نقض الحكم من قاض آخر من درجة أعلى من درجة القاضي الأول (٢٨).

٣- وجود خطأ في القانون وله حالتان:

■ مصادمة نص قطعي في الكتاب أو السنة، فينقض الحكم ممن أصدره أو من غيره من نفس الدرجة أو أعلى منها (٢٩).

■ بناء الحكم على رأي اجتهادي، فلا ينقض الحكم من قاض آخر لا من نفس الدرجة أو أعلى منها إذا كان له اجتهاد مغاير، بل ولا ينقض من نفس القاضي الذي أصدره إذا غير اجتهاده، وفي هذا وردت القاعدة الشرعية «الاجتهاد لا ينقض بمثله» وهنا يكون استقرار الأحكام واحترام حجية الشيء المقضي به (٣٠).

٤- عدم صلاحية القاضي لنظر الدعوى، إما لأن له مصلحة فيها، أو لأحد أقاربه أو أصدقائه أو أعدائه، أو لخروج الدعوى عن اختصاصه، فينقض

حكمه في جميع هذه الحالات (٣١).

٥- صدور الحكم من قاض جاهل إذا تبين جهله وعزل من منصبه لهذا السبب، أو من قاض يساير الحاكم الظالم- إذا تغير الحاكم أو مات وحل محله حاكم عادل- فتنقض الأحكام الصادرة منهما (٣٢).

ز- وفيما عدا هذه الحالات التي يجوز فيها نقض الحكم، فإن الحكم يكون له حجية الأمر المقضي، ويستثنى من ذلك الأعمال الإجرائية والمسائل الأولية فلا يكون لقرارات القاضي في هذه الأمور حجية، لأنها تصرفات داخل الخصومة أي قبل الفصل فيها (٣٣).

العقوبات الجماعية

تقرر الشريعة الإسلامية المسؤولية الفردية بنصوص صريحة في الكتاب والسنة، ولذلك فلا مجال للعقوبات الجماعية في الشريعة الإسلامية.

ولا يصح أن يلتبس هذا مع بعض الأحكام القائمة على أساس التضامن الاجتماعي كالعاقلة والقسامة، لأنها في مجال المسؤولية المدنية لا الجنائية، والمقصود منها التكافل في دفع التعويض المدني (الدية) لعدم تضييع حق المجني عليه أو ورثته (٣٤).

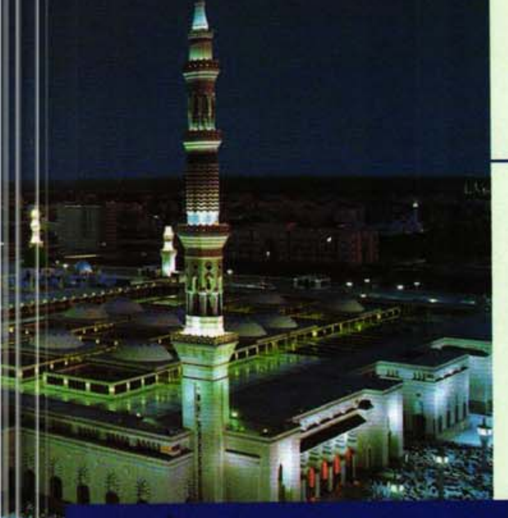
التدابير المتاحة لحماية الحقوق وتعويض الأضرار

المسألة المطروحة هنا هي أن لأطراف الخصومة حقوقًا، فما الجزاء المقرر لانتهاك هذه الحقوق؟ كما أن المجرى العادي لسير الخصومة قد يترتب عليه أضرار، فكيف السبيل إلى التعويض عنها؟

يحكم هذا الموضوع بضعة قواعد فقهية مقررة مثل قاعدة «لا ضرر ولا ضرار» (المادة ١٩ من المجلة) (×) وقاعدة «الضرر يزال» (المادة ٢٠ من المجلة) وقاعدة «خطأ القاضي في بيت المال» وغيرها (٣٥).

الهوامش

(١) الخراج، أبويوسف، ص١٧٥.
(٢) هذا الحديث رواه ابن ماجه (٦٥٩/١) والبيهقي (٣٥٦/٧) والدارقطني (١٧١/٤) وانظر: تلخيص الحبير (٢٨١/١) حقوق الإنسان في الإسلام للدكتور عدنان الخطيب، ص١١٤، وحقوق الإنسان في الإسلام «دراسة مقارنة» مع الإعلان العالمي والإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان، للدكتور محمد الزحيلي، دار الكلم الطيب، دمشق، ط/٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص٣٨٣.
(×) المتهم في اللغة: من «تهم»، «تعب» تغير أو أنتن، يقال: «تهم اللبن أو اللحم» إذا أريد به ذلك.
ويقال: «تهم الحر» إذا اشتد مع ركود الريح.
ويقال: إن تهامة مشتقة من الأول لتغير ريحها بانخفاضها عن نجد، وقيل: من الثاني لشدة حرها ولعله الأنسب. انظر: حقوق المتهم في الإسلام، بحث للدكتور طه جابر العلواني، مجلة المسلم المعاصر، ع/٣٥، رجب ١٤٠٣هـ- مايو ١٩٨٣، ص٥٠.
(٣) المصنف (٣٢٠/٨) وراجع السنن الكبرى للبيهقي (٢٠١/١٠)، وسنن الترمذي (٢٢٩٩)، وأدب القاضي للخصاف (١١٢/٢) و(٢٢٩/١).
(٤) انظر: المصنف (٣٢١/٨).
(٥) د. طه العلواني، البحث السابق، ص٥٠.
(٦) نفس البحث، ص٥٢.
(٧) د. طه جابر العلواني، البحث السابق، ص٥٣، والأحكام السلطانية، للماوردي، ص٨٣.
(٨) نفس البحث، ص٥٣.
(٩) الدكتور عوض محمد عوض، حقوق المشتبه فيه في مرحلة التحقيق، بحث بمجلة المسلم المعاصر، العدد الثاني والعشرون، جمادى الأولى والثانية- رجب ١٤٠٠هـ- أبريل-يونيو ١٩٨٠م، ص٢٣.
(١٠) د. عوض محمد عوض، البحث السابق، ص١٧.
(١١) د. طه جابر العلواني، البحث السابق، ص٥٥.
(١٢) د. عوض محمد عوض، حقوق المشتبه فيه في مرحلة التحقيق، البحث السابق، مجلة المسلم المعاصر، ع/١٩٨٠/٢٢، ص٢٤.
(١٣) نفس البحث، ص٢٨-٢٩.
(١٤) البحث السابق، ص٣٠.
(١٥) د. عوض محمد عوض، نفس البحث، ص٣١.
(١٦) د. عوض محمد عوض، البحث السابق، ص١٥.
(١٧) نفس البحث، ص١٦.
(١٨) د. عوض محمد عوض، البحث السابق، ص١٩.
(١٩) نفس المرجع، نفس الصفحة.
(٢٠) د. طه جابر العلواني، حقوق المتهم في الإسلام، مجلة المسلم المعاصر، سابق ذكره، ص٥٧-٥٨.
(٢١) د. جمال الدين عطية، الحق في محاكمة عادلة، المسلم المعاصر، العدد (٨٤) يوليو ١٩٩٧- المحرم- ربيع أول ١٤١٨ هـ، ص٨٤.
(٢٢) نفس المرجع، ص٩٢-٩٣.
(٢٣) مذكور، ص٥٨، زيدان، ص٢٧٨-٢٨٢.
(٢٤) مذكور ص٥٧، بندر ص ٣٢٣-٣٢٦، زيدان ص٢٧٥-٢٧٦، ٢٩٩-٣٠٩، البكر، ص٥٢٤-٥٣٧، ٢١٥-٢٢٢.
(٢٥) زيدان ص٢٧٦-٢٧٨.
(٢٦) مذكور، ص٥٨-٦٩، المناصف، ص٣٠٤، بندر ص ٣٢٢ - ٣٢٥، البكر ص١٨٦، في «د. جمال الدين عطية، البحث السابق، ص٩٥-٩٦».
(٢٧) زيدان ص١٥٢.
(٢٨) مذكور ص٦٠-٦٩، الزرقا ص١٠٤، الباحى ص١٧٧.
(٢٩) مذكور ص٥٩-٦٢،٦٣ الندوى ص٤١٢-٤١٥، المناصف ص٣٠٤، بندر ص٣١٥-٣١٧، ٣٢٥، رأفت ص٤٣٥-٤٤٠/ ابن أبي الدم ص١١٢، الحصاف ص٢١٣، زيدان ص٢٧٠، البكر ص١٨٥.
(٣٠) مذكور ص٦٣، ٦٤-٦٨، الزرقا ص١٠٣-١٤٤، وفيه يذكر أن هذا فيما إذا كان القاضي مجتهدا، أما القاضي المقيد بمذهب معين فلو حكم بخلافه ينقض، وإن وافق أصلا مجتهدا فيه، انظر: أيضا الندوي ص١٣٠، ١٣٨، ١٩٧، ٢١٠، ٣٠٤، ٤٠٢-٤١٧، الباحى ص١٧٦، المناصف ص٣٠٤، بندر ص٣١٧-٣٢٠، الحصاف ص٢١٢، زيدان ٢٦٧-٢٧٠، البكر ص١٧٩-١٩٦. في «د. جمال الدين عطية، نفس البحث السابق».
(٣١) مذكور ص٥، ٥٩، ٦٠، ٦٢، المناصف ص٣٠٢-٣٠٤، بندر ص٣٢١-٣٢٦، زيدان ص٢٧١-٢٧٢، البكر ص١٨٥-١٨٧، الحصاف ص٢٥١، ابن أبي الدم ص١٠٧.
(٣٢) مذكور ص٥٩-٦٠، الباحي ص١٧٨، بندر ص٣٢٥-٣٢٦ ، زيدان ص٢٧٠، ٢٧٢، البكر ص١٨٦-١٨٧.
(٣٣) البكر ص١٩٢،١٩٠.
(٣٤) د. جمال الدين عطية، الحق في محاكمة عادلة، مجلة المسلم المعاصر، العدد (٨٤)، مصدر سابق، ص١٠٦.
(×) أي مجلة الأحكام العدلية.
(٣٥) نفس البحث، ص١١٢.



ربما كان لتنامي النظر المعاصر للإسلام الشامل، مع بزوغ فجر القرن العشرين تحديدًا، أثره الواضح في شيوع ما يمكن أن يسمى بالأبعاد الحضارية لاستلهام السيرة النبوية في التصنيف المعاصر، وهو الأمر الذي هيمن على مناهج التجديد في كتابة السيرة النبوية الطاهرة في الشرق والغرب معًا بسبب تطور الحياة المعاصرة، وتقدم المنهجية العلمية، وأهمية دراستها من زوايا نظر جديدة تتواءم مع طبيعة الدرس العلمي المعاصر.

الأبعاد الحضارية للتصنيف المعاصر في السيرة النبوية

د. خالد فهمي

إن أمرًا مهمًا جدًا كان له أثره في الكشف عن الأبعاد الحضارية في محاولات دراسة السيرة النبوية في التصنيف المعاصر، يتمثل في إرادة الشعوب العربية والإسلامية إحياء أوطانها وفق النموذج الإسلامي باعتبارها بلدانًا إسلامية يحكم وجدانها سياق عام يسيطر عليه الدين الإسلامي، ومن هنا صارت السيرة النبوية النموذج الحاكم الذي يتم استحضاره، تحقيقًا لاستقامة أحوال هذه المجتمعات المعاصرة بعد زمن طويل من الغزو الغربي من جانب، ومحاولات التشويه والاستبداد العلماني من جانب آخر.

لقد استُحْضِرت السيرة النبوية في الأوضاع الراهنة لتجاوز ضعف ظاهر، وكان أهم مبررات ذلك الاستحضار النجاح المبهر للنموذج النبوي كما تصوره السيرة النبوية في الانتقال النوعي بالحياة الإنسانية من عهودها المظلمة إلى عهود أخرى ترعى القيمة الإنسانية، وتوازن في تعاملها بين الشق المادي والشق الروحي للإنسان معًا.

ثمة أمر آخر كان له أثره المهم كذلك في الكشف عن الوجه الحضاري الكامن في السيرة النبوية تكفل به الدرس المعاصر لها، ألا وهو تنامي ظهور الحركات الإسلامية، ولا سيما التي تتبنى عن وعي حقيقي خيار الدعوة إلى الإسلام الشامل كمنظومة تشريعية قادرة على قيادة الحياة في أبعادها المختلفة.. التعبدية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وفي مجال العلاقات الدولية وغير ذلك.

وقد كان للعلماء المنتمين لحركات النهضة والإصلاح منذ محمد عبده والأفغاني ورشيد رضا، ومحب الدين الخطيب، كان لهم أثر ظاهر في تطوير درس السيرة النبوية في التصنيف المعاصر، بما أتاحوه لهذا الدرس من نقلة نوعية من مرحلة كان المنهج التاريخي هو الغالب عليه إلى العناية بالكشف عن الأبعاد الحضارية لهداية المجتمعات العربية والإسلامية في هذه السيرة، لتحقيق كامل عودة الأمة إلى التصورات الإسلامية الحاكمة لحركة الإنسان في الحياة، وهي العودة الكفيلة بتحقيق تمدنه وارتقائه.

ومن هنا فإن النظر إلى السيرة والسنة النبوية باعتبارهما شيئًا واحدًا، وأصلًا عامًا حاكمًا في ضبط حركة الإنسان المسلم على هذه الأرض، هو ما رشح استحضار النموذج النبوي الكريم لإعادة إحيائه في الواقع المعاصر المأزوم.

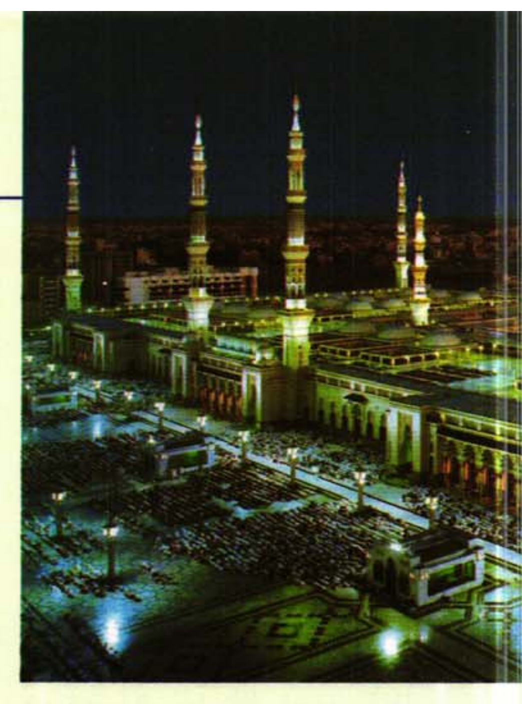
السيرة النبوية مصدرًا للحضارة

تعرف الحضارة في المعجمية العربية المعاصرة، على ما جاء في المعجم العربي الأساس(حضر٣٢٧) (طبعة لاروس سنة١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) بأنها: «مجموع الخصائص الاجتماعية والدينية والخلقية والتقنية (أي: التطبيقية) والعلمية والفنية الشائعة في شعب معين».

وقد أدرك الدرس المعاصر أن السنة أو السيرة بما هي مرادفة للسنة تمثل مصدرًا للحضارة، وأن سيرة المصطفى ﷺ وتجربته في الحياة والقيادة والإرشاد نجحت في الانتقال بالعرب من مرحلة البداوة والهمجية والجهل والأمية إلى أجواء التمدن والارتقاء المادي والعلمي والأدبي والاجتماعي والفني والروحي.

ويكشف د. القرضاوي في كتابه «السنة مصدرًا للمعرفة والحضارة» (دار الشروق ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ٢٠٣)، أن عددًا كبيرًا من أحداث الإسلام الكبرى كالهجرة مثلًا كان من مقاصده تحقيق الانتقال بالأمة المسلمة إلى مراحل الحضارة: «وقد كان من مقاصد الهجرة إلى المدينة التي فرضت على كل من أسلم من قبائل العرب قبل فتح مكة: إتاحة

كلية الآداب - جامعة المنوفية - مصر



الفرصة لهم ليتعلموا ويتثقفوا بثقافة الإسلام الجديدة، التي تلزمهم بالجماعة والجمعة وتهيئ لهم حضور مجالس العلم، والتأدب بآداب الإسلام التي صبغ بها الحياة كلها، حتى في المأكل والمشرب والملبس والمشي والجلوس، وسائر شؤون الحياة كبيرها وصغيرها»، وجعل السيرة النبوية الشريفة تمثل في النظر العلمي قديمًا وحديثًا شرقًا وغربًا مصدرًا محوريًا لتحقيق الانتقال بالأمة من أجواء البداوة والوحشية والهمجية والتراجع إلى أجواء الارتقاء المادي والروحي معًا.

ومن ثم غدا النظر إلى السيرة النبوية بما مارسته في ميادين الزراعة والاقتصاد وتنظيم الأسواق، والعمارة، والتطبيب والمداواة، ومحاصرة الأمراض، وإجراءات الصحة العامة، وتدابير الحفاظ على البيئة وغيرها من جانب، وبما ورثناه عنها في ميادين السلوك الحضاري وطرائق التعامل وصنوف الاجتماعيات المختلفة من جانب آخر - أساسًا لازمًا في حركة المجتمعات العربية التي تمثل لها السيرة النبوية مرجعية هادية على طريق تمدينها وتحضرها، أو هكذا ينبغي أن تكون.

منهجية معالجة السيرة النبوية من منظور حضاري كلي

وقد كان ظهور منهجية معالجة السيرة النبوية في التصنيف المعاصر من منظور يرعى الأبعاد الحضارية بشكل عام وكلي أسبق زمنيًا من غيره، حيث عالج عددٌ من العلماء المعاصرين السيرة النبوية بأبوابها المختلفة على ترتيب أحداثها التاريخية مع العناية الظاهرة بما يمكن أن تقدمه من حلول للمشكلات المعاصرة، بحيث كان استحضار أحداث السيرة مقصودًا من ورائه استلهام ممارسات عصر النبوة الكريم للانتقال بالمجتمعات المعاصرة من وهدتها وتراجعها إلى أجواء المدنية والتحضر والارتقاء وتجاوز الضعف والانهيار.

وفي هذا السياق تأتي مؤلفات مهمة معاصرة استهدفت إحداث حراك نحو البناء الحضاري للأمة رقيًا وتقدمًا عن طريق استلهام أحداث السيرة باعتبارها نموذج قدوة قابلاً للنقل، وإعادة الاستحضار.

ومن أهم هذه المؤلفات:

مصطفى السباعي: في السيرة النبوية.. دروس وعبر.

محمد الغزالي: في فقه السيرة.

منير الغضبان: في المنهج الحركي للسيرة النبوية.

هذه المعالجات ومن يسير على منهجيتها تسرد أحداث السيرة وفق تتابع وقوعها تاريخيًا مع العناية بما يمكن استخلاصه واستلهامه لدفع القوة الحضارية للأمة في التاريخ المعاصر.

وقد ظهر من القراءة الدقيقة لهذه المعالجات ما يمكن أن يمثل قواعد حضارية حاكمة في مسيرة الأمة المسلمة، يمكن لمقتضيات المقام أن نذكر عددًا منها كما يلي:

المرونة في النقل عن الآخر الحضاري: يقول مصطفى السباعي- رحمه الله-: «وفي قبوله ﷺ إشارة سلمان بحفر الخندق، وهو أمر لم تكن تعرفه العرب من قبل، دليل على أن الإسلام لا يضيق ذرعًا بالاستفادة مما عند الأمم الأخرى من تجارب تفيد الأمة وتنفع المجتمع، فلاشك أن حفر الخندق أفاد إفادة كبرى في دفع خطر الأحزاب عن المدينة، وقبول رسول الله ﷺ هذه المشورة دليل على مرونته ﷺ واستعداده لقبول ما يكون عند الأمم الأخرى من أمور حسنة».

وهذا التطبيق العملي واحد من الأبعاد الحضارية بالمعنى الذي تعرفه دراسات الحضارة، وهو دال على ضرورة تنبه الأمة في عملية النقل والتحديث إلى ما يجب مراعاته من ضوابط في هذا النقل.

احترام المنجزات الحضارية: ولو كانت للعدو باعتبارها تراثًا إنسانيًا، وتطبيقات هذه القاعدة الحضارية ماثلة وحاضرة حضورًا ظاهرًا في حروب المسلمين، فقد تواترت النصوص على النهي التام عن حرق النخيل، أو اقتلاع الأشجار، أو ردم الآبار، أو هدم المعابد، وهذه أمور مهمة جدًا تعكس الوجه الحضاري بأبعاده المختلفة الذي حرص التصنيف المعاصر في السيرة النبوية على تجليته وبيانه.

لقد كشفت دراسات السيرة النبوية وفق المنهجية الكلية أن للإسلام فضلاً كبيرًا في الحفاظ على التراث الإنساني بما أمر به ونفذه من حفاظه على المؤسسات والمظاهر الحضارية التي أنشأها الإنسان، ولو كان هذا المنجز الحضاري ناتج جهد أمة أو شعب معاد للمسلمين، تورط في حرب الإسلام ومواجهته، واستبقاء آثار الأمم المختلفة التي تعرضت لحركة الفتوحات الإسلامية خير شاهد على هذه القاعدة الحضارية.

احترام قيم العلم والمعرفة: وهذه القاعدة الحضارية ماثلة كذلك في معالجات السيرة النبوية الكلية في العصر الحديث، حرص الدارسون على الكشف عن تطبيقاتها، مثل منير الغضبان عندما وقف طويلًا أمام تطبيقاتها في المناقشات التي سبقت قرار الهجرة إلى

الحبشة تحت عنوان ظاهر الدلالة على هذه القاعدة، وهو «اختيار الأرض.. وسرية التجمع فيها والهجرة إليها»، وهو الأمر الذي يحكمه تمامًا في حديثه المباشر للحركة الإسلامية المعاصرة على ما يقرره مثلًا (١/١٨٥) عندما يقول: «والحركة الإسلامية اليوم وهي تقتدي برسول الله ﷺ في إنشاء دولتها لابد أن تراعي هذه المعاني وتفقه دروسها».

هذه ثلاث فقط مما أسميه بالقواعد الحضارية الحاكمة التي حرص المصنفون المعاصرون في السيرة النبوية على بيانها، والكشف عنها؛ لتكون تقدمة بين يدي نهضة شعوب العالم الإسلامي، شريطة الاستحضار الواعي لمعالمها المختلفة.

منهجية معالجة السيرة النبوية من منظور حضاري جزئي

وفي مرحلة تالية لظهور منهجية معالجة السيرة النبوية من منظور حضاري كلي ظهرت دراسات انشغلت بمعالجة قطاعات جزئية تفصيلية خاصة بموضوع معين من قطاعات الدرس الحضاري لهذه السيرة، منها دراسات تعنى بمعالجة السيرة للجوانب التعليمية أو التربوية، أو لجوانب الطعام والمطعومات والتغذية، أو أنماط الملابس ووظائفها النفعية والجمالية، أو خصائص التطبيب والتداوي ومميزاته، أو البعد السياسي، أو الدبلوماسي، أو الأمني، أو النفسي... إلى غير ذلك من الموضوعات التفصيلية الداخلة في المفهوم الشائع للحضارة.

والحق يقضي بأن نقرر أن العلماء على اختلاف تخصصاتهم أسهموا في خدمة هذه المنهجية الجزئية الحضارية في معالجات السيرة النبوية في العصر الحديث؛ بمعنى أن علماء السنة والسيرة مع علماء الطب مع علماء الأمن والسياسة، مع علماء التخصصات المختلفة، كل في مجاله تعاونوا جميعًا على الكشف عن

سيرة المصطفى ﷺ نجحت في الإنتقال بالعرب من مرحلة الهمجية والبداوة إلى أجواء التمدن والإرتقاء

الأبعاد الحضارية الكامنة في السيرة النبوية.

وقد نبه عدد من علماء الشريعة والسنة إلى أن الكشف عن هذه الأبعاد الحضارية ظل محكومًا ومحدودًا بما يمكن تسميته بالإطار الإرشادي للأمة.

يقول العلامة د. القرضاوي: إن عددًا من هذه الأبعاد الحضارية داخل في إطار ما يطلق عليه الأصوليون بأمر الإرشاد ونهي الإرشاد، ثم يمثل على ذلك فيقول (ص ٦٦) من كتابه السنة النبوية مصدرًا للمعرفة والحضارة: «وفي رأيي أن جل الأحاديث المتعلقة بالوصفات الطبية وما في معناها... هي من باب الإرشاد»، والمعنى الذي يبتغيه من وراء هذه الاستلهامات هو أن الأمة في رحلة انتقالها لمراحل الحضارة يلزمها تطبيق القواعد الحضارية الكامنة وراء هذه التفصيلات، فيلزمها العناية بالطب والاقتصاد والزراعة والتعليم ووضع الخطط التفصيلية، كما كان يفعل عصر النبوة الكريم في هذا السياق مما حقق للعرب الانتقال من أجواء الهمجية والوحشية إلى آفاق رحبة من التمدن.

وفي هذا السياق التفصيلي الجزئي تأتي المعالجات التالية لتكشف عن الأبعاد الحضارية في مناطق تفصيلية تمثل مصابيح على الطريق في العصر الحديث؛ وفيما يلي رصد لرؤوس بعض الموضوعات التي عالجها التصنيف المعاصر في السيرة النبوية:

<u>١ - في تكوين الإنسان وبنائه الذاتي</u>: صفاء الابتداء والبدء النابض للجيل الصاعد، لعبدالفتاح شاهين، ومنهج النبي ﷺ في تربية جيل النصر، لعبدالرحمن البر.

<u>٢ - في منهجية التعليم</u>: السمات العشر للنبي المعَلم، لعبدالرحمن البر.

<u>٣ - في التغذية وأنواع الطعام وجلب فوائده وتجنب مضاره</u>: التغذية النبوية، لعبدالباسط محمد السيد، والأطعمة والأشربة في عصر الرسول ﷺ، لمحمد بن فارس الجميل.

<u>٤ - في الملابس ووظائفها</u>: اللباس في عصر الرسول ﷺ، لمحمد بن فارس الجميل.

<u>٥ - في مجال الأمن السياسي</u>: تأملات إعجازية للنبي ﷺ في مجال الأمن السياسي، لصادق حسين.

<u>٦ - في المجال الإعلامي</u>: الإعلام في صدر الإسلام، لعبداللطيف حمزة.

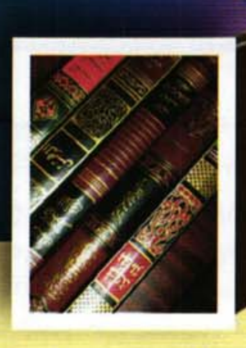
<u>٧ - في المجال النفسي</u>: الحديث النبوي وعلم النفس، لمحمد عثمان نجاتي.

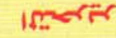
<u>٨ - في مجال البيئة والحفاظ عليها</u>: محمد عليه السلام رائد الحفاظ على البيئة، لفرانسيسكا دوشاتل، ترجمة إبراهيم عوض.

<u>٩- في الدبلوماسية والمفاوضات</u>: الدبلوماسية النبوية، لعبدالرحمن أبي المجد.

في هذه المجالات التسعة، والتي هي قابلة للزيادة بلاشك، يظهر لنا أمرٌ مهم جدًا متمثل في الوعي المعاصر بما يمكن أن تقدمه السيرة النبوية إذا ما عولجت من منظور حضاري يرعى أمر الارتقاء بالأمة.

وتؤكد هذه الدراسات على أن تحقيق التمدن للمجتمعات الإسلامية يلزمه فحص السيرة النبوية واستخلاص القواعد الحضارية في المجالات التفصيلية، واستلهامها لدعم مسيرة هذه المجتمعات المعاصرة وفق تحكيم المرجعية الإسلامية، كما تعرضها دراسات السيرة النبوية.





منطلقات تعليم اللغة العربية في الوطن العربي

(شراكة الخصائص و هوية المجتمع)

د. بليغ حمدي إسماعيل*

يقول ابن جني عن اللغة العربية: «إنني تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة، فوجدت فيها من الحكمة والدقة والرقة ما يملك علي جانب الفكر، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر، فعرفت بتتابعه وانقياده على بعد مراميه وآماده صحة ما وفقوا لتقديمه منه، ولطف ما أسعدوا به، وفرق لهم عنه، وانضاف إلى ذلك وارد الأخبار المأثورة بأنها من عند الله، فقوي في نفسي اعتقاد كونها من الله تعالى، وأنها وحي».

يؤكد ابن فارس أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها، قال تعالى ﴿بلسان عربي مبين﴾ (الشعراء: ١٩٥)، فوصفه بأبلغ ما يوصف به الكلام وهو البيان، وقال تعالى ﴿خلق الإنسان علمه البيان﴾ (الرحمن: ٣-٤)، فقدم سبحانه وتعالى ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه وتفرد بإنشائه من الخلائق المحكمة والنشايا المتقنة، فلما خص الله اللسان العربي بالبيان عُلِم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه.

وقد تأكد أن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي احتفظ بلغته الأصلية وحفظها على قيد الحياة، وسيحفظها على مر الدهور، وستموت اللغات الحية المنتشرة اليوم في العالم، كما ماتت لغات حية كثيرة في سالف العصور، إلا العربية فستبقى بمنجاة من الموت وستبقى حية في كل زمان مخالفة النواميس الطبيعية التي تسري على سائر لغات البشر، ولا غرو فهي متصلة بالمعجزة القرآنية الأبدية، فالكتاب العربي المقدس هو الحصن الذي تحتمي به اللغة العربية وتقاوم أعاصير الزمن وعواصف السياسة المعادية ووسائلها الهدامة.

وقد اختصت اللغة العربية بعدة سمات وخصائص ميزتها عن باقي وسائر اللغات، واهتم الباحثون وعلماء اللغة بتحديد خصائصها المتعددة، ومن هذه الخصائص

لما خص الله تعالى اللسان العربي بالبيان عُلِم أن سائر اللغات قاصرة عن البيان

الترادف، ويعني الغنى والثروة مثل السعة التي تعني الجدة، والميسرة، واليسار، والزيد، والترياس، والجدا، والأتراب، والوفر، ومن خصائصها المشترك اللفظي ويراد به اللفظ الواحد له أكثر من معنى مثل الحوب: الإثم، الأخت، البنت، الحاجة، المسكنة، الهلاك، الحزن، الضرب، رقة الفؤاد، الأم.

واعتبر الباحثون في اللغة أن من خصائص العربية خصيصة التضاد، وهو ضرب من ضروب الاشتراك، إذ يطلق اللفظ على المعنى ونقيضه: البسل: الحلال، والحرام، بلق: فتح الباب كله وأغلق بسرعة، الحميم: الماء البارد والحار، المولى: العبد والسيد، الرس: الإصلاح والفساد، الرعيب: الشجاع والجبان.

ومن خصائص العربية أيضا وفرة أصواتها؛ فاللغة العربية بمقاييس علم الألسنة تعد أوفى اللغات جميعًا من حيث وفرة الأصوات؛ وذلك بمقياس بسيط لا خلاف فيه، وهو مقياس جهاز النطق في الإنسان، فالعربية تستخدم هذا الجهاز على أتمه وأحسنه، ولا تهمل وظيفة واحدة من وظائفه كما يحدث ذلك في أكثر الأبجديات اللغوية، فلا التباس في العربية في حرف من حروفها بين مخرجين، ولا مخرج من مخارجها بين حرفين.

ويرى اللغويون أن أكمل اللغات تلك التي انتظمت قواعدها الصوتية والصرفية وقواعد التركيب والعبارات، ثم يضاف إجمالاً وفي المفردات على التعميم، كالتمييز بين المذكر والمؤنث والجماد، وبين المفرد والمثنى والجمع، وبين جمع القلة وجمع الكثرة، وبين الصفات العارضة والملازمة، وهي جميعًا من المزايا التي توافرت في اللغة العربية على مثال لم تسبقها إليه لغة من لغات الحضارة.

أما الاشتقاق فيعد من أبرز وأهم الخصائص اللغوية التي تميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات السامية، فالاشتقاق يعطي المتكلم من الأوزان بمقدار ما يحتاج إليه من المعاني المحتملة على جميع الوجوه، والمتكلم هو صاحب الشأن في اختيار الكلمة المناسبة على حسب أغراضه من الكلام واحتمالات تفكيره، ومن ثم يقوم الاشتقاق بدور مهم في تنويع المعنى الأصلي، إذ يكسبه نواحي مختلفة من

* رئيس قسم اللغة العربية - صندوق تطوير التعليم - رئاسة مجلس الوزراء المصري

مبالغة وتعدية، ومطاوعة، ومشاركة، ومبادلة.

ولاشك في أن الاشتقاق أكبر مصدر لثراء اللغة العربية، وتطويعها لاستيعاب كثير من المستحدثات والمعاني الجديدة، كما أنه مصدر من مصادر الموسيقى فيها، ويشير عباس محمود العقاد إلى أن الاشتقاق هو السليقة الشاعرة في اللغة العربية، وأن للاشتقاق- بجانب قيمته في تنمية اللغة وتطويرها وتوسيعها لمطالب الحياة- أثره في مجال الإحساس الجمالي بموسيقى الكلمات فيها.

والنحت يعد من خصائص اللغة العربية، وهو من وسائل تنمية اللغة والتوسع في دلالات كلماتها، ويعني انتزاع كلمة جديدة من كلمتين أو أكثر تدل على معنى ما انتزعت منه، مثل «البسملة» من «بسم الله الرحمن الرحيم»، و«إنما» من إن وما.

ومن خصائص اللغة العربية أيضًا ثبات الحروف الأصلية الثلاثة في كل مادة مهما يطرأ على الكلمة من تبدل في اشتقاقها وصيغتها كحروف (ع ل م)، فإن جميع الألفاظ التي اشتقت أو يمكن أن تشتق من هذه المادة كالعلم والعلوم والعلماء، والاستعلام، والمعلومات، والمعالم، والإعلام، تثبت فيها تلك الحروف الثلاثة، ويقابل ثبات الحروف الثلاثة ثبات المعنى الأصلي والمفهوم المشترك بين الألفاظ.

ويعد التعويض من سمات اللغة العربية التي يتناساها العامة وبعض المتخصصين في علومها، وهو يعني إقامة الكلمة مقام الكلمة، كإقامة المصدر مقام الأمر، نحو: « صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة» والفاعل مقام المصدر، نحو: ﴿لَيسَ لِوقعَتِها كَاذِبَةٌ﴾ أي تكذيب، والمفعول مقام المصدر، نحو: ﴿ بِأَيِّكُم الْمَفْتُونُ﴾ أي الفتنة، والمفعول مقام الفاعل، نحو ﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ أي ساتر.



وإذا كانت خصائص اللغة العربية تعد من أبرز منطلقات تعليم اللغة العربية، فإن دراسة طبيعة المجتمع أساس جوهري من أسس بناء منهج اللغة العربية، فالأفكار والمعتقدات الرئيسة، والقيم المتعارف عليها اجتماعيا، وأساليب العمل، وغير ذلك من الخصائص التي تميز طريقة الحياة، تعد مصدرًا رئيسًا للفلسفة التربوية وللأهداف والمحتوى في أي مجتمع وفي أي فلسفة، ومن أجل هذا نادى علماء التربية بضرورة ربط التعليم بمتطلبات المجتمع وظروفه ومشكلاته.

والمجتمع العربي عبارة عن أمة موحدة متجانسة موصولة التاريخ منذ أقدم العصور، وهذا المجتمع الكبير تنظمه جماعات صغيرة متفاوتة القدر والعمر، ولهذه المجتمعات الصغيرة، أو لهذه النظم الاجتماعية علاقات ووظائف مثلها في ذلك مثل الجوارح والأعضاء في الجسد الحي، يكمل بعضها بعضًا. ولهذا المجتمع العربي الكبير خصائص تميزه عن غيره من المجتمعات الأخرى، وإن كان يشترك معها في المشكلات التي ترتبط بظروف الحياة فيه، ومنهج التربية الإسلامية يتفاعل مع خصائص المجتمع ويقدم حلولاً لمشكلاته.

ويعد المجتمع العربي مجتمعًا قديم النشأة، تمتد جذوره في أعماق التاريخ، وكانت حضارته من أقدم الحضارات العالمية التي اكتشفت الزراعة، وشيدت المدن، وعرفت نظام الدولة، وابتعدت عن الثقافة البدائية وارتبطت بالثقافة الراقية المتحضرة، وعبر العصور التاريخية تعرض المجتمع العربي لتغيرات سريعة وعميقة شاملة ومتلاحقة لمجريات الأمور الحياتية فيه، مما كان له أكبر الأثر في كل نواحي الحياة العربية، وبالرغم من هذه التغيرات التي حدثت وأثرت في المجتمع العربي فإنه احتفظ بمجموعة من السمات والخصائص التي اتسمت بالأصالة والمعاصرة والثبات.

فمن خصائص المجتمع العربي أنه مجتمع متدين، فالتدين يضرب بجذوره في أعماق المجتمع العربي منذ القدم، ولقد كانت سمة التدين في الشخصية العربية سببًا رئيسًا في إكسابها الروح الوطنية والفداء وجعلها سمة من سماتها، ولعل العدد الهائل من الشهداء الذين افتدوا الإسلام منذ القدم حتى أواخر القرن العشرين يؤكد وحدة وترابط هذا الوطن منذ مئات السنين، وأن تلك الروح الوطنية والفدائية التي رسخت في قلوب المسلمين لدليل على إيمانهم بدينهم وليس كواجب وطني فقط.

وتعد سمة الكرامة من سمات المجتمع العربي، حيث عرف العربي المسلم بالحفاظ على كرامته، والدفاع عنها بكل ما أوتي من قوة، فعلى مرّ العصور التي تعرض فيها الإنسان العربي لألوان الاستغلال والقهر لم يخضع للطغاة والإقطاعيين، بل قاومهم وقام بالثورات احتجاجًا على سوء معاملتهم، وقدم الشهداء أرواحهم في سبيل دينهم ووطنهم وأرضهم، وسمة الكرامة هي التي دفعت المجتمع العربي المسلم لتحدي القهر

الخارجي وهضم الغزاة والمستغلين.

ومن الملامح الرئيسة للمجتمع العربي المسلم تمسكه بالعادات والتقاليد الطيبة وحرصه على ممارسة الفضائل التي اكتسبها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مثل الصدق، والإحسان إلى الفقراء، وإغاثة الملهوف، والبر، والوضوح والصراحة، والدأب والمثابرة، والوفاء، والنزوع المستمر إلى النفع والخير بلا تفريق، وكذلك التطلع الأصيل إلى الكمال، ويتجلى ذلك في الإنجازات الحضارية، وكذلك الجسارة في مواجهة المجهول وفي تحمل المخاطر.

ومن أبرز سمات المجتمع العربي المسلم سمة الصراحة، وهي سمة حضارية تنبعث من الدين الإسلامي الحنيف، ونجد أيضا سمة الوسطية والاعتدال والتعقل، وقد أكسبت سمة الوسطية الشخصية العربية الإسلامية القدرة على الجمع بين الماضي والحاضر والمستقبل، والمعاصرة والتراث والاقتباس، والدين والعلم، وهذا يؤكد على عدم التطرف أو التعصب أو الغلو والبعد عنه بشتى الصور.

ويواجه المجتمع العربي المسلم تحديات في حاضره ومستقبله، وهي تختلف عما تواجهه المجتمعات الأخرى، منها ما هو فكري، ومنها ما هو اجتماعي، ومنها ما هو اقتصادي، ومنها ما هو سياسي، ومن أبرز هذه المشكلات التي تواجه المجتمع العربي الأمية الدينية، وتعني الجهل بأمور الدين، وعدم العلم به، أو الفهم الخاطئ لتعاليمه، والعلم ببعض جوانبه، وإهمال الجوانب الأخرى، ومن الواضح أن الفهم الخاطئ للإسلام ينطلق من تفسيرات مغلوطة لتعاليمه، وهذه التفسيرات تجعل منه دينًا جامدًا منغلقًا متقوقعًا لا يقوى على مسايرة الزمن، ولا يراعي متغيرات الحياة.

ولعل هذه الأمية الدينية ترجع أيضًا إلى ضآلة مكانة التربية الدينية الإسلامية في المدرسة في بعض البلدان العربية، حيث احتلت اهتمامًا قليلًا في المنهج المدرسي، من حيث قلة ما يعطى للتلاميذ خلال المراحل الدراسية، إذ لا يفي الغرض المطلوب، وعدم ارتباط ما يقدم بمراحل نمو المتعلم وواقع حياته.

وإذا كنا نتحدث عن المنطلقات التي يرتكز عليها تعليم اللغة العربية بوطننا العربي، فإن الكفاءة اللغوية تحتل مكانة بارزة في التنظيم المعرفي لهذه المنطلقات؛ لأن اللغة تعد أرقى ما لدى الإنسان من مصادر القوة والتفرد، ويؤكد علماء اللغة على أهمية الكفاءة اللغوية كأساس معرفي للأفراد، وذلك انطلاقًا من أن كثيرًا من أشكال التفكير وحل المشكلات تحدث في غيبة منبهات خارجية، وعملية التجريد إلى رموز لفظية تمدنا بوسائل التفكير وطرائق حل المشكلات.. ولقد تطور خلال القرن العشرين عدد من النظريات التي حاولت أن تحدد القدرات التي تكون ما يسمى بالكفاءة اللغوية.

وقد ظلت النظرية اللغوية عبر السنوات السابقة إلى عهد قريب- نسبيًا- تعتبر الكفاءة اللغوية مساوية لمعرفة مفردات اللغة ونحوها وصرفها، وكان أول الأطر النظرية التي حاولت وصف الكفاءة بناء على هذا التصور هو نموذج لادو (١٩٦١) وكذلك نموذج كارول (١٩٦١) الذي بيّن فيه المكونات الثلاثة للغة- حسب رأيه- وهي: النحو والمفردات ونظامي الأصوات والكتابة، وقد فصلها عن المهارات اللغوية الأربع، لكن كلا الباحثين لم يتطرقا إلى العلاقة بين مكونات الكفاءة اللغوية والمهارات.

ثم شرع اللغويون وعلماء الاجتماع ينظرون بإمعان إلى دور اللغة في سياقها الاجتماعي وحددوا عناصر «فوق لغوية» يعتقد أنها تؤثر على شكل اللغة المستعملة، وبدأ هذا التحول منذ أن أدخل برانسلاف مالينوفسكي (١٩٣٢) الأخصائي بعلم النفس الإنساني، واللغوي فيرث (١٩٦٤) عبارة «سياق الموقف اللغوي» context of situation مشيران إلى الواقع المحيط بالموقف اللغوي على شكل اللغة.

وفي علم اللغة افترض دي سوسير (١٩١٦) وجود وجهين للمعرفة اللغوية، أولهما الكلام، وثانيهما الكفاءة اللغوية، ثم جاء تشومسكي (١٩٦٥) ليصف نوعين من القدرة اللغوية يشبهان إلى حد بعيد الكلام والكفاءة اللذين قدمهما دي سوسير، والكلام هو ما يظهر من اللغة للأذن أو العين بما في ذلك الأخطاء والهفوات وسوء الاستعمال، أما الكفاءة فتعني ما يعرفه الناطقون باللغة ضمنيًا وبالسليقة عن لغتهم.

وفي ظل هذا التسارع البحثي المحمود تعددت مسميات الكفاءة اللغوية، واتفقت جميعها في المضمون والمعنى، فمن مسمياتها الكفاءة في اللغة، والخصوبة اللغوية، والقدرة اللغوية العليا، والتمايز بين القدرات، والقوة في اللغة.

أما بالنسبة للمصطلح نفسه فقصد به القدرة على التقاط المعاني اللغوية والعقلية والوجدانية والثقافية التي تصحب الأشكال اللغوية المختلفة، والسليقة أو الملكة التي تجعل للفرد من الحس اللغوي ما يميز به بين أشكال الفهم والإفهام، وتعني الكفاءة اللغوية تزويد الطلاب بالمهارات اللغوية التي تجعلهم قادرين على فهم طبيعة اللغة والقواعد التي تضبطها والنظام الذي يحكم ظواهرها.

ويرى عالم اللغة نوستراند (١٩٩١) الكفاءة اللغوية على أنها الاتصال اللغوي الفعال الذي يشمل تحويل الرسائل اللفظية إلى علاقات إبداعية تعتمد على الاستنباط الجاد حتى يصبح الاتصال عادة جيدة.

وبرغم تعدد التعريفات المتعددة لمفهوم الكفاءة اللغوية إلا أن معظمها يشير إلى امتلاك الفرد للمهارات اللغوية والقدرات المعرفية التي تضبط اللغة، وتفيد الاتصال الفعال، والتي يمكن استخدامها في مواقف محددة لإنجاز أعمال خاصة، كما أن التعريفات السابقة تؤكد على الدور



الاتصالي للكفاءة اللغوية، وتتعدى معرفة قواعد اللغة إلى الاستعمال الصحيح والسليم للغة ومهاراتها، بالإضافة إلى معرفة الفرد الضمنية بقواعد اللغة التي هي قائمة في ذهن الناطق باللغة، والكامنة وراء الفعل الكلامي.

وفي صدد اهتمام علماء اللغة بدراسة الكفاءة اللغوية بزغ مفهوم جديد هو مفهوم الوظيفة اللغوية، التي تعد مكونًا مهمًّا من مكونات الكفاءة اللغوية، وتركز هذه الوظائف على جانبين من اللغة: الجانب العقلي، والجانب الاجتماعي، فالفرد يستخدم اللغة أحيانًا لكي يعبر عن نفسه ومشاعره وأفكاره، ويستخدمها في الوقت نفسه بهدف التواصل مع غيره من أفراد مجتمعه، كما أن استخدام الفرد للغة لا يكون فقط لحل مشكلة معينة، بل يعد وسيلة من وسائل الراحة وتقليل الاضطراب وكسر حاجز الاغتراب بين الفرد وبين من يشاركه الحديث.

ومن الوظائف اللغوية- كمكون من مكونات الكفاءة اللغوية- تيسير دفة الأمور، وتصريف شؤون المجتمع الإنساني، ومن أنصار هذا الاتجاه العالم الأنثروبولوجي مالينوفسكي الذي يؤكد على هذه الوظيفة للغة، وهي الجانب الاجتماعي الاتصالي لها، ويرى أنها وسيلة لتنفيذ الأعمال وقضاء حاجات الإنسان.

ويرى عدد من علماء اللغة من أمثال هنري سويت، وسابير، وجفونز أن وظيفة اللغة الأساسية تنحصر في أنها وسيلة إنسانية خالصة لتوصيل الأفكار والانفعالات بكفاءة عن طريق اتباع نظام دقيق من الرموز التي تصدر بطريقة تلقائية، وفي ضوء ذلك يرى أصحاب هذا الاتجاه أن اللغة تؤدي ثلاثة أغراض هي: الاتصال، والتفكير، والتسجيل، ولقد اتسم عقد الثمانينيات بموجة جديدة من الاهتمام والتركيز على اللغة الاتصالية، أي تدريس اللغات الثانية بهدف نهائي هو القدرة على الاتصال بمحدثيها الأصليين،

الكفاءة اللغوية تحتل مكانة بارزة في التنظيم المعرفي لمنطلقات تعليم العربية

وانصب هذا التركيز على مهارات التحدث والاستماع، وعلى مهارات الكتابة لأغراض اتصالية محددة، وعلى قراءة النصوص الأدبية.

وتعتبر الكفاءة اللغوية من أبرز أهداف تعليم اللغة، ويعدُّ استخدام المتعلم للغة بدقة في مواقف اتصالية إنتاجًا واستقبالاً من أهم مؤشرات التعلم الجيد، وهذا ما يؤكده كثير من التربويين وعلماء اللغة من ضرورة تدريب الطلاب على مهارات الكفاءة اللغوية قبل منحهم إجازة التخرج، حيث إن تدريب الطلاب على استخدام مهارات الكفاءة اللغوية يسهم في تحقيق التواصل الفعال، واكتساب المهارات اللغوية من استماع وتحدث وقراءة وكتابة، ومن ثم القدرة على إكسابها لأقرانهم وذويهم بعد ذلك، كما أن هناك حاجة ماسة لتدريب الطلاب على الكفاءة الاتصالية في أثناء إعدادهم- كمعلمين- في كليات التربية، حيث إنها تؤدي دورًا مهمًّا في تحصيلهم اللغوي بصفة عامة.

وبهذا تتضح أن الكفاءة اللغوية ليست ترفًا في العملية التعليمية يمكن الاستغناء عنها، وإنما تعد من أهم المناشط التعليمية اللغوية، والتي لها أهميتها البالغة، وفائدتها الكبيرة بالنسبة للطلاب، تلك الأهمية التي تدفع إلى الاهتمام بتعليمها، وتشجيع الطلاب على تعلمها، والحفاظ عليها، وإتقان مهاراتها وفنياتها الأساسية اللازمة لإجادة اللغة، وحسن توظيفها.

وتشير جميع الكتابات اللغوية في القرن الواحد والعشرين إلى أن كل استراتيجيات تعلم اللغة موجهة نحو الهدف الأسمى وهو الكفاءة اللغوية، وذلك يتطلب تـ[illegible] واقعيًا بين المتعلمين باستخدام اللغة في سياق ذي معنى، حيث إن استراتيجيات التعلم تساعد الطلاب على المشاركة بصورة فعلية في عملية الاتصال، وتلك الاستراتيجيات تعمل في أشكال عامة وأخرى خاصة على تطوير الكفاءة الاتصالية.

ومن مظاهر اهتمام علماء اللغة والتربويين بالكفاءة اللغوية تحديد مهاراتها المختلفة، ومستوياتها وأنماطها، وكذلك تحديد الأساليب والإجراءات التي تسهم في تنميتها لدى الطلاب، ولقد تعددت الدراسات العلمية والكتابات التربوية والمحاولات اللغوية التي اهتمت بتحديد مهارات الكفاءة اللغوية.

وإذا كانت الدراسات التربوية وأدبيات تعليم اللغة قد أشارت إلى تحديد مهارات الكفاءة اللغوية في مهارات تتعلق بالقراءة (الفهم القرائي)، والصحة اللغوية (القواعد والتراكيب)، والكفاءة الاتصالية التي تشمل الكتابة، وكفاءة الخطاب، وكفاءة المفردات، والجودة اللغوية، فإن هذا يرجع إلى اشتمال مهارات الفهم القرائي على عدة مهارات فرعية أخرى تتعلق بالجودة اللغوية مثل: التفسير، والتحليل، والنقد، والاستنتاج، وتقويم النص، وتحديد الأفكار الرئيسة، وتلخيصها، والعناية بالمعنى أثناء القراءة، ومهارة كفاءة فهم المفردات كمهارة رئيسة تتضمن عدة مهارات فرعية مثل: تذوق الكلمة ونقدها داخل السياق اللغوي، والوعي بها، وإدراك العلاقات المتعددة بين الكلمات، والاشتقاق، والتضاد، والمقابلة، واستخدام المعجم.

ومما يلفت النظر في وقتنا الحاضر- رغم ما تم ذكره من أهمية الكفاءة اللغوية- أننا نرى المتعلم يدرس اللغة العربية سنوات طويلة، وعلى الرغم من ذلك فإننا نراه بسيط الفكرة لا يعبر، ملتوي اللسان لا يبين، مضطرب القلم لا يُفهم، عاجزًا عن إقامة فقرة لغوية صحيحة، أو التعبير عن أفكاره بلغة خالية من الأخطاء.

أثر السياق في التنوعات الأسلوبية في القرآن الكريم

عثمان إسماعيل حسين

نشطت في الآونة الأخيرة مباحث الدراسات اللغوية بكل اتجاهاتها، وأخذت الرسائل العلمية تستلزم في مناهج البحث بها تحري الدقة والتي تصل إلى درجة المبالغة التي تخدم ذات الموضوع، ومن هنا كان لزامًا على الباحث أن يكون مسلما في ذاته بثقافة الموضوع الذي يريد الولوج إلى عالمه مهما يواجه من عقبات وتحديات تفرض عليه التأني والاتئاد والتريث، خصوصا إذا كان الموضوع يتصل بالدراسات القرآنية مما يجبر الباحث أن يعيش عالمًا من التراث برؤية عصرية في خوف وإشفاق.

من هذا المنطلق كانت رسالة الدكتوراه التي تقدم بها الباحث رجب عبدالفتاح إلى قسم علم اللغة بكلية دار العلوم جامعة المنيا تحت عنوان «أثر السياق في التنوعات الأسلوبية في القصص القرآني.. دراسة تحليلية»، وتأتي أهمية الدراسة لكونها تتصل بكتاب الله الحكيم الذي لا ينضب بحثًا ولا إعجازًا حتى يوم الساعة، فهو المنهل والمورد لكل من يريد أن يروي ظمأه ويبل صداه، والأمر الثاني هو المغامرة الشديدة التي تحملها الباحث متحديًا في صبر شديد اقتحام عالم اللغة عامة وهذا المبحث خاصة حيث تحمل ما تحمل في سبيل ما يصبو إليه، فجاءت الرسالة ناطقة بمعاني الهيبة والوقار والقيمة العلمية، ما يجبر المتلقي على الاطلاع عليها فهمًا وتذوقًا.

تقع تلك الرسالة في أربعمائة وثلاثين صفحة، هدفها العلمي هو دراسة السياق بنوعيه اللغوي والمقامي في تنويع الأساليب في القرآن الكريم، وقسم الباحث رسالته إلى مقدمة وثلاثة فصول.

- تناول في الفصل الأول أثر السياق في التنوعات الأسلوبية في الجملة الاسمية وجاءت في ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: التنوعات الأسلوبية في الأنماط الرئيسية، وبه دراسة أثر السياق فيها.

المبحث الثاني: تناول فيه التنوعات الأسلوبية في الجملة الاسمية في الأنماط المحولة وبه وصف للصورة وأثر السياق فيها.

المبحث الثالث: تناول الباحث الأسلوب في الجملة الاسمية المنفية ودراسة أثر السياق فيها.

- أما في الفصل الثاني: فقد تحدث في الجمل الإنشائية، وبه أربعة مباحث.

المبحث الأول: دراسة التنوعات الأسلوبية في الاستفهام، وبه وصف ودراسة لأثر السياق فيها.

المبحث الثاني: فقد تناول فيه التنوعات الأسلوبية في الأمر وبه وصف لصورة ودراسة لدور السياق في التنوع.

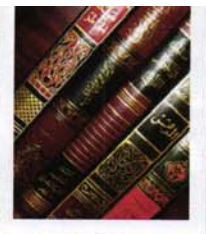
المبحث الثالث: فقد درس التنوع الأسلوبي في النهي، وبه وصف لأنماطه وتحليل لدور السياق في تنوعها.

- واختتم الباحث الفصل **بالمبحث الرابع** وتناول فيه التنوعات الأسلوبية في النداء، وبه وصف لأنماط وتحليل لدور السياق في تنوعها.

مما سبق يتضح لنا أن الباحث بذل مجهودًا ضخمًا في تحليل مئات الآيات القرآنية من خلال السياق اللغوي والمقامي، مبينًا أثر ذلك في صور الاختصار والتوسع وأنواعه وصور التشابه



أديب إسلامي





والتخالف إلى غير ذلك من الدراسات الجادة التي اشتمل عليها البحث.

ومن خلال تلك الدراسة القيمة توصل الباحث إلى ما يلي من نتائج:

إن المبتدأ بصورة الضمير هو الأكثر استعمالاً في كل من الجملة الاسمية والجملة الفعلية.

إن التضمين ينقل الفعل من اللزوم إلى التعدي ومن التعدي إلى اللزوم.

إن الاسمين الكريمين (الله) و(رب) إذا اخبر عن أي منهما لزم أن يتعدد الخبر إلا إذا كان الخبر مجردًا من (أل).

إن التنوع الأسلوبي بين الجملة الاسمية والفعلية وكذلك التنوع المعجمي بين العناصر اللغوية لا يكون إلا وفق متطلبات السياق، من مثل التركيز على الحركة في جملة ﴿فإذا هي حية تسعى﴾ والتركيز على الشكل في جملة ﴿فإذا هي ثعبان مبين﴾.

إن خروج العناصر اللغوية المكونة للجملة عن النسق المألوف أو عن القواعد التي قننها النحاة يكون تبعًا لحاجة المتكلم ومقتضيات السياق.

إن خروج الجملة عن نسقها المألوف ليس انحرافًا ولا انتهاكًا ولا انزياحًا كما يسميه اللغويون المحدثون، وإنما هو استغلال لإمكانات اللغة وطاقاتها التعبيرية غير المحددة.

أهمية الدراسة تأتي لكونها تتصل بكتاب الله الحكيم الذي لا ينضب بحثاً ولا إعجازاً

إن جرس الحروف يرتبط بالسياق، فكلمة مثل الفعل «حصحص»، بحروفه المتكررة له علاقة بالسياق الذي يعبر عن ظهور الحق بصورة متكررة بحيث لا يمكن إنكاره.

إن امتداد الصورة بالحرف له علاقة بالسياق بشقيه كما في الفعل (جاء) في جملة ﴿فجاءته إحداهما تمشي على استحياء﴾، «إذ لا يصلح مكانه الفعل أتى».تبين من الدراسة أن معنى الفعل (جاء) يختلف في الدلالة المعجمية عن معنى الفعل (أتى) مع أن بعض القدماء ساوى بينهما.

دلت قرائن الحال والمقال على أن الفعل (واعد) يتعين في استعماله تحقق اللقاء بين المتواعدين، أما الفعل (وعد) فلا يكون فيه ذلك ولا يشترط وقوعه.

إن نداء الاسم الكريم (رب) سقطت مع أداة النداء في كل آيات القرآن الكريم إلا في موضعين ذكرا على سبيل الحكاية.

ثم اختتم الباحث رسالته بالخاتمة، ثم قائمة المصادر والمراجع، وملخص باللغة الانجليزية، وبعد مناقشة استمرت قرابة الخمس ساعات أفاض فيها الباحث عن علمه وثقافته وقراءاته وأبدع فيها الأساتذة المناقشون من فيض علمهم الغزير.فقررت اللجنة برئاسة الأستاذ الدكتور صلاح الدين مصطفى بكر الأستاذ بكلية دار العلوم بجامعة الفيوم، منح الباحث درجة دكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى.



المُغَلَّفُ الأخير

علي محمد محاسنه*

في طريق عودته من صلاة الفجر كان يجهد في الوصول إلى أحق المحتاجين.. وهؤلاء في نظره هم عمالُ النظافة الذين يجمعون النفايات ويكنسون الشوارع في تلك الساعة بلباسهم البرتقالي المميز بالشرائط الفسفورية العاكسة للضوء ليظهرهم في ساعات الليل وما قبل الشروق - وهم على حد علمه في أغلبهم-منا، ولكن من شرق آسيا.

عبدالرحمن الشاب المهندس مأخوذ بالتنظيم المبدع كما يحلو له أن يسميه.. وقدرات الحاسوب ونظرية الاحتمالات.. ولكن لابد من خطة عمل.. والأفضل هنا وبالتأكيد ألا تعلم الشمال ما تفعله اليمين.. وهكذا كانت البداية.

السلام عليكم يا عبدالرحمن، فيلتفت العامل ليرد السلام، فيضيف عبدالرحمن المهندس متسائلاً: أنت عبدالرحمن أم...؟ فإن كان كذلك فبها وإذا كان الاسم غير ذلك صححه المسؤول.. فيتأكد حينها أنه من عباد الرحمن.. وتحقق المقصود.

ظل عبدالرحمن يفعل ذلك منذ رمضان قبل الماضي، لكن منذ الليلة الثالثة من رمضان هذا العام.. والحديث المركز عن الفوز والجوائز.. والأضعاف المضاعفة.. والملايين، اكتشف أن هناك من هو أمهر أو أذكى منه فقرر اتباع طريقة جديدة، في منتصف المسافة بين بيته والمسجد عند شجرة السدر العملاقة المجاورة لمدرسة الصِّدِّيق، وقد بدأ النور يغمر المكان، لمح علَى الأرض مغلفًا مميزًا مكتوبا عليه بحروف كبيرة، «رسالة عاجلة إليك، لا تتركني على الأرض!» أثار ذلك فضوله، التقط المغلف فقرأ على وجهه الآخر «افتح المغلف، فيه هدية حلال لك، خالصة

* أديب وكاتب أردني



من أخ لك، عبدالرحمن الثاني»، هكذا الثاني! داخل المغلف وجد رسالة قصيرة، «هذه ورقة نقد (من فئة العشرة دنانير) من أخيك، أرجو أن تشهد لي معك يوم نلتقي فتعرفني وأعرفك، وهذه رفيقتها (العشرة الأخرى) أمانة عندك، لك أن تهديها إلى مسلم آخر تختاره، أو تأخذها خالصة لك أيضًا، ولك خالص شكري، وسوف نلتقي حتمًا بإذنه تعالى».

أحس بفرح طفولي عميق، هذه طريقة أفضل، أسرع الخطى إلى البيت، وخلال أقل من ساعة قبيل الشروق جهز خمسة مغلفات بالطريقة الجديدة (الأفضل) للفجر التالي.

طوال ساعات النهار الطويلة، ثم الإفطار، والعشاء والتراويح، فالقليل من النوم، ثم المسير إلى مسجد «أبوعبيدة»، كان يتحرق بشوق لبدء الطريقة الجديدة، انطلق بهمة وفرحة في العمق، وبيده مغلفات ذلك الفجر، وقد أضاف إلى عنوان كل منها حروفًا انجليزية لتسهيل الأمر.

قبل مدخل المسجد، انعطف الى اليمين، اقترب من مجمع حاويات النظافة حيث يتحتم قدوم عمال الزي البرتقالي في الصباح.. وبعناية، وزع المغلفات على الأرض، متباعدة في الاتجاهات الأربعة، لعل أكثر من يد أو اثنتين تلتقط بعضًا منها، ثم واصل بخطوات راضية هادئة إلى المسجد، وفي صدره شوق لمتابعة مرحلة ما بعد الفجر وقبيل الشروق..!

مع أول خطوة له خارجًا من المسجد، بدأ يستنشق نسمات من سعادة غامرة لم يلمح على الأرض أيًا من المغلفات التي ألقاها بين المسجد والسدرة، لكن بعد السدرة بدا له ما يشبه مغلفًا وحيدًا باقيًا في مكانه، أحس ببعض القلق للحظات، اقترب وألقى نظرة، فرح، فلم يكن من مغلفاته، واصل المسير خطوات أخرى، كانت شاحنة النفايات الضخمة وعمالها بالزي البرتقالي يحملون أكداس النفايات، لم يكن على الأرض أي من مغلفاته، فرح أكثر، واصل في خطوات أخرى إلى موضع آخر مغلفاته، وجده في ذات المكان، اقترب وبنظرة جانبية حدق في المغلف فتأكد من عنوانه، نعم كان منها.. أسرع مبتعدًا وعيناه من لحظة لأخرى صوب المغلف، لعله يرى بعينه لحظة ينتظرها، أكملت الشاحنة مهمتها وتعلق بها العمال بالزي البرتقالي ومضت بهم بعيدًا، تمنى لو جاء من يلتقط المغلف المتروك.

أخرج من جيبه أشياء راح يفتعل النظر فيها، انتظر ومرت دقائق.

من الجهة الأخرى هذه المرة، من



خلفه مر أحدهم له بشرة سمراء يرتدي إزارًا آسيويًا، كاد يدوس المغلف، انحنى والتقطه، بدأ يحاول القراءة، لم يظهر على ملامحه ما ينبئ بأنه فهم المكتوب، التفت فوجد عبدالرحمن قريبًا منه وعيناه تريان ما يجري، اقترب صاحب الإزار على استحياء وتواضع، وبتلطف قال بلكنة مألوفة مع ابتسامة متوسلة، «هذا ممكن أنت يشوف، هذا أمانة، أنا ما يعرف»، ناوله المغلف واستدار منصرفًا، لكن عبدالرحمن المتحفز لا يدع فرصته تفلت هكذا، لحق بأخيه ذاك مع أول خطوة له واضعًا يده برفق على كتفه، «لحظة يا عبدالرحمن»، أنا.. أنا أرشد.. أرشد خان»، ولم يستسلم عبدالرحمن، واسم أبيك.. فيضيف أرشد... بابا الكبير عبدالرحمن خان، وهنا بابتسامة عريضة هتف عبدالرحمن، «أيوه يا أرشد، هذا لك، شوف.. عبدالرحمن يعني أنت.. أكيد أكيد».

لكن أرشد لم يبدو مقتنعًا بهذا التفسير.. هكذا.. هز رأسه مع ابتسامة متواضعة ورد المغلف شاكرًا معتذرًا عن عدم قبوله.. أحس عبدالرحمن بشيء من الخذلان.. دارت في رأسه دواليب البحث بسرعة هائلة.. كيف؟ ما هذا الفشل؟

«انتظر يا أرشد.. تعال.. سأفتح المغلف سنجد فيه ورقتين من فئة العشرة دنانير.. ورسالة إلى عبدالرحمن» هذه هدية لك مني في رمضان.. أنا عبدالرحمن.. وأنت كذلك.. كان قصدي ألا يراني بشر وأنا...

لكنك...

بإصرار فتح المغلف وأخرج الورقتين والرسالة.. يريد إثبات...

راح يقرأها لأرشد.. ابن عبدالرحمن خان.. وبحرارة وود يضع الورقتين في كفه متوسلًا.. أن يقبلهما!

جناحا الثقافة.. الأدب والعلم

لمّا تزل العلاقة بين الأدب والعلم مثار جدل وخلاف، فمازال كثيرون يرون أنهما نقيضان لا يجتمعان، ويستغربون ويستهجنون، بل ويستنكرون على من يجمع أو يدعو إلى الجمع واللقاء المشترك بينهما، وبناءً على ظن، وإن الظن لا يُغني من الحق شيئًا، توهم البعض أن ثمة نزاعا بين هذين الرافدين الثقافيين، وكيف للمرء أن يطير بهما؟ يكفيه جناحَ واحدَ منهما، لكنه سيبقى على الأرض لا يستطيع التحليق في السماء.. سماء الأدب والعلم معا.

ليس من شك في أن للأدب ذاتيته وموهبته، وللعلم موضوعيته ونسقه. الأدب رحم منه يولد الناس، ودنيا فيها يعيشون ويكبرون، يتشوقون ويضحون، يحبون ويكرهون، يفرحون ويحزنون، ينتصرون ويهزمون، يسعدون ويتألمون، يبدعون ويجسدون، يحلمون ويتطلعون، ثم يموتون. وللعلم تجريداته ونظرياته، معادلاته ورياضياته، مصطلحاته ومختبراته، كيمياؤه وفيزياؤه، ذراته ومجراته، أحياؤه وجيناته، رموزه وآثاره العقلية والتقنية والاجتماعية المباشرة وغير المباشرة... الخ. للأدب عالمه الخاص من العقائد والآراء والدوافع والمشاعر والأفكار والثقافات.. عالم التواصل الشفهي والكتاب، عالم اللغات وإيحاءاتها وتلميحاتها، وغموضها ووضوحها، وشعرها ونثرها، جميلها وبديعها، وآثارها المتنوعة فكرًا ووجدانًا، ثقافة وعرفانًا. وللعلم طرائقه في البحث، وأسلوبه ونهجه في التفكير، سواء أكان موضوعه الفيزياء أو التاريخ، الطب أو الفلسفة أو غيرهما.

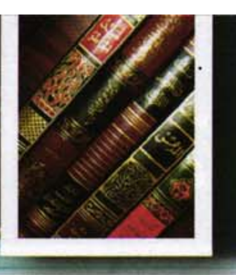
لقد ظن البعض أن من يدرس الأدب «أديب»، وأن دارس العلم «عالم، لكن شتان بين الدراسة والممارسة. فعبر حضارتنا العتيدة كان ومازال لدينا مفكرون وأدباء وشعراء وفنانون لهم أياديهم وأفكارهم وآرؤهم ومدارسهم ودراساتهم العلمية. وهناك أطباء ومهندسون وكيمائيون... الخ يُقرضون الشعر، ويكتبون المقال والقصة والرواية والمسرحية، ويبدعون في الفنون التشكيلية... الخ.

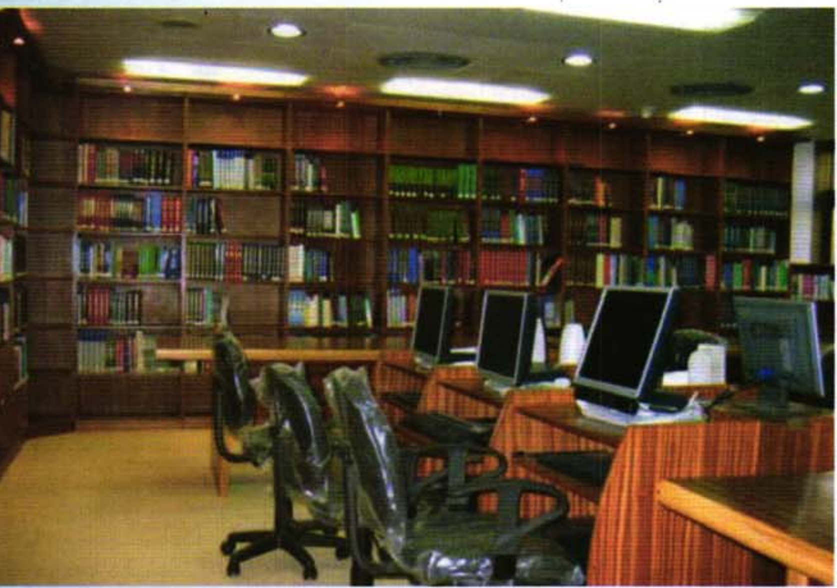
> **حضارتنا العربية الإسلامية أنتجت علماء عباقرة لم يكن لديهم فاصل بين أدب وكيمياء وفلك وطب وحساب وشعر**

إن المتأمل يلاحظ أن العقل الإنساني غير محدود بقدراته وإدراكاته وما يمكن للإنسان أن يتقنه في حياة واحدة، فالمرء يمكنه إتقان أكثر من لغة، ويتبحر في علوم ونحويات وبلاغة لغته الواحدة الخاصة، ويتقن في ذات الوقت أصول الحساب والجبر والرياضة العقلية، وبالتدريب والمران والممارسة يمكنه إتقان علوم مختلفة وأمثلة وشواهد الماضي العربي والمسلم تثبت ذلك.

لقد أنتجت حضارتنا العربية الإسلامية علماء عباقرة أفذاذًا موسوعيين، لم يكن لديهم ثمة فاصل بين أدب وفلسفة، وكيمياء وفلك وطب، وحساب وشعر، وموسيقى وفكر. فمن «الكندي» فيلسوف الفلاسفة العرب، و«الفارابي» المعلم الأول، و«أبوالريحان البيروني» العالم الموسوعي، و«الخوارزمي» أول من اخترع الصفر، و«عمر الخيام» الشاعر والفيلسوف «اللغز»، ونظرياته في الهندسة الجبرية، و«ابن رشد» الفيلسوف الطبيب، و«ابن خلدون» العبقري «السوسيولوجي»، و«الإدريسي مؤسس علم الجغرافيا، و«ابن بطوطة» أمير الرحالين، و«ابن حزم» درة الأندلس وإمامها الأشهر... الخ. ومن «الرازي» الطبيب الفيلسوف، و«جابر بن حيان» أبوالكيمياء، و«الزهراوي» أبوالجراحة، و«ابن سينا» الشيخ الرئيس، و«البتاني» بطليموس العرب، و«ثابت بن قرة» إقليدس العرب، و«ابن البيطار» أعظم عباقرة الأعشاب والنباتات والصيادلة العرب، و«ابن الجزار القيرواني» الطبيب الماهر، و«ابن النفيسط» إمام الطب، و«ابن الهيثم» أمير النور والبصريات، و«ابن باجة» الطبيب والفيلسوف، و«عباس بن فرناس» أول كابتن طيار في التاريخ، وصولًا إلى د. «إبراهيم ناجي»، د. «أحمد زكي»، د. «رشدي راشد»، د. «مصطفى محمود»، د. «أحمد مستجير»، د. «عبدالوهاب المسيري»، د. «عبدالمحسن صالح»، د. «محمد المنسي قنديل»، وغيرهم كثير.

لقد كانوا في مختبراتهم، ومشفاهم، ومعاهدهم وجامعاتهم، يصولون ويجولون، يمزجون ويختبرون، يشرّحون ويعالجون، يدرسون





ويحاضرون، يقيسون ويشيدون، كما نراهم في مكاتبهم ومكتباتهم يحللون الكلمات، ويستخرجون المعاني، ويصوغون الأفكار والرؤى والفلسفات، يبدعون الأشعار والقصص والروايات. لقد كانت «الفلسفة» كذهنية منطقية ومنهجية عقلية تحليلية كانت رابطا وقاسما مشتركا بينهم وبين علومهم المختلفة التي أتقنوها.

ولعل تجربة كل من «الفراهيدي»، و«سيبويه» أبلغ شاهد في هذا المضمار. فالاثنان نظرا في الآثار الأدبية نظرة العالم الباحث عن القوانين الديناميكية التي تقف خلف «عمل النظام»، فأنتج الأول علم العروض، وأبدع الثاني علم النحو، وكلاهما علمان صرفان يخضعان للمنطق الرياضي. في حين أن هناك من لا يزال يدرس «المقالة النقدية» كضرب من ضروب الإبداع الأدبي، لها سماتها الإبداعية الخالصة، ولا تنتمي بصلة إلى العلوم الصرفة.

يقول د. «أحمد زكي» موضحا نهجه العلمي/ الأدبي: «الفارق بين العلم والأدب مفتعل، وهو أكثر افتعالا في الشرق. فكل كاتب في الشرق مفروض أن يكون أديبًا ولو كان عالمًا.. ومن غرائب الشرق أن يستغرب أن يكون العالم أديبًا» (حديث الزمان، د. أحمد زكي، كتاب الهلال، العدد: ٦٠٣، مارس ٢٠٠١، ص:١٧، مصر).

إلى متى الجفوة بل الجفاء؟

الحلول للمشاكل المتنوعة تكون إبداعية بقدر ما يتوافر فيها سمات: الأصالة، والمرونة، والطلاقة، ومن هذه العناصر يمكن فهم عملية الإبداع الأدبي، فعلى الأديب أن يستخدم ذات الأدوات التي استخدمها الآخرون وينصاع لذات القوانين التي اتبعوها وينتج عملا مبتكرا أصيلًا. لكنه لن يستطيع فعل ذلك ما لم يكن لديه من المرونة ما يمكنه من الإفلات من تلك القوانين الصارمة دون أن يخرقها، وما لم يمتلك الطلاقة التي تجعله قادرا على تكرار تجربة الإفلات تلك بشكل متناسب ومناسب. فالعمل الأدبي عمل إبداعي بما فيه من تحد للنظام الصارم القاهر، فهو عمل مبتكر يتشكل بنمط غير متوقع على الرغم من اتباعه قوانين رياضية صارمة.

ثمة محاولات للوصول إلى «علم» متكامل قادر على تفسير كل «الظواهر الجمالية في الأدب». بينما يبقى على الأديب السعي، حثيثا، للكشف عن كل القوانين الحركية التي تفعل فعلها في صنع الجمال الأدبي. مهمة لا يمكن الوصول إليها إلا باتباع سبل البحث العلمية الصرفة المعتمدة على الرياضيات والمختبر.

وعلى الجانب الآخر يؤكد كثيرون على أن الدولة العربية الحديثة لم تهتم اهتماما كافيًا بالعلم كقيمة اجتماعية، حيث كان يتم الاهتمام بالتقنية/ التكنولوجيا/ الاستيراد/ الاستهلاك أكثر من العلم/ التنظير/ الإنتاج/ التصدير، أو بالأبحاث التطبيقية أكثر من الأبحاث العلمية النظرية. لأن مفهوم العلم كان ومازال تطبيقيا.

ويذهب د. «زكي نجيب محمود» في مقال له ضمن كتابه «مجتمع جديد أو الكارثة، ط ٤، ١٩٨٧، ص:١٥٢»، إلى أن «التقاء الأدب بالعلم، إنما هو التقاء غير مباشر عن طريق إدخال التطبيقات العلمية وأسلوبها في شرايين الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، دخولا يُحيل هذه الحيوات علمًا مُجسدًا» ثم يضيف: «بعدئذ يجيء العالم لينفعل بالحياة المحيطة به على ما هي من صبغة علمية، فيتأثر بها وينفعل، فيبرع، ويُثري».

فصفة «العلمية» صفة منهجية بمعايير معينة إذا توفرت في التفكير أصبح علميا بغض النظر عن موضوع البحث. فـ «العلم هو مجموعة معارف وأبحاث على درجة كافية من الناحية الوحدة والعمومية، ومن شأنها أن تقود المشتغلين بها إلى استنتاجات متناسقة، لا تنجم عن مواضعات ارتجالية ولا عن

أذواق أو اهتمامات فردية تكون مشتركة بينها، بل تنجم عن علاقات موضوعية تكتشف بالتدرج وتتأكد بمناهج تحقق محددة» (موسوعة لالاند الفلسفية، ص١٢٤٩).

وليس من شك في أن التخصص الدقيق في فروع العلوم والمعارف يفرض عدم إمكانية تجاوزها بغير تعلمها وإتقانها والتبحر فيها. وفي نفس الوقت فهناك ضرب من «أصول» الفكر والعلم الذي يعتمد العقل الذي هو مناط البحث والتحليل والتفكير وهو «الفلسفة» المقرونة بالثقافة الواسعة.

فالمعماري المتخصص تخصصا دقيقا في التصميم الحضري، لا يمنعه مانع من التثقيف والمثاقفة والإلمام بتاريخ العمارة ونظرياتها أو تاريخ الفن/ الأدب عموما، الخ إلماما يقترب من دائرة تخصصه. كل هذا مقرون بتملك ذهنية برهانية تحليلية تعتمد العقل والمنطق في القراءة والتحليل. وذات الأمر ينطبق على متخصص في علوم الطب والتشريح وعلوم الأدوية فلا يمنعه مانع من الإلمام بفروع من الطب/ العلم/ الثقافة تقع خارج دائرة تخصصه العامّ أو الدقيق وهكذا.

لعل مشكلة الأدب/ العلم في الثقافة العربية هي إشكالية مرتبطة بجوانب الحياة وتنظيماتها المتنوعة. يدلل الواقع على أن العلم والأدب كلاهما لا يتقدمان ويبدعان إلا في ظل أنظمة ومؤسسات ومحاضن فكرية واقتصادية واجتماعية وتعليمية وإعلامية متعافية.

ولنا وقفة متأنية مع الشاعر «معروف الرصافي»، وهو يدلي بدلوه في هذا الشأن فيقول:

أدب العلم، وعلم الأدب
شرف النفس ونفس الشرف
بهما يبلغ أعلى الرتب
كل رام منهما في هدف

لقاء علم الأدب وأدب العلم يمهّد لثقافة تطير بجناحين لا يرتفع شأن أمة إلا بهما

أيها السابح في بحر الفنون
غائصًا في لُجَجها الملتطِم
أنت واللّه على رغم المنون
ذو وجود قاتل للعَدَم
قرنك الحاضر من أرقى القرون
خضع السيف به للقلم
فإذا شئت بلوغ الأرَب
فاغترف من بحره وارتشف
فالمعالي أودعت في الكتب
كاللآلي أودعت في الصَّدَف
يا عهود العلم ما شئت اندبي
يا عيون المجد ما شئت اذرفي
هل أتاك الدهر فيما قد أتى
بحديث العُرب في الأندلس
حيث بالعزم أماطوا العَنَتا
وبنور العلم ليل الهَوَس
فاسألنّ الغرب عمّا ثَبَتا
في ربوع خلّفوها دُرُس
هل ترى ثَمّةَ من لم يُجب
عن معاليهم ولم يعترف
آه لو يرجع ماضي الحُقُب
آه لو عاد زمان الشرف
يا بني يعرب ما هذا المنام
أو ما أسفر صبح النُوَّم
أين من كان بكم يرعى الذمام
ويُلبّي دعوة المُهتضَم
أفلا يلذعكم مني الملام
فلقد ألفظ جمرًا من فمي
خارجًا في نَفَس كاللهب
مُحرقا مهجة قلبي الدَنِف

أنا لولا فيض دمعي السَكِب
لتَحرّقت بنار الأسَف
يا شباب القوم لولاكم لما
ساغ لي العذب وما أن لذّ لي
أنني أُبصر منكم أنجُما
لامعات في ظلام الأمل
فاصبروا اليومَ على حرّ الظما
كي تنالوا الريّ في المستقبل
واتعبوا اليوم فعُقبى التعب
راحةٌ مُشبَعة بالتَرَف
لتَقُونا أسوأ المنقلَب
إذ بناء القوم هاري الجُرُف
يا شباب القوم هُبّوا للبراز
فبكم يَبسم ثغر الوطن
وارفلوا إما بثوب الاعتزاز
أو بثوب هو ثوب الكفن
وأعدّوا العلم لاَ السيف الجُراز
إنه عُدّة هذا الزمن
بسواه العزّ لم يُكتسَب
وهو المُنصف للمنتَصِف
إنه واللّه لا عن كذب
شرف النفس، ونفس الشرف

إنها دعوة لمشاركة أهل الاختصاص والبحث العلمي في الحياة الثقافية كتفا إلى كتف مع نظرائهم من أهل الأدب، فيزيدونها تراكما على تراكم. إنها دعوة لإيجاد لغة مشتركة بين العلم والأدب يستفيد منها العامة بحيث لا يبقى التخصص حكرا على أهله يختفي باختفائهم. إن اجتماع الأدب بالعلم يقلل من جفاف النظرية العلمية وينشرها للعامة كما أن العلم يكشف خفايا نفس الأديب.. شاعرا أو ناثرا أو فيلسوفا ويفسر سبب بروزه وتميزه وتأثيره على مجتمعه.

خلاصة الأمر: «على كل فن أن يصبح علمًا، وعلى كل علم أن يصبح فنا». إن اللقاء الرائع، لقاء العلم بالأدب «علم الأدب، وأدب العلم»، والصفاء والوئام بينهما يمهد لثقافة تطير بجناحين، لا ينهض مجتمع، أو يرتفع شأن أمة إلا بهما.



الاستشراق الأدبي والإسلام

محمود عبدالعزيز راضي

لقد كان الإسلام بعقيدته وشريعته وسيرة رسوله لدى أدباء أوروبا - مرتعًا خصبًا للتشويه، وعملاً مقدسًا للتمويه منذ أن ظهر، فلم يحفل هؤلاء الأدباء والكتّاب إلا بهذا الأمر الذي أناطوا أنفسهم به، معتبرين إيّاه وعادّينه عملاً مقدّسًا، دفاعًا عن المسيحية الآخذة في الذبول، نتيجة انتشار أسواق الجدل في روما وبيزنطة حول أسماء الله وصفاته، وفي هذا السياق يقول الباحث ميلود عبيد منقور: «الأدب بمختلف أجناسه كان مطية اتخذها الغرب للدفاع عن مسيحيتهم ونشر تصورات غربية خطيرة في منتهى الخيالية المرضية والتوهم عن الإسلام»(١).

الأديب توفيق الحكيم تعجب من مسرحية فولتير «محمد أو التعصب» واتهمه بمجاملة الملوك والبابوات

من الأدباء الذين اتخذوا من الأدب وسيلة للدفاع عن المسيحية إلى جانب تحقيق مطامحهم الشخصية على حساب الإسلام الأديب والفيلسوف العالمي الفرنسي الشهير فولتير. ففي عام ١٧٤١م كتب فولتير مسرحيته «مُحَمّد أو التعصُّب»، وفي هذه المسرحية اتّهم فولتير الإسلام بخطف النساء وحملهنّ على الإيمان، وشكك في أحاديث الرّسول ﷺ مع سفير الوحي جبريل عليه السلام(٢).

والأمر الذي يسترعي الانتباه في هذه المسرحية؛ أنّ فولتير بحماقته الأدبية اتهم النّبي بكثير من الصفات غير اللائقة بسيدنا محمد ﷺ. وهذه كلُّها مزاعم لا تعتمد على أيّ أساس من الواقع ولا من التاريخ، وتدخل كلُّها في باب التشويه والتخمينات والظنون. كما أنّ وصفه للنبي مُحَمّد كما يقول المستشرق والمفكر الإسباني Juan Goytisolo جاء «مصاحبًا لنعته إيّاه بالإهانة في شخصه وفي المعجزات التي أتى بها»(٣).

والعجيب أنّ فولتير كان يتفاخر بهذه النزقات الأدبية الصبيانية التي أسقطها على شخصية النّبي ﷺ رغبة في الشهرة والتزلف إلى الملوك والرؤساء في عصره.

وقد مُثّلت هذه المسرحية بمدينة «ليل» الفرنسية أولاً عام ١٧٤١م، ثمّ قدّمتها الكوميدي فرانسيز في باريس عام ١٧٤٢م، وأدّى عرضها إلى احتجاج السفير التركي في فرنسا، وعَقَدَ مؤتمرًا دعا إليه كتّاب فرنسا الأحرار، ومن ثَمّ أوقفت الحكومة الفرنسية عرضها؛ فلم تزد حفلاتها على الثلاث، وظلّت بعد ذلك تسعة أعوام مختفية في الظلام(٤).

ويرجع الفضل في منع عرض هذه المسرحية الهزلية الساخرة إلى السلطان عبدالحميد الثاني- رحمه الله- فقد أبرق إلى الحكومة الفرنسية برسالة حملتْ بين دفتيها إنذارا شديد اللهجة، قائلاً فيها «لو قمتم بتمثيل هذه المسرحية التي تستهدف رسولي ورسول جميع المسلمين فإنّني سأثير جميع العرب وجميع المسلمين ضدكم»(٥). وبناء على ذلك تم منع عرض المسرحية نتيجة لهذه الضغوط السياسية وقيل: كذلك لضغوط كنسية(٦) لكن يبدو أنّ الضغوط السياسية كان لها من القوة والاعتبار الحيِّز الأكبر.

وقد أرجع كثير من النقاد(٧) موقف فولتير من الإسلام في هذه المسرحية إلى رغبته في نقد الكنيسة وضرب الستار الحديدي الذي أقامته على حرية الفكر غير أن هذا الرأي الذي توافروا عليه لا يصمد أمام الحقيقة؛ لأنّ اشتغال فولتير كسائر أدباء أوروبا بتشويه الإسلام كان انطلاقًا من قناعته بالمسيحية، ونابعًا من إيمانه بها كعقيدة ليس فيها الصكوك وحماقات رجال الدين وليست المسيحية جملة وتفصيلاً؛ حيث كان يرى أنّ المسيحية بهذه الصورة عائقة عن مسايرة الرقي والعلم وركب سلم التقدم والمدنية.

وبما أنّ فولتير قد حاد عن توخّي الأمانة العلمية وترسُّم الموضوعية في أعماله الأدبية وبخاصة المسرحية، وعلى سبيل الخصوص «مُحَمّد أو التعصُّب»، فلا شك إذن أن يقابل بسهام من النقد والتجريح من جانب المفكرين والكتّاب الشرقيين والغربيين في عصره وما يليه من عقود لاحقة. فقد لقي ما حكاه وأبدعه من تخرّصات وخزعبلات عن الإسلام ونبيه هجومًا حادًا من قبل المهتمين بشأن فولتير وأعماله والمختصين بالعلاقات الإسلامية

باحث بالماجستير - جامعة القاهرة



والغربية، نتيجة لإفراغه الحقائق اليقينية المسلّم بها عن الإسلام ونبيه والتي يؤمن ويسلّم بها مئات الملايين من البشر من سياقاتها التاريخية ومضامينها الحقيقية.

لقد هاجم المستشرق الألماني الشهير جوستاف بفانموللر عمل فولتير وعدّه خارجًا عن مراعاة الحقائق التاريخية، وموغلاً في الوهم والخيال، مشيرًا بذلك إلى أنّ فولتير استغلّ توظيف الصّورة السيئة للنبي لدى الغرب في ذلك الوقت في نسج الخيالات والأوهام عن نبي الإسلام.

يقول Gustav fannmuelle «أمّا فولتير فقد كتب روايته المأساوية «مُحَمَّد أو التعصُّب» دون أن يراعي الحقائق التاريخية، وقد كان فولتير مقتنعًا بأنّ كتابه المنبثق من خياله يتناقض تناقضًا حادًّا مع التاريخ، ومع ذلك فقد أراد أن يعرض على الجمهور شخصية تارتوف ممسكًا سلاحًا في يده، وكان يعتقد أنّه يستطيع أن يعير مُحَمَّدًا هذا الدور، ولكن فولتير لم يكن له أن يفعل ذلك لو لم يكن التصور السائد حينذاك هو أنّ مُحَمَّدًا يمثل التعصُّب والتضليل الديني»(٨).

هذا، وقد ظلّت أعمال فولتير الأدبية مجالاً خصبًا للنقد والفحص من جانب الأدباء، نظرًا لتلبُّس صاحبها بكثير من الشبهات التي تدور حول أعماله الأدبية، فحينما قرأ الأديب العربي توفيق الحكيم مسرحية فولتير «مُحَمَّد أو التعصُّب» تعجّب لأمر فولتير وأحال عمله المسرحي إلى رغبة فولتير في التملق والتزلُّف من الملوك والبابوات.

يقول توفيق الحكيم «عظم عجبي لأمر فولتير، وسألتُ نفسي طويلاً: أيستطيع عقل مثقف كعقل هذا الكاتب العظيم أن يعتقد ما يقول؟ دين تبعه آلاف الملايين من البشر على مدى الأجيال هو في نظره حقًّا دين كاذب؟! ومبادئ إنسانية كالتي جاء بها الإسلام هي عنده حقًّا مبادئ بربرية! أم إنّه التملق والزلفى والنفاق. وإنّ الزمن والتاريخ يضعان أحيانًا أقنعة زائفة على نفوس تزعم أنّها خُلِقَتْ للدفاع عن حرية الفكر. منذ ذلك اليوم وأنا أحس كأنّي فجعت في شيء عزيز لدي: (الإيمان بنزاهة الفكر الحر).

ولقد كنتُ أحيانا ألتمس الأعذار لفولتير، وأزعم أنّه قال ما قال لا عن مجاملة أو ملق، بل عن عقيدة وحسن طوية استنادًا إلى علم خاطئ بأخبار النّبي ولكن كتابه إلى البابا كان يتهمه اتهامًا صارخًا ويدع مجالاً للشك في دخيلة أمره».

وأضاف توفيق الحكيم قائلاً، منتقدًا صنيع فولتير الأدبي «إنّي قرأتُ لفولتير كتبًا أخرى كانت تكشف عن آراء حرة حقًّا في مسائل الأديان، وتنم عن روح واسعة الآفاق تكره التعصُّب الذميم، فما باله عندما عرض لذكر مُحَمَّد والإسلام كتب شيئًا هو التعصُّب بعينه، تعصُّب لدينه، ذهب فيه إلى حد السجود وتقبيل الأقدام لا لربِّ العزة والخلق، بل لبشر هو رئيس الكنيسة التي ما أرى أنّ فولتير كان في ذات يوم من خدّامها المخلصين! هي الأطماع التي تدفع فولتير فيما أرى إلى التمسح بأعتاب الملوك والبابوات، ولقد يقدّم ثمنًا لذلك أفكاره الحرة أحيانًا. منذ ذلك الحين وفولتير عندي متهم ولن أبرئه أبدًا، ولن أعدّه أبدًا من بين أولئك العظام الذين عاشوا بالفكر وحده وللفكر. وأحسب أنّ التاريخ العادل سوف يحكم عليه هذا الحكم»(٩).

ولم يكن صنيع فولتير المسرحي الأدبي الهزيل بعيدًا عن توجيه سهام النقد إليه من قبل القائد الفرنسي الشهير نابليون بونابرت؛ فقد انتقد مسرحية فولتير هذه لتزييفه الحقائق التاريخية عن النّبي قائلاً «إنّه قد تخلّى هنا عن التاريخ والضمير الإنساني»(١٠).

أما وقد «استمتع الآن فولتير حينًا بالشهرة والمال دون أن يكدّرهما مكدر»(١١) نتيجة لصنيعه هذا- من اختلاق الأكاذيب وبث ثقافة التجهيل- إلا أنّ نهجه لم يدم على هذا الحال وهو من المحال؛ فالشهرة قد أوسعته ضربًا، قد علم الجميع به، طار ذكره في الآفاق واستُقبل بالحفاوة والترحاب، ومع بلوغه من الكبر عتيًا وتحليه بالشجاعة الأدبية والأمانة العلمية، وبعيدًا عن عالم الشهرة التي حققها، آبَ فولتير عن صنيعه، تركه، اعتزله، أوَ كفى؟

أزمع الكاتب والفيلسوف الفرنسي الشهير Fancois Maie Aouet بفولتير المسير نحو الحقيقة، تاركًا عالم الخيال والفانتازيا وراء ظهره، ولذا أغدق الثناء على رسول الله مُحَمَّد ﷺ بعيدًا عن



فنون الأدب، بعيدًا عن المهمة المقدّسة، بعيدًا عن عهد مليء بالتعصّب والحقد واللاموضوعية، فقد لهج لسانه بالثناء على خير الأنام إحقاقًا للحق وإقرارًا بالفضل. وتشير الباحثة البريطانية كارين أرمسترونج إلى شيء من ذلك، فتقول: «لما أراد فولتير أن يبيّن كم كان مُحَمَّد متسامحًا، وكم كانت المسيحية متعصّبة في كتابه «مقالة في الأخلاق»، فقد أغدق الثناء على الإسلام بسبب تسامحه»(١٢).

وممّا كتبه وجاء في «مقالته عن الأخلاق»- المطبوعة ضمن قاموسه الفلسفي، المنشور عام ١٨٣٥م- تعريته للوهم الخاطئ حوْل فرية السيف، التي طالما دندن الغربيون حولها، فقد كتب يقول «إنّ الإسلام الذي يعتنقه أكثر من نصف من يعيشون في نصف الكرة الأرضية ما كان أبدًا بواسطة السلاح، وإنّما انتشر بالحماس، وبالقدرة على الإقناع، ثُمّ على وجه الخصوص بالمثال الذي ضربه المنتصرون... فبمجرد أن اجتاز العرب (المسلمون) حدود بلادهم التي لم يكونوا قد بارحوها من قبل حتّى ذلك الوقت؛ فإنّهم لم يجبروا أحدًا من الأجانب على الدخول في الإسلام؛ لقد أعطوا الشعوب التي خضعت لهم حرية الاختيار ما بين أن يكونوا مسلمين أو أن يدفعوا لهم الجزية... والقليل الذي أريد أن أقوله إنّما يكذّب تمامًا كلّ ما يقوله لنا مؤرخونا وخطباؤنا وأحكامنا المسبقة، ولكن الحقيقة لابدّ أن تُقال، وأن تصفعهم»(١٣).

وقد كان للقرآن نصيب من الثناء الفولتيري، ومن ثَمّ حلّ محلًا مرموقًا في الموضوعية المتأخرة التي تحلّى بها فولتير في شيخوخته بعد أن عاش ريعان الشباب يلصق الخزعبلات بالإسلام ورموزه ومقدّساته من خلال التوظيف الأدبي السيئ الذي اتخذه مجالا لإبداعاته؛ فقد أثنى على القرآن وانتقد رجال الأكليروس والاستشراق لما حمّلوا القرآن الكريم من الأكاذيب والسفاهات الحمقاء والمطاعن الآثمة، ولهذا قال «لا يزال القرآن في واقع الأمر يبقى ويشتهر إلى اليوم بأنّه الكتاب الأكثر تميُّزًا وسموًّا، الذي كُتبَ بهذه اللغة العربية. لقد نُسِبَ إلى القرآن ما لا نهاية له من الحماقات التي لم تُوجَد به على الإطلاق»(١٤).

هل شفع لفولتير ما قاله عن الإسلام ورسوله؟ لا، لم يكتف فولتير بإقرار تلك الحقائق وإخبار النّاس بها ومحاولات حمله إيّاهم على الإيمان والتسليم والتصديق بها، بل كان له موقف أكثر من رائع في الدفاع عن رسول الله مُحَمَّد ﷺ والاعتراف بمكانته وهو موقف تشي محصلته النهائية بما ينبغي أن يكون عليه الإنسان من تجرد وموضوعية وبحث وتقصّ أثناء سفره إلى معرفة الحقيقة، بعيدًا عن التعصّب والهوى والانسياق نحو الأهواء الشخصية والانتماءات القومية.

فحينما زار سويسرا البرنس تسينسندروف الذي تولى حكومة النمسا في شهري سبتمبر وأكتوبر سنة ١٧٦٤م، واجتمع في أحد مجالسه مع فولتير وجرى بينهما ذكر مارتن لوثر، وجون كالفن، قال فولتير للبرنس تسينسندروف «إنّهما لا يستحقان أن يكونا صانعي أحذية عند مُحَمَّد!»(١٥) وهكذا آبَ فولتير إلى الواقع، رجع إلى الحقيقة بعيدًا عن عالم الصيت، تاب من اختلاقاته وعاد إلى رشده.

ومقولة فولتير هذه لا ينبغي حملها على أيّ تأويل فاسد أو معنى بعيد يقود إليه ظنٌّ غيرُ حسنٍ، لأنّ هذه المقولة إن كان جهر بها فولتير وأعلنها على الملأ فإنّها تخرج من قريحة رجل مختلف الفكر، متباين الثقافة، فهي تُحمَل أول ما تُحمَل على الثناء الحسن والتقدير الجميل لنبي الإسلام مُحَمَّد ﷺ وغير قابلة لتأويل سيئ أو فهم مغال يتجافى مع سياق الموقف وطبيعة الحقيقة التاريخية لنبي الإسلام.

الهوامش

(١) راجع مجلة حوليات التراث، كلية الآداب والفنون، جامعة مستغانم، العدد الثالث، ٢٠٠٥م، مقال بعنوان: «صورة الإسلام في الآداب الغربية» للكاتب ميلود عبيد منقور.

(٢) راجع موقع ويكيبيديا www.wikiedia.com

Tibauna: ،٢٠٠٦-٥-٤ ،eiodico el ais Juan Goytisolo، Aticulo: Voltaie y Islam(٣)

(٤) الشرق والإسلام في أدب جوته، عبدالرحمن صدقي، ص٢٣، مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد، المكتبة الثقافية رقم ١٠، القاهرة.

(٥) انظر مقال الأستاذ محمد فتح الله كولن المعنون بـ «العثمانيون تاريخا وفكرا»، مثبت على موقعه على هذا الرابط: htt://afgulen.١٤/٧٥٨/com/content/view

Voltaie- Fiedich de Cosse، Aus dem، V. H. leschinski، hsg. Zuich ،١٩٩٢ S.١٤٦ Biefwechsel(٦)

(٧) جلّ الباحثين الذين تناولوا مسألة أو قضية «فولتير مع الإسلام» اختزلوا موقف فولتير من الإسلام في هذا الرأي وحده، ومن هؤلاء: المفكر التونسي الدكتور هشام جعيط في كتابه «أوروبا والإسلام»، ص١٩، وعبدالرحمن صدقي في كتابه «الشرق والإسلام في أدب جوته»، ص٢٢، ٢٣، والدكتور محمود حمدي زقزوق في كتابه «الإسلام في تصورات الغرب»، ص ٨٨، والدكتور خالد بن عبدالرحمن الشايع في مقاله المعنون بـ «حقيقة موقف الفيلسوف الفرنسي فولتير من رسول الله مُحَمَّد ﷺ ومن رسالته»، والمنشور في جريدة الشرق الأوسط في العدد ١٠٧٨٧ بتاريخ ٦ جماد الآخرة، ١٤٢٩هـ، ١٠-٦-٢٠٠٨م. ومن الكتاب الغربيين Islam، Euoe، and Emie، Edinbugh ،٢٦ Noman Daniel، age ،Noth Ameica ،univesity ess١٩٦٦ و جورج هنري بوسكي- Geoge Heny Bosquet في مقاله «فولتير والإسلام» المنشور بمجلة ستاديا إسلاميكا، عدد(٢٨، ١٩٦٢م).

(٨) الإسلام في تصورات الغرب، الدكتور محمود حمدي زقزوق، ص٨٧.

(٩) تحت شمس الفكر، توفيق الحكيم، ص ٢٢، ٢٣، ٢٤.

Islam، Euoe، and Emie، Noman Edinbugh univesity ،٢٩ Daniel، age ،ess١٩٦٦ Noth Ameica (١٠)

(١١) قصة الحضارة، ويل ديورانت، ج٣٥، ٣٦، ص ٦٠.

(١٢) الحرب المقدّسة، كارين أرمسترونج، ص٥٧٩.

(١٣) Dictionnaie hilosohique de Voltaie، Tome ٣ ٩٩-١٠٠ ais ١٨٣٥

(١٤) Dictionnaie hilosohique de Voltaie، Tome ٧ ٤٦

(١٥) حاضر العالم الإسلامي، لوثروب ستودادر، ترجمة: عجاج نويهض، ص٤٢.

الصعقة الغضبية على منكري العربية لأبي الربيع نجم الدين الطوفي الحنبلي

التحرير

المؤلف: سليمان بن عبد القوي الطوفي الحنبلي (ت٧١٦)
المحقق: د. محمد بن خالد الفاضل
الناشر: مكتبة العبيكان

وهذا الكتاب من أفضل الكتب التطبيقية لتخريج الأحكام الفقهية على قواعد اللغة العربية.

ويتكون الكتاب من أربعة أبواب:

الباب الأول: في ذكر السبب الموجب لوضع قانون العربية ومن وضعه.

الباب الثاني: في الدلالة على فضل علم العربية من الكتاب والسنة والآثار وصريح العقل.

الباب الثالث: في بيان فضل من تحلى بهذا العلم وذم من عطل منه أو أخطأ فيه أو عيب عليه.

الباب الرابع: في بيان كون هذا العلم أصلًا من أصول الدين ومعتمدًا من معتمدات الشريعة.

ويتكون الباب الرابع من ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في بيان تأثير الإعراب في القرآن الكريم.

الفصل الثاني: في بيان تأثيره في السنة.

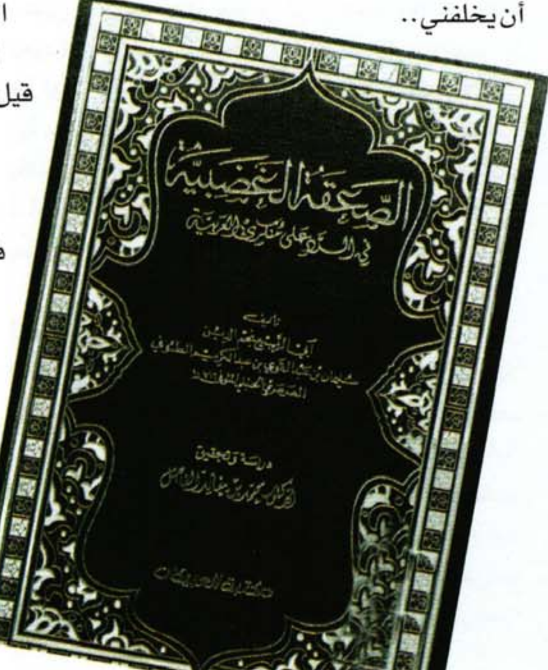
الفصل الثالث: في ذكر جملة من المسائل الدينية المتفرعة على القواعد العربية.

وهو فصل طويل ومفرّع جدًا.

فمن نماذج الفصل الأول ما جاء في صفحة ٣٤٢: «ومن ذلك إذا قال: ﴿ولا الظَّالين﴾ هكذا بظاء قائمة، بطلت صلاته لإخلاله بالمعنى، فإن الصواب بـ «الضاد» من الضلال وهو ضد الهدى، فإذا قرأ «بالظاء» حرَّف وأحال المعنى، لأن ذلك من قولهم: «ظلَّ فلانٌ يفعل كذا» إذا فعله نهارًا، فيكون المعنى «غير المغضوب عليهم ولا الفاعلين نهارًا» والمراد غير ذلك.

قال أبوالحسن المدائني: «قرأ إمام بقوم ﴿ولا الظالين﴾ بالظاء فرفسه رجل خلفه، فقال: أَوْه ضهري- بالضد- فقال له الرجل: يا فاعل! يا صانع! خذ الضاد من ظهرك فاجعله في ﴿الظالين﴾.

ومن نماذج الفصل الثاني: حديث الصحيحين: «احتج آدم وموسى، فقال: يا آدم أنت أبونا، خيّبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال آدم: أنت الذي اصطفاك الله بكلامه، وخَطَّ لك - يعني التوراة -بيده، تلومني على أمر قدّره الله عليّ قبل أن يخلقني.. فَحَجَّ آدم موسى»، وبيّن فيه الصواب في ضبط كلمتي «آدم وموسى» ومن هو الحاج ومن هو المحجوج.وقد بسط القول في مسائل الفصل الثالث كحديثه عن قوله تعالى﴿يأيها الذين آمنوا ... إلى الكعبين﴾، ومثل مسألة حجب الأم عن الثلث إلى السدس باثنين من الإخوة، والاستثناء في الطلاق، ثم سرد بعض مسائل كتاب «المحرر» وبين أوجه الخلاف فيها.



ويقع الكتاب في ٧٢٨ صفحة منها عشرون صفحة للمقدمة، وأربعون صفحة لملحوظة مهمة تناول فيها الطبعة السابقة للكتاب.

ثم الدراسة وتقع في ١٤٥، من صفحة ٦٣ وإلى ٢٠٨ وتتضمن أربعة فصول:

الفصل الأول: سيرة الطوفي وحياته.

الفصل الثاني: عقيدته ومذهبه وما قيل في جرحه وتعديله.

الفصل الثالث: مؤلفاته.

الفصل الرابع: دراسة الكتاب.

ثم النص المحقق ٢٠٩-٦٣٣ ويقع في ٤٢٤ صفحة.

ثم الفهارس ٦٣٥-٧٢٣ في ٢١٢ صفحة.

وقد بذل المحقق جهدًا يشكر عليه من حيث العناية بالنص ضبطا وتحقيقا وتعليقا.

والكتاب مرجع نفيس لمن يرغب في فهم تخريج الأحكام الفقهية على قواعد اللغة العربية.



الأسرة والتنشئة الوطنية

تعتبر التنشئة الوطنية محصلة تفاعل وتراكم عمليات التنشئة الاجتماعية والسياسية للفرد، فهي تشمل عمليات إعداد وتكوين شخصية الفرد وتدعيم قدراته بتزويده بالعادات والتقاليد والمفاهيم والقيم الحضارية والثقافية وعوامل التكوين الاجتماعي والوظيفي، بهذا المعنى فإن التنشئة أو التربية الوطنية تعتبر نظامًا اجتماعيًا قائمًا بذاته نظرًا لما تسهم به من تنظيم للسلوكات الفردية والجماعية وتحديد العلاقات والأنماط السلوكية، ومنظومة القيم التي تحكم علاقات الفرد بالجماعة وعلاقتهما معًا بالمجتمع، فهي من ناحية، وكما يقول عالم الاجتماع هربرت سبنسر تحفظ التراث والقيم وتنظيم العلاقات الاجتماعية والسياسية، وهي من ناحية أخرى تستهدف النهوض بالمكانة الوطنية من خلال إمداد الفرد وتغذيته بقيم الولاء وحب التفاني في خدمة الوطن، والارتباط بالعمل التطوعي.

التحرير

فن الحوار الناجح في الحياة

تسنيم الريدي

في عالم لا يصغي إلا للموهوبين وأصحاب الإمكانات والكفاءات، يعد امتلاك المهارات مطلبًا أساسيًا وجوهريًا، وللأسف فبعض المثقفين يفتقدون بعضا من أصول الحوار، فقد لا يتقبل بعضهم بعضا، ويكون حوارهم همجيًا يخسرون فيه القضية التي يتحاورون فيها، هذا غير أسلوب الحوار الذي يعتمد على مهاجمة الأفراد دون مناقشة الأفكار، ويتمسك كل منهم برأيه فيخرجون من أي حوار ومسافة التباعد بينهم قد ازدادت وضوحًا.

تواصلنا مع بعض الشباب والفتيات لاستطلاع آرائهم وتجاربهم تجاه هذه القضية حيث يبدأ محمود- ٢٣ سنة من الأردن - قائلًا: «أقمنا دورة تتناول فن إقناع الآخرين لنكون مؤهلين لمارسة الدعوة بشكل ناجح وفعال في الجامعة، وخلال قراءة أوراق الدورة وجدت أن هناك أساليب إقناعية تختلف من الشباب للفتيات، فلكل مداخل تناسبه، فإذا كانت هناك اختلافات وفروق بينة بين الرجال والنساء، فكيف نتوقع من الجميع أن يتمسك بوجهات نظرنا ويتفهمها فور طرحها».

في حين ترى أريج - ٢٨ عامًا من سورية- أن فن إدارة النقاش أو الحوار هو موهبة وفطرة قائلة: «أعتقد أن الشخص الذي يجيد إدارة المناقشات ويستطيع إقناع الآخرين بوجهات نظره هو شخص موهوب، وأعتقد أن المواهب فطرية لا تكتسب، فنجد شخصًا حادًا فظًا غير لبق، هذه طبيعة شخصيته لن يتغير مهما حاول، في حين أن الشخص الدبلوماسي اللبق لم يتعلم هذه المهارات».

الاختـــــلاف بين المتحاورين قضية طبيعية لأن العقول والأفكار تتفاوت فيما بينهم

وتختلف معها هناء - ٢٢ عامًا من مصر- موضحة: «الدول الغربية أطلق عليها «دول متحضرة» لأنها أجادت غرس القيم الإنسانية في شعوبها، فصاروا يحترم بعضهم بعضا، ويحترمون الحوار والنقاش، لذلك نجحوا في أمور كثيرة، ونحن إن نجحنا في غرس قيم الحوار الفعال بناء على قواعد وأسس وضعها الإسلام سنفوقهم نجاحًا، لكن للأسف تعلمنا العشوائية والهمجية في كثير من أمور حياتنا، والحوار الذي هو أبسط شيء في التواصل الإنساني فشلنا فيه».

وكان للموظفين رأي آخر حيث يقول إسلام - ٣٢ عامًا - الموظف بإحدى الشركات الخاصة بالسعودية: «الحوار الذي يقوم على أسس صحيحة يكسب صاحبه ثقة واحترام من حوله حتى مديره في العمل، فأنا لا أجد حرجًا من مناقشة مديري لأنني ألتزم بآداب الحوار الصحيح، وفي كثير من الأحيان أنجح في أن أجعله يتبنى وجهة نظري، وهذا جعل بيننا توافقا كبيرا في وجهات النظر، بل وقرارات العمل».

الاختلاف فطرة

حملنا هذه الآراء والتجارب إلى الأستاذ محمد عبدالجواد مدير مؤسسة رؤية أكاديمي المصرية للتنمية البشرية والذي وضح أساسيات الحوار الفعال قائلًا: «الحوار الناجح كان وما يزال شارة كل فرد متميز واسع الأفق.. محب للرأي الآخر، ففي الحوار تلتقي الآراء، وتتفاعل في جو صحي تحوطه محاولة الوصول إلى الأصوب والنافع، وعلى من يرغب في إقامة حوار ناجح لابد أن يدرك أن الاختلاف بين الناس في رؤيتهم وحكمهم على الأشياء قضية طبيعية، والناس ليسوا طرازًا واحدًا، لأن عقولهم وأفكارهم، ومستويات ثقافتهم تتفاوت، ويؤدي هذا الاختلاف إلى التكامل بعد ذلك، وهنا لابد أن يكون هدف المحاور الوصول إلى الرأي الأمثل وليس الانتصار لرأيه، ولذلك قال بعض أسلافنا: ما ناظرت أحدًا إلا وددت أن يأتي الحق على لسانه.

كما ينبغي مراعاة أدب الحوار، ومنطلقاته، وخلال النقاش يتم انتقاد المحاور والأفكار المطروحة، لا

* صحافية مصرية



شخصية قائلها، لأن المحاور إذا تعدى نقد الفكرة إلى نقد الشخص، جعل محاوره في موقف الدفاع عن نفسه ولو بالباطل، ونقد الفكر مسألة طبيعية، فكثير من الأفكار تقوى ويشتد عودها بعد مرحلة من الأخذ والرد وتكامل وجهات النظر من كل طرف، أما نقد الشخص فهو مسألة غير أخلاقية لأنك هناك تحطم خلية النحل في محاولتك أن تجني العسل.

وخلال الحوار احرص على تعبيرات وجهك وكلماتك وحركات يديك، فلابد من جلسة متوازنة، لا يجلس فيها المحاور على طرف المقعد متحفزًا، بل يستقر في مكانه مشجعًا لوجهات النظر الأخرى، ولابد أن يكسب الفرد من يحاوره، ولا يتعمد كسب المواقف على حساب أصحابها، وينبغي أن يكون مستقرًا في حسه أن كسب القلوب مقدم على كسب المواقف، وإعطاء محدثه قدرة كأن يناديه بأحب الأسماء إليه أو اللقب العلمي له.

نقاط الاتفاق.. بداية النجاح

ولا يجب أن يستعمل الإنسان سلطته في إسكات المتكلم والحكم عليه وإرجاع الأثر السيء لمواقفه السابقة، ويجب أن يعلم أن طريقة المناقشة والمحاورة التي يتقبلها هذا، ربما لا يتقبلها ذلك، والمحاور الفطن يعرف من يحاور وبالتالي يعرف الطريقة التي ينبغي له أن يناقشه بها ويحاوره.

كما يجب على المحاور والمتحدث بصفة عامة ألا يستأثر بالكلام لنفسه أو أن يحرم الطرف الآخر أو



الحاضرين من الكلام بالإطالة التي تخرج به عن حدود الذوق واللياقة، فالاستئثار بالكلام، كالاستئثار بالطعام كلاهما منقصة بصاحبه.

خلال الحديث على المتحاور أن يبدأ كلامه بنقاط الاتفاق، فيبدأ بالمسلمات والبدهيات، والحديث على هذا النحو من شأنه أن يطيل أمد الحوار، ويجعل بداياته هادئة من ناحية ومنطقية من ناحية أخرى، وهذا كله مؤشر إيجابي على احتمالات النجاح، ثم البدء بنقاط الاتفاق قد يفتح آفاقًا للتلاقي لم تكن واردة في الحسبان.

وأخيرًا على المتحاور أن يحذر إذا فتح الله عليه وانتصر الحق على لسانه أن يتسرب إليه الغرور والعجب والرضا بمدح الناس، فيجب أن يرجع كل نجاح يحصده إلى المنعم عز وجل.

فن الحوار في الإسلام

ويضيف الباحث بالمركز العالمي للوسطية بالكويت الأستاذ رمضان فوزي بديني قائلاً: «لقد عني الإسلام بالحوار عناية كبيرة، وهذا ما يتضح في حديث القرآن عن الحوار ونقله لنا حوارات كثيرة نتعبد بها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد تعددت سياقات هذه الحوارات القرآنية وأوقاتها؛ فالحوار ممتد قبل الخليقة كما يتضح في حوار رب العزة مع ملائكته حول خلق آدم عليه السلام، ثم حواره جل في علاه مع إبليس حينما تمرد على الأمر الإلهي بالسجود لآدم، ثم حواره جل وعلا مع آدم عليه السلام بعد خلقه.. وهكذا تتعدد الحوارات حتى مع العصاة والمطرودين من رحمة الله تعالى.

ولا يتوقف الحوار حتى بعد انتهاء الخليقة؛ فقد نقل القرآن بعض الحوارات التي تتم يوم القيامة بعد أن يقضي الله بين الخلائق؛ فهذا حوار بين رب العزة وأهل النار، وهذا حوار بين أهل الجنة وأهل النار، وهذا بين أهل النار بعضهم البعض في جو من الحسرة والندامة، وهذا حوار بين إبليس اللعين وأتباعه في النار، إلى آخر هذه الحوارات التي يضيق المقام عن التفصيل فيها، والتي تدل في مجملها على استمرارية الحوار حتى بعد فقد الأمل في نتائجه يوم القيامة.

حوارات الأنبياء

وقد نقل القرآن لنا أيضا الكثير من الحوارات بين الرسل الكرام وأقوامهم على مر العصور والأزمان يدعونهم فيها إلى طريق الله رب العالمين؛ فهذا حوار العاطفة والحرص على الإنقاذ من النار بين نبي الله إبراهيم عليه السلام وأبيه آزر، وهذه عاطفة من نوع آخر في حواره مع ابنه إسماعيل

لإقناعه بأمر غريب وهو ذبحه إنفاذا لأمر الله، وهذا حوار القوة والإفحام بينه وبين النمرود.. إلى آخر هذه الحوارات لجميع الأنبياء والمرسلين مع أقوامهم.

ومن هنا يتضح أن الحوار هو السلاح الأول والأمضى في يد الرسل ومن بعدهم الدعاة إلى الله؛ ذلك أن الدعوة في حقيقتها قائمة على التبليغ والتوضيح والإفهام، وهذا ما لا يتم إلا بفتح قنوات التواصل البناء والحوار الهادف بين الأطراف المختلفة.

والحوار في أحد معانيه يعني المراجعة في الكلام؛ فكل طرف يلقي حجته ويوضح رأيه وعلى الطرف الآخر استقبال هذا الرأي واستيعابه جيدا ثم النقاش والأخذ والرد فيه ومقابلة الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان والدليل بالدليل، وبعدها يترك الأمر للعقل للقبول أو الرفض، والحوار في هذا الإطار غايته إقامة الحجة، ودفع الشبهة، وإزالة الريبة، ودحض الفاسد

الحوار كان السلاح الأمضى في يد الرسل ويجب أن يكون كذلك مع الدعاة إلى الله

من القول والرأي حتى يصل الطرفان إلى نقطة التقاء وتفاهم وتعاون بناء ومثمر، وحتى يتحقق هذا الأمر لابد من أسس وأصول للحوار يتفق عليها الطرفان، ولابد من آداب يتحلى بها كل طرف حتى يؤتي ثماره المرجوة. وفي هذا السياق فإنني أنعي على بعض إعلامنا ما يدور فيه من برامج حوارية لا تراعي آدابا ولا أسسا للحوار، حتى ينقضي البرنامج على غير هدى أو نقطة اتفاق واحدة بين المتحاورين؛ بل إن بعض البرامج مهمتها التحريض والتحريش بين المتحاورين ومحاولة الإبعاد بينهما؛ حتى إن معيار نجاح البرنامج يكون بناء على ما أحدثه من افتراق وخلاف بين المتحاورين، وهذا في حد ذاته يتناقض مع غاية الحوار التي أرساها الإسلام.

الحوار من فنون الدعوة

وعلى الدعاة إلى الله تعالى أن يتقنوا فن الحوار كما أراده الله عز وجل من مجادلة بالتي هي أحسن، وترك المراء الذي يورث الضغائن، وقبل ذلك معرفة مفتاح قلب المدعو ويحسنوا التأتي له؛ فإذا انفتح لهم قلبه سهل الطريق إلى عقله. وعليهم أيضا أن ينفتحوا على الدراسات والعلوم الحديثة المعنية بهذا الأمر؛ فيتقنوا فن التواصل والتأثير والإقناع والتفاعل وغيرها من مهارات لازمة للتبليغ، سواء عبر وسائل الإعلام المختلفة أو بصورة مباشرة مع الناس.

فالداعية لا يستغني عن الحوار؛ سواء بينه وبين مدعويه، أو بينه وبين إخوانه من الدعاة للاتفاق على السبيل الأقوم للدعوة، أو بينه وبين عائلته وأهل بيته لإقناعهم بطريقه وفكرته حتى يعينوه عليها، أو بينه وبين حكومته ودولته حتى تطمئن لفكره ولا تضع العراقيل أمامه.







تأثرت العلاقات الأسرية هذه الأيام بالتكنولوجيا الحديثة التي دخلت البيوت وجعلت كل فرد من أفراد الأسرة الواحدة يعيش في عزلة أمام شاشة «الكمبيوتر» الخاص به أو أمام جهاز التلفزيون الموجود في غرفته لا يتحدث سوى من تليفونه المحمول لأصدقائه.

التكنولوجيا دمرت العلاقات الأسرية

هذه الظاهرة وتأثيراتها على العلاقات الأسرية كانت موضوع ندوة «التواصل بين الآباء» التي عقدها أخيرًا المجلس العربي للتربية الأخلاقية برئاسة د.صديق عفيفي، واتهم فيها د.أحمد الرشيدي أستاذ أصول التربية بجامعة جنوب الوادي التكنولوجيا بأنها حولت المراهقين إلى مستهلكين للمواقع اللاأخلاقية مما أفقدهم القدرة على التفكير والتطلع إلى المستقبل، واتهمها أيضًا بأنها أسهمت في نشر أفكار مستوردة لا يتحقق منها إلا الفساد الأخلاقي، وأنها بدلًا من أن تساعد على تحقيق التقارب الاجتماعي بين صلة الرحم أدت إلى حدوث انفصال لاسلكي لا يتحقق به إلا السماع الصوتي.

أما د.وائل الرفاعي مدرس علم النفس بجامعة حلوان فأشار إلى التأثير السلبي لإدمان الإنترنت على قيمة التواصل بين الآباء والأبناء مؤكدًا أن من بين كل ٢٠٠ شخص مستخدم للإنترنت يوجد مدمن سواء للألعاب أو المواقع الإباحية، وهذا الإدمان يظهر في شكل عدم القدرة على التوقف أو الضبط، والقلق والارتعاش العصبي وحدة المزاج عند التوقف عن استخدام الإنترنت، والكذب والتأثير على الذاكرة أو العمل.

بعد عرض هذه التأثيرات السلبية تباحث المشاركون في الندوة حول الحلول المقترحة لتجنبها، فأشارت د.فيوليت فؤاد خبيرة تربوية إلى ضرورة منح الوالدين للأبناء فرصة التواصل من خلال عقد لقاءات أسبوعية أو شهرية مثلا للتباحث في أمور الأسرة وأي مشكلات تواجهها، هذا الرأي أكده أيضا د.محمد معوض عميد كلية الإعلام بجامعة النهضة موضحًا أهمية أن تكون هناك ديموقراطية في البيت وأن يعوّد الآباء أبناءهم على المناقشة الحرة.

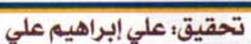
كما اقترحت معزز الديواني مدير مدارس طيبة الدولية المتكاملة أن يكون جهاز التلفزيون و«الكمبيوتر» في أماكن غير منعزلة حتى يكون هناك نوع من الرقابة غير المباشرة على الأبناء.

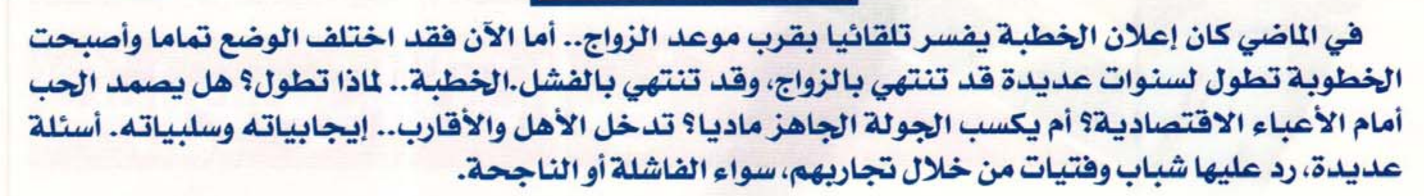
وفي نهاية الندوة أكد د.صديق عفيفي أهمية استمرار مناقشة مثل هذه القضايا معلنًا أن المؤتمر السنوي للمجلس العربي للتربية الأخلاقية سيناقش قضية «أخلاقيات الشباب العربي».

اللعب العلاج النفسي للطفل

يعتبر اللعب وظيفة للطفل ولذلك فهو ذو أهمية كبيرة في حياته حيث إنه وسيلة لدراسة الطفل وسلوكه ومشكلاته وعلاجها، وسينمي اللعب جوانب عديدة في حياة الطفل من الناحية النفسية والاجتماعية والانفعالية، وقد استخدم اللعب كطريقة للعلاج وهو ما عرف بـ «اللعب العلاجي»، فقد يتعرض الطفل في حياته إلى مخاوف كثيرة أو يوجد في مواقف باعثة على التوتر نتيجة أساليب التنشئة المختلفة من قبل الوالدين أو المربين، فقد يفرط الآباء في القسوة أو التدليل والتذبذب في تعاملهم مع الأبناء وغيرها من العوامل التي تؤدي إلى الشعور بالتوتر والإحباط، ومن الطرق الفعالة في العلاج النفسي في هذا المجال ما يعرف باللعب العلاجي، فاللعب يساعد الطفل في التعبير عن انفعالاته، كما يستخدم اللعب الخيال كمخرج للقلق والتوتر ومتنفس لكثير من الحاجات والرغبات التي لا يتحقق لها الإشباع في الحياة اليومية للطفل وتقل الإحباطات التي يشعر بها في المواقف المختلفة، ومن فوائد اللعب العلاجية أيضًا التواصل دائمًا والمعايشة ونبذ المخاوف والتعلم والتفاعل الاجتماعي وحل المشكلات وتنمية الثقة بالنفس والنجاح، أما أهمية العلاج باللعب فتكمن في مساعدة الطفل على التعبير عن وعيه الشعوري واللاشعوري وتمكينه من الوصول بمهاراته إلى مستوى النضج، والمقصود باللعب العلاجي ألعاب العرائس والدمى المتحركة والكتابة والحاسب الآلي والفن المسرحي والرسم... ونحو ذلك.

خطوبة ناجحة.. خطوبة فاشلة لماذا؟





يقول أشرف جمال: بيني وبين خطيبتي قصة حب منذ فترة.. فقد وجدت فيها الفتاة المتدينة والمثقفة فتحدثت معها بكل صراحة.. وقلت لها إن ظروفي لم تتضح بعد.. وبدورها حكت هي لأهلها ووافقوا على طلب الخطبة رغم أنني كنت في فترة التجنيد، هنا ظهرت مشكلة.. أحد الأشخاص أبلغهم أنني لن استقل بحياتي بعد الزواج، رغم وجود شقة خاصة بي في منزل الأسرة.

هذا الكلام رغم عدم صحته أدى إلى «فركشة» الخطبة قبل أن تتم.. بعدها تقابلنا أنا وهي وسط مجموعة من الأصدقاء، لكن شيئا ما ظل بداخلنا لم نفصح عنه بالكلام.. ومرت سنة ونصف.. والتحقت بالعمل في إحدى الشركات.. وتحسنت ظروفي المادية، وأصبح بمقدوري شراء شقة مستقلة.. فتقدمت مرة أخرى لفتاتي وأهلها فرحبوا بي، بل وافقوا على الشقة التي بمنزل الأسرة، وانتهت المشكلة السابقة.

وبالنسبة لفترة الخطبة أفضلها قصيرة لأن ذلك له ايجابيات كثيرة، أهمها قلة المشكلات.

سمير مصطفى فيقول: فكرت في الارتباط عن طريق الحب والمشاعر فقط، ولكن هذه التجربة فشلت بكل المقاييس، فقد كنت اعرفها قبل الخطبة.. وفي هذه الفترة لا أبالغ حين أقول: إن كل واحد يحاول أن يواري عيوبه عن الآخر، وبمجرد إتمام الخطبة، ظهرت حقائق كثيرة لم تكن موجودة من قبل، فانفصلنا وخرجت من هذه التجربة أكثر خبرة ودراية، فقد وضعت في حسباني مواصفات معينة لخطيبتي أهمها الأدب والأخلاق، وأن يكون أهلها ذوي سمعة طيبة، كل هذه المواصفات وجدتها في خطيبتي الحالية.. بعد فترة بسيطة من الخطبة بدأت أكتشف صفات جميلة أخرى جعلتني أحبها وأكمل معها، مما يجعلني أقول: إن الزواج بالعقل أفضل من الزواج عن طريق القلب والمشاعر.

ولمن على أبواب الخطبة أقول: تريث أولا، واختر بعقلك، وكن مستعدا ماديا، فلا تتعجل في اتخاذ قرار الزواج.

وتقول ثناء رمضان طالبة بالصف الثالث الثانوي: منذ فترة كان أحد جيراني يحب صديقة لي بالمدرسة تكبرني بسنة، وبعد فترة اكتشف أنها تحب شخصا آخر غيره، فقرر أن يتركها، وبعدما انفصلا تقدم ليطلبني من أهلي وتمت الخطبة، وبعدها اكتشفت أنا وأهلي أن خطيبي يتعاطى المخدرات، ولما واجهته وعدني أنه سيقلع عنها.. ومع حبي له وثقتي في انني سأقف بجانبه حتى ينسى هذا الوباء، قررت ألا أتركه ووقفت ضد أهلي، والتزم هو لفترة ولكنه عاد للمخدرات مرة أخرى وبدأت تظهر المشكلات.. أمي ترفض ما يفعله وتجبرني على أن أعيد إليه «الدبلة» وهو يرجوني أن أقف بجواره، فأعود وألبس «الدبلة» من جديد.. أصبحت حائرة بين حبي له، وحبي لأهلي، وثقتي في أنني سوف أجعله ينسى ماضيه، وينظر لمستقبله، ومرت سنة على موقفي هذا، إلا أنني في احد الأيام، وأنا عائدة من المدرسة، رأيته بصحبة صديقتي القديمة.. وهنا خلعت «الدبلة» للمرة الأخيرة.. خلعتها هذه المرة بإرادتي.

في النهاية استطيع أن أقول إنه يجب على الفتاة أن تستمع جيدا لصوت عقلها، ورأي أهلها فهم أقرب الناس وأفضلهم للمشورة.

أحمد سليمان: خطبت ابنة خالتي منذ حوالي ٧ شهور.. في البداية عرفتها بطباعي وأخلاقي بدون خداع.. لأن على الشاب أن يظهر حقيقة نفسه لمن يرغب في الارتباط بها، حتى لا تظهر المشكلات الناتجة عن تجميل الحقائق بعد الزواج.

خلال فترة الخطبة صادفتنا عدة مشكلات استطعنا حلها والحمد لله.

أهم المواصفات التي يجب أن يتصف بها الشاب الذي يقدم على الخطبة، أن يكون له الدخل المادي المناسب وأن يعي جيدا الالتزامات المطلوبة منه، أما الفتاة فلابد أن تتحلى بالأخلاق والأدب والثقافة والتعليم المناسب الذي يؤهلها لتفهم أمور حياتها وتربية أطفالها تربية حسنة فيما بعد.

غالبا ما يأتي الانفصال نتيجة عدم التوافق في السلوك أو في الطباع، أو نتيجة



مشكلات متعلقة بالأسرتين، أو مشكلات مادية، ولعل هذه المشكلات هي أصعبها، حيث إن هناك الكثير من الارتباطات التي تفسخ بسبب الاختلاف على أشياء مادية، قد تكون بسيطة جدا.

عصام زكي: لي تجربة مع الخطبة صادفها الفشل.. تعرفت على خطيبتي السابقة قدرًا، وبعد عدة مقابلات، قررت أن أخطبها رغم اعتراض الأسرة لعدم ارتياحهم لهذه المعرفة السريعة، ولكنهم وافقوا مضطرين.

بعد الخطبة لاحظت أن والدها يعاملني على انني تاجر سأشتري ابنته، ولاحظت أن والدتها هي التي تسيطر سيطرة شبه كاملة على المنزل.. وجلست ذات يوم أفكر، فوجدت نفسي أمام أسرة مفككة، بالإضافة إلى بعض المشكلات التي ظهرت تباعا بيني وبينها، بدأت بعدها أفكر بعقلي، وأخطو خطوات الانفصال لأعود حرا، وخرجت من هذه التجربة بأنه لابد من التفكير مرة وألف مرة قبل اتخاذ قرار الخطبة.

ظللت بعد هذه الفترة حوالي سنة لا أفكر مطلقا في الاندفاع نحو تجربة ثانية، إلا إن أهلي رشحوا لي إحدى قريباتي، ووافقت عليها، ووافقت هي، وتم الارتباط.

ويفضل أن تكون فترة الخطبة قصيرة إذا توافرت الإمكانات المادية اللازمة لإتمام الزواج، أما إذا لم تتوافر هذه الإمكانات، فيجب أن تطول فترة الخطبة حتى تتضح معالم الشخصيتين، ويتم اتخاذ القرار المناسب بإتمام الزواج أو عدم إتمامه.

دعاء رشيدي: أنا مخطوبة من حوالي ٥ أشهر.. هو من جيراني.. تقدم لخطبتي فوافق أهلي.. ووافقت.. وبعدها تحدثت معه عن قرب، أحسست بطيبة قلبه وحبه لي، ورغم رفضي له في بادئ الأمر، بحجة أنه إنسان متكبر إلا أنني اكتشفت أنه كان يحترم صداقته لأخي، فلم يبادر مطلقا بأن يتحدث معي.. هو الآن في السنة النهائية بالجامعة.. ويعمل في الإجازات. وإمكاناته

الوضوح من عوامل نجاح فترة الخطوبة

المادية متيسرة.. يمتلك شقة، وننتظر حصوله على الشهادة ليتم الزواج.. لن تطول فترة خطبتنا لأنه في رأيي أن الحب مادام موجودا فلابد أن تكون فترة الخطبة قصيرة حتى لا تظهر المشكلات التي قد تؤثر على الحب والمشاعر.. أما إن لم يوجد الحب، فلابد أن تطول فترة الخطبة حتى يحدث التفاهم والانسجام، فإن حدث ذلك فلابد من إتمام الزواج، وإن لم يحدث فلابد من الانفصال.

أرى أن تدخل الأهل في فترة الخطبة سلاح ذو حدين.. بمعنى أن هناك بعض الارتباطات التي تنتهي بسبب التدخل الخاطئ من الأهل.. لذلك فمن الواجب أن يأتي هذا التدخل برفق، ولصالح الطرفين، وأن يكون مغلفًا بشيء من المرونة.

د.زينب شكري- أستاذ علم الاجتماع: فترة الخطبة ليست دائما كاشفة عن طباع وسلوك الطرفين، لأنه في كثير من الأحيان قد يتحمل طرف الطرف الآخر، ويقدم أفضل ما عنده، وبالتالي عندما يتم الزواج، فليس بالضرورة ضمان نجاحه، لأن الحياة الزوجية، تكشف عن أمور يصعب اكتشافها في فترة الخطبة.

تبين فترة الخطبة نسبة معينة من سلوك الإنسان، ورغم أهميتها، فإنها لا تضمن زواجا سعيدا، ولاحظنا أن الخطبة تفسخ بنسبة مرتفعة، واعتقد أنها ظاهرة إيجابية وصحية، لأن الطرفين قد اتضح لهما أنهما غير منسجمين، فمن الأفضل لهما إنهاء هذه العلاقة وهي في مهدها، فذلك خير من إنهائها بعد الزواج.

تتوقف آثار فشل الخطبة على الإنسان نفسه وإيمانه وجهازه النفسي والعاطفي، فهناك من يدع نفسه تتحطم وهناك من يتحمل ويصمد ويتعلم من تجربته ويقبل على الدنيا من جديد.

وأنا أشجع فترة الخطبة الطويلة، وأشجع تدخل الأهل، لأنهم يكتشفون ويحللون أمورا قد تغيب عن الطرفين، لأنهم يتدخلون بشكل عقلاني، وفي رأيي أن هناك فترة لا يمكن تجاهلها وهي فترة ما قبل الخطبة، وهي نوع من الاكتشاف السليم، وحين أذكر الاختيار فلابد أن أذكر أهمية التكافؤ من النواحي التعليمية والاجتماعية والاقتصادية، أما التباين في أي ناحية فلابد أن يؤدي للاختلاف.

وأقولها كلمة: التكافؤ عند اختيار الخطيب يعطي احتمالاً أكبر لنجاح الخطبة ومن ثم الزواج.

د. عادل صديق- أستاذ الطب النفسي: يرجع طول فترة الخطبة في معظم الأحيان إلى عدم توافر المال الكافي لإتمام الزواج.. وكلما طالت فترة الخطبة، ازدادت معها المشكلات، مثل اكتشاف عيوب في احد الطرفين، أو تغير في مشاعر أحدهما، أو كلام الناس عن سر طول فترة الخطبة، وضجر أهل الفتاة من كثرة زيارات الخطيب... وما إلى ذلك من مشكلات تؤدي في النهاية إلى طريق مسدود أمام التفاهم، الأمر الذي يجعل من المستحيل إتمام الزواج بسبب تسرب الملل للطرفين.

أما حل هذه المشكلات، فلابد له من الاستعداد المسبق قبل الخطبة، والمرونة وعدم الإسراف في الطلبات التي ترهق الشاب، فيجب ألا يغالي أهل الفتاة في الشبكة أو تكاليف الفرح، أو طلب شقة كبيرة، وما شابه ذلك.. هذه المرونة مع شيء من الاستعداد، بالإضافة إلى التوافق الثقافي والنفسي بين الخطيبين يهيئ الظروف لنجاح مثل هذه الخطبة.

أخيرا أقول لكل شاب ولكل فتاة: عليكم بالوضوح وعدم ارتداء الأقنعة التي قد تكون في بادئ الأمر جميلة، لكنها ما تلبث أن تتحول إلى أقنعة مدمرة لعلاقة كان من المحتمل أن تكون ناجحة.

الأسلوب الأمثل لعلاج الصدمة العاطفية

أميرة سليمان أبوجبة

عندما يفكر الشاب والفتاة في الإقدام على خطوة الزواج.. فمن الطبيعي أن تكون مشاعر الحب قد جمعت بينهما، ولكن أحيانا تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن وتضطرب العلاقة وتصل لطريق مسدود ويكون الانفصال هو الحل وأحيانا كثيرة يكون القرار من طرف واحد، وهنا تكمن المشكلة ولاسيما عندما يرفض الطرف الآخر قبول الأمر الواقع تحدث له صدمة عاطفية.

ماذا نفعل عندما نتعرض لصدمة عاطفية؟ وما الأسلوب الأمثل لمعالجتها؟

في البداية يقول د. أحمد جمال ماضي أبوالعزايم أستاذ الصحة النفسية جامعة القاهرة.. عندما تتسم علاقة الإنسان بالحدة واللامعقولية لابد أن يكون وراء ذلك اضطراب نفسي، وفشل العلاقة العاطفية لا يؤدي وحده للخلل النفسي ولكن تكون هناك مجموعة عوامل مجتمعة مثل عدم التكيف مع الواقع وضغوط الحياة وغيرها من الأشياء، وعندما تفشل العلاقة تعجل بحدوث الاختلال النفسي، أيضا الاستعداد الجيني الوراثي وما يترسب في مرحلة الطفولة المتأخرة كلها عوامل تؤدي إلى حدوث الصدمة العاطفية وتترجم لعدة أفعال تكون غير متزنة.. وحول الأسلوب الأمثل لعلاج الصدمة العاطفية، يقول أبوالعزايم: لابد من تعزيز دور الإرادة للقدرة على مواجهة الواقع وعدم ربط الفشل بالكرامة ومحاولة معالجة الأخطاء التي أدت للفشل لتجنبها مع أي علاقة جديدة.

إن مسؤولية فشل العلاقة تقع على الطرفين وعدم قدرتهما على اقتراح الحلول البديلة لمعالجة الأخطاء، واستعجال الحلول السهلة بالتخلص من العلاقة وإنهائها بصورة مفاجئة، وهذا يسبب آثارًا جانبية ويؤدي إلى سلوك عدواني، فالعلاقة الزوجية شراكة متبادلة بين الزوج والزوجة، وقد شرع الله الحقوق والواجبات التي تنظم سير العلاقات، أما إذا تحولت العلاقة لنوع من الاستغلال أو الأنانية تنقلب الموازين، وهنا يسيطر سلوك التسلط والسيطرة والغيرة التي تدفع إلى الجنون في بعض الأحيان فيحدث نوع من الهوة أو الشرخ في القدرة على التعامل.



إن تعرض الإنسان للصدمة العاطفية يستمر لأنه اعتاد في حياته الاعتماد على أشياء سطحية وبسيطة فأصبح الإشباع العاطفي هو العامل الرئيسي بالنسبة له ولا توجد أي قيمة أخرى يعطيها أولوياته، ولذلك عندما يتعرض للفشل في علاقته العاطفية يرتكب بعض الحماقات لأنه يفقد القدرة على التركيز بعد أن أصيب بالإحباط والفشل، ولاسيما أنه لا يشعر بأمل في المستقبل! إن من الطبيعي أن يشعر الإنسان بالحزن والضيق لفترة محدودة لا تتجاوز ثلاثة أشهر. وأخيرا يمكن التغلب بسهولة على مواجهة الأزمات العاطفية وذلك في الشعور بالرغبة في الحياة، وزيادة الثقة بالنفس ومع تكرار النجاح يتولد الشعور بالسعادة، كما يمكن عقد صداقات جديدة والانشغال بأشياء أخرى مثل الاشتراك في عمل اجتماعي أو خيري، فهذه الأشياء تشعرنا بالسعادة وتساعدنا في التغلب على الصدمة العاطفية.



رمزية الحجاب

إيمان القدوسي

كانت نيتها طيبة حين قالت «الحجاب هو مجرد قطعة من القماش، لا يكفي ارتداؤه والأهم هو تحسين السلوك ليطابق الجوهر المظهر».

هل الحجاب فعلًا هو مجرد قطعة من القماش؟

لا، وألف لا، الحجاب رمز ولا يصح التقليل من شأنه حتى لو كانت النوايا طيبة، نحن جميعًا في مجتمعاتنا البشرية نتحرك ونتعامل عبر رموز تحمل وراءها معاني كثيرة، مثلا لكل دولة «علم» وهذا العلم يرمز لكرامة الدولة واستقلالها وحدودها وله مكانته المميزة رغم أنه في الحقيقة مجرد قطعة من القماش، فإذا أردت تحية دولة فأنت ترفع أعلامها، وإذا أردت إهانتها فأنت تحرق أعلامها وتدوسها بقدميك، وكما أن ارتفاع علم الدولة في منطقة معناه سيادتها عليها، كذلك فإن ارتفاع الحجاب على رأس المسلمات معناه عزة وسيادة الإسلام.

يلجأ لهذه الحيلة الكثير من الخبثاء، حين يجردون الرموز من معانيها ويقللون من شأنها في نفوس الناس تمهيدًا لإلغائها نهائيًا، الحجاب قطعة من القماش، واللحية شعيرات تنبت في الذقن، والصلاة مجرد حركات، وقد وصل الأمر بأحدهم أخيرًا إلى الجرأة على الكعبة المشرفة واعتبار الحج وهو الركن الخامس من الإسلام سياحة دينية.

وهناك بعد ذلك من ينخدع بكلامهم جزئيًا وربما بحسن نية ويردده، ولكن الحجاب رمز إسلامي أصيل يؤرق العلمانية في الشرق والغرب ويغيظ القلوب المريضة وستثاب كل من ترتديه امتثالًا لأمر الله تعالى، ولنقل انه الخطوة الأولى على طريق الهداية ولابد أن يتبعها خطوات في تعديل السلوك وتغييره، وهو أمر ربما يحتاج بعضا من الوقت ولكنه مع الانتظام في الصلاة والارتباط بالأخوات والقراءة يحدث تدريجيًا.

وإذا كنا ننشد المثالية والكمال كهدف أسمى إلا أن الواقع يفرض علينا ظروفه، ودائمًا هناك مساحة يتحرك فيها المسلم لأنه دين عالمي يقدر الظروف واختلاف قدرات وإمكانات البشر، ولذلك من ارتدت الحجاب وأدت الصلاة وقامت بحق زوجها وبيتها فقد أدت ما عليها، كما تدل على ذلك أحاديث نبوية شريفة، ومن أرادت الاستزادة من العلم والفضل فطريق الخير مفتوحًا أمامها بلا نهاية.

من يطالب المسلمة بالكمال المطلق ويقلل من قيمة حجابها وجهدها في مكابدة الحياة يصعب الأمور ويجعلها شاقة عسيرة، في حين أنها يسيرة للغاية، إذ لا رهبانية في الإسلام ولا مشقة ولكنه حياة تمضي على منهج يستوعب الجميع، وكما تفاوت الناس في الهبات الربانية من عقل وقوة ومال فلابد أن تتفاوت استجابتهم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

في ظل ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية مرتبكة في مجتمعاتنا سيصيب المرأة نصيبًا من ذلك، وفي كلمة بسيطة جدًا يمكنها أن تنمي إنسانيتها جنبًا إلى جنب مع تدينها، تنمي قيم الرحمة والتعاطف والاحترام والنظافة والنظام، وقد جاء في تعريف المسلم أنه من سلم المسلمون من لسانه ويده، ومن لا يرحم لا يرحم، والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه، كلها معاني معروفة وردت في أحاديث نبوية وآيات قرآنية كثيرة، ولكن ينبغي التأكيد عليها لتتوازن شخصية المسلم وليكون «إنسانا متدينًا».

لا يمكننا التقليل من قيمة الرموز الإسلامية التي تميزنا عن غيرنا وتجعلنا بمجرد النظر نعرف أن هذه امرأة مسلمة، أما مجاهدة النفس وتزكيتها فهو سبيلنا الدائم مادمنا على قيد الحياة كما قال تعالى في محكم آياته ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ (الحجر:٢٨).

الطفل الديكتاتور أو المستبد

بشرى شاكر

العديد من الآباء يسعدون بالحركة الزائدة لأطفالهم فهي بالنسبة لهم دليل سلامتهم الجسدية وقدراتهم الذهنية، وضعف الحركة هو ما يؤرق عادة الآباء ويجعلهم يخشون إصابة طفلهم بمرض ما أو عاهة لا يعرفونها، وهذا صحيح بنسبة كبيرة فالنشاط الحركي الزائد يكون عادة دليلا على نشاط الطفل، وهو أمر بدهي في السنوات الأولى من الطفولة حيث إن الطفل يكتشف حركات جديدة ويحاول تكرارها مثل المشي مثلا وقبلها حينما يبدأ بالحبو، وهو يفرح بقدرته الجديدة على بلوغ الأشياء، فتزداد حركته رغبة منه في إبراز مهاراته واكتشاف محيطه، كما أن كثرة الحركة داخل الفصل الدراسي قد تدل على ذكاء الطفل، فهو يحاول أن يظهر مهاراته الذهنية وقدرته على الإجابة، فتراه يتحرك بوفرة ويحاول أن يزيد عدد ايجابياته الصحيحة، غير أنها أمر طبيعي إلى حد كبير في سن الطفولة، فهي شحنة عادية يتوفر عليها الطفل ويريد بفطرته التخلص منها، وقلة الحركة في سن الطفولة هو ما يعد غير طبيعي ويجعل الآباء يتوجسون ويخافون، ولكن ما لا ينتبه إليه الكثير من الآباء هو أن أي شيء يزيد عن حده ينقلب إلى ضده، فحركة الأطفال الزائدة قد تنقلب إلى أمر غير عادي ومثير للأعصاب إن زاد على حده.

يعرف الأخصائيون النشاط الحركي الزائد على أنه حركات جسمية تفوق الحد الطبيعي أو المقبول، أو هو مجموعة من اضطرابات سلوكية تنشأ نتيجة أسباب نفسية أو عضوية وتكون مصحوبة بضعف التركيز وقلق مستمر مع اضطراب في الانتباه الناجم طبعا عن فرط الحركة والنشاط الزائد الذي يؤدي إلى تدهور حالة التركيز والانتباه، فالحركة المفرطة هي دليل الإصابة باضطراب فرط الحركة مع فقدان القدرة على التركيز، فغالبية الأطفال الذين يرتادون العيادات النفسية من المصابين بفرط الحركة المصحوبة بضعف التركيز، يعقبها فشل دراسي.

في الكثير من الأحيان تكون زيادة الحركة دليل عدم رضا الطفل عن أمر ما، أو كرد فعل لشيء آخر، مثل اكتئابه بسبب عدم استقرار أسري يعيشه بين والديه مثلا، أو مشاكل دراسية سواء أكانت فشلا أو عدم قدرة على متابعة سير الدرس، أو على جانب آخر إحساسه برتابة الدرس وسهولته بالنسبة لفهمه، وهذا في حالة الأطفال الموهوبين إذ قد يكون إحساسهم أن الدرس لا يوافق قدراتهم العقلية سببًا في فشل دراسي ورد فعل عنيف أو انطوائية وانعزال عن الآخرين.

إن كثرة الحركة التي تعرف أسبابها يسهل على الآباء والمدرسين معالجتها، وذلك بإنهاء هذه المسببات إن كانت نفسية أو محاولة الحد منها إن كانت عضوية، فلا يجد الطفل نفسه في حاجة للتعبير عن ضيقه بهذه الطريقة، وإنما يتحول إلى طفل بحركة عادية أو متوازنة على الأقل.

وفي الغالب يتحول فرط الحركة لدى هؤلاء إلى عنف تجاه آبائهم ومدرسيهم وزملائهم والأشياء التي بحوزتهم، فنجدهم يلقون بها هنا وهناك، ويميلون لتكسيرها أيضا، ولا يتمون واجباتهم الدراسية إلا بعد جهد بالغ من قبل الآباء، حيث إنه لايستطيع التركيز لفترة طويلة، ويجابه ذلك بالرفض والصراخ والعنف، وكأنه يريد أن يخبرنا أنه أيضا يعاني مثلنا تماما، وهذا السلوك قد يكون في بعض الحالات بسبب مشكلة جينية، مثل مرض التوحد- autism- الذي يصيب الذكور أكثر من الإناث، وقد يكون الطفل مع ضعف استيعابه للمعلومات كثير الحركة وعنيفا ويتعاطى أدوية تخفف من توتره وقلقه وفرط نشاطه ولكنها لا تعالج، إذ علينا مصاحبتها بعلاج نفسي وسلوكي خاص حتى يتمكن الطفل

باحثة مغربية





المصاب بالتوحد من التعايش مع المجتمع وجعله فردا مرغوبا وفعالا فيه، ونجد أيضا بعض الأطفال المصابين بأحادية الصبغيات- monosomie- وغيرها من الأمراض الجينية يجنحون إلى هذا السلوك.. وقد يكون فرط الحركة مجرد مشكلة سلوكية، كرد فعل على حياة غير مستقرة، وفي كل الأحوال فإن المتابعة النفسية ومحاولة استيعاب السلوك والبحث عن مسبباته ومحاولة معالجتها يكون حلا أنجع من التوتر والقلق والعنف المضاد الذي يكون رد فعل عكسي من قبل الآباء الذين يعانون من أطفالهم.

فالطفل أو المراهق العنيف ومفرط الحركة، عادة شخص يجنح للعنف الجسدي أو الكلامي والذي يوجهه خاصة لوالديه ثم محيطه، يسميه البعض بـ«الطفل الديكتاتور» لأنه يحاول إملاء شروطه، ويلجأ في ذلك للابتزاز، ويكون عنيفا وصعب المراس بشكل كبير ومتجاوز وغير مقبول، مما يجعل بعض الآباء يعيدون ترتيب حياتهم وفقا لمتطلباته ويرضخون لرغباته، كما أن هناك نوعًا آخر من الجور السلوكي أو السلوك الشاذ وهو ما نسميه بـ«الطفل الملك» l'enfant roi- His Majesty the Baby وهذا الطفل لا يلجأ للعنف الجسدي، ولكنه لا يعترف بالجميل، ويطلب دائما المزيد، وهو دائم الشعور بعدم الرضا ولا يتحمل الحرمان.

وهذا السلوك العنيف أو الابتزازي المتسلط قد لا يكون له سبب عضوي، وإنما يكون نتيجة حياة أسرية متوترة بسبب اضطراب العلاقات بين الوالدين مثلا، والسلوك العنيف من قبل أحدهما تجاه الآخر أو الاثنين معا، فالمشاحنات الكلامية أو الحركية تخلق في البيت جوا من التوتر الذي يؤثر سلبا على تربية الأبناء، وعند انفصال الوالدين أيضا قد يحدث مثلا أن يحس الابن بازدراء الأم للأب والتقليل من شأنه أمام الأطفال، ورسمها معالم لأب غير مرغوب فيه، مما يجعله يراه على أنه لا شيء، وتبقى الأم بالنسبة له تمثل الطرفين- الأم والأب- معا، ويجد نفسه يتقاسم وإياها الحقد والكره لهذا الأب، ونجد أن الطفل يكثر من معاملته العنيفة لوالده، لأنه لا يريد أن يكون مثله، لأنه يحتقر ضعفه ولا يريد أن يرى نفسه في صورة الأب الفاشل، فيحول ذلك إلى عنف، وفي بعض الأحيان تأتي ردة فعل الطفل عكسية فيتحول إلى العنف تجاه والدته كنوع من الانتقام لوالده المنزوع من وظيفته كأب، كما أن غياب الأب قد يحول هذا الطفل الوديع إلى طفل عنيف، لأن الأب لا يشكل فقط الحنان والعطف والرعاية للطفل والمراهق، ولكنه يمثل أيضا مركز القوة في البيت، فغياب الأب بالنسبة للطفل معناه عدم وجود لهذه السلطة، فيحاول أن يكون هو هذه السلطة في البيت، ونلاحظ ذلك خاصة لدى المراهقين الذين يتربون في بيت لا أب فيه مع أمهم فقط، فعادة ما تعاني المرأة- حتى الناجحة في تربية أبنائها- من صعوبات كبيرة أثناء هذه المرحلة في غياب الأب.

وقد يتولد العنف لدى الأطفال نتيجة تربية عنيفة من قبل الآباء حيث يخلط هؤلاء بين التربية والترويض وبين السلطة والاستبداد فحسب «ديان دروري» : «بالنسبة لهؤلاء الآباء السلطة هي أمر جذري، فهي تستعمل كترياق ضد الخوف من ألا يكون سيد الموقف، ذلك الذي يستطيع كل شيء، الذي لا يخطئ أبدا. هي أفكار وهمية يثقل حملها لأن هذا الأب يعلم جيدا انه ليس معصوما من الخطأ».

كما يمكن أن يكون هذا العنف تجاه الوالدين نتيجة إهمال للطفل أو عنف كبير في تربيته، يحوله الابن إلى عنف مضاد من قبله، ولكنه قد يكون أيضا حصيلة إسقاط نرجسي للآباء على أطفالهم بحيث إنهم يرون فيهم مرآة يريدونها أن تعكس رغباتهم، ويحاولون صناعة ابن كامل يعجب به كل من يراه، وأحيانا كثيرة تصل متطلباهم حد التعسف وينسون أن لكل شخص طاقة وأن الله لا يكلف نفسا

إلا وسعها، فمن العادي جدا أن يتمرد هذا الطفل بشكل أو بآخر، وعادة لا يجد أمامه سوى العنف ليعبر به عن رفضه لهذا السلوك من قبل والديه.

أما الوسائل التي يمكنها أن تحد من اضطراب الحركة لدى الطفل المصاب بمرض عضوي جيني، إضافة للأدوية، فمنها الترابط الأسري والحلم والصبر على هذا الطفل المصاب وتقبل البلاء واحتسابه عند الله وعدم الصراخ على الطفل، فذلك سيزيد من خوفه الذي سيحوله إلى عنف كوسيلة دفاع عن النفس.

أما في الحالات التي يكون فيها السلوك نتاج وضعية نفسية فالأمر هنا وإن بدا صعبا ولكن يمكن السيطرة عليه بمحاولة إنهاء المسببات، فإن كان السبب هو خلافات الوالدين المتكررة أمام الطفل، فيمكنهما أن يحاولا حل خلافاتها بطريقة أكثر احتراما وبنقاش ودي لا يؤدي إلى جو من التوتر داخل الأسرة، مما سينقص من إحساس الطفل بعدم الاستقرار، ويجعله يهدأ بدوره، وهذا العامل هو أشد الأسباب التي تجعل تربية الطفل فاشلة وتؤثر على النمو العادي له، كما أن العيش تحت سقف واحد بدون مودة ولا رحمة، وهما أساس الزواج، هو أحد العوامل التي تجعل الطفل يجنح نحو سلوك شاذ وعنيف، كما جاء في القرآن الكريم في سورة الروم: ﴿وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، وهذه الرحمة ليس فقط بين الأزواج، بل هي رحمة للأبناء أيضا، فالزرع ينمو في بيئة سليمة، ويحصد عقيما في بيئة خالية من الحب والوفاق.

مواجهة العنف بنظيره ليست حلاً لمشاكل الطفل السلوكية

والانفصال بين الوالدين إن كان أمرا حتميا، فليكن بدون مشاكل نفسية للطرفين وبدون مشاكل خلافية أمام الأبناء.

كما أن مواجهة العنف بنظيره ليست حلا لمشاكل الطفل السلوكية، وإنما عدم إساءة معاملته والتصرف بلين ورفق هي وسائل تربوية ناجحة تؤسس لطفل سليم وغير عنيف أبدا، فقد قال رسولنا الكريم عليه أفضل الصلوات والسلام: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزع الرفق من شيء إلا شانه».

أما في المدرسة فحلم المربي أيضا أمر واجب لكي يتجاوز الطفل صدمة الميلاد التي قلنا إنها ترافق الإنسان طوال حياته، وخاصة حينما ينتقل من وضع قديم إلى وضع جديد، والطفل حين ولوجه المدرسة فهو يدخل عالما جديدا، وقد لا يستطيع التركيز في البداية على ما يراه جديدا عليه، فينجم عن ذلك عدم القدرة على التركيز وحركية زائدة فهو لم يعرف بعد حدوده داخل الفصل وهي بداية معرفته بحدوده داخل مجتمعه.

وإجمالا فإن الصبر على الطفل وتحمله والابتعاد عن العنف كوسيلة للتربية الذي قد يحول سلوك الطفل إلى سلوك شاذ عنيف ناجم عن تحد وعناد، وتعويض ذلك بمحاولة تفهم أسباب ما يحصل للطفل سواء أكانت عضوية تحتاج لتدريب خاص ومتابعة إكلينيكية أو نفسية أيضا، كل هذا يحتاج إلى صبر وحلم ومتابعة مع الابتعاد عن الأدوية لأن المسببات نفسية وليست مرضية عضوية، والحلم أساس الأشياء، ولذلك فلنجعل من نبينا ورسولنا ﷺ قدوة لنا ونتعلم كيف نتعامل بحلم ورفق ولين، فأجر ذلك عند الله ولن يضيع أبدا، ففوق أننا سوف نساهم في تكوين جيل سليم ينهض بأمته فنحن مأجورون على ذلك أيضا، ويكفي أن الحليم هو اسم من أسماء الله الحسنى وقد قال تعالى في سورة البقرة: ﴿قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم﴾.

كما يجب أن يغير الآباء والمربون طريقة تعليمهم من الترهيب إلى الترغيب والتحبيب، وذلك باقتراح جائزة مثلا إذا ما أنهى الطفل عمله كما يجب، مع الوفاء بالعهود، فالطفل يتعلم بالقدوة ثم الحوار أكثر من أي شيء آخر، فلا ضير من عقد اتفاقيات مع هذا الطفل كثير الحركة مثل وعده بنيل مكافأة ما إن هو تعلم كيف يحسن سلوكه مثلا أمام الآخرين أو شكر غيره أو ساعدنا في مهام البيت بدون مشقة، إلى غير ذلك من الأمور التي يمكن أن نجعلها محفزات تعلم الطفل السلوك الصحيح البعيد عن العنف، وتساعده على تثبيت تركيزه والانتباه بدون الضغط عليه، والأساس في كل ذلك أن نتعامل مع الطفل بطريقة عادية ونتفادى الغضب والعنف وهما أمران أكررهما كثيرا لأنهما أساس كل سلوك مرضي ونفسي، كما أنه لا يجب تحقير الطفل إذا ما أخطأ، وكذلك يجب أن نبتعد عن أسلوب الأمر وإنما نستعمل أسلوب الطلب بطريقة لينة ومدروسة.

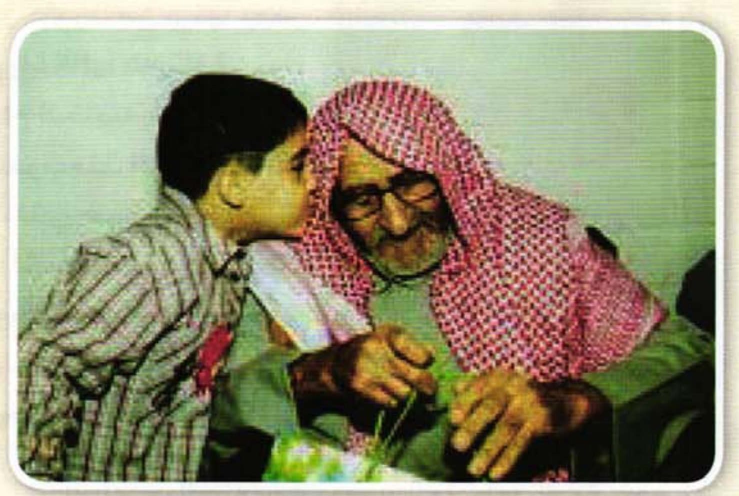


اغرس الانتماء في نفوس أبنائك

د. محمد عيسوي الفيومي

هل الانتماء هو مجرد رفع العلم أو رسمه على الوجوه أو ارتداء قبعات بألوانه أو تعليقه على المباني أم أنه أكثر من ذلك بكثير؟ وكيف ننمي الانتماء في نفوس أبنائنا؟

يؤكد د. حسن شحاتة أستاذ التربية والمناهج وعضو المجالس القومية المتخصصة في مصر أن الانتماء يبدأ اكتسابه منذ السنوات الأولى من عمر الطفل وهو يبدأ بالانتماء إلى الأم لتلبية الاحتياجات وباعتبارها رمز الحماية، فهي أول من يلقنه دروس الأخلاق والقيم، فالأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعب طيب الأعراق، يتبعه الانتماء للوالد، ثم الأسرة، ثم المجتمع الأكبر مثل المدرسة أو النادي، ويتبع ذلك الانتماء للوطن، وهناك مكسبات للانتماء ومنها التعليم والرسائل الإيجابية والصور المشرقة التي يرسمها الأهل عن أفراد الأسرة من الأجداد والأقارب، ثم من رموز الوطن، كما ينتقل الانتماء بالتعليم والنقل عن الوالدين، فإذا كانا دائمي النقد والرفض للمجتمع وأقل تمسكًا بالقيم كان انتماء الأبناء أقل، ذلك إذا أظهر الوالدان أو الأهل أو المجتمع عدم تقدير للرموز الوطنية فإنهم يصيبون انتماء أبنائهم في مقتل.. كما يرتبط الانتماء بالتقدير لذات الفرد، وكلما زاد تمكين وتقدير الطفل في مجتمعه زاد انتماؤه، كما يرتبط الانتماء بموقع الفرد وسط الجماعة بتحقيق ذاته بينها، وتلعب القصص والحكايات والإعلام دورًا كبيرًا في تنمية أو تقليل الانتماء في حكايات الجدات ورموز الوطن السابقين من زعماء وأدباء وعباقرة تلعب دورًا كبيرًا في ربط الطفل بوطنه منذ السنوات الأولى في حياته، ويشير د. حسن إلى بعض ما يهدد انتماء الطفل العربي مثل انتشار القدوة الغربية والترويج لها بين الأطفال والشباب واتباع بعض الاعلاميين والممثلين سلوكات غريبة تضر بالمجتمع مثل تفضيل شراء سلع أجنبية والتفاخر بالهجرة أو بازدواج الجنسية، كذلك يؤدي تقديم نماذج سيئة في المجتمع والترويج لها إلى نقص الانتماء لدى أفراده.



أما د. شعبان عبدالصمد أستاذ علم النفس المساعد بكلية الآداب جامعة عين شمس فيعتبر ضعف الانتماء محصلة لمجموعة من المتغيرات الاجتماعية، مثل افتقاد القدوة وانتشار ثقافة «الفهلوة» و«البلطجة» وتراجع دور مؤسسات التعليم في تعزيز الانتماء وشعور الإنسان بنقص القيمة مما يؤثر على علاقته بذاته وبالآخرين في المجتمع، ويضيف أن نقص الانتماء لدى الإنسان خاصة في المراحل الأولى من حياته هو مصدر لكل ما يمكن أن يتعرض له المجتمع من إفساد وتطرف وانحرافات سلوكية، بدءًا من صورتها البسيطة حتى الكارثية، مثل عدم إخلاص الإنسان في عمله، وقلة الإبداع، وانتهاء بالفساد والميل إلى التطرف السلوكي والخروج على القانون.

ويقترح الأثري بسام الشماع أن نبدأ الآن بعدما ظهر من حب الصغار والشباب لوطنهم خلال هذه الأيام بأن نغرس حب التاريخ بين أبنائنا ونقدمه لهم في أعمال قصصية وكرتونية داخل المدارس والمكتبات وعبر مجلات الأطفال، على أن نسلط الضوء بصورة أكبر على الشخصيات الناجحة والمتميزة في تاريخنا العربي القديم والحديث بصورة تسمح لأبنائنا باختيار قدوة منهم ليصبحوا جيلًا أفضل في المستقبل.

• باحث أكاديمي

الكوفية (الغترة).. تاريخ عربي ورمز وطني

د. رفيق حسن الحليمي *



لكل أمة من الأمم لباسها الوطني الذي تتميز به عن غيرها، ولعل نظرة سريعة في بعض الآثار القديمة من رسومات ونقوشات، أو قراءة في بعض الأدبيات مما خلفتها الشعوب الغابرة تكشف عن أمور كثيرة، من بينها بعض مظاهر الأزياء والملابس وأشكالها المختلفة، سواء أكانت للعامة من الناس أم للخاصة منهم، بحيث أصبحت أكثر الأمم والشعوب منذ القدم تتماهى في أزيائها وملابسها التي غدت معلمًا بارزًا لهويتها وعلامة فارقة لشخصيتها، وقد لعبت البيئة بكل معطياتها، وخصائصها دورًا مهمًا في تحديد طبيعة الأزياء، سواء أكانت للرجال أم للنساء أم لغيرهم من الحكام والجنود.

في العصر الحديث بعد موجات المد الاستعماري التقليدي، اختلط الحابل بالنابل(١)، حيث ساد الزي الغربي في أكثر بلاد العالم وتأثر المغلوب المقهور بالغالب المنتصر!، وامّحت الأزياء الوطنية في كثير من دول العالم- كما هي الحال بالنسبة إلى كثير من اللغات التي توارت وحل مكانها لغات الغالب المنتصر- ومع هذا بقيت بعض الشعوب تحافظ وتحتفظ بالزي الوطني وتتخذ منه رمزًا للوطنية وتاريخًا للوطن وعنوانًا للأمة وحبلًا يعتصم به لربط الحاضر بالماضي، ومظهرًا من مظاهر السيادة والفخر، ففيه يستحضر المواطن ماضي الآباء، ويستقرئ صفحات من تاريخه بمجده وعبقه، وبطولاته وانتصاراته، ويستخلص العظات والعبر من مواقف الصناديد في نصرة الحق وقهر الباطل وتحدي الهزائم والصبر على المكاره وويلات الزمن.

وللكوفية تاريخ قديم تليد، ولها رمزيتها الخالدة، فهي من بين المعالم الأساسية لشخصية الإنسان العربي، وقد تصبح المعلم الوحيد له عندما يرتديها وهو يتزين بالزي الغربي (البدلة)، فندرك أن صاحبها عربي.

أما كلمة «كوفية» فقد قيل: إنها نسبة الى مدينة الكوفة في العراق، حيث كانت تصنع، وقيل: إنها كلمة إيطالية بمعنى غطاء الرأس(٢١)، وفي بلاد الشام تسمى «الحطة»، وفي دول الخليج تسمى «الغُترة»، ويبدو أن الكلمة الأخيرة اختزال لكلمة «غطاء الرأس».

كان الزعماء وعلية القوم من العرب في العصر الجاهلي يعتمرون العمامة في الحرب ويخلعونها وقت السلم(٣)، وأما العامة فيضعون قطعة قماش على الرأس لتقي من حر الشمس، ثم ألحقوا بها حبلًا يلتف حولها حتى لا تتقاذفها الرياح، وقد تطور الحبل الى «العقال»، كما تطورت هي الى اشكال مختلفة والوان متعددة، وساد اللون الأبيض أكثر من غيره لدلالته على العفاف والطهر والنظافة، وأكثر ما يرتدى في فصل الصيف.

في القرن العشرين توصلت مصانع النسيج في بلاد الشام- يدويًا- إلى نسج كوفيات بيضاء مطرزة باللون الأسود أو الأزرق أو الأحمر، أطلق عليها «الشماغ»(٤)، وقد برعت مصانع الغرب في تصنيعها وحملت اسم الشماغ أيضًا، وأفضلها الموشى باللون الأحمر، وهناك الموشى باللون الأبيض، وهي آخر ما

* كاتب وأكاديمي فلسطيني



صنع، وأكثر ما تلبس في فصل الشتاء.

ساد العراق وبلاد الشام وفلسطين تحديدًا نوع من الشماغ المطرز باللون الأزرق، والمسافات بين حبات التطريز متباعدة، وكان يلبس هذا النوع الثوار في فلسطين ضد الانتداب البريطاني، وفي عام ١٩٣٦م عم الإضراب الثوار في فلسطين كلها عرف بإضراب ٣٦، شلت فيه الحركة، واشتدت ضربات الثوار ضد الجنود البريطانيين الذين وجدوا في ذلك الزي علامة مميزة لمعرفة الثوار فكانوا يلاحقونهم من خلال تلك الكوفية التي أصبحت رمزًا وطنيًا، فأصدر الثوار أمرًا لجميع سكان فلسطين بأن يرتدوا الكوفية حتى لا يستطيع الجنود البريطانيون التعرف إليهم، وكان أكثر سكان فلسطين من علية القوم يرتدون الطربوش التركي، وخلال أيام قلائل خلع سكان فلسطين الطربوش وارتدوا الكوفية بدلًا منه، وبانتهاء الإضراب (تدخلت دولة لإنهائه مقابل رشوة بمبلغ ألف جنيه استرليني دفعتها حكومة صاحب الجلالة دعمًا لأكبر مكتبة عامة في تلك الدولة) ظلت الكوفية رمزًا يتخذه المناضلون في حربهم ضد بريطانيا، ثم في حربهم ضد إسرائيل، وفي معركة القسطل- بجوار القدس- التي استشهد فيها المرحوم عبدالقادر الحسيني وآخرون من رفاقه عام ١٩٤٧م كانوا جميعًا يرتدون الكوفية موضع حديثنا، وقد حفظت بعض الوثائق صورة للشهيد عبدالقادر وهو يرتدي الكوفية.

عند قيام حركة فتح عام ١٩٦٥م وجد القائمون على أمرها ضرورة ارتداء الكوفية تيمنًا بموقف المناضلين القدامى وتقليدًا لهم، والذي أريد التركيز عليه أن ارتداءها من قبل حركة فتح وغيرها ليس ابتداعًا أو اختراعًا جديدًا كما يظن كثيرون وانما هو اتباع وتقليد، ومع الأيام عم ارتداء الكوفية لدى مختلف الفصائل، والقوى المؤيدة لنضال الشعب الفلسطيني من عرب وغير عرب، ووجدت مصانع النسيج فرصة لتطوير شكل الكوفية في أحجام وأنواع مختلفة، فصنعوا منها الوشاح الذي يلتف حول العنق أو يتدلى على الصدر، وصنعوا الحزام وربطة العنق والمنديل، ولم يقتصر ارتداؤها على الرجال فقط بل طال النساء والأطفال، وأكثر من ذلك أن بعض الفرق الشعبية تزهو وتتباهى بارتدائها في الحفلات والأعراس التي تقام في الأرض المحتلة وفي خارجها، ما يلهب الجماهير بالفرح وبالأمل في عودة وطن سليب إلى أهله وعودة الغرباء إليه، كما أصبحنا نرى على شاشات التلفزة أن من يريد أن يعلن عن تأييده للقضية الفلسطينية من العرب ومن غير العرب يضع حول عنقه وشاحا من شكل تلك الكوفية، وكأن هذا الشكل من الكوفيات استأثر به الفلسطينيون ومناصروهم، بحيث أصبحت هذه الكوفية بالقوة والفعل كما يقول أهل المنطق رمزًا له دلالته الوطنية على الكفاح المسلح، وشعارًا له مغزاه على التضحية والفداء، مع أن في الأردن وفي سواد العراق وسوريا من يرتدي هذه الكوفية من دون أن يكون ذلك من خلال نظرة سياسية أو حزبية، أو لمناصرة هذا أو ذاك، فهي ليست عندهم أكثر من زي شعبي «وطني» أو مجرد كوفية، وظيفتها الدفء شتاءً والوقاية من الحر صيفًا.

الهوامش

١- الحابل: الصائد بالحبال، النابل الصائد بالنبال (السهام)، مثل يضرب لاختلاط الأمور فلا يعرف الصائد بالحبال من الصائد بالنبال (قاموس).

٢- قاموس المنجد.

٣- الأصمعيات هامش ص١٨، ويستدل على ذلك ببيت من الشعر لسحيم بن وثيل (مخضرم):

أنا ابن جلا وطلع الثنايا
متى أضع العمامة تعرفوني

وقد استشهد به الحجاج بن يوسف الثقفي في أول خطبة له عند توليه العراق من قبل بني أمية، انظر: الجاحظ، البيان والتبيين ج٢، ص٣٠٨، وانظر: الأصمعي، الأصمعيات رقم (١) ص١٧، وابن جلا: الواضح الأمر.

٤- لا أعرف مصدر هذه الكلمة ولا معناها.

ملتان باكستان أسست عام ١٩١٠م

جامعة دار الحديث المحمّديّة

«ملتان» مدينة باكستانية عريقة تقع في الجزء الجنوبي من محافظة نهر تشناب وتبعد عن كراتشي حوالي ٩٦٦ كلم، يفوق عدد سكانها ٣,٨ مليون نسمة، مما يجعلها سادس أكبر مدن باكستان، وهي مدينة مليئة بالأسواق والجوامع والمباني الأثرية.



تركي محمد النصر

إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

شهدت ملتان العديد من الصراعات التاريخية، ويعود أقدم تاريخ لها إلى عهد الإسكندر الكبير حينما اقتحمت قواته قلعتها بعد رؤية ملكهم مجروحًا وفاقدًا للوعي في ساحة المعركة.

وفي منتصف القرن الخامس دخل القائد «تورمان»، واستطاع احتلال المدينة لكنه لم يبق فيها طويلاً، ثم عاد إليها الحكم الهندوسي.

وفي القرن السابع وصل إليها الفاتحون المسلمون ولكنهم لم يفتحوها حتى جاءها الفتح الإسلامي بعد عدة عقود على يد القائد المسلم محمد بن قاسم الثقفي مع بلاد السند، ودخل هذه المنطقة كثير من المحدثين.

وكانت المدينة تعرف بـ «مدينة الذهب» وكتب المؤرخون بأنها احتوت على معبد هندوسي ضخم يعيش بداخله ٦٠٠٠ شخص كان يعرف باسم «سون ماندير».

حكم المسلمون المدينة منذ قدوم الثقفي، وحكمها الرند لعقود، ومن أشهر حكامهم الملك شاكر الرند سنة (١٥٥٠-١٥٦٥م)، ملك نيودلهي وبنجاب والسند ومكران، والأمير بكر حسن الرند.

وبعد ذلك هاجم السلطان «محمود الغزنوي» (ت:٤٢١هـ) الذي كان يعرف ببطل الإسلام وفاتح الهند المدينة مرتين، وجاء من بعده المغول الذين حكموها لحوالي ٢٠٠ سنة. وفي ذلك الوقت عُرفت بـ «دار الأمان»، وقد بني فيها العديد من المباني الشامخة. وحُكمت بعد ذلك من «كابل» بواسطة بعض السلالات الأفغانية لفترة من الزمن، وعندما هاجمتها الجيوش السيخية في القرن الثامن عشر أحدثت فيها دمارًا هائلًا وسلبت منها الكنوز، إلا أنهم لم يمكثوا فيها، وبعد فترة من عدم الاستقرار فيها دخلها البريطانيون فكانت جزءًا من الهند البريطانية.

وعندما استقلت باكستان عام ١٩٤٧م، كانت ملتان في وضع سيء للغاية، ولكنها سرعان ما ازدهرت من الناحيتين العمرانية والعلمية.

تأسيسها جامعة

بدأت النهضة العلمية في مدينة ملتان بشيء من التنافس العلمي الحاد بين عدد من التيارات الفكرية الإسلامية وغير الإسلامية، وبدأ كل تيار ببناء المراكز الخاصة به لنشر دعوته، وفي هذه الفترة الحرجة من النزاعات الفكرية أنشئت دار الحديث المحمدية في عام ١٣٢٧ هـ الموافق ١٩١٠م وهي أقدم جامعة لأهل التوحيد في هذه المنطقة، وتستمر بتوفيق الله تعالى نحو تحقيق أهدافها وبذل جهدها في خدمة الكتاب والسنة وإعلاء كلمة الحق وتدريس أبناء المسلمين وتربيتهم على منهج السلف الصالح عقيدة وعملاً.

أهدافها

وضعت الجامعة منذ تأسيسها أهدافًا سامية وبدأت العمل الجادّ لتحقيقها وهي:

١- تدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية على منهج السلف الصالح.

٢- محاربة البدعة والشرك والأفكار الهدامة وتوجيه المسلمين إلى اتباع الكتاب والسنة.

٣- إيقاظ وتنمية مشاعر الأخوة الإسلامية وإيجاد الاعتدال في المسائل الفقهية وإبعاد الطلاب عن التعصب المذهبي.

٤- نشر المفاهيم الصحيحة للدين الإسلامي وحض المسلمين للتمسك بالكتاب والسنة.

٥- تربية الطلاب تربية إسلامية وإصلاح عقائدهم وجعلهم علماء ربانيين.

٦- إعداد الدعاة المخلصين الذين يقومون بأمور الدعوة ويشعرون بمسؤوليتهم.

٧- الاهتمام بنشر العقيدة الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة.

٨- العناية بتعليم البنات وتربيتهن التربية الصحيحة.

٩- تبليغ رسالة الإسلام الخالدة إلى الناس بأسلوب حكيم.

أقسامها





لقد اهتم القائمون على الجامعة باستيعابها لجميع الشرائح الطلابية وقاموا بتوزيعهم في الأقسام الدراسية التالية:

١- قسم الدراسات الإسلامية للبنين.

٢- قسم الدراسات الإسلامية للبنات.

٣- قسم تحفيظ القرآن الكريم للبنين.

٤- قسم تحفيظ القرآن الكريم للبنات.

٥- قسم تجويد القرآن الكريم للبنين.

٦- المدرسة الابتدائية للبنين والبنات.

ويدرس في الجامعة عدد٣٨٠ طالبًا وطالبة، منهم ١٦٠طالبًا يسكنون في الجامعة وتتحمل الجامعة تكاليف الطعام وخدمة العلاج والسكن وتقوم بتدريسهم نخبة من المدرسين وعددهم ٢٦ معلمًا ومعلمة، وتنفق الجامعة لقاء ذلك نفقات طائلة، مع العلم أنه ليس للجامعة موارد مالية مستقلة سوى تبرعات أهل الخير والجود جزاهم الله خيرًا.

نشاطاتها وفروعها

تتولى الجامعة العناية والاهتمام بإعداد الجيل الجديد وتربيتهم تربية إسلامية ولتحقيق هذا الغرض قامت الجامعة بإنشاء فروع شتى هي:

١- مدرسة لتعليم القرآن في جامع أم خالد.. منظور آباد.

يقدم المركز الموروث التاريخي الإسلامي للإنسان المعاصر اعتمادا على مناهج علمية حديثة

٢- مدرسة لتعليم القرآن .. مسجد بيت المكرم حي الأنصار.

٣- مدرسة لتحفيظ القرآن.. جامع مسجد عائشة حارة شاه ركن عالم.

٤- مدرسة لتعليم القرآن .. جامع مسجد الرضوان زكريا تاؤن.

٥- مدرسة لتحفيظ القرآن.. جامع أهل حديث كري داود خان؛ قدير آباد.

٦- مدرسة الحرمين لتحفيظ القرآن الكريم.. جهانيان خانيوال.

٧- مدرسة عائشة صديقة للبنات.. قرية مان ملتان.

٨- مدرسة رحمانية للبنات.. أحمد آباد ملتان.

دار الإفتاء وشعبة الدعوة

أقيمت في الجامعة دار الإفتاء للإجابة على أسئلة السائلين في مهمات حياتهم فيجاب لهم في ضوء الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح رحمهم الله.

كما كلفت شعبة الدعوة والتبليغ في الجامعة نخبة من المدرسين والطلاب بإلقاء الدروس والمحاضرات وخطب الجمعة في داخل مدينة ملتان وما حولها من القرى المجاورة في أيام شتى وفي مناسبات مختلفة.

وتقوم الجامعة بعقد المؤتمر السنوي بمناسبة سماع وختم صحيح البخاري بالسند المتصل إلى الإمام البخاري رحمه الله تعالى في نهاية كل عام دراسي.

وتقوم الجامعة في كل عام بتخريج كوكبة من الدعاة يحملون رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد هدى الله على أيديهم كثيرًا من أهل المنطقة والمناطق المجاورة؛ فلله الحمد.

وقد زار عدد من علماء المسلمين الجامعة ودعموها معنويًا، منهم أئمة الحرمين الشريفين فضيلة الشيخ محمد بن عبدالله السبيل، وفضيلة الشيخ صالح بن عبدالله الحميد، وفضيلة الشيخ سعود بن إبراهيم الشريم، وغيرهم من العلماء وطلاب العلم.

المصادر:

١- تاريخ الإسلام للذهبي.

٢- تاريخ ابن خلدون.

٣- المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور لأبي إسحاق الصيرفيني.

٤- موقع جامعة دار الحديث على الانترنت.

مشكلات النطق عند الأطفال وكيفية العلاج

د. ناصر أحمد سنة

لأسباب عدة يوجد لدى بعض الأطفال مشكلات في النطق، فقد يتأخرون في النطق والكلام، أو يتلجلجون، أو يعجزون، أو يتلعثمون... الخ. وغالبا ما يصاحب هذه المشكلات والاضطرابات- ضمن دائرة خبيثة من السبب والنتيجة - قلق وارتباك وشعور بالنقص والخجل، وعدم القدرة على التوافق وميل إلى الانطواء والعزلة. فما العلاج؟

النطق والبيان من أجلّ نعم الله تعالى على الإنسان، بعد الخلق والإيجاد، قال تعالى:﴿الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (سورة الرحمن:١-٤) فبعد الخلق والإيجاد يكون النطق والكلام واللغة سبيلًا للتواصل والتفاهم الاجتماعي الطبيعي بين البشر.

والنطق والكلام هو حركة أعضاء النطق في إنتاج الأصوات اللغوية والرموز المنطوقة. والكلام وسيلة تعبير عن اللغة، وهناك وسائل تعبير أخرى غير كلامية مثل الكتابة وإشارة اليد ولغة الجسم... الخ. ومن المعلوم أن اللغة قدرة ذهنية مكتسبة يتواصل بها الفرد مع الآخرين، وهي مجموعة من المعارف التي تشمل المعاني والمفردات والقواعد التي تنظمها أو تضبطها. هذه اللغة تتولد في ذهن الفرد وتمكنه من إنتاج وفهم العبارات والجمل المسموعة أو المكتوبة.

ولعل أكثر ما يُطرب الأذن تلكم الأحرف/ الكلمات الأولى التي يبدأ أطفالنا (وهم يقتربون من إتمام عامهم الأول) بالنطق بها (غالبا ما تكون ماما، بابا، نانا). ومن ثم تزداد السعادة عندما يمتلك القدرة المتراكمة على تكوين جمل مركبة من عدد أكبر من الكلمات، باستخدام قواعد اللغة المتعارف عليها. وما أن يصل الطفل إلى سن السادسة، حتى تكون قدراته اللغوية قد اكتملت أو كادت.

وهناك بعض الإشارات التي تساعد على معرفة مدى تطور اكتساب اللغة، ومن ثم التواصل بها عند الأطفال، منها: اتجاه الطفل تجاه مصدر الصوت، واستجابته للأصوات العالية والهادئة، وبكاؤه وتفاعله مع المؤثرات الخارجية، وانجذاب نظره لوجه من يتحدث إليه، وقدرته على التعرف على صورة والدته أو والده أو أقاربه، ومحاولته المشاركة والتواصل من خلال حركات جسدية أو صوتية (مناغاة) ثم تحدثه بمقاطع متكررة مثل: (بابا- نانا)، فهمه للألعاب المحيطة به.

اضطرابات النطق

ثمة حالات لوصف تأخر الكلام عند الطفل: كتأخر التلفظ بالكلمات إلى سن ثمانية عشر شهرًا، أو عدم نطق الجُمل بعد بلوغ الطفل سنتين ونصف السنة من العمر، أو إذا كان كلام الطفل البالغ من العمر أكثر من سنتين غير مفهوم للآخرين، أو إذا كان أكثر من نصف كلام الطفل البالغ من العمر أكثر من ثلاث سنوات غير مفهوم، أو كان ١٠٪ من كلام الطفل البالغ من العمر أكثر من أربع سنوات من العمر غير مفهوم للآخرين.

وقد خلصت دراسة حديثة إلى أن الأطفال الذين يعانون من تأخر الكلام يستخدمون جزءًا مختلفا من الدماغ في السماع (مهارات اللغة ترتبط بالجانب

كاتب وأكاديمي مصري

الأيسر من الدماغ). فوجد الباحثون أن الجانب الأيمن من دماغ هؤلاء الأطفال شهد نشاطا أكبر، في حين مال آخرون إلى استخدام الجانب الأيسر. كما أن المتأخرين في النطق يعانون أيضا من انخفاض نشاط الدماغ الكلي.

ومن أكثر اضطرابات النطق شيوعا، فُرادى أو مجتمعة، بوتيرة مستمرة أو متقطعة حسب المواقف

- الحذف (Omission): عدم مقدرة الطفل على نطق جميع حروف الكلمة وإنما يسقط منها حرفًا أو أكثر.

- **الإبدال (Substitution)**: عدم مقدرة الطفل على التلفظ بجميع حروف الكلمة كما هي، وإنما يبدل حرفًا يستعصي عليه نطقه بحرف آخر أكثر سهولة لديه مثل: (خبيبي بدل حبيبي، تاب بدل باب، تيارة بدل سيارة... الخ).

- **الإضافة (Addition)**: إضافة الطفل حرفًا آخر لحروف الكلمة الأساسية.

- **التحريف أو التشويه (Distortion)**: يتمثل في أن تكون الإضافة أو الإبدال أو الحذف مخلًا بالكلمة.. نطقًا ومعنى.

- **اللجلجة (Clutting)**: عدم قدرة المتكلم على توظيف اللغة للتعبير/ الإفصاح عن أفكاره ومشاعره. وهي تتمثل في خروج الكلمات من فم الطفل مضطربة، وبخاصة عندما يتحدث إلى من يهابهم. وهي من أكثر مشاكل الكلام انتشارًا، وغالبًا ما ترد إلى عوامل نفسية (القلق والتوتر وعدم الشعور بالطمأنينة منذ الطفولة المبكرة). لكن في كثير من الحالات فإن المصاب يستطيع أن يتحدث دون لجلجة إذا شعر بالطمأنينة وتوثقت صلته بنفسه وبالآخرين.

وقد يكون سبب اللجلجة عند بعض الأطفال هو عدم تمكنهم من اللغة بالقدر الذي يجعلها طوع أمرهم وفي متناولهم، فيؤدي تزاحم الأفكار بسبب قصور ذخيرتهم اللغوية واللفظية إلى اللجلجة. وأحيانا بسبب أن الطفل يتكلم في موضوع لا يهمه أو يعنيه أو لا يفهمه معتمدًا على الحفظ الآلي وبذلك تكون اللجلجة وسيلته كلما ضاع منه اللفظ المناسب.

من أكثر اضطرابات النطق شيوعاً: الحذف - الإبدال - الإضافة - التحريف - اللجلجة - التأتأة

من المعلوم أن التعثر الطبيعي في الكلام يحدث لأن قدرة الطفل الذهنية على التفكير بالكلام أسرع من تمكن اللسان على إخراجها، ولا يستمر التعثر الطبيعي في الكلام أكثر من شهرين إلى ثلاثة أشهر إذا تم التعامل مع الحالة بالطريقة السليمة. أما صعوبة النطق الطبيعية فترجع إلى أسباب وراثية.

- **التأتأة (Stammering)**: (مثل نطق: ت ت ت ت.. تلعب). يحدث تعثر طبيعي في الكلام عند ٩٠٪ من الأطفال بعكس التأتأة الحقيقية التي تحدث عند ١٪ من الأطفال. كما أن هناك ٧٠٪ تقريبا من الأطفال ينطقون الكلمات بوضوح منذ بداية تعلم الكلام، أما البقية الذين تتراوح أعمارهم من سنة إلى أربع سنوات فيكون لديهم عسر نطق طبيعي، ويتلفظون بالعديد من الكلمات التي لا يتم فهمها.

لاشك أن المتحدث الطبيعي قد يصادف لحظات من التردد والتهتهة، وهي تتفاوت من فرد إلى آخر وتتعلق بإلمام المتكلم بموضوع الحديث وطبيعة المستمع إذا كان ناقدًا أو ذا سلطة وسيطرة. عمومًا.. لا يتجاوز عدد الوقفات (التأتآت) عند الفرد الطبيعي٧٪ - ١٠٪، ويكون نوعها من قبيل تكرار بعض الوقفات القصيرة أو الكلمات/ الجمل القصيرة والحشوات لكسب بعض الوقت لتنظيم الأفكار (مثل: آه، إم، آآه). لكن عندما يزيد معدل الوقفات أو التأتأة عن ١٠٪ يكون ذلك مؤشرًا لوجود اضطراب في النطق.

فـ«التأتأة» مشكلة تسبب انقطاعا في سلاسة وانسابية النطق، ويفوق حدوثها عند الأولاد عن البنات بأربع مرات. يردد/ يكرر الطفل صوتًا لغويًا/ كلمة/ مقطعًا ترديدًا لا إراديًا مع عدم القدرة على تجاوزه (يتوقف في الكلام) إلى المقطع التالي. ويلاحظ على المصاب بها اضطراب في حركتي الشهيق والزفير مثل انحباس النفس ثم انطلاقه بطريقة تشنجية، مع حدوث حركات زائدة في اللسان والشفتين والوجه واليدين عما يتطلبه نطق الكلام العادي. وتتكرر تلك الحالة بصورة أكثر كلما كان الطفل متعبًا أو منفعلًا أو مجهدًا، خائفًا من التحدث.

أسباب اضطربات النطق

أسبابها معقدة (عوامل فسيولوجية، عصبية، اجتماعية، ولغوية). لكن الرأي القائل بأن منشأها عوامل نفسية يُعد من أكثر الآراء قبولًا. من ذلك إفراط الأبوين في تدليل الطفل أو محاباته على إخوته، أو العكس افتقاره إلى عطف الأبوين، والحياة في جو يسوده العقاب الجسدي والإهانة والشقاق، أو لتضارب أساليب التربية، أو للإخفاق المدرسي كما أن إهمال الآباء للأبناء ومحاولتهم إسكاتهم عند التحدث أمام الآخرين يؤدي إلى خلق رواسب

نفسية سلبية، تعمل على زعزعة ثقتهم بأنفسهم، وقدراتهم على التحدث والنطق بشكل صحيح.

ويمكن تبين أثر القلق وانعدام الأمن عند الطفل من الأثر الانفعالي الذي يعانيه عندما يتكلم، فالقلق/التخوف من مواجهة المواقف/ الأشخاص يسبب توتره، فيتلكأ في إخراج الكلام بصورة تامة. وبمرور الأيام يتعود اللجلجة مما يزيد شعوره بالنقص وعدم الكفاءة. بيد أنه أحيانا عندما يكون في ظروف نفسية إيجابية، أو بمعزل عن الناس.. فإنه يستطيع التكلم بطلاقة.

ما العلاج؟

- تتفاوت الأساليب العلاجية لاضطرابات النطق حسب عمر الطفل. ومن ذلك توفير الرعاية الصحية له باستمرار، وعرضه على أصحاب الاختصاص في وقت مبكر إذا لوحظ لديه أعراض مشاكل النطق. وينبغي التأكد من خلو الطفل من المسببات المرضية العضوية لمشاكل النطق، ومعالجتها إن وجدت (مشاكل الجهاز العصبي، وأجهزة السمع والكلام العليلة مثل: الزائدة اللحمية في الأنف، انشقاق الشفة، عيوب الأسنان واللسان... الخ).

- العلاج النفسي: وذلك بإبعاد الطفل عن الضغوط النفسية والانفعالات الحادة والتدليل الزائد وإظهار الاهتمام والقلق المبالغ فيه نحوه. مع تقدير حالته وعدم السخرية منه أو إحراجه أو مقارنته بالأسوياء، مع تنمية ثقته بنفسه ووضع حد لما يشعر به من خوف أو خجل وتعزيز النجاحات التي يحققها.

لعلاج مشكلات النطق يجب التعاون والتنسيق بين المنزل والمدرسة والاختصاصي المعالج

- تفهم الوالدين والمعلمين لحالة الطفل لأسباب الصعوبات التي يعاني منها الطفل والسعي لتخليصه منها. وتغيير البيئة (المدرسة) إذا كانت الحالة تستدعي ذلك.

- تنظيم برنامج تأهيل مستمر ومتطور للمعلمين للإلمام بما هو حديث في عمليات ملاحظة القدرات التعبيرية، والاكتشاف المبكر لاضطرابات الكلام، وسبل التعامل معها وتقويمها. وذلك ضمن منظومة تعليمية متكاملة من قبل المؤسسات المعنية.

- تدريبات رياضية لتقوية الفكين وأجهزة التنفس بإشراف اختصاصيين، مع تنظيم التنفس، وتخفيف سرعة التكلم، والتحدث بهدوء.

- مخاطبة الطفل بألفاظ سهلة ومفهومة حول أشياء يعرفها، وتدريبه على الكلام السليم تدريجيًا ابتداءً بالسهل ثم الصعب. وإعطاؤه الفرصة كاملة للتعبير عن نفسه، وتشجيعه، وعدم توجيه أي لوم إليه. وتنمية قاموسه اللغوي باستمرار. ومتابعة تلك التدريبات من خلال التسجيل الصوتي.

- التعامل مع التأخر اللغوي عند الطفل من خلال الابتعاد عن مقارنة الطفل بغيره من زملائه وأقرانه ممن تمكنوا من النطق لغويًا بشكل جيد. التحدث مع الطفل بلغة واحدة. استعمال أسلوب سهل وبسيط في التحاور مع الطفل. تشجيع الطفل على طلب الأشياء وعدم الاكتفاء بالإشارة لها فقط. مشاركة الطفل في جميع ممارساته اليومية والتحدث معه. الحرص على سرد قصة قبل النوم؛ فهي تساعد على جذب الطفل واسترعاء انتباهه للمشاركة في الحديث حول القصة، اجتناب ازدواجية اللغة أثناء فترة الطفولة المبكرة.

- يجب تحقيق اكبر قدر ممكن من التعاون والتنسيق بين دور المنزل والمدرسة والاختصاصي المعالج حتى تتكامل الجهود لعلاج مشكلات النطق وفق الاحتياجات المطلوبة لكل منها.



الشيخ العلامة أحمد نصيب المحاميد - رحمه الله -

التحرير

هو العلامة الشيخ أحمد بن محمد سعيد بن حسن العلي المحاميد، أبومحمد، ولد في سنة ١٣٣٠هـ، الموافق ١٩١٢م، في قرية «نصيب» من محافظة درعا بالجمهورية العربية السورية، وعُرف بالشيخ نصيب نسبة لقريته التي ولد فيها.

درس الشيخ أحمد نصيب المحاميد في بداية نشأته في الكتّاب، ولما بلغ السابعة عشرة من عمره سافر إلى مدينة دمشق التي تبعد عن قريته التي يعيش فيها أكثر من ١٠٠ كم، وفيها التحق مباشرة بحلقة الشيخ علي الدقر رحمه الله تعالى، وقرأ على الشيخ العلامة عبدالكريم الرفاعي رحمه الله، ثم تدرج شيخنا في طلب العلوم على فحول العلم في الشام:

فأخذ الحديث من محدث الشام الحافظ محمد بدر الدين الحسني ت: ١٣٥٤هـ، فقرأ عليه من صحيحي البخاري ومسلم، كما أخذ من شيخه العلامة علي الدقر ت:١٣٦٢هـ كتاب الترغيب والترهيب، وأخذ على شيخه الشيخ محمود العطار ت:١٣٦٢هـ، مسند الإمام الشافعي وسمع على شيخه أبي الخير الميداني ت١٣٨٠هـ، حديث الرحمة المسلسل بالأولية الإضافية و المسلسل بالدمشقيين.

وأخذ الفقه من شيخه الشيخ أحمد البصوروي، والشيخ علي الدقر، وتفقه على شيخ الشافعية العلامة صالح العقّاد، وقرأ عليه كتاب: شرح البهجة لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري.

وقرأ أصول الفقه على شيخه الشيخ محمد بدر الدين الحسني، وشيخه الأصولي محمد أمين سويد (ت١٣٥٥).

كما أخذ الشيخ التجويد على الشيخ جميل الخوّام (ت١٤١٥) وقرأ على الشيخ المقرئ عز الدين العرقسوسي بعض سور القرآن. وحفظ القرآن الكريم كاملًا على تلميذ العرقسوسي الشيخ محمد أبي الحسن الخبّاز وغيره.

وقرأ ختمة كاملة على القارئ الشيخ عبدالوهاب الحافظ المشهور بدبس وزيت ت: ١٣٨٩هـ، كما قرأ رحمه الله علوم العربية وآدابها حتى غدا مرجعًا فيها، وكان الشيوخ يُحيلون عليه، ومنهم شيخ الشام عبدالوهاب دبس وزيت.

كما أخذ البلاغة عن شيخه أبي الخير الميداني.

عمله

أمّ الشيخ بالوكالة في جامع «تنكز»، واشتهر بإمامة جامع التوبة والتدريس فيه، وخطب في جوامع أشهرها: جامع الشمسية، وانتقل منه إلى جامع العثمان المعروف بجامع الكويتي، وخطب في جامع السّبَاهيّة.

كما درّس رحمه الله في عدة مدارس كمدرسة الجمعية الغرّاء ومدرسة سعادة الأبناء، ومدرسة أسعد عبدالله، والثانوية الشرعية في الميدان، وفي دائرة الإفتاء العام.

مؤلفاته

للشيخ رحمه الله العديد من المؤلفات أشهرها:

«من وحي المنبر، وهو مجموعة من خطب منبرية، قبسات هادفات، الحبّ بين العبد والرب، الأمانة والأمناء، روائع من الأدب العربي» وغيرها.

هذا ومع اهتمام الشيخ بالجانب الديني والإيماني وانغماسه في التدريس والإرشاد غير أنه لم تغب قضايا الأمة الإسلامية عن باله، و بخاصة قضية الأقصى السليب ومسجده المبارك، فإنك تجد هذا متجسدًا في خطبه ودروسه رحمه الله.

الخطيب المفوه

تأخر خطيب جامع تنكز يومًا عن خطبته، فطلب المؤذن من الشيخ أحمد أن يخطب بدلًا عن الشيخ، وبينما كان الشيخ أحمد جالسًا على المنبر إذا بالشيخ عبدالجليل يدخل من الباب، فأراد الشيخ أحمد أن ينزل، فأشار الشيخ أن اجلس مكانك، فلما انتهى المؤذن خطب الشيخ أحمد ووفّق، وكان حافظًا لكتاب الله، وبعد الصلاة ذهب الشيخ أحمد ليسلم على خطيب المسجد فبادره الشيخ بتقبيله بين عينيه ودعا له بالخير والتوفيق، وأخبر بعد ذلك الشيخ عليًا الدقر عن تفوّق تلميذه، وسُرّ لهذا.

أقوال العلماء فيه

قال فيه شيخه شيخ الشافعية في دمشق الشيخ صالح العقّاد - وكان يدعى بالشافعي الصغير رحمه الله-: «هذا خطيب العلماء وعالم الخطباء».

وفاته

توفي رحمة الله عليه في دمشق صباح يوم الأحد الواقع في الأول من شعبان ١٤٢١هـ الموافق لـ٢٩ تشرين الأول عام ٢٠٠٠م وشيّع بعد صلاة العصر في اليوم نفسه، بعد أن صلى عليه الشيخ العلامة أديب الكلاس رحمه الله في الجامع الأموي بدمشق، ووري الثرى في مقبرة الدحداح بجوار شيخه الشيخ أبي الخير الميداني والشيخ محمد الهاشمي وغيرهما من أكابر علماء الشام رحمهم الله جميعًا، وقد ضمت هذه المقبرة قبورًا لصحابة أجلاء وتابعين وممن جاء بعدهم ممن سار على هديهم واستنّ بسنتهم، رحم الله الجميع وأسكنهم فسيح جناته.



فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

إعداد: التحرير

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

٥/٤٢٧/٨٧ التعامل مع السوق السوداء

رقم الفتوى (١١٦٧)

أنا أعمل في الكويت وأرسل إلى عائلتي في كينيا دولارات أميركية، ويقومون بصرفها إلى العملة المحلية في كينيا عند أشخاص وليس في البنك (يعني في السوق السوداء)، حيث إن السعر في السوق السوداء أعلى من البنك، فهل هذا حرام؟

الأصل في المعاملات الحل إذا كانت عن تراض، ولا يمنع من الاتجار بالعملة بشرطه (أي بالتقابض الفوري عند الاتفاق على البيع وتحديد السعر الحال) مع نهي الحاكم عنها، إلا إذا تحقق ضرر عام، والله أعلم.

٤/٤٤٥/٨٧ تعيين المبيع وإمكانية قبضه

رقم الفتوى (١١٦٨)

تعقد البنوك الإسلامية وغيرها صفقات تجارية بواسطة المصارف والبنوك الأجنبية في أوروبا وأميركا وغيرها على النحو التالي:

تقوم المصارف الأميركية بالواسطة في شراء صفقات كبيرة من الأسمنت أو الحديد أو النفط أو أي بضائع أخرى عدا الذهب والفضة، وكذلك تقوم بالتوسط بين البائع والمشتري فتعقد الصفقات على النحو الآتي:

تعلن تلك البنوك الأجنبية في البنوك الإسلامية وغيرها عن وجود بائع لصفقة ما، بسعر معين نقدًا وفي الوقت نفسه تعلن عن وجود المشتري لتلك الصفقة بالأجل بسعر أعلى من سعر الشراء لمدد مختلفة، وتدخل البنوك الكبيرة الوسيطة ضامنة للبيع المؤجل بحيث تضمن أن ثمن الصفقة يدفع في وقته، ولولا ضمان تلك البنوك لما عقدت الصفقات لأن البائع لا يعرف المشتري إلا عن طريق تلك البنوك ولا يعلم مدى قدرته على السداد أو مدى التزامه بالسداد في وقته، فتدخل تلك البنوك الوسيطة ضامنة للسداد في وقته وهي كفيلة بذلك لقاء أجر تأخذه من المشتري... فما هو الحكم بارك الله فيكم في مثل هذه الصفقات وهل تجوز شرعًا؟

وكان نص فتوى اللجنة في ذلك كما يلي:

إن هذه الصفقات عبارة عن وكالة بالشراء لشخص ثم البيع لصالح ذلك الشخص إلى طرف ثالث بأجر على هذه الوكالة، وهذا جائز لأن الوكالة بأجر معلوم جائز شرعًا سواء أكانت الوكالة بالبيع أم بالشراء أم بهما معًا.

وأما بالنسبة للطرف الثالث وهو المشتري، إذا حصل على كفالة البنك له لقاء أجر منه يدفعه إلى الكفيل فإن هذا لا يجوز، وهذا عقد كفالة مستقل عن عقد الوكالة، ولا أثر له على صحة الوكالة بأجر، ولابد من مراعاة القواعد الشرعية في هذه الوكالة وأهمها:

١ . ألا يبيع هذه العين التي هو موكل بشرائها إلا بعد أن يشتريها فعلا للموكل.

٢ . ألا يكون موضوع التعامل محرمًا.

٣ . لابد من تحاشي تداخل الضمان أي ضمان البائع وضمان المشتري، وذلك بالقبض الفعلي قبل إعادة بيعه، والقبض في كل شيء بحسبه لأنه لم يرد عن الشرع تحديد للقبض فيرجع فيه إلى العرف، ويعتبر مما ينوب عن القبض مرور فاصل زمني بين عملية الشراء للموكل وعملية البيع عنه، وهذا ما يحصل في هذه الصفقات لدى البنوك الإسلامية بإرسال تلكس بتمام الشراء ثم تلكس آخر بتمام البيع.

٤ . ألا يكون المشتري في العقد الثاني هو البائع في العقد الأول لئلا يكون ذلك من بيع العينة المحرمة.

- **ورأت اللجنة أن يضاف إلى هذه الفتوى ما يلي:**

وهذا في بيع السلع الموجودة لدى البائع أو في مخازن عمومية يتم فيها تعيين السلع المبيعة بوسيلة تزيل الجهالة، علمًا بأنه يغني عن القبض التمكين منه بأي وسيلة متعارف عليها كإعطاء سند التخزين أو وثائق الشحن... إلخ. والله أعلم.

٨٧/ع٣٣/١ زيادة الأسعار إرضاء للمقاولين

رقم الفتوى (١١٦٩)

أنا مكلف بإدارة شركة من شركة المقاولات، ونحن نضطر تحت وقع الظروف والواقع إلى دفع رشاوى، وحالاتها كالتالي:

نتيجة لصعوبة الأسواق والأسعار بسبب فتح الدولة الباب لكثير من المقاولين للعمل، ما أدى إلى تنافس شديد بينهم، وإلى الاتفاق بين بعضهم داخليًا على أساس أن واحدًا منهم يأخذ المشروع ويضع سعرًا يتضمن حصة كل مقاول على ضمان أن يدخلوا المناقصة ويرفعوا أسعارهم أكثر منه ليتسنى له الفوز بها.

● وأجابت اللجنة عن الصورة وهي الاتفاق بين المقاولين على سعر معيّن ثم يقتسمون الأرباح الناتجة عن هذا السعر فيما بينهم بما يلي:

إن هذه الصورة محرمة لأنها من قبيل النجش المنهي عنه، وهو تقديم أسعار غير واقعية بقصد التوريط في الدخول في الصفقة أو التنفير منها، وفي هذا تعاون على الإثم والعدوان وأكل لأموال الناس بالباطل.. والله اعلم.

٨٧/ع٦٦/١ أرباح أسهم الجمعيات التعاونية

رقم الفتوى (١١٧٠)

بالنسبة للأرباح السنوية للجمعيات التعاونية فأنا مساهم بإحدى الجمعيات التعاونية وأسأل عن هذه الأرباح مع العلم أنها تنقسم إلى قسمين:

الأول: عائد المشتريات وهو نسبة معينة على مشترياتك ١٠٪ مثلا.

الثاني: فائدة الأسهم وتكون نسبة معينة على عدد أسهمك.

فما حكم هذه الأرباح في حالة وضع مبالغ الجمعية في بنك إسلامي؟

وما حكمها في حالة وضعها في بنك تجاري ربوي على شكل حسابات جارية؟

وقد اطلعت اللجنة على النظام الأساسي لجمعية ضاحية عبدالله السالم، وأجابت بما يلي:

أولا: عائد المشتريات الذي تعطيه الجمعية بنسبة معينة على ما يشتريه المساهم جائز لأنه يعدّ من قبيل التشجيع والمكافأة على الشراء من الجمعية.

الثاني: أما أرباح الأسهم التي تعود على المساهم بحسب عدد أسهمه فهي جائزة إذا كانت هذه الأسهم تستثمر استثمارًا مشروعًا، كوضعها في بنك ملتزم بأحكام الشريعة الإسلامية، أما إذا وضعت في بنك تجاري ربوي على شكل حسابات جارية بدون فائدة فجائزة، ولكن ينبغي عدم وضعها في هذه البنوك الربوية لأن فيها دعمًا لهذه البنوك الربوية.. والله أعلم.

٨٧/ع٩/٤ تسجيل مشتريات الجمعية على رقم أحد المساهمين

رقم الفتوى (١١٧١)

س١/ هل يجوز لي إذا لم أكن مشتركًا (مساهمًا) في جمعية تعاونية أن أضع أرباح مشترياتي لشخص آخر بأن أقول للـ «كاشير» رقم صندوقي هو كذا، مع العلم بأنه ليس لي صندوق؟

● وأجابت اللجنة بما يلي: لا يجوز تسجيل مشتريات شخص آخر باسم مشترك (مساهم) لم يشتر هذه الأشياء بهدف إضافة أرباحها إلى ذلك المشترك لأن هذه الأرباح عبارة عن جوائز مخصصة للمساهمين لتشجيعهم على الشراء من الجمعية، ولا يكون حق التصرف فيها إلا بعد تمام تخصيصها لهم بالشروط المرسومة، وهذا العمل من قبيل التزوير المحرم شرعًا.

س٢/ هل يجوز أخذ الفائدة على الأسهم في الجمعيات التعاونية؟

أجابت اللجنة بما يلي:

إن ما جاء في السؤال وفي نص أنظمة الجمعيات التعاونية باسم الفائدة على الأسهم ليس من قبيل الفوائد الربوية المحرمة، وإنما هو عوائد الأسهم ونوع من الأرباح وقد سبق للجنة أن أجابت عن سؤال أرباح الجمعيات (في فتوى سابقة) بما يلي: بالنسبة لما يوزع على المساهمين وهو ٧٪ ليس من قبيل الربا وإنما هو جزء مقطوع من الربح يوزع على أصحاب الأسهم.

كما رأت اللجنة أنه يجب ألا يسمى هذا فائدة لئلا يلتبس على الناس أن هذا من قبيل الربا.

٨٧/ع١٣/٢ الأرباح بنسبة ثابتة من قيمة أسهم الجمعيات

رقم الفتوى (١١٧٢)

أرجو إفتائي عن مدى جواز أخذ الفائدة على أموال الأسهم في الجمعيات التعاونية الاستهلاكية والتي منها قانون الجمعيات التعاونية المعمول به حاليا (وتقدر الفائدة وهي ثابتة بقيمة ٧٪ من قيمة الأسهم) علمًا بأن كثيرًا من المساهمين نقلوا أموالهم إلى الجمعيات لاستفادتهم من الفائدة هذه.

وبعد أن اطلعت اللجنة على إجابة سابقة رأت أنها تصلح أن تكون جوابًا عن الاستفتاء المعروض عليها وهذا نصّ الإجابة:

إن ما جاء في السؤال وفي بعض أنظمة الجمعيات التعاونية باسم الفائدة على الأسهم ليس من قبيل الفوائد الربوية المحرمة، وإنما هو عوائد الأسهم، ونوع من الأرباح، وقد سبق للجنة أن أجابت عن سؤال سابق بشأن أرباح الجمعيات بما يلي: إنه بالنسبة لما يوزع على المساهمين وهو ٧٪ ليس من قبيل الربا وإنما هو جزء مقطوع من الربح يوزع على أصحاب الأسهم، كما رأت اللجنة أنه يجب ألا يسمى هذا فائدة لئلا يلتبس على الناس أن هذا من قبيل الربا. والله أعلم.



إعداد: خالد خلاوي

لتكن ابتسامتك عنوان تميزك

في مجال العلاقات الاجتماعية ربما يتكلف البعض الابتسامة كأداة تعبيرية للمجاملة في بعض المواقف، ولكن هذه الابتسامة الجافة ليس لها تأثير يذكر ولا تحقق هدفها غالبًا، فالابتسامة التي تخرج من القلب تصل الى القلب، وتكون سمة مميزة لصاحبها يقدمها بلا تصنع ولا تكلف لكل من يلقاه، إنها ابتسامة صاحب الوجه البشوش دائمًا، يقول رسول الله ﷺ: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق» (رواه مسلم). وقال الإمام ابن عيينة: البشاشة مصيدة المودة، والبر شيء هين، وجه طليق وكلام لين.

ويقول ابن القيم في أهمية البشاشة في حسن العلاقة مع الناس: إن الناس ينفرون من الكثيف ولو بلغ في الدين ما بلغ، ولله ما يجلب اللطف والظرف من القلوب فليس الثقلاء بخواص الأولياء، وما ثقل أحد على قلوب الصادقين المخلصين إلا من آفة هناك، وإلا فهذه الطريق تكسو العبد حلاوة ولطافة وظرفًا، فترى الصادق فيها من أحب الناس وألطفهم وقد زالت عنه ثقالة النفس وكدورة الطبع.

وفي المعنى نفسه يقول الأستاذ محمد قطب: لا يكفي المال وحدة لتأليف القلوب، ولا تكفي التنظيمات الاقتصادية والأوضاع المادية، لابد أن يشملها ويغلفها ذلك الروح الشفيف، المستمد من روح الله، ألا وهو الحب، الحب الذي يطلق البسمة من القلوب فينشرح لها الصدر وتتفرج القسمات فيلقى الإنسان أخاه بوجه طليق.

لقد جعل الإسلام الابتسامة إحدى السمات البارزة لشخصية المسلم، فهو صاحب وجه طلق يعامل الناس بخلق حسن، بل إذا لم يكن لديه ما يتصدق به فما أقل أن يتصدق بابتسامة.. قال رسول الله ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك صدقة» (رواه البخاري).

ولكن لماذا جعلت الابتسامة صدقة؟

يقول الباحث في الإعجاز العلمي للقرآن والسنة عبدالدائم كحيل في الإجابة عن هذا السؤال: قام علماء بدراسة تأثير الابتسامة على الآخرين، فوجدوا أن الابتسامة تحمل معلومات قوية تستطيع التأثير على العقل الباطن للإنسان! لقد وجدوا أن لكل إنسان ابتسامته الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد، وأن كل ابتسامة تحمل تأثيرات مختلفة أيضًا، وعندما قاموا بتصوير هذه الابتسامات وعرضها بشكل بطيء وجدوا حركات محددة للوجه ترافق الابتسامة، وأن الإنسان نفسه قد يكون له أكثر من نوع من الابتسامة، وذلك حسب الحالة النفسية وحسب الحديث الذي يتحدث به والأشخاص الذين أمامه.

ومن النتائج المهمة لمثل هذه الأبحاث أن العلماء يتحدثون عن عطاء يمكن أن تقدمه للآخرين من خلال الابتسامة، فالابتسامة تفوق العطاء المادي لأسباب عدة:

١- يمكنك من خلال الابتسامة أن تدخل السرور على قلوب الآخرين، وهذا نوع من أنواع العطاء بل قد يكون أهمها؛ لأن الدراسات بينت أن حاجة الإنسان للسرور والفرح ربما تكون أهم من حاجته أحيانًا للطعام والشراب، وأن السرور يعالج كثيرًا من الأمراض على رأسها اضطرابات القلب.

٢- من خلال الابتسامة يمكنك أن توصل المعلومة بسهولة للآخرين؛ لأن الكلمات المحملة بابتسامة يكون لها تأثير أكبر على الدماغ، حيث بينت أجهزة المسح بالرنين المغناطيسي الوظيفي أن تأثير العبارة يختلف كثيرًا إذا كانت محملة بابتسامة، مع أنها العبارة ذاتها، إلا أن المناطق التي تثيرها في الدماغ تختلف حسب نوع الابتسامة التي ترافق هذه المعلومة أو هذه العبارة.

٣- بابتسامة لطيفة يمكنك أن تبعد جو التوتر الذي يخيم على موقف ما، وهذا ما لا يستطيع المال فعله، وهنا نجد أن الابتسامة أهم من المال، ولذلك فإن اقل ما تقدمه للآخرين هو صدقة الابتسامة.

٤- الابتسامة والشفاء، لاحظ كثير من الأطباء تأثير الابتسامة في الشفاء، وبالتالي بدأ بعض الباحثين بالتصريح بأن ابتسامة الطبيب تعتبر جزءًا من العلاج! إذن عندما تقدم ابتسامة لصديقك أو زوجتك أو جارك إنما تقدم له وصفة مجانية للشفاء من دون أن تشعر، وهذا نوع من أنواع العطاء أ. هـ.

وبالإضافة إلى كل ذلك فإن الابتسامة تدخل في باب أحب الأعمال إلى الله، لأنها من وسائل إدخال السرور على المسلم، وصدق رسولنا الكريم ﷺ إذ يقول: «وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة» (رواه أحمد).



صور من حياة المتميزين

مواقف من تبسم النبي ﷺ

- يقول فضالة بن عمير الليثي: قدمت على النبي ﷺ عام الفتح وهو يطوف بالكعبة، وكنت أريد قتله، ولما اقتربت من الرسول ﷺ قال لي: «أفضالة؟»، قلت: نعم فضالة يا رسول الله. قال: «ماذا كنت تحدث نفسك؟»، قلت: لا شيء، كنت أذكر الله. قال: فضحك النبي ﷺ ثم قال لي: «استغفر الله»، ثم وضع يده على صدري، فوالله ما رفعها حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه.

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن المسلمين بينما هم في صلاة الفجر يوم الاثنين وأبوبكر يصلي لهم لم يفاجئهم إلا رسول الله ﷺ قد كشف ستر حجرة عائشة، رضي الله عنها، فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك. (رواه البخاري).

- عن صهيب رضي الله عنه قال: قدمت على النبي ﷺ وبين يديه خبز وتمر، فقال النبي ﷺ: «ادن فكل»، فأخذت آكل من التمر، فقال النبي ﷺ: «تأكل تمرًا وبك رمد»، قال: فقلت: إني أمضغ من ناحية أخرى. فتبسم رسول ﷺ. (رواه ابن ماجة).

- عن سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم كثيرًا، كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت قام، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويبتسم. (رواه مسلم).

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة، قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته ثم قال: مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت فضحك ثم أمر له بعطاء. (رواه البخاري).

- وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: «ما حجبني النبي ﷺ ولا رآني إلا تبسم في وجهي» (رواه البخاري).

- ويقول أبوالدرداء رضي الله عنه: «ما رأيت أو سمعت رسول الله ﷺ يحدث حديثًا إلا تبسم» (رواه أحمد).

كلمات في التميز

الابتسامة

حسن الخلق: بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى.

عبدالله بن المبارك

انثر الابتسامات يمينًا وشمالاً على طول الطريق، فإنك لن تعود للسير فيه ثانية.

أحمد أمين

الرجل الذي لا يعرف كيف يبتسم لا ينبغي أن يفتح متجرا!

مثل صيني

الابتسامة مفتاح السعادة، بل هي الطلسم الذي يحل المشاكل ويساعد على اجتياز الصعاب والتغلب على العقبات.

حكيم

الناجح يبتسم ولا يقطب، عاداته كريمة منتقاة، إذا غضب فسرعان ما يعود إلى الرضا والصفح.

أنور الجندي

ابتسامة تذيب الجليد.. وتنشر الارتياح.. وتبلسم الجراح: إنها مفتاح العلاقات الإنسانية الصافية.

فولتير

جميل أن تبدأ الصداقة بابتسامة.. والأجمل أن تنتهي بابتسامة.

أوسكار وايلد

أن تشق طريقًا بالابتسامة خير من أن تشقه بالسيف.

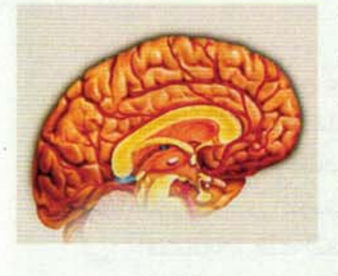
شكسبير

إعداد: هالة محمد

طرائق التدريس القديمة أفضل

أظهرت دراستان نشرتا في مجلة «ساينس» العلمية أن طريقة التدريس القديمة عن طريق الحفظ والتسميع أفضل لتثبيت المعرفة، كما أوضحت أن الأطفال والطلبة الذين يكتبون يتعلمون افضل من الذين يكتبون على الحاسوب، وبالنسبة للدراسة الأولى يعتقد الباحثون الذين أعدوها أن قراءة الحقائق بعد وقت قصير من التعلم أفضل من الوسائل التعليمية الحديثة المعتمدة في التعليم، وأشارت الى ان العديد من المعلمين في الوقت الحالي يعتمدون اعتمادًا كبيرًا على تقنيات التعليم مثل رسم الخرائط لمساعدة الطلاب على ترسيخ النصوص التي يقرأونها، واثبتت التجارب أن هذا الأسلوب أقل فعالية من اختبار قراءة ثابت، كما أظهرت دراسة أخرى أن الأطفال الذين يكتبون بأيديهم يتعلمون افضل من الذين يكتبون على الحاسوب، وأن عملية وضع القلم على الورق والقراءة من كتاب أفضل من استخدام لوحة المفاتيح وشاشة الكمبيوتر، وأوضحت الدراسة أن القراءة والكتابة تنطويان على عدد من الحواس، وعند الكتابة باليد يتلقى الدماغ ردود فعل تكون أقوى من تلك التي يتلقاها عند اللمس والكتابة على لوحة المفاتيح وأن أجزاء مختلفة من الدماغ يتم تحضيرها عن طريق القراءة والكتابة، وأن الكتابة باليد تأخذ المزيد من الجهد العقلي وهذا يساعد على عملية التعلم، وتعقيبًا على هذه الدراسة نورد قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾.

الخوف يغير المخ



أكدت دراسة هولندية أن تكرار المواقف الواقعية التي يتعرض فيها الجنود للخوف يغير المخ لدى هؤلاء الجنود، وجاء في الدراسة التي أعدها باحثون في جامعة «راد بود» بمدينة «نيميغن» الهولندية أن هذا التغير يتوقف بشكل أساسي على درجة الخوف التي يشعر بها كل جندي على حدة، وقال الباحثون: إن ذلك يعني أن شعور الجندي بانفجار قنبلة بالقرب منه ليس هو الفيصل في هذا الأمر، بل مدى إحساسه بأن ذلك يشكل خطرًا حقيقيًا عليه، وهذا فقط هو الذي يؤثر في تغير المخ والجهاز المسؤول عن التعامل مع الضغط والإرهاق العصبي للإنسان.

كويكب يبعد عن الأرض ٣٠٠ مليون كلم

بعد رحلة استمرت سبع سنوات عاد المسبار الفضائي الياباني «هايابوسا» أي (الصقر) الى الأرض، قام خلالها بزيارة كويكب «إيتو كاوا» وقد هبطت كبسولة المسبار في صحراء استراليا، وقد أعلن ممثلو وكالة الفضاء اليابانية في شهر نوفمبر الماضي أن بعض الحبيبات التي تم التقاطها تعود بالفعل إلى هذا الكويكب الذي يبعد عن الأرض ٣٠٠ مليون كلم.



الجزيرة العربية وأفريقيا أصل البشرية المعاصرة

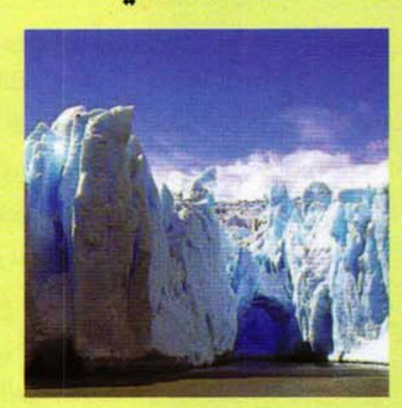
قال باحثون دوليون بعد اكتشافهم أدوات قديمة مثل الفأس والمخرز في دولة الإمارات شبيهة بتلك التي استخدمها الإنسان القديم في شرق إفريقيا، إن الإنسان المعاصر خرج من إفريقيا أول مرة قبل ٤٠ ألف سنة مما كان يعتقد، وعثر الباحثون على أدوات تعود إلى ما قبل ١٠٠ ألف سنة على الأقل في الصحراء العربية، قد تكون دليلًا على أول خطوة للإنسان للانتقال حول العالم، وكانت دراسات سابقة اعتقدت بأن ذلك حصل قبل ٦٠ ألف سنة.

وتوقع العلماء بأن يكون الإنسان وصل إلى شبة الجزيرة العربية مباشرة من افريقيا بدلًا من المرور في النيل أو الشرق الأدنى كما كان يعتقد سابقًا، وقال المسؤول عن الدراسة في جامعة لندن سيمون ارميتاج: إن الإنسان المعاصر ظهر في افريقيا قبل ٢٠٠ ألف سنة، وسكن تدريجيًا بقية العالم، وينبغي أن تحث النتائج التي توصلنا إليها على إعادة تقييم الطريقة التي أصبح فيها كإنسان معاصر مخلوقات عالمية.

وأشار أرميتاج وزملاؤه إلى أن شبه الجزيرة العربية كانت أكثر رطوبة قبل ١٢٥ ألف سنة، مع وجود كميات أكبر من النباتات وشبكة من الأنهار والبحيرات، وهذه البيئة قد تكون مكنت الإنسان المعاصر من السفر إلى وعبر الجزيرة العربية وبعدها إلى الهلال الخصيب وهي المنطقة التي تضم بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام.

مرصد ضخم في ثلوج القطب الجنوبي

تتويجًا لعقد كامل من التخطيط والابتكار والاختبارات أصبحت البشرية تملك المرصد الأضخم في العالم ويدعى «أيس كيوب» المبني عميقًا تحت ثلوج القطب الجنوبي ويعمل على النيوترين للمرة الأولى في التاريخ، فقد تم قبيل نهاية عام ٢٠١٠م الماضي تركيب السلسلة الأخيرة من المجسات البصرية في مرصد المكعب الجليدي، وهو عبارة عن تلسكوب قوي مصمم للعمل في الجليد، ويشمل كاشف المرصد الآن ٥١٦٠ مجسًا بصريًا ضمن ٨٦ سلسلة على عمق كيلومترين تحت محطة «أمندسون سكوت» التابعة لمؤسسة العلوم القومية في القطب الجنوبي، ويتيح المرصد من موقعه المميز هذا في نهاية العالم الفرصة لوسائل خلاقة في دراسة خصائص الجسيمات الأساسية التي تنشأ لدى بعض الظواهر المثيرة في هذا العالم، وتقوم المجسات



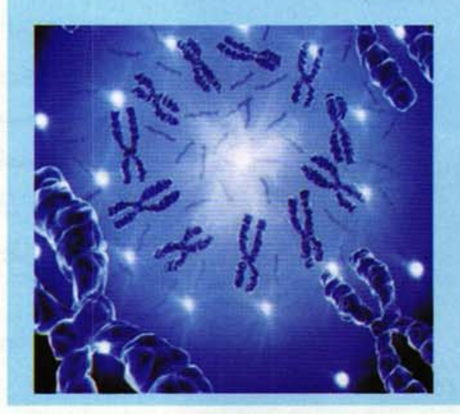
البصرية الأكثر تطورًا لهذا المرصد والتي يتم زرعها في الثلوج الأكثر بقاء على سطح الأرض بتسجيل الاصطدامات النادرة بين جزيئات الثلوج والنيوترونات وتأتي بعض النيوترونات من الشمس بينما يأتي البعض الآخر من الاشعاعات الكونية التي تتفاعل مع جو الأرض، وبعض المصادر القطبية الدراماتيكية كالنجوم المتفجرة في درب التبانة والمجرات البعيدة.

اختبار جديد للتحولات الجينية لدى الأبوين

قال باحثون اميركيون ان اختبارا جديدًا للتحورات الجينية لدى الأبوين ربما يساعد في الحيلولة دون مجيء مواليد بأمراض وراثية قاتلة.

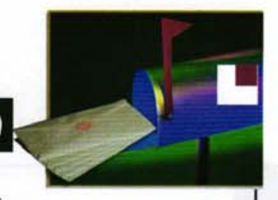
ويمكن للاختبار- وهو من بنات أفكار رئيس مجلس ادارة شركة للتكنولوجيا الحيوية أصيبت ابنته بمرض جيني قاتل لا شفاء منه- أن يرصد أكثر من ٥٠٠ مرض جيني وراثي ينتقل من جيل إلى آخر قبل أن يحدث الحمل.

وبالمضي قدمًا في الاختبار وجد الباحثون أن الناس ربما يكون لديهم في المتوسط بين اثنين الى ثلاثة تحورات جينية وراثية، ويمكن لسوء الحظ أن ينقلوا واحدًا من هذه الأمراض إلى ابنائهم.



من هنا وهناك

- أظهر باحثون في ألمانيا أن الدماغ يعمل بشكل أفضل خلال ساعات النوم في حفظ المعلومات منه خلال ساعات اليقظة.
- حققت باحثة إيطالية في الولايات المتحدة الأميركية إنجازًا مهمًا في الحرب على النسيان إذ اكتشفت بروتينًا جديدًا يحفز الذاكرة من خلال بناء جسور بين الخلايا العصبية، ويحمل البروتين اسم «أي جي إف ٤٢».
- ينتظر أن تطلق شركة جوجل الطبعة الجديدة لنظام استغلال الهواتف الذكية والألواح الالكترونية التفاعلية في الشهر المقبل.
- توصلت رابطة النباتيين الألمان إلى إمكانية استخدام الصويا والحبوب الزراعية كبدائل للنظم الغذائية التي تعتمد على اللحم، ويمكن لتلك الحبوب أن يكون لها طعم اللحم ولها نسيج مشابه.
- قال الطبيب النفسي التشيكي «مارتن أوباترني» إن الكمبيوتر هو الأسوأ بالنسبة للطفل من التلفزيون لأنه يمنحه الفرصة لاختيار اللعبة التي يريدها ثم لعب المزيد من اللعب الأخرى، وبالتالي فإن مقدرته على التوقف تكون أسوأ من التوقف على مشاهدة التلفزيون.
- قال باحثون في إدارة الطيران والفضاء الأميركية «ناسا»: ان عام ٢٠١٠م الماضي كان أكثر الأعوام على الإطلاق من حيث ارتفاع درجة الحرارة على كوكب الأرض.





إعداد: التحرير

عظمة الخط العربي

الخط العربي ليس مجرد حروف، بل هو علم وفن، وتقول بعض المصادر: إن فن الخط العربي هبة من الله، والخط العربي هو الفن الوحيد الذي تنفرد به الأمة العربية عن غيرها من الأمم، ويتفهم الغرب قيمة هذا الفن ويقدره أكثر منا، يقول بيكاسو، رائد الفن التجريدي، عن الخط العربي: «إن أقصى نقطة أردت الوصول إليها في فن الرسم سبقني إليها الخط العربي منذ أمد بعيد»، ويقول المؤرخ الإنجليزي الشهير أرنولد تونبي: «لقد انطلق الخط العربي الذي كتب به القرآن غازيًا ومعلمًا مع الجيوش الفاتحة إلى الممالك المجاورة والبعيدة، بل حل محل خطوطهم مثل الإيرانية ولغة الأوردو واللغة التركية».

وقد أولى الإسلام الكتابة عناية وأهمية فائقة، فيقول المولى عز وجل ﴿اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم﴾ (العلق: ٣-٤)، ويقول عز وجل: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ (القلم: ١)، والحروف العربية هي التي أقسم الله تعالى بها في سور عديدة من القرآن الكريم «الم- المص- الر - كهيعص- طسم- طس- ص- حم- ق- ن» وهذا الفن العريق ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالإسلام فأصبح له مكانته في قلوب العرب والمسلمين، وخلال القرون الماضية كان الخط العربي ملتقى حوار بين العلم والفن، ولعب الخط العربي دورًا مهما في تحديد العناصر الزخرفية، واستعمل لتزيين المساجد والقصور، والخطوط العربية سميت بأسماء المدن مثل مكة والمدينة والكوفة والبصرة، فيقال الخط المكي وبعده المدني والبصري ثم الكوفي.

والخط العربي في التاريخ له أعلام مثل المعتصمي والبغدادي وابن البواب وسيد إبراهيم.

● ويعد ياقوت المستعصمي من أشهر الخطاطين في تاريخ الحضارة الإسلامية، وقد لقي تشجيعًا ورعاية أسهمت في نبوغه من الخليفة العباسي الأخير المستعصم.

● ويعد هاشم محمد البغدادي عميد الخط العربي في بلاد الرافدين، حتى قيل فيه: إنه نابغة الزمان - تاج بغداد وسراجها- خادم القرآن الكريم- أستاذ الجيل- رافع لواء الخط العربي.

● ويعد سيد إبراهيم رائد الخط العربي في العصر الحديث.

نعيم نعيم السلاموني

الجنوب السوداني قصة استعمار

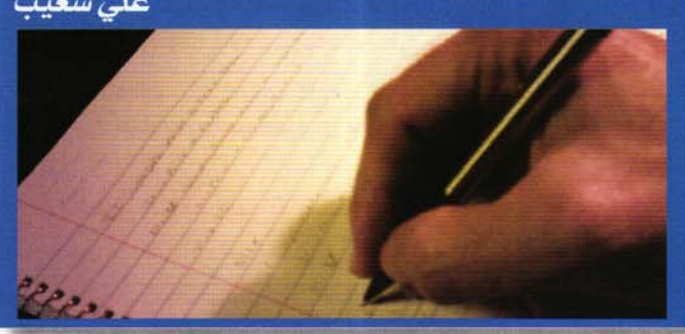
تمثل قضية فصل جنوب السودان عن شماله جزءًا من مؤامرة كبرى حاكها الغرب منذ سنوات عديدة لشرذمة العالم الإسلامي وتقطيع أوصاله، فقد دأب الاحتلال الانجليزي من أول يوم وطئت أقدامهم وادي النيل (مصر والسودان) على الفصل بين شطري البلد الواحد، وإثارة العصبيات القطرية بين القطرين من جهة برفع شعار «مصر للمصريين» و«السودان للسودانيين»، ومن جهة أخرى بالعمل على فصل شمال السودان عن جنوبه.

وعلى الرغم من قيام البريطانيين بتكوين السودان الحديث وتزويده بنظم حديثة في مجالات القانون والاقتصاد والتعليم والخدمة المدنية والبوليس وغيرها، أهملوا في الوقت نفسه جنوب السودان إهمالاً كبيرًا بغية تحقيق أهداف معينة أهمها فصل المناطق الجنوبية عن بقية البلاد، وذلك تمهيدًا لضمها إلى ممتلكات التاج البريطاني لإقامة اتحاد افريقي شرقي تحت السيطرة البريطانية.

كما تبنت السياسة البريطانية تجاه الجنوب سياسة خاصة عرفت بـ«سياسة الجنوب» عام ١٩٢٠م، وبيانها أن على حكومة السودان حماية الجنوب من التأثير الإسلامي، وتقترح تلك السياسة أن يوضع في الاعتبار إمكانية اقتطاع الجزء الجنوبي الأسود من الشمال العربي وإلحاقه في النهاية بنظام ما من أنظمة وسط إفريقيا.

وهكذا يتبين بجلاء أن الغرب الاستعماري وعلى رأسه إنجلترا قد خطط من قبل لتقسيم السودان، وعمل جاهدًا على تحقيق ذلك على أرض الواقع، وما هي إلا ساعات ويسفر الصبح عن سودان جديد لا علاقة له بالإسلام والمسلمين، بل ينضم سريعًا إلى التكتل المعادي للإسلام والذي يتمثل في الصهيونية العالمية، ويصبح عينا تتجسس بها إسرائيل على العرب والمسلمين، وخطرًا يهدد الوجود العربي والإسلامي بالمنطقة.

علي شعيب



الكوارث الطبيعية

«الكوارث الطبيعية» .. كثيرًا ما نسمع هذا التعبير يذاع هنا وهناك على ألسنة الناس وفي وسائل الإعلام المختلفة، وخصوصًا في هذا الزمان الذي كثرت فيه هذه الكوارث، ويقول الإنسان: ما لها؟

ها نحن نرى كل سنة، بل كل شهر أحداثًا وكوارث جديدة تضرب الكثير من مناطق العالم بأنواع بلاياها، فتدمر المدن الجميلة والقرى الحصينة، هل القرون الذين عمروا قبلنا قد شهدوا ما نشهده اليوم؟

لابد في هذه الدار من الفتن والكوارث يجدها الإنسان في طريق حياته ليختبر في إيمانه وعقيدته، والفتن والكوارث تصيب المؤمنين والكافرين، وتصيب الطائعين والعصاة، هذه سنة الله سبحانه وتعالى في كونه، يقول القرآن الكريم: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ (الأنفال: ٢٥)، وهذه الفتن منها ما له سبب، أي جزاء على عمل، ومنها ما ليس له سبب، بل تكون اختبارًا من الله لبعض عباده، وأسباب هذه الفتن كثيرة لا تكاد تنحصر تحت عد، فقد وردت في ذلك أحاديث صحيحة تبين بعض هذه الأسباب، ففي سنن الترمذي، قال رسول الله ﷺ: «إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء، قيل ما هن يا رسول الله؟ قال: إذا كان المغنم دولا، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وأطاع الرجل زوجته وعق أمه، وبر صديقه وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وشربت الخمور، ولبس الحرير، واتخذت القينات والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء، أو خسفا أو مسخا» (رواه الترمذي)، هذه دلالات على أن الناس إذا فشا فيهم هذا الوباء بأنواعه، كان سببا في ظهور الفتن والكوارث التي هي من جند الله وليست طبيعية، وكذلك إذا أسرف الإنسان في تعامله مع الطبيعة والبيئة فإنه سيجني ثمار ما غرسه، وليستعد لمواجهة عنيفة مع طبيعته، ففي مطلع الالفية الثالثة لاحظ العلماء أن هذه الكوارث في ازدياد مستمر، والسبب الإنسان، لأنه لم يحترم قوانين دينه مع طبيعته وبيئته، إذا كان الإنسان هو السبب في هذه الأخطار والكوارث الخ... فإن القرآن الكريم نزل قبل ألف وأربعمائة عام، يخبر بذلك، يقول القرآن الكريم: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾ (الروم: ٤١)، ولو كان للمفسرين أقوال أخرى فإنها تندرج تحت هذا المعنى، كما هو ظاهر الآية. والله أعلم.

محمد عزيز الرحماني

الإرهاب العالمي.. فكر شيطاني

• مقولة الغرب.. بوصف الإسلام بالإرهاب هجمة سياسية حاقدة، لأن العدالة الدولية غائبة، مع تراجع الوعي والقانون، وانتشار الانفلات السياسي والاخلاقي والاجتماعي.

وأمن أي مجتمع ضرورة حياتية، والتطرف والقتل والغلو ضد كل القيم الإنسانية والأخلاقية والدينية.

والإرهاب نما بأفكار صهيونية، والجناة في أي حادث إرهابي أناس ابتعدوا عن تعاليم الأديان السماوية، وكل الأعمال الإرهابية أو التخريبية أعمال غادرة بتفكير إنساني خاطئ.

ولا يوجد دين سماوي يدعو لترويع الآمنين، أو القتل العمد، من هنا فالإرهاب فكر شيطاني، والشيطان ينشد الغدر والقتل، والقتلة لا دين لهم، كما أن عناصر الغدر تمارس الجبن والخسة، ولا تكشف عن وجهها القبيح.

• والاديان السماوية دعت للتسامح، حيث لا بغي ولا ظلم ولا عدوان، إنما دعوة للتعاون والتآلف بين الأمم والشعوب.

وقال تعالى: ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (الحجرات: ١٣).

والإسلام دعا لإقامة العلاقات الإنسانية مع أهل الديانات الأخرى، والتحرك بقيمة الرحمة والمودة، وعدم ايذاء الآخرين، أو الاضرار بهم.

ونادى بحرية العقيدة لأهل الديانات الأخرى، والتسامح الديني في الإسلام لغة حضارية، بعكس ما يتحرك به الغرب من دعاوى مغلوطة ضد الإسلام وابنائه ويتجاهل الغرب أن للإسلام حضارة بناءة استفادت منها أوروبا في عصور الظلام، لانها تميزت بطبيعة إنسانية، والغرب صنع حضارته بتعلمه من حضارة الإسلام.

يحيى السعيد النجار

ينابيع المعرفة

إعداد: التحرير

ربيع الآخر

ربيع الآخر هو الشهر الرابع من شهور السنة الهجرية، سُمِّي بهذا الاسم نحو عام ٤١٢م في عهد كلاب بن مُرّة الجد الخامس للرسول ﷺ، وقد جاء في تسمية هذا الشهر روايات كثيرة، من ذلك أن هذا الشهر والشهر السابق له حل وقت تسميتهما في زمن الربيع فلزمتهما التسمية. والعرب تذكر الشهور كلها مجردة إلا شهري ربيع وشهر رمضان.

ومن أهم أحداث هذا الشهر أن صلاة العصر زيدت فيه ركعتين، في السنة الأولى للهجرة. وفيه عام ٩ هـ كانت غزوة طيىء، وفيه عام ١٦هـ تم فَتْح القدس. واحترقت الكعبة عام ٧٣هـ لما رماها الحجاج بن يوسف بالمنجنيق وهو محاصر لابن الزبير.

احفظ عنّي أربع كلمات

خرج الزُّهري يومًا من عند هشام بن عبدالملك، فقال: ما رأيت كاليوم، ولا سمعت كأربع كلمات تكلم بهنّ رجلٌ عند هشام دخل عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، احفظ عني أربع كلمات فيهنّ صلاح ملكك، واستقامة رعيتك، قال: ما هُنّ؟ قال: «لا تَعدّ عدّة ولا تثقُ منْ نفسكَ بإنجازها، ولا يغُرّنّك المُرْتقى وإنْ كان سهلًا، إذا كانَ المنحدرُ وعرًا، واعلم أنّ للأعمال جزاء، فاتقِ العواقبَ، وأنّ للأمورِ بغتات، فكُنْ على حَذَر».

(طرائف عربية)

الارتحال في طلب الإسناد سنة

الارتحال في طلب الإسناد سنة مطلوبة في الدين كما قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، هذا إن كان السند موجودًا في بلده، فإن لم يكن موجودًا في بلده فالارتحال إليه فرضٌ كفائي.

قال الإمام يحيى بن معين: «الإسناد العالي قرب من الله ورسوله..». وقيل له في مرض موته: ماذا تشتهي؟ قال: «بيتُ خال وسند عال».

ولله در القائل:

إذا عالمٌ عالي الحديث تسامعوا بـ ... ـه وجاءه القاصي من القوم والداني

وساروا مسير الشمس في جمع علمـ ... ـه فأوطانهم أضحت غير أوطان

يا سامع الأصوات

دعا الفخر الرازي ربه في مرض موته فقال: «اللهم يا سامع الأصوات، ويا مجيب الدعوات، ويا مقيل العثرات، ويا راحم العبرات، ويا قيام المحدثات والممكنات، وأنا كنت حسن الظن بك، عظيم الرجاء في رحمتك، وأنت قلت: «أنا عند ظن عبدي بي»، وأنت قلت: ﴿أمّن يجيب المضطر إذا دعاه﴾، وأنت قلت: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾، فهب اني ما جئت بشيء، فأنت الغني الكريم، وأنا المحتاج اللئيم».

(وصايا وعظات للحموي ص: ١٧٥).

قرين التوحيد

الواجب على العاقل لزوم التوكل على من تكفّل بالأرزاق؛ إذ التوكل هو نظام الإيمان، وقرين التوحيد، وهو السبب المؤدي إلى نفي الفقر، ووجود الراحة، وما توكّل أحدٌ على الله جل وعلا من صحة قلبه، حتى كان الله جل وعلا بما تضمّن من الكفالة أوثق عنده بما حوته يده؛ إلا لم يَكِلْه الله إلى عباده، وآتاه رزقه من حيث لم يحتسب.

(روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص: ١٣٨)

أُوصيكم بخمس

قال علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: «لا يرجو أَحدُكُم إلا ربَّهُ، ولا يَخَافَنّ إلا ذَنبَه، ولا يستحي إذَا سُئِلَ عمّا لا يَعلَم أَنْ يقول: لا أَعْلَم، وإذا لَمْ يَعْلَمْ الشّيء يَتَعَلّمُهُ، واعلموا أَنّ الصّبْرَ مِنَ الإيمانِ بمنزِلَةِ الرّأسِ مِنَ الجَسَدِ، فإذا قُطِعَ الرّأْسُ ذَهَبَ الجَسَد» (موسوعة أقوال الحكماء).

أوصيكم بخمس

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لا يرجو أحدُكم إلا ربَّهُ، ولا يَخافَنَّ إلا ذَنبَه، ولا يستحي إذا سُئِلَ عمّا لا يَعلم أنْ يقول: لا أعْلَم، وإذا لَمْ يَعْلَمْ الشَّيء يَتَعَلَّمُهُ، واعلموا أنَّ الصَّبْرَ مِنَ الإيمانِ بمنزلَةِ الرَّأسِ مِنَ الجَسَدِ، فإذا قُطِعَ الرَّأسُ ذَهَبَ الجَسَد»

(موسوعة أقوال الحكماء).

العجائب السبع

١- حدائق بابل المعلقة في العراق، بناها نبوخذ نصّر.

٢- أهرام الجيزة بمصر بناها الفراعنة منذ خمسة آلاف سنة.

٣- مقبرة الملك موسولوس، على شاطئ بحر إيجة، بُنيت سنة ٣٥٣ قبل الميلاد.

٤- تمثال أبولو بجزيرة رودس وقد حطّمه زلزال في سنة ٢٢٤ قبل الميلاد.

٥- معبد ديانا بمدينة أفسوس، وقد استغرق بناؤه مائتين وعشرين عامًا.

٦- تمثال جوبيتر على جبل أولمبوس، وهو مصنوع من العاج، ومكسو بالذهب.

٧- منارة الاسكندرية، ارتفاعها ٥٢٠ قدمًا بناها بطليموس عام ٤٨ قبل الميلاد.

وقد اندثرت كل هذه الأبنية ما عدا أهرام الجيزة.

باب التوفيق

قال شقيق بن إبراهيم البلخي: أُغلِقَ باب التوفيق عن الخلق من ستة أشياء:

- اشتغالهم بالنعمة عن شكرها.
- ورغبتهم في العلم وترك العمل.
- والمسارعة إلى الذَّنب وتأخير التوبة.
- والاغترار بصحبة الصالحين، وترك الاقتداء بأفعالهم.
- وإدبار الدنيا عنهم وهم يتبعونها.
- وإقبال الآخرة عليهم وهم معرضون عنها.

(موسوعة أقوال الحكماء)

ابتسامة.. لاشك في احتمالك المكاره

خطب رجلٌ عظيم الأنف امرأةً فقال لها: قد عرفت أني رجل كريم المعاشرة محتمل المكاره، فقالت: لاشك في احتمالك المكاره مع حملك هذا الأنف أربعين سنة.

قال الشاعر في رجل كبير الأنف:

لك وجه وفيه قطعة أنف
كجدار قد أدعموه ببغلة
وهو كالقبر في المثال ولكن
جعلوا نصبه على غير قبلة

وقال آخر:

لك أنف من أنوف — أنفت منه الأنوف
أنت في القدس تصلي — وهو في البيت يطوف

(المستطرف للأبشيهي)

جعل ماله كالحجارة

سرق رجلٌ من رجلٍ عشرة آلاف درهم، فسأله رجلٌ عنها، فقال: كنت أجمعها منذ ثلاثين سنة درهمًا على درهم.

فقال له الرجل: كنتَ تحدثُ نفسَكَ أنك تفعل فيها شيئًا من أبواب البر؟

فقال: لا.

قال الرجل: فشيء تتمتع به في الدنيا.

قال: لا.

قال الرجل: فاذهب فخذ حجرًا وزنه عشرة آلاف درهم فاجعله في موضعها، فإنه وتلك سواء.

(الأجوبة المسكتة لابن أبي عون، ت:٣٢٢هـ)

السنن الأربعة والأمهات الست والكتب التسعة

السنن الأربعة هي: سنن النسائي، سنن أبي داود، سنن الترمذي، سنن ابن ماجة.

أما الأمهات الست فهي: صحيح البخاري وصحيح مسلم مع السنن الأربعة. وأما الكتب التسعة فهي: صحيح البخاري وصحيح مسلم والسنن الأربعة وموطأ الإمام مالك ومسند الإمام أحمد ومسند الإمام الدارمي.



محمود القلعاوي

صناعة الرحيل

الغريب أنه مع اختلاف البشرية على أشياء كثيرة إلّا أنها اتفقت على الرحيل.. كونه لزاماً أن يحدث.. أن يكون.. أن يأتي.. ولكن ما امتاز به سلفنا الصالح استعدادهم لهذه الفكرة.. جهدهم في صناعتها.. حركتهم نحوها.. تفكيرهم فيها.. كان الرحيل نقطة ارتكاز حياتهم.. يصحون وينامون وهم فيها يعيشون ومن أجلها يتحركون. فلا يهنأون في دنياهم، وأنّى لهم ذلك؟! فالرحيل شغلهم الشاغل.

لكن ماذا لو تذكرنا الرحيل؟!

إن ذكر الموت والرحيل عن الدنيا واحدٌ من أنفع أدوية القلوب وأسباب حياتها وصلاحها؛ ولهذا المعنى الرائع الذي يسعى إليه كل محب لآخرته كان النبي ﷺ يُوصي بذكر الموت بقوله: «أكثروا ذكر هادم اللذات» أكثروا ففي الإكثار حياة القلوب وعدم تعلقها بالدنيا والاستعداد كل الاستعداد للآخرة.

وقد سأل رجل عالمًا عن دواء لقسوة القلوب، فأمره بعيادة المرضى، وتشييع الجنائز، ففي هذا قرب من فكرة الرحيل.

ولو ذهبنا لكتاب الإحياء الذي فيه الحياة لوجدنا كلمة دقيقة رائعة الدقة يخاطب الإمام الغزالي نفسه بها: «يا نفس، لو أن طبيبًا منعك من أكلة تحبينها لاشك أنك تمتنعين، أيكون الطبيب أصدق عندك من الله؟» رائع أيها الإمام برائعتك تلك.

ولكنه ليس يأسًا، ولكن لحظة يا سادة قبل أن نفترق.. ليس معنى أن نغرق في الرحيل ونجهد أنفسنا في صناعته بكل ما نملك من أعمال بر وخير وإحسان أن نترك دنيانا يسودها اليأس والتشاؤم.. أن نترك الدنيا بما فيها للظُّلام يظلمون والطغاة يطغون.. كلا وألف كلا.. إن في استعدادنا للرحيل عمارة الآخرة بعمارة الدنيا.. أرأيت كيف أن سلفنا الصالح مع تواصيهم بالموت والاستعداد له فتحوا مشارق الأرض ومغاربها، وسادوا الدنيا بطاعة الله، وجاءهم الموت فكانوا أفرح بقدومه من الأم بقدوم ولدها الغائب.. فوجدنا منهم من يقول وهو على فراش الموت: «غدًا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه» والله أعلم.

جديد

إصدارات الوعي الإسلامي



هذا الإصدار السابع عشر لمجلة (الوعي الإسلامي)، يضم مجموعة من العلماء والأعلام الذين زاروا الكويت في فترات سابقة من أمثال الشيخ محمد رشيد رضا والشيخ عبدالعزيز العلجي والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وقد وقع الاختيار على ما يزيد عن تسعين شخصية ممن لهم آثار وحضور في الكويت أو العالم العربي والإسلامي ... الاصدار من تأليف أ.د. وليد عبدالله المنيس.

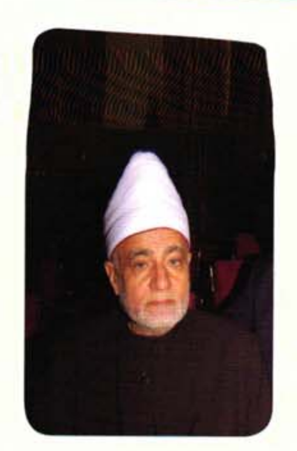
أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م



AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٥٤٩) جمادى الأولى ١٤٣٢هـ - ابريل - مايو ٢٠١١م



فريد واصل: تراجع دور الدعاة
وراء ما يشهده العالم الإسلامي من شقاق

الشباب
بناة الحضارة

العواصم الثقافية إحياء لتراث المدن الإسلامية وحضارتها

الوعي الإسلامي

جديد

الفيلم الوثائقي (الوعي الإسلامي ... مسيرة عطاء)



هذا الفيلم الوثائقي (مسيرة عطاء) يوثق مسيرة مجلة (الوعي الإسلامي) تاريخياً وعلمياً والتي تمتد لأكثر من أربعة عقود من العطاء الفكري والثقافي والدعوي في سبيل البناء الحضاري للإنسانية.

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
البريد الإلكتروني: manager@alwaei.com - info@alwaei.com

الافتتاحية

حضارتنا

الحضارة تعني الإنسان والكون والحياة، فالإنسان هو ذلك المخلوق المكرّم على سائر المخلوقات، وقد شرفه الله بالخلافة على هذه الأرض، والله جعل الدنيا دار تكليف وعمل، كما جعل الآخرة دار قرار وجزاء، فلزم أن يصرف الإنسان إلى دنياه حظًا من عنايته، لأنه لا غنى به عن التزود منها لآخرته، فلابد من النظر في أمور الدنيا، فواجب سبر أحوالها، والكشف عن جهة انتظامها واختلالها، ليعلم أسباب صلاحها وفسادها ومواد عمرانها وخرابها فيقصد الأمور من أبوابها، ويعتمد الصلاح من قواعدها وأسبابها، إن الذين أسهموا في بناء حضارة المسلمين، مستهدين بهدي كتاب الله المبين، وسنة سيد المرسلين، وموقف الإسلام من أنواع التقدم الحضاري، تبين لهم أن الإسلام قد تولى تحديد المرتبة العظمى، وإقامة معالمها، وإنارة سبيلها، ودعا الناس جميعا إلى الأخذ بها، والانتفاع من ثمراتها العاجلات والآجلات، ورسم المنهاج القويم الذي يكفل لهم سبقًا عظيمًا، فأنزل الله الشرائع والأحكام الكفيلة بأن تقيم لهم مجتمعا إنسانيًا فاضلًا، فالحضارة الإسلامية مفتوحة الحدود ممتدة الأرجاء، شاملة كل ما في الحياة من مجالات التقدم والارتقاء في أسسها الفكرية والنفسية، يشترك في تحقيقها العملي وبنائها التطبيقي كل من استجاب لها من كل عرق ولون ممن أراد الخير والسعادة للناس، وبناء الحضارة قائم على أسس عظيمة، الالتزام بمبدأ الاستمساك بالحق ومحبته والعمل على نشره، والتبرؤ من الباطل وكراهيته، إن الدول لا تسود ولا تعلو بالحديد والنار ولا بالمال، ولكنها تسود وتعلو بالخلق المتماسك، وأعلى مصادر الخلق المتماسك وأعمقها جذورًا وأدومها أثرًا، هو الدين، فهو الذي يجمع على التواد والتراحم ويقيهم ما طبعت عليه النفس البشرية من الشح، ونحن إن احتجنا إلى الاستفادة من خبرة الغرب وتفوقه في الصناعات التي كانت سببًا في مجده وسيادته، فمن المؤكد أننا في غير حاجة إلى استيراد قواعد السلوك والتربية والأخلاق، إننا نحتاج إلى مواد بناء، إن العودة إلى المجد العظيم الالتزام بأسس حضارتنا واتخاذ وسائلها.

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي





مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٤٩

العام الثامن والأربعون

جمادى الأولى ١٤٣٢ هـ

ابريل - مايو ٢٠١١ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

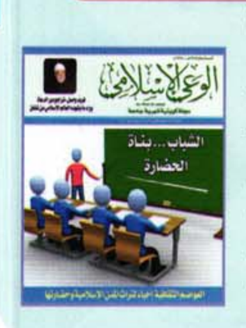
info@alwaei.com

manager@alwaei.com

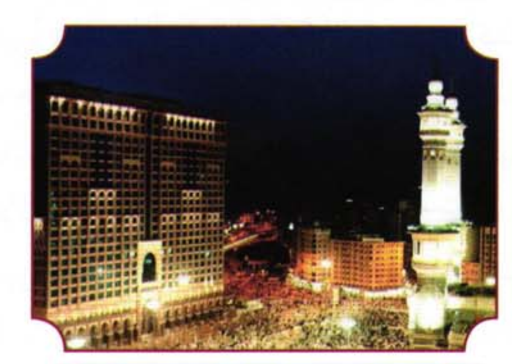
في هذا العدد



موضوع الغلاف



تحصين الشباب وفقاً لثوابت الأمة وهويتها أمر في غاية الأهمية لأن الشباب هم أمل الأمة ومستقبلها المنشود في النهضة والرقي والتقدم وعلى أكتافهم تبنى الأوطان وتتحرر من كل أنواع الاستغلال والتبعية.





التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

- السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت:١٨٣٤٩٥٧٧٠ (٠٠٢٤٩)
- اليمن - دار القلم للنشر- ف: ٤٦٩٤١٥(٠٠٩٦٧١)
- لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت: ٢٧٧٠٥٠٦٦ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٧٧٠٥٤١٣- دار الأهرام
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

• الكويت : ٥٠٠ فلس • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان : ٥٠٠ جنيه • موريتانيا : ٢٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير • اليمن : ٧٠ ريالا • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠ دراهم • ليبيا : دينار واحد • اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله • اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

المحتويات

كلمة العدد

همسة في أذن الكتّاب

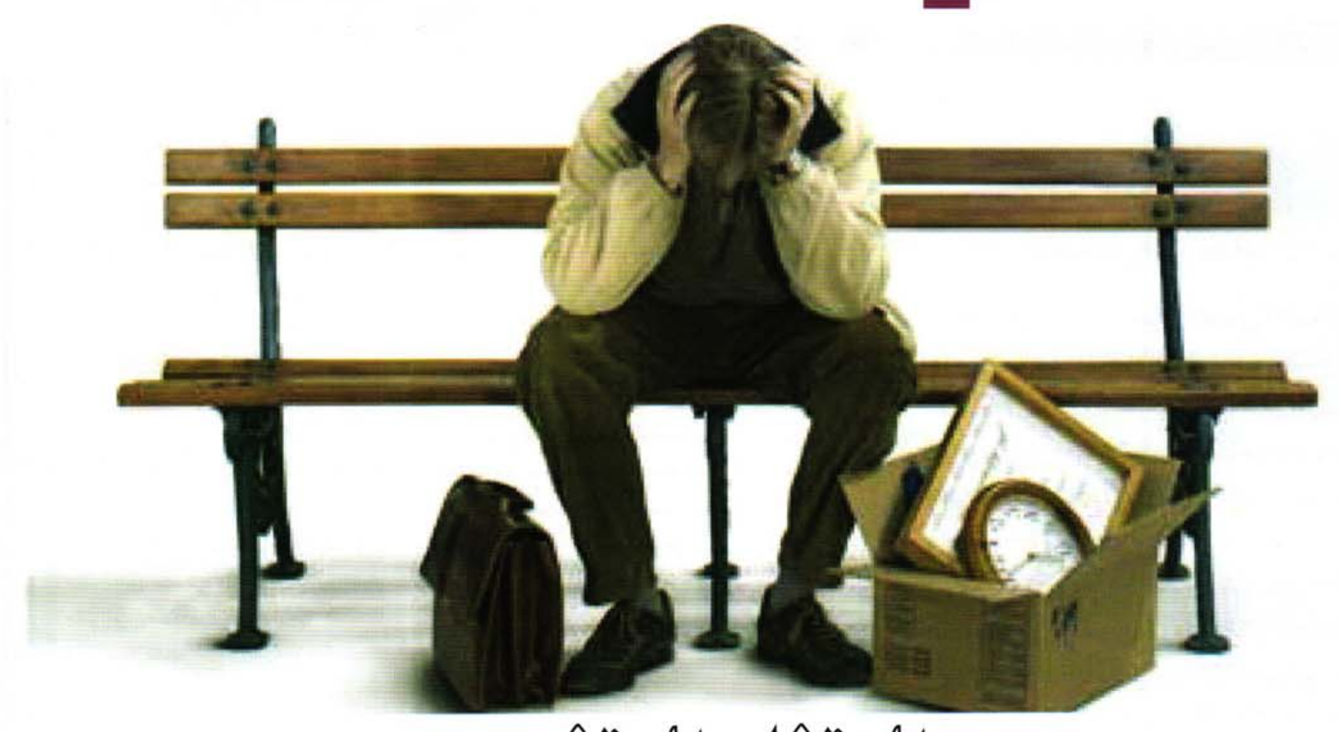
حرصًا من إدارة مجلة الوعي الإسلامي على إشاعة الثقافة الواعية المتجددة القائمة على الإبداع والتميز والبعيدة عن التكرار والاجتزاء والملتزمة بضوابط النشر التي حددتها ادارة المجلة لكتابها وقرائها والموضوعة في ثنايا المجلة بين الحين والآخر، فقد لاحظنا في الآونة الأخيرة أن بعض المقالات التي تردنا من أجل إجازتها للنشر موجودة حرفيًا على شبكة الانترنت باسم كاتبها أو مستلبة من كتاب آخرين من قبيل السرقة الفكرية، لذا فإننا نهيب بالإخوة الكتاب تحكيم ضمائرهم ومراعاة ضوابط النشر والالتزام بها حتى لا نضطر آسفين إلى فقدان الثقة بكتاباتهم، وبالتالي عدم احترام القراء لهم وقطع جسور وأواصر التعاون الفكري معهم والله الهادي الى سواء السبيل.

الوعي الإسلامي

الاشتراكات

- **داخل الكويت:** للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- **الدول العربية:** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم:** للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات:** ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية **(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)**



المستشار والمستشير

الآية الكريمة الثامنة عشرة بعد المائة من سورة آل عمران كلما قرأتها وقفت طويلًا عندها متفكرًا، وأمعنت النظر باحثًا عن معناها والدروس المستفادة منها، ولكني لم أفقه أحكامها إلا بعد نظر في التفسير. ذلك أن القرآن الكريم مرتبط بأسباب نزول، ثم إنه نزل على خير البشر ﷺ وحوله تلاميذ النبوة رضوان الله عليهم يتلقون آيات الله فيحفظونها، ثم يتلقون تفسيرها من نبي الرحمة ﷺ، فبأقوالهم يتضح التفسير، وبتفسيرهم يتضح المعنى، وبأفعالهم يكون الاقتداء، وبسيرهم بعد سيرة نبينا ﷺ يتضح للأمة سبيل النجاح والفوز والرقي للأمة حديثًا كما كان لهم قديما.. وبمخالفة سيرتهم وبالتمرُّد على سنة نبينا يكون الذل والصغار والهزيمة والهوان وفي التاريخ لنا دروس وعبر لا يفقهها إلا أولو الألباب.

عبدالعزيز صالح العسكر

قال الله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾.

لقد ساق الإمام القرطبي المتوفي سنة ٦٧١هـ في كتابه القيم «الجامع لأحكام القرآن» تفسيرًا جامعًا لمعنى هذه الآية وساق فيه أقوال الصحابة رضي الله عنهم، ويحسن بنا أن نعيش مع بعض ما ذكره وفيه توضيح وبيان وعظة وعبرة.

• كاتب سعودي

يقول رحمه الله: «أكد الله تعالى الزجر عن الركون إلى الكفار، وهو متصل بما سبق من قوله: ﴿إن تطيعوا فريقًا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ (آل عمران: ١٠٠)، وبطانة الرجل خاصته الذين يستبطنون أمره، وأصله من البطن الذي هو خلاف الظهر، نهى الله عز وجل المؤمنين بهذه الآية أن يتخذوا من الكفار واليهود وأهل الأهواء دُخلاء وولجاء يفاوضونهم في الآراء، ويسندون إليهم أمورهم. ويقال: كل من كان على خلاف مذهبك ودينك فلا ينبغي لك أن تحادثه قال الشاعر:

عن المرء لا تسألٍ وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي

ويكمل القرطبي في تفسيره لقوله تعالى ﴿لا يألونكم خبالا﴾ موضحاً أن ذلك سبب النهي عن موالاة الكفار ويبين أن معنى «خبالاً» فسادا. يعني لا يتركون الجهد في فسادكم، يعني أنهم وإن لم يقاتلوكم في الظاهر فإنهم لا يتركون الجهد في المكر والخديعة».

أقول: لقد فقه صحابة رسول الله ﷺ هذه الآية وطبقوا مقتضاها وجاءت أقوالهم لتقيم الحجة على الناس وترسم

لهم طريق الفلاح في كل زمان وكل مكان.

روي أن أبا موسى الأشعري استكتب ذميًا فكتب إليه عمر يُعنفه وتلا عليه هذه الآية. وقدم أبوموسى الأشعري على عمر رضي الله عنهما بحساب فرفعه إلى عمر فأعجبه، وجاء عمرَ كتابٌ فقال لأبي موسى: أين كاتبك يقرأ هذا الكتاب على الناس؟ فقال: إنه لا يدخل المسجد، فقال: لمَ! أجنب هو؟ قال: إنه نصراني، فانتهره وقال: لا تدنهم وقد أقصاهم الله، ولا تكرمهم وقد أهانهم الله، ولا تأمنهم وقد خونهم الله، وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لا تستعملوا أهل الكتاب فإنهم يستحلون الرشا، واستعينوا على أموركم وعلى رعيتكم بالذين يخشون الله تعالى. وقيل لعمر رضي الله عنه: إن هاهنا رجلًا من نصارى الحيرة لا أحد أكتب منه ولا أخط بقلم، أفلا يكتب عنك؟ فقال: لا آخذ بطانة من دون المؤمنين. «فلا يجوز استكتاب أهل الذمة، ولا غير ذلك من تصرفاتهم في البيع والشراء والاستنابة إليهم» وهذا استنتاج للقرطبي من حديث عمر رضي الله عنه. فالقرطبي يرى عدم جواز استكتاب أهل الذمة.

ثم يقول رحمه الله معلقًا: قلت: وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان باتخاذ أهل الكتاب كتبة وأمناء وتسوَّدوا بذلك عند الجهلة الأغبياء من الولاة والأمراء.. هذا في عصر القرطبي في القرن السابع الهجري.. وماذا سيقول القرطبي بعد ثمانية قرون لو رأى زماننا هذا في القرن الخامس عشر الهجري، والله المستعان!

إن خطر البطانة كبير جدًا وهو باب شر على الأمة، بسببه ضاعت أوطان وهُدمت مساجد ومنع الأذان وسرقت خزائن وافتقر الناس، وسنة الله ماضية في الناس قديمًا وحديثًا. روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

ما أحوج الأمة المسلمة إلى حسن اختيار المستشارين والبطانة والحذر من بطانة السوء

قال: «ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتحضُّه عليه، وبطانة تأمره، بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى». ونرى معنى هذا الحديث واضحًا في حال بعض الولاة، فإن أصدر قرارًا حسنًا كريمًا فيه منفعة للناس في دينهم ودنياهم فهو من جهد البطانة الصالحة التي زينته له وحضته عليه، وإن أصدر قرارًا أو نظامًا يخالف فيه شرع الله ويُضيق على عباده فهو من تزيين البطانة الفاسدة والحاشية المنحرفة التي تدعو للباطل وتزينه وتحض عليه.

وفي ختام الآية الكريمة قال الله تعالى: ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم﴾ يعني ظهرت العداوة والتكذيب لكم من أفواههم، والبغضاء: البغض.

وهنا بلاغة قرآنية رائعة وتعبير قوي معجز، فقد قال: «من أفواههم» ولم يقل ألسنتهم. قال القرطبي: إشارة الى تشدقهم وثرثرتهم في أقوالهم، قلت: وهذا ظاهر فنحن نرى الكفار والمنافقين والمرجفين يملأون أفواههم بالعبارات ويتشدقون بأفخم العبارات بأنهم ناصحون وغيورون ومخلصون، والحقد والبغض والسوء ظاهر على وجوههم وأفعالهم، والتناقض هو طابع كتاباتهم وأقوالهم، فهم مع الريح يميلون حيث تميل وهم مع شهواتهم وما يُحققها!

قال الله تعالى ﴿وما تخفي صدورهم أكبر﴾ قال المفسرون: هذا إخبار وإعلام بأنهم يبطنون من البغضاء أكثر مما يظهرون بأفواههم.

إن الحية والعقرب وإن لانت ملامسها فالسم في أحشائها مدفون، والغبي من يغتر بألفاظ معسولة ووعود كاذبة وضمانات لا دليل عليها.

فإذا كان الفارق رضي الله عنه يرى أنه ليس لكافر ذمة وقد غدر به المجوسي وقتله، فإن ذا النورين عثمان قد قتله الخوارج، وكذلك قتلوا علي بن أبي طالب رضي الله عن صحابة رسول الله. وكم دفعت الأمة من ثمن باهظ لما وثقت فيمن لا يستحق الثقة، واستأمنت من ليس أمينًا، وضاعت ولايات إسلامية وسقطت دول بسبب ذلك.

بقي أن نقول: إن البطانة والحاشية والمستشارين يحملون مسؤولية كبرى، وهم إما دعاة خير وبر وصلاح فهم شركاء في الأجر والثواب، وإما دعاه فتنة وضلال وفساد فهم شركاء في الوزر والعقوبة، وهم يحملون عن الولاة بعض أوزارهم، وفي ذلك جاءت آيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الله تعالى ﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون﴾، وقال صلى الله عليه وسلم: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا» (مسلم). وقال صلى الله عليه وسلم «من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله» (مسلم).

ما أحوج الأمة المسلمة إلى حسن اختيار المستشارين والبطانة، والحذر من بطانة السوء ودعاة الضلالة من شتى الملل والمذاهب والتوجهات فإنهم شرٌّ ووبال على أنفسهم وبلادهم.. نسأل الله تعالى أن يجعلنا هداة مهتدين وأن يحفظ بلادنا وبلاد المسلمين من كل سوء ومكروه.

مفتي مصر الأسبق د.نصر فريد واصل:

تراجع دور الدعاة وراء ما يشهده العالم الإسلامي من شقاق

القاهرة - دار الإعلام العربية

أكد مفتي مصر الأسبق د.نصر فريد واصل على ضرورة انتهاج خطاب ديني جديد يستوعب ويقوّم حال العالم الإسلامي بعد أن تراجع كثيرا، موضحا في هذا الصدد أن دعوات الإصلاح التي اجتاحت عددا من البلدان الإسلامية في الشهور الأخيرة لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية مادامت منضبطة بأسس سلمية لا تتبنى التخريب والعدوان، وشدد على أهمية التكاتف والتكافل بين الشعوب الإسلامية، منوهًا بقيادة دولة الكويت أول قمة اقتصادية عربية.. كما شدد واصل على أهمية الدور الذي يلعبه علماء الإسلام في وضع حد للفتنة المشتعلة في أكثر من قطر إسلامي، مشيرا إلى أن تراجع دورهم خلال السنوات الأخيرة أتاح الفرصة للمتربصين بالأمة للكيد لها والعمل على إشاعة الفوضى.. وإليكم الحوار..

■ **تمر الأمة الإسلامية في الفترة الأخيرة بوضع أقرب إلى الفتنة.. برأيك ما المطلوب من علماء الإسلام لوأد هذه الفتنة؟**

- للعلماء دور مهم في التصدي للاضطرابات التي تعاني منها بعض الأقطار، كالتدخل بين الأطراف المتصارعة لبيان الحكم الشرعي في هذه الاضطرابات لاسيما التي تقام لأسباب غير منطقية، والتأكيد على أن مثل هذه الفتن تضر بالنفس والمال والعرض وغيرها، ويختلط فيها الحابل بالنابل، ويمسي الحليم معها حيران.. وعليهم أيضا توضيح أن الإسلام وضع قواعد للتعامل بين الحاكم والمحكوم، وّبين ضرورة أن يطلب من وقع عليه الظلم حقه بشكل سلمي، وألا يلجأ للتجمهر والعصيان أو تخريب المؤسسات العامة؛ كون ذلك لا يصب في صالح الوطن أو المواطن، وعلى العلماء أيضا التحرك لإصلاح ذات البين بين الحاكم والمحكوم وإعادة الثقة بينهما، انطلاقا من الآية الكريمة ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّه جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

الكويت قادت خطوة محمودة نحو تحقيق التكامل الاقتصادي العربي

تراجع دور الدعاة

■ **لكن هل تعتقد أن التضييق على العلماء وعدم تبوئهم المكانة اللائقة لعب دورًا فيما وصلنا إليه من فتن واضطرابات؟**

- هذا صحيح، فالغربة التي عاشتها الدعوة الإسلامية طوال السنوات الماضية، وتراجع دور الدعاة للصفوف الخلفية كانا سببًا فيما آلت إليه الأوضاع في أكثر من دولة إسلامية، حيث انتشر الفساد وعمت الرشوة وتصاعد الفقر في دول كثيرة، في تأكيد لا يقبل الشك على غياب العدالة الاجتماعية والتكافل بين أبناء الملة المحمدية، ولو كان العلماء في صدارة المشهد لتمكنوا من تضييق الفجوة بين الجميع ومنعوا الأوضاع من الانفلات، ومع هذا أقول إن الوقت لم ينفد أمام محاولات الإصلاح، ووضع أمتنا على الطريق الصحيح، مصداقا لقوله ﷺ «الخير فيّ وفي أمتي إلى يوم القيامة».

■ **لكن ماذا إن كانت بعض الأنظمة جائرة؟**

- هذا يستوجب أن يقوم العلماء والدعاة وأصحاب الرأي والحكماء بواجبهم نحو مناصحة أمتهم ومطالبة المسؤولين بالقيام بدورهم نحو شعوبهم.. علما بأن المخرج الوحيد من كل أزمات الفقر وغياب العدالة هو الاعتصام بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، والتعاون على البر والتقوى، وترك التعاون على الإثم والعدوان.. ومن الإجحاف اعتبار كل دعوات الإصلاح خروجًا على الشرعية مادامت تنادي بمطالب سلمية منضبطة، علمًا بأن تحقيق الأمن والسلام والتكافل والتراحم بين فئات المجتمع مرهون بإجابة المطالب المشروعة، واتخاذ الإجراءات التي تكشف عن صدق



تطوير الخطاب الديني لن يحدث إصلاحًا حقيقيًا إلا بالتزام الثوابت ونبذ الفرقة

النوايا، والتي يمكن من خلالها إعادة بناء جسر الثقة الذي انهار بسبب ما وقع من أخطاء.

■ دللت هذه الأحداث على أهمية تسلح الداعية بالتكنولوجيا الحديثة والإلمام بالقنوات الجديدة منها كـ«الفيس بوك» و«تويتر».. فما رأي فضيلتكم؟

- تسلح الداعية بالعلوم الحديثة والتكنولوجيا غدا أمرًا في غاية الأهمية، باعتبار أن معظم التركيبة السكانية في العالم العربي أو الذين تستهدفهم الدعوة هم في عمر الشباب، ممن تلقوا تعليما جيدا ونهلوا من المعارف الحديثة وأدوات التواصل الاجتماعي؛ ما يتطلب من الداعية أن يجيد التعامل مع هذه الأدوات وأن يتقن لغة أجنبية واحدة على الأقل إجادة تامة، حتى يستطيع مخاطبة الآخر بنفس لغته، ودحض الحملات الساعية لتشويه صورة ديننا، لكن الواقع في أغلب المؤسسات الدعوية أنها لا تزال تتمسك بالأدوات التقليدية، ولدينا في جامعة الأزهر تجربة غير مبشرة، حيث يتخرج سنويا الآلاف من كلية اللغات والترجمة وقد تلقوا تعليمًا يمزج بين العلم الشرعي واللغات الأجنبية، لكن أغلبهم ذهبوا ضحية البطالة بدلا من أن يصيروا قنوات دعوية تستطيع الدفاع عن الإسلام وإظهار وجهه الحقيقي، غير أنني أعتقد أن هذا الأمر سيتغير كثيرا في ظل الإدارة الحالية للأزهر الشريف الراغبة بقوة في استعادة دوره في الدفاع عن القرآن الكريم والسنة النبوية.

خطاب إصلاحي

■ في ضوء ذلك، عاد الحديث عن الحاجة إلى خطاب ديني جديد.. فما المعايير التي تضعونها لمثل هذا الخطاب.. وهل تتفقون على أهميته؟

- نعم أتفق على أهميته، بل وأؤكد على ضرورة تطوير الخطاب الديني، وفي ذلك إصلاح لحال الأمة وتوجيهها نحو الأفضل، لكن هذا التطوير وهذا الخطاب يجب أن تكون له معايير تبقى محل اعتبار من الجميع، وقد اكتملت شريعة الإسلام لتكون صالحة لكل زمان ومكان لمصالح البلاد والعباد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والإنسان في نظر الإسلام هو محور الكون، وبالتالي فإن تطوير الخطاب الديني بما يمكنه من تحقيق إصلاح حقيقي للأمة كلها من خلال إحياء الدين في النفوس لا يقوم ولا يتحقق في الدنيا بأركانه الخمسة، إلا بإقرار بها عن جزم ويقين وإيمان بمشروعية كل العبادات التي فرضت على المكلفين بشأنها وأدائها من المكلفين بها على وجهها الكامل الصحيح واعتصام الأمة الإسلامية بوحدة الصف والكلمة لإحياء هذه الكليات الدينية والدنيوية معا، مع البعد عن الخلاف والنزاع في مجال تطبيقها في حياتهم العملية، مع مراعاة الواقع واختلاف المدارك والأفهام بالنسبة للمجتهدين، ومراعاة أعراف الناس وعاداتهم المتغيرة من زمان إلى زمان، ومن مكان إلى مكان، بما لا يتعارض مع نصوص الشريعة الإسلامية قطعية الثبوت والدلالة.

التكامل ضرورة

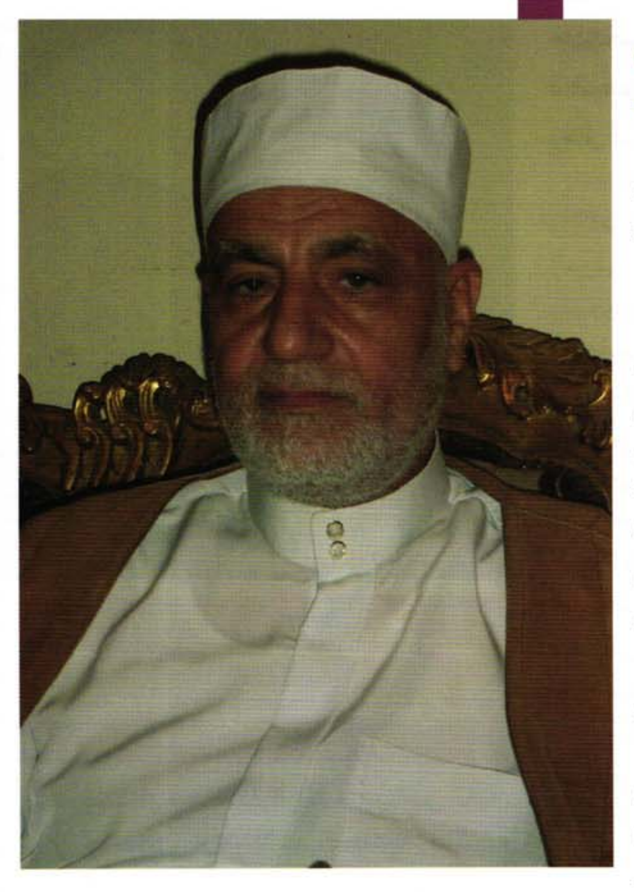
■ من الملاحظ أن كثيرا من أزمات العالم العربي سببها الفقر، وفي هذا الصدد سبق أن طالبتم

بضرورة التوظيف الأمثل للزكاة في خدمة الأمة.. حدثنا عن ذلك؟

- بالفعل سبق أن تبنيت قضية الزكاة كقضية إسلامية واجتماعية مهمة، أؤمن بها وبضرورة الالتفات لها كأحد أهم الموارد والمصادر الشرعية، وأرى أنه آن الأوان لأن تقوم هيئة مستقلة للزكاة يمكن أن يستفاد منها في أمور عديدة منها مواجهة الفقر ومساعدة المحتاجين ومساعدة المقبلين على الزواج، وبالتالي حل أزمة العنوسة وكفالة الأيتام، وبالتالي حل مشكلات الأسر التي فقدت عائلها، وكذا علاج غير القادرين، وحتى تعبيد الطرق وإقامة المدارس والمستشفيات، وكلها أمور تحمل كثيرا عن كاهل الدول، ولا تصل بها إلى ما وصلت إليه بعض الدول أخيرا.

■ **هل ترون في الدعوة إلى إنشاء وقف قومي لمساندة الدول الإسلامية حلا لتحسين أوضاع الدول العربية والإسلامية التي تعاني الفقر؟**

- الوقف أحد أهم الحلول الإسلامية لمواجهة الفقر وإحداث التنمية، ونحن أحوج ما نكون في وقتنا الراهن إلى هذه الاجتهادات التي ستنعكس بالفعل على حال كثير من الشعوب الإسلامية الذي لا يخفى على أحد، ولن تنهض هذه الدول ديمقراطيًا واجتماعيًا إلا بالتكاتف والتكافل الاجتماعي والعودة إلى تفعيل الشريعة الإسلامية وأسسها الاقتصادية ومنها الوقف الإسلامي.



حوار الأديان سراب فاشل.. ولذلك أوقفه الأزهر

■ **ترأست الكويت أول قمة اقتصادية.. كيف يمكن برأيك تحقيق التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية؟**

- تبني دولة الكويت لهذه القمة أمر محمود، فالتكامل الاقتصادي العربي والإسلامي ضرورة لا غنى عنها لكل الدول العربية والإسلامية الغنية قبل الفقيرة، وهو أمر تعطل وتأخر كثيرا، وأحسب أن المستقبل القريب ربما يحمل في طياته أملا جديدا لتحقيق خطط التكامل التي من شأنها أن تصنع حاضرا منيرا ومستقبلا قويا يُحدث نقلة حقيقية للمستقبل، وإقامة الأنظمة الديمقراطية واختيار قيادات واعية مؤمنة مخلصة يمكن كل الأفكار القوية والتي تتوافق مع الفطرة السليمة، ومبادئ شريعتنا الغراء من التحقيق، والإرادة الواعية وإخلاص النوايا أحسبها هي فقط التي تنقصنا لتحقيق الوحدة الاقتصادية؛ لأن الخطط كثيرة جدا، لكن التحرك الجاد لن يحدث إلا بتوحد إرادة جماعية للشعوب العربية والإسلامية.

سراب الحوار

■ **كيف تفسر القرار الذي اتخذه مجمع البحوث الإسلامية في مصر بتعليق «حوار الأديان» مع الفاتيكان؟**

- ما جرى من حوار للأديان طوال السنوات الماضية لم يقدم ولم يؤخر، كونه تجاهل القضايا الجادة، وهيمن عليه طابع المجاملات، وغابت عنه الندية، بل دخله الغرب من منظور فوقي ورغبة في فرض أجندته على الطرف المسلم، الذي كان عليه أن يدخل هذا الحوار متسلحا بالجانب العقدي في الحوار، والتركيز على الضلال الديني الذي يعاني منه الغرب، وسيادة نزعات إلحادية على المجتمعات الغربية كافة، لدرجة أن عشرات من الكنائس في دول تعد معاقل للكاثوليكية أغلقت أبوابها نظرا لعدم وجود زوار لها، كما أثبتت هذه التجربة أن التركيز على الخطاب السياسي لم يكن مجديًا.

الدعاة إلى الله تعالى عامل مهم وأساسي من عوامل نهضة المجتمعات، والحفاظ على مقوماتها الأساسية؛ فللدعاة في مجتمعاتنا الإسلامية أدوار كثيرة ومتنوعة، يؤدون بعضها بشكل مباشر، والبعض الآخر بشكل غير مباشر بما يؤدي في النهاية إلى الأخذ بيد المجتمع إلى الله، وبما يؤدي أيضًا إلى تحقيق السلم الاجتماعي، وهذا هو محور حديثنا في هذا المقال.

دور الدعاة في تحقيق السلم الاجتماعي

إسلام عبدالتواب

لنبدأ الحديث بتقريب مفهوم السلم الاجتماعي للقارئ؛ فالسلم الاجتماعي هو نوع من أنواع السلم الذي هو ضد العنف، يشمل الفرد والأسرة والجماعة والمجتمع. ويبقى السلم الاجتماعي بآفاقه هو المؤشر الأول على استقرار الحياة العامة في أحضان الرضا السابغ والسعادة الغامرة، وهو المنطلق الصاعد في تخفف المجتمع من جامد التقاليد، وقدرته على التطوير الإيجابي للكثير من القواعد والمفاهيم.

وسنستعرض بإذن الله في هذا المقال الجزء الخاص بالفرد والأسرة.

مظاهر سلبية تقوض السلم الاجتماعي

تتضح في حياتنا المعاصرة مظاهر سلبية تعبر بوضوح عن فقدان الفرد والأسرة للسلم الاجتماعي؛ إذ كثيرًا ما نجد بعض النساء، غاضبات أو ناقمات على أنهن خلقن في صورة (الأنثى). وبعض الرجال يظنون أنه من فضل الله عليهم أن خلقهم (ذكورًا) فجعلهم في وضع المتفوق الأصلي أو المتفوق بالفطرة كما يظنون. حالتان من النقمة والغرور تهددان السلم الاجتماعي أيما تهديد.

حالة نفسية قلقة مدمِّرة تحتاج بالتأكيد إلى إعادة تسويتها على أساس الدعوة الواعية إلى بناء السلم الاجتماعي. السلم القائم على الفهم العميق الدقيق. وأول الفهم أن تدرك هذه ويدرك ذاك، أن الذي (خَلَق الذكر والأنثى) فضل بعضهم على بعض بطريقة من التعبير والتفضيل تجعل أفراد التفضيل وأطرافه متداخلين.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ (النساء: ٣٢).

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (النساء: ٣٤)

وفي الآيتين يظل الفضل متداول بأطرافه أو بأفراده. و(القوامة) بمفهومها الشرعي لا تعني التفضيل المطلق للرجل، وإنما تعني تفضيلاً في طرف يقتضيها.

حتى الحديث الودود عن (ناقصات العقل) في سياقه الشرعي، والذي يتعلق به البعض، يسير في سياق غير ما يشتهيه من يسيء تفسيره. حين يقرر أن (الناقص) يمتلك القدرة على الذهاب (بالكامل)!! «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ...». هل هذه نقطة فضل أو نقطة ضعف حين تمتلك المرأة الضعيفة أو المستضعَفة- كما يقولون- القدرة على الذهاب بلب الرجل الحازم!! أليس من العدل والحكمة، أن ندعوها من موقع قدرتها تلك أن تتقي الله في ذلك المستضعف المسلوب العقل والإرادة معًا.

إذن أول السلم الاجتماعي الرضا عن الكينونة الجنسية، والاعتداد بها. والتوقف عن رؤية النقص فيما خُلقن فيه، ووضع حد لحالة اللهاث للحاق بما يقولون لنا بعقلهم الباطن ولا وعيهم الموروث: إنه الأفضل والأقوى. وأن علينا

باحث أزهري

أن نخلع ثوب أنوثتنا لنلحق به.

وقد أصبحت قضية انتقاص المرأة وعدم تقديرها لنفسها كأنثى مصدرًا لعديد من المشاكل الاجتماعية، منها: محاولة الاسترجال التي أصبحت سمة في كثير من المجتمعات من تشبه المرأة بالرجال في الملبس والعادات، بل في السلوكيات الذميمة كالتدخين للسجائر والنرجيلة (الشيشة) وتعاطي المخدرات، وفي قاموس الألفاظ والتعابير المستخدمة حتى الوقح منها..

ومن أخطر المشكلات التي أسفر عنها احتقار المرأة لأنوثتها، هو ازدراء نسبة كبيرة منهن لدور المرأة كزوجة وأم!!

فلقد بات تأخر سن الزواج ملمحًا أساسيًا من ملامح مجتمعاتنا نتيجة ظروف عدة أغلبها من الدولة، ولكن المؤسف أن يصير من يعانون من هذه الأزمة (الفتيات وأولياء أمورهن) هم السبب الرئيسي في تفاقم هذه المشكلة؛ فقد أصبح الاهتمام باستكمال التعليم حتى مراحل الدراسات العليا في التعليم أهم لديهم من الزواج، كما صارت القضايا المادية أهم كثيرًا من اتباع سنة الرسول ﷺ في التيسير في الزواج.

والأخطر أن ازدراء المرأة لدورها كأمّ جعل كثيرات منهن قاسيات القلوب على الأبناء؛ فصار العمل خارج المنزل ضرورة لا تستطيع المرأة الاستغناء عنها (ولو لم يكن بالبيت حاجة لمرتبها)، وإنما من أجل إثبات الذات كما يتوهمن، وصار الأبناء - خاصة الصغار منهم- هم الضحايا، وبينما ازدهر سوق الحضَانات الخاصة بالأطفال نشأت أجيال من أطفال المسلمين لا تعرف لحنان الأم معنى؛ لأنها لم تتذوقه، ولا تحمل له ذكريات.

ومن المظاهر السلبية المناقضة لمفهوم السلم الاجتماعي انتشار دور الرعاية الخاصة بالمسنّين، والتي تحمل معنى الجحود والنكران للجميل؛ حيث يضيق بعض الأبناء بآبائهم وأمهاتهم، بسبب تأثير الشريك الثاني (زوجة الابن أو زوج البنت)، أو طمعًا في المال والمسكن؛ فيلقون بهم (وهذا هو اللفظ المناسب) في دار المسنين.

وفي بعض المجتمعات تصير بعض السلوكيات المناقضة للسلم الاجتماعي هي الأساس في الحياة الأسرية؛ كبعض المجتمعات الريفية التي تُعطى الأرض فيها للابن الأكبر دون إخوته، أو يُحرم فيها الإناث من الميراث ظلمًا وعدوانًا.

وأكثر من هذا ما يتطور إليه الأمر في كثير من الأحيان من ارتكاب جرائم شنيعة غير معهودة بين أفراد الأسرة؛ فقد تلقي الأم بابنها في الطريق أو تبيعه لتحصل على المال، أو قد يقتل الابن أباه أو أمه أو أخاه لخلاف على مال أو أي أمر.

الأسباب

قد يكون هناك أسباب عدة وراء تلك المظاهر والسلوكيات السيئة؛ مثل ما ذكرناه من فجوة بين الآباء والأمهات من ناحية والأبناء من ناحية أخرى سببها احتقار الأم لدورها، وجفاف نبع الحنان لديها، وقد يكون السبب غياب التواصل بين الوالدين وأبنائهم عند الكبر، وقد يكون نمط الحياة الاستهلاكي الذي تشجع عليه الدولة من خلال وسائل إعلامها؛ فيصبح الوالدان يسعيان لتوفير الكماليات والرفاهيات؛ فلا يجدون فائضًا من وقت أو جهد أو مال لرعاية الوالدين، أو يكون السبب ما تصوره وسائل الإعلام أيضًا في كل المسلسلات والأفلام من قسوة الآباء على الأبناء، كما أن غياب الحوار بين أفراد الأسرة وتمدده- في الوقت ذاته- مع أصدقاء السوء من هذه الأسباب، وقد تكون كل تلك الأسباب مجتمعة.

ولكن من أهم الأسباب التي أدت لبروز كل تلك المشكلات والظواهر السلبية هو غياب دور الدعاة عن ساحة المجتمع.

الدعاة.. دور منتظر

إزاء كل هذه المشكلات يحتاج المجتمع إلى قوة الدعاة الفاعلة، ومجهودهم الوافر، أو هو في انتظارهم بالفعل ليؤدوا الواجبات المنوطة بهم؛ وذلك لأنهم يملكون سلاحًا لا يملكه غيرهم من المصلحين الموجودين على الساحة، والمهتمين بتلك الظواهر، وذلك السلاح هو التأثير الطاغي للدين على النفوس؛ فالناس دائمًا يقدّرون ويحترمون من يتكلم في الدين ويرشدهم إليه، وكلمة من داعية إسلامي قد تفوق في تأثيرها على الناس جهدًا كبيرًا لعشرات المتخصصين من مجالات أخرى.

لذا فإن هناك أدوارًا وحلولاً يجب أن يقوم بها ويمارسها الدعاة في ترسيخ السلم الاجتماعي، وإعادته إلى حياة المجتمعات الإسلامية، ومن هذه الأدوار:

- فهم الداعية لدوره ورحابة هذا الدور؛ حيث إنه ليس فقط متحدثًا عن العقائد والعبادات، وإنما دوره أن يصلح المجتمع بالإسلام الشامل؛ لذا عليه أن يكون ذا فهم سليم لشمول الإسلام، وأن يكون ذا همة عالية فلا يكل ولا يمل، ولا يُحبط مهما واجهه الفشل، أو جفاء الناس، كما يجب أن يتمتع بإخلاص كبير، فلا ينتظر الأجر والسمعة من غير الله تعالى.

- استخدام المنابر الإعلامية المتنوعة (المسجد- الفضائيات- الكتب والمجلات) في نشر مبادئ الأسرة المسلمة كما يريدها الإسلام، من الاحترام المتبادل بين أطراف الأسرة، وترسيخ فكرة الحوار والمصارحة الصادقة، وكذلك الرفق بين الزوجين ومع الأبناء، ووجوب العدل بين الأبناء والزوجات.

- علاج ما يظهر من المشكلات في المجتمع المحيط ويصل للداعية، وهذا يختص في الغالب بالدعاة في المساجد إذا جاءتهم شكاوى من أهل المسجد؛

فينبغي على الداعية أن يكون ذا علم وافر، وخبرة كبيرة، ثم عليه أن يكون طبيب هذه الأسرة، وهذا يحتاج جهدًا كبيرًا، وقدرة عالية على التوجيه المباشر، ومعرفة بأنماط الشخصيات وطريقة التعامل معها، وأن يمتلك سعة صدر، وإخلاصًا واحتسابًا للأجر.

- ينبغي للداعية أن يوجِد محاضن متنوعة يستوعب فيها شرائح مختلفة من المجتمع، ويوفر لها الوسائل الدعوية التربوية المناسبة لترسيخ مبادئ السلم الاجتماعي الأسري؛ فيمكنه مثلاً إقامة مخيم يعلم الأولاد فيه التعاون المثمر على الخير، ووجوب التمسك بالصحبة الصالحة، والنفور من أصدقاء السوء.

- كما يمكنه تنظيم ندوات للآباء والأمهات مع المتخصصين لتوجيههم لكيفية تربية الأبناء، وتوفير الأجواء المناسبة لإخراج أجيال جديدة على أسس إسلامية سليمة.

والتوجه نحو المرأة يتطلب تركيزًا كبيرًا من الدعاة يكافئ التركيز الذي بذله ويبذله العلمانيون وأدعياء تحرير المرأة بهدف إفسادها، وتدمير المجتمع من خلال غرس ازدراء دور الزوجة والأم، فيتأخر سن الزواج، ومن ثَمّ تنتشر الرذيلة والانحرافات الجنسية بكافة صورها فتجرف في طريقها الشباب والفتيات، وتنتشر الجريمة بشكل غير مسبوق.

من هنا يجب على الدعاة تحديث خطابهم للنساء بحيث يعيد لكيانها كأنثى احترامه كما خلقه الله سبحانه وتعالى، ولكي تفخر بكونها أنثى، وتحترم من جديد دورها كزوجة وأم.

إن محاربة التقاليد المنتشرة بين الناس وخاصة النساء وأولياء الأمور حول المغالاة في المهور وتكاليف الزواج



مهمة أساسية من مهمات الداعية؛ فهو لا يدين إلا بما أمر الله ورسوله؛ لذا ينبغي عليه سلوك كل السبل من أجل تغيير الواقع المخالف للشرع، وحبذا لو استعان بالعقلاء من أهل المكان الذي يمارس فيه الدعوة، كما فعل بعض الدعاة في إحدى محافظات جنوب مصر؛ حيث وضع- بتوافق مع كبار العائلات- ميثاقًا يتضمن حدًّا موحدًا لمتطلبات الزواج يخفف الحمل عن الشباب، ويلتزم به جميع الناس.

ومن الضروري في هذا الشأن وغيره من أمور الدعوة أن يكون الداعية قدوة لمن حوله، ويكون أول الملتزمين بما يدعو إليه؛ فلا يدعو الناس للتخفيف من المهور، ويطلب لأخته أو ابنته ما يخالف ذلك؛ فلو فعل لأفسد الناس، وأبطل لديهم أي إيمان بصحة ما يدعو إليه، وقبل ذلك كان هو من الذين يقولون ما لا يفعلون.

- إقامة حلقات تعليم القرآن، وتعليم القراءة والكتابة مما يحافظ على أطفال المسلمين، ويقيهم مصير أطفال الشوارع، وهذا من واجبات الداعية إلى الله الاجتماعية.

- من واجبات الداعية الأساسية أن يعظم الله تعالى في قلوب الناس، وأن يخوفهم من مخالفة شرعه؛ لذا فتذكير الناس الدائم بالمخالفات الاجتماعية

التي توارثوها كابرًا عن كابر كالتمييز بين الأبناء حال الحياة، أو اختصاص بعضهم دون بعض بالميراث، أو حرمان الإناث وإعطاء الذكور، كل هذا ينبغي أن يتم التخويف منه، وشرح مضاره بين الناس في كل المواقف الدعوية سواء لمن يفعلون ذلك أو لمن يتم تمييزهم، وذكر بعض من مصائر من فعلوا ذلك من الشقاق بين الأبناء، والجحود الذي يلاقيه الآباء ممن ميزوهم على إخوتهم، والعداوات التي أورثوها للأحفاد والأجيال القادمة كذلك.

- أن يكون الداعية -خاصة من يملك مؤسسة يتحرك من خلالها- وسيطًا بين أصحاب الأعمال والباحثين عن عمل؛ فيمكنه جعل المسجد أو المؤسسة مكانًا للتلاقي بينهم من خلال إعلانات التوظيف؛ فيسهم بذلك في حل مشكلة اجتماعية عسيرة، هي مشكلة البطالة.

خاتمة

إن إصلاح المجتمعات مهمة عظيمة لا يقوم بها إلا الأفذاذ من البشر بل من الدعاة الصادقين؛ فهي مسؤولية جسيمة أمام الله تعالى، وتحتاج نية صادقة، وعزيمة ماضية، وعقلاً راجحًا، وفكرًا متجددًا.

وترسيخ السلم الاجتماعي في زمن عَزّ فيه، وصار الانهيار والاحتراب هو عنوان الحالة المجتمعية لاشك أنه مهمة صعبة عسيرة إلا على من يسّر الله له، ونحن نرجو من دعاة الإسلام الصادقين أن ينهضوا لمواجهة ذلك الانهيار والعمل على إصلاح ما فسد؛ فليست مهمتهم أن يظلوا يذكّرون الناس بآيات القرآن فقط، وإنما أن يقوموا بأنفسهم على تحقيقها في عالم الواقع.

العمل الجماعي بين الدين وعلم النفس

بشرى شاكر

إننا في مجتمعاتنا العربية للأسف وعلى خلاف المجتمعات الغربية نميل إلى العمل الفردي حتى وإن بدا في ظاهره عملا جماعيا، فيكون هذا الأخير تحت سيطرة شخص معين، يفرض أفكاره و يسير الجماعة تحت إمرته و يظن نفسه قد أنجز عملا جماعيا، وأحيانا يكون مستوى الذكاء محددا لمفهوم العمل الجماعي، فلا يستطيع شخص مرتفع الذكاء وسريع المبادرة مجاراة أفراد بطيئين من حيث الفهم، فيتسرع في إعطاء آرائه و تأتي النتيجة دائما منه هو ويبقى الآخرون مجرد آليات قد يستعملها أو ينحيها أو يوهمهم بأنه يقاسمهم آراءهم و يعاملهم كأفراد في الجماعة وقد يكون ذلك عمدا، كما قد يكون في الكثير من الأحيان عن عدم إدراك لنتيجة العمل الجماعي أو قلة صبر أيضا، خاصة إذا كنا نعلم أن معظم مجتمعاتنا العربية لا تؤمن بتقسيم الأدوار ولكنها تعتمد في الغالب على شخص واحد من أجل القيام بمهام متعددة.. وهذا ما جعل الموازين تنقلب فيتقدم علينا الغرب.

نحن أولى كعرب ومسلمين بالعمل الجماعي وعدم الانفراد برأي ولا بقرار، أفليس أمرنا شورى بيننا؟ ألم يقل رسولنا الكريم عليه أفضل الصلوات والسلام: «ما تشاوَرَ قومٌ إلاّ هُدوا لأرشد أمره»، وما الشورى ومشاورة الغير إلا دعوة لتفكير جماعي للحصول على أرشد الأمور وأفضل الحلول.

العمل الجماعي ضمان لاستمرار وجود الفرد و وجود المجتمع ككل، فحتى المحلل النفسي «فرويد» والذي عرف بدراسته للفرد دون الجماعة بدراسات انفعالاته

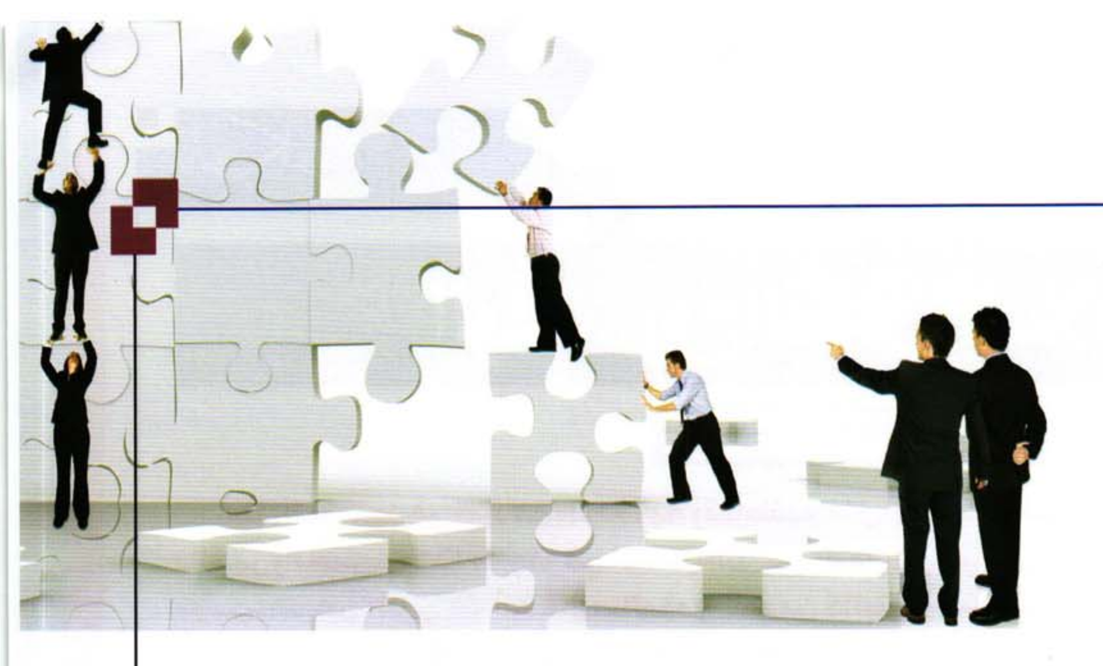
وسلوكاته بدءا مما عاشه أو تعرض له في طفولته، لم يستطع أن يتجاوز مفهوم الجماعة فقال: «كل فرد يساهم بعدة أرواح جماعية : روح عرقه، وروح طبقته، وروح طائفته» -Essais de la-psychanalyse- وفي هذا اعتراف ضمني منه بأن الفرد لا يمكنه أن يتجزأ عن الجماعة، ومن العلوم التي تدرس الجماعة فرع من علم النفس الاجتماعي يدعى بعلم النفس الجماعي (Psychologie collective).

إن العمل الجماعي، هو أنجع الطرق التي تسهل نجاح المهن الإنسانية من تطبيب وتمريض ومراكز معالجة الإدمان والمهن العسكرية وغيرها... والأهم هي المهن التربوية التعليمية، التي تكون أساس كل هاته المهن والتي يجب أن نبدأ عندها بتعليم أطفالنا كيف يتكاثفون في عمل جماعي على الخير وكيف أن يد الله تكون دائما مع الجماعة، ونحاول إدماجهم داخل محيطهم ونجعل منهم جزءا منه وليسوا فقط مجرد متفرجين.

وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن المدارس التي تنتهج منطق التعليم الجماعي وإشباع روح الجماعة لدى تلاميذها يكون طلبتها أكثر تفوقا، فهم من ناحية يندمجون بسرعة لأنهم لا يجدون حرجا في إقحام نفسهم في الحوار كما يتعلمون آدابه أيضا، فيتعلمون متى يبادرون بالحديث ومتى يتركون الفرصة للآخر ليتحدث بدوره، ويشيع لديهم حب المنافسة الشريفة فتراهم يبحثون عن طرق تساعد جماعتهم في الخروج بنتيجة مثلا، وأنجع طريقة هي أن يقسم



باحثة مغربية



الفصل لجماعات صغيرة، تكلف كل منها بمهمة ما وعلى كل فرد أن يساعد في إتمام المهمة، وبعدها تغير مواضع الأفراد داخل جماعات جديدة وهكذا فإن الطالب يعرف أن الجماعة لا تتكون فقط من أفراد يحيطون به على الدوام وإنما يمكن أن تزيد أو تنقص حسب أقدار وظروف كل شخص فيمكنه أن يندمج داخل المجتمع بكل مكوناته وهذه التقنية تسمى «ديناميكية الجماعات».
La dynamique des-groupes-، فهذا يعلمنا أنه لا يجب أن نركز على جماعة ما ونحاول حمايتها من أي فرد جديد نراه دخيلا علينا وإنما نتعلم أن نفسح له المجال لكي يكون بيننا، نستفيد منه ويستفيد منا وبذلك نبتعد عما يسمى بنظرية «الانسياق» التي تفترض أن نتعصب لجماعة دون أخرى ولنفس الأفراد، وما هذا التعصب إلا نتيجة عدم قدرة على الاندماج في العمل الجماعي، فإنك تخال نفسك قد استطعت أن تكون لك مكانا اجتماعيا ولكنك في الواقع مازلت تعيش تلك النزعة الفردية، لأنك مازلت تخشى على مكانك وسط مجموعتك، ولذلك وكما أسلفنا فإن ديناميكية الجماعات تفترض تغيير الفرد للمجموعات باستمرار واستغلال معارفه الفردية لمساندة الجماعة وعدم إيثار نفسه على الآخرين وإنما فسح المجال لهم لتأدية دورهم أيضا.

كما أن العمل الجماعي يساعد الطالب والفرد عموما على اكتساب تقدير الآخرين واحترامهم، كما أنه يشعر بالرضا عن نفسه و بالفرح إذا ما ساهم في حل مشكل ما.

إن العمل الجماعي ما هو سوى إشباع لرغبة فردية دفينة في كل واحد منا، وهي تلك الرغبة بالاحتكاك بالآخر وبجعله يثق بك وحب التعلم والاستيعاب، فالمعرفة لا تأتي إلا بالاحتكاك مع الآخرين، فما ينقصني أجده لديك وما ينقصك تجده لدي وهكذا.

العمل الجماعي ضمان لاستمرار وجود الفرد ووجود المجتمع ككل

كما أن العمل الجماعي هو في حد ذاته مساندة لكل أفراده، فأنت تجد الدعم والمساندة من قبل الآخرين وبالمثل هم ينتظرون منك نفس الموقف إذا ما احتاجوا إلى مساعدتك، وهنا نتذكر قول الرسول عليه أفضل الصلوات والسلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، وشبك بين أصابعه» (رواه البخاري ومسلم).

فضلا على أن العمل الجماعي وإضافة إلى كل مزاياه التي ذكرنا فهو وسيلة جيدة لتقويم سلوك الفرد، فنحن لا نرى أخطاءنا ولا اعوجاجا في سلوكنا إلا إذا رأينا هذا السلوك من شخص آخر وكأنه مرآة توقظنا وتعكس ما كنا نقوم به، فنعرف مدى فداحته و نحاول تعديله.

العمل الجماعي وباختصار ما هو إلا محاولة إنجاح مجتمع ووطن بل أمة بأسرها، أركانه الأساسية الاعتقاد و الإيمان بضرورة نجاحنا كجماعة و بوحدتنا كما توحدنا على الشهادتين، ثم تقديم ما نستطيع تقديمه من مساعدة ومساندة فقد قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ (المائدة: ٢)، وأعمال البر كثيرة ولا حصر لها، ومحاولة تغيير سلوكنا وتقويمه للأفضل والبحث عن زيادة المعرفة وعدم البخل على الآخرين بما نعرفه أو ندركه فحتى حينما ترحل عن هاته الدنيا لا ينقطع عملك إلا من ثلاث ومن بينها علم ينتفع به.

العمل الجماعي الذي نفتقر إليه في معظم بلداننا العربية -ونخال أننا نتقنه في حين ينفرد كل منا برأيه أو بفكرته- هو القوة الفعلية التي يعتمد عليها الغربيون لزيادة الإنتاج و تطوير التكنولوجيات الحديثة، فإذا كان المورد البشري أهم العوامل الإنتاجية فإن تكاثف الأيادي والجهود تجعل منه موارد وليس موردا واحدا.

وقد قال سبحانه وتعالى في سورة الحجرات: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾، والأخوة لا يقصد بها أواصر الدم والقرابة فقط، وإنما ترمي لأبعد من ذلك بكثير، فهي تجمع كل المؤمنين أينما كانوا، وأعتقد أن الكل يعلم الآن أن المسلمين أحوج من ذي قبل إلى أن يطبقوا العمل الجماعي في كل شيء وأن يكونوا يدا واحدة جالبة للخير مانعة للشر.

الوقف.. روح التكافل الإسلامي (١-٤)

القاهرة - دار الإعلام العربية

«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».. هذا ما جاء في الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ، وفيهما أيضا عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، وشبك بين أصابعه».. وهذا ما يعني أن طبيعة العلاقة بين المسلمين قائمة على المودة والتعاطف والرحمة والتكافل الاجتماعي.. أي أنهم على قلب رجل واحد كأنهم جسد واحد إذا اشتكى عضو من هذا الجسد تداعى له الجسد كله واستجاب لدعوته وتضامن معه بالسهر والحمى.. ذلك أن الإسلام دين الجماعة والوسطية.. ومعروف أن «الجماعة» في الرؤية الوسطية الإسلامية تعني التوازن والعدل الذي يجمع بين الفرد والأسرة والأمة.. من هنا تأتي أهمية «الوقف» كأحد أدوات التكافل الاجتماعي في الإسلام لإعانة الآخر والقيام به وضمه وحضانته وضمان معيشته، بما يضمن شعور الجميع بمسؤولية بعضهم البعض؛ ليكون المؤمنون متضامنين ومتعاونين.

وردت كلمة «الوقف» في القرآن الكريم في مواضع عدة، منها قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْؤُولُونَ﴾ (الصافات: ٢٤)، وقال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ (الأنعام: ٣٠)،.. ومن هنا عرّف العلماء الوقف.

ففي اللغة الحبس عن التصرف، فيقال وقفتُ الدابة أي حبستها أو تصدقتُ بها أو جعلتها في سبيل الله.. ويجمع على أوقاف ووقوف، كوقت وأوقات.. ويقال: وقف فلان أرضه وقفًا مؤبدًا، أي جعلها حبيسة لا تباع ولا تورث.

أما في اصطلاح العلماء فالوقف هو حبس الأصل، وتسبيل المنفعة على بر أو قربة، بحيث يصرف ريعه إلى جهة بر تقربًا إلى الله تعالى.. والمراد بالأصل ما يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه.

وهو بذلك مصطلح فقهي إسلامي يعبر به عن نوع خاص من التصدق والتبرع على سبيل الخير والإحسان، فيطلق على الصدقات والتبرعات التي يكون لها بقاء واستمرار، بحيث ينتفع بها الناس على مدى سنين أو أجيال وقرون. وهذا يعني أن الوقف إنما يكون بأشياء يستفاد من



يطلق على التبرعات المستمرة بحيث ينتفع بها الناس على مدى سنين أو أجيال

نفعها وغلتها وفائدتها مع بقاء الشيء نفسه واستمرار عينه مدة من الزمن - تطول أو تقصر كالأرض، والبناء، والبئر، والشجرة. قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: «إنه قطع التصرف في رقبة العين التي يدوم الانتفاع بها وصرف المنفعة»، فقوام الوقف في هذه التعريفات حبس العين، فلا يتصرف فيها بالبيع أو الرهن أو الهبة ولا تنتقل بالميراث.

الوقف عند الفقهاء

تفاوتت تعريفات الفقهاء للوقف، تبعًا لموقفهم من بعض عناصره وشروطه، مع اشتراكها في المعنى الأساس.. فعرف جمهور الفقهاء الوقف بأنه: حبس العين على حكم ملك اللّه تعالى، والتّصدّق بالمنفعة على جهة من جهات البر ابتداء أو انتهاء.. فالفرق بين الحبس والوقف أن الحبس يكون في الأشخاص، والوقف يكون في الأعيان.. وقد تعددت عبارات الفقهاء في تعريفه بناء على اختلاف آرائهم في لزومه، وتأبيده، وملكيته، فعرفه المالكية بأنه: حبس الأصل وتسبيل المنفعة بشرط ألا يتعلق به حق الغير، فلا يصح وقف المرهون أو المؤجر، بينما عرفه الشافعية بأنه: مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح، والوقف لازم، أما أبوحنيفة فقال: إن الوقف غير لازم، وقيل رجع عن قوله هذا، ويعرفه العلامة الحنبلي موفق الدين بن قدامة بأنه: «تحبيس الأصل، وتسبيل الثمر»، ومما يقوي هذا التعريف كونه مأخوذًا من كلام النبي ﷺ في

قوله لعمر بن الخطاب حين استشاره في أرض له: «احْبِسْ أَصْلَهَا وَسَبِّلْ ثَمَرَتَهَا».

والتحبيس هنا معناه إنهاء حق المالك، وحق من كان يمكن أن يؤول إليه الملك، والتسبيل معناه جعل منفعته واستعماله والانتفاع به في سبيل الله لفائدة الذين حبس عليهم من طرف المحبس، وهذه هي «الصدقة الجارية» كما سماها النبي ﷺ في حديثه: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

وفي كتابه «محاضرات في الوقف» أوضح العلامة الشيخ محمد أبوزهرة أن الوقف الذي يكون فيه حبس العين على حكم الله تعالى والتصدق بالثمرة على جهة من جهات البر، هو نوع من الصدقات الجارية بعد وفاة المتصدق، يعم خيرها ويكثر برها، وتتضافر بها الجماعات في مد ذوي الحاجات، وإقامة المعالم، وإنشاء دور الخير، من مستشفى جامع يطب أدواء الناس، ونزل يؤوي أبناء السبيل، وملاجئ تؤوي اليتامى، وتقي الأحداث شر الضياع، ليكونوا قوة عاملة لا قوة هادمة».

دلائل مشروعية الوقف

نصوص كثيرة تضمنها القرآن الكريم والسنة النبوية تحض على الوقف وترشد إليه وتبين أحكامه.. ففي التنزيل الحكيم نصوص عامة تشمل جميع أنواع الخير والبر والإحسان، فيدخل فيها الوقف وغيره، مثل قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الحج: ٧٧)، وكذلك قوله سبحانه: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ٩٢)، وأكثر ما يحب الإنسان من ماله، ما يكون أصلاً يبقى ويدوم كالدور والأراضي



آثاره الطيبة تبقى بعد موت صاحبه ويستمر ثوابه مادام له نفع لأحد من عباد الله

والأشجار، فالآية ترغب وتشجع المؤمنين على أن ينفقوا من أحب أموالهم إليهم.. ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ (يس: ١٢)، فالله عز وجل يكتب أفعال العباد ويكتب الآثار التي تنجم عنها، سواء في حياتهم أو بعد مماتهم، خيرًا أم شرًا.

ولاشك أن الأموال والأملاك المحبّسة، تبقى آثارها الطيبة بعد موت صاحبها، ويستمر ثوابها مادام لها نفع لأحد من عباد الله، أو من عامة خلقه.

كما تضمنت السنة النبوية العديد من الأحاديث التي تتحدث عن الوقف وتحض عليه، فـ«عن عثمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة، فقال: من يشتري بئر رومة فيجعل فيها دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة؟، فاشتريتها من صلب مالي».

و«عن عبدالله بن عمر، رضي الله عنهما، قال: أصاب عمر أرضًا بخيبر، فأتى النبي ﷺ يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله، إني أصبت أرضًا بخيبر، لم أصب قط مالاً أنفس عندي منه، فما تأمرني فيها؟ فقال: إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها، غير أنه لا يباع أصلها ولا يبتاع ولا يوهب ولا يورث. قال: فتصدق بها عمر في الفقراء وذوي القربى والرقاب وابن السبيل والضيف، لا جناح على من وليها أن يأكل منها، أو يطعم صديقًا بالمعروف، غير متأثل فيه، أو غير متمول فيه».

وعن أنس رضي الله عنه، قال: «كان أبوطلحة أكثر أنصاري بجوار المدينة مالاً، وكان أحب أمواله إليه «بيرحاء» بستان من نخيل قرب المسجد النبوي فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قام أبوطلحة إلى رسول الله ﷺ، فقال: إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إليّ بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث شئت».

وقد روى جابر: «لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ، ذو مقدرة إلا وقف». كما روى أبو هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من احتبس فرسًا في سبيل الله إيمانًا واحتسابًا، فإن شبعه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة حسنات». وفي صحيح البخاري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: أن خالد بن الوليد احتبس أدراعه وأعتده في سبيل الله».

حكم الوقف

من الدلائل السابقة يتضح أن الوقف من الأعمال المستحبة، فهو من أفضل الصدقات التي حث الله تعالى عليها، وأجلّ أعمال البر والإحسان، وأعمها وأكثرها فائدة، وهو من الأعمال التي لا تنقطع بعد الموت، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».



الشباب بُناة الحضارة

بناء الحضارة واجبٌ لا ينصبُ على الدول فحسب، ولكنه واجبُ الشعوب أيضًا، ولاشك أن وقود الشعوب إنما هو الشباب الحي المدرك الواعي، وعليه فإنه هو الصانع للحضارة والباني لها على وجه الحقيقة، وواجب البنيان الحضاريَ يستوي في إدراك همه الكبير والصغير، والمستأجر والأجير، والغني والفقير، ولا يُستثنى منه أحد، ولا يمكن أن تخلو منه أمة من الأمم، ولما كانت أمتنا في هذا الوقت تعيش حالة ضعف فإن الواجب في حقها آكد وألزم.

وحتى يتحقق لنا البناء الحضاري الواعد لابد من مراعاة المفاهيم الآتية:

أولا: الحضارة بمعناها الإنساني لا يكون بناؤها شامخا ثابتا إلا بوجود دعامة الإيمان.

وعلى هذا فمهما أراد شباب الأمة أن يبني حضارة من غير إيمان، ومن غير تعلق القلب بالله، فإنه لن ينجح، وسيعيش مقتاتا على مجرد الوهم ولن يصل إلى شيء نافع البتة.

ثانيا: الشعور الصادق بالمسؤولية؛ لأن هذا الشعور إذا انتفى عاش الجميع حالة من الأنانية لا تساعده على إيجاد التحضر والمدنية، لأن أساس التحضر الاجتماع والتعاون.

ثالثًا: فهم الواقع، إذ لا يمكن لنا أن نتحدث عن تدبير للمستقبل وإعمار لما هو قادم ما لم نفهم واقعنا الذي نعيش فيه بكل آفاته وعلله.

رابعا: العمل المتقن، وأساس هذا الأمر الشعور بالمسؤولية، قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥).

خامساً: متابعة البناء وعدم الانقطاع، فإذا وجدت المتابعة والمراجعة والتناصح فإن الخاطئ يتحول إلى مصيب وصحيح ومستقيم على طريق البناء.

سادساً: اليقين التام بأن الصيرورة الحضارية والبناء السليم لها لا يمكن أن يكون ناجحًا حتى يكون الباعث له العبودية لله تعالى وحده لا شريك له.

التحرير

شابان غيَّرا مجرى التاريخ

محمد إلهامي

في أقصى شرق الإمبراطورية الإسلامية الواسعة، في خراسان، وفي عهد الدولة الأموية التي كانت شمسها توشك على المغيب، كان ثمة شاب حدث السن يقود عملية إنهاء الدولة الأموية التي قاربت أن تُكْمل قرْنًا في عمر الزمان.. ذلك هو عبدالرحمن بن مسلم، الرجل الذي عُرف في كتب التاريخ بكنيته ونسبته أبي مسلم الخراساني.

وفي قلب العائلة الأموية نشأ شاب آخر، عبدالرحمن بن معاوية، حفيد الخليفة هشام بن عبدالملك وابن الفارس الأموي معاوية بن هشام، وأمه جارية من قبائل نفزة في أقصى الغرب.

فكأننا إذ ننظر إلى هذين الشابين، ننظر إلى محيط الأمة من شرقه إلى غربه، منه خرجا، ثم إنهما قد أعادا صياغته صياغة جديدة في التاريخ الإنساني.

أما أبومسلم فقد وُلد مع ميلاد الدعوة العباسية في عام ١٠٠ من الهجرة، وكان غلامًا خادمًا لبعض المؤمنين بالدعوة العباسية، فلفتت نجابته نظر بعض النقباء أصحاب الدعوة فاشتروه من سيده ثم صار عند الإمام إبراهيم (ابن علي بن عبدالله بن عباس) صاحب الدعوة العباسية نفسه، ورأى منه الإمام إبراهيم ما جعله يُوفده إلى خراسان التي كانت الدعوة فيها قد قويت وترسخت، يوفده مسؤولاً عن الدعوة هناك، وهو الذي لم يُكمل الثلاثين.

وقد ارتاع لهذا القرار الخطير مسؤول الدعوة في خراسان، سليمان بن كثير، ولم يصدق أن هذا الفتى الحدث سيكون كبير الدعاة في خراسان إلا أن التزام باقي نقباء الدعوة بأوامر الإمام حسمت الأمر لصالح أبي مسلم.

وأثبت أبومسلم أنه كان نعم الرجل في موقفه، فقد استطاع الانتقال بالدعوة العباسية من مرحلتها السرية إلى العلنية، ومن الاستضعاف إلى إقامة الدولة، حتى إن المأمون قال: أجل ملوك الأرض ثلاثة، الذين قاموا بنقل الدول: الإسكندر، وأزدشير، وأبومسلم.

وعلى يد أبي مسلم وجيوشه انهارت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية، وصار أقوى رجال الدولة على الإطلاق حتى إن أبا جعفر المنصور ألَحَّ على السفاح في قتله بعدما بدا أنه

• باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية، صاحب مدونة المؤرخ



عبدالرحمن وعبدالرحمن .. شابان ماتا والعالم قبلهما غير العالم الذي كان بعدهما

خطر على الدولة وأنه الملك الحقيقي الذي لا يستطيع الخليفة أن يغاضبه رغم ما قام به من أفعال تنال من هيبة الخلافة وتُفصح عن تعاظم سطوته ونفوذه.

ولقد دارت الأيام حتى احتال عليه أبوجعفر المنصور حين أصبح خليفة، حتى تمكن منه وقتله، ثم قال كلمة عميقة الدلالة: «الآن تبدأ دولة بني العباس»!

كان أبومسلم حَجَّاج بني العباس، مسرفا في القتل وسفك الدماء، آية في الذكاء والعزم، محتفظًا باتزانه حتى لا يظهر عليه أثر الانفعال، فلا يظهر عليه السرور حين تأتيه أخبار النصر العظيم، ولا يظهر عليه أثر الحزن حين تنزل به المصيبة، ولا يُخْرجه الغضب عن عقله، وهو ممن يُضرب به المثل في علو الهمة، قتل وعمره سبعة وثلاثون عاما، غير فيها وجه التاريخ.

وأما عبدالرحمن بن معاوية، فقد ولد بعد أبي مسلم بثلاث عشرة سنة (١١٣ هـ)، فما كاد يبلغ سن الشباب حتى وجد نفسه مُطَاردًا ومطلوبا للعباسيين الذين كانوا يحاولون استئصال كل من يصلح للخلافة من بني أمية حتى لا تقوم لهم قائمة، وحين بدأت المطاردة كان في أرض العراق، وكاد يقع في يد جنود العباسيين لولا أنه عبر النهر سباحة فأفلت منهم، ثم بدأت رحلة طويلة مثيرة من العراق إلى الشام إلى مصر إلى المغرب كاد أن يقع فيها أكثر من مرة في يد العباسيين أو أتباعهم حتى وصل إلى الأندلس.

ولئن كانت كتب التاريخ لم تستطع أن تروي تفاصيل رحلته الطويلة العجيبة، التي لا شك أنها كانت حافلة بالأحداث والوقائع الرهيبة، فإنها استطاعت أن تروي ما تبقى من قصته.

ذلك أن الأندلس كانت على وشك الانهيار بعد أن عصفت بها الفتن السياسية، والعصبيات القبلية، حتى لقد فقد المسلمون ما كانوا قد فتحوه من الأراضي الفرنسية، وكثيرا من أراضي الشمال في الجزيرة، واشتعلت بينهم الحروب التي جددت عصبية الجاهلية الأولى.

واستطاع عبدالرحمن الداخل- وهو الوحيد المطارد- أن يدخل على خط الأوضاع في الأندلس، ويدير معركة القبليات هذه حتى صار أمير الأندلس، وبه دخلت الأندلس عهدًا جديدًا تمامًا، فلقد حرص على كسر شوكة العصبية الجاهلية وتأسيس شوكة الدولة التي تعلو فوق القبلية، فهيَّأ المناخ للنهوض الحضاري، وأطلق «الشرارة الحضارية» التي جعلت الأندلس واحدة من المراكز الحضارية الخالدة في التاريخ الإنساني، فكان الأموي الذي جدَّد ملك بني أمية في المغرب بعد زواله في المشرق.

خرج عبدالرحمن من الشام وعمره تسعة عشر عامًا، وظل طريدًا هاربًا أكثر من خمس سنوات، حتى دخل الأندلس وعمره خمس وعشرون سنة، حتى لقد لقبه عدوه الخليفة العباسي أبوجعفر المنصور بـ«صقر قريش»، ذلك أنه «عبر البحر، وقطع القفر، ودخل بلدًا أعجميًا، منفردًا بنفسه؛ فمَصَّر الأمصار، وجَنَّد الأجناد، ودَوَّن الدواوين، وأقام مُلْكًا عظيمًا بعد انقطاعه، بحسن تدبيره، وشدة شكيمته».

ولم يصدق بعض الناس أن حياة أحد يمكن أن تكون بهذه العظمة، فتكلموا عن سَعْده وحسن حظه، فردَّ عليهم بشعره البليغ:

سَعْدي وحزمي والمهند والقنا ... ومقادر بلغت وحال حائل
إن الملوك مع النجوم كواكب ... نجم يطالعنا ونجم آفل
والحزم كل الحزم ألا يأفلوا ... أيروم تدبير البرية غافل؟
ويقول قوم سعده لا عقله ... خير السعادة ما حماه العاقل

وهكذا، من شاب نشأ في أقصى الشرق وقتل في قلب الدولة الإسلامية، إلى شاب نشأ في قلبها ومات في أقصى غربها، صاغ كل منهما تاريخًا جديدًا، وماتا والعالم قبلهما غير العالم الذي كان بعدهما .. وفي مثل هذه الهمم فليتنافس المتنافسون.



الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي د.صالح الوهيبي في حوار خاص:

ضرورة تفعيل دور الشباب في مجتمعاتهم

حوار: أحمد الشلقامي

حظيت مؤتمرات الندوة العالمية للشباب الإسلامي برعاية من العديد من الشخصيات والمؤسسات في بلدان العالم الإسلامي المختلفة، وحفلت بحضور كبير، واهتمام بالغ من العلماء والدعاة والمفكرين، والمهتمين بالعمل الشبابي والإغاثي والإنساني في بلدان العالم المختلفة، وجاء المؤتمر الحادي عشر للندوة الذي أقيم أخيرا في إندونيسيا ليعلن عن مرحلة جديدة من نهج الندوة والانطلاق نحو دعم أنشطتها وحركة فعلها في الحيز الإسلامي، وذلك بأن أصل المؤتمر وما حواه بمشاركات نظرية من أبحاث ودراسات شارك بها أكثر من ٥٠ باحثًا ومفكرًا، وعلى هامش المؤتمر التقت «الوعي الاسلامي» مع الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي د.صالح الوهيبى.. واليكم نص الحوار:

• بداية نود التعريف بمنظمة المؤتمر الإسلامي؟

■ الندوة أنشأت في ١٩٧٢ في الرياض، ومنذ ذلك الحين انطلقت من الرياض والآن لدينا ٢٧ مكتبا داخل المملكة و٣٨ خارج المملكة، ولديها مجلس أمناء، وهذا المجلس تنتخبه الجمعية العامة والتي انعقدت على هامش المؤتمر الحادي عشر باندونيسيا.

• ما أبرز أهداف الندوة العالمية التي تسعى إلى تحقيقها؟

■ تتعدد وتتنوع أهداف الندوة العالمية ولكن بشكل أساسي نركز على دعم الشباب وقضاياهم سواء في التركيز على عقيدتهم وما ينمي من شخصيتهم وقدراتهم ويدفع نحو تفعيل دورهم في مجتمعاتهم، وذلك للعمل على بناء الفرد المسلم القادر على بناء مجتمعه ومواجهة التحديات التي تواجههم.

• ما أبرز المشاريع التي تقوم عليها الندوة؟

■ في الحقيقة يكون التركيز على المشاريع والبرامج الشبابية في المنح الدراسية والبرامج التعليمية والثقافية والمساعدات الطلابية، ولكننا لو نظرنا بشكل عملي نجد- أننا من حيث الإنفاق- أن البرامج التنموية والاجتماعية والإغاثية



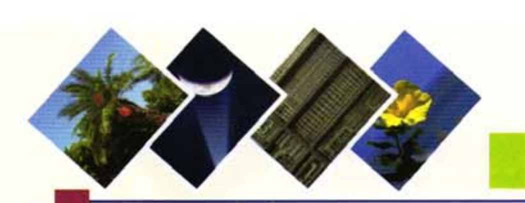
تذهب بالنصيب الاكبر، والسبب في ذلك أن المناطق المنكوبة تجد تعاطفا من الناس ودائما ما يسائلون الندوة ماذا تفعلون لغزة؟ لباكستان؟ للصومال؟ وبالتالي نجد أنفسنا نركز على هذا، إضافة إلى أننا نقوم على عمارة آلاف المساجد وحفر آلاف الآبار، وهناك مناطق كثيرة من العالم نقوم فيها بحفر الآبار حتى وإن كانت مطيرة، فالبعض يظن أن هذه الدول لا تحتاج إلى حفر آبار ولكن بالعكس هي في حاجة إلى آبار وإن كانت سطحية لأن مياه المستنقعات لا تصلح للشرب.

• لماذا المؤتمر الحادي عشر يحمل عنوان «الشباب والمسؤولية المجتمعية»؟

■ طرحت موضوعات عدة على مجلس أمناء الندوة، وباستشارة بعض الإخوة الخبراء في الدراسات الاجتماعية رأوا أن هذا الموضوع هو الذي يناسب الفترة الحالية لأنه مطروح في الأدبيات العالمية، والشركات العالمية الكبرى اليوم تنفق في هذا السبيل ورأينا أن مادام الاهتمام العالمي موجودا فإنه ينبغي على المسلمين أن يكون لهم رأي، وخاصة أننا أخذنا فقط جانب الشباب والمسؤولية المجتمعية، فتلاحظ أن كل البحوث والمحاضرات والندوات تصب في هذا الموضوع عن الشباب والمسؤولية المجتمعية بعمومها.

• الندوة اعتادت أن تعقد ندواتها ومؤتمراتها في دول عربية.. المؤتمر الحادي عشر جاء اختيار المكان في اندونيسيا، لماذا؟

■ حقيقة كانت هناك اقتراحات عديدة لإقامة المؤتمر من بينها لبنان وتركيا وجنوب إفريقيا واندونيسيا، وقد اخترنا اندونيسيا لأننا أقمنا المؤتمر في العالم العربي أكثر من مرة، وجنوب إفريقيا رأينا أنها ربما تكون بعيدة، ربما اندونيسيا أيضا بعيدة لكن اندونيسيا فيها بعض الخصائص؛ فهي اكبر بلد إسلامي من حيث السكان ومن حيث الرقعة الجغرافية، كما أنها بلد ناهض بجانب المنطقة التي تقع ضمنها اندونيسيا «منطقة قارة آسيا» منطقة مهمة وينبغي الالتفات إليها، والعامل الآخر والمهم هو أن التوجه الديني اليوم على المستوى





الشباب والمسؤولية الإجتماعية عنوان مؤتمرنا الأخير لأنه مطروح في الأدبيات العالمية

الشعبي والرسمي قوي جدا بعد أن ذهبت التيارات العلمانية والاشتراكية وضعفت في هذا البلد، فرأينا أن اندونيسيا تستحق ذلك كما أننا وجدنا من الحكومة الإندونيسية استجابة سريعة.

●المؤتمر شارك فيه عدد من الباحثات والعاملات في مجال الدعوة الإسلامية، كيف تنظر الندوة للدور الواقع على المرأة في التعامل مع قضايا أمتها؟

■ حقيقة عملنا في الندوة منذ سنوات طويلة على إشراك المرأة من خلال إقامة مكاتب ولجان نسائية، فعندنا في المملكة أكثر من عشرين لجنة نسائية، كما أننا حاولنا قدر الإمكان ودفعنا بالإخوة في مكاتبنا حول العالم أن يكون لديهم عمل نسوي، نحن نرى في الندوة أن المنظومة متكاملة فلابد من وجود شراكة فاعلة وفق إمكانات وقدرات وطبيعة كل من الرجل والمرأة، والشباب ذكورا وإناثا لابد أن يتم تمثيلهم وإشراكهم، فلو ركزنا على الذكور فقط فسنجد أنفسنا تركنا عنصر الفتيات والعكس، فكان لابد من التوازن في تناول وطرح القضايا والشراكة في حلها بين الاثنين.

● من أهم القضايا المطروحة على الساحة قضايا الشباب والتحديات، من واقع الخبرة التي تكونت لديكم، كيف نوصف لمشكلات الشباب؟

■ توصيف المشكلات يكون على محورين إما من خلال التوصيف النظري الأكاديمي أو من خلال الخبرة، فالندوة لديها خبرة كبيرة في ذلك، أما الناحية التنظيرية الأكاديمية لتوصيف هذه المشكلات فتحتاج إلى خليط بين الفكر والتنظير، حيث تفاعل الأكاديميون مع أصحاب العمل الميداني العاملين في المنظمات والمؤسسات، ومن هنا جاءت أهمية هذه المؤتمرات حتى يتم الخروج «بوصفة» لمعالجة هذه المشكلات.

●هل لدى الندوة شراكة مع مؤسسات أخرى عاملة في مجال التنمية والعمل الخيري وقضايا الشباب؟

■ حقيقة الجهات التي تعمل مع الشباب في عالمنا العربي والإسلامي ليست كثيرة فهي قليلة جدا، فمعظم الجمعيات تعمل في مجالات عامة تعنى بالشباب وغير الشباب لكن في السنوات الأخيرة طورنا ما يعرف بمذكرة تفاهم، الآن خلال السنتين الماضيتين وقعنا أكثر من ٤٠ اتفاقية مع منظمات إسلامية وغير إسلامية في العالم العربي والإسلامي وخارج نطاق العالم الإسلامي بما يخدم الأقليات والجاليات، ونحن والحمد لله مستمرون في هذا من باب أننا نريد أن نعزز الشراكة مع الآخرين من إخواننا وأخواتنا وأيضا من الذين يشاركوننا السكن في هذا الكون.

●رسالة توجهونها للشباب.

■ أقول للشباب أنهم ينبغي أن يكثروا العمل وألا يظنوا أن الأزمة في سواهم بل الأزمة فيهم، وهم الذين يستطيعون أن يحلوا أزماتهم مع الاسترشاد بمن هم دونهم خاصة من العلماء.

الضيف في سطور

الاسم: صالح بن سليمان بن عبدالرحمن الوهيبي.
تاريخ الميلاد: ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.
المرتبة العلمية: أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية. كلية الآداب. جامعة الملك سعود. الرياض- المملكة العربية السعودية (سابقا).
نشر مجموعة من البحوث المتخصصة في النحو والصرف واللغة.
ناقش عدة رسائل علمية في جامعة الملك سعود وجامعة الإمام وجامعة أم القرى وجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.



الثروة البشرية أغلى وأثمن ما تملكه الأمم والشعوب، وأهم من الثروات الموجودة في الحياة، فرأس المال البشري هو العامل الأساسي، والمرتكز الرئيسي، والقاعدة الصلبة للتنمية الثقافية، والاجتماعية والاقتصادية، والسياسية، وهذا ما حدا الدول المتقدمة على أن توليه عناية فائقة لتحقيق أهدافها العامة والخاصة.

المدنية الحديثة ودورها في تربية النشء

د. السعيد بوخالفة



فهي تعمل على استغلال ما لدى الإنسان من طاقات وقدرات، واغتنام ما عنده من أفكار وإبداعات، لتسخّرها في البرامج العلمية والعملية المسطرة من أجل حاضر سعيد، ومستقبل مشرق.

ومن أجل ذلك قدّمت المناهج العلمية، والأسس والمبادئ والنظريات التربوية وربطت ذلك ارتباطًا وثيقًا بالصحة العامة أولًا، ثم بالصّحّة النفسية ثانيًا. وهيّأت لنجاح مخططاتها كل ما يحتاج إليه الفرد والمجتمع من خلال التربية، وأي تربية؟ التربية الكاملة المتكاملة الشاملة لجميع الميادين الجسمية والروحية، وشتى المجالات الفكرية والعقلية.

وبذلت الجهود المعتبرة التي سخّرت لها مختلف النفقات المادية والإمكانات الفكرية والمعنوية، وانصبّ اهتمامها بشكل مؤكد بعد تربية الأطفال على المراهقين والشباب لتحقيق ذواتهم من جهة، وتعرّفهم على ما يواجههم في الحياة من تطورات، وما يلامس أحاسيسهم ومشاعرهم من انفعالات وتفاعلات، حتى يستطيع أولئك الشباب معرفة مشكلاتهم والتحدث عنها مع المربين والاختصاصيين، ليوجهوهم إلى الحل الصائب، بحيث لو بقيت هذه المشكلات من غير حلّ، لأفرزت عديدًا من الأمراض النفسيّة التي إن تأصّلت في النفس الإنسانية نخرت قوى الشباب الجسمية والفكرية.

وما هذا الاهتمام بالناشئة والرعاية لهم عن الدول المتخلفة ببعيد، فهي تعير اهتمامها، وتقدّم وافر إمكاناتها من أجل التنمية والحضارة، وتربط هذه الأهداف التنموية والإصلاحية بالعنصر الإنساني رأس المال البشري، لتربيته وإعداده على أيدي علماء ومربين يؤمنون بالقيم الاجتماعية والروحية والخلقية، والتراث القومي الإنساني بروح متفتحة، وأخلاق سامية، وطموح كبير للّحاق بركب الدول المتقدمة، حتى لا يقفوا مشدوهين أمام التقدم العلمي، والانفجار المعرفي، والتسارع التكنولوجي.

وبات من الواضح أن أمتنا التي وعت ذاتها، وأدركت مسؤوليتها، واستفاقت من غفوتها لهي اليوم أكثر من أي وقت مضى تسير بعقلانية نحو التقدم، بل إن التقدم روح تعصف في ضمير الأمة فتدفعها إلى العطاء لتعي أنه طريق الخلاص لها وللإنسانية، المرتبط بالإيمان بالله تعالى، ثم بالإنسانية العميقة، وإن أتى التقدم من دونها فلا كان التقدم.

ومنذ أمد ليس بالبعيد وضعت المؤسسات التربوية في أمتنا البرامج والمناهج والآليات التربوية، والقواعد السلوكية، ووفّرت البيئة الصالحة على الرغم من المعوقات التي تواجهها بين الفينة والفينة، لإرشاد الناشئة، وتربيتهم على الإيمان والعمل الصالح، على نحو يضمن لهم تربية سليمة، وتنمية قوية، وتغذية فكرية صافية.

أثر الإيمان في تربية النشء

ولا يزال- من فضل الله علينا- الخير في أمتنا، ولا تزال النساء اللواتي أنجبن القادة الأبطال والعلماء العظام

أكاديمي جزائري



والمربين الأفذاذ والدعاة الأكفاء يقدمن للمجتمع الرجال الذين أخلصوا لله تعالى وللإسلام، ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلًا﴾ (الأحزاب: ٢٣)، ومنهم من اتصف بالصِّفة الكريمة التي وصف الله عز وجل بها عباده المؤمنين بقوله:﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شُحّ نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ (الحشر: ٩)، فأخذوا على عاتقهم بناء المجتمع على الوحدانية والإخاء والمحبة والمساواة، والمحافظة على الأمة بجميع ممتلكاتها البشرية والمادية للسير بها قدمًا نحو الأمام لإرساء القواعد والمبادئ الإنسانية التي نادى بها الإسلام.

مخاطر الحداثة

إذا كان التقدم العلمي والتّقني وزّع الكثير من المشكلات والصعوبات في العالم، فإنه في الوقت نفسه قدّم فُرصًا طيّبة، ووفّر مجالات واسعة للفكر والإبداع لم تكن متاحة للشباب من قبل، وبذلك ظهرت ظروف ومواقف جديدة يسّرت للعلماء والمفكرين والباحثين- ومنهم الشباب- عملية الإنتاج والإسهامات التنموية، حتى إن علماء النفس رأوا أن هذا التقدم العلمي كان سببًا في تمكين الفرد بالانتقال السريع من عالم الطفولة إلى عالم الرُّشد والنُّضج الفكري والعقلي.

ولقد تدفّقت الأبحاث المعلوماتية، وشاعت وسائل الاتصال والبرمجيات بشكل منقطع النظير، فاستفاق الفتى على مخترعات متطورة، وآلات متقدّمة، وهذا ما ترك أثرًا كبيرًا عند الوالدين، فازداد وعيهم، واتّجهوا إلى ما يفيدهم أولًا، ثم ما يعين أولادهم في التنشئة والتربية - إن أحسنوا الاستخدام والتوجيه- وبذلك ازداد اهتمامهم بتربية الأولاد على وسائل

التربية العامة ضرورة للأخذ بيد الشباب نحو تحقيق الخلافة الإنسانية

وطرائق التربية الحديثة.

أما المراهقون والشباب فقد استفادوا من الثورة المعلوماتية، فكان من تأثير الضغوطات العملية، والإرهاصات الفكرية، انشغالهم الكبير بما وجدوه متيسرًا أمامهم من البيئات التربوية (المنزل، المدرسة، الجامعة، وسائل الإعلام)، وهذا ما ساعدهم على تنمية الحسّ والإبداع من جهة، والاعتماد على ذواتهم في سنّ مبكّرة من جهة أخرى.

أما من الناحية السلبية: «فهناك مواقف جديدة قد تكون معرقلة لعملية النمو السوي، كانصراف الأطفال إلى الدراسة فقط، وإعفائهم من العمل المنزلي والحيلولة بينهم وبين الهموم والإزعاجات التي يمكن أن تتعرض لها الأسرة، بالإضافة إلى نضج جنسي مبكر، مقابل نضج اقتصادي، وتأمين عمل متأخر، الأمر الذي أدى، ويؤدي إلى تأخير سن الزواج أو إمكانية حدوث جنوحات واضطرابات لا تحمد عقباها».

أجل إن ما وجده الأطفال والمراهقون والشباب أمامهم من أجهزة إلكترونية حديثة، ووسائل اتصال بارعة، أبعد كثيرًا منهم عن التأمل والتفكير، والملاحظة والفرضية والتجريب للوصول إلى التنظير والتقنين،كما هو الحال عند أولاد المجتمعات المتقدمة، واقتصر دورهم على أخذ النتائج مدوّنة كما أرادها لهم واضعو البرامج من وراء البحار.

حتى إن العلاقات الاجتماعية التي كانت متداخلة مترابطة، متزايدة المساحة والعمق، غدت متباعدة متفرقة، منحصرة في حدود ضيّقة لا تتجاوزها، فأصاب المجتمع الوهن والتّخلّف، وفقد كثيرًا من القيم السائدة في المجتمع، لدرجة أنّ عددًا من الأفراد ثار على الأعراف والعادات الحسنة الموجودة في المجتمع، فبات الواحد منّا فاقدًا لهويته منعزلًا عن أهله وأصدقائه وجيرانه.

وأخيرًا: فعلى عاتق كل المؤسسات الرسمية والشعبية، الدينية والاجتماعية، التربوية والتعليمية، أن تهتم بمشاكل كل الشباب بصورة أكثر جدّية وفعاليّة، وأن تعمل على إزالة ما يعترضهم من معوقات، وما يعتريهم من مشكلات، وفي الوقت نفسه إشباع ما لديهم من حاجات ليتمكنوا من تأدية دورهم في الحياة.

كما أوجّه نصيحتي للشباب بأن يحسنوا العلاقة بالله رب العالمين بالتقوى وحسن الخلق، وأن يعتمدوا عليه في تسيير أمورهم، ثمّ إبصار ورؤية الطريق السوي المستقيم الذي يوصلهم إلى الغاية والهدف، وتقرير العبور إلى القصد والغاية مهما كانت الصعوبات، وإدراك الحقيقة التي تقول إن النجاح ليس مرتبطًا بتحقيق الأهداف ولكن ببذل الجهد واتخاذ الأسباب، وكما قال الله تعالى:﴿ومن يتّق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ (الطلاق: ٢) ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرًا﴾ (الطلاق: ٤).

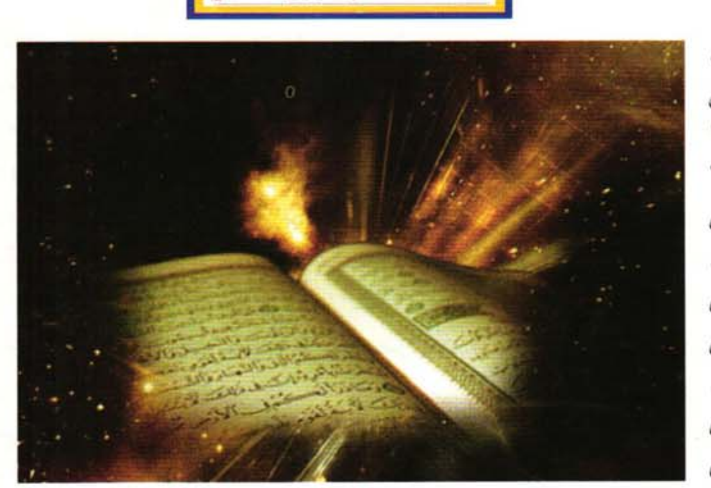
ولا تزال التربية العامة قائمة إلى جانب التربية الإسلامية للأخذ بيد الشباب نحو شاطئ الأمن والأمان والسلم والسلام وبناء المستقبل السعيد لتحقيق الخلافة الإنسانية في الأرض.



إن نظرة القرآن الكريم للنفس الإنسانية عمومًا هي نظرة التوجيه والرحمة والهداية والحنو والأمل والسعادة والرأفة وترسيخ معاني الطمأنينة وغيرها من المعاني التي تبعث في هذه النفس كل قيمة مطلقة تأخذ بنا تجاه الهدوء والسكينة والراحة والجنة في نهاية الأمر. وهذه النفس التي يراها القرآن غير متقولبة في طور واحد، فهي متغيرة ما بين الاطمئنان والضيق، وما بين الرضا والشقاء، بيد أن هذا الكتاب الرباني المعجز يحرص على أن «يأخذ الإنسان كما هو بفطرته وميوله الطبيعية واستعداداته، ثم يسير به من حيث هو كائن، ومن حيث هو واقف.. يسير به خطوة خطوة، صعدًا في المرتقى العالي، على هينة وفي يُسر، فيصعد وهو مستريح، هو يلبي فطرته وميوله واستعداداته، وهو ينمي الحياة معه ويرقيها لا يحس بالجهد والرهق، ولا يكبل بالسلاسل والأغلال ليجر في المرتقى، ولا تكبت طاقاته وميوله الفطرية ليحلق ويرف، ولا يعتسف به الطريق اعتسافًا، ولا يطير به طيرانًا من فوق الآكام، إنما يصعدها به صعودًا هينًا لينًا وقدماه على الأرض وبصره معلق بالسماء، وقلبه يتطلع إلى الأفق الأعلى، وروحه موصولة بالله في علاه».

كيف رأى القرآنُ الشبابَ؟

محمد شعبان أيوب



الشباب هم التجسيد لحيوية وسمو هذه النفس وقوتها ونشاطها، ولعل ما يندهش له القارئ الكريم ألا يجد لفظة «الشباب» في القرآن الكريم ولو لمرة واحدة، بل يزداد تعجبه حينما يرى أن القرآن يعبر عن هذه المرحلة المهمة من عمر الإنسان بالفتوة، وهي عند علماء اللغة صفة تجمع ما بين الشباب والكرم والشجاعة، بل إن العلامة النسفي يقول في تفسيره: «الفتى من لا يدعي قبلَ الفعل، ولا يُزكي نفسه بعد الفعل» إشارة إلى الإخلاص الذي يجب أن يتمتع به الشاب المسلم، بل الأعجب من ذلك أن قصص القرآن المتعلقة بالفتوة هي قصص تؤكد على قدرة هذه الفئة من المجتمع على التغيير، بل على الفهم والوعي الذي ربما لا يوجد عند من هم أكبر منهم سنًّا، وأكثر منهم خبرة!

إن نبي الله إبراهيم هو نموذج الشاب الذي اصطفاه الله لرسالاته، هو النموذج المبهر لقوة الشباب والعقل معًا، انظر إلى حواره المنطقي والعقلي الرائع مع قومه كلهم، هو وحيد بينهم، لكنه قوي الإرادة، ثاقب الذهن، قادر على الإقناع بالحجة والمنطق، مؤمن إيمانًا راسخًا بما يقوم به، إنه شاب استطاع أن يغير القناعات والعقائد الفاسدة التي تأصلت في نفوس قومه، وما أعظم هذا الحوار القرآني الخالد الذي يصور لنا تلك المشاهد الحية التي يستطيع كل منا أن يتخيلها وكأنه ناظر إليها من قريب، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧)﴾ (الأنبياء: ٥١ - ٥٧).

لقد حسبه قومه شابًا لاهثًا لاعبًا يريد المجادلة من أجل الجدال، وما أغربها من نظرة استعلائية لا تقيم لهذا الشاب وزنه، إنها ذات النظرة التي تُوجّه للشباب اليوم، فهم في نظر كثير من الناس نموذج

* باحث دراسات إسلامية



للضياع والحمق والتفاهة، لكنه- عليه السلام- يقبل هذا التحدي ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩)﴾ (الأنبياء:٥٨- ٧٠)، لقد استطاع أن يحطم هذه العقائد البالية على صخرة الحقيقة والعقل، لقد استطاع أن يغير هؤلاء بالفعل، لقد رجعوا إلى أنفسهم وأقروا ببغيهم وكبرهم وانحلالهم، ومع ذلك أصروا واستكبروا استكبارًا، ورغم ذلك ضحّى هذا الشاب في نهاية الأمر بنفسه من أجل ما يؤمن به، لكن الله سلّم ونجّاه من النار.

إن الشباب هم القوة القادرة على التغيير، وطالما أن القرآن يقر بذلك فهذه سنة يؤكدها التاريخ والواقع، فقصة أصحاب الكهف هي قصة التضحية والإرادة والإيمان بالله الذي لا تشوبه شائبة، إنها رمز للوحدانية المطلقة متجسدة في تضحية مجموعة من الشباب الطاهر النقي، شباب دعا إلى عقيدة التوحيد بالله- عز وجل- عندما رأوا ضلال قومهم وعبادتهم الطواغيت من دون الله، فهم ﴿فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً

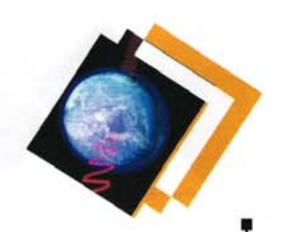
نظرة القرآن للشباب تؤكد قدرة هذه الفئة على إحداث التغيير

لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥)﴾ (الكهف:١٣- ١٥)، ولقد علّق العلامة ابن كثير رحمه الله على هذه الآيات بما يؤكد على كون الشباب هم القوة القادرة على التغيير تجاه الحق، فيقول: «ذكر تعالى أنهم فتية- وهم الشباب- وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ، الذين قد عتوا وعَسَوا في دين الباطل؛ ولهذا كان أكثر المستجيبين لله ولرسوله ﷺ شبابًا. وأما المشايخ من قريش، فعامتهم بَقُوا على دينهم، ولم يسلم منهم إلا القليل، وهكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شبابًا».

ولكون هؤلاء الشباب دافعوا ونافحوا وضحّوا بأنفسهم من أجل ما يؤمنون به، جعلهم الله آية للعالمين، يعلمها قارئ القرآن الكريم إلى يوم القيامة، لقد علم قومُهم حقيقة الوحدانية والبعث من خلال هؤلاء الفتية الذين بعثهم الله من نومهم، صحيح أن ثمرة ما قاموا به لم تتجل إلا بعد ثلاثمائة ونيف من السنين لكنهم استطاعوا بفضل الله أن يكونوا أداة لتغيير مجتمعهم، وهي ثمرة بلا ريب عظيمة، لم يستطع أحد أن يقوم بها إلا هُم.

وأما يوسف الصديق عليه السلام فهو شاب آخر ووجه باهر من وجوه البذل والتضحية من أجل الإيمان بالله والاستعصام به، إنه نموذج الشاب الطاهر العفيف الذي أعانه الله على تغيير سمت الشرك والإلحاد الذي أصاب المجتمع المصري القديم لقرون عدة، ولا غرو في ذلك فلقد أتاه الله العلم والحكمة والنبوة يقول- عز وجل-: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف: ٢٢)، وقد ابتُلي هذا الشاب بإغواء امرأة العزيز له، لكن الله أعاذه من مكرها، فكان السجن أحب إليه من هذه الرذيلة، في السجن مارس يوسف عليه السلام الدعوة إلى ربه بالقول والعمل، فيختصر السياق القرآني «ما كان من أمر يوسف الشاب في السجن، وما ظهر من صلاحه وإحسانه، فوجّه إليه الأنظار، وجعله موضع ثقة المساجين، وفيهم الكثيرون ممن ساقهم سوء الطالع مثله للعمل في القصر أو الحاشية، فغضب عليهم في نزوة عارضة، فألقي بهم في السجن.. يختصر السياق هذا كله ليعرض مشهد يوسف في السجن وإلى جواره فتيان أنسا إليه، فهما يقصّان عليه رؤيا رأياها، ويطلبان إليه تعبيرها، لما يتوسمانه فيه من الطيبة والصلاح وإحسان العبادة والذكر والسلوك(٥) وبقية القصة معلومة ومعروفة، فقد استطاع يوسف عليه السلام أن يصبر في السجن سنين عدة، وقد احتاجه الملك في تأويل الرؤيا، ثم اعتمد عليه في تسيير شؤون مصر في قحطها ومحنتها، فكان خير وزير للمالية والزراعة في مصر القديمة، وكانت كفاءته العلمية والإدارية وأخلاقه محل إعجاب الجميع حتى آمن آلاف من أهل مصر بدين إبراهيم الذي جاء به يوسف الشاب عليه السلام مبشرًا وداعيًا.

هذه إذن نظرة القرآن الكريم للشباب، إنها نظرة تؤكد على قدرة هذه الفئة من المجتمعات على إحداث التغيير، وهو تغيير ليس عضليًا جسمانيًا بطبيعة المرحلة التي تؤهل هؤلاء لذلك، وإنما هو تغييرٌ إيمانيٌّ عقلي حياتي وجداني كذلك، ولا عجب أن نرى ما يحدث في مجتمعاتنا اليوم من تغيير منطلقُهُ ومبتداه من الشباب، فصدقَ كلامُ رب العزة الذي أخبرنا أن التغيير سنة من سننه الثابتة، وأن الشباب هم وقود هذا التغيير.



أهمية الوسط في انحراف الشباب

محمد القاضي

نعني بالوسط كل ما يحيط بالإنسان منذ تاريخ ولادته من ملابسات تلعب دورها في إعداده للتكيف مع الحياة الاجتماعية أو لعدم التكيف معها بحسب الأحوال. وهذه الظروف يطلق عليها أحيانًا وصف الوسط الذي لا خيار فيه، وفي هذا الشأن يلاحظ أستاذ العلوم الجنائية بجامعة لوفان إيتيان دي جريف أنه عندما يولد طفل فمكانه الطبيعي هو أسرته، وأسرته تكون بالنسبة له وسطًا لا خيار فيه، وعليه أن يتحمل هذا المكان من العالم الذي هو مرتبط به، ولحظة التاريخ التي يجيء فيها إلى هذه الوجود، فالأسرة تتضمن الوسط الجغرافي والتاريخي كما تتضمن الشارع الذي يقيم فيه والضيعة والمنزل. وعندما يبلغ الطفل سن المدرسة تحدث اتصالاته الاجتماعية الأولى فيضاف إلى الوسط غير الاختياري وسط آخر يصح أن يطلق عليه الوسط العارض وتسمح الحياة عندئذ للطفل الذي يملك موارد بالإفلات جزئيًا من وسطه غير المختار.

إن الدور الذي يلعبه الوسط دور ضخم جدًا كما ثبت من التجربة، حتى بالنسبة للأطفال العاديين الذين تتدخل التربية الرديئة في تنمية ميولهم وتثبيتها في صيغة عادات غير اجتماعية يخضع لها- أكثر من غيرهم- الأطفال غير المتزنين، أو ذوي الملكات الضعيفة.

فالبيت أولى القوى المؤثرة في شخصية الحدث وتحديد سماتها، فهو مؤسسة تربوية تقوم على التفاعل الاجتماعي بين أفراد الأسرة، إذ فيه يتعلم الطفل كيف يساير جماعته ويتوحد مع قيمها ويكتسب سلوكًا من خلال تأثره بشخصية الراشدين في معاملاتهم وسلوكاتهم، وخصوصا موقف الآباء في معاملة الأبناء في مواقف حياتهم المختلفة، هذا الأسلوب الذي يتدرج بين الإهمال والقسوة وفرض الرأي على الطفل بوسائل العقاب البدني والنفسي والاتجاه المعاكس، أي التدليل والحماية الزائدة.

إن طبيعة السلوك المكتسب داخل هذه المؤسسة (البيت) خلال هذه المرحلة هي التي تتحكم بشكل كبير في مصير حياة الإنسان ولا يمكنه التخلص من رواسب هذا النمط من التربية حتى ولو وصل إلى مستوى عال من التعليم، أما المدرسة فهي الفضاء الوسط بين الأسرة والمجتمع، لذلك فإن العملية التعليمية تكتسي أهمية كبيرة وخطورة أكبر في حالة عدم الوفاء لها بالقدر المطلوب، فالمدرسة مرحلة أساسية للطفل لأنها بمنزلة جواز للعالم الآخر، إلا أن نجاح هذه المادة التعليمية رهين بالعلاقة بين الملقي والمتلقي، بين المعلم والتلميذ، فالطفل أو التلميذ لا يرى في معلمه منبع المعرفة والمزود بأصولها، بل يبحث فيه أيضا عن الجانب الإنساني، عن المعاملة الحسنة والتفاهم، وهذا رهين بدوره بمدى إلمام المعلم بما يتصل بالمجال التربوي من علوم كعلم النفس التربوي وعلم النفس الاجتماعي للتقرب من شخصية التلميذ ومحاولة تقييم قدراته الفكرية وتوجيه ميوله وصقل مواهبه لتحقيق طموحه الأكبر في الحياة، ولكن إذا توترت العلاقة بين المعلم

الأسلوب الإنمائي التكويني الوقائي يستهدف بناء الفرد

والمتعلم فإن تأثيرها ينعكس أكثر على الجو العام للدراسة، فيضعف التواصل ويتولد عنه ضعف المردودية والشعور العدواني، ثم النفور من المدرسة إلى حضن الشارع، عالم الحرية والضياع.

فأمام غياب التواصل المدرسي وعجز المنتديات الرياضية والثقافية عن أداء ما هو مطلوب منها وضآلة الدخل المادي للعائلة الذي يحول دون الاستجابة إلى متطلبات الأبناء يبقى الشارع هو المكان الوحيد الذي يحتضن الجميع دون شروط مسبقة، ولتعويض ذلك النقص يقوم الحدث بالتسكع في الشوارع والقيام بمهام وأعمال سهلة كمسح الأحذية أو بيع السجائر بالتقسيط وبالتالي معاشرة الأشرار والارتباط بالنوادي الليلية وأبواب السينما وما إلى ذلك.

هذه إذن بعض الأسباب الكامنة وراء جنوح الأحداث، فكيف السبيل إلى إصلاح وتقويم شخصية الحدث المجرم؟ لقد تضاربت الآراء في هذا الباب وتباينت بين المتسامحين والمتشددين.

علاج السلوك الانحرافي

فيما يخص الجانب النظري هناك رصيد علمي ودراسي واسع ومتعدد، ومن

• باحث مغربي



المنظرين الذين اهتموا بهذا الموضوع ميشيل لومي الذي أعطانا بعض التعريفات منها المنحرف العصابي، والمنحرف المتقمص، والمنحرف العاصر العاطفي، والقاصر العقلي...إلخ

فالجانب الإيجابي لهذا التشخيص يتجلى في الطريقة العلاجية التي يجب على الطاقم التربوي أن يعتمدها بالنسبة لكل حالة على حدة.

ومن خلال إعادة التربية يكون الحدث قد تلقى تكوينًا مهنيًا موازيًا لعلاجه النفسي وتقويم سلوكه وخلقه، وحين خروجه من مؤسسات إعادة التربية يحال على مصلحة الرعاية اللاحقة التي تحتوي على طاقم تربوي وإمكانات مادية يمكنها من تنظيم وإقامة نشاطات تربوية وثقافية واجتماعية، فضلًا عن تقديم المساعدة والمشورة لإيجاد عمل أو سكن إلى حين الاستقلال بذاته.

دور الدين في رعاية الأحداث

إن العلاقة بين ظاهرة الجريمة والانحراف وبين الدين كواق من هذه الظاهرة، علاقة واضحة لا تحتاج إلى توضيح أو تدليل، وخاصة الدين الإسلامي الذي ما جاء إلا لتربية الفرد والمجتمع وتنظيم وتوجيه جوانب الحياة كافة، بما في ذلك الجانب الاجتماعي الذي تنتمي إليه ظاهرة الجريمة والإنحراف، فالدين يجب أن ينظر إليه على أنه عامل مانع للجريمة والانحراف، أو على الأقل مخفض من شدة الميل إليهما.

وعن موقف الإسلام من معالجة الأحداث الجانحين يقول الشيخ د.عبدالله المطلق: إن العقوبة في الإسلام تنقسم إلي قسمين: عقوبة تعزيرية وعقوبة حدية، أما الحد فلا يقام إلا على المكلف البالغ، وأما التعزير فإن الصغير يعزر إذا أصبح مميزا ينفع فيه الأدب، فيعاقب في حالة خطئه بعقوبة التعزير، ويكون الهدف منها الردع والتأديب، فيعزره القاضي بما يروعه، أما



الطفل غير المميز فهو ليس محل عقوبة.

وأضاف قائلًا: إن الإسلام يبحث دائمًا عن السبب في جرائم الأطفال فإذا كانت الجريمة ناتجة عن تحريض للطفل من غيره فإن العقوبة تنال المحرض مثلما تنال هذا الصبي، فمثلا لو أعطى شخص طفلًا مسدسًا وحرضه على القتل يكون شريكًا له في الجريمة ويشترك معه في العقوبة.

والإسلام يركز دائمًا على التربية لأنها أساس إعداد النشء إعدادًا صالحًا، لكن لا يعني هذا تحمل الوالدين عبء جريمة ولديهما، فحوادث الأطفال لا يعاقب بها الوالد أو الوالدة، وليس من جناية الولد على والده شيء لأن النبي ﷺ يقول: «لا يجني والد على ولده» .

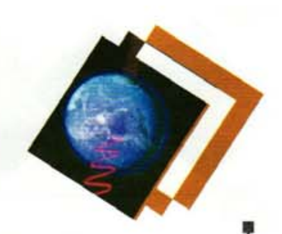
١- الأسلوب الأول منهما هو أسلوب إنمائي تكويني تربوي وقائي، يستهدف بناء الفرد المسلم من جميع نواحيه وربطه بالله سبحانه وتعالى وتقوية عقيدته وضميره الديني والخلقي وحمايته ووقايته من كل انحراف، وذلك عن طريق دعوته إلى كل ما فيه خيره وصلاحه من إيمان سليم صادق، وتقوى وطاعة ومخافة وخشية لله ورجاء لرحمته، وطلب لرضائه ومغفرته ورحمته، واستقامة في السلوك، وصدق وإخلاص في القول والعمل، وأمانة في المعاملة ووفاء بالعهد والوعد، ورفق ولين ورحمة وحياء وتواضع واعتدال، والتزام بأوامر الدين وتعاليمه وتأدية عباداته وشعائره، إلى غير ذلك من العقائد والفضائل الخلقية النبيلة التي دعا الإسلام إليها وحث عليها والتي من شأن التمسك بها والتحلي بها أن تزيد من فاعلية الفرد في مجتمعه وفي الوسط الذي يعيش فيه وتقيه من الوقوع في مهوى الجريمة والانحراف، وكذلك عن طريق النهي عن كل إثم والتنفير من كل شر وظلم وضرر يلحق بالذات أو بالغير ومن كل معتقد خاطئ وخلق منحرف مذموم.

٢- والأسلوب الثاني الذي يسلكه الإسلام في مواجهة الجريمة والانحراف والقضاء عليهما أو التقليل من معدلاتهما هو أسلوب علاجي، يعالج الجريمة والانحراف والشذوذ الخارج عن الفطرة في استقامتها، ويتمثل هذا الأسلوب العلاجي فيما فرضه ودعا إليه من عقوبات محددة على بعض الجرائم والانحرافات لحماية المجتمع من فقدان الأمن، ومن القسوة التي قد تلحق به وبأفراده من جراء انتشار الفوضى والإجرام، فالعقوبات الشرعية إنما شرعت رحمة من الله بعباده وتحقيقًا لأمنهم واستقرارهم، وهي مثلها مثل الثواب تعتبر تطبيقًا عمليًا لمبدأ الجزاء والعدل.

والعقوبات الشرعية سواء أكانت في شكل حدود أو تعزيرات يجب أن تدخل ضمن مكونات التربية الإسلامية والثقافة الإسلامية، بحيث تصبح جزءًا أو عنصرًا أساسيًا في تربية المسلم وفي ثقافته العامة وفي تكوين فكره وضميره. .

وخلاصة القول أن أهمية إعادة التربية تتجلى في علاج الحدث المنحرف وتقويم سلوكه لتوفير المناخ الملائم لإعادة إدماجه في المجتمع، وجعله مواطنًا صالحًا لنفسه ولوطنه، منتجًا ومشاركًا.

إن تطوير أساليب العمل الاجتماعي على مستوى حماية ووقاية الجيل الصاعد يتطلب استراتيجية محكمة يدعمها الجميع، على أن البداية يجب أن تكون من الوقاية لأنها أحسن من العلاج.



خالد بن الوليد.. أسوة لأبنائنا الشباب

أ. د. أمان قحيف

كثيرًا ما تتعالى أصوات بعض أبنائنا من الشباب مرددة أسماء بعض النابهين والأذكياء من الغربيين الذين أنجبتهم الحضارة المعاصرة، يعجبون بهم، ويتغنون بإسهاماتهم، ويدرسون مراحل حياتهم، ويمتدحون سلوكياتهم وبطولاتهم وإبداعاتهم.. والحق أنه ليس لدينا ما يمنع من أن يتعلم شبابنا من الآخرين إن كان في ذلك منفعة لهم ولأمتهم، غير أنه من الحري بنا- نحن جيل الآباء- أن نركز على تعريف فلذات أكبادنا من الشباب إلى النماذج الخالدة التي أنجبتها أمتنا وصقلها الإسلام بروحه السمحة وهذبها بتشريعاته الراقية وأحكامه النبيلة، وعلينا الاهتمام بلفت أنظار هؤلاء الشباب إلى عظماء دينهم وحضارتهم قبل أن يستلبهم الفكر الغربي ويسيطر على أفئدتهم بما له من بريق وما فيه من جاذبية.

يطيب لكاتب السطور التحدث هنا عن شخصية فذة لا يتسنى للحضارات تكرارها إلا كل حين من الدهر أو فترة من الزمن إنه خالد بن الوليد بما يمثله من قدوة يمكن لشبابنا الناهض الاحتذاء بها والسير على دربها سيما في مرحلتنا الراهنة التي ندرك مدى حاجة أبنائنا فيها إلى التأسي بهذا النوع من الرجال المخلصين الذين رفعوا راية دينهم وجاهدوا من أجل التأسيس لأمة الإسلام والمسلمين.

ونعلم جميعا أن الجندية في الإسلام قد ارتبطت بخالد بن الوليد أكثر من ارتباطها بشخص آخر .. والحق أنه ما كان للجندية في الإسلام أن ترتبط بأحد إلا بخالد وما كان لخالد أن يرتبط بشيء إلا بالجندية، ذلك لأنه كان نموذجا فريدا في الجندية، وكان مثالا يحتذى لكل جندي أو قائد مسلم جاء من بعده، فهو يحتذى في الطاعة، ويحتذى في الالتزام، ويحتذى في سعة الأفق، ويحتذى في التفكير والدهاء، ويحتذى في قوة الإدراك وحسن البصيرة.. من هنا فهو يعد مثالا يجب أن يحتذيه شبابنا في كل الأوقات والأزمان.

خبرة الحياة علمت ابن الوليد كيفية توظيف مهاراته الفطرية في تدعيم مواقفه العملية

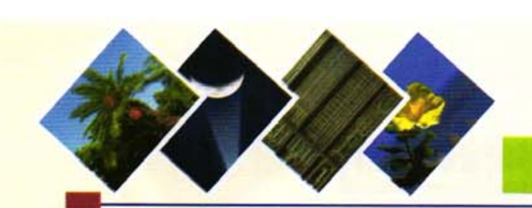
ويقتضي الإنصاف العلمي الإشارة إلى أن المسلمين الأوائل كان فيهم العديد والعديد من القادة والجنود الذين اتصفوا بأفضل الصفات وأروع الخصائص، ونذكر من هؤلاء: حمزة بن عبدالمطلب وعلي بن أبي طالب وأسامة بن زيد وأبوعبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن العاص... وغيرهم الكثير، لكن تظل شخصية خالد بن الوليد هي الشخصية الأكثر لفتا للانتباه وأكثر جذبا لمن أراد أن يعرف سلوكات وخصائص الجندية في الإسلام.

خصائصه وصفاته

وما كان لنا التحدث عن خالد بن الوليد باعتباره أسوة لأبنائنا الشباب لولا أن توفرت فيه عدة خصائص ومجموعة شروط، نسأل الله تعالى أن تتوفر لدى شبابنا كله في هذا الزمان:

أولا: ذكاؤه الشديد: تؤكد سيرة الرجل أنه تمتع بقدر كبير من الذكاء سمح له بأن يتعامل مع مختلف المواقف والأحداث بصورة سليمة ووعي ملحوظ.. واللافت أنه كان شديد الحرص على توظيف ما متعه الله به من ذكاء وفطنة في تحقيق أهدافه والوصول إلى غاياته ومراميه. فلقد كشفت سيرته الذاتية عن العديد من المواقف التي تبرهن للجميع على تمتعه رضي الله عنه بقدر كبير من الوعي والإدراك السليم، وليس أدل على ذلك من نجاحه البارز في الانتصار في المعارك الحربية التي خاضها - هناك العديد من المصادر التي تذهب إلى أن خالدا لم ينهزم في أية معركة دخلها طوال حياته - واشتبك فيها مع الخصوم والأعداء.. يضاف إلى هذا حسن تصرفه يوم «مؤتة» حيث نجح في أن ينجو بجيش المسلمين من جحافل خصومهم الذين كانوا يفوقونهم في العدد والعدة، ولقد أعجب الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا التصرف كثيرًا، لدرجة أنه

• باحث أكاديمي

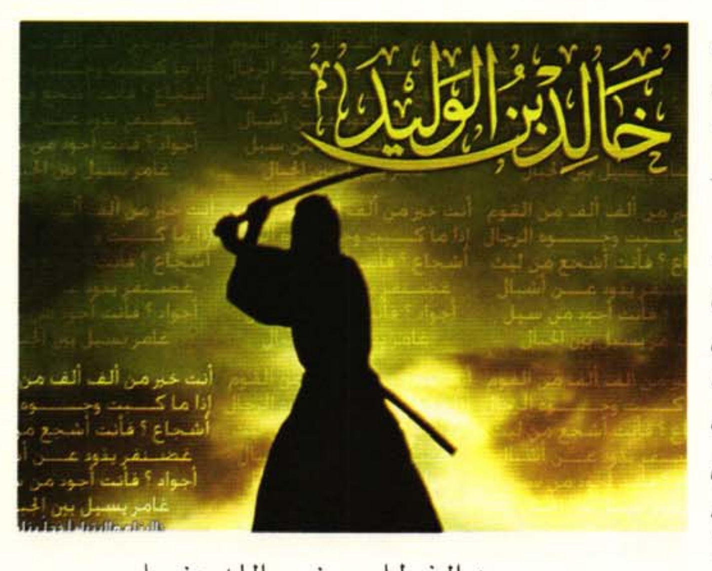


كافأه في هذا اليوم بأن أطلق عليه «سيف الله المسلول»، في الوقت الذي كان يهاجمه فيه بعض الناس قائلين: «لقد فر خالد».

ثانيا: إدراكه الشديد لوجوب طاعة من يتحملون مسؤوليات أكبر منه: وليس أدل على ذلك من التزامه الشديد بتنفيذ تعليمات الخليفة الراشد عمر بن الخطاب عندما أصدر أوامره بتنحيته عن القيادة ونقلها إلى أبي عبيدة بن الجراح، فلم يتذمر خالد، ولم يعارض، ولم يتهم صاحب القرار، لأنه كان شديد الثقة في إخلاص الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، وكان شديد الإيمان بحصافة قائده وسداد رأيه.

من هنا فقد رأيناه يتقبل قرار العزل هادئ النفس مطمئن الفؤاد كما تقبل التكليف بالقيادة في بادئ الأمر من دون افتخار أو مباهاة، فلم يستكبر أو يتعال على غيره من الصحابة الذين لم يكلفهم الرسول ﷺ بأي عمل قيادي.. المهم هنا أنه لم يضق نفسا ولا ذرعا بأمر عزله، وكأني به قد حدثته نفسه بشيء من هذا غير أنه لم يجهر به ولم يعلنه للناس، بل ذهب يتأمل الأمر ويتدبره بينه وبين نفسه حتى تبينت له الحقائق واتضحت له الأمور، فاعترف في مرض موته لأبي الدرداء - فيما ذكره ابن عساكر - أنه أدرك صواب رأي عمر، وأن عمر كان مخلصا لدينه دائما، وكان عادلا دائما، وكان مصيبا، ولم يبتغ غير وجه الله والحق حتى عندما أصدر قرار عزله.

تلك هي الروح التي كانت سائدة بين خالد القائد وبين خليفة المسلمين



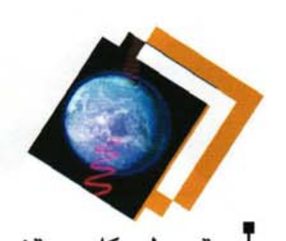
عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ومن المؤكد أن روحا عظيمة مثلها كانت سائدة بين خالد القائد وبين مرؤوسيه من الجنود الذين كانوا ينفذون أوامره ويحترمون تعليماته.. من هذا المنطلق وجب التعاون في الإسلام بين القادة بعضهم مع بعض، وأيضا وجب على الجنود طاعة رؤسائهم، ذلك لأن الطاعة جزء من الانضباط المطلوب في الحياة العسكرية، ومعلوم أن الانضباط هو أحد الأسس إن لم يكن أهمها على الإطلاق التي تكفل النجاح لكل عمل، عسكري كان أو غير عسكري، ولهذا وجدنا الفكر الإنساني يؤكد ضرورة بل حتمية أن يسود الانضباط مختلف أوجه الحياة الإنسانية بمختلف درجاتها.

والحق أن تقبل خالد بن الوليد لقرار عزله عن القيادة من دون تذمر أو تبرم، ثم امتثاله للعمل في جدية وإخلاص تحت قيادة غيره يكشف لنا عن بعد مهم في شخصيته، ألا وهو أن الرجل كان من الذين يحبون إحسان العمل في أي مهمة يتم تكليفهم بها بغض النظر عن الموقع الوظيفي أو المكانة في السلم القيادي، الأمر الذي يؤكد لنا ولغيرها أنه كان يعمل بإخلاص وتفان من أجل نصرة هذا الدين الحنيف وإعلاء كلمة الله.

ثالثا: كان خالد بن الوليد - يرحمه الله تعالى - يدرك أن ديننا من السمو والرفعة والعظمة، بما يوجب علينا جميعا التضحية بكل غال ونفيس من أجل نصرته والدفاع عنه ضد خصومه والمتطاولين عليه.. وما أحوج إسلامنا الحنيف إلى فتية يؤمنون بهذا المنطق ويستوعبون هذه الرؤية، لا أقول بأن ديننا في حاجة إلى من يزلزل الدنيا حرقا وتدميرًا من أجله، بل هو في أمس الحاجة إلى من يدافع عنه على مختلف الصعد والمستويات بالعقل، والمنطق، والحوار والسلوك الحسن الراشد الذي يلفت نظر الآخرين إليه وإلى تشريعاته الغراء، بما يسمح لنا معشر المسلمين بأن نقول في شمم وتفاخر وعزة: هذا هو الإسلام.

مراعاة مقتضى الحال

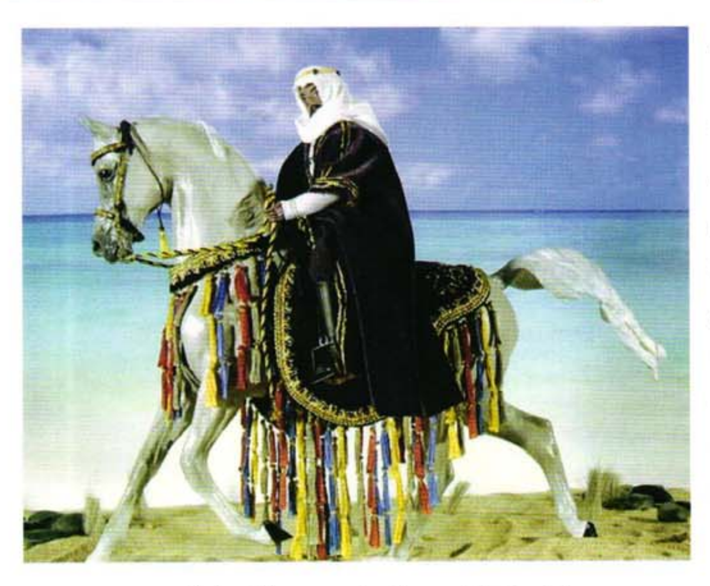
إن آلية الدفاع عن الإسلام تتطور - شأنها شأن كل شيء في الحياة - ولابد لنا أن ندرك هذا ونعلمه.. فإذا كانت البشرية تمر الآن بمرحلة العقل والوعي العلمي فإن المنوط بمن يغار على دينه أن يتسلح بالعلم والمعرفة الإنسانية السليمة والواعية لا المعرفة الملوثة بالخرافات والعبثية الفكرية التي لا تسمن من جوع فكري ولا تغني من حرمان معرفي.. ولأن الدين ليس هو الاندفاع في الحكم على الناس، ولأن الشجاعة ليست هي التهور في الحرب من أجل ادعاء البطولة أو تسجيل المواقف الاستعراضية، بل هي القدرة على اتخاذ القرار السليم في كل مناسبة بعد دراسة الظروف والملابسات التي



تحيط بكل موقف على حده فقد جاءت أكثر مواقف خالد بن الوليد متسمة بالحكمة والسداد ورجحان العقل والتفكير، وليس أدل على ذلك من قراره بالعودة بجنوده المسلمين يوم مؤتة، على النحو الذي ذكرناه من قبل.. وكذلك موقفه يوم أن جاءت بعض الأخبار إلى النبي ﷺ بأن بني المصطلق قد رفضوا دفع الصدقة وارتدوا عن الإسلام، فذهب خالد إليهم بتكليف من الرسول ﷺ ليستقصي أمرهم فوجدهم على خير وسمع أذانهم وصلاتهم، وأحضرهم إلى الرسول ﷺ وعندها نزل قول الله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ (الحجرات: ٦).

إن ما نريد التركيز عليه في هذا الموضوع هو أن الدفاع عن الدين لا يقتضي الاندفاع في إصدار الأحكام والفتاوى التي تجيز مقاتلة الآخرين أو الدخول معهم في نزالات عسكرية، بل إن الدفاع الحقيقي -في نظرنا- هو فهم واستيعاب متطلبات العصر والتعامل الواعي مع ظروفه الحضارية والواقعية، وهذا ليس من الدين ببعيد فـ«مراعاة مقتضى الحال» من القواعد الأساسية التي بنيت عليها منظومة الفقه الإسلامي الخالد تاريخيا وإنسانيا.. مع عدم إغفال المقاومة العسكرية إذا توافرت الشروط التي يعرفها كل من درس نظرية الحرب في الإسلام.

رابعا: لم يقع خالد بن الوليد فريسة للتقليد الأعمى، ولم يقع أسيرا لأفكار السابقين عليه ولو كانوا من أهل بيته أو سلالته العرقية.. فلم يتأس بالوليد بن المغيرة الذي مثل في مرحلة ما الرمز والقدوة للعديد من القرشيين الذين أعجبوا بمواقفه المتشددة من الإسلام وساروا على دربه وانتهجوا نهجه في معارضة دين الله الحنيف، لكن خالدا صاحب العقلية الواعية والذهن المتوقد لم يأخذ أسوته من أناس وقعوا أسرى لأهوائهم ورغباتهم الذاتية والدنيوية، الأمر الذي دفعه لأن يختط لنفسه منهجا إيمانيا يعتمد على التفكير في أمر الدين والوعي بأطروحاته التشريعية ما جعله ينضوي تحت لواء الإسلام ويجتهد في الدفاع عنه ما استطاع إلى ذلك من سبيل.. ولعل تلك هي الروح التي يريدها الإسلام أن تسود بين أبنائنا من الشباب في كل زمان ومكان، روح الفهم والاستيعاب، مع الحماس لأمر ديننا بعقلانية شديدة وأخلاقيات نبيلة تكون شاهدة على عظمته وداعمة لمسيرته التاريخية المتوازنة مع الحضارات كلها منذ ظهوره إلى الآن.



يؤخذ من كل ذلك أن خالد بن الوليد رضي الله عنه امتلك العديد من الصفات والخصائص التي رشحته لأن يطلق عليه النبي ﷺ «سيف الله المسلول».. وتجدر الإشارة إلى أن الرسول ﷺ لم يطلق عليه هذا اللقب، مجاملة له ولا تأليفا لقلبه، ولكنه أطلقه عليه لأنه رأى فيه تقوى الله، والحمية، والإخلاص، والوعي، والاستنارة، وحسن تدبير الأمور، والقدرة على اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب.

والحق أن خالد بن الوليد كان مفطورا على هذه الخصائص، فلم يكتسبها من أحد ولم يتعلمها من معلم، غير أن البدهية تقول بأن خبرة الحياة علمته كيف يوظف مهاراته الفطرية في تدعيم مواقفه العلمية وتصرفاته السلوكية، لذا كان يرحمه الله محل ثقة واحترام الجميع وتقديرهم، ومما لا شك فيه أن الإسلام الحنيف قد هذب بتعليماته الراقية وتشريعاته النبيلة من أخلاقيات خالد بن الوليد ورفاقه، فرقق مشاعرهم، وجعلهم إنسانيين فوق العادة.

وإذا كانت تلكم بعض الخصائص والصفات التي متع الله تعالى بها شخصية خالد رضي الله عنه فإننا قد أردنا أن نضعها أمام أعين أبنائنا من الشباب الذين هم في أمس الحاجة إلى التعرف إلى عظمة أبنائنا وصناع ثقافاتنا وتاريخنا، بدلا من البحث عن قدوة ومثل عليا عند الآخرين الذين تتسع الهوة بين فكرنا وفكرهم، لأنهم أبناء لحضارات مغايرة وثقافات متباينة تماما عن ثقافتنا وبيئتنا.. وكما قلنا ليس لدينا ما يمنع من التأسي بالآخرين والتعلم منهم إذا كان في ذلك مصلحة لنا وتدعيما للتآخي الإنساني الذي قال به الإسلام وأقره كل أهل العلم والدراية من صناع حضارتنا ومنتجي ثقافتنا.



مشكلات الشباب وعلاجها

محمد عرابي

تعددت في الآونة الأخيرة مشكلات الشباب وتعددت آثارها السلبية، الأمر الذي يفرض على الباحثين والمهتمين بقضايا الشباب العمل على دراسة هذه المشكلات والعمل على علاجها، وفيما يلي نماذج لأهم هذه المشكلات التي تستدعي العلاج السريع لها:

١- التناقض بين القيم والمجتمع

من المعروف أن غرس القيم يبدأ في الأسرة في مرحلة الطفولة، وبمعنى آخر إن التنشئة الاجتماعية تبدأ في غرس القيم في الأطفال منذ مرحلة المهد بجانب ما تقوم به المدرسة والنادي والمجتمع من غرس مجموعة من القيم الإيجابية بصورة نظرية (إن جاز هذا التعبير)، ويأتي التناقض من التباين في محتوى القيمة لدى الشباب وبين السلوك المُمَارس أو التناقض بين القيمة داخل الفرد وبين السلوك داخل الأسرة مما يُحدث ما يُسَمى بالاهتزاز وعدم القدرة على التفرقة بين ما هو صحيح وما هو خاطئ.

وإذا كانت القيم هي من موجهات السلوك، فاضطراب القيم يؤدي إلى التناقض في سلوك الفرد وزعزعة الثقة في النظام العائلي والاجتماعي.

إن مجتمعنا له قيمه وثقافته التي تحمل هويته والتي تحتوي في طياتها على قيم الخير والتقدم، ويجب على الشباب الارتباط بها واعتناقها لأنها تراث المجتمع.

٢- افتقاد الهوية الذاتية

ويمكن التعبير عن افتقاد الهوية الذاتية بالاغتراب، أو بمعنى آخر إن شبكة العلاقات والتنظيمات الاجتماعية التي تربط الشباب لا تقوم على أساس موضوعي مناسب لظروفهم واهتماماتهم وإمكانياتهم، ولا يسير العمل فيها بحيث تحقق مصالحهم وترضي طموحاتهم، ولا يقتصر ذلك على الأجهزة التي لا يلعب الشباب دورا حاسما فيها بل تمتد إلى تلك التي تَقوم من أجلهم.

إن كثيرا من الشباب يفتقد الهوية المُميزة لأمتنا وهذا أدى إلى حدوث



مشكلات كثيرة بين الشباب مثل عُقدة الخواجة والتواكل والأنانية.

٣- رفض القيم

حيث يعتري كثير من الشباب حالات من القلق والتوتر والشك نتيجة لرفضه القيم التي سبق أن تلقاها وقبلها قبولاً عن طيب خاطر في المرحلة السابقة، ويظل على هذه الحال حتى ينتهي به الأمر إلى الإيمان والوصول إلى تكوين رأي نهائي في المشكلات التي أزعجته ومن الناحية الوجدانية نجد أن الشاب تتسع حاجاته وتزداد فَيُصبح في حاجة إلى التقدير الاجتماعي وإلى الاعتراف به كرجل، وإلى الانتماء إلى جماعة وإلى الثقة بالنفس.

٤- الاطلاع على الكتب والروايات الشاذة

قد يميل كثير من الشباب في فترة المراهقة إلى قراءة القصص الجنسية والروايات البوليسية وقصص العنف والإجرام، ولذلك يجب توجيهه نحو القراءة والبحث الجاد في الأمور المعرفية النافعة واستغلال نزعة حب الاستطلاع لديه في تنمية القدرة على البحث والتنقيب وغير ذلك من الهوايات النافعة. ويجب الاهتمام بقدرات المراهق الخاصة والعمل على توفير فرص النمو لهذه القدرات.

٥- أفكار الحب الخاطئة

كثيرا ما يميل المراهق إلى فكرة الحب من أول نظرة، فيقع في حب الفتاة معتقدًا أن هذا صواب، ولكنه في الحقيقة خطأ مناف للشرع والدين وكثيرًا ما تنتهي الزيجات التي تتم بهذه الطريقة بالفشل؛ لأنها تقوم على أساس من النضج الوجداني ولا تستند إلى المنطق السليم.

إن هذه المشكلات التي تواجه الشباب وأمثالها تفرض على العلماء والمثقفين والمربين مسؤولية تزويد الشباب بالحقائق والمعلومات المقنعة التي تُثبت إيمانهم وتحميهم من المشكلات.

ومن الوسائل المجدية أيضا في علاج مشكلات الشباب اشتراك الشباب أنفسهم في المناقشات العلمية المنظمة التي تتناول علاج مشكلاتهم وتعويدهم على طرح مشكلاتهم على الكبار ومناقشتها معهم في ثقة وصراحة.

باحث مصري



ثقافة الشباب وصراع الأجيال

حسين سباهي

يواجه الشباب اليوم تحديات عديدة منها: الثقافية، والاجتماعية، والسياسية، والفكرية، والاقتصادية، والعلمية، أمام انتشار ثقافة الترف والاستهلاك وعشق المظاهر، من خلال جسور وقنوات مفتوحة تدخل مباشرة في كل بيت وغرفة ومكتب وفي كل زمان ومكان، إلى جانب قصور العملية التعليمية ومحدوديتها في مواجهة هذا التحدي بعد أن أصبحت تتجه نحو تهميش وإلغاء المحتوى الثقافي وإقصاء القيم الإنسانية العامة، وسيادة كل أشكال التمييع الثقافي في الفضاءات الخارجية وفي الكليات والمدارس، مما أعطى ضعف فهم، وضحالة وعي بمجريات الحياة الإنسانية بشكل عام، وبالتغيرات الوطنية بشكل خاص.

ويتأثر الشباب بثقافة المجتمع وما فيه من أنظمة اجتماعية وسياسية واقتصادية بما في ذلك النظام الاتصالي، حيث إن اتصال الأفراد عبر وسائل الاتصال الوطنية والوافدة يلعب دورا مهما في ثقافتهم، لكن وسائل الاتصال ليست مصدرا وحيدا لتكوين الثقافة، فهناك عوامل أخرى متعددة، غير أن في بعض البلدان النامية التي يفتقر فيها المجتمع إلى مراكز لصقل الثقافة، كالكتب وغيرها، يقع الثقل الأكبر فيها على الاتصال الجماهيري للقيام بمهمة تكوين الذوق الرفيع وإغناء الثقافة .

ولكن ثقافة الشباب ليست مجموعا لهذه المكونات بقدر ما هي تعامل بينها جميعا بما يؤول إلى أنماط سلوكية، وعند ذاك تمسي ثقافة الشباب هنا طريقة حياتهم، كما أن كل عنصر من عناصر ثقافة الشباب يندرج في سلالم قيمية بحيث يكون لبعض القيم قوة كبيرة ولأخرى قوة اقل، وهكذا بالنسبة إلى سائر مكونات الثقافة مما يسمى ب«انتظام الثقافة».

يضاف إلى ذلك أن ثقافة الشباب في عناصرها وبنيانها ليست ساكنة بل ديناميكية، وهي تؤثر في سلوك الشباب وتتأثر به.

وبرغم كبر الهزات التي تعرضت لها ثقافة الشباب فإن هناك اتجاهات متباينة إزاءها اليوم، حيث إن هناك من يريد لتوجهات ثقافة الشباب العربي أن تناسب الأوضاع القائمة وأن تحافظ عليها، وهناك من يريد لها أن تسهم في تغييرها.. وضمن هذه الحدود المتعارضة تعمل أجهزة التنشئة الاجتماعية والسياسية وأجهزة الإعلام الوافدة لها توجهات أخرى مختلفة، وخاصة تلك التي تصل عبر وسائل الفضاء، وإذا ما ركزنا على الصورة الواصلة عبر تلك القنوات فإنها تتخذ حدودا منها ما هو بعيد كل البعد عن تلك التي يضعها المجتمع العربي للشباب.

ثقافة الشباب والإصلاح

ينشغل الشباب العربي، وخاصة خلال الفترة الأخيرة، بمناقشة بعض الموضوعات التي تتعلق بالأوضاع الراهنة في المنطقة العربية، وخاصة ما يحدث حاليا في فلسطين والعراق ولبنان والسودان والصومال...الخ. وما يرتبط بهذه الأوضاع من مشاكل أخرى لها علاقة بالعالم الخارجي وخاصة في الغرب.

ويرى كثير من الشباب أن الأوضاع السائدة في المجتمع العربي ترتبط بالثقافة السياسية السائدة وقضايا الانتماء والهوية، وما يشعر به بعض الشباب من وجود عدم المساواة في المجتمع، وإقبال الشباب على الهجرة من أوطانهم بسبب فقدان الأمل في المستقبل وإحساسهم بعدم وجود فرص حقيقية لصنع مستقبل أفضل لهم، وشيوع بعض المفاهيم السلبية مثل الفهلوة وعدم القدرة على اتخاذ القرار بالنسبة للبقاء أو الهجرة علماً بأنه، وفي معظم حالات الهجرة، تكون القرارات غير مبنية على حقائق ومعلومات أو فرص عمل حقيقية مما يعرض الشباب إلى مواجهة حياة صعبة أو التعرض إلى مصادمات قانونية سواء في أوطانهم أو في البلاد الأخرى التي يسعون إلى الهجرة إليها.

كذلك، يسود بين الشباب حاليا قيم وسلوكيات سلبية، وهو الأمر الذي يجب أن يفرض مناقشة موضوع القيم والسلوك بين الشباب، وما يتعلق بذلك من مفاهيم الحقوق والواجبات والتي لا تكون محددة وواضحة، ومسؤولية الشباب تجاه أنفسهم وأوطانهم وكذلك تجاه الآخر خارج أوطانهم، وكيفية التواصل مع الآخر من خلال ثقافة الحوار وقبول الاختلاف، وتفعيل دور الشباب في القيام بأنشطة تساعد على تحقيق هذه الأهداف، وخاصة من أجل نشر ثقافة السلام القائم على العدل والبعد عن العنف، وتبني ثقافة التسامح التي تقوم على القبول الاختياري

• باحث نفسي



والاقتناع، وليس على الزجر أو الإذعان.

كذلك العمل على تدعيم الأنشطة التي يمكن أن تساعد الشباب في تحقيق هويتهم وتأكيدها من خلال المشاركة بالعمل، وخاصة العمل التطوعي، داخل مجتمعاتهم المحلية أو في أوطانهم أو في خارج الأوطان، وذلك بهدف تحقيق التفاهم والتعايش مع الآخرين حتى يسود السلام، بدلا من الصراعات والحروب، والذي لن يتحقق إلا من خلال زيادة مشاركة الشباب في المؤسسات القائمة، وبصفة خاصة منظمات المجتمع المدني التي يتاح فيها للشباب فرص مناقشة موضوعات تتعلق بمستقبل حياتهم، مثل زيادة توفير فرص العمل الحر، ومناقشة مبادئ الديموقراطية وحقوق الإنسان والحكم الرشيد وحدود الحريات ومستوياتها.

الشباب وثقافة التنمية الاقتصادية والعمل الحر

يهدف هذا المحور إلى إبراز فكر الشباب بشأن مفهوم العمل وأخلاقياته مع التركيز على فكر العمل الحر وثقافة المبادرة، وما يعكسه ذلك من قيم الاعتزاز بالذات، والاعتماد على النفس، والاستقلال، مما يتطلب معرفة مدى وجود هذه القيم بين الشباب العربي، وإلى أي مدى مازالت فكرة التوظيف الحكومي هي السائدة بين الشباب، كما يناقش هذا المحور أيضًا المعوقات التي تحول دون تفعيل هذه القيم، مع عرض لبعض تجارب الشباب في مجال العمل الحر، وبعض قصص المبادرات التي قام من خلالها الشباب بتنفيذ بعض المشروعات، مع مراعاة إبراز المعلومات الأساسية عن اسم المشروع وصاحبه، ورأس المال الذي يتطلبه المشروع في البداية، وكيف نشأت عنده فكرة المشروع، وكيف كانت ردود الأفعال من جانب المحيطين به، وخاصة من أسرته وأصدقائه وبقية المجتمع الذي يعيش فيه، مع توضيح الإطار القانوني الذي تأسس عليه المشروع، وهل كانت هناك مشاكل أو صعوبات قانونية، أو اقتصادية، أو اجتماعية، والطريقة التي تعامل معها لاجتيازها والتغلب عليها، هذا بالإضافة إلى تقييم المشروع، وما إذا كانت هذه النتائج متوازية مع الأفكار والطموح عند بداية المشروع، والدروس المستفادة التي يمكن أن يتعلم منها الآخرون من خلال هذه التجربة، وهل ينصح صاحب المشروع شبابًا آخرين بدخول مجال العمل الحر، ولماذا.

دور التعليم والتدريب في إكساب المهارات

أصبح من المتفق عليه أن مخرجات النظام التعليمي في معظم البلاد العربية لم تعد تتفق مع سوق العمل وما يطرحه من وظائف، الأمر الذي يتطلب تطويرًا للنظام التعليمي بما يتوافق مع متطلبات السوق، وقيام الجامعات ومنظمات المجتمع المدني ومراكز التدريب بالعمل على إكساب هذه المهارات.

يلعب التعليم والتدريب دورًا أساسيًا في مساعدة الأفراد في اكتساب العديد من المهارات اللازمة لسوق العمل، وبالطبع يتوقف ذلك على مضمون برامج التعليم الذي تقدمه أنظمة ومؤسسات التعليم، وخاصة ما يتعلق منها بالمهارات المعرفية التي تتعلق بالعلوم والتطبيق والقدرات الاستنباطية، وكذلك القدرات الخاصة بتوظيف المعلومات في بيئة العمل، والقدرة على استخدام التقنيات الحديثة وتحقيق أفضل استفادة من الموارد المتاحة، بالإضافة إلى أهمية المهارات التي تتعلق بقدرات الاتصال والتفكير النقدي، والابتكار، وقدرات تقديم الحلول للمشكلات والعمل كفريق، وقدرات أخرى تتعلق بمهارات التفاوض والقيادة، التي تساعد في تحسين فرص حصول الشباب على وظائف في سوق العمل.

ويقع على الشباب أنفسهم دور أساسي في السعي لاكتساب المهارات المطلوبة وتحديد ما يحتاجه من هذه المهارات من خلال التعليم والتدريب في داخل وخارج المؤسسات التعليمية النمطية أو غير النظامية مثل الانترنت والتعليم عن بُعد والتعليم المستمر أو مدى الحياة، وأن يختار الشباب، بناء على المعلومات المتوافرة، المهارات التي يحتاجها سوق العمل، والطريقة التي يمكن للشباب من خلالها اكتساب هذه المهارات.

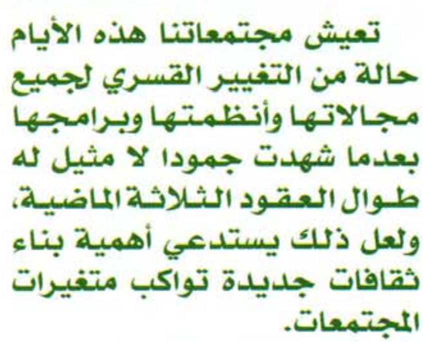
علاقة الشباب بالسلطة والمجتمع

يحظى موضوع علاقة الشباب بالسلطة بأشكالها كافة باهتمام عدد كبير من الباحثين وخبراء التنمية لأن الشباب بطبعه لديه نزوع لإثبات الذات والرغبة في التجديد والتميز، ومن ناحية أخرى يواجه الشباب ببعض نظم المؤسسات في المجتمع التي تسعى إلى قولبتهم وفقًا للتصورات التي تضعها، والتي تهمل في كثير من الأحيان القدرات الخاصة بالشباب واهتماماتهم مما يؤدي في النهاية إلى وجود حواجز تفصل بين الشباب وبين ما يحدث في المجتمع.

كما أن هذه النظم، وفي كثير من الأحيان، تحول بين الشباب وبين التعبير عن ذاته، لذلك يجب دراسة كل المؤسسات الموجودة في المجتمع لمعرفة أثر كل منها على تنشئة الشباب، وفحص الأسباب التي تؤدي إلى الاغتراب أو عدم انتماء الشباب لأوطانهم، وفقدانهم القدرة على الإبداع، وعدم المشاركة أو المبادرة بالتطوع، وفي الوقت نفسه دراسة وفحص الطرق التي يمكن للشباب من خلالها تجاوز هذه التحديات والمشاكل، وما دور مؤسسات المجتمع في تحقيق ذلك تفاديًا لشعور الشباب بعدم القدرة على التغيير وأن المعوقات أكبر منهم، وهو الأمر الذي يؤدي إلى الاغتراب السياسي، أو الهجرة المادية، أو الهجرة الزمنية، أو الهروب للمخدرات وخلق عالم خاص بهم، أو إلى عزوفهم عن المشاركة أو العمل التطوعي.

عبادة السيد نوح abadanooh@hotmail.com

الشباب والتطوع



تعيش مجتمعاتنا هذه الأيام حالة من التغيير القسري لجميع مجالاتها وأنظمتها وبرامجها بعدما شهدت جمودا لا مثيل له طوال العقود الثلاثة الماضية، ولعل ذلك يستدعي أهمية بناء ثقافات جديدة تواكب متغيرات المجتمعات.

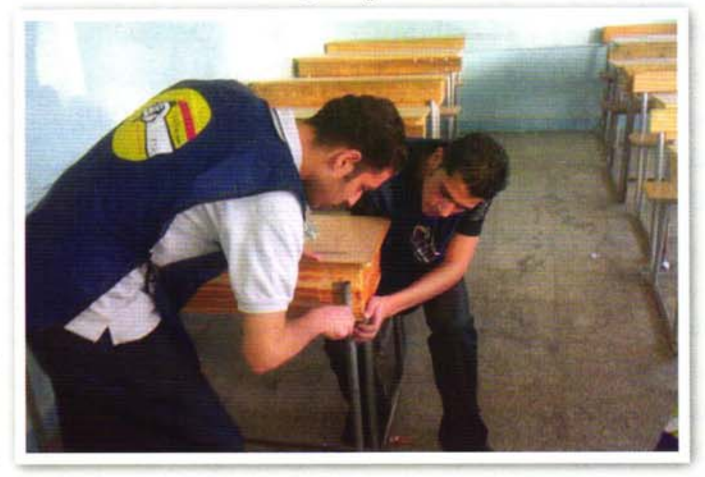
يمكن القول إن العمل التطوعي يعد من أهم الوسائل المستخدمة للمشاركة في النهوض بمكانة المجتمعات في الوقت الراهن، فهناك قاعدة مفادها أن الحكومات، سواء في البلدان المتقدمة أو النامية، لم تعد قادرة على سد احتياجات أفرادها ومجتمعاتها، ولذلك كان لابد من وجود جهة أخرى موازية للجهات الحكومية تقوم بملء المجال العام وتكمّل الدور الذي تقوم به الجهات الحكومية في تلبية الاحتياجات الاجتماعية، ويطلق على هذه الجهة «المجتمع المدني».

ومن المعلوم أن العمل التطوعي هو عمل غير ربحي، لا يقدم نظير أجر معلوم، وهو عمل غير وظيفي، يقوم به الأفراد من أجل مساعدة وتنمية مستوى معيشة الآخرين من جيرانهم أو المجتمعات البشرية بصفة عامة.

وهناك الكثير من الأشكال والممارسات التي تنضوي تحت العمل التطوعي، من مشاركات تقليدية، إلى مساعدة الآخرين في أوقات الشدة وعند وقوع الكوارث الطبيعية والاجتماعية، ولكن العمل التطوعي المرجو والمطلوب في الفترة القادمة يتعدى المفهوم التقليدي الخيري، فلا ينحصر في مساعدة ودعم المجموعات الخاصة المستضعفة، وإنما يمتد للاستفادة من التقنية الحديثة في مجالات الإعلام (الفضائيات) وشبكات الاتصالات وغيرها من وسائل الإعلام حتى نشكل مفهومًا موحدًا للتطوع يعكس وجهة النظر العربية ويبرز خصوصية مجتمعاتنا وعقائدنا.. وقتها نستطيع أن نؤثر و نتأثر إيجابيا، بدلًا من أن نكون في وضع المتأثر سلبيا، أو المتلقي فقط.

إن العمل الطوعي يجب ألا ينحصر في جوانب محدودة للمجتمع والإنسان، بل يجب أن يتسع ليشمل كل الناس وحقوقهم الأساسية في الحياة والسلام والحرية، وليشمل حقوقهم الاجتماعية من مأكل ومشرب ومسكن وملبس وصحة وتعليم، وحقوقهم الاقتصادية وأهمها الحق في العمل والأجر والراحة والعطلات، وليشمل كذلك الحقوق المدنية كافة بما فيها الحق في المساواة أمام القانون وحق التنمية.

إن الاستثمار الحقيقي اليوم هو في المجال الاجتماعي الذي يقوم على القيم الاجتماعية الحميدة مثل الثقة والصدق والتعاون والتراحم والتكافل، كما يشمل الروابط التي يجد المواطنون فيها أنفسهم كأفراد ومجموعات ويسعون فيها لتحقيق ذواتهم ومصالحهم المرتبطة بمصالح المجموعات التي يعيشون فيها وبها.



إذن التحدي يكمن في توظيف رأس المال الاجتماعي في ثورة علمية، ثورة كفاءة تقنية، والتي بدونها لا يمكن تنفيذ السياسات التي تقوم على البحث العلمي والمشاريع التي تخدم مصالح عامة الشعب.. هذا غيض من فيض كتاب «جدد شبابك بالتطوع» للمؤلف محمد أبوالقمبز.. والله ولي التوفيق.

نظرة الإنسان إلى الكون والحياة في الإسلام (٢/٢)

يحض القرآن الكريم الإنسان حضًا على النظر في نفسه وفي الكون من حوله بأسلوب علمي منهجي سليم، لأنه بذلك يتعرف على ذاته وعلى شيء من حقائق الكون وأسراره، ومن سنن الله الحاكمة له، فيعينه ذلك على حسن القيام بواجب الاستخلاف في الأرض، وحسن عمارتها، وهو من صميم رسالة الإنسان في هذه الحياة، كما يعينه في التعرف على خالقه، وعلى شيء من صفات هذا الخالق العظيم، فيسجد الإنسان لخالقه سجود العبودية والطاعة، وهذا السجود للخالق العظيم وطاعته يمثل الحكمة من خلق الإنسان، حيث يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات: ٥٦) وفي هذا العدد نستكمل رؤيتنا حول نظرة الإنسان إلى الكون والحياة في الإسلام.



د. زغلول النجار

الأرض أحد كواكب تسعة تدور حول الشمس مكونة ما يسمى باسم المجموعة الشمسية، وهذه الكواكب تترتب في مدارات حول الشمس من الداخل إلى الخارج كما يلي: عطارد، الزهرة، الأرض، المريخ، المشتري، زحل، يورانوس، نبتيون، بلوتو.

والكواكب الأربعة الأولى (عطارد، الزهرة، الأرض، المريخ) تسمى بالكواكب الداخلية أو الصخرية، بينما تسمى الكواكب الخمسة الأخرى بالكواكب الخارجية أو الغازية أو الشبيهة بالأرض لتكون أغلبها من الغازات.

وتتراوح المسافة بين الشمس والكواكب السيارة حولها بين ٥٨ مليون كم و ٥٩٠٠ مليون كم، وعطارد والزهرة هما الكوكبان الوحيدان في مجموعتنا الشمسية اللذان لا تدور حولهما أقمار، وكوكب الزهرة هو الوحيد في مجموعتنا الشمسية الذي يدور في عكس اتجاه دوران الأرض، وهو أعلى كواكب المجموعة الشمسية حرارة حيث يبلغ متوسط درجة حرارته ٤٦٥°م.

والنهار والليل يتعاقبان على كل من كواكب المجموعة الشمسية في مدد متفاوتة حسب حجم كل منها، وسرعة دورانه حول محوره، وسنة كل من هذه الكواكب التسع هي المدة التي يستغرقها لكي يتم دورة كاملة حول الشمس، فيوم عطارد مثلا يستغرق معظم سنته، ويوم الزهرة أطول من سنتها، ويوم المريخ يساوي تقريبًا يوم الأرض، وفصوله المناخية أطول كثيرًا من فصول الأرض.

والمشتري هو أكبر المجموعة الشمسية حيث يقارن حجمه بضعف حجم بقية الكواكب الأخرى مجتمعة، ويدور حوله ١٦ قمرًا على الأقل، بينما يدور حول زحل أكثر من عشرين قمرًا، بالإضافة إلى بلايين الأجسام الصغيرة والمرتبة في حلقات متمركزة حول ذلك الكوكب.

وسنة المشتري تعادل ١١,٩ سنة أرضية، بينما تعادل سنة كل من زحل، يورانوس، نبتيون، بلوتو على التوالي ٢٩,٥، ٨٤، ١٦٥،٢٨٤,٥ سنة أرضية، ومن هنا تتضح رحمة الله بنا أن خلقنا على الأرض وبالإضافة إلى كواكب المجموعة الشمسية وأقمارها فإن بداخل تلك المجموعة أعدادا من الكويكبات والمذنبات، فهناك حزام من أجرام صغيرة نسبيًا تدور حول الشمس خارج مدار المريخ ويطلق عيها اسم حزام الكويكبات التي يبلغ قطر أكبرها ٩٢٠كم وأصغرها في حجم ذرات الغبار.

والشمس تهيمن بقوة جاذبيتها على حركة كافة أجرام المجموعة الشمسية، وهي مصدر كل من الحرارة والنور على أسطح تلك الأجرام بما تشعه من طاقة، ويعتقد بأن كافة نجوم السماء لها توابع من الكواكب والكويكبات والأقمار والمذنبات مكونة مجموعات شمسية مشابهة لمجموعتنا الشمسية التي تجري لتتم دورة كاملة حول مركز المجرة في ٢٠٠ مليون سنة.

المجرة (Galaxy)

هي تجمع نجمي يضم عشرات البلايين من النجوم مثل شمسنا، والمجرة التي تتبعها مجموعتنا الشمسية تضم

أكثر من أربعمائة ألف مليون نجم تحتشد على هيئة قرص مفرطح يبلغ قطره نحو مائة ألف سنة ضوئية، وارتفاعه نحو عشر ذلك، وتقع مجموعتنا الشمسية على بعد ٣٠,٠٠٠ سنة ضوئية من مركز المجرة، ٢٠,٠٠٠ سنة ضوئية من أقرب أطرافها.

وتختلف نجوم المجرة في أعمارها وفي أحجامها، ودرجات حرارتها ودرجات لمعانها، وفي غير ذلك من صفاتها الطبيعية، وفي تركيبها الكيميائي، وفي دورات حياتها، فمنها النجوم العادية المفردة والمزدوجة، والعماليق الحمر، والنجوم الزرقاء، والنجوم القزمة البيضاء، والبنية والسوداء، ومنها المستعرات وفوق المستعرات، ومنها النجوم النيوترونية النابضة وغير النابضة ومنها النجوم الخانسة الكانسة (Black Holes)، ومنها أشباه النجوم (Guasars) وغيرها مما يتخلق باستمرار من الدخان الكوني المعروف باسم السدم (Nlebulae).

ومن المجرات ما هو حلزوني مثل مجرتنا، ومنها ماهو بيضاوي (إهليلجي) ومنها ماهو غير منتظم الشكل، ومنها ماهو أكبر من مجرتنا بكثير، ومنها ما هو في حجمها وما هو أصغر منها، وقد يتجمع عدد من المجرات على هيئة عنقود مجري (Galactic Cluster) أو على هيئة عنقود مجري عملاق (Galactic Supercluster) الذي قد يتكون من عدد من العناقيد المجرية التي تضم عشرات الآلاف من المجرات.

والمجرات تتباعد عن بعضها البعض بسرعات قد تقترب من سرعة الضوء في بعض الأحوال، وتتخلق المادة لتملأ الفراغات الناشئة من حيث لا يعلم الإنسان، كما سبق وأن أشرنا.

وسيلتنا في إدراك السماء هي النجوم والنجوم هي زينة السماء الدنيا أما باقي السموات فعلمها عند خالقها

وللنجوم في داخل المجرات دورات حياة تبدأ بالميلاد من الدخان الكوني في داخل السدم ثم الطفولة والشباب والكهولة والموت بالانفجار، والعودة مرة أخرى إلى مادة الدخان الكوني.

وكافة العناصر المعروفة لنا تتخلق في داخل النجوم بعملية الاندماج النووي حتى تصل إلى الحديد الذي يتحرك إلى ما هو أعلى في وزنه الذري من العناصر باصطياد الجسيمات الأولية (Elementary Particles) أثناء رحلته في صفحة السماء.

وكل ما نراه في صفحة السماء هو جزء من السماء الدنيا التي وصفها الحق تبارك وتعالى بقوله: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح...﴾ (الملك: ٥)، لأن وسيلتنا في إدراك السماء هي النجوم، والنجوم هي زينة السماء الدنيا، أما باقي السموات فعلمها عند خالقها.

ولما كانت المجرات في تباعد مستمر بسرعات مذهلة، ولما كان الكون الذي نحيا فيه دائم الاتساع، فإن الإنسان في عصر العلم والتقنية الذي نعيشه لا يستطيع بكل ما أوتي من تقنيات أن يدرك إلا جزءًا يسيرًا من السماء الدنيا، وهذا الجزء اليسير الذي أدركه العلماء يعترفون أن المعلوم لنا فيه أقل من ١٠٪ في زمن تقدم فيه علم الفلك وتقنياته كما لم يتقدم علم آخر، وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿فلا أقسم بما تبصرون. وما لا تبصرون﴾ (الحاقة: ٣٨، ٣٩) ويقدر علماء الفلك أن الجزء المدرك من الكون يبلغ قطره ستة وثلاثين ألفًا من ملايين السنين الضوئية، ولما كان الكون دائم الاتساع فلا يمكن للإنسان أن يحيط حتى بهذا الجزء من السماء الدنيا إحاطة كاملة.

وماذا بعد النظر في الكون بعين الاعتبار؟

من الاستعراض السابق يتضح بجلاء أن للكون الذي نحيا فيه وحدة واحدة تنظمه، وأنه كون معجز في بنائه، معجز في اتساعه، معجز في حركته، معجز في اطراد قوانينه، وثبات سننه مما يؤكد على أن كل شيء فيه قد خلق بتقدير دقيق، وحكمة بالغة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ (القمر:



٤٩)، فبعد مجاهدة من أجيال العلماء عبر تاريخ الأرض الطويل توصلنا في الربع الأول من القرن العشرين إلى أن الكون الذي نحيا فيه دائم الاتساع، وهي حقيقة سبق بها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا بقول الحق سبحانه: ﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون﴾ (الذاريات: ٤٧)، ويؤكد العلماء أننا إذا عدنا بهذا الاتساع إلى الوراء مع الزمن فلابد وأن تلتقي مادة الكون وطاقته في جرم واحد، متناه في الكثافة والصغر، وأن هذا الجرم الابتدائي كان بالقطع في حالة حرجة مما أدى إلى انفجاره فتحول إلى غلالة من الدخان الذي تخلقت منها النجوم والكواكب والكويكبات، والأقمار والمذنبات، والمجموعات النجمية والمجرات، وغير ذلك من أجرام السماء، والقرآن الكريم قد سبق كل المعارف الإنسانية في هذا المجال بقول الحق سبحانه: ﴿أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾ (الأنبياء: ٣٠).

وبقوله سبحانه وتعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين﴾ (فصلت: ١١)، وعلماء الطبيعة الفلكية يؤكدون أن الذي يتحكم في سلوك الجرم السماوي هو تقدير كتلته، والسؤال الذي يطرح نفسه هو من الذي قدر الكتل المختلفة لأجرام السماء حتى يسلك كل منها السلوك الذي أعطى للكون ذلك القدر المبهر من الاتساق والانتظام في دقة بالغة وإحكام متقن؟

والجواب: هو الله الخالق الذي أتقن كل شيء خلقه...!

والمنطق السوي يقول: إذا كان الكون الذي نحيا فيه قد بدأ خلقه بانفجار كبير، فمن الذي جعل من ناتج ذلك الانفجار هذا الكون البديع، ونحن نعلم أن الانفجار يؤدي إلى تناثر المادة وبعثرتها، والجواب المنطقي هو: تقدير الله الخالق، لأن ذلك الانفجار العظيم لو لم تسبقه الإرادة الإلهية والتدبير الإلهي ما نتج عنه هذا الكون العظيم بأجرامه المختلفة وكتلاته المنضبطة ومداراته المحددة بحركاته الدقيقة التي لا تتوقف ولا تتخلف.

الإنسان هو توازن دقيق بين مادة جسده وروحه وميزانه في ضبط التوازن هو عقله الذي يعينه على تلقى الهداية الربانية

ثم نعود من سياحتنا في الكون لننظر مرة أخرى في أرضنا، وهي جزء لا يتجزأ من الكون، فنجد غلافها الصخري مكونًا من أنواع عديدة من الصخور تنتظمها ثلاثة أصول هي: الصخور النارية المتكونة من تجمد الصهارات المعدنية، وهي بتفتتها بواسطة عوامل التجوية والتعرية المختلفة ثم بترسيب ذلك الفتات وتضاغطه تتكون الصخور الرسوبية، وبتحول كل من الصخور النارية والرسوبية بواسطة الضغط أو الحرارة أو كليهما تنتج الصخور المتحولة.

والصخور مهما تباينت أنواعها فإنها كلها تتكون من المعادن، ومعادن الأرض عديدة ومتباينة في صفاتها وخصائصها، منها المعادن الفلزية وغير الفلزية، ومنها المعادن النفيسة وغير النفيسة.

وتتكون المعادن من العناصر أو من مركبات تلك العناصر وبعض تلك المركبات بسيطة وبعضها الآخر غاية في التعقيد والعناصر المعروفة لنا في الأرض وفي الجزء المدرك لنا من الكون تفوق المائة بقليل، وليست المعادن وحدها هي التي تتكون من العناصر ومركباتها، فكل ما نعلمه في الجزء المدرك من الكون يتكون منها.

وأخف العناصر المعروفة لنا هو غاز الإيدروجين الذي يكون أكثر من ٧٤٪ من مادة الكون المنظور، ويليه في الكثرة غاز الهيليوم الذي يكون أكثر من ٢٤٪ من مادة هذا الكون المنظور، بينما لا تكاد نسبة بقية العناصر الأخرى مجتمعة أن تصل إلى ٢٪ (وعددها يفوق المئة عنصر)، وقد أدت هذه الملاحظة إلى الاستنتاج الصحيح بأن كافة العناصر المعروفة لنا قد تخلقت باتحاد نوّتي ذرات الإيدروجين بعملية تسمى عملية الاندماج النووي (Nuclear Fusion) وهذه العملية تتم في نجوم السماء التي ينظر إليها على أنها أفران كونية تتخلق فيها العناصر بالتدريج من أخفها (وهو غاز الإيدروجين) بعملية الاندماج النووي حتى تخلق مجموعة الحديد، ثم باصطياد الجسيمات الأولية بواسطة ذرات الحديد أثناء رحلتها في صفحة الكون يتكون من العناصر ما هو أعلى كثافة وأعقد بناء من الحديد مثل عنصر اليورانيوم وقد عرف العلماء أحد عشر عنصرًا أعلى وزنا ذريًا من اليورانيوم بما يصل بعدد العناصر المعروفة لنا إلى ١٠٣ عناصر.

وقد ساعدت هذه الحقيقة على ترتيب العناصر المعروفة في جدول دوري، تتدرج فيه صفاتها من أخفها وزنًا وأبسطها بناءً إلى أثقلها وزنا وأعقدها بناءً (the periodic table of elements) وتتركب العناصر من

الجزيئات(molecules)،ويتركب الجزيء من عدد من الذرات (Atoms) وتتركب الذرة من نواة في الوسط (Nuclegus) تحمل شحنة كهربية موجبة، وعدد من الإليكترونات (Electrons) التي تدور حول نواة الذرة في مدارات ثابتة محددة لها، كما تدور الكواكب السيارة حول الشمس، والاليكترونات تحمل شحنة كهربية سالبة تعادل شحنة النواة الموجبة وتحفظ للذرة حالة من التعادل.

وبنواة الذرة بروتونات (Protons) تحمل الشحنة الكهربية الموجبة، كما قد توجد جسيمات أخرى متعادلة هي النيوترونات (Neutons) التي يعتقد بأنها نتاج اتحاد بروتون موجب مع اليكترون سالب، كما قد يتحول النيوترون مرة أخرى إلى بروتون باتحاده بجسيم موجب يعرف باسم البوزيترون (Positron).

يعادله الاليكترون في كتلته، ويعتقد أن هذه الجسيمات الأولية في الذرة تتركب من جسيمات أدق تكثر مسمياتها وتبلغ أجزاء الذرة من التناهي في الدقة أنها تقاس كجزء من عشرة ملايين من المليمتر وتسمى هذه الوحدة باسم الأنجستروم (.Angstrem) كما تقدر أوزانها بجزء من مليون مليون مليون بليون جزء من الجرام ٢٤،٠/١، وعلى ذلك فإن جراما واحدا من أحد العناصر الفعلية المعروفة لنا وهو عنصر اليورانيوم يحتوي على ألفي مليون مليون مليون ذرة من ذرات ذلك العنصر ٢ x ١٠ ذرة ٢٠.

ويبلغ قطر الإليكترون ١/٠٠٠،١٠٠ من قطر الذرة، وتبلغ كتلته ١/١٨٣٨ من كتلة ذرة الإيدروجين، وقطر الذرة يكبر قطر نواتها بعشرين ألف مرة، وهذه الأبعاد والكتل المتناهية في الصغر تشبه إلى مدى بعيد الأبعاد الكونية بين النجوم (مثل شمسنا) وتوابعها (من مثل الكواكب السيارة حول شمسنا) على الرغم من ضخامة الأبعاد الكونية.

وإذا مُست نواة الذرة بشعاع من النيوترونات فإنها تتقسم، وبانقسامها تنفصم الروابط بين لبناتها الأولية مطلقة طاقة هائلة، وفي الوقت الذي يرد الكون كله إلى جرم أولي واحد (Initial Bady)، وترد العناصر المادية المتعددة فيه إلى أصل واحد (وهو الإيدروجين)، أي أن المادة على تعدد صورها ترد كلها إلى ذرة الإيدروجين التي يوجد في نواتها بروتون واحد يدور حوله إليكترون واحد، فإننا نجد الطاقة بصورها المختلفة (الضوء، الحرارة، الأشعة السينية، الأشعة اللاسلكية، والأشعة الجيمية، وغير ذلك من إشعاعات) تمثل قوة واحدة هي القوة المغناطيسية الكهربائية (Elctro megnatic forc)، أي انها ترد كذلك إلى أصل واحد، وتكافئ النظرية النسبية الخاصة بين المادة والطاقة وتجعل منها شيئًا سواء، وتصدق التجارب العملية ذلك، وفي مقدمتها انفلاق الذرة في القنبلة اليورانيومية، ثم تأتي النظرية النسبية العامة لتربط بين المكان والزمان وتجعل منهما شيئًا متواصلًا.

كما تحاول نظرية الحقل الواحد أن تسوي بين كل من الجاذبية والطاقة الكهربائية المغناطيسية، فيتحلل الجزء المدرك لنا من الكون من مادة وطاقة وزمان ومكان إلى شيء واحد لا نعرف كنهه، ولكنه يمثل الوحدة العظمى في هذا الكون، ويؤكد علماء الفلك ذلك بالقول بأنه مع الانفجار الكبير الذي نشأ عنه الكون تم خلق كل من المادة والطاقة والمكان والزمان.

ونعود مرة أخرى إلى الأرض فنجد أنها قد تكونت منذ أربعة آلاف وستمائة مليون سنة، وأن أقدم أثر للحياة على سطحها يعود إلى ٣٨٠٠ مليون سنة مضت، وأن أقدم أثر للإنسان فيها لا يتعدى ١٠٠،٠٠٠ سنة، وأن الحياة النباتية كانت سابقة على الحياة الحيوانية، وأن كليهما خلق أصلًا في الماء، وأن الحياة على اليابسة لم تعرف قبل ثلاثمائة مليون سنة، وصدق الله العظيم إذ يقول في محكم كتابه: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ (الأنبياء: ٣٠).

وإذ يقول عز من قائل: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورا﴾ (الإنسان: ١).

والإنسان هو المخلوق المتميز بالعلم والبيان، والعقل والقدرة على التفكير، ومن ثم فهو المخلوق المكلف المسؤول عن كل عمل يعمله، والمطالب بعمارة الأرض وإقامة شرع الله فيها، وعبادة خالقه بما أمر، والإنسان بالإضافة إلى جسده المادي ذو كيان روحي عاقل يمكنه من إدراك ذاته، وليست الإنسانية فيه بجسده المادي المعقد البناء، ولا بصفاته التشريحية الخاصة، ولا بنسبته إلى السلالة البشرية، ولكن الإنسانية فيه هي قدرته على الارتقاء بنفسه وعقله وخلقه الى الدرجة التي تمكنه من القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض من قدرة على عمارتها وعبادة الله تعالى فيها بما أمر، وإقامة عدل الله في ربوعها، واحتمال تبعات ذلك التكليف، والقيام بواجبات الأمانة الملقاة على عاتقه والتي وصفها الحق تبارك وتعالى بقوله: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولًا﴾ (الأحزاب: ٧٢).

فالإنسان توازن دقيق بين مادة جسده وروحه، وميزانه في ضبط ذلك التوازن هو عقله الذي يعينه على تلقي الهداية الربانية، وعلى تحصيل العلم الكسبي، وعلى توجيه حياته، وضبط

سلوكه، وأخلاقياته، ومعاملاته، وعلى تفهم قوانين الكون، واكتشاف سنن الله فيه، ومن ثم استخدام ذلك كله في حسن عمارة الأرض وفي التعرف على خالقه، فيخضع له بالعبادة والطاعة، ومن ثم يتحقق له الارتقاء في معراج الله إلى أعلى الدرجات.

والإنسان مع ذلك جسد مادي خاضع لقوانين المادة، يتكون جسده أساسًا من الماء بنسبة ٧٠٪ أو أكثر، مع نسب قليلة من عناصر أخرى لا تكون أكثر من مسمار صغير من الحديد، ورأس عود ثقاب من الكبريت والفوسفور، وكمية ضئيلة من الجير، وكميات أقل من ملح الطعام، والبوتاسيوم وآثار نادرة لعناصر أخرى، وهي مجموعها تشبه التركيب الكيميائي لتراب الأرض الذي خلق منه الإنسان أصلًا.

والسر الإنساني لا يكمن في تركيب جسده المادي من تلك العناصر القليلة، ولكن في كيفية تركيبها، فلو اختلفت هذه النسب قليلًا ما صلحت لبناء هذا الجسد الآدمي الذي يتكون من أكثر من ألف مليون مليون خلية حية، تنتظمها أنسجة متخصصة، وتنتظم الأنسجة المتخصصة في أعضاء، والأعضاء في نظم تتعاون جميعها في خدمة هذا الكيان الحي المبهر في دقة بناء جسده وإحكام مختلف الأنشطة فيه.

وجسم الإنسان يستهلك من خلاياه حوالي ١٢٥ مليون خلية في كل ثانية، تنهدم ويتكون غيرها في الحال، ويبقى الإنسان محتفظًا بشخصيته وصفاته وتكفي في هذا المقام الإشارة الى بديع القدرة الالهية في تحويل التراب والصلصال والحمأ المسنون إلى أحماض أمينية ثم إلى الخلية الحية، والعلم الإنساني في قمته الحالية يقف عاجزا كل العجز عن تفسير ذلك.

النظرة في الكون بعين الاعتبار من أعظم صور التعبد لله لأن الكون هو كتاب الله المنظور

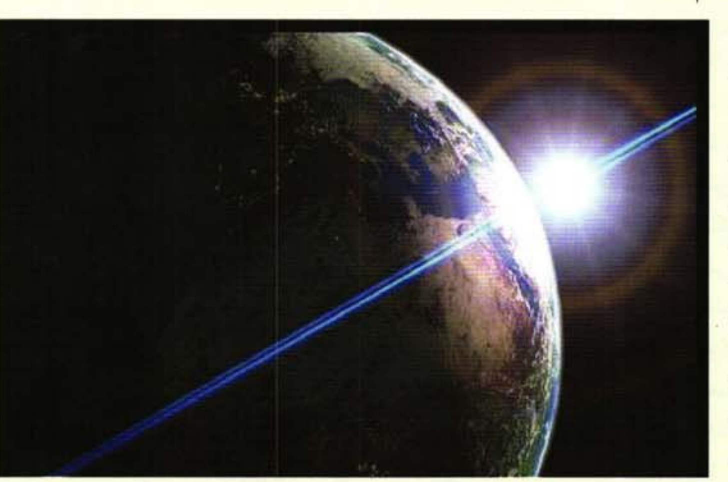
وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (الذريات: ٢١).

وكما تتحول الخلايا الحية إلى تراب بعد الموت، ليعاد خلقها من جديد، فسوف تتحول أجساد البشر إلى تراب ليعاد خلقهم من ذلك التراب لحظة البعث.

ويؤكد علماء الفلك أن عملية اتساع الكون- وهي ناتجة عن الانفجار الأولي العظيم - في تناقص مستمر في سرعتها، وفي تضاد كامل مع قوى الجاذبية التي ترتبط بها أجرام السماء، ومن ذلك يحسبون أنه لابد وأن يأتي الوقت الذي تتساوى فيه هاتان القوتان المتضادتان فيضطرب هذا النظام الكوني البديع، ومع تزايد قوى الجاذبية على قوى الانتشار يبدأ هذا الكون الشاسع في التجمع على ذاته مرة أخرى على هيئة الجرم الابتدائي الذي خلق منه أول مرة - وهو جرم متناه في كثافته وفي ضآلة حجمه- فيؤدي ذلك إلى انفجاره من جديد على هيئة غلالة من دخان تتخلق منه أرض غير الأرض وسموات غير السموات الحالية، ويعود كل شيء إلى أصله، كما عادت أجساد الكائنات الحية الى تراب الأرض لتخلق منه من جديد، ويسبق القرآن الكريم كل المعارف الإنسانية في التأكيد على تلك الحقائق بقول الحق سبحانه: ﴿يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين﴾ (الأنبياء: ١٠٤).

وقوله (عز من قائل): ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار﴾ (إبراهيم: ٤٨).

من كل ماسبق يتضح لنا أن النظر في الكون بعين العقل وعين الاعتبار هو من أعظم صور التعبد لله، لأن الكون هو كتاب الله المنظور، وهو النافذة المباشرة التي يطلع منها العبد على بديع صنع الله، فيتعرف علي شيء من سنن الله الحاكمة لخلقه فيوظفها في عمارة الأرض وإصلاح الحياة، كما يتعرف على شيء من صفات الخالق العظيم فيسجد له بالطاعة والعبادة الخالصة لله، وبذلك يحقق رسالته في هذه الحياة، ويطمع في النجاة من هول البعث وهول الحساب وهول الصراط إن شاء الله، وفي الخلود في جنة عرضها السموات والأرض بإذن الله.



عنيت الشريعة الإسلامية بالنشاط المعيشي بوصفه ركنًا من أركان الحياة الإنسانية الصالحة، ومن ذلك أحكامها المتصلة بالأسواق وتنظيمها، ولم تقتصر الشريعة على منع الاحتكار بوصفه هدفًا عامًا، بل أتت ببعض الأحكام التفصيلية، ومن أهمها: حرية دخول الأسواق، ومنع التصرفات التي تفسد المنافسة كالتواطؤ بين الباعة أو بين المشترين. ولعلّ أول من تنبه لمفهوم الوكالة الحصرية هو العلامة ابن قيم الجوزيّة، حيث قال: «أن يلزم النّاس أن لا يبيع الطّعام أو غيره من الأصناف إلاّ ناس معروفون، فلا تباع تلك السّلع إلاّ لهم، ثمّ يبيعونها هم بما يريدون، فلو باع غيرهم ذلك منع وعوقب، فهذا من البغي في الأرض والفساد الذي يحبس به قطر السماء، وهؤلاء يجب التسعير عليهم، وأن لا يبيعوا إلا بقيمة المثل، ولا يشتروا إلا بقيمة المثل بلا تردد في ذلك عند أحد من العلماء» (١).

هل تدخل الوكالة الحصرية تحت باب الاحتكار؟

أحمد قزعل

فمفهوم الوكالة الحصرية مفهوم حديث نسبيًا، وهو مركب إضافي مؤلف من كلمتين، ولابد من فهم كل كلمة على حدة لفهم المعنى العام.

وأبين ذلك من خلال الآتي:

أولا: ١- تعريف الوكالة:

أ- لغة: «يقال توكّل بالأمر إذا ضَمِن القيام به ووَكّلت أمري إلى فلان أي ألجأته إليه، واعتمدت فيه عليه» (٢)..

فالوكالة لغة: بفتح الواو ويجوز كسرها، وهي: تفويض الأمر للغير.

ب- شرعًا: عرفها الحنفية بقولهم: هي تفويض التصرف إلى الغير، وتسليم المال إليه ليتصرف فيه» (٣).

٢- تعريف كلمة الحصرية:

أ- لغة:

«حَصَرَهُ ضيق عليه وأحاط به، وكل من امتنع من شيء لم يقدر عليه، فقد حَصِرَ عنه، ولهذا قيل حَصِرَ في القراءة وحَصِر عن أهله» (٤).

فالحصر لغة: يطلق على التضييق والإحاطة بالشيء. وأصل الحصر المنع، فكل من امتنع من شيء لم يقدر عليه، فقد حَصِرَ.

ب- شرعًا:

«إيراد الشيء على عدد معين، وهو إما عقلي...، وإما لفظي، وإما غير لفظي، وإما استقرائي» (٥).

٣- التعريف الجامع للوكالة الحصرية:

هي تفويض شخص عادي أو هيئة اعتبارية -كمؤسسة أو حكومة- ما لهم فعله مما يقبل النيابة إلى شخص آخر؛ ليفعله في حياته على سبيل الحصر والتقييد فيه.

ثانيًا: أركان الوكالة الحصرية:

تتم الوكالة الحصرية بين طرفين، وترد على محل معين لا يجاوز تجاوزه من قبل الوكيل، وهذا هو معنى الحصر. وإلا لما كان للتقيد بكلمة الحصرية فائدة.

وذهب الحنفية -كعادتهم في العقود- إلى أن الوكالة لها ركن واحد، وهو: الصيغة، وما عدا ذلك، فهو من مستلزمات هذه الصيغة كالموكل، والوكيل، والموكل فيه (٦).

أمّا الشافعية فيذكرون أن للوكالة أربعة أركان وهي: الموكل، والوكيل، والموكل فيه، والصيغة (٧).

١- الموكل:

وهو الهيئة الاعتبارية -على الأغلب- كوزارة الاقتصاد مثلًا، فهذه الوزارة تتعامل معها -في المصطلح القانوني- كهيئة اعتبارية، وهي قد تحصر استيراد سلعة ما بشخص معين، وذلك لأسباب تراها مناسبة، وتحقق الربح للمجتمع ككل. ويصح توكيل شخص ما باستيراد سلعة ما وتسويقها إذا تحقق عدم الإضرار بالناس، وتعتبر الوكالة بهذه الصيغة من حقوق الله تعالى. والمعروف أن حق الله ما شرع حكمه للمصلحة العامة لا لمصلحة فرد خاص(٨).

٢- الوكيل:

اشترط الشافعية في الوكيل: صحة مباشرته التصرف بنفسه، فعلى هذا لا يصح توكيل الصبي سواء أكان مميزًا أم غير مميز(٩).

ولا يعقل أن توكل الهيئة الاعتبارية شخصًا غير كفء بالوكالة، وإلا فإنها تكون مفرطة في حقوق الله والعباد.

٣- الموكل فيه:

وهو محل الوكالة الحصرية كاستيراد مواد سلعية معينة أو أجهزة.

٤- الصيغة:

اشترط الشافعية فيها: أن يكون من الموكل لفظ يدل على رضاه بالتوكيل، وعدم تعليق الوكالة بشرط في الأصح عندهم كسائر العقود(١٠).

ولا يمكن أن تمنح الهيئة الاعتبارية وكالة حصرية لشخص ما دون إبرام عقد يلتزم بمقتضاه الوكيل القيام بعمل ما لحساب موكله.

ثالثا: حكم الوكالة الحصرية:

١- الحكم الفقهي للوكالة الحصرية:

أ- جائزة: باتفاق إن قُصِد بها المصلحة

باحث سوري

العامة ورفع الضرر.

ب- ممنوعة: باتفاق إن قُصِد بها إيقاع الضرر بالناس.

٢- أدلة الجواز:

أ- إن العبرة من تحريم الاحتكار هو وقوع الضرر على الناس، وليس مجرد الانفراد بإنتاج أو توزيع السلع؛ لقوله ﷺ: «من احتكر طعاما أربعين يومًا يريد به الغلاء، فقد برئ من الله وبرئ الله منه» (١١).

ووجه الاستدلال بالحديث: هو المعنى المستفاد من قوله ﷺ: «يريد به الغلاء» وليس الغلاء إلا الضرر بعينه، فالاحتكار معلل بالضرر، وليس بانفراد شخص في البيع والشراء.

ب- يفهم من كلام الإمام ابن قيم الجوزيّة عدم حرمة «الوكالة الحصرية». إذا تمت عملية البيع والشراء بسعر السوق، فإن أراد البائعون بيع السلع وفق أطماعهم، فهذا بغي وفساد واضح معلوم، وأكد على وجوب إلزامهم بقيمة المثل لبضاعتهم بقوله: «وهؤلاء يجب التسعير عليهم، وأن لا يبيعوا إلا بقيمة المثل، ولا يشتروا إلا بقيمة المثل». ولم يصرح الإمام ابن قيم الجوزيّة ببطلان وكالتهم على البيع، وإنما بوجوب البيع والشراء بالسعر العادل (سعر السوق) .

ج- إن صاحب الوكالة الحصرية إن قدم السلعة بالأسعار المعقولة التي يعتبرها الناس عادلة مقارنة بالأسعار السائدة في البلاد المجاورة لا يعتبر محتكرًا؛ لأن معيار الاحتكار في الإسلام هو: وقوع الضرر على الناس وليس مجرد الانفراد بالإنتاج أو التوزيع.

د- إن توزيع الوكيل الحصري للسلعة داخليًا على موزعين آخرين لا يؤثر في الأمر، فالعبرة باحتكاره هو أو عدم احتكاره. أمّا الموزعون فهم يتصرفون من خلاله.

هـ- تتفاوت قدرات الناس واستعداداتهم لتحمل أعباء العمل ومصاعبه، وقد يوجد في الوكيل الحصري من الصفات ما يؤهله للانفراد بإنتاج أو جلب السلعة، فهو قد يتقن لغة البلد المستوردة منه البضاعة، ولديه رصيد مالي يستطيع من خلاله تأمين مستلزمات الشحن وغير ذلك. ومن غير المعقول أن يباشر ولي الأمر ذلك بنفسه، ولا يتصور أن يقوم كل الناس بالاستيراد والتصدير.

٣- أدلة المنع:

أ- إذا قصد بالوكالة الحصرية احتكار الصنف من السلع أو الأعمال الذي قد تمنحه السلطة العامة محاباة لجهة خاصة، فهذا من كبائر المحرمات وظلم تأباه كل شرائع السماء ولا يقول به العقلاء. والظلم اسم عام يشتمل على أنواع من حيث الوقوع، ومن أنواعه: احتكار الصنف للتضييق على الناس. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الحج: ٢٥). «لا تحتكروا الطعام بمكة، فإنه إلحاد بظلم» (١٢).

ب- لاشك في أن الوكالة الحصرية لمنتج من المنتجات، والذي يحول بين غيره من الناس، وبين التعامل فيه يعتبر من قبيل الاحتكار المنهي عنه في الشريعة الإسلامية إذا أدى إلى رفع أسعار هذه السلعة فوق المستوى المقبول مقارنة بالأسعار في البلاد المختلفة.

ج- إن استغل صاحب الوكالة الحصرية انفراده بالوكالة ورفع الأسعار فوق السعر العادل وأضر بالناس، فيكون قد مارس الاحتكار المنهي عنه.

وأخيرًا: فإن العبرة من تحريم الاحتكار هي: وقوع الضرر على الناس، وليس مجرد الانفراد بإنتاج أو توزيع السلع. والوكالة الحصرية جائزة إن قُصِد بها المصلحة العامة ورفع الضرر، وممنوعة إن قُصِد بها إيقاع الضرر بالناس.

الهوامش

١- أبوعبدالله، محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزيّة، الطرق الحكميّة في السياسة الشرعية، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، الصفحة:١٩٠.

٢- أبوالفضل، محمد بن مكرم، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، الجزء:١، الصفحة:٧٣٥.

٣- أبوبكر، محمد بن أحمد السرخسي، المبسوط، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، الجزء: ٣، الصفحة:١٠. وتعاريف بقية الفقهاء للوكالة متقاربة. للمزيد: انظر: أبوعبدالله، محمد بن محمد الحطاب الرعيني، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، الجزء:١، الصفحة:٥.

ومحمد بن محمد الخطيب الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، الجزء: ٣، الصفحة:٢٣١.

ومنصور بن يونس البهوتي، الروض المربع شرح زاد المستقنع، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ط١، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م، الجزء: ٢، الصفحة: ٣٩٢.

٤- محمد بن مكرم، لسان العرب (مرجع سابق)، الجزء: ٤، الصفحة: ١٩٥.

٥- علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٨، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، الصفحة: ١١١.

٦- انظر: محمد بن أحمد، المبسوط (مرجع سابق)، الجزء: ٣، الصفحة: ١٠.

٧- انظر: محمد بن محمد الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج (مرجع سابق)، الجزء: ٣، الصفحة: ٢٣٢.

٨- د.مصطفى سعيد الخن، فقه المعاملات، منشورات جامعة دمشق، دمشق، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، الصفحة: ٢١١.

٩- محمد بن محمد الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج (مرجع سابق)، الجزء: ٣، الصفحة: ٢٣٢.

١٠- المصدر السابق نفسه، الجزء: ٣، الصفحة: ٢٤١.

١١- أبوعبدالله، أحمد بن حنبل، المسند، عمل: أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، الجزء: ٤، الصفحة:٤٣٧.

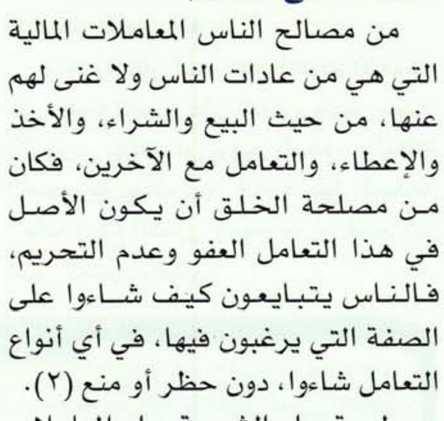
١٢- أبوعبدالله، محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، الجزء: ١٢، الصفحة: ٣٥.

تساؤلات حول الضوابط الشرعية للمعاملات المالية

منَ المُسلَّم به أن الإسلام منهج رباني متكامل يُغطي جوانب الحياة المختلفة من خلال قواعده الكلية وأحكامه الثابتة ومبادئه العامة التي تقوم على العدل والمصلحة (١)، والمصلحة لا يمكن تقديرها إلا بالنظر العميق في الواقع، إلا أن هذه المصلحة - والمفسدة أيضًا- لا يمكن اعتبارها إلا بشروط تطابقها مع ما رمى إليه الشرع الحكيم.



د. صالح النهام



من مصالح الناس المعاملات المالية التي هي من عادات الناس ولا غنى لهم عنها، من حيث البيع والشراء، والأخذ والإعطاء، والتعامل مع الآخرين، فكان من مصلحة الخلق أن يكون الأصل في هذا التعامل العفو وعدم التحريم، فالناس يتبايعون كيف شاءوا على الصفة التي يرغبون فيها، في أي أنواع التعامل شاءوا، دون حظر أو منع (٢).

ولم تجعل الشريعة حل المعاملات على إطلاقها دون قيود أو ضوابط؛ إذ بناؤها على جلب المصالح ودفع المفاسد يجعلها تلاحظ بعض التصرفات التي تصدر ممن لا يهتمون بمصالح الآخرين وحاجاتهم إذا سلمت مصالحهم، وامتلأت جيوبهم (٣).

المسألة الأولى: ما المقصود بأصول التعامل وضوابطه؟

هل تعلم أن أطول آية في القرآن الكريم وردت بعد الكلام على إباحة البيع وحرمة الربا هي في المعاملات، وهي آية كتابة الدَّيْن وتوثيقه بالشهادة أو بالرهن، ومطلعها: ﴿يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه﴾ (البقرة: ٢٨٢)، وقد ترك القرآن أمر تفصيل ما أجمله للسنة الشريفة القولية والفعلية، لتتولى بيانه، فقال سبحانه: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ (النحل: ٤٤)، فوردت أحاديث كثيرة ثابتة تبين مجمل القرآن، وتوضح أصول التعامل وضوابطه؛ وذلك لمعرفة الحلال والحرام، فيكون التفقه فيها من ضروريات الدين، وفي هذا قال النبي صلوات الله وسلامه عليه: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين» (٤).

ويوضح هذه الغاية من الناحية العملية قول الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا يبيع في سوقنا إلا من تفقه، وإلا أكل الربا، شاء أم أبى» (٥).

المسألة الثانية: ما المقصود بالمال؟

يقصد بالمال كل ما له قيمة من عقار أو منقول، سواء كان من جنس الأثمان أو لم يكن، وتفصيله فيما يلي (٦):

فكل ما له قيمة: إما أن يكون مما يمكن نقله أو لا، وما يمكن نقله: إما أن يكون من جنس الأثمان أوْ لا، وما كان من جنس الأثمان: إما أن يكون ثمنًا بالخلقة أو بالإصلاح. فالأول: الذهب والفضة خاصة. والثاني: إما أن يكون من المعادن أو الكاغد. فالأول: الفلوس الرائجة. والثاني: النقود الورقية المستحدثة.

وما لم يكن من جنس الأثمان: إما أن يكون حيوانًا أو نباتًا أو جمادًا، أما ما لا يمكن نقله من الأموال وهو العقار: فإما أن يكون باقيًا على أصله الخلقة، أو يكون مما دخلت فيه الصنعة. فالأول: الأراضي. الثاني: المباني.

فالمال خادمٌ أمين يعين صاحبه على قضاء حاجاته، وهو وسيلة يتوصل بها المرء إلى تأدية واجباته وتحقيق غاياته، وسبب من أسباب السعادة في الدنيا والآخرة، وهو خيرٌ إن استُعمل وسيلةً للخير وإلا كان شرًّا يؤدي إلى ضرر الناس.

وقد تعلقت بالمال أحكام شرعية كثيرة، فالأمر والنهي من أهم مباحث الحكم الشرعي، وكلاهما حق الله تعالى على جميع المكلفين، وحق الله تعالى لا خيرة فيه للمكلف، وإذا وقع الأمر والنهي شرعًا لم يصح تخلفهما عقلًا، وإلا كان افتياتًا على الشرع وعلى الله صاحب الشرع وإهدارًا للشريعة بالكلية، وبمعرفة الأمر والنهي تتم معرفة الأحكام، ويتميز الحلال والحرام، فالأوامر والنواهي مخرجة للمكلف عن داعية هواه؛ حتى يكون عبدًا لله اختيارًا

المراقب في مجلة الوعي الإسلامي

كما هو عبد الله اضطرارًا (٧).

ويكفي المال خطرًا أنه لن تزول قدما عبد عند ربه يوم القيامة حتى يسأل عن أمور، ومنها: «ماله، من أين اكتسبه، وفيم أنفقه»، وقد ثبت أن أبا واقد الليثي قال: «كنا نأتي النبي ﷺ إذا أنزل عليه فيحدثنا، فقال لنا ذات يوم: إن الله عز وجل قال: إنا أنزلنا المال لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو كان لابن آدم واد لأحب أن يكون إليه ثان، ولو كان لديه واديان لأحب أن يكون إليهما ثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ثم يتوب الله على من تاب» (٨).

المسألة الثالثة: ما الضوابط المطلوبة في عضو الهيئات الشرعية؟

الضابط الأول: الصفات الشخصية، وهي العلم بالتالي: (الكتاب - السنة - مواطن الإجماع - اللغة العربية - أقوال الفقهاء - أصول الفقه - مقاصد الشريعة).

الضابط الثاني: معرفة فقه الواقع، وذلك من خلال فهم عميق لما تدور عليه حياة الناس وما يعترضها وما يواجهها (٩)، فإذا عدم ذلك ترتب عليه خطأ جسيم في تطبيق النص الشرعي على الواقعة المعروضة.

المسألة الرابعة: ما المقصود بالضوابط الشرعية للمعاملات المالية؟

يقصد بالضوابط الشرعية للمعاملات المالية، تلكم القواعد والأحكام والأسس الكلية المستمدة من مصادر الشريعة الإسلامية والتي تحكم هذه المعاملات، وهذه الضوابط من شأنها حفظ المعاملات المالية من الانحراف والخلل، وتجنيب المتعاملين الوقوع في الحرام، وهي ضمان استقرار المجتمع.

ومن الجدير بالذكر أن هناك مبادئ اقتصادية عامة تكمن أهميتها من خلال جانب الفكر الإسلامي المعاصر؛ لأن في ضوء حسن تحديدها وضبطها، يمكن تحديد الوسائل والأساليب التي يمكن وصفها بأنها أساليب ووسائل استثمارية مشروعة؛ لاشتمالها على تحقيق مقاصد الاستثمار من المنظور الإسلامي (١٠).

وحينئذ فإن على المستثمر المسلم أن يستفيد من سائر الوسائل والطرق الاستثمارية التي تعينه على تحقيق مقاصد الشرع في تشريع استثمار المال وتنميته، ولا ضير أن تكون تلك الطرق من صنع شرق أو غرب؛ لأن الاستفادة مما توصل إليه الغرب لا يعتبر تقليدًا ممنوعًا شرعًا، بل إن الاستفادة في سائر المجالات جائزة من حيث الأصل ما لم يتعارض ذلك مع دليل شرعي، ولا يخفى أن القاعدة الفقهية تنص على أن الأصل في المعاملات الإباحة، وقاعدة أخرى تقول: الأصل في الشروط والعقود الصحة واللزوم، وكما هو معلوم أن الحكمة ضالة المؤمن (١١)، لقول رسول الله ﷺ: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها» (١٢).

من مصالح الناس المعاملات المالية التي هي من عادات الناس ولا غنى لهم عنها

المسألة الخامسة: ما أهمية تعلم الضوابط الشرعية للمعاملات المالية؟

أقول: إن من الملاحظ في خضم تنوع مغريات الحياة المعاصرة، وتعدد أزماتها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وفي أثناء غياب ذلك الدور الريادي الذي كان ذات يوم للإسلام وأهله في مشارق الأرض ومغاربها، وأمام عجز سائر الحلول الآنيَّة الجزئيَّة المستوردة لمواجهة أشكال المغريات ومكافحة صنوف الأزمات، في هذه الأثناء تبرز أهمية الالتفات والعودة إلى المنهج الإسلامي الشامل المتكامل والقادر على مواجهة كل المغريات، ومعالجة سائر الأزمات بأشكالها المختلفة، ولا يزال التاريخ شاهدًا على هذه الخاصيَّة للمنهج الإسلامي يوم أن كان هو المنهج الذي يحكم العالم ويوجِّه أدواءه ونوازله ومشاكله.

ولئن كان المال ولا يزال يشكل عصب الحياة والمحور الأساس الذي يسهم في إيجاد الأزمات والنوازل من جهة، وفي حل تلك الأزمات والنوازل من جهة أخرى، وذلك بوصفه عنصرًا حاضرًا في سائر قضايا الفرد والجماعة بل والمجتمع؛ ولذلك فإن المنهج الإسلامي عني منذ اللحظات الأولى بوضع التعليمات السامية، وبرسم المبادئ والحدود والأطر العامة التي يؤدي التزام الفرد والجماعة والمجتمع بها إلى صيرورة المال أداة بناء وتعمير وتطوير وتقدم بدلًا من أن يكون أداة هدم وتخريب وإفساد كما هو مشاهد اليوم (١٣).

ومن المعاملات المالية الحديثة المخرجة على قاعدة: يدخل تبعًا ما لا يدخل استقلالًا (١٤):

- جواز تداول أسهم الشركات بيعًا وشراءً إذا كانت هذه الشركات قائمة في أصل تعاملها على الحلال، وإن اشتملت هذه الشركات على نقود، أو كان عليها ديون في ذمم الغير؛ لأن هذه الأشياء تابعة وليست مقصودة بذاتها، فلا تستقل بحكم، ويدخل تبعًا ما لا يدخل استقلالًا.

- يجوز بيع سهم أو شراؤه في شركة

ألجأتها الحاجة إلى الاقتراض بربا، أو أودعت جزءًا من فائض أموالها في بنك ربوي، وذلك أن هذا الجزء من الحرام لا يساوي من قيمة السهم إلا شيئًا يسيرًا يتعسر أو يتعذر فصله ومعرفته، وهو ليس بمقصود أصلا، ولكنه وجد تبعًا لغيره، ويغتفر في التبعية ما لا يغتفر في الاستقلال.

وحينئذ، فإن أهمية تعلم الضوابط الشرعية للمعاملات المالية بالنسبة لكل من يعمل في مجال المعاملات المالية، هو إعانة المسلم على تحقيق مقاصد الشرع في تلك المعاملات، ولا ننسى أننا ملزَمون بالتزام شرع الله عز وجل في معاملاتنا المالية، بغض النظر عن الحِكم الكامنة فيها، والمصالح المتحققة بالتزامها، وذلك أننا متعبدون بذلك التشريع، ومبنى العبادة ينبغي أن يكون على الخضوع والتسليم، وما النظر في المصالح والحكم إلا من باب زيادة اليقين، وبيان فضل الله على العبيد (١٥).

المسألة السادسة: ما الضوابط الشرعية التي تحكم المعاملات المالية؟

ينبغي التفرقة بين الضوابط التي تحكم المعاملات المالية، وبين إجراءات هذه المعاملات وأدواتها من ناحية أخرى، فالضوابط يقصد بها القواعد والأسس والمبادئ العامة الكلية التي لا تقبل التعديل ولا التبديل من زمان لآخر، ولا من مكان لآخر، ولا من فرد لآخر، أما الإجراءات فيُقصد بها الخطوات التي يتعين على الفرد اتباعها للوصول إلى هدفه، في حين يُقصد بالأدوات تلك الوسائل التي يُستعان بها للوصول إلى الهدف وهما(الإجراءات والأدوات) يختلفان من زمان لآخر، وأيضًا من مكان لآخر، كما مر معنا.

ويحكم المعاملات المالية مجموعة من الضوابط الشرعية العامة والخاصة، إليك بعضًا منها:

في حال الضرورة يحول الحرام شرعًا إلى حلال وفق ضوابط شرعية

أولًا: الضوابط الشرعية العامة للمعاملات المالية:

١- الأصل في المعاملات الحل والإذن والإباحة، لقول الله تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا﴾ (البقرة: ٢٩)، ولا تحريم إلا بنص صريح في كتاب الله سبحانه أو سنة نبيه ﷺ أو إجماع ثابت.

٢- إن التراضي بين أطراف العقد وإن كان ركنًا من أركان صحته، إلا أن هذا التراضي يجب ألا يُحل حرامًا، ولا يُحرم حلالًا، فالمسلمون عند شروطهم إلا شرطًا أحل حرامًا أو حرم حلالًا.

٣- إن الغاية لا تبرر الوسيلة؛ ولهذا فالإسلام يرفض جمع المال من طريق حرام حتى وإن تم إنفاقه في الخيرات والصدقات؛ لقول رسول الله ﷺ: «... ولا يقبل الله إلا الطيب» (١٦).

٤- إن النية الصالحة تنقل المعاملة المالية إلى دائرة الطاعة، والنية الخبيثة تحبط المعاملة التي قد يكون ظاهرها العبادة وباطنها غير ذلك، قال تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ (الأنعام: ١٦٢)، وعن رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى...» (١٧).

٥- عدم أكل أموال الناس بالباطل؛ وهذا من الكسب الحرام، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ (البقرة: ١٨٨)، ومن الكسب الحرام: (الرشوة- إنكار الودائع والأمانات وجحدها- التطاول على حقوق الناس- التصرف في الولاية على أوقاف المسلمين وأملاكهم العامة تصرفًا يضر ويضيع الحق)، فكل ذلك يخالف مقاصد الشريعة التي تنادي بصيانة الأموال والحقوق وحفظها من التعدي بكل صوره.

٦- تجنب الوقوع في الشبهات، ودليل ذلك: قول الله سبحانه: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ (آل عمران: ٧)، فسبب الابتعاد عن المتاجرة في المشتبه فيه أنه وسيلة إلى التورط في الحرام، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدِينه وعِرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام...» (١٨).

٧- عدم الغش في البيع؛ ودليل ذلك ما رواه أبوهريرة رضي الله عنه أنه قال: «إن النبي ﷺ مر على صُبرة من طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللًا، فقال: ما هذا؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله، فقال: أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس؟ من غشنا فليس منا» (١٩)، ويدخل في هذا كل أنواع الغش والتدليس، وتطفيف الكيل والميزان، وحبس اللبن في الضرع بقصد الغش، قال تعالى: ﴿ويل للمطففين. الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون. وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾ (المطففين: ١-٣).

٨- التحلي بالقيم الأخلاقية في المعاملات، والتي منها: (الأمانة- الصدق- السماحة- عدم الاحتكار)، والاحتكار هو: حبس التاجر أقوات الناس بغية ارتفاع سعرها، قال رسول الله ﷺ: «الجالب مرزوق والمحتكر ملعون» (٢٠)، وحديث: «لا يحتكر إلا خاطئ» (٢١).

٩- توثيق المعاملات بالعقود والعهود، أي: الالتزام بإبرام العقود والعهود والوعود المطابقة لشرع الله عز وجل، والقائمة على السلامة والرضا والحق والوضوح والعدل، ومستوفية الشروط الواجبة كافة، ولقد أكد الله سبحانه وتعالى على هذا الضابط بقوله عز وجل: ﴿يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ (المائدة: ١).

١٠- الالتزام بـ«الغنم بالغرم»، إن المعاملات تقوم بصفة عامة على ربط العائد بالتضحية والكسب بالخسارة والأخذ بالعطاء، وهذا ما يطلق عليه في كتب الفقه اسم: الغنم بالغرم والخراج بالضمان، ويعني هذا: العائد يقابل تضحية، ولا كسب بلا جهد، ولا جهد بلا كسب، ومن نماذج ذلك من القرآن الكريم صفقة التجارة مع الله في الجهاد حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ (التوبة: ١١١)، وربط الرسول ﷺ بين الجهاد وتوزيع الغنائم.

١١- جواز التعامل مع غير المسلمين المسالمين عند الحاجة، والحاجة من باب التيسير ورفع الحرج والمشقة، وكذلك من جانب المواطنة وتجنب الفتن، ومن الأدلة على ذلك قول الله تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾ (الممتحنة: ٨-٩).

ومما يؤكد ذلك، ما رواه أنس رضي الله عنه، حين قال: «رهن رسول الله ﷺ درعًا له عند يهودي بالمدينة، وأخذ منه شعيرًا لأهله» (٢٢).

ثانيًا: الضوابط الشرعية الخاصة بأبواب المعاملات المالية:

- ضوابط في باب البيع

منها: «موجب البيع تسليم المبيع»، ودليل هذا الضابط ما جاء عن حكيم بن حزام رضي الله عنه حيث قال: يا رسول الله، يأتيني الرجل فيريد مني البيع ليس عندي، فأبتاعه له من السوق؟ فقال ﷺ: «لا تبع ما ليس عندك» (٢٣)، ووجه الاستدلال أن بيع المبيع قبل قبضه لا يجوز، سواء كان طعامًا أو غيره، مكيلًا أو موزونًا؛ لأن موجب البيع تسليم المبيع.

ومنها: «ما احتاج إلى بيعه فإنه يوسع فيه ما لا يوسع في غيره»، ودليل هذا الضابط أن رسول الله ﷺ: «نهى عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها، نهى البائع والمبتاع» (٢٤)، ووجه الاستدلال أن جواز بيع الثمار بعد بدو صلاحها مستحقة الإبقاء حتى يكتمل صلاحها، مع أن الأجزاء التي يكمل الصلاح بها لم تخلق بعد، وذلك يتضمن بيع ما لم يخلق، وإنما جاز ذلك لحاجة الناس، ولأنه يسير يمكن احتماله (٢٥)، ومثاله: بيع ما في باطن الأرض من اللفت والجزر ونحوهما، وإن كان غير مشاهد؛ وذلك لحاجة الناس إلى بيعه، فإنه إذا لم يقلع حصل على أصحابه ضرر عظيم.

- ضوابط في باب الربا والصرف

لاشك أن التعامل بالربا حرمته عظيمة؛ لقوله تعالى: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا﴾ (البقرة: ٢٧٥)، قال ابن كثير في تفسيره: وذلك أن المرابي لا يرضى بما قسم الله له من الحلال، ولا يكتفي بالتكسب المباح، فهو يسعى في أكل أموال الناس بالباطل بأنواع المكاسب الخبيثة.

منها: «ما خرج عن القوت بالصنعة فليس بربوي» (٢٦)، ودليل هذا الضابط، أن الحكم إذا ثبت بعلة زال بزوالها، وقد ثبت الحكم بتحريم الأصناف الستة، وهي: الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح، وقد اختلف الفقهاء في علة تحريم هذه الأصناف (٢٧)، فاختار ابن تيمية وغيره أن العلة في الذهب والفضة هي الثمنية، بينما في الأصناف الباقية: الكيل أو الوزن مع الطعم والقوت وما يصلحه- فإذا زالت هذه العلل زال الحكم الثابت لأجلها (٢٨).

ومنها: «الجهل بالتساوي فيما يشترط فيه التساوي كالعلم بالتفاضل» (٢٩)، ودليل هذا الضابط، ما جاء عن جابر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن بيع الصُّبرة من التمر لا يعلم مكيلتها بالكيل المسمى من التمر» (٣٠)، ووجه الاستدلال أن الصُّبرة لا يعلم كيلها، فنهى عن بيعها حتى يعلم كيلها، فدل على اشتراط العلم، والجهل ينافيه، ومثاله: عدم جواز بيع الفضة الخالصة بالفضة المغشوشة إذا لم يعلم قدر كل من الفضة فيهما؛ لأن الجهل بالتساوي كالعلم بالتفاضل (٣١).

ومنها: «متى اتَّحد جنس الربوي من الطرفين، وكان معهما أو مع أحدهما جنسٌ آخر، ربوي أم لا: امتنع البيع» (٣٢)، وهذا الضابط مأخوذ من «مسألة: مُدّ عَجْوةٍ ودرهمٌ بدرهمين»، التي لها

أثرها في اختلاف الأئمة، ولقبها الإمام القرافي بالقاعدة، فامتناع البيع جاء؛ لعدم تحقق التماثل، بإمكان التوزيع على وجهٍ ينافيه (٣٣).

- **ضوابط في أبواب الإجارة**

منها: «ليس كل ما جاز فعله جاز إعطاء العوض عليه» (٣٤)؛ لأن بذل المال فيما لا ينفع في الدين ولا الدنيا منهي عنه شرعًا، فلا تلازم بين إباحة الفعل، وجواز إعطاء عوض عليه، فقد يباح الفعل لحكمة ومصلحة، أو حاجة تقتضي الإباحة، ويكون فعله لهوًا، أو محرمًا في الأصل، ومثاله: جواز المسابقة بالأقدام، والمصارعة ونحو ذلك، لكن لا يجوز إعطاء عوض على هذا الفعل؛ لأنه من القمار، وليس كل ما جاز فعله جاز إعطاء العوض عليه، إلا أن يكون في ذلك إعانة على الجهاد في سبيل الله (٣٥).

ويتضح مما سبق أن مجموع الضوابط التي تحكم المعاملات المالية في الإسلام، تُعَدُّ فرض عين على كل مَن أراد أن يعمل في مجال هذه المعاملات؛ لكونها تُجنِّب المتعاملين الوقوع في الحرام، وتحقق الخير والبركة والنماء في الأموال، وهي ضمان استقرار المجتمع، ونموذج لرجل الأعمال المسلم الذي يلتزم في معاملاته بالضوابط الشرعية (٣٦)، حتى تخرج معاملاته على الوجه الذي يرضي الله ورسوله (٣٧).

وفي حال الضرورة يحول الحرام شرعًا إلى حلال، ولهذه الضرورة ضوابط شرعية، ولا يجب أن تترك لهوى النفس، وأحيانًا تنزل الحاجة منزلة الضرورة؛ لأن المشقة توجب التيسير، ودليل ذلك من القرآن الكريم قول الله تبارك وتعالى: ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه﴾ (البقرة: ١٧٣).

الهوامش

(١) انظر: المعاملات المالية المعاصرة في ميزان الفقه الإسلامي للدكتور عصام أبوالنصر، (ص:٧).
(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، (٣٨٦/٢٨).
(٣) انظر: المرجع السابق.
(٤) أخرجه البخاري، برقم (٢١١٦)، مسلم، برقم (٢٤٣٦)، واللفظ له.
(٥) ذكره الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين (٥٩/٢).
(٦) انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبدالسلام (٧٢/٢)، أحكام النقود في الشريعة الإسلامية للأستاذ محمد سلامة جبر (ص: ٥).
(٧) انظر: الموافقات للشاطبي (٢/ ١٦٨-١٧٢).
(٨) أخرجه أحمد في المسند، برقم (٢١٩٥٦)، الطبراني في الكبير، برقم (٣٢٢٤).
(٩) انظر: فقه الواقع أصول وضوابط، للأستاذ أحمد عبود (ص:٤٥).
(١٠) انظر: الاستثمار أحكامه وضوابطه في الفقه الإسلامي، للدكتور قطب مصطفى سانو (ص: ٢٠١-٢٠٤).
(١١) انظر: المرجع السابق (ص: ٢٠٤).
(١٢) أخرجه الترمذي، برقم (٢٦٨٧).
(١٣) انظر: الاستثمار أحكامه وضوابطه في الفقه الإسلامي (ص: ٧).
(١٤) انظر: حكم تداول أسهم الشركات للشيخ ابن منيع (ص: ١٩)، أحكام الأسهم وأنواعها للدكتور القره داغي (ص:٢٨٦-٢٨٧).
(١٥) انظر: المعاملات المالية المعاصرة في ضوء الإسلام، للدكتور سعدالدين محمد الكبي (ص: ٩٩).
(١٦) أخرجه أحمد في المسند، برقم (٩٤٣١).
(١٧) أخرجه البخاري، برقم:(٦٦٨٩)، أبوداود، برقم:(٢٢٠١).
(١٨) أخرجه البخاري، برقم (٥٢)، مسلم، برقم (٤١٧٨).
(١٩) أخرجه مسلم، برقم (١٠١)، الترمذي، برقم (١٣١٥)، ابن حبان، برقم (٥٥٣٣).
(٢٠) أخرجه ابن ماجة، برقم (٢١٥٣)، البيهقي في الكبرى، برقم (١١٤٨٢).
(٢١) أخرجه أحمد في المسند، برقم (١٥٧٩٦)، مسلم، برقم (٤٢٠٧).
(٢٢) أخرجه أحمد في المسند، برقم (١٢٣٨٣)، البخاري، برقم (٢٠٦٩).
(٢٣) أخرجه أبوداود، برقم (٣٥٠٣).
(٢٤) أخرجه البخاري، برقم (١٤٨٦).
(٢٥) انظر: مجموع الفتاوى (٥٤٦/٢٠).
(٢٦) انظر: الاختيارات للبعلي (ص:١٢٧).
(٢٧) انظر: فتح القدير لابن الهمام (٤/٧)، المقدمات الممهدات للقرطبي الجد (٣٣/٢)، المجموع النووي (٣٩٢/٩، ٣٩٧،٤٠١)، المغني لابن قدامة:(٥٤/٦)، مجموع الفتاوى (٤٧٠/٢٩).
(٢٨) انظر: الاختيارات للبعلي (ص:١٢٧)، الفروع لابن مفلح (١٤٨/٤).
(٢٩) انظر: بدائع الصنائع للكاساني (١٩٣/٥)، تكملة المجموع للسبكي (١٨٠/١٠-١٨١)، المغني (٨٢/٦).
(٣٠) أخرجه مسلم، برقم (١٥٣٠).
(٣١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥٠/٢٠).
(٣٢) انظر: الذخيرة للقرافي (٢١٥/٧)، الفروق للقرافي (٢٥١/٣-٢٥٣).
(٣٣) انظر: الذخيرة (٢١٥/٧)، بتصرف.
(٣٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢١٥/٣٠).
(٣٥) انظر: المرجع السابق (٤٩/٣١).
(٣٦) انظر: المعاملات المالية المعاصرة في ميزان الفقه الإسلامي للدكتور عصام أبونصر (ص: ١٦-١٧).
(٣٧) ولمزيد من الضوابط ينظر في: المعاملات المالية المعاصرة في ميزان الفقه الإسلامي (ص: ١٦-٢٧)، الضوابط الشرعية للمعاملات المالية بقلم الدكتور حسين حسين شحاتة الأستاذ بجامعة الأزهر.

أشهرها مكة المكرمة والقدس والقاهرة ودمشق وطشقند وأصفهان

العواصم الثقافية إحياء لتراث المدن الإسلامية وحضارتها

الاحتفاء بالمدن التاريخية وإبراز دورها الحضاري والثقافي ومكانتها التاريخية



أحمد أبو زيد

فكرة العواصم الثقافية التي بدأت على المستوى العربي عام ١٩٩٦م، باختيار القاهرة كأول عاصمة للثقافة العربية، ثم بدأت على المستوى الإسلامي عام ٢٠٠٥م، باختيار مكة المكرمة كأول عاصمة للثقافة الإسلامية، باعتبارها العاصمة الثقافية الأولى للعالم الإسلامي، بل عاصمة الكون ومركز الأرض، وقبلة المسلمين جميعا في كل أنحاء الأرض.

هذا المشروع الثقافي كان له دور كبير في إحياء تراث المدن العربية والإسلامية وحضارتها، والتعريف بهذه المدن التاريخية ودورها الحضاري والثقافي، وإبراز المكانة التاريخية والحضارية لها، خاصة أننا في حاجة إلى بلورة القيم الثقافية الإسلامية التي انطلقت من مكة المكرمة وغيرها من المدن الإسلامية، وسادت العالم كله في فترة من الفترات، حاملة نور الإسلام وسماحته وتعايشه مع الآخرين. وقد بادرت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) إلى تخصيص نافذة على موقعها في شبكة الإنترنت، للتعريف بعواصم الثقافة الإسلامية، وأهم المعالم التاريخية والحضارية والثقافية لها، وإبراز ما قدمته هذه المدن عبر العصور ومازالت تقدمه، بفضل علمائها ومثقفيها ومبدعيها، ومن خلال مؤسساتها التربوية والعلمية والثقافية، من عطاءات ثرية ومتنوعة في مختلف مجالات العلوم والآداب والفنون، وذلك بهدف إحياء ذاكرة هذه المدن وتجديد وعي الأجيال الصاعدة بأهمية الوقوف على كنوز التراث الحضاري الإسلامي.

كاتب وصحفي مصري

ولقد بدأت فكرة العواصم الثقافية على المستوى العالمي عام ١٩٨٢م، وذلك في المؤتمر الذي عقد بالمكسيك برعاية الأمم المتحدة، حول السياسات الثقافية انطلاقا من فكرة رئيسية استندت إلى أن الثقافة ما هي إلا عنصر أساسي في حياة كل فرد وكل مجتمع، وقد تبنى المشاركون في هذا المؤتمر استراتيجية للسياسات الثقافية في إطار ما أطلق عليه «عقد عالمي للتنمية الثقافية».

وفي الدورة الحادية عشرة لمؤتمر وزراء الثقافة في الوطن العربي المنعقد في الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة في نوفمبر ١٩٨٨م، تم إقرار مشروع العقد العربي للتنمية الثقافية، وتبنى المؤتمر اختيار العواصم الثقافية العربية، ودعم ترشيحها لدى منظمة اليونسكو، فبدأت تجربة العواصم الثقافية العربية بإعلان القاهرة عاصمة للثقافة العربية عام ١٩٩٦م، تلتها تونس ١٩٩٧م، والشارقة ١٩٩٨م، ثم مدينة بيروت عام ١٩٩٩م، وحظيت مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية لتكون عاصمة الثقافة عام ٢٠٠٠م، ثم الكويت عام ٢٠٠١م، وتوالت بعدها العواصم العربية إلى اليوم.

عواصم الثقافة الإسلامية

وتعميما لفكرة العواصم الثقافية على المستوى الإسلامي تبنت المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم «الإيسيسكو»، تنفيذ برنامج عواصم الثقافة الإسلامية، وذلك استنادًا إلى قرار المؤتمر الإسلامي


صورة لمدينة المغرب


صورة لمدينة القدس

الثالث لوزراء الثقافة المنعقد في الدوحة سنة ٢٠٠١م، بشأن اعتماد مشروع برنامج عواصم الثقافة الإسلامية الذي تقدمت به المنظمة، والذي دعا الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي إلى ترشيح مدن، تختار (الإيسيسكو) منها كل سنة ثلاث عواصم للثقافة الإسلامية، تمثل المنطقة العربية والآسيوية والإفريقية، بهدف الاحتفاء بثلاثة عواصم كل عام في العالم الإسلامي، والتعريف بهذه المدن التاريخية ودورها الحضاري والثقافي، وإبراز المكانة التاريخية والحضارية لها.

انفراد مكة المكرمة

وقرر المؤتمر وقتها اختيار مكة المكرمة كأول عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ٢٠٠٥، وانفردت وحدها بهذا العام، باعتبار أنها العاصمة الثقافية الأولى للعالم الإسلامي، ولمكانتها التاريخية العريقة، فقد كانت عاصمة للثقافة، ووطنًا للإشعاع ومنبعًا للنور المعرفي قبل أن يظهر العالم الغربي إلى الوجود، فهي خير بقاع الدنيا، ومولد النور.

وهذا الاختيار كان تأكيدًا لرسالتها الثقافية عبر القرون، وإبراز جوانب من منظومتها الثقافية المشرقة في هذا العصر، وفرصة لعودة المسلمين إلى منابعهم الثقافية والحضارية، بعد أن تفرقت بهم الطرق والمسالك، وأصبحوا في حاجة إلى أصل يتمسكون به ويلتفون حوله، يذكرهم بماضيهم التالد، وعزتهم المفقودة، وتفوقهم على سائر أمم الأرض عبر قرون طويلة مضت، كانت الأمة الإسلامية فيها هي المسيطرة على العالم، وهي القائدة لشعوبه، وهي منبع العلم في شتى فروعه، ومصدر الهداية لسائر البشر.

كما أن اختيار مكة المكرمة كأول عاصمة للثقافة الإسلامية، جاء في وقت يحتاج فيه العالم الإسلامي إلى الارتباط بأصوله الإسلامية والاعتزاز بثقافته وحضارته وهويته الإسلامية في مواجهة العولمة الغربية التي تسعى إلى فرض هيمنتها على العالم كله، والترويج للنموذج الثقافي الغربي، في مواجهة ثقافات الأمم.

> **انفردت مكة المكرمة كأول عاصمة للثقافة الإسلامية عام ٢٠٠٥م باعتبارها عاصمة الكون ومركز الأرض وقبلة المسلمين**

أصفهان الأثرية

ثم توالت بعد مكة المكرمة العواصم الإسلامية مثل أصفهان وطشقند وفاس، وحلب السورية، ومدينة تنبكتو بجمهورية مالي، وداكار، ثم الإسكندرية ولاهور الباكستانية وجيبوتي والقيروان وغيرها من العواصم الإسلامية.

ففي عام ٢٠٠٦م وقع الاختيار على مدينة أصفهان الأثرية الإيرانية التي أنجبت سلمان الفارسي أحد أصحاب النبي ﷺ لتكون واحدة من عواصم الثقافة الإسلامية الثلاث، مع مدينة حلب السورية، ومدينة تنبكتو بجمهورية مالي.

ولعل اختيار أصفهان يرجع لعدة أسباب منها: امتلاكها لتراث ثقافي ومعماري وحضاري متميز، فقد عرفت عبر تاريخها الفارسي والإسلامي مدارس فقهية وفلسفية وأدبية، ومن أشهر علمائها وأدبائها أبوالفرج الأصفهاني صاحب كتاب «الأغاني»، والصاحب بن عباد، والمؤرخ الوزير العماد الأصفهاني الذي كان ركنا من أركان الدولة الأيوبية في الشام ومصر، كما تتميز أصفهان بخصائصها المعمارية التي تعود إلى مختلف العصور، ويتوسطها نهر يسميه أهل هذه المدينة «نيل أصفهان» عليه

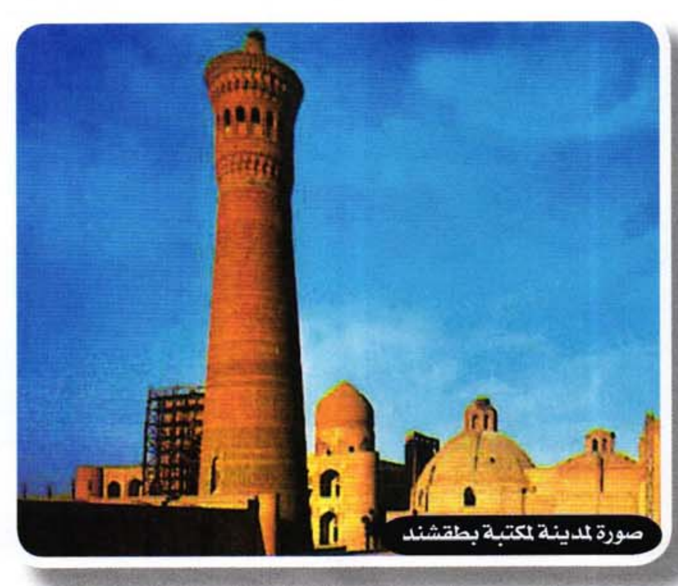
مجموعة من الجسور التاريخية رائعة الجمال.

طشقند التاريخية

وفي عام ٢٠٠٧م تم اختيار مدينة طشقند التاريخية لتكون عاصمة للثقافة الإسلامية، إلى جانب ثلاث مدن أخرى هي فاس المغربية وطرابلس وداكار، وكان اختيارها تتويجا لمكانة هذه المدينة التاريخية، ودورها في إثراء الحضارة الإسلامية عبر العصور المختلفة، فهي من المدن الإسلامية التي تحافظ على الآثار التاريخية والتراث الإسلامي، إلى جانب أنها تضم العديد من المدارس والجامعات الإسلامية العريقة التي تعمل على نشر التعليم والمحافظة على التراث الإسلامي، كما أن تاريخها يرتبط بالدين الإسلامي، وقد ساهمت هذه البلاد في الحضارة الإسلامية على مر القرون، هذا إلى جانب كوكبة العلماء والمفكرين الكبار الذين عاشوا في طشقند، وما تركوه من تراث علمي وثقافي، ودور هذه المدينة التاريخية في الحفاظ على التراث الإسلامي والقيم الحضارية، والاهتمام بهذا التراث ودراسته من جميع الجوانب، وغرسه في نفوس الأجيال الجديدة، وخاصة في نفوس الشباب والعمل على نشره بين عامة البشر على مستوى العالم.

دمشق الحضارة والتاريخ

وعلى المستوى العربي تم اختيار مدينة دمشق لتكون عاصمة للثقافة العربية عام ٢٠٠٨م، وذلك لمكانتها التاريخية ودورها الحضاري عبر العصور، باعتبارها من الحواضر الإسلامية العريقة


صورة لمدينة لمكتبة بطقشند

التي توالت عليها الدول والحضارات والثقافات خلال حقب تاريخية مختلفة تمتد إلى ما قبل ظهور الإسلام بعدة قرون، فهي تعتبر من أقدم العواصم وأعرقها في التاريخ.

وقد أكسبتها الحضارة الإسلامية طابعا خاصا، فكثرت فيها العمائر الإسلامية التي حرص الولاة والسلاطين على إقامتها وتشييدها عبر العصور الإسلامية، من مساجد ومدارس وأسبلة وحمامات وقلاع وحصون وأبراج وبيمارستانات وقصور، وذلك منذ صارت عاصمة للدولة الإسلامية في العصر الأموي.

ولعبت دمشق عبر هذه العصور دورها الحضاري والثقافي، فكانت منبعا للعلم والعلماء، حيث أنجبت الكثير من العلماء، منهم ابن القيم وابن تيمية والعلامة الدمشقي والشيخ بكري بن حامد بن أحمد بن عبيد أبوبكر العطار الدمشقي، والشيخ سليم بن خليل الأرناؤوطي، والعلامة محمد أبوالنصر الدمشقي، والعلامة أبوزرعة الدمشقي وغيرهم.. كما كانت مركزًا للأدباء والشّعراء وسوقا ثقافية للأدب والشعر، وهي تشتهر بحسن عمارتها ونزاهة رقعتها ووفرة فاكهتها وكثرة مياهها، إلى جانب عراقة تاريخها، ولذلك صنفتها منظمة اليونسكو مدينة تراثية عالمية عام ١٩٧٩م.

الإسكندرية عروس المتوسط

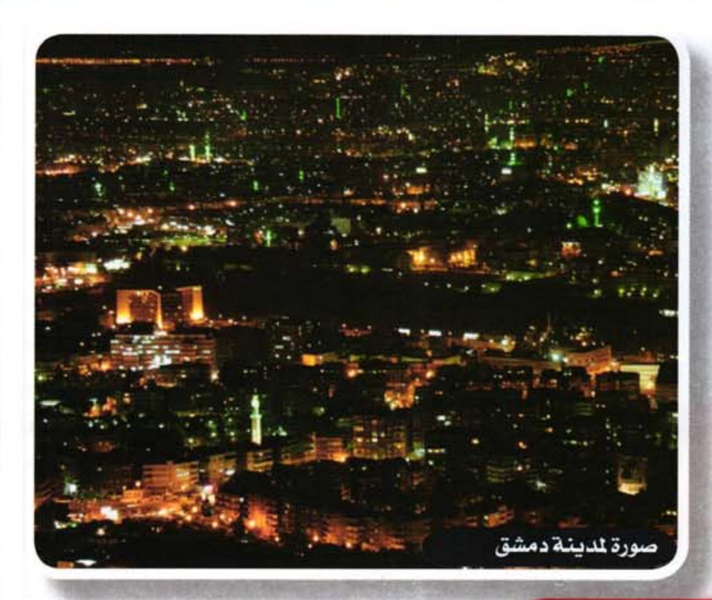
وفي عام ٢٠٠٨م أيضا حظيت مدينة الإسكندرية- عروس البحر المتوسط- باختيارها عاصمة للثقافة الإسلامية، وذلك تتويجا لمكانتها التاريخية والحضارية ودورها في إثراء الثقافة والحضارة الإسلامية عبر العصور المختلفة، فهي من المدن الإسلامية التي تحافظ على الآثار التاريخية والتراث الإسلامي، إلى جانب أنها تحتضن في مكتبتها التاريخية العديد من حضارات العالم التي عاش عدد منها على أرض هذه المدينة التاريخية في أزمنة مختلفة.


صورة لمدينة القيروان

القدس زهرة المدائن

وفي عام ٢٠٠٩م وقع الاختيار على مدينة القدس كعاصمة للثقافة العربية، والقدس زهرة المدائن ومن


صورة لمدينة الإسكندرية


صورة لمدينة دمشق

أبرز مدن الحواضر الإسلامية والعربية منذ قرون طويلة إلي جانب مكة المكرمة والمدينة المنورة وبغداد والقاهرة ودمشق، وقد اشتهر الكثير من أبنائها بالفقه والقضاء والأدب والشعر وعلوم النحو، ووقف رجالها في مقدمة رجال فلسطين دفاعا عن القضية الفلسطينية.

وهذه المدينة المقدسة التي صنفتها منظمة اليونيسكو مدينة تراثية عالمية عام ١٩٨١م، هي متحف الكون ودُرة الله في الأرض، بجذورها التي تضرب بعمق في الحضارة الإنسانية والتاريخ وحضورها الذي يشهد علي منعتها وأصالتها، فالزائر للقدس يعتريه شعور غريب ورهبة أمام أسوارها وأبوابها العتيقة التي تتحدث عن تاريخ المدينة منذ ٥٠٠٠ سنة وعبر العصور، وتحكي مسيرة الإنسانية ككتاب مفتوح.

وإلى القدس كانت تشد الرحال لأنها أولي القبلتين وثالث الحرمين، والزائر لمكة المكرمة لم تكن تكتمل زيارته إلا بالتعريج إلى القدس والصلاة بالمسجد الأقصى، وكما هي مركز ديني فقد كانت مركزا تعليميا يؤمه طلاب العلم من كل أصقاع الأرض للتعلم علي يد علمائها وشيوخها.

وربما لا تجد مدينة تضم من الأعراق والديانات والمذاهب أكثر من

القدس زهرة المدائن ومن مدن الحواضر الإسلامية والعربية منذ قرون طويلة

القدس مما يعطيها صفة خاصة لتعايش الأديان والأعراق، ومنحها جمالية فريدة بمساجدها وكنائسها ومدارسها وحواريها وأسواقها المتميزة، إضافة لما تمثله القدس ثقافيًا، وبما تحتويه من كنوز تراثية عربية وإسلامية، وبما تحمله من ألوان وأشكال متعددة للحضارة الإنسانية.

القيروان «رابعة الثلاث»

وفي عام ٢٠٠٩م أيضا تم اختيار مدينة القيروان عاصمة للثقافة الإسلامية، وهي من أقدم وأهم المدن الإسلامية في إفريقيا، بل هي المدينة الإسلامية الأولى في منطقة المغرب، وثاني مدينة إسلامية في إفريقيا بعد الفسطاط، وتُعرَف باسم «رابعة الثّلاث» بعد مكة المكرّمة والمدينة المنورة والقدس الشريف، وقد صنفتها منظمة اليونسكو كمدينة تراثية عالمية عام ١٩٨٨م.

واختيارها عاصمة للثقافة الإسلامية جاء تتويجا للمكانة التاريخية والحضارية التي تمثلها هذه المدينة العريقة، فإنشاؤها يعتبر بداية لتاريخ الحضارة العربية الإسلامية في المغرب العربي، فقد بناها القائد عقبة بن نافع لتكون قاعدةً لنشر الإسلام في المغرب العربي وإفريقيا، وكانت هذه المدينة تلعب دورين مهمين في آن واحد، هما: الجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى الإسلام، فبينما كانت الجيوش تخرج منها للغزو والفتح، كان الفقهاء يخرجون منها لينتشروا في البلاد، يعلّمون العربية وينشرون الإسلام.

ولقد بقيت القيروان عاصمة الإسلام الأولى لإفريقيا والأندلس ومركزا حربيّا للجيوش الإسلامية ونقطة ارتكاز رئيسية لإشعاع اللغة العربية، وأحد أكثر مراكز الثقافة العربية الإسلامية تألقًا بالمغرب الإسلامي طيلة خمسة قرون من السابع إلى الثاني عشر للميلاد.

فهي بذلك تحمل في كلّ شبر من أرضها عطر مجد شامخ، وإرثا عريقا يؤكده تاريخها الزّاهر ومعالمها الباقية التي تمثل مراحل مهمة من التاريخ العربي الإسلامي، كما أن قيمة معالم القيروان وأصالتها وثراء كنوزها الأثرية وتنوعها تجعل منها أيضا متحفًا حيًّا للفنون والحضارة العربية الإسلامية.



حضارة العرب

التراث الإنساني ليس ملكًا لأحد، والتقاء الحضارات وتبادل الثقافات معروف مشهور، والتأثير والتأثر بين الشعوب حتم لازم.

وحضارتنا العربية واحدة من تلك الحضارات الإنسانية الشامخة، وهي حضارة عريقة، ممتدة الجذور، وقد جلاها وكشفها ونماها الإسلام، حين بزغ فجره على الجزيرة العربية ثم امتدت فتوحاته، ودخلت فيه أمم كثيرة ذات حضارات قديمة، وقد هجرت هذه الأمم لسانها القديم، واتخذت اللسان العربي أداة فكر وبيان، ثم نسيت هذه الأمم والشعوب ما كان يعبد آباؤها من قبل، حين دخلت في دين الله أفواجًا، ولم يبق من فرق بين هذه الأمم والأمة العربية إلا فرق اللون والدم، وهو فرق ساقط مهدر في موازين الدين والرسالة الخاتمة.

وقد صار من مكرور القول ومعاد الكلام، أن الحضارة العربية- فوق أنها أبدعت وأنتجت في شتى ضروب العلم والمعرفة- كانت حلقة اتصال بين تراث اليونانية القديمة، وبين اللاتينية الحديثة، مما مكن لأوروبا أن ترسي حضارة وتبدع تراثا يعيش عليه الناس إلى يومنا هذا، غافلين عن روافده ومصادره، والدلائل على ذلك كثيرة.

من كتاب : المدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي

محمود محمد الطناحي





خصائص اللغة العربية وخلودها (٢/٢)

محمد مصطفى ناصيف *

لقد كان وراء تحضّر قريش أسباب جوهرية ترفعها إلى مستوى الصدارة في الحضارة وفي اللغة، وهذه الأسباب تفرضها القبائل العربية التي كانت في الجاهلية تفد إلى مكة قاصدة الحج والأسواق والمجامع الأخرى، مما حمل القرشيين على الاختلاط بهذه القبائل، واقتباس أجزل الألفاظ وأفصح التعبيرات، ومع مرور الزمن تأصلت الفصاحة المكتسبة من كل اللهجات، فنمت فيهم مع نمو المجتمع القرشي، فصارت بذلك جامعة لجميع اللهجات، وقريبة في آن واحد من أي لهجة منها، لأن بعض عناصر هذه اللهجة موجودة فيها.

وبما أن اللغة تؤخذ اعتيادا على مرّ الأوقات، كما تؤخذ تلقّنا من ملقن، وكذلك تؤخذ سماعًا من الرواة، واصطنع العرب لغة قريش للتفّنن في القول، والإبانة في التعبير، فدلّ استصفاؤهم على أنها اختارت من كلام العرب أبينه، وراعت أرشقه، واعتمدت أصفاه، إذ امتازت اللغة العربية بقدرتها الذاتية على التعبير، وعلى التمثّل والتوليد، وعلى التخير والانتقاء حتى باتت أنموذجًا صالحًا للاقتباس في حالتي الإقامة والتجوال، وإغناء العربية بما يحتاج إليه أبناؤها من مفردات لوازمهم وحاجاتهم المعيشية والتطورية، كما كانت أنموذجا مميزًا من سائر اللغات العالمية والسامية، بتكاملها مع إنسانها وتلازمها مع دقائق حياة وخصائص العربي. وقد أجمع الرواة أن أفصح العرب:

«عليا هوازن، وسفلى تميم» وعليا هوزان هم قبائل: «سعد بن بكر، وجُشَمُ بن بكر، ونصر بن معاوية، وثقيف» وأفصحها: سعد بن بكر لقول سيد العرب والعجم، رسول البشرية ومعلمها الخير ﷺ: «أنا أفصح العرب بيد أنيّ من قريش، وأني نشأت في بني سعد بن بكر».

وبإشراق رسالة الإسلام وبعد الانقلاب العظيم الذي أصاب اللغة العربية عقب ظهور الإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من العربية ألفاظ من موضع لآخر، بزيادات زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت، إذ كان لظهور الإسلام أثر كبير في ظهور حركة لغوية كبيرة، وكان للقرآن الخالد العظيم أثره الأكبر في حركة التدوين للغة وتفسير معانيها، وبات الاهتمام بها شديدا، فجمعوها من مظانّها الصحيحة لتسجيلها ورصد معانيها ورسم أوزانها، ووضع القواعد الضابطة لنطقها وجميع لوازمها.

اللغة انعكاس طبيعي لما عليه حال القوم لأنها أداة الحاضر وصورة التاريخ

فقال عز وجل في كتابه الخالد: ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا﴾ (يوسف: ٢)، وقوله عّز من قائل: ﴿نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين﴾ (الشعراء: ١٩٥)، ووصفه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون﴾ (فصلت: ٣).

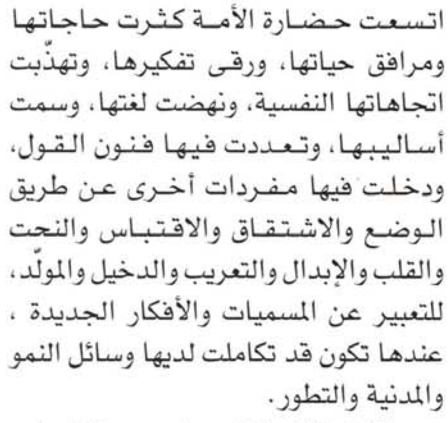
واللغة العربية- باعتبارها احدى اللغات الحية- تحتاج دائما إلى التطوير والتهذيب وللتنمية المستمرة لمسايرة ومواكبة العصر الذي تعيش فيه- وهو دور مجامع اللغة العربية - كما أن المجد اللغوي لا يقل أهمية عن المجد السياسي للامة العربية الناهضة، ولابد للمسؤولين وأصحاب القرار العمل على تقوية اللغة الفصيحة التي هي لغة فنية راقية فوق اللهجات، والعمل على ضبط الكتب وجميع المطبوعات بالشكل التام حتى تصبح اللغة ملكة وسليقة لدى جميع القراء، ومن لم ينشأ على حب تلك اللغة فقد استخف بتراث امته واستهان بخصائص قومه، والمثقف الذي لم يتقن معرفة لغته ليس ناقص الثقافة فحسب بل في رجولته نقص كبير ومهين أيضا.

واللغة كالكائن الحي تنمو وتستعمل، وتنتقل من جيل إلى آخر لتعبر عن أفكارهم وحياتهم، وبانتقالها تؤثر وتتأثر، فتموت الفاظ وتحيا اخرى، وتضيق ألفاظ وتتسع أخرى بدلالاتها وهذه صفات اللغة الحية، فاللغة لم تخلق لتدفن في بطون الكتب المغلقة، ولا في خزائن العرض.. وإنما للاستعمال.

فقد انقلبت اللغة العربية إلى لغة عالمية تتكلم بها شعوب كثيرة جدا فكلما

* عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية





اتسعت حضارة الأمة كثرت حاجاتها ومرافق حياتها، ورقى تفكيرها، وتهذّبت اتجاهاتها النفسية، ونهضت لغتها، وسمت أساليبها، وتعددت فيها فنون القول، ودخلت فيها مفردات أخرى عن طريق الوضع والاشتقاق والاقتباس والنحت والقلب والإبدال والتعريب والدخيل والمولّد، للتعبير عن المسميات والأفكار الجديدة ، عندها تكون قد تكاملت لديها وسائل النمو والمدنية والتطور.

واللغة انعكاس طبيعي لما عليه حال القوم، لأنها أداة الحاضر، وصورة التاريخ، منها تقتبس الألوان الحضارية والاجتماعية. واللغة العربية هي واحدة من اللغات التي اتسعت ونمت- وما تزال قادرة على الاتساع والنمو ومحاكاة الأمور- وأقامت لنا من تاريخها شاهدًا حيّا على طواعيتها وصدقيتها، على عكس باقي اللغات التي درستها ماكينة «العولمة» المزخرفة الحديثة حيث ذابت بهذه الدعوة عشرات اللغات، ومئات اللهجات. ولحفظ الله لرسالته وكتابه الذي قال سبحانه وتعالى فيه ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجرات: ٩)

هي الضاد لن يذوي على الدهر عودها
وقد خصها الذكر المقدس بالخلد

لذا سادت لغة قريش لكونها اللغة الجامعة المعروفة المميزة على غيرها لعوامل سبق ذكرها وبقيت آثارها.. لغات (لهجات) أخرى نراها واضحة في القراءات الصحيحة المتعددة. كما نراها في وجود أكثر من اسم للشيء الواحد، وهذا راجع لاختلاف التسميات بين قبيلة وأخرى لأنه كما ورد في الأثر أنه أنزل على سبعة أحرف، وسنذكر هنا بعض المفردات القرآنية الكريمة من لغات (لهجات) القبائل العربية بيانًا لبعض جوانب اللغة العربية المضيئة الخالدة بخلود قرآنها الخالد الذي جعله الله معجزة نبيه المختار الخاتم ورسوله للبشرية جمعاء إلى يوم القيامة، بَيْدَ أنّه تمّ حذف ما ذكره من لغة قريش، لأنها اللغة الأساس التي نزل بها القرآن الكريم الخالد ثم انه من الحمق والمكابرة إنكار ما لرسول البشرية ومعلمها الخير ﷺ وسيد قريش من فضل كبير في توحيد اللهجات العربية، وقتلِ العصبيّات الفرعية في نفوس القبائل.

فيما يلي بيان وأمثلة لبعض لغات القبائل العربية الواردة في القرآن الكريم:

سورة البقرة قوله تعالى: ﴿قالو أنؤمن كما آمن السفهاء﴾.

السفيه: الجاهل في لغة كنانة.

رغدا: الخصب في لغة طيء.

رجزا: العذاب بلغة طيء.

خاسئين: صاغرين بلغة كنانة.

تعضلوهن: تحبسوهن بلغة أزد شنوءة.

«لأعنتكم» هنا، و«ما عنتّم» بآل عمران و«العنت منكم» بالنساء، و«ما عنتمّ» بالتوبة، و«لعنتمّ» بالحجرات: العنت الإثم بلغة هذيل.

الطور: الجبل وافقت لغة العرب في هذا الحرف لغة السريانية.

لا شية: لا وضح بلغة أزد شنوءة.

بغيا: حسدًا بلغة تميم.

فباءوا بغضب استوجبوا بلغة جرهم.

في شقاق بعيد: في ضلال بعيد بلغة جرهم.

لا رفث: لا جماع بلغة مذحج.

أفيضوا: انفروا بلغة خزاعة.

سورة آل عمران

كدأب آل فرعون: كأشباه بلغة جُرهم.

سيدًا وحصورًا: السيد: الحكيم بلغة حمير.

والحصور: الذي لا حاجة له في النساء بلغة كنانة.

لا خلاق: لا نصيب بلغة كنانة.

إصري: عهدي وافقت لغة النبطية.

آناء الليل: ساعات بلغة هذيل.

لا يألونكم خبالا: غيًا بلغة عُمان.

تفشلا: تجبنا بلغة حمير.

فورهم: وجوههم بلغة هذيل وقيس عيلان وكنانة.

قرح: بالفتح لغة الحجاز، والضم لغة تميم.

ربيون: رجال بلغة حضرموت.

سورة النساء

تعولوا: تميلوا بلغة جُرهُم.

نحلة: فريضة بلغة قيس عيلان.

أفضى: الإفضاء الجماع بلغة خُزاعة.

تميلوا ميلا عظيما: تخطئوا خطأ بينا بلغة سبأ.

كفل: نصيب وافقت لغة النبطية.
مقيتا: مقتدرا بلغة مذحج.
حصرت: ضاقت بلغة أهل اليمامة.
مراغما: منفسحًا بلغة هذيل.
أن يفتنكم الذين كفروا: يضللكم بلغة هوزان.

واللغة العربية أكبر لغات المجموعة السامية من حيث عدد المتحدثين، وهي إحدى أكثر اللغات انتشارًا في العالم يتحدثها أكثر من ٤٢٢ مليون نسمة، ويتوزع متحدثوها في المنطقة المعروفة باسم «الوطن العربي».

ارتفعت مكانة اللغة العربية وأصبحت لغة السياسة والعلم والأدب لقرون طويلة في الأراضي التي تظللت بالإسلام، وأثرت تأثيرًا مباشرًا أو غير مباشر على كثير من اللغات الأخرى في العالم الإسلامي كالتركية والفارسية والأوردية والألبانية وبعض اللغات الأوروبية والإفريقية.

واللغة العربية هي حاملة الرسالة السماوية، ومبلغة الوحي الإلهي، وناشرة الدين الحنيف، وسفيرته إلى العالمين، وفاتحة دعوته، ولسان شعائره وجامعة الأمة، وآصرة الملة، محفوظة حفظ الوحي المنزل بها.

واللغة العربية هي مبدعة الحضارة العربية، وراويتها بين الأجيال وذاكرتها على مر العصور، وهي لغة الابداع الأدبي قبل الإسلام، ولغة الإعجاز الإلهي بعده فقد حمّلها الإسلام رسالته العالمية إلى البشرية كافة، كما نالت اهتمام وعناية السلف وشعوره بالمسؤولية الواجبة نحوها فبذلوا جهودًا مضنيةً في تأصيلها ووضع قواعدها، وحفظها من شوائب اللحن والخطأ الذي يذهب بجمالها ورونقها وبهائها، وحرصوا على سلامتها وحفظها من الرطانة العجمية واللكنة العامية.

وكان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يعتبر تعليم اللغة العربية والتعمق في علومها

حفظ اللغة العربية والاهتمام بها فهم دقيق وعميق لرسالة الإسلام الخالدة

مثل التعمق والتفقه في الدين فيقول: «أما بعد فتفقهوا في السنة، وتفقهوا في اللغة العربية فإنها من دينكم».

وقال أيضًا: تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة. كما كان يرى أن الخطأ في الرمي أهون من الخطأ في اللغة فيقول: والله لخطؤهم في رميهم أهون على خطئهم في لسانهم.

وقد سبق عمر رضي الله عنه بقرون طويلة ما دعا إليه أحد أعضاء مجلس النواب الأمريكي (الكونجرس) حيث قال: إننا نضع القوانين لمعاقبة المجرمين الذين يسرقون ويقتلون، فلماذا لا نضع القوانين لمعاقبة الذين يفسدون اللغة؟

كما فرضت فرنسا غرامة قدرها ألفا فرنك فرنسي على كل من يستخدم كلمة أجنبية واحدة يوجد لها مقابل بالفرنسية.

ولمكانة اللغة العربية فقد حدد يوم ١٨ ديسمبر من كل عام يوما عالميا للاحتفاء باللغة العربية.

وكان الأقدمون يعيبون اللحن ويستهجنونه، ويعتبرونه عارًا للكريم ومسبّة للشريف.

كما كان اللحن عند أهل البادية ذنبًا شنيعًا يستحق صاحبه حرمان الرزق، فمما يؤثر عن احد البدو العرب أنه توجه من الصحراء إلى سوق البصرة، فرأى الناس يلحنون، فصرخ في وجوههم، عجبًا كيف تلحنون وترزقون؟

وكذلك أثر عن أبي الريحان البيروني قوله: لأن أشتم بالعربية خير من أن أمدح بالفارسية. وكان السلف الصالح يعدون تعلم العربية وخدمتها وحبها من الدين، ويدل على ذلك ما قاله الإمام أبومنصور الثعالبي: «من أحب الله، أحب رسوله، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها وصرف همته عليها، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان وآتاه حسن سريرة اعتقد ان محمدًا ﷺ خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة والإقبال على تفهمها من الديانة إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاد.

وهكذا.. امتازت اللغة العربية المباركة وتميزت لأنها غنية بكلماتها ومفرداتها، جميلة في أدائها وألفاظها، عميقة في مدلولاتها ومعانيها، رائعة في مادتها وتراكيبها، مرنة في صياغتها واشتقاقاتها، أنيقة في رسمها وأشكالها-حرفًا وكلمة وجملة- لذلك هي عند العرب مادة للأدب، وفن للقول، ولغة للعاطفة، وترجمة للعقل.. عبرّت عن أدق خلجات نفوسهم، ونبضات قلوبهم صوّرت أعمق درجات تفكيرهم ونجوى ضمائرهم، وصاغت شخصياتهم وحياتهم ودنياهم.. رسمت مناحي حياتهم، ورصدت مثلهم، وقيمت إنسانيتهم. تشرّفت بأنها لغة القرآن الخالد، ومعجزة نبيها الأكرم ﷺ وجعل من قرآنها العظيم الخالد لغة تحدٍّ إلى يوم القيامة، فبات من حقها علينا وإلزامًا لنا أن نكشف عظمتها، ونعرض روعتها، ونبيّن قيمتها، ونجعلها لسان نطقنا، ونخدمها بأفضل ما نستطيع، ونقف ضد من يحاول إبعادها وعولمتها، فحفظُ اللغة العربية، وايلاؤها جلّ العناية والرعاية والاهتمام فهم دقيق وعميق لرسالة الإسلام الخالدة.

قصــة قصــيرة



محمد عبد الشافي القوصي

حياتـه كانت أشبه بمسرحية تراجيدية مُحكَمَة، فقد طاف مشارق الأرض ومغاربها، وَلَـمْ يعرف للاستقرار موضعًا، ولا للراحة سبيلا، فأبوه من بلد، وَأُمُّـهُ من بلد، وَتَرَبَّى في بلد غير الذي ولدَ فيه، وَتَلَقَّى تعليمه في أكثر من بلد، وسافر إلى بلدان عديدة، وأقام في بلدان شتى! ولَـمْ تتوقف معاناته لحظة واحدة من أجل الحصول على عمل يناسب مكانته العلمية! حتى اضطر إلى الاغتراب والترحال مُكْرَهًا! وعندما ابْتَسَمَ له الحظ مرة، وواتته فرصة يتيمة، لَمْ يمكث فيها سوى أشهر قليلة، بعدما تقرر ترحيل المهاجرين غير الشرعيين!

فرجعَ إلى أهله يَتَمَطَّى، وعاد بِخُفَيْ حُنَيْن! لكنه وجد القرية خاوية على عروشها! بعدما تحولت إلى ثكنة عسكرية منذ قرابة عشرين عامًا، وهجرها السكان وتفرقوا في أوطان مختلفة، وديار نائية!

فَتَوَجَّه إلى المدينة، ليقيم في شقته القديمة، فرأى العقار قدْ أُزيلَ من الوجود! فَلَمْ يُصَدِّق عَيْنَيْه! فازدادَ توترًا إلى توتره، وراح يسأل: أليستْ هذه حارة اليهود؟ فنظر إليه «بائع الصحف»، وَلَـمْ يملك نفسه من الإعجاب بمظهره، ثمَّ رَدَّ عليه ساخرًا: «يحرس شبابك يا سعادة البيه؛ والله مَا حَـارَتْ اليهود.. إنَّما حَارَتْ الأنبياءُ والرُّسُل!!»

فتولَّى، وَفَكَّرَ طويلًا في البحث عن أحد من زملائه القدامى.. لكنه كان قدْ نَسِيَ أغلب الأسماء، وَتَغَيَّرَتْ هواتفهم وعناوينهم، وأكثرهم راح ما بين شهيد وجريح وأسير! فأصابته حيرة شديدة! ثُمَّ ما لَبِثَ أنْ تذكَّرَ جاره القديم الذي كان يعمل في المستشفى العام! فَتَوَجَّه إليه على عجل.. لكن حافلة الرُّكَّاب التي استقلَّها كانت متجهة إلى عكس العنوان الذي يريده! فَوَثَبَ منها بسرعة وسط طريق صحراوي طويل.. ومضى حائرًا كالذي استهوته الشياطينُ من المَس! حتى ضاق ذَرْعًا، وتاهتْ به الظنون، وتقطَّعتْ به السبل!

ظَلَّ يتلفَّتْ يمينًا وشمالًا، ضائق الصدر، كأنَّما يَصَّعَّدُ في السماء! عسى أنْ يجد من يهديه سواء السبيل، ويرشده إلى بر الأمان، ومرفأ النجاة.. فَلَمْ يجد أحدًا، حتى أصابه القنوط! وبعد أكثر من ساعتين جاء رَجُـلٌ من أقصى المدينة يسعى، تبدو عليه سيماء الصالحين..كأنَّهُ الخضر في وقاره وتقواه! فاسْتَبْشَرَ به، وناداه بصوت مُتَهَدِّج: يا شيخ، يا شيخ.. اسمح لي أَنْ أسألكَ عن... (ثمَّ انعقد لسانه مرة واحدة)!

فاقتربَ منه الشيخ، وقال: سَلْني وَعَجِّل، وَلا تُلْهني عن ذكْر الله.

فَـارْتَجَـفَ الشاب وتلعثم! فسأله الشيخ: ما الذي تريد أنْ تسأل عنه يا هذا؟

قال وهو يلتقط أنفاسه: اعذرني.. لقدْ نَسِيتُ الآن كل شيء من مرارة الحُزْن وغَلَبَة اليأس!

فوضع يده على صدره، وقال: عَلامَ اليأس؟! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ نوحًا عليه السلام مَكَثَ قرابة ألف سَنة صابرًا مُحتسبًا حتى تَحَقَّقَ موعود الله! وَبَكَى إسرائيل ثَمانين سنة على يوسف وَلَمْ ييأس من الفَرَج، وَلَمَّا فقد ابنه الآخر بنيامين لَمْ ينقطع أمله من فضل ربه، فقال: ﴿عَسَى اللَّهُ أن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾! وقد دعا مُوسى على فرعون، فَأُجيبَ بعد أربعين سنة! وكذلك صَبَرَ زكريا وَلَمْ يتغير رجاؤه، فقال ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾!

فـأَعْـرَضَ الشـاب ونَـأَى بجانبه، وكـأنَّـه لا يُصَدِّق ما سمع! ثمَّ بدا عليه مزيد من السخط بالأقدار، والاعتراض على المشيئة، فتساءل: كيف.. كَيْفَ ذلك؟!

فزجره الشيخ، بصوت مليء بالحزن والألم: اسمع، إنْ حَضَرَ عقلكَ وقلبكَ أجبتكَ وَأَرَحْتُ بالَك، وإنْ كُنْتَ تتكلم بمجرد واقعكَ من غير نَظَر وإنصاف فلا جدوى من الحديث معك!

تمْتَم: بَلْ كُلِّي آذانٌ مُصْغية. فقال: أليسَ الحق سبحانه مَالكًا، وللمَالك أنْ يتصرف كيف يشاء؟

تَنَهَّدَ بمـرارة، ثمَّ خَلَعَ نظارته، وقال: ألاَ نُحَكِّم عقولنا- أيها الشيخ- فيما يجري في حياتنا؟

يا ولدي: إنَّ حكمته أَوْفَى من كل حكيم، لأنَّه بحكمته التامة أنشأ العقول، وإذا أَرَدْتَ أنْ تستريح، فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ أنْ تَتَّهِمَ نفسك بالعجز عن فهم ما يجري! وليس هذا بعجب، فإنَّ مُوسى خَفي عليه وجه الحكمة في نَقْض السفينة الصحيحة، وقَتْل الغلام البريء، فَلَمَّا بُيِّن له الخضر وجهَ الحكْمَة أَذْعَنَ على الفور.. فَكُنْ مع الخَالِق كَمُوسَى مع الخضـر!

طَـأْطَـأَ رأسـهُ خجـلًا، ثـمَّ تساقطتْ دموعه بغزارة! وقال: أرجوك، أرجوك؛ ساعدني في الخروج من هَذي الصحاري المُوحِشَة، وهذا التِّيه الذي لا نهاية له.. أينَ العُمْران.. أين..؟

فَـجَـرَّهُ «الشيـخ» من يـده حتى وصـل به إلى المقـابر المهجـورة، وقـال لـه: هـذا هـو العُمْــران!

انتفَضَ جسده، وَصَاحَ بانزعاج: طَلَبْتُ منكَ أنْ تدلَّني على العُمْران، فجئتَ بي إلى خراب القبور..يبدو أنكَ تهزأ أيها الشيخ الكبير!

فَرَدَّ عليه بحزن وأسى: أعوذُ بالله أنْ أكونَ من الجاهلين. ثُمَّ أَرْدَفَ قائلًا: أسألكَ بالله يا فتى.. أَيِّ المكانيْن سَتُقيمُ فيه أكثر.. هنا أمْ هنـاك؟

تنفَّس نَفَسًا عميقًا، وأَلْقَـى بمعطفه على الأرض بقوة، وصاح- وعيناه تَسْبَحَان في الأفق الصافي البديع: بَلْ هنا والله.. والله هنا.

فاكْتَسَى وجه الشيخ بالفرحة والحُبُور، وقال: إذَنْ .. هـذا هـو العُمْــرَان!

◆ ناقد أدبي

السجع في القرآن

د. أحمد عزوز

السجع فن من فنون النثر، وسمة بارزة لبعض النصوص الأدبية على مر العصور، فقد عرف في العصر الجاهلي والعصر الإسلامي وأول العصر العباسي ولا يكاد يخلو عصر من العصور من هذا اللون الجاد في حقل الإنتاج الأدبي ولكن عندما تكلم بعض أئمة الكلام في إعجاز القرآن دفاعا وتأييدا، بدا لهم أن يترفعوا بالقرآن عن السجع، إذ كان في نظرهم صنعة تدعو إلى التكلف والتعسف، وهذا أمر لا يليق بكتاب الله عز وجل، وفي هذا الموضوع سأحاول بتوفيق الله وتيسير منه أن أقدم - بصورة مجملة - توضيحا لهذه القضية وما أثير حولها من تساؤلات.

السجع في اللغة العربية هو الكلام المقفى، سجع يسجع سجعا وسجع تسجيعا: تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن، وصاحبه سجاعة (١) وسجع الحمام يسجع سجعا: هدل على جهة واحدة، وسجع الحمامة موالاة صوتها على طريق واحد، تقول العرب: سجعت الحمامة إذا دعت وطربت في صوتها، وسجعت الناقة سجعا: مدت حنينها على جهة واحدة (٢).

وفي الاصطلاح هو «تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد» (٣). وبتعبير آخر هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير في الكلام المنثور، وهو يعد في النثر كالقافية في الشعر، ويأتي على ثلاثة أقسام: مطرف ومتواز ومرصع.

أ- السجع المطرف، وسماه ابن قيم الجوزية: «المتطرف» وقال: «هو أن تتفق الكلمتان الأخيرتان في الحرف الأخير دون الوزن» (٤). ومن هذا الضرب قوله تعالى: «ما لكم لا ترجون لله وقارا. وقد خلقكم أطوارا» (نوح: ١٣-١٤)، وقوله أيضا: «ألم نجعل الأرض مهادا. والجبال أوتادا» (النبأ: ٦-٧).

ب- السجع المتوازى أو الموازي، وهو أن «تتفق اللفظة الأخيرة من القرينة (الفقرة) مع نظيرتها في الوزن والروي» (٥). ومثال ذلك قوله تعالى: «فيها سرر مرفوعة. وأكواب موضوعة» (الغاشية: ١٣-١٤).

ج- السجع المرصع، وهو ما اتفقت فيه ألفاظ إحدى الفقرتين كلها أو أكثرها مع ما يقابلها في الفقرة الأولى وزنا وتقفية (٦). ومثال ذلك قوله تعالى: «إن الأبرار لفي نعيم. وإن الفجار لفي جحيم» (الانفطار: ١٣-١٤).

وقد اهتم علماء البلاغة والباحثون في الدراسات القرآنية بالسجع كثيرا، وأفردوا له في كتبهم أبوابا مختلفة، فمنهم من مدحه وعده من أوصاف البلاغة، فهو في الكلام كمثل القافية في الشعر، وإن كانت القافية غير مستغنى عنها في الشعر القديم والسجع مستغنى عنه.

التسجيع فضيلة كلامية على شرط البراءة من التكلف والخلو من التعسف

ومنهم من ذمه، لأن الرسول ﷺ ذم سجع الكهان ونهى عنه، فقد روي أن سائلا سأل الرسول ﷺ قائلا: يا رسول الله أنغرم دية من لا أكل ولا شرب ولا استهل؟ فمثل ذلك يطل (٧) فقال رسول الله ﷺ: «أسجع كسجع الأعراب؟» (رواه مسلم) وفي رواية كسجع الكهان، وفي رواية اخرى كسجع الجاهلية.

كان في الجاهلية ناس يحترفون الكهانة، ويدعون علم الغيب، وفي سبيل ذلك كانوا يتكلفون القول ويتصنعون السجع حين يخبرون عن الأمور الغيبية.

وبذلك يكون لكلامهم وقع عند أصحاب النفوس الضيقة فيصدقونهم لما يجدون في كلامهم من الغرابة والبعد عما عهدوه في الاستعمال، ومن أمثلة هذا السجع ما جاء في قول سطيح الكاهن لربيعة بن نصر ملك اليمن في تفسير رؤياه: «رأيت حممة، خرجت من ظلمة، فوقعت بأرض تهمة، فأكلت منها كل ذات جمجمة» (٨)، ومنه ما يحكى عن مسيلمة الكذاب: «لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشى» (٩).

وإتماما للفائدة لابد من عرض آراء بعض العلماء في هذه القضية، ويمكننا

ناقد مغربي



أن نصنفهم إلى فريقين:

الفريق الأول: المجيزون

ويرون أن القرآن الكريم نزل بأسلوب العرب، وأسلوب العرب هو اللغة العربية ، واللغة العربية فيها الحقيقة والمجاز، وفيها الكناية والتعريض، وفيها العموم والخصوص... فلا مانع من وجود السجع فيه إذا اقتضاه الحال واستلزمه المقام، وكان خاليا من التكلف والتعسف، ومن الذين أجازوا السجع القرآني نذكر، على سبيل المثال لا الحصر، الجاحظ وأبا هلال العسكري وعبدالقاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي وابن الأثير.

١- الجاحظ ت ٢٥٥ هـ: السجع عند الجاحظ لون من ألوان التعبير الجميل وفرع بلاغي مهم، لذا اهتم به في كتابه «البيان والتبيين» وتعرض للذين يذمونه ويمنعونه، وفي ذلك يقول: «وكان الذي كره الأسجاع بعينها، وإن كانت دون الشعر في التكلف والصنعة، أن كهان العرب الذين كان أكثر الجاهلية يتحاكمون إليهم، وكانوا يدعون الكهانة، وأن مع كل واحد منهم رئيسا من الجن مثل حازي جهينة وشق وسطيح... وأشباههم، كانوا يتكهنون ويحكمون بالأسجاع، كقول أحدهم: والأرض والسماء والعقاب والصقعاء، واقعة ببقعاء، لقد نفر المجد بين العشراء للمجد والسناء.. فوقع النهي في ذلك الدهر لقرب عهدهم بالجاهلية، ولبقيتها منهم وفي صدور كثير منهم، فلما زالت العلة زال التحريم » (١٠).

يتضح لنا من خلال هذا النص أن الجاحظ يجيز السجع، وعلل كراهية الناس للسجع بأنه كان أسلوب الكهان يحاولون تضليل الناس به والتأثير عليهم، هذا بالإضافة إلى ما فيه من التكلف والتعسف الكثير.

ويؤيد الجاحظ استحسانه للسجع بحجج أخرى نذكر منها قوله: «وقد كانت الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين، فيكون في تلك الخطب أسجاع كثيرة فلا ينهونهم» (١١).

وفي حديثه عن السجع ذكر كثيرا من النماذج التي تدل على أنه يجيزه إذا كان جاء عن سجية وطبع وعدم تكلف، ومما ذكر قوله: «وفي الحديث المأثور قال: يقول العبد مالي مالي، وإنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت، وأعطيت فأمضيت، أو لبست فأبليت» (١٢).

وهكذا نرى أن الجاحظ قد أحاط بالسجع من جميع جوانبه باعتباره لونا من ألوان التعبير الجميل، ولكنه لم يصرح بوجود السجع في القرآن الكريم، ويفهم من كلامه كما يرى د.هاشم محمد هاشم «أنه يجيز السجع فيه، لأنه أباحه في الحديث النبوي، والأسلوب العربي، بل يفضله إذا لم يكن متصنعا متكلفا.

وهو يرى أن القرآن الكريم نزل بأسلوب العرب، وخاطبهم بذلك الأسلوب، وفيه الحقيقة والمجاز، فلا مانع من وجود السجع فيه طالما طلبه المعنى، وكان خاليا من التكلف، والتصنع، والتعسف..» (١٣).

٢- أبوهلال العسكري ت ٣٩٥ هـ: أثبت أبوهلال العسكري السجع في القرآن الكريم، وقد استند إلى أسلوب القرآن، واستشهد بآيات عديدة، وفي هذا السياق يقول: «وكذلك جميع ما في القرآن مما يجري على التسجيع والازدواج مخالف في تمكين المعنى، وصفاء اللفظ، وتضمن الطلاوة والماء، لما يجري مجراه من كلام الخلق، ألا ترى قوله عز اسمه: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا. فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا. فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا. فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا. فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾(العاديات: ١-٥) قد بان عن جميع أقسامهم الجارية هذا المجرى من مثل قول الكاهن: «والسماء والأرض، والقرض والفرض، والغمر والبرض» (١٤) وهو يذم هذا النوع من سجع الكهان لأنه قريب عهد بالجاهلية، وفيه نوع من التكلف والتعسف، والتصنع الممقوت. يقول في هذا الصدد: «ومثل هذا من السجع مذموم، لما فيه من التكلف، والتعسف... ولهذا ما قال النبي ﷺ لرجل، قال له: أندي من لا شرب، ولا أكل، ولا صاح واستهل، فمثل ذلك يطل؟ أسجعا كسجع الكهان؟ لأن التكلف في سجعهم فاش، ولو كرهه عليه الصلاة والسلام لكونه سجعاً لقال: أسجعاً؟ ثم سكت، وكيف يذمه ويكرهه وإذا سلم من التكلف، وبريء من التعسف لم يكن في جميع صنوف الكلام أحسن منه.

وقد جرى عليه كثير من كلامه عليه الصلاة والسلام، فكان أول شيء تكلم به لما قدم المدينة أن قال: «أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام» (رواه الترمذي) فكل هذا يؤذن بفضيلة التسجيع على شرط البراءة من التكلف والخلو من التعسف» (١٥).

يتضح من هذا أن أبا هلال العسكري يجيز السجع إذا كانت الألفاظ المسجوعة حلوة رخمة، تابعة للمعنى وخالية من التكلف والتعسف الممقوت.

٣- الشيخ عبدالقاهر الجرجاني ت ٤٢١ هـ: والشيخ عبدالقاهر الجرجاني يستحسن السجع ويجيزه، ولم ينكره إلا بما أنكره به غيره، أي بالتكلف والتعسف الذي يفسد الكلام ويحط من قيمته الجمالية، فهو يلح إلحاحا شديدا على فكرة أن السجع المقبول هو السجع الذي لا يخضع المتكلم المعنى له، بل

يقوده المعنى إليه، حتى إنه لو رام تركه إلى خلافه مما لا سجع فيه، لدخل في عقوق المعنى، وأدخل الوحشة إليه (١٦)، وقد ذكر له أمثلة كثيرة نذكر منها قول الرسول ﷺ «لا تزال أمتي بخير ما لم تر الفيء مغنما، والصدقة مغرما» (١٧)، وقوله أيضا: «يأيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام» (١٨).

ثم يقول: «ولن تجد أيمن طائرا، وأحسن أولا وآخرا، وأهدى إلى الإحسان، وأجلب للاستحسان، من أن ترسل المعاني على سجيتها، وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ، فإنها إذا تركت وما تريد لم تكتس إلا ما يليق بها ولم تلبس من المعارض (١٩) إلا ما يزينها، فإما أن تضع في نفسك أنه لابد من أن تسجع بلفظين مخصوصين فهو الذي أنت منه بعرض الاستكراه، وعلى خطر من الخطأ والوقوع في الذم» (٢٠).

٤- ابن سنان الخفاجي ت ٤٦٦ هـ:
لقد ذهب ابن سنان الخفاجي إلى إثبات السجع القرآني، ورد على الرماني وغيره من المخالفين الذين فرقوا بين فواصل القرآن والسجع، فقالوا إن الفواصل بلاغة والسجع عيب، لأن الفواصل تابعة للمعاني، والأسجاع تتبعها المعاني، وفي هذا السياق يقول: «أما قول الرماني أن السجع عيب والفواصل بلاغة على الإطلاق فغلط، لأنه إن أراد بالسجع ما يكون تابعا للمعنى، وكأنه غير مقصود فذلك بلاغة، والفواصل مثله، وإن كان يريد بالسجع ما تقع المعاني تابعة له، وهو مقصود متكلف، فذلك عيب، والفواصل مثله، وكما يعرض التكلف في السجع عند طلب تماثل الحروف، كذلك يعرض في الفواصل عند طلب تقارب الحروف» (٢١)، وعنده أن لا فرق بين الفواصل والسجع، وأن السجع يحمد إذا وقع سهلا بعيدا عن التكلف والتعسف، وفي هذا الصدد يقول: «والمذهب الصحيح أن السجع محمود إذا وقع سهلا متيسرا بلا كلفة ولا مشقة، وبحيث يظهر أنه لم يقصد في نفسه ولا أحضره إلا صدق معناه دون موافقة لفظه...» (٢٢)، ويقول أيضا: إن القرآن الكريم لم يرد فيه إلا ما هو من القسم المحمود لعلوه في الفصاحة (٢٣).

٥- ضياء الدين بن الأثير ت ٦٣٧هـ:
لقد سار ضياء الدين بن الأثير على نهج ابن سنان الخفاجي يثني على السجع ويعتبره أعلى درجات الكلام، ويقول: «لو كان السجع مذموما لما ورد في القرآن الكريم، فإنه أتى منه بالكثير، حتى إنه ليؤتى بالسورة جميعا مسجوعة كسورة الرحمن، وسورة القمر، وغيرهما، وبالجملة لم تخل منه سورة من سور القرآن» (٢٤).

وقد اتهم الذين ذموا السجع وأنكروه بالعجز عن المجيء به في كلامهم، كما أجاب عن قول الرسول ﷺ «أسجعا كسجع الكهان» بقوله: «والجواب عن ذلك أن النهي لم يكن عن السجع نفسه وإنما النهي عن حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع، ألا ترى أنه لما أمر رسول الله ﷺ في الجنين بغرة عبد، أو أمة قال الرجل: أأدي من لا شرب ولا أكل ولا نطق، ولا استهل، ومثل ذلك يطل؟ فقال الرسول ﷺ: أسجعا كسجع الكهان. أي أتتبع سجعا كسجع الكهان؟ وكذلك كان الكهنة كلهم، فإنهم إذا سئلوا عن أمر جاءوا بالكلام مسجوعا...» (٢٥).

الفريق الثاني: المنكرون

ويستندون إلى أن السجع منهي عنه شرعا، وأن القرآن الكريم لا يساويه شعر ولا يضاهيه سجع، ولا يجوز في حق القرآن أن يحوي سجع، وأنه لو صح في القرآن سجع لكان مذموما، ولعل أشهر المنكرين للسجع القرآني الرماني والباقلاني.

١- الرماني ت ٣٨٦هـ: أنكر الرماني السجع القرآني، وتحرج من تسمية ما في القرآن الكريم من فواصل سجعا، واعتبر الفواصل بلاغة والأسجاع عيبا، فقال في باب الفواصل: «الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني، والفواصل بلاغة، والأسجاع عيب» (٢٦). وعلل رأيه هذا بقوله: «وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها» (٢٧).

ثم يستطرد فيقول: «وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة، لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها، وإنما أخذ السجع في الكلام من سجع الحمامة، وذلك أنه ليس فيه إلا الأصوات المتشاكلة، كما ليس في سجع الحمامة إلا الأصوات المتشاكلة، إذ كان المعنى لما تكلف من غير وجه الحاجة إليه والفائدة فيه لم يعتد به، فصار بمنزلة ما ليس فيه إلا الأصوات المتشاكلة» (٢٨).

وقد سبق أن رأينا أن ابن سنان الخفاجي خطأ الرماني، ورد عليه بما يه الكفاية (٢٩).

٢- الباقلاني ت ٤٠٣ هـ: كان القاضي أبو بكر الباقلاني «أوفى من أفاض في نفي السجع عن أسلوب الذكر الحكيم بأدلة سجلها في إعجاز القرآن» (٣٠)، فقد عرف رحمه الله برفض السجع، وشدد النكير على ذلك، وهو في هذا الرأي تابع لأستاذه الشيخ أبي الحسن الأشعري يقول: «ذهب أصحابنا كلهم



(٣١) إلى نفي السجع من القرآن، وذكره الشيخ أبوالحسن (٣٢) في غير موضع من كتبه، وذهب كثير ممن يخالفهم إلى إثبات السجع في القرآن ، وزعموا أن ذلك مما يبين به فضل الكلام، وأنه من الأجناس التي يقع بها التفاضل في البيان والفصاحة، كالتجنيس والالتفات وما أشبه ذلك من الوجوه التي تعرف بها الفصاحة» (٣٣).

ثم يخطئ رأي الذين يقولون بالسجع في القرآن الكريم، ويعتقد عدم صحته، وفي هذا السياق يقول: «وهذا الذي يزعمونه غير صحيح، ولو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك إعجاز ، ولو جاز أن يقال هو سجع معجز لجاز لهم أن يقولوا شعر معجز، وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب؟ ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر، لأن الكهانة تنافي النبوات وليس كذلك الشعر» (٣٤).

والذي دفع الباقلاني إلى نفي السجع عن القرآن هو أنه ظن أن النبي ﷺ قد ذم السجع ونهى عنه في حديث الجنين، وفي هذا السياق يقول: «وقد روي أن النبي ﷺ قال للذين جاءوه وكلموه في شأن الجنين: كيف ندي من لا شرب ولا أكل، ولا صاح فاستهل، أليس دمه قد يطل؟ فقال: أسجاعة كسجاعة الجاهلية؟» (٣٥).

لقد فهم الباقلاني أن هذا الحديث ورد في ذم السجع والنهي عنه، لذلك استمر يسوق الأدلة في نفي السجع ويرد على حجج المعارضين فيقول: «والذي يقدرونه أنه سجع فهو وهم، لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع وإن لم يكن سجعا ، لأن ما يكون به الكلام سجعا يختص ببعض الوجوه دون بعض، لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يودي السجع ، وليس كذلك ما اتفق مما هو في تقدير السجع من القرآن، لأن اللفظ يقع فيه تابعا للمعنى. وفصل بين أن ينتظم الكلام في نفسه، بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه، وبين أن يكون المعنى منتظما دون اللفظ، ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت إفادة السجع كإفادة غيره، ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلبا لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى» (٣٦).

منكرو السجع في القرآن يرون أن القرآن لا يساويه شعر ولا يضاهيه سجع

ويقول أيضا: «وأما ما ذكروه من تقديم موسى على هارون عليهما السلام في موضع، وتأخيره عنه في موضع، لمكان السجع، ولتساوي مقاطع الكلام، فليس بصحيح، لأن الفائدة عندنا غير ما ذكروه، وهي أن إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحدا، من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة، وتتبين فيه البلاغة، وأعيد كثير من القصص في مواضع مختلفة، على ترتيبات متفاوتة، ونبهوا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله، مبتدأ به ومكررا ولو كان فيهم تمكن من المعارضة لقصدوا تلك القصة، فعبروا عنها بألفاظ لهم تؤدي تلك المعاني وتحويها، وجعلوها بإزاء ما جاء به، وتوصلوا بذلك إلى تكذيبه وإلى مساواته فيما جاء به، وكيف وقد قال لهم: «فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين» (الطور: ٣٤) فعلى هذا يكون المقصد- بتقديم بعض الكلمات وتأخيرها- إظهار الإعجاز علي الطريقين جميعا، دون السجع الذي توهموه» (٣٧).

وهكذا يستمر الباقلاني يفند حجج المعارضين إلى أن يقول: «فلو رأوا أن ما تلي عليهم من القرآن سجع لقالوا: نحن نعارضه بسجع معتدل، فنزيد في الفصاحة على طريقة القرآن ، ونتجاوز حده في البراعة والحسن» (٣٨).

هذا ملخص ما استدل به الباقلاني على نفي السجع عن القرآن الكريم، والملاحظ أنه لم يخرج عن رأي سابقه علي بن عيسى الرماني، وأنه يردد ما ذكره من أن فواصل القرآن تختلف عن السجع اختلافا تاما، إذ الفواصل تابعة للمعاني أما الأسجاع فالمعاني تابعة لها، ومن أجل ذلك يتضح فيه التكلف والثقل.

وللدكتور محمد رجب البيومي من المعاصرين بحث قيم في الرد على الباقلاني، حيث أجمل أدلة الباقلاني ورد عليه بما فيه الكفاية، ومما قاله في قول الباقلاني: «وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب....» ، يقول: «وإذا كان السجع مما ألفه الكهان من العرب في الجاهلية، فذلك لا يمنع أن تأتي بعض الآيات الكريمة مسجوعة دون اشتباه بينها وبين سجع الكهان، لأن السجع الجاهلي لم يكن حجرا محجورا على الكهنة والمتكهنين حتى يلحق به كل سجع يقال، إنما تداوله الخطباء والمنافرون والمتحدثون تداولا لا يشتبه في شيء بما تنطق به الكهان من سجعات، ولذلك لم يجرؤ جاحد من أعداء الرسالة أن يلحق أسلوب القرآن بسجع هؤلاء عن صدق موقن، وإنما هو تخبط ضال كتخبط من نسب القرآن

للشعر سواء بسواء» (٣٩).

وفي قوله أيضا: «وأما ما ذكروه من تقديم موسى على هارون عليهما السلام في موضع، وتأخيره عنه في موضع لمكان السجع»، يقول د. البيومي: «أتعب الرجل نفسه في غير طائل، فقد اجتهد في تسطير ما تقدم ليثبت أن التقديم والتأخير في كلمتين ذكرتا في أسلوبين مختلفين ليعجزا قوما تصدوا للمعارضة فضلوا، إذ لو قدروا علي ذلك لأتوا بألفاظ مماثلة تؤدي تلك المعاني وتحويها، وقد نسي الباقلاني رحمه الله أن المعجز يكون بتأليف القصة جميعها في نسق يقرب من نسق القرآن، أما تقديم لفظ على لفظ فليس وحده دليل الإعجاز ومتى نظرنا إلى الأسلوب القرآني هذه النظرات الجزئية المبتورة فقد أخطأنا طريق الإعجاز» (٤٠).

رأيي في وقوع السجع في القرآن

والذي أراه أن السجع فن كأي فن من فنون البلاغة، وإذا اقتضاه الحال واستلزمه المقام كان من صميم البلاغة، أما إذا كان المراد به مراعاة موالاة الكلام على وزن واحد دون مراعاة المعنى فإن هذا تكلف غير مقبول، كما أن تركه وعدم استعماله إذا استلزمه الحال إخلال بالبلاغة كما ذكر الشيخ عبدالقاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة في قوله: «فقد تبين من هذه الجملة أن المعنى المقتضي اختصاص هذا النحو (٤١) بالقبول هو أن المتكلم لم يقد المعنى نحو التجنيس والسجع، بل قاده المعنى إليهما، وعبر به الفرق (٤٢) عليهما، حتى إنه لو رام تركهما إلى خلافهما مما لا تجنيس فيه ولا سجع، لدخل في عقوق المعنى، وأدخل الوحشة عليه» (٤٣).

والذين أنكروا السجع القرآني إنما أنكروا الاسم لا المسمى، فقالوا «فاصلة» بدل «سجع»، كما قالوا «مصحف» ولم يقولوا «مجلد»، وقالوا «آية» ولم يقولوا «جملة»، وقالوا «ترتيل» ولم يقولوا «إنشاد»، وكذلك قالوا «فاصلة» ولم يقولوا «سجع»، فالأمر إذن اصطلاح وتأدب مع القرآن الكريم، ولذا قال الأستاذ هاشم محمد هاشم «إن التحرج الذي أظهره بعض العلماء من إطلاق هذا الاسم على ما ورد منه في القرآن إنما نشأ من ارتباط السجع في أذهانهم بسجع الكهان، وأن التكلف يصاحبه في كثير من الأحيان، فأرادوا أن يجنبوا القرآن حتى مجرد التشابه في الاسم وأطلقوا على ما في القرآن اسم الفواصل...» (٤٤). وأيا ما كانت التسمية فإن السجع السليم من التكلف محمود ومظهر من مظاهر الاقتدار على البلاغة والامتلاك لزمام الفصاحة، والكلام المشتمل عليه له أثره في النفوس والآذان.

الهوامش

١- لسان العرب للإمام جلال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، مادة «سجع»، (٨/ ١٥٠).
٢-المصدر السابق، مادة «سجع»، (٨/ ١٥٠).
٣- الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع «مختصر تلخيص المفتاح» للخطيب القزويني، دار الجيل، بيروت، (د.ت) ص: ٢٢٢.
٤- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان لابن قيم الجوزية، القاهرة، ١٣٢٧ هـ، ص: ٢٢٦.
٥- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ص: ٢٢٦.
٦- الإيضاح في علوم البلاغة، ص: ٢٢٢.
٧- الطل: هو هدر الدم، لسان العرب، مادة «طلل»، (١١/ ٤٠٥).
٨- السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق الشيخ محمد علي قطب والشيخ محمد الدالي بلطة، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠١- (١/ ١٤).
٩- السيرة النبوية لابن هشام، (٤/ ١٩١).
١٠- البيان والتبيين، لأبي عثمان بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ط٢ (د.ت)، (١/ ٢٨٩-٢٩٠).
١١- نفسه، (١/ ٢٨٧).
١٢- نفسه، (١/ ٢٨٤)، والحديث رواه الترمذي في سننه، كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الزهادة في الدنيا، حديث رقم: ٢٣٤٢.
١٣- البيان القرآني عند الجاحظ للدكتور هاشم محمد هاشم، جامعة الأزهر، ص: ١٨٢-١٨٣.
١٤- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري، تحقيق د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ص: ٢٨٥-٢٨٦.
١٥- كتاب الصناعتين، ص: ٢٨٦.
١٦- أسرار البلاغة للشيخ عبدالقاهر الجرجاني، شرح وتعليق وتحقيق د. محمد عبدالمنعم خفاجي ود. عبدالعزيز شرف، دار الجيل، بيروت، ط١/ ١٤١١هـ-١٩٩١م، ص: ٣٠.
١٧- نفسه، ص: ٢٩.
١٨- نفسه، ص: ٢٩.
١٩- المعارض: جمع معرض، وهو الثوب تجلى فيه الجارية، القاموس المحيط للفيروز ابادي، إعداد وتقديم عبدالرحمن المعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢/ ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، (٢/ ٨٧٥).
٢٠- أسرار البلاغة، ص: ٣٠.
٢١- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، تحقيق علي فودة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢/ ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، ص: ١٦٦.
٢٢- سر الفصاحة، ص: ١٦٣.
٢٣- نفسه، ص: ١٦٥.
٢٤- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير، تحقيق د. أحمد الحوفي ود. بداوي طبانة، دار نهضة مصر، (١/ ٢١٠ وما بعدها).
٢٥- نفسه، (١/ ٢١٠ وما بعدها).
٢٦- النكت في إعجاز القرآن للرماني ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القران، تحقيق وتعليق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، ط٤، ص: ٨٩.
٢٧-نفسه، ص: ٨٩.
٢٨- النكت في إعجاز القرآن ص: ٩٠.
٢٩- انظر سر الفصاحة، ص: ٢٨.
٣٠- البيان القرآني للدكتور محمد رجب البيومي، الدار المصرية اللبنانية، ط٢/ ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ص: ١٢١.
٣١- يقصد الأشاعرة.
٣٢- هو إمام الأشاعرة (٢٧٠ هـ-٣٣٠هـ).
٣٣- إعجاز القرآن لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تقديم وشرح وتعليق الشيخ محمد شريف سكر، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١/ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ص: ٩٨.
٣٤- نفسه، ص: ٩٩-١٠٠.
٣٥- نفسه، ص: ١٠٠.
٣٦- إعجاز القرآن للباقلاني، ص: ١٠٠.
٣٧- إعجاز القرآن، ص: ١٠٥-١٠٦.
٣٨- نفسه، ص: ١١٠.
٣٩- البيان القرآني، ص: ١٢٢.
٤٠- البيان القرآني، ص: ١٢٢-١٢٣.
٤١- أي السجع.
٤٢- أي الخوف والفزع، القاموس المحيط، مادة «فرق»، (٢/ ١٢١٥).
٤٣- أسرار البلاغة، ص: ٣٠.
٤٤- البيان القرآني عند الجاحظ، ص: ١٨٧.



تأمُّلٌ وعتاب


أحمد بشار بركات

إنـي سَحَـرتُ بـروعـة الـتـكـويـن
وبـدائـع الإعـجـاز كـم تـسـبـيـنـي!
مُـتـدبـر صُـنـع الـبـديـع وخـلـقـه
وتـفـكّـري فـي الـلـهِ زادَ يـقـيـنـي
أرضٌ تـظـلّـلـهـا الـسـمـاءُ وأنـهـرٌ
والـصـخـرُ فـجّـرَ مـنُـه مـاء عـيـونِ
أشـجـارهـا وثـمـارهـا فـي كـثـرةٍ
عــزّتْ عـلـى الإحـصـاء والـتـعـيـين
ومـن الـبـحـار عـوالـمٌ كـم تـزدهـي
أنَّـى نـظـرتُ لـهـا تـسـرّ عـيـونـي
والـطـيـر يـجـري فـي الـفـضـاء مُحلّقًا
ومُـسـبّـحًـا أبـدًا بـلا تـلـقـينِ
يـانـفسُ مـاجـدوى الحـيـاة بـلا تُـقـىً
أمّـارةٌ بـالـسـوءِ أنـتِ دعـيـنـي!
طـمـعًـا تـريـديـن المـزيـد إلـى مـتـى!
مـا قـد حـبـانـي خـالـقـي يـكـفـيـنـي
لا لـن أطـيـع هـواكِ فـهـو مُـعـذّبـي
والمـال، بـئـسَ المـال! إذ يـطـغـيـنـي
ولـقـد أفـدتُ مـن الـتـجـارب حـكـمـةً
هـي أنّ تـقـوى الـلّـه أصـل الـديـنِ
إنّـي الـشـقـيّ إذا اتّـبـعـتـكَ طـائـعًـا
لـلـمـهـلـكـات ولـلـعـذاب الـهـون
وأنـا الـسـعـيـد إذا عـصـيـتـك دائـمًـا
وأطـعـتُ ربّـي خـالـقـي ومـعـيـنـي
خـيـرَ الجـزاء أنـال ثـمّ مـن الـتـقـى
والـلّـه فـي جـنّـاتـه يـؤويـنـي

* شاعر سوري

ثمرات المطابع



• معالم الإسلام: كتاب يقع في نحو ٢٤٨ صفحة من القطع المتوسط من تأليف د. أحمد محمود كريمة، والكتاب عرض مبسط موثق لوسائل ومقاصد الإسلام وتعريف أمين وإبلاغ وتذكرة بدين الإسلام.



• المحكمة الإلهية الكبرى: يقع في نحو ٣٠٥ صفحة من القطع المتوسط، يستعرض فيه المؤلف محمود رداوي موضوع الخالق والخلق والمحكمة الإلهية الكبرى، وهي العناصر التي أوحى الله بها إلى الرسل ليبلغوها للعباد.



• سيد نوح.. قصة داعية: كتاب يقع في نحو ١٨٢ صفحة من القطع الصغير قام بإعداده وجمعه الحسين موسى قاسم وهو يستعرض سيرة الداعية سيد نوح يرحمه الله ودوره في مسيرة الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.



المعاني البديعة في معرفة اختلاف أهل الشريعة

التحرير

الفن: الفقه المقارن
سنة النشر: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م
رقم الطبعة: الأولى
عدد المجلدات: مجلدان
إصدار: وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء.

التعريف بالمصنِّف

هو: جمال الدين محمد بن عبدالله الحبيشي الريمي، ولد سنة ٧١٠هـ في الصّردف، من بيت علم وديانة وفقه وأمانة، فجده وأبوه وعمه كلهم من الفقهاء، وتوفي سنة ٧٩٢هـ.

من أهم تصانيف المؤلف

الانتصار لعلماء الأمصار.
كشف الخيال عن مدعي الدجال.
اتفاق العلماء.
بغية الناسك في كيفية المناسك.
التحقيق في حكم مبغض الحرية من الرقيق.
الدر النظيم المنتقى من كلام الترمذي الحكيم.
التفقيه في شرح التنبيه.
عمدة الأمة في اجتماع الأئمة.
النجم الثاقب في بغية الحاسب.
الكفاية في بيان فضل السّبَق والرماية.

أهمية كتاب المعاني البديعة في معرفة اختلاف أهل الشريعة

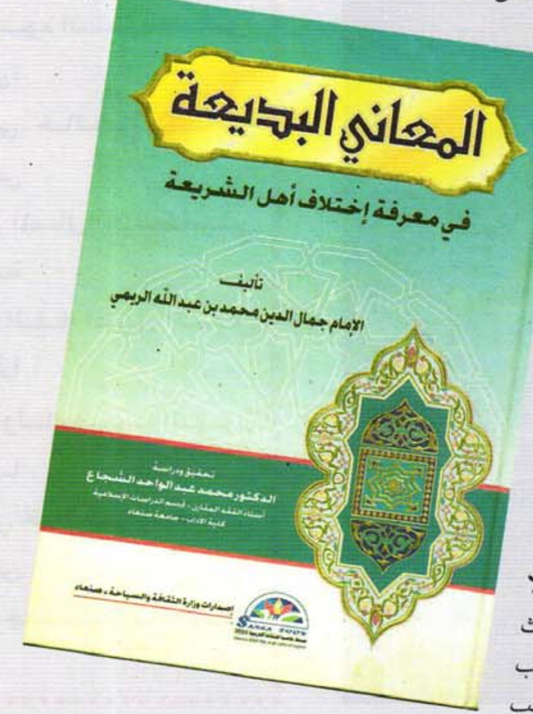
هو كتاب شامل لجميع أبواب الفقه، ملمّ بجميع أقوال واجتهادات المذاهب المشهورة والغابرة، بحيث لا يكاد يوجد له مثيل من نوعه، من حيث شموله وتعرضه لجميع أقوال المذاهب المتبوعة وغيرها، دون تعصب لمذهب بعينه، إضافة إلى أنه جاء مختصرا اختصارا وسطا، بعيدا عن الإيجاز المخل والبسط الممل.

سبب تأليفه

أوضح المؤلف في مقدمة كتابه السبب الذي حداه إلى جمع هذا التصنيف، حيث ذكر أنه اطلع على كتاب الإجماع لابن حزم، فأزعجه ادعاء الإمام أبي محمد للإجماع في كثير من المسائل وهو غال في ذلك، واعتبر أن السكوت عنه لا يجوز، فأقدم على تأليف كتابه هذا لتبيان محالّ الخلاف والنزاع بين العلماء في مسائل الفقه، مبينا يسر الشريعة وسماحتها، ما دام الخلاف في إطاره المشروع، وضمن قواعده المقررة ونصوصه الضابطة.

منهج المصنِّف في كتابه

- رتب المؤلف كتابه على ترتيب المهذب لأبي إسحاق الشيرازي.



- جعل في أول كل مسألة ميما بالحمرة علامة لأولها، وانفصالها عما تقدمها ليسهل على الطالب تناولها.
- أهمل ذكر دلائل الترجيح، تحاشيا للتطويل والتفصيل.
- يقدم قول الشافعي في كل مسألة، ثم يتبعه بقول الصحابي أو أحد الأئمة الآخرين أو التابعين، وهذا في الغالب.
- عند المتابعة للكتاب لا يظهر أن للمؤلف استقلالا في النظر، بل هو تابع للفقه الشافعي؛ إلا ما ندر.
- يذكر المسائل الفقهية دون أن يحيل على مصدر بعينه.

من موارد المصنف في كتابه

اعتمد رحمه الله على جملة مصادر منها:

- المعتمد في الفقه الشافعي للبندنيجي.
- المهذب.
- التنبيه.
- النكت للشيرازي.
- مراتب الإجماع لابن حزم.
- إحياء علوم الدين.
- الوسيط.
- الوجيز.
- البسيط للغزالي.
- البيان للعمراني.
- النهاية للجويني.
- حلية العلماء للشاشي.
- شرح التلخيص للسنجي.
- الشامل لابن الصباغ.
- جامع الترمذي.
- الغاية للعز بن عبدالسلام.
- البيان في آداب حملة القرآن.
- المجموع شرح المهذب للنووي.

- شرح التنبيه للطبري.
- تهذيب النكت للبغوي.
- الكافي للخوارزمي.
- الموطأ للإمام مالك.
- فتاوى القاضي حسين.

ما تضمنه القسم الأول من تحقيق الكتاب:

الباب الأول: عصر المؤلف
الفصل الأول: الحالة السياسية
الفصل الثاني: الحالة العلمية
المدارس
العلماء
الباب الثاني: حياة المؤلف
الفصل الأول: نشأته
اسمه ومولده
نسبه
بيئته
وفاته
الفصل الثاني: علمه
شيوخه
أقرانه
تلاميذه
نتاجه العلمي
الباب الثالث: دراسة نص الكتاب
الفصل الأول: التعريف بالكتاب
اسم الكتاب
سبب تأليفه
منهج المؤلف في الكتاب
مكانة الكتاب بين كتب الفقه المقارنة

الأبواب الفقهية التي تضمنها كتاب (المعاني البديعة)

كتاب الطهارة (٣٢٤ مسألة)
كتاب الصلاة (٦٧٩ مسألة)
كتاب الجنائز(١٢٣ مسألة)
كتاب الزكاة (٣٠١ مسألة)
كتاب الصيام (١٦٨ مسألة)
كتاب الحج (٧٠٢ مسألة)
كتاب البيوع: (٣٥٧ مسألة)
كتاب النكاح والطلاق (١٠٩٠ مسألة).
كتاب الجنايات والديات (٢٤٢ مسألة).

أمثلة على دراسة المؤلف لبعض المسائل الفقهية

مسألة: تعجيل الزكاة

قال رحمه الله (المعاني البديعة: ١/٥٨٦): عند الشافعي وابن عمر وعطاء والأوزاعي وسعيد بن جبير والنخعي والزهري وأبي عبيد وأبي ثور وأحمد وإسحق وأبي حنيفة وأصحاب الرأي وزيد بن علي وسائر الزيدية وأكثر العلماء: «كل مال وجبت فيه الزكاة بالحول والنصاب إذا ملك النصاب جاز تعجيل الزكاة فيه قبل مضي الحول، وكذا يجوز تعجيل كفارة اليمين قبل الحنث».

وعند ربيعة وداود وكذا من الزيدية الناصر: لا يجوز التقديم فيها.

وعند مالك والليث: يكره تعجيل الزكاة قبل وقتها.

وعند الثوري: المستحب ألا يعجلها.

وعند ابن سيرين: لا يعجلها.

وعند الحسن البصري وابن المنذر إن عجلها لم يُجْزه، وعليه الإعادة كالصلاة.

وعند أبي حنيفة يجوز تقديم الزكاة قبل الحول، وبه قال أبوعبيد بن حرب من الشافعية.

مسألة: صوم المسافر

قال رحمه الله (المعاني البديعة: ١/٦١٠): عند الشافعي وابن عباس وأنس وأبي سعيد الخدري وسائر الصحابة وسعيد بن المسيب وعطاء والحسن البصري والنخعي وسعيد بن جبير ومجاهد والأوزاعي والليث يصح صوم المسافر.

وعند أبي هريرة وداود وأهل الظاهر والشيعة من الإمامية لا يصح.

وعند سعيد بن جبير في رواية وابن عمر يكره الصوم في السفر.

وعن أبي عمر أيضا أن من صام في السفر قضاه في الحضر، وبه قالت الإمامية أيضا.

وعند بن عوف الصائم في السفر كالمفطر في الحضر.

وعند ابن عباس في رواية لا يجزيه الصوم في السفر.

وعند ابن المنذر إن شاء صام وإن شاء أفطر.

مسألة: الأفضل في أنساك الحج

قال رحمه الله (المعاني البديعة: ١/٦٨٠): عند الشافعي هل الأفضل الإفراد أو التمتع أو القِران؟ فيه أقوال، أصحها أن الإفراد أفضل، وبه قال مالك والأوزاعي وأبو ثور وابن عمر وجابر وعائشة، ومن الزيدية يحيى.

والثاني أن التمتع أفضل، وبه قال أحمد وإسحاق، ومن الزيدية الناصر والباقر والصادق وأحمد بن عيسى.

وعند أبي يوسف وابن حي التمتع بمنزلة القِران.

والثالث: أن القِران أفضل، وبه قال الثوري وأصحاب الرأي وأبوحنيفة وزفر، ومن الزيدية يحيى أيضا، واختاره من الشافعية المزني وأبو إسحق المروزي وابن المنذر أيضا.

مسألة ما لا يعتبر فيه الذكاة

قال رحمه الله (المعاني البديعة: ١/٨٥٠): عند الشافعي ومالك وكذا أحمد في رواية: ما لا يعتبر فيه الذكاة كالسمك والجراد وما يحل من دواب البحر ما مات منه بسبب أو بغير سبب، مثل إن ضربه إنسان أو حبس عنه الماء حتى مات أو مات بحرّ الماء أو ببروده أو مات حتف أنفه.

وعند أبي حنيفة: إن مات بسبب؛ إما بضربه أو بحبس الماء: حَلّ أكله وإنْ مات ببرد الماء أو بحرّه فهل يحل؟ فيه روايتان، وإن مات حتف أنفه لم يحلّ، وبه قال كافة الزيدية.

وهذه المسألة هي المشهورة بأكل السمك الطافي.

وعند الإمامية: إن طفا على ظهره فهو ميتة لا يؤكل، وإن طفا على وجهه فهو مذكى فيؤكل، وطردوا هذا التفصيل فيما إذا وُجدت سمكة على ساحل البحر أو شاطئ النهر ولا يُعلم هل هي ميتة أو مذكاة؛ قالوا: فتلقى على الماء فإن طفت على ظهرها فهي ميتة فلا تؤكل، وإن طفت على وجهها فهي مذكاة فتؤكل.

يعرَّف الاستشراق بأنه دراسة الحضارات الشرقية كحضارة الصين والهند وفارس بصفة عامة والحضارة الإسلامية من كل الجوانب المادية والمعنوية من خلال دارسين غربيين، عادة ما يكونون أوروبيين أو أميركيين من غير المسلمين خاصة، أو ممن يدينون بالإسلام أحيانا، يقومون بنقل صورة لا تقترب كثيرا من الحقيقة عن الإسلام، وغالبا ما يجافيها الحياد؛ لذا اعتبره كثير من العلماء حربا موجهة ضد الإسلام، وتتطلب استنفار الجهود القوية للتصدي لمخططاته.. «الوعي الإسلامي» سألت عددا من علماء الأمة عن الاستشراق، ما له وما عليه.

الاستشراق.. حرب متجددة ضد الإسلام (٤/١)

إيهاب نافع

بداية يقول، أستاذ ورئيس قسم الأديان والمذاهب بجامعة الأزهر، د.عبدالله سمك: إن الاستشراق هو دراسة الحضارات الشرقية كحضارة الصين والهند وفارس بصفة عامة والحضارة الإسلامية بصفة خاصة، وهذه الدراسة تشمل كل الجوانب المادية والمعنوية، ويقوم بهذه الدراسة أوروبي أو أميركي غير مسلم بصفة خاصة أو غربي يدين بالإسلام بصفة عامة، وتختلف دوافع تلك الدراسة، وبالتالي تتفاوت فئات المستشرقين ومن ثم الحكم عليهم.

وعلاقة الشرق بالغرب علاقة قديمة ترجع إلى ما قبل ميلاد المسيح عيسى- عليه السلام- والاستشراق ولد في أحضان بلاد الأندلس الإسلامية، إذ كان الإسلام هو القوة الدافعة له، وأنه عاش قرونا طويلة في كنف الكنيسة والاستعمار- ولا يزال- بوجه عام، ومر بأطوار مختلفة خلال تاريخه الطويل تكوينا وتقدما وانطلاقا.. مشيرا إلى أن الاستشراق أصبح في السنوات الأخيرة يعيش في دائرة محدودة ضيقة بعد السيول الجارفة من أبحاث المستشرقين التي شهدها القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين،

الاستشراق في ميزان الإسلام والرد على شبهات الطاعنين والمستشرقين تأليف أ.د/ عبد الله علي عبد الحميد سمك أستاذ ورئيس قسم الأديان والمذاهب السابق بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة أ.د/ عادل محمد محمد درويش أستاذ الأديان والمذاهب ووكيل كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

وأصبح الاستشراق يعيش الآن في البيئات الأوروبية بعد أن أغلق الشرق العربي أبوابه في وجه المستشرقين عامة، والاستشراق وإن كان في أزمة فإنه يبقى المصنع الأساسي لمخططات التغريب، إذ يساير تطور دراسات الاستشراق تطور السياسة الاستعمارية.

ويرى الباحث والكاتب طارق سري، أن هناك دوافع عديدة ومتنوعة للاستشراق بين ما هو ديني وثقافي وعلمي وسياسي واقتصادي، أما الدافع الديني فيبرز في أن الإسلام كان في عصر النهضة الإسلامية، وكانت اللغة العربية لغة العلم والثقافة والسبيل الوحيد للنهوض والازدهار وكانت أقوم طريق لفهم الكتب المقدسة وفلسفتها، فتسابق في حينها أصحاب الديانات الأخرى إلى تعلم اللغة العربية وتعليمها للمواطنين، ومن ثم كان الدافع الديني دافعا قويا لانتشار الإسلام واللغة العربية وظهور الاستشراق، فأنشأت دول الغرب معاهد ومدارس ومراكز لتعليم لغات الشرق وأديانه، كما فزعت دول الغرب مؤخرا من انتشار اعتناق الكثيرين من الغربيين للإسلام؛ مما دعاهم أكثر لدراسة عقائد الإسلام وتاريخ شعوبه لأمور، أهمها تشويه صورة الإسلام أمام الغرب حتى لا يعتنقه أحد من بني جلدتهم، وتشكيك عوام المسلمين وأنصاف المثقفين ووضع علماء الإسلام في موقف الدفاع دائما، حتى لا ينشغلوا بنقد كتاباتهم وعقائدهم المحرفة والباطلة، ودراسة الشعوب الإسلامية اجتماعيا وتاريخيا واقتصاديا حتى يستطيع الاستعماريون فهم طبيعة تلك الشعوب ويستطيع المنصرون معرفة وفهم تلك الشعوب الإسلامية.. مستشهدا بما قاله هوفان استنجل: «إننا يجب أن نكسب وجهات نظر جديدة لعقائدنا

صحافي مصري

المسيحية بناء على فهمنا العميق للتعاليم الإسلامية وفهمنا لنفسية المسلم المتدين، وذلك حتى نتجنب نقاط الضعف فيما يستخدمه من أدلة حتى اليوم، وحتى نبني من جديد دفاعا جديدا عن العقيدة المسيحية، دفاعا يضع في حسابه روح الإسلام والتطور الفكري للمسلمين فيما يتعلق بعقائدهم خلال ما يزيد على ألف عام»، وعليه ندرك أنهم كانوا يستغلون نقاط الضعف الاجتماعية من فقر وخلافه، كما أنهم سعوا إلى إظهار المسيحيين دائما وبخاصة من يعيشون في كنف وجوار الدول الإسلامية في موطن الأقلية المظلومة والمضطهدة. إذن يمكن أن نخلص في ذلك إلى أن الباعث الديني للاستشراق في بداية الأمر كان لعرقلة التحول من المسيحية إلى الإسلام، ثم تطور إلى محاولة تشكيك المسلمين أنفسهم في عقيدتهم بزعزعة المثل العليا للإسلام في نفوس أبنائه من ناحية وإثبات تفوق الحضارة الغربية وعظمتها من ناحية أخرى.

ويشير سري إلى أن من بين الدوافع الثقافية للاستشراق السعي إلى هيمنة الثقافة المسيحية عن طريق العولمة الثقافية، إذ يحاول المستشرقون خلق ثقافة موحدة، وذلك أمر يتطلب جهدًا شاقًا وصراعا بين تلك الثقافات، ولكنهم يستندون إلى القوة العسكرية والاقتصادية لبلادهم والإمكانيات الإعلامية التي لا تملكها الكثير من الدول الشرقية، وفي ذلك حاولت أوروبا تطبيع الشعوب الواقعة تحت سيطرتها تحت نير احتلالها وتثقيفها ثقافة بعيدة كل البعد عن ثقافتها المتوارثة تاريخيا والتي تؤثر فيها عوامل عديدة أهمها الدين، وذلك من خلال مسخ الموروثات الثقافية والحضارية الخاصة بتلك الشعوب فضلا عن التشكيك في العلماء الشرقيين ومحاولة رفع شأن المستشرقين، حتى يصبح المستشرقون

د.عبدالله سمك: رافد أساسي لمخططات التغريب.. ومواجهته ضرورة

هم المرجع الأول والأخير للباحثين في الشرق والغرب.. مبينا أنهم استخدموا كذلك وضع الحروف اللاتينية بديلا عن الحروف الشرقية حتى يتيسر لهم أمر البحث وحتى تنسلخ الأمم الشرقية من أصالتها وتراثها؛ لأنه يعتمد على اللغة التي تحوي ماضي تلك الأمم.

ويبرز أن الدافع العلمي للاستشراق يعد من الدوافع المهمة والمؤثرة في الحضارة الغربية، إذ كانوا ينظرون إلى الإسلام نظرة تعجب وإبهار، فعملوا على دراسته ونشأت في الغرب رغبة الاطلاع على ما حققه الإسلام من مآثر حضارية حينما دخل العرب أسبانيا وصقلية، ولم يكن دخولهم فتحا لدولة أو جزيرة فحسب، بل كان فتحا لعهد جديد في مجال العلوم والفنون والحضارة والمدنية، وهو ما بعث يقظة حضارية في أوروبا وفتح للغرب آفاقا جديدة للتقدم والرقي، وكان حب الاستفادة من علوم العرب وتفهم حقيقة دينهم باعثا لدراسة شاملة للإسلام، وكان علماء أوروبا يحاولون الأخذ والاستفادة مما أنجزه العرب من اكتشافات جديدة وتجارب علمية.

ويستكمل الباحث طارق سري سرده لدوافع الاستشراق مبينا أن من أبرزها الدافع السياسي والاستعماري، إذ عني الملوك بتقديم يد العون والمساعدة للمستشرقين وتقريبهم؛ وذلك لأنهم يخدمون مخططاتهم في الهيمنة السياسية على الدول الشرقية، وبالأخص المخطط الاستعماري الذي بدأ بعد أن ضعف المسلمون وضعفت الدولة العثمانية، وقد مهد لهم المستشرقون من خلال أمور عدة، من بينها دراسة الدول المراد استعمارها وإظهار الحضارة الإسلامية بمظهر مخالف لحقيقتها، وإبراز الحضارة الغربية بمظهر أفضل للهيمنة ولزرع الضعف في نفوس الشعوب الشرقية وإبعاد المسلمين عن تعاليم دينهم، وبالتالي إبعادهم عن الجهاد ليظلوا تحت استعمارهم، ولعل مما يدلل على ذلك قول لورانس براون: «إن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الغربي»، مؤكدا أن أهم وأبرز دوافع الاستشراق الدافع الاقتصادي، إذ لازم الدافع الاستعماري الرغبة في نهب ثروات البلاد العربية وجعلها تتوقف عن الإنتاج وجعلها سوقا مستهلكة لمنتجاتهم، وكان الهدف الاقتصادي عاملا في دخول بعض رجال الدين ميدان الاستشراق من باب البحث عن الرزق عندما ضاقت بهم سبل العيش العادية فلجأ هؤلاء إلى إشباع رغبة قرائهم في الغرب بنقلهم صورا خرافية عن البلاد الإسلامية، كما أن من بينهم من لجأ للاستشراق تخلصا من مسؤولياتهم الدينية المباشرة في مجتمعاتهم المسيحية وتبرئة لذمتهم الدينية أمام إخوانهم في الدين، فيما لجأ له البعض لتغطية عجزهم الفكري عن الوصول إلى مستوى العلماء في العلوم الأخرى.

ويبين- أستاذ الشريعة بجامعة الأزهر- د.بركات دويدار أن أبرز ما تميز به الاستشراق هو تعدد وتنوع أساليبه.. ومنها اللجوء لإنشاء مدارس وجامعات غربية في قلب العالم الإسلامي، كما أنهم حين تطلعوا قديما للحضارة الإسلامية أنشأوا مدارس مستعربة في قلب العالم الغربي، وأعيد إنشاء بعض من هذه المدارس المستعربة ولكن الهدف تحول من الاستفادة بالعلوم التي

حصلتها الحضارة الإسلامية إلى تخريج مستشرقين يهيئون لضرب الحضارة الإسلامية، كما أيقن المستشرقون أن التعليم هو أفضل وسيلة لغسل العقول فنشروا المدارس الأجنبية داخل البلاد الإسلامية، ومن تلك المدارس كلية روبرت في إسطنبول والجامعة الأميركية في بيروت التي كانت تسمى الكلية السورية الإنجيلية، وهي التي أنشئت في عام ١٨٦٥م، وهي بروتستانتية وهي كما يقول المستشرق شتر: «إنها أرقى مدرسة في الإمبراطورية العثمانية، إن عمل الكلية التبشيري يتناول المسلمين في الدرجة الأولى، وهذا ما يجعلها بارزة في ذلك بين جميع المدارس الأميركية في الإمبراطورية العثمانية وإيران، إذ هي تهيئ المدرسين المبشرين للمدارس الأميركية المنتشرة في الشرق الأدنى»، ويوجد أيضا في لبنان جامعة القديس يوسف وهي جامعة باباوية كاثوليكية وتعرف الآن بالجامعة اليسوعية، وهناك الكلية الفرنسية في لاهور والمدارس الألمانية والإنجليزية والروسية وغيرها الكثير المنتشرة في ربوع العالم الإسلامي باسم التقدم العلمي والرقي في السلم التعليمي.

وللتنصير دور هام في إنشاء هذه المدارس التي تشوش على المبادئ الأساسية للإسلام التي يعرفها الطلاب، وتزوير الحقائق ومحاولة تخريج جيل جديد يدين لهم بالولاء، وفي ذلك يقول المنصر هنري حب: «إن التعليم في مدارس الإرساليات المسيحية إنما هو واسطة إلى غاية فقط، هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفرادًا مسيحيين»، ومن ذلك التعليم الأجنبي الذي يسهم دون شك في الغزو الثقافي الغربي لمجتمعاتنا الإسلامية، ويساعد في تغريب الأجيال الجديدة وخلق أجيال جديدة موالية لهم فكريا، وقد بلغ هذا الأمر ذروته في أكبر بلد إسلامي وهي إندونيسيا التي مثلت المدارس التنصيرية أيام الاحتلال ثلث المدارس الموجودة وبعد الاحتلال تم إنشاء العديد من الجامعات.

د. دويدار: المدارس الأجنبية والمجلات والمكتبات والمراكز الحقوقية أبرز وسائله

ولم يقف الأمر عند ذلك بل أنشأ الغرب مدارس إسلامية في قلب العالم الغربي تهدف لتخريج مستشرقين ومبشرين ومنصرين ومنتمين لفكرهم ومعجبين بحضارتهم، وهم في ذلك ينفذون ما قاله المستشرق رامون: «التبشير عن طريق المدارس والتعليم أو تنصير المسلمين بالقوة، ولذلك نجد في جامعة مثل جورج تاون بواشنطن مركزا للدراسات العربية والإسلامية المعاصرة ويتناول عددا من مقررات تتناول القضايا التراثية خلال الفترات الوسيطة والحديثة، كما يوجد في واشنطن معهد لدراسات الشرق الأوسط ومعهد آخر يضم عددا من الباحثين في شؤون الشرق الأوسط موجود في نيوجرسي وفي جامعة أنديانا بلمنقتن وفي جامعة ميتشجان أناربر وفي جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس، وكذا في جامعات لندن وأكسفورد وباريس وغيرها الكثير، ولعل من الخطأ الفاحش أن ترسل الجامعات الإسلامية بعثاتها إلى مدارس الاستشراق لتلقي العلوم الشرعية واللغة العربية من جامعات غربية، إذ إن تلك البعثات هي الصلة الوثيقة المباشرة التي تربط بين مدارس المستشرقين والجامعات العربية، وهي أيضا الطريق الذي تأتينا منه نظرياتهم وآراؤهم لتدرس في جامعاتنا وتندس في ثقافتنا فتوجه العقول والقلوب، إذ يدرس هؤلاء الطلبة الدين الإسلامي وعلوم اللغة العربية وتاريخهم على أيدي المستشرقين في تلك الجامعات.

ولم تقتصر وسائل المستشرقين على المدارس والجامعات فحسب بل استخدموا كذلك الصحف والمجلات، ولعل من أخطر المجلات الاستشراقية مجلة العالم الإسلامي، والتي عنيت بالتزوير في التراث الإسلامي، وهي من أخطر المجلات الاستشراقية الأميركية، وسلكت مسلك التبشير وهي تصدر باللغة الإنجليزية من هارتفورد وأنشأها المبشر زويمر، وكذا مجلات جمعية الاستشراق وتصدر من جامبر بولاية أوهايو وأنشأها المستشرقون الأميركان وتوزع في أوروبا، ومجلة الشرق الأوسط وهي مجلة سياسية تصدر من أميركا التي اهتمت بتشويه صورة الإسلام، ومجلة العالم الإسلامي التي تصدر باللغة الفرنسية من فرنسا وهي مجلة تبشيرية توزع في جميع أنحاء العالم، ومجلة الجمعية الملكية الآسيوية والتي تصدر من بريطانيا، ومجلة عالم الإسلام وتصدر من الجمعية الشرقية الألمانية للدراسات الإسلامية أسسها المستشرق هارتمان، ومجلة تاريخ الأديان وتصدران من باريس، والمجلة الآسيوية وتصدر عن الجمعية الآسيوية الفرنسية، ومجلة شؤون الشرق الأوسط وتصدر من أميركا، ومجلة الدراسات الإسلامية من باريس، ومجلة الإسلام من معهد اللغات الشرقية بجامعة هامبورج، ومجلة المشرق وتصدر عن الآباء اليسوعيين بلبنان، فضلا عن وسائل أخرى عديدة من بينها إنشاء مراكز اللغات والمكتبات وإصدار الكتب، وأخيرا إنشاء وتبني أفكار المراكز الحقوقية التي أضحى معظمها يمثل وبالا على امتنا، ولذا يجب على العالم الإسلامي الحذر في التعامل معها.



المودة والرحمة أساس الأسرة

الأصل أن تقوم الأسرة على المودة، و تجمع المودة بين مشاعر الحب وسلوك العطاء والإيثار، ومعه يعطي كل من الزوجين صاحبه أكثر من حقه عليه، ومن نماذج التعاطف المفعم بالحب اختيار أمهات المؤمنين صحبة رسول الله [رغم شظف العيش، ومن نماذج البذل السخي المفعم بالحب أيضًا تضحية زوجة أيوب \ وصبرها على صحبته في مرضه الخطير، وإذا كان مع الحب لطف وتلطف فمع الرحمة رفق وترفق.

إن المودة والرحمة القائمة بين الزوجين تجعل المرء ينظر في تعاظم الايجابيات على السلبيات، والمقصود أن المودة والرحمة تمثل لب الذكاء الوجداني الذي يجب أن يقدم ما للزوجة من الفضائل والمحاسن ما يجبر خطأ أو تقصيرًا أو على الأقل ينحيه جانبًا عن بؤرة التفكير المشكل للسلوك، كما أن استدامة العشرة في إطار المودة والرحمة تؤدي إلى توقع الأفضل، وإن بعد أمده وطال أمله، وكم من أسرة نالتها أحاسيس الأنفس الشح فأصابت منها المودة والرحمة، فانفرط عقدها لأسباب واهية، وندموا حين لات مندم، وتمنوا لو أن الزمان عاد بهم فغيروا مسار حياتهم.

التحرير



الأسرة ومسؤولية التربية الإيمانية

د. محمد عمر الحاجي

ما أكثر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تركز على المسؤوليات التي يحملها المربون تجاه أولادهم، وبخاصة الآباء والأمهات؛ لأن تلك المسؤوليات تشمل فترة زمنية طويلة، تعود إلى ما قبل الزواج، وتمتد إلى أن يصبح الإنسان مكلفًا يتحمل مسؤولياته بنفسه. فمن ذلك قوله تعالى في معرض الحديث عن المسؤولية تجاه الأهل: ﴿يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ (التحريم: ٦).

وقوله سبحانه في سياق النصائح الموجهة للمسؤولين، وذلك من خلال التوجه بالخطاب إلى رسول الله ﷺ: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقًا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾ (طه: ١٣٢).

تركز الشريعة الإسلامية على فكرة مهمة مفادها تعويد الطفل منذ الصغر على فهم أصول الإيمان وأركان الإسلام، بحيث يفهم حقائق الإيمان بالغيبيات كالإيمان بالله سبحانه، وبالملائكة، وبالكتب، وبالرسل والأنبياء عليهم السلام، وبالبعث والحساب، والجنة والنار، إضافة إلى التركيز على التمسك بالعبادات وأمور العقيدة والسلوك والآداب والأحكام والأخلاق.

وثمة إرشادات وتوجيهات ووصايا عدة وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال السلف الصالح، تحض على التربية الإيمانية المبكرة، فمن ذلك ما رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله»، وذلك حتى تكون بدايات معرفته كلمة التوحيد.

وفي سنن أبي داود عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرّقوا بينهم في المضاجع»، وذلك حتى

> **قال فولتير ساخراً من الملاحدة: لم تشككون في الله ولولاه لخانتني زوجتي وسرقني خادمي**

يعتاد الولد على أداء العبادات التي تهذب جسمه وروحه وعقله.

وروى الطبراني عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبّ نبيكم، وحبّ آل بيته، وتلاوة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل عرش الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه»، وذلك حتى يأخذ الأولاد من سيرة الرسول القدوة دروسًا وعبرا ومواعظ يستفيدون منها وهم يسيرون في طرقات هذه الحياة، كذلك من أجل الاستفادة من سير الصحابة والتابعين والعظماء والمجاهدين والعلماء والعاملين إلى يوم الدين.

ولهذا كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يقول: كنّا نعلم أولادنا مغازي رسول الله ﷺ كما نعلّمهم السورة من القرآن الكريم.

كل هذا ليكون للأولاد حصون منيعة ستكون كالصخرة الصمّاء التي تتكسّر عليها كل موجات الإلحاد، وكل الزيف العلماني، وأقوال أهل الدعايات والضلال.

وكما هو معروف فإن كل طفل يولد على الفطرة، حيث التوحيد والعقيدة الصافية الطاهرة، وهذا ما أكدت عليه الشريعة الإسلامية، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ (الروم:٣٠).

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه، أو ينصرّانه، أو يمجّسانه».

وما أكثر أقوال علماء التربية فيما يدور في فلك تعويد الطفل خصال الخير، وتحذيره من كل ما له علاقة بالبشر، مثال ذلك ما قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة، فإن عوّد الخير وعلّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وإن عُوّد الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك... وصيانته بأن

باحث أكاديمي



يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق.

وبالتالي، فالمنهج التربوي له مقدمات توصل إلى نتائج، وهي كما قال الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوّده أبوه
وما دان الفتى بحجىً ولكن يعوده التدّين أقربوه

وكم نرى على أرض الواقع المعاش الفرق بين من يدرس في معاهد تبشيرية ومن يدرس في معاهد شرعية؟!

وليس النبت ينبت في جنان كمثل النبت ينبت في الفلاة
وهل يرجى لأطفالٍ كمال إذا ارتضعوا ثديَ الناقصات

ولهذا فعلى المربّين أن يرتبوا مسألة التعامل التربوي مع الأولاد على الشكل التالي:

أ- أن يرشدوهم إلى الإيمان بالله، وذلك من خلال التفكر في آلائه ونعمه، وما بثّ في هذا الكون الفسيح من محسوسات، تجعل العاقل يسجد بين يدي الخالق سبحانه، معترفًا بتقصيره وعجزه.

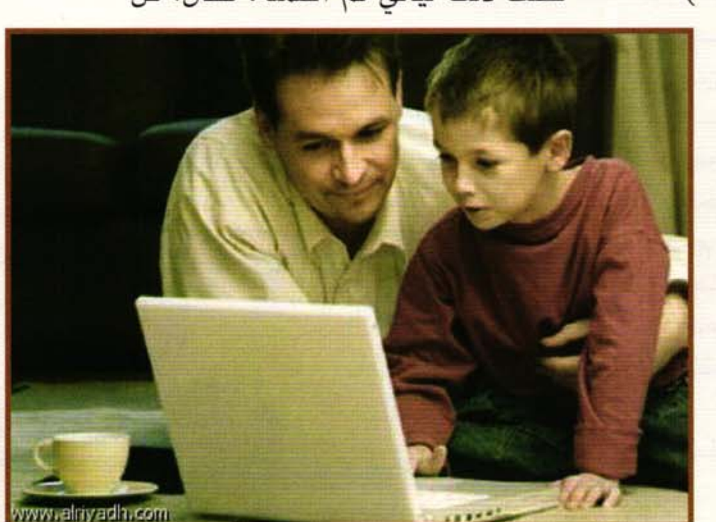
وفي القرآن الكريم، وفي السنة المطهرة الكثير من الأدلة على ذلك، مثال ذلك قوله سبحانه: ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون. ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ (إلى نهاية الآيات من سورة النحل: ١٠-١٧).

ب- أن يغرسوا في نفوسهم روح الخشوع والتقوى والعبودية لله رب العالمين، وذلك من خلال اتباع الوسائل التي تقوي في النفس الخشوع والتقوى، مثل: الخشوع في الصلاة، والتعوّد على التباكي عند سماع القرآن الكريم، مصداق ذلك قوله سبحانه: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء﴾ (الزمر: ٢٣).

جـ- أن يربّوا فيهم روح المراقبة لله سبحانه في كل تصرفاتهم وأحوالهم، وذلك من خلال ترويضهم على أن الله سبحانه يعلم السرّ وأخفى، ويعلم ما تخفيه الصدور، وأنه مراقب لكل تصرفاتنا ومطلّع عليها.

ففي العمل يجب أن يراقب الإنسان ربه، ويكون مخلصًا فيه، قاصدًا من خلاله وجه الله سبحانه، كما قال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ (البينة: ٥).

وهذا ما كان عليه السلف الصالح من هذه الأمة، ورحم الله الغزالي عندما أشار في كتابه «إحياء علوم الدين» إلى ذلك بقوله: قال سهل بن عبدالله التستري: كنت أنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل، فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار، فقال لي يومًا: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلبّك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرّك به لسانك: الله معي، الله ناظرٌ إلي، الله شاهدي، فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته، فقال: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة، فقلته فوقع في قلبي حلاوته، فلما كان بعد سنة، قال لي خالي: احفظ ما علمتك ودُم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة. قال: فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لذلك حلاوة في سرّي، ثم قال لي خالي يومًا: يا سهل! من كان الله معه، وناظرًا إليه، وشاهده، أيعصيه؟ إياك والمعصية.



ودار الزمن دورته، وأصبح سهل من كبار العارفين، ومن الصالحين، وذلك بفضل خاله الذي أدّبه وعلّمه ورباه على الإيمان والمراقبة.

وبعد أن جرّب جماعة الغرب كل النظم الوضعية، معلنين الإلحاد والكفر والإباحية، عادوا إلى عقولهم، فوجد المنصفون منهم أنهم أخطأوا الطريق، بحيث نجحوا وتفوقوا في مجالات العلوم البحتة، لكنهم يعيشون في فراغ قاتل من الناحية الروحية، ولذلك صدر عن بعضهم صيحات التحذير مما آلوا إليه، مثال ذلك قول الأديب الفرنسي «فولتير»، وذلك في معرض سخريته من الملاحدة الماديين: «لمَ تشككون في الله، ولولاه لخانتني زوجتي، وسرقني خادمي».

فعلى المربّين ألا يدعوا فرصة سانحة تمر إلا ويغرسوا في قلوب وصدور الأطفال الإيمان مصحوبًا بالمراقبة، خاصة فيما يتعلق بالعقيدة الراسخة، وإذا لم يُحصّن الطفل منذ صغره بالتوجيه الديني، وبالعقيدة الإسلامية، وبالفضائل والأخلاق الحميدة، فإنه لاشك سيترعرع على الفسوق والانحلال، وسيتبّع الهوى والنفس الأمارة بالسوء.

اعترافات امرأة مسلمة

إيمان القدوسي

الاعتراف ومكاشفة النفس أول طريق الإصلاح، وقد بدأت الصحوة الإسلامية في مصر منذ نحو ثلاثين عاما وهو وقت كاف لإعادة النظر والتقييم وتحديد مناطق الضعف لتجنبها وإصلاح المسار.

ثلاثون عاما نضجت خلالها فتيات الصحوة وصرن أمهات وجدات أيضا، واتضحت الصورة بشكل عملي في بيوتهن على مستوى نجاح الأبناء ونجاح واستمرار العلاقة الزوجية وترابط الأسرة مع محيطها الاجتماعي مع تقديمها قدوة حسنة لمن حولها.

لابد من الصراحة مع النفس، لم تنجح كل البيوت، البعض أخفق تماما والبعض نجح مع الرأفة والبعض نجح نجاحا باهرا، وهو شيء متوقع من أي تجربة بشرية، والمهم هو تجميع ورصد نقاط القوة والضعف وتأملها لتتعلم منها الأجيال القادمة.

وحين أتكلم عن دور المرأة بشكل أساسي فذلك لأنها من أعرف جيدا، أتأمل تجارب أخواتي وصديقاتي وتجربتي الشخصية، وأيضا لحرصي الشديد عليها فهي أكثر اهتماما بنجاح وتماسك أسرتها وأشد تأثرا بالناحية الاجتماعية من الرجل الذي يجد السلوى في عمله وعلاقاته الخارجية.

ربما تبدأ القصة قبل الزواج ومنذ لحظة اختيار الزوج، كثيرا ما تنبهر الفتاة ذات العاطفة الدينية الجياشة بمظهر الخاطب الذي يبدو ملتزما بدينه بشكل مختلف عمن حولها من معارف وأقارب، فتسارع بالارتباط به دون معرفة حقيقية ودون أن تأخذ في اعتبارها جوانب أخرى شديدة الأهمية لا تفطن لها إلا بعد سنوات من الزواج ويكون الوقت قد تأخر كثيرا.

ورغم أهمية الالتزام الديني فإنه لا يعني الاكتفاء بمظهره فقط، فقد قال رسول الله ﷺ «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه»، لم يقل دينه فقط وفرق بين الخلق والدين، الخلق هو الطباع التي تنشأ من طريقة التربية والبيئة الأولية وربما الجينات أيضا وهي مستقلة عن المظهر الديني بدليل أيضا قوله ﷺ «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا».

بعد الخلق هناك أيضا التكافؤ الذي أقره الشرع ثم الاستطاعة والقدرة المادية لفتح بيت وتكوين أسرة، وأخيرا يأتي تجاوب الأرواح الذي عبر عنه الحديث الشريف تعبيرا عبقريا: «انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما».

أما عن تربية الأطفال فقد تصورت بعض الأمهات اللاتي كن وقتها صغيرات ولا مرشد لهن، أن خير وسائل التربية هي عزل الطفل في محضن الأسرة الداخلي وتلقينه كل الآداب الإسلامية، وإذا كان تلقين الطفل الآداب الإسلامية وتحفيظه القرآن الكريم هو من أفضل الأعمال التي قامت بها الأسر الملتزمة وميزت أبناءهم وغرست غرسا طيبا بحق في نفوسهم الغضة، إلا أن العزل المقصود أو غير المتعمد ثبت خطؤه وفشله التام، فهو يحرم الطفل من البيئة الطبيعية المتنوعة التي تثريه وتعلمه الكثير وتجعله منفتحا على العالم الخارجي وقادرا على التعامل معه ومدركا محاسنه وعيوبه ومتمتعا بقدر من الصلابة النفسية والشخصية يسمح له بالنجاح والثبات في مواجهته.

عمدت بعض الأخوات اللاتي تعلمن بعض العلوم



* خبيرة أسرية



الشرعية من فقه أو تجويد أو تفسير إلى التقليل من شأن البيت والأعمال المنزلية وجعل الأولوية لمدارسة العلم في المساجد، من الممكن بالطبع تنظيم الوقت بين البيت والاهتمامات الخارجية التي هي علامة نضج للشخصية، على أن تكون الأولوية دائما للبيت، الطفل الذي يعود من المدرسة جائعا متعبا فيجد أمه خارج البيت وهو مضطر لانتظارها عند الجيران، لا يعلم سوى الله مدى الإحباط والانكسار الذي يعانيه، وعموما فإن «النت والسيديهات» والشرائط والتلفزيون كلها وسائط تغني المرأة عن كثرة الخروج، ومن أرادت الخروج فليكن بتنظيم لا يخل بحق الأسرة.

الطهي داخل المنزل واجتماع الأسرة على طعام الأم وليس طعام السوق نعمة لا يعوضها شيء، وهي ليست مجرد وجبة تشبع المعدة ولكنها تشبع النفس وتقوم بدور خاص كمادة لاصقة تربط أفراد الأسرة سويا، فلا يجب أن نستهين بهذا الدور الحيوي.. دور ربة البيت فهو أهم الأدوار على الإطلاق داخل الأسرة، ونجاح الزوجة فيه نجاح للأسرة كلها.

هناك صورة عكسية عندما تعتبر بعض الزوجات أن تفرغها للبيت معناه البطالة الكاملة وملء وقت الفراغ الطويل في أمور فارغة قد تجر المشاكل، مثل الثرثرة والتزاور والقيل والقال وغيرها، في الحقيقة كلنا سوف نحاسب عن وقتنا وأعمارنا فيما قضيناها، والخلاصة أن الزواج المتكافئ وحسن رعاية البيت وإشاعة جو من التقبل والهدوء والاستقرار ثم تربية الطفل بشكل معتدل وفي بيئة طبيعية والحرص على العلاقة بالأسرة الممتدة وامتلاء وقت الفراغ بالنافع المفيد مع التوكل على الله والاستعانة به هو السبيل للنجاح الأسري.

قصة

أم وابنة

نسيبة محمود طالب

الأم:

مازلت أذكر تلك اللحظات وكأنها اليوم، عندما فتحت عيني فوجدت إلى جانبي وجهًا صغيرًا يفيض براءة وطهرًا، ففاض قلبي سعادة وبشرًا، وامتلأت روحي سكينة وأملًا، لا أزال أذكر ذلك الشعور الرائع عندما أمسكت يدك الصغيرة فأطبقت أصابعك الدقيقة على إصبعي، فكاد قلبي يطير فرحًا، وعندما حملتك لأول مرة شعرت وكأن كنوز الدنيا كلها وضعت في حجري، بل أنت أغلى من كنوز الدنيا، كيف لا؟! وأنت ابنتي وقطعة مني، وشعرت في تلك اللحظة أن حياتي صارت أحلى، وأهدافي فيها أصبحت أسمى، لقد كنت أنت هدفي ومشروعي الرابح، لقد عقدت العزم وقتها أن تكوني أنت الطريق الذي سيوصلني إلى الجنة، فبذلت كل جهدي لأحسن تربيتك، لأزرع فيك كل الفضائل والأخلاق، لأغرس في داخلك بذرة الإيمان وأرعاها بحب وحنان حتى تغدو شجرة باسقة.. واليوم وبعد مرور ست عشرة سنة هأنذا أرى ذلك الهدف يتحقق، وها أنت الآن تقفين أمامي فتاة مؤمنة تزينها أرقى الأخلاق وأسماها، يزينها العلم والمعرفة، وتفيض إيمانًا وأدبًا. لو تعلمين يا حبيبتي مدى السعادة التي أدخلتها على قلبي، سعادة منحتني إياها بتفوقك الدراسي، وبحفظك لكتاب الله تعالي، وبلباسك المحتشم، وبرقي تعاملك مع الناس من حولك.

أما الآن فلا يسعني إلا أن أشكر الله تعالى أن أعانني على أن أجعل منك فتاة صالحة أفخر بها، ويفخر بها كل من يعرفها، فشكرًا لك يا الله على توفيقك وعونك وشكرًا لأنك جعلت هذه الجوهرة الثمينة ابنتي.

الابنة:

مازلت أذكر تلك اللحظات التي كنت أراك فيها دائمًا إلى جانبي تسقيني من حنانك، وتغذيني من محبتك، كنت دائمًا أرى فيك سدًّا منيعًا يقف في وجه كل ما يعترضني من أخطار، لقد كنت لي الحارس الأمين والصديق المخلص الذي لا يغدر أو يخون، والمعلم الناصح الذي يبذل نفسه من أجل غيره، لقد تعلمت منك أعظم دروس الحياة، فقد زرعت في داخلي محبة الله واليقين بأنه مطلع عليَّ في كل لحظة، وعلمتني أن كتاب الله هو خير صديق ألجأ إليه في كل حين، فأجد فيه الموعظة والسكينة، علمتني أن الحياء زينة الفتاة والإيمان زادها والعلم سلاحها، كما أنك علمتني أن جسدي أغلى وأثمن من أن أعرضه رخيصًا أمام أي كان، وأن جمال الفتاة في احتشامها وليس في عريها، علمتني أن أفكر مليًا في صحة كل كلمة أنطقها أو خطوة أخطوها، وأن أستفيد من أخطائي وأتخذ منها دافعًا لنجاح جديد، ولا أسمح لها بأن تقف عائقًا في طريق تقدمي إلى الأمام، علمتني أن أكون شجاعة، قوية، ومتفائلة.

فشكرا لك يا أمي لأنك كنت إلى جانبي في كل يوم من أيام حياتي، وفي كل مرحلة من مراحلها، تشدي من أزري وتقوي من عزيمتي وتنهضي بي نحو القمة، وأسأل الله تعالى أن أكون دائمًا عند حسن ظنك وأن يعينني على برك.

● باحثة تربوية

هل أنت قادر على تقبل الآخر؟

لينة أحمد جلبط

الكمال لله تعالى وحده، والعصمة لأنبيائه صلوات الله عليهم أجمعين، والنقص من طبيعة البشر، وليس من العيب أن يخطئ الفرد إذا ما اجتهد وبذل جميع الأسباب التي بين يديه، ولكن الخطأ الأكبر أن ينظر الإنسان إلى الآخرين وكأنهم ملائكة معصومون من الخطأ، ومنزهون عن التقصير والزلل، وكثيرًا ما نلاحظ في حياتنا العادية نجاح طبيب أو مهندس أو مدرس أو تاجر أو مزارع، لا لأنه أكثر علمًا وفنًا من أقرانه، ولا لأنه أكثر مالًا أو أجود بضاعة، بل لأنه يعرف كيف يعامل الناس بصورة عامة على اختلاف أمزجتهم وميولهم ومشاربهم، حين إذن يمكن أن نقول: إنه تفهَّم الآخرين، وتقبّلهم على ما هم عليه من عادات وسلوك، واكتسب صداقتهم وثقتهم بحيث يكون قادرًا على أن يساعدهم في التخلص من الكثير من العادات غير النافعة، لأنهم يأنسون منه النصح والإخلاص والتفهّم.

إن تقبّل الأفراد على علاتهم، ومحاولة التقرب إليهم والاقتراب منهم يمكن أن يساعد كثيرًا في تطوير حياتهم واكتساب عادات وتقاليد متّبعة من قبل المجتمع، ومقبولة من لدن أفراده، وتتوافق مع متطلبات التربية الإسلامية وأهدافها المستمدة من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، والتي تسعى إلى تكوين الإنسان الصالح.

إن الإنسان اجتماعي بفطرته، ومضطر للتعايش مع أبناء نوعه، ويصعب- بل ربما يستحيل- عليه الانكفاء على الذات والاستغناء عن الآخرين، والناس في الحياة لهم أحوال شتى، فمنهم الغني والفقير، القوي والضعيف،الصحيح والمريض، الكبير والصغير، العالم والجاهل، السوي وغير السوي، و كلهم يحتاج إلى غيره، والأصل في الإسلام أنّه دين تجمع وألفة، قال

المسلم مطالب بالتحلي بمكارم الأخلاق التي تعينه على تقبل الآخرين

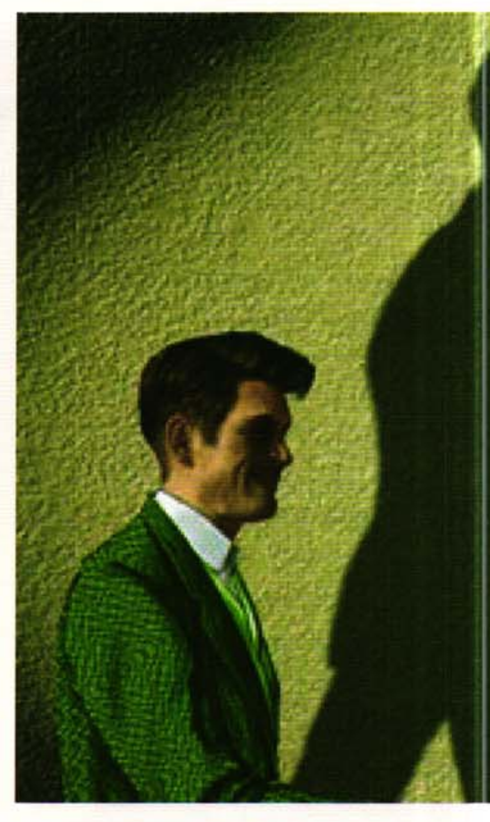
الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(الحجرات: ١٣).

واختلاط الإنسان مع المجتمع أصيل في تعاليم الدين، ولم يدعُ الإسلام أبناءه إلى العزلة والفرار من تكاليف الحياة، ولم يُؤمر المسلم بالانقطاع في دير، أو العبادة في صومعة.. كلا فإنّ الدرجات العالية أعدها الله عزّ وجل لمن يخالط الناس بالحسنى، لذا يقول الرسول ﷺ:

«المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرًا من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم» (رواه ابن ماجة وصححه الألباني)، وقال ﷺ: «لا يَفْرك مُؤْمنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ» (رواه مسلم)، و قد قال الشيخ العلامة عبدالرحمن السعدي، رحمه الله: إن الحديث يوجه إلى معاملة الزوجة والقريب والصاحب والمعامل، وكل من بينك وبينه علاقة واتصال، وأنه ينبغي أن توطن نفسك على أنه لابد أن يكون فيه عيب أو نقص أو أمر تكرهه، فإذا وجدت ذلك، فقارن بين هذا وبين ما يجب عليك أو ينبغي لك من قوة الاتصال والإبقاء على المحبة، بتذكر ما فيه من المحاسن والمقاصد الخاصة والعامة، وبهذا الإغضاء عن المساوئ وملاحظة

كاتبة صحفية





المحاسن، تدوم الصحبة والاتصال وتتم الراحة وتحصل لك.

فالتعامل بين الناس مبدأ أقره الله تعالى، وجعله ضرورة بشرية وسنة كونية، وهذا يعني أن استيعاب الفرد للآخرين أمر ضروري على اختلاف آرائهم ومعتقداتهم وأجناسهم وتصرفاتهم وطبائعهم وأعمارهم، كما أن قبولهم كما هم بكمالهم ونقصهم، ومزاياهم وعيوبهم، وهذا بالطبع دون التغاضي عن السلوك غير السوي.. أمر فطري، لأن تقبّل الآخر شيء، وتقبّل سلوكه شيء آخر، بل لابد من مساعدته في تغيير سلوكه غير السوي وتبديله إلى سلوك صحيح مرغوب ما أمكن وبالحسنى، حتى لا يفهم تقبّلنا له تشجيعًا له على مثل هذا السلوك، وإذا كان الله سبحانه، الغني عن العباد وهم الفقراء إليه، يتقبّلهم بقبول توبتهم ويعفو عن أخطائهم، فحريٌّ بالعباد أن يتقبّل بعضهم بعضًا، وأن يطبقوا فضيلة التقبّل في حياتهم، وقد أكدت العديد من البحوث والدراسات التي أُجريت في هذا المجال أن الشخص الذي يتمتع بصحة نفسية جيدة هو القادر على تقبّل الآخرين ومحبتهم، والثقة بهم واحترامهم، والاعتقاد في ثقتهم المتبادلة، وأنه لابد أن تتوافر في الإنسان مجموعة من المقومات المستمدة من الإسلام وتعاليمه تساعده على تقبّل الآخرين منها: الحِلم، العفو، المداراة، الرفق، الرحمة، التيسير على الناس، التواضع، العدل، المحبة، الإيثار، والثقة بالنفس.

ولقد اهتم القرآن الكريم بموضوع الحقوق والواجبات والآداب الاجتماعية والأخلاق الإيمانية، وقلما نجد سورة من السور المكيّة خالية من الواجبات الاجتماعية التي حرص القرآن على الاهتمام بها وأدائها، أمّا بالنسبة للسور المدنيّة فنجد سورًا بأكملها تتحدث عن الجوانب الاجتماعيّة وآدابها، منها سورة النساء والمائدة والتوبة والنور والحجرات والطلاق وغير ذلك من السور الكريمة.

وإذا وجب على الإنسان تقبل الآخر فمن باب أولى تقبله لذاته وتصالحه معها ليعينه على تقبّل الآخرين، فاحترام الذات لازم لاحترام الغير، وعدم التصالح مع الذات يؤدي إلى عدم التصالح مع الآخرين، وثقة الإنسان بنفسه تدفعه إلى تقبّل الآخرين والتفاعل معهم بطريقة إيجابية، وعدم ثقته بنفسه تجعله يشعر بالنقص والعجز والفشل مما يدفعه إلى الانعزال والانطواء وبالتالي عدم التقبّل للآخرين.

فلابد أن يحرص المسلم على حسن التعامل مع الآخرين، وأن يتحلى بمكارم الأخلاق التي تعينه على تقبّل الآخرين مهما كانت طبائعهم وسلوكاتهم وتوجهاتهم وقناعاتهم، وأن يزنهم بحسناتهم وسيئاتهم، وذلك بأن يكون رفيقًا، حليمًا، متسامحًا، متواضعًا، عادلًا، ودودًا، كريمًا، وذلك لإيجاد مجتمع يقوم على المحبة والمودة والإخاء والتعاون والتسامح، وفي النهاية.. استطعت أن تجيب على تساؤلنا: هل أنت قادر على تقبل الآخر؟

الأمير عبدالقادر الجزائري وموقف متميز من المرأة

د. بركات محمد مراد

ظهر الأمير عبدالقادر الجزائري (١١٢٢هـ/١٨٠٧م) في المغرب العربي الكبير، واجتمعت فيه كثير من المآثر في زمن من الدهر غاضت فيه رحم العروبة ان تأتي بمثله، وابتلي فيه العالم العربي والإسلامي برزايا التخلف وكل أنواع الاستعمار، وبرزت فيه هذه الشخصية كضوء ساطع متألق يشق ظلمات بعضها فوق بعض، فيبعث الأمل بعد طول يأس، ويبذر بذور الحرية والعدل في أرض أجدبت أو كادت من طول الظلم، فقد اشتهر الأمير عبدالقادر الجزائري في بلاده بنزعته البطولية والحماسية والنضالية ضد الغزو الفرنسي لأرض الجزائر.

رأيه في المرأة

إذا أردنا معرفة رأي الأمير في المرأة، فسنجدها صورة طبق الأصل للمرأة العربية الأصيلة في أعماق تاريخنا العربي والإسلامي، وقد تراءت صورة المرأة في ثورة الأمير عبدالقادر بأوجهها المختلفة، وتطالع من يتعمق سيرة الأمير على مسرح الوقائع بأدوارها المتعددة، فقد تجلت حبيبة وزوجة وأما، كما تراءت قائدة وفارسة وخطيبة.

فمنذ اللحظة الأولى لثورته، ومبايعة الأمة له في عام ١٢٤٨هـ في جهاده المستعمر الفرنسي ارتفعت المرأة الجزائرية، وكانت من قبل قد تخلفت كثيرا تحت وطأة العادات القبلية، إلى مستوى الرسالة التي تلقيها على عاتقها أصالة عروبتها وسمو إسلامها، ولم يسجل التاريخ عليها في الواقع ترددا في تحمل هذه المسؤولية.

يتجلى ذلك في موقف زوجة الأمير، يوم دخل عليها، وهو في طريقه إلى المسجد لإلقاء أول خطبة له بعد البيعة له بالإمارة حيث قال «إن أردت البقاء معي من غير التفات إلى طلب حق، فلك ذلك، وإن أبيت إلا أن تطلبي حقك فأمرك بيدك، فقد تحملت من أمر المسلمين ما يشغلني عنك».

واختارت الزوجة المسلمة الوفية، أن تبقى ظلا للأمير الفارس- والذي ظل يحارب المستعمر الفرنسي دون هوادة- ولكنه الظل الذي يأوي إليه حين يشتد القيظ، ويجوب بها بطون الأودية وقمم الجبال، في جهاده الدؤوب ضد المستعمر، أو يتركها في كنف الله، ويغيب عنها الشهور المتوالية في المعارك المتعاقبة والمتطاحنة في البراري، فلا أقل من أن تستحق كل عنايته ووفائه هو الآخر، وقد كان الأمير دائما وفيا، فنجده في الديوان مخاطبا زوجته، التي يكنيها أم البنين، بلسان الفارس قائلا:

تسألني أم البنين وأنها
لأعلم من تحت السماء بأحوالي
ألم تعلمي يا ربة الخدر أنني
أجلي هموم القوم في يوم تجوالي
وأغشى مضيق الموت لا متهيبا
وأحمي نساء الحي في يوم تهوال.
وعني سلي جيش الفرنسيس تعلمي
بأن مناياهم بسيفي وعسالي

وعلى الرغم من أن الأمير كان «عصبي المزاج»، وهذا معروف عنه، عنيف في الدفاع عما يعتقد أنه الحق، لا يلين للقوة مهما قست وطغت، فيه شيء من عنجهية البادية وعنادها وصلابتها، فإننا نجد هذه الصلابة والقوة تلين وتنثني أمام جمال المرأة. وإذا استغرب المرء موقف الأمير هذا، وجد الأمير نفسه أكثر استغرابا، فهو يتملكه العجب من هذا الواقع الغريب، ولكنه سرعان ما يستدرك، ليذكرنا بأنه، قبل كل شيء، فارس، ويليق بالفارس أن يخضع لسلطان واحد لا غير هو سلطان الجمال الذي يتملك مهج الفرسان، ويخضعهم لسلطانه الذي لا يقهر، ولذلك نجده يقول في الديوان:

ومن عجب تهاب الأسد بطشي
ويمنعني غزال عن مرادي!!
وماذا؟ غير أن له جمال
تملك مهجتي ملك السواد
وسلطان الجمال له اعتزاز
على ذي الخيل والرجل الجواد

وفي الحقيقة فالذي يصوغ رأي الأمير في المرأة يعود- في رأينا- إلى مرحلة التنشئة الأولى فقد كان معجبا بوالدته، شديد التعلق بها، وشديد الاحترام لها، يأخذ برأيها، ويستشيرها في الملمات الصعبة والأمور العسيرة، حتى اتهم بأنه يخضع لما تصدره من مكاتبات، وتحرير، ومراسلات موقعة باسمه، فقد ورد في رسالة أرسلها للأمير خليفته السيد «أحمد بن سالم» من جبال جرجرة يقول فيها: وقد أشاع المرجفون ما لا نقدر على ذكره، وأشاعوا أن والدتكم تصدر المكاتبات والتحارير اللازمة باسمكم الكريم.

ولذلك يرى بعض الباحثين أنه ربما

باحث أكاديمي



كانت والدة الأمير «ذات شخصية طاغية» تفرض الإعجاب والاحترام على كل من يراها، وهي بالفعل كذلك، ففي الزيارة الأولى التي قام بها «لويس نابليون» للأمير في أسره بامبواز، وعندما قدم الأمير والدته «قبل البرنس يدها، وسألها الدعاء»، وكان كبار العلماء الذين يراسلون الأمير، يقدمون لوالدته الاحترام اللائق بها مع تحياتهم الخاصة.

ومن هنا نفهم سر إعجاب الأمير بوالدته، فقد كان شديد التعلق بها، يصطحبها في أسفاره، وكأنه يلتمس من عقلها الراجح، ومن روحها العضد والطمأنينة، فقد رافقته إلى الأسر، وحملها معه إلى استانبول وبروسه ودمشق في آخر عمره. وبعد رجوعه من دفنها بمقبرة «الدحداح» إلى منزله في دمشق، توقف عدة مرات في الطريق من هول المصيبة، فقال له بعض من كان معه: «ارفق بنفسك» فقال له: «كيف ذلك وأنا فقدت أعظم من كان يحبني على وجه الأرض». فمن حب الأمير لوالدته وإعجابه بها، فضلا عن تشربه لوجهة نظر الإسلام في المرأة والتي كان يرى أنه لا ينصفها دين مثلما ينصفها الإسلام، ارتفع شأن المرأة في نظره، وسما مكانها في وقت تخلف دورها وانمحت مكانتها نتيجة التخلف الثقافي والاجتماعي في العالم العربي والإسلامي في عهد الأمير.

ويتبين لنا ذلك واضحا من الإجابات العميقة والسديدة التي قدمها الأمير حين أجاب «دوماسي» عن عشرين سؤالا تتصل بالمرأة ودورها في الإسلام، وكذلك المكانة التي يضع الإسلام المرأة فيها، فيوضح له كيف أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يعطي لها حقوقها كاملة، ويفهم دورها الصحيح في الحياة، وإذا كان أمرها بالحجاب والستر، فما ذلك إلا صونا لها عن الابتذال ومواطن الشبهات وصونا للمجتمع من فتنتها، كما يشير إلى مسألة الميراث ويعالجها بأسلوب اجتماعي رفيع،

صورة المرأة في ثورة الأمير تراءت بأوجهها المختلفة

فالميراث أولا: حكم الله، وثانيا: أن الرجل يقوم بجلائل الأعمال كالسلطنة ومباشرة القتال، ويدافع عن بلاده وعشيرته، كما أن من طبيعة الرجل أن ينفق على قريباته إذا احتجن بخلاف المرأة فإنها لا تنفع إلا نفسها في الغالب.

وثمة سبب آخر في تعليل توريث الرجل مثل حظ الأنثيين هو أن هذا في الميراث فقط، أما في غيره فيجب على الرجل أن يسوى بين أولاده في العطية، كما يرى الأمير أن الطلاق لا يخلو من الأذى، غير أنه لا يحل إلا درءًا للمتاعب، وحرصا على القيمة الإنسانية، وقد عرفت أوروبا في العصر الحديث فوائد الطلاق الكثيرة التي تترتب عليه، وهو نظام يقره الإسلام بنصوص القرآن، ويعالج مشاكل كثيرة يمكن أن تنشأ بين الزوجين حين تصبح الحياة غير ممكنة بينهما، فقد وقعت أوروبا نتيجة عدم إباحتها للطلاق في براثن المشكلات الاجتماعية الخطيرة، وتمثل العلاقة غير المشروعة والإباحية الجنسية إحدى هذه المشكلات، مما اضطرها في النهاية أن تأخذ به.

وعندما قال «دوماسي» إن المرأة عندهم ترجى لأفعالها الجميلة، أما عند هؤلاء فلجمالها غالبا، سارع الأمير بتأكيد صحة الاتهام، وذلك: «إذا كان مع الجمال دين» فهم يرغبون حقا في المرأة الجميلة لنشدانهم الألفة والمحبة والاستغناء والدوام، «فحسن الخلق والخلق لا يفترقان في الغالب». كما يدافع الأمير عن مسألة التعدد، فالله تعالى لم يفرض التزوج من أربع، وإنما فرض شيئا واحدا فقط هو التماس السلامة، وأسباب الصحة، فمن كانت سلامته في واحدة فهو أفضل، وليس فيما يأذن الله به ضرر، ويستشهد الأمير بسفر التكوين الذي جاء فيه تعديد الأنبياء للنساء، والنساء مازلن متفاوتات في ذلك حتى اليوم. ويوافق الأمير على أن المساواة ضرورية واجبة يقتضيها العدل المأمور به في كل شيء، ولكنها غير ممكنة في المحبة، بل غير واجبة «لأن الحب لا اختيار للإنسان فيه حتى يقدر على فعله وتركه، بل هو أمر ضروري لا قدرة على رفعه، وليس الجمال وحده هو الذي يفرض المحبة، وإنما هنالك اسباب معنوية بجانب الحسية، فالقلوب مجبولة مقهورة على حب الحُسن والإحسان ولا يقدر الإنسان أن يبغض الوجه الحسن ولا من يحسن إليه».

وقد كان الأمير عبدالقادر يحب ويكرم ويحترم النساء اقتداء بأقوال رسول الله ﷺ وأفعاله، خاصة وأن هناك كثيرا من الأحاديث الصحيحة التي توصي بهن خيرا منها حديث الشريف: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» فضلا عن مشورته ﷺ لنسائه في كثير من الأمور. ومن هنا كان إكرام الأمير للنساء حتى الأسيرات منهن اللاتي كان يرسلهن إلى والدته، وقد كانت في طليعة الثورة، وكانت لها مسؤولياتها، إذ تولت شؤون الأسيرات الفرنسيات بنفسها، وضربت خيمتها بين خيامهن. وكانت والدته خير نموذج للمرأة المسلمة المجاهدة، والتي لا تقل عن الرجل فروسية أو نبلا، وكان الأمير يهتم ببناته ويقوم بتربيتهن وتعليمهن، وكذلك قامت والدته وأخته «خديجة» في بعض الملمات مقام الأكفياء من الرجال. وقد انعكست شخصية الأمير المجاهد الفارس على أخته هذه، فقد امتطت صهوة الفرس، واستقبلت الجيش الذي هزه الخبر الكاذب بمقتل الأمير قائلة: «إن استشهد شقيقي، فجهادكم على الدين والوطن، وذكركم باق إلى الأبد، وهؤلاء أهله وأولاده في كنف الله وتحت رعايتكم، فحافظوا عليهم إلى أن يظهر الله ما في غيبه».

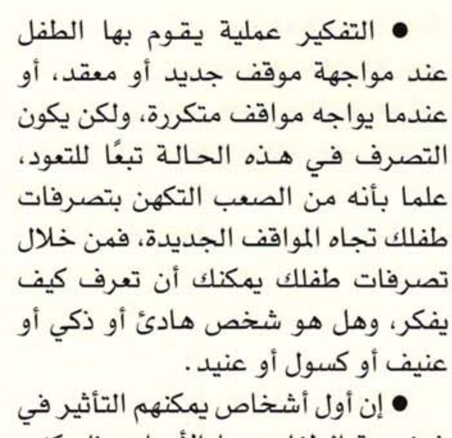
شجع طفلك ليكوّن شخصيته

أميرة سليمان

● التفكير عملية يقوم بها الطفل عند مواجهة موقف جديد أو معقد، أو عندما يواجه مواقف متكررة، ولكن يكون التصرف في هذه الحالة تبعًا للتعود، علما بأنه من الصعب التكهن بتصرفات طفلك تجاه المواقف الجديدة، فمن خلال تصرفات طفلك يمكنك أن تعرف كيف يفكر، وهل هو شخص هادئ أو ذكي أو عنيف أو كسول أو عنيد.

● إن أول أشخاص يمكنهم التأثير في شخصية الطفل، هما الأبوان، فلو كنت تتصرف بأسلوب ما في موقف معين، فيتصرف طفلك مثلك تمامًا، انظر لطريقة تناولك للطعام، طريقة كلامك، طريقتك وأنت تسير، وأنت جالس تقرأ الجريدة، قد لا تلفت نظرك هذه الأشياء، ولكنك عندما ترى طفلك يتناول طعامه بنفس الأسلوب، ويجلس كما تفعل، فسترى نفسك فيه وستدهش وتسأل نفسك: هل أنا أقوم بهذه الأشياء بالفعل؟ وعلى النهج نفسه أسلوب كلامك، مناقشتك للأمور، غضبك، عصبيتك، هدوؤك.

● وعادة يتأثر الطفل بشخصية أحدكما كثيرًا، وسيتصرف على نحو لا يرضيكما، وسيتشبث برأيه في أكثر الأحيان، وسيطلب منكما أن تلبيا له كل طلباته، ولكن لا تجعل أبدًا شخصية طفلك تطغى على كلامك وتوجيهاتك وأوامرك، بل لابد أن تكون أنت صاحب الكلمة، وخاصة في الأمور التي قد تضر بالطفل، ولابد أن يحترم كلامك وتوجيهاتك من البداية.



ضرورة تعليم الطفل كيفية اتخاذ القرار وتحمل المسؤولية منذ الصغر

● وينصح خبراء علم النفس بأن أسلم طريقة لتوجيه الطفل، وفي الوقت نفسه لمساعدتك على فهمه، هي أن تضع نفسك مكانه، حاول أن تفكر بالأسلوب نفسه في كل موقف يواجهه، فعندما يبكي متشبثا بك عند ذهابك إلى العمل، فلا تزجره وتعنفه، أو تخرج من البيت خلسة دون أن يراك، بل فكر في أن تصرفه هذا يدل على أمرين:

- أنه يحبك، ويحب أن يكون معك.
- أنه يحب الخروج لأنه سيرتدي ملابس الخروج التي يحبها، وسيركب السيارة، وسيشاهد أناسًا آخرين، وسيلعب ويجري.

- هذا رغم انك ذاهب إلى عملك، وليس إلى نزهة، ولكن هذا هو أسلوب تفكير الطفل! ودورك هو أن تشرح له طبيعة المكان الذي ستذهب إليه، وماذا ستفعل، ومتى ستعود، كل هذا بأسلوب بسيط يستوعبه الطفل، وقد لا يفهم كل كلامك في المرة الأولى والثانية، ويظل يبكي، ولكنه سيفهم في المرات التالية، وستجده يفرح عند ذهابك إلى العمل لأنه يتوقع منك هدية عند عودتك! وبالتدريج لن يحتاج إلى الهدايا، وسيعتاد كل هذه الأمور وغيرها.

● علم طفلك كيفية اتخاذ القرار، وتحمل المسؤولية من صغره، مثلا: عند ارتداء ملابسه، لا تظن أنه لن يفهم في الألوان، أو في الموديلات، بل قد تلاحظ

باحثة تربوية



أنه يميل لارتداء قطعة من ملابسه، أكثر من الباقي، ويفضل حذاء بعينه، ولا يحب ارتداء باقي الأحذية، فهنا يبرز الذوق الخاص للطفل، كما ستلاحظ أن طفلتك رغم صغر سنها، تهتم باختيار قطع الحلي الصغيرة الملونة، التي تضعها في شعرها أو في يديها، أو في أصابعها، وقد تدهش الأم من سلوك الطفلة لظنها أنها مازالت صغيرة على هذا السلوك!

● لن تلاحظ أن طفلك كبر فجأة، وبدأ في طرح أسئلة لا تتوقعها، كما أنه يتكلم، ويتناقش معك مثل الكبار! فهو يحب أن يعرف كل شيء، ودائمًا يسأل: لماذا؟ كيف؟ فلا تهرب من الاجابة، ولا تستهن بعقله، بل يمكنك إخباره بكل شيء حسب قبوله وفهمه، وبأسلوب بسيط، ومقنع.

● دع طفلك يشاركك التفكير في حل مشكلة معينة، وبالطبع مشكلة بسيطة، أجعله يشعر بأهميته، وأهمية أن يفكر، فلا يشب منقادًا أو معتمدًا على الآخرين، ليفكروا له، أو بليدا لا يحب أن يرهق نفسه في التفكير.

● إذا كنت بصدد إلحاق طفلك بالحضانة، فهيئ عقله وتكلم معه كثيرًا عن المكان الذي سيذهب إليه، والأطفال الاخرين، وكل ما يتعلق بحياته الجديدة.

● ولا تصفه- أبدًا- بأنه أفضل من اقرانه أو أذكى منهم، بل عندما تمدحه، امدحه هو دون مقارنته بالآخرين، حتى لا يشب وهو يشعر بالكبرياء أو التميز عن الآخرين، فيشعر بالغربة ويبعد عنه زملاؤه، نتيجة سوء معاملته لهم.

● يشكو الكثير من الآباء من أنهم لا يستطيعون اصطحاب أطفالهم إلى زيارة الأصدقاء أو الأقارب نتيجة تصرفاتهم السيئة عند الغرباء، ولكن الأطفال يتصرفون هكذا نتيجة تهاون الآباء في تعليمهم وتربيتهم، فيجب أن ننبه الطفل، مادام باستطاعته الفهم، إلى أن يسلك سلوكًا طيبًا عند الناس، ونشجعه بمكافأة إذا تصرف بشكل جيد، أو نعاقبه إذا لم يمتثل لتوجيهاتنا، وحرمانه من نزهة أو شيء يحبه، وذلك حتى يتعلم السلوك اللائق الطيب دون مكافأة.

● والهدية أو المكافأة ليست رشوة، بل هي أسلوب لتقريب وتبسيط الفكرة عند الطفل، لكي يحبها ويتمسك بها، وبالتدريج سيعتاد السلوك الطيب دون مكافأة.

● عندما تخرج لشراء لوازم البيت فاشرح لطفلك الغرض من الذهاب والأشياء التي ستشترونها، واجعله يختار معك ويعرف فائدة كل شيء بالنسبة له ولكما، حتى لا يتشبث بكل ما تمتد إليه يداه دون أن يفهم، وإذا صرخ أو بكى وهو يمسك بلعبة أو قطعة حلوى، فلا تحرج وتشتريها له، بل خذه بهدوء واشرح له أسباب عدم شرائك لها، مثلا لعدم كفاية المال لديك، أو لوجود مثلها في البيت... وهكذا.

والطفل -بالطبع- لن يفهم ويتعلم من المرة لأولى، ولكن إذا تكلمت معه، وشرحت له كل شيء دون الاستهانة بعقله وفهمه، يستطيع هو أن يتعلم السلوك اللائق، ويتعود على أن يفكر ويستخدم عقله، بدلاً من الصراخ والبكاء، ولن يحرجك كلما خرجتما سويا.

المعالجة الإعلامية للفساد

د. عبدالله بدران

عرفت البشرية الإعلام منذ نشأتها ووجودها، ومارسته بالأساليب التي تهيأت لها وارتأتها مناسبة لها، ثم تطورت هذه العملية مع تطور البشرية واكتشاف الوسائل والأساليب المختلفة.. والإنسان بطبيعته محب للاستطلاع لا يكتفي بأخباره الشخصية فقط، إنما يتطلع إلى أخبار المجتمع المحيط به، كمجتمع الأسرة أو القبيلة أو القرية وصولا إلى الدولة فالعالم بأسره.

مع تطور الحياة تطور الإعلام واستطاع أن يحدث تأثيرًا كبيرًا في مجالات الحياة كافة، ولاسيما المجالات المرتبطة بالمتطلبات الأساسية للمجتمعات ومن يعيشون في ربوعها، وصار يؤدي وظيفة من أخطر الوظائف في العصر الحديث، نظرا لما يمتلكه من وسائل تقنية في أدوات التوصيل، كأشكال وألوان وأصوات وألبسة وإيحاءات وإيقاعات وتخطيط.

والمهمة الأساسية لمعظم وسائل الإعلام صارت هي غرس المعلومات وصناعة الاهتمامات وإعادة التشكيل الثقافي للإنسان، وتحقيق التفاعل بين المرسل والمستقبل، إضافة إلى مهمتها التقليدية المتمثلة في تزويد الناس بالأخبار الصحيحة، والمعلومات السليمة، والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع، أو مشكلة من المشكلات، بحيث يعبر هذا الرأي تعبيرًا موضوعيًا عن عقلانية الجماهير وميولهم واتجاهاتهم.

وثمة اتفاق لدى معظم الإعلاميين حول أساسيات العمل الإعلامي والمبادئ والأسس التي يقوم عليها الإعلام، ويشمل ذلك:

١- الحقائق التي تدعمها الأرقام والإحصاءات.

٢- التجرد من الذاتية والتحلي بالموضوعية في عرض الحقائق.

٣- الصدق والأمانة في جمع البيانات من مصادرها الأصلية.

٤- التعبير الصادق عن الجمهور الذي يتوجه إليه الإعلام.

وهذه الأساسيات هي البناء الذي يعتمد عليه في مجال توعية المجتمعات بما يحيط بها من مشكلات، وما يحدث حولها من وقائع وأحداث إيجابية أو سلبية، وفي تسليط الضوء على ما تواجهه المجتمعات من مصائب وويلات، ومن أخطار وعقبات، وما يجب أن تفعله لتدارك ذلك.

ولعل المشكلات الاقتصادية التي تواجهها معظم الدول هي من أهم القضايا التي عالجتها وسائل الإعلام في النصف الثاني من القرن العشرين والعقد الأول من هذا القرن، لاسيما بعد أن أخذت هذه المشكلات تزداد انتشارا وتوسعا، وتؤثر تأثيرًا بالغًا في حياة المجتمعات وتدهور معيشتها وتراجع مستواها الاقتصادي.

وكم سلطت وسائل الإعلام- لاسيما في الدول التي تمارس الإعلام الحر- الضوء على هذه المشكلات، واستطاعت من خلال المعالجة الإعلامية المكثفة أن تحد من انتشارها واستفحالها، وأن تدين أصحابها وتوقعهم في شر أعمالهم وتقودهم إلى قاعات المحاكم وزنزانات السجون، وأن تسقط حكومات ووزارات وشركات ومؤسسات كبرى، واستطاعت في الوقت نفسه أن ترفع من شأن أصحاب النزاهة والأمانة، وتعلي من شأنهم وقدرهم.

الفساد الاقتصادي في الإسلام

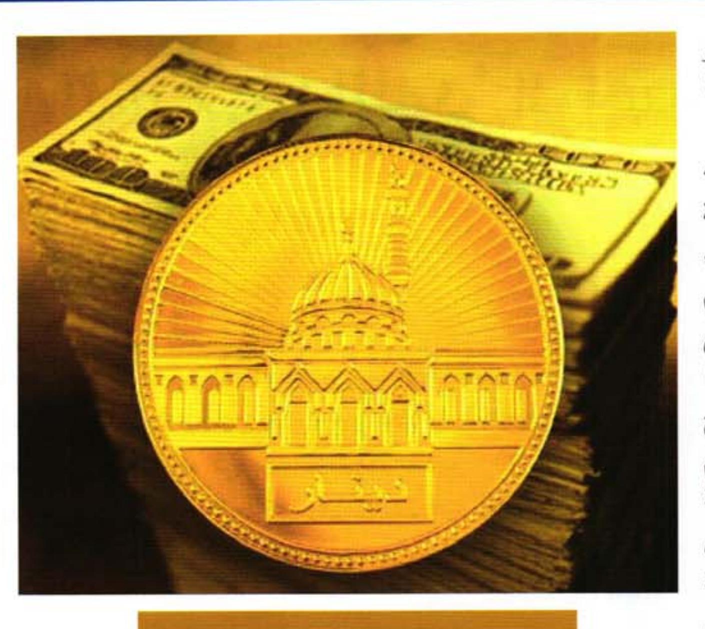
ويعرف الفساد الاقتصادي عند علماء الاقتصاد بأنه سوء استخدام الوظيفة أو المنصب عمومًا لتحقيق منفعة خاصة، ذلك أن استخدام مصطلح الوظيفة أو المنصب عمومًا في هذا التعريف يعد أكثر شمولًا من استخدامها مقيدة فيما سواه، حيث يشمل هذا المصطلح كلًا من الوظيفة العمومية التي لا تطلق إلا على العاملين في القطاع العام، والوظيفة في القطاع الخاص، إلا أن الموظف العمومي أكثر عرضة للفساد من الموظف في القطاع الخاص، لبعد الأول عن الرقابة وأمنه منها، بخلاف الثاني الذي يعد أكثر تعرضًا للمساءلة والرقابة، إما من قبل المدير المسؤول عنه مباشرة، أو من قبل

المالك أو مجلس الإدارة ونحو ذلك، وبالتالي فإنه أقل فسادًا من الأول.

ويرى أحد الباحثين أنه باستقراء الدراسات المتعددة عند المحدثين من علماء الاقتصاد الإسلامي فإنها لم تتعرض لتعريف الفساد ووضع حدٍّ له، وقد يكون ذلك راجعًا لعدم خفاء معناه ووضوح حقيقته، لكن على ضوء الأحكام السياسية والقواعد الاقتصادية العامة التي جاء بها القرآن الكريم، وجاءت السنة النبوية مفسرة وموضحة لها، ومن خلال اجتهادات الفقهاء في مجال عقود المعاملات، وما يرتبط بها من النشاط الاقتصادي، فإنه يمكن تعريف الفساد من وجهة نظر علماء الاقتصاد المسلمين بأنه: «جعل الجانب المادي الهدف الوحيد للنشاط الاقتصادي الذي يمارسه الإنسان المعاصر دون مراعاة للقيود الشرعية التي تنظم أحكام المال، أو التفات للجوانب الأخرى التي يكتمل بها البناء الاقتصادي كالقيم والمبادئ الأخلاقية الروحية، أي إن الفساد الاقتصادي يتمثل في التركيز أثناء الممارسة الاقتصادية عملاً وإنتاجًا وتوزيعًا على جانب واحد من جوانب الحياة الإنسانية وإهمال الجوانب الأخرى، كعدم الالتزام الكامل بالأحكام الشرعية المنظمة لتحصيل المال وكيفية تنميته وإنفاقه، وكذلك عدم أداء الحقوق الواجبة في المال وإساءة التصرف في التعامل بما يضر بمصالح النظام الاقتصادي السليم من جوهره الذي يقوم عليه، ويفرغ مساره التطبيقي من وسائله المشروعة التي تكفل له الوجود الحقيقي والأداء المنشود».

صور الفساد وطرق المعالجة

لاشك في أن معظم صور الفساد الاقتصادي، كالرشى والاحتكار والتلاعب بالأسعار والاستئثار بالصفقات والغش التجاري، أمور معروفة لدى المجتمعات، لكن ما المهمة المنوطة بوسائل الإعلام في هذا الصدد؟ وكيف تستطيع تلك الوسائل أن تفعل دورها وتكشف عن بؤر الفساد وتعالج الخلل الذي أدى إليه والمشكلات الناجمة عنه؟



المشكلات الاقتصادية التي تواجه الدول من أهم القضايا التي عالجتها وسائل الإعلام

إن الإجابة عن السؤالين السابقين تكمن في سعي وسائل الإعلام التي تنتهج العمل المهني الموضوعي بصورة عامة، وتلك التي تنتهج العمل وفق الشريعة الإسلامية بصورة خاصة إلى تحقيق الأمور الآتية:

- تسليط الضوء على النماذج الإيجابية في المجتمع ولاسيما المسؤولين عن المؤسسات العامة المعنية بالمجال الاقتصادي، وإبراز ما يتحلون به من قيم المسؤولية والنزاهة والأمانة والورع ليكونوا قدوة لغيرهم.

- تسليط الضوء على بؤر الفساد الاقتصادي في القطاعين العام والخاص والمستغلين نفوذهم في الإفادة الشخصية على حساب الأمة والوطن والمجتمع، لفضح أعمالهم وتحذير المجتمع من أخطارهم وخطاياهم.

- حث الجهات العامة وجمعيات النفع العام المتابعة لقضايا الفساد والشفافية على توفير قدر كبير من الشفافية في القوانين والتنظيمات المختلفة، سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو قضائية أو إدارية، التي من شأنها الحد من انتشار الفساد واستفحال أمره، ونشر القضايا التي يظهر فيها فساد كبير.

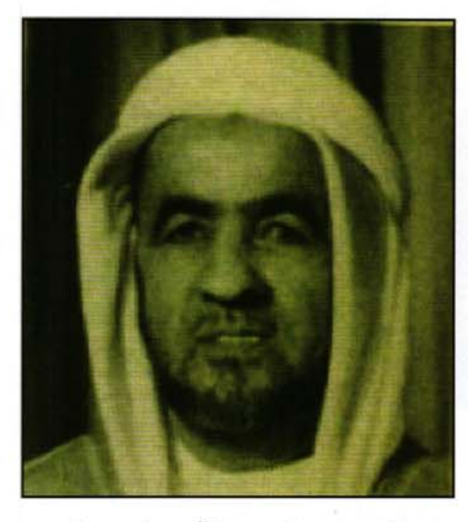
- تثقيف الجمهور بكيفية كشف الفساد ومعالمه وآثاره على المجتمع، وسبل التعاون مع الجهات المعنية بمحاربة الفساد ليكون هناك تعاون بين الجمهور والمسؤولين بهذا الصدد، ومن ثمّ تكون الفائدة المرجوة من محاربة هذه الآفة الاقتصادية أشد وقعًا وأكثر تأثيرًا.

- تعزيز الوازع الديني لدى الأفراد في المجتمع الإسلامي من خلال جميع أنواع وسائل الإعلام، ومن ذلك إعداد برامج إذاعية وتلفازية تستضيف عددا من العلماء الدعاة والوعاظ والمرشدين لشرح الجوانب المتعلقة باجتناب كل ما يمت إلى الفساد أو ييسر الطريق إليه.

- شرح الجوانب المتعلقة بكيفية محاربة الفساد الاقتصادي ونظرة الاقتصاد الإسلامي إلى ذلك، من خلال استضافة العلماء المتخصصين بهذا المجال والاستماع إلى آرائهم، وعقد ندوات متخصصة يتم فيها تسليط الضوء على هذا الداء الفعال وعواقبه الدنيوية والأخروية وآثاره السيئة سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية.

العلامة الشيخ عبدالله بن إبراهيم الأنصاري

(١٣٣٣-١٤١٠هـ، ١٩١٤-١٩٨٩م)



التحرير

هو العلامة الفلكي أبو محمد عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله الأنصاري، والشيخ له نسب عريق في الصالحين؛ حيث ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي ﵁، ولد في مدينة الخور بقطر ١٣٣٣هـ، الموافق ١٩١٤م في أسرة عربية كريمة، أسرة خير وبر وفضل، هاجرت أصولها من الجزيرة العربية إلى منطقة بر فارس، في ظل الظروف السياسية والدينية والاقتصادية السائدة آنذاك.

نشأ وترعرع في كنف والده بمدينة الخور بدولة قطر، وقد كان والده قاضي الناحية الشمالية من الدولة منذ أوائل عهد حكم أسرة آل ثاني حتى وفاته في عهد الشيخ أحمد بن علي آل ثاني (الحاكم الخامس من الأسرة).

بدأ والده بتعليمه القرآن الكريم وهو ابن خمس سنين، وأتم حفظه ولم يتجاوز الثانية عشرة من عمره، كما قرأ عليه بعض الكتب في الفقه والحديث والنحو، وحفظ بعضها، ثم عمل الشيخ عبدالله بالغَوص في أول شبابه، وكان مضرب المثل في شجاعته، حيث كان يتأخر في الوقت بعد إخوانه الذين ينزلون معه للبحث عن اللؤلؤ.

ثم ترك الشيخ عمله ورحل إلى الأحساء بالمملكة العربية السعودية التي كانت من معاقل العلم في ذلك الوقت للدراسة على يد علمائها فطلب العلم على: الشيخ عبدالعزيز المبارك، والشيخ أبوبكر الملا، والشيخ عبدالعزيز بن صالح، والشيخ عبدالله بن عُمير، والشيخ عبدالله الخطيب، وغيرهم.

تعمّق رحمه الله في دراسة الفقه والمواريث والتجويد والحديث والنحو والتفسير، ثم عاد إلى قطر، حيث درس لمدة سنة على والده، ثم سافر إلى الحج وهناك بقي بمكة المكرمة للدراسة بالمدرسة «الصولَتيّة» التي أنشأها العلامة الدهلوي فدرَس على مشايخ مكة المكرمة أمثال: الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة، والشيخ محمد بن مانع، والشيخ علوي المالكي، وغيرهم.

وبعد خمس سنوات من الإقامة بمكة المكرمة للدراسة والتفقه في علوم الدين عاد إلى قطر ليلتحق بالمدرسة الأثريّة التي أسسها الشيخ ابن مانع في قطر حيث تتلمذ على الشيخ ابن مانع، وتزامل في هذه المدرسة مع عدد من العلماء والمثقفين أمثال سماحة الشيخ عبدالله بن زيد المحمود، والشيخ أحمد بن يوسف الجابر، والشيخ حسن الجابر.

ثم ارتحل رحمه الله بعد ذلك إلى المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية، ليؤسس أول مدرسة نظامية هناك، في مدينة دارين، ويتولى قضاء ناحية القطيف بها، ثم انتقل كمدرس ومدير للمدرسة الرسمية التي أنشأتها وزارة المعارف السعودية، حيث قضى فيها ثلاث سنوات.

عودته إلى قطر وأعماله

في سنة ١٣٧٤هـ ورد خطاب من حاكم قطر الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني إلى الملك سعود بن عبدالعزيز يطلب فيه السماح للشيخ الأنصاري بالعودة إلى وطنه الأول قطر، وبعد عودته أنشأ معهدًا دينيًا ومدرسة ابتدائية سماها باسم القائد صلاح الدين الأيوبي، ثم تقلّب في مناصب متعددة كان آخرها مديرًا لإدارة الشؤون القروية، ثم مديرًا لإدارة الشؤون الدينية، حيث انطلق يؤسس مراكز تحفيظ القرآن الكريم في قطر وخارجها، ويطبع كتب التراث الإسلامي بعد تحقيقها ومراجعتها، ويقوم بتوزيعها على طلبة العلم والمساجد والمراكز والمؤسسات الإسلامية في أنحاء العالم، وقد جاوز المطبوع منها المائة وخمسين كتابًا، كما اهتم بنشر الدعوة الإسلامية وتفريغ الدعاة والأئمة والمدرسين وتقديم المساعدات المالية للمحتاجين من المسلمين في كل مكان، وإقامة المدارس والمعاهد والمساجد والمراكز واستمرار الدعم لها ورفدها لتنهض في أداء رسالتها الإسلامية.

كانت للشيخ الأنصاري رحمه الله دراية واسعة بعلم الفلك، فقد قام على إصدار التقويم القطري لمدة تقرب من الثلاثين عامًا، فكان إصدار أول تقويم تحت إشرافه عام (١٣٧٧هـ)، وقد كان

يقوم على إصدار التقويم قبل ذلك والده الشيخ إبراهيم الأنصاري رحمه الله، كما كانت للأنصاري دراية واسعة بمنازل القمر.. ومواقيت الحساب العربي.. ومنازل النجوم والأشهر الشمسية، وتأثير ذلك على الزراعة، والصيد البري والبحري، والرياح، ودخول وخروج الفصول، كما أصدر كتاب الموافقات الشهير (معرفة الصواب في مواقيت الحساب) ووضع الأساس الحسابي للتقويم القطري، الذي أصبح فيما بعد التقويم الرسمي لدولة قطر، بل والمعمول به في كثير من دول الخليج العربي.

ساهم الأنصاري في الكثير من الأنشطة الخيرية الإسلامية، فقد كان عضوًا بالمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وعضوًا برابطة الأدب الإسلامي، ذلك عدا أنّه عضو مؤسس لمنظمة الدعوة الإسلامية، والمجلس الأفريقي الإسلامي، وقد أسهم في تأسيس المراكز الإسلامية في كل من كوريا واليابان والفلبين وسنغافورة وتايلند وألمانيا وفرنسا وبعض الولايات الأميركية.

وأسس رحمه الله دار الأيتام الأنصارية في كيرلا بالهند، والتي أصبحت اليوم من أكبر الجامعات التكنلوجية بالهند، وأصبحت مدارسها من المدارس الرفيعة المستوى على صعيد كيرلا حتى أصبح يؤمُّها أبناء المسلمين وأبناء الهندوس، وأصبح يدرس فيها الفقراء بالمجان، بينما يدفع الأغنياء ورجال الأعمال ورجال الحكومة مصاريف أبنائهم ليضموهم إليها.. مما سهّل عملية تعليم الفقراء.

وقد شارك في العديد من المؤتمرات والندوات واللقاءات الإسلامية في مختلف أنحاء العالم.

وقد زار الكويت غير مرة وحضر إحدى الندوات الأسبوعية وشارك فيها مع الإخوة الحاضرين بكلمة طيبة أثنى من خلالها على الصحوة الإسلامية المباركة في الكويت، ودعا لمن كان السبب في جمع الشباب المسلم على المنهج الصحيح والعمل لخدمة الإسلام والمسلمين والتصدي لتيارات الفكر المستوردة التي تريد إبعاد الأمة عن دينها، وربطها بعجلة الغرب الصليبي، الذي يطمع في خيرات الأمة الإسلامية ويريد استغلالها لمصالحه المادية وأطماعه الاستعمارية.

إن الشيخ الأنصاري كان جماعة في واحد، أمة في فرد، همة عالية ونشاطًا متواصلًا، كبرت همته فأثقلت جسمه وشيخوخته.

وكان رحمه الله رئيسًا لبعثة الحج القطرية لسنوات عديدة، وقد بنى مسجدًا جامعًا في مكة المكرمة، كما أنشأ مكتبة إسلامية عامرة تقوم بتوزيع كتب التراث الإسلامي، وأشرف على تحفيظ القرآن الكريم في جميع المساجد والمدارس بدولة قطر، كما كان يشرف على الوعظ والإرشاد ويوجه الدعوات لعدد من العلماء والوعاظ في مصر وبلاد الشام للوعظ في شهر رمضان المبارك.

ومساعداته إلى البلدان من مختلف أنحاء العالم الإسلامي أكثر من أن تحصى وهي معروفة لدى الخاص والعام، وكان له نشاط اجتماعي ملموس في عمل الخير والإصلاح بين الناس في داخل قطر وخارجها.

فالشيخ الأنصاري رحمه الله كان شعلة من النشاط في شتى الميادين التي تعود بالنفع على الإسلام والمسلمين.

مؤلفاته

من كتبه المنشورة:

١. الخطب المنبرية.
٢. لقط الدراري من مقتطفات الأنصاري.
٣. أذكار الفلاح في أذكار المساء والصباح.
٤. الإرشاد في مناسك الحج.
٥. الخمرة أم الخبائث.
٦. صفة التحية في الإسلام.
٧. معرفة الصواب في مواقيت الحساب.

وكانت له عناية بتحقيق كتب التراث، منها:

١. من خلق القرآن.
٢. عنوان الشرف الوافي.
٣. صيحة الحق.
٤. إرشاد الحيران لمعرفة آي القرآن.
٥. حدائق الأنوار.
٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.

وغيرها من المؤلفات والتحقيقات تجاوز عددها المئة.

وفاته

مرض الشيخ مرضًا شديدًا ألم به حيث غادر بسببه دنيانا إلى الدار الآخرة بتاريخ: ١٤/٣/١٤١٠هـ، الموافق ١٥-١٠-١٩٨٩م.

لقد كان لوفاة الأنصاري رد فعل مدوّ على جميع أنحاء العالم الإسلامي، وكأنت جنازة الشيخ الأنصاري من الجنازات المشهودة في قطر، بل والعالم الإسلامي، وقد أمّ الصلاة عليه سماحة الشيخ عبدالله بن زيد المحمود قاضي القضاة ومفتي الديار القطرية، وقد غصّ جامع قطر الكبير (مسجد الشيوخ) بالمصلين.

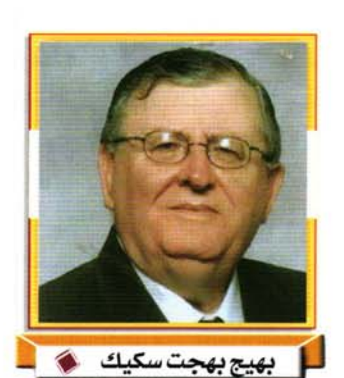
رحم الله الأنصاري، فقد وهب نفسه للإسلام والمسلمين، وأعطى للعلم جلّ حياته فحقّ أنْ يُلقّب: «بخادم العلم».

نسأل المولى الكريم أن يغفر لنا وله وأن يتغمده برحمته ويدخله في جنته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

المصادر

١- الأنصاري في عيون الآخرين، لابنه محمد بن عبدالله الأنصاري.
٢- علامة قطر الشيخ محمد بن عبدالله الأنصاري، لعمر تهاني ناجي مختار.
٣- رجل من قطر، لمحمد بن عبدالله الأنصاري.
٤- مدونة أبناء الأنصاري على الشبكة العنكبوتية.

مسجد «إسنا» (ISNA) في كندا



بهيج بهجت سكيك

مسجد «إسنا» في كندا بمدينة مسيساغا (Mississauga) في منطقة جنوب شريدان (Sheridan) بولاية أونتاريو (Ontario) يعتبر من أكبر مساجد كندا مساحة، لا يجاريه في المساحة والفخامة إلا مسجد كالجاري (Calgary) الكبير الذي افتتح منذ سنتين في مدينة كالجاري الكندية. ومسجد «إسنا» هذا مركز ومقر «الجمعية الإسلامية في أميركا الشمالية» (Islamic Society of North America) أو الاتحاد الإسلامي لأميركا الشمالية- كندا، كما يسمونه هناك، ومن هنا جاء اسم المسجد. تبلغ المساحة الإجمالية للجامع- المركز حوالي ٧ أفدنة (Acre) أي حوالي ٣٠٠٠٠ متر مربع تشغل المباني منه حوالي ١٨٠٠٠ متر مربع، خطط لبناء المسجد عام ١٩٩٥م، وتم شراء الأرض عام ١٩٩٦م، واستغرق بناء المسجد ومرافقه من عام ١٩٩٦م – ١٩٩٨م، وفيه مواقف للسيارات تتسع لحوالي ٥٠٠ سيارة.



تصميم المسجد جاء ليناسب بيئة كندا وجوها البارد والمثلج معظم أشهر السنة، فلا يوجد «صحن» للجامع كمساجدنا في البلاد العربية والإسلامية وإنما له صالة مغطاة تتسع لحوالي ١٥٠٠ مصل، يزداد هذا العدد في أيام الجمع إلى ٢٥٠٠ شخص، وفي العيدين وشهر رمضان المبارك يرتفع إلى ٣٠٠٠ شخص، يصلون في مداخله وممراته وساحاته الخارجية إذا سمح الطقس بذلك، وقد خصص حوالي ربع مساحة الصالة الرئيسية للنساء خلف الرجال ولهن مدخل خاص بهن.



الصلاة مرتان

ونظرًا للازدحام الشديد في أيام الجمع فإن صلاة الجمعة تقام فيه مرتين وأحيانًا ثلاث لإتاحة الفرصة، لأكبر عدد من المصلين لحضورها، ولكل صلاة امام وخطبة ودعاء، ولقد اعتمدوا في ذلك على فتوى شرعية أجازت لهم ذلك، وقياسًا على ما كان في بعض المساجد في عصور إسلامية سابقة.

يوم الجمعة ليس يوم عطلة في كندا، إنما تعطل الدوائر والمؤسسات يومي السبت والأحد، ومع ذلك يستأذن العمال والمستخدمون المسلمون ساعة الصلاة ثم يعودون إلى أعمالهم.

وإذا كان هذا حال المسجد أيام الجمع فإن الوضع مخالف لذلك باقي أيام الأسبوع، فقد حضرت صلاة العصر في المسجد في يوم الأربعاء ولم يزد عدد المصلين عن ٣٠ مصليًا، حالهم في ذلك حال كثير من مساجدنا العربية.

والطريف أن بعض المصلين، وعقب الانتهاء من صلاة الجمعة يعرضون بضائع جلبوها لبيعها والتربح منها، كالخضراوات والفواكة، والملابس الإسلامية والأحجبة، والزيوت والأجبان وغيرها!

ومع أن هذا مخالف للقوانين الكندية، إلا أن الشرطة الكندية المتواجدة بكثرة لتنظيم المرور تقف عاجزة أمام هذه المخالفات حتى لا تتهم بالعنصرية ومعاداة الإسلام!

قبة ومئذنة

للمسجد قبة واحدة تبدو للقادم من بعيد خضراء اللون قطرها حوالي ٢٠ مترًا ولكنها متوسطة الارتفاع وبدون منصة وقاعدة تقوم عليها، لذلك تصعب رؤيتها من ساحات المسجد

وتتوسط قبة المسجد من الداخل وتتدلى منه ثريا جميلة من البلور النقي يشع نورها على الآيات القرآنية التي أحاطت بالقبة، أما عن محراب المسجد فهو متواضع يخلو من الزخارف، والمنبر أكثر تواضعًا، له سلالم ودرجات من الخشب يسهل نقلها وتحريكها حسب الحاجة، أما المئذنة الوحيدة للمسجد فهي ترتفع عن سطح الأرض ١٨ مترًا، تنتهي بقبة صغيرة تشبه القبة الرئيسية للمسجد بلونها الأخضر، أما الميضأة (مكان الوضوء) فهي ملاصقة للمسجد ولا تتسع لأكثر من ٦ أشخاص.

يبدو لي أن الاهتمام كان بمرافق المسجد أكثر من مبنى المسجد نفسه، ويظهر ذلك واضحًا من فخامة المكاتب وتجهيزاتها العصرية وقاعات الاجتماعات وغيرها!

إن مسلمي كندا يتحدرون من

* تربوي مقيم بالكويت

مختلف بقاع العالم الإسلامي، وفيهم من الكفاءات العلمية والهندسية ما يمكنهم من إبراز وإظهار جماليات فن العمارة الإسلامية التي جمعت خلاصة فن العمارة الفارسية والهندية والرومية والبيزنطية والقبطية والتركية وصهرتها في بوتقة واحدة هي الحضارة العربية الإسلامية، وكان بإمكانهم إحضار المواد الخام كالرخام والخشب المحفور والزجاج الملون وغيرها من البلاد الإسلامية.

مدرسة نظامية

من أهم منجزات الاتحاد الإسلامي في أميركا الشمالية- كندا.. وجود مدرسة ثانوية ملحقة بالمركز معترف بها من وزارة التربية بولاية اونتاريو (Ontario) الكندية ينتظم فيها أكثر من ١٠٠ طالب وطالبة في الصفوف التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر، يدرسون إلى جانب مواد الدارسة المقررة القرآن الكريم والشريعة الإسلامية والفقه واللغة العربية!

ويستطيع خريجو هذه المدارس الالتحاق بجامعات ولاية اونتاريو، يدرّس في هذه المدرسة حوالي ٢٢ مدرسًا يحملون شهادات عليا في الفقه والقانون وأغلبهم من باكستان.

مرافق أخرى

ملحق بالمركز والمسجد مكتبة تضم كتبًا متواضعة- كمًا ونوعًا- وهي بحاجة إلى من يرفدها بالكتب من أجل الخير، ومكتبة تجارية تبيع المصاحف والأشرطة والـ CD وكذلك تحف إسلامية وعطور، وفيها مكتب سفريات يقوم بتيسير وتسيير حملات الحج والعمرة إلى الديار المقدسة طوال العام،



كما يقوم إمام المسجد بعقد الزواج وتوثيقه حسب الشريعة الإسلامية، ويمكن إقامة حفل بسيط بعد ذلك.

في المركز مكان لتجهيز وغسل الموتى من المسلمين ووضعهم في صناديق خشبية (توابيت) حتى لا تجرفها الأمطار! ويتكفل أهل المتوفى بدفع مصاريف التجهيز، ويشرف على هذا رجال دين من أهل الثقة والأمانة.

وتوجد مقابر عدة للمسلمين في ولاية أونتاريو وفي العادة تكون مجاورة لمقابر غيرهم كما في مدينة برامبتون (Brampton) ومدينة أوكفيل (Oakville).

لحم حلال

سألت الإخوة في المسجد عن وجود مكان لذبح الأنعام والطيور حسب الشريعة الإسلامية، كما هو موجود في المراكز الأخرى في لندن وباريس وروما وواشنطن وديترويت وغيرها، فقالوا: الإخوة الأفغان هم الذين يحتكرون بيع اللحوم الحلال، فقد سبقوا بناء المسجد في توفير هذا اللحم الحلال بإقامة مزارع لتربية المواشي والأغنام، وصار مألوفًا أن تجد في شوارع كل مدينة في كندا لوحات إعلانية كتب عليها باللغتين العربية والإنجليزية لحم حلال (Lahem Halal)، كما أن بعض الكنديين من غير المسلمين يسألون عن اللحم الحلال.

مهرجان إحياء الروح الإسلامية

تحت هذا الشعار يقيم الاتحاد الإسلامي احتفالاً سنويًا تمارس فيه أنشطة متنوعة، وأقيم مهرجان هذه السنة الذي يحمل رقم ٣٥ يومي ١٥ و ١٦ من أغسطس عام ٢٠٠٩م، وتحدث في الاحتفال الذي أقيم في قاعة مركز الفنون الحديثة Living Arts Room بمدينة مسيساغا كوكبة من المشايخ والعلماء والأساتذة من عدة بلدان منهم د.عمر الفاروق عبدالله (أميركا) والمفتي محمد بن آدم الكوثري (المملكة المتحدة) ود.ألطاف حسين ود.منير القاسم والشيخ علاء السيد (كندا) وغيرهم، كما تعرض فيه بعض منتجات العالم الإسلامي الغذائية مثل العسل وزيت الزيتون وحبة البركة، والملابس والتحف ومعلقات الآيات القرآنية وغيرها.

لقد سعدت بلقاء إمام وخطيب المسجد الشيخ علاءالدين السيد وهو من أصول مصرية عاش في جنوب إفريقيا فترة ثم استقر في كندا.

وكذلك بعض أعضاء الاتحاد الإسلامي منهم د.عبدالله إدريس ود.يحيى فضل الله، إمام وخطيب مسجد الفاروق، ود.محمد أشرف السكرتير العام للاتحاد في كندا، وهم يرحبون بأي تعاون مع الإخوة في البلاد الأخرى لإعلاء كلمة الحق والدين.

ما يسرنا أن الآذان يرفع خمس مرات في اليوم من مئذنة جامع إسنا معلنا «الله أكبر» «محمد رسول الله» «حي على الصلاة».. ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾.

توجيه الكراسي المتحركة بالأوامر الصوتية

د. عبدالرحمن النمر

بعض ضحايا الحوادث يصابون بشلل يلزمهم بقضاء بقية العمر في كرسي متحرك، والكراسي المتحركة الشائعة الاستعمال إلى اليوم ليست أكثر من سجن يضاف إلى سجن المرض، بحيث يكون المريض حقيقة «رهين المحبسين»! وقد اشتغلت مراكز أبحاث المعوقين بمحاولة تطوير الكراسي المتحركة لتوفير قدر أكبر من الحرية لضحايا المرض، والنظر إلى هذه المحاولات الأولية يبعث بوارق الأمل في يوم يتحرر فيه المعوقون من أحد المحبسين.

التعويق المقصود في موضوعنا هنا هو الإصابة بشلل الطرفين السفليين خصوصًا، أو الأطراف الأربعة عموماً. والطرف السفلي «lower limb»، تعبير طبي يطلق على الجزء من الجسم الواقع بين مفصل الفخذ إلى أطراف أصابع القدم، وعلى ذلك فإن الطرف السفلي من الجسم يشمل الفخذ والساق والقدم، ويناظره الطرف العلوي «upper limb»، وهو الجزء من الجسم الواقع بين مفصل الكتف إلى نهاية أصابع اليدين، وعلى ذلك فإن الطرف العلوي يشمل العضد والساعد واليد، هذا وتُطْلقُ العامّةُ على الطرف السفلي اسم «الَرِّجْل» وعلى الطرف العلوي اسم «الذراعَ».

من أهم أسباب الإصابة بشلل الأطراف، إصابات العمود الفقري التى تؤدي إلى قطع الصلة العصبية بين المخ وبين العضلات في الأطراف، بحيث تصبح العضلات عاجزة عن الحركة، وأكثر إصابات العمود الفقري تنتج عن حوادث السيارات («العمود الفقري» «vertebral column» = سلسلة الظهر).

يقدر عدد المصابين بالشلل نتيجة حوادث السيارات في الولايات المتحدة (كمثال) بحوالي ستة آلاف وخمسمائة (٦٥٠٠) ضحية كل عام! ويرجع الشلل في هذه الحالات إلى التلف الواقع في الحبل الشوكي نتيجة إصابة العمود الفقري. والحبل الشوكي «spinal cord»، هو الجزء من الجهاز العصبي الواقع داخل تجويف الفقرات العظمية التى تتكون من مجموعها سلسلة الظهر. ويتصل الحبل الشوكي بقاعدة المخ (داخل الجمجمة، التي هي عظام الرأس). وكذلك تتصل بالحبل الشوكي جميع الأعصاب الطرفية، التى تمتد بين الحبل الشوكي والأطراف (وقد سبق بيان مدلول تعبير الأطراف)، وعلى ذلك فإن الحبل الشوكي هو همزة الوصل بين المخ من ناحية، وبين الأطراف من ناحية ثانية، فإذا وقع في الحبل الشوكي تلف، انقطعت الصلة بين المخ وبين واحد أو أكثر من الأطراف بحسب موضع التلف في الحبل الشوكي.

ومن الأسباب المهمة كذلك للإصابة بشلل الأطراف حوادث نزيف المخ التي تؤدي إلى منع توارد



الدم إلى مراكز الحركة في المخ، ويكون الشلل في طرف واحد أو أكثر، تبعا للجزء المتأثر بالتلف من مركز الحركة في المخ.

الكراسي التقليدية

ضحايا الشلل يضطرون إلى استعمال ما يسمى «الكرسي المتحرك» «أو الكرسي ذو العجلات» «wheelchair» كوسيلة للحركة بعد فقدان القدرة على المشي، والكرسي المتحرك- كما يوضح اسمه- مزود بعجلات خاصة، يديرها المصاب بيديه كلما أراد الانتقال من مكان إلى مكان، فيمشي به الكرسي إلى غايته.

هذا النوع من الكراسي المتحركة، وهو الشائع الاستعمال إلى اليوم، له عيوب خطيرة. فأولا، لا يستطيع استعمال الكرسي المتحرك شخص مصاب بشلل الأطراف الأربعة، إلا أن يستعين بإنسان يدفع الكرسي نيابة عنه، أي أن الذين يمكن أن يستفيدوا من الكرسي المتحرك هم أولئك المصابون بشلل الأطراف السفلية فحسب. وثانيا، فإن المُقْعَد في كرسي متحرك يبذل مجهودا كبيرا لدفع العجلات بيديه لتحريك الكرسي، مما يعرِّض المُقْعَد للإجهاد بسرعة، فضلا عن أن المجهود البدني الكبير المبذول في دفع الكرسي للحركة يؤدي إلى توليد طاقة حرارية كبيرة في الجسم، تؤدي بدورها إلى رفع درجة حرارة الجسم، وهذا الارتفاع في درجة الحرارة له آثاره العكسية على الجسم، ذلك أن عملية تنظيم وتوزيع الحرارة في الجسم تكون مضطربة عند هؤلاء المرضى بسبب التلف الحادث في الحبل الشوكي، والذي ترتب عليه قطع الصلة بين المخ وبين الأطراف، وعلى الرغم من أن تنظيم وتوزيع الحرارة في الجسم عملية حيوية مركبة، فإن الشق العصبي بالغ الأهمية، إذ تنقل أعصاب الحس إلى المخ الشعور بالسخونة أو البرودة، وعلى ضوء هذه المعلومات يوجه المخ عملية توزيع الحرارة في الجسم، بما في ذلك إثارة عمليات فقدان الحرارة من الجسم، أو توليدها في الجسم، بما يحقق أقرب منسوب مستطاع إلى المعدل الطبيعي لدرجة الحرارة.

المجهود البدني الكبير المبذول لتحريك الكرسي ذي العجلات التقليدي يضع عبئا كبيرا على القلب، وفي الوقت نفسه فإن هذا المجهود العضلي لا تستفيد منه كل عضلات الجسم، فعضلات البطن والظهر والطرف المشلول لا تشترك في الجهد المبذول، الأمر الذى يعرضها للضمور.

علاوة على كل ما تقدم، فإن مجال الحركة بالكرسي ذي العجلات محدود جدا، فداخل المنازل يعترض الأثاثُ طريقَ الحركة، فضلا عن ضيق المساحات الحرة في أبنية هذا الزمان أصلا. وخارج المنازل، لا يسمح تصميم الشوارع والطرق بحركة حرة لإنسان مُقعد في كرسي، وقل الشيء نفسه عن تصميم الأبنية والمنشآت العامة.

وقد تنبه قسم رعاية المعوقين التابع لمنظمة الصحة العالمية إلى تضييق الخناق (غير المتعمد) على حركة المقعدين، فوجهت نداء إلى مهندسي ومصممي الطرق والمنشآت العامة إلى النظر بعين الاعتبار إلى مشكلة المعاقين بحيث يكون لهم مكان في أبنية ومنشآت المستقبل.

نظام التحكم بالصوت في الكرسي المتحرك يعمل بالبطارية ويتكون من «معامل كلمات» وكمبيوتر صغير

ابتكارات جديدة

اشتغال مراكز أبحاث المعوقين بالحاجات الفيزيائية للمقعدين، وآثار ذلك على وظيفة القلب والرئتين أمر جديد، وفى «معهد إعادة تأهيل المعوقين» في نيويورك (الولايات المتحدة الأميريكية) نشأت فكرة ابتكار ما يسمى «وحدة التحكم في البيئة» (أو ما يعرف اختصارا بحروف الانكليزية «ECU») وإلحاقها بالكراسي المتحركة التى يستعملها المقعدون، بحيث يتمكنون عن طريقها من فتح الأنوار والإجابة على الهاتف وتشغيل المذياع أو التلفاز وتحريك الستائر، إلى غير ذلك من الأعمال البسيطة التى يحتاج إليها الشخص المقعد والتى تهون عليه حبسه. وأهم من هذا كله توجيه الكرسي المتحرك بالأوامر الصوتية.

نظام التحكم بالصوت في الكرسي المتحرك يعمل بالبطارية، ويتكون من «معامل كلمات» و«مُمَحِّص» (أو مستخلص مميزات) وكمبيوتر صغير، وهناك مكبر صوت (ميكروفون) يثبت في الكرسي المتحرك بحيث يقع أمام وجه المُقْعَد في الكرسي، ويتصل مكبر الصوت بمعامل الكلمات، الذي يتصل بدوره بجهاز التمحيص أو تمييز نبرات الصوت، والأخير يتصل بالكمبيوتر الصغير الذي يعمل عمل دينامو أو محرك لتنفيذ الأوامر، وهناك ضوء صغير (خلية ضوئية) يدخل في دائرة نظام التحكم الصوتي ويكون مثبتا كذلك في مواجهة الشخص المقعد.

طريقة تشغيل نظام التحكم بالصوت تعتمد على تدريب وحدة تمييز نبرات الصوت، وعلى تخزين أكبر عدد ممكن في ذاكرة الكمبيوتر من الفوارق الصوتية عند نطق اللفظ الواحد، ولذلك يبدأ الشخص المقعد بنطق الأمر الواحد عشر (١٠) مرات، محاولا

في كل مرة تغيير نبرة صوته في حدود وعيه، بحيث تختزن ذاكرة الكمبيوتر كل الاحتمالات الصوتية الممكنة للأوامر التى يمكن توجيهها.

بعد عملية التدريب الأولية وتخزين المعلومات يكون النظام مستعدا للعمل، وعندما يصدر الشخص المقعد أمرا في مكبر الصوت، مثل اتجه يمينا، تضيء الخلية الضوئية دلالة على أن نظام التحكم الصوتي قد استقبل الأمر، إلا أن الجهاز مصمم بحيث لا ينفذ الأمر مباشرة، لإعطاء الشخص المقعد فرصة لتغيير قراره إذا دعت الظروف إلى ذلك. وإنما يتم تنفيذ الأمر الصادر عندما يصدر الشخص المقعد أمره بالتنفيذ، كأن يقول مثلا «نفذ». عندها يوجه الكمبيوتر الصغير الكرسي المتحرك إلى الحركة جهة اليمين. ولإيقاف الكرسي، توجد فرملة داخلة في دائرة نظام التحكم بالصوت، وهي عبارة عن وسادة هوائية خلف رأس المقعد، وبمجرد الضغط بالرأس على هذه الوسادة (التي هي الفرملة) يتوقف الكرسي عن الحركة!

وإذا بدا هذا الابتكار عجيبا، فأعجب منه نظام التحكم الذي يعمل بالهمهمة، والذى يقتصر استعماله على المصابين بالبكم إضافة إلى الشلل، ونظام التحكم بالهمهمة مزود بجهاز حل شفرات الصوت، مكان جهاز تمييز نبرات الصوت، وبطبيعة الحال فإن الأوامر التى يمكن إصدارها محدودة، وتدور حول توجيه الكرسي في واحد من الاتجاهات الأربعة: إلى أمام، إلى وراء، إلى شمال، إلى يمين.

ويبدو أن مراكز أبحاث المعوقين قد عقدت العزم على إحداث طفرة في الكرسي المتحرك، تواكب التقدم العلمي والتقني في القرن الحادي والعشرين، فهناك تفكير نابع من جامعة

إذا كان الكرسي المتحرك الموجّه بالأوامر الصوتية ابتكارا عجيبا فالأعجب منه نظام التحكم الذي يعمل بالهمهمة للمصابين بالبكم

«ستانفورد» في الولايات المتحدة، يدور حول تزويد الكراسي المتحركة بأجهزة استشعار المسافات والتى تعمل بالموجات فوق الصوتية، بهدف تأمين عدم ارتطام الكرسي المتحرك بأي أجسام في طريق حركته! وهناك فكرة أخرى تأتي من مركز لأبحاث المعوقين في «كاليفورنيا» (الولايات المتحدة كذلك) وتدور حول استعمال دوائر كهربية ذات تيار ضعيف لتنشيط عضلات المشلولين، على أمل استعادة القدرة على الحركة في مستقبل قد تجود فيه المعرفة الطبية بعلاج لوصل ما انقطع من صلة الأعصاب بالأطراف!

هذه الأفكار والابتكارات ما تزال قيد التجريب في مراكز الأبحاث، إلا أن العمل يجري الآن لتخفيض تكاليف الإنتاج بحيث يمكن طرح الكرسي المتحرك المزود بنظام التحكم الصوتي في الأسواق بسعر معقول، وإلى أن يحدث ذلك، يتجدد الأمل في تحرير المعوقين من أَسْرِهم، أو على الأقل في تخفيف محنتهم.





فقدت الأمة الاسلامية أخيراً رجلا من رجالاتها المخلصين يعد صانع نهضة تركيا الحديثة، ومحيي أسسها الحضارية العميقة، وهو من أوائل من عملوا على توطيد العلاقات مع البلاد الإسلامية، في وقت قطعت فيه العلمانية التركية أواصر البلاد الحضارية، سواء مع العرب أو غيرهم من المسلمين، إنه العالم والمفكر السياسي نجم الدين أربكان.

نجم الدين أربكان في ذمة الله

علاء فاروق

يعد أربكان من نسل الأمراء السلاجقة، الذين عرفوا في تاريخ تركيا، وكان جده آخر وزراء ماليتهم وكانت أسرته تلقب، بآل الوزير.

وبدأ أربكان رحمه الله، حياته بكل همة وجد وكان متفوقا في دراسته، فقد أنهى دراسته الثانوية في عام ١٩٤٣م، ليلتحق بكلية الهندسة الميكانيكية، التي تخرج منها سنة ١٩٤٨م وكان الأول في دفعته، مما أهله لأن يكون معيدا فيها. وفي ١٩٥١م أرسل في بعثة إلى ألمانيا لينال في ١٩٥٣ م شهادة الدكتوراة في هندسة المحركات.

وقد عاد إلى تركيا ليعمل أستاذا في الجامعة وابتكر محرك دبابات تعمل بكل أنواع الوقود. وفي ١٩٦٥م كان عمره ٢٩ عاما، أي أصغر أستاذ جامعي في تركيا آنذاك، وهو أول صانع لمحرك ديزل لا تزال الشركة المصنعة تعمل على انتاجه حتى الآن.

وأصبح رئيسا لاتحاد النقابات المهنية، ثم انتخب عضوا في مجلس النواب عن مدينته قوينة، لكنه منع من المشاركة في الحكومات المختلفة.

ونشأ أربكان في كنف الطريقة النقشبندية برعاية شيخها محمد زاهد كوتكو، وأنشأ عام ١٩٧٠ بدعم من تحالف طريقته مع الحركة النورسية حزب النظام الوطني الذي كان أول تنظيم سياسي ذا هوية إسلامية تعرفه الدولة التركية الحديثة منذ زوال الخلافة عام ١٩٢٤.

ولم تمض ٩ أشهر حتى تم حل الحزب، بعد انذار من قائد الجيش آنذاك محسن باتور. فقام أربكان بتأسيس، حزب السلامة عام ١٩٧٢م، وفاز بـ ٥٠ مقعدا، مما أهله عام ١٩٧٤م من دخول الحكومة الائتلافية مع حزب الشعب الجمهوري الذي أسسه أتاتورك.

وتولى أربكان منصب نائب رئيس الوزراء، وشارك رئيس الوزراء بولند أجاويد في اتخاذ قرار التدخل في قبرص في نفس العام. ومن ذلك الحين أصبح التيار الاسلامي معترفا به في تركيا عمليا. وكان أربكان واضحا في مطالبه، وهو ما أجج الحرب ضده من قبل خصوم تركيا الحضارية، حيث طالب وبشدة لتجريم الماسونية أو منعها في تركيا، وإغلاق محافلها المشبوهة.

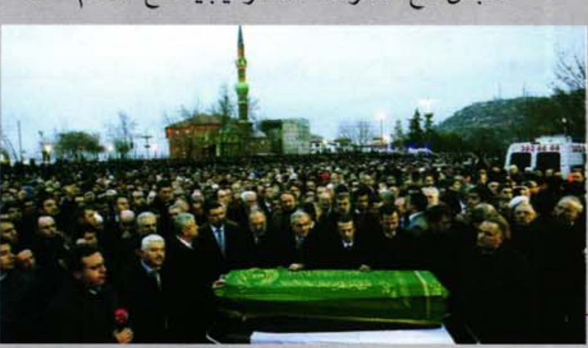
ويعد أربكان كما ذكرنا آنفا أول من فتح المجال مع الشراكة الاستراتيجية مع العالم الإسلامي، عام ١٩٩٦م حيث زار العديد من الدول العربية، وشكل مجموعة الدول الثماني الإسلامية.

وعلى المستوى الشعبي والايديولوجي عمل أربكان على تشكيل مؤتمر عالمي للقيادات الإسلامية. ولذلك تم حظر حزب أربكان سنة ١٩٩٨م فأسس حزب الفضيلة، الذي تم حظره في سنة ٢٠٠٠م.

ناضل رحمه الله، بقوة وعزم معروفين عنه، محاولات الجيش متمثلة في قيادته السابقة، تغيير الأذان من اللغة العربية إلى التركية. وقدم الجيش التركي إلى أربكان، قبل إجباره على الاستقالة سنة ١٩٩٧م أي عام عام واحد من توليه رئاسة الوزراء، ٢٤ مطلبا لتقوم الحكومة بتنفيذها لتفادي الانقلاب العسكري ومن بينها أن يصبح الأذان باللغة التركية، وأن يتم حظره باللغة العربية، ولكنه رفض ذلك، مما دفع الجيش للقيام بانقلاب عسكري في ٢٨ فبراير ١٩٩٧م.

عرف نجم الدين أربكان بدماثة خلقه، وقدرته على التفكير الصائب، فعندما رأى بعض تلامذته، تشكيل حزب مواز، لم يزد عن المطالبة بضرورة وحدة الصف، مع الاختلاف في الرؤى.

توفى نجم الدين أربكان يوم الأحد الموافق ٢٧ فبراير ٢٠١١ م عن عمر ناهز الـ ٨٤ عاما. وبكاه آلاف المشيعين من تركيا والعالم الإسلامي بمشاركة الرئيس عبدالله جول، ورئيس الوزراء، رجب طيب أردوغان.



* باحث دراسات اسلامية






إعداد: التحرير

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

٨١/١٦٤/٥ بيع الشيك بأقل من قيمته

تعلمون أن كثيرًا من التجار والمتعاملين في الأسهم يعطون شيكات بأجل فيقوم آخرون بشراء هذه الشيكات بمبالغ أقل من قيمتها مقابل دفعها نقدًا، فما حكم ذلك في الإسلام؟

أجابت اللجنة: أن هذا يعتبر من باب تمليك الدين لغير من عليه الدين وهو غير جائز، ولاسيما أنه يبيعه بأقل من قيمته فيعتبر ربا. والله أعلم.

٨٤/ع٥/٣ قيام القيد في الحسابات مقام القبض

يريد رجل المتاجرة بالذهب، لكنه سمع أن هناك شبهة حيث يشترط بالذهب القبض وقت الشراء، وحيث إن المعاملات التجارية بين المتعاملين بالذهب بالعملة تتم عن طريق الحسابات الجارية المسجلة بأسمائهم ولا يتم قبض الذهب عينًا، إلا أن المشتري يستطيع استلام الكمية المشتراة إن أراد ذلك، لكن هناك كثير من العوائق (الأمنية) التي تحول دون استلام الذهب، فهل يعتبر تحويل قيمة الذهب في الحسابات قبضًا؟ وهل هناك نواح أخرى في المتاجرة بالذهب؟ وما الفرق بينه وبين المتاجرة بالعملات المختلفة؟

أجابت اللجنة: أن القيد في الحسابات الجارية على ما هو معمول به بصورة لا يمكن الرجوع فيها إلا بإرادة صاحب الحساب يعتبر من قبيل القبض، وهو قبض حكماً بناء على العرف الجاري في العملات المصرفية، لأن القبض ورد بالشرع بالأمر به، ولم يحدد كيفية معينة له، ولا يختلف الأمر بين الذهب والعملات الورقية من حيث القبض على أن يمتنع من إدخال الأجل في هذه المعاملة قطعًا لما فيه من ربا النسيئة الممنوع بنص الحديث، على أن يكون يدًا بيد، لما رواه البخاري ومسلم ومالك من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل ولا تشفوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا الورق بالورق إلا مثلاً بمثل ولا تشفوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا منها غائبًا بناجز»، وما رواه مالك في الموطأ موقوفًا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنحو الحديث المذكور وزيادة «وإن استنظرك إلى أن يلج بيته فلا تنظره إني أخاف عليكم الرماء. والرماء هو الربا» وفي حكم الأجل أي إجراء يترتب عليه تأخير حق تصرف أحد الطرفين في البدل الذي انتقل إليه. وإذا كانت المتاجرة تتم بين الذهب وذهب آخر فلابد من التقابض والتماثل في الوزن ولا عبرة بفرق قيمة الصناعة، أما المتاجرة بالعملات فيجوز التفاضل بينها مع اشتراط القبض لقول الرسول ﷺ: «إذا اختلف الجنسان فبيعوا كيف شئتم على أن يكون يداً بيد». والله أعلم.

٨١/١٥٣/٣ بيع الأسهم المشاع

(أ) هل يجوز البيع والشراء في الأسهم المتداولة في بورصة الكويت والمضاربة بها، علمًا بأن هذه الشركات صناعية كانت أو عقارية تودع بعض أموالها في البنوك، وتأخذ عليها فوائد، أو تقترض من البنوك بفائدة لتكملة مشاريعها؟

(ب) الشركات السالفة الذكر تدفع أرباحًا سنوية للمساهمين وفيها نسبة من فوائد البنوك داخلة ضمن أرباح هذه الشركات، فما حكم هذه الأرباح وأين تنفق؟

(ج) توزع الشركات المساهمة سنويًا أسهمًا منحة من الشركة بقيمة اسمية أو رمزية مقدارها دينار، علمًا بأن هذا السهم يقدر في السوق بأضعاف قيمته، علمًا بأن هذا السهم الموزع على المساهم كمنحة مجانية له من الشركة دخل ضمن قيمته الاسمية أرباح بنوك تصل أحيانًا إلى



٧٠٪ من قيمته الاسمية، فما حكم هذه الأسهم؟ وهل تجوز المضاربة بها والانتفاع بأرباحها أم لا؟

(د) هل يجوز بيع الأسهم بالأجل؟

وبعد عرض الموضوع على اللجنة أجابت بما يلي:

(أ، ب) إن الشركات التي ليس عملها الأساسي التعامل بالربا أو المحرمات فلا مانع من التعامل معها أو المساهمة فيها، أما إن كان عملها الأساسي التعامل بالربا أو المحرمات فتحرم المساهمة فيها.

أما إذا تعاملت بالربا إقراضًا فعلى المساهم أن يتخلص من الربح الذي أصابه من هذا السبيل بإنفاقه في أي عمل من أعمال الخير، بشرط ألا يقضي به دينًا، وألا يبني به مسجدًا، وألا ينفقه على أهله، ولا يحتسبه من الزكاة.

أما إن كانت الشركة تقترض بالربا فإن كان الاقتراض لضرورة أو حاجة ملحة فلا إثم على الشركة، وإنما الإثم على المقرض بالربا ويكون الإثم مضاعفًا.

وإن كان الاقتراض لغير ذلك فيكون شريكًا في الإثم إذا أقر الشركة على هذا التصرف، وعليه أن يعمل على التخلص من هذه المعاملة الربوية.

(ج) لا مانع شرعًا من أن توزع الشركة أسهمًا على مساهميها مع ملاحظة أن يكون أصل هذه الأسهم من كسب حلال، وتجوز التجارة بها وبيعها وشراؤها إذا كان مصدرها حلالًا، حتى ولو بيعت بأكثر من ثمنها الرمزي.

(د) السهم ما هو إلا جزء شائع في شركة وبيع المشاع جائز سواء كان حالًا أو مؤجلًا. والله أعلم.

٨١/١٤٣/٦ بيع القط

هل يجوز بيع القط المستأنس في البيوت لتسلية الصغار؟

أجابت اللجنة بكراهة بيع القط المستأنس لورود النهي في ذلك. والله أعلم.

٨٤/٤٤٦/٣ بيع الذهب بالذهب بزيادة نقدية

(أ) ما حكم من يشتري مصاغ ذهب جديد بمصاغ ذهب قديم مع زيادة نقدية؟ علمًا أن المصاغين متماثلان وزنًا موضحين ما يلي:

أن الجاري في تجارة الذهب أن التاجر الذي يشتري مصاغًا جديدًا يدفع فيه قيمة وزن الذهب كما هو سعره في السوق، وأيضًا قيمة الصياغة، وهي هنا الزيادة التي يأخذها بائع المصاغ الجديد، فهل هذا البيع جائز أم يدخل في النهي الوارد في الأحاديث المعروفة في هذا الباب؟

أجابت اللجنة بما يلي: إن هذا البيع المشار إليه في السؤال يدخل في النهي الوارد عن بيع الذهب بالذهب متفاضلًا، والطريقة الصحيحة لمثل هذه المبادلة التي يجري العمل بها هي:

بيع الذهب غير المصوغ بالعملات النقدية ثم شراء الذهب المصوغ بالعملات النقدية أيضًا أي لا بد من إجراء عقدين منفصلين، وقد ورد في نحو هذه المعاملة في عهد الرسول ﷺ فقد روي ما نصه «أن رسول الله ﷺ استعمل رجلًا على خيبر فجاءه بتمر جنيب، فقال رسول الله ﷺ أكلّ تمر خيبر هكذا؟ قال: لا والله يا رسول الله: إنا نأخذ الصاع من هذا بالصاعين، والصاعين بالثلاثة، فقال رسول الله ﷺ: لا تفعل، بع الجمع بالدراهم، ثم ابتع بالدراهم جنيبًا» رواه البخاري، والجنيب: هو الذي أخرج منه حشفه ورديئه، وهو الذي لا يخلط بغيره، بخلاف الجمع. والجمع: هو التمر المختلط. (فتح الباري ج٤ ص٣٩٩ حديث رقم ٢٢٠١،٢٢٠٢) ولابد من التقابض في المجلس. والله أعلم.

(ب) هل التماثل في المصاغات الذهبية يكون في الوزن فقط أو أن التماثل ينبغي أن يكون كذلك في نوع القطعة نحو قلادة، أسورة، خاتم، وكذلك في عيار الذهب نحو ذهب عيار ١٨، ٢١،٢٤،... إلخ؟

أجابت اللجنة بما يلي: إن التماثل في بيع الذهب بالذهب سواء كان مصوغًا أو غير مصوغ العبرة فيه بالوزن فقط، ولا ينظر إلى نوع القطعة المصوغة، كما لا ينظر إلى عيار الذهب ما دام الذهب هو الغالب كالعيارات المشار إليها في السؤال، فإن صار الذهب مغلوبًا كعيار (١١) فما دونه فيعتبر نوعًا آخر بحسب المعدن الغالب فيه، إذ العبرة للأكثر، والحل الشرعي في مبادلة هذه الأنواع من الحلي أو العيارات المختلفة بعضها ببعض هو ما سبقت الإشارة إليه في جواب السؤال الأول من بيع النوع الأدنى بالنقد، ثم شراء النوع الأعلى بالنقد أيضًا مع الأخذ في الاعتبار وجوب التقابض في المجلس. والله أعلم.

(ج) ما حكم من يسعّر بسعرين مختلفين لمصاغ ذهب واحد، فمثلًا إذا أراد بائع المصاغ أن يأخذ قيمة المصاغ نقدًا يكون السعر المعطى له أقل مما لو أراد بائع المصاغ أن يشتري بثمن مصاغه مصاغًا آخر، حيث يكون السعر المعطى أكثر، فهل يجوز هذا؟ وهل هذا هو المراد في البيعتين ببيعة؟

أجابت اللجنة بما يلي: إن كان المراد من هذا السؤال تطبيق ما عليه العمل من بيع المصوغ بمصوغ آخر مع فرق في الثمن فهذا ما تقدم منعه إلا عن طريق البيع بالعملة النقدية ثم الشراء بالعملة النقدية، وقد سبق بيان الحكم الشرعي فيه.

أما إن كان المراد شراء المصوغات القديمة بسعر أعلى إذا كان البائع يريد شراء مصوغ جديد فيما بعد، وشراءها بسعر أدنى إذا كان لا يرغب فيما بعد شراء مصوغ جديد فهذا التفاوت جائز بشرطين:

أولًا: أن يتم ذلك بعقدين مستقلين.

ثانيًا: أن تكون هذه الرغبات مساومة قبل العقد، وأن يقع العقد على سعر واحد، وإلا كان من بيعتين في بيعة، وعلى جميع الأحوال لابد من التقابض في المجلس. والله أعلم.



إعداد: خالد خلاوي

الإيجابية.. قولًا وعملًا

الناس تجاه ما يشاهدونه من سلبيات الحياة صنفان: صنف يكتفي بالمشاهدة والنقد السلبي دون أن يكون له أي دور، وصنف آخر يسارع بعمل شيء إيجابي نافع لأنفسهم وأوطانهم، وهؤلاء هم الإيجابيون الذين يفكرون فيما حولهم من مشكلات في مجتمعاتهم ويبحثون لها عن الحلول الناجحة ويسعون لبذل ما في وسعهم لتطبيقها سواء بأنفسهم أو إرشاد غيرهم لتنفيذها أو تقديم المشورة للمسؤولين عن حلها.

فالإيجابية هنا لا تتوقف على العمل وحسب فقد تكون إيجابيًا:

- بفكرة.
- بنصيحة.
- بمشاركة وجدانية.

ولا تتوقف الإيجابية عند حدود الزمان والمكان فهي تكون في البيت وفي العمل وفي الشارع وفي الأماكن العامة وفي كل مناشط المجتمع، وتكون الإيجابية والمبادرة بالخير في كل الأوقات، ومثالنا الكبير في ذلك إيجابية أبي بكر رضي الله عنه في وقت الفجر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم اليوم صائما؟ قال أبوبكر: أنا، قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبوبكر: أنا. قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكينا؟ قال أبوبكر: أنا، قال: فمن عاد منكم اليوم مريضا؟ قال أبوبكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة» (رواه مسلم).

ونستفيد من هذا الحديث الشريف تحفيز كلمات رسول الله ﷺ أصحابه نحو الإيجابية، يقول خبير التنمية البشرية إبراهيم الفقي: إن كل كلمة وكل فكرة تعد بمثابة طاقة روحية تقوم بتنشيط قوى الحياة في داخلك، سواء كانت ذات طبيعة سلبية أو إيجابية.

وتشير دراسات التنمية البشرية إلى أن الإنسان يتحدث إلى نفسه يوميًا عشرات الكلمات والتعبيرات، ٨٠٪ من هذه الكلمات عند الكثيرين سلبيه ومنها ما يعبر عن القلق والتخوف والحزن.. مثلًا «هذا أمر يصعب تحقيقه» «لا يمكنني فعل ذلك» «أخاف من...» «ليست لدي القدرة على...» وغيرها من الكلمات التي تؤثر سلبًا على النفس وعلى التفكير الإيجابي، لذا عود نفسك على التفكير الإيجابي والتعبيرات الإيجابية مثلا: «أنا واثق» «سوف أنجز بسهولة» «يمكنني عمل ذلك» «سوف أسعى بكل جهدي» «أشعر بالهمة والنشاط» «أمر صعب ولكني سأحاول» وغيرها من الكلمات الإيجابية.

ولرسول الله ﷺ مواقف عديدة في الإيجابية والتوجيه نحو الإيجابية وكان يحرص على البعد عن الكلمات السلبية فيروي خادمه أنس رضي الله عنه أنه لم يسمع منه كلمة سلبية قط طوال فترة خدمته، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين والله ما قال لي أف قط، ولا قال لي لشيء لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا» (رواه مسلم)

وكان ﷺ يحذر أصحابه من التعبيرات السلبية حتى في وصف أمر واقع، عن السيدة عائشة رضي الله عنها :«لا يقولن أحدكم خبثت نفسي، ولكن ليقل لقست نفسي» (صحيح البخاري)

وكان ينهى أصحابه عن تسمية الأبناء بأسماء تحوي معاني السلبية أو الغلظة، فقد روي عن رسول الله ﷺ قوله: «خير الأسماء عبدالله وعبدالرحمن وأصدقها الحارث وهمام وشرها حرب ومرة». (السلسلة الصحيحة: ١٠٤٠). ويروى أنه ﷺ غيّر ما قبُحَ من أسماء الصحابة. فعن ابن عمر: «أن ابنةً لعمر كان يقال لها عاصية؛ فسماها رسول الله ﷺ جميلة» (صحيح ابن ماجه).

وأمرنا أن نجنب أولادنا الأسماء المشتقة من كلمات توحي بالتشاؤم، حتى يسلم الولد من مصيبة هذه التسمية وشؤمها.

روى سعيد بن المسيب أن جده حزنا قدم على النبي ﷺ فقال: «ما اسمك؟». قال: اسمي حزن، قال: «بل أنت سهل». قال: ما أنا بمغير اسمًا سمّانيه أبي، قال ابن المسيب: فما زالت فينا الحزونة بعد. (صحيح البخاري).

صور من حياة المتميزين

أكياس تيري

هناك نموذج معاصر للإيجابية في قصة مواطن قدم لنفسه ووطنه عملاً مفيدًا وحل مشكلة عانى منها المجتمع من حوله، إنه الأميركي تيري فينبرج الذي اعتاد على الاستيقاظ مبكرًا ليجد أكياس قمامته متناثرة المحتويات قد جاست خلالها الحيوانات وعفت عليها الحشرات، ولذا تعين عليه إعادة جمع القمامة في الصباح مرة أخرى وتجهيزها ليتم التقاطها بواسطة عمال النظافة، وقرر تيري البحث عن حل جذري لهذه المشكلة المتكررة، وبعد ثلاث سنوات من البحث والتطوير، ابتكر أكياس قمامة يميل لونها للحمرة الخفيفة، وتفوح منها رائحة النعناع، سماها ريبل-ام أو اطرد-هم.

أبحاث تيري والتي ساعده فيها صديقه الكيميائي كشفت أن أكياس القمامة المعتادة تأتي عادة في لونين: الأبيض والأسود، وهي ألوان تراها الحيوانات والحشرات بل وتجذبها إليها، وأما اللون الذي لا تراه تلك المزعجات بوضوح كاف فهو اللون الأحمر تحديدًا. كذلك كشفت أبحاث تيري أن أكياس القمامة المعتادة تأتي في سُمك رفيع ما يجعل الحشرات والحيوانات قادرة على شم محتويات تلك الأكياس، ولذا عمد إلى تصميم أكياسه بسُمك يقلل من قدرة تلك الأنوف على التقاط رائحة محتويات الأكياس.

لو كان تيري من الباحثين عن الثراء السريع، دون أي اعتبار لصحة المستخدمين، لما اضطر للانتظار ثلاث سنوات قضاها في تجربة الروائح الطبيعية الطاردة للحشرات والحيوانات، والتي تكون مقبولة لبني البشر دون أي ضرر صحي أو طبي عليهم في ذات الوقت، حتى توصل لرائحة تشبه كثيرًا النعناع الطازج، وكلما قويت تلك الرائحة، أبعدت المزيد من الحيوانات والحشرات، دون أن تصيبها بأي ضرر، ما يجعلها مناسبة للاستعمال مع الحيوانات الأليفة في المنازل، والتي يرغب أصحابها في إبعادها عن أماكن محددة في منازلهم. تستخدم تلك الأكياس مادة البلاستيك بنسبة ٨٠٪ وهي قابلة لإعادة التدوير، ما يجعلها صديقة للبيئة.

يحكي تيري كيف أرسل منتجه لسيدة شكت له من قطتها التي اعتادت تدمير زهورها، فما كان منها إلا أن وضعت كيسا من أكياس تيري بجانب تلك الزهور، فما أن اقتربت القطة وشمت حتى أدبرت ولم تقترب من ذلك المكان بعدها، رغم إبعاد سيدتها لكيس القمامة.

كلمات في التميز

فكر بإيجابية

درب عقلك على الإمساك بزمام المبادرة دائمًا.. كن الفعل ولا تكن رد الفعل.

ديل كارنيجي

إن التفكير القوي الواضح في داخل المكتب شيء جميل جدًا، إلا أن التفكير بمثل هذه القوة والوضوح وسط الأعاصير هو الممارسة المثالية للقدرات الإنسانية.

غوفيون سان سير

إننا أحيانا نفعل ما قد ظنناه مستحيلا، نفعله بكل بساطة ومن حيث لا ندري.

محمد عبد الحليم عبد الله

السلوك الإنساني هو قصد وحركة، وإن القصد يتجسد في الفكر والإرادة، والحركة تتجسد في التعبير والممارسات العملية.

ماجد عرسان الكيلاني

التأمل العميق ومحادثة النفس بأسئلة تبحث عن إجابات محددة وواضحة تلك هي الوسيلة الأجدى لتغيير أي سلوك سلبي إلى إيجابي، أو لاكتساب سلوك إيجابي جديد.

عبد الحميد الهاشمي

إعداد: هالة محمد

قمر صناعي لفهم الاحترار المناخي

أطلقت وكالة الفضاء الأميركية القمر الصناعي (غلوري) بهدف دراسة تأثير الشمس والرذاذ الجوي على مناخ الأرض، وقال مدير وحدة علوم الأرض في وكالة ناسا إن غلوري سيساعد العلماء على التطرق إلى واحدة من أكثر المسائل التي تحيط بها الشكوك حول التغير المناخي والتي حددتها مجموعة الخبراء الدوليين حول تغير المناخ، وهي تأثير الرذاذ الجوي على التوازن الحراري لكوكبنا.

وسيجهز القمر الصناعي بنوعين جديدين من الآلات التي تتيح تحليل العوامل الأكثر تعقيدا في النظام المناخي للأرض.



الجهاز الأول يتيح دراسة الرذاذ الذي يؤثر في المناخ عندما يمتص أشعة الشمس أو يعكسها، وأيضا عندما يؤثر في الغيوم والتساقطات.

أما الجهاز الثاني فيقيس الطاقة الشمسية التي تمتصها الأرض.

وسيوضع القمر الصناعي غلوري على مدار منخفض (٧٠٤ كيلومترات)، لينضم إلى مجموعة الأقمار الصناعية المخصصة لمراقبة الأرض التي يطلق عليها اسم «كوكبة بعد الظهر» أو «آي ترين».

نصف لغات العالم مهددة بالانقراض

نصف لغات العالم وعددها ستة آلاف لغة مهددة بالاختفاء، حيث أفادت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونيسكو) أن عشرات اللغات الموجودة في ألمانيا (مثلا) سواء كانت محلية أو تتحدثها أقليات مهددة بالانقراض خاصة لهجات فريزش وبايريش وموزلفرانكيش.

وقالت لجنة تمثيل ألمانيا لدى المنظمة في بون إن لغة من بين لغات العالم تختفي كل أسبوعين تقريبا.

وتحتفل المنظمة الاثنين باليوم العالمي للغة الأم تذكيرا بالتنوع اللغوي في العالم.

وترى المنظمة أن هناك في ألمانيا وحدها ١٣ لغة محلية مهددة بالانقراض، من بينها اللهجة الفريزية والبافارية والألمانيش والفرانكية الشرقية وراينفرانكيش وموزلفرانكيش ونيدرسكسش وليمبورجش ريبواريش وصوربيش ويديش، حيث يتناقص بشدة عدد المتحدثين بهذه اللغات المحلية.

فضلا عن ذلك، اعتبرت المنظمة أن لغة يوتلاندش المتحدث بها في الدانمرك وألمانيا ولغة روماني التي يتحدثها غجر السينتي والروما مهددتان بالانقراض أيضا.

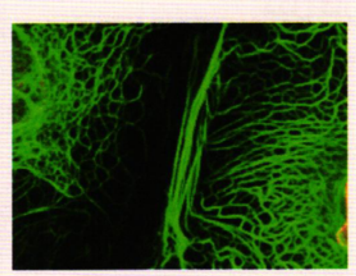
حبار متحجر منذ ٨٥ مليون سنة



أعلن علماء إحاثة عن اكتشاف أحفور حبار غير معروف يعود إلى العصر الطباشيري قبل نحو ٨٥ مليون سنة في شمال شرق البيرو، وقال عالم الإحاثة كلاوس أن طول أحفور هذا الحبار الرأسي الأرجل المستقيم ٣٢ سم وقطره خمسة سنتيمترات وهو مقلم بحلقات مائلة في جزئه السفلي، وقد اكتشف بداية يناير الماضي في حوض نهر مارانون على ارتفاع يفوق ٤٠٠٠ م في منطقة الأمازون داخل طبقة أرضية تعود إلى ما بين ٨٣ و٨٥ مليون سنة، وقد عاش هذا الحيوان رأسي الأرجل في بحيرة مالحة داخلية وسيساهم في تعزيز فهم أفضل لتطور الأجناس المعزولة بشكل مستدام في بحار العصر الطباشيري في أميركا الجنوبية.

مورثة جينية تجدد الأنسجة

قد يصبح باستطاعة البشر ذات يوم تجديد الأعضاء والأنسجة التالفة بعد اكتشاف مورثة جينية تتيح لدودة تجديد أجزاء جسمها التالفة، ويعطي هذا الإنجاز العلمي الأمل في شفاء أمراض مثل الزهايمر أو سرطان الدم يومًا ما، وذلك بعد أن لاحظ العلماء أن باستطاعة جين «سميد - بريب» تجديد رؤوس وأدمغة ديدان «بلاناريان» بعد قطعها.



كبسولة لدراسة هالة تحيط بالشمس

شرعت وكالة الفضاء والطيران الأميركية (ناسا) في تنفيذ أحد مشروعاتها الطويلة المدى. وتعتزم دراسة الهالة المحيطة بالشمس عن طريق كبسولة فضائية ترسلها إليها، وترسل الهالة إكليلا إشعاعيا تصل درجة الحرارة فيه إلى مليون درجة مئوية.

وأطلق على الكبسولة اسم «سولار بروف بلاس»، وهي في حجم السيارة العادية، وسيتم إرسالها إلى الهالة الشمسية في موعد أقصاه ٢٠١٨، وتبعد هذه الهالة عن الأرض بمقدار ١٤٠ مليون كيلومتر.

وقالت الوكالة إن ناسا بدأت تطوير مشروع لرؤية الشمس عن كثب ودراستها من مسافة أقرب بكثير مما كان عليه الحال سابقا.

وأكدت الوكالة أن الكبسولة ستدخل مباشرة إلى الغلاف الجوي للشمس، مضيفة: ستقوم الكبسولة بدراسة منطقة لم تمسها من قبل أي مركبة فضائية.

في هذا الصدد، قال ديك فيشر، الخبير في ناسا، إن هناك سؤالين جوهريين يجب الإجابة عنهما. الأول هو لماذا يتمتع الغلاف الجوي الخارجي للشمس بحرارة أعلى بكثير من سطح الشمس ذاته؟ والثاني: ما الذي يدفع الرياح الشمسية التي تؤثر على الأرض وعلى منظومتنا الشمسية؟.

وتشغل مثل هذه الأسئلة العلم منذ عقود من السنين، وستحاول كبسولة الفضاء الجديدة الإجابة عنها.

وزودت كبسولة الفضاء الجديدة بدرع خارجي خاص لمقاومة الحرارة الهائلة التي ستتعرض لها في مهمتها.

وتقول الباحثة ليكا جوهاثاكورتا، من وكالة الفضاء الأميركية، إن هذا المشروع يتيح لطاقة الإبداع البشرية الوصول إلى أماكن لم تصل إليها من قبل أي مركبة فضائية، ولأول مرة صار بمقدورنا لمس شمسنا وتذوقها وشم رائحتها.

٢,٥ مليار شخص يأكلون الحشرات!!

أوصت منظمة الزراعة العالمية (الفاو) منذ عام ٢٠٠٨ باستهلاك الحشرات بدل اللحم لاعتبارات بيئية واقتصادية أيضا، لكن هذه التوصيات بقيت حبرا على ورق، ولم تؤخذ بعين الاعتبار حيث ما يزال استهلاك الحشرات من المحرمات سواء في الغرب أو في المشرق العربي.

وكانت منظمة الزراعة العالمية قد عدت عام ٢٠١٠ قرابة ١٠٠ دولة، يستهلك سكانها الحشرات بصفة عادية. ومن بين الحشرات الأكثر استهلاكا نجد الجراد واليرقات والنمل، حيث يستهلك ٢,٥ مليار شخص يتوزعون بين إفريقيا وآسيا وأميركا الوسطى أكثر من ١٤٠٠ نوع منها.

وتكافح «الفاو» في هذه الفترة، من أجل الحفاظ على هذا النمط الغذائي ومواجهة امتداد وتوسع النمط الغذائي الغربي الذي يفضل استهلاك اللحوم، حيث تناضل منذ عام ٢٠٠٨، حتى تتجه الدول المتطورة إلى استهلاك هذا النوع من البروتينات.



من هنا وهناك

● تحاول واحدة من أقدم وأعرق الأكاديميات العلمية في العالم رسم خريطة مستقبل العلم وتطبيقاته في دراسة جديدة بعيدة المدى. وقالت الجمعية الملكية البريطانية (رويال سوسايتي) التي أسست منذ ٣٥٠ عاما والتي تضم في عضويتها أكثر من ٦٠ حائزا على جائزة نوبل إن النتائج يجب أن تساعد رؤساء الشركات والزعماء السياسيين والأكاديميين في كل أنحاء العالم على معالجة بعض مشاكل الكوكب الأكثر إلحاحا مع فهم أفضل للعلوم واستخداماتها وتأثيرها.

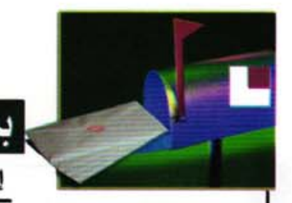
● يعمل باحثون تشيليون على لقاح ضد إدمان الكحول يقوم على وقف إنتاج إنزيم يؤدي إلى تأييض الكحول على ما أفاد المسؤول عن المشروع.

وتوقع إجراء تجارب على البشر اعتبارا من عام ٢٠١٢، واللقاح عبارة عن علاج جيني انطلاقا من إنزيمات كبدية تؤدي إلى تأييض الكحول وهي مسؤولة جزئيا عن قدرة الجسم على تحمل الكحول.

ويستند اللقاح على المبدأ ذاته مع زيادة الإعياء والغثيان وتسارع دقات القلب.

● نجح باحثون أميركيون بزرع أوعية دموية في المختبرات تتميز بمقاومتها بالإضافة إلى أنها تخفف من احتمالات تشكل خثرات كما أن جسم المتلقي لا يرفضها.

● أظهرت دراسة حديثة أن حاسة الشم لدى الكلاب التي يستعان بها عادة للكشف عن المتفجرات أو المخدرات قد تكون أداة مفيدة في تشخيص سرطان البروستات.






إعداد: التحرير

الفضائيات العربية

الفضائيات العربية تدعو إلى الأسى والأسف، إلا ما ندر، مئات القنوات تبث اللهو، والصخب، والأوهام، والأفكار المسمومة، حيث ينتقل بينها المشاهد فلا يجد شيئًا نافعًا قيمًا، أين هذه الفضائيات من الأعمال القيمة فنيًا وإخباريًا ودراميًا؟ لماذا لا نرى مسلسلات عن أعلام الفكر العربي والإسلامي أمثال عباس محمود العقاد صاحب العبقريات، ومحمد الغزالي صاحب عقيدة المسلم وخلق المسلم وهموم داعية، وأبطال أمثال عز الدين القسام وأحمد ياسين، وشهداء ضحوا بأرواحهم في سبيل الله، ونبلاء تبرعوا بأموالهم لإنشاء المدارس والجامعات والمستشفيات؟ لماذا لا نرى عملًا كبيرًا يحكي تاريخنا، ويجلي مواطن الزلل، لنأخذ منها العبرة والعظة؟

أفرح عندما أرى مسابقات القرآن الكريم تكرم الحفاظ، لكنني أتساءل: أين مسابقات القرآن الكريم التي تكرم الذين يفهمون القرآن ويعرفون أحكامه وآدابه وأمثاله؟ ولا يمكن لأمة أن تنهض إلا إذا عرفت ماضيها، واستشرفت مستقبلها، وكرمت أبطالها وعلماءها ومفكريها، وتركت اللهو والعبث، واشتغلت بالعلوم النافعة، والفنون الراقية التي تخاطب المشاعر النبيلة، لا الغرائز الدنيئة.

د.يحيى سنبل

رسالة قارئ

أنا من قراء مجلة الوعي الإسلامي والمثابرين على الحصول عليها وقراءتها، واشكر جهودكم على متابعة اصدارها بهذا الشكل الجذاب والمفيد، وبين الحين والآخر أجد صعوبة في الحصول عليها نتيجة التوزيع المجحف لحصة لبنان وخصوصا مدينة صور في الجنوب، كما أني بين الحين والآخر أقرأ عن إصدارات المجلة، ولكن للأسف الشديد لم نعثر على أي من هذه الإصدارات سوى مجلة براعم الإيمان المرفقة مع أعداد مجلة الوعي الإسلامي وأقترح- حتى لا تضيع علينا فرصة الاطلاع على اصدارات المجلة من كتب وموضوعات وأبحاث- أن يكون مع كل عدد من أعداد المجلة كتاب هدية، ولا مانع من زيادة السعر حينذاك إلى ٥٠٠٠ ليرة لبنانية أي ما يعادل ثلاثة دولارات ونصف أو ما يعادل دينارًا كويتيًا، وهكذا لا تضيع علينا فرصة الاطلاع والمعرفة والاستفادة.

كما اقترح أن يكون كتاب الوعي الإسلامي على غرار كتاب العربي

أ- يضم بحثا أو موضوعًا لمؤلف واحد.

ب- يضم مجموعة أبحاث عن نفس الموضوع من كتب عدة، ولا بأس أن تكون الأبحاث والمقالات نشرت سابقًا في مجلة الوعي أو لم تنشر، وذلك حسب ما يقتضيه منهج المجلة ولكم الشكر مسبقًا.

علي محمد عكاشة- لبنان

● المحرر: نشكرك جزيل الشكر على مقترحاتك ونأمل أن نستفيد منها عند وضع خططنا المستقبلية.

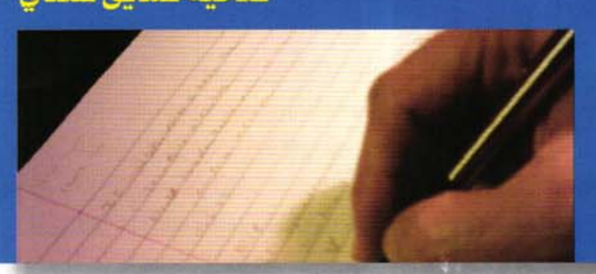
الصفوف الأولى

إذا جاز أن يكون لكل شيء مفتاح، فمفتاح هذه الأمة هو كتاب الله تعالى لما يشتمل على العناصر اللازمة، والمكونات الأساسية لخلق جيل فريد لا يصيبه الوهن ولا تأسره الشهوة ولا يقعده الألم، سيما أن الباطل مترس بعدده وعدته في جميع العصور والدهور كأنه لم يخل منه جيل قط وتلك هي سنة الدفع والمدافعة، ومن هنا كان أصحاب القرآن الذين يعملون به ويحفظون حروفه وحدوده هم أصحاب الصف الأول في المجتمع، الم تر أن المسلمين لما انكشفوا في غزوة حنين نادى رسول الله ﷺ على اصحابه قائلا لهم: يا أصحاب سورة البقرة.

وهو هو ذلك الذي دعا به مولى أبي حذيفة، في معركة اليمامة إذ قال لأصحابه: يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال، حتى قال آخر في ذات الموقعة: أيهزم الدين وأنا حي بئس حامل القرآن أنا، وكأن الأمة لا تنصر إلا بحملة هذا الكتاب، بل ولا تتقدم إلى الأمام وتأخذ مكانها من الريادة والقيادة والتوجيه والتأثير إلا برجال أوفياء يحملون هذا القرآن في صدورهم تتحرك به جوارحهم وتنطق به أفعالهم.

ليكن القرآن هو محرك الأمة ودافعها الأول والأخير لما يصوغه من بناء الشخصية الإسلامية ونضجها وحسن وعيها، وسلامة ادراكها ومتانة بنيانها حتى صرح «عمر بن الخطاب» بعد فتح القادسية بقوله: ما نغص علي فتح القادسية إلا استشهاد «سعد بن عبيد القارئ» الذي كان ممن جمع الكتاب، إذن فأهل القرآن- الذين هم أهل الله وخاصته- هم الذين يصوغون الشهداء ويحملونهم على سنا الآيات وضوء المعاني التي بها يفتح الله تعالى بالنصر لأوليائه حتى يستعلي صاحب القرآن على الشدة ويقفز فوق الألم، فتسكن العاصفة ويتجاوز الآلام، وتخف الجراح وتلهج النفس بالثناء على فاطرها تستمطره الرحمة، وترجوه السكينة وهي مطمئنة وما تزال كذلك حتى تلاقيه.

فتحية صديق شندي



كلمات للتأمل

● إذا طلع نجم الهمة في ظلام ليل البطالة، وردفه قمر العزيمة أشرقت أرض القلب بنور ربها.

● جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبته لله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته.

● الطريق إلى الله عز وجل خالٍ من أهل الشك ومن الذين يتبعون الشهوات، وهو معمور بأهل اليقين والصبر.

عبدالعزيز محمد



تضليل وتظليل

مثل ما يوجد بيننا من يتمنون أن لو خلقهم الله من جنس آخر بدلاً من جنسهم يوجد بيننا أيضًا من دانوا بدين الإسلام مولدا وتمنوا هدمه حياة ولهذا سخروا نعم الله لهم من علم وعقل وجوارح في النيل من الإسلام، فأكثروا من افترائهم عليه بالفعل والكلام، والواحد منهم يتمنى أن لو كان مع الأديان الأخرى في خندق واحد يأكل ويشرب وينام، وتراه مع خندق أعداء الإسلام يتجذر وقد قعد فيه أو قام وصار للإسلام ألد الخصام حيث يلمز فيه ويغمز ويلقي عليه بكل شبهة واتهام.

يبتدئ الواحد من هؤلاء بالتظليل في صورة الإسلام ثم اقتناص أي حدث يقع فيتحول التظليل إلى تضليل بمنتهى الانتقام والتدليس على الجماهير الأمية وغسل عقولها بمنتهى الإبهام.

فمنذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر خرجت هذه الأنفس الشريرة من عقالها بدون أي لجام مؤيدة بأنظمة وحوادث لا تقل شرا عنها حيث شحذوا جميعًا أسلحتهم وسمموا السهام استغلالاً لضعف المسلمين وخوفهم وبعضهم كالهوام.

وغرهم ثغاء النعاج وذبح البعض كالأغنام وخفوت الآذان ولم تعد الديكة تصيح، وطال المنام ولكن هيهات هيهات فسبحان من لا يغفل ولا ينام.

فأمره كن يجعل النوم والراقدين يهبون هبة الضرغام، ساعتها سيلقى كل حقود حتفه الزؤام، ولن ينفعه يا ليت كنت مع صحيح الإسلام.

ناهد السيد شعبان

محرك الأمة

سألت الأستاذ محمود حامد رئيس الرابطة الإسلامية باليونان عن أحوال المسلمين والإسلام وعن رعاية الأنظمة للإسلام ومتابعتها بأجهزتها لرعاياها ومسلميها، فأجابني بأن الإسلام يهاجم بشدة هناك وأن الهجوم عليه في السنوات الأخيرة يتخذ منحنيات شتى وأضحى المسلم بمظهره هدفا للنيل منه بسبب وبدون سبب، وذكر لي دليلًا على ذلك زوجته المحجبة والتي هاجمها بعض المتعصبين وهي تركب وسيلة مواصلات عامة والذي راح يسب حجابها، ويصفه بالخرقة البالية وكادت تحدث جريمة لولا لطف الله، وذكر الاستاذ محمود حامد المزيد من وقائع الإرهاب الأوروبي ضد الإسلام والمسلمين وأن المسلمين هناك يقفون بإسلامهم في الساحة وحدهم ولا يجدون أي مساعدة أو حماية من سفرائهم أو أنظمتهم التي شغلت بداخلها فلم تعبأ بما يجري للمسلمين خارجها.

وتصديقًا لهذا الواقع المرير حذرت نائبة رئيس حزب المحافظين الوزيرة البارونة فارس ببريطانيا وأول وزيرة مسلمة هناك، حذرت من الهجوم على المسلمين حيث أضافت بأن الأمر تعدى حدوده وتخطى الأحاديث الجانبية إلى اعتباره أمرًا مقبولاً ومن المسلمات، بل سيضحى من الواجبات، ووجهت البارونة اتهامها إلى الحكومة البريطانية التي حرضت الإعلام ليتجه بعدائه نحو الإسلام والمسلمين، وهذه شهادة مهمة وخطيرة ولكن للأسف فإن الدول الإسلامية تعامت عن الإسلام والمسلمين بالخارج وادعت انها غير بصيرة واستمرأت هذا الوضع وتلك الوتيرة، وللإسلام رب يرعى الحصن والحظيرة، وتكفل بجعل رايته هي المنيرة، حتى وإن تداعت عليها الدواعي الخطيرة.

الحسين محمد حميد

ينابيع المعرفة

إعداد: التحرير

جمادى الأولى

هو الشهر الخامس من شهور السنة وفق التقويم الهجري، وقد سمي بهذا الاسم في عام ٤١٢م تقريبا في عهد «كلاب بن مرّة» الجد الخامس للرسول ﷺ، وسبب تسميته أن العرب كانوا إذا قالوا: «جمادى خمسة»، فإنهم يعنون به جمادى الأولى، وهي تمام خمسة أشهر من أول السنة بعد المحرم وصفر والربيعين، سمي هذا الشهر وما بعده– جمادى الآخرة – بهذين الاسمين لأن الماء كان يتجمد فيهما من شدة الصّر، أي البرد الشديد.

ثلاثيات

- قال أبوحنيفة رحمه الله تعالى: أحب من الدنيا ثلاثًا، تحصيل العلم في طول الليالي، وترك الترفع والتعالي، وقلب من حب الدنيا خال.
- وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى: وأنا أحب من الدنيا ثلاثًا، مجاورة روضته ﷺ، وملازمة تربته، واحترام أهل بيته.
- وقال الإمام الشافعي رحمه الله: وأنا أحب من الدنيا ثلاثًا، عشرة الخلق بالتلطف، وترك ما يؤدي إلى التكلف، والاقتداء بطريق التصوف.
- وقال الإمام أحمد رحمه الله: وأنا أحب من الدنيا ثلاثًا، متابعة النبي ﷺ في أخباره، والتبرك بأنواره، والسلوك في طريق آثاره.

(من وصايا الرسول ﷺ ٢٠١/١).

لا تطل الموعظة

جلس ابن السّماك يومًا للوعظ، وجاريته تسمع كلامه، فلما انصرف إليها قال لها: كيف سمعت كلامي؟ قالت: ما أحسنهُ إلا أنك تكثر ترداده.

فقال: أردده كي يفهمه منْ لم يفهمه.

فقالت: إلى أن يفهمه من لم يفهمه، قد ملّهُ منْ فهمه. (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع).

وقد قال الإمام أحمد عن الموعظة وإطالتها: «لا أحب أن يملّ الناس، ولا يطيل الموعظة إذا وعظ». (الآداب الشرعية).

ويُذكر أن الخضر قال لموسى عليهما السلام: «يا طالب العلم، إن القائل أقل ملالة من المستمع، فلا تمل جلساءك إذا حدثتهم».

(الشامل في فقه الخطيب).

أعمى وفي يده سراج

قال بعضهم: خرجت في الليل لحاجة فإذا أعمى على عاتقه جرة وفي يده سراج فلم يزل يمشي حتى أتى النهر وملأ جرته وانصرف راجعًا، فقلت: يا هذا أنت أعمى، والليل والنهار عندك سواء، فقال: يا فضولي حملتها معي لأعمى القلب مثلك يستضيء بها فلا يعثر في الظلمة فيقع علي فيكسر جرتي.

(المجموع المنتخب من المواعظ والأدب).

أفضل الزُّهد

«أَفْضَلُ الزُّهْدِ: الزُّهد في الرياسَةِ على النّاس، وفي المنزلة والجَاه عندهم، والزُّهد في حُبِّ الثّناء والمدح منهم؛ لأَنّ هذه المعاني هي أكبر أبواب الدُّنيا عندَ العلماءِ، فالزُّهد فيها هو زُهد العلماء، وقيل: لا يثبت لأَحد مقام في التوكُّل حتى يستوي عنده المدحُ والذّمّ مِنَ الخلقِ فَيَسْقُطَا»

(الوعظ المطلوب للقاسمي).

وإلا استعنت بالسلطان

قَال عبدان بن عثمان الأسدي (من شيوخ البخاري): «ما سألني أحد حاجة إلا قمت له بنفسي، فإن تم وإلا قمت له بمالي، فإن تم وإلا استعنت بالإخوان، فإن تم وإلا استعنت بالسلطان» (تهذيب الكمال).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة» **(البخاري ومسلم)**.

أوّل الأمراء على مكة

عَتّاب بن أَسيد بن أبي العيص بن أميّة بن عبد شمس الأموي العَبْشَمي القرشي، المكي ولادةً وإقامةً ووفاةً، أبوعبدالرحمن رضي الله عنه، صحابي من أشراف العرب في صدر الإسلام، وكان شجاعًا عاقلاً.

أسلم يوم فتح مكة، وولاه رسول الله ﷺ عليها سنة ٨ هـ وكان عمره إذ ذاك (٢١) سنة، فكان أوّل الأمراء على مكة. وأقرّه أبوبكر الصديق، فاستمرّ فيها حتى وفاته.

(الأوائل لأبي الهلال العسكري، معجم الأوائل).

لا يلوموا إلا أَنفسهم

« ثمانيةٌ إذا أُهينوا فَلا يَلومُوا إلا أَنْفُسَهم:

- الجالسُ في مجلسٍ ليس له أَهل.
- والمقبلُ بحديثِهِ على مَنْ لا يسمعه.
- والدّاخلُ بينَ اثنينِ في حديثِهما ولم يُدْخلاه فيه.
- والمعرضُ لما لا يَعنيه.
- والمتآمرُ على ربِّ البيتِ في بيتِه.
- والآتي إلى مائدة بِلا دعوة.
- وطالبُ الخيرِ منْ أعدائه.
- والمُستَخفُّ بِقَدْرِ السُّلطَان.

(موسوعة أقوال الحكماء).

لا تجزع إذا تأخرت إجابة الدعاء

رأيت من البلاء أن المؤمن يدعو فلا يجاب، فيكرر الدعاء وتطول المدة، ولا يرى أثرًا للإجابة، فينبغي له أن يعلم أن هذا من البلاء الذي يحتاج إلى الصبر.

وما يعرض للنفس من الوسواس في تأخير الجواب مرض يحتاج إلى طب، ولقد عرض لي من هذا الجنس. فإنه نزلت بي نازلة، فدعوت، فلم أر الإجابة، فأخذ إبليس يجول في حلبات كيده؛ يقول: الكلام واسع والبخل معدوم، فما فائدة تأخير الجواب؟

فقلت له: اخسأ يا لعين، فما أحتاج إلى تقاض، ولا أرضاك وكيلاً.

(صيد الخاطر لابن الجوزي).

أصحاب أحمد

كتب أحدهم إلى العلامة ابن عقيل الحنبلي أن صف لنا أصحاب الإمام أحمد على ما عرفت من الإنصاف، فكتب إليه يقول: هم قوم خُشن تقلصت أخلاقهم عن المخالطة، وغلظت طباعهم عن المداخلة، وغلب عليهم الجد وقل عندهم الهزل، وغربت نفوسهم عن ذل المراءاة، وفزعوا عن الآراء إلى الروايات، وتمسكوا بالظاهر تحرجًا عن التأويل، وغلبت عليهم الأعمال الصالحة، فلم يدققوا في العلوم الغامضة بل دققوا في الورع، وأخذوا ما ظهر من العلوم وما وراء ذلك، قالوا: الله أعلم بما فيها من خشية باريها، ولم أحفظ على أحدهم منهم تشبيها، وإنما غلبت عليهم الشناعة لإيمانهم بظواهر الآي والأخبار من غير تأويل ولا إنكار، والله يعلم أني لا أعتقد في الإسلام طائفة محقة خالية من البدع سوى من سلك هذا الطريق والسلام (سنوات الحنابلة لعلي بن محمد باخيل).

عند جُهَيْنَةَ الخَبَرُ اليَقين

ترافق قاطعا طريق هما «الحصين» و«جهينة» فوجدا في طريقهما رجلاً فسلباه ما معه فقال لهما: أتردون لي ما أخذتماه وأدلكما على رجل معه مال كثير؟ فقالا: نعم.

فدلاهما على رجل جالسًا تحت شجرة وأمامه طعام وشراب، فدعاهما للأكل معه، وبعد برهة قتل الحصين ذاك الرجل فغضب جهينة لقتله وقال: ويحك أقتلت رجلا أكلنا من طعامه وشربنا من شرابه فاستل سيفه وقتل الحصين ثم استولى على المال وعاد الى قومه، فوجد في طريقه امرأة تسأل عن الحصين فقال لها: أنا قتلته، فقالت: خسئت ما مثلك من يقتله فانصرف وهو ينشد قائلا:

تسائل عن الحصين كل ركب
وعند جهينة الخبر اليقين

ابتسامة.. (وصيّة)

عاد رجلٌ مريضًا، فقال له: ما تشتكي؟

قال المريض: وجع الخاصرة. قال الرجل: والله كانت علة أبي فمات منها، فعليك بالوصية يا أخي.

فدعا المريض ولده وقال له: يا بني أوصيك ألا يدخل عليّ هذا الأحمق مرة أخرى.

الاغترابُ في الإسْلام

لقد اغتدى الاغترابُ، الآن، ظاهرة بارزة في المجتمعات المعاصِرة، استفحل أمرُها في الشرق والغرب معاً؛ لعدة أسباب. وقد تطرق إلى دراستها علماء من تخصُّصات معرفية شتّى، وقدّموا حَوالَها تصوُّرات عدّة. وكان لعلماء الإسلام، قدماؤهم ومُحْدَثوهم، إسهام مشهودٌ في هذا الصّدد، ستحاول الأسْطر الموالية تبيانَ بعض مَعالمه.

فإذا كان الإسلام إقراراً باللسان وعَمَلاً بالجوارح، فإن الإيمان - فضلاً عن ذلك - تصديقٌ بالحسّ الباطن، أما العلم فهو يفوق ذلك كلّه بكوْنه إعمالاً للفكر والنظَر.. هذه الدرجات الثلاثُ تقابلها ثلاثُ درجاتٍ من الاغتراب، هي:

«١- اغتراب المسلم بين الناس.

٢- اغتراب المؤمن بين المسلمين.

٣- اغتراب العالِم بين المؤمنين.

ولقلة المسلمين وتميُّزهم من عموم الناس بالتسليم والإذعان للأوامر والنواهي الربّانية سُمُّوا «غرباء»، ولقلة المؤمنين بين المسلمين وانفرادهم بالتصديق والاعتقاد القلْبي الصحيح سُمّوا «غرباء»، ولقلة العلماء بين المؤمنين وتفرُّدهم بإعْمال الفكر والنظر في ملكوت الله قبل الحكم والتقويم سُمُّوا «غرباء». وغربة العلماء هي أشد أنواع الاغتراب وحشة، وأجْلاها مقاماً.

ولذلك، يعرّف عبدالله بن محمد الهروي الأنصاري الاغتراب بأنه «أمرٌ يُشار به إلى الانفراد على الأكْفاء» ؛ بمعنى أن كل من انفرد بوصف جليل دون أبناء جنسه فإنه غريب بينهم، مغترب عنهم. و«الانفراد» المذكور في كلام الهروي يمكن أن تقترن به ثلاثة أشكال من الاغتراب أو الغربة:

١- غربة الأجسام: وتعني الاغتراب عن الوطن والأهل طوعاً أو كرهاً. وهي مشتركة بين الناس جميعاً، قال [لابن عمر: «كُنْ في الدُّنيا كأنّكَ غَريبٌ أو عابرُ سَبيل» (رواه البخاري).

٢- غربة الأفعال: وهي غَربة أهل الصلاح والتقوى بين أهل الفسقِ والفُجور، وغربة الصّدّيقين بين المنافقين، وغربة العلماء بين الجُهّال.

٣- غربة الهِمّة: وهي غربة باطنة يختصّ بها الصوفية وأصحابُ المعرفةَ الذوقية الإلهامية، ويسميها الهروي «غربة الغربة»، ويجعلها في المرتبة العليا.

إن الاغتراب في الإسلام إيجابي؛ ذلك بأنه يَرُوم الابتعاد عن الرذائل، وترْك حياة الفُسّاق، ويقود إلى الزُّهد في مُتَع الدنيا. ولا يجب أن نفهم من ذلك أن الإسلام يَأدِبُ إلى اعتزال الناس، أو العيش بينهم كأموات. كَلاّ! إن الإسلامَ يُقصي من دائرته مَنْ لا يهتم بأمور المسلمين ومشاكلهم الداخلية والخارجية، ويَعيب على المتصوّفين تصوُّفا خاطئاً.

ويكونَ الاغتراب مقبولا في الإسلام ومستحْسَناً، إذا فهِمْناه الفهمَ السليم. أما في الغرب، فنجد أن الاغتراب يمثل ظاهرة مَرَضية تكشف عن واقع يحْكُمُه منطقُ المادة في غيابِ مُطْلق للقيَم الروحية؛ وعليه، فَقد اختلّ التوازن، وعمّ الاضْطراب، وفشا الانحرافُ بشتى ألوانه.

د.فريد أمعضشو


وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني


دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية


الكويت
حبها
يجمعنا
الذكرى الخمسون لاستقلال دولة الكويت 1961-2011
20 عاماً على تحرير دولة الكويت 1991 - 2011
5 أعوام على تولي حضرة صاحب السمو أمير البلاد مقاليد الحكم






You
Tube

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م



AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة



د. الزحيلي: التعددية في الإسلام مصدر ثراء البشرية

العدد (٥٥٠) جمادى الآخرة ١٤٣٢هـ - مايو - يونيو ٢٠١١م

الإعلام الطائر لغة العصر



اللغة ومجالات التنمية

هل للمفسد توبة؟

الافتتاحية

وأذن في الناس

الإعلام في العصر الحالي له تأثير في جميع الجوانب الفكرية والاجتماعية والثقافية والسياسية، والفرق بين الإعلام الصادق النافع والإعلام الكاذب الفاضح اختلاف الأهداف والطرق وتوصيل المعلومات، فالأول يتمسك بالصدق ويتسم بالأمانة ويعتمد على الإقناع والعدل لتحقيق الرسالة في ظل المنهج الرباني، فهو لا يثير النعرات ولا التفاهات، لأنه ينطلق من القيم والآيات، ﴿يَأَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلًا سَديدًا﴾، وقوله ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنا﴾، ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ﴾، ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾، فمن هذا المنطلق ينطلق الإعلام السامي الهادف.

ووسائل الإعلام لها القدرة على تغيير أفكار ومعتقدات الناس والتأثير على مفاهيمهم، فلابد من وضع خطط وطرق لحماية المجتمعات من الإعلام الفاسد الهابط، وذلك بوضع أفضل الوسائل العلمية الحديثة، والدراسات المعاصرة في أنظمة الاتصالات والأفكار السليمة، لأن أحوال العالم والأمم وعاداتهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة، ومنهاج مستقر، إنما هو الاختلاف على مَرِّ الأيام والأزمنة والانتقال من حال إلى حال، وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأبصار، فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول، سنة الله التي قد خلت، ومتى ما تحقق ذلك، وكان على المستوى المطلوب، والأهداف نبيلة تحقق الإعلام المنشود.

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٥٠

العام الثامن والأربعون

جمادى الآخرة ١٤٣٢ هـ

مايو - يونيو ٢٠١١ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

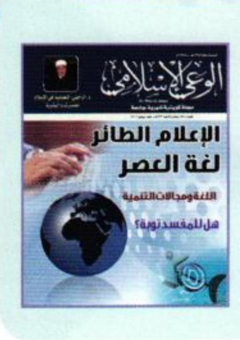
الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

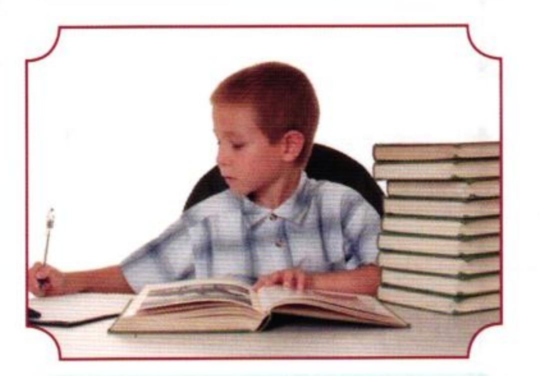
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ -
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
manager@alwaei.com

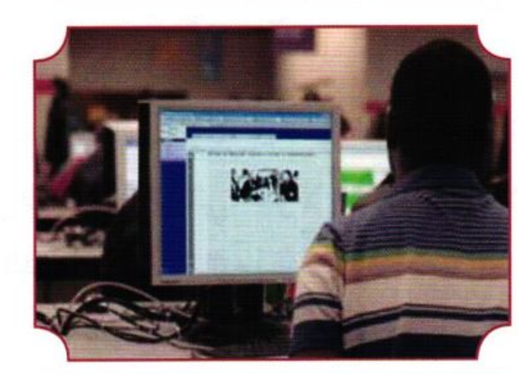
موضوع الغلاف



ثورة الاتصالات التي يشهدها العالم اليوم جعلت من الإعلام الإلكتروني لغة العصر، ولابد أن نتعامل مع معطياته في رسم القسمات البارزة للمشروع الحضاري الإسلامي البديل.







التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات
هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت:١٨٣٤٩٥٧٧٠ (٠٠٢٤٩)
• اليمن - دار القلم للنشر- ف: ٤٦٩٤١٥(٠٠٩٦٧١)
• لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
• سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
• الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
• مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت: ٢٧٧٠٥٠٦٦ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٧٧٠٥٤١٣- دار الأهرام
• المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
• مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
• الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
• المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
• سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
• قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
• المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

•الكويت : ٥٠٠ فلس •السعودية : ٧ ريالات •البحرين : ٥٠٠ فلس •قطر : ٧ ريالات •الإمارات : ٧ دراهم •سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة •الأردن : دينار واحد •مصر : ٢ جنيه •السودان : ٥٠٠ جنيه •موريتانيا : ٢٠٠ أوقية •تونس : ٢ دينار •الجزائر : ١٠ دنانير •اليمن : ٧٠ ريالا •لبنان : ٢٠٠٠ ليرة •سورية : ٣٠ ليرة •المغرب : ١٠دراهم •ليبيا : دينار واحد •اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله •اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

المحتويات

كلمة العدد

نحن والبحث العلمي

مع أن أمتنا أمة القراءة والعلم إلا أننا لا نزال في ذيل القائمة في مجال البحث والإنجاز العلمي والدراسات المستقبلية، نقول هذا الكلام في وقت تناولت فيه وسائل الإعلام في نهاية شهر مارس الماضي خبرًا مفاده أن الصين قد تسبق الولايات المتحدة الأميركية عام 2013م في عدد الإنجازات العلمية لتبعد عن الصدارة أيضًا دولًا مثل اليابان وفرنسا وبريطانيا.

أليس من المخجل ونحن نملك إمكانات وثروات هائلة أن يعشش الجهل وتتوطن الأمية في بلداننا العربية والإسلامية بينما تنطلق أمم الأرض في معارج التقدم والرقي؟

أليس من المؤسف ألا تتجاوز ميزانيات البحث العلمي في بلداننا- إن وجدت- نسبة الـ 1٪ أو أقل من الميزانية العامة لكل دولة بينما تتجاوز النسبة عشرات المرات في الدول المتقدمة؟

أليس من العيب ألا يكون لنا أي انجازات علمية تذكر في سلم الحضارة الإنسانية المعاصرة؟

نحن مطالبون وعلى كل المستويات (حكومات ومؤسسات وأفرادًا) أن نولي هذه القضية اهتمامنا إن أردنا أن نعيد أمجاد أمتنا في عالم الاختراع والإبداع والبحث العلمي يوم استوعبت علوم وأبحاث الفرس واليونان والرومان وهضمتها ثم أبدعت وأضافت وأنجزت من العلوم والاختراعات ما زاع صيته في آفاق الأرض.

الوعي الإسلامي

الاشتراكات

- **داخل الكويت:** للأفراد ٧٫٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- **الدول العربية:** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم:** للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات:** ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية **(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)**

برمجيات تقنية البحث العلمي

د.سعود العقيل

تلعب التكنولوجيا والتقنية الحديثة دورًا بارزًا في حياتنا المجتمعية اليوم لاسيما أنها باتت تستخدم في خدمة الإسلام والمسلمين بشكل مميز ورائع.

يضيف تطويع هذه التقنية الحديثة لأغراضنا البحثية والعلمية اضافة نوعية وفريدة في تركيز الجهود وتوفير الوقت وتوسيع دوائر الاستفادة.

ولعل مشروع برمجيات تقنية البحث العلمي الذي عكفت على انجازه سيساعد طلبة العلم والباحثين والدارسين في العلوم الشرعية والعربية بشكل كبير.

فكرة موجزة

مع امتداد تاريخ تعاملي مع برنامج «الوورد» أدركت أننا لا نستفيد من فوائد هذا البرنامج إلا بما يتراوح ما بين ٢٠-٣٠٪ من خصائصه، فكان من فضل الله علي وتوفيقه عمل هذه البرمجيات في برنامج وورد الشهير قبل ما يزيد على١٥ سنة، علمًا بأني ليست خبيرًا في البرمجة- ولم أزل منذ ذلك الحين إلى وقتنا الحاضر وأنا أزيد فيها وأعدل وأطور، حتى وصلت إلى ما يزيد على ١٥٠ برنامجًا تفصيلًا و٨٣ إجمالًا.

وقد بذلتها لإخواني الباحثين والدارسين وطلاب العلم في العلوم الشرعية والعربية، طمعًا في ثواب الله ودعوة خالصة منهم في ظهر الغيب.

الفئة المستهدفة

المستفيدون من هذه البرمجيات بالدرجة الأولى هم المعيدون والمحاضرون والأساتذة في التخصصات الشرعية والعربية بما فيهم طلاب الدراسات العليا وكذلك طلاب الجامعة في هذه التخصصات، كما يستفيد من البرمجيات الدعاة والوعاظ.

متطلبات الاستفادة من البرمجيات

معرفة استخدام الحاسب وبرنامج «وورد» ٢٠٠٣ أو ٢٠٠٧ عند أدنى المستويات.

مميزات هذه البرمجيات مع أمثلة تطبيقية

مميزات البرمجيات تتلخص في الآتي أنها:

١- مجانية ١٠٠٪.

٢- اشتمالها على معظم ما يحتاجه الباحثون في مكان واحد.

٣- تبسيط كثير من الإجراءات الضرورية في «وورد».

٤- حل لبعض نواحي القصور الموجودة في «وورد» (الرموز الزخرفية- تنسيق الحواشي- تنظيم القصائد... الخ).

٥- حل لبعض المشكلات التي

عميد كلية الشريعة - جامعة الإمام محمد بن سعود - السعودية

يتعرض لها الباحثون برمجيًا.

٦- اشتمال خطها المعدل على معظم الرموز الزخرفية (٧٤ رمز) التي يحتاجها الباحث مثل ﷺ رضي الله عنه عليه السلام صدق الله العظيم ... الخ

٧- استمرار تطويرها طوال السنوات الماضية.

أبرز البرمجيات مع أمثلة تطبيقية

١- برمجيات القرآن: وتحتوي على برمجيات تساعد الباحث على إدراج الآيات معزوة جاهزة للفهرسة إما بخط مصحف المدينة أو بالخط العثماني سواء برقم الآية أو بجزء منها أو مجموعة آيات تحتوي على كلمة أو تحويل آيات الوثيقة إلى مصحف المدينة أو العكس.

٢- برمجيات الحديث: تحتوي على برمجيات تساعد الباحث على إدراج الأحاديث من الكتب التسعة أو الجامع الصغير (بحكم الشيخ الألباني) مخرجة، جاهزة للفهرسة سواء برقم الحديث أو بجزء منه أو بسنده أو مجموعة أحاديث تحتوي على كلمة أو تخريج أحاديث الوثيقة تخريجًا مفصلًا أو مختصرًا.

٣- برمجيات الحواشي: وتحتوي على برمجيات تساعد الباحث على تنسيق الحواشي وتقويسها ومعالجة مشكلاتها.

٤- برمجيات الترقيم: وتحتوي على برمجيات لترقيم الصفحات أو



المستفيدون من برمجيات تقنية البحث العلمي هم المعيدون والمحاضرون في التخصصات الشرعية

الأسطر أو الأعمدة.

٥- برمجيات الفهارس: وتحتوي على برمجيات تساعد الباحث على فهرسة الآيات والأحاديث والأعلام والفرق والأماكن وغريب اللفظ والكتب والمصطلحات... الخ سواء بالفهرسة العادية بالرموز أو الآنية أو الآلية.

٦- برمجيات القصائد: وتحتوي على برمجيات تساعد الباحث على تنسيق القصائد وترقيمها وفهرستها وتنجيمها واستخراج القائل أو البحر من المتن إلى فهرس القصائد.

٧- برمجيات تعديل العبارات: وتحتوي على برمجيات تساعد الباحث على معالجة ألفاظ الدعاء المزخرفة وبعض المشكلات المتعلقة بالنصوص.

٨- برمجيات الخطوط: وتحتوي على برمجيات التأكد من وجود الخط المعدل أو تثبيته وتحديد خطوط الوثيقة الحالية والخطوط المتوفرة في النظام.

٩- برمجيات الأنماط: وتحتوي على برمجيات الأنماط المستخدمة أو تحميل الأنماط أو تحديثها أو تعطيل التحديث التلقائي بالإضافة إلى أنماط العناوين للاستفادة منها في فهرسة الموضوعات.

١٠- برمجيات أخرى: وتحتوي على ١٣ برنامج لم أستطع تصنيفها تحت المجموعات السابقة منها برمجيات لعناوين الترويسة ومربعات النص وآخر للطباعة وبرنامج لإدراج مصادر البحث... الخ.

سيرة ذاتية

- الاسم: سعود بن عبدالعزيز بن محمد العقيل
- تاريخ ومكان الميلاد: الأحساء ١٣٨٣/٣/٢٠هـ
- الحالة الاجتماعية: متزوج
- درجة الدكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة بعنوان «الآثار الواردة عن السلف في الإيمان باليوم الآخر في تفسير الطبري جمعًا وترتيبًا، ودراسة من جامعة الإمام في ١٤٢٤هـ.
- عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء ١٤٢٩/١٢/١٥هـ.

الفقيه والعالم الموسوعي د. وهبة الزحيلي في حوار خاص:

التعددية في الإسلام مصدر ثراء البشرية

حوار: صابر رمضان

أكد الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، الفقيه المعروف والعالم الموسوعي صاحب موسوعة «الفقه الإسلامي» وموسوعة «التفسير المنير» ورئيس قسم الفقه ومذاهبه في جامعة دمشق وعضو مجلس الإفتاء الأعلى بسورية، أن المسلمين يملكون آليات كثيرة للذب عن الإسلام ومواجهة الحملات الغوغائية التي يتعرض لها الإسلام ورموزه، وذلك إما على المستوى الرسمي أو التمثيل الدبلوماسي والشعبي وعن طريق المنظمات الدولية شريطة أن تتعاون فيما بينها للوقوف بكل حزم لهذه الهجمات.

وحذر الزحيلي من الإقدام على تحقيق الكتب التراثية إلا لمن امتلك أدوات البحث والتحقيق، لأن هذا تراث يجب المحافظة عليه، وأكد أن المهاجمين للسنة النبوية ما هم إلا أصحاب نحلة فاسدة.. «الوعي الإسلامي» التقت بالشيخ.. واليكم نص الحوار:

• الأمة الإسلامية تمر اليوم بمنعطف خطير يوشك أن يقوض أركانها.. فما أسباب ذلك وما التداعيات التي تنجم عنها في رأيكم؟

- التناقض واضح في حال هذه الأمة، وذلك أن هيأ لها الله كل أسباب التقدم والرخاء ومنحها مكامن القوة لتكون كما قال عز وجل ﴿خير أمة أخرجت للناس﴾ (آل عمران: ١١٠) إلا أن الواضح للعيان أن المسلمين الآن يأبون إلا أن يتذيلوا الأمم بفعل أيديهم أولاً ثم بفعل الدسائس التي تحاك ضدهم والشراك التي تنصب لهم ليقعوا فيها بمحض إرادتهم أيضًا، ولعل أخطر ما يفت في عضد هذه الأمة هو حالة التشرذم والخلاف التي دبت في صفوف الأمة بصورة لم تكن معهودة من قبل في ظل تاريخ الإسلام، ولعل ذلك يعود لابتعاد المسلمين عن ساحة الإسلام الرحبة وشريعته الغراء، وحصر أنفسهم في قضايا هامشية ضيقة، وقصر الشريعة الإسلامية من وجهة نظر البعض، على طقوس العبادات والتواكل دون أن يكون لهم عمل مثمر يساهم في صنع مستقبل الأمة وبناء حضارتها والارتقاء بإنتاجها.

• إذن ما السبيل للخروج من هذا المنعطف الخطير؟

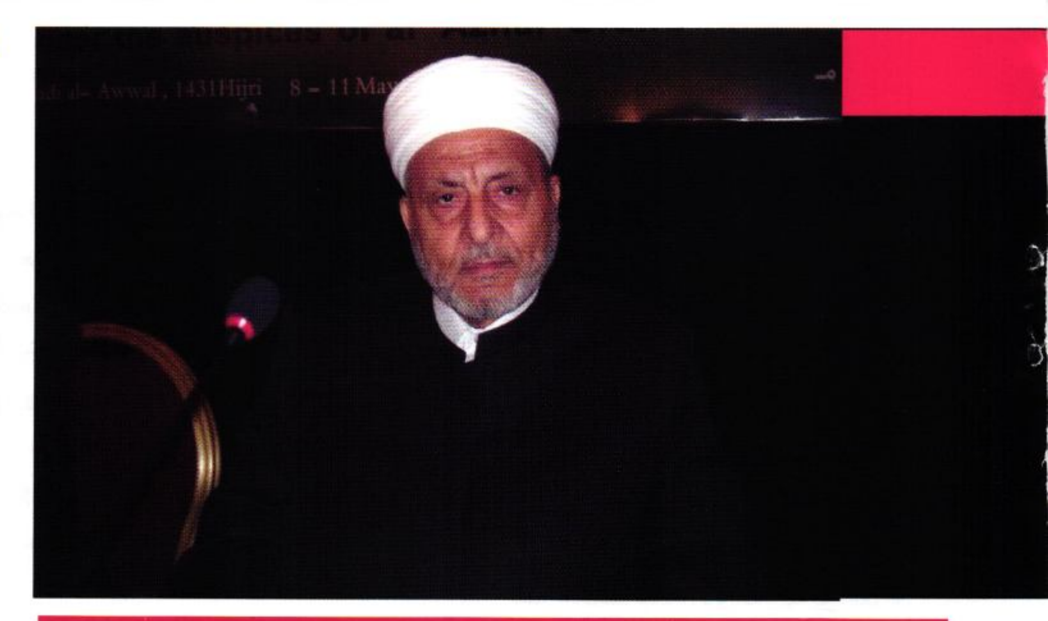
أي أمة لا تأخذ بناصية العلم ولا تسير على طريقته فسوف يضل سعيها وتفقد الطريق

- لن ينصلح حال هذه الأمة إلا بالعودة إلى طريق الشريعة التي أرادها الله لنا، وبتوحيد الجهود والاعتصام بحبل الله المتين والامتثال لدعوته تعالى لنا، بالبحث والتقصي والتعلم، فأي أمة لا تأخذ بناصية العلم ولا تسير على طريقته فسوف يضل سعيها وتفقد الطريق، فالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يحضان على العلم في مواضع كثيرة ومتكررة بشكل يثير الإعجاب لما للعلم من فضل في بناء الأمم.

• الإسلام يتفوق على الجميع في الدعوة إلى الحوار والتعددية الدينية في المجتمع، فكيف كان ذلك؟

- الشريعة الإسلامية تعتمد على قاعدة أساسية للتعامل مع أتباع الأديان الأخرى تنص على أن لهم ما للمسلمين من حقوق وعليهم ما على المسلمين من واجبات، والإسلام يعتبر التعددية في المجتمع مصدر ثراء للتجربة البشرية، فتفاعل الثقافات والأديان يمكن أن يؤدي إلى الإسهام في خلق ثقافات مثمرة ونظم اجتماعية عادلة، فإذا كنا نتحدث عن عالم واحد للجميع فإنه لا يجوز أن يفهم من ذلك أنه يعني تذويب الحضارات في حضارة واحدة وإلغاء الخصوصيات الحضارية، فالتمايز الحضاري والديني من السمات الإيجابية التي ستظل قائمة على الرغم من الاتفاق في الأهداف، وإذا كانت العولمة التي بدأت تتغلغل في كل أنحاء العالم بأبعادها الاقتصادية والسياسية والثقافية وهي تعتقد أنها تستطيع أن تفرض حضارتها وقيمها وثقافتها وأسلوب حياتها في كل مكان في العالم، دون اعتبار لخصوصيات الحضارات الأخرى فإنها بذلك تخطئ الطريق وتتجاهل الحقائق وتسير في اتجاه مضاد لطبيعة الأشياء ولا تسهم بالتالي في بناء عالم واحد للجميع، فواجب أتباع الأديان أن يتجهوا للحوار فيما بينهم وتجنب الجدل العقيم حول العقائد وتأكيد نقاط الخلاف، وعليهم الحرص على إبراز القواسم المشتركة فيما بينهم ونشر ثقافة التسامح بين أتباع الديانات وتهيئة الفرصة المناسبة لإحياء الأمل والتفاؤل لدى الجميع في إمكان تحقيق عالم واحد ينعم فيه الجميع بالسلام.

• الساحة العلمية شهدت في



المسلمون يملكون آليات كثيرة للذب عن الإسلام ومواجهة الحملات المسعورة ضد الإسلام ورموزه

العقود الثلاثة الأخيرة نهضة كبيرة في تحقيق التراث الإسلامي إلا أن هذه النهضة شابتها بعض الشوائب.. فما تقويمكم لهذه النهضة؟

- ينبغي ألا يقدم على تحقيق الكتب التراثية إلا من امتلك أدوات البحث والتحقيق وليتق الله قبل كل شيء، ثم بعد ذلك يمارس الدور الذى يعلمه، أما أن يقدم على هذا العمل إنسان ليس عنده تصور عن هذا العمل ولا أهلية له فعليه أن يتقي الله ربه.. لأن هذا تراث تجب المحافظة عليه، فكثير من الناس المبتدئين يظنون بأنفسهم أنهم يصلحون لهذا العمل، لكنهم ما يلبثون أن ينقطعوا، ويكون إنتاجهم العلمي غير موفق، وهذا يستدعي أن يبدأ طالب العلم مع أستاذ مارس هذا العلم حتى يعطيه خصائصه وما يحتاج له من علم وخبرة، لأن المرء يحتاج إلى فترة طويلة من الزمن حتى يستطيع أن يخوض غمار هذا العلم.

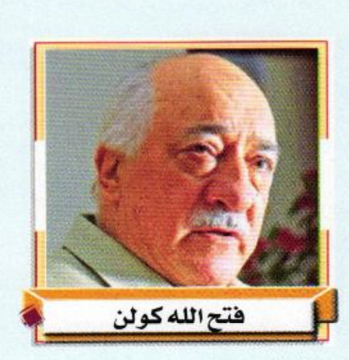
• العالم الإسلامي هو الأكثر تعرضًا لأطماع الآخرين وتدخلهم في شؤونه الداخلية.. فكيف يمكن التصدي لهذه الأطماع؟

- أهم ما في الأمر هو أن نتتبع مشكلاتنا الداخلية ونعمل على حلها بشكل عادل وحاسم في إطار من الحوار المباشر بين الإخوة والأشقاء العرب والمسلمين حتى لا يفتح الباب أمام تدويل مشاكلنا أو نمنح الآخرين الذريعة للتدخل في أدق شؤوننا الداخلية بحجة انتهاك حقوق الإنسان أو غير ذلك من الافتراءات، والاتهامات الزائفة، وفي هذا الصدد أرى من الضروري تفعيل مبدأ الشورى، ففي نطاقها سوف نجد الحلول الناجحة لكل مشاكلنا، ومن الضروري عدم التقاعس فإننا لو عجزنا عن إيجاد الحلول المناسبة لمشاكلنا الداخلية فسوف نتيح الفرصة لتدخل الشيطان بيننا وساعتها ستتمزق الأمة وستتفرق فرقًا وشيعًا.

• بين الحين والآخر تظهر آراء تدعو المتخصصين والباحثين في الشريعة الإسلامية لمواكبة فقه الواقع ومراعاة احتياجات المسلمين.. فما تعليق فضيلتكم؟

- نعلم أن الإسلام مصدر تشريعه القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ وأن هذه الشريعة جاءت عامة وصالحة لكل زمان ومكان وأن نصوص هذه الشريعة محصورة بين دفتي القرآن والسنة النبوية الصحيحة، وهذه النصوص التشريعية منها ما جاء بصورة مفصلة ومبينة ومحدودة، مثلت حدودًا لبيان الحقوق والواجبات الإنسانية لا يجوز الخروج عليها وذلك لقوله تعالى: ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها﴾(البقرة: ٢٢٩) وسواء كان ذلك يتعلق بالجنايات التي تتعلق بحياة الإنسان أو المعاملات وما يتعلق بالأمور المادية والمدنية وما يتعلق بالحفاظ على الكليات أوالضروريات الخمس «الدين والنفس والعقل والنسل والمال» فكل ما يحفظ هذه الكيانات ويبقيها ويحقق خلافة الإنسان على هذه الأرض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها كل ذلك يسمى حدودًا شرعية لا يجوز الخروج عليها أو مخالفتها بأي حال من الأحوال في أي زمان وفي أي مكان طبقًا للضوابط والقواعد الشرعية التي بينها الفقهاء والعلماء المجتهدون أصحاب الاختصاص الشرعي والتشريعي في تفسير نصوص الشريعة الإسلامية وأحكامها، ونظرًا لأن أفعال العباد لا تتناهى والحوادث تتجدد من وقت إلى وقت ومن زمن إلى زمن قد لا نجد له نصًا بطريق مباشر ينطبق عليه وخاصة في مجال العادات والمعاملات والقضايا الإنسانية المستحدثة التي تجد من وقت إلى آخر وتحتاج إلى حكم شرعي لمعرفة مدى مشروعيته من عدمه احتاج الأمر إلى فقه هذا النص أي أن هذا الفقه التشريعي من خلاله يمكن معرفة حكم الله سبحانه وتعالى في الأمور المستحدثة التي لا نجد لها نصًا ينطبق عليها مباشرة من القرآن أو السنة وذلك لدوام التزام البشر بأحكام الشريعة الإسلامية، ويدل علي ذلك قول النبي ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين» (متفق عليه).

القبض والبسط


فتح الله كولن

«القبض والبسط» يدخلان في مدار حياة أي إنسان في أي مستوى كان وبأبعاد مختلفة ويستحوذان عليه، يتعلقان بكل فرد يحيا بشعور مستشعرًا بالحياة. القبض أو الانقباض هو الانطواء والانكماش، وحالة انتزاع الروح، أو انقطاع الفيوض المعنوية للإنسان، ارتخاء علاقته الوثيقة مع منبع الفيض الأبدي لما في ماهيته من ثغرات وبقاؤه في فراغ إلى حدٍّ ما، في حين ينبغي أن تكون رابطته وثيقة معه. أما «البسط»، فهو مدّ، انفتاح، عرض، توسع، انشراح وابتهاج، أو ارتفاع الإنسان إلى نقطة يكون وسيلة رحمة في الوجود إلى حد استيعابه الأشياء، توسع القلب وانشراحه، سمو الذهن إلى حيث يتمكن من حل أكبر المعضلات.

إن كلًا من الخوف والرجاء طور إرادي، ومنزل أوّلي ونقطة بداية لسالك الحق، أما القبض والبسط فهما معاملة ذات أسرار في الحدود النهائية بعيدًا عن بعض الأسباب الإرادية، فإما يقطعان السبيل على سالك الحق أو يرفعانه ويحلّقان به.

نعم، إن كان الخوف والرجاء، هو إحساس بالقلق أو نشوة أمل مما يُحَب أو يُكرَه فيما يخص المستقبل؛ فالقبض والبسط، نبض القلب بالنشوة أو انكماشه بالقسوة فيما يخص الحاضر، بتأثير موجات ترد عليه مختلفة في الطول واللون.

إن ما يفيده القبض لمن يجولون في ربوع المعرفة، يفيده الخوف للذين هم ما يزالون في الطريق، وما يفيده البسط لأولئك، يفيده الرجاء لهؤلاء.

القبض والبسط بيد الله سبحانه كما في قوله سبحانه ﴿وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ (البقرة: ٢٤٥) بغض النظر عن التأثير النسبي للإرادة الإنسانية التي لها ماهية اعتبارية.

فكما أن الوجود كله في قبضة تصرفه سبحانه، كذلك يدير متى يشاء، وكيف يشاء كل شيء من السموات إلى قلب الإنسان. وحديث الرسول ﷺ يذكّر بهذا: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» (١).

> **القبض جلالي والبسط جمالي وفي أحدهما تظهر العظمة بسر «الواحدية» وفي الآخر تتبين الرحمة ويتجلى التنزل**

فالله سبحانه متى شاء يقبض القلوب قبضًا يغرقها في حاجات شتى حتى لا يمكن أن يدفع تلك الحاجات غيره تعالى، وإذا شاء يبسطها لمن يريد بسطًا واهبًا لهم انشراحًا لا يشعرون معه بحاجة إلى أحد.

القبض جلالي والبسط جمالي: ففي أحدهما تظهر العظمة والكبرياء بسر «الواحدية»، وفي الآخر تتبين الرحمة ويتجلى التنزل. ففي أحدهما اقشعرار الأبدان أمام القدرة التي تدير الوجود كله كحبات المسبحة من الذرات إلى المجرات، وفي الآخر نفحات «الأنس» تكرمة للأرواح الوجلة من الحيرة والدهشة أمام هذه العظمة التي تواضع لها كل شيء وهذا الجبروت الذي ذلّ له كل شيء.

بيد أن كل شخص لا يشعر بهذا التجلي وبهذه التكرمة في المستوى نفسه، ذلك لأن تجليات القبض والبسط تتناسب طرديًا مع سعة صدر الأشخاص وضيقها. نعم، إن ما يشعر به شخص عامي من ضيق صدره أو انشراح قلبه، ليس كما يشعر به ذو القلب اليقظ المتفتح إلى الماوراء المترع بالانفعال والخشية، المشحون بشعور أنه يراقب من فرجة باب، فيعتريه الانبساط والنشوة في مواضع والقلق والاضطراب في أخرى.

القبض والبسط أيضًا ككل شيء تحت تصرف الخالق العظيم، يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار والنهار الليل. فإن الإرادة الإلهية -مع ملاحظة أن الأسباب شرط عادي- تضيّق شرائح القبض والبسط وتبسطها، دافعةً الإنسان إلى توترات وانقباضات أو تهيجه بالأفراح والمسرات. نعم، الإنسان أحيانًا يقطع شريحة زمان واسع جدًا، من دون أن يقع في قبضة القبض، يحلّق كالطيور في الهواء. وأحيانًا أخرى تضيق حالات القبض فتتوسع شرائح القبض حتى لكأن الإنسان يتدحرج من فراغ إلى فراغ. فيتكدر الروح وينكفئ الإنسان على نفسه.

كما أن عدم القدرة على إعطاء المقام -الذي هو هبة إلهية- حقه أحيانًا، يكون

* مفكر تركي

وسيلة قبض، فكثيرًا ما تأتي الذنوب مرافقة لحال القبض. وعلى هذا يجب أن تكون حالة القبض وسيلة إيقاظ للمؤمن كل حين. فلابد من اتخاذ الحذر من الغفلات، والقيام بإزالة الذنوب والآثام بالتوبة والحسنات، وتوجيه بصيرة القلب مرة أخرى إلى الغيوب.

في مقابل القبض الذي يرد مصحوبًا بنغمات العدم والحيرة والهلع واللاشيء، يتجلى البسط بأشكال النشوة والسرور والشطحات. وعلى هذا فالبسط ربما يكون سببًا للانخداع والضياع لقسم من الأرواح الهزيلة التي لم تتفتح بعد لمشاهدة الغيوب ولم تغيّر أجهزتها وفق الحياة الأخروية. ويصدق هذا أيضًا على حال القبض، ولكن ليس بمقدار البسط بلاشك؛ ذلك لأن المتضايق بالقبض يقول كل آن بوجدانه «لا تدعني يا إلهي وشأني فأنا لا أستغنى عنك» فيتجاوز جيوب الهوى كما تخترق الأجسام جيوب الهواء. فيتكامل بعنايته تعالى، ويمكن أن يصل في تلك البرهة الزمانية القاسية إلى ما لا يوصل إليه بحال البسط.

لذا عدّت حالة القبض فصلًا من فصول التيقظ للناس أجمعين مقابل ما في حالة البسط من غفلة وتراخ لبعض الأرواح.

وكذلك فالقبض الذي يَردُنا نتيجة تقصيراتنا وغفلاتنا، قد يكَون مقدمة لبسط آت، والبسط الذي يؤدي إلى الشطحات والتراخي ربما يكون سببًا لقسم من أنواع القبض المهلك.

والمؤمن الحق، هو الذي يقيّم كل حال ضمن إطاره الخاص ويعرف كيف يستثمره.

القبض والبسط تجليان منه تعالى للعارف

فالقبض والبسط مدعاة شكر للعارف.

اللّهم اشرح صدورنا للإسلام وثبت قلوبنا على الإيمان. وصل وسلم على سيدنا محمد وآله وأصحابه الفخام.

باحث سوري

المؤسسات الخيرية في الحضارة الإسلامية

حسين محيي الدين سباهي

عرف المسلمون منذ القديم بناء المؤسسات الخيريّة كبناء الخانات للمسافرين المنقطعين، ومنها التّكايا والزّوايا التي ينقطع فيها مَنْ شاء للعبادة، ومنها بيوت خاصة للفقراء يسكنها مَن لا يجد ما يشتري به دارًا أو يستأجرها، ومنها السّقايات، أي تسبيل المياه في الطرقات العامة للناس جميعًا، ومنها المطاعم الشعبية التي كان يُؤمّن فيها الطعام مِنْ خبز ولحم وحساء وحلوى مثل تكيّة الشّيخ محيي الدين، ومنها بيوت للحجّاج في مكّة ينزلونها، ومنها حفر الآبار في الفلوات لسقي الماشية والزّروع والمسافرين، ومنها أمكنة المرابطة على الثغور لمواجهة خطر الغزو الخارجي، ويتبع كل ذلك أوقاف خاصة لاستمرار عمل هذه المؤسسات والانتفاع منها.

ومن المؤسسات الخيرية ما كانت وقفاً لإصلاح الطرقات والجسور، ومنها ما كانت للمقابر يتبرّع الرجل بالأرض الواسعة لتكون مقبرة عامّة، ومنها ما كان لشراء أكفان الموتى الفقراء وتجهيزهم ودفنهم، ومنها المؤسسات للّقطاء واليتامى وختانهم ورعايتهم، ومؤسسات للمُقعدين والعجزة يعيشون فيها موفوري الكرامة، لهم كل ما يلزمهم مِنْ سكن وغذاء ولباس وتعليم، وهناك مؤسسات لتحسين أحوال المساجين ورفع مستواهم وتغذيتهم بالغذاء الواجب لصيانة صحتهم، ومؤسسات لإمداد العميان والمقعدين بمن يقودهم ويخدمهم، ومؤسسات لتزويج الشباب والفتيات العزاب ممن تضيق أيديهم أو أيدي أوليائهم عن نفقات المهور.

ومن المؤسسات ما كان لإمداد الأمّهات بالحليب والسكر ومِنْ أطرف المؤسسات الخيرية وقف الزبادي للأولاد الذين يكسرون الزبادي وهم في طريقهم إلى البيت فيأتون إلى هذه المؤسسة ليأخذوا علبة زبادي جديدة بدلاً مِنَ المكسورة، ثمّ يرجعوا إلى أهليهم وكأنهم لم يصنعوا شيئًا.

ومن أطرف المؤسسات الخيرية أيضاً مؤسسة علاج الحيوانات المريضة أو إطعامها ورعايتها عند عجزها، وقد عد المؤرخون ثلاثين نوعًا من أنواع المؤسسات الخيرية التي قامت في ظل حضارتنا.. في وقت متقدم.

■ المصدر: مِنْ روائع حضارتنا للدكتور: مصطفى السِّباعي

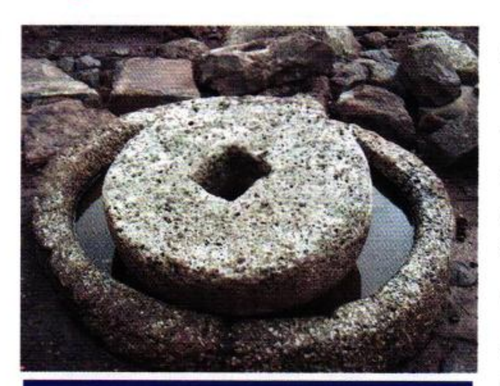
الوقف.. حكمه وصوره ومقاصده (٢-٤)

القاهرة - دار الإعلام العربية

تناولنا في الحلقة الأولى من «الوقف» تعريفاته، وآراء الفقهاء فيه، ودلائل مشروعيته، وانتهينا بإيجاز إلى حكمه.. وها نحن نواصل أحكامه وأمثلة لأبرز الوقوف الإسلامية منذ العصر النبوي، وكذا مقاصده.. وفي المجمل يمكن القول إن رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين وعامة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وقفوا، فروي أن رسول الله ﷺ وقف، وكذا أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم رضي الله عنهم جميعًا.

إذا كان الوقف مستحبًا باعتباره من أفضل الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى ربه لعدم انقطاعه وكثرة الثواب عليه بتأبيده، فالوقف ليس من باب التعبد الذي لا يعقل معناه، بل هو معقول المعنى مصلحي الهدف، إلا أن من الفقهاء من أنكر شرعية الوقف بهذا المعنى وعدّه باطلا، قائلين: كيف يمنع الإنسان من التصرف في ملكه؟ ومن هؤلاء شريح وإسماعيل بن اليسع الكندي وأبوحنيفة والشعبي، وقال بعض العلماء إن إنكارهم شرعية الوقف إنما هو منصب على منع التصرف في الرقبة ببيعها ووهبتها وعدم انتقالها بالإرث وغير ذلك، أما صرف المنفعة إلى الجهة التي عينها فيقر عليه الواقف ويجب عليه تنفيذه، ولذلك جاء في «عمدة القارئ» ما نصه: «لا خلاف بينهم في جواز الوقف في حق وجوب التصدق بما يحصل من الواقف مادام حيًا، حتى إنه إذا وقف داره أو أرضه يلزمه التصدق بغلة الدار والأرض، ويكون ذلك بمنزلة النذر بالغلة، ولا خلاف أيضا في جوازه إذا اتصل به قضاء القاضي أو إضافة إلى ما بعد الموت».

ويرى العلماء أن هاتين المسألتين في الحقيقة لا تخرجان عن جواز الوقف، وإنما تخرجان على قاعدتين أخريين غير الوقف، أولاهما قاعدة فقهية مقررة وهي أن حكم الحاكم إذا صادف فصلا مجتهدا فيه رفع الخلاف فيما صادفه حسما لمادة النزاع، والثانية أن كل تصرف مضاف إلى ما بعد الموت وصية، وأن الوصية بالمنافع لجهة



لا خلاف في جواز الوقف في حق وجوب التصدق بما يحصل من الواقف مادام حيًا

الخير تجوز، فالوقف في الصورة الثانية يخرج على أنه وصية.

بداية الوقف وصوره

ورد أنه لما نزل قول الله تعالى: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ (آل عمران: ٩٢) وسمعها أبوطلحة بادر إلى وقف أحب أمواله وهو حديقة مشهورة تسمى «بيرحاء».. وروى مسلم: «إذا مات المسلم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح أي مسلم يدعو له»، فحمل العلماء الصدقة الجارية على الوقف، وقد أوقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرضا أصابها بخيبر بأمره ﷺ، وشرط فيها شروطا منها ألا يباع أصلها، ولا يورث ولا يوهب، وأن من وليها يأكل منها بالمعروف، أو يطعم صديقا غير متمول فيه».. وهذا أول وقف وقف في الإسلام، وقيل: بل وقفه ﷺ أموال مخيريق التي أوصى بها له في السنة الثالثة.. وجاء عن جابر «ما بقي أحد من أصحاب النبي ﷺ له مقدرة حتى وقف».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وأمر ببناء المسجد قال: «يا بني النجار: ثامنوني بحائطكم هذا؟ فقالوا: والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله تعالى» (رواه البخاري ومسلم). وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «من حفر بئر رومة فله الجنة. قال: فحفرتها»، وقد وقف عثمان رضي الله عنه تلك البئر فاستحق جنة عرضها السموات والأرض، جزاء ذلك الوقف. أما سعد بن عبادة رضي الله عنه فقد بلغ به بر أمه أنه أراد أن يوقف وقفًا لها ينال به الأجر عند الله، فقال «يا رسول الله إن أم سعد ماتت، فأي الصدقة أفضل- أي أكثر ثوابًا؟ قال: الماء. فحفر بئرًا، وقال هذه لأم سعد».

وذكر الطرابلسي أن عائشة رضي الله عنها حبست، وأختها أسماء وأم سلمة وأم حبيبة وصفية، وأزواج النبي ﷺ، وحبس سعد بن أبي وقاص، وخالد بن الوليد وجابر بن عبدالله، وعقبة بن عامر، وعبدالله بن الزبير، وغيرهم رضي ا لله عنهم أجمعين.

أما في العصر الأموي فكثرت الأوقاف نظرًا لاتساع الفتوحات الإسلامية التي بلغت مشارف الصين شرقًا، وحدود فرنسا غربًا، ولذلك أنشئت إدارة خاصة للإشراف على الأوقاف في زمن هشام بن عبدالملك، وخضعت هذه الإدارة لإشراف السلطة

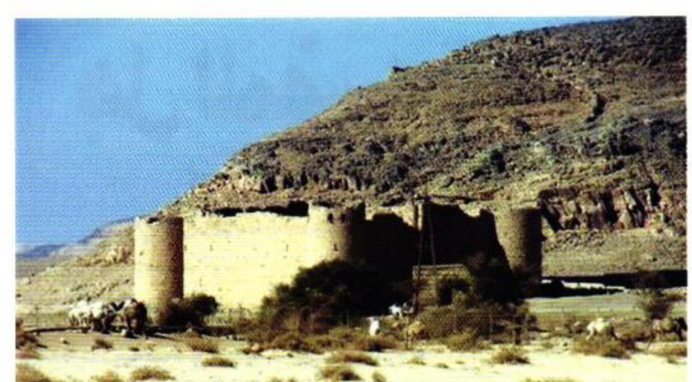
القضائية مباشرة، وكانت مستقلة عن السلطة التنفيذية.

وفي العصر العباسي ازداد التوسع في إنشاء الأوقاف، وكان يتولى ديوانها من يطلق عليه «صدر الوقف»، وظل ديوان الوقف مؤسسة أهلية مستقلة عن الدواوين السلطانية، وتوسعت مصارف ريع الوقف لتشمل الأوقاف الحضارية المدنية كالمستشفيات والمكتبات ودور الترجمة ومعاهد التعليم وغيرها، كما شملت مختلف جوانب الحياة، حتى كان منها أوقاف على رعاية البهائم وإصلاح الأواني ونحو ذلك.

وفي عصر المماليك كثرت الأوقاف واتسع نطاقها، لذلك أنشئت ثلاثة دواوين للإدارة والإشراف على الأوقاف أولها ديوان لأحباس المساجد، وثانيها ديوان لأحباس الحرمين الشريفين وجهات البر المختلفة، وديوان للأوقاف الأهلية.

وفي العصر العثماني اعتنى السلاطين بالأوقاف بدرجة ملحوظة، خاصة عند نساء بني عثمان، وتوسعت مصارف ريع الوقف لتشمل كليات الطب والخدمات الطبية لمستشفيات قائمة، مواكبة للتطور والتقدم العلمي في العصور الحديثة. بينما أولى كثير من الدول الإسلامية في العصر الحاضر اهتمامًا بالأوقاف في مجالات شتى، فبرزت العناية بالوقف في المملكة العربية السعودية بشكل ظاهر، حيث أنشئت وزارة خاصة تعنى بشؤون الأوقاف، وتنظيم أمورها وهي «وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد»، كما أنشأت مختلف الدول الإسلامية وزارات خاصة بالأوقاف أو إدارات خاصة تعنى بشؤونها وأمورها.. ومن نماذج الوقف الإسلامي الاجتماعي ما وُجّه إلى التعليم، وكان من أبرز صوره المدرسة النظامية التي أنشئت سنة ٤٥٩هـ ببغداد، وعُيّن لها خزان ومشرفون، وأقيمت فيها مكتبة، وقد وقف عليها نظام الملك أموالا كثيرة لتعليم الطلاب، وشراء نفائس الكتب.

أيضا المدرسة المستنصرية ببغداد، التي



أنشأها الخليفة المستنصر بالله العباسي سنة ٦٢٣هـ، قال عنها ابن كثير: «لم تبن مدرسة في الدنيا مثلها، وقفت على المذاهب الأربعة، وفيها شيخ طب، وعشرة من المسلمين يشتغلون بعلم الطب، ومكتب للأيتام، ووقف عليها المنتصر أوقافا عظيمة، حتى قيل إن ثمن التبن من غلات ريعها يكفي المدرسة وأهلها، ووقف فيها كتبًا نفيسة ليس لها في الدنيا نظير، فكانت هذه المدرسة جمالاً لبغداد وسائر البلاد».

أيضا المدرسة الظاهرية التي أنشأها الظاهر بيبرس في دمشق سنة ٦٦٢هـ، ووقف عليها الأوقاف، وأغدق عليها الأموال، وخصص لها مكتبة ضخمة تحوي سائر العلوم. وفي مصر أنشأ المنصور بن قلاوون سنة ٦٨٣هـ المدرسة المنصورية التي تخصصت في تدريس الطب بالدرجة الأولى، ووقف عليها وعلى القبة المنصورية، التي هي مرصد فلكي، أوقافا واسعة من الحوانيت والأطيان.

وفي مكة المكرمة مدرسة السلطان قايتباي التي افتتحت سنة ٨٨٤هـ واحتوت على ٧٢ غرفة أو قاعة تدريس، إذ وقف عليها الكثير من الأوقاف، وممن تولى إدارتها قطب الدين الحنفي، صاحب كتاب «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام».

مقاصده وأهميته

يمكن إيجاز مقاصد الوقف وأهميته في نقاط مختصرة تشير إلى الدور المهم لهذه العبادة المالية التي شرعها الإسلام لإغاثة المحتاجين، ومنها ما يعود أثره مباشرة على الواقف، ومنها ما يعود على الموقوف له، ومن ذلك:

تزكية النفس بتخليصها من اللهفة على المال والهلع من أجله والشح به، وتعويدها السخاء والبذل، كما ورد في شأن الزكاة ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾. (التوبة: ١٠٣)

توجيه الهمة إلى الدار الآخرة وثوابها، إذ إن أصحاب الأموال عادة إذا انهمكوا في جمعها وتنميتها وتدبيرها وحمايتها وتنويع مصادرها، فإنها تستولي على حياتهم وتستحوذ على تفكيرهم وهمتهم، فيصبحون مستغرقين في متطلباتها ومشاكلها، متعلقين بها حريصين عليها، فلذلك كانوا من أحوج الناس إلى التذكير وإلى توجيه انتباههم وتطلعاتهم إلى الدار الآخرة ابتغاءً لما فيها، خاصة من خلال أموالهم ومكاسبهم المالية، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وابتغ فيما آتاك اللّهُ الدّارَ الآخرة﴾. (القصص: ٧٧)

شكر المنعم المتفضل، ومن أفضل صور الشكر على النعمة ما يكون من جنسها، فشكر نعمة المال يكون بالإنفاق منه، وشكر نعمة العلم يكون بالتعليم والبيان، فحبس الأموال في سبيل الله هو نوع من الشكر للمنعم، جل جلاله، والاعتراف بنعمته وفضله.

تأمين الاحتياجات الأساسية للمجتمع ولفئاته المعوزة بصورة مضمونة ومستمرة، فالصدقات الفانية المخصصة للاحتياجات الآنية تنقضي، وقد تأتي على المجتمع ظروف تنضب فيه وتقل هذه الصدقات، بينما تبقى الأموال الوقفية قائمة ومستمرة العطاء تؤدي وظيفتها لفائدة مستحقيها.

التفكير والتدبير للمستقبل، وهذا المقصد يَصُبُّ في سابقه، لكنه هنا منظور إليه من حيث حمل الناس وتعويدهم على التفكير والتدبير المستقبليين، والشعور بالمسؤولية تجاه الأجيال المقبلة.

تعويد المجتمع على القيام بشؤونه تجاه الآفات الخطيرة التي تصيب الأمم والمجتمعات، وتدفع بها نحو التفكك والتخلي عن الشؤون العامة تفكيرًا وفعلًا.

هل للمفسد توبة؟

د. حسين شحاتة

المفسد هو الذي يسعى في الأرض فسادا ويعتدي على الحقوق، ولا يفسد المفسد وهو مؤمن، حيث يزين له الشيطان سوء عمله، وعندما يهدي الله قلبه ويستشعر ما اقترفه في حق الله وفي حق الوطن وفي حق الغير، يتساءل: هل للمفسد توبة؟! وكيف يتوب؟ وكيف يطهر قلبه من ران الذنوب؟ هذه التساؤلات وما يتفتق عنها من مسائل أخرى سوف نتناولها بشيء من التبسيط لاستخلاص الدروس والعبر منها.

التوبة هي الندم على فعل أمر يخالف شرع الله ويخالف القيم الإيمانية والأخلاقية والإنسانية، وهي واجبة على كل مسلم، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿يأَيّهَا الّذينَ آمَنُوا تُوبُوا إلَى اللَّه تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ (التحريم: ٨)، وقول الرسول ﷺ: «يأيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة» (رواه مسلم)، وباب التوبة مفتوح حتى من كبائر الذنوب والخطايا، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿إلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالحًا فَأُولَئكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحيمًا. وَمَنْ تَابَ وَعَملَ صَالحًا فَإنَّهُ يَتُوبُ إلَى اللَّه مَتَابًا﴾ (الفرقان: ٧٠- ٧١) ويقول عز وجل: ﴿قُلْ يَا عبَاديَ الَّذينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسهمْ لَا تَقْنَطُوا منْ رَحْمَة اللَّه إنَّ اللَّهَ يَغْفرُ الذُّنُوبَ جَميعًا إنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحيمُ. وَأَنيبُوا إلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلمُوا لَهُ منْ قَبْل أَنْ يَأْتيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ. وَاتَّبعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزلَ إلَيْكُمْ منْ رَبِّكُمْ منْ قَبْل أَنْ يَأْتيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ. أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ في جَنْب اللَّه وَإنْ كُنْتُ لَمنَ السَّاخرينَ. أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَاني لَكُنْتُ منَ الْمُتَّقينَ. أَوْ تَقُولَ حينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لي كَرَّةً فَأَكُونَ منَ الْمُحْسنينَ﴾ (الزمر: ٥٣- ٥٨)، ويقول الرسول ﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» (رواه الطبراني).

التوبة تتطلب عزيمة وقوة إرادة على مواجهة همزات الشياطين

فباب التوبة مفتوح للمفسدين إذا كانوا فعلًا صادقين مع الله عز وجل ومع الوطن ومع أنفسهم في توبتهم، فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، مصداقًا لقوله عز وجل: «إنَّهُ لَا يَيْأَسُ منْ رَوْح اللَّه إلَّا الْقَوْمُ الْكَافرُونَ» (يوسف: ٨٧).

شروط توبة المفسد

لقد استنبط الفقهاء والعلماء من مصادر الشريعة الإسلامية شروط التوبة النصوح الصادقة، نلخصها في الآتي:

الاستشعار صدقًا ويقينًا بالندم على اقتراف الذنوب، ودليل ذلك قول الرسول ﷺ: «الندم توبة» (رواه مسلم).

الإقلاع عن اقتراف الذنوب فورًا بدون تباطؤ، قبل أن تأتي لحظة الغرغرة ولا يعرف أحد متى ذلك، فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا تَدْري نَفْسٌ مَاذَا تَكْسبُ غَدًا وَمَا تَدْري نَفْسٌ بأَيِّ أَرْض تَمُوتُ إنَّ اللَّهَ عَليمٌ خَبيرٌ﴾ (لقمان: ٣٤)، ويقول الرسول ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» (رواه الترمذي).

العزم الأكيد على عدم العودة لفعل الذنوب مرة أخرى، وعلى المفسد أن يأخذ بالأسباب المشروعة لذلك، ومنها البدء في أن يكون مع عباد الله الصالحين ويترك مصاحبة الفاسقين المفسدين.

إرجاع الحقوق المالية المترتبة على اقتراف الذنوب إلى أصحابها أو طلب التنازل عنها، كما يطلب التسامح والغفران ممن اقترف في حقهم من ذنوب معنوية.

وتأسيسًا على ذلك فإن أمام المفسد أن يتوب من خلال تنفيذ الشروط السابقة، وهذا يتطلب منه عزيمة وقوة إرادة على مواجهة همزات الشياطين، وينتهج سبيل المصلحين، فإذا كان مخلصًا في توبته فسوف يهدي الله قلبه وييسر له طريق الخلاص والنجاة، فقد قال رسول الله ﷺ: «لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة» (متفق عليه).

كيف يتوب المفسد من الذنوب؟

قد يكون المفسد قد اقترف ذنوبًا تتعلق بحقوق العباد المالية مثل: السرقة وخيانة الأمانة، والرشوة، والتدليس، والتطفيف، والاختلاس، والظلم، والغلول، والاحتكار، ونحو ذلك، وفي هذه الحالة يجب على المفسد التائب أن يرد الحقوق المالية إلى أصحابها، وإذا لم يعرف بدقة مقدارها فيأخذ بغالب الظن، وإذا لم يعرف أصحابها لسبب من الأسباب فعليه أن ينفقها في وجوه الخير العامة وتكون

• خبير اقتصادي

النية أن ثواب ذلك لأصحابها، وفي حالة أنه غير قادر على ردها لفقره فيطلب من أصحابها أن يسامحوه إن كان يعرفهم، وإن تعذر كل ذلك فعليه أن يطلب المغفرة من الله ويكثر من الاستغفار، وليستشعر الندم، فقد قال رسول الله ﷺ: «الندم توبة» (أبوداود والحاكم).

وقد يكون المفسد قد اقترف ذنوبًا تتعلق بحقوق العباد المعنوية مثل: القذف، والزنا، وشهادة الزور، والظلم، والبغي، والغيبة، والسخرية، والتجسس، والنميمة، وما في حكم ذلك، وفي هذه الحالة يجب أن يطلب منهم العفو والتسامح في الدنيا قبل أن يأخذوا حقوقهم منه في الآخرة، ويجب على من أساء إليهم استشعار قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى الله﴾ (الشورى: ٤٠).

مسؤوليتنا تجاه المفسدين التائبين

من مسئولية كل فرد التصدي للمفسدين الظالمين، وهذا يدخل في نطاق قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، وقال رسول الله ﷺ: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه» (الترمذي) فإذا تاب المفسد توبة صادقة ورد الحقوق إلى أصحابها واعتذر عن ذنوبه وخطاياه المعنوية وندم على ما فعل، ففي هذه الحالة يجب التسامح معه، وتيسير الأمور أمامه ليسير في الطريق المستقيم، ومن مسؤولية رجال الدعوة الإسلامية إعطاؤه المزيد من العناية والاهتمام وحمايته من شيطانه الرجيم، فإن الله سبحانه وتعالى يفرح بتوبة عبده المذنب ودليل ذلك قول الله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى الله تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (التحريم: ٨)، وقوله عز وجل ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣)، وقول الرسول ﷺ: «لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة» (متفق عليه)، وامتثالًا لنداء الله وتوصية رسوله ﷺ، يجب على المسلم أن يتسامح مع أخيه ويتعاون معه للثبات على توبته ويعود ليكون مع عباد الله الصالحين المصلحين.

إن شر الناس فسادًا في الأرض المفسد المنافق الذي يرائي الناس، فأحيانًا نجد أن بعض المفسدين من ذوي النفوذ سابقًا أحسوا أنه قد أحيط بهم، وفقدوا سلطانهم، يغيرون من سلوكهم، ويقدمون الأعذار الكثيرة بأنه قد غرر بهم أو أنهم قد أخطأوا، ويطلبون من ولي الأمر المسؤول عن الوطن، ومن الأفراد ممن اعتدى عليهم الغفران.

هذه الفئة غير صادقة في نيتها في التوبة وتحاول الإفلات من العقاب وينطبق عليها القول الشائع: «اتمسكن حتى تتمكن»، ويعني أنهم يقدمون الأعذار والاعتذارات حتى يفلتوا من العقاب وقصدهم التخطيط للعودة إلى الإفساد مرة أخرى.

ولكن كيف نطلع على النوايا المكنونة في صدور فئة المفسدين المنافقين؟

هذه مسألة صعبة وفوق طاقة البشر لأنها من المكنونات الغيبية التي لا يعلمها إلا الله ولكن ما الذي يجب عمله مع هذه الفئة؟ نرى ما يلي:

- حسن الظن بهم أولًا لأن الأصل في التعامل هو حسن النية.
- أن تأخذ بالحذر والفطنة تجاههم بالمراقبة الشديدة لسلوكهم.
- الأخذ بالأسباب لسد جميع أبواب المفاسد أمامهم.
- التصدي للمفسدين المنافقين حتى نتيقن من صدق توبتهم، فيجب ألا ندع التصدي لهذه الفئة حتى نتيقن من أنهم قد تابوا توبة نصوحًا.

وندعو الله سبحانه وتعالى أن يحفظ الأوطان من كيد كل مفسد ظالم، ويتوب على التائبين فهو القائل: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (غافر: ٧).



الإعلام الطائر

الإعلام المعاصر كجناح الطائر، يسير بسرعة دائبة، بل يطير مسافات بعيدة، وحريٌ بالعاقل أن يستفيد منه في دعوته إلى الله تعالى، وتبيانه للحق، ذلك أن هذه الوسيلة الجديدة تجاوزت حدود الجغرافيا، واختصرت الزمن، وحطمت الحواجز وتجاوزت الحدود، ومئات الملايين يستخدمون هذه التقنية الإعلامية في مختلف أنحاء العالم، ما يُعتبَر فرصة ثمينة لا بد أن تُستثمر في الدعوة إلى الله سبحانه، وقد أشارت دراسات غربية وعربية إلى أن ألوفًا من غير المسلمين اقتنعوا بالإسلام واعتنقوه، كان للإنترنت ووسائل الإعلام الفضائية الأخرى دورٌ مهمٌ في إسلامهم وقناعاتهم وتوجهاتهم.

ولعل من المفيد اللافت أنه لم تنل وسيلة من الوسائل الناقلة للمعلومات في تاريخ المدنية المعاصرة ما نالته هذه الوسائل العظمى من سرعة في الانتشار وقبول بين الناس، كما كان لها عمقٌ قوي ومؤثر في حياتهم على مختلف أجناسهم وتوجهاتهم ومستوياتهم، وذلك راجعٌ كما هو باد إلى تنوع طبيعة المعلومات التي توفرها هذه الوسائل الإعلامية الجديدة، وضخامة حجمها وسهولة الوصول إليها دون عقبات مكانية أو زمانية.

أن هذه الأداة التي ألهم الله بها الإنسان ليخترق المسافات في سرعة البرق، وليدخل بيوت الناس جميعًا بلا حواجز، فرصةٌ تاريخية ثمينة للعاملين في مجال الدعوة إلى الإسلام، وللحريصين على نشر كلمته، ليصلوا إلى العالم كله، ويقولوا لهم: «هذا ديننا وهذه دعوتنا وإليكم مبادئنا»، ويكونوا شهداء على الناس، ويا لها من أمانة، لو كان لها رجال!

المحرر

الإنترنت وسيط أساسي معاصر للنشر



المنشاوي الورداني

مع تنامي الثورة الرقمية في العالم تتزايد التساؤلات حول مستقبل وسائل الإعلام بكل أنواعها في العصر الرقمي، وفي زمن تدفق المعلومات وإتاحتها عبر الفضاء، وبسبب زلزال الانترنت أصبحت الصحف اليومية تعاني من إشكالية التوزيع مقارنة بالمطبوع، وذلك لتفشي ظاهرة الانحدار في عدد قراء الصحف اليومية على مستوى العالم، وقد شهد توزيع الصحف تراجعًا بنسبة ١١٪ منذ عام ١٩٩٠، أي منذ ظهور شبكة الإنترنت بشكل واسع.

يعتبر تدني الرغبة في القراءة لدى الجيل الجديد من الشباب من الجنسين ظاهرة جعلت الكثير من دور النشر لا تعتمد على حجم مبيعات مطبوعاتها كوسيلة للبقاء، بل اتجهت إلى الدعاية والإعلان بحثًا عن الدخل.

ولقد شهد قطاع الصحافة اليومية على المستوى العالمي تحولًا كبيرًا في مجال الملكية، فتحول من الملكية الفردية إلى الشركات حيث نجد اليوم أن الكثير منها (حوالي ٢٢ شركة) تمتلك قرابة ٤٠٪ من تلك الصحف والتي تعد أكثر الصحف اليومية توزيعًا على المستوى العالمي، كذلك نجد على المستوى العالمي أن أكبر ١٠ شركات تمتلك ٢٠٪ من تلك الصحف و٥١٪ من التوزيع.

وبسبب الصعوبات التي تواجهها الصحف اليومية شهد العالم تحولًا كبيرًا في المحتوى والطرح، حيث تحاول الصحف اليوم إجراء الكثير من التغييرات على ما تقدمه من مواد رغبة في جذب المزيد من المعلنين في الدرجة الأولى والقراء في الدرجة الثانية، كما تركز الصحف اليومية على المحليات والأخبار الحكومية أكثر من ذي قبل، كما أن طبيعة هذه الوسيلة جعلتها تعتمد على بعض الوسائل الإعلامية الأخرى الأكثر ديناميكية مثل القنوات الفضائية.

هذا ولا يمكن بأي حال من الأحوال إنكار ما نسميه زلزال الانترنت على الرغم من عدم وضوح الرؤية من الناحية الاقتصادية لها، إلا انها دون أدنى شك أصبحت من وسائل الإعلام الهامة والتي تمثل المصدر الأساسي للكثير من الأخبار، ففي سبتمبر ٢٠٠٣ كان أكثر من نصف سكان الولايات المتحدة الأميركية على اتصال بالانترنت.

وفي السنوات الماضية أجريت العديد من الدراسات حول الانترنت، والتي اتضح من خلالها أن نصف إلى ثلثي من يستخدمون الانترنت يبحثون عن الأخبار، يضاف إلى ذلك أن الفئات العمرية لمن يستخدمون الانترنت هم من الشباب، أي انها تشكل جذبًا

• مترجم بالتليفزيون المصري

للفئات العمرية من ١٨ الى ٣٤، وأوضحت الدراسات على تلك الفئات أن ٥٥ ٪ من الشباب يتصلون بالإنترنت بحثًا عن الأخبار من مصادرها.

وبعيدًا عن الجوانب الأخلاقية والمصداقية المصاحبة للكثير من الأخبار التي مصدرها مواقع الانترنت، فإنها تشكل تهديدا كبيرا للصحافة وبقية وسائل الإعلام، ولعل الدراسات التي أجريت على أفضل المواقع والتي اتضح أنها مواقع إخبارية تؤكد أهمية الانترنت كوسيلة إعلامية إخبارية.

ومنذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر أصبح الإنترنت مهما للكثير منا كمصدر إخباري، وكان ذلك على حساب التليفزيون التقليدي والصحافة المقروءة، فاحتل الإنترنت المرتبة الأولى على مستوى العالم كمصدر إخباري ثم القنوات الفضائية ثم الصحف اليومية، وجاء هذا نتيجة دراسة مسحية أجرتها شركة Pew Project.

ولكن يعاب على الإنترنت كمصدر أخبار ضعف المحتوى وعدم التأصيل، فالكثير من الأخبار لا تزال تستقى من مصادرها القديمة مثل وكالات الأنباء وشبكات الأخبار وغير ذلك، وتشير الدراسات التي أجريت على شبكة الانترنت إلى أن قرابة ٧٨٪ من الأخبار مصدرها قديم و٣٢٪ فقط تحمل الأصالة مصدرها نفس المواقع الإخبارية، كذلك التحديث حيث نرى أن أحد عيوب الخبر عبر الانترنت عدم القدرة على التحديث المستمر والمتابعة للخبر مقارنة بما يحدث في وكالات الأنباء والشبكات الإخبارية، حيث اتضح من خلال الدراسات على موضوع التحديث ان ما نسبته ١٤٪ فقط من الأخبار يتم تحديثه بينما الجزء الأكبر لا تطاله عمليات التحديث.

كما أن ضعف البنى التحتية للاتصالات في الكثير من الدول يجعل الاستفادة من الأخبار المصورة محدودًا جدًا ويحصرها في الأخبار النصية، كذلك ارتفاع تكلفة



استخدام الانترنت في الدول الفقيرة يجعل عدد المستفيدين منه محدودًا.

نعم هناك الكثير من الميزات التي يوفرها الانترنت كوسيلة إعلامية جديدة، مثل التفاعل وإمكانية التعليق على الأخبار، ولكن لا يزال الوقت مبكرًا لكي نطلق الأحكام بحقها، ولكن ما يمكن قوله الآن هو أن الانترنت جعل وسائل الإعلام الأخرى تحسب له ألف حساب وتهتم بموضوع جودة الخبر والتواصل المستمر مع المستفيدين كعوامل لم تكن في يوم من الأيام في بال القائمين على وسائل الإعلام المختلفة.

هذا الاتجاه المتنامي في الإعلام العام ووسائطه للتعامل مع شبكة الإنترنت كوسيط أساسي معاصر للنشر الإعلامي يعتبر ظاهرة إيجابية خاصة إذا علمنا أن عدد مستخدمي الـ «ويب» يزيد على بليوني شخص، وقد أصبح إنشاء مواقع إلكترونية للصحف المطبوعة ممارسة سائدة، إضافة الى ظهور صحف إلكترونية ليس لها أصل ورقي، ومواقع إخبارية متخصّصة وغيرها.

وفي سياق مماثل، تفرد المؤسسات الإعلامية التقليدية الإذاعية والتليفزيونية مساحات لها على الإنترنت تتيح لمستخدمي الشبكة العنكبوتية متابعة البث المباشر لقنواتها، فضلًا عن مواقع إعلامية تقدّم خدمات متنوعة.

وفي مقابل ذلك أتاح الإنترنت الفرصة للمواطن العادي كي يعبّر عن رأيه، ما جعله صحافيًا وناشرًا وأحيانًا مخرج أفلام، مثل حال الملايين التي تضع أشرطة مرئية-مسموعة على موقع «يوتيوب»، ويشار إلى ذلك بمصطلح «صحافة المواطن» Citizen Journalism، وراهنا، يشهد الإنترنت رواجًا ضخمًا لمواقع الشبكات الاجتماعية مثل «فيس بوك» الذي تجاوز عدد مستخدميه ٤٠٠ مليون، إضافة إلى المواقع الاجتماعية المرتكزة على تقنيات المحاكاة الافتراضية مثل «سكند لايف» Second Life.

هذا التحوّل المعلوماتي أكثر من الإعلام الجماهيري Mass Media والذي بات سائدًا فيه الحديث عن انخفاض أرقام توزيع الصحف خاصة في غرب أوروبا وأميركا شغل أعمال «الملتقى العربي الأول للصحافة الالكترونية»، الذي استضافته القاهرة أخيرًا، وناقش الملتقى هذه القضايا تحت عنوان عريض هو «مستقبل وسائل الإعلام في العصر الرقمي»، ونُظّم الملتقى بالتعاون بين «المنظمة العربية للتنمية الإدارية» في القاهرة، ودار «أخبار اليوم»، ودار «النهضة العربية» في بيروت، وشارك فيه باحثون وأكاديميون من ١١ دولة عربية، هي لبنان ومصر والأردن والعراق والكويت والسعودية وليبيا والمغرب وسلطنة عمان والسودان والبحرين.

حيث أكد الباحثون أن: «الصحافة الرقمية هي المستقبل لتميّزها بأنها تحافظ على البيئة عبر عدم استخدامها خامات ومعدّات قد تسهم في زيادة التلوث البيئي»، ولعل البعض يتذكّر النقاش المرير عن مسألة النفايات الإلكترونية electronic wastes، التي باتت مصدرًا مؤرقًا لنمط من التلوّث يضرب البيئة والبشر سوية.



وكالات الأنباء والإعلام الجديد

د. عبدالله بدران

منذ أن انطلقت أولى وكالات الأنباء في العالم عام ١٨٢٥، أدت هذه الوسيلة الإعلامية دورًا مهمًا في نقل الأخبار وتبادلها، وفرضت نفسها بقوة على شتى أنحاء العالم، وقدمت خدمات عدة للمشتركين فيها والمتابعين لموادها الخبرية ومنتجاتها المختلفة، وأسهمت في تعزيز نفوذ الدول القوية (الاستعمارية في بعض المراحل)، وفي التأثير على الرأي العام العالمي، وتوجيهه وجهات تتناسب مع سياساتها، وأهداف القائمين عليها والممولين لها.

وكان ظهور وكالات الأنباء نتيجة لأمور عدة منها الحاجة الملحة إلى هيئات ومؤسسات إعلامية ضخمة تمتلك إمكانات مادية كبيرة، وأجهزة تقنية فائقة السرعة في البث والوصول إلى معظم أنحاء العالم، وعددًا كبيرًا من الفنيين والمحررين، بحيث يمكنها القيام بتغطية خبرية للأحداث الواقعة في شتى أنحاء العالم- أو معظمه على أقل تقدير- ومتابعة الأحداث لحظة بلحظة، وتزويد المشتركين في خدماتها ومنتجاتها بالأخبار العادية والعاجلة، مع تطورها بمرور الزمن لتكون تلك الخدمات والمنتجات مرفقة بالصور الخبرية أو التلفزيونية وملحقات أخرى.

وتعد وكالات الأنباء أهم المصادر على الإطلاق في تزويد الصحف والمجلات ومحطات الراديو والتلفزيون ومواقع الإنترنت بالمواد الخبرية؛ لأنها تقوم بالعمل الذي لا يمكن لوسائل الإعلام الأخرى القيام به، وهو تغطية أهم العواصم والمدن، ومناطق الأحداث الساخنة في العالم بشبكة واسعة من المراسلين والمكاتب، نظرًا لما يتكلفه ذلك عادة من أموال ونفقات لا يمكن أن تتحملها تلك الوسائل.

ولقد تطورت هذه الوكالات بمرور السنين، وعززت من دورها وانتشارها، لتبقى الوسيلة الإعلامية الأولى في العالم من حيث التأثير والفعالية والتوجيه والانتشار، مع انخفاض طفيف ملحوظ في العقد الأخير بسبب انتشار الفضائيات في معظم مناطق العالم، وتوسع استخدام شبكة الإنترنت، وازدياد التنافس بين هذه الوكالات للظفر بأكبر شريحة ممكنة من المتابعين والمشتركين.

> **تظل وكالات الأنباء هي صاحبة السلطة الأقوى في النفوذ الإعلامي**

لكن، بالرغم من ذلك التنافس المحموم بين الفضائيات نفسها من جهة، وبين الفضائيات ووكالات الأنباء من جهة أخرى، ظلت هذه الأخيرة صاحبة النفوذ الأكبر، ومازالت حصتها من سوق وسائل الإعلام تتراوح بين ٧٠ و ٧٥ في المائة، حسب إحصاءات متفاوتة تجريها مؤسسات أهلية متخصصة بين مدة وأخرى.

التعريف وطبيعة العمل

تعرَّف وكالة الأنباء بأنها وسيلة إعلامية تمتلك شبكة للمراسلين، وتستطيع أن تجمع المواد الخبرية والصور الثابتة والمتحركة على مدار الساعة من عدد كبير من المحررين الذين يعيدون تحرير تلك المواد حتى يمكن نشرها في وسائل الإعلام الأخرى.

ولا شك أن وكالات الأنباء شهدت في السنوات الأخيرة تطورات لافتة في مضمونها وإدارتها وأساليب العمل فيها، ومناطق الانتشار والتوسع والنفوذ والدور السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والفكري، واستخدام أحدث الأجهزة العلمية والتقنية، والواردات والخدمات الخارجية والمشتركين، إضافة إلى الأساليب التحريرية المستخدمة فيها، والتنوع في استخدام الفنون الخبرية المختلفة، وتطويرها بإدخال لمسات مهنية عليها.

وهذا التنوع في استخدام الأساليب التحريرية والفنون الخبرية أدى إلى إحداث نقلة نوعية لافتة في شكل ومضمون المواد الخبرية لوكالات الأنباء، واكبت النقلة النوعية التي تشهدها معظم وسائل الإعلام في العالم، من حيث الأداء المهني بالدرجة الأولى.

■ **أنواع الوكالات**

تقسم وكالات الأنباء- من حيث أنواعها- إلى أربعة أقسام رئيسية هي:

وكالات الأنباء المحلية

وهي وكالات تملكها معظم الدول، ومهمتها الرئيسية تغطية الأخبار المحلية، إضافة إلى أهم الأخبار العالمية، ومن هذه الوكالات وكالات الأنباء العربية.

■ **وكالات الأنباء الإقليمية**

وهي وكالات تشترك عدة دول في تمويلها، وتغطي الوكالة أخبارها دون تحيز لواحدة منها، ومن هذه الوكالات وكالة الأنباء الإسلامية ومقرها جدة في المملكة العربية السعودية التي أنشئت إيمانًا من

• صحافي في وكالة الأنباء الكويتية

الدول الإسلامية بأهمية وجود وكالة أنباء تعنى بمصالح الأمة الإسلامية، وترصد جوانب التنمية فيها، وتنقل أخبارها وأخبار الدول الأخرى على أسس من القيم والمبادئ الإسلامية الصحيحة، بعيدة عن التشويه والتحريف.

وكان مؤتمر العالم الإسلامي الذي عقد في كراتشي عام ١٩٥٠ قد اقترح فكرة إنشاء «وكالة الأنباء الإسلامية»، وتمت الموافقة على هذا الاقتراح في مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الذي عقد في كراتشي أيضًا عام ١٩٧٠، ثم أقر دستور الوكالة في اجتماع عقده ممثلون عن وكالات الأنباء الوطنية التابعة للدول الإسلامية عام ١٩٧٢، وبدأت الوكالة عملها الفعلي عام ١٩٧٩ من مقرها الحالي في مدينة جدة السعودية.

وعلى الرغم من الأهمية الكبيرة للوكالة والدور المنوط بها والمكانة التي يجب أن تتبوأها، فإن هناك عقبات جمة تحول دون تطورها وتقدمها لتحقيق خدمات إخبارية متميزة، ومن أهم هذه العقبات مشكلة التمويل ونقص الكوادر الفنية البشرية المؤهلة واقتصار التغطية الإعلامية على البلدان الإسلامية فقط، وعدم امتلاكها شبكة كبيرة من المراسلين المتفرغين أو المتعاونين.

■ **وكالات الأنباء التكميلية**

تعرف وكالات الأنباء التكميلية ضمن نطاق العاملين في وسائل الإعلام، وقد نمت في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، عندما تحول عدد كبير من الصحف الأسبوعية إلى صحف يومية، وازدادت الصحف الصادرة في الأقاليم.

وتقدم هذه الوكالات خدمة صحافية يومية متميزة مقابل مبالغ قليلة، وتبث نشرات أنباء يومية تحتوي على عدد من الكلمات لا يتجاوز بضع عشرات من الآلاف، وتوزع بين ٢٠ و٥٠ قصة خبرية في اليوم.

■ **وكالات الأنباء العالمية**



وهي وكالات تنتشر مكاتبها في شتى أنحاء العالم وتمد المشتركين فيها بالمواد الخبرية المختلفة التي يطلبونها، ومنها وكالة «رويترز» و«وكالة الصحافة الفرنسية».

وعلى الرغم من تأكيد وكالات الأنباء العالمية أنها تقف على الحياد من الأخبار التي تزود المشتركين بها، وأنها تبثها بموضوعية تامة ولا توجهها حسب أفكار ورؤى سياسية معينة، فإن لها تأثيرًا كبيرًا على حركة التدفق الدولي للأخبار يأخذ اتجاهًا واحدًا هو من الغرب إلى الشرق، بمعنى أن حجم الأنباء التي تحملها هذه الوكالات يفوق عدة مرات كمية الأنباء التي تنقلها عن دول العالم الثالث، فيما يطلق عليه بالاختلال الكمي، وفي الوقت نفسه، فإن نوعية الأنباء تحمل تحيزًا واضحًا في مصلحة الغرب وتحاملاً أكثر وضوحًا على دول العالم الثالث، فيما يعرف بالاختلال الكيفي.

الإعلام الجديد

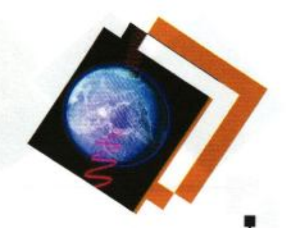
ظهر مفهوم الإعلام الجديد حديثًا كمفهوم يتمحور حول الإعلام الديناميكي التفاعلي الذي يجمع بين النص والصوت والصورة في ملف واحد، وأدت التكنولوجيا دورًا مهمًا في إضفاء التفاعلية على هذا النوع من الإعلام، فأصبح بإمكان المستفيد التفاعل مع الطرح الإعلامي وقراءته والتعليق عليه.

وعلى سبيل المثال فإن الصحف الإلكترونية التي تعد إحدى أدوات الإعلام الجديد، تتيح للقارئ التفاعل مع النص وطرح آراء كثيرة ومتعددة حوله والخروج بمجموعة من الرؤى والأفكار حول الموضوع الواحد.

ومن أهم أدوات الإعلام الجديد مواقع الشبكات الاجتماعية على الإنترنت ومنها، الفيس بوك (Facebook) وتويتر (Twitter) وماي سبيس (myspace) التي استطاعت أن تخلق إعلامًا مختلفًا عن الإعلام التقليدي في الطرح والتفاعل وسرعة نقل الخبر وتدعيمه بالصورة الحية والمعبرة، ففي الظروف الطارئة والأحداث العالمية استطاعت هذه الشبكات أن تتفاعل مع هذه الأحداث على مدار الساعة وتنقل الحدث أولاً فأولاً، ومن مكان حدوثه، ويواكب هذا النقل سرعة انتشار مذهلة لا يستطيع الإعلام التقليدي مجاراتها بأي حال من الأحوال، وتحت أي ظرف من الظروف.

ولقد سعت وكالات الأنباء إلى استخدام هذه الوسائل الحديثة لتعزيز حضورها وترسيخ مكانتها، وسارعت هذه الوكالات بداية إلى إنشاء مواقع لها على شبكة الإنترنت مزودة بجميع الخدمات الإعلامية، كما دشنت مواقع في وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، وقبل ذلك قدمت خدمات الرسائل النصية القصيرة (إس إم إس) مع توفير الصور الثابتة والمتحركة مع هذه الرسائل النصية، وهذا التحرك السريع من وكالات الأنباء مكنها من أن تبقى صاحبة السلطة الأقوى في النفوذ الإعلامي، والمتفوقة على وسائل الإعلام الأخرى في تغطية أكبر مساحة ممكنة من العالم، ومن ثمَّ أبقاها في منطقة القوة المهيمنة، وساهم في فرض موادها الخبرية وصورها المتنوعة على شتى وسائل الإعلام.

إن الأمل كبير في أن تواكب وسائل الإعلام في الدول الإسلامية التطور الحاصل في هذه الأدوات الحديثة، وتسخرها لخدمة مصالح الأمة، وتستفيد منها للنهوض بشعوبها وتحقيق التنمية والازدهار والرخاء فيها.



نظم المعلومات في القرآن والسنة

عز الدين صديق

إن الفكرة السائدة عند كل خبراء تحليل وتصميم نظم المعلومات هي أن بداية هذا العلم كانت خلال الحرب العالمية الثانية، حيث استخدمت تطبيقات نظم المعلومات استخدامًا واسعًا أخذت فيه أهمية بالغة خلال الحرب المذكورة بالنسبة لنظم المعلومات العسكرية، ثم انطلقت منها إلى المجالات الأخرى فأخذت أهميتها أيضًا في نظم المعلومات الإدارية ونظم المعلومات المالية، ومن ثم بدأ علم تحليل وتصميم نظم المعلومات في الاستقلال عن علم الإدارة، ومع تطورات هذا العلم فقد بلغ، سواء مع تطور تكنولوجيا المعلومات، وبالتحديد الطفرة الهائلة في تطورات الحواسب الآلية، أو في مجال تطورات النظم نفسها، إدارية أو مالية، بلغ أهميته الكبرى وأصبح علمًا مستقلًا تمامًا عن علم الإدارة.

البداية الحقيقية لنظم المعلومات هي بداية نزول القرآن الكريم في غار حراء عند نزول جبريل عليه السلام، حيث ضم الرسول ﷺ وقال له: اقرأ، ولأهمية هذه الكلمة كررها جبريل عليه السلام مرات عدة على رسول الله ﷺ قبل أن يستأنف قول الآية الكريمة «اقرأ باسم ربك»، وكما هو معلوم فإن كلمة اقرأ تعني استزادة الإنسان من المعلومات، أومن مدخل آخر هي نصيحة تكوين المعلومات المرتبطة بالقرار، وترى مدرسة من مدارس نظم المعلومات أن نجاح أو فشل أي نظام معلومات يعتمد أساسًا على مدى نجاح مرحلة جميع المعلومات المتعلقة بالموضوع تحت البحث، ومن الدروس الأولى في علم الحاسب الآلي أنك لا تتوقع إطلاقًا مخرجات دقيقة وناجحة، بينما المدخلات خاطئة وقاصرة ويعبر أساتذة الحاسب الآلي عن ذلك بعبارة شائعة تقول إن قمامة داخلة قمامة خارجة، Rabish in Rabish out فلا تعطي الحاسب الآلي بيانات خاطئة وقاصرة ثم تتوقع نتائج جيدة وإذا لم تحصل عليها تتهم الحاسب الآلي.

وفي مجال رسائل الماجستير والدكتوراه يعترض كثير من الأساتذة على طالب الرسالة إذا أخذ الموضوع مجرد نقل من الكتب والمراجع فقط، ولكن لابد له أن يقرأ عناصر الموضوع ويدرسها جيدًا قبل أن يبدأ في كتابة الرسالة، ولذلك فإن معظم الجامعات الآن تجعل لطلاب الماجستير والدكتوراه ما يسمى بالسنوات التمهيدية وفيها يدرس الطالب أولًا عامًا أو عامين في العلم الذي يحضر فيه رسالة الماجستير أو الدكتوراه، فإذا نجح فيها يسمح له بالبدء في تحضير الرسالة.

وفي قصة الخضر وموسى عليهما السلام يعطينا القرآن درسًا مهمًا في مشكلة قصور المعلومات والنتائج المتوقعة منها، فتجد أن الوقائع والأحداث التي شاهدها موسى عليه السلام، كانت واضحة أمامه، ولكنه لم يكن عنده قاعدة المعلومات المتعلقة بموضوع الواقعة، لذلك كان مندهشًا من تصرفات الخضر في هذه الوقائع وأبدى احتجاجه على تصرفات الخضر عليه السلام، كما جاء في سورة الكهف.

﴿أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئًا إمرًا... أقتلت نفسًا زكية بغير نفس لقد جئت شيئًا نكرًا... لو شئت لاتخذت عليه أجرًا﴾.

وعندما ذكر الخضر لموسى عليهما السلام المعلومة الناقصة عند موسى في كل واقعة زالت الدهشة والاحتجاج عند موسى عليه السلام، وعند كل من يقرأ القصة.

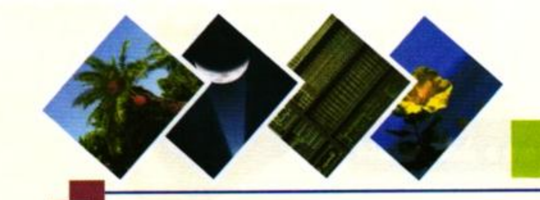
ومن المبادئ المهمة في القضاء الإسلامي ألا يتخذ القاضي قراره قبل أن يسمع طرفي الخصومة، وفي ذلك تقال نصيحة مهمة لمن يتولى القضاء، إذا جاءك خصم يشكو لك أن شخصًا فقأ عينه فانتظر حتى ترى الآخر فقد تكون عيناه الاثنتان مفقوءتين.

ومن العناصر الحديثة جدًا في مجال نظم المعلومات جمع المعلومات المتعلقة بالموضوع، وهذه أيضًا وإن كان من التطبيقات الحديثة في مجال نظم المعلومات، فإنه معروف منذ مئات السنين من خلال القرآن والسنة، كما جاء في سورة البقرة عندما قال موسى لقومه ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ فتشدد قوم موسى في طلب المعلومات عن هذه البقرة فشدد الله عليهم.

ومن أهم العناصر اللازمة في نظم المعلومات تحليل وتقييم المعلومات بناء على المصدر، ونجد مثالًا لذلك في القرآن الكريم ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾، وتقييم المعلومة بناء على المصدر يعمل به على نطاق واسع في مجال علم الأحاديث النبوية إذ تقييم درجة الحديث (صحيح- -حسن- ضعيف- موضوع) يكون بناء على المصدر، فضلًا عن الاعتبارات الأخرى المأخوذة في هذا المجال.

ولو أجرينا تجربة على عشرة آلاف كاتب من أعظم وأكبر الأدباء في العالم وطلبنا منهم سرد الوقائع التي جاءت في سورة الكهف عن الخضر وموسى عليهما السلام، لكتب كل واحد صفحات وصفحات وصفحات، ولا نجد أبدًا من يمكنه أن يقترب حتى من أسلوب القرآن الكريم في سرد هذه الوقائع.

* باحث إسلامي



الصحافة الجديدة

عبادة السيد نوح

تعيش مجتمعاتنا اليوم تجربة جديدة جديرة بالاحترام والدراسة.. تجربة حققت ما لم تحققه وسائل الإعلام كافة خلال العقود الماضية.. تجربة تعيد تأطير الأدوات الإعلامية وتؤكد أن توجيه الرأي العام لم يعد محتكرًا على فئة معينة أو زمرة محددة، إنها صحافة المواطن كما يسميها كثير من الاختصاصيين اليوم.

يعتبر هذا النوع من الصحافة بديلًا حقيقيًا عن صحافة وسائل الإعلام المتخصصة، حيث فرض نفسه في الفترة الأخيرة على الساحة المحلية والعالمية، وأصبح يمثل فضاءً لأي مواطن من مواطني العالم المهتمين بنشر رؤيتهم لبعض الأحداث أو نشر مواد صحافية يعتم عليها من وسائل إعلام معينة.

وتعرف صحافة المواطنين أن بإمكان أي شخص في العالم أن يكون إعلاميًا ينقل ما يراه ويشاهده دون حاجة لأن يحمل شهادة في الصحافة والإعلام أو أن ينتمي لمؤسسة أو منظومة إعلامية، ولا يحتاج المواطن التابع لدولة صحافة المواطنين إلى غير الهاتف الجوال ليتوجه إلى موقع الحدث ويقتنص الأخبار ويقوم بالتصوير ويعمل اللقاءات ويرسل لقطات الفيديو إلى الإنترنت ويتحول إلى صحافي محترف.

السؤال الذي يطرح نفسه: لماذا ظهر هذا المولود الجديد في المنظومة الإعلامية اليوم؟ من الواضح أن أزمة الثقة بين الجمهور وأباطرة الصحافة ساهمت بشكل كبير في ظهور مثل هذه الوسائل الجديدة لتلبية احتياجات الجمهور وتطلعاته وأحلامه.

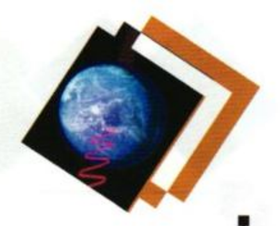
لقد كان طرفا المشكلة في الرسالة الإعلامية غالبًا ما يشتكون، كل على حدا، فالصحافة تشتكي من غياب العناصر الفاعلة من الجماهير التي تستطيع أن تفرض التغيير والتجديد في المجتمع لكي يأتي دورها بعد ذلك في تغطية الأحداث ونشر المعلومات والقيام بأدوارها الأخرى، والجمهور بدوره يعتقد أن الصحافة لا تلعب الدور المنوط بها من ممارسه عملية النقد وتفعيل الجانب الرقابي والمساهمة في رفع سقف التعبير والحريات وإشاعة ثقافة الرأي والرأي الآخر المخالف في المجتمع.

وفي الحقيقة إن تجربة كوريا الجنوبية في هذا المجال تجعلنا نفكر جديًا في كيفية وضع الأطر المناسبة لهذه التجربة وتفهم أهميتها بشكل أكبر، فكوريا يوجد بها الموقع الإخباري الإلكتروني (ohmynews.com) والذي انطلق في عام ٢٠٠٠، وتعتمد فكرة الموقع على إلغاء وظيفة المحررين والصحافيين، ليكون القراء هم من يحررون الأخبار ويرسلون المقالات وهم من يقرأونها ويقيمونها، وهناك ما يقارب «٦٠ ألف مواطن مراسل» تتراوح أعمارهم ما بين١٠ أعوام و٨٠ عامًا يساهمون في الكتابة وتزويد الموقع بالأخبار، وهناك ما لا يقل عن ١٠٠ ألف شخص في كوريا الجنوبية يقرأون ما في الموقع في أي وقت من اليوم، لذلك لم يكن مستغربًا أن تكتب عنه صحيفتا الـ«نيويورك تايمز» والـ«كريستيان ساينس مونيتور» الأميركيتان، وأن تعد عنه قناة الـ «سي إن إن» تقريرًا تلفزيونيًا مطولًا، وكانت الـ«نيويورك تايمز» وصفته بأنه الموقع الإخباري الأبرز، كما كتبت عنه صحف عربية كصحيفة الشرق الأوسط، وقد وصل تألق الموقع ومؤسسه على الساحة العالمية الذروة في ٢٠٠٧، عندما منحت كلية ميزوري للصحافة المشهورة في الولايات المتحدة، ومؤسس الموقع (أو يون- هو) ميدالية الشرف للخدمة المميزة في الصحافة (تقديرًا لجهوده الرائدة في تحقيق انخراط المواطنين كصحافيين).

ويمكن القول إن هذه الوسيلة الجديدة تؤدي بالنتيجة إلى تفاعل بين المواطنين المهتمين من جميع أنحاء العالم، بالإضافة إلى توثيق الرؤى المختلفة بعدة أشكال من ضمنها الفيديو والصورة والرسائل والنصوص المكتوبة.

ولاشك أن صحافة المواطن أصبحت تقلب مفاهيم وأدبيات ونظريات الإعلام رأسًا على عقب، وتفرض على الجميع إقرار نجاح تجربة صحافة المواطنين باعتبارها العامل الرئيس في تغيير واقع الناس اليوم وتحترم عقولهم، وباتت تكتسب يومًا بعد آخر موقعًا جديدًا يعزز من مكانتها ويقوي من مركزها في أن تصبح عنصرًا فاعلًا كوسيلة إعلامية، سواء ارتبطت بالأطر التقليدية المتعارفة أو انقلبت عليها.

هذه التجربة الحديثة بالفعل أحدثت زلزالًا إعلاميًا ضخمًا، ومازالت وسيلة إستراتيجية لتغيير خريطة الإعلام العالمي بمفهومه الحالي القائم على فلسفة الإعلام الرسمي أو التجاري، وليؤكد هذا المولود الجديد أن المواطن هو الذي يحدث التغيير، وهو الذي يحدد سقف الحريات وهو الذي يصنع القرار...والله ولي التوفيق.



إقامة الحياة الإسلامية في عصر الإنترنت

د.محمد بن المختار الشنقيطي

لقد غير الإنترنت صورة العالم تغييرًا جذريًا، وتولد عنه عالم جديد في صورته وطبيعته، ومن مظاهر هذا العالم الجديد: أولًا: اختزال الزمان، فالرسالة التي كانت تصل في شهر أو في أسبوع، أصبحت تصل في ثوان معدودة، وفي ذلك فوائد عظيمة للحركات الإسلامية، لأنه يسرع الاتصال الداخلي، ويسهل تدفق المعلومات في وقت قياسي، فيجعل لتلك المعلومات قيمة كبيرة. ثانيا: اختزال المكان، بحيث لم يعد بناء التنظيم وفعاليته يستلزمان وجودًا ماديًا لأفراده- ولا حتى لقادته- في حيز جغرافي واحد، أو في دولة واحدة. بل أصبح من الممكن بناء تنظيمات ناجحة هيكلًا وأداء من أفراد يعيشون في بلدان مختلفة، وتفصل بينهم مسافات شاسعة. بذلك أثر الإنترنت على الفكر التنظيمي تأثيرًا عميقًا، وأنتج مفاهيم جديدة حول أسس التنظيمات من حيث البنية والقيادة والسيطرة والاتصال، والتكيف والاستفادة من مواهب الجميع.. وغيرت هذه المعطيات الجديدة من أساس الفكرة التي انبنى عليها مبدأ «الهرمية» في التنظيمات التقليدية. فالهرمية كانت تهدف بالأساس إلى التقليل من تكاليف الاتصال، والقدرة على التحكم والسيطرة والتنسيق، وقد وفرت ثورة الإنترنت هذه الفوائد دون حاجة إلى الهرمية- بمعناها القديم على الأقل- بل مع اعتماد الشكل الانسيابي من التنظيمات، كما منحت هذه الإمكانات فرصًا للتنظيمات السياسية- ومنها الحركات الإسلامية- للتقدم خطوات في خبرتها وأدائها على أجهزة الدول القمعية التي لا تزال رهينة لتقاليد الهرمية القديمة، وهي تقاليد لا يستطيع الحكام المستبدون التحرر منها، بسبب طبيعة حكمهم، وخوفهم من شعوبهم.

ولا يعني ذلك بحال القول بأن نظام الهرمية سيختفي في الحركات الإسلامية نهائيًا مع ثورة الإنترنت، فهذه الحركات- شأنها شأن التنظيمات السياسية الأخرى- لا تستغني بطبيعتها عن مقدار من الهرمية، إذ هي مشروع دولة مستقبلية، لكن هرميتها في عصر الإنترنت ينبغي أن تعاد صياغتها في إطار جديد مختلف عن السابق، أما الشكل التنظيمي الخالي من القيادة نهائيًا، فهو لا يناسب الحركات السياسية في الظروف العادية، وقد يناسب حركات التحرير والمقاومة في بعض الظروف.

إن اختزال الزمان والمكان الذي نتج عن الإنترنت يمكن الحركات السياسية من تجاوز القيود الزمانية والمكانية التي كانت تقيدها في الماضي، وإعادة صياغة هيكلها التنظيمي بطرق مختلفة عن الشكل الهرمي التقليدي.

أما تجاوز قيود الزمان فيتمثل في سرعة التنسيق والمتابعة، ووصول المعلومات وإيصالها، وأما تجاوز قيود المكان فيتمثل في إمكانية بناء تنظيم فعال يدير أعماله بسرعة وفاعلية مع وجود أعضائه- بل وقادته- في أماكن متباينة، وبلدان شتى.

معالم البناء الجديد

لقد ساعد الإنترنت على نمط جديد من البناء التنظيمي، يتسم بخصائص تميزه عن التنظيمات الهرمية التقليدية، ومن هذه الخصائص:

أولا: المرونة والحرية في العلاقات الداخلية التي تنبني على مبدأ التنسيق العام، لا التبعية الإدارية اليومية.

ثانيا: اللامركزية في المسؤوليات، وتفويض كثير من الصلاحيات للهيئات الدنيا في الهيكل الحركي.

ثالثا: انحصار دور القيادة العامة في التنسيق والدعم والتخطيط الاستراتيجي، دون إملاء للقرارات التكتيكية.

رابعا: سيادة العلاقات الجانبية المتوازية بين مكونات الحركة أكثر من العلاقات الرأسية الهرمية الشائعة في التنظيمات التقليدية.

خامسا: تبدل العلاقات حسب الحاجات العملية، بشكل مرن، دون الخضوع لبيروقراطية ثابتة أو هيكلية جامدة ترتهن لها الحركة دون داع.

ويمكن إحصاء عدد من الفوائد المترتبة على وجود تشكيلات تنظيمية مرنة من النوع الذي أوضحنا خصائصه أعلاه، ومن هذه الفوائد:

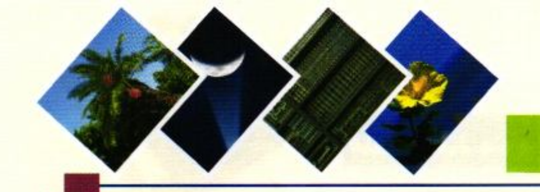
أولا: أن الحركة ستكون منفتحة على المجتمع متفاعلة معه، وليست بنية متميزة عنه، وبقدر ما يرتبط العضو بالحركة برباط الفكرة والتنسيق، بقدر ما يجد هامشًا كبيرًا للتواصل مع مجتمعه المحيط وتبليغ رسالة الحركة إليه، أو أدائها فيه، حسب نوعية العمل الذي هو مسؤول عنه.

ثانيا: تجنيب الحركة سلبيات المركزية التي تؤدي إلى عزلتها عن المجتمع وانكفائها على ذاتها، بكل ما يعنيه ذلك من قصور في مجالات حيوية مثل الاحتماء السياسي، والتعبئة الفكرية.

ثالثا: عدم انحصار الحركة في حيز جغرافي ضيق- دولة واحدة مثلًا- مما يجنبها مخاطر كبيرة في حالة حدوث مواجهة سياسية، أو حملة قمعية ضد أعضائها، فالانحصار في بلد واحد يمكن السلطة المسيطرة في ذلك البلد من استئصال الحركة أو ضربها ضربات قاتلة.

رابعا: منح الحركة فرصة لإسماع صوتها في أكثر من بلد، والضغط السياسي على السلطة التي تعارضها من خلال

أكاديمي موريتاني



أصواتها في الخارج، وهو أمر لا تخفى قيمته في عصر التداخل الدولي الراهن، وتأثير وسائل الإعلام العابرة للقارات على القضايا المحلية.

خامسا: عدم توقف نجاح الحركة أو بقائها على القيادة، ففي التنظيمات الهرمية التقليدية يؤدي القضاء على القيادة إلى شل الهيكل الحركي وربما القضاء عليه، بينما الأمر في التنظيمات الجديدة المرنة مختلف تمامًا.

سادسًا: تمكين الحركة من العمل في كل بلد بحسب خصوصياته السياسية والقانونية، وتوظيف تلك الاختلافات لصالح أهدافها، فالنضال الإعلامي يتولاه المقيمون في بلاد تتوافر فيها حرية التعبير مثلًا، والبناء الحركي تتولاه قوى الداخل.. وهكذا.

سابعًا: تمكين الحركة من تغيير تكتيكاتها بسرعة قياسية، وبناء هيئات وهياكل تنظيمية لأهداف مؤقتة، ثم حلها فور تحقق تلك الأهداف، دون الحاجة إلى بناء تنظيمي جامد، مما يحول بين العدو وبين قراءة تاريخها التنظيمي بشكل يمكنه من الإضرار بها.

ثامنا: قدرة الحركة على امتصاص ضربات القوى القمعية، فالتنظيمات ذات البناء الهرمي الصارم تصاب بتصدع بعد كل ضربة من العدو، وقد تنهار نهائيًا، بينما تمتاز التنظيمات المرنة بالقدرة على امتصاص الضربة وعزلها، والتعافي من آثارها بسرعة، لأن العلاقات فيها عضوية، وليست ميكانيكية، جانبية- في الغالب- لا رأسية.

الاشتراك في المبادئ

إن هذه المرونة التنظيمية الجديدة التي يمكن منها الإنترنت غيرت من أهمية الضبط الإداري والتحكم القيادي في التنظيمات، فقدرة القيادة على التحكم واحتكارها لقسط كبير من المعلومات كانا عاملين أساسيين في نجاح وتأمين الحركات السياسية ذات البناء الهرمي في الماضي، أما التنظيمات الجديدة المرنة في

اختزال الزمان والمكان الناتج عن الانترنت يُمكن الحركات السياسية من تجاوز القيود الزمانية والمكانية

عصر الإنترنت، فهي لا تعتمد على هذين المبدأين، فالتحكم والضبط الإداري لم يعودا على ذلك القدر من الأهمية، واحتكار القيادة للمعلومات لم يعد ضروريًا بالشكل القديم، بل أصبح أهم عامل في نجاح التنظيمات الجديدة المرنة هو الاشتراك في المبادئ والأهداف، والثقة المتبادلة، المنبثقة من الإيمان بمبادئ الحركة ورسالتها، كما أن التشاور المستمر ومحاولة بناء إجماع داخلي بالإقناع والحوار، ورسم خطوط عريضة متفق عليها حول وجهة التنظيم واستراتيجيته، عوامل معنوية مهمة تعين على انسجام الحركة داخليًا، ونجاحها خارجيًا، وهي عوامل تعوض عن حاجة الضبط الإداري والمتابعة المادية في التنظيمات الهرمية التقليدية، فالتنظيم الناجح في عصر الإنترنت هو ذلك الذي يتبنى معادلة التوجيه الاستراتيجي والاستقلال التكتيكي، ويرجح التنسيق الأفقي على الهيمنة العمودية، فيحرص على وضوح المبادئ والأهداف والاستراتيجية المتبعة في أذهان الأعضاء، لكنه يسمح لهم بقدر كبير من الاستقلالية في التكتيك والأمور العملية.

وإذا كان الوجود المادي للأعضاء أو القادة في مكان واحد لم يعد ضروريًا لبناء تنظيم ناجح- بتأثير من ثورة الاتصال الناتجة عن الإنترنت- فإن المتابعة المادية والضبط الإداري المادي لم يعودا بنفس الدرجة من الأهمية التي كانا بها في الماضي، بل أصبح الاشتراك في المبادئ والأهداف ودوام التشاور والتنسيق بين وحدات مستقلة إداريًا وتكتيكيًا كافيين إلى حد بعيد. فاللامركزية التنظيمية يعوضها الانسجام الفكري، والتباعد في المكان تعوضه سرعة الاتصال ومرونته.

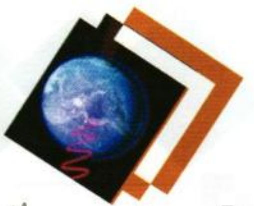
إن الإنترنت جعل الناس يشتركون في المعلومات، واختزل فروق الزمان والمكان بينهم، لكنه لم يجعلهم يشتركون في المبادئ، فالاشتراك في المبادئ إذًا هو أهم عامل لانسجام التنظيمات الجديدة، ووضوح الاستراتيجية النظرية يدرأ مخاطر اللامركزية العملية، ويحافظ على تماسك الحركة رغم الاستقلال الذاتي الذي تتمتع به مكوناتها.

الحاضر الغائب

إن الأشكال الجديدة من التنظيم والاتصال التي يساعد الإنترنت على تطبيقها تجعل الحركة حاضرة غائبة في الوقت نفسه، فهي موجودة في كل مكان من حيث قدرتها على إسماع صوتها للجميع، والضغط على السلطة المستبدة أينما كانت، وهي غائبة من حيث أنها لا يمكن حشرها في زاوية ضيقة ولا يمكن استئصالها، لأن بنيتها المرنة وعوائق الجغرافيا السياسية تحميها.

ولنفترض- مثلًا- أن سلطة قمعية في أحد البلدان كشفت الهيكل الحركي، وقررت استئصاله، لكن قيادة الحركة لا توجد بكل أشخاصها في ذلك البلد، بل هي متناثرة في بلدان شتى، وتتواصل فيما بينها طبقًا لنظام تنظيمي مرن، فلا شك أن السلطة القمعية لن تستطيع في هذه الحالة استئصال الحركة أو شل نشاطها بشكل كلي، بل سيظل قسم من قيادتها وقاعدتها بعيدًا عن يد السلطة، قادرًا على إعادة بناء نفسه، وعلى تبني خطة دفاع وهجوم مضاد ضد القمع.

كما أن البلدان التي يوجد بها بعض قادة الحركة أو أعضائها- على افتراض انكشاف كلي- لن تكون كلها مستعدة للتواطؤ مع تلك الحكومة القمعية ضد الحركة، بل سيرفض بعضها- على الأقل- ذلك التواطؤ، لأسباب سياسية أو قانونية أو استراتيجية أو إنسانية.



لمّا فطنت أُذن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) للسمات الجمالية والموسيقية والرياضية للشّعْر العربي؛ فاكتشف- بعبقريته النادرة- علم العروض. اهتدى كذلك الدكتور أحمد مستجير (ت٢٠٠٦م) عالم الوراثة الشهير- بعده بأكثر من ألف عام - بأُذنه الرياضية إلى اكتشاف أجواء جديدة من الارتباطات والشفرات البينية بين تضاعيف تفاعيل الشعر العربي، ولكن عَنْ طريق علم الرياضيات والحساب.. فكانت نظريته الحاسوبية تلك فتحًا علميًا ساعد في حل كثير من مشكلات هذا العلم، من خلال كتابيه المُهمّيْن: «الأدلة الرقمية لبحور الشّعر العربي» و«مدخل رياضي إلى عروض الشِّعر العربي».

«الحاسوب» في خدمة عَروض الشِّعر العربي!

صلاح حسن رشيد

يصدر الدكتور مستجير في فهمه للعروض عن إيمان بما حدث من توحّد الشاعر والفنان والرياضي في موسيقى الشعر العربي، وهو ينطلق من فهمه الرحب للفنون، ومن عقليته الرياضية العلمية القادرة على استيعاب الاختلاف المنظم، والبحث فيه عن عوامل النظام أو التشابه والاختلاف.. وثمة نظام رياضي يكمن خلف ما تُحبه الأذن العربية من أوزان، نظام تخرج عنه كل البحور المهملة والمصطنعة، بل إنه يقول: متى يكون التحوير العروضي (الزحاف) فيه ثقيلاً، ومتى يكون خفيفًا مُستساغًا؟ نظام منطقي بلغة الأرقام والحاسوب فيه يتحكم رقم تفعيلة العروض في تحديد البحر والوزن؛ بكل سهولة بدلاً من التقطيع العروضي وصعوبته!

هذه النظرية الجديدة قامت على أكتاف الحاسوب، ثم تطورت أكثر فجمعت بين علوم العروض والرياضيات والحاسوب والبيولوجيا في نطاق واحد، حتى أصبحت تُمثل صياغة عصرية لعلم العروض، تخاطب العقل والقلب معًا.

نظرية مستجير عن الأدلة الرقمية لبحور الشعر موافقة لعلوم العصر وتقنياته وطبيعة موسيقى الشعر

يضرب «مستجير» مثلًا على صحة نظريته؛ مُستشهدًا بمُوشّح الأعمى التُّطيلي الأندلسي، الذي يقول فيه:

أنت اقتراحي لا قرّب اللهُ اللواحي
من شاء أن يقول فإني لستُ أسمع
خضعتُ في هواك وما كنتُ لأخضع

وهو الموشح الذي قال عنه ابن سناء الملك «إنه مُضطرب الوزن، مُهلهل النسج، مُفكّك النظم» فهو توهّم أن تفعيلات الغصن فيه هي «مستفعلن فعولن مفاعيلن فعولن». وهو نفس الخطأ الذي وقع فيه د. سيد غازي، عندما تصور أنّ هذا الموشّح «مُوَلّد من الرّجَز». لكن د. مستجير يُصحّح هذه الأخطاء العروضية من السابقين والمعاصرين؛ عن طريق نظريته الرياضية الجديدة «إذْ سنجد أن لكل سطر فيه نفس الدليل الرقمي، لبحر غير خليلي، لن نختلف في تفعيلاته.. بحر ليس مُوَلّدًا عن الرّجَز، وإنما عن الدوبيت».

وعلى نسق التجديد، اكتشف مستجير أن «الخليل لمْ يبتكر بحوره؛ وإنما ابتكرتها - على مدى التاريخ - الأذن العربية التي عشقت الشعر والموسيقى، وارتاحت منه لأبحر معينة...» و«لوْ لمْ تكن لبحور الخليل قواعد تنتظمها - رياضية - دون غيرها، ترتبط بما تُحبه الأذن العربية لأمكن دائمًا الإضافة إليها»!

الدليل الرقمي

يبني مستجير نظريته على الأدلة الرقمية للبحور؛ تسهيلًا لمتذوق الشعر ودارسه وناقده؛ فيقول: «الدليل الرقمي للبحر هو توالي أرقام الأسباب المُميّزة في الشطر التام منه، فإذا كان الشطر مُؤلّفًا من التفعيلة الرباعية الثانية، فالثالثة، فالثانية، أي من: فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن، كان الدليل الرقمي للبحر هو(٢/٧/١٠). وبناءً على هذا التقسيم والتنظير يُعرّف مستجير البحور كما يلي حسب نظريته الجديدة:

بحر الهَزَج: وهو ينتج عن تكرار التفعيلة الرباعية الأولى «مفاعيلن» ثلاث مرات في الشطر، ودليل تفاعيله

ناقد أدبي







إذن هو رقم (١) ثلاث مرات، ودليله الرقمي (٩/٥/١) يؤيده قول الشاعر طاهر أبوفاشا:

فلا تعتب على الدنيا ودعها
لمن يبكي عليها وهي تعدو

وبحر الرَّمَل: وهو ينشأ من تكرار التفعيلة الرباعية الثانية «فاعلاتن» ثلاث مرات في الشطر، ودليل تفاعيله (٢/٢/٢) ودليله الرقمي هو (١٠/٦/٢) ومنه قول الشاعر:

ما عرفتُ الحُزنَ يجتاحُ مدينة
رغم ما تلقاه من حسنٍ وزينة

وبحر الرَّجز: وهو ينشأ عنَ تكرار التفعيلة رقم (٣) «مستفعلن» ثلاث مرات في الشطر، ودليل تفاعيله (٣/٣/٣) ودليله الرقمي (١١/٧/٣) ومنه قول إيليا أبي ماضي:

إن لاحَ طيفٌ قُلتُ يا عينُ انظري
أو رنّ صوتٌ قُلتُ يا أُذنُ اسمعي

بحر المتقارب: وهو ينتج عن تكرار التفعيلة الثلاثية الأولى أربع مرات في الشطر، ودليل تفاعيله (١/١/١/١) ودليله الرقمي (١٠/٧/٤/١) ومنه قول الشاعر:

لمن تُرسلُ الشَدوَ يا صاحبي؟
جَفاكَ الذي أنتَ تشدو لهُ

بحر المتدارك: وتفعيلته «فاعلن» أربع مرات في الشطر، ودليل تفاعيله (٢/٢/٢/٢) ودليله الرقمي (١١/٨/٥/٢) ومنه هذا البيت:

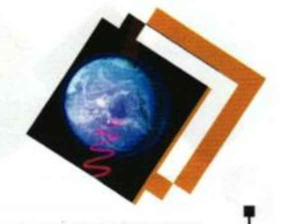
جَفَت السُحبُ فوقَ الغدير القديم
والشُجَيراتُ أغفت على ضفَته

بحر شوقي الجديد: إن د. مستَجير أطلق على بحر جديد اسم بحر شوقي نسبة إلى أمير الشعراء أحمد بك شوقي «١٨٦٨-١٩٣٢م» وهو يعتمد في ذلك على كتاب «موسيقى الشعر» للدكتور إبراهيم أنيس، الذي لاحظ أن هذا البحر تكرّر كثيرًا في مسرحية شوقي «مجنون ليلى» الشهيرة. وهو بحر يحصل نتيجة تكرار التفعيلة «مفعول» أربع مرات في الشطر، ودليل تفاعيله(٣/٣/٣/٣) ودليله الرقمي(١٢/٩/٦/٣). وهو كثير الورود في الموشحات. وهكذا تسير بقية البحور وأدلتها الرقمية على النمط الجديد للدكتور أحمد مستجير.

البحور المختلطة

يشرح مستجير بذكاء طريقة تكوين البحور الشعرية الممزوجة (المختلطة) وهي طريقة محددة للخلط بين التفاعيل، وقد اختصر التفاعيل الستين وفق المنطق الرياضي إلى تسع فقط بالمنطق السمعي التوقيعي. ويقول مستجير موضحًا: «وتبعًا لهذه القاعدة لا تختلط التفعيلة (١) مفاعيلن إلا بالتفعيلة (٢) فاعلاتن فقط، ولا تختلط التفعيلة (٤) إلا بالتفعيلة (٣) فقط، أمّا التفعيلة (٢) فيمكن أن تختلط بالتفعيلة (١) أو التفعيلة (٣)، كما يمكن للتفعيلة (٣) مستفعلن أن تختلط بالتفعيلة (٢) أو بالتفعيلة (٤). وعلى هذا يحدث بحران فقط عن المزج في بحر الهَزَج، وبحر واحد عن الخلط في بحر الدوبيت، بينما يمكن استنباط ثلاثة أبحر خليطة من كل من بَحرَي الرّمَل والرَّجَز؛ لتكتمل لنا البحور التسعة المختلطة».

تعد نظرية مستجير موافقة لعلوم العصر وتقنياته، وطبيعة موسيقى الشعر العربي وأنغامه الساحرة؛ بلا تكلف ولا تصنّع، تماشيًا مع استخدام المعارف العلمية التطبيقية في ميدان الأوزان؛ ليعيد للعروض حيويته وعافيته؛ ليُقبل عليه أبناء الألفية الجديدة، ولكن بمنظور المنطق والعقل والرياضيات والحاسوب، كما يقول الدكتور الطاهر



العربيزية.. لغة العصر أم ضياعُ هوية؟!

د. آندي محمد حجازي ◆

هل فكرتَ يومًا أن تسأل ابنك المراهق وهو يكتب رسالة إلكترونية أو رسالة في الهاتف النقال.. ما اللغة التي يستخدمها في كتابة تلك الرسائل أو التي يستخدمها في كتابة المحادثات عبر شبكة الانترنت؟ جرِّب واسأله وسوف يجيبك أنها «العربيزي» أو «العربيزية»! وستقول له: وما هذه اللغة؟! فيقول لك: «هذه لغة اخترعناها نحن (أي أبناء جيله) وهي بين اللغة العربية واللغة الإنجليزية، وبمعنى أوضح تُكتب بها اللغة العربية العامية بحروف اللغة الإنجليزية وباستخدام بعض أرقامها كحروف، مثال ذلك إذا أردت أن تكتب جملة: «ذهبنا إلى صلاة الجمعة، واشترينا بعض الأشياء، وخطك جميل كصديقتك» فتكتب بـ«العربيزي» كما يلي: «٣la r٧na ٩alat aljm٣a، O ishtarina b٣٩ al٢ashya٢، O kasde٨k jameel ٥٦ek»..

عندما تسأل ابنك او ابنتك.. ولماذا لا تكتب باللغة العربية أو اللغة الإنجليزية صرفة كما هي وبدون خلط اللغتين معا أثناء مراسلاتك؟ فإنه يجيبك: «إن العربيزي أسهل حيث الكتابة باللغة العربية أو الإنجليزية يتطلب منك الالتزام بقواعد اللغة والكتابة بطريقة سليمة مع وضع كل كلمة في موضعها الصحيح بينما هذه اللغة وهي «العربيزي» لا تتطلب هذا الجهد فهي تتحرر من القواعد ولا تتطلب منك التفكير بالقاعدة أثناء الكتابة، فهي لغة سريعة تنسجم برأيه مع سرعة هذا العصر، ولذلك نفضلها (أي المراهقون) كلغة للتواصل في الرسائل الإلكترونية (الإيميلات) وفي التحدث عبر الشبكة العنكبوتية (التشات) وفي كتابة الرسائل على الهواتف النقالة (المسج)، ويخبرك المراهق أيضًا أن «العربيزي» هي لغة أصدقائي وأصبح من التخلف أن تكتب باللغة العربية، والإنجليزية تتطلب الالتزام بقواعدها، ولو كتبتُ باللغة العربية فماذا سيقول عني أصدقائي، سيقولون إنني متخلف!تخيلوا معي أيها القراء أصبحت الكتابة باللغة العربية ضربًا من التخلّف والرجعية، وكأنها وصمة عار لدى بعض أبناء الجيل الصاعد! والسؤال هنا: مَن الذي أوصل أبناءنا إلى هذا المستوى من الاعتقاد الفكري؟ والأدهى والأمر أنك تجد أن بعضًا من الراشدين أصبحوا يتعاملون بهذه اللغة المحرّفة بدعوى أنها لغة العصر والتحضّر! صحيح أن بعض علماء النمو واللغة يتوقعون أن من خصائص المراهقين محاولة الوصول إلى لغة خاصة بهم للتواصل، فهذا ممكن ولكن أن تصبح هذه لغة الناشئة من هذا الجيل ولغة بعض الراشدين، وأن تكون تحريفا للغة العربية ولجمالها، فهذا من العجب العجاب ومما يستدعي التساؤل: إلى أين وصل بنا الحال- نحن العرب؟ ألهذا الحد نترك اللغة العربية التي هي أشرف اللغات والتي اختارها

ينبغي ألا نكون نحن أبناء اللغة العربية أول من نحاربها ونبتعد عنها

رب البشرية وخالق الكون لتكون لغة كلامه العظيم والمفضلة على سائر لغات البشرية ولغة للخلود في الدنيا والآخرة؟ قال تعالى: ﴿قرآنًا عربيًا غيرَ ذي عوج لعلهم يتقون﴾ (الزمر: ٢٨) ، وقوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه قرآنًا عربيًا لعلكم تعقلون﴾ (يوسف: ٢)، وقوله تعالى: ﴿نزل به الروحُ الأمين. على قلبك لتكونَ من المنذرين. بلسانٍ عربيٍ مبين﴾ (الشعراء: ١٩٣- ١٩٥).

إن الأمر يستدعي منا لحظة توقف وتأمل ومراجعة للنفس، حيث الابتعاد عن لغتنا العربية يعني الابتعاد عن هويتنا العربية التي تميزنا من المحيط إلى الخليج، ويعني الابتعاد عن الثقة بأنفسنا كعرب، وبأننا يمكن أن نصلح لقيادة البشرية وللسير في مقدمة ركب الحضارة، ويعني أننا فقدنا واحدة من مقومات الأمة ومميزاتها، وهي لغتها، فما يميّز كل شعب هو لغته وثقافته، واللغة العربية منذ القدم كانت لغة الحضارة والعلم والتقدم والفنون الأدبية وكانت على مر أزمان كثيرة وعاءً للعلوم واللغة السائدة في العالم، وهي اللغة الزاخرة بالمفردات الجميلة التي لا تنتهي، فكما تغنى بها الشاعر حافظ

◆ أستاذة في جامعة البلقاء التطبيقية سابقًا- الأردن

إبراهيم:

أنا البحر في أحشائه الدرُّ كامنٌ

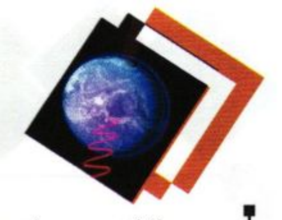
فهل ساءلوا الغوّاص عن صدفاتي

ولكن ما يجعل الأمر أكثر سوءًا هو ما نراه على الكثير من المحطات الفضائية العربية التلفزيونية أو المحطات الإذاعية من برامج ولقاءات؛ فقد أصبح الكثير منها يقدم باللغة العامية مع الابتعاد تمامًا عن اللغة العربية الفصحى، بل وإدراج كلمات من اللغة الإنجليزية في كلام تلك البرامج بدلًا من إدراج اللغة الفصحى، وأصبحت كل قناة فضائية تُبثُّ من بلد ما كثيرًا ما تَتحدث باللهجةً العامية لتلك البلد ويحاول مقدمو البرامج أن يظهروا أنفسهم وكأنهم متطورون وحضاريون وخفيفو الظل لأنهم يستخدمون تلك اللهجة العامية الصرفة.. والمشكلة أن تلك البرامج والفضائيات أصبحت في تزايد لا نقصان، ولا يُعلم إن كنّا سنعود يومًا إلى تلك البرامج التلفزيونية والإذاعية القوية في لغتها العربية الفصحى.. فلم يعد يَهتم باللغة العربية الفصحى من تلك المحطات سوى المحطات الإخبارية أو الدينية، بينما المحطات التي تستقطب فئة الشباب والأطفال والموجهة إليهم أصبح الكثير منها يُوظف اللغة العامية المحكية في برامجها ولقاءاتها.. وخطورة هذا الأمر أن يتعود هذا الجيل على سماع تلك اللهجة المحكية على حساب لغته الأم الفصيحة فيغدو ضعيفا بلغته يحتاج إلى من يصححها ويقوّمها له، بل يحتاج إلى دورات تقوية بها! والأعجب أنك ترى أو تسمع المقدم التلفزيوني أو المذيع في الإذاعة عندما يتحاور مع شخص ما يتقن اللغة العربية الفصحى فإن المذيع يتلعثم ويصبح غير قادر على الاستمرار بالحوار، ويواجه صعوبة في التعامل مع اللغة الفصحى أو الرد على ضيْفه بنفس الطريقة وكأن الضيف يتحدث بلغة أجنبية غريبة عليه وهو مبتدئ بها فيوجز المذيع الحوار مع ضيفه أو يتحدث بالعامية والضيْف بالفصحى مما يجعلك تشعر بنشاز النغمة وضعف المستوى، أفإلى هذا الضعف وصلنا؟!

إن الحلول لهذه المشكلة يبدأ من أنفسنا ومن ذاتنا ومن قناعتنا بأننا أفضل أمّة لقوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرونَ بالمعروف وتنهونَ عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (آل عمران: ١١٠). ويبدأ أيضًا من تربيتنا لأبنائنا حيث نشعرهم بالاعتزاز بلغتنا العربية، لا كما هو الحال باعتقادنا أن التحدّث باللغة الإنجليزية هو دليل التقدم والتحضّر وأن التكلّم باللغة العربية هو نوع من التأخر فلابد من أن نبدأ نحن الآباء والأمهات بتغيير أنفسنا وقناعاتنا، وإن كنّا نسمح بدراسة اللغة الإنجليزية لأبنائنا ونشجعهم على تعلمها لا يعني أن نتخلى عن لغتنا الأصيلة وأن نعتز بالإنجليزية على حساب العربية، فتمسكنا باللغة العربية يعني التمسك بهويتنا العربية وبديننا الإسلامي العظيم وبثقافتنا الأصيلة وبماضينا المجيد وبأصلنا العربي الذي انتقى الله تعالى منه نبينا الكريم محمدًا ﷺ، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «أحبوا العرب فإن نبيّكم عربي...»، وقال الله تعالى في مدح اللغة العربية لغة رسول الله ﷺ: ﴿لسانُ الذي يلحدون إليه أعجميٌّ وهذا لسان عربيٌّ مبين﴾ (النحل: ١٠٣).

فلا يجب أن نكون- نحن أبناء اللغة العربية- أول من نحاربها ونبتعد عنها، ورحم الله تعالى عمر بن الخطاب حيث كان خليفة المسلمين فعزل أحد ولاته على الأمصار الإسلامية وأمر بجلده سوطًا واحدًا لأنه أخطأ في اللغة العربية في رسالة أرسلها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال: «من أبو موسى...» بدلًا من قوله: «من أبي موسى..» فجعل أمير المؤمنين يغضب ويأمر بعزله فورًا خوفًا على ضياع اللغة العربية حيث إنه في موقع المسؤولية ويعلم يقينًا أنّ الضعفَ باللغة العربية يعني ضعفَ الأمة العربية وضعفَ صلتها بالقرآن الكريم وبحسن تلاوته وبالتالي انهزامها وضياعها.

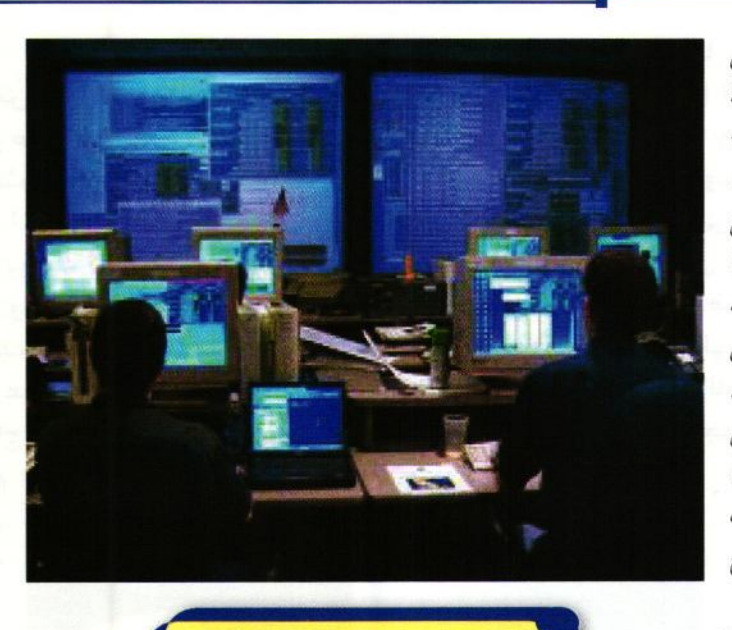
ونعلم أن أبا الأسود الدؤلي عندما عرض عليه خليفة المسلمين تشكيل القرآن الكريم (أي وضع الحركات الصحيحة على الحروف والكلمات وفقًا لإعرابها أي في مواقعها السليمة)، رفض في بادئ الأمر، ولكنه عندما سمع من الداخلين على الإسلام وعلى اللغة العربية أخطاء فادحة في تشكيل القرآن الكريم تلحن في المعنى كما حدث في تلاوة قوله تعالى: ﴿وأذانٌ



من الله ورسوله إلى الناس يومَ الحَجِّ الأكبر أنَّ اللهَ بريءٌ من المشركين ورسولُه﴾ (التوبة:٣)، فسمعهم أبو الأسود وهم يقرأون: أن اللهَ بريءٌ من المشركين ورسولِه، فغيّروا المعنى وأصبح المعنى كأن الله يبرأ من المشركين ومن رسول الله تعالى، وحاشا لله ذلك، حيث اللهُ ورسولُه يبرأون من المشركين، فأسرع أبو الأسود الدؤلي إلى تشكيل كلمات القرآن الكريم حتى لا تقع مثل تلك الأخطاء العظيمة.

ومن هنا ومن هذا السياق؛ فإنني أرى أنه لابد للجهات الرسمية من ممارسة دورها في هذا الشأن بحيث تصدر تشريعات رسمية لا تسمح للفضائيات بإضعاف اللغة العربية الفصحى، وألا يسمح لها باستخدام اللهجة العامية بأي حال من الأحوال لأن دَور الإعلام كبير وخطير في التأثير على عقول الشباب والناشئة والأطفال، ولابد من الاستغناء عن جميع المذيعين ومقدمي البرامج الذين لا يتقنون اللغة العربية الفصحى واستبدالهم بمن يتقنونها ويعتزون بها أسوة بعمر بن الخطاب، وكذلك جعل المعلمين في المدارس يتحدثون باللغة العربية الفصحى مع الطلبة في الحصص الصفية ويشجعون طلابهم على ذلك وليس في حصص اللغة العربية والتربية الإسلامية فقط، بل في حصص الرياضيات والعلوم والفنون والرياضات وجميع المواد الدراسية إلى أن ترجع اللغة العربية إلى قوتها ورونقها بين أبنائها.

والعمل على تشجيع المسابقات باللغة العربية ووضع الحوافز لذلك.. وكذلك تشجيع دراسة تخصص اللغة العربية في الجامعات العربية، حيث أصبحنا نرى العزوف عنه إلى تخصصات أكثر جذبًا في مسمياتها وأكثر ترويجًا لها كالتصميم وإدارة الأعمال وتكنولوجيا المعلومات.. فقد غدا عدد من يَدرُس اللغة العربية في أي جامعة عربية لا يتجاوز أصابع اليدين في كثير من الأحيان، وأصبحت الجامعات التي تُدرّس تخصص اللغة العربية قليلة ونادرة وخاصة فيما بين الجامعات غير الحكومية، ولابد من جعل اللغة العربية الفصحى لغة الجامعات والحديث في المحاضرات الجامعية، مع العمل على تدريس مساقات في اللغة العربية لجميع التخصصات وجعلها من متطلبات التخرج، لأنّ تعلم اللغة العربية من الواجبات على المسلم كتعلم علم التجويد لإتقان تلاوة القرآن الكريم، فتعلمها لا يقل شأنا عن تعلم علم التجويد لما لها من تأثير على المعنى، كقوله تعالى



تعلم اللغة العربية لا يقل شأناً عن تعلم علم التجويد لما لها من تأثير على المعنى

في سورة الفاتحة: ﴿اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمتَ عليهم﴾، فمن قرأها: أنعمتِ عليهم، بطلت صلاته لأن فيها شرك بالله.

ومن جانب آخر، لابد للمساجد من القيام بدورها من تقديم دورات تعليمية مجانية لتعليم قواعد اللغة العربية للناطقين بها ولغير الناطقين بها أيضًا لنشر الدين الإسلامي، وعلى الآباء تشجيع أبنائهم على إتقان اللغة العربية والقراءة بها لكتب ومجلات وموضوعات، بل محاورة الأبناء باللغة الفصحى أحيانا وتعزيز الافتخار والاعتزاز بها في ذات أبنائهم، فالعودة إلى اللغة العربية هو أحد أسباب قوتنا ونصرنا من الله وتوكلنا على الله؛ لأنها عودة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وعصر الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.. الذين كانوا يتقنون اللغة العربية الفصحى، وكانت لغة حديثهم اليومي فكرّمهم الله تعالى ورفع شأنهم بين الأمم في الدنيا والآخرة بما استحقوا واتبعوا، مقارنة بأبناء اللغة العربية اليوم الذين زاغوا عنها فقلَّ شأنهم بين الأمم والشعوب، وقلت بركتهم ومنعتهم وزادت غُربتهم وبُعدهم عن هويتهم العربية والثقافية، وانحرفوا عن جادة الصواب والكتاب لأجل الانتقال إلى التمسك باللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو «العربيزية» وتفضيلها، وقد قال الشاعر حافظ إبراهيم في الدعوة إلى التمسك باللغة العربية:

فلا تكلوني إلى الزمان فإنني
أخاف عليكم أن تحين وفاتي
أرى لرجال الغرب عزا ومنعة
وَكم عزَّ اقوامٌ بعزِّ لغات

نحو تفعيل راشد للإعلام الالكتروني

د. مسعود صبري

يعد «الإنترنت» أكثر وسائل الإعلام الإلكتروني (Electronic media) انتشارا، لكن الإنترنت وحده لا يمثل الإعلام الإلكتروني، فالتسجيلات الصوتية والمرئية والوسائط المتعددة والأقراص المدمجة والإنترنت تعد أهم أشكال الإعلام الإلكتروني الحديث. ويمتاز الإعلام الإلكتروني وخاصة الإنترنت بأنه يستفيد من وسائل الإعلام السابقة ولا يمحوها، فمع ظهور الإنترنت وجدت الصحافة الإلكترونية بجوار الصحافة الورقية، ووجدت الإذاعة الإلكترونية بجوار إذاعة الأثير، كما استطاع الإنترنت أن يحتوي الفضائيات وكل وسائل الإعلام من المجلات وغيرها. وليس أدل على أهمية الإعلام الإلكتروني من أن الأعداد تتزايد في استخدامه بشكل لافت للنظر، فقد أشار رئيس ائتلاف الأمم المتحدة العالمي لتقنية المعلومات والاتصالات والتنمية طلال أبوغزالة إلى أن «عدد مستخدمي الانترنت ارتفع بنسبة ٣٠٠ في المائة في العالم بين عامي ٢٠٠٠ و٢٠٠٨م، أما في الدول العربية فوصلت النسبة إلى ١٢٠٠ في المائة».

حسبما جاء في موقع (http://www.internetworldstats.com/stats.htm) وهو الموقع الأول الموثوق في المواقع المتخصصة في رصد وتحليل حركة الدخول على الإنترنت أن عدد مستخدمي الإنترنت عام ٢٠١٠م، وصل إلى ١,٩٦٦,٥١٤,٨١٦ مستخدمًا، منهم ما يزيد على ١١٠,٩٣١,٧٠٠ بإفريقيا، وما يزيد على ٨٢٥,٠٩٤,٣٩٦ بآسيا، وما يزيد على ٤٧٥,٠٦٩,٤٤٨ بأوروبا، و٦٣,٢٤٠,٩٤٦ بالشرق الأوسط، يعني شبه الجزيرة العربية، و٢٦٦,٢٢٤,٥٠٠ بأميركا الشمالية، و٢٠٤,٦٨٩,٨٣٦ بأميركا الجنوبية، و٢١,٢٦٣,٩٩٠ باستراليا وجزر المحيطات. أما عن عدد مستخدمي الإنترنت في المنطقة العربية حسب آخر الإحصاءات لسنة ٢٠١٠م، فهي على النحو التالي: إيران ٣٣,٢٠٠,٠٠٠، مصر ١٧,٠٦٠,٠٠٠، المغرب ١٠,٤٤٢,٥٠٠، السعودية ٩,٨٠٠,٠٠٠، الجزائر ٤,٧٠٠,٠٠٠، السودان ٤,٢٠٠,٠٠٠، سورية ٣,٩٣٥,٠٠٠، الإمارات ٣,٧٧٧,٩٠٠، تونس ٣,٩٦٠٠,٠٠٠، الأردن ١,٧٤١,٩٠، عمان ١,٢٣٦,٧٠٠، الكويت ١,١٠٠,٠٠٠، لبنان ١,٠٠٠,٠٠٠، البحرين ٦٤٩,٣٠٠، قطر ٤٣٦,٠٠٠، اليمن ٤٢٠,٠٠٠، فلسطين (الضفة الغربية) ٣٥٦,٠٠٠، ليبيا ٣٥٣,٩٠٠، العراق ٣٢٥,٠٠٠، قطاع غزة (لا يوجد)،



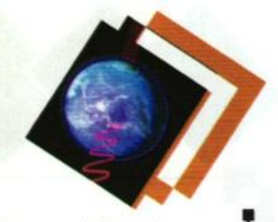
ومن نافلة القول أن نقول: إن عدد مستخدمي الإنترنت في دولة الكيان الصهيوني ٥,٢٦٣,١٤٦.

إن هذه الأعداد تشير إلى تزايد مستمر في استخدام الإنترنت خاصة في المنطقة العربية، مما يعني أنها أصبحت الوسيلة الأكثر انتشارا في الإعلام عامة، لكن يلاحظ أن نسبة المواقع الإسلامية قليلة بالنسبة للمواقع الأخرى، كالمواقع الفنية والرياضية والإخبارية وغيرها، مما يستدعي مراجعة الأسس الحاكمة لتلك المواقع، والمنهج المتبع، ويمكن النظر إلى المواقع الإسلامية- كنظرة تقييمة- من خلال المحاور الآتية:

المحور الأول: تقييم منظومة القيم

فكثير من المواقع الإسلامية لا تهتم بشكل علمي دقيق بقياس منظومة القيم، وإن وجدت فهي عشوائية، ونادرا ما توجد مقاييس دقيقة لقياس القيم التي تبثها تلك المواقع.

● باحث في المركز العالمي للوسطية - الكويت



ولذا كان من المهم أن يكون هناك إدراك لأهمية وجود معايير لقياس منظومة الإعلام القيمي على مستويين: النظري والعملي، وذلك من خلال:

- مدى معرفة إدارة المواقع لهذه المنظومة.
- مدى قربها أو بعدها.
- ما المعايير المراعاة؟ وما المعايير الغائبة؟
- كيفية تفعيل هذه المعايير؟
- ما معايير أداء الجودة فيها؟
- ما العوائق المانعة من حضور القيم؟
- مدى تلبية الإعلام لاحتياجات المستخدمين.. مع التنوع العمري والوظيفي والبيئي.
- قياس المواقع للنجاح والإخفاق في تحقيق الرسالة القيمية من خلال الإعلام الالكتروني.

المحور الثاني: المحتوى داخل الإعلام الالكتروني

ندرة الاهتمام بالقلب والروح

فغالباً يهتم المحتوى المقدم بجانب العقل، وهو لاشك مهم، لكن من الأهم بل من الواجب أن تكون هناك موازنة بين إشباع العقل، وإشباع القلب والروح، وغالب المادة المقدمة للقلب والروح هي مادة صوتية، وتكون مدتها ساعة أو تزيد، ومثل هذه المدة لا تتناسب مع مستخدمي الإنترنت، فالأولى في المادة الصوتية على الإنترنت أن تكون قليلة الزمن، حتى يمكن متابعتها والاستماع إليها جيدا.

ومن جوانب القصور في المحتوى أيضا قلة الاهتمام بالأخلاق والسلوكات، والمادة المقدمة للأخلاق والسلوكات أيضا يغلب عليها المادة الصوتية، والمادة المكتوبة فيها قليلة، وكلها تهتم بالأخلاق الفردية، ومن المهم التركيز على ما يمكن أن نسميه «الأخلاق الجماعية» سواء ما يتعلق بالمؤسسات أو المجموعات البشرية مختلفة الوظائف، وصولا إلى أخلاق الشعوب والدول.

كثير من المواقع الإسلامية لا تهتم بشكل علمي دقيق بقياس منظومة القيم

الموازنة بين الكليات والجزئيات

المتتبع للمحتوى على الإنترنت يلاحظ أن نسبة الاستغراق في الجزئيات والمسائل أكبر من التركيز على القضايا الكلية والمشاريع الحضارية، ومن هنا كانت الأهمية إلى الدعوة لإدراك الأوزان النسبية للمحتوى، حيث يغلب على كثير من المواقع الفتاوى والاستشارات، وهي تميل- في كثير من محتواها- إلى علاج القضايا الفردية، في حين يقل الاهتمام بمحتويات أخرى قد تكون أكثر اتساعا في رقعة المحتوى والجمهور، وذلك يعني غلبة خطاب معين على خطابات متعددة، وإن وجدت تلك الأخيرة على استحياء.

ثقافة الأمة قبل ثقافة الشعوب

غلبة الثقافة الشعوبية على الثقافة الأممية، لغلبة الأقلام في بدء منشأ الموقع، مع وجود أقلام من بلدان أخرى، لكنها تعد قليلة، فرغم إعلان عدد من المواقع أنها مواقع عالمية، وأنها تخاطب الشعوب الإسلامية كلها، لكن يغلب على عدد منها ثقافة البلد الذي ينطلق منه الموقع، سواء أكانت مصرية أم سعودية أم غيرهما.

بل تتخذ بعض المواقع منحى آخر في تغليب ثقافة الشعوب على ثقافة الأمة، بإفراد مساحات واسعة للمشرفين على المواقع، وكان من الأولى أن تسكن تلك المادة داخل منظومة الموقع وتقسيماته.

التمكين الحضاري من خلال منظومة المقاصد

وذلك من خلال عرض مقاصد الشريعة بطريقة غير التي تُعرض بها في قاعات الدرس الفقهي والأصولي، وإنما عرضها برؤية تشغيلية تسهم في تطوير وتصحيح مسارات الحياة: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية



والفنية.

فهناك عدد من العلوم التي تحمل قيما إيجابية، يمكن أن تسهم في صياغة العقل المسلم، وتمكينه من إدارة المواقف والمشاريع، كعلم أصول الفقه، وعلم المقاصد وعلم القواعد الفقهية والأصولية، والمزج بين مرحلة التدريس والتعليم مع مرحلة التدريب والتمكين.

المحور الثالث: القوالب الفنية

فالقوالب الفنية المستخدمة في الإنترنت ضعيفة وقليلة، ويغلب عليها الصفحات الالكترونية المكتوبة، أما استعمال الفيديو فقليل، باستثناء بعض المواقع المتخصصة في الفيديو، وهي ليست إسلامية بحتة، بل فيها الغث والسمين، وكذلك المادة الصوتية، وإن كانت أكثر انتشارا من غيرها، خاصة في المواقع التي تعتمد على المادة الصوتية كأساس، مثل موقع «إسلام ويب» وغيره، لكن استعمال المادة الصوتية في عموم المواقع قليل.

ونادرا ما نجد استعمال «الفلاش» ، أو «الباور بوينت»، وغيرهما، وهي وسائل مهمة لتوصيل المعلومة في عالم الإنترنت.

يضاف إلى هذا أن هناك ثقافة الكترونية شائعة الآن، وهي «الأنفوميديا» بحيث يتم عبر الإنترنت المزج بين الصفحات الالكترونية، والإذاعة والفضائية، فتتزاوج المادة المكتوبة والمسموعة والمرئية، لإشباع احتياجات الناس، وذلك لتنوع الطبائع البشرية من السمعي والبصري وغير ذلك.

المحور الرابع: الإذاعات الالكترونية

كما أنه من الأهمية بمكان إدراك الاهتمام بتجربة الإذاعة الالكترونية في الإعلام القيمي، حيث إنها تعد من أضعف التجارب في البث الإذاعي عبر الإنترنت، وغالب ما يقدم هو بثًّا مباشرًا، لكن تخزين المنتج الإذاعي الالكتروني لا يزال قليلا جدا، يضاف إلى هذا ضعف التواصل بين مستخدمي الإنترنت وبين الإذاعات الالكترونية، رغم أن التواصل هو من أم مميزات الانترنت مع جمهور المستخدمين.

من اللافت للنظر أن المسلمين في الغرب هم اكثر استفادة من تجربة الإذاعات الإلكترونية

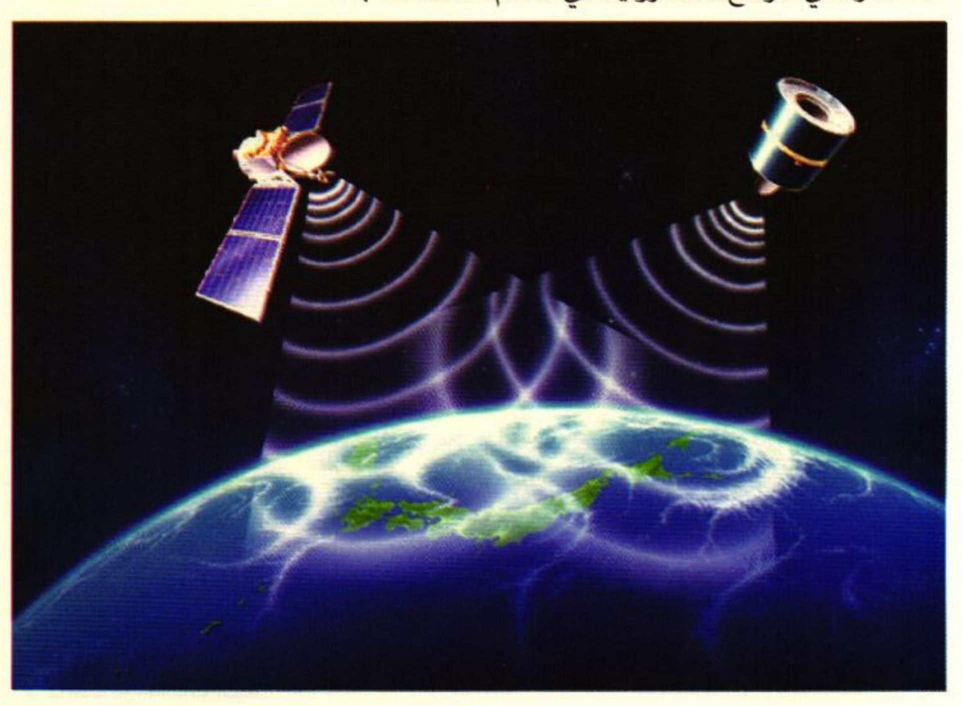
ومن اللافت للنظر أن المسلمين بالغرب هم أكثر استفادة من تجربة الإذاعات الالكترونية، حتى إن بعضها لا يجد مكانا لبرامج كثيرة، كما هو الشأن بالنسبة لإذاعة القرآن الكريم باستراليا وغيرها، في حين تنتشر الإذاعات الالكترونية في العالم العربي، لكنها ليست إذاعات إسلامية.

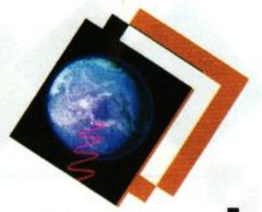
المحور الخامس: لغات المواقع الالكترونية

لاشك أن اللغة العربية تحتل مكانة الصدارة في المواقع الالكترونية في العالم العربي، وهو بلاشك ظاهرة صحية، لكن بالنسبة للغات الأخرى، فهناك إشكاليات عدة، رغم إدراك القائمين على تلك المواقع بأهمية اللغات الأخرى، بل وجود مواقع تصدر بأكثر من لغة.

ففي الوقت الذي تهتم فيه بعض المواقع الكبرى بالمحتوى، يضعف وجود لغات ينطق بها الموقع، بينما تكثر اللغات عند قلة المادة المقدمة، أو المواقع المهتمة بالتراث، ويغلب عليها طابع الترجمة، وليس إنشاء مواقع تخاطب الناطقين باللغات المتعددة.

ومن الحكمة أن تنشأ مواقع بلغات أخرى لا تكون ترجمة عن النسخة العربية، وإنما تكون مواقع مستقلة تخاطب الجمهور المتحدث بلغة المواقع، وتناقش مشاكله الخاصة به، خاصة اللغات الأكثر انتشارا، كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والأردية واللغات المنتشرة في قارة آسيا على وجه الخصوص، لكثرة الكثافة السكانية، ولقلة الاهتمام بها، مع وجود قدر مشترك في الموقع بين اللغات الناطقة به.





لا ريب أننا نحب ونعشق التراث الإسلامي والعربي ونفخر أن اللغة العربية لغة كتاب الله الخالد، ولكن ما هو شعورنا عندما تصلنا نتائج الإحصاءات لتخبرنا بأن لغتنا العربية لا تزيد عن واحد بالمئة كلغة محتوى رقمي على شبكة الإنترنت؟ وأن لغتنا العربية لا تعتبر من ضمن اللغات العالمية العشر ذات المحتوى الأعلى على الإنترنت؟ حيث يأتي ترتيب اللغات من حيث المحتوى الرقمي لها بدءًا من اللغة الإنجليزية التي تتصدر لغات العالم، تليها اللغة اليابانية فالألمانية والصينية والفرنسية والإسبانية والروسية والإيطالية والبرتغالية ثم الكورية. مع العلم أن عدد مستخدمي الإنترنت باللغة العربية حوالي ٢٩ مليون مستخدم، هذا فضلًا عن تراثنا الإسلامي والعربي الذي نأمل أن يتوفر على الشبكة العالمية «الإنترنت» كما يتوفر التراث العالمي الآخر.

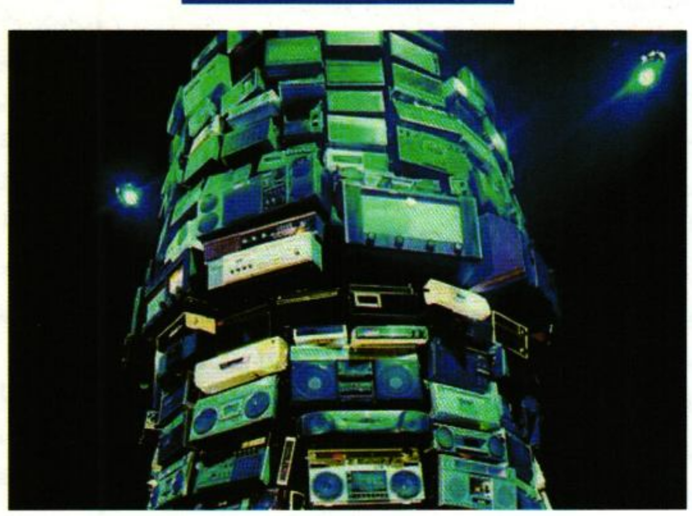
هل يمكن أن ينتشر تراثنا إلكترونيًا؟

محمد شعبان أيوب

إن هذا الترتيب لم يأت من عبث أو عشوائية، بل هو نتاج جهود مدروسة ومحكمة للحكومات الناطقة بهذه اللغات وجهاتها الرسمية، ونتاج خطط واستراتيجيات تحولت إلى مشاريع عملية ملموسة النتائج، على مدى السنوات القليلة الماضية منذ بدء استخدام الإنترنت في أوائل التسعينات من القرن الماضي حتى يومنا هذا.

فإذا اطلعنا على تجارب بعض هذه الدول في إغناء المحتوى الرقمي الثقافي الخاص بها، نجد أن التجربة الفرنسية قد بدأت منذ بدايات الإنترنت بوضع مقتنيات متحف اللوفر، كذلك التراث الثقافي الفرنسي بما في ذلك المحفوظات الوطنية والمخطوطات والكتب التراثية المهمة والنصوص الأساسية للأدب الفرنسي، بالإضافة إلى وثائق سمعية وبصرية، والتراث الفرنسي العلمي والثقافي، ولازالت الجهود الدءوبة قائمة باستمراري لإغناء المحتوى الفرنسي الرقمي (١).

فإذا كانت جهود هذه الدول في نشر لغاتها وتراثها على الإنترنت باعتباره أحد أهم وسائل الإعلام الإلكتروني الحديث قد جُعل ضمن خطة ممنهجة وحثيثة وبهذا الاهتمام الجاد، فإن ذلك يعني بلا أدنى



شك الأهمية القصوى للإنترنت باعتباره أحد أهم وسائل النهضة والدعاية الحديثة، وهذا ما يجب التنبه له، فبالرغم من ضآلة التواجد العربي على الإنترنت فإن كثيرًا من هذا المحتوى الضئيل لا يمكن أن يصنف تحت أي من المسميات الجادة التي تنمي وتبني الشخصية العربية والإسلامية الحديثة، وهنا مكمن الخطر، ولكيلا نتشعب عن موضوعنا الأساسي وهو حفظ تراثنا الإسلامي ونشره وجعله من خلال الإعلام الإلكتروني سهلا ميسورا ومتاحًا، ومن ثم تنقيحه وتحقيقه وتقديمه للباحثين المهتمين بنشر التراث الإسلامي المهمل، فإننا يجب أن نضع التجارب الأخرى أمام أعيننا، ولا غبار أن نبدأ من حيث انتهوا في نشر تراثنا وثقافتنا ومن ثم نهضتنا المنشودة.

إنه لفترة تجاوزت الخمسمائة عام كان القسم الأعظم من المعلومات والمعارف البشرية يخزن كوثائق ورقية، وبالطبع سيبقى الورق معنا إلى وقت غير محدد لكن أهميته كأداة للوصول إلى المعلومات وحفظها وتوزيعها بدأت في التضاؤل بالفعل و«إنك حينما تفكر في تعبير وثيقة فربما تخيلتَ قطعًا من الورق طُبع عليها شيء ما لكن ذلك تعريف ضيق؛ إذ إن الوثيقة يمكن أن تكون أي مجموعة من المعلومات؛ فالمقالة الصحفية وثيقة، لكن التعريف الأوسع يشمل أيضًا البرنامج التلفزيوني أو الأغنية أو لعبة الفيديو التفاعلية؛ ونظرًا لأن كل المعلومات يمكن تخزينها في شكل رقمي فسيصبح من السهل الوصول إلى الوثائق وتخزينها وإرسالها عبر طريق المعلومات السريع، أما الورق فنقله أصعب وهو مقيد جدًا إذا كانت المحتويات أكثر من نص مع رسوم وصور وسوف تتضمن وثائق المستقبل المخزنة رقميًا صورًا أو فيديو أو تعليمات برمجية للتفاعلية أو رسومًا متحركة وعبر طريق المعلومات السريع سيصبح بإمكان وثائق إلكترونية ثرية المحتوى فعل أشياء لا يمكن لقطعة من الورق فعلها»(٢).

• باحث دراسات تراثية

بهذا المثال شرح بيل جيتس الملياردير ورجل «ميكروسوفت» الشهير الثورةَ المعلوماتية التي سوف يقدمها الإنترنت باعتباره أحد أهم روافد الإعلام الإلكتروني المستقبلي، لقد ضرب هذا المثال في العام ١٩٩٨م في كتابه «المعلوماتية ما بعد الإنترنت» ونحن اليوم بعد ثلاثة عشر عامًا فقط من ضربه لمثاله الآنف ننعم بثمار هذه الطفرة الهائلة السريعة التي أتاحها لنا الإنترنت.

لكن هذا النعيم سرعان ما تتضح معالمه أمامنا، فالواقع أننا مستعملون ممتازون للإعلام الإلكتروني فضلًا عن قدرتنا الفائقة على سبر أغوار المواقع المختلفة، لكننا في حقيقة الأمر لا نملك من أمر نشر تراثنا، وإتاحته لجمهور الباحثين إلا أقل القليل!

ومع هذه القلة الكميّة التي نأمل أن تزداد سريعًا يجب أن ننفض الغبار عن أهمية نشر التراث الإسلامي بواسطة الإعلام الإلكتروني وفي مقدمته الإنترنت، وأفضل ما يمكن فعله في هذا الجانب هو إحداث عملية «رقمنة لتراثنا الإسلامي» أولًا ومن ثم نشره في نهاية الأمر.

إن مصطلح الرقمنة Digitization بصفة عامة جديد في أوساطنا العربية وفي أوساط النشر الإلكتروني بصفة خاصة، وبالتالي إن مصطلح «رقمنة التراث العربي» جديد بالتبعية، وقد شاع استخدام الرقمنة في مجالات عديدة وأصبح من المفيد استخدام هذه التكنولوجيا في مجال النشر الإلكتروني عامة وفي نشر التراث العربي خاصةً، وهناك العديد من الأسباب التي رجحت كفة الشكل الإلكتروني لمصادر التراث العربي عن نظيره الورقي، خاصة أنه أصبح من المألوف الآن أن نجد مصطلحات «المكتبات الرقمية» و«المكتبات الإلكترونية» في مقابلة المكتبات التقليدية، وكذلك «الكتب الإلكترونية» في مقابلة «الكتب المطبوعة».

وثمة أسباب رجحت كفة الشكل الإلكتروني لمصادر التراث عند البعض، منها قلة التكاليف: حيث أصبحت تكنولوجيا المعلومات متوافرة في متناول الغالبية وبتكاليف ميسرة، وبالتالي يمكن للفرد اقتناء المصادر التراثية في شكلها الجديد بسهولة ويسر. والشكل الإلكتروني يوفر الحيز المكاني حيث لا يحتاج المصدر الرقمي أو الإلكتروني إلى حيز كبير لحفظه بل نجد أن أغلب المصادر في شكلها الجديد تحفظ على الحاسوب مباشرة وحتى إن كانت في وسائط خارجية كالاسطوانات المليزرة فإنها لا تحتاج إلى حيز كبير، مجرد رف من مكتبة البيت الصغيرة تجعلنا نقتني آلاف المصادر، وذلك إذا علمنا أن قرص واحد يمكن أن يضم الكثير والكثير من أمهات الكتب التراثية مجتمعة مع بعضها. ويمكن بسهولة الحصول عليها: تقدم تكنولوجيا المعلومات ووسائل الاتصالات الحديثة جعلت من السهولة بمكان الحصول على المصادر التراثية، ولا نحتاج للحصول عليها سوى الاتصال بالشبكة العالمية في حالة إتاحة المصادر على الإنترنت أو وجود قارئ الاسطوانات المليزرة CD-ROM Readers.

ومن جملة الأسباب كذلك المشاركة في المصادر؛ إذ تتيح مصادر التراث الإلكترونية فرصة المشاركة بين الأفراد والجهات في أماكن متباعدة، ويمكن الاطلاع والاستفادة من نفس المادة لأكثر من جهة أو أكثر من شخص في نفس الوقت. وكذلك إمكانية الوصول إلى المصادر من أكثر نقط وصول Access Points، فيمكن الوصول إلى المصدر من المكتبة أو المنزل أو مكان العمل أو أي مكان متصل بالحاسوب.

كما يمكننا التوصل للمعلومات بسهولة وسرعة، فباستخدام تقنيات البحث البسيطة والمتقدمة يمكننا الحصول على المعلومات بسهولة ويسر وفي سرعة فائقة في المصادر الإلكترونية وفي ذلك توفير لوقت وجهد الباحثين مقارنةً بالمصادر المطبوعة. وإن الشكل الإلكتروني يسهل عمليات مقارنة النصوص بين نسخ المطبوع الواحد وذلك في عمليات تحقيق ونسب المؤلفات. وهذا الشكل يعمل على تسهيل نشر الثقافة بين أفراد المجتمع وخصوصًا في حالة النشر الإلكتروني على الشبكة العالمية، وفي ذلك تعريف أبناء الأمة العربية والإسلامية بمصادرها العتيقة من التراث العربي الإسلامي وأمهات الكتب.

ويسمح الشكل الإلكتروني بتخزين أشكال متعددة لمصادر التراث، فيمكن أن يتم تخزين الكتاب في شكل إلكتروني بالحروف كما يمكن أن يتضمن وسائط سمعبصرية، كأن يكون هناك صوت مرافق يقرأ الكتاب وفي ذلك مساعدة للباحثين ذوي الاحتياجات الخاصة، كما أنه يوجد الآن بعض المواقع التراثية التي تشتمل على خاصية التفاعل مع القارئ والتي ترتكز على المواقع الأدبية والشعرية (٣).

ويمكن القول إن النشر الإلكتروني قد أحدث تطورًا مهمًا على صعيد الاستفادة من تكنولوجيا المعلومات في مجال نشر التراث العربي وذلك على عدة أصعدة وهي:

× تخزين المعلومات: حيث أصبحت المساحة متوفرة لتخزين عدد هائل من المصادر التراثية، وذلك من خلال النشر الإلكتروني ورقمنة مصادر التراث العربي.

● استرجاع المعلومات: فقد أمكن بواسطة النشر الإلكتروني لمصادر التراث ووسائل الاتصال من سرعة ودقة استرجاع المعلومات من مصادر التراث.

● استعمال المعلومات: فقد أصبح من الممكن عن طريق النشر الإلكتروني لمصادر التراث استخدام المعلومات عن طريق أكثر من شخص وذلك تحقيقا للاستفادة القصوى من المعلومات (٤).

وثمة مؤسسات ومواقع إلكترونية استطاعت أن ترقمن جزءًا لا بأس به من التراث الإسلامي، وتضعه في خدمة الباحثين وطلاب العلم، فقد قامت هذه المؤسسات بنقل أمهات الكتب العربية من الشكل الورقي التقليدي إلى الشكل الإلكتروني وذلك بتصويرها وخزنها في وسائط التخزين الجديدة لاسيما في النشر على صفحات الشبكة العالمية سواء من خلال المكتبات الرقمية التي أنشئت لنشر كتب التراث أو من خلال الكتابة الإلكترونية مباشرة في مجال تحقيق هذا التراث على هيئة مقالات إلكترونية.

أنواع الإجارة وأحكامها

الإجارة نوعان: إجارة على منفعة، وإجارة على عمل، وهي بنوعيها دعت حاجة الناس إليها، إذ لا غنية للإنسان عن مكان يؤويه، وليس كل أحد يقدر على ذلك شراء أو عارية، ولا يقدر كل أحد على السعي في قضاء حوائجه ماشيًا، ولا على تحصيل مركوب بنفسه، فإن قدر فقد لا يحسن، ولذلك جازت لتحصيل ذلك ونحوه، وقد أسهم فقهاء الإسلام في عقد الإجارة إسهامًا مشكورًا فاستنبطوا له الأحكام من الكتاب والسنة، وجاءت مفصلة في مواضع، ومجملة في مواضع أخرى في مؤلفاتهم.



د. صالح النهام

أولا: تعريف الإجارة:

١) الإجارة لغةً:

الإجارة من أَجَر يأجرُ، وهو ما أعطيت من أجر في عمل، والأَجر: الثواب الذي يكون من الله عز وجل للعبد على العمل الصالح، والجمع أجور، وأجْر المرأة مهرها، وفي التنزيل: ﴿يأيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن﴾ (الأحزاب: ٥٠)، والمعروف في تفسير الأجْرة هو ما يعطى الأجير في مقابلة العمل (١).

٢- الإجارة اصطلاحًا:

لقد اختلفت تعريفات المذاهب الأربعة في تعريف الإجارة لفظًا، وإن كانت قد اتفقت في معناها، لذا أكتفي بتعريف شامل قال به الحنابلة: «هي عقد على منفعة مباحة معلومة تؤخذ شيئًا فشيئًا مدة معلومة من عين معلومة أو موصوفة في الذمة أو عمل معلوم بعوض معلوم» (٢)، وشرح هذا التعريف كالتالي:

فكلمة (عقد) معناها: الإيجاب والقبول الذي يعبر عن إرادة المتعاقدين وارتباطهما على وجه مشروع يظهر أثره في محله.

وكلمة (منفعة) كي تخرج العين، لأن العين العقد عليها بيع وهو عقد على تمليك الذات.

وكلمة (مباحة) تخرج الإجارة على المنافع المحرمة، كالإجارة على الزنا والغناء.

وكلمة (معلومة) والتقييد بذلك يخرج المنفعة المجهولة، ويخرج أيضًا القراض، والجعالة على عمل مجهول.

وكلمة (بعوض معلوم) أي: بأجرة تقابل المنفعة كدراهم لكي تخرج هبة المنافع والوصية بها، لأنها تبرع من غير عوض ولكي تخرج الإعارة، لأن الذي يستعير شيئًا يأخذه بغير عوض.

وكلمة (مدة معلومة) أي: لابد من تحديد مدة الإجارة كشهر وسنة، وهذا القيد يخرج النكاح؛ لأن التوقيف يبطله، فهو وإن كان عقدًا على منفعة معلومة بعوض معلوم إلا أن المدة فيه غير محددة، وأيضًا يخرج كمن جعل قدرًا من المال لآخر نظير أن يحضر له خيله الضالة، فإن المدة غير معلومة.

ثانيًا: مشروعية الإجارة:

اتفق العلماء -رحمهم الله تعالى- على أن الإجارة مشروعة، وقد دل على ذلك القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع، والمعقول.

١- القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن﴾ (الطلاق: ٦)، وفي هذه الآية دليل على مشروعية الإجارة، حيث أمر الله تعالى بإعطاء الزوجة الأجرة على الرضاع، فأجاز الإجارة على الرضاع، وإذا جازت عليه جازت على مثله، وما هو في معناه (٣).

٢- السنة النبوية:

عن عائشة رضي الله عنها في حديث الهجرة قالت: واستأجر النبي ﷺ وأبوبكر رجلًا هاديًا خرتيًا، وهو على دين كفار قريش، وأمَّناه فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال، فأتاهما براحلتيهما صبيحة ليال ثلاث، فارتحلا وأخذ بهم طريق الساحل (٤).

وفي هذا الحديث دليل على مشروعية الإجارة، فقد بين أن الأجرة عوض عن المنافع، وقد دلت السنة بالقول والفعل والتقرير من رسول الله ﷺ.

٣- الإجماع:

أجمعت الأمة على العمل بالإجارة، ومن خالف هذا الإجماع وشذ عنه فإن خلافه لا يعتبر صحيحًا لمصادمته لنصوص القرآن والسنة التي تنص على مشروعية الإجارة، قال ابن قدامة وغيره: «وأجمع أهل العلم في كل عصر وكل مصر على جواز الإجارة، إلا ما يحكى عن عبدالرحمن بن الأصم أنه قال: لا يجوز ذلك لأنه غرر يعني أنه يعقد على منافع لم تخلق، وهذا غلط، لا يمنع انعقاد الإجماع الذي سبق في الأعصار وصار في الأمصار» (٥).

٤- المعقول:

المراقب في مجلة الوعي الإسلامي

وقد ذكر الفتوحي وغيره (٦): «أن الحاجة إلى المنافع كالحاجة إلى الأعيان، فلما جاز العقد على الأعيان وجب أن تجوز الإجارة على المنافع، ولا يخفى ما بالناس من الحاجة إلى ذلك، فإنه ليس لكل أحد دار يملكها، ولا يقدر كل مسافر على بعير أو دابة يملكها، ولا يلزم أصحاب الأملاك إسكانهم وحملهم تطوعًا».

ثالثًا: أركان الإجارة:

بادئ ذي بدء أقول: اختلف الفقهاء - رحمهم الله تعالى- في تعداد أركان عقد الإجارة على قولين (٧).

القول الأول: ذهب الحنفية في قول إلى أن ركن الإجارة هو الصيغة المتمثل في الإيجاب والقبول.

القول الثاني: وذهب المالكية في قول، والشافعية، والحنابلة، إلى أن أركان الإجارة ثلاثة، الصيغة: (الإيجاب والقبول)، والعاقدان: (المؤجر والمستأجر)، والمعقود عليه: (المنفعة والأجرة).

فالخلاف الناشئ بين الفقهاء يكمن في تعريفهم للركن، وهو خلاف لفظي لا أكثر، ولا يترتب عليه اختلاف في العمل، لأن ذكر الإيجاب والقبول يستلزم وجود العاقدين، فهما اللذان يصدر عنهما الإيجاب والقبول، وكذلك يستلزم وجود المعقود عليه وهو المحل، فالخلاف لفظي لا ثمرة له، وكما هو معلوم لا مشاحة في الاصطلاح.

الركن الأول: الصيغة:

وهي الإيجاب والقبول الذي يصدر من المتعاقدين بإظهار إرادتهما من لفظ أو ما يقوم مقامه في إنشاء العقد، وهو دليل على الرضا بين المتعاقدين، وقد أناط الشارع الحكيم صحة العقود بالرضا، حيث قال في محكم التنزيل: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ (النساء: ٢٩)، ولما كان الرضا أمرًا خفيًا أقام الفقهاء مقامه الصيغة وجعلوها ركنًا في عقد الإجارة، وتكون بالقول أو الفعل كما في التعاطي أو بالإشارة أو الكتابة والرسالة، وبيان ذلك في الأحكام التالية:

أجمعت الأمة على العمل بالإجارة ومن خالف هذا الإجماع فإن خلافه ليس صحيحًا لمصادمته نصوص القرآن والسنة

الحكم الأول: انعقاد الإجارة بالقول:

لقد اتفق الفقهاء على انعقاد الإجارة بالقول الصريح والقول الكنائي، ومثال القول الصريح على انعقاد الإجارة: «استأجرت أو اكتريت وأجرت أو أكريت»، ومثال انعقادها بالكناية: «ملكتك منافع هذه الدار سنة بكذا، أو اسكن داري شهرًا بكذا» (٨).

الحكم الثاني: انعقاد الإجارة بلفظ البيع، فيه قولان (٩):

القول الأول: يرى جواز انعقاد الإجارة بلفظ البيع، وهو القول الأظهر عند الحنفية إذا وجد التأقيت، وقول للمالكية، وأحد قولي الشافعية، ورواية عند الحنابلة.

القول الثاني: ذهب الحنفية في قول مرجوح، والشافعية في الصحيح، وأحمد في رواية، إلى عدم جواز انعقاد الإجارة بلفظ البيع.

الحكم الثالث: انعقاد الإجارة بالفعل (المعاطاة)، فيه ثلاثة أقوال (١٠):

القول الأول: تنعقد الإجارة بالمعاطاة في القليل والكثير، وهو أحد الأقوال عند الحنفية، وقول للمالكية، وقول لبعض فقهاء الشافعية، ورواية عند الحنابلة.

القول الثاني: يجوز انعقاد الإجارة بالمعاطاة في الأشياء الخسيسة دون النفيسة، وهو قول عند الحنفية، وقول للشافعية، ورواية عند الحنابلة.

القول الثالث: لا يجوز انعقاد الإجارة بالمعاطاة، وهو قول عند بعض الحنفية في المدة الطويلة، والقول المعتمد عند الشافعية.

الحكم الرابع: انعقاد الإجارة بالإشارة:

لقد اتفق الفقهاء على صحة العقد بإشارة الأخرس إذا كانت مفهومة لدلالتها على ما يدل عليه نطقه، ولأنها تقوم مقام لفظه للضرورة، ولو كلف بأن يوكل على كل عقد من عقوده لكان فيه حرج عليه وضرر به (١١).

الحكم الخامس: انعقاد الإجارة بالكتابة والرسالة:

لقد اتفق الفقهاء على أن الكتابة والرسالة يقومان مقام الخطاب في صحة عقد الإجارة بهما، فإذا كتب لغائب يقول له: بعتك أو أجرتك داري بكذا، أو أرسل رسولاً فقبل في المجلس صح العقد، ويشترط القبول من المكتوب إليه حال الاطلاع؛ ليقترن الإيجاب بالقبول، فإذا قبل فله الخيار مادام في مجلس قبوله، وثبت الخيار للكاتب ممتدًا إلى أن ينعقد خيار صاحبه، وإن كتب لحاضر صح أيضًا، ولابد أن تكون الكتابة مستبينة، فإن كانت غير ذلك كالكتابة على الماء أو في الهواء لم ينعقد العقد (١٢).

الركن الثاني: العاقدان:

ويقصد بهما المؤجِّر وهو: المالك، والمستأجر وهو: طالب الشيء المؤجَّر، وهما اللذان يصدر عنهما الإيجاب والقبول، وليس كل إنسان يصلح أن يكون عاقدًا ويعتبر إيجابه وقبوله.

ولذلك اشترط الفقهاء في العاقدين شروطًا معينة، منها ما يتعلق بالأهلية، ومنها ما يتعلق برضا المتعاقدين، وبيان ذلك فيما يلي:

الشرط الأول: أهلية المتعاقدين:

ويقصد بالأهلية في اصطلاح الفقهاء بصلاحية الشخص لثبوت الحقوق المشروعة له، ووجوبها عليه، وصحة التصرفات منه (١٣).

وقد اتفق الفقهاء على اشتراط الأهلية في عاقدي الإجارة كما في عاقدي البيع، وذلك بالتمييز والعقل، فلا يصح العقد في الإجارة من مجنون ولا صبي غير مميز، وذلك لانعدام أهلية الأداء عندهما، واختلفوا في صحة عقد الصبي المميز على قولين.

الشرط الثاني: التراضي بين

العاقدين:

إن الرضا هو مناط صحة العقود، والذي يُعبّر عن رضا المتعاقدين وإرادتهما في إنشاء العقد هو: الإيجاب والقبول الصادر منهما، ولكنه لا يصلح إلا إذا صدر عن طواعية واختيار من المتعاقدين، ولذلك اختلفوا في صحة العقد إذا صدر عن إكراه، وبيان ذلك كالآتي:

فالإكراه إما أن يكون بحق أو بغير حق، وتوضيحه فيما يلي:

الإكراه بحق: فإنه لا يؤثر في صحة العقد ونفاذه، كمن أكرهه الحاكم على بيع ماله لوفاء دينه (١٤)، أو من أكره على تأجير سيارته لنقل المصابين، أو داره لإيواء المحتاجين.

الإكراه بغير حق، فيه قولان (١٥):

القول الأول: وهو قول المالكية، والشافعية، والحنابلة، ودليلهم على أن الإكراه يؤدي إلى بطلان العقد قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ (النساء: ٢٩).

فدلت الآية على أن الرضا بين المتعاقدين شرط لصحة العقد، وعقد المكره حصل بغير رضاه، فدل على أنه عقد غير صحيح، ولذلك فهو باطل، وكذلك لقول رسول الله ﷺ: «إنما البيع عن تراض» (١٦).

القول الثاني: ذهب الحنفية إلى أن عقد المكره ينعقد فاسدًا، ولكنه غير لازم، فله الفسخ بعد زوال الإكراه عنه، وذلك راجع إلى تفريقهم بين الفاسد والباطل، حيث يرون أن الفاسد: ما كان مشروعًا بأصله، وممنوعًا بوصفه، حيث عرض له ما أفسده كاختلال شرط من شروطه، أما الباطل: فهو ما كان غير مشروع بأصله وممنوعًا بوصفه (١٧).

فيتضح أن الحنفية متفقون مع الجمهور بأن الإكراه مؤثر في عقد الإجارة ولكنه يقع فاسدًا وليس باطلًا.

الركن الثالث: المعقود عليه:

ويتمثل هذا الركن في المنفعة والأجرة. أما المنفعة، فقد اشترط الفقهاء لها

الرضا بين المتعاقدين شرط لصحة العقد لكن عقد المكره غير صحيح وهو باطل

شروطًا (١٨)، أسوقها إجمالًا:

- أن تكون المنفعة متقومة.
- أن تكون المنفعة مقدورًا على تسليمها.
- ألا يتضمن استيفاء المنفعة استهلاك العين.
- أن تكون المنفعة معلومة.
- أن تكون المنفعة مباحة.

وأما الأجرة، فهي في عقد الإجارة إما أن تكون نقدًا أو عينًا أو منفعة، وقد اتفق الفقهاء على جواز الأجرة بالنقد والعين والمنفعة (١٩).

رابعًا: نوعا الإجارة:

النوع الأول: الإجارة على المنافع: أي أن المعقود عليه هو المنفعة كاستئجار الدور والأرض والدواب والثياب وما أشبه ذلك.

١) أحكام إجارة المنافع:

لقد اتفق الفقهاء على جواز انعقاد الإجارة على المنافع المباحة بخلاف المنافع المحرمة، فإن العقد عليها غير جائز كالميتة والدم والغناء والزمر، وحمل الخمر للشرب، أو المعجوز عنه، كنفع الآبق والمغصوب أو المغني للعين كشعل الشمع، أو المتعذر منها كزرع الأرض السبخة؛ لأن أخذ العوض عليها حرام والعقد باطل (٢٠).

٢- كيفية ثبوت حكم عقد الإجارة، فيه قولان (٢١):

القول الأول: ذهب الحنفية، والمالكية إلى أن وقوع الملك في البدلين إنما يكون ساعة مشاعة إلا بشرط التعجيل.

القول الثاني: وذهب الشافعية، والحنابلة إلى أن حكم الإجارة إنما يثبت في الحال وتجعل مدة الإجارة موجودة تقديرًا، كأنها أعيان قائمة.

٣- متى تجب الأجرة وتملك؟ فيه رأيان (٢٢):

الرأي الأول: لقد ذهب الحنفية والمالكية إلى القول بأن الأجرة تستحق بأحد معانٍ ثلاثة:

١- بشرط التعجيل.
٢- بالتعجيل من غير شرط.
٣- باستيفاء المعقود عليه.

فقوله بشرط التعجيل يستحق الملك، لأن الاتفاق شريعة المتعاقدين، وأنهما تراضيا على ذلك الشرط فصح، وكذلك قوله بالتعجيل من غير شرط، فالمستأجر له ذلك، وذلك بمثابة تعجيل الدين المؤجل وتقديم الزكاة، وأما قوله باستيفاء المعقود عليه، وهو المنافع شيئًا فشيئًا، أو بالتملك من الاستيفاء بتسليم العين المؤجرة إلى المستأجر؛ لأنه يملك المعوض وهي المنفعة فيملك المؤجر العوض وهو الأجرة تحقيقًا للمعادلة بين المتعاقدين، والقياس يتطلب ذلك كقبض المبيع واستهلاكه.

الرأي الثاني: أما الشافعية، والحنابلة، فقد قرروا بالنسبة لتأجيل الأجرة وتعجيلها، أنه إذا كانت الأجرة إجارة ذمة فيشترط فيها تسليم الأجرة في مجلس العقد؛ لأنها بمثابة رأس المال في عقد السلم، كأن يقول المستأجر: أسلمت إليك عشرين درهمًا في جمل صفته كذا، ليحمل لي متاعي إلى جهة كذا، أو يقول استأجرت منك بكذا، لأن تأخير الأجرة حينئذ من باب الدين بالدين، وإذا كانت الإجارة إجارة عين، فإن كانت الأجرة فيها معينة كاستأجرت منك هذا العبد ليخدمني سنة بكذا، وليخيط هذا الثوب بكذا، فهنا لا يصح تأجيلها، لكن إذا كانت في الذمة، كأن يقول استأجرت منك جملًا صفته كذا، لأركبه سنة بكذا، أو إلى بلد كذا بكذا، فحينئذ يجوز تأجيلها وتعجيلها، وفي حالة الإطلاق يجب تعجيلها كما في عقد البيع يصح بثمن حالٍ أو مؤجل.

٤- مدى انتفاع المستأجر بالعين المؤجرة:

اتفق الفقهاء على أن المستأجر له حق الانتفاع بالعين المؤجرة من السكنى بنفسه،

أو إسكان غيره بالتأجير، أو بالإعارة إذا لم يوجد شرط في العقد يقيد التصرف بالعين المؤجرة، فمثلاً «إن استأجر دارًا؛ ليتخذها سكنًا، فلا يحق له أن يتخذها لغير ذلك (٢٣)، لكن إن أطلق العقد فيحمل التصرف بما تعارف عليه، بمعنى أن له أن يعمل كل شيء سوى ما يوهن البناء، كالحدادة والقصارة والطحن ونحو ذلك؛ لأن المتعارف عليه لدى الناس لا يشمل هذه الحِرَف؛ لكونها تتلف العين المؤجرة، والإجارة بيع المنفعة لا بيع العين (٢٤).

٥- إصلاح العين المؤجرة، فيه أقوال ثلاثة (٢٥):

القول الأول: لقد ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية، والشافعية، والحنابلة، إلى القول بأن المؤجر ملزم بعمارة داره وإصلاح كل ما يخل بالسكنى، فإن أبى حُقَّ للمستأجر فسخ العقد إلا إذا كان استأجرها على حالها.

القول الثاني: هو قول للحنفية، ومذهب المالكية، بعدم إجبار الآجر على الإصلاح ويخير المستأجر بين السكنى، ويلزمه الكراء كاملاً، والخروج منها، ولو قام المستأجر بإصلاحات في العين المؤجرة دون إذن مسبق من المؤجر فهو تبرع منه، وبعد انقضاء المدة خُيِّر رب الدار بين دفع قيمة الإصلاح منقوضًا أو أمره بنقضه إن أمكن فصله.

القول الثالث: قال الحنابلة: إن اشتراط تبقية المستأجر ما يغرسه، أو يبنيه في العقد لا يؤثر فيه.

٦- التزامات المستأجر بعد انتهاء الإجارة:

بعد انتهاء مدة الإجارة يلتزم المستأجر بتسليم مفتاح الدار والحانوت إلى المؤجر، وإذا استأجر دابة من موضع معين في البلد ليركبها، أو ليحمل عليها شيئًا إلى مكان معلوم غاديًا ورائحًا، فعلى المستأجر أن يأتي بها إلى الموضع الذي قبضها منه، لأن عقد الإجارة لا ينتهي إلا برد الدابة إلى موضعها، فإن ذهب بها إلى منزله فأمسكها حتى عطبت كان ضامنًا للقيمة؛ لتعديه في أخذها إلى غير موضع العقد (٢٦).

النوع الثاني: الإجارة على الأعمال:

والإجارة على الأعمال هي التي تعقد على عمل معلوم كبناء وخياطة قميص وحمل إلى موضع معين وصباغة ثوب وإصلاح حذاء ونحو ذلك.

والأجير نوعان (٢٧): أجير خاص، وأجير مشترك.

١) الأجير الخاص: وهو من يعمل لواحد، ويسمى أجير وحد، ويستحق الأجر بتسليم نفسه مدته، كمن استؤجر للخدمة سنة، أو لرعي الغنم ولا يضمن ما تلف في يده وبعمله، وحكمه: أنه لا يجوز له العمل لغير مستأجره.

٢) الأجير المشترك: وهو الذي يعمل لغير واحد، أي لعامة الناس، ولا يستحق الأجر حتى يعمل كالصباغ والقصار والحداد ونحوهم، والمتاع في يده أمانة لا يضمن إن هلك وإن شرط ضمانه، به يُفتى عند الحنفية، وعند الصاحبين يضمن وهذا وفاقًا لمالك، وقول للشافعي، وليس لمن استأجره أن يمنعه عن العمل لغيره.

ويلاحظ أن الظئر التي تستأجر للإرضاع هي بمنزلة الأجير الخاص، حيث لا يجوز لها أن ترضع صبيًا آخر، فإن أرضعته مع الصبي الأول فقد أساءت وأثمت إن كانت أضرت بالصبي، إلا أن أجر إرضاعهما لا يسقط عنها استحسانًا؛ لأن المعقود عليه مطلق الإرضاع، وقد وجد القياس ألا يكون لها الأجر؛ لأن العقد وقع على عملها فلا تستحق الأجر بعمل غيرها.

الهوامش

١- انظر: لسان العرب لابن منظور: (٤/ ١٠).
٢- انظر: منتهى الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات للفتوحي: (٤٧٦/١).
٣- انظر: الأم للشافعي: (٢٢٠/٣).
٤- أخرجه البخاري، رقم: (٢٢٦٣).
٥- انظر: المغني لابن قدامة: (٨/ ٦).
٦- انظر: معونة أولي النهى للفتوحي:(٥/ ٥).
٧- انظر: بدائع الصنائع للكاساني: (٤/ ١٧٤)، بداية المجتهد لابن رشد: (٢/ ٢١٨)، روضة الطالبين للنووي: (٥/ ١٧٣)، شرح منتهى الإرادات للبهوتي: (٢/ ٣٥١).
٨- انظر: رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين: (٩/ ٦)، مواهب الجليل للحطاب: (٥/ ٣٩٠)، أسنى المطالب شرح روض الطالب لزكريا الأنصاري: (٢/ ٤٠٣)، الكافي لابن قدامة: (٢/ ٣٠٠).
٩- انظر: رد المحتار: (٩/ ٦)، حاشية الدسوقي: (٤/ ٢)، المهذب للشيرازي: (١/ ٣٩٥)، المغني: (٨/ ٧).
١٠- انظر: كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار: (١٤٧/١)، بلغة السالك: (٢٤٤/٢)، إعانة الطالبين: (١٠٩/٣). كشاف القناع للبهوتي: (١٤٨/٣).
١١- انظر: رد المحتار: (٥/٦)، بلغة السالك للصاوي: (٣/٢)، مغني المحتاج للشربيني: (٢/ ٩)، كشاف القناع: (٢٠١/٣).
١٢- انظر: شرح فتح القدير: (٢٣٥/٦)، بلغة السالك: (٣/٢)، مغني المحتاج: (٢/ ٧)، كشاف القناع: (١٤٨/٣).
١٣- انظر: الفقه الإسلامي وأدلته للدكتور وهبة الزحيلي: (٤/ ١١٦).
١٤- انظر: روضة الطالبين: (١٧٣/٥)، المقنع والشرح الكبير: (١٨/١١).
١٥- انظر: المبسوط: (٢٣/ ٩٣)، حاشية العدوي: (١٢٦/٢)، مغني المحتاج: (١١/٢)، المقنع: (٤/٢).
١٦- أخرجه ابن ماجه في السند، حديث رقم: (٢١٨٥).
١٧- انظر: الفقه الإسلامي وأدلته: (٢٤٥/٤).
١٨- انظر: بدائع الصنائع: (١٩٣/٤)، الشرح الصغير بهامش بلغة السالك: (٢٤٤/٢)، مغني المحتاج: (٤٥٤/٢، ٤٦٦)، كشاف القناع: (٥٦٢/٣).
١٩- انظر: رد المحتار على الدر المختار: (٧/٩)، بداية المجتهد: (٢٢٦/٢)، الحاوي الكبير للماوردي: (٣٩٢/٧)، المقنع: (١٩٧/٢).
٢٠- انظر: المحرر في الفقه للمجد ابن تيمية: (٣٥٦/١).
٢١- انظر: الفتاوى الهندية للنظام وجماعة من علماء الهند: (٤٦٢/٤)، حاشية الدسوقي: (٥/٤)، مغني المحتاج: (٤٥٢/٢)، المغني: (٤٠٦/٥).
٢٢- انظر: المبسوط: (١٠٨/١٥)، بلغة السالك لأقرب المسالك: (٢٦٨/٢)، حاشية قليوبي وعميرة: (٦٨/٣)، معونة أولي النهى: (١٥٤/٥).
٢٣- انظر: المهذب: (٤٠٣/١).
٢٤- انظر: ملتقى الأبحر للحلبي: (١٥٩/٢).
٢٥- انظر: حاشية ابن عابدين: (٦٦/٥)، الشرح الصغير لأحمد الدردير: (٧٠/٤-٧١)، المهذب: (٤٠١/١)، كشاف القناع: (١٦/٤).
٢٦- انظر: ملتقى الأبحر: (١٥٩/٢-١٦٠)، المهذب: (٤٠٨/١)، معونة أولي النهى: (٧٣/٥).
٢٧- انظر: هداية: (٢٣٩/٣)، المهذب: (٧٧/١)، حاشية الدسوقي: (٢٢/٤)، المغني: (٨٢/٦، ٨٨).

منح الله عز وجل الإنسان نعمة العقل.. وبالعقل عرف الإنسان ربه.. وبالعقل أيضا يميز الخبيث من الطيب وما على الإنسان إلا تقديم العمل الصالح الخالص لله عز وجل. وأبناء الأمة الإسلامية إن تحركوا بمنهج الإسلام القويم أمكن إصلاح حال المجتمع الإسلامي الذي يواجه تحديات عديدة في كافة مجالات الحياة.

لذا فإن أي مجتمع ينشد رقيه الحضاري لابد له أن يمتلك ركائز بنائه.. فالخلل المعاصر في نسيج الأمة نما من خلل النفوس الإنسانية، وفقدان التعليم المحوري، والثقافة البناءة، والتفقه والتعمق في معاني القرآن الكريم.

الفواتح القرآنية ورسالة القرآن الحضارية

سناء الترزي

إن رسالة القرآن الكريم الحضارية بناءة تحقق للنفس الإنسانية امتلاك العظة والعبر بتجديد روح الفاعلية والإنتاج داخل المجتمع المثمر.. والقرآن كلام الله المعجز للخلق في بلاغته وأسلوبه ونظمه وفي تأثير هدايته وفي علومه وحكمه، وفي كشف الحجج عن العيوب الماضية والمستقبلية.. وفي كل باب من هذه الأبواب للإعجاز فصول.. وفي كل فصل منها فروع ترجع إلى أصول ولقد حار العلماء والفقهاء في كشف حجب البيان عن وجوه إعجاز القرآن، فمن آيات هذا الإعجاز «الفواتح القرآنية».

إن سور القرآن العظيم عددها مائة وأربع عشرة سورة، وقد افتتح سبحانه وتعالى كتابه العزيز بعشرة أنواع من الكلام، لا يخرج شيء من السور عنها:

النوع الأول: الاستفتاح بالثناء، وهو قسمان:

- الأول: إثبات لصفات المدح، نحو قوله تعالى ﴿الحمد لله﴾ وقد جاء هذا الإثبات في خمس سور هي: الفاتحة، والأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر، ونحو قوله عز وجل ﴿تبارك﴾ فقد جاء هذا في سورتين هما: الفرقان والملك.

- أمّا الثاني: فهو تنزيه الحق تبارك وتعالى من صفات النقص، نحو قوله تعالى ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾، سورة الإسراء، و﴿سبح لله ما في السموات﴾ في الحديد والحشر والصف. ﴿ويسبح لله﴾ في سورة الجمعة وسورة التغابن. و﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ في سورة الأعلى.

وكلا القسمين-أي إثبات صفات المدح، والتنزيه عن صفات النقص، جاء في سبع سور فهذه أربع عشرة سورة استفتحت بالثناء على الله، نصفها لثبوت صفات الكمال، ونصفها لسلب النقائص، وقد قال الكرماني في كتاب «العجائب في تفسير القرآن»: التسبيح.. كلمة استأثر الله بها، فبدأ بالمصدر منها ﴿سبحان﴾ في سورة بني إسرائيل لأنه الأصل ثم الماضي ﴿سبح لله﴾ في الحديد والحشر والصف لأنه أسبق الزمانين، ثم المضارع ﴿يسبح﴾ في الجمعة والتغابن، ثم الأمر ﴿سبح﴾ في سورة الأعلى استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها، وهي أربع: المصدر-الماضي-المستقبل- والأمر المخاطب، فهذه أعجوبة وبرهان.

النوع الثاني : النداء.. نحو قوله تعالى ﴿يأيها الذين أمنوا﴾ في المائدة وقوله تعالى ﴿يأيها النبي﴾ في الأحزاب والطلاق والتحريم.

ونحو قوله سبحانه: ﴿يأيها الناس﴾ في النساء والحج، ونحو قوله أيضا عز وجل: ﴿يأيها المدثر﴾ و﴿يأيها المزمل﴾، وذلك في عشر سور.

النوع الثالث: الاستفتاح بالجمل الخبرية.. نحو قوله تعالى ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ في سورة الأنفال، و﴿براءة من الله﴾ في التوبة، و﴿أتى أمر الله﴾ في النحل، و﴿اقترب للناس حسابهم﴾ في الأنبياء، و﴿قد أفلح المؤمنون﴾ في المؤمنون، و﴿سورة أنزلناها﴾ في النور. وقد جاء الاستفتاح بهذه الجمل الخبرية في ثلاث وعشرين سورة.

النوع الرابع: الاستفتاح بالقسم:

نحو قول الحق تبارك وتعالى: ﴿والصافات﴾ و﴿الذاريات﴾ و﴿النجم﴾ و﴿المرسلات﴾ و﴿النازعات﴾ و﴿السماء ذات البروج﴾ و﴿السماء والطارق﴾ و﴿الفجر﴾ و﴿الشمس﴾ و﴿الليل﴾ و﴿الضحى﴾ و﴿التين والزيتون﴾ و﴿العاديات﴾ و﴿العصر﴾، فتلك خمس عشرة سورة.

النوع الخامس: الاستفتاح بالشرط:

نحو قوله تعالى ﴿إذا وقعت الواقعة﴾ و﴿إذا جاءك المنافقون﴾ و﴿إذا الشمس كورت﴾ و﴿إذا السماء انفطرت﴾ و﴿إذا السماء انشقت﴾ و﴿إذا زلزلت الأرض﴾ و﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾، فتلك سبع

فواتح القرآن الكريم هي فواتح مختلفة يبلغ تعدادها تمام حروف الهجاء

سور.

النوع السادس: الاستفتاح بالأمر:

نحو قوله تعالى: ﴿قل أوحي﴾ ﴿اقرأ باسم ربك﴾ ﴿قل يأيها الكافرون﴾ ﴿قل هو الله أحد﴾ ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ وذلك في ست سور.

النوع السابع: الاستفتاح بالاستفهام:

نحو قوله تعالى ﴿هل أتى﴾ ﴿عم يتساءلون﴾ ﴿هل أتاك﴾ ﴿ألم نشرح﴾ ﴿ألم تر﴾ ﴿أرأيت﴾ فتلك ست سور.

النوع الثامن: الاستفتاح بالدعاء:

نحو قوله تعالى: ﴿ويل للمطففين﴾ ﴿ويل لكل همزة﴾ ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ فتلك ثلاث سور.

النوع التاسع: الاستفتاح بالتعليل:

وقد جاء التعليل في موضع واحد، في سورة واحدة وهو قوله جل شأنه ﴿لإيلاف قريش﴾.

النوع العاشر- والاخير- هو الاستفتاح بحروف التهجي:

وهذا النوع، هو محور بحثنا ومدار دراستنا وفهمنا للإعجاز القرآني الوارد في فواتح السور القرآنية، خاصة المكية منها.

تأملات ووقفات مع صيغ مختلفات

لقد شاء العلي القدير أن يفتتح بعض سور القرآن العظيم بحروف تحمل إعجازا كما تحوي أسرارا حار فيها العلماء ومازالوا متحيرين في معرفة كنهها ومضمونها. حيث إن في القرآن الكريم صيغا مختلفة من هذه الفواتح.. فمنها البسيط، المؤلف من حرف واحد، وذلك في سور ثلاث هي: صاد، وقاف، ونون، إذ تفتتح الأولى بحرف «ص» والثانية بحرف «ق» والثالثة بحرف «ن».

ومن هذه الفواتح عشر مؤلفة من حرفين، سبع منها متماثلة تسمى «الحواميم» لأن أوائل السور المفتتحة بها هي «حم» وذلك ابتداء من السورة الأربعين إلى السادسة والأربعين، وهذه السور هي: غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف، والسورة الثانية والأربعون منها خاصة مضموم إلى «حم» فيها «ع س ق» وتتمة العشر «طه» في السورة العشرين و«ط س» في السورة السابعة والعشرين، و«يس» في السورة الثامنة والثلاثين.

أما الفواتح المؤلفة من ثلاثة أحرف فنجدها في ثلاث عشرة سورة، ست منها أولها «ال م» وهي البقرة وآل عمران والعنكبوت والروم، ولقمان والسجدة. وخمس منها بلفظ «ال ر»، في مستهل كل من سورة يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر. واثنتان منها أولهما «ط س م» في سورتي الشعراء والقصص.

بقي أن ثمة سورتين مفتتحتان بأربعة أحرف، إحداهما سورة الأعراف التي أولها «ال م ص» والأخرى سورة الرعد التي في مستهلها «ا ل م ر». وتكون سورة مريم - أخيرا- هي السورة الوحيدة المفتتحة بخمسة حروف «ك هـ ي ع ص».

يتضح من هذا الشرح المفصل، أن مجموعة الفواتح القرآنية تسع وعشرون، وأنها على ثلاثة عشر شكلا، وأن أكثر الحروف ورودا فيها الألف واللام ثم الميم، ثم الحاء ثم الراء، ثم السين ثم الطاء، ثم الصاد، ثم الهاء، والياء، والعين، والقاف. وأخيرا الكاف والنون. وجميع هذه الحروف الواردة في فواتح السور- من غير تكرار- يساوي أربعة عشر، وهي نصف الحروف الهجائية.

لذلك يستأنس المفسرون القائلون: «إن فواتح السور إنما ذكرت في القرآن لتدل على أن هذا الكتاب الكريم مؤلف من حروف التهجي المعروفة، فجاء بعضها مقطعا منفردا، وجاء تمامها مؤلفا مجتمعا، لتتبين العرب أن القرآن نزل بالحروف التي يعرفونها، فيكون ذلك تقريعا لهم ودلالة على عجزهم أن ياتوا بمثله (١).

وقد أسهب في بيان هذا الرأي من المفسرين، الزمخشري، وتابعه البيضاوي، كما انتصر لذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ولاحظ أصحاب هذا الرأي- وهم في أوج حماستهم لفكرتهم هذه- أن تحدي القرآن للعرب أن يأتوا بمثله يزداد وضوحا ويكتسب قوة، بظاهرة عجيبة.. حقا نعجب لدراستهم لها والتفاتهم اليها.

إن الإعجاز القرآني لم يقف عند حد اشتماله على فواتح مختلفة يبلغ تعدادها تمام حروف الهجاء ولا بتأليفه تلك الفواتح من نصف الحروف الهجائية، بل حوى فوق ذلك كله من كل جنس من الحروف، فمن حروف الحلق: الحاء، والعين، والهاء.

ومن الحروف المجهورة: الهمزة، الميم، اللام، والعين، الراء، الطاء، القاف، الياء، النون.

ومن الحرفين الشفهيين: الميم.

ومن حروف القلقلة: القاف، الطاء.

وهذا ما تنبه إليه الزمخشري- وإن لم يوضح- فقال: «إذا تأملت الحروف التي افتتح الله بها السور وجدتها نصف أسامي حروف المعجم.. أربعة عشر، ثم تجدها مشتملة على أصناف أجناس الحروف المهموسة، والمجهورة، والشديدة، والمطبقة، والمستعلية، والمنخفضة، وحروف القلقلة، ثم إذا استقرأت الكلام تجد هذه الحروف هي أكثر دورا مما بقي، ودليله أن الألف واللام لما كانت أكثر تداورا جاءت في معظم هذه الفواتح، فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته..

قال بعض العلماء إن حروف فواتح القرآن يجمعها قول «نص حكيم قاطع له سر»

وقال القاضي أبوبكر: «إنما جاءت على نصف أحرف المعجم، كأنه قيل من زعم أن القرآن ليس بآية فليأخذ الشطر الباقي ويركب عليه لفظا معارضا للقرآن». ولنتأمل معا كيف اجتهد العلماء في محاولة الوصول إلى الإعجاز الناجم عن تآلف هذه الحروف.

النشاط المحفوف حول تآلف الحروف

لقد قال بعض العلماء إن الحروف التي افتتح الله بها هذه السور يجمعها قولهم «نص حكيم قاطع، له سر» وجمعها بعضهم بقوله: «طرق سمعك النصيحة» وجمعها آخرون «صن سرا يقطعك حمله» واتسع نشاطهم الفكري حول مدلول هذه الحروف، فأما ما بدئ بحرف واحد فقد اختلفوا فيه، فمنهم من لم يجعل ذلك حرفا وإنما جعله إسما لشكل خاص، ومنهم من جعله حرفا وقال»: أراد أن يتحقق الحروف مفردها ومنظومها.

وأما ما ابتدئ بثلاثة أحرف، فقالوا إن فيه سرا، وذلك أن الألف إذا بدئ بها أولا كانت همزة، وهي أول المخارج من أقصى الصدر واللام من وسط مخارج الحروف، وهي أشد الحروف اعتمادا على اللسان، وترتبت في التنزيل من البداية إلى الوسط إلى النهاية، فهذه الحروف تعتمد المخارج الثلاثة التي يتفرع منها ثلاثة عشر مخرجا، ليصير منها تسعة وعشرون حرفا، عليها مدار كلام الخلق أجمعين مع تضمنها سرا عجيبا، وهو أن الألف للبداية، واللام للتوسط، والميم للنهاية، فاشتملت هذه الأحرف الثلاثة على البداية والواسطة بينهما، هكذا قال العلماء.

قلت: وليس هذا فحسب، بل إن كل سورة استفتحت بهذه الأحرف «ال م» اشتملت على مبدأ الخلق ونهايته وتوسطه، وعلى خلق العالم وغايته، وعلى التوسط بين البداية من الشرائع والأوامر.

فلنتأمل ذلك في سورة ﴿البقرة﴾، و﴿آل عمران﴾، وتنزيل ﴿السجدة﴾، و﴿الروم﴾، ولنتأمل معا أيضا اقتران الطاء بالسين والهاء في القرآن، فإن الطاء جمعت من صفات الحروف خمس صفات لم يجمعها غيرها وهي الجهر والشدة والاستعلاء والإطباق والإصمات، وحرف السين مهموس رخو مستفل صفير منفتح، فلا يمكن أن يجمع إلى حرف الطاء حرف يقابله كالسين والهاء، فذكر الحرفين اللذين جمعا صفات الحروف.

ولنتأمل كذلك الصورة التي اجتمعت على الحروف المفردة، كيف تجد الصورة مبنية على كلمة ذلك الحرف؟ فمن ذلك: ﴿ق والقرآن المجيد﴾ فإن الصورة مبنية على القافية، من ذكر القرآن، ومن ذكر الخلق وتكرار القول ومراجعته مرارًا والقرب من ابن آدم وتلقي الملكين، وقول العتيد، وذكر الرقيب، وذكر السائق والقرين، والإلقاء في جهنم، والتقدم بالوعد، وذكر المتقين وذكر القتل مرتين، وتشقق الأرض وإلقاء الرواسي فيها، وبسوق النخل والرزق، وذكر القوم وخوف الوعيد وغير ذلك.

وسر آخر عظيم، وهو أن كل معاني السورة مناسب لما في حرف القاف من الشدة والقهر والقلقلة والانفتاح.. وزيادة أيضا في توضيح الأمر، نقول فلنتأمل معا ما اشتملت عليه سورة «ص» من الخصومات المتعددة، فأولها خصومة الكفار مع النبي ﷺ، وقولهم ﴿أجعل الآلهة إلها واحدًا﴾ (ص: ٤) إلى آخر كلامهم، ثم اختصام الخصمين عند داود، ثم تخاصم أهل النار ثم اختصام الملأ الأعلى في العلم، ثم تخاصم إبليس واعتراضه على ربه وأمره بالسجود، ثم اختصامه ثانية في شأن بنيه، وحلفه ليغوينهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم.

وكذلك سورة «ن والقلم» فإن فواصلها كلها على هذا الوزن مع ما تضمنت من الألفاظ النونية، لذلك كله كانت هذه الحروف من أسرار الفواتح.. وآية من آيات الرحمن التي أودعها قرآنه المجيد ووقف العلماء مذهولين عاجزين عن الوصول إلى كنهها أو مضمونها، وتشعبت بهم السبل ولكنهم وقفوا عند قولين:

الأول: أن هذا علم مستور، وسر محجوب، استأثر الله به، ولهذا قال الصديق رضي الله عنه: في كل كتاب سر، وسره في القرآن أوائل السور. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن لكل كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي، وقال الشعبي: إنها من المتشابه، نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله عز وجل.

والثاني: أن المراد منها معلوم وذكروا فيه ما يزيد على عشرين وجها.. فمنها البعيد ومنها القريب: أولها: يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه سبحانه، فالألف من الله واللام من «لطيف» والميم من «مجيد» والألف من «آلائه» واللام من «لطفه» والميم من «مجده».

قال ابن فارس: وهذا وجه جيد وله في كلام العرب شواهد. وثانيها: أن الله أقسم بهذه الحروف، بأن هذا الكتاب الذي يقرأه محمد هو الكتاب المنزل لاشك فيه، وذلك يدل على جلالة قدر هذه الحروف إذ كانت مادة البيان وقد أقسم الله تعالى بـ«الفجر» و«الطور» فكذلك شأن هذه الحروف في القسم بها.

الثالث: أنها أسماء للسور فـ«ا ل م» اسم

لهذه، و«حم» اسم لتلك، ذلك أن الأسماء وضعت للتمييز، وقد نقله الزمخشري عن الكثيرين: وقال فخر الدين الرازي: هو قول أكثر المتكلمين.

الرابع: أن لكل كتاب سرا، وسر القرآن فواتح السور- قال ابن فارس- أراد أنه السر الذي لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم.

قلت: وقد استخرج بعض أئمة المغرب من قوله تعالى ﴿الم. غلبت الروم﴾ فتوح بيت المقدس، واستنقاذه من العدو في سنة معينة.

ومن الطبيعي أن يكون للمخالفين لأهل السنة والجماعة آراء وشطحات:

فالشيعة يرون أن في مجموعة هذه الفواتح- إذا حذف المكرر منها- ما يفيد مذهبهم، فيقولون إنها تعني «صراط علي حق نمسكه» ومن الطريف أن أهل السنة لا يتركونهم، فيردون عليهم برأي مستنبط من الفواتح نفسها بحروفها ذاتها «صح طريقك مع السنة»(٢).

وهذا النوع من الاستخراج يعرف باسم «عد أبي جاد» وقد شدد علماء السلف في إنكاره والزجر عنه، ويعتبره ابن حجر العسقلاني، باطلا لا يجوز الاعتماد عليه، فقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما الزجر عن عد أبي جاد، والإشارة إلى أن ذلك من جملة السحر، وليس ذلك ببعيد، فإنه لا أصل له في الشريعة(٣).

ولاريب أن يكون للصوفية في مجال هذه التفسيرات آراء أبعد شطحا وأغرب لفظا وأغمض معنى.. ولا نرى أدل على ذلك من قول محيي الدين بن عربي(٤).

«اعلم أن مبادئ السور المجهولة لا يعلم حقيقتها إلا أهل الصور المعقولة، فجعلها تبارك وتعالى «تسعا وعشرين سورة، وهو كمال السورة» ﴿والقمر قدرناه منازل﴾ والتاسع والعشرون القطب الذي به قوام الفلك، وهو علة وجوده، وهو سورة آل عمران ﴿الم. الله﴾ ولولا ذلك لما ثبتت الثمانية والعشرون... إلى أن يقول في موضع آخر: ثم جعل سبحانه وتعالى هذه الحروف على مراتب، منها موصول ومنها مقطوع ومنها منفرد ومثنى، ومجموع، ثم نبه: أن في كل وصل قطعا، وليس كل فصل يدل على وصل، والوصل والفصل في الجمع وغير الجمع، والفصل وحده في عين الفرق، فما أفرده من هذا فإشارة إلى فناء رسم العبد أزلا.. وما أثبته فإشارة إلى وجود اسم العبودية حالا.. إلى آخر هذه الشطحات الصوفية التي تعبر عن رأي أصحابها وتستمد سريتها من مصطلحاتها.

الفواتح سر هذا الإعجاز القرآني

ومهما يكن من شيء- فعندي- أن ثمة قوما أحبوا أن يدخلوا البيوت من أبوابها، وأن يكونوا أصرح رأيا وأوضح تفسيرا في محاولة الوصول إلى سر هذا الإعجاز القرآني.. الذي جعله الله في آوائل السور وقد مرت فكرتهم بأطوار عدة حتى أصبحت رأيًا ناضجًا عميقًا فلاحظوا أن بعض السور القرآنية تفتح بهذه الحروف كما تفتتح القصائد بـ«لا» و«بل» فلم يزيدوا في بادئ الأمر على أن يسموا هذه الحروف «فواتح» وأن يعتبروها في الواقع نفسه مجرد فواتح وضعها الله لقرآنه، وله أن يضع ما يشاء، كما وضعت العرب فواتح لقصائدها، وقال بهذا مجاهد من كبار التابعين (٥).

ثم انتقلت هذه الفكرة إلى مجال أوضح وأوسع حين أصبحت هذه الفواتح في نظر بعضهم تنبيهات وأدوات تنبيه لم تستعمل فيها الكلمات المشهورة «ألا» و«أما» الاستفتاحيتين لأنهما من الألفاظ التي يتعارفها الناس في كلامهم، والقرآن الكريم لا يشبه الكلام، فناسب أن يؤتى فيه بألفاظ تنبيه لم تعهد لتكون أبلغ في قرع السمع (٦).

وقد جعل بعض العلماء، التنبيه للنبي ﷺ الذي يجوز أن يكون قد علم في بعض الأوقات كونه ﷺ في عالم البشر مشغولا، فأمر جبريل بأن يقول عند نزوله ﴿الم، والر، حم﴾ ليسمع النبي صوت جبريل، فيقبل عليه ويصغي إليه (٧).

لكن السيد رشيد رضا - صاحب تفسير المنار - يستبعد جعل التنبيه للنبي لأنه عليه الصلاة والسلام كان يتنبه وتتغلب الروحانية على طبعه الشريف بمجرد نزول الروح الأمين عليه ودنوه منه، كما يعلم ما ورد في نزول الوحي من الأحاديث الصحيحة، ولا يظهر فيه وجه تخصيص بعض السور بالتنبيه (٨).

ويرى الشيخ رشيد رضا، أن التنبيه إنما كان أولا بالذات للمشركين في مكة ثم لأهل الكتاب في المدينة، ولم يكن يعلم الشيخ رشيد رضا، أنه مسبوق في هذا التأويل الذي وجدناه في القول الثاني عشر من تفسير الرازي (٩).

فقد نقل الرازي عن قطرب: أن الكفار لما قالوا ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ (فصلت: ٢٦)، وتواصوا بالإعراض عنه، أراد الله تعالى لما أحب من صلاحهم ونفعهم أن يورد عليهم ما لا يعرفونه ليكون سببًا لاستماعهم وطريقا إلى انتفاعهم (١٠).

وهكذا سيبقى الشيخ رشيد رضا في نظرنا خير من حاول توضيح الغرض من افتتاح بعض السور القرآنية بهذه الحروف المقطعة في عصرنا الحديث، لذلك فنحن نقول معه.. مستعيرين عباراته بنصها: «من حسن البيان وبلاغة التعبير، التي غايتها إفهام المراد مع الإقناع والتأثير، أن ينبه المتكلم المخاطب إلى مهمات كلامه والمقاصد الأولى بها، ويحرص على أن يحيط علمه بما يريده هو منها، ويجتهد في إنزالها من نفسها في أفضل منازلها ومن ذلك التنبيه لها قبل البدء بها لكي لا يفوته شيء منها. وخلاصة القول: إن لفواتح السور سرًا عجيبًا.. وهذا السر آية من آيات الرحمن أودعها القرآن، ومازال الناس متحيرين في معرفة مضمونها وعميق كنهها وأراد الحق بها أمرًا لا يعلمه إلا هو، وإذا كان بعض الصحابة قد

اجتهدوا، وإذا كان بعض التابعين قد أدلوا برأيهم، وإذا كان من العلماء من فسّر وأول.

إلا أن سر هذه الفواتح مازال وسيبقى عند الله إلى أبد الآبدين (١١).

إن الحق تبارك وتعالى افتتح سور قرآنه الحكيم بهذه الحروف إرادة منه عز وجل، للدلالة لكل حرف منها على معان كثيرة يقصدها هو.. ولم يعلمها أحد.. فقد تكون هذه الحروف جامعة لأن تكون افتتاحا وقد يكون كل واحد منها مأخوذا من اسم من الأسماء الحسنى، وقد يكون كل حرف منها في آجال قوم وأرزاق آخرين، وقد يكون ذلك كله وغيره (١٢).

إلا أننا نرى ما هو أهم وأسمى.. فإن هذه الفواتح آية من آيات الله، التي لا تنفد، ودليل على عظمة القدرة الإلهية التي أودعها الحق تبارك وتعالى كتابه العظيم، فظهرت فيه بوصفها آية جديدة من آيات الإعجاز القرآني.. وصدق الله العظيم، إذ يقول: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ (الإسراء: ٨٨) صدق الله العظيم.

لذا فإن إمعان الفكر مطلوب في الوقت الراهن لتعميق الإيمان بالإسلام وإعجاز القرآن، والمطلوب من كل علمائنا المسلمين ومفكري الإسلام ومبدعيه أن يتخلوا عن ظاهرة الجمود وتخلف الإبداع، لأن في ذلك مخالفة لسنن الله في الكون، وأخطر المهددات للفكر أيًا كان نوعه، كما أن اجترار الذات والماضي بكليته دون تجديد أو إضافة أو تفاعل مع الحاضر والمستقبل يولد العجز الذي لحق بالعقل المسلم، والذي أدى الى إصابته التي أنهكته.

ومن أضرار هذا الاجترار والجمود تفضيل التقليد على التجديد، وتقديم الجدل العقلي على البحث المنهجي الموضوعي، والملاحظ لمسيرة العالم الإسلامي يجد تخلفًا ملحوظا وعجزًا عن الدخول إلى علم الثورة التقنية، اكتفاء فقط باستهلاك جميع منجزات تلك الثورة العلمية التي تحدث الآن في كل المجالات، وهذا شعور عقيم يجعل الإنسان يشعر بالعجز ويستسلم له ويظل بطيئًا كسولًا خاملًا في عالم سريع لا يقبل الانقطاع عن الحضارة والتقدم والتطور والركون إلى الماضي دون التطلع إلى المستقبل.

إن مسلم اليوم ألغى - بكل أسف - عقله وقدرته على التفكير وهذا ما حرمه من الاستقرار والاستنتاج منهيًا بذلك منحة الله التي أعطاها إياه «وهي العقل».. فقد قال سبحانه وتعالى ﴿وهديناه النجدين﴾، (البلد ١٠)، ولهذا وقع في دائرة الجمود والتخلف والتقوقع مستندا إلى الماضي بعقلية الأيدولوجي والمتعصب وهذا ما كان سببا في رفد القصور العلمي والثقافي الذي تعاني منه المجتمعات الإسلامية والعقل المسلم.

إن العقل المسلم يحتاج إلى كثير من الإصلاحات لأن الخلل الذي أصابه جعله يلغي حبه للبحث عن المعرفة ويعيش التخلف بعيدا عن عالم الحضارة ومعطياتها في هذا العصر.. فإن إلغاء المعرفة وعدم تفضيل أعظم النعم التي يتميز بها الإنسان وهي العقل والتفكير سبب كل هذا القصور الحضاري الذي تعاني منه المجتمعات الإسلامية في الثقافة والفكر والإبداع، والسبب فيما مر به العقل المسلم من أزمات وإحباطات وكبوات عائدٌ إلى عدم ترشيد العقل الإسلامي المعاصر والارتقاء به إلى مستوى العصر والواقع الذي يتطلب من هذا العقل مواكبة تطوراته في جميع المجالات.

إن العاطفة التي تجتاح الخطاب الإسلامي المعاصر في مواقفه وأفكاره خطوة غير صحيحة وغير واعية من منفذي هذا الخطاب وهي تسيء إلى الإسلام وصورته من خلال خطاب ساذج لا يستطيع مواجهة الخطابات الأخرى لتطورها وقدرتها على الإقناع والتأثير نظرًا للتطور التقني والعلمي.

إن الأمر الذي نريد أن نطرحه هنا هو أن مخاطبة العاطفة ودغدغتها لا تؤتي ثمارها تمامًا ولا يجني منها الخطاب الإسلامي غير الأحادية والجزئية، بينما لو حاول الخطاب الإسلامي المعاصر الارتقاء إلى مخاطبة العقل والفكر لحقق تأثيرًا كبيرًا لأن مخاطبة العاطفة تزول بزوال المؤثر أمام مخاطبة العقل التي من شأنها أن تفضي إلى الاقتناع والإدراك ما ينقل ذلك إلى السلوك، وبالتالي تهذيب هذا السلوك ليصبح سلوكا حضاريا، ومن هنا نستطيع بناء حضارتنا الإسلامية من جديد.

ولعلنا نلمح من تحليل فواتح السور معنى أشمل وأعظم يتمثل في قيمة وسر وعظمة هذه الحروف الصغيرة المفردة بالنسبة للكل، وهو القرآن، تمامًا مثل الفرد المسلم بالنسبة للكل «الأمة الإسلامية» فهل نعي؟

الهوامش:

١- لمزيد من المعلومات، انظر: الكشاف - ٦١/١.
٢- راجع تفسير الألوسي ١٠٤/١.
٣- لمزيد من التفاصيل راجع «الإتقان في علوم القرآن» ١٦/٢.
٤- انظر: الفتوحات المكية نقلا عن تفسير الألوسي - ١٠١/١.
٥- انظر: المرجع السابق رقم (٣).
٦- راجع تفسير المنار ٢٠٢/٨.
٧- راجع البرهان وتفسيره ١٧٥/١.
٨- انظر: المرجع السابق رقم (٢) - ١٧/٢.
٩- راجع ابن جرير ٦٩/١ في تفسيره.
١٠- انظر: ابن كثير ٣٧/١، وتفسيره.
١١- انظر: المرجع السابق رقم (١) - ٢٠٤/١.
١٢- راجع المصدر رقم (٣١) - ١٦/٢.

قراءة في المفهوم والخصائص والآثار (٢/١)

الأمية الحضارية

نورالدين بن محمد

إن الباحث في موضوع الأمية لا يستطيع إدراك معناها الشامل في اللغة العربية وفي القرآن الكريم والسنة النبوية حتى يحيط بالمعنى الحقيقي للقراءة، لأنها هي أصل العلم والمعرفة، ولأن العلم لدى المسلمين ارتبط مفهومه بالقراءة، فالعرب قبل نزول القرآن لم يكن لهم أي صلة بالكتب، فكان القرآن هو منطلقهم إلى العلم والمعرفة وإلى القراءة والكتابة، وشاءت حكمة الله أن تكون أول كلمة تنزل على النبي الأمي ﷺ الذي بعثه الله في الأميين هي: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (سورة العلق: ١ - ٥)، حتى يكون ذلك إعلاما للإنسانية بأن تحقيق السعادة في الدارين، وتحقيق مقاصد الوجود الإنساني، منوط بالعلم والقراءة باسم الله، وبالاستعانة بالله، وفي سبيل الله.

قال د.طه جابر العلواني(١): «كانت هذه الآيات محددة لعدد من الأمور الجوهرية، ففيها أمر بالقراءة، وبيان علاقة العلم بالقلم، وبيان مصدر العلم وهو الله سبحانه وتعالى، وأن الأمر موجه إلى المخلوق الإنساني، الذي خلقه الله من علق، وأن من طبيعته أنه لا يعلم حتى يعلمه الله، والقراءة المأمور بها هي قراءة باسم الله تعالى، ثم بمعيته تسير حتى توصل إلى علم يدون بالأقلام، فتنتقل إلى السطور وتشيع بين البشر، ولابد أن تفهم القراءة على أنها تعبير يتسع ليشمل المسطور في الكتب والمنشور في الوجود، فسور الكتاب تقرأ، وآفاق الكون تقرأ، وتتلازم القراءتان حتى ينتج من هذا التلازم علوم ومعارف وخبرات وتجارب يقام عليها العمران، وتنبثق منها حضارة الإيمان، وتلك هي القراءة التامة...»(٢).

ومن هنا ندرك أنه لابد أن تفهم الأمية على أنها تعبير يتسع ليشمل الجهل بما هو مسطور في الكتب وبما هو منشور في الوجود، سواء كان المسطور مصدره السماء أم الأرض، وسواء كان المنشور في الوجود هو الآفاق أم الأنفس، وأن كل من جهل فرعا من هذه الأصول فهو أمي فيها.

إذن فالأمية تتحدد جنسا ونوعا بتحديد ما يقابلها من علم ومعرفة، وهذا ما بينه القرآن الكريم والسنة النبوية..

١- مفهوم الأمية في القرآن والسنة وخصائصه

أ - مفهوم الأمية في القرآن والسنة

المعنى الأول: الجهل بالقراءة والكتابة

الأمي هو من لا يعرف القراءة والكتابة، وقد اختلف في نسبته، فقيل إنه منسوب إلى الأمة بمعنى عامة الناس، فهو يرادف العامي، وقيل إنه منسوب إلى الأم، وهي الوالدة، أي أنه بقي على الحالة التي كان عليها مدة حضانة أمه إياه، فلم يكتسب علما جديدا(٣)، وفي الحديث الشريف: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب» (متفق عليه)، أراد ﷺ أنهم على أصل ولادة أمهم، لم يتعلموا الكتابة والقراءة والحساب، فهم على جبلتهم الأولى. وفي حديث آخر قال النبي ﷺ: «أرسلت إلى أمة أمية» (أخرجه أحمد)، وسمي العرب أميون لأن الكتابة والقراءة كانت فيهم عزيزة أو عديمة(٤)، ومنه قوله عز وجل: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم...﴾ (الجمعة: ٢).

«وقيل لسيدنا محمد ﷺ الأمي، لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب، وبعثه الله رسولا وهو لا يكتب ولا يقرأ من كتاب، وكانت هذه الخلة إحدى آياته المعجزة لأنه ﷺ تلا عليهم كتاب الله منظوما تارة بعد أخرى، بالنظم الذي أنزل عليه، فلم يغيره ولم يبدل ألفاظه، وكان الخطيب من العرب إذا ارتجل خطبة ثم أعادها، زاد فيها ونقص، فحفظه الله عز وجل على نبيه كما أنزله، وأبانه من سائر من بعثهم إليهم بهذه الآية التي باين بينه وبينهم بها، ففي ذلك أنزل الله تعالى: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذن لارتاب المبطلون﴾ (العنكبوت: ٤٨)، ولقال الذين كفروا: إنه وجد هذه الأقاصيص مكتوبة فحفظها من الكتب.

المعنى الثاني: عدم فهم وفقه حقيقة الأمور

ومن معاني الأمي أنه الذي لا يفهم ولا يفقه حقيقة الأمور، وبهذا فسر البعض قوله تعالى: ﴿و منهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني﴾ (البقرة: ٧٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: عن ابن

* أستاذ بمعهد العلوم القانونية والإدارية، جامعة أم البواقي، الجزائر

الأمية تحدد جنساً ونوعاً بتحديد ما يقابلها من علم ومعرفة وهذا ما بينه القرآن الكريم والسنة النبوية

عباس وقتادة في قوله تعالى: ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني﴾، أي غير عارفين بمعني الكتاب، يعلمونها حفظا وقراءة بلا فهم، ولا يدرون ما فيه، وقوله: ﴿إلا أماني﴾ أي تلاوة، فهم لا يعلمون فقه الكتاب، إنما يقتصرون على ما يسمعونه يتلى عليهم(٥).

وقال العلامة ابن عاشور: «وقد قيل: الأماني القراءة، أي لا يعلمون الكتاب إلا كلمات يحفظونها، ويدرسونها لا يفقهون منها معنى، كما هو عادة الأمم الضالة، إذ تقتصر من الكتب على الرد دون فهم، وأنشدوا على ذلك قول حسان رضي الله عنه في رثاء عثمان رضي الله عنه:

تمنى كتاب الله أول ليله ××× وآخره لاقى حمام المقادر

أي قرأ القرآن في أول الليل الذي قتل فيه»(٦).

المعنى الثالث: الفهم الخاطئ للأمور

ومن معاني الأمي أيضا الذي يفهم الأمور فهما خاطئا بعيدا عن الحقائق، ولهذا فسروا الأماني بالأكاذيب، «لأن الكاذب ما كذب إلا لأنه يتمنى أن يكون ما في نفس الأمر موافقا لخبره، فمن أجل ذلك حدثت العلاقة بين الكذب والتمني، فاستعملت الأمنية في الأكذوبة، فالأماني هي التقادير النفسية، أي الاعتقادات التي يحسبها صاحبها حقا وهي ليست كذلك، أو هي الفعال التي يحسبها العامة من الدين وهي ليست منه، بل ينسون الدين ويحفظونها، وهذا هو دأب الأمم الضالة عن شرعها، أن تعتقد ما لها من العوائد والرسوم والمواسم شرعا»(٧).

المعنى الرابع: عدم الانتفاع بالعلم

ومن المعاني الأساسية للأمية، ذهاب روح العلم، وضياع مقاصده الأصلية، فعن الإمام أحمد بن حنبل(٨) بسنده إلى زياد بن لبيد رضي الله عنه(٩) قال: ذكر النبي ﷺ شيئا فقال: «وذاك عند أوان ذهاب العلم» قال: قلنا: يا رسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا، ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال: «ثكلتك أمك يابن أم لبيد، إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة، أوليس هذه اليهود والنصارى يقرأون التوراة والإنجيل لا ينتفعون مما فيهما بشيء» (أخرجه ابن ماجه، والترمذي وقال هذا حديث حسن غريب).

فقد بين ﷺ أن ذهاب العلم، وانتشار الجهل والأمية لا يقصد به ذهاب القرآن (المنهج)، ولا عدم التمكن من قراءته، وإنما ذهاب العلم هو عدم الانتفاع بهذا المنهج وفقدان المنهج وكيفية التعامل معه والتفاعل به، وهو ما يمكن تسميته بالأمية العقلية أو الفكرية أو الثقافية(١٠).

«والأمية العقلية هذه تسود الأمة في حال التقليد، والغياب الحضاري، والعجز عن تدبر القرآن والتعامل مع الأحداث واتخاذ المواقف، واكتشاف سنن الله في الأنفس والآفاق وحسن تسخيرها ومعرفة كيفية التعامل معها، والنفاذ من منطوق النص وظاهره إلى مقصده ومرماه، والتدخل حين نعلم السنة وأنها تتكرر ولا تتبدل، فنستطيع توجيهها إلى حيث نريد ونفيد...»(١١).

المعنى الخامس: الجهل بوظيفة الأشياء

ومن المعاني الجامعة للأمية الجهل ببواطن الأشياء، وعدم معرفة وظائفها الوجودية التي خلقت لأجلها، والاكتفاء منها بمعرفة ظواهرها فقط، وهذا النوع من الأمية ناشئ عن الجهل بأهم عنصر للمعرفة وهو سنن الهداية، وقد جاء فيه قوله تعالى: ﴿وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون. يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون. أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرًا من الناس بلقاء ربهم لكافرون. أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوةً وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون. ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون﴾ (الروم: ٦- ١٠)، فهذه الآيات تبين أن «الذي لا يتصل قلبه بضمير ذلك الوجود، ولا يتصل حسه بالنواميس والسنن التي تصرفه، يظل ينظر وكأنه لا يرى، ويبصر الشكل الظاهر والحركة الدائرة، ولكنه لا يدرك حكمته ولا يعيش بها ومعها، وأكثر الناس كذلك، لأن الإيمان الحق هو الذي يصل ظاهر الحياة بأسرار الوجود، وهو الذي يمنح العلم روحه المدرك لأسرار الوجود، والمؤمنون هذا الإيمان قلة في مجموع الناس، ومن ثم تظل الأكثرية محجوبة عن المعرفة الحقيقية»(١٢).

ومن هنا نخلص إلى أن مفهوم الأمية من منظور إسلامي يتحدد في ضوء معرفة حقيقة «القراءة» و«الاستقراء» الذي يعني طلب القراءة من المقروء نفسه، وكأنه هو الذي ينبئ ويخبر عن نفسه وعن حقيقته كما هو في الواقع، لا كما يتصور أو يتخيل، وأن الأمية مراتب وأنواع، نلخصها فيما يلي:

١ – أمية قراءة المسطور

ويشمل هذا النوع ما كان مسطورا سماويا (الوحي)، أو كان مسطورا بشريا (الناتج عن تفاعل العقل مع الوحي أو تفاعله مع الكون).

ويندرج ضمن هذا النوع عدة أضرب من الأمية نذكر منها:

أ- أمية قراءة المكتوب (كل رمز

استعمل للاتصال).

ب- أمية فهم المكتوب (فهم باطني وظاهري).

ج- أمية الانتفاع بالمكتوب (في العاجل والآجل).

٢ - أمية قراءة وتسخير المنظور: (الكون بما فيه من أنفس وآفاق)

فأما بالنسبة لأمية سنن الأنفس فهي تتفرع إلى:

أ- أمية الاعتبار من الماضي.

ب- أمية التعامل مع الحاضر.

ج- أمية الاستشراف للمستقبل.

وأما بالنسبة للأمية الخاصة بسنن الآفاق فهي تتفرع إلى:

أ- أمية فهمها.

ب- أمية الانتفاع بها.

٣ - أمية الربط بين المعارف والعلوم والخبرات والتجارب، وهي الجهل بالعلاقات التي تربط بين كل أصناف وأنواع المعارف والعلوم والخبرات والتجارب سواء كان مصدرها سنن الهداية أم سنن الآفاق والأنفس.

٤ - الأمية الوظيفية، وهي الجهل بالوظيفة الوجودية للمعارف والعلوم والخبرات والتجارب، أيا كان صنفها ونوعها. وفي البيانين التاليين ملخص لكل ما سبق ومزيد بيان وتوضيح له.

ب - خصائص المفهوم الإسلامي للأمية

١- إن مفهوم الأمية في القرآن الكريم والسنة النبوية شامل لجميع أنواع الأمية ودرجاتها، بدءًا من أمية القراءة والكتابة إلى أمية الانتفاع، والعمل بالعلم.

٢- إنه مفهوم صالح لكل زمان ومكان، فمهما تغيرت أحوال الإنسان يبقى هذا المفهوم شاملا، لأنه إنساني عالمي وحضاري، بينما المفاهيم المتداولة مفاهيم إما محلية أو إقليمية، وهي آنية؛ مثال ذلك أن البلدان المصنعة كانت في القرن التاسع عشر تعتبر أن الأمي هو الشخص الذي يجهل كتابة اسمه، ومع مطلع القرن

من المعاني الأساسية للأمية ذهاب روح العلم وضياع مقاصده الأصلية

العشرين حتى منتصفه كان يعتبر أميا كل شخص لا يجيد القراءة والكتابة، وهو المفهوم الذي تعتمده معظم البلدان في إحصاءاتها للأميين(١٣).

٣- إنه مفهوم كلي مرتبط بوظيفة الإنسان في الوجود، وليس مفهومها جزئيا، فهو يشمل كل المعارف النافعة للإنسان في دنياه وآخرته، بينما المفهوم الغربي- والذي اعتمدته اليونسكو وتبنته معظم دول العالم الإسلامي- مفهوم جزئي مبتور عن العلوم والمعارف النافعة في الآخرة (١٤).

٤- إنه مفهوم وظيفي، فالإنسان الأمي في القرآن والسنة هو الذي يفتقد علما من العلوم أو معرفة من المعارف النافعة له في عاجل أمره أو آجله، وبإمكانه تحصيلها ولكنه لا يفعل.

٥- إن المعايير التي تحكم هذا المفهوم ليست معايير مادية فقط، كما في المفهوم الغربي للأمية، الذي يربطها بالتطور المادي والعمراني لحضارته(١٥)، وإنما هي معايير شاملة، تشمل الأخلاق والمعرفة والرقي المادي والمعنوي.

٦- إن مفهوم الأمية في الإسلام تحكمه النظرية المعرفية في الإسلام، والتي تتلخص في أن المعارف الإنسانية الحقة تستقي من السنن التشريعية (سنن الهداية) والسنن التكوينية (سنن الآفاق وسنن الأنفس)، فكل جهل بنوع من هذه السنن يحول دون وظيفة الإنسان في الوجود، المتمثلة في العبودية لله وفق ما شرع، والخلافة له في الأرض وفق ما أراد، فهو أمية يجب القضاء عليها، بينما المفهوم الغربي للأمية يرتبط بجهل السنن التكوينية فقط.

الهوامش

(١) هو د.طه جابر فياض العلواني، مفكر إسلامي معاصر ولد في الفلوجة بالعراق عام ١٩٣٥م، حصل على الشهادة العالية من كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر عام ١٩٥١م والدكتوراه عام ١٩٧٢م، وهو من الأعضاء المؤسسين للمعهد العالمي للفكر الإسلامي في واشنطن عام ١٩٨١م.

(٢) طه جابر فياض العلواني، إصلاح الخطاب الإسلامي.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١، ٥٧٣.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص ٣٤، حرف الميم فصل الهمزة.

(٥) ابن منظور، ن م، ج١٢، ص ٣٤.

(٦) محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن، ص ١٤.

(٧) التحرير والتنوير، ج١، ص٥٧٤، ٥٧٥.

(٨) التحرير والتنوير، ج١، ٥٧٤.

(٩) هو الإمام أبوعبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد من بني ذهل بن شيبان، أحد الأئمة الأربعة، ولد ببغداد عام ١٦٤هـ، رحل في طلب العلم إلى أمصار كثيرة وتتلمذ على شيوخ أفذاذ أمثال الإمام الشافعي والقاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة وسفيان بن عيينة وهشيم بن بشير وعبدالرحمن بن مهدي، ابتلي بمحنة خلق القرآن فثبت واظهر الله على يديه مذهب أهل السنة، له مصنفات كثيرة منها: المسند وفيه ٣٠ ألف حديث، و«المسائل» و«الأشربة» و«فضائل الصحابة»، توفي عام ٢٤١هـ.

(١٠) هو الصحابي الجليل أبوعبدالله زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدي بن أمية الأنصاري الخزرجي، خرج إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأقام معه بمكة حتى هاجر إلى المدينة، فكان يقال له مهاجري أنصاري، شهد العقبة وبدرا والمشاهد كلها واستعمله الرسول على حضرموت. (موسوعة الحديث الشريف، ق م، CD-R).

(١١) عمر عبيد حسنة، من تقديمه كتاب: كيف نتعامل مع القرآن للشيخ محمد الغزالي، ص١٦.

(١٢) عمر عبيد حسنة، م س، ص ١٤.

(١٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٥، ص ٢٧٥٩

(١٤) سعيد إسماعيل علي، الأمية في الوطن العربي-الوضع الراهن وتحديات المستقبل- الطبعة الأولى، (عمان، الأردن: مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية، ١٩٩١)، ص ٣٩.

(١٥) أندري لستاج، الأمية ومحو الأمية- دراسات ووثائق تروية، العدد ٤٢،(باريس١٩٨١)، ص٥.

هذا العرض هو محاولة لاستجلاء مكانة التنمية في المؤسسات اللغوية، وهو بعبارة أخرى يعكس أهم المجالات التي تظهر فيها اللغة كرأسمال يستثمر فعلًا في التنمية، إنه قراءة في محتوى التقارير اللغوية وأهم الاهتمامات ومجالات الأولوية عند اللغويين، إنه يتساءل بلغة الاقتصاديين والتجار والشركات وأصحاب رؤوس الأموال: ما العائد من تعليم وتعلم اللغة العربية؟

اللغة ومجالات التنمية.. قراءة في تقرير ألكسو

د. عبدالمالك اعويش

إن والتقرير الذي سنعتمده في هذه الدراسة يكتسي أهمية خاصة؛ ذلك أنه أنجز بطلب من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية، ولا يخفى علينا اهتمام المنظمة باللغة، والجهود التي قام بها مكتب تنسيق التعريب- وهو أحد المؤسسات المتفرعة عنها- بادية للعيان، وتزداد أهمية التقرير إذا علمنا أنه أنجز من طرف مؤسسة لغوية أخرى، هي معهد التعريب، وعلى يد مديرها آنذاك د.عبدالقادر الفاسي الفهري، وقد ساعده كل من د.محمد غنايم والأستاذة نادية العميري، كما هو مثبت على غلاف التقرير.

ما يهمنا في التقرير ليس هو علاقة اللغة بالتنمية، فهذه حقيقة لا نحتاج التدليل عليها، ولكن الذي يهمنا.. كيف غطى التقرير جوانب العلاقة؟ وما هي المجالات التنموية التي تدخل في دائرة اهتمام اللغة واللغويين؟ وما هي عوائق التنمية العربية؟ ونخص بالتحليل والمناقشة المعوقات اللغوية تحديدًا؛ وذلك بالإجابة عن التساؤلات الآتية: ما هي نقاط القوة التي يمكن أن تتشكل في تقاطع اللغة بالهوية، واللغة بالدين، واللغة بالاقتصاد، واللغة بالمعلوميات، واللغة بالسياسة، واللغة بالتعليم...؟

ألـكسـو
ALECSO

للحديث عن وضع اللغة العربية في الوقت الحاضر واستجلاء قضاياه البارزة لابد من التذكير ببعض الحقائق المتصلة بماضي هذه اللغة وتاريخها.

■ فاللسان العربي يعتبر أول لسان يعمر طويلًا، حوالي سبعة عشر قرنًا، محتفظًا بكل مقوماته وبنيانه الداخلي، وهذا عامل قوة للعرب لمراكمة المعلومات، لأن الخروج من لسان إلى لسان كسقوط الأنظمة والدول يدعو إلى البدء من جديد في سلم الحضارة.

■ إن اللغة العربية قد ارتبطت في تطورها وتقدمها ولحظات قوتها بالعقيدة والدين الإسلامي، فهي لغة القرآن والسنة ولذلك ارتبط رصيدها الثقافي والفكري أو معظمه بهذه الأصول وما يتفرع عنها، ومن هنا اكتسبت اللغة العربية عند الخاصة والعامة صبغة القداسة والتوقير.

■ اللغة العربية كسائر اللغات كائن اجتماعي حي تسري عليه سنن التطور والتجديد ويتوقف عليها بقاؤه، وقد تبين لعلماء اللغة في صدر الإسلام هذه الطبيعة النسبية للغة في مقابل إطلاقية النص القرآني، فلم يترددوا في إصلاح اللغة العربية وتطويرها بما أقدموا عليه من تأصيل قواعد النحو والصرف والإعراب، ووضع أنظمة الخط كتطوير الخط والشكل والتنقيط والمد والوصل والإمالة، وصناعة المعاجم والرسائل الموضوعاتية من غير أن ينكر عليهم أحد هذا الصنيع(١).

يشهد تاريخ اللغة العربية أهم الهجمات التي تعرضت لها هذه اللغة وعلى أهم المحطات التي كانت تصارع فيها من أجل البقاء، وكانت أولاها ضد اللحن، فقام اللغويون والنحاة بعمل جليل يهدف إلى تحصين اللسان بالنسبة لأبناء العرب وتحصيله بالنسبة لغيرهم، وفي صدر الدولة العباسية واجهت اللغة العربية تحديًا آخر هو تحدي الشعوبية، فخرجت منه منتصرة بجهود الغيورين والحاملين سماحة الإسلام، وجاء عصر الركود فأثر سلبًا على العربية لزمن ليس بالقصير، يكاد يمتد إلى دولة الأتراك حيث استُغل هذا الضعف لتدخل العربية في مواجهة العصبية التركية، خرجت منها بتبني الحرف اللاتيني في كتابة

■ أكاديمي مغربي

التقرير يهتم بتعزيز الجودة والتعليم المبكر باللغة وإنشاء هيئة قومية عربية مستقلة

التركية عوضًا عن الحرف العربي، فخسرت العربية جزءًا من جغرافيتها، ثم جاءت الفترة الاستعمارية فكانت المقاومة اللغوية تقف في الجبهات مثلما تقف المقاومة العسكرية، فهذا عبدالحميد بن باديس يرفع شعاره التاريخي في مواجهة الاستعمار وهو «الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا»(٢)، فيقرن القومية بالدين وبالقطرية في الدعوة إلى التحرر والاستقلال، وكان هدف المخطط الاستعماري هو القضاء على العربية، فهذا اليوطي يقول في شأن اللغة: «من الناحية اللغوية علينا أن نعمل على الانتقال مباشرة من البربرية إلى الفرنسية...، فليس علينا أن نعلم العربية للسكان الذين امتنعوا دائمًا عن تعلمها، إن العربية عامل من عوامل نشر الإسلام، لأن هذه اللغة يتم تعلمها بواسطة القرآن، بينما تقضي مصلحتنا أن نطور البربر خارج إطار الإسلام»(٣).

والنص الذي قدمنا يشهر سلاحًا ذا حدين، فإذا كان هدف السلطات الاستعمارية هو إلحاق مستعمراتها لغويًا أي فرنسة المحميات الفرنسية، فهو يتخذ لذلك طريقًا يجنبه الخسائر، فيفصل بين العربية واللهجات المحلية وكذا العاميات، فتم الفصل في شمال إفريقيا بين العنصر العربي والعنصر البربري(٤)، ومن ثم تفكيك عرى المجتمع ليفسح المجال أمام سياسة المستعمر ويسهل عليه الانقضاض على الخصم.

فهذا إذن واقع اللغة العربية المرير حتى زمن الاستعمار، وبعد الاستقلال تم التخطيط لما يسمى بالتعدد اللغوي في البلدان العربية، والذي كانت معالجته إلى حدود منتصف القرن الماضي من باب العفوية تحكمها العادة والعرف والاعتباطية، فأصبحت معالجة الملف اللغوي من بين ملفات الشأن العام التي يفصل فيها السياسي قبل العالم، وحتى اللغوي الذي يتصدى للملف إنما يكون يهدف التموقع السياسي على حساب هذا الملف فكانت الحلول غالبًا ما تكون تعسفية.

■ تعايش اللغة العربية مع العاميات واللهجات المحلية في غالبية البلدان العربية، كالكردية في العراق والأمازيغية في المغرب العربي، وهذا لا يتهدد اللغة العربية لأن هذه الثنائية- ما لم تأخذ طابعًا سياسيًا عرقيًا- فهي تتكامل وظيفيًا مع الفصحى ولا تدخل معها في تنافس مصيري.

■ لكن الخطر الذي يتهدد العربية هو الازدواجية التي تعيشها مع اللغات الأجنبية سواء الفرنسية أو الإنجليزية، حيث ينظر للغات الأجنبية على أنها لغات التقدم والرقي الثقافي والعلمي، فتكون النتائج سلبية على هوية المتعلم وملكته وطاقاته التعبيرية(٥).

وفي تحليلنا لفقرات هذا التقرير لابد من اعتباره بنية لغوية مغلقة حتى لا نتيه، وحتى نلتزم بكل ما ألزمنا به أنفسنا من خلال عنوان هذا العرض، فالتقرير يعتبر بنية متكاملة المحاور والأقسام والعناوين الفرعية التي هي بمنزلة فصول ومباحث وفروع، دون أن نغفل بطبيعة الحال العنوان الأصلي للتقرير وما يوضح حيثياته وظروفه من هوامش تبين الغرض منه والجهات المسهمة في إنجازه، إما طلبًا أو إعدادًا أو مدارسة أو تنفيذًا لقراراته وتوصياته، مرورًا بمقدمة التقرير ووصولًا إلى خاتمته.

إن اللغة هي وسيلة الحركة الإنسانية كلها، في المجال العلمي والسياسي والثقافي والإعلامي والاجتماعي والتربوي، فاللغة وعاء ذلك كله ووسيلة ذلك كله، وإذا تراجعت اللغة توقفت الحركة الإنسانية وانقطع الاتصال والتواصل والتفاهم؛ ذلك أن اللغة هي من أهم وأدق المواصلات وأوعية المعلومات وتواصل الأجيال(٦)، وإذا كان بإمكان المرء أن يتصور مجتمعًا معاصرًا دون أنظمة الرموز اللغوية المتطورة فإنه لا يتخيله خاليًا من المطابع والمطبوعات ووسائل الإعلام والهاتف والانترنت، ومن المدارس والجامعات ومراكز البحوث ومن الأبناك والأوراق المالية، ومن المواصلات والعلوم بمختلف تخصصاتها...، فتراكم التجارب والمعارف ما كان ليتم إلا بفضل اللغة ومن ثم فإن تقدم الإنسان في جميع جوانب الحياة شاهد على تقدم اللغة، وهذا ما دفع اللغوي الشهير اندرسون إلى اعتبار اللغة الأساس الصلد الذي تقوم عليه قصة الأمة(٧).

اللغة والدين

نقصد بالدين كل العلوم والممارسات التي لها علاقة بالعلوم الشرعية، و في هذا الإطار يقول ابن تيمية: «إن اعتبار اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرًا قويًا بينًا، ويؤثر أيضًا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق»(٨)، ولقد كرم الله تعالى اللغة العربية ورفعها إلى مقام الشرف الأعلى حين أنزل بها خاتمة الرسالات، واتفقت أقوال العلماء في تصنيف اللغة وعلومها مع علوم الشريعة، وأنزلوها منزلة الفقه والأصول والتفسير(٩)، واعتبروا الاشتغال بها من فروض الكفاية وقد تصل إلى حد الوجوب على الفقيه، يقول ابن جني: «فمطلوب من الفقيه شرعًا أن يعلم العربية؛ لأنها وسيلة واجبة لتأمين الاعتقادات، وما لا يتم الواجب

إلا به فهو واجب؛ ولأن أكثر من ضل من أهل الشريعة عن القصد فيها مرده إلى ضعفه في هذه اللغة الكريمة»(١٠)، ومنهم من ذهب إلى أن العلم هو الدين كما قال عمرو بن العلاء: «علم العربية هو الدين بعينه»(١١).

وهذا ما جعل اللغة العربية ذات رمزية وقدسية بالنسبة لما يقرب من مليار وربع المليار مسلم، بها يقرأ القرآن ويذكر الله وحتى لو ترجمت عبارات الله أكبر والفاتحة فلن تبين بيان لسان القرآن(١٢).

اللغة في المجال السياسي

نتبنى قولة د.عبدالله النفيسي فنقول: «يخطئ من يظن أن اللغة وعلومها هي من شواغل اللغويين والنحاة ولا علاقة لها بالحياة الاجتماعية والسياسية»(١٣)، لكننا نلتمس له العذر في الخطأ؛ لأن الدراسات التي تبحث في علاقة اللغة العربية بالبعد السياسي والاجتماعي والاقتصادي نادرة، رغم أن الخطاب اللغوي يعج بمئات النصوص التي تطرقت لقضايا واقعها بالتحليل والمعالجة، بدءا من الأشعار الجاهلية التي عالجت موضوعات الصلح والحرب والتفرقة، ومع ظهور الإسلام برزت نصوص تهاجم أعداء الإسلام ونصوص تناولت الخلافة والصراعات المذهبية وأصول الحكم(١٤).

وعلى العموم فإن علاقة اللغة بمنظومة السياسة مبنية على المصلحة، فاللغة أداة في أيدي الساسة قد تستعمل كسلاح أو كردع، احتواء أو استعبادًا، وفاقًا أو صراعًا، بناء أو هدمًا، جسرًا أو عائقًا(١٥)، فاللغة إذن مصدر للقوة، وهذه حقيقة أدركها الساسة والحكام منذ القديم من فراعنة ويونان وقياصرة وحتى المجالس البلدية والبرلمانية، وقد برع الخطاب السياسي في

العربية..لغة التكامل الاقتصادي والسياسي لهذه الأمة

استخدام أسلحة اللغة، فهو يبطن أكثر مما يظهر، ويستخدم الكلمات الأخاذة ليلهب بها مشاعر الجماهير ويخمد نار سخطهم.

ونستطيع أيضًا أن نثبت العلاقة فيما كتبه رولان بارت عن نشأة البلاغة التي ترجع في أصولها الأولى إلى المحاكمات حول الملكية، حيث قام طاغيتان من صقلية جيلون (Gelon) وهيرون (Heron) حوالي ٤٨٥ ق.م بتهجير السكان ونقلهم وبمصادرة للملكية من أجل إعمار سيراكوزة وتمليك المرتزقة، وبعد أن أطاحت بهما انتفاضة ديموقراطية، وأريدت العودة إلى الوضع السابق حدثت نزاعات قضائية لا تحصى...(١٦)، وكانت السبب في نشأة البلاغة.

ومن الشيق ملاحظة أن فن القول مرتبط في أصوله بالمطالبة بالملكية، بل إنه يسهم في تثبيت الأوضاع، كما يسهم في تغييرها أو إسداء النصائح أو إيصال المعلومات أو الإقناع برأي أو تجييش جيش أو التعبير عن موقف أو إدلاء بشهادة.



ونأسف عندما نجد الساسة العرب لا يعتزون بالعربية ولا يولونها العناية المستحقة رغم أنها لغة التكامل الاقتصادي والسياسي لهذه الأمة(١٧)، ولغة الإعلام النافذة في الصحف والمجلات والإذاعات والقنوات الفضائية وكل هذه الوسائل أظهرت نجاعتها في ململة الواقع العربي وتمكين المواطن العربي من حقه في المعلومة مثل الجزيرة وأرت وقناة أبوظبي... ونأسف أيضًا لاستصدار وثيقة تنظيم الإعلام العربي من طرف وزراء الإعلام العرب، ودور وزراء الداخلية إنما ينبني في أساسه على تحديد المعلومة المرخص لها والمعلومة المحرمة، ولكون مصادر الإجرام والإرهاب غالبا ما تنسب إلى التضييق على الفرد في حقوقه بما في ذلك حقه في هويته وحقوقه اللغوية(١٨).

اللغة والاقتصاد

لقد أصبحت المعرفة قوة دافعة ومحركًا أوليًا للاقتصاد الحديث، فهي تعد من أهم وسائل زيادة إنتاجية العمال والمصانع والحقول، وهذه حقيقة يمكن الوصول إليها بكل اللغات، لكن إذا تمكن المواطن العربي من إتقان لغته واستعمالها فإنه يستطيع أن يبدع ويشارك في إثراء بلده، وقد أصبح الآن واضحًا للعيان مدى الارتباط القوي بين اللغة القومية وصناعة التحرر والاستقلال والتقدم الصناعي والاقتصادي والتبادل التجاري، يقول الفاسي الفهري: «إن تعميم العربية باعتبارها لغة التواصل

الملائمة لدى القوى العاملة التي ستمكن من الزيادة في سرعة التنفيذ والإنتاج، بل إن تعزيز العربية في الإدارة والاقتصاد والاتصال والتكنولوجيا شرط ضروري للنمو الاقتصادي والتنمية الاجتماعية، وإن استعمال العربية بصورة ملائمة في تقنيات الإعلام الجديدة ستمكن من اتساع مجالها ودمقرطتها»(١٩).

ومن خلال رصد التقرير لأوضاع الاقتصاد العربي فإن هذا الأخير يتوفر على مؤهلات قوية وفرص للإقلاع لكنه لا يحسن استثمارها، فالعرب يمثلون قوة بشرية وسوقًا عربية مشتركة، ولهم ثروة طبيعية وموقع جغرافي استراتيجي، إلا أن نسبة النمو ضعيفة ودخل الفرد لم يتغير تقريبًا خلال العقود الخمسة الماضية، والصناعات العربية تقليدية وليست صناعة قائمة على المعرفة، ومرد هذا الوضع بالأساس إلى عدم تطوير اقتصاد المعرفة القائم على اللغة أساسًا(٢٠)، إذ الأشياء لا تملك قيمة في نفسها بل بما تكتسبه من قيمة رمزية عند الجماعة البشرية التي تتداولها، وقيمتها مستمدة من قيمة جماعتها، ومثال ذلك الأوراق المالية وحتى السلع نفسها تجد سلعة الدول الضعيفة بخسة وسلعة الدول المتقدمة باهظة، وقد أسهب المفكر الغربي فلوريان كولماس في إيضاح علاقة اللغة بالاقتصاد، وتحدث عن الأهمية الاقتصادية للغة وطرق تفاعل اللغة مع الاقتصاد، وكيف ترجع اللغة الأقوى وكذا اللغة الموحدة على أهلها بالثراء(٢١).

كانت هذه إذن أهم المجالات التي تبرز فيها مكانة التنمية في تصورات اللغويين، ونعتقد أنها غير وافية؛ لأن اللغة هي رافعة التنمية وجسر العبور إليها، وهناك



مجالات أخرى كميدان التعليم والإعلام والصناعة والفلاحة والبيئة، وقد أشار إليها التقرير إشارات خفيفة لا تشبع رغبة من يتطلع إلى المزيد.

المعوقات اللغوية التي تواجه التنمية

نستطيع الجزم بأن هذه المعوقات لا ترجع إلى جوهر اللغة ولا إلى بنيتها بقدر ما تعود إلى ذهنية القائمين عليها، ونستطيع أن نصنف هذه المعوقات إلى صنفين:

١- صنف يتعلق بالضعف في تطوير المنظومة اللغوية، كصناعة المعاجم وتيسير قواعد النحو والصرف وتوحيد المصطلح ودعم الترجمة والتأليف بالعربية وإصلاح برامج التعليم.

٢- وصنف يتعلق بمعوقات ذات مصدر غير لغوي مثل:

- التعددية اللغوية التي تصل إلى حد التصارع، كما هو الحال بين العربية واللغات الأجنبية في المواقع الإدارية والتعليم العلمي، ويتخذ طابعًا تنافسيًا مع اللهجات المحلية كالأمازيغية والعامية مثلًا، وهذا يحتاج إلى قرار سياسي وسياسة لغوية رشيدة تمكن اللغة الرسمية وظيفيًا وعمليًا في مجالات الحياة الاجتماعية كالتعليم والإعلام والمعلوميات.

- عدم الاستثمار في اللغة العربية.

- عدم تعميم التعليم الأولي باللغة الرسمية.

- عدم تكافؤ الفرص في الشغل بالنسبة للمتعلم بالعربية مع غيره الذي تعلم باللغة الأجنبية.

- تقصير المجتمع في حماية اللغة.

- ضعف استعمال اللغة في عالم المعلوميات والانترنت.

بعض المقترحات للنهوض باللغة

يقترح التقرير في فقرته الثالثة مجموعة من الحلول لتجاوز الأوضاع التي تعيشها اللغة العربية حتى تدخل في دورة التنمية والحضارة ومنها:

- أن تتحمل الدولة مسؤوليتها وكذا المجتمع في تأهيل اللغة في مختلف ميادين المعرفة والثقافة والحياة العامة والأنشطة الفنية والإعلامية والإشهارية.

- اتخاذ الحكام للتدابير التشريعية اللازمة والقرارات الحاسمة والملزمة باستخدام العربية في كل مجالات التواصل والتعليم الأساسية، ورسم الخطط التنفيذية والإجرائية لبلورة هذا الاختيار.

- وضع حد للسياسات المزدوجة القائمة على سياسة صريحة رسمية (في النصوص التشريعية)، وسياسة ممارسة في الواقع قائمة على الاستعمال الفعلي للغة الأجنبية الذي يكاد يكون أحاديًا في المعاملات الاقتصادية أو الإدارية أو التعليم العلمي والتقني.

- تبني سياسة لغوية تنظر إلى اللغة على أنها مسألة هوية وخصوصية ينبغي الذود عنها لأسباب ثقافية وحضارية

وتاريخية مرتبطة بالتنمية المعرفية والاقتصادية.

– دعم التعريب من الروضة إلى الجامعة وتعميم التعليم بالعربية.

– ضرورة تنمية اللغة العربية وارتباطها بالتنمية الاقتصادية وتنمية مجتمع المعرفة بما لا يتنافى وإتقان اللغات الأجنبية.

وأضاف التقرير سلسلة من المقترحات تحت عنوان «الخطط اللغوية ووسائل النهوض»، منها ما يهتم بالتشريع ومنها ما يتعلق بالاقتصاد والمعلوميات وتوفير الحماية والدعم للغة العربية.

كما اهتم التقرير بتطوير التعليم بتوخي الجودة وتعزيز التعليم المبكر باللغة العربية، وتأهيل المعلم العربي، وإحداث هيأة قومية عربية مستقلة لضمان جودة التعليم العربي.

ويخلص التقرير في خاتمته إلى أن اللغة العربية حظيت بفرصة تاريخية تحولت على إثرها من لغة تواصل وأدب لقلة من الأفراد إلى لغة علم لمئات الملايين من العرب والمسلمين، وكونت حولها هوية قومية اختلفت أجناسها وأديانها وتجاربها الاقتصادية، لم يوحدها شمولاً إلا اللسان الذي انبعثت منه عناصر أخرى للوحدة، وليس في المنظور القريب أو البعيد أي فرصة للغة أخرى يمكن أن توحد هذا العدد من البشر.

ولقد أتيحت الفرصة للغة العربية أن تصبح لغة علم وتقنية بمعجزة القرآن والإسلام، ولن تتاح للغة أخرى هذه الفرصة كذلك، وأي محاولة لتغيير اللغة العربية بلغة أجنبية سيبوء بالفشل ويؤدي إلى هز الاستقرار والأمن في المنطقة العربية والإسلامية لما للغة من مكانة عند المواطن العربي والمسلم(٢٢).

خاتمة

خير ما نختم به هو أن اللغة العربية لن تتقدم إلا بنبض الشارع المتكلم بها والغيور عليها، والذي يعتبرها رمزًا للهوية التي ينبغي اعتبارها الجزء الأهم في أي دراسة أكاديمية ميدانية تجري حول اللغة إذا ما أريد للنظرية اللغوية أن تتطور(٢٣)، وتصبح فاعلة في تطوير المجتمع لما يوجد بين الاثنين من تكامل يصل إلى درجة الانعكاس، كما ذهب إلى ذلك كل من ابن حزم وابن خلدون عندما نص كل منهما على أن قوة اللغة في قوة أصلها، وغلبتها غلبة أهلها، يقول الأول: «إن اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم، أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم، فإنما يقيد لغة الأمة علومها وأخبارها وقوة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم، وأما من تلفت دولتهم وغاب عليهم عدوهم، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم فمضمون منهم موت الخواطر، وربما كان ذلك سببًا لذهاب لغتهم، ونسيان أنسابهم وأخبارهم وبيود علومهم، هذا موجود بالمشاهدة ومعلوم بالعقل ضرورة»(٢٤).

ويقول ابن خلدون: «اعلم أن لغات أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة أو الجيل الغالبين عليها أو المختطين لها، ولذلك كانت لغات الأمصار الإسلامية كلها بالمشرق والمغرب لهذا العهد عربية وإن كان اللسان العربي المضري قد فسدت ملكته وتغير إعرابه، والسبب في ذلك ما وقع للدولة الإسلامية من الغلب على الأمم، والدين والملة صورة للوجود وللملك وكلها مواد له، والصورة مقدمة على المادة، والدين إنما يستفاد من الشريعة وهي بلسان العرب لما أن النبي ﷺ عربي فوجب هجر ما سوى اللسان العربي من الألسن في جميع ممالكها ...».

إن هذه الترسانة من التقارير والقوانين تحتاج إلى تفعيل، وإن العربية لا تستحق منا هذا الجفاء وهذا التهميش والسكوت على التكالب الخارجي، فهي تحتاج الآن إلى أعمال وقفية من طرف اللغويين أولا بتضحياتهم، ومن طرف رجال الأعمال ثانيًا بأموالهم، ومن الحكام وأصحاب القرار ثالثًا بدعمهم وتشجيعهم.

الهوامش

١- أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٩.
٢- ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، دون تاريخ.
٣- جون جوزيف، اللغة والهوية، ترجمة عبدالنور خراقي، عالم المعرفة، عدد ٣٤٢، سنة ٢٠٠٧.
٤- الحسن مادي، السياسة التعليمية بالمغرب ورهانات المستقبل، منشورات مجلة علوم التربية، – ٤- ط ١، ١٩٩٩.
٥- حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، بحث استطلاعي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، ١٩٨٥.
٦- رولان بارت، البلاغة القديمة، ترجمة عبدالكبير الشرقاوي، نشر الفنك ١٩٨٤.
٧ – الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، ١٩٧٩.
٨- سعيد الأفغاني، نظرات في اللغة عند ابن حزم، دار الفكر، ط ٢، ١٩٦٩.
٩- الشريف الجرجاني، التعريفات، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط١، ٢٠٠٦.
١٠- عباس الجراري، في الشعر السياسي، دار الثقافة، ط ٢، ١٩٨٢.
١١- عبدالرحمن بودراع، مصطلح اللسان في العلوم الشرعية، ندوة الدراسة المصطلحية، ١٩٩٦.
١٢- عبدالعالي الودغيري، الفرنكفونية والسياسة اللغوية والتعليمية، ص١، ١٩٩٣.
١٣- عبدالعالي الودغيري، اللغة والدين والهوية، ط ٢٠٠٠.
١٤- عبدالقادر الفاسي الفهري، دعم اللغة العربية، تقرير للألسكو، مارس ٢٠٠٤.
١٥- عبدالقادر الفاسي الفهري،اللغة والبيئة منشورات الزمن، كتاب ٣٨.
١٦- عمر عبيد حسنة، اللغة وبناء الذات، تقديم كتاب الأمة ع ١٠١، سنة ١٤٢٥هـ.
١٧- فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، ترجمة أحمد عوض، عالم المعرفة ٢٦٣.
١٨- قضايا استعمال العربية في المغرب، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الندوات، نونبر ١٩٩٣.
١٩- اللغة العربية أسئلة التطور الذاتي والمستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية ط ١، ٢٠٠٥.
٢٠- محمد سبيلا، اللغة، دار توبقال للنشر، سلسلة دفاتر فلسفية، ط ١٩٩٤.
٢١- محمد كامل حسين، اللغة والعلوم، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع ١٢.
٢٢- نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، عالم المعرفة، ع ٢٧٦.
٢٣- نبيل علي، الفجوة الرقمية، عالم المعرفة، غشت ٢٠٠٥.
٢٤- وجيه حمادة عبد الرحمان، اللغة العربية والحضارة الإنسانية، مجلة اللسان العربي، ع ٣٥، ١٩٩١.



انفضوا غبار النسيان عن فنون اللغة

تعد اللغة - أي لغة- أحد ظلال قائليها وأحد تجليات مستوى الحياة التي وصلوا إليها، ولا أدل على ذلك في تاريخ لغتنا من القصة المنسوبة إلى علي بن الجهم وتبدل معجمه بتبدل بيئة إبداعه.

ويعد بعض المُحدَثين اللغة كائناً اجتماعياً، وعليه فإنه يسري عليها ما يسري على أي كائن اجتماعي من نمو وترقٍ واصطفاء، على قاعدة البقاء للأنفع، كما هو التصور الإسلامي الحق للحياة وقيمها، ومن ثم فإن اللغة العربية باعتبارها إحدى أهم اللغات الإنسانية لا تشذ عن هذه القاعدة من حيث اكتنازها عبر مسيرة تاريخها وتاريخ أهلها والناطقين بها كنوزا من التراث رافقت الأيام في خلودها وطاولت الأنجم في علوها، فقد حوت أفانين من القول ما بين شعر ونثر وقصة ورواية ومقامة وأساليب من الأداء لا تحصى.

وعلى الرغم من السهام التي وجهت إليها ولا تزال توجه من أطراف داخلية وخارجيه حاقدة بحجة عدم محاكاتها للعصر، فإنها ظلت باقية خالدة، تنفض عن نفسها بين الحين والآخر غبار النسيان لتظهر من ورائها تلك اللآلئ النفيسة التي لا ينطفئ بريقها. وما على الأدباء واللغويين اليوم إلا أن يُفَعِّلوا هذه الفنون اللغوية لتكون المثال الحي على قوة وثراء لغتنا وأدبها.

التحرير



القصة القصيرة جداً.. هل يمكن توظيفها في الدعوة؟

إبراهيم نويري

تعرّف قراءُ لغة الضاد خلال السنوات القليلة الماضية على فن أدبي جديد عُرف باسم: «القصة القصيرة جدا»، وإن كانت بعض الآداب العالمية الأخرى قد عرفت هذا الفن الأدبي قبل عدة عقود خلت، مثل الأدب الفرنسي، والأدب الياباني الذي عرف هذا اللون من الأدب بواسطة فن «الهايكو» وهو عبارة عن بيت واحد من الشعر مكتوب في ثلاثة أسطر يتضمن أفكارا عميقة أو أحاسيس عارمة، وينسب بعض مؤرخي الأدب هذا الفن السردي إلى الأديبة الفرنسية «ناتالي ساروت» التي كتبت هذا اللون الأدبي ونشرته لأول مرة سنة ١٩٣٢م، في صورة مجموعة قصصية صغيرة بحجم كتيب الجيب بعنوان «انفعالات»، لكن بعض الباحثين يشكك في ذلك، وينسب هذا الفن الأدبي إلى أديب عراقي يُدعى «نوئيل رسام» الذي كتب قصة قصيرة جدا سنة ١٩٣٠م، ونشرها تحت عنوان «موت فقير»، أي قبل ظهور قصص ناتالي ساروت بسنتين.

ماهية القصة القصيرة جدا هي عبارة عن فن نثري قوامه أو أساسه تكوين حكائي سردي هندسي جمالي معرفي، يفضي بالذات الإبداعية إلى مناخات وفضاءات غير محدودة، مؤطرة بنزعة غرائبية موغلة في الذاتية، لكنها مع ذلك قائمة على عنصري المفاجأة والومضة السريعة أو ما يُسمى الاقتضاب السردي، والانتقال عبر الصورة المركبة، ومن ثمّ يمكن القول بأن القصة القصيرة جدا جنس أدبي قائم بذاته ذو إمكانات تعبيرية خاصة، لكنه يحفل بالكثير من الصعوبات المتكئة على الاختزال والتكثيف، أو ما يُسمى «الاقتصاد اللغوي».

وعبارة «جدا» في اسم هذا الفن الأدبي، تشير إلى أهم مميزاته المتمثلة في قصر الحدث وقوة التكثيف وبلاغة السرد، بحيث لا يبرحها القارئ دون أن تترك في نفسه ديناميكية ذهنية تقوده إلى آفاق رحبة للقراءة وإعادة القراءة والتأمل والاعتبار.

- أكاديمي جزائري

هي جنس أدبي قائم بذاته يحفل بكثير من الصعوبات المتكئة على الاختزال والتكثيف

أما عن أهم ما يميّزها عن فن القصة القصيرة، كونها ومضة لا تتسع للتفصيل، إضافة إلى شعرية اللغة القائمة على التناظر ما بين الإيقاع الداخلي والموسيقى الخارجية، وكذا شدة الاهتمام بعنصر المفاجأة.. وعليه يمكن القول بأنها أقربُ إلى قصيدة النثر منها إلى القصة القصيرة أو الأقصوصة.

والسؤال المهم الذي ينبغي أن يُطرح في هذا السياق.. هل يوجد إمكانٌ للاستفادة من هذا الفن الأدبي وتوظيفه في خدمة الدعوة الإسلامية والأدب الإسلامي وترشيد السلوك وتنمية قيم الخير والجمال والحب بين الناس؟

لا شك أن أي فن أو أيّ إطار فني أو أدبي أو نحوه، يمكن الإفادة منه، وتطويعه لخدمة فكرة معينة، والتمكين لتصوّر وجودي وعقدي معيّن، فكما استطاع الأدب الإسلامي المعاصر تطويع الرواية والقصة والمسرحية والسيناريو لنشر الفكرة الإسلامية بأبعادها الشاملة، فمن البداهة أنه بإمكانه كذلك الإفادة من إطار القصة القصيرة جدا، بل إننا نجزم بأن القصة القصيرة جدا، فن ملائم لخدمة قيم الإسلام العامة، في وقت لم يعد للناس الوقت الكافي لقراءة النصوص الطويلة، والأعمال المسهبة المفصلة، بسبب تعقيدات الحياة المعاصرة، وهيمنة ثقافة الصورة، التي مكّنت لها وسائط الاتصال الحديثة بتقنياتها المتعددة.

ولعله من المناسب هنا أن نقدم مثالا بهذه القصة القصيرة جدا، التي كتبتها كاتبة تُدعى «نجمة أملج» بعنوان «سحلية».. هذا نصها: «في محاولة رجل ياباني تجديد بيته قام بنزع جدران بيته،

وعندما نزع أحد الجدران وجد سحلية عالقة بالخشب من إحدى أرجلها، انتابته رعشة الشفقة عليها، لكن الفضول أخذ طريق التساؤل عندما رأى المسمار المغروز في رجلها يعود إلى عشر سنوات خلت، أي عندما أنشأ بيته لأول مرة، دار في عقله سؤال.. ما الذي حدث؟ كيف تعيش سحلية مدة عشر سنوات في فجوة بين الجدران يلفها الظلام والرطوبة دون حراك؟ توقف عن العمل وأخذ يراقب السحلية، ثم تساءل: كيف تأكل؟ فجأة ظهرت سحلية أخرى حاملة الطعام في فمها، دُهش الرجل، واعتملت في نفسه مشاعر رقة، أثارها هذا المشهد».

فهذه القصة القصيرة جدا، خدمت عدة قيم، يدعو لها الإسلام وأدبُه ومنهجه وتعاليمُه، منها الشفقة على مخلوقات الله، ومنها التضامن ومؤازرة الملهوف أو الضعيف والمريض والمقعد، وبما أن سحلية صغيرة قامت بهذا الواجب تجاه نوعها، فكيف يخذل الإنسان نوعه ويتماطل في أداء واجبه الإنساني إزاء الضعفاء والمرضى والمساكين ونحوهم؟ وهو يعلم أنه مستخلف في هذه الأرض ليقوم بمقتضيات واجب الأمانة التي حملها بإرادته الحرة، فاستحق التكريم من خالقه، والتفضيل على بقية المخلوقات.

فالأديب المسلم مطالب من هذا المنطلق الرسالي الإيماني، بأن يعزز هذه القيم وأن يفعّل دورها في السلوك والعلاقات العامة بين الناس، بل إنه مطالب بأن يرسخ في النفوس محبة كل ما خلق الله تعالى من خلائق، أسوة بنبيّه ﷺ الذي أحب الإنسان والحيوان والجماد، وقد أثر عنه وهو في طريق العودة من غزوة تبوك، قوله، عندما لاح له من أفق بعيد جبل أحد: «هذا جبل أحد، جبل يحبنا ونحبه»، وهو حديث صحيح ورد في الصحيحين، برواية عن أنس بن مالك.

ثمرات المطابع

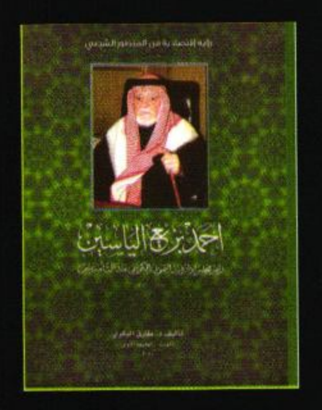
• «أبدع ما نظم في الأخلاق والحكم» كتاب من إعداد لجنة البحوث والدراسات والتوثيق ببرنامج علماء المستقبل من تأليف الدكتور يوسف عبدالغني سنو الحسيني، يقع الكتاب في حوالي ٢٧٥ صفحة من القطع المتوسط، وقد قيد المؤلف- رحمه الله- في كتابه أوابد ما قيل من أشعار الحكمة وألف فيه شواردها وضمها إليه فجاء بحق شعرًا حوى ابدع ما نظم في الأخلاق والحكم وتجلت في أبياته أنوار الحكمة.



• «القدس والمسجد الأقصى.. رؤية فقهية» كتاب من تأليف الدكتور أحمد محمود كريمة يقع في حوالي ١٢٠ صفحة من القطع الصغير، والكتاب تذكرة طيبة بالحق المفقود وعرض فقهي بالبراهين للشاهد والمشهود، واستنهاض لعزائم الغيورين لاسترداد الحق المغصوب.



• «الشيخ الياسين رائد العمل المصرفي الإسلامي» كتاب من تأليف الدكتور طارق البكري، يقع الكتاب في حوالي ١٥٨ صفحة من القطع الكبير، وهو اثراء وتدوين لمسيرة العمل المصرفي الإسلامي وصعوباته وتحدياته وانجازاته الناجحة، والتي كان الشيخ أحمد بزيغ الياسين أحد الموجهين لها والفاعلين في حركتها.



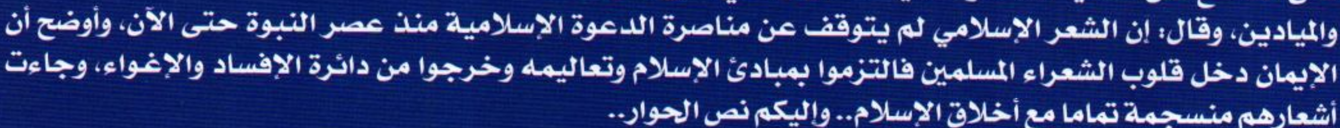
د.عبدالمنعم يونس رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية في القاهرة:

الإسلام ارتقى بالشعر وجعله سلاحًا لمناصرة الدعوة

حوار: إحسان السيد

يترأس د.عبدالمنعم يونس- أستاذ الأدب والنقد بجامعة الأزهر- جمعية رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وهي هيئة أدبية عالمية تضم أدباء وشعراء إسلاميين، وتلتزم بالبعد الديني بعيدا عن الصراع الديني والحزبي.

نشأت رابطة الأدب الإسلامي العالمية عام ١٩٨٥، وأقامت الكثير من الندوات الأدبية في بلدان عربية وإسلامية، مثل مصر والأردن والهند وتركيا والمغرب وغيرهم؛ لحث الأدباء والشعراء والكتاب على تأصيل المعاني والمفاهيم الأدبية وتوظيفها لخدمة قضايا العالم العربي والإسلامي.. «الوعي الإسلامي» التقت د.عبدالمنعم يونس الذي أكد أنه لا خصومة بين الإسلام والشعر، وأن الإسلام ارتقى بالشعر والشعراء، وأوجد تماثلا تاما بين ما يقول الشعراء المسلمون وما يفعلون، وأوضح أن الأدب الإسلامي قادر من خلال المؤمنين به والملتزمين بقيمه وأصوله على الدفاع عن قضايا الأمة وحماية مصالحها في شتى المجالات



والميادين، وقال: إن الشعر الإسلامي لم يتوقف عن مناصرة الدعوة الإسلامية منذ عصر النبوة حتى الآن، وأوضح أن الإيمان دخل قلوب الشعراء المسلمين فالتزموا بمبادئ الإسلام وتعاليمه وخرجوا من دائرة الإفساد والإغواء، وجاءت أشعارهم منسجمة تماما مع أخلاق الإسلام.. وإليكم نص الحوار..



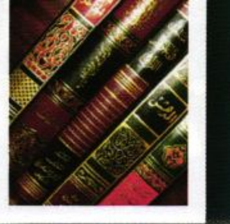
■ ما الدور الذي قام به الشعر في خدمة الدعوة الإسلامية خلال عصر النبوة والعصور التي تليه؟

- لقد قام الشعر في صدر الإسلام بدور رائد في نصرة الدعوة الإسلامية، فقد وقف الشعراء المسلمون خلف رسول الله ﷺ ينصرونه بأسنتهم كما نصروه بألسنتهم.

والتاريخ الإسلامي يشهد بأن شعراء عظاما أمثال حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة استطاعوا أن يدافعوا بشعرهم عن أعراض المسلمين التي حاول شعراء المشركين سلبها، كما نجح الشعراء المسلمون في تسجيل الأحداث التي تعرضت لها الدعوة الإسلامية، فأذكوا حرارة الوطنية بألحانهم وحماس الفدائية وأمتعوا أحاسيس الأمة.

ولا يستطيع أحد أن يحيط بجميع الشعراء الذين كان لهم دور فاعل في خدمة الدعوة الإسلامية، والتصدي لشعراء المشركين الذين هاجموا الإسلام والمسلمين، بل لا يستطيع أن يحيط بشاعر واحد من هؤلاء.

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد نفى عن رسوله الشعر في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ (يس: ٦٩)، فإنه ﷺ اتخذ من الشعر سلاحا لنصرة الدعوة الإسلامية؛ لأن المشركين في أول معاركهم الكلامية مع المسلمين ما كانوا يؤمنون بالقرآن أو يتأثرون بما وصفهم به من سمات المروق عن الدين، وعبادة الأصنام والأوثان، فلابد إذن والأمر كذلك من قيام الشعراء المسلمين بالرد على المشركين بنفس الأسلوب الذي إستخدموه ضد رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين، خاصة أن الرسول ﷺ افهم هؤلاء الشعراء أن القرآن لم يعارض الشعر من حيث هو شعر، وإنما أنكر على المشركين استخدامهم ذلك اللون من الكلام في الهجوم على أعراض المسلمين وصدهم عن الدعوة الإسلامية، فقام حسان بن ثابت رضي الله عنه ومن معه من شعراء المسلمين



بدورهم الذي سجله لهم تاريخ الشعر العربي ورصدته لهم كتب السيرة.

نصر مبين

■ **هل توقف دور الشعر الإسلامي في مجال خدمة الدعوة على عصر النبوة فقط؟**

- لم يتوقف دور الشعر الإسلامي في خدمة الدعوة عند تلك الفترة فحسب، بل استمر يؤدي دوره في مختلف العصور بداية من الفتوحات الإسلامية التي قام بها سيدنا أبوبكر الصديق رضي الله عنه، وسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عصرنا هذا، والذي يتتبع دور الشعر في الحروب الصليبية يجده قد حرك هِمم الأمة الإسلامية، ودفعها إلى الوقوف صفا واحدا أمام الصليبيين.

وعندما توحد المسلمون بقيادة صلاح الدين الأيوبي، وهزم الصليبين في حطين قام الشعراء يرصدون ذلك الحدث، ويهنئون الأمة الإسلامية بهذا النصر المبين.

ويستمر الشعر يؤدي دوره في خدمة الدعوة الإسلامية، مادام هناك لسان ينطق، وعقل يعي، وقلب ينبض، ولقد رأينا الشعر في العصر الحديث يؤدي دوره أيضا في خدمة الدعوة وقضايا الأمة، فيلهب حماس الجند في حرب فلسطين وفي المعارك التي خاضتها الأمة الإسلامية من اجل تحرير أرضها من الاستعمار الأوروبي.

تراث شعري

■ **في رأيكم.. كيف يمكن إحياء التراث الشعري الإسلامي للأمة، والاستفادة به في مناصرة قضايا الأمة في واقعنا المعاصر؟**

- الشعر هو جوهر التراث الفكري والثقافي للأمة العربية والإسلامية، وهو الفن الذي صدح به الشعراء تخليدا لمآثر أمتهم، وتمجيدا لعظمة أبطالهم، وحفزا لهمم رجالهم وفرسانهم، والشعر عنوان حضارة الأمة، والنافذة التي ترى من خلالها نهضتها ورقيها، وإحياءً هذا التراث ومحاولة عرضه بصورة لائقة رائعة يمثل إحياءً لتراث أمة وبعثًا لدور أجيال عديدة.

الأدب الإسلامي قادر على خدمة قضايا الأمة والدفاع عن مصالحها

ولا يمكن لأمة أن ترقى وتنهض وتساير تطورات الحاضر وتطلعات المستقبل إلا إذا استلهمت من ماضيها دليل حاضرها، وأخذت من تراثها مشعلا يضيء لها طريق مستقبلها، وقد وقف الشعر الإسلامي مسجلا لأهم الأحداث العظيمة والاجتماعية.

الإسلام والشعر

■ **هناك من يزعم أن الإسلام يعارض الشعر والشعراء استنادا إلى نفي الله تعالى الشعر عن رسوله في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾.. فما رأيكم في ذلك؟**

- إن موقف الإسلام من الشعر عبرت عنه آيات القرآن بوضوح، فعندما أعلن الرسول ﷺ الدعوة الاسلامية، وجهر بها في ربوع الجزيرة العربية لم يتقبلها العرب طواعية، وإنما قاوموها مقاومة شرسة، والشعر أيضا لم يقف بمعزل من هذه الخصومة التي دارت بين المشركين ورسول الله ﷺ، فوقف الإسلام من هؤلاء الشعراء موقفا تردد كثيرا في القرآن الكريم.. مرة يرمي هؤلاء الشعراء بالغي والضلال، وأخرى ينفي الشعر عن رسول الله ﷺ وعن القرآن، وذلك في قوله تعالى:﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾(الشعراء: ٢٢٤).

ولقد حاول العرب في مقام التعمية على القرآن الكريم للتقليل من قدر رسول الله ﷺ حتى يستطيعوا التوصل من ذلك إلى رميه بالجنون، كما كان يحدث منهم عندما يتقدم بشعرائهم الزمن، وتختلط الأفكار في عقولهم، فيصابون بالجنون، فيحبسونهم حتى الموت.

ولكن هذا لا يفضي بالإسلام إلى طرد الشعراء الذين دخل الإيمان في قلوبهم، فالتزموا بمُثله ومبادئه وتعاليمه، وهذا الالتزام يخرجهم من الإفساد والإغواء، وينأى بهم عن أودية الشر والضلالة، ويخلق تماثلا بين ما يقولون وما يفعلون.

فالإسلام لم يعارض الشعر من حيث هو شعر، وكيف يصنع ذلك وهو يعلم أن الشعر أرقى ما وصل إليه العرب من فنية القول وجمالية التعبير؟

وقد انطلق رسول الله ﷺ في تقييمه للشعر من منطلق إسلامي أخلاقي، ذلك أنه ﷺ يعلم أن الشعر سلاح فعال يحتاج إليه كل صاحب دعوة، وهو يعلم أن هذا السلاح استمر قرونا مسيطرا على قلوب العرب وأفكارهم، وأنهم يتأثرون بأنغامه، وجميل منسجه، وأن القرآن أتى ليخاطب هؤلاء العرب بقوة بيانه، واحكام بنائه، فحاجهم بالإتيان بمثله، فلم يستطيعوا، فكان لابد من توجيه ذلك الفن توجيها يخدم الدعوة الإسلامية، ويدافع عن أعراض المسلمين، ويقف موقفا مناقضا لذلك أمام ذلك الشعر الذي سخره المشركون لمهاجمة رسول الله ﷺ.

قضايا الأمة

■ **ما دور رابطة الأدب الإسلامي العالمية؟**

- ينبغي أن ندرك أن الرابطة تركز على الاهتمام بكافة قضايا الأمة العربية والإسلامية وأزماتها المتلاحقة، لكنها تنتهج منهجا خاصا لمعالجة مشاكلها وقضاياها المستجدة، وتعمل على الدفاع عن مقدساتها الدينية عبر التعريف بالأصول والثوابت الإسلامية، وعدم الدخول مع الغير في قضايا خلافية أو قضايا يمكن أن تُفسد على الرابطة قيامها بنشر الأدب الهادف في سبيل مواجهة الأدب المنحرف دون صراع.





عبدالرزاق نوفل المفكر والأديب

د. محمد عبدالهادي

بطل قصتنا هو مفكر إسلامي كبير، ألف عددًا من الكتب الإسلامية كان لها أثر كبير في العالم الإسلامي وغير الإسلامي.. فمن هو هذا المؤلف؟ وما هي أهم تلك الكتب ذات التأثير الإصلاحي الإيجابي الذي جعل الدول الإسلامية وغير الإسلامية تقبل على ترجمتها ونشرها وتدريسها في معاهدها؟ وما الدافع الذي دفع مؤلفها لتأليفها؟

المؤلف هو عبدالرزاق نوفل الذي ولد في حي عابدين بالقاهرة عام ١٩١٧م، أما أهم الكتب التي ألفها فهي:

١- الله والعلم الحديث.

٢- القرآن والعلم الحديث.

٣-الطريق إلى الله.

أما عن الدافع الذي كان وراء تأليف هذه الكتب فيرجع إلى حادثة تغمر النفس دهشًا وتفكيرًا، وقعت هذه الحادثة ذات صباح من عام ١٩٣٥م، كان عبدالرزاق نوفل قد بلغ الثامنة عشرة من عمره.. وأصبح طالبًا في كلية الزراعة بجامعة فؤاد الأول (القاهرة).

وكانت الأفكار المادية والجدلية الإلحادية قد بدأت تنتشر لأول مرة بين الطلاب الجامعيين بمصر.

وفي هذا اليوم الذي لا ينساه وقف أحد الطلاب من بين زملائه- فجأة- معلنًا أنه يريد أن يجري تجربة عملية مع القوة الخالقة وأنه يعطيها مهلة ساعة كاملة هي فترة المحاضرة المقبلة، وأخرج ساعته فعلًا ليحدد الوقت، وطلب الطالب من الله إذا كان موجودًا أن يميته خلال ساعة فإن مات ينتهي الجدل بين الطلبة ويؤمن الجميع بوجود الله، أما إذا لم يمت خلال هذه الساعة فليبحث المؤمنون عن شيء آخر يؤمنون به، وانتهت الساعة ولم يمت هذا الطالب، وفجأة اتجهت أنظار معظم الطلبة إلى عبدالرزاق نوفل وكأنهم يستنجدون به، كانوا يعرفون عنه- من بعض مناقشاته- أنه مؤمن إيمانًا عميقًا.. مؤمن عن عاطفة وعن علم، ولكن المفاجأة التي أقدم عليها الطالب المتشكك في وجود الله جعلت لسان عبدالرزاق نوفل يتحجر فانصرف مع غيره من طلاب كلية الزراعة إلى منازلهم، ولكن عبدالرزاق نوفل اتجه إلى المكتبات العامة والخاصة يبحث عن كتاب أو أكثر يناقش أدلة وجود الله، والغريب أنه لم يجد، وعزم في اليوم التالي على أن يناقش هذا الزميل الملحد مناقشة فلسفية عن الوجود والخالق، وانتظر مع زملائه وصول هذا الزميل إلا أنه علم أن هذا الزميل أصيب بدمّل في أذنه نتيجة دخول ماء فيها فقد كان بطلًا في السباحة، واتفق عبدالرزاق نوفل مع زملائه على أن يذهبوا معًا بعد المحاضرة إلى هذا الزميل للاطمئنان عليه وتحذيره من الاستمرار في إنكار وجود الله، وصل عبدالرزاق وزملاؤه إلى منزل زميله فوجدوا أسرته تتقبل العزاء بعد أن فارق الحياة.

سبحان الله! حقًا ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ (العاديات: ٦)، حقا ﴿خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾ (النمل: ٤) على أي حال كانت الصدمة شديدة لعبدالرزاق ولجميع زملائه.

وبدأ عبدالرزاق ينظر إلى علوم الزراعة المقررة عليه نظرة أخرى:

النبات.. والخلايا الحية.. الطب البيطري...إلخ. أليست كلها أدلة رائعة وبيانات واضحة على وجود الله؟!

وواصل عبدالرزاق نوفل دراسته الجامعية بتفوق وهو يتحرق شوقًا إلى الانتهاء منها حتى يتجه إلى دراسة الدين، وقد اتجه بعد تخرجه إلى دراسة القرآن الكريم، واستوقفته في آياته أمور علمية، رأى أن العلم لم يكن يعرف عنها شيئًا وقت نزولها.. وتابع ما وصل إليه العلم في قطاعاته كافة، كما درس آيات القرآن الكريم وبدأ يناقش الناس من جميع المستويات العلمية، وألحّ عليه المعجبون أن يدون ما يناقش به ليخرجه على الناس في رسالة أو كتاب يكون دليلًا على وجود الله، واستجاب لهم، فكان ذلك هو كتابه الأول «الله والعلم الحديث» الذي صدر في أول رمضان الذي وافق أول أبريل ١٩٥٧م، أي بعد أكثر من عشرين عامًا من البحث والدراسة والإعداد.

وحوى الكتاب فصلًا في الإعجاز العلمي للقرآن، واحتوى على آيات تشير إلى أن الإنسان سيحاول اكتشاف السماء بغزو الفضاء كما سبقت الجن إلى ذلك، وبعد ستة أشهر تقريبًا من نشر الكتاب أطلقت روسيا أول قمر صناعي، وتحقق

* عميد كلية الشريعة - جامعة قطر سابقا

بذلك ما جاء في التفسير العلمي لبعض آيات القرآن الكريم.

أصدر عبدالرزاق نوفل ما يقرب من ثلاثين كتابًا لاقت رواجًا كبيرًا في الدول العربية، ثم أقبلت دول إسلامية وغير إسلامية على ترجمة كتبه.. تُرجمت في إندونيسيا وفي سنغافورة وفي إيطاليا وإسبانيا وتركيا.. وفي مناطق المسلمين السوفييت، وأصبحت وزارة التعليم العالي في مصر تتلقى باستمرار خطابات من دول عديدة يستأذنون فيها في ترجمة كتب عبدالرزاق نوفل.

ومما يجدر الإشارة إليه أن كتب عبدالرزاق نوفل كانت سببًا في توبة بعض الملحدين.. تأمل هذه الرسالة وهي من ملحد تائب إلى أستاذه: «لأول مرة في حياتي لم أبق فريسة الشك، أصبحت أشعر بعد أن أتممت قراءة كتاب «الله والعلم الحديث» بإيمان قوي يسيطر على لُبِّي، كان موقفي من المسائل الدينية موقفًا سلبيًا، ولما بلغت الفصل الثاني خاصة الآيات التي يتحدث فيها الله تعالى عن خلق الإنسان من تراب، وكيف أن العلم الحديث قد أثبت أن عناصر الجسم هي للتراب.. بُهِتُّ! ولم أجد منفذًا للهروب من الحقيقة التي ظهرت أمام عيني».

رسالة دكتوراه

موقف الإسلام من العنف في العمل السياسي

ناقش الطالب سعد محمود رستم من حلب- سورية، أطروحته التي أعدها لنيل درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية في كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية في بيروت المعنونة بـ «موقف الإسلام من العنف في العمل السياسي- التأصيل الشرعي والتحليل التاريخي والاجتماعي»، بإشراف الأستاذ الدكتور حسان حلاق، وتألفت لجنة المناقشة من الدكتور المشرف، والأستاذ الدكتور بسام عبدالحميد، والأستاذ الدكتور نايف معروف، وفي ختام المناقشة منح الطالب درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز.

كان الموضوع الأساسي للأطروحة بيان مكانة ومنزلة «اللاعنف» الأساسية في الإسلام قرآنا وسنة وسيرة، وبيان موارد العنف الاستثنائي المقيد والمشروط في الإسلام مثل الجهاد القتالي، وتوضيح ماهيته الدفاعية ونقد ما طرحه فريق من الفقهاء وبعض حركات العنف من مفهوم عنفي لهذه الفريضة، وإثبات ضرورة الحدود الشرعية والقصاص وبيان مواضع الرحمة فيهما، ثم رفع الإبهام عما يبدو مناقضًا لأصالة اللاعنف في الإسلام، مثل كثرة الغزوات والسرايا النبوية والتحقيق في أسبابها وبيان ماهيتها الدفاعية المحضة، وتوضيح حقيقة ما سمي بحوادث الاغتيال في الفترة المدنية، والتحقيق في ماهية حروب الردة وحد الردة، والتحقيق فيما عرف بالفتوحات الإسلامية، وأخيرًا نقد مذهبي الصبر والسيف التقليدين في مواجهة حالات فساد الحاكم وظلمه وخيانته، واختيار مذهب ثالث يوجب العزل ولكن دون اللجوء للسيف.





قصة العدد

عيون القلب

حسن محمد حسن

ذات مساء، طرق باب مسكني زائر عزيز.. هو صديقي د.حسن السخاوي، كنا نتبادل الزيارات بين آونة وأخرى، وقد جمعت بيننا أمور عديدة. كان كل منا متزوجًا ويعول أسرة، زوجة وأبناء وبنات، كان كل منا مستغرقا في دنيا الأعمال والتجارة، كما كنا شريكين في بعض المشروعات، فنحقق أرباحًا طائلة، جمعتني بصديقي هذا سهرة طيبة في تلك الأمسية الشتوية، جلسنا سويًا في حجرة مكتبتي بمسكني الذي هدأ بعد أن خلد أولادي وزوجتي الى النوم، احتسينا الشاي، ودار بيننا حوار، كان أغلبه ينحصر في عالمنا.. عالم المال والجاه.

الحقيقة أن حوارنا في ذلك المساء كاد أن يكون من طرف واحد، كان صديقي يثرثر، على حين كنتُ أشاركه بكلمات مقتضبة، كنتُ في حالة غير طيبة، كنت أعاني في صمت، طوال الشهور القليلة قبل ذلك المساء، من حالة اكتئاب غامض، وكنت أخفي- قدر إمكاني- أعراضه عن الأصدقاء والأقارب والعملاء.

سمعت صديقي يقول لي في حوارنا ذاك:

- هيه! مالي أراك متجهما مكروبا؟ لا أخفي عليك أنني لاحظت بوادر هذا التجهم في لقاءاتنا السابقة، وظننتها وعكة طفيفة طارئة.. لكن! ولا أعرف علة كل هذا الكرب.

فأطرقت ولم أنبس بكلمة، فعاود حديثه قائلا:

- لابد من سبب أو أسباب لتجهمك هذا، انك لست على ما يرام، مع أنك أحرزت نجاحًا في أعمالك، ثراء بعد شظف، الآن أولادك سعداء، وزوجتك راضية كل الرضا عنك وعن الحياة بعد سخط ونكد، افصح يا صديقي عما ينطوي عليه قلبك من الأسى الذي تتبين لي ملامحه على وجهك الصامت.

- لا أعرف العلة على وجه التحديد، لا أعرف كنه حالتي هذه.

> **العمل الطيب يورث الغنى الحق والمؤمن لا يجد مع الله غربة**

- تعرف أن الحديث يخفف عن القلب أثقاله.. تكلم يا رجل!

- لا أتبين سببًا واضحًا لحزني.

- حزنك؟ حقا، لماذا ينبع الحزن من قلب إنسان مثلك؟!

- إذن، فعلت خيرًا يا صديقي بزيارتك لي الليلة، فكم أشعر بالوحدة القاسية والحزن الممض.

- وإذا عرف السبب بطل العجب.

- إنني إنسان تائه.

- عجبًا ما تقول، أنت لا ينقصك شيء، أنعم الله عليك بزوجة طيبة القلب، تدبر أمور بيتها خير تدبير، وبأولاد مطيعين ناجحين في دراستهم، تنعمون بالصحة والعافية والمال الوفير.. لا مشاكل ولا متاعب!

فارتشفت رشفة من كوب الشاي الساخن، وقلت متسائلًا أو ذاهلًا:

- المال الوفير! وماذا يجدي كل هذا الثراء وقد عجز الطبُّ عن علاج الداء؟ أرجو أن تفهمني يا صديقي.

- ولكن، أتفهم نفسك أنت!؟

- يا صديقي العزيز، أذكر في لقاء قديم بيننا أنك قلت لي: إن الفقر قرين الكسل، وان الكسل يورث الفقر، ألا تورث- أيضا- كثرة المال الكسل، كسل الجسم وخوار الروح وبلادة القلب؟!

- لا تقل هذا الكلام! كان يمكن أن نخدع أنفسنا بمثل هذا الكلام عندما كنا فقراء في ذلك الماضي البائس!

- خامرني هاجس منذ أيام، يهتف في باطني.. ألم تكن في الماضي أكثر طمأنينة؟ كنت خالي البال، تصدر بسمتك الوضاءة عن نور كامن في القلب، انظر الآن إلى وجهك المخطوف في المرآة.. مومياء متآكلة.. مومياء من الذهب!

- هواجس! عندما يكثر المال، يمكن أن نشفى من كل داء عضال! حالك غريب اليوم يا منصور!

أطرقت وطال صمتي، ولم يرحمني صديقي بنظراته المتفرسة وأسئلته المتلاحقة.. ولم تثمر جلستنا وحديثنا عن إماطة اللثام عما ينطوي عليه القلب من خبايا، فغادرني صديقي متحيرًا يضرب كفا بكف، متعجبًا مما أنا عليه من حال غامض ومرض مبهم! ولكن، في اللحظات الأخيرة، قبيل انصرافه، التقطت مسامعي همسة ندت عنه عفوًا، أدركت منها أنه مكروب مثلي، فتأكد لي شعوري بأنه هو

• باحث لغوي

أيضا يبحث لنفسه عن جواب لسؤاله! نعم، انفلتت من بين شفتيه، على غير وعي منه، غمغمة كشفت لي عن باطنه التعس!

وبدت لي حالتي غير غامضة كل الغموض، إذ إنني أعرف بعض جوانب نفسي المعتمة! وهنا بيت الداء، وظللت قابعًا في حجرة مكتبتي، أفكر ثم أشرد، ونظرت الى الكتب المكدسة فوق أرفف الدواليب، وعجبت لأمـري.. كيف أرث عن أبي العظيم كل هذا التراث، كل هذه الذخائر النفيسة ولا أقرأ منها كتابًا واحدا؟! كيف سلبت التجارةُ مني كل عمري؟ كيف صدأ عقلي ومرض قلبي؟! شعرتُ وكأنني في حالة انتظار مضن لأمر ما وشيك الوقوع، وتجاذبتني مشاعر شتى متباينة.

شعرت بأن شمس الأمل قد تشرق علي يوما.. وشعور بالقنوط يوسوس لي بأنني في ليل مدلهم، لا فجر له! فبعد أن غادرني صديقي في ذلك المساء، استدعيت النوم، بعد تفكير وشرود وعذاب، لكن الأرق استبد بكل كياني، اعترتني رجفات حارة، فأدركت أن نوبة الاكتئاب القهري توشك أن تبلغ ذروتها، تحاصرني فتعصرني، ورمقت، وأنا مسجى على الأريكة، الظلمة السائدة وراء النافذة، ثم لمحتُ بصيصا من النور ينبثق ويتسع، كان نورًا صافيا نقيا.. كان يتماوج في رفق النسيم، ثم تداخل في طيات الستائر المرفوعة، في وداعة وسلام، فإذا به على القرب مني بخطوةٍ واحدة وفوق رأسي المحموم الملتهب وقف طيف النور الطاهر ومد ذراعه في حنو، ونظر في عيني بلطف، وتبسم وجهه وأشرق، وسمعت صوته النقي يقول:

﴿... يوم لا ينفع مال ولا بنون. إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ صدق الله العظيم (الشعراء:٨٨-٨٩) أعرفت أنك ضال؟!

فأومأت برأسي دون أن أنبس بكلمة.

أعرفت سببًا من أسباب ضلالك؟!

- لا، هل تؤدي الفروض؟ هل تصلي وتصوم وتزكي؟!



- نعم!

يا حاج منصور! أنت كصديقك تنظر الى الأمور بعين واحدة، بعين الرأس، جميل منك حقا أن تؤدي الفروض، لكنك مع ذلك تنظر بعين رأسك الى ظاهر الدنيا، وعينك الأخرى عن الحقيقة مطفأة! أتعرف أن لقلب الإنسان عيونًا أخرى؟! عين الرأس بصرك، أما عيون القلب فهي البصيرة، ترى ما وراء ذلك من طمأنينة وقناعة! فأنت أخذت بعين رأسك من الدنيا كل أهواء النفس الأمارة! وأهملت كنزك الدفين في أعماق قلبك الذي غفا فغفل عن حب الحق! هذا هو مرضك، أما شفاؤك ففي حسن الطوّية ونقاء النية وأداء الفروض والتكاليف بغير انتظار لثواب، تنكر لذاتك، تر وجه الحق من الله عز وجل.

ولكن الكسل قرين الفقر، فسعيتُ الى الرزق.

- نعم، العمل الطيب يورث الغنى الحق، وأنت لم يكن همك الأكبر إلا التكالب المتهوس على جمع المال، فملأت جيوبك وخزائنك بالذهب والدولارات، أتعرف أن للقلب أيضا دنانيره؟! غنى القلب القناعة وبساطة العيش الكريم، أنت أحببت وعبدت المال والدنيا أكثر ما أحببت حسن المآل والآخرة! أتشعر بالوحدة؟!

- نعم!

- أتشعر بالغربة؟ نعم.

- اعرف أن المؤمن لا يجد مع الله غربة، فالله سبحانه وتعالى مؤنس الغرباء، يقول لك صديقك ألا شيء ينقصك، ولكن أقول لك: إن قلبك خال من القناعة ولطف التقوى.

- المال زينة الحياة الدنيا.

- نعم، على ألا يستعبدك حب المال، فمنهوم المال لا يشبع، المال يفنى بفناء الدنيا، والإيمان والقناعة يبقيان ببقاء الآخرة! اعرف الدواء لداء قلبك! صحوتُ.. كنت في غفوة.

تلاشى الطيف النوراني من أمامي، ومن الحجرة كلها، وشعرت ان كياني كله قد تخفف من كابوس ثقيل، بل تدفق في مساريه النور اللطيف، وكأن نور الفجر قد انبلج، وملأ أذان الفجر أرجاء الدنيا، وكأنني أسمعه لأول مرة، فأدركت الحقيقة في تلك اللحظة، أيقنت أنني كنت أسمعه في كل المرات السابقة بأذني، أما تلك المرة فقد ملأ الأذان والنور قلبي! وترقرقت دموع حارة في عيني، واستولى علي شعور جارف يدفعني لزيارة صديقي د.حسن السخاوي، فلابد أن أقول له كلمة طيبة.. نعم يا صديقي، رأيت رؤيا تبشر بالشفاء! عرفت لماذا ينبع الحزن الأسود من القلب!

وفي الصباح المشرق، قبل أن أغادر بيتي، مددت يمناي الى الرف الأعلى بمكتبتي وتناولت الكتاب الكريم!

حينما تستحيل الرموز الصامتة إلى أصوات تركض

د. بليغ حمدي إسماعيل

القراءة غذاء العقل والروح، وهي نافذتنا نحو العالم وتعتبر من أهم وسائل كسب المعرفة، فهي تمكن الإنسان من الاتصال المباشر بالمعارف الإنسانية في حاضرها وماضيها، وستظل دائمًا أهم وسيلة لاتصال الإنسان بعقول الآخرين وأفكارهم، بالإضافة إلى أثرها البالغ في تكوين الشخصية الإنسانية بأبعادها المختلفة.

يمكن تعريف القراءة من حيث إنها عملية تنويرية مفادها تأويل الرموز الصامتة التي سرعان ما ستتحول إلى خيول راكضة ذات بعد دلالي مقصود، وبهذا التحديد يمكننا أن نذهب مع المحاولات التي ترنو إلى اعتبار القراءة عملية مكمِّلة لعملية الرصد الكتابي، فلا قراءة من دون نص مكتوب، وبالتالي فالقراءة هي فعل ذهني منتِج يؤدي إلى إنتاج واستنباط خطاب لغوي جديد يعتمد في تشكله على آليات القراءة كعملية ذهنية ذات بعد مستقل، ربما يستمد بعض سمات تحفزه من النص المكتوب. وفي كثير من الأحيان تثار حفنة من التساؤلات حول تحديد مواضعة أكثر دقة للقراءة، وهل يمكن تعريف القراءة الاستنطاقية (أي تحويل الرمز المجرد إلى صوت وحركة وإيقاع حي) في مرحلة الاكتشاف على أساس أنها وحدة قرائية متكاملة بمعزل عن القراءة التأويلية التي تسهم إلى حد ما في تشخيص الهوية النهائية لمفهوم القراءة؟

وكانت هناك محاولات في فلسفة المعنى، مفادها أن القراءة يجب أن تكون مؤدية إلى منتج ذهني، منتج متمثل برد الفعل تجاه النص المكتوب، وإلا فالقراءة تصبح مجرد محاولة عقيمة لا يمكن تأطيرها بمصطلح القراءة، لأن القراءة الاستنطاقية بمستوييها البنيوي والتفكيكي تعمل على تحري شبكة العلاقات والرموز والبنى على أساس مكونات داخلية للنص تثير استفزازًا في ذهنية القارئ، ومن دون القراءة التأويلية التي تستثمر رد الفعل الذهني لإعادة صياغة وتشكيل ردود الأفعال تلك إلى وحدة معرفية مستقلة تعطي انطباعًا عن هوية النص المكتوب من حيث النوايا والأهداف.

بعض الباحثين يرون أن القراءة عملية عقلية تتساوى مع التفكير

ومن خلال المواضعات التأريخية لتعريف القراءة نلاحظ أن كثيرًا من الباحثين يرون في القراءة عملية عقلية ويساوونها بالتفكير، أي أن القراءة عملية تفكير، وهم يستبعدون الأخذ بقضية فك الرموز تعريفًا للقراءة، لأن فك الرمز وتحويل الحروف المكتوبة إلى أصوات لا يتعدى كون القارئ يقوم بعملية آلية وقراءته في هذه الحالة آلية ليس فيها تفكير، وهي أشبه بالقارئ العربي عندما يقرأ نصًا مكتوبًا باللغة الفارسية التي تكتب بحروف عربية.

ولكن القراءة الحقيقية تبدأ من اللحظة التي يحول فيها القارئ الرموز الصامتة إلى أصوات أشبه بالخيول التي تركض في حركة متناسقة. والقراءة على هذا الأساس هي عملية معقدة تشمل تقييم القارئ للكلمات وعلاقتها مع بعضها في الجملة وقبول معنى ورفض معنى آخر، وتتداخل فيها قدرات عقلية مختلفة وتتأثر بمعطيات داخلية تتصل بالقارئ، وعوامل خارجية تتصل بالنص والظروف المحيطة، وجميع ذلك يؤثر على صورة الاستجابة النهائية للمادة المقروءة، وعليه فإن القراءة تشتمل على جميع مقومات التفكير.

إذن فعملية القراءة- كأداء معرفي- تعتبر عملية متكاملة تمر بمجموعة مستويات، تبدأ بالاكتشاف أو التحري الأول وأحيانا يسمى التلقي المباشر، ثم مرحلة الاستنطاق التي تعمل على تحليل البنى الداخلية وتفكيكها لتمهد للقراءة التأويلية التحليلية في إعادة تشكيل الوحدات المعرفية إلى منتج نهائي يصف سلوك ودوافع النص المكتوب.

وإلى هذا، يمكننا القول إن القراءة تنتهج تسلسلًا منطقيًا في التعامل مع الخطاب اللغوي المكتوب، وتتعامل مع هذا الخطاب اللغوي تعاملًا منهجيًا أي بضوابط وشروط لا عشوائيًا في استدراج الخطاب إلى مناطق أكثر إشراقًا وإعمالًا

* أستاذ في جامعة الأزهر

للعقل وهو يؤوله، أو بعبارة أخرى تعمل القراءة مع النص المكتوب عملًا تنقيبيًا من حيث قصدية واضحة، إذ لا نص من دون غاية أو دافع معين، وتحديد هذه القصدية في تشكيل الرؤية الأولى لعملية القراءة التي تمثل عملية تدوينية تتضمن الاكتشاف والتأويل معًا. ويجب الإشارة هنا إلى أن أنماط القراءة، التي تمثل وحدات قرائية متكاملة، إنما تميل إلى تخصيص الرؤية المنتَجة، هذا التخصيص يأتي من خلال تحديد البنى والعلاقات التي تسهم في إنتاج نمط القراءة.

وبنفس المنطق اللغوي يمكن وصف قراءة الخطاب النفسية وقراءته السيميائية على أنها أنماط قرائية تمثل وحدات متكاملة دون خلل، وكذلك القراءة التي تتناول مفهومي الزمان أو المكان، مضافًا إلى ذلك أية قراءة تعمل على تشخيص عنصر محدد من عناصر الكتابة لتمارس عملية فعل القراءة كوحدة شمولية لمجموعة قراءات تسهم في تشييد مفهوم القراءة العام، أي صيرورات تتشكّل من مستويات القراءة الاستكشافية أو الاستنطاقية بمستوييها البنيوي والتفكيكي، مرورًا بمستوى القراءة التأويلية لتطرح رؤية شمولية لجانب من جوانب النص المكتوب.

وبهذا الفهم لعملية قراءة الخطاب اللغوي، نخلص إلى أن القراءة من حيث هي أداء معرفي أو نشاط ذهني موجه بقصدية لتقصّي مساحات نص مكتوب، هذا التقصي محكوم بآليات وعي متوازنة وواضحة ترسم ملامح الغايات المرجوة من وراء قراءة الخطاب اللغوي، هي عملية اكتشاف واستنطاق، وتأويل وتدوين، بصورة أخرى فقراءة أي خطاب لغوي هي دورة معرفية متكاملة تمثل مجموعة إجراءات وعمليات ينتج عنها إنتاج نص جديد يمكن تسميته بخطاب القراءة التأويلي.

الحق أبلج

الشيخ: وليد عبدالباري الخطيب

قِفْ عِنْدَ ذِكْرِ مُحَمَّدٍ إجْلالا
وَاجْعَلْ فُؤَادَكَ لِلْحَبِيبِ حَلالا

خَيْرُ الوُجُودِ أتَى بِخَيْرِ شَرِيعَةٍ
ثُمَّ ابْتَنَى مَجْدًا فَصَارَ مِثَالا

مَنْ عَلَّمَ النَّاسَ العُلومَ جَمِيعَهَا
مَنْ هَذَّبَ الأقْوَالَ وَالأفْعَالا؟

مَنْ تَمَّمَ الأَخْلاقَ فَاكْتَمَلَتْ بِهِ
وَمَنِ الَّذِي صَنَعَ البُدَاةَ رِجَالا؟

صَارُوا بِهِ خَيْرَ القُرونِ بِأَسْرِهَا
قَادوا العِبَادَ وَحَسَّنُوا الأحْوالا

اللهُ فَضَّلَهُمْ بِنَصِّ كِتَابِهِ
نَالُوا بِهِ فَخْرًا وَعِزًّ نَوَالا

أَصْحَابُ أَحْمَدَ إنْ رَأيْتَ كَمِثْلِهِمْ
فِي اللاحِقِينَ فَقَدِّمِ الأمْثَالا

لا خَيْرَ فِينَا إنْ تَرَكْنَا هَدْيَهُ
لا خَيْرَ فِيمَنْ يَسْتَحِبُّ ضَلالا

تَمْضِي الحَيَاةُ بِهِ وَكَانَ مُنَعَّمًا
فِي بَغْتَةٍ فَقَدَ الحَيَاةَ وَمَالا

وَهُنَاكَ يُسْأَلُ هَلْ أَتَاكَ مُحَمَّدٌ؟
فَيَقُولُ لا أَدْري وَكَرَّرَ لا لا

وَهُنَاكَ يُسْأَلُ عَنْ سِنِيِّ حَيَاتِهِ
يَا وَيْلَهُ قَدْ حُمِّلَ الأَحْمَالا

أَنَسِيرُ عُمْيًا فِي دَيَاجِيرِ الهَوَى
وَنَهِيمُ فِي تِيهِ الهَوَى أذْلالا؟!

وَالحَقُّ أَبْلَجُ فِي شَرِيعَةِ أَحْمَدٍ
وَالنُّورُ مِنْ عِنْدِ الإِلَهِ تَعَالَى

* شاعر سوري

الترادف.. ظاهرة لغوية عامة

ليلى محمد

الترادف في الاصطلاح، يعني اتفاق كلمتين- أو أكثر- في المعنى، وهو مأخوذ في اللغة من أصل حسي: الردف أي الكفل أو العجز، وكلمة «ردف» اكتسبت دلالات لاحقة، منها:
- الردف: الراكب خلف الراكب (كالمُرتدف والرديف).
- الردف: التابع (كل ما تبع شيئًا فهو ردفه).
- الردف: جليس الملك (يجلس عن يمينه، ويشرب بعده، ويخلفه على الناس إذا غزا، ويقعد موضعه إذا غاب).

في القرآن الكريم: ﴿فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾ أي متتابعين، أما في الانجليزية فإن كلمة synonymy وهي إغريقية الأصل، مركبة من جزأين: syn مثيل + nymy اسم.

ولعلنا نستعرض شواهد الترادف من أجل زيادة المعرفة، فمثلاً في العربية: (هزئ - سخر - تهكم)، (العطف - الرأفة - الإشفاق)، (الجوُد -الكرم - السخاء)، ومن أمثلة الترادف في الشعر:

على مكُثريهم رزق من يعتريهمُ
وعند المقلّين السماحة والبذْلُ
تحين بكفّيه المنايا وتارة
تَسُحّان سحّاً من عطاء ونائل

وأما شواهد الترادف في القرآن فهي موجودة، وإن ذهب قوم إلى عدم وجودها، ومن هذه الشواهد -على سبيل المثال لا الحصر-:

﴿الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق﴾
﴿لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا﴾
﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾

وفي اللغات السامية الأخرى ترادف كثير، فمثلاً:

في الأكادية:
سرير zigjrru/gisnu/ersu/ dunnu
ثوب alluru/adilu

في الأوغاريتية:
مسكن qrs/mtb/msknt
ولد mr/bn/wld

وثمة سؤال: هل الترادف ضرب من العبث؟

الترادف ظاهرة ذات دور عظيم الفائدة، ومن فوائده: انه يزيد من مقدار الثروة اللغوية، وهذا مصدر فخر واعتزاز، كما أنه يمنح الكلام رونقًا وحيوية، ويشف عن ذوق المتكلم ومدى ثقافته ورهافة مشاعره، ويساعد الشاعر على النظم، أما الناثر، فيساعده على السجع ناهيك عن أن الترادف يساعد الألثغ على التخلص من عيوب النطق، فمثلاً: كأن يقول أعمى بدلاً من ضرير، وقمح بدلاً من بر.

ومن الجدير ذكره في هذا الصدد، أن اللغة العربية غزيرة بالترادف، لدرجة أنها تعد من أغنى اللغات بالترادف، وعلى سبيل المثال:

فالداهية لها ما يربو على أربعمائة اسم، وللسيف في العربية مائة وخمسون اسمًا، إضافة إلى العسل، والحجر.. مما حدا ببعض اللغويين أن يصنفوا كتبًا في الترادف، ومنهم:

- الصاحب بن عباد، ألف «كتاب الحجر».
- الأصبهاني، جمع أسماء الحجر في كتاب «الموازنة».

ولعلنا نورد هنا بعض حجج من أنكر الترادف وهي تتمثل في: الترادف على خلاف الأصل، وذلك كأن يكون للشيء اسم واحد فقط، وكما أن للمترادفات صفات في الأصل.

أما عيوب الترادف، فيمكننا أن نحصرها بالآتي:

ينشر الغموض في اللغة العربية.
- يؤدي إلى الحشو والفضول.
- يرهق المتعلم (ولاسيما الأعجمي).

وبقي أن نعرف أن ثمة أسبابًا لنشوء الترادف في اللغة، منها: تعدد الوضع، «بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين، والأخرى الاسم الآخر، ثم يشتهر الوضعان ويخفى الواضعان»، ومن الأمثلة على ذلك (قدر/ برمة).

وكذلك من هذه الأسباب تحول الصفات إلى أسماء، وكذلك دخول الألفاظ الأعجمية، ولابد من معرفة أن الترادف ظاهرة لغوية عامة، وأن الترادف طارئ على العربية، وأن الأصل فيها هو التدقيق والتفريق.

• باحثة لغوية

الفن القرآني والشعر الملحمي

محمود رداوي

يستجيب النثر للأدب القرآني أكثر من الشعر، وإن تحتم على الشعر أن ينهل من الأدب القرآني فليكن في المجال الملحمي القصصي، وقد نجد في الشعر العربي تأثرًا لفظيًا بالقرآن، كتضمين نص قرآني حرفي، أو اقتباسًا من معنى القرآن، ولكن لا يدخل ذلك في الأدب القرآني الذي نحن بصدده، وإن اعترف الكثير من الشعراء العرب بأنهم تأثروا في كتابة شعرهم «بالروح الإسلامية الصافية وبالقرآن الكريم الذي أثر في كل كاتب أو خطيب أو شاعر منذ نزوله إلى الآن ومازال يؤثر»

لأننا في ميزان النقد والفن لا نجد شعرًا إسلاميًا بالمعنى الحقيقي، وإن وجدنا شعراء إسلاميين فكرًا ومضمونًا، فإنهم مقصرون فنًا وأسلوبًا وشكلًا، لأن أغلب الشعراء الإسلاميين المعاصرين تغلبهم روح الدعوة المثلى، وتسود على مجلس صناعتهم الشعرية، بل تسلبهم نكهة الفن وروعة الصورة والتألق، وقلما نجد شاعرًا، يحسن توظيف الفكر الإسلامي واستخدام الدعوة وشريعة السماء بفن شعري، على خلاف ما نراه عند الكثير من شعراء المسيحية الغربية الذين أفلحوا في المواءمة بين الدين والفن، وربما كانت هذه المواءمة هي التي أغرت رواد الشعر العربي الحديث بالتقليد، ومن ثم التأثر بثقافتهم المسيحية، وكتابة شعرهم وصياغته بنفس وبوحي من الشعراء المسيحيين، سواء أكانوا من الشعراء الغربيين أم من شعراء المهجر المسيحيين الذين برزت بوضوح الروح المسيحية في خصائص شعرهم الموضوعية والتعبيرية.

لذلك كانت الأجواء المسيحية الغربية التي استلهمها شعراؤهم بحرية وفن موضع تقدير رواد الشعر العربي الحديث، فكانوا مقلدين أو مستلهمين، في الوقت الذي كان عليهم أن يستلهموا شعرهم من أجواء إسلامية، ولكن لم يكن أمامهم شعر إسلامي يحتذى به غير شعر مدرسة الإحياء وغيره مما ثاروا عليه أصلًا، لأنه لا يحوي من الشعر الإسلامي غير مضمونه، إذ وجدوا أسلوبه العمودي المحافظ مقيدًا لإبداعهم ومواهبهم، ولم يجدوا فيه سوى الطابع التقريري المباشر الذي يتميز به أسلوب الوعاظ والدعاة وخطباء المنابر، لأن قارئ الشعر غير مستمع الوعظ، الأول يستثيره الإيحاء، والثاني المباشرة التي تنقلب إلى سلاح في يد الداعية أو الشاعر الإسلامي.

لذلك على شاعر الأدب القرآني أن يتجه إلى العالم القصصي الملحمي، فيمكن له أن يجول فيه ويقدم من خلاله شعرًا جديدًا يحمل اسم «الأدب القرآني» إن أحسن المواءمة بين الدين والفن.

ولكن فيما يبدو ظل الشعراء الذين تصدوا للملاحم الإسلامية مشدودين إلى الحقائق التاريخية بدون أن يصعدوا بها إلى آفاق الملاحم الخالدة، فقد سجلوا وقائع التاريخ كما تعارف عليها المسلمون، وكما دونها لهم المؤرخون، لذلك جاءت ملاحمهم لا يميزها شيء عن التاريخ غير النظم الشعري، فنحن لا نريد من الشاعر الملحمي أو القصصي أن ينأى عن وقائع ومواقع التاريخ، ولكن على أن يبث فيها معاني الإثارة الملحمية، فالشعر الملحمي أو القصصي لا يتألق في أفق القارئ ووجدانه إلا إذا كان للخيال وإضافات المبدع دور بارز في تجسيم الأحداث والشخصيات في تحد يكون من الزمان والمكان، لذلك لابد للشاعر الملحمي من خيال يضفي به على تاريخه فنًا وإشراقًا وجاذبية، فيستحيل لديه التاريخ من ماض نائم إلى حاضر يقظ، نشم فيه روائح وأنفاس الأبطال الأفذاذ، ولكن يبدو أن التقاليد والأعراف الدينية للمسلمين قد فرضت، بشكل أو بآخر، نوعًا من التفكير أو السلوك على اذهان المبدعين الإسلاميين وهم يصورون الحقائق التاريخية، فغدوا لا يحيدون عنها حتى ولو عن طريق الفن والخيال، لذلك لم يعرف الشعر القديم فن الملحمة.

* باحث لغوي

الدر النثير والعذب النمير في شرح كتاب التيسير

التحرير

التعريف بكتاب: الدر النثير والعذب النمير في شرح كتاب التيسير
المؤلف: عبدالواحد بن محمد المالقي (المتوفى سنة ٧٠٥هـ)
المحقق: د. محمد حسان الطيان
الفن: علم القراءات
سنة النشر: ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م
رقم الطبعة: الأولى
عدد المجلدات: ثلاثة أجزاء
إصدار: مجمع اللغة العربية بدمشق

التعريف بالمصنِّف

هو عبدالواحد بن محمد بن علي بن أبي السداد الأموي المالقي، الشهير بالباهلي، وكانت ولادته- على وجه الظن- في العقد الرابع من القرن السابع الهجري.

كان- رحمه الله- بعيد المدى، منقطع القرين في الدين المتين والصلاح، وسكون النفس، ولين الجانب، والتواضع، وحسن الخلق، أستاذا حافلا، متفننا، مضطلعا، إماما في القراءات، إتقانا، وأداء، ومعرفة، ورواية، وتحقيقا، ماهرا في صناعة النحو، فقيها، أصوليًا، حسن التعليم، مستمر القراءة، نافعًا، كثير الخضوع والخشوع، قريب الدمعة.

وكانت وفاته ببلده مالقة في خامس ذي القعدة من عام خمسة وسبعمائة.

من موارد الشارح في كتابه

التبصرة لمكي بن أبي طالب القيسي.
الكافي لابن شريح الرعيني.
إيجاز البيان للداني.
الإيضاح للداني.
التحبير للداني.
التفصيل للداني.
الجامع لابن مجاهد.
كتاب سيبويه.
كتاب الغريبين للهروي.
الاقتضاب للبَطَلْيوسي.
التذكرة لمكي بن أبي طالب.
قراءة المكيين لابن مجاهد.
معاني القرآن للأخفش.
شرح الهداية للمهدوي.

بين يدي الكتاب

علم القراءات القرآنية واحد من أجلِّ علوم القرآن الكريم، إذ به تعرف وجوه الأداء المختلفة التي يسّر الله بها قراءة كتابه العزيز ﴿ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ (القمر: ١٧).

أهمية الكتاب

إذا أردنا معرفة أهمية هذا الكتاب فلابد لنا أولا من إلقاء الضوء على متنه (كتاب التيسير في القراءات السبع) الذي يعد من أشهر كتب القراءات القرآنية، ومؤلفه الذي هو أبوعمرو الداني (المتوفى سنة ٤٤٤هـ) إمام فن القراءات وعَلَمها المشهور الذي شهد له القاصي والداني بتمكنه من هذا العلم، وأما مقامه في هذا الفن فقال عنه الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٨/ ٨٠) «إلى أبي عمرو المنتهى في تحرير علم القراءات وعلم المصاحف مع البراعة في علم الحديث والتفسير والنحو وغير ذلك»، وقد أتى على كتاب التيسير حين من الدهر كان فيه أهم كتب القراءات، فقال عنه الزركشي في كتابه البرهان: «وأحسن الموضوع للقراءات السبع كتاب التيسير لأبي عمرو الداني» ولا يكاد كتاب من كتب علوم القرآن يخلو من ذكره، وأقبل عليه القراء يتداولونه، يقرأونه ويُقرئونه، ويتلون القرآن بمضمنه، حتى اقترن اسمه بأعلامهم، إلى أن جاء الإمام الشاطبي أبوالقاسم بن فيرُّه (المتوفى سنة ٥٩٠هـ) فنظمه في قصيدته المشهورة: «حرز الأماني ووجه التهاني» فصار الفرع أشهر من الأصل، لأن المنظوم أيسر حفظا وأطرب وقعا.

ومن المعروف اليوم لدى القراء والمقرئين وجامعي القراءات أن «الشاطبية» أساس هذا العلم لا يكاد يؤخذ إلا عن طريقها، ولكن ذلك كله لم يغضّ من شأن «التيسير» بل زاده شهرة على شهرته، واستمر اهتمام الناس به إلى حد كبير، وآية ذلك أن ابن الجزري (المتوفى سنة ٨٣٣هـ) خاتمة المحققين في علم القراءات جعله على رأس مصادره في سفره الشهير «النشر في القراءات العشر» بل إنه صنف عليه كتابا سماه «تحبير التيسير» أكمل فيه قراءات

الحديث عن الكتاب مستفاد من حوار أجري مع المحقق د. محمد حسان الطيان.

التيسير السبع بذكر الثلاث الزائدة عليها، وأضاف إليه شيئا من التصحيح والتهذيب، واستهله بقوله: «فلما كان كتاب التيسير للإمام الحافظ الكبير المتقن أبي عمرو الداني- رحمه الله تعالى- من أصح كتب القراءات وأوضح ما ألف عن السبع من الروايات...».

ولم يكن كتاب التحبير هذا بدْعا بين الكتب، فقد سُبق بكتب جعلت من التيسير مادة لها، لعل من أهمها هذا الكتاب «الدر النثير».

ووجه الأهمية أن كتاب «التيسير» اتسم بالإيجاز والإجمال والاختصار، فجاء «الدر النثير» ليبسط الكلام على ما أوجزه ويفصّل ما أجمله، ويشرح ما اختصره، بل يعلق أحيانا على ما ذكره، ويستدرك عليه ما فاته، ويصحح بعض ما أصاب نسخه من تصحيف وتحريف، ويوازن بينه وبين كتابي «التبصرة» لمكي بن أبي طالب القيسي (المتوفى سنة ٤٣٧هـ) و«الكافي» لابن شريح (٤٧٦هـ) معوّلا على كثير من كتب القراءة المعتمدة كـ«السبعة» لابن مجاهد و«الإقناع» لابن الباذشي.

وهو إلى هذا كله قد امتاز بمزيتين اثنتين:

أولاهما: أنه استقصى ذكر أمثلة الأصول في القراءات كالإدغام الكبير، والإمالة، والتسهيل... واستوعب وجوهها المختلفة، ولا يُعلَم كتابٌ آخر يَشْرُكُهُ في هذه المزية حتى ليمكن القول: إن أصول القراءات أصبحت فرشا في هذا الكتاب، لأنه يتتبع أمثلتها في القرآن كله كما يفعل المؤلفون في فرش حروف القراءات.

وثانيتهما: أنه جمع إلى شرف الرواية دقة الدراية، فلا تخلو مسألة من مسائله من الكلام على العلل والتماس وجوه الحكمة وتقنين القوانين الصوتية الكامنة وراء كل وجه من وجوه الأداء المختلفة.

إن المالقي- رحمه الله- تتبع كل شاردة وواردة في كتاب «التيسير» فراح يشرح غامضها، ويفصل مجملها، ويستقصي أمثلتها، ويعلل أحكامها، ويمد لها بما يجعلها ماثلة في الأذهان قريبة من عقول الطلبة والمبتدئين.

مثال ذلك ما فعله في باب الإدغام الكبير، إذ إنه استهله بذكر معنى الإدغام ثم بين أنواع الإدغام، ثم أفرد فصلين مُسهَبين للكلام على مخارج الحروف وصفاتها ليخلص منهما إلى تصنيف أنواع الحروف من حيث الاختلاف والتقارب، ومن حيث القوة والضعف، ومن حيث قبول الإدغام وامتناعه باسطا الكلام على قوانين الإدغام وعللها الصوتية، وما يكون من الإدغام بين المثلين، وما يكون بين المتقاربين، حيث فصل أنواع إدغام المتقاربين فجعلها ثلاثة: الأول يدغم في مقاربه، ولا يدغم مقاربه فيه كالهاء والباء. والثاني: يدغم مقاربه فيه ولا يدغم هو في مقاربه كالحاء والخاء. والثالث: يدغم في مقاربه ويدغم مقاربه فيه كالقاف والكاف. ثم يأتي- بعد ذلك كله- إلى ذكر مذهب أبي عمرو في الإدغام الكبير فيستقري مواضعه في القرآن الكريم وقد بلغت ألفا وثلثمائة واثنين وتسعين موضعا، مبينا مواضع إدغام كل حرف على حدة، مع ذكر عدتها واختلاف القراء أو الرواة فيها إن وجد، ومواطن تكرارها في كل سورة ذكرت فيها من سور القرآن الكريم.

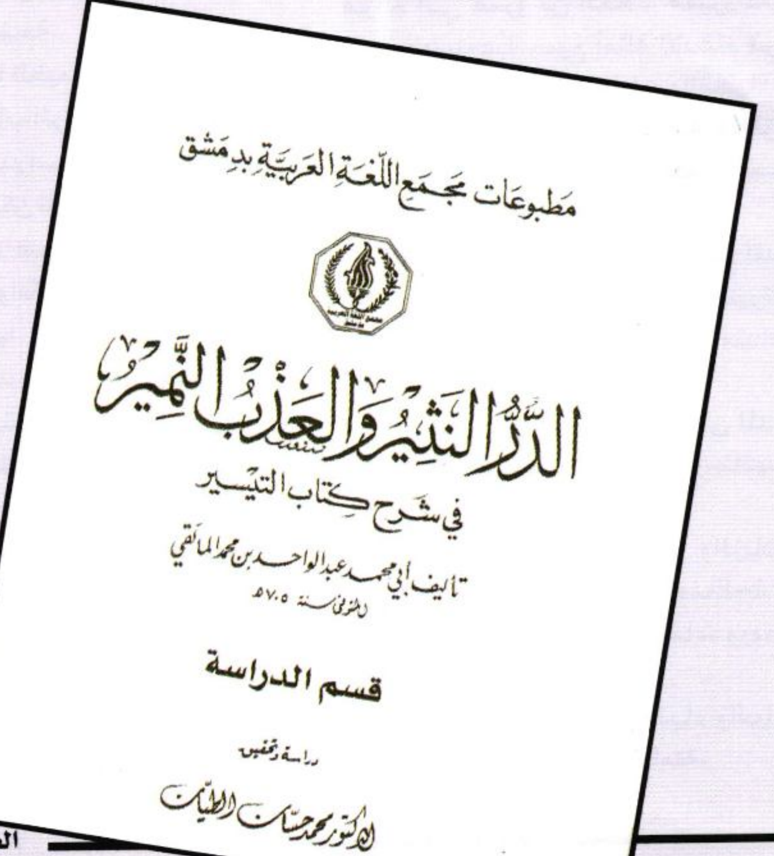
ومثال ذلك إدغام الهاء في الهاء كقوله تعالى في سورة البقرة ﴿فيه هُدى﴾ حيث يدغم أبوعمرو بن العلاء برواية السوسي عنه الهاء الأولى في الهاء الثانية بعد إسكان الأولى بالطبع، فلا يقرأ القارئ إلا هاء مشددة، وجملة المواضع التي أدغمت فيها الهاء بالهاء أربعة وتسعون موضعا، يذكرها المالقي بالتفصيل على حين تقتصر كتب القراءات على ذكر مثال لها مع القاعدة في إدغامها.

منهج الشارح في كتابه

منهج المالقي في كتابه «الدر النثير» يظهر في خمسة أمور هي:

١ - الاستقصاء والشمول.

٢ - التعليل وتوجيه الأحكام.



٣ - التعليم وحل المشكلات.
٤ - تعقّب الماتن وتحقيق المتن.
٥ - العناية بعلوم اللغة من نحو وصرف ولغة وصوت.

هل لهذا الكتاب عناية بعلم التجويد؟

تختلف كتب القراءات القرآنية عن كتب التجويد، وقلما يوجد كتاب في القراءات له عناية بالتجويد، خلافا لكتاب «الدر النثير»، فإن له عناية خاصة بأحكام التجويد تبدّت في مواضع كثيرة من الكتاب، ولكنها أظهر ما تكون في إفراده فصلين كاملين لمخارج الحروف وصفاتها، وإفراده فصلا كاملا لذكر النون الساكنة والتنوين، والناظر فيه يقف على تفصيلات وتعليلات صوتية قد لا يقف عليها في أي كتاب آخر يعنى بالتجويد، فمن ذلك كلامه على صفة الإطباق وربطه بين نطق الحروف المطبقة ورسمها حيث قال: «فالأحرف المطبقة: الطاء والظاء والصاد والضاد، سميت بذلك لانطباق ظهر اللسان مع الحنك الأعلى عند النطق بها، ولهذا كتب كل واحد منها في خطين متوازيين متصلي الطرفين إشعارا بمخرجها»، فهو يشير هنا إلى أن اللسان يشكل مع قبة الحنك طبقًا مسدود الطرفين يشبه رسم هذه الحروف (ط ظ ص ض)، ومن ذلك عقده مسألة في توجيه أحكام النون الساكنة والتنوين ذكر فيها عللا صوتية قلما تجدها في كتاب آخر من مثل قوله: «وأما القلب عند الباء فلأنه لما ثقل إظهار النون هناك لما تقتضيه النون من استحكام انفتاح الشفتين، واتصال طرف اللسان بمقدم الفم، وإثبات الغنة، وكل ذلك منافر لما تقتضيه الباء من انطباق الشفتين وانفصال طرف اللسان من موضع النون وإبطال الغنة، أبدلوا من النون حرفا متوسطا بين النون والباء، لأنه يشارك النون بالغنة، ويشارك الباء في المخرج وانطباق الشفتين» فهذا نص صريح على وجوب انطباق الشفتين لدى عملية الإقلاب خلافا لما يصنعه بعض القراء اليوم من عدم إطباق الشفتين.

كتاب «التيسير» اتسم بالإيجاز والاختصار فجاء «الدر النثير» ليبسط الكلام على ما أوجزه ويفصل ما أجمله

عمل المحقق

توزعتْ دراسة المحقق لهذا الكتاب على أربعة أبواب، تناول في الأول عصر المؤلف المالقي وترجمته، وعرض في الثاني لعلم الأصوات وعلم القراءات القرآنية والعلاقة بينهما، وبسط الكلام في الثالث على منهج المالقي في الكتاب، وأفرد الكلام في الباب الرابع للمادة الصوتية في هذا الكتاب، وهي بيت القصيد من كل هذه الدراسة التي بلغت نحو ٥٠٠ صفحة.

وإذا أردنا تلخيص أبرز نتائج الدراسة، فإن نتائج الباب الرابع أكثر فائدة لأهميتها في ميدان الدراسات الصوتية والقراءات القرآنية ويمكن تلخيصها فيما يأتي:

١- جاء عرض المالقي للمخارج والصفات موافقًا، إلى حد بعيد، عرض المتقدمين لها لاسيما سيبويه، بيد انه امتاز مع ذلك منها بمزايا أهمها:

أ- عنايته بالتعليل الصوتي كما بدا ذلك جليًا في كلامه على الحروف المتوسطة.

ب- إيضاحه بعض الصفات المشكلة لاسيما صفة الإطباق.

جـ- شرحه ما غمض من عبارة سيبويه في الكتاب حول المخارج والصفات.

٢- تؤيد الدراسات الصوتية التجريبية كثيرًا مما عرضه المالقي في المخارج والصفات وتكاد مخالفتها تنحصر في الأمور التالية:

أ- عده النون الخفيفة حرفًا مستقلًا بلغت معه حروف العربية الثلاثين.

ب- إغفاله ذكر الحنجرة ووظيفة الوترين الصوتيين فيها.

جـ- كلامه على مخرج الضاد، ووصفه هذا الصوت بالرخاوة.

د- وصفه القاف والطاء بالجهر.

٣- فرّق زمنيًا بين الحرف المدغم والحرف المفرد والحرفين المفككين.

٤- وضع قانونًا للإدغام يحكم العلاقة بينه وبين سببه وهو تقارب الحروف، ثم حدد جملة من أصول الإدغام، وفصّل شروط الإدغام وموانعه العامة والخاصة.

٥- تكلم على قانون القوة في التأثير بين الحروف (الغلبة للأقوى) ثم حدد صفات القوة.

٦- جمع- فيما أورده من أحكام الإدغام- بين ما جاء وفق فصيح كلام العرب، وما جاء في القرآن الكريم وفق قراءة أبي عمرو بن العلاء، مميزًا كلًا منها، ومستوعبًا جميع أمثلة الإدغام في القرآن على اختلاف الروايات واتفاقها.

٧- عني بعلل الإدغام الصوتية، ووافق في عرضها أحدث ما جاء في علم وظائف الأصوات من قوانين.

٨- أوضح العلاقة بين حروف المد والحركات (المصوتات الطويلة والقصيرة) مبينًا أن حروف المد ما هي إلا امتداد للحركات السابقة لها.

٩- فرّق بين أنواع الزيادة في المد، وربطها بموجباتها، مبينا درجاتها وعللها.

١٠- حصر مواطن القصر والزيادة في الحركات، ولقبها بأدق المصطلحات والتسميات من إشمام، وإخفاء، وروم، واختلاس، وتمطيط، وصلة.

١١- تكلم على أحوال الياء والواو الثلاث: المدية، واللين، والصامتة.



تحديات اليوم

مع دخول الإنترنت والفضائيات وغيرها من وسائل الإعلام الحديثة إلى غرف وحياة الأطفال والشباب مباشرة، حاملة إليهم أشكالًا وألوانًا مختلفة باهرة ومتناقضة مع مقومات ومكنونات التنشئة العربية والإسلامية التي تقدمها الأسرة، متمثلة في الوالدين، وكذلك المجتمع بمؤسساته وهيئاته المعنية بقضايا التنشئة كالمدرسة والجامعة والمراكز الدينية والاجتماعية والثقافية، أصبحت عملية التنشئة معقدة ومرتبكة ومزدوجة المرجعية، حيث إن معظم ما تقدمه الوسائل والقنوات والشبكات المعولمة من برامج ومعلومات تنمي قيم الاستهلاك وتخلق احتياجات وهمية، وتنمي القيم الفردية والمصالح الذاتية على حساب قيم العمل الجماعيٍ والتطوعي والولاء للوطن، مما يؤدي إلى خلق صدام بين الطفل أو الشاب وأسرته أولًا ومجتمعه القريب ثانيًا ووطنه ثالثًا.

هذه التحديات تضاعف من مسؤولية الأسرة في النهوض بكفاءاتها، أي أن تكون قادرة على مناقشة كل تلك التحديات وكل تلك العوامل المنافسة لدورها في التنشئة، ولن يتم ذلك إلا من خلال النهوض بالثقافة والوعي لدى الوالدين، واستعادة روح التلاحم والتماسك الأسرية بين الأب والأم والأبناء، وعودة الوالدين إلى القيام بأدوارهما في التنشئة الوطنية للأبناء، حماية للأبناء وحماية للأوطان.

التحرير



تحديات تواجه الأسرة المسلمة

فوزي تاج الدين

تواجه الأسـرة المسلمة تحديات متسارعة تؤثر في فكرها وثقافتها، وتعمل على هدم القيم والمبادئ الإسلامية والإنسانية وتجعلها في مواجهة التغير والتكيف، وللأسف نجد بعض النساء قد استجبن لهذه التحولات والثقافات المادية، وخاصة في ظل خلو الساحة الدولية من وجود نموذج إسلامي معاصر متوازن يمثل العالم الإسلامي ويعبر عن حقيقة شخصية المرأة المسلمة المعاصرة في فكرها وثقافتها، مما أدى إلى اختراقات تؤثر سلبًا على صورتها.

من أخطر ما تواجهه الأسرة المسلمة عامة والمرأة خاصة ما شهدته السنوات الأخيرة من عقد مؤتمرات دولية تصدر قـرارات ووثـائق هدفها تدمير الأسـرة المسلمة، وليس أدل على ذلك من مؤتمر المرأة الذي عقد في بكين ١٩٩٥م، وكذلك وثيقة «السيداو» التي تهدم خط الدفاع الأول عن الإسـلام وهـو الأسـرة، حيث إنها تدعو إلى إشاعة الانحلال الخلقي في المجتمعات الإسلامية بما تتضمنه من المساواة حتى في الإباحة الجنسية أو إلغاء كل الفروق البيولوجية والنفسية بين الرجل والمـرأة، والخطورة في هذه الوثيقة الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة أنها تستبعد الدين تماما من الصياغات القـانونية وكـذلك الجـانب الأسـري، وتخلي الـدول عن مقوماتها الثقافية ودورها الاجتماعي والثقافي تحت شعار العولمة(١).

ولا يغيب عـن الأذهــان أن الطفل المسلم هو أكثر الفئات عرضة للحملات التي تستهدف تغريبه وعزلـه عـن دينه وهويته الثقافية الإسـلامية، وهناك الكثير

> **الطفل المسلم هو أكثر الفئات عرضة للحملات التي تستهدف تغريبه وعزله عن دينه**

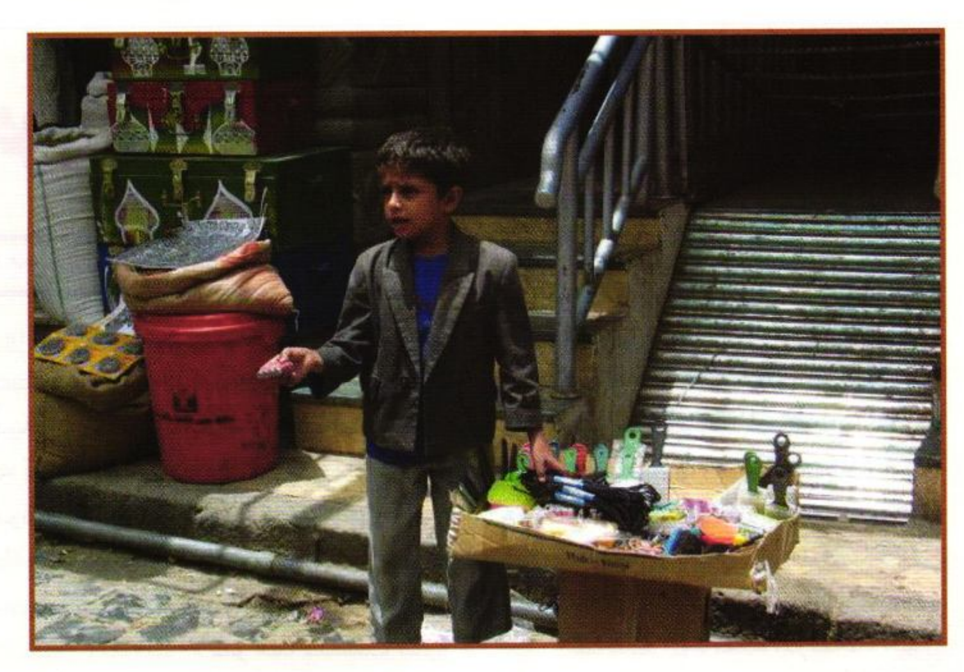
من الـدراسـات التي تشير إلـى خطورة الشاشة الصغيرة على الطفل، فالإفراط في مشاهدة التلفاز يؤدي إلى قصر زمن الانتباه لدى الطفل ويقلل من قدرته على التعلم الذاتي، ومن هذه الدراسات دراسة أكدت خطورة الإعلانات الموجهة للشباب من الجنسين والتي تحتوي على كل ألوان الإثـارة شكلا ومضمونـا، وتحمل قيما سلبية مثل الشراهة والتبذير والتباهي والتفاخر والعنف والتركيز على جذب الجنس الآخـر، واستخدام الملابس غير اللائقة والصوت المثير وحركات العين والشفاه الأكثر إثارة(٢).

ومما لاشك فيه أنه في ظل التنافس الذي تشهده آليات العصر الثقافية بعد انتشار القنوات الفضائية واستخدام الهوائيات والـدش.. أصبح من أهـداف الثقافة الكونية- بما تضم من مشاهد مكثفة للهوى والترفيه والرقص- إبعاد الطفل المسلم على وجـه التحديد عن شخصية أمتـه الإسـلاميـة وثقافتها؛ لأن مثل هـذه المـواد تجـذب الحـواس، وتشل الإرادة وتجعله يعيش في مرحلة الـلاوعـي، ومـن ثـم ضعف الـقـدرة على مواجهة التحديات التي تتمثل في حاجته إلى أن يفهم جيدًا ثقافة أمته ويتعلم اللغة العربية الصحيحة، وكذلك وقوعه بين ثقافتين: ثقافة الأصل وثقافة الحداثة.

ومـن أهـم التحديات التي تواجهها الأسـرة المسلمة وبالتالي الطفل المسلم الابتعاد عن تعاليم الإسلام وخاصة فيما يتعلق باختيار الـزوجـة الصالحة، ففي كثير من الأحيان وتحت ضغط الإعلام الذي يثير الغرائز، لم يعد هناك اختيار للزوجة بترجيح ميزة الدين والخلق وإنما المـال والجـمـال، وكـذلك الحـال بالنسبة للفتيات، فقد أصبح معيار الاختيار- في كثير من الأحيان- لصاحب المال، وهـذا كله يرجع إلى ابتعاد كثير من الأسر عن الأحـاديـث النبوية الشريفة التي تتعلق بالزواج مثل قوله ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمـالهـا، ولحسبها، ولجـمـالهـا، ولدينها، فاظفر بـذات الدين تربت يـداك»، وفي ظل عدم التمسك بهذا الحديث لا تحفظ الزوجة حقوق زوجها أو أبنائها ومن ثم لا تحـفـظ الأسـرة بـالاتـزان والتـكـامل والسكينة والـرحمة، وكذلك الابتعاد عن حديث رسـول الله ﷺ: «إذا جاءكم من

• باحث أسري





ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» (رواه الترمذي)، فعدم التمسك بهذا الحديث يؤدي إلى افتقاد الأطفال للقدوة الحسنة.

جريمة في حق البراءة

والتحدي الخطير الذي يواجه الطفل هو ما نراه من ظاهرة عمالة الأطفال، والتي تعد بحق جريمة في حق البراءة، ومن المنظور الإسلامي نجد أن عظمة التشريع الإسلامي في تكليف العامل عند وصوله إلى مرحلة سنية معينة بعمل يظهر فيه تمييزه بين الضار والنافع، والحق والباطل، ومن المعروف أن ارتكاب الأخطاء قبل المرحلة المحددة لا يعاقب عليها النشء بدليل أن من مات قبل التكليف فلا حساب عليه عند الله عز وجل، وأنه إذا كان المقنن يأخذ بهذا المبدأ فما بالنا بالشريعة الإسلامية التي سبقت كل التنظيمات الحديثة والمعاصرة منذ أكثر من أربعة عشر قرناً في العناية بالطفل وحفظ حقوقه ومنعه من العمل في أعمال شاقة، فرعاية الأطفال أمر ضروري في ديننا الحنيف، وليس أدل على ذلك من مطالبة رسولنا الكريم ﷺ بالرفق بالأطفال وعدم معاملتهم معاملة الرجال في تحمل أعباء السفر والجهاد والقتال، فتكليف الأطفال بأعمال تفوق طاقاتهم ممنوع شرعًا؛ لأن في ذلك الضرر كل الضرر للطفل صحيًا وجسميًا ونفسيًا واجتماعيًا، خاصة وانه في هذه السن يحتاج إلى حنان الأم وعطف الأب وحكمته وحمايته.

وليس صحيحًا ما يردده الغرب من أن العرب لا يعرفون كيف يربى الطفل! فالحقيقة تشير إلى أن مظاهر اهتمام العرب والمسلمين بالتربية تنوعت تبعًا لفلسفاتها الاجتماعية وإمكاناتها المادية والاقتصادية، ومن الجدير بالذكر أن الطفولة في ظل التربية الإسلامية حظيت بنظرة فريدة سبقت كل النظريات التربوية المعاصرة، بل وتفوقت عليها، فكان الطفل حقًا فلذة الكبد وزينة الحياة، ولقد فطن العرب- بالسليقة- إلى مراحل نمو الطفل، وأشاروا إلى تقسيمات تربوية رائعة، وفي سيرة الرسول ﷺ شواهد حافلة بالرعاية الصادقة للطفولة، فكثيرًا ما داعب الأطفال الصغار ومنهم حفيداه الحسن والحسين رضي الله عنهما.

لاشك أن مواجهة هذه الظاهرة غير الإنسانية مرهون بالتمسك بتعاليم الإسلام، خاصة وأن الأمر يتطلب ضرورة مواجهة الفقر من منظور إسلامي بوصفه عاملًا من العوامل الدافعة إلى عمالة الأطفال، والتي ينتج عنها إهدار طاقات أجيال المستقبل، حيث يتعلم الطفل الذي يدخل سوق العمل مبكرًا سلوكات شاذة وممارسات خاطئة تغرس لديه بذرة الحقد والكراهية لمن حوله، وسرعان ما يتحول إلى أعمال عدوانية عندما يشتد عوده، ويعود السبب في هذا إلى حرمانه من التمتع بمرحلة الطفولة الصغيرة بينما يرى غيره من الأطفال الأغنياء ينعمون بحياة تمثل له المستحيل(٣).

ولمواجهة تلك التحديات التي تواجه الأسرة لابد من تدخل الحكومات الإسلامية لمواجهة مشكلة عزوف الشباب عن الزواج الذي ينتج عن مشكلات أخلاقية وقيمية واجتماعية، بأن توفر كل السبل الممكنة لتكوين أسر جديدة، وكذلك الحفاظ على المرأة المسلمة ضد أي تيارات وافدة تحت شعار حقوق المرأة، والصداقة والمساواة الكاملة مع الرجل، حتى تضمن مجتمعا إسلاميًا مستقرًا.

المراجع

(١) سيد عرفات: اتفاقية السيداو وهدفها هدم الأسرة، متابعة ندوة، القاهرة، أغسطس، ٢٠٠٠م.
(٢) رسالة ماجستير للباحثة جيهان البيطار بقسم العلاقات العامة بكلية الإعلام، جامعة القاهرة، «أخلاقيات الإعلام ومدى تطبيقها في واقع الممارسة الإعلانية».
(٣) فوزي تاج الدين، وائل ربيع: تحقيق: عمالة الأطفال جريمة في حق البراءة، جريدة صوت الأزهر، العدد ٤٠، القاهرة، ٢٧ ربيع أول ١٤٢١هـ - ٣٠ يونيو ٢٠٠٠، ص٣.

مفاهيم خاطئة حول أصول العلاقة بين الزوج وزوجته

أ.د. محيي الدين عبدالحليم

على الرغم من أن التاريخ العربي والإسلامي زاخر بالعديد من النساء اللائي وقفن إلى جانب أزواجهن في السراء والضراء، وكن مدرسة تخرج فيها عظماء في مختلف ميادين الحياة، بل من النساء من تفوقن على الرجال في كثير من الأمور، وبرزت قيادات نسائية في مراحل التاريخ المختلفة وكان منهن الصالحات القانتات الحافظات للغيب بما حفظ الله فإن الشواهد العملية تؤكد أن من نساء المسلمين اليوم من تستعلي على زوجها، ولا تتقي الله فيه، وهذا الصنف من النسوة يقع في دائرة النشوز، والنشوز كما يقع من الزوجة، فهو يقع كذلك من الزوج حين يستعلي على زوجته، ويسيء معاملتها، ويتطلع إلى واقع آخر مما ينتج عنه هدم الأسرة، وقد أشارت الدراسات العلمية إلى وجود هذه الظاهرة المؤلمة في المجتمعات العربية، ظاهرة وثقتها منظمة العفو الدولية، وهنا تظهر أهمية المؤسسات التربوية والإعلامية لإزالة أسباب النشوز وتفكك الأسر مما يتطلب ضرورة تغيير المفاهيم الخاطئة المرسخة حول أصول العلاقة بين المرأة والرجل، والمسؤولية المنوطة بكل منهما إزاء الآخر، وضرورة نشر الوعي بحقوق المرأة على زوجها، وحقوق الزوج على زوجته والتوعية بمخاطر الطلاق بعد أن ارتفعت نسبة العوانس والمطلقات في الوطن العربي بمعدلات قياسية، وهي من الظواهر التي فرضت نفسها أخيرًا، وأسفر عنها انتشار الزواج العرفي والزواج السري وعزوف الشباب عن الزواج بالطرق السوية والشرعية.

لفت انتباهي ذلك النداء الذي وجهته الأستاذة نفيسة شاهين الداعية والخبيرة الإسلامية، والذي قالت فيه «يا نساء المسلمين اتقين الله»، واستهدفت من ورائه تقوى الله في النفس والزوج والولد وفي جميع أمور الحياة، ولعلي أتفق معها فيما نادت به بعد أن ارتفعت معدلات الخلافات الزوجية، ووصلت هذه المعدلات إلى درجات عالية أصبح من واجب المؤسسات التي تعنى بقضية المرأة الاهتمام بها، ودراسة الأسباب الكامنة وراءها، والعمل على إيجاد الحلول اللازمة والعاجلة لها.

لقد أدى عدم تقوى الله إلى خلافات زوجية في العالم العربي بحيث أصبحت تشكل ٦٥٪ من الخيانات الزوجية، وقد كشفت الدراسات الاجتماعية انحلال منظومة القيم في المجتمع العربي مما أدى إلى ارتفاع معدلات الطلاق بصورة مخيفة بسبب انعدام التواد والتراحم، حتى شملت ٤٠٪ من المتزوجين حديثًا في كثير من البلاد العربية، هذا بالتالي أدى إلى انحراف الأطفال وتشردهم، وأصبح كل طرف يستخدم الأطفال كأسلحة يوجهها إلى الطرف الآخر، وتشير الإحصاءات إلى أنه يوجد في مصر وحدها ١١ مليون عانس، وعلى الرغم من ذلك وجدنا من تخرج علينا بتشريع يمنع تعدد الزوجات، مما رفع نسبة العوانس والمطلقات والأرامل اللاتي يعشن بدون زوج يحميهن ويرعاهن، وينفق عليهن، ويلبي احتياجاتهن.

وقد خطت بعض الدول الإسلامية خطوات واسعة في هذا الاتجاه حيث سنت هذه الدول قوانين تمنع تعدد الزوجات، وهذا يعني إلغاء نص صريح في القرآن الكريم ينسجم مع فطرة الإنسان ويلبي غرائزه واحتياجاته، وهو تشريع لم يفرض على المرأة الزواج ممن لا تريد، ولكنه يترك لها حرية الاختيار، كما اشترط على الرجل الذي يتزوج بأكثر من واحدة أن يقيم العدل بين زوجاته، ورضخت بعض هذه الدول إلى ضغوط دولية بإلغاء التعدد، وتحريض المرأة على عدم طاعة زوجها، وإلغاء الولي، وهو ما يعكس الفكر المادي الذي يقيم العلاقة الزوجية على أساس نفعي، ويستبعد المودة والرحمة، ويبطل العمل بقوانين السماء وأصبحت القضية قضية جدلية تتناولها بعض الأقلام.

وقد طالبت هذه الأقلام بسن قوانين

أستاذ الصحافة في جامعة الأزهر



تعطي الزوجة الحق في إدخال زوجها السجن إذا دعاها لفراش الزوجية دون رضاها، كما طالبت بعدم اعتراض الزوج إذا أصطحبت زوجته صديقا لها إلى المنزل وأيدت حق ضرب الزوج، ولدينا الإحصاءات التي تفيد أن ما يقرب من ٤٠٪ من الزوجات يضربن أزواجهن مما يشير إلى اختلال الموازين وانهيار الأخلاق وإشاعة الانحلال والانفلات في المجتمع العربي كما يشير إلى انقلاب الأدوار وارتفاع معدلات العنف الأنثوي نتيجة للتربية غير السوية للأطفال في المنازل، وغياب الوازع الديني، وإشاعة الفساد والفوضى عن طريق القنوات الفضائية وشبكة المعلومات الدولية.

ولعل من أبرز أسباب هذا الانهيار غياب منظومة القيم المستمرة في ثقافتنا الإسلامية، وانتشار الدعاية التي تمجد النموذج الغربي، وتسعى لطبع المرأة المسلمة وفقا لهذا النموذج مما كان له أبلغ الأثر في تمرد المرأة في بلادنا على العقد الذي يجمع القيم والأخلاق، وانفرطت معه حبات المسبحة مما آثار حفيظة المستشرقة الألمانية سيجرد هو نكة التي قالت إنه لا ينبغي أن تتخذ المرأة العربية نساء الغرب قدوة تحتذي بهن، ولكن عليها أن تتمسك بهدى الإسلام، وأن تلتمس المعايير والقيم العربية الأصيلة، فلا يخدعها هؤلاء الذين يسعون لإفساد المرأة العربية والأسرة المسلمة.

وأخيرًا تقول: إن وضع المرأة في العالم العربي في حاجة ماسة إلى تغيير في الثقافة السائدة في هذه المجتمعات، وعلى وسائل الإعلام والقنوات الفضائية أن تمتنع عن عرض المرأة كسلعة في الإعلانات وفي البرامج الدرامية وبرامج المنوعات، وأن تؤكد على احترام مشاعر المرأة وأنوثتها والاهتمام بها.

الأب الناجح

سمير إبراهيم علي متولي

يتصور كثير من الآباء أن الحنان والعطف والرحمة صفات تختص بها الأم فقط، أما الأب فيجب أن يكون حازمًا شديدًا، حتى يتمكن من الضبط والربط داخل الأسرة.

هذا المفهوم يجب تصحيحه فالأب النموذجي رحيم بأبنائه عطوف عليهم، بينما الأب القاسي يسبب لهم الأمراض النفسية، والانحرافات السلوكية، وهذا ما تؤكده دراسات علم الاجتماع أن القدوة ضرورية في حياة الإنسان، والأطفال بطبيعة حالهم يحاكون أبويهم حتى قبل أن يتعلموا الكلام فيكون تعليم الطفل بهذه الطريقة أفضل بكثير، حيث يكون أمامه نموذج حي حتى يقلده في كل شيء في حياته.

ومن الآباء من لا يراعي الرحمة مع أبنائه ولا الحنان في معاملتهم فيكونون أشد عليهم من الآخرين، وذلك يترك في نفوسهم جروحًا لا تزول ولو بمرور السنين.

وهنا يجب أن نوضح معنى العطف والرحمة الذي نقصده وهو ألا يتهاون الأب مع أولاده في مواطن الحزم، التي تتطلب وقفة قوية للأب يضع فيها الحدود لأبنائه، ويوضح لهم القواعد التي ينبغي ألا يحيدوا عنها، وكلنا نعلم أن المواقف التي تؤخذ من جانب الأب لأبنائه لا تنسى وتؤثر تأثيرًا شديدًا فيهم وتحفر في أذهانهم، ونذكر الآباء ببعض النقاط المهمة أو النصائح التي من الأفضل اتباعها في معاملتهم مع ابنائهم ومنها:

- تحلي الآباء بالصبر في معاملتهم مع الأبناء من المهارات الأبوية المهمة للتربية السليمة، فقد حذر الخبراء من كثرة معاملة الأولاد بالعنف خاصة إذا كانت طبيعة الأب عصبية أو كان سريع الغضب، كما حذروا أيضًا من ضرب الأبناء في لحظات الغضب باعتباره من الأخطاء الخطيرة التي لا تؤدي إلى تعليم أو توجيه سليم بل إلى آلام نفسية خطيرة.

- يعلم كل أب أن ابناءه يتعلمون بالحب قبل أن يتعلموا بالأمر أو الشدة، لذلك عليهم أن يحرصوا على أن يسود الحب بينهم وبين أبنائهم.

- على الأب أيضًا أن يجلس مع ابنه أو ابنته كل فترة، ويتقرب منهم ويسألهم عما يفكرون فيه أو إذا كان هناك شيء ما يؤلمهم أو يؤرقهم أو يضايقهم، ويسألهم أيضًا عن أحلامهم وطموحاتهم، فحوارات المصارحة مع الأبناء هي تفريغ نفسي وجداني هام جدا في التربية، حيث يشكو كثير من الآباء من عدم قدرتهم على التقرب من أبنائهم، والسبب في ذلك أنهم لم يحاوروهم في الصغر فيصعب ذلك عليهم في الكبر، وتكون النتيجة نشأة شبه جدار عال يفصل بينهم وبين ابنائهم يصعب بعد ذلك اختراقه.

• كاتب صحفي

مبدأ العقاب في التربية الإسلامية

د.حميد بن خيبش

إن تصور الإسلام للتربية باعتبارها منطلق التغيير الحضاري واللبنة الأساس في مشروع إعداد الفرد المسلم المؤهل للنهوض بأعباء الإنابة والاستخلاف في الأرض تصور كامل ومتوازن يضمن حرية الفرد في التصرف والفعل، مع استحضار جملة من الضوابط التي تحول دون مساس هذه الحرية بالمقاصد الشرعية التي يروم الدين الإسلامي صونها وحفظها. ومن خصائص هذا التصور أنه منح عملية التعلم بُعدًا تعبديًا حين أضفى عليها المشرع طابع الإلزام «العلم فريضة على كل مسلم»، وقرن فيها بين التعلم وبين تحصيل الأجر والثواب الأخروي «من سلك طريقا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقا إلى الجنة».

لأن الأصل في الدين اليسر والبعد عن الغلو، فقد وردت في الشرع الإسلامي جملة من الآيات والأحاديث التي تحث على الرفق والحنو، وتنبذ العنف والتعنت والشدة (قوله تعالى «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» وحديث الرسول ﷺ «علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف») فأرست بذلك قاعدة تربوية جليلة دأب المربون المسلمون الأوائل على استحضارها ضمن اجتهاداتهم ومقترحاتهم التربوية كما سنبين لاحقًا.

لأن بعض النفوس لا تنقاد بالرفق واللين، فقد حرص الشارع الحكيم على إرساء آلية للزجر تحول دون الانحراف عن الجادة، واستفحال بذرة الشر. لذا نجد القرآن الكريم والسنة النبوية متضمنين لأشكال من العقوبات سمتها التدرج وغايتها التهذيب والإصلاح لا الردع والانتقام، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «والعقوبات الشرعية كلها أدوية نافعة يصلح الله بها مرض القلوب، وهي رحمة من الله بعباده، ورأفته بهم الداخلة في قوله تعالى ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾، فمن ترك هذه الرحمة النافعة لرأفة يجدها بالمريض فهو الذي أعان على عذابه وهلاكه».

لكن لا ينبغي أن يُفهم من تشريع العقاب في ميدان التربية أنه أسلوب تعليمي يتخذ من الشدة والقسوة ديدنا في التعليم والتلقين، بل هو ضرورة يُلجأ إليها عند استنفاد أساليب الترغيب والترهيب، وتُقدر بقدرها، ولذا أجمع علماء التربية في الإسلام على مراعاة التدرج في العقاب بدءًا بالنصح والإرشاد، ثم الهجر والتأنيب على انفراد، ثم التقريع على رؤوس الأشهاد، وصولاً إلى الضرب الذي ينبغي أن يكون معتدلاً غير موجع ولا مبرح، ويُتجنب فيه الوجه والصدر والبطن، وتكون العصا رطبة لينة، ولا يُجاوز بالأدب ثلاث ضربات إلا بموافقة ولي الأمر، يقول ابن سحنون في رسالته الشهيرة «آداب المعلمين» «ولا بأس أن يضربهم- أي المعلم- على منافعهم، ولا يجاوز بالأدب ثلاثًا إلا أن يأذن الأب في أكثر من ذلك إذا آذى أحدًا، ويؤدبهم على اللعب والبطالة، ولا يجاوز بالأدب عشرة، وأما على قراءة القرآن فلا يجاوز أدبه ثلاثًا».

أما الفقيه القيرواني أبوالحسن القابسي فينهى عن الضرب ساعة الغضب، ويوجب استشارة الأب «كما ينبغي لمعلم الأطفال أن يراعي منهم حتى يخلص أدبهم لمنافعهم، ليس لمعلمهم في ذلك شفاء من غضبه، ولا شيء يريح قلبه من غيظه، فإن أصابه فإنما ضرب أولاد المسلمين لراحة نفسه وهذا ليس من العدل، فإن اكتسب الصبي جُرما من أذى ولعب وهروب من الكتاب وإدمان للبطالة فينبغي للمعلم أن يستشير

* باحث أكاديمي

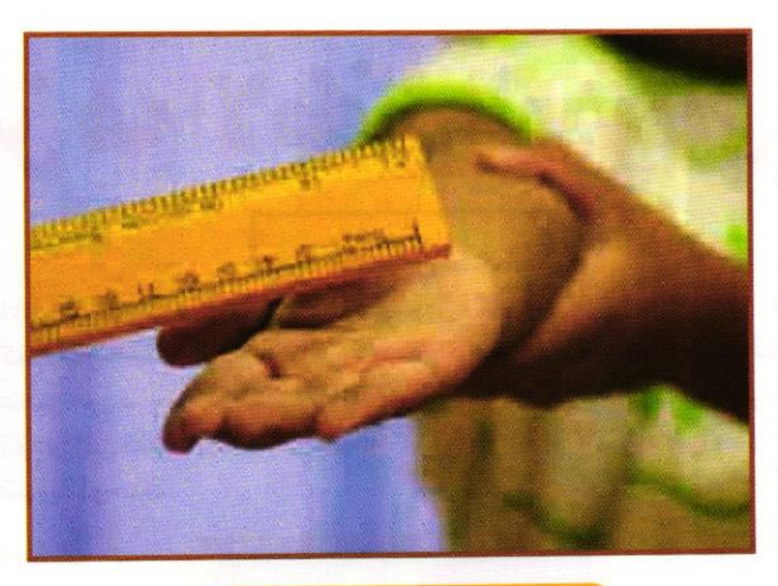


أباه أو وصيه إن كان يتيما، ويعلمه إذا كان يستأهل من الأدب فوق الثلاث» (الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين).

وإذا كان التصور «الفقهي» للعقاب التربوي يستلهم دواعيه من الهدي النبوي، ويشترط التدرج في تقويم سلوك المتعلم من اللين إلى الشدة، حتى يكون الضرب بمنزلة «آخر العلاج الكي»، فإن ابن خلدون الذي أدرك بنباهة فذة تلك الصلة الوثيقة بين ازدهار صنعة التعليم وزيادة الناتج الحضاري أعلن رفضه للأساليب التربوية القائمة على الشدة والعسف، وعدها مسؤولة عن شيوع الانحراف الخلقي الذي يتسبب في خراب العمران «ومن كان مرباه بالعسف أو القهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم، حمله القهر عل الكذب والخبث، وذلك يضيق على النفس في انبساطها، ففي القهر مدعاة للكسل، وفيه حمل على الكذب والخبث والتظاهر بغير ما في ضميره خوفًا من انبساط الأيدي بالقهر عليه» (المقدمة ص:١٢٤٣)

ويبدو الموقف الخلدوني منسجمًا إلى حد كبير مع النقلة النوعية التي عرفها الفكر التربوي الإسلامي، المتمثلة في الحد من غلبة النزعة الفقهية وذلك بإدراج جملة من العلوم «الدنيوية» الكفيلة بإعداد الفرد المسلم المؤهل للبناء الحضاري وتحقيق العمران.

إن استعراض الآراء التربوية لابن خلدون والمبثوثة في مقدمته الشهيرة يُبين العقاب كتصرف تربوي قد جاوز حد الاعتدال وغدا أسلوبًا تعليميا يُداري من خلاله «المربون» جهلهم بفنون وقواعد صنعة التعليم كما حددها رائد الاجتماع البشري!



التدرّج في العقاب يبدأ بالنصح ثم الهجر والتأنيب ثم التقريع وصولا إلى الضرب الخفيف

من خلال ما ذُكر يتضح الخلط الشنيع لدى أنصار التربية «الحديثة» بين التصور الإسلامي للعقاب التربوي، وبين الأسلوب التعليمي السائد في مؤسسات التربية التقليدية (الكتاتيب تحديدًا)، كما يبدو التحامل واضحًا على المنهج التربوي الإسلامي الذي هيأ للأمة أسباب النهوض بتأسيسه للمنهج العلمي التجريبي الذي يقوم عليه التقدم المعاصر كله.

هذا الانحراف في الفهم هو الذي قاد الفقيه والمربي المعاصر الشيخ يوسف القرضاوي إلى إعادة النظر في التبرير الديني لاستخدام الضرب في التعليم، حين أعلن في كتابه «الرسول والعلم ص١٢٠»، والواقع أن الضرب في الأصل ينبغي أن يُمنع لأنه ينافي الرفق الذي تحدثنا عنه، وقدوتنا في ذلك معلمنا الأول رسول الله ﷺ، فقد روى عنه خادمه أنه ﷺ ما ضرب بيده شيئًا قط، لا امرأة ولاخادمًا ولا دابة، ولم يشرع الإسلام ضرب الصغار إلا في موضع واحد جاء به في الحديث في تعويد الأبناء الصلاة قبل البلوغ حتى يشبوا على أدائها ورعايتها».

وقد خلصت الاتجاهات التربوية والنفسية الحديثة إلى تأكيد موقف الإسلام في اعتبار العقاب أقل الأساليب فعالية في التعليم، إلا أن منها من بالغ في النفور من العقوبة، واعتبرها سمة حيوانية لا تليق بالوظيفة الإنسانية للتربية! فكان الجيل الذي أريد له أن يتربى وفق هذا التصور جيلًا مفككًا، ومتميعًا ومنحلًا.

ومنها من دعا إلى الحفاظ على قدر من الحزم حين لا تفلح وسائل الترغيب، وقيد العقوبة بشروط مستلهمة من التصور الإسلامي «معايير عالم النفس دانييل لومبير Danniel lambert».

إن العقاب في الفكر التربوي الإسلامي عملية تقويمية للطباع والأخلاق والسلوك، تروم تحقيق تعامل نموذجي للفرد في علاقته بخالقه وبالكون والإنسان، لذا فإن استحضار البعد التربوي لهذا المبدأ في العملية التعليمية رهين بسلامة العلاقة التربوية بين المدرس والتلميذ، سلامة تقتضي التخلص من جملة الإكراهات التي تتحمل مسؤوليتها الأنظمة التربوية ببلداننا، وفي مقدمتها الحرص على استيراد النموذج الغربي بكل أدواته وتوابعه الحضارية التي لم تخلف في بلدانها الأصلية غير الشك والارتياب، والفوضى والاغتراب، وتردي القيم!

من هم الأطفال الموهوبون؟

بشرى شاكر

بين كلمة Intelligentia التي عنى بها الفيلسوف «شيرون» كلمة «نحن» وتغييرها إلى Intelligence، ونسبها إلى الذهن أوالعقل أوالحكمة وترجمتها عربيا باسم ذكاء، نجد مفاهيم كثيرة للذكاء، تغيرت حسب العصور، فمن قبل كان العلماء وحتى عصر قريب جدا، يعتبرون الذكاء ملكات، ونظرية الملكات تعني أن العقل يتألف من عدد من القوى المستقلة التي تؤدي إلى نشوء نشاطات معينة، مثل الإرادة أوالانتباه إلى غير ذلك، ثم تغير هذا المفهوم لمفهوم فراسة الدماغ أوالقدرة الموحدة.

المفهوم الحديث للذكاء يقسمه إلى شطرين: جانب معرفي وآخر وجداني، وهذه هي نظرية الفيلسوف الإنجليزي «هربرت سبنسر»، ويقصد بالجانب المعرفي كل العمليات التحليلية المكتسبة التي تساعد الإنسان على التكيف مع المتغيرات الجديدة في بيئته، أما الجانب الوجداني فهو الذكاء الفطري الذي يصقل بالمعرفة وهو أيضا ما اعتمده علم النفس المعرفي الذي يفترض أن التفكير هو سيرورة في معالجة المعلومات، لذا وجب استثمار المعارف ومعالجة المعلومات في الذاكرة واللغة.

وهذا التفسير هو الأقرب إلى قوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦)، ومن هنا نتبين أنه فعلا هناك ذكاء وجداني أو ما نسميه بالبصيرة، وهو ذكاء فطري موروث يصقل بالمعرفة، لذلك نرجح أن هذا التفسير الأخير هو الأقرب للصواب والله اعلم.

وتعريف الذكاء مازال مثار نقاش إلى وقتنا الراهن، وقد أصبح الآن هاجس

توماس أديسون وصف بالبلادة لكنه استمر يبدع حتى صار أحد أكبر المخترعين في العالم

قياس الذكاء يشغل معظم قادة حركة القياس العقلي، ومقياس الذكاء هو الذي نسميه ب «QI».

وبما أننا نتحدث عن التربية، فما يهمنا في هذه التناولة هم الأطفال المبدعون أو الذين يمتلكون قدرات عقلية أعلى نسبيا من أصدقائهم، ويتميزون بمهارات كبيرة، والعديد من العلماء المعاصرين باتوا يحثون المربين والآباء على حد سواء على محاولة الاكتشاف المبكر لمواهب وقدرات الأطفال.

ويعرف الأخصائيون الأطفال الموهوبين على أنهم أذكياء أو عباقرة أو نوابغ وهي في حد ذاتها عبارات ثناء وإطراء على ما يقومون به ويبهرون به الكبار.

وبعض الدراسات تفيد أن القدرة البدنية للطفل الموهوب تكون قوية مقارنة مع الأطفال العاديين، وهنا نرى تمييزا بين الطفلين، فهناك طفل خارق وهناك طفل عادي وهذا لا يتناسب مع تعاليم الدين الذي أظهر لنا أن الذكاء الوجداني يولد مع الشخص ويصقل بالذكاء المعرفي وبالتربية، وقد تكون نسبة ذكاء طفل أعلى من آخر -وهذه أمور وراثية في الكثير من الأحيان- ولكن يمكن لهذا الأخير أن يضاهيه في النجاح إن وجد البيئة السليمة لذلك، كما يمكن للأول أن يتحول إلى طفل فاشل وذلك أيضا حسب البيئة التي نشأ فيها، فالزيادة أو النقصان هي وليدة المحيط العام.

وقد لا يحصل الطفل النابغة على درجات عالية في جميع المواد الدراسية وإنما قد يركز على مادة دون أخرى وقد يكون فاشلا في مواد أخرى أوفي أشياء يراها الآخرون بسيطة، ومن هنا، نرى أنه من الأجدر أن نتحدث عن الموهبة بدل أن نقسم الأطفال إلى خارقين وعاديين.

لأن الطفل العادي قد يكون خارقا في مجال والخارق قد يفشل فيما يراه الآخرون سهلا وفي المتناول.

وقد عرف سبيرمان Spearman التفكير الإبداعي للطفل بأنه القدرة

• باحثة مغربية



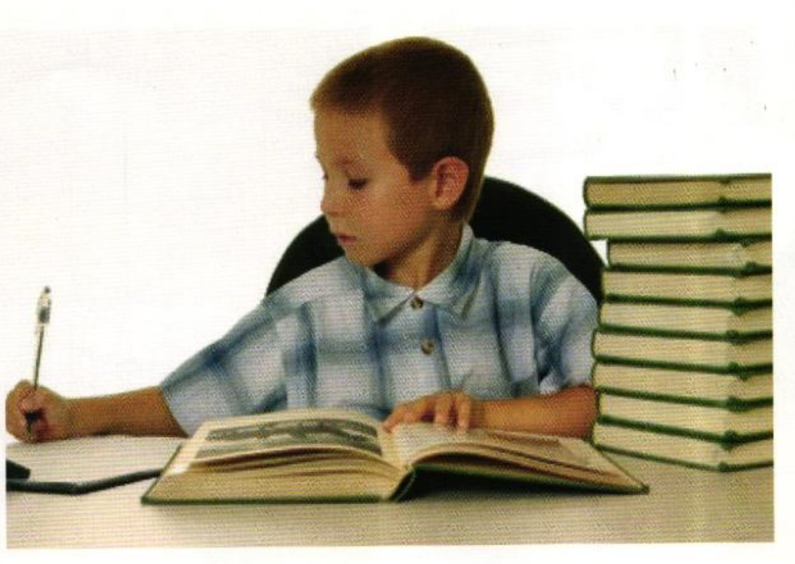
على إدراك العلاقة بين شيئين بطريقة ما ينبثق عنها ظهور شيء ثالث مخالف لشكليهما الأولين.

وتذهب مدرسة الجشتالت Gestalt في علم النفس إلى أن المبدع الموهوب، هو ذلك الفرد القادر على إعادة دمج المعارف والأفكار بشكل جديد.

فهذا يعرف الطفل الذكي نسبة لفكره بحيث إنه يتحدث عن التركيز على شيئين ليخرج شيئا ثالثا والثاني يركز على نتيجة الذكاء أي الإبداع.

ويرى بعض الأخصائيين ومن بينهم «عثمان نجاتي» بأن فئة العباقرة هم ذوو الذكاء المرتفع التي تصل نسبتهم إلى ١٤٥ درجة ويمثلون نسبة واحد في الألف في الإحصاءات السكانية العامة أما باقي الأذكياء والذين تتراوح نسبة ذكائهم بين ١٣٠ و١٤٥ درجة فهم يمثلون حوالي ٢٪ عالميا ويتميزون بالتفوق في التحصيل الدراسي!

وقد اعترض على هذا الطرح العديد من الخبراء، فكيف لنا أن نعلم أنهم يشكلون نسبة ١بالمائة أو ٢بالمائة؟! وفي معظم بلداننا العربية لا نهتم بعد بإبراز مواهب الأطفال ولا نميز بين من لديه مواهب وإبداع وبين غيره، كما أن الأبحاث والدلائل لا تدل على أن المتفوقين في التحصيل العلمي فقط هم الأكثر ذكاء بل إن التاريخ يحدثنا عن عباقرة ومخترعين لم يتفوقوا أبدا في دراساتهم بل وطردوا من مدارسهم ومع ذلك اخترعوا وأبدعوا، فمن الجلي

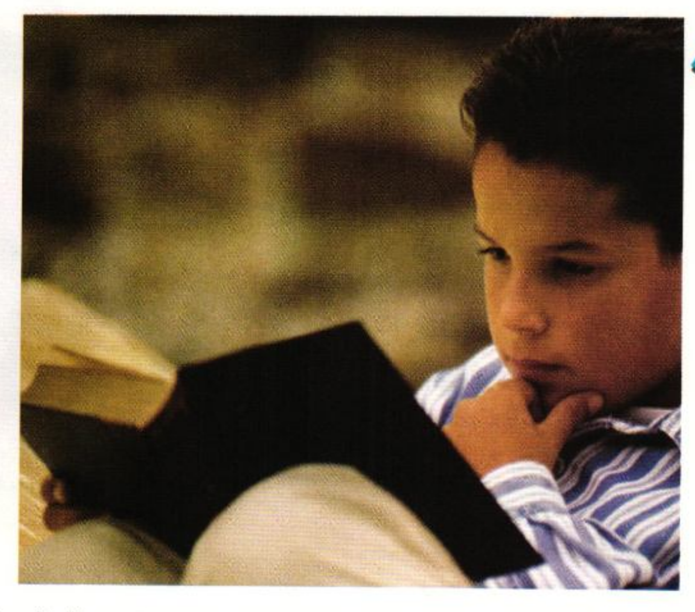


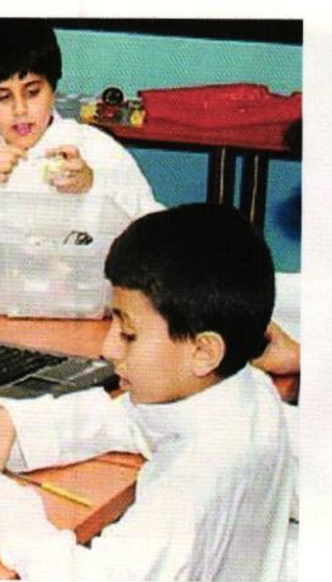
إذن أن توقفنا عند علامات الامتحانات وحصر النجاح والتفوق في مدى ارتفاعها هو ما جعلنا نمر قرب العديد من المواهب دون أن نعرف أنه كان يمكننا أن نصنع منها عقولا نيرة ومبدعة وهو ما جعلنا لا نمنح الفرصة لأشخاص يمكنهم أن يغيروا الكثير، وفي المقابل كم من شخص نجح في التحصيل العلمي وفقا لمعطيات ورقية ولم يستطع أن يتميز في حياته العملية أبدا، وهذا لا يعني أننا ندعو إلى عدم ضرورة التحصيل العلمي بل نشدد عليه ولكن مع مرافقته بفراسة الأخصائيين التربويين من مدرسين وموجهين وغيرهم وكذلك الآباء، لكيلا نقف فقط عند نقاط ضعف أطفالنا وإنما نبحث عن نقاط تفوقهم والأشياء التي يحبون الإبداع فيها.

ف«توماس أديسون» وصف بالبلادة والتخلف العقلي وطرد من المدرسة ولكنه استمر يبدع إلى أن صار أحد أكبر المخترعين في العالم، فهو من اخترع المصباح والفونوغراف وغيرهما من الاختراعات التي أفادت العالم وما زالت.. وقد كان تحصيله العلمي سيئا للغاية.. ولولا مساعدة والدته واقتناعها بأنه فعلا يمكنه القيام بشيء ما، ربما كنا سننتظر لسنين أخرى حتى نتعرف على شكل المصباح.

أحيانا يكون التحصيل العلمي السيئ نتيجة عدم فهم الطفل وعدم تركيزه وربما شغبه ولكن لا يمكننا أن نجزم أبدا أن هناك طفل يحب الكسل أو يريد أن يكون غبيا، فأي طفل ما بين الطفولة الثانية والثالثة يحس بغريزية بالرغبة في المنافسة والتفوق على غيره من الزملاء، بل نجد ذلك حتى لدى البالغين وهي طبيعة بشرية صرفة وإن كانت حدتها أكثر لدى الأطفال لأنهم لا يتمكنون من عقلنة الأشياء التي يكتسبها الكبار بفضل الخبرة والسن، ففي الكثير من الأحيان حينما نرى طفلا لا يتمتع بقدرات عالية ولا بعلامات جيدة فإننا نصفه بالغباء وكفى.. وقد تكون عدم مشاركته داخل الفصل والتزامه الصمت وعدم رغبته في الأجوبة على الأسئلة المطروحة لها دافع ثان لا علاقة له بالغباء أبدا.

فالقليل جدا من المدرسين من يفكرون بمحاولة دمج هذا الطفل الصامت، في حين أن اعتزاله الغير ونتائجه المتدنية قد تكون نتيجة موهبة! وقد يستغرب البعض هذا الحديث ولكن يمكننا أن نشرح ذلك بكون ذلك الطفل الموهوب والذي يفكر بسرعة أكبر من الآخرين، يحس بالملل والضجر وهو ينتظر إجابة الآخرين على أسئلة تبدو له سهلة جدا،





وغالبا ما نجد هذا الطفل يترك درسه ولا يراجعه ولكنه يحمل كتب أقربائه الأكبر سنا، وإذا سئل في مناهجها يجيب وبتفوق!

لقد عمدت بعض البلدان الغربية إلى دراسة مثل هاته الحالات ووجدت كحل لهؤلاء أن يدمجوا في الفصول المتقدمة حتى إن الطفل يستطيع أن يصل إلى الجامعة بفضل قدراته في سن صغير جدا، ولكن تبين أن هذا الحل ليس حلا ناجحا أبدا فالطفل يظل طفلا، وجلوسه مع من هم ليسوا بسنه لفترات طويلة، وحرمانه من اللعب الضروري في عمره هذا، لتفريغ شحناته، ومن العيش حياة مرحلية عادية قد يهدد سلامة توازنه النفسي وبالتالي قد يتمرد على هذا الوضع ويعود للانطوائية أو يفشل بعد سنين نجاح قليلة لأنه يستنفد طاقته العقلية والجسمانية سريعا جدا.. وربما الحل الأنجع والذي لجأت إليه دولة عربية وليست غربية وهي جمهورية مصر العربية في إحدى الحالات، هو أن يستمر الطفل في الدراسة مع أقرانه وفي نفس الوقت نمنحه فرصة للإبداع في موهبته، فهكذا ينمو نمو طفل طبيعي وفي نفس الوقت يحسن بالدرس والابتكار موهبته ويمشي على الوتيرة التي تناسب عقله وتفكيره.

والطفل محمود وائل، نبغ في مجال أنظمة الحاسوب واعترف في برنامج تلفزيوني أنه لا يحب العلوم إطلاقا، فهنا يتبين لنا عمليا صحة ما جئنا به من قبل، فلو أن مدرس العلوم وصف محمود وائل بالغباء لكانت نهاية رحلته.. وربما لاستمر وحده مثلما فعل توماس إديسون.. وهنا أيضا نتبين صحة أن لكل طفل مجال إبداع خاصا قد لا يعفيه من الفشل في مجالات أخرى، ولذلك علينا البحث في مجالات الإبداع، لا أن نصم بالغباء والتخلف كل من فشل في مادة معينة أوصمت ولم يشارك داخل الفصل الدراسي.

وإن كان العلم الحديث قد بدأ في التفكير بأهمية البحث عن الإبداع والخلق والنبوغ لدى الطفل وذلك بعد إخفاقات تربوية عديدة كادت تصيب العالم بفشل علمي جراء اعتبار بعض الموهوبين متخلفين عقليا لأن المربي يرى فقط الصورة التي أمامه ولا يبحث عن أبعادها، مثلما حصل مع «توماس أديسون» بطرده من المدرسة لأنه اعتبر غبيا لصعوبات في مادة الرياضيات و«أينشتاين»، صاحب نظرية النسبية بسبب صعوبات في القراءة وغيرهما كثر، إلا أنه وقبل هذه التواريخ بكثير وفي عهد النبي الكريم ﷺ كان هناك أطفال نبغوا في ميادين عديدة ومنحت لهم الفرصة لإبداء ذلك ومن بينهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الذي أسلم وهو في العاشرة واشتهر بحكمته وشجاعته وكان رفيقا للنبي عليه الصلاة والسلام رغم صغر سنه وكان زيد بن ثابت رضي الله عنه، من كتاب الوحي الذين كتبوا القرآن الكريم لرسول الله ﷺ وهو بعد صبيا صغيرا، وكان أنس بن مالك خادم النبي ﷺ بل وكاتم أسراره أيضا وأكثر الناس حفظا لسيرته النبوية وهو بعد في سن العاشرة وكان الرسول ﷺ يشجع المواهب الصغيرة ويوجهها للطريق الصحيح فنشأ منهم خلفاء وقادة وعلماء.



أسئلة الأنوثة

إيمان القدوسي

سألتني الفتاة المقبلة على الزواج وفي عينيها حيرة المحبين وبراءة الأسئلة البكر:

هل يحبني خطيبي أم لا؟ وكيف أعرف؟

لا تنفرد هذه الفتاة وحدها بالسؤال، فكل امرأة مهما كان عمرها أو وضعها يلح على خاطرها هذا السؤال، إنه أحد أسئلة الأنوثة الرئيسية، وهو أهمها على الإطلاق.

السؤال الأول الذي يشغل المرأة كلما تقدم بها العمر: كيف أحصل على الأمان؟

ولكن السؤال الأوسط هو الأهم: هل يحبني زوجي؟

لأنها لو وثقت بحبه وتقديره لها، فسيشعرها حبه بأنها أجمل الجميلات وفي كنف حمايته ستنام ملء عينيها آمنة مطمئنة.

كلام الرجل مدخل مهم لمعرفة شعوره، فإذا عبر بصدق وصراحة عن حبه سعدت الزوجة واطمأنت، ولكن هناك المجامل الذي يجيد استخدام الألفاظ المنمقة والخالية من المعنى، والعكس صحيح هناك أيضا من يمتلئ قلبه حبا ولا يعرف لسانه كيف يعبر، سيظل الكلام وسيلة محببة وليست مؤكدة للوصول لقلب المرأة، سيظل «الترمومتر» الداخلي للمرأة هو المقياس، فقد تسعدها كلمة بسيطة جدا وليست عاطفية، مثلا: كيف حالك؟ ولكن جاءت في وقتها وأحست هي من نبرة الصوت ولهفة العينين أنها تحمل عطر الحب الحقيقي.

أفعال الرجل أكثر مصداقية وأهمية من أقواله، الحب جوهره الاهتمام، يهتم المحب بكل ما يخص حبيبه من تفصيلات، ويحاول بالفعل أن يجلب الدنيا كلها له، حتى الحريص على ماله تجده ينفق عن سعة لشعوره أن النفقة في محلها تماما ما دامت ستسعد من يحب، ومن لا يملك المال الكثير يتصرف في حدود إمكاناته، ويكفيه وردة واحدة عوضًا عن باقة تعبر عن صادق حبه ومثلها الهدايا.. وجلسة على ضفة نهر تكفيه عن النزهات المكلفة.

تظهر المشاعر الحقيقية أكثر في أوقات الغضب والخلاف، ولن تخلو علاقة من لحظات الغضب أو الخصام، وهي ليست علامات سلبية بل هي علامة مؤكدة لصحة وقوة العلاقة، وإن علاقة الحب التي تخلو تماما من المشاكل هي علاقة فاترة جدا أو مفتعلة جدا وليست عميقة أو حقيقية، يأتي الغضب غالبا بسبب الغيرة أو التجاهل، أما الخصام فهو الوقت المناسب لتتضح أهمية الطرف الآخر في حياتك، لو شعرت بالفراغ والوحشة والحنين فهذا هو الحب، أما لو شعرت بالراحة النفسية وأن حياتك بدونه أفضل فالأمر يحتاج مراجعة.

أمران ليسا في صالح علاقة الحب الوليدة في فترة الخطوبة أو الفترة المبكرة عقب الزواج، محاولة السيطرة تماما على الطرف الآخر اختبارا لحبه، فهي علاقة تبادل محبة وسعادة وليست علاقة رق وإذعان، ولا داعي للدلال الزائد، وكلما اتسمت المعاملة بالرقي والعذوبة ازدادت قوة وعمقا.

الأمر الثاني المرفوض محاولة انتزاع الطرف الآخر من أهله وأصدقائه، وكأنها عملية تأميم أو نقل ملكية، هذه المحاولات تخنق العلاقة الوليدة وقد تجهز عليها تماما، الخطوبة هي مصاهرة ونسب بين أسرتين، وهي أيضا إضافة عنصر جديد لهما وليست- إطلاقا- خصما منهما، الزواج توسيع لدائرة العلاقات الاجتماعية للطرفين وليس انتزاعا لشخص من جذوره.

التعاون بين الطرفين على طاعة الله ورسوله عنصر مهم لإرساء أرض صلبة تستند إليها العلاقة وغرس نبتة زواجهما في أعماق الأرض لتنمو قوية ثابتة لا تهزها الرياح، والزواج في الإسلام رابطة شرعية محكومة بضوابط محددة «من ترضون دينه وخلقه»، احتياج المرأة الروحي ليس في الإسلام فقط، ففي بحث أميركي حديث تحدثت النساء عن احتياجاتهن الأساسية «طعام وحب وصلاة» الطعام كناية عن الاحتياجات المادية الأساسية للحياة، والحب يشمل الإحساس بالجمال والمحبة والأمان، أما الصلاة فهي الاحتياج الروحي الذي يدعم المرأة، والمرأة برقتها وشفافيتها أكثر تدينا من الرجل وأكثر احتياجا لسياج صلب يحميها ويحصنها.

سوف تعرفين مدى حب خطيبك لك إذا كان حريصا على راحتك ومصلحتك ومحترما لأسرتك وسمعتك، وللحب عطره الخاص الذي لاتخطئه فتاة مهما كانت ساذجة، الحب هو ارتياح متبادل ووقت يمر سريعا ورصيد إنساني إضافي بلا توتر ولا نزاع، وهو تلوين للحياة بألوان البهجة والفرح وإحساس داخلي بجمال الدنيا وروعتها.

واصل عدد من علماء الإسلام، الحديث عن الاستشراق، وكيف أصبح في السنوات الأخيرة محاصرا في دائرة محدودة بعد سيل جارف من الأبحاث التي شهدناها في القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين، وكيف كان الرافد الأساسي لمخططات التغريب.. وبينوا ماهية الاستشراق بأنه حركة واسعة النطاق متشعبة الفروع ساهم فيها كم هائل من المستشرقين المختلفين في درجات صدقهم أو افترائهم على الإسلام.. ولذلك لم تكن نظرتهم إلى الإسلام واحدة، فمنهم المنصف، وكثير منهم المجحف، ومنهم من يتعمد الإساءة إلى الإسلام بقصد، ومنهم من يفعل ذلك لأسباب خارجة عنه.. وفي هذه الحلقة نتعرف إلى تاريخ الاستشراق وأطواره، وموقف المستشرقين من الإسلام..

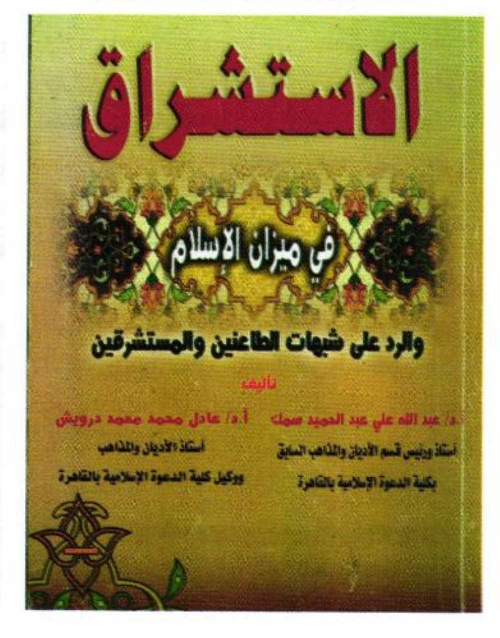
الاستشراق والعالم الإسلامي (٤/٢)

القاهرة - دار الإعلام العربية

«علاقة الشرق بالغرب قديمة جدا إلى ما قبل ميلاد المسيح عيسى - عليه السلام - إذ تعرف الغرب وأوروبا على وجه الخصوص إلى الشرق باعتباره الرقعة التي تمتد إليها سواحل البحر المتوسط غربا، إلى البحار الشرقية النائية في الهند والصين وإندونيسيا شرقا، وذلك على مدى قرون طويلة، وعن طريق عدد كبير من الكتاب والرحالة والجغرافيين والمؤرخين».. بهذه العبارات بدأ د.عبدالله حسن بركات - أستاذ الأديان والمذاهب الإسلامية بجامعة الأزهر - حديثه عن بداية الاستشراق، موضحا أن بواعثه اختلفت ودوافعه تعددت، ويمكن القول إجمالا بأن الآلاف من الكتب والنشرات التي وضعت عن هذه المنطقة الواسعة لم تكن جميعها تقدم للقراء حقائق ومعلومات، بل إن كثيرا منها وعلى مدى التاريخ كان يحتوي إلى جانب الحقائق والمعلومات الكثير من الأساطير والخرافات.

البذرة الأولى

أضاف د.بركات أن هذه العلاقة القديمة شكلت البذرة الأولى للاستشراق، لكنها كانت في حاجة إلى قوة تنميها وتدفعها إلى الأمام بخطوات



حثيثة، ولم تتهيأ لها هذه القوة إلا بظهور الإسلام، الذي اندفع الغرب إلى دراسته والبحث فيه، وفي أسباب انتشار دعوة الإسلام في معظم أرجاء العالم القديم على مدى قرون كثيرة، إذ امتد في وسط آسيا وشمال الهند وجنوب آسيا وشمال إفريقيا وجنوب غرب أوروبا وجميع جزر البحر المتوسط؛ ما أدى إلى وحدة حضارية عالية منحت هذه البلدان المتباينة لونًا حضاريًا متجانسًا، وكان للدعوة الإسلامية على الشرق والغرب تأثير عظيم، حيث أخذت بيد الشرق والغرب من الاحتضار إلى الازدهار ومن الظلام إلى نور الإسلام، وتسيد المسلمون العالم وعزلوا الأمم المريضة من زعامة الإنسانية التي استغلتها وأساءت عملها، وساروا بالإنسانية سيرا حثيثًا متزنًا عادلًا بعدما توافرت فيهم الصفات التي أهلتهم لقيادة الأمم ومن هنا كانت البداية الحقيقية للاستشراق العلمي، حيث بددت حضارة الإسلام الظلمة الحالكة التي عاشت فيها أوروبا قبل الفتوحات الإسلامية، وكتبت أسبانيا العربية الإسلامية صفحة من أروع صفحات تاريخ الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى.

طلائع المستشرقين

ويلتقط الخيط د.عبدالله سمك - أستاذ الأديان والمذاهب بجامعة الأزهر - مشيرا إلى أنه خلال العصور الوسطى برزت حقيقتان، أولهما همجية الغرب، إذ كانت أوروبا تحت سلطة الباباوات يتصرفون فيها وفق أهوائهم ويتحكمون في الأرواح والأشباح، والناس تائهون في ظلام الجهالة لا يرون النور إلا من سم الخياط، ولم يكن هناك من نور إلا من جانب الأمة الإسلامية متمثلا

فيما لديها من علوم وآداب وفلسفة وصناعات وأعمال وغير ذلك، وكانت مدن بغداد والبصرة وسمرقند ودمشق والقيروان والقاهرة وفارس وغرناطة وقرطبة هي المراكز العظيمة للعلم، فيما كانت عواصم أوروبا آنذاك أشبه بقرى معزولة لا علم فيها ولا عمران.

ويشير د.سمك إلى الحقيقة الثانية وهي مدنية المسلمين الحقيقية، إذ كان العرب أساتذة الغرب آنذاك، فبينما كانت أوروبا غارقة في الظلام والجهل كان الشرق الإسلامي عامرًا بآلاف المدارس التي تنثر شتى العلوم والمعارف، وتعد تلك صورة سريعة تبرز طبيعة العلاقة بين الإسلام والغرب في تلك الفترة التاريخية التي كان فيها لبلاد الأندلس نصيب كبير في الحضارة الإسلامية الزاهرة، ما جذب آلافا من اليهود والمسيحيين إليها، فكان من طلائع المستشرقين الذين نهلوا من معين الأندلس الإسلامية «جربردي أورلياك» من الرهبانية البندكتية، و«آدلرد أوف باث»، و«بطرس مكرم» الفرنسي من الرهبانية البندكتية.

أطوار الاستشراق

ويبين د.سمك أنه يمكن تقسيم الاستشراق إلى عدة أطوار تاريخية منها طور التكوين، وذلك بعد ميلاد الاستشراق كعلم متميز في القرن الثامن الميلادي منذ اتصال الغرب بالمسلمين عن طريق الأندلس، ثم أخذ يشب ويترعرع، ومن المهم هنا توضيح أمور منها اعتراف المستشرقين بأن الإسلام لم يطلب من الأسبان الذين دخلوا فيه إلا النطق بالشهادتين لقاء إعفائهم من الجزية. يأتي بعد ذلك طور التقدم، وفيه انتقل الغرب المسيحي إلى مواجهة المسلمين على أرضهم مع زيادة سلطة الباباوات وزيادة سلطة رجال الدين وسيطرتهم على تلك الشعوب، ما ترتب عليه زيادة التعصب الديني المسيحي.

د.عبدالله سمك: همجية الغرب ومدنية المسلمين حقائق تاريخية لا جدال فيها

ويأتي القسم الثالث وهو طور الانطلاق، وفيه شهد القرن السادس عشر الميلادي خطوة كبيرة في تطور الاستشراق، حيث بدأت الطباعة العربية فيه نشاطها فتحركت في الدوائر العلمية.. أما آخر الأطوار فهو الطور المعاصر الذي سيطرت فيه بريطانيا وفرنسا على الشرق.

وأشار إلى أن الاستشراق حتى الحرب العالمية الثانية في النصف الثاني من القرن العشرين تجسد من خلال هيمنة الولايات المتحدة الأميركية على الشرق بنفوذها السياسي والثقافي الذي حل محل النفوذ البريطاني والفرنسي، وأصبح لها دور كبير في رعاية حركة الاستشراق وتوجهها، كما أن الصراع العربي الإسرائيلي يلعب دورًا مهمًا في رسم صورة الإنسان العربي في الغرب، خاصة في الولايات المتحدة الأميركية، إذ تقوم وسائل الإعلام هناك برسم صورة مشرقة لإسرائيل باعتبارها دولة ديمقراطية في محيط برابرة العرب.

ونتيجة ذلك تناقص الاهتمام بالاستشراق التقليدي الكلاسيكي وقام علماء الاجتماع والخبراء بدور المستشرقين، خاصة في الولايات المتحدة، إلا أن هذا التغيير في الشكل لم يؤدِ إلى تغيير جوهري في المضمون، فنادراً ما يكتب مستشرق عن الشرق دون الرجوع إلى ما كتبه المستشرقون السابقون، ومن ثم يكون التأثر بتفسيراتهم وتصوراتهم، وبهذا أصبح الاستشراق في الوقت الحالي محصورًا في دائرة محدودة.

٣ فئات

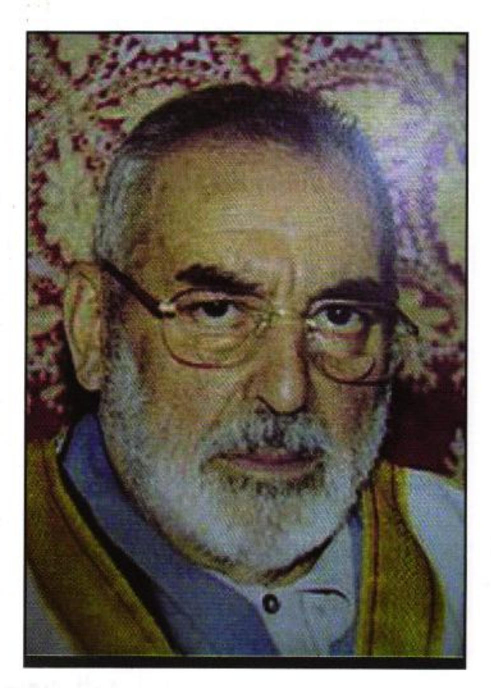
أما د.عادل محمد درويش - أستاذ الأديان والمذاهب ووكيل كلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر - فيؤكد أن الاستشراق حركة واسعة النطاق، متشعبة الفروع وساهم في هذه الحركة كم هائل من المستشرقين، لكنهم ليسوا جميعًا صنفًا واحدًا، فهم يختلفون في الدرجات وفي نظرتهم إلى الإسلام، فمنهم المنصف ومنهم المجحف، ومنهم من يتعمد الإساءة إلى الإسلام بقصد، ومنهم من يقع في الخطأ لأسباب خارجة عن إدراكه، ولذا يمكن تصنيف المستشرقين إلى ثلاث فئات؛ أولها المستشرقون المنصفون وهم من درسوا الإسلام دراسة عميقة وانتهوا من دراستهم إلى فريقين، فريق أسلم في غير لبس ولا مداراة وواجه الرأي العام في بيئته بعقيدته ثم أخذ يدعو إليها مكرسا وقته وجهده لنشرها، ومنهم رجال دولة وسياسة مثل اللورد هدلي الفاروق «إنجلترا»، والفرنسي علي سليمان بنوا، والبولندي ويسلو زيجريسكي.. أما الفريق الثاني فهم من أحبوا الإسلام ومدحوه دون أن يعلنوا إسلامهم.

بينما الفئة الثانية من المستشرقين هم المجحفون عن عمد، وهؤلاء اتصفوا بالدهاء وبذلوا جهودًا علمية كبيرة وتعمقوا في الدراسات العربية والإسلامية وقدموا نتاجًا علميًا قيمًا لإغراء أهل الشرق على قراءته أو الاستفادة منه، ومنهم الفرد جيوم «إنجلترا»، وجولد زيهر «المجر»، وهنري لامنس اليسوعي الذي يأتي في مقدمة هؤلاء المستشرقين المجحفين وهو بلجيكي المولد فرنسي الجنسية.

وأخيرا الفئة الثالثة وتتمثل في المستشرقين المجحفين بدون قصد، حيث وقع هؤلاء المستشرقون في الخطأ وأساءوا إلى تاريخنا الإسلامي وحضارتنا العربية دون عمد، إنما لجهل أو قصور في المعلومات والمراجع التي استندوا إليها في كتاباتهم.

العلامة الدكتور مصطفى سعيد الخن

التحرير



هو العالم المربي، وشيخ علم أصول الفقه في بلاد الشام مصطفى بن سعيد بن محمود الخن، الشافعي، الميداني، الدمشقي، ولد سنة ١٩٢٣م بدمشق في حي الميدان من أسرة دمشقية عريقة، كان لها منذ عهود العمادة والمرجعية في الميدان كله.

نشأ الشيخ مصطفى الخن في كنف والديه في جو أسري يسوده الصفاء والهيبة والاحترام، وألحقه والده بالكتاب، ثم ألحقه بمدرسة الجمعية الغراء الابتدائية، ثم انتقل بعدها إلى المدرسة الرسمية في الميدان. وفي عام (١٣٥٠هـ - ١٩٣١م) اكتشف شيخه محمد زرزور علائم النجابة والأهلية عند مصطفى الخن، الذي كان أحد التلاميذ المنتسبين إلى مكتبه لتعلم القرآن والخط والحساب؛ واصطحبه شيخه إلى دروس الشيخ حسن حبنكة في جامع منْجك، ثم التحق الشيخ الخن بمدرسة الشيخ حسن حبنكة بالقسم المسائي، وأعجب به شيخه حسن خطاب؛ لما لمس عنده من مخايل الحفظ والذكاء، ونقل إعجابه إلى الشيخ حسن، فأوصى به خيرًا.

ولم تمض مدة حتى حبب إلى التلميذ النجيب طلب العلم، فقرر الانتقال إلى القسم الصباحي، واحتفلت عائلة الخن في بيت الأسرة احتفاءً بأول طالب علم ينبغ في «آل الخن»، وألبس الطالب مصطفى العمامة بدلاً من «الطربوش»!، وأعلن الأب رعايته التامة له.

سيرته العلمية

شب مصطفى الخن في جامع منجك، وغدا طالبًا مجدًا نشيطًا، متعلمًا في الصباح، ومعلمًا في المساء، ثم انتقل الأستاذ مصطفى للتدريس في مدرسة الناشئة التابعة لمعهد التوحيد الإسلامي فأسهم الجمع بين مهمتي التعلم والتعليم في صنع الشخصية العلمية للشيخ مصطفى الخن، وكان لتوجيه الشيخ حسن حبنكة الأبوي التربوي أثر كبير في التناغم والتآلف والتكامل بين المهمتين.

زار الشيخ مصطفى العديد من العلماء والتقى بهم وأخذ منهم وأبرزهم:

١- الشيخ «علي الدقر» وهو شيخ شيوخ معهد العلوم الشرعية، ورئيس الجمعية الغراء ومؤسسها، عالم رباني، جمع بين التعليم الشرعي، والتربية الروحية، وأوجد مدرسة تحتذى في التخلق بأخلاق الإسلام، وكان الشيخ مصطفى يزوره في مسجده ويحضر بعض دروسه.

٢- الشيخ «محمد أمين سويد» وهو عالم مشارك، وأصولي بارع، ومن كبار علماء دمشق، طلب العلم في الأزهر، وعمل مدرسًا في معهد الحقوق، وفي مواقع علمية عديدة، وقد التقى به الشيخ مصطفى وجلس إليه عندما كان الشيخ محمد يتردد إلى جامع منجك.

٣- الشيخ إبراهيم بن محمد الغلاييني: وهو عالم عابد، له في نفوس الناس مهابة ومحبة، ولي قضاء وادي العجم، وإمامة وخطابة جامع «قطنا»، وكان الشيخ مصطفى يزوره دائمًا، وربما قضى عنده سحابة اليوم.

٤- الشيخ «أبو الحسن الندوي» العالم المعروف، والمؤلف المبدع، والخطيب المفوه، والعضو في العديد من المجامع اللغوية العربية، وقد لقيه الشيخ مصطفى في القاهرة حين كان طالبًا في الأزهر أول مرة، والتقى به في دمشق، في جامعتها، ثم في بيت الشيخ حسن حبنكة، وكانت الأخيرة.

لقد شارك الشيخ مصطفى

في مختلف العلوم الشرعية، ولكنه تخصص في النهاية، وتميز بعلم أصول الفقه، وبعلوم العربية.

وفي مطلع عام (١٣٦٩هـ-١٩٤٩م) وصل الشيخ مصطفى إلى القاهرة وانتسب إلى لجامعة الأزهر وقبلوه في السنة الثالثة من كلية الشريعة، ثم حصل على الليسانس بتقدير ممتاز.

وقد تعرف الشيخ على عميد كلية الشريعة د.عيسى منون، ود.عبدالله موسى، ود.مصطفى عبدالخالق، وأخيه د.عبدالغني عبدالخالق، وأفاد منهم كثيرًا في تخصصه، كما تزود بثقافة إسلامية عالمية، ومنهجية واضحة الطريق والهدف، ومسلك تربوي رصين الفكرة والتطبيق.

عاد الشيخ بعدها إلى دمشق وعمل مدرسًا حتى حصوله على شهادة الدكتوراه بموضوع «أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف العلماء». وفي أثناء ذلك اشتغل بالتدريس في كلية الشريعة بجامعة دمشق محاضرًا، بين عامي (١٣٧٥هـ-١٣٨٢هـ)، وأعير لكلية الشريعة واللغة العربية، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في الرياض، مدرسًا، بين عامي (١٣٨٢هـ-١٣٨٦هـ).

عين بعدها مدرسًا ورئيسًا لقسم العقائد والأديان في كلية الشريعة، بالإضافة إلى تعيينه مدرسًا في كلية التربية بجامعة دمشق، وبقي في الجامعة حتى سنة (١٤٠٤هـ=١٩٨٣م)، وأسهم إذ ذاك في تأليف الكتب الجامعية منها: التفسير العام، وفقه المعاملات، ومبادئ العقيدة الإسلامية.

وبعد إحالته إلى التقاعد سافر الشيخ إلى المملكة العربية السعودية للمرة الثانية، فعمل مدرسًا في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ثم عين أستاذًا في كلية التربية للبنات، وعضوًا في المجلس العلمي لجامعة الإمام، وبقي حتى عام (١٤١٣هـ=١٩٩٢م)، وأشرف في هذه المدة على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه.

غرفته الخاصة في جامع الدقاق شهدت تاريخا حافلا بنشاط علمي غزير

وعاد الحنين بالشيخ إلى دمشق مجددًا؛ ليصبح بيته مقصد طلاب العلم والمحبين ودرس بقسم الدراسات العليا التابع لجامعة أم درمان بدمشق، ومركزه مجمع أبي النور التعليمي، كما درس بقسم التخصص، التابع لمعهد الفتح الإسلامي، وتدريس مادة أصول الفقه لطلاب السنوات الثلاث في الكلية.

وشهدت غرفته الخاصة في جامع الدقاق تاريخًا حافلًا بنشاط علمي غزير، تحتوي على مكتبة زاخرة بأمهات الكتب. ومن روادها: الشيخ عبدالعزيز الرفاعي، د.محمد سعيد رمضان البوطي، د.محمد الصباغ، الأستاذ محمود المارديني، ود.موفق دعبول.

من مؤلفاته

بدأ الشيخ مصطفى الخن الكتابة في وقت مبكر، فكان تحصيله وافرًا، وكان صدره يتسع للمشاركة مع غيره من الأقلام، تأليفًا وتحقيقًا، وكان منها ما هو خاص به ومنها ما هو مشترك مع غيره من العلماء، ومن مؤلفاته:

- أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء.
- عبدالله بن عباس: حبر الأمة وترجمان القرآن.
- دراسة تاريخية للفقه، وأصوله، والاتجاهات التي ظهرت فيهما.
- الحسن بن يسار البصري: الحكيم الواعظ والزاهد العالم.
- الأدلة الشرعية، وموقف الفقهاء من الاحتجاج بها.
- أبحاث حول أصول الفقه الإسلامي (تاريخه وتطوره).
- الكافي الوافي في أصول الفقه الإسلامي.

الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، وقد شارك بالتأليف: د.مصطفى البغا، والأستاذ علي الشربجي.

العقيدة الإسلامية: أركانها- حقائقها- مفسداتها، وقد شارك بالتأليف: د.محيي الدين مستو.

- حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، محمد صديق القنوجي البخاري. بالاشتراك مع د.محيي الدين مستو.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للإمام الشوكاني، بالاشتراك مع د.محيي الدين مستو.

وفاته

توفي يوم الجمعة ٢٣ محرم ١٤٢٩هـ الموافق ١ شباط/ فبراير ٢٠٠٨ وهو في صلاة الجمعة، في مسجد الحسن بمنطقة الميدان في دمشق.

رحم الله شيخنا رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

مصادر الترجمة

١- مصطفى سعيد الخن، العالم المربي، وشيخ علم أصول الفقه في بلاد الشام. تأليف: د.محيي الدين مستو.

٢- موقع ويكيبيديا (الموسوعة الحرة) على الشبكة العنكبوتية.

ضوابط النشر

حرصاً من إدارة مجلة (الوعي الإسلامي) على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقاً لما يلي من الشروط:

ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصاً في مجال كتابته وأن تؤهله ثقافته للكتابة في الموضوع الذي يتطرق إليه .
- أن يرسل صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة لسيرته الذاتية.
- أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.
- أن يكون العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف، والفاكس وضرورة إرسال البريد الالكتروني.

ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحاً فريداً يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- أن تكون الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تكون المراجع في هوامش المقال مشاراً إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- الالتزام التام بالأمانة العلمية.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحاتA4، وأن يبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تكون الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات مقرونة بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال منشوراً في الصحف والمجلات المطبوعة والالكترونية.



ملاحظة: المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

٢٩ سنة أمضيتها على هذه الأرض، وبعد طرح ١١ سنة من الطفولة أكون قد أمضيت (ضيّعت) ١٨ عاما ألاحق الخشوع وأحاول أن أصطاده، جربت كافة أنواع العصي والرِماح والمصائد والفخاخ التقليدية والمُحْدَثة، وأعترف أني فشلت، كنت أدفن رأسي بعد الصلاة في سجادتي خوفا من عودة صلاتي في وجهي في خرقة بالية!

صلاتي اللذيذة

حياة الياقوت

١٨ عاما من الشرود، حتى إني خشيت أن يطالب شرودي بحقه في الحصول على رخصة قيادة رسمية حتى يصير تجواله في قلبي وتعكيره صفو صلاتي قانونيا! وحمدا لله، فإن شرودي ليس ضليعا في القانون.

قبل أقل من شهر، اكتشفت أن عناد الخشوع منوع، وأن له طريقة تعامل خاصة، فهو كسائر الأشياء التي حين نركض وراءها تختفي وتتمنع، وحين نتجاهلها ونتشغل بما هو أهم منها وأفضل تأتينا حبوا، لقد تعلمت الدرس متأخرا لكن ليس متأخرا جدا! لقد توقفت عن توجيه وجهي للخشوع، لقد توقفت عن محاولات التركيز الدؤوب التي كنت أرجو فيها الخشوع قبل الصلاة، أن يهبط علي وألا يغادر، توقفت عن تقطيب حاجبي- اللذين نما بينهما سيفان مسلولان- تسولا للتركيز، باختصار، لقد توقفت عن الصلاة من أجل الخشوع!

وجهت وجهي لرب الخشوع، واكتشفت أن الخشوع ثمر لا بذر، هو ثمر قطع صغيرة من الإتقان والإحسان تستجلب الخشوع زاحفا على ركبتيه، حين يرانا الخشوع نصلي كما رُئي النبي ﷺ يصلي سيأتي هرولةً.

قبل أقل من شهر، بدأت صلاتي تصبح لذيذة، لم أكن أتخيل أني سأدفع ثمن مقاطعتي للتلفاز في رمضان غاليا! سمعت وقرأت أكثر من مرة عن ندوات وبرنامج «كيف تتلذذ بصلاتك؟!» بجزأيه للشيخ مشاري الخراز، ولم يكتب الله لي- لسوء حظي- أن أتابع أيا منهما، جائزة الله لي في هذا العيد كانت أن دلني على هذا البرنامج، ومنذئذ تغيرت في صلاتي أمور، وأمور، وأمور.

الشيخ مشاري الخراز علمنا كيف نحيا في الصلاة لا كيف نعيش وحسب، بطريقة سلسة ومقنعة وعملية جدا، فالمعلومات لم تكن تنقصني، لكن روح الاستحضار كانت حتما غائبة، وتلك اللفتات اللطيفة والذكية المستمدة من حياتنا اليومية صنعت فارقا كبيرا، فحين ذكر مرة أن المذيع حين يبدأ البث ينتفض ويرتبك رغم أنه لا يرى الجمهور، هذا لأنه يعلم يقينا أن الجمهور يراه، تخيلت في أول صلاة بعدما سمعت هذا، أن ثمة كاميرا أمامي تنقل في بث مباشر صلاتي إلى الله، فلم أتمالك نفسي، وكدت أن أسلم بعد التكبير بثوان، ألهذا الحد نحتاج نحن البشر إلى أمثلة مادية حتى نستوعب؟ صدق الشافعي حين قال: «كلما أدبني الدهر أراني ضعف عقلي».

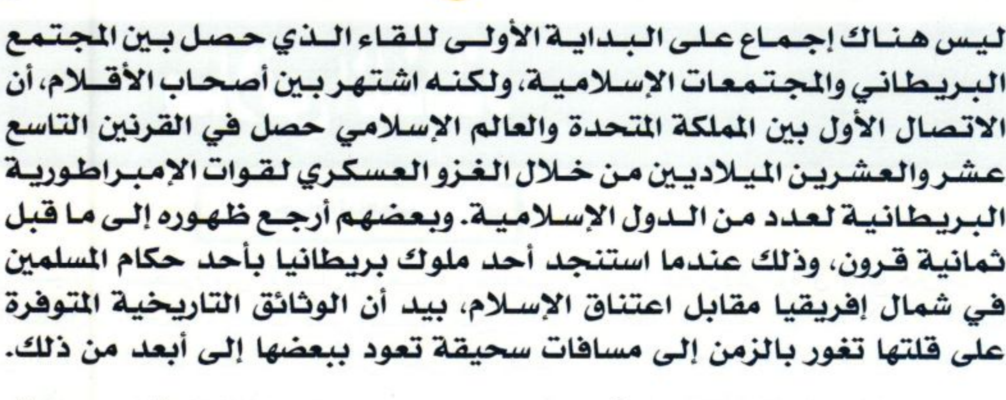
وحين ضرب لنا مثلا باختلاف طريقة كلامنا عندما يرد علينا شخص مباشرة، وحين نسجل أصواتنا على آلة الرد الآلي، اكتشفت أني ولسنوات كنت كببغاء يحسب أنه يحسن صنعا.

صلاتي اليوم صارت لذيذة، فوقها رشات من السكر، وحبة كرز. وهذه دعوة لذوي الحظ السيئ مثلي، ممن لم يتابعوا البرنامج من قبل أن يفعلوا ذلك عاجلا.. وللشيخ مشاري دعاء وفير بظهر الغيب وفي العلن.



كاتبة كويتية

مسجد لندن الجامع.. سفارة المسلمين في أوروبا



ليس هناك إجماع على البداية الأولى للقاء الذي حصل بين المجتمع البريطاني والمجتمعات الإسلامية، ولكنه اشتهر بين أصحاب الأقلام، أن الاتصال الأول بين المملكة المتحدة والعالم الإسلامي حصل في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين من خلال الغزو العسكري لقوات الإمبراطورية البريطانية لعدد من الدول الإسلامية. وبعضهم أرجع ظهوره إلى ما قبل ثمانية قرون، وذلك عندما استنجد أحد ملوك بريطانيا بأحد حكام المسلمين في شمال إفريقيا مقابل اعتناق الإسلام، بيد أن الوثائق التاريخية المتوفرة على قلتها تغور بالزمن إلى مسافات سحيقة تعود ببعضها إلى أبعد من ذلك.

تركي محمد النصر

بالجمع بين الروايات قد يتبين أن الإسلام ظهر في بريطانيا منذ القرن الثاني الهجري ظهورًا فرديًا خجولًا، ولكنه بدأ يتنامى ويظهر كدين له أتباع ومؤسسات في بداية القرن التاسع عشر الميلادي ليستقر أمره في بدايات القرن العشرين حين اعتنق الإسلام اللورد «استانلي أوف الدرلي» أحد أبناء العائلات النبيلة في إنكلترا، وكان سفير بريطانيا في الآستانة، وقد سمى نفسه بعد إسلامه: «عبدالرحمن»، ثم تبعه إلى الإسلام بعد ذلك أحد أعيان مدينة «ليفربول» واسمه السيد «هنري كويليام ١٨٥٦-١٩٣٢م» الذي سمى نفسه بعد إسلامه «عبدالله»، وكان شديد الذكاء فصيح اللسان الأمر الذي لفت انتباه السلطان عبدالحميد الثاني بن عبدالمجيد الأول (١٨٤٢-١٩١٨م)، في الأستانة، حيث استدعاه إلى تركيا ونصبه ممثلًا للمسلمين في بريطانيا وشيخًا لهم.

فرجع عبدالله إلى لندن واجتهد في نشر تعاليم دينه الجديد، ثم طوّر عمله الدعوي بإصداره جريدتين إسلاميتين أخذ ينشر فيهما آراءه، ويدعو من خلالهما إلى الإسلام، وتعتبر هذه البداية الطيبة هي أساس الوجود الإسلامي في مدينة الضباب، كما حوّل قسمًا من بيته إلى مسجد، وسُجّل هذا المسجد في العام ١٨٨٩م كأول مسجد يقام في بريطانيا، وهذا ما خالفه صاحب كتاب «بريطانيا والإسلام» حيث قال: إن أول مسجد أسس في بريطانيا كان في سنة ١٨٦٠م، في مدينة كاردف - ويلز ، وعقبه إنشاء أول جمعية إسلامية في بريطانيا في سنة ١٨٨٦م، لكن صاحب كتاب «الإسلام في بريطانيا» يذهب إلى أبعد من ذلك حيث يرى أن أول مسجد أسس في بريطانيا كان في مدينة «سري» جنوب لندن في العام ١٦٦١م، ولابد من الإشارة هنا إلى أن إنشاء أول المدارس الإسلامية كان في سنة ١٩٨٣م على يد الداعية الإنكليزي المسلم «يوسف إسلام» ، فكانت نواة لأكثر من مئة مدرسة إسلامية بعدها.

والجدير بالذكر أن مسجد لندن الجامع (موضوع البحث) هو الأكبر والأضخم والأشهر في بريطانيا وله قصة بداية مثيرة.

قصة البداية

في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا توسع من نفوذها في العديد من مناطق العالم كان يزيد إذ ذاك عدد المسلمين بين رعاياها على عدد المسيحيين، الأمر الذي فتح المجال أمام فكرة بناء مركز لتجمع المسلمين فيها، إلا أن الإنكليز لم يهتموا كثيرًا بهذا الأمر علمًا بأن المبلغ المقترح لبناء هذا المسجد قد تعهد به سلطان حيدر أباد.

وفي العام ١٩٤٠م استطاع السيد «حسن نشأت باشا» سفير مصر في لندن آنذاك استغلال علاقاته الوطيدة مع اللورد «لويد» رئيس المجلس الأعلى النيابي البريطاني وإقناعه بأهمية تشييد مسجد للمسلمين في لندن، وأن ذلك سيلقى استحسانًا طيبًا لدى جميع المسلمين.

وبدوره قام اللورد «لويد» بنقل الفكرة لرئيس وزراء بريطانيا آنذاك «نيفل تشمبرين» مذكرًا إياه بأن الحكومة المصرية سبق لها أن تبرعت قبل ذلك بسنوات بأرض في قلب القاهرة للجالية البريطانية في مصر، لتقيم عليها كنيسة خاصة بها، فاستجاب رئيس الوزراء لهذا المقترح وأمر بتقديم مساعدة مالية ضخمة من الخزانة البريطانية لتمويل هذا المشروع.

التحوّل المبارك

تحرك المسلمون على أثر هذا الخبر وشكلوا لجنة من سفراء الدول الإسلامية في بريطانيا في ذلك الوقت وهي: مصر والسعودية وإيران وتركيا، وقامت هذه اللجنة بشراء أحد القصور

إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

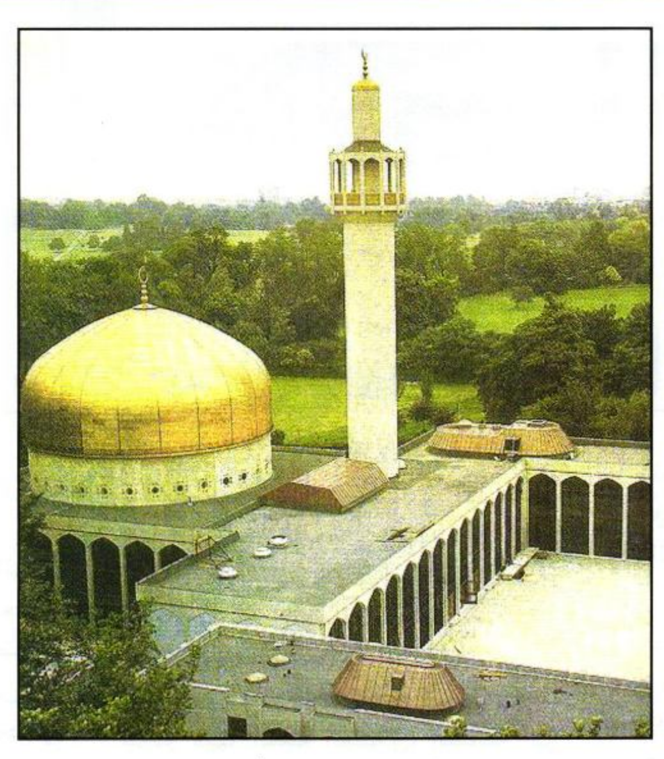
الملكية القديمة في حي «ريجنت لودج» في وسط لندن، ويضم هذا القصر المذكور أرضًا واسعة وحديقة من أروع وأجمل حدائق لندن، وتبلغ مساحة هذه الأرض ما يزيد عن ١٠ آلاف متر وقامت اللجنة من فورها بتحويل القصر القديم إلى مسجد بعد إجراء بعض التعديلات عليه، وأقيم إلى جانبه في نفس المبنى أول مركز ثقافي إسلامي في لندن.

بداية الفكرة

عمل القائمون على هذا المركز بجد ونشاط فقاموا بتأسيس مكتبة ضخمة تضم آلاف الكتب المتنوعة، كما عملوا على تجهيز قاعة للصلاة تتسع لآلاف المصلين، وقاموا بتهيئة بقية أجزاء المبنى لأعمال المعهد الثقافي الإسلامي، كما قاموا بالإعداد لإصدار مجلة دينية ثقافية باللغة الإنجليزية تصدر بانتظام، وقد عُهد بتحريرها لسكرتير المعهد الثقافي الشيخ «علي عبدالقادر» فكان المركز أشبه ما يكون بخلية نشيطة تواصل عملها بالليل والنهار، وبقي هذا المركز الإسلامي الضخم يمثل المسلمين في بريطانيا إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية حيث بدأ المسلمون ومجلس أمناء لندن يفكرون بإنشاء مسجد ضخم وجامع يمثل العالم الإسلامي أجمع.

عقبات في الطريق

لاقت فكرة بناء المسجد قبولاً عامًا في لندن، وبدأ القائمون على المشروع يعدون العدة الاقتصادية والفنية، وقاموا بإعداد تصميم للبناء المقترح قدمه المهندس المصري «رمزي عمر»، وأرسي حجر الأساس فعلًا عام ١٩٥٤م إلا أن تنفيذ البناء تأخر نظرًا لعدم توافر الأموال اللازمة التي قدرت بربع مليون جنيه، وزاد أمد هذا التأخير بعض الأحداث السياسية كحرب السويس عام ١٩٥٦م فاضطر القائمون على المشروع إلى الانتظار حتى عام ١٩٥٩م حيث جمعوا الأموال وهيئوا الظروف للبدء بالبناء إلا أن بلدية لندن ولجنة الفنون الجميلة رفضت مخطط البناء بحجة أنه يخالف الهيئة العامة للمدينة ولا ينسجم مع الطراز المعماري الإغريقي للمباني المحيطة بحي «ريجنت» فتوقف العمل من جديد وثبطت الهمم حتى عام ١٩٦٩م.



تجدد الأمل وعلو الهمة

وفي العام ١٩٦٩م قام سفراء الدول الإسلامية بتحريك المشروع ثانية فطرح بناء المسجد من جديد وقدموا عدة تصاميم لعرب وبريطانيين للجنة التحكيم فاختارت تصميمًا لأحد المهندسين البريطانيين، وبالفعل كان تصميمه مشروعًا أنيقًا بديعًا ولكن اللجنة المؤلفة من ثلاثة أعضاء مختصين بينهم مسلم واحد أجرت عليه بعض التعديلات الطفيفة.

وبعد هذه المرحلة تمت الموافقة بصعوبة على تصريح البناء وكان ذلك في عام ١٩٧٣م، وبعد الحصول على تصريح البناء بدأ العمل الفعلي بالبناء.

كانت التكلفة العامة لهذا المشروع عالية جدًا حيث وصلت إلى ستة ملايين جنيه ما كان يمكن تأمينها لولا فضل الله الذي سخر بعض الحكومات الإسلامية التي تعلم جيدًا الأهمية الحضارية والثقافية والدينية لمثل هذا المسجد الكبير في لندن عاصمة الإمبراطورية البريطانية السابقة.

وصفه

القاصد زيارة مسجد لندن الجامع الذي يتكون من أربع وحدات رئيسية هي: المسجد، والمركز الثقافي، ومباني السكن، ووحدة الخدمات، سيشاهد وهو مقبل عليه منارة بيضاء كبيرة ترتفع بعزة وعظمة ليستقر فوقها هلال كبير في بلاد تشعر المساجد فيها بالغربة، ويبلغ ارتفاع هذه المنارة حوالي ٥٠ مترًا، وبداخلها سلم حلزوني ومصعد كهربائي يصعد إلى شرفة الأذان الرئيسية التي يرتفع منها صوت الحق مناديًا الله أكبر الله أكبر.

كما تعلو المسجد قبة نحاسية مغلفة بالبلاستك لحمايتها من تأثيرات الجو، كما أن هيكلها محاط بوحدات وعوارض واقية ضد ضغط الرياح.

ويرتفع فوق القبة الهلال الإسلامي شامخًا على عمود من النحاس فيه ثلاث كرات نحاسية متتابعة، وأما سقف القبة من الداخل فقد زُيّن بالفسيفساء التركي، كما عهد بأعمال الزخرفة على الجدران والأخشاب إلى متخصصين من المغرب والجزائر وتونس.

والداخل إلى صحن المسجد الفسيح سيمتع ناظره بالتصميم البديع وخصوصًا أرضيته التي رُصفت بالرخام الأبيض ويزداد المنظر جمالاً عندما تقف في وسط الصحن لتشاهد قاعة الصلاة حيث تفصل بينهما أروقة تحاكي بجمالها المساجد القديمة، وعندما تدخل إلى قاعة الصلاة المُنارة بثريات ضخمة بديعة المنظر ستؤخذ بجمالها، كما تزين النوافذ

فيها بسواتر خشبية محفورة بزخارف إسلامية نفيسة.

ويتكون المسجد من طابقين، وبكل طابق قاعة كبرى للصلاة، فأما الطابق الأعلى منهما فهو مبنى المسجد، ويقوم بصفة أساسية على أربعة أعمدة توجد ظاهرة بالقاعة الكبرى بالطابق الأسفل، وقد شيدت على أعلى قواعد أشبه بالعمائم المخروطة الشكل تحت السقف.

وإذا دخل الزائر إلى الطابق السفلي (القبو) سيجد عدّة حجرات خُصصت للمحاضرات والاجتماعات والفصول الدراسيّة، ويمكن إزالة الحواجز الفاصلة بين هذه الحجرات لتستخدم مكانًا للصلاة في التجمعات والمناسبات، وجميع الأدوار مجهزة بالخدمات الصحية والفنية.

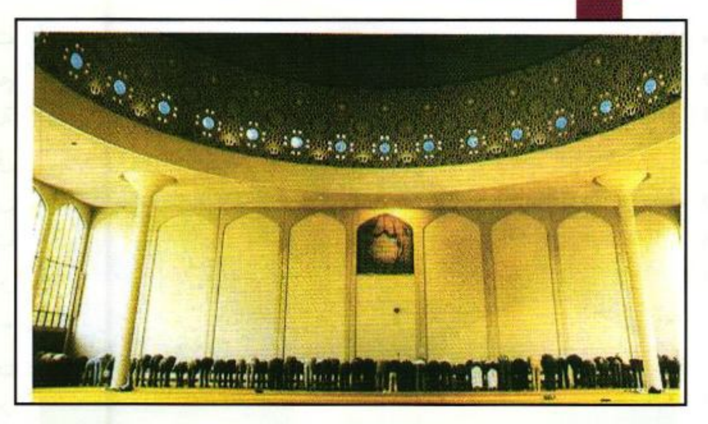
هذا وقد اعتنى القائمون على بنائه بالمرافق الملحقة فخصصوا جناحًا للسكن وهو عبارة عن ثلاثة طوابق تضم أربع شقق، وإلى جانبه مكان خصص لتجهيز الموتى على الطريقة الإسلامية.

الدور الاجتماعي للمسجد

اعتُني بمسجد لندن الجامع منذ تأسيسه ليكون جامعًا يؤدي أدوارًا اجتماعية وأسرية، فهو يفتح أبوابه من طلوع الفجر إلى ما بعد صلاة العشاء لتأدية الصلوات الخمس، وفي يوم الجمعة يزدحم بمئات المصلين الذي يرتفع عددهم في الصيف إلى الآلاف.

أما في عيدي الفطر والأضحى فيشارك في الصلاة أكثر من خمسة عشر ألفًا يؤدون الصلاة في جماعات متتابعة.

كما تجرى في المسجد عقود الزواج بين المسلمين، ويحتفظ بسجلات خاصة بذلك، ويتدخل لنصح الأزواج



وتسوية الخلافات داخل الأسر.

وللمسجد دور اجتماعي كبير من خلال زيارته للسجون وتعهده لمساجين المسلمين وزيارتهم وتخفيف المصاب عنهم، وكثيرًا ما تتم زيارة المرضى بالمستشفيات وإهداؤهم المصاحف والكتب الدينية.

ويحتفظ كذلك بعناوين المحلات التي يتوفر فيها اللحم الحلال، إضافة إلى قائمة بعناوين المساجد والهيئات الدينية في كثير من مدن بريطانيا والعالم.

هذا ويسجل المسجد العديد من حالات إشهار إسلام المهتدين الجدد.

الدور التعليمي والثقافي

لقد عُني مسجد لندن الجامع منذ تأسيسه بالجانب العلمي والثقافي للمسلمين في هذه البلاد وذلك من خلال مركزه الثقافي ومكتبته الضخمة التي تحتوي على أكثر من خمسة عشر ألف كتاب في شتى العلوم الإسلامية، وقد صُممت لتتسع لأكثر من خمسين ألف مجلد، وبداخل المكتبة حجرة واسعة ومجهزة للمطالعة تتسع لحوالي ١٥٠ قارئ، وتقدم خدمات رفيعة للباحثين والزائرين.

وتصدر عن هذا المركز مجلة فصلية باللغة الإنجليزية لها وزنها لدى الهيئات العلمية.

كما يُصدر المركز إخبارية عن المسلمين ونشاطات المركز وبعض الفتاوى المتعلقة بفقه الجاليات والأقليات، والتوجيهات الخاصة بهم.

وقد أصدر المركز كتبًا عدة تناولت مواضيع مهمة كالصلاة والصيام والزكاة والحج، كما تناولت القضية الفلسطينية، وحقوق الإنسان، وقانون الأسرة، ومواقيت الصلاة وإمساكية شهر رمضان.

كما ينظّم المركز فصولًا دراسية في عطلة نهاية الأسبوع، ويدعو كبار المفكرين والعلماء المسلمين لإلقاء محاضرات وعقد ندوات.

وقد شكل المسجد لجنة لمراقبة الهلال والعناية بالتقويم الهجري، تُدعى «لجنة رؤية الهلال» تجتمع دوريًا بالمركز.

الخاتمة

إن المركز الإسلامي في لندن لا يزال يتمتع بدوره الديني والثقافي والاجتماعي لعموم المسلمين في لندن والذين زاد عددهم عن (٢,٥) مليون مسلم، ويقوم بالعناية بالصلات الوثيقة مع الهيئات والمؤسسات الثقافية في البلاد الإسلامية وغيرها لما فيه مصلحة المسلمين، ويؤدي دورًا جيدًا لإقامة علاقات اجتماعية طيبة بين الجاليات الإسلامية والسلطات والمجتمع البريطاني، ليكون بذلك منارة من منارات الإسلام تنشر الخير والأخلاق الرفيعة والعفة في بلاد الغرب، الأمر الذي استرعى انتباه وإعجاب الكثير من المسؤولين وصناع القرار في بريطانيا.

وأختم المقال بحديث للأمير «تشارلز» prince charles أمير مقاطعة ويلز حيث يقول عن الوجود الإسلامي في بلاده: «الإسلام جزء من ماضينا وحاضرنا في جميع المجالات الإنسانية، وقد ساهم في خلق أوروبا المتحضّرة، فالإسلام جزء من تراثنا وليس غريبًا علينا، إضافة إلى ذلك فالإسلام يمكنه أن يفهمنا ويساعدنا على الحياة في هذا العالم وهو ما فقدته المسيحية، فصلب عقيدة الإسلام هو إعطاؤنا تصورا كاملا ومتكاملا للعالم الذي يحيط بنا» (الإسلام في بريطانيا للدكتور محمد صادق).

تدابير حديثة للوقاية من هذا المرض

هشاشة العظام (Osteoporosis)

أ.د. عبدالقادر الحبيطي ◆

الهيكل العظمي البشري يشتمل الجسم البشري على ٢٠٦ عظمات مرتبطة فيما بينها بواسطة مفاصل، توفر العظام هيكلًا قويًا ومرنًا تحركه العضلات كما تحيط بعض العظام بأعضاء داخلية مثل الرئتين والدماغ وتحميها.

يعطي الأطباء النسائيون الحوامل والمرضعات دعمًا متوازنًا من الكالسيوم والفوسفور والفيتامين «D» مع مجموعة فيتامينات أخرى للمحافظة على صحتهن ودعم عضويتهن من كل الوجوه. ولعل الدراسات الحديثة عن نبات الجينسينج وأثره في دعم الهيكل العظمي والوقاية من هشاشة العظام (Osteoporosis) تجعل منتجي هذه الأدوية الداعمة من الأملاح والفيتامينات الخاصة بالحوامل والمرضعات؛ لعلها تجعلهم يضيفون مستقبلًا نسبة من مسحوق جذور الجينسينج لجعل مفعولها أكثر كفاءة في بناء العظام ومنع خلخلتها وهشاشتها.

وبمناسبة الكلام عن الجينسينج فإن له فوائد متعددة أخرى إذ ينشط عضوية الإنسان، كما أن له فوائد لمرض السكر إذ يعتقد العلماء الكوريون أن الجينسينج الكوري ينشط خلايا جزر لانجرهانس التي تفرز الأنسولين وبالتالي يساعد على عودة البنكرياس إلى وظيفته الطبيعية في إفراز الأنسولين بالمقادير الكافية. ويستلزم هذا البرنامج وقتًا طويلًا من استخدام الجينسينج ولذلك فعلى مريض السكري أن يستمر في تناول أدويته حتى تتبين له الفائدة الواضحة من الجينسينج، وعندئذ قد يستطيع تخفيض أو إيقاف الأدوية الكيماوية.

وليس الرجال بمنأى عن احتمال هشاشة العظام (Osteoporosis) مع التقدم في العمر ولذلك فالأطباء يدعون الرجال إلى أخذ دعم من مركبات الكالسيوم والمغنيسيوم مع الفيتامين «D» يوميًا للوقاية من هشاشة العظام مع التوجيه باستهلاك مقدار مناسب من الألبان ومشتقاتها أيضًا، ويفضل ذلك للرجال بعد سن الأربعين من العمر.

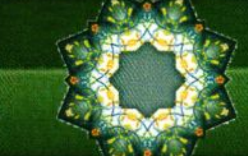
وقد كانت مركبات الكالسيوم التي تعطى لهذا الغرض غالبًا ما تكون مؤلفة من كربونات الكالسيوم (CaCo٣) أو من غلوكونات الكالسيوم (Cal. gluconates). أما الاتجاه العلمي الحديث المستند إلى الأبحاث العلمية فيوصي باستخدام سترات الكالسيوم والمغنيسيوم مع الفيتامين ««D «Cal-Mag-Citrate+Vit D» بدلًا من الوصفات السابقة وذلك لأن سترات الكالسيوم لا تتبلور ولا تترسب في الكليتين بل يستفاد منها لبناء العظام فقط، وإذا لم يتيسر بين أيدينا مركبات سترات الكالسيوم فيمكن استخدام مركبات كربونات الكالسيوم على أن نرفقها بتناول عصير الليمون المحتوي على حامض الستريك الذي يتفاعل مع الكربونات فيحولها إلى سترات وفي ذلك وقاية من تشكل الحصوات الكلوية.

عوامل التعرض لتخلل العظام في أسلوب العيش:

- عوامل غذائية.
- نقص في الكالسيوم وفيتامين د.
- الكحول والتدخين.
- قلة النشاط الجسدي.

والخلاصة: أن كلًا من الدعم الدوائي المؤلف من الكالسيوم والمغنيسيوم والفيتامين «D» وقد يضاف الزنك أيضًا في بعض الأحيان، بالإضافة إلى رياضة المشي المتدرج حسب قدرة كل من الرجال والنساء هو الوسيلة المثلى للمحافظة على بناء الهيكل العظمي لدى كل منهم والوقاية من الكسور الخطرة، بإذن الله تعالى.

◆ طبيب سوري





فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية



إعداد: التحرير

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

١/٢٢ع/٨٤ الأجرة على الكفالة

كنت مؤجرًا رخصة دكان لشخص ما مقابل ١٢٠د.ك سنويًا، والسؤال: هل يجوز الاتفاق مع المؤجر على زيادة الأجرة السنوية أعلاه بالتراضي بيننا مقابل القيام بعمل إقامات للعمال الذين يعملون بالمحل حتى يكون وجودهم قانونيًا داخل الدكان؟

أجابت اللجنة بما يلي: إن إيجار الرخصة وعمل إقامات مقابل زيادة إيجارها هو من قبيل أخذ العوض على الكفالة، ولم يجزه أحد من العلماء فيما نعلم. والله أعلم.

٦/١٩٤/٨٢ العمولة على إيجاد عمل

شخص يود أن يفتح مكتبًا لاستقدام الأيدي العاملة بأجرة يومية مقدارها ثمانية دنانير، بحيث يؤجرهم للغير بمبلغ عشرة دنانير، يعطي العامل منها أجرته ثمانية دنانير ويستفيد صاحب المكتب من الدينارين، فما حكم ذلك؟ أفيدوني جزاكم الله خيرًا.

أجابت اللجنة: أنه إذا استأجر المستفتي شخصًا أو أشخاصًا بأجر معلوم لمدة معينة على أن يكون له حق تأجيرهم للغير فهذا التصرف جائز شرعًا إذا كان عن تراض، وكذلك لو أخذ عمولة محددة على إيجاد عمل لشخص فإنه جائز شرعًا، سواء أكانت العمولة من الأجير أو من المستأجر أو هما معًا. والله أعلم.

٢/٢٧ع/٨٤ تأجير الرخصة التجارية

هل يجوز تأجير أو بيع رخصة محل أو مصنع؟ مع العلم أن مسؤولية ذلك تقع على صاحب الرخصة.

أجابت اللجنة: أن إيجار الرخصة وعمل إقامات مقابل زيادة إيجارها هو من قبيل أخذ العوض على الكفالة ولم يجزه أحد من العلماء فيما نعلم. والله أعلم.

٤/٥/٨٣ تأجير الرخصة التجارية

أنا مواطن لدي ترخيص تجاري، وليس لدي رأس مال، وطلب مني أخ غير كويتي ميسور الحال أن يستغل الترخيص العائد لي وذلك بالتجارة والمقاولات، وبطبيعة الحال سأكون في نظر القانون والناس مسؤولاً عن كل حق له أو عليه نظرًا للترخيص، حيث إنه باسمي، وأي تصرف حسن أو سيئ يصدر منه سيكون باسم هذا الترخيص، لذا فقد ترك لي اختيار أحد الأمور التالية وذلك نظير الترخيص الذي يمنحه حق مزاولة مهنة التجارة.

(أ) أن يمنحني مبلغًا معينًا يتفق عليه بيننا كأجرة سنوية للترخيص.

(ب) يقتطع نسبة مئوية معينة من قيمة كل عقد مقاولة بينه وبين الغير لصالحي.

(ج) يعتبرني شريكًا بالترخيص أي يعتبر أن هذا الترخيص يعادل مبلغًا معينًا من رأس المال لصالحي.

وعلى ضوء ما ورد فإنني في حيرة، إن كان في ذلك شبهة أو حرمة، وإذا كان لا شيء في هذه الأمور الثلاثة.. فأيهم أفضل؟

وبعد استعراض الموضوع أجابت اللجنة: أنه بالنسبة للصورة الأولى والثانية فإنه لا يجوز العمل بهما، أما بالنسبة للصورة الثالثة فهي جائزة بشرط أن يشترك صاحب الترخيص مع صاحب المال في الربح والخسارة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

٢/٤٨ع/٨٤ فسخ عقد الإجارة

استأجرنا مكاتب بقصد استخدامها في مشروع تجاري وقمنا بتسديد المبلغ المطلوب لها، ولكن عندما تقدمنا للجهات المختصة والرسمية بالدولة للحصول على التراخيص اللازمة لهذا المشروع التجاري فوجئنا بعدم الموافقة، حيث أفادتنا هذه الجهات أن هذه المنطقة الواقع في دائرتها المكاتب- موضوع الإيجار- هي منطقة سكنية، ولا يجوز إصدار تراخيص لهذه المكاتب، وعليه قمنا بالتحدث مع الإدارة المختصة التي أفادت أكثر من مرة بأن الموافقة ستخرج عن قريب، ونحن ندفع الإيجار على هذا الأمل الذي يصدر عن الشخص المختص بالتأجير، ونحن على هذا الحال حتى بت المجلس البلدي بهذا الموضوع، والذي أفاد بأن هذا المشروع هو سكني ولا يصلح للعمل التجاري.

فهل يجوز لنا استرجاع المبالغ التي تم

تسديدها عن المدة السابقة والمستقبلة وفسخ عقد الإيجار أم لا؟

رأت اللجنة الإجابة بالآتي: إن فسخ الإجارة هنا مشروع لأنه بعذر طارئ لا يد فيه للمستأجر، ويكون الفسخ بالنسبة للمدة المستقبلة من حيث إخلاء المأجور عقب طلب الفسخ، ويجوز له استرجاع المبالغ التي دفعت مقدمًا عن المدة المتبقية في العقد دون المدة السابقة على الإخلاء. والله أعلم.

٨٤/ع٢١/٣ استثمار أموال إعانة المرضى

نحن اللجنة التجارية في صندوق إعانة المرضى، لدينا ترخيص من وزارة الصحة بوضع ثلاجات مرطبات في جميع مستشفيات الكويت، ولقد عملنا في هذا المشروع فيما يقارب سنة، فلقد عانينا من هذا المشروع كثيرًا من المتاعب، ومضيعة للوقت في عمل الصندوق، وعلى هذا عرضت علينا إحدى الشركات القيام والإشراف على هذا المشروع، وتكون لنا المراقبة فقط وتكون لنا نسبة من الأرباح.

السؤال: هل يجوز إعطاء هذا العمل إلى الشركة؟

أجابت اللجنة بما يلي: إن ذلك جائز لأنه مقاولة ثانية، ولأن فيه حصولاً على فرق من ربح العمل. والله أعلم.

٨٣/٤/٤ الخلو في الشريعة الإسلامية

قدر الله لي أن أبيع محلي ولا أدري أن هذا حلال أم حرام، مع أنني عندما بعت المحل كان بداخله ميزان وأجريت للمحل بعض التصليحات وقد تركتها للمشتري الجديد؛ فهل يجوز لي أخذ خلو مقابل ترك المحل؟ وما حكم أخذ العوض مقابل الإصلاحات التي قمت بها، والأغراض التي تركتها في المحل؟

وبعد استعراض السؤال ودراسته أجابت اللجنة بما يلي:

أن أخذ المستأجر من المستأجر التالي له ما يسمى خلوا لا يجوز.

أما أخذ عوض عما في المحل من موجودات قائمة فعلاً بالمحل بالسعر الذي يتراضيان عليه من غير إكراه لأحد الطرفين فيجوز. والله أعلم.

٨٣/١/٧ رفع الإيجار بدلاً من الخلو

نحن مقبلون على بناء مجمع تجاري بإحدى مناطق الكويت، وكما تعلمون أن فكرة التأجير بطريقة الخلو منتشرة، وحيث إن نظام شركتنا الأساسي ينص على تطبيق الشريعة الإسلامية، فإننا نسأل عن مدى تمشي نظام الخلو والشريعة الإسلامية. وهل يمكننا ترك الخلو والاستعاضة عنه بزيادة القيمة الإيجارية مثلاً؟ وفي حال إذا كان هذا أو ذاك مخالفا للشريعة الإسلامية فما هي الطريقة المثلى التي تقترحونها، والتي تحقق لنا العائد المناسب ويقرها ديننا الحنيف؟

أجابت اللجنة: أن الاستعاضة عن الخلو برفع القيمة الإيجارية أمر جائز، ويجري على البدل كل أحكام الأجرة، بحيث لو فسخ العقد يسترد المبلغ المقدم الذي يخص الفترة الباقية. والله أعلم.

٨٢/١٩٣/٤ ضمان الربح في الاستثمار

عرض عليّ أحد الأقارب أن أضع عنده ما أحب من المال ليستثمره في تجارته، وفي المقابل يعطيني عائدا شهريًا حدده هو من واقع الدخل الذي يعود عليه من تجارته، بمتوسط مبلغ ستين جنيهًا شهريًا لكل ألف جنيه وضعتها عنده، والسؤال: هل المال الذي يعود عليّ من الاستثمار لدى هذا الشخص يعتبر ربًا أو حرامًا؟ وما هي الطريقة المشروعة لاستثمار أموالي؟

رأت اللجنة: أن التصور الذي صوره في خطابه هو من قبيل الربا المحرم؛ لأنه حدد مبلغًا معينًا للربح، وسلامة رأس المال من الخسارة.

والطريقة المشروعة هي أن يتفق مع هذا المستثمر على أن يكون جزءًا شائعًا (نسبة مئوية) من ربح ماله لا من رأس المال، وله أن يكون شريكًا في رأس المال كله، وله الحق أن يكون شريكًا في صفقة معينة يحددانها بالاتفاق، وإذا وقعت خسارة يتحملها كلها صاحب المال، ويخسر صاحب العمل جهده. والله سبحانه وتعالى أعلم.

٨٤/ع٤٣/٢ استثمار الأموال لدى شركة تضمن الربح

عرض على اللجنة مجموعة من موظفي إحدى الشركات كتيبًا خاصًا بالادخار والفوائد الممنوحة عليه من قبل الشركة، حتى يعلموا رأي اللجنة في حل هذا العمل أو حرمته.

اطلعت اللجنة على النشرة المعدة من الشركة المذكورة بشأن الادخار وكذلك على النظام المنشور فيها، ولاسيما المادة الخامسة التي نصها كالآتي:

تقوم الشركة باستثمار المدخرات لصالح الأعضاء بالشكل الذي تراه مناسبًا وتضمن لهؤلاء الأعضاء كامل مدخراتهم وربحًا سنويًا صافيًا لا يقل عن ٥٪ (خمسة بالمائة) من هذه المدخرات ومن الأرباح السابقة التي تتحقق من استثمارها، ولا تدخل هذه الأرباح بالغًا ما بلغ مقدارها في حساب مكافأة التوفير والادخار التي تدفعها الشركة من مالها الخاص بموجب أحكام هذا النظام.

وتبين من هذه الأمور الآتية:

(أ) لم يبين وجوه الاستثمار للمبالغ المدخرة ويجب النص على أنها تستثمر بما لا يخالف الشريعة الإسلامية.

(ب) نصت المادة على ضمان المبالغ المدخرة وأنها ترد كاملة في جميع الأحوال وهذا يخالف أسلوب الاستثمار الشرعي الخاضع للربح أو للخسارة وتحميل ذلك لرأس المال، هذا إذا كانت الشركة هي المستثمرة بالأصالة، أما إذا كانت تقوم بالاستثمار لصالح المدخرين وبالنيابة عنهم لمصلحتها، وكانت الشركة ضامنة لما قد يلحق المبالغ المستثمرة من خسارة على سبيل الرعاية لموظفيها، فإن ذلك الضمان جائز، لأنه من طرف خارج عن عملية الاستثمار.

(ج) تضمنت المادة ضمانًا للربح المقدر بحد أدنى لا يقل عن (٥٪) منسوبا إلى المبالغ المدخرة وهذا هو الربا بعينه، لأنها زيادة على رأس المال مشروطة بعقد، والأصل أن الربح يزيد وينقص بحسب الواقع. والله أعلم.

إعداد: خالد خلاوي

وراء كل عظيم أم عظيمة

الأم صاحبة أكبر مدرسة يتربى فيها أبناء الأمة، ويتخرج منها العباقرة والعظماء، فدراسة حياة كثير من المتميزين في العديد من المجالات بخاصة مرحلة طفولتهم ستكشف لنا عن الدور الكبير لأمهاتهم في تشكيل شخصيتهم، وتكوين الدوافع الأساسية لمواهبهم وميولهم، وانطلاقًا من هذه الحقيقة فإن الأم الواعية، ذات الدين والسلوك القويم، والتوجيه التربوي السليم تصنع شخصيات أبنائها في مستوى تربوي رفيع، وبكفاءة عالية.

وذلك لا يعني بالطبع إنكار دور الأب في تربية الأبناء، ولكن الأم هي الأكثر التصاقًا بالأبناء ومتابعة لتفاصيل حياتهم اليومية بخاصة في مرحلة الطفولة الأولى، وهي الفترة التي يطلق عليها علماء التربية والنفس السنوات التأسيسية لتشكيل شخصية الإنسان.

ولذلك كان اهتمام الإسلام بالمرأة كبيرا سواء بحسن تربيتها منذ طفولتها وإعدادها لمهمتها العظيمة أوبحسن اختيارها في مرحلة الزواج، أوبتكريمها كأم، عن أبى سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة»

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله من أبر؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال أمك. قال: ثم من. قال: أباك. (رواه البخاري).

ويتعاظم دور الأم وتزيد مسؤولياتها وأعباؤها عندما يُغيب الموت الأب، وتكتب الأم بعملها وكفاحها روائع القصص التي رواها التاريخ العربي والإسلامي والعالمي عن العظماء الذين تربوا أيتامًا.

وفيما يلي نماذج من أعلام في التاريخ الإسلامي ومن الشرق والغرب كانوا ثمارًا لغرس أمهات عظيمات:

– الرميصاء..أم الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه حرصت أن يلتصق ابنها أنس بالرسول ﷺ، فقدمته لرسول الله ليكون خادما للرسول وهي تقول: يا رسول الله هذا خويدمك أنس، ادع الله له، فدعا له الرسول فاستجاب الله للدعاء، ولزم أنس الرسول فتعلم منه الكثير وصار من رواة الحديث عنه.

– وأم الإمام البخاري حرصت على تربيته وتعليمه الحديث بعد أن فقد والده، وربته على حب العلم ومجالسة العلماء حتى صار أمير المؤمنين في الحديث.

– وقال مطرف بن عبدالله عن دور أمه في تشجيعه على طلب العلم: قلت لأمي أذهب فأكتب العلم؟ فقالت تعال، فالبس ثياب العلم، فألبستني مسمرة، ووضعت الطويلة على رأسي، وعممتني فوقها، ثم قالت: اذهب فاكتب الآن، وكانت تقول: اذهب إلى ربيعة، فتعلم من أدبه قبل علمه.

– ولقد عاش الجاحظ يتيمًا في الصغر، وترعرع في كنف والدته الفقيرة، وقد اهتمت بتعليمه القراءة والكتابة، وكان كل يوم بعد أن ينتهي من الدراسة يذهب مع والدته إلى السوق ليبيع الخبز والسمك ليساعدها في كسب قوتها، وبالرغم من ذلك كان مواظبًا على حضور حلقات البحث العلمي التي تقام في المساجد، وذات يوم توقف عن البيع بسبب حبه الشديد لحضور حلقة البحث العلمي، بحيث يحضر معه إلى البيت كراسات الدراسة بدلًا من النقود، ولما طلب من والدته الطعام، قدمت له طبقًا مملوءًا بالكراسات وقالت: خذ هذا طعامك اليوم.

– عبدالله والمنذر وعروة أبناء الزبير، ثمرات غرس أمهم أسماء بنت أبي بكر.

– معاوية بن أبي سفيان، ورث عن أمه هند بنت عتبة من قوة الشخصية وألمعية الذهن ما لم يرثه عن أبيه أبي سفيان.

– عمر بن عبدالعزيز، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وأمها المرأة التقية التي اتخذها عمر زوجة لابنه عاصم؛ إذ رأى فيها الصدق مجسدًا والاستقامة ناطقة عندما لم ترضَ أن تمزج اللبن بالماء كما طلبت منها أمها لأن الله يراها.

– وهذه أم الإمام الشافعي، الذي لم ير أباه؛ إذ مات وهو رضيع، وتولت أمه تربيته والعناية به.

– ومن سيرة حياة المخترعين نجد أن أديسون مخترع الكهرباء يقول: إن أمي هي التي صنعتني، لأنها كانت تحترمني وتثق بي، أشعرتني أنى أهم شخص في الوجود، فأصبح وجودي ضروريا من أجلها وعاهدت نفسي أن لا أخذلها كما لم تخذلني قط».

– والعديد من الأدباء والشعراء قد استمدوا العظمة من أمهاتهم، وكان لهن أكبر الفضل في تربيتهم، وبث المثل العليا في نفوسهم، وقد اعترفوا جميعًا بأنه قد كان لأمهاتهم أكبر الأثر في نجاحهم في الحياة، نذكر منهم على سبيل المثال: جورج برنارد شو الكاتب الروائي الشهير، والشاعر الألماني جوته وغيرهم.

صور من حياة المتميزين

أم محمد الفاتح

نال السلطان محمد الفاتح شرف البشارة النبوية التي تمناها كثير من الصحابة وهي فتح القسطنطينية، فعن عَبْد اللّه بْن بِشْر الْخَثْعَمِي، عَنْ أَبِيه، أَنّهُ سَمِعَ النّبِيَ ﷺ «يَقُولُ لَتُفْتَحَنّ الْقُسْطَنْطِينِيّةُ فَلَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ».

وكان الفاتح نعم الأمير ونعم القائد، فلم يكن مجرد فاتح مغوار وقائد عسكري مظفّر، بل كان يجمع بين صفات القيادة العسكرية الموفقة وبين الثقافة العلمية الرفيعة يقود الجيوش، ويفتح المدن والدول، ويتذوق العلوم والآداب بمختلف ألوانها.

وقد وهب الله للفاتح أمًا فاضلة ربته على مكارم الأخلاق وأعدته للمهمة التي كان يحلم بها الكثيرون من أمراء وقادة المسلمين، لقد كانت تأخذه وهو طفل صغير وقت صلاة الفجر لتريه أسوار القسطنطينية، وتقول له في ثقة: أنت يا محمد تفتح هذه الأسوار اسمك محمد كما قال رسول الله ﷺ.

والطفل الصغير يقول: كيف يا أمي أفتح هذه المدينة الكبيرة؟.

فترد عليه الأم: بالقرآن والسلطان والسلاح وحب الناس.

واستمرت الأم العظيمة تغرس فيه هذه المعاني حتى بلغ عمره ٢٢ سنه ومات أبوه السلطان مراد الثاني.. دخلت أمه عليه وهو يبكي على أبيه فقالت له: أنت تبكي فماذا تفعل النساء؟! قم القسطنطينية بانتظارك وأعداء أبيك في كل مكان.

كلمات في التميز

مدرسة الأم

الأمُ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعْدَدْتَهَا أَعْدَدْتَ
شَعْبًا طَيّبَ الأَعْرَاقِ
الأمُ رَوْضٌ إِنْ تَعَهّدَهُ الحَيَا بِالرّيِّ
أَوْرَقَ أَيّمَا إِيْرَاقِ
الأمُ أُسْتَاذُ الأَسَاتِذَةِ الأُلَى شَغَلَتْ
مَآثِرُهُمْ مَدَى الآفَاقِ

حافظ إبراهيم

العَيْشُ مَاضٍ فَأَكْرِمْ وَالدَيْكَ بِهِ
والأمُّ أَوْلَى بِإِكْرَامٍ وَإِحْسَانِ
وَحَسْبُهَا الحَمْلُ وَالإِرْضَاعُ تُدْمِنُهُ
أَمْرَانِ بِالفَضْلِ نَالاَ كُلَّ إِنْسَانِ

أبوالعلاء المعري

لَيْسَ يَرْقَى الأَبْنَاءُ فِي أُمّةٍ مَا لَمْ
تَكُنْ قَدْ تَرَقّتْ الأُمّهَاتُ

جميل الزهاوي

أَحنُّ إِلَى الكَأْسِ التي شَرِبَتْ بِهَا
وأَهْوَى لِمَثْوَاهَا التُّرَابَ وَمَا ضَمّا

المتنبي

الأمومة: أنصع رمز لنجاح المرأة في دنيا البقاء والوجود

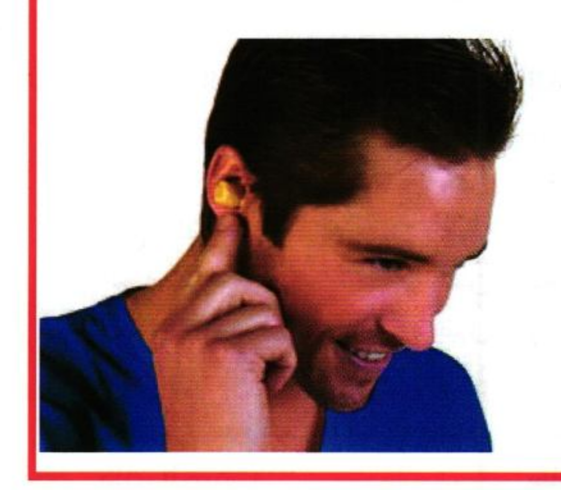
أمين سلامة

إني مدينٌ بكل ما وصلت إليه وما أرجو أن أصل إليه من الرفعة إلى أمي الملاك.

لينكولن

إعداد: هالة محمد

خلايا أنفية لمعالجة فقدان السمع



أحيا باحثون استراليون الأمل لدى الأطفال فاقدي السمع، بإعلانهم انه سيكون في مقدور الأطباء إجراء عمليات جراحية تعيد حاسة السمع لهم باستخدام خلايا تؤخذ من الأنف، وتقوم بدور التعويض عن الجزء المتعطل من حلزون الأذن.

فخلايا الشم يمكن تحويلها في مرحلة الطفولة إلى لاقطات سمعية، ومن الجدير بالذكر أن مرض عدم الإدراك الحسي يحدث في الأذن الداخلية، الأمر الذي يؤدي إلى تدهور الشعور بالصوت، وتحدث المشكلة في الأغلب في الحلزون أو في عصب السمع، أما سبب هذا الأمر فيمكن أن يكون وراثيًا، أو يحدث خلال الحياة نتيجة لمرض، أو بسبب نقص في عملية التروي أو نتيجة للتعرض للأصوات العالية، أو نتيجة للتقدم في العمر.

قارات الأرض.. هل تعود للاندماج؟!

يبدو أن مرحلة الانفصال التي شهدتها القارات السبع قبل أكثر من ٢٠٠ مليون سنة قد وصلت إلى نهايتها، وبدأت مرحلة العودة إلى الاندماج التي ربما تستغرق الفترة نفسها التي استغرقتها مرحلة الانفصال.

ويطلق المختصون مصطلح «انزلاق الصفائح» على حركة التربة التي تجري تحت المحيطات أو على أطرافها، وأول من جاء بفكرة «الانزلاق» العالم الألماني الجيوفيزيائي ألفريد فيكتر عام ١٩٢١.

فقد لاحظ هذا العالم أن أميركا الجنوبية وأفريقيا تتقاربان في حوافهما الأرضية، كما لو كانا قطعة واحدة انقسمت على نفسها إلى جزئين مختلفين، لكنهما حافظا على تموجات خط الانشطار المشترك فيما بينهما.

العلماء آنذاك واجهوا نظرية فيكتر بجملة واسعة من التسويف، لكنهم في نهاية المطاف عادوا واعترفوا بجديتها، وخاصة فيما يتعلق بما أشار إليه من أن الأرض هي مصدر «التجاذب» أو «التنافر» المغناطيسي بين الأجزاء اليابسة، أي المرتفعات والجبال والتلال عموما، وهذا التجاذب أو التنافر هو الذي يحدد مستوى حركة طبقات الأرض وطبيعة اتجاهاتها.

محطة تنقية مياه محمولة على الظهر



طور باحثون ألمان في جامعة «أوسنا بروك» محطة لتنقية المياه، ينتظر أن تسهم في تقديم المساعدات الطارئة بشكل غير معقد في المناطق المنكوبة، وتحمل هذه المحطة اسم «بول» اختصارًا من اللغة الإنجليزية وتعني «وحدة تنقية المياه من أجل انقاذ الحياة»، ويعيب محطات تحلية المياه الحالية أنها مكلفة وتحتاج للعديد من الأفراد في تشغيلها، أما محطة «بول» فتعمل من دون تيار كهربائي، ويمكن أن توفر ماء لنحو ٥٠٠ شخص.

بطارية خضراء

يؤدي تفاعل الصوديوم والسيليسيوم وقطرة ماء إلى إنتاج طاقة خضراء، هذه الوصفة المعجزة وغير الخطرة التي انتهى إليها باحثون كانوا يرغبون في إنتاج طاقة متجددة، وتقوم حاليًا شركة «شيغفا» بتطوير الفكرة لإنتاج بطاريات لتشغيل أجهزتها الالكترونية، حيث يسمح تفاعل المواد الثلاث التي ذكرناها آنفا بإنتاج الهيدروجين ومن ثمة الطاقة النظيفة.



تفجير نووي تحت الأرض يعادل زلزالاً

إذا افترضنا أن الهدف النهائي لإيران من برنامجها النووي هو انتاج قنبلة نووية، فإن عليهم اختباره للتأكد من أنه يعمل. وأي اختبار يجب أن يُجرى تحت الأرض، أو ربما داخل أحد الجبال في الصحراء، كما فعلت فرنسا في الجزائر، وكما فعلت الولايات المتحدة في الهند، وكما ذكر آنفا فإن إيران معرضة للزلازل.

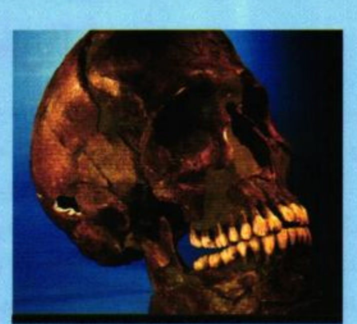
كما أن ضعف بنيانها التضاريسي يجعل من السهل تسرب الإشعاعات إلى سطح الأرض، وسوف يصبح هذا البنيان أكثر هشاشة في حالة إجراء أي تفجير نووي تحت الأرض، وبالإضافة إلى ذلك، فإن مواصفات الضغط المنخفض الذي يصاحب العواصف، تتيح للغازات أن تتحرك من تحت الأرض إلى السطح عبر نقاط الضعف الجيولوجية.



إن أي تفجير نووي تحت الأرض يوازي في قوته قوة الزلزال، فحين قام الكوريون الشماليون بتفجير نووي تحت الأرض عام ٢٠٠٦، تسبب في نشاط زلزالي بقوة ٤ درجات على مقياس ريختر، وقد لا يبدو في الأمر خطورة كبيرة لكن بعض خبراء الزلازل يرون عكس ذلك، ويقولون إنه كلما كبر حجم التفجير زاد النشاط الزلزالي الناتج عنه، الأمر الذي قد يجعله مدمرًا للناس والممتلكات، وعلى ما تمتلك إيران من تاريخ في مجال حدوث الزلازل، فإن مخاطر اجراء تجارب نووية، يحدث فيها خطأ ما، لن تقتصر على إيران وحدها، بل ستطال جيرانها العرب وغيرهم بدرجة كبيرة.

سوريا تطالب فرنسا بجمجمة سليمان الحلبي

تعتزم سوريا مطالبة السلطات الفرنسية عبر القنوات الرسمية بإعادة جمجمة السوري سليمان الحلبي الذي اغتال الجنرال الفرنسي كليبر الذي كان يحكم مصر في عام ١٨٠٠، وطالب د. جورج جبور، رئيس الرابطة السورية للأمم المتحدة بمناسبة اليوم العالمي للقضاء على العنصرية، الذي عقد في أحد المراكز الثقافية في دمشق، الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي بالنظر في إعادة جمجمة سليمان الحلبي إلى وطنه سوريا، ولد سليمان الحلبي عام ١٧٧٧ في قرية فرين «شمال غرب حلب» من أب كان يعمل في تجارة السمن والزيوت، فتعلم الكتابة وأرسله أبوه عام ١٧٩٧ إلى القاهرة ليلتقي العلوم الإسلامية في جامعة الأزهر، وأقام في «رواق الشوام» المخصص لتعليم الطلبة القادمين، وعاد بعد ذلك إلى بلدته ثم فكر في الرجوع إلى مصر، وهناك اغتال الجنرال كليبر خليفة نابليون بونابرت بطعنه بسكين في حديقة منزله.



من هنا وهناك

● أعلنت وكالة الفضاء الأميركية (ناسا) عن إطلاق قمر صناعي يوم ٤ مارس الماضي بهدف مساعدة العلماء في التوصل إلى فهم أفضل للتغيرات المناخية، غير أنه فشل في الوصول إلى مداره بعد عملية الإطلاق بسبب أن غلافًا واقيًا على قمة الصاروخ لم ينفصل بعد عملية الإطلاق بثلاث دقائق.

● العلاج بواسطة الألوان نظرية علمية جديدة تحاول تفسير ظاهرة الألوان وتأثيراتها على بعض الأمراض الشائعة لغرض العلاج.

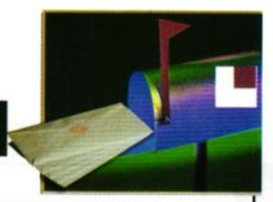
● نجح الأطباء التشيك في الاستعاضة عن العظام التي تتعرض للإصابة والتلف في الجمجمة بمواد اصطناعية لها الخصائص نفسها التي تتمتع بها العظام الأصلية.

● أنهى مكوك الفضاء الأميركي «ديسكفري» ٢٧ عامًا من الخدمة بعد مهمة استغرقت ١٣ يومًا، وقد بدأت عملية بناء المكوك عام ١٩٧٩م، وشهد عام ١٩٨٤م أول انطلاقة له في الفضاء.

● اخترع طالب ألماني «غيت نومان» جهازًا بحجم علبة الكبريت يوضع على مستوى الظهر ويصدر تنبيهًا بمجرد انحرافك لأكثر من ٦٠ ثانية، ويعتزم تزويده بجهاز ذاكرة حتى يتمكن المستخدم من معرفة الوضعيات التي تعرضه للخطر.

● طور باحثون تشيك من معهد تقنية الأجهزة التابع لأكاديمية العلوم التشيكية في مدينة «برنو» جهازًا فريدًا من نوعه قادرًا على تشخيص وضع الشرايين والأوعية الدموية في الجسم خلال دقيقة واحدة.

● حذر العلماء من أن بروتينًا رئيسيًا (بروتين نيرو فايسن) يساعد الدماغ في نقل المعلومات مما يعتبر انجازًا طبيًا قد يساعدهم على فهم آلية عمل السكتات الدماغية.



كيف يستعيد الخط العربي مكانته؟

الخط العربي يعد أجمل فنون العرب والمسلمين وهو من الفنون الإسلامية الأصيلة وهو أجمل حروف الأرض ويعد فن الخط العربي من أجمل روائع الحضارة الإسلامية على الإطلاق ويكفي أن نستشهد بالمنابر وقباب المساجد وأماكن العبادة والمدارس والمكتبات، بل حتى التحف والأبنية وشواهد الآثار. يقول ابن خلدون المؤرخ الاجتماعي:

الخط رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس فهي ثاني رتبة من الدلالة اللغوية.

والخط العربي صحب نمو الحضارة العربية ومضى يتطور مع تطورها وقام بدور مهم لا كوسيلة للتفاهم ونقل الأفكار فحسب وإنما أيضًا كعمل فني له كل خصائص الفنون المعبرة عن حضارة الشعوب وقيمها الجمالية الرقيقة، وفن الخط العربي هذا الفن الساحر والموروث الحضاري ملتصق باللغة العربية ومرتبط بأشرف لغة، ولقي فن الخط العربي عناية فائقة من الشعوب الإسلامية، وبلغ أعظم مراحله وتطوره في العصر العثماني، ووصل اهتمام الحكام بالخط والخطاطين إلى رعاية الخطاطين وأحوالهم الخاصة، ولقد تراجعت مكانة الخط العربي كغيره من فنون اللغة العربية بعد أن قل اهتمام المسؤولين بتعليمه.

ومن أجل العمل على ارتقاء الخط العربي من حالة التردي والانحدار ولكي يعود إلى الخط العربي إلى مكانته

١- يجب أن يتعلم الطفل المسلم مع أولى بدايات تعلمه القراءة والكتابة.

٢- يجب عودة كراسة الخط لمراحل التعليم المختلفة وأن يقوم بدور المعلم الأستاذ المتمكن.

٣- يجب على المسؤولين نشر معاهد لتعليم فن الخط.

٤- إقامة المعارض للخط ورصد الجوائز.

٥- اعتبار الخط جزءًا من المهارات الفنية التشكيلية ومادة أساسية مع احتساب درجات هذه المادة في المجموع الكلي.

٦- الاهتمام بتكوين جماعات للخط في المدارس وجعل الإملاء جزءًا لا يتجزأ من هذه المادة.

٧ - إحياء فن الخط من خلال تشجيع خطاطي الجيل المعاصر وإقامة مسابقات دولية في فن الخط.

٨- لا يقوم بتدريس الخط إلا من كان أهلا له من الموهوبين أو المحترفين حتى لا يساء إلى جمالية الخط العربي.

٩- التدريب على الخط والكتابة وبيان الأخطاء الإملائية مثل وضع التاء والهاء في نهاية الكلمة والهمزة الواقعة في وسط الكلمة والألف التي تكتب ولا تلفظ أو تلفظ ولا تكتب وقواعد العدد أو مخالفته للمعدود.

١٠- إقامة معارض لفن الخط في كافة أقطار الوطن العربي كما فعلت بعض الدول العربية مثل المملكة العربية السعودية.

يقول رائد الخط العربي في العصر الحديث أ. سيد إبراهيم:

- إن المواهب متجددة وليست مرتبطة بعصر معين أو قطر معين ولكن أين الأستاذ! فالخط مخفي في تعليم الأستاذ.
- إن الخط العظيم لابد أن يكون مثقفًا ملمًا إلمامًا تامًا بقواعد اللغة العربية وتراث الأمة الإسلامية عالمًا بأمة هذا الفن.
- إن الخطاط لا يكتسب بمداومة الكتابة فقط بل يكتسب أيضًا بكثرة التأمل والاطلاع على النماذج الخطية الجمالية لانطباعها في الذهن.

وصدق الشاعر في حبه الكبير للخط العربي

الخط يبقى زمانًا بعد كاتبه
وكاتب الخط تحت الأرض مدفون

نعيم نعيم السلاموني

الصبر على الشدائد

أمتنا في محنة وفي شدة ومن واجبها أن تصبر على الشدائد حتى يحقق الله لها النصر والعزة والسيادة، يقول الله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾ (البقرة: ٤٥)، وقال سبحانه: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾ (البقرة: ١٥٥).

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه» (البخاري).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة».

وقال ﷺ: «إن أعظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط»، حسنه الألباني. ادعوا الله تعالى أن يفرج الهم والكرب، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

عبدالرحمن محمد إبراهيم

رسالة قارئ

أهنئكم على الأسلوب الرائع في تحرير المجلة، كما أوصيكم على وجه الخصوص بالعمل على تكامل أبواب المجلة الرائعة

فالإنسان يتنقل بسلاسة بين الحوار إلى التاريخ إلى الفكر إلى ملفات العدد.

الحقيقة أعجبني جدًا البحث المنشور عن الأستاذ محمد عبدالله دراز في العدد رقم (٥٤٤ ذوالحجة)، كما أعجبني ما نشرتموه عن الشعراء المسيحيين الذين قالوا شعراً في الإسلام حسنا، وفقكم الله دوماً، إلى الحرص على هذا التقدم الممتاز في كل شيء.

وأخيرًا تقبلوا خالص تحياتي واعتزازي بكل ما تقدمونه.

محمد سيد جنيدي

الدنيا

كتب حسن البصري إلى عمر بن عبدالعزيز الإمام العادل أما بعد: فإن الدنيا دار ظعن ليست دار إقامة إنما نزل إليها آدم عليه السلام عقوبة فاحذرها يا أمير المؤمنين فإن الزاد منها تركها، الغني فيها فقيرها، لها في كل حين قتيل، تذل من أعزها وتفقر من جمعها، هي كالسم يأكله من لا يعرفه وهو حتفه فاصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء، أمانيها فيها كاذبة وآمالها باطلة، هي أكبر هم من لا يؤمن بالآخرة ولا يرجو لقاء ربه، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه «إن الدنيا قد ترحلت مدبرة وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغدًا حساب ولا عمل.

وقال عيسى عليه السلام: لا تتخذوا الدنيا ربًا فتتخذكم عبيدًا، وقال يا معشر الحواريين إني قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فإن من خبث الدنيا عصيان الله فيها وإن من خبث الدنيا أن الآخرة لا تدرك إلا بتركها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يا دنيا غري غيري.

علي سليم

الحرية المفترى عليها

الأصل في الناس أنهم أحرار، خلقهم الله وبطبيعة ولادتهم لهم حق الحرية وليسوا عبيدًا يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كلمته المشهورة «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا»، وقد جاء الإسلام وأقر الحرية في زمن كان الناس فيه مستعبدين فكريًا وسياسيًا واجتماعيًا ودينيًا واقتصاديًا، جاء الإسلام فأقر الحرية بشتى أنواعها حرية الاعتقاد وحرية الفكر وحرية القول والنقد لقد أقر الإسلام الحرية الدينية فلم يبح قط أن يكره الإنسان على اعتناق دين أو ترك دين وأعلن في ذلك قول الله عز وجل: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعًا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ (يونس: ٩٩)، ويقول تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ (البقرة: ٢٥٦)، أما حرية التفكير والنظر فقد جاء الإسلام يدعو الناس إلى النظر في الكون وإلى التفكير يقول تعالى: ﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا﴾ ويقول تعالى: ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾.

ولقد حمل الإسلام حملة شعواء على الذين يتبعون الظنون والأوهام يقول تعالى: ﴿وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا﴾ وعلى الذين يقلدون الآباء والكبراء والرؤساء الذين يقولون: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون﴾ (الزخرف: ٢٢)، وحمل على المقلدين والجامدين ودعا إلى حرية التفكير وإلى إعمال العقل وإعمال النظر وصاح في الناس صحيته ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾، ولقد أقر الإسلام حرية القول والنقد بل جعل ما هو أكثر من الحرية إذ جعل القول والنقد إذا تعلقت به مصلحة الأمة ومصلحة الأخلاق والآداب العامة أمرًا واجبًا بأن تقول الحق لا تخاف في الله لومة لائم وأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وأن تدعو إلى الخير وأن تقول للمحسن أحسنت وللمسيء أسأت، هذا ينتقل من حق إلى واجب إذا لم يوجد غيرك يقوم به أو إذا كان سكوتك يترتب عليه ضرر في الأمة أو فساد عام حين ذلك يجب أن تقول الحق ﴿وامر بالمعروف وانه عن المنكر، واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ هذا ما وصل إليه الإسلام.. ليس في الإسلام أن تكتم أنفاس الناس.. إن الحرية في الإسلام ليست كما يزعمونها اليوم حرية شخصية. هكذا يسمونها أي أن ترتكب الموبقات كما تشاء.. من دون رادع يزجرك أو ضمير يؤلمك إذا كان هذا هو معنى الحرية فالإسلام لا يقر هذه الحرية لأنها حرية الفسوق لا حرية الحقوق وإنما الإسلام يقر الحرية، حرية التفكير، حرية العلم، حرية الرأي والقول والنقد، حرية الاعتقاد والتدين، هذه الحريات التي تقوم عليها الحياة... حرية التعاقد، حرية التصرف بما لا يؤذي أحدًا، نعم أنت حر مالم تضر القاعدة العامة في الإسلام أن «لاضرار ولاضرر».

محمد السيد عامر

ينابيع المعرفة

إعداد: التحرير

جمادى الآخرة

سمي بذلك لأنه يأتي في الشتاء حيث يتجمد الماء، فلزمه ذلك الاسم، وكل أسماء الأشهر العربية مذكرة إلا هو مؤنث، ويقال: جمادى الآخرة، ولا يقال: جمادى الثانية، لأن الثانية توحي بوجود ثالثة ورابعة، وليس هناك إلا جماداان فقط.

من أبلغ الكلام

- إن للعقل حدًا ينتهي إليه كما أن للبصر حدًا ينتهي إليه.
- للمروءة أربعة أركان: حسن الخلق، والسخاء، والتواضع، والشكر.
- لا يكتمل الرجل في الدنيا إلا بأربع: الديانة، والأمانة، والصيانة، والرزانة.
- الانبساط إلى الناس مجلبة لقرناء السوء، والانقباض عنهم مكسبة للعداوة، فكن بين المنقبض والمنبسط.

(توالي التأنيس بمعالي ابن إدريس لابن حجر العسقلاني)

العدالة

العدالة محافظة دينية تحمل على ملازمة التقوى والمروءة، وليس معها بدعة، فقولنا: «دينية» ليخرج الكافر.

وقولنا: «على ملازمة التقوى والمروءة» ليخرج الفاسق.

وقولنا: ليس معها بدعة ليخرج المبتدع من القصد.

(شرح مختصر ابن الحاجب في الأصول)

المتكلّم على علم

قال أَحد العلماء لعمر بن عبدالعزيز- رحمه الله: الصامت على علم كالمتكلم على علم، فقال عمر: إنّي لأرجو أَن يكون المتكلّم على علم يوم القيامة أَفضلهما حالاً، وذلكَ أَنّ هذا منفعة للنّاس، وهذا صمتهُ لنفسه. فقال له: يا أَمير المؤمنين وكيف بفتنة النُّطق به، فبكى عمر عند ذلك بكاءً شديدًا.

(جامع العلوم والحِكَم)

(ذاك التّقوى)

سُئِلَ أبو هريرة رضي الله عنه عن التّقوى، فقال: «هل أَخذت طريقًا ذا شوك؟» قال: نعم. قال: «كيف صنعت؟» قال: إذا رأيت الشوك عزلت عنه أَو جاوزته أَو قصرت عنه، قال: «ذاك التّقوى»

(جامع العلوم والحِكَم)

الطيب

قال عمر رضي الله عنه: «لو كنت تاجرًا ما اخترت على العطر، إن فاتني ربحه لم يفتني ريحه».

قال أبوقلابة: كان ابن مسعود رضي الله عنه إذا خرج من بيته إلى المسجد عرف جيران الطريق أنه مر من طيب ريحه.

وقال أبوالضحى: رأيت على رأس الزبير من المسك ما لو كان لي لكان رأس مالي.

وقال الشعبي: الرائحة الطيبة تزيد في العقل.

وقال علي رضي الله عنه: تشمموا النرجس ولو في العام مرة فإن في قلب الإنسان حالة لا يزيلها إلا النرجس.

وكان الشعبي يقول: إذا ورد الورد صدر البرد.

(المستطرف للأبشيهي)

حمل العمامة أهون من حمل أمامة

يروى أن القاضي محمد بن علي الشوكاني- رحمه الله- كان يصلي في مدينة ذمار، فسقطت عمامته، فحملها وهو في الصلاة، وأعادها على رأسه، وكان هناك أعرابي يراه، فقال: يا شوكاني، هذه لم تعد صلاة، هذا لعب، فقال الشوكاني: حمل العمامة أهون من حمل أُمامة.

(نوادر القاضي العمراني اليمني)

كيف تعرف صديقك

● سئل حكيم: كيف أعرف صديقي المخلص؟

فقال: امنعه.. واطلبه.. فإن أعطاك فذاك هو، وإن منعك فالله المستعان.

● وسئل آخر: من أسوأ الناس حالًا؟

فقال: من قويت شهوته.. وبعدت همته.. وقصرت حياته.. وضاقت بصيرته.

من كتاب (طرائف عربية)

كلمات مضيئة

● قال عمر رضي الله عنه: «ثلاث يُثبِّتن لك الوُدّ في صدر أخيك: أن تبدأهُ بالسلام، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحبِّ الأسماء إليه».

● وقال رضي الله عنه: «كفى بالمرء غيًّا أن تكون فيه خلة من ثلاث: أن يعيبَ شيئًا ثم يأتي مثلهُ، أو يبدوَ له من أخيه ما يخفى عليه من نفسه، أو يؤذيَ جليسه فيما لا يعنيه».

● قال علي رضي الله عنه: «مَنْ لانت كلمتُهُ وَجَبَت محبتُهُ».

● وقال رضي الله عنه: «قيمة كل امرئ ما يُحسِن».

(الكامل في اللغة والأدب للمبرد)

يضيّع ذكاءه فيما لا يفيد

قال رجل لهارون الرشيد: إني أستطيع أن أقوم بعمل يعجز عنه جميع الناس. فقال له الرشيد: هات ما عندك حتى نرى! فأخرج علبة مليئة بالإبر، فغرس إحداها في الأرض، ثم أخذ يرميها بسائر الإبر، بحيث أن كل إبرة تشتبك بثقب الإبرة السابقة. ولما انتهى من رمي الإبر، وقف الرجل مزهوًّا بعمله، منتظرًا الجائزة، فأمر الرشيد بضربه مائة جلدة وإعطائه مائة دينار.

ولما سُئِلَ الرشيد عن سبب هذا التصرف قال: أعطيته مائة دينار مكافأة على حذقه ومهارته، وأمرت بضربه مائة جلدة لأنه يضيع ذكاءه فيما لا يفيد!!

(طرائف عربية)

إنّ الدنيا لغرورٌ حائل

«إنّ الدنيا لغرورٌ حائل، وسرورٌ إلى الشرور آيل، تُردي مستزيدَها، وتُؤذي مستفيدَها، بينا طالبُها يضحكُ أبكتْه، ويفرحُ بسلامتِه أهلكتْه، فندمَ على زَلَلِه؛ إذ قدم على عَملِه، بقيَ رهينَ خوفِه ووَجَلِه، ودّ أَنْ لَو زِيدَ ساعةً في أَجَلِه، فما هوَ إلا أَسيرٌ في حفرته، وحسيرٌ في سَفرته».

(غالية المواعظ للآلوسي).

صدق أبو دلامة

خرج المهدي وعلي بن سليمان إلى الصيد، فسَنَحَ لهما قطيعٌ من ظباء، فأُرْسِلَت الكلابُ، وأُجْرِيَت الخيل، فرمى المهدي سَهْمًا، فصرع ظَبيًا، ورمى عليّ بن سليمان فأصاب كلبًا فقتله، فقال في ذلك أبودُلامة:

قد رمى المهديّ ظَبْيًا	شكّ بالسهم فُؤادَهُ
وعليُّ بن سليمان	رمى كلبًا فصادَهُ
فهنيئًا لهما كلٌّ	امرىءٍ يأكُلُ زادَهُ

فضَحك المهديّ حتى كاد يَسْقط عن سَرْجه، وقال: صدق والله أبودُلامة، وأمر له بجائزَة، ولُقِّبَ عليُّ بن سليمان بصائد الكلب، فَعَلِقَ اللقب به.

(قصص العرب ٣/١٧٤)

علّة الراحة قلة الاستراحة

لا يدركُ العلمَ مَنْ لا يطيلُ دَرْسه، ويَكدُّ نفسَهُ، وكثرةُ الدّرس كدُودٌ لا يصبرُ عليه إلا مَنْ يرى العلمَ مغنمًا، والجهالةَ مَغْرَمًا، فيحتملُ تَعبَ الدّرس ليُدْركَ راحةَ العلم وينفي عنهُ مَعَرّةَ الجهلِ، فإنّ نيلَ العظيمِ بأمرٍ عظيم، وعلى قَدْرِ الرغبةِ تكونُ المَطالبُ، وبِحَسَبِ الرّاحةِ يكونُ التّعبُ.

(أدب الدنيا والدين للماوردي)

الإسلام دين الواقعية

إذا كان البشر هم المادة التي يتعامل الإسلام معها، فإن مزيته هي الواقعية التي حتمت أن يهتم بالفرد الواحد أيًا كانت حالته وصفاته، سمت به الحال أو قعدت، ارتقت به مواهبه وملكاته أم أحجمت، فهو مادة صالحة لعمل الإسلام، يخاطبهم خطابًا واحدًا ويناديهم بنداء واحد غايته في ذلك تكوين جماعة فاضلة يسودها الحق والفضيلة يعمل في ظلها الأفراد من غير أن يجاوز الفرد حدوده، ومن غير أن تهمل حقوقه، ولكل مجاله الذي يمكن أن يسهم به في بناء صرح المجتمع الإسلامي الصالح، ومجتمع هذا معياره الأساسي وهذا ميزانه الذي يزن به أقدار أفراده هو مجتمع مثالي يستحق الاقتداء به، وتراث المسلمين الأوائل يشهد بأنهم سادوا وعزوا وقادوا الأمم الأخرى حين أحسنوا الانضواء تحت لواء الإسلام الحق وحين طبقوا أحكام ربهم في كل شؤون حياتهم، وليس من شك في أن خلاص المسلمين مما أصيبوا به من تخاذل وضعف إنما يكون في الأخذ بأحكام الشريعة الإسلامية الغراء والصالحة لكل زمان ومكان وتحمل الخير والسعادة والفوز دينا ودنيا.

إن الأمة الإسلامية تملك من عوامل البقاء أقواها وأعتاها وما يستعصي على الفناء، إنها تملك رسالة السماء، رسالة الحق والخير، رسالة الإسلام الذي وضع للحياة نظامًا دقيقًا داعيًا إلى العمل لآخر رمق في الحياة، فالعمل سر الحياة ومبعث نشاطها حتى في أحلك الظروف وأصعب الأوقات، وفي القرآن الكريم صور حية حاثة على العمل وسعيا عليه ليكون لنا هاديا ومرشدًا، يقول الرسول ﷺ: «إذا قامت الساعة على أحدكم وفي يده فسيلة فليغرسها» وليس للعمل حد محدود أو نطاق معين سوى أن يكون وفق ما جاء به القرآن الكريم أو السنة النبوية بعيدًا عما نهى الله عنه خاليا من الغش، عملًا يبني ولا يهدم، يطهر ولا يدنس، يقوي قدرات الفرد، وما حققت الدول العظمى مبتغاها إلا بالالتزام بهذه المبادئ التي نحن أولى بها من مجتمعاتهم واليابان خير شاهد على ذلك، أين وصلت وأين هي الأمة الإسلامية من تقدمها وتطورها؟

إن المستقبل للإسلام، ما في ذلك شك ورجاله هم شباب اليوم، إنهم أمل الأمة الإسلامية بما فيهم من بذور طيبة، تؤمن بالعمل الجدي والمثمر، ليعودوا بالإسلام إلى عزته وقوته وحضارته، والله الهادي إلى سواء السبيل.

محمد القاضي

مجلة الوعي الإسلامي



اطلب نسختك الآن

الاختلاف الأصولي في الترجيح بكثرة الأدلة والرواة وأثره

الإعلام بمن زار الكويت من العلماء والأعلام

مجلة الوعي الإسلامي مجلة إسلامية جامعة تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

الكويت - المسجد الكبير بدالة : ١٨٤٤٠٤٤ - ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس : ٢٢٤٧٣٧٠٩

وكيل التوزيع : شركة المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات هاتف - ٢٤٩١٩٦٢٠

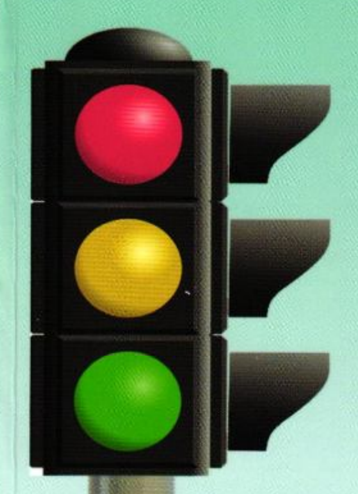




فيديو كليب

تصوّر

إلى من يتجاوز الإشارة الحمراء
إلى من يتهاون بأرواح الأبرياء
نهديك إصدارنا المرئي (تصور)
عسى أن تنال حياتك وحياة الآخرين ثمنًا أغلى



الإعلام الهادف... غايتنا



الإشراف العام
صلاح أبا الخيل

أداء وألحان
مشاري العرادة

اطلب نسختك الآن..

إدارة الإعلام الديني - مجمع الوزارات
بلوك ١٦ - الدور الأول - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
تلفون : ٨ / ٢٢٤٨٧٣٢٧ - فاكس: ٢٢٤٨٧٣٢٦

تفضلوا بزيارتنا .. للفوز بجوائزنا
www.nafaess.com





أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م



AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة



ابن عاشور: غياب المشروع الثقافي سببه الرؤى الشخصية

العدد (٥٥١) رجب ١٤٣٢هـ - يونيو - يوليو ٢٠١١م

الاجتماع ... رحمة

«الوعي الإسلامي» في معرض الكتاب الإسلامي الـ ٣٦

تهذيب المسالك في نصرة مذهب مالك

تمويل المساكن من أموال الزكاة


الوعي الإسلامي
اصدارات
جديد
علماء وأعلام
كتبوا في
مجلة الوعي الإسلامي الكويتية
مقالات حصرية نشرت في المجلة
لـ ٣٥ عالماً من علماء الأمة الإسلامية وأعلامها
ما بين عامي ١٣٨٥هـ - ١٤٢٦هـ
الجزء الأول
الجزء الثاني
الإصدار الرابع عشر
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م
«علماء وأعلام كتبوا في مجلة الوعي الإسلامي الكويتية» هذا الكتاب يحتوي على مقالات حصرية لـ ٣٥ عالماً من علماء الأمة الإسلامية نشرت في المجلة ما بين عامي (١٣٨٥هـ - ١٤٢٦هـ) والإصدار في جزأين.
صندوق البريد: ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
البريد الإلكتروني: manager@alwaei.com - info@alwaei.com

الافتتاحية

عُمّار المساجد

فإن من أعظم الطاعات، ملازمة الجمعة والجماعات، وبناء المساجد، المُعدَّة للراكع والساجد، وعبادة الرب المعبود الواحد، وصونها من الأذى، وتنزيهها من اللغط والبذاء، والمحافظة على الصلاة بها في كل حين، كما هو دأب عباد الله الصالحين.

فقد قال خير الأنام، عليه أفضل الصلاة والسلام: «من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح»، والاجتهاد على بنائها من المال الحلال تقربًا إلى ذي الجلال، فقد قال النبي ﷺ المرشدُ إلى العمل بالكتاب والسنة: «من بنى مسجدًا يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة»، فطوبى لمن بنى المساجد بالنية الصالحة، ورأى الإخلاص فيها من الأعمال الناجحة، الموضوعة غداً في الموازين الراجحة، وهذه سعادة عظيمة، وموهبة كريمة، مخصوصة بمن عظّم هذا الدين، والدليل على ذلك قول رب العالمين: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (التوبة: ١٨).

وأحاديث الترغيب في بنائها كثيرة، ولباعث العزم عليها مثيرة، فالمساجد هي بيوت الله تبارك وتعالى التي يُفرد فيها سبحانه بالعبادة، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن: ١٨)، وهي مهابط الأنوار، ومجالس الأخيار، ومنازل المتقين الأبرار، وكهف العُباد، وعصمة للبلاد من الضلال والفساد، ومنارة الهدى والرشاد، مزار العارفين، وملاذ الراكعين والساجدين، وملجأ المهتدين والسالكين، هي ركن المسلم الرشيد، وراحة القلب المريد، ونور وضياء لمن أراد أن يستفيد، إنها تهدي القلوب، وتُفرِّج الكروب، وتقرّب إلى علام الغيوب، ومن دخلها كان آمنًا، ومن قصدها كان راشدًا، ومن أوى إليها كان سالكًا، ومن يعتصم بحبلها فقد هُدي إلى صراط مستقيم.

كيف لا يكون للمساجد هذا الإجلال، ولِمَ لا يكون لها هذا الشرف والإقبال، ومن فوق مناراتها يؤذّن خلفاءُ بلال، ينادون إلى الهدى والصلاح، الله أكبر، الله أكبر.. حي على الصلاة، حي على الفلاح.

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي





مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٥١

العام الثامن والأربعون

رجب ١٤٣٢ هـ

يونيو - يوليو ٢٠١١ م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

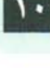
manager@alwaei.com

في هذا العدد

موضوع الغلاف



يوم الجمعة كان وسيظل إلى يوم القيامة سيد الأيام وأفضلها وأعلاها مقامًا فهو يوم الاتصال الأسبوعي الذي تناقش فيه قضايا الأمة ومشكلاتها وتوضع الحلول الناجعة لها، ومن واجب المسلمين حكامًا ومحكومين أن يقدروا هذا اليوم ويعطوه حقه.



التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات
هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

- السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت:١٨٣٤٩٥٧٧٠ (٠٠٢٤٩)
- اليمن - دار القلم للنشر- ف: ٤٦٩٤١٥(٠٠٩٦٧١)
- لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت: ٢٧٧٠٥٠٦٦ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٧٧٠٥٤١٣- دار الأهرام
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

● الكويت : ٥٠٠ فلس ● السعودية : ٧ ريالات ● البحرين : ٥٠٠ فلس ● قطر : ٧ ريالات ● الإمارات : ٧ دراهم ● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ● الأردن : دينار واحد ● مصر : ٢ جنيه ● السودان : ٥٠٠ جنيه ● موريتانيا : ٢٠٠ أوقية ● تونس : ٢ دينار ● الجزائر : ١٠ دنانير ● اليمن : ٧٠ ريالا ● لبنان : ٢٠٠٠ ليرة ● سورية : ٣٠ ليرة ● المغرب : ١٠ دراهم ● ليبيا : دينار واحد ● اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله ● اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

المحتويات

كلمة العدد

ذكرى الإسراء ودوافع الأمة

يصدر هذا العدد والأمة المسلمة في بقاع الأرض شتى تستقبل ذكرى الإسراء والمعراج.. تلك الرحلة التي أكرم الله بها نبيه بالإسراء من المسجد الحرام في مكة المكرمة الى المسجد الأقصى في القدس ومن ثم العروج إلى طبقات السموات العلا حيث الدروس والعبر والأحكام والعظات وحيث العطاء الروحي والسمو بالفكر الوجداني.

ما أحرى الأمة وهي تعيش ذكرياتها أن تعكس مدلولات ومكنونات كل ذكرى إلى واقع محسوس في دنياها فتحول الذكرى إلى جامعة نافعة تتخطى فيها حدود القول والتغني اللفظي بالأمجاد إلى نطاق العمل. فلا معنى إطلاقاً للصلاة، والتي فرضت في الإسراء والمعراج إذا لم تنه عن الفحشاء والمنكر وإذا لم تجعل من المسلمين صفًا واحدًا متراصًا في وجه كل قوى الظلم والطغيان والاحتلال تمامًا كما هو واجب عليها أن تكون في ركوعها وسجوها وفي كل شعائر دينها الأخرى. لقد انتصر المسلمون في الماضي بوحدة الكلمة وجمع الصفوف وترابط القلوب فلم ينقسموا على انفسهم ولم يسمحوا للفتن أن تتسلل إليهم ولا للمطامع والأحقاد أن تدمر قواهم وتذهب ريحهم بل كانوا مع الله فكان الله معهم وحرروا أرض الإسراء في عزة وإباء.

الاشتراكات

- داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير، للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

مدير عام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم العزيز بن عاشور:

غياب المشروع الثقافي للهوية العربية سببه اختلاف المصالح والرؤى الشخصية



القاهرة - دار الإعلام العربية

أكد د.محمد العزيز بن عاشور، مدير عام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو) وجود خطة لبلورة خطاب ثقافي جديد تتعايش فيه مقتضيات تأصيل الهوية وفي الوقت ذاته مواكبة العصر، وفضلاً عن تشجيع الإبداعات العربية المعاصرة في مختلف مجالات الفكر والأدب.. كما أكد في حوار خاص مع «الوعي الإسلامي» العمل على صياغة فلسفة جديدة لمحو الأمية وتعليم الكبار، وكذا خطط لتعميم التعليم الأساسي وتوحيد السلم التعليمي وأسس المناهج بين الدول العربية.. تفاصيل أوفى في سياق الحوار التالي:

نسعى إلى نشر المعرفة بين العرب ولدينا اهتمام كبير بحركة التعريب

• تفتقر كثير من المنظمات الثقافية العربية إلى ما يسمى «المجال الموسوعي».. فهل ينطبق ذلك على المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي تتولون مسؤوليتها؟

- سياسة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تسعى إلى نشر المعرفة بين الجمهور الثقافي العربي العريض، لكنها تميزت باقتحام المجال الموسوعي فأنجزت فيه العديد من الأعمال من مؤسسات مختلفة مثل موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، وتصدر تباعا في خمسين مجلدًا، بالإضافة إلى موسوعات أخرى في مجال الفن العربي الإسلامي، والصحافة العربية، وكذا الموسوعة الفلسطينية في عشرة مجلدات.

أيضا لدينا اهتمام كبير بحركة التعريب، الذي يحظى بأولوية في برامج المنظمة ونشاطاتها، وفي هذا السياق تسهم المنظمة إسهاما جادا في تعريب المصطلح العلمي والتقني، وتصدر سلسلة من المعاجم تضم المصطلحات العربية الموحدة في كثير من العلوم الإنسانية والتكنولوجية، وقد أصدرنا بالفعل أكثر من ثلاثين معجما في مختلف الاختصاصات.

الانفتاح على الآخر

• وما مدى التأثير الذي أحدثته العولمة في ثقافتنا العربية والإسلامية؟

- هناك جانبان للعولمة، الأول إيجابي أحدث انفتاحا على جميع المجتمعات، ومبدأ الانفتاح على الآخر هو ركيزة من ركائز الحضارة العربية الإسلامية، وهذه القدرة على الانفتاح من أسباب نجاحها تاريخيا، وبالتالي نحن العرب نرى في هذه «العولمة» عنصرا إيجابيا، لكن هناك جانبا آخر للعولمة كما هو الشأن بالنسبة للاقتصاد، هذا الجانب يتمثل في خطر هيمنة النموذج الثقافي على سائر الثقافات الأخرى وخطر فقدان التنوع الثقافي وتهديد الخصوصيات الثقافية والحضارية.

• وما موقفكم من هذا النوع من الانفتاح؟

- ينبغي، وبخاصة لنا كمنظمة عربية ثقافية إسلامية، أن نسعى ونساهم في تعزيز الانفتاح في كنف الدفاع عن هويتنا والإسهام في حضارة العصر انطلاقا من خصوصيتنا الثقافية والحضارية، ونسعى في الوقت نفسه للتصدي لأخطار الهيمنة من جانب نموذج ثقافي بعينه على بقية الثقافات، ولفت الانتباه لخطر ما يمكن وصفه بـ«التنميط الثقافي»، فالحياة تعني التنوع وكذا الهوية، مع الاستعداد التام للانفتاح على الآخر.

• في تقديرك.. كيف يمكن بناء

حائط صد أمام هجمات الغزو الفكري لهويتنا العربية الإسلامية؟

- التصدي لكل التحديات المتصلة بالغزو الفكري يجب ألّا نقف أمامها من منطلق دفاعي متخوف، إنما يجب علينا مواجهة هذه التحديات بإبراز قدرتنا على مواكبة العصر، وإذا كانت هناك ثقافة ساعية إلى السيطرة والهيمنة فنحن لنا أيضًا ثقافتنا وإرادتنا على الإضافة وإثراء الآخر.

مشروعات طموحة

• وماذا عن الرؤية المستقبلية لمنظمتكم خلال السنوات المقبلة؟

- لدينا خطة تم وضعها بداية من العام الماضي وحتى ٢٠١٦ لتحقيق مشروعات طموحة، منها مشروع النهضة بالتربية وتطوير التعليم في الوطن العربي، ومشروع تطوير اللغة العربية والتوجه بها نحو مجتمع المعرفة، مع مواصلة تنفيذ برامج أخرى عديدة في مقدمتها العناية بالمحتوى العربي الحاسوبي، وبرنامج العناية بالتراث والآثار الإسلامية في الوطن العربي.. لكن الأولوية هي قضية التعليم من خلال العمل على صياغة فلسفة جديدة لمحو الأمية وتعليم الكبار وتطوير التشريعات الوطنية المتصلة بهذا المجال، وتأصيل المفهوم الحضاري لمحو الأمية، وقمنا بوضع خطط لتعميم التعليم الأساسي وتوحيد السلم التعليمي وأسس المناهج بين الدول العربية، واقترحت من أجل ذلك مناهج مرجعية متطورة في اللغة العربية والعلوم والرياضيات.

• وماذا عن رؤيتكم للحال الثقافي في عالمنا العربي والإسلامي؟

- قطاع الثقافة بالمنظمة يعمل حاليا على بلورة خطاب ثقافي جديد تتعايش فيه مقتضيات تأصيل الهوية مع مواكبة العصر، وفي هذا الإطار تعنى المنظمة بالمحافظة على التراث في العالم العربي والإسلامي وصيانته وتوظيفه، وتهتم أيضا بتشجيع الإبداعات العربية المعاصرة في مختلف مجالات الفكر والأدب عن طريق التعريف بهذه الإبداعات وإقامة المعارض والمسابقات.

الانفتاح على الآخر إحدى ركائز الحضارة العربية الإسلامية الأساسية

اختلاف المصالح والرؤى

• إذا انتقلنا إلى مجال المعلومات والاتصال.. هل هناك إسهامات للمنظمة في بناء قواعد معلومات وتطوير تكنولوجي لتوطين مجتمع المعرفة والحضارة الرقمية؟

- لنا نشاط مكثف من أبرز معالمه إنشاء بنك للمعلومات «فارابي» يضم مجموعة من الأجهزة والبرمجيات تشمل بناء ١٦ قاعدة للمعلومات يجري تحديثها بشكل مستمر، وتتميز بقواعد ببليوغرافية للمطبوعات العربية، كما تساهم المنظمة في تنسيق جهود الدول العربية لإقامة وتوطين مجتمع المعرفة والحضارة الرقمية وتشجيع الفرق البحثية العربية على تطوير وإنجاز أدوات حاسوبية تمكن من انطلاق اللغة العربية وتسهل استخداماتها في الشبكات العالمية، وإعداد نظام حاسوبي نحوي حرفي للغة العربية «الاشتقاق والتصريف»، كما نرعى حاليا نظاما حاسوبيا لتطوير قراءة الحرف العربي ضوئيا.

• وهل هناك تدخل من جانب المنظمة في تقرير مناهج ثقافية في المؤسسات التعليمية العربية؟

- نحن كمنظمة نحترم اختيارات المناهج الثقافية والعلمية التي تقررها كل دولة عربية على حدة، وذلك من قبيل احترام سيادة كل دولة.

• وما طبيعة التعاون القائم بينكم وبين المؤسسات التعليمية والثقافية العربية؟

- انطلاقا من خبرتنا نساعد في نشر الثقافة التنويرية والفكر الإسلامي المستنير الذي يسعى جاهدا إلى تعزيز ديننا الحنيف، ليكون شبابنا قادرين على مواكبة العصر مع الاحترام التام لروح ديننا الإسلامي الحنيف ورسالته السماوية.

• وبماذا تفسر عدم ظهور مشروع ثقافي جاد بهوية عربية إسلامية؟

- سبب ذلك اختلاف المصالح والرؤى الشخصية.. كل يريد تحقيق مشروعه دون النظر إلى المصلحة والهوية.

• «تربية وثقافة وعلوم».. هل أنت راض عن مستوى هذا الثالوث عربيًا؟

- غير راض تمامًا، لكن نحن نحاول أن نصل إلى الأفضل.

• الإعلام والثقافة.. كيف يكونان وجهين لعملة واحدة؟

- الإعلام والثقافة وجهان لعملية تطور الأوضاع العربية، هذه الأوضاع تطورت تاريخيا وتشهد اليوم انفتاحا مطلقا لوسائل الإعلام، وتفننا في إبداء الرأي والأطروحات، ولكي يكون الإعلام والثقافة وجهين لعملة واحدة لابد أن نمر دونما إطالة إلى مرحلة المسؤولية التامة من جانب الإعلاميين والمثقفين حتى نمارس حقوقنا المشروعة في إبداء الرأي واختلاف الرأي وحق نشر المعلومات بشرط أن يتم في كنف الشعور بالمسؤولية، وعلى المثقف والإعلامي ألا يقدما شيئا للرأي العام إلا بعد التثبت والتبيين.

خلاصة التجربة

• أخيرا.. حدثنا عن خلاصة تجربتك مع السياسة والثقافة، ماذا ربحت وماذا خسرت؟

- ربحت الكثير على المستوى الثقافي بفضل ما أخذته عن أساتذتي وما تعلمته من زملائي في الجامعات والمثقفين والباحثين في مجال «التاريخ والتراث» وهذا مجال الاختصاص، وما تعلمته من اكتشاف واطلاع على الإبداع الثقافي عالميا وعربيا.. أما في مجال السياسة كوزير سابق للثقافة فقد كانت تلك تجربة مفيدة زادت فيها صلتي بالمثقفين.

أما خسارتي فانحصرت في الانتقادات اللاذعة التي جاءت للأسف في فترة معينة دون أن تستند إلى معطيات حقيقية.

أوقات الأولين

المنشاوي الورداني

النفس البشرية عجيبة جدًا.. فهي إن لم تشغل بالحق شغلت بالباطل. وإذا أعرضت عن عبادة الرحمن شغلت بعبادة الشيطان. ولقد ذكر القرآن الكريم أشكال وأنواع هذه النفس البشرية العجيبة في قصص الأولين.. حيث كانت أوقاتهم عبثًا وظنوا أنهم إلى الله لا يرجعون. لذلك كانت الإشارات القرآنية كثيرة ومتنوعة إلى هذا العبث وذلك اللعب.. وكلها أكدت في النهاية أن أوقات الأولين لم تكن لمنفعة خالصة لله ولا لصالح البشرية والمجتمع وإنما كانت «لهوًا ولعبًا».. وظلوا في كل السير في «خوض يلعبون».

تعددت أشكال وأفانين إضاعة الوقت لدى الأولين.. فمنهم من جعل الأيام أعيادًا ومهرجانات للمجون والخلاعة ومعاقرة الخمر ومضاجعة النساء.. بل إن هناك أممًا طغت في ذلك فقضت وقتها في اكتفاء النساء بالنساء والرجال بالرجال.. وهناك أمم شغلت وقتها ببناء الصروح والقصور.. ولكنها لم تكن لله.. ولكن كانت للاستعلاء على الرسل والفقراء.. وللتأكيد على قوتهم وجبروتهم في البنيان والعمران.. وظنوا بذلك أنهم مانعتهم حصونهم من الله. وهناك أمم شغلت بالسحر والكفر واتخذت الصور والتماثيل والأصنام.. بل إن هناك أممًا شغلت أوقاتها بأفانين الكيد والانتقام من المؤمنين.. بداية من السخرية والاستهزاء والضحك.. ونهاية بحفر الأخاديد والخنادق لإلقاء المؤمنين فيها كنوع من التسلية واللعب.. وهم أمام لهيبها وصراخ المعذبين فيها يمرحون ويلعبون ويضحكون!.. هكذا كانت أوقات الأولين.

ذكر الثعالبي والقرطبي وغيرهما ما ذكره أبوأمامة الباهلي عن رسول اللهﷺ في سبب هلاك عاد قوم هود «لشربهم الخمر وأكلهم الربا واتخاذهم القينات ولبسهم الحرير وقطعهم الأرحام»...

أوقات الأولين لم تكن لمنفعة خالصة لله ولكن كانت لهواً ولعباً

ويتبين من الحديث حال أوقات الأولين التي كانت نساءً وخمرًا... وزينة طائلة وانتهاكا لحرمات الله.. وكذلك كانت أوقات ثمود قوم صالح.. كما كانت لهم أعياد يخرجون إليها بالأصنام، وكانوا يسمون الأيام، فيوم الأحد الأول، والاثنين أهون، والثلاثاء دبار، والأربعاء جبار، والخميس مؤنس، والجمعة العروبة، والسبت شبار.. وفيه يقول الشاعر:

أؤمل أن أعيش وإن يومي
بأول أو بأهون أو جبار
أو التالي دبار فإن أفته
فمؤنس أو عروبة أو شبار

وكذلك كانت أوقات أصحاب الرس وقد كانوا بقية من ثمود، ومن العجيب أنك تجد هؤلاء الثلاثة يذكرون في آية واحدة في سورة الفرقان كأنها تؤكد أنهم اشتركوا في إضاعة الوقت وضياع الدين بما كانوا فيه من اللهو واللعب.

﴿وعادًا وثمود وأصحاب الرس وقرونًا بين ذلك كثيرًا﴾ (الفرقان:٣٨)

روى علي بن الحسين عن أبيه عن جده الإمام علي بن أبي طالب فيما ذكره عن أصحاب الرس:

«إنهم كانوا يعبدون شجرة صنوبر، وإنما سموا أصحاب الرس لأنهم رسوا نبيهم في البئر، وكان لهم اثنتا عشرة قرية على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق، وبهم سمي ذلك النهر، ولم يكن يومئذ في الأرض نهر أغزر منه ولا أعذب منه ولا قرى أكثر سكانًا وعمرانًا منه».

ويذكر المفسرون غرائب أعيادهم والتي كانت في الاثنتي عشرة قرية حيث كان لكل قرية عيد في الشهر.. فيجتمعون على شجرة الصنوبر وعليها مظلة من الحرير فيها أصناف الصور ثم يأتون بشياه وبقر فيذبحونها قربانًا للشجرة ويسجدون لها.. ويوم العيد الأكبر يفعلون أكثر من ذلك ويقدمون قرابين أكثر من ذلك، ويحدث لهم من الفرح والسرور ما لا يفيقون، ولا يتكلمون معه، فيديمون الشرب والمعازف مدة اثني عشر يومًا وليلة.

بل إن المفسرين ذكروا غرائب أوقات الأولين في تلك الفترة التي بعث الله فيها أنبياء كثيرين فيما بين أذربيجان

باحث في التراث

وأرمينية وقالوا إن الله بعث لهم ثلاثين نبيًا يمنعونهم عن الغي والضلال من عبادة النيران والأوثان والجواري العذارى واكتفاء النساء بالنساء والرجال بالرجال ولكنهم قتلوا أنبياءهم.. كما قتلوا نبيهم الأخير الذي رموه في البئر.. فلم يدع الله في أرضهم عينًا ولا نهرًا إلا أيبسه وأهلك الله أنعامهم وأمتعتهم وهلكوا بالصاعقة والخسف والصيحة فلم يبق منهم باقية وبادت منازلهم.. ﴿فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم﴾ (القصص: ٥٨)

هذا الحال وذلك المآل لأصحاب الرس وغيرهم يشابه حال ومآل قوم لوط الذين سبقوا كل العصاة في ركوب الفواحش.. يقول تعالى: ﴿أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين. إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون﴾ (الأعراف: ٨٠-٨١)

قال عمرو بن دينار: «ما كان يرى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط، وقال تعالى: ﴿أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر﴾ (العنكبوت: ٢٩) فكان قطعهم السبيل فيما ذكر أهل التأويل أن إتيانهم الفاحشة مع من ورد بلدهم وإتيانهم المنكر في ناديهم.

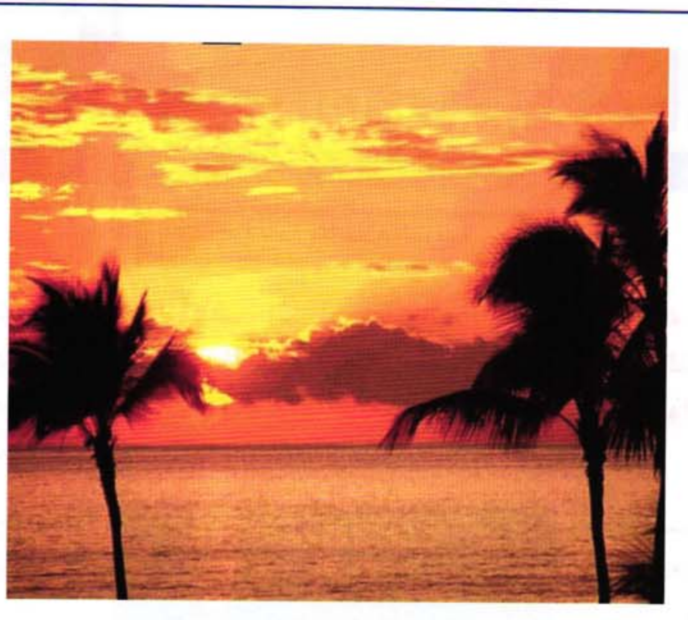
قال المفسرون: هو أنهم كانوا يجلسون في مجالسهم على الطريق فيحذفون من مر بهم ويتضارطون في مجالسهم وينكح بعضهم بعضًا في الطريق!!

وانتهت القصة بعد السخرية من تحذير نبي الله لوط عليه السلام لهم بأن قلب الله قريتهم كما كانوا يقلبون الطبيعة البشرية: ﴿جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود. مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد﴾ (هود: ٨٢-٨٣).وإنه ليخشى والله على من يفعل فعلهم في العصور الحالية أن يكون الانتقام منهم كذلك الانتقام وما خبر عبدة الشيطان وشباب الإيموز عنا ببعيد!!

هذا.. وقد شغل الأولون أوقاتهم ببناء البروج المشيدة والقصور المنجدة، وقد حكى الله عن عاد وثمود وفرعون تميزهم في قوة العمران وشدة البنيان بما لم يضارعهم في مثله أحد.

وكأن القرآن يقول إن إنجازاتهم في مجال العمران وذلك البنيان لم يكن إلا كما كانت تفعله العنكبوت: ﴿اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾ (العنكبوت: ٤١) وقد جاءت هذه الآية تعقيبًا على تميز عاد وثمود وفرعون في قوة العمران وشدة البنيان!

أيضًا.. قضى الأولون أوقاتهم في السحر والكفر واتخاذ الصور والتماثيل والأصنام.. ولقد فعل كثير من الأولين ذلك من أجل المعصية.. كذلك قضى الأولون أوقاتهم في الاستهزاء والسخرية من عباد الله الصالحين.. وهذا دأب العصاة في الأولين والآخرين؛ فبينما كان



نوح عليه السلام يصنع الفلك لتكون طوق النجاة للمؤمنين كان الساخرون يضحكون ويستهزئون:

﴿ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون. فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم﴾ (هود: ٣٨-٣٩).

إن نوحًا عليه السلام - كما يقول صاحب الظلال - ينقلب نجارًا يصنع مركبًا.. فهم يسخرون منه لأنهم لا يرون إلا ظاهر الأمر، ولا يعلمون ما وراءه من وحي وأمر. ونحن نسخر منكم قريبًا لأنكم لا تدركون ما وراء هذا العمل من تدبير.. وما ينتظركم من مصير: ﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم﴾ نحن أم أنتم.. يوم ينكشف المستور، عن المحذور!

إن هذا الحال ينتظر أيضًا من عذبوا أصحاب الأخدود.. الذين كانوا يلقون بالمؤمنين والمؤمنات وهم قعود على النار، يشاهدون عملية التعذيب في لذة وسعار.. يتسلون بالمؤمنين ويسخرون من المؤمنين ويستهزئون بالمؤمنين.. وقتهم كان عبثًا.. كان للهرج والمرج.. كان للفتنة والعصيان. وما ينتظرهم والله إلا العذاب والخذلان.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ. وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ. وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ. وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ. وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ. فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ. عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ. هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المطففين: ٢٩- ٣٦).

الوقف الإسلامي.. روافد تنموية متعددة (٣-٤)

القاهرة - دار الإعلام العربية

تطرقنا في الحلقتين الأوليين من «الوقف» إلى تعريفاته، وآراء الفقهاء فيه، ودلائل مشروعيته، وكذا أحكامه ومقاصده وأمثلة لأبرز الوقفيات الإسلامية، وهانحن نستأنف الحلقة الثالثة المخصصة لدور الوقف في خدمة المجتمع عبر العديد من الروافد التنموية، لاسيما أنه عمل مساند لأبواب خير لا حصر لها، تحقق الاستفادة التعبدية في الحياة والممات بشكل مستمر.

يشير العلماء إلى أن أي مجتمع لا يخلو من ظروف طارئة تداهمه، يختل فيها ميزان العدالة، وتضطرب مستويات معيشية لبعض الناس، لعجز ينزل بهم فيقعدهم عن العمل والإنتاج، أو لقلة مواردهم الطبيعية، أو لحروب وكوارث خاصة أو عامة، وقد يصل هذا الاختلال إلى حد قاس، ينعدم معه توفر الحد الأدنى من الكفاية المعيشية، وهذا ما افترضه الإسلام، ورتب له الحلول الإيجابية الحاسمة، من أجل رأب الصدع، وإعادة التوازن المعيشي، والنهوض نحو تنمية شاملة من خلال مجموعة من التدابير والوسائل كزكاة المال، والصدقة، والوصية، والكفارة، وبالطبع الوقف الذي تتنوع روافده في مساجد يصلى فيها، أو مدارس يتعلم فيها، أو مستشفيات يتطبب فيها، أو ملاجئ للأيتام، أو حتى أسبلة ماء تروي الناس في الطرقات والأسواق.. وقد أخذ الوقف صورًا وميادين عديدة في الإسلام، حتى لقلما يجد الإنسان مدينة أو قرية ليس فيها وقف.

بين النظرية والتطبيق

وفي بحث تقدم به د.عكرمة سعيد صبري، بجامعة الأزهر، تحت عنوان «الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق» تحدث عن شروط العين الموقوفة وحددها في خمسة مطالب، كل مطلب يمثل شرطا من الشروط، المطلب الأول أن يكون مالاً متقومًا، والثاني أن يكون معلومًا حين الوقف، والثالث أن يكون ملكًا للواقف، والرابع أن يكون مالاً ثابتًا، والخامس أن يكون الموقوف مفرزًا لا مشاعًا.



للوقف دور محوري في دعم البحث العلمي والتعليم العالي.. فضلاً عن عمارة المساجد

كما رصد شروط الموقوف عليه وحددها في أن يمثل الموقوف عليه جهة بر وقربة، وأن تكون الجهة الموقوفة عليها مستمرة، وأن يكون على جهة يصح ملكها أو التملك لها. وتطرق إلى الوقف من الناحية التطبيقية، وأشار إلى بعض الروافد التي يتوجه إليها الوقف وخص منها عمارة المساجد والزوايا، وبناء المدارس والمكتبات والإنفاق على طلبة العلم.

فيما أوضح الباحث حسن عبدالغني أبوغدة أن للوقف الدور الأهم في تحقيق النهضة والتنمية الإنسانية في جوانبها المادية والمعنوية، وهذا ما دفع المسلمين رجالاً ونساء على الوقف بحماس وإخلاص، فقاموا بعديد من أعمال الخير وتضمنت:

وقف المساجد

وقف المساجد ومرافقها ولوازمها، حيث اهتم المسلمون أولاً بوقف المساجد، فبادروا إلى عمارتها بكرم وسخاء، وأناروها بالقناديل وأمدوها بالمصاحف، وحفروا لها الآبار للوضوء والنظافة، ولا يزال إلى اليوم الجامع الأزهر في القاهرة، والمسجد الأموي بدمشق، وجامع القيروان بتونس، وغيرها من الجوامع والمساجد المنتشرة في بلاد المسلمين، شاهدة على مدى اهتمام المسلمين بعمارة المساجد ووقفها مع مستلزماتها.

وقف المدارس

وقف المدارس وتوابعها على اختلاف مراحلها التعليمية أحد مصادر إشعاع لرقي الفكر والنهوض بالمعرفة الإنسانية، ووقف المسلمون مع هذه المدارس أماكن لنوم الطلاب الغرباء، ومواضع للدراسة والمطالعة، وقاعات للبحث والكتابة، ومرافق صحية.. وكان يقوم على هذه المدارس أساتذة وعلماء أجلاء متفرغون للتعليم والمدارسة، ينفق عليهم من مال الوقف، حرصًا على أوقاتهم من التشتت، وضمانًا لاستمرار أدائهم رسالتهم، في التعليم والإرشاد والتأليف والبحث، ولا تزال آثار هذه المدارس باقية في كثير من العواصم والمدن الإسلامية في مكة والمدينة ودمشق وحلب والقدس وبغداد والقاهرة

واسطنبول وغيرها من مدن آسيا الوسطى وإيران والهند.

وقف المستشفيات

اهتم المسلمون أيضًا بوقف المستشفيات والإنفاق عليها وعلى المرضى والأطباء والموظفين، وتقديم الرعاية للجميع، من أجل النهوض بالمجتمع، وتنمية أفراده، وصيانة الصحة العامة.. ومن المستشفيات المشهورة في التاريخ الإسلامي المستشفى العضدي في بغداد في القرن الرابع الهجري (الحادي عشر الميلادي) والمستشفى النوري بدمشق، والمستشفى المنصوري بالقاهرة، وغيرها من المستشفيات العامة، بل المتخصصة في أمراض العيون والعظام والباطنية والجراحة والأمراض النفسية والعقلية.

وقف المكتبات

لقد حوت المكتبات عشرات الآلاف من الكتب في أصناف العلوم والثقافات والفنون والمعارف، وكان يقوم على رعايتها وصيانتها موظفون وخطاطون ومترجمون وأمناء، وأما الغاية الاجتماعية التنموية فهي غرس السعادة في نفوس الناس، وذلك بتأمين احتياجاتهم، وتوفير مطالبهم المعيشية، وإعانتهم على تجاوز الظروف الصعبة التي نزلت بهم، والارتقاء بحياتهم وتيسير أسباب التنمية والإنتاج أمامهم، وتيسير أسباب الحياة الكريمة لهم، سواء كانت غذاء، أو علاجًا، أو مسكنًا، أو علمًا، أو حياة مزدهرة.

وقف البحث العلمي والتعليم العالي

وأضافت الباحثة شيرين حسن مبروك ضمن رسالة ماجستير بجامعة القاهرة تحت عنوان «دور الوقف الإسلامي في استثمار التعليم العالي في ضوء الخبرات العالمية والإقليمية»، أن للوقف دورًا محوريًا في دعم البحث العلمي والتعليم العالي، مشيرة إلى أن أول أمر ميز به الحق سبحانه وتعالى آدم بعد أن جعله خليفة في الأرض هو التعليم: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ٣١)، وظل التعليم والتبليغ وظيفة كل الأنبياء، ووظيفة التعليم الكشف عن المواهب الإنسانية الخبيئة ورعايتها وحُسن تنميتها وتوظيفها لخير الفرد والمجتمع وإعمار الحياة.

وأضافت أنه لم يعد ينظر للعملية التعليمية على أنها مجرد خدمة، بل أصبحت استثمارًا يستهدف تحسين مستوى الحياة للأفراد، وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع، وأن مجتمعاتنا العربية في عصر العولمة تحتاج إلى تعليم عال يؤدي إلى تنوع البشر وتمايزهم وتنميةً قدراتهم على انتقاء المعلومات وتحويلها إلى معرفة، مع حسن استخدامها في التفكير والتعبير والاتصال والإنتاج وبناء العلاقات، وهذا ما أكده المفكر فرانسيس بيكون عندما قال إن «المعرفة قوة» Knowledge is Power.

ويعتبر التعليم العالي مصدرًا للاستثمار وتنمية أهم ثروات المجتمع وهي الثروة البشرية، وهذا النوع من الاستثمار تظهر آثاره في زيادة مهارات وقدرات الأفراد بالمجتمع وارتفاع مستوى المعيشة والإنتاج، وزيادة استغلال الموارد الطبيعية ودفع عملية التنمية الاقتصادية للبلاد.

وفي ظل هذا المناخ كان لابد أن تظهر آليات جديدة للاستثمار في التعليم العالي لعل من أهمها ما عُرف بالوقف الإسلامي، حيث إن للوقف دورًا مهمًا في رعاية شؤون العلماء وطلاب العلم في تاريخ الحضارة الإسلامية، ما وفر لهم مناخًا مستقرًا، وكفل لهم كل احتياجاتهم ليتفرغوا للإنتاج والبحث العلمي، لافتة إلى أن هناك العديد من الدراسات التي تناولت تطبيق الوقف الإسلامي في قطاع التعليم العالي، والتركيز على الأسلوب العلمي في الاستثمار البشري، واستخدام الأساليب الإحصائية في ضبط الاستثمار، والتزام المؤسسات التعليمية الطويلة الأجل بالاستثمار، واستمرار التحسين في ضوء أهداف مؤسسات التعليم العالي، منها دراسة عبدالله بن محمد العمراني الذي قدم نموذجًا مقترحًا لدور الوقف الإسلامي في دعم البحث العلمي بالمملكة العربية السعودية.

وخلصت الباحثة إلى أن نظام الوقف يشكل أفضل الأنظمة لتمويل التعليم العالي لأنه يتميز بصفة الدوام والاستمرار، وأن تطوير سياسة التعليم العالي ضرورة ملحة تتطلب تطوير وتحديث كل عناصر منظومة التعليم العالي، وكذا تبني أسلوب جديد لتمويل مؤسسات التعليم العالي بالإمكانات المادية من خلال قنوات جديدة مثل أموال الوقف.

مكافحة الفقر

وأكد أستاذ الاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر د.محمد عبدالحليم عمر أن الفقر مشكلة في العالم كله، وفي العالم الإسلامي خاصة، وتؤكد الإحصاءات الدولية تزايد عدد الفقراء واتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء، فقد بلغ عدد الفقراء في العالم ٣ مليارات نسمة أي نحو ٥٠٪ من سكانه، وفي الوقت نفسه هناك ١٧٦ مليارديرًا في العالم يملكون من الثروات ما يعادل الناتج القومي لـ٤٥ دولة، مؤكدا أن هذا يجعل الاستعانة بالأدوات الإسلامية كالزكاة والوقف ضرورة ملحة لمواجهة هذه المشكلة المتزايدة والتخفيف من حدتها، خاصة أن لدى الإسلام من الأدوات ما يخفف من حدة الفقر بشرط حسن تطبيقها وتوظيفها لخدمة الجميع، وإنشاء هيئات خاصة للزكاة، وقيام اقتصاديين مهرة وعلماء دين لديهم رؤية اقتصادية وقراءة للواقع على إدارة الوقف، مع وضع خطة شاملة لتوظيف الوقف لخدمة المسلمين، وتشجيع الأثرياء على الوقف وتنفيذ العديد من الأفكار الابتكارية لتفعيل دور الوقف والزكاة.. وفي ذلك سد حاجة الفقراء والمعوزين، ودعم الجمعيات الخيرية التي تواجه أحيانًا شحًا في الموارد لتنفيذ مشاريعها، فضلا على التفكير في القيام بمشاريع خيرية جديدة، إذ المال هو عصب العمل الخيري، ومن صوره بناء دور الأيتام والمسنين، وحفر الآبار، وبناء المراكز الصحية، وإنشاء مراكز للأسر المنتجة.

عن الهصور الزؤور حين يتمطّى!

حياة الياقوت

هل تذكرون الأسد الهصور الزؤور في شعار شركةMetro Goldwyn Mayer MGM الذي كان كثيرًا ما يظهر قبل بداية «توم وجيري»؟ دققوا فوق رأسه جيدًا وستقرأون عبارة مكتوبة باللاتينية تقول Ars Gratia Artis أي «الفن من أجل الفن»، ولأجل هذا كنا ومازلنا نفرح ونطرب ونضحك من توم وجيري، لكن.. ولأجل هذا أيضًا نجد أن نزعات التبلد تجاه العنف أو ربما استحسانه بدأت تظهر على الأطفال الذين يظنون أن العنف يمكن أن يكون مسليًا، وأن ضرب أحدهم بسندان على رأسه لن يخلف سوى انتفاخة صغيرة! وعلى اعتبار أن الأمور تراكمية، فهذه اللبنة قد تكون هي ما مهد الطريق لإنتاجات سقيمة ومقززة وفاقعة العنف ترفل في ثياب اللطافة مثلَ المسلسل الكارتوني Happy Tree Friends (يمكنكم مشاهدته عبر «يوتيوب» لكن على مسؤوليتكم!)، وأهلا وسهلا بما بعد الحداثة.. إنه «الفن من أجل الفن»، الفن الكامل بذاته، الفن الذي يجلب «المتعة» و«الفرح»، لا الفن من أجل التنظير والتفكير البعيد المدى، لا الفن الملتزم بعقال الأخلاق، ما يجيء تحت عباءة «الفن لأجل الفن» شعبي، محبوب، قابل للانتشار، لكنه يعيشُ حالة طلاق بائن بينونة كبرى مع القيم والالتزامات الأخلاقية. على الجانب الأخرى، نرى المبدأ مبدأ الفن من أجل الإنسان Ars Gratia Hominis أو الفن من أجل المجتمع، نراه أرنبًا هزيلًا يفر من قسورة!



كاتبة كويتية

احذروا هذا الأسد جيدًا، فقد «تمطى بصلبه، وأردف أعجازًا، وناء بكلكل» وعاث فسادًا في أرض الفن، ولا أقصد أسد MGM بل المبدأ الذي يحوم فوق لُبدته، فقد وصل إلينا هذا المبدأ وتمطى الهصور الزؤور فوق عتبات فننا، ونظرة سريعة على إعلانات مسلسلات رمضان كفيلة بالتأكيد على ما أقول، وقد قلت الإعلانات لأن المنتجين على ما يبدو حريصون على حشر أقذع ما يحصل في المسلسلات في الإعلانات، ربما جراء نزعة العرب في البلاغة والاختصار مثلاً!

وعليّ أن أعترف أني لم أتابع أي مسلسل لا في رمضان هذا العام، ولا في الأعوام السابقة، ولله الحمد وحده، فقد قررت أن أعمل بمبدأ «أرخصوه لهم»، فالبعض يركض وراء المسلسلات ويحملق فيها، ثم يقضي إجازة العيد يتبرم مما فيها، واعترافي أني لم أتابع أي مسلسل ضروري، إذ يعني أني لا أقصد بهذا التحليل مسلسلاً بعينه، ولا تفاصيل خاصة أزعجتني، بل هي نظرة كلانيّة على الواقع الفني العربي من إنتاج مسلسلاتي وسينمائي.

أنا هنا ألتمس العذر لكثير من الكُتّاب العرب، فهم يكتبون والأسد إياه يتمطى في لاشعورهم، يكتبون لإرضاء هذا الكائن البدائي الكامن، هذا الحيوان الذي دخل إلى العقل الجمعي لكتاب الدراما، وهذا المبدأ الذي استولى على صولجان ساحة الفن في ظل غياب المنافس الأجدر.

في الحقيقة، ليس كل الكتاب بالضرورة لديهم نيّات مبيتة و«أجندات» خبيثة تحب أن تشيع الفاحشة، بل هم قوم وجدوا آباءهم في الفن تواضعوا على ذلك، فسارعوا مقتدين «مهتدين»! وكيف لا، وهذا النوع من الفن يحوز الرضا الشعبي في الغالب (وهذا بذاته شعور مرض)، وهذا يستتبع بالضرورة رضا المعلنين، الذي يستجلب الربح المادي، فكيف لا يفوز مبدأ هذا الزؤور الهصور؟

المعالجة الدرامية للفساد الأخلاقي لا تزال قائمة على رفع هذا الفساد وعلى رؤوس الأشهاد

وأنت حينما تلوم أو تناقش من يدافع عن هذا الاتجاه تجده يقول لك- وهو على حق- إن المصائب والمعائب والجرائم والجراثيم تجتمع وتلوح قائلة «مرحبا، إننا هنا! وننوي أن نستشري ونتكاثر»، فهل نصعّر الخد ولا نلتفت؟ ألا يحتاج الأمر منا إلى ضربات استباقية؟

وهذا الادعاء صحيح جدًا، لكن هذا لا يعني أن نتطوع لصالح التطبيع والتسويق للفحش، ولا أن نمسك مكبرًا للصوت ونتظاهر صائحين: لقد تُوُدِّع من الدنيا، فعليها العفاء، هذا هو الواقع ارزحوا فيه وانكفئوا!

المعالجة الدرامية للفساد الأخلاقي والفحش حتى يومنا هذا- وفي معظمها- لا تزال قائمة على رفع الفساد الأخلاقي على رؤوس الأشهاد، مانحة إياه الفرصة ليقول: «إحم، أنا هنا»، تقوم على إعطائه منبرًا، أو ربما كل المنابر، ثم تصر المعالجة الدرامية- وهي تحسب أنها تحسن صنعًا- أننا إزاء فن إصلاحي وواقعي، بل ربما طليعي وتقدمي ورؤيوي!

- س: حسنٌ يا كاتبة المقالة، ﴿هل إلى خروج من سبيل﴾؟ هل يمكن تقديم فن «جيد» دون أن يكون مدرسيًا أو مملًا أو «طوباويًا»؟ عللي لإجابتك بأمثلة من الواقع.

- ج: نعم ممكن، مع ملاحظة أني لا أعاني من «النوستالجيا»!

«إلى أبي وأمي مع التحية» مثال على «الفن من أجل الإنسان» وعافيته واستقراره الداخلي (النفسي والخارجي والاجتماعي)، هذا المسلسل الرائع ذو الستة والعشرين حلقة كان مسلسلاً إنسانيًا، وتربويًا، وحتمًا ليس مملًا ولا مدرسيًا- وكان واقعيًا جدًا جدًا ولم يحلق في أرجاء مدينة الفضيلة.

فقد تحدث عن قضايا صادقة وصادمة كثيرة، الخيط الرفيع الذي أتقن طارق عثمان الإمساك به، هو أنه لم يلجأ إلى «التطهير» أو التنفيس Catharsis كما يسميه أرسطو، بل قدم حلًا ما للكارثة، وكي أخرج من التنظير نجد حلقات من «إلى أبي وأمي مع التحية» تتحدث عن مشكلات صادمة، لكن صادقة عن الأبناء حين يحضرون أشرطة فيديو غير لائقة، وعن الغش، وعن السرقة، وعن الحبوب المنشطة التي شاعت بين بعض الطلاب، والغيرة بين الأبناء، وعن عواطف المراهقين حين تَسُور، أو عن الأب الذي ينهي أبناءه عن التدخين ويأتيه، وعن التنافس الانتخابي، وعن السكرتيرة التي قد تطمع في رب عملها أو قد يطمع فيها، وأخيرًا عن الزوج العنيف والمرأة المعنّفة، وهذه الأخيرة مثال صافع! ففي حين نرى مسرحيات الاستلذاذ بامتهان المرأة في مسلسلاتنا هذا اليوم، قارنوا هذا بمعالجة «إلى أبي وأمي مع التحية» حين طرح هذه قضية الزوج السكير الذي يضرب زوجته وأبناءه دون عرض مشاهد عنف ضرب مباشرة «جاكيشانيّة»، بل اكتفى بأن تكتشف إحدى القريبات أثر ضرب على جسد الابنة الصغيرة، لا دماء، ولا مستشفيات، ولا ألفاظ نابية، قد يفعل البعض ذلك لكسب التعاطف مع المرأة المعنفة، ولهذا ما يحدث هو التطبيع ولا شيء غيره، ففلانة تقول «لا ضير ولا تثريب، ليست عاهة مستديمة، ووضعي أفضل بكثير من فلانة في المسلسل الفلاني»!

هذا، ويظل الهزبر رابضًا في الشاشات، ينهش أنى شاء من الحياء والقيم والمنطق، إلى أن يأتي وعي به يغاث الناس، ولأجله يعصرون.



يوم الجمعة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة: فيه خُلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أُخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة» (رواه مسلم).

هذا الحديث الشريف يتحدث عن مزايا يوم الجمعة مبينًا في البداية أنه اليوم الذي خلق فيه آدم، مخلوقًا مكرمًا ومفضلًا على كثير من العالمين، إنها نعمة الوجود بالنسبة للبشرية جمعاء، ولا أعظم ولا أكبر من نعمة الوجود، لأنها أساس كل النعم، وما عداها تابع لها، بل لا يكون بدونها، فيوم الجمعة هو بداية تاريخ ميلاد البشرية.

ويوم الجمعة هو اليوم الذي أدخل فيه آدم عليه السلام الجنة.. وذاك أيضًا حدث عظيم لما فيه من الكرامة في الجنة وإعداد آدم للخلافة في الأرض.

وفيه تقوم الساعة، حين يجمع الله تعالى الأولين والآخرين ليحكم بينهم بالعدل، ويجزي المحسنين بالحسنى.. وهل هناك ما هو أعظم من إقامة العدل وإجزال المثوبة؟

كل ذلك واضح ومفهوم لخيرية يوم الجمعة على سائر الأيام، لكن الذي قد يلتبس على الكثيرين هو: كيف يكون يوم الإخراج من الجنة والإهباط إلى الأرض يومَ فرح وسعادة وخيرية؟ كيف يكون الخروج من دار الكرامة عيدًا، في حين أن الطرد من الديار والأوطان يعتبر من أكبر النكبات وأعظم المصائب؟!

الخطأ الكبير في هذا الفهم ناشئ من الظن بأن نزول آدم وزوجه على الأرض كان عقوبة من الله تعالى لهما على الأكل من الشجرة، بينما يبرز القرآن، من الآيات الأولى في سورة البقرة، إعلان الله تعالى للملائكة ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ أي أن الإنسان قد خُلق منذ البداية لهذه المهمة الجليلة والوظيفة العظيمة، التي هي إعمار الأرض بمنهج الله تعالى، واستلام زمام الأمور فيها، وعليه فإن خروج آدم وزوجه من الجنة تعليم وتتويج، تعليم لواجبات الدين وتبصيرٌ بالمهمة وجبهة الأعداء والأصدقاء، وتتويجٌ له على خلافة الأرض، إنها مكانة عظيمة اغتاظ لأجلها إبليس، وحسد آدمَ عليها، وتشوّفتْ لها نفوس الملائكة الكرام، حين ألمحوا إلى ربهم العليم الكريم أنهم أجدر بها من الإنسان ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾.

ومن فضل الله تعالى أن الأمة المسلمة قد اهتدت إلى يوم الجمعة، فيما ضل عنه أهل الكتاب، وهذا الاهتداء إنما هو في حقيقته توجّه إلى أمانة الخلافة والقيام بحقها، والضلال عنه إنما هو ضلال عن هذه الوظيفة وتضييع لتلك الأمانة.

المحرر

خطبة الجمعة ودورها الإعلامي والحضاري

د.عبدالله بدران*

عرف العرب قبل الإسلام أنماطًا إعلامية عدة، كالأسواق، والرحلات التجارية، ورواة القصص، والأنساب، والخطابة، ومجالس القبائل. وأدت هذه الأنماط دورًا كبيرًا في عملية الوجود الإخباري، أفادت منه هذه الأنماط نفسها، كما عاد ذلك على مجتمع الجزيرة العربية ببعض الفوائد.

ولم تكن الدولة الإسلامية عندما قامت في المدينة المنورة في أوائل القرن السابع الميلادي ببعيدة عن استخدام بعض الأنماط الإعلامية، فقد استخدم الرسول ﷺ الكتابة الخطية، وما الدستور الذي وضعه بعد هجرته إلى المدينة، والمعروف تاريخيًا باسم الصحيفة، إضافة إلى رسائله الشريفة إلى ملوك وأمراء عصره إلا نماذج تاريخية لذلك الاستخدام.

كما اهتم القرآن الكريم ببعض النواحي الإعلامية لفظًا وأسلوبًا ومعنى وتحريرًا، اهتم النبي ﷺ أيضًا بهذه النواحي ومارسها بطريقة يجب أن يتعلم منها رجال الإعلام الإسلامي إلى يوم القيامة. واستفاد الرسول الكريم من وسائل الإعلام المتاحة في عصره، فقام باقتباس بعضها أو تعديل مسارها وتطويرها وتوظيفها لخدمة الدعوة الإسلامية، ومنها اللقاءات المباشرة والخطابات العامة وخطبة الجمعة.

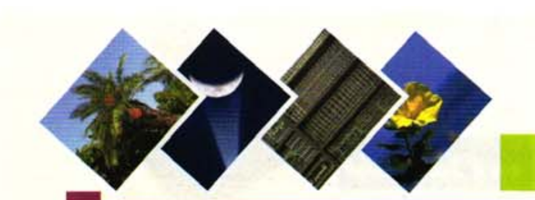
ولقد اهتم الإسلام اهتماما بالغا بخطبة الجمعة وحث على الالتزام بها وحضورها وإقامتها في كل بلد ومصر، وحذر من إهمالها أو التساهل في حضورها، أو الانشغال عنها بالأعمال التجارية، وحض أي جمع بسيط العدد أو كبيره على إقامتها وتولية خطيب عليهم.

وهدف الإسلام من ذلك إلى أن يبقى المجتمع الإسلامي متماسك البنيان متراص الصفوف، وأن تبقى هذه الشعيرة قائمة حية تؤدي أهدافها في إيصال رسالة واضحة إلى المسلمين، وفي اجتماعهم وتلاقيهم، وفي ترتيب أمورهم ومناقشة أحوالهم ومستجداتهم، وفي ممارسة كل ما تتطلبه الأمة من أولويات وضرورات وحاجات، لاسيما أن المسلمين يفدون إلى الجوامع لأداء هذه الشعيرة كل أسبوع طائعين راغبين عابدين، غير مجبرين أو مكرهين أو مدفوعين بمصلحة شخصية أو غرض دنيوي.

الوظائف الإعلامية لخطبة الجمعة

لقد حرص الإسلام على بناء الإنسان الصالح، وإعداده الإعداد

* صحافي في وكالة الأنباء الكويتية (كونا)



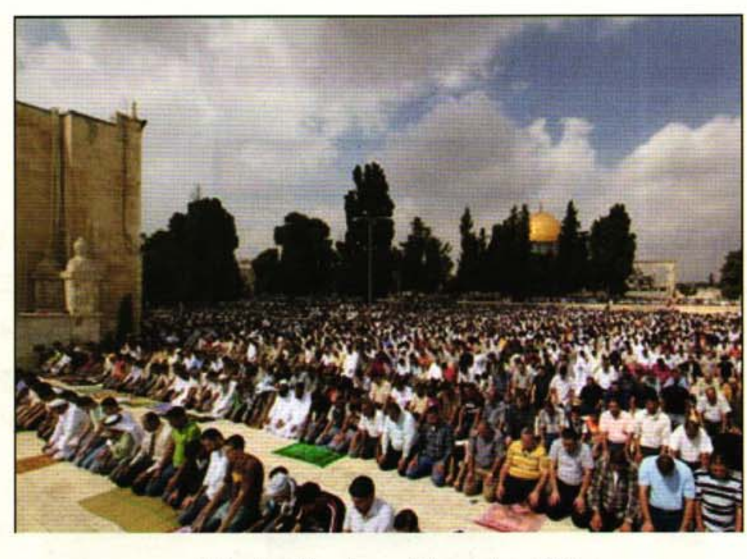
الإيماني السليم، وبناء هذا الإنسان هو حجر الزاوية في صلاح الحياة عمومًا، ومن هذا المنطلق عالج الإسلام وظائف الإعلام بشكل عام، وسعى إلى الإفادة من جميع الوسائل التي تؤدي وظائف الإعلام الإسلامي وتحقق أهدافه، ومن ذلك خطبة الجمعة.

وحرص الإسلام على أن يؤدي خطيب الجمعة دوره المنشود بكل إتقان ومهارة، وأن يتحمل أعباءه الكبيرة التي تزداد باطراد، وأن يوظف هذه الوسيلة الإعلامية التوظيف الأمثل لها، ضمن الأطر العامة لمنهج الإسلام وأهدافه.

ولعل من أهم وظائف خطبة الجمعة تدعيم الروابط بين المسلمين، والعمل على ازدياد تلاحم بعضهم ببعض، وتمتين أواصر المودة والقربى بينهم، والتبصير بقضايا الوطن الإسلامي الكبير، والتعرف إلى مشكلاته، والمساهمة الإيجابية في حلها، والدعوة المستمرة لوحدة العالم الإسلامي وتضامنه، وشرح ما يترتب على ذلك من قوة مادية وسياسية، وتأثير ذلك في القضايا العالمية والإنسانية.

ومن الوظائف الإعلامية لخطبة الجمعة تكوين صورة لدى المسلمين تجاه القضايا التي تمس دينهم، وتعالج حياتهم، وتعنى بشؤونهم، وتتلمس مشكلاتهم. وهذا الدور يسهم في تشكيل نظرة موضوعية ثاقبة إلى الأحداث الجارية، واتخاذ موقف موحد منها، والقضاء على البلبلة بسبب اختلاف الآراء وتباين الاتجاهات نحوها.

وتقع على عاتق خطيب الجمعة أيضا مهمة إعلامية تتمثل في تبصير الأمة الإسلامية بالأخطار المحدقة بها، وتحصينها من الفتن والمخططات والمؤامرات، وتطعيمها بالدواء الناجع الفعال، وإحاطتها بسور واق منيع من القيم والأفكار يصعب على الأعداء اختراقه أو محاولة تجاوزه.



وعلى الخطيب أيضا العمل على تسليح الأمة بالأفكار المدعمة بالأدلة والبراهين الدامغة، والحجج الواضحة البينة، للوقوف في وجه الدعاية المضادة، التي تهدف إلى إبعاد المسلمين عن دينهم، وفك اللحمة والترابط فيما بينهم، وتشتيت الأمة الإسلامية إلى دول متفرقة، ومجتمعات متناحرة وإبراز العرقيات والطوائف.

ولعل من أهم الوظائف الإعلامية لخطبة الجمعة تحذير المسلمين من العلل التي تفتك ببنيان الأمة الإسلامية، والأمراض التي تقتل مناعتها ضد الانحلال والفساد، والأسقام التي تنخر نسيجها الاجتماعي المترابط.

فضح الأضاليل والشبهات

إن أعداء الدين الحنيف، سواء كانوا من داخل الأمة الإسلامية أو خارجها، لا يتورعون عن استخدام السبل والأساليب كافة الموصلة إلى غاياتهم والمحققة لأهدافهم، ومن ذلك بث الأخبار التي تشيع التخاذل وتسبب اليأس والقنوط، وتنشر حالة من الاكتئاب لدى المسلمين.

وإن فضح هذه الأخبار المضللة، والتصدي لها، وتبيان أهدافها، عبر الوسائل المختلفة ومنها خطبة الجمعة التي يجب على القائم عليها أن يستخدم الحجج القوية الدامغة، والبراهين الواضحة النيرة، وهي مهمة ليست سهلة أبدًا لاسيما إذا علمنا أن هؤلاء المتربصين مستعدون لبذل أموال طائلة واستقطاب نفوس مريضة من أجل تحقيق أهدافهم.

ويتعرض الإسلام في كثير من الأحيان للانتقاد من شخصيات معروفة، أو جهات ومنظمات وهيئات محلية أو دولية، أو من حكومات ودول مختلفة، وينصب الانتقاد على قضايا إسلامية يرى هؤلاء أن الإسلام ارتكب أخطاء شنيعة فيها، أو أساء إليها، أو خالف فيها الأعراف والمفاهيم السائدة لديهم.

وبدأت تظهر في العقود الأخيرة عن المسلمين نعوت التطرف، والإرهاب، والأصولية، والتشدد. وهنا يجب على من يتولى خطبة الجمعة تبيان موقف الإسلام من هذه القضايا وهديه وتوجيهه فيها، كما وجب تبيان حقيقة عدد من القضايا الإسلامية الأخرى الراهنة على الساحة الدولية، وتوضيح رأي الإسلام السليم فيها المعتمد على اجتهادات العلماء الذين تثق الأمة في علمهم وإخلاصهم.

وعلى خطيب الجمعة أيضا التنبيه إلى وجود طوائف وفرق شاذة ومنحرفة عن تعاليم الدين الحنيف وهديه، وهذه موجودة لدى جميع الأديان والأمم، وضرورة التفريق بينها وبين ما أجمعت عليه الأمة الإسلامية، وعدم الخلط بين أفعالها المخالفة للدين القويم وتعاليمه الواضحة.



خطبة الجمعة.. وأزمة الخطيب

د. محمد متولي

في دراسة علمية أجراها فريق من الباحثين على عينة من جمهور المساجد سواء التي تقع في أحياء شعبية فقيرة يعيش أهلها تحت خط الفقر، أو التي تقع في أحياء أرستقراطية يتمتع أهلها بالثراء ويتبوؤون مناصب رفيعة، كشفت الدراسة أن معدل تأثير خطبة الجمعة على الجميع فقراء وأغنياء، شبابًا وشيوخا، مثقفين وأميين يفوق تأثير كل وسائل الإعلام الأخرى، وقد أظهرت النتائج أن ٩٧,٥٪ من المبحوثين يحرصون على الاستماع إلى هذه الوسيلة بصفة منتظمة، وقد جاءت كثافة التعرض للخطبة عالية لدى مختلف فئات الجمهور.

تعد خطبة الجمعة من أبرز قنوات الاتصال التي تنفرد بها العقيدة الإسلامية، وقد نشأت مع بزوغ نور هذه الدعوة، وواكبت مسيرتها في نسق منتظم لم يكن معروفًا من قبل مستهدفة من وراء ذلك إعلام الجماهير بحقيقة هذا الدين، شارحة لأحواله، ومفسرة لشرائعه، وموضحة لقضاياه، وهي أكثر الوسائل التزامًا بما ورد في القرآن الكريم وفي سنَّة الرسول ﷺ.

والحقيقة أن هذه الحشود الضخمة التي تملأ المساجد تعد فرصة سانحة للخطيب المقنع لكي يسهم في الارتقاء بأنماط الحياة في المجتمع، وفي بناء الإنسان البناء الذي يتوافق ومعطيات العقيدة الإسلامية، ذلك أن أحدًا من البشر أو زعيمًا من الزعماء مهما بلغت شعبيته لا يستطيع أن يجمع كل هذه الحشود التي جاءت طائعة مختارة في وقت واحد، وهي مهيأة نفسياً وعقلياً للإنصات والالتزام بما يطرحه الخطيب، من فتاوى وآراء، فليس لديها أي استعداد للجدل أو المناقشة أو الرفض لأن ما يلقى عليها يدخل في دائرة المسلمات التي لا تقبل الجدل والنقاش، وهو ما لا يتوافر لأي قيادة فكرية أو سياسية مهما بلغت شعبيتها وقوتها.

ومن ثمَّ فإن الخطبة تأتي في مقدم قنوات الفكر المؤثرة إذا أحسن إعدادها وإلقاؤها، لأن المناخ الروحي الذي تلقى فيه يختلف كل الاختلاف عنه في أي مكان آخر، ويرجع ذلك إلى أن الخطيب المقنع يستطيع أن يمس شغاف القلوب، ويخترق كل الحواجز النفسية والفكرية ليغرس الاتجاهات الصحيحة، ويعلم السلوكيات الإسلامية، ويسهم في الارتقاء بأنماط الحياة في المجتمع بما يتوافق مع معطيات العقيدة الدينية لأنه يوجه حديثه إلى الناس في مناخ يسوده الرضا والصفاء والإنصات الكامل الذي حض عليه رسول الله ﷺ في قوله: «من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب كمثل الحمار يحمل أثقالا».

وتشير هذه النتائج إلى أن لدى المسلمين ثروة هائلة يمكن أن تسهم بفاعلية في إعادة بناء الإنسان، وفي الارتقاء بمستواه الثقافي والأخلاقي، وفي دفعه إلى اكتساب المعارف التي تمكنه من النهوض بأمته وإثراء الحياة فيها لتكون خير أمة في تماسكها وقوتها.

إلا أنه من الغريب أن الواقع يخالف ذلك إلى حد بعيد، فالمسلمون هم أكثر شعوب الأرض فقرًا وجهلًا وتخلفًا وتشتتًا، وعلاقتهم فيما بينهم تنعدم فيها الرحمة والإيثار، ودولهم تعاني من الظلم والاستبداد، وهنا يبرز السؤال الذي يفرض نفسه في هذا الصدد، أين خطباء المساجد من هذه الأوضاع المتردية التي يعاني منها المسلمون؟، أين دورهم في زرع الوئام والمحبة، وفي الارتقاء بمستوى الجماهير، وفي تحقق الوحدة بين أبناء الأمة؟، لابد أن ثمة أسباباً جوهرية تعوقهم عن أداء دورهم الحيوي والمهم في هذا الصدد.

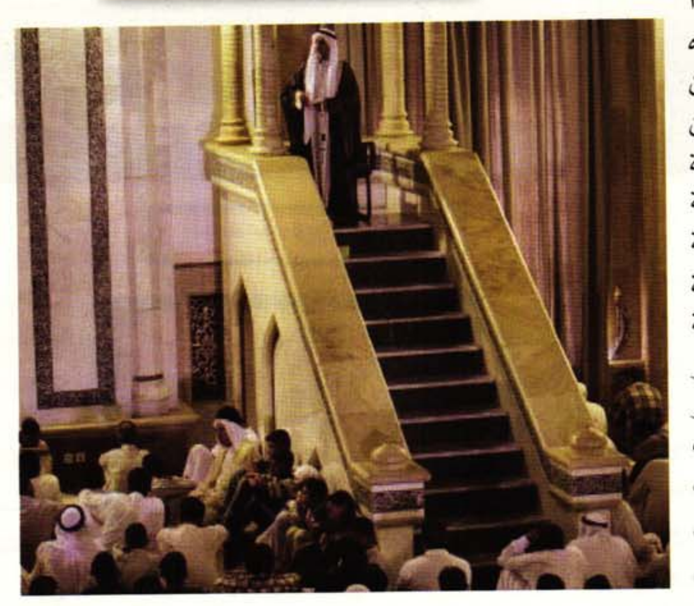
إن أول هذه الأسباب يكمن في المستوى الثقافي المتواضع لكثير من هؤلاء الدعاة، وعدم توافر مهارات الخطابة لديهم، وسيطرة الفكر الاستاتيكي الجامد على

* المقال نشر في العدد (٤٣٥)



تفكيرهم، وعدم مواكبتهم لمعطيات العصر المتسارعة إلى غير ذلك من الأسباب التي تشكل عائقًا كبيرًا يحول دون قدرتهم على الإعلام بصحيح الدين، ففاقد الشيء لا يعطيه، ولقد شاركت في الكثير من الدورات التعليمية والتدريبية بمعاهد الأئمة وإعداد الخطباء، فأصابتني حال من الحزن والأسى على هذا المستوى الهابط، لأن هذه القيادات الدينية يجب أن يتوافر لها رصيد كبير من المعلومات العامة والمقدرة اللغوية وقوة البيان وجاذبية العرض، والملكة الخطابية والثقافة الموسوعية والمقدرة الإقناعية والملكة الإبداعية التي تحقق لهم التأثير المطلوب على الجماهير المتلقية، إلا أنه مع الأسف الشديد، فإن الواقع يخالف ذلك إلى حد بعيد، فمعظم هؤلاء الرجال الذين يقع عليهم العبء الكبير في تنمية المجتمع والارتقاء بأفراده قد اكتفوا بأقل القليل من المعلومات الدينية التي حصلوا عليها في المعاهد ومراكز التدريب المكلفة بإعدادهم، وكثير منهم لا يتابع ما يدور على الساحة الدولية من أحداث وصراعات، ومنهم من لا يقرأ الصحف، مما انعكس سلباً على مستوى مداركهم وثقافتهم، ففقدوا القدرة على العطاء، ولذلك نراهم يرفعون أصواتهم في غير موضع، ويصرخون عبر مكبرات الصوت دون حاجة إلى ذلك، فلا تجد الجماهير منهم ما يسد الحاجة ويحقق الإشباع الروحي والعقلي، لقد ملَّ الناس من الاستماع إلى أحاديث معروفة تتكرر دومًا على ألسنة هؤلاء الرجال، ويتم تقديمها بأساليب بالية لا تشد الجماهير أو تسد حاجتهم للاستزادة من العلم والمعرفة، إنهم في حاجة إلى الاستماع

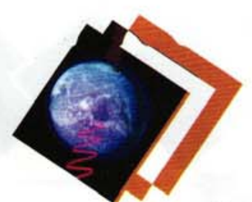
إذا أحسن إعداد وإلقاء الخطبة فإنها تعد في مقدمة قنوات الفكر المؤثرة



إلى ما يعالج قضاياهم ويقدم لهم الحقائق الدينية بطرق جديدة وأساليب مبتكرة، كما أنهم في حاجة إلى فهم الأوضاع التي تحيط بهم في ضوء الشريعة الإسلامية من مصادر موثوقة.

ويرى بعضهم أن من أبرز الأسباب التي تعوق مهمة خطباء المساجد في العالم الإسلامي هو مناخ الحرية الذي لا يتوافر لهم بالصورة الكافية، مما لا يمكنهم من الانطلاق بالمجتمع إلى آفاق الحياة الرحبة فخطباء المساجد شأنهم في ذلك شأن العلماء والأدباء ورجالات الفكر لا يستطيعون العمل إلا في مناخ من الحرية تتيح لهم حرية القول، وتقديم النصيحة للحاكم والمحكوم، وإذا حرم الخطيب من حرية التعبير فسوف تتحول خطبه إلى كلام ممسوخ لا يسمن ولا يغني من جوع، ويؤكد هؤلاء أن بعض الأنظمة في العالم الاسلامي تعمل على تكبيل الخطيب بالقيود والأغلال ولاسيما أن هؤلاء الدعاة أقدر على إثارة الجماهير وتأليبهم على الحكام، ويكفي أن يستطرد الخطيب في تفسير ما جاء بسورة المائدة في الآية ٤٤ وذلك في قوله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾، وهذه الآية تحمل الكثير من المعاني التي قد تحمل الناس على رفض النظم القائمة.

وإذا كان بعض خطباء المساجد يظن أنه مكبل الأغلال بفعل القيود التي تفرضها عليه الأنظمة الحاكمة، فإن منهم من ينفلت في هجوم عنيف على الأوضاع والأشخاص دون ضابط أو رابط، وهو يظن أن ذلك هو السبيل لتوعية الجماهير، ويرجع ذلك إلى أنهم لا يعرفون أن فن القول له أصول وآداب يعرفها العلماء، وأن منهج الإسلام في الاجتهاد تحكمه معايير تنطلق من مرجعية هذه العقيدة، فلا تجريح ولا قذف ولا سب، ولا غيبة أو نميمة، ولا اتهام للناس بالباطل، ولكنه نقد بناء، يقوم على الحكمة والموعظة الحسنة، والرقة في الحديث، والأدب في الحوار، إنها أخلاقيات الدعوة الإسلامية التي انبثقت من مدرسة النبوة وسار على هداها صحابة رسول الله ﷺ، والسلف الصالح من الدعاة وأئمة المسلمين وقادتهم الصالحين، فهل تلتقي مؤسسات الدعوة الإسلامية لتضع منهجاً للدعوة يتفق مع معطيات هذه العقيدة، ويحقق للأمة الإسلامية على يد هؤلاء الرجال الأمل المنشود في الوحدة والقوة، وفي الانطلاق إلى آفاق الحياة الرحبة للارتقاء بالأمة حتى لا تتجمد مسيرتها وتستطيع مواكبة ركب التقدم في الأمم التي لا يتوافر لديها ما يتوافر للأمة الإسلامية من أسباب القوة والمنعة.



الحديث عن يوم الجمعة وفضله وعظيم مكانته حديث له قدره، والناظر في النصوص القُرآنية الآمرة بصلاة الجمعة والنصوص الحديثية المتحدثة عن فضله وآدابه وهداية الأمة له يُدرك أن لهذا اليوم مقاصدَ وفلسفة تحتاج إلى تأملها والغوص في أعماقها وأن تتشربها الأُمة فتصبح سلوكًا وواقعًا.. حقيقةً لا مجازًا.. فعلًا لا كلامًا! وهذه الأبعاد أو تلك الفلسفة التي يخرج بها المتأمل من صلاة الجُمعة وشعائرها يجد أنها تتقاطع مع كثير من الأركان والشعائر الإسلامية، فالأوامر والإرشادات الواردة في حق يوم الجمعة تُمثل مساحةً واسعةً من معالم هذه الأُمة.

تأملات في جُمعة المسلمين

أحمد عبدالجواد زايدة*

يوم الجمعة وصلاة الجمعة ملامح لبناء العرفان والبنيان والإنسان

عن أبي سعيد الخُدري عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «الغُسل يوم الجمعة واجب على كُل محتلم وسواك ويمس من الطيب ما قدر عليه» (رواه مُسلم)، فهو أمر بالاغتسال والتطهر، سواء أكان الأمر للوجوب أو للاستحباب على اختلاف بين المذاهب، بغرض النظافة والتجمل والتطيب لإظهار جمالية المسلمين في صورة بهية بحيث تكون سمةً من سمات الإنسان المسلم ومعلمًا من معالمه، وبالتالي يكونُ معلمًا من معالم الأُمة وسمةً من سماتها، فهي أُمةٌ جماليةٌ وهي أمة الجمال في كل شيء، وخالقها جميل يُحب الجمال وطيب لا يقبل إلا طيبًا، والبُعد الجمالي يُلمس في كل أحكامها، ويمتد في الشريعة بتفصيلاتها، حتى في الاعتقاد، وقد أبدع العلامةُ المغربي فريد الأنصاري- رحمه الله- لَما سمى كتابه «جمالية الدين.. من معارج القلب إلى حياة الروح» لقد تحدث الرجل عن جمالية التعريف بالله وجمالية القُرآن وجمالية الإيمان باليوم الآخر، بل عن جمالية الموت! فالجمال مقصد يؤخذ ويُعمم ويُنزل في كل مناحي الحياة.. سلوكًا وعملًا وتطبيقًا.. وذلك ملمح من ملامح الإحسان ومستوى من مستوياته.

التعليم والتزكية

اختُصت هذه الأمة بهذا اليوم وهُديت إليه وجُعل لها عيدًا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة، بيد أن كل أُمة أوتيت الكتاب من قبلنا وأُوتيناه من بعدهم ثم هذا اليوم الذى كتبه الله علينا هدانا الله له، فالناس لنا فيه تبعٌ اليوم غدًا والنصارى بعد غد» (رواه مسلم).

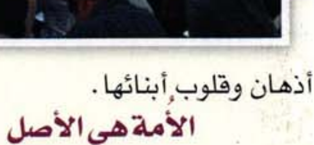
وقال تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كُنتم تعلمون﴾(سورة الجمعة)، فالسعي إلى ذكر الله واستشعار أهمية هذه الشعيرة، وأن الأُمةَ مختصةٌ بها وحدها إنما هو تذكير للأُمة برسالتها وبدعوتها، وتربية شاملة لها، تربية وجدانية روحية، وتربية فكرية للأمة لبناء وعيها وتوضيح أهدافها وتصحيح عقيدتها، ومن هُنا يتأتى الحديث عن خُطبة الجُمعة وأهمية محتواها، وهو ما يفتقده واقع اليوم، فالمسلمون يحضرون هذه الشعيرة الأسبوعية «الحاشدة» كي يستمعوا إلى خطبة من الواجب أن تكون لإنهاضهم وتوضيح الصورة الحقيقية في أذهانهم وتذكيرهم بما ينبغي التذكير به ومناقشة الواقع ومشاكله، فالواجب إذن أن يكون خطاب نهضة وحضارة لتحقيق مقاصد هذا الدين ومقاصد إخراج هذه الأُمة للناس، ومن العجيب أنك قد تجد من يتحدث عن تفصيلات التفصيلات مما لا علاقة له بالمُستمع على الإطلاق مما ينُفر من الاستماع، حتى صار البعض يصوغ النكات على ذلك الأمر! فالواجب أن تكون خطبةً واضحةً تناقش واقع اليوم وتُلبي احتياجات وتطلعات الناس، تتحدث من واقع الأُمة.. لا من واقع أحدٍ غيرها.. ولهدف الأُمة.. لا لهدف أحدٍ غيرها.. وبروح الأُمة لا بروح أحد غيرها، تُربي الفكر والوجدان وتُرسخ المفاهيم الأساسية المُحركة للأمة في

* باحث دراسات إسلامية





أذهان وقلوب أبنائها.



الأمة هي الأصل

وذلك معلم من أهم المعالم وهو مُتكررٌ في أغلب الشعائر والأحكام الشرعية، إن لم يكن في جميعها، وهو وحدة الأمة والانسجام فيما بينها، وهذه الرابطة الأخوية بين جميع أفراد الأمة وهذا التكاتف والتعاضد وهذه الأخوة والمساواة بين الفقير والغني والحاكم والمحكوم والضعيف والقوي، تسهم في المحافظة على وحدة جماعة المُسلمين وإيجاد الجامعة الإسلامية والتذكير بالأخوة الإسلامية، فمهما اختلفت بعض الأفكار وتعددت الوسائل والبرامج العملية في آلياتها، فإن الجمعة تكون محضنًا أسبوعيًا لجمع الأواصر والتركيز على الأصول والمقاصد والكليات الأساسية لهذه الأمة التى يسعى الجميع لتحقيقها والسعي إليها، بالإضافة إلى اللقاء اليومي خمس مرات في صلاة الجماعة، وكذلك الحج، ذلك المؤتمر السنوي للأمة.

قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كُنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا﴾، وقال تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾(الانفال:٤٦).

ومن هُنا وجب التنبيه على أن تكون المنابر للأمة فقط! وليس لأحزاب أو لحركات إصلاحية أو جماعات أو غيرها، فإن المنبر مقام كان يقف فيه رسول اللهﷺ فهو منبر للأمة يتحدث بروح الأمة.. و في قضايا الأمة.

ولذا فإن مشهد الجمعة هو مشهد لمناقشة هموم الأمة والواقع، والسعي لتحقيق أهدافها، مشهد تلتقي فيه الأمة كلها فتكتسب قوتها من وحدتها، فتُحقق أهدافها التي كانت تظنها مستحيلة، فإذا بها واقعًا بفضل وحدتها واجتماعها.

بناءُ الأمة وعمارة الأرض

بعد أن أمر الله- سبحانه وتعالى- عباده بالسعي إلى ذكر الله وإجابة نداء الجُمعة، أمرهم بالانتشار في الأرض و الابتغاء من فضل الله، والسعي في الأرض.

قال تعالى: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرًا لعلكم تُفلحون﴾، فهو جمعٌ بين بناء الروح والفكر وبين بناء الأمة وعمارة الأرض بروح المؤمن الذاكر لربه في كل وقت وحين.

وهو ما يميز هذه الرسالة الخالدة الموازنة، والجمع بين الروح والمادة والمصالح الدنيوية والأخروية، وقد هدفت الشريعة إلى تحقيق كليهما، وعمارة القلب وعمارة الأرض.. ومن هُنا تتحقق الشهادة على العالمين وتتأتى النهضة المرجوة.

علاقة الأمة بمفهوم الزمن

الناظر في فضل التبكير إلى صلاة الجُمعة وجزاء من يأتي في الساعة الأولى ثم الثانية... وهكذا يُدرك أهمية الزمن بعمقه الفلسفي، بامتداده العرضي وليس فقط الطولي، وباحتوائه للعديد من أحداث وقصص وأخبار الأمم التي أُمرنا بالتفكر فيها.

كذلك ففي هذا اليوم ساعة إجابة نجلس ننتظرها ونترقبها لعل الله يُكرمنا بفتح من عنده، وهو ذات الأمر في الصلوات الخمس، فهي في أوقات مختلفة (الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء) ما بين نور وظلام وشروق وغروب، ربط بالزمن وبالكون، و في كتاب الله سور باسم هذه الأوقات (الفجر- الضُحى- الليل- العصر) كي لا ينقطع المسلم عن هذا العالم وكي لا ينحصر نظره وينحسرا.

يوم الجمعة وصلاة الجمعة.. ملامح لبناء العرفان والإنسان والبنيان.. هي صياغة مُستمرة مُتجددة.. لبناء الإنسان والأمة.. والله أعلم.



يوم الجمعة.. يوم الاجتماع والرحمة

التحرير

خطبة الجمعة من شعائر الإسلام الكبرى التي تنساب معانيها وتوجيهاتها إلى نفوس المسلمين في لحظات انعطاف إلى الله تعالى، واستعداد لتقبل أحكامه.. ومن ثم كان موضوعها جليل الأثر كبير الخطر.

إنها الزاد الأسبوعي الذي يمد السلم بما يضيء له معالم الطريق فيسير في هديه، ويستمد منه طاقة روحية تروي ظمأه، وتشفي غلته، وتسمو بعقله وتزكي نفسه.

ومن هنا فإن الاهتمام بخطبة الجمعة، والاحتفال بشأنها أمر بالغ الأهمية لما تقوم به من دور كبير في تثقيف الأمة، وترشيد نهضتها، ودعم كيانها المادي والأدبي، ووصل غدها المأمول بماضيها المجيد.

إن الأمة الإسلامية هي ثمرة المسجد ووليدته منذ كانت، فقد استطاع النبي ﷺ أن يربي جيلًا من الصحابة حملوا الرسالة الى الآفاق، وأقاموا الدين والدولة جميعًا، فكان للمنبر النبوي أعظم الأثر في التربية والتوجيه، ولذا فإن الطريق إلى إصلاح حال أمتنا يكون بالدراسة العلمية لخصائص هذا المنبر الشريف، واستهداء نهجه الأقوم، والسير الحثيث على خطاه.

إن المنبر ليفقد فعاليته حين يصاب بالجمود فيتخلف عن عصره، ويضمحل تأثيره، ويفقد مكانته في التوجيه، وهذا يشير إلى أهمية خطبة الجمعة، وأثرها الفعال في المجتمع، وهو تقدير لخطرها يلقي تبعة ثقيلة على الأئمة والخطباء، ليأخذوا الأمر بقوة.

إن الناشئة المسلمين في ميعة الصبا حين يدخلون المسجد يتلقفون أنوار الهدى وسديد التوجيه من عالم المسجد



لأول عهدهم بالحياة، إذا المسجد مفتوح لكل من رام هدى، ومن غير هذا الرائد لهؤلاء إذا حرم المجتمع منه؟

وكذلك هذه الألوف من العامة الذين ليس لديهم من فرصة لمعرفة أمور دينهم ودنياهم، ومقاومة أعباء الحياة بزاد من الخلق الفاضل، وتقوى الله في معايشة الناس إلا المسجد، فمدرسة الألوف ومعهدهم المسجد، وأستاذهم الأول هو إمام المسجد، ومن هنا كان الارتباط الوثيق بين الأمة الإسلامية وبين دينها، لأن القدوة تعمل فيهم عمل آلاف الكتب في أوساط المثقفين.

إن المسجد مدرسة الأمة الإسلامية جميعًا، تتلقى فيه المعرفة الدينية وتتعلم فيه فضائل النفس، يستوي في ذلك المثقف والعامي، ولكننا نقرر مع ذلك أن المسجد هو الفرصة السانحة التي تقدم قدرًا مشتركا من المعرفة الدينية للذين لم تتح لهم فرصة التعليم، وفي الوطن الإسلامي مع الأسف ملايين كثيرة لم تتلق من التعليم شيئًا.. فمن لهؤلاء إلا علماء الدين من أئمة المسجد وخطبائه أساتذة وهداة ومربين.. يعلمونهم ويهدونهم ويرشدونهم، ويكونون لهم الأسوة الحسنة؟

وبهذه المثابة فإن المسجد هو ضمير الأمة الإسلامية والقوام على أخلاقها وتقاليدها، وهو الوسيلة الأمينة إلى التربية الإسلامية الصحيحة اللازمة لتكوين أجيال قوية أمينة، وبخاصة في ظل ظروف العصر وتعدد مراكز التوجيه المرئية والمسموعة والمقروءة وغيرها، وسبيل ذلك خطبة الجمعة في المقام الأول ثم الدروس التي يحضرها الحريصون على العلم والاستزادة منه في المقام الثاني، ولكن الجم الغفير من المسلمين لا يدخلون بيوت الله إلا يوم الجمعة، للإنصات إلى الخطبة، وأداء الصلاة.. ومن هنا كان التركيز على هذه الخطبة بوصفها كلمة المسجد الأسبوعية لجماهير المسلمين، وإن استثمارها في التوجيه المسدد يحقق أهداف الإسلام في تكوين المسلم، ويؤكد مكانة المسجد في المجتمع الإسلامي، فهو قلبه النابض وروحه القوي الحي، فالمسجد بهذا يقوم على حراسة النفوس وتقويتها، ومنعها أن تنحرف إلا أن يشاء الله، وهو بذلك صمام الأمن للأخلاق الإسلامية والآداب الإسلامية المنحدرة إلينا من المجتمع الأول على عهد رسول الله ﷺ، وهو دائم على ملء القلب بفيض من النور ووصله بهدى الله.



حكمة صلاة الجمعة

جاسر عودة

العبادات في الإسلام لها حكم ومقاصد عديدة، أول هذه الحكم والأهداف هو ذكر الله تعالى: ﴿أقم الصلاة لذكري﴾، ﴿فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله﴾، ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾، وهكذا.

من حكمة العبادات إظهار الخضوع والتسليم لله، والاتباع لرسوله ﷺ بصرف النظر عما نفهم نحن من حكم وأسرار، فمثلًا تساءل عمر رضي الله عنه عن السر في «الجري في السعي» والكشف عن المناكب (أي في ملابس الإحرام) بعد أن أعز الله الإسلام، والقصة هي أن الرسول ﷺ حين دخل مكة فاتحًا أشاع الكفار أن المسلمين قد أضعفتهم أوبئة المدينة، فأمرهم ﷺ أن يجروا في الطواف والسعي ويكشفوا عن أكتافهم (للرجال) حتى يظهروا قوة المسلمين والإسلام، لكن عمر- لأنها أصبحت عبادة مستقرة- قال: «لا ندع عبادة كنا نفعلها على عهد الرسول ﷺ» (رواه البخاري).

ويوم الجمعة من أيام العبادة الخاصة في الإسلام، قال عنه ﷺ: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»، وقال ﷺ: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق الله آدم وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة»، وقال ﷺ: «إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر، فيه خمس خلال: خلق الله فيه آدم، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفى الله آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد إلا أعطاه ما لم يسأل حرامًا، وفيه تقوم الساعة ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة»، وقال ﷺ: «نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة بيد أن كل أمة أوتيت الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ثم هذا اليوم «الجمعة» الذي كتبه الله علينا هدانا الله له»، وغير ذلك كثير من الأحاديث الصحيحة (راجع البخاري ومسلم- أبواب الجمعة).

وصلاة الجمعة لها شأن خاص، نزلت سورة كاملة من القرآن باسمها، وفيها: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الجمعة: ٩)، وقال عنها ﷺ: «من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاونًا بها طبع الله على قلبه»، وقال: «لا يغتسل رجل يوم الجمعة، ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه، أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج لا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام، إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى»، وقال: «إذا كان يوم الجمعة، وقفت الملائكة على باب المسجد، يكتبون الأول فالأول»، وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة كذلك الموعظة وتبادل المشاعر الطيبة والسؤال عن الغائب والمريض، إلى آخر ذلك من حكم ومقاصد فردية وجماعية عظيمة، ثم ظهرت لنا في الأسابيع الأخيرة والتي بدأ فيها عصر ثورات الشباب الحديثة، ظهرت لنا حكمة جديدة لصلاة الجمعة! وهي أن هذه الصلاة هي الملاذ والملجأ الأخير للشعوب المقهورة لكي تثور على جلّاديها وتحطم أصنامها وتوحد الكلمة وتجمع الصف، فمهما منع المستبدون التجمع فوق ثلاثة أو أربعة أو خمسة أشخاص، ومهما أغلقوا وسائل التواصل الإلكترونية أو الهاتف أو المواصلات، ومهما حظروا المظاهرات والاحتجاجات.. فالجمعة شعيرة إسلامية لا يستطيع أن يمنعها أحد، وهي المنطلق الذي ينطلق منه الشباب في مختلف بلادنا لبدء الثورة أو استمرار الثورة أو حتى إنقاذ الثورة! فمن جمعة الغضب لجمعة الشهداء، لجمعة الزحف، لجمعة الخلاص، لجمعة الوحدة الوطنية، لجمعة الاستقرار، لجمعة النصر، لجمعة الإنقاذ، إلى آخر هذه الأسماء المبدعة.

هكذا تخدم شعيرة صلاة الجمعة الأهداف العليا وتدفع المسلمين دفعًا في مسيرة الإصلاح والتغيير والتجديد.

وأخيرًا، لا ننسى الشهداء، فبالإضافة الى انطباق قول الرسول ﷺ عليهم: «سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»، ينطبق عليهم كذلك قول النبي ﷺ: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر».

أكاديمي في جامعة قطر



حضارة الإسلام في مشهد الجمعة

محمد إلهامي

في يوم جمعة، وقعت حادثة استحقت أن تنزل فيها آيات، إذ كان النبي ﷺ قائما يخطب، فأقبلت عير فيها تجارة، فانطلق الناس إليها حتى لم يبق مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلا. (البخاري ومسلم).

نزلت سورة الجمعة، التي هي- كما كل الآيات القرآنية- لا تعالج الموقف لذاته فحسب، بل تعطي الأمة توجيها خالدا في كل عصورها، ولذا فإن النظر إلى سورة الجمعة بعين تقصد أن ترى المعنى الحضاري فيها يُفضي إلى نتيجة جديدة تماما، لم تنل حظًا من أهل التفسير على حد ما أعلم، وإن ظهرت في سياق تفاسيرهم بشكل مُجزًأ، تلك هي أن سورة الجمعة إنما نزلت لتُذكِّر الجماعة المسلمة بتميزها الحضاري، ولتُوضِّح معالم الحضارة الإسلامية.

التأمل في سورة الجمعة يكشف لنا رؤية أقسام ثلاثة واضحة، متمايزة ومترابطة:

١- أن هذه الأمة المسلمة هي غرس رباني.

٢- وأنه معهودٌ إليها أن تستفيد من سيرة التاريخ، وأن تصحح مسيرته.

٣- وأن تنتبه إلى رسالتها في الحياة فتملك الدنيا دون أن تملكها الدنيا.

لقد بدأت قصة الإسلام فجأة، لم يكن ثمة ما يشير إلى أن هذه البقعة المهملة في خارطة التاريخ والجغرافيا آنذاك قد تكون ذات أهمية يوما ما، فتلك بلاد قبلية، أهلها أميون، يعيشون جاهلية في الأفكار والأعمال، ولا يفكرون في إنشاء حضارة.. ولهذا كان انتقالهم المفاجئ نحو التوحد والسيادة على الجزيرة ثم مجابهة الكبار: فارس والروم، ثم امتلاك ناصية العلوم والحضارة، كل ذلك كان بتدخل رباني محض، نعمة على هؤلاء القوم، لا شريك له فيها.

﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾.

ولذا، فإن سر هذه الأمة في هذا الدين، فهو الذي نقلهم من البداوة إلى الحضارة، ومن الجاهلية إلى السيادة، أو كما يقال: من رعاة الغنم إلى رعاة الأمم.

ورعاية الأمم لا تعني التسلط عليهم ولا قهرهم، بل تعني قيام الأمة بدورها في توصيل الرسالة لهم، ذلك أن الرسالة إنسانية عالمية خالدة لم تنزل على العرب لتزرع فيهم بذور عنصرية أو تمييز، بل لتحملهم مسؤولية الدعوة وإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

وبهذا تكون الأمة أطول عمرا، وأكثر اتساعا، وأمضى في تاريخ الخلود، فهي أمة نشأت من الفكرة، أنشأتها الرسالة الإسلامية، تمتد في طول الزمان بتتابع الأجيال وفي عرض المكان باتساع البلدان.

﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم﴾

ولما سئل النبي ﷺ عن هذه الآية أشار إلى سلمان الفارسي وقال: «لو كان الإيمان عند الثُّريَّا لناله رجال- أو: رجل- من هؤلاء» (رواه البخاري)، وسلمان من غير العرب، من فارس، ولذا قال العلماء إنها تعني كل من صدَّق النبي ﷺ من غير العرب (١).. فهذا هو اتساع المكان.

وأما طول الزمان ففي حديث آخر، يقول ﷺ: «إن في أصلاب أصلاب أصلاب أصلاب رجال رجالا ونساء من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب، ثم قرأ: ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم﴾ (رواه الطبراني وابن أبي عاصم في السنة وصححه الألباني).

وهذه الأمة على كثرة الأجناس والأقوام، وعلى تتابع الأزمان والأجيال، تبقى عربية الروح والثقافة، تلتف حول اللسان العربي، وهذا معنى دقيق فقهه الشيخ الطاهر بن عاشور من الآية وقال بأن ﴿منهم لما يلحقوا بهم﴾ هي بمعنى الاتصال، أي أن العرب وغيرهم، والجيل وغيره، أمة واحدة متصلة ببعضها، ثم إنهم يلحقون بالعرب أي يتعربون لفهم الدين وتلاوة القرآن، وهي بشارة غيبية بأن دعوة النبي ﷺ ستبلغ أمما غير عربية وأنهم يحتضنونها ويلتحقون بالعرب (٢)، من كان يحلم بشيء من هذا الخلود والتفوق والسيادة من العرب المقيمين بالجزيرة

• باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية، صاحب مدونة المؤرخ



في القرن السادس الميلادي؟ لا أحد بكل تأكيد .. ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾.

وهنا، بهذا التأكيد، ينتهي المقطع الأول من سورة الجمعة، ليعرف المسلمون أنهم أمة نشأت بنعمة الله وفضله، وأن هذا الدين هو سر نهوضهم، وبه كان تفوقهم وخلودهم.

ويأتي المقطع الثاني الذي يُعطي الأمة خلاصة التاريخ الذي ينبغي أن تستفيد منه، وأن تصحح مسيرته، تاريخ قوم حملوا أمانة الرسالة من قبل فلم يحفظوها، فلهذا نقل الله رسالته إلى هذه الأمة.

إنهم بنو إسرائيل، آتاهم الله التوراة ﴿فيها هدى ونور﴾، وفيها هذا النبي الأمي ﴿يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل﴾.. إلا أنهم لم ينتفعوا بها إذ لم تتهذب عقائدهم ولا أخلاقهم، فضرب الله لهم هذا المثل: ﴿مثل الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾.

ولهذا ينبغي أن تفهم الأمة أن حضارتها حضارة عمل وتطبيق لا مجرد تنظير وتقعيد، حضارة وعي وفهم وتشرب للمنهج لا مجرد الاحتفاظ به وحمله في السيارات والمكتبات، أو حتى تلاوته في المحافل والمناسبات فحسب.

والتشبيه بالحمار الذي يحمل الأسفار تشبيه مركب: فالحمار لا يعرف قيمة ما يحمله أصلا، غير أنه لن ينتفع بها حتى ولو نشرت أمام عينيه، فكأنما بلغ بنو إسرائيل حد الإياس من انتفاعهم بما أنزل عليهم (٣).

وهذا مثل مضروب للأمة المسلمة، لتعلم به أن مكان القرآن في حياتها هو مكانه من العمل والتنزيل والتنفيذ، وأن منهجها يجب أن يكون في روحها ووجدانها لا في السطور أو الصدور وحدها!

في هذه الحالة يكون القرب من الله واستحقاق الصلة به مرتبطا بهذه الأمانة، ولا يكون ثمة مكان للادعاء الفارغ أو زعم الخيرية أو مباهاة الناس بالباطل.. بل يكون القرب من الله وحمل رسالته مصحوبا بما يؤكده من

سر هذه الأمة في هذا الدين الذي نقلهم من البداوة إلى الحضارة ومن الجاهلية إلى السيادة

عمل وتطبيق وجهاد، حتى لو أنه جهاد يتطلب ذهاب النفس في سبيل الرسالة.

كل هذه الأمور لم تكن عند اليهود، ﴿قل يأيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين. ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين. قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾.

وهنا، وبهذه الحقيقة القائمة الراسخة.. حقيقة الموت، ينتهي هذا المقطع من السورة، وقد كان يقدم للأمة المسلمة خلاصة تاريخ أمة سابقة، لكي تعرف منه خصائص رسالتها وحضارتها، فتقوم بتصحيح المسيرة وتضرب المثل للأمة التي حملت الرسالة بحق، فكانت خير أمة أخرجت للناس.

ثم يأتي المقطع الأخير الذي نزلت لأجله السورة نفسها، وفيه التنبيه على أن هذه الأمة تنظر إلى الآخرة أكثر من الدنيا، مع احتفاظها بالتوازن المطلوب بين الدنيا والآخرة، ولهذا فإن ثمة لحظات بعينها ينبغي أن تصفو فيها الأمة من الدنيا وأن تتركها إلى حيث يُذكر الله، ﴿يأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾، رغم أن البيع ليس حراما ﴿وأحل الله البيع﴾، بل هو مطلوب كسائر أعمال الرزق الحلال، لكن هذه اللحظة ليست كغيرها، حتى قال ابن كثير: اتفق العلماء على تحريم البيع بعد النداء الثاني (حيث يكون الخطيب قد صعد)، واختلفوا: هل يصح؟ وظاهر الآية عدم الصحة (٤).

فهي لحظة خاصة واستثنائية في حياة الأمة المسلمة، والعجيب أنه جل وعلا ذكر البيع ولم يذكر أي نشاط آخر للمسلم، ذلك أن البيع هو عملية الربح والحصول على المال، وبرغم هذا فإن ترك هذا البيع والذهاب للجمعة ﴿خير لكم إن كنتم تعلمون﴾، وحيث إن الآخرة هي الغاية، وهي المعيار، إلا أن الإسلام منهج متوازن.. ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾، فحتى الخروج للدنيا وابتغاء الرزق ينبغي أن يكون مصحوبا بذكر الله ذكرا كثيرا.. إلا أن تعبير ﴿قُضيت الصلاة﴾ يوحي بمعنى الإتقان، إعطاء كل ذي حق حقه، أي بعد استيفاء الصلاة يمكن للمسلم أن يخرج في طلب الرزق، ولهذا لم يكن التنديد القرآني بمن طلب الرزق في القافلة، بل كان بمن ترك الصلاة لأجل ما في القافلة، فانصرف قبل اكتمالها.

﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين﴾.

كان عراك بن مالك رضي الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد، فقال: اللهم إني أجبتُ دعوتك، وصليتُ فريضتك، وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك، وأنت خير الرازقين (٥).

هذا أصدق تعبير عن العقلية المسلمة التي تؤمن بأن الله فوق كل شيء، وأن ما عند الله هو خير مما يبدو لنا أنه خير.

بقي ملمح آخر للحضارة الإسلامية كما ظهرت في سورة الجمعة؛ وهو ملمح كامن ومنتشر في كل السورة، ومسيطر على روحها، ذلك هو أمر التوحيد.. إن اسم الله جل وعلا ذُكر - صراحة أو ضميرًا أو صفةً- في كل آية من آيات السورة، وهذا يعني- بشكل واضح- أن هذه الحضارة مبعثها من عند الله تبارك وتعالى، فهو مالك الوجود ﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾، وهو صاحب الغرس ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا﴾، وهو الذي شرع الشرائع وكلف بالأعمال (فاسعوا.. ذروا.. فانتشروا.. ابتغوا)، وهو الذي يعلم الغيوب والخفايا ﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾،



الجمُعة بضم الميم وإسكانها وفتحها: الجُمُعَة، والجُمْعَة، والجُمَعَة، والمشهور الضم، وبه قُرئ في السبع في قول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ...﴾ (الجمعة: ٩)، قال ابن عباس: نزل القرآن بالتشكيل والتضخيم فاقرأوها جُمُعَة. والإسكان تخفيف منه، ووجه الفتح بأنها تجمع الناس كما يُقال: هُمزة، وضُحكة للمكثرين من ذلك، والفتح لغة بني عُقيل، ويُجمع على جُمُعات وجُمَع. قال في لسان العرب ٨/ ٥٨: «...والأصل فيها التخفيف، جُمْعَة، فمن ثقل أتبع الضمة الضمة، ومن خفف فعلى الأصل، والقرّاء قرأوا بالتثقيل، ويُقال: يوم الجُمَعَة لغة بني عُقيل، ولو قُرئ بها كان صوابا».

يوم الجمعة في الميزان

رشيد ناجي الحسن

قال الحافظ ابن حجر: قد اختلف في تسمية هذا اليوم بالجمعة مع الاتفاق أنه كان يسمى في الجاهلية بالعَروبة ومعنى العروبة: الرحمة.

وقيل: لأن الله- تعالى- جمع فيه خلق آدم- عليه السلام، واستدلوا بما روي عن النبي ﷺ أنه قيل له: لأي شيء سُمِّي يوم الجمعة؟ قال: «لأن فيها طُبعت طينة أبيك آدم، وفيها الصعقة والبعثة، وفيها البطشة، وفي آخر ثلاث ساعات منها ساعة من دعا الله فيها استُجيب له». (أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٣١١) وهو ضعيف، وقد جاء خلق آدم عليه السلام في هذا اليوم في عدد من الأحاديث في السنن وغيرها. وصحّحَ هذا القول في فتح الباري ٢/ ٣٥٣، ونيل الأوطار ٣/ ٢٢٢.

- وقيل: لاجتماع الناس فيه للصلاة (١)

- وقيل: لأن الله- تعالى- جمع فيه آدم مع حواء في الأرض.

- وقيل: لما جُمع فيه من الخير، وقيل غير ذلك...

مبدأ الجمعة

ذكر ابن إسحق عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك، قال: كنت قائد أبي حين كُفّ بصره، فإذا خرجت به إلى الجمعة، فسمع الأذان بها استغفر لأبي أسامة أسعد بن زرارة، فمكث حينًا على ذلك فقلت: إن هذا لعجز. ألا أسأله عن هذا، فخرجت به كما كنت أخرج، فلما سمع الأذان للجمعة استغفر له، فقلت: يا أبتاه، أرأيتَ استغفارك لأسعد بن زرارة كلما سمعت الأذان يوم الجمعة؟ قال: أي بني، كان أسعد أول من جمّع بنا بالمدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ في هَزْم النَّبيت من حَرّة بني بَياضة في نقيع يقال له: نقيع الخضمات. قلت: فكم كنتم يومئذ؟ قال: أربعون رجلا. قال ابن القيم في زاد المعاد (١/٣٧٣): وهذا كان مبدأ الجمعة، ثم قدم رسول الله ﷺ فأقام بقباء في بني عمرو بن عوف، كما قاله ابن إسحق يوم الاثنين، ويوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء، ويوم الخميس، وأسس مسجدهم، ثم خرج يوم الجمعة، فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي، وكانت أول جمعة صلاها بالمدينة، وذلك قبل تأسيس مسجده.

إن حقاً على من أحب الخير لنفسه أن يعرف ليوم الجمعة فضله ويعطيه حقه

فضل يوم الجمعة

لا خلاف بين العلماء أن يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، وأنه خير يوم طلعت فيه الشمس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خُلق آدم- عليه السلام، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة» (رواه مسلم، ٨٥٤)، وغيره. وحكى ابن القيم خلاف العلماء في المفاضلة بين يوم الجمعة ويوم عرفة، حيث قال: فإن قيل: فأيهما أفضل: يوم الجمعة أو يوم عرفة؟ فقد روى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تطلع الشمس ولا تغرب على يوم أفضل من يوم الجمعة» (رواه ابن حبان في صحيحه، ٥٥١) وحسنه الأرناؤوط، وفي المسند من حديث أبي لبابة بن عبدالمنذر، عن النبي ﷺ قال: «سيد الأيام يوم الجمعة، وأعظمها عند الله، وأعظم عند الله من يوم الفطر ويوم الأضحى، وفيه خمس خصال: خلق فيه آدم، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفى الله- عز وجل- آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله العبد فيها شيئًا إلا آتاه الله إياه ما لم يسأل حرامًا، وفيه تقوم الساعة، ما من ملك مقرب ولا أرض ورياح ولا بحْر ولا جبال ولا شجر، إلا هن يشفقن من يوم الجمعة» (رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٣٠)، وابن ماجه (١٠٨٤)،

* باحث في وزارة الأوقاف الكويتية



وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٣١٧) ثم حسنه في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٨٨٨)، وحسنه الأرناؤوط. لذا، ادخر الله هذا اليوم لهذه الأمة وخصها به، وأضل عنه اليهود والنصارى، فعن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ «أضل الله عن يوم الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء بنا فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة...» (رواه مسلم ٨٥٦).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «إنهم- اليهود- لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على الجمعة التي هدانا الله لها، وضلوا عنها» (رواه أحمد، ٦/ ١٣٤، ١٣٥)، قال الأرناؤوط: سنده حسن، وله شواهد في الصحيح وغيره.

خصائص يوم الجمعة

كان من هديه ﷺ تعظيم هذا اليوم وتشريفه وتخصيصه بعبادات يختص بها عن غيره، ومن خصائص هذا اليوم:

صلاة الجمعة:

وهي من أعظم خصائص هذا اليوم، قال ابن القيم: «الخاصة الثالثة: صلاة الجمعة التي هي من آكد فروض الإسلام ومن أعظم مجامع المسلمين، وهي أعظم من كل مجمع يجتمعون فيه وأفرضه سوى مجمع عرفة، ومن تركها تهاونًا بها طبع الله علي قلبه، وقُرْب أهل الجنة يومَ القيامة، وسَبقهم إلي الزيارة يوم المزيد بحسب قربهم من الإمام يوم الجمعة وتبكيرهم».

صلاة الجمعة وخطبتها التي أمر الله بالسعي إليها في كتابه فقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الجمعة: ٩) ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: ١٠).

ولهذا يحرم على من تلزمه الجمعة أن يبيع



أو يشتري بعد الأذان الثاني، سواء كان في المسجد أو خارج المسجد، لأن المسجد يحرم فيه البيع والشراء كل وقت، وهذا التحريم إنما هو للنداء يوم الجمعة، فلا يجوز لأحد أن يبيع أو يشتري وهو ممن تلزمه الجمعة.

وقد ورد عدد من الأحاديث عن الرسول ﷺ فيها التأكيد والتشديد على من يتخلف عن الجمعة بغير عذر: فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجمعة: «لقد هممت أن آمر رجلًا يصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم» (مسلم، ٦٥٢)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لينتهين أقوام عن ودعهم- أي تركهم- الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين» (مسلم، ٨٦٥).

وروى أبوالجعد الضمري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من ترك ثلاث جمع تهاونا من غير عذر طبع الله على قلبه» (أبوداود، ١٠٥٢- المسند، ١٥٨٩٤).

قال الإمام ابن عبدالبر: «وأما قوله في الحديث «من غير عذر» فالعذر يتسع القول فيه، وجملته كل مانع حائل بينه وبين الجمعة مما يتأذى به أو يخاف عدوانه أو يبطل بذلك فرضا لا بدل منه، فمن ذلك السلطان الجائر يظلم، والمطر الوابل المتصل والمرض الحابس وما كان مثل ذلك، ولم يأت الوعيد في ترك الجمعة إلا من غير عذر ثلاثا فكيف بواحدة من عذر بَيّن» (التمهيد: ١٦/ ٢٤٣).

الحكمة من صلاة الجمعة

أولا: تحصيل الأجر

وتحصيل الأجر يكون بالخطوات إلى المساجد، ويكون بانتظار الإمام فيأتي ببعض العبادات، كأن يصلي ما كتب له، أو يقرأ قرآنا، أو ينصت لمن يقرأ، وكل ذلك أجر، فإن الإنسان في صلاة مادامت الصلاة تحبسه، والملائكة تستغفر له: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يؤذ أو يحدث.

وثانيا: الاستفادة

ولا شك أن الخطب التي تكون في الجمع والأعياد تشتمل على فوائد وتعليمات وأحكام ومواعظ وإرشادات، فينقلب الذي يحضرها وقد تزود علما، وقد حصل على فوائد لم يكن يعرفها.

ثالثا: التعارف

وهو أن أهل القرية إذا اجتمعوا كل أسبوع، ولقي بعضهم بعضا تبادلوا التحية وتبادلوا النصيحة، وتعارفوا فعرف بعضهم بعضا، وسلم بعضهم على بعض، وتفقد بعضهم حال أخيه، وعرف من في هذا البلد أو هذا الحي من إخوانه المسلمين. لقد شرع الله تعالى الاجتماع للصلوات في كل يوم، فيجتمع أهل الحي في مسجد واحد، وشرع أيضا الاجتماع الأسبوعي، وهو اجتماعهم في المسجد الجامع لأهل القرية كلهم، وشرع الاجتماع السنوي لصلاة العيد لأهل البلد، وشرع الاجتماع العام في المواسم في مكة الذي يعم المسلمين كلهم، وكل هذه الاجتماعات فيها مصالح عظيمة.

ومن خصائص يوم الجمعة أنه:

١- يوم عيد متكرر، فيحرم صومه منفردًا، مخالفة لليهود، وليتقوى على الطاعات الخاصة به من صلاة ودعاء ونحوه، قال ﷺ: «إن يوم الجمعة يوم عيد، فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم إلا أن تصوموا قبله أو بعده» (رواه أحمد في المسند، ١٥/ ١٥٧)، ح (٨٠١٢) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

٢- موافق ليوم المزيد في الجنة، وهو



اليوم الذي يجمع فيه أهل الجنة في واد أفيح، ويُنصب لهم منابرُ من لؤلؤ، ومنابر من ذهب، ومنابر من زبرجد وياقوت على كثبان المسك، فينظرون إلى ربهم تبارك وتعالى ويتجلى لهم، فيرونه عيانًا، ويكون أسرعهم موافاة أعجلهم رواحًا إلى المسجد وأقربهم منه أقربهم من الإمام(٢).

وفي حديث أنس الطويل: «... فليس هم في الجنة بأشوق منهم إلى يوم الجمعة، ليزدادوا نظرًا إلى ربهم- عز وجل- وكرامته، ولذلك دعي يوم المزيد» (رواه ابن أبي شيبة وغيره، وانظر صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢٩١) ح ٦٩٤).

٣ - فيه ساعة الإجابة وهي الساعة التي لا يسأل اللهَ عبد مسلم فيها شيئًا إلا أعطاه، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يُصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إيّاه. وقال بيده يُقللّها» (رواه البخاري ٨٩١، ومسلم ٨٧٩). وأرجح هذه الأقوال قولان تضمنتهما الأحاديث الثابتة:

الأول: أنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة، لحديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة» (مسلم).

والقول الثاني أنها بعد العصر، وهذا أرجح القولين(٢).

والذي ينبغي لكل مسلم الاجتهاد في الدعاء للدين والدنيا في الوقتين المذكورين رجاء الإجابة، فإنه لا يخيب إن شاء الله.

٤- للأعمال الصالحة فيه مزية عليها في سائر الأيام فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خمس من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة: من عاد مريضًا، وشهد جنازة، وصام يومًا، وراح يوم الجمعة، وأعتق رقبة» (رواه ابن حبان في صحيحه (٧١٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٢٣)، وأخرجه أبويعلى بلفظ «...من صام يوم الجمعة، وراح إلى الجمعة، وعاد مريضًا، وشهد جنازة، وأعتق رقبة» (وسنده صحيح كما قال الألباني في الصحيحة ٣/ ٢١).

والمراد أن صيامه وافق يوم الجمعة بدون قصد إلى ذلك كما في بعض ألفاظ الحديث: «من وافق صيامه يوم الجمعة، وعاد مريضًا...» الحديث. وسنده صحيح. قال ابن القيم في الهدي: «الثالثة والعشرون: أنه اليوم الذي يُستحب أن يُتفرّغ فيه للعبادة، وله على سائر الأيام مزية بأنواع العبادات واجبة ومستحبة، فالله سبحانه جعل لأهل كل ملة يومًا يتفرغون فيه للعبادة، ويتخلّون فيه عن أشغال الدنيا، فيوم الجمعة يوم عبادة، وهو في الأيام كشهر رمضان في الشهور، وساعة الإجابة فيه كليلة القدر في رمضان، ولهذا من صح له يوم جمعته وسلم، سلمت له سائر جمعته، ومن صح له رمضان وسلم، سَلمت له سائر سنته، ومن صحت له حجته وسلمت له، صح له سائر عمره، فيوم الجمعة ميزان الأسبوع، ورمضان ميزان العام، والحج ميزان العمر...».

وقال في موضع آخر: «الخامسة والعشرون: أن للصدقة فيه مزية عليها في سائر الأيام، والصدقة فيه بالنسبة إلى سائر أيام الأسبوع، كالصدقة في رمضان بالنسبة إلى سائر الشهور. وشاهدت شيخ الإسلام ابن تيمية- قدس الله روحه- إذا خرج إلى الجمعة يأخذ ما وجد في البيت من خبز أو غيره، فيتصدق به سرًا، وسمعته يقول: إذا كان الله قد أمرنا بالصدقة بين يدي مناجاة رسول الله ﷺ، فالصدقة بين يدي مناجاته تعالى أفضل وأولى بالفضيلة...»(٤).

وفي المصنف من حديث ابن عباس عن كعب في الجمعة: «والصدقة فيه أعظم من الصدقة في سائر الأيام» (المصنف، ٥٥٥٨) وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات، وإسناده صحيح.

٥ - اليوم الذي تقوم فيه الساعة ويُطوى فيه العالم، وتخرب فيه الدنيا، ويُبعث فيه الناس إلى منازلهم من الجنة والنار، وفيه تفزع الخلائق كلها إلا الإنس والجن، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أهبط، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مُصيخة يوم الجمعة، من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقًا من الساعة، إلا الجن والإنس...» (رواه أبوداود، ١٠٤٦، والترمذي، ٤٩١، والنسائي، ١٤٣٠) وصححه الأرناؤوط وغيره.

٦ - يوم تُكفر فيه السيئات، فعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يغتسل رجل يوم الجمعة، ويتطهر ما استطاع من طُهر، ويَدّهنُ من دهنه، أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كُتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام، إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى» (رواه البخاري).

٧ - للماشي إلى الجمعة أجر عظيم

قال ﷺ: «من غسّل يوم الجمعة واغتسل ثم بكّر وابتكر ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام فاستمع ولم يَلْغُ، كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها» (رواه أبوداود).

٨ - الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما وزيادة ثلاثة أيام، قال ﷺ: «من اغتسل ثم أتى الجمعة، فصلى ما قدّر له، ثم أنصت حتى يفرغ من خطبته، ثم يصلي معه، غُفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى، وفضل ثلاثة أيام» (رواه مسلم).

٩ - الوفاة يوم الجمعة أو ليلتها من علامات حسن الخاتمة، لقوله ﷺ: «من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وُقي فتنة القبر» (رواه أحمد وصححه الألباني).

فيأيها الأخ المسلم إنَّ حقًّا على من أحب الخير لنفسه أن يعرف لهذا اليوم فضله، ويعطيه حقه، ويتقرب إلى الله بما يستطيع من العبادات المشروعة، ويؤدي الواجب، رغبة في الخير، وتلمسًا للفضل، مقبلًا على مواطن الطاعات، بالعزائم النشطة، والنفس المتفتحة، والآمال الواسعة، بفضل الله وبرحمته يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾. (الجمعة: ١١).



الجمعة بين إعداد الخطبة وثقافة الخطيب

عامر أحمد علي عامر

لقد أرسى الإسلام دعائم شتى لخلق مجتمع متناغم لا يبغي فيه أحد على أحد، ولا يطغى فيه فكر على فكر، ولا يستبد فيه ذو رأي برأيه، إلا بالحق والميزان، وعلى رأس تلك الدعائم الدعوة إلى الحوار المجتمعي والانطلاق من نقطة بدء متفق عليها، حتى مع المخالفين في الملة ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ (آل عمران:٦٤)، ومن أجل هذا الحوار المجتمعي- على المستوى الداخلي للأمة هذه المرة- فرض الله الجمعة، وكانت الخطبة والجماعة من أهم أركانها، بل إن الجماعة فرض كفاية في غيرها من الصلوات، وهي فيها فرض عين لا تسقط إلا عن المسافر أو المرأة أو العبد (كما في مذهب الشافعي وغيره).

من نافلة القول أن خطبة الجمعة مؤتمر أسبوعي تطرح فيه قضايا المجتمع، ثم تعرض على ثوابت الشرع وموازينه، لتستنبط الحلول والأدوية الناجعة- فهي بذلك صورة مصغرة لمؤتمر الحج السنوي- بالإضافة إلى شحن الحضور بطاقة إيمانية تسيرهم إلى الجمعة المقبلة، فضلًا عن أنها تسهم في تنظيم حياة المؤمن المقسمة في شرع الله إلى محطات بارزة (الصلاة إلى الصلاة والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان)، بدلًا من أن تترك سدى بلا معالم ولا غايات. وثمة عوامل أسهمت في إضعاف الدور المنوط بخطبة الجمعة والذي شرعت من أجله، لتخرجها بذلك عن مسارها الصحيح، وربما كان ذلك بشكل متعمد في كثير من الأحيان، ولعل أهم ما أصاب هذا الدور في مقتل عزلها عن الواقع المعيش، ودورانها في فلك أريد لها ألا تخرج منه، ففي أحلك الأزمات الاقتصادية التي يمر بها العالم لم نر اهتمامًا بتشخيص الخلل وتحديد العلاج، اللهم إلا في حالات فردية نادرة.

والمختارون لأداء هذه المهمة، بشكل إجمالي، ليسوا كلهم من خيرة مفكري الأمة، ولا من عقولها الناضجة، إلا من رحم الله، فكثير منهم أجبرتهم مكاتب التنسيق أو الدرجات المتدنية على دخول الكليات الشرعية جبرًا، وعملوا في الوعظ أو الإمامة موظفين لا دعاة، وثمَّ فارق كبير بين هؤلاء وهؤلاء، ولعل أهم ما يسهم في جذب هذه الكليات إلى القاع والحيلولة دون صعودها إلى القمة الوضع المتردي لخريجيها ماديًا ومعنويًا!.

وحتى المهرة أصحاب الدرجات العليا في المدارس والجامعات ربما كان كثير منهم لا يصلح لأداء هذه الأمانة، إما لعدم استعداد الطبع، أو أنه لم يُعَدَّ ولم يُدَرَّبْ بشكل كاف، وهذا بالطبع لا ينفي وجود نماذج طيبة يشار لها بالبنان، غير أنها قليلة.

وكثير من الخطباء لا يقرأ إلا لأنه يريد أن يحضِّر خطبة أو درسًا، أو لا يقرأ سوى ما يعزز موضوعًا أو فكرة معينة، وهذه طامة كبرى، إذ من المفترض أن يخطب لأنه قرأ وامتلأ، لا أن يقرأ من أجل أن يخطب، ولا أن يحفظ خطبًا «معلبة» لأحد مشاهير الخطباء، أو أعدت من قبل غيره، فهو ليس تسجيلًا يوضع فيه شريط ويضغط على زر التشغيل ليفرغ ما سجل عليه في آذان الجمهور ثم يطرح، أي الشريط، ويلقى به في البحر، إذ التحضير الجيد لا يغني وحده عن ثقافة على الداعية أن يلمَّ بها، أو على الأقل يطلع عليها.

وشعور الخطيب بأحادية النتيجة، سواء قصر أو أجاد، ربما يزهده في الاستعداد الجيد للخطبة، وتحسين مستوى الأداء، ورفع المحصلة العلمية والفكرية والإيمانية لدى الجمهور، وهذا ما دفعنا في مقال سابق على صفحات «الوعي الإسلامي» إلى أن ننادي بضرورة مواكبة خطبة الجمعة بحركة نقدية تقوم على أسس علمية مدروسة، وحَسنًا ما تفعله وزارة الأوقاف الكويتية بهذا الشأن من تسجيل خطبة الجمعة ثم عرضها على لجنة علمية تراجع وتقوم الخطبة والخطيب.

وختامًا فإن سلامة اللغة، وترابط العناصر وحسن الانتقال بينها، وتوثيق المادة العلمية والإلقاء المتناسب مع المعنى، حزنًا وفرحًا، شدةً ولينًا، وحياة الموضوع المطروح على أرض الواقع، وخلق روح تفاعلية بين الخطيب والمتلقي، والتنوع والبعد عن الجمود والتقليد، والعناية بآليات العصر الحديث (الإنترنت وغيره).. نقاط لا بد من مراعاتها، سواء في إعداد الخطبة أو تقييمها.

باحث لغوي وشرعي



مقاصد الجمعة وأثرها في توحيد الأمة

د. مسعود صبري

ليوم الجمعة مكانة خاصة في الإسلام، فهو أفضل الأيام كما جاء في الحديث: «سيد الأيام يوم الجمعة وأعظمها عند الله تعالى من يوم الفطر ويوم الأضحى وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئا إلا آتاه إياه، ما لم يسأل حرامًا»، ومن دلائل عظم مكانة يوم الجمعة أن سميت سورة من سور القرآن باسمه، وهي سورة «الجمعة»، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، ذلك بأنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتينا من بعدهم، ثم كان هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا، وهدانا الله له، والناس لنا فيه تبع، اليهود غدا والنصارى بعد غد» (الطبراني)، وعن ربعي عن حذيفة قالا قال رسول الله ﷺ: «أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا إلى يوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون في الدنيا الأولون يوم القيامة المقضي لهم يوم القيامة على الخلائق..» (النسائي في السنن الكبرى، وأبويعلى في المسند).

لأن اجتماع المسلمين ووحدتهم من أهم المقاصد التي راعاها الإسلام في طبيعة العلاقة بين المسلمين، فقد أوجد لهم مناسبات عدة، وشرع لهم عبادات جماعية، وكأن الإسلام يدفع المسلمين دفعًا نحو الاجتماع والوحدة، ومن تلك الوسائل يوم الجمعة، فجعله يوم عيد للمسلمين، كما قال ﷺ: «إن هذا يوم عيد، جعله الله للمسلمين» (ابن ماجة).

ومن وسائل الاجتماع والوحدة في الجمعة أن شرعت الصلاة فيها جماعة فريضة دون الصلوات الأخرى، فالجماعة فيها سنة مؤكدة، كما أن من أركانها خطبتين، مع وجوب استماع المصلين إلى الخطيب.

التذكير والنصيحة

ومن مقاصد الجمعة التذكير والنصيحة، وذلك من خلال خطبة الجمعة، حيث يذكر الخطيب المصلين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإرشاد إلى الحق والخير، بل من الأولى في خطبة الجمعة أن يتناول الخطيب الأحداث التي تهم المسلمين، حتى يرتبط المصلون بقضايا الأمة، مثل قضايا فلسطين، والهجمة على الإسلام، ووحدة الأمة، كما يشمل ذلك أيضا القضايا العامة للمجتمع الذي يعيش فيه، ومن خلال الجمعة يمكن للإمام أن يساهم في ترشيد الرأي العام تجاه قضايا الأمة، وقضايا المجتمع.

> **شعائر الجمعة تدفع الأمة إلى التعامل بروح الوحدة والجماعة**

التواصل

ويوم الجمعة يوم تواصل للمسلمين، فكثير من الناس لا يرى بعضهم بعضًا إلا يوم الجمعة، إذ الذهاب إلى المسجد واجب، فيلتقي المسلمون في المسجد للاستماع وصلاة الجمعة، وبعدها يتلاقون فيما بينهم، ويسلم بعضهم على بعض، مما يشيع روح التواصل فيما بينهم.

وقد حثّ الشرع على فعل بعض الطاعات الاجتماعية، خاصة في يوم الجمعة، كزيارة المرضى، وشهود الجنازة، وشهود النكاح، وزيارة الإخوان، وصلة الأرحام وغيرها من العبادات التي توثق العلاقة بين المسلمين، وتزيد روابط الألفة والمحبة في المجتمع المسلم.

الذكر

وإذا كان الذكر واجبًا ومشروعًا في الأيام كلها، فإن له خصوصية في ذلك اليوم، فهو يوم تتربى فيه الأمة على ذكر الله بصنوف من الذكر، وقد نص القرآن على مقصد الذكر في سورة الجمعة، كما قال سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: ٩ و١٠).

ويتنوع الذكر في الجمعة، ومنه الصلاة على النبي ﷺ، وللصلاة عليه في هذا اليوم مزية عن غيره، فهو سيد الأنام، والجمعة سيد الأيام، فكان أفضل الصلاة على سيد الأنام أفضلها في أفضل الأيام، ومنه قراءة سورة الكهف

* باحث في مركز الوسطية العالمي - الكويت



في ليلته أو يومه، وقراءة سورة الإخلاص والمعوذتين والفاتحة بعده، وقد ذكر العلماء استحباب عدد من سور القرآن، وكأن المقصود أن تكون الأمة في ذكر في هذا اليوم خاصة.

المسجد

ومن مقاصد يوم الجمعة ارتباط الأمة بالمسجد، فتصح الصلاة في أي وقت في أي مكان، فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا (الترمذي).

النظام

وذلك أن العبادات التي اشتمل عليها يوم الجمعة تظهر تحقق النظام فيه، وتدرب الأمة على أن تكون أمة منظمة في شؤونها، ومن مظاهر تحقق النظام والتدرب عليه تقديم الخطبة على الصلاة، وذلك حتى يجتمع أكبر عدد ممكن من المصلين، لأن صحة الصلاة تتوقف على الجماعة، بخلاف صلاة العيد مثلاً، فتقدم الصلاة على الخطبة، لأن صلاة العيد سنة.

ومن مظاهر النظام اقتداء المصلين بإمام واحد، واصطفاف المسلمين في صفوف منتظمة، وصعود الإمام على المنبر، ثم الأذان، ثم قيامه للخطبة، على أن تكون خطبتين، وتكون الأولى أطول من الثانية، على أن يراعى في الخطبتين عدم الإطالة، ثم الصلاة بعدهما.

ومن مظاهر النظام في الجمعة أن جعلت قراءة سورة الكهف من الليلة إلى نهاية اليوم، فلا تصح بعد المغرب من يوم الجمعة.

المسارعة في الخيرات

ومن خلال مظاهر تحقق ذلك الحث على فعل الطاعات خاصة في هذا اليوم، وكذلك الحث على الحضور مبكرًا لصلاة الجمعة، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة وراح فكأنما قدم بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشًا، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر» (النسائي في السنن الكبرى).

الطهارة

ومن مقاصد الجمعة أن تتعلم الأمة الطهارة بنوعيها، طهارة القلب، وطهارة البدن، أما طهارة القلب فهي تتدرب عليها من خلال تلك الصنوف من الطاعات المتنوعة التي لا تجتمع - في الغالب- للمسلمين في غير مثل هذا اليوم، فجيء بهذا اليوم ويحث فيه الشرع على صنوف من الطاعات والقربات حتى يتطهر القلب من براثن المعصية والآثام.

وكما اهتم الإسلام بطهارة القلب، وهي المقصود الأعلى، فإنه في ذات الوقت اهتم بطهارة البدن، إذ الظاهر غالبًا ما يكون عنوانًا للباطن، فحث الإسلام على غسل يوم الجمعة، فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «غسل الجمعة واجب على كل محتلم» (المسند)، كما طالب المسلمين بأن يرتدوا أحسن الثياب عندهم في يوم عيدهم، خاصة الثوب الأبيض، كما حثهم على التعطر والتزين وغيرها من مظاهر النظافة، وذلك لعناية الإسلام بنظافة المجتمع المسلم، فهو يجمع بين نظافة الفرد ونظافة المجتمع، وفي كل أماكن الاجتماع يستحب الإسلام الاهتمام بالنظافة والتعطر والتزين، فإن لذلك تأثيرًا على إشاعة الراحة النفسية، والاستعداد للسماع والإنصات، بخلاف ما لو انتشرت الروائح الكريهة، فهذا مما تنفر منه الطباع السليمة، ولا تكون في حالة تسمح لها بالاستماع والإنصات.

الدعاء

والإكثار من الدعاء مقصد من مقاصد يوم الجمعة، ووسائل تحقيق هذا المقصد أن جعل الله تعالى فيه ساعة إجابة، حثًا للمسلمين على الإكثار من الدعاء فيه، فعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل منه فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير إلا استجاب الله له ولا يستعيذ من شر إلا أعاذه الله منه». (الترمذي).

وحتى يكثر المسلمون من الدعاء فيه، فقد أخفيت ساعة الاستجابة فيه، حتى ذهب أهل العلم في تعيينها إلى أزيد من ثلاثين رأيًا.

ولما كان الدعاء من المقاصد ذات الأهمية في يوم الجمعة، فقد تنوع فيه الدعاء، بين الدعاء الفردي الذي يطيل اليوم كله، وبين الدعاء الجماعي، كما هو الحال في الخطبة، حيث يختم الخطيب خطبته بالدعاء، والناس يؤمنون وراءه، مما يحقق صورة من صور الطاعة الجماعية.

إن شعائر الجمعة تدفع الأمة إلى التعامل بروح الوحدة والجماعة، لا روح الفرد والأنانية، وتذكر المسلمين بأنهم كما خاطبهم ربهم سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٩٢)، وتعينهم على مقصد الجماعة والاعتصام، كما قال سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣)، إننا اليوم بأمس الحاجة إلى إحياء مقاصد الجمعة، وأن تعاد إليها روحها، لا أن تكون مجرد صلاة ينتظر المصلون الانتهاء منها وهم لا يزالون في المسجد، وأن يدرك الخطباء أهمية هذه الصلاة وهذا اليوم، فيعدوا له العدة طوال الأسبوع، وليفكروا فيما يجذب الناس إليهم، من حسن إعداد الخطبة، واختيار الموضوعات التي تشغل هموم الناس وتعالج مشاكلهم، وترسم لهم الطريق، وتربطهم بإخوانهم في مشارق الأرض ومغاربها، فتتحقق- فعلاً- معاني الجمعة من الاجتماع والوحدة في هذه الأمة.



ماذا عن سيِّد الأيام؟

د.حسن أبوغدة

يوم الجمعة أحد أيام الأسبوع، سُمِّي بذلك لأن آدم ﷺ جُمع خلقه فيه، أي كان خلقه في يوم الجمعة كما سيأتي، وقيل: لأن قريشًا كانت تجتمع فيه إلى قصي في دار الندوة، وقيل: لأن أهل الإسلام يجتمعون فيه للصلاة، وكان يقال له في الجاهلية: يوم العَروبة.

ليوم الجمعة منزلة عالية في الإسلام، فهو سيد أيام الأسبوع، وأفضلها عند الله تعالى، وبه اختصَّ أمة الإسلام دون غيرها، روى مسلم وبعض أصحاب السنن عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خَلقَ الله آدم، وفيه أدخل الجنة...».

وروى مسلم وابن ماجة والبزار أن رسول الله ﷺ قال: «أضل الله تبارك وتعالى عن الجمعة من كان قبلنا، كان لليهود يوم السبت، والأحد للنصارى، وهدانا الله ليوم الجمعة، فهم لنا تبع إلى يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضيُّ لهم قبل الخلائق».

إجابة الدعاء يوم الجمعة

خص الله تعالى يوم الجمعة بساعة مباركة يُستجاب فيها الدعاء، روى الشيخان أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم، وهو قائم يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه، وأشار بيده يقلِّلها».

وقد اجتهد العلماء في تحديد وقت هذه الساعة المباركة، فقال بعضهم: هي من بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وقال قوم: هي عند زوال الشمس وقت خطبة وصلاة الجمعة. وقال آخرون: هي من بعد صلاة

من فضائل يوم الجمعة أن خصّه الله بساعة يستجاب فيها الدعاء

العصر إلى غروب الشمس.. وقيل غير ذلك.

والذي يبدو أن الله تعالى أبهم وقتها، وجعلها شائعة في كل يوم الجمعة، غير معروفة الوقت بالتحديد؛ ليزيد الناس من إقبالهم على تحرِّيها وطلبها في عموم اليوم، فتزداد أعمالهم صلاحًا، وتوثق صلتهم بالله تعالى، ويقوِّي إيمانهم به سبحانه، وتسعد حياتهم.

تراتيب هادفة في يوم الجمعة

إذا كانت هذه منزلة يوم الجمعة عند الله تعالى، فجدير بالمسلم أن يتحرَّى ما شرعه الله تعالى في هذه المناسبة الأسبوعية من أحكام وآداب وتراتيب هي أشبه بجدول أعمال، يُقصد به تحقيق قدر أعلى من السموِّ الروحي والتواصل الاجتماعي بين المسلمين.. ومن هذه التراتيب والآداب ما يلي:

أولًا: عدم إفراد الجمعة بالصوم

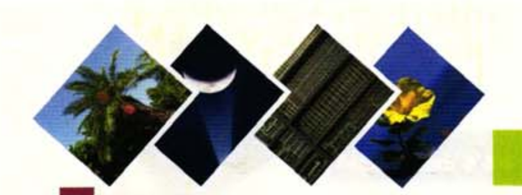
من صفات يوم الجمعة أنه يوم التقاء المسلمين وتواصلهم، فيه يجتمعون ويتزاورون، ويكرِّم بعضهم بعضًا وهو بهذا الوصف لا يصلح أن يُفرد بالصوم، لما قد يسببه من وحشة في نفوس المضيفين، وفي هذا روى البيهقي أن رسول الله ﷺ قال: «إن يوم الجمعة يوم عيد وذكر، فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيام، ولكن اجعلوه يوم فطر وذكر، إلا أن تخلطوه بأيام» أي قبله أو بعده.

ثانيًا: فضل ليلة وفجر الجمعة

فضَّل اللهُ الأوقات بعضها على بعض، وخصَّ كلًا منها بمزية وثواب، من ذلك ليلة وصباح الجمعة، ففي ليلته تعرض الأعمال على الله تعالى، وفي فجره يغفر للمصلين، روى البخاري في تاريخه وأحمد في مسنده أن النبي ﷺ قال: «إن أعمال بني آدم تعرض على الله تعالى عشية كل خميس ليلة الجمعة، فلا يقبل عمل قاطع رحم». وروى الطبراني والبيهقي أن رسول الله ﷺ قال: «ليس من الصلوات صلاة أفضل من صلاة الفجر يوم الجمعة في الجماعة، وما أحسب من شهدها منكم إلا مغفورًا له».

فأين من هذه المغفرة، وأين من ذاك الثواب.. أولئك الذين يُطيلون السهر ليلة الجمعة في اللهو والغفلة ثم ينامون عن صلاة الفجر التي تشهدها ملائكة الرحمن؟!

* أستاذ الفقه - كلية التربية - جامعة الملك سعود - الرياض



ثالثًا: سلوك صحي ومظهر اجتماعي

شرع الله تعالى ليوم الجمعة مجموعة آداب وفضائل يتجلى فيها سلوك صحيٌّ ومظهر اجتماعي في حياة كل مسلم، ومن ذلك أنه دعا إلى الاغتسال في يوم الجمعة، ورغَّب في النظافة والتطيُّب والظهور للناس بهيئة حسنة ومظهر جميل، روى ابن خزيمة في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان يوم الجمعة فاغتسل الرجل وغسل رأسه، ثم تطيب من أطيب طيبه، ولبس من صالح ثيابه، ثم خرج إلى الصلاة، ولم يفرِّق بين اثنين، ثم استمع إلى الإمام، غفر له من الجمعة إلى الجمعة، وزيادة ثلاثة أيام».

وبهذا فتح الإسلام للمسلمين مبدأ الحرص على الصحة العامة والسعي في تحسين المظهر في كل وقت وحين، وبخاصة عند التقائهم ببعضهم بعضًا واجتماعهم في المحافل والمنتديات.

رابعًا: قراءة سورة من القرآن

من السلوك الإسلامي المرغوب فيه يوم الجمعة قراءة بعض السور من القرآن، والتدبر في مضامينها والاعتبار بما فيها، ومن هذه السور: سورة هود، والكهف، ويس، والدخان.

روى البيهقي أن النبي ﷺ قال: «اقرأوا سورة هود يوم الجمعة»، وفي رواية أخرى له: «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين».

وقد ورد في الأثر أنه: «من قرأ سورة يس في ليلة الجمعة غُفر له».

وورد أيضًا أن: «من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بها بيتًا في الجنة».

ومما يجدر ذكره هنا أن هذه السور الأربع مكية، وهي تُعنى بالبناء العقدي للمسلم، وتمنحه مزيدًا من المشاعر الإيمانية، ومعرفة بحياة النبيين ودعاة الخير في الأمم السابقة وما عانوه من ابتلاء وشدة، بسبب تمسكهم بتعاليم الله وشرائعه حتى كتب الله تعالى لهم ولدعواتهم التأييد والنصر.

وجدير بالمسلم أن يستلهم هذه العبر من تلك السور، ليتقوى بها على مصابرة الحياة ومجالدة أهل الباطل في كل زمان ومكان.

خامسًا: الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ

وردت أحاديث فيها دعوة المسلم إلى الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ في ليلة ويوم الجمعة، ومن ذلك حديث البيهقي: «أكثروا من الصلاة عليَّ في ليلة الجمعة ويوم الجمعة، فمن فعل ذلك كنت له شهيدًا وشافعًا يوم القيامة».

ولا شك أن للنبي ﷺ حقًّا على عموم المسلمين؛ لأنه الهادي إلى الخير والمخلص من النار، فكان الواجب على كل مسلم أن يثني على هذا النبي الكريم، وبخاصة في هذه المناسبة الأسبوعية التي يتصاعد فيها السلوك الإسلامي وترتقي فيها الأحاسيس والمشاعر الدينية، لتتوافق مع دعوات القرآن: ﴿يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا﴾ (الأحزاب: ٦٥).

فضلًا عما في الإكثار من الصلاة عليه من وجوه الدلالة على شدة محبته والرغبة في القرب منه والتأسي بسلوكه ﷺ.

ومن المقولات الشائعة ذات الدلالات المسلمة: «من أحب أمرًا أكثر من ذكره».

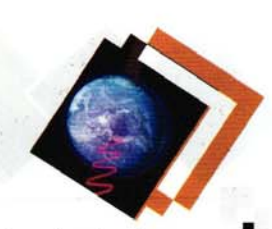
فهلاَّ حرص المسلمون على الالتزام بذلك في كل حال ووقت، وبخاصة في ليلة ويوم الجمعة اللذين سمَّاهما النبي ﷺ الليلة الزهراء، واليوم الأزهر.

سادسًا: التبكير إلى المساجد وتجنب تخطي الرقاب

التبكير إلى المساجد، مما يدل على محبة القرب من الله تعالى والالتجاء إليه سبحانه في بيوته التي أذن الله أن يرفع شأنها على غيرها، حيث تتوارد عليها الملائكة، وتحفها السكينة، ويستحب فيها الخشوع، ويزيد فيها الإيمان. روى أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان يوم الجمعة خرجت الشياطين يؤخرون الناس في أسواقهم، وتقعد الملائكة على أبواب المساجد يكتبون الناس على قدر منازلهم: السابق والمصلي والذي يليه، حتى يخرج الإمام».

وفي رواية أخرى له: «تقعد الملائكة يوم الجمعة على أبواب المساجد معهم الصحف يكتبون الناس، فإذا خرج الإمام طويت الصحف».

أما تخطي الرقاب وإيذاء الناس وهم جلوس في المساجد مندمجون في العبادة



بصفاء ونقاء وطهر نفس، فذلك من أبغض الأعمال عند الله تعالى، لما يتضمنه من إضاعة لوقار المسجد، وتعدّ على مقامات الناس فيه، حيث تتساوى الأرجل والمناكب ويُؤذى الناس في مشاعرهم ونفوسهم.

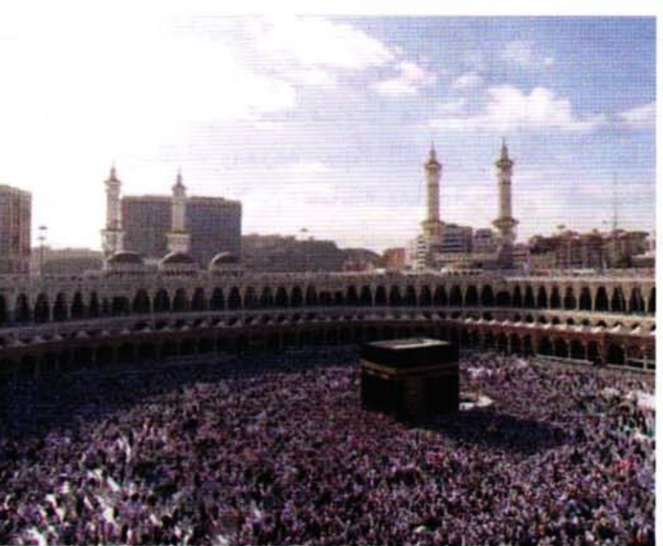
روى الترمذي وابن ماجة أن رسول الله ﷺ قال: «من تخطّى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرًا إلى جهنم».

وروى أحمد وبعض أهل السنن أن رجلًا جاء يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة، والنبي ﷺ يخطب فقال له: «اجلس، فقد آذيت وآنيت»، ومعنى آنيت: تأخرت في المجيء، ثم آذيت الناس بهذا الفعل.

سابعًا: الإنصات لخطبة الجمعة

شرع الله تعالى خطبة الجمعة نقطة انطلاق لدراسة ومعالجة المشكلات الأسبوعية في المجتمع، وتوعية الناس وتبصيرهم بأمور الدين، وتحديد موقف الإسلام مما يَجِدُّ في الحياة من أحداث ووقائع، ودعا المسلمين إلى الإنصات لخطيب الجمعة ومتابعة كلامه والاستفادة منه، وذلك لتحقيق أعلى قدر من أهداف خطبة الجمعة وما تتضمنه من توعية وتوجيه ومعالجة لقضايا الأمة، فضلًا عمَّا في الاستماع والإنصات من دلالة على قوة الاستقبال عند المستمع وتطلعه للاستفادة من كل ما يلقى عليه من توجيه وموعظة.

وقد حذّر النبي ﷺ جماعة المسلمين من الإعراض عن خطيب الجمعة أو التشاغل عن سماع كلامه، وأنَّ ذلك قد يحبط العمل ويضيع الثواب، ففي حديث للشيخين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت»، أي: لم تنل ثواب صلاة الجمعة.



تتجلى الوحدة الإنسانية بين الجميع في يوم الجمعة فالكل سواسية

وروى أحمد والبزار والطبراني أن رسول الله ﷺ قال: «من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب، فهو كمثل الحمار يحمل أسفارًا، والذي يقول له: أنصت، ليس له جمعة»، وذلك لأن كليهما انشغلا عن متابعة خطبة الجمعة والاستفادة مما فيها، فضلًا عما في توسع الحديث بين الحاضرين- حال خطبة الإمام- من انتشار للضوضاء والفوضى، وتعطيل لأهداف خطبة الجمعة وإخلال بمكانة المسجد ووقار المناسبة.

ومن مثل ما تقدم في السلبية وقلة الثواب التأخر عمدًا عن حضور بدء خطبة الجمعة، والغفلة أو النوم حال خطبة الإمام أو الانشغال عن سماع الخطبة بأي شاغل أو صارف؛ لأن هذه الأمور ونحوها مما لا يتحقق معها الهدف المنشود من مشروعية خطبة الجمعة.

معالم حضارية أخرى في يوم الجمعة

يشتمل يوم الجمعة على معالم حضارية أخرى ترتقي بالفرد المسلم وبالمجتمع المسلم نحو الكمال والعزة والسمو، ومن ذلك: أن يوم الجمعة يمثل منارة في النظام الاجتماعي الذي يمارسه المسلمون بسمو واحترام، فكل شيء فيه له وقته ومناسبته وترتيبه من نظافة ثم تطيُّب ثم تبكير إلى المسجد، ثم قراءة للقرآن وصلاة على النبي ﷺ ثم إنصات لخطبة الجمعة.

ومن تلك المعالم الحضارية أنه في يوم الجمعة تتجلى الوحدة الإنسانية بين الجميع، لا فرق بين كبير وصغير، وغني وفقير، وقريب وغريب، الكل سواسية، يمارسون عباداتهم بحرية كاملة وصفاء مشهود، دون تعصب أو تفرقة، أكرمهم عند الله أتقاهم.

ومن ذلك أيضًا أن يوم الجمعة مناسبة كريمة لتجديد العلاقات وتوثيق الصلات بين أهل الحي بعضهم ببعض، وبين الأصحاب والمعارف الذين قد لا تمكنهم ظروفهم وأحوالهم من لقاء بعضهم بعضًا إلا في صلاة الجمعة في المسجد الجامع.

خاتمة

وهكذا إذا تأملنا في مجموع ما سبق يتبين لنا أن هناك أهدافًا روحية وتربوية واجتماعية وقيمًا حضارية يقصدها الإسلام في جملة أحكامه وآدابه التي شرعها في يوم الجمعة، ومن هنا كان يوم الجمعة سيد أيام الأسبوع وأفضلها.

حوار الأديان في مطلع الإسلام

أ.د. عبدالحليم عويس

تأكيدًا لأصالة الحوار في الإسلام وحضارته؛ نسوق بعض نماذج الحوار عبر عصور الإسلام المختلفة.. تتصدّرها نماذج الحوار النبويّ والصدر الأول.

وتعدّ حوارات النبيّ محمد ﷺ النموذج الأول للتأصيل الحواري العملي مع أصحاب الأديان الأخرى، فقد حاور الرسول محمد اليهود في المدينة وهو يعلم أنهم لا يريدون الحق؛ بل النيل من الرسالة والرسول، ومع ذلك قبل حوارهم، وعاملهم معاملة حكيمة حسنة.

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينما أنا أمشي مع النبي ﷺ في طرف المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه، فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح، وقال بعضهم لا تسألوه؛ لا يجيء بشيء تكرهونه، فقال بعضهم: لنسألنه؛ فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم: ما الروح؟ فسكت: فقلت إنه يوحى إليه، فقمت فلما انجلى عنه قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(١).

وقد أجابهم الرسول ﷺ بقوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾، قالوا له: من جاءك بهذا؟، فقال لهم النبي ﷺ: «جاءني به جبريل من عند الله»، فقالوا: والله ما قاله إلا عدو لنا.

وفي قصة أخرى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «أتي رسول الله ﷺ بيهودي ويهودية قد أحدثا جميعًا (أي زنيا)، فقال لهم: ما تجدون في كتابكم؟ قالوا إن أحبارنا أحدثوا تحميم الوجه والتجبية. قال عبدالله بن سلام: ادعهم يا رسول الله بالتوراة، فأتي بها فوضع أحدهم يده على آية الرجم، وجعل يقرأ ما قبلها، وما بعدها، فقال ابن سلام: ارفع يدك، فإذا بآية الرجم تحت يده، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما» (٢).

> **تغاضي المسلمين عن صفحات خيانة اليهود ضدهم يؤكد أن المسلمين ينظرون إلى الحرب على أنها أمر استثنائي بغيض**

وبعيدًا عن المشاعر الشخصية الأليمة التي عانى منها المسلمون في المدينة من اليهود؛ بعد أن عقد محمد رسول الله ﷺ معهم معاهدة المواطنة الكاملة (صحيفة الدستور)؛ فإذا ببعضهم (وهم بنوقينقاع) يحاولون مرة الاعتداء على عرض امرأة مسلمة في أسواقهم (سنة ٢هـ)، ومرة أخرى نرى بعضهم (وهم بنوالنضير) يتآمرون على قتل الرسول نفسه (سنة٤هـ)، ومرة ثالثة يقدمون على خيانة جماعية عظمى لمواطنيهم المسلمين، وهم في محنة حرب الخندق (بنوقريظة سنة ٥هـ).

بعيدًا عن كل هذه الخيانات، وعن الحرب التآمرية الباردة الدائمة المتآزرة مع مشركي الجزيرة، ومخالفتها للدستور.

بعيدًا عن كل ذلك؛ يفتح الرسول والمسلمون لليهود صفحة الحوار دائمًا؛ حتى لا يظل المستقبل يدفع ثمن أخطاء الماضي.

فمن المعروف أنه بمجرد أن أقام المسلمون إمبراطوريتهم العالمية الخاصة، وطوروا نظامًا متقدمًا في شريعتهم؛ أسسوا نظام تسامح؛ ظل يسود الأجزاء المتمدينة في الشرق العربي لمدة طويلة؛ حيث تعايشت مجموعات دينية في ظله جنبًا إلى جنب. إن المعاداة للسامية خطيئة مسيحية غربية، وليست خطيئة إسلامية، ويجب أن يكون ذلك حاضرًا في أذهاننا؛ كي لا نخضع لإجراء التعميمات.

ففي ظل الإمبراطورية الإسلامية

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية - رئيس تحرير مجلة التبيان

تمتع اليهود مثلهم مثل المسيحيين بحرية دينية كاملة، وعاش اليهود في المنطقة في سلام؛ حتى إقامة دولة الكيان الصهيوني في سنة ١٩٤٧م.

ولم يعان اليهود في ظل الإسلام قط ما عانوه في ظل المسيحية!!

أما الأساطير الأوروبية المعادية للسامية؛ فقد قدمت إلى الشرق العربي؛ في نهاية القرن الماضي؛ على يد البعثات التبشيرية المسيحية، وكانت الجماهير عادة ما تقابلها بالازدراء (٣).

ومن الجدير بالذكر هنا أن نقول: إن تغاضي المسلمين عن إساءات اليهود البالغة لهم عبر التاريخ، وتغاضيهم عن خيانتهم للدستور الذي وضعه رسول الإسلام، وأعطاهم فيه حق المواطنة الكاملة في المدينة المنورة (وطنهم)، ومع ذلك خانوا الدستور والوطن؛ في محنة شديدة؛ كاد المسلمون لولا رعاية الله يبادون فيها.

إن هذا التغاضي من المسلمين عن صفحات خيانة اليهود الكثيرة ضدهم يؤكد أن المسلمين ينظرون إلى الحرب على أنها أمر استثنائي بغيض، وأنه لا ينبغي على المسلمين أن يبدأوا بالعداوات؛ لأن الحرب العادلة هي التي تشن للدفاع عن النفس فقط؛ ومع ذلك فمتى دخلوا الحرب وجب عليهم أن يقاتلوا بالتزام أخلاقي مطلق، لكي ينتهي القتال في أسرع وقت ممكن.

- كما تقول أرمسترونج كاترين وإذا اقترح العدو هدنة أو أبدى استعدادًا للسلم؛ فإن القرآن يأمر المسلمين ألا تكون شروط السلام غير أخلاقية أو



مخزية؛ لكن القرآن يؤكد أيضًا على أن إنهاء الصراع الحربي أمر مقدس؛ على أن تتم مواجهة العدو بحزم، وأنه يجب تحاشي أي تردد؛ لأن ذلك يعني أن يستمر الصراع لأجل غير مسمى.

إن هدف أي حرب في الإسلام هو إحلال السلام والوفاق في أسرع وقت (٤).

وباستثناء الحوارات التي تمت بالتأكيد بين المسلمين والنصارى في الحبشة أثناء لجوء المسلمين إلى حاكمها (النجاشيّ) الذي لا يُظلم أحد عنده، كما وصفه الرسول ﷺ.. وهي حوارات لم يصلنا منها إلا النذر اليسير، وأبرز ما وصلنا منها حوار النجاشيّ نفسه، مع جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه عندما أرسلت قريش وفدًا برئاسة عمرو بن العاص ليردّ النجاشيّ اللاجئين المسلمين إليها؛ حتى تفتنهم عن دينهم بممارسات التعذيب والتنكيل التي كانت تمارسها معهم.

وكانت سورة مريم وما ورد فيها عن نبيّ الله عيسى عليه السلام هي السبيل لرضا النجاشيّ عن الإسلام، وطرده للوفد القرشي، وتمسكه بحماية المسلمين.

باستثناء هذه الحوارات التي نأمل أن يكشف التاريخ بعضًا من صفحاتها الخافتة؛ فإن أبرز حدث احتل مكانة تاريخية ودينية بارزة في مجال الحوار بين الإسلام والنصرانية تمثل في الحوار بين الرسول عليه السلام ووفد نجران النصراني؛ الذي ضم أكثر من ستين شخصًا؛ منهم أربعة عشر من أشرافهم، وثلاثة من كبار رجال دينهم (الأسقف، والسيد، والعاقب)؛ فاجتمعوا بالنبي عليه الصلاة والسلام في المدينة سنة (٨هـ/٦٣٠م)، واستقبلهم الرسول في مسجده، وعليهم الحبرات (الشارات النصرانية)، ثم جرت بينه وبينهم مناظرة؛ كان من بين موضوعاتها، معجزة ولادة عيسى عليه السلام، وموقف الرؤيتين النّصرانية والإسلامية منها، وصلة عيسى بالله، هل هي صلة الابن بأبيه، أو صلة النبي الإنسان بالله؟

وقد ناقشوا الرسول ﷺ مستشهدين بما جاء في القرآن الكريم من أن عيسى عليه السلام كلمة الله وروحه.. ناسين أن القرآن الكريم ورد فيه أيضا توضيح معنى ذلك؛ متمثلا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (٥).

فهل آدم ابن الله؟ مع أنه بالمقياس العقلي والتاريخي أحق بالبنوّة من عيسى؛ لأنه ولد من غير أب وأم؛ ولأنه أول الناس خلقًا.. وقد أقامه الله في الجنة فترة!!

لكن أحدًا لم يقل ببنوّة آدم لله.. لأن الله لا ولد له؛ وكل الناس عبيده، وكلهم خلق من جملة مخلوقاته التي لا تعدّ ولا تُحصى.

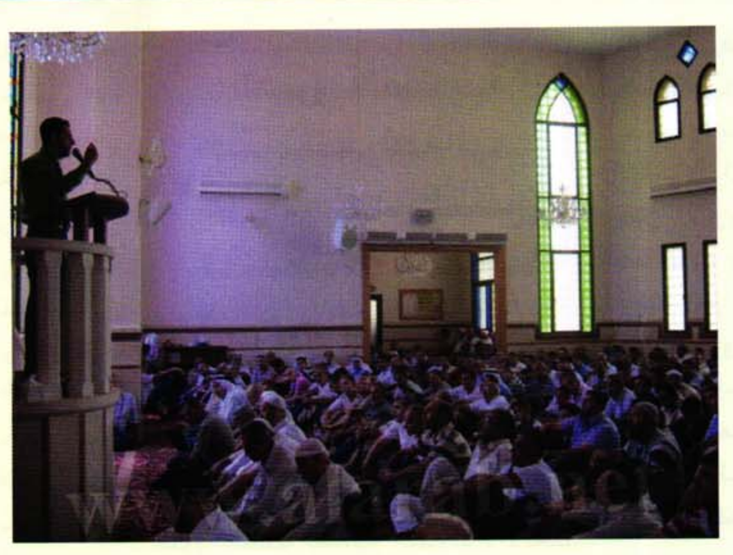
فلماذا عيسى وحده ابن الله إذن؟

كما أن النصارى جادلوا النبي محمدًا في معنى قول الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (٦)؛ قائلين: إنهم لم يتخذوا الأحبار والرهبان أربابًا.. فبين لهم الرسول أنهم نظروا إلى أحبارهم ورهبانهم على أنهم معصومون؛ يملكون حق التحريم والإباحة، وهذا الحق لله وحده.. فمن يزعم أنه يملكه يشرك بالله، ويكون مدعيًا للألوهية.. فتلك عبادتهم إياهم.. أليسوا يؤمنون بأن ما يحلونه في الأرض يحله الله في السماء، وما يحرمونه في الأرض يحرمه الله في السماء؟ فكأن الله تابع لهم! وكأنهم يقدسون الأحبار والرهبان أكثر من تقديسهم لله!!

وبعد هذا الحوار عقد الرسول معهم اتفاقًا شهيرًا؛ يمثل نموذجًا للمعاهدات الإنسانية الراقية.

ويقول مارسيل بوازار: لقد عقد النبي محمد عليه السلام اتفاقًا مع نصارى نجران اعتبره فقهاء المسلمين نموذجًا للتنظيمات الصالحة للتطبيق على الأقوام الخاضعة للإسلام.

وقد تعهد الرسول ﷺ بحماية سكان مدينتهم وجوارها، وتأمينهم على نفوسهم وممتلكاتهم، وضمان حريتهم في التمسك بعقيدتهم وعبادتهم. ولقد شملت الحماية الضمان لجميع السكان؛ في حين ظلت مسؤولية



الانتهاكات مسؤولية فردية؛ فلا يؤخذ أي معاهد بجريرة آخر.

ولم يفقد أهل نجران من الوجهة القانونية الصرفة أي حق من حقوقهم، باستثناء ما كان من أمر تحريم الربا.

وكانتْ هناك أحكام خاصة تمنع تدخل النفوذ الإسلامي في الجهاز الحكومي الكهنوتي المسيحي، وتحظر الإساءة إلى أهل الذمة، وكل شكل من أشكال الاضطهاد (٧).

- من حوارات المسلمين في العصر الأموي والعباسيّ

تمثل قصة يوحنا الدمشقي (٦٧٠. ٧٥٠م) مع الإسلام نموذجًا للتسامح الإسلامي، وللكرم الكبير الذي أسبغه خلفاء بني أمية عليه وعلى أمثاله من مجادلي أهل الكتاب، وهم يعلمون أنه وأباه من قبله يتعصبون تعصبًا شديدًا للأرثوذكسية.

- لقد عمد يوحنا الدمشقي إلى كتابة كتابين يشير فيهما إلى الإسلام على مستوى التاريخ والعقيدة والقرآن والأخلاق والممارسات.

- ولقد انتهج يوحنّا الدمشقي منهجًا مبتورًا متعسفًا في كتابته عن الإسلام، ولذلك لم يُدخل في نهجه، وهو يدرس الإسلام، مسائل جدلية حول ما إذا كان مجيء محمد قد وَرَدَ في نبوءات أنبياء تقدموا عليه، أو ما إذا كان قد أتى بمعجزات تفوق مثيلاتها لدى عيسى وموسى عددًا وأهمية، أو ما إذا كان الأسلوب البلاغي في القرآن دليلًا على نبوّة الرسول.

بل من المؤسف أن نقول: إن يوحنّا رفض التعرف الموضوعي على الإسلام، وأن المسيحية الأرثوذكسية هي التي استقطبت وحدها جلّ اهتمام يوحنا الدمشقي، فهو يدرس الإسلام ابتداءً لتفضيل الأرثوذكسية عليه، ولتشويهه وتفنيد حقائقه، وهو تحيّز «غير علمي»، ويكفي لبيان عنصريته الأرثوذكسية أن يوحنّا الدمشقي يعدّ الإسلام من جهة، وحركة تحطيم الصور و«الأيقونات» والمعتقدات الشعبية من جهة ثانية من وجهة نظره بدعتين معاصرتين (٨)، وكان جزاؤه على هذا التحيزّ من بني دينه أنفسهم، فقد تمت إدانته في مجمع «هاييريا» سنة٧٥٤م، وذكر باعتباره هالكًا لعدم رفضه لتقديس الأيقونات.

ومن أكبر أدلة تعمد يوحنا الدمشقي تشويه الإسلام ما اعترف به دانييل ساهاس من أن يوحنا كان يحاول التشكيك في كون الإسلام دين إبراهيم الحنيف من خلال وصفه المسلمين، على نحو لا يخلو من الخبث.

وأيًا كان أمر المنهج الفاسد الذي استعمله بخبث شديد (كما يقول ساهاس) يوحنا الدمشقي، فإنه قام بإيجاد مناخ جدلي صاخب مع

المسلمين.. كما أن عنصر الإثارة والجدّة اللذين استخدمهما الدمشقي في مناقشاته العقدية، ومراسه الفلسفيّ في تطويع مقولات الفلسفة اليونانية والمنطق، شكلت كما يقول ساهاس أمورًا كان من نتيجتها أن استرعت انتباه المسلمين، وشدّت اهتمامهم إلى ما يتجاوز المضامين الفكرية (يقصد الباطلة) موضوع المناقشة (٩).

- كما أن يوحنا الدمشقي، الذي عاش في فترة متقدمة خلال العصر الأموي، كان واحدًا من الذين ألهموا المسلمين ووجهوهم لدراسة الإسلام، لأغراض ذاتية على وجه التحديد، باستخدام نماذج وإنجازات مستقاة من حضارة أخرى، (وهو تفاعل حضاري مقبول).

وفي العصر العباسي ثمة حوار طريف نذكره ونعدّه دليلًا على مستوى راقٍ من الحوار الحضاري في هذا العصر.

فقد قال الخليفة المأمون لمرتد إلى النصرانية: خبّرنا عن الشيء الذي أوْحَشَك من ديننا بعد أُنْسك به، واستيحاشك مما كنت عليه؟

قال المُرتدّ: أوحَشني ما رأيتُ من كثرة الاختلاف فيكم، قال المأمون: لنا اختلافان: أحدهما كالاختلاف في الأذان، والتكبير في الجنائز، ووجوه القراءات، ووجوه الفُتيا؛ وهذا ليس باختلاف، إنما هو تخيُّر وسعة وتخفيف، فمن أذّنَ مَثْنى وأقام مثْنَى لم يُخطّئ من أذّن مَثْنى وأقام فُرادَى، ولا يتعايرون بذلك ولا يتعايبون.

والاختلاف الآخر: كنحو اختلافنا في تأويل الآية من كتابنا، وتأويل الحديث مع اجتماعنا على أصل التنزيل، واتفاقنا على عَيْن الخبر.

فإن كان الذي أوْحَشَك هذا حتى أنكَرْت هذا الكتاب، فقد ينبغي أن يكون اللفظ بجميع التوراة والإنجيل متفقًا على تأويله، كما يكون متفقًا على تنزيله، ولا يكون بين جميع اليهود والنصارى اختلاف في شيء من التأويلات، وينبغي لك ألا ترجع إلا إلى لغة لا اختلاف في تأويل ألفاظها، ولو شاء الله أن يُنزِّل كتبه، ويجعل كلام أنبيائه وورثة رسلَه لا يحتاج إلى تفسير لفعل.. قال المرتدّ: أشهد ألا إله إلا الله، وأنّ المسيح عبدٌ، وأن محمدًا صادقٌ، وأنك أمير المؤمنين حقًا.

الحروب الصليبية حفزت الفرنجة الهمج على التعلم من المسلمين فاتسعت معرفتهم بما في العالم الإسلامي من جغرافية بشرية

ولم تكن الحروب الصليبية كما هو المتوقع حربًا كلها، على امتداد كل الأيام أو الشهور؛ بل كانت تتخللها فترات سلم كثيرة، تمليها ضرورة الحياة والطبيعة الإنسانية؛ لحرب استمرت قرنين ونصف قرن من الزمان.

وفي ضوء هذا، لا يبدو من المستغرب أن تزدهر العلاقات التجارية والثقافية بين الصليبيين الذين احتلوا الرها، وأنطاكية، وطرابلس، وبيت المقدس، واستوطنوها، وبين المسلمين في هذه الأيام الصليبية التي يتقاتل الناس فيها حينًا، ويتبادلون التجارة والثقافة حينًا آخر؛ في عملية حوارية من أطرف العلاقات الجدلية في التاريخ.

وإذا كان التتار؛ الذين دمروا بغداد، وقضوا على الخلافة العباسية في العراق، قد خرجوا وهم المنتصرون عسكريًا مسلمين دينًا؛ بعد أن عمدوا بفطرة غير مركبة على التعرف الموضوعي على الإسلام.. فإن الأوروبيين الذين يحملون تراثًا مركبًا، وفطرة دنيوية مصلحية بحتة (براجماتزم) قد خرجوا وهم المنتصرون أولًا والمنهزمون أخيرًا بإدراك حقيقة الإسلام؛ مع اتخاذ قرارهم بعدم الاقتراب الموضوعي منه، والعمد إلى تشويهه، والاكتفاء بنقل علومه وثقافته العامة، ونظمه، ونواحي تقدمه؛ وذلك خشية على أوروبا من الإسلام.. وزادوا الطين بلّة فكونوا كتائب من المستشرقين ثم المستغربين للحفاظ على هذا التشويه، ولذلك؛ فقد ظل الجهل والتحيز قرونًا يحيطان بمعرفة بيزنطة والغرب بالإسلام والعالم الإسلامي؛ فالبيزنطيون الذين تصارعوا مع المسلمين لثلاثة قرون؛ كان لديهم أدبهم الشعبي الذي يصور المسلمين يعبدون ثلاثين إلهًا أكبرهم «مهومد»، كما يذكر ذلك «ريتشارد سوذرن»؛ مستغربًا فظاعة الأساطير المنتشرة عن الإسلام في الغرب خلال القرنين التاسع إلى الثاني عشر. وعلى الرغم من التعايش عن قرب مع المسلمين لعدة قرون في إسبانيا، والحروب الصليبية، مما يفترض معرفة أفضل؛ إلا أن واقع الحال يذهب باتجاه مغاير (١٠).

ومن أدلة الجهل المطبق الذي كان عليه الصليبيون قبل أن يتعرفوا على المسلمين في الحروب الصليبية، ما هو معروف من الطبيعة الغوغائية لسلوكيات الحملات الصليبية الأولى؛ ليس ضد المسلمين وحدهم، بل ضد البيزنطيين أيضًا، ويضاف إلى ذلك أنهم عندما احتلوا مدينة

(طرابلس الشام) التي أصبحت إحدى مستعمراتهم لم يترددوا في إتلاف مكتبتها العامرة بمائة ألف كتاب. ومع هذا فالزمن وما يحمله من احتكاك مباشر، وغير مباشر، والرغبة في معرفة العدو.. كل هذه الأمور ستدفع الصليبيين باتجاه التعرف أكثر على معالم المسلمين، والاقتباس من المظاهر المختلفة للحضارة العربية الإسلامية؛ التي ستفرض نفسها كحضارة أرقى على رجال الغرب (١١).

وعندما يتقدم الزمن تنداح بالاحتكاك الحضاري غشاوات الجهل تدريجيًا، ولهذا فليس من المستغرب أن تزدهر التجارة الداخلية في عصر الحروب الصليبية، لحرص كل من المسلمين والصليبيين على المواد التي توفرها لهم عائدات التجارة، ومع هذا التطور الذي أملته الضرورات في النواحي الاقتصادية؛ كان لابد من وجود تطور ولو بدرجة متفاوتة في النواحي الثقافية، وقد وقع هذا التطور فعلًا على النحو المصلحي الذي أشرنا إليه؛ فقد كيّفت أوروبا الثقافة والعلوم تكييفًا مصلحيًا؛ لا علاقة له بالحق ولا بالموضوعية، ولا بإنصاف الآخر، بل حسبها أن تأخذ منه ما يفيدها من جانب وما يحميها من الإسلام والمسلمين (الأعداء الثابتين) من جانب آخر. وكما رأينا الجانب الإيطالي يخضع النواحي العسكرية للنواحي المصلحية والاقتصادية؛ كما تدلنا الوقائع التي أشرنا إليها؛ والتي ذكرها كثيرون مثل ميخائيل زابوروف صاحب كتاب «الصليبيون في الشرق»، وقاسم عبده قاسم في كتابه: «ماهية الحروب الصليبية» وستيفن رنسيمان في تاريخه للحروب الصليبية (الجزء الثالث).

كما فعل الصليبيون هذا، في النظرة التكييفية، على النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية.. وبالتالي الدينية الخاصة بهم، كذلك فعلوا في نقلهم وتعلمهم من المعارف الإسلامية؛ خضوعًا للعنصرية، وحفاظًا على حاجز نفسيّ وفكريّ بينهم وبين المسلمين.

لقد حفزت الحروب الصليبية الفرنجة الهمج على التعلّم من المسلمين، وقد اتسعت معرفتهم بما في العالم العربي من جغرافية بشرية، وتاريخ، وعلوم؛ مما خلق عندهم نهضة في دراسة القانون، والطب، والمنطق، وبدأوا بتكوين نقابات من المدرسين أسسوا عليها فكرة الجامعة. وهكذا نشأت الجامعات من جامعة باريس إلى أكسفورد، وكمبردج بدءًا من القرن الثاني عشر الميلادي.

كما اتسعت خبرة الصليبيين وثروتهم، ووقفوا على فنون الشرق وصناعته، وما فيها من رونق وفن ودقة. والراجح أن المستوى العام للمعيشة في الغرب كما يشير إلى ذلك رنسيمان لم يرتفع إلا بفضل رغبة العساكر والحجاج العائدين في أن يلجأوا في أوطانهم إلى محاكاة ما اشتهر به الشرق من مظاهر الحياة (١٢).

وأيضا كما يعترف رنسيمان سيصبح الأوروبيون بفضل ما يأخذونه من المسلمين في الحروب الصليبية قادرين على أن يميزوا بين السلوك، وأساليب الحياة الحضارية الإسلامية (العلوم، والتقنيات، والذهنيات، والتفلسف العربي والإسلامي ...) وهذه يأخذونها وقد يعترفون أحيانًا بفضلها وقد لا يعترفون في أحيان أخرى كثيرة!! لكنهم كما يؤكد رنسيمان يظلون محافظين على جهلهم وعدائهم للإسلام وعقيدته (عقيدة التوحيد) وهو ما يمثل ظلمًا تاريخيًا وأخلاقيًا كبيرًا.

ومع ذلك كله يؤكد رنسيمان على القيمة الحضارية للحوار أثناء فترة الحروب الصليبية، مشيرًا إلى أن هذه الفترة التي امتدت قرنين ونصف من أهم مراحل التاريخ المؤثرة في المدنية الغربية؛ إذ إن أوروبا لم تكد تخرج من مرحلة غارات المتبربرين الطويلة الأمد؛ التي يطلق عليها العصور المظلمة (العصور الوسطى)؛ حتى كانت بفضل المسلمين براعم ما نطلق عليه النهضة الأوروبية تأخذ في الظهور (١٣).

الهوامش

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، ٤٧، قول الله تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا﴾ (سورة الإسراء: ٨٥).
(٢) رواه البخاري.
(٣) أرمسترونج كاترين: محمد، ط٢، ١٩٨٨م، مسطور للنشر، مصر، ص٣٠٩.
(٤) المرجع السابق، ص٣١٠.
(٥) آل عمران: ٥٩.
(٦) الشهيد/ سيد قطب: في ظلال القرآن، انظر تفسير الآية (٣١. التوبة)
(٧) مارسيل بوازار: إنسانية الإسلام، ص١٩٢.
(٨) مجلة الاجتهاد: بيروت، عدد٢٨، دانييل ساهاس ص١٢٣. ١٢٤ بتصرف.
(٩) مجلة الاجتهاد: مرجع سابق ص١٣٢ - ١٣٣بتصرف.
(١٠) شمس الدين الكيلاني: حقبة الحروب الصليبية، والوضع على طرفي المجابهة التاريخية، مجلة الاجتهاد، عدد ١٨، بيروت.
(١١) شمس الدين الكيلاني: المرجع السابق.
(١٢) شمس الدين الكيلاني: المرجع السابق.
(١٣) شمس الدين الكيلاني: المرجع السابق بتصرف.

المبهم: هو ما يصعُب على الحاسة إدراكه إن كان محسوسًا، وعلى الفهم إن كان معقولاً. والمبهم من الكلام: هو الغامض الذي لا يتحدد المقصود منه. والمبهم من الظروف: هو ما ليس له حدود تحصره، مثل: فوق، وتحت، وأمام، وخلف. والمبهم في كتاب الله: هو كل ما لم يبين في القرآن من اسم، أو عَدد، أو مكان، أو نحو ذلك. ومع أن الله سبحانه أنزل كتابه تبيانًا لكل شيء، وهُدىً لكل خير، إلا أنه سبحانه أبهم بعض الأمور في القرآن لأسباب، فقد يبهم القرآن شيئاً في موضع، ويبينه في موضع آخر، أو يبهمه للستر عليه، أو لتعظيمه، أو لتحقيره. ولا يجوز البحث في مبهمات استأثر الله بعلمها، فيجب التوقف عندها، وعدم الخوض فيها.

وقد اهتم المفسرون بدراسة المبهمات في القرآن: وقالوا : إنها على نوعين: نوع ضرب الله عن ذكره صَفحاً لعدم تَعلُّق التكليف به، ولخلوِّ معرفته من الفائدة ، ولا طائل في معرفته ، مثل : معرفة أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعصا موسى -عليه السلام- من أي الشجر كانت، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم عليه السلام.. ونوع أبهمه الله لأسباب كثيرة سأذكر بعضها في ثنايا هذا البحث.

وقد اهتم المؤلفون في هذا العلم بإبراز فائدته وأهميته، ولاشك أن له أهميته باعتباره علماً من علوم الكتاب العزيز، كما أن معرفة المبهمات تُعين المفسِّر في تفسيره، بل قد تكون وسيلة من وسائل الترجيح بين أقوال المفسرين إذا تَعدَّدَت، وقد تكون من التدبُّر الذي أمر الله به، وربما تُبَين فَضائل ومناقب المبهَمين أو مَثالِبهم .

المبهمات في القرآن الكريم

د. سامي عطا حسن

أ - المبهمات في اللغة:

قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): الباء والهاء والميم: أن يبقى الشيء لا يُعرَفُ المأتى إليه، ومنه: الأمر البهيم، الذي لا تَأتِّي له. ومنه: البُهمة: الصخرة التي لا خروق فيها. وبها شُبِّهَ الرجلُ الشجاع الذي لا يُقدَر عليه من أي ناحية طُلِب. أو الفارس الذي لا يُدرَى من أين يؤتى من شدَّة بأسه. والبُهمَة: جماعة الفرسان ، والجَيش يقال له: بُهمَة . والبهيم: اللون الذي لا يُخالطه غيره، سواداً كان أو غيره، وأبهمتُ الباب: أغلقته. والبهيمة: ما لا نُطقَ له، وذلك لما في صوته من الإبهام (١) .

وقال محمد بن أبي بكر الرازي (ت ٦٦٦هـ): المبهم: اسم مفعول مشتق من الإبهام وهو الخفاء، يُقال: ليل بَهيم، لخفاء ما فيه من الرؤية، وأَبْهم الكَلام إبهامًا أي لم يبينه، واستبهم عليه الكلام إذا استغلق، كما يُقال: أمر مُبْهم: إذا كان ملتبسًا لا يُعرف معناه (٢).

ب: المبهمات في الاصطلاح: عرفها السُّهيلي (ت ٥١٨هـ) بقوله: «ما تضمنه كتاب الله العزيز من ذكر من لم يُسَمِّه الله فيه باسمه العَلَم، من نبي، أو وليّ، أو غيرهما ، آدمي، أو مَلَك، أو بلد ، أو كوكب، أو شجر، أو حيوان له اسم عَلَم، قد عُرف عند نقلة الأخبار ، وغيرهم من العلماء الأخيار» (٣). وزاد ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ) على تعريف السهيلي: «أو عَدَد لم يُحدد، أو زمن لم يُبين، أو مكان لم يُعرف، وغيرها» (٤) وعليه يمكن القول بأن المبهم هو: ما لم يُنصَّ على ذكره باسمه العَلَم، أو عدده، أو زمنه، أو مكانه.

أنواع المبهمات

تنقسم المبهماتُ في القرآن الكريم إلى أنواع، منها :

أ - مبهمات الأشخاص: منها قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٩). والمراد به: سيدنا محمدﷺ (٥) وهي دعوة إبراهيم وإسماعيل لنبينا محمد ﷺ خاصة.

ب- مبهمات الجموع: منها قوله تعالى﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة: ٧) روى ابن أبي حاتم بسنده عن عدي بن حاتم قال: قال رسول اللهﷺ: «المغضوب عليهم: اليهود، والضالين: النصارى» (٦) وقال الماوردي «وهو قول جميع المفسرين» (٧). وقد ذكر الاجماع على هذا التفسير: الشوكاني (٨)، وصديق حسن

جامعة آل البيت- الأردن

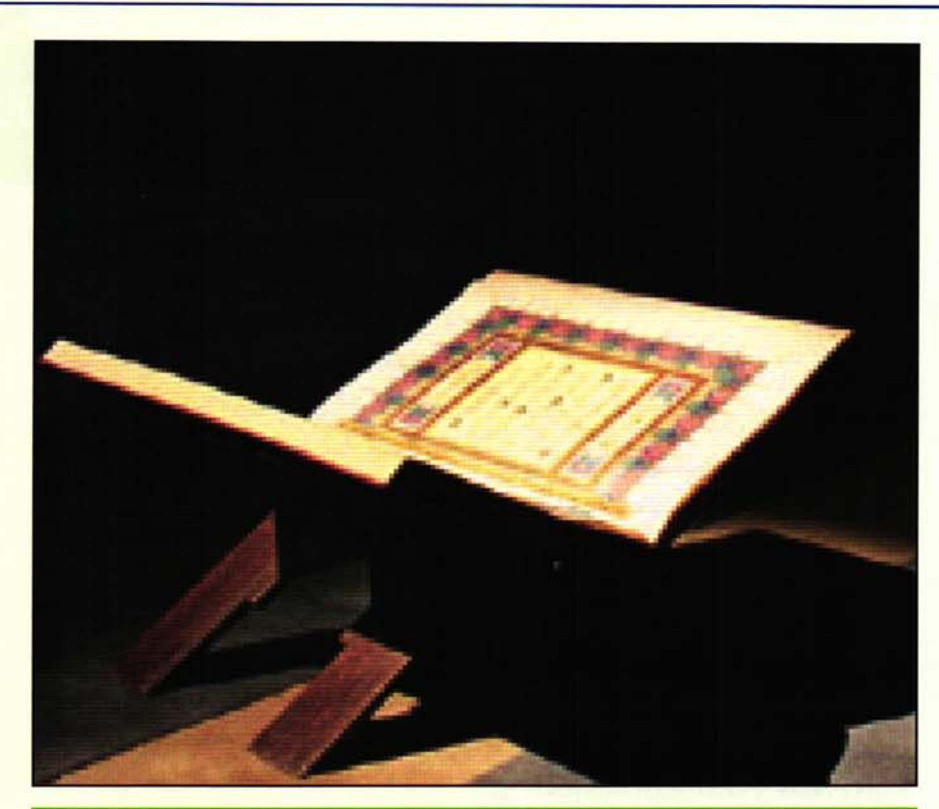
١- أن يبهم الأمر في موضع استغناء ببيانه في موضع آخر، مثل قوله تعالى:﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾(الفاتحة: ٤) بينه بقوله ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ. يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾(الانفطار: ١٨-١٩).

٢- أن يبهم الأمر لاشتهاره ، فهو المتبادر إلى الذهن عند الإطلاق، مثال ذلك قوله تعالى ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ٣٥) الزوج هي حواء عليها السلام ، وأبهم اسمها لشهرتها، ومعرفة الكل لها(١٣).

٣- أن يبهم لقصد الستر عليه ، ليكون أبلغ في استعطافه مثال ذلك قوله تعالى ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (البقرة: ١٠٨). والمراد: رافع بن حريملة ، ووهب بن زيد، قالا للنبي ﷺ أنزل علينا يا محمد كتابًا من السماء نقرؤه، وفجر لنا أنهارًا (١٤).

٤- أن يبهم الأمر حيث لا يكون في تعيينه كبير فائدة، إذ البحث عن اسمه، أو تعيينه غير مفيد، وفيه مضيعة للجهد والوقت. وغالب أمثلة الإبهام ناشئة من هذا السبب، مثال ذلك قوله تعالى ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٥٩).

والمراد بالقرية: بيت المقدس ، واسم الذي مر عليها، اختلفوا في اسمه، قيل: هو عزير، وقيل: غيره، ولا حاجة



الزركشي هو أول من بحث في أسباب الإبهام في القرآن وذكر أنها سبعة

خان (٩).

ج- **مبهمات الأماكن:** منها قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ٦٣) المراد به الجبل الذي كلم الله-عز وجل-عنده موسى-عليه السلام- وهو طور سيناء، وقد جاء ذكره في القرآن عشر مرات (١٠).

د- **مبهمات الأزمنة:** ومما أبهمه الله-سبحانه- في كتابه من الأزمنة: «الحين»: كما في قوله -جل شأنه- ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: (الروم ١٧) يقول تعالى ذكره: فسبحوا الله أيها الناس، أي صلوا له حين تمسون، وذلك صلاة المغرب، وحين تصبحون، وذلك صلاة الصبح ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ (الروم: ١٨) يقول: وله الحمد من جميع خلقه دون غيره في السموات من سكانها من الملائكة، والأرض من أهلها، من جميع أصناف خلقه فيها، ﴿وَعَشِيًّا﴾وسبحوه أيضا عشياً، وذلك صلاة العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ يقول: وحين تدخلون في وقت الظهر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل (١١).

أسباب ورود الإبهام في القرآن

يُعتبر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) أول من بحث في أسباب ورود الإبهام في القرآن في كتابه «البرهان»، فذكر لذلك سبعة أسباب، مع التمثيل لكل سبب منها، وتبعه في ذلك السيوطي (ت ٩١١هـ) .

ومن هذه الأسباب ما يلي (١٢) :

المبهمات التي لم يفصح القرآن عنها لا يصح الاشتغال بها

لنا في معرفة اسمه، إذ لا يتوقف عليه المقصود من الآية، ولا فائدة كذلك في تعيين اسم القرية (١٥).

٥- أن يبهم الأمر للتنبيه على عمومه، وأنه غير خاص بمن ورد فيه الإبهام، مثال ذلك قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (النساء: ١٠٠)، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: خرج ضمرة بن جندب إلى رسول الله ﷺ -، وكان من المستضعفين بمكة، وكان شيخاً كبيراً، فمات بالتنعيم(١٦)، قبل أن يصل إلى رسول الله ﷺ، فإبهام الاسم في هذا الموضع، لإفادة عموم الأجر لكل من نوى الهجرة، فمات دون أن يبلغ ما هاجر إليه.

٦- أن يبهم الأمر لقصد تعظيم المُبهَم بذكر الوصف الكامل له دون اسمه: مثال ذلك قوله تعالى ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (الزمر: ٣٣) والمراد بهذه الآيات هو أبوبكر الصديق رضي الله عنه، وإنما أُبهم اسمه تعظيمًا له (١٧).

٧- أن يبهم الأمر لقصد تحقيره بذكر الوصف الناقص له دون اسمه: مثال ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر: ٣) والمراد به كما ذكره المفسرون هو العاص بن وائل السهمي (١٨). وأما قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (المسد: ١) فعدل عن الاسم، وكان اسمه: عبدالعزى، إلى الكُنية، للتنبيه على أن مآله للنار ذات اللهب (١٩).

دراسة تطبيقية لبعض المبهمات في القرآن الكريم

مبهمات القرآن كثيرة، منها قوله تعالى ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب:٢٣). «عن أنس بن مالك قال: غاب عَمِّي أنس بن النضر- وبه سُميتُ أنساً- عن قتال بدر، فشق عليه لما قدم، وقال: غبت عن أول مشهد شهده رسول الله ﷺ، والله لئن أشهدني الله سبحانه قتالا ليرين ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون، فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، يعني المسلمين، ثم مشى بسيفه فلقيه سعد بن معاذ فقال: أي سعد، والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد، فقاتلهم حتى قُتل. قال أنس: فوجدناه بين القتلى، به بضع وثمانون جراحة، من بين ضربة بالسيف، وطعنة بالرمح، ورمية بالسهم، وقد مثلوا به، وما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه، ونزلت هذه الآية ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾قال: وكنا نقول: «أنزلت هذه الآية فيه وفي أصحابه» (٢٠).

٢- قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة: ١) والتي كانت تجادل رسول الله ﷺ في زوجها أوس بن الصامت، امرأة من الأنصار. واختلف أهل العلم في نسبها واسمها، فقال بعضهم: خولة بنت ثعلبة، وقال بعضهم: اسمها: خُوَيلة بنت ثعلبة. وقال آخرون: هي خويلة بنت خويلد. وقال آخرون: هي خويلة بنت الصامت. وكانت مجادلتها رسول الله ﷺ في زوجها، مُراجعتها إياه في أمره، وما كان من قوله لها: أنت عليّ كظهر أمي. ومحاورتها إياه في ذلك، وبذلك قال أهل التأويل، وتظاهرت به الرواية (٢١). افتتحت آيات أحكام الظهار بذكر سبب نزولها، تنويهًا بالمرأة التي وجَّهت شكواها إلى الله تعالى، بأنها لم تقصّر في طلب العدل في حقها وحق بَنيها. ولم ترضَ بعُنجهية زوجها وابتداره إلى ما ينثر عقد عائلته دون تبصّر ولا روية، وتعليمًا لنساء الأمة الإسلامية ورجالها واجب الذود عن مصالحها.

٣- قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (لقمان: ٦). والمراد: «النضر بن الحارث»، الذي اشترى قَينَة، وكان لا يسمع أحدًا يريد الدخول في الإسلام، إلا انطلق به إلى قَينَته، فيقول: أَطعميه، واسقيه، وغَنِّيه، هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة، والصيام، والقتال بين يديه، فنزلت هذه الآية (٢٢).

٤- قوله تعالى ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ٣٥). المبهمات في الآية قوله تعالى ﴿وزوجك﴾ وقوله ﴿الشجرة﴾.

أما زوجه فهي حواء-عليها السلام، وأول من سماها بذلك آدم - عليه السلام، حين خلقت من ضلعه، وقيل له: مَن هذه؟ قال: امرأة، قيل: وما اسمها؟ قال: حواء. قيل: ولم؟ قال: لأنها خلقت من حيّ (٢٣).

والقرآن لم يحدثنا عن زوج آدم، وهي التي عرفت بحواء، وعن كيفية خلقها، كل الذي أشار إليه القرآن الكريم في هذا المضمار، وفي سياق

غير سياق قصة آدم، إشارات موجزة من مثل قول الله تعالى ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)، وأكثر المفسرين يذهبون إلى أن الله خلقها من ضلع آدم، وهذا ما أشارت إليه التوراة صَراحة، وربما يستأنسون لذلك بحديث لرسول الله ﷺ «استوصوا بالنساء خيرا، فإنهن خُلقنَ من ضلع أعوج، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه» (٢٤).

وذهب بعض المفسرين إلى أن معنى قول الله تعالى ﴿وخلق منها زوجها﴾ أي: خلقها من جنسه، حتى لا يكون بينهما تنافر.

وأما الشجرة التي نهي عنها آدم- عليه السلام- وزوجه ، فهي من المبهمات التي لا ينبغي السؤال عن حقيقتها ، لأنه لا تتوقف على معرفة نوعها فائدة تُذكَر. والمنهج السليم في ذلك ما قرره ابن جرير الطبري بقوله: «فالصواب في ذلك أن يقال: إن الله جل ثناؤه نهى آدم وزوجه عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها، فخالفا إلى ما نهاهما الله عنه، فأكلا منها، كما وصفهما الله- جل ثناؤه- ولا علم عندنا أيّ شجرة كانت على التعيين، لأن الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك في القرآن، ولا في السنة الصحيحة... إلى أن يقول: وذلك علمٌ إذا عُلم لم ينفع العالم به علمُه، وإن جهله جاهل لم يضرّه جهله به» (٢٥).

٥- وهناك نوع من المبهمات ضرب الله عن ذكره صَفحًا لعدم تعلق التكليف به، لخُلوّ معرفته من الفائدة، مثل تعيين البعض المذكور في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة : ٧٣) . أمر الله بني إسرائيل لما قُتل فيهم قتيل، ولم يهتدوا لقاتله أن يذبحوا بقرة، ويضربوا القتيل ببعض هذه البقرة، ولم تُبَين الآية ما هذا البعض؟ لذلك اختلف المفسرون في تعيين هذا البعض على أقوال كثيرة ، وفي الكلام اختصار تقديره: فقلنا: اضربوه ببعضها ليحيا، فضربوه فحيا، فقام فأخبر بقاتله (٢٦) .

وبناء على ذلك، فالمبهمات التي لم يُفصح القرآن عنها، لا يصح الاشتغال بها، كما لا يجوز البحث في مبهمات استأثرَ اللهُ بعلمها، فيجب التوقف عندها، وعدم الخوض فيها. قال الزركشي «فمن تَطَلَّبَ معرفة هذه الأمور، فقد تجرأ على الله تبارك وتعالى، وتعدَّى الحَدَّ الذي يجب الوقوف عنده» (٢٧).

الهوامش

١- انظر: أبوالحسين أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون، ج١: ص٣١١، مادة «بهم». والجوهري: الصحاح «تاج اللغة وصحاح العربية» تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، ج٥: ص ١٨٧٥ . مادة «بهم»، وابن منظور «لسان العرب»، دار صادر، بيروت. ١٩٦٨م. ج١: ص٥٢٣ وما بعدها. مادة «بهم».
٢ - انظر: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي مختار الصحاح، المكتبة الأموية ، دمشق، ص : ٢٧ .
٣ - انظر: السهيلي عبدالرحمن بن عبدالله الأندلسي، التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام: ص٥٠.
٤-ابن جماعة، بدر الدين الكناني الحموي الشافعي، (ت ٧٣٣هـ)، غرر البيان لمبهمات القرآن: ص٣٨.
٥- انظر: السيوطي، تفسير الجلالين، بهامش حاشية الجمل ج١: ص ١٠٧.
٦- انظر: الإمام أحمد بن حنبل، المسند: ج٤: ، ص ٣٨٤. وأحمد بن علي بن محمد بن حجر في فتح الباري ج٨ ، ص ١٥٩.
٧- تفسير الماوردي «النكت والعيون في تفسير القرآن الكريم» ، ج١: ص٦١.
٨ - انظر: الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، ج١: ص ٢٥.
٩ - انظر: صديق حسن خان القنوجي الأنصاري، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١: ص ٥٣.
١٠- انظر : البقرة : ٦٣ وَ ٩٣، والنساء: ١٥٤، ومريم: ٥٢، وَطه: ٨٠ ، والمؤمنون: ٢٠، والقصص: ٢٩ وَ ٤٦، والطور: ١، والتين: ٢، وانظر: المعجم المفهرس: ص ٤٢٩.
١١- انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مجلد ٧، ج٢١، ص ٢٠.
١٢- انظر: الزركشي، البرهان: ج ١: ص١٥٦، والسيوطي : مفحمات الأقران: ص ٢٠ وَ ٢١ .
١٣- الزركشي، بدرالدين محمد بن عبدالله، البرهان ، ج١: ص ٢٠٣.
١٤- انظر : السهيلي، التعريف والإعلام، ص: ٦٣. والزركشي، البرهان في علوم القرآن : ج١: ص ٢٠٥.
١٥- انظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ٣، ص ٢١ .
١٦- مكان بينه وبين مكة المكرمة فرسخان، يُحرِم منه من أراد العُمرة. انظر: عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي (ت٤٨٧هـ) معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا، ط٣، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٣م . ج١: ص ٣٢١.
١٧- انظر: د. محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط : ج١٨، ص٤٢.
١٨- انظر: الطبري، جامع البيان، ٣٠: ٣٢٩.
١٩- الزركشي، بدرالدين محمد بن عبدالله، البرهان الزركشي، بدرالدين محمد بن عبدالله، البرهان: ج١، ص٢٠٧، ٢٠٩.
٢٠- انظر: الواحدي، أسباب النزول، ص ٢٢٨-٢٢٩. وصحيح البخاري: ج٣، ص ١٥ .
٢١- انظر : الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مجلد : ١٢ ، ج ٢٨، ص ٢ .
٢٢- انظر : السيوطي: لباب النقول، ص ١٣٥، والآلوسي : روح المعاني ، ج ٢١ ص٦٧. والقينة هي: المغنية.
٢٣- انظر: السهيلي، الأعلام ، ص ١٩.
٢٤- أخرجه البخاري: حديث رقم: ٣١٥٣. وانظر: د. فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم، ص ١٣٧.
٢٥- أبوجعفر محمد بن جرير الطبري: جامع البيان، ج١ : ص ٥٢٠.
٢٦- ابن الجوزي: زاد المسير : ج١، ص ١٠٢. والسيوطي، مفحمات الأقران: ص ١٤.
٢٧- الزركشي: البرهان في علوم القرآن ، ج١، ص ١٥٥.

تمويل المساكن من أموال الزكاة

أ.د. عبدالفتاح إدريس

تمويل المساكن من أموال الزكاة، إنما يتصور في دفع غير جنس المال المزكى إلى مستحقي الزكاة، والمال المزكى إما أن يكون من قبيل عروض التجارة، وإما أن يكون من غيرها.

المقصد الأول

إخراج القيمة في زكاة عروض التجارة

اختلف الفقهاء في إخراج القيمة في زكاة عروض التجارة على مذاهب ثلاثة

المذهب الأول:

يرى أصحابه أن المزكي في عروض التجارة يخرج الزكاة من قيمة العروض دون عينها، وهو قول الشافعي في الأم وهو الأصح عند أصحابه وعليه الفتوى في المذهب، وإليه ذهب الحنابلة، ويرى المالكية أنه إنما يخرج الزكاة من ثمنها عند قبضه بعد بيعها، فإن لم تبع فلا زكاة فيها (١).

المذهب الثاني:

يرى من ذهب إليه أن المزكي في عروض التجارة مخير بين إخراج الزكاة من قيمة العروض أو من عينها، وهو ما ذهب إليه أبوحنيفة، وقول آخر للشافعي (٢).

المذهب الثالث:

يرى أصحابه أن المزكي يجب عليه أن يخرج الزكاة من عين عروض التجارة، وليس من قيمتها، وهو قول أبي يوسف ومحمد وغيرهم من الحنفية، وقول مخرج للشافعي من مذهبه القديم، ووجه لبعض أصحابه (٣).

أدلة هذه المذاهب

- استدل أصحاب المذهب الأول بما يلي:

المعقول:

١- إن النصاب معتبر بالقيمة، فكانت الزكاة منها كالعين في سائر الأموال، ولا يسلم أن الزكاة تجب في المال وإنما وجبت في قيمته (٤).

٢- إن الوجوب إنما يتعلق بما قومت به العروض وليس بعينها (٥).

- استدل أصحاب المذهب الثاني بما يلي:

القياس:

إن عروض التجارة مال تجب فيه الزكاة، فجاز إخراجها من عينه كسائر الأموال (٦).

المعقول:

١- إن الزكاة تتعلق بعين العرض وقيمته، فكان المزكي مخيرا بينهما عند إخراج الزكاة (٧).

٢- إن الواجب في أموال التجارة جزء من النصاب من حيث المعنى لا من حيث الصورة.

- استدل أصحاب المذهب الثالث بما يلي:

١- إن الزكاة إنما وجبت لأجل عين العروض، فوجب إخراجها من عينها (٨).

٢- إن الواجب في عروض التجارة هو إخراج الجزء منه صورة ومعنى، إلا أنه يجوز إقامة غيره مقامه من حيث المعنى ويبطل اعتباره الصورة بإذن صاحب الحق وهو الله تعالى (٩).

المناقشة والترجيح:

والذي أراه راجحا من هذه المذاهب - بعد الوقوف علي أدلتها- هو ما ذهب إليه أصحاب المذهب الأول، من أن الزكاة في عروض التجارة تخرج من القيمة دون العين، لما وجهوا به مذهبهم، ولأن الزكاة شرعت لدفع حاجة الفقير والمسكين ونحوهم، وقيمة العروض أكثر نفعا وإشباعا لحاجة الفقراء والمساكين ونحوهم من العين، لما يقتضيه دفع العين عند الحاجة إلى قيمتها من بيعها للحصول علي هذه القيمة، وتدني قيمة بيعها يقلل من سد حاجات المستحقين للزكاة، فكان دفع القيمة في العروض محققا الغاية من شرعية الزكاة.

المقصد الثاني

إخراج القيمة في زكاة سائر الأموال

اختلف الفقهاء في حكم إخراج القيمة في زكاة سائر الأموال غير عروض التجارة، ولهم فيه مذهبان

المذهب الأول:

يرى أصحابه عدم جواز إخراج القيمة في زكاة سائر الأموال غير عروض التجارة، وهو ما ذهب إليه جمهور المالكية وهو مذهب الشافعية، وظاهر مذهب الحنابلة، وإليه ذهب الظاهرية (١٠).

المذهب الثاني:

يرى من ذهب إليه جواز إخراج القيمة في زكاة سائر الأموال إذا كانت بقيمة العين، وهو مذهب الحنفية، وقال أبوحنيفة: من لزمه شاة فأخرج عنها دراهم بقيمتها، أو أخرج عنها ما له قيمة

أستاذ ورئيس قسم الفقه المقارن بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة الخبير بالمجامع الفقهية

عنده جاز، ووفقا لمذهبه أن كل ما جازت الصدقة به جاز إخراجه في الزكاة، سواء كان من الجنس الذي وجبت فيه الزكاة أم من غيره، إلا في مسألتين إحداهما: تجب عليه الزكاة فيخرج بقيمتها منفعة عين، بأن يسلم إلى الفقراء دارًا يسكنونها بقيمة الزكاة، والثانية أن يخرج نصف صاع جيد عن نصف صاع وسط لزمه، فإنه لا يجزئه، وهذا المذهب قول عند المالكية، ورواية عن أحمد (١١).

أدلة المذهبين

- استدل أصحاب المذهب الأول بما يلي:

أولا: السنة النبوية المطهرة:

١- روى عطاء عن معاذ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له حين بعثه إلى اليمن: «خذ الحب من الحب، والشاة من الغنم، والبعير من الإبل، والبقر من البقر» (١٢).

وجه الدلالة منه:

أفاد الحديث الأمر بأخذ الزكاة من جنس ما وجبت فيه، فدل على عدم جواز إخراج القيمة في زكاة المال، لأن الأمر بأخذ الزكاة من عين ما وجبت فيه جاء مجردا عن القرائن، فأفاد فرضية أخذ الجنس.

٢- روي عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «هاتوا ربع العشور من كل أربعين درهما درهم، وليس عليكم شيء حتى تتم مائتي درهم فإذا كانت مائتي درهم ففيها خمسة دراهم... وفي الغنم في كل أربعين شاة شاة» الحديث (١٣).

وجه الدلالة منه:

ورد الحديث بيانا لما أجمله الكتاب الكريم في قول الله تعالى: «وآتوا الزكاة» (١٤)، فتكون الشاة المذكورة في الحديث هي الزكاة المأمور بها، والأمر يقتضي الوجوب، فدل على وجوب إخراج العين في زكاة سائر الأموال.

٣- روي عن أنس رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه لما استخلف كتب له كتاب الصدقة لما بعثه إلى البحرين، جاء فيه: «هذه الصدقة التي فرضها رسول الله ﷺ وأمر بها أن تؤدى،



وكان فيه: في خمس وعشرين من الإبل بنت مخاض، فإن لم تكن بنت مخاض فابن لبون ذكر» (١٥).

وجه الدلالة منه:

أفاد الحديث أن رسول الله ﷺ أراد عين ما تؤدى منه الزكاة، لتسميته إياها، وقوله: «فإن لم تكن بنت مخاض فابن لبون ذكر»، ولو أراد المالية أو القيمة لم يجز، لأن خمسا وعشرين لا تخلو من مالية بنت مخاض، وكذلك قوله: «فابن لبون ذكر»، فإنه لو أراد المالية للزمه مالية بنت مخاض دون مالية ابن لبون.

ثانيا: القياس:

١- إن من أخرج القيمة قد عدل عن المنصوص عليه، فلم يجزئه ما أخرجه، كما لو أخرج الرديء من المال مكان الجيد منه في الزكاة (١٦).

٢- إن الحق في الزكاة لله تعالى، وقد علقه على ما نص عليه، فلا يجوز نقل ذلك إلى غيره، كالأضحية لما علقها على الأنعام لم يجز نقلها إلى غيرها (١٧).

ثالثا: المعقول:

١- إن الزكاة وجبت لسد حاجة الفقير وشكرا لنعمة المال، والحاجات متنوعة، فينبغي أن يتنوع الواجب ليصل إلى الفقير من كل نوع ما تندفع به حاجته، ويحصل شكر النعمة بالمواساة من جنس ما أنعم الله به عليه (١٨).

٢- إن الزكاة قربة لله تعالى، وكل ما كان كذلك فسبيله أن يتبع فيه أمر الله تعالى، ولو قال إنسان لوكيله: اشتر ثوبًا وعلم الوكيل أن غرضه التجارة، ووجد سلعة هي أنفع لموكله، لم يكن له مخالفته وإن رآه نفع، فما يجب لله تعالى بأمره أولى بالاتباع (١٩).

استدل أصحاب المذهب الثاني بما يلي

أولا: السنة النبوية المطهرة:

١- روى طاوس أن معاذا لما بعثه النبي ﷺ إلى أهل اليمن، قال لهم: «ائتوني بخميس أو لبيس آخذه منكم، فإنه أيسر عليكم وأنفع للمهاجرين بالمدينة» (٢٠).

٢- وروي عن طاوس قال: «لما قدم معاذ اليمن قال: ائتوني بعرض ثياب آخذه منكم مكان الذرة والشعير، فإنه أهون عليكم وخير للمهاجرين بالمدينة» (٢١).

اعترض على الاستدلال بحديث معاذ:

● قال ابن قدامة: إن حديث معاذ الذي رووه إنما هو في الجزية وليس في زكاة المال، بدليل أن النبي ﷺ أمره بتفريق الصدقة في فقرائهم ولم يأمره بحملها إلى المدينة، وفي حديثه هذا قال: «فإنه أنفع للمهاجرين بالمدينة» (٢٢).

٣- جاء في كتاب أبي بكر الذي كتبه في الصدقات قوله: « هذه الصدقة التي فرضها رسول الله ﷺ وأمر بها أن تؤدى وكان فيه: «في خمس وعشرين من الإبل بنت مخاض، فإن لم تكن بنت مخاض فابن لبون ذكر».

وجه الدلالة منه:

أفاد الحديث جواز إخراج القيمة في الزكاة، لأن رسول الله ﷺ أمر بإخراج قيمة بنت المخاض عند عدمها، وهو ابن لبون ذكر.

٤- روي عن أيوب السختياني أن رسول الله ﷺ قال: «خذ الناب والشارف والعواري» (٢٣).

وجه الدلالة منه:

في الحديث أمر بأخذ غير ما وجبت فيه الزكاة من أعيان المال، مما يدل على جواز إخراج القيمة فيها. اعترض على الاستدلال به:

قال ابن حزم: لا حجة فيه لوجهين، أحدهما: أنه مرسل ولا حجة فيه، والثاني: أن في آخره «ولا أعلمه إلا كانت الفرائض بعد»، فلو صح لكان منسوخا بنقل راويه فيه (٢٤).

٥- روي من طريق الحسن وعطاء عن رسول الله ﷺ قال للمصدق: «أعلمه الذي عليه من الحق فإن تطوع بشيء فاقبله منه» (٢٥).

وجه الدلالة منهما:

أفاد الحديث أن رسول الله ﷺ أمر عامله على الصدقة أن يبين للمزكي ما وجب عليه في ماله، واعتبر ما يدفعه من غير أعيان ماله المزكي تطوعا، وأمر عامله أن يقبله منه، وهذا دليل على جواز أخذ القيمة في زكاة أعيان المال.

اعترض على الاستدلال بهما:

قال ابن حزم: هذا مرسل، ثم لو صح لم يكن فيه حجة، لأنه ليس فيه نص الواجب ولا بأخذ قيمة، ونحن لا ننكر أن يعطي أفضل ما عنده من السن الواجبة عليه (٢٦).

ثانيا: آثار الصحابة:

١- روي عن عطاء قال: «كان عمر بن الخطاب يأخذ العروض في الصدقة من الدراهم» (٢٧).

٢- روى عبدالله بن عبدالرحمن الأنصاري أن عمر كتب إلى بعض عماله «ألا يأخذ من رجل لم يجد في إبله السن التي عليه إلا تلك السن من شروى إبله أو قيمة عدل» (٢٨).

وجه الدلالة منهما:

أفاد الأثران أن عمر رضي الله عنه أجاز أخذ القيمة في الزكاة.

اعترض علي الاستدلال به:

قال ابن حزم: هذا في غاية السقوط لوجوه: أحدها: أنه منقطع لأن ابن جريج قال: أخبرت عن عبدالله بن عبدالرحمن، ولم يسم من بينه وبين عبدالله، والثاني: أن عبدالله بن عبدالرحمن الأنصاري مجهول لا يدرى من هو، والثالث: أنه لو صح لما كانت فيه حجة، لأنه ليس عن رسول الله ﷺ، ولا حجة فيما جاء عمن دونه، والرابع: أنه قد يحتمل أن يكون قول عمر لو صح عنه «أو قيمة عدل»، هو ما بينه في مكان آخر من تعويض الشاتين أو الدراهم، فيحمل قوله على الموافقة لا على التضاد (٢٩).

ثالثا: القياس:

١- إن المال الذي يُخرج منه الزكاة مال مزكى، فجاز إخراج قيمته قياسا على إخراج قيمة عروض التجارة.

٢- ولأن القيمة التي تخرج زكاة هي من قبيل المال، فأشبهت المال المنصوص على إخراجه زكاة (٣٠).

رابعا: المعقول:

١- إن المقصود من الزكاة دفع الحاجة، ولا يختلف ذلك بعد اتحاد قدر المالية باختلاف صور الأموال (٣١).

٢- ولأنه لما جاز العدول عن العين إلى الجنس بالإجماع بأن يخرج زكاة غنمه غنم غيرها جاز العدول من جنس إلى جنس (٣٢).

٣- إن المقصود من الزكاة إغناء الفقير، والإغناء يحصل بالقيمة بل أتم وأوفر، لأنها أقرب إلى دفع الحاجة، والنص الوارد بإخراج أجناس معينة في الزكاة معلول بالإغناء، وليس في تجويز إخراج القيمة عدم اعتبار حكم النص (٣٣).

خامساً: المناقشة والترجيح:

والذي تركن النفس إليه من المذهبين- بعد استعراض أدلتهما، وما اعترض به على بعضها- هو ما ذهب إليه أصحاب المذهب الأول، من عدم جواز إخراج القيمة في زكاة سائر الأموال غير عروض التجارة، لما استدلوا به على مذهبهم، ولأن هذه الأعيان قد تفي بحاجة المستحقين للزكاة، فكان إخراج الزكاة من عينها محققا الغاية من شرعية الزكاة.

المقصد الثالث

تخريج صور تمويل المساكن:

وتخريجا على مذهب من يرون إخراج القيمة في زكاة عروض التجارة، وهو الأصح عند الشافعية، وإليه ذهب الحنابلة، ويرى المالكية أنه إنما يخرج الزكاة من ثمنها عند قبضه بعد بيعها، فإن لم تبع فلا زكاة فيها، أو على مذهب من يرى أن المزكي فيها مخير بين إخراج الزكاة من قيمة العروض أو من عينها، وهو ما ذهب إليه أبوحنيفة، وقول آخر للشافعي، وتخريجا على مذهب من يرون جواز إخراج القيمة في زكاة سائر الأموال غير عروض التجارة - وهو مذهب مرجوح مروي عن عمر بن عبدالعزيز، وهو قول الثوري والحسن البصري، ومذهب الحنفية، وقول عند المالكية، ورواية عن أحمد- فإنه يجوز ابتياع مسكن للفقير أو المسكين من أموال الزكاة، فيملك رقبته ومنفعته، أو يملك منفعته فقط، أو تملك له الأجرة التي يغلها المسكن المبتاع بأموال الزكاة، وكما جاز إعطاؤه الزكاة بتمليكه منفعة المسكن الذي ابتيع من أموال الزكاة، فإنه يجوز إعطاؤه الزكاة بتمليكه منفعة الموقوف عليه الذي اشتري من أموال الزكاة، بحسبان أن منفعة السكن والوقف لها قيمة مالية (٣٤)، وأن الإجارة تفيد ملكية منفعة العين المؤجرة للمستأجر وعوض المنفعة للمؤجر (٣٥)، وأن الوقف يفيد ملك منفعة الموقوف للموقوف عليه باتفاق الفقهاء (٣٦).

ومن ثم فإن حكم الصور الأربع التي هي: إخراج الزكاة للفقير في صورة مسكن يُملّك إياه، وإخراج الزكاة للفقير بتمليكه منفعة المسكن، وإخراج الزكاة للفقير بتمليكه ريع المسكن، بأن يشترى مسكنا بأموال زكوية، ثم يؤجر، ويدفع ما يخرج منه من أجرة على أنه زكاة لآخرين، وإخراج الزكاة للفقير بوقف المسكن عليه، هو الجواز في الجميع تخريجا على مذهب

من يرى جواز إخراج القيمة في زكاة عروض التجارة، وعلى مذهب من يرى جواز إخراج القيمة في زكاة سائر الأموال التي تجب فيها الزكاة، باعتبار إجزاء إخراج قيمة الزكاة الواجبة ممثلة في المسكن المشترى من أموال الزكاة الذي يتملكه الفقير أو المسكين، أو الذي يتملك منفعته أو ريعه، أو ممثلة في العين المبتاعة من أموال الزكاة ليسبل ريعها للفقراء والمساكين.

وأما الصورة الخامسة: وهي تمويل المساكن بالأموال الزكوية، عن طريق تسديد الدين الذي لزم الفقير أو المسكين من شراء المسكن أو بنائه، أو الدين الذي لزمه من مسكن استأجره فإن هذه الصورة جائزة أيضا لإيصال الزكاة إلى مستحقيها، بوصفهم من الغارمين، فيستحقون من سهم الغارمين في الزكاة، المدلول عليه بآية الصدقات، وما روي من حديث قبيصة بن المخارق الهلالي رضي الله عنه قال: «تحملت حمالة، فأتيت النبي ﷺ أسأله فيها، فقال: أقم يا قبيصة حتى تأتيني الصدقة فآمر لك بها، ثم قال رسول الله ﷺ: إن الصدقة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادًا من عيش، ورجل أصابته جائحة فاجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو سدادا من عيش، ورجل أصابته فاقة فحلت له الصدقة حتى يصيب قواما من عيش، فما سوى ذلك يا قبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتا»(٣٧)، حيث دل الحديث على أن من أصابته الفاقة، وهي الحاجة والفقر(٣٨)، يستحق أن يصرف له من أموال الصدقة ما يدفع عنه حاجته وفقره، وأنه يحل له أن يسأل الصدقة لحاجته تلك، فيجوز وفقا لهذا أن يعطى من أموال الزكاة بمقتضى وصفين، وصف الفقر أو المسكنة، الملازم له قبل بناء المسكن أو تأجيره، ووصف الغرم، باعتبار أنه لزمه دين البناء أو الأجرة الذي يعجز عن الوفاء به.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

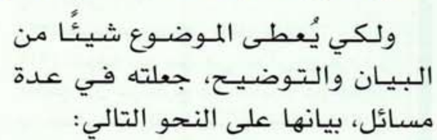
(١) شرح الزرقاني علي خليل ١٤٨/٢، الفواكه الدواني ٣٣١/١، المهذب ١٦١/١، المجموع ٥٩/٦، الشاشي: حلية العلماء ٩١/٣، المغني ٣٣٥/٢.
(٢) بدائع الصنائع ٢١/٢، المهذب ١٦١/١، المجموع ٥٨/٦، حلية العلماء ٩١/٣.
(٣) بدائع الصنائع ٢١/٢- ٢٢، المجموع ٥٩/٦.
(٤) المغني ٣٣٥/٢.
(٥) المجموع ٥٨/٦.
(٦) المغني ٣٣٥/٢.
(٧) المجموع ٥٨/٦.
(٨) المجموع ٥٨/٦.
(٩) بدائع الصنائع ٢٢/٢.
(١٠) مواهب الجليل ٣٥٦/٢، شرح الزرقاني علي خليل ١٦٠/٢، حاشية الدسوقي والشرح الكبير ٤٩٩/١، المجموع ٣٨٣/٥- ٣٨٤، المغني ٣٥٧/٢، مرعي: دليل الطالب ٧٢/١، المحلي ٢٥/٦.
(١١) البحر الرائق ١٤٤/٢، بدائع الصنائع ٧٣/٢، حاشية الدسوقي ٤٩٩/١، المجموع ٣٨٤/٥، حلية العلماء ١٢٢/٣، المغني ٣٥٧/٢.
(١٢) أخرجه البيهقي وأبوداود وابن ماجة والدارقطني في سننهم، والحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. (سنن البيهقي ١١٢/٤، سنن أبي داود ١٠٩/٢، سنن ابن ماجة ٥٨٠/١، سنن الدارقطني ٩٩/٢، ابن حجر: تلخيص الحبير ١٧٠/٢).
(١٣) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، وأحمد في مسنده، وأبوداود في سننه وسكت عنه. (صحيح ابن خزيمة ٣٠/٤، مسند أحمد ٣٥/٣، سنن أبي داود ٩٩/٢).
(١٤) من الآية ٤٣ من سورة البقرة.
(١٥) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، والبزار والشافعي في مسنديهما، والحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. (صحيح ابن خزيمة ٢٧/٤، مسند الشافعي ٨٨/١، مسند البزار ١٠٢/١، المستدرك ٥٤٨/١).
(١٦) المغني ٢٥٨/٢.
(١٧) المجموع ٣٨٣/٥- ٣٨٤.
(١٨) المصدر السابق.
(١٩) المصدر السابق /٣٨٦.
(٢٠) الخميس ضرب من برود اليمن، وجاء في البخاري خميص بالصاد، قيل هو مذكر الخميصة، وهي كساء صغير (النهاية في غريب الحديث والأثر ٧٩/٢)، والحديث ذكره البخاري تعليقا، فقال: وقال طاووس قال معاذ، وذكره أبوعبيد بغير إسناد بلفظ « إيتوني بخميس أو لبيس»، والباقي نحوه، ورواه البيهقي في خلافياته، كما أخرجه في السنن، وقال: قال أبوبكر الإسماعيلي: حديث طاوس عن معاذ إذا كان مرسلا فلا حجة فيه، وقد قال فيه بعضهم من الجزية بدل الصدقة، قال الشيخ هذا هو الأليق بمعاذ والأشبه بما أمره النبي ﷺ به، من أخذ الجنس في الصدقات وأخذ الدينار أو عدله معافر ثياب ظاهرا في الجزية، وأن ترد الصدقات على فقرائهم لا أن ينقلها إلى المهاجرين بالمدينة، الذين أكثرهم أهل فيء لا أهل صدقة. (ابن الملقن: خلاصة البدر المنير ١٦٥/٢، السنن الكبري ١١٣/٤).
(٢١) أخرجه ابن حزم في المحلى، وقال: هذا الخبر لا تقوم به حجة، لأنه مرسل، فإن طاوس لم يدرك معاذا. (المحلى ٢٥/٦).
(٢٢) المغني ٢٥٨/٢.
(٢٣) الناب: أي ذات الناب، الشارف: المسنة من النوق، العواري: جمع عارية، وهي التي يتعاورها الناس للركوب والحمل، والحديث أخرجه ابن حزم في المحلى، وقال: إنه حديث مرسل، ولا حجة فيه. (المحلى ٢٦/٦).
(٢٤) المحلى ٢٦/٦.
(٢٥) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه، وابن حزم في المحلي، وقال فيه: لا يصح لأنه مرسل. (مصنف عبدالرزاق ٤١/٤، المحلى ٢٧/٦).
(٢٦) المحلى ٢٧/٦.
(٢٧) أخرجه ابن حزم في المحلى ٢٧/٦.
(٢٨) أخرجه ابن حزم في المحلى، وقال: خبر منقطع، لأن ابن جريج قال: أخبرت عن عبدالله بن عبدالرحمن، ولم يسم من بينه وبين عبدالله بن عبدالرحمن. (المحلى ٢٥/٦- ٢٦).
(٢٩) المحلى ٢٥/٦- ٢٦.
(٣٠) المجموع ٣٨٤/٥.
(٣١) بدائع الصنائع ٧٣/٢، المغني ٣٥٧/٢.
(٣٢) المجموع ٣٨٤/٥.
(٣٣) بدائع الصنائع ٧٣/٢.
(٣٤) وهو مذهب جمهور الفقهاء: منهم المالكية والشافعية والحنابلة. (حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير ٤٤٢/٣، ابن رشد « الحفيد» بداية المجتهد ٢٥١/٢، الشربيني: مغنى المحتاج ٢٨٦/٢، قواعد الزركشي (خ) /ق٣٦٦ أ، الشربيني: الإقناع ٦٥٢/٢، زكريا الأنصاري: فتح الوهاب ٣٩٩/١، المغني ١٦٩/٥، ابن قدامة: الكافي ١٤٢/٢، البهوتي: شرح منتهي الإرادات ٢٤٨/٢).
(٣٥) الرافعي: فتح العزيز ١٩٩/١٢، مغنى المحتاج ٣٣٤/٢، المغني ١٣/٦.
(٣٦) لا خلاف بين الفقهاء على أن من وقف شيئا وقفا صحيحا، فقد صارت منافعه جميعها للموقوف عليه، وزال عن الواقف ملك منافعه، فلم يجز أن ينتفع بشيء منها، إلا أن يكون قد وقف شيئا للمسلمين، فيدخل في جملتهم، مثل أن يقف مسجدا فيكون له أن يصلي فيه، أو أن يقف مقبرة فيكون له الدفن فيها، أو بئرا أو سقاية للمسلمين، فله أن يستقي منها، أو شيئا يعم المسلمين فيكون كأحدهم، قال ابن قدامة: لا نعلم في هذا كله خلافا بين أحد من أهل العلم. (المهذب ٤٤٣/١، النووي: منهاج الطالبين ٨١/١، المغني ٤٥٢/٥، ابن مفلح: المبدع ٣٢٩/٥).
(٣٧) أخرجه مسلم في صحيحه ٧٢٢/٢.
(٣٨) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٨٠/٢، ابن سلام: الغريب ٦١/٢.

أسئلة تعليمية حول الوقف الإسلامي



د . صالح النهام

الوقف تشريع عظيم امتاز به ديننا الحنيف، وتفرد بتوسيعه وتفصيله فقهنا الوافي، فتح الإسلام بالوقف بابًا عريضًا من أبواب الخير، بل ربما كان هذا الباب الأوسع بين أبواب خدمة المجتمع، لأنه جعل من المساهمات الخيرة مؤسسات، ومن العطاءات إدارات، وهذا لاشك سبق في مجال بناء المجتمعات وتطويرها. ولاريب أن الوقف من أفضل الصدقات، فلا يباع ولا يشترى، ولا يوهب ولا يورث، وهو يشكل في الفقه الإسلامي جانبًا من الأحكام الفقهية، التي تشتمل على قواعد وأحكام خاصة متشعبة النواحي.



ولكي يُعطى الموضوع شيئًا من البيان والتوضيح، جعلته في عدة مسائل، بيانها على النحو التالي:

المسألة الأولى: ما المقصود بالوقف؟

يقصد بالوقف لغةً(١): الحبس والمنع، وهو مصدر لقولك: وَقَفْتُ الدابة وقفًا، إذا حبستها في سبيل الله، والرجل واقف: إذا منع نفسه من السير، قال سبحانه: ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾ (الصافات: ٢٤)، أي: احبسوهم عن السير.

وأما الوقف اصطلاحًا: فقد اختلف الفقهاء في تعريفه على أقوال إليك بيانها:

فعرفه الإمام أبوحنيفة بأنه: «حبس العين على ملك الواقف والتصدق بالمنفعة كالعارية» (٢).

وعرفه الصاحبان أبويوسف ومحمد بأنه: «حبس العين على حكم ملك الله تعالى على وجه يعود نفعه إلى العباد» (٣).

وعرفه المالكية بأنه: «إعطاء منفعة شيء مدة وجوده، لازمًا بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديرًا» (٤).

وعرفه الشافعية بأنه: «حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح» (٥).

وعرفه الحنابلة بأنه: «تحبيس مالك مطلق التصرف ماله المنتفع به مع بقاء عينه، بقطع تصرفه وغيره في رقبته، يصرف ريعه إلى جهة بر تقربًا إلى الله تعالى» (٦)، وقيل: «تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة أو المنفعة» (٧).

فبعد عرض تعاريف الفقهاء للوقف يتبين أنها متشابهة في بعض صورها وألفاظها، لكنها تشير إلى خلاف جوهري بينهم ينتج عنه نتائج فقهية، إليك بيانها:

أولًا: لقد جاء تعريف الإمام أبي حنيفة للوقف بأنه بمنزلة العارية، أي تنتقل منفعته إلى الموقوف عليهم ولا تخرج عن ملك الواقف، ومن ثم فالواقف له حق التصرف في الموقوف مادام حيًا، وتنتقل إلى ورثته بعد وفاته كملكية الشيء المعار، وقولنا: هو بمنزلة العارية؛ لأن الوقف يختلف عن العارية في بعض الأحكام كاشتراط التسليم إلى شخص آخر، فيصح للواقف أن يتولى صرف منفعته إلى من يشاء.

ويرى الصاحبان أن الواقف متى ما تم الوقف تخرج العين الموقوفة عن ملكه، فليس له أن يتصرف فيها تصرف الملاك بالبيع أو الهبة أو الرهن، وبالتالي إذا توفي الواقف فلا تنتقل إلى ورثته، وتصرف منفعتها وغلتها إلى المستحقين، وقال بذلك الشافعية والحنابلة خلافًا للمالكية؛ لأن الوقف عندهم لا يخرج العين الموقوفة عن ملك الواقف، وهذا ما قال به أبوحنيفة، لكن ليس له أن يتصرف في العين الموقوفة بالتصرفات الناقلة للملكية كالبيع والهبة، وفي نفس الوقف يلزمه التصدق بمنفعتها على الموقوف عليهم كمذهب الجمهور.

ثانيًا: تبين كذلك أن الوقف عند الإمام أبي حنيفة تبرع غير لازم، ومن ثم فللواقف حق الرجوع متى ما أراد، كما هو الحال في العارية؛ لأنه مازال هو المالك، فيمكنه التصرف كيفما شاء، أما جمهور الفقهاء بمن فيهم المالكية فعندهم أنه بمجرد الوقف يكون لازمًا، ومن ثم فلا يحق للواقف الرجوع فيه،

المراقب في مجلة الوعي الإسلامي

وتصرف منفعته إلى الموقوف عليهم.

المسألة الثانية: ما الصورة الفقهية لمعنى الوقف؟

إن الأموال كافة من منقول وغير منقول إنما خلقت للانتفاع بها كما أشار إليه قوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا﴾ (البقرة: ٢٩).

والانتفاع بالمال يكون على طريقين هما: إما باستهلاك عينه، وإما باستعماله مع بقاء عينه، وقد يكون المال استهلاكيًا كالأغذية، أو استعماليًا كالملبس والمسكن، وما يحتاج الفرد إلى منافعه من الأموال لا يوجد عنده عادة إلا القليل منه، ولا تتم حاجته إلا بما عند غيره، لذلك كانت مبادلات الأموال بين الناس لتبادل منافعها مما تقضي به حاجات الحياة ونظامها.

فالأموال بمقتضى طبيعتها وخلقتها قابلة لورود الملكية عليها، ولتعاقب الأسباب لهذه الملكيات من حوزة إلى حوزة، فليس شيء منها في الأصل محبوسًا عن التداول (٨).

فإذا بدا لأحد ألا يحبس بعض أمواله عند التداول فلا يتملكها أحد؛ بل تبقى محجورة عن ذلك أبدًا لا يمسها أي سبب من الأسباب الناقلة للملك، وإنما ينتفع بها فقط في وجوه معينة دون امتلاك، فهذه حالة استثنائية في المال سميت حبسًا أو وقفًا.

إذن الوقف بمفهومه الإجمالي يفيد معنى حبس المال عن الامتلاك والتداول في سبيل المقاصد العامة.

المسألة الثالثة: ما مشروعية الوقف؟

لاشك أن أهل العلم متفقون على أن الوقف جائز شرعًا (٩)، ومشروعيته ثابتة بالقرآن والسنة والإجماع، وبيان

الوقف بمفهومه الإجمالي يفيد معنى حبس المال عن الامتلاك والتداول في سبيل المقاصد العامة

ذلك فيما يلي:

- **القرآن الكريم:**

قال تعالى: ﴿لن تَنالوا البرَّ حتى تُنْفِقوا مما تُحبون﴾ (آل عمران: ٩٢).

ووجه الدلالة من تلك الآية: هو إفادتها عموم الإنفاق في وجوه الخير والبر، والوقف لاشك أنه أحد هذه الوجوه.

ثم إن أبا طلحة عندما سمع قوله تعالى: ﴿لن تَنالوا البرَّ حتى تُنْفِقوا مما تُحبون﴾ ذهب إلى رسول الله ﷺ وقال له: «إن أحب أموالي إلي بَيْرحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برَّها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله...» (١٠).

- **السنة المطهرة**

لقد وردت أحاديث عامة، وأخرى خاصة تقرر مشروعية الوقف، فمن الأحاديث العامة: قول رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» (١١).

ومن الأحاديث الخاصة: قول رسول الله ﷺ: «من احتبس فرسًا في سبيل الله إيمانًا بالله وتصديقًا بوعده، فإن شعره، وروثه، وبوله، في ميزان حسناته» (١٢).

ووجه الدلالة: أن الصدقة الجارية المستمرة في هذين الحديثين محمولة على الوقف عند العلماء، واستمرار الثواب بجريان الصدقة التي تعتبر عملًا لا يقطعه الموت هو الوقف اللازم المؤبد، ولو جاز أن يكون غير لازم لكان صدقة مقطوعة لا جارية، والغرض أنها مستمرة كما دل عليه حديث: «... صدقة جارية».

- **الإجماع:**

قال جابر بن عبدالله رضي الله عنه: «ما أعلم أحدًا كان له مال من المهاجرين والأنصار، وإلا حبس من ماله، صدقة مؤبدة، لا تشترى أبدًا، ولا توهب، ولا تورث» (١٣)، وقال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم لا نعلم بين المتقدمين منهم في ذلك اختلافًا في إجازة وقف الأرضين وغير ذلك» (١٤).

المسألة الرابعة: ما الحكمة من مشروعية الوقف؟

الحكمة من الوقف هي إيجاد وتوفير أموال للإنفاق منها على أوجه البر والخير، مما ينفع المسلمين المنتفعين بها، وبما يُقرِّبُ الواقف إلى الله تعالى، ويزيد له في حسناته ويجزيه خير الجزاء: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون. إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ (الشعراء: ٨٨- ٨٩).

ولا يخفى أن الوقف يعمل على تأكيد التكافل الاجتماعي بأحسن صوره، مما يدعونا إلى المزيد من المساهمة في دعم مشروع الوقف الخيري الإسلامي لمساعدة المسلمين، ونشر دعوة الله المباركة في أصقاع المعمورة.

المسألة الخامسة: ما أول وقف في الإسلام؟

لاشك أن أول وقف عرفه العرب قبل الإسلام: الكعبة المشرفة، وهي البيت العتيق الذي بناه سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ ليكون مثابة

للناس وأمنًا، فأصبح للعرب مصلى عام على اختلاف قبائلهم، يحجون إليه كل عام ويطوفون به، ويصلون عنده، ثم جعلوه مقرًا للأصنام بعدما أدخلت على العرب عبادة الأصنام، حتى جاء الإسلام وفتحت مكة، فأمر النبي صلوات الله وسلامه عليه بهدم الأصنام من الكعبة، وطهرها منها، وأخلصها لعبادة الله جل وعلا، وفي السنة الثانية من الهجرة جعلت الكعبة المشرفة قبلة المسلمين يصلون إليها، بعد أن كانت إلى بيت المقدس.

وأما أول وقف ديني في الإسلام فهو مسجد قباء، الذي أسسه رسول الله ﷺ حين قدومه مهاجرًا إلى المدينة قبل أن يدخلها وهو في ضيافة كلثوم بن الهدم بن عمرو بن عوف، شيخ الأنصار، ثم بعد مسجد قباء المسجد النبوي في المدينة دار الهجرة، بناه رسول الله ﷺ في السنة الأولى للهجرة عند مبرك ناقته؛ لما قدم مهاجرًا من مكة إلى المدينة.

كذلك أول وقف من المستغلات الخيرية عرف في الإسلام وقف النبي ﷺ وهو سبعة حوائط (١٥) بالمدينة، كانت لرجل يهودي اسمه مخيريق، وكان محبًا ودودًا لرسول الله ﷺ، وقاتل مع المسلمين في غزوة أحد، وأوصى: إن أصبت أي: قتلت، فأموالي لمحمد يضعها حيث أراه الله تعالى، وقد قتل يوم أحد وهو على يهوديته، فقال النبي ﷺ: «مخيريق خير يهود»، وقبض النبي ﷺ تلك الحوائط السبعة فتصدق بها، أي: وقفها (١٦).

ولقد ثبت أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال: «أصاب عمر أرضًا بخيبر، فأتى النبي ﷺ يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله إني أصبت مالاً بخيبر لم أصب قط مالاً أنفس عندي منه، فما تأمرني فيه؟ قال رسول الله ﷺ: «إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها، غير أنه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث»، قال: فتصدق بها عمر في الفقراء وذي القربى، وفي سبيل الله، وابن السبيل، والضيف، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، أو يطعم صديقًا غير متمول فيه، وفي لفظ: غير متأثل فيه» (١٧).

الأوقاف في بلاد المغرب تسمى أحباساً

وقد تتابعت أوقاف الصحابة رضوان الله عليهم بعد وقف عمر رضي الله عنه، فتصدق عثمان بن عفان رضي الله عنه من أمواله الخاصة ببئر رومة، ولم يكن في المدينة ماء يستعذب غير بئر رومة، وتصدق علي رضي الله عنه بأرضه بينبع حبسًا على الفقراء والمساكين وفي سبيل الله وابن السبيل القريب والبعيد، في السلم والحرب، وبلغ جذاذها في زمن علي رضي الله عنه ألف وسق.

وكان الوقف أول عهده يسمى: صدقة، وحبسًا، وحبيسًا، ثم حدث اسم الوقف، ولا تزال الأوقاف إلى اليوم في بلاد المغرب تسمى أحباسًا.

وللعلم فإن معظم أوقاف الصحابة الكرام كانت بعد وفاة رسول الله ﷺ، ما عدا وقف عمر بن الخطاب، وأبي طلحة رضي الله عنهما.

فيتضح مما سلف أن الوقف في الإسلام لم يكن مقصورًا على أماكن العبادة فقط كما كان عليه في الأمم السابقة قبله، بل تعداه إلى مقاصد الخير العامة في المجتمع منذ عصر رسول الله ﷺ، كالمستغلات العقارية التي تفيض بالثمرات، والأراضي الزراعية، ثم دور السكن.

المسألة السادسة: ما أقسام الوقف؟

أقسام الوقف خمسة، أسوقها على النحو التالي:

١- الوقف الخيري: وهو الوقف الذي وقف على جهات الخير من حين إنشائه، كالوقف على الجوامع ودور العلم والمستشفيات أو الفقراء أو الملاجئ ودور العجزة (١٨).

٢- الوقف الذُّري أو الأهلي: وهو الوقف الذي يكون مشروطًا للواقف، ومن ثم إلى ذريته، وبالنهاية إلى جهة خير لا تنقطع، وقد كان في أول عهده منصرفًا إلى وجوه البر والإحسان، يشترك فيه الواقف وأهله وأقاربه، وسائر الناس، ثم بدأت الناس توقف الأموال على أولادها صيانة لأموالهم من التبديد، ولدوام انتفاع ذرية الواقف منه، وقد كان هذا التصرف من الواقفين بداية لنشأة الوقف الذُّري (١٩).

٣-الوقف المضبوط: وهو الوقف الذي ضبطته قبلاً وأدارته وزارة الأوقاف العثمانية، وهي أوقاف وقفها السلاطين على جهة الخير، ثم عهدوا إلى نظارة الأوقاف العثمانية بإدارتها، ومنها الأوقاف التي انقرضت ذرية الواقف فيها فاستلمتها إدارة الأوقاف أيضًا، وانتقل اليوم بزوال الدولة العثمانية إلى إدارة الأوقاف الإسلامية العامة، وهذا النوع لا يحجر عليه، لأنه يدار من مؤسسة ذات نفع عام.

٤- الوقف الملحق: وهو الذي يقوم بإدارته متولٍ بإشراف دائرة الأوقاف العامة، ويقع ذلك إذا كان المتولي صغيرًا، وقد شرطت له التولية فيلحق بإدارة الأوقاف العامة إلى أن يبلغ رشده أو إذا وقع خلاف على التولية،

فتستلم إدارة الأوقاف العامة الوقف مؤقتًا حتى انتهاء النزاع عليها (٢٠).

٥- الوقف الصحيح وغير الصحيح:

فأما الوقف الصحيح، فيكون في كل ما يدوم الانتفاع به كالعقار، والمساجد والآبار، والدور، والبساتين، والمنقول من الحيوان والسلاح، والعتاد، والسيارات والبرادات، والأثاث، والمصاحف، والكتب.

أما الوقف غير الصحيح، فهو ما لا يدوم الانتفاع به كالطعام والشراب غير الماء، وكل ما يحرم استعماله أو تملكه، وكذا ما لا فائدة ولا طائل منه، كالكلب والمسكرات والخنزير (٢١).

المسألة السابعة: ما أركان الوقف؟

الوقف التزام كسائر الالتزامات العقدية التي يبرمها الإنسان، له أركان مادية، وركن شرعي.

فأما أركانه المادية فثلاثة: الشخص الواقف، المال الموقوف، الجهة المراد وقفها.

وأما الركن الشرعي: فالعقد، وهو الإيجاب فقط من الواقف بصيغته المعتبرة، فلا يحتاج إلى قبول الموقوف عليه، فقد يكون جهة بر وإحسان كالمسجد والمدرسة، وقد يكون أشخاصًا غير معينين كالفقراء وأبناء السبيل (٢٢).

المسألة الثامنة: كيف ينعقد الوقف؟

ينعقد الوقف ويصح بأحد أمرين:

الأمر الأول: ينعقد الوقف بالقول، وله حالتان:

الحالة الأولى: القول الصريح: كأن يقول: وقفت، سبلت، حبست، أبّدت، فهذه الألفاظ الأربعة صريحة لإدارة الوقف لعدم احتمال غيره.

الحالة الثانية: القول الدال على الوقف بالكناية: كقول قائل: تصدقت، فهذا اللفظ يحتمل الوقف وغيره؛ لأن لفظ الصدقة يطلق على صدقة الوقف، وصدقة الفرض، وصدقة التطوع.

> **ينعقد الوقف بقول: وقفت أو سبلت أو حبّست أو أبّدت**

ولا تفيد هذه الألفاظ وما شابهها الوقف إلا إذا انضم إليها واحد من أمور ثلاثة:

١- النية؛ لقوله رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات...» (٢٣).

٢- الاقتران بأحد ألفاظ الوقف الأخرى، كتصدقت بكذا صدقة موقوفة.

٣- الاقتران بحكم الوقف مثل: تصدقت بكذا صدقة لا تُباع ولا تورث.

الأمر الثاني: ينعقد الوقف بالفعل، فإذا حصل فعل مع دليل يدل عليه، كأن يبني بنيانًا على هيئة المسجد ويأذن إذنًا عامًّا بالصلاة فيه، أو يجعل أرضه مقبرة ويأذن إذنًا عامًّا بالدفن فيها، أو سقاية ويشرعها لهم- أي: يعدها ويهيئها لهم- ويأذن في دخولها، لأن العرف جار بذلك، وفيه دلالة على الوقف فجاز أن يثبت به كالقول وجرى مجرى من قدّم طعامًا لضيفانه، أو نثر نثارًا (٢٤).

المسألة التاسعة: ما شروط صحة الوقف؟

شروط صحة الوقف بيانها في ثلاثة أمور:

الأمر الأول: شروط الواقف: صحة عبارته- أهلية التبرع- الاختيار.

الأمر الثاني: شروط الموقوف (٢٥): أن يكون عينًا معينة- أن يكون مملوكًا للواقف- دوام الانتفاع بالموقوف- أن تكون منفعة الموقوف مباحة لا حرمة فيها.

الأمر الثالث: شروط الموقوف عليه:

والموقوف عليه قسمان:

القسم الأول: معين واحد فأكثر، وشرط في الموقوف عليه المعين إمكان تمليكه عند الوقف عليه، وذلك بأن يكون موجودًا في واقع الحال، فلا يصح الوقف على ولد له، والواقع أنه ليس له ولد، وكذلك لو وقف على الفقراء من أولاد فلان ولا فقير فيهم عند الوقف، فإن هذا الوقف غير صحيح ولا يصح الوقف أيضًا على جنين ولا على ميت ولا على دار.

القسم الثاني: غير معين، كالوقف على الجهات، كالفقراء مثلًا، يشترط في الموقوف عليه غير المعين (كالفقراء، والمساجد، والمدارس وغيرها)، حتى يكون الوقف صحيحًا شرطًا واحدًا هو: ألا يكون الوقف على معصية من المعاصي (٢٦).

المسألة العاشرة: ما الحالات التي ينتهي فيها الوقف الشرعي؟

١- إذا اشترط إنسان عقارًا، ووقفه، ثم ظهر شفيع للعقار وقضى له بحق الشفعة، فإن الوقف ينقضي، ولا يجب على الواقف أن يشتري بالثمن الذي يأخذه من الشفيع عقارًا آخر ليقفه بدلًا من الأول.

٢- إذا وقف إنسان عقارًا على أنه ملكه، ثم ظهر له مستحق وقضى بملكيته، ينقضي الوقف، ولا يجبر الواقف على وقف مال آخر سواه.

٣- إذا وقف إنسان مالًا ثم ظهر عليه دين سابق، لا وفاء له إلا ببيع الموقوف، ينقضي الوقف، ويوفى

الدين.

٤- إذا قضى القاضي بإبطال الوقف.

٥- إذا تلف العقار الموقوف بزلزال، أو طغى عليه الماء، أو أصبح عديم النفع، أو احترق، فإن الوقف يبطل ويعود إلى ملك الواقف أو ورثته.

٦- إذا استبدل الموقوف بعقار آخر، بناء على أحد المسوغات الشرعية، فإذا استبدل به عقار آخر، حل العقار الثاني محل الأول، وإذا بيع بالنقود يُشترى بالثمن عقار يحل محله في الوقفية.

٧- إذا غصب غاصب عقار الوقف، وليس بيد المتولي ما يثبت أنه وقف، وتصالح المتولي مع الغاصب على ثمن فإنه يشتري بالثمن عقارًا آخر يحل محل الأول الذي لا يعتبر وقفًا(٢٧).

وفي الختام إليك بعض المسائل المتعلقة بالوقف، أجملها على النحو التالي:

١- يجوز نقل الوقف إذا تعطلت منافعه إلى نظيره مما فيه مصلحة للوقف، وغبطة لجهته سواء كان ذلك عن طريق البيع أو غيره حسبما يقتضيه النظر الشرعي (٢٨).

٢-لا يشترط أن يكون البدل في مكان الوقف الأول، بل يجب مراعاة ما هو مصلحة أصل الوقف؛ لأن الأصل في هذا الباب مراعاة مصلحة الوقف (٢٩).

٣- يجوز استبدال الوقف الأول بوقف أنفع منه، كأن يقف بستانًا ثماره قليلة، فيبدلها بما هو أنفع للوقف (٣٠).

٤- الأولى أن تصرف نفقة من غلته؛ لأن القصد الانتفاع به مع بقاء عينه، ولا يمكن إلا بالإنفاق عليه، فكان بقاؤه يتضمن الإنفاق عليه (٣١).

٥- يصح الوقف إذا لم ينصب له قيِّمًا معينًا، لقول عمر رضي الله عنه: «لا جناح على من وليها أن يأكل منها»، فهذا عمر رضي الله عنه لم يعين لوقفه قيّمًا (٣٢).

٦ -يجوز للواقف أن يشترط لنفسه، أو لورثته جزءًا من ريع الموقوف (٣٣)، لقول رسول الله ﷺ: «من يشتري بئر رومة، فيجعل فيها دوله على دلاء المسلمين»، فاشتراها عثمان رضي الله عنه، ولقوله ﷺ للذي ساق البدنة «اركبها»، ولقول عمر رضي الله عنه: «... أن يأكل منه بالمعروف».

٧- إن ثواب الوقف يصل إلى الميت، وينفعه حتى إذا أوقف عنه.

٨- الأصل عدم وقف المرهون حتى يسدد ما عليه خروجًا من خلاف العلماء وعملًا بالحديث الصحيح: «المسلمون على شروطهم» (٣٤).

٩- يصح الوقف بالقول دون القبض على الراجح من أقوال أهل العلم؛ لأن الوقف شبيه بالعتق، وهما مشتركان في أنهما تمليك لله تعالى، فينفذ بالقول المجرد المحض عن القبض.

١٠- يصح الوقف إذا لم يُعيِّن الواقف جهة معينة؛ لأنه أراد بوقفه هذا البر والتقوى.

الهوامش

(١) انظر: مادة: (و ق ف) في كل من: لسان العرب لابن منظور، تاج العروس للزبيدي.
(٢) انظر: ملتقى الأبحر لإبراهيم الحلبي: (٢/٣٩٩).
(٣) انظر: اللباب في شرح الكتاب للغنيمي:(١/١٨٠).
(٤) انظر: الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك لأحمد الدردير: (٢/٢٩٦-٢٩٧).
(٥) انظر: حاشية قليوبي على منهاج الطالبين للنووي: (٣/٩٧).
(٦) انظر: منتهى الإرادات للفتوحي: (٣/٣٣٠).
(٧) انظر: المبدع في شرح المقنع لابن مفلح: (٥/٣١٣).
(٨) انظر: أحكام الوقف وأثره الحضاري والإنساني للأستاذ محمد عاكف: (١/١٠).
(٩) انظر: المبسوط للسرخسي:(١٢/٢٩)، مواهب الجليل للحطاب:(٦/١٨)، نهاية المحتاج للرملي:(٥/٣٥٨-٣٥٩)، المغني لابن قدامة:(٥/٥٩٧-٦٠٠)، المحلى لابن حزم:(٩/١٧٥).
(١٠) أخرجه البخاري، برقم: (١٤٦١)، ومسلم، برقم: (٩١٨).
(١١) أخرجه البخاري، برقم: (٦٥١٤)، ومسلم، برقم: (٢٩٦٠).
(١٢)أخرجه البخاري، برقم: (٢٨٥٣).
(١٣) انظر: المغني: (٦/١٨٩)، البحر الزخار: (٥/١٤٨).
(١٤) انظر: جامع الترمذي: (٣/٦٦٠).
(١٥) ويقصد بالحائط: البستان، وقد كانت معظم حوائط المدينة من النخيل.
(١٦) انظر: مقدمة كتاب أحكام الأوقاف للخصاف.
(١٧) أخرجه البخاري، برقم:(٢٥٨٦).
(١٨) انظر: كشاف القناع للبهوتي: (٤/٢٤١).
(١٩) انظر: أحكام الوقف وأثره الحضاري والإنساني: (١/٣٥- ٤٠).
(٢٠) انظر: المرجع السابق.
(٢١) انظر: فقه السنة للسيد سابق: (٢/٣٨١).
(٢٢) انظر: أحكام الوقف: (١/٥١).
(٢٣) أخرجه البخاري، برقم: (٦٦٨٩)، أبوداود، برقم: (٢٢٠١).
(٢٤) انظر: منار السبيل شرح الدليل لابن ضويان: (٢/٤).
(٢٥)انظر: فتح القدير لابن الهمام: (٥/٣٥)، حاشية الدسوقي: (٤/٧٥)، مغني المحتاج للشربيني: (٢/٣٧٧)، كشاف القناع: (٤/٢٤٣).
(٢٦) انظر: عجائب الصدقات: (١/٢٨٣-٢٨٤)، مغني المحتاج: (٢/٣٨٤)، حاشية الدسوقي: (٤/٨٥)، رد المحتار لابن عابدين: (٣/٣٦٥)، المغني: (٥/٦٣٢).
(٢٧) انظر: نصوص هذه المسائل في رد المحتار، والإسعاف، والفتاوى الخيرية، والفتاوى الخانية.
(٢٨) انظر: سبل السلام للصنعاني: (٢/٦٢-٦٣).
(٢٩) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: (٣١/٢٦٥).
(٣٠) انظر: مجموع الفتاوى: (٣١/٢٥٣).
(٣١) انظر: المرجع السابق: (٣١/٢١٤).
(٣٢) انظر: شرح السنة: (٨/٢٨٨)، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأسرار للشوكاني: (٣/٢٨٧).
(٣٣) انظر:المرجع السابق.
(٣٤) علقه البخاري: (٤/٥٢٧)، ووصله أحمد:(٢/٣٦٦).

لغة وأدب

سلاح الأدب

من جملة الركائز التي تساعدنا على إنشاء أدب حي ملتزم بقضايا الأمة ورافد مهم في عملية التنمية المجتمعية الاستفادة من تجارب الآخرين الأدبية الحية، وهذا ليس عيبًا، فالحكمة ضالة المؤمن، وهو أحق بها إن وجدها، واستفادتنا من تجارب الآخرين لا تعني أبدًا تخلينا عن مرتكزاتنا وثوابتنا وهويتنا، فهذه خطوط حمراء لا يجوز لأحد أن يتجاوزها تحت أي مسمى أو تحت أي لافتة أخرى.

ومن جهة أخرى، فإن استمرارية الأدب الحي الملتزم مرتبطة بوجود نخبة أدبية شبابية تتسلم الزمام ممن يسبقها، وهذه النخبة يجب أن تلقى الرعاية والاهتمام من قبل الأوساط الأدبية، وذلك عن طريق إقامة المسابقات الأدبية والندوات والحلقات النقاشية، مع تقديم الجوائز التشجيعية لدفع الموهوبين والمتميزين نحو كتابة أدبية راقية تنمي مشاعر الأمة وأحاسيسها، فالأدب سلاح ينبغي ألا نستهين به، وقد استخدمه الأدباء والشعراء في عصور ما قبل الإسلام وبعده حين كانوا في مقدمة الصفوف للدفاع عن قضايا الأمة أمثال طرفة وحسان بن ثابت، وأبو تمام، ونحن في أمس الحاجة اليوم إلى أدب يخدم قضايا الشعوب المسلمة.

التحرير



أدباء ونقاد وأكاديميون يؤكدون:

حرية الإبداع كلمة حق يُراد بها باطل!

تحقيق: محمد عبدالشافي القوصي

شهدت الحقبة الأخيرة كثيرًا من التنظيرات والتأويلات التي تناولت إشكالية الحرية وبخاصة فيما يتعلق بحرية الفكر، وحرية الإبداع، وحرية الرأي.. فما هو المقصود بالحرية في هذه المجالات؟ وهل حقًا يعاني الكُتّاب والمفكرون والأدباء والمبدعون من غياب تلك الحريات؟ وما هي أبعاد الحرية التي ينادي بها هؤلاء؟ وهل للحرية ضوابط؟ أم أنها بلا ضوابط وبلا رقيب؟ وهل العقيدة الإسلامية تقف حجر عثرة في وجه الإبداع؟ وهل هناك حرية مطلقة؟ وهل الإساءات الموجهة للعقائد والمقدسات تدخل تحت مفهوم الحرية؟ وهل.. وهل؟!

كل هذه التساؤلات وغيرها طرحناها على نخبة من الأدباء والمبدعين والمفكرين لاستلهام رأيهم فيها.. فإلى التفاصيل.

التاريخ الإسلامي مَحجَّة

في البداية، يقول- أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة الإسكندرية- د.محمد كمال إمام: إنه من أسف، أن تصبح العقيدة الإسلامية متهمة عند المغرضين والمشككين بأنها لا تشجع الأدب؛ لأنه يعتمد على الخيال، والخيال في فهم القاصرين نوع من الكذب لا يرضاه الدين، ولاشك أن هذه الاستنتاجات خطأ من ألفها إلى يائها، فالعقيدة الإسلامية تهيئ أرضًا خصبة للتجارب الأدبية، وتذكي المشاعر وتكرم الأديب، ولست في مجال الاحتجاج لهذه المقولة؛ لأن التاريخ الإسلامي محجة وشاهد لها، ويكفي أن أشير إلى قول رسول الله ﷺ «إن من البيان لسحرًا»، «وإنَّ من الشِّعْر لحكمة»، وأن أشير إلى استماعه للشعر، بل واستشهاده ببعضه، وتشجيعه لحسان بن ثابت رضي الله عنه وغيره من الشعراء، لذلك عندما تكون للمسلمين نظرية صريحة تعلن على الملأ موقف الإسلام من الأدب، وتبين مدى احتضانه له، فإنها تقطع دابر الشبهات، وتنير الدروب أمام الذين لا يعلمون.

إذ لا يمكن أن يكون ربط الأدب الذي ينتجه الأدباء المسلمون بالعقيدة أمرًا يشكل خروجًا عن طبيعة الأدب- كما يزعم دعاة الخروج- بل إنه يصحح مسار العلاقة بين الأدب والعقيدة، فيربطه بأصدق عقيدة، ويهيئ له أوسع مجال للتصور، وأدقه وأكثره تلاؤمًا مع الفطرة البشرية.

العقيدة الإسلامية تهيئ أرضًا خصبة للتجارب الأدبية

إن الأدب لابد أن يستند إلى معتقد، وأن يصدر عن تصور يكون خلف التعبير، وقد أدى الارتباط الخطأ وفساد التصور إلى زيادة قلق الإنسان وزيادة آلامه المضنية، فإذا أحسنا ووثقنا رابطته بالعقيدة الإسلامية صححنا مساره، وهيأنا له فرص إبداع عظيمة للغاية.

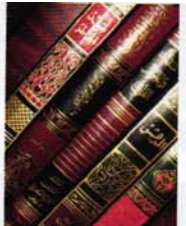
مفهوم الحرية في الإسلام

ومن جانبه، يقول- عميد كلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية- د.عبدالغفار هلال: لابد أن نعرف وأن نفهم أن الحرية في الإسلام ليست نقيضًا للالتزام، فالحرية معدن الوجود وجمال الكون، وهي صفة الفطرة السوية، ولكن الحرية التي نقصدها ليست الحرية التي تحدثت عنها الثورة الفرنسية، ولا التي تحدث عنها سارتر، ولا التي دعتْ إليها الليبرالية وزيفتها الدكتاتورية.. فالحرية هي التي تمنح الأدب جمال الصدق والعزة في حسن البيان، إن هذه الدعوة إلى الحرية أعلى وأطهر وأنقى من دعوات فلسفة أوروبا كلها، وقد خرجت دعوتهم من أحضان الراقصات، وزوايا المخدرات وقصص الجنس الفاضح المدمر، فهذا بودلير الفرنسي يدفع شعره وفكره ومبادئه من بين أقدام الراقصات والمخدرات وغيبوبته بفتاته وزولا في قصته الأرض، حيث يعرض لنا واقعًا وقحًا.

ولا يقصر الأدب الاشتراكي في محاولته عرض جرائم الفراش وفضائح البيوت، وتظل الحرية تفلتا من كل شيء، ومن كل القيم!

وحري بنا أن نعلم أيضًا أن جوانب الانحراف ليست إلاّ صورًا ضئيلة في حياة المجتمع، وأعتقد أن رسم هذه الصور على النحو المكشوف الصارخ فيه تجاوز للحق والصدق، وهو يعطي صورة توحي بغير الواقع نفسه، ولذلك فهي تنزع عن الكاتب أولى صفات الحرية وهي الأمانة والموضوعية والإخلاص.

ومن المعلوم أن كُتَّاب الجنس هم في

الأغلب منحرفون، وهم بكتاباتهم لا يمثلون المجتمع، إنما يمثلون الأهواء النفسية التي تتضارب في أعماقهم، وربما صحبها عدوان وانحراف يدفع إلى إثارة هذا الفن وإذاعته على أنه صورة واقعية للحياة.

البدع الفكرية

ويؤكد- الأستاذ بكلية دار العلوم جامعة القاهرة- د.أبو همام أن مذهب «الفن للفن» قد سقط في البيئات التي ظهر فيها، ولم يتحقق له الاستمرار أو البقاء، فقد كان الأدب له الغلبة دائمًا في هدفه وهو التسامي بالنفس الإنسانية ودفعها إلى الأمام، وإفساح الطريق أمامها للقوة والايجابية والكمال والسعادة، وقد واجه القارئ العربي هذا اللون الأدبي المكشوف بازدراء كبير، وهاجمه كثير من الكتاب والأدباء.

إنَّ حرية الفكر- كما يعلمها العقلاء- ليست مجرد شعارات ترفع، أو كلمات جوفاء يتشدق بها الناس، إنما لابد أن تكون واقعًا حيًا ملموسًا، وسلوكًا عمليًا يراه الناس ويمارسونه، وأن الحريات ليست مجرد نصوص في دساتير ومواثيق، إنما لابد أن تكون تطبيقًا مؤثرًا، ودافعًا قويًا للإبداع والخلق.. أمَّا عن مزاعم دعاة التمرد أوْ دعاة الخروج وأدعياء الحرية فكل ذلك بمنزلة بدعة يتشبث بها الضائعون والتائهون، تارة يسمونها فلسفة، وتارة أخرى يسمونها موقفًا وتعبيرًا عن الذات، بل ويحاولون أن يضعوا لها القواعد والأصول، وقد تكون لهذه البدع الفكرية في الغرب ما يبررها، لكن في الشرق المستعبد الممزق التائه، يلتقطونها ويروجون لها، ويتخذونها دينًا جديدًا، فيسقطون في خطر داهم، وفناء محتم.. وهو الخراب الفكري والعقائدي.

الالتزام غير الإلزام

فيما يرى- الأستاذ بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر- د.عبده زايد أنه لابد أن نعلم أن الالتزام غير الإلزام، فالإسلام لمْ يلزم شاعرًا بأن يكون كذلك، ولم يحمله عليه ولم يكرهه، ولكنه دعا إلى ذلك وحث عليه، واستحسن واستقبح، ورضي وكره، وتركهم أحرارًا فيما يقولون، إلا أن يخوضوا في الأعراض ويستبيحوا الحرمات ويشيعوا الفواحش، ويهزءوا بالدين ويسخروا من الأنبياء، فحينذاك يكونون قد تجاوزا حدود المباح، وقد يلقون من اللوم والعقاب ما يكافئ خروجهم هذا، شأنهم شأن غيرهم من الناس، ولا يشفع لهم حينذاك إبداعهم ولا تجويدهم في فنهم، وإذا كان الإسلام لم يكره شاعرًا على أن يكون ملتزمًا بالحق أو بالخير فما ينبغي أن نصادر حق الإسلام في أن يقبل ويرفض ويستحسن ويستقبح، والإسلام دين ونظام حياة يعنيه أن يتحقق الانسجام بين كل مناحي النشاط الإنساني- ومنه الإبداع- فلا يلام إذا حث الشعراء على الالتزام ودعاهم إليه، واستهجن منهم ما لا يحقق هذا الانسجام، وليس في هذا مصادرة لحرية الشاعر والأديب كما يبدو وكما يشاع، فالإسلام لا يقول للشاعر: اكتب في موضوع كذا، وقل فيه كذا وكذا، ولا تكتب في موضوع كذا.

الحرية ليست نقيضًا للالتزام.. بل هي تمنح الأدب صدق البيان

إن للمبدع مطلق الحرية في أن يتناول ما يشاء من الجزئيات في النفس والحياة والكون والطبيعة، ثم بعد ذلك قد يُستقبح كلامه وقد يستحسن، دون أن يكون هناك حساب أو عقاب.

نعم؛ إنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه سجن الحطيئة، وأن عمر بن عبدالعزيز نفى الأحوص من المدينة، وأن الرشيد سجن أبا نواس...، ولكن هذا لم يكن عقوبة على الشعْر، وإنما كان حماية لأعراض المسلمين وحرماتهم، وإذا لم يحم الخلفاء وولاة الأمور أعراض المسلمينَ وقيم الإسلام فمن الذي يحميها؟! المهم أن الالتزام الذي هو الالتزام الإسلامي، وأن الحرية التي نعنيها هي الحرية في المفهوم الإسلامي.

لا توجد حرية مطلقة

ترى الشاعرة والأديبة الإسلامية نوال مهنى أن حرية الإبداع ضرورة للمبدع حتى لا يقيد خياله أو تكبل أفكاره، ولكن ما مدى استخدام هذه الحرية؟ وهل هي مطلقة أم لها ضوابط؟

في تقديري أن حرية الإبداع عند هؤلاء الحداثيين ودعاة التحرر كلمة حق يراد بها باطل، ففي اعتقادي أنه لا يمكن أن توجد حرية مطلقة؛ لأنها بذلك ستصبح فوضى مطلقة، فكل مجتمع له قوانين وأعراف تحكمه، ولا يجوز تخطيها أو تجاوزها بحال من الأحوال.

وتضيف الشاعرة نوال مهنى أنه ينبغي على الأديب أو المبدع أن يعلم أنه صاحب قضية، وصاحب رسالة تجاه نفسه ومجتمعه، فلابد أن يكون قدوة لأمته بما وهبه الله من موهبة، وحباه من قدرة على التعبير والابتكار، لكي يقود مجتمعه إلى الأفضل والأقوم، لا أن يجرهم إلى مواطن الفساد وبؤر الرذيلة، أو يلقي بهم في التهلكة.

إننا لا نطلب من الكاتب أو الأديب أو المبدع أن يكتب لنا رغمًا عنه، ولا نطلب أن يكتب لنا في موضوعات بعينها، فإن له مطلق الحرية فيما يختار من أفكار ورؤى وموضوعات.. لكننا نريد منه أن يصلح ولا يفسد، أن يبني ولا يهدم، أن يرشد إلى الفضائل ويكف عن الرذائل، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويدعو إلى الخير ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

وإذا ما غضبوا هم يغفرون

محمد السعيد مصطفى

بكامل تأنقه الظاهري، مختالًا فخورًا، يجلس «عاصم عثمان» في بهو مسكنه أو على ناصيته متحسسًا شاربه الطويل المشذّب، يتفرس في ملامح العابرين والمارة هامزًا لامزًا، متسمعًا أخبار صهره اللدود الذي يساكنه نفس الشارع، عسى أن يعلم عنه ما يسيء فيفضح مثالبه ويكشف عوراته ومعايبه، هوايته التراشق بالسباب، وحرفته افتعال الاختلاف وبلا أسباب، ومعروف أن الهواية أشد غواية من الاحتراف.

كانت علاقته بصهره متوترة للغاية، يتلمس الأسباب للوقيعة بينه وبين جيرانه بشخصيته «السيكوباتية»، التي تختلط لديها الحدود بين الخطأ والصواب بشكل مرضي، تلهث نفسه حقدًا أسود، لقد لاحظ عليه عبدالقادر - الجار اللصيق لصهره- أمورًا استعصى عليه فهمها، واستشكل تفسيرها، إنه كالفراشة تحوم حول اللهب، ساعية وراء حتفها، حاول تجسير الفجوة بينه وبين صهره دون جدوى، إنه يفتعل المشاكل، مثل ذبابة تفسد عليك لذة طعامك لحظة الجوع، اشتهر بين معارفه أنه إن لم يجد أحدًا يناطحه ناطح هو نفسُه الأشباحَ التي تحوم حول رأسه، تجاهله عبدالقادر حتى استفزه إعراضه وصمته معتبرًا إياه تعاليًا وتكبرًا، ويشهد الله أنه منها براء، كلما فجر ألغام ظلمه عليه، يعزف له أنغام حلمه، مقابلًا السيئة بالحسنة، فهو ممن «هدوا إلى الطيب من القول»، يعرف كيف يستفرغ بلطفه ما تضطرب به النفوس، حيث نداوة العبارة وطيب الكلمة التي تظل بلسمًا يطبب جراح الأرواح، تعمقت معنى الخيرية في ذاته حتى أضحت ملكة فطرية في سلوكاته، فلكل كلمة يقولها حقلها الدلالي الرصين، فصار لمن حوله مشيرًا صالحًا ووزيرًا ناصحًا.

تنبت في كفه ورود الود، وتتفجر من قلبه ينابيع الحب، يجلّ الكل قدره ويحترمه.

من لم ينقذ نفساً استغاثت به فقد قتلها

وإذا كان الغرور هو المخدر الذي يخفف آلام المغفلين، فعاصم عثمان هو الأسبق لتعاطيه، فقد وصل معه إلى حد الغباء المطبق والعماء المطلق، وأضحت النميمة فتنة لا تقاومها حواسه، ذات لسان نهم يلتهم كل من يحادثه.

يسمع عبدالقادر وهو عائد من المسجد عاصمًا يصيح بأبنائه الذين يلعبون مع أبناء صهره، حيث شبت بين الأطفال تراشقات صبيانية عادية، اسكتوا يا أولاد عبدالقادر حتى لا تسببوا لأبيكم الضرب والسب والإهانة- يقصد من صهره! ينظر إليه عبدالقادر، وعلى وجهه ابتسامة هازئة، فمعدن الحليم يظهر عند الغضب.

يستزيد عاصم في إشعال الفتنة، يتجاهله عبدالقادر، فهو أعقل وأنبل من أن يكون طرفًا في خصومه، يوقن أن الفراغ لعبة الأحمق الجاهل، ولعنة المثقف العاقل، وليس لديه الوقت لمثل تلك الترهات، يتمتم متصبرًا «ولمن صبر وغفر..» تسمع زوجته إهانات عاصم، وبفطرتها السمحة تنحاز إلى الائتلاف وتمقت الاختلاف، فتخرج مُنادية على أولادها درءًا للشر، لكنها سمعت ما استثارها فتعاتبه: كيف تدافع عن أولاد أعدائك، وأنت اللدود المتعطش للشماتة؟! لقد أطمعك حلم زوجي أيها المنافق، زوجي ليس لديه وقت للرد على نباحك!

يهب «عاصم» متوقدًا بكلمات ترمي بالشرر: إن حذائي أحسن من زوجك! عبارة صادمة دوت في أذنه تكاد أن تعصف بحلمه، لولا أن اعتصم بالله فألهمه الصبر «وإذا ما غضبوا هم يغفرون»، ويجذب زوجته معاتبًا إياها على الرد، مناديا أبناءه، مسترضيًا أبناء جاره، مبادرًا «عصامًا» برد المؤمن الواثق: شكرًا أخي عصام ليته حسن الجوهر لا حسن المظهر «فلا تزكوا أنفسكم» أقصد أحذيتكم... آسف! ليس لدي من وقت أضيعه معك:

وإن كل كلب عوى ألقمته حجرًا
لأصبح الصخر مثقالًا بدينار

يستثير زوجته هدوء أعصابه، وهي المتصفة بالحمية، لا تتساهل بأي إخلال ولو غير مقصود، وتعاتب زوجها على حلمه المتزيد الذي شجع عاصمًا على التزيد في وقاحته!

يهدئ زوجها من ثورتها قائلًا بحماسة وروية:

- إذا لم يكن الحلم أسلوبًا للتعامل مع أمثال عاصم، فمع من يكون ؟!

- حلمك هو الذي أطمع فينا هذا الجبان

ناقد أدبي



الجاهل.

- «وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا، فالحقد نار يا رفيقة عمري، «والنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله»!

يربي «عاصم» ابنه على العنف الذي رضع لبانته حتى أضحى كالوشم محفورًا في كيانه، وجر عليه ويلات لا تطاق، بما اختمر في قلبه من بغضاء تجاه الحياة والأحياء، حيث كانت حياته مزيجًا عشوائيًا من الإخفاق والأسقام، مفعمة بكدر الغرائز ووضر الشهوات، فقد حكم عليه والده بالإعدام رميًا بالآلام.

لقد أعمته لذة انتصار مؤقت- وليته كان على نفسه الأمارة - ولكن وأسفاه! بتطليق زوجته إثر نزوة غضب عابرة، رغم حنوها وقلبها الرؤوم الدفاق الخفاق..ما أدى إلى معاناة ابنه، فقد كانت هديته له حرمانه من قدس أقداس الحنان، ما أصابه بالتوتر الذي هو سرطان الروح، والفشل الدراسي والاجتماعي.

وما كاد يشب عن الطوق حتى حاول استغلاله في أعمال لا تناسب قواه ولا مداركه، بيد أن السكين الذي زرعها بداخله قد أينع نصالها فبادله عقوقًا بعقوق، يختلف معه في أمر زيارة أحد أقاربه، فيمنعه مرددًا مثلًا مقيتًا «الأقارب كالعقارب» فيصر ابنه على موقفه، فينتفخ وجهه ويتجهم ويهجم عليه، يسبه بأقذع الألفاظ: «أصلك ابن حرام» .. يرد عليه ابنه بهجوم شديد الوطيس وبآلة حادة صائحًا: إذن أنت «ديوث» ويشوه وجهه ببعض الكدمات.

عقب هذه المشادة يخر والده مشلولًا فاقد الوعي، يعجز عن الحركة، إلا بضع خطوات بجانب مسكنه يتخللها سقوط متكرر، وأثناء عودة عبدالقادر بصحبة زوجته في ساعة متأخرة من الليل يفاجأ بمنظر عاصم ملقى على الأرض وعليه تصطرخ عوامل المسكنة والهوان، فيهب لحمله بمساعدة زوجته لإدخاله إلى مسكنه وقد انخلع حذاؤه فيبحث عنه ناظرًا إلى زوجته نظرة ذات مغزى، كم هو منظر مأساوي يفجر في الخطوات أنهار دموع، نظرة توحي أن دنيانا هذه يحكمها دقيق الميزان وقسطاس ملؤه الحكمة، لقد تمتم بكلمات تكاد تصل إلى حد الرموز والأحاجي، مستغفرًا الله في عقبها.

يذهب عبدالقادر الى الطبيب المختص، فيشخص الحالة بجلطة في الشق الأيسر مع إجهاد في الشق الأيمن، يقف إلى جانبه بمروءته المعهودة - ماديًا ومعنويًا إلا أن حالته كانت تشي باليأس من الشفاء، اللهم إلا مسكنات للآلام.. كثيرًا ما كان يستنجد به فيهب إلى نجدته، ما أثار مكامن الحيرة في خواطر زوجته:

- كيف تساعد هذا الذي آذانا وأساء إلينا؟

﴿... والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾.

ويردد في يقين... ﴿والله يحب المحسنين﴾.

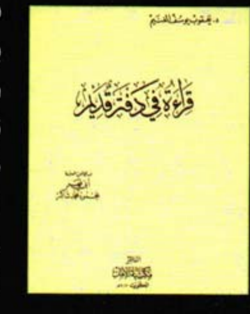
يأتيه ابنه مستنجدًا في جوف الليل فيهب من نومه، وردًّا على تململ زوجته واستيائها، يبادرها بعميق مودته: إنه من لم ينقذ نفسًا استغاثت به فقد قتلها:

فقاتل الجسم مأخوذ بفعلته
وقاتل النفس لا يدري به أحد

إنه حق الجار يا زوجتي العزيزة، ويهب إلى نجدته كعادته فيجده في النزع الأخير، يضمه في حنو إلى صدره، ويشاء الله أن يقضي نحبه بين يديه.

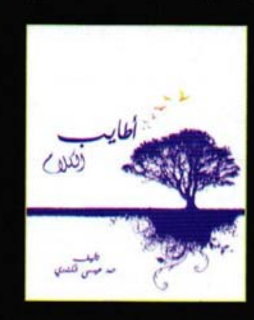
ثمرات المطابع

■ «كشكول ابن عقيل» كتاب صدر في مجلد فاخر حوى ٣٢٠ صفحة من القطع المتوسط، وهذه هي الطبعة الثانية من الكتاب وهو من جمع وتأليف عبدالله عبدالعزيز بن عقيل ويجمع فوائد ونوادر وإحالات إلى كتب تجمع كثيرًا من الفوائد الفقهية واللغوية والشعرية.



■ «قراءة في دفتر قديم»: في حوالي ٣٦٦ صفحة من القطع المتوسط صدر كتاب «قراءة في دفتر قديم» للدكتور يعقوب يوسف الغنيم، وهذا الكتاب يتضمن تدوينا لجلسات ذات قيمة علمية وأدبية استمع خلالها المؤلف مع مجموعة من أصدقائه للعلامة الشيخ محمود محمد شاكر (يرحمه الله)، ووفاء من المؤلف لشيخه قام بجمع خلاصة هذه الجلسات لتستفيد منها الأجيال اللاحقة.

■ «أطايب الكلام» كتاب من تأليف حمد عيسى الكندري يضم بين طياته بعض آي الذكر الحكيم وأحاديث سيد المرسلين وآثار العلماء الصالحين والعلماء العاملين وسير وتراجم الحكماء والتابعين وأشعار الأقدمين والمحدثين وبيان الفصحاء وأهل الرأي الجميل والقول المبين، يقع الكتاب في حوالي (٢٨٠) صفحة من القطع المتوسط.





ماذا نقصد بالأدب القرآني الجديد؟!

محمود رداوي

نقصد به الأدب الشعري والنثري، وخاصة القصص التي تمر في القرآن وتسكن فيه، وتستروح بظلاله، وتستمد منه كل مقوماته الفنية والتعبيرية والموضوعية .. حيث إن الفن والإبداع، عبر التصوير الشعري وخلق شخوص القصص وأحداثها وتأزمها وصراعها، يقدمان خدمات دينية تفوق ما تقدمه أقلام المصلحين وألسنة الدعاة، لأن النفس البشرية تميل إلى الإيحاء أكثر من المباشرة.. والتعجب الفني- في الدين- أقرب للنفس من الإكراه.

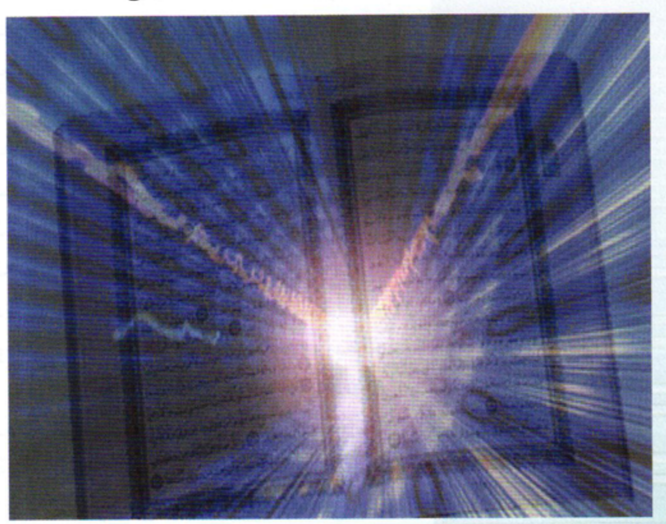
يمكن للمبدعين أن يلبسوا الحقائق ومبادئ السماء ثوبًا جديدًا من الفن، وعندها تتخذ الكتابة في هذا الاتجاه، الدعوة إلى الذكاء والفن والتيسير لا التعقيد، والروح المحببة لا النفرة، والهدوء والانفتاح لا التشنج والتزمت.

إذن هو أدب يترك للمبدع الحرية والجولان في أجواء القرآن الكريم كي يستوحي ما يستوحي، ولا بأس إن جاء في عالم الرسول ﷺ وصحابته وغيرهم.. ولكن عبر مدرسة السماء الكبرى، شريطة أن يكون المبدع مؤمنًا متشربًا من القرآن الكريم، ناهلًا معانيه وقيمه وروحه، مدركًا سبب نزوله، فاهمًا أسراره، متأثرًا متجاوبًا بصوت الحق فيه، عندئذ سيكون مجال القرآن وإيحاءاته كبيرة واسعة، وفي كل مرة من التلاوة أو القراءة يجد المبدع والقارئ أمورًا ومعاني ودلالات جديدة، وكلما أمعنا في التلاوة تكشفت لهما- المبدع والقارئ- آفاقًا رحبة من المشاعر والأفكار، وقد يقف المبدع عند الآية أو الآيتين كثيرًا يستمد منها مادة رائعة في الكتابة الأدبية، وما أكثر تلك الآيات التي ندعو

> **هو أدب يترك للمبدع الحرية والجولان في أجواء القرآن الكريم كي يستوحي ما يستوحي**

المبدع كي يجول في عالم السماء وعالم الأرض، ليخرج منها عملًا جديدًا فذًا متميزًا.

فمعاني الآية وإيحاءاتها الدالة تلاحق المرء أو تواكبه أينما كان.. مع نفسه، أو أسرته، ومجتمعه، ووطنه، وأمته، ومع



الأحباب والأعداء والأشرار، سواء أكانوا فردًا أو جماعة، قيادة أو دولة، ويجب ألا يفهم من هذه الدعوة أننا نحول مجالات الأدب القرآني الجديد إلى مجال علم التفسير، ولكن هذا لا يمنع أن يجول المبدع أيضا في تراثنا التفسيري القديم والحديث يستمد منه أجواء تسعفه في ارتياد آفاق عريضة لمعاني القرآن الكريم والحديث، يستمد منه أجواء تسعفه في ارتياد آفاق عريضة لمعاني القرآن الكريم التي ستكون له سند لمادته الأدبية، وهكذا سيكون الفن قد ساهم في نشر تعاليم الإسلام بالشكل الذي عجز فيه الدعاة عن توصيلها للسامع والقارئ المعاصر، وإن كان دعاة التعاليم المسيحية قد نجحوا في كثير من طرائقهم الدعائية والتبشيرية، ولكن ليس الطريق الدعائي المباشر الموجه، وإنما عن طريق تقديم خدمات نفسية وإنسانية واجتماعية وصحية وعلمية وغيرها، وبذلك كسبوا مبدعيهم الذين أصبحوا دعاة دين يرتدون ثوب الفن ويتقنعون بوجه الإبداع، وما أكبر التعاليم المسيحية في الآداب الغربية.

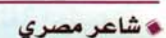
* باحث لغوي

في ذكرى الإسراء والمعراج

عبد الغني أحمد ناجي

مِن بعد ضِيق النفسِ كالليلِ البهيمْ
وتَلَبُّدَ الأجْــواءِ تكسُوها الغُيومْ
يأتي انفراجُ الضيق دونَ حسابه
والصُّبحُ يُسْفرُ لابسًا حُلَلَ النسيمْ
فمحمدٌ في عام حُـزنٍ عَاصر
قلبًا به ذِكْـرُ الإلـه هو المقيمْ
فَقَدَ النصير بزوجه، وبعمه
فقد المدافع والمُسري والنديمْ
فتقوضَ الحصنُ الذي يأوي له
عند اشتداد الكُفر كالريح العقيمْ
فقَدَ الحنان بفقْده ينبوعه
فَقَدَ الحنانَ بفقده الأمَّ الرَّؤومْ
لكنّ ربّ العرش كانَ يُعدهُ
لرسالة عُظمىَ على الدنيا تدومْ
هو رحمةٌ وهدايةٌ، هو خاتَمٌ
فهو الرؤوفُ بأمة، وهو الرَّحيم
ناداهُ ربُّ العرش وهْو حَبيبُه
في ليلة الإسراء في عطفٍ عَميمْ
ناداه يدْنو من قداسة عَرشه
ليُسريَ البلوَى عن القلب الكظيمْ
في ليلةٍ فرُضَتْ بها تلك الصلا
ةُ دعامة للدين من رب عظيمْ
فنجا الأُلى قد صدَّقُوا خَبرَ السما
ءِ بلا مراء، أو جدالٍ لا يقومْ

وتأصَّلتْ في ليلة تلك الأخوة
بيننا عُبْرَ الزمان المسْتديمْ
فالأنبياءُ جميعُهمْ صَلَّى بهمْ
رَمْزَ التَّوحُّد، والسَّلام المسْتقيمْ
حتى الأماكنُ في قداسة شرْعنا
هي وَحْدةٌ كبْرى، وفي حِفظٍ حَميمْ
فالمسْجدُ الأقصَى له مثل العتي
ق مَحبَّةٌ تَدْعو إلى حفظ سليمْ
إنَّ الدعائم للسَّلام مضيئةٌ
في ذلك الإسراء ذي المغزىَ العظيمْ
فلِقاءُ خير الأنبياء بإخوة
من أنبياء الله بَينهمُ الكليمْ
هذا اللقاءُ مُعبرٌ، وكأنَّهُ
منْ خَلْف أسْتار الزمان لنا يَرومْ
فيرومُ نَبْذَ عَداوة بينَ الورَى
حتى يَعُمَّ السّلْمُ كالظلِّ المُقيمْ
كيْ تُورقَ الأغصانُ أمْنًا يانعًا
يمتدُّ فوق الأرض يصحبُه النسيمْ
كيْ يغْمر الحُبُّ الوريفُ قلوبنا
فالحُبُّ في الدُّنيا سلام لا يريمْ
ندعو الإلهَ بعونه، وبنصْره
كشْفَ الغُيوم، وقشْعَ أسراب الهمومْ
صلى عليك اللهُ يا خيرَ الوَرَى
إنَّ الصلاة عليك مفتاحُ النَّعيمْ



شاعر مصري



الفصحى في مقدمة عوامل الوحدة.. وأهم مقومات الشخصية العربية

العلماء والأدباء الإسلاميون يرسمون مستقبل لغة القرآن

تحقيق أحمد محمد عبد العظيم

أكد علماء اللغة وخبراؤها أن اللغة العربية واجهت- ومازالت تواجه- معارك شرسة مع اللغات الأجنبية الوافدة، إلى الحد الذي جعل الكلمات والمصطلحات الأجنبية تنتشر حتى على ألسنة العوام بشكل واسع! وأرجعوا ذلك إلى مخطط بعيد، بذل الغرب في سبيله كل ممكن، حتى بالوسائل العسكرية والاحتلال للبلاد العربية من أجل فرض لغته بالقوة، هذا ما يؤكده الأستاذ بكلية دار العلوم جامعة القاهرة د.عبدالحليم عبداللطيف (أبو همام)، مشيرًا إلى أن من أهم أهداف النفوذ الأجنبي في العالم العربي كان هو القضاء على مقومات الشخصية العربية للسيطرة على مقدرات البلاد، وكانت اللغة العربية في مقدمة عوامل الوحدة والتجمع والالتقاء بين العرب، ولذلك ركز غزوه الثقافي عليها في محاولة للقضاء عليها.. مؤكدًا في الوقت ذاته أن اللغة العربية محفوظة بإذن الله، فقد استطاعت أن تحتفظ بفصاحتها ووحدتها وكيانها رغم اختلاطها بلغات أخرى، بل إنها استطاعت أن تزيح هذه اللغات وأن تملي سيطرتها على ثقافات الأمم.

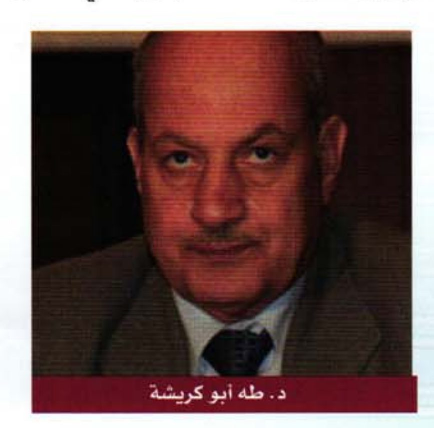
السياسة والثقافة تحملان اللغة

من جانبه، يرى نائب رئيس المجمع اللغوي بالقاهرة د.كمال بشر أن انتشار استعمال الألفاظ الأجنبية في بلادنا مرجعه إلى الضعف الذي وصلت إليه هويتنا، والتبعية التي نعيش في ظلها، مشددًا على أن نشر اللغة العربية في العالم سيتم وحده إذا كان لنا ثقل ووزن سياسي واقتصادي وثقافي، وحينئذ تنشر العربية «أوتوماتيكيا»، لأن السياسة والثقافة تحملان اللغة على يديهما، فأينما ذهبتا أخذتا اللغة على يديهما، وهكذا كان انتشار اللغة الإنجليزية والفرنسية، فإذا أصبحنا أقوياء سياسيًا واقتصاديًا فسوف يحس العالم بالحاجة إلى الاتصال بنا، وسوف يكون ذلك من خلال اللغة، وبذلك يتعلمون العربية ليكونوا قادرين على التفاهم معنا، وعلى ذلك تكون مسؤولية نشر اللغة العربية في العالم مسؤولية رجال السياسة والاقتصاد والمثقفين بشكل عام.

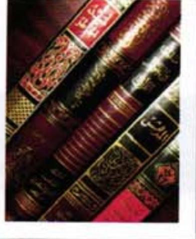
نشر العربية في العالم سيتم عندما يصبح لنا ثقل سياسي واقتصادي

لابد من المواجهة الحازمة

هذا، ويرى عميد كلية اللغة العربية السابق بالجامعة الأزهرية د.طه أبوكريشة أن اللغات الأجنبية في العقود الأخيرة من هذا القرن زاحمت لغتنا العربية بقوة، ولا سبيل في الخلاص لإنقاذ شخصيتنا وهويتنا العربية إلا بالتكاتف واستخدام كل الوسائل لمساندة لغتنا والحفاظ عليها، بحيث لا تطغى الأسماء الأجنبية والمصطلحات الغربية، وإنما يكون للفصحى المقام الأول في كل ما تقع عليه العين، أو تلتقطه الأذن، من أسماء وعناوين ولافتات.. وحسبنا أن نتذكر ما فرضته فرنسا- مؤخرًا- من وجوب قصر الاستعمال اللغوي المحرر من الفرنسيين على الفرنسية، وفرض غرامة مالية على من يترخص في ذلك ويستخدم ألفاظًا من لغة أجنبية.


د. طه أبو كريشة

ويضيف د.أبوكريشة أنه لا يمكن رد الاعتبار إلى لغتنا القومية إلا بالمواجهة الحازمة لتلك الموجة الساخرة التي تتهكم على العربية، وتسيء إليها بالسخرية من المتحدثين بها، والعاملين في ميدانها، فكثيرًا ما نجد مظاهر مؤسفة من هذه الموجة الكريهة فيما تقدمه بعض الأفلام




والمسرحيات والمسلسلات، فبمواجهة هذه الموجة الساخرة نوفر للغتنا ما تستحقه من توقير، باعتبارها أهم مقوم من مقومات قوميتنا، وأبرز معلم من معالم شخصيتنا، إننا لا نعرف في أي بلد متحضر سخرية من لغته القومية، أو تهكمًا ممن يعملون على تعليمها، أو يهتمون بأمرها، وإنما ذلك فقط في بلادنا كبقية من رواسب الاستعمار الذي سدد سهامه إلى مقوماتنا الأساسية.

سمات المجتمع المغرّب!

أمَّا الأديب الإسلامي د.صابر عبدالدايم فيؤكد أن بكثرة استخدام الكلمات والمصطلحات الأجنبية مكان العربية يكون الغرب قد نجح بامتياز


صابر عبالدايم

في صناعة عمالة ثقافية تخدم أطماعه وتحقق أهدافه، فيما فشل في تحقيقه عن طريق الحروب والمواجهات العسكرية عبر مئات السنين، وذلك بفضل «الطابور الخامس» الذي صار ولاؤه للغرب أكثر من ولائه لوطنه ومجتمعه، والذي لم يأل جهدًا في تعليمه أملًا في الإصلاح والنهضة!

فواقعنا يعكس صورًا ومشاهد حية عن «المجتمع المغرب» في ميادين الفكر والثقافة والأدب، فمثلًا نراهم يطالبون بإزاحة اللغة العربية من الوجود طلبًا للنهضة التي ينشدونها، وهناك من يدعو إلى التخلص من تراثنا لتحقيق الحداثة والتنوير، وهناك من يتجرأ على

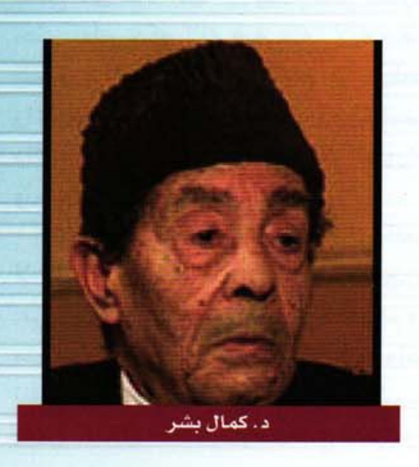
لابد من المواجهة الحازمة للموجة التي تتهكم من لغة الضاد

المقدسات من أجل تحقيق عالمية الأدب، وغير ذلك من الوقائع المخزية والمشاهد الفاضحة التي يمارسها عبيد الحضارة الغربية!

الحرب على لغة القرآن

ومن جانبه يتساءل د.ياسر محمد غريب قائلًا: هل إعلان الحرب على لغة القرآن، والسخرية منها وعزلها، بل ومحاولة التخلص منها ومن كل ما يتعلق بها.. هل يعتبر هذا من فنون «الحداثة» ووسائل «التنوير» التي يتغنّى بها القوم ويدعون الناس إلى اعتناقها؟! ولماذا لم يتوقف الهجوم على اللغة العربية يومًا واحدًا منذ أن وطئ الاحتلال الأجنبي الوطن العربي، وحتى بعد رحيله؟

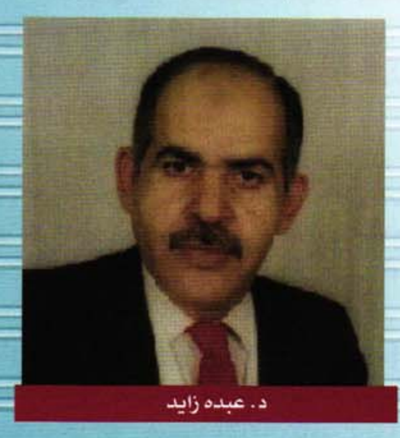
ويضيف د.ياسر غريب: إن أوروبا ودول الغرب بصفة عامة أدركت منذ الحروب الصليبية قوة الإسلام حضارة وتاريخًا وفكرًا وثقافة، وأيقنوا أن المسلمين إذا أحسنوا صلتهم بلغة قرآنهم ودينهم الإسلامي فلن تكون في


د. كمال بشر

الأرض قوة تضارع قوتهم، وذلك لما حوته الحضارة والثقافة الإسلامية من القوى الروحية والمعنوية الربانية.

مسلسل محاربة العربية

ومن هنا قرر الغرب الصليبي القضاء على الإسلام كلية إن أمكن، وعزل الإسلام عن المسلمين إذا لم يمكن القضاء عليه، واستخدم الغرب وسائل متعددة لتحقيق هذا الهدف خلال قرنين من الزمان أهمها: محاربة اللغة العربية وإحلال اللغات الأجنبية مكانها، والتمرد على الأصالة والتراث بما أسموه بالحداثة وغيرها، واختراق الوسط الثقافي والفني وهدم القيم الصحيحة، وتجنيد تلامذة


د. عبده زايد

ومريدين لهم من أبناء جلدتنا لمحاربتنا من الداخل عبر وسائل الإعلام والقنوات الثقافية التي يعملون من خلالها.

هذا، ويرى د.عبده زايد أنه لم تكن الحرب على لغتنا الفصحى من حيث هي لغة عربية، وإنما لأنها لغة تقوم بدور التوحيد الآن، توحيد اللسان والفكر والثقافة كما قامت بدور التوحيد في الماضي، وهم لا يريدون لهذه الأمة أن تتوحد، ولأنها أيضًا لغة تستوعب تراث الحضارة الإسلامية، وبقاء هذه اللغة يصل هذه الأمة بماضيها، وهم لا يريدون لهذه الأمة أن تتواصل، ولا يريدون لهذا التراث أن يبقى حيًا وفاعلًا ومؤثرًا.

تهذيب المسالك في نصرة مذهب مالك..

على منهج العدل والإنصاف في شرح مسائل الخلاف»
تأليف الشيخ أبي الحجاج يوسف بن دوناس بن عيسى الفِنْدَلاوي

التحرير

الفن: الفقه المقارن.
سنة النشر: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
رقم الطبعة: الأولى
عدد المجلدات: (٥ مجلدات)
تحقيق: د. أحمد بن محمد البوشيخي. في ٥ أجزاء.
إصدار: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

التعريف بالمصنف:

هو أبوالحجاج يوسف بن دوناس، بن عيسى الفِنْدَلاوي المغربي المالكي، الجامع بين العلوم النقلية والعقلية، المتمسك بمذهب أهل السنة والجماعة، المجاهد، المتوفى شهيدًا بالشام سنة (تـ٥٤٣هـ)، يرجع نسبه إلى فِنْدَلاوة، قبيلة بربرية كانت توجد بين صفرو وقرية رباط الخير. أهرمومو. على نحو ٦٠ كلم من مدينة فاس، ارتحل إلى الحج في أوائل العشر الثانية من القرن السادس الهجري وطلب العلم هناك، وأثناء عودته اختار المقام بالشام ولقي بها عناية وتكريمًا، واختير شيخا للمالكية بدمشق، وتبوأ منصب تدريس المذهب بالزاوية المالكية بالجامع الأموي، وبالمدرسة الصلاحية، وحدّث هناك بالموطأ، والتلخيص للقابسي، وعقدَ مجالس الذكر، والوعظ، والدعوة إلى الله في بيته وخارجه، وقد كان يحضر مجالس تدريسه أكابر العلماء، أمثال الحافظ أبوالقاسم بن عساكر، ومفتي الشام أبوالحسن علي بن مسلم الشافعي، وغيرهما، وكان في دروسه- كما قال اليافعي- حَسنَ المفاكهة، لذيذ المجالسة، حُلو المحاضرة، طويل المناظرة، شديد التعصب لأهل السنة، كريمَ النفس، مُطّرحًا للتكلف، قوي القلب.

أهمية الكتاب:

تميزت حركة التأليف في التراث الفقهي الإسلامي خلال مراحلها الأولى بالتنوع والثراء الناتجين عن الإبداع المطلق المتحرّر، وقد احتلّ التأليف في الخلاف الفقهيَ مرتبة عليا من بين الأصناف التي اشتهرت آنذاك، ويُعدّ كتاب «تهذيب المسالك في نصرة مذهب مالك» من أهم الكتب المؤلّفة في نصرة مذهب إمام أهل المدينة، وإيراد الخلاف في المسائل الفقهية بطريقة تسلك بالمخالفين منهج التوافق والإنصاف.

أهمية متن الكتاب

أولا: نص في الفقه الذي لا تقوم الأمة الإسلامية حق القيام إلا به، ولا تتأسس حضارتها، وعمرانها إلا عليه وفي ظله، ولا يصح لأي فرد منها أن يقدم على تصرف حتى يعلم حكم الله فيه منه، لأنه وحده القانون المنظم لحياة المسلم وتصرفاته، والمتكفل الأجدر بإيجاد التشريع المناسب، والحل الملائم، لكل ما يستجد من تطورات وأحداث في حياته.

ثانيا: نص في الخلاف العالي الذي لا تتقرر الأحكام فيه في الغالب مجردة عن أدلتها، ولا مفصولة عن عللها، ولا منظورًا إليها من زاوية نظر واحدة، وإنما تتقرر في سياق الأدلة، ومقاصد التشريع، ومن خلال أنظار، ومناهج تشريعية، يمنح تنوعها وتعددها من القدرة على الفهم السليم، والاستنباط الصحيح، ما يجعل الناظر فيها أقرب إلى ولوج باب الاجتهاد.

ثالثًا: نص يتناول بالتحليل الفقهي المقارن ٣٤٧ مسألة خلافية في أحكام العبادات والمعاملات، التي الناس في أمس الحاجة إلى معرفتها اليوم.

رابعا: نص ينصر المذهب المالكي بالأدلة والاستدلال، فليس فيه منتهى الحجة أن يقال هذا الذي استظهره، أو شهره، أو نصه فلان، وإنما ما ثبت وصح من ذلك بالحجة والبرهان، ومعلوم أن العلم عند أهله، هو معرفة الحق بدليله، وكل ما لم يثبت بدليل، فليس من العلم بسبيل.

خامسا: نص يشتمل على مئات القواعد الفقهية والأصولية التي قد يعز وجودها في أمهات الكتب غيره، ولا غرابة في هذا، فإن للشريعة كما قال الإمام القرافي: «قواعد كثيرة جدًا عند أئمة الفتوى، والفقهاء، لا توجد في كتب أصول الفقه أصلًا» (الفروق: ٢/١١٠) ومعلوم أنه بمعرفة هذه القواعد، يعرف قدر الفقيه ويشرف، ويظهر رونق الفقه ويعرف وتتضح مناهج الفتوى وتكشف.

سادسًا: نص مالكي تراثي قديم نادر فذ، لا يعرف من نسخه إلا نسخة واحدة محفوظة في الخزانة الحمزية بناحية الرشيدية، جنوب المغرب، ولا يعرف لمالكية المغرب غيره في موضوعه ومنهجه ومستواه فيما انتهى إلى علمه،

والله أعلم.

سبب تأليف الكتاب: يعود سبب تأليف الإمام الفندلاوي- رحمه الله- لكتابه: لما رأى من تطاول بعض مَن لا أهلية لهم على المناظرة في زمانه، وانحرافهم بها عن هدفها إلى التعصب والعناد، والحرص على مغالبة المخالف، وميل مصنفات الخلاف إلى التطويل المملّ الذي ينسي أوله آخره، فرغب- رحمه الله- في وضع كتاب موجز، يعول في بابه عليه، ويُرجع عند الملمّات إليه.

منهج الفندلاوي في كتابه

سلك الإمام في كتابه منهجًا متفردًا في العرض والتحليل، ومناقشة مسائل الخلاف، مع جودة الطرح، وبراعة الاستدلال والنقاش، وهو في كل ذلك يناقش مسائل فروع الفقه الاجتهادية المختلف فيها بين الإمام مالك، وفقهاء الأمصار عامة، وبين الإمامين أبي حنيفة، والشافعي خاصة، وجعل ترتيب الكتاب على ٣٤٧ مسألة خلافية، مندرجة تحت ٥٥ كتابًا في فقه العبادات والمعاملات، يندرج تحت كل كتاب مسائل خلافية بين المذاهب المذكورة، وتتفرّع بعض هذه الكتب إلى أبواب، وأحيانا إلى فصول، وقد يطول تحليل بعض المسائل فيستغرق صفحات، وقد يقصر حتى يكون صفحة أو بعض صفحة أو أقل، وقد استعمل المؤلف- رحمه الله- في الاستدلال للمسائل المذكورة آيات قرآنية، وأحاديث وآثارًا نبوية، وقواعد فقهية، وأصولية، ولغوية، كما أورد في تحليلها انتصارًا لمذهبه، أو ردًا على مخالفه، أقوال الصحابة، والتابعين، وفقهاء الأمصار، وأئمة الحديث واللغة، في أقدم القرون والأعصار.

ولم يصرح المؤلف بمصادره في جل الكتاب، إلا أنّ نقوله تنبئ عن تبحّر كبير لا نظير له: فاستدلالاته الواسعة بالأحاديث النبوية، وأقوال الصحابة والتابعين تبرز إحاطته بكتب السنة، كما نجده يصرح بأسماء مجموعة كبيرة من المصنفين من مختلف المذاهب كابن حبيب، والقاضي إسماعيل، وسحنون، وابنه محمد، وابن جرير الطبري، وأبي جعفر الطحاوي، وأبي بكر الأبهري، ومحمد بن الحسن الشيباني، وغيرهم من فقهاء الأمصار، ونجده يورد من أقوال أئمة اللغة أقوال أبي زكريا الفراء، وأبي العباس ثعلب، وأبي إسحاق الزجاج، وسيبويه، وابن قتيبة، وغيرهم كثير، وقد استطاع الفندلاوي- رحمه الله- توظيف هذه الثروة المعرفية الهائلة، بحنكة متجاوزة النظير.

أهمية منهج تأليفه: تتجلى هذه الأهمية في:

أ- دقة وصرامة تنظيمه في عرض المسائل، وسوق الأدلة، ومحاجة المخالفين، بحيث يسلك مؤلفه في ذلك كله منهجًا محددًا واضحًا مطردًا، لا يكاد يحيد عنه من أول الكتاب إلى آخره.

ب- إنصاف المخالفين بعرض أقوالهم، وأدلتهم، كما هي مقررة عندهم كاملة واضحة مفصلة، مع بيان الاستدلال بها، ومحل الشاهد منها، والإقرار بصحتها إن لزم الأمر، ومناقشتهم مناقشة علمية نزيهة، لا تكاد تحس فيها أثر تعصب أو حب غلاب.

ج- ربطه أحكام المسائل بأدلتها من الكتاب والسنة والإجماع والقياس وغيرها من الأدلة المعتبرة.

د- اختصاره في القول مع الوفاء بالمراد، فلا يطيل إطالة القاضي ابن القصار في: «عيون الأدلة»، ولا يوجز إيجاز القاضي عبدالوهاب في: «الإشراف»، وإنما هو وسط بين ذلك، مع اشتماله على خير ما هنالك.

هـ - يسر عبارته، ودقة تعبيره، ووضوح استدلالاته، واعتراضاته، ونقوضه في الغالب الأعم.

وفي الختام: إنّ من تعرّض لهذا الصنف من التأليف قليل جدًا، والسبب في ذلك حاجة المؤلف فيه إلى التضلع في مختلف العلوم والمعارف مما لا نجده إلا عند المتقدمين، وممن انبرى لمثل ذلك الإمام الجليل ابن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦هـ) في كتاب «الذّبّ عن مذهب مالك»، والإمام ابن الفخار القرطبي (ت ٤١٦هـ) في كتاب «الانتصار لمذهب أهل المدينة»، وما ضمّنه بعض الفقهاء في مصنفاتهم الواسعة، كابن عبدالبر، وابن رشد، وغيرهما.

وقد حظي الكتاب بعناية خاصة من محققه الدكتور أحمد بن محمد البوشيخي، الذي امتد عمله فيه طيلة مرحلة الماجستير والدكتوراه على نسخة خطية وحيدة تحتفظ بها مكتبة الزاوية الحمزية بناحية الرشيدية، ثم صدر ضمن منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب في خمسة أجزاء، سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ثم أعيد طبعه أخيرًا عن دار الغرب الإسلامي.

طبع بأمر من صاحب الجلالة أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله

المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

كتاب تهذيب المسالك في نصرة مذهب مالك

على منهج العدل والإنصاف في شرح مسائل الخلاف

لأبي الحجاج يوسف بن دوناس الفندلاوي (ت 543هـ)

قسم العبادات
من أول كتاب الطهارة إلى آخر كتاب الفرائض

الجزء الأول
الدراسة

للأستاذ أحمد بن محمد البوشيخي

لا يزال الاستشراق أحد الملفات الساخنة التي تطرح نفسها على الواقع الإسلامي وتؤثر فيه، بالرغم من أنه كمنهج علمي ورافد معرفي حمل كثيرًا من الشبهات والافتراءات التي نسبها المستشرقون للإسلام والمسلمين منذ أن بدأت علاقتهم بالعالم العربي الإسلامي، وعلى الرغم من التطور التاريخي للاستشراق والعلاقة بين الشرق والغرب ودور المستشرقين كطلائع للاستعمار منذ نشأة الوعي الغربي بالإسلام والعالم الإسلامي، فقد استمرت قضية الاستشراق كواقع علمي ومعرفي ضمن القضايا المركزية للعلاقة الملتبسة بين الشرق والغرب، وهي العلاقة التي تحولت إلى صراع مسلح منذ بدايات الحملات الصليبية على الشرق، وحتى طلائع الاستعمار الأوروبي الحديث للبلاد الإسلامية.

«الاستغراب» .. المعادل الموضوعي للاستشراق (٤/٣)

القاهرة - دار الإعلام العربية

بالرغم من الدائرة الواسعة من أسماء العلماء والتخصصات المرتبطة بالاستشراق، وتطور ما يمكن وصفه بـ«حالة الاستشراق» منذ بدايته وارتباطه بالكنيسة والاستعمار، فإن ذلك لم يمنع من أن تضم هذه الحلقة أسماء لبعض العلماء المنصفين الذين قدموا إنتاجًا معرفيًا أنصف العرب والمسلمين، وهؤلاء نسبتهم ضئيلة مقارنة بالكم الهائل من المستشرقين الذين تعمدوا الإساءة للإسلام والعروبة وإلصاق التهم الباطلة بهما.

استهداف العقيدة والفكر

وبين اتفاق واختلاف حول طبيعة ودوافع الحركة الاستشراقية التي يصفها البعض بأنها لا تقل ضراوة عن الحملات العسكرية؛ لأنها تستهدف ما هو أخطر من الأرض، حيث تستهدف العقيدة والفكر، فإن هناك اتفاقا بين كثير من المفكرين الإسلاميين على أن الحركة المعرفية والعلمية الاستشراقية كان لها بعض الجهود في الجانب المعرفي عجز الجهد الفكري والعلمي العربي حتى الآن عن مواجهتها، وذلك على ما اختلط بتلك الجهود الاستشراقية في معظم الأحوال من شبهات وتهم



باطلة، حاول رواد هذه الحركة إلصاقها بالدين الإسلامي والعقيدة الإسلامية بالدرجة الأولى، فضلًا عن الثقافة واللغة العربية، بل إن العرب المسلمين لم يستطيعوا حتى الآن الاستفادة بالشكل المطلوب مما يمكن اعتباره نتاجًا فكريًا محايدًا لحركة الاستشراق، والبقاء على هذا الإنتاج بما يخدم قضية المعرفة في العالم العربي والإسلامي، ويصب في النهاية لصالح هدف عبور الفجوة التي تفصل بين العالمين حضاريًا ومعرفيًا، خاصة أن الفترة الأخيرة شهدت إعادة فكرة الصراع بين العالمين الإسلامي والغربي في صورة مزعومة عن

صراع الحضارات، وهو الصراع الذي اتخذه بعض المهووسين بالحرب ذريعة لإعادة إنتاج العلاقات الاستعمارية السابقة نفسها تحت شعارات مثل نشر الديموقراطية أو محاربة الإرهاب.

الاستغراب حركة مضادة

وفي كل هذه المقاربات فإن كثيرًا من الأصوات المخلصة التي تنشد للإسلام أن يستعيد مجده مرة أخرى كثقافة قادرة على المراجعة والصمود، أفادت بضرورة أن يواجه العرب والمسلمون حركة الاستشراق الشرس والتي لا تتراجع ضراوتها بحركة مضادة لها تستهدف وضع الغرب بثقافته ونتاجه الحضاري والمعرفي تحت مجهر الفحص من خلال علم يؤسس لدراسة الغرب، ويستهدف هذا العلم إعادة الاعتبار للأدوات والمناهج التحتية المشددة من الثقافة العربية والإسلامية في مواجهة الأدوات الغربية، وعلى فرضية أنه إذا كان الهدف الأساسي من الهجمة الاستشراقية على العالم العربي والإسلامي منذ العصور الوسطى أو حتى قبلها هو التوسع والهيمنة والسيطرة، وذلك على خلفية العداء المزعوم والصراع الحضاري الذي يروج له البعض.. فإن هدف علم

«الاستغراب» كما أطلق عليه كثير من المعنيين بمواجهة الاستشراق، سيكون إعادة اكتشاف الغرب ووضع الإطار العلمي الصحيح لدراسة بداية ونهايات الوعي العربي من الأوروبي، وهو وعي يرتكز على ثقافة مسيحية ويهودية بالأساس، بهدف إعادة التوازن إلى العلاقات الحضارية بين الشعوب، بما يحقق تكامل الحضارة الإنسانية بصفة عامة، وتأسيس حوار حضاري يستهدف التعاون لا الصراع، والبناء لا الهدم.

السيطرة على الوعي الأوروبي

وفي محاولة منه لتقديم إنجاز فكري ومعرفي يواجه به ما أفرزته قرون من الجهد الاستشراقي المنظم والمكثف، حاول أحد أساتذة الفلسفة بالجامعات المصرية، وضع ما يسمى بأسس علم الاستغراب.. معترفًا بأنه لم يستطع إنجاز ما يمكن تعريفه بعلم «الاستغراب» بالكامل، لكنه على الأقل حاول أن يؤسس له وأن يضع يده على مصادر الوعي الأوروبي، وكان الهدف من تأسيس علم «الاستغراب» كمقابل موضوعي لعلم الاستشراق هو القضاء على المركزية الأوروبية، وإسقاط الفكرة السائدة بأن الغرب هو مصدر المعرفة والإطار المرجعي الذي تحال إليه كل القضايا المعرفية وأن كل ما يأتي من الغرب قابل للفهم، وتصحيح مثل هذه

الاستشراق لا يقل ضراوة عن الحملات العسكرية لأنه يستهدف العقيدة والفكر

المفاهيم المستقرة، وإعادة كتابة تاريخ العالم من منظور أكثر موضوعية وحيادية وعدلا، ليوضح في هذا التاريخ الجديد الذي ينشد إعادة كتابته وإعادة التوازن للثقافة الإنسانية، وإعادة كتابة تاريخ العالم من منظور أكثر موضوعية وحيادية وعدلًا، وإنهاء الأسطورة التي تعتبر الغرب ممثلًا للإنسانية، وأن أوروبا هي مركز الثقل في المعرفة والحضارة البشرية.

و إذا تم تأسيس علم «الاستغراب» وقدم فيه الباحثون إسهامات حقيقية على هوة أجيال فإن هذا العلم سيسهم في السيطرة على الوعي الأوروبي، ودراسة هذا الوعي على أنه تاريخ وليس خارجًا عليه، ورد الغرب إلى حدوده الطبيعية، وإنهاء الغزو الثقافي، والقضاء على أسطورة الثقافة العالمية، واكتشاف خصوصيات الشعوب، وإفساح المجال للإبداع الذاتي للشعوب غير الأوروبية، واكتشاف الدوائر الحضارية غير الأوروبية.. وهو ما يؤدي في نهاية المطاف إلى القضاء على داء العنصرية الدفين الذي يُكوِّن الوعي الأوروبي، ومن ثم إسقاط جميع أشكال العدوان على الشعوب غير الأوروبية، بما فيها العدوان الإسرائيلي على الشعوب العربية.

جوانب أخرى

بدوره، يؤكد الباحث محمد عبدالله الأمين، الذي يعد من أكثر الباحثين الذين تناولوا الاستشراق وعلاقته بالسيرة النبوية المطهرة، أن الاستشراق



منذ نشأته يهدف إلى خدمة الكنيسة، ثم بعد ذلك تحول إلى خدمة الاستعمار والتوسع الأوروبي.

إلا أن د.محمد جلاء إدريس، أستاذ الدراسات العبرية بجامعة طنطا، يرد بأن الاستشراق بالرغم من أنه حاول إثارة العديد من الشبهات حول الدين الإسلامي، إلا أن له جوانب إيجابية؛ لأنه أفاد المسلمين في بعض الجوانب، مشيرًا إلى أن «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» على سبيل المثال هو عمل استشراقي أفاد الإسلام والمسلمين، بالإضافة إلى إسهامات أخرى طوال مئات السنين، حيث سبق المستشرقون المسلمين بمئات السنين في تقديم نتاج فكري ومعرفي كان الغرض منه في أغلب الأحيان محاربة الإسلام وإثارة الشبهات من حوله، بينما عجز المسلمون عن مجاراة الجهد الفكري والعلمي الذي بذله المستشرقون طوال هذه السنين، لدرجة أن الكيان الصهيوني أصدر معجمًا لألفاظ اللغة العربية ليستخدمه في حرب الإسلام والمسلمين والعالم العربي ولكي يدرس التاريخ العربي، ويتعرف أكثر إلى اللغة العربية والإسلام ليحاربهما بلغتهما، بينما لم يُقدِم العرب والمسلمون على إصدار مثل هذا المعجم.

الهدي النبوي في التنمية

مولاي المصطفى

في الوقت الذي تعالت فيه الأصوات للرفع من قاطرة التنمية في البلدان المتخلفة، سعت المنظمات الدولية وعلى رأسها الأمم المتحدة إلى إصدار جملة من المؤشرات في أفق الدفع بهذه البلدان إلى بر الأمان- على حد زعمها- لكن هذه المعايير جملة وتفصيلا يعتريها ثغرات وعيوب جمة، وتفتقد إلى المصداقية، كما تفتقد إلى أسس متينة في بعدها الروحي، موغلة في المادية الفانية والمتزحزحة.

ونظرا لما تعيشه بعض بلدان العالم الإسلامي من خلل كبير في اقتصادها وأمنها الاجتماعي والثقافي والصحي والتعليمي، فقد أحببت أن أتقدم بهذه الورقة، لعلها تفيد في إعادة الأمور إلى نصابها، وتفيق الغافلين من غفوتهم ونزواتهم الشهوانية الطاغية!

قبل الدخول في تفاصيل عرض هذا المؤشر النبوي، يكون من الأولى الوقوف عند المحطات التاريخية لهذه المؤشرات.

أ-مقياس مستوى المعيشة: اقترحه درفنوفسكي سنة ١٩٦٦ في دراسة قام بها لصالح معهد الأمم المتحدة لبحوث التنمية الاجتماعية، ويرى أن المستوى المعيشي تحكمه معطيات عدة، كما أن الرفاهية و التقدم لا يستندان إلى معط واحد.

ب- مقياس المؤشر المركب للتنمية: مؤشر أصدرته منظمة الأمم المتحدة للتغذية و الزراعة سنة ١٩٧٥، وهو مؤشر يقوم على تصحيح الوضعيات تبعًا لسلم المؤشرات المتعددة.

ج- مقياس المستوى المادي للحياة: اعتمده مجلس التنمية الخارجي الأميركي سنة ١٩٧٧، وهو معدل لثلاثة مؤشرات غير كمية: نسبة غير الأميين، معدل الوفيات، معدل أمل الحياة.

د- مؤشر التنمية البشرية: مؤشر اعتمده برنامج الأمم المتحدة للتنمية سنة ١٩٩٠، ويمزج بين ثلاثة مستويات: **مستوى الصحة**، ومستوى التعليم، **ومستوى الدخل الفردي**، و يهدف إلى:

- **تصنيف** الدول و ترتيبها عالميًا حسب عنايتها بالإنسان.

- تحديد مكامن الضعف الحقيقية قصد التنبيه إلى خطورتها ووضع الفقر البشري ضمن الأولويات، ويضم المؤشر العام بين ٠,٨ و١. مرتفع/ بين ٠,٥ و٠,٧٩٩ . متوسط/ أقل من ٠,٥ منخفض.

للإسلام نظرته الشمولية للأمن لاستيعابه كل شيء مادي ومعنوي وهو حق للجميع أفراداً وجماعات

على ضوء هذه المؤشرات الاقتصادية يتبين أنها تغيب الجانب الروحي وتركز فقط على الماديات، مما يجعل أغلب هذه المؤشرات تبوء مشاريعها بالفشل، أضف إلى ذلك أنها تغلب الجانب «البراجماتي» على الجانب الإنساني، ليصبح العالم المتلف ماديًا كبش فداء لأغلب استراتيجياتهم الفاشلة!

المؤشرات النبوية للتنمية

لقد سطر حبيبنا المصطفى ﷺ وحيا من ربه أروع المؤشرات والمعايير لتحقيق تنمية متكاملة من خلال حديث نبوي شريف جامع ومانع: «من أصبح آمنًا في سرْبه، مُعافى في جسده، عنده قوتُ يومه فكأنما حيزتْ له الدُّنيا بحذافِيرها»، إذ يشمل ما يلي:

١ - نعمة الأمن: وهو لغة: مصدره أمن، الأمان والأمانة بمعنى، وقد أمنت فأنا أمن، وأمنت غيري من الأمن والأمان ضد الخوف.

واصطلاحًا: هو اطمئنان النفس وزوال الخوف، ومنه قوله تعالى: ﴿وآمنهم من خوف﴾ (قريش: ٤)، ومنه الإيمان والأمانة، وضده الخوف، ووقع من أسمائه الحسنى المؤمن في قوله تعالى ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر﴾ (الحشر: ٢٢)، ومعناه أنه هو المعطي الأمان لعباده المؤمنين حين يؤمنهم من العذاب في الدنيا والآخرة، وينقسم الأمن إلى قسمين: أمن في الدنيا، وهو يتحقق على الصعيد الفردي والاجتماعي بمختلف الأشكال الحياتية.. سياسيا، عسكريا، اقتصاديا، تعليميا، اجتماعيا.

وأمن في الآخرة، وهو الاطمئنان بالنجاة من عذاب الله في جهنم، وهو خاص بالمؤمنين الذين عملوا الصالحات، قال تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ (الأنعام: ٨٢).

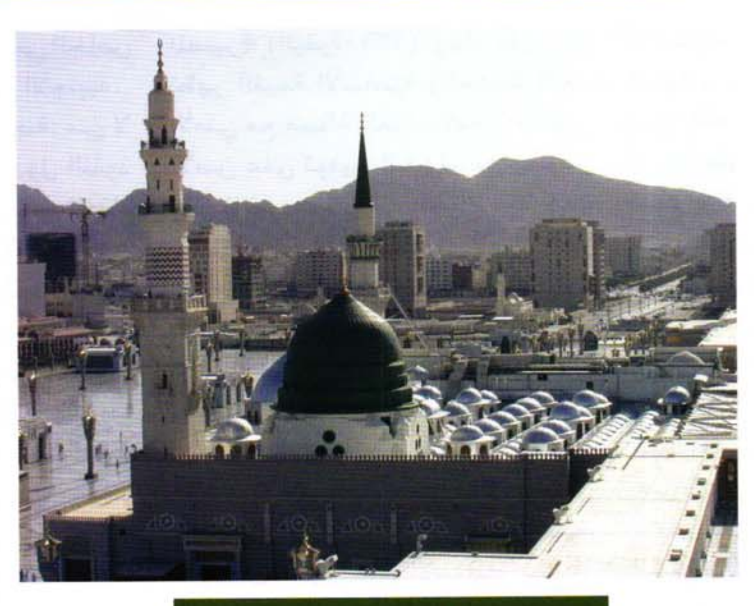
* كاتب مغربي

إن مفهوم الأمن أوسع مما نتصور، إذ يشمل الأمن العقدي من كل تشويه وتحريف، والأمن الفكري من خلال الحفظ على الهوية الإسلامية التي تحاول التيارات التغريبية الحداثية هدمها، والأمن الاجتماعي من خلال ما حث عليه حبيبنا ﷺ: «مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»، والأمن الصحي والأمن في الغذاء والتعليم والتربية.

وخلاصة القول، للإسلام نظرته الشمولية للأمن لاستيعابه كل شيء مادي ومعنوي، كما أنه حق للجميع أفرادا وجماعات، مسلمين وغير مسلمين، ومفهوم الأمن في القرآن الكريم شمولي باحتوائه على مقاصد الشريعة الإسلامية الخمسة، حفظ الدين والنفس والعقل والمال والعرض، بل حذرت الشريعة الإسلامية من خطورة الحرمان من الأمن المعنوي الذي يظهر في صورة انعدام الأمن والخوف.

ولله در عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه إذ قال لأحد عماله الذي كتب إليه: «إن مدينتنا قد تهدمت، فإن رأى أمير المؤمنين أن يقطع لنا مالا نرممها به فعل»، فكتب إليه عمر رضي الله عنه: «إذا قرأت كتابي هذا فحصنها بالعدل ونق طرقها من الظلم فإنه عمارتها».

٢-**الأمن الغذائي:** عرف البنك الدولي الأمن الغذائي كما يلي: قدرة كل الناس في كل الأوقات على الحصول على الطعام الكافي، والذي يضمن لهم حياة صحية نشطة، لكن ما يعاب على هذا التعريف أنه لم يذكر مصدر الحصول على هذا الطعام، إذ يلاحظ أنه قد يأتي من مصادر خارجية- في الغالب- دون التفكير في موارد ذاتية، مما يجعلها عرضة للإملاءات والضغوطات الخارجية.



قدرة الأمة على إنتاج طعامها من خيراتها يحول بينها وبين الابتزاز

وفي هذا المضمار يتم التمييز بين:

الأمن الغذائي المطلق: قدرة الدولة على إنتاج الغذاء داخل أرضها بما يعادل أو يفوق حاجتها المحلية أو الطلب الداخلي فيها.

والأمن الغذائي النسبي: فقد عرفوه بأنه قدرة الدولة على توفير السلع والمواد الغذائية كليا أو جزئيا لشعبها ومواطنيها.

وبناء على هذه التعريفات فقد ركز الإسلام على استقلالية الأمة وقدرتها الخاصة على إنتاج طعامها من خيراتها؛ وذلك حفاظا عليها من الوقوع فريسة الابتزاز في طعامها؛ لأنها إن وقعت في الفخ أصبحت ألعوبة بيد من يملك مقومات الإنتاج وعناصره، وقد أكد الإسلام على ضرورة الإنتاج وتوفير الحاجيات من خلال استغلال الثروات والخيرات الموجودة برا وبحرا من خلال بذل الجهد وتعبئة الطاقات والموارد البشرية والمالية، وتبرز أهمية هذا الدور في عالم مادي اختلت فيه الموازين وبلغت درجة من الاحتكار أدت إلى موت البشر من الجوع على مرأى ومسمع من أقطاب الحضارة المتمدنة في القرن العشرين والحادي والعشرين جهارا نهارا.

ومن مظاهر اختلال الموازين بين دول العالم في الانتفاع بثروات الأرض وخيراتها هو ما تشير له الأرقام، إذ ان الأرقام تشير إلى أن ٢٠٪ من سكان العالم يتصرفون في ٨٠٪ من ثرواته، في حين يتقاسم ٨٠٪ من سكان العالم ٢٠٪ فقط من ثرواته، وإن مثل هذا الاختلال يعود إلى أسباب عدة، منها: قصور وتراجع السياسات المتبعة فيما يسمى بالدول النامية أو العالم الثالث، ونقص قدرته على تحقيق نهضة اقتصادية حقيقية، إضافة إلى الهيمنة السياسية الدولية على مقدرات وخيرات الشعوب والتي تسعى جاهدة لإبقاء هذه الدول في حالة من التبعية الاقتصادية لها تمكّنها من الحفاظ على تفوقها وارتباط الآخر بها.

إن أهم مرتكز من مرتكزات الأمن الغذائي هو تحقيق الاكتفاء الذاتي ولو جزئيا على الأقل في المواد الأساسية والضرورية، لكي يستطيع الشعب أن يحافظ على استقلال إرادته وكرامته. وأرضنا العربية والإسلامية تمتلئ بالخيرات والثروات التي تمكننا من

الاستقلال وتحقيق أمننا الغذائي الخاص بنا بعيدا عن الهيمنة والتبعية الأجنبية.

وطبقا للمقولة الرائجة: من لا يملك قوته لا يملك قراره؛ فدول النفوذ السياسي (وهي المانح الرئيس للغذاء في العالم) هي في الغالب تمنح الغذاء من أجل إرغام المحتاجين للطعام على قبول أجندتهم الظالمة، وهذا هو الذي تفعله اليوم الدول الكبرى ذات السيطرة السياسية والعسكرية والاقتصادية، بما لها من إنتاج غزير للغذاء في السوق العالمي تستطيع أن تتحكم في مصائر المجموعات الهائلة من الجياع في العالم.

ومما يؤسف له أن السودان التي تعد سلة الغذاء العالم العربي والإسلامي، والتي كان من الأولى بدول العالم الإسلامي دعمها دعما متينا لتغطي النقص الحالي في الغذاء، أصبحت مرتعا للنهب الغربي والنصراني المحلي، وللخطط الماكرة الصهيونية، وبقي المسلمون يتفرجون على تطبيق اتفاقية سايكس-بيكو الجديدة.. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

العلاقة بين الأمن وتوفير الغذاء

أكد الخالق العزيز على أهمية الطعام واعتبرها من النعم العظيمة من خلال امتنانه على قريش بهذه النعمة، كما ربطها ربطا دقيقا بالأمن من الخوف؛ حيث قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ. الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (قريش: ٤).

كما تجلى الخيط الرفيع الرابط بين مستوى الأمن وتوفير الغذاء في قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما ترك زوجه وابنه عند البيت العتيق فنادى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة: ١٢٦)، وبناء على ذلك تظهر القيمة الأساسية والجدلية للبعد الأمني مع مسالة الغذاء، كما لا يقتصر الأمن على توفير الغذاء، بل يحرص على توفير مستلزمات الحياة، وإلا كيف نفسر الوضع الاجتماعي في العراق التي تترنح بعض فئاتها تحت عتبة الفقر؟!، بل الأدهى والأمر.. البلد الذي يضرب به المثل في محو الأمية في عهد صدام أصبحت الأمية تنخر جسده!

فالغذاء هو أحد حاجات الإنسان الضرورية التي تتمثل في المأكل والملبس والمسكن، إلا أن الغذاء يعتبر أهمها، فالإنسان لا يستطيع الاستغناء عنه أو الصبر على الجوع، لقد عاش الإنسان الأول عاريًا دون ملبس ودون مأوى، ولا تزال أقوام تعيش اليوم في مجاهل افريقيا تسير عارية أو شبه عارية، لكنها رغم ذلك لا تستطيع الحياة بلا طعام.

فما شهدته مصر في الآونة الأخيرة من إطاحة بالنظام البائد، لدليل قاطع على ما نقول، إذ ان أغلب المصريين يعانون فقرا مدقعا، وتجلى في إضرابات الخبز، التي نشرتها شاشات التلفاز العالمية، ونفس الشيء ينطبق على الدول الإفريقية.

٣- **الأمن الصحي:** جاءت الشريعة الإسلامية- كما ذكر- لحفظ الكليات الخمس.. الدين والنفس والمال والعرض والعقل، ومن حفظ النفس العناية بصحة الأبدان، لأن البدن أمانة من الله عندنا وهو مطيتنا في رحلة هذه الحياة، وما أعطي عبد أفضل من نعمة العافية، ويعد الحفاظ على الصحة واجب ديني، كما في حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه: «إن لربك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لبدنك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه»، كما استوعب علماء الإسلام وفقهاؤه المعنى الصحيح لقيمة الصحة في الإسلام، حتى قرر الإمام العز بن عبدالسلام في كتابه قواعد الأحكام: «أن صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان»، مثلا شرع رخصة التيمم في الطهارة، بديلًا عن الوضوء والغسل:﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾ (المائدة: ٦)، وقال تعالى في التخفيف عن الصائم وترخيصه الفطر له إذا كان مريضًا أو على سفر: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ (البقرة: ١٨٥).

وهذا العنصر المتعلق بالأمن الصحي، كتبت فيه كتابات كثيرة من خلال الحرص على توفير شروط الصحة من وسائل التطبيب، والعناية بصحة الإنسان لأداء الشعائر التعبدية على أحسن وجه، لكن استوقفني موقف عجيب للخليفة الفاروق رضي الله عنه تطبيقا لما يسمى في الطب المعاصر بالحجر الصحي- لما أراد رضي الله عنه أن يذهب إلى الشام وقد سمع بظهور الطاعون فيها همَّ بالرجوع، فقال له أبوعبيدة رضي الله عنه: أتفر من قدر الله؟ فقال: نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله، وعندما أخبره بعض الصحابة بقول النبي ﷺ: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه» (رواه البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنه، فرح عمر رضي الله عنه فرحا شديدا حيث وافق رأيه الحق ولم يحد عنه طرفة عين، كيف لا وقد جعل الله الحق على لسان عمر وقلبه!

وختاما، فالعالم الإسلامي لا يزال يعيش خللا كبيرا على مستوى تحقيق التوازن بين هذه العناصر المشكلة لهذا المؤشر النبوي، وهذا ليس ضربا من الخيال، فبالرجوع إلى الأرقام الإحصائية نستشف ذلك بجلاء، فمثلا أنفقت دول العالم الإسلامي ٧٢ مليار دولار على التسلح عام ١٩٩٧م يستخدم معظمها في الصراعات البينية لهذه الدول، في حين تبلغ نسبة التعليم في العالم الإسلامي ٦٣٪ ومعدل الإنفاق عليه لا يتجاوز ٤٪ من الناتج القومي الإجمالي!



أسرتي

الأسرة البديلة

يقصد بالأسرة البديلة في العلوم الاجتماعية والنفسية والتربوية أسلوب الرعاية للأطفال الذين فقدوا أسرهم بسبب الوفاة أو الطلاق أو الهجر أو الضياع أو الإهمال أو العجز، أو غيرها من الأسباب، ويقوم هذا الأسلوب على أساس وضع الطفل في أسرة بديلة لأسرته التي فقدها، بدلًا من إيوائه في الملاجئ ودور الرعاية الاجتماعية بهدف توفير الحياة الأسرية الطبيعية التي يشعر فيها بالأمن والطمأنينة مع والدين بديلين لوالديه اللذين فقدهما بفقد أسرته الأصيلة.

وقد أشارت الدراسات إلى أن أسلوب «الأسرة البديلة» أفضل بكثير في رعاية الطفل من أسلوب إيوائه في الملاجئ ودور الرعاية، بل وقد يكون أفضل من رعايته في أسرته الحقيقية إذا كان والداه غير مأمونين، أو غير قادرين على رعايته وحمايته، فيؤذيانه بقسوتهما ويفسدانه بسوء سلوكياتهما وانحراف مزاجهما.

التحرير



الحوار الأسري وسيلة تربوية تعليمية

بشرى شاكر

باتت ثقافة الحوار للأسف تتقلص تدريجيًا في أوساط أسرنا، فنحن نعد الحوار من الأمور الثانوية ونحاول التركيز على أمور قد تبدو لنا أهم بكثير، مثل الربح المادي للقيام بمسؤوليات البيت على أحسن ما يرام، ونظن أن أطفالنا لا يحتاجون منا إلا لكل شيء مادي، والمفارقة أننا ننتظر أن ينشأ أطفالنا على تربية حسنة، وإذا ما ساء الأمر فكل من الأبوين يجد طريقًا لإلقاء اللوم على الآخر، ولكن التربية كما هو معلوم لا تحتاج لشخص واحد من دون الآخر فهي متوقفة على كلا الأبوين.

الحوار بينك وبين أولادك هو قنطرة لعبور قيم الأجداد إلى الأحفاد وتتمة لتاريخ مضى بتمريره لمستقبل آت، ومن هنا ينبغي علينا أن نحاور أبناءنا وكأننا نحاور المستقبل، ففلذات الأكباد هم حاضر اليوم ومستقبل الغد.

إن الهوة التي نشأت بين الآباء والأولاد بسبب انعدام الحوار، غالبًا ما يكون سببها تصغير الأبناء والتقليل من قدرهم، فأحيانًا كثيرة يرى الكبير سنًّا أن محاورة الطفل عبث وربما أكثر من ذلك فقد يعتبرها مضيعة للوقت، وقد يقلل من أمره بذلك فلا يسمح له بالحديث أمام الكبار ولا حتى بمناقشته في أمور تتعلق به شخصيًّا! بحيث يتخذ القرار عنه معتقدًا أنه يملك الحلول الناجعة لكل شيء، وأنه أدرى بمصلحة الطفل منه هو شخصيًا.

التربية دون حوار هي عبارة عن قواعد وقوانين تنفذ ولا يسمح للطفل أو الابن عموما أن يتجاوزها.

هذا الاستخفاف بقدر الطفل هو ما يجعل الآباء يرون ثمارهم تنضج بطريقة سلبية، وهو أيضًا ما يجعلهم يتجهون نحو من يسمعهم من أصدقاء أو زملاء، وقد يستأنسون لمن يرغب بأذيتهم لا لشيء إلا لأنه استدرجهم بما فقدوه أي الحوار.

الإسلام يجعل من الحوار بين الآباء وأولادهم ركيزة أساسية في التربية

وكما هو معروف أن الشواذ الذين يعتدون جنسيًا على الأطفال الصغار، غالبًا ما يمتلكون قدرة فائقة على الاستدراج بالحديث، فتكون أول خطواتهم إنشاء نوع من الحوار بينهم وبين الطفل الذي يجد لديهم ما يفتقده في بيته، فتتكون بينه وبين الجاني ألفة تجعله يتبعه مغمض العينين.

إن الإسلام كان يجعل من الحوار بين الآباء وأولادهم الركيزة الأساسية في التربية، ويتجلى لنا ذلك في موقف النبي إبراهيم ﷺ حينما حاور ابنه إسماعيل في أمر الهي وهو يعرف أنه قاضيه لا محالة، لأنه وحي يوحى وليس أمرًا بشريًا، وإنما أراد بذلك إثبات أهمية الحوار والمناقشة وجعل ابنه إسماعيل عليه السلام يفهم لم عليه أن يقوم بما أمر به؟ فقد قال سبحانه وتعالى عن إبراهيم وإسماعيل: ﴿فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ (الصافات: ١٠٢).

حاور إبراهيم إسماعيل ابنه عليهما السلام، ففهم الولد ما طلب منه وامتثل لأمر والده وقبله لأنه أمر الله تعالى، فكان أن غير الله الأضحية بكبش بدل إسماعيل عليه السلام، وكان يمكن أن يغير الله وحيه لإبراهيم قبل حتى ان يحاور ابنه، ولكن لله حكمًا في ذلك، أولها أن يرى طاعة نبيه له، وثانيها ان يبرز لنا قيمة الحوار والمناقشة وأن لها ثمارًا أبلغ بكثير من العند والعنف- والله أعلم-، فحتى وهو ينوي ذبح ابنه امتثالًا لوحي الله تعالى كان إبراهيم عليه السلام رحيمًا في شرحه وقد كان بإمكانه أن يفعل دون أن يستشيره في أمر هو فاعله كيفما كان رده.

وهنا نذكر حديث المحللة النفسية فرانسواز دولتو حيث قالت: «ينبغي للأهل أن يحدثوا ولدهم منذ صغره عن الله بكل بساطة ودون أي تصنع، كما يتحدث الإنسان عن أي أمر مهم في حياته، فهكذا يهيئونه كي يكتشف في الوقت المناسب ما يمثله الله بالنسبة إليهم».

صحافية مغربية



وهذا ما يوافقه العقل والحكمة ويبرز قيمته ديننا الحنيف، إذ إنه حتى في المسائل الدينية لا يجب أن نلقنها تلقينا للطفل وإنما أن ندرجها له حوارا يجعله يفهمها قبل أن يعتقدها إيمانًا.

الحوار لا يصغر من قيمة الآباء وإنما بالعكس يجعلهم أقرب إلى أولادهم، فهؤلاء أيضًا ليسوا مجرد شيء يملكه الآباء وإنما كائنات تمتلك عقلًا وحواسًا ومشاعر، وعليه فإن التقليل من شأنهم ليس طريقًا للتربية السليمة، فنرى أن القرآن الكريم مثلًا، أكبر صغارا وجعلهم في مصاف الكبار ومن أمثال ذلك قوله تعالى: ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا﴾ (مريم:١٢)، فإذا كان الله يحاور نبيًا وصبيًا، أفنتعالى على ذلك نحن البشر؟

أليست هناك من حكمة في كون الله تعالى يخاطب بلغة الحوار عبدا هو الاحوج إليه والله الغني عنه؟!

الحوار هو ثقافة نتربى عليها ونربي عليها أولادنا، ففي مثل هذا السن الحديثة يتعلم الطفل الصواب من الخطأ بالحوار والمناقشة البعيدة عن العناد وفرض الرأي، وهنا يتبين لنا عسر أن يتعلم الإنسان في كبره ما لم يتعلمه من قيم في صغره، فمن شب على شيء شاب عليه، ولذلك وجب على الآباء أن يصنعوا ثقافة حوار بينهم وبين أولادهم، فيستطيعون بذلك ان يخلقوا جيلًا سويًا ومستقيمًا ويتمكنون من كسب ثقتهم فيستشيرونهم دون اللجوء إلى غيرهم، وهنا أيضًا يمكننا أن نسرد مثل نبي الله يعقوب عليه السلام في حواره مع ابنه يوسف عليه السلام كما جاء في القرآن الكريم: ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبًا والشمس، والقمر رأيتهم لي ساجدين. قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾، وهنا نرى أن الحوار جعل الابن يستشير في رؤياه وأعقب ذلك نصيحة الأب.



ولا يمكننا أن نرسم معالم الحوار ونجعل له بداية ونهاية، بل يجب أن نكون على استعداد للإجابة عن أسئلة الطفل دائما وإن لم نكن نعرف الجواب فيمكننا اخبار الطفل بأننا نحتاج وقتا للتفكير ولا يمكننا اجابته الآن، لأننا لا نعلم كل شيء، وهذه طريقة تعلم الطفل محدودية الفكر لدى كل شخص ولا تجعله يخجل من نقص درايته بالأمور، وهكذا يحاول أن يسأل أكثر من دون أن يخجل من جهله لأنه يعرف مسبقًا أن كلا منا كبيرنا وصغيرنا له فجوات معرفية كثيرة ويحاول أن يملأها بالسؤال والحوار.

والحوار المفيد هو الحوار الصادق، فالطفل يعرف صحة ما نقوله من عدمه وفي هذا أيضًا قالت الأخصائية فرنسواز دولتو: «يجب أن نتحدث مع الطفل وليس فقط أن نتحدث للطفل، والأهم أن نكلمه بصدق، فلا يمكننا أن نكذب على اللاشعور لأنه يعرف دائمًا الحقيقة».

بالفعل فإن الطفل يتبين نبرة الحقيقة من خلال سماعه الصوت منذ الساعات الأولى! لأنه يميز بين ما ننطق به وما نشعر به لأن ما يصدق من حديثنا والذي يبدو من نبرة صوتنا ومن حركاتنا هو ما يؤسس لذلك الوفاق بين الحيوية البيولوجية والحيوية الاجتماعية.

وهذا ما أبانه الحديث الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين والدة عبدالله بن عامر رضي الله عنهما حينما دعت طفلها قائلة: «ها تعال أعطيك»، فقال لها ﷺ: «ما أردت أن تعطيه؟». قالت: «أعطيه تمرًا»، فقال لها: «أما أنك لو لم تعطه شيئًا كتبت عليك كذبة».

كما أن الحوار لا يتعلق بأمر معين، فقد يكون حوارًا لمجرد المزح ومشاطرة الطفل لعبه، وقد يكون حوارًا يستدرج فيه الابن لمعرفة أخباره الدراسية، ولكن دون أن يتحول ذلك إلى تحقيق بوليسي، والأهم أن يكون الحوار صادقًا ومبنيًا على الثقة والاحترام وليس على الخوف والتوتر، وهكذا يمكن للابن أن يبدأ بالحوار، ويمكن أن نشير هنا إلى أن أهم الحوارات وأكثرها إفادة هي التي يبدأ بها الطفل وليس الأب أو الأم، لأن الحوار الذي يأتي من فم طفل أو مراهق هو دليل احتياج للمعرفة وبالتالي فإن ما سيسمعه سيرسخ في ذهنه أكثر، كما أنه سيكون دليلًا آخر على رغبة الطفل في التقرب من والديه، وهنا يمكن أن يستغل الآباء الفرصة لخلق حوارات جديدة بينهم وبين أبنائهم دون أن تكون متداخلة بشكل يشتت تركيز الطفل.

وكما أن الحوار مهم لتربية سوية فيجب أن نحترم عدم رغبة الطفل في





الحديث، فهو له كما ذكرنا شخصيته المستقلة وظروفه كأي إنسان، فحينما لا يرغب بإخبارنا عن سبب صمته فلا يجب أن نلح عليه ولكن من الأفضل أن ننتظر إلى أن يرغب هو في الحديث فيسعى إلينا طلبا لذلك، وإن لم يفعل نترك له حيزا من الزمن ونسأله ولكن دون اتباع أسلوب استفزازي أو الإصرار على حوار هو لا يرغب فيه، فاحترام الحالة النفسية للطفل ضرورية في مثل هذه الأحيان.

ابتعاد الأبناء عن مشورة الآباء والحديث إليهم هو رد فعل عادي جدًا أمام عدم اكتراث الوالدين لهم، مما يجعلهم يلجأون كما قلنا سابقا إلى طرف ثالث للحديث معه، وغالبًا ما يتقرب الأطفال من أصدقائهم أكثر وخاصة حينما يبدأ نزوحهم نحو سن العاشرة فما فوق، وليس غريبًا أن يكون هذا السن هو الذي حدد كعتبة نهائية لوجوب صلاة الطفل في الإسلام.

ومما يجهله الكثير من الآباء أن بعض الأطفال هم أكثر ذكاء من أعمارهم ويمكن الاستفادة من محاورتهم، وليس من مثل أبلغ على ذلك مما حصل حينما قام أبويزيد البسطامي لقيام الليل ورأى بجواره ابنه الصغير يرافقه فأشفق عليه من مشقة السهر وبرد الليل فقال له: «ارقد يا بني فأمامك ليل طويل» وأجابه الطفل قائلا: «فما بالك أنت قد قمت؟» فقال: «قد طلب مني أن أقوم»، قال الطفل الصغير، «لقد حفظت فيما انزل الله في كتابه: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك﴾، فمن هؤلاء الذين قاموا مع النبي ﷺ ؟»، فأجابه الأب: «إنهم أصحابه»، فقال الطفل: «فلا تحرمني من شرف صحبتك في طاعة الله»، فقال أبوه في دهشة: «يا بني أنت طفل ولم تبلغ الحلم بعد» فقال الغلام: «يا أبت إني أرى أمي وهي توقد النار تبدأ بصغار قطع الحطب لتشعل كبارها فأخشى أن يبدأ الله بنا يوم القيامة قبل الرجال إن أهملنا في طاعته»، فانتفض أبوه من خشية الله وقال: «قم يا بني فأنت أولى بالله من أبيك».

فلو لم يكن أبويزيد البسطامي حليمًا في حواره مع ابنه لما علم بذكائه وما تعلم منه ما خفي عنه.

أما الحوار المفيد فهو المناقشة البناءة التي لا تتحول إلى صراع أو أوامر، ولا ينقص من قدر الطفل والنظر إليه على أنه لا يفقه شيئًا، بل يجب أن يترك له حيز من المسؤولية في النقاش والحوار واتخاذ القرار بعد هذا كله، حتى وإن كنا من نوجهه، فلنتركه هو يختار ما نريده أن يقوم به ونراه صائبًا، فهكذا سيتقبله أكثر وسيقوم به عن اقتناع، وليس هناك مانع من التودد للطفل بمناداته بأسماء يحبها كما كان يفعل الرسول ﷺ وهو ينادي زينب باسم مصغر، فعن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يلاعب زينب بنت أم سلمة وهو يقول: يازوينب، يا زوينب مرارًا».

يجب أن نعلم أن الأطفال ليسوا عبيدًا ولا خدما نملكهم، وإنما هم مستقبل أمة بأكملها، فحينما نحاورهم علينا أن نفهم أننا نحاور حاضرًا سوف ينمو ليصبح مستقبلًا.



الوعي الجمالي عند الأطفال أساس التفوق والإبداع

تحقيق: نجاح منصور

منذ سنين بعيدة: انشغل علماء النفس وعلماء التربية بقضية الطفولة، لاسيما الطفولة الناضجة، وتساءلوا: كيف نصنع الأطفال المبدعين في المجتمع؟ أو بمعنى آخر: كيف نخلق حاسة الإبداع عند الأطفال؟

وتوصلوا إلى أنه لابد من الاهتمام بمسألة الوعي الجمالي عند الأطفال، باعتبار أن الوعي الجمالي هو النمو المتزايد نحو الاكتشاف الدائم عن الوحدة في الاختلاف، في المتناقضات، في المتعارضات.. كذلك هو المقترح لمجموعات متنوعة من الحلول أمام العقل الذي يختار في الأغلب أحد الحلول.. فإنه يغرس بذلك احترام الرأي الآخر ومعتقداته، ويبتعد هذا الوعي الجمالي عن التعصب والتشدد، وكذلك يجعل هذا الوعي الجمالي صاحبه يبحث دائمًا عن زوايا جديدة للرؤية فيجتنب الجمود، وأيضًا يحرض العقل على فتح جوانب متعددة من التفكير فيتحرر من أحادية النظر العقلية التي تعوق التقدم، وتغلق طريق التبادل والحوار الإنساني على أرض يملؤها الاحترام والفهم المتبادل.. وأيضًا التسامح والتقدير.

واهتم علماء التربية -على وجه الخصوص- بعمل برامج توعية من شأنها أن تسهم في زرع العقلية الإبداعية، ووضعوا لها التصورات التالية:

- تنمية حب الاستطلاع عند الطفل: إن حب الاستطلاع والثقة بالنفس، والإبداع تتفاعل مع بعضها، ذلك أنه بقدر ما لديهم من حب الاستطلاع يكون لديهم تقدير لأنفسهم وبالتالي يكون لديهم رغبة في الاستمرار بالعمل المبدع وتكوين خبرة فنية بمحيطهم، ويطورون كفاءات مناسبة، ويتفاعلون بشكل جيد مع عالمهم الخارجي مما يزيد من تطوير ثقتهم بأنفسهم أيضًا ويكون تقديرهم لذواتهم عاليًا، الأمر الذي يسهم في تطوير قدراتهم الإبداعية.

مسألة اكتشاف الأطفال المبدعين شغلت علماء التربية والنفس والاجتماع طويلًا

- تحرير الأطفال من الخوف والخطأ: لأنه مما يعيق الأصالة، وإن التأكيد على الممارسات التي نتعلم عن طريقها من الأخطاء التي نقع فيها تشجع محاولات القيام باللعب بالإمكانيات التي هي جزء أساسي في عملية الإبداع، لذا فإن الاتجاه الهادئ والمتسامح تجاه الأخطاء الأولية التي تقيّم فيما بعد، وترفض من زاوية ما لكونها غير ملائمة تشجع التجريب بالإمكانات البديلة وهذا الأمر جزء من النتاج الإبداعي.

- تشجيع التخيل بالإضافة إلى النظرة الواقعية للأمور: إن التشديد على أن يكون التفكير مرتبطًا بالواقع يمكن أن يثبط من عملية التجريب للاحتمالات الغريبة التي هي على الأغلب مفيدة، إلا أن تشجيع التحرك الحر من الخيال إلى الحقيقة والمزج بين الآراء الغريبة والتقويم الناقد من الأهمية بمكان العمل على تشجيعها.

- تشجيع اختلاط الطفل بالأشخاص المبدعين: إن المستويات العليا من الإبداع تتطلب أن يتقبل الآخرون الأفكار والأعمال غير المألوفة ولن يقدر ذلك سوى الأشخاص المبدعين وغير التقليديين.. فالطفل قد يسعى إلى تشبيه نفسه بنماذج أكبر منه سنا عند الفشل في بعض محاولاته فالقدوة والجو العام الإيجابي قد يكون سببا في تطوير الإبداع.

- تشجيع الاختلاف والتفرد: إن تشجيع الاختلاف في الرأي والعمل على التجريب، وإعطاء الفرد إحساسا بتفرده أمور مرغوب بها.

- تشجيع المبادرات الفردية: إن توفير أكبر قسط من الفرص للدراسة الفردية والسماح لكل متعلم بأن يتقدم حسب قدراته، وتوفير جو من المرونة في المختبر، والخبرات الميدانية كلها عوامل تشجع على تطوير العوامل الرئيسية للنشاطات الإبداعية.

- تجنب قولبة الشخص ذي القدرة الإبداعية حتى لا تطمر بوادر الإبداع عنده.





أسباب فشل العلاقة بين الرجل والمرأة

إبراهيم علي إبراهيم

عندما يفكر الشاب والفتاة في الإقدام على الخطبة أو الزواج، من الطبيعي أن تكون مشاعر الحب قد جمعت بينهما، ولكن أحيانًا تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن وتضطرب العلاقة وتصل لطريق مسدود ويكون الانفصال هو الحل.

وأحيانًا كثيرة يكون القرار من طرف واحد، ومن هنا تكمن المشكلة ، لاسيما عندما يرفض الطرف الآخر قبول الأمر الواقع فتحدث له صدمة عاطفية. فماذا نفعل عندما نتعرض لصدمة عاطفية؟ وما الأسلوب الأمثل لمعالجتها؟

في البداية ينصح أساتذة الصحة النفسية: عندما تتسم علاقة الإنسان بالحدة واللامعقولية لابد أن يكون وراء ذلك اضطراب نفسي أو فشل في العلاقة العاطفية لا يؤدي وحده للخلل النفسي ولكن تكون هناك مجموعة عوامل مجتمعة مثل عدم التكيف مع الواقع وضغوط الحياة وغيرها من الأشياء، وعندما تفشل العلاقة تعجل بحدوث الاختلال النفسي، أيضا الاستعداد الجيني الوراثي وما قد يترتب بالترسب في مرحلة الطفولة المتأخرة.. كلها عوامل تؤدي الى حدوث الصدمة العاطفية وتترجم لعدة أفعال تكون غير متزنة.

وحول الأسلوب الأمثل لعلاج الصدمة العاطفية، لابد من تقييم الإرادة على مواجهة الواقع وعدم ربط الفشل بالكرامة، ومحاولة معالجة الأخطاء التي أدت للفشل لتجنبها مع أي علاقة جديدة.

إن مسؤولية فشل العلاقة تقع على الطرفين وعدم قدرتهما على اقتراح الحلول البديلة لمعالجة الأخطاء، واستعجال الحلول السهلة بالتخلص من العلاقة وإنهائها بصورة مفاجئة وهذا ما يسبب آثارًا جانبية ويؤدي إلى سلوك عدواني، فالعلاقة الزوجية شراكة متبادلة بين الزوج والزوجة، وقد شرع الله الحقوق والواجبات التي تنظم سير العلاقات، أما إذا تحولت العلاقة لنوع من الاستغلال أو الأنانية تنقلب الموازين، وهنا يسيطر سلوك التسلط والسيطرة والغيرة التي تدفع إلى الجنون في بعض الأحيان فيحدث نوع من الهوة أو الشرخ في القدرة على التعامل، ويؤكد اساتذة الطب النفسي أن تعرض الإنسان للصدمة العاطفية يعود لأنه اعتاد في حياته الاعتماد على أشياء سطحية وبسيطة فأصبح الإشباع العاطفي هو العامل الرئيسي بالنسبة له، ولا توجد أي قيمة أخرى يعطيها أولوياته، وذلك عندما يتعرض للفشل في علاقته العاطفية يرتكب بعض الحماقات لأنه يفقد القدرة على التركيز بعد أن أصيب بالاحباط والفشل، ولاسيما أنه لا يشعر بأمل في المستقبل!

إن من الطبيعي أن يشعر الإنسان بالحزن والضيق لفترة محدودة لا تتجاوز ثلاثة أشهر، وأنه يمكن التغلب بسهولة على مواجهة الأزمات العاطفية، وذلك بالشعور بالرغبة في الحياة، وزيادة الثقة بالنفس ومع تكرار النجاح يتولد الشعور بالسعادة، كما يمكن عقد صداقات جديدة والانشغال بأشياء اخرى مثل الاشتراك في عمل اجتماعي أو خيري، فهذه الأشياء تشعرنا بالسعادة، وتساعدنا على التغلب على الصدمة العاطفية.

* باحث أسري



وصفة ليست سحرية

إيمان القدوسي

يتساءل الشباب أين الحب والوفاء والإخلاص؟

هذه عملات قديمة ألغيت ولم يعد لها في سوق العصر قيمة، ثم ترتسم ابتسامة مشفقة على شفاههم لمن ينادي بتلك المعاني الطيبة لأنه من وجهة نظرهم إما يعيش بعيدًا عن الأرض أو هو ساذج لا يعرف ما وصل إليه حال الناس.

ولكنهم لم يفكروا في إجابة لتساؤل بسيط، إذا كنتم جميعًا تتهمون الآخرين فمن المتهم إذن؟ وهل تؤمن أنت بتلك القيم وتطبقها؟ إذا كنت كذلك فهذه بداية حسنة ومؤشر للتغيير، أما إذا قلت: لا(..) لن أكون العبيط الذي يضحك منه الآخرون.. أنا مثل غيري أيضا أعامل الناس بمعاملتهم وربما أسوأ وأعرف جيدًا كيف أحصل على حقي في تلك الغابة التي نعيش فيها، فأنت من بين المتهمين وقد اعترفت وضبطت متلبسًا.

لكي نغير يجب أولًا أن نتغير، هذه قاعدة أساسية.

من هم الناس؟ أنا وأنت ونحن جميعًا ولكي يحدث التغيير للأحسن ابدأ بنفسك، يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (الرعد:١١) تحتاج تلك الآية الكريمة وقفات طويلة أمامها، إن الله سبحانه وتعالى من يقول للشيء كن فيكون ومن بيده مقاليد السموات والأرض، يقول إن التغيير يجب أن يبدأ من نفسك، ليس ذلك فحسب بل هي مسؤوليتك الشخصية أنت فهو سبحانه وتعالى لم يقل حتى تغير الحكومة ما بنفسك أو يغير والداك ما بنفسك ولكنه قال ﴿حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ فيحسنوا نواياهم ويصححوا وجهات نظرهم ورؤيتهم للعالم ويبدأ كل منهم بممارسة أفعال الخير ومشاعر الرأفة التي يطالب بها الآخرين دائمًا.

أتوقع السؤال التالي: وهل سيتغير العالم فعلا بتغيير نيتي ووجهة نظري؟

نعم سيتغير، عالمك أنت سيتغير، أولًا سوف تشعر بالرضا واليقين يغزو نفسك ويجعلك راضيًا بما قسم لك، ويكفيك راحة الضمير وأنك أديت ماعليك تجاه والديك وذوي رحمك وعبادتك واجتهدت وأبدعت في عملك وكنت دائما صادقًا معطاءًا، ثم إنك سوف تكتسب ثقة الناس وحبهم واحترامهم، ثم سوف ييسر الله لك باقي أحلامك ويرزقك من حيث لا تحتسب.

هل يحتمل الأمر وصفات معينة؟ ربما هناك اجتهادات ووصفات كلماتها قليلة وقد تؤتي ثمرتها إذا صادفت قلبًا واعيا ورغبة في الحياة بعمق قبل أن تفر منا وما زلنا فقط نتجول حولها.

بالنسبة للفتيات أفضل وسائل التجميل هي الصدق والبساطة وأن تقومي دائمًا بعملك بغير انتظار النتيجة، ولي وقفة صغيرة، تفهم البنات أحيانًا الصراحة بشكل مزعج يصل لحد البجاحة والتطاول، ليس المطلوب أبدًا أن تكون نظراتك حادة وصوتك عاليًا مزعجًا وألفاظك جارحة، وليس المطلوب أيضا رفع الكلفة وعدم الاحترام، تذكري دائمًا الحياء والخفر والصوت الخفيض فهي زينة البنات.. المطلوب منك الصدق والشفافية وعدم الافتعال وفي أثناء التعامل سوف يظهر ما في نفسك ونيتك وتربيتك، وينعكس رقة وذوقا وشياكة في تصرفاتك تجذب إليك القلوب قبل العيون وتجلب لك الاحترام والتقدير.

قرأت أخيرًا لكاتب أميركي يدعى «بول أوستر» يتحدث عما جذبه للفتاة التي صارت بعد ذلك زوجته وأخلص لها طيلة حياته يقول: «جاءت يومًا لمكتبي في الجريدة في عمل، كان لدي كثير من الأشياء التي يجب أن أفعلها في هذا الصباح، لكنني لم أقو على أن أجبر نفسي على إنهاء خدمتها سريعًا وظللت أؤخرها لمدة خمس عشرة أو عشرين دقيقة، كانت فتاة بسيطة الملابس يخلو وجهها تمامًا من المكياج تبدو جادة واثقة، كان هناك شيء ما مباشر وصريح فيما يتعلق بهذه الفتاة، شديدة الشفافية، التي تفتقر إلى خداع النفس إلى أبعد حد، لدرجة أنه كان من الصعب علي ألا أستغرق في التأثير الكلي لوجودها الجميل، جميل بالتحديد لأنها غير مدركة له، ولأنها تجهل تمامًا التأثير الذي تمارسه على الآخرين، هذه الفتاة التي صارت زوجتي كانت تطبق بفطرتها نصيحة الفلاسفة «كن نفسك» وظلت كذلك دائمًا، وما هو داخل نفسها كان دائمًا الخير».

الكلام نفسه تقريبًا ينطبق على الشباب مع تعديل بسيط وإضافة صغيرة، وهي لا تحاول تقليد «بلطجة الأفلام» فهم يقدمون لك نماذج مغشوشة وهدفهم الوحيد الربح التجاري ولو على أشلاء القيم والمبادئ، ولا تحاول أن تبدو قويًا بإنكار العاطفة وادعاء الغلظة والخشونة، الرجل الحقيقي هو الذي يجمع بين القوة والحنان ويعرف جيدا متى وكيف ومع من يمارس أيا منهما، لو كنت كذلك سوف تجد الحب والتقدير والنجاح، وسوف يوضع لك القبول في الأرض، فالناس في كل مكان تتعطش لمعرفة الإنسان الحقيقي، والبنات تحلم بفتى أحلام رجل بمعنى الكلمة.

النضج العاطفي عند الشباب

د. مي علي إبراهيم كشك

العاطفة جزء أساسي من التكوين النفسي للفرد، جنبا إلى جنب مع العقل والإرادة، وتبدأ العاطفة كنبتة صغيرة تنمو تدريجيًا في اتجاه النضج، الأمر الذي يؤثر في حياة الفرد بشكل عام وعلى حياته الزوجية بوجه خاص.

إن الإنسان بدون مشاعر حية يتحول إلى إنسان آلي، وإن كانت مشاعر الحب تدعم كل مراحل عمر الفرد، فإنها تلعب دورًا أهم وأوضح في حياة الشباب، ذلك لأن الشباب يتسم بالحيوية والنشاط الانفعالي المتدفق، ومن ثم فإن عاطفة الشباب متقلبة وغير متوازنة، فكل من الطفل والراشد مستقر عاطفيًا (نسبيًا) أما الشاب والفتاة فهما في محاولة لبلوغ درجة الاستقرار العاطفي، يضاف إلى ذلك أن العاطفة في مرحلة الشباب ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالدافع الجنسي، وكلاهما عند الشباب غير مستقر ويسعى نحو الاكتمال.



توجيه العاطفة نحو النضج

والعاطفة إمكانية إنسانية رائعة ينبغي التعامل معها وتوجيهها إيجابيًا حتى يمكن أن تثري الشخصية وتكسبها حيوية ونضارة، بناء على ذلك فإنه من أجل توجيه العاطفة في خدمة الارتباط الزوجي نقدم بعض النصائح التالية:

تحويل الإعجاب من مجال الإنسانية إلى مجال العطاء، وهو كفيل بأن يدفع بالعاطفة وبالشخص ككل نحو مزيد من النضج.

- تأجيل التعلقات العاطفية حتى تتأكد جدية الارتباط الزوجي.

- محاولة التخلص من أي تعلقات عاطفية سابقة، قبل الدخول في أي ارتباط زوجي جديدد.

- التعامل الراقي بين الجنسين، الذي يحدث نوعا من التصالح الداخلي بين الرجل والمرأة، فلا يصبح أي مهما لغزًا بالسنبة للآخر، وبالتالي تخف حدة التوتر بينهما، على أن يتحقق هذا التعامل في إطار اجتماعي مناسب، يتسم بالوقار واحترام القيم الأخلاقية والاجتماعية، فهذا من شأنه أن يساهم في توجيه عواطف الشباب إيجابيًا نحو ارتباط زوجي ناجح.

تحقيق النضج

إذا أردنا أن نجيب عن السؤال «كيف أعرف ما إذا كنت قد حققت نضجًا يؤهلني للارتباط؟» نقول: لا أحد قد حقق كل النضج، وعلينا أن نستعرض مؤشرات النضج ونقيم أنفسنا بالقياس إليها، ثم نسعى كي نحققها في حياتنا قدر الإمكان.

أما كيف يكتسب الفرد مزيدا من النضج؟ فإن مفتاح ذلك تتضمنه كلمة واحدة، أو فعل واحد إنه فعل «الحب» إن حركة الحب الصادق هي فعل إيجابي، فعل خروج من «الأنا» إلى الآخرين بحركة عطاء، حتى لو كان في البداية عطاءً فقيرًا بسيطًا، وحركة الخروج إلى الآخرين ومعايشتهم هي ذاتها حركة النضج، ولو راجعنا مؤشرات النضج لوجدناها كلها على صلة وثيقة بالحب والخروج على الذات، ففي هذا الخروج استقلالية وإحساس بواقع المجتمع (الواقعية)، وفيه تدرب تدريجي على الثقة بالنفس، وتحمل المسؤوليات، والتكيف مع الظروف المتغيرة التي كثيرًا ما تتطلب قدرًا من النفس، وهكذا فإن محاولة الخروج عن الذات إلى الآخرين بحركة إرادية مقصودة مهدفة تدفع بالفرد نحو مزيد من نضج العطاء الحر.

ولا ينبغي أن نغفل حقيقة مهمة وهي أن النضج الأنساني يشمل كل جوانب الحياة، وينبغي أن نسعى إليه في كل اتجاه.

باحثة أكاديمية



ذات الدين

أحمد عبداللطيف النجار

لو سألت أحدًا من شباب هذا الزمن «العجيب»: ما مواصفات عروس وزوجة المستقبل لقال لك: الجمال بالطبع، أي تكون جميلة جدًّا وهو هنا يقصد جمال الشكل والمظهر لا جمال الروح والجوهر! ولأضاف وياحبذا لو كانت غنية أيضًا ذات مال وثراء!

هذا هو للأسف منطق وتفكير جيل الإنترنت والدِّش بكسر الدال! وهذا ما عايشته بنفسي في قصة صاحبي عبدالرؤوف، فقد كان طالبًا جامعيًا مستهترًا إلى أبعد حد، حصل على شهادته بطلوع الروح كما يقولون!

ولكن بعد أن أضاع كل ميراثه من والده، بعد حصوله على الشهادة تعرف على فتاة بسيطة من أسرة متوسطة، تلك هي سلمى التي حدث تقارب وإعجاب بينها وبين عبدالرؤوف رغم أن جمالها كان متواضعًا للغاية، ولا أقول دميمة فالإنسان العاقل يقيس جمال المرأة بروحها الطيبة وعقلها الراجح!

يقول عبدالرؤوف انجذبت إلى سلمى وقررت الزواج منها رغم الفارق الشاسع بيننا في التعليم، فهي لم تنل من التعليم غير الشهادة الإعدادية، واعترض إخوة عبدالرؤوف على ذلك الزواج «غير المتكافئ» كثيرًا ورغم ذلك أصر صاحبي على موقفه وقراره الزواج من سلمى، خاصة وقد وفرت له عروسته الشقة التي سيتزوجا فيها، وتم الزواج بالفعل وسافر صاحبي للعمل بالخارج واصطحب معه زوجته سلمى واستمر في العمل أكثر من عشر سنوات كاملة، وتمضي الأيام سريعًا ويرزق المولى عز وجل عبدالرؤوف ولدين يحسن تربيتهما وتنشئتهما منذ الصغر على التدين وتقوى الله جل في علاه، ويزرع فيهما الفضيلة، وتتحسن علاقة زوجة عبدالرؤوف بإخوته بفضل اتزانها وشهامتها وحسن معاملتها للناس.

ذات يوم فاجأني عبدالرؤوف بقوله إن العمر تقدم به وأحواله تحسنت كثيرًا ولكن مايؤرقه حقًا هو «دمامة زوجته» خاصة أنه يرى نفسه وسيمًا ويرى زوجته «عاطلة عن الجمال» على حد قوله!

قلت له استغفر الله يا أخي وأحمده على عطاياه ولا تتبطر على نعمته التي أهداك إياها، فكان رده عجيبًا بأن قال: إني أخجل جدًّا من الظهور بها أمام أصدقائي وجيراني، خاصة أنه قد نفر منها الجميع بالفعل لدمامتها!

فقلت له سبحان الله ألا تتذكر قول الحبيب المصطفى اظفر بذات الدين تربت يداك، ألا تتقي الله في زوجتك وهي أمانة في عنقك؟ ألا تتذكر لها وقوفها بجانبك في أيام الضيق والعسر والشدة؟

ألا تشكر لها جميل صنيعها لك عندما ساعدتك بموافقتها على زواجكما في شقتها ومساعدتها لك أيام كنت عاطلًا عن العمل!

والآن يا عبدالرؤوف بعد أن أغناك الله من فضله تجحد نعمته وتكشر عن أنياب الغدر لزوجتك المخلصة الوفية!

عجيب أمر ابن آدم لا يملأ عينه سوى التراب، وتمضي الأيام والسنون بسلمى وزوجها عبدالرؤوف الذي يصر على أن يعوض ما فاته من عمره بالزواج مرة أخرى من امرأة جميلة، بل ويرغبها جميلة جدًّا حتى يعوض النقص الذي يشعر به في سلمى!

قلت له والله يا أخي النقص الحقيقي فيك أنت، في تفكيرك القاصر، ومنطقك الأناني! فإن من يعاشر حيوانًا أليفًا قد يعز عليه فقده، فلماذا لا يعز على بني آدم فقد عشيرته من بني الإنسان بمجرد أن ظروفه المادية تحسنت!

ويصر عبدالرؤوف على عناده ويسوق لي تبريراته العجيبة بأنه يشعر دائمًا بنظرات الإشفاق في عيون أصدقائه وجيرانه بسبب «دمامة» زوجته سلمى، فقلت له لماذا يا عبدالرؤوف لم تكتشف هذه النظرات إلا الآن فقط بعد أن استقرت أحوالك المادية!

لماذا لم تر نظرات الإشفاق هذه التي تدعيها في عيون الآخرين وأنت ضائع بلا عمل ومال، وحين وافقت سلمى على الزواج منك وأوتك وكفلتك في بيتها وحين ساندتك في بداية حياتك؟!

فالجمال يا صاحبي مسألة نسبية، الشيء الجميل والباهر بحق في أي امرأة هو جمال روحها، جمال طبعها، جمال إيمانها، جمال جوهرها وباطنها وليس الجمال الظاهر فقط!

تأكد يا صديقي أنه لا تخلو أي امرأة من لمسة جمال مهما كانت دمامتها بل كن على يقين أن من شقوا بجمال زوجاتهم أضعاف أضعاف من شقوا بدمامة زوجاتهم!

تأكد يا صاحبي أنك بإصرارك على الزواج من ثانية ستخسر حتمًا أضعاف ما أخذت وتخسر استقرار حياتك وتعرض أبناءك لمحنة لا داعي لها، وستخسر راحة البال وتتمزق بين أسرتين وحياتين!

وصعب جدًّا في هذا الزمن الأصعب أن تعدل بين زوجتين!

وأخيرًا أخيرًا اقتنع صاحبي عبدالرؤوف بكلامي البسيط ورجع إلى عقله، رجع إلى نفسه، رجع إلى ربه، وطرد من تفكيره وساوس شياطين الإنس والجن، بل وقام ذات يوم بزيارة عائلية عزيزة وغالية مع زوجته المؤمنة سلمى وولديه، ونظرت إلى وجهه ورأيت نور الله يشع من عينيه والخشوع واليقين والسكينة تنبعث من وجه زوجته الوفية سلمى، حينها شعرت يا أصحابي أن الدنيا رغم كل ما فيها مازالت بخير وتذكرت قول الحبيب المصطفى ﷺ: «الخير في وفي أمتي إلى يوم الدين».

* باحث في القضايا الأسرية

ناقشت إحدى جلسات مؤتمر مستجدات الفكر الإسلامي التاسع في الكويت مؤخراً دور المرأة في الإعلام بعنوان «مدى تلبية الإعلام الفضائي والإلكتروني لحاجة المرأة» وقدمت هذه الورقة مسؤولة العلاقات العامة والإعلام في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية «سمية الميمني» حيث أوضحت أننا نعيش اليوم في زمن كثير التطور وسريع التغير، ويعود ذلك إلى أهم عاملين وهما التكنولوجيا والإعلام، وبفضل الإعلام والوسائل التكنولوجية صار العالم اليوم قريبا من بعضه، سهل الارتباط وسريع التعارف والالتقاء.

الإعلام والمرأة

التحرير

وأشارت الميمني: بما أن حديثنا اليوم يرتكز على أمر هام جدا وهو الإعلام الفضائي والالكتروني، خصوصا في العالم الإسلامي وبنظرة محافظة لمجتمع يهتم ببناء الفرد والأسرة على أسس المبادئ الإسلامية السليمة، فالحديث في هذا المجال قد يطول لما فيه من جوانب عديدة لابد من الاطلاع عليها وذكرها.

وأوضحت الميمني أن الإعلام كما يعلم الجميع سلاح ذو حدين، وأدواته إن استخدمت بالشكل الصحيح وفي الاتجاه السليم لتصحيح أخطاء المجتمع وعلاج أسقامه وضماد جراحه، ولتنمية الفرد وتطوير فكره وزيادة حصيلته الثقافية والمعلوماتية، وزرع القيم النبيلة والأخلاق الحميدة، واطلاعه على العالم الخارجي ولكن بعدسات الجمال ورونق الصورة وإبداع الإخراج مع الحفاظ على الضوابط الشرعية بعقلية إسلامية متفتحة غير مقيدة، عندها سيكون هذا الإعلام رسالة ناجحة بل ومعلمًا قياديًا من الطراز الأول، أما لو استخدم هذا السلاح ألا وهو الإعلام لتحقيق المصالح المادية والتجارية البحتة، ودعما للجشع البشري في الحصول على أكبر المبالغ بأسوأ السبل، فصار استخدام أدوات الإعلام لنشر الرذائل والفساد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي من خلال طرح كل ما يثبط العقل البشري ويعرقله عن أداء واجبه أمام مجتمعه، وتشجيع النفوس على سخافات الأمور وسطحية الأفكار، مع التركيز الخاص بكل الوسائل المغرية على تحريك الشهوات والغرائز في أبهى الصور وأكثر الطرق إغراء.

لذلك فإعلامنا الإسلامي اليوم يحتاج إلى همة المؤمن العالية وصبره المتفاني، وحكمة العقلية المسلمة التي تخطط للبعيد قبل القريب، وللغد المقبل مع إجادة العمل في الحاضر، هذا بالإضافة إلى الحاجة الماسة والأساسية لأموال المنفقين الذين يجاهدون لتكون كلمة الله العليا.

ويهدف الإعلام الإسلامي في القنوات الفضائية إلى إحياء الأمم وتصحيح العقائد، فهو جهاد حقيقي



ومرحلة تاريخية عظيمة تُبذَل فيها الغالي والنفيس، وهي مهمة لا تقل شأنًا وأهمية عن الفتوحات الإسلامية الكبيرة، لذلك لابد أن تتضافر الجهود وعمل الجميع على قلب واحد، ويتعاون المخلصون من أصحاب الإمكانات، سواء أكانت إمكانات مادية أو علمية أو إدارية أو مواهب فنية نافعة.

وعندما نتحدث عن المرأة في الإعلام، ولأن محور الندوة مدى تلبية الإعلام لحاجة المرأة، قد يتبادر إلى ذهن الباحث سؤال آخر وهو مدى حاجة الإعلام للمرأة ومدى حاجة المرأة للإعلام؟ من هذا الباب قد ندخل في أبحاث أخرى ومنافذ متنوعة لأن الشروع في الحديث بهذا الموضوع يحتاج منا مؤتمرات وجلسات عديدة، لنقاش التفاصيل والخوض في الأعماق لاستخراج الكنوز الدفينة التي لاتزال إلى يومنا هذا مدفونة في القيعان.

فلنتساءل أولا ما هي احتياجات المرأة من الإعلام؟ وقمت بتقسيم احتياجات المرأة كالتالي:

- الاحتياجات الجسدية.. وهي عبارة عن برامج تخص:

«الموضة - الأزياء - المكياج - التجميل».

- الاحتياجات النفسية.. برامج تناقش كل من:

«الاستشارات النفسية - الجانب العاطفي - عالم الطبيعة والجمال».

- الاحتياجات الأسرية.. وهي البرامج التي تلبي الجوانب التالية:

«مهارات زوجية - العناية بالطفل وتربية الأبناء - فن الديكور والتصميم والمطبخ».

- الاحتياجات الصحية.. حيث يهتم هذا النوع من البرامج بالأمور الآتية:

اليمني: على المرأة ترسيخ مفهوم أن الإعلام جزء كبير من الدعوة إلى الله

التغذية».

- الاحتياجات الروحانية.. برامج خاصة في كل ما يتعلق بالجانب الديني:

«القرآن والسيرة - المسائل الفقهية - الأمور الدينية الأخرى».

- الاحتياجات الفكرية.. برامج تهتم بالجانب الثقافي:

«حوارات - مسابقات - مناظرات - جلسات نقاشية - دورات».

والآن لنتجول قليلا بين المحطات الفضائية العربية، ولنضغط على أزرار جهاز التحكم (ريموت كنترول) الخاص بتلفازنا، ولنقلب على البرامج المعروضة في أوقات الذروة والأوقات العادية، ولنفحص ماذا تقدم هذه القنوات للمرأة؟ ومدى اهتمامها باحتياجات المرأة؟ وأين يصب اهتمام هذه القنوات في أي نوع من الاحتياجات أكثر؟

كشفت دراسة مغربية نشرت على BBC العربية في ٢٠١٠ أن أغلب السيدات يعتقدن أن وسائل الإعلام والأعمال الدرامية العربية تقدم صورة غير واقعية للمرأة.

وشملت الدراسة ١٥٠٠ امرأة من فئات اجتماعية مختلفة، وتمت بالتعاون بين وزارة الإعلام الكندية وصندوق دعم المساواة بين الجنسين التابع لوكالة التنمية الكندية.

وأوضحت الدراسة أن نسبة ٤٥٪ من السيدات يعتقدن أن المسلسلات والأفلام تظهر السيدات على أن «أخلاقهن منحلة»، وقالت نسبة ٣٧٪ أنها تظهر النساء على أنهن «مضطهدات»، فيما اشتكت نسبة ٣٠٪ من تقديم النساء على أنهن «طائشات».

وهنا يجرنا الحديث للدخول في القسم الثاني لمحور ندوتنا وهو: ماذا يلبي الإعلام الواقعي من احتياجات المرأة ومتطلباتها؟

إن من أخطر وسائل التغيير الثقافي التي لجأ لها المستعمر هي الإعلام بكل أنواعه وجميع مستوياته، هذه السياسات التغريبية الاستيعابية قد نجحت وساعد على نجاحها الانفتاح العالمي والتقدم المذهل في وسائل الاتصال، حيث تساقطت الحدود الجغرافية والسياسية وتسابق أصحاب الأيدلوجيات في ميدان الإعلام مستخدمين أحدث الوسائل للوصول إلى قلوب الجماهير وعقول الناس، لتغيير ثقافاتهم والتأثير على قناعاتهم، وكان استخدام الإعلان للمرأة كونه أداة جذب وطعما للتشجيع على الاستهلاك، حتى تظهر فيه مخلوقا ساذجا لا هم له إلا الأكل والشرب والتجميل، فالمرأة تستخدم للإعلان عن السلع لجذب الرجل والمرأة على السواء، فالإعلان يدعوها إلى أن تجعل نفسها في دور المرأة التي حصلت على أعلى أمنية بشراء السلعة، أما الرجل فيغريه الإعلان بالحصول على المرأة الجميلة التي تعرض السلعة، كجائزة لشراء هذه السلعة.

إن استخدام المرأة على هذا النحو في الإعلانات يقلل من نظرة الاحترام إليها في نفس الرجل وفي نفسها هي، حيث يرسخ الإعلان قيمة المرأة ليس بما تملك وبما تنتج

بل بما تستهلك، وغدت السلعة التي تستهلكها هي مصدر الحب والنجاح والتطور، ظناً منها أنها بشرائها السلعة تشتري الاحترام الاجتماعي والصحة والجمال وتتمكن بفضلها من تصحيح الأخطاء والنواقص في شخصها، لأن المعلنين باعتمادهم الأساليب النفسية كافة نجحوا في تحويل الفكر النقدي للمستهلك نحو ذاته وليس نحو السلعة.

إذن النظرة الفاحصة لإعلامنا العربي يؤكد على أنه قد يلبي للمرأة احتياجاتها النفسية والجسدية والصحية، بل يبدع فيها ويقدمها بإسهاب وبأروع المناظر والألوان، لكنها بكل تأكيد تفتقر في تلبية حاجياتها الفكرية والثقافية، وكذلك الروحية والأسرية في ظل الضوابط الشرعية الإسلامية.

ولكن السؤال الجوهري.. ما دور المرأة المسلمة والوسائل الإعلامية الإسلامية في سد النقص وتلبية الاحتياجات؟

سأبدأ بالوسائل الإعلامية إما المحافظة أو العامة والتي عليها:

- إعداد وتأهيل العناصر النسائية الإعلامية المحترفة التي تشارك في العمل الإعلامي بقوة وتساهم بتأثير إيجابي.

- الاستفادة من الطاقات الإعلامية المتوفرة في الوطن العربي، والعمل على إبرازها ودعمها وتشجيعها لتقدم ما لديها من المخزون الإبداعي.

- الاهتمام بتقديم البرامج الإعلامية القوية التوعوية والموجهة للنساء بحيث تلبي احتياجاتها وتقدم لها الجديد والمفيد.

- الاهتمام بتطوير عقل المرأة وتثقيفها من مختلف المناحي الحياتية، والتركيز على الجواهر أكثر من المظاهر، مع تقديم المادة الإعلامية بآخر التطورات واللمسات الفنية والجمالية التي تجذب المشاهد.

- تجديد وابتكار في الأفكار لتقديم البرامج الموجهة للنساء بشكل عام، والفتيات الشابات بشكل خاص لأنهن أمهات المستقبل، والابتعاد عن التكرار وإعادة الموجود.

- إشراك المرأة في إعداد وصياغة الاستراتيجيات الإعلامية، وإعطائها المناصب القيادية في العمل الإعلامي، والفرصة الحقيقية لإثبات قدراتها.

ما هو دور المرأة المسلمة المحافظة في هذا الوضع الراهن؟

أولا: يجب ترسيخ مفهوم أن الإعلام جزء من الدعوة إلى الله، واستخدام الوسائل الإعلامية الفضائية والالكترونية والمسموعة والمقروءة جميعها ما هي إلا طرق لإيصال كلمة الحق ونشر مبادئ هذا الدين القويم، فمهما اختلفت الوسائل والأدوات إلا أن الهدف واحد والغاية موحدة وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله عز وجل: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ ومتى ما أيقنت المرأة، وليست المرأة فقط بل الرجل والمجتمع بأكمله أن ظهور المرأة في الوسائل الإعلامية لهذا الهدف السامي، هنا ستستطيع المرأة مواجهة التحديات والعقبات التي تقف في طريقها لتحقيق أهدافها النبيلة بهذا المجال.

جزء كبير من الغبن الواقع على المرأة إعلاميا تساهم فيه المرأة شخصياً بتساهلها في حقها

ولهذا على المرأة المسلمة التي تمتلك المهارات الإعلامية المؤثرة، كالقدرة على مخاطبة الجماهير ومجابهة الكاميرات، والكاريزما العامة والقدرة على الإقناع، بالإضافة إلى العقلية الإعلامية والمتفتحة ومهارات التواصل والعلاقات العامة، هذه المرأة عليها أن تعي تماماً وتدرك أنه لابد من الانخراط في هذا المجال الذي تكثر عقباته وتحدياته، وسد ثغرة هامة، لأنه من المؤكد أن مشاركة المرأة في العمل الإعلامي تصطدم بالعديد من المعوقات والعقبات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وكذلك النفسية.

ولابد من التسليم بأن جزءًا كبيراً من الغبن والظلم الواقع على المرأة إعلاميا تساهم فيه المرأة شخصيا، بتساهلها في حقوقها وتباطئها في رد فعلها واكتفائها بمقعد المتفرج السلبي بدلا من المشاركة الفاعلة.

فمن أجل تعديل صورتها عليها أن تضحي ربما بقليل من وقتها لتدفع بعجلة التنمية والتغيير. وقبل هذا على المرأة أن تؤمن بقدراتها وإمكاناتها وتعتز بخصوصيتها الجميلة كامرأة ولا تتنكر لها كخصوصية منتقصة. فإعلاؤها لقيم الحب والخير والجمال في ثوب العفاف والحشمة، وتحت مظلة الضوابط الشرعية لا ينقص من رجاحة عقلها وتميز فكرها، كما أن على المرأة أن تؤمن بأنها من خلال أي موقع يمكنها أن تساهم في التغيير والتأثير للأفضل.



المكتسبات اللغوية عند الأطفال

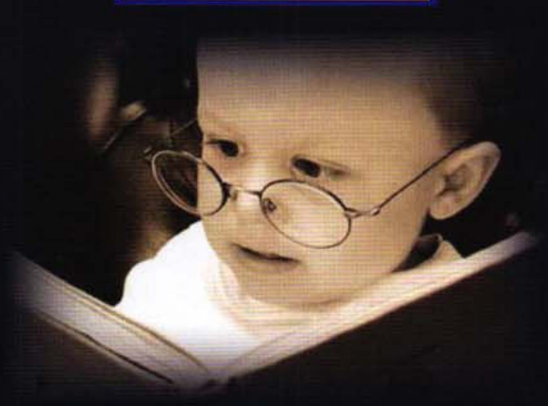
محمد مصطفى ناصيف

إن اللغة عمومًا تشمل الكلمة والنغمة الصوتية والإشارة واللهجة وتعبيرات الوجه والجسم، وجميع الرموز التي تستعمل للتعبير، لفظية أو غير لفظية، وهي فضلًا عن ذلك وسيلة الاتصال الأساسية بين الأفراد في المجتمع، ووسيلة من وسائل النمو العقلي والتوافق الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية.دراسات وبحوث عن الطفل الوليد (المناغاة)

بالنسبة لعالم الأطفال تشير الدراسات والبحوث المختصة إلى أن الوليد يستخدم الصراخ أولًا، ثم المناغاة ثانيا للتعبير عن انفعالاته وحاجاته، وكذلك سروره وابتهاجه، إذ تعتبر المناغاة طريقًا إلى تعلم اللغة، بحيث إن الطفل الحديث الولادة يستعذب إصدار الأصوات وإدراكها، ويحاول أن يحاكي بها ما يصل إليه من أصوات وكلمات.

دراسات وبحوث عن الطفل الوليد (الكلمة الأولى)

أجمعت البحوث على أن الطفل يكون قادرًا على نطق الكلمة الأولى فيما بين السنة والسنة والنصف بعد الولادة، وأن مفرداته تصل إلى نحو خمسين كلمة خلال السنة الثانية من عمره، ولكن تجدر الإشارة إلى بعض الفروق الفردية، إذ قد يتأخر بعض الأطفال في نطق الكلمة الأولى إلى السنة الثانية، أما بخصوص الكلمات الأولى التي يستخدمها الطفل أثناء التعبير فهي غالبًا ألفاظ تعبر عن اهتماماته المباشرة فيما يتعلق بإشباع حاجاته الأولية كالطعام والشراب واللعب، وكذلك الأشياء الموجودة في



محيط بيئته مثل الأشياء القابلة للحركة، كالقطة والكلب والكرة وقارورة الحليب، وفي السياق نفسه تشير إلى أن الأطفال في بداية تعلمهم للكلام يستخدمون غالبًا كلمة واحدة يعبرون بها عن جملة، ويظهر ذلك في نهاية السنة الأولى من عمر الطفل، فإذا نطق مع الإشارة مثلا بكلمة «محمد» فهو يقصد القول: «أريد أن أذهب مع محمد» أو «محمد مزق لي لعبتي» أو «محمد ضربني» وفي العادة غالبًا ما تتوصل الأم بكل بساطة إلى أن ابنها عندما ينظر إلى حذاء والده على الأرض ويقول «بابا»، فهو يقصد بذلك «هذا حذاء والدي»، كذلك تفهم الأم ما يريده ابنها من خلال نبرات الصوت، فإذا قال مثلا «بابا» بنبرة عالية نسبيًا في حالة غياب والده، فذلك يعني «أين والدي؟»، وهكذا حتى سن الثالثة من عمره يكون معظم الأطفال قد استعمل أنواعًا جديدة من الجمل السهلة التي يصل طولها أحيانا إلى خمس أو سبع كلمات، وفي السنة الرابعة يكون نظام الأصوات الكلامية عند الطفل قد قارب كلام الكبار، وفي السنتين الخامسة

والسادسة من عمر الطفل يصبح نضج اللغة عنده في مستوى كامل من حيث الشكل والتركيب والتعبير بجمل صحيحة ومتنوعة، كما يكون استعمال الألفاظ أكثر دقة مما كان عليه في السابق.

نخلص بعد هذا إلى أن معاني الكلمات لا تكتسب إلا بعد أن يكون الطفل قد استطاع أن يكوّن صورًا ذهنية ثابتة للأشياء والأحداث التي ترمز إليها تلك الكلمات، ثم إن مراحل اكتساب معاني الألفاظ متطور بشكل ملحوظ لدى الأطفال، ففي البداية يرتبط معنى الكلمات عند الطفل بشكل أو حدث معين، لا يتم تعميمه على أحداث أو أشياء من الفئة نفسها، فكلمة «الكلب» مثلًا ترتبط بكل واحد، لكن في مرحلة لاحقة يبدأ بملاحظة أوجه الشبه التي تجمع بين الأشياء، فيلاحظ مثلا ما يجمع بين الكلاب من تشابه ويصبح لديه مفهوم عام عن هذا الحيوان.

وإضافة إلى جميع ما سبق نتعرض إلى مسألة الاستكشاف عند الطفل، لأن حب الاطلاع يزداد وينمو ويتطور كلما كانت مشاعر الآباء إيجابية تجاه أبنائهم، وتحذيراتهم السلوكية قليلة، وكلما زاد اهتمامهم بتقديم الجديد له.

ويمكن أن يتم ذلك من خلال إشراك الطفل في الرحلات مع أقرانه في المساجد وأماكن المتنزهات، والمكتبات العامة المخصصة للأطفال، وانضمامه إلى فرق الكشافة، مما يساعده على مزيد استكشاف العناصر الجديدة والفردية والمجهولة في بيئته، إضافة إلى توسيع مداركه وإثراء خبراته.

• كاتب صحافي



الداعية الشيخ حازم أبوإسماعيل لـ «الوعي الإسلامي»:

الدعوة عن طريق المساجد ستبقى الأكثر قبولا والأشد تأثيرًا

حوار: بدر محمد بدر

الداعية الشيخ حازم أبوإسماعيل -٥٠ عامًا- واحد من أبرز نجوم الفضائيات الدينية، وهو داعية ابن داعية، وعالم ابن عالم، فوالده الشيخ صلاح أبوإسماعيل -رحمه الله- من علماء الأزهر الشريف ودعاته المشهورين، والشيخ حازم درس في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، ويحمل إجازات العلم الشرعي بمختلف فروعه من كبار علماء الأزهر، وحباه الله بسطة في العلم والجسم، فانطلق خطيبًا مفوهًا ومحاضرًا مؤثرًا في المساجد والندوات والمؤتمرات، وظهرت برامجه عبر شاشات الفضائيات، كما برزت خطبه ودروسه على شبكة الإنترنت.. «الوعي الإسلامي» التقته لكي تتعرف على رؤيته وتجربته الدعوية، وعديد من القضايا التي طرحناها عليه.. وإليكم نص الحوار:

في البداية نود أن تحدثنا عن النشأة والتكوين الفكري والديني.

بفضل من اللهسبحانه نشأت في بيت علم وعمل، فوالدي الشيخ صلاح أبوإسماعيل (رحمه الله) كان من علماء الأزهر، وأحد أبرز النواب في البرلمان المصري، في فترة السبعينيات وأوائل الثمانينيات من القرن العشرين، وكانت قضيته الأساسية هي المطالبة بتحكيم الشريعة الإسلامية في مصر، وكذلك كان جدي لوالدتي الشيخ عبدالعزيز نور (رحمه الله) أستاذًا في كلية الشريعة، أما والدتي فقد حصلت على الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن من جامعة الأزهر.

وشهدت نشأتي التحولات الحادة سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا، بدءًا من حرب ١٩٦٧ ومرورًا بحرب ١٩٧٣ وانتهاءً بمعاهدة السلام أواخر السبعينيات من القرن العشرين، هذه الملامح البارزة في فترة النشأة والتكوين، إضافة إلى ملمح آخر مهم، وهو ملمح بروز الصحوة الإسلامية، واحتشاد الملايين من البشر في معظم البلاد العربية والإسلامية تطالب بالعودة لتعاليم الدين وأحكامه، كل ذلك وغيره أوصلني إلى حالة من الشغف العلمي، فلازمت علماء اللغة والفقه والتفسير والحديث والقراءات، بدفع وتوجيه من والدي، رحمه الله، وقضيت مع المجلدات وأمهات الكتب أوقاتًا كبيرة، كما عايشت الندوات والمؤتمرات والمعسكرات التربوية بصورة دؤوبة بفضل الله.

• كيف كانت بدايتكم الدعوية؟

- كان بيتنا في مرحلة النشأة منتدى ثقافياً ودعوياً، وكم سمعت ألوانًا وأنواعًا من أحاديث الفقه والدعوة، وكان طبيعيًا ومناسبًا أن أتشبع بذلك الفكر وتلك الثقافة الدعوية، وكان خليقًا بي أن أتفوق دراسيًا، وأن أتقن اللغة العربية، وأن أتحدث في مجالات الدعوة المختلفة، لكن الدعوة ليست كلامًا وتحدثًا، إنما الدعوة الحقة ممارسة للمبدأ وتطبيقًا له، والتزامًا بالصحبة الصادقة التي تعين على الحق وتعمل لتحقيقه، وقد تلقيت تعليمًا مدنيًا في المراحل الدراسية المختلفة، وتخرجت في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، وأعمل حاليًا بالمحاماة، وبتوجيه من الوالد، رحمه الله، بدأت في سن مبكرة أتلقى العلوم الشرعية على يد كبار العلماء، كل في تخصصه، لمدة ١٢ سنة.

القنوات الدينية أسهمت في جذب الجماهير.. لكن لم نر في الواقع تأثيرًا مغيرًا للسلوك

الدعاة مطالبون بتجويد ثقافتهم وتعميقها بالأمور الحياتية

قانون تطوير الأزهر

● ولماذا لم يلحقك الوالد، رحمه الله، بالتعليم الديني الأزهري اختصارًا للطريق؟

– كانت الحكومة المصرية في ذلك الحين قد أصدرت قانونًا لتطوير الأزهر، رأى فيه والدي مساسًا بالهدف الذي من أجله أنشئ الأزهر، فأراد أن يتفادى مساوئ هذا التطوير، وأعتقد أنه قد أحسن صنعًا، حيث كنت أستشعر لذة التفوق في التعليم العام، كما كنت أتذوق أيضًا لذة التعمق في العلوم الشرعية، على يد المتخصصين من علماء الأزهر الأجلاء، رحمهم الله رحمة واسعة.

● كيف نحيا بالدعوة ونفعلها في حياتنا؟

– حين نفهم الدعوة على أنها هي الكلام الذي يدعو إلى الالتزام الفردي أو الاجتماعي بأحكام الإسلام، فهذا خطأ فادح، لكن الدعوة هي حراك كتلة الأمة المسلمة، من خطوة إلى خطوة متقدمة، لإيجاد الإسلام في الواقع إيجادًا حاكمًا ومهيمنًا، وهكذا كانت دعوة رسولنا الحبيب محمد ﷺ، فلم نعرف أن أحدًا من المسلمين استمع إلى النبي ﷺ ثم انصرف إلى بيته خاملًا كاسلًا، دون أن يتحول إلى جزء من كتلة المستجيبين للدعوة المنفذين لتبعاتها، أقول ذلك وأؤكده، كي لا ننخدع ونشعر بالرضا في حالة الاستجابة الوقتية للقشور، متوهمين أننا استجبنا للدعوة بينما نحن في خضم الانصراف عن مقتضيات الدعوة.

● الدعاة والثنائيات.. مثل التراث والمعاصرة.. القديم والحديث.. أين ترى موقعهم؟

– الدعاة في تقديري مطالبون ببذل الجهد الكافي لتجويد ثقافتهم وتعميقها بالأمور الحياتية، حتى يكون كلامهم الدعوي مناسبًا لما عليه واقع وحال الجماهير، وحتى لا يشعر الناس بأنهم يعيشون في عصر، والدعاة يعيشون في عصر آخر، والحل هو تمكن الدعاة من مفردات العصر السياسية والاجتماعية والاقتصادية، مع الإحاطة بمفاتيح العلوم الشرعية، هذا التوازن رأيناه في فقهاء وعلماء السلف الصالح، وظهر لنا من خلال كتبهم ومؤلفاتهم.

● ما السبيل كي تكون خطب الجمعة زادًا إيمانيًا وحركيًا للمسلمين في كل مكان؟

– السبيل أن يتحصل الداعية – حفظًا وفهما– على زاد وفير من العلم والثقافة، هذا الزاد يستدعيه في أي وقت أراد، لكن مع الأسف يتصور البعض أن التحضير الجيد للخطبة أو الحديث يكفي، أو يمكن أن يقوم مقام الحصيلة العلمية المتنوعة، والخلفية الثقافية التي يجب أن يتلقاها الداعية في فترة التأسيس والتكوين العلمي، وهناك سلبية أخرى أراها متجسدة في الاهتمام والشغف بالجزئيات، مما يصرف الخطباء عن الموضوعات الجادة المصلحة، وتكون النتيجة خطبًا منبرية غير فاعلة وغير مثمرة.

● أيهما أجدى وأكثر تأثيرًا في تقديرك.. الخطاب الوعظي المباشر أم اللجوء للأعمال الدرامية والفنية الهادفة؟

– بالعودة إلى أسلوب القرآن الكريم في الإرشاد والهداية والتبليغ، فإنني أقطع بأن الاعتماد على أحد الأسلوبين دون الآخر خطأ فادح، فالقرآن قد لجأ إلى أسلوب قص القصص، وإلى أسلوب ضرب الأمثال، كما لجأ إلى الوعظ المباشر والأوامر الصارمة، حتى في مجال مطالبة الناس باعتناق العقيدة الصحيحة، وكما كان رسول الله ﷺ يستخدم الأسلوب الهادئ المتمهل في الحديث، فقد كان أيضًا يعلو صوته إذا خطب ويحمر وجهه، كأنه منذر بجيش قادم، وروي كذلك أنه عليه الصلاة والسلام قد استخدم الرسوم التوضيحية، وضرب الأمثال، لتقريب فكرته إلى العقول والأفهام، وهذا ما ينبغي أن نستن به.

الدعوة عبر الإنترنت

● عالم الإنترنت ساحة دعوية جديدة بحاجة إلى دعاة.. كيف ترى ذلك؟

- أعتقد أن الأمور التي تأتي بسهولة تزول بسهولة، لكن الذي يتوضأ في بيته، وينزل قاصدًا المسجد، ثم يظل به حتى يسمع درسًا أو موعظة لا يمكن أن نقارنه من ناحية التحصيل والتأثر بمن يجلس على فراشه الوثير، مادًّا يديه مستدعيًا الدرس أو الموعظة من شبكة الإنترنت، لذلك ستظل المساجد مصانع لبناء المسلمين الصالحين، وليس معنى كلامي أن نهمل الوسائل الأخرى، فقد يكون تأثيرها الدعوي شبيهًا بتأثير المساجد في بعض البيئات، وفي بعض الأوقات.

• من واقع تجربتك الدعوية عبر الفضائيات.. أيهما أكثر تجاوبًا وتأثرًا.. المرأة أم الرجل؟

- المرأة بالطبع أكثر تفرغًا ومكثًا في المنزل، لذا تزداد نسبة مشاهدتها ومتابعتها لأي مادة إعلامية، سواء كانت إيجابية أم سلبية، ولا أستطيع أن أدعي أن كثرة المشاهدة هي العبرة والمحك، وإذا سألتني عن التأثير الذي أستهدفه من برامجي بكل ما لهذه الكلمة من أبعاد، فأجيبك بأنني رأيت من كلا النوعين آيات في شدة الاستجابة والتأثر، أشهد بهذا وأبشر به، لكن تبقى الفضائيات- في رأيي- أدنى أثرًا من حلقات البيوت ومن المساجد، لأنها تصل إلى الناس من خلال التأثير والاحتكاك المباشر.

• في رأيك ما الأقرب إلى عالم المدعوين في واقعنا المعاصر.. التلفزيون أم الإنترنت أم المسجد؟

- في تقديري أن الأقرب لعالم المدعوين الآن هو جهاز التلفزيون، ثم مع مرور الوقت سيصير فضاء الإنترنت، أما بالنسبة للصادقين والمخلصين في طلب العلم، فسوف يبقى الكتاب هو الأساس والمرجع الذي لا يستغنى عنه، أما الدعوة عن طريق المساجد، فستبقى الأكثر قبولًا وانتشارًا والأشد تأثيرًا، بشرط رفع القيود الرسمية المفروضة عليها.

المشكلة لا تكمن في دعاة الفضائيات ولكن تكمن فيمن بيدهم سلطة انتقاء الدعاة

• في فضاء الوطن العربي كثير من القنوات الدينية ومئات المواقع الإسلامية على الشبكة العنكبوتية.. فهل استطاعت تغيير السلوكات والأفكار للأحسن أم لا؟

- لا بد أن نستوعب أن الفترة الأولى في أي مشروع أو تجربة تحتاج منا إلى روية وتمهل قبل إصدار الأحكام، وهذا يستدعي منا أن ندع البذور تنمو وتثمر، حتى يشتد عودها وتسر الناظرين، وحينئذ ننقدها متجردين، فما احتاج إلى الشكر شكرناه، وما احتاج إلى التصويب صوبناه، وما احتاج إلى الرفض رفضناه.

وبنظرة إلى القنوات الدينية القائمة حاليًا نجد أن بعضها قد جذب الجماهير جذبًا كبيرًا، ولكن لم نر في الواقع تأثيرًا مغيرًا للسلوكات ولا للأخلاقيات، بل حدث ما يمكن تسميته بـ«التأثير العاطفي» الذي ينشئ مشجعين متعاطفين لا روادًا فاعلين، ونظرة أخرى إلى مئات المواقع الإسلامية الموجودة على شبكة الإنترنت تجعلنا نهيب بالقائمين عليها لمعالجة قضايا العلم والفكر الإسلامي بمفهوم التخصص، بدلا من مظاهر الإحاطة والشمول التي تتسم بها معظم هذه المواقع، مع نتائج لا تخلو من ضعف في المحتوى، أو ضعف في الإفادة والتأثير، نريد مواقع متخصصة، تعكف على فرع من فروع العلم أو ركن من أركان الدين، وتكون مرجعًا للباحثين وهداية للحائرين، وتقدم الحق المبين المبني على البرهان الكافي الأصيل.

الدعاة القصاصون والوعاظ البكّاؤون

• وما أبرز ملاحظاتك على برامج الدعاة الفضائية؟

- المشكلة لا تكمن في الدعاة، وإنما تكمن فيمن بيدهم سلطة انتقاء الدعاة، وهم أصحاب القنوات الفضائية، فبعضهم أو أكثرهم يميل كل الميل إلى من يتحدث عن الغيبيات، والحكايات التي تدغدغ مشاعر وعواطف المشاهدين، وهذا يأتي على حساب قضايا حيوية مهمة يحتاج إليها الناس وتحتاج إليها أوطانهم.

طبيعي أن يوجد الدعاة القصاصون والوعاظ البكاؤون، بل لابد من وجودهم، ولا يمكن أن يستغنى عن تخصصهم، لكن المشكلة أن يطغوا على المشهد العام، ويتم اختيارهم دون غيرهم، وتخلى لهم الساحة الدعوية، أضف إلى ذلك أن الطرح الحقيقي للدعوة الصحيحة فيه قدر من المواجهة مع السلطة أو مع الواقع، وهو ما يسعى ملاك هذه المحطات إلى تجنبه، راضين أو مرغمين، ومع مرور الوقت وتواصل هذا النهج الذي يكتم بعض الكتاب ويظهر بعضه الآخر، تصبح الدعوة مع الأسف الشديد، كالكائن المشوه الذي لا يرجى شفاؤه.



الشيخ محمد بهجة البيطار -يرحمه الله-

التحرير

هو محمد بهجة بن محمد بهاء الدين البيطار، العالم الفقيه، والمصلح الأديب، والمؤرخ الخطيب، ولد بدمشق في أسرة دمشقية عريقة، جدها الأعلى من الجزائر، كان والده من كبار الشيوخ في دمشق.

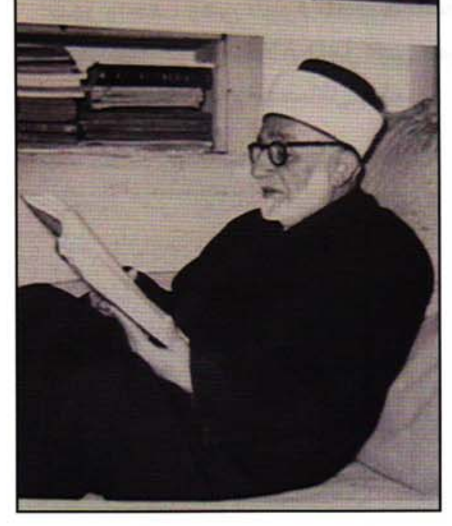
نشأ في حجر والده الشيخ محمد بهاء الدين، وتلقى عليه مبادئ علوم الدين واللغة، ثم درس على يد أعلام عصره، مثل:

١- العلامة الشيخ جمال الدين القاسمي.

٢- العلامة محمد الخضر حسين.

٣- الشيخ محمد بن بدران الحسني.

٤- الشيخ العلامة محمد رشيد رضا.



أعماله

تولى الشيخ البيطار رحمه الله العديد من المناصب العلمية منها:

١- عضو في جمعية العلماء.

٢- عضو في رابطة العلماء في دمشق.

٣- الخطابة والإمامة والتدريس في جامع «القاعة» في الميدان خلفًا لوالده، ثم في جامع «الدقاق» في الميدان أيضًا، واستمر فيه حتى وفاته.

٤- عضو المجمع العلمي العربي ومشرفًا على مجلته.

٥- مدير المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة.

٦- مدرس في المسجد الحرام بمكة المكرمة.

٧- عضو مجلس المعارف في المملكة العربية السعودية.

تنقل الشيخ البيطار رحمه الله في وظائف التدريس في سوريا والحجاز ولبنان، كما أنه درّس التفسير والآداب الإسلامية في الكلية الشرعية بدمشق، ودرّس كذلك في دار المعلمين العليا وفي كلية الآداب في دمشق.

وبعد التقاعد قصر نشاطه على المحاضرات الجامعية والتدريس الديني، وسافر للحجاز وحضر مؤتمر العالم الإسلامي في مكة المكرمة عام ١٣٤٥هـ، وأبقاه الملك عبدالعزيز حيث ولاه إدارة المعهد العلمي في المدينة المقدسة، ثم ولاه القضاء فيها، فاشتغل به مدة ثم ولاه العديد من الوظائف التعليمية، ثم دعي الشيخ لإنشاء دار التوحيد في الطائف.

وكان خطيبًا بارعًا يخطب ارتجالاً، وقد كان سببًا في هداية عدد كبير من طلبة العلم والمثقفين والأدباء إلى العقيدة الإسلامية الصحيحة، ومنهم الشيخ الأديب علي الطنطاوي .

مؤلفاته

لقد ترك الشيخ البيطار رحمه الله العديد من المؤلفات القيمة، منها:

١ - مسائل الإمام أحمد: أبوداود «تعليق».

٢ - أسرار العربية لابن الأنباري «تحقيق».

٣ - قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: محمد جمال الدين القاسمي «تحقيق وتعليق».

٤ - الإسلام والصحابة الكرام بين السنَّة والشيعة.

٥ - تفسير سورة يوسف.

٦ - حياة شيخ الإسلام ابن تيمية: محاضرات ومقالات ودراسات.

٧ - الرحلة النجدية الحجازية: صور من حياة البادية.

٨ - حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: لجده عبدالرزاق البيطار «تحقيق وتقديم».

٩ - الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين، وهو شرح الأربعين العجلونية: تأليف جمال الدين القاسمي «تقديم وتحقيق».

وفاته

توفي الشيخ البيطار في شهر جمادى الآخرة ١٣٩٦هـ في دمشق، وصُلي عليه ودفن فيها.

رحم الله الشيخ محمد بهجة البيطار رحمة واسعة، فقد كان يحمل لواء الحق في عصر التعصب المذهبي.

جامع ومدرسة السلطان حسن في القاهرة



تركي محمد النصر *

قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: « القاهرة مدينة بجنب الفسطاط يجمعها سور واحد، وهي اليوم المدينة العظمى، وبها دار الملك ومسكن الجند، وكان أول من أحدثها جوهر غلام المعز أبي تميم...فهي أطيب وأجل مدينة رأيتها، لاجتماع أسباب الخيرات والفضائل بها ».

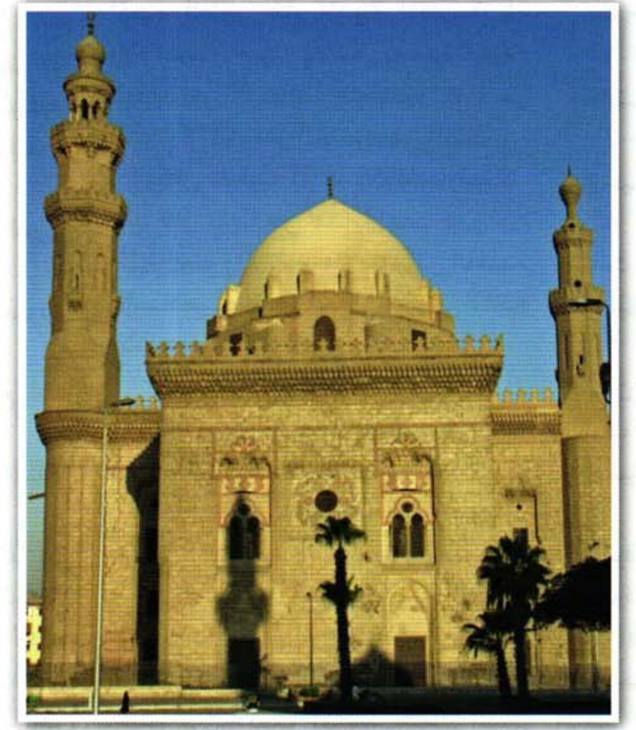
تحتضن هذه المدينة العريقة العديد من الآثار والمعالم الدينية التي كان وما زال الكثير منها منارات للعلم والدين، ومن أشهر هذه المنارات جامع ومدرسة السلطان حسن.

موقعه وتأسيسه

قال تقي الدين المقريزي في المواعظ والاعتبار (٤٨/٣):

«وهو تجاه قلعة الجبل- قلعة صلاح الدين- فيما بين القلعة وبركة الفيل... وابتدأ السلطان عمارته في سنة ٧٥٧هـ، وأوسع دوره وعمله في أكبر قالب وأحسن هندام وأضخم شكل، فلا يُعرف في بلاد الإسلام معبد من معابد المسلمين يحكي هذا الجامع».

شيَّد هذا الجامع السلطان الناصر حسن بن السلطان الملك الناصر محمد بن السلطان الملك المنصور قلاوون، ويعتبر ملك مصر التاسع عشر من جنس الترك المماليك، والسابع من أولاد الناصر محمد بن قلاوون، تولَّى السلطنة مرتين، كانت أولاهما في رمضان سنة ٧٤٨هـ، وكان عمره آنذاك ١٣ سنة؛ وثانيها عام ٧٥٥هـ بعد أن سجن لمدة ثلاثة أعوام... وكان السلطان حسن ملكًا حازمًا، مَهيبًا، شجاعًا، صاحب حرمة وكلمة نافذة، لم يشرب الخمر، ولم يأتِ بفاحشة ظاهرة، واختلف عن كثير من ملوك وأمراء المماليك، ويصفه «ابن تغري بردي» في كتابه «النجوم الزاهرة»: بأنه كان مفرط الذكاء، عاقلًا فيه، رفيقًا بالرعية، متدينًا، شهمًا ولو وجد ناصرًا أو معينًا لكان أجلَّ الملوك.



تاريخ عمارة الجامع

بُدِئ في عمارة هذا الجامع سنة ٧٥٧هـ الموافق ١٣٥٦م حيث استمر العمل فيه دون انقطاع لمدة ثلاث سنوات من غير توقف، وأرصد السلطان لمصروفه في كل يوم ٢٠ ألف درهم ونحو ألف مثقال من الذهب، وقد صرف على القالب الذي بُنِيَ عليه عقد إيوان الجامع الرئيسي ١٠٠ ألف درهم، وكان من الطبيعي أن يكون هذا الإنفاق مرهقًا لميزانية الدولة، وهو ما اعترف به السلطان حسن بقوله: «لولا أن يقال إن ملك مصر عجز عن إتمام بناءٍ بناه لتركت بناء هذا الجامع» وقد اجتمع على عمارته من المعماريِّين والصنَّاع الكثير حتى إنه لم يبقَ في القاهرة والفسطاط صانع له تعلُّق بالعمارة إلا واشتغل فيه، ومات السلطان حسن قبل أن يُتمَّ بناءه، فقام الأمير بشير أغا الجمدار أحد أمرائه بإتمام البناء.

* إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

وصفه

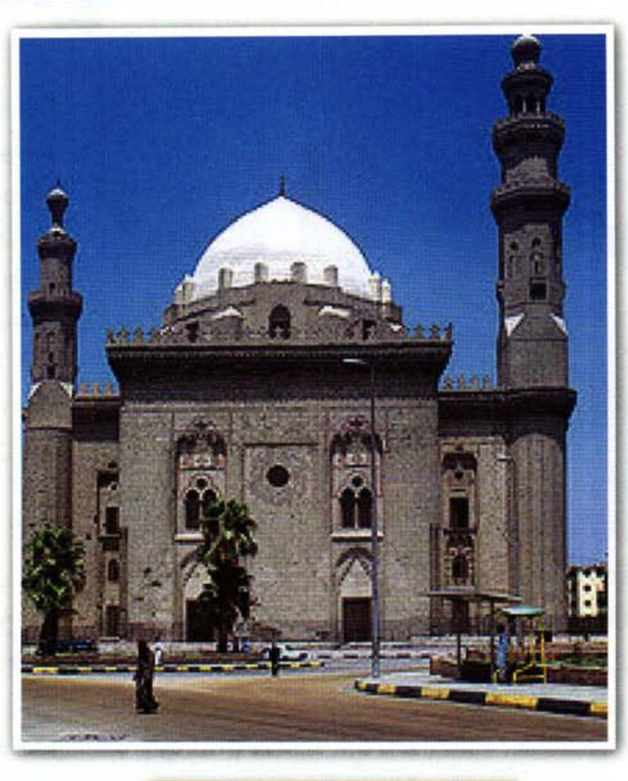
يعتبر هذا المسجد بحق أعظم المساجد المملوكية وأجلها شأنا فقد جمع بين ضخامة البناء وجلال الهندسة، وتوافرت فيه دقة الصناعة وتنوع الزخرف، كما تجمعت فيه شتى الفنون والصناعات، فنرى دقة الحفر في الحجر ممثلة في زخارف المدخل ومقرنصاته العجيبة.

وتتمثل براعة صناعة الرخام في وزرتي القبة وإيوان القبلة ومحرابيهما الرخاميين، والمنبر ودكة المبلغ وكسوة مداخل المدارس الأربعة المشرفة على الصحن، ومزررات أعتاب أبوابها، كما نشاهد دقة صناعة النجارة العربية وتطعيمها مجسمة في الآيات المنحوتة على جدران القبة.

أما باب المسجد النحاسي المركب الآن على باب جامع المؤيد فيعتبر مثلًا رائعًا لأجمل الأبواب المكسوة بالنحاس المشغول على هيئة أشكال هندسية تحصر بينها حشوات محفورة ومفرغة بزخارف دقيقة، وما يقال عن هذا الباب يقال عن باب المنبر.

وقد ازدحمت روائع الفن في هذا المسجد فاشتملت على كل ما فيه، لا فرق في ذلك بين الثريات النحاسية والمشكاوات الزجاجية، وقد احتفظت دار الآثار العربية بالقاهرة بالكثير من هذه التحف النادرة وهي تعتبر من أدق وأجمل ما صنع في هذا العصر.

والجدير بالذكر أن مكان المسجد كان عبارة عن منطقة فيها مجموعة من القصور والإسطبلات، وكانت من سوق الخيل الذي هو حاليًا ميدان صلاح الدين، تبلغ مساحة هذه المنشأة العظيمة ما يقارب ٨ آلاف متر مربع، وكأنه كان مصرًا على أن يكون المكان في أعلى مكان في القاهرة وبجوار قلعة صلاح الدين الأيوبي، وكأنه كان يريد أن يوصل رسالة مفادها أن العلم صار له حصن ما يزال مصدرًا للإبهار لكل من زار القلعة.



بُدئ في بنائه سنة ٧٥٧هـ واستمر العمل فيه لمدة ثلاث سنوات دون انقطاع

وأما المدرسة، فإنك عندما تدخل إليها تجد فيها طراز الظلة أو الأروقة والطراز الإيواني، وهو عبارة عن قاعة مغلقة من ثلاث جهات ومفتوحة بالكامل على الصحن حتى يستطيع الأستاذ أن يتحلق حول طلابه ويراهم كلهم على صعيد واحد.

وتحتوي المدرسة على أربعة إيوانات، أكبرها إيوان القبلة الذي يبلغ عمقه حوالي ٣٢,٥م وفتحة عقده ١٩,٢٠م سقف بقبو تكلف بناء قالبه ١٠٠ ألف درهم، وقد كُسيَتْ جدران الإيوان بوزرات رخامية، فُقد حاليًا معظمها، فيما عدا جدار القبلة مازال محتفظًا برخامه، ويتصدر هذا الإيوان محراب مزخرف بالرخام متعدد الألوان، ويجاور المحراب منبر من الرخام يعتبر تحفة فنية رائعة، إذ إن له بابَين من النحاس المفرغ، كما تضمُّ المدرسة إلى جانب إيوان القبلة ثلاثة إيوانات أخرى مغطاة بأقبية، ويتوسط الإيوانات صحن مكشوف مساحته ٣٤٠٦٠م × ٣٢م يتوسطه فسقية مُثمَّنة من الرخام معدة للوضوء.

ويضم الجامع أربع مدارس فرعية خصصت كل مدرسة لتدريس مذهب من مذاهب الفقه الأربعة، وهي: الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي، وتضمُّ كل مدرسة مجموعة كبيرة من الحجرات التي كانت معدة لسكن الطلاب والمدرسين المغتربين؛ سواءٌ من خارج مصر أو من الأقاليم المصرية.

وكان مخططًا لهذه المدرسة أن تكون بأربع مآذن، وأتمَّ السلطان حسن قبل وفاته بناء المئذنتين الجنوبية والشرقية، وكذلك بُنيتْ المئذنة الثالثة إلا أنها سقطت عام ٧٦٢هـ وأدت إلى كارثة رهيبة؛ حيث قتلت ٣٠٠ طفل من أيتام المسلمين الذين كانوا يدرسون في كُتَّاب الجامع، ولم ينجُ منهم إلا ستة فقط، وهذا ما جعل السلطان حسن



يتغاضى عن إكمال هذه المئذنة، وظل الجامع بمئذنتين هما الموجودتان حاليًا، وملحق بالجامع قبة ضريحية يتوصل إليها عن طريق مدخلين عن يمين ويسار المحراب الرئيسي بإيوان القبلة، والقبة مربعة الشكل طول ضلعها ٢١م وارتفاعها إلى قمتها ٤٨م، وقد أعدها السلطان ليدفن فيها، ولكن لما قتل لم يعثر على جثته، ودفن فيها ابنه المعروف بالشهابي أحمد.

ولما سقطت المنارة سابقة الذكر لهجت عامّة مصر والقاهرة بأن ذلك منذر بزوال الدولة، فقال الشيخ بهاء الدين أبوحامد السبكيّ في سقوطها:

أبشِرْ فسعدُكَ يا سلطانَ مصرَ أتى
بشيرُهُ بمقالٍ سارَ كالمثلِ

إن المنارةَ لمْ تَسْقُطْ لمنقصةٍ
لكن لسرٍ خفيَّ قد تبينَ لي

من تحتها قُرِىءَ القرآنُ فاستمَعَت
فالوجدُ في الحالِ أدّاها إلى الميلِ

لو أنزلَ اللهُ قرآنًا على جبلٍ
تصدعت رأسُهُ من شدّةِ الوجلِ

تلكَ الحجارةُ لم تنقض بل هبطَت
من خشيةِ اللهِ لا للضعفِ والخللِ

وغابَ سلطانُها فاستوحشت ورمَت
بنفسها لجوى في القلبِ مشتعلِ

فالحمدُ لله حظُّ العينِ زالَ بما
قد كان قدّرَهُ الرحمنُ في الأزلِ

لا يعتري البؤسَ بعد اليومِ مدرسةً
شيدت بنيانها بالعلمِ والعملِ

ودمتَ حتى ترى الدنيا بها امتلأت
علمًا فليسَ بمصرَ غيرُ مشتغلِ

ولكن الغريب أن السلطان حسن قُتل بعد سقوط المنارة بثلاثة وثلاثين يومًا، ومات قبل أن يتم بناء الجامع، فأتمه من بعده «الطواشي بشير الجمدار».

التاريخ العلمي

أوقف السلطان حسن الجامعَ، وألحق به أربع مدارس لتدريس المذاهب الفقهية، وجعل لكل مذهب منها شيخًا ومائة طالب من كل فرقة ٢٥ متقدمون، وثلاثة معيدون، ورتب لكل شيخ ٣٠٠ درهم في الشهر، ولكل معيد ١٠٠ درهم، ولطلبة كل مذهب أربعة آلاف ومائتين وخمسين درهمًا شهريًا.

وكان يصرف لكل طالب وجبة يومية وكسوة سنوية، وكانت هناك رعاية صحية للطلاب والمدرسين، حيث رتَّب السلطان حسن طبيبًا يباشر معالجة الطلاب والدارسين.

والداخل إلى المدرسة الحنفية القديمة في مدرسة السلطان حسن سيقابله الإمام العلامة نورالدين الحنفي الذي كان يُعرف بجامعة المذاهب الفقهية.

كما سيرى الداخلُ ميزانَ العدل الذي أسسه قاضي القضاة شرف الدين بن أبي العز الحنفي الأذرعي- نسبة إلى أذرعات، وهي اليوم مدينة «درعا» في الجنوب السوري - المتوفى سنة (٧٩٢هـ) والذي نشأ بدمشق، وتفقه بها على علماء عصره، وبرع في الفقه والأصول والعربية والمعاني والبيان، وتصدَّر للإفتاء والتدريس والإقراء عدة سنين، ونزل القاهرة بعد موت قاضي القضاة صدر الدين محمد بن التركماني الحنفي ليَلي القضاء بها عوضه، ونزل بمدرسة السلطان حسن ودرس فيها.

وإذا دخلت إلى المدرسة المالكية فإنك ستلاحظ زاوية الشيخ العلامة تاج الدين «أبوالبقاء الدميري القاهري (٨٠٥هـ)» من كبار فقهاء المدرسة المالكية بمصر.

كما ستتضح أمامك الجهود العظيمة للإمام العلامة اللغوي بدرالدين القرافي (ت: ١٠٠٨هـ) قاضي المالكية في مصر وشيخهم، وهو صاحب المصنفات ومنها: «القول المأنوس بتحرير ما في القاموس»، وغيرها، كما لا يخفى عليك التراث العلمي العظيم الذي تركه الإمام العلامة علي بن خضر بن أحمد

العمروسي (١١٧٣هـ) من كبار فقهاء مدرسة المالكية في مصر.

وأما العلامة بدرالدين الكرخي الشافعي نزيل مصر المتوفي سنة ١٠٠٧هـ، فكان يحاول أن يجدد كتب المذهب الشافعي في هذه المدرسة، ويقدم عليها شروحًا ليثري المذهب، وهو صاحب الحاشية الشهيرة «مجمع البحرين ومطلع البدرين على تفسير الإمامين الجلالين»، كما تظهر جلية الآثار العلمية للإمام الخطيب تاج الدين الزبيري أبوعبدالله المليجي الشافعي مولده بالقاهرة وسمع من علمائها، وحدَّث بها، وولّي نظر الحسبة بالقاهرة وخطب بمدرسة السلطان حسن وكان خيّرًا صالحًا منقبضًا عن الناس، مات في صفر سنة ٧٩٦هـ.

وللحنابلة وجودهم في مدرسة السلطان حسن، فمن أعلامها المشهورين سواء بمصنفاته أو بجهوده العلمية، العالم الجليل الذي كان يلقب بابن قاضي الجبل وهو أحمد بن الحسن بن عبدالله بن قدامة شيخ الحنابلة في عصره، صاحب كتاب: «الفائق» في فروع الفقه، ذهب في آخر حياته إلى دمشق وتولى القضاء فيها حتى وفاته سنة (٧٧١هـ).

كما نزل في مدرسة الحنابلة بجامع السلطان حسن ودرَّس فيها العلامة محمد بن سالم بن عبدالرحمن المفتى، حيث كان مقيمًا بالشام ثم توجه إلى مصر واستقر فيها حتى وفاته سنة (٧٧٧هـ).

ويذكر أن علماء المدارس الأربعة كانوا يقرأون القرآن من الصباح إلى الظهر في داخل قبة المدرسة، وكان من شروط الشيخ المقرئ أن يكون ملمًا بالقراءات السبع.

وكان تخريج الطلاب في هذه المدارس يتم عن طريق الإجازات، حيث يجلس خمسة أو ستة مشايخ كبار في الحديث وواحد في التفسير وواحد في القراءات وواحد في الفقه من كل مذهب، وكل واحد يلقي مسألة وتبدأ المناظرة بينه وبين الطالب.

لا يزال الجامع حتى اليوم من الحصون العلمية المنيعة في أرض الكنانة

الدور الخطير ومحاولة الهدم

أدى الموقع المتميز لجامع السلطان حسن دورًا خطيرًا في تاريخ مصر، فكان إذا ما حدثت ثورة أو فتنة بين الأمراء والسلطة الحاكمة تكون القلعة هي الشغل الشاغل للثوار في محاولة للسيطرة على مقر الحكم بالقلعة، ومن ثم كان جامع السلطان حسن هو الطريق إلى تحقيق هذه الغاية، فكثيرًا ما اعتلى الثوَّار سطح الجامع ونصبوا مجانيقهم لضرب القلعة وهدمها على مَن فيها مثلما حدث في عصر السلطان برقوق عام ٧٩١هـ حين نصب الثوار المؤيدون لبيت أسرة قلاوون المكحلة على سطح الجامع، وضربوا القلعة وأدى ذلك إلى عزل السلطان برقوق، ولهذا بادر عند عودته للسلطنة مرةً ثانيةً بهدم السلالم الموصلة لسطح الجامع، وسدّ الباب الرئيسي للجامع، وفتح بدلًا منه شبَّاكًا على ميدان القلعة ليكون بابًا للدخول إلى الجامع.

ثم أعاد السلطان الأشرف برسباي ترميم سلالم الجامع، وسمح بالآذان من مآذنه، وأصلح الباب الرئيسي وذلك سنة ٨٢٥هـ، ولكن عاود الأمراء الثوار سنة ٨٤٢هـ الهجوم على القلعة مقر الحكم من سطح الجامع، فأمر السلطان جقمق آنذاك بهدم السلالم الموصلة لسطح الجامع، وفي عام ٩٠٢هـ في عهد الناصر محمد بن قايتباي حوصرت القلعة من جامع السلطان حسن، وضربت من أعلاها وردّت السلطة الحاكمة من القلعة وضُرب الجامع، وتعرض للتخريب إلا أن الأمير طومان باي أصلح ما حدث من تخريب به.

وحاول الأشرف جنبلاط هدم جامع السلطان حسن بالكليّة؛ حتى لا يستخدمه الثوار لضرب القلعة؛ ولكنه لم يستطع أن ينقب إلا جزءًا يسيرًا منها خلف المحراب، ومن ثمَّ أوقف الهدم. فلله الحمد والمنة.

وبعد هذه الأحداث الجسام التي مرَّت على هذا الجامع على مرّ الأيام إلا أنه لا يزال حتى اليوم من الحصون العلمية المنيعة في أرض الكنانة كما أنه مقصد من مقاصد السياحة لما يتمتع به من عراقة التاريخ وحسن البناء وفخامة المنظر والهيبة.

المصادر

١- معجم البلدان لياقوت الحموي.
٢- آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني.
٣- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي.
٤- تاريخ المساجد الأثرية، لحسن عبد الوهاب.
٥- جامع السلطان حسن لعماد عجوة.
٦- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي.
٧- الأعلام للزركلي.
٨- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي.
٩- الأمصار ذوات الآثار لشمس الدين الذهبي.
١٠- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للعسقلاني.



فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

/٤٣٠/٨٤ــــ بيع الأسهم

(أ) في حالة ما إذا كان الشخص مقتدرًا من الناحية المالية على الاكتتاب في أسهم مطروحة لشركة ما، ولا يعرف ما إذا كانت الشركة تتعامل بالربا أو ما شابهه من أعمال، ما هو حكم الشرع في ذلك؟

وإذا علم شخص ما بأن الشركة التي اكتتب فيها، بها أسهم تعاملت بأعمال الربا أو ما شابهه، فهل يبقى مستثمرًا في مساهمته بها أم يتخلص من الأسهم ببيعها؟ وهل يكون البيع جائزًا؟ وما حكم الشرع في الأموال التي يستلمها لتلك الأسهم؟

(ب) البنوك غير الإسلامية سواء المساهمة في أسهمها أو إيداع الأموال فيها، وكذلك البنوك المحلية التي تتعامل بالربا.. ما حكم الشرع في ذلك؟

أجابت اللجنة: إذا كان غالب تعامل هذه الشركة يؤول إلى الربا والمكاسب المحرمة فعليه أن يتخلص من الأسهم، والسبيل الوحيد للتخلص هو البيع، فإذا باع هذا السهم حل له ما يقابل رأس ماله والزيادة الناشئة عن الكسب الحلال، وأمّا الزيادة الناشئة عن الربا والمكاسب المحرمة فسبيل التخلص منها التصدق بها بإنفاقها في وجوه الخير العامة عدا بناء المساجد وطبع المصاحف. والله أعلم.

٨٣/٣٥/٦ــــ بيع وشراء الأسهم

تقدم أحد المساهمين بشركة بسؤال في اجتماع لمجلس إدارة شركته عن مدى جواز بيع الأسهم بالأجل بنسبة ربح لا تقل عن ١٠٠٪ فاختلف الأمر فرأينا أن نتوجه بالسؤال: مامدى شرعية بيع وشراء الأسهم بالأجل وبنسبة تتجاوز ١٠٠٪؟

وقد رأت اللجنة: بالنسبة لشرعية بيع وشراء الأسهم أنه يختلف الأمر تبعًا لنوع الأسهم، ولذا تم الاستيضاح هاتفيًا من مقدم السؤال فتبين أن تلك الأسهم نوعان:

١ . أسهم لشركات هي من النوع الوهمي الذي ليس له أي نشاط اقتصادي سائغ شرعًا، بل تتمثل موجوداتها في النقود المجموعة من المساهمين، ومثل هذه الأسهم ينطبق على بيعها وشرائها حكم الصرف، لما فيها من مقابلة النقد بالنقد، ويشترط للصرف التماثل في الكمية وتقابض البدلين في مجلس العقد. فإذا فقد أحد الشرطين- كما في السؤال لوقوع البيع بأجل- فالمعاملة محرمة شرعًا، ويجب ردها إلى الوجه المشروع على البدل المماثل لما دفع عند التأسيس.

٢- أسهم الشركات التي لها نشاط اقتصادي ولها مؤسسات فعلية نمت عن أموال التأسيس، وهذه يجوز بيعها وشراؤها كسائر السلع والممتلكات، لأن السهم هو جزء شائع منها، ويجوز تداول هذه الأسهم حالًا وبالأجل.

أما من حيث نسبة الربح فيجوز البيع والشراء بأي ثمن حصل به التراضي بعيدًا عن شوائب الرضا والتدليس، وتنفذ هذه المعاملات إذا وقعت من ذي أهلية تامة مهما تضاعفت الأرباح، لكن إذا وقع الشراء بأكثر من السعر العادي تحت ضرورة بغير حق فإنه يرد إلى سعر المثل للنهي عن بيع المضطر وشرائه.

على أنه لا بد من التحرز عن بيع العينة الذي يشتري فيه البائع عين ما باعه بثمن مؤجل أكثر مما باع به. والله سبحانه وتعالى أعلم.

٨٣/١/٧ــــ بيع الأجل

١- هل بإمكاننا كشركة تعمل حسب النظام الاقتصادي الإسلامي الذي يبعد كل البعد عن الربا وشبهته القيام بشراء وبيع كل من المواد الغذائية، وكذلك المواد الخام المعدنية بصورة فورية أو بالأجل. علمًا أننا في حالة شراء أي من هذه المواد لا نقصد استحضارها للكويت والاحتفاظ بها وبيعها مفرقة، بل شراؤها من مصادرها التي ربما تكون أوروبا وأمريكا ودفع بعض المصاريف كالتخزين والتأمين طبقًا للأنظمة المتبعة في هذه الدول، ثم في حال توافر بعض فرص مناسبة وارتفاع أسعار هذه المواد نقوم ببيعها فورًا أو بالأجل.

أجابت اللجنة: إذا كانت هذه الأشياء المشتراة معينة جاز شراؤها بسعر حال أو مؤجل، أما إن لم تكن معينة وجب أن تكون مبينة الجنس والنوع والصفة، وأن يكون الثمن حالا، أو على الأقل لا يشترط تأجيله، لأن هذا من قبيل السلم ولا يجوز أن يؤجل البدلان جميعًا وإلا كان بيع كالىء بكالىء (أي دين بدين) وهو منهي عنه شرعًا. ثم إنه لا يجوز لمن اشترى هذه الأصناف أن يبيعها إلا بعد حيازتها بنفسه أو نائبه بطريقة من طرق الحيازة ولا سيما إذا كانت من قبيل الأطعمة، ويلاحظ أن أي سلعة إذا اشتريت بثمن آجل فلا يجوز أن تباع لمن اشتريت منه بسعر فوري أقل. وكذا إذا اشتريت بسعر فوري فلا يجوز أن تباع ممن اشتريت منه بسعر أجل أعلى إذا كانت هناك مواطأة سابقة من هاتين الصورتين، وعلى العموم فلا يجوز اتخاذ البيع وسيلة للإقراض بفائدة ربوية، ويستثنى مما تقدم بيع الذهب والفضة خامًا أو مسكوكًا بثمن مؤجل فذلك غير جائز ويشترط التقابض في المجلس. والله أعلم.

قرار المجمع الفقهي الإسلامي (رقم ٤ في الدورة ١٥) بشأن حكم بيع التورُّق

بعد التداول والمناقشة، والرجوع إلى الأدلة والقواعد الشرعية وكلام العلماء في هذه المسألة قرر المجلس ما يلي:

أولاً: أن بيع التورُّق هو شراء سلعة في حوزة البائع وملكه، بثمن مؤجل، ثم يبيعها المشتري بنقد لغير البائع، للحصول على النقد (الورق).

ثانيًا: أن بيع التورق هذا جائز شرعًا، وبه قال جمهور العلماء، لأن الأصل في البيوع الإباحة، لقول الله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا﴾ (البقرة: ٢٧٥). ولم يظهر في هذا البيع ربًا لا قصدًا ولا صورة، ولأن الحاجة داعية إلى ذلك لقضاء دين، أو زواج أو غيرهما.

ثالثًا: جواز هذا البيع مشروط بألاَّ يبيع المشتري السلعة بثمن أقل مما اشتراها به على بائعها الأول، لا مباشرة ولا بالواسطة، فإن فعل فقد وقعا في بيع العينة المحرَّم شرعًا، لاشتماله على حيلة الربا فصار عقدًا محرمًا.

رابعًا: إن المجلس- وهو يقرر ذلك- يوصي المسلمين بالعمل بما شرعه الله سبحانه لعباده من القرض الحسن من طيب أموالهم، طيبة به نفوسهم، ابتغاء مرضاة الله، لا يتبعه منّ ولا أذى، وهو من أجل أنواع الإنفاق في سبيل الله تعالى، لما فيه من التعاون والتعاطف، والتراحم بين المسلمين، وتفريج كرباتهم، وسد حاجاتهم، وإنقاذهم من الإثقال بالديون، والوقوع في المعاملات المحرمة، وأن النصوص الشرعية في ثواب الإقراض الحسن، والحث عليه كثيرة لا تخفى، كما يتعين على المستقرض التحلي بالوفاء، وحسن القضاء، وعدم المماطلة.

قرار مجمع الفقه الإسلامي رقم ٦٩ (٧/٧) بشأن الغزو الفكري

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره السابع بجدة في المملكة العربية السعودية من ٧-١٢ ذي القعدة ١٤١٢هـ- الموافق ٩- ١٤ أيار (مايو) ١٩٩٢م، بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع الغزو الفكري، يوصي بما يلي:

أولاً: العمل على تطبيق الشريعة الإسلامية واتخاذها منهجًا في رسم علاقاتنا السياسية المحلية منها والعالمية.

ثانيًا: الحرص على تنقية مناهج التربية والتعليم والنهوض بها بهدف بناء الأجيال على أسس تربوية إسلامية معاصرة وبشكل يعدّهم الإعداد المناسب الذي يبصرهم بدينهم ويحصنهم من كل مظاهر الغزو الثقافي.

ثالثًا: تطوير مناهج إعداد الدعاة من أجل إدراكهم لروح الإسلام ومنهجه في بناء الحياة الإنسانية بالإضافة إلى اطلاعهم على ثقافة العصر ليكون تعاملهم مع المجتمعات المعاصرة عن وعي وبصيرة.

رابعًا: إعطاء المسجد دوره التربوي المتكامل في حياة المسلمين لمواجهة كل مظاهر الغزو الثقافي وآثاره وتعريف المسلمين بدينهم التعريف السليم الكامل.

خامسًا: ردّ الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام بطرق علمية سليمة تزيد ثقة المؤمن بكمال هذا الدين دون اللجوء إلى أساليب الدفاع التبريري الضعيف.

سادسًا: الاهتمام بدراسة الأفكار الوافدة، والمبادئ المستوردة، والتعريف بمظاهر قصورها ونقصها بأمانة وموضوعية.

سابعًا: الاهتمام بالصحوة الإسلامية ودعم المؤسسات العاملة في مجالات الدعوة والعمل الإسلامي لبناء الشخصية الإسلامية السوية، التي تقدم للمجتمع الإنساني صورة مشرقة للتطبيق الإسلامي، على المستوى الفردي والجماعي، وفي كل مجالات الحياة السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية.

ثامنًا: الاهتمام باللغة العربية والعمل على نشرها، ودعم تعليمها في جميع أنحاء العالم، باعتبارها لغة القرآن الكريم، واتخاذها لغة التعليم في المدارس، والمعاهد، والجامعات، في البلاد العربية والإسلامية.



إعداد: خالد خلاوي

الذاكرة والتميز

من سمات المتميزين والناجحين أنهم يتمتعون بذاكرة قوية ونشاط ذهني فعّال ومستمر، وذلك يعني قدرة كبيرة ومدهشة على الملاحظة والفهم والحفظ، وقدرة على التمييز والمقارنة، ومن ثم القدرة على التركيز، والذاكرة الجيدة تعني أيضًا أداء الأعمال بكفاءة ونجاح، ولذلك على كل واحد منا أن يراجع ذاكرته ويفحصها ويعمل على تنميتها باستمرار، لأن العقل والجسم نظام واحد يؤثر كل منهما على الآخر.

والذاكرة نعمة من الخالق جل وعلا وهي ثروة الإنسان ومخزن علمه وفكره، وهي أشبه بمخزن فسيح يفيض بالمعلومات والمناسبات والأحداث اليومية والانفعالات التي تزخر بها الحياة.

يقول أليكساندر سميث: إن أملاك الإنسان الحقيقية هي ذاكرته، بها فقط يكون غنيًا، وبدونها يكون فقيرًا.

ويقول توني لوزان عن أهمية الاهتمام بالذاكرة وتنميتها: هناك الآن دليل متنام على أن ذاكرتنا قد لا تكون فقط أفضل بكثير مما نعتقد ولكنها في الحقيقة قد تكون رائعة، و قد تضعف ذاكرتك بمرور العمر إذا لم يتم استخدامها، وعلى العكس فإنها تظل تتحسن طوال حياتك إذا ما أحسن استخدامها.

وأفضل استخدام للذاكرة هو حفظ كتاب الله تعالى.

والآن هل تريد أن تتمتع بذاكرة قوية؟ لنستمع في إجابة هذا السؤال إلى نصائح وتجارب وخبرات متنوعة ممن متعهم الله بذاكرة جيدة وقوة كبيرة على الحفظ والاسترجاع.

ولنبدأ مع الإمام الشافعي فقد وهبه الله سبحانه قدرة هائلة على الحفظ، وعرف أن حفظ العلم موهبة من عند الله تعالى، فوجب حفظها بتقوى الله وترك معصيته، يقول الشافعي:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي
فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور
ونور الله لا يهدى لعاصي

وسأل رجل مالك بن أنس: يا أبا عبدالله.. هل يصلح لهذا الحفظ شيء؟ قال: إن كان يصلح له شيء فترك المعاصي.

ونبقى مع نصائح علماء الإسلام الذين عرفوا بذاكرة حديدية، ومن نصائحهم:

- النية الخالصة لله عز وجل في طلب العلم، وتجديد النية دائما، و قد جاء عن عدد من علماء السلف انه شرب زمزم بنية قوة الحفظ فحصل له ذلك.
- الدعاء وطلب العون من الله في طلب العلم والفهم والحفظ.
- كثرة ذكر الله عزّ وجلّ من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وغيرها، قال الله تعالى: ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾.
- الفهم والعمل من أهم وسائل الحفظ. قال أبوعبدالرحمن السلمي: كنا إذا تعلمنا عشر آيات من القرآن لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نعرف حلالها وحرامها وأمرها ونهيها، وقال الشعبي: كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به.
- الاهتمام والتركيز على ما تريد حفظه، قال البخاري: لا أعلم شيئًا أنفع للحفظ من نهمة الرجل.
- الأخذ بأسباب صحة الجسم وتناول الأغذية الصحية التي تعين المخ على القيام بعمله بشكل جيد، قال الزهري: عليك بالعسل فإنه جيد للحفظ وهو شفاء لمختلف أعضاء الجسم ومنها الذاكرة.
- التعود على الحفظ وجعله من السمات الملازمة لشخصيتك، قال العسكري: أول الحفظ شديد، يشق على الإنسان، ثم إذا اعتاد سهل.

وبالإضافة إلى نصائح علماء السلف إليك الوصايا العشر من أجل اكتساب ذاكرة مدربة لخبير التنمية البشرية إبراهيم الفقي من كتابه «كيف تقوي ذاكرتك» وهي:

١- التحفيز: إنه لمن المهم بدرجة كبيرة أن تكون محفزًا بما يكفي لأن تمتلك العزيمة القوية والرغبة في التذكر.

٢- التصميم: إنك عندما تعتزم التذكر، يصبح عقلك منتبها ويقظًا بشكل كامل حتى يساعدك على التذكر.

٣- الاهتمام: إن البشر يتعلمون أكثر عندما يكون لديهم اهتمام بما يتعلمونه.. فمثلا قد لا يتفوق طالب في المدرسة لكنه يبلي بلاءً حسنًا في لعبة مثل الهوكي لأنه يهتم بهذه اللعبة أكثر من اهتمامه بالدراسة في المدرسة.

٤- الفهم: إن فهمك وتركيزك على موضوع ما أو حتى اسم ما، يجعلانك قادرًا على تذكره.

٥- الانتباه: عندما يتم تقديمك إلى شخص ما، احرص على أن تنتبه جيدًا، وإذا لم يكن اسمه واضحًا عليك أن تسأل عنه مرة أخرى.

٦- الثقة: إن فقدان الثقة يعد واحدًا من الأسباب الرئيسية التي تؤدي إلى الفشل. ثق تماما أن ذاكرتك لن تخذلك وامضِ في طريقك.

٧- الأساليب: إنه ليس من الضروري أن تكون محفزًا فحسب، بل إنك بحاجة لأن تكون عالمًا بأساليب تدريب الذاكرة.

٨- التعزيز والتدعيم: إن التكرار هو سيد الموقف في عملية التعلم، وتكرارك للمعلومات سوف يؤكدها ويدعمها في بنك ذاكرتك.

٩- تخزين المعلومات: ينبغي أن يتم حفظ المعلومات التي تتلقاها بشكل منظم حتى تستطيع أن تجدها بسهولة في الوقت الذي تحتاجها فيه.

١٠ - الممارسة: إن القاعدة الثابتة التي لا تتغير في الرياضة أو في العمل هي أنه ينبغي عليك ممارسة مهارتك حتى تصبح متأصلة فيك.

صور من حياة المتميزين

اختبار في قوة الذاكرة

وهب الله الإمام البخاري منذ طفولته قوة في الذكاء والحفظ من خلال ذاكرة قوية تحدى بها أقوى الاختبارات التي تعرض لها في مواقف عدة، وأثبت بها جدارته ليكون أمير المؤمنين في الحديث وصاحب الصحيح الجامع وهذه بعض من الاختبارات التي تعرض لها وترويها كتب السير والتراجم.

يقول محمد بن أبي حاتم: قلت لأبي عبدالله: كيف كان بدء أمرك؟ قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب، فقلت: كم كان سنك؟ فقال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، فقال يوما فيما كان يقرأ للناس سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، فقلت له: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم فانتهرني فقلت له: ارجع إلى الأصل، فدخل فنظر فيه ثم خرج فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم.

فأخذ القلم مني وأحكم (أصلح) كتابه وقال: صدقت.

فقيل للبخاري ابن كم كنت حين رددت عليه؟ قال ابن إحدى عشرة سنة.

ولما بلغ البخاري ست عشرة سنة كان قد حفظ كتب ابن المبارك ووكيع.

وقال محمد بن أبي حاتم أيضًا: سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان كان أبوعبدالله البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام فكنا نقول له إنك تختلف معنا ولا تكتب فما تصنع؟ فقال لنا يوما بعد ستة عشر يوما إنكما قد أكثرتما علي وألححتما فاعرضا علي ما كتبتما فأخرجنا إليه ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه، ثم قال أترون أني أختلف هدرا وأضيع أيامي؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد.

وفي يوم من الأيام قَدِمَ البخاريُّ بغدادَ فسمع به أصحابُ الحَديث، فاجتمعوا وجاءوا بمائة حديث غير مُرتبة من حيث تسلسل الرواة، ودفعوا إلى كل واحد عشرةَ أحاديثَ ليلقوها على البخاريّ في جَمْع من الناس ليختبروا قوةَ حفظه، وبدأ كلُّ واحد منهم يُلقي أحاديثَه والبخاريُّ يَرُدُّ بقول واحد: لا أعرفه، ولما انتهى الرجالُ العشرةُ من إلقاء الأحاديث المائة، ظنّ كثيرٌ من الحاضرين أن البخَاريَّ ضَعيفُ الحفظ، ولكنهم فوجئوا بالإمام البخاري يلتفتُ إلى الرجل الأول منهم فقال له: أمّا حديثك الأول فكذا، ويَذكر له نص الحديث بالترتيبa الصحيح للرواة، والثاني كذا، والثالث كذا، وهكذا حتى ذكر لهم الأحاديثَ المائة كلَّها!! فشهد له الناسُ بقوة الحفظ التي وهبها له اللهُ سبحانه وتعالى.

كلمات في التميز

الذاكرة

درب عقلك على الإمساك بزمام المبادرة دائمًا.. كن الفعل ولا تكن رد الفعل.

دقة الملاحظة سبيلك إلى ذاكرة جيدة.

ديل كارنيجي

العقل مثل العضلة كلما مرنته كلما زادت قوته.

تشارلز ديكنز

إذا كان ما جمعته من العلم قليلا وكان حفظًا كثرت المنفعة به، وإذا كان كثيرًا غير محفوظ قلت منفعته.

العسكري

العقل الإنساني يصبح أداة مدهشة الكفاءة اذا ركز تركيزا قويا حادا.

وليم مولتون مارستن

إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان يعلمه للخطيئة كان يعملها.

عبد الله بن مسعود

إنما يذهب العلم النسيان وترك المذاكرة.

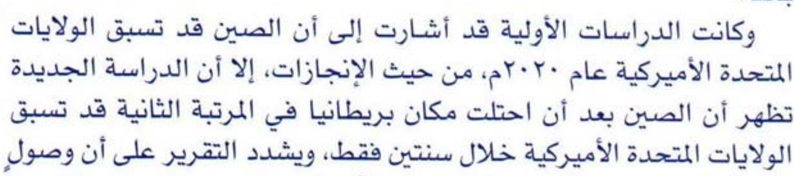
الزهري

إعداد: هالة محمد

الصين قد تسبق أميركا قريبًا في الإنجاز العلمي



أظهرت دراسة بريطانية أجرتها الجمعية الملكية البريطانية للعلوم أن الصين في طريقها لتسبق الولايات المتحدة الأميركية في عدد الإنجازات العلمية بحلول عام ٢٠١٣م، وستعود بشكل بارز إلى ساحة الاختراعات، وهي الدولة التي اخترعت البوصلة والبارود والورق والطباعة في العصور القديمة، وتظهر الدراسة أنه في عام ١٩٩٦م نشرت الولايات المتحدة «٢٩٢٥١٣» بحثًا، وفي عام ٢٠٠٨م ارتفع عدد الأبحاث الأميركية بشكل بسيط إلى ٣١٦٣١٧ بحثًا مقابل ارتفاع كبير في عدد الأبحاث الصينية التي وصلت إلى ١٨٤٠٨٠ بحثًا.



وكانت الدراسات الأولية قد أشارت إلى أن الصين قد تسبق الولايات المتحدة الأميركية عام ٢٠٢٠م، من حيث الإنجازات، إلا أن الدراسة الجديدة تظهر أن الصين بعد أن احتلت مكان بريطانيا في المرتبة الثانية قد تسبق الولايات المتحدة الأميركية خلال سنتين فقط، ويشدد التقرير على أن وصول الصين إلى الصدارة لا يعني أن الإنجاز الأميركي يتراجع، وقد يدفع ذلك دولًا مثل اليابان وفرنسا إلى رفع إنجازاتها العلمية.

حوض الأمازون يفقد خضرته



يتزايد تراجع الاخضرار في غابات الأمازون بشكل جعل مساحته أكبر ثلاث مرات من حجم ولاية تكساس الأميركية، وقال الباحث في جامعة بوسطن «ليانغ شو»: إن تفشي الجفاف العام كان له أثر دراماتيكي على صحة غابات الأمازون المطيرة.

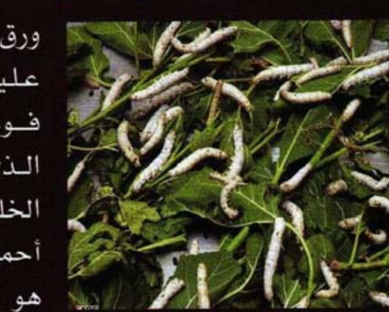
وحدد العلماء الذين استخدموا بيانات أقمار صناعية تاريخية بأن يكون التغيير المناخي والتغيير في أنماط تساقط المطر قد تسبب بتحول الغابات المطيرة إلى مراع وغابات (سافانا) وقالوا: إن الجفاف في عام ٢٠٠٩م خفف من اخضرار ٩٦٥ ألف ميل مربع من منطقة الأمازون النباتية.

أبقار معدلة وراثيًا تنتج حليبًا بشريًا!

نجح علماء صينيون في إدخال جينات بشرية إلى ٣٠٠ بقرة تنتج اللبن لإنتاج ألبان لها نفس خواص لبن يحتوي على بروتين بشري يسمى «الليزوزيم»، ويحتوي الحليب البشري على كميات مرتفعة من المغذيات المهمة التي تساعد في تعزيز نظام المناعة والجهاز العصبي المركزي لدى الأطفال الرضع، وتقيهم خطر الإصابة بالعدوى، ولا تتوافر هذه المكونات في حليب البقر والماعز، ويؤكد العلماء أن الحليب الناتج من قطعان الأبقار المعدلة وراثيًا سيكون أمينًا بقدر حليب البقر العادي، ويمكن أن يوفر بديلًا لحليب الأم والحليب الاصطناعي للأطفال الرضع الذي كثيرًا ما ينتقد باعتباره بديلًا أقل درجة.



للمرة الأولى.. دودة القز تنتج حريرًا ملونًا!!



نجح علماء في سنغافورة في حث دودة القز على إنتاج حرير ملون، وذلك بعد تغذيتها بمسحوق ورق التوت مخلوط بأصباغ منتقاة.



وكانت عملية تلوين الحرير تحتاج في السابق لكثير من المياه والطاقة والمواد الكيميائية.

وأشار الباحثون من جامعة سنغافورة الوطنية في دراستهم إلى أن الطريقة الجديدة أكثر صداقة للبيئة وأقل كلفة، وأنها تفتح الباب أما الحصول على مواد صناعية ذات استخدامات جديدة مثل الاستخدامات الطبية.

ينتج الحرير الأصلي من دود القز الذي يتغذى بالدرجة الأولى على ورق التوت، لكن الباحثين خلطوا صبغيات فوسفورية من النوع «ب» مع مسحوق ورق التوت الذي تتغذى عليه دودة الحرير، فوجدوا أن الدود الذي غذي على هذا الخليط لم ينتج حريرًا أحمر فقط، بل أصبح هو نفسه أحمر تمامًا بعد ساعة من تغذيه على هذا المزيج، وتكرر الشيء نفسه مع الصبغيات ذات الدرجة ١٠١ (بنفسجي) والدرجة ١١٠ (أخضر)، وأنتج دود القز حريرًا باللون الوردي وآخر باللونين الأخضر والأصفر تحت تأثير الأشعة فوق البنفسجية.

كما استطاع الباحثون الحصول على حرير طبيعي بألوان أخرى باستخدام مزيج من الصبغيات اللونية المناسبة للون المراد الحصول عليه، وأكدوا أن الحرير الفوسفوري الجديد يصلح للاستخدامات الطبية.

نجم سماوي بارد!

أكد فريق من فلكيين فرنسيين وأميركيين في المرصد الفلكي الأوروبي انهم عثروا على جرم سماوي بارد يشبه النجم، وأنه يصنف ضمن الأقزام البنية، وهي الاجرام السماوية التي يزيد حجمها على الكوكب ويقل عن الحجم الذي يسمح له بالحفاظ على نيران المحلول النووي بداخله، وهي النيران التي تجعل النجوم مضيئة.



وأكد المرصد الفلكي الأوروبي في مدينة جارشينغ جنوب ألمانيا أن «درجة حرارة هذا الجرم تشبه درجة حرارة كوب الشاي الساخن»، وتبين للباحثين أن درجة حرارة القزم الفلكي الأضعف ضوءًا في النجمين لا تزيد على ١٠٠ درجة مئوية، وللمقارنة فإن درجة حرارة الطبقة الخارجية للشمس تبلغ نحو ٥٥٠٠ درجة مئوية.

من هنا وهناك

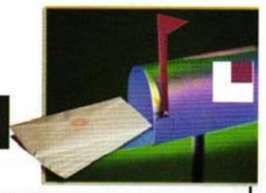
● تمكن علماء أميركيون من تنمية أول قلب بشري في المختبر، ومن المتوقع أن يبدأ بالخفقان خلال الأسابيع المقبلة، وقال هؤلاء العلماء: إنهم استطاعوا تنمية القلب عبر استخدام قلوب بشرية من متبرعين متوفين وإفراغها من الخلايا ثم حقنها بخلايا جذعية تكاثرت ونمت حول الهيكل لتصبح تدريجيًا خلايا قلب سليمة.

● عثر علماء آثار بريطانيون على دماغ بشري محفوظ بشكل جيد، يعتقد أنه واحد من أقدم الأدمغة البشرية التي تعود إلى شخص من العصر الحديدي البريطاني قتل في طقس تقليدي، وفوجئ العلماء بأن الأنسجة الطرية محفوظة داخل الدماغ الذي يعتقد أنه يعود إلى ٢٠٠٠ سنة.

● قالت الجمعية الطبية الألمانية: إن حبوب الأدوية الخالية من أي تأثير يمكن أن تلعب دورًا فعالاً للحالات الصغيرة وهي من دون آثار جانبية.

● في بحث جديد قال العلماء: إن مادة غراء النحل أو «البرو بوليس» الموجودة في فقرات النحل تلعب دورًا فعالاً في مكافحة نوع من البكتيريا يصعب علاجه بواسطة الكثير من الأدوية.

● باحثون سويديون أكدوا، بعد اختبارات تمت لعشر سنوات وشملت أكثر من ٧٠ ألف عينة دم، أن كمية إشعاعات الشمس تؤثر في مدى فعالية الأدوية، فكلما زاد تعرض الإنسان للشمس زادت الحاجة إلى كمية أكثر من الأدوية.





إعداد: التحرير

من أجمل ما قرأت!

التداوي بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

«إن القرآن العظيم شفاء من كل داء، والآية عامة في أنه شفاء».

قال تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾ (الاسراء: ٨٢)، وقد أخبر الله تعالى عن كتابه الذي أنزله على رسول محمد ﷺ وهو القرآن بأنه ﴿لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (فصلت:٤٢)، إنه القرآن الكريم يشفي القلوب والأبدان من الأمراض المختلفة إذا صح اليقين في ذات الله تعالى القادر على كل شيء.

وعن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله ﷺ دخل عليها وامرأة تعالجها وترقيها، فقال ﷺ «عالجيها بكتاب الله» (رواه ابن حبان).

وقال الإمام ابن القيم (رحمه الله) «ولو أحسن العبد التداوي بالفاتحة، لرأى لها تأثيرًا عجيبًا في الشفاء، ومكثت بمكة يقربني أدواء ولا أجد طبيبا ولا دواء، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألما، فكان كثير منهم يبرأ سريعا».

وقال صاحب كتاب «عالج نفسك بالقرآن»: «وإني لأذكر قصة فتاة مغربية كانت مصابة بالداء الخبيث (السرطان) وقد صالت وجالت بين الأطباء والمشعوذين والكل يحاول ولكن بلا فائدة، فالداء يسري وينتشر، أيامها في نظهر هؤلاء ونظرها معدودة، ولكن شعرت برغبة حاسمة في أداء العمرة، فعزمت وتوكلت على الله وذهبت إلى مكة المكرمة وأدت العمرة وقررت أن تعكف في الحرم على كتاب الله تلاوة وتدبرًا مع الصيام والإفطار بالتمر وماء زمزم، وكذلك السحور، واستمرت على هذا الحال ما يقارب الشهر، فإذا بها تشعر بالقوة والحيوية، والنشاط، فأسرعت لإحدى المستشفيات، وكانت المفاجأة العظيمة بفضل الله ثم بقراءة القرآن، لقد شفيت تمامًا.

فينبغي على العبد الموقفن بكلام رب العالمين أن يعلم أن القرآن شفاء للأمراض كلها النفسية، والعصبية، والعضوية، فيقرأه ويتداوى به، ويرقي نفسه بآياته أيا كان نوع المرض والوباء في أي عصر من العصور حتى قيام الساعة مع الأخذ بالأسباب المتاحة للشفاء.

وكذلك السنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل وأتم التسليم، فإنها شفاء كذلك، فقد روي عن الخطيب البغدادي أن الرمادي (رحمه الله).

كان إذا اشتكى شيئًا قال: هاتوا أصحاب الحديث، فإذا حضروا قال: أقرأوا علي الحديث، هذا وقد سبق بيان ما في القرآن الكريم وهو أولى أن يعالج به وكلاهما وحي من الله تعالى مع الأخذ بأسباب الشفاء قال تعالى: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ (الشعراء:٨٠).

ناصر كشيك محمد نصر

المساواة بين الأحكام الوضعية والشريعة الإسلامية

المساواة لغة من مادة «سوا» وهي «المماثلة والمعادلة»، فيقال ساوى الشيء الشيء إذا عادله، ويقال فلان وفلان سواء أي متساويان، وسواء الشيء: مثله، والجمع أسواء، ومنه: استوى الشيئان وتساوى: تماثلا.

وأما المعنى الاصطلاحي للمساواة فقد عرفها الجرجاني بأنها تماثل كامل أمام القانون وتكافؤ إزاء الفرص، وتوازن بين الذين تفاوتت حظوظهم من الفرص المتاحة للجميع.

وتمثل المساواة حجر الزاوية لكل حقوق الإنسان، وهي كذلك الضمانة الرئيسية والفعالة ليعيش الإنسان حياة كريمة، وهي الأساس التي تقوم عليه الحريات العامة، ولذا كان من البديهي أن تحرص الدساتير والتشريعات الحديثة على النص ضمن نصوصها على مبدأ المساواة بين جميع المواطنين، فلا تمييز بينهم بسبب الجنس أو الأصل أو اللون أو اللغة أو العقيدة الدينية أو السياسية.

فإذا كان هذا هو الحال في ظل الدساتير والإعلانات التي هي من صنع البشر فكيف الحال في ظل الشريعة الإسلامية التي تصلح لكل زمان ومكان، ولعل ما يؤكد ذلك هو أن من يمعن النظر في هذه النصوص سيجد أنها مستقاة من أحكام الشريعة الإسلامية، وكيف لا والشريعة الإسلامية سباقة ولها حق الريادة في هذا المجال.

إبراهيم عبدربه إبراهيم

صلاة الجمعة.. المواجهة الأسبوعية

يعتقد كثيرون أن إسرائيل باحتلالها للأراضي العربية هي الأقوى ولكن في الحقيقة لا.. إن هناك تفاصيل صغيرة تؤكد أن هذا الجيش الجرار يرتعد رغم كل الإجراءات التي يتخذها لنفسه من حصار وجنود مدججين بجميع أنواع السلاح وتؤكد كذلك أنه مازال ضعيفًا هشًا بل ورعديدًا!!

إن هناك مثالًا بسيطًا يؤكد هذا المعنى ويوضح إلى أي مدى ترتعد إسرائيل، فإذا نودي للصلاة من يوم الجمعة في المسجد الأقصى تتحول إسرائيل إلى دولة في حالة حرب، تستنفر الجنود والشرطة بل والجهاز القمعي كله من أجل منع سكان القدس من التوجه لأداء الصلاة ولا تستثني من ذلك إلا من هم فوق الخمسين وكأن من بلغ الخمسين يخاصم النخوة وتموت في عروقه الوطنية والغيرة على بلده وأرضه وعرضه، انظروا إلى غرور إسرائيل وهي تظن أنها عندما وضعت شرط السن للصلاة في المسجد الأقصى ستحد من تدفق سكان القدس على أولى القبلتين، لكن اليهود لا يعرفون، أن إسرائيل تضع المتاريس أمام سكان الضفة الغربية حتى لا يذهبوا للصلاة في الأقصى، يخشون من اندلاع انتفاضة ثالثة وكأن الانتفاضة قاصرة على أرض بعينها، لكن إسرائيل تخطئ الحسابات.. صحيح أن أهالي نابلس وجنين يجدون صعوبة كبرى في الدخول للصلاة بالمسجد الأقصى إلا لمن هم فوق الخمسين، لكن أهل حيفا ويافا يتقدمون للصلاة في المسجد الأقصى، إنهم عرب ١٩٤٨م الذين تصورت إسرائيل أنها استأنستهم وأعطتهم جنسيتها وأصبحوا مواطنيها، هؤلاء لا يخذلون أهلهم في الضفة الغربية من حيفا ويافا الوطن الأم.. حيث يتقدمون إلى المسجد حيث لا تستطيع إسرائيل منعهم فيملأون القاعات والردهات والساحات بالآلاف.. آلاف المصلين في منظر ينعش القلوب المسلمة ويدمي قلوب المحتلين الصهاينة.

إنها فقط مجرد صلاة جمعة، لكنها في حقيقة الأمر مواجهة أسبوعية مع إسرائيل، هذه المواجهة الأسبوعية تؤكد أن الجذوة لم تنطفئ، الانتفاضة يمكن أن تندلع من جديد، في أي وقت على الرغم من أنهم يحملون جنسيتها، إن الجنسية الإسرائيلية لم تلغ البذرة العربية، إن الهوية لا تغير الدم العربي الفلسطيني، إن نجمة داود على البطاقة الشخصية وجواز السفر لم تغير الدم العربي الحار، سيحدث الفوران حتى لو ختموا عليهم بعشرات من نجمة داود وغيرها من المظاهر اليهودية.

إن إسرائيل تعربد في المنطقة مستخدمة أسلحتها ودعم أميركا وأوروبا لها وتشعر بالسرور من الانقسام الفلسطيني وتعذر المصالحة، لكنها تنسى دائمًا أن «الثورة» إذا قامت لن يكون هناك عرب إسرائيل أو عرب الضفة، لن يكون هناك غزة أو رام الله، هنالك سيصرخ الجسد كله من الحمى الصهيونية وينتفض ولن تحمي إسرائيل مدافعها وقنابلها النووية وصواريخها وطائراتها، ستصرخ وتنتقم لكن الانتقام العربي بعد الثورة المباركة سيكون الأعنف.

محمد السيد عامر

هل تبيعين ولدك بمليون جنيه؟

لعلك تذكرين، إذا كنت أمًا، كثيراً من ثوراتك على أطفالك وغضبك منهم ودعائك عليهم بالويل والعذاب وكثرة الصياح في وجوههم، حين يقلبون لك البيت رأسًا على عقب، أو يكسرون لك تحفة ثمينة أو زجاج نافذة أو يخربون جهازًا من أجهزة البيت الكهربائية، وقد تتمنين لو أنك لم ترزقي بهم، وقد تحسدين جارتك فلانة التي جعلها الله عقيمًا فارتاحت من الأطفال وعبثهم، وقد تتخيلين الحياة الهادئة التي كنت ستنعمين بها، لو لم يأت أطفالك إلى هذه الدنيا.

ولكن انظري إليهم وهم نائمون، تعلو وجوههم البراءة، أو راقبيهم وهم يلعبون بحماسة طفولية محببة، أو كلماتهم التي تنطلق من ألسنتهم بعفوية صادقة، أو تذكري اندفاعهم العاطفي القوي نحوك وضعفهم الشديد حين يصادفهم ما يقلقهم أو يخيفهم، ستهدأ ثورتك وينطفئ غضبك ويشيع الحب في حنايا نفسك، وتنسين شقاوتهم.

واقرئي قصة الإنجليزية «مارجريت إدواردز» التي كانت قد ضاقت بنشاط صغيرها مارتن (٣ سنوات) وقررت أن تتخلص منه بأي ثمن معقول، وبالفعل فقد نشرت إعلانًا في إحدى الصحف تعرض فيه للبيع ولدها الصغير، ولكنها حين راقبته يتدحرج فوق الثلج ويلهو ويركض، تراجعت قائلة: «لن أبيعه ولو بمليون جنيه».

إذا أردت أن تبيعي صغيرك فأرسلي لنا على العنوان التالي «جنة عرضها كعرض السموات والأرض أعدت للمتقين» واكتبي على الظرف من الخارج «من أم ترفض هدية ربها».

ستجدين الكثيرات ممن حرمن من هذه النعمة لشراء ما تعرضين، وإلا فاحمدي ربك على نعمة الإنجاب وأحسني إليهم ويكفيك بأن تنادي أمي يا أمي.

محمد الوكيل

ينابيع المعرفة

إعداد: التحرير

شهر رجب

سمي بذلك لتعظيمهم إياه عن القتال، وهو من رجب الشيء أي: هابه. ويقال: رجل مرجب أي: معظم مهاب، وسمي رجب: «مضر» لأن مضر كانت تعظمه أشد تعظيم.

وقال العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى: «فأما الصلاة فلم يصح في شهر رجب صلاة مخصوصة، وأما صلاة الرغائب في أول ليلة جمعة من شهر رجب كذب وباطل لا تصح وهذه الصلاة بدعة عند جمهور العلماء».

(لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ص٢٢٨)

بئس العبد

«بِئْسَ العبدُ عبدٌ تخيّلَ واختال ونسيَ الكبيرَ المتعالِ، بِئْسَ العبدُ عبدٌ تجبّرَ واعتدى ونسيَ الجبّارَ الأعلى، بِئْسَ العبدُ عبدٌ سها ولها ونسيَ المقابرَ والبِلى، بِئْسَ العبدُ عبدٌ بغى واعتدى ونسيَ المبدأَ والمنتهى، بِئْسَ العبدُ عبدٌ يَخْتِلُ الدنيا بالدِّين، بِئْسَ العبدُ عبدٌ يَخْتِلُ الدِّين بالشُّبهات، بِئْسَ العبدُ عبدٌ يصُدُّهُ الرعبُ عن الحقِّ، بِئْسَ العبدُ عبدٌ طمعٌ يقودُهُ، بِئْسَ العبدُ عبدٌ هوىً يُضِلُّهُ».

(الزهد والورع والعبادة لابن القيم)

ابتسامة «أربعة دوانق»

«كان مروانُ بنُ أَبي حَفْصة مِنْ أبخل النّاس، فخرج يريد المهدي، فقالت له امرأته: ما لي عليك إن رجعت بالجائزة؟ قال: إنْ أُعطيتُ مائة ألف درهم، أَعطيتك درهمًا، فأُعطِيَ ستين ألف درهم، فأَعطاها أَربعة دوانق».

(مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة)

ولدني أبوبكر الصدّيق مرتين

تزوج «محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب» من «أُم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق» فولدت له جعفر الصادق.

وكان جعفر الصادق يقول: «ولدني أبوبكر الصديق مرتين» لأن أمه «أم فروة» هي بنت كل من «القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق» و«أسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق»، فهي من أبناء أحفاد أبي بكر الصديق من جهة الأب ومن جهة الأم.

(الأسماء والمصاهرات بين أهل البيت والصحابة)

أول من دوّن الحديث النبوي

أول مَنْ دوّن الحديث النبوي «محمد بن مُسْلم بن عبدالله بن شهاب الزهري» تابعي جليل، وأحد أكابر الحفّاظ والفقهاء في المدينة، كان يحفظ ألفين ومائتي حديث، نصفها مُسْنَد.

قال الإمام أحمد بن حنبل: «الزهري أحسن النّاس حديثًا وأجود النّاس إسنادًا»، وهو أول من دوّن الحديث النبوي الشريف، وذلك في خلافة عمر بن عبدالعزيز وبإشارة منه، فقد كتب عمر بن عبدالعزيز إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو رسالة يقول فيها: «أن انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سنته أو حديث عُمر أو نحو هذا فاكتبه لي، فإني قد خفت دروس العلم وذهاب العلماء»، وقال أبوالمليح: «كان هشام هو الذي أكره الزهري على كتابة الحديث، فكان الناس يكتبون بعد ذلك».

(البداية والنهاية لابن كثير. معجم الأوائل)

الرزق

الـرِّزْقَ بـالْحَـظِّ وَالْجَـدِّ، لَا بـالْعِلْـم وَالْعَقْل، حِكْمَةً مِنْهُ تَعَالَى يَدُلُّ بِهَا عَلَى قُدْرَته وَإجْرَاء الْأُمُور عَلَى مَشيئَته.

وَقَدْ قَالَتْ الْحُكَمَاءُ: لَوْ جَرَتْ الْأَقْسَامُ عَلَى قَدْر الْعُقُول لَمْ تَعِشْ الْبَهَائِمُ.

فَنَظَمَهُ أَبُو تَمَّام فَقَالَ:

يَنَالُ الْفَتَى مِنْ عَيْشِهِ وَهُوَ جَاهِلُ...
وَيُكْدِي الْفَتَى مِنْ دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمُ
وَلَوْ كَانَتْ الْأَرْزَاقُ تَجْرِي عَلَى الْحِجَا...
هَلَكْنَ إذَنْ مِنْ جَهْلِهِنَّ الْبَهَائِمُ

(أدب الدنيا والدين للماوردي: ١/٤٢)

العزلة

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا﴾ (مريم: ٤٨).فعوضه الله النصرة بالذرية الطيبة قال تعالى: ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا﴾ (مريم: ٤٩).

وقال ﷺ: «إذا رأيتم الناس مرجت عهودهم، وخفت أمانتهم، وكانوا هكذا» وشبك بين أصابعه، قال: فقمت إليه فقلت: كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداك؟ فقال ﷺ: «الزم بيتك، وأملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف ودع ما تنكر، وعليك بأمر الخاصة، ودع عنك أمر العامة» (رواه أبوداود).

والعزلة عند الفتنة سنة الأنبياء وعصمة الأولياء وسيرة الحكماء الألباء والأولياء، فلا أعلم لمن عابها عذرا لاسيما في هذا الزمان القليل خيره البكيء دره وبالله نستعيذ من شره وريبه، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: خذوا بحظكم من العزلة، وقال أيضًا: في العزلة راحة من خليط السوء، وقال العلامة ابن سيرين: العزلة عبادة.

(العزلة للخطابي: ١/٨)

تمام حسن الجوار

تمام حسن الجوار في أربعة أشياء:

١- أن يواسيه بما عنده.
٢- ألا يطمع فيما عند جاره.
٣- أن يمنع أذاه عنه.
٤- أن يصبر على أذاه.

(تنبيه الغافلين للسمرقندي)

من درر السّلف

ثلاثة أشياء لا ينبغي للعاقل تركها:

١- علم يحث على عمل نافع في المعاد.
٢- وطبٌ يكف به البدن الأسقام.
٣- وصناعة يستعين بها على المعاش.

وقالوا أيضًا: ثلاثة لا يتهمون:

١- المخبر عن سقمه.
٢- والمقر على نفسه.
٣- والذي يدعو الناس إلى الأخذ بما يعمل به.

(إحياء التراث فيما جاء في السبع والثلاث)

عتاب على انقطاع المواصلة

قال الشيخ صالح بن أحمد النصيري الرادعي معاتبًا الشيخ اسماعيل بن أحمد القحيف على انقطاعه عنه:

أنا أقضي عهدي بالتشاغل والصدّ
إلى ما التمادي؟ فالتشاغل لاَ يجدي
رعى الله قومًا لم يخونوا عهودهم
مدى الدهر في قرب المحلة والبعد
كتبنا فلم يرجع جوابًا لقولنا
كأني وأنتم بالجزيرة والهند
ولاريب في ترك الجواب بأنه
يخبر عن نقض الصداقة والعهد

فأجاب عليه الشيخ إسماعيل بن أحمد القحيف بقوله:

ومما لواني عن هواه وصدني
كتاب أخ لي يخلط الهزل بالجد
ومن شيمتي حفظ الصداقة والإخاء
إذا ضيّع الناس الإخاء على عمد
وخذ في عتابي ما استطعت فهذه
يميني أني لا أحول عن الودِّ



تحامل على دين سمح كريم

إبراهيم نويري

مما لا شك فيه أنه يوجد في بلاد الغرب أناس كثيرون عاديون ومفكرون وأصحاب رأي مسالمون ومحبون للإنسانية ومدافعون عن حقوق الإنسان بغض النظر عن معتقده أو لونه أو فكره أو لغته، وهؤلاء يستحقون التحية ومد جسور التعاون معهم لأنهم مؤهلون بحكم صفاء طبيعتهم للوصول إلى الحقيقة.. وفي المقابل أيضا يوجد تيار يعادي الإسلام وشعوبه وتاريخه وحضارته، ويظهر أن هذا التيار لا يستطيع أن ينفك أبدًا عن عقدته التاريخية الموروثة، المتمثلة في كراهية هذا الدين السمح وتعاليمه الفذّة، وكذا المنتمين لعقيدته وصبغته في المشارق والمغارب.

ومنذ فترة برز من ذوي الاتجاه المذكور الكاتب السويدي «بورت موني»، حيث راح يهاجم في صفاقة متناهية وهبوط فظيع تعاليم الإسلام وشريعته وتاريخه، ويتطاول على شخصية رسول الله ﷺ ويَسِمُها (يصفها) بأوصاف مرذولة، لا تصدق في حق مصلح اجتماعي عادي، فضلاً عن أن تصدق في حق إمام الأنبياء وسيد المرسلين.

الكتاب الذي صدر لهذا الكاتب يحمل عنوان «اجتياح الإسلام».. وقد نشرته دار نشر تُدعى «بوسالا» بالسويد.. كما نشره المؤلف في موقع خاص على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، ضمّنه صاحبُه مئات المفتريات والأكاذيب المسيئة للإسلام وحقيقة مسار انتشاره في الأرض واعتناق الشعوب المختلفة له.. كما هاجم القرآن الكريم، واصفًا إياه بأنه كتابٌ مختلق مليء بالأساطير والقصص المستمدة من الأزمنة الغابرة، مدعيًا أن هذه القصص لا يوجد ما يثبت صحتها - يقصد المستندات المادية - كالوثائق التاريخية والنقوشات والمستحاثات، وغيرها من الأدوات والمستندات المادية التي يثبت بها التاريخ!!.. وكأن هذه الأدوات المزعومة أكثر صدقا ووثوقًا من الوحي الإلهي بمختلف وجوه الإعجاز التي يتضمنها!

إن ما يؤكد عقدة الغرب التاريخية تجاه الإسلام، ليس فقط ظهور أمثال لهذا الكاتب الحقود الجاهل بحقيقة الوحي والغيب، فهذا أمر مألوف في تراث وأدبيات الغرب النفسية والفكرية، وإنما أيضا احتضان المارقين والمرتدين والمنحرفين من حملة الأقلام ممن يزعمون انتماءهم وانتسابهم للعالم الإسلامي (جغرافيًا على الأقل)، ويحملون بعضًا من شارات المسلمين وأسمائهم وأزيائهم أحيانًا!!

يشير إلى ذلك الداعية والمفكر الإسلامي الكبير الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله- في معرض حديثه عن ارتداد الكاتبة والطبيبة البنغالية «تسليمة نسرين» التي تعيش حاليا في السويد، عندما هاجمت الإسلام، ووصفته بأنه دين يظلم المرأة ويهين أنوثتها ويجحد حقوقها الفطرية... حيث يقول: «قالت إذاعة لندن إن دول أوروبا الغربية أعلنت حمايتها لها (أي لهذه الكاتبة) ويسّرت لها أن تهاجر إليها، بل إن ألمانيا عرضت عليها أن تقيم فيها وتنشر آراءها على أرضها!!... إن دول أوروبا الغربية منحت «سلمان رشدي» جائزةً سَنِيَّةً (مجزية) وأبدت رضاها عن ارتداده واستعدادها للدفاع عنه... وقد عُرف الآن بين المثقفين أن الإلحاد أقصر طريق إلى الشهرة والترقية، وأن الانحراف ضمان للأمان والرضا!!..» «الحق المر، الجزء الرابع».

ولاشك في أن سباق الكثير من الكتاب في الغرب والشرق، وانتظامهم في هذا المسلك الآسن.. مسلك الإساءة للإسلام ونبيّه وتاريخه ورجاله وأبطاله.. إنْ هو إلاّ أثر من آثار أعمال وجهود ولوثات تلك الدوائر الصهيونية الحاقدة؛ إنهم يتزلفون لها ويعملون على إرضائها وتحقيق أهدافها، حتى ينالوا الجوائز العالمية والمكاسب الدنيوية.. من أجل ذلك عجبت لقول الفيلسوف الدكتور عبدالرحمن بدوي -رحمه الله- بالرغم من انعطافته الحسنة تجاه الإسلام في سني حياته الأخيرة، عندما سئل قبل وفاته بأيام قليلة عن وجهة نظره إزاء تأثير الصهيونية العالمية في توجيه جائزة نوبل العالمية الشهيرة، فقال «والله شخصيًا أستبعد ذلك»!! بالرغم من أنه يعلم بأن هذه الجائزة ينقصها الكثير من شيم النبل والشفافية والمصداقية.

ينبغي على حملة الأقلام وأهل التنوير من مثقفي الإسلام أن يلتصقوا بدينهم وتاريخهم وتراثهم عن حب وإعزاز، وذلك يقتضيهم التصدي لعصابات الغزو الثقافي الغربي، وبذل الجهد والوسع في بيان حقيقة تعاليم الإسلام وتميّز حضارته وأنظمته المختلفة، بالأدلة القوية والبراهين الدامغة، سعيًا لإقناع ذوي الضمائر الحية النظيفة من الأحقاد والضغائن الموروثة في ديار الغرب..



الوعي الإسلامي في معرض الكتاب الإسلامي 36

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة
العدد (٥٥٢) شعبان ١٤٣٢هـ - يوليو ٢٠١١م



د. محمد سليم العوا: ثلاثة تحديات أساسية تواجه العرب

الفساد... آفة الأمم

نحو تفسير حضاري للقرآن الكريم

دور الأدب المقارن في عالمية الأدب العربي

والله يعلم المفسد من المصلح

حين تضعف الديانة تضمحل الأمانة، وتظهر الخيانة، وتباع الذمم، وتسترخص أرواح الناس، وتستباح حقوقهم، وينتج عن ذلك فساد الأحوال، وتأخر العمران، وتقهقر الحضارة، إذ يسود أهل الجهل والغش، ويؤخَّر أولو العلم والنصح، وذلك من أمارات الساعة، قال سبحانه: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾** (النساء:٥٨).

والأمانة تشمل كل أمانة دينية ودنيوية، ومادية ومعنوية، وأي تقصير فيها وتلاعب بها هو نوع من الفساد، قلّ أم كثر **﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾** (البقرة: ٢٠٤-٢٠٥).

وفي الفساد المالي قال الله- جل شأنه- في أمر قارون الباغي بماله: **﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾** (القصص: ٧٧)، وصدق الله الكريم حين بين مآل الفساد بضيق المعايش وقلة الأرزاق، **﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** (الروم:٤١).

ولقد ذم الله- جل ذكره- الفساد السياسي، وجعل عاقبته إلى اضمحلال، فقال تعالى: **﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾** (القصص: ٤).

وفي الفساد الأمنيّ توعّد الله عز وجل من يسعى لإخافة الخلق وقطع طرقهم وبثّ العداوة بينهم بالعقاب الأليم في الدنيا والآخرة، فقال: **﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** (المائدة: ٣٣).

وحتى يَنْكَفَّ الناس عن هذا الفساد بشتى أنواعه حذّر القرآن من تبعاته وعاقبته، وهذا نبيٌّ كريم من أنبياء الله يخاطب قومه: **﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾** (الأعراف: ٨٦)، وقال تعالى: **﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾** (الأعراف: ١٠٣)، وقال في موضع آخر: **﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾** (النمل: ١٤)

ولأنه لا أحد من الناس يستغني عن النصيحة في هذا الأمر الجلل كان الأنبياء يتواصون بالحذر من الفساد، ويتناصحون بالبعد عن طريق الفاسدين **﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾** (الأعراف: ١٤٢)، ولقد مدح الله تعالى أقوامًا من القرون الخالية بسبب نَهْيِهم عن الفساد، وجَعَل جزاءهم أن أنجاهم في قلّة قليلة، وأهلك غيرهم، قال سبحانه: **﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾** (هود: ١١٦)، والنتيجة المربحة لمن ترك الفساد أن تكون له العاقبة في الدار الآخرة، كما قال تعالى: **﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾** (القصص: ٨٣).

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي



الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٥٢

شعبان ١٤٣٢ هـ

العام الثامن والأربعون

يوليو - ٢٠١١ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
manager@alwaei.com

في هذا العدد



موضوع الغلاف

جاء الإسلام منذ بزغ نجمه حربًا على الفساد والمفسدين في شتى مجالات الحياة العقائدية والسياسية والاقتصادية والفكرية وغيرها، والمسلمون اليوم في أمسّ الحاجة للتخلص من كل أشكال الفساد التي تقف عائقًا في طريق نهضتهم المنشودة.





التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات
هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

- السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت:١٨٣٤٩٥٧٧٠ (٠٠٢٤٩)
- اليمن - دار القلم للنشر- ف: ٤٦٩٤١٥(٠٠٩٦٧١)
- لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت: ٢٧٧٠٥٠٦٦ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٧٧٠٥٤١٣- دار الأهرام
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

• الكويت : ٥٠٠ فلس • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان : ٥٠٠ جنيه • موريتانيا : ٢٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير • اليمن : ٧٠ ريالا • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠دراهم • ليبيا : دينار واحد • اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله • اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

المحتويات

كلمة العدد

تحويل القبلة ... رسالة إلى الإنسانية

يصدر هذا العدد مع إطلالة شهر شعبان الذى حولت فيه القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام .. حيث فيه الكعبة التي أرسى قواعدها أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، وكان هذا التحويل بمثابة امتحان كبير محص الله فيه القلوب ليعلم المؤمنين الصادقين من الذين زاغوا عن جادة الحق والصواب ﴿ وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه.. ﴾ البقرة من الآية -١٤٣- ، وإذا كان هذا الحدث الكبير فى تاريخ الإسلام له دلالات ومعانٍ عديدة فإن أبرز هذه الدلالات هو التأكيد على أن دين الإسلام هو خاتم الرسالات ودين الإنسانية جميعًا إلى قيام الساعة، وعلى أتباع الأنبياء جميعًا أن يتجهوا نفس التوجه لأن الكون كله لله شرقه وغربه وشماله وجنوبه وهو من يملك توجيه الناس إلى أي جهة يشاء ﴿ قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط المستقيم ﴾البقرة من الآية -١٤٢-

التحرير

الاشتراكات

- **داخل الكويت:** للأفراد ٥,٧دنانير.للمؤسسات١٥ دينارًا كويتيًا
- **الدول العربية:** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم:** للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات:** ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية **(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)**

المفكر الإسلامي د.محمد سليم العوا:

ثلاثة تحديات أساسية تواجه العرب (٢/١)

القاهرة - دار الإعلام العربية



كاتب ومفكر إسلامي له مكانته وثقله العلمي والفكري في العالم أجمع.. وله أيضًا رؤيته وتفسيره وتحليله للأمور بنظرة ثاقبة تنم عن وعي متقد، وفهم راقٍ لأصول الدين ومستجدات الحياة.. وبخبرته القانونية يستطيع أن يزن الأمور جيدا ويستخلص منها النافع والضار دون أن يحابي أحدًا على حساب ما يعتقده ويدين به، في الوقت نفسه لا يمنح الفرصة لغيره أن يقيم عليه الحجة، نظرا لما يتمتع به من كياسة عقل وسرعة بديهة وغزارة في العلم وطلاقة في اللفظ.. هذا هو د.محمد سليم العوا الذي جعل من نفسه حارسًا على بوابة العقيدة يدافع عنها ويذب عن حياضها، الأمر الذي أكسبه كثيرين وأفقده أيضًا كثيرين.. «الوعي الإسلامي» التقت د.العوا في حوار ثري نتعرف إلى تفاصيله في الصفحات التالية:

النقاشات الفكرية والثقافية على الإنترنت تتراوح بين الإيجابية والسلبية

• للنشأة دور مهم في صياغة شخصية وفكر أي إنسان.. فكيف كانت معك؟

أظن أن العوامل الأساسية فيما أصبحت عليه الآن تعود إلى طفولتي ونشأتي العائلية التي كانت نشأة دينية وملتزمة ومحافظة، يقترن فيها العلم بالعمل، وليس مجرد التعبد كثيرًا، وفي هذه البيئة العلمية الدينية التي نشأت فيها وفقني الله أن أجد علماء أجلاء تعلمت على أيديهم على الدرب نفسه الذي نشأت وتربيت عليه على يد والدي رحمه الله، وكان التعامل بعد ذلك في مرحلة الشباب وما بعدها إلى اليوم هو تعامل عام مع الأمة كلها، لا فرق بين إنسان وآخر بحسب عقيدته، إنما بحسب فائدته للإنسانية، وهذا ما أبينه وأحاول أن أتخذه مبدأً لي دومًا، وهو العمل من أجل الصالح العام على اختلاف المكان والزمان لمجرد أنه يفيد الإنسان ولا يخص أحدًا دون آخر.

الاجتهاد السياسي

• نعيش حزمة من التغيرات الاجتماعية تتطلب قدرًا من الاجتهاد السياسي.. برأيك ما حدود هذا الاجتهاد وضوابطه؟

الاجتهاد السياسي بمعنى النظر فيما يصلح شؤون الناس مسموح به للمؤهلين من أهل العلم السياسي وأهل العلم الفقهي، وعملية الاجتهاد نفسها تحتاج إلى قدر كبير من المعرفة الدينية لا يجوز بغيرها أن يتجرأ إنسان على قول هذا جائز وهذا ممنوع، وتتطلب هذه العملية في المجتهد شروطًا كثيرة مفصلة في الكتب، لكن الاجتهاد في مسألة جزئية سياسية كانت أو اقتصادية أو غير ذلك أمر مسموح به لأهل الاختصاص بنية الإصلاح، وكل إنسان يقدم ما يراه صالحًا أو يمنع ما يعتقد بفساده.. المهم في الحياة السياسية أن تكون العبرة برأي الناس لا بما يقوله السياسي، وهذا ما يطلق عليه «مبدأ الشورى» سواء كانت عامة لجميع الشعب أو خاصة بفئة معينة.

● هـذا ينقلنا إلى خطورة التكوين قبل التعليم الكافي ومتى يبدأ الكاتب في التدوين؟

التعليم أمر ضروري وهو أمر مستمر، والإنسان يكتب ويتعلم، ويتعلم ويكتب، فهي حلقة مستمرة لا تتوقف، وأرى أن الإنسان لا يبدأ في عرض أفكاره على الناس إلا إذا بلغ مرحلة من النضج التي كان يسميها علماؤنا القدامى «الإجازة»، أي يقول له شيخه أو معلمه إن كلامك يستحق العرض على الناس، أما إذا عرض كلامه قبل ذلك فأمر غير مستحب قد يضطر بعده إلى الاعتذار عن بعض كتاباته بعدما يتبين خطأها.

● هل ترى أن ما يكتب ويسجل على صفحات الإنترنت في المدونات وغيرها ساهم بشكل أو بآخر في صياغة العقل العربي والإسلامي؟

هي تساهم الآن، لكن قبل ذلك لم يكن لها دور، وهي الآن تساهم في صياغة وعي الشباب على وجه الخصوص، وهذه المساهمة منها ما هو إيجابي ومنها ما هو سلبي.. فالسلبي أن كثيرًا ممن يكتبون على صفحات الإنترنت ليس لديهم جديد يقدمونه، فيقدمون أفكارًا فجة ومعلومات غير صحيحة وألفاظًا غير دقيقة، فيغرق الشباب في مناقشات حول هذه الأشياء تؤثر عليهم بالسلب.. أما الإيجابي أن بعضهم يكتبون بطريقة جيدة ويتعلمون حتى يبلغوا درجة معقولة من الحكمة، ومن ثم يناقشون قضايا جادة، وهم بهذه الوسيلة الحديثة يقدمون فائدة كبيرة.

صراع غير محمود

● المشهد الثقافي العربي.. إلى أي مدى تراه مبتعدا عن الهوية الإسلامية؟

المشهد الثقافي العربي هو هو منذ خمسين عامًا مضت، صراع بين المدافعين عن الهوية الإسلامية والعربية، وبين الذين يريدون أن يسلخوا هذه الأمة من هويتها سلخًا تامًا، حتى يقوموا بإلغاء هذه الهوية إلغاء لا رجعة فيه.. وأعتقد أن هذا المشهد قد يستمر سنوات طويلة على هذه الحالة؛ لأن القوى الإسلامية الفكرية تعيش صراعًا غير محمود، فلو أن هذه القوى موحدة على الأقل فيما يدعى الناس إليه لا فيما يلتزمون به لكان الموقف الإسلامي أقوى من ذلك. والخلاصة أن المشهد الثقافي العربي سيظل كما هو فريق متمسك بالهوية العربية الإسلامية ويدعو لها، وفريق محارب لها يتمنى زوالها من الوجود تماما.

العمل للصالح العام مبدئي مهما اختلف المكان أو الزمان

● وكيف يتم تفعيل هذا المشهد بما يفيد الأمة العربية والإسلامية؟

أدعو العاملين في الدعوات الإسلامية والحركات الإسلامية كافة أن يفرقوا بين الخطاب الخاص لجماعة الدعوة، والخطاب العام لجموع المسلمين، فالخطاب العام للمسلمين أننا نقبل من الناس ما قاله العلماء على مر العصور، أنه يقبل منهم ما يصح به إيمانهم.. وكما قيل «لا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر إلا ما أجمع عليه العلماء»، فما ليس محل إجماع نترك الناس فيه وما يدينون، وندعوهم إلى الدعوة العامة التي هي ضد الظلم والقهر والفساد المالي والاجتماعي والإداري، وضد التبعية المطلقة للغرب، وهذه دعوة عامة يقبلها الناس ولا يرفضونها ويعرفون أنها من صميم دينهم.

● وهل ترى أزمة العرب الثقافية أزمة نخب أم أفراد؟

هي أزمة الاثنين معًا، فالنخبة تعيش في أبراج عاجية وتناقش قضايا لا يفهمها غيرهم، والأفراد منصرفون عن المسائل الثقافية كلها ومنشغلون بلقمة عيشهم أو تنمية ثروتهم، وهاتان الأزمتان مهمتان، ولابد أن تعي النخبة قضايا الوطن وتقوم بتوعية العامة، وفي المقابل لابد أن يعي العامة أن من يكلمهم هذا الكلام يريد الخير لهم.. لكن طالما بقيت هذه الفجوة بين الاثنين فالأزمة مشتركة.

العلمانية

● نتحول إلى نقطة أخرى.. حيث يدرك الجميع إنصاف شريعتنا للمسلمين وغيرهم، فلماذا يلتفت البعض صوب العلمانية؟

إذا أردنا أن نأخذ الحالة المصرية كمثال، فغير المسلمين لا يلجأون إلى العلمانية إنما يلجأون إلى الكنيسة، ويرتبطون بها ارتباطًا عضويًا، وأنا أقبل هذا الارتباط ولا أرفضه؛ لأن مما حفظته لنا الشريعة أن لهم في دينهم شأنهم الشخصي ولا نتعرض لهم، لكن القانون العام المطبق في البلد يجب أن يكون على الجميع، سواء كان مصدره الشريعة أو الفكر البشري أو

خليطا بينهما، ومن يلجأ إلى العلمانية من غير المسلمين يكون بهدف الخروج من حصار الكنيسة وليس مواجهة الإسلام.

● لكنهم بالفعل يقصدون مواجهة الإسلام؟

يقولون بالعلمانية في مواجهة الإسلام لظنهم أن المسلمين يعودون بهم إلى عصور قديمة مضت، كمسألة الجزية أو الذمة، وهذه حجة لا أساس لها من الصحة، فهم لا يريدون التخلص من المسيحية إنما يريدون التخلص من سلطة الكنيسة، ويتخذون العلمانية ذريعة لذلك.

● ولماذا يلجأ إليها المسلمون؟

كنوع من التقليد المحض الذي ليس له شأن ببلادنا؛ لأننا لم نعانِ مما عاناه الغرب من سلطان الكنيسة، فقد كان هناك ظلم يمارس باسم الدين، أما نحن فالظلم والقهر لم يكن مرتبطًا بالدين؛ لذا الاستقاء مختلف تمامًا.

ثلاثة تحديات

● برأيك.. ما أهم التحديات التي تواجه الوطن العربي؟

هي ثلاثة تحديات أو أزمات أساسية، أولها أزمة الديكتاتورية، وما لم يستعد العرب حريتهم فإن طريق التقدم يظل بعيدًا بقدر ما تبعد عنا حقوقنا في الحرية والحياة المستقرة الهادئة بلا قهر، كما يوجد أيضا أزمة اقتصادية يعاني منها غالبية العرب، وهذه المشكلة ليست قاصرة على قلة الدخول إنما على عدم وجود إنتاج حقيقي، إنتاج صناعي وزراعي وتجاري، فنحن نريد أن يصبح الاقتصاد العربي اقتصادًا مؤثرًا في العالم كله، ولا يكون ذلك بالنفط فقط.

وأضرب لك مثالا بالهند وليس باليابان أو كوريا، وكيف وصلت صناعة التكنولوجيا فيها حتى أصبحت تصدر خبراء التكنولوجيا الحديثة إلى العالم كله، وأصبح أفضل مبرمجين من الهند، وأفضل من يعمل في «الهاردوير» أيضا من الهند.

أيضا أزمة الفكر وهو مرادف أيضا للثقافة، فالفكر لا ينتج في فراغ، إنما يحتاج إلى تفاعل اجتماعي وسياسي حتى ينضج، وإذا غاب هذا التفاعل أو صار من طرف واحد لا يكون هناك فكر؛ لأنه نتاج تضافر عوامل صناعية وزراعية واقتصادية وأسرية ودينية متجانسة، فإذا غاب هذا التفاعل- وهو بالفعل غائب- يصبح الفكر ترفًا.

غير المسلمين يتخذون من العلمانية ذريعة للهرب من سلطتهم الدينية

● إذا تحدثنا عما تعانيه بعض الدول العربية ونأخذ السودان مثالا.. نجد أنه بعد التقسيم شمالا وجنوبا وأزمة دارفور.. هل مازال هناك خطر آخر يحيط بهذا البلد الشقيق؟

السودان يعيش خطرًا كبيرًا إذا استقرت قاعدة الانفصال بين الشمال والجنوب التي أقرها الاستفتاء الأخير، وهو في خطر أيضًا إذا استمرت الأزمة في دارفور، فبعد دارفور سوف تأتي قبائل البيجا في الشرق لتطالب بالانفصال، وبعدها تأتي كوردوفان في الغرب لتطالب بالمثل، وهذه كلها مناطق الاشتعال فيها قائم لكنه غير معلن؛ لذلك أخشى على السودان كثيرًا.

● وما المَخرج برأيك؟

أن تبدأ الحكومة السودانية فورًا في ترميم العلاقات الشمالية الجنوبية؛ لأن ما أتوقعه أنه لن تمر فتره طويلة إلا ويشعر الجنوبيون أن الانفصال كان خطأ، فإذا شعروا بذلك ولم يكن لدى الشمال القدرة على استعادة اللُحمة بين الشمال والجنوب، سيتوجه هذا الشعور لصالح دول أخرى، ولولاءات أخرى غير عربية، وربما غير إفريقية، علمًا بأن الجنوب مليء بالثروات، وإذا لم يستطع الشمال أن يمد يده إليه ويبني جسور التواصل الفعال الصحي فسوف يزيد الخطر أكثر وأكثر.

اقرأ في الجزء الثاني من الحوار مع د. العوا

يواصل المفكر الإسلامي محمد سليم العوا، في الجزء الثاني من حواره مع "الوعي الإسلامي" مناقشة أبرز القضايا الإسلامية المطروحة على الساحة الإسلامية والثقافية العربية حاليًا، متطرقًا في هذا الصدد إلى رؤيته للعلاقة بين الدين والسياسة، وهل تراجعت التيارات الإسلامية عن فكرة الخلافة؟ وهل عليها أن تعيد ترتيب أفكارها وبرامجها؟ ولماذا تسعى هذه التيارات إلى تشكيل أحزاب بهوية إسلامية بعد أن كانت بعيدة عنها؟ وكذا الموقف من ترشيح المرأة وغير المسلم لتولي مقاليد الحكم في بلد مسلم.. كما يتحدث عن الاستشراق وعن الخطر الحقيقي الذي يهدد الأمة الإسلامية حاليًا، إلى غير ذلك من التفاصيل.. انتظروها في الجزء الثاني والأخير من الحوار في العدد المقبل بإذن الله.

الأزهر.. بين الانفراد والتجديد

هدى الكاشف



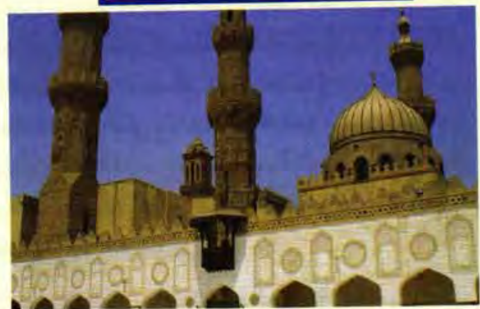
حظيت مصر الكنانة منذ أكثر من ألف عام باحتضان كعبة العلم في أكبر هيئة إسلامية على وجه الأرض ممثلة في الأزهر الشريف، حافظًا للعلم الديني الإسلامي وشريعته ووسطيته، بعيدًا عن التحريف والتعصب وتأويل المبطلين، بضوابط اجتهادية جماعية، من صفوة علماء الأمة إخلاصا وعلمًا، لذلك ظل وسيظل تهوي إليه أفئدة كل مسلم يبحث عن دينه الحق، لقيادة كافة آفاق الحياة اليومية العلمية والعملية.

ولأن الأمة الإسلامية كتب لها المولى عز وجل البقاء والخيرية والجهاد بقوله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ (آل عمران: ١١٠)، وقد خص أهل مصر بأنهم في رباط إلى يوم القيامة.

وحتى نتنافس جميعًا كأزهريين لابد أن نتسابق لخدمة الإسلام وتقديم فكره الوسطي النقي، في تبن صريح لخدمة قضايا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فتعود للأزهر مكانته الرائدة في قيادة مواكب العلم والنور في مصر والعالم.

ولذلك فقد وفقني المولى عز وجل بمقترح دراسة سبق وقدمتها لفضيلة الشيخ طنطاوي - رحمه الله - شيخ الأزهر السابق قبل سفره الأخير لحضور فعاليات احتفالية جائزة الملك فيصل العالمية في العاصمة السعودية الرياض والتي وافته المنية خلالها.

وتتلخص دراستي هذه في محاولة عملية لتعليم نساء المسلمين تلاوة القرآن الكريم تلاوة صحيحة شاملة أحكام التلاوة



والتجويد، وحفظه في دورة زمنية محددة، وتعليمهن بطريقة مبسطة أمور دينهن الحياتية فيما يتعلق بالطهارة، والعدة، والرضاعة... وغير ذلك من فقه النساء المفتقد لدى الكثير من المسلمات.

وذلك عن طريق إنشاء مراكز تابعة للأزهر الشريف في كل منطقة داخل محافظة القاهرة وباقي محافظات الجمهورية، وتعميم وجودها أيضًا خارج مصر، بحيث يكون نظام الدراسة في هذه المراكز غير خاضع لأي شروط من سن أو مؤهل علمي أو حتى جنسية، أو غير ذلك، ويكون ذلك بمقابل مادي رمزي، فقط لضمان جدية الاستمرار، وكذلك تخصيص قسم في هذا المركز لتعليم الأجانب اللغة العربية من خلال تعليمهم أحكام تلاوة القرآن وتلاوته وتجويده.

وقد ثبت لي من خلال عملي كباحثة، وداعية إسلامية، ومحكم مسابقات القرآن الكريم، والقيام بتدريس أحكام تلاوة وتجويد القرآن الكريم للعرب والأجانب أن هذه أسرع طريقة لتعليم الأجانب اللغة العربية، والتي تسبق بكثير في سرعتها وإتقانها تعليمهم لها من خلال قواعد النحو والصرف.

كما تتدرج الدراسة في هذه المراكز إلى مستويات لطالبات العلم، فمنهن من تتعلم للثقافة الدينية والتعليم الشخصي، وأخريات يمكن تكثيف الدراسة لهن على حسب القدرات لكل منهن، حتى يتم تخصيص عناصر نسائية متفوقة تتكفل بالتدريس في هذه المراكز للطلبة، فيتم الاكتفاء الذاتي لجميع المراكز مع تفضيل أن يقوم بالتدريس في هذه المراكز النساء فقط، وبالتالي يتكون لدينا قاعدة هائلة من المدرسات الواعدات والمسلمات الواعيات لقرآنهن وأمور دينهن.

وبذلك يتم التخلص من ظاهرة الاحتياج الدائم في بيوت المسلمين إلى من يعلم أبناءهم وخاصة البنات تلاوة القرآن وحفظه وتعليم أمور الدين المختلفة، فيلجأ البعض لاستقدام شيخ بالمنزل أحيانًا بضوابطه الشرعية والتي تربك نظام الأسرة، وأحيانًا أخرى بدون ضوابط شرعية لمن لا يعلم أصول دينه، وبيوت أخرى تيأس من تعليم أبنائها عندما تمل البحث عن المعلمات من النساء فلا تجدهن، لقلة عددهن أحيانًا أو لتكلفتهن الباهظة على احتياجات الأسرة.

لذا فإنني على أتم الاستعداد لمناقشة هذا المقترح والمشاركة في تنفيذه بخطة ودراسة وافية مع فضيلة شيخ الأزهر الحالي الدكتور الطيب، وكذلك تقديمها لأي من هيئات أو منظمات أو رابطات العالم الإسلامي التي تتبنى هذا المقترح وتنفيذه داخل مصر أو خارجها، وبالتالي تعود للمسلمين وخاصة النساء الريادة بين نساء العالم فلا يتعرضن لغزو العقول بطوفان العولمة أو غيرها، فيتحولن لخير سفراء للدين الإسلامي.

* داعية وباحثة الإسلامية

ترشيد السلوك في استخدام «الفيسبوك»

د. ناصر أحمد سنة

باتت وسائط الاتصال الحديثة، بآلياتها وبرامجها، أمرًا واقعًا، مُعاشًا ومَشاعًا ومتزايدًا، كما بات استخدامها - خيرًا أو شرًا، إيجابًا أو سلبًا - ينعكس أيضا بالقدر نفسه على الفرد والأسرة والمجتمع والوطن، بل الإنسانية جمعاء، ليس أدل على ذلك الأحداث والتغيرات والتوابع المتلاحقة، التي نشهدها حاليًا، على الصعد المحلية والوطنية والإقليمية والعالمية كافة، فكيف يمكن تلبية الحاجة الملحة إلى «إعادة النظر»، وترشيد السلوك في استخدام برامج التواصل الاجتماعي، «كالفيسبوك والتويتر»، وغيرهما بما ينفع ولا يضر؟

أدوات التقنية الحديثة، كالتلفاز، وفضائياته، والخلوي (الجوال)، والحاسوب، والإنترنت... إلخ أدوات محايدة، وهي تنصاع حسب توجهات وأهداف من يقوم باستخدامها وتوظيفها.. إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

وفي عصر الإنترنت وشيوع استعمال المواقع الاجتماعية كـ«الفيسبوك والتويتر» حل محل وسائل النشر والمكاتبات التقليدية التي تعتمد على الإيجاز والاختصار، وسرعة وعموم النشر الإلكتروني، وتأثير الصورة، واجتياز الموانع الرقابية السائدة في النشر الورقي، كما ساعدت شبكة «الإنترنت» ليس فقط في نشر «ثقافة النخبة»، بل إنها ساعدت أكثر من أي وقت مضى في نشر «الثقافة الشعبية»، حيث نما الانتشار «التشابكي» بين أناس من مختلف الأجناس والأعراق والأطياف والثقافات، إن بذواتهم وأسمائهم الحقيقية أو بأخرى مموهة أو مزيفة أو مستعارة.

وفي شرعنا الإسلامي الحنيف، وهديه الذي يظلل حياة المسلم بسياج من الهدى والتقوى والإخلاص والصلاح والإصلاح، قاعدة: «دفع الضرر مُقدم على جلب المصلحة»، ولقد أمست الجهود مُنصبة على «دفع ضرر» وسائل ووسائط الاتصال والتواصل الحديثة، والعمل على تعظيم منافعها (انظر مقالات لكاتب هذه السطور: «في أدب الرسائل.. ورسائل الجوال»، مجلة الوعي الإسلامي: ٤٩٩، ربيع الأول ١٤٢٨هـ- مارس ٢٠٠٧م، ص ٦٠-٦١، وله أيضًا: «الحب الإلكتروني»، مجلة الوعي الإسلامي: ٥٣١، ذو القعدة ١٤٣٠هـ- نوفمبر ٢٠٠٩م، ص ٥٩، كذلك: «أخلاقيات الجوال»، مجلة الوعي الإسلامي: ٥٤٠، شعبان ١٤٣١هـ- يوليو- أغسطس ٢٠١٠م، ص: ٧٠-٧١، الكويت).

للكلمة، ورقية أو الكترونية، مكتوبة أو مقروءة، منطوقة أو مسموعة... إلخ، في هدي الإسلام قرآنًا وسنة، فقه وأمانة ومسئولية، لا بد من الوعي والدراية بالكلمة، وأين سيقع أثرها وتأثيرها؟، الوعي بالغاية منها أن تكون عنوانًا وهوية وباعثًا مخلصًا لله تعالى، ثم لكل ما سواها من أفعال ومنطلقات، لقد كانت الكلمة عنوان الإسلام، بل عنوان الإيمان، تأمل كيف كان أبوطالب مقرًا بأفضلية دين محمد ﷺ لكنه لم يعلن كلمة التوحيد، فقال له النبي ﷺ وهو على فراش موته: «يا عمٌ قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله» (صحيح البخاري)، لكنه لم يقلها، فكان الفيصل بين موت على الحق وموت على الباطل كلمة التوحيد.

الكلمة هي ميراث النبوة، فالأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا هذه الأمانة العظيمة التي ثقلت على السموات والأرض والجبال، قال الله تعالى عن أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ. إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ. وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الزخرف: ٢٦-٢٨)، فميراث النبوة وميراث أبي الأنبياء.. الكلمة.

لماذا لا تكون الكلمات على صفحات «الفيسبوك والتويتر» وغيرهما تنبه الغافل، وتعلم الجاهل، وتزجر العاصي، وتصدع بالحق: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الحجر: ٩٤)، وتوقف إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، وتأمر بمعروف، وتنهى عن منكر، وتعظ بالحسنى، وتعلم الناس الخير، ولا تكتم العلم، وتحث على طاعة الله تعالى، وتشع بالمفيد من الكلام الذي يستنهض الأمة.. الكلمة الطيبة عنوان العيش الطيب: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ (إبراهيم: ٢٤-٢٦)، وإن أثر هذه الكلمة الطيبة ليمتد إلى البرزخ والحياة الآخرة حيث يكون التثبيت من الله تعالى لعباده المؤمنين بها.

صفحتك على «الفيسبوك والتويتر» تقول للناس حسنًا، قال جل وعلا: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى

أكاديمي مصري

﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ﴾ (البقرة: ٨٣).
وترد بقول سلام عند مخاطبة الجاهلين، يسلم صاحبها من الخطأ والخطيئة، قال سبحانه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان: ٦٣) قال الإمام ابن كثير:.. وقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ أي: إذا سفه عليهم الجهال بالسَّيئ، لم يقابلوهم عليه بمثله، بل يعفون ويصفحون، ولا يقولون إلا خيرًا، كما كان رسول الله ﷺ لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما، وكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ (القصص: ٥٥).

الكلمات أمانة صدقًا ونقلًا، إمساكًا ونشرًا، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا» (رواه البخاري ومسلم وأبوداود والترمذي وصححه واللفظ له).

ومن أمانة الكلمات على وسائط النشر الإلكترونية: عدم إثارة الفتن (وخاصة الطائفية والعرقية منها)، أو إشاعة الشائعات، أو إذاعة الافتراءات، أو الكذب أو الغيبة أو البهتان أو النميمة، أو التفحش، أو تحقير الناس وازدرائهم والسخرية منهم، أو تتبع عوراتهم، أو إذاعة أسرارهم الخاصة، أو السب والقذف، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وعرضه، وماله» (رواه مسلم).

من ترشيد استعمال صفحات «الفيسبوك والتويتر» أن تنطق بالقول السديد، سبيلًا لصلاح الأعمال، ومغفرة للذنوب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١).

الكلمات الطيبة على وسائط النشر تقي صاحبها من النار، فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ، ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، ثُمَّ قَالَ: اتَّقُوا النَّارَ، ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، ثَلَاثًا، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا ثُمَّ قَالَ: اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» (رواه البخاري)، والكلمة الطيبة صدقة، ففي صحيح ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الكلمة الطيبة صدقة وكل خطوة تخطوها إلى المسجد صدقة» (قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين).

وإذا ما استوت الكتابة على «الفيسبوك أو التويتر» وعدمها، أو النطق والسكوت، فالإمساك والصمت أجدى وأنفع، وتبقى الكلمة الطيبة وقول الخير علامة وصفة من صفات الإيمان، فقد أخرج البخاري في الصحيح عن أبي شُرَيْحٍ الْعَدَوِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «سَمِعَتْ أُذُنَايَ وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَه، قَالَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يا رَسُولَ الله؟ قَالَ: يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ».

فينبغي ألا يتكلم المسلم إلا إذا كان الكلام خيرا، وظهرت مصلحة، ومتى علم غير ذلك فلا يتكلم، وتبقى الكلمة هي طريق التوبة عند الزلل، قال تعالى: «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم» (البقرة: ٣٧).

جملة القول: مواقع التواصل الإجتماعي، وصفحاته، هي عنوان منهاج المسلم في حياته، وخطة رحلته، وسبيل دعوته: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾ (فصلت: ٣٣). وبترشيد استخدام هذه المواقع ومراعاة أمانة الكلمة والصورة المنشورة، تسود الطمأنينة، ويعم الأمن والأمان، وتختفي كثير من المشاكل الفردية والأسرية والاجتماعية والوطنية، بل الإنسانية.



بين الاستشراق والاستغراب أكثر من مجرد فارق لغوي، فمن الناحية اللغوية لأصل الكلمتين تعود الأولى لمادة «ش.ر.ق» بينما تعود الثانية إلى «غ.ر.ب»، إلا أن اللفظين يفصل بينهما عالمان بعيدان، بل متصادمان في معظم الأوقات، وبينما كان ظهور الاستشراق بمفهومه العلمي الذي بين أيدينا مع بداية ظهور شغف الغربيين بالتعرف إلى الشرق وحضارته في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، فإن الاستغراب لا يزال علما حديث النشأة، ويعود إلى تسعينيات القرن الماضي، على الرغم من أن الدعوة إليه بدأت قبل ذلك بنحو نصف قرن.

بداية الاستغراب ونهاية الاستشراق.. من يكتب فصل الختام؟ (٤/٤)

القاهرة - دار الإعلام العربية

إذا تجاوزنا التعريفات اللفظية واللغوية للاستشراق والاستغراب معًا، نجد أنه كما كان هناك بون شاسع بين اللفظتين، وهو بون يمتد بامتداد حضارتين وجدتا نفسيهما في حالة صراع معظم الوقت، فهناك أيضًا بون بين مفهوم كلا فريقي الاستشراق والاستغراب، فالدكتور أحمد عبدالحميد غراب، على سبيل المثال، يعتبر أن الاستشراق يمثل دراسات أكاديمية يقوم بها باحثون غربيون للإسلام والمسلمين في شتى الجوانب، التي تشمل العقيدة والشريعة والثقافة والحضارة والتاريخ والنظم والندوات، وذلك بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض تبعية الشرق للغرب ومحاولة تبرير هذه التبعية بزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي، ومن داخل هذه المقاربة التي تفترض أن الاستشراق شر كله، يعتبر هذا الفريق المعادي للاستشراق أنه لا يقتصر فقط على ما ينتجه الباحثون الغربيون، بل يلحق به أيضا أي إنتاج فكري يستهدف تحقيق أهداف الاستشراق على النحو الذي بينه الدكتور غراب حتى ولو كان القائم بهذا الإنتاج من أهل الشرق نفسه.

نقاط التقاطع

وفي مقابل ذلك فإن علم الاستغراب هو العلم الذي يهتم بدراسة الغرب من جميع النواحي العقدية والتشريعية والتاريخية



والجغرافية والاقتصادية والسياسية والثقافية، وعلى الرغم من أنه لم يصبح بعد علمًا مستقلا، فإنه يمكن تلمس نقاط تقاطع يلتقي فيها الاستشراق والعلم الذي لا يزال في طور التأسيس وهو «الاستغراب».

ولعل د.مازن صلاح، وهو أحد المساهمين في التأسيس لعلم الاستغراب، قد حالفه التوفيق كثيرا عندما وضع يده على أولى نقاط التقاطع بين الاستشراق والاستغراب بقوله: «الدعوة إلى دراسة الغرب وتأسيس علم الاستغراب انطلقت بالأساس من جانب الفريق الاستشراقي، بل بالتحديد فإن «رودي بادت» وهو مستشرق ألماني شهير كان أول من أطلق الدعوة لتأسيس علم الاستغراب، وكان ذلك خلال أحد مؤتمرات الاستشراق في القرن الماضي، وهي الدعوة التي تلقفها الدكتور حسن حنفي، أستاذ الفلسفة بجامعة عين شمس، الذي قدم كتابه الشهير في هذا الموضوع «مقدمة في علم الاستغراب»، معتبرا أن الهدف من هذا العلم في المرحلة الأولى من تأسيسه هو فك عقدة النقص التاريخية في علاقة الأنا بالآخر، والقضاء على مركب العظمة لدى الآخر بتحويله من ذات دارس إلى موضوع مدروس، والقضاء في الوقت نفسه على مركب النقص لدى الأنا بتحويله من موضوع مدروس إلى ذات دارس.

تحيزات معرفية

وعلى الرغم من أن بداية علم الاستشراق كانت على خلفية الشغف الغربي بالشرق، كما أن الدعوة إلى تأسيس علم الاستغراب انطلقت من مؤتمر استشراقي، إلا أن ذلك لم يمنع من أن يتصادم العلمان، بل يعتبر أنصار كل فريق نفسه خصمًا لأنصار الفريق الآخر، ويتهم كل فريق الآخر بالتحيز المعرفي والثقافي، وأحيانًا التطرف الديني، وهي اتهامات لم يسلم منها المسلمون على أي حال، بل لم يتوان المستشرقون عن توجيه هذه الاتهامات القاسية للديانة الإسلامية بأكملها وليس للمسلمين أو طائفة منهم فقط.

وفي المقابل، فإن د.فهمي جدعان،

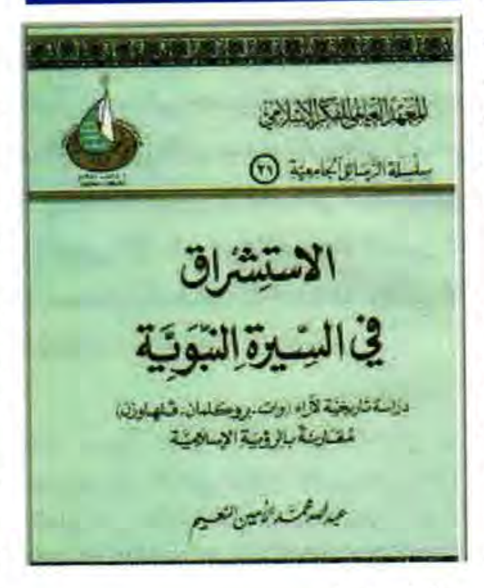
أستاذ الفلسفة في عدد من الجامعات العربية، يعتبر أن الجانب العربي والإسلامي أيضًا سوف ينطلق في رؤيته للغرب من تحيزات مسبقة، مؤكدًا أن العرب أنفسهم بنوا نظرتهم عن الغرب من خلال مواقفهم السياسية، ولم يسعوا إلى فهم الغرب من الداخل.. وهو ما رد عليه د.حسن حنفي بقوله إن دعوته لتأسيس علم الاستغراب لم تنطلق من العداء للغرب والارتداد عليه، بل قصد بها تحويل مصدر العلم إلى موضوع للعلم، وبالتالي التحرر من عقدة النقص تجاه الغرب في هذا الجانب.

مسار المستقبل

وكما أن النجاح في تأسيس علم الاستغراب سوف يعيد رسم مسار علم الاستشراق نفسه بعد أن يجد المستشرقون أنفسهم ليسوا الوحيدين على الساحة الذين يدرسون الشعوب وثقافاتها وعقائدها ونتاجها الفكري، فإن تأسيس العلم الجديد سوف يطرح بدوره أسئلة حول مستقبل علم الاستشراق نفسه.

وفي هذا السياق يحاول د.محمود حمدي زقزوق، وزير الأوقاف المصري السابق، رسم مستقبل علم الاستشراق بقوله إن ما سيحدد مستقبل هذا العلم هو استمرار الغرب في تشبثه بمصالحه في الشرق، مؤكدًا أن هناك ارتباطا وثيقا بين مصالح الغرب واهتماماته، وبما أن الغرب لا يزال مهتمًا بمصالحه في البلدان الشرقية ويدافع عن هذه المصالح وهي حقيقة واضحة تؤكدها جميع الشواهد، فليس هناك أي بارقة أمل تلوح في الأفق توحي بأن الغرب على استعداد للتخلي عن هذه المصالح، ما يعني أيضًا أن الغرب سيظل في حاجة إلى الاستشراق، بل سيزداد إلحاح الغرب على المستشرقين ليستمروا في عملهم، ما يعني استمرار الدعم المادي الذي تقدمه الحكومات والهيئات المختلفة لجهود المستشرقين، وبالتالي فإنهم لن يتوقفوا عن السعي لدراسة الشرق وتتبع كل ظواهره الاجتماعية والثقافية والدينية والاقتصادية.

الاستغراب هو محاولة لفك عقدة النقص التاريخية في علاقة الأنا بالآخر



لم يستنفد أغراضه

وهذا ما يؤكده أيضًا د.أكرم ضياء العمري الذي يقول إن الاستشراق لم يستنفد أغراضه بعد، بدليل أن مؤسسات الاستشراق لا تزال تعمل وتدفع إلى الأسواق مئات وألوفا من الكتب كل عام، بل إن النشاط الاستشراقي زاد واتسع برغم أن الاسم الذي كان يطلق على بعض مؤسسات الاستشراق تغير، أو حتى تغيرت بعض مناهج الدراسات وأساليبها وطريقة عرضها فيما يتعلق بقضايا الشرق بصفة عامة والمسلمين بصفة خاصة، بل تتم الاستعانة في حالات كثيرة بباحثين عرب ومسلمين يجدون كل الدعم والمساندة المادية والعلمية من المراكز الاستشراقية التي تطلق على نفسها أحيانًا مراكز دراسات الشرق الأوسط أو الشرق الأدنى أو آسيا وشمال إفريقيا أو أي مسمى آخر.

نهاية علم الاستشراق

من ناحية أخرى، فإن كلمة الاستشراق أصبحت كلمة سيئة السمعة بل ملوثة، وهو ما أثار فزع عدد كبير من المستشرقين الذين أبدوا مخاوفهم من أن تشهد الحقبة القادمة نهاية علم الاستشراق، وهو العلم الذي اتهم في أكثر من مناسبة بأنه خالف شروط البحث العلمي المستنير، وخضع في معظم الأوقات لاعتبارات سياسية لا تستقيم مع أغراض البحث العلمي، وفي بعض الأحيان كان لعدد من المستشرقين ارتباط بدوائر استخباراتية، ما دفع كثيرا من الجامعات الأوروبية إلى إعادة تسمية أقسامها التي تهتم بدراسة الشرق بأسماء أخرى تبتعد عن المسمى المباشر لكلمة «الاستشراق»، لكنها مع ذلك تقوم بالمهمة نفسها من خلال دراسة الشرق والمجتمعات خاصة العربية والإسلامية.

كما لجأت بعض المؤسسات إلى أن تخطط لإنشاء أقسام فرعية لدراسة كل مجتمع من المجتمعات الشرقية على حدة، كحل لهذه الأزمة التي يقول عنها د.محمد خليفة إنها في الأساس أزمة أخلاقية، نتجت عن قبول آباء الاستشراقيين الأوائل لأن تستخدم نتائج بحوثهم التي من المفترض أنها أجريت بحياد وشفافية بواسطة قوى سياسية استعمارية وقوى دينية تنصيرية، وما يؤكد هذا المنحى هو ما تولد عن هذا السلوك الذي اختلط فيه البحث العلمي بالمؤامرات الاستعمارية والتنصيرية من صراع ديني حضاري بين الإسلام من ناحية والغرب من ناحية أخرى، وهو صراع اتخذ في كثير من الحالات شكل الصدام المباشر.

وأشار خليفة إلى أن هناك مظاهر أيضًا لهذه لأزمة وهي في الوقت نفسه أسباب لها، مؤكدا أن هذه الأسباب سوف تعجِّل بنهاية علم الاستشراق، وأول هذه الأسباب التبعية التي يبديها المستشرقون للاستعمار ولحركات التنصير والحركة الصهيونية العالمية، إضافة أيضا إلى سبب علمي ومعرفي آخر يتعلق بتطور العلوم الاجتماعية والإنسانية في الغرب.

بركة وخيريّة السنّة المطهّرة

ثبت في الصحيحين بأنّ المتصدق يكون- بمنّ الله ولطفه- مستروحًا ظلّ صدقته ونسائمها اللطيفة يوم القيامة، كما في حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «كل امرئ في ظلّ صدقته حتى يُقضى بين الناس». قال يزيد: فكان أبومرثد لا يخطئه يوم إلا تصدق فيه بشيء ولو كعكة أو بصلة (الألباني)، و قد ذكر النبي ﷺ «أن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله رجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه» (البخاري ومسلم).



إبراهيم نويري

إذا كان ما ثبت هنا متعلق بثمرات الصدقة في الآخرة.. فإن البشرى بما يترتب على الصدقة وإغاثة الملهوف والمسارعة بالخيرات، قد تُعجّل لبعض الناس في الدنيا، بطريق أو آخر، فيلمسون أثر ذلك في البركة التي تغشى حياتهم، وتحتوش أعمالهم.

ولا بأس في هذا المقام أن أسوق هذه القصة المؤثرة جدا للاعتبار والعمل، وشحن الإرادة بحوافز مسالك الخير، وهي قصة رواها أحد الدعاة على لسان حاج جزائري حجّ قبل سنوات.. فقد حدث بعد الوقوف بعرفة، والنزول بمنى لرمي الجمرات، أن هذا الحاج، ومع اقتراب الفجر، إذا به يرى في منامه رسول الله ﷺ، وهو يقول له «اذهب إلى فلان (ويذكر اسمه) في مدينة كذا، بالجزائر (ويذكر اسم المدينة) وأَخْبِرْه بأن رسول الله يبشرّك بالجنة (أجل بالجنة)!!.. نهض هذا الحاج من نومه مذعورًا، لكنه كتم الأمر وجعله بينه وبين نفسه.. لكن حدث بعد ذلك أمر غريب.. أطاش عقله و أذهبَ توازنه.. لقد تكررت الرؤيا ذاتها، في الليلة الثانية.. ثم في الليلة الثالثة في منى!!.. حينئذ قرر هذا الحاج أن يعرض ما رآه في منامه على بعض أهل العلم، في مكة المكرمة، فنصحوه بأن هذه الرؤيا وفق الصفة المذكورة إنما هي أمانة، ويجب عليه أن يبلغها لصاحبها فور عودته إلى الجزائر.. مرت أيام قليلة بعد ذلك، عاد خلالها هذا الحاج إلى بلده، وبعد لقائه بالأهل والأقارب والخلان الذين جاءوه يباركون له ويهنئونه على أداء مناسك الحج والعودة بسلام وصحة وعافية.. عزم على السفر إلى مدينة الرجل الذي بشره رسول الله ﷺ بجنة الرضوان، ولما وصلها شرع يسأل الناس لعله يجد من بينهم مَنْ يعرفه ويدله على مقر سكناه؛ وكانت المفاجأة الأولى أن أول من ألقى سؤاله عليه على صلة وطيدة بالرجل الذي يبحث عنه، فدله على عنوان بيته، فوصله بعد دقائق، دون عناء، قرع الحاج على الباب وهو يتلهف لرؤية هذا الرجل، صاحب «البشرى العظيمة»، لكن أهل البيت أخطروه بأنه غير موجود في البيت، وأنه في المقهى القريب من المنزل يلعب الورق ويسمر مع بعض ندمائه وأصحابه، وهذه مفاجأة أخرى لهذا الحاج حامل الأمانة العظيمة، لكنها مفاجأة أربكته، وفتحت المجال لبعض الهواجس والوساوس لكي تعبث بضميره ويقينه، وقال في نفسه: رجل يبشره رسول الله ﷺ بجنة الخلد وهو يلعب الورق ويزجي وقته في المقهى بلا فائدة!! وبعد تفكير قليل، شابه قدر من التردد والضعف الذي ينتاب البشر عادة في مثل هذه المواقف، عزم على تبليغ الأمانة لصاحبها.. فهذا كلّ ما طلب منه على أيّ حال!.. لكنه سرعان ما تذكر بعض الآيات التي قرأها في القرآن الكريم، تلك التي ترشد إلى أن الاكتفاء بالحكم على المظاهر وحدها إنما هو خطأ فاحش؛ فأهل النار. مثلا. عندما دخلوها صرخوا متسائلين كما قص علينا القرآن: ﴿وقالوا ما لنا لا نرى رجالًا كنّا نَعُدُّهم من الأشرار. أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار﴾ (ص: ٦٢-٦٣).. والله عز وجلّ أخبرنا أيضا بأن أمر الجنة والنار والجزاء والعقاب يعود إليه وحده سبحانه، كما في قوله عظم في علاه: ﴿ ثُمَّ لنحن أعلمُ بالذين هم أولى بها صليًا﴾ (مريم: ٧٠).. دخل الحاج بهو المقهى بخطى وئيدة متثاقلة

* كاتب جزائري

نوعا ما، وسأل النادل بصوت خفيض: من فضلك أتعرف فلانًا؟

أجــل.. هــو ذاك الــذي يجلس إلى الطاولة رفقة جمع من أصحابه، يرتدي قميصًا أزرق تتخلله خطوط فاتحة متعرجة.

اقترب منه الحاج، وناداه: فلان، من فضلك أريدك لبضع دقائق!!.. وقف الرجل بعد أن استأذن رفاقه.. ثم انتحى به الحاج جانبًا، وبعد التأكد من هويته، قال له: إنني أحمل إليك أمانة عظيمة، ولكنني قبل أن أفصح لك عنها، أريد منك- لوجه الله تعالى- أن تدلني على السر الذي بينك وبين الله.. ظهر الارتباك على الرجل.. غير أنه أصرّ على معرفة الأمانة أولا!! ومع التعجّل والإلحاح قال له الحاج- حامل الأمانة- إن رسول الله ﷺ «يقرئك السلام.. ويبشرّك بالجنة»، ثمّ روى له القصة من أولها.. لم يستطع الرجل السيطرة على الانفعالات التي داهمته سريعا بعنفوان، فانثالت العبرات الحارة من المآقي، وبعد فراغه من حالة الانتحاب التي ألمّت به، باح بالسر لهذا الحاج الأمين؛ فإذا بالرجل قد تنازل عن راتب تقاعده كله لأرملة وأولادها ليس لهم معيل ولا كفيل! وجعل ذلك العمل بينه وبين خالقه، ليكون له ذخرًا هناك عند ربه يوم لا ينفع المرءَ إلاّ ما قدم من خير وعمل صالح؛ بيد أن بشرى ثمار عمله الصالح زُفّت له وهو لا يزال يكدح إلى ربه في هذه الدار الفانية.

وصدق رسول الله ﷺ القائل «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة، وأشار بالسبابة والوسطى» (رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبوداود، من رواية عن سهل بن سعد).

وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله» (رواه البخاري ومسلم وغيرهما من رواة الحديث). يقول هذا الحاج أن صاحبه هذا لم يدخل المقهى منذ تلك اللحظة المباركة، وداوم بعد ذلك على صلاة الجماعة، إلى حين وفاته.. لقد عاش مذْ أن تناهتْ إلى سمعِه تلك البشرى العظيمة، التي يرتقبها كلّ مؤمن بالله واليوم الآخر، لا يفكّر إلا في لقاء الله سبحانه وتعالى وما أعدّه له من نعيم عظيم وجزاء أوفى!

هذه قصة واقعية، آثرتُ إثباتها في هذا الموضع. وهي تصلح مادة لقصة فنية رائعة. فضلا عن الانتفاع بدلالاتها القريبة والبعيدة، لاسيما أن السنة المطهرة مترعة بالأحاديث الشريفة التي ترغّب في عمل الخير والوقوف إلى جانب الضعفاء، وهو مسلك نبيّنا الكريم ﷺ، ﴿لقد كان لكم في رسول الله أُسوةٌ حسنة لمن كان يرجو الله واليومَ الآخرَ وذَكَرَ الله كثيرًا﴾ (الأحزاب:٢١).

إن خيريّة وبركة هذه السنة ترشد المسلم وتبين له بأن عمله الصالح يستمر أثرُه ويطاله نفعُهُ ونضحُهُ في كلّ الأحوال، وإنْ نبت الربيعُ على دمنته، وصارت روحه الطاهرة تمرح في ملكوت ربه جل في علاه؛ والمثال الصريح والمباشر في دلالته على هذا المعنى، الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه: «إذا مات ابن آدم انقطع عملهُ إلاّ من ثلاث، صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له».



لاريب في أن الأمة الإسلامية والأجيال المسلمة الصاعدة الواعدة، لا، ولن، وهيهات أن ينصلح أمرها ويستقيم سيرها، في التربية والتعليم والاجتماع والسياسة والسلم والحرب والعلاقات الإنسانية، وفي كافة آفاق مجالات الحياة.. إلا إذا رجعت لهذه السنة المطهرة، تأخذ من آدابها المشرقة، وعظاتها، النفاذة وتوجيهاتها الحيّة، أي تتعلم من سيرة نبيّها، وتستلهم منهجه ومسالكه، وتستهدي بتعاليمه وتصرفاته وحكمته، في شتى صُعد الحياة وما يطرأ فيها من متغيرات ونوازل واستشرافات مستقبلية.

أجل لا يتحقق لهذه الأمة وأجيالها وشعوبها شيء، إلا إذا التفّت على هذا المنهج التفاف الكواكب الصغيرة على أعظم كوكب وأكثرها إضاءة وإشراقًا، فهذا الأمر ينبغي أن يكون من المسلمات التي تنأى عن كلّ جدال أو مماحكة.

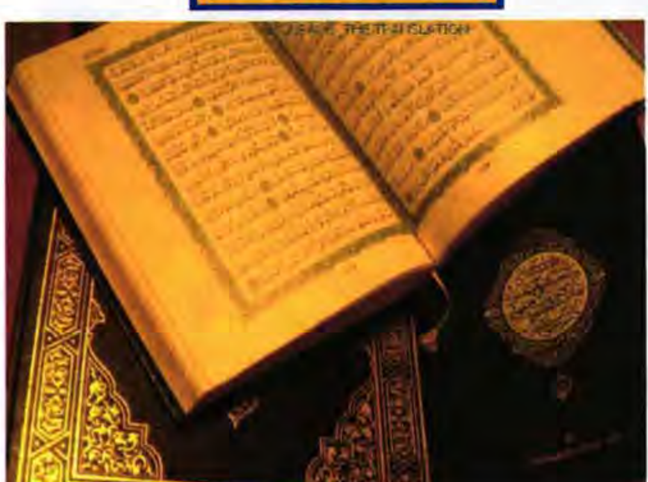
فمنشئ هذه السنة العطرة صاحب قلب تناهت إليه كلّ أمجاد الفطرة الإنسانية الصحيحة، فأضحى زهرة تفوح بأريجها وخيرها وبركتها.. لا يدركها ذبول ولا يخبو لها سنا مع كرّ الأيام والدهور.. وسرّ ذلك أنها من غرس الله.. لتكون رحمة للعالمين.. إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو سبحانه خير الوارثين.

تفسير القرآن الكريم يعني بذل الجهد في الكشف عن مراد الله تعالى من كلامه، حتى يعرف الناس ما يوجهه الله تعالى لعباده من خطاب سواء اشتمل على تحليل أو تحريم، أو سنن كونية، أو سنن في إقامة الدول واستقامة المجتمعات، أو الكشف عن الحكم المبثوثة في القرآن حتى يستفيد الناس منها جميعا، مسلمهم وكافرهم، ويسمى الكتاب الذي ضمن صحائف القرآن التي كانت متناثرة المصحف، لأنه يحوي صحائف القرآن، فآيات الله تعالى هي القرآن، وجمعها في كتاب واحد يسمى مصحفًا.

نحو تفسير حضاري للقرآن الكريم

د.مسعود صبري

القرآن هو دستور المسلمين في حياتهم، بل عند التحقيق هو دستور البشرية، لاشتماله على مبادئ تجعل الحياة أكثر استقامة من خلال القوانين والقواعد التي تحكم السلوك البشري، وتلك القواعد التي تعد أطرًا عامة لتنظيم العلاقة بين الحكومات وشعوبها، والدول فيما بينها، أو ما يعرف بالعلاقات الدولية، وكذلك العلاقات الأسرية فيما بين الزوج والزوجة والأبناء والأجداد والأصهار والأقارب والجيران والزملاء والأصدقاء، كما أن فيه قواعد تنظم الحياة الاقتصادية بدءا من التعامل مع الموارد الطبيعية، وضوابط الكسب والعمل والبيع والشراء، وقواعد العمران الحضاري، وتلك القواعد لا يستقل بها المسلمون دون غيرهم، إنها قواعد صالحة لأن يطبقها المسلم والكافر فتستقيم حياة الأفراد والشعوب والدول، ولو لم يكونوا مؤمنين بهذا القرآن، إذ القرآن هو آخر كلمة الله تعالى لأهل الأرض جميعا، ومن هنا وجدنا خطاب الله تعالى للبشرية فيه، كما هناك خطاب الله تعالى للمسلمين، وهناك مستوى ثالث هو خطاب الله تعالى لغير المسلمين، وعلى كل، فعند التحقيق سيجد كل إنسان خلقه الله تعالى بغيته في هذا القرآن، وإن لم يكن به من المؤمنين.



ولهذا كان من المهم الاهتمام بتفسير القرآن الكريم لمعرفة تلك القواعد والضوابط، واستخراج تلك العوامل الحضارية للبشرية، وإن استصحاب هذا الفهم لجدير أن يولد لنا خطابًا تفسيريًا جديدًا، بل ربما ولد لنا نوعًا جديدًا من التفسير.

مجال الاجتهاد في التفسير

ومن الحكمة أن يدرك الناس أن هناك فرقًا بين القرآن الكريم ككلام الله تعالى، وبين التفاسير التي تناولته، فهي في غالبها جهد إنساني، وإنتاج بشري، في محاولة لفهم مراد الله تعالى من كلامه، ويستثنى من ذلك ما فسره الرسول صلى الله عليه وسلم، أو ما كان ظاهر الدلالة ونحوه مما لا مجال للاجتهاد فيه، ولهذا يبقى للقرآن قدسيته، ويبقى للتفسير تقديره واحترامه، الذي لا يمنع من نقده من ناحية، والإفادة منه من ناحية أخرى، ولكن هذا النقد لا يكون بالتشهي ولا بالهوى، ذلك أننا نتحدث عن علم، وكل علم له قواعده وأصوله، فكل من تحصل القواعد والأصول، وصارت عنده دربة التفسير فله حق التفسير، فليس لكلام الأقدمين قدسية ولا كهنوت، ويكون العلم- ومنه تفسير القرآن- رحمًا بين أهله، ومن مزايا القرآن كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم «ولا يخلق من كثرة الرد»، فكلما نظرت فيه العقول مرة بعد مرة، تولد منه معاني لم تكن معروفة من قبل، ليبقى كتاب الله تعالى معجزًا لجميع الأجيال.

ولا شك أن عمل المفسرين قد تأثر- في عديد من الأحوال- بالظروف المحيطة، وربما كان هناك تأثر بالبيئة، وبالعوامل الثقافية والفكرية لكل مفسر، ولهذا وجدنا تنوعًا ضخمًا من التفاسير تعددت أشكالها وألوانها من حيث المنهج العام، ومن حيث التفسير التحليلي للآيات آية آية.

وفي الوقت الذي نقول فيه إن تفسير القرآن من حيث الجملة ليس مقدسًا، وإنه قابل للمراجعة، فإن هذا التفسير

* باحث في المركز العالمي للوسطية - الكويت

ليس ملكًا لكل أحد دون امتلاك أدواته، ولا نعني بهذا أن يكون المفسر خريج كلية متخصصة في تفسير القرآن، ولا أن يعرف أنه خريج مؤسسة ترى أن من حقها وحدها امتلاك تفسير النص القرآني، كلا، ولكننا نقصد أن يمكن الذي يريد أن يخوض غمار التفسير نفسه من امتلاك أدوات تلك المهنة والصنعة، وإن لم تكن وظيفته في المجتمع وظيفة دينية، المهم أن هناك معايير للصنعة كباقي الصناعات، وتفسير القرآن صناعة من أجلِّ الصناعات الفكرية والثقافية.

على أنه من المهم أن ندرك أنه ليس كل القرآن يحتاج إلى تفسير، فهناك آيات لا تحتاج إلى عالم ولا إلى متخصص، فكما أشار ابن عباس- رضي الله عنه- إلى صنوف من التفسير، منها ما يعرفه كل أحد، وذلك أن القرآن هو خطاب الله تعالى لكل إنسان، ومنها ما يعرفه من أحاط باللغة العربية، لأن القرآن نزل بهذه اللغة، وقد كان تفسير القرآن في عصر النبوة قليلا، لأن الصحابة وكذلك التابعون كانوا على درجة فائقة من اللغة، ولكن لما بَعُد عهد الأمة باللغة، وانحدر مستواها عند أبنائها احتاج الناس إلى أن يعرفوا تفسير ما كان يفهمه أجدادهم وسلفهم سليقة دون جهد أو عناء، ومن القرآن ما لا يعرف تفسيره إلا العلماء، وهذا الذي نقول فيه بامتلاك الأدوات كأية صنعة، ومن القرآن ما لا يعرف تفسيره وبيانه إلا الله، وهو عدد قليل جدًا، غالبه يتركز على الحروف المقطعة التي تكون في بدايات عدد من السور، مثل «الم» «حم» «المص» «كهيعص» «الر»، وهكذا، ولا يعني هذا أنه من الأحاجي والألغاز، لأن العلماء تحدثوا عن تلك الحروف، وقالوا: إن المراد منها بيان إعجاز القرآن، وإنه يتألف من حروف العربية التي تتكون منها لغة العرب، ومع هذا فهم عاجزون عن إنشاء آية أو بعض آيات، ولكن القطع بمراد الله فيها لا يعلمه إلا الله تعالى.

وإن كنا نعتبر التفسير لونًا من ألوان الاجتهاد مع امتلاك أدواته، فهناك ما لا يدخله اجتهاد أو نقد أو مراجعة، وذلك أن القائم بالتفسير متنوع، أعلاه مرتبة أن القرآن يفسر بعضه بعضًا، وفسر النبي صلى الله عليه وسلم عددًا من الآيات، كان الصحابة رضوان عليهم يسألون النبي عنها، فيجيبهم، وكثير منها مجموع في كتاب «إعلام الموقعين عن رب العالمين» للإمام ابن القيم، كما أنها منثورة في كتب التفسير، خاصة ما يعرف منها بالتفسير بالمأثور، كتفسير الإمام ابن جرير الطبري، وتفسير ابن كثير وغيرهما، ثم هناك تفسير الصحابة الذين عايشوا الوحي وكانوا أهل لغة بالسليقة، فهؤلاء تفسيرهم مقدم على غيره، ثم يجيء تفسير غيرهم، على أنه من الصواب أن نقول أيضا: إن هذه الأنواع الأول من التفسير يدخلها الاجتهاد أيضا، فتفسير القرآن للقرآن إن كان قطعيًا فلا مجال فيه للاجتهاد، أما إن كان فيه بذل جهد لتوفيق الآيات فيما بينها، فهذا يدخل فيه إعمال العقل مع أدوات التفسير، وكذلك تفسير النبي صلى الله عليه وسلم إن كان قطعيًا، فهو خارج الاجتهاد، أما إن كان كلام النبي صلى الله عليه وسلم يحتاج إلى شرح وإيضاح فيدخل فيه الاجتهاد من أهله وفي محله.

من الحكمة أن يدرك الناس أن هناك فرقا بين القرآن ككلام الله وبين التفاسير التي تناولته

ولا شك أن إسقاط التفسير على الواقع يحتاج إلى معرفة لفقه الواقع، على أن تكون التفاسير السابقة بمنزلة المراجع والمصادر لبحث مسألة جديدة، فيفيد المفسر منها، ويستبعد ما يراه غير موافق لمقاصد الشريعة وروحها، وما هو بعيد عن واقعنا بما يحافظ على قدسية كلام الله تعالى، وأن ينزِّل أحسن المنازل، مع استشعاره أنه حين يفسر القرآن أنه يقول: إن مراد الله تعالى من كلامه هو كذا.

الحاجة إلى التفسير الحضاري

وإذا كان كثير من المفسرين في القديم اهتموا بجمع المرويات، أو ما يعرف بالتفسير بالمأثور، أو أعملوا العقل بأدوات الشرع، وهو ما يعرف بالتفسير بالرأي، ومنهم من اهتم بالجانب اللغوي، فخرجت تفاسير لغوية، وخرجت كذلك تفاسير بلاغية، وتفاسير تهتم بالأحكام التشريعية من بيان الحلال والحرام أو ما يعرف بـ«تفسير آيات الأحكام»، وهناك التفاسير الإعجازية التي تهتم بالإعجاز القرآن، حتى التفاسير الإشارية، التي تهتم بالإشارة والكشف وغير ذلك مما يختص به أهل التصوف، فما أحوجنا إلى تفسير حضاري ينظر إلى مقاصد القرآن، ويخرج لنا قواعد البناء الحضاري والاهتمام بالسلوك البشري في فهم دقيق وعميق، مستوعب لما سبق من تفاسير متنوعة، وعينه على حاضر أمته، يلملم شتاتها، ويضمد جراحها، ويشد من أزرها، فيجد فيه كل مسلم بغيته ودوره في بناء مجتمعه الصغير في بلده، ومجتمعه الكبير في أمته المسلمة، ومجتمعه الأكبر.

وهو تفسير ينطلق من مكانة ووظيفة هذه الأمة بين الأمم، انطلاقًا من تلك الخيرية التي وهبها الله تعالى إياها، والشهود على تلك الأمم، والأدوار المنوطة والوظائف الواجب أداؤها على الأمة من حيث الجملة، ثم تفصيلها على قطاعات المجتمع المسلم المتعددة حتى نصل إلى أن يعرف كل فرد مسلم دوره الحضاري في مجتمعه المسلم، وفي المجتمعات الأخرى، من خلال منهج قرآني يعيد للقرآن دستوريته ومرجعيته بين الأمة بجميع أطيافها، ويعيد النصاب لتلك الأمة بين الأمم فعلًا حضاريًا، واستشرافًا مستقبليًا، وتصحيحًا للمسار، وإصلاحًا للمعوج، وبناء للمجتمعات على أساس من التقوى.

وهذا التفسير- في نظري- يجب أن تتكامل فيه أدوار المفسرين مع الفقهاء مع أهل التاريخ والحضارة والعلوم الاجتماعية حتى يستوي على عوده ويؤتي ثمرته بإذن ربه ﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾.



الفساد آفة الأمم

تعيش الأمم في عصرنا الحاضر حالات من الفساد الذي عمّ شتى مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية وغيرها، الأمر الذي انعكس سلبًا على أحوال الشعوب - المتقدمة منها والنامية - حروبا وأزمات طاحنة استبد فيها القوي بالضعيف واستغل فيها الغني الفقير، وحلت الرذائل والمبادئ الفاسدة مكان القيم والأخلاق الفاضلة وظهرت البلايا والنكبات والمصائب، ومحقت البركات وطفف الميزان والمكيال في المعاملات وتسنم الفاسدون مقاليد الأمور وأبعد المخلصون الصادقون وتأصلت في النفوس جذور الحقد والكراهية، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾ (الروم: ٤١).

لقد حاولنا من خلال هذا الملف الذي نضعه بين أيدي القراء تسليط الضوء على هذه الآفة الخطيرة وسبل الخروج منها على أساس من الكتاب والسنة، حيث تناولها العلماء والفقهاء بالتفصيل في كتبهم وأبحاثهم ودراساتهم واضعين نصب أعينهم قول الله تعالى:

﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾ (طه:١٢٤) وقوله ﷺ محذراً من الخصال التي تؤدي إلى الفساد:

«يا معشر المهاجرين، خصال خمس إذا ابتليتم بهن ونزلت بكم وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة، وجور السلطان ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدوا من غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم» (رواه البزار وابن ماجه والبيهقي).

التحرير

الأولوية الشرعية لتطهير البلاد من الفساد

د. جاسر عودة

الذين يضحون بأرواحهم في سبيل رفع الظلم وإصلاح ما فسد من الأحوال شهداء عند الله تعالى، بل وفي أعلى منازل الشهداء. وهذا ليس من عندي ولا ينبغي أن يكون من عندي، وإنما هذا من نص حديث رسول الله ﷺ. فقد أخرج الحاكم في المستدرك وصححه، وابن عبدالبر في التمهيد، عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»، وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: «سيد الشهداء يوم القيامة حمزة بن عبدالمطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فنهاه وأمره فقتله»، وكذلك روى أبوداود، وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري قال: قال ﷺ: «أفضَل الجهاد كلمة عَدْل عند سلطان جائر أو أمير جائر». وأخرج الترمذي -وحسنه- عن أبي سعيد الخدري أن النّبي ﷺ قال: «إن من أَعْظم الجهاد كلمة عدْل عند سلطان جائر».

لكن البعض أحيانا ينظر إلى المسائل بنوع من الشكلية والحرفية. فلابد عندهم أن يموت المسلم في حرب بين المسلمين والكفار حتى يكون شهيدا في سبيل الله. وهذه الصورة النمطية لا تلزم لأن النبي ﷺ نص على أن ذلك الرجل الذي قام إلى الإمام الجائر الظالم ليقول «كلمة عدل» أو «كلمة حق» حتى يغير الظلم إلى العدل ويغير الفساد إلى الإصلاح، هو في منزلة حمزة رضي الله عنه. والعدل والحق والإصلاح مفاهيم قرآنية لها معان ودلالات معينة.

وإقامة العدل وإصلاح ما فسد من الأمور من القيم الإسلامية الأصيلة. ولكن من أين نبدأ؟ والجواب: إن الأولوية الشرعية هي لتطهير البلاد والعباد من الفساد والفاسدين. والأولوية معناها يتعلق بتنظيم بذل الجهد والوقت والمال على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة وعلى مستوى السياسات وصنعها كذلك.

فهناك قاعدة شرعية نصها: درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وهذه قاعدة أولويات، بمعنى أنه قبل أن نسعى إلى تحقيق المصالح والمقاصد الشرعية، لابد من إزالة المفاسد والمنكرات – الأكبر فالأصغر. ومثل ذلك أنه لابد للإنسان المريض

* أكاديمي مصري مقيم في قطر







مثلًا أن يشفى أولًا قبل أن يمارس الرياضة وأن يسبح ويجري، ولو كان مريضًا بمرضين أحدهما أخطر وأضر من الآخر، فلابد من مواجهة المرض الخطير أولًا ثم المرض البسيط. وهذا ترتيب بدهي، وهو يتسق مع القوانين والسنن الإلهية في خلق هذا العالم ومع التفكير المنطقي عند العقلاء.

والأولوية في إزالة الفساد لابد أن تكون لتغيير أنفسنا قبل تغيير العالم من حولنا. فالتغيير كذلك تحكمه قوانين وسنن ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم في مواضع كثيرة، كمثل قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (الرعد: ١١). هذا قانون لا يتخلف، مثل قوانين الفيزياء والطبيعة والجاذبية وحركة الشمس والقمر. وبالتالي لن يحدث تغيير حقيقي في أي مجتمع إلا بعد أن يتغير ما بداخل هذا المجتمع ويتطهر من الفساد والأمراض. ولا ينبغي أن تلفتنا القضايا الجانبية المفتعلة وغير المفتعلة عن أولوية التخلص من كل الجراثيم والنقاط السوداء في المجتمع وإعطاء ذلك أولوية.

الأولوية في إزالة الفساد لابد أن تكون لتغيير أنفسنا قبل تغيير العالم من حولنا

ولنبدأ بما يسمى في الشريعة بـ «رد المظالم». وهذا يعني أن كل من ظُلم لابد أن نرد له حقه. وهذه لا تحتاج إلى مراحل أو ستة أشهر أو خمس سنوات، لأن رد المظالم هذا يمكنه أن يتم فورًا وبقرارات سريعة. ولكن، ما معنى رد المظالم وإقامة العدل؟ هل معنى العدالة أن نتساوى جميعًا في كل شيء؟ يعني أن أتساوى مع كل الناس فيما آكل وأشرب وألبس، إلى آخره؟ لا. العدالة هنا معناها أن نتساوى في الحقوق الأساسية، بمعنى أن أضمن الحق الأساسي لنفسي وللجميع، وهذه الحقوق الأساسية تتعلق ببعض المعايير، هي في الإسلام مقاصد الشريعة الإسلامية التي نزلت الشريعة لتحقيقها في دنيا الناس، من حفظ للدين والنفس والعقل والنسل والعرض والمال، بمعنى حفظ أساسيات هذه المصالح والمعاني.

فكل ما أضر وأخل بهذه الأساسيات والحقوق، لابد من إعطاء الأولوية لإزالته. فيكون ديني محفوظا إن كنت مسلمًا لا يتعدى عليه أحد، ولغير المسلم حرية الاعتقاد. ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ (الكهف: ٢٩)، وأصل المال بمعنى أنه إذا نزل الناس عن ما يسمونه حد الفقر في مجتمع ما نتيجة للسرقة والاختلاس واستغلال المناصب والنفوذ فهذا له أولوية في التطهير والتصحيح. والعِرض من الحقوق التي يجب الحفاظ عليها من الانتهاك والاعتداء، هذا طبعا فضلا عن التعذيب والقتل، وكل ما كان من هذا الباب له أولوية في القصاص والتعويض. وهكذا.

البناء صعب، ولذلك لا ينبغي لنا أن نبني وعندنا من عوامل الهدم ما عندنا، والهدم سهل ولا يحتاج إلى الوقت والجهد الذي يحتاجه البناء. إذن لابد في واقع عالمنا الإسلامي اليوم من استكمال الشوط في تطهير المجتمعات الإسلامية من الفساد بكل أشكاله وصوره قبل الحديث عن البناء والتغيير.



العدل.. الطريق الأمثل للقضاء على الفساد

محمود علي محمد

لئن كان لبعض الأحداث ذكريات في النفس تظل محفورة في الذاكرة لا يجرؤ الزمن على محوها مهما تقدمت، وهي تطل بين الفينة والأخرى، كلما عبرت المجال الفكري أو البصري أمثالها أو نظائرها، فإن لبعض الكلمات وقعًا ورنينًا- أيضًا- يحدث داخل النفس موسيقى عذبة شجية، خاصة إذا ما كانت صدى لأمر جلل أو حدث مؤثر. ومن أرق تلك الكلمات عذوبة وأشجاها لحنًا وأحلاها جرسًا، كلمتان خفيفتان على اللسان قويتان في المعنى والبنيان لطالما سمعناهم وسنظل ما سترت العدل أقلامنا، ونطق الحق على ألسنتنا، وما دمنا نستشعر عظم وجلال الرسالة التي نضطلع بها «يحيا العدل».

يحيا العدل، هتاف تنطلق به أفواه لطالما كممها ظلام الصمت وصوت الظلم، فتاقت لبريق الحق، واثقة به وبأهله، ومتذرعة بسنن الكون، وأنه مهما أوتي الباطل من زخرف القول ولحنه، ومهما قوي عوده واشتد فلابد يومًا أن ينكسر ويندحر لتشرق أضواء العدل المبهرة محطمة حجب الظلم وأستاره، فلن تحول دون شمس العدل غيوم الباطل، فما أن تنطلق كلمات الحكم بالعدل حتى يدوي الهتاف كالرعد مجلجلًا يزلزل الأركان، فتهتز له المشاعر وتسمو معه الأرواح في لحظة أسمى ما تكون فيها المشاعر وأصدق ما تكون الأحاسيس.

وكيف لا؟ وقد أنصف مظلوم، أو أعيد حق مهضوم طال انتظاره وعز طلبه، فكانت الكلمات أصدق تعبير عن خلجات النفس البشرية التي فطرها الله على العدل.

فالعدل معنى جليل، تطمئن إليه النفوس، وترتاح إليه الأفئدة، وتنطلق به ملكات الإنسان الآمن على نفسه وماله وعرضه، فيبدع وينتج، ويسهم في حل المشكلات التي تعوق مسيرة أمنه وتعرقل نهضتها.



فمنذ كان الإنسان، وأنى يكون، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، كان العدل وسيبقى، حلم حياته، وأمل مفكريه، وجوهر شرائعه، وسياج أمنه، ورائد ركبه على طريق الأمن والرخاء، وصانع الحضارات وحارسها، وهدفًا مرموقًا ومأمولًا لنضال صنوف لا تنتهي من الشهداء والشرفاء، ولم تخمد لهم جذوة، عبر أجيال غير ذات عدد(١).

أعظم مهمة

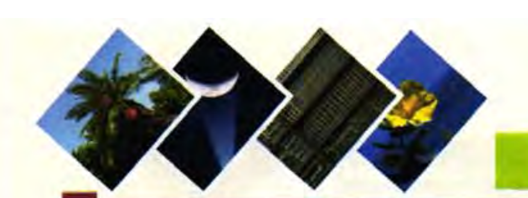
إن توافق الكلمات مع المعاني شيء عظيم، وإن تطابق المعاني مع المباني لشيء أعظم، فما أروع أن تتسامى عدالة البشر لترسي في الأرض عدالة السماء، إنها لحظات فوق أن توصف وأعظم من أن تكشف، إنها بحق تجليات ربانية على فئة من خلقه اصطفاهم لأداء أعظم مهمة، هي رسالة السماء إلى الأرض التي أقامها الحق منذ خلق السموات والأرض، وقال: ﴿والسماء رفعها ووضع الميزان. ألا تطغوا في الميزان. وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾ (الرحمن: ٧-٩).

العدل مطلب إنساني

إن الشعور بالرغبة في العدل كان قائمًا في النفس البشرية منذ أقدم عصور التاريخ، فروح العدل مستمدة من غريزة الاجتماع ذاتها، لذلك كان العدل أساس أي صرح اجتماعي ومحوره وغايته، فالإنسان القلق على وجود ذاته، أو على حريته أو عرضه أو ماله لا ترجى منه ذرة من خير لمجتمعه، لأنه يكون حينذاك فاقدًا للثقة في المحافظة على حقه الطبيعي في الأمن والحرية، ومن ثم يتولد في نفسه الشعور بمرارة الاغتراب في وطنه.

وإذا كانت الحضارة المصرية قد سبقت الحضارات الأخرى بألوف السنين، فإنها بداهة قد سبقتها بكل ما شكل أسسها ودعائمها ومظاهرها، ولقد كان العدل هو أحد أهم الأسس التي قامت عليها هذه الحضارة (٢).

• باحث دراسات إسلامية







ويتجلى مفهوم العدالة الذي استقر في الوجدان المصري آنذاك، في الخطاب الذي وجهه تحتمس الثالث إلى «رخمارع» بمناسبة تعيينه وزيرًا (vizir)، وكان الوزير يشغل بحكم منصبه كبير القضاة، يقول الفرعون: «لا ينبغي محاباة الأمراء والموظفين، ولا ينبغي استعباد كائن من كان، عندما يأتي شاكي من مصر العليا أو السفلى من واجبك العمل على أن يتم كل شيء طبقًا للقانون، أن يحصل كل على حقه، لا ينبغي أن يكون باستطاعة من فصل في دعواه أن يقول «لم أمكن من الحصول على حقي»، إن ما يحبه الإله هو أن يتحقق العدل، وإن ما يمقته الإله هو أن يحابى طرف على الطرف الآخر، انظر إلى من تعرفه كما تنظر إلى من لا تعرفه، ولا ترد شاكيًا قبل أن تستمع إلى قوله، ولا تستشط غضبًا ضد إنسان بلا مبرر (٣)».

إنه خطاب تكليف بمهام الوزارة والقضاء، حمل كل معاني المساواة والعدل بين البشر مهما كانت مسمياتهم أو وظائفهم أو مكانتهم.

لقد صور فنان قديم العدالة بأنها

ما أروع أن تتسامى عدالة البشر لترسي في الأرض عدالة السماء

امرأة معصوبة العينين ممسكة بيد سيفًا وبالأخرى ميزانًا، إنها معصوبة العينين لا ترى البشر فلا تميز بينهم، لا تجور على عدو بغيض ولا تحابي صديقًا،لا يميل فؤادها متأثرًا بما تراه عينها إما حبًا أو كُرها، ثم هي ممسكة بسيف الحق تقطع الباطل به، وتمضي به على أعناق الآثمين، إنها علامة بارزة وشعار يزين واجهات كافة دور المحاكم، حقا لقد أفلح الفنان وعظم المكان، فما أجمل أن يرتسم هذا الشعار النبيل على دور العدالة يعلوه قول الحق تعالى ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾، إنه وازع اطمئنان ومبعث أمان لكل من تلج قدماه أعتاب المحاكم.

العدل في القرآن الكريم

العدل هو اسم من أسماء الله الحسنى تقدست أسماؤه، والعادل صفة من صفات الحق جل في علاه تنزهت عن التأويل والتبديل صفاته، وقد أمر سبحانه عباده به فقال تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾، وهو والقسط صنوان، قال تعالى في أهلهم ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ (المائدة:٤٢)، وقد تكررت هذه الفاصلة القرآنية في المصحف الشريف ثلاث مرات.

ولقد وردت كلمات العدل والقسط والميزان ومشتقاتها ما يزيد على ٧٠ مرة في القرآن الكريم بسوره المتعددة بما يدل على اهتمام الشارع الحكيم به والحث على إقامته، يقول تعالى: ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾ (الأنعام: ١٥٢)، ﴿يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيًا أو فقيرًا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ...﴾(النساء: ١٣٥) ﴿يأيها الذي آمنو كوانو قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلو هو أقرب للتقوى....﴾ (المائدة: ٨). ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل....﴾ (النساء: ٥٨)، ﴿وإن



حكمت فاحكم بينهم بالقسط...﴾ (المائدة: ٤٢).

العدل والعدالة في نفس القاضي

والعدالة هي إحدى الفضائل الأربعة التي قال بها الفلاسفة من قديم وهي: الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة، يقول محمد بن حزم في كتاب الأخلاق واليسر: العدل حصن يلجأ إليه كل خائف، وذلك أنك ترى الظالم إذا رأى من يريد ظلمه دعا إلى العدل وأنكر الظلم حيئنذ وذمه، ولا ترى أحدًا يذم العدل، فمن كان العدل في طبعه فهو ساكن في ذلك الحصن الحصين.

ولا يدرك قيمة العدل ويستشعر سموه، ويستشرف معناه إلا من ذاق مرارة الظلم واكتوى بناره، والعدل واحد في جوهره لا يتجزأ، وإن تعددت مراتبه وتباينت مظاهره، ويقولون مراتب العدل ثلاثة: عدل مطلق، عدل جامع، وعدل ذاتي.

العدل المطلق

هو مبدأ الحق كله والمساواة كلها، إذ به تقوم الحياة، وتتلاقى أطراف الوجود وتنسجم الأضداد، وهو منة الخالق على مخلوقاته، عنه- سبحانه وتعالى- تصدر أنواره وبقدرته تقام موازينه، فإنه عز وجل حرَّم الظلم على نفسه وأمر عباده بالعدل، ﴿وتمت كلمةُ ربك صدقًا وعدلًا لا مبدل لكلماته...﴾(الأنعام: ١١٥)، وفي الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا».

العدل الجامع

وغايته تساوي الناس في التعايش، وعلامته أن تستقيم الأحكام ويسود الإنصاف، وتطمئن القلوب للحق وطلابه، يقول تعالى: ﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل... ﴾ (النساء: ٥٨)، ﴿وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط﴾.



العدل الذاتي

وقوامه أن يعدل المرء مع نفسه بأن يأخذ لها بقدر ما يعطي منها من غير تجاوز، ولا إفراط أو تفريط، فإن الظالم لنفسه المنقاد لهواها حري بظلم غيره والتطاول عليه بالعدوان، يقول تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾ (النساء: ١٣٥).

والعدل حق مقدس لكل البشر، يمارسون في ظله حياة آمنة مستقرة، وهو في أي أمة أعظم سمات حضارتها وعماد تقدمها، وإذا كان تأمين العدالة هو مسؤولية الحاكم، فإن تحقيقه هو جوهر رسالة القضاء، وإذا كانت الأمم تحيا بأخلاقها وتخلد حضارتها بسمو العدل فيها، فإنه بقدر ما يمتد سيف العدالة ظلًا وحماية للحاكم والمحكوم، بقدر ما ينحسر الظلم، فتبقى دائمًا كلمة الحق هي العليا (٤).

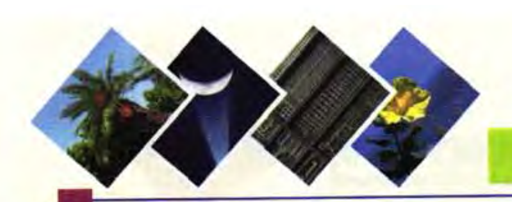
لا يدرك قيمة العدل إلّا من ذاق مرارة الظلم واكتوى بناره

القضاء موطن العدل

يهرع الناس جميعًا إلى ساحة القضاء يلتمسون فيه العدل والنصفة، وهم عنده سواء، لا يرهب أحد لقوته، ولا يستخف بحق أحد لهوانه، وضعف حيلته، لا شريف أمامه ولا مشروف.

ويقول د.كامل عبيد: وإذا كان القضاء هو موطن العدل بمضمونه وفحواه، وهو إليه الطريق والأداة فإنه بهذا يغدو في كل أمة من أعز مقدساتها وأغلاها، ويضحى مقومًا من أعلى مقومات تراثها وحضارتها وأسماها.

والقضاة هم ضمير أمتهم ورمز إرادتها، وصدى وجدانها ومعقد رجائها في إعلاء كلمة الحق والعدل، التي أودعها خالقهم أمانة مقدسة





بين أيديهم، لينطقوا في أمرها- بعد جهد وعناء- بكلمة فاصلة، مانحة مانعة، لأنها كلمة الحق جل وعلا يجريها على لسان من استخلفه من عباده ليؤدي رسالته على الأرض بميزان قسط.

فالقضاء قبس من نور الله الحق العدل المبين، لأنه القوَّام على إرساء العدل، وبه بعث أنبياءه ورساله ليقيموا حجته على خلقه، يقول تعالى: ﴿إنا أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ (النساء: ١٣٥)، فالكتاب والميزان قد نزلا من عند الله أعدل الحاكمين، وبهما بعث الأنبياء والرسل، واستخفلهم وأتباعهم في الأرض، ليعلوا كلمته، ويقيموا حكمه، ويحققوا عدله الذي أقام به السموات والأرض.

يقول صلاح عبدالصبور في مأساة الحلاج: «إن القاضي لا يفتي بل ينصب ميزان العدل، لا يحكم في أشباح بل في أرواح أغلاها الله إلا أن تزهق في حق أو إنصاف، الوالي والقاضي رمزان جليلان للقدرة والحق لا تدنو من مرماها أفراس القدرة لا تبلغ غايتها إلا إن أمسك فرسان الحق بزمام أعنتها».

ويقول «ميرابو» خطيب الثورة الفرنسية: الناس في حاجة إلى القضاء ما عاشوا، فإذا فُرض عليهم احترامه لزم أن يحسوا بأنه محل ثقتهم وموضع طمأنينتهم.

حقيق أن القضاة موقفون على أمر جد خطير مسؤولياته كُثر، وتبعاته جسام، لن يصبوا لذراه الرفيعة وغاياته السامقة إلا إذا تسربلوا بقيمه، وأشربوا مبادئه وتجلى فيهم ذلك القبس النوراني الكامن في أغوار النفس التي فطرها الخالق سبحانه على العدل.

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رسالته إلى أبي موسى الأشعري: إن القضاء في مواطن الحق مما يوجب به الأجر ويحسن به الذكر، فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين بما ليس في نفسه شانه الله، فإن الله لا يقبل من العباد إلا ما كان خالصًا، فما ظنك بثواب عند الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته (٥).

هكذا أوجز أمير المؤمنين عمر جوهر رسالة القاضي، وثواب إخلاصه في عدالة السماء حين تهبط على الأرض فتغمرها عدلاً.

وبالعدالة الأرض حين تنطق الأفواه بها هاتفة، يحيا العدل، وبالعزة من أحبهم الله لعدلهم، وخسئ الظلم وخاب أهله وصدق الحق سبحانه: ﴿... وقد خاب من حمل ظلمًا﴾ (طه: ١١١).

فليحي العدل.. قيمة عليا وهدفًا أسمى لكل من ولّي الحكم على الأرض.. وليحي العدل نبراسًا ومنهجًا وطريقًا لمن اصطفاهم الله لأداء رسالته بين الناس.

وليحي العدل شعارًا خفاقًا هادفًا مدويًا يسحق بنبراته المزلزلة كل جبار وظالم، وترجف منه قلوبهم وترتعد على صدور الظالمين فرائصهم وتصم آذانهم.

وليحي العدل في كل ذرة من كريات دم كل قاض، ينبض به قلبه، تعلو به هامته، تزداد به مكانته، ويعظم به أجره، فليحي العدل في نفوسنا، في قلوبنا، في وجداننا ما حيينا، نتنفسه كالهواء يروي أجسادنا كالماء.. فليحي العدل.

الهوامش

١-المذكرة الإيضاحية لقانون المرافعات المدنية والتجارية المصري رقم ١٣ لسنة ١٩٦٨.

٢- د.فتحي نجيب، التنظيم القضائي المصري، ص ١٩٩.

٣- د..محمود سلام زناتي، تاريخ القانون المصري، ص ٨٩.

٤ - د.محمد كامل عبيد، استقلال القضاء، ص ١٥ وما بعدها (بتصرف يسير).

٥- وردت الرسالة بالعديد من المؤلفات منها: عيون الأخبار لابن قتيبة، مقدمة ابن خلدون الأحكام السلطانية للماوردي، مناقف عمر بن الخطاب لابن الجوزي وغيرها.



تعد مسألة المحافظة على أمن المجتمع وسلامته إحدى المسائل الأساسية والمهمة التي أولاها الإسلام عناية خاصة ومميزة، ذلك لأن الله عز وجل أراد لعباده أن تكون حياتهم آمنة مستقرة، والأمن المجتمعي يعني: أن يكون الفضاء العام للمجتمع متسمًا بالاستقرار والهدوء، مع وجود القانون الذي يعطي كل ذي حق حقه، ويعني أيضًا اختفاء كل العوامل والأسباب التي تؤدي إلى غياب الطمأنينة والسكينة عن نفوس جميع أفراد المجتمع ومختلف شرائحه.

الإسلام والأمن المجتمعي

أ.د. أمان عبدالمؤمن قحيف *

الأمن المجتمعي خاصية تتصف بها المجتمعات المتحضرة والأمم المتقدمة، فأنت لا تجد أمة متخلفة علميًا وتكنولوجيًا تنعم بتوافر الأمن والهدوء لأفراد مجتمعاتها، تمامًا مثلما يعز عليك أن تجد أمة نجحت في ارتياد آفاق التحضر والرقي وتعاني في الوقت نفسه من غياب الأمن المجتمعي الذي يحقق السكينة لكل أفرادها، وتعد المجتمعات الأوروبية والأميركية المتقدمة وبعض المجتمعات الأفريقية المتخلفة علميًا أوضح الأمثلة على ذلك.

ولما كانت العبادة السليمة لا تتحقق، شأنها شأن عمارة الأرض، إلا في ظل جو من الأمن المجتمعي فقد حرص الإسلام الحنيف أشد الحرص على أن يتوفر للناس أمنهم، ويتوفر لهم الجو المناسب الذي يضمن فيه الإنسان صيانة ماله وعرضه وولده من التلف أو التعرض للمخاطر.

ويتبين للمدقق في تعاليم الإسلام الحنيف وتشريعاته أنها تصب في النهاية في مصلحة أن يعيش الناس في جو من السكينة والاطمئنان النفسي والروحي، فالله تعالى عندما حرم الزنا- مثلا- أراد من ذلك ألا يحدث أي نوع من التطاول أو الاعتداء على أعراض الناس، لأن ذلك يؤدي إلى اندلاع الخلافات والمشاحنات بينهم، ويؤدي أيضًا إلى

* باحث أكاديمي

إذا قسمنا الأمور إلى «منكر» «ومعروف» فإن ترويع الناس وتخويفهم يقع ضمن المنكر

ضياع الأنساب وانتشار الأمراض المستعصية- كالإيدز- مثلًا، ذلك المرض الذي انتشر في الحضارات التي لا تعيش حياتها وفقا للتعاليم والتشريعات الدينية التي تحض على فضائل الأعمال وتؤكد القيم الأخلاقية السامية.

هكذا يتأكد لدينا أن تحريم الإسلام للفاحشة يعد هو الآخر طريقًا نحو تمهيد الفضاء المجتمعي للأمة كي تعيش في حالة من الأمن والاستقرار والتوافق بين مكونات المجتمع التي تشكل بنيته العامة.

من هذا المنطلق يتبين لنا أن الإسلام كان حريصًا على أمن المجتمع واستقراره عندما حرم الزنا، ويقاس على ذلك تحريمه للكذب، والغيبة، والنميمة، وقتل النفس بغير الحق، والخداع، وسب الآخرين أو لعنهم، أو التطاول عليهم... إلخ من الأمور والمسائل التي حرمتها الشريعة الإسلامية، بهذا يكون التشريع قد جاء ليؤكد في الكثير من المواضع على حرص الإسلام الحنيف على توفير الأمن المجتمعي للناس جميعًا، الأمر الذي يفيد أن من يتطاول على الناس، أو يتسبب في ترويعهم، أو قض مضاجعهم، أو الإساءة إليهم بالقول أو الفعل، أو من يتسبب في إرهابهم وتخويفهم، كل من يفعل هذا أو يقدم عليه تتعارض سلوكاته تلك من حيث المعنى والمضمون مع ما أمرت به الشريعة وأقره الدين الحنيف.

إن الشريعة الإسلامية التي جعلت تبسم الإنسان في وجه أخيه صدقة لا يمكن أن توافق أو تبيح بحال من الأحوال لإنسان أن يتسبب في إرهاب الناس أو تخويفهم أو ترويعهم أيا ما كان هؤلاء الناس، وأيًا ما كانت مذاهبهم ومللهم وعقائدهم، لأن الله عز وجل أرسل نبيه ﷺ رحمة للعالمين جميعًا سواء من آمن منهم به أو من لم يؤمن به، قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، ومعلوم أن النبي ﷺ هو المثل والقدوة والأسوة الحسنة للمسلمين، كل المسلمين، قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١)، من هنا كان على المؤمن أن يكون داعية خير ورسول سلام أينما كان وحيثما كان، لا فرق في ذلك بين وجوده في دار



الإجابة أو في دار الدعوة، فالمؤمن لا يخيف الآخرين، ولا يرعبهم، ولا يقض مضجعهم، ولا يقلق أمنهم العام.

ولقد أراد الإسلام الحنيف من الناس أن يتعاملوا برباطة جأش وقوة إرادة مع الملمات التي قد تتعرض لها الأمم والشعوب في مراحل حياتها وتطورات تاريخها، فلا يجب الجزع، أو الهلع، أو الخوف، أو الانهيار النفسي عند حدوث طارئ ما، بما يؤثر سلبًا على حالة المجموع، ويؤدي إلى شيوع وإشاعة الرعب بين الناس، إذ يجب من الناحية الشرعية مواجهة الأمور بحزم وعزم ورباطة جأش، وهنا يشير الإسلام إلى ضرورة الاستفادة ممن يمتلك القدرة على توجيه الأمور نحو الوجهة الصحيحة والسليمة، بمعنى أنه لابد من أن يوسد الأمر إلى أهله، حتى يتمكن المجموع من النجاة من الملمات التي قد تصيب الناس على مختلف طوائفهم ومذاهبهم، قال تعالى: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلًا﴾ (النساء: ٨٣).

والإسلام الذي جعل من قواعده الأساسية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينهى عن ترويع الناس، كل الناس، ذلك لأننا إذا قسمنا الأمور إلى «منكر ومعروف» فإن المرء لا يتردد للحظة واحدة في أن يضع مسألة ترويع الناس وتخويفهم ضمن المنكر الذي جاء الإسلام الحنيف لينهى كل الناس عن إتيانه أو الإقدام عليه، بل إن ديننا الحنيف جعل خيرية هذه الأمة تكمن في أمور عدة من أوائلها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأكثر من ذلك أنه ذهب إلى أن شرط تحقق خيرية هذه الأمة يكمن في كونها تمارس الدعوة إلى الخير وتنهى عن المنكر والشرور، بعد إيمانها بالله تبارك



وتعالى، قال عز وجل في هذا المعنى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (آل عمران:١١٠).

ونظرًا لتأكيد الأسلام على أهمية الأمن المجتمعي للحياة البشرية فقد جعله الله تبارك وتعالى بمنزلة إحدى المكافآت الكبرى التي يتحصل عليها المؤمنون جزاء إيمانهم بربهم والتزامهم بالمنهج السماوي في حياتهم الخاصة والعامة، أو في عباداتهم ومعاملاتهم، فالله تبارك وتعالى عندما يستخلف المؤمنين في الأرض، ويمكن لهم دينهم الذي ارتضاه لهم ويبدل الخوف في حياتهم أمنا، ويجعلهم يعيشون في طمأنينة وأمان، فإن ذلك كله يأتي كنتيجة لكونهم من أهل الإيمان والطاعة الخالصة الذين لا يرتدون إلى الكفر والفسوق، قال تعالى في محكم كتابة الكريم: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ (النور: ٥٥).

من ثم فإن من يعكر صفو المجتمع بتهديد الأمن فيه يعد فاعلًا للمنكر لا محالة، وهو منفلت من تعاليم الإسلام الشرعية التي حرصت على المحافظة على حياة الناس وأموالهم وأنفسهم، ومعلوم أن تلك الأمور من المقاصد العامة للشريعة الإسلامية الغراء.

ولقد اشتملت سيرة رسول الله ﷺ على العديد من المواقف التي تؤكد حرصه ﷺ قبل البعثة وبعدها، على أن يكون الأمن المجتمعي متحققًا في أهله وقومه إلى أبعد مدى ممكن، فالثابت من كتب السير أن الناس هرعوا في صباح يوم من الأيام على سماع أصوات وجلبة حول مكة مما حرك مخاوفهم وأزعج نفوسهم، فهرعوا الى خارج مكة يتساءلون: ما الخطب؟ واذا بهم يرون رسول الله ﷺ قد سبقهم الى استكشاف الأمر، وعاد ليطمئنهم جميعا بأنه لا شيء يدعو للخوف ولا للهلع أو التوتر، وهذا الأمر يكشف من جهة عن شجاعته وشهامته ﷺ ويكشف في نفس الوقت عن حرصه على ان يكون مجتمعه الذي يعيش فيه ويحيا بين جنباته آمنا مستقرًا طوال الوقت، أما بعد بعثته فقد كان ﷺ من أحرص الناس على إشاعة الطمأنينة في النفوس وتكريس الأمن في المجتمع، لدرجة أنه ﷺ لم يكن يحب أو يقبل أن يحدث أي نوع من أنواع التوتر في العلاقات بين الذوات الإنسانية المفردة من بني قومه، فضلاً عن حرصه على المجتمع ككل متكامل.

ولقد حرص الرسول ﷺ على شيوع الأمن بين الأفراد والأسر داخل بنية المجتمع الواحد حتى في أبسط الأمور، لذلك كان يأمر المسلمين بأن من أعد مرقًا فعليه أن يكثر منه ليعطي جيرانه من هذا المرق، وأكثر من توصيتهم بالجيران خيرًا، ونقل لهم أن جبريل عليه السلام مازال يوصيه بالجار حتى ظن النبي ﷺ أن الشرع سيعطي للجار حقًا أو جزءًا



من الميراث.

كل هذه مسائل كانت تهدف ضمن ما تهدف إليه إلى تحقيق درجة عالية من التآخي، والتواصل، والتعاون، والتكافل بين أبناء المجتمع الواحد، تلك الأمور التي تصب في النهاية في تكريس الأمن والأمان للذوات الإنسانية المقررة، بل للمجتمع بشكل عام.

إن حرص الإسلام على استتباب الأمن يرجع إلى أمور عدة نذكر منها ما يلي:

أولًا: إن من مقاصد الشريعة الإسلامية المحافظة على حياة الناس وأموالهم، ومعلوم أن استتباب الأمن يحافظ على الحياة والأموال، لأن افتقاد المجتمع للأمن يؤدي بالتالي إلى تعرض جميع الأنفس والممتلكات للتهلكة، والنهب، والتدمير، بهذا يأتي الحرص على الأمن المجتمعي في صدارة ما يأمر به الإسلام وما تهدف إليه مختلف القوانين الأخرى.

ثانيًا: إن الشريعة الإسلامية حريصة كل الحرص على تقليم أظافر أولئك الأفراد الذين يعيثون في الأرض فسادًا، حتى وإن ادعوا أنهم من أصحاب القلوب الطيبة والأفئدة النقية، ومعلوم أن انتشار الفساد في أي مجتمع من المجتمعات يؤدي بالضرورة إلى افتقاده للأمن، الأمر الذي يتيح لهؤلاء الأفراد الخارجين على الدين والقانون أن ينشطوا في الإفساد في الأرض، وهذا على خلاف مراد الله تبارك وتعالى في الكون، لذلك توعد الله عز وجل هذا الصنف من الناس بجهنم وبئس المصير، قال تعالى في هذا المعنى: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام. وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد. وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد﴾ (البقرة: ٢٠٤-٢٠٦).

ثالثًا: المحافظة على إيجاد جو عام يناسب ممارسة العبادة والدعوة إلى الله تبارك وتعالى، لأن كلا من العبادة والدعوة في حاجة ماسة وضرورة إلى أجواء هادئة ومستقرة، يكون من شأنها اتاحة الفرصة للدعاة إلى الله أن يمارسوا عملهم في سكينة وروية، ويسهم في مساعدتهم في الأخذ بيد الأمة نحو الالتزام بالمبادئ الدينية والقيم الأخلاقية، الأمر الذي يهيئ المجتمع كله لتلقي جزاء الله تعالى وثوابه والفوز بالسعادة لكل فرد من أفراده، لأنه إذا مارست مجموعة معينة من الناس بعض الأفعال السلبية والخاطئة فإن الأمور



تحقيق الأمن المجتمعي ليس مسؤولية الدول والحكومات وحدها بل هو قضية كل قطاعات الشعوب أفرادا ومؤسسات

قد تعود بالضرر على مختلف أفراد المجتمع وجميع أبنائه، وصدق الله العظيم القائل: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ (الأنفال: ٢٥)، فالفتن أو السلوكات الشاذة تجلب على المجتمع كله ما لا يرضاه من المسائل والأمور، على النحو الذي يحذر منه الرسول ﷺ في حديثه الذي جاء فيه: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعًا» (رواه البخاري).

رابعًا: المحافظة على إيجاد جو عام مناسب للعمل والانتاج وعمارة الأرض، فالله تبارك وتعالى كلف الإنسان بالسعي في الأرض وإعمارها لكي يأكل منها حلالًا طيبًا، قال عز وجل: ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ (الملك: ١٥).. وغني عن البيان أن الإشارة إلى المشي في مناكب الأرض يفيد معنى الاجتهاد في الأخذ بأسباب طلب الرزق الحلال، تلك الأمور التي لا تتحقق إلا في ظل جو عام يتسم بالأمن والطمأنينة والهدوء.

ويجب أن ندرك جميعًا أن تحقيق الأمن المجتمعي ليس مسؤولية الدول والحكومات وحدها، بل هو قضية يجب أن تسهم فيها كل قطاعات الشعوب من أفراد ومؤسسات المجتمع المدني، بجانب الهيئات والمؤسسات الحكومية، ومختلف القوى والفعاليات التي يتشكل منها البناء العام للأمة والمجتمع.



الفساد المالي.. أسبابه وصوره وعلاجه

د. حسين حسين شحاتة

■ **معنى الفساد المالي:**

يقصد به كافة المعاملات المالية والاقتصادية المخالفة لأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، وتؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل وإلى عدم استقرار المجتمع وإلى الحياة الضنك لطبقة الفقراء والمعوزين ومن في حكمهم.

■ **أسباب الفساد المالي:**

من أسباب الفساد المالي في المجتمع، ما يلي:

ضعف القيم الإيمانية وعدم الخشية من الله.

انتشار الأخلاق السيئة ومنها: الظلم، والكذب، والنفاق، والرياء، والأنانية، وعدم الولاء والانتماء للوطن، والجشع، والمادية، والانتهازية وما في حكم ذلك.

انتشار الفساد السياسي ومنه الدكتاتورية وسلب الإرادة والطغيان والاحتكار السياسي والظلم والاستبداد.

انتشار الفساد الاجتماعي، ومنه زيادة الفوارق بين الطبقات بسبب سوء توزيع الثروة والفاحشة والفسوق.

■ **نماذج من الفساد المالي المعاصر، يجب تجنبها:**

من هذه النماذج على سبيل المثال:

- الاختلاس: وهو سلب وابتزاز مال الغير خلسة بدون حق مشروع.
- السرقة والغصب: وهو الاعتداء على مال الغير عمدًا وقهرًا.
- الغش: وهو تقديم معلومات كاذبة عن السلع والخدمات مخالفة للحقيقة والواقع.
- التدليس والغرر والجهالة: ويقصد به تقديم معلومات وإيضاحات إلى الغير لتحفيزه على الشراء مخالفة للواقع.
- الرشوة: وهو الحصول على مال أو منعه نظير تسهيل الغبن وأمر معين بدون حقه.
- بخس الحقوق: وهو عدم الوفاء بما اتفق عليه وإعطاء الغير دون حقه.
- التكسب (التربح) من الوظيفة.. استغلال الوظيفة أو الجاه للتكسب بدون حق.
- الاعتداء على المال العام بطرق مختلفة مثل السرقة والاختلاس والتكسب من الوظيفة.
- الاحتكار: وهو حبس السلعة عن التداول لإغلاء الأسعار.
- العمولات الوهمية: وهي نوع من أنواع الرشوة.
- المماطلة في أداء الحقوق مع المقدرة على أدائها.
- شهادة الزور للمساعدة على أكل أموال الناس بالباطل

■ **المنهج الإسلامي لعلاج الفساد المالي:**

يقوم هذا المنهج على المبادئ والسياسات الآتية:

الاهتمام بالتربية الروحية والأخلاقية على مستوى البيت والمجتمع والدولة.

الاهتمام بتوعية الناس بما أحل الله وحرم في المعاملات: معرفة الحلال للاتباع، ومعرفة الحرام للاجتناب في المعاملات.

حسن اختيار العاملين على أساس القيم الإيمانية والأخلاقية والكفاءة الفنية.

تفعيل أجهزة الرقابة المختلفة على مستوى البيت والمجتمع والدولة لتقوم بدورها في التصدي لكافة سبل الفساد والحد منه.

تغليظ العقوبات على المفسدين بالعدل ليرتدع من تحدثه نفسه بالفساد.

القدوة الصالحة على مستوى البيت والمجتمع والدولة.

■ **دور التربية الصالحة في الأسرة للتصدي للفساد المالي:**

يبدأ تطبيق برنامج الإصلاح الإسلامي للفساد المالي من الأسرة على النحو التالي:

بيان مسؤولية الوالدين في تربية النشء على الصلاح: وفقا لوصية رسول الله ﷺ: «كلكم راع ومسؤول عن رعيته» ومن محاور تربية الأولاد على مستوى الأسرة ما يلي:

التربية الروحية.

التربية الأخلاقية.

التربية السلوكية.

التربية الاقتصادية الإسلامية.

تطبيق مبدأ المساءلة والحوكمة على الأولاد في مجال الإنفاق وتقويم أي فساد مالي أولًا بأول.

تطبيق مبدأ العقاب على الأولاد في حالة وجود انحراف مالي.

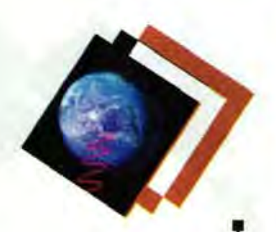
أن يكون الوالدان قدوة حسنة في كل شيء وفي المعاملات المالية.

■ **دور التربية الصالحة على مستوى دور التعليم والمجتمع للتصدي للفساد المالي:**

يلي دور الأسرة في الإصلاح المالي: دور التعليم في مراحله المختلفة، ثم الدعاة والمصلحين، ثم دور أجهزة الإعلام المختلفة، ثم دور الحكومة.

بمعنى تكون محاور الإصلاح الإسلامي للفساد المالي: الفرد ثم مؤسسات وهيئات المجتمع ثم الحكومة.

* خبير مالي



دور الوعي الإسلامي في مكافحة الفساد

د. عبدالرحمن العيسوي *

الفساد أصبح ظاهرة خطيرة تصيب جميع مجتمعات العالم، النامية والمتطورة والمتقدمة منها على حد سواء، وإن كان بدرجات متفاوتة.

ومن المؤسف أن معدلات الفساد آخذة في الازدياد، فضلًا عن تنوع المجالات التي يلحقها، كالفساد السياسي والاقتصادي والإداري والاجتماعي والأخلاقي.

الفساد corruption آفة تدمر جهود التنمية وتمتص عائداتها، ومن المؤسف أن الفساد يزيد الفقراء فقرًا والأثرياء ثراء إذا كانوا فاسدين وبذلك في ظل الفساد تنعدم العدالة الاجتماعية، فلا عدالة مع الفساد، بل ولا تنمية في ظل الفساد، فالمجتمع الذي ينشد النمو والرخاء والتقدم والازدهار والقوة لابد له من أن يتخلص أولًا من الفساد ويبسط قيم الإصلاح.

والفساد آفة العصر، والفساد يعوق جهود التقدم والنماء والرخاء، فضلًا عن تحطيمه وتدميره للقيم الأخلاقية والوطنية والعربية والإسلامية، والفساد يجعل أفراد المجتمع يشعرون باليأس والإحباط ويفقدون الأمل في الإصلاح وفي التطوير وفي التقدم والرخاء وفي بسط العدالة والديمقراطية، وتغيب الآمال في مستقبل أفضل وفي حياة أكثر رخاء.

وينال الفساد من قيم الحق والعدالة والإنصاف والمساواة والإخاء والرحمة والشفقة بين الناس. ويجعل عامة الناس يشعرون بفقدان الثقة ويفقد الأفراد الأمل في جدوى الإصلاح والتطوير والتقدم والرخاء والتجويد والتحسين والإتقان.

والفساد يتفشى ويتسرب إلى أعصاب الحياة فيصيبها بالشلل والعطب والخراب.

تعريف ظاهرة الفساد

الفساد مصطلح يشير، بشكل عام، إلى حالات انتهاك مبدأ النزاهة وقيمها ومعاييرها، ويعرف الفساد السياسي، وهو أحد مظاهر الفساد أو أحد مجالات الفساد العديدة، بأنه استخدام لسلطات مشروعة من قبل مسؤولين حكوميين لغرض تحقيق مكاسب خاصة غير مشروعة، كذلك سوء استخدام سلطات الحكومة لتحقيق أغراض أخرى تصب في المصالح الشخصية.

وليس هناك تعريف محدد للفساد بالمعنى الذي يستخدم فيه هذا المصطلح في الوقت الحالي، لكن هناك ثمة اتجاهات متعددة تتفق في كون الفساد «إساءة استعمال السلطة العامة أو الوظيفة العامة للكسب الخاص»، ولكن هذا فقط أحد مظاهر أو مجالات الفساد.

جميع الحكومات هي عرضة للفساد السياسي، وتختلف أشكال الفساد، لكنها تشمل الرشوة والابتزاز والمحسوبية والمحاباة والاختلاس، في حين أن الفساد يمكن أن يسهل الأعمال الإجرامية، من قبيل الاتجار بالمخدرات وغسيل الأموال والمتاجرة بها، لكنه لا يقتصر على هذه النشاطات، بل قد يمتد ليشمل كل مجالات الحياة العصرية، فالفساد الحكومي هو استخدام سلطات مشروعة أو شرعية لتحقيق أهداف غير مشروعة أو أهداف شخصية.

ومن أظهر مظاهر الفساد ما يلي:

١- الرشوة.
٢- الابتزاز.
٣- المحسوبية.
٤- المحاباة.
٥- الوساطة.
٦- الاختلاس.

* باحث دراسات نفسية



٧- الأعمال الإجرامية.
٨- غسيل الأموال.
٩- تهريب الأموال.
١٠- التهرب من الضرائب.
١١- الاتجار في البشر.
١٢- سرقة الآثار.
١٣- تعاطي المخدرات.
١٤- التزوير.
١٥- التزييف.

الفساد لغة واصلاحًا

الفساد في اللغة هو «فسد» ضد صَلُحَ. «والفساد» لغة البطلان، فيقال فسد الشيء أي بطُلَ واضمحل، ويأتي التعبير على معانٍ عدة بحسب موقعه، والتعريف العام لمفهوم الفساد بأنه اللهو واللعب وأخذ المال ظلمًا من غير وجه حق، مما يجعل تلك التعابير المتعددة عن مفهوم الفساد، توجه المصطلح نحو إفراز معنى يناقض المدلول السلبي للفساد، فهو ضد الجد القائم على فعل الائتمان على ما هو تحت اليد، ويقال فسد الطعام مثلًا إذا ناله العفن وفسدت اللحوم إذا نالها النتن.

يعرف الفساد بأنه «انحراف أو تدمير النزاهة في أداء الوظائف العامة من خلال الرشوة والمحاباة، وقد يعني الفساد: التلف إذا ارتبط المعنى بسلعة ما وهو لفظ شامل لكافة النواحي السلبية في الحياة، ويقال طعام فاسد كما يقال استدلال فاسد أو حكم فاسد أو سلوك فاسد إذا ابتعد عن الطريق القويم.

تعريف الفساد دوليًا

التعاريف التي قدمتها المؤسسات الدولية لمصطلح الفساد- خاصة الهيئات التي تحمل صفة اقتصادية وسياسية كالبنك الدولي مثلا- تعتبر الفساد «استعمال الوظيفة العامة للكسب الخاص غير المشروع»، وهذا التعريف يتداخل مع أطروحة صندق النقد الدولي

الفساد آفة تدمر جهود التنمية وتمتص عائداتها

(IMF) الذي ينظر إلى الفساد من حيث أنه علاقة الأيدي الطويلة المتعمدة التي تهدف لاستنتاج الفوائد من هذا السلوك لشخص واحد أو لمجموعة ذات علاقة بالآخرين.

يصبح «الفساد» علاقة وسلوكا اجتماعيا، يسعى رموزه إلى انتهاك قواعد السلوك الاجتماعي، فيما يمثل عند المجتمع المصلحة العامة، لهذا يصنف المختصمون في قضايا الفساد أنواعه إلى واسع وضيق، فالفساد الواسع ينمو من خلال الحصول على تسهيلات خدمية تتوزع على شكل معلومات، تراخيص، أما الفساد الضيق فهو قبض الرشوة مقابل خدمة وظيفة بسيطة، أي عندما يقوم موظف بقبول أو طلب ابتزاز «رشوة» لتسهيل عقد أو إجراء طرح لمناقصة عامة مثلًا، كما يمكن للفساد أن يحدث عن طريق استغلال الوظيفة العامة من دون اللجوء إلى الرشوة، وذلك بتعيين الأقارب ضمن منطق «المحسوبية والمنسوبية» أو سرقة أموال الدولة مباشرة.

فالفساد ظاهرة اجتماعية وإدارية وسياسية واقتصادية، وهو نوع من العلاقة يتم فيها انتهاك القيم والمثل والمعايير والقوانين المنظمة للأعمال.

للفساد درجات مختلفة، منه البسيط ومنه الواسع المعقد، والفساد قد ينال كل مظاهر الحياة وكل جوانبها من دون استثناء.

أنواع الفساد

- الفساد السياسي: إساءة استخدام السلطات العامة (الحكومة) من قبل النخب الحاكمة لأهداف غير مشروعة كالرشوة، الابتزاز، المحسوبية، والاختلاس.
- جرائم الشركات: في علم الجريمة تتمثل جرائم الشركات أو الجرائم الاقتصادية في انحرافات «مالية أو إدارية» ارتكبت عن طريق شركة (كيان تجاري له شخصية قانونية مستقلة من أشخاص طبيعيين يقومون بإدارة أنشطتها)، أو من قبل أفراد بالإنابة، ومخالفة القواعد والأحكام المالية التي تنظم سير العمل الإداري والمالي في المؤسسة.
- رشوة.
- فساد البيانات أو فساد المعلومات.
- الفساد اللغوي.
- التعفن أو التحلل.

ومؤدى ذلك أن الفساد قد يكون سياسيًا أو إداريًا أو اقتصاديًا أو ماليًا أو اجتماعيًا وأخلاقيًا، ويتمثل الفساد السياسي في تزوير الانتخابات وتكوين المجالس النيابية بالبطلان وهدر رغبات الشعب، ويتمثل الفساد الاقتصادي في الرشوة والاختلاس والابتزاز ويتمثل الفساد الإداري في فساد البيانات والاحصاءات في تعيين الأقارب والمحاسيب .

وقد يمارس الناس الفساد دون أن يعترفوا بذلك بل قد يدعون أنهم مصلحون كما في قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون﴾ (البقرة:١١)، ووفقا لتفسير د.شوقي ضيف فإن الله تعالى يقول للمفسدين: لا تفسدوا في الأرض عن طريق المعصية والنفاق، قالوا إنما نحن نسير على الهدى وليس ما نقوم به من الفساد.





ويأمر الله الناس بعدم الفساد في الأرض بعد إصلاحها كما في قوله تعالى: ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفًا وطمعًا إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾ (الأعراف: ٥٦). فالله يحب المؤمنين ولا يحب المشركين ويؤكد هذا النص البليغ أن الأرض مخلوقة بنظام دقيق يكفل لها صلاحها وأن الإنسان هو الذي يفسدها، والإنسان يدعو الله خوفًا من عقابه وطمعًا في ثوابه.

ويصف الله تعالى الفاسدين بالخاسرين ويربط بين الفساد أو ممارسة الفساد وقطع صلة الرحم، تلك التي أمر الله تعالى بأن توصل، ولعله من مزايا الهدي الإسلامي الكريم الدعوة إلى صلة الأرحام تحقيقًا للتكافل والتضامن والتساند الاجتماعي وصيانة وحدة الأسرة المسلمة وترابطها كما جاء في قوله تعالى: ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون﴾ (البقرة:٢٧)، أي قطع صلة ذوي الرحم ويرتكبون الآثام والمعاصي وهم الخاسرون وهم الذين سيلقون عذاب النار، وقوله تعالى ﴿ويفسدون في الأرض﴾ تعبير عن الفساد في المجتمع كله.

فللسفاد أشكال ومظاهر مختلفة كلها منهي عنها بالكتاب والسنة.

وليس ما نشاهده في هذه الأيام من تفشي ظواهر الفساد إلا من بعد الناس عن الهدي الإسلامي المبارك الذي يحض على فعل الخير وتجنب الشرور والآثام والمعاصي والمفاسد ما ظهر منها وما بطن.

وينذر الله تعالى الفاسدين بسوء العقاب تدعيمًا لفكرة الثواب والعقاب التي شرعها الإسلام لتكون وسيلة ناجحة في تربية المسلم على التقوى والطاعة كما جاء في قوله عز وجل: ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ (الرعد: ٢٥)، أي الدار الآخرة حيث ينالون العقاب.

ويقابل القرآن الكريم بين «الفساد» و«الإصلاح» في قوله تعالى: ﴿الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾ (الشعراء: ١٥٢).

ومن مظاهر سلوك الفساد العديدة التي يذكرها القرآن الكريم على سبيل المثال لا الحصر هلاك الحرث والزرع والنسل كما في قوله عز وجل: ﴿ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾ (البقرة: ٢٠٥).

فالله تعالى يقول إنه يكره الفساد وبالطبع لا يحبه ولا يحب المفسدين في الأرض والذين يزداد عددهم في هذه الأيام نظرًا لبعد الناس عن حظيرة الإيمان وعن قيم إسلامنا الحنيف في النزاهة وطهارة القلب وطهارة اليد والأمانة والصدق والوفاء والولاء والرغبة في تعمير الأرض والأكل الحلال من خيراتها.

ومن بين أبشع مظاهر الفساد وأكثرها قسوة قتل النفس بغيرحق كما في قوله تعالى: ﴿من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا﴾ (المائدة: ٣٢).

والمسلم مدعو للإحسان للناس والابتعاد عن الفساد والفواحش والرذائل وكافة الجرائم أو إيذاء الناس وظلمهم والاعتداء عليهم، فالإسلام يسعى لتكوين المجتمع المسالم الذي يحسن فيه الناس بعضهم إلى بعض.

اهتداء بقوله تعالى: ﴿وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض﴾ (القصص: ٧٧).

فالمسلم منهي عن الفساد في المجتمع أو في الأرض ومدعو للإحسان إلى الناس وبرهم والعطف عليهم ومساعدتهم.

وإذا انتشر الفساد كما هو الحال الآن في بعض المجتمعات التي ابتعدت عن حظيرة الدين وعن مظلة الإيمان كان ذلك من صنع الناس ومن أيديهم كما في قوله عز وجل: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾ (الروم: ٤١)، فالفساد يكون من صنع البشر ومن أعمال الناس.

وقد يمارس الإنسان الظلم وهو لا يعلم أو لا يدرك ذلك أو لا يعي أو يشعر أنه يفسد كما في قوله ﴿ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ (البقرة: ١٢).

ما أحوجنا نحن معشر الإسلام أن نعود إلى حظيرة الإيمان وأن نتحلى بقيم إسلامنا الحنيف التي هي خير عاصم من الزلل والشطط والفساد والعدوان وسائر الرذائل والآثام.



مسؤولية الإعلام عن الفساد

محمد إلهامي

روى ابن قتيبة في عيون الأخبار أن أبا حية النميري، وكان مشهورًا بالجُبن مع الكذب والتعالي، كان له سيف يسميه «لعاب المَنِيَّة» رغم أنه ليس بينه وبين الخشبة فرق، سمع يومًا صوتًا خارج الدار فظنه لصًا فخرج حاملا خشبته ينادي: أيها المغتر بنا والمجترئ علينا، بئس والله ما اخترت لنفسك، خير قليل وسيف صقيل، لعاب المنية الذي سمعت به، مشهور ضربته لا تخاف نبوته، اخرج بالعفو عنك وإلا دخلت بالعقوبة عليك، إني والله إن أَدْعُ قيسًا تملأ الأرض خيلاً ورجلاً، يا سبحان الله، ما أكثرهم وأطيبهم! ثم فتح الباب فإذا كلب قد خرج، فقال: الحمد لله الذي مسخك كلبًا وكفاني حربًا.

وإن مثل إعلامنا في العالم العربي الآن كمثل أبي حية، يختلق القضايا الموهومة ثم يُشبعها مناقشة ومتابعة وتحليلا ورصدًا، ولا يكاد ينتهي من حادثة إلا يبدأ في أخرى تدور في نفس سياق القضايا الموهومة.

خذ مثلا قضية «الدولة الدينية والدولة المدنية»، ذلك الأمر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس بفعل الهوس الإعلامي، لتبدو القضية وكأنها فكرة طرحت نفسها الآن للمرة الأولى، رغم أن نقاشها بدأ منذ نحو مائة عام في العالم الإسلامي، وقد كُتب فيها ما لا يكاد يحصى من الدراسات والمقالات والكتب حتى صار اتهام الإسلام بالدولة الدينية اتهامًا مُملا وسخيفًا، إنها تهمة لا نجدها حتى في كتب المستشرقين منذ نصف قرن على الأقل! فهل هذا فِعْل جاهل لا يعلم أم فِعل مُغرض لا يريد أن يفهم؟

ومثل هذا كثير في عالمنا العربي، إذ تظل القضايا المطروحة «محلك سر»، كأنما الحياة لا تتحرك ولا تفرض قضايا جديدة هي أولى وأهم، ولم يعد غريبًا أن تقرأ الرد على ما يطرحه الإعلام الآن في كتاب مات صاحبه منذ قرن!

هذه الأزمة التي تفرض التوقف والتكرار وإعادة هضم المهضوم وإنتاج المستهلك إنما هي صورة للمشكلة العميقة التي تجعل النموذج الغربي هو النموذج المقدس الذي تُحاكَم إليه المواقف والرؤى، فبه تُقَاس وبه يُقضى عليها بالصلاحية أو عدمها، وهو حديثٌ مُنْسَحِقٌ حضاريًا، جعلنا في «مأزق حقيقي لا يمكن الخروج منه إلا بتجاوز الإشكاليات الأساسية» بحسب د. رفيق حبيب (القبطي ديانة والمسلم حضارة) الذي يقول إن «شرط الديموقراطية كقاعدة للعمل السياسي تحول إلى معيار تملكه القوى العلمانية، فأصبحت هذه القوى هي المسيطرة على المفهوم، وهي الداعية له، وعلى هذا الأساس أصبحت هناك فئة محددة تملك أن تقرر ديموقراطية القوى الأخرى من عدمها، ويتعقد الموقف بسبب تبني هذه القوى في معظمها للنموذج الغربي، مما علها وكيلا للحضارة الغربية، وفي نفس الوقت صاحبة الحق الوحيد في قبول ورفض القوى السياسية الأخرى وتحديد مدى صلاحيتها للعمل السياسي، وبهذا فُرِض النموذج الغربي باعتباره الإطار المرجعي لتحديد «الشرعي» وعزل «غير الشرعي»، وأدى ذلك بالضرورة لأزمة «الإسلامي» فأي طرح إسلامي يوضع على معيار غربي حتى يتم قبوله أو رفضه».

لا يريد القائمون على الإعلام أن يفهموا أن خصوصياتنا الثقافية ضرورية لبناء حضارة متفردة، حتى لو سُقنا لهم كلام واحد من أهم فلاسفة الحضارة في القرن العشرين، وحتى لو كان فرنسيًا، يقول فرناندو بروديل: «الشائع في كل حضارة أنها تُبْدي نفورًا من اعتناق فكر ثقافي يطرح دعامة من دعائمها الراسخة للمناقشة، ولئن كان هذا النفور وذلك العداء الخفي نادرًا نسبيًا فهو يؤدي دائما إلى صميم الحضارة، وربما وجدنا حضارة ما إذا ما وُوجهت لذلك تستبعد في عناد ومكابرة هذا أو ذلك من أية إسهامات خارجية، فليس هناك حضارة- كما قال مارسيل موس- جديرة باسم الحضارة ليس لها عادات الرفض والنفور من الإسهامات الدخيلة».

إلا أن الإعلام لدينا ينفر مما يميزنا! وأكثر ما يبدو هذا واضحا لدى الحديث المفزوع عن «السلفيين»، وهو حديثٌ ما بقي له إلا أن يصفهم بأصحاب الأنياب والمخالب النازلون من الفضاء والقاصدون تدمير الحضارة الإنسانية، وهذا الفزع المرعوب يوحي كأن السلفيين ظهروا فجأة في مجتمعاتنا العربية لا أنهم بشر منا يعيشون بيننا نعرفهم ويعرفونا منذ زمان، كأنما نزل السلفيون فجأة في مجتمع غربي، فانتبه لهم إعلام غربي، فانتفض يريد بحث هذه «الظاهرة الغريبة الجديدة التي خرجت في غفلة من الزمان»!

بل إن إعلاما يقوم عليه مسلمون لا يُخفي انزعاجه من أمور هي من صميم ديننا وتراثنا، فتجد مسلمًا ينزعج من اللحية والجلباب والنقاب وما إلى ذلك، كأن رسولنا لم يكن ذا لحية، أو أن زوجاته لم يَكُنَّ منتقبات، أو كأننا ما عشنا عمرنا الحضاري كله نرتدي الجلباب والعباءة والعمامة حتى خلعناها في لحظات الهزيمة العسكرية والنكبة الحضارية!!

لا يدري هؤلاء أن تغريب المجتمعات الإسلامية، بل والشرقية كلها، أمر مستحيل، لم تفلح فيه مائتا سنة من السيطرة الكاملة.

• باحث تراثي

النيابة في زكاة مال الصبي والمجنون ومن في حكمهما

د. صالح النهام

للنيابة في الزكاة أهمية كبرى في شرعنا الإسلامي، إذ إن الزكاة الركن الثالث من أركان الإسلام، وهي شقيقة الصلاة، وقد تكرر ذكر الزكاة في القرآن الكريم ثلاثين مرة، وفي سبع وعشرين منها مقرونة بالصلاة في آية واحدة، مما يدل على أهميتها وعظم شأنها، وذكرت ثماني منها في السور المكية، والبقية في السور المدنية، وأركان الإسلام تشكل وحدة متكاملة لا يقوم الدين إلا بأدائها مجتمعة.

لا ريب أن أساس الملكية في الإسلام هو الاستخلاف، فليست الملكية فردية محضة على النحو الرأسمالي، ولا اجتماعية محضة، أي: ملكية الدولة، كما في المجتمع الشيوعي، إنما هي ملكية لله تعالى، استخلف فيها الإنسان(١).

المسألة الأولى: التعريف بالنيابة:

النيابة لغةً مصدر للفعل ناب، وتأتي لعدة معان منها:

- الرجوع، يقال: ناب إلى الله- عز وجل- بمعنى: رجع.
- العقاب، يقال: ناوبه أي: عاقبه.
- القيام مقام غيره، يقال: ناب عنه نوبًا، ومنابًا، بمعنى: قام مقامه، تقول: جاءت نوبتك ونيابتك، ومن هنا: يظهر أن النوبة والنيابة بمعنى واحد(٢).

والنيابة اصطلاحًا عُرِّفت بتعاريف عدة منها:

- قيام الشخص عن غيره بأمر من الأمور(٣).
- وقوع الشيء عن المنوب عنه، مع سقوط الشيء عنه(٤).

والذي يظهر من التعريفين أن التعريف الثاني خاص بالنيابة الصحيحة لقولهم: «مع سقوط الشيء عنه»، والشيء المطلوب من الشخص لا يسقط بفعل غيره، إلا إذا كان صحيحًا، مع العلم أننا نعرّف النيابة بوجه عام، ومن هنا يكون التعريف غير جامع، كذلك التعبير بأن النيابة وقوع الشيء عن المنوب عنه مع سقوطه عنه، هذا تعريف للنيابة بنتيجتها، والشيء لا يعرف بنتيجته، بل بما يُظهر حقيقته وماهيته، أما التعريف الأول فقد جاء جامعًا؛ لوضوحه وموافقته لبعض المعاني اللغوية لكلمة (نوب)، والتي من معانيها اللغوية: القيام مقام الغير.

المسألة الثانية: الزكاة في مال الصبي والمجنون ومن في حكمهما:

لا غرو أن العلماء أجمعوا على وجوب الزكاة في مال المسلم البالغ العاقل(٥)، لكنهم اختلفوا في وجوبها في مال الصبي والمجنون ومن في حكمهما، مثل: المعتوه، والعبد المكاتب، ونحوهم ممن لا يستطيعون الاستقلال في التصرفات المالية.

والمراد بالصبي، هو: غير البالغ، والبلوغ يعرف بأمارات طبيعية أو بالسن، أما الأمارات فمنها متفق عليها، مثل: الاحتلام، والحيض، والحمل، ومنها مختلف في تحقق البلوغ بها، مثل: غلظ الصوت.

أما السن التي يحصل بها البلوغ فهي خمس عشرة سنة عند الشافعية(٦)، والحنابلة(٧)، وهو المفتى به عند الحنفية(٨)، ودليلهم على ذلك: خبر ابن عمر رضي الله عنهما عندما قال: «عُرِضْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً فَلَمْ يُجِزْنِي - في المقاتلة-، وَعُرِضْتُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَأَنَا ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ فَأَجَازَنِي»(٩).

ويرى المالكية أن سن البلوغ تمام ثماني عشرة سنة(١٠)، وهو قول أبي حنيفة في الذكر، أما الأنثى فسن بلوغها عنده سبع عشرة سنة(١١)، ووجهتهم أن تلك السن هي التي يقع فيها اليأس من الاحتلام.

والراجح في ذلك قول الجمهور؛ لاستناده إلى النص، وعلى هذا فإذا لم يحصل بلوغ طبيعي ثبت بلوغ الصبي أو الصبية خمس عشرة سنة.

أما المجنون فهو من أصابه الجنون وهو اختلال في العقل ينشأ عنه اضطراب وهيجان، وقد يكون مطبقًا، أي: مستمرًا، أو غير مطبق، أي: متقطع، وأيضًا فقد يكون أصليًا، وقد يكون طارئًا، فالأصلي أن يبلغ الشخص مجنونًا، والطارئ هو ما يقع بالشخص بعد بلوغه عاقلًا.

والمراد بالجنون هنا عند الحنفية الجنون الأصلي وكذا الطارئ الذي يدوم سنة أو أكثر، أما الطارئ الذي لا يدوم سنة فالصحيح أن صاحبه يُعَد كالسليم بالنسبة للزكاة(١٢)، ووجهتهم في ذلك: أن السنة للزكاة كالشهر، أي: شهر رمضان بالنسبة للصوم والإفاقة، فالإفاقة في جزء من الشهر توجب صوم الشهر، فكذا الإفاقة في جزء من السنة تكفي لانعقاد الحول على المال، قال أبويوسف: العبرة في الطارئ الذي لا يدوم سنة بأكثر السنة، فإن أفاق أكثر السنة كان كالصحيح، وإلا فلا، لأن للأكثر حكم الكل، فمن كان مفيقًا في معظم السنة عُدَّ مفيقًا في كلها.

هذا والذي يجن ويفيق كالصحيح، لأنه بمنزلة النائم والمغمى عليه وهؤلاء كالصحيح بالنسبة للزكاة.

أما المعتوه فهو قليل الفهم مختلط الكلام فاسد التدبير وإن كان لا يضرب ولا يشتم كما يفعل المجنون، وهو في حكم الصحيح بالنسبة للزكاة (١٣).

وبعد هذا التوضيح لمفردات العنوان أقول: اختلف الفقهاء في وجوب الزكاة في مال الصبي والمجنون، إلا أن هذا الخلاف يتطلب منا الوقوف على محل تحرير النزاع أولًا، فأقول: إن الاتفاق قائم على وجوب إخراج زكاة الفطر عن الصبي، وعن المجنون؛ وذلك لحديث ابن عمر رضي الله عنهما: «فرض رسول الله ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ أَوْ رَجُلٍ أَوِ امْرَأَةٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ»(١٤).

وكذلك الاتفاق قائم على وجوبها في زكاة مال أبي الصبي والمجنون إن لم يكن للصبي أو المجنون مال(١٥)، لأن نفقتهما واجبة على الأب، أما إن كان لهما مال فقد اتفق عامة أهل العلم على وجوبها في مالهما؛ لأنها حق الفقير والمسكين، وحق العبد لا يمنع وجوبه صِبًى ولا جنون، ولم يخالف في هذا أحد سوى محمد بن الحسن وزفر من الحنفية(١٦)، حيث قالا بوجوبها حينئذ في مال أبيه أيضًا، أي: كما لو لم يكن للصبي أو المجنون مال، ووجه قولهما: إنها عبادة والعبادات لا تجب على الصبي أو المجنون كالصوم والصلاة.

أجمع العلماء على وجوب الزكاة في مال المسلم البالغ لكنهم اختلفوا في وجوبها في مال الصبي والمجنون

والراجح القول الأول؛ لأنها ليست عبادة محضة كما سيتبين لنا فيما بعد، مع العلم أن الخلاف الآتي إنما هو في غير زكاة الفطر، وبيانه على النحو التالي:

اختلف الفقهاء في وجوب الزكاة في مال الصبي والمجنون على عدة آراء يمكن إجمالها في رأيين، بيانهما فيما يلي:

الرأي الأول: ذهب جمهور العلماء من المالكية، والشافعية، والحنابلة، وأهل الظاهر، إلى أن الزكاة عبادة مالية واجبة في مال الصبي والمجنون مطلقًا ذكرًا كان أو أنثى، أي: سواء أكان زروعًا أم ثمارًا، وسواء أكان ظاهرًا كالنعم، أم باطنًا كالذهب، وسواء أكان ينمى ويستثمر أم كان لا ينمى(١٧)، وهذا مروي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم منهم أم المؤمنين عائشة، وابن عمر، وعلي بن أبي طالب، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم (١٨).

لكن هؤلاء قد اختلفوا فيمن يتولى إخراج تلك الزكاة، أهو الولي أم الصبي بعد بلوغه والمجنون بعد إفاقته؟ فذهب أكثرهم إلى أنه الولي فإن لم يفعل تقصيرًا أو اعتقادًا لعدم وجوبها في مالهما وجب على كل منهما بعد البلوغ أو الإفاقة إخراجها عما مضى من سنين(١٩).

وذهب ابن مسعود والثوري والأوزاعي وابن أبي ليلى إلى أنه الصبي بعد بلوغه والمجنون بعد إفاقته أي: إنها تجب في مال كليهما لكن لا تخرج منه حتى يبلغ الصبي أو يفيق المجنون فيخبره الولي بما عليه من زكاة فيقوم بدفعها(٢٠).

وبناء على هذا القول، فالولي ينوب عنهما في إخراج زكاة أموالهما، وتفريقها، ومن ثم ينوي عنهما؛ لأنهما لا نية لهما، فلما تعذرت منهما قام بها الولي قياسًا على الإخراج عنهما(٢١).

إذن الولي يقوم مقامهما في أداء ما عليهما، ومن ثم تعتبر نيته في الإخراج كما تعتبر النية من رب المال، وذلك باتفاق القائلين بوجوب الزكاة في أموالهما في الجملة(٢٢).

الرأي الثاني: لا تجب الزكاة في مال الصبي والمجنون، وبعض من ذهب إلى ذلك لا يستثنون شيئًا من المال وهم سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي والشعبي والحسن البصري كما حكى ابن رشد عنه، لكن أكثرهم يستثنون بعض أموالهما فيوجبون الزكاة فيه، ومعظم هؤلاء يستثنون زروع وثمار كل من الصبي والمجنون فيوجبون الزكاة فيهما، وهؤلاء هم الحنفية وزيد بن علي وجعفر الصادق من أئمة الشيعة، وبعضهم يستثنون أموالهما الظاهرة، أو النامية كالنعم والثمار والزروع فيوجبون فيها الزكاة وهم ابن شبرمة والحسن البصري كما حكى ابن حزم عنه(٢٣).

والسبب في الاختلاف أمران:

الأول: اختلاف العلماء في مفهوم الزكاة الشرعية، هل هي عبادة كالصلاة والصيام أم هي حق العبد للفقراء ونحوهم على الأغنياء؟ فمن قال: إنها عبادة، قال: الصبي والمجنون ليسا من أهل وجوب العبادة، فلا تجب عليهما الزكاة كما لا تجب عليهما الصلاة والصوم، ومن قال: إنها حق العبد، قال: الصبي والمجنون من أهل وجوب حقوق العباد كضمان المتلفات وأروش الجنايات ونفقة الأقارب والزوجات(٢٤).

الثاني: لقد وردت بعض الأحاديث عن رسول الله ﷺ تدل على وجوب الزكاة في أموال الصغار، ومن ثبتت عنده تلك الأحاديث، قال: بوجوب الزكاة في أموالهم، ومن لم تثبت عنده تلك الأحاديث، أو رآها أضعف من أن تخصص العمومات الواردة بعدم تكليفهم، قال: بعدم وجوب الزكاة في أموالهم (٢٥).

وقد استدل القائلون بوجوب الزكاة في مال الصبي والمجنون بأدلة كثيرة هاك بعضًا منها:

الدليل الأول: النصوص العامة في الزكاة الواردة في الكتاب والسنة والتي دلت على وجوب الزكاة في أموال المسلمين ولم تفصل بين البالغين والصبيان ولا بين العقلاء والمجانين، بل أمرت بأخذ الصدقة من أموال المسلمين عمومًا دون استثناء لمال الصبي والمجنون، ومنها قوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقه﴾ (التوبة:١٠٣)، فهذا النص عام في كل صغير وكبير وعاقل ومجنون؛ لأنهم جميعًا بحاجة إلى التطهير والتزكية والدعاء، ومنها قول رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن: «... فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ» (٢٦)، فهذا النص أيضًا عام يشمل كل أغنياء المسلمين صغارًا أو كبارًا، عقلاء أو مجانين، كما أنه عام في فقرائهم، إذ لم يقل أحد بأن الصغير الفقير أو المجنون الفقير لا يأخذ من الزكاة.

تعتبر نية الولي في إخراج زكاة الصبي والمجنون كأنه رب المال

الدليل الثاني: إن المقصود من الزكاة هو مواساة الفقير والمسكين، وتطهير مال الغني وحصوله على الثواب، وكل من الصبي والمجنون بحاجة إلى التطهير والثواب، كما أنهما من أهل المواساة، ولهذا يجب في مالهما نفقة أصولهما وفروعهما المحتاجين، وإذا ملك أي منهما أباه الرقيق فإنه يعتق عليه ويصير حرًا بمجرد ملكه إياه، فتجب الزكاة في أموالهما.

الدليل الثالث: الزكاة حق العباد، والصبي والمجنون أهل بالاتفاق لوجوب حقوق العباد في أموالهما كضمان المتلفات، وأروش الجنايات، ونفقة الأقارب والزوجات، ويدل على أنها حق العبد ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ (التوبة:٦٠)، وقوله جل وعلا: ﴿والذين في أموالهم حق معلوم • للسائل والمحروم﴾ (المعارج: ٢٤-٢٥)، والإضافة بحرف اللام تقتضي الاختصاص على جهة الملك إذا كان المضاف إليه من أهل الملك كما في الآيتين الكريمتين.

- الإجماع على أن من عليه الزكاة إذا وهب جميع النصاب للفقير بدون نية أداء الزكاة سقطت عنه الزكاة، والعبادة لا تحصل بدون نية، فدل ذلك على أنها حق للعبد.

- الزكاة يجري فيها الجبر على الأداء والاستخلاف من الساعي، ويصح فيها توكيل الذمي بأدائها وهو ليس من أهل العبادات، لأن شرط صحة أداء العبادات الإسلام، ولو كانت الزكاة عبادة ما صح ذلك.

- حقيقة الزكاة أنها تمليك المال للفقير، والمنتفع بها هو الفقير، فكانت حق الفقير.

واستدل الرأي القائل بعدم وجوب الزكاة في مال الصبي والمجنون بأدلة كثيرة إليك بعضًا منها:

- قال تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾، والصبي والمجنون لا ذنوب عليهما، حتى يحتاجا إلى التطهير والتزكية، فلا تأخذ حينئذ من أموالهما الزكاة.

- الزكاة عبادة محضة، كالصلاة، والعبادات يناط الأمر بها بالمكلف، وهو البالغ العاقل، أما غير المكلف فلا تجب عليه التكاليف الشرعية، مع العلم أن العبادة تحتاج إلى نية ولا نية للصبي ولا المجنون، ومن ثم فلا تجب عليهما الزكاة، كما لا يجب عليهما صوم ولا صلاة.

- الإسلام يراعي أموال الضعفاء، ويحرص على نمائها، وعدم مسها، إلا بالتي هي أحسن، وأخذ الزكاة منها عامًا بعد عام يعرضها للانقراض، فيتعرضان للحاجة والفقر.

ويمكن الإجابة على استدلال الرأي الثاني بما يلي:

- إن التطهير في الآية الكريمة ليس خاصًا بالذنوب لينحصر في المكلفين، وإنما هو عام في تربية الخُلق، وتزكية النفس، وتعويدها على الفضائل.

- قولكم: إن الزكاة عبادة محضة كالصلاة، فصحيح؛ لكنها عبادة مالية،

تجري فيها النيابة،حتى إنها تتأدى بأداء الوكيل إجماعًا حتى ولو كان ذميًا، وما دامت عبادة مالية تجري فيها النيابة فإنها تجب في مال الصبي والمجنون ويؤديها الولي عنهما.

- وقولكم: إن العبادات تحتاج إلى نية ولا نية للصبي ولا المجنون، ومن ثم فلا تجب عليهما الزكاة، كما لا يجب عليهما صوم ولا صلاة، فيرد عليه بـ: أن المأمور بأخذ الزكاة من أغنياء المسلمين الإمام؛ بقوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾، فإن أخذها بنفسه أو عُمَّاله بنية أنها الصدقة أجزأت عن الغائب والمغمى عليه والمجنون والصغير ومن لم ينو عند أدائها.

- وأما قولكم بسقوط الصلاة والصوم عنهما، فلأنهما عبادات بدنية شخصية لا يجوز فيها توكيل ولا إنابة، بل على الإنسان أن يباشرهما بنفسه، لأن التعبد فيهما إنما هو باحتمال مشقتهما، ثم إن سقوط فريضة لا يلزمه سقوط غيرها، فسقوط الصلاة عن الحائض لا يلزمه سقوط الصوم عنها، وسقوط الصوم عن المريض لا يلزمه سقوط الصلاة عنه، فسقوط الصوم والصلاة عن الصبي والمجنون لا يلزمه سقوط الزكاة عن أموالهما.

إذن بعد بيان رأي الفريقين، فإن الذي يغلب على الظن رجحان رأي جمهور العلماء في وجوب الزكاة في مال الصبي والمجنون مطلقًا، لكن هل يخرجها الولي أم أنها تجب ولا يخرجها الولي، بل يخرجها الصبي بعد بلوغه والمجنون بعد إفاقته؟ فالأكثر قالوا: يخرجها الولي، والبعض قال: يخرجها الصبي بعد بلوغه والمجنون بعد إفاقته، وقد استند هذا البعض إلى ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «من ولي مال يتيم فليحص عليه السنين فإذا دفع إليه ماله أخبره بما عليه من زكاة»، فهؤلاء ينظرون إلى أن الزكاة حق الفقير، لكنها عبادة يتقرب بها الشخص نفسه إلى ربه لينال مرضاته.

لكن ما استند إليه هذا البعض مجاب عنه: بأن ما روي عن ابن مسعود منقطع، لأنه مروي عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن مسعود، ومجاهد لم يدرك ابن مسعود، ثم إن ليثًا ضعيف، قال البيهقي: ضعَّف أهل العلم ليثًا، فروايته لا يحتج بها.

فالراجح حينئذٍ ما رآه الأكثر، وهو أن على الولي أن يخرجها من مالهما، لأنه يقوم مقامهما في أداء ما عليهما من الحقوق كنفقة الأقارب، وضمان المتلفات إجماعًا، فما الذي يمنع من قيامه بأداء حق المسكين وابن السبيل؟ وأيضًا، لأن الزكاة لسد حاجة الفقير، والمسكين، وابن السبيل، وسد حاجة هؤلاء أمر لا يقبل التأجيل.

هذا، وإذا خشي الولي أن يطالبه الصبي بعد بلوغه أو المجنون بعد إفاقته بغرامة ما دفع من مالهما بناء على مذهب القائلين بعدم وجوب الزكاة في مالهما، فعليه أن يرفع الأمر إلى قاض يرى وجوب الزكاة في مالهما، حتى يحكم له بوجوب دفع زكاة مالهما، فلا يستطيع قاض بعد ذلك نقض هذا الحكم، لأن الحكم الأول رفع الخلاف، وتعتبر نية الولي في الإخراج كأنه رب المال، فعليه أن ينوي أنها زكاة مال الصبي والمجنون.

الهوامش

١-انظر: دراسة مقارنة حول الموارد المالية الإسلامية والضرائب المعاصرة: (ص:٥-٦).
٢- انظر: مادة :(ناب)، في كل من: مختار الصحاح، القاموس المحيط.
٣- انظر: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير : (١٧/٢).
٤-انظر: شرح الزرقاني على مختصر خليل: (٢٤٣/٢).
٥- انظر: البدائع للكاساني: (٢١٢/٢)، البناية في شرح الهداية للعيني: (٣/٣٤٤-٣٥٤)، بداية المجتهد لابن رشد: (٤١٥/١)، جواهر الإكليل شرح مختصر خليل: (١٢٦/٢)، نهاية المحتاج للرملي: (٣٦١/٤)، منهاج الطالبين للنووي: (٧٦،٧٧/٣)، المغني لابن قدامة: (٦٢٢/٢)، كشاف القناع للبهوتي: (٢٥٨/٢).
٦- انظر: المجموع للنووي: (٥/٢٩٣-٢٩٦).
٧- انظر: المغني: (٦٢٢/٢).
٨- انظر: اختلاف العلماء للطحاوي باختصار الجصاص: (٢/٥-٦).
٩-أخرجه البخاري، برقم: (٢٦٦٤)، وذكره الطحاوي في كتابه اختلاف العلماء، بزيادة: في المقاتلة.
١٠- انظر: مواهب الجليل للحطاب: (٩٥/٥).
١١- انظر: حاشية ابن عابدين: (٢/٢٥٨-٢٥٩).
١٢- انظر: حاشية ابن عابدين: (٢٥٨/٢).
١٣- انظر: المرجع السابق.
١٤- أخرجه أحمد في المسند، برقم: (٥٣٣٩)، مسلم، برقم: (٢٣٢٩)
١٥-انظر: البدائع: (٨١٤/٢)، موطأ مالك: (٢٥١/١) المجموع: (٥/٢٨١-٢٨٣)، الممتع في شرح المقنع للتوخي الحنبلي: (٢/١٩٧-١٩٨).
١٦-انظر: حلية العلماء للشاشي:(٩/٣)، معالم السنن للبيهقي:(٣٨/٢)، وانظر: معنى هذا الاعتراض في فتح القدير:(٢١٧/٢).
١٧- انظر: حاشية الدسوقي: (٤٣١/١)، المهذب للشيرازي: (١٤٠/١)، الإنصاف للمرداوي: (١٩١/٣).
١٨- انظر: المدونة لسحنون: (٢٥٠/١)، حاشية النجدي على منتهى الإرادات للفتوحي:(٤٣٥/١).
١٩-انظر: موطأ مالك:(٢٥١/١) المجموع: (٥/٢٨١-٢٨٣)، كشاف القناع: (٢٥٨/٢).
٢٠- انظر: مصنف عبد الرزاق: (٧٠/٤)، سنن البيهقي: (١٠٨/٤)، حلية العلماء للشاشي: (٩/٣)، وانظر: معنى هذا الاعتراض في فتح القدير: (٢١٧/٢).
٢١- انظر: مغني المحتاج للشربيني: (١/٥٥١-٥٥٢)، الشرح الكبير للمقدسي: (١٥٢/٧).
٢٢- انظر: حاشية الدسوقي: (٥٠٠/١)، مغني المحتاج: (١/٥٥١-٥٥٢)، التوضيح في الجمع بين المقنع والتنقيح للشويكي: (٣٩٧/١).
٢٣- انظر: الاختيار لعليل المختار لعبدالله الموصلي الحنفي: (١٣٠/١)، حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح: (ص: ٥٨٧-٥٨٨).
٢٤- انظر: بداية المجتهد: (٤١٥/١)، المجموع: (٥/٢٩٣-٢٩٦)، الانتصار في المسائل الكبار للكلوذاني: (٢٧٠/٣)
٢٥- انظر: الهداية مع فتح القدير: (١٥٤/٢)، حاشية ابن عابدين: (٢/٢٥٨-٢٥٩).
٢٦- أخرجه البخاري، برقم: (١٣٩٥)، مسلم، برقم : (١٣٠).

لقد جاءت شريعة الإسلام لهداية الناس للحق، وإخراجهم من سجن الهوى وعبودية الشهوات وربقة التسلط والظلم إلى رحابة العدل والحرية والكرامة، لإقامة مجتمع يتمتع كل أفراده وجماعاته بما لهم من حقوق، ويقوم كل منهم أفرادًا وجماعات بما عليهم من واجبات والتزامات.

إحياء الواجب الكفائي والعيني طريق لإقامة مجتمع العمران

د. المصطفى تودي

كما ألزمت الشريعة الإسلامية الأفراد بواجبات دينية؛ لتحقيق مقاصد خاصة وجلب منافع ودفع مضار جزئية تعود فائدتها على آحاد الناس وهو ما يسمى بالواجب العيني، فإنها كذلك تضمنت واجبات على الأمة كلها، لإقامة مجتمع الخلافة والعمران، وبناء الأمة الشاهدة على الأمم الأخرى، وبذلك ألزم الشارع الأمة بواجبات لا ترتبط إقامتها بأفراد مخصوصين، ولا تعود مصلحتها على آحاد معروفين، بل كلفت بها الأمة تحقيقا لمقاصد الشرع في حفظ ورعاية مصالحها الجماعية ودفع المخاطر والمفاسد عنها.

أولا: تعريف الواجب العيني وتقسيماته

أ- تعريف الواجب العيني

الواجب العيني هو «الذي يوجه فيه الطلب إلى كل واحد من المكلفين بعينه، بحيث إذا تركه أثم واستحق الذم ككل الفرائض التي يأثم تاركها من صلاة وزكاة وحج ووفاء بالعقد» (١).

والمقصود من إقامة الواجب العيني هو تحقيق المصلحة الخاصة لكل فرد وهي تتكرر بتكرر القيام بهذا الواجب، يقول القرافي: «الأفعال قسمان منها ما تتكرر مصلحته بتكرره، ومنها ما لا تتكرر مصلحته بتكرره، فالقسم الأول شرعه صاحب الشرع على الأعيان تكثيرا للمصلحة بتكرر ذلك الفعل كالصلوات الخمس، فإن مصلحتها الخضوع لله، وتعظيمه ومناجاته والتذلل له والمثول بين يديه والتفهم لخطابه والتأدب بآدابه، وهذه المصالح تتكرر كلما كررت الصلاة» (٢).

ومن هنا فإن الواجبات العينية يحتم الشارع فعلها على كل فرد من الأفراد، حتى إذا عجز عن القيام بالفعل لم يطلب الشارع وقوعها من غيره، لأن المصلحة التكليفية فيها ترجع إلى المكلف نفسه (٣).

ثانيا: تعريف الواجب الكفائي وتقسيماته

أ- تعريف الواجب الكفائي

الواجب الكفائي هو المصلحة التي قصد الشارع حصولها وقيامها من غير نظر إلى فاعلها، ولذلك طلب الشرع من مجموع المكلفين إقامته لا من كل فرد بعينه، ولذلك سمي كفائيا، إذا تحققت مصلحته سقط عن الباقين، لأنه يكفي في حصوله قيام بعض المكلفين بفعله دون البعض، ففرض الكفاية إذن هو ما يطلب من جملة الناس، أي يطلب تحقق الفعل فيه من الجماعة، فإذا فعله البعض سقط الطلب عن الباقين، وإن لم يفعله أحد أثم الجميع، ويكفي في سقوطه عمن لم يقم به اعتقاده أن غيره قام به كالإفتاء وتعلم الطب والصناعات التي يحتاج إليها الناس (٤).

ولما كانت المصلحة المرجوة من الواجب الكفائي هو تحققه بذاته في الأمة، ولأن فائدته لا تتوقف على قيام كل مكلف به، فإن الشارع لم يطلب حصوله من فرد أو أفراد معينين، وإنما طلب وجوده في المجتمع من غير نظر إلى الفرد الذي يقوم به، لأن مقصود الشارع منه حصوله في الجماعة، أي إيجاد الفعل لابتلاء المكلف.

واصطلح الأصوليون- ومنهم الشافعي- على إطلاق الواجب الكفائي على العام الذي يراد به الخصوص، وهو ما يرى فيه الشيخ أبوزهرة: «أن التعبير عنه بهذا المعنى تعبير جيد محكم مستقيم، ذلك لأن الخصوص فيه ملاحظ، والتكليف عام، بدليل إثم الجميع إن لم يقع الفعل... والخصوص ملاحظ لأن المقصود أن يقع الفعل من أدنى عدد، أو من العدد الذي يعقل أن يقع منه الفعل» (٥).

ب- أقسام الواجب الكفائي

ذهب أغلب الفقهاء إلى تقسيم الواجب الكفائي إلى ضربين (٦):

- واجبات دينية: ويقصدون بها الفروض المرتبطة بالعبادة المحضة كصلاة الجنازة.

- وواجبات دنيوية: ويعنون بها المصالح العامة والمنافع التي تعود على الأمة كلها، كالصنائع والحرف والعلوم

* أستاذ مكون بالمركز التربوي الجهوي- فاس

المقصود من إقامة الواجب العيني هو تحقيق المصلحة الخاصة لكل فرد في المجتمع

التي تلبي حاجيات الأمة وضروراتها العمرانية.

وقد قصر الإمام الغزالي الواجب الكفائي على أعمال الآخرة فقط دون أمور الدنيا، مستدلا على أن الطبع يحث عليها فأغنى عن حث الشارع بالإيجاب، يقول الإمام الغزالي: «أما المبايعات والمناكحات، والحراثة، والزراعة، وكل حرفة لا يستغني الناس عنها، لو تصور إهمالها لكانت من فروض الكفايات، ولكن في بواعث الطباع مندوحة عن الإيجاب؛ لأن قوام الدنيا بهذه الأسباب، وقوام الدين موقوف على قوام أمر الدنيا ونظامها لا محالة» (٧). ولكن الراجح الذي عليه عامة الفقهاء أن الواجب الكفائي يتضمن الصنفين معا، أمور الآخرة وأمور الدنيا، لأن الشارع ألزم بهما المكلف وحث على فعلهما، كما أن الفروض الكفائية المرتبطة بأمور الدنيا تتعلق بها قوة الأمة ونهضتها وتقدمها.

ثم إن مسألة حث الطبع التي استند إليها الإمام الغزالي لا تغني عن حث الشارع بالإيجاب بإطلاق وذلك لأمور أهمها:

الأول: أن الطبع قد يتخاذل في كثير من الأحايين على قيام الإنسان بواجباته، خصوصا في هذا الزمان الذي رق فيه الدين في النفوس، وضعف الوازع الديني، ومن ثم يتدخل الشرع بالإلزام للقيام بما من شأنه إصلاح الطباع وتزكية النفوس ودفعها إلى فعل ما فيه مصلحة الأمة والمجتمع.

الثاني: إن مبدأ حث الطبع الذي يغني عن حث الشارع، والذي انبنى عليه الخلاف في العصور المتقدمة قد يكون سائغا في تلك الفترة التي كان فيها الوازع الديني قويا والقيام بالواجب خلقا، والجهود الفردية تكفي لسد حاجيات الأمة ومتطلباتها، أما في عصرنا هذا فإن التخلي عن الواجب أصبح طبعا، والاستهتار بالمسؤولية شيم كثير من الأفراد، مما أدى إلى ضياع الكثير من المصالح العامة والخاصة وتعطيل الواجبات الكفائية، حتى تضررت الأمة من هذا الضياع والتعطيل، ونتج عنه ضيق وحرج وضعف للأمة، فتفوقت الأمم الأخرى وصرنا هدفا للغزو الفكري والسياسي والاقتصادي.

الثالث: أن حث الطباع وإن كان حاضرا والوازع الديني وإن كان موجودا فإنهما لا يكفيان للتصدي لحاجات الأمة الكبيرة ومتطلباتها العظيمة، ولدفع المخاطر عنها ومواجهة التحديات التي تواجهها، بل إن ذلك يتطلب تكتل جهود الأمة وتوحيد طاقاتها لدفع التخلف والتبعية عنها.

ولأهمية هذه الواجبات على واقع الأمة وعظم شأنها على مستقبلها لم تكلف الأفراد بها، ذلك أن قدرة الأفراد وطاقاتهم وقدرات الجماعة قاصرة عن النهوض والقيام بها.

ثالثا: أهمية الواجب العيني والكفائي

حظي الواجب العيني والكفائي باهتمام كبير سواء من قبل الأصوليين القدامى أو من الباحثين المعاصرين، نظرًا للمكانة التي يحتلانها ضمن مباحث الأصول، ولعلاقتهما المباشرة بالحياة العامة للناس، وبما يترتب عن القيام بهما من مصالح للفرد والمجتمع والأمة كلها، فلهما ارتباط بالحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولهما مساس بكيان الأمة ووجودها في توفير احتياجاتها المختلفة قصد الارتقاء بها، وتظهر أهميتهما من خلال الأبعاد الآتية:

أ- ارتباط الواجب الكفائي والعيني بالمقاصد الشرعية

الواجبات العينية وإن ارتبط الإلزام بها بذات الفرد اختبارا له وتزكية لنفسه وإصلاحا لأمره وامتحانا لطاعته واستقامته، فإنها لا تخلو من أثر على الحياة الاجتماعية، ومن مقاصد عامة، لأنها تربي الفرد المسؤول الذي يعود على مجتمعه بالعطاء والنفع، وتساعد على نشر قيم التعاون والتضامن والوفاء، وتكون الضمير الحي الذي يراقب السلوك الذاتي ويقومه، مما يجعل الفرد عنصرا منسجما مع مجتمعه، عضوا نافعًا فيه، ويساهم في استقامة الحياة الاجتماعية للأمة، «فهو مأمور بحفظ دينه اعتقادا وعملا، وبحفظ نفسه قياما بضرورية حياته، وبحفظ عقله حفظا لمورد الخطاب من ربه إليه، وبحفظ نسله التفاتا إلى بقاء عوضه في عمارة هذه الدار، ورعيا له عن وضعه في مضيعة اختلاط الأنساب، وبحفظ ماله استعانة على إقامة تلك الأوجه الأربعة» (٨).

أما مقاصد الشرع من الفروض الكفائية فمتعددة، جماعها حفظ مصالح الأمة وضروراتها ودفع المفاسد والمخاطر عنها، وتلبية حاجياتها والنهوض بما يقيم كيانها، وقد أكد العلماء على أن مصلحة الأمة هي مدار الواجبات الكفائية يقول الشاطبي: «... أن الكفائي قيام بمصالح عامة لجميع الخلق» (٩).

وقال العز بن عبدالسلام: «واعلم أن المقصود بفرض الكفاية تحصيل المصالح ودرء المفاسد دون ابتلاء الأعيان بتكليفهم» (١٠).

ب- الفروض الكفاية والعينية حقوق لله وواجبات على الأمة

ذلك أن حقوق الله لها ارتباط

الفروض العينية لا يمكن القيام بها والامتثال لها إلا إذا وجدت الواجبات الكفائية والمصالح العامة

بالحياة الاجتماعية للناس، لأنها إما تتعلق بالواجبات العبادية أو بالمصلحة العامة للأمة، لأن أغلب حقوق الله التي لها ارتباط بالصالح العام هي واجبات على الأمة كلها، إذ عليها يتوقف كيان المجتمع، والقيام بها نهوض بالمجتمع وقيام بمصالح الأمة، ومن ثم كان القيام بالواجبات الكفائية قياما ورعاية لحقوق الله.

ج- تساوي الواجب العيني والكفائي في الأهمية

الواجب العيني والكفائي متساويان في الإيجاب والإلـزام، لأن كلا منهما طلب الشارع حصوله وحتم وجوده، ورتب عليهما العقاب على تركهما وعدم القيام بهما، إذ لو لم يكن للواجب الكفائي أهمية كبيرة ومنزلة خطيرة ما طلب الشارع من الجميع القيام به ولا حتم على الكافة إيجاده، ولا رتب على الأمة كلها الإثم على تركه، ومن ثم لم تبق للمفاضلة بين الواجب الكفائي والعيني فائدة، لأن كل منهما جزء من أحكام الشريعة ومصالح قصدها الشارع من وراء القيام بها على سبيل الحتم والإلزام، ويبقى الفرق بينهما «أن المقصود في فرض الكفاية تحصيل المصلحة التي تضمنها، من أي شخص حصلت كان هو المطلوب، وفي فرض العين تعبد الأعيان بفعله» (١٢).

د- توقف الواجب العيني على الكفائي

فالفروض العينية لا يمكن القيام بها والامتثال لها إلا إذا وجدت الواجبات الكفائية والمصالح العامة، يقول الشاطبي: «لا يقوم العيني إلا بالكفائي، وذلك أن الكفائي قيام بمصالح عامة لجميع الخلق» (١٣)، لأن الواجب الكفائي حفظ للأمة بالجهاد وضمان استقرار المجتمع بإقامة العدل عن طريق القضاء، ونشر للأمن ودفع للفتن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وتحقق هذه المقاصد التي تخدمها الواجبات الكفائية يوجد المجتمع المستقر الآمن الذي يستطيع فيه الفرد أداء واجباته العينية والامتثال للأوامر والنواهي الإلهية، «لأن الفروض العامة أو التضامنية، من الوجهة العملية، يتوقف عليها التمكن من أداء الفروض العينية «الفردية»، فما لم يكن هناك دفاع وجهاد، وما لم تظهر دولة إسلامية آمنة ذات سلطان، وما لم يتحقق العدل بالقضاء وفق أحكام الشريعة الإلهية، وهكذا، فإن أداء الفرد للفرض العيني، من عبادة أو زكاة أو نحو ذلك، قد يصبح متعذرا، بل إن حياة الفرد نفسه أو تمكنه من الحياة في حرية قد لا تكون ممكنة، وبقاء الدين نفسه يمكن أن يكون عرضة للخطر، فالفروض الكفائية أو التضامنية لها إذن هذه الأهمية العظمى، فيما يتعلق بحياة الأمة الإسلامية والدين» (١٤).

هـ- الواجب الكفائي فرض عين على الأمة كلها وقد يصير عينيا على بعض الأفراد

لما كان المقصود من الواجب الكفائي وجوده وحصول المصلحة فيه دون النظر إلى فاعله، فإنه فرض عيني يلزم الأمة كلها القيام به تحقيقا لمقاصد الشارع، فهو يؤدى بالتضامن والتعاون والإنابة، لأن جهود الأفراد منفصلة قاصرة عن القيام به لأهميته وخطورته، وارتباطه بأمور كلية في الدين، وبقضايا كبيرة في الأمة، ولذلك فإن مسؤولية الأمة في الواجب الكفائي لا تسقط بمباشرة أفراد منها له وقيامهم به، بل إن الذي يسقط هو مباشرة الأفراد الآخرين للعمل نفسه وليس المسؤولية؛ يقول الإمام الشاطبي: «يصح أن يقال إنه واجب على الجميع على وجه من التجوز، لأن القيام بذلك الفرض قيام بمصلحة عامة، فهم مطلوبون بسدها على الجملة. فبعضهم هو قادر عليها مباشرة، وذلك من كان أهلا لها، والباقون- وإن لم يقدروا عليها- قادرون على إقامة القادرين، فمن كان قادرا على الولاية فهو مطلوب بإقامتها، ومن لا يقدر عليها مطلوب بأمر آخر وهو إقامة ذلك القادر وإجباره على القيام بها» (١٥)، لأن العمل- الواجب الكفائي- قد يباشره فرد بذاته، لكن مسؤولية المراقبة والمساعدة والحث على إنجاح العمل لا تسقط على الأمة، ولذلك فإن ذمة كل فرد من أفراد الأمة تبقى مشغولة حتى يتحقق الواجب الكفائي ويثمر ثماره ومنافعه، فهو إذن واجب عيني على الأمة إلا أنه لا يتكرر القيام به إذا وجد، يقول القرافي: «الأفعال قسمان منها ما تتكرر مصلحته بتكرره، ومنا ما لا تتكرر مصلحته بتكرره، فالقسم الأول شرعه صاحب الشرع على الأعيان تكثيرا للمصلحة بتكرر ذلك الفعل كالصلوات الخمس... والقسم الثاني كإنقاذ الغريق إذا شاله إنسان، فالنازل بعد ذلك في البحر لا يحصل شيئا من المصلحة، فجعله صاحب الشرع على الكفاية، نفيا للعبث وكذلك كسوة العريان وإطعام الجيعان ونحوهما» (١٦).

و- أهمية الواجب الكفائي في مقاومة الغزو الفكري والاقتصادي والعسكري

لقد تأكد مما سبق أن القيام بالفروض الكفائية نهوض بالمصالح العامة للأمة، وسد لحاجياتها وضروراتها، وتقوية للقطاعات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتعليمية والصناعية والفلاحية، وقد أدى تعطيل هذه الوظائف والقطاعات الأساسية، وقلة

الاهتمام بها إلى تخلف الأمة وتراجعها، وضعف تحصيناتها ومقاومتها، فانعدمت الوسائل التي يتحقق بها العمران، وندرت أسباب المعيشة الكريمة للناس، نظرا لهدر الثروات والكفاءات وقلة الإنتاج، فأدى إهمال الواجبات الكفائية إلى احتياج الأمة إلى غيرها في العلم والطعام والدواء، وإحياء الواجب الكفائي كفيل بنهضة الأمة وتحقيق اكتفائها الذاتي ومقاومة الأطماع الخارجية السياسية والاقتصادية التي تروم تضعيف طاقات الأمة وتخريب تحصيناتها الثقافية والاجتماعية والتربوية.

وقد يتعين الواجب الكفائي على بعض الأفراد في الأمة حسب الأحوال الآتية:

١- قد يهمل الناس القيام بالواجب الكفائي ويتخاذلون عن القيام به، فيتحول إلى فرض عيني، على كل مسلم يجد في نفسه القدرة والكفاءة لتنفيذه أن يجتهد من تلقاء نفسه لإيجاد الوسائل للنهوض به وتحقيق غاياته.

٢- إذا شرع فرد من أفراد الأمة في أداء الواجب الكفائي تعين في حقه وصار واجبا عينيا عليه، والمعيار الأساسي في سقوط مباشرة الواجب الكفائي عن باقي المكلفين هو تحقق المصلحة أو المطلوب الشرعي، لأن العبرة ليست في قيام فرد بذاته لهذا الواجب، وإنما الغرض حصول المقصود والمصلحة من هذا الواجب، فإذا لم يتحقق المقصود من الواجب الكفائي بقيام من بدأ فيه، فإن المسؤولية لا تسقط عن الأمة ويصير واجبا عينيا على من يليه، كالجهاد مثلا إذا شرع المرء فيه وجب عليه أن يمضي فيه وألا يتخلف عنه أو يتولى حتى يتحقق المقصود، يقول الشاطبي: «...وكذلك الجهاد حيث يكون فرض كفاية، إنما يتعين القيام به على من فيه نجدة وشجاعة وما أشبه ذلك من الخطط الشرعية، إذ لا يصح أن يطلب بها من لا يبدئ فيها ولا يعيد؛ فإنه من باب تكليف ما لا يطاق بالنسبة إلى المكلف، ومن باب العبث بالنسبة إلى المصلحة المجتلبة أو المفسدة المستدفعة. وكلاهما باطل شرعا» (١٧).

٣- إذا لم يكن في الأمة من يقوم بالواجب الكفائي إلا فرد واحد تعين عليه أداء هذا الواجب، كالبلدة التي وجد فيها عدة أطباء ووجد المريض ثم ارتحل الأطباء إلا واحدا، أو ماتوا إلا واحدا قبل علاج المريض، فالتكليف بالعلاج كان كفائيا عند وجود الأطباء في البلدة، ولم يكلف به واحد منهم بعينه، ولما انفرد واحد منهم في البلدة تعين هو للتكليف بالعلاج وأصبح العلاج واجبا عينيا عليه (١٨).

٤- قد يتمالأ الأفراد على ترك القيام بالواجب الكفائي أو تعطيله، فيؤدي ذلك إلى الإضرار بالناس وإلحاق الحرج بهم واختلال أحوال المجتمع، كما إذا تركوا أو عطلوا الحرف والصنائع التي يحتاجون إليها، ولا يتم معاشهم إلا بها، فإنه يجوز للدولة أن تلزم الناس بهذه الفروض الكفائية، وتقيم الوسائل التي يتحقق بها ذلك وترتب الجزاءات العقابية على تركه، قال صاحب المنهاج: «ومن فروض الكفاية الحرف والصنائع وما يتم به المعاش»، قال الشارح: «لتوقف قيام الدين على قيام الدنيا، وقيامها ذينك- الحرف والصنائع- ولا يحتاج لأمر الناس بها لكونهم جبلوا على القيام بها، لكن لو تمالأوا على تركها أثموا وقوتلوا» (١٩). وقال ابن حزم: «هو فرض على الأغنياء من كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات بهم» (٢٠).

رابعا: أسباب تعطيل الواجب الكفائي

إن الناظر للواقع الإسلامي المعاصر، والمتفحص لأحوال المجتمع اليوم يرى كثيرا من مظاهر الضعف والتخلف والتراجع الحضاري، نتيجة عدم قيام الأمة بواجباتها وتعطيل مصالحها العامة، مما كان له الأثر السيئ على فقدان الأمة لصفة الشهود الحضاري وعجز المجتمع عن الخلافة والعمران وضعفت قواه من الناحيتين السياسية والاجتماعية.

ومن أسباب تعطيل الواجب الكفائي نجد:

أ- سوء فهم الأمة لواجباتها الكفائية

وذلك نتيجة جهل كثير من أبنائها لأهمية هذه الفروض الاجتماعية، وعدم تقديرهم لمكانة هذه المصالح العامة في تنمية المجتمع وتقدمه، ونهوض الأمة وقوتها، أدى ذلك إلى تخلفها في كثير من المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية، وإلى خلل كبير في المسيرة الحضارية للأمة وتراجعها عن أداء دورها الريادي بين الأمم، ثم إن انحصار فهم كثير من الناس للأبعاد الحقيقية للواجبات الكفائية أدى إلى تضييع المصالح العامة للأمة، والمقاصد الشرعية التي رمى الشارع إلى تحقيقها من وراء إلزام الأمة بالواجبات الكفائية، وقد ساهم في ذلك سيادة فهم خاطئ حول فلسفة الواجب الكفائي وإلزاميته للأمة، مفاده أن مسؤولية الأمة تنتهي بمجرد قيام فرد منها بهذا الواجب، فأدى ذلك إلى سيادة الروح التواكلية والنفسية السلبية، بدعوى أن هذا الواجب يؤدى كفائيا، وأن هناك كثيرين يكفونني هذا الأمر، مما نتج عنه ضياع هذه المصالح العامة، وتخلف المجتمع، وتراجع الأمة حضاريا.

ب- إشكالية التسمية

لقد درج الأصوليون على تسمية هذه المصالح العامة بالفروض الكفائية، انطلاقا من أن الشارع لم يطلب حصولها من فرد معين، وإنما طلب وجودها في الأمة تحقيقا للصالح العام، ونهوضا بأمور المجتمع، والكفائية لا تغير بأي وجه انتفاء المسؤولية عن المجموع بمباشرة فرد وشروعه في هذا الواجب، بل يتبقى الطلب واردا على الجميع في إقامته عن طريق المتابعة والمعاونة والمراقبة والنصح والنقد وإقامة القادر... ومن ثم

سبيل إحياء الواجب الكفائي هو تقويم الفكر وتجديد الفهم وتصحيح التدين

فإن«الكفائية» نظر إلى مرحلة الأداء أو مباشرة العمل، أما المسؤولية كما رأينا فلا تسقط على العموم أو عن المجتمع، لأن المصلحة فيها مرتبطة بالأمة ولا تتحقق إلا بوجودها من المكلفين دون أن تتوقف على قيام كل مكلف بها، ومن هنا اعتبرت تسميتها بـ«الكفائية» تسمية غير موفقة؛ لأن أساس هذه التسمية النظر فقط إلى مرحلة الأداء، أي أن هذه الفروض يمكن أن تؤدى بالاكتفاء بأن يقوم بها البعض، وهي فكرة الإنابة أو التمثيل.. ولكن هذا الوصف أدى إلى سوء الفهم لطبيعة تلك الفروض وعدم تقدير لأهميتها- من الناحيتين الروحية والسياسية- التقدير الحق... ولذا فإن الأولى أن تسمى هذه الفروض «الاجتماعية» أو «السياسية» أو «العامة» أو «التضامنية» بينما تسمى الفروض العينية «الفردية» أو «الخاصة»، فتكون هذه التسمية أكثر دقة من الناحية العلمية وأكثر انطباقا على طبيعتها (٢٢).

ج- **إهمال العمل الحركي والدعوي للواجب الكفائي**

لما طوح الزمان بالأمة إلى الضعف والوهن، وسار بها الأمر إلى التقليد والجهل، وآلت معها معالم الحضارة الإسلامية إلى الضمور في الفكر، والانحطاط في العمران، انحسر فكر العمل الحركي والدعوي على الأمور الجزئية الخاصة بالأفراد، وقصر مجهوده على الفرد إصلاحا له وتزكية لنفسه ورجوعا به إلى الحق، وتم إهمال العمل على إحياء المصالح العامة على مستوى الأمة، والقيام بالفروض الكفائية، إما جهلا بأهميتها وخطورتها، أو بسبب سوء فهم طبيعتها، وما من شك أن التركيز على إصلاح الأفراد يعود بالنفع والصلاح على الأمة والمجتمع، غير أن خطورة الواجب الكفائي وعلاقته بأمور كلية في الدين ومصالح عامة للمسلمين، وما يترتب عن إهماله أو تعطيله من خراب في العمران، وضعف وهوان في الحضارة وتخلف عن الشهود الحضاري، يجعله يحتاج إلى مجهود أكبر، وإلى تجميع الجهود وتكثيف الطاقات والخطط من أجل استرجاع الدور الريادي للأمة، حتى تكون مهابة الجانب ويعم الأمن ويَطّرِدَ النظام ويستقر الأمن، ويعم العمران فتقوم الدولة وتتقوى الأمة.

د- تداخل مسؤولية الدولة والأمة في القيام بالواجب الكفائي

لاشك أن الدولة هي الشكل التنظيمي المؤسساتي للأمة، فالغرض الأساسي من الدولة هو أن تتوصل الأمة بواسطتها إلى القيام بالواجبات العامة والسهر على المصالح الضرورية، فهي أداة بيد الأمة لتنفيذ الواجبات المفروضة عليها، وهذا مقتضى «عقد الإمامة» الذي تحدث عنه الأئمة والفقهاء قديما، فالواجبات الكفائية هي الوظائف العامة الملقاة على عاتق الدولة سواء كانت هذه الوظائف سياسية أو اجتماعية، غير أن المستقرئ للواقع الإسلامي المعاصر والمتتبع لأحوال المجتمعات يرى أن كثيرا من المصالح العامة والفروض الكفائية ضاعت بين تواكل الأمة على الدولة وإهمال وتعطيل الدولة لها، ولعل أبرز مثال لذلك ميدان البحث العلمي الذي به تقوى الأمة ويستقيم حالها، فهو يشهد تراجعا يعيش حالة أقرب إلى التعطيل والإهمال.

وإذا كان الأصل في اشتراك الدولة والأمة، وتداخل مسؤولياتها في النهوض بالواجب الكفائي؛ أن يكون دافعا للقيام بهذه الفروض، وتكثيف الجهود وتجميع الطاقات لإعمال هذه المصالح العامة في الحياة، فإنه من الناحية العملية يعتبر هذا التداخل سببا في تعطيل هذه الفروض نظرا لسوء فهم الدولة والأمة لواجباتهما.

خامساً: مجتمع العمران رهين بإحياء الواجب الكفائي

لما كانت قوة الأمة وتقدمها رهينة بفهمها لواجباتها ومرتبطة بقيامها بمسؤولياتها، وكانت واجبات الأمة تدخل ضمن الفروض الكفائية التي ألزم الله عز وجل بها أفراد الأمة جميعا ولم يعين أحدا منهم؛ لأن مصلحتها مرتبطة بالجميع، كان بعث الواجب الكفائي وإحياؤه سبيلا لإقامة المجتمع المتضامن المستقر، والأمة المتراصة القوية، وسبيلا للشهود الحضاري للأمة الذي يخولها منزلة الخلافة والإعمار، ولن يتأتى هذا إلا عن طريق:

أ- تصحيح أبعاد الواجب الكفائي في فكر الأمة

إن سبيل إحياء الواجب الكفائي هو تقويم الفكر وتجديد الفهم وتصحيح التدين، ودفع فساد التصور وانحراف السلوك، وربط الدنيا بالآخرة، ذلك أن بعث الواجبات الكفائية يقتضي معالجة أسباب التعطيل التي من أهمها، قصور الفهم لأبعاد هذه الفروض ولمقتضيات الاستخلاف على الأرض، وقلة الاعتناء بالسنن الكونية التي تتحكم بأسباب النهوض أو انهيار الحضارات، فقد تم إهمال الدنيا من أجل الآخرة، وإهمال علوم الدنيا التي يحتاج إليها في قوام أمور الحياة.

فكان إحياء فقه الواجبات الكفائية والمصالح العامة؛ وأبعادها الحقيقية في الأمة، وإعمالها في الحياة الاجتماعية والسياسية عن طريق تجديد الفهم وفقه المقاصد، كفيل بإعادة الأمة إلى

طريق الشهود، والحفاظ على خيراتها ووسطيتها حتى تصبح هذه الواجبات طريق التنمية والتقدم، وسبيلا لإقامة مجتمع الخلافة والإعمار (٢٣).

ب- تربية المجتمع على القيام بالواجب الكفائي

لاشك أن الخطط والمشاريع التنموية تركز على محورية المجتمع ومكانته الفعالة في أي تنمية شاملة، وتحرص على بناء مجتمع متقدم، يفقه دوره ويعي مسؤوليته في الحياة، وكان إحياء الواجب الكفائي، وترسيخ فلسفته، وتوضيح أبعاده داخل المجتمع، رهينًا بتربية المجتمع المسؤول الذي يحرص على أداء واجباته وتحصيل المصالح العامة المقصودة من إقامته، فيساهم في حماية الكيان الإسلامي وإعماره.

ج- تكوين الأمة لمن يقوم بالواجب الكفائي وإعداده لذلك

لما كان مفهوم الواجب الكفائي في الإسلام يتسع لكل نشاط يقصد به وجه الله وخدمة الإسلام وإعلاء شأن المجتمع الإسلامي وتحقيق مصالح الإنسان، كان الخطاب في الواجب الكفائي موجها إلى المجموع لا إلى كل فرد، ومؤدى ذلك أن» لـلأمة مصالح كثيرة لابد من وجودها لتنظم أحوالها وتسعد في حياتها، ومن هذه المصالح ما لا يقدر عليه إلا باستعداد خاص وتعلم ودراية، فمثلا الطب لا يقدر على القيام به الفلاح الذي لم يتجاوز فكره دائرة مزرعته... والقضاء بين الناس لا يقدر عليه إلا الفقيه ذو الفراسة الذي عنده علم بأحوال البيئة التي يعيش فيها إلى غير ذلك من الكفايات اللازم وجودها، ولا يقدر عليها إلا بعض من الأمة استعد لها وأتقن مقدماتها ووسائلها... وإذا لم يكن في الأمة مستعدون فعليها تذليل الطريق لإيجادهم بالتعليم» (٢٤).

ومن ثم يتحقق معنى التكافل الاجتماعي في المصالح الكفائية بين سائر أفراد الأمة، ويتوجب على الأمة إعداد من يقوم بالواجب الكفائي ومساعدة من تظهر عليه الكفاءة والقدرة على أداء مصلحة معينة، ومن هنا» يتجلى أن لا تناقض بين أن يوجه الخطاب إلى عموم الناس وفي نفس الوقت إلى الخصوص منهم لأن لكل وجهته، ويتجلى أيضا أن في كل فرض كفائي نوعين من التكليف، عام وخاص، فالعام يتوجه إلى الأمة قاطبة، والخاص يتوجه إلى الفئات المختصة المؤهلة عمليا بهذا الفرض» (٢٥).

ذلك أن استعدادات الناس مختلفة ومواهبهم في الأمور متباينة، فهذا قد تهيأ للطب، وهذا تعلقت نفسه بطلب العلم، وذاك بعلم اللغة ودقائقها، وآخر وقف نفسه لحراسة وأمن المسلمين، وآخر تهيأ لإتقان بعض المهن المحتاج إليها، والواجب على الأمة أن تربي كل امرئ على ما تهيأ له، وتسهل ظهور مواهبه، وتوجهه إلى ما يوافق ميوله، حتى يبرز كل واحد فيما غلب عليه ومال إليه، فتتوفر بذلك كل المصالح والتخصصات التي يحتاجها المجتمع الإسلامي ليكون أقوى المجتمعات اقتصاديا وعسكريا وعلميا إلى جانب القوة الإيمانية العقدية.

يقول الشاطبي: «وبذلك يتربى لكل فعل هو فرض كفاية قوم، لأنه سير أولا في طريق مشترك، فحيث وقف السائر وعجز عن السير فقد وقف في مرتبة محتاج إليها في الجملة، وإن كان به قوة زاد في السير إلى أن يصل إلى أقصى الغايات في المفروضات الكفائية... فبذلك تستقيم أحوال الدنيا وأعمال الآخرة، فأنت ترى أن الترقي في طلب الكفاية ليس على ترتيب واحد، ولا هو مطلوب من حيث المقاصد دون الوسائل، ولا بالعكس؛ بل لا يصح أن ينظر فيه نظر واحد حتى يفصل بنحو من هذا التفصيل، ويوزع في أهل الإسلام بمثل هذا التوزيع، وإلا لم ينضبط القول فيه بوجه من الوجوه» (٢٦).

الهوامش

١- أصول الفقه، محمد أبوزهرة، (دار الفكر العربي- بدون تاريخ): ص٣٥.
٢- الفروق، القرافي، (ط ١/ ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م/ دار الكتب العلمية بيروت): ١/ ٤٧٠.
٣- انظر، مباحث الحكم عند الأصوليين، محمد سلام مدكور،(ط٢/ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م/ دار النهضة العربية): ص٧٥.
٤- العزة في أصول الفقه، علال الفاسي، (مؤسسة علال الفاسي، بدون تاريخ): ص٢٠.
٥- الشافعي، محمد أبوزهرة، (ط٢/ ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م/ دار الفكر العربي): ص١٧٩.
٦- الأشباه والنظائر، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، (الطبعة ١- ١٤٠٣ هـ- دار الكتب العلمية بيروت): ١/ ٤١٠ - تيسير التحرير، محمد أمين بادشاه: ٢/ ٢١٣
٧- الوسيط في المذهب، محمد بن محمد أبوحامد الغزالي، (تحقيق محمد محمد تامر، ط ١- ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م / دار السلام): ٧/ ٦-٧.
٨- الموافقات: ٢/ ١٣٥.
٩- المصدر نفسه: ٢/ ١٣٥.
١٠- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، محمد عزالدين بن عبدالسلام السلمي، (ط١- ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م- المكتبة الحسينية المصرية): ١/ ٤١.
١١- الأشباه والنظائر، السيوطي، (ط١ ١٤٠٣هـ- دار الكتب العلمي): ١/ ٤١٠.
١٢- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، عبدالقادر بن بدران الدمشقي، (ط٢ / ١٤٠١هـ / مؤسسة الرسالة بيروت): ١/ ٢٢٩.
١٣- الموافقات: ٢/ ١٣٥.
١٤- النظريات السياسية الإسلامية، محمد ضياء الدين الريس، (ط٧ /١٩٧٩م/ دار التراث القاهرة): ص ٣١٠.
١٥- الموافقات: ١/ ١٢٨.
١٦- الفروق، القرافي: ١/ ٤٧٠.
١٧- الموافقات: ١/ ١٢٧.
١٨- مباحث الحكم عند الأصوليين، محمد سلام مدكور: ص ٧٨.
١٩- المنهاج بشرح الرملي: ٧/ ١٩٤، نقلا عن النظريات السياسية الإسلامية، محمد ضياء الدين الريس: ص٣١٧-٣١٨.
٢٠- المحلى، ابن حزم، (تحقيق أحمد محمد شاكر- مطبعة النهضة- مصر- بدون تاريخ): ٦/ ١٥٦.
٢١- النظريات السياسية الإسلامية، محمد ضياء الدين الريس: ص٣١٠.
٢٢- النظريات السياسية الإسلامية، محمد ضياء الدين الريس: ص٣٠٨-٣٠٩.
٢٣- النظريات السياسية الإسلامية، محمد ضياء الدين الريس: ص٣١١
٢٤- أصول الفقه، الشيخ محمد الخضري بك، (ط٣- ١٣٥٨هـ - ١٩٣٨م- مطبعة الاستقامة): ص ٤١-٤٢.
٢٥- العام وتخصيصه في الاصطلاح الأصولي نظرية وتطبيقا، إدريس حمادي (١٤١٨هـ ١٩٨٨م/ مطبعة السلام فاس): ص٣٦٦.
٢٦- الموافقات: ١/ ١٣٠.

منذ عدة عقود بدأت شرارة الثورة العلمية تتأجج، وتزداد يومًا بعد يوم اشتعالا وانتشارًا وتوغلا في مسارات الحياة كافة، ومع تقدمها السريع بدأت المجتمعات تجني ثمارها الحلوة والمرة، فالثورة العلمية التي أوصلت الإنسان إلى القمر، وساهمت في تصنيع أدوية فعالة لعلاج العديد من الأمراض، وقدمت للبشرية الكثير من المخترعات الحديثة هي التي دمرت نجازاكي وهيروشيما، وهي التي ابتدعت بنوكَ الأجنّة وتأجيرَ الأرحام، وأوجدت عقاقير مدمرة استُخدمت في استجواب الأسرى والمعتقلين وتعذيبهم. وبالطبع لا يمكن إيقاف مسيرة العلم للآثار السلبية لثورته، لكن لابُدَّ من وضع ضوابط ومعايير أخلاقية تكبح جماح بحوثها، وتُوَجِّهُهَا لخدمة البشرية بدلا من استغلالها استغلالا سيئًا.

المعاييرُ الخُلُقيةُ والمِهَنيّةُ للصيدلانيِّ في التُّراث الإسلاميِّ

د. محمود مهدي *

الصيدلة مهنة من أشرف المهن، تعمل على حفظ الصحة الموجودة، واسترداد المفقودة، وتحرص على سلامة الناس وعدم تعرضهم للضرر، وقد تنبه العلماء والحكام منذ القدم إلى ضرورة وضع ضوابطَ ومعاييرَ أخلاقية تحكم تصرفات الصيادلة حتى لا يُسْتَغَلّ شرف هذه المهنة أسوأ استغلال. واليوم وبعد اتساع نشاط الصيدليات واحتوائها على الأدوية المصنعة والمركبة، والسموم والمواد المخدرة، ووسائل منع الحمل وتنظيمه، والأدوات المساعدة في الحَقن ونقل الدم... الخ، وأمام إغراءات شَركات تصنيع وتوزيع الأدوية، وأمام الربح الكبير من المواد المخدرة، ينزلق البعض إلى هاوية الطمع والجشع، والضرب بمصلحة المريض وأخلاق المجتمع عرض الحائط، حيث بيعت وسائل منع الحمل والحبوب المخدرة والسموم بلا تذكرة طبية، مما ألحق ضررا خُلقيًا وصحيًا بالعديد، ولزيادة هامش الربح قدمت الأدوية ذات الفاعلية المحدودة على الأكثر فاعلية، وأغرت بعض شركات الأدوية وموزعوها الكثير من الأطباء لوصف أدوية بعينها، لزيادة مبيعاتها، وأحيانا يتدخل الصيدلانيُّ بإبدال الدواء دون الرجوع للطبيب المعالج، كل هذه التجاوزات وغيرها في هذا العصر تحتاج لضوابط تَحدُّ منها، وتلزم أصحاب المهنة الحرصَ عليها.

وقد تمخّض اجتماع الاتحاد الدولي للصيدلة في سيدني بأستراليا في سبتمبر من عام ١٩٨٨م عن مجموعة من المعايير الأخلاقية التي تحدّد القيمَ الخُلُقية والمهنية التي يجب أنَ يتبعها الصيادلة للارتقاء بمثالياتها، وتدعيم رسالتها، ومقاومة أي انحراف بين المشتغلين بها، وإن كنت أرى أنها مُغَيّبة في ظل كثرة الصيدليات وقلة الرقابة.

وهذا الموضوع يهدف إلى أمرين:

الأول: إلقاء الضوء على عناية المجتمعات القديمة، وبخاصة العرب بوضع معايير أخلاقية تضبط سلوكات القائمين على مهنة الصيدلة، وكشف اللثام عن بعض الجهود التي بُذلت في هذا الشأن.

الثاني: استنهاض همم علماء الدين والأخلاق والفلسفة والصيدلة للمساهمة في ترسيخ هذه القيم والإضافة إليها بالتأليف فيها، وإثراء هذا الجانب بأفكارهم وإبداعاتهم الفكرية.

المعايير الخُلُقية والمهنية عند العرب قبل الإسلام:

وبالنسبة للصيدلة عند العرب قبل الإسلام، فلم يكن لدى العرب صيدلة بالمعنى العلمي المعروف، لكن قامت مداواتهم للأمراض على ما ورثوه من شيوخهم وعجائزهم، معتمدين في ذلك على المفردات الدوائية والغذائية التي تجود بها بيئتهم، ملتزمين في مداواتهم بالقيَم ومكارم الأخلاق الاجتماعية الموروثة.

المعايير الخلقية والمهنية في صدر الإسلام:

وتعد مرحلة صدر الإسلام وعصور الخلفاء الراشدين امتدادًا من الناحية الفنية لما قبل الإسلام، ولكنْ برزت معاييرُ خُلُقِيّةٌ جديدة مستمدة من مبادئ الإسلام وتعاليمه، تحض التجار بشكل عام على الصدق والأمانة، وتحذر من الغش والتدليس والتطفيف في الكيل والميزان. فحافظ الناس على هذه الأخلاق، وتمسكوا بها في جميع معاملاتهم. والتزم الخلفاء الراشدون هذا النهج، وعزّروا من لم يلتزم بتعاليم الإسلام في معاملاته. وغالبا ما كانت الرقابة في هذه المرحلة رقابة ذاتية، تنبع من الضمير الذي ينبه صاحبه إلى مسؤولياته تجاه مجتمعه، ومراقبته لله

* باحث أكاديمي

عز وجل ، فكان المطبّب أو مُعدّ الدواء يرعَى للمريض ذمته، ويحفظ له عِرْضَه وماله وأسراره خشية الله تعالى.

المعايير الخُلُقيّة والمهنية في العصر الأموي:

وشهد العصر الأُموي انفتاحًا على العالم الخارجي نتيجة الفتوحات، واتصل العرب بالأمم الأخرى واطّلعوا على حضاراتها وأفادوا منها، واستقدم الخلفاء بعضَ الأطباء والصيادلة المتأثرين بالعلم اليوناني، وشهد هذا العصر غرسَ بذور علم الصيدلة، فألّف تياذوق(١) كتابًا في أبدال الأدوية وكيفية دَقِّها(٢)، وترجم ماسرجويه(٣) لعمر بن عبدالعزيز كتاب أهرن القَس في الطب(٤)، وركّب ابن أُثال(٥) الأدوية والسموم والترياقات، وشهد صدر هذا العصر تجاوزًا للقيم الخُلقية لمهنة الصيدلة من بعض الأطباء، فابنُ أُثال ركّب لمعاوية سمومًا استغلها في تصفية خصومه ومعارضيه(٦).

المعايير الخلقية والمهنية في العصر العباسي:

في العصر العباسي اكتملت للصيدلة مقومات الازدهار، فتُرجمت الكتب، وظهر التأليف، وكَثُرت الصيدليات، ورُكّبت الأدوية، وَوُضعتْ لها الدساتير، وسُنّت القوانين لمراقبة أصناف الأدوية، وامتُحنَ الصيادلة قبل الحصول على موافقة لممارسة هذه المهنة(٧) للوقوف على ما يتحلّى به الصيدلاني من قيَم وآداب وأخلاق وإلمام بقواعد الصنعة تؤهله لممارسة المهنة. وأخضع بعض الخلفاء أطباءه وصيادلته لامتحانات تأكدًا من وفائهم وإخلاصهم وأمانتهم، وأنهم ليسوا مدسوسين من قِبَل جهة معادية تريد التخلص منه، فقد كان الطبيب أقرب للحاكم من خاصته، يدخل عليه في خلواته وأوقات راحته، وحياة الحاكم مرهونة بوفائه، يستطيع بدس جرعة سُمّ صغيرة في الطعام أن يقضي عليه. وممَّن مرّ بهذه التجربة حُنَيْن بن إسحق حين أصبح طبيبا للمأمون، الذي أخضعه لاختبارين قاسيين:

الأول: اختبار علْمه بالشّك في وصفاته الدوائية؛ فكان الخَليفة يسمع رأيه، لكنه لا يأخذ بقوله دواءً يصفه حتى يشاور فيه غيره؛ ليتأكد من صواب رأيه.

الثاني: اختبار أمانته الصيدلانية بالترغيب والترهيب؛ فقد أحضره الخليفة ذات يوم وخلع عليه، وقال له ممتحنًا: أريد أن تصف لي دواء يقتل عدوًا نريد قتله، ولم يمكن اشتهاره(٨)، ونريده سرًا.

أما عامة الصيادلة الذين يريدون العمل في البيمارستانات، أو من يمتلكون حوانيت «صيدليات» خاصة لبيع الأدوية، أو يتجولون ببضاعتهم في الأسواق وأماكن تجمع الناس، فهؤلاء كانوا يخضعون لاختبارات للتأكد من أمانتهم وصدقهم، وعدم استغلالهم، وإلمامهم بقوانين الصنعة. وكانت الرقابة على هذه الفئة من الصيادلة محط عناية الخلفاء والقادة والعلماء.

وفي عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله سنّ العديد من نُظُم الرقابة في الدولة الإسلامية لمواجهة ما قد يعتري المجتمع من مخاطر التسيب والإهمال وضعف الخُلُق من أرباب المهن، ومن هذه النُظُم امتحان كل من يرغب في ممارسة مهنة الطب، وصدر القرار بمنع الأطباء من الممارسة إلا بعد أن يمتحنهم سنان بن ثابت ويجيزهم، وبالطبع فقد كان أكثر هؤلاء الأطباء صيادلة في ذات الوقت. وفي عهد الخليفة المستنجد بالله فوّض إلى أمين الدولة بن التلميذ رئاسة الطب ببغداد وامتحان المتطببين(٩).

وصية داود بن أبي النصر لولده(١٠):

تُعَدُّ وصية داود التي أوردها في كتابه منهاج الدكان(١١) من أهم الوصايا التي ترسم صورة مُثْلَى لما يجب أن يكون عليه الصيدلاني، فهي لم تُعْنَ فقط بالجانب الأخلاقي والمهني للصيدلاني، لكنها شملت كلّ جوانب شخصيته، على أساس أن جميع صفات الشخصية تمثل وحْدَةً واحدةً لا تنفصل ولا تتجزأ، فعُنِيَت بالصيدلاني ابنًا ووالدًا وزوجًا ومتعلمًا ومُعَلِّمًا وتاجرًا وعضوًا في المجتمع، واهتمت بالجوانب الروحية والأخلاقية، والمهنية والمهارية، والشخصية والاجتماعية. ولعل الإحساس بصدق العاطفة في الوصية يرجع إلى أنها كانت موجّهة من والد لولده، فهي خاصة في منشئها، لكنها عامة الدلالة واسعة الشمول. ومما تمتاز به الوصية أنها تعلّل للكثير من النصائح، فتشير إلى الغاية من كل نصيحة ليزول كل إبهام، ويُمْحَى معها كل تساؤل، كما امتازت بالسهولة والوضوح، وإمكانية تنفيذ بنودها. وجاءت الوصية في بابين من أبواب الكتاب، هما الباب الأول، وهو بعنوان: «في ما ينبغي لمن استصلح نفسه أن يكون متقلدًا بعمل هذه المركّبات أن يكون على غاية من الدين والثقة والتحرز والخوف من الله تعالى أوّلا ومن الناس ثانيًا(١٢)». والباب الثالث والعشرون وعنوانه «وصايا يُنتفع بها(١٣)» وفيه جاء مجموع الوصايا يرسم للصيدلاني طريق يومه، وما يجب عليه أن يفعله منذ أن يستيقظ من نومه صباحًا حتى يعود لمرقده ليلا.

ويمكن القول أن الوصية قد جمعت بين ثلاثة محاور رئيسية، حّددت الكثير من الصفات التي يجب أن يتحلى بها الصيدلاني، وعالج كل واحد منها جانبًا من جوانب شخصيته، وهذه المحاور هي:

المحور الروحي والأخلاقي:

بدأ داود وصيته ببيان مكانة العقل الذي هو هبَة الله للإنسان، وأنه كالسراج الذي به يميز بين الخير والشر، والحسَن والقبيح. وبيّن أن الإنسان مخيّر بين الخير والشر، وليس مجبورًا على فعل أحدهما، ثم يقول لولده: اعلم أن عناية الله تكلأ من يسعى نحو الخير، وتتخلى عمن قصد غير ذلك. وينصحه قائلا: اتق الله عز وجل ، واجعل خوفك منه خوف محبة في ذاته لا خوف عقابه. ويحثه على شكر الله

العرب أضافوا لمن سبقهم ومهدوا الطريق لمن بعدهم حين حددوا قيم وآداب وأخلاقيات مهنة الصيدلة

تعالى حين يستيقظ من نومه لأنه أبقاه حيًّا، ولأنه جعله قادرًا على شكره. ويأمره بالعديد من الأمور التعبدية التي منها: أدِّ الصلاة، وسمِّ الله وأنت تفتح دكانك، واقصد بعملك وجه الله تعالى وثوابه، واعمل الخير لذاته. واحذر في ما تعطيه للناس الغش والنقص والتبديل. واقنع بالكسب اليسير، واقتصد في النفقة، وبادر بالصدقة. وغض بصرك عن النساء، واشرح صدرك، وإياك والعجب والتعاظم، وتواضع، واصدق، واصبر على البلايا، ولا تكثر الضحك والمزاح مع الرجال فيطمعوا فيك، ولا مع النساء فيتوهمن خلاف المراد. حبَّ لغيرك ما تحب لنفسك. واعلم أن أعظم الذنوب ظلم الناس، وأخذ أموالهم بغير حق، واذكر الله في آخر يومك حيث كنت سالما أو نالك في يومك شيءٌ من نكد، وإذا عُدت لدارك فابدأ بالوضوء وأدِّ الصلاة، ثم تناول طعامك، ثم اقرأ ما تيسر من القرآن، وأكثر من الذكر، ثم نَمْ.

المحور المِهْني والمهاري:

وفيه ركزت الوصية على أمور من شأنها تجويد عمل الصيدلاني وإتقانه صنعته، فيوصيه بالعناية بأدوات عمله قائلا: أخرجْ ميزانك، وامسح كفتيه وخيوطه مما علاها من الوسخ، وحرِّرْها ليكون ميزانك صحيحًا، وامسح الصنج واعتبرها كل شهر مرة، وإن كان كل أسبوع فأفضل. وتأكد من نظافة وصلاحية الأواني التي تُعدُّ فيها الأشربة والمعاجين(١٤)؛ فأنت مسؤول عنها، وأعِدْ النظر فيها قبل إغلاقها. وأخرج الملاعق كل ليلة من أوعيتها ونظفها ولفّها في خرقة نظيفة. وابسط الحوائج (مفردات الأدوية) بين يديك ليتضح لك عددها، وتحسن عند المشتري.

ويوصيه بالدقة في تحري مقادير الأدوية المفردة والمركبة حسب ما وصف الطبيب فيقول: واضبط ما يقوله الطبيب، فإن النقص قد يفوّت الغرض من الدواء، والزيادة قد تضر بالمريض، ويمكن الزيادة بمقدار ما يُفْقَدُ من الدواء أثناء إعداده. واحرص على بيع الدواء مُغَرْبَلا مُنَقّىً.

ويبين له ما يجب أن يتحلى به من خُلُق في معاملته للزبائن: لا تهمل أمر الملهوفين وبادر بقضاء حوائجهم، لا تتعامل مع الزبائن وأنت جائع فيسوء مزاجك وتفارق المشتري فينفر منك الناس، ولا تُردَّ أيّ مستحق مهما كان مذهبه أو دينه أو جنسه.

ويحضه على احترام معلميه وتواضعه مع مَن طلب منه علمًا فيقول: واعترفْ بحق من يعلمُك علَمًا، والتزم مكارمته، واحترم مجالس العلماء، ولا تمنن على مَن طلب منك علمًا، بل تواضع له كأنك تتعلم منه. وأفدْ مما وضعه المتقدمون من التراكيب وحرَّرُوه وجربوه ووجدوه نافعًا ودونوه في كتبهم.

ويحذره من مخالفة نصائحه فيقول: العدول عن هذه التعليمات خيانة للأمانة تستوجب العقاب.

كما بيّن له أن الطبيب يوقّع الكشف على المريض ويصف له الدواء، ويعتمد على الصيدلانيّ، وهنا يرجع الأمر إلى الصيدلاني الذي يتحمل الإثم إن فرّط؛ لأن تفريطه مؤد إلى إتلاف المال والروح، وهما ذنبان عقابهما عند الله شديد، فيحضه على تحري الدقة والفطنة كما لو كان يُعدُّ الدواء لنفسه.

ويقول له: كن باشّ الوجه وأنت تعامل الناس، وقلل الأيمان في البيع والشراء، ولا تكثر الكلام فيهما. وتأمل ما تكتب للمرضى فأنت مسؤول عنه.

المحور الشخصي والاجتماعي:

وفيما يتعلق بهذا الجانب فهو لا يهمل دور المنزل والعلاقات الاجتماعية الأخرى في تجويد عمل الصيدلانيّ، فكلما كان مستقرًا اجتماعيًا، تخلو حياته من المنغصات، انعكس ذلك على أدائه، فيقول له: اخرج من البيت وأهل بيتك عنك راضون ولك داعون، لا تعاد أحدًا من أهلك أو من غيرهم، خالط الأخيار، ولا تعاشر الأشرار، ولا تلقَ الناس بوجه عبوس، وأكرم الناس على قدر منازلهم، اقتصد في نفقتك، وتودد إلى خدمة الأجلاء من معامليك، ولا تهمل متوسطي القَدْر، ودارِ الأدوان، دار بمالك عن عرضك، سالم الناس تسلم، انظر إلى مَن هو دونك يعظمْ شكرك، ولا تنظر لمن هو فوقك تتعب، لا تغتر بثناء الناس، ولا تغضب من شتمهم، إياك والهزلَ والمزاحَ مع الناس، ولا تستقل بأحد ولا تزدريه، واكظم غيظك، اشرح صدرك.

وإذا كانت آداب أي مهنة أو أخلاقياتها هي مجموعة من القواعد والمبادئ والقيم المصطلح عليها عند أهل هذه المهنة، والتي يجب مراعاتها والالتزام بها والمحافظة عليها لدعم رسالة هذه المهنة في خدمة الناس، فإن ما سطّره داود يعد معيارًا خلقيًا جامعًا لكثير من آداب مهنة الصيدلة، حيث إنه حرص على أن يرى «الصيدلاني» في صورة مثلى تؤدي ما عليها من حقوق نحو الله والمجتمع.

ويمكن القول إن العرب قد أضافوا لمن سبقهم، ومهدوا الطريق لمن بعدهم حين حددوا كثيرًا من قيم وآداب وأخلاقيات مهنة الصيدلة. وبنظرة سريعة على ما أقره اجتماع الاتحاد الدولي للصيدلة في سيدني بأستراليا في سبتمبر من عام ١٩٨٨م من أخلاقيات مهنة الصيدلة(١٥) يتأكد لنا هذا.

وفيما يلي بعض بنود لائحة الاتحاد

الدولي مشفوعة بما قاله داود للتدليل على أن الأخلاق والقيم المهنية الكريمة في كل العصور لا تتغير ولا تتبدل، يمكن الإضافة إليها، ولكن لا يمكن الحط من قدرها، ولا النّيل من شأنها في رقي المجتمعات، يتفق على ذلك العلماء والفلاسفة والمفكرون.

● (١٦)على الصيدلي العامل في مجال خدمة الصحة العامة والأفراد احترام المهنة وتقدير حياة الناس.

يقول داود لولده بعد أن بيّن له أن المريض يلجأ إلى الطبيب، فيصف له الدواء ويكتبه معتمدًا بعد ذلك على علم الصيدلاني وخبرته في إعداده وتركيبه: وقد اتّكل «الطبيب» فيها على الصيدلاني، فقد رجع الأمر إليك، فلا إثم إن فرطت إلا عليك. فهل تستحسن أنت لو كنت مريضًا أن تفرط في حقك وأنت تعلم أن هذا التفريط مؤد إلى إتلاف المال والروح، وأنت تعلم قدر العقاب من الله تعالى على هذين الذنبين.

● على الصيدلي أن يكون عادلا في معاملة جميع المرضى دون تمييز.

يقول داود: ولا ترد مستحقا كائنا من كان، وعلى أي المذهب كان.

● على الصيدلي تحديث معلوماته المهنية باستمرار ومتابعة الجديد في علم الصيدلة.

يقول: ومما ينبغي لك أن تعتمد عليه في فعل الحق لذاته واتباع الصحيح أن تلتزم تحرّي ما وضعه المتقدمون من التراكيب وحرروه من التجارب فوجدوا فيه النفع للناس فوضعوه في كتبهم.

● على الصيدلي تنفيذ المهام الصيدلية بحرص وتركيز.

يقول داود محذّرًا من التهاون في ضبط مقادير المفردات الدوائية: فإن الكثير من الشيء القليل كميتُه، القويّ كيفيتُه مضرٌ، بل حرّرْ ما يقوله الطبيبُ، وإن رجّحت شيئًا فيكون بمقدار ما ينمحق لا غير. ويوصي ولده بألا يعتمد على مساعديه الذين قد لا يتقنون إعداد الدواء قائلا: ولا تتكل في مصالح الدكان (الصيدلية) على الصبيان؛ فيتغير حالك ويذهب مالك، بل باشر أحوالك بنفسك؛ ليستريحَ سرُّك وينشرحَ صدرُك.

● على الصيدلي اجتناب أي فعل يُسيء لمهنته أو يقلل من شأنها، وإن كان لا ينتسب للمهنة بصلة، واضعًا في اعتباره ما للصيدلة من مكانة واحترام.

يقول داود محذرا من سوء الخلق والغش والتدليس: واحترس في ما تعطيه لهما من غش، أو تبديل، أو نقص أو لبس. ويحضه على أن يُعْنَى بنظافة بضاعته قائلا: واحرص أن لا تبيع حاجة إلا مغربلة منقّاة. ويحذر من مَدّ البصر إلى النساء فيقول: ولا تمدنّ عينيك إلى نظر النساء، ويقول: إياك والعُجب...الخ.

● على الصيدلي أن يتأكد من أن المبْلَغ الذي يتقاضاه مقابل خدماته عادل ومعقول، وأن يرفض الاشتراك في أي عمل من شأنه تعريض المريض للخطر؛ لأن ذلك مخالف لأخلاقيات المهنة.

يقول: واعلم يا ولدي أنه لا ذنب أعظم من ظلم الناس وأخذ أموالهم بغير حق. ويقول: بحسن الأخلاق تُدَرُّ الأرزاق، وبالأمانة تَكْثُرُ البركة بالاستحقاق.

● على الصيدلي أن يتأكد أن كل ما ينشده من معلومات ذات علاقة بمهنته صحيحة وموثقة وتتلاءم مع آداب وأخلاقيات مهنة الصيدلة.

إن داود يشدد في مسألة احترام المعلومات وتوثيقها وتوافقها مع آداب المهنة تشديدًا عظيمًا حتى جعلها جزءا من الشريعة حيث يقول لولده عن خلاصة تجارب السابقين النافعة التي دوّنوها في كتبهم وجعلوها دساتير يَنْتَفع بها مَن بعدهم: وقد صارت هذه الأشياء عُرْفًا بين الناس، فصارت بمثابة الأقوال الشرعية التي لا ينبغي أن يحاد عنها ولا يُعْدَل، وأنه من عَدَل عنها فقد خان، ومن خان فقد اختل عن أمانته، ومن اختل عن أمانته فقد كذّب الشرائع، ومن كذّب الشرائع فقد كفر، ومن كفر فقد استوجب العقاب، ومن استوجب العقاب فقد هان قدره عند الله، ومن هان قدره عند الله فقد استخف به الناس، ومن استخف به الناس فلا حياة له، ومن لا حياة له كمن لم يكن، ومن لم يكن فهو معدوم غير موجود.

وأخيرا إذا كان قدامى علمائنا قد عُنُوا بهذا الأمر كل هذه العناية، أفلا يدفعنا ذلك إلى تعقب آثارهم، واستلهام أفكارهم والإفادة من تراثهم!.

المراجع

١- أحد الأطباء المشهورين في العصر الأموي، خدم الحجّاج بطبه، وكان يحضّر الأدوية، وألف كتابا في أبدال الأدوية، وضمنه تفسير بعض أسمائها، توفي بواسط سنة ٩٠هـ. ينظر: المنتخبات الملتقطات:١/ ٢٨٨.

٢- عيون الأنباء: ١/٤١٤.

٣- طبيب وترجمان له كناش في الغذاء. ينظر: طبقات الأطباء والحكماء: ٦١.

٤- أهرن القَسّ طبيب عاش في صدر دولة بني أمية، ألف كتابه بالسريانية وترجمه ماسرجويه «ماسرجيس» إلى العربية. الفهرست: ١/٢٩٧، والمنتخبات الملتقطات: ٢/٧٦١.

٥- طبيب دمشقي متميز، كان خبيرا بالأدوية المفردة والمركبة وقواها، عالما بما كان منها سم قاتل. ينظر: عيون الأنباء:١/٤٠١.

٦- عيون الأنباء: ١/٢٠٤.

٧- تاريخ الطب والصيدلة المصرية: سمير الجبالي، الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٩٤: ٣/٤٤.

٨- أي لا يمكن اكتشاف أمره.

٩- عيون الأنباء: ٢/ ٢٨٧.

١٠- هو داود بن أبي النصر بن حفاظ، الكوهين العطار الإسرائيلي، طبيب قاهري كان حيا سنة ٦٥٨.

١١- هو كتاب جمع فيه كثيرا مما تفرق في مؤلفات السابقين من الأدوية المركبة خاصة كالأشربة والربوبات والمعاجين والجوارشنات والسفوفات والأقراص واللعوقات والحبوب وغيرها، وضم إلى أبواب كتابه أبوابا ذات فائدة تحدث فيها عن أبدال الأدوية التي يتعذر وجودها، وبابا في شرح أسماء الأدوية المفردة، وبابا في المكاييل والموازين وغير ذلك .

١٢- منهاج الدكان: ١٥، ١٦.

١٣- منهاج الدكان: ٣٥٥-٣٦٣.

١٤- الأشربة والمعاجين: هي بعض المركبات الدوائية أو الأشكال الصيدلانية.

١٥-٨ com/vb/.http://www.pharmag
.٢٩٣٤=showthread phpst

١٦ - البند المسبوق بنجمة، الكائن فوق السطر هو أحد بنود مؤتمر سيدني.

تعتبر ولاية العلم من أعظم الولايات الشرعية التي اعتنى بها الإسلام عناية خاصة، ولا غرابة في ذلك، فالعلم في الإسلام هو أساس كل شيء وعليه يقوم كل شيء، فهو إمام جميع الولايات المؤسسية والفردية، الدينية والدنيوية، وهي تابعة له، فأحكامها، وقواعدها، وشروطها وكل ما يتعلق بها لا يدرك إلا بالعلم. يقول ابن القيم مبينا ذلك: «إن كل ما سوى الله يفتقر إلى العلم، لا قوام له بدونه.. فكل ما ضمه الوجود من خلقه وأمره صادر عن علمه وحكمته، فما قامت السموات والأرض وما بينهما إلا بالعلم، ولا بعثت الرسل وأنزلت الكتب إلا بالعلم، ولا عبد الله وحده إلا بالعلم، ولا عرف فضل الإسلام على غيره إلا بالعلم».

ولاية التعليم في عصر النبوة والرسالة.. الوظائف والشروط والمنهج (١-٢)

د. محمد الأنصاري

العلم لا يحصل إلا بالتعلم والتعليم، ومن هنا كانت ولاية التعليم من أجل الولايات وأشرف المؤسسات الدينية والدنيوية، مما يستوجب رعايتها والعناية بها، والعمل على تقويمها وترشيدها، على مستوى الوظائف والمقاصد والوسائل، والمناهج والبرامج، من منطلق الإسلام وفي إطاره، وضمن قواعده وأحكامه، ومقاصد شريعته، لتحقق بذلك مراد الله في خلقه وأرضه.

أولا: وظائف ولاية التعليم ومقاصدها

إن ولاية التعليم الإسلامية ولاية نبوية، لها وظائف جليلة، هي وظائف النبوة التي من أجلها بعث الرسول ﷺ وأنزلت الرسالة، قال تعالى في بيانها: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (الجمعة: ٢)، فهي وظيفة التلاوة والتزكية والاتباع، ووظيفة تعليم الكتاب والحكمة.

ولهذا كانت هذه الولاية هي أشرف الولايات الدينية والخطط الشرعية، وكانت وظائفها هي أشرف الوظائف وأفضلها، وقد بين النبي عليه السلام ذلك، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ «مر بمجلسين في مسجد، فقال: كلاهما على خير، وأحدهما أفضل من صاحبه، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه، فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه أو العلم، ويعلمون الجاهل فهم أفضل، وإنما بعثت معلما، قال ثم جلس فيهم»، (الدارمي في المقدمة)، فالنبي ﷺ جعل المقصد من بعثته القيام بوظيفة التعليم، وجعل التعلم والتعليم أفضل من الذكر والدعاء.

ومن هاهنا فإن المتأمل في نصوص الوحي، الدارس لسيرة الرسول ﷺ في التربية والتعليم يمكنه الخلوص إلى أن وظائف ولاية التعليم الإسلامية ومقاصدها تتلخص في الوظائف التالية:

- تعليم الناس وتفقيههم في دينهم، وإخراجهم من دائرة الجهل والأمية إلى المستوى المطلوب منهم شرعا، وحده الأدنى أن يعرف كل مكلف ما يلزمه، مما فرضه الله عليه حسب قدرته، ويمكن تسمية هذه الوظيفة الأم بوظيفة «التفقيه في الدين»، وهي المنصوص عليها في قوله سبحانه: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ (الجمعة: ٢) وفي قوله ﷺ: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» (البخاري)، فالتفقه هاهنا يشمل كل مجالات الدين الإيمانية، والتعبدية، والخلقية وغيرها.

- تزكية الأنفس وتربيتها وتنمية بواعث الخير فيها، والأصل فيها قوله تعالى: ﴿ويزكيهم﴾، فالتزكية وظيفة النبوة ومقصد الرسالة القرآنية والبعثة النبوية، قال تعالى: ﴿ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ (آل عمران: ٧٩)، فالربانية منزلة إيمانية عالية لا تدرك إلا بتزكية الأنفس وتطهيرها وتربيتها على قيم الخير والصلاح التي رسم القرآن الكريم معالمها وأوضح سبلها ومنهجها.

- إنذار الناس وتحذيرهم، والأصل في هذه الوظيفة قوله تعالى: ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ (التوبة: ١٢٣)، فوظيفة الإنذار والتحذير من أجل الوظائف التربوية لولاية التعليم في الإسلام، فهي وظيفة الفقهاء والعلماء كما بين النص القرآني السابق.

- تفقيه الناس في الواقع، وهذه الوظيفة من الوظائف المنوطة بولاية التعليم الإسلامية، حيث يجب عليها أن تفقه الناس في دنياهم كما فقهتهم في دينهم، حتى يعرفوا ما يلزمهم من

• باحث أكاديمي مغربي

فقه واقعهم، وما يلزمهم لحل مشاكلهم الدنيوية في إطار تعاليم الدين وأحكام شريعته.

والواقع هنا واقعان: واقع محلي، واقع إقليمي وعالمي، وتفقيه المسلمين فيهما إنما يكون بالقدر الذي يمكنهم من معرفة القريب من البعيد، والمصلح من المفسد، والضال من المهتدي، والعدو من الصديق، وما يجب عليهم تجاه كل صنف من تلك الأصناف.

- تعليم الناس فقه تنزيل الأحكام والمعارف وكيفية تطبيقها، وهي وظيفة من أهم وظائف ولاية التعليم الإسلامية، إذ يجب عليها أن تعلم الناس فقه تنزيل فهوماتهم ومعارفهم الدينية والدنيوية على واقع حياتهم وأعمالهم اليومية، والأصل في هذه الوظيفة قوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ (الجمعة: ٢)، فالحكمة هي فقه تنزيل الشيء وفقه تدبير الأمر بوضعه في المكان المناسب في الوقت المناسب بالقدر المناسب والكيفية المناسبة.

- صياغة ناشئة الأمة على تعاليم الإسلام وقيمه ومبادئه، وتعد هذه الصياغة من أهم وظائف ولاية التعليم، إذ لا يجوز لها تخريج المتعلمين على غير الصيغة الإسلامية، وأي انحراف عن خط القرآن ومنهجه في التربية والتعليم، يتحمل مسؤوليته ولاة أمر الأمة عامة، وولاة أمر مؤسسة ولاية التعليم خاصة، فهم أمناء الرسول ﷺ وورثته، والواجب عليهم أن يؤدوا الأمانة ويصونوا الإرث من الضياع، وذلك بسيرهم على منهج النبوة في هذه الولاية، فالرسول ﷺ علم أصحابه وصنع منهم علماء مؤمنين بربهم عاملين بمقتضى أحكام دينهم، مرتبطين بالله موصولين به، وهم الذين تولوا قيادة الأمة وإمامتها بعده، فبلغوا رسالة الإسلام، ونشروا دعوته إيمانا منهم بثقل أمانة هذه الولاية التي ورثوها.

ومن هنا فإن الواجب على ولاة أمر ولاية التعليم ومؤسساتها في بلاد المسلمين

جعل النبي ﷺ المقصد من بعثته القيام بوظيفة التعليم وجعله أفضل من الذكر والعبادة

اليوم أن يدركوا ثقل هذه الأمانة وخطورة التقصير في أدائها، والشرط في ذلك أن يتوبوا إلى الله تعالى توبة منهاجية نصوحا من كل السياسات التعليمية الفاشلة، فيعملوا على صياغة سياسة تعليمية تقوم على فلسفة الإسلام، وتنطلق من توجيهاته، وتنهل من مصدره المعصوم المتمثل في الوحي قرآنا وسنة، دون إغفال أخذ النافع مما أنتجه العقل البشري في هذا المجال وراكمته تجربة العلماء المجربين وورثة الأنبياء المخلصين، إذ بصدقهم ووفائهم وحرصهم على نهج النبوة في تعليم الناس، تتحقق هذه الوظيفة التي هي المقصد الكبير لولاية التعليم، وهي صياغة الناشئة على الإسلام فكرا وتعبيرا وتدبيرا، محبة وولاء، عقيدة وشريعة، علما وعملا، تحققا وتخلقا، قلبا وقالبا.

- وظيفة البحث العلمي الأكاديمي: إن من أهم الوظائف المنوطة بولاية التعليم الإسلامية، خدمة البحث العلمي الأكاديمي توجيها وتأطيرا وإنجازا، فعلى ولاة أمر هذه الولاية أن يعدوا خطة واضحة المعالم، تؤطر جميع مجالات البحث العلمي في العلوم الشرعية والكونية والإنسانية على حد سواء، وهذا يقتضي دعم الباحثين والمؤطرين ماديا ومعنويا، والدفع في اتجاه البحث الجماعي المؤسسي، فهذا النوع من البحث هو السبيل إلى تعميق البحوث العلمية ونضجها، وهو السبيل أيضا إلى إيجاد إمامات علمية مؤهلة لقيادة البحوث العلمية في المستقبل، وقيادة الدولة والمجتمع في جميع المجالات الدينية والدنيوية، ثم قيادة الأمة في مختلف مجالات العلم والمعرفة.

- تأهيل الأمة تأهيلا علميا يحقق لها الكفاية المطلوبة منها شرعا في ميادين المعرفة الشرعية والكونية المادية والإنسانية، مما يجعل من المسلمين أمة قوية، في جميع ميادين العلم والمعرفة، حتى تكون مؤهلة بذلك، لتحقيق رسالة التمكين والاستخلاف والشهادة على الناس أجمعين، والوصول إلى مستوى الإمامة والقيادة للعالم تحقيقا لقوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ (البقرة: ١٤٣)، فوظيفة الشهادة على الناس أجمعين، وظيفة جليلة من أشرف وظائف الأمة الوسط، أمة الخيرية التي أخرجها مخرج الناس سبحانه وتعالى للناس لأداء وظيفة الشهادة عليهم، ولا يتأتى لها ذلك إلا إذا بلغت المنزلة العالية علما وتزكية وعدالة، تفكيرا وتعبيرا وتدبيرا.

هذه هي أهم الوظائف التي أنيطت بمؤسسة ولاية التعليم في الإسلام، وهي لن تتحقق إلا إذا تم الاهتداء في المنهج التعليمي بتعاليم الإسلام وأحكامه ومقاصده المستلهمة من هدايات الوحي وبصائره، فيكون بذلك المنهج التعليمي القرآني المنهج الأقوم والأرشد والأحسن، لقوله تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ (الإسراء: ٩).

ثانيا: صفات ولاة ولاية التعليم وشروطهم

إن تحقيق تلك الوظائف والمقاصد العظيمة وتحصيل المراد منها لا يتم إلا إذا كان أعضاء مؤسسة ولاية التعليم الإسلامية مؤهلين لإمامة هذه الولاية علما وخلقا، حالا وتجربة، تنظيرا وتخطيطا وتنزيلا، فهذه الولاية هي أشرف الولايات وأجلها قدرا وأعظمها موقعا، فهي الولاية الوارثة لوظيفة النبوة في التعليم والتزكية والتلاوة المنصوص عليها في قوله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم

يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ (الجمعة: ٢).

والقائمون بهذه الوظائف النبوية يجب أن يكونوا مستجمعين لشروط وصفات لابد منها في المرشحين لولاية التعليم والقائمين على تدبير أمرها وإصلاح شأنها ورعاية حالها، ومنها ما يلي:

- أن يكون العضو في مؤسسة ولاية التعليم عالما بأحكام الدين وتعاليمه، عارفا بمقاصد شريعته، قادرا على الاجتهاد والتجديد في علوم الشريعة، أو الإبداع والابتكار في العلوم المادية والإنسانية.

- أن يكون العضو مؤمنا بأمانة هذه الولاية وبثقل مسؤوليتها، وجلالة قدرها وشرف منزلتها وأهمية دورها ورسالتها في الأمة، فهذا الإيمان هو الذي يحفزه على أداء واجبه تجاهها، ويمنعه من التقصير في ذلك.

- الخبرة والتجربة، إذ لا يجوز أن يكون عضوا في مؤسسة هذه الولاية من يفتقد إلى خبرة وتجربة في ميدان التربية والتعليم، فهذه الخبرة هي التي تساعد على وضع سياسة تعليمية راشدة، وعلى الاستفادة من التجارب السابقة بعد تقويمها والأخذ بالنافع منها.

- القدرة على التنظير والتخطيط والتوجيه والترشيد، فولاة ولاية التعليم هم الذين يرسمون خطة هذه الولاية ويضعون سياستها العامة، ويحددون مناهجها وبرامجها ومقاصدها ووظائفها، ويسهرون على تنفيذ هذه الأمور حتى تحقق المراد منها.

- الوفاء والصدق والإخلاص، إذ لا يجوز شرعا أن يتولى هذه الولاية من لا يتصف بهذه الصفات، فالوفاء صفة تحمل صاحبها على عدم خيانة مبادئه ودينه وأمته، وتحمله أيضا على صيانة ما أؤتمن عليه من إرث وولاية، والصدق والإخلاص يحملانه على الجد والبذل والعطاء المستمر المتجدد، وعلى السير على خط النبوة في ولاية التعليم وعدم

عناية النبي ﷺ بالتعليم والعلم كانت على اعتبار أنهما ولاية دينية وخطة شرعية

الانحراف عنه، وعلى ابتغاء وجه الله تعالى في جميع الأعمال ونيل مرضاته سبحانه، فاتصاف أعضاء مؤسسة ولاية التعليم بهذه الصفات، هو سبيل نجاحها وتحقيق أغراضها ووظائفها، وعدم الاتصاف بها، هو سبيل الانحراف عن خط ولاية التعليم الإسلامية، واستبداله بغيره من السياسات التعليمية المستوردة، القائمة على الفلسفة المادية والعلمانية وعلى مقومات الإلحاد والإفساد، وغير ذلك من القيم المناقضة لقيم الإسلام وتعاليمه، وهذا هو الواقع الذي تعيشه معظم ولايات التعليم الرسمية في بلادنا اليوم، حيث يتولى أمرها من يفتقدون إلى هذه الصفات والشروط، فأثر ذلك بشكل كبير على مستوى خريجيها وعلى واقع الأمة وأحوالها، فتداعت عليها الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها.

- الفقه بالواقع، واقع الناس في البلد المقصود بالسياسة التعليمية، وواقع الدولة القائمة على أمر الناس، وواقع الأمة وأحوالها، وماذا يراد بها ومنها؟ وواقع الأعداء محليا وإقليميا ودوليا، إذ من شأن هذا الفقه أن يحمل ولاة هذه الولاية على رسم سياسة تعليمية واقعية، ممكنة التنزيل والتطبيق، قادرة على صياغة الإنسان المسلم المتمكن من معرفة الصديق من العدو، والقادر على تحليل الأوضاع والوقائع والأحداث، وعلى معرفة التوجهات الداخلية والخارجية، المحلية والعالمية، الإسلامية وغير الإسلامية.

هذه هي أهم الشروط والصفات التي يجب أن تتوفر في أعضاء مؤسسة ولاية التربية والتعليم باعتبارهم ولاة أمرها والقائمين على تدبيرها وسياسة شأنها، وأي نقصان فيها على الحد الأدنى المطلوب والمقبول شرعا وعقلا وواقعا، يعد إخلالا كبيرا وتقصيرا خطيرا، من شأنه أن يحول خط هذه الولاية عن وجهته الصحيحة، فلا تحقق الأغراض والوظائف المنوطة بها، في تربية الأجيال وتعليمها، وفي تنمية العباد وعمارة البلاد، وتأهيل الأمة للإمامة العالمية والقيام بوظيفة الشهادة على الأمم كلها.

ولتوضيح معالم هذه الولاية بجلاء، باعتبارها أمانة دينية وخطة شرعية، فقد خصصت هذه الورقات لبيان بعض جوانب المنهج الإسلامي في ولاية التعليم خلال عصر النبوة والصحابة، حتى يحصل الاهتداء بالتي هي أقوم بإذن الله فيها، ويتحقق المقصود الشرعي منها.

وذلك من خلال المبحث التالي:

ثالثا: المنهج النبوي في ولاية العلم والتعليم

وبيانه في عنصرين:

العنصر الأول: عناية الرسول ﷺ بالعلم والتعليم باعتبارهما ولاية دينية وخطة شرعية

تحفل السنة النبوية والسيرة العملية لحياة الرسول ﷺ بالأدلة الكثيرة، التي تدل على عنايته بولاية العلم تعلما وتعليما، فقد رغب في طلب العلم وحث على التعلم والتعليم، واتخذ ﷺ، باعتباره المعلم الأول للأمة، إجراءات عملية لنشر العلم عامة، والثقافة الإسلامية وتعليم القرآن والسنة، وتبليغ أحكام الشريعة وآداب الإسلام للناس على وجه الخصوص، فرسم ﷺ بذلك خطة ولاية التعليم المنهجية والعلمية، فكانت في غاية الدقة والإتقان، وكان القصد منها تحقيق أغراضها ووظائفها المنوطة بها.

فأما فيما يخص ترغيبه ﷺ في التعلم والتعليم وحضه عليهما، فيشهد لذلك قوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على

كل مسلم» (ابن عبدالبر في جامع بيان العلم)، وقوله ﷺ: «ما عبدالله بشيء أفضل من فقه في دين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، ولكل شيء عماد، وعماد الدين الفقه» (مجمع الزوائد)، وقوله ﷺ: «من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام فبينه وبين النبيين درجة واحدة» (الداري)، وبهذه الأحاديث النبوية التي ترغب في الطلب، كان ﷺ يحبب العلم والتعلم والتعليم إلى الناس، بل إنه حذر من كتم العلم تحذيرا شديدا، فقال متوعدا كاتمه: «من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار» (ابن حبان)، وأحاديثه ﷺ في الحث على التعلم والتعليم ووجوبهما والتحذير من تركهما كثيرة جدا.

وأما فيما يخص الإجراءات العملية التي اتخذها ﷺ لتعليم العلم وتبليغه ونشره، فيكمن تلخيصها في مسألتين هما:

المسألة الأولى: العناية بالتعليم الديني (تعليم العلوم الشرعية) إن عناية الرسول ﷺ بتعليم الناس القرآن والسنة، وتعليمهم أحكامهما وشرائعهما، والتفقه فيهما، هي الوظيفة الأولى التي بعث ﷺ لأجلها، فالله تعالى أمره بتبليغ ما أنزل إليه، فكان ﷺ المبلغ والمعلم الأول للوحي، استجابة لأمر ربه: ﴿ يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ (المائدة: ٦٧)، فكانت وظيفة تبليغ الوحي وتعليمه من أولى أولوياته، يقول مهدي شمس الدين: «لقد كان يعلم أصحابه القرآن كلما نزل الوحي به، ويفسره لهم بقدر ما تسعه أفهامهم، وتدعوا إليه الحاجة، وكان يبلغهم أحكام الله في كل واقعة تطرأ، ويجيب على تساؤلاتهم، وقد يتريث في الإجابة حتى ينزل عليه الوحي، وكان يأمرهم وينهاهم في غير ذلك مما يتصل بمكارم الأخلاق».

وقد روي أن الرسول ﷺ استعان في القيام بهذه الوظيفة ببعض الصحابة في المدينة لتعليم القرآن، ومنهم عبادة بن الصامت، وأبان بن سعيد بن العاص، وأبوعبيدة بن الجراح، وأسيد بن حضير، وخالد بن سعيد بن العاص، وكان عبدالله بن رواحة ومعاذ بن جبل يتوليان وظيفة ولاية التعليم في المسجد بعد أن يغادرهم الرسول ﷺ.

وتجدر الإشارة إلى أن النبي ﷺ جعل مسؤولية التبليغ والتعليم عامة، على كل من يعلم، فلم تكن الحاجة ماسة إلى معلمين متفرغين في المدينة خاصة، يشهد لهذا قوله ﷺ في إحدى خطبه بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وذكر طوائف من المسلمين فأثنى عليهم خيرا: «ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم، ولا يعلمونهم، ولا يعظونهم، ولا ينهونهم؟ وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون، ولا يتعظون؟ والله ليعلمن قوم جيرانهم، ويفقهونهم، ويعظونهم، ويأمرونهم وينهونهم، وليتعلمن قوم من جيرانهم، ويتفقهون ويتعظون أو لأعجلنهم العقوبة في الدنيا» (الترغيب والترهيب)، فالمتأمل في هذا الحديث يجده يستبطن أحكاما شرعية عدة ومعالم منهجية في التربية والتعليم منها:

أ - أن الرسول ﷺ لم يقر قوما على الجهالة بجانب قوم متعلمين.

ب- أنه ﷺ اعتبر بقاء الجاهلين جهالا، وامتناع العلماء عن تعليمهم عصيانا يستوجب العقاب.

ج- أنه أعلن الحرب والعقوبة على الفريقين، حتى يبادرا إلى التعلم والتعليم، فواجب العالم التبليغ وواجب الجاهل البحث والسؤال حتى يتعلم.

د- أن الحديث ورد فيه أنه ﷺ أعطاهم مهلة عام واحد للقضاء على آثار الجهالة والأمية فيما بينهم.

هـ - أن هذه الحادثة وإن وردت بشأن الأشعريين علماء وجهالا، فإن الرسول ﷺ أعلن بذلك عن مبدأ وجوب التبليغ للعلماء ووجوب التعلم للجهلاء، وبذلك يكون ﷺ قد أعلن مكافحة الأمية والجهل في الناس واعتبر ذلك واجبا وليس حقا، وفي ذلك تقرير لمبدأ التكافل العلمي في الأمة الذي ينبغي إحياؤه في زمننا للقضاء على الجهل بكل أنواعه.

ويشهد لذلك أيضا قوله ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»، فهذا الحديث يمثل إعلانا ودعوة منه ﷺ لعموم الصحابة المتعلمين قدرا من العلم قل أو كثر لأداء واجبهم في التعليم والتبليغ، ليعم العلم بالإسلام وأحكامه وتعاليمه المسلمين جميعا، فالإسلام دين علم، ولا يقبل أن يوجد جهلة به ممن ينتسبون إليه، وقوله ﷺ في خطبة حجة الوداع: «ليبلغ الشاهد منكم الغائب» يشهد لذلك كذلك.

وقد اتخذ الرسول ﷺ في تعليم المسلمين خارج المدينة وسيلة بعث الرسل إلى الناس ليعلموهم أمر دينهم، وأحكام شريعتهم، فأرسل بعض الصحابة إلى القبائل التي دخلت في الإسلام ليعلموهم القرآن وتعاليم الدين، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن فقال: «ادعهم إلى شهادة ألا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ...».

وعن أنس بن مالك أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ فسألوه أن يبعث معهم رجلا يعلمهم، فبعث معهم أبا عبيدة، وقال: «هو أمين هذه الأمة»، وبهذا المنهج في التعليم يكون الرسول ﷺ قد جمع بين أسلوبين: أسلوب وجوب التعليم على عموم المسلمين المتعلمين في حق غير المتعلمين منهم، في حال تقارب أماكنهم وكثرة علمائهم، فالتعليم على هذا المعنى فرض كفاية على عموم المسلمين المتعلمين، وأسلوب التعيين الذي يصير به التعليم فرض عين على من عينه ﷺ لذلك، كما فعل مع معاذ بن جبل وأبي عبيدة بن الجراح كما سلف، وهذا أسلوب منهجي في التخصص الوظيفي.



ضوابط النشر

حرصاً من إدارة مجلة (الوعي الإسلامي) على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقاً لما يلي من الشروط:

ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصاً في مجال كتابته وأن تؤهله ثقافته للكتابة في الموضوع الذي يتطرق إليه.
- أن يرسل صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة لسيرته الذاتية.
- أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.
- أن يكون العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف، والفاكس والبريد الالكتروني ورقم الحساب البنكي، واسم الفرع.

ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحاً فريداً يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- أن تكون الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تكون المراجع في هوامش المقال مشاراً إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- الالتزام التام بالأمانة العلمية.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحاتA4، وأن يبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تكون الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات مقرونة بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال منشوراً في الصحف والمجلات المطبوعة والالكترونيه.

ملاحظة: المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.





مشروع الذاكرة المعرفية

مشروع الذاكرة العربية مشروع حضاري رائد ترعاه جامعة الدول العربية، وهو يهدف إلى إنشاء ذاكرة عربية واسعة تشتمل على كل ما ألفه العرب قديمًا وحديثًا في شتى علوم المعرفة (كتب- مقالات- مجلات- دراسات - أبحاث- مخطوطات...) وتحميله على موقع إلكتروني شامل مزود بآليات متقدمة للبحث والاسترجاع، ولاشك أن مثل هذا المشروع سيضع أمام الباحثين والدارسين كل ما يتطلعون إليه في دراساتهم أيا كان حقلها المعرفي، الأمر الذي سيوفر عليهم الوقت والجهد والمال.

ومن ثم سيكون بوسعنا الاستغناء إلى حد كبير عن المصادر الأجنبية التي قد تدس السم في الدسم وتشوه الحقائق وتزور الوقائع، خدمة لأغراضها المشبوهة.

إن نجاح مثل هذا المشروع يحتاج من كل الدول العربية والمؤسسات الثقافية رفده بما تمتلك من كنوز لغوية وأدبية وفكرية وعلمية حتى يتكامل ويؤتي ثماره المرجوة.

التحرير



حينما تستحيل الرموز الصامتة إلى أصوات تركض

د. بليغ حمدي إسماعيل

القراءة غذاء العقل والروح، وهي نافذتنا نحو العالم وتعتبر من أهم وسائل كسب المعرفة، فهي تمكن الإنسان من الاتصال المباشر بالمعارف الإنسانية في حاضرها وماضيها، وستظل دائمًا أهم وسيلة لاتصال الإنسان بعقول الآخرين وأفكارهم، بالإضافة إلى أثرها البالغ في تكوين الشخصية الإنسانية بأبعادها المختلفة.

يمكن تعريف القراءة من حيث إنها عملية تنويرية مفادها تأويل الرموز الصامتة التي سرعان ما ستتحول إلى خيول راكضة ذات بعد دلالي مقصود، وبهذا التحديد يمكننا أن نذهب مع المحاولات التي ترنو إلى اعتبار القراءة عملية مكمِّلة لعملية الرصد الكتابي، فلا قراءة من دون نص مكتوب، وبالتالي فالقراءة هي فعل ذهني منتِج يؤدي إلى إنتاج واستنباط خطاب لغوي جديد يعتمد في تشكله على آليات القراءة كعملية ذهنية ذات بعد مستقل، ربما يستمد بعض سمات تحفزه من النص المكتوب. وفي كثير من الأحيان تثار حفنة من التساؤلات حول تحديد مواضعة أكثر دقة للقراءة، وهل يمكن تعريف القراءة الاستنطاقية (أي تحويل الرمز المجرد إلى صوت وحركة وإيقاع حي) في مرحلة الاكتشاف على أساس أنها وحدة قرائية متكاملة بمعزل عن القراءة التأويلية التي تسهم إلى حد ما في تشخيص الهوية النهائية لمفهوم القراءة؟

وكانت هناك محاولات في فلسفة المعنى، مفادها أن القراءة يجب أن تكون مؤدية إلى منتج ذهني، منتج متمثل برد الفعل تجاه النص المكتوب، وإلا فالقراءة تصبح مجرد محاولة عقيمة لا يمكن تأطيرها بمصطلح القراءة، لأن القراءة الاستنطاقية بمستوييها البنيوي

ثمة باحثون يرون أن القراءة عملية عقلية تتساوى مع التفكير

والتفكيكي تعمل على تحري شبكة العلاقات والرموز والبنى على أساس مكونات داخلية للنص تثير استفزازًا في ذهنية القارئ، ومن دون القراءة التأويلية التي تستثمر رد الفعل الذهني لإعادة صياغة وتشكيل ردود الأفعال تلك إلى وحدة معرفية مستقلة تعطي انطباعًا عن هوية النص المكتوب من حيث النوايا والأهداف.

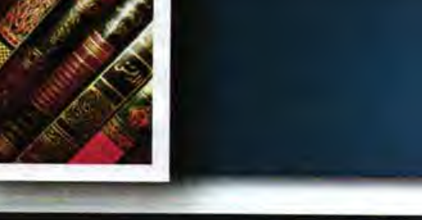
ومن خلال المواضعات التأريخية لتعريف القراءة نلاحظ أن كثيرًا من الباحثين يرون في القراءة عملية عقلية ويساوونها بالتفكير، أي أن القراءة عملية تفكير، وهم يستبعدون الأخذ بقضية فك الرموز تعريفًا للقراءة، لأن فك الرمز وتحويل الحروف المكتوبة إلى أصوات لا يتعدى كون القارئ يقوم بعملية آلية وقراءته في هذه الحالة آلية ليس فيها تفكير، وهي أشبه بالقارئ العربي عندما يقرأ نصًا مكتوبًا باللغة الفارسية التي تكتب بحروف عربية.

ولكن القراءة الحقيقية تبدأ من اللحظة التي يحول فيها القارئ الرموز الصامتة إلى أصوات أشبه بالخيول التي تركض في حركة متناسقة. والقراءة على هذا الأساس هي عملية معقدة تشمل تقييم القارئ للكلمات وعلاقتها مع بعضها في الجملة وقبول معنى ورفض معنى آخر، وتتداخل فيها قدرات عقلية مختلفة وتتأثر بمعطيات داخلية تتصل بالقارئ، وعوامل خارجية تتصل بالنص والظروف المحيطة، وجميع ذلك يؤثر على صورة الاستجابة النهائية للمادة المقروءة، وعليه فإن القراءة تشتمل على جميع مقومات التفكير.

إذن فعملية القراءة- كأداء معرفي- تعتبر عملية متكاملة تمر بمجموعة مستويات، تبدأ بالاكتشاف أو التحري الأول وأحيانا يسمى التلقي المباشر، ثم مرحلة الاستنطاق التي تعمل على تحليل البنى الداخلية وتفكيكها لتمهد للقراءة التأويلية التحليلية في إعادة تشكيل الوحدات المعرفية إلى منتج نهائي يصف سلوك ودوافع النص المكتوب.

وإلى هذا، يمكننا القول إن القراءة تنتهج تسلسلًا منطقيًا في التعامل مع الخطاب اللغوي المكتوب، وتتعامل مع هذا الخطاب اللغوي تعاملًا منهجيًا أي بضوابط وشروط لا عشوائيًا في استدراج الخطاب إلى مناطق أكثر إشراقًا وإعمالًا

• أستاذ في جامعة الأزهر



للعقل وهو يؤوله، أو بعبارة أخرى تعمل القراءة مع النص المكتوب عملاً تنقيبيًا من حيث قصدية واضحة، إذ لا نص من دون غاية أو دافع معين، وتحديد هذه القصدية في تشكيل الرؤية الأولى لعملية القراءة التي تمثل عملية تدوينية تتضمن الاكتشاف والتأويل معًا. ويجب الإشارة هنا إلى أن أنماط القراءة، التي تمثل وحدات قرائية متكاملة، إنما تميل إلى تخصيص الرؤية المنتَجة، هذا التخصيص يأتي من خلال تحديد البنى والعلاقات التي تسهم في إنتاج نمط القراءة.

وبنفس المنطق اللغوي يمكن وصف قراءة الخطاب النفسية وقراءته السيميائية على أنها أنماط قرائية تمثل وحدات متكاملة دون خلل، وكذلك القراءة التي تتناول مفهومي الزمان أو المكان، مضافًا إلى ذلك أية قراءة تعمل على تشخيص عنصر محدد من عناصر الكتابة لتمارس عملية فعل القراءة كوحدة شمولية لمجموعة قراءات تسهم في تشييد مفهوم القراءة العام، أي صيرورات تتشكّل من مستويات القراءة الاستكشافية أو الاستنطاقية بمستوييها البنيوي والتفكيكي، مرورًا بمستوى القراءة التأويلية لتطرح رؤية شمولية لجانب من جوانب النص المكتوب.

وبهذا الفهم لعملية قراءة الخطاب اللغوي، نخلص إلى أن القراءة من حيث هي أداء معرفي أو نشاط ذهني موجه بقصدية لتقصّي مساحات نص مكتوب، هذا التقصي محكوم بآليات وعي متوازنة وواضحة ترسم ملامح الغايات المرجوة من وراء قراءة الخطاب اللغوي، هي عملية اكتشاف واستنطاق، وتأويل وتدوين، بصورة أخرى فقراءة أي خطاب لغوي هي دورة معرفية متكاملة تمثل مجموعة إجراءات وعمليات ينتج عنها إنتاج نص جديد يمكن تسميته بخطاب القراءة التأويلي.

دعوة سعاد

عبدالجواد الحمزاوي

كانت سعاد تجلس بجانب ابنها الصغير.. تضع كمادات الماء على جبهته وعلى بطنه، وتمسح يديه ورجليه بالماء.. أخيرا، وحينما اقترب أذان الفجر نزلت درجة الحرارة إلى معدلها الطبيعي.. نام الولد وهدأت أنفاسه.

كان قد بقي على موعد المضاد الحيوي أكثر من نصف ساعة.. صنعت سعاد لنفسها فنجانا من القهوة وجلست بجانب السرير تحتسيه، وعند الموعد تماما أيقظت ابنها.. أعطته ملعقة الدواء ثم هدهدته فنام.. ابتسمت سعاد كثيرا وقبلته.. بعد ذلك، قامت إلى المكتب.. أخرجت ورقة وقلما وكتبت..

«أرجوك يا سمير .. مرّ على عملي وخذ لي إجازة اعتيادية لمدة يومين لأن إجازاتي العارضة قد انتهت..».

لم تنس سعاد أن تضبط المنبه على الموعد التالي للمضاد الحيوي.. أخذت المنبه معها إلى السرير ووضعته على المخدة.. لم تكد تضع جنبها على السرير حتى قامت ثانية.. ذهبت إلى التسريحة، ثم جذبت خطابها من تحت زجاجة عطر زوجها وزادت فيه «لا تنس أن تعطي عليا الدواء قبل أن تذهب للعمل لأني متعبة جدا..».

أخيرا نامت سعاد.. لم تستمر كثيرا في نومها.. أيقظها زوجها وهو يبتسم ثم قال: لماذا لم تحددي لي الدواء الذي أعطيه لعليّ قبل أن أنزل؟

رغما عنها ابتسمت سعاد وقالت: اذهب أنت بالسلامة وسأعطيه أنا الدواء..

نزل الزوج ذاهبا إلى عمله وقامت سعاد تتحسس ابنها الصغير.. رأته نائما في براءة.. أضاء الابتسام وجهها.. لمست جبهته برفق.. جلست بجانبه تنتظر أن يستيقظ.. أخذت تفكر.. ذهب عقلها إلى الوراء بعيدا، بعد قليل خرج من صدرها زفرة حارة ثم قالت: يا حبيبتي يا أمي!

تذكرت سعاد مرضها الشديد وهي صغيرة.. كانت في السنة الثالثة الابتدائية.. لم يكن بقريتها أطباء ولا مستشفيات، و كانت المواصلات صعبة جدا لأقرب مدينة.. اغرورقت عينا سعاد بالدموع وهي تشعر بالتعب الشديد في العناية بابنها الوحيد المريض، رغم انتشار الأطباء في كل مكان ورغم الهواتف التي سهلت الأمور كثيرا.. علت شفتها ابتسامة حزينة وهي تسائل نفسها: «ماذا تفعل لو كان عندها خمسة أبناء مثل أمها؛ يوم أن مرضت هي؟!».

أفاقت سعاد من تفكيرها على بكاء ابنها.. أرضعته وأعطته الدواء.. ضحك عليّ الصغير وضحكت أمه.. بعد قليل نام عليّ.. بسرعة ذهبت سعاد إلى الهاتف. طلبت منزل أبيها.. أتاها صوت الأب قلقا على ابنها.. طمأنته وسألته عن أمها. أخبرها أبوها أن أمها في الطريق إليها لتساعدها في الاعتناء بعليّ الصغير. وعلمت سعاد أن أمها لم تنم طول الليل من قلقها على حفيدها.

وضعت سعاد السماعة ثم قالت: يا رب اشف أمي من كل أمراضها، وبارك لي في عمرها.

بعد ذلك، عادت إلى ابنها النائم.. نظرت إليه وقالت: سوف تأتي جدتك لتعتني بك.

ثم جلست تستعيد أغنيات أمها لها وهي صغيرة.. ابتسمت كثيرا لتلك الأغنيات وأعادت غناءها لابنها.. لم يستمر ذلك طويلا.. نامت سعاد، ولم تستيقظ إلا عندما رنّ جرس الباب، وكانت أمها هي القادمة.

● قاص مغربي



كناسة الشِّعر و«ميليشيات» الحداثة!

محمد عبدالشافي القوصي

أمّا قبل، فلا أظن أن هناك من يخالفني في وصف الشِّعر الحر بـ «الكناسة»! ولا أتوقع أحدًا سيسألني: ما المقصود بكناسة الشِّعر؟ فالمصطلح دال على معناه القريب والبعيد معًا، وإنْ كان بعض الأدباء أرادوا أن يخففوا على قرائهم من وطأة الصدمة، فأطلقوا على هذا الغثاء صفات أخرى، مثل: شِعر العبيد، أوْ شِعر المجانين، أوْ الشِّعر الذي ينقض الوضوء، أوْ ظاهرة العبث في الشعر!

في العقود الأخيرة، اجتاحت الشِّعر العربي موجة بالغة الخطورة، ينبغي تحذير الشعراء الجدد منها، حتى لا يقعوا في مصيدة هذه الموجة الخاطئة المليئة بالفوضى والعبث والتي تهدف إلى تضليل الإنسان وإضعافه أمام مشاكله الحقيقية وهمومه الجارفة.

ولعلّ سائلًا يسأل: ماذا يريد أصحاب هذه الدعوى بهذا العبث؟

أجاب «رجاء النقاش» عن هذا السؤال في كتابه «ثلاثون عامًا مع الشِّعر والشعراء» فقال:

«ذلك يعود إلى المنافع الكثيرة التي تهبط عليهم من بعض المؤسسات العلمية الغربية، والتي تريد أن تخلق الاضطراب في صفوف الأمة، وتشوه أمامها حقيقة ما تسعى إليه من أهداف صحيحة نحو النهوض والتقدم وحل المشكلات العسيرة التي تواجهها في السياسة والاقتصاد وسائر جوانب الحياة، ولا جدال في أنه إذا أراد أحد أن يفسد حياة أُمة، وينشر الضعف والارتباك بين أفرادها، فإنّ أفضل وسيلة إلى ذلك هي إفساد ذوق تلك الأمة، وتشويه إحساسها بالجمال، ونشر التفكك في ألفاظها ولغتها، فكل ذلك يؤدي في نهاية الأمر إلى تحويل أفرادها إلى نباتات مخلوعة من الأرض غير قادرة على النمو والازدهار».

لمْ يكتفِ «التغريبيون» بفشلهم الثقافي بل تجرأوا على الأديان والمقدسات!

من أسف، فقد وجدت هذه الدعوى العبثية صدىً واسعًا عند عدد كبير من الشعراء الشبان في البلدان العربية بلا استثناء، وليست هذه الدعوى الماكرة التي تبناها أُنسي الحاج، وأدونيس، وعبدالمعطي حجازي، وجابر عصفور، وغيرهم... سوى وباء أدبي يمكن أن يقضي على كل شيء لوْ أُتيح له الانتشار الواسع، وهذا هو ما يسعى إليه أصحاب هذا الاتجاه.

ونحن بدورنا نسأل أصحاب هذا الاتجاه والتابعين لهم: من أين جاءوا بهذه التقاليع العجيبة مادامت المجتمعات الإنسانية ترفضها وتنكرها؟ ومن أين جاءوا بهذه التعقيدات الأدبية؟ ولمن يتوجهون بهذا العبث؟ فما المقصود بقصائد المثلثات أوْ المربعات والمستطيلات، إننا لم نسمع بفنان يسمح لنفسه بالهلوسة ويجد حوله نقادًا يصفقون له ويرفعون رايته ويقولون للعالم إن هذا هو الفن الصحيح.

ومن العجيب أن أصحاب هذه الدعوى الجديدة يقولون: إنهم يكتبون قصيدة النثر الخالية من كل قيود القصيدة القديمة مثل الوزن أو الموسيقى وغير ذلك من العناصر الفنية الأساسية في الشعر، فهل هذا الادعاء هو ادعاء صحيح؟ الحقيقة إنه في جوهره ادعاء كاذب، لأنّ الأدب العربي قد عرف منذ عصوره القديمة ذلك النثر المليء بندى الشعر وعذوبته منذ كتابات الأصمعي، والجاحظ، وابن جني، والثعالبي.

وقد عرفنا هذا اللون من النثر المليء بروح الشعر في كثير من كتابات المعاصرين مثل: المنفلوطي، والرافعي، والعقاد، وزكي مبارك.. فما أكثر ما كتب هؤلاء نثرًا مليئًا بروح الشِّعر ومليئًا بالوجدان والعاطفة، ولكننا أبدًا ما كنا نخرج من كتابات هؤلاء ونحن أشبه بالمجانين الذين فقدوا عقولهم، وفقدوا قدرتهم على التمييز بين الأشياء، بلْ كنا نخرج من كتابات هؤلاء الموهوبين- ونحن على العكس- في منتهى اليقظة والنشوة القلبية.

فليحذر أبناء الجيل الجديد من الشعراء من هذه الموجة العبثية التي تريد أن تدمر الوجدان العربي، وأن تدمر معه أدبنا وإحساسنا بالجمال، وتطلعنا إلى النهوض والتجديد الصحيح، فما هذه الموجة الأدبية الجديدة في جوهرها إلاّ جزء من الحرب على شخصيتنا الأصيلة، ومحاولة لاقتلاعها من جذورها، لتسليمنا إلى عدونا جثة هامدة.

إنّ هذه المدرسة التي يتزعمها أدونيس اعتمدت على أفكار القوميين السوريين القديمة في معاداة العروبة، واعتمدت من جانب آخر على أساليب التعبير المليئة بالألغاز والرموز المغلقة، وقد لقيت ترحيبًا وتأييدًا ورواجًا كبيرًا عند بعض أوساط الاستشراق الغربية، تلك الأوساط التي لا تعمل من أجل العلم والحقيقة والتعاون بين الشعوب، وإنما تعمل عن عقيدة أو منفعة لخدمة المصالح الغربية في الوطن العربي، ومن أهم المصالح الغربية في وطننا العربي العمل على تحطيم أي وسيلة أو أداة يمكن أن تجمع بين العرب أو تحقق الوفاق بينهم أو توحد بين أفكارهم ومشاعرهم، وعلى رأس ما يمكن أن يحقق وحدة المشاعر والأفكار العربية: الأدب والثقافة واللغة. فلماذا لا تتمزق هذه الوسائل تمزقًا كبيرًا وتنتشر فيها الفوضى والانقسامات وتمتلئ بالألغاز والأسرار، حتى يتحول العرب إلى مدارس متعارضة، متشاحنة ومتناقضة في التفكير والشعور والتعبير، بدلًا مما كان بينهم من الوحدة القائمة أو المحتملة في المستقبل. ومن هنا اهتمت دوائر الاستشراق الغربي المعادية لنا بهذه المدارس الأدبية الجديدة، ومنها مدرسة العبث الشعري التي نتحدث عنها، وأثاروا ضجة واسعة حول هذه المدرسة وحول أهميتها، وفتحت الجامعات الغربية في أوروبا وأميركا أبوابها لرواد هذه المدرسة، وأغدقت عليهم المِنَح الدراسية، وأفسحتْ لهم مجال الوظائف العلمية البارزة المؤقتة والدائمة، واتسعت الحملة لتقدم ترجمات كثيرة جدًا لشعراء هذه المدرسة وأدبائها من العربية إلى اللغات الأوروبية، ومنذ سنوات يتردد أن «أدونيس» مرشح لجائزة نوبل من خلال تحمس المستشرقين الغربيين له ولأدبه واتجاهاته، ومحاولاتهم الدائمة للضغط على الأكاديمية السويدية التي تمنح جائزة نوبل وإقناعها بأن «أدونيس» هو الذي يمثل حقيقة الشعر العربي المعاصر!

ومما يؤسف له أن كثيرًا من الشعراء الشبان وقعوا في مصيدة هذه المدرسة تحت دعاوى لها جاذبيتها، من هذه الدعاوى أن مدرسة العبث الشعري هي التي تمثل الحداثة أو التجديد الصحيح، وأنّ من لا يكتب بهذه الطريقة يصبح تقليديًا جامدًا متخلفًا عن العصر واقعًا في إسار الأفكار القديمة البالية!

تُرى.. ما نوع الشّعر الذي يدعو إليه هؤلاء «المجددون» أقصد المخرّبين أوْ الحداثيين؟ وأين هذا الفتح المبين في عالم الشّعر والأدب؟

إنهم لم يقدموا حتى الآن سوى أشعار كريهة كالمحيض أوْ كأرجل الفئران.

فخذ هذا النموذج- على سبيل المثال- لأحد زعماء شعراء الحداثة «أُنسي الحاج»:

«... جديدة ستبقى، وصلت أمواج الدم الأسود إلى الحواجب
أنت تفرزين، ونحن نسبح.. نغرق ويحتل الأطفال دوائرنا، بعدك لا جدوى من الخضوع
فلنقطع الركبة ونصب العنق عموديا، لا خضوع
أدم! يا موت، بعث.. يا كفاح. لا شيء».

هذا هو الشعر كما يُراد للأجيال الجديدة أن تؤمن به، وتمشي على مذهبه، وتكتب على صورته، ولا يمكننا أن نقول عن هذا الكلام إنه شِعر أوْ نثر، بلْ هو نوع من الهلوسة والفوضى في التعبير والألفاظ والتركيب الفني، ثم هو بعد ذلك كلام يخلو من العاطفة والوجدان، ويخلو من الفكرة والمعنى، ويخلو من الوحدة الفنية التي تربط بين أجزائه.

أمّا عن العبث الأدبي والهذيان الذي يمارسه كاهن الحداثيين العرب «أدونيس» ويسميه شِعرًا، إليكم هذا النموذج، ثم احكموا على صاحبه بما شئتم- بشرط ألاّ تكتموا الشهادة، ومن يكتمها فإنه آثمٌ قلبه:

مكان ولادتي..
١٩٣٠ الشمس قدم الطفل
عرفت أقل من امرأة
لأنني تزوجت بأكثر من امرأة
عرفت أقل من رجل
لأنني تزوجت بأكثر من رجل
أعلنا..
الزواج غبار..
لكن..
مثل يرقة تتحول إلى فراشة..
هكذا يتحول غبار الزواج
إلى زهرة من العشق..
١٩٣٣ نبتة تشعل قنديلا..
١٩٤٠ طفل يعد الغيم ينتظره الحريق
١٩٥٠ تمطر في أنحاء أخرى

ستحظى بينابيع يأخذها غيرك
الجسد أطول طريق إلى الجسد
هل اللمس للجسد وحده حقا؟

هذا نموذج من شِعْر أدونيس الذي يدعو إليه، بل أنشأ مجلة يدعو فيها إلى هذا المذهب العبثي الجديد هي مجلة «مواقف» التي تصدر في بيروت، ويصدر كل عدد منها وهو ممتلئ بهذا السخف، وبالدعوة إليه والدفاع عنه، واعتباره نموذجًا للشّعر العصري الأصيل الذي ليس بعده ولا قبله شعر آخر!

ونترك كلا من أُنسي الحاج، وأدونيس، لنأخذ نموذجًا لواحد من آباء الحداثة العربية، وهو الشاعر «توفيق صايغ»:

أريدني عدما في قبعة
وأريدك عينين منومتين وأصابع رشيقة
تبعث بالقبعة وبالرائين وبي
وتبعثني أرنبا ينط

ولا عجب إذا علمنا أن صاحب هذا العبث والإسفاف، يعتبره الحداثيون العرب إمامًا ورائدًا كبيرًا من روادهم في هذا اللون العبثي!

ولا يفوتنا إلى أن نشير إلى بعض نماذج للحداثيين المصريين، وأتحدى لوْ أن أحدًا في الدنيا يفهم شيئًا من عبثهم وهذيانهم، يقول الحداثي «حسن طلب»:

هل الجيم تجفي وتجفو؟
أجل كل جيم جثت جيفة تجوى
وجفاء يجف
فكيف يجافخ بالجيم جلف؟
وهل يستجاد من الجيم وجف؟
أجل كل جيم إذا جثجثت
جنح الجدب جرف

وهذا حداثي آخر «أمجد ريّان» ممن أصابه «فيروس» الحداثة أوْ «جرثومة» الشعر الحر، فقد كتب قصيدة لها عنوان عجيب غريب، هذا العنوان من أربع عشرة كلمة، كالآتي:

«تغني للتباعد، أصعد، والبراعم حيطاني، أصعد، وهي الامتلاء، ترميني بالأهلة والشوك، والجسر المنيع».

هذا هو عنوان القصيدة.. فماذا نجد في هذا العنوان غير التشويش والاضطراب والعجز عن الإيحاء بمعنى أو فكرة أو عاطفة؟

ولنترك العنوان ونقرأ الجزء الأول من «القصيدة» كما يسميها الشاعر الحداثي:

دعاة الحداثة أرادوا إفساد ذائقة الأمة وتشويه إحساسها بالجمال

أيها الأفق الذي
أصابني بالدوار
هل أنت تنظر إلي
وتمغنطني
أم أنا الذي صلبت في الأبواب الذابلة
وفي الحناء التي تشخب شعر البنات
يا أفقا من العيون الشيخة، والنخيل المغضن، أطلق عصفورة بيضاء ذات منقار أحمر كالسمسمة
أطلقها تحلق في الحقول الهوجاء، وفي زوبعة النخيل، أطلقها من كتاب الغياب
يا قلبا في ضلوع الفلكي الحزين
قع في الرهجة الحكيمة
وانشق في وتر الحنين
رطرطتني العربات الخشبية، بأعرافها الملونة، وعجلاتها المعجنة، أنا الدائري، نحت الوردة الترابية، تقرعني الكفوف البرونزية فوق الأبواب، وصدى الليل حيث أطأ الأرض».

وبعد.. هل نستطيع أن نُسمي هذا الكلام شعرًا أوْ نثرًا؟ وهل نستطيع أن نخرج منه بأي تجربة روحية حقيقية.. واضحة كانت أو غامضة؟ إن الخروج من هذا الكلام بفكرة أو تأثر نفسي وجداني، هو أمر مستحيل، فنحن نتعثر- مع هذا النص- بين مجموعة من عبارات تشبه «الحُفَر» التي تملأ طريقًا مهجورًا لم تمسه يد بالتعديل والإصلاح من قبل!

فالقاموس الذي يستخدمه الشاعر الحداثي غريب ومليء بالألفاظ الصادمة المنفرة التي تجعل الإنسان يشعر كأنه يمضغ زلطًا بين أضراسه، فألفاظ مثل «تمغنطني، تشخب، رطرطتني، تباعيض...» هل تصلح هذه الكلمات للاستخدام الأدبي؟ بالقطع لا، وألف لا.. فلا تصلح في شعر أو نثر، لأنها ألفاظ هجينة ملفقة، ولا أصل لها في اللغة العربية ولا حتى في اللهجات العامية.

ونتساءل- الآن- أليست هذه النماذج العبثية التي أوردناها هي من «كناسة الشعر»؟ أليست المجلات التي تحتفي بنشر هذه النماذج الكريهة هي من «كناسة الصحف»؟ أوليس أصحاب هذه النماذج الحامضة هم «كناسة الشعراء»؟!

وليت الأمر توقف عند حد هذه «الكناسة» التي أفرزتها ميليشيات الحداثة، بل ذهبوا إلى أقبح من ذلك بكثير، فتجرأوا على الأديان وسائر المقدسات، بصورة مشينة، لم يسبقهم إليها أحد من قبل، حتى في عصور الجاهلية الأولى!!

في رثاء الشيخ العلامة
بُدَّاهَ بْنَ الْبُوصِيرِيِّ الشَّنْقِيطِي رَحِمَهُ اللَّهُ

الْمُدَقِّقُ الْمُحَقِّقُ الشَّيْخُ بُومِيَّةُ بْنُ مُحَمَّدِ السَّعِيدِ بْنَ أُبَّيَّاهْ الشَّنْقِيطِيُّ يَرْثِي شَيْخَهُ الْعَلَّامَةَ شَيْخَ الإِسْلَامِ بُدَّاهَ بْنَ الْبُوصِيرِيِّ الشَّنْقِيطِي رَحِمَهُ اللَّهُ

لَقَدْ وَدَّعَتْ شِنْقِيطُ بَدْرَ تَمَامِهَا
وَعَالِمَهَا النِّحْرِيرَ جَالِي ظَلَامِهَا

لَقَدْ رُزِئَتْ بَدَّاهَ جَلَّ مُصَابُهَا وَعَمَّ
الأَسَى فِي سَهْلِهَا وَإِكَامِهَا

لَقَدْ رُزِئَتْ عِلْمًا وَتَقْوَى وسُؤْدُدًا
خِصَالٌ تَوَلَّتْ فِي فِرَاقِ إِمَامِهَا

إِمَامٌ. خِصَالُ الْفَضْلِ فِيه تَجَمَّعَتْ
مُقِيمُ الْمَعَالِي. مُمْسِكٌ بِسَنَامِهَا

أَقَامَ لِدِينِ اللهِ صَرْحًا مشَيَّدًا
أَعَادَ إِلَى شِنْقِيطَ بُعْدَ مَقَامِهَا

فَأَخْلَاقُهُ الْقُرْآنُ يَحْكُمُ قَوْلَهُ
وَيَظْهَرُ فِي أَفْعَالِهِ بِتَمَامِهَا

فَكَمْ لَيْلَةٍ لَيْلَاءَ نَامَ بِهَا الْوَرَى
تَجَافَى بِهَا عَنْ مَضْجَعٍ لِقِيَامِهَا

وَكَمْ صَامَ يَوْمًا أَيْوَمًا فِي عِبَادَةٍ
يُبَالِغُ فِي كِتْمَانِهَا وَدَوَامِهَا

عَزُوفًا عَنِ الدُّنْيَا إِذَا مَا تَزَيَّنَتْ
بِزُخْرُفِهَا لَمْ يَلْتَفِتْ لِحُطَامِهَا

مُجَلٍّ بِمَيْدَانِ الْعُلُومِ مُبَرِّزٌ بِهَا
لَا يُجَارَى مُمْسِكٌ بِزِمَامِهَا

هُوَ الْمَاهِرُ الْخِرِّيتُ بَيْنَ فُنُونِهَا
لِمُشْتَبِهٍ مِنْ حِلِّهَا وَحَرَامِهَا

فَكَمْ بَثَّ عِلْمًا فِي قُلُوبٍ كَثِيرَةٍ
شَفَاهَا بِه مِنْ جَهْلِهَا وَسقَامِهَا

وَعَنْ سُنَّةِ الْمُخْتَارِ كَانَ مُدَافِعًا
إِذَا مَا اتَّقَتْ أَعْدَاءَهَا بِحُسَامِهَا

لِتُصْقَلَ مِنْ تَحْرِيفِ كُلِّ مُحَرِّفٍ
وَمِنْ بِدَعٍ قَدْ خَيَّمَتْ بِقَتَامِهَا

إِذَا سَامَتِ الإِسْلَامَ خَسْفًا جَمَاعَةٌ
قَدِ انْحَرَفَتْ عَنْ رُشْدِهَا وَقَوَامِهَا

تَصَدَّى لِقَوْلِ الْحَقِّ فِي كُلِّ مِنْبَرٍ
وَلَمْ يَخْشَ مِنْ تَهْدِيدِهَا وَمَلَامِهَا

هُوَ الْفَارِسُ الْمِغْوَارُ حِينَ تَأَجَّجَتْ
مَعَارِكُ قَوْلِ الْحَقِّ عِنْدَ احْتِدَامِهَا

فَيَارَبِّ فَاجْعَلْ رَوْضَةَ الشَّيْخِ رَحْمَةً
وَفِي جَنَّةِ الْفِرْدَوسِ طُولَ مُقَامِهَا

وَصَلِّ عَلَى مَنْ كَانَ رُحْمَى لِأُمَّةٍ
بِمِلَّتِهِ نَالَتْ بُلُوغَ مَرَامِهَا

دور الأدب المقارن في عالمية الأدب العربي

فيصل سليمان حسن

يعرف الأدب المقارن (Comparative Literature) على نحو اصطلاحي عام بأنه نوع من الدراسات النقدية الأكاديمية الحديثة التي تتصدى لدراسة أدبين أو أكثر ينتميان إلى قوميتين مختلفتين ولغتين مختلفتين، من منظور علمي أكاديمي محايد، من حيث علاقات التأثر والتأثير والتشابه والاختلاف، والموازنة الفنية والموضوعاتية والجمالية، وبيان النظرة المتبادلة التي يرسمها الأدب القومي عن شخصية الأدب القومي الآخر، فضلًا عن انتشار المذاهب الأدبية والتيارات الفنية بين الآداب القومية، وغير ذلك من ميادين المقارنة المتعددة التي تلتزم حدود العمل الأدبي، للوصول إلى التعبيرات الأدبية المتنوعة للروح الإنسانية وما تطرحه من مقولات فنية وفكرية وأخلاقية وجمالية سامية، على اعتبار أن العمل الأدبي القومي لا يعبر فقط عن الروح الوطنية الضيقة بقدر ما يرتفع بها لتعكس التعبير عن الروح الإنسانية المترفعة عن الحدود اللغوية والقومية، في صراعها من أجل المعرفة والحياة والحرية.

الحقيقة أن الأدب المقارن بهذا المفهوم الاصطلاحي العام يشكل وسيلة حديثة شديدة الأهمية والفعالية للأدب العربي فيحفز مسيرته الإبداعية نحو تحقيق سمات الأدب العالمي World Literature أو ما بات يعرف اصطلاحًا بـ «عالمية الأدب العربي». فإذا كان الأدب العالمي يعرف على نحو اصطلاحي عام بأنه «ذلك النوع من الأدب القومي الذي بلغ مستوى عالميًا من النضج الفني والفكري عبر تجربته الابداعية بما يمكنه من تجاوز حدوده القومية واللغوية في التأثير الفني والجمالي والموضوعاتي بالآداب القومية الأخرى، وتبادل علاقات التواصل والتفاعل الإبداعي الحر معها، فضلًا عن قدرته الفذة على التعبير الفني العميق عن هواجس الروح الإنسانية العميقة بغض النظر عن لغتها أو عرقها أو موطنها أو جنسها»، فإن الأدب العربي استطاع ولا سيما في النصف الثاني من القرن المنصرم أن يقطع خطوات حثيثة من النضج الفني والفكري والجمالي في الوصول إلى العالمية في ضوء علاقات التفاعل والتواصل المتبادل مع الآداب القومية الأخرى التي أغنت مسيرته التعبيرية والإنسانية معًا، وجعلته يحظى بقبول عالمي ملحوظ، ويساهم بفعالية في الحراك الابداعي العالمي شعريًا ونثريًا، ونستطيع أن ندلل على صحة ذلك بجوانب متكاملة متداخلة بارزة هي:

١- الجوائز العالمية الكبيرة التي حصدها مبدعون عرب: نذكر هاهنا «منح جائزة نوبل للآداب للروائي نجيب محفوظ، وجائزة «بجورنسون» النرويجية وجائزة «ليتو» الإسبانية للشاعر أدونيس، وجائزة «اليونسكو» للشاعر محمود درويش، وجائزة «غونكور» الفرنسية للكاتب المغربي طاهر بن جلون وغير ما ذكرنا كثير.

٢- حركة الترجمة الكبرى التي لقيتها أعمال إبداعية عربية: على شاكلة ما نجد عند الأدباء محمود درويش، ونجيب محفوظ، وأدونيس، وجبران خليل جبران، وغيرهم كثيرون، حيث ترجمت على سبيل المثال لا الحصر، أعمال أدونيس إلى أكثر من خمس وسبعين لغة حية حول العالم وتحول كتابه (النبي The prophet)، إلى ما يعرف بكتاب الـ (Best seller) أي الأكثر مبيعًا، وطبع منه في الخمسينيات من القرن المنصرم ملايين النسخ، وكذلك طبعت أعمال محمود درويش الشعرية في فرنسا وألمانيا مثلًا بما يعرف بـ «كتاب الجيب» الواسع الانتشار، وإن دلت هذه الأمثلة على شيء فإنما تدل على الحضور الواسع للأدب العربي في الأوساط الثقافية والأدبية العالمية ومستوى القبول الذي يحظى به من جمهور القراء من غير أبنائه.

٣- الاحتفال بالكتاب العربي ضيف شرف على فعاليات أدبية ثقافية عالمية: كالاحتفال بالكتاب العربي ضيف شرف على معرض الكتاب الدولي في باريس ومدريد وطهران وفرانكفورت وأنقرة وطوكيو، وغيرها من مراكز الحراك الدولي للكتاب، ويتم فيها اختيار مجموعة من الكتب المميزة في الأدب العربي لطرحها على طاولات البحث والنقاش النقدي المرفقة لفعاليات معارض الكتاب، ليصار إلى دراستها ابداعيًا باعتبارها تمثل نماذج جيدة لحركة الأدب العرب في المرحلة الراهنة بسلبياتها وإيجابياتها، ثم تكريم مبدعي هذه الكتب.

٤- مشاركة رموز الفكر والأدب العربي في الحراك النقدي والنقاشي في الساحات الأدبية والثقافية العالمية التي تتصدى لقضايا الأدب المتنوعة نقدًا ودراسة،

• باحث سوري

والاحتفال بمشاركتهم من خلال نشرها في دوريات إعلامية مسؤولة: ولا ننسى هاهنا دعوة الكاتب المسرحي سعد الله ونوس لإلقاء الكلمة الافتتاحية لمهرجان المسرح الدولي في طوكيو، كذلك مشاركة الكاتب والناقد الدكتور كمال أبوديب في الحراك النقدي والنقاشي للشعر المعاصر في فعاليات دولية ثقافية بلندن، وأيضًا الدكتور المرحوم هشام شرابي والمرحوم الدكتور محمد أركون وأدونيس، مما جعلهم يتركون أثرًا لا يخفى في الحراك النقدي النقاشي حول الأدب في الساحات الأدبية والنقدية العالمية.

وإذا كانت هذه الجوانب المتكاملة تدلل بشكل واقعي منطقي ثابت على مرحلة النضج الفني والجمالي التي بلغها الأدب العربي وقدرته على مواكبة الحراك الأدبي والثقافي العالمي فنيًا وجماليًا وفكريًا بما جعله يدخل باب العالمية برأينا، فإنها من جانب آخر تفتح المجال واسعًا أمام الأدب المقارن المهني لممارسة دوره النقدي والدراسي المهني للكشف عن قضايا التأثر والتأثير المتبادل بين الأدب العربي والآداب العالمية وعلاقات المثاقفة (Acculturation) والحوار الابداعي، والتواصل الموضوعاتي المشترك والمقولات الفكرية والفنية والجمالية التي يقدمها للشخصية العربية والشخصية الأجنبية في الأعمال الأدبية ونصيبها من السلب والإيجاب، وذلك كله من منظور حرفي مهني بعيدًا عن العنصرية بمعناها السلبي البغيض، وبعيدًا عن الشخصانية والكيدية والاتهام بالتآمر وسوء الظن، لأنها سمات لا تتوافق والأدب المقارن المهني بمعناه الحضاري الراقي الذي يهدف إلى تلمس نقاط الاشتراك في التعبير الفني المتنوع للآداب العالمية عن الروح الإبداعية الواحدة البشرية، وما تطرحه مشكلات الحياة والفكر والثقافة عليها من أسئلة جوهرية مشتركة وطريقة الإجابة الأدبية عنها.

هذه هي بعض ملامح الدور المنشود للأدب المقارن العربي الذي يمكنه حفظ القيم الفنية والجمالية العالمية للأدب العربي، وإبرازها على نحو خلاف مبدع يليق بأدب يحمل تاريخًا عريقًا من الإبداع في نواحي الفن والمعرفة والجمال، ولكي يحقق الأدب المقارن العربي هذه الأهداف على نحو ناضج راق لابد من أن يأخذ بعين الاعتبار الجوانب الآتية:

١-تقديم الأعمال الإبداعية العربية للعالمية تقديمًا حضاريًا من منظور موضوعي، فالباحث المقارن ينطلق من داخل النص الإبداعي العربي، من دون مبالغة أو تهويل أو «تقويل» النص ما لا يقوله حقيقة، ويقدمه للقارئ العالمي تقديمًا يمزج بين مقولات الأصالة الوطنية ومشكلاتها وهواجسها وتساؤلاتها، وبين مقولات العالمية ومشكلاتها المعاصرة وهواجسها وتساؤلاتها، بحيث ينتمي النص الإبداعي العربي الذي يتصدى له الباحث المقارن إلى قيمه العربية ويعبر عن هواجس الذات العربية المعاصرة وقضاياها المتنوعة، بالوقت ذاته الذي يعبر فيه عن هواجس الذات الإنسانية المعاصرة في كل زمان ومكان، ويتبنى مقولاتها وقضاياها الحياتية الأساسية، وهذا معناه أن يبرز الأدب المقارن العربي في أبحاثه البعد الحضاري كجزء لا ينفصل عن الخطاب الأدبي العربي المعاصر.

لابد من المواجهة الحازمة للموجة التي تتهكم من لغة الضاد

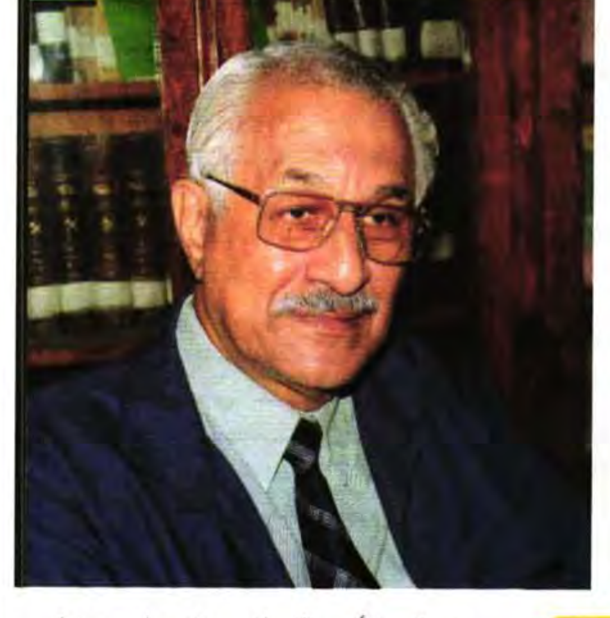
٢-لما كان الأدب، في بعض تعريفاته، تعبيرًا فنيًا وجماليًا عن صور الذات الإنسانية وتنوعاتها، فإن الادب المقارن العربي مدعو وبإلحاح، إلى البحث عن صور الذات الإنسانية ومناحيها، كما انعكست في نتاجات الأدب العربي المعاصر المختلفة شعرًا ونثرًا، ولا سيما ما يتصل بوسائط الحوار الفني والجمالي الأدبي الذي أجراه الأدب العربي المعاصر مع الآداب العالمية الكبرى، كالآداب الأوروبية، والأميركية والمسافات الجمالية التي أفرزها هذا الحوار، فمن المعلوم أن الأدب العربي المعاصر مثلًا انعكست في نتاجاته الشعرية والنثرية حوارات فكرية وأدبية كثيرة مصدر الغالب منها الآداب الأوروبية المعاصرة، تشربها الأدب العربي المعاصر بعد أن أخضعها لتجربته الذاتية وثقافته وقيمه، ثم أضاف عليها ما ينسجم مع هذه التجربة وتلك الثقافة والقيم، وهذا ما بات يعرف في الدراسات المقارنة المعاصرة بـ «التناص»، والإضافة الفنية والجمالية تسمى «المسافة الجمالية» ولعل التناص Intertext و«المسافة الجمالية» Beauty distance من أهم صور التعبير الفني والجمالي عن الذات الإنسانية بكل صورها وتنوعاتها التي يجب أن يشمر دارسو الأدب المقارن المعاصر عن سواعدهم لدراستها بكل موضوعية ومهنية.

٣- إذا كان العصر الذي نعيش فيه عصر تراكم ثقافي هائل، وتواصل تكنولوجي غير مسبوق حول العالم إلى أسرة، وليس لقرية كما كان يقال سابقًا فإن الأدب المقارن مدعو إلى الاستفادة الحثيثة والفاعلة من هذه الظروف المميزة، بما يعود على دوره الثقافي والفني والأدبي بالمزيد من الغنى والفاعلية، وهنا لابد قبل كل شيء أن يعيد النظر بكل مصطلحاته وأدواته، فمن المعلوم أن المصطلحات التي أنتجها علماء الأدب المقارن ورموزه منذ غوته وحتى يومنا هذا أصبحت قاصرة ومتخلفة، وغير قادرة على مواكبة الدراسات والاتجاهات الفنية والفكرية في العصر الحديث وتتطلب تطويرًا حقيقيًا في حقولها الدلالية لتصبح أكثر قدرة على مواكبة التراكم الثقافي الهائل الذي نعيش أبعاده هذه الأيام، ولتستجيب من جانب ثان للتقنيات التحليلية الجديدة في الدراسات المقارنة، والأفكار التي تطرحها.

الأديب الناقد د. جابر قميحة لـ«الوعي الإسلامي»:

«الأدب الاسلامي» ولد في أحضان «الأدب العربي»

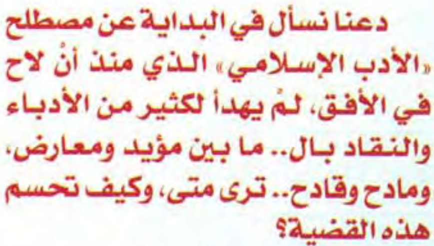
حوار/ محمد عبدالشافي



هذا اللقاء هو مع الشاعر والناقد الدكتور جابر قُميحة المعروف بغزارة نتاجه وكثرة مؤلفاته، فضلًا عن مواقفه دفاعًا عن الأدب الأصيل والثقافة الإسلامية، وقد خاض كثيرًا من المعارك الأدبية في مختلف المجالات هنا وهناك. كما شارك في كثير من الندوات والمؤتمرات المحلية والدولية التي نافح من خلالها عن رسالة الأدب الإسلامي وقضاياه، كما دعا إلى ضرورة المواجهة الصارمة مع المذاهب الأدبية الأخرى مثل: الوجودية والاشتراكية والحداثة. ويرى د.قميحة أن «الأدب العربي» هو محضن «الأدب الإسلامي» الأول، وميدانه الأهم، ولكنه ليس ميدانه الأوحد، لأن هناك علاقة قرابة بين الأدب العربي والأدب الإسلامي، فقد ولد الأدب الإسلامي في أحضان الأدب العربي، لذلك فالأدب الإسلامي لا يلغي شيئًا من الأدب العربي ولا ينكر الأدب الجاهلي أو الأموي أو العباسي، بل يرى في الأدب العربي ميدانه الأكبر.. وإلى التفاصيل:

دعنا نسأل في البداية عن مصطلح «الأدب الإسلامي» الذي منذ أنْ لاح في الأفق، لمْ يهدأ لكثير من الأدباء والنقاد بال.. ما بين مؤيد ومعارض، ومادح وقادح.. ترى متى، وكيف تحسم هذه القضية؟

لابد أن نعلم -أولًا- أن الهجوم على المصطلح، إنما هو هجوم على الأدب الإسلامي ذاته.. ذلك الأدب الذي ينبع من التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة في قوالب فنية آسرة، وهو بهذا المفهوم ليس جديدًا على الساحة العربية والإسلامية، بل إنه يمتد من بعثة الرسول ﷺ إلى وقتنا الحاضر، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. وقد كثرت الاعتراضات على هذا اللون من الأدب -كما تقول- مع أنه حقيقة تستغرق أوسع مساحة زمنية في تاريخنا، وتكثر الاعتراضات كلما اتسعت قاعدة هذا الأدب على المستوى العربي تقعيدًا وتنظيرًا وإبداعًا، وتبدأ الاعتراضات وتبدو كأنها حرب عوان على المصطلح ذاته «مصطلح الأدب الإسلامي».



ترى، ما هي الدوافع وراء إبراز مصطلح «الأدب الإسلامي» في هذا الوقت بالذات.. هل هو رد فعل للأعمال الأدبية المتناقضة على الساحة.. أم أنه دعوة لإيقاظ الأمة من غفلتها؟

حتى لو افترضنا جدلًا أن إبراز مصطلح الأدب الإسلامي قد جاء رد فعل لسطوة هذه المذاهب الغربية، فهو رد فعل لم يأتِ انفعاليًا عاطفيًا، وإن كان للعاطفة حظ كَبير فيه، وهذا لا يعيب العمل، فلا قيمة للعمل إذا لم يكن وراءه عاطفة قوية منضبطة متدفقة، ومع ذلك فهو عمل له قواعده وفكره وعقلانيته.

وأرى، أنه كان لابد من المواجهة الصارمة للمذاهب الأدبية الأخرى مثل: الوجودية والاشتراكية والحداثة وغيرها التي يرفضها المنطق الإسلامي، وذلك عن طريق إبراز مذهب أدبي له قيمة وتميز ليزيح ما في ساحة المسلمين من هذه المذاهب والمدارس المشبوهة.

أليس الأدب العربي هو أدب إسلامي؟ وإذا كان الأمر كذلك.. فما هي ضرورة استخدام مصطلح



«الأدب الإسلامي» وربما قد يؤدي هذا التقسيم إلى التفرقة والتخريب وتجزئة الساحة وتقسيم الأدباء؟

هناك حقيقة أولية غابت عنك، وهي أن الأدب الإسلامي لا يتعارض مع الأدب العربي، ولا يزاحمه في مقاعده، فإن بينهما علاقة الرحم والقرابة، فالأدب العربي مصطلح يطلق على الأعمال الأدبية المنشأة باللغة العربية أيًا كانت مضموناتها واتجاهاتها وعصورها.أمّا الأدب الإسلامي فهو مصطلح يطلق على الأعمال الأدبية التي تعالج قضية ما برؤية إسلامية صافية، سواء أكانت مكتوبة باللغة العربية، أم بغيرها من اللغات.

إذن، فبين الأدب العربي والأدب الإسلامي أمومة وقرابة، فقد ولد الأدب الإسلامي في أحضان الأدب العربي، وذلك عندما غمس الأدباء الملتزمون تجربتهم الأدبية في قضايا الإسلام، ووظفوا شعرهم ونثرهم في خدمة المجتمع الإسلامي، وفي حمل القضية الإسلامية وإعلائها، ونما هذا الوليد في الشّعْر العربي والنثر، وعالج قضايا عدة برؤية إسلامية، وشكّل تيارًا إسلاميًا رافق رحلة الأدب العربي منذ عصر النبوة إلى يومنا هذا.

وأؤكد هنا، أن الأدب العربي هو محضن الأدب الإسلامي الأول، وميدانه الأهم، ولكنه ليس ميدانه الأوحد. فعندما انتصر الإسلام خارج الأقطار العربية، ودخلت فيه شعوب أخرى، وتأثرت به آدابها، نبتت لهذا الأدب أجنحة جديدة، أعطته بعدًا إنسانيًا عالميًا، فقد ظهر في الأدب الفارسي منذ القرن الثالث الهجري تيار إسلامي استفاد من الأدب العربي شعره ونثره، واستفاد من القرآن والسنة، وحمل قضايا إسلامية كثيرة، وأصبح تيارًا موازيًا للتيار الإسلامي في الأدب العربي، وربما يتفوق عليه في بعض القضايا والفنون.

وما لبث الأدب التركي أن استفاد من الأدبيّن الفارسي والعربي، ونهل مما نهل منه هذان الأدبان من المعاني القرآنية، فامتد الأدب الإسلامي إلى لغات وشعوب أخرى.إذن، فالأدب الإسلامي لا يلغي شيئًا من الأدب العربي ولا ينكر الأدب الجاهلي أو الأموي أو العباسي، بل يرى في الأدب العربي ميدانه الأكبر.

ونحن عندما نتحدث عن أدب إسلامي، لا نرفض تراثًا عريقًا، ولا ندعو إلى أدب بلا جذور، بل العكس من ذلك، فنحن ندعو إلى التمسك بالجذور والأصول والتراث.

لا بد من المواجهة الصارمة مع المذاهب الأدبية الهدامة كالحداثة وأخواتها

بصفة عامة.. ما هو تقييمكم للواقع الأدبي والثقافي في العالم العربي؟

إذا نظرنا إلى واقعنا الأدبي والنقدي وجدنا أنه محكوم إلى حد كبير بمنطق التطرف بما فيه من إسراف ومغالاة وأحكام متعسفة، وإصرار على الخطأ، وعدم التأني في إصدار الأحكام، حيث لا إيمان إلاّ بلونين فقط. الأبيض الناصع والأسود الحالك.. أمّا الرمادي فلا مكان ولا وجود له.

ولعل ظاهرة التطرف في وقتنا الحاضر تبرز أوضح ما تكون في «نقد الشِّعْر» فقد تحول نقد الشِّعر في أغلبه إلى لون من المجاملات المسرفة التي لا تليق بالحد الأدنى من أخلاق الناقد.. بل بالحد الأدنى من الأخلاقيات والصدق مع النفس بالمفهوم العام.

وإذا كانت المجاملات تدفع الناقد إلى الرفع من قيمة «الخسيس»، والاحتفاء «بالدون»، والتضخيم والتهويل من قيمة «الأثر اللافني» فإنّ شعور العداوة والغضب أو عدم الرضا يقود إلى عملية عكسية هي الإزراء «بالعمل العظيم» والحط من قدره، والتحقير منه.

ولعلّ من أسباب التطرف التي تقود إلى الخطأ في الحكم وسوء التخريج والتفسير، نقص الاستقراء، والاندفاع في الحكم بلا روية وتأن، والنظر إلى الأثر أو مادة الدراسة من زاوية ضيقة لعدم الإحاطة الشاملة بجوانبها المختلفة.

ومن أسباب التطرف النقدي -أيضًا- الانبهار «بالغربيات» أدبًا ونقدًا.. وذلك بالنظر إلى الآداب الغربية كمثل أعلى يجب أن يحتذى.. واعتبار قيمه الأدبية والجمالية ومذاهبه في النقد والأدب والاجتماع والسياسة هي قمة ما وصلت إليه البشرية، ويظهر ذلك في هُروع نقاد إلى المذاهب النقدية المستحدثة مثل البنيوية، والسقوط في شباكها وأسرها في تعنت وتعسف لم يبلغ بعضه أصحاب المذاهب نفسها، وما ذلك إلاّ راسب من رواسب «عقدة الخواجة»!

الأكاديميون -وأنت واحد منهم- مُتَّهَمون بأنهم من سكان الأبراج العاجية، وعدم تخطي أسوار الجامعة والنزول إلى مستوى الجماهير والاستعلاء عليها؟

لا يستطيع أستاذ الجامعة -الأكاديمي- أن يكون جماهيريًا إلاّ بقدر محدود جدًا جدًا، وبطريقة معينة تراد له، وقد لا يريدها، وهناك كثيرون جدًا من أساتذة الجامعة حاولوا.. فأخفقوا، لأنهم لم يسايروا الجو وأنا شخصيًا لي تجارب مُرة في هذا الميدان. فالكل يدرك أن مسؤولية الانعزال لا تقع على الأكاديميين ولكن على المتحكمين المتعسفين الذين يسيطرون على المنافذ والقنوات الموصلة للجماهير.

هل صحيح أنّ الثقافة العربية أصيبت بأضرار فادحة بسبب سوء اختيار المناهج الدراسية في تناول الأدب العربي، وتجاهلها للذوق العام

الشائع؟ أو بمعنى آخر، ما هو سر الجفاء القائم بين شبابنا ومثقفينا وبين تراثنا الأدبي القديم؟

إنني أرى أن الأسباب كثيرة ومتعددة وكلها في حاجة إلى تفصيل، وأهم هذه الأسباب من وجهة نظري: عدم تيسير هذا الشِّعْر للقراء بالنظر إلى الحصول عليه من ناحية، والصورة التي يقدم بها من ناحية أخرى.

كذلك، البدء بتدريس هذا الشعر في مدارسنا وجامعاتنا قبل أن ينضج الوعي التذوقي للطالب، والسبب هو إصرار المسؤولين في التربية والتعليم العالي على مراعاة الترتيب الزمني في دراسة النصوص الأدبية.

أيضًا، سوء اختيار النماذج الشعرية، والتحرك في نطاق ضيق جدًا في الاختيار، فالطلبة لا يكادون يعرفون من هو أبوتمام!

بالإضافة إلى ذلك، الاعتماد في شرح هذه النصوص على الجوانب الفكرية واللغوية على حساب القيم الفنية والجمالية، مما يطبع النص وشرحه بطابع الجفاف الحاد.

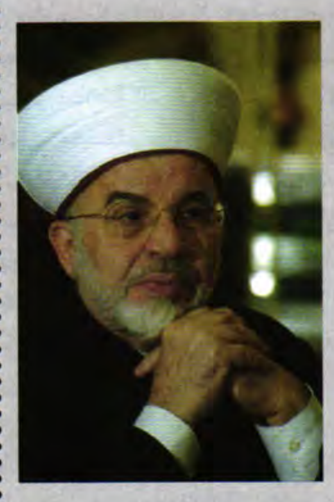
اختلف النقاد حول «شعْر المناسبات» فمنهم من يرى أنه ضعيف فنيًا، ويأخذ مكانه في المرتبة الأخيرة من قافلة الشعْر، وذلك لخلوه من العاطفة والصدق الفني، فما رأيك بهذه القضية؟

إنها غلطة قاتلة تصاغ في معلومات تحشر في أذهان المتأدبين -وللأسف- تلقن لأبنائنا في المرحلة الثانوية، وأكرر.. إنها غلطة شاعت بلا مبرر، لأن الناقد الحصيف لا ينظر إلى القصيدة من خارجها، ولكنه الذي يعايش القصيدة موقفًا وموضوعًا وفكرًا وتصويرًا وتعبيرًا ومشاعر وأحاسيس، يستوي في ذلك أن تدور القصيدة حول نكبة يونيو ١٩٦٧م، وانتصار أكتوبر ١٩٧٣، وانتفاضة الحجارة وتصوير آلام النفس في تجربة خاصة.

وإنه ليس من النقد البصير أن نزري بالقصيدة لأنها تدور حول مناسبات ووقائع تاريخية، وليس بالنقد البصير -كذلك- أن نجل القصيدة ونعظمها لأنها قصيدة ذات عاطفة خاصة، ولكن النقد البصير هو ذلك الذي يبحث عما في هذه أو تلك من ثراء الفكر وبراعة التصوير والتعبير وحيوية الشعور.. إنّ معظم الشِّعْر يدور حول مناسبات ووقائع، فجّرتْ قرائح الشعراء وألهمتهم العبرة، واستطاع هؤلاء الشعراء بقدرتهم الفنية أن يوظّفوا المناسبة أجمل توظيف، لذا عاشت قصائدهم في وجدان الناس على مر الزمان!

رثاء

الشيخ فيصل مولوي في ذمة الله



فقدت الأمة الإسلامية والعربية العالم الجليل والفقيه المستشار الشيخ فيصل مولوي، عن عمر يناهز الـ٧٠ عامًا، والفقيدُ من مواليد ١٩٤١م- طرابلس- لبنان.

وكان مولوي رئيسًا لجمعية التربية الإسلامية في لبنان، ورئيس بيت الدعوة والدعاة منذ تأسيسه سنة ١٩٩٠م، وعضو اللجنة الإدارية للمؤتمر القومي الإسلامي.

وقد عُيّن مولوي قاضيًا شرعيًا في لبنان سنة ١٩٦٨م، وتنقّل بين المحاكم الشرعية الابتدائية في راشيا وطرابلس وبيروت، ثُمّ عُيّن مستشارًا في المحكمة الشرعية العليا في بيروت سنة ١٩٨٨م وبقي في هذا المركز حتى استقالته سنة ١٩٩٦م، قبل أن ينال مرتبة «قاضي شرف برتبة مستشار» بموجب مرسوم جمهوري رقم ٥٥٣٧ تاريخ ٢٣ مايو ٢٠٠١م.

أمضى فيصل مولوي في أوروبا خمس سنوات من ١٩٨٠ حتى ١٩٨٥م، وقد أسّس في فرنسا الاتحاد الإسلامي والكلية الأوروبية للدراسات الإسلامية، وأصبح مرشدًا دينيًا لاتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا ثُم في أوروبا منذ سنة ١٩٨٦م، وبَقِي على تواصل مع أكثر المراكز الإسلامية في أوروبا حتى وفاته.

وله العديد من المؤلفات التي أثْرَت العالم الإسلامي منها: سلسلة مبادئ التربية الإسلامية للمرحلة الابتدائية (خمسة أجزاء)، وسلسلة التربية الإسلامية للمرحلة المتوسطة (أربعة أجزاء)، والجزء الأول من كتاب التربية الإسلامية للمرحلة الثانوية، وتيسير فقه العبادات، ودراسات حول الربا والمصارف والبنوك، وموقف الإسلام من الرق، وأحكام المواريث، دراسة مقارنة.

الخداع.. كتاب جديد يفضح الأساطير

بهيج بهجت سكيك •

بول فندلي مؤلف هذا الكتاب أشهر من أن يعرَف، فعلى مدى عشرين سنة، هي مدة عضويته في الكونجرس الأميركي، يكاد يكون العضو الوحيد الذي ناصر حقوق الإنسان الفلسطيني ودافع عنها وكشف خداع إسرائيل للرأي العام، وفضح أساليب اللوبي الصهيوني في السيطرة على صانعي القرار السياسي في الولايات المتحدة الأميركية.

ينطلق فندلي في تأليف كتابه «الخداع» من أمرين هما :

أولاً: حبه لبلاده وحرصه على مصالحها، واعتقاده بأن سياستها الموالية للصهيونية تتنافى مع مبادئ العدل وتساعد في انتهاك حقوق الإنسان في الشرق الأوسط وخصوصًا فلسطين.

ثانيًا: إن الكتب والمقالات والروايات التلفزيونية الدرامية والبرامج الوثائقية لا تتناول سوى الجانب البطولي لتاريخ إسرائيل وسلوكها الحالي، وتتجاهل أو تغض النظر عن انتهاكاتها المستمرة لحقوق الإنسان.

وخلال عضويته بمجلس النواب الأميركي، منها اثنتا عشرة سنة عضوًا جمهوريًا بارزًا في اللجان الفرعية المعنية بشؤون الشرق الأوسط، وبعد خروجه من الكونجرس عام ١٩٨٢م جاء كتابه الأول «من يجرؤ على الكلام» ليكشف الصور الزائفة التي يقبلها الأميركيون ببراءة إسرائيل الحقيقية، ويستغل مناصرو إسرائيل تلك الصورة المضللة بمهارة كبيرة في برنامجهم لضمان استمرار التواطؤ الأميركي الإسرائيلي، لقد صدر من هذا الكتاب أكثر من ست طبعات باللغة العربية، بل إن أصله الإنجليزي احتل مكان الصدارة بين الكتب الأكثر مبيعًا في الولايات المتحدة.

هذا الكتاب

هذا الكتاب (الخداع) جاء استكمالاً لكتاب «من يجرؤ على الكلام» لفضح أساطير اليهود والصهاينة ودعاياتهم، كما يلقي الضوء على مختلف جوانب العلاقة الأميركية الإسرائيلية والأضرار التي تلحق الولايات المتحدة من جرائها، بل يظهر بالوثائق تواطؤ الولايات المتحدة بالسكوت عن احتلال إسرائيل للأراضي العربية وانتهاكها البشع لحقوق الإنسان وفرضها حكمًا عسكريًا صارمًا ووحشيًا على الشعب الفلسطيني.



• باحث تربوي

الخداع

يقع هذا الكتاب في ٤٠٢ صفحة من القطع الكبير، وأشرف على ترجمته أستاذ التاريخ الإسلامي بالجامعة الأميركية ببيروت د.محمود يوسف زايد وأصدرته شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، لبنان، ص.ب ٨٣٧٥، وأسهم في ترجمته وطباعته على الكمبيوتر وإخراجه وتصميم الغلاف العديد من الشباب الذين وجّه لهم المترجم الشكر الجزيل.

في الصفحات الأولى كلمة شكر للكاتب بول فندلي للعديد من الشخصيات والمنظمات المناهضة للتمييز، وتقديم للمترجم د.محمود يوسف زايد الذي تمنى أن يقرأ هذا الكتاب كل سياسي ودبلوماسي عربي معني بالقضية الفلسطينية أو العلاقات العربية الأميركية.

لكن في رأيي أن أهم ما يميز هذا الكتاب المنهجية والأسلوب العلمي الدقيق المعتمد على التوثيق والشواهد والدلائل، بالتاريخ واليوم الذي أكسبته مصداقية لا حد لها.

قُسم الكتاب إلى ثلاثة أجزاء وخاتمة، إضافة للهوامش والمصادر التي احتلت ١٠٠ صفحة من صفحات الكتاب، ثم زود الكتاب بقراءات احتلت أقوالا مختارة لبعض الكتاب.

بالأمس

«بالأمس» هو عنوان الجزء الأول من الكتاب الذي يضم عشرة فصول حملت هذه العناوين على التوالي: مزاعم إسرائيل حول فلسطين، حرب عام ١٩٤٨، اللاجئون الفلسطينيون، أزمة قناة السويس ١٩٥٦م، حرب ١٩٦٧، قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢، حرب الاستنزاف ١٩٦٩- ١٩٧٠، حرب عام ١٩٧٣م، الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، وأخيرًا حكومات الليكود الإسرائيلية، الفصل الأول ضم ٦ أساطير (أكاذيب):

هل تقتنع السلطة الفلسطينية بعدم جدوى مفاوضات السلام الجارية منذ ١٩٩٣ وإلى الآن؟!

١- إننا نعلن إنشاء إسرائيل بفضل حقنا التاريخي. (إعلان الاستقلال إسرائيل).

٢- لقد أثبت وعد التوارة صحة شهادة ميلاد إسرائيل الدولية. (أيباك).

٣- اعترف وعد بلفور بحق اليهود في العودة القومية إلى فلسطين. (إعلان استقلال إسرائيل).

٤- فلسطين- الأرض بلا شعب- لشعب اليهود بلا أرض. (الصهيوني زانغويل).

٥- لدى اليهود سند قانوني يخولهم بأن يكونوا أمة في فلسطين، وهو قرار الأمم المتحدة الأميركية.

٦- كانت فلسطين في الأصل تضم الأردن. (أرييل شارون).

قام فندلي بالرد على كل أسطورة (أكذوبة) كل على حدة، وخصوصًا الحق التاريخي، فكتب أن اليهود ليسوا أول من سكن فلسطين، كما أن فترة حكمهم كانت قصيرة على بعض أجزاء من فلسطين فقط، فقد سبقهم الكنعانيون والمصريون والهكسوس والحيثون والفلسطينيون، ثم الآشوريون والبابليون، واختصارًا فإن حكم اليهود القدامى لأجزاء من فلسطين لم يزد على ٦٠٠ سنة خلال ٥٠٠٠ سنة من تاريخ فلسطين المدون.. وكذلك قام بالرد على كل أسطورة من هذه الأساطير.

وفي الفصل الثاني من الجزء الأول حرب ١٩٤٨م أورد ٧ أساطير فندها كلها، منها: إننا لا ننوي تنحية العرب جانبًا والاستيلاء على أرضهم وحرمانهم من الميراث. (بن جوريون)، وفي الفصل الثالث أورد المؤلف ٦ أساطير منها: يوجد لاجئون، لا يوجد مقاتلون سعوا إلى تدميرنا، جذرًا وفرعًا. (ديفيد بن جوريون).

وعن أزمة السويس عام ١٩٥٦م أشار إلى ثلاث أكاذيب من إسرائيل وأهمها تصريح بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل: إن اتفاقية الهدنة مع مصر ميتة، مدفونة، ولا يمكن إعادتها للحياة.

أما حرب عام ١٩٦٧م، والتي لم نتخلص من آثارها حتى اليوم، والتي سماها عبدالناصر «النكسة»، وسعى حتى وفاته لإزالة آثار العدوان، فقد سجل أربع أساطير وقام بالرد عليها، وكان أوضحها وأكبرها ما صرح به سفير الولايات المتحدة الأميركية لدى إسرائيل من عام ١٩٦١- ١٩٧٣م وورلوث باربر حيث ادعى أنه: ليس لدى حكومة إسرائيل- ونكرر ليس لديها- نية لاستغلال الوضع في سبيل توسيع رقعة أرضها، والحقيقة أنه بعد نصف ساعة من سقوط القدس بيد الجيش الإسرائيلي وصل الحاخام الاشكنازي الأكبر لقوات الدفاع الإسرائيلي إلى حائط المبكي وقال: أنا الجنرال شلومو جورين الحاخام الأكبر لجيش الدفاع الإسرائيلي، لقد وصلت إلى هذا المكان.. ولن أغادره بعد الآن، أما وزير الدفاع في ذلك الوقت موشى دايان فقال: لقد وحّدنا القدس، عاصمة إسرائيل المقسمة، لقد رجعنا إلى أقدس أماكننا المقدسة، ولن نرحل عنه ثانية.

ونحن الآن في عام ٢٠١١م وبعد ٤٥ عامًا على سقوط القدس نرى ما

يحدث من تهويد للمدينة المقدسة وقضم مبرمج لأراضي الضفة الغربية وإقامة مستوطنات ونسف لمفاوضات السلام!!

وعن قرار الأمم المتحدة رقم (٢٤٢) والذي أثار جدلاً لمدة تزيد على عشرين سنة فقد أورد ثلاث أكاذيب منها تصريح رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيجن (١٩٧٧ - ١٩٨٣) حيث قال: لا يتطلب قرار الأمم المتحدة رقم (٢٤٢) انسحابًا على جميع الجبهات، ويتابع فندلي في الفصل السابع والثامن والتاسع والعاشر فضح أكاذيبهم وربطها بالتوراة ووعودها، ولعل من أكثرها سفالة تصريح وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق أرييل شارون عند اجتياحه للبنان ودخول عاصمتها بيروت عام ١٩٨٢م ومذابح صبرا وشاتيلا، ما قاله: كانت الحرب اللبنانية ككل حروب إسرائيل حربًا دفاعية.

وعلى عكس حزب العمل الاشتراكي الإسرائيلي الذي وافق على فكرة تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧م، وعلى صيغة مبادلة الأرض بالسلام كما وردت في القرار (٢٤٢) للأمم المتحدة، فإن حزب الليكود الذي استلم الحكم من عام ١٩٧٧م وإلى الآن.. كان أكثر وضوحًا حين أعلن في بيانه العام: أن حق الشعب اليهودي في أرض إسرائيل أبدي وغير قابل للمناقشة. فهل تقتنع السلطة الفلسطينية بعدم جدوى مفاوضات السلام الجارية منذ عام ١٩٩٣م وإلى الآن؟!

اليــوم

هو عنوان الجزء الثاني، ويقصد بذلك حال القضية الفلسطينية اليوم، والعلاقات العربية الفلسطينية من جهة والإسرائيلية من جهة أخرى! ويقع في تسعة فصول هي: الانتفاضة الفلسطينية، المواطنون الإسرائيليون في فلسطين، اللوبي الإسرائيلي، ومساعدات الولايات المتحدة لإسرائيل، وضمانات القروض لإسرائيل، تجسس إسرائيل على أميركا، أسلحة إسرائيل النووية، إسرائيل وجنوب افريقيا، إسرائيل والعالم الثالث. نقل المؤلف فندلي عن مركز المعلومات الفلسطيني لحقوق الإنسان بالقدس الإحصائية التالية عن الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام ١٩٨٨م وحتى عام ١٩٩٢م: قتلت القوات الإسرائيلية ٩٩٤ فلسطينيًا وأصيب ١١٩٣٠٠، وأبعد ٦٦ وحكم على ١٦٠٠٠ بالحجز الإداري، وصودر ٩٤٨٣٠ فدانًا من الأرض، وهدم وختم بالشمع الأحمر ٢٠٧٤ بيتًا وفرض ١٠,٠٠٠ حظر تجول، واقتلعت ١٢٠,٠٠٠ شجرة!!

وهو بذلك يرد على تصريح مساعد وزير الخارجية الأميركية لحقوق الإنسان ريتشارد شيفتر (١٩٨٥- ١٩٩٢م): إن إسرائيل ليست فقط صاحبة الحق في إعادة النظام أو المحافظة عليه في الأراضي المحتلة واستخدام القوة بالصورة الملائمة لتحقيق ذلك.. بل هي ملزمة بذلك.

أما أكذوبة «ايباك» فقد كانت أكبر: من المعترف به أن إدارة إسرائيل للضفة الغربية، يهودا والسامرة وقطاع غزة، تعد إدارة رحيمة إذا ما قورنت بسواها.

وعن نفوذ اللوبي الصهيوني (أيباك) في أميركا قال السيناتور الأميركي الديموقراطي عن ايداهو: كنت كلما احتجت إلى معلومات عن الشرق الأوسط اشعر بالاطمئنان لمعرفتي بأنه يمكنني أن اعتمد على «أيباك» للحصول على مساعدة موثقة من محترفين.

أما عن مساعدات الولايات المتحدة لإسرائيل فقد أعلنت أيباك (اللوبي الصهيوني في أميركا) أنه بالمقارنة نجد أن المساعدة لإسرائيل صفقة رابحة.

ما بين عامي ١٩٤٩م ونهاية ١٩٩١م زودت الولايات المتحدة إسرائيل بمساعدات ومنافع خاصة بقيمة ٥٣ بليون دولار، وهذا يساوي ١٣٪ من مجموع المساعدات العسكرية والاقتصادية الأميركية للعالم خلال تلك الفترة، ومنذ معاهدة السلام المصرية- الإسرائيلية عام ١٩٧٩م بلغت هذه المساعدات ما مجموعه ٤٠,١ بليون دولار، أي ما يساوي ٢١,٥٪ من مجموع المساعدات لباقي دول العالم، هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار أن عدد سكان إسرائيل حوالي ٦ ملايين نسمة فقط، إضافة إلى هبات صندوق الدعم الاقتصادي والهبات العسكرية.

ماذا كسبت الولايات المتحدة من وراء هذه الصفقة الرابحة؟! حروب في أفغانستان والعراق والخليج العربي وغيرها دفاعًا عن أمن ووجود إسرائيل، وعبئًا ونزيفًا دائمًا لدافعي الضرائب الأميركيين، إضافة إلى كره وحقد كل العالم للولايات المتحدة وسياستها المتغطرسة، وقد ردت إسرائيل على ذلك بالتجسس على أميركا (بولارد وزوجته آن هندرسون) وسرقة أسرار نووية منها، ومنافسة لأميركا في سوق السلاح العالمي!!

المستقبـل

«المستقبل» هو عنوان الجزء الثالث الذي يضم تسعة فصول عن حكومة إسحق رابين، القضية الفلسطينية، مزاعم إسرائيل حول القدس، والمستوطنات الإسرائيلية، إسرائيل والأمم المتحدة، إسرائيل وعملية السلام، إسرائيل كحليف استراتيجي، القيم المشتركة بين أميركا وإسرائيل.

وكلها موضوعات عاصرناها بمرارتها، من كذب إسحق رابين- داعية السلام- وقمعه للانتفاضة الأولى، وتكسير عظام الأطفال، وموقفه من القدس والمستوطنات «إن حقنا في

الأراضي المحتلة لا يقبل الجدل»، اما علاقة إسرائيل بالأمم المتحدة، والتي ولدت من رحمها، كما يدعون ونسوا أن الأمم المتحدة ولدت توأمين (ولدًا وبنتًا) وُئِد الولد (الدولة الفلسطينية) بعد مولده مباشرة وعاشت البنت حتى بلغت الستين!

إن سيطرة الولايات المتحدة على منظمة الأمم المتحدة جعلها أسيرة لديها بسبب تحيز أميركا لإسرائيل، وتلك العلاقة «العضوية» التي تربط بين الدولتين.

صحيح أن الولايات المتحدة وافقت بين أعوام ١٩٤٨- ١٩٩٢م على ٦٨ قرارًا بنقد إسرائيل بصور مختلفة (تعبر عن أسفها العميق، تدين، تستنكر، تحميل المسؤولية، توصي إسرائيل، تحث إسرائيل...!)، إلا أنها استخدمت حق الفيتو ٢٩ مرة في نفس الفترة لحماية إسرائيل من الرأي العام في المجتمع الدولي ومنها: حق الفلسطينيين في تقرير المصير، ودولة مستقلة وحمايتها على قدم المساواة مع غيرها، وكان التصويت ١٣ لصالح القرار وواحد امتنع عن التصويت، وفيتو الولايات المتحدة، وكان ذلك في يوليو ١٩٧٣م.

أما استعداد إسرائيل لمناقشة السلام مع جيرانها في أي يوم من الأيام وحول كل المسائل فهو أكذوبة وأسطورة جولدا مائير، فقد ظهر كذب هذا الادعاء حين أعلن بن جوريون عام ١٩٤٩م أن السلام أمر أساسي بأي ثمن!! مرورًا بمشروعات روجرز ١٩٦٩م، وخطة كارتر الشاملة ١٩٧٧م، وخطة الأمير فهد (الملك) للسلام عام ١٩٨١م، وخطة ديغان للسلام ١٩٨٢م، وخطة ملوك ورؤساء العرب في فاس ١٩٨٢م، وخطة بوش الأب ١٩٨٩م.

وتجلّى حب إسرائيل للسلام حين ضغطت عليها الولايات المتحدة للذهاب إلى مدريد في مؤتمر السلام ١٩٩١م، فقد أعلن إسحق شامير رئيس وزراء إسرائيل ورئيس وفدها قائلًا: كنت سأجري مفاوضات حول الحكم الذاتي لمدة عشر سنوات يتم خلالها استيطان نصف مليون يهودي! أليس هذا ما يجري إلى اليوم؟!

يرى مؤلف كتاب «الخداع» أن مستقبل القدس سيشكل تحدياً سياسياً معقداً

إسرائيل كحليف استراتيجي

لم ينكر أحد من رؤساء الولايات المتحدة أو المسؤولين فيها العلاقة والحلف بين إسرائيل والولايات المتحدة، ومن أقوالهم:

١- إن إسرائيل هي وحدها الركيزة الاستراتيجية في المنطقة التي تستطيع الولايات المتحدة الاعتماد عليها. (الرئيس رونالد ريجان ١٩٨١م)

٢- إن علاقتنا مع إسرائيل تخدم مصالحنا الخاصة المتبادلة. (الرئيس رونالد ريجان ١٩٨٥).

٣- علينا ألا ننسى أن إسرائيل تبقى صديقًا قويًا يمكن الاعتماد عليه وحليفًا استراتيجيًا مستقرًا. (الرئيس بيل كلينتون الديمقراطي ١٩٩٤)

٤- لقد بات الأميركيون يدركون أهمية إسرائيل الكبيرة كشريك في السعي وراء الحرية والديمقراطية، وكشعب يشاركنا مثلنا العليا، وكحليف استراتيجي أساسي. (جورج شولتز وزير خارجية أميركا ١٩٨٥) وهذا يجرنا إلى الفصل الأخير من الجزء الثالث عن «القيم المشتركة بين أميركا وإسرائيل» التي يتغنى بها الطرفان، وهي أكثر الأساطير التي باتت مفضوحة للعالم كله.

٥- هذه علاقة تقوم على التزام مشترك بالديموقراطية وبقيم مشتركة. (الرئيس جورج بوش ١٩٩٢).

٦- إن أساس العلاقة بين إسرائيل والولايات المتحدة صرح لا يتزعزع من القيم والآمال المشتركة. (اسحق رابين رئيس وزراء إسرائيل).

وإذا كان «فندلي» يرى في خاتمة كتابه أن الأزمة المتفاقمة في الشرق الأوسط تتطلب من الحكومتين الأميركية والإسرائيلية قيادة ملهمة وجريئة، ولكن أيًا منهما لا تملك ذلك، فهما تواصلان تأجيل اتخاذ القرارات التي يمكن لأي عامل يرى أنها ملحة وحتمية.

كما يرى بول فندلي أن مستقبل القدس سيشكل تحديًا سياسيًا معقدًا، ولكنه ليس من النوع غير القابل للحل.

وإذا كان د.محمود يوسف زايد مترجم هذا الكتاب يتمنى أن يقرأ هذا الكتاب كل سياسي ودبلوماسي عربي معني بالقضية الفلسطينية أو العلاقات العربية الأميركية.. فأنا الفلسطيني المقهور البعيد عن وطني والمبعد عنه- وما أنا إلا حالة ونتاج لهذا الحلف الاستراتيجي الشيطاني بين أميركا وإسرائيل، واسترجع قول الرئيس بنيامين فرانكلين وهو يضع دستور الولايات المتحدة عن اليهود وهو ينصح «أبعدوهم قبل فوات الأوان» فإنهم سيتحكمون في شعبنا ويدمرونه!- أتمنى أن يقتني هذا الكتاب كل فلسطيني في الوطن وفي الشتات، في المدينة والقرية والخيمة، وأن يرضع كل وليد فلسطيني مع حليب أمه هذه الأساطير والأكاذيب التي تقوم عليها السياسية الإسرائيلية التوسعية؛ ليكتسب مناعة ضدها.



الأسرة البديلة

يقصد بالأسرة البديلة في العلوم الاجتماعية والنفسية والتربوية أسلوب الرعاية للأطفال الذين فقدوا أسرهم بسبب الوفاة أو الطلاق أو الهجر أو الضياع أو الإهمال أو العجز، أو غيرها من الأسباب، ويقوم هذا الأسلوب على أساس وضع الطفل في أسرة بديلة لأسرته التي فقدها بدلاً من إيوائه في الملاجئ ودور الرعاية الاجتماعية بهدف توفير الحياة الأسرية الطبيعية التي يشعر فيها بالأمن والطمأنينة مع والدين بديلين لوالديه اللذين فقدهما بفقد أسرته الأصيلة.

وقد أشارت الدراسات إلى أن أسلوب «الأسرة البديلة» أفضل بكثير في رعاية الطفل من أسلوب إيوائه في الملاجئ ودور الرعاية، بل وقد يكون أفضل من رعايته في أسرته الحقيقية إذا كان والداه غير مأمونين، أو غير قادرين على رعايته وحمايته، فيؤذيانه بقسوتهما ويفسدانه بسوء سلوكيهما وانحراف مزاجيهما.

التحرير

البيت أساس العملية التربوية

ليلى محمد محمد

ثمة ملاحظة لابد من إدراكها وهي أن الطفل الصغير- من سن عام إلى اثني عشر عامًا- شديد الترقب والانتباه، حتى وإن بدا عليه أنه لا يدرك ولا يكترث، ويمكن الاستدلال عليه من قول النبي ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

لابد من تغيير كثير من السلوكات عند الشباب والكبار والتي تتمثل في ظواهر سيئة تتنافى في كثير من الأحيان مع المبادئ والقيم والتقاليد، بل وتتعارض مع صحيح الدين، ويعزى ذلك إلى التأثر نتيجة تغير بعض الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، وإلى عدم اتباع بيوتات المسلمين السلوك الإسلامي الرشيد، الذي يغرس في نفوس أولادهم مبادئ الحق في العقيدة والسلوك، ونسوا تمامًا أنهم المثل الأعلى لأبنائهم، وانهم يجب أن يظلوا دائمًا في موضع القدوة.

وخلاصة القول: ان البيت هو السبب الرئيسي والأساسي في انحراف الشباب وفي انحراف السلوك عندهم، وخصوصًا في البيوتات التي تعتمد على الخدم، لاسيما وأن اكتساب العقائد والسلوك والعادات والتقاليد يأتي عن طريق التربية، من خلال ما يراه الطفل ويسمعه ويربى عليه في البيئة الداخلية.

ومن هنا، علينا أن ندرك أن الشباب أشبه بالديناميت، إذا انفجر حطم كل شيء حوله، ولا يجني إلا على نفسه، مع ملاحظة أنه «مهما بدأ الإنسان منحرفًا في ظاهره، فلا ينبغي أن نيأس من إصلاحه، ويكفي أن نقف عند قوله تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾، والنماذج كثيرة جدا في كتب التراجم عن الذين كانوا في ضلال مبين ثم انتقلوا نقلة هائلة فأصبحوا من خير أمة أخرجت للناس، وثمة قصص



للصالحين في تاريخ هذه الأمة، فهذا مالك بن دينار- رحمه الله- وهو من رجال الأمة المشهورين، وأعلامها المدونين، حيث كان مسرفًا على نفسه، غليظ القلب، بعيدًا عن الجادة، حتى استدل على الطريق، وسار فيه بصدق، فإذا هو علم ومشعل هداية، يتوب على يديه مئات في حلقات وعظه وتعليمه.

وعلينا أن نجاهد مع هؤلاء الشباب، فهم أبناؤنا وبناتنا وإخواننا، وألا نيأس من إصلاح من نراهم في حياتنا على غير الصورة التي نحبها لهم، فكم من إنسان كان يحيا حياة القطيع فلما اهتدى ساق القطيع الى درب الله سبحانه؟! حيث يقرر الحق تبارك وتعالى هذه القاعدة في قوله: ﴿أو من كان ميتًا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس﴾.

ولاشك أننا لا نعفي المدرسة والشارع والمجتمع ولا وسائل الإعلام من كونها سببًا كبيرًا من أسباب التغير في الكثير من الأنماط والسلوكات (موضوع بحثنا)، ولكن تبقى مسؤولية البيت أهم، ويمكننا تدارك كثير من هذه السلبيات إذا فعلنا التالي:

أولا: العقيدة الصحيحة، علينا تعليم أطفالنا أصول العقيدة الصحيحة والأمور الواجبة عليهم من العبادات.

ثانيًا: مبادئ الإسلام، فيجب العمل على تعريفهم بمبادئ الإسلام الأخرى، مع بيان الفضائل الاجتماعية.

ثالثًا: المراقبة والإشراف، علينا المزيد من المراقبة والإشراف عليهم حتى يكبروا أو يتحملوا مسؤولياتهم بأنفسهم.

رابعًا: العمل على فرض رقابة شديدة واليقظة لتصرفات الأولاد وسلوكاتهم.

خامسًا: التفكير في مساوئ الخادمات الأجنبيات في البيوت وعدم الاعتماد عليهن إلا عند الضرورة القصوى.

سادسًا: عدم الاستجابة لكل ما يطلبه الأبناء وتعويدهم تحمل المسؤولية من الصغر.

سابعًا: على الدولة الاهتمام بافتتاح النوادي لشغل أوقات الشباب بالرياضة، واستغلال المدارس أثناء فترة الإجازة الصيفية.

ثامنًا: العمل على طبع كتب نافعة، لا سيما الكتب التي تتحدث عن البطولات والدعوة للأخلاق، والعمل على افتتاح مشاغل للبنات والسيدات لشغل أوقات فراغهن، وذلك عن طريق الجمعيات الخيرية النسائية، وعدم الاعتماد الكامل على الخادمات.

تاسعًا: بيان أخطاء وأخطار المشاغبات التليفونية، ومراقبة البنين والبنات جيدًا، إذا لم نتمكن من منعهم تمامًا من استعمال هذا الجهاز الذي لم يصنع لذلك، وإنما لقضاء المصالح والاستفادة منه في أعمال الخير.

• باحثة في المجال التربوي



اسمعونا.. حق يطالب به الأبناء

آمال عبدالرحمن محمد

«أنا طفل لكن لي حقوق، ومن حقي أن تستمعوا لي» هذه العبارة التي يمكن أن ترد في أذهان بعض الأطفال لكن كم طفلا بالفعل يسمح له والداه بإبداء الرأي في المسائل الأسرية التي تخصه؟ وكم طفلاً يسمح له بالمشاركة بالرأي في المناهج الدراسية التي يتلقاها أو البرامج التي توجه إليه؟ نعم هناك عدد لا بأس به من الأسر المثقفة التي تسمح للأبناء بمناقشتهم والتعبير عن آرائهم بحرية، ولكن في المقابل هناك عدد أكبر من الأسر التي ترفض هذا المبدأ تمامًا وتعتبره تدخلاً في شؤونها الخاصة، مما يجعل هذه المشكلة حالة مجتمعية شبه عالمية، لأنه إذا كان الطفل العربي قد حصل اليوم على معظم حقوقه الأساسية من حيث الحق في أن يكون له شهادة ميلاد، والحق في الرعاية الصحية والتعليم، فإن حق المشاركة بالرأي والاستماع إليه مازال غير مفعل بالنسبة لأعداد كبيرة من الأطفال خاصة الفئات الأقل حظًا في مستوى المعيشة.

إن هذا الحق نصت عليه اتفاقية حقوق الطفل التي وقعت عليها معظم الدول العربية، وأكدت أنه من حقوق الإنسان وأنه من حق الطفل التعبير عن رأيه بحرية، والمشاركة في اتخاذ القرارات التي يمكن أن تكون مؤثرة في حياته داخل الأسرة والمدرسة والمجتمع، وتلك من أول دروس الديموقراطية التي تسعى المجتمعات المتقدمة لإقامتها، وأن من حقه الحصول على المعلومات التي تمكنه من تكوين رأي مستنير، وله الحق أيضا في أن يستمع إليه، وربطت الاتفاقية هذا بأن يكون لهذا الرأي الاعتبار الواجب لسن الطفل وقدراته.

ولأن هذا الحق مازال يشكل تحديا للأطفال في معظم الدول عقد المرصد القومي لحقوق الطفل مؤتمره السنوي هذا العام تحت شعار «مشاركة الطفل.. معا نتخذ القرار» بالتعاون مع الحكومة الإيطالية واليونيسيف ومركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء، وافتتحه وزير الدولة لشؤون الأسرة والسكان، وحضره عدد من المحافظين وممثلي الجمعيات الأهلية والمنظمات الدولية، ويأتي في إطار مشروع «مصر جديدة بالأطفال» الذي يهدف إلى بناء بيئة ثقافية ودستورية تخدم فيها حقوق كل طفل من دون تميز، فالمشاركة أحد هذه الحقوق وهي أساس الحياة، والإنسان في جميع مراحل عمره يحتاج إلى أن يشارك ويتكلم ويجد من يستمع إليه ويناقشه في قضايا تهم الأسرة أو المجتمع، ومن حقه أن يحترم رأيه ليشعر أن له دورًا ورأيًا فيزداد إحساسه بالانتماء وتقديره للمسؤوليات والواجبات، ويكتسب الثقة فيكون اتخاذ القرارات الصائبة أسهل والنتائج أفضل.

إن الأخذ بآراء الأطفال واحترامها كما قالت وزيرة الأسرة والسكان غير مفعل في كثير من الدول العربية، إذ يراه البعض تحديًا لمؤسسة الأسرة والسلطة الوالدية، وهو أمر غير صائب لأن دور الوالدين هو الإرشاد والتوجيه وإبداء الاستعداد للاستماع إلى وجهات نظر الصغار ومناقشتها معهم ليتعلموا أن يكونوا ايجابيين وديموقراطيين، ومن خلال اتباع هذا النهج سوف يتفهم الطفل لماذا لا يمكنه اتباع بعض الآراء التي أيدها؟! ولماذا تتخذ قرارات قد تكون مختلفة مع تلك المفضلة لديه؟! مما يؤهله بعد ذلك لأن يكون عضوًا فاعلاً في المجتمع، ولكن الحق في المشاركة يتطلب اجراءات فعالة ليصبح حقيقة واقعة، لأن الأطفال يتعلمون من خلال المشاركة والتعامل مع الآخرين.

وأهم مجالين يجب أن يمارس الطفل من خلالهما هذا الحق هما الأسرة والمدرسة، فبالنسبة للأسرة يجب على الأهل إظهار الاهتمام والتركيز مع الطفل عندما يريد الإدلاء برأي، وإفساح الوقت له ليصيغ ما يعبر عنه وتشجيعه على الإفضاء بكلمات بسيطة، والتحلي بالصبر وطرح اسئلة تعكس للطفل الرغبة في فهم ما يريده واحترام آرائه.

وفي إطار المدرسة التي تعد المؤسسة المثلى لتنفيذ حقوق الطفل يجب على إدارتها اتخاذ جميع التدابير من أجل إتاحة الفرص للأطفال في التعبير عن آرائهم، وإشراكهم في التخطيط للمناهج والبرامج الدراسية وفي المسائل التأديبية، حيث يجب احترام حق الطفل في الاستماع إليه خاصة في حالة الطرد من الفصل أو المدرسة دون حوافز أو زجر، بل إتاحة الفرصة له في إبداء الرأي والدفاع عن حقوقه وتعريفه بأخطائه، كذلك يجب على الوزارة وضع برامج ملائمة للأطفال والمراهقين لتسعى إلى تهيئة بيئات تفاعلية تقوم على الرعاية والحماية والمشاركة للقيام بدور إيجابي في المجتمع وتحمل مسؤولية المواطنة داخل مجتمعاتهم، فالمشاركة تخدم حماية الأطفال كما يرى التربويون لأن التعبير عن الآراء واحترامها هو أداة قوية يمكن من خلالها مواجهة حالات العنف والإساءة التي يتعرضون لها، فيؤدي في النهاية إلى حماية المعتدين بدلاً من الأطفال كما يمكن أن يولد العنف لدى الصغار.

هذه المشاركة وفرها قانون الطفل المعدل، حيث وضع أعلى سقف لتمتع الطفل بكل الحقوق، لكن ينبغي بعد ذلك تدريب الوالدين على الاستماع إلى الطفل في الأسرة، وتدريب العاملين في المدارس على تمكنه من تكوين رأي مستنير وإتاحة الفرصة له للتعبير عن رأيه بحرية.

• كاتبة مصرية

فن السعادة الزوجية

فتحي موسى

السعادة الزوجية هدف من أهم أهداف الزواج في الإسلام وهذه السعادة لها مفهوم ومضمون وطريق، وتكمن في قبول كل طرف للآخر ضمن إطار من الرضا والقناعة، وشعور كل واحد منهما بأن الآخر هو ما يناسبه ويرتاح إليه، مع توافقهما في الدين والطباع، وحتى تسير الحياة الزوجية من الرضا إلى السعادة ومن السعادة إلى النعيم نضع بين يدي الزوجين هذه القواعد الأساسية التي تمثل خطوات فعلية على طريق السعادة الزوجية المنشودة:

القاعدة الأولى

تقربا إلى الله: ليحرص كل من الزوجين على التقرب إلى الله بالطاعة، وليحذر شؤم المعصية، وعاقبة المعاصي التي تعجل في الدنيا قبل الآخرة، وقد قال أحد الصالحين: إني لأرى شؤم معصيتي في خلق دابتي وزوجتي.

ومن ثمار الطاعة وحسن الصلة بالله أنها تجعل القلب عامرًا حيًا يقظًا، وتطرح البركة في الوقت والجهد، وتبعث جوا من السعادة والراحة النفسية في الأسرة والبيت، وقد قال الله تعالى: ﴿فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى. ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ (طه: ١٢٣-١٢٤).

القاعدة الثانية

المسؤولية مشتركة: الرجل مسؤول عن بيته، مأمور برعاية أحوالهم، وإقامة شؤونهم، والمرأة كذلك تشاركه المسؤولية، فهي ترعى بيتها، بتدبير أموره ورعاية أولادها والنصيحة لزوجها في كل ذلك، كما قال ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته» (رواه البخاري ومسلم).

سوء الظن قد يهدم البيت ويحيل السعادة الزوجية إلى جحيم

القاعدة الثالثة

أعط لتأخذ: الزواج في حقيقته عبارة عن شركة بين رجل وامرأة من أجل بناء جيل صالح يعبد ربه ويعمر الحياة، فأصل الزواج في الإسلام هو حلول المودة والألفة والإيثار بين الزوجين، ومن أجل دوام العشرة جعل الله لكل من الزوجين حقوقا لدى الآخر يجب عليه القيام بها ليسعد الآخر قبل سعادته، أما من يبحث عن سعادته هو فقط وتغير حياته هو فحسب فإنه واهم ولن يجني من سعادته إلا أشواك الندم.

القاعدة الرابعة

إذا لم تجد ما تحب، فأحب ما تجد، فالناجح الحقيقي هو من يصنع من الصخرة التي تعيقه سلمًا يصعد عليه إلى السعادة، وهو من يتعلم كيف يصنع من الليمون الحامض شرابًا حلو المذاق، فقبل أن تقول ليس هذا الشخص الذي كنت أبحث عنه، وليست هذه هي الصفات التي كنت أتمناها، انظر إلى الصفات الجميلة في شريك حياتك، وضخمها في نفسك وجمل بها صورة صاحبك، ثم اعزم تدريجيًا على تغيير الصفات السيئة التي لا تعجبك، فالحياة السعيدة نحن الذين نسعى إليها، ونرسم ألوانها، وليست هي التي تأتي إلينا بأطيافها.

القاعدة الخامسة

غض الطرف ولا تكثر العتاب: إن من السعادة أن يغض الزوج عن بعض نقائص زوجته ويذكر لها من محاسنها ومكارمها ما يغطي هذا النقص، وتبادله هي ذلك أيضًا، كما قال ﷺ «لايفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقًا رضي منها آخر» (رواه مسلم) ومن المروءة إن كنت معاتبا أن تعاتب على بعض الأخطاء وتتنازل عن البعض اقتداء بهدي النبي ﷺ الذي حكاه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه

* باحث وكاتب







حديثًا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير﴾ (التحريم: ٣).

فقد عرفها النبي ﷺ بعض أخطائها وأعرض عن بعضها، تصويبا للخطأ وتخفيفًا للمعاتبة.

القاعدة السادسة

ضع أصابعك في أذنك، ولا تستمع إلى كل ما يقال: فهؤلاء اشتروا، وهؤلاء ساروا، وزوج فلانة صنع، وزوجة فلان أتقنت، والكثير من الكلمات التي يضاف إليها السم الزعاف الهادم للبيوت، فلو استمعت، وفكرت، وقارنت، لاستوحشت، وحزنت، وأسفت، وتحسرت، وندمت، ولصنعت أكفان السعادة لبيتك الصغير.

القاعدة السابعة

اجتنبا نبش الماضي وما كان فيه من أحداث: ولا ينبغي لأحد الزوجين أن يسأل صاحبه سؤالاً منكرًا مثل: هل حبنا هذا هو الحب الأول؟ وهل سبق لك حب أحد قبلي؟ فإن هذه الأسئلة وأشباهها ربما تجعل الحياة مسرحًا للغيرة العمياء، وربما تقوض البيت من أركانه، وقد نهى الشرع الحكيم عن مثل هذا العنت فقال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ (المائدة:١٠١)، كما قال ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه» (رواه الترمذي).

القاعدة الثامنة

احذرا مواطن الشبهات ومواضع التهم: فإن سوء الظن قد يهدم البيت، ويحيل السعادة الزوجية إلى جحيم لا يطاق، والعاقل من لا يعطي لغيره فرصة لكي يظن به ظن السوء، ولعلنا ندرك حكمة النبي ﷺ عندما كان يقف مع زوجته صفية بنت حيي رضي الله عنها فمر به رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا فقال ﷺ: «على رسلكما إنها صفية زوجتي» فقالا: سبحان الله يا رسول الله! أوفيك نظن؟ فقال: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكم شرًا» (رواه البخاري ومسلم).

القاعدة التاسعة

ولهن مثل الذي عليهن: فلا يطلب الزوج من زوجته أمرًا حتى يساعدها عليه، ولا تطلب الزوجة من زوجها شأنا إلا تعينه عليه، وقد قالت عائشة (رضي الله عنها): «كان رسول الله ﷺ يكون في مهنة أهله - تعني في خدمتهم- فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة» (رواه البخاري).

وكان ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقف أمام المرآة يتزين لأهله فإذا سألوه قال: إني أتزين لأهلي كما أحب أن يتزين لي، فالله تعالى يقول: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾ (البقرة: ٢٢٨).

القاعدة العاشرة

احتسب أجرك: قد يظل أحد الزوجين يعطي ويغدق على أسرته من العناية والمحبة فلا يرى نتيجة لما يعطيه، بل لا يكاد يجد إلا تجاهلا وإهمالاً، فتقول له: أتم ما عليك من الواجب، وأد ما عليك من الرسالة، وتحل بالصبر والعزم، واحتسب أجرك عند الله، وما تحلم به من السعادة ستجد أضعافه في الدنيا قبل الآخرة فإن الله لا يضيع أجر المصلحين.

وأخيرًا

نتذكر أن القلوب بيد الله، فلتلهجا إليه بالدعاء في الأسحار: ﴿ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا﴾ (الفرقان:٧٤).



المراهقة والمراهقون

بشرى شاكر

تعد المراهقة فترة صعبة للغاية، ولكنها فترة الانتقال الطبيعي من مرحلة الطفولة إلى مرحلة البلوغ وهي تختلف من إنسان إلى آخر بحيث يمكن أن تكون معتدلة ويمكن أن يكون الانتقال عنيفا، هي نوع من المطالبة بالاستقلالية لأن الطفل يترك مكانه إلى مراهق يزداد عنادا يوما عن يوم، فنراه يتصرف في أكثر الأحيان ضد رغبات والديه ويقوم بمعارضتهما ويناقشهما بحدة، ويتسبب في مشاكل مرات كثيرة غير متوقعة.

تشبه المحللة النفسية «فرنسواز دولتو» المراهق خلال فترة المراهقة بـ«المحارة» التي تتعرض لتغييرات فتسقط صدفتها وتذهب لتتوارى خلف الصخور، حتى تصنع لنفسها قوقعة جديدة، والمراهق يكون حينها قابلا للخدش بسهولة من قبل المؤثرات الخارجية، فيحاول تعويض النقص الدفاعي الذي يحس به بتغييرات سلوكية مفاجئة ومختلفة.

هذا التصرف الذي يعتبره الآباء خروجا عن طاعتهم وتجاوزا لسلطتهم أو إهانة لهم وعدم احترام، ما هو في واقع الحال سوى حاجة طبيعية في مثل هذه السن، ليكبر الطفل ويتحول إلى إنسان بالغ، وبالتالي الاستعداد لبناء حياته بنفسه، بأفكاره الخاصة وتخميناته الذاتية، فحب الذات من أقوى انفعالات هذه المرحلة، وببساطة أكثر إنه بحاجة إلى إثبات ذاته بواسطة اختياراته هو، وليس اختيارات الكبار، سواء والديه أو غيرهم.

خلال هذه الفترة، والتي تلقب عادة من طرف الكبار بأزمة المراهقة، لا يلجأ بعض الآباء إلى مصاحبة أبنائهم في اجتياز هذه الأزمة، ويردون على تمرد أبنائهم بعنف أكثر، فيؤدي تصرفهم هذا إلى إحساس المراهقين بالاختناق والحنق، وهناك نوع آخر من الآباء ممن يفضلون عدم الاكتراث لمثل هذه المرحلة المهمة، وينتظرون مرورها دون أن يولوا لها أية أهمية!!!

ويبدو أن الأجدى هو أن نجمع بين هذين السلوكين، بحيث يمكننا مراقبة المراهق عن قرب دون أن نعطيه الانطباع بأننا نحاصره أو نلاحقه في كل مكان، وذلك بأن نترك له حيزا للاختيار، وأن نحترم قراراته، مع إفهامه انه مسؤول عن تصرفاته واختياراته، وأيضا مسئول عن عواقبها، وبهذا نعطيه مساحة أكبر للإحساس بالمسؤولية، يمكّن للآباء من تصحيح أخطاء أبنائهم، ويمكّنهم من مواجهتهم بطريقة غير مباشرة، ودون اقتحام حياتهم بشكل واسع، وهناك طرق عديدة لذلك من بينها الحوار مثلا أو أن نحكي لهم قصة شخص آخر، بحيث يستقي منها المراهق العبرة ويفهم مغزاها ليطبقها على حياته هو دون أن نشعره أنه المعني بالأمر فنعرضه للإحراج.

الأهم في هذه المرحلة أن يكون هناك إنصات بين الأطراف المعنية، وأن يتوافر أيضا حوار داخل العائلة، وداخل المؤسسات التعليمية، ولكي يكون ذلك يجب أن يكون لدى المربين والمدرسين اطلاع على منهجية تعليمية صحيحة، وذلك بأن تكون لهم مثلا دورات تدريبية في علم النفس التربوي، وفي أساليب الإنصات، وأيضا أن يقتدوا بالسيرة النبوية العطرة التي سبقت باقي العلوم لوضع مناهج التربية بقرون عدة، وأيضا أن تتوافر لهؤلاء آليات وجو معنوي ومادي مناسب

باحثة مغربية





ليتمكنوا من العطاء، وبصيغة أخرى يجب أن يشعر هؤلاء المربون بارتياح نفسي بحيث يكونون بعيدين عن كل اضطراب ليتمكنوا من التعامل بنجاح مع هذه الفئة من الشباب.

المراهقة أفق مجهول وشاسع، ويُنصح بشدة أن نكون موجودين فعليًا في حياة الأبناء في مثل هذه السن الحرجة، وتفادي المشاكل العائلية أمامهم حيث إن التغييرات الفسيولوجية وأيضا النفسية منذ بداية سن المراهقة، والتي تسمى أيضا بسن الحلم أو البلوغ، تبرز بقوة، فالطفل الصغير الذي ينحو نحو عالم الرجولة مثلا يبدأ بالإحساس بحاجته إلى تقليد الكبار والقيام بما يفعلونه هم، فيتعلم التدخين ويكون هذا غالبا خفية، ويبدأ بالكذب، ولنقل وبكل بساطة تبدأ تصرفاته في التغير دون أن يحس هو نفسه بذلك، وهذا التغير يكون غالبا حسبما يلاحظه الآباء والمربون إلى الأسوأ وقد يتحول الطفل المراهق نحو الأنانية والاهتمام المتزايد بالذات ويبدأ في معارضة كل شيء، ولكن هذه الرغبة في المعارضة في حد ذاتها ما هي سوى محاولة أخرى لإثبات الذات وفهم ما يدور حوله، وليست فقط نوعا من العناد أو عدم الرضوخ، وحينما نلاحظ مثل هذه التغيرات، يتوجب علينا الحضور الفعلي في حياة أطفالنا، ويكون ذلك مناسبة لنعلم هذا الطفل الذي هو في طريقه إلى التحول نحو رجل بالغ أن لكل شيء حدودًا، حتى الحرية التي تنتهي حينما تبدأ حرية الآخرين، ويمكن للآباء والمربين أن يوصلوا هذه الرسالة إلى المراهق بطرق عديدة ودون أن يلعبوا دور الشرير.

باختصار هذه المرحلة مهمة جدا، وصعبة أيضا بالنسبة للآباء كما هي بالنسبة للمراهقين أنفسهم، وقد تؤدي إلى عواقب كارثية إذا لم نحسن تدبيرها، كالإدمان على المخدرات مثلا والسجائر والفشل الدراسي أو حتى الهذر المدرسي، نعم فغالبا ما نسمع عن الهذر المدرسي بكثرة في مثل هذه المراحل العمرية، إنها حقا مرحلة صعبة للغاية، ولكن يمكن بالقليل من التفهم والحنكة وباتباع تربية سليمة، تدبيرها بفضل مجهودات جميع الأطراف المتداخلة، وذلك بأن يستعد الآباء إلى فترة تحتاج إلى الإنصات الدائم لمشاكل أطفالهم ومناقشتها والتحاور معهم أيضا، وهذا من طرف الأساتذة والمربين أيضا، ولكن لا يجب أن ننسى مسؤولية الدولة تجاه هذه الفئة من الناس الذين يشكلون المستقبل القريب بحيث من الواجب أن تُقام دُورٌ للشباب، تتنوع أنشطتها بين ما هو ثقافي ورياضي وأنشطة أخرى متعددة، فالمراهق في مثل هذه السن لديه طاقة هائلة ينبغي استخراجها لينمو على أرضية نفسية سليمة، وهذه البيئة هي التي يمكن أن تجعل المراهق يتوجه إلى إبداع فني مثلا، أو اللجوء إلى مقرأة قرآنية، أو أن يكون عرضة لأخطار عديدة كالإدمان على المخدرات والدعارة بالنسبة للفتيات أو حتى حالات اكتئاب وتغير في المزاج، قد يصل إلى هبوط انتحاري، فيحاول الطفل المراهق إنهاء حياته Réactions dépressives .

وهذا ما يبرزه ارتفاع نسبة الانتحار بين الأشخاص الذين ينتمون لهذه الفئة العمرية خصوصا في إطار التباس مفهوم التربية وابتعادها عن القواعد الدينية.

وفي إطار دراسة أجريت في المملكة المغربية، نرى أن عدد دُور الشباب قد ارتفع، وأنها شاهدت تطورا ملحوظا، ولكن المؤسف أن هذه الأنشطة الرياضية والفنية وغيرها مازالت مكلفة بالنسبة للأسر المتوسطة الدخل والتي بالكاد يمكنها تحمل مصاريف الأبناء الدراسية التي تزداد كل مرة، وبالتالي فالأندية والأنشطة التي تقام بها تعد بالنسبة لهم من الرفاهيات أو الكماليات التي لا يستطيعون اقتطاع ثمنها من أساسياتهم المعيشية، وبالتالي يتجه هذا المراهق بعد الحصص الدراسية إلى أزقة الحي التي تفتح ذراعيها له كأم ثانية، والمعروف أن المراهق يقضي وقتا أكبر بكثير خارج البيت من الذي يقضيه داخله في هذه المرحلة العمرية، وهنا نعود للتضامن الذي أوصى به ديننا، فمما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، قوله عن الرسول عليه الصلاة و السلام، «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلماً، ستره الله يوم القيامة».

فإنشاء الجمعيات ودور الشباب من أجل مساعدة هؤلاء المراهقين على تجاوز مرحلة التغير بطريقة سليمة جسديا ونفسيا حتى على نطاق الحي ومن قبل ساكنيه، بات أمرا ظاهرا في العديد من الأحياء العربية، وهو أمر محمود، ويدل على تضامن كبير، وليس هناك من تضامن أفضل من السعي إلى إنشاء جيل صالح يعيد أمتنا الإسلامية إلى زهوها وعزتها ومجدها، ويجعلها تبقى دائما وأبدا خير أمة أخرجت للناس.

فإنشاء ورش للرسم داخل المؤسسات التعليمية أو تحضير ندوات ثقافية، أمر ضروري لاستيعاب طاقة المراهقين من خلال المشاركة والابتعاد عن دور المتلقي فقط كما في مناهجنا التعليمية التي مازالت تعتمد في معظمها للأسف وخاصة في التعليم العمومي على التلقي أكثر، كما يمكن تشجيعهم على المنافسات الرياضية... إلخ، كلها أشياء بسيطة لكنها تمنع المراهق من أن يكون فريسة للشارع وأن يوجه طاقته نحو شيء مفيد ومثمر.

إن مرحلة المراهقة هي عملية قطف لما زرعه الوالدان من قيم وأخلاق وأساليب تنشئة في مرحلة الطفولة، فالوالدان اللذان عاملا ابنهما بالرفق واللين ونهجا نهج السيرة النبوية العطرة فاحترما إنسانيته وخلت معاملتهم له من التدليل أو الحماية الزائدة ومن الطموح الزائد أو النقد والتوبيخ ومقارنته بالآخرين أو معاقبته بدنيًا على كل صغيرة وكبيرة، وعاملاه بحب وأشبعاه بالثقة، وساعداه منذ الصغر على تأكيد الذات، وقاما ببناء مفهوم إيجابي للذات عنده سوف يتجاوزان برفقة أبنائهم هذه المرحلة الحرجة بسهولة وبدون مشاق كثيرة.

النموذج الأمثل للزوجة المثالية

سيدة نساء العالمين
١٥٠٠ عام على مولد خديجة بنت خويلد (٦٨ ق.هـ)
أعظم سيدة عرفتها الإنسانية.. وخير قدوة لنساء الأمة الإسلامية

نعيم نعيم السلاموني

أبوها هو خويلد بن أسد بن كلاب بن قصي، وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأحم بن بني عامر بن لؤي، وفاطمة هي عمة الصحابي الجليل بن أم مكتوم.

ولدت سنة ٦٨ قبل الهجرة في مكة، أبوها من أشراف قريش، تربت في بيت مجد وبيئة ميسورة ونشأت على الأخلاق الحميدة، وكانت تلقب في الجاهلية بالطاهرة لفطرتها النقية الطاهرة وأخلاقها العالية السامية، اجتمع فيها ما لم يكن لأحد من نساء العرب، وضربت الأمثلة الصالحة للنساء على مر العصور في النبل والطهارة وإنكار الذات والتضحية، يروى أنها تزوجت مرتين قبل زواجها بالنبي ﷺ من سيدين من سادات قريش، هما عتيق بن عابد المخزومي وأبوهالة بن زرارة التميمي، وبعد وفاتهما عملت في التجارة وبدأت تشق الحياة من جديد وتنافس كبار التجار في قبيلتها، وكانت ذا ذكاء، شعارها دائمًا الأمانة، وبهذه الصفة ابتدأت تجارتها تزدهر وتتسع ويزداد مالها يومًا بعد يوم، وتزداد شهرتها في التجارة، وكانت بضاعتها دائمًا موضع ثقة وتقدير وإقبال ورواج، وكانت كلما ازداد ربحها سعت إلى ذوي الحاجات فأعطت عن طيب خاطر، فلا عجب أن يهديها الله للاستعانة بالصادق الأمين، وكانت تتخير الرجال الذين عرفوا بالأمانة والصدق، واشتهرت سيرتهم بالعفة

يا لها من زوجة فقيهة.. ذكية تعلمت الأدب كله وتعايشت معه في بيت من جمع الله له كل الفضائل

وضبط النفس والحلم، وقد اختارت السيدة الفاضلة اللبيبة الكريمة خديجة «رضي الله عنها» محمدًا ﷺ ليتاجر لها في مالها، وقد وافق وخرج فعلًا بتجارة إلى الشام في رحلة الصيف التي تضم قوافل قريش كلها، ورغم صغر سنة وعدم خبرته فإن التوفيق كان حليفه بدرجة مدهشة، فلقد تدفقت الأرباح والمكاسب وكانت خديجة سعيدة بالربح، إلا أنها سعدت أكثر من تقرير ميسرة الذي رافق محمدًا ﷺ وكان مسلك محمد ﷺ فيها مطابقًا لما تمنته العمر كله، من رجل شريف الأصل، ولم تجد له مثيلًا ولم يكن في الأمر سوى أن محمدًا ﷺ كان فقيرًا، لقد خفق قلب السيدة خديجة وهفا نحو محمد بن عبدالله ﷺ قبل أن تراه بعد أن سمعت عن أخلاقه وصدقه وأمانته، فقالت له: إني دعاني إلى البعثة إليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك، وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلًا من قومك، وخديجة بقوة شخصيتها أرادت أن تعرف قراره بالزواج منها بعد أن بهرت بأمانته وصدقه فقالت له: يا محمد ألا تتزوج فرد عليها الصادق الأمين: من؟ قالت: أنا، قال: ومن لي بك؟ قالت: يابن عمي إني رغبت فيك لمنزلتك وسط قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك، فأرسلت إلى عمها عمرو بن أسيد ليزوجها، فحضر وأسرع محمد بن عبدالله إلى عميه «العباس وحمزة» فباركا الزواج وتزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة، وعاشت خديجة رضي الله عنها مع رسول الله ﷺ حياة سعادة ووئام طوال حياتها معه، فكانت نعم الزوجة الصالحة واستمر الزواج خمسة وعشرين سنة مليئة بالألفة والاستقرار، وقد أنعم الله عليهما فرزقهما البنين والبنات (القاسم وعبدالله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة) وقد ذاقت مرارة فقد الولدين القاسم وعبدالله إلا أنها صبرت وأصبحت أم البنات في بيئة مفتونة بالبنين لكنها أدركت أن الأمر لله وحده وعاشت الأسرة في هدوء.

وقد تركت لزوجها ﷺ أموالها يشرف عليها، كما هيأت له أسباب التأمل والعبادة، فأعانته على التعبد في غار حراء قبل نزول الوحي على رسول الله ﷺ، وكان يأخذ معه الزاد ليتفرغ لعبادة ربه، بينما تقوم هي بالعناية بأبنائها وإدارة أمور بيتها، فكان زواجه ﷺ من خديجة (رضي الله عنها) عونًا له على

* كاتب مصري



التفرغ للعبادة، وأن يطرح عن كاهله شواغل الدنيا، وكأنما أراد الله تعالى بزواجه منها في سنها هذه أن تكون له عونًا في رسالته في مهدها، ودافعًا له في تحمل مسؤوليتها دون أن يكون لها مطالب خاصة، ونزل عليه جبريل فقال: اقرأ.. ورجع النبي ﷺ إلى خديجة يرتجف فؤاده فقال: زملوني زملوني، وأخبر خديجة قائلًا لقد خشيت على نفسي فهدأت من روعه وطمأنته قائلة: كلا، والله ما يخزيك الله أبدًا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الدهر، وكانت خديجة تذهب إلى غار حراء تحمل الماء والزاد لرسول الله ﷺ، فوصلت إليه وهو مستغرق في العبادة فأتاه في تلك اللحظات جبريل عليه السلام وقال له: «يا محمد هذه خديجة قد أتت ومعها إناء فيه إدام وشراب إذا هي أتتك فاقرأ عليها من ربها السلام، وحين بلغها رسول الله ﷺ بذلك قالت رضي الله عنها تخاطب رسول الله ﷺ «إن الله هو السلام ومعه السلام وعلى جبريل السلام وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله»، وهكذا تعلن خديجة استجابتها على الفور برسالته مصدقة لما يقول، وامتلأ قلبها بالفرحة حين أدركت أنه نبي هذه الأمة وصدقت وآمنت به وبربه الكريم، ومنذ تلك اللحظة وهي واقفة بجواره تشد أزره وتعينه على احتمال أقصى صنوف الأذى والاضطهاد من قومه، وبذلت من مالها وضحت في سبيل ما جاء به، وذاقت مرارة الحرمان عندما حوصر الرسول ﷺ في شعب بني هاشم، وبالرغم من أنها صاحبة عز وجاه، فإن حبها لعقيدتها جعلها تصبر على أقصى أنواع البلاء بجوار زوجها الوفي، وكانت خديجة (رضي الله عنها) ترى ما كان يتعرض له الحبيب ﷺ من الإيذاء والسخرية فتواسيه وتخفف عنه وتهون عليه، فكانت بذلك مثلا عظيمًا وفريدًا، بل وقدوة لكل أخت مسلمة، ولقد وجدت خديجة في الصادق الأمين خير الأزواج، فصبره مثل شجاعته مثل كرمه، وكرمه مثل حلمه، وحلمه مثل رحمته، ورحمته مثل مروءته، فقد كانت على مر الأيام وطوال ربع قرن تزداد يقينًا بأن الرجل الذي اختارته لنفسها هو أصلح أهل الأرض لأداء رسالته والنهوض بأمته، وذكر بعض العلماء أن خديجة هي أول فقيهة في الإسلام، حيث فقهت- أي فهمت- منذ الوهلة الأولى مكانة محمد رسول الله ﷺ ومنزلته عند الله تعالى، وكانت وزير صدق لرسول الله ﷺ، ومستشارًا، وهي أول من بشرها بالجنة من أزواجه، وأول من أقرأها ربها السلام، وأول من أسلمت وأول من صلى مع رسول الله ﷺ، وأول من تلا القرآن بعدما سمعته من فم الرسول ﷺ، وبيتها هو أول مكان تلي فيه وحي الله بعد غار حراء، وذكر الطبري أن دار خديجة (رضي الله عنها) أفضل الأماكن بمكة المكرمة بعد المسجد الحرام، ولعل ذلك يرجع لطول سكن النبي ﷺ، ونزول الوحي عليه فيها، ومن فضل هذا البيت أنه خرج منه زيد بن حارثة الذي لم يذكر الله تعالى في كتابه اسم صاحبي غيره فقال تعالى: ﴿فلما قضى زيد...﴾ (الأحزاب: ١٧)، وفي هذا البيت نشأ علي بن أبي طالب، وكان أحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان بيت الرسول ﷺ أيضًا هو خير البيوت في الأرض، فمنه خرجت خديجة سيدة نساء العالمين، ومنه خرجت ابنتها فاطمة سيدة نساء أهل الأرض، وتوفيت خديجة في السنة العاشرة من البعثة وهي في الخامسة والستين من عمرها، وحزن ﷺ لموتها حزنًا شديدًا، بل سمى العام الذي توفيت فيه بعام الحزن لاجتماع وفاتها مع وفاة عمه أبي طالب، وكان فقدهما خسارة كبرى للنبي ﷺ، إذ فقد المواساة والطمأنينة والملجأ الذي يخفف عنه عناء ما يحدث له من أذى واضطهاد، ولم يستطع النبي ﷺ أن ينساها أبدًا، وكان يحمل لها الوفاء، فقد كانت بمنزلة الأم الحنون والأخت البارة والزوجة الكريمة، تواسيه وتخفف عنه الآلام عندما يرجع مهمومًا، وكانت ذكراها الطيبة العطرة، على لسان الرسول ﷺ، وخيالها لم يفارقه، ولذلك كانت عائشة تقول «كان الرسول ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها وأحسن الثناء فغرت يومًا وقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين، هلكت من الدهر، وقد أبدلك الله خيرًا منها، فتغير وجهه ﷺ وزجر عائشة وقال: «والله ما أبدلني الله خيرًا منها.. آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء»، فقلت بيني وبين نفسي «لا أذكرها بسوء أبدًا» ولم يكن ﷺ يسأم من الثناء عليها والاستغفار لها، وكان إذا ذبح شاه يقول: اذهبوا بهذه إلى أصدقاء خديجة، وكثيرًا ما كان يذكر أصدقاءها بالخير، وكان يرتاح لأقربائها، ومن وفائه لزوجته ﷺ أنه ذات يوم جاءته إمرأة عجوز من صاحبات الطاهرة خديجة فأحسن لقاءها وأكرم مثواها وبسط رداءه فأجلسها عليه وصار يسأل عن أحوالها وما صارت إليه، فقالت عائشة لما خرجت يارسول الله أقبلت على هذه السوداء هذا الإقبال فقال ﷺ «إنها كانت تدخل على خديجة وإن حسن العهد من الإيمان» (رواه أحمد)، ومن وفائه لها ﷺ عدم زواجه في حياتها رغم كبر سنها.

يا لها من زوجة فقيهة ذكية تعلمت الأدب كله وتعايشت معه في بيت النبي ﷺ الذي جمع الله له كل الفضائل والمناقب والمكارم، فقال جل وعلا ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (القلم :٤)، وهي أولى أمهات المؤمنين وأول الناس إسلامًا على الإطلاق ومثال الزوجة الصالحة الأنيسة الودودة التي تقف عند الشدائد موقف الساعد والظهر، فهي لا ترعى الرسول ﷺ وحده وإنما تحمل هم الدعوة إلى الله في أول مراحلها وتكوناته، وكانت خديجة (رضي الله عنها) سببًا في دخول كثير من نساء العرب في الإسلام، فهي قدوة للمرأة المسلمة الداعية، وقد آزرت زوجها في أحرج الأوقات، وتحملت كيد الخصوم وآلام الحصار ومتاعب الدعوة، وساندته في محنته وواسته في كربته، وآنسته في وحدته وهي بذلك لها فضل كبير على كل مسلم ومسلمة إلى قيام الساعة.



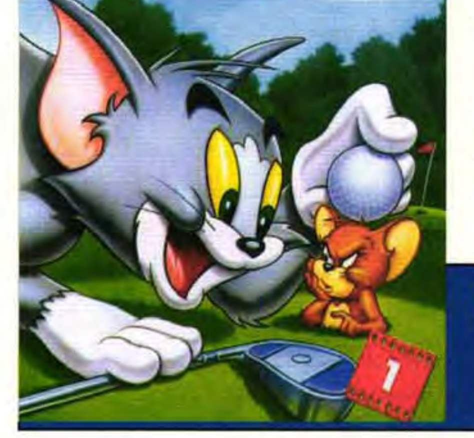
في حوار مع الخبير التربوي خالد كمال عن أثر أفلام الكارتون:

الكسل والبلادة أحد مضار الأفلام الكارتونية

حوار: منير أديب

تشكل أفلام الكارتون خطرا على شخصية الأطفال بما تزرعه من قيم غربية تشوه شخصية هؤلاء الأطفال بدنيا وتترك الأثر نفسه على سلوكهم وأفعالهم.

حول تأثيرات هذه الأفلام التي تحمل قيماً مستوردة من الخارج وغياب أفلام كارتونية تحمل الصبغة الإسلامية كان لنا هذا الحوار مع الخبير التربوي خالد كمال والذي تطرقنا فيه لقضايا التأثير السلبي لمثل هذه الأفلام على الأطفال، فإلى نص الحوار:



ينصرف المنتجون عن الإنفاق على الأفلام الكارتونية لتكلفتها وعدم ضمان العائد

■ **في البداية، هل لأفلام الكارتون الأجنبية تأثير سلبي على شخصية أطفالنا، وما هو أبرز التأثيرات السلبية من وجهة نظرك؟**

- تتنوع الآثار السلبية لأفلام الكارتون على الأطفال ويمكن تقسيمها كالتالي:

الآثار السلبية على السلوك

يميل الأطفال إلى العدوانية الشديدة تقليدًا لما يرونه، فالطفل يعتبر أن ضرب الآخرين والاعتداء عليهم أمر مقبول وعادي لأن أغلب أفلام الكارتون تعلي من شأن ظاهرة الانتقام وتجعل الأطفال يتعاطفون مع البطل وهويمارس هذا الدور عندما ينتصر على الآخرين ويضربهم، وهذا أمر خطير يهون من قيم الطفل التي تتسم بالهدوء والتسامح. وهناك قصة شهيرة عن طفل فرنسي عمره خمس سنوات قتل جاره بمسدس أبيه وعندما سئل عن عمله هذا قال إنه تعلمه من أفلام الكارتون.

أيضًا تعلم الأطفال البلادة والكسل الشديد فالطفل يجلس الساعات الطوال أمام هذه الأفلام دون أن يتحرك خوفًا من أن تضيع لقطة مهمة، مما يعلمه الخمول والكسل والبطء في الاستجابة للمثيرات المحيطة به.

الانطواء الشديد

تتسبب هذه الأفلام في بقاء الطفل جالسًا لفترات طويلة في المنزل مما يفقده كثيرا من المهارات الاجتماعية مثل القدرة على فتح حوار أوالسلوك القيادي أوتوكيد الذات وغيرها من المهارات التي لا يستطيع الطفل أن يكتسبها إلا بتفاعله مع الآخرين مثل أن يخرج للعب مع الأطفال أوحتى زيارة أقاربه.

الآثار السلبية على الصحة

إن جلوس الطفل لوقت طويل أمام الأفلام دون تناوله لأي طعام يؤدي إلى سوء التغذية والأنيميا وبالتالي يجعله عرضة للإصابة بكثير من الأمراض بسبب ضعف المناعة.

وأحيانًا تجده يمضى الساعات وبجانبه طبق من البطاطس المجففة (الشيبسي) والمشروبات الغازية



والمعلبة والحلويات، التي تتحول سلبا على صحته فتؤدي إلى سوء التغذية والبدانة وما إليها مما يحدث نتيجة تلك العادة.

كما أن التعرض لأشعة التليفزيون بتركيز ولفترة طويلة يؤدى للإضرار بقوة الإبصار عند الطفل.

■ **هل لهذه الأفلام أثر على الهوية والدين الإسلامي؟**

- إن الإنسان يكتمل بناء شخصيته النفسية والعاطفية في السنوات الثلاث الأولى من عمره، وما بعدها استكمال لباقي الصفات والخلال، وتترسب تلقائيًا الصورة في أعماقه عن سائر جوانب شخصيته وينتهي تمامًا تشكل الشخصية عند السابعة من العمر وبعد ذلك يصعب تغيير أي خصلة في الشخصية، وهذا يبرز خطورة تلك الأفلام المنتجة من دول تختلف تماما عن قيمنا وعاداتنا وتقاليدنا بل وتنشر القيم الغربية التي لا تناسبنا كالتحرر من الوالدين وحقهم في التوجيه والتربية بل وتهون من شأن القيم الإسلامية التربوية.

والمسلسلات تقدم مبادئ وأساليب الجريمة التي تهون من قيمة الإنسان، حيث يظهر الإنسان فيها أشبه بالجرذان الضالة وأدنى من الحشرات فيهون قتلها.

كما أن مشاهدتها توقع أكبر الضرر بعقيدة الطفل الإسلامية، ولأنها منتجة في الغرب فلن تجد مسجدا أوطفلا يصلي أوآذانا يرفع أورمضانا يصام.. بل أكثر من ذلك إنها تكرس الكفر الصريح بالله عز وجل، ففي أحد المسلسلات ويسمى «سمبا» وهوالأسد تجد الحيوانات تسجد له وهي سعيدة بذلك والخنزير في هذا المسلسل كائن

خالد كمال: أفلام الكارتون مسؤولة عن تشويه شخصية أطفالنا ولا يوجد إنتاج إسلامي

طيب وحبوب وتندهش أن من قال لي هذا هم أبنائي الذين اعترضوا على هذا الجزء من «الكارتون»، وهوما جعلني أتعرف على خطورة هذه الأفلام.

■ **ألا ترى معي أن منع الأطفال من مشاهدة هذه الأفلام مهمة واجبة، وما هي المخاطر التي يتعرضون لها من جراء مشاهداتها؟**

- إن الطفل سهل الإيحاء كما يقال في علم النفس وهويقلد ما يراه بدقة وإخلاص بخاصة إذا أعجب بمن يقلده وهناك ظاهرة رأيتها بنفسي حيث بعض التلاميذ يتغيبون من المدرسة الابتدائية ورفضوا تماما الذهاب إليها وعندما عرضت علي المشكلة لحلها وبعد بحث بسيط اكتشفت أنهم يشاهدون مثل هذه الأفلام الكارتونية، وكان هؤلاء الأطفال يشاهدون مسلسل «توم سوير» الذي يزرع في ذهن الطفل بعض القيم والأفكار الخاطئة ولعل أخطرها أن «هاك» البطل الثاني يقوي في نفس البطل الأول «توم» كره المدرسة ويحبب إليه فكرة الهروب منها.

ولذلك يبتدع بعض المواقف السيئة مع المدرسين فيها والقائمين عليها والأخطر من ذلك أنه يحرص على الهروب من المنزل واللجوء إلى الغابة.

ولذلك أشرت على آبائهم منع هؤلاء الأطفال من مشاهدة أفلام الكارتون نهائيا. وقد لاحظت اندهاشا لدى أولياء الأمور وحتى المعلمين من هذا التأثير الخطير الذي لم يتوقعوه لهذه الأفلام.

■ **ما هي الآثار السلبية التي تلحظها على شخصية الأطفال وهي نتاج طبيعي لأفلام الكارتون؟**

- تؤدي مشاهدة الأطفال برامج التلفزيون بإفراط ودون ضوابط إلى تأثيرات سلبية عليهم تتمثل بالعجز عن ضبط النفس واللجوء إلى العنف بدل التفاوض والافتقار إلى الأمان والشعور الدائم بالخوف والقلق وترسيخ صور نمطية في عقل الطفل حول المرأة والرجل والمسنين والطفل وأصحاب المهن والمسؤولين ورجال الأمن بل والأشياء والجمادات وغير ذلك إضافة إلى قتل روح الإنتاج والإبداع لدى الأطفال.

كما تجعله يعيش في الخيال أحيانا ويتحدث إلى الأشجار والصخور والآلات..

تفتح عين الطفل على العلاقات الجنسية بين الذكر والأنثى ويتجلى ذلك واضحا في كثير من حلقات توم وجيري.

في إحصاء عن الأفلام التي تعرض على الأطفال عالميًا وجد أن ٢٩,٦٪ منها يتناول موضوعات جنسية بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

٢٧،٤ ٪ منها يعالج الجريمة والعنف والمعارك والقتال الضاري.

١٥،٠٠٪ منها يدور حول الحب بمعناه الشهواني العصري.

■ **لماذا لا يكون هناك أفلام كارتونية إسلامية يمكن جذب الأطفال إليها؟**

- كما علمت، فإن إنتاج هذه الأفلام مكلف للغاية ولا يأتي بالعائد



المناسب اقتصاديًا، لذا ينصرف عنه أغلب المنتجين والمتخصصين لأنهم في الغالب يبحثون عن الربح السريع، وهنا يأتي دور الحكومات من خلال شركات الإنتاج التابعة لها وقد تجلى ذلك واضحا في المسلسل المصري الرائع «بكار» الذي لا يذاع إلا في رمضان للأسف.. وهناك تجربة رائعة لعمل أفلام كارتونية لها صبغة إسلامية وتحوي شخصيات بطولية إسلامية مثل خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وذلك في كلية الفنون الجميلة جامعة الإسكندرية في مصر أرجو أن تجد الرعاية من المنتجين.

■ ما هي عوامل الجذب الرئيسية للأطفال في أفلام الكارتون، وهل يمكن الاستفادة من هذه الأفلام دون الوقوع في شراكها بحيث لا تؤدي إلى مسخ شخصية أطفالنا؟

- إن من يضع سيناريو هذه الأفلام يفهم تماما شخصية الطفل وما يريده من إبهار وحركة وأكشن وألوان جذابة، ولاشك أنها تقدم بعض القيم الإيجابية مثل مساعدة الصديق والبطولة ولكن في مجملها تحوي قيما غربية لا تتناسب مع مجتمعاتنا.

■ ما هي البرامج التي تراها بديلة للأطفال ولو بشكل مؤقت عن أفلام الكارتون لحين إنتاج أعمال كارتونية تكون عند المستوى المطلوب؟

- من واقع ملاحظتي لسلوك الأطفال أرى أن إنتاج أفلام ومسلسلات عادية يلعب بطولتها أطفال مع الاهتمام بحبكتها الدرامية المتناسبة مع الأطفال (مثل الفيلم الأميركي وحدي في البيت) سيؤدي إلى انصراف الأطفال جزئيًا عن أفلام الكارتون.



■ ما هو السم الذي تدسه هذه الأفلام الكارتونية وتؤثر به على الشخصية العربية والإسلامية؟

- إنها تكرس قيما غربية تدعو إلى الفردية والسيطرة والعنصرية وتمجيد الرجل الأبيض والبعد عن التدين والفتك بالآخر وعدم طلب المعونة من الله تعالى ففي مسلسل «مدينة النخيل» يضرب الابن والده ثم يهجر المنزل لينام عند صديقته أو صديقه (على الطريقة الأميركية) ثم يعرض ذلك على أنه سلوك اجتماعي مقبول والأشد من ذلك أن الوالد يسترضي ابنه في نهاية الحلقة ويقدم له ما يريد ويرضخ لمطالبه.

وهذا متعمد لأن الغرب تعب من هدم قيم المجتمع الإسلامي وتغييرها وقد تجلى ذلك واضحًا في تركيا التي حاول خلال خمسين سنة أن يغير قيمها ولكن هاهي تتمسك بالقيم الإسلامية؛ فركز على الأطفال.. فكما نعلم التعليم في الصغر كالنقش على الحجر.

■ كيف يمكن مواجهة ومجابهة مثل هذه الأفلام التي يقبل عليها الأطفال؟

- يمكن مواجهة هذه الأفلام من خلال عدة طرق أهمها.

- شغل وقت الطفل بالفسح والزيارات الاجتماعية وإتاحة الفرصة له للعب مع رفاقه كلما أمكن.

- بحضور الوالدين معه عند مشاهدة هذه الأفلام.

- بتحديد ساعات المشاهدة والتي لا يجب أن تزيد عن ساعة واحدة يوميًا لبرامج مختارة بعناية، ثم تحجب القنوات بعد ذلك.

- إعطاء الطفل مكافآت كلما قلل هو من مشاهدة هذه الأفلام.

■ في النهاية، ما هو المخرج الحقيقي لتأثير الأفلام الكارتونية وما النصيحة التي تحب توجيهها للأبوين؟

- إن الاهتمام بالتربية السليمة (في ضوء تعاليم الدين الإسلامي وسيرة الرسول ﷺ) في المراحل الأولى من حياة الطفل يجعلنا نكون شخصًا سويا متسقًا مع نفسه ودينه ومجتمعه يتمتع بالصحة النفسية مفيدا لنفسه ولمجتمعه.. فلا يجب أن نترك أطفالنا في مهب الرياح وفي ظلمات الثقافات المستوردة ثم نغضب بعد ذلك لأنهم انحرفوا أو تمردوا علينا. إن أطفالنا نعمة من الله وأمانة في أيدينا نحن الذين نشكلهم، فعلينا إن نحفظ تلك الأمانة.



نفسية البنات

إيمان القدوسي

إذا أردنا أن نفهم نفسية بنات اليوم بشكل سطحي ستبدو أمامنا لغزًا معقدًا، فهي ترتدي الحجاب والنقاب ولكنها تحب الخروج تحت أي مسمى، نزهة أو تسوق أو زيارة، ولا تفضل القرار في البيت، وهي تتعلم وتتفوق في الدراسة ولكنها لا تحقق التفوق نفسه في مجال العمل، تجري وراء الزواج وتحلم به، فإذا تزوجت بدأت تشكو من أعباء الزواج ومسؤولياته، تتمنى أن تكون أجمل الجميلات وتعلن أن الجمال لا يهم فالمهم جمال الروح والأخلاق، ترفض ترتيب حجرة شقيقها لأنها مساوية له وعليه أن يخدم نفسه، ثم تطلب أن ينزل لشراء طلباتها لأنه رجل وعيب يترك أخته البنت تخرج وحدها.

عندما تتم خطبتها لشاب تفعل المستحيل في سبيل فرض سيطرتها عليه، فإذا استجاب لها اتهمته بأنه سلبي وعديم الشخصية وأنها كانت تحلم برجل قوي يحكمها وتهابه، وإذا فرض هو سطوته عليها اتهمته أنه ديكتاتور وأناني ويريد إلغاء شخصيتها، وأنها كانت تتمنى من يحترمها ويعاملها بشكل متحضر، وأخيرًا هي خبيرة في فنون التكنولوجيا (موبايل- إنترنت- فيس بوك) ومتجنبة لفنون المطبخ لا تدخله إلا مضطرة، في المسجد تراها خاشعة متبتلة ومع الصديقات لاهية مرحة.

بنات اليوم هن خلاصة تطورات جرت على المرأة عبر قرن من الزمان، حياة الجدات انحصرت داخل جدران البيت الذي كان بمنزلة قلعة حصينة مجهزة بكل شيء وهو خلية عمل دائبة ومنتجة، تقوم النساء فيه بدور اقتصادي محترم، تربي الطيور وتحيك الملابس وتغزل

بنات اليوم هن خلاصة تطورات جرت على المرأة عبر قرن من الزمان

وتطرز وتخبز وتطهو وتصنع من الفسيخ «شربات»، تتنافس النساء في المهارات وتجعل بيتها واحة معطرة برائحة نباتات الفل والياسمين وعامرة بخيرات الله وكلها من صنع يديها، تتعلم داخل المنزل وتسمع عن تطورات الحياة في القاهرة كما نسمع نحن عن الصين مثلا، وتتعجب حين تسمع من أم حسين «الدلالة» أن هناك عربات تمشي بالكهرباء اسمها «الترام».

خرجت الفتاة في الجيل التالي للتعليم على استحياء مع الحفاظ على «اليشمك الأبيض» (نقاب للوجه) والعباءة السوداء، وضرب الناس كفًا بكف على أخلاق البنات التي انحدرت مع معجزات آخر الزمان، وأغربها أن الحديد نطق (الراديو) ودخل البيوت تسمع به البنات أغاني الحب.

في هوجة الستينيات خلعت البنات كل شيء واكتفت بفستان قصير جدًا، وحطمت كل القيود والممنوعات وملأت الشاشات تمثيلا ورقصا، وصارت الموضة تظهر في مصر في نفس يوم ظهورها في أميركا، وأقبلت الفتيات على العمل بفرحة قلبت بغم بعد ذلك لأن دورها بعد الزواج صار مزدوجًا منهكًا وبلا عائد مناسب، وشهدت تلك الفترة مآسي في تربية «أطفال المفاتيح» وهو الطفل الذي يسحب المفاتيح من تحت الدواسة ويدخل شقة باردة كئيبة لا تعطرها أنفاس أمه وحنانها.

عادت البنات مع منتصف السبعينيات في محاولة جادة للجذور، عادت للحجاب والستر وطاعة الزوج والقرار في البيت وتربية الأبناء ولكن لم يستطعن استعادة العصر الذهبي للجدات، فمن خرجت وتعلمت وتأثرت بمجريات العصر صارت امرأة مختلفة، كما أنها لم تتح لها الفرصة لاكتساب مهارات ربة البيت الحقيقية، البيت نفسه صار مجرد شقة صغيرة تعيش فيها وحيدة معظم الوقت لانشغال زوجها بالعمل، لا تجد أمامها إلا التليفزيون الذي يلقي في ثنايا وعيها أفكارًا ويدخر بذور الخطر ليلقيها بعيدًا عن الانتباه في اللاوعي.

بنات اليوم هن خلاصة كل ذلك، توليفة أو تشكيلة من كل ما سبق، تراكمت خبرات الأجيال لديهن طبقة فوق أخرى، ولذلك يظهر التناقض والتضارب في السلوك، لن نقول سنعيش مثل جداتنا فذلك مستحيل، ولكن علينا الاختيار الواعي فنلتزم بآداب المرأة المسلمة ونبتكر تطبيقًا فعالاً يجمع بين الأصالة والمعاصرة، أهم ما يميزه الشفافية والوضوح، ولئن بدأنا الطريق بخطوة واحدة قصيرة فإنها أفضل من لا شيء.

نريد فتاة ملتزمة بحجابها وآدابه ولا وقت لديها تضيعه فيما لا يفيد، نريد فتاة مشاركة بجهدها في نهضة مجتمعها من دون اختلاط يسقط الحواجز والحدود، نريد فتاة قادرة على الاختيار، نريد فتاة إذا قالت فعلت وإذا عزمت استعدت، والأهم من كل ذلك تعرف قيمة نفسها وأنها رقم مهم يغير المعادلة الحضارية بالسلب أو الإيجاب.

● كاتبة في مجال الأسرة

كيف تعود ثقة الأمة في الوقف؟ (٤-٤)

القاهرة - دار الإعلام العربية

تناولنا في الحلقات الثلاث الأول من «الوقف» تعريفاته، وآراء الفقهاء فيه، ودلائل مشروعيته وأحكامه ومقاصده، وأمثلة لأبرز الوقفيات، وكذا دوره في خدمة المجتمع عبر العديد من الروافد التنموية، وها نحن نختتم السلسلة بالتطرق إلى دور المرأة في الوقف، وكيف تتحقق منه المصلحة؟ وكيف يمكن أن يعود دوره التنموي؟.. إلى غير ذلك من التفاصيل التي نتعرف إليها عبر السطور التالية.

عن دور المرأة في الوقف الإسلامي يقول الباحث الأردني في شؤون الوقف «عودة الشرعة»: يلاحظ أن وقف المرأة في صدر الإسلام كان محدودًا، لا يتعدى السكن أو مجموعة من الحلي، لكنه تطور كثيرًا فيما بعد، في مؤشر واضح على تنامي مكانتها في المجتمعات الإسلامية.. فنستطيع أن نلمس في الدولة العباسية وقف المرأة بشكل أكثر من ذي قبل، حيث قامت الدولة في سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م بتزويدنا بمعطيات عن الواقفات، فإما أن يكنّ أمهات خلفاء أو زوجاتهم، أو من الجواري وهؤلاء كثر، أو من العامة، وبالتتبع للتطور التاريخي لوقف المرأة يمكن أن نذكر أبرز الواقفات ومنهن: «هيلانة» جارية الخليفة المنصور العباسي التي أنشأت حوضًا في الجانب الشرقي من بغداد وأوقفت عليه.. وكذا أم الخليفة الأمين المسماة «زبيدة»، والتي توصف بأنها صاحبة معروف كثير وفعل خير، فقد بنت البرك والآبار والصهاريج بمكة، وحفرت العين المعروفة بعين المشاش برأس الحجاز، وأجرتها من مسافة اثني عشر ميلًا إلى مكة وعرفة في قناة محكمة بلغت كلفتها مليون وسبعمائة ألف مثقال ذهب. كما أنها أقامت خزانات المياه على الطريق بين مكة والمدينة، كما بنت صهاريج مياه ومحطات ما بين بغداد ومكة.

وأشار الباحث أيضًا إلى أم الخليفة المقتدر، التي افتتحت المشفى الذي أوقفته عام ٣٠٦هـ/ ٩١٨م، في منطقة سوق يحيى على نهر دجلة في بغداد، وعين فيه أطباء يشرف عليهم سنان بن ثابت، وبلغت نفقات هذا المشفى في الشهر ٦٠٠ دينار، وهذا ما دفع الخليفة نفسه (المقتدر) إلى بناء مشفى يحمل اسمه في منطقة باب الشام.

المتغيرات العالمية فرضت على الأمة واجبات كثيرة لا سبيل لتنفيذها إلا بالوقف

ومن الواقفات أيضًا جارية الخليفة العباسي المقتدي، والتي تدعى «شمس النهار» التي بنت رباطًا في مكة وأسمته «رباط الفقاعية»، وأوقفته على الأرامل ليقوم باستقبالهم والعناية بهم وتقديم المسكن والمأكل والملبس والرعاية.

أما أشهر الواقفات والتي ذكر اسمها في أغلب المصادر، فهي الجارية «بنفشا»، جارية الخليفة العباسي المستضيء، والتي كانت ذات حظوة عند الخليفة وتتمتع بنفوذ قوي، فقد أمرت عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م بنصب جسر من الحديد وكتب اسمها على حديدة من سلسلة وجعل تحت الرقة، ونقلت الجسر العتيق إلى نهر عيسى فوجد الناس راحة عظيمة بوجود الجسرين.

ومن الواقفات الشهيرات أيضًا . كما يقول الباحث . جميلة بنت ناصر الدولة الحسن بن عبدالله الحمداني، والتي يصفها بأنها كانت من أجمل الناس عقلا وجمالا، ولعبت دورًا مهمًا في حياة أبيها وأخيها أبي تغلب، ويذكر أنها أوقفت على جامع النبي يونس في الموصل أوقافًا جليلة.

تسخير المال

بينما تطرق الشيخ عبدالقادر الخطيب الحسني السوري إلى المال ووظيفته في الإسلام، لافتًا إلى قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾، مؤكدًا أن هذه الآية صريحة في أن المال في حقيقته ملك لله تعالى كشأن جميع ما في هذا الوجود وأن الإنسان مُسْتَخْلَفٌ فيه، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ وهذه الآية تدل على شمول النفقة في الإسلام للأنواع المختلفة الواجبة كالزكاة ونفقة العيال، وغير الواجبة كصدقة التطوع ووجوه الخير المختلفة ومنها الوقف، وقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وتدل على أن الإنفاق في وجوه الخير قربة إلى الله لا تنال إلا بطيب المال، وقوله في سورة آل عمران أيضًا: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى

الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾، وفي هذه الآية دليل على وجوب التكافل بين المؤمنين في المجتمع وأن يمد بعضهم يد العون لبعض، ويستخلص من هذا كله أن المال له وظيفة مقصودة في الإسلام، وأن الإنفاق لتحقيق أي مقصد من المقاصد التي حضَّ عليها الإسلام قربة من أعظم القرب التي تنال بها مرضاة الله سبحانه وتعالى، سواء أكانت هذه النفقة تمليكًا منجّزًا، أم وقفًا تصرف منافعه وفوائده على جهة من جهات الخير، وقد تحقق الرعيل الأول في الإسلام بهذه المعاني كلها، بدءًا من الصدّيق أبي بكر رضي الله عنه، فكانت أموالهم مسخرة لخدمة عقيدتهم والتكافل مع إخوانهم في الدين.

كما أشار إلى الحكمة من الوقف بقوله: ذكر الإمام الدهلوي في كتابه «حجة الله البالغة» أن الوقف شرع لمصالح لا توجد في سائر الصدقات والتبرعات، فإن الإنسان ربما يصرف في سبيل الله مالا كثيرًا ثم يفنى بالإنفاق، فيحتاج المصرف الذي خصص بالنفقة تارة أخرى ويجيء أقوام آخرون لم ينلهم شيء من المال، فلا أنفع ولا أحسن من الوقف الذي يبقى أصله ويصرف ريعه ومنافعه على المستحقين.

وأشار أيضا إلى أركان الوقف موضحًا أنها أربعة: واقف، وموقوف، وموقوف عليه، وصيغة.. وتطرق أيضًا إلى ولاية الوقف، موضحًا أنه إذا اشترط الواقف النظر لنفسه أو لغيره اتبع شرطه، وإلا كان النظر للقاضي لولايته العامة، ولا يملك القاضي التصرف مع وجود الناظر؛ لأن الولاية الخاصة أقوى من الولاية العامة، كما جاء في حاشية ابن عابدين وأصلها.



أركان الوقف أربعة: واقف وموقوف وموقوف عليه وصيغة

أنواع الوقف

ونوه الشيخ عبدالقادر الحسني إلى أنواع الوقف، مبينًا أنها تتعدد بتعدد الاعتبارات المختلفة لأركانه:

١- فمن جهة صحة الوقف وعدمها ينقسم إلى صحيح، وهو ما كان يملكه الواقف ملكًا صحيحًا، وغير صحيح وهو بعكسه.

٢- ومن جهة المستفيد من الوقف ينقسم إلى وقف على معين، وعلى غير معين، فالمعين كوقفه على أولاده أو على أشخاص بأعيانهم كفقراء محصورين.

٣- ومن جهة كون الموقوف منقولا أو غير منقول ينقسم إلى وقف المنقول وغير المنقول.

٤- ومن جهة أصله ينقسم إلى وقف أصله من مال الواقف، وإلى وقف أصله من بيت المال، وهو ما وقفه السلاطين والأمراء، وللعلماء بحث في صحته وشروطه.

٥- ومن جهة الإنتاج وعدمه ينقسم الوقف إلى ما له غلّة وإنتاج، وهو ما يسمّى الريع كالأراضي والدكاكين، وما ليس له غلّة بل هو مصرف للنوع الآخر كالمساجد والمدارس.

٦- وقد شاع لدى المتأخرين تقسيم الوقف إلى خيري وإلى ذَرّي ويسمونه الأهلي أيضًا، ويقصدون بالأول الوقف على المساجد والمستشفيات ونحوها.. ويقصدون بالثاني الوقف على ذرية الواقف وأولادهم ثم أولادهم حتى ينقرضوا. وقد أنكر عدد من العلماء هذا التقسيم ومنهم العلامة الكوثري.

٧- ومن جهة الإشراف عليه ينقسم الوقف إلى أوقاف مضبوطة تديرها مديريات الأوقاف وإلى أوقاف غير مضبوطة تحت إدارة لجان خاصة.

هل يباع؟

الظاهر من المسألة مخالفة حقيقة الوقف؛ لأنه لا يُباع ولا يُوهب؛ لذلك لم يتردد كثير من الفقهاء بإطلاق عدم جواز بيع الموقوف مطلقًا، حتى ذهب الشافعية إلى أنه لا يباع موقوف وإن خرب، كما في حاشية الشرقاوي، وإلى ذلك ذهب المالكية أيضًا، إلا أنهم استثنوا نحو توسيع مسجد، فإنه يجوز بيع العقار الموقوف بجواره لتوسيعه، كما في حاشية الدسوقي، وذهب فقهاء الحنابلة إلى جواز بيع الوقف الخرب وصرف ثمنه في مثله أو بعض مثله، بشرط ألا يوجد ما يعمر به كما في «غاية المنتهى» لمرعي الحنبلي، والاستبدال في حقيقته نوع من البيع، لكن يباع فيه العقار الموقوف بعقار آخر يصير وقفًا، وقد منعه الجمهور بالكلية، وأجازه الحنفية بشروط كما في حاشية

ابن عابدين وأصلها أن يخرج العقار عن الانتفاع بالكلية، وألا يكون هناك ريع للوقف يعمر به، وألا يكون البيع بغبن فاحش، وأن يكون القائم بالاستبدال قاضيًا يجمع بين العلم والعمل لئلا يحصل التطرق بذلك إلى إبطال أوقاف المسلمين.. وكذا أن يكون الاستبدال بعقار آخر لا بدراهم أو دنانير، وهو ما رجحه ابن عابدين خلافًا لغيره، أما استبدال العامر بغيره فيجوز عند الحنفية إذا كان بأحسن منه غلَّة ومكانًا، وكان الناظر على ذلك القاضي، ومع ذلك يرجح «ابن عابدين» المنع سدًا للذريعة.

ويشير أخيرا إلى أن الأمم المحاربة للإسلام والمسلمين كانت حريصة على إضعاف الأوقاف الإسلامية، لما تعلم من أهمية الوقف في حياة المسلمين، وقد ذكر العلامة الكوثري: أن بعض سفراء فرنسا لدى الدولة العثمانية ألف كتابًا في تاريخ الإصلاحات العثمانية يحتوي على وثائق لا يمكن للجمهور الاطلاع عليها، وكان مما جاء فيه الاقتراح على الدولة العلية إلغاء وجعل الأعيان والأراضي الموقوفة في عداد أملاك الأمة.

حتى يعود الوقف

يشتكي المسلمون المعاصرون من عزوف الناس عن إنشاء أوقاف جديدة لها ريع دائم، وهذا العزوف ناشئ عن عدم الثقة بالقوانين من جهة، وبالتطبيق والتنفيذ من جهة أخرى، ولن يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فيجب العمل على تحقيق أمرين، أولهما: إيجاد قانون عام للوقف في الإسلام بجميع أشكاله مشتق من أصح الأقوال في الشريعة الإسلامية، مع مراعاة المصالح المعاصرة بما لا يخالف النصوص وبما يكفل تحقيق شروط الواقفين وعدم التعدي عليها، ما يدفع الناس لإنشاء الأوقاف بشتى صورها.

ثانيهما: الإشراف على تطبيق هذا النظام من قبل مرجعية إسلامية عليا تضم عددًا من كبار العلماء الموثوقين عن طريق الانتخاب، وذلك انطلاقًا من أسس أهمها أن ولاية الأوقاف ولاية شرعية دينية مستقلة، وهي أوقاف للمسلمين حصرًا وليست مرفقًا عامًا من مرافق المجتمع، وأن الاعتداء على وقف من الأوقاف بمنزلة الاعتداء على مسجد من المساجد، والأصل في كل وقف الاستقلال بموارده ومصارفه، مع ضرورة حصر جميع الأوقاف الباقية من جميع الأنواع وندب الراغبين في التبرع والإنفاق لإيجاد موارد دائمة لها عن طريق الاكتتاب بدلا من حيل الاستبدال وإنشاء حقوق القرار عليها.. وكذا الاستفادة من جميع التجارب والدراسات التي ترمي إلى النهوض بالوقف حاليًا، ومن أبرزها مشروع نهضة



الوقف ليس مقصورًا على الفقراء والمساكين كما يظن البعض لكنه أوسع وأشمل

الأوقاف الإسلامية بدولة الكويت والدراسات العديدة عن الوقف وسبل دعمه، وتعيين أصحاب الكفاءة، وأخيرا استصدار مراسيم تشريعية لاستخلاص الأوقاف المسلوبة.

لماذا الوقف؟

أخيرًا، يدعو الشيخ عمر المقبل، الأستاذ بكلية الشريعة بجامعة القصيم، إلى أهمية رفع مستوى الوعي بأمرين؛ الأول: تكثيف الوعي بالوقف وأهميته في حياة الأمة، والثاني: رفع مستوى الوعي في تنوع مجالات الوقف، مؤكدًا أن أكثر الناس لا يكاد يوقف إلا على منفذ أو منفذين كبناء المساجد وحفر الآبار ونحو ذلك.. بينما المتغيرات العالمية فرضتْ على الأمة أن تقوم بواجبات كثيرة تجاه أبنائها، لا سبيل لتنفيذها إلا من خلال الوقف، لاسيما أن الوقف شرع لمصالح لا توجد في سائر الصدقات، فإن الإنسان ربما صرف مالا كثيرًا، ثم يفنى هذا المال، ثم يحتاج الفقراء مرة أخرى أو يأتي فقراء آخرون فيبقون محرومين، فلا أحسن ولا أنفع للعامة من أن يكون شيء وقفًا للفقراء وابن السبيل يصرف عليهم من منافعه ويبقى أصله، أيضا من المهم أن نعي أن الوقف ليس محصورًا ولا مقصورًا على الفقراء والمساكين كما يظن البعض، لكنه أوسع من ذلك وأشمل، فقد كان للوقف أثر عظيم في نشر الدين وحمل رسالة الإسلام ونشاط المدارس والحركة العلمية في أقطار المسلمين وأقاليمهم في حركة منقطعة النظير غير متأثرة بالأحداث السياسية والتقلبات الاجتماعية، توفر للمسلمين نتاجًا علميًا ضخمًا وتراثًا إسلاميًا خالدًا وفحولا من العلماء برزوا في تاريخ الإسلام بل في تاريخ العالم كله.

الشيخ هشام الحمصي.. خطيب الأدباء وأديب الخطباء

د. محمد حسان الطيان

لا أعرف فيمن عرفت خطيبًا يتوفر على خطبته كما يتوفر عليها الشيخ هشام. ولا أعرف فيمن عرفت راوية للشعر والحكمة والأدب والطرفة يحفظ منها كما يحفظ الشيخ هشام، ويروي منها كما يروي الشيخ هشام. ولا أعرف فيمن عرفت عالما يتفرّد بالرأي ويقدح في زناد الفكر، ولا يهاب من جهره فيما تفرد أو اجتهد كما يتفرّد الشيخ هشام وكما يجتهد الشيخ هشام. فملاك أمر الشيخ إذن أمور ثلاثة تميزه فيما أحسب عن كثير ممن عاصره، وهي: خطابة محكمة.. ورواية مرسلة.. وفكر حر أصيل.



أما الخطابة المحكمة فقد شهد لها القاصي والداني، وتوافدت لسماعها والإفادة منها الجموع الغفيرة من كل حدَب وصوب، وحيثما حل الشيخ أو ارتحل، بدءًا بمسجد الفردوس، ومرورا بالبدر وسعد بن معاذ، وانتهاءً بالشاء. وما أظن مسجدا من مساجد الشام يكتظّ فيه المصلون، أو يزدحم رواده في صلاة كما يكتظون ويزدحمون في هذه المساجد التي حل بها الشيخ هشام خطيبا، حتى إن دوريات المرور لتحفّ بالمسجد من كل جانب تنظم وقوف السيارات، وتتابع الأرتال التي تتكدس في الشوارع المحيطة بالمسجد أو القريبة منه، بل إن بعض الجوار ليتأذى من كثرة الوافدين على تلك المنطقة إبان كل صلاة جمعة.

ولا تحسبن هذه الجموع- على كثرتها واختلافها وتنوع مشاربها ومواردها- من طَغام الناس وغوغائهم، بل هم النخبة علما وثقافة وفهما وحذقا، فيهم الطبيب والمهندس، والقاضي والمحامي، والوزير والسفير، والأستاذ الجامعي والمدرس المتميز، والضابط والطيار، وما لا أحصي من كرام الناس وعلية القوم، يجمعهم جميعا همٌ واحد هو الفوز بسماع خطبة بأوجز عبارة، وأحلى بيان، وأحسن استدلال، وأحكم تسلسل، وأجمع موضوع.

وكان والدي رحمه الله وأحسن إليه- وهو الأزهري الذي لم ينقطع عن طلب العلم وتعليمه- واحدا من المفتونين بخطبة الشيخ هشام، لاحقه في مساجده الأربعة، برغم كبر سنه وتعسر وجود المكان المريح لمثله، فقد كان يشق طريقه إلى مسجده مبكرا، متوسلا للوصول إليه كل وسيلة ممكنة، لا يصرفه عنه بعد، ولا يقعد دون غايته مرض أو عجز، حتى إنا كنا مرة بصحبته في نزهة بعين الفيجة- وهو منتزه جميل يبعد عن دمشق نحوا من عشرين كيلا- فلما لاحت تباشير الصلاة- أعني صلاة جمعة- هم بالقيام طالبا أن نيمم شطر الشيخ هشام، وأين منا الشيخ هشام، إنه على بعد ساعة من الزمان، وأقسم لولا إلحاحنا لمضى، فخطبة الشيخ عنده أحلى من أحلى سيران، وأجمل من أجمل بستان!

ولا غرو فالشيخ يحترم هذه العقول التي تفد إليه، ويقدرها حق القدر، باذلا وسعه ومستفرغا جهده في سبيل إفادتها بكل مفيد، وإطرافها بكل ماتع وجديد. ما أعلم أني حضرت له خطبة من خطبه، إلا خرجت بعلم غزير، وشعر وفير، وبيان عال، وفصاحة معجبة، وبلاغة مطربة.

وهو يحتشد لخطبته، يعدُّ لها ويحضّرها، ويزوّر الكلام في جنانه قبل أن يتفوه به بلسانه، بل إنه ليبدأ هذا الإعداد والتحضير من لدن فراغه من خطبة سابقة، لا يني ولا يفتر، يجيل الفكر فيما سيقوله في الخطبة اللاحقة، ويتبع الفكر القلم ليضع لخطبته مخططا يُحكم فيه محاورها، ويبرز أركانها، ويعدد فروعها، ويربط كل فرع بأدلته وشواهده وأمثلته، من الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، والشعر الرائق، والمثل السائر، والحكمة البينة.. حتى إذا ارتقى ذرا المنبر هزّه هزًا بكلام بليغ، وإلقاء محكم، وإعراب لأواخر الكلم، لا يكاد يغفل واحدة منها، حتى تلك التي يقف عليها، إمعانا في البيان، وإبلاغا للكلام، وإحكاما للقول.

وله في الإلقاء عناية بالغة، تشد كل من يستمع إليه، وتأخذ بمجامع لبه، وتملك عليه قلبه وعقله، فهو يشتد في مواطن الشدة، ويلين في مواطن اللين، ويذكرني بعبارة كنت كتبتها في الخطابة جاء فيها: «إن الخطيب الحق هو الذي يأسر سامعه بسلامة لغته.. وعلو بيانه.. وجمال أدائه.. وتناغم صوته مع مضمون كلامه.. يعلو فيه ويجهر في مواضع الإنذار والوعيد حتى كأنه هدير الفحل..أو هزير الريح.. أو هزيم الرعد، ويلين في مواضع اللين والتبشير حتى يمتزج بأجزاء النفس لطافةً.. وبالهواء رقّةً.. وبالماء عذوبةً.. وبالطيب أريجًا.. وبالنغم إيقاعًا وجرسًا»، وكذا هو الشيخ هشام.

فإذا تكلم خِلْتَهُ متكلّمًا

بجميع عِدّةِ أَلْسُنِ الخطباءِ

فكأن آدم كان علّمه الذي
قد كان عَلّمَهُ منَ الأسماء

أذكر أنه تناول في إحدى خطبه موضوع «القضاء والقدر»، فأشفقت عليه وربي من تشعب هذا الموضوع ووعورة مسلكه، ثم راعني فيه أنه بينه وأحكمه وأوجزه في ثلث الساعة التي يلتزم بها في خطبه لا يكاد يزيد عليها إلا دقيقة أو اثنتين، فلما فرغ وجلسنا مجلسنا الذي يخصنا الشيخ به، أثنيت على الخطبة معجبا بحسن إحكامها، وروعة إيجازها، قائلا له: إنه إيجاز قارب حدّ الإعجاز، فأكد لي- حرس الله مهجته- أنه توفّر عليها أسبوعا كاملا، وكتب فيها ثلاث خطط، لتأتي بهذه الحلة القشيبة.

سحبان يقصر عن بحور بيانه
عجزًا ويغرق منه تحت عباب
وكذاك قس ناطق بعكاظه
يعيا لديه بحجة وجواب

ومن بديع أمر الشيخ أنه- على كثرة محفوظه من الشعر ووفرة ما تحصل لديه منه- لا يكتفي بما لديه، بل يتعهده ويزيد دائما عليه، قرأت في مجلة «الفيصل» مرة أبياتا رقيقة تعبر عن غيرة المرأة من الكتاب، لأنه يزاحمها على الاستئثار بزوجها، مطلعها:

تغار من الكتاب إذا رآتني
أقلبه وأترك وجنتيها

فلما كانت الجمعة سمعتها من شيخنا على منبر الفردوس، وهي الخارجة لتوها من فرن قائلها، إلا أنه أدخل عليها تعديلا لتليق بالمنبر فقال:

تغار من الكتاب إذا رآتني
أطالعه ولا أرنو إليها

فعجبت لفطنة الشيخ وقوة حافظته وحضورها، أمتعه الله بها وزاده من فضله.

وصعد المنبر يوما في يوم مثلج، والشام ترفل بحلة بيضاء من غيث السماء، فاستهل خطبته بقصيدة القواس:

طوفانُ ثلج طَغَى، جلّ الـذي خَلَقَا
ونَحن في فُلْكِ نوحٍ، نأمنُ الغَرَقَـا
أين السماءُ؟ وأين الأرض إنهما
رَتْقٌ، كما كانتا من قبل أن فُتِقَا
هل الكواكبُ والأفلاكُ عـائدةٌ؟!
وهل نرى قَمَرَيْها بعد أن مُحقا؟
لا فوقَ لا تحتَ لا أرجاءَ، قد مُزجَتْ
مرأى جميلٌ، ولكن يبهرُ الحَدَقَا
الثلجُ ثوبٌ أنيقٌ، لا يُقاسُ بـه
ثوبُ العذارى، وإن غالتْ به أنَقَا
قد جلّلَ الأرضَ، دانيها وقاصيَها
كأنما اللهُ ألقى فوقَها طَبَقَا
لما مشيتُ عليه خـفْتُ أُفسدُه
إن الجمالَ حبيبٌ حيثما خُلقَا

والشيخ حفظه الله ورعاه يجمع إلى الموهبة المعرفة، وإلى الرواية الدراية، فهو عارف بشروط الخطبة الناجحة، خبير بكل ما يحتاج إليه الخطيب، وقد حضرت له في الكويت محاضرة ألقاها على الأئمة والخطباء بدعوة كريمة من وزارة الأوقاف، بسط فيها الكلام على كل ما ينبغي للخطيب، وما لا ينبغي، منوّها بأهمية التحضير والإعداد للخطبة فضلا عما يشترط في الخطيب من شروط، ويقيني أنه من خير من حقق تلك الشروط التي نقلها الجاحظ في كتابه الماتع البيان والتبيّن عن أبي دواد حيث قال:

«رأس الخَطابة الطبْع، وعَمُودُها الدُّربة، وجناحاها رواية الكلام، وحَلْيُها الإعراب، وبهاؤُها تَخيُّر الألفاظ، والمحبّة مقرونةٌ بقلّة الاستكراه»(١).

فالخطابة طبع لديه نشأ عليها مذ كان في مقتبل العمر وريّق الشباب، وقد تمرّس بفنونها، ونهد لها في كل محفل ومنبر، وعنده زاد وفير من رواية الشعر والحكمة والمثل والطرفة، والإعراب فنه وهمه وسدمه، وقد درّس النحو وحاضر به في كبريات معاهد اللغة والشريعة، وله فيه تعليلات طريفة، وتخير الألفاظ صنعته وحذقه، وقد جبلت القلوب على محبته، ولعمر الله إن من كانت هذه صفاته لتهفو إليه النفوس، وتشتاقه الأرواح، وتشنف بسماعه الآذان، وتسعى إليه المنابر ولسان حالها يردد:

شرح المنبر صدرا
لتلقّيك رحيبا
أترى ضَمّ خطيبا
منك أم ضمخ طيبا؟(٢)

ومما يزيد خطبته بهاء وكمالا، حسن تخيره لما يقرأه من الآيات في صلاة الجمعة بعدها، إذ هي تناسب الموضوع الذي طرقه، وروعة أدائه لما يتلوه من هذه الآيات فيها، إذ هو يحبرها تحبيرا، ويصور ما فيها من معان تصويرا.

وأما الرواية المرسلة فأمر عرف الشيخ به أنى حل أو ارتحل، فهو نزهة المجالس، وسميرها، ومحدثها، وواسطة عقدها، يتسابق عارفوه ومحبوه إلى دعوته، ليحظوا بحديثه الشائق، وحكايته الأخبار وإنشاده الأشعار.

والحق أنه محدث لبق يطوي صدره على مخزون من الشعر ليس له قرار، فضلا عن الفقه والتفسير والنحو والصرف والبلاغة، وهو يدرك قيمة ما عنده، فينثره على محدثيه بنغمة شجية ندية، تسترعي الانتباه، وتلفت الأنظار، وتشد الأسماع، وتشحذ الأذهان، يلين في موضع النجوى واللين حتى لتحسبه الهامس بالحب والحنين، ويشتد في موضع الشدة حتى لتخاله الأسد الهصور، يصور

كل حرف ينطق به، ويمثل كل تعبير يعبر عنه، فتعيش معه صورة الحدث، وروعة الموقف، وجمال الوصف، ورقيق المشاعر، وعذوبة الغزل، ورقة النسيب. وإذا كان البحتري قد ارتاب في تماثيل إيوان كسرى وصوره حتى قال:

يَغتَلي فيهِمُ ارتِيابيَ حَتّى
تَتَقَرّاهُمُ يَدايَ بِلَمس

فإنك حين تستمع إلى الشيخ هشام وهو ينشد الشعر تخال أشخاصه أمامك، تكلمهم ويكلمونك، وتجالسهم ويجالسونك.

لقد تعلمت من الشيخ هشام ألا ألقي الكلام الفصيح- شعرا كان أو نثرا- على عواهنه، بل أنشده إنشادا، أترنم بكل كلمة فيه، وأعطي كل حرف حقه وكل تعبير مستحقه، وهي سنة سنها لنا حسان بن ثابت رضي الله عنه شاعر الرسول ﷺ حيث يقول:

تغنَّ بالشعر إمّا كنت قائله
إن الغناء لهذا الشعر مضمارُ

وهو يخصني مع بعض الصحب بجلسات ودعوات ونزهات فيها رواحنا ومراحنا، وسرورنا وحبورنا، وسعادتنا وهناؤنا، عمودها وذروة سنامها حديثه الذي يتدفق كالسيل الأتيّ أو البحر الذي لا تنقضي عجائبه، فلكل موضوع عنده محفوظاته الحاضرة وشواهده البادية، عظة كان أم خبرا، غزلا كان أم وصفا، مدحا كان أم ذما، شعرا كان أو نثرا.

صحبته يوما في رحلة إلى لبنان، تلبية لدعوة كريمة دعانا إليها الأخ الحبيب الشيخ رمزي دمشقية- رحمه الله وطيب ثراه، وحضرها جمع من الإخوة أذكر منهم الشيخ ناصر العجمي والأستاذ أحمد شميس والأستاذ إبراهيم الزيبق والأستاذ بسام الجابي، فمازال ينشدنا الأشعار ويروي أطايب الكلام حتى انقضى النهار ولم ينفد جزء مما في جعبته.

على أنه يجمع إلى قوة حافظته وسعة روايته دراية بالنظم، وشاعرية مسعفة كثيرا ما صحح فيها خللا تبين له في قصيدة يرويها، أو تمم نقصا تبدّى له في مقطوعة يحفظها، بل إن له قصائد مفردة في الحب والطبيعة والإخوانيات والطفولة بثها فيما نشر من كتب، وتداولها إخوانه وأصحابه فيما بينهم.

وأما علم الشيخ وفقهه فقد أخذه عن أربابه، ثم زكا عنده ونما، إذ تربى في كنف والده الشيخ عبد الرزاق الحمصي مفتي سورية الفقيه والخطيب المفوه، ونشأ في رحاب الثانوية الشرعية ليأخذ عن جلة شيوخها من أمثال شيخنا العلامة محمد صالح الفرفور، والشيخ لطفي الفيومي، وتخرج في كلية الشريعة التي كانت تضم أساطين العلم والمعرفة بالفقه والقرآن والحديث والعربية، أمثال الأستاذ محمد المبارك والأستاذ الدكتور فوزي فيض الله، والأستاذ الدكتور فتحي الدريني... وغيرهم. ثم حصل على دبلوم التربية، وكان من خير المؤهلين لمتابعة الدراسات العليا، ونيل درجة الدكتوراه، ولكن الله قدر أن يكون أعلى من ذلك وأنبل، ولعمري إن كثيرا من حملة الدكتوراه ليتمنون مكانه ومنزلته ويفيدون من علمه وفضله ولسان حالهم يقول: كل الصيد في جوف الفرا.

وكان يرفده في طلب العلم حب للكتاب وشغف بالمطالعة وإدامة نظر في قضايا العلم ومسائله، حتى استوى عالما يناقش كبار العلماء ويتخير من آرائهم ما يقنع به عقله ويستقيم مع جادة فكره، ولهذا قد يجتهد فيخالف فيما يراه آراء معاصريه حول بعض المسائل الفقهية وتفسير بعض الآيات القرآنية، وهو اجتهاد مؤيد عنده بالدليل والبرهان العقلي والنقلي، ومبني على أساس متين من فهم اللغة وأسرارها لا يتطرق إليه شك.

والشيخ واحد من عشاق العربية، وحاملي رايتها، الذائدين عنها، المنافحين دونها، العاملين ليل نهار في سبيلها وسبيل قرآنها، وقد اشتهر بين الناس حرصه على اللغة والأدب وكثرة عنايته بهما في خطبه، وإلحاحه على تنبيه الناس على أسرار اللغة وجمال الأدب والشعر، حتى عيب ذلك عليه، وهو لعمري ليس بعيب، بل مفخرة من مفاخره.

وقد أخرج الشيخ هشام عصارة علمه وفقهه، وروائع حفظه واختياراته في كتب صغيرة الحجم، عظيمة القدر، كبيرة الفائدة والنفع، أقبل عليها الناس يقرأونها ويفيدون منها، وكنت واحدا منهم، بل إني لم أستغن عنها في مغتربي فهي دائما معي أنهل منها وأعل، وينهل معي أولادي، وكل من يبلغه خبرها من أصحابي، أذكر منها: عيون الأشعار وروائع الأفكار، وقطوف الآداب وثمرات الألباب، والجديد في فقه لغة القرآن المجيد، ونظرات في كتاب الله تعالى، وخير الأدب عند العرب، ودراسات منهجية في التفسير والحديث والفقه واللغة، وجواهر الفوائد في علوم اللغة والتفسير والقواعد.

وبعد فإني أسأل الله العلي العظيم أن يبارك في حياة الشيخ هشام، ويسعده، ويمتع به، ويقر عينيه بأولاده وطلابه وعلمه ولغته، ويجزيه عنا وعن الأمة خير الجزاء وأوفاه، إنه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

١- البيان والتبيين ٤٤/١.
٢- قالهما أبو عبد الله بن القيسراني الشاعر لهارون بن أحمد بن عبد الواحد (ت ٥٣٧) عندما ولي خطابة حلب. معجم الأدباء لياقوت الحموي ٥٨١/٥.

مسجد حسان في رباط الفتح (المغرب)

مصطفى عبد السلام

يعتبر مسجد حسان الشهير من مآثر الدولة الموحدية برباط الفتح، ويقع على ربوة عالية عن سطح المحيط الأطلسي بثلاثين مترًا عن يمين الطريق الذاهبة من رباط الفتح إلى سلا، على الضفة اليسرى من وادي أبي رقراق في الجهة الشرقية من رباط الفتح، وأول ما يشاهده المسافرون في البواخر العابرة للمحيط الأطلسي إلى الدار البيضاء، أو العكس إلى طنجة، وكذا من أعلى الجو في الطائرات، منارته الشامخة العظيمة تعاند بإيمانها الصامد الراسخ تقلبات التعرية والزمان، فتذهله وتنقله إلى عالم التساؤل التاريخي.. من الآمر ببنائها؟ وفي أي تاريخ؟ ومن هو مهندسها؟ ويبقى الجواب عن هذه الأسئلة مرهونًا بزيارة المسجد وقراءة تاريخه.

يرجع تاريخ بناء مسجد حسان إلى عهد السلطان يعقوب المنصور الموحدي بعد رجوعه من الأندلس إلى المغرب، من معركة «الأرك» التي انتصر فيها على الفونصو الثامن ملك قشتالة في شهر شعبان عام ٥٩١ هـ يوليو ١١٩٥م(١)، فبعد مسجد القصبة القديم الذي بناه عبدالمؤمن بن علي سنة ٥٤٥هـ، أراد أن يكون بناء مسجد حسان من أكبر مساجد العالم الإسلامي، ومنارة الأعضم المضروب به المثل في الضخامة وحسن الصنع، فسخر في بنائه ونقل حجارته ٧٠٠ أسير من أسارى معركة الأرك(٢).

ويرى أحد المؤرخين أنه أضيف إلى مسجد حسان تذكار باسم بنيه، على أن هذه النسبة يحيط بها الغموض، ولكن أرجح الروايات تذكر أن حسان مهندس أندلسي، ووضع تصميم المسجد والمنار، وأشرف على ما شيد فيه، وليس هناك ما يؤكد أن المهندس شارك في تصاميم أخرى بالمغرب، ويوجد ضريح حسان هذا في مقبرة صغيرة قرب المسجد(٣).

وقد اختلف في تحديد مساحته، وعرضه، وطوله، فبعض المؤرخين يرى أن مساحته ٢٦٠٠ متر مربع، وطوله ١٨٠ مترًا، وعرضه ١٤٢ مترًا، وبه ١٢ بابًا(٤)، ومنهم من يرى مساحته ٢٥٠٠ متر مربع، ومنهم من يرى مساحته ٢٥٥٢، وطوله ١٨٣ مترًا، وعرضه ١٣٩,٤٠ مترًا، وتبلغ مساحة قاعة الصلاة وحدها أكثر من ١٩٦٢ مترًا مربعًا، وعدد أعمدته أربعمائة، ومحيط السارية ثمانون سنتيمترا، وعدد أبوابه ستة عشر بابًا، ومحرابه ثلاثة أمتار طولا ومثلها عرضًا(٥).

ما بقي من آثار المسجد من أعمدة وأسوار من أعجب الفن المعماري الأندلسي المغربي

ومنارته(صومعته) شبيهة بمنارة الخرالدا بإشبيلية وجامع الكتبيين، وتم تشييدها في عهد يعقوب المنصور الموحدي عام ٥٩١-٥٩٢هـ، وصومعة حسان مسافتها للمحراب في خط مستقيم، يبلغ كل جانب من المنارة ١٦مترًا، وارتفاعه ٤٤ مترًا، وهي الباقية من المئذنة، وقاعدتها مبنية بالحجر المصقول والمنضد ببالغ العناية والبراعة(٦)، وهي تضم غرفا إلى علو ستة أدوار، وفي داخلها طريق صاعد مائل ميلًا بطيئًا بحساب هندسي جميل(٧)، ويصعد إليها دون درج، وكانت الدواب حينئذ عند الضرورة تصعد بجميع ما تحتاج إليه(٨).

وأمر يعقوب المنصور بجلب الماء إلى مسجد حسان في قنوات من مسافة ٢٠ كلم طولًا، من عين غبولة، ويجهل الطريق التي كانت تمد الجامع بالماء، بصرف النظر عن الآبار الموجودة بالصحن الكبير غير أنه من الثابت بالمسجد وجود آبار داخلية لحفظ المياه وتصريفها(٩)، وتعتبر صومعة حسان الثالثة بعد خرالدا بإشبيلية والكتبية بمراكش وعلوها جعلها أفخم منارة برباط الفتح.

يبلغ عرض السور ١,٥ متر وعلوه ٩ أمتار، وكانت تحاذي سور القبلة عدة أبراج للزينة وحفظ التوازن في آن، وكان المحراب منحرفا بعض الشيء من القبلة، وتختلف زخرفة تيجان الأعمدة، فبعضها يشبه تيجان أعمدة قرطبة، والباقي يشبه تيجان باب الرواح برباط الفتح، وكانت الأبواب في غاية الضخامة يتجاوز علوها ١٠ أمتار(١٠).

* كاتب صحافي



ويمتد الصحن الكبير مسافة ١١٣٩ مترًا، وتحاذيه أروقه تمتد جانب سور الجامع من الشرق والغرب.. ويبلغ مجموع أساكيب بيت الصلاة ١٨ ثلاثة في الجنوب وسبعة في الشمال، ويحتوي على ١٩ بلاطا، والأساكيب الوسطى التي يجاوزها صحنان صغيران، فتشتمل على بلاطة بقطع النظر عن الأروقة الجانبية(١١).

وقد ذكر أحد المورخين أن عدد بلاطات هذا المسجد كانت ٢١، سعة البلاطة الواحدة خمسة أمتار، فكان عرضه عند الصلاة في ذلك الجامع ١٠٥ أمتار أما جوفه أو عمقه فيتكون من ٥ أساكيب موازية لجوار القبلة، وكانت للجامع منجبات يمنى ويسرى وخلفية(١٢).

وقد اختلف المؤرخون في إتمام بناء المسجد فمنهم من يرى أنه لم يتم بناؤه في عهد يعقوب المنصور الذي توفي عام ٥٩٥هـ(١٣)، ولا حتى في عهد ابنه عبدالله محمد الناصر لدين الله يعقوب المنصور الذي اهتم بغزو الأندلس، وما لحقه من انهزام في معركة العقاب في ١٥ صفر عام ٦٠٧هـ والمتوفى في أواخر ذي الحجة عام ٦٠٩هـ(١٤)، ولا حتى في عهد حفيده يوسف المنتصر بالله بن الناصر بن المنصور المتوفى عام ٦١٨ هـ(١٥)، وسجل أنه كان غير تام سنة ٦٢١ هـ ومنهم من يرى أنه تم بناؤه كاملًا(١٦).

والذي بقي دون تسجيل عند المؤرخين للفصل في الاختلاف، وتثبت الحقيقة التاريخية بصفة قطعية عدم تعرضهم لذكر العوامل الطبيعية وغيرها التي أدت إلى انهيار سقفه والجزء العلوي من المنارة وأسوار وأبواب مسجد حسان!

وما تبقى من آثار مسجد حسان من أعمدة وأسوار ومن المنارة العجيبة، من أعجب الفن المعماري الأندلسي المغربي، وإلى عهد قريب كان يسمح بالصعود إلى المنارة للتمتع بالرؤية الشاملة للعدوتين الرباط وسلا، ولظروف أمنية أقفل باب المنارة حفاظًا على سلامة الزائرين من السقوط من أعلاها، والاكتفاء بالتملي في عظمتها من أسفل أرضية المسجد.

وفي عقد المغفور له الحسن الثاني في السبعينيات، شيد بجانبه معلم تاريخي عظيم وهو ضريح المغفور له محمد الخامس، وشملت عناية المغفور له الحسن الثاني مسجد حسان فبلط، والعناية بأسواره، وأحيط بالحدائق وإقامة الصلوات الخمس، وإقامة خطبة الجمعة بمسجد الضريح.

ويشكل ضريح المغفور له محمد الخامس، وبقايا آثار مسجد حسان مفخرة معمارية عظيمة جمعت روعة جمالية الفن المغربي والأندلسي بعدوة رباط الفتح، وسجلها تاريخ المغرب الوسيط والمعاصر بمداد الفخر والاعتزاز.

الهوامش

١- كتاب «الاستقصا» الناصري، الجزء الثاني، ص ١٨٥، طبعة دار الكتاب ١٩٥٤ البيضاء.
٢- نفس المصدر، ص ١٩٥.
٣- كتاب «رباط الفتح» عبدالله السويسي، ص ١١٢، مطبوعات المغرب للترجمة والتأليف ١٩٧٩، الرباط.
٤- كتاب «المغرب» الصديق بن العربي، ص ٥٦-٥٧، الطبعة الثانية، مطبعة الأمنية ١٩٥٦الرباط.
٥- كتاب «المساجد» حسين مؤنس، ص ٢٢٤، سلسلة عالم المعرفة ١٩٨١، الكويت.
٦- كتاب «رباط الفتح» عبدالله السويسي، ص ١٢٥، مطبوعات المغرب.
٧- نفس المصدر، ص: ١٢٦-١٢٧.
٨- كتاب «رباط الفتح» عبدالله السويسي، ص ١٢٥- ١٣٢، مطبوعات المغرب للتأليف، الترجمة ١٩٧٩، الرباط.
٩- «نفس المصدر»، ص ١٢٥ -١٣٢.
١٠- نفس المصدر، ص ١٢٦.
١١- نفس المصدر، ص ١٢٦.
١٢- كتاب «المساجد» حسين مؤنس، ص ٢٢٤، سلسلة عالم المعرفة ١٩٨١، الكويت.
١٣- كتاب «الاستقصا» الناصري، الجزء الثاني، ص ١٩٥، طبعة دار الكتب ١٩٥٤.
١٤- نفس المصدر، ص ٢١٤-٢٢٠- ٢٢٥.
١٥- نفس المصدر، ص ٢٢٦ - ٢٢٧.
١٦- كتاب «رباط الفتح» عبدالله السويسي، ص ٢١٦، طبعة مطبوعات المغرب للتأليف الترجمة ١٩٧٩.



فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

١/٢٢ع/٨٤ الأجرة على الكفالة

كنت مؤجرًا رخصة دكان لشخص ما مقابل ١٢٠ د.ك سنويًا، والسؤال: هل يجوز الاتفاق مع المؤجر على زيادة الأجرة السنوية أعلاه بالتراضي بيننا مقابل أن أعمل إقامات للعمال الذين يعملون بالمحل؟ حتى يكون وجودهم قانونيًا داخل الدكان.

أجابت اللجنة بما يلي: إن إيجار الرخصة وعمل إقامات مقابل زيادة إيجارها هو من قبيل أخذ العوض على الكفالة، ولم يجزه أحد من العلماء فيما نعلم، والله أعلم.

٦/١٩٤/٨٢ العمولة على إيجاد عمل

شخص يود أن يفتح مكتبًا لاستقدام الأيدي العاملة بأجرة يومية مقدارها ثمانية دنانير، بحيث يؤجرهم للغير بمبلغ عشرة دنانير، يعطي العامل منها أجرته ثمانية دنانير ويستفيد صاحب المكتب من الدينارين، فما حكم ذلك؟ أفيدوني جزاكم الله خيرًا.

أجابت اللجنة: أنه إذا استأجر المستفتي شخصًا أو أشخاصًا بأجر معلوم لمدة معينة على أن يكون له حق تأجيرهم للغير فهذا التصرف جائز شرعًا إذا كان عن تراض، وكذلك لو أخذ عمولة محددة على إيجاد عمل لشخص فإنه جائز شرعًا، سواء أكانت العمولة من الأجير أو من المستأجر أو هما معًا، والله أعلم.

٤/٥/٨٣ تأجير الرخصة التجارية

أنا مواطن لدي ترخيص تجاري، وليس لدي رأس مال، وطلب مني أخ غير كويتي ميسور الحال أن يستغل الترخيص العائد لي وذلك بالتجارة والمقاولات، وبطبيعة الحال سأكون في نظر القانون والناس مسؤولًا عن كل حق له أو عليه نظرًا للترخيص، حيث إنه باسمي، وأي تصرف حسن أو سيئ يصدر منه سيكون باسم هذا الترخيص، لذا فقد ترك لي اختيار أحد الأمور التالية وذلك نظير الترخيص الذي يمنحه حق مزاولة مهنة التجارة.

(أ) أن يمنحني مبلغًا معينًا يتفق عليه بيننا كأجرة سنوية للترخيص.

(ب) يقتطع نسبة مئوية معينة من قيمة كل عقد مقاولة بينه وبين الغير لصالحي.

(ج) يعتبرني شريكًا بالترخيص أي يعتبر أن هذا الترخيص يعادل مبلغًا معينًا من رأس المال لصالحي.

وعلى ضوء ما ورد فإنني في حيرة، إن كان في ذلك شبهة أو حرمة، وإذا كان لا شيء في هذه الأمور الثلاثة فأيهم أفضل؟

وبعد استعراض الموضوع أجابت اللجنة بأنه بالنسبة للصورة الأولى والثانية فإنه لا يجوز العمل بهما، أما بالنسبة للصورة الثالثة فهي جائزة بشرط أن يشترك صاحب الترخيص مع صاحب المال في الربح والخسارة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

٢/٤٤٨ع/٨٤ فسخ عقد الإجارة

استأجرنا مكاتب بقصد استخدامها في مشروع تجاري، وقمنا بتسديد المبلغ المطلوب إليها، ولكن عندما تقدمنا للجهات المختصة والرسمية بالدولة للحصول على التراخيص اللازمة لهذا المشروع التجاري فوجئنا بعدم الموافقة، حيث أفادتنا هذه الجهات بأن هذه المنطقة الواقع في دائرتها المكاتب- موضوع الإيجار- هي منطقة سكنية، ولا يجوز إصدار تراخيص لهذه المكاتب، وعليه قمنا بالتحدث مع الإدارة المختصة التي أفادت أكثر من مرة بأن الموافقة ستخرج عن قريب، ونحن ندفع الإيجار على هذا الأمل الذي يصدر عن الشخص المختص بالتأجير، وبقينا على هذا الحال حتى بت المجلس البلدي بهذا الموضوع، وأفاد بأن هذا المشروع سكني ولا يصلح للعمل التجاري.

فهل يجوز لنا استرجاعُ المبالغ التي تم تسديدها عن المدة السابقة والمستقبلة وفسخ عقد الإيجار أم لا؟

رأت اللجنة الإجابة بالآتي: إن فسخ الإجارة هنا مشروع، لأنه بعذر طارئ لا يد فيه للمستأجر، ويكون الفسخ بالنسبة للمدة المستقبلة من حيث إخلاء المأجور عقب طلب الفسخ، ويجوز له استرجاع المبالغ التي دفعت مقدمًا عن المدة المتبقية في العقد دون المدة السابقة على الإخلاء، والله أعلم.

٣/٤٢١ع/٨٤ استثمار أموال إعانة المرضى

نحن اللجنة التجارية في صندوق إعانة المرضى، لدينا ترخيص من وزارة الصحة بوضع ثلاجات مرطبات في جميع مستشفيات الكويت، ولقد عملنا في هذا المشروع فيما يقارب سنة، وعانينا من هذا المشروع كثيرًا من المتاعب، ومضيعة للوقت في عمل الصندوق، وعلى هذا عرضت علينا إحدى الشركات القيام والإشراف على هذا المشروع، وتكون لنا المراقبة فقط، وتكون لنا نسبة من الأرباح، السؤال: هل يجوز إعطاء هذا العمل للشركة؟

أجابت اللجنة بما يلي: إن ذلك جائز لأنه مقاولة ثانية، ولأن فيه حصولًا على فرق من ربح العمل، والله أعلم.

٧/١/٨٣ رفع الإيجار بدلًا من الخلو

نحن مقبلون على بناء مجمع تجاري بإحدى مناطق الكويت، وكما تعلمون فإن فكرة التأجير بطريقة الخلوات منتشرة، وحيث إن نظام شركتنا الأساسي ينص على تطبيق الشريعة الإسلامية، فإننا نسأل عن مدى تمشي نظام الخلو والشريعة الإسلامية، وهل يمكننا ترك الخلو والاستعاضة عنه بزيادة القيمة الإيجارية مثلًا، وفي حال إذا كان هذا أو ذاك مخالفًا للشريعة الإسلامية فما هي الطريقة المثلى التي تقترحونها، والتي تحقق لنا العائد المناسب ويقرها ديننا الحنيف؟

أجابت اللجنة: الاستعاضة عن الخلو برفع القيمة الإيجارية أمر جائز، ويجري على البدل كل أحكام الأجرة، بحيث لو فسخ العقد يسترد المبلغ المقدم الذي يخص الفترة الباقية، والله أعلم.

قرار مجمع الفقه الإسلامي (منظمة المؤتمر الإسلامي) رقم: ٥٠ (٦/١) بشأن التمويل العقاري لبناء المساكن وشرائها

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره السادس بجدة في المملكة العربية السعودية من ١٧ - ٢٣ شعبان ١٤١٠ هـ الموافق ١٤ - ٢٠ آذار (مارس) ١٩٩٠م، بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع التمويل العقاري لبناء المساكن وشرائها، واستماعه للمناقشات التي دارت حوله، قرر ما يلي:

أولًا: إن المسكن من الحاجات الأساسية للإنسان، وينبغي أن يوفر بالطرق المشروعة بمال حلال، وإن الطريقة التي تسلكها البنوك العقارية والإسكانية ونحوها من الإقراض بفائدة قلت أو كثرت، هي طريقة محرمة شرعًا لما فيها من التعامل بالربا.

ثانيًا: هناك طرق مشروعة يُستغنى بها عن الطريقة المحرمة، لتوفير المسكن بالتملك (فضلًا عن إمكانية توفيره بالإيجار)، منها:

أ- أن تقدم الدولة للراغبين في تملك مساكن قروضًا مخصصة لإنشاء المساكن، تستوفيها بأقساط ملائمة بدون فائدة، سواء أكانت الفائدة صريحة، أم تحت ستار اعتبارها (رسم خدمة)، على أنه إذا دعت الحاجة إلى تحصيل نفقات لتقديم عمليات القروض ومتابعتها وجب أن يقتصر فيها على التكاليف الفعلية لعملية القرض على النحو المبين في الفقرة (أ) من القرار رقم ١٣(٣/١) للدورة الثالثة لهذا المجمع.

ب- أن تتولى الدولة القادرة إنشاء المساكن وتبيعها للراغبين في تملك مساكن بالأجل والأقساط، بالضوابط الشرعية المبينة في القرار ٥١ (٦/٢) لهذه الدورة.

ج- أن يتولى المستثمرون من الأفراد أو الشركات بناء مساكن تباع بالأجل .

د- أن تملك المساكن عن طريق عقد الاستصناع- على أساس اعتباره لازمًا- وبذلك يتم شراء المسكن قبل بنائه، بحسب الوصف الدقيق المزيل للجهالة المؤدية للنزاع، دون وجوب تعجيل جميع الثمن، بل يجوز تأجيله بأقساط يتفق عليها، مع مراعاة الشروط والأحوال المقررة لعقد الاستصناع لدى الفقهاء الذين ميزوه عن عقد السلم.

ويوصي المجلس بمواصلة النظر لإيجاد طرق أخرى مشروعة توفر تملك المساكن للراغبين في ذلك، والله الموفق.

قرار مجمع الفقه الإسلامي (منظمة المؤتمر الإسلامي) قرار رقم ١٧٢ (١٨/١٠) بشأن الإذن في العمليات الجراحية المستعجلة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، إنَّ مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في دورته الثامنة عشرة في بوتراجايا (ماليزيا) من ٢٤إلى٢٩جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ الموافق ٩-١٤ تموز (يوليو) ٢٠٠٧م، بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع حالات سقوط الإذن في العمليات الجراحية المستعجلة، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله قرر ما يلي:

أولًا: يجوز اتخاذ التدابير والإجراءات الطبية اللازمة في الحالات الإسعافية (طب الطوارئ) دون حاجة إلى أخذ موافقة المريض أو وليه في الحالات التالية:

وصول المريض في حالة إغماء شديد، أو في حالة يتعذَّر الحصول معها على الموافقة قبل التدخل.

أن يكون المريض في حالة صحية خطرة تعرضه للموت تتطلب التدخل السريع قبل الحصول على الموافقة.

ج- ألا يوجد مع المريض أي من أقاربه الذين لهم حق الموافقة مع ضيق الوقت.

ثانيًا: يشترط للتدخل الطبي في مثل تلك الحالات:

١- أن يكون العلاج مقرًا من الجهات الصحية المختصة ومعترفًا به.

٢- ضرورة وجود طبيب اختصاصي في فريق لا يقل عن ثلاثة أطباء للموافقة على التشخيص والعلاج المقترح، مع إعداد محضر بذلك، موقع عليه من الفريق.

٣- ضرورة أن تكون الفوائد المتوقعة من العلاج تفوق أضراره، مع تقليل المخاطر قدر الإمكان.

٤- بعد إفاقه المريض على الطبيب شرح التفاصيل الكاملة له.

٥- أن تكون المعالجة مجانية، وإذا كانت لها تكاليف فتحدَّد من جهة متخصصة محايدة.

ثالثًا: تأجيل البتّ في الحالات التالية إلى دورة قادمة للمجمع

العمليات المستعجلة، مثل الزائدة الملتهبة إذا رفض المريض إعطاء الإذن.

الجنين الذي التف الحبل السري حول رقبته، ولم تتم الموافقة على أجراء العملية القيصرية اللازمة لإنقاذ الطفل.

إذا احتاج الطفل المريض إلى إجراء طبي تدخلي، مثل عمليات الزائدة، أو غسيل الكلى ونقل الدم، ورفض الولي اتخاذ ذلك الإجراء، والله الموفق.

إعداد: خالد خلاوي

كن الأول دائمًا

عـرف التاريخ الإسـلامـي العديد من الشخصيات بـأنهم أوائـل فـي مـجالات عـديدة، وألـف في ذلك العديد من كتب السير والتراجم عرفت باسم (الأوائـل)، وتـنـوعـت مـجـالات تميـز الأوائـــل في الإسـلام، فنجد في الدفاع عن الإسـلام أول من جهر بالقرآن الكريم في مكة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وفي مجال الفروسية والـشـجـاعـة أوّل مـن عـدا بـه فـرسـه في سبيل الله المقداد بن الأسـود رضي الله عنه، وأول مـن رمـى بسهم فـي سبيل الله سعد بن أبـي وقـاص رضي الله عنه، وفـي الطب أول طبيب في الإسلام الحارث بن كلدة، وأول طبيبة في الإسـلام رفيدة الأسلمية، وفـي العلم أول من كتب المصحف بخط يده عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأول من ألف في علم النحو أبوالأسود الدؤلي، وأول من ألف في علم الـعـروض الخليل بـن أحـمـد، وفـي مجال نظم الحكم أول من أنشأ الدواوين واتخذ بيتًا للمال هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه.... وغيرهم كثير.

ولقد تعلم هـؤلاء أن يكونوا أوائل من هذا الدين العظيم (الإسـلام) الذي يحث على السبق والمبادرة، وقد كثرت في القرآن الكريم الآيات التي تدعو إلى المسارعة في الخيـرات والتنافس فيها كما فـي قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (المؤمنون:٦١)، ويدعونا الـرسـول ﷺ إلـى الحـرص عـلـى الصف الأول في الصلاة، وهو تدريب عملي يومي للمسلم على التفرد والتميز، قال رسول الله ﷺ «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا» (رواه البخاري ومسلم).

وروي عن سعيد بن المسيّب وهو من أئمة التابعين أنه قال: ما أذن للصلاة منذ أربعين إلا وكنت في المسجد، وقـال: ما رأيت قفا رجل قط أمامي.

وكـان وهـيـب بـن الـورد يـقـول: إذا استطعت ألا يسبقك أحد فافعل.

وكان أبوبكر الصديق رضي الله عنه يستيقظ باكرًا وأول من يبدأ يومه بأعمال الخير، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم اليوم صائمًا؟ قال أبوبكر: أنـا، قـال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبوبكر: أنا. قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكينا؟ قال أبوبكر: أنا، قال: فمن عاد منكم اليوم مريضا؟ قال أبوبكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة» (رواه مسلم).

وبـعـد الاطـــلاع عـلـى سـيـرة الأوائـــل والمتفردين.. هل سألت نفسك يومًا كيف أصبح من الأوائل؟

الأمر ليس صعبًا.. ابدأ أولاً بتمرين نفسك على أن تكون الأول فـي أنشطة حياتك اليومية:

- كـن أول مـن يحضر إلـى المسجد واحرص على الصف الأول في الصلاة.
- كـن أول مـن يـحـضـر فـي المـوعـد المحدد فلأن تأتي مبكرًا ساعة خير من أن تتأخر دقيقة.
- كن أول من ينجز أعماله في الوقت المطلوب مع الإتقان.
- كن أول من يبادر في تقديم الأفكار والاقتراحات في موضوع ما عندما يطلب ذلك.
- كن أول من يطلق المبادرات الإيجابية لتنفع دينك ووطنك.
- وكن أول من يشارك في المبادرات الإيجابية التي يطلقها الآخرون.

وكن الأول في مجال عملك:

- إن كنت طـالـب علم احـرص على التفوق الدراسي وأن تكون من الأوائل أو على الأقل من العشرة الأوائل.
- وإن كنت عالمًا في تخصص علمي.. قدم جديدًا في مجال تخصصك، رسالة علمية تقدم جديدًا، كتاب جديد، فكرة جديدة، اكتشاف جديد وضع بصمتك التي تبقى في مجال تخصصك.
- وإن كـان لديك مشروعك الخاص فاجعل مشروعك متميزا بفكرة جديدة أو ابتكار جديد يكون الأول في مجاله، ومجـالات الابتكار متعددة قد تكون في جـودة المنتج أو طريقـة العـرض أو في أسلوب التسويق أو في أسلوب خدمة ما بعد البيع.
- وإن كنت كاتبًا وأديبًا فقدم الإبداع الجديد في مجال كتابتك واسأل نفسك قبل أن تكتب ما الجديد الذي أقدمه أنفع به القارئ أو بالأحرى ما الذي يميز كتابتي عما كتب سابقًا في الموضوع نفسه؟ طرح جديد، أسلوب جديد، فكرة جديدة.
- وإن كنت تمتهن حرفة أو مهنة معينة فقدم طريقة مبتكرة في مزاولة هذه المهنة وتكون أول من يطبق هـذه الطريقة أو اكتشف حلاً لمشكلة كانت تواجه أصحاب المهنة في عملهم.

إن فكرة أن تكون من الأوائل لا تعني أن تكون الأول وحسب بل تعني أن تقدم الجديد وتتميز في تخصصك وعملك وتكون أول من يجرب الأفكار الإبداعية الجديدة.

يقول خبير التنمية البشرية إبراهيم الفقي: كن الأول دائمًا.. لو أن شخصًا استطـاع قبلك أن يفعل شيـئًا، فاعلم انك قـادر على عمل هـذا الشيء نفسه، لأن هذا الشخص ليس أفضل منك، أما إذا كان هذا الشيء لم يفعله احد قبلك، فستكون أنت الأول.

صور من حياة المتميزين

رفيدة الأسلمية أول طبيبة في الإسلام

عرفت بين المسلمين بخيمتها التي كانت تنصب لها في أثناء المعارك لتكون أول مستشفى عسكري متنقل يداوي الجرحى، وكان يطلق على هذه الخيمة «خيمة رفيدة» التي أصبحت أول طبيبة في الإسلام تداوي جرحى المعارك من المسلمين وتضمد جراحهم.

إنها الصحابية الجليلة.. رفيدة بنت سعد الأسلمية، من قبيلة أسلم.. واسمها مشتق من الرفادة وتعني الإعانة والعطاء.. كان لها صحبة مع رسول الله ﷺ في غزواته.. تداوي الجرحى في ميادين القتال.

وتقديرًا من النبي ﷺ لجهودها في غزوة خيبر في مداواة الجرحى وخدمة المسلمين أسهم لها بسهم رجل مقاتل.

وكان بداية عملها عندما عاد المسلمون من غزوة بدر منتصرين، وكان بينهم بعض الجرحى، فمنهم من عالجه أهله ومنهم من لم يكن له مال ولا سكن ولا أهل، في تلك الأثناء تطوعت رفيدة رضي الله عنها لخدمة هؤلاء بإسعافهم وتضميد جراحهم ومداواتهم وتقديم الغذاء لهم.

وكانت تنفق على ذلك من مالها الخاص متطوعة بالجهد والمال في سبيل الله فنصبت في المسجد خيمة حيث تجمعهم، وحملت معها أدواتها وعقاقيرها، وعكفت على علاجهم أيامًا حتى برئوا واندملت جراحهم وكان يساعدها في هذا العمل عدد من نساء الصحابة.

يروى انه لما أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوه في خيمة رفيدة التي في المسجد حتى أعوده من قريب.

كلمات في التميز

الطموح

كن دائمًا الإصدار الأول من نفسك، ولا تكن الإصدار الثاني من أحد آخر.

جودي جارلاند

لتكن فاتحا للأبواب لمن يأتون بعدك.

رالف والدو امرسون

هيء لكل فعل ما يلزم لتحقيقه، ثم احزم أمرك و توكل على الله.

بيل كوسبي

لا تذهب حيث يسير بك الدرب بل اذهب حيث لا يوجد درب و اترك أثرًا خلفك.

رالف والدو امرسون

لا تدع الأفكار العظيمة سائبة، بل احرص على أن تتابع مسيرها على الطريق الصحيح.

وليام بليك

انطلق باتجاه القمر، وحتى ان فشلت فإنك ستستقر بين النجوم.

ليس براون

كل عمل هو صورة ذاتية للشخص الذي أنجزه.. لذلك، ذيل عملك بتوقيع التميز.

تعلّم أين تجد المعلومات المفيدة وكيف تستخدمها، فهذا سر النجاح.

ألبرت اينشتاين

إعداد: هالة محمد

أدمغة الشعوب تصنع قواعد اللغة

شككت دراسة جديدة في صحة نظرية «القواعد العامة» أو «النحو الكلي» كما يطلق عليها البعض والقائلة إن لجميع اللغات البشرية صفات وقواعد مشتركة لكونها ميزة إنسانية مرتبطة بتكوين الدماغ البشري.

واعتمدت الدراسة على الأساليب التي تتبعها البيولوجيا الارتقائية للتدقيق في مراحل تطور القواعد في عدد من أسر اللغات المختلفة، وأظهرت أن أسر اللغات تلك تطورت بطرق مختلفة ما جعل الباحثين يستنتجون أن التطور الثقافي، لا الدماغ، هو المحرك، وراء التطور اللغوي، وقال مايكل دن، قائد فريق البحث وعالم لسانيات في هولندا، إن المقاربة التي اعتمدها شبيهة بدراسة لنبات البازلاء قام بها غريغور ميندل، وأصبحت في نهاية المطاف من أصول علم الوراثة.

وأضاف: «استنتج ميندل أن هناك آلية تنتقل بها البيانات الوراثية من خلال ملاحظته لمختلف التغيرات التي تطرأ على نبات من جيل لآخر، وذلك بالضبط ما نحن بصدد فعله، لكن في مجال اللسانيات».

ومن الخصائص التي ركز عليها الباحثون في دراستهم موقع حروف الجر ومجروراتها (أي هل تأتي قبلها أم بعدها)، وموقع الفاعل بالنسبة للمفعول به في أربع أسر لغوية مختلفة، وهي الهندية- الأوروبية، واليوتوازتك، ولغات البانتو، واللغات الأسترونوزية، وجمع الفريق الباحث قاعدة بيانات عن كل أسرة من أسر اللغات الأربع، مكوناً أربع شجرات تصور تطور اللغات وتفرعها عن أصولها ما أعطاهم فكرة واضحة عن المراحل التي سلكتها كل أسرة.

ويجزم فريق الدكتور مايكل دن بأن «الأسر المدروسة تطورت كل بطريقتها الخاصة وليس وفق قواعد موحدة وهو ما يتنافى مع نظرية القواعد العامة واسعة الإقبال».

اللغات نشأت في إفريقيا

اللغات العالمية نشأت في إفريقيا وانتشرت منها حول العالم، تماماً مثل البشر.

هذا ما أظهرته دراسة أميركية جديدة، وفيها حلل الباحث في جامعة أوكلاند في نيوزلندا، كونتين اتكينسون، الوحدات الصوتية في الكلام المعاصر، ووجد أن نمطها يعكس نمط التنوع الجيني للبشر.

ومع هجرة البشر من إفريقيا وبدء الاستيطان في أماكن أخرى، تراجع التنوع الجيني ووفقًا للدراسة فإن التنوع في الوحدات الصوتية مال إلى التراجع أيضًا.

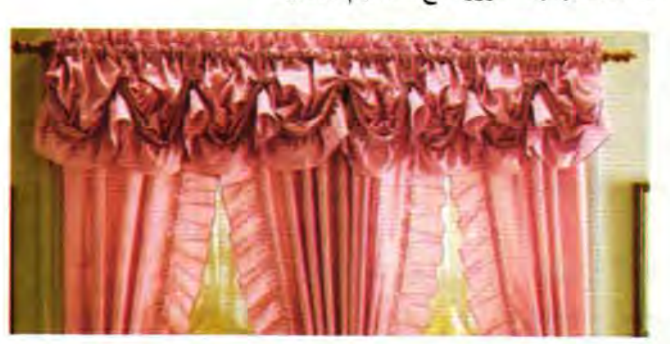
لغاتنا تعود لإفريقيا واللغة هي مؤشر على الأصل الحضاري، عندها نكون نحن عائلة في الثقافة كما في المعنى الجيني، أظن أن هذا ممتع حقًا.

وأشار إلى أنه أجرى البحث لأنه يعرف أن اللغات استخدمت أصواتاً أقل لدى المجتمعات الصغيرة، ومعرفة كيفية نشوء اللغات.

وقال: إنه على العموم فقد برزت وحدات صوتية أقل في لغات المجتمعات التي استوطنت أخيرًا، لكن في المناطق المسكونة منذ وقت طويل مثل الصحراء الإفريقية، فهم لا يزالون يستخدمون الكثير من الوحدات الصوتية.

ستائر تمتص الضوضاء

الضجيج أصبح عنصر إزعاج شديد في الحياة العصرية اليومية وله تأثير سلبي على التركيز ما يؤدي إلى تقليل الإنتاجية والتأثير السلبي على الصحة العامة على المدى البعيد، لكن هناك حلًا للمشكلة، فقد تمكن الباحثون في أكاديمية المختبرات الاتحادية السويسرية لعلوم المواد المحلية ومصممة النسيج المعروف أنيت دوغلاس من ابتكار نسيج يمتص الضجيج ويخفض من نسبة الضوضاء ويستخدم في صناعة الستائر، ويمثل هذا الاختراع إضافة جديدة في مجال التصميم الداخلي والديكور باعتبار أن هذا المجال يفتقر إلى ستائر ذات تصميم مناسب وذات وظيفة تقنية بدلًا من الاستعانة بأجهزة لا تتناسب بالضرورة مع تصميم المكان.

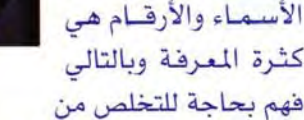


اكتشاف ٦٥٧ جزيرة جديدة

اكتشف علماء أميركيون ٦٥٧ جزيرة على الأرض لم تكن معروفة سابقًا وذلك بعد استعانتهم بصور الأقمار الصناعية. وبين الجزر المكتشفة حديثًا ٢١٤٩ جزيرة حاجزة وهي عبارة عن أرض ساحلية ونوع من نظام الجدار تشكل قطاعات ضيقة نسبيًا من الرمال توازي ساحل البر الرئيسي وتتواجد عادة في سلاسل ويرتبط طول الحواجز وعرضها والتشكل العام للسواحل الحاجزة بأمور مثل نطاق المد والجزر وطاقة الأمواج وإمدادات الرواسب واتجاهات مستوى سطح البحر. ووفق الباحثين فإن الجزر الجديدة لم تظهر فجأة، ولكنها كانت مجهولة أو مصنفة بشكل خطأ.

كثرة المعلومات تسبب النسيان

وجـــدت دراســـة جـديـدة أن المشكلة التي تكمن وراء معاناة بعض الأشخاص من مشكلات في تذكر الأسماء والأرقام هي كثرة المعرفة وبالتالي فهم بحاجة للتخلص من



الأفكار المبعثرة وتنظيم ذاكرتهم، وقال باحثون كنديون أجروا الدراسة إن المسنين يعانون من اضطراب في التعلم والتذكر لأن أدمغتهم مملوءة بالمعلومات غير المفيدة ووجدت الدراسة أن هذه المشكلات في الذاكرة ولا ترجع إلى بطء عمل الدماغ عند المسنين بل بسبب الاستخدام الكثير للدماغ، وصعوبة وقف المعلومات التي لاصلة لها بالمهمة التي يجري إتمامها.

هاتف ورقي

توصل باحثون كنديون إلى اختراع نموذج لهاتف ذكي يتسم بالمرونة، ومصنع من ورق إلكتروني وبإمكان الهاتف الورقي الجديد أن يقوم بجميع المهام التي تقوم بها عادة أجهزة الهاتف الذكية مثل إجراء المكالمات وتلقيها وإرسال الرسائل وتشغيل مقاطع موسيقية وعرض الكتب الإلكترونية، ويقوم الجهاز الجديد بمهام مختلفة ويعرض خصائص متنوعة عند طيه أو ثنيه على جانبيه، وقال الدكتور رويل فيرتجال الذي اخترع الجهاز الجديد: كل شيء سيبدو مثل هذا النموذج التجريبي في غضون خمس سنوات.



من هنا وهناك

● أظهرت دراسة في أستراليا أن طفلًا من أصل كل ٨ أطفال في البلاد يتكلم اللغة العربية في المنزل مع والديه، ما يجلعها اللغة الثانية الأكثر شيوعًا لدى الأطفال.

كما أظهرت الدراسة التي أجرتها وزارة التعليم الفيدرالية أن اللغة العربية هي اللغة الثانية الأكثر شيوعًا في المنزل في أستراليا بعد اللغة الإنجليزية ويستخدمها ١١,٨٪ من الأطفال في التحدث إلى ذويهم.

● توصل باحثون صينيون في دراسة نشرت أخيرًا إلى أن أنواعًا الضفادع تحتوي على ٧٩ نوعًا من البيبديذرات (مكونات البروتين) ٥٩ منها لم يكن معروفًا من قبل واتضح أن بعض تلك البيبديذرات لديه قدرة كبيرة على محاربة البكتريا وغيرها.

● أعلنت مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في السعودية أن عدد مقتنيات المكتبة من الصور الفوتوغرافية النادرة بلغ أكثر من ٧٠٠٠ صورة، يعود بعضها إلى بدايات عصر التصوير الشمسي وتمثل مرجعًا تاريخيًا مرتبًا لتطور الحياة في الجزيرة العربية طوال القرون الثلاثة الماضية.

● أظهرت دراسة جديدة أن الدين معرض للانقراض في تسع دول هي: أستراليا وكندا والنمسا وفنلندا وإيرلندا وهولندا ونيوزيلندا وتشيكيا وسويسرا وهذه الدراسة أعدها فريق ضمن خبراء من مؤسسة البحث للتقدم العلمي الأميركية.

● افتتح في مدينة إشبيلية الأسبانية أول مبنى تجاري فريد من نوعه في العالم إذ إن المبنى مكون من الخشب، ولم يستخدم فيه مسمار واحد بل إن أجزاءه ثبتت بعضها ببعض بواسطة «البوليريثان» وهي مادة كيميائية عبارة عن غراء لاصق قوي جدًا، أما الأساسات والأعمدة فقد استخدم الإسمنت في بنائها.

الإمام مالك والموطَّأ (٩٣-١٧٩هـ).

لا يُذكر الإمام مالك إلا ويذكر كتابه المُوطَّأُ وكأنهما وجهان لعملة واحدة والموطأ لغة معناه الممهد أو الميسر، وهذا الكتاب ألفه الإمام مالك رضي الله عنه بناء على توصية من الخليفة العباسي المنصور، وذلك في «منى» وفي موسم الحج بعد أن استرضاه الخليفة عما صدر من عمه من إيذاء لحق بالإمام مالك على أثر حديث كان يرويه دائمًا ووشي به على أن المقصود منه هو الخليفة وعدم رضاء الإمام مالك بالخلافة العباسية، وهذا الحديث هو «ليس على مستكره طلاق».

ولم يلبث الخليفة العباسي أن قال للإمام مالك: يا أبا عبدالله ضع هذا العلم ودونه وتجنب فيه شدائد عبدالله بن عمر ورخص عبدالله بن عباس وشواذ عبدالله بن مسعود واقصد به إلى أواسط الأمور وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة رضي الله عنهم لنحمل الناس إن شاء الله على علمك وكتبك ونبثها في الأمصار ونعهد إليهم ألا يخالفوها ولا يقطعوا بسواها، فقال الإمام أصلح الله الخليفة إن أهل العراق لا يرضون علمنا، وفي رواية أخرى قال المنصور لمالك اجعل العلم يا أبا عبدالله علمًا واحدًا فقال له الإمام إن أصحاب رسول الله تفرقوا في البلاد فأفتى كل بمصره ما رأى، وقد استغرق الموطأ في تأليفه إحدى عشرة سنة من ١٤٨هـ وحتى سنة ١٥٩هـ.

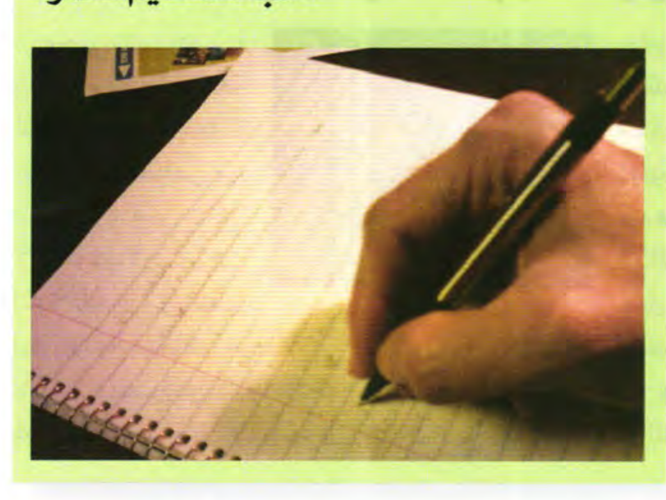
● خلف أحمد عبدالعليم

عظمة البلاغة العربية

من أسرار البلاغة في اللغة العربية ما يسمى باتفاق اللفظ واختلاف المعنى ومن أمثلته عظمة البلاغة العربية في لفظ ضرب:

١- ضرب بمعنى صفع مثل: ضرب زيد عمرًا.
٢- ضرب بمعنى ذكر مثل: ضرب الله مثلًا.
٣- ضرب بمعنى أقام مثل: ضرب لضيفه خيمة.
٤- ضرب بمعنى حدد مثل: ضرب له موعدًا.
٥- ضرب بمعنى سعى مثل: ضرب في الأرض.
٦- ضرب بمعنى حسب مثل: ضرب ٥×٦.
٧- ضرب بمعنى سك: ضرب النقود.

● هبة الله نعيم محمود



جفاف المشاعر

تيسرت وسائل الاتصال، وتعددت أنواعها، ورخص ثمنها، وسهل الحصول عليها، وكان من المفروض أن تعين على:

صلة الأرحام.
الوفاء بين الأصحاب.
تفقد المحتاجين.
السؤال عن المرضى.
نشر العلم والخير بين الناس... و... و...

فهل تحقق ذلك؟!

ومن التفاؤل أن نقول نعم، ويؤيد نعم ما نراه من صلة وبر ووفاء لدى عدد كبير من الناس، رجالًا ونساء، كبارًا وصغارًا، متعلمين وجهالًا، ولكن ذلك العدد ليس كثيرًا!

والمفاجأة غير السارة أن بعض الناس كان واصلًا قبل امتلاك تلك الوسائل، وكان بارًا قبل حصوله عليها، وكم كان يتمنى بعضها، فلما تحققت الأمنية تبدلت الحال، وصار الفتى غير الفتى.. فضعف تواصله وقل بره وغاب وفاؤه!

جفاف المشاعر أضعف العلاقات وبتر الصلات، وأشاع الأنانية، وأصل تبادل المنافع، وقوى الواسطة، وأبعد الضعيف، وقرب القوي، ورفع المفضول، وخفض الفاضل.. كل ذلك وغيره جناه جفاف المشاعر وفوقه (وهو الأخطر) أصبح الحب والبغض والمشاعر سلعًا تُباع بأزهد الأثمان، وألفاظًا تقال بلا معنى، وخيالًا بلا حقيقة!

ولكن: هل تلين المشاعر بعد جفافها، وهل تحيا بعد موتها، وهل تحبو بعد هجعتها وتبلدها.. أسئلة لا أملك لها جوابًا.

سياسة الطب في العصر العباسي

قال ابن ماسويه رئيس بيت الحكمة الذي أنشأه الخليفة المأمون:

● الحقيقة في الطب غاية، والعلاج بما تنصه الكتب دون إعمال الحكيم الماهر رأيه فيه.

● ينبغي للطبيب أن يوهم المريض أبدًا الصحة ويرجيه بها وإن كان غير واثق بذلك، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس.

● من ساءل في مرض كثيرًا من الأطباء يوشك أن يقع في خطأ كل واحد منهم.

● إذا لم يشاهد الطبيب مزاج المريض في حال صحته لم يعرف قوة مرض من ضعفه ولا جرى في علاجه ما ينبغي.

● ينبغي للأطباء أن يتعرفوا أخلاق العليل في صحته ومواضع آماله ثم يصورونها له ويرجونه فيها وينشطونه إليها.

● إن استطاع الطبيب أن يعالج بالأغذية دون الأدوية فقد وافق السعادة.

■ عمر يوسف بدوي

الإمام الداني

أبوعمرو عثمان بن سعيد بن عمر الداني ولد بقرطبة سنة ٣٧١هـ وبدأ في طلب العلم وهو في الرابعة عشرة من عمره ولم يزل يطلب العلم حتى بلغ فيه شأنًا كبيرًا وقد قيل إنه كان أستاذ زمانه وشيخ مشايخ القراء فيه، برز في علوم القرآن الكريم من حفظ وتجويد وقراءات مختلفة، المتواتر منها والشاذ، وطرق والرسم والضبط والفواصل والوقف والابتداء ... إلى غير ذلك من العلوم.

وكان وحيد عصره وفريد زمانه في الحفظ والتحقيق، وقال عن نفسه ما رأيت شيئًا إلا كتبته ولا كتبته إلا حفظته ثم لا أنساه.

مؤلفاته بلغت الثلاثين ومائة في مختلف علوم القرآن الكريم، ومن أشهر مؤلفاته في القراءات كتاب التيسير الذي اختصره الإمام الشاطبي في منظومته حرز الأماني المشهورة بالشاطبية، وكتاب المقنع الكبير في الرسم وهو خير ما ألف في هذا الفن، والضبط المحكم في نقط المصحف.

عاش للقرآن الكريم ووهب حياته كلها طولاً وعرضًا متعلمًا مجدًا فعالاً متقنًا محققًا ومعطاء، وقد أدركته الوفاة بمدينة دانية إحدى قرى بلاد الأندلس سنة ٤٤٤هـ. رحم الله إمامنا رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

■ خلف أحمد عبدالعليم

هدّاموا الصنعة

إنه الصنعة الربانية والهبة الإلهية والمنحة الجمالية، فكيف بها وقد انتقلت من العبودية إلى الحالة الإيمانية؟ إنه المخلوق المسمى إنسانًا والذي خلقه ربه فحسنه إحسانًا، وجمله تفصيلاً وإجمالاً ووزنه ميزانًا.

﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾

﴿الذي خلقك فسواك فعدلك﴾

هذه الخلقة وتلك السمة.. هل يجوز تدميرها؟

وهل ينفع هدمها؟ وبأي حق هذا؟ وقد قال ربها

﴿إنه من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا﴾.

وللأسف أبت أنظمة عربية إلا أن تسلط زبانيتها وتتخصص في إبادة صنعة ربها وتتفنن في تعزيزها وتتلذذ بسلخها، وكانت ومازالت على شعوبها أشد عداوة من أعدائها.

وانتقلت هذه الأنظمة من السر إلى العلن، حيث يشاهد العالم المخلوق العربي وقد تناثرت دماؤه ومزقت أشلاؤه وتبعثرت أعضاؤه وتهتكت أجزاؤه وهتكت أعراضه وكشفت أسراره وشخبت أوداجه على يد طغاته ﴿ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا﴾ .. جهنم وخلود فيها وغضب من الله ولعنة والعذاب العظيم يليق بكل متكبر جبار هدم صنعة الله القهار وجلب للوطن الخزي والعار.

● عصام الحسين حميد

إعداد: التحرير

شهر شعبان

جاء الاسم من: تشعبت القبائل للإغارة والقتال بعد قعودها في رجب، وقيل يتفرق الناس فيه ويتشعبون طلبًا للماء، وينبغي للمسلم أن يجتهد فيه بالطاعة اقتداء بالنبي ﷺ حيث قال: «ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان» (رواه أحمد)

التغافل

حدَّثَ رجلٌ لأحمد بن حنبل ما قيل: «العافية عشرة أجزاء؛ تسعة منها في التغافل»

فقال الإمام أحمد: «العافية عشرة أجزاء، كلها في التغافل»

(دقائق أولي النهى:٥/٣٣١)

خطر الغناء

قال عبدالله بن مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «الْغِنَاءُ يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِى الْقَلْبِ كَمَا يُنْبِتُ الْمَاءُ الزَّرْعَ، وَالذِّكْرُ يُنْبِتُ الإِيمَانَ فِى الْقَلْبِ كَمَا يُنْبِتُ الْمَاءُ الزَّرْعَ». **(البيهقي: ١٠/٢٢٣)**

أجوبة مسكتة (٢)

- صلّى رجلٌ صلاة خفيفة، فقال له آخر: ما هذه الصلاة ؟!. فقال صلاة لا رياء فيها.
- قيل لرجل امض معنا إلى السلطان، والبس ثيابك. فقال: هذه ثيابي التي أناجي فيها ربِّي.
- اغتاب الأعمش رجلا من أصحابه، فطلَّ الرَّجُلُ، فقال له بعض أصحابه: قل له ما قلته حتى لا تكون غيبة. فقال الأعمش: بل قل له أنت ما قلته حتى لا تكون نميمة.
- مرَّ طائرٌ في حلقة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما فصاح، فقال مَنْ فيها: خير خير. فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا خير ولا شر.
- قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: فلان لا يعرف الشَّر!. فقال عمر رضي الله عنه: هو أجدر أنْ يقع فيه.

(الأجوبة المسكتة لابن أبي عون، ت:٣٢٢هـ)

ولدني أبوبكر الصدّيق مرتين

أشفق رجل على ضبعة مُصابة، وجعل يقدم لها الطعام ويرعاها ويحميها من الصيادين حتى حسنت وقويت، وبينما هو نائم يوماً إذ هجمت عليه وشقت بطنه وقتلته، فعلم ابن عم له فأنشد قائلًا:

ومَنْ يصنع المعروف في غير أهله
يلاقي كما لاقى مجير ام عامر
أعد لها لما استجارت بقربه
مع الأمن ألبان اللقاح الدراير
فأشبعها حتى إذا ما تمكنت
فَرَتْهُ بأنياب لها وأظافر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من
يُوَجِّهُ معروفاً إلى غير شاكر

(المختار من الحكم والأشعار)

يخرجانها حرفًا حرفًا

عن ابن عُلية وإسحق بن إبراهيم قالا: أخذ هارون الرشيد زنديقًا فأمر بضرب عنقه، فقال له الزنديق: لمَ تضرب عنقي؟ قال: لأريح العباد منك، فقال: يا أمير المؤمنين، أين أنت من أربعة آلاف حديث وضعتها أحرم فيها الحلال، وأحلل فيها الحرام، ما قال ﷺ حرفا منها، فقال له الرشيد: «أين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري، وعبدالله بن المبارك، ينخلانها تنخيلاً فيخرجانها حرفًا حرفا» (تاريخ الخلفاء للسيوطي)

ثلاثة أشياء

العيش في ثلاث:
١. سعة المال.
٢. كثرة الخدم.
٣. موافقة الأهل.
وليس لثلاث حيلة:
١. فقر يخالطه كسل.
٢. خصومة يداخلها حسد.
٣. مرض يمازجه هرم.
وثلاثة لا يستخف بهم العاقل:
١. السلطان.
٢. الصديق.
٣. العالم.

(إحياء التراث فيما جاء في عدد السبع والثلاث)



التحرّز من الصديق

قال أبوحيَّان النحوي: «ينبغي للعاقل أن يعامل كل أحد في الظاهر معاملة الصديق، وفي الباطن معاملة العدو في التحفّظ منه والتحرّز، وليكن التحرز من صديقه أشد من التحرز من عدوه، وأن يعتقد أن إحسان شخص إلى آخر وتودده إنما هو لغرض قام له فيه يتعلق به، يبعثه على ذلك، لا لذات ذلك الشخص».

(نفح الطيب للتلمساني ٢/٥٦٥).

فطنة وذكاء

خرج الحجاج للصيد ولما ابتعد عن جنده مرَّ بأعرابي يرعى إبلًا، فقال له الحجاج: كيف هي سيرة أميركم الحجاج؟

فقال الأعرابي: غشُومٌ ظلومٌ لا حياه الله ولا بيَّاه.

فقال الحجاج: فلو شكوتموه إلى أمير المؤمنين؟

فقال الأعرابي: هو أظلم منه وأغشم عليه لعنة الله.

فذهب الحجاج حتى وصل جنده ثم قال لهم هاتوا الأعرابي وقيدوه معنا إلى القصر فأخذوه وحملوه، فلما ساروا.. سأل الأعرابي الجند: من هذا؟، فقالوا له: الأمير الحجاج.

فعلم أنه قد أحيط به، فحرك دابته حتى صار بالقرب من الحجاج، فنادى الأعرابي: أيها الأمير، فقال الحجاج: ما تشاء يا أعرابي؟، فقال الأعرابي: أحب أن يكون السر الذي بيني وبينك مكتومًا.

فتوقف الحجاج وضحك من قوله كثيراً ثم أخلى سبيله.

(روائع الدرر)

الحسد داعية إلى النكد

الحسد داعية إلى النكد، ألا ترى إبليس؟ حسد آدم فكان حسده نكدًا على نفسه، فصار لعيناً بعدما كان مكينًا، ويسهل على المرء ترضِّي كلّ ساخط في الدنيا حتى يرضى، إلا الحسود، فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة التي حسد من أجلها.

والحاسد إذا رأى بأخيه نعمة بُهت، وإن رأى به عثرة شمت، ودليل ما في قلبه كمين على وجهه مبين، وما رأيت حاسدًا سَالَمَ أحدًا.

(روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص: ١٢٤).

من درر ابن المسيب

قال سعيد بن المسيب: إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل، إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه؛ من كان فضله أكثر من نقصه لفضله.

ومن علم أن كلامه من عمله، قل كلامه إلا فيما يعنيه.

حسن اللقاء نصف السخاء، ولين الكلام دين الكرام، وحلاوة اللسان بعض الإحسان.

(أخبار العرب ٥/٧١)

المنهزمون

الجرأة والشجاعة من الخصال الحميدة، وتكونان أكثر جمالًا وإشراقًا، وأغلى قيمة وأعمق أثرًا حينما توجهان توجيهًا سليمًا ينفع الفرد والأمة، وحينما يستبسل المرء في رَدِّ حق أو دحض باطل، وحينما يدافع عن عرض ويجادل عن كرامة.

وفي ذلك الطريق تحلو التضحيات وترخص الأنفس والأموال؛ لأن قيمة الفرد والأمة في بقائهما برؤوس مرفوعة وهامات عالية وأعراض مصانة.

والنماذج المشرقة في التاريخ القريب والبعيد شاهدة على صدق ما نقول، فإن أجدادنا في القريب والبعيد لم يكونوا يثأرون لشهواتهم ويضحون في سبيلها ويبذلون في سبيلها أوقاتهم وأرواحهم، أما حينما يتعلق الأمر بالعرض والدين والمبادئ فإنك ترى الأسود في ثياب الرجال، وتسمع زمزمة الرعد وومض البرق، وترى برق السيوف ووقع النبال.

أقول هذا وأنا أرى فئة من الناس اليوم حولت الأقلام إلى سيوف، وأحالت مدادها إلى دماء، وكسرت الأغماد وبدأت معارك طاحنة سيكون من ضحاياها ما يعزّ على العقلاء فقده، وما يؤلمهم فراقه، وما ذلك إلا الدين والعرض!

إنه ومع اشتداد هجمة أعداء الأمة عليها، واستهداف كرامتها، وامتهان مقدساتها، وانتهاك أعراض وكرامات ذكورها وإناثها مع ذلك كله وجدنا- لشديد الأسف- من أبناء الأمة من جند نفسه جنديًا في صفوف الأعداء، يردد كلماتهم، ويؤكد دعاواهم، ويدعو إلى تقليدهم في كل شيء وليس في اللغة واللباس فقط.. وقد جاء.

ذلك بعد أن أصبح غريب الوجه واليد واللسان، كما قال الشاعر العربي، لقد ابتعد ذلك الفرد عن أمته وهجر صفوفها ليلتحق بصفوف أعدائها، ولبس ثيابهم، وتحدث بلغتهم، وخرج على الناس وكل ناظر إليه لا يشك في انتمائه لتلك الأمم التي يقلدها في لبسه وحديثه ومسكنه وأخذه وإعطائه.

ولم يكن المحزن أنه أقنع نفسه بذلك النَّهج ليسير عليه وحده- مع أنها خسارة للأمة في فقد أحد أبنائها- ولكن المحزن والمؤسف أنه أصبح داعيًا لما أقنع نفسه به، مدافعًا عن ذلك النهج، بل وأصبح يقسم الأيمان المغلظة بأن ما ألزم به نفسه هو وحده الطريق الصحيح في هذا العصر، وأنه السبيل الوحيد لمن أراد أن يعيش في أيامنا هذه، ومن حاد عنه سيموت، ومسألة الحياة والموت مسألة لا مساومة عليها، ولا سبيل للحديث فيها عند عباقرتنا الذين نتحدث عنهم!

يقول أحد المنهزمين: «العولمة الاقتصادية تعني بمنتهى الاختصار والمباشرة أننا كعرب ومسلمين مضطرون للدخول في منظومة من الاتفاقيات، والرضوخ لشروط إذعانية، والتعامل مع واقع وظروف عالمية من شأنها أن تلغي أول ما تلغي أي معنى للخصوصية، هذه المنظومة لا نملك أن نؤثر فيها إلا في نطاق ضيق، وأحيانًا لا نملك أن نؤثر إطلاقًا». ثم يوضح القصد من حديثه بصراحة فيقول: «بمعنى أن نقبل بها كما هي عليه ونبقى، أو نرفضها وننتهي».

هكذا، استسلام تام وإذعان مطلق من أجل البقاء، أو رفض يكون معه النهاية، ولا مجال للتوسط في هذا الأمر عند هؤلاء المنظرين، لا مجال لأخذ الشيء الحسن الجميل والإفادة منه ورفض السيئ القبيح والحذر منه.

هذا مثال واحد من عبارات المنهزمين من بعض كتاب الصحف وخطباء القنوات الفضائية، والذين يدعون الأمة بكاملها إلى الارتماء في أحضان الشرق والغرب، وأخذ جميع ما عندهم بغثه وسمينه، وحلوه ومره، إذا أردنا أن نبقى- على حد زعمهم- لأن في التوسط أو التعامل مع أولئك بشجاعة وعقل وحكمة زوالنا ونهايتنا!

إنها الهزيمة النفسية وفقد الثقة في الدين والمبادئ والقيم، وفقد الثقة في الأمة والتأريخ والحضارة، ولا أدري هل يؤمن أصحابنا بأننا أمة لنا تاريخ وحضارة وكيان مستقل شهد بمجدنا العدو قبل الصديق؟ أو أننا ريشة في مهب الريح وجدنا في هذا العصر ليكون من قدرنا أن نكون ذيلًا لا رأسًا، وتابعين لا متبوعين، وعالة على الأمم لا هداة لها؟ أيُّ هزيمة وقع فيها أصحابنا وأيُّ مستنقع آسن رموا أنفسهم في عمقه؟!

إنّنا في نظر أولئك- هدانا الله وإياهم- صرنا كمن وصفهم الشاعر بقوله:

ويُقْضَى الأمر حين تغيب تيمٌ
ولا يُستأمرون وهم شهود

ووالله إن ما نعيشه من هزيمة في بعض بلاد المسلمين أمام أعدائنا مصدره الوحيد الهزيمة النفسية، وفقد الثقة في الدين الذي جاء من عدم الفقه وقلة العلم والانخداع بالمظاهر...، ولا طريق للنصر والعزة والرقي إلا بالتمسك بعوامل لازمة للفرد والأمة أهمها:

ثقة تامة في الله تعالى وفي وعده لعباده الصالحين.

بناء نفسي قوي ورصين.

وفقه في الدين ومقومات العزَّة فيه.

وعلم واسع عميق بحقائق الشريعة الإسلامية.

النظرة الصائبة إلى حقائق الأشياء وجوهرها لا إلى مظاهرها وأشكالها.

فهل نجد ذلك عند من يمسكون الأقلام، وَيهزون المنابر من مثقفينا؟ نرجو ذلك.

عبدالعزيز العسكر



دولة الكويت

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية



النشيد الوطني
لدولة الكويت

إنشاد / صلاح الهاشم

الآن.. اطلب نسختك

الإشراف العام
صلاح أبا الخيل

إدارة الإعلام الديني - مجمع الوزارات
بلوك ١٦ - الدور الأول - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
تلفون : ٨ / ٢٢٤٨٧٣٢٧ - فاكس: ٢٢٤٨٧٣٢٦

تفضلوا بزيارتنا .. للفوز بجوائزنا
www.nafaess.com



العدد (٥٥٣) رمضان ١٤٣٢هـ - أغسطس ٢٠١١م

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

www.alwaei.com

قراءة في دفتر قديم

د. يعقوب يوسف الغنيم

شهر التهنئة والبشارة

التغريب ... مفهومًا وواقعًا

بين دولة الفطرة ودولة الشيطان

حكم التسوق الشبكي في ضوء مقاصد البيوع


أسرة التحرير
تهنئكم بحلول
شهر رمضان الكريم

الافتتاحية

التهنئة والبشارة

أسأل الله أن يهله علينا وعلى الأمة بالأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام ، وأن يعيده إلينا وإليهم كل عام ، بالصحة والعافية والسلام .

نزل علينا شهر أظهر الله فضله وأبان ، شهر أنزل الله فيه القرآن ، فرض الله فيه الصيام على أهل الإيمان ، وشرع قيامه على لسان من أنزل عليه القرآن ، لنغتنم أوقاته بالطاعة السامية ، ونتدارك ما فرطنا في الأيام الخالية ، فأين المشمر لقراه بالتوبة والإنابة ، والباذل في ضيافته مقدوره من الأعمال المستطابة؟ فقد حذرنا ذلك حديث «من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه» .

ومن روّته مرضعةُ المعاصي

فقد جاءته أيامُ الفطام

فلتعلُ الهمم في هذا الشهر العظيمِ ، فقد يتفوق المؤمن بهمته العالية كما بيَّن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بقوله «سبق درهم مائة ألف» ، وعالي الهمة يجود بالنفس والنفيس فى سبيل تحصيل غايته ، وتحقيق بغيته ، ولا يرضى بالدون ولا يرضيه إلا معالي الأمور ، واحذر أسباب انحطاط الهمم والوهن ، والفتور ، وإهدار الوقت الثمين في فضول المباحات ، والعجز والكسل ، والغفلة ، والتسويف والتمني .

فمن زرع الحبوب وما سقاها

تأوَّه نادمًا يوم الحصاد

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي



مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٥٣

رمضان ١٤٣٢ هـ

العام الثامن والأربعون

أغسطس - ٢٠١١ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

الموقع الالكتروني:

www.alwaei.com

في هذا العدد

موضوع الغلاف

شهر رمضان محطة تربوية مفعمة بالزاد الذي يحتاج إليه الفرد المسلم لصناعة مستقبله وأداء دوره الإيجابي الفاعل في المسيرة الحضارية المعاصرة



التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

- السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت:١٨٣٤٩٥٧٧٠ (٠٠٢٤٩)
- اليمن - دار القلم للنشر- ف: ٤٦٩٤١٥(٠٠٩٦٧١)
- لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت: ٢٧٧٠٥٠٦٦ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٧٧٠٥٤١٣- دار الأهرام
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذبية . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

- الكويت : ٥٠٠ فلس - السعودية : ٧ ريالات - البحرين : ٥٠٠ فلس - قطر : ٧ ريالات - الإمارات : ٧ دراهم - سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة - الأردن : دينار واحد - مصر : ٢ جنيه - السودان : ٥٠٠ جنيه - موريتانيا : ٢٠٠ أوقية - تونس : ٢ دينار - الجزائر : ١٠ دنانير - اليمن : ٧٠ ريالا - لبنان : ٢٠٠٠ ليرة - سورية : ٣٠ ليرة - المغرب : ١٠دراهم - ليبيا : دينار واحد - اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله - اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

المحتويات

كلمة العدد

التزموا بثوابت الأمة

مع إطلالة شهر رمضان المبارك تتقدم أسرة تحرير مجلة «الوعي الإسلامي» لكتابها وقرائها والأمة الإسلامية قاطبة بأجمل وأسمى آيات التهنئة والتبريكات، داعين الله سبحانه وتعالى للجميع صيامًا وقيامًا مقبولين، ونود أن نهمس في أذن القائمين على شركات الإنتاج الفني والدرامي التي تقدم للمشاهدين مسلسلات دينية وتاريخية درامية يختلط فيها الحابل بالنابل، ويمتزج فيها السم بالدسم، وتشوه في معظمها الحقائق الدينية والتاريخية وتلوى النصوص.. ألا يكون كل ذلك من أجل التأثير على المشاهد وجني أرباح سريعة على حساب هوية الأمة وثوابتها القائمة علىالكتاب والسنة، وإذا كنا لا ننكر دور الدراما التمثيلية في التأثير على إنسان هذا العصر بسبب الخواء الروحي والأخلاقي والقيمي، وبسبب الحياة المادية الجارفة، فإننا نؤكد على أمرين: أولهما، ضرورة انتقاء النصوص الجيدة ذات المضمون والهدف وما أكثرها في تراثنا! وثانيهما، اختيار الممثلين الجيدين الذين لا تعتريهم الشوائب لأداء الأدوار في هذه المسلسلات، وعندها لا يصاب المشاهد بالازدواجية والنفور والتقزز حين يتقمص الممثل الفاسد أدوار شخصيات دينية وتاريخية ذات مثل أعلى في الإخلاص والتجرد والتفاني في سبيل عقيدة الأمة. هذه مجرد ملاحظات مهمة نقدمها للقائمين على شركات الإنتاج الفني من أجل تدارك الخلل الذي تقع فيه سنويًا.

التحرير

الاشتراكات

- **داخل الكويت:** للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- **الدول العربية:** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم:** للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات:** ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المفكر الإسلامي د.محمد سليم العوا:

الخلافة الإسلامية ليست نظامًا ملزمًا للحكم (٢-٢)



القاهرة - دار الإعلام العربية

في الجزء الثاني من الحوار مع المفكر الإسلامي د.محمد سليم العوا، يواصل فضيلته مناقشة أبرز القضايا المطروحة على الساحة الإسلامية والثقافية العربية، ورؤيته للعلاقة بين الدين والسياسة، وهل تراجعت التيارات الإسلامية عن فكرة الخلافة، وهل عليها أن تعيد ترتيب أفكارها وبرامجها، ولماذا تسعى إلى تشكيل أحزاب بعد أن كانت بعيدة عنها، وكذا الموقف من تولي المرأة وغير المسلم مقاليد الحكم في بلد مسلم.. كما تطرق إلى الاستشراق وحقيقة الخطر الذي يهدد الأمة الإسلامية حاليًا.. تفاصيل أوفى تجدونها عبر الصفحات التالية.

علاقة الدين بالسياسة تبادلية.. وإقصاء أحدهما مفسدة للحياة

من آن لآخر يتجدد الجدل حول ارتباط الدين بالسياسة.. فما الذي يجمع بينهما برأيك؟

يجمع بينهما أن الدين نزل من أجل إصلاح الدنيا، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، فنحن مخلوقون للعبادة، والعبادة سياسة؛ لأنك لابد أن تصلح الأشياء وتنهى عن فسادها، و«ساس يسوس أي حكم يحكم»، فيجب أن يكون العمل الديني هاديا للعمل السياسي، والعلم الديني هاديًا للعلم السياسي، والعمل السياسي لابد أن يكون مهتديا بالحلال والحرام الديني، مهتديا بالمندوب والمباح الديني، فهي علاقة تبادلية، الدين يفيد السياسة والسياسة تستفيد من الدين، وبغير هذه العلاقة التبادلية الدائمة تفسد السياسة، ويخرج الدين من الحياة، وإقصاء أحدهما للآخر يفسد الحياة كلها.

الخلافة ليست ملزمة

التيارات الإسلامية في كل البلدان كانت تعمل وتنادي من أجل عودة الخلافة.. لكن يبدو أن هذه الدعوة خفت صوتها، فهل سقطت الفكرة وأصبحت غير مناسبة.. وفي هذه الحالة ما البديل عنها؟

منذ أكثر من ٣٠ عاما كتبت عن فكرة الخلافة الإسلامية، وقلت إنها نظام اخترعه صحابة النبي ﷺ؛ لكي يستطيعوا الاستمرار في قيادة الدولة على النحو الذي كان عليه النبي ﷺ، وهي ليست نظامًا ملزمًا في الحكم، وليست نظامًا معبرًا عن القيم الإسلامية إلى يوم القيامة.. فالذي يعبر عن هذه القيم هي القيم نفسها، سواء وضعتها في نظام سياسي جمهوري أم برلماني أم رئاسي أم ملكي أو أميري، ضعها في أي نظام شئت، رأسمالي أو اشتراكي، فالقيم الإسلامية المتمثلة في العدل والمساواة والحرية والشورى، إلى غير ذلك... إذا وضعتها في أي

نظام سياسي سيتحول هذا النظام إلى نظام متفق مع الإسلام، ولذلك.. المطالبة بالخلافة لم تكن تثير في نفسي العاطفة الإسلامية، والتوقف عن المطالبة بها لم يؤذِ عاطفتي الإسلامية.

والذي أراه أننا نريد حكمًا راشدًا مهتديًا بأصول الشرع، مطبقًا لتفصيلات أحكامه، إذا وجدنا هذا فهو الحكم الإسلامي، وإذا لم نجده فنقترب منه قدر ما نستطيع، فقد يأتي حاكم ويقول لا أستطيع أن أطبق الحدود في هذا الوقت لضرورة ما، نظل معه في هذه الضرورة حتى تنقضي، ثم نعود إلى أصلنا، لكن لا يأتي حاكم فينكر الأحكام جملة كانت أو تفصيلًا، فهذا لا يجوز.

وما الفكرة التي يمكن جمع الناس عليها الآن؟

الآن الفكرة الجامعة للعرب والمسلمين يجب أن تكون فكرة ثقافية وليست سياسية، فلن يجتمع العرب في القريب المنظور على فكرة سياسية، وأقصى ما يمكن أن نصل إليه هو «منظمة المؤتمر الإسلامي» التي دعا إليها السنهوري باشا، وهو أول من نادى بها وقال عنها إنها خلافة ناقصة تجمع الحكام العرب والمسلمين وتصبح بمنزلة المرجعية السياسية لهم.. لكن حتى هذه الفكرة في الظروف الحالية لا تؤدي ما يطلب منها؛ لأنها محكومة بأهواء البعض، وأرى أن تجتمع الأمة على قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾؛ لذلك يكون الاجتماع ثقافيًا وفكريًا؛ لأن الاجتماع السياسي شبه محال في الظروف الحالية.

يجب أن يجتمع العرب والمسلمون على فكرة ثقافية وليست سياسية

مراجعة

وهل التيار الإسلامي مطالب الآن بإصلاح بنيته الفكرية والتنظيمية في ضوء ما يشهده العالم العربي والإسلامي؟

الفكر والمنهج الذي تتبعه هذه التيارات مستمد من القرآن والسنة، لكن كل منهم يأخذ ويترك، منهم من يفهم ومنهم من لا يفهم، منهم من يقترب من الشرع ومنهم من يبتعد عنه، بحسب ما أعطي من ذكاء وفهم، فالذي يحتاجه التيار الإسلامي من وجهة نظري أن يراجع مواقفه العملية على أصوله الفكرية، ويراجع مواقفه السياسية والاجتماعية على أصوله دون خجل أو تكبر، إذا وجد خطأً فعليه أن يصححه.

إذا كان المنهل المستقى منه الفكر واحدًا.. فلماذا الاختلاف إذن؟

هذا هو الأصل، ولو كان هذا ممكنا لاتفقوا منذ أمد بعيد، لكن كما قال الله تعالى ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، فالاتفاق شبه محال، وهذا الاختلاف يثري الحياة ويلبي رغبات الأفراد، سواء من ناحية التشدد أو التسامح والاعتدال، وهذا بدلا من وضع الناس في قالب واحد.

ما رأيك في لجوء بعض التيارات الإسلامية إلى تشكيل أحزاب سياسية؟

إلى الآن لا يوجد حزب قائم على الأقل في مصر، كلها مجرد دعايات وتصريحات، ولم تخرج أي برامج سوى برنامج لحزب واحد، وكل ذلك سيثبت أو ينهار بالممارسة السياسية، وأظن أنه لن تثبت أقدام أي حزب في مصر إلا بعد الانتخابات البرلمانية.

وأرى أن تعدد الأحزاب الإسلامية غير مفيد للمجتمع، على عكس تعدد الجماعات، فالعمل السياسي يحتاج إلى قوة واتحاد، والتشرذم والتفرق يضعفه، ويجب على التيار الإسلامي أن يشارك في العمل السياسي لكن بقواعد العمل السياسي.

رئاسة المرأة وغير المسلم

ننتقل إلى قضية تولي المرأة وغير المسلم الرئاسة في دولة عربية أو إسلامية.. ما رأيك؟

لا أؤيد توليهما رئاسة الدولة، إنما أقول إنه من حقهما الترشُّح، والكلمة الفصل للناخبين، وهناك فرق بين حقهم في تولي الرئاسة وحقهم في الترشح، فحقهم في تولي الرئاسة يبدأ بعد الأصوات وحصولهم على أعلى نسبة فيها، وما أتحدث فيه أنا هو حق سابق على ذلك وهو حقهم في الترشح، ولا يجوز لأحد أن يمنع أحدا من حق الترشح، فالدولة القائمة على أساس مدني دستوري يستدعى فيه الدين ليسدد الخطى ويرشد المسيرة ويبين الحلال والحرام، لكن لا يجوز التفرقة بين المواطنين على أساس عرق أو دين.

البعض يرى أن إعطاء حق القوامة للرجل دون المرأة إجحاف لها؟

القوّام في اللغة هو القائم على الشيء بما يصلحه، ليس الطاغية

أو المستبد، وقوامة الرجل على المرأة لها أمران: الأول أن يقوم بشؤونها من إطعام وكساء وتعليم ورعاية وغير ذلك. والثاني أن للرجل درجة، قال تعالى ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾، هذه الدرجة هي درجة فسخ عقد الزواج بالإرادة المنفردة، فالمرأة إذا أرادت أن تخلص من زوجها تذهب إلى القاضي إما بدعوى الضرر أو بدعوى الخلع، وهنا القضاء يقول قولته.

أما الرجل إذا أراد الخلاص من امرأته فقد مكنه الله من فسخ العقد المبرم بكلمة، وبالتالي القوامة ليست انتقاصًا من حقوق المرأة، بالعكس هي رعاية لها، وهي للرجل تكليف وليست تشريفًا.

لكن هناك من يسيء استخدام هذا الحق؟

نعم يحدث ذلك، فتصرفات بعض الرجال هي التي تسيء، وليست الفكرة الإسلامية هي السيئة.

وهل ما يعيشه العرب الآن يمكن أن نطلق عليه الفوضى الخلّاقة؟

الفوضى الخلاقة وهْم وكلمة لا قيمة لها، الفوضى انهيار، ولا يوجد انهيار يخلق صلاحًا، والذي يحدث في بعض الدول هو تعبير للشعوب عن رؤيتها وحقها.

الاستشراق أغلبه سيئ

لجوء الغرب إلى الإسلام وتعلم اللغة العربية.. ما الهدف منه؟

هذا تجديد لعملية الاستشراق القديمة التي قام بها بعض المخلصين لفكرة الكنيسة الغربية، فيدرسون لغتنا وبلادنا ليكونوا جسرًا بين المستعمر والبلاد، وقد نجحت في وقتها لكن لم يدم هذا النجاح طويلًا بسبب استقلال البلاد العربية واستعادة الإسلام لمكانته؛ لذلك عادوا مجددًا وبدأوا في دراسة اللغة العربية وتعلم الإسلام؛ لكي يتواصلوا معنا، ويؤدي هذا التواصل على الأمد البعيد إلى هزيمتنا، فيجب أن نكون حريصين في التعامل معهم.

وهل اختلف الاستشراق اليوم عن أمس؟

عملية إعادة الاستشراق تتم الآن على نطاق واسع، ففي الماضي كان يأتي واحد أو اثنان على الأكثر، أما اليوم فيأتي المئات في الجامعات والمنظمات والمؤسسات والجمعيات، وحاليا الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري الأميركيان يعرضان على الأحزاب المصرية تدريب كوادرها، وهذا بالطبع ليس لوجه الله.

هل معنى هذا أن الاستشراق سلبي في كل جوانبه؟

العمل الإيجابي الذي قام به المستشرقون عمل فردي، كمن حقق كتابًا أو وجد مخطوطًا، لكن العمل الجوهري للاستشراق كان سلبيًا، وهناك فرق بين العمل الجيد الفردي الذي يحمد صاحبه، وبين الخطة التي من أجلها أقيمت نظريات الاستشراق ومدارسه لكي تهدم العمل الإسلامي وتقضي عليه.

> **الاختلاف يثري الحياة ويلبي رغبات الأفراد بعيدًا عن القالب الواحد**

الخطر الحقيقي

وهل هناك خطر حقيقي على الهوية العربية والإسلامية.. وما دلالاته؟

نعم هناك خطر حقيقي على المستوى الثقافي، وملامحه تكمن فيمن يطالبون بإبعاد الإسلام عن مناحي الحياة، وعدم إثبات الدين في بطاقة الهوية، بينما يترك من ينادي بحرية الناس على شرط ألا تعبر الآراء عن مرجعية دينية أو أخلاقية، فهي بذلك دعوى للإباحيين واللادينيين أن يقولوا ما شاءوا.. أما في الجذور الدينية فليس هناك خوف أو خطر؛ لأن الناس تعلم أن الدين هو عاصمهم، والتمسك به تمسك بالحياة.

هناك خيط رفيع بين الحجر على الأبناء في آرائهم وبين إعطائهم تجربة الحياة.. فما الفيصل في ذلك؟

الفيصل هو المرونة بين الطرفين، فعلى الكبير ألا يقول للآخرين: هذا هو الصواب والباقي كله خطأ، إنما يقول لهم أنا أدعوكم إلى التفكير في هذا الأمر أو ذاك، ويعرض أفكاره على أنها دعوة للتفكير من جانبهم، وعلى الشباب أن يحترموا خبرة الكبير، وألا يعتقدوا أنه بمجرد انتمائهم إلى حزب أو جماعة أو تنظيم يستطيعون أن يعزلوا من هو أكبر منهم ويلقون بهم في الشارع، فالواجب على الكبير أن يحفظ حق الصغير ومكانته وعقله، والواجب على الصغير أن يحترم سن الكبير، وهذا بعض مقتضيات الحديث الشريف: «ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا».

نعيش لنأكل.. أم نأكل لنعيش؟

خاشع بن شيخ إبراهيم

عبارة تتردد على الألسنة في بعض المجالس، فما موقعها من الصحة؟ والجواب غالبًا يكون نأكل لنحيا ونستمتع بالطعام لنعيش.

وقد لفت نظري وأنا أتصفح مجلة «الوعي الإسلامي» الكويتية موضوع «اعتكاف أو اعتلاف»، وهو موضوع جيد ولفتة نظر جديرة بالاهتمام، وقد أجاد الكاتب في عرضه-جزاه الله خيرا- ولفتت نظري في ثناياه العبارة التالية: «نأكل لنعيش أم نعيش لنأكل؟»، والجواب الصواب الذي أراه أننا لا نعيش لنأكل ولا نأكل لنعيش للدنيا القريبة الزوال بل نأكل ونستمتع بالطيبات التي خلقها الله لنا في ظل عبادة الخالق جل جلاله قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات: ٥٦)، فالطيبات مخلوقة لنا لنستمتع بها، ونحن مخلوقون لعبادة الله، ومن الخطأ أن ننشغل بما خُلق لنا عما خُلقنا له، فالثقلان (الإنس والجن) مخلوقان لعبادة الله عز وجل وطاعته ومعرفته.

والإنس من بين الثقلين خُص بمزيد من العناية الربانية، إذ جعله ربه سبحانه وتعالى بعد خلقه آدم خليفته في الوجود كما قال تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة...﴾ (البقرة: ٣٠)، والخليفة ينبغي أن يأخذ عن المستخلِف أوامره ونواهيه وينفذها بدقة وأمانة؛ إذ تحمل هذا الخليفة الأمانة الكبرى وهي «افعل ولا تفعل» عن رضا وطواعية كما قال تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان...﴾ (الأحزاب: ٧٢).

فالإنسان من بين المخلوقات جميعها تميز بحملها، واختار أن يكون كذلك لما في هذه الخلافة من ميزات عظيمة وأهمها رفعته حيث أسجد الله ملائكته له قال تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرًا من طين. فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين...﴾ (الحجر: ٢٨-٢٩)، ثم شرفه الله تعالى بالتكاليف أي بالعبادة أمرًا ونهيًا في حدود طاقته وسعته فقال تعالى: ﴿لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها﴾ (البقرة: ٢٨٦)، فكانت العبادات المفروضة عليه من ربه جل وعلا موجودة في الكتب التي أنزلها الله على رسله من البشر، حتى كان آخرها «القرآن الكريم» على خاتمهم محمد ﷺ وفيه قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ .

والعبادة تعني معرفته سبحانه أولًا، وعبادته ثانيًا، وتتلخص في أركان الإسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج، لكنها لا تقتصر عليها بل تتعداها إلى كل عمل صالح يقوم به الإنسان المسلم يبتغي به وجه الله تعالى، سواء في ذلك الأعمال التي تتعلق بالآخرة كالتي ذكرناها، أو تتعلق بالدنيا كالعلم بأنواعه وتخصصاته ومجالاته الواسعة، وأشرفه معرفة الله عز وجل وما يتصل به من أمور العقيدة وفروضها، ثم ما له علاقة بالدنيا كالعلوم الإنسانية والنظرية والتجريبية، وما توصل إليه الإنسان في الوقت المعاصر من اختراعات وصناعات وتقنية واتصالات سريعة حتى غدت الكرة الأرضية قرية صغيرة.

وتعلّم هذه العلوم وغيرها مما يستجد مطلوب شرعًا بل هو فريضة، قال تعالى: ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض...﴾ (يونس: ١٠١)، وعلى المسلم أن يسعى إليها ولو كانت في أقاصي المعمورة، كما قيل: «اطلبوا العلم ولو في الصين» (ضعيف الجامع)، لأن الحقائق العلمية لا وطن لها فهي ملك للبشرية جمعاء.

والمسلم بحّاث عن الحكمة فإذا عثر عليها أخذها، ففي الحديث «الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها» (مفتاح دار السعادة لابن القيم)، وعليه فإن الإسلام من بين الأديان جميعها لم يفرق في تعاليمه وتوجيهاته بين العلوم الدنيوية والأخروية ما دامت كلها تصب في قنوات نفع الإنسان ليكون في عبادة دائمة لله، وحتى يدفع المسلم إلى طلبها والتبحر فيها ويشوقه إليها جعلها فريضة وعبادة، فقد قال تعالى مبينًا فضل العلماء ودرجتهم: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ (المجادلة: ١١)، ونفى المساواة بينهم وبين من لا يعلمون فقال تعالى: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ (الزمر: ٩)، وقال ﷺ: «من سلك طريقًا يلتمس علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة» (عارضة الأحوذي).

والعلوم الدنيوية تكون أخروية يؤجر عليها طلابها والسالكون إليها بشرطين: أولهما النية لقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» (صحيح البخاري)، وثانيهما كونها نافعة؛ لحديث «لا ضرر ولا ضرار» (الأربعون النووية)، لذلك كانت الصناعات بأنواعها والمخترعات بأصنافها عبادة، لما فيها من قوة للمسلمين

• باحث دراسات إسلامية

ونفع لهم قال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة...﴾ (الأنفال: ٦٠)، وكذلك المهن المختلفة كالغراس والزراعة قال ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة» (صحيح البخاري).

ومثل الزراعة التجارة فهي عبادة كما ورد في الأثر: «إن أطيب الكسب كسب التجار، الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يمدحوا، وإذا كان عليهم لم يمطلوا، وإذا كان لهم لم يعسروا» (ضعيف الترغيب). والعمل عبادة فكريًا كان أو يدويًا، فالتفكير عبادة بل فريضة قال تعالى: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ (الحشر:٢١)، وقال تعالى:﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾(آل عمران: ١٩٠)، والعمل اليدوي عبادة قال ﷺ: «من أمسى كالًّا من عمل يده أمسى مغفورًا له» (الترغيب والترهيب للمنذري). وهكذا نجد أن الإسلام قد شمل بتعاليمه علوم الدنيا والآخرة من خلال كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، لأنه دين الله قال تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ (آل عمران: ١٩)، وأكمله ورضيه لعباده دينًا، قال تعالى:﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ (المائدة: ٣)، فإذا عرف المسلم هذه الحقيقة عاش لله وسخر طاقاته المادية وملكاته الفكرية والعقلية لإرضاء ربه عز وجل وطاعته، فهو لا يعيش ليأكل ولا يأكل ليعيش عيش البهائم والدواب، إنما يعيش في عبادة الله ليكون عبدًا خالصًا لربه لا لدنياه، وهو بهذا سعيد كل السعادة، لأنه وجد نفسه وعرفها، ومن عرف نفسه



معرفة صحيحة عرف ربه وخالقه، عرف بأنه قبضة من طين الأرض، ونفخة من روح الله. فمن عرف الجانب الطيني منه ولم يعرف نفخة الروح فيه فقد جانب الصواب ولم يعرف حقيقته، ومن أعطى الجزء الطيني فيه غذاءه مما انبتت الأرض ولم يعط الجانب الروحي غذاءه من الإيمان بالله ومعرفته عز وجل وأشواق روحه وسلامة فطرته ولم يعطها حقها بل جهل قدرها وحرمها ما به حياتها وقوامها، فقد ظلم الفطرة الإنسانية.

«كتب أحد الأطباء اللامعين جدولًا لطيبات الحياة المعترف بها كرغائب دنيوية فذكر الآتي: الصحة، الحب، الموهبة، القوة، الثراء، الشهرة، ثم تقدم بها إلى شيخ حكيم فقال الشيخ: جدول بديع وهو موضوع على ترتيب لا بأس به، ولكن يبدو لي أنك أغفلت العنصر المهم الذي يعود جدولك بدونه عبئًا لا يطاق، وضرب بالقلم على الجدول كله وكتب كلمتين سكينة النفس، وقال: هذه هي الهبة التي يدخرها الله لأصفيائه، وانه ليعطي الكثيرين الذكاء والصحة والمال والثراء والشهرة أما سكينة النفس فإنه **يمنحها بقدر**»(١).

فالذي يعيش ليأكل أو يأكل ليعيش شخص لا يعرف الغاية من وجوده ولا الهدف من حياته، فيعيش للجسد ومتطلباته وشهواته وينسى متطلبات الروح وأشواقها وما به سعادتها وراحتها، ويرحم الله من قال:

يا خادم الجسم كم تشقى لخدمته
تبتغي الربح مما فيه خسران
أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

ومثل هذا الإنسان لا يدري الغاية من وجوده كما لا يدري لم يعيش؟ وكيف يعيش؟ ومن أين جاء؟ وإلى أي شيء يصير؟ فهو وأمثاله يحيون حياة لا طعم لها وعيشا لا معنى له، كله قلق وحيرة وعلامات استفهام وأسئلة لا تجد عندهم جوابًا، فهم كريشة في مهب الريح طائرة.. لا تستقر على حال من القلق.

تشعر بهذا حين تقرأ مؤلفاتهم وكتاباتهم (نثرًا وشعرًا)، فهذا الشاعر إيليا أبو ماضي يقول في قصيدته التي سماها «الطلاسم»:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت
ولقد أبصرت قدامي طريقًا فمشيت
وسأبقى سائرًا شئت هذا أم أبيت
كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟ لست أدري

وهي قصيدة طويلة اكتفينا منها بهذين البيتين اللذين تدل كلماتهما على حيرته وضياعه وجهله، فإذا كان هذا الجهل والضياع والحيرة لشاعر كبير طار صيته في الآفاق، وحفظ شعره الأجيال فما بالك بمن دونه!

وهذا ما عليه الإنسان المعاصر اليوم، ضياع في دنياه وجهل بمبدئه ومنتهاه، شقي في ظل الحضارة المادية التعيسة التي تغذيها المفاهيم الغربية والشرقية على حد سواء، حتى أصبح إنسانًا ممسوخًا روحًا وإنسانية وفكرًا وأشواقًا بسبب بعده عن الحقيقة وجهله بنفسه وربه الذي خلقه وقال له: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾، فالعبودية للخالق هي وظيفة

المخلوق، يقول أحد أقطاب الغرب: «إذا لم نكن واعين فإن التاريخ سيذكرنا على أننا الجيل الذي رفع إنساناً إلى القمر بينما هو غائص إلى ركبتيه في الأوحال والقاذورات»(٢)، فإذا انتشرت في بلادهم وبين أسرهم وشبابهم الأمراض المستعصية النفسية منها والعضوية والجنسية والتي كان آخرها الإيدز، والحالات العصبية من جنون وانتحار بنوعيه، البطيء عن طريق المخدرات والسريع عن طريق إلقاء نفسه من شاهق أو في بحر ليغرق ليتخلص من أزماته الخانقة وأوجاعه الأليمة لفقده العنصر الروحي من حياته، فهذا ليس بعجب ولا مستغرب، والأعجب والأغرب أنهم يحسبون أنهم مهتدون وأنهم يحسنون صنعًا.

وهنا يأتي دور الدعاة من العلماء الأكفاء ليبصّروهم بواقعهم المؤلم وطريقهم المنحرف، وإرشادهم إلى طريق النجاة المؤدية إلى دوحة الإيمان في ظل عبادة الرحمن، حيث يجد الإنسان هناك الراحة الفكرية والسعادة النفسية والطمأنينة القلبية، والنوم العميق الهنيء ملء الجفون بلا حبوب «فوستان وفاليوم» وعياراتهما المختلفة، وبلا «ابر مورفين» ليأخذ قسطاً من الراحة لا تجديه شيئًا ولا تنتشله من أمراضه الكثيرة وأزماته الخانقة، بينما المسلم بإيمانه وعبادته لربه وتمسكه بكتابه وسيره على سنة نبيه ﷺ ومحجتها البيضاء في أمن وراحة بال لذا قال تعالى: ﴿واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ (الأنفال: ٤٥).

ثم كانت الصلاة، التي هي أهم عبادة في الإسلام، من أعظم وسائل الإصلاح الفردي والتربية الأخلاقية والترويح عن النفس قال تعالى: ﴿وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾ (العنكبوت: ٤٥)، وكان النبي ﷺ إذا حزبه أمر لجأ إلى الصلاة وقال: «يا بلال، أقم الصلاة، أرحنا بها» (صحيح الجامع).

هكذا يعيش المسلم لربه لا لبطنه، فينتعش ويسعد ويطمئن إلى أن يلقى ربه عز وجل، وهناك الفرحة الكبرى في الفراديس العالية والرضوان الأكبر من الله جل جلاله.

من يعيش ليأكل أو يأكل ليعيش لا يعرف الغاية من وجوده ولا الهدف من حياته

أما ما عليه الشعوب الغربية والشرقية على حد سواء فإنهم كما قال الله تعالى عنهم: ﴿يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ (الروم: ٧).

يعيش الإنسان في تلك البلاد لنفسه وشهواته العاجلة وملذاته القاتلة التي فيها شقاؤه وتعاسته وضياعه، إذ لا هم له سوى إشباع شهوتي البطن والفرج، عيشة البهائم والدواب غافلاً عن مصيره في الآخرة كما قال تعالى: ﴿والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم﴾ (محمد: ١٢)، ويقال لهم يوم القيامة يوم الحسرة والندامة- تبكيتا-: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾ (الأحقاف:٢٠).

أجل يعيش ذا الإنسان المجانب لهداية السماء والجاحد بالإيمان بالله الواحد، المنكر ليوم المعاد والجزاء، يوم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون، لا يدري لعيشه سببًا سوى المزيد من الطعام والشراب كالبهائم التي لا هم لها سوى إشباع شهواتها، ينكح ويستمتع لكن دون هدف أو غاية في جو خانق مسموم مظلم، ويبقى هكذا يتنقل بين الشقاء والتعاسة والضياع ويبقى كذلك حتى يعثر على الإيمان الذي هو منه قاب قوسين أو أدنى، قال تعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (الذاريات: ٢١)،لكن غروره بعقله وعلومه ومنجزاته المادية يحول بينه وبين ذلك، يقول القرآن عن هؤلاء وهم يصطرخون في النار: ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير. فاعترفوا بذنبهم فسحقًا لأصحاب السعير﴾ (الملك:١٠-١١)، جاء هذا الاعتراف متأخرًا كثيرًا عن وقته حين كان في الدنيا، وهذه هي نهاية ذلك الإنسان الذي عاش ليأكل أو أكل ليعيش حياته شقاء وتعاسة، ويوم القيامة يرد إلى أشد العذاب.

فعلى الدعاة إلى الله، لاسيما الذين يعيشون بينهم ويلمسون ويرون هذا الضياع والشقاء والجهل بأنفسهم ومستقبلهم، أن يدعوهم إلى الله، أي إلى الأمن والأمان وسكينة النفس واطمئنان القلب، في ندوات ولقاءات وحوارات بأسلوب عصري حكيم جذاب بالدعوة إلى «العالمية» بدلاً من العولمة، وإلى العدل والرحمة والمساواة بدلاً من الديموقراطية، وفي نظري أنهم لو دُعوا إلى الله بهذا الأسلوب المجدي الذي يتلخص في قوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ (النحل: ١٢٥) على أن يكون بالخروج من حظوظ النفس وبالحوار الهادئ الهادف والقول الحسن كما قال تعالى: ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ (البقرة: ٨٣).. لو فعل ذلك الدعاة إلى الله لأثّروا فيهم تأثيرًا كبيرًا، وأزالوا عنهم خيوط الجهل والغرور والغفلة، وأخرجوهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن الجهل بمبدأهم ومنتهاهم إلى معرفة المبدأ والمصير كما قال تعالى: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ (طه: ٥٥).

منها خلقناكم للثواب والعقاب، وفيها نعيدكم للدود والتراب، ومنها نخرجكم للعرض والحساب، وبارك الله في جهود المخلصين من الدعاة والعاملين في حقل الدعوة الإسلامية أينما كانوا.

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

١- الإيمان والحياة للقرضاوي.
٢- إنسانية الإنسان، رينيه دوبو.

بين دولة الفطرة ودولة الشيطان

محمد مسعد ياقوت*

الإنسان مستخلف في الأرض، وعلمه الله الأسماء كلها، لتحقيق العبودية الكاملة لله فوق كوكب الأرض، أرسل له الرسل يسوسونه بالكتاب الذي أنزله الله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه. فكان الأنبياءُ ساسة البشر، وزعماء النهضة، وقادة الإصلاح.

المترفون- وأصحاب المصالح الخاصة- كانوا في كل مرة ضد منهج الأنبياء، وضد تمكين الحق، وضد أن يكون للإسلام دولة، فالمترفون لا يُقيمون حضارةً فحسب، بل هم عائقٌ في سبيل الحضارات، وقليل منهم من ينهى عن الفساد في الأرض ﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ (هود: ١١٦).

دومًا كانوا رافضين لسبيل الفطرة على طول الخط، وكانوا هم المتصدين لكل مصلح ولكل مجدد ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ (سبأ: ٣٤).

والمترفون هم أصحاب النفير الإعلامي في كثير من الأحيان بحكم نفوذهم، وهم أرباب التبعية والتقليد الأعمى لكل ضب والج في جحر ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٣).

وأمثال هؤلاء ينبغي الحذر منهم، وألا نثق في مقالهم وإن أظهروا الخوف على مصالح البلاد والعباد، فحالهم كحال فرعون حينما قال في موسى: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (غافر: ٢٦).



وفي جميع مراحل بناء الدولة، ستراهم يثبطون، ويبطئون، ويُعوقون.

هم أعداء النجاح، الذين يقلّون عند الفزع ويكثرون عند الغنيمة..

والمترفون دومًا هم أداةٌ من أدوات الشيطان لبناء دولته.. منهم مسلمون غافلون، وكثيرٌ منهم فاسقون.

فكما أن إبليس يُعوق بني آدم عن الفطرة، ويصرفُ الإنسان عن المنهج، يُؤخرون ويتأخرون، ويثبطون الناس، ويتأخرون عن ركب العمل لدين الله، ويتلكأون.. فإن دخلتم في معركة، وأصابتكم جراحات، وقُتل فيكم مَن قُتل، قال الواحد منهم- شامتًا متشفيا: قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ، إذ جلستُ في بيتي وادعًا، ولم أخرج للجهاد، ولم أكن معهم حاضرًا فأصاب أو أُقتل!!

وفي أمثالهم قال الله: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٧٢).

كما حدث في يوم أحد، فرح المنافقون بما حدث للمؤمنين، وكما يحدث في كل معركة في أي زمان، فإذا كانت هزيمة شمت المنافقون، وإذا كان نصر تسولوا على هذا النصر، وحاولوا سرقة جهود المؤمنين.

ومثل هذه الآية قولُ الله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الأحزاب: ١٨).

* باحث دراسات إسلامية

ويريد أن يتحاكم الناسُ إلى الطواغيت، ويضلهم بذلك ضلالاً بعيدًا، فإن أتباعه من شياطين الإنس والجن، يعملون لهذه الغاية في مكر الليل والنهار.

كان الشياطينُ- ولا يزالون- يعملون لهذه الغاية من أجل أن تنحرف البشرية عن دولة الفطرة.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: ١١٢).

فكانت المعركة بين قبيلين، بين منهج الله الذي قام به الأنبياء والربِّيُّون، ومنهج الشيطان الذي قام عليه أولياؤه من شياطين الجن والإنس.

قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ٢٧).

فلا عجب حينما تسمع عن أناس من أهل النفوذ الآن، وقادة شركات عالمية، ورجال دولة كبار يكشفون عن عبادتهم للشيطان، في طقوس معينة.

وهؤلاء سيُقرّعون يوم القيامة: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (يس: ٦٠).

ومن الغريب حينما يأتي الحديث عن عبدة الشيطان، فإن الكلام يتجه نحو حفنة من الشباب المنحرف الذي لا يعلم هرًّا من بر.. لكن القضيةُ في حقيقتها تتعلق بتنظيم عالمي، يؤدي نفس الطقوس، فالممارسات التي يُعبد فيها الشيطان في مصر هي نفسها التي تتم في أميركا وأوروبا وسائر البلدان.

والقائمون على هذا التنظيم هم من قادة المجتمع سياسيًا واقتصاديًا وإعلاميًا.

والحقيقة أن أتباع ديانة الشيطان إنما يتعبدون إليه من أجل تحقيق النفوذ، والنجاح السياسي والاقتصادي، والوصول من خلال الشيطان إلى طول العمر ومُلك لا يبلى، كما كان الشيطان

الشيطان الذي كان للرحمن عصيًا وللأنبياء معاندًا لم يكن ليهدأ حتى يقيم له في كل عصر دولة

يعدُ من قبلهم ويمنيهم.

ولابد من ممارسة الفحشاء في هذا الطقوس، من أجل أن يرضى الشيطان ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء﴾ (البقرة: ٢٦٨).

والشياطين تحرك الفاسدين وتدفعهم نحو الانحراف عن منهج الله، وتَؤُزُّهُمْ أَزًّا، وتهيجهم نحو الفساد في الأرض ونهب الثروات وهتك الأعراض.. هذه هي الحقيقة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ (مريم: ٨٣).

الشيطان يوحي إلى هؤلاء زخرف القول، وجميل التنظير، وفن التحليل.. لكنّ لتزيين الشر وتجميله.

عليهم تَنَزَّلُ الشَّيَاطينُ من أجل ألّا تقوم للحق دولةٌ في الأرض، وبحيث يظل هابيل وقابيل متقاتلين.

وبحيث يظل سفكُ الدماء والفسادُ في الأرض.

سفك الدماء والفساد اللذانس كانت تخشاهما الملائكة من خلق آدم، هما أهم نتائج حُكم الشيطان.

ولو ترى إذِ الشيطانُ جعل من العالم قابيل وهابيل!

من حرب بين المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي، وحروب عالمية بين قوتين عظميين، وحربٍ بين الغرب والإسلام.

ومن يشكك في حقيقة خضوع المفسدين للشيطان، بشكل مباشر أو غير مباشر، فإنا نرجوه أن يتأمل في وقفة صادقة مع النفس لقصة خلق آدم، وإنزالِ الله لآدم وحواءَ وإبليسَ الأرضَ،

وقوله تعالى لهم: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (البقرة: ٣٦)، فهل يُتصور أن تكون العداوة بين الإنسان وإبليس توقفت يومًا، ذلك الشيطان الذي أقسم ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الأعراف: ١٦)، وهل يكون الصراط مستقيمًا والدين قيمًا من دون الحُكم بما أنزل الله؟

وهل يُتصور أن تكون هذه العداوة من غير تخطيط، واقتصاد، وإعلام؟

وهل يُعقل أن تكون عداوة الشيطان من دون نشر الحرب على الفطرة، ومحاربة الفضيلة، والسخرية من الشريعة، وتيئيس الناس من دولة الإسلام؟

أم أن عداوة الشيطان- هو وقبيله- مقصورةٌ فقط حينما يأتي إليك في الصلاة، يُوسوس لك، يفسدها عليك؟

وقد علمتَ من حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلَى الْبَحْرِ فَيَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَيَفْتِنُونَ النَّاسَ فَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً» (أخرجه مسلم)، وهل من فتنة أعظمُ من تغييب شرع الله في الأرض؟

لقد كان الشيطانُ يفرق بين الإنسان وفطرته، والبشرية والكتاب، والمسلمين ودولتهم كما يفرق بين المرء وزوجه!

إن كان يئس من أن يُعبد في جزيرة العرب، فلا يزال عبّادُه في سائر البلدان، ويُحرشُ بين الموحدين، قال النبي ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ» (أخرجه مسلم).

إن الشيطان الذي كان للرحمن عصيًّا وللأنبياء معاندًا، لم يكن ليهدأ حتى يقيم له في كل عصر دولة..

دولة تقع بين قرني شيطان!

لكنْ.. الله غالبٌ على أمره، ودولته غالبة، فهي نظام الفطرة، وخلافة الحق، و﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

الحسبة والاحتساب.. نظام إسلامي في الرقابة والجودة

أ.د. بركات محمد مراد

كلمة الحسبة في المؤلفات الإسلامية، وبخاصة ما يتعلق منها بالأحكام السلطانية أو السياسة الشرعية، تفيد مدلولا خاصا لا يقتصر على مجرد ما يفيده المعنى اللغوي للكلمة من دلالات تتعلق بالأجر والمثوبة، وإنما يتجاوز ذلك ليدل على نظام إداري وقضائي معين، كان يقوم بدور الرقابة الفعلية لضمان حماية المصالح الشرعية التي يتوجب على السلطة ان تقوم بحمايتها ورعايتها.

كان علماء الفكر الإسلامي يلخصون دور جهاز الحسبة - الذي كان يعتبر ولاية خاضعة لولاية القضاء العامة أو هي نوع من القضاء، بحكم ما يملكه (المحتسب) من صلاحيات قضائية محدودة- بالقيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكلمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كلمة شائعة في الفكر الإسلامي، وهي ذات مدلول ديني خاص، بالرغم من سعة ما تشتمل عليه من دلالات اجتماعية وأخلاقية وتشريعية، وأبرز تلك الدلالات أخلاقية الفكر الإسلامي، وتماسك المجتمع الإسلامي وترابطه، في ظل المسؤولية التي يتحملها كل فرد من أبناء ذلك المجتمع. فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعار المجتمع الإسلامي، وكل فرد في هذا المجتمع يمارس دوره في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعتبر ذلك مسؤولية دينية يثاب عليها فاعلها، ويأثم من يرى المنكر ولا ينهى عنه، ولو كان ذلك النهي باللسان أو بمجرد الإنكار القلبي (١).

ويمتاز موضوع «الحسبة» بالشمول والسعة والتفصيل الدقيق والمتابعة المستمرة لكل ما يمت بصلة إلى حياة الإنسان منذ ساعة استقراره في المدن والأمصار. وهو باختصار يعمل على مراقبة وتصويب الأقوال والأعمال والسلوك العام للإنسان في المدن والحواضر ونحوها.

ولقد اختصت المدن في العهد الإسلامي بتبني هذا النظام حيث الضبط العام والإتقان المتناهي للأعمال والأقوال في المدن، والمطّلع على كتب الحسبة سيعرف الدقة المتناهية التي يشترطها المحتسب في الصناعة، وسيفهم السلوك الإنساني المشروع الذي يرضاه الشرع، وسيكتشف السبق الحضاري للمدن العربية والإسلامية في تلك العصور فيما يختص بالرقابة والجودة.

وليس هناك ما يمنع من إقامة هذا النظام الرقابي في مدننا المعاصرة، لأنه متوافق مع حياة الإنسان مع تبدل الحاجات، ولحاجة الإنسان الماسة للضبط العام في المدن التي غالبا ما يشوبها وما يعكرها أحيانا، مما يستدعي وجود المحتسب والحسبة، وما نظام الشرطة والبلدية في زماننا المعاصر، وكذلك الرقابة والجودة في اللحظة الراهنة إلا صورًا من الاحتساب في المدن والحواضر الإسلامية(٢).

تعريف الحسبة: المتأمل لتعاريف الحسبة والاحتساب عند من نظر فيهما وألف من كبار المصنفين يجد أنها متقاربة بوجه عام بل ومتطابقة أحيانا، فالماوردي في «الأحكام السلطانية» وأبويعلى في «الأحكام السلطانية» أيضا، وكذا ابن الإخوة في «معالم القربة» كلهم يرى أن الحسبة «أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله»، ويتقارب معهم أيضا الشيزري في تعريفه للحسبة، قال في «نهاية الرتبة: «لما كانت الحسبة أمرا بمعروف ونهيا عن منكر وإصلاحا بين الناس...إلخ» (٣). وعامة فالحسبة مأخوذة من معنى الأجر

باحث في التراث

والمثوبة، يقال: فعلت هذا الأمر حسبة لوجه الله، أي تطوعا، وأحتسب هذا الأمر عند الله أي جعلت أجري من الله، وتستعمل في مجال القضاء كلمة «الدعوة الحسبية» ويُراد بها الدعوى التي يقيمها صاحبها للدفاع عن مصالح الناس، ولمنفعتهم.

أصل الحسبة ومصدرها: من المؤكد أن فكرة الحسبة قد ابتدأت مع بداية التاريخ الإسلامي، حيث كان مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو المنهج الأول في بناء المجتمع الإسلامي، ونجد الأصول التوجيهية والتشريعية لهذا المنهج الإسلامي في النصوص القرآنية التالية: قال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (آل عمران: ١٠٤). وقال تعالى أيضا: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ (الحج:٤١). وقال تعالى أيضا: ﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾ (التوبة: ١١٢).

كما نجد أن السنة النبوية قد دعت إلى الاعتماد على هذا المنهج، تأكيدا لروح المسؤولية الجماعية، في الدفاع عن القيم والأخلاق الإسلامية. روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

ويدخل المنكرات ما نهى الله ورسوله عنه، من العقود المحرمة: مثل عقد الربا، وعقد الميسر وبيع الغرر، لأن النبي ﷺ نهى عن بيع الغرر، كبيع السمك في الماء والطير في السماء (٤)، وبيع النجش وهو أن يزيد في السلعة من لا يريد شراءها، وكتصرية الدابة اللبون، وبالجملة سائر أنواع التدليس(٥).

وقد باشر النبي ﷺ الحسبة حين مر بالأسواق، فقد روى مسلم عن أبي هريرة: «أن رسول الله ﷺ مَر على صبرة طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللا، فقال يا صاحب الطعام ما هذه؟ فقال أصابته السماء يا رسول الله (أي المطر)، قال: أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس؟ ثم قال: من غش فليس منا»(٦).

الخليفة عمر بن الخطاب كان يقوم بنفسه بالرقابة الفعلية ويمارس دور المحتسب في الأسواق

وروى ابن المنذر عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «أنه وقف على طعام في سوق المدينة، فأعجبه حسنه، فأدخل رسول الله ﷺ يده في جوف الطعام، فأخرج شيئا ليس بالظاهر، فأفف رسول الله ﷺ (أي قال أف ضجرا واستثقالا) بصاحب الطعام، ثم نادى: أيها الناس! لا غش بين المسلمين، من غش فليس منا»(٧).

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إياكم والجلوس في الطرقات، قالوا يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها، قال رسول الله ﷺ فإذا أبيتم إلا المجلس، فأعطوا الطريق حقه، قالوا: وما حقه؟ قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»(٨).

ويخبرنا الدكتور عطية مصطفى مشرفة(٩) ان النبي لم يقصر الحسبة على نفسه، بل أشرك غيره فيها، فقد استعمل رسول الله ﷺ سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية بعد الفتح على سوق مكة، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف خرج معه وبقيت الحسبة بعد وفاة النبي، فقد استعمل عمر بن الخطاب السائب بن يزيد على سوق المدينة مع عبدالله بن عتبة بن مسعود، كما استعمل النساء في هذه الوظيفة أيضا، فولى الخليفة عمر بن الخطاب الشّفاء على سوق المدينة، وكانت لها منزلة كبيرة عنده، حتى إنه كان يقدمها في الرأي، وتولت السيدة سمراء بنت نهيك الأسدية هذا المنصب أيضا، وقد أدركت رسول الله وعمرت طويلا، وكانت في الأسواق تأمر وتنهى عن المنكر، وتضرب الناس على ذلك بسوط معها، فلصاحب الحسبة الحكم على من غش في أسواق المسلمين في خبز أو عسل أو غير ذلك من السلع.

أما «نظام الحسبة» من حيث مباشرة السلطة لدور الرقابة لحماية المصالح الجماعية، فإننا نجد الخلفاء الراشدين قد قاموا بهذا الدور، وبخاصة أن الروايات التاريخية تؤكد لنا أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب كان يقوم بنفسه بالرقابة الفعلية، ويمارس دور المحتسب في الأسواق فيأمر وينهى، ويزجر المخالفين بسوطه.. ولعل ذلك كان يمثل البداية الفعلية لممارسة السلطة لدورها في الرقابة على المصالح العامة، إلا أن طبيعة الحياة في الجزيرة العربية، في ذلك الحين، وبساطة الجهاز الإداري، وعدم بروز معنى السلطة بالمفهوم الشائع اليوم، لم يعط لمعنى الحسبة مفهوما تنظيميا يمارسه جهاز مختص متفرغ.. وكان الأمر لا يعدو ان يكون مجرد قيام الخليفة بنفسه أو من ينوب عنه، بدور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في حدود ما يتوفر لهما الاطلاع عليه من حياة الناس ومعاملاتهم.

أهم كتب الحسبة: أما أهم كتب الحسبة التراثية (١٠) كتب وهي: الأحكام السلطانية، للماوردي (٣٦٤. ٤٥٠ هـ)، الأحكام السلطانية، لأبي يعلى (ت ٤٥٨هـ)، نهاية الرتبة، للشيزري (ت ٥٨٩ هـ)، معالم القربة في طلب الحسبة، لابن الإخوة (٦٤٨. ٧٢٩ هـ) نهاية الرتبة في طلب الحسبة، لابن بسام (القرن الثامن الهجري)، نصاب الاحتساب للسنامي (القرن الثامن الهجري)، معيد النعم ومبيد النقم، للسبكي (ت ٧٧١هـ)، الحسبة في الإسلام، لابن تيمية (٦٦١. ٧٢٨هـ) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال (ت ٣١١هـ) كتاب الحسبة، لجمال الدين بن الهادي (ت ٩٠٩هـ). وهناك ايضا كتب أخرى كثيرة.

المحتسب ووظائفه: وحينما صارت هذه المهمة الدينية أو الرقابية وظيفة يقوم بها شخص المحتسب، كان يشترط فيمن يتولاها

أن يكون حرا، عدلا فقيها، عالما بالأحكام الشرعية، وكانت وظيفة مراقبة المكاييل والموازين، ومراقبة من تسول له نفسه الأمارة بالسوء الغش ببخس أو تطفيف فيهما، وكانت لها دار خاصة بها، فكان المحتسب يطلب جميع الباعة إلى هذه الدار في أوقات معينة ومعهم موازينهم وسنجهم ومكاييلهم، فيعايرها فإن وجد فيها خللا صادرها، وألزم صاحبها بشراء غيرها، أو أمره بإصلاحها.

كما كان على المحتسب أن يلازم الأسواق من وقت لآخر، ويتخذ له من العيون من يطلعه على أخبار الناس الأشرار ليوقف كلا عند حده، ويلاحظ ما يقع من غش وتدليس في مبيع أو ثمن وفي الأخذ والعطاء، كما يراقب المماطلين والمتأخرين في دفع الديون، ويسهر على استيفاء الديون لأربابها، ويأمر بأداء الأمانة، والصدق والنصح في الأقوال والأعمال، ويتفقد أحوال الصناع الذين يصنعون الأشربة والأطعمة والملابس والآلات وغيرها، فيمنعهم من صناعة المحرم على الإطلاق، ويمنع صاحب كل صناعة من الغش في صناعته، ويمنع من إفساد نقود الناس وتغييرها (١١).

ووظيفة المحتسب ولاية خاصة يقوم صاحبها بالاحتساب نيابة عن الحاكم، وكان لصاحبها حق النظر فيما يتعلق بالنظام العام وفي الجنايات أحيانا، مما يستدعي الفصل فيها إلى السرعة، فكان المحتسب ينظر في مراعاة أحكام الشرع، ويحول دون بروز الحوانيت، لأنه يعطل المرور، أو يضايق الجمهور، وكان يهدم المباني القديمة المتداعية، تفاديا مما يحصل من الحوادث بسبب انهيارها على المارة في الطرق.

ولصاحب الحسبة الحكم على من غش في أسواق المسلمين في خبز أو عسل أو غير ذلك من السلع. وكان عمر بن الخطاب يطرح اللبن المغشوش في الأرض أدبا لصاحبه، وروي عنه انه أحرق بيت رويشد الثقفي لأنه كان يبيع الخمر، وقال له: «أنت فويسق ولست رويشد». وروي عنه ايضا أنه رؤي مرة يضرب جمّالا ويقول له: «حملت جملك ما لا يطيق»(١٢).

وكان المحتسبة يجبرون رؤساء المراكب على ألا يحملوا من السلع ما يزيد عن حمولة مراكبهم، ويمنعونهم من المسير عند اشتداد الريح، وإذا حمل في السفن الرجال والنساء حجز بينهم بحائل، كما كانوا يلاحظون القرب ووجوب تغطيتها والسقائين ووجوب لبسهم السراويل، بحيث لا يظهر من أعضاء جسمهم ما يتنافى مع الآداب العامة، وكانوا يشرفون على صغار الأولاد بحيث لا يضربهم معلمو الكتاتيب ضربا مبرحا، وكانوا يلاحظون معلمي السباحة، عندما يعلمون الصغار، فكان صاحب الحسبة يراعي الأمانة والأخلاق الفاضلة، وله أن يستعين بالشرطة إذا أراد عند تنفيذ أحكامه(١٣).

وفي بعض الأحيان كانت وظيفة المحتسب تسند إلى القاضي، وكان المحتسب ينتخب من أعيان المسلمين، واعتبر منصبه من المناصب الدينية الهامة. وكان له ان يلاحظ الطرق العامة، ويفتش قدور الطعام، ويشرف على محال الجزارة، ويختم اللحوم، ويأمر السقائين بتغطية قربهم، ومراعاة عيارها. وكان من واجب المحتسب أن يأمر الناس بإقامة الجمعة، ويؤدب على الإخلال بها، ويأمرهم بصلاة العيد، وصلاة الجماعة في المساجد، وإقامة الأذان فيها للصلوات. ومن فرط من المؤذنين في واجباته ألزمهم بأدائها على أحسن وجه، واستعان فيما يعجز عنه الوالي والقاضي، ويأمر الناس بالصلوات الخمس في ميعادها، لأن من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ويعاقب من لم يصل بالضرب والحبس، ويعمر مساجدهم، ويؤاخذ السادة بحقوق العبيد، وألا يكلفوا من الأعمال ما لا يطيقون.

مهام المحتسب في المدينة: عامة يلاحظ أن أعمال المحتسب ومهامه في المدن تشمل إصلاح الشوارع من وضع الميزاب واتخاذ الدكاك على الأبواب، ومنع عمارة الحيطان في شيء من الشوارع، ومنع شغل هواء الشارع بالجناح، وكذلك النظر بين الجيران في التصرفات المضرة كالنظر وسد الضوء والحسبة في الحمامات، وفي منكرات الأسواق، ورفع الضرر عن الأزقة والرحاب وغيرها. وكذلك الحسبة على الأخلاق العامة في الطرق، وعلى الزروع والحرف والصناعات والمساجد، وحفظ المدن والأحياء والساحات، والنفايات، والمزابل، والحسبة على المثاقيل والأوزان والبيوع المحرمة، والحسبة على الخبازين والطباخين وباعة الأطعمة، والحسبة على غير المسلمين، والاحتساب على القضاة والأمراء، والاحتساب على اللعب(١٤).

ويمكن تقسيم أنواع وظائف المحتسب إجمالا في وظائف رئيسية عدة هي:

١- **حقوق الله:** ويقوم المحتسب بالأمر بالمعروف ويدعو إلى أداء الصلاة والعبادات في أوقاتها، وأدائها على الوجه الصحيح، فإن وجد انحرافا في كيفية أداء العبادات فيجوز له أن يأمر بتصحيح الأداء لكي يكون منسجما مع التعاليم الإسلامية، ولا يجوز له أن يتدخل في كيفية الأداء إذا كانت منسجمة مع وجه من وجوه الاجتهاد. ومن مهمة المحتسب أن يمنع الجهلة من التصدي لموعظة الناس، كما يجوز له أن يمنع دعاة الفتنة من إفساد عقائد الناس، وما أجمعوا عليه. كما يجوز له أن يمنع من استخدام المساجد وأماكن العبادة، أن تكون موطنا للهزل والتسلية، أو في غير ما أعدت له.

٢- **مراقبة الآداب العامة:** يجب على المحتسب أن يراقب الأماكن العامة التي يرتادها الناس للعلاج كالمستشفيات، أو للطعام كالمطاعم العامة، أو للإقامة كالفنادق، أو للنظافة كالحمامات العامة، أو للمهن التي ترتبط بنظافتها صحة الناس، كالخبازين، واللحامين، والطحانين، وصانعي الحلوى، وغيرهم، ويجوز له ان يصادر السلع التي يراها ضارة بالصحة العامة، كما يجب له، ان يمنع الأدوية التي تهدد حياة الناس أو تضر بهم.

٣- **مراقبة الأسواق:** ويجب على المحتسب ان يفتش الأسواق العامة، ويراقب الموازين والمكاييل والمبيعات، وأنواع الغش والاحتكار والتدليس، والمعاملات الربوية، فإن وجد أن ذلك يتنافى مع أحكام الإسلام، في العدل والتوازن والحق، منع ذلك، وزجر عليه،

ويجوز له أن يتخذ كل وسيلة لمنع الانحراف. ويجوز له في حالة وجود ما يستدعي توحيد الأسعار ان يفعل ذلك حماية لمصالح الأمة، ومنعا لاستبداد القوي بالضعيف، والبائع بالمشتري، والمنتج بالمستهلك.

٤- مراقبة الأبنية: ويجب على المحتسب ان يراقب الأبنية العامة ويرى مدى توافر صفات الإتقان في بنائها لئلا تهدد حياة الساكنين فيها، كما يجوز له أن يراعي توافر الشروط الصحية في بنائها من حيث التهوية السليمة، ويجوز له أيضا أن يراقب مدى انسجامها الظاهري مع جمال الترتيب والتنسيق، فلا يبني صاحب بناء في منتصف الطريق، ولا يشوه جمال المباني المجاورة بعبث جاهل أو تخطيط سقيم.

٥- مراقبة أماكن التعليم: ويجب على المحتسب أن يراقب بدقة أماكن التربية والتعليم، وان يطلع على سير التعليم ومناهجه وأسلوب تلقينه، فيمنع ما هو فاسد منه ويشجع ما هو حسن، وقد اشتدت الحاجة إلى الحسبة ووظائفها في العصر العباسي، خاصة بعد ان ازدهرت الحياة الاجتماعية، واتسعت التجارات، ونمت حركة الأسواق، وتعددت المهن، وازدادت الهوة بين الفقراء والأغنياء، وأصبح الاحتكار وسيلة للربح الفاحش، والغش وسيلة للكسب السريع. وكان لابد من وضع نظام للرقابة يملك من الصلاحيات الزجرية ما يمكنه من منع المنكر، وزجر فاعليه، وحماية الضعفاء من عنت الأغنياء وإنصاف المستهلكين من ظلم التجار واحتكارهم للسلع الضرورية للناس.

كما أن المتأمل في أبواب الحسبة التي غطت كل صغيرة وكبيرة في المدن ينتهي إلى نتيجة مفادها ان نظام الحسبة والاحتساب يعد العامل الأول المؤثر في إضفاء الشخصية الإسلامية على المدينة من ناحية التأكيد على وجود وضبط عناصرها الأساسية كالمسجد ومقر ولي الأمر والسوق الذي هو قلبها النابض والتقارب الأسري والسلوك العام وشكل العمران الذي يؤكد على مبدأ الخصوصية في المسكن وحماية الأهل مع اعتبار الحياة الجماعية التي تتكرر يوميا كما في صلاة الجماعة، أو أسبوعيا كما في صلاة الجمعة، أو موسميا كالأعياد، أو بالتعامل اليومي. يضاف إلى ذلك الحسبة على الطرق، والأحياء السكنية، والمساكن، والمصانع والمساجد وغير ذلك، وما يتصل بها من المساحات والرحب والمقابر. إضافة إلى أن نظام الحسبة والاحتساب يقوم بالعمل على تحقيق عدة أمور أهمها ثلاثة:

الأول: التأكيد على السلوك الذي شرعه الدين في العبادات والأخلاق والعادات وفي البيع والشراء والأقوال والأفعال.

والثاني: الإتقان في الصناعة والحرف والبناء والتنظيم والتخطيط بمعنى المراقبة الدقيقة الصارمة لكل ما يمكن أن يظهر على سطح المدينة أو الحاضرة، وعلى أن يكون بأحسن درجات الإتقان بمراقبة الغش والتدليس في الأعمال.

والثالث: ضبط جودة المنتج، أي أن الاحتساب على كل صنعة خاصة في الأسواق، والصنائع والبناءات يقتضي ان يكون الناتج غاية في الإتقان والجودة، ومصداق ذلك مشاهد في كثير من العمارة والصناعة والآثار التي مازالت قائمة حتى يومنا هذا شامخة، بل ولا يزال بعضها يستعمل كما في مصر وبلاد المغرب رغم مرور الزمن الطويل عليها، وكل ذلك مصداقًا لما شرعه النبي ﷺ بقوله: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه».

إن «نظام الحسبة» هو جهاز للرقابة ابتدعه تاريخنا الإسلامي، للنهوض بمستوى المجتمع الإسلامي، حضاريا وأخلاقيا وإداريا وتربويا وصحيا، وإذا كان مجتمعنا المعاصر قد ابتدع اساليب إدارية وأجهزة مختصة للقيام بهذا الدور، سواء من خلال الأجهزة الرقابية المتعددة في كل وزارة من وزارات الدولة، تراقب وتخطط، وترعى كل مصلحة عامة، فإن نظام الحسبة يظل هو المنطلق الحضاري لأي تقدم معاصر، لا في اختيار نفس الأساليب القديمة في الرقابة، ولكن في تطوير جهاز الرقابة المعاصرة، لكي يؤدي نفس الدور، وبحجم أكبر، وبأسلوب أكثر دقة، من الدور الذي كان يؤديه نظام الحسبة (١٥).

وهنا أدعو وبكل إخلاص والحاح، إلى أن يكون جهاز الرقابة في كل مجتمع، جهازا مؤمنا برسالته الاجتماعية، نظيفا في سمعته، مهذبا في أداء رسالته، قويا في الحق، ولا يتشدد مع الضعيف لضعفه، يحتسب أجره عند الله في مواقف جهاد وإخلاص، يقاوم الظلم أيا كان مصدره، ويواجه الباطل في مواقعه ولو كانت محصنة، بتلاحم وإخلاص وصدق مع مصالح الأمة، ويرفع صوت الحق والفضيلة والعدل شعارا له، لكي يكون موطن ثقة الأمة به، سيفا مع الحق، وفي مواجهة الباطل، دائما وأبدا.

الهوامش

١- د. محمد فاروق النبهان: الحسبة بين الأمس واليوم، ص ٤٨، الفيصل العدد٦٣، الرياض يوليو ١٩٨٢م.
٢- د.وليد عبدالله عبدالعزيز المنيس: الحسبة على المدن والعمران، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية ١٦، ص١٢، الكويت ١٩٩٦م.
٣- انظر الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ٢٤٠، البابي الحلبي، مصر ١٩٧٣م، وانظر أبويعلى: الأحكام السلطانية، تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة بن نبهان، أندونيسيا ص ٢٨٤ عام١٨٧٤م.
٤- ابن قيم الجوزية: الطرق الحكمية، ص ٢١٩، وانظر د. عطية مصطفى مشرفة: القضاء في الإسلام، ١٧٩ وما بعدها، ط٢، دار الفن، القاهرة ١٩٦٦م، الترمذي: ص١٤٧.
٥- ابن قيم الجوزية: الطرق الحكمية ص٢٢.
٦- صحيح مسلم: ج١، ص ٦٩.
٧- الشيخ محمد بخيت المطيعي: حقيقة الإسلام وأصول الفقه، ص ١٥٤.
٨- صحيح مسلم: ج٦ ص ١٦٥.
٩- د. عطية مصطفى مشرفة: القضاء في الإسلام ص ١٨٠، ١٨١.
١٠- انظر د. وليد عبدالله عبدالعزيز: الحسبة على المدن والعمران ص ١٧- ٢٣.
١١- الطرق الحكمية: ابن قيم الجوزية، ص٢٤٧، ٢٥٨.
١٢- المقريزي: الخطط ج١ ص ٤٦٣ ٤٦٤، ومقدمة ابن خلدون، بيروت ص٢٢٥، عام١٩٠٠.
١٣- د. وليد عبدالله عبدالعزيز: الحسبة على المدن والعمران، ص ٤٣، ٤٤.
١٤- د. محمد فاروق النبهان: الحسبة بين الأمس واليوم، ونهاية الرتبة، للشيزري ص ١٠٨.
١٥- السابق.



رمضان أهلًا

رمضان فرصة لا يُفوِّتها إلا متهاون مغبون، ولا يزهد فيها إلا جاهل محروم، أما من أنار الله قلبه، ونقّى فؤاده، فإنه يستعد لرمضان قبل أن يلقاه، وذلك بالتوبة من الذنوب صغيرها وكبيرها، والإكثار من الطاعات دقّها وجلّها، فهذا زمان التوبة.

مضى رجب وما أحسنت فيه
وهذا شهر شعبان المباركْ
فيا من ضيّع الأوقات جهلًا
بقيمتها أفق واحذر بَوَارَكْ
تدارك ما استطعت من الليالي
فخير ذوي الفضائل من تداركْ

إن الصائم الصادق الصالح هو الذي يتّقي الله في صومه، فيصوم جوفه، وفرجه، وسائر جوارحه، صومًا يكفّه عن المعاصي، ويحجزه عن الحرمات، فلا يقول إلا خيرًا، ولا يسمع إلا خيرًا، ولا يفعل إلا خيرًا، ويُقلع عن قول الزور والعمل به، فمن لم يكن كذلك فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه، كيف لا، وللصيام منزلة رفيعة بين العبادات، ففي الحديث القدسي الذي رواه الشيخان يقول ربّ البريات: «كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»، والحكمة في ذلك أنّ الصوم سرٌّ بين العبد وربه، لا يطلع عليه أحد سواه، وقيل في معنى: «فإنه لي» أي لم يتعبّد أحدٌ بمثله إلا أنا، فالعباد يركعون لبعضهم ويسجدون، وينفقون تزلّفًا وتملّقًا، ويقصد بعضهم بعضًا، إلى غير ذلك مما يصرفه بعضهم لبعض من الأعمال.. أمّا الصوم فلا يُعرف أنّ أحدًا يصوم لأحدٍ غير المسلم يصوم لله تعالى.

والمؤمن الرشيد يقدّم بين يدي رمضان توبة تحجزه عن الملاهي والمنكرات، التي تكتظ بها وسائل الإعلام والإجرام، ويتزوّد بالتقوى والإنابة، قبل تزوده بالطعام والشراب والثمار المستطابة.

وفي رمضان فرصة سانحة للخلوة مع كتاب الله الكريم، فإن القرآن ورمضان شفيعان مشفّعان يوم القيامة «يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوات بالنهار، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، فيشفعان».

منع الكتاب بوعده ووعيده
مُقل العيون بليلها لا تهجع
فهموا عن الملك العظيم كلامه
فهْمًا تذلّ له الرقاب وتخضع

المحرر

رمضان.. عرس إيماني فريد

د. خالد سعد النجار

يقظة غير عادية في الضمير الإيماني، ورغبة عارمة في استدراك التقصير في الأيام الخوالي، ومحطة عامرة بتصحيح مسار سلوكاتنا وأخلاقنا مع الأحباب والجيران وسائر الإخوان.. إنه «رمضان» الذي يزينه الإيمان، ومنح الرحمن، والرغبة في الغفران، والتسابق إلى الرضوان، فحري بكل ذي بصيرة أن يرتب في هذا الشهر الفضيل أولوياته، ويقوّم تصوراته، ويهذب سلوكاته.

في رمضان تترسخ الأسس الإيمانية، وتتجمل البنايات السلوكية، فلا خير في إيمان لا يفرز عملا ينفع صاحبه والناس، فالإسلام أكبر من الشعارات الجوفاء، والتصريحات العمياء.. إنه دين انتصار السلوك على المظاهر الفارغة، وتعبيد القلوب لرب رحيم ودود.

قال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾(النساء:١٤٧)، أي ما يفعل الله بعذابكم إن أصلحتم العمل وآمنتم بالله ورسوله، فإن الله سبحانه غني عمَّن سواه، وإنما يعذب العباد بذنوبهم، وكان الله شاكرًا لعباده على طاعتهم له، عليمًا بكل شيء (١) والمقصودُ منه حمل المكلَّفين على فعل الحسَن والاحتراز عن القبيح.

قال الإدريسي: أي لا حاجة له في عذابكم، فلا يشفي به غيظًا ولا يدفع به ضررًا، أو يستجلب به نفعًا؛ لأنه غني عن المنافع، وإنما يعاقب المصر بكفره، لأن إصراره عليه كسوء المزاج يؤدي إلى مرض فإن زال بالإيمان والشكر، ونقّى منه قلبه، تخلص من تبعته، وإنما قدم الشكر؛ لأن الناظر يدرك النعم أولًا فيشكر شكرًا مبهمًا، ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به(٢).

وقال مكحول: أربع من كن فيه كن له، وثلاث من كن فيه كن عليه؛ فالأربع اللاتي له: فالشكر والإيمان والدعاء والاستغفار، قال الله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾(النساء:١٤٧) وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٣) وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ (الفرقان:٧٧)، وأما الثلاث اللاتي عليه: فالمكر والبغي والنكث، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ (الفتح: ١٠). وقال تعالى: ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (فاطر: ٤٣)، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ (يونس: ٢٣)(٣).

المسؤولية الفردية

في الصوم تتجلى أسمى معاني المسئولية الشخصية الفردية

طبيب بشري



الإيمانية، وتتجلى مراقبة العليم المنان بأسمى صورها (الرقابة الذاتية)، فالصوم عبادة سرية، فلا قانون يسن الصيام غير قانون السماء، بلا حرس ولا خفر، ولا كاميرات ولا تنصتات، ورغم كل هذا فالمؤمنون صائمون عن لذائذ الطعام والشراب، معرضون عن اللغو والرفث والآثام، تحدوهم نفحات الرحمن في شهر القرآن، وتشد من عزائمهم الرغبة في الجنان، فسبحان من ربى أهل الإيمان على عينه، وأكمل بتعاليم الإسلام الإحسان إلى خلقه، فلا يعرف النفاق قلوبهم ولا الخديعة سلوكهم، لأنهم دوما في معية الرحمن، يراقبونه في كل حال.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (المجادلة:٧).

قال السعدي: إخبار الله أنه مع عباده يرد في القرآن على أحد معنيين:

أحدهما: المعية العامة، كقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ...﴾ أي: هو معهم بعلمه وإحاطته.

الثاني: المعية الخاصة، وهي أكثر ورودا في القرآن، وعلامتها أن يقرنها الله بالاتصاف بالأوصاف التي يحبها، والأعمال التي يرتضيها مثل قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة:١٩٤). مع المحسنين ومع الصابرين، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة:٤٠)، ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (طه:٤٦). وهذه المعية تقتضي العناية من الله والنصر والتأييد والتسديد بحسب قيام العبد بذلك الوصف الذي رتبت عليه المعية(٤).

تبدأ الآية بتقرير علم الله الشامل لما في السموات وما في الأرض على إطلاقه، فتدع القلب يرود آفاق السموات وأرجاء الأرض مع علم الله المحيط بكل شيء في هذا المدى الوسيع المتطاول، من صغير وكبير، وخاف وظاهر، ومعلوم ومجهول.. ثم تتدرج من هذه الآفاق وتلك الأرجاء، وتزحف وتقرب حتى تلمس ذوات المخاطبين وتمس قلوبهم بصورة من ذلك العلم الإلهي تهز القلوب ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا﴾ وهي حقيقة في ذاتها، ولكنها تخرج في صورة لفظية عميقة التأثير، صورة تترك القلوب وجلة ترتعش مرة، وتأنس مرة، وهي مأخوذة بمحضر الله الجليل المأنوس.

وحيثما اختلى ثلاثة تلفتوا ليشعروا بالله رابعهم، وحيثما اجتمع خمسة تلفتوا ليشعروا بالله سادسهم، وحيثما كان اثنان يتناجيان فالله هناك! وحيثما كانوا أكثر فالله هناك!

إنها حالة لا يثبت لها قلب، ولا يقوى على مواجهتها إلا وهو يرتعش ويهتز.. وهو محضر مأنوس نعم.. ولكنه كذلك جليل رهيب.. محضر الله: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا﴾.

﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وهذه لمسة أخرى ترجف وتزلزل.. إن مجرد حضور الله وسماعه أمر هائل، فكيف إذا كان لهذا الحضور والسماع ما بعده من حساب وعقاب؟ وكيف إذا كان ما يسره المتناجون وينعزلون به ليخفوه، سيعرض على الأشهاد يوم القيامة وينبئهم الله به في الملأ الأعلى في ذلك اليوم المشهود؟!

وتنتهي الآية بصورة عامة كما بدأت: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وهكذا تستقر حقيقة العلم الإلهي في القلوب، بهذه الأساليب المنوعة في عرضها في الآية الواحدة.. الأساليب التي تعمق هذه الحقيقة في القلب البشري، وهي تدخل بها عليه من شتى المسالك والدروب! (٥).

وقفة مراجعة

بعد الوقوف مع هذه النصوص النورانية من كتاب رب البرية، لا نريد أن تتحول الكتابة عن رمضان إلى مجرد نوع من «الترف الثقافي» أو «المعرفة الباردة»، بل ينبغي أن تستحيل هذه المعرفة إلى قوة دافعة لتحقيق مدلولها في عالم الواقع.. ينبغي استجاشة حمية المؤمن للاستفادة القصوى من منح هذا الشهر الكريم، فرغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف.. من أدرك رمضان ولم يغفر له، كما قال النبي العدنان عليه أفضل الصلاة والسلام.

يقول ابن القيم: «لما كان المقصودُ من الصيام حبسَ النفس عن الشهوات، وفطامَها عن المألوفات، وتعديلَ قوتها الشهوانية، لتستعدَّ لطلب ما فيه غايةُ سعادتها ونعيمها، وقبولَ ما تزكو به مما فيه حياتُها الأبدية، ويكسِرَ الجوعُ والظمأ من حدَّتها وسَوْرتها، ويُذكِّرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين، وتضييق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب، وتحبس قُوى الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرُّها في معاشها ومعادها، ويُسكِّنُ كلَّ عضو منها وكلَّ قوة عن جماحه، وتُلجَمُ بلجامه، فهو لجامُ المتقين، وجُنَّةُ المحاربين، ورياضة الأبرار والمقرَّبين، وهو لربِّ العالمين من بين سائر الأعمال، فإن الصائم لا يفعل شيئًا، وإنما يتركُ شهوتَه وطعامَه وشرابَه من أجل معبوده، فهو تركُ محبوبات النفس وتلذُّذاتها إيثارًا لمحبة الله ومرضاته، وهو سرٌّ بين العبد وربه لا يَطَّلِعُ عليه سواه، والعبادُ قد يَطَّلِعُونَ منه على تركِ المفطرات الظاهرة، وأما كونُه تركَ طعامَه وشرابَه وشهوتَه من أجل معبوده، فهو أمرٌ لا يَطَّلِعُ عليه بَشَرٌ، وذلك حقيقةُ الصوم»(٦).

الهوامش

(١) التفسير الميسر.
(٢) البحر المديد: ٢/١٧١.
(٣) تفسير القرطبي: ٥/ ٤٢٦.
(٤) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن: ٢/٣٤
(٥) في ظلال القرآن: ٧/١٤٨.
(٦) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد: ٢/٢٨-٢٩ ت: شعيب الأرناؤوط- عبدالقادر الأرناؤوط، ط:١٤ مؤسسة الرسالة- مكتبة المنار الإسلامية- بيروت- الكويت ١٩٨٦.



سَلام رمضَان.. ودٌّ وأمَان

علاء الدين حسن

جاء اسم السَّلام في القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الحشر: ٢٣).

هذا الاسم معناه أنه جل جلاله ذو السَّلامة، أي أنَّ ذاته جل جلاله سلمت من كل عيب، وأنَّ صفاته تنزَّهت عن كل نقص، وأنَّ أفعاله خلت عن أي شر.. لا يلمُّ به سبحانه موت ولا فناء ولا مرض ولا فتور ولا غفلة ولا سهو ولا نسيان ولا نوم، فعلمُه عزَّ وجل سلم من أن يُحجَب عنه شيء، وسمعه سلم من أن يغيب عنه مسموع، وبصره سلم من أن يغيب عنه مبصَر، وغناه سلم من الحاجة إلى غيره ومن الفقر، وعزَّته سلمت من أن يطرأ عليها ذل.

والله تعالى هو السَّلام، أي إنَّه جل جلاله ذو السَّلامة لعباده، فليس في الوجود كلِّه سلامة إلا وهي معزوَّة إليه.

أنت إذا سرت على قدميك، ما الذي يضمن لك ألا تقع؟ جهاز للتوازن أودعه الله في أذنك الداخلية من أجل سلامتك.

ولكي تتحقق السلامة، جعل الله العين في المحجر، وجعل الدماغ في الجمجمة، وأودع النخاع الشوكي في العمود الفقري، والقلب في القفص الصدري، وأجرى معامل كريات الدم الحمراء في نقي العظام.

والسَّلام، سَلِمَ المؤمنون من عذابه، فهو جلَّ شأنه ذو سلامة على أوليائه: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ (النَّمل: ٥٩).

ومن معاني هذا الاسم، أنَّ ذكرَ الله عزَّ وَجلَّ يورث الأمن والطمأنينة والسَّلامة، والدليل على ذلك هو قوله تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرَّعد: ٢٨).

فإذا ذكرته شعرت بالسَّلام، إنَّك إذا ذكرت الله زال عنك الخوف، وزالت عنك الوحشة، إنَّك إذا ذكرته أنست به، وازددت حبًا له.

ومن معاني اسم السَّلام أنَّك إذا اتصلت بالله عزَّ وَجلَّ طهرت نفسك من العيوب، ومن البخل والشح والحقد والضغينة والحسد والكبر والغرور، إذن هو ذو سلام في جسمك أعطاك أعضاء، وأعطاك أجهزة، وأعطاك خلايا وأنسجة، ومنحك دقَّة بالغة في جهازك العظمي والعصبي والعضلي والدوران والشرايين والأوردة، وإذا كنت خائفًا وذكرته بثَّ في قلبك السَّلام، فإذا اتصلت به طهرك من كل العيوب والنقائص.

> **كم من شرٍّ دُفع بسبب إلقاء السلام وكم من خيرات حلت بسبب كلمة السلام**

والمؤمن الحق يتخلَّق بهذا الاسم، فيسلم من المخالفات الشرعية سرًّا وعلنًا، ويبرأ من العيوب ظاهرًا وباطنًا ؛ ليتحقق له معنى الآية الكريمة ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشُّعراء: ٨٧ – ٨٨).

وفي شهر رمضان يتجلَّى السَّلام على أوليائه، فيطهر نفوسهم من الآثام، ويهبهم الأمن والسَّلام، وهو سبحانه وتعالى سلَّم ظواهرنا من السجود لغيره، وبرأها من العبادة لسواه، وسلم بواطننا وأكرمنا بالإيمان ﴿ولكنَّ الله حبَّب إليكم الإيمانَ وزيَّنه في قلوبكُم وكرَّه إليكم الكفرَ وَالفسوقَ وَالعصيان أولئكَ همُ الرَّاشدون﴾ (الحجرات: ٧).

وكما سلمنا الله من الشرك، فعلينا أن نكون سالمين من كل وصف لا يليق بنا، علينا أن نسلم القلب عن أن يكون له التفات إلى غير الله.. وخير من نال الحظ الوافر من اسم السلام هو رسول السلام ﷺ، فقد سلم ظواهرنا وبواطننا من الترهات والدناءات، فكان الرحمة المهداة للعالمين.

ولقد كان من دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ﴿ربَّنا وَاجعلنَا مسلمَين لَك وَمن ذرِّيَّتنا أمَّة مسلمة لَك﴾ (البقرة : ١٢٨)، ورحم الله القائل:

لكَ النَّجوى إذا تَّقد الهُيامُ
وهزَّ القلبَ بالشَّوقِ سلامُ
سلامٌ نازهٌ من أيِّ نقص
عظيمٌ كاملٌ منهُ السَّلامُ
سلام ربنا في كلِّ شيء
عظيم أمره أبدًا تمامُ
كمالٌ في الصِّفات وفي فعال
تعالى خالقًا وهو السَّلامُ

وإفشاء السلام من الأمور التي تجلب المحبَّة، وتنشُر المودَّة بين النَّاس، جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لَا تدخلُوا الجنَّة حتَّى تُؤمنوا، وَلا تُؤمنوا حتَّى تَحابُّوا، أَوَلَا أدُلُّكم عَلى شيءٍ إذَا فعلتُمُوهُ تَحابَبْتُم؟ أفشوا السَّلامَ بينَكُم» (رواه مسلم في صحيحه برقم: ٥٤).

وعند البخاري في «الأدب المفرد» من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ السَّلامَ اسمٌ من أسماء اللَّه، وَضَعَهُ الله في الأرض، فأفْشُوا السَّلامَ بينكم» (البخاري في الأدب المفرد، حديث رقم (٩٨٩)، وإسناده صحيح).

كاتب مصري

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- أنَّ رجلًا سأل رسول الله ﷺ: أيّ الإسلام خير؟ قال: «تطعمُ الطعام، وَتقرأ السَّلام، على من عرَفت، ومَن لم تَعْرِف» (البخاري (حديث رقم ٢٨)، ومسلم (حديث رقم ٣٩).

وبيَّن رسول الله ﷺ أنَّ من حقِّ المسلم على أخيه أن يُسَلِّمَ عليه؛ ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «حقُّ المسلم على المسلم ست. قيل: ما هنَّ يا رسول الله؟ قال: إذا لقيتَهُ فسلِّمْ عليه، وإذا دعاك فأجِبْهُ، وإذا استَنصَحَك فانصَح له، وإذا عطس فحمدَ الله فشمِّتْهُ، وإذا مَرِضَ فعُدْهُ، وإذا ماتَ فاتبعه» (صحيح مسلم (ص ١٧٠٥).

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إيَّاكم وَالجلوسَ على الطُّرُقات، فقالوا: يا رسولَ الله، ما لنا من مَجالسنا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فيها، فقال: فإذا أبَيْتُم إلَّا المَجلس فأعطوا الطريق حقَّه، قالوا: وما حقُّ الطريق يَا رسولَ الله؟ قال: غضُّ البَصَر، وكفُّ الأذَى، وَرَدُّ السَّلام، وَالأمرُ بالمَعروف وَالنَّهي عن المنكَر» (البخاري (مع الفتح ١١/ ٨)، ومسلم (١٤/ ١٠٢ مع النووي).

وكانَ النَّبيُّ ﷺ يسلِّمُ على الصِّبيان، كما في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه (البخاري (مع الفتح ١١/ ٣٢)، ومسلم (مع النووي ١٥/ ١).

وكان يُسَلِّمُ على النِّساء أيضًا، ففي سُنَن التِّرمذي، والأدب المفرد للبخاري بإسنادٍ حسَنٍ لشواهده من حديث أسماءَ بنت يزيد- رضيَ الله عنها- أنَّ رسول الله ﷺ مرَّ بي، وأنا في جَوارٍ أتْراب، فسلَّم علينا. (الترمذي (٧/ ٤٧٥ مع التحفة)، والبخاري (في الأدب المفرد/ ١٠٤٨).

وكذلك إذا كان المَجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان، واليهود، فإنَّ النبي ﷺ سلَّم على مَجلس فيه مثل هذه الأخلاط.

وكم من شَرٍّ دُفِعَ بسبب إلقاء السَّلام، وكم من خيراتٍ حلَّت بسبب كلمة السَّلام، وكم من أرحام وُصلَتْ بفضل السَّلام.

وفي المقابل كَم حلَّ من نَكَد وبَلاء، وكم ساد من بُؤس وشَقاء، وكم زاد من إدبار وتنافُر؛ بسَبَبِ عدم إلقاء السَّلام!

قال علماؤنا: ابتداءُ السَّلام سُنَّة، وردُّه واجب، وإن كان المُسلِّم جماعة، فهو سُنَّة كفاية في حقِّهم، وإذا سلَّم بعضُهم حَصَلت سُنَّة السلام في حقِّ جميعهم، فإن كان المُسلَّم عليه واحدًا تعيَّن عليه الرَّد، وإن كانوا جماعةً كان الردُّ فرضَ كفاية في حقِّهم، فإنْ ردَّ واحدٌ منهم سقط الحرج عن الباقين، والأفضل أن يبتدئ الجميعُ بالسَّلام وأن يردَّ الجميع.

من صَيغ السلام

أخرج أبوداود في سُنَنه من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فردَّ عليه السلام، ثم جلس، فقال النبي ﷺ: عشر، ثم جاءَ آخَرُ فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فردَّ عليه فجلس، فقال: عِشْرُونَ، ثم جاء آخَرُ فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فردَّ عليه فجلس، فقال: ثلاثون» (رواه أبوداود في سننه ك الأدب- ح رقم ٥١٩٧).

● وقد شرعت للسلام آداب، منها:

قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (النِّساء: ٨٦).

وقول النبي ﷺ: «يسلِّمُ الصغير على الكبير، والمارُّ على القاعد، والقليلُ على الكثير» (البخاري (١١/ ١٥ مع الفتح).

وقد تكون هناك موانع شرعيَّة تَمنع من إلقاء السلام، بل ومن رَدِّه، كأن يكون عدم الردِّ كي ينْزجر العاصي عن معصيته، ويُقْلِعُ المُذنب عن ذنبه.

وقد يكون في إلقاء السلام على رجل شرير دفع لشرِّه.

وقد قال النبي ﷺ في شأن رجل: «بئسَ أخو العشير» (البخاري في الأدب- ح ٦٠٣٢)، فلما قدم ألان له النبي ﷺ القول.

وبالجملة، ففي باب إفشاء السَّلام، أو تركه، ينبغي أن نراعي المصالح الشرعية العامة، فإفشاء السلام والإكثار منه، والسلام على الصغير والكبير، والقريب والبعيد، ومن عرفت، ومن لم تعرف- هو الأصل في العلاقات.

وصحَّح بعض أهل العلم حديث البراء بن عازب- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلمَين يلتقيان فيتصافحان، إلا غفرَ لهما قبل أن يتفرقا» (رواه أبوداود- ك الأدب- ح ٥٢١٤).

والمؤمن يحرص على البشاشة، وطلاقة الوجه، والابتسامة عندَ السَّلام، حيث يقول ﷺ: «وَتبسُّمُك في وَجه أخيك صَدَقة» (سنن الترمذي- ك البر والصلة- ح ٢٠٨٣)، ويقول ﷺ: «لا تَحقرنَّ من المعروف شيئًا، ولو أنْ تلقَى أخاكَ بوجهٍ طَليق» (ص مسلم- ك البر والصلة- ح ٦٨٥٧).

والجنة هي دار السَّلام، قال تعالى ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ (الأنعام: ١٧٣). وتحية المؤمنين يوم يلقون ربهم في الآخرة هي السلام، قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ (إبراهيم: ٢٣).

ولقد جاء التبيان النبوي ليربط الإسلام بالسلام والإيمان بالأمان، فقال ﷺ: «المسلمُ من سلم الناسُ من لسانه ويده، والمؤمن مَن أمِنَهُ الناسُ على أموالهم وأنفسهم» (رواه النَّسائي ٦/ ٥٣٠).

في القرآن الكريم تأكيد صريح على السلم، وخاصة عند غياب القتال، قال الله تعالى ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ (النِّساء: ٩٠).

وكذا إنْ عَلم المسلم أنَّ الذي يقاتله قد جنح للسلم، فإنَّ المسلم يدخل في الحالة السلمية، قال تعالى ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (الأنفال: ٦١).



رمضان.. ركاز الشهور والأيام

منى الشريف

«رمضان» هدية السماء، وبركة أهل الأرض، وخير يفيض لعمر مديد.. قال صاحب القول السديد، والشرع المجيد، والمبعوث رحمة للعبيد ﷺ: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» (متفق عليه). «من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، وصام رمضان، كان حقا على الله أن يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها» (البخاري). «فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصيام والصدقة» (متفق عليه). «الصيام جنة، وحصن حصين من النار» (رواه أحمد). «الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها» (رواه البخاري). «إن في الجنة بابا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم» (متفق عليه). «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة» (رواه أحمد). «عليك بالصوم فإنه لا مثل له» (رواه النسائي). «ثلاث من كل شهر، ورمضان إلى رمضان، فهذا صيام الدهر كله» (رواه مسلم). «من صام رمضان وأتبعه ستا من شوال كان كصوم الدهر» (رواه مسلم) «صيام شهر رمضان بعشرة أشهر، وصيام ستة أيام بعده بشهرين فذلك صيام السنة» (صحيح الجامع ٣٨٥١)، «ينادي مناد كل ليلة: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة» (رواه الترمذي). ويقول وكيع- رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ (الحاقة: ٢٤) هي أيام الصيام.

«رمضان».. استراحة نفسية نتخفف فيها من أعبائنا وهمومنا وأحزاننا، ومنحة سماوية نفارق فيها صنوف الرتابة والملل التي غشت أيامنا، وتنطلق فيها الروح في أجواء إيمانية، وثورة نورانية نتعايش فيها أكثر مع القرآن والقيام والبر والإحسان.. إن التعود اليومي على أطيب الوجبات وألذ المشروبات يكسبها نوعا من الألفة والعادة التي تذهب الإحساس بقيمتها ونعمتها، لذلك فإن قطع هذه الألفة لسويعات بالصيام يوقظ الفطرة المتبلدة، ويبرز قيمة هذه النعم في حياتنا، بل إن طول الشبع يشكل سحابة تحجب نور العقل وإشراقات الروح، ولا تتوارد هذه الفيوضات على مخيلة الوعي إلا بالإخفاء المتناوب لحالات الشبع والتخمة على مستوى الجسد.

ولذلك أخرج الطبراني بسند جيد، أنه ﷺ رأى رَجُلًا عظيم البطن، فقال بأُصبُعه: «لو كان هذا في غير هذا لكان خَيرًا لَك». وقال لُقْمانُ لابنه: يا بُنيَّ، إذا امتلأت المعدةُ نامت الفكرةُ، وخرست الحكمةُ، وقعدت الأَعْضاءُ عن الْعبادة.

رمضان ساحة السكينة ومأوى الفضيلة وطارد الرذيلة

«رمضان».. فرحة رؤية الهلال حين تتبدى على وجوه الصغار قبل الكبار، وفرحة تجهيز أغراض السحور والإفطار، وفرحة التجمع على مائدة تشمل الأحباب والإخوان والخلان، وفرحة الإعانة على إتمام كل يوم من أيام الصيام، قال ﷺ: «للصائم فرحتان.. فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه» (رواه مسلم). قال ابن رجب- رحمه الله- في «لطائف المعارف»: «أما فرحة الصائم عند فطره؛ فإن النفوسَ مجبولةٌ على الميل إلى ما يلائمها من مطعم، ومشرب، ومنكح؛ فإذا امتنعت من ذلك في وقت من الأوقات، ثم أبيح لها في وقت آخر، فرحت بإباحة ما منعت منه، خصوصًا عند اشتداد الحاجة إليه؛ فإن النفوسَ تفرح بذلك طبعًا؛ فإن كان ذلك محبوبًا لله كان محبوبًا شرعًا.

والصائمُ عند فطره كذلك، فكما أن الله تعالى حَرَّم على الصائم في نهار الصيام تناولَ هذه الشهوات فقد أذن له فيها في ليل الصيام، بل أَحب منه المبادرةَ إلى تناولها من أول الليل وآخره؛ فأحب عباد الله إليه أعجلهم فطرًا، والله وملائكته يصلون على المتسحرين؛ فالصائمُ ترك شهواته في النهار تقربًا إلى الله، وطاعةً له، وبادر إليها بالليل تقربًا إلى الله، وطاعة له؛ فما تركها إلا بأمر ربه، ولا عاد إليها إلا بأمر ربه؛ فهو مطيعٌ في الحالين؛ ولهذا نُهِيَ عن الوصال؛ فإذا بادر الصائم إلى الفطر تقربًا إلى مولاه، وأكل وشرب وحمد الله فإنه ترجى له المغفرةُ، أو بلوغُ الرضوان بذلك...». إلى أن قال رحمه الله: «ثم إنه ربما استجيب دعاؤه عند فطره، وعند ابن ماجه: «إن للصائم عند فطره دعوةً لا تُرد»، وإن نوى بأكله وشربه تقوية بدنه على القيام والصيام كان مثابًا على ذلك، كما أنه إن

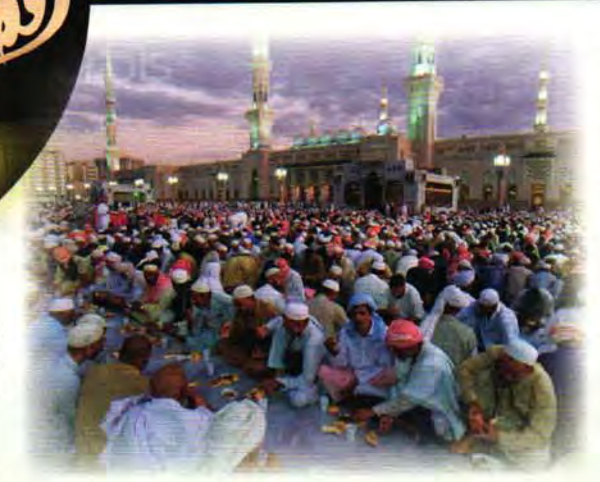
● باحثة إسلامية

نوى بنومه في الليل والنهار التقوّيَ على العمل كان نومُه عبادة...» إلى أن قال: «ومن فهم هذا الذي أشرنا إليه، لم يتوقف في معنى فرحه عند فطره؛ فإن فطره على الوجه المشار إليه من فضل الله ورحمته، فيدخل في قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس: ٥٨)...». ثم قال: «وأما فرحه عند لقاء ربه، ففيما يجده عند الله من ثواب الصيام مدَّخرًا؛ فيجده أحوجَ ما كان إليه كما قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ (المزمل: ٢٠)» (١) .. فأكرم برمضان شهر الفرحة.

«رمضان».. ساحة السكينة، ومأوى الفضيلة، وطارد الرذيلة، ومحضن كل الأشياء الجميلة، حتى إن خلوف فم الصائم يستحيل جمالا وروعة وبهاء، قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» (متفق عليه).

«رمضان».. فاتح أبواب الخير، موصد منافذ الشر، قامع الشياطين، ومسلسل مردة الجن، قال ﷺ: «أتاكم شهر رمضان، شهر مبارك فرض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، وفيه ليلة هي خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم» (صحيح الجامع:٥٥). «تفتح فيه أبواب الجنة» وفي رواية «أبواب السماء»، وهي كناية عن تواتر هبوط غيث الرحمة وتوالي صعود الطاعة بلا مانع أو معوِّق، ويشهد له قوله «وتغلق فيه أبواب الجحيم» كناية عن تنزه أنفس الصوام عن رجس الآثام وكبائر الذنوب العظام، وتكون صغائره مكفرة ببركة الصيام، ولا مانع أيضا من فتح الجنة وغلق النار على الحقيقة.

«رمضان».. كابح الشهوات الجامحة، وقامع لنار الغرائز الحارقة، وصمام الأمان لاندفاعنا وغضبنا، وموقظ ضمائرنا، ومجلي بصائرنا، ومعالج لأمراض قلوبنا من غل وحقد وحسد، ومهذب لسلوكنا من أوضار الغيبة والنميمة والغش والخديعة وسائر المفاسد التي مقتتها الشريعة.. شعار المؤمن فيه: «إني صائم.. إني صائم».



«رمضان».. يتجلى فيه شرف الزمان، ويعظم فيه أجر الطاعات، فالعمرة في رمضان ليست كأي عمرة، ومأدبة القرآن ليست كأي مأدبة، والصدقة فيه ليست كأي صدقة، وليلة القدر ليست كأي ليلة، والأحداث في رمضان ليست كأي حدث.. قال ﷺ: «عمرة في رمضان كحجة معي» (صحيح الجامع: ٤٠٩٨)، وروى البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عباس- رضي الله عنهما- قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيُدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجودُ بالخير من الريح المرسَلة». وقال ﷺ: «ليلة القدر ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين، إن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى» (حسن، الجامع الصغير:٥٤٧٣)، «أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثماني عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان» (حسن، الجامع الصغير: ١٤٩٧).

«رمضان».. الذي يأخذنا قسرا إلى الضعيف والمسكين والملهوف وذي الحاجة، نحس بمعاناتهم إحساسا واقعيا بعيدا عن وصف الكلمات، ومن عاين ليس كمن سمع، فيدفعنا بقناعة إلى أن نخرج من أنانيتنا والانهماك في تحقيق رغباتنا، إلى الالتفاف حول جراح الغير لاحتوائها، وساعتها نحس بلذة أعظم من لذة الاستمتاع برغباتنا، فالأولى لذة خالطتها إنسانيتنا، والثانية لذة خالطتها غرائزنا، وشتان بين هذه وتلك، فمن عاش لنفسه عاش صغيرا ومات صغيرا، ومن عاش لغيره عاش كبيرا ومات كبيرا.

«رمضان».. المعلم الذي يبرهن لنا أن التعلق بغير الله وهم يمكن الاستعلاء والاستغناء عنه إذا أسرنا واستحوذ علينا، فالطعام والشراب والنكاح وسائر الملذات كلها وسائل لغاية أكبر وأجل وأعظم، وهي حسن الخلافة في الأرض، قال الشاعر:

والنفس راغبة إذا رغبتها

وإذا ترد إلى قليل تقنع

فنسأل الله العظيم رب العرش الكريم بأسمائه وصفاته أن يرزقنا وإياكم حلاوة اليقين، وأن يرزقنا وإياكم كمال الإيمان بالله رب العالمين.. اللهم إنا نسألك يقينًا لا يخالطه شك، ونسألك إيمانًا لا يخالطه شرك، ونسألك الصدق في حبك والشوق إلى لقائك، إنك ولي ذلك والقادر عليه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه وآله وصحبه أجمعين.



رمضان شهر الانتصارات

علي عفيفي علي غازي

لقد أظلنا شهر عظيم مبارك، نزلت فيه آيات القرآن الكريم، شهر ارتفعت فيه رايات المسلمين عالية خفاقة، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، فما أعظمه من شهر، وما أعظم فضله. شهر انتصارات المسلمين التي ما زالوا يفاخرون بها، ويمنون أنفسهم بالرجوع إلى زمنها، ليس فقط في شهر رمضان بل في الشهور كلها. ولم تأت هذه الانتصارات إلا بعد أن تمسكوا بشرع الله القويم، وبكتابه الحكيم، وسنة رسوله الكريم.

أول حلقة في سلسلة الانتصارات الرمضانية، وأول معركة وقعت بين المسلمين والمشركين، معركة الفرقان بين الحق والباطل، هي غزوة بدر الكبرى، التي وقعت بالقرب من ماء بدر، صبيحة يوم الجمعة ١٧ رمضان ٢هـ (١٣ مارس ٦٢٤م). ورغم قلة عدد المسلمين مقابل المشركين، فقد كان النصر حليفًا لهم، وخرج المسلمون من هذه الموقعة بكثير من المغانم. وقد قال الله تعالى في شأنها: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (آل عمران: ١٢٣).



وكان من خبر هذه الغزوة أن رسول الله ﷺ سمع أن أبا سفيان بن حرب مقبل من الشام في قافلة عظيمة لقريش فيها أموالهم وتجارتهم، وفيها ثلاثون أو أربعون رجلا من قريش، ولو أن أهل مكة فقدوا هذه الثروة لكانت ضربة مؤلمة لهم، وفيها عوض عما لحق بالمسلمين من خسائر في أثناء هجرتهم إلى المدينة، كما أنها فرصة للنيل من هيبة قريش وصلفها، وكان الأمر الإلهي ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: ١٤).

لذلك لما سمع رسول الله ﷺ أن أبا سفيان مقبل، وكان من أشد الناس عداوة للإسلام، ندب رسول الله ﷺ الناس للخروج إليها، وأمر من كان حاضرًا بالنهوض، قائلا: «هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا لعل الله ينفلكموها»، أي يجعلها غنيمة لكم. فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان والركب معه، لا يرون قافلته إلا غنيمة لهم، ولا يظنون أن يكون قتال كبير إذا لقوهم، وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (الأنفال: ٧).

ولم يدر بخلد أحد منهم أنه مقبل على يوم من أخطر أيام الإسلام، ولو علموا لاتخذوا أهبتهم كاملة ولما سُمح لمسلم أن يبقى في المدينة. واستعد رسول الله ﷺ للخروج، ومعه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا: ٨٢، أو ٨٣، أو ٨٦ رجلا من المهاجرين، و٦١ من الأوس، و١٧٠ من الخزرج. واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة وعلى الصلاة ابن أم مكتوم، فلما كان بالروحاء رد أبا لبابة بن المنذر واستعمله على المدينة.

ولم يتخذ المسلمون أهبتهم كاملة، فلم يكن معهم إلا فرسان، فرس للزبير بن العوام، وثانية للمقداد بن الأسود الكندي، وكان معهم سبعون بعيرًا يتعاقب الرجلان والثلاثة على بعير واحد، وكان رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد، رضي الله عنهم، يتعاقبون بعيرًا واحدًا، فإذا ما كانت عقبة النبي ﷺ قالا اركب حتى نمشي عنك فيقول: «ما أنتما بأقوى مني وما أنا بأغنى من الأجر منكما».

وكان الخروج من المدينة يوم الاثنين لثمان أو لتسع أو لاثني عشر خلون من رمضان، ودفع الرسول ﷺ اللواء إلى مصعب بن عمير وراية المهاجرين إلى علي بن أبي طالب، وراية الأنصار إلى سعد بن معاذ.

وبلغ أبوسفيان خروج الرسول ﷺ، وعلم بمقصده فأرسل إلى مكة ضمضم بن عمرو الغفاري مستصرخًا قريش، ليمنعوه من المسلمين، وبلغ الصريخ أهل مكة، فجد جدهم، ونهضوا مسرعين فكانوا بين خيارين: إما خارج الرجل بنفسه، وإما باعث مكانه رجلا، لأن معظمهم كان له في القافلة نصيب، وخرجوا من ديارهم كما وصفهم الله

* صحافي وأكاديمي مصري



تعالى ﴿بَطَراً وَرِئَآءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (الأنفال: ٤٧).

ولما سمع أبوسفيان بخروج المسلمين غير طريقه المعتاد ولحق بساحل البحر الأحمر فنجا وسلمت العير، وأرسل إلى قريش أن ارجعوا فإنكم إنما خرجتم لتحرزوا عيركم ورجالكم وأموالكم، وقد رجعت سالمة فارجعوا، وبينما هموا بالرجوع إذا بأبي جهل يأبى إلا القتال، وقال: والله لا نرجع حتى نرد بدرًا فنقيم عليها ثلاثًا ننحر الجذور، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب، وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدًا بعدها فامضوا.

ورغم قول أبي جهل فقد رجع بنو زهرة وبنو عدي بن كعب، ولولا سلاطة لسان أبي جهل ورميه المترددين بالجبن، والضعف، لانسحب عدد كبير، ووقف عتبة بن ربيعة في معسكر المشركين يدعوهم إلى الرجوع، إلا أن صوت عتبة وغيره من عقلاء قريش ضاع بين صرخات الحرب وشهوة الانتقام من جانب أبي جهل ومن انضم إليه. ولجأ رسول الله ﷺ إلى الله تعالى داعياً: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادُّك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تُعبد».

وقاتل المسلمون في معركة بدر قتالا رائعا يميزه الصدق والإخلاص والحرص على الشهادة في سبيل الله تعالى، ولقد علم الله منهم هذا، فساندهم وثبتهم، وشد عزائمهم وأمدهم بملائكته ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (الأنفال: ١٢). وكانت هزيمة القرشيين نذيرًا بنزول غضب الله على الكافرين، إذ بدأ المسلمون يهاجمونهم في كل أنحاء الجزيرة العربية.

قاتل المسلمون في بدروهم صائمون قتالا رائعًا يميزه الصدق والحرص على الشهادة

بعد ستة أعوام من الحلقة الرمضانية الأولى، والانتصار الرمضاني الأول، كانت الحلقة الثانية، وهي فتح مكة، بقيادة المصطفى ﷺ، فبعد أن غدرت قريش ونكثت العهد الذي أبرمته في صلح الحديبية بمساعدتها قبيلة بكر على قبيلة خزاعة حليفة المسلمين كان لابد من نجدة خزاعة وإذلال الشرك والمشركين في العام الذي سُمي بعام الفتح.

وصار النبي ﷺ على رأس جيش المسلمين إلى مكة، وتحت قيادته عشرة آلاف مقاتل من المسلمين، وقسم الرسول ﷺ المسلمين إلى فرق، ورسم لكل فرقة خطة دخول مكة، ولم يلق جيش المسلمين أي مقاومة، ونجح في الاستيلاء عليها دون قتال يُذكر في ٢٠ رمضان ٨هـ (١١ يناير٦٣٠م)، ودخل الرسول الكريم ﷺ مكة منتصرا ومطهرا لبيت الله الحرام من الأوثان، ورفع بلال من فوق الكعبة نداء الحق: الله أكبر...، وتم بذلك تطهير مكة من الأصنام، وتم القضاء على الوثنية وأعلنت فيها وحدانية الله، وأعز الله دينه ورسوله وجنده، وأنقذ بلده الأمين، وطهر بيته الحرام، الذي جعله هدى للعالمين، من دنس الكفار والمشركين، وكان هذا الفتح تتويجًا لجهود النبي ﷺ في الدعوة، وإيذانًا بسيادة الإسلام في شبه الجزيرة العربية، وارتفاع كلمة الحق والإيمان، ونزل فيه قول الحق عز وجل ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ. وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (النصر: ١-٣).

وفيها قال الرسول ﷺ مقولته المشهورة لمشركي قريش: «ما تظنون أني فاعل بكم؟»، قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء». في كلمات تتجلى فيها عزة الإسلام في هذا الموقف العظيم، وكرم الرسول ﷺ في هذا الموقف العصيب.

وفي ٨ رمضان ٩هـ (١٨ ديسمبر ٦٣٠م) كانت غزوة تبوك أو العسرة على حدود الأراضي البيزنطية، وهناك أعلنت القبائل العربية خضوعها للمسلمين، واكتفى الرسول الخاتم ﷺ بذلك، ولم يتوغل المسلمون في أراضي الدولة البيزنطية، وقد ترتب على هذه الموقعة اتساع رقعة الدولة الإسلامية لدرجة أنها عمت كل أرجاء بلاد العرب.

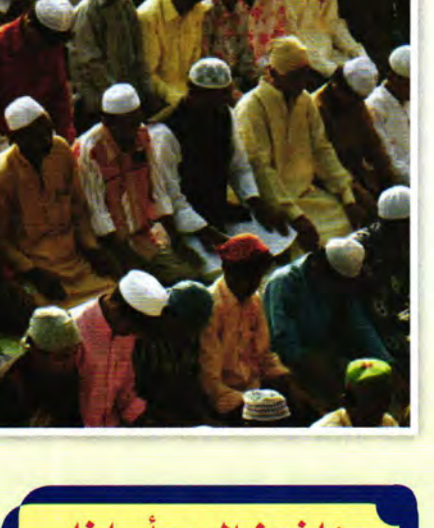
أما أبرز المعارك التي انتصر فيها المسلمون إبان عصر الخلفاء الراشدين، فهي معركة القادسية، على الضفة الغربية لنهر الفرات، التي وقعت في شعبان واستمرت إلى رمضان ١٦هـ (٦٣٧م) بين المسلمين والفرس، وكان قائد المسلمين الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وبلغ جيش المسلمين فيها نحو عشرة آلاف، وكان قائد الفرس رستم ذا الحاجب، ويتكون جيشه من مائة وعشرين ألف مقاتل، وقد مات المثنى بن حارثة الذي جرح في موقعة الجسر قبل المعركة، ومن الصحابة الذين كانوا يساعدون سعد بن أبي وقاص، المغيرة بن شعبة، وقيس بن هبيرة، وطليحة بن خويلد، الذي كان قد ادَّعى



النبوة ثم تاب وأناب، وقبيل المعركة تم الاتصال بين المسلمين والفرس بُغية الوصول إلى اتفاق يمنع الحرب، ولكن هذا الاتصال لم يسفر عن نتيجة، فقامت المعركة، وهي من المعارك المهمة في تاريخ الصراع بين المسلمين والفرس، فرَّ فيها رستم وعشرات الآلاف من جنوده إلى المدائن عاصمة الساسانيين، وغنم فيها المسلمون مغانم كثيرة.

وكانت موقعة القادسية بمثابة المعركة الحربية الحاسمة، التي ساعدت الأمة الإسلامية الفتية على أن تنعطف انعطافة جديدة في مسيرتها التاريخية، وذلك كانعكاس طبيعي لانتصارها الظافر على الفرس، الذين كانوا يهيمنون هيمنة كاملة على الجناح الشرقي للوجود البشري آنذاك، وبالتالي تسنَّى للأمة الإسلامية في هذه الموقعة الحاسمة تغيير ملامح التاريخ البشري، وذلك بعد أن استطاع المسلمون أن ينهوا الوجود الفارسي وسيطرته على تلك المناطق الهامة من العالم حينئذ، وفي موقعة القادسية تبلوَر أيضا مدى الإعجاز الفريد للجانب العقدي الذي فجَّرت ينابيعه الأثرة الفيّاضة والإيمان الصادق في نفسية المسلمين، وذلك عبر الحوار الذي دار بين ابن من أبناء الحضارة الإسلامية البازغة، وممثل لتلك الحضارة الفارسية الغاربة، وهذان المتحاوران هما: الصحابي ربعي بن عامر رضي الله عنه، ورستم قائد الفرس، وذلك عندما دخل ربعي بن عامر على رستم، فقال رستم له: ما الذي جاء بكم إلى هنا؟! قال: جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة.

وفي ٢ رمضان ٨٢هـ (٩ أكتوبر ٧٠١م) كانت الجيوش الإسلامية في شمال إفريقيا تواجه الروم من جهة، والبربر من جهة أخرى، وكانت زعيمة البربر تسمى الكاهنة، حيث لم يستطع القائد المسلم زهير بن قيس أن ينتصر عليها، حتى جاء الحسان بن النعمان فصمم على فتح جميع بلاد المغرب إذ انطلق متوجها إلى أواسط المغرب والتقى بجيوش الكاهنة وانتصر عليها.



ها نحن اليوم أصابنا الوهن وتكالب علينا الأعداء وصرنا نذكر تاريخًا كان بالأمس دون أن نستفيد منه في حياتنا

وفي ٢٨ رمضان ٩٢هـ (١٨ يوليو ٧١١م) نشبت معركة شذونة أو وادي لكة بين المسلمين بقيادة طارق بن زياد والقوط بقيادة لذريق، وكان النصر حليف المسلمين، وقد هيأ ذلك النصر أن يدخل الإسلام إلى إسبانيا، التي كانت تسمى بشبه الجزيرة الأيبيرية، وأن تفتح الأندلس وتضم إلى كيان الدولة الإسلامية، وأن تظل دولة مسلمة ثمانية قرون، وتكمن في الفتح الإسلامي للأندلس معجزة الإسلام، فالإسلام كدين وحضارة يحقق به الإنسان، وبقدرة الله، المعجزات.

وتم التقدم في فتح الأندلس بهذا النوع المتميز من أجناد العقيدة الإسلامية في أجواء رمضان المعطرة بشذى الإيمان وبندى الإسلام. فبدا سهلاً أمام هذا النوع من الجند، فقد استهانوا بالصعاب وبذلوا النفوس رخيصة من أجل رفع شأن الإسلام وحضارته الحقة، فأمام هذا النوع من الجند، كانت التضحيات كثيرة والجهد كبير، والدروب شاقة، والمناخ شديد، والجو غريب، والأرض صخرية عنيفة، وكان مستوى العقيدة أعلى من ذلك وأكبر، فانساب الفاتحون بهذه السرعة، فبدت للأسبان كأنها نزهة روحية من أجل إعلاء كلمة الله في الأرض، وهي سبب راحة المؤمن وفرحته بنصر الله إن عاش، وبجنته إن استشهد. وفي هذا يقول الحق سبحانه: ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلآَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ (التوبة: ٥٢). ولقد نتج عن هذا الفتح المبين، أن انطلقت الأمة الإسلامية انطلاقتها الحضارية، ووصل إشعاعها إلى أوروبا المظلمة آنذاك.

وفي ٢ رمضان ١١٤هـ (٢٦ أكتوبر ٧٣٢م)، كانت معركة بلاط الشهداء بقيادة القائد المسلم عبدالرحمن الغافقي، والفرنجة بقيادة شارل مارتل، وجرت أحداث هذه المعركة في فرنسا بين مدينتي تور وبواتيه واستمرت المعركة ١٠ أيام، من أواخر شعبان حتى أوائل شهر رمضان، وانسحب المسلمون بالليل، ولم تنته المعركة بانتصار أحد الفريقين.

وفي ٩ رمضان ٢١٢هـ (١ ديسمبر ٨٢٧م) فتح المسلمون صقلية على يد القائد زياد بن الأغلب، حيث نزل المسلمون على شواطئها واستولوا عليها لينشروا الإسلام بها.

ومن أعظم المعارك الإسلامية الرمضانية التي تسببت فيها امرأة، صرخت، وقالت: وامعتصماه، فحركت نخوة الخليفة العباسي المعتصم بالله فحرك جيشًا عرمرمًا من قصر الخلافة إلى منطقة عمورية، وحاصر مدينة عمورية، إحدى مدن الدولة البيزنطية استجابة لنداء المرأة المسلمة التي استغاثت به، إنها معركة فتح عمورية.

حيث اقتحم المعتصم بالله العباسي حصون عمورية في مائة وخمسين ألفاً من جنوده، ليجعل من غزوته غرة في جبين الدهر، والدرة والتاج في تاريخ الإسلام، وتعود أسباب تلك المعركة إلى أنه قد نقل إلى الخليفة أن امرأة مسلمة من العفيفات قد وقعت في يد جند من جنود الروم، فلما هم بسبيها نادت: وامعتصماه.. وامعتصماه.. فهز النداء نخوته، وأثار رجولته، وقال: لبيك.. لبيك.. فنهض المعتصم، ولبس لامته وتقلد سلاحه، وركب حصانه، وصاح بالنفير وهو على أبواب قصره، وأقسم ألا يعود إليه إلا شهيداً محمولاً على الأعناق، أو ظافراً منتقماً للمدينة الغالية المنكوبة، والمرأة المسلمة المغصوبة، وفي أرض المعركة قاتل الجيش المسلم الروم، ولم تغب شمس يوم ١٧ رمضان ٢٢٣هـ (١٢ أغسطس ٨٣٨م) إلا والمدينة العريقة العتيدة بأيدي المسلمين، وشوهد المعتصم بن هارون الرشيد يدخلها على صهوة جواده الأصهب، وقد نكس رأسه خضوعاً لله وشكراً على نعمائه، فأين من يسمع صرخة امرأة وأين من يسمع صرخات الأطفال والعجائز.

وفي ١٠ رمضان ٦٤٨هـ (٦ ديسمبر١٢٥٠م)، انتصرت شجرة الدر، زوج الملك الصالح نجم الدين أيوب، على لويس التاسع قائد الحملة الصليبية التاسعة، في معركة المنصورة، حيث أسر لويس نفسه وقتل عدد كبير من جنوده.

ثم كانت المعركة التي أنقذت الإسلام والمسلمين، المعركة التي قامت أمة الإسلام بعدها من غفلتها واختلافها، وقامت تحت قيادة واحدة، هذه المعركة هي معركة عين جالوت في ٢٥ رمضان ٦٥٨هـ (٣ سبتمبر ١٢٦٠م) واحدة من أكثر المعارك حسمًا في التاريخ، أنقذت العالم الإسلامي من خطر داهم لم يواجه بمثله من قبل، وأنقذت حضارته من الضياع والانهيار، وحمت العالم الأوروبي أيضًا من شر لم يكن لأحد من ملوك أوروبا وقتئذ أن يدفعه.

فقد ظهر جنكيز خان في شمال الصين ومن ورائه جاء هولاكو يقود جيوشًا جرارة من المغول التي تقدمت في البلاد تقتل وتخرب وتدمر كل شيء الأخضر واليابس دمرت الحضارة ودور العبادة، وأصبحت خطرا على البشرية جمعاء، واندفعت هذه الجيوش الهمجية عبر إيران إلى العراق وجاءت بغداد فهدمت القصور وسفكت الدماء وأحرقت الكتب، ودمرت كل شيء، وبدأت مدن الشام تتساقط في أيديهم حتى وصلوا إلى غزة وزاد غرور المغول وتوحشهم، ولكن الله جند من يتصدى لهم، وهو سيف الدين قطز، فعندما جاءت رسل التتار، وكانوا خمسة عشر رسولا، وسلموه إنذار الحرب، كان جوابه أن أمر بقتلهم، وتعليق رؤوسهم على أبواب القاهرة، وبدأ بتجهيز جيش قوي من كل المصريين: مسلمين وأقباط، بدأه بالدعوة لإصلاح الدين والاتجاه إلى الله، ورد الحقوق، ونشر العدل، ورفع الظلم، وتقديم النفس والنفيس في سبيل الله، ودعا المسلمين أن يتحدوا ويتجهزوا معه في جيش واحد لقتال جحافل التتار وتخليص بلاد المسلمين.

وزحف جيش المسلمين إلى عين جالوت في المنطقة التي تقع بين بيسان ونابلس بفلسطين، وقاد المظفر «سيف الدين قطز» المسلمين، والمغول بقيادة «كتبغا»، ووجه الجيش الإسلامي هجومًا قويًا شديدًا على جموع التتار، وتم سحقهم وسط نداءات القائد والمسلمين: وإسلاماه... وإسلاماه... فألهب ذلك الصوت الصادق لهيب الإيمان في قلب المسلمين، فهب على الجيش الظالم الطاغي، فقطع رقابهم، وكسر شوكتهم، وعلت راية الإسلام، وانتهى اليوم الخالد بانتصار المسلمين نصرًا هائلا أوقف زحف المغول الهمجي، وبذلك تم إنقاذ البشرية من هذه الشعوب البربرية، المتوحشة سفاكة الدماء، بعدما لم يكن يظن أحد في تلك الأيام أنه ستقوم للإسلام قائمة، فقد رثا الشعراء والأدباء والخطباء الإسلام والمسلمين، ولم يدر في خلد أحد أن عبدًا مملوكاً سيعيد للإسلام والمسلمين هيبتهم، ومجدهم الغابر.

وفي ٤ رمضان ٩٢٧هـ (٨ أغسطس سنة ١٥٢١م)، فتح السلطان العثماني مدينة بلجراد، التي تعد مفتاح أوروبا الوسطى، وعقبة في طريق التقدم



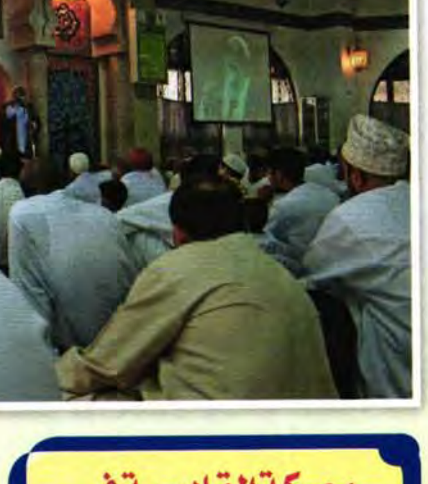
العثماني إلى قلب أوروبا: فيينا وبودابست والقسطنطينية، وصاحبة أقوى قلعة على الحدود المجرية العثمانية، وقد حاصرها العثمانيون ثلاث مرات: ١٤٤١ و١٤٥٦ و١٤٩٢م، ولم يتمكنوا من فتحها إلا في عهد السلطان سليمان القانوني، وبعدها تدفق العثمانيون إلى أوروبا كالسيل الجارف.

وفي ٢٧ رمضان ١٠٩٣هـ (٢٩ سبتمبر ١٦٨٢م)، فتح المسلمون بقيادة القائد العثماني «أوزون إبراهيم باشا» قلعة فولك الحصينة في سلوفاكيا، إضافة على ٢٨ قلعة أخرى واستطاع هذا القائد تحقيق السيطرة الكاملة على سلوفاكيا.

وفي ١٠ رمضان ١٣٦٣هـ (٦ أكتوبر ١٩٧٣م)، عبر الجيش المصري قناة السويس وحطم خط بارليف وألحق الهزيمة بالقوات الصهيونية، في يوم من أيام العرب الخالدة التي سطرها التاريخ في أنصع صفحاته بأحرف من نور؛ ففي هذا اليوم وقف التاريخ يسجل مواقف أبطال حرب أكتوبر الذين تدفقوا كالسيل العرم يستردون أرضهم، ويستعيدون كرامتهم ومجدهم؛ فهم الذين دافعوا عن أرضهم وكافحوا في سبيل تطهيرها وإعزازها، فضربوا بدمائهم وحفظوا لأنفسهم ذكرًا حسنًا لا ينقطع، وأثرًا مجيدًا لا يمحى، هؤلاء الأبطال الذين خشعت لذكرهم الأصوات، وأجمعت على فضلهم القلوب، لأنهم قضوا نحبهم لحفظ مجد مغتصب، ولطلب حق مسلوب، ذلك اليوم المجيد من أيام التجلي الأعظم، وقف الله فيه مع جنوده المخلصين يشد أزرهم، ويقوي عزائمهم، ويثبت أقدامهم، ويرد كيد عدوهم، ويقذف فيه بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق.

فبعد أن احتل اليهود سيناء الحبيبة والجولان والضفة والقدس وغزة في ٥ يونيو ١٩٦٧م أخذوا يتغنون بأسطورة جيشهم الذي لا يقهر، لكن مصر نجحت في إعادة بناء جيشها وجهزته بالعتاد وخيرة جنود الأرض، وبالتخطيط الجيد مع أشقائها العرب وبإرادة صلبة قوية وإيمان قوي عظيم وبخطة دقيقة محكمة فاجأت إسرائيل والعالم كله الساعة الثانية بعد الظهر، وانطلقت أكثر من ٢٢٠ طائرة تدك خط بارليف الحصين ومطارات العدو ومراكز سيطرته، وفي نفس الوقت سقطت أكثر من عشرة آلاف وخمسمائة دانة مدفعية وتعالت صيحات: الله أكبر، وتم عبور القناة واقتحام حصون العدو وتحطيمها واندحر العدو وهزم شر هزيمة، ورجعت أرض سيناء كاملة بعد ذلك نتيجة لهذه الحرب المجيدة، في هذا الشهر العظيم، شهر عزة المسلمين والذلة لأعداء الحق أعداء الدين.

وبعد ...، فهذه انتصارات رفعت من قدر الأمة الإسلامية على بقية الشعوب، ومكن الله لها في الأرض، وما ذلك إلا لتوحدهم، وجلوسهم تحت مظلة واحدة، وخلافة واحدة، فامتدت تلك الانتصارات منذ بزوغ نور النبوة بإنزال الله تعالى على رسوله القرآن الكريم في غار حراء يوم ١٧ رمضان، عندما بلغ النبي ﷺ أربعين عامًا، ومرورًا بعهد الدعوة السرية والهجرة، والخلافة الراشدة إلى نهاية خلافة الدولة العثمانية، التي انهارت بسبب اتحاد القوى الأوروبية ضدها.



معركة القادسية في رمضان كانت انعطافة جديدة في المسيرة التاريخية للأمة الإسلامية

وإن من ينظر إلى هذه الانتصارات سيتعجب كيف استطاع هؤلاء القيام بمثل هذه الانتصارات، وفي وقت صيام، وقد تكون في أيام صيف حار، فليس بعجيب، وليس ذلك بغريب من أناس جعلوا الإسلام همهم، وقدموا إعلاء رايته على كل شيء، فهو شهر عظيم جعله الله شهر انتصارات وعزة للإسلام والمسلمين.

وها نحن اليوم كما أخبر النبي ﷺ، أصابنا الوهن وتكالب علينا الأعداء وصرنا نذكر تاريخًا كان بالأمس دون أن نستفيد منه في حياتنا، وما ذلك إلا لبعدنا عن الحق وعما يدعو إليه الدين من العلم والعمل. نسأل الله تعالى أن ينصرنا على أعدائنا إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

ليلة القدر خير من ألف شهر

جاد الله فرحات

لو أن إنسانًا خير أن يعمل شهرًا واحدًا براتب ألف شهر ثم رفض ذلك لعد ذلك منه نقصًا في العقل والتدبير فكيف والوعد من الله تعالى ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾

لقد فقه هذه الحقيقة السلف الصالح ومنهم الخطيب الشربيني . رحمه الله . صاحب مغني المحتاج في شرح المنهاج وصاحب التفسير فقد ورد في ترجمته أنه كان يدخل المسجد في أول ليلة من رمضان فلا يخرج إلا بعد صلاة العيد. لقد كان رحمه الله حريصًا على ألا يضيع لحظة واحدة من عمره في غير طاعة الله . (خاصة في هذا الشهر المبارك وحتى يتحقق من إدراك ليلة القدر)

قال الحسن البصري . رحمه الله . عن شهر الصيام «إن الله تعالى قد جعل رمضان مضمارًا لخلقه يستبقون فيه بطاعته فسبق قوم ففازوا وتخلف آخرون فخابوا فالعجب للضاحك في اليوم الذي فيه المسرعون وخاب فيه الباطلون، فالله عباد الله اجتهدوا في أن تكونوا من السابقين ولا تكونوا من الخائبين في شهر شرفه رب العالمين» .

وفي تفسير الحافظ بن كثير عن مجاهد أن النبي ﷺ ذكر رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر قال: فعجب المسلمون من ذلك قال: فأنزل الله عز وجل ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ التي لبس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر.



قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد حكام بن مسلم عن المثنى بن الصباح، عن مجاهد قال: كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي، ففعل ذلك ألف شهر فأنزل الله هذه الآية ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل، وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا يونس أخبرنا بن وهب، حدثني مسلمة بن علي عن علي بن عروة قال: ذكر رسول الله ﷺ يومًا أربعة من بني إسرائيل عبدوا الله ثمانين عامًا، لم يعصوه طرفة عين فذكر أيوب وزكريا وحزقيل بن العجوز ويوشع بن نون قال: فعجب أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك فأتاه جبريل فقال: يا محمد عجبت أمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة لم يعصوه طرفة عين، فقد أنزل الله خيرًا من ذلك فقرأ عليه ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ هذا أفضل مما عجبت أنت وأمتك، قال: فسر بذلك رسول الله ﷺ والناس معه.

وقال سفيان الثوري: بلغني عن مجاهد ليلة القدر خير من ألف شهر قال: عملها وصيامها وقيامها خير من ألف شهر، رواه ابن جرير وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبوزرعة، حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا ابن أبي زائدة عن ابن جريج عن مجاهد: ليلة القدر خير من ألف شهر ليس في تلك الشهور ليلة القدر، وهكذا قال قتادة بن دعامة والشافعي وغير واحد، وقال عمرو بن قيس الملائي: عمل فيها خير من عمل ألف شهر، وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر هو اختيار ابن جرير، وهو الصواب لا ما عداه وهو كقوله ﷺ: «رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه من المنازل» رواه أحمد، وكما جاء في قاصد الجمعة بهيئة حسنة، ونية صالحة أنه يكتب له عمل سنة أجر صيامها وقيامها إلى غير ذلك من المعاني المشابهة لذلك.

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن ابراهيم، حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ: «قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم» رواه النسائي من حديث أيوب به. ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيمانًا

• إمام وخطيب وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت



احتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» وقوله تعالى: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾ أي يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة كما يتنزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيمًا له، وأما الروح فقيل المراد به ههنا جبريل عليه السلام، فيكون من باب عطف الخاص على العام وقيل هم ضرب من الملائكة.

ويقول العلامة ابن سعدي في تفسيره وسميت ليلة القدر لعظم قدرها وفضلها عند الله ولأنه يقدر فيها ما يكون في العام من الأجل والأرزاق والمقادير القدرية.

ثم فخم شأنها وعظّم مقدارها فقال ﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ ثم قال ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ أي تعادل في فضلها ألف شهر فالعمل الذي يقع فيها خير من العمل في ألف شهر خالية منها وهذا مما تتحير فيه الألباب وتندهش له العقول حيث منَّ الله تعالى على هذه الأمة الضعيفة القوةَ والقوى بليلة يكون العمل فيها يقابل ويزيد على ألف شهر، عمر رجل معمر عمرًا طويلًا نيفًا وثمانين سنة ﴿حتى مطلع الفجر﴾ أي مبتدأها من غروب الشمس ومنتهاها طلوع الفجر وتواترت الأحاديث في فضلها وأنها في رمضان وأنها في العشر الأواخر منه خصوصًا في أوتاره وهي باقية في كل سنة إلى قيام الساعة، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف ويكثر من التعبد في العشر الأواخر من رمضان رجاء ليلة القدر والله أعلم. وقال العلامة ابن رجب الحنبلي عن ليلة القدر يا ليلة القدر للناس اشهدي، ويا أقدام القانتين اركعي لربك واسجدي ويا ألسنة السائلين جدي في المسألة واجتهدي.

يا رجال الليل جدوا
رب داع لا يرد
ما يقوم الليل إلا
من له عزم وجد



ليلة القدر عند المحبين ليلة الحظوة بأنس مولاهم وقربه، وإنما يفرون من ليالي البعد والهجر.

واختلف في ليلة القدر والحكمة في نزول الملائكة في هذه الليلة أن الملوك والسادات لا يحبون أن يدخل دارهم أحد، حتى يزينوا دارهم بالفرش والبسط، ويزينوا عبيدهم بالثياب والأسلحة، فإذا كان ليلة القدر أمر الرب تبارك وتعالى الملائكة بالنزول إلى الأرض، لأن العباد زينوا أنفسهم بالطاعات بالصوم والصلاة في ليالي رمضان، ومساجدهم بالقناديل والمصابيح فيقول الرب تعالى: أنتم طعنتم في بني آدم وقلتم ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ (البقرة: ٣٠) فقلت لكم: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ (البقرة: ٣٠) اذهبوا إليهم في هذه الليلة، حتى تروهم قائمين ساجدين راكعين، لتعلموا أني اخترتهم على علم على العالمين.

قال مالك، بلغني أن رسول الله ﷺ أري أعمار الناس قبله، أو ما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل الذي بلغه غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر خير من ألف شهر.

وقال النخعي: العمل فيها خير من العمل في ألف شهر.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه».

والعبد مأمور بالسعي في اكتساب الخيرات، والاجتهاد في الأعمال الصالحات، وكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ﴿فأما من أعطى واتقى. وصدق بالحسنى. فسنيسره لليسرى. وأما من بخل واستغنى. وكذب بالحسنى. فسنيسره للعسرى﴾ (الليل: ٥-١٠) فالمبادرة إلى اغتنام الشهر، فعسى أن يستدرك به ما فات من ضياع العمر.

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجالًا من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر. فقال رسول الله ﷺ «أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر».

وفي صحيح مسلم عنه عن النبي ﷺ قال: «التمسوها في العشر الأواخر، فإن ضعف أحدكم أو عجز فلا يغلبن على السبع البواقي».

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وكان يأمر بالتماسها في أوتار العشر الأواخر من رمضان، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «التمسوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى».

وهذا مما يستدل به من رجح ليلة ثلاث وعشرين وخمس وعشرين على ليلة إحدى وعشرين، فإن ليلة إحدى وعشرين ليست من السبع الأواخر بلا تردد.

وقد روي عن النبي ﷺ من وجوه أخر أنه بين أنها ليلة سبع وعشرين.

واختلف في أول السبع الأواخر فمنهم من قال: أول السبع ليلة ثلاث وعشرين على حساب نقصان الشهر دون تمامه لأنه المتيقن، وروي هذا عن ابن عباس وفي صحيح البخاري عن بلال قال: إنها أول السبع من العشر الأواخر.

وقد روي عن النعمان بن بشير رضي



السعيد حقًا من يوفق إلى إدراك هذه الليلة المباركة

الله عنه أنه أنكر أن تحسب ليلة القدر بما مضى من الشهر وأخبر أن الصحابة يحسبونها بما بقي منه، وهذا الاحتمال إنما يكون في مثل قول النبي ﷺ: «التمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة».

وقد خرجه البخاري من حديث عبادة رضي الله عنه.

وقد اختلف الناس في ليلة القدر اختلافًا كثيرًا، فحكي عن بعضهم أنها رفعت وحديث أبي ذر يرد ذلك.

وروي عن محمد بن الحنفية: أنها في كل سبع سنين مرة، وفي إسناده ضعف، وقال الجمهور: في رمضان كل سنة، ثم منهم من قال: هي في الشهر كله، وحكي عن بعض المتقدمين أنها أول ليلة منه، وقال الجمهور هي منحصرة في العشر الأواخر واختلفوا في أي ليال العشر أرجى، فحكي عن الحسن ومالك أنها تطلب في جميع ليالي العشر أشفاعه وأوتاره.

وقال الأكثرون: بل بعض لياليه أرجى من بعض، وقالوا: الأوتار أرجى في الجملة، ثم اختلفوا في أي أوتاره أرجى.

وفي مسند الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلًا قال: يا رسول الله إني شيخ كبير عليل يشق علي القيام فأمرني بليلة يوفقني الله فيها لليلة القدر قال: «عليك بالسابعة» وإسناده على شرط البخاري.

وإذا حسبنا أول السبع الأواخر ليلة أربع وعشرين، كانت ليلة سبع وعشرين نصف السبع، وقد استنبط طائفة من المتأخرين من القرآن أنها ليلة سبع وعشرين من موضعين:

أحدهما: أن الله تعالى كرر ذكر ليلة القدر في ثلاث مواضع منها، وليلة القدر حروفها تسع، والتسع إذا ضربت في ثلاثة فهي سبع وعشرون.

والثاني: أنه قال: «سلام هي » (القدر: ٥)، فكلمة « هي» الكلمة السابعة والعشرون من السورة، فإن كلماتها كلها ثلاثون. قال ابن عطية: هذا من ملح التفسير لا من متين العلم، وهو كما قال.

قال ابن رجب: واعلم أن جميع هذه العلامات لا توجب القطع بليلة القدر.

وأما العمل في ليلة القدر فثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه» وقيامها إنما هو إحياؤها بالتهجد فيها والصلاة وقد أمر عائشة بالدعاء فيها أيضا.

قال سفيان الثوري: الدعاء في تلك الليلة أحب إلي من الصلاة، قال: وإذا كان يقرأ وهو يدعو ويرغب إلى الله في الدعاء والمسألة لعله يوافق. انتهى ومراده أن كثرة الدعاء أفضل من الصلاة التي يكثر فيها الدعاء وإن قرأ ودعا كان حسنًا.

وقد كان النبي ﷺ يتهجد في ليالي رمضان، ويقرأ قراءة مرتلة لا يمر بآية فيها رحمة إلا سأل، ولا بآية فيها عذاب إلا تعوذ، فيجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكر، وهذا أفضل الأعمال وأكملها في ليالي العشر وغيرها والله أعلم، وقد قال الشعبي ليلة القدر: ليلها كنهارها، وقال الشافعي في القديم: أستحب أن يكون اجتهاده في نهارها، كاجتهاده في ليلها، وهذا يقتضي استحباب الاجتهاد في جميع زمان العشر الأواخر ليله ونهاره والله أعلم. والمحبون تطول عليهم الليالي فيعدونها عدًا لانتظار ليالي العشر في كل عام، فإذا ظفروا بها نالوا مطلوبهم وخدموا محبوبهم.

قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ: أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: «قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني».

والعفو من أسماء الله تعالى، وهو المتجاوز عن سيئات عباده، الماحي لآثارها عنهم، وهو يحب العفو فيجب أن يعفو عن عباده، ويحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض، فإذا عفا بعضهم عن بعض عاملهم بعفوه، وعفوه أحب إليه من عقوبته، وكان النبي ﷺ يقول: «أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك».

وإنما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعمال فيها وفي ليالي العشر، لأن العارفين يجتهدون في الأعمال، ثم لا يرون لأنفسهم عملًا صالحًا ولا حالًا ولا مقالًا، فيرجعون إلى سؤال العفو كحال المذنبين المقصرين. قال يحيى بن معاذ: ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو.

إن كنت لا أصلح للقرب

فشأنكم العفو عن الذنب

كان مطرف يقول في دعائه: اللهم ارض عنا، فإن لم ترض عنا فاعف عنا. (انتهى كلامه).

والحاصل أن السعيد حقًا من يوفق إلى إدراك هذه الليلة المباركة، ومما لا خلاف فيه ولاشك ولا مرية أن من قام رمضان كله فقد أدرك ليلة القدر لا محالة ولهذا كان السلف الصالح منهم من يدخل المسجد من أول ليلة من رمضان ولا يخرج إلا بعد صلاة العيد كالخطيب الشربيني، وفي عصرنا هذا أعرف من يعتكف في المسجد الحرام أو يسكن بالقرب منه ليحيي ليالي رمضان كلها ولا يترك ليلة واحدة بل لا يترك فرضًا واحدًا لا يصليه خلف الإمام.

اللهم بلغنا رمضان ووفقنا لصيامه وقيامه وتقبله منا واجعلنا وآباءنا وأمهاتنا وإخواننا وأخواتنا وأبناءنا وبناتنا والمسلمين من عتقائك من النار ومن المقبولين.

آمين آمين لا أرضى بواحدة

حتى أضيف إليها ألف آمين

صلة الأرحام أبرز معالم رمضان

القاهرة- دار الإعلام العربية

ما إن يقترب هلال رمضان حتى تتزين الشوارع المصرية وتتلون بأبهج الألوان، تعلق الرايات التي يتفنن الصبية في صناعتها وتزيينها بالمصابيح الكهربائية، كما تضاء شرفات المنازل بالفوانيس.. وما ذلك إلا انعكاس للضوء والشفافية التي تغمر القلوب، التي تتخلى في هذا الشهر الفضيل عن كل شائبة وعصبية، ولا يبقى فيها غير التسامح والنقاء والتكافل.. «الوعي الإسلامي» تعيش معكم أجواء شهر الخير والقرآن، فإلى التفاصيل.

يحرص المصريون على الاستعداد الإيماني لشهر رمضان منذ منتصف شهر شعبان، حيث تبدأ المساجد في استقبال مصلين قلما توافدوا في غير رمضان، وما إن يقترب رمضان حتى تُعلن حالة من الاستنفار الإيماني، فيبدأ الحرص على الصلاة، ويسارع كثيرون بشراء المصاحف لتلاوة القرآن، وتشهد المساجد قبل أيام من رمضان الازدحام بآلاف المصلين غير التقليديين، كما تحرص الفتيات والنساء على الالتزام بتغطية الرأس وربما ارتداء حجاب كاملًا رغم أنهن غير محجبات بقية العام.

جو روحاني

وارتبط شهر القرآن بعديد من مظاهر الخير والتسامح، كقوافل الدعوة التي تجوب القرى لتفقيه الناس في أمور دينهم، فضلًا عن الخيام الدعوية التي تعدُّها وزارة الأوقاف والأزهر، كما انتشرت منذ سنوات ظاهرة الخيام الرمضانية التي تستقبل العائلات بعد صلاة القيام، حيث السهر في جو روحاني من التواشيح الدينية أو البرامج الثقافية التي تنظمها جمعيات وأندية ومكتبات عامة وكذلك المساجد، حيث يلتقي في هذه الاحتفالات رجال الدين والفكر في حوار رمضاني تمتزج فيه القضايا الدينية بالقضايا الاجتماعية والفكرية وغيرها.

وإذا كان التذبذب بين الطاعة في رمضان والتكاسل فيما سواه أمرًا مرفوضًا، وإذا كان هذا السلوك في العلاقة مع

د. صبري عبدالرؤوف: نبذ المعاصي في رمضان رجاء أن يكون خير عاقبة للعصاة

الخالق يشوبه الخطأ كما يقول د. صبري عبدالرؤوف أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر، فإنه يحمل في طياته مخافة من الله، وإدراكًا بأنه وحده القادر على محو الذنوب، وأنه ليس أهون ناظر إليهم، بل هو أرحم ناظر ومطلع على حالهم، وأنهم يقرون بأن الله قد يجعل في هذا الشهر خير عاقبة لحالهم، وصلاحًا لأمرهم.

صلة وتواصل

ولأن شهر رمضان يمثل أهم مناسبة دينية في مصر، ويعتبرونه شهر اللقاء مع خالقهم، تقول سحر إبراهيم ربة منزل: أحرص وزوجي وأولادي على الإكثار من العبادة والطاعات خلال هذا الشهر حتى نصل إلى قمة التقرب من الله في العشر الأواخر، كما نحرص على ختم القرآن أكثر من مرة.. إلى جانب صلة الرحم وزيارة الأقارب والتواصل مع المسلمين خلال هذا الشهر الكريم، وذلك إدراك منا بتقصيرنا خلال بقية العام لمشاغل الحياة المتعددة التي تضطرنا أحيانًا لتجاوز هذه السلوكيات الحميدة، وأمل منا في نيل المغفرة من خالقنا في شهر المغفرة والرحمة.

وتشير إلى أن صلاة التراويح من أهم الشعائر الدينية التي تحرص الأسرة المصرية على أدائها في المساجد التي تمتلئ على آخرها بالمصلين من مختلف المراحل العمريّة، وتخرج النساء إلى المساجد مشمرات عن سواعد الجد في الطاعة كما الرجال.

تكافل

بدوره يؤكد حسين محمد صاحب مكتبة لبيع الكتب الدينية أن المصريين على الرغم من اهتمام معظمهم بالمظاهر الاجتماعية طوال العام فإنهم يحرصون في رمضان على الجانب الروحي، حيث يكثر الإقبال على شراء المصاحف لإهدائها أو التصدق بها ووضعها في المساجد، لافتا إلى مظهر آخر يدل على التسامح ونبذ التعصب متمثلًا في موائد الرحمن التي تعتبر من أكثر المظاهر التي يتميز بها الشارع المصري طوال شهر رمضان، والتي لا تفرِّق بين مسلم ومسيحي في تناول الطعام لحظة انطلاق مدفع الإفطار، ولا تفرق بين فئة وأخرى، فالجميع لحظة الإفطار كأسنان المشط، لا تكاد ترى فرقًا بينهم، الجميع يعيشون جوًّا من التكافل الاجتماعي الذي يغيب في كثير من شهور العام، وفي هذا الصدد اعتبرت الداعية الإسلامية آمنة نصير أن شهر رمضان فرصة للتكافل الاجتماعي، وأن موائد الرحمن صورة من صور هذا التكافل

وانتشارها تعبير واقعي عنه.



انبذوا الغضب والعصبية

وتؤيدها في ذلك الداعية د.عبلة الكحلاوي التي أكدت أن رمضان فرصة ثمينة لكي يتواصل المسلم مع أخيه المسلم ويعاود أهله، ووجهت حديثها لمن له خصام مع أي إنسان آخر قائلة: عليك المبادرة بالسلام لتصفية الخلاف، اغتنم الشهر الكريم في الطاعة ونشر التسامح والمحبة بين الناس جميعًا مسلمين وغير مسلمين، ولا تجعل شيطان النفس يحوله إلى شهر للشحناء والخصام والعصبية.

وتحدثت عن نفسها في رمضان قائلة: على الرغم من تزايد أعبائي ونشاطي في رمضان أحاول بقدر الإمكان التواصل مع أهلي وجيراني ومعارفي، لكن إذا لم أتمكن من ذلك في بعض الأيام فإنني أستعيض عن ذلك بلقاء الأحباب من خلال الأجهزة الإعلامية، لاسيما أنني أؤمن بأن دوري كداعية واجب مقدس ورسالة لابد من أن أقوم بها، ودائمًا هناك تواصل مباشر بيني وبين الناس، وأحيانًا من خلال حوار عادي تتولد أسئلة للبعض وأرد عليها.. فليس بيني وبين الناس حواجز، فكل من يسألني في أي مكان أجيبه مادام الأمر متاحًا، حتى إن البعض يتصل بي في منزلي ولا أتردد في الإجابة عن تساؤلاته.

وتطرقت د.عبلة إلى أبرز المشكلات التي تواجه الزوجين في «سنة أولى رمضان بعد الزواج»، وأول المشاكل التي تقع فيها الزوجة هي افتقادها لعائلتها الكبيرة ولأهلها، وبالتالي قيامها بأعباء البيت وحدها وشعورها أن المسئولية أصبحت كلها على عاتقها، ولا أحد يساعدها مثلما كانت عند الأهل، وأنها تتوقع مساعدة الزوج لها في الأعباء المنزلية في هذا الشهر، لكنه في كل الحالات لا يفعل شيئاً قبل الزواج وبعده، وبالتالي تشعر بالغضب والعصبية، وبعمق الأعباء المنزلية، وعندما



د.عبلة الكحلاوي: بادروا بتصفية الخلافات وانشروا المحبة بين الناس جميعًا

لا يفهم الزوج سبب هذه العصبية ولا يتفهمها نستطيع القول إن رمضان الأول كان التغيير به سلبيًا وليس إيجابيًا، ولحل هذه المشكلة على الزوجة أن تنظم وقتها، وتعطي قدرًا من الوقت للاهتمام بنفسها وشكلها ومظهرها، ولهذا نتيجة إيجابية جدًا على نفسيتها، ولابد أن تشعر نفسها بجمال المسؤولية الملقاة على عاتقها، ولا تأخذها بمأخذها السلبي، مؤكدة ضرورة أن نغسل قلوبنا من أي مشاعر غير ودية، وأن نخصص وقتًا مناسبًا لصلة الرحم وزيارة الأهل والأصدقاء.

ظروف معيشية

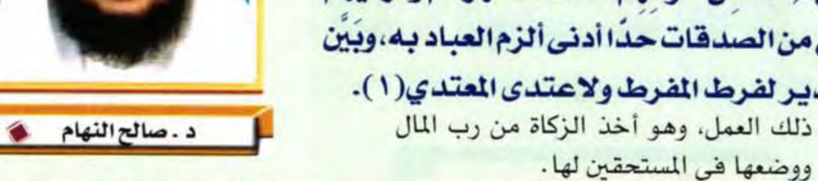
من جانبه يشير د.أشرف شلبي أستاذ علم النفس إلى أن شهر رمضان فرصة لإزالة غبار الخلاف والشقاق وهموم الحياة ومتاعبها بين الناس عامة وبين الزوجين خاصة، ولكي يتحقق ذلك لابد من بعض الأمور التي ينبغي أن يراعيها الزوجان في هذا الشهر الكريم، فمع حلوله يتغير نمط الحياة المعتاد، ويحدث انقلاب في مواعيد النوم والطعام والعمل، وقد تتغير تبعًا لذلك شخصية المرء وطباعه، مما يفرض على الزوجين التكيف مع الوضع الجديد وترويض الطباع والعادات والتعاون لتوفير الوقت والراحة النفسية للطرف الآخر حتى يؤدي عبادته دون أي منغصات أو مكدرات.

ومن الأمور التي لها أعظم الأثر في زيادة المودة والمحبة بين الزوجين أن يجتمعا على طاعة الله وعبادته، حيث ترفرف ظلال العبادة وبركات الطاعة من خلال صلاة التراويح والقيام والتهجد وقراءة القرآن وعمارة البيت بذكر الله، أيضًا رمضان فرصة مهمة لتقوية الروابط الأسرية والعلاقات الاجتماعية مع أهل الزوج والزوجة ومع الجيران من خلال الزيارات والاتصالات والدعوة إلى الإفطار مع الأسرة.

وفي رمضان كذلك تجتمع العائلة كلها على الإفطار، مما يجعل أمام الزوجين فرص استثمار هذا اللقاء في تقوية العلاقة بينهما وبين أبنائهما، من خلال الحوار وتبادل الحديث ومناقشة المشاكل وحلها.

أيضًا من الأمور التي ينبغي أن تراعيها الزوجة ضبط ميزانية شهر رمضان ومراعاة إمكانات الزوج وظروفه المادية، وينبغي على الزوج أن يساعد زوجته في القيام بشؤون البيت والعناية بالأطفال، ولا يلحق بالرجل بذلك أدنى عيب، بل هو من محاسن الأخلاق وشيم الرجال، فقد قال أفضل الخلق ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي».

العامل على الزكاة



د. صالح النهام

الإسلام دينُ المساواة والتراحم والتعاطف والتعاون، ودينٌ قطع دابر كل شر يهدد الفضيلة والأمن والرخاء، فرضت الزكاة لكونها تساهم في إشاعة الأمن والأمان في المجتمع، وهي تنزع الأحقاد من نفوس الفقراء المحرومين، وتطهر قلوب الأغنياء من الشح، لقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وتزكيهم بها﴾ (التوبة: ١٠٣)، ففرض الله تعالى من الصدقات حدًا أدنى ألزم العباد به، وبَيَّن مقاديرَه، قال الدهلوي: إذ لولا التقدير لفرط المفرط ولاعتدى المعتدي(١).

يقصد بالعامل: كل من له عمل في تحصيل الزكاة، من جاب، أو ساع، أو كاتب، أو حافظ، أو راع، أو حامل، أو حارس، أو غير ذلك، ويقصد بالجباية: الجمع والتحصيل، واستخراج الأموال من مظانها كما في لسان العرب، وقد استخدمها ابن خلدون في المقدمة بمعنى الحصيلة، حصيلة الجباية، أي: الموارد المالية، أو الدخل بخلاف الخرج، أي: الإنفاق، وحكم الجباية: الوجوب على الدولة، ذكر ذلك الماوردي وغيره(٢).

ولا غرو أن مَن يُنَصِّبَ السعاة الذين يجمعون الزكاة، أو الجباة الذين يحصون الزكاة عن الأغنياء لتحصيل الزكاة وتفريقها على مستحقيها هو الإمام أو من ينوب عنه، وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ حين أرسل معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن، وكان ضمن وصاياه المتعلقة بمعاملته لمن يقوم عليه: «فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم» (٣)، وفعلها أيضًا الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم، حيث كانوا يرسلون سعاتهم لقبضها، لأن في الناس من يملك المال ولا يعرف ما يجب عليه، ومنهم من يملك المال ويبخل في تطهير مما فيه من حق، أما النائب فهو مَن نَصَّبَه ربُّ المال لتفرقة الزكاة، فهو يشارك العامل على الزكاة في الغرض، وفي النتيجة من ذلك العمل، وهو أخذ الزكاة من رب المال ووضعها في المستحقين لها.

المسألة الأولى: شروط العامل على الزكاة (٤):

الشرط الأول: الإسلام:

لا خلاف بين أهل العلم في جواز نيابة المسلم في توزيع الزكاة وتفريقها، وبناءً على هذا الشرط هل يصح أن يكون العامل على الزكاة كافرًا أم لا؟ اختلف العلماء في ذلك على ثلاثة أقوال:

القول الأول: وهو قول للمالكية(٥)، والحنابلة في المذهب (٦)، أنه لا يجوز أن يستعمل الكافر على الزكاة، بحيث يكون نائبًا عن أصحابها في تفرقتها، وقد استدلوا على ذلك بالآتي:

أولًا: الكتاب الكريم:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بعض﴾ (المائدة: ٥١)

ووجه الدلالة من هذه الآية: أن الله- عز وجل- نهى عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، وفي توليتهم أمر الزكاة نوع ولاية، وهذا لا يجوز، لأن النهي يقتضي التحريم، ويدخل في ذلك جميع الكافرين من باب أولى.

ثانيًا: المعقول:

● إن من شروط العامل الأمانة بالاتفاق، والكافر ليس بأمين، فلا تؤتمن خيانته في تفريقه الزكاة، وتوزيعها حال توليه عليها، فلا يجوز توليها من قبله كما لا تجوز شهادته(٧).

● إن العمالة على الزكاة ولاية، والكافر ليس من أهلها(٨).

● إن العمل في الزكاة يفتقر إلى العلم بِالنُّصُب، ومقاديرها، وما يتبع ذلك من قبول الأقوال في ادعاء الدفع والصرف ونحو ذلك، والكافر ليس أهلًا لذلك، وليس أهلًا لأن يُولَّى على المسلمين.

القول الثاني: ذهب جمهور العلماء من الحنفية (٩)، ورواية للمالكية(١٠)، ومذهب الشافعية(١١)، ورواية للحنابلة(١٢)، إلى أنه يجوز أن يستعمل فيها غير المسلم من ذمي ونحوه، واستدلوا بما يلي:

أولًا: الكتاب الكريم:

عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ (التوبة: ٦٠).

ووجه الدلالة من هذه الآية: هو موطن الاستشهاد في قوله تعالى: ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾، حيث جاء عامًا يدخل فيه كل عامل على أي صفة كان فتشمل الكافر وغيره(١٣).

ثانيًا: المعقول:

● إن الزكاة عبادة مالية محضة، لذا تصح فيها إنابة الذمي، وإن لم يكن من أهل النية، لأنه يشترط فيها نية الأمر، وهو

● المراقب في مجلة الوعي الإسلامي

المالك المسلم، إذ هو المؤدي في الحقيقة، وإنما الذمي لا يعدو كونه عاملاً(١٤).

● القياس على جواز توكيله في ذبح الأضحية، وبيان ذلك: أنه كما يجوز توكيل الكافر الذي تحل ذبيحته في ذبح الأضحية، يجوز توكيله في توزيع الزكاة وتفريقها، بجامع أن كلًا منهما عبادة مالية(١٥).

القول الثالث: وفيه التفصيل، وبيانه: أن بعض كل من المالكية (١٦)، والشافعية(١٧)، والحنابلة(١٨)، يرون أن اشتراط الإسلام في العامل على الزكاة شرط للأخذ منها، وليس شرطًا لمجرد العمل فيها، فلو أعطاه الإمام من بيت المال أجرةً مثلًا، وبيَّن له ما يجب بيانه، بحيث لا يتصرف إلا في حدود ما بين له، فهنا يجوز أن يولَّى على الزكاة حال توفر تلك القيود.

واستدلوا بتعليل مفاده: أن ما يأخذه العامل مقابل عمالته في الزكاة، بأخذه أجرة حينئذ لا زكاة، وإجارة الكافر جائزة(١٩).

الشرط الثاني: التكليف:

ويقصد بالتكليف أن يكون عاقلًا بالغًا، وبناء على هذا الشرط لا يجوز تولية المجنون على الزكاة، كما لا يجوز تولية غير البالغ، وهذا يشمل المميز وغيره، أما غير المميز فلا يجوز توليته أيضًا، لأنه مولَّى عليه(٢٠).

وفي هذا الشرط قولان:

القول الأول: ذهب الشافعية في قول(٢١)، ورواية للحنابلة(٢٢) إلى أنه لا يشترط كون المولَّى على الزكاة بالغًا، بل يكتفى بكونه مميزًا.

واستدلوا بدليل عقلي مفاده: أن المميز من أهل العبادة، ومن ثم يجوز أن يولَّى على الزكاة كالبالغ.

القول الثاني: ذهب المالكية(٢٣)، ورواية أخرى للحنابلة(٢٤) إلى عدم جواز توليته على الزكاة، لأن عموم نصوصهم تشترط البلوغ.

واستدلوا بدليل عقلي أيضًا مفاده: أن تفريق الزكاة وتوزيعها ولاية(٢٥)، والولاية يشترط فيمن يقوم بها البلوغ، لأن غير البالغ مولَّى عليه.

لا يشترط كون المولّى على الزكاة بالغًا بل يكتفى بكونه مميزًا

الشرط الثالث: العدالة:

يشترط فيمَن يتولى الزكاة أن يكون عدلًا ثقةً مؤتمنًا، وذلك حتى تؤمن خيانته، ويوثَق منه، فلا يضعها إلا موضعها، وقد اتفق فقهاء المذاهب الأربعة على هذا الاشتراط في العامل على الزكاة، وكذا الوكيل فيها.

ووجه الاشتراط: أن في العمل على الزكاة- جمعًا وتفريقًا- ولاية، والفاسق غير أمين، فهو ليس من أهل الولاية، ولا من أهل الأمانة(٢٦).

ومعنى العدالة هنا: ألا يكون فاسقًا، كما سبق، وعدالة كل أحد فيما ولي فيه، فعدالة الجابي في جبيها، وعدالة المفرق في تفرقتها، وليس المراد عدالة الشهادة؛ لأننا لو قصدنا ذلك لما احتجنا إلى الشرط الأول، وهو الإسلام مع هذا الشرط، إذ من لوازم الإسلام كون صاحبه عدلًا(٢٧).

الشرط الرابع: العلم بأحكام الزكاة:

والمقصود بهذا الشرط أن يكون العامل على الزكاة فقيهًا في أحكام الزكاة، بحيث يعرف مَن تُؤخذ منه، ومَن تُدفع له، وقدر ما يُؤخَذ، وقدر المأخوذ منه، ونحو ذلك مما يتطلبه التولي على الزكاة، لأنه إذا لم يكن عالمًا صار غير ذي كفاية لهذا الأمر فلا يولَّى(٢٨).

وبعبارة أخرى: لا تخلو حال المولَّى على الزكاة من أحد أمرين:

● كونه مُفوَّضًا بحيث يُسند إليه عموم الأمر بالنسبة للزكاة جبايةً وتفريقًا، فهذا يشترط فيه ما سبق من كونه عالمًا، فقيهًا بأحكام الزكاة عامة.

● كونه منفذًا فقط، بحيث يُعَيَّن له ما يَأْخُذ مثلًا، فلا يعتبر فيه كونه فقيهًا،

وقد صرح بهذا الشرط المالكية(٢٩)، والشافعية(٣٠)، والحنابلة(٣١).

الشرط الخامس: الذكورية:

وبناء على هذا الشرط، فهل يصح أن تتولى المرأة العمالة في الزكاة أم لا؟ اختلف العلماء في ذلك على قولين:

القول الأول: لابد أن يكون العامل على الزكاة ذكرًا، وبهذا قال المالكية(٣٢)، والشافعية(٣٣)، ورواية للحنابلة(٣٤)، واستدلوا على ذلك بالآتي:

أولًا: الكتاب الكريم:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾.

ووجه الدلالة من هذه الآية: هو موطن الاستشهاد بالآية قوله تعالى: ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾، حيث جاء بلفظ المذكر، فيكون غير شامل للمرأة، فلا تكون المرأة عاملة على الزكاة(٣٥).

ثانيًا: السنة المطهرة:

أخرج البخاري من حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: لقد نفعني الله بكلمة أيام الجمل لما بلغ النبي ﷺ أنَّ فارسًا ملَّكوا ابنة كسرى، فقال: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»(٣٦).

ووجه الدلالة من هذا الحديث: أنه عام في الدلالة على أن ولاية المرأة دليل على عدم الفلاح، وفي ذلك إشارة إلى عدم توليتها، ومن ذلك عمالتها في الزكاة.

ثالثًا: المعقول:

● لم يُنقل عن المسلمين أنَّ امرأة وُلِّيت عمالة زكاة البتة، وتركُهم ذلك قديمًا وحديثًا يدل على عدم جوازه(٣٧).

● إن العمالة على الزكاة ولاية من الولايات، والمرأة ليست من أهل الولايات(٣٨).

القول الثاني: لا يشترط كون العامل على الزكاة ذكرًا، وعليه يجوز أن تتولى المرأة العمالة على الزكاة، وهذا قول عند الحنابلة(٣٩)، واستدلوا على ذلك:

بأن الأصل في الخطاب الشرعي شموله الذكر والأنثى، وإن جاء بلفظ المذكر تغليبًا، ونتمسك بهذا الأصل حتى يرد ما يدل على

التخصيص، ومن النصوص الواردة في هذا المقام قوله تعالى:﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾، فيلاحظ أن لفظ العاملين الوارد في الآية جاء مذكرًا، لكنه شامل للذكر والأنثى كالألفاظ التي سبقته في صدر الآية، والألفاظ التي لحقت بعده في الآية، ومن هنا يمكن القول بأنه كما يُعطى الفقير من الزكاة تُعطى الفقيرة، وكما يُعطى المسكين تُعطى المسكينة، وكما يعامل عليها الرجل تتعامل عليها المرأة، وهكذا دلت الآية بظاهرها على جواز أن تكون المرأة عاملة على الزكاة.

الشرط السادس: الحرية:

وبناء على اشتراط الحرية، فهل يتولى الرقيق العمالة على الزكاة أم لا؟ اختلف العلماء في هذا الشرط على ثلاثة أقوال:

القول الأول: الحرية ليست شرطًا، وعليه يجوز استعمال الرقيق على الزكاة، وهو مذهب الحنابلة(٤٠)، واستدلوا بالتالي:

أولًا: السنة: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»(٤١).

ووجه الدلالة من هذا الحديث: أن الحديث دل بعمومه على جواز تولية العبد، فيدخل في هذا العموم جعله عاملًا على الزكاة.

ثانيًا: المعقول: إن المقصود من التولية على الزكاة يحصل بالعبد كما يحصل بالحر(٤٢).

القول الثاني: الحرية شرط على الإطلاق، وعليه لا يصح عمالة العبد على الزكاة، وهو قول الحنفية(٤٣)، والمالكية(٤٤)، ووجه عند الحنابلة(٤٥).

واستدلوا بدليل عقلي مفاده: أن العمالة على الزكاة ولاية، والعبد ليس من أهل الولايات(٤٦) لضعفه بالرق.

القول الثالث: التفصيل، وبيانه: إن كان الرقيق وكيلًا على الزكاة من صاحبها فلا مانع من ذلك، وكذلك إن كان عاملًا عليها من قبل الإمام بشرط أن يُعَيِّن له الإمام شيئًا معينًا يأخذه.

ليس لرب المال ولا لوكيله أن يأخذ نصيب العامل على الزكاة

أما كونه عاملًا عليها فلا يجوز، لكونه رقيقًا، والحرية شرط، وإلى هذا ذهب الشافعية(٤٧)، وهو قول عند الحنابلة(٤٨).

واستدلوا بدليل عقلي مفاده: أن العبد حينئذ يكون رسولًا، لا واليًا، ينفذ فقط ما عين له تنفيذه.

الشرط السابع: النسب:

يشترط في العامل على الزكاة أن يكون هاشميًا أو نحوه من آل البيت الذين لا تحل لهم الصدقة، إلا أن الحقيقة في هذا الاشتراط أن يحمل على الأخذ من الصدقة، أما التولية عليها فلا يشترط فيها، وهو ما صرح به في الجملة الحنفية(٤٩)، والمالكية(٥٠)، والشافعية(٥١)، والحنابلة(٥٢).

وبناء عليه، إن تطوع الهاشمي ونحوه بالعمالة، أو أعطي أجرته من غير الزكاة، فلا مانع من استعماله عليها، واستدلوا على ذلك:

أولًا: السنة: فحديث عبدالمطلب بن الحارث وموطن الاستشهاد منه، قوله: يا رسول الله، أنت أبر الناس، وأوصل الناس، وقد بلغنا النكاح فجئنا لتؤمرنا على بعض هذه الصدقة فنؤدي إليك كما يؤدي الناس، ونصيب كما يصيبون، قال: فسكت طويلا حتى أردنا أن نكلمه، ثم قال: «إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس...»(٥٣).

ووجه الدلالة من هذا الحديث: إن استعمال قرابة الرسول ﷺ على الصدقة لا يجوز، وفهم من تعليل الرسول ﷺ بقوله: «إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس»، أن العامل على الصدقة من آل محمد ﷺ لا يجوز له الأخذ منها، أما كونه من يأخذ من غيرها فلم يتعرض له الحديث، فيبقى على أصل الإباحة كغيره من المسلمين.

ثانيًا: المعقول: حيث قالوا: إن ما يأخذه الهاشمي ونحوه على عمله من باب الإجارة لا من باب الصدقة(٥٤)، والهاشمي وغيره في باب الإجارة يستويان.

وهناك شروط أخرى للعامل على الزكاة منها:

- أن يكون الساعي أو الجابي رفيقًا بالمكلف: فإذا كانت زكاة سوائم مثلًا فلا يأخذ أفضلها، بل يأخذ الوسط منها، لقول رسول الله ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «إياك وكرائم أموالهم»(٥٥)، لأن الزكاة يُراعى فيها حق الفريقين معًا، وهما: حق الفقير الآخذ، وحق الغني الدافع.
- أن يكون الساعي أو الجابي لطيفًا لينًا في أقواله وأفعاله: فيستحب أن يدعو لدافع الزكاة بمثل هذا الدعاء: آجرك الله فيما أعطيت، وبارك لك فيما أبقيت(٥٦)، وبالمقابل يستحب للدافع أن يدعو قائلًا: اللهم اجعلها مغنمًا ولا تجعلها مغرمًا(٥٧)، قال تعالى:﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بها﴾.

المسألة الثانية: أجرة النائب:

لا يخلو حال النائب من أحد أمرين:

الأمر الأول: أن يكون متطوعًا بعمله في الزكاة، يبتغي بذلك وجه الله، وحينئذ لا أجرة له وأجره على الله.

الأمر الثاني: إذا طلب أجرة على ذلك فهذا أمر جائز، ولكن هل يدفعها رب المال من ماله الخاص، أو تؤخذ من الزكاة نفسها لكونه من العاملين عليها؟

يجاب على هذا: بأن رب المال يدفع أجرة الوكيل (النائب) من ماله الخاص، لأن أداءها واجب عليه(٥٨)، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، كما هو مقرر في علم الأصول(٥٩)، فلا يأخذ في مقابلته عوضًا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لأنها من مؤنة دفع الزكاة وهي على المالك(٦٠).

ومن هنا، فليس لرب المال ولا لوكيله أن يأخذ نصيب العامل عليها، لأنه ليس

عاملًا، بل إما مالك عليه تأدية زكاته، أو وكيل للمالك فأجرته على المالك نفسه.

أما إذا كان عاملًا فقد جعل الله له سهمًا في الزكاة لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾، فهو يستحق أجره من الزكاة ولو كان غنيًا، لقول رسول الله ﷺ: «لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة: لغاز في سبيل الله، أو لعامل عليها، أو لغارم، أو لرجل اشتراها بماله، أو لرجل كان له جار مسكين، فتصدق على المسكين فأهداها المسكين للغني»(٦١).

أما القدر الذي يستحقه العامل على الزكاة نظير عمله ففيه أربعة أقوال:

القول الأول: ذهب الحنفية(٦٢) إلى أن العامل يعطى بقدر عمله، بشرط ألا يزاد على نصف ما جمع من الزكاة.

القول الثاني: ذهب المالكية(٦٣) إلى أن العامل يعطى أجر مثله، من بيت مال الزكاة إن كان فقيرًا، ومن بيت مال المصالح إن كان غنيًا.

القول الثالث: ذهب الشافعية(٦٤) إلى أن الإمام بالخيار: إن شاء بعث العامل من غير شرط، وأعطاه بعد مجيئه أجرة مثله من الزكاة، وإن شاء استأجره بأجرة معلومة من الزكاة.

ودليلهم الأول على ذلك: الأحاديث الصحيحة، وأن الحاجة تدعو إليه لجهالة العمل، فتؤخر الأجرة حتى يعرف عمله، فيعطى بقدره.

ودليلهم الثاني: القياس، حيث قالوا: إن ما يأخذه العامل يشبه الإجارة من حيث التقدير بأجرة المثل، ويشبه الصدقة من حيث إنه لا يشترط فيها عقد إجارة، أي: لا يجب أن تكون المدة معلومة، ولا العمل معلومًا، كما في الإجارة.

القول الرابع: ذهب الحنابلة(٦٥) إلى أن العامل يعطى أجر المثل، إذا عمل من دون شرط، فإذا عمل بشرط وجب الشرط.

المسألة الثالثة: وقت تحصيل الزكاة:

ويقال في المسألة هذه أن الأموال الزكوية نوعان:

النوع الأول: الأموال الحولية (السنوية):

ومثالها: السوائم وعروض التجارة، فهذه يحدد لها شهر من أشهر السنة، يجمع فيه الساعي زكاتها، وقد استحب بعض العلماء أن يكون هذا الشهر هو المحرم، باعتباره أول أشهر السنة.

النوع الثاني: الأموال الموسمية:

ومثالها: الزروع والثمار، فتخرص، أي: تقدر زكاتها قبيل وقت إدراك الثمار، واشتداد الحب، ثم تُجبى في هذا الوقت، ويوضح مقدارها قول رسول الله ﷺ: «فيما سقت السماء أو كان عثريًا العشر، وما سقي بالنضح نصف العشر»(٦٦).

وفي النهاية أختم بما بدأت به وهو أن الإسلام دين التكافل الاجتماعي الذي يكفل للفقير العاجز العيش، وأنه دين الحرية الذي أعطى الغني حرية التملك مقابل كده وسعيه، فهو دين وسط، لا هو شيوعية متطرفة، ولا رأسمالية ممسكة محتكرة، ومن ثم جاء تحذير المولى- عز وجل- على مانع الزكاة وتوعده عليها بالعقوبة العاجلة والآجلة، وهذه دلالة واضحة على أن الزكاة ذات أهمية كبيرة في سد حاجة جهات المصارف الثمانية، وبذلك تنتفي المفاسد الاجتماعية والخلقية الناشئة عن بناء هذه الحاجات دون كفاية(٦٧).

الهوامش

١- انظر: حجة الله البالغة للدهلوي: (٢/٣٩، ٤٠).
٢- انظر: الأحكام السلطانية للماوردي.
٣- أخرجه البخاري، برقم:(١٣٩٥)، مسلم، برقم:(١٣٠).
٤- انظر: الأحكام السلطانية للماوردي.
٥- انظر: مختصر خليل للشيخ خليل المالكي: (ص:٦٤).
٦- انظر: الإنصاف للمرداوي: (٣/١٩٧).
٧- انظر: المغني لابن قدامة: (٢/٦٥٤).
٨- انظر: المبدع في شرح المقنع لإبراهيم بن محمد بن مفلح: (٢/٤١٨).
٩- انظر: بدائع الصنائع للكاساني: (٢/٤٠).
١٠- انظر: جواهر الإكليل شرح مختصر خليل للأزهري: (١/١٣٨).
١١- انظر: مغني المحتاج للشربيني: (٢/٤١٣).
١٢- انظر: الإنصاف: (٣/١٩٧).
١٣- انظر: المغني: (٢/٦٥٤).
١٤- انظر: بدائع: (٢/٤٠).
١٥- انظر: المجموع للنووي: (٦/١٣٨)، المبدع: (٢/٤٠٦).
١٦- انظر: بلغة السالك لأقرب المسالك للشيخ الصاوي: (١/١٢٧).
١٧ - انظر: المجموع: (٦/١٤٢).
١٨- انظر: الإنصاف: (٣/٢٢٤).
١٩ - انظر: شرح الزركشي على مختصر الخرقي: (٢/٤٣٥).
٢٠ - انظر: كشاف القناع للبهوتي: (٢/٢٧٥).
٢١- انظر: مغني المحتاج: (١/٤١٣).
٢٢- انظر: الإنصاف: (٣/١٩٨).
٢٣ - انظر: جواهر الإكليل: (١/١٣٨).
٢٤- انظر: المبدع: (١/٤٠٦).
٢٥- انظر: كشاف القناع: (٢/٢٧٥).
٢٦- انظر: المهذب للشيرازي: (١/١٦٨).
٢٧ - انظر: حاشية الدسوقي: (١/٤٩٥).
٢٨- انظر: المرجع السابق: (١/٤٩٥)، كشاف القناع: (٢/٢٧٥).
٢٩ - انظر: حاشية الدسوقي: (١/٤٩٥).
٣٠- انظر: المهذب: (١/١٦٨).
٣١- انظر: كشاف القناع: (٢/٢٧٥).
٣٢ - انظر: جواهر الإكليل: (١/١٣٨).
٣٣- انظر: المجموع: (٦/١٧٣).
٣٤ - انظر: المبدع: (٢/٤١٨).
٣٥- انظر: الإنصاف: (٣/٢٢٦).
٣٦- أخرجه البخاري، برقم:(٤٤٢٥)، الترمذي، برقم:(٢٢٦٢).
٣٧- انظر: الإنصاف: (٣/٢٢٦).
٣٨- انظر: المبدع: (٢/٤١٨).
٣٩- انظر: كشاف القناع: (٢/٢٧٥).
٤٠- انظر: الإنصاف: (٣/٢٢٦).
٤١- أخرجه أحمد في المسند، برقم:(١٢١٤٧)، البخاري، برقم:(٦٩٣).
٤٢- انظر: المبدع: (٢/٤١٨).
٤٣- انظر: ملتقى الأبحر للحلبي:(١/١٩٠).
٤٤- انظر: جواهر الإكليل: (١/١٣٨).
٤٥- انظر: الإنصاف: (٣/٢٢٦).
٤٦- انظر: كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار لأبي بكر الحصني الشافعي: (١/٣٨٠).
٤٧- انظر: مغني المحتاج: (١/٤١٣).
٤٨- انظر: المبدع: (٢/٤١٨).
٤٩- انظر: حاشية ابن عابدين: (٢/٥٩).
٥٠- انظر: جواهر الإكليل: (١/١٣٨).
٥١- انظر: المهذب: (١/١٦٨).
٥٢- انظر: الإنصاف: (٣/٢٢٥).
٥٣- أخرجه مسلم، برقم:(٢٥٣٠) ، البيهقي في السنن الكبرى، برقم:(١٣٦٢٠).
٥٤- انظر: المجموع: (٦/١٤٢)، كشاف القناع: (٢/٢٧٥).
٥٥- أخرجه البخاري، برقم:(١٤٩٦)، مسلم، برقم:(١٣٠).
٥٦- انظر: منتهى الإرادات للفتوحي:(١/٥٠٥).
٥٧- للحديث الذي أخرجه ابن ماجة، برقم:(١٧٩٧).
٥٨- انظر: الإنصاف: (٣/٢٢٧).
٥٩- انظر: المحصول في علم الأصول للرازي: (١/٢/٢١٧)، روضة الناظر لابن قدامة: (١/١٨٠).
٦٠- انظر: المغني: (٢/٦٥٥).
٦١- أخرجه أحمد في المسند، برقم:(١١٥٥٥)، أبو داود، برقم:(١٦٣٧).
٦٢ - انظر: كنز العمال مختصر توفيق الرحمن للشيخ مصطفى الطائي وهو شرح متن كنز الدقائق للإمام النسفي:(ص:٧٤).
٦٣- انظر: جواهر الإكليل:(١/١٣٨-١٣٩).
٦٤- انظر: المجموع:(٦/١٧٤وما بعدها).
٦٥- انظر: منتهى الإرادات للفتوحي:(١/٥١٦-٥١٧).
٦٦- أخرجه أحمد في المسند، برقم:(١٤٧٠٧)،البخاري، برقم: (١٤٨٣).
٦٧- انظر: منهاج الصالحين: (١/١٦٥-١٦٦)، نيل المآرب شرح دليل الطالب للشيباني: (٣/٣٥١-٣٥٢).

ولاية التعليم في عصر النبوة والرسالة.. الوظائف والشروط والمنهج (٢-٢)

الدكتور: محمد الأنصاري *

المسألة الثانية: عنايته ﷺ بالتعليم العام (تعليم العلوم الإنسانية والمادية)

لم يقتصر اهتمام النبي ﷺ بالحث على تعليم الإسلام، وتعلم أحكامه، وإنما أولى اهتمامه كذلك بتعليم الصحابة العلوم النافعة، فحرص على تعليمهم القراءة والكتابة، وتعليمهم الحرف والصناعات، فقد ثبت عنه ﷺ في السنة أنه حث على تعلم وتعليم الكتابة، والسباحة، والرماية، وركوب الخيل، يشهد لذلك قوله ﷺ: «إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة، صانعه يحتسب في صنعه الخير، والرامي به، ومنبله... ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فإنها نعمة كفرها»، وكذلك تكليفه ﷺ بوظيفة تعليم الكتابة عددا من الصحابة الذين كانوا يحسنونها، كعبدالله بن سعيد بن العاص، فقد كلفه ﷺ بتعليمها الناس في المدينة، أول قدومه ﷺ إليها، وتولى عبادة بن الصامت تعليم جماعة من أهل الصفة الكتابة والقرآن، فعنه رضي الله عنه قال: «علمت ناسا من أهل الصفة الكتابة والقرآن».

ومن الثابت هنا أنه ﷺ جعل فداء كل أسير من أسرى بدر، ممن يحسنون فن القراءة والكتابة، أن يعلم عشرة من أبناء الصحابة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة».

وثبت أيضا أنه ﷺ أمر زيد بن ثابت بتعلم اللغة السريانية ليتولى أعمال الترجمة والرد على الرسائل، وروي أنه تعلم بأمر منه ﷺ العبرية والفارسية والرومية وغيرها، فعنه رضي الله عنه قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود، قال: إني والله ما آمن يهود على كتابي، قال فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له، فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم»، وفي رواية أخرى عن زيد بن ثابت أيضا قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم السريانية».

ولم تقتصر عنايته ﷺ بتعليم هذه الفنون والعلوم للرجال فحسب، إنما اعتنى أيضا بتعليم النساء العلم والكتابة، فعن الشفاء بنت عبدالله قالت: «دخل رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة، فقال لي: ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة» (أبوداود).

وجملة القول، فإن ما تقدم هو قليل من كثير ورد عن النبي ﷺ في شأن عنايته بالمسألة العلمية، تعلما وتعليما، أقوالا وأعمالا، مما يبرز اهتمامه الفائق بولاية العلم والتعليم.

ومن خلال عنايته تلك، يتضح أن السياسة النبوية التعليمية سياسة في غاية الدقة والإتقان، وسيتبين هذا أكثر في العنصر الموالي.

العنصر الثاني: قواعد منهجية في ولاية العلم والتعليم

إن الدارس للسنة النبوية، المتتبع لسيرته ﷺ في شأن ولاية التعليم، ليدرك أنه ﷺ كان يتبع في تعليم الناس وتزكيتهم وإعدادهم وصياغتهم على وفق مراد الله تعالى خطة متقنة ومنهجا قويما وطريقة حكيمة، مستخلصة من بصائر القرآن وهداياته المنهاجية في التفكير والتعبير والتدبير، حيث كان يختار من الأساليب والوسائل أحسنها وأجودها، وأكثرها وقعا في نفس المتعلم، وأقربها إلى فهمه وعقله، وأشدها تثبيتا للعلم في ذهنه، مراعيا في ذلك كله مستوى الطالب وعقله ونفسه وحاله وحاجته ورغبته، ولا غرابة في ذلك كله، فالرسول ﷺ هو المعلم الأول لهذه الأمة، المعد لهذه الوظيفة من الله تعالى إعدادا من طراز خاص، حتى بلغ ذروة الكمال الإنساني في كل شيء، فكان أسد الناس، وأرشدهم وأحكمهم وأعلمهم، وكيف لا وهو الذي علم المسلمين قوله تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ (الإسراء: ٩)، فلا عجب إذن

* باحث أكاديمي مغربي

أن يكون عليه السلام أهدى الناس جميعا للتي هي أقوم في كل شيء، ومن ثم أهداهم في المنهج التعليمي وأفقههم فيه، وأعلمهم بأساليبه وقواعده وخططه ومقاصده ووظائفه.

وفيما يلي أعرض أهم الأساليب والوسائل المنهجية، التي سلكها الرسول ﷺ في تعليمه لأصحابه، رغبة في بعثها من جديد، وإحيائها في النفوس الزكية، والعقول النيرة، والضمائر الحية، عساها أن تنير الطريق للراغبين من أبناء أمتنا في الاهتداء للتي هي أقوم في ولاية العلم والتعليم، فما أحوج المسلمين اليوم أكثر من أي وقت مضى، أن يعودوا من جديد، بعد تيه كبير وضلال مديد، وارتماء في أحضان السياسات التعليمية المستوردة من الغرب الضال، إلى المنهج القرآني الرباني في تعليم الأمة وتربيتها، وصياغتها صياغة إسلامية مستقيمة متوازنة شاملة على وفق مراد الرسالة القرآنية والسنة النبوية.

وأهم هذه الأساليب والقواعد المنهجية النبوية مايلي:

- ربطه ﷺ المتعلمين بالله تعالى بدءا وانتهاء، فهذا الربط شرط منهجي في ترسيخ العلم بالله تعالى في قلب المتعلم، حتى إذا أراد القراءة، قرأ كل مقروء باسم الله سواء كان المقروء وحيا في الكتاب المسطور أم كونا في الكتاب المنظور، تأسيا بأمر الله لنبيه ﷺ بذلك في أول الوحي إليه: ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق...﴾ (العلق: ١)، وعملا بقوله ﷺ: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أقطع»، هذا في بداية التعليم، أما عند الانتهاء منه، فقد روى أبوبردة الأسلمي (ض) أن النبي ﷺ كان إذا جلس في المجلس فأراد أن يقوم، قال: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك».

أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت بتعلم السريانية والعبرية والرومية ليتولى أعمال الترجمة

- تعليمه ﷺ أصحابه العلم والعمل معا، فقد اتبع هذا الأسلوب في التعليم، وهو شرط منهجي في بيان القصد من العلم للمتعلم، وحمله على العمل بمقتضى ما يتعلمه، فعن عثمان وابن مسعود وأبي بن كعب أن رسول الله ﷺ: «كان يقرئهم العشر فلا يجاوزها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، فيعلمنا القرآن والعمل جميعا»، يشهد لذلك ما رواه أحمد عن أبي عبدالرحمن زيد بن خالد الجهني أنه قال: «حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ أنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا فعلمنا العلم والعمل»، فالرسول ﷺ بهذا الأسلوب التعليمي، كان يعطيهم القدوة الحسنة، فالمعلم المربي لا يجوز له إلا أن يكون قدوة في العلم والعمل لتلاميذه وطلابه، ولهذا كان ﷺ متحققا بعلم القرآن متخلقا بأخلاق القرآن، يقول الشاطبي: «وإنما كان عليه الصلاة والسلام خلقه القرآن، لأنه حكم الوحي على نفسه، حتى صار في علمه وعمله على وفقه، فكان للوحي موافقا، قائلا، مذعنا، ملبيا، واقفا عند حكمه»، ولا غرابة في هذا، فالله تعالى اختاره ليكون أسوة حسنة فقال سبحانه: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ (الأحزاب: ٢١).

وبهذه الطريقة استطاع الرسول ﷺ أن يجعل العمل بالعلم عند الصحابة منهجا في التعلم والتعليم، فبورك لهم في العلم والعمل جميعا، ومن ثم وجدناهم لا يهمهم الحفظ أكثر مما يهمهم العمل بما حفظ، فقد روي أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما مكث ثماني سنين في تعلمه سورة البقرة، وروي عنه أنه قال عن أبيه: «تعلم عمر البقرة في اثنتي عشرة سنة، فلما ختمها نحر جزورا».

وقد بين عبدالله بن مسعود هذا الأمر أكثر لما قال: «إنا صعب علينا حفظ ألفاظ القرآن، وسهل علينا العمل به، وإن من بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن، ويصعب عليهم العمل به»، وأما في زمننا نحن، فقد صعب على الناس حفظه والعمل به معا، ولا حول ولا قوة إلا بالله. والقاعدة المقررة عند الشاطبي المؤطرة لهذا المسلك في التعليم هي: «إنما يكون العلم باعثا على العمل، إذا صار للنفس وصفا وخلقا».

- اتباعه ﷺ قاعدة التيسير والتخفيف في تعليم الناس، وهي قاعدة عظيمة من قواعد المنهج الإسلامي العام، ومن مظاهرها البارزة مظهران هما:

أ- أنه ﷺ كان يتخول أصحابه

بالموعظة حتى لا يملوا، وتخول المعلم المتعلم بالعلم سمة من سمات المنهج النبوي في التعليم، وقد شهد له ﷺ بسلوك هذا الأسلوب الصحابة أنفسهم، فعن عبدالله بن مسعود قال: «كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام مخافة السآمة علينا»، وبهذا المسلك استطاع ﷺ أن يحبب لأصحابه التعلم، وأن يجعل رغبتهم في الطلب قوية، وقابليتهم للتلقي عالية، فعلمهم بذلك العلم والمنهج معا، إعمالا لقوله ﷺ: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»، فتعلموا أن الإسلام يقوم على قاعدة التيسير ونفي التعسير في جميع الأحوال، وأن التبشير وعدم التنفير ملازم للتيسير.

ب- نهجه ﷺ في التعليم سنة التدرج، فالتدرج منهج عملي في التعلم والتعليم، فقد كان ﷺ يقدم الأهم فالأهم والأولى فالأولى، ويعلم شيئا فشيئا، ليكون ذلك أجدى في التعلم، وأثبت على الفؤاد حفظا وفهما، يقول ابن حجر في هذا المعنى- عند شرحه للحديث السابق- «وكذا تعلم العلم ينبغي أن يكون بالتدريج، لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلا حبب إلى من يدخل فيه، وتلقاه بانبساط، وكانت عاقبته غالبا الازدياد بخلاف ضده»، فاتباع الرسول ﷺ لهذه السنة في تربية أصحابه كان بغرض تعليمهم العلم ومعه المنهج المتدرج في منازل العلم، حتى يدركوا أنها سنة كونية وقاعدة شرعية، يجب على العالم مراعاتها في تعليم الناس وتربيتهم.

- اعتماده ﷺ قاعدة «الحاجة والرغبة في تلقين العلم وتعليم الناس، وهما يختلفان باختلاف الأحوال والأشخاص والزمان والمكان والإمكان»، رغبة منه ﷺ في حصول المقصود دون إملال أو تنفير، ولهذا كان يراعي في المتعلمين أحوالهم وعقولهم، فيخاطب كل واحد بقدر فهمه، وبما يلائم منزلته، وكان يحافظ على قلوب المبتدئين، فيقدم لهم ما ينفعهم، وكان يجيب كل سائل عن سؤاله بما يهمه ويناسب حاله، كما أنه ﷺ كان يخص بالعلم أناسا دون أناس كراهية ألا يفهموا، فعن أنس بن مالك (ض) أن النبي ﷺ قال لمعاذ: «يا معاذ، قال: لبيك رسول الله وسعديك- قالها ثلاثا- قال: ما من عبد يشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار، قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: لا، إذن يتكلوا»، فكان ﷺ يعطي لكل قوم ما تدركه عقولهم ويصلح حالهم، فأخذ الصحابة عنه ﷺ هذا الأسلوب التعليمي، فقد روي في هذا المعنى عن عبدالله بن مسعود قال: «ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة».

حري بمناهج التربية والتعليم في مؤسساتنا اليوم أن تنهل من هذا المنهج النبوي

- اتباعه ﷺ أسلوب طرح المسألة على المتعلم، فربى بذلك أصحابه على البحث واستعمال الفكر والنظر، والاعتماد على النفس في معرفة الأشياء.

ويستفاد من هذا الأسلوب أن المنهج النبوي في التعليم منهج حواري يقوم على المساءلة والجواب والمناقشة، ويشهد لذلك شواهد كثيرة منها ما رواه ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل الرجل المسلم، حدثوني ما هي؟ قال عبدالله: فوقع الناس في شجر البوادي ووقع في نفسي أنها النخلة، قال: فاستحييت، فقالوا: يا رسول الله ما هي؟ قال: النخلة»، فكان ﷺ يقصد من اتباع هذا الأسلوب التعليمي، اختبار ذهن المتعلم وتربيته على الحوار والمناقشة والتحليل، يقول ابن حجر مبرزا بعض فوائد حديث ابن عمر: «وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم، امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفى مع بيانه إن لم يفهموه، وفيه التحريض على الفهم في العلم، وفيه ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الإفهام، وتصوير المعاني لترسخ في الذهن، ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة...».

ومن ذلك ما روي عن عبدالله بن مسعود، قال، قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبدالله بن مسعود، قلت لبيك وسعديك ثلاث مرات، قال أتدري أي عرى الإيمان أوثق؟ قال قلت: الله ورسوله أعلم، قال: الولاية في الله، الحب فيه والبغض فيه».

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «أبا المنذر أي آية معك في كتاب الله أعظم؟ قلت الله ورسوله أعلم، حتى أعادها ثلاثا، فقلت: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ فضرب صدري وقال: ليهنك العلم أبا المنذر».

هذه صور من صور المساءلة

والحوار التي سلكها الرسول ﷺ في تعليم الناس، وغيرها كثير، وهي من المعالم المنهجية النبوية في ولاية التعليم.

- مخاطبته ﷺ مخاطبيه بكلام فصل بيّن رغبة في تيسير الفهم والحفظ عليهم، فكلامه ﷺ أفصح كلام بعد كلام الله وأسهله فهما وحفظا، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ لا يسرد الكلام كسردكم، ولكن كان إذا تكلم، تكلم بكلام فصل يحفظه من سمعه».

- تعليمه ﷺ بالمحادثة والموازنة العقلية، فقد كان يسلك أحيانا مسلك المحاكمة العقلية على طريقة السؤال والاستجواب، لقلع الباطل من نفس مستحسنه، أو لترسيخ الحق في قلب مستبعده أو مستغربه.

ومما يدل على هذا الأسلوب المنهجي في التربية والتعليم، ما رواه أحمد عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه: «أن فتى شابا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنى، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه، فقال ﷺ: ادنه، فدنا منه قريبا فجلس، فقال ﷺ له: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، وفيه أتحبه لأختك؟ أتحبه لعمتك؟ أتحبه لخالتك؟ وكان الشاب يجيبه بنفس الجواب إلى أن قال: «فوضع رسول الله ﷺ يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه، قال: فلم يكن الفتى بعد ذلك يلتفت إلى شيء».

المنهج النبوي في التعليم منهج حواري يقوم على المساءلة والجواب والمناقشة

وعلق أبوغدة على هذا المنهج النبوي في التعليم فقال: «فانظر كيف استأصل النبي ﷺ من نفس الفتى تعلقه بالزنى، عن طريق المحادثة والمحاكمة النفسية والموازنة العقلية، دون أن يذكر له الآيات الواردة في تحريم الزنى والوعيد للزاني والزانية نظرا منه أن هذا أقلع للباطل- في ذلك الوقت- من قلب الشاب بحسب تصوره وإدراكه»، فاللجوء إلى مخاطبة العقل بالأمور الحساسة المؤثرة في النفس أسلوب تعليمي ومنهج تربوي تقتضيه أحوال المتعلمين أحيانا.

- استعماله ﷺ أسلوب الإشارة مع القول في التعليم، فكان ﷺ أحيانا يشير بيديه وهو يتكلم، توضيحا للمراد، وتنبيها على أهمية ما يذكره للمتعلمين وتفهيمهم إياه، ومن ذلك ما رواه أبوموسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، ثم شبك رسول الله بين أصابعه»، وما رواه سهل بن سعد الساعدي عنه ﷺ أنه قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين، وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى، وفرج بينهما شيئا»، فكان ﷺ يبتكر الوسائل التي يسهل بها التفهيم والتعليم، ويجدد الأساليب فلم يترك أسلوبا نافعا إلا أعمله، مما يؤكد على سداد رؤيته التربوية ورسوخه المنهجي في التعليم.

- إقباله بوجهه على السائل والمتعلم، حتى يعلمه بذلك أدب التعلم والتعليم، ويرسخ في ذهنه المنهج القويم في تلقين العلم، لأنه ﷺ كان يعد علماء وأساتذة يخلفونه في أداء رسالة التعليم والتبليغ التي بعث من أجلها، فاستطاع بذلك أن يخرج علماء حملوا رسالة العلم والتعليم، ونشروا الخير في أصقاع العالم بعده في وقت وجيز، يقول أبوموسى الأشعري مبينا هذا الأسلوب النبوي في التعليم: «وكان النبي ﷺ جالسا إذ جاء رجل يسأل أو طالب حاجة أقبل علينا بوجهه فقال: اشفعوا فلتؤجروا وليقض الله على لسان نبيه ما شاء».

وجملة القول هاهنا، فإنه من خلال ما سبق، يتبين بجلاء أن المنهج النبوي في التربية والتعليم هو أرقى منهج على الإطلاق في تعليم الإنسان وبنائه، وصياغة فكره وسلوكه وأخلاقه، فهو المنهج المؤيد بالوحي والمسدد به والمستبصر ببصائره، ولذا فهو يمثل الكمال في القوامة المنهجية، حيث إنه استطاع به تخريج قادة من طراز خاص لم يعرف العالم مثلهم في الفهم والرسوخ والصفاء والصدق والجهاد، فحري بمناهج التربية والتعليم في مؤسساتنا اليوم أن تنهل من هذا المنهج النبوي، حتى تعيد للعلم جذوته وللمتعلم تعليمه وصياغته، وللعلماء والمربين مكانتهم، ولولاية التعليم وظيفتها وخصائصها ومقوماتها العلمية والمنهجية والحضارية.

التغريبُ.. مفهومًا وواقِعًا

د. فريد محمد أمعضشو

من المصطلحات التي أخذت تنتشر في كتابات مثقفينا المُحْدثين في الآونة الأخيرة، والتي تمتاز بحمولتها المعرفية والاجتماعية والسياسية والحضارية، نجد «التغريب» الذي شكل موضوعا ثريًا لغير واحدٍ من الكتاب المعاصرين.. ترى ما المقصود به؟

يُراد بـ«التغريب»، في اللغة العربية، النفي والإبعاد عن البلد (١)، يقول ابن منظور: «... وغَرَّبَه، وأغْرَبَه: نَحّاه... والتغْريبُ: النَّفْيُ عن البلد... ومنه الحديث: أنّه أمَرَ بتَغْريب الزّاني؛ التّغْريبُ: النَّفيُ عن البلد الذي وَقَعَتْ الجنايةُ فيه. يُقال: أغْرَبْتُه وغَرَّبْتُه إذا نَحَّيْتُه وأبْعَدْتُه... وغَرَّبَه وغَرَّبَ عليه: تَرَكَهُ بُعْدًا» (٢).

انطلاقًا من التعريفات المُعجمية لكلمة «تغريب» يمكن أن نسجِّل المَلاحظَ الآتية:

■ يستعمل علماءُ اللغة «الإغْـراب» و«التغريب» بمعنىً واحدٍ، وهو التنْحية والإقصاء من الوطن.

■ورد لفظ «التغريب» في كلام النبي ﷺ بالمعنى الذي يَقصده علماءُ اللغة، والملاحَظ أن هذا المعنى شهد تطورًا واضحًا مع مرور الأيام، ودخل ميادين حسّاسة وخطيرة في وقتنا الحاضر خاصة.

■ إن «التغريب» مصدر قياسي للفعل غير الثلاثي «غَـرَّب». وهذا الفعل مَزيدٌ بالتضْعيف، وأظن أن معنى هذه الزيادة هو «صَيْرورة شيء شِبْه شيء»، ولا سبيل إلى فهْم هذا المعنى، إذا ما اقتصرنا على الدلالة المعجمية للتغريب، بل لابد من ربْط هذا المعنى بالدلالة السياسية والإيديولوجية والحضارية للكلمة.

■ التغريبُ انتقال إجْباري وابتعاد اضطراريّ، لا يَملك الإنسانُ السلطة لرَدّه أو دَفْعه، بل يُفرَض عليه فرْضًا، ويسمِّي بعض الدارسين هذا النمطَ من الارتحال بـ«غربة القهر» (٣).

■تقتصر التعاريف القاموسية على إبراز الجانب الحسّي للتغريب، والذي يتجلى في النفي والإبعاد القسْري عن الوطن والأهل، والحق أن ثمة جانبًا معنويًا للتغريب يفوق الجانب السابق في الخُطورة.

والواقعُ أن دلالة التغريب تتغير بانتقالنا من الإطار اللغوي إلى الأطر الثقافية والسياسية والاجتماعية، وتتشعّب معانيه مع توالي الأيام، فالتغريب، كما ندركُه في الوقت الحاضر، ليس هو التغريب الذي كان يَعرفه «الجوهري» أو «ابن منظور».

يُطلق «التغريب»، في الاصطلاح الثقافي والفكري المعاصر، غالبًا على «حالات التعلق والانبهار والإعجاب والتقليد والمحاكاة للثقافة الغربية والأخْذ بالقيم والنُّظم وأساليب الحياة الغربية؛ بحيث يصبح الفرد أو الجماعة أو المجتمع المسلم الذي له هذا الموقفُ أو الاتجاه غربيًا في مُيوله وعواطفه وعاداته وأساليب حياته وذوقه العام وتوجهاته في الحياة، يَنظر إلى الثقافة الغربية وما تشتمل عليه من قيم ونُظم ونظريات وأساليب حياة نظرةَ إعجاب وإكبار، ويرى في الأخذ بها الطريقة المُثلىٰ لتقدُّم جماعته أو أمته الإسلامية» (٤).

وهذا المعنى قريبٌ من دلالة الفعل «غَـرّب» (To Westernize) في الإنجليزية، إذ يعرِّف معجم «أوكسفورد» هذا الفعل على النَّحو الآتي: «To Make an eastern country, person, etc more like one in the west, esp in ways of living and thinking, institutions, etc» (٥) أي جعْل الشرق تابعًا للغرب في الثقافة وأساليب العيش وطرق التفكير... وفي الفرنسية، يعني التغريب الشيء نفسَه.

ويتخذ التغريب أشكالا مختلفة، لعل أخْطرها «التغريب الثقافي»، لأنه إبْدال ثقافي يتغيّى إحْلال ثقافة أجنبية محل الثقافة المحلية الأصلية، مع ما يرافق ذلك من مظاهر التبدُّل والتغيير.

وعندما يتحدث الباحثون والمفكرون المسلمون عن التغريب، فإنهم يشيرون إلى واقع يومي مَعيش مشاهَد في الحياة المادية والاجتماعية والنفسية والثقافية والحضارية، واقع صنَعَته ظروفٌ تاريخية عصيبة، وتضافَرت على نسْج خُيوطه عواملُ كثيرة، وبالنظر إلى عُمق ظاهرة التغريب في حياتنا الثقافية المعاصرة، فإننا نرى هؤلاء الباحثين يستعملون عددًا من المصطلحات للدلالة عليه، نحو «الاغتراب الثقافي»، و«الإلحاق الثقافي»، و«الاسْتلاب الثقافي»، و«المَسْخ»، ... ومن المؤكَّد أن مصطلح «التغريب»، بدلالته المعاصرة المعروفة، من نَتاج الفكر الغربي، ويرتبط بالحركة الإمبريالية الأوروبية التي انطلقت في القرن التاسع عشر. يقول محمد مصطفى هدارة إن «اصطلاح «التغريب» ليس من ابتكارنا في الشرق، ولكنه ظهر في المعجم السياسي الغربي باسم «Westernyation»، وكانوا يعنون به نشْر الحضارة الغربية في البلاد الآسيوية والإفريقية الواقعة تحت سيطرتهم عن طريق إزالة القُوى المضادّة التي تحفظ

• باحث أكاديمي

لهذه البلاد كيانَها وشخصيتها وعاداتها وتقاليدها، وأهمّها الدين واللغة، وفي زوال هذه القوى ضمانٌ لاستمرار السيطرة الغربية السياسية والاقتصادية حتى بعد إعلان استقلال هذه البلاد وتحرُّرها من نَيْر الاستعمار الغربي ظاهريًا» (٦).

إذن، فالموجة التغريبية تستهدف ضَرْب ثوابت الأمة الإسلامية التي تتجلى في القرآن الكريم واللغة العربية الفصحى، وتروم تقويض دعائم المجتمع الإسلامي، وذلك حتى تتمكن من تنفيذ مخططاتها التخريبية، وتمرير مشاريعها النّتنَة المسطّرة بدقة متناهية، والغربُ يعرفَ أن صراعه المباشر مع القرآن سيكون مآله الفشل والإخفاق؛ لأنه واعٍ تمامَ الوعْي بمدلول الآية الكريمة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإنّا لهُ لحَافظون﴾ (الحجر: ٧)، أي إنَ القرآن تكْلؤه العناية الربانية الأزلية؛ لذا، عزم على ضرْبه انطلاقًا من جوانبَ أخرى كاللغة والأسرة.. وعليه، فقد عمَد إلى تشجيع اللغات العامّية في مجال الأدب والإعلام، وتمكن من خلْق بَلبَلة واضطراب في صُفوف الأسرة المسلمة بوصفها عمادَ المجتمع الإسلامي، وقد استطاع التيار التغريبي أن يحقق جملة من الأهداف والنتائج؛ فوُجد له أنصارٌ من أبناء المسلمين يروِّجون لأطاريحه وأفكاره ابتغاءَ الحصول علىَ الثروة والجاه، وتولّدت طائفة من المتغرّبين الذين بَهَرَتهم الحضارة الغربية ببَهْرَجها وشكلها الخدّاع.

وإذا كان التغريب في مجتمعاتنا الإسلامية أمرًا ملموسا وحقيقة مسلّمًا بها، فمنْ حقنا أن نتساءل هاهنا: ما هي عوامله ومسبّباته؟

إن عواملَ التغريب الثقافي والحضاري كثيرة ومختلفة؛ فمنها القديم الذي يرجع إلى ظروف تاريخية قديمة، ولكن آثاره ما تزال قائمة تُحدث أثرَها في الوقت الحالي، ومنها ما هوَ حديث ومستمر في وجوده وتأثيره، يعايش المسلمين في حياتهم المعاصرة، ويُحدث تأثيره فيها، ومنها أيضًا ما يُعزى إلى أجواء داخلية تتمثل بالشعوب الإسلامية نفسها، وما تعرفه من نُظم وأعراف وعوائد، ومنها ما يعود إلى قوى خارجية تتجلى في الإمبريالية والصهيونية، وفي صنائعهما من التبشير والاستشراق والتنصير، وحتى لا نطيل هنا، سنركز فقط على العوامل الداخلية والخارجية (٧)، ولْتكنْ البداية بالعوامل الداخلية:

أ- العوامل الداخلية: وهي تخصُّ كيان العالم الإسلامي الذي كان مهيّأ للاحتلال أو ذا قابلية للاستعمار بعبارة المفكر الجزائري الراحل مالك بن نبي، في كتابه النفيس «شروط النهضة»، وهذه العوامل «أشد خطرًا وتأثيرًا في عملية التغريب من العوامل الخارجية؛ لأنها تكمُن في نفوس الناس وإرادتهم وفي الثقافة والظروف المحيطة بهم، وتعمل من خلال وسائطَ داخلية تصعُب المناعة منها» (٨).

لقدْ عاشت أغلب المجتمعات العربية، في فترة من تاريخها، حالة من الجمود الفكري والتأخر الثقافي؛ فساد جوٌّ من الخمول وعدم الانتفاع بالوقت، وتخلى الفقهاء عن واجب الاجتهاد لا في مجال الفقه والتشريع فحسب، بل في جميع مجالات الفكر، واقتصر الأدب على اجترار ما قيل، وقعَد العلماء عن البحث العلمي الأصيل، وحاربوا الحركات التحديثية والتجديدية... إلخ.

كما انساقَ عددٌ من الأقطار الإسلامية وراء التوجه العَلماني الذي ينبني على فصْل الدين عن الدولة والحياة العامة، وتضْييق نطاقه لينحصر في المساجد والكتاتيب وحدها، من منطلَق أن الدين هو السبب الرئيس في تخلف المجتمعات الإسلامية عن الركب الحضاري، وعدم قدرتها على اللّحاق به ومجاراة إيقاعه.

يتخذ التغريب أشكالا مختلفة لعل أخطرها «التغريب الثقافي»

ومازال التعليم - بجميع أنواعه وفي جميع أسلاكه- في جلّ المجتمعات الإسلامية متخلفا في مناهجه وإستراتيجياته وتجهيزاته وأهدافه البيداغوجية، كما أنه ما فتئ يهتم بحَشْو أدمغة التلاميذ والطلاب بمعارف نظرية لا تُمتُّ إلى واقعهم المعيش بصلة، وتغلب على مناهجه اللفظية، ويفتقر إلى التوازن بين الكمّ والكيْف، وبين الدراسة النظرية والتطبيق العَمَلي، وبين التعليم الأكاديمي والتعليم المهْني والفني، ويتميز هذا التعليم أيضًا بكونه غيرَ معمّم بعْدُ، ويعتمد الازدواجية في كثير من المنظومات التربوية العربية.. هذه الأمور وغيرُها تجعل من الصعب الاعتماد على تعليمنا في صُنع التقدم والإقلاع المنشودين والتنمية الحقيقية المبتغاة، أو في صناعة حضارة قوية تواكب عصرها وتستَعْصي على الغزو والتغريب.

ولا ينبغي أن نُغفل ما لفساد الحُكم وغياب الحرية والعدل السياسي والاجتماعي في كثير من المجتمعات الإسلامية من بالغ الأثر في تأزيم الوضع الداخلي، ونشر ثقافة اليأس والشك وعدم الثقة في هذه المجتمعات.

هذه بعض العوامل الداخلية التي تقف وراء تأخر الأمة الإسلامية عن اللحاق بالركب الحضاري الذي يتقدم بخُطىً متسارعة إلى الأمام، والتي مهّدت لغزْوها سياسيا وعسكريا واقتصاديا واجتماعيا، ويسّرت عملية تغريبها واستلابها ثقافيًا وحضاريًا.

ب- العوامل الخارجية: علاوة على العوامل الداخلية، هناك عواملَ- لا تقل خطورة عن سابقتها- تأتي من خارج جسد الأمة الإسلامية، أو تستمد- على الأقل- دعْمها وتمويلها من خارج المنطقة الإسلامية، ومن هذه العوامل نذكر الاستعمار بنوعَيْه القديم (السياسي) والحديث (الثقافي)، والذي كان سببًا رئيسًا في تغريب كثير من الأفراد والجماعات بالقوة أو بالإغراء أو بالنموذج.

لقد ركز الغرب- لتحقيق مسعاه التغريبي- على المسيحيين العرب في بلاد الشام للنفاذ بثقافته إلى صُلب الأمة الإسلامية، كما ذكر ألبرت حوراني في كتابه «الفكر العربي في عصر النهضة»، واتخذ من البعثات التبشيرية وإنشاء مدارس التبشير المسيحي في معظم أرجاء الوطن العربي والإسلامي وسيلة فعّالة لتغريب المسلمين، وإحداث الفوضى بينهم، ومحاولة خلق قطيعة اصطناعية بينهم وبين ماضيهم المجيد.

ويُسهم الإعلام الأجنبي، بشتى أنواعه وتوجهاته، في نشر الحضارة الغربية، وتمويه الحقائق، وحمل الآخر على تقبّل كثير من قيم الغرب، كما تؤثر المراكز الثقافية الأجنبية المنتشرة في أنحاء الكيان الإسلامي الممتدّ، والمساعدات الفنية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية التي يقدمها الغربُ للشرق، والنشاط التجاري بين الطرفين، في تسهيل عملية التغريب واستتباع الشرق المتأخر للغرب المتحضّر.

فهذه كلها عواملُ وأدواتٌ للاستعمار السياسي والثقافي، تغذيها الحركة الكولونيالية والصليبية والصهيونية العالمية، ويتلخص هدف هذا الثالوث في إضعاف شوكة الأمة الإسلامية، وتدمير ثقافتها الأصيلة، وتفتيت شمْلها إلى عدة كيانات قُطرية، كما يهدف هذا الثالوث نفسُه إلى زرع التشكيك في قيم هذه الأمة ولغتها وتراثها، وطمْس هُويتها، وبثّ الفُرقة بين صفوف أجناسها من خلال إثارة النّعرات القبلية والمذهبية والإثنية البغيضة، ويسعى كذلك إلى إضْعاف الوازع الديني لدى أبناء الأمة الإسلامية، والتشجيع على الفساد والتطرف بشتى ألوانه.

أكيدٌ أن تأثير هذه العوامل الخارجية متوقف على طبيعة البنية الداخلية للمجتمع الإسلامي، فهي تؤثر في حالة هشاشة هذه البنية وافتقادها إلى المناعة والحصانة، ويغيب تأثيرها مع تماسك الجسم الإسلامي، وتضامن مكوناته البشرية، وقوة معتقده.

الغزو الفكري الغربي الحديث لكسر شوكة المسلمين لم يترك وسيلة إلّا استخدمها لتحقيق مآربه

هذه نظرة موجزة إلى أبرز العوامل الذاتية والموضوعية التي توفر الأرضية المناسبة لتعشيش التيار التغريبي، وتيسِّر أمْر عمله وتأثيره الفعّال.

ومما لاشك فيه أن للتغريب تجليات وآثارًا متعددة ومختلفة؛ منها ما يتصلُ بالفرد، ومنها ما يتصل بالمجتمع الإسلامي، ويجب أن نذكّر هاهنا بأن تغريب الفرد واستلاب ثقافته وهويته يعد الخطوة الأولى في سبيل تغريب واستلاب ثقافة المجتمع ككل، فالتغريب الثقافي والحضاري يتسلط- بداءةً- على الفرد، حتى إذا ما تمكّن من نفسه، وانتشرت آثارُه على نطاق أوسع في مجتمع إسلامي، فإنه يتحول إلى ظاهرة اجتماعية علاوة على كونه ظاهرة فردية، وفيما يلي سنبرز بعض مظاهر وآثار التغريب إنْ على مستوى الفرد أو على مستوى المجتمع الإسلامي:

أ- **بعض مظاهر وآثار التغريب الثقافي على مستوى الفرد المسلم:** إن الفرد المسلم الذي تمكن منه التغريب تظهر عليه جملة من الأوصاف والأمَارَات. فهو دائم التعلق بما في الثقافة الأجنبية الغازية له من نُظم وأفكار وعوائد وأنماط سلوكية، ويحاول جاهدًا تطبيقها في حياته الخاصة، ثم إن هذا الفرد لا يجد في نفسه أي حرج من محاكاة الغرب، والانصهار الكامل في بُوتَقَته المسمومة، والأخْذ بما يُمليه حرْفيًا. وبالمقابل، نجد هذا الفرد يتحامل على التراث الإسلامي بالرغم مما يختزنه من قيم سامية، وبذور حقيقية للإقلاع والتنمية، وهكذا نرى عددًا من أبناء الأمة الإسلامية يدْعون إلى الانفصام عن الماضي الإسلامي والالتحاق بالغرب، ويعد سلامة موسى من أخْطر هؤلاء، حيث يقول في كتابه «اليوم والغد»: «يجب علينا أن نخرج من آسيا وأن نلحق بأوروبا، فإني كلما ازدادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له، وشعوري بأنه غريب عني، وكلما زادت معرفتي بأوروبا زاد حبي لها وتعلقي بها وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها». ويقول أيضًا أدونيس (علي أحمد سعيد): «لسْنا من الماضي.. الإنسان عندنا مَلجومٌ بالماضي، نعلّمه أن يكسر اللجام ويجْمح، نعلمه أنه ليس حُزمة من الأفكار والمصنفات والأوقات يسمونها تراثا»!.

إن الفرد المسلم الذي غُرّب فتَغَرّب لا يولي أي اهتمام لمشكلات مجتمعه وأمته، بل إنه يشكل، في حد ذاته، معْوَل هدْم يعمل من داخل الجسم الإسلامي لتخريبه وإضْعافه.

هذه بعض الآثار التغريبية التي تتبدّى على مَنْ بهرتْهم الحضارة الغربية بشكلياتها الزائفة؛ فسلبت عقولهم، واستولت على عواطفهم، وأصبحوا يتنكرون لثقافتهم الإسلامية الأصيلة، ويجتهدون في تمثل مظاهر الثقافة الغازية، وقد كان معظم هؤلاء المتغرّبين أو المستَلَبين ثقافيًا ممّن عاشوا في ظَل الاستعمار ردحًا غير يسير من الزمن وتربّوا في مدارسه أو مدارس الإرساليات التبشيرية أو درسوا في الديار الغربية.

ب- **بعض مظاهر وآثار التغريب على مستوى المجتمع الإسلامي ككل:** لا يجد المجتمع الإسلامي الذي امتدت إليه أيدي التغريب غضاضة في تقليد الغرب، واتّباعه في النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ولا يتردد في الأخذ بالتيار العَلماني ونتائج الأبحاث الاستشراقية عن العقيدة الإسلامية واللغة العربية الفصحى التي تعد الوعاء الحامل لهذه العقيدة.

الملاحظُ في عدد من المجتمعات الإسلامية انتشارُ المجلات والأشرطة الهابطة، والأغاني الساقطة، والصور

الخليعة، والكتب التي تحمل في صفحاتها أفكارا هدّامة لكيان المجتمع الإسلامي، وذلك تحت ستار الحرية الشخصية، وتمثل هذه المظاهر التغريبية وسائل خطيرة في تشويه القيم الإسلامية، وطمْس هُوية المسلمين فرادى وجماعات.

وتسمح مجموعةٌ من دول العالم الإسلامي- بدعوى الانفتاح- بإنشاء المدارس والمعاهد الأجنبية، وانتشار الحركات التبشيرية فوق أراضيها، وفي ذلك فرصة سانحة لبَثّ سمومها الفتاكة، ونشر تُرّهاتها وتلفيقاتها، ومن العجب العُجاب أن هذه المعاهد تعمل بحرية تامة، وتوفّر لها الحصانة القانونية الكاملة، ويتخرّج منها أناسٌ كُثرٌ تُفتح أمامهم فرص التشغيل وغيرها.

إن المظاهر آنفة الذكر كلّها تسهم في ضعف الثقة بكل ما هو وطني وإسلامي من نظم واقتصاد وأدب وفن، وتدفع بالمجتمع الإسلامي دفعًا إلى اقتفاء سَمْت الغرب وتقليده تقليدًا أعمى في كل الأمور، بدْءًا من أتْفهها وانتهاءً بأخْطرها، وتجدر الإشارة هنا إلى أن درجة التغريب والتغرُّب تختلف من مجتمع إسلامي لآخر، فهناك مجتمعات أنْهكها التغريب، وهناك أخرى لما يزال التغريب فيها محدودًا.

إن الغزو الفكري الغربي الحديث الذي يستهدف تكسير شوكة المسلمين، وتشويه هويتهم، وعزْلهم عن ماضيهم وميراثهم الحضاري، وتغريبهم عن عقيدتهم ولغتهم، لم يترك وسيلة إلا استخدمها لتحقيق مآربه، ولم يترك جهة لمس فيها الاستعداد للتعاون معه إلا تعاوَن معها وربط نفسه بها، وقد كان في طليعة هذه الجهات التي تعاونت مع المستعمر الغربي، وربطت أهدافها بأهدافه «الصهيونية العالمية» التي برزت بوصفها حركة سياسية عنصرية تتغيى بسْط النفوذ على العالم بأسره بشتى الطرق والوسائل، وقد حققت جملة من المكتسبات في الواقع الملموس، أبرزها الحصول على وطن قومي لليهود في أرض فِلَسْطين المباركة.

ومن جهة أخرى، شكلت العلمانية «إحدى الوسائل الخطيرة التي مهّدت الطريقَ لحركة التغريب التي مسّت نواحيَ مختلفة» (٩).

وبناءً على ما سبق، كان من الطبيعي أن تعرف المجتمعات المتغرّبة حالات من الفوضى والتطرُّف العام، لذا، يربط بعض الباحثين بين الغلو والتغريب، يقول طارق البشْري مثلاً: «يبدو لي أن الغلو سيبقى، بدرجات شتى وأشكال متنوعة وعلى فترات ممتدة أو متقطعة، ما بَقيت هيمنة التغريب، ولن يضعف إلا بضعْفها» (١٠).

إن التغريب أخطرُ من الغزو العسكري؛ ذلك لأن الاستعمار العسكري حدَثٌ وقتي لحظي يتسلط على أمة من الأمم ردحًا من الزمن- قد يطول وقد يقصُر- ثم يذهب وتعود تلك الأمة إلى وضْعها الطبيعي وثقافتها الأصلية وحُرياتها التامة، وربّما بصورة أقوى وأحسن من السابق، وربما كان ذلك التحدي عاملًا من عوامل الإبداع والتفوق والتقدم نحو الأمام. أما التغريب فهو أخطر من ذلك بكثير، لأنه يضرب الأمة في موطن قوتها وبؤرة حياتها، ويقتل فيها روح المبادرة والثورة، ويهجم على ثوابتها التي لا غنى عنها في وجودها، إنه بكلمة مختصرة «احتلال العقل والنفس» (١١).

انطلاقًا من حديثنا عن حقيقة التغريب، وعوامله، ومظاهره، وآثاره، وميكانيزماته.. تبيّن لنا أن التغريب تيارٌ فتاكٌ يتخذ من التخريب شعارًا له، وأنه تحَدٍّ خطير يُجابه الأمة الإسلامية في اللحظة الحضارية الآنية بقوة، وهنا يحق لنا أن نتساءل: كيف واجه المسلمون التغريب الثقافي والحضاري؟

مما لاريبَ فيه أن أبناء الأمة الإسلامية تجنّدوا لإبْطال مفعول سُمّ التغريب؛ فقاموا بردود فعل قوية وملموسة، وهكذا «ظهرت الحركة الإسلامية مع هيمنة التغريب، وتصاعدت مع تصاعُده، وهي تعتو مع عُتوِّه» (١٢).

كما نشطت حركة التعريب، واتسع نطاقها لتشمل عدة ميادين حيوية، واصطبغت بأصْباغ جديدة تماشيًا مع واقع التغريب، بحيث «لم يعُد التعريبُ في حياتنا المعاصرة مجردَ هدَف ثقافي، وإنما أصبح هدفا حضاريًا شاملا، ينطوي على جوانب سياسية وقومية لا تقل أهمية عن جوانبه الثقافية» (١٣)، ولم يقف الشعراء الإسلاميون مكتوفي الأيدي إزاء موجة التغريب التي اكتسحت العالم الإسلامي منذ القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وإنما وظفوا أشعارهم واتخذوها أسلحة فعّالة لمجاهدة التغريب... إلخ.

الهوامش

- الجوهري: الصحاح، ١/١٩١ - ابن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص٤٧٠ - الزبيدي: التاج، ١/٤١٠ - مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، ٢/٦٤٧.

٢- ابن منظور: لسان العرب، ١/٦٣٨-٦٣٩.

٣- عبد الرزاق الخشروم: الغربة في الشعر الجاهلي، م.س، ص١٤.

٤- عمر التومي الشيباني: التغريب والغزو الصّهْيوني، مجلة «الثقافة العربية»، ليبيا، ع.١٠، س.٩، ١٩٨٢، ص١٦٢.

٥OXFORD UNIVERSITY;: OXFORD Advanced Learner's Dictionary. P١٣٥٥ -

٦- محمد مصطفى هدارة: التغريب وأثره في الشعر العربي الحديث، مجلة «الأدب الإسلامي»، مج.١، ع.٢، ١٩٩٤، ص٨.

٧- عمر محمد التومي الشيباني: التغريب والغزو الصهيوني ، م. س، ص١٦٠ وما بعدها.

٨- نفسه، ص١٦٢.

٩- محمد مصطفى هدارة: التغريب وأثره في الشعر العربي الحديث، ص٨، بتصرف.

١٠- طارق البشري: سيبقى الغلو ما بقي التغريب، مجلة «العربي»، ع.٢٧٨، يناير ١٩٨٢، ص٦١.

١١- شلتاغ عبود: في المصطلح الثقافي والتغريب، مجلة «آفاق الثقافة والتراث»، ع.٣٣، س.٩، أبريل ٢٠٠١، ص٥٤.

١٢- طارق البشري: سيبقى الغلو ما بقي التغريب، ص٦١.

١٣- فؤاد زكريا: ثقافتنا المعاصرة بين التعريب والتغريب، مجلة «العربي»، ع.٣٠٢، يناير ١٩٨٤، ص٣٥.

حكم التسوق الشبكي في ضوء مقاصد البيوع

وصفي عاشور أبوزيد *

التسويق أو التسوق الشبكي نوع جديد من المعاملة أو البيع، وهو عبارة عن برنامج تسويقي يمنح المشاركين فيه شراء حق التوظيف لمزيد من المشاركين، وبيع المنتجات أو الخدمات، والتعويض عن المبيعات عن طريق الأشخاص الذين قاموا بتجنيدهم، فضلاً عن المبيعات الخاصة بهم. أو هو نظام تسويقي مباشر يروج لمنتجاته عن طريق المشترين، بإعطائهم عمولات مالية مقابل كل من يشتري عن طريقهم، وفق شروط معينة (١)، ولكي يتضح معناه نضرب له مثالاً يكشف عن فكرته الجوهرية.

لنفرض أن شركة تصنع الصابون وتبيعه بسعر ٢٠ ريالاً أرادت اتباع هذا الأسلوب من التسويق، فتقوم بتقديم عرضها التالي لزيد من الناس: إذا اشتريت الصابون سنمنحك فرصة التسويق الشخصي لمنتجاتنا لكسب حافز مقداره ٣ ريالات عن كل مشترٍ تأتي به أنت أو يأتي به من أتيتَ به، كل ما عليك هو أن تقنع اثنين من معارفك بشراء هذا الصابون والتسويق له، يقوم زيد بإقناع خالد وعمرو بالشراء وحثهما على تسويقه حتى يظفرا بالحوافز، يشتري خالد وعمرو، ويكسب زيد الحافزين الموعودين (٣×٢=٦ريالات)، هل ينتهي التسويق الشبكي هكذا؟ لا، إذ يقوم خالد بإقناع ثلاثة من زملائه بشراء المنتج والتسويق له، فيحصل هو على ثلاثة حوافز(٣×٣=٩ ريالات)، وعلى نفس المبلغ (٩ريالات) يحصل زيد، وهو المشتري والمسوق الأول.

فلو فرضنا أن هؤلاء الثلاثة أقنع كل واحد منهم ثلاثة آخرين بالشراء فسيحصل كل واحد من الثلاثة على ثلاثة حوافز (٣×٣=٩ ريالات)، وبالتالي سيكون نصيب خالد تسعة حوافز (٣×٩=٢٧ ريالات)، وسينال زيد المتربع علي رأس الشبكة المبلغ ذاته (٢٧ ريالاً)، وهكذا دواليك، تتضخم الشبكة على هيئة شجرة متفرعة الأغصان، أو هرم يتسع كلما اتجه إلى قاعدته، في سلاسل لا متناهية من المشترين المسوقين، وهذا رسم توضيحي لبيان طبيعة هذا التسويق أكثر:

ومن العجيب أن يصبح التسويق في هذا الأسلوب هدفًا ومقصودًا للمنتجين والعملاء، بدلاً من أن يكون وسيلة لبيع المنتجات، وبهذا أصبح التسويق مخدومًا بعد أن كان خادمًا.

وهذا النوع من التسويق له أسماء ومرادفات كثيرة، فقد يسمى التسويق المتعدد المستويات، أو التسويق لقاء عمولات احتمالية، أو التسويق الطبقي، أو التسويق الهرمي، أو نظام التسلسل الهرمي، وغير ذلك(٢)، وله شركات متعددة لكن مضمون عملها متقارب إن لم يكن واحدًا، منها «بزناس» و«جولد كويست»، و«برايم بنك»... وغيرها.

ومن الخصائص المشتركة لشركات التسويق الشبكي:

١- شراء المنتج- ولو مرة واحدة- شرط للحصول على العمولات، والمضي قُدمًا في عملية التسويق: «اشتر لتسوق، فقد تكسب».

٢- توظيف غير محدود للمسوقين من المشاركين في سلسلة لا نهاية لها.

٣- كلما كنت أسبق في الاشتراك كنت أكثر حظًا، وأعظم أجرًا، والعكس صحيح، جاء في إعلان لإحدى هذه الشركات: «سوف تخسر كثيرًا إذا تأخر انضمامك إلينا يومًا واحدًا، كلما انتظرت أكثر.. كلما خسرت أكثر.. ابدأ الآن».

٤- تضع جميع الشركات خطًا أحمر لكبح تضخم عمولات رؤساء الهرم، يختلف من شركة لأخرى، حتى لا تلتهم العمولات جميع أموال الشركة.

٥- لا يمكن الدخول في عملية التسويق الشبكي إلا عن طريق مسوق قبلك، فلو ذهبت راغبًا في الاشتراك سيطلب منك الموظف رقم المسوق الذي أتى بك، حتى تدخل تحت شبكته، وإلا سيتبرع- مسرورًا- بإدخالك في شباك من يحب.

٦- لا تهتم بالمنتجات بقدر اهتمامها بتوظيف المسوقين والاشتراك في النظام الشبكي.

* باحث في المركز العالمي للوسطية - الكويت

٧- الغالبية الساحقة من المنتجات تستهلك من قبل المسوقين لا المستهلكين، فالمسوق هو المستهلك، بخلاف التسويق التقليدي الذي يمثل فيه المستهلك الطرف الأخير في العملية التسويقية، يقول بعض الخبراء: «إن هذه الصناعة برمتها قد تم بناؤها بالكامل تقريبًا على الاستهلاك الشخصي للمنتجات عن طريق الموزعين»(٣).

الحكم الشرعي للتسويق الشبكي

اختلف العلماء المعاصرون في حكم هذا النوع من التسوق أو التسويق، فذهب فريق إلى تحريمه، وذهب فريق آخر إلى تجويزه، وفيما يلي عرض رأييهما مع أدلة كل رأي:

قول المحرمين وأدلتهم

وممن حرم هذه المعاملة هيئات علمية ومجامع فقهية مثل اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، ومجمع الفقه الإسلامي بالسودان، ولجنة الفتوى بجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر، ودار الإفتاء بحلب، ومركز الفتوى بالشبكة الإسلامية القطرية.

كما كتب فيها جماعة من المختصين في الاقتصاد الإسلامي وفقه المعاملات المالية المعاصرة، منهم د. سامي السويلم- وهو أول من حرر فيها القول- ود.إبراهيم الضرير، ود.علي السالوس، ود.رفيق يونس المصري، ود.حسين شحاتة، ود.علي محي الدين القره داغي، ود.يوسف بن عبدالله الشبيلي، ود.عبدالله الركبان، ود.محمد العصيمي، والشيخ محمد المنجد، ود.عمر المقبل، ود.حسين الشهراني، ود.بندر الذيابي، ود.سلمان العودة، ود.عبدالمحسن العبيكان، ود.عبدالمحسن الزامل، ود.عبدالحي يوسف، ود.أحمد السهلي، ود.عبدالرحمن الأطرم، ود.عبدالمحسن جودة، ود.سعد الخثلان، والشيخ علي حسن الحلبي، ود.عبدالله سمك، ود.أحمد الحجي الكردي، ود.رياض محمد المسيميري، ود.رجب أبومليح، والشيخ محمد الحمود النجدي، ود.خالد المشيقح(٤)، واستندوا في رأيهم إلى عدد من الأدلة، هي:

بعض العلماء المعاصرين أجازوا التسوق الشبكي إلا أن فريقًا منهم ذهب إلى تحريمه

أولًا: أنها تضمنت الربا بنوعيه: ربا الفضل وربا النسيئة، فالمشترك يدفع مبلغًا قليلًا من المال ليحصل على مبلغ كبير منه، فهي نقود بنقود مع التفاضل والتأخير، وهذا هو الربا المحرَّم بالنص والإجماع، والمنتج الذي تبيعه الشركة للعميل ما هو إلا ستار للمبادلة، فهو غير مقصود للمشترك، فلا تأثير له في الحكم.

ثانيًا: أنها من الغرر المحرَّم شرعًا، لأن المشترك لا يدري هل ينجح في تحصيل العدد المطلوب من المشتركين أم لا؟ والتسويق الشبكي أو الهرمي مهما استمر فإنه لابد أن يصل إلى نهاية يتوقف عندها، ولا يدري المشترك حين انضمامه إلى الهرم هل سيكون في الطبقات العليا منه فيكون رابحًا، أو في الطبقات الدنيا فيكون خاسرًا؟ والواقع أن معظم أعضاء الهرم خاسرون إلا القلة القليلة في أعلاه، فالغالب إذن هو الخسارة، وهذه حقيقة الغرر، وهي التردد بين أمرين أغلبهما أخوفهما، وقد نهى النبي ﷺ عن الغرر، كما رواه مسلم في صحيحه.

ثالثًا: ما اشتملت عليه هذه المعاملة من أكل الشركات لأموال الناس بالباطل، حيث لا يستفيد من هذا العقد إلا الشركة ومن ترغب إعطاءه من المشتركين بقصد خداع الآخرين، وهذا الذي جاء النص بتحريمه في قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾، (النساء: ٢٩).

رابعًا: ما في هذه المعاملة من الغش والتدليس والتلبيس على الناس، من جهة إغرائهم بالعمولات الكبيرة التي لا تتحقق غالبًا، وهذا من الغش المحرَّم شرعًا، وقد قال ﷺ «من غش فليس مني»، (رواه مسلم في صحيحه)، وقال أيضًا: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبيَّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما»، (متفق عليه).

خامسًا: أن الاشتراك في «بزناس» وما يشابهها من شركات التسويق الشبكي لا يجوز شرعًا لكونه قمارًا، فإنّ المنتج في شركات التسويق الشبكي ليس مقصودًا للمسوقين، إنما المقصود الأول والدافع المباشر هو الدخل الذي يحصل عليه المشترك من خلال هذا النظام، ولما كانت الأحكام تُبنى على المقاصد والمعاني لا على الألفاظ والمباني، فإنّ المنتج يسقط عند التكييف الفقهي لشركات التسويق الشبكي، ويصبح الأمر من الوجهة الفقهية لا يعدو كونه تجميع اشتراكات من أفراد تديرهم الشركة، ويدفع فيه الأشخاص الذين هم في أسفل الشبكة حوافز من سبقهم في

أعلاها، بالإضافة إلى عمولة الشركة، فالتسويق الشبكي في حقيقته يتكون من حلقات مقامرة.

سادسًا: القول إن هذا التعامل من السمسرة غير صحيح، إذ السمسرة عقد يحصل السمسار بموجبه على أجر لقاء بيع السلعة، أما التسويق الشبكي فإن المشترك هو الذي يدفع الأجر لتسويق المنتج، كما أن السمسرة مقصودها السلعة حقيقة، بخلاف التسويق الشبكي فإن المقصود الحقيقي منه هو تسويق العملات وليس المنتج، ولهذا فإن المشترك يُسوّق لمن يُسوِّق، هكذا بخلاف السمسرة التي يُسوق فيها السمسار لمن يريد السلعة حقيقة، فالفرق بين الأمرين ظاهر.

سابعًا: القول إن العمولات من باب الهبة ليس بصحيح، ولو سلم فليس كل هبة جائزة شرعًا، فالهبة على القرض ربا، ولذلك قال عبدالله بن سلام لأبي بردة، رضي الله عنه: «إنك في أرض الربا فيها فاش، فإذا كان لك على رجلٍ حقٌّ فأهدى إليك حمل تبن أو حمل شعير أو حمل قت فإنه ربا»، (رواه البخاري)، والهبة تأخذ حكم السبب الذي وجدت لأجله، ولذلك قال ﷺ: «أفلا جلست في بيت أبيك وأمك فتنظر أيهدى إليك أم لا؟» (متفق عليه)، وهذه العمولات إنما وجدت لأجل الاشتراك في التسويق الشبكي، فمهما أعطيت من الأسماء، سواء هدية أو هبة أو غير ذلك، فلا يغيِّر ذلك من حقيقتها وحكمها شيئًا(٥).

يتضح من أدلة هذا الفريق أنه نظر إلى مجموع عمليتي التسويق الشبكي (الشراء والتسويق) باعتبارهما صناعة تجارية متكاملة، مع مراعاة للأصول العامة التي جاء بها الشرع في أبواب المعاملات، مثل النظر إلى الحقائق والمآلات، والمقاصد والنيات، وسد باب الحيل والذرائع المفضية إلى الحرام.

> **الأصل في المعاملات المالية هو الحِل وقررت ذلك قواعد الشريعة**

قول المجيزين وأدلتهم ومناقشتها

وذهب بعض أهل العلم المعاصرين إلى جواز التسويق الشبكي، ومن هؤلاء أمانة الفتوى بدار الإفتاء المصرية (٦)، والدكتور صالح السدلان، والشيخ أحمد الحداد، والشيخ محمد العمراني، والشيخ عبدالرحمن الهرفي، والشيخ إبراهيم الكلثم (٧).

واستدلوا لرأيهم بعدد من الأدلة هي:

أولا: الأصل في المعاملات المالية الحل، كما هو مقرر في قواعد الشريعة، قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ البيع وحرم الربا﴾ (البقرة: ٢٧٥)، ولا يعدو التسويق الشبكي أن يكون نوعًا من البيوع الجديدة التي لم يأتِ نصٌّ من كتاب ولا سنة بالمنع منها، فتُرد إلى أصلها من الإباحة.

ونوقش هذا الدليل بأنه قد دخل على هذه المعاملة جملة من الأمور التي يكفي بعضها للنقل عن أصل الإباحة إلى التحريم، ومن ذلك القمار والغرر وأكل المال بالباطل، فكيف بها مجتمعة؟

ثانيًا: أنه من قبيل السمسرة المشروعة، فالشركة تعطي هذه العمولات مقابل الدلالة على منتجاتها وشرائها، شأنها شأن أصحاب العقار الذين يخصصون جزءًا من مبلغ الأرض المبيعة للوسيط الذي قام بدلالة المشتري عليها.

ونوقش هذا الدليل بوجود فروق مؤثرة بين السمسرة وعمولات التسويق الشبكي، يمتنع معها الإلحاق والقياس، فالسمسرة لا يشترط فيها شراء السمسار لأي شيء، وعملات التسويق الشبكي يشترط فيها شراء المسوق لمنتج الشركة، والسمسرة يستحق السمسار نصيبه على كل معاملة، أما في التسويق الشبكي فلا يستحق المسوق العمولة إلا بشروط، والسمسرة تكون السلعة فيها مقصود المشتري لذاتها أما التسويق الشبكي فالعمولة فيه مقصود المشتري.

ثالثًا: أن الثمن الذي يدفعه المشتري في الظاهر هو مقابل السلعة، والعمولة التي يأخذها في مقابل جهد المسوق وسعيه، فما دامت السلعة قد توسطت فلا قمار ولا ربا.

ونوقش هذا الدليل بأن السلعة هنا غير مقصودة، فوجودها غير مؤثر، والغرض الحقيقي من هذه المعاملة هو العمولات، والسلعة جاءت غطاء لإضفاء المشروعية، وهذا ضرب من التحايل المحرم الذي جاءت نصوص الشريعة بسد بابه والتحذير من أربابه.

رابعًا: أن العمولات في التسويق الشبكي من باب الجعالة الجائزة في الإسلام، والتي يستحقها المشترك عند إتيانه بعملاء جدد للشركة.

ونوقش هذا الدليل بوجود اختلاف حقيقي بينهما من وجهين، أحدهما أن الجعالة لا يشترط فيها الشراء، بخلاف التسويق الشبكي، والآخر أن

جمهور الفقهاء أوجبوا حقًّا للعامل في الجعالة إن انتفع بجزء عمله صاحب الجعالة، فإنه يشترط في الجعالة عدم استفادة الجاعل من جزء عمل العامل، وقد تقدم إمكانية حرمان المشترك من عمولات من سوق لهم إذا لم يحقق الشرط المطلوب.

خامسًا: أنها من باب عقد الوكالة الجائزة بأجرة، فبعد إتمام عملية بيع وشراء المنتج، تقوم الشركة بإبرام عقد وكالة لتوزيع المنتجات أو تفويضها شفويًا بذلك، يحصل بموجبه الموزع على عمولات مقابل جهده في التسويق.

ونوقش هذا الدليل بامتناع التخريج على الوكالة لما بين المعاملتين من فروق، أظهرها أن الوكيل في عقد الوكالة لا يدفع ليصبح وكيلا، بل يأخذ الأجرة المتفق عليها بشرطها، بينما في التسويق الشبكي يدفع الوكيل أجرة ليدخل في شبكة التسويق، وهذا يجعل التخريج على الوكالة غير مستقيم(٨).

ومن أدلة هذا الفريق يتضح أن النظر فيها كان إلى ظاهر المعاملة دون ربط بين ركنيها، الشراء والتسويق، وذلك بفصل عملية الشراء عن التسويق، واعتبار كل منهما معاملة مستقلة، مع إلغاء لأثر مقاصد المشترين ونياتهم، ما دام أن كلا العقدين قد استوفى شروط الصحة الظاهرة.

وهو الأمر الذي يذكرنا بالخلاف في زواج المصلحة المبني على النظر إلى العقود، فهناك من أخذ بظاهر العقد ما دام تحققت شروطه وانتفت موانعه دون النظر إلى مآلات العقد أو طبيعته وتحقق مقصوده ومعانيه، وهناك من اعتبر المقاصد والمعاني حتى لو تحققت الشروط وانتفت

العقود تبنى على المقاصد والمعاني لا على الألفاظ والمباني

الموانع ما دام الغرض أو القصد ظاهرًا وواضحًا.

مقصد هذا البيع وأثره في الاستدلال

من خلال عرض أدلة الفريقين يتضح لكل ذي نظر دور مقصد هذا العقد في الاستدلال على منعه أو إباحته، ولا شك فيما ذهب إليه الفريق الثاني من أن الأصل في العقود الإباحة، وهذا عقد جديد لم يأت نص بتحريمه فيبقى على أصل الحل، ولكن ما دخل عليه من مخالفات تقضي عليه بأنه ربا، وبأن فيه غررًا، وغشًا، وتحايلا، وغير ذلك مما يضعه في قلب البيوع المحرمة.

ولقد كان مقصد العقد وطبيعته هو مناط الدليل بتحريم هذا النوع من التسوق، إذ المنتج في شركات التسويق الشبكي ليس مقصودًا للمسوقين، إنما المقصود الأول والدافع المباشر هو الدخل الذي يحصل عليه المشترك من خلال هذا النظام، كما استندوا إلى أن العقود تُبنى على المقاصد والمعاني لا على الألفاظ والمباني، وأن التسويق في هذا الأسلوب انقلب إلى غاية للمنتجين والعملاء، بدل أن يكون وسيلة لبيع المنتجات، وبهذا أصبح التسويق مخدومًا بعد أن كان خادمًا، وأن السمسرة مقصودها السلعة حقيقة، بخلاف التسويق الشبكي فإن المقصود الحقيقي منه هو تسويق العملات وليس المنتج.

وبهذا يتبين أن مقصد هذا البيع أو العقد كان هو المرجع في الاستناد والاستدلال لتحريمه، كما كان المقصد منه هو المستند أو الدليل للرد على من ألحقه بأنواع أخرى من المعاملة مثل السمسرة والجعالة والهبة والهدية والوكالة وغيرها.

الهوامش

١- التسويق الشبكي تحت المجهر: ٦. زاهر سالم بلفقيه. بحث منشور على شبكة صيد الفوائد، وراجع: التسويق الشبكي: تكييفه وأحكامه الفقهية: ١٤-١٥. بندر الذياني. بحث تكميلي للماجستير من معهد القضاء العالي للقضاء. إشراف الدكتور يوسف الشبيلي، والتسويق التجاري وأحكامه: ٥٢٢. حسين الشهراني. وهو جزء من رسالة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. إشراف: د.عبد الرحمن الأطرم، ود.عبد المحسن جودة، والمرجعان الأخيران غير منشورَيْن.

٢- رجع التسويق الشبكي لسالم بلفقيه: ٥-٨.

٣ - التسويق الشبكي تحت المجهر لبلفقيه: ١٠.

٤- راجع ملحقا بأسماء المحرمين في المرجع السابق، بحث زاهر سالم بلفقيه: ٢٠-٢١.

٥- راجع فتاوى اللجنة الدائمة: فتوى رقم (٢٢٩٣٥) بتاريخ ١٤-٣-١٤٢٥هـ، وفتاوى الشبكة الإسلامية: رقم الفتوى: ١٩٣٥٩، بتاريخ الأربعاء ١٩ ذو الحجة ١٤٢٤ / ١١-٢-٢٠٠٤م، وفتوى مجمع الفقه الإسلامي بالسودان بتاريخ: ١٤٢٤/٤/٢٥هـ، وفتوى أخرى بتاريخ ١٤٢٩/١/٢٨هـ.

٦- في الفتوى الصادرة حول شركة شينل بتاريخ: ٢٠٠٧/٢٧٣م، بإمضاء: أحمد ممدوح سعد، عمادالدين أحمد.

٧- راجع ملحقًا بأسماء المجيزين في بحث زاهر سالم بلفقيه: ٢١.

٨- انظر: المرجعين السابقين، والتسويق الشبكي لبلفقيه: ١٦-١٨، وتعقيب الشيخ إبراهيم الكلثم على فتوى د. السويلم في موقع الإسلام اليوم، والتسويق الشبكي للذيابي: ٣٠-٥٠.

دورة «العربية وطرائق اكتسابها»

التحرير


صورة جماعية للمشاركين في الدورة


جانب من الحضور


د. الطيان يشرح أحد المحاور

عقدت مجلة «الوعي الإسلامي» دورة تدريبية في اكتساب مهارات اللغة العربية في العمل الوظيفي تحت عنوان «العربية وطرائق اكتسابها» للدكتور محمد حسان الطيان منسق مقررات اللغة العربية في الجامعة العربية المفتوحة، وذلك في مسرح المسجد الكبير بحضور جميع موظفي المجلة.

وتأتي الدورة في إطار خطة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الاستراتيجية القائمة على التدريب باعتبار أن العنصر البشري أساس الرقي والتقدم في مختلف ميادين العمل، وأن حضارة الأمم مرتبطة دائمًا بالإنسان وإمكاناته.

وتعتبر الدورة إضافة حقيقية لموظفي المجلة لما تحققه من اكتساب مهارات جديدة في فنون اللغة العربية، بالإضافة إلى تنمية القدرات اللغوية للموظفين، وبناء قاعدة علمية في اللغة، إلى جانب تطوير دورة الإنتاج الوظيفية المعمول بها في المجلة، مع الأخذ في الاعتبار كيفية استثمار المهارات والقدرات في العمل الوظيفي.

وتناولت الدورة محاور عدة في أهمية العربية ومنزلتها، وكيفية اكتساب العربية، وتعلم النحو الوظيفي والبلاغة، ومبادئ القراءة الصحيحة، ومزاولة الفصاحة قراءة وكتابة وكلامًا، ومهارات الكتابة بالعربية وشروطها، وأثر وسائل الإعلام في اكتساب هذه الملكة.

هذا إلى جانب مناقشة بعض المقالات في النحو والبلاغة واللغة والإعلام، وسبل الارتقاء بلغة الإعلام، وسمات اللغة في الإعلام العلمي، والنظر في روائع البيان النبوي، وفرائد الأبيات والشواهد واللطائف والطرائف.

وتعد هذه الدورة باكورة دورات المجلة التدريبية في مجالاتها الفنية، وذلك في سياق حرص إدارة التحرير على تطوير آلية العمل، وتحسين مخرجات المجلة بما يتوافق مع متطلبات المجتمع.



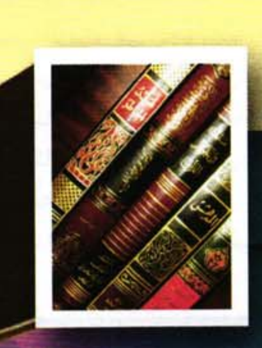
الأصالة والحداثة

مازالت قضية الأصالة والحداثة تشغل الأذهان، وتملأ الساحة الأدبية العربية بالضجيج والعنف، ومازال الصراع بينهما قائمًا، ومازالت الهوة عميقة بينهما أيضًا، ومازالت الكتب والإصدارات تتوالى وتملأ المكتبات في كلا الاتجاهين، ولما يتبلور الموقف الإيجابي المتخفي عنهما.

ورغم أننا نقدر جهود أصحاب الأصالة والمحافظة على التراث الديني والفكري والأدبي واللغوي ونقدر فيهم حماسهم وغيرتهم الدينية والعربية، إلّا أننا في الوقت نفسه نرى في كتاباتهم وأحاديثم هجومًا عنيفًا، ينسف كل أعمال الأدباء العرب المحدثين، ويلصق بهم الشبهة والريبة جميعًا، والدافع الديني النظيف الملتزم لا يبرر مثل ذلك الهجوم، ولا يخدم الأدب والفكر بشيء، وإنما الاتزان والموضوعية والبحث عن البديل هو المجدي في مثل هذه الحالات.

لذلك كانت دعوتنا إلى أدب قرآني جديد، وترسيخ هذا الأدب في الأذهان، ودراسة أبعاده ومزاياه وسماته وتشجيعه.. وهذا خير عمل يمكن أن يقدمه أصحاب الأصالة والغيرة الدينية والعربية، بدل إعلان الحرب، والانشغال بتعميق الهوة بين الموقفين المتخاصمين، ولن يثبت إلا الأصيل الأصيل.

التحرير



أصالة الإعراب في بيان المعنى

أنس بن محمد عزت أغا

كثُرت في عصرنا الدعوةُ إلى العامّية، بحُجج واهية لا تقوم لها قائمة، منها أن الإعراب فُرِضَ على العربية فرضًا، ولا أثر له في المعنى. وكان وراءَ هذه الدعوات أيد غربيّة مُعادية بعد أن جنّدت جنودًا لها من أبناء جلدتنا، غذتهم بلبانها، فعادوا إلينا مَزهُوين بما حُشي في دماغهم مُدّعين أنّهمَ سيجددون العربية ويعيدون لها مجدها(١)، فهَبَّ أصحابُ الغيرة من علمائنا - حفظهم الله جميعًا - للذود عن هذه اللغة الشريفة التي هي لغة كتاب الله - سبحانه - فردوا كثيرًا من هذه الشبهات، ولا يزالون.

من بين من تصدوا للذود عن اللغة العربية الدكتور محمد حسن جبل، إذ بيّن في كتابه النافع «دفاع عن القرآن الكريم: أصالة الإعراب ودلالته على المعاني في القرآن الكريم واللغة العربية» أنّ الإعراب أصل أصيل في لغتنا، وليس دخيلًا كما يذكر المستشرقون وخُدّامهم، وأنّ القرآن الكريم نزل مُعْرَبًا، وليس الإعراب دخيلًا عليه، وقد عرض لتيك الشُّبهات شبهةً شبهةً، ثم جعلها تتهاوى واحدة تلو الأخرى، ثم من الكتاب أتى بشواهد تطبيقيّة لأصالة الإعراب في القرآن الكريم، وفي الباب الرابع أتى بأمثلة عملية لدَلالة الإعراب على المعاني واختلافها باختلاف الحركة الإعرابية(٢). وهأنذا أثبت أهم هذه الأمثلة متصرفًا فيها بعض الشيء لغرض البيان والتوضيح، وهي:

١-في أسلوب المفعول معه: «ما زال خالدٌ وزيدًا حتى كَتَب الرِّسالة». ضَبْطُ «زيدًا» بالنصب يعني أنّ خالدًا استمر في دفع زيد إلى الكتابة حتى كتب، وضَبْطُه بالرّفع يُوهم أن الاستمرار منهما معًا، ويحوج إلى تصحيح العبارة.

٢-أسلوبُ ظروف الزمان والمكان، نحو: «سَحَرَ، وبُكْرَةَ، وغُدْوَةَ». فمثل هذه تُضبَط بالنصب من غير تنوين إذا أُريد بها سحرُ يومك الذي أنت فيه وبالتنوين إذا أُريد سحرُ يوم غير معين.

٣-في أسلوب الحال مثل: «تكلّمَ مرشدًا»، إذا ضبطتَ «مرشدًا» بالنصب كانت حالًا، وإنْ ضَبَطتَها بالرفع صار المعنى: أنّ شخصًا اسمُه مرشدٌ قد تكلم.

ومثله: «زيدٌ كاتبًا أفضلُ منه شاعرًا»، فالكلام على «زيد» في حالتين من حالاته، وهو في الكتابة أفضل منه في الشعر، فإذا تغير الإعراب فصار «زيد كاتبٌ أفضلُ منه شاعرٌ»، كان الكلام على شخصين زيدٍ الكاتب، والشاعر الذي هو أفضل منه.

٤-أسلوب التمييز في مثل: «فاطمةُ أكرمُ أُمًّا، وأشرفُ زوجًا»، المدح موجّه إلى زوج فاطمة وأمِّها، فإذا جررْتَ، بأن قلت: «فاطمة أكرمُ أمٍّ وأشرفُ زوجٍ»، صار المدح منصبًا على فاطمةَ نفسِها باعتدادها الأشرفَ والأكرم.

وكذلك قولك: «كم كتابًا عندك»؟ إذا نصبت «كتابًا» كان الكلام استفهامًا، وإن جررْتَ، بأن قلت: «كم كتابٍ عندك»! صار الكلام إخبارًا بكثرة ما عندك من الكتب.

> **الدعوة إلى نبذ الإعراب دعوة خبيثة تهدف إلى قطع الصلة بيننا وبين القرآن الكريم**

وكذلك قولك: «عندي حُبٌّ عسلًا». فالنصب يعني أنّ عندك من العسل ما يملأ الحُب الذي هو وعاء العسل، فإذا أضفتَ، بأن قلت: «عندي حبُّ عسلٍ»، صار المعنى أنّ عندك وعاءه، وليس هناك ما يقطع بوجود عسل أو عدمه.

٥-أسلوب الاستثناء في نحو: «ينجح المستذكرون غيرُ المرهَقين»، رفع «غير» يعني أن المستذكرين الذين ليسوا مرهقين ينجحون، ونصبُها يجعل المعنى أن المستذكرين سينجحون إلا المرهقين منهم، ففي رفع «غير» لم يقطع على المرهقين بشيء، إذ قال إن غير المرهقين ينجحون ولم يشر إلى المرهقين، وفي نصبها حُكْمٌ جازم إن المرهقين لا ينجحون.

٦-أسلوب التعجب في مثل: «ما أحسن الشباب يا رجالُ»، ضبط «الشباب» بالرفع يجعل الكلام نفيًا لإحسان الشباب، أو استفهامًا عن الشيء الذي أحسنه الشباب، ورفع أحسن وجر الشباب يجعل المعنى استفهامًا عن الشيء الحسن في الشباب: أهو القوة أم العلم؟ وفتح الاثنين معًا يجعل الكلام تعجبًا من حسن الشباب.

٧-أسلوب النداء في نحو: «يا رجل، تحمّل مسؤوليتك»، بضم «رجل» يكون الكلام موجّهًا للمخاطَب خاصة، فإذا قيل بالنصب كان عامًا موجّهًا إلى كل من يصدق عليه أنّه رجل.

٨- أسلوب التحذير والإغراء في نحو:

* باحث سوري



«الأسدَ والنمرَ»، النصب يعني التحذير، والرفع يعني الإخبار مع تقدير كلام، وكذلك: «الجدَّ الجدَّ». النصب يعني الإغراءَ، والرفع يتيح الإخبار كقوله:

● أنا أبو النّجم، وشعري شعري.

٩- أسلوبُ الاختصاص في نحو: «نحن-المصريين- مرابطون للذّود عن الإسلام»، النصب يعني اختصاص المصريين بالمرابطة، والرفع يُضيعُ معنى الاختصاص.

١٠-في قولك: «زيدٌ متطبب ماهر» رفع «متطبب» يعني وصفَه بالمهارة من حيث هو طبيب، دون نفي مهارته في مجالات أخرى، وضبطه بالنصب يعني أن انصباب المهارة عليه مقيد بهذه الصفة، وكأنه في غيرها ليس كذلك، أي إن مهارته إنما تكون في الطب لا غير.

١١- «بكم ثوبُك مصبوغ»؟ في رفع «مصبوغ» ينصَبُّ على صبغ الثوب، وفي حالة نصبه يصير التساؤل عن ثمن الثوب نفسه وهو مصبوغ.

١٢- «أناقص المال»؟ ضبط «المال» بالنّصب موجّه إلى المخاطَب: هل سيَنْقُص هو المالَ؟ وفي حال الرفع يكون التساؤل عن نقص المال: أهو واقع أم لا؟ لأن الفعل هنا يستعمل لازمًا ومتعديًا.

١٣- «أنت مضيع ود أخيك»، تنوين «مضيع» ونصب «ودّ» يعني أن ذلك سيحدث مستقبلًا، وجر «ود» بالإضافة، مع عدم تنوين «مضيع»، يعني أن ذلك قد وقع من قبل.

١٤- «ارم خالد»، بناء «خالد» على الضم يجعله منادى مأمورًا بالرمي، وضبطه بالنصب يجعله مفعولًا به، فيكون راميًا في الجملة الأولى مَرميًا في الثانية.

١٥- «هذا الضاربُ الظالمِ»، نصب «الظالم» يفيد أن الضرب واقع عليه، وأن المشار إليه هو الذي ضرب الظالم، ورفع الظالم يعني أنك تخبر عن المشار إليه بأنه ضارب ظالم.



١٦-أسلوب واو المعية، في نحو: «لا تظلم الناس وتنصحهم بأن يصبروا»، بنصب المضارع «تنصح» ينصَبُّ النهي على الجمع بين إيقاع الظلم والنصح بالصبر، وبجزمه تنهى العبارة عن الأمرين ولو غيرَ مجموعين، وبرفع «تنصح» النهي عن الظلم وحده و النصح بالصبر مُتَاح.

١٧-أسلوب فاء السببية، في نحو: «وددت لو تزورني فأكرمك». نصب «أكرم» يعني أن الإكرام مُسَبَّب عن الزيارة مُعَلَّق عليها، ورفعه يعني أنه يكرمه دائمًا دون تعليق على الزيارة، لكنه بوده أن يزوره.

١٨-أسلوب «أو» الغائية، في نحو: «سأشكو أو أحصل على حقي»، ضبط الفعل «أحصل» بالنصب يعني استمراره بالشكوى إلا أن أو إلى أن يحصل على حقه، فهناك إصرار على الحصول على الحق، وعلى الاستمرار في الشكوى حتى يحصل عليه، في حين أن ضبط الفعل بالرفع يجعل المعنى وقوع أحد الاحتمالين دون ربط وترتيب.

١٩-أسلوب «حتى»، في مثل: «جاهدت في صباي حتى أستريح في شيخوختي» رفع أستريح يكون عندما يقال هذا القول في سن الشيخوخة، فقائله يحكي عن حال حاضرة، وأنه مستريح الآن بسبب جهاده الماضي، والنصب يدل على أن الاستراحة غاية لطلب الوصول إليها مستقبلًا.

٢٠-وفي مثل عبارة «سيروا لا يلتفت منكم أحد»، إذا رفعنا «يلتفت» كانت «لا» نافية والجملة حالية، أي سيروا غير ملتفتين، وإذا جزم تكون «لا» ناهية، والمعنى، طلب السير وطلب عدم الالتفات دون ربط بينهما.

٢١-في أسلوب العطف، نحو «فلانٌ متهمٌ بقتل السائقِ وابنه»، رفع «ابنه» يعني أن الابن متهم أيضًا، وجر لفظ «ابنه» يعني أن الابن مقتول أيضًا.

٢٢-«كانت الشمس طالعة والمطر منهمرًا»، بنصب «منهمرًا» تكون الجملة إخبارًا عن الأمرين، طلوع الشمس وانهمار المطر، دون ربط بينهما فيحصل التزامن وعدمه، وبرفعها تكون تعبيرًا عن التزامن، أي إن الشمس طلعت في حالة انهمار المطر.

ولعل من تأمل هذه الأمثلة-وهي غيض من فيض- أيقن أن الإعراب أصل أصيل في لغتنا، وأن الدعوة إلى نبذ الإعراب واعتماد العامية دعوة خبيثة هدفها الأول والأخير قطع الصلة بيننا وبين القرآن الكريم، حتى يعود أشبه بتراتيل نرددها ولا نعي منها شيئًا. ﴿وَيَمكرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال:٣٠).

الهوامش

(١) للدكتورة نفوسة زكريا سعيد كتاب قيم في هذا المجال، عنوانه: «تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر»، فانظره فإنه مهم.

(٢) انظر كتابه المشار إليه ص ١٥٠ وما بعدها، ط البربري للطباعة الحديثة، مصر.

دراسة بلاغية نقدية

«يا أبت» وحقيقة حرف التاء

د.رفيق حسن الحليمي

قد يغيب عمن يتدبرون النص القرآني وينظرون في رسم المصحف الشريف، وتحديداً في قوله تعالى على لسان المتكلم: «يا أبت» حقيقة حرف «التاء»، ولماذا ألحقت بالمنادى «أب»، وحذفت منه ياء المتكلم «يا أبي» فأصبحت «يا أبتِ» بكسر التاء، ولماذا جلبت التاء في صيغة النداء هذه؟

في القرآن ثماني آيات، نادى فيها الابن أباه وجاء رسمها على هذا النحو:

«يا أبتِ»، أربع منها على لسان إبراهيم عليه السلام:

﴿إذ قال لأبيه يا أبتِ لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر﴾ (مريم: ٤٢).

﴿يا أبتِ إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني﴾ (مريم: ٤٣).

﴿يا أبتِ لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيًا﴾ (مريم: ٤٤).

﴿يا أبتِ إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن﴾ (مريم: ٤٥).

وواحدة على لسان إسماعيل: ﴿قال يا أبتِ افعل ما تؤمر﴾ (الصافات: ١٠٢).

واثنتان على لسان يوسف: ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبتِ إني رأيت أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ (يوسف: ٤)، وقوله: ﴿يا أبتِ هذا تأويل رؤياي من قبل﴾ (يوسف: ١٠٠).

والثامنة على لسان ابنة شعيب: ﴿قالت إحداهما يا أبتِ استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ (القصص: ٢٦).

ففي هذه الآيات لازم حرف التاء المنادى! فما السر في ذلك؟

للنحاة والمفسرين أقوال متوافقة حول هذه الصيغة، وهي أن التاء جاءت عوضًا عن ياء المتكلم المحذوفة «يا أبي»، فلا يقال: «يا أبتي» بإثبات الياء، قالوا: لئلا يجمع بين العوض (التاء) والمعوض (الياء) (١)، بمعنى: إما أن تزاد التاء وتحذف الياء، وإما أن تزاد الياء وتحذف التاء، فلا يجمع بين زائدتين، لذلك بقيت التاء - في هذا النداء- وحذفت الياء، إذ لا يجوز إثباتها (٢)، وقالوا وحركت التاء بالكسرة للدلالة على الياء المحذوفة، كما تحذف الياء في نداء «يا غلام» بدلا من «يا غلامي»، ومن المعلوم أن أكثر القراء على هذه القراءة «يا أبتِ» باستثناء مقرئ بلاد الشام عبدالله بن عامر اليحصبي (ت ١١٨ هـ)، فقد قرأ «يا أبتَ» بفتح التاء (٣)، وقالوا: «ومن قرأ «يا أبتَ»، قد حذف الألف «يا أبتا»، واستبقى الفتحة «يا أبتَ»، للدلالة على الألف المحذوفة، وأجازوا نداء الأم على شاكلة نداء الأب، فقالوا: «يا أمتَ» بفتح التاء وكسرها (٤)، ولم يجيزوا صيغة هذا النداء في غير الأب والأم، بمعنى أن هذا اللون من النداء محصور في نداء الأب والأم، ولم يرد في القرآن سوى نداء الأب «يا أبتِ» بكسر التاء في قراءة الجمهور، وبفتح التاء في قراءة ابن عامر اليحصبي مقرئ الشام.

زيادة حرف التاء في نداء الابن لأبيه (يا أبتِ) وتصغير: ابن (يا بني) في نداء الأب لابنه

والسؤال: لماذا جلبت التاء وحذفت ياء المتكلم في هذا النداء، مع أن ياء المتكلم هي الأصل في نداء الواحد لأبيه، إذ نقول «يا أبي» كما نقول «يا أخي - يا جاري- يا عمي...»، لكن النص القرآني عدل عن هذه الصيغة- وهي المستخدمة في النداء- إلى صيغة جديدة، وهي «يا أبت» فأتى بالتاء - وهي حرف طارئ- عوضًا عن الياء المحذوفة، فما السر في ذلك، وما الفرق - إن وجد- بين قولنا «يا أبي» و«يا أبت»، وهل هناك ملمح بلاغي ودلالة بيانية ومعنى إضافي تحمله لنا هذه الصيغة في هذا النداء؟

إن جوابي: بالإثبات وبنعم، فهناك فرق بين «يا أبت» وبين «يا أبي» فرق في دلالة الخطاب، وفي الحالة الشعورية والنفسية للمتكلم، يكشف عنها سياق الآيات، فإذا تدبرنا هذه الآيات فسوف نجد أن السياق يستدعي موقفًا شعوريًا وإحساسًا عاطفيًا وتحببًا وإشفاقًا من الابن على أبيه، لا تمثله صيغة «يا أبي» التي تستخدم في النداء العادي، ولمختلف الناس ممن نناديهم بمقدار ما تمثله صيغة «يا أبت»، فإبراهيم عليه السلام يبدي خوفًا وإشفاقًا على أبيه من أن يمسه عذاب من الرحمن، ومن ولاية الشيطان ومن خطيئة عبادة الأصنام، وقد صرحت إحدى الآيات - على لسانه- بتخوفه على أبيه وحدبه عليه: ﴿يا أبتِ إني أخاف أن

* كاتب وأكاديمي فلسطيني



ت ت

يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليًا﴾، ويوسف في طفولته ينادي أباه في حبور وبهجة وسرور، ليخبره بما رأى في منامه، فالنداء في هذه الآية يحمل معنى التحبب والتودد، وكذلك نداء إسماعيل لأبيه ينطوي على معنى الطاعة والانصياع لأمر الله سبحانه، كما يحمل معنى الشعور بالصبر، وحث الأب على الاستجابة لنداء السماء، وابنة شعيب في خطابها ﴿يا أبتِ استأجره﴾تستثير في الشيخ الكبير عاطفة الأبوة، والشفقة والحنان للاستجابة لطلبها، والله أعلم.

ولعل ما يقوي ما ذهبنا إليه قراءة ابن عامر وهي: ﴿يا أبتَ﴾ بفتح التاء، إذ الأصل «يا أبتا»، وهذه الصيغة تذكرنا بصيغة أخرى من صيغ النداء تسمى «الندبة» تأتي للتفجع والتوجع، وصيغته «وازيداه» حيث تزاد الألف والهاء على المنادى العام، ولو أراد الواحد منا نداء الأب في سياق الندبة فينبغي أن يقول: «وا أبتاه» فيجلب التاء حتى لا يقول «وا أباه»، لأن صيغة هذا النداء تنصرف إلى الغائب، والمفروض أن تنصرف إلى ضمير المخاطب، ولا يصحّ نداء المخاطب إلا بزيادة حرف التاء، ومن هنا لازمت التاء نداء الأب: «يا أبتِ»، للتحبب والإشفاق واستثارة العاطفة الأبوية، والله أعلم.

ولعلنا لم نبالغ عندما قلنا إن نداء الابن لأبيه قام على صيغة «يا أبت»، وقلنا إنها للتحبب، كما أن نداء الأب لأبنه – في النص القرآني تحديدًا- قام علىصيغة أخرى، للعطف والتحبب والشفقة أيضًا، وذلك بتصغير «ابن»، في النداء، وقد يأتي التصغير للتحبب كما تشير إلى ذلك كتب النحو، فقوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿يا بُنيّ اركب معنا﴾ (هود: ٤٢)، وقول يعقوب لابنه يوسف: ﴿يا بُنيّ لا تقصص رؤياك على إخوتك﴾ (يوسف: ٥)، وقول لقمان لابنه ﴿يا بُنيّ لا تشرك بالله﴾ (لقمان: ١٣)، وقوله: ﴿يا بُنيّ إنها إن تك مثقال حبة من خردل﴾ (لقمان: ١٦)، وقول إبراهيم لابنه إسماعيل: ﴿يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك﴾ (الصافات: ١٠٢).

ففي هاتين الصيغتين من النداء يتجلى الأدب القرآني والخلق الكريم القويم في كيفية خطاب الابن لأبيه وفي خطاب الأب لبنيه، ولعل في ذلك عبرة وعظة ودروسًا في التربية والأخلاق والقيم، لنا جميعا من آباء وأبناء، ولمن ألقى السمع وهو شهيد.

الهوامش

١- النسفي: تفسير النسفي ج٢ ص ٢١١، ج٣ ص ٣٦.
٢-ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ج٣ ص ٢٧٦.
٣- تفسير النسفي: (الموضعان السابقان).
٤- شرح ابن عقيل: (الموضع السابق).

ثمرات المطابع



الاختلاف

رسالة موجزة وتأصيل منهجي لمعاني الاختلاف يقدم من خلالها المؤلف أحمد القزعل توضيحًا عمليًا يميز من خلاله الاختلاف المشروع من الاختلاف المذموم، تقع الرسالة في حوالي ٥٠ صفحة من القطع الصغير.

الإسلام وقضايا العصر



هذا الكتاب يتعلق بموضوع بالغ السعة والشمول تناول فيه المؤلفان د.بدر عبدالرزاق الماص والاستاذ د. يحيى سالم الصالح قضايا عصرية من منظور إسلامي مثل قضية التقاليد والعادات وقضية الانحرافات الخلقية وقضية العلمانية، وقضية المرأة وغيرها كل ذلك بأسلوب مبسط من خلال هذا الكتاب الذي يقع في حوالي ٢٢٤ صفحة من القطع المتوسط.

سفينة الخير الكويتية وعطاؤها بين موانئ النكبات

في مجلد واحد يضم في ثناياه ٩٠٠ صفحة من القطع الكبير صدر هذا الكتاب عن اللجنة الشعبية لجمع التبرعات في الكويت، وهو من تأليف د.عبدالمحسن الجارالله الخرافي، وهذا الكتاب سفر موثق للمسيرة العطرة للجنة الشعبية الكويتية لجمع التبرعات منذ انشائها وحتى توقف جمع التبرعات في اكتوبر ٢٠٠٤م، كما يوثق أسماء أهل الخير الذين وضعوا كل ثقتهم في هذه اللجنة والجهات والبلدان الاجنبية التي قدمت لها اللجنة مساعدات أو أقامت فيها مشروعات خيرية.



عكاكيز



عبدالصمد الإدريسي

لا يقلق «عمر الحداد» شيء كما تقلقه حالته الخاصة التي لم يعد يطيق الظهور بها أمام الناس، إنه معاق لا يتحرك إلا بعكازين اثنين يتبعانه كما يتبعه ظله.. هذا أمر عادي فمئات من الناس أمثاله.. لكن ما يزعجه هو أنه ليس الوحيد في بيته.. إن ولديه معا يعانيان مما يعاني منه.. لكن هذه المرارة أيضا استساغها منذ مدة ولم يعد يشعر بحرج مع مرور الوقت، بل سلم لقضاء الله وواسى نفسه بأن المؤمن مبتلى، وأن السعادة في الدنيا شيء آخر قد يتجاوز البدن، وأن القناعة كنز لا يفنى.

لِمَ القلق وهذا أمر وراثي، كتب عليه وعلى أبنائه، ولم تنفع عقاقير الأطباء ولا جراحة الجراحين في إخراج هذا الداء الذي يسكنه، وإنقاذ أبنائه معه من مرض يكمن متربصا في أبدانهم الصغيرة في سنواتهم الأولى، ثم لا يلبث أن يفعل فعله فيعيقهم عن المشي بعد سنوات قليلة، هاهو مسلم للقضاء، راض بنصيبه، فما الذي يقلقه إذن؟

إن الذي لا يحتمله «عمر الحداد» ولا يبعث في نفسه الارتياح هو حين يرافقه أبناؤه لضرورة ما، أو يتمشون جميعا في الشارع بعكاكيزهم، إن الأمر يبدو كما لو كان جوقة من نوع خاص لها وقع لا يستقيم ميزانه، فيكون المشهد مثيرا للانتباه ولمشاعر أخرى، والنظرات التي يقرأها في عيون الناس من حوله، وإن كان يعلم علم اليقين أنها مشاعر إشفاق ودعاء، يتمنى معها لو أن له نفقا في الأرض أو سلما في السماء يمرون منه حتى لا تراهم أعين الفضول، إنه يحس بعيون الناس ونظراتهم كأنها تتنصب له في الأرض وتوشك أن تشل خطاه، لا.. ليس هذا فقط، إنها تشعره في نفسه بشيء من الضعف أمام أولاده لا يعرف كنهه ولا تفسيره، بل الحق أنه يتمنى في بعض الأحيان لو لم يتعامل الناس معه بشيء من التفضيل أو يعطونه حق الأسبقية في المصالح والإدارات أو يعطف عليه أحدهم هنا أو هناك.

> **هاهو عمر الحداد يصنع آلة تشبه السيارة لكنها رفعت الحرج الذي تشعره به العكاكيز الستة**

في المرة الأخيرة في «البلدية» ما إن دخل حتى قدمه أحدهم، وسمع بعض التمتمات وهو يجتاز الصف الطويل الذي ينتظر الناس فيه دورهم، لم يلتفت ليرى من هذا اللئيم الذي ضاقت به نفسه، فقد رد عليه أحدهم:

حرام عليك والله.. هذا «مخصوص».. احمد ربك على الصحة والعافية.

كلنا «مخصوصون».. المشكل يا سيدي في البلدية، لماذا لم تعمل مكانا خاصًا بـ«المخصوصين»؟

ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.. نحن مسلمون.

علا الضجيج وحوقل من حوقل واسترجع من استرجع، وخرج «عمر» وقد قضى حاجته، ثم أرسل زفرة طويلة أتبعها لازمته المعتادة: «اللهم إني أسألك العفاف والكفاف والغنى عن الناس».

سار يعبر الطريق تختلط في سمعه بقايا كلام الناس مع منبهات السيارات المارقة أمامه، وكاد أن ينقلب على ظهره وهو يتراجع من الشارع اتقاء لسيارة مجنونة.. سال بعض من لعاب أمانيه، تذكر أن لا طاقة له بسيارة تقله هو وأولاده، إن دخله من ورشة الحدادة التي يمتلكها لا يكاد يكفي احتياجاته اليومية، فكر في العكاكيز الستة في بيته، ثم خطرت له فكرة ابتسم لها في نشوة ومضى يعبر الشارع كأنما حيزت له الدنيا كلها.

انقلبت نفسية «عمر الحداد» رأسا على عقب منذ خطرت له الفكرة، ورفرفت الابتسامة على محياه، وهو يرى مشروعه الصغير يوشك أن يكتمل، وخبرته في الحدادة جعلته يصنع حلمه بيده، فاعتكف يشتغل، ثم يفكر ويعمل، ثم يعدل ويضيف ويجرب، واحتاج أن يذهب إلى مركز لقطع الغيار المستعملة، فساعده صاحبه بما استطاع ولم يأخذ منه شيئا، ثم استدعى أحد التقنيين من معارفه فلم يبخل عليه بخبرته، واكتشف أن القدر مازال يبتسم له.

فرك يديه من النشوة وهو يرى جهده يثمر يانعا، وصرخ صرخة مدوية أوشكت أن تهد أركان ورشته المتهرئة، ثم رقص في خفة كبهلوان يقلد أعرج، نادى ولديه وزوجته لحضور هذا الحفل الخاص الذي يوقن أنه لا يعدله أي حفل آخر من حفلات الدنيا، وسادت لحظة صمت وترقب، ثم..

ثم أدار المحرك، فزفر زفرة كأنما

- باحث مغربي



نفثها شيطان مريد، انطلقت على إثرها هذه الآلة العجيبة تذرع الشارع، وصاحبها لا يكاد يصدق أنه من فعلها، والتفت إلى ولديه من خلفه وقد ضاق بهما الفضاء من فرط الفرح والدهشة، ثم أطل عليه ابنه من خلفه وهو يشده من كتفه:

لا عكاكيز بعد اليوم يا أبي..

قال وهو يزيد من السرعة:

ولا نظرات تلاحقنا في الحل والترحال يا بني.. هذا حلمي الذي كبر معكما فكان ثالث أبنائي.

وطارت دمعته مع رياح السرعة في الهواء، وهو يدخل الشارع الرئيسي في المدينة، ولاحظ عيون الدهشة والإعجاب تشيعه وهو على آلته الهجينة التي لا يُعرف لها اسم، فهي خليط بين رأس دراجة نارية وذيل سيارة كلاسيكية بالية، لم تكن تصلح لشيء، جَمّلَها «عمر» بحذقه وبراعته، وصاغها من معاناته وجهده، وصبغها بماء أمانيه وحلمه، فلست تستطيع تحديد جنسها ولا شكلها من بعيد مهما كان نظرك حديدا، وما يهمه من شكلها أو جنسها وقد رفعت عنه الحرج الذي تشعره به العكاكيز الستة؟

كان يخترق الشوارع لا يعبأ بمن حوله، كأنه محمول على شعاع من خيال، وأنفه الصغير يعوزه عن استنشاق كل هذا الهواء العليل، يود لو طالت أنفاسه لا تنقطع.. من قال إن الحياة لا تستحق أن تعاش؟! ألا فلتطل الشوارع ما شاء لها أن تطول، وليحملق فيه من أراد من أصحاب العيون الكبيرة والغائرة، هاهو يمشي في وسط الشارع كغيره من أصحاب السيارات، ومن حين لحين يقف مزهوا ليستقبل تهاني بعض من يعرفونه في الشارع، فلا يكاد يقف حتى يتحلق الناس حوله ما بين مهنئ ومستطلع وضاحك، ثم لا يستسلم لهم قليلا، حتى يدير مفتاح المحرك ويدعهم في دهشتهم يعمهون.



ما هذا؟

إنه لم يخطئ في حق أحد في الشارع، ولم يجتز الإشارة الحمراء، فما لهذا الذي أمامه يستوقفه ويأمره بالتنحي جانب الطريق؟

ركن آلته العجيبة إلى جانب الطريق، ثم نزل من السيارة التي وقفت أمامه رجل طويل القامة فخم المنظر.. فجاءه في موكب من الغموض والحيرة، قال وعيناه محجوبتان بنظارة سوداء:

أهلا «سي عمر» مبروك ال...

رد ومشاعر من الزهو والخوف تتجاذبه:

الله يبارك فيك.. هذا حلمي تحقق.

ما اسم هذا ال... المولود الجديد؟

هههههه.. لم نسمه بعد.. هذا يومه الأول.

عندك رخصة؟ أو أي وثيقة خاصة به؟

لا.. لا.. قلت هذا يومه الأول.

وكيف تخرج به دون رخصة؟

ثم قبل أن يجيب استطرد الرجل:

أنا أمامك اتبعني.

طافت سحابة من الهم والضيق في جو «عمر الحداد» وأدار مفتاح المحرك بيد مرتعشة، وعيناه تغرقان في الدموع.. لقد ظن أن معاناته انتهت، وأن القدر ابتسم له.. ولحظه الهزيل هذه المرة على الأقل.. لكن الدنيا غدارة بالفعل.. لم تمهله حتى ساعة من نهار.. إنه لم يعرف أي نوع من المتابعة من قبل، حتى قاد نفسه برجليه إليها.. يا لغبائه، لِمَ لمْ يستعطف الرجل ليعفو عنه؟ إنها غلطته الأولى؟ آه.. من عكازي الحبيبين!! القناعة..ثم القناعة..

أوقف المحرك وسحب عكازيه من خلف الآلة العجيبة، ثم تبع الرجل بعد أن نزل من سيارته أمام بناية أنيقة.. دخل تسبقه تمتماته، وترك ابنيه في الخارج يقطر قلبهما حيرة وفزعا.

جلس في الكرسي أمامه، وفكر أن يتوسل إليه قبل أن يسجل في حقه محضرا هو بريء منه، أو على الأقل لا قصد له فيما يتضمنه، ثم ابتدره الرجل فجأة بالحديث وهو ينزع نظارته ويقول مبتسما:

أتعرف لماذا أنت هنا؟

والله العظيم.. لا علم لي.. إن الحيرة تكاد تقتلني.. ولم أفهم ما قصة الأوراق التي تحدثت عنها.

ههههه.. صحيح.. أنت لا تعرف ماذا ارتكبت من حماقة.. لكني سأوضح لك لماذا جئت بك؟

لماذا يا سيدي؟

أنا مسؤول قسم الاختراعات والإبداع.

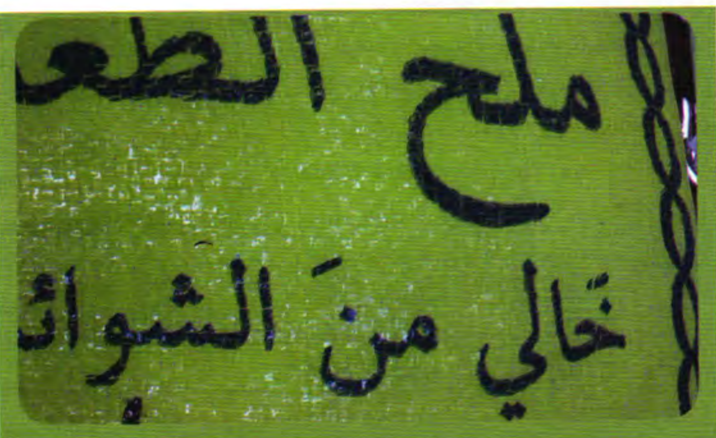
ثم أقبل نحوه ووضع يديه على كتفيه وأضاف:

أحييك أولا على عصاميتك وجهدك، وحتى لا يضيع حقك، يجب أن تسجل براءة اختراع لإبداعك العظيم.. أنت مبدع حقا!

صَوابٌ مَهْجُورٌ

تصوير ونص: حياة الياقوت

قيل قديمًا «خطأ مشهور، خير من صواب مهجور». وإذا كان المعيار هو الشهرة، ألم يأن للصواب أن يكون مشهورا ومعمولا به؟ في هذه الزاوية، نقبض على خطأ لغوي مشهور سوّل له إهمالنا أو جهلنا أن يظهر على اللافتات أو المنتجات أو في وسائل الإعلام. هذا، لننبّه وننوّه ونصحّح، لا لنفضح. ليكون الصواب هو المشهور والمجهور، وليستقيم درب لساننا العربي.



أنقذوا خاله!

الخطأ: خالي من الشوائب.

الصواب: خالٍ من الشوائب.

هذا من الأخطاء الطريفة، إذ إن كتابته هكذا تعني أن خال المنتجين (أخو والدتهم) ذو شوائب. والصحيح هو كتابة «خالٍ» بحذف الياء واستعمال تنوين الكسر عوضا عنها لأنه من الأسماء المنقوصة.

والاسم المنقوص أي اسم في نهايته ياء مكسور ما قبلها، شريطة أن تكون غير مشددة. فـ«محامٍ» و«قاضٍ» من الأسماء المنقوصة، بينما «أمانيّ» و«عربيّ» ليسا كذلك لأن الياء مشدّدة.

وياء الاسم المنقوص تحذف في كل الأحوال ويوضع تنوين كسر بدلا عنها، ويستثنى من هذا حالات:

١- إذا دخلت أل التعريف على الاسم، فنقول «الراعي» وليس «الراع».

٢- في حالة النصب، فنقول رأيت الجانيَ وليس «الجان».

٣- في حالة الإضافة، فنقول ساعي البريد وليس «ساع البريد».



هكذا تنبت التنبيهات

الخطأ: تنبية

الصواب: تنبيه

طبعا يمكن أن نجد منفذا لغويا لمن كتب هذا الملصق، وهي بأن نفترض أنه يقصد أن يقول «تنبيت»، فربما كان يريد التكلم عن تنبيت الحبوب مثلا أي إنباتها. لكن وبالنظر على بقية الملصق، نكتشف الحقيقة المؤسفة.

الخلط بين الهاء في نهاية الكلمة والتاء المربوطة شائع بشكل شنيع، ومع ذلك فطريقة التفرقة بينهما سهلة إلى حد الإبهار. ما عليك إلا أن تحاول وضع تنوين على الكلمة وتنطقها. جربْ أن تنوّن «مياه» و«تنبيه» و«وجوه» وستجد نفسك تقول «مياهُن» و«تنبيهُن» و«وجوهُن»! حاول الآن أن تنوّن «نجاة» «مقالة» و«قطة»، وستجد أنها «نجاتُن» و«مقالتُن» و«قطتُن».

باحثة كويتية



رمضان.. شهر الخير والبر والنصر



في استقبال شهر رمضان العظيم

عبدالغني أحمد ناجي *

الشهر عاد بموكب الرحمات
فاستقبلوه بخالص التوبات
رمضان عاد تحفنا أنواره
رمضان عاد بعاطر النفحات
في كل عام عودة ميمونة
أنوارها قدسية الهالات
شهر يعود كأنه فجر تلأ
لأ نوره في حالك الظلمات
يأتي بخير ما رأيت نظيره
تنداح فيه مهابط البركات
فقيامه غفران ذنب الصائمي
ن التائبين، ورافع الدرجات
فالصوم طب للنفوس وبلسم
ومعود الإحسان في الكربات
هو صانع صلب الإرادة عندما
ندع الطعام وسائر الشهوات
هو موقظ لضميرنا ومعلم
حسن السلوك وصالح العادات
من ثم قال نبينا وحبيبنا
صوموا تصحوا من أذى الآفات
ما أروع الفطر الموحد جمعنا
عند الغروب على اختلاف جهات
ما أروع الشهر الفضيل بليلة
هي في الزمان تفاخر السنوات
قد أنزل القرآن فيها هاديًا
أعظم بهذا الهدي في الآيات
الله شرف قدرها فكأنها
بين الشهور مليكة الأوقات
ما أسعد المرء الذي يسعى لها
في الوتر بالإخلاص والصلوات
رمضان عاد مذكرًا بمواقف
للمسلمين تجاه كل طغاة
«بدر» تذكر بانتصار جدودنا
في غزوة هي أروع الغزوات
يوم التقاء المسلمين وجمعهم
لا يعدل الكفار في القوات
المسلمون سلاحهم إيمانهم
إيمانهم أقوى من العدات
في الشهر كان الفتح ميمون الخطا
غفل القلوب تفتحت لهداة
في مكة جمع النبي خصومه
بعد انتصار الحق في الجولات
أضحى القوي وقد عفا عن جرمهم
والعفو أروع في حمى القدرات
ليت الصيام يردنا لفضيلة
ويعيدنا لتآلف وثبات
حتى يكون الصف صف أخوة
لا غل ينخر أو بغيض شتات
ليت القلوب تضم خير مودة
في ظل صوم باعث الرحمات
ليت اللسان يعف عند تفوه
حتى يكون اللفظ كالزهرات
ليت الضمائر لا تنام فنومها
سبب الفساد ومبعث العلات
ليت الأيادي يستمر سخاؤها
نحو الفقير بوافر الصدقات
ليت العيون تعف عن نظراتها
لمحرم وخباءة السوءات
ليت الصفاء يرف بين جموعنا
إن الصفاء دعامة الخيرات
هذا الذي نرجوه بعد صيامنا
وقيامنا، وزكاتنا، وصلاة
خير الثمار من العبادة منهج
تصحو به الأخلاق بعد سبات
حتى يصير الناس مثل ملائك
يتفيأون الظل طيب حياة
ندعوك يا رب الصيام وشهره
أن تغفر الآثام والزلات
فاجعل ثواب صيامنا وقيامنا
يوم الحساب الخلد في الجنات

* شاعر مصري

قراءة في دفتر قديم

أمالي شيخ العربية أبي فهر محمود أحمد شاكر رحمه الله قيَّدها بخط يده تلميذه الدكتور يعقوب يوسف الغنيم

التحرير

التعريف بفنّ الأمالي

الأمالي عبارة عن مجالس علمية، تتكوّن من شيخ هو المُملي (المتحدّث بالفوائد والنُّكت العلمية)، وتلميذ هو المستملي (أي طالب الإملاء).

والعادة أنّ كتب الأمالي متنوعةٌ بحسب موضوع الدروس التي يُطلب لها الإملاء، فقد يكون موضوعها شرحًا لكلام العرب وحكمائهم وشعرائهم وخطبائهم، مقرونة بفنون النقد والموازنة، وأطراف من غريب اللغة ونادرها، وطائفة من قصص العرب وكلام الأعراب في باديتهم، بالإضافة إلى بعض مسائل العربية والتاريخ، وقد تكون الأمالي موضوعة لفن التفسير أو الحديث وغير ذلك.

ومن كتب الأمالي على سبيل المثال: أمالي القالي، أمالي ثعلب، أمالي المرزوقي، الأمالي لابن البرِّي، الأمالي للزجاجي... وغيرها.

وكتابنا الذي نعرّف به يندرج في الأمالي الأدبية، لأنه تناول بالتفصيل ما جرى في مجالس شرح كتاب الأصمعيات.

حكايةُ هذا السِّفر (قراءةٌ في دفتر قديم)

ترجع حكاية هذه التقييدات النفيسة البالغة الأهمية إلى ما يزيد على نصف قرن من الزمان، حيث بدأ الأستاذ الدكتور يعقوب الغنيم كتابتها عام ١٩٥٧م في أوراقه الخاصّة ودفاتره الشخصية، بعد أن يسّر الله له المعرفة بشيخ العربية العلامة محمود شاكر رحمه الله، وأنعم الله عليه بموافقة شيخه على عقْد لقاء علميّ يجمعه بعصبة صالحة من مُحبّي الأدب والعربية، يشرح لهم فيها كتاب الأصمعيات، للإمام الحافظ أبي سعيد عبدالملك بن قريب الأصمعي البصري اللغوي الإخباريّ العلامة، وهي مختاراتٌ شعريةٌ عظيمةُ الوقْع على قلوب المتخصصين من أهل اللغة والأدب، واختيارُ تلاميذ شاكر لكتابِ الأصمعيات أو اختيار شيخهم له دليلٌ على مدى العمق الأدبيّ والثراء اللّغويّ الذي اكتنف تلك الفترة الزمنية (فترة الخمسينيات)، ممّا جعل أهل ذلك الزمن ممّن تعبوا في تكوين أنفسهم ولا يزالون على قيد الحياة اليوم، هم مشاعل العلم والمعرفة في يومنا الحاضر، وحريٌّ بمن أراد بعث المعرفة العربية، وأن يوقد جذوتها أن يستنير بهم ويتعلّم من خبراتهم.

ومن رحمة الله تعالى وألطافه بالكاتب المقيِّد لهذه الكنوز اللغوية والفوائد والنُّكت العربية أن هيّأ له صحبة نافعةً وعقلًا حاضرًا وفهمًا نقّاذًا وطبيعةً عربية تحبّ التغرّب وتفرح بالتميّز، دلّته- وهو في مقتبل عمره- على السّبيل السوية في طلب العلم، وشدّت أزره بشيخ العربية أبي فهْر، سيّد الأدب وعبقريّ زمانه فيها، وهذا ما جعل لهذه الأماليّ وزنًا وحضورًا عند مَن يعرف قيمة الأشياء، ويُقوّم الجهد الشاق الذي يلزم لتحصيلها وتهذيبها.

د. يعقوب يوسف الغنيم

قراءةٌ في دفترٍ قديم

من مجالس العلامة أبي فهر محمود محمد شاكر

عمل الدكتور الغنيم

حاول الأستاذ أن يغتنم لحظاته مع شيخه، وفي الوقت نفسه كان حريصًا على التقييد والمتابعة لما يدور في مجلس شيخه الحافل بالفوائد ذات اليمين وذات الشمال، ولأن هيبة شيخه كانت تمنعه من أن يستوقفه أو يقطع على السامعين لذة المتابعة، أخذ على نفسه أن يكون حاضر البال قدر استطاعته، وهذا ما جعله يُسجل ما جرى في تلك المجالس العامرة، ولم يترك شاردة ولا واردة إلا قيَّدها، ساعده على ذلك فيما يظهر سرعةٌ في الكتابة ودقةٌ في النقل واطّلاعٌ أدبيّ وافر، وقبل ذلك وبعده كان يعترف لشيخه بالفضل عليه بعد فضل الله تعالى، فيقول: «واليوم وبعد وفاة الرجل الذي علّمنا وفتح أمام أعيننا مجالات المعرفة بالثقافة العربية...»، وقد كتب عنه بعد رحيله مقالات راقية، تتمتع بحسٍّ أدبي فيّاض، ووفاء نادر لشيخه شاكر رحمة الله عليه.

وإنما يدرك مدى التعب والنصب الذي يهزّ مَن تحمّل هذه التَّبِعة العارفون بمشقة الطريق وقلة الصبر على لأوائه، على حدّ قول الحكيم:

لا يَعْرِفُ الشَّوْقَ إلاَّ مَنْ يُكَابِدُهُ
وَلا الصَّبَابَةَ إلاَّ مَنْ يُعَانِيهَا

هذا ومن باب الأمانة العلمية في هذه الأمالي، فقد أشار الأستاذ الدكتور يعقوب الغنيم إلى أنّ شرح أبي فهر للأصمعيات لم يستوعبها كلّها، بل كانت آخر قصيدة شرحها الأستاذ هي التاسعة والعشرون، لدُرَيْد بن الصمَّة، والتي يقول في مطلعها:

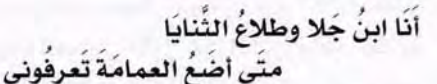
يَا راكبًا إمَّا عَرَضْتَ فبلِّغَنْ
أبا غالبٍ أنْ قَدْ ثأَرْنَا بغالبِ

وسبب انقطاع المجلس للظروف السياسية التي حفلت بها تلك المرحلة الزمنية.

نموذجان من القصائد المشروحة

القصيدة الأولى: لسُحَيْم بن وَثِيلٍ الرياحيّ، ومطلعها:




محمود شاكر


عبدالله الغنيم

أَنَا ابنُ جَلا وطلاعُ الثَّنايَا
متَى أضَعُ العمامَةَ تَعرفُوني

وعن عمل صاحب الكتاب فيها، فقد أشار الدكتور الغنيم إلى أن كتاب الأصمعيات مطبوع بتحقيق العلامة أحمد شاكر وعبدالسلام هارون، وذكر أنهما ترجما لشاعر القصيدة وبيّنا جوّها العام، وعدّدا مراجع القصيدة، وشَرَحا الأبيات، ومع ذلك فإنّ عمل العلامة أبي فهر كان أوسع من كل ذلك.

وهذا وصف للمجلس الأول من تلك المجالس العامرة:

بدأ الشيخ محمود شاكر بقراءة القصيدة مقسّما إياها إلى أقسام، ثم تحدث عن الشاعر سحيم بن وثيل الرياحي، ثم شرح الغالبَ الأعمَّ من مفردات القصيدة، وأوضح الخلاف الواقع في رواياتها، ثم بيّن معاني الأبيات في جملتها، وحدّد الساقط منها من الأصمعيات وذَكر مكان تخريجه.

وبعد انتهاء القصيدة عاد العلامة شاكر ليتحدث عنها وعن الشاعر باستفاضة، فأفاض في الحديث عن نسبه، ونشأته، وإسلامه، وسكنه بالكوفة، وحكاية مفاخرته بنحْر إبله.

ثم أورد أبوفهر بعض الفوائد المتعلقة بالألفاظ التي مرّت في القصيدة.

ولم يغبْ عن الشيخ أن يَذكر مقاطيع رُويت عن سحيم، والكتب التي نبّهتْ عليها.

كما لم يفُتْ الأستاذ الغنيم أن يلقي لقارئ كتابه فوائد أعزَّ من الذهب الإبريز، ومن ذلك مثلًا حديثه عن كتاب منتهى الطلب من أشعار العرب، وأنه من أحسن وأجمل ما وضع في بابه، وأنّ الشيخ شاكر كان كثير الاعتماد عليه، والاحتفاء به.

القصيدة الثانية: وهو قصيدةٌ من غير الأصمعيات للشاعر الأخطل، وهي من أعظم القصائد العربية المُطوّلة، ولو صلُح أن يُنتصر لها لكانت معلّقة لجمالها وقوة سبكها، ومطلعها:

خفَّ القطينُ فراحوا منكَ أو بكرُوا
وأزعجتهُمْ نوًى في صرفِها غيرُ

آخر الكتاب

من مزايا هذه التقييدات النافعة أن منشئها الدكتور الغنيم أضاف إليها بعض الزيادات الرائعة ممّا كان يتحفهم بها شيخه أبوفهر رحمه الله، ومن أجمل ما أثبته في سلْخ الكتاب، بعض المختارات الشعرية التي كان يطربهم بها الإمام الأديب شيخ العربية، وأبدعُ تلك المختارات أوّلُها، وهي لكُثيِّر عزّة، التي يقول في مطلعها:

خليليَّ هذا ربعُ عزَّة فاعقلا
قَلُوصيْكُما ثمّ ابكيا حيثُ حلَّت

وهذه المقطوعة الرقْراقة ذكر منها الغنيم في كتابه أبياتًا سبعة، والمذكورُ منها في الديوان أكثر وألذّ.

والحقّ أن هذا الكتاب جليل القدر، عظيم الفائدة، لا يملّ القارئ منه، ولا يشبع متتبعُ الفائدة من اقتناص نكته وشوارده.

المنَسِّق العام لبرامج معهد المخطوطات العربية فيصل الحفيان:

العلم العربي الإسلامي يمر بثلاث مراحل العطاء والمراوحة والتداعي

حوار: محمد عويس



فيصل عبدالسلام الحفيان، سوري، من مواليد مدينة حمص عام ١٩٥٩، شغل منصب مُنَسِّق برامج معهد المخطوطات العربية (المسؤول الأول عن المشروعات العلمية التي يتبنَّاها المعهد، وهي مشروعات بحثية متَخَصِّصة، وعلمية، وإعلامية)، والمعهد هو أحد الأجهزة المتخصِّصة التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليسكو- إحدى منظمات جامعة الدول العربية)، ويتولى رئاسة تحرير مجلة معهد المخطوطات العربية، ودورية أخبار التراث العربي، وخبير بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، بالإضافة إلى عضوية لجنة جائزة إحياء التراث المنبثقة عن إحدى لجان المجمع، ويتولى الإشراف العلمي على برنامج أكاديمي (علم المخطوطات وتحقيق النصوص) والذي ينفذه معهد البحوث والدراسات العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ويمنح بموجبه درجتي الماجستير والدكتوراه، فيصل الحفيان يرى ان تراثنا- وخاصة العلمي منه- هو وجهنا الذي يميزنا في عصر العولمة، وليس بإمكاننا العودة إلى الحياة إلا عن طريقه، إيمانًا به (لا سكنًا فيه) ونقدًا له (لا نقضًا) وانطلاقًا منه (لا وقوفًا عنده). مجلة (الوعي الإسلامي) التقت الحفيان، وكان هذا الحوار:

• برأيك.. ما إشكالات التراث العلمي؟

■ إشكالات التراث العلمي يمكننا تقسيمها إلى صنفين رئيسين: الأول، ذو طابع بنيوي، وله تجليات ثلاثة مرتبطة بعلميته ذاتها، وتاريخيته، ولغته، ومصطلحه، والثاني، خارجي ظرفي، ويندرج تحته أمران: محدودية تناسخ نصوصه، وخطورة التصحيف والتحريف عليه، كما أنه يوجد عنصر خارجي مهم، يتمثل في تلك الفجوة الزمنية الواسعة التي غاب فيها العلم العربي الإسلامي.

وبصورة أكثر تفصيلا يمكننا حصر أربعة إشكالات رئيسة يعاني منها التراث العلمي العربي، هي على الترتيب: الجهل به على مستويات عدة.. الأفراد، والمراكز الوطنية، والبيوتات، والمؤسسات الإقليمية، إن تراثنا عامة، والعلمي منه خاصة، مظلوم، واقع بين مطرقة أبنائه وسندان غرمائه، مبينًا أن هؤلاء وأولئك غافلون عن قضيتين مهمتين، الأولى هي أن العلم تراكمي بطبعه، وأن شيئًا لا يمكن أن يقوم على شيء، وأن ما خلفه العرب في ميدان العلم ستظل له على نحو ما قيمة، وسيبقى فيه شيء يؤخذ ويُفاد منه، ويُبنى عليه، ويُطور منه.

أما القضية الثانية فهي أن العلم كائن حي، ومعرفة مراحل نموه تفيد، وتُعطي العظة وتعلم الربط بين الأسباب والنتائج، وبذلك نتفادى المزالق، ونتعلم من التجارب. وإن الجهل بالمراحل التي مر بها هذا الكائن تؤدي إلى أن يُستغلق علينا، ومن ثم يتحول إلى لغز مستحيل الحل.

• وما التساؤلات التي يُثيرها التراث العلمي العربي؟

■ أربعة أسئلة واضحة، الأول هو سؤال المعرفة، وملخصه أننا لا نعرف حتى اليوم هذا التراث، وليست لدينا خريطة واضحة له، أما السؤال الثاني فهو سؤال النشر، فالنشر الذي يتناول التراث العلمي العربي هو نشر عشوائي واعتباطي، والجهود التي تمت في هذا المجال هي جهود جزئية، غير مدروسة، وانتقائية ، اما السؤال الثالث هو سؤال القراءة، فهناك القراءة الافتخارية للتراث، وهي نوع من أنواع القراءات الانهزامية التي تُخلي ساحة الفعل،

وتهرب إلى تهويمات الحلم، أما النوع الثاني من القراءة فهو القراءة الناقضة، أي الهدامة، وهي قراءة تقف في مواجهة الأولى، وتزيد عليها سوءًا، لأنها ليست مجرد انهزام وسلب، ولكنها تعدٍّ وهدم. بينما يوجد التساؤل الرابع والأخير هو الخطاب أو المثاقفة، ومعرفة كيفية عرض صورتنا، وتوصيل صوتنا، من خلال تراثنا العلمي.

• ما واجبنا حال التعامل مع تراثنا العلمي؟

■ من المهم أن نتذكر ونحن نتعامل مع تراثنا العلمي خصوصًا، وتراثنا عمومًا، أنه قد حان الوقت لكي ننتقل من مرحلة العمل الجزئي إلى مرحلة العمل الكلي. بدون أن نغفل المراحل الزمنية لغروب العلم العربي إذ إن العلم العربي الإسلامي مر بثلاث مراحل، الأولى هي مرحلة الألق (العطاء)، والثانية هي الغروب (المراوحة)، والثالثة هي العَتمة (التداعي)، ومازالت الأخيرة قائمة. ولا خلاف على خطر المرحلة الأولى في تاريخ العلم الإنساني، كما أنه لا خلاف على أن الأخيرة هي حقًا تداع وانهيار، فقد كان التداعي لافتًا، علىً رغم مقدماته، والنذر التي سبقته، أما المرحلة الثانية، ثمرة الأولى وحاضنة الثالثة، فمُستخفية، ولا تزال، ذلك أنها اصطبغت بصبغة المراوحة، والمراوحة حركة، لكنها حركة توازي السكون، لأنها توهم بالانتقال، وليست في الحقيقة كذلك، وهذا الوهم هو بوابة الاستخفاء والالتباس، سواء على صاحب الحركة نفسه أم على المراقب له. فهي تؤدي إلى نوع من الذهول، ليس الذهول عن التقدم فحسب، ولكنه الذهول عن الذهول، وهو ما يستدعي صورة ذلك التصنيف القديم للجهل، فثمة جاهل، وثمة جاهل يجهل أنه جاهل، فحالة المراوغة كانت نوعًا من الجهل بالجهالة. كما أن الصدمات المتتالية لم تفلح في إعادة الوعي إلى العقل الذي ذُهل عن أنه ذاهل، فظلت عوامل النخر والسوس ترعى في بنيته إلى أن أتت عليه، وكان لابد أن يتداعى البنيان ويسقط. أما أولئك الذين التبس عليهم الأمر، فرأوا في «الغروب» حركة لا تختلف عن حركة «الألق»، فلم ينتبهوا إلى أن الحركة مجردة لا قيمة لها، كما أن قيمتها إنما هي بما تثمره من انتقال وتقدم، هذا إضافة إلى أن ثمة فرقًا جوهريًا بين الحركة الصاعدة، والحركة الهابطة، الحركة إلى الأمام، والحركة إلى الخلف.

صحيح البخاري من أفضل الكتب خدمة لسنة الرسول ﷺ والمشككون دعاة شهرة

• هل يمكن ان يتكلم العلم بالعربية مرة أخرى؟

■ الإجابة على هذا السؤال تجسدت في تظاهرة أقيمت في القاهرة عام ٢٠٠٣ بعنوان «عندما تكلم العلم بالعربية» حيث شدّدت على أن استشراف المستقبل لا يتحقق من دون أساس من الأمس، الأمس الذي يعطي القوة ويمنح الدافع. فالماضي والمستقبل إذن وجهان لعملة واحدة، والسؤال بصيغة المستقبل لا ينفي أن نتحدث عن الماضي، وهذه العناصر تمثلت في مجموعة من المحاور التي اعتمدت عليها التظاهرة، ومنها المعارض الثابتة والمتنقلة، والتي تم تقديمها بأكثر من لغة عن التنويعات الحضارية، والتراث العلمي العربي. وقد شارك في الاحتفالية الأطفال والشباب على حد سواء، فجرى إطلاق «حافلة علوم» التي جابت شوارع القاهرة وحطت رحالها أمام المدارس، واستثارت الطلبة في مجال الرياضيات من خلال تراث الفنون الزخرفية الإسلامية. وإلى جانب الهندسة والنجوم والكواكب وألعاب الضوء، أقيمت ورش عمل لتعليم مبادئ العزف على العود، ولقاءات للتعريف بهذه الآلة الموسيقية العربية الأصيلة، والتعريف بالمخطوط، والحديقة العربية، والعلم والموسيقى والشعر العربي.

• وهل هناك منهج مرتبط بتحقيقه؟

■ يمكننا اتباع منهج خاص بتحقيق التراث العلمي، ولكن هذا المنهج لا يمكن أن يكون شيئًا أصم، أو ساذجًا للحد الذي يجعل منه خطوات آلية تصلح لجميع النصوص بمستوياتها وموضوعاتها وانتماءاتها المختلفة، فالتحقيق عملية عقلية شديدة التركيب، يتعامل فيها عقل ما مع نتاج عقل آخر، وعليه أن يستنبطه، ويدخل في تلافيفه، وهو في جوهره مرتبط بثلاثة أمور: المحقق (انتسابه وتكوينه)، والنص (ذاته ومشكلاته)، ومكتبة النص، أي مصادره السابقة، وامتداداته اللاحقة؛ ينابيعه وروافده من ناحية، ومصابه من ناحية ثانية. وهذه الأمور يتجلى فيها المنهج الحق في خدمة النص التراثي العلمي. وأود أن أضيف ان قضية البحث عن منهج خاص بتحقيق التراث العلمي لا تزال تحتاج إلى كثير من التنظير الذي يضع في حسبانه طبيعة نصوصه وملامحها.

• وما دور المحقق هنا؟

■ في رأيي أن المحقق هو المتخصص في العلم الحديث، والدارس للعلم القديم وتاريخه معًا، فلابد إذن من أن تنصرف فئة من الذين درسوا العلوم الحديثة إلى تاريخ هذه العلوم. وبذلك يمكن الجمع بين أمرين: فهم العلم القديم الفهم الحق، وإدراك العلاقات بينه وبين العلم الحديث. فهم وإدراك يكشفان الحركة الداخلية للعلم عبر الزمان، ويحققان الربط بين المستور والمرئي.

أوزبكستان.. قراءة في آلية تطوير مؤسسات المجتمع المدني

علاء فاروق



أوزبكستان دولة ذات حضارة قديمة، وعضو نشط وفعال في الكثير من المؤسسات الدولية الكبرى مثل: الأمم المتحدة، منظمة شنغهاي للتعاون، منظمة المجتمع الاقتصادي، منظمة معاهدة الأمن الجماعي، منظمة المؤتمر الإسلامي، والكثير من المؤسسات المالية والاقتصادية الدولية، مما يؤكد أهميتها وريادتها في المنطقة.

نجحت أوزبكستان خلال الفترة القصيرة الماضية- (فترة الاستقلال) وهي قصيرة بالمعايير التاريخية- في وضع نفسها على الخريطة الدولية، وأصبحت دولة ذات تأثير واضح في المنطقة.

وساعد على تَبَوُّء هذه المكانة الدولية نجاحُ هذه الدولة الفتية في التجديد الديموقراطي للمجتمع، والإصلاح الأساسي للاقتصاد والعلاقات الاجتماعية، وهي تجتاز الآن بثقة مرحلة انتقالية لتصبح متكاملة مع المجتمع العالمي، وتحقق تطورًا اقتصاديًا كبيرًا وثابتًا.

كلمة الرئيس.. قراءة وتعليق

وأخيرًا، ألقى الرئيس الأوزبكي، إسلام كريموف، كلمة في الجلسة المشتركة للمجلس التشريعي ومجلس الشيوخ (برلمان) لجمهورية أوزبكستان، التي عقدت في ١٢ من نوفمبر ٢٠١٠، أعلن فيها عن حزْمة إصلاحات ينوي تنفيذها، كي تسير بلاده على طريق الديموقراطية وتحديث البلاد.

ومثّلت الكلمة خريطة طريق واضحة المعالم، فاشتملت على خَطّين رئيسين، الأول: تقييم الفترة الماضية، والثاني: وضع رؤى استشرافية للفترة القادمة، وبين التقييم والرؤية الاستشرافية كان الهدف واضحًا، وهو إصلاح وتحديث أوزبكستان، للوصول لنموذج «الدولة الديموقراطية الحقوقية المنفتحة»، والتي يعد الإنسان فيها هو القيمة الكبرى مع مصالحه وحريته وحقوقه.

وأهم ما تناولته الكلمة- من وجهة نظري- التأكيد المستمر في خطابات الرئيس على نظرية النقد الذاتي، والتفكير النقدي عند التطرق لما تم إنجازه في الماضي، وتقييم كل مرحلة- ويحدث ذلك غالبًا كل عام- وهو ما لا يجعله يشعر بنشوة الإنجاز متناسيًا ما طرأ خلال المرحلة من إخفاقات أو سلبيات، سواء من الأداء الحكومي أو البرلماني، وهو ما يبني عليه نظرته الاستشرافية، من تجنب مثل هذه السلبيات أو الإخفاقات. وكان الرئيس في هذا واضحًا في خطابه، بل انتقد بعض الأمور خلال تقييمه للفترة الماضية.

ومن الأمور المهمة التي تناولها الرئيس في كلمته أيضًا التأكيد على الخصوصية الأوزبكية، والتي تمثلت في اختيار بلاده للنموذج الأوزبكي الخاص بها للتطور، وعدم استيراد نموذج آخر ربما يصطدم بالبيئة الأوزبكية، أو يلجأ لعلاج المشكلات والقضايا بنظرية «الصدمة»، وهذا ما رفضته البلاد منذ استقلالها حتى عند تعاملها مع أصعب الأزمات، ومنها الأزمة المالية العالمية، واعتماده النموذج «الارتقائي التدريجي»، وهذا ما جعل المؤسسات الدولية تثني على ما يحدث في أوزبكستان من خطوات جادة لتحديث البلاد.

وتطرق الرئيس في كلمته أيضًا إلى حزمة الإصلاحات التي قام بها خلال فترة الاستقلال حتى يومنا هذا، مؤكدًا أهمية ما تم خلال تلك الفترة من تعديلات دستورية مهمة شملت مختلف القطاعات من مؤسسة الرئاسة حتى مؤسسات المجتمع المدني، مرورًا بالاقتصاد والإعلام والقضاء... إلخ، ما يصب في مجمله في مصلحة المواطن الأوزبكي، وشعوره بأهميته وحقوقه وثقته في مستقبل بلاده.

وأخيرًا ما قدمه الرئيس في كلمته من تقييم وتقويم يتطلب النظر إليه بجدية كبيرة من قبل المؤسسات التنفيذية في أوزبكستان، والمسارعة في تنفيذ الإصلاحات المهمة التي أقرها الرئيس؛ لتعد خطوة هامة تضاف إلى

● باحث في قضايا آسيا

مئات الخطوات التي اتخذها الرئيس وشعبه منذ الاستقلال، حتى أصبحت أوزبكستان رائدة في المنطقة، ولها كلمتها في المحافل الدولية.

منهجية «الدمقرطة» في أوزبكستان

نجحت أوزبكستان في التجديد الديموقراطي للمجتمع والإصلاح الأساسي للاقتصاد والعلاقات الاجتماعية، كما ذكرنا آنفًا.

وتحديدًا لاستراتيجية إصلاحها، أخذت حكومتها في الحسبان أن الإصلاحات ستكون ناجحة فقط في حالة حل جميع المسائل المتعلقة بالملكيات من خلال الخصخصة المتوافقة، ومن خلال تكوين اقتصاد متعدد البُنَى، والذي فيه يتم إعطاء الأولوية للملكية الخاصة.

وتقوم الإصلاحات في أوزبكستان على بعض المفاهيم الهامة مثل الحداثة والإصلاح والتحرر، وهذه الثلاثة لها طابع مميز، وهذا يشمل توجهها الاجتماعي، وتحسين مستويات المعيشة، وإعداد جيل صحي أخلاقيًا وذهنيًا.

الديموقراطية والمجتمع المدني

وقد كان الاتجاه الهام في غرس الإصلاحات الديموقراطية هو تطوير عمل مؤسسات المجتمع المدني القائم على مبدأ «من دولة قوية إلى مجتمع مدني قوي».

وهدفت سلسلة المشروعات والبرامج التي قد نفذت إلى خلق الأجواء من أجل الأداء الحر للأحزاب السياسية، ووسائل الإعلام الجماهيرية المستقلة، وأجهزة المواطن ذاتية الحكم، والمؤسسات الأخرى للمجتمع المدني.

وقد تم خلق الأجواء اللازمة لتكوين وتطوير البُنَى غير الحكومية العامة في الساحات الإعلامية والسياسية والاجتماعية، كما تم مضاعفة عدد منافذ وسائل الإعلام المطبوعة خلال العشر سنوات الماضية.

أما تنمية مجالس الإدارات لمؤسسات المجتمع المدني، فلم تكن عملاً منفصلاً، أو إجراء ذا مرحلة واحدة، لكنه نشاط مستمر منظم، ويجب أن يكون مرتبطًا بشدة بالتاريخ والتقاليد والقيم القومية، وعقلية وطريقة الحياة.

تطوير المجتمع المدني

وعملية تكوين وتطوير المجتمع المدني مرتبطة بصورة مباشرة بتنمية الوعي القانوني والسياسي في المجتمع ككل، وكذلك برغبة الناس في الإصلاح الديموقراطي المستمر، وتأكيد القيم الديموقراطية العالمية.

ولابد للدولة التي تريد تفعيل مثل هذه المؤسسات، والاستفادة منها في تنمية الوعي السياسي والاجتماعي أن تهتم جيدًا بالمبادئ الإنسانية، واحترام الحقوق والحريات للمواطنين، بغض النظر عن انتمائهم القومي، وانتسابهم الديني، ووضعهم الاجتماعي، وعقائدهم السياسية.

وأظن أن أوزبكستان بدأت تنتهج هذا، وتلتفت بقوة إلى هذه المؤسسات؛ لمعرفتها الجيدة بالدور الذي تقوم به مثل هذه المؤسسات في التنمية والتطوير.

والمتابع للوضع في أوزبكستان أخيرا، وحسب ما وصلنا من معلومات، يرى أن هذه الجمهورية تُجري دائمًا إصلاحات من حين لآخر؛ بهدف تعميق الديموقراطية في المجتمع، خاصة في الحياة التشريعية والتنفيذية.

وهذا يؤكد أن أوزبكستان تطبق مبدأ «الإصلاحات» ليس من أجل الإصلاح فقط، ولكن قبل كل شيء من أجل الإنسان، ومن أجل تأمين مصالحه.

مقترحات وتوصيات

- التوسع في تمويل بعض مؤسسات المجتمع المدني، والإفساح لها أكثر بممارسة الأعمال التي تساعد في بناء المجتمع الأوزبكي، وهذا مطلب من مطالب الرئيس في كلمته الأخيرة.

- سن قوانين جديدة من شأنها ترسيخ مبدأ المشاركة السياسية للمواطنين، وتعميق روح الديموقراطية في اختيار المرشحين للبرلمان أو الرئاسة.

- التوسع في عمل أنشطة متنوعة تجمع الشباب وتحاورهم، وتسمع لهم، وتستغل طاقاتهم في بناء المجتمع بشتى توجهاته الاقتصادية والرياضية والاجتماعية، لاستغلال كل طاقاتهم في الأعمال التنموية والتطويرية، ولإبعادهم بقدر كبير عن الأفكار الراديكالية أو التطرفية.

- تخصيص بعض هذه المؤسسات المدنية للنشاط الديني الوعظي؛ للتعريف بوسطية الإسلام وسماحته، وبُعْده عن التشدد والتطرف، ومن شأن مثل هذه المنظمات أيضًا أن تُقرّب أكثر بين الأقليات العرقية الموجودة على أرض البلاد.

- تأسيس جمعيات حكومية يكون من شأنها منافسة المؤسسات الخاصة في تقديم كل ما هو جديد للمجتمع؛ بهدف تنشيط المؤسسات الخاصة، وليس التغطية عليها.

- قيام أوزبكستان بدور قوي وفعال في التقريب بين مؤسسات المجتمع المدني بداخلها والمؤسسات الدولية الأخرى، تحت إشراف رسمي من الحكومة وبهدف تبادل الخبرات بين المؤسسات.

وأختتم كلمتي قائلاً: «إضافة لما سبق من قراءة لما حدث في البلاد خلال السنوات الأخيرة، وأنها تسير على طريق الإصلاح وتحديث البلاد، أود أن أقول: على أوزبكستان أن تهتم بصورة كبيرة وهامة بتطوير وتنمية العلاقات البينية بين بلدان آسيا الوسطى، وذلك لمكانتها الدولية ووجودها في العديد من المنابر الدولية؛ حتى يَنْتُج عن هذا تكتل «وسط آسيوي» تكون له كلمته المسموعة.

وعليها أيضًا القيام بدور تصفية كل الخلافات بين بلدان وسط آسيا؛ للبَدء في صفحة جديدة يسودُها التعاون والتآخي، لما نعرفه من أهمية العلاقات الدولية، ودورها في تقدُّم الدول أو تأخرها، فمهما فعلت أوزبكستان من إصلاحات وهي منغلقة على نفسها، فسيكون الحفاظ على هذا التقدم صعبًا إن لم تنفتح أكثر، وأن تسعى- لما لها من مكانة كبيرة في المنطقة- لقيادة هذه المبادرة، وأوزبكستان قادرة على تنفيذ هذه المبادرة في تجميع قُوى البلاد المجاورة كي تصبح المنطقة تكتلاً سياسيًا واقتصاديًا كبيرًا.



طالب العلم المنشود.. من هو؟

د. حسين حسين شحاتة *

لطالب العلم مكانة عظمى في الإسلام، فلقد أثنى الله عليه في القرآن فقال عز وجل: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة: ١١)، وأثنى رسول الله ﷺ فقال: «من خرج في سبيل العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع» (رواه الترمذي)، وقال ﷺ: «وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع» (رواه الترمذي).

وحتى ينال طالب العلم هذا التكريم السابق يجب أن تتوافر فيه مجموعة من القيم والخصال والسلوكات والأفعال، من أهمها على سبيل المثال حسبما يتسع له المقام ما يلي:

■ الالتزام بالقيم الإيمانية: ومنها الإيمان بأن طلب العلم عبادة وفريضة وجهاد ولقد ربط الله بين العلم التقوى، فقال ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٨٢)، وأكد رسول الله ﷺ على أن طلب العلم فريضة فقال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» (الطبراني وابن ماجه)، وأن لطالب العلم ثوابا في الدنيا، وثوابا في الآخرة، فإن مما يلحق المسلم بعد موته: علم ينتفع منه، مصداقا لقول رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث» منها «علم ينتفع به» (مسلم).

■ الالتزام بالقيم الأخلاقية: ومنها الإخلاص والصلاح والإحسان والأمانة والصدق والصبر والمثابرة والمرابطة وعلو الهمة والعزة والتواضع، والباعث على ذلك هو ابتغاء مرضاة الله، ولقد أثنى الله على رسوله ﷺ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، وقال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (البخاري).

■ الالتزام بالسلوك المستقيم، سلوك الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، فتجد طالب العلم متواضعا ولينا ومتعاونا ومنضبطا ومنظما ومنمقا يتعامل مع زملائه بالحسنى ويدعو إلى الخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، صاحب رسالة سامية ونافعة وهي التنافس في طلب العلم النافع للناس جميعا، ملتزما بقول الرسول ﷺ: «قل آمنت بالله واستقم».

■ التفوق في الدراسة، فطالب العلم مقدام ومبدع ونموذج يحتذى به، يجمع في دراسته بين الأصالة والمعاصرة، يتقن الأخذ بالأسباب ليكون من المتفوقين الناجحين ودليل ذلك قول الرسول ﷺ: «إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملا أن يتقنه» (البيهقي)، وقوله ﷺ: «الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها» (الطبراني).

■ المواطنة: طالب يحب وطنه ويسعى لنهضته وتقدمه، يضحي بكل عزيز لديه من أجله، يشارك مع الآخرين في عمل الخير، آخذا بأمر الله عز وجل: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، يقول لإخوانه الذين يعملون من أجل الوطن: نتعاون معا فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه.

هذا هو الطالب المنشود في الإسلام الذي نريده لتحقيق العزة لله ولرسوله وللمؤمنين وللوطن.

* الأستاذ بكلية التجارة - جامعة الأزهر



مفهوم الأسرة

لم تحظ ظاهرة في المجتمع الإنساني بقدر كبير من الاهتمام في الدراسة والبحث مثلما حظي به نظام الأسرة، وذلك لأنها، أي الأسرة، هي السكن الحاضن لأي إنسان منذ مولده، فهي واقع دائم يعيش فيه بفطرته الحيوية ودوافعه الاقتصادية والنفسية، وواقع اجتماعي تحياه الأسرة ذاتها في كنف معتقدات عقل المجتمع الجمعي بتقاليده وعرفه وقيمه وعاداته.

فالدوافع والاحتياجات الفطرية للإنسان، والسنن والقوانين الاجتماعية التي يفرزها العقل الجمعي يتكامل تأثيرها في منظومة من العلاقات والتفاعلات الاجتماعية تنشأ بين اعضاء وحدة اساسية بشرية يتزاوج مؤسسوها وينجبون أطفالهم ويعتنون بهم، وتتشكل بينهم وذويهم من أصول وفروع، شبكة من علاقات القرابة قد تضيق وتتسع في هيكلها البنائي ووظائفها حسب نمط الزواج والأسرة السائد في المجتمع.

فنحن بصدد أنماط متعددة ومتنوعة من الزواج والأسرة وخط الانتساب وإقامة القرابى الذي قد يختلف في نفس الزمن من مجتمع لآخر أو يتباين في نفس المجتمع من مرحلة تاريخية لأخرى.

التحرير



الخاطبة أيام زمان .. والخاطبة الـ« مودرن »

علي ابراهيم كشك *

كانت الخاطبة في الماضي سيدة تتمتع بعلاقات اجتماعية تقوم بجمع مجموعة من صور الفتيان والفتيات على اختلاف مستوياتهم، ثم تقوم بعرض هذه الصور على الطرف الآخر، وإذا أعجب العريس بالصورة تقوم الخاطبة بتحديد ميعاد مع أسرة العروس، لكن حاليًا كادت هذه المهنة أن تندثر.. وأصبحت مقصورة على بعض الأحياء أو المجتمعات، أو تغيرت صورتها

أصبحت الخاطبة، حاليًا «مودرن» فهي صديقة أو زميلة في العمل أو حتى أخت العريس أو العروس ترى كلا الطرفين، وتحاول تحديد ميعاد في أي مكان، قد يكون منزل العروس أو أي مكان عام.

■ **ولكن ترى هل يمكن أن يقوم أي شاب أو فتاة بدور الخاطبة؟ وهل يوافق الشباب على الزواج بهذه الطريقة؟**

هذا ما سنحاول أن نعرفه من خلال حواراتنا مع الشباب، والتعرف على المواصفات التي يرى كل منهم وجوب توافرها في شريك الحياة.

■ **وجدي المصري (كلية التجارة - محاسب)**

- هناك شباب ليس لديهم الجرأة في الحديث مع الفتاة وهؤلاء يحتاجون لمن يتوسط لهم في الزواج. وعن نفسي لا يمكن أن أفكر في الارتباط عن طريق الخاطبة حتى لو كانت الخاطبة احدى زميلاتي أو من أقاربي، لانه بالتأكيد سيكون في مثل سني وبالتالي فليس لديه الخبرة الكافية للحكم علي هذه الانسانة، فانا اريد أن اختار من سأرتبط بها بنفسي، واتمنى ان تكون متدنية، لديها القدرة على تحمل زوجها في كل المواقف - ذات جمال هادئ - بسيطة - رقيقة - ملتزمة.

■ **ممدوح عطية (بكالوريوس زراعة).**

- ليس لدي مانع من الارتباط بعروس يعرفني عليها أحد زملائي أو أقاربي، وبعد أكثر من مقابلة مع أسرتها ومعها، يمكنني تحديد ما اذا كنت شخصيتها تلائم شخصيتي أم لا، فالزواج مسؤولية ليست سهلة، وتحتاج الى كثير من التأني قبل الاقدام على هذا الأمر.

■ **زينب يوسف (مدرسة لغة عربية).**

- يمكن أن أوافق على الارتباط عن طريق الخاطبة بشرط أن تكون هناك صلة قرابة بيننا، أي أن تكون الخاطبة في هذا الزمان إحدى قريباتي مثلا حتى تكون أهلا للثقة.. وعن مواصفاتها في فتى أحلامها تقول: أن يكون شهمًا كريمًا متدينًا، حنونًا، متدينًا، غير متزمت.

■ **أحمد الحسيني (بكالوريوس حاسب آلي)**

* خبير تربوي



– بعد تخرجي مباشرة تم تعييني في إحدى الوظائف الحكومية، ورغب الأهل في أن أرتبط، وعن طريق أحد زملاء والدي تم التعارف بفتاة من إحدى الأسر الطيبة، وبالفعل تمت الخطبة بصورة تقليدية، وفي اثناء الخطبة حدث تقارب كبير بيننا وتفاهمنا جداً، ولكن لظروف خاصة فسخت الخطبة، فمعنى هذا أن الزواج عن طريق الخاطبة أو زواج الصالونات ليس سيئًا، بل على العكس، تكون الأمور كلها واضحة من البداية وعلى أساس سليم. فكلا الطرفين يعرف ظروف الآخر وما الذي ستقوم بتقديمه كل أسرة، وأعتقد أن الزواج بهذه الطريقة ينجح في غالب الأحيان، وعن نفسي ليس لدي مانع من الارتباط بهذه الطريقة لانني جربتها من قبل ووجدت أنها افضل الطرق للزواج.وأتمنى ان ارتبط بانسانة على خلق، متدنية، هادئة الطباع، لها شخصية مستقلة.

■ **كمال رمضان (بكالوريوس خدمة اجتماعية)**

– في رأيي أن الخاطبة هي شخصية غير محببة للطرفين لأنها لا تعرف طبيعة أو أخلاق أي منهما، وبعد المقابلة يجد كل من الطرفين اختلافات كبيرة بينهما، وبالطبع الخاطبة في الماضي كانت تقوم بالتوفيق بين «العرسان» والعرائس، تبعًا لمصلحتها الشخصية، وهذا كان يجعل البعض من هذه الزيجات تفشل، أما الخاطبة في هذه الأيام فقد اختلفت صورتها، فيمكن أن يكون صديقًا أو زميلًا في العمل ويأتي بالعروس المناسبة.

من صفات فتى الأحلام عند معظم الفتيات أن يكون متدينًا ومثقفًا

ولا أخفي عليك سرًا، فقد قمت بهذا العمل مرة واحدة في حياتي، كانت العروس أخت أحد اصدقائي، وكانت في سن خالي، ففكرت أن اعرفهما ببعض، لعل وعسى.. ولكن لم يوفقا، ومن يومها قررت ألا أقوم بهذا الدور مرة أخرى فما لا أرضاه لنفسي لا أرضاه للآخرين.

وأتمنى أن يوفقني الله إلى إنسانة أختارها بنفسي، حتى أتعرف على طباعها وتتعرف على طباعي، ولكن أرفض الزواج بالطريقة التقليدية بالرغم من أن والدتي كل يوم تأتي لي بعروس، ولكن الزواج خطوة ليست سهلة، وخاصة للشاب، ولابد أن أكون مستعدا لهذه المسؤولية أكمل استعداد.

■ **نبوية عباس (مدرسة)**

– لعدم وجود اختلاط بين الشباب، انتشر موضوع الخاطبة لان الشباب يسعى لتكوين نفسه اقتصاديًا، فليس لديه وقت لتكوين علاقات أو للبحث عن شخصية الفتاة، الحال نفسه بالنسبة للفتاة.

وانا أرى أن اللقاءات الاجتماعية عن طريق الأسرة، هي أفضل شيء، على ألا يحدث ارتباط إلا بعد أكثر من مقابلة، ليقتنع كلا الطرفين بالآخر، وذلك في اطار عائلي، لهذا فأنا أرى أن موضوع الخاطبة لابد منه لاقتران الفتى بالفتاة.

وعن مواصفاتها في فتى أحلامها تقول: أن يتمتع بأخلاق طيبة وسلوك ملتزم – إمكانياته المادية تتيح له أن ينفق على بيته.

■ هدى علام (كلية آداب قسم حضارة أوروبية)

– انا غير مقتنعة نهائيًا بموضوع الخاطبة، فلابد أن أختار من سأرتبط به بنفسي، ولابد أن يكون الاختيار بناء على اقتناع.

وعن نفسي أتمنى أن ارتبط بانسان قادر على تحمل المسؤولية – له هدف يسعى لتحقيقه – مستنير في الأفكار والطباع – متدين – متفاهم.

■ **أماني غازي (ماجستير تربية)**

– مهنة الخاطبة كانت زمان، أما حاليا فهي غير موجودة بمعناها التقليدي لأن ظروف المجتمع تغيرت، فقد خرجت الفتاة الى ميدان العمل، فتبدلت الخاطبة الى ما يشبه الترشيح من إحدى القريبات أو الصديقات للزواج من فتاة معينة فتتم المقابلة في إطار العمل أو المنزل. ولكن رأيي الخاص هو أنه يجب أن تكون هناك فترة تعارف بين الشاب والفتاة، قبل أن تتم خطوة عملية للزواج، كأن يكون مثلا من الأقارب أو الزملاء في العمل أو عن طريق الصداقة بين الأسر المختلفة.

وعن مواصفاتها في فتى أحلامها، تقول أماني: أن يكون مثقفا – متدينًا – من عائلة محترمة – ذا ثقافة واسعة في شتى المجالات – له هدف واضح في الحياة ويبحث عمّن يشاركه في تحقيق هذا الهدف.



التزكية ودورها في تربية أفراد الأسرة

أحمد حسن الخميسي

لقد اهتم القرآن الكريم بتربية الإنسان أيما اهتمام، وتحدث عنها بمفردات عديدة منها: التزكية والتطهير اللتان وردتا مع بعضهما في قوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم﴾ (التوبة: ١٠٣).

الصدقة تطهر الناس من الذنوب والأوزار، وتنمي حسناتهم، حتى يرتفعوا بها إلى مراتب المخلصين الأبرار، وادعُ لهم بالمغفرة، فإن دعاءك واستغفارك طمأنينة ورحمة لهم (١).

ويقال: زكّى الشيء: نماه وزاد فيه، وزكى ماله: طهره بأداء الزكاة، وزكى نفسه: مدحها ونسبها إلى الطهر (٢).

فالتزكية تتضمن معنى النماء أو التطهير بحسب وقوعها في سياق الكلام.

وسنتدبر هذه المفردة في آيات القرآن، فقد حوت هذه المعاني وزيادة، وسنجد مدى صلة التزكية بالنفس وتأثيرها فيها.

المبادرة إلى التزكية

يحرص الإنسان في حياته على صحة جسمه، فيأخذ بالأسباب التي تؤدي إلى ذلك، ويحرص العاقل على سلامة نفسه، فيزكيها بتطهيرها من الذنوب، وتنميتها بفعل الخيرات والطاعات قال الله تعالى: ﴿قد أفلح من تزكى. وذكر اسم ربه فصلى﴾ (الأعلى: ١٤-١٥).

فالمسلم يزكي نفسه بذكر الله وإقام الصلاة، ولعل التسبيح الذي يتكرر كثيرًا في ركوع الصلاة وسجودها،

> **التزكية فعل إيجابي يقوم به المسلم ليؤدي إلى نمو الخير في نفسه**

وهو من ذكر الله يزكي النفس أكثر من غيره، ومما جعلني أؤكد ذلك أن سورة الأعلى ابتدأت بالأمر بالتسبيح ﴿سبح اسم ربك الأعلى. الذي خلق فسوى﴾ (الأعلى:١-٢).

ويتفق التسبيح مع التزكية، فالتسبيح هو تنزيه لله تعالى عن النقائص، والتزكية تطهر النفس من الموبقات، فالمسلم الحق الذي يسعى إلى التزكية يتوب إلى الله وينقي نفسه من الذنوب، وينزه اعتقاده عن الشرك، وبما أن التسبيح له أهمية في تزكية النفس، أمر الله به في القرآن في مواضع عدة منها قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنو اذكروا الله ذكرًا كثيرًا وسبحوه بكرة وأصيلًا﴾ (الأحزاب: ٤٢).

وقال رسول الله ﷺ «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» (متفق عليه) (٣).

وطريق التزكية معروف في القرآن: إنه الإيمان والعمل الصالح.

ومن الأعمال الصالحة التي تزكي النفس وتبعد عن النار الصدقة لوجه الله تعالى الذي قال في كتابه ﴿وسيجنبها الأتقى. الذي يؤتى ماله يتزكى. وما لأحد عنده من نعمة تجزى. إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى. ولسوف يرضى﴾ (الليل: ١٧-٢١).

وقد أمر الله نبيه أن يأخذ (صدقة) من الذين اعترفوا بذنوبهم، لتطهرهم من الذنوب والأوضار، وتنمي حسناتهم حتى يرتفعوا بها إلى مراتب المخلصين الأبرار فقال سبحانه ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ (التوبة: ١٠٣).

ومما يزكي النفس الإيمان بالغيب، والاعتقاد الجازم بأركان الإيمان الستة، فالإيمان بالغيب يعمق المراقبة في نفس المسلم لله تعالى، ويعيش المؤمن وهو يشعر أن الله يسمعه ويراه، ويعتقد أن الله سيحاسبه على أعماله، فيخشاه، ويقيم صلاته على أحسن وجه، ويعبد ربه كأنه يراه...

قال تعالى: ﴿إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه إلى الله المصير﴾ (فاطر: ١٨).

إن التزكية فعل إيجابي يقوم به المسلم، ليؤدي إلى نمو الخير في نفسه، وزيادة تقواه، ومما يدل على ذلك أن

* كاتب سوري



الله تعالى وصف الذين يتمسكون بآداب الزيارة، والذين يغضون أبصارهم (بالزكاء) فقال سبحانه: ﴿فإن لم تجدوا فيها أحدًا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعلمون عليم﴾ (النور: ٢٨).

وقال سبحانه ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون﴾ (النور: ٣٠).

وعلمنا القرآن في آياته وقصصه أن نختار الطيب الحلال وعبّر عنه بـ «أزكى» في قوله تعالى: ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعامًا فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدًا﴾ (الكهف: ١٩)، إن الآية تشير إلى أن نربي أولادنا على حسن التصرف عند تكليفهم بشراء حاجات من السوق أن يختاروا منها ما هو طيب وصالح، وهذا يحتاج إلى تدريب لهم منذ الصغر على اختيار الأزكى.

التزكية فلاح ونجاح

قد بشر الله تعالى كل مؤمن «يتزكى» بالفلاح ودخول الجنة فقال: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ (الأعلى: ١٤) وقال ﴿قد أفلح من زكاها﴾ (الشمس: ٩)، دلت الآيتان وغيرهما أن المفلح هو من زكى نفسه «أي نماها وأعلاها بالطاعة والصدقة واصطناع المعروف» وهو من عالج نفسه بالمجاهدة والتزكية إلى أن دخل دائرة الفلاح.

وجزاء المفلحين الذين تزكوا، هو دخول الجنة خالدين فيها يتنعمون ﴿ومن يأته مؤمنًا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى. جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك



بشر الله تعالى كل مؤمن يتزكى بالفلاح ودخول الجنة

جزاء من تزكى﴾ (طه: ٧٥-٧٦).

إن الآية تصف الذي قام بالتزكية بالإيمان والعمل الصالح، وتقرر أن مآله الجنة التي حسنت مستقرًا ومقامًا.

رسول الله يزكي

ويحتاج المسلم إلى من يأخذ بيده إلى طريق التزكية، ويبصره بسبيلها، ففي عهد النبي ﷺ كان الصحابة يتوافدون على الرسول ﷺ فيستمعون منه وهو يتلو عليهم آيات ربه، فيزكيهم ويرقيهم، كما أنه يبيّن لهم طريق الهدى بوصاياه وإشاداته، ومما يؤكد ذلك قصة ابن أم مكتوم الذي جاء رسول الله ﷺ ليتزكّى، قال الله تعالى: ﴿عبس وتولى. أن جاءه الأعمى. وما يدريك لعله يزكى. أو يذكر فتنفعه الذكرى﴾ (عبس: ١-٤)، ومن الأمور المهمة في دعوة الرسل (عليهم السلام) «التزكية» فقد أمر الله عز وجل سيدنا موسى عليه السلام بالذهاب إلى فرعون، لدعوته كي يزكى نفسه ويطهرها من الذنوب والآيات، ويؤمن بالله ويطيعه ويخشاه فقال عن ذلك «اذهب إلى فرعون إنه طغى. فقل هل لك إلى أن تزكى. وأهديك إلى ربك فتخشى﴾ (النازعات: ١٧-١٩)، وأكد القرآن مهمة سيدنا محمد ﷺ في تزكية النفوس فقال في آياته: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولًا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (الجمعة: ٢)، ﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولًا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (آل عمران: ١٦٤).

والملاحظ من الآيتين السابقتين أن الأميين كانوا في ضلال مبين فكانت التزكية لهم عملية تحول، حيث أقلعوا عن شركهم ودخلوا في الإسلام طائعين، وهذا ما تدعوهم إليه الآيات التي كان يتلوها عليهم الرسول ﷺ.

ومما يؤكد على أن من مهام الرسول محمد ﷺ التزكية ما ورد في دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام إذ قال كما ورد في القرآن: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولًا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ (البقرة:١٠٩).

إن التزكية التي تحقق التغيير في اعتقاد الإنسان وأعماله هي تربية ترمي إلى تنقية المرء من الذنوب، وتنمية الإيمان في قلبه، والعمل الصالح في

حياته.

ومن سياق الآيات نجد أن التزكية قد اقترنت بتلاوة الآيات القرآنية وسماعها مع تعليم الكتاب والحكمة، مما يرشدنا إلى أن تلاوة القرآن وسماعه تزكي المؤمن ونفسه قال تعالى:﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾ (الأعراف: ٢٠٤).

وقال رسول الله ﷺ «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده» (رواه مسلم).

والرحمة من الله تزكية «وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود الإلهي غير مضنون بها على أحد ولكن لابد من الاستعداد للقبول بتزكية النفس وتطهيرها عن الخبث والكدورة» (٤).

وبما أن الأب مسؤول عن تربية أبنائه، يجب عليه أن يجمع أفراد أسرته في الأسبوع أكثر من مرة، ليقرأوا القرآن ويتدارسوه، فتنزل عليهم الرحمات وتزكوا النفوس، وتغدو أسرة مباركة.

التزكية بين الحقيقة والادعاء

تزكية الإنسان نفسه ضربان: أحدهما بالفعل وهو محمود، وإليه قصد بقوله: ﴿قد أفلح من زكاها﴾ (الشمس: ٩)، وقوله: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ (الأعلى: ١٤).

والثاني: القول كتزكية المرء نفسه وهو مذموم وقد نهى الله عز جل عنه فقال ﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾ (النجم: ٣٢)، أي لا تمدحوها على سبيل الإعجاب، ولا تشهدوا لها بالكمال والتقى، فالله تعالى هو العالم بمن أخلص واتقى ربه في السر والعلن (٥).



فعلى المرء أن يتحقق بالتقوى والتزكية، وذلك بأخذه بأسبابها- كما بينا- وعليه ألا يدعي أنه هو الذي زكى نفسه فيمدحها، بل الواجب أن يعيد الفضل لله وحده فهو الموفق لكل خير، وهو المزكي سبحانه، وهذا واضح جليّ في الآيات الكريمة التالية:

﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا﴾ (النساء:٤٩)، ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدًا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم﴾ (النور: ٢١).

نسبة التزكية

مما سبق لاحظنا أن التزكية تكون من الإنسان، ومن الرسول، ومن الله. وللراغب الأصفهاني كلام جميل ومفيد في هذا المعنى إذ يقول: «بزكاء النفس وطهارتها يصير الإنسان بحيث يستحق في الدنيا الأوصاف المحمودة، وفي الآخرة الأجر والمثوبة، وهو أن يتحرى الإنسان ما فيه تطهيره وذلك ينسب تارة إلى العبد لكونه مكتسبًا لذلك نحو ﴿قد أفلح من زكاها﴾، وتارة ينسب إلى الله تعالى لكونه فاعلا لذلك في الحقيقة نحو ﴿بل الله يزكّي من يشاء﴾ وتارة إلى النبي لكونه واسطة في وصول ذلك إليهم نحو ﴿تطهرهم وتزكيهم بها﴾ (التوبة: ١٠٣) و﴿يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم﴾ (البقرة: ١٥١).

وتكون تزكية الله ايضًا بالاختيار مثل تزكيته للرسل نحو ﴿قال إنما أنا رسول ربك لأهب لكل غلامًا زكيًا﴾ (مريم: ١٩). (٦).

التزكية تربية

نخلص في ختام الحديث عن التزكية إلى أنها تربية للإنسان، تطهره من الشرك والذنوب، وتنمي فيه عناصر الخير، فيغدو إنسانًا مؤمنًا موحدًا ومسبحًا لله بذكره وفعله، ومقيما للصلاة بخشوع، مما يرفعه إلى مصاف عباده المفلحين الذين يتقربون إليه بأعمالهم تزكية، فيرضى عنهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم.

الهوامش

١- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني- حلب- دار القلم العربي ١٩٩٤م- ١٤١٤هـ ٥٦٠.
٢- المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس.
٣- خ ١١/١٧٥- م (٢٦٩٤).
٤- ميزان العمل، أبوحامد الغزالي، مكتبة الجندي، القاهرة ١٩٧٣م. ص ٣٣.
٥- صفوة التفاسير، مرجع سابق، ج٣، ص ٢٧٧.
٦-المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار المعرفة بيروت مادة (زكا).



ما الفرق بين الرجل والمرأة؟

د. مي علي كشك

- عندما تتعامل مع شريك حياتك، وعند الاختلاف على رأي ما فإنه يبرز إلى الذهن سريعًا أن هناك اختلافًا ما بين حكمك وحكم شريك حياتك على الموضوع نفسه.

- فكل من الرجل والمرأة يتصرف بطريقة مختلفة إزاء المواقف التي تواجهه في حياته، فالمرأة تستطيع الحديث والتعبير جيدًا عما تشعر به، سواء كان ضيقًا أو فرحًا، إذ تشعر أن للكلمة بالإضافة للفعل أيضًا، تأثيرًا فاعلًا، على حين يفضل معظم الرجال الفعل، أو العمل أولًا، ويجد كثيرون منهم صعوبة في التعبير عن مخاوفهم، أو ما يضايقهم، أو يفرحهم.

- وقد أظهرت الدراسات والفحوص

- عن طريق الأجهزة الطبية الدقيقة

- أن مخ الرجل، ومخ المرأة متشابهان في نواح كثيرة ولكنهما مختلفان مثلًا في الجزء المسؤول عن ترجمة المواقف والعواطف، حيث ظهر أن هذا الجزء عند المرأة يتحكم في الاستجابات العاطفية بصورة أكثر نشاطًا مما عند الرجل.

كما يختلف الرجل عن المرأة في القدرات الإدراكية التي تشمل الذاكرة، والتميز، فمثلًا يجيد الرجل الاختبارات الخاصة المجردة، كالأشكال والرسوم الهندسية، والتغيير أو التبديل فيها، ولكن هذا الاختلاف لا يمنع أن تبدع فيها المرأة أيضًا.

أما مجالات تحديد كل شكل من هذه الاشكال على حدة، مع تذكر اللون، والمكامن فتبرز فيها مهارة المرأة بصفة خاصة، وإن كان الأمر لا ينفي إبداع الرجل في هذا المجال أيضًا.

● وقد أجريت دراسة طريفة على الأزواج والزوجات عندما يكونون في «السوبر ماركت» لتسوق مستلزمات بيتهما، فلوحظ أن الزوجة تربط بين الأشياء في أثناء اختيارها وشرائها لما تحتاج إليه، فمثلًا عندما تتوجه للقسم الخاص بمنظفات الملابس، فهي تتذكر كل ما تحتاج إليه من مزيلات البقع، ومنظفات الأواني، والأرضيات، والموبيليا، وورنيش الأحذية، والفرش أو الفوط الخاصة بهذه المنظفات، مما يدهش الزوج فيما بعد عند دفع ثمن الفاتورة، إذ إن الزوجة لم تذكر من قبل أنها تحتاج لكل هذه الأنواع من المنظفات!!

- على حين يتوجه الزوج في أثناء تجواله بالسوبر ماركت إلى الأشياء التي تستهويه، مثل القسم الخاص بالإلكترونيات أو بالأجهزة، أو بالأقلام (المفكرات) أو الميداليات، أو حافظات النقود والأحزمة الجلدية، وقد يقدم على شراء أي من هذه الأشياء، رغم أنه لم يكن يفكر في شرائها قبل توجهه لهذا القسم.

● التعبير عن العواطف

- يحسن الرجل التعبير عن عواطفه تجاه مخطوبته قبل إتمام الزواج، على حين تشعر المرأة بالحرج من التعبير عن عواطفها في هذه المرحلة، أما بعد الزواج فيختلف الأمر، حيث يعتبر الرجل أن رسالته قد وصلت، وأن زوجته الآن تأكدت من صدق مشاعره، ولم تعد هناك أهمية لتكرار كلمات الحب كما كان يفعل في بداية ارتباطها، هذا في الوقت الذي تؤكد فيه الزوجة أهمية تعبير الزوج عن حبه وعواطفه تجاهها باستمرار، وليس في فترة الخطبة فقط، وذلك لاستمرار الحوار والعلاقة بصورة أفضل، وألا يكون الحوار مقتصرًا فقط على المسؤوليات أو المشكلات.

- لذلك فالحوار والكلام بين الزوجين، يحتاج إلى ذكاء كل منهما، متى يبدأ؟ ومتى يكف؟ وأن يتبادل كل منهما الدور في الكلام، وفي الإنصات، حتى يظل دفء المشاعر بينهما دائمًا.

استشارية في قضايا الأسرة



إن كثيرًا من حالات الطلاق تحصل بسبب إغضاب أحد الطرفين للآخر

أسباب الطلاق ونظرة المجتمع للمطلقة!

عبدالحميد بن حسن

لا تلجأ إلى الطلاق إلا حينما تستعصي الحلول، فهو أبغض الحلال إلى الله تعالى، ويكون مباحًا إذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل، ومتى طلق الرجل المرأة فقد آذاها، قال تعالى: ﴿فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا﴾. أي فإن أطعن أمركم فلا تلتمسوا طريقًا لإيذائهن ﴿إنّ الله كان عليًا كبيرًا﴾، أي فإن الله تعالى أعلى منكم وأكبر، وهو وليهن ينتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن.

وبناء على ما تقدم، علينا معرفة الأسباب المتفشية في المجتمع، تلك التي تؤدي إلى الطلاق، ولاسيما آثارها على الأسرة والمجتمع، والأهم، نظرة المجتمع للمطلقة، وبذلك، ينبغي لمن يرغب في الطلاق أن يراعي جملة من الأمور.

ثمة أسباب كانت تقف وراء الطلاق - قديمًا- منها:

- إيغار صدور الرجال من قبل الأهل إذا حصل للرجل مع الأيام تعلق شديد بأمه، مما يؤثر على حياته الزوجية إذا لم تكن الزوجة على وفاق مع حماتها، فإذا صادف ووقع الطلاق بين الزوجين، زاد إيغار الصدر من قبل الأهل.
- ما قد يحدث من هنات أو ذنب عادي، مثل إجابة غير مستحبة.
- الرغبة في تبديل الزوجة.
- اشتراط الجديدة طلاق القديمة.
- استبدال زوجة جديدة بواحدة من الزوجات الأربع، تكون غالبًا الأضعف، وهي حالة شديدة الندرة.

ولكن من خلال استقراء أسباب الطلاق ومبرراته، نجد أنها متعددة ومتنوعة، ويهمنا أن نذكر الأسباب المتفشية في المجتمع حاليًا:

السبب الأول

عدم التزام الطرفين أو أحدهما بشرع الله جل وعلا، وهذا هو أعظم سبب لتفشي الطلاق في المجتمع، ولذلك وجهان:

١- أن يكون الزوج غير محافظ على طاعة الله جل وعلا، ومرتكبًا للمحرمات من مسكرات ومخدرات، مما لا يمكن معه الاستمرار في الحياة الزوجية، وخاصة إذا كانت المرأة مستقيمة على شرع الله.

٢- قد تكون الزوجة غير مستقيمة على شرع الله، فلا تطيع ربها، ولا تطيع زوجها، وتحب مخالفته، ولو أطاعت ربها لأطاعت زوجها في غير معصية الله، من هنا تتعثر العشرة الزوجية بينهما، فيحصل الطلاق والفرقة.

السبب الثاني

الغضب لأتفه الأسباب، فإن كثيرًا من حالات الطلاق تحصل بسبب إغضاب أحد الطرفين للآخر، أو غضب أحد الطرفين من الآخر، فيشتد الخصام، بطول النزاع حتى يصل الأمر إلى التلفظ بالطلاق.

السبب الثالث

تدخل بعض أفراد الأسرة في الحياة الزوجية مثل والدي الزوج أو والدي الزوجة وغيرهما، ويكون التدخل بما يضر الحياة الزوجية، ويعكرها لا بما ينفعها ويصفيها، أما التدخل لقصد الإصلاح والخير، فأمر مطلوب شرعًا.

السبب الرابع

كاتب صحافي



الجهل بالسنة في الطلاق، فإن المسلم لو التزم بشرع الله في إيقاع طلاقه لا يطلق إلا بالسنة فلا يوقعه إلا في طهر لم يجامعها فيه، وتكون طلقة واحدة، فلا يوقع الطلاق في الحيض ولا في طهر جامعها فيه، ولا يزيد على طلقة واحدة، لو حصل ذلك لقلّت حالات الطلاق، ففي اتباع شرع الله الخير والصلاح، وفي مخالفته الشر والفساد.

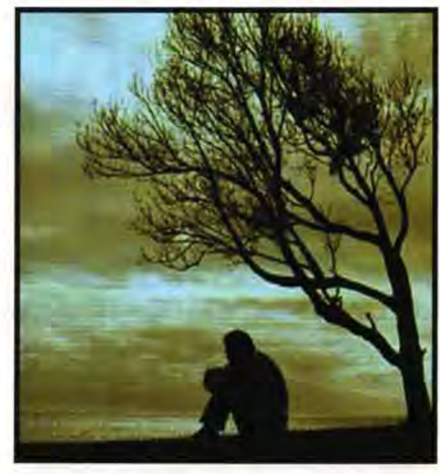
ووجه الغرابة في هذه الكارثة المدمرة - الطلاق - ومن خلال قراءة ملفات المحكمة، أن إيقاع الطلاق قد يحصل لأسباب تافهة، ومن ذلك أن تقلب المرأة بيت زوجها جحيمًا، لأنه لم يحقق رغبتها في شراء ثوب معين، أو في زيارة في مناسبة معينة، أو لم يقم بتجديد فرش المنزل وهكذا... بل قد تطلب منه الطلاق لذلك، ومن ذلك أن يأتي الزوج فيجد المرأة لم تجهز حاجته من طعام أو لباس، فيقلب المنزل رأسًا على عقب، وأخيرًا يتلفظ بالطلاق، وقد طرقت امرأة الباب على زوجها، وهو نائم، فطلقها، لأنها أزعجته، وطلق رجل زوجته، لأن ولده مرض، وطلبت امرأة طلاقها، لأنها سمعت أن زوجها فكر في الزواج بأخرى، وهكذا...

إنعكاسات الطلاق

بعد الطلاق مباشرة، تحصل فورة من الشعور بالحرية، تدوم عدة أيام أو أكثر، ثم يليها شعور قوي بالانكسار والندم ناتج من الاعتياد والفشل سواء كان هذا الطلاق تم في سبيل تحقيق رغبة أخرى أم لا.

ويشعر المطلقان مهما كانت رغبتهما في الانفصال بأنهما فقدا قدرًا من سنين العمر الجميلة التي ذهبت عبثًا. وبالتالي فإن ندبة نفسية سوف ترتسم وتثبت في القلب مهما كان المطلق راغبًا في الانفصال.

ومقابل هذه الندبة تشكل ندبة



اجتماعية، ترتسم خاصة على حياة المرأة، ما يؤدي الى موقف اجتماعي جديد تجاه المطلقة، يتمثل في كثير من الأحيان فيما يلي:

١- في استبعادها عن حياتها الاجتماعية السابقة، ومن بعض التخوف منها.

٢- في تشديد الأهل عليها ومنعها من التصرفات العادية التي كانت تقوم بها، وذلك حفاظًا على سمعة الأسرة.

٣- في نظرة الرجل للمرأة المطلقة بكونها مفقودة الحواجز.

٤- في الإحجام عن التفكير بالزواج من المطلقة حتى لو كانت مغبونة.

٥- في حال وجود بنات شابات، يتشدد المجتمع في الإقدام على الزواج من بنات المرأة المطلقة.

٦- يسارع الأب الى تزويج بناته من زوجته المطلقة خاصة عند وجود زوجة جديدة.

٧- تحول الأولاد المفتقرين الى الرعاية الحقيقية نحو طريق الفساد، أو تحول الأولاد الى أدوات استخدام لايصال رسائل الكره بين الزوجين المطلقين، مما يؤدي الى (الانكشاف المبكر) لمشكلات الحياة الحقيقية بالنسبة للأطفال، وتراكم العقد النفسية في المستقبل، فقل من ينظر بمرآة الفهم الى قلوب الأطفال، كما يتحول الأطفال الى كرة مضرب يرمي بها كل من الطرفين في هدف الآخر، مدعيًا عدم رغبته في تربية الصغار، أو يتظاهر بعدم اهتمامه بتدريس الأطفال والإنفاق عليهم، إضافة الى تعلم الأطفال نقل الكلام والنميمة والتصرف السيئ، ناهيك عن شعور المعنيين بالأسى والإهانة، إضافة الى الصعوبات المالية التي تتعرض لها المرأة المطلقة.

نظرة المجتمع للمطلقة

ينبغي أن يعيد المجتمع نظرته الخاطئة الى المطلقة، فهي تحتاج إلى نظرة عطف وحنان، ثم ان كثيرًا من المطلقات لم يكن هن السبب في طلاقهن، فهناك من تطلق وهي المظلومة، وهناك من تطلق، لأن الله جل وعلا بعدله لم يجعل في قلبها حبًّا لزوجها أو العكس وغير ذلك. ثم إن هناك من المطلقات المستقيمات على شرع الله من يكن خيرًا من البكر، بل هناك من تركت زوجها أو رغبت في الطلاق منه ابتغاءً لوجه الله، كأن يكون الرجل الذي طلقها تاركًا للصلاة أو مرتكبًا لكبائر الفحشاء والمنكر، لا يمكن للصالحة العفيفة العيش معه، فهذه ينبغي أن تجل وتحترم أكثر من غيرها لصلاحها وتقواها، ثم إن على المطلقة أمورًا هي:

أولاً: أن تتقي الله جل وعلا، وتصبر وتعلم أن الخيرة فيما اختاره الله، ﴿وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم﴾.

ثانيًا: أن تعلق رجاءها بخالقها جل وعلا، فهو يرزق من يشاء بغير حساب.

ثالثًا: أن تعلم أن الدنيا متاع، والآخرة خير لمن اتقى، ولتكن نظرة المسلم والمسلمة مطلقة أو ذات بعل الى الآخرة ومستقبلها الجنة والنجاة من النار، وتعمل لذلك.

رابعًا: أن تراجع حساباتها مع نفسها، فتنظر إلى السبب في طلاقها، فإن كان لها فيه مشاركة فلتقلع عن ذلك، ولتعدل من تصرفاتها ومعاملتها مع الآخرين.

الأطفال والانفصال

بشرى شاكر

الطلاق أو الانفصال كلمتان لمعنى واحد، فهو نهاية زواج وعوامل جديدة تعيشها الأسرة بعد أن كانت مترابطة، وإن كان هذا الأمر هو أبغض الحلال عند الله ولا يلجأ له إلا بعد أن يستوفي الطرفان كل وسائل الصلح والترغيب من قبل الأهل والأقرباء والأصدقاء أيضا، ولأن الإسلام يعلم الضرر الذي ينجم عنه سواء لكلا الطرفين أو للعائلتين وبالأخص بالنسبة للأطفال.

هذا الطفل الذي من المفروض أن نهيئ له جوا تربويا جيدا يجعله ينمو ويكبر بنفسية مستقيمة وسليمة تجعله إنسانا فاعلا في مجتمعه، هذا والأسرة مجتمعة ومترابطة فكيف إذن لو توجب على هذا الطفل أن يعيش مع أحد الأبوين أو في تناوب بينهما بعد انفصالهما؟

حينما يتعذر الإبقاء على عقد الزواج فإن الحل الأنسب وإن كان الأبغض هو الطلاق، وأحيانا يكون أفضل للطفل من العيش في أسرة دائمة المشاكل وكثيرة الصراخ مما لن يوفر له بالتأكيد جوا تربويا سليما، ولكن يبقى أن هذا الطفل يتأثر بهذا الانفصال الذي قد يكون مفاجئا له فيتحول من حضن أسرة بأب وأم إلى أسرة جديدة تكونها الأم أو الأب وربما مع شريكين جديدين.

والطلاق حينما يكون واقعا لابد منه، فليكن كما أمر الله سبحانه أي بالإحسان، ونسب المعروف للإمساك إذ قال سبحانه وتعالى في سورة البقرة: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾. الإحسان ينبني على المعروف ولكن أيضا على استمرار المودة والابتعاد عن البغض والكراهية، وذلك لكي لا يتأذى كلا الطرفين وبالأخص حتى لا يشعر الأطفال بتغيير كبير يصيبهم بأزمات نفسية، كما انه من الإحسان أن يؤدي الرجل مهر المرأة وكامل حقوقها وعليه أيضا رعاية الأطفال نفقة وحضورا.

الأسرة هي مجتمع مصغر بأفراد يكونونها، فإن صلحت صلح هذا المجتمع وإن فسدت فسد، وعلينا أن نفهم أن الطفل هو فرد كامل يؤسس بدوره دعامة قوية في البيت ويشكل دعامته المستقبلية بل يمثل دعامة مجتمع الغد والمستقبل، وكأي شخص يكون هذا المجتمع المصغر فإن الفرقة التي تنتج فيه والتغيير الذي يحدث بعد الانفصال يؤثران فيه بشكل كبير وخاصة أنه ألف العيش بين والديه وفتح عينيه على عالم شكلاه معا.

> **الأكثر عرضة لهاته المشاكل هم الأطفال الذين يرفضون الحزن والقلق ويخفون همهم وإحساسهم**

ولعل من قيم الإسلام النبيلة هو اهتمامه بتربية الأطفال بين والديهم رغم الانفصال حتى إنه حرم كتم المرأة لحملها بعد انفصالها، أولا لمحاولة إصلاح ذات البين قبل الوصول إلى قرار الطلاق النهائي ولكن أيضا إدراك منه أن التربية السليمة يجب أن تكون بين الوالدين ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما والاكتفاء بطرف واحد فقط حتى بعد الانفصال، وقد قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

الطفل هو ضحية هذا الطلاق أو الانفصال، فالأب والأم ينسيانه في خضم مشاكلهما ولا ينتبهان إلى أنه يعيش وإياهم هاته المراحل دون رغبته، فهو لم يختر أن يولد بهذا البيت ولم يكن طرفا في قرار الانفصال، ومع هذا فهو يعيش نفس المشاعر بل بزيادة أكبر إذ إنه لا يعرف لم يحصل كل هذا؟ ولماذا تتحول عائلته التي أهدته الحب والحنان في الأول إلى عائلة لا تطيق بعضها البعض وتريد أن تحدث فرقة لم يهيأ لها هذا الطفل نفسيا؟!

ولنحاول فهم ما يحصل، يمكننا أن نتحدث عن منظومة الثنائي الذي يشكله الأب والأم والذي يؤدي فيها كل منهما الدور المنوط بجنسه، فلكل منهما خصائصه الوراثية ولكل منهما شخصيته الخاصة، بمزاياها وهفواتها ونقط ضعفها والابن هو نتاج للقاء الاثنين منذ كان نطفة.

وغالبا ما نتحدث عن العلاقة الثنائية بين الطفل ووالدته، وهذا أمر ضروري في التربية ولكن العلاقة الفعلية رغم ثنائيتها بين الأم وطفلها خلال السنتين الأوليين من عمره، إلا أنها في الحقيقة علاقة ثلاثية فوجود الأب ضروري جدا لنمو نفسي سليم للطفل.

فالطفل يبدأ بالإحساس بوالده وهو بعد جنينا داخل الرحم سواء من خلال مشاعر أمه أو من خلال ترجمة صوت الأب.

• باحثة مغربية



خلال السنوات الأولى من عمر الطفل يكون التعايش بين الأم والطفل ذا أهمية قصوى وله خصوصية كبيرة، حيث يتطلب الطفل في هذه المرحلة حنانا وعطفا، وتواجد الأم وفقدانها يعد بمثابة خطر جسيم يلحق بالطفل فيؤثر على نموه العقلي وبالتالي الجسمي أيضا، وكلما كانت علاقة الأم بالوالد علاقة جيدة وآمنة كلما استطاعت أن تلعب دورها في هذه المرحلة كما يفترض بها وكما يجب، وانطلاقا من السنة الثانية ولاسيما في سنتيه الثالثة والرابعة يبدأ الطفل بالابتعاد نسبيا عن أمه والتوجه نحو محيطه ولكي يحصل هذا من الضروري تواجد الأب الذي يساهم في إقحامه بشكل صحي في مجتمعه.

الطفل يحمل على عاتقه ثقل هذا الانفصال لأنه يعيش احتفاء بهذا الحلم المفقود فينكر موت الثنائي الذي يمثله أبواه ويبقي في مخيلته على صورة اصطناعية للثنائي الفقيد.

لذلك نجد أنه بالنسبة للطفل طلاق الوالدين ليس بالأمر الهين أبدا مهما كان الاهتمام الذي يمكن أن يحظى به من قبل محيطه الأسري فهو يعيش نزاعا داخليا صعبا، إذ تكون هاته التجربة قاسية وعنيفة عليه. وتبدي الدراسات النفسية أن الأطفال الذي يحضرون شجارات والديهم ونزاعاتهم يعيشون حالة الطلاق الذي يحصل بينهما بشكل نفسي واجتماعي أسهل من الذين يصدمون بفكرة انفصال والديهم دون أن يلاحظوا أية بوادر نزاعية خارجية تدل على أنهم سوف يقدمون على فعل الطلاق والانفصال. وهنا لا نريد أن نقول أن النزاعات شيء صحي بالنسبة لأطفال الأزواج الذين يريدون الطلاق، ولكن نريد أن نثبت أن الطفل الذي ننساه في حساباتنا الراشدة هو أيضا مكون مهم في الأسرة وعلى المنفصلين أن يدرجوا له خبر انفصالهم بطريقة تمكنه من تفهم حدوث الانفصال ولا نفاجئه بوقوعه دون أخذ رأيه أو حتى إعلامه.

وبصيغة أخرى، الأطفال الذين يعيشون حياة عائلية مضطربة بين والديهما والتي تكون عادة مليئة بالشتائم والنزاعات، ينظرون للطلاق على أنه نهاية حياة مأساوية وكريهة وربما فرجا، أما بالنسبة للأطفال الذين يعيشون وسط عائلات لا تعاني من مشاكل كبيرة، ينظرون للطلاق على أنه فاجعة حلت بهم وينغمسون في مشاكل نفسية واجتماعية خطيرة.

والأكثر عرضة لهاته المشاكل هم الأطفال الذين يرفضون الحزن والقلق ويخفون همهم وإحساسهم بنوع من النفي وتبريرات كثيرة.

ويصعب أن نفسر تأثير الانفصال على الطفل الرضيع ولكن قد يعزز هذا الانفصال العلاقة بين الأم والطفل بشكل أكبر مما يعيق العلاقة الحسية بين الرضيع وبين الأب، ويتأقلم الطفل في هذه السن عادة مع الوضع بسبب غياب والده ولكنه يكون أكثر إحساسا بالتقلبات المزاجية لوالديه مثل التوتر والكآبة وقد يعبر عن ذلك بكثرة حركته أو عنفه وبكائه، واكتساب النطق قد يساعده على التعبير عن ألمه.

أما تأثير الطلاق على الطفل بين السنتين والثلاث سنوات فإن حدوث الانفصال قد يؤثر سلبا على تعلمه مهارات النطق وتطوره الحركي أيضا.

والانفصال بعد هذه السن عموما يجعل الطفل يتوجه بثقته نحو الطرف الذي بقي معه ويتعامل مع الطرف الآخر بحذر شديد أو تجاهل تام أو ينفر منه ويكون وفيا لطرف دون الآخر. وفي سن متقدمة فإن الطفل يحاول أن يلعب أدوارا مختلفة أحيانا كثيرة يدفعه لها الآباء أنفسهم فإما يقوم بدور الوساطة بين والديه وإما بدور الرسول أو بدور الصديق المؤتمن من قبل الطرف الأقرب إليه، وغالبا ما يكره الطرف الآخر ويحتقره لأنه يسمع من قبل طرف واحد، ومرات يحس انه رجل البيت وأن عليه أن يحل محل الأب الغائب وأحيانا يرى نفسه في دور المنقد والمراقب.

وهذه بعض النصائح التي يمكن أن تساعد الأطفال في حال أصبح الطلاق أمرا حتميا:

- لا يجب أن نحدث الأطفال بطريقة سلبية عن الطرف الآخر سواء من قبل الأم أو الأب أو من قبل العائلة.
- في حالة الشعور بالغضب فمن الأفضل اللجوء إلى صديق للحديث عن مشاكل الانفصال دون أن تصب جام غضبك على طفلك أو تقحمه في متاهاتك المزاجية.
- لا تشعر طفلك بأنه غير وفي في حال كان يلاعب بفرح الطرف الغائب عن البيت أو يظهر غبطة لرؤيته وحضوره.
- حينما يلتقي الوالدان أمام طفلهما فعليهما إبداء الاحترام لبعضهما البعض، فلقاء الطفل بوالديه ليس مناسبة لبدء الشجار من جديد.
- علينا أن نترك الطفل يتحدث حينما يرغب إلى الطرف الغائب عن البيت عبر الهاتف مثلا.
- لا تسأل طفلك عن الآخر إن لم يرغب بإعطائك أية تفاصيل عن الوقت الذي أمضاه معه، وخاصة لا تسأله عن حياة الآخر الشخصية.
- قبل أن تحدثوا الطفل عن موعد لقاء بأبيه مثلا أو مشاريع بالعطلة، على الأم أن تناقش الموضوع مع الأب لكي لا يشعر الطفل بالإحباط إن وعد بشيء ولم يحز عليه وحتى لا يفقد ثقته فيما تقوله أمه أو أبيه.
- من الأفضل ألا نحكي عن مشاكل الطلاق أمام الأطفال، لتركهم يعيشون حياة مستقرة ونبعدهم ما أمكن عن التغيير السلبي في حياتهم.
- يجب ألا نظهر للطفل أننا غاضبون لأنه يفضل أن يذهب لأحد الأبوين دون الآخر أو لرغبته في رؤية احدهما أكثر، ولا نظهر طبعا أننا نحقد على الطرف الآخر بل نعلم الطفل أن ما وقع بين الأبوين هو أمر نجم عن اختلاف وجهات النظر ولكنه ليس أمرا يجعلنا نحقد أو نمنعه من رؤية والده أو أمه.



صرخة مراهق: لا تسخروا من مشاعرنا

هبة محمد أبوالفتوح

مرحلة المراهقة من أكثر وأسرع المراحل تطورًا وتأثيرًا في حياة الإنسان، بعد مرحلة الطفولة، فهناك مبادئ يزداد فهمها وثباتها، ومعلومات أصبحت واضحة بصورة أفضل، كما يجد المراهق نفسه بدأ يتعامل بأسلوب مختلف وأكثر نضجًا مع من حوله، وأكثر من يلاحظ هذا الاختلاف هم الوالدان والأقارب، والجيران.

يغير «الكبار» أسلوب معاملتهم، إذ أصبحوا يعتمدون على أبنائهم وبناتهم بصورة أكبر، كما يصبح أسلوب الحوار أكثر نضجًا وصراحة.

ولكن تزداد التنبيهات والمحظورات في هذه المرحلة أيضًا، وهي ليست نابعة من فراغ، أو لرغبة الكبار في فرض سيرتهم، لكن لأن الأمور بالنسبة للمراهق لم تتضح بعد، وهي جديدة وغريبة، ويحتاج المراهق لأن يعرف ويفهم «لماذا» و«كيف» وتزداد تساؤلاته بداخله، «اسمعونا.. وتكلموا معنا بصراحة»، «لا تسخروا من مشاعرنا»، «لا تجعلونا نخاف منكم أو نكذب عليكم».

إن خوف الوالدين على أبنائهم في اجتياز هذه المرحلة بسلام، لا يكفي وحده دون إبداء الأسباب، أما أسلوب التخويف فلم يعد مجديًا إذ لم يعد المراهق طفلاً.

نحتاج لمن يتكلم معنا.. ويسمعنا!

صيحة بداخل كل مراهق، إنه يفتقد الحوار، ويفتقد من يتحدث معه، يقول «الابن أو الابنة»: «إن الكبار يتعاملون معنا وكأننا أطفال، وكأننا لا نسمع إلا آراءهم فقط، فهم يريدون منا أن نتصرف كما يتصرفون هم».

ويقول الوالد: «يظن ابني أنه أصبح ناضجًا وأنه يعرف كل شيء» وينفد صبره سريعًا بمجرد البدء في توجيه نصيحة له، فكيف إذن سيفهم ويتعلم؟»

> **الإسلام يجعل من الحوار بين الآباء وأولادهم ركيزة أساسية في التربية**

قالت إحدى الأمهات: «إنني أتخيل أن ابنتي (١٦ عامًا) تأتي إلي في يوم لتقول: «أحب زميلي، وأريد أن أتزوجه» أو أن تكون قد تزوجته عرفيًا بالفعل، ونحن لا نعرف».

إن إنكار الوالدين لمشاعر أبنائهما وبناتهما في سن المراهقة لا يلغيها، لذلك فبدلاً من الخوف والانتظار يجب تهيئة ذهن المراهق لكل ما يمكن أن يسمعه، أو يراه أو يعرض عليه من زملائه بالمدرسة، أو بالكلية، أو من أي إنسان يمكن أن يتصل به.

وأسلوب التخويف لا يصل إلى عقل المراهق، ولكن يجب شرح حقيقة هذه المشاعر والعواطف والعلاقات بطريقة صحيحة، وصريحة، وفتح مجال الحوار والأسئلة بدون حرج بين الابن ووالده، أو والدته، وإنارة الطريق أمامه حتى يمكن أن يميز أسرته، من ورائهم، أو خوفًا منهم.

ويجب على المراهق أن يفهم ويتأكد - تمامًا- أن مشاعره أو عواطفه التي تتجه سريعًا إلى الجنس الآخر، لا يمكن معها أن يتخذ في هذه السن قراره باستمرار العلاقة أو بالزواج لمجرد أنه يحب «أو هكذا يعتقد».

لذلك كان من المهم أن يفرق المراهق بين القصص والأفلام، وبين الحياة والواقع، فإذا استطاع أن يفهم ويفرق جيدًا، فإنه يسهل عليه بعد ذلك تلقي المعلومات التي تهمه، وتحفظ نفسه وسمعته، وكرامته بعيدًا عن مشكلات الحب في هذه السن.

دعوة من الشباب إلى كل من الوالدين

- لا تسخر من مشاعري عندما أتحدث معك، لا تستخف من أسئلتي، واشرح لي كل ما يهمني بلا حرج، فأنا لن أطمئن للكلام إلا مع أبي وأمي.
- اشرح لي كيف أتصرف عندما أسمع كلمة من الجنس الآخر تصرح لي: «أحبك»! وأنا مازلت في هذه السن.
- شجعني على ممارسة هوايتي ورياضتي، حتى في فترة الدراسة.
- لا تجعلني أخاف أو أكذب عليك عندما أحكي لك كل شيء أراه، أو أسمعه من الزملاء، أو من أي مصدر آخر.
- «لا تظن أنني مازلت صغيرًا»، فجيلنا مختلف، ولكننا يجب أن نتعلم منكما لأننا نحبكما ونحترمكما.
- لا داعي للخوف، فبداخلنا مبادئ، وطاعة الله مغروسة فينا منذ صغرنا، وهي تحمينا.

• كاتبة صحفية

آمال العامري رئيس أول جمعية للمالية الإسلامية بتونس في حوار خاص:

نستهدف بناء جيل من المتخصصين في المالية الإسلامية لدعم المشروع الاقتصادي الإسلامي

حوار: رضا عبدالودود

رغم عقود من سياسات طمس الهوية الإسلامية وسلخ الشعب التونسي عن عروبته وانتمائه الحضاري الإسلامي، أثبت الشعب التونسي أنه جزء مهم وفاعل في مسار الحضارة الإسلامية والعربية.. فمع مطلع عصر الحرية الجديد في البلاد تداعت ملايين الشعب نحو رموز المشروع الحضاري الإسلامي من مساجد ومظاهر تعبدية وعمل خير وتطوع لإعادة بناء تونس وفق رؤية وطنية محورها الإسلام.

فعلى صعيد العمل الاجتماعي الذي يعبر تعبيرا صادقا عن حياة الشعوب، شهد المجتمع التونسي خلال الأيام الأخيرة تشكيل نحو ١٠٠٠ مؤسسة مدنية في المجالات كافة، رافعة شعار العمل الوطني وتنمية المجتمع المدني التونسي الذي ظل لسنوات رهن الإقصاء والتهميش، ما انعكس سلبا على حياة التونسيين.

ومن تلك المؤسسات العاملة لمستقبل تونس، جاء تأسيس الجمعية التونسية للمالية الإسلامية في ٢٨ فبراير ٢٠١١ كأول جمعية اقتصادية تحمل الفكر الإسلامي للمجتمع التونسي في مجال المالية التي تعد عصب الحياة الاقتصادية.

وفي سبيل جمع الخبرات المالية الإسلامية يجوب وفد من الجمعية عددًا من الدول العربية والإسلامية لتعميق التواصل والاستفادة من الخبرات السابقة في المجال المالي الإسلامي للبناء عليها في تونس، وفي خضم السجالات والحوارات الكاشفة لمستقبل الأمة الإسلامية والعربية في طور التحولات الديمقراطية التي يشهدها عدد من بلداننا، التقينا برئيس الجمعية السيدة آمال العامري خلال زيارتها الكويت بدعوة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.. ودار معها الحوار التالي:

ظهور ١٠٠٠ جمعية مدنية في تونس دليل حياة الشعب وارتباطه بحضارته الإسلامية

• بداية نود التعرف على الجمعية التونسية للمالية العامة بوصفها تجربة جديدة على الشارع التونسي؟

فكرة إنشاء الجمعية كانت حاضرة في الذهن منذ وقت طويل، في ظل ظروف التراجع الاقتصادي وغياب الشفافية والمحاسبية في المنظومة التونسية التي فرضت على المجتمع لسنوات طويلة التجربة الغربية وهمشت الأفكار الإسلامية كافة، دون محاولة الاستفادة من تاريخ الحضارة والتجارب الإسلامية الرائدة والتي يدرسها الغرب في مناهجه الأكاديمية، في الوقت الذي كان التونسيون يحرمون فيه من الاستفادة من تاريخهم في المجال الاقتصادي.

وقد ألحت علينا الظروف الحالية التي تمر بها البلاد، من انفتاح سياسي وحراك مدني وحريات مجتمعية شاملة في مجالات الحياة المختلفة، وتتويجا لاهتماماتي واهتمامات العديد من الرموز الاقتصادية والفكرية الذين يحملون الهم الإسلامي وأصحاب الاختصاص العاملين في المالية

وخاصة ذوي التوجه الإسلامي، شكلنا الجمعية.

● لماذا المالية الإسلامية؟

تبرز أهمية ذلك الجانب المتخصص في الحياة الاقتصادية، وكذلك وجدنا كثيرًا من الدول في الشرق والغرب تولي أهمية كبيرة للمالية الإسلامية في ضوء التطورات الفائقة في الدول صاحبة التجارب الاقتصادية ذات المرجعية الإسلامية.

كما وجد المؤسسون للجمعية فقرا كبيرا في المتخصصين بالمالية الإسلامية سواء كان في المعاهد العليا أو الكليات أو الجامعات، ليس لدينا مراجع لنتعلم المالية الإسلامية، ومن هنا جاءت الفكرة لتأسيس جمعية تعنى بالمالية الإسلامية في تونس.

مرجعية إسلامية

● هل تستهدفون أن تصبحوا مرجعية للتمويل الإسلامي في تونس؟

نعم نرجو أن نكون المرجع الأساسي للمؤسسات المالية لنقدم الطرح أو القراءة الإسلامية والمشورة، بالإضافة إلى أننا سنعمل لتعميق البحث العلمي وإصدار الكتب وعقد الندوات والمؤتمرات العلمية لتكوين وتطوير الكفاءات والخبرات التي ستقود المصرفية الإسلامية، وسنسعى لنكون داعمي قرار للمشروعات الاقتصادية وفق الرؤية الإسلامية.

● وهل لديكم الكفاءات العلمية المؤهلة لتلك الأدوار والأهداف المعتبرة؟

نحرص على الاستفادة من الخبرات كافة في مجال المالية الإسلامية على المستوى العالمي، وحرصنا أن تضم تركيبة الأعضاء المؤسسين جميع الخلفيات العلمية، الهيئة المديرة تتكون من اختصاصات متعددة، بيننا من هو أخصائي في القانون وفي المحاسبة وفي المالية التقليدية والعلوم الشرعية والمعاملات المالية الشرعية، ولدينا خبراء في التدقيق فهناك تنوع ما بين التقليدي والشرعي.

وقد اكتسبنا خبرات عديدة خلال زيارتنا الحالية للكويت واطلعنا على تجارب بيت الزكاة الكويتي والعديد من المؤسسات الخيرية وتجارب المالية الإسلامية بجامعة الكويت.

● هل سيكون هناك دور في الجمعية لبعض المرجعيات الإسلامية؟

الجمعية ذات بُعد تخصصي في الجانب المالي، ولم نأخذ الجانب الاقتصادي لأنه جانب كبير وشاسع ورحب، وكل القامات المالية الإسلامية هم مرجع لنا (الشيخ انس الزرقا، د.محمد بن القطان، القرده اغي) عندنا عدة أسماء نستوحي منها ونستنتج ونستنبط ولا نقف عند منحى واحد أو مدرسة واحدة.

● ومن أعضاء الهيئة الإدارية التي ستتولى إدارة نشاطات الجمعية؟

آمال العامري رئيسًا، حاتم بن إبراهيم نائب الرئيس، بلال العويني الكاتب العام، إبراهيم البخاري أمين المال، أما الأعضاء فهم محرزية برايكي، سنية زاكور، كمال فطناسي، د.إبراهيم فطناسي، درة الجليدي.

بعد الثورة التونسية أصبح مجرد الإعلام بتأسيس الجمعية هو تأشيرة الموافقة الإدارية

● هل أخذت الجمعية صفة الشرعية القانونية؟

التوجه الحالي بعد الثورة يقضي بأن مجرد الإعلام بتأسيس الجمعية هو تأشيرة الموافقة الإدارية، أما في السابق فقد كان الطلب يقدم لتأسيس الجمعية وتنتظر ثلاثة أشهر وإن لم يقع رد بالرفض، فبعد ثلاثة أشهر يعتبر عدم الرد تأشيرة ومن حقك أن تمارس نشاطك، الآن يتبعون النظام الفرنسي بمجرد الإعلام من حقك أن تمارس العمل.

● هل تتلقون دعما من الحكومة؟

سابقا ووفق القانون القديم أنه إذا أسست جمعية فهناك دعم مادي من الدولة، ولكن النظام البائد ترك لنا إرثًا من الفقر والبؤس حال دون التمتع بأي شيء، فلم يعد هناك أي دعم؛ لأن الوضع الاقتصادي لا يحتمل، خاصة أن الساحة التونسية شهدت مؤخرا تأسيس قرابة ١٠٠٠ جمعية، وهذا دليل على تعطش بعد سنوات القهر والاستكانة والكبت والحرمان والتعتيم، وسنغطي تكلفة أنشطتنا من خلال نشاطات علمية تجارية كدورات تدريب ودراسات واستشارات في المجالات الاقتصادية وخاصة المالية، بجانب مساهمات الأعضاء والمهتمين بالمالية الإسلامية.

● على المدى القصير ما أبرز المناشط التي ستنزلون بها الشارع

فكرة «أطعمك أسودك» اكتوى بها الشعب التونسي طوال عقود من التغريب وفرض الأجندة الغربية وتشويه عقيدتنا

التونسي للتعريف بجمعيتكم؟

نحن الآن نعد لعقد يوم للتعريف بالمالية الإسلامية يتضمن فعاليات ثقافية وحملة علاقات عامة، ثم ندوة أخرى حول «الوقف ودوره في التنمية» وذلك خلال شهر مايو ٢٠١١م.

• وماذا عن تجربة مصرف الزيتونة الإسلامي؟

حقيقة تجربة البنك بدأها محمد صخر الماطري، وهو صهر الرئيس السابق، ومجموعة من المستثمرين المعروفين بقربهم من العائلة الحاكمة سابقًا، وانطلق مصرف الزيتونة في تقديم خدماته للعموم في مايو ٢٠١٠ برأسمال قدره ٣٥ مليون دينار (الدولار يعادل ١,٤ دينار)، ليصل في شهر أكتوبر ٢٠١٠ إلى حدود ٧٠ مليون دينار، وأثار المصرف منذ انطلاقه في العمل مخاوف بقية المؤسسات البنكية العاملة في تونس بسبب تورط البنك في احتكار السوق المصرفية في البلاد، نظرًا لنفوذ صهر الرئيس المخلوع. وقد تم تجميد عمل البنك في يناير ٢٠١١م، وتم إخضاعه لإشراف ورقابة البنك المركزي، إلا أن إجمالي التجربة بعيدا عن السياسات الخاطئة تعتبر نوعية في تونس، والأهم فيها هو اجتذابه أموالًا تونسية وثقت في النظام الإسلامي، مما يفرض علينا كجمعية للمالية الإسلامية بذل المزيد من الجهود لتطوير وبناء قاعدة علمية واسعة من الخبراء والعلماء لتطوير المجال الاقتصادي الإسلامي.

• ولكن ما مدى قابلية المجتمع التونسي للأفكار الإسلامية بعد سنوات التغريب الطويلة التي عاشها؟

فوجئ الجميع، رغم المحاولات الشرسة للقضاء على الهوية الإسلامية، بالشعب التونسي الذي كشف عن تمسكه بالإسلام وعروبته منحازا إلى أمته وحضارته، لذا تجد إقبالًا كبيرًا في الشارع التونسي على الفعاليات الثقافية الإسلامية والالتزام الأخلاقي والديني، فهناك حماس كبير لبعث وتأسيس الجمعيات الخدمية والمدنية، مثل جمعية التفكير الإسلامي، وجمعية تونس للثقافة والحوار، وجمعية الإسلام والديموقراطية، وهي امتداد للجمعية الرئيسية في أميركا، إضافة إلى العديد من الجمعيات التنموية والجمعيات الخيرية، وكلها عناصر تتبنى المشروع الإسلامي.

نرفض المال المسيّس

• ولكن نحن نسمع أن مستوى المعيشة للشعب التونسي مرتفع؟

ما يرى غير ما يسمع، فتونس تعيش حالة فقر، ونحن بحاجة إلى أن تدر أموال إخواننا العرب والخليجيين والمسلمين، فلا رغبة لنا في المال المسيّس والمشروط الذي يقدمه لنا الاتحاد الأوروبي أو الأميركان وغيرهم، لأن هذا يؤثر على سيادة الدولة واستقلالها ويقلص من حرية اتخاذ القرار، وذلك انطلاقا من فكرة «أطعمك أسودك» التي اكتوى بها الشعب التونسي طوال عقود من التغريب وفرض الاجندة الغربية وتشويه عقيدتنا والتضييق على ثوابتنا الدينية، بل محاولة اقتلاعها نهائيا من مناهجنا التعليمية والاجتماعية والإعلامية.

الاقتصاد المتحول شوه صورة الاقتصاد الإسلامي

• هناك بعض الملاحظات على الاقتصاد الإسلامي وبعض الانتقادات فما تعليقكم؟

الصورة النهائية للمعاملات المالية الإسلامية لم تكتمل، وبالتالي القراءات والاجتهادات والبحث جار، وخلال فترة البحث، وخلال فترةً الانتشار أو التأسيس تحدث بعض العثرات، ولابد لكي نتعلم أن نخطئ.. والجميع منكب على البحث والدراسة، كل من منحاه، فنجد تيارات ومدارس واجتهادات شخصية، وذلك مرجعه أن التجربة الإسلامية لم تبلغ مرحلة النضج، ولكن هي في طور التكوين حتى الآن، ولكنها على الرغم من تلك العثرات حققت مكتسبات وأجابت عن العديد من التساؤلات.

صحيح أن هناك بعض التعثرات التي تضرب التجارب الاقتصادية التقليدية المتحولة لا التي تنشأ إسلامية من المنبت، والمتحول يكون دائما في حالة توفيق، يحاول أن يحافظ على المنتج التقليدي، ولكن يريد أن يؤسلمه مع المحافظة على جوهره، وهذه المحاولات تجعل عملية المحاكاة محط شبهة وانتقاد.

العلامة المربّي القدوة عبدالرحمن الباني (يرحمه الله)

(١٣٣٥ - ١٤٣٢هـ)

محمد زياد التكلة



توفي قبيل فجر الخميس ١٤٣٢/٦/٩ هـ في الرياض الشيخ العلامة الزاهد، مؤسس علم التربية الإسلامية، التقي النقي الخفي، الشيخ الصالح القدوة المعمّر، أبوأسامة، عبدالرحمن بن محمد توفيق الباني الحَسَني الدمشقي، نزيل الرياض، والمتوفى بها، إثر مرض عضال، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وأخلف على المسلمين من أمثاله.

أَهَكَذَا البَدْرُ تُخْفِي نُورَهُ الحُفَرُ
وَيُفْقَدُ العِلْمُ لا عَيْنٌ ولا أَثَرُ
خَبَتْ مَصَابِيحُ كُنَّا نَسْتَضِيءُ بها
وَطَوَّحَتْ للمَغِيبِ الأَنْجُمُ الزُّهُرُ
وَاسْتَحْكَمَتْ غُرْبَةُ الإسلامِ وَانْكَسَفَتْ
شَمْسُ العُلومِ التي يُهْدَى بها البَشَرُ
تُخُرِّمَ الصَّالِحُونَ المُقْتَدَى بِهِمُ
وقامَ مِنْهُمْ مقامَ المُبْتَدا الخَبَرُ
فَلَسْتَ تَسْمَعُ إلا «كانَ ثُمَّ مَضَى»
ويَلْحَقُ الفارطَ الباقي كما غَبَرُوا
والناسُ في سَكْرَةٍ مِنْ خَمْرِ جَهْلِهِمُ
والصَّحْوُ في عَسْكَرِ الأمواتِ لو شَعَرُوا
نَلْهُو بِزُخْرُفِ هذا العَيْشِ مِنْ سَفَهٍ
لَهْوَ المُنَبَّتِ عُودًا ما لَهُ ثَمَرُ

نسب الشيخ وأسرته

ينتسب لأسرة دمشقية عريقة، معروفة بالعلم والأدب، وتعدد العلماء والفضلاء في الأسرة، ولعل أشهرهم العلامة السلفي الشيخ محمد سعيد الباني (ت١٣٥١) مؤلف «عمدة التحقيق في التقليد والتلفيق»، وهو عم شيخنا، ومنهم الشيخ محمد توفيق الباني (ت ١٣٣٨)- والد شيخنا- وكان من أهل العلم المشتغلين بالتجارة، وكان قد خَلَف والدَه (جد الشيخ) معيدًا لدرس البخاري تحت قبة النسر في الجامع الأموي، من أيام جدِّه لأمه الشيخ مسلّم الكزبري، إلى أيام بدر الدين الحسني، ووالدة شيخنا إحدى الفضليات الصالحات، واسمها فاطمة القاري.

الدراسة وطلب العلم

دخل شيخنا المدرسة الجوهرية السفرجلانية، لصاحبها معلم الأجيال في دمشق الشيخ محمد عيد السفرجلاني، واستفاد كثيرًا من توجيهاته ونصائحه، واستفاد أيضًا من مدرّسيها، وعلى رأسهم الشيخ علي الطنطاوي، والشيخ عبدالوهاب دبس وزيت، والشيخ سعيد البرهاني، وكان الطلبة يدرسون فيها اليوم كاملًا، ويصلون الظهرين في جامعها، ويأتون بغدائهم في السفرطاس (حافظة الطعام).

ثم أكمل دراسته في مكتب عَنْبَر، ثم في مدرسة جودة الهاشمي، وكان منذ ذلك الوقت يناديه المدرسون: «السيد الباني»، احترامًا لشخصيته وعلمه وسلوكه، وكانوا يقدّمونه فيها، ومن أساتذته الذين تأثر بهم الشيخ عبدالقادر المبارك، والشيخ محمد سَليم الجُندي، والشاعر محمد البزم.

ثم دخل معهد المعلمين، وكان الأول على دفعته، وكتب فيه بحثًا عن ابن خلدون، وآخر عن أسلوب التربية، وحصّل شهادة أهلية التعليم سنة ١٣٦٢ (يوافقها ١٩٤٣م).

ودرّس بعد تخرجه في مدرسة التهذيب قرب جامع الحنابلة في الصالحية، ومدرسة سعادة الأبناء التي أنشأها الشيخ علي الدّقر، ومدرسة عمر بن عبدالعزيز في حي عَرْنوس، درّس فيها الصف الأول.

الانتقال إلى السعودية

بقي شيخنا رأس المناهج الشرعية في سورية نحو عشر سنين، وكانت سمعته وجهوده العلمية وصلت لكبار العلماء في السعودية، فحاول سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله ضمّه للجامعة الإسلامية أوائل تأسيسها، عندما سعى لاستقطاب كبار علماء العالم الإسلامي للجامعة، ولكن اعتذر شيخنا بأن بقاءه في المناهج الشرعية أكثر نفعًا، وفي وقت مقارب استدعاه وزير المعارف في السعودية

معالي الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ رحمه الله للعمل في الوزارة، وأرسل له الشيخَ عبدالعزيز المسند رحمه الله- وهو حدّثني بذلك- فرأى شيخنا أن هناك مجالاً جديدًا رحبًا لخدمة الإسلام عبر المناهج في السعودية، إضافة للتضييق الذي حصل له في بلاده، فانتقل إلى الرياض سنة ١٣٨٣ تقريبًا (نحو سنة ١٩٦٤م)، وحدثني معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي- أمين الجامعة الإسلامية آنذاك- قال: كنا حريصين جدًّا على قدوم الشيخ الباني للجامعة، ولكن «خطفته منا» وزارة المعارف!

وبانتقاله للسعودية صار شيخنا من أركان التعليم الحديث فيها، فعمل في وزارة المعارف، وفي إدارة معاهد إعداد المعلمين.وأيضًا كان عضوًا في لجنة المراجعة النهائية للموسوعة العربية العالمية التي صدرت في ثلاثين مجلدًا برعاية ولي العهد الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود، وعضوًا في لجان جائزة الملك فيصل العالمية ثلاث سنوات.

وشارك في عدد من المؤتمرات العلمية والإسلامية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

من صفات شيخنا الجليل

الإخلاص:

كل من يعرف الشيخ يعلم أنه كان مبتعدًا تمامًا عن الأضواء، ويهرب منها، ويعمل أعمالاً كبيرة في صمت، مع كره بالغ للثناء، لقد عمل الشيخ أكثر من ستة عقود في مجال التربية والتوجيه والتعليم مشرفًا ومؤسسًا ومدرّسًا، ومع ذلك ما كان يتكلم عن أعماله إلا نادرًا، وكم رأيناه يكره الثناء ويُحرَج من ثناء بعض الكبار عليه إذا اجتمعوا، ومنها مجلس عامر في الرياض سنة ١٤٢٣ تقريبًا لما زار الشيخان الباني والصباغ شيخنا المحدّث عبدالقادر الأرناؤوط رحمه الله، فطفق يثني على الشيخ الباني، ويعدد لنا فضائله وكلام بعضهم عنه، والشيخ الباني يشير له بيديه أن توقف!

الأدب:

إن الشيخ هو الأخلاق الفاضلة إذا تجسدت! وسمو أخلاقه موضع إجماع، وسمعت من جمع قولَهم: إنهم لم يروا مثل الشيخ في تواضعه وأخلاقه، وأخباره في هذا كثيرة جدًّا.

ومنها أنه كان إذا خرج من غرفة الضيوف ثم أراد الدخول ثانية ينقر الباب بلطف، ثم يدخل، مع أنه في بيته!

لطائف:

كان شيخنا في حديثه على طريقة شيخه الطنطاوي في كثرة الاستطراد وتشعب الفوائد، حتى يكاد يذهب الموضوع الأصلي، ولكن كان له من يذكّره، لا سيما صاحبه المخلص الدكتور عبدالله حجازي.

علمه ومؤلفاته

انشغل شيخنا بالتربية وتأسيس المناهج والتدريس عن التأليف، وصدر له «المدخل إلى التربية في ضوء الإسلام»، و«الفيلم القرآني»، وصدرا بإلحاح من وقف عليهما، وله جملة مقالات ومقدمات مفيدة للغاية، أشهرها مقدمة كتاب العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية، واستوفى تراثه أخي الشيخ أيمن ذو الغنى في ترجمته.

وشارك في تحقيق وتصحيح مشكاة المصابيح، وذُكر أنه شارك في تصحيح مختصر الخرقي، وكان له دور كبير في المكتب الإسلامي في توجيه بعض الكتب، وفي غيره، وكان شيخنا السبب في تأليف الإمام الألباني كتبه آداب الزفاف، وأحكام الجنائز، وجلباب المرأة المسلمة.

وهناك عدد من المؤلفات والترجمات والدراسات صدرت بسببه المباشر، وتجد شكره في مقدمات عدد من الكتاب لإمدادهم بالمراجع والفوائد، ومنهم علامة التربية عبدالرحمن النحلاوي في كتابه أصول التربية الإسلامية، والشيخ محمد عجاج الخطيب في كتابه لمحات في المكتبة (ص١٣٠).

من ثناء أهل العلم عليه

وأثنى عليه الشيخ علي الطنطاوي في مواضع من كتابه الذكريات وغيره، وعدّه في (٥/ ٢٦٦): أحد علماء العربية الذين حفظ الله بهم العربية في الشام.

وقال في تقديمه لكتاب الشيخ الصباغ لمحات في علوم القرآن (ص١٣): «هو العالم العامل الصالح الأستاذ عبدالرحمن الباني».

وقال العلامة محب الدين الخطيب في تقديم آداب الزفاف: «أرجو الله عز وجل أن يأخذ بيد أخي المؤمن المجاهد الأستاذ السيد عبدالرحمن الباني في جميع مراحل حياته، حتى يحقق له آماله ملتزمًا سنة الإسلام في ذلك ما استطاع».

وقال الأستاذ عصام العطار في رثائه للفقيد (منشور): «لقد كان كلُّ جانب من جوانب حياته وجهاده وعمله كافيًا ليكون به عظيمًا بين العظماء، ولكنه لم يكن يحبُّ، بل لم يكن يقبل، أن يُعْلِن أو يُعلَن عن عمله، بل ربما أعطى حصيلة جهوده العلمية والفكرية لآخرين لتظهر بأسمائهم إذا رأى ذلك أنفع للإسلام والمسلمين، وأرجى للنجاح وتحقيق المراد، قلت مرةً- وما أزال أقول-: أنا لا أعرف على كثرة مَنْ عَرفتُ في عالمنا وعصرنا من الناس أتقى من عبدالرحمن الباني، نعم عرفت قليلاً مثله، ولكنني لم أعرف أتقى منه... ولقد كان من سعادتي أني عرفته في مختلف جوانب حياته ونشاطه ، وكان بيننا من الأخوة والصداقة والمحبة والثقة المتبادلة ما ندر نظيره هذه الأيام، وإني لأشهد شهادة العارف الخبير أنه- ولا أزكّي على الله أحدًا- كان من أخلص المسلمين، وأبصرهم وأحسنهم خُلقًا وعملاً في عالمنا وعصرنا الذي عشنا وما نزال نعيش فيه».

المسجد العُمَري في دَرْعَا

تركي محمد النصر

«آبِدَةٌ عُمَرِيّةٌ خَالِدَةٌ» بُني بأمر من الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،أثناء زيارته لمدينة دَرْعَا سنة (١٤هـ) «أَذْرِعَات» أو «يَذْرِعَات» هو الاسم القديم لمدينة «دَرْعَا»، وهي من أقدم مدن العالم المأهولة بالسكان، وقد عاصرت مدن «نينوى وبابل وروما»، وتعود جذورها إلى العصر الحجري، وتفيد المصادر التاريخية أنّ الإنسان سكنها لأوّل مرّة في القرن الخامس قبل الميلاد، و«الأموريون» هم أول من استقر فيها.

وكانت «دَرْعَا» جزءًا من ممالك عدّة منها: (الآشورية، والكلدانية، والفارسية)، وكانت العاصمة الاقتصادية للمملكة الرومانية.

قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: «حَوْرَان كورة واسعة من أعمال دمشق في القبلة، ذات قرى كبيرة ومزارع، قصبتها بُصْرَى، ومنها أذْرِعَات وإِزْرَع وغيرهما».

تقع مدينة «دَرْعَا» في أقصى جنوب الجمهورية العربية السورية بالقرب من حدود المملكة الأردنية، وهي المنفذ الحدودي الوحيد في جنوب البلاد، وتبعد عن العاصمة دمشق (١٠٠) كم، ومساحتها (٤٠٠٠) كم٢.

وتنقسم مدينة «دَرْعَا» إلى قسمين رئيسيين هما:

١- «البَلَد»: وهي البلدة القديمة، وفيها المسجد العمري الذي بُني بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٢- و«المحطة»: نسبة لمحطة قطار الحجاز الذي أسسه العثمانيون (وقيل غير ذلك).

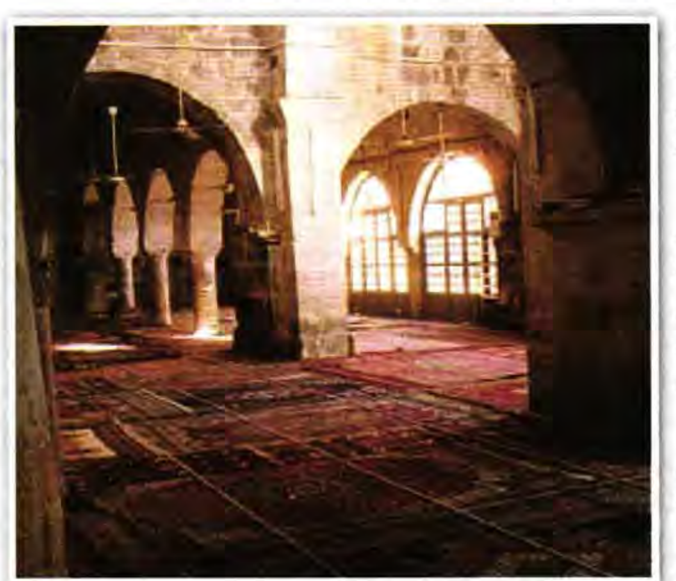
وتضم هذه المحافظة بالإضافة إلى مدينة «دَرْعَا» عدة مدن رئيسية أهمها:

١- نَوَى: مدينة «الإمام النووي» رحمه الله تعالى.

٢- إِزْرَع: مدينة «الإمام ابن قيم الجوزية» رحمه الله تعالى.

٣- بصرى الشام: مدينة الإمام الحافظ المحدِّث عماد الدين أبوالفداء «ابن كثير» الأذرعي الدمشقي (صاحب التفسير)، وهي المدينة القديمة التي ذكرها النبي ﷺ بقوله: «لا تَقُومُ السّاعَةُ حَتّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى» (رواه البخاري:٧١١٨).

٤- دَاعل: (دائيل سابقًا) وتُعْرف بمدينة الشهداء (وذلك لما قدّمت من شهداء أيام الاحتلال الفرنسي لسوريا، وكذلك أيام القصف الإسرائيلي لها في السبعينيات)، وهي المدينة العريقة التي عسكر فيها الصحابي الجليل القائد عمرو بن العاص رضي الله عنه بجيشه سنة (١٥هـ) قبيل معركة اليرموك، وتحتوي على عديد من الآثار الرومانية، وفيها المسجد العمري الكبير الذي كان معبدًا رومانيًا.



٥- جَاسم: مدينة تاريخية سميت بهذا الاسم نسبة إلى «جاسم ابن آرام بن «سام» بن نبي الله «نوح» عليه السلام، جعلها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد انتهاء معركة اليرموك منطلقًا لفتح بيت المقدس، ومنها انطلق أبو عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه إلى بيت المقدس، واستخلف على الناس معاذ بن جبل رضي الله عنه، وعليه فيمكن لأهل «دَرْعَا» أن يفخروا ويقولوا: «مِنْ دَرْعَا انطلقت الجيوش الإسلامية لفتح بيت المقدس، ومنها إن شاء الله ستنطلق الجيوش لتحريره»، وهي مدينة الشاعر المشهور «أبو تمام» حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (ت:٢٣١هـ).

عمر بن الخطاب رضي الله عنه في «دَرْعَا»

دخل الجيش الإسلامي إلى مدينة «دَرْعَا» فاتحًا بقيادة أمين الأمة «أبوعبيد بن الجراح رضي الله عنه » في سنة: (١٤هـ)، الموافق:(٦٣٥م)، وتم تحريرها من الروم الذين كانوا يحكمونها، وعقد رضي الله عنه صلحًا

• إمام وخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية

مع أهلها.

وحين قدم الخليفة «عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى «دَرْعَا» آخر سنة (١٤هـ) استقبله أبو عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه وأهل «دَرْعَا» بالغناء والضرب على الدفوف، ثم أمر رضي الله عنه ببناء مسجد لهم في وسط المدينة ليكون منارة للعلم والهدى.

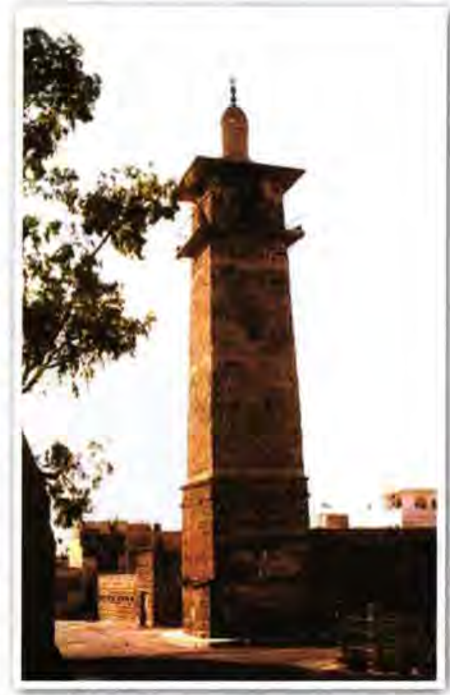
المساجد العُمَريّة بمحافظة دَرْعَا

إذا أردنا الحديث عن المسجد العمري في «دَرْعَا البَلَد» فإننا لابدّ أن نذكر أشقاءه من المساجد العمرية المنتشرة بمحافظة «دَرْعَا» والتي تعد من أهم المحطّات التي تؤرخ لمراحل تاريخية عرفتها المدينة ومنها:

المسجد العمري في مدينة «دَرْعَا البَلَد»:

هو أحد المساجد الأثرية المنتشرة في محافظة «درعا»، ويقع وسط البلدة القديمة، وهو بناء أثري يعود باسمه إلى الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث أمر رضي الله عنه ببنائه عندما زار المدينة سنة (١٤هـ)، وأشرف على بداية بنائه جمع من الصحابة منهم: أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، ومعاذ بن جبل رضي الله عنه، وقد حافظ المسجد على شكله القديم حتى دخلت عليه عمليات الترميم الحديثة وغيّرت بعضًا من معالمه القديمة، إلا أن هذه الترميمات والتعديلات لم تطل منارته وواجهته القبلية، وأصبح المسجد بمخططه الحديث عبارةً عن نسخة مصغرة عن الجامع الأموي» بدمشق من حيث احتوائه على أروقة بديعة، وحرم واسع للصلاة، و صحن خارجي مكشوف، و مئذنة شامخة.

والداخل إلى المسجد من بوابته الشمالية (الرئيسية) تظهر أمامه أربعة أروقة تحيط بصحن المسجد، والرواق الجنوبي هو أكبرها، حيث يعتبر إيوان الصلاة والحرم والمحراب امتداده شرقًا وغربًا، أما سقف المسجد فيشبه جميع الأبنية القديمة في «دَرْعَـا» إذ يرتكز على «القناطر الحجرية» تليها بشكل معاكس حوامل بارزة من كل جهة، وتليها «عوارض» أكثر بروزًا للربط بين الحوامل وتغطية الفراغات، ويعلو العوارض طبقة من القطع الحجرية الصغيرة المنحوتة والمخلوطة بالكلس، ثم طبقة سميكة من التراب.



وللمسجد ثلاثة أبواب رئيسية يفتح أكبرها وهو الباب الشمالي على الأروقة الداخلية للمسجد، أما البابان الغربي والشرقي فيفتحان على فضاءات خارجية.

المسجد العمري في مدينة «إزْرَع»

يقع المسجد العمري في وسط مدينة «إزْرَع» في منطقة أثرية بين كنيستي «مار اليَاس» و«مار جرجس» القديمتين، بُنِي أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

المسجد العمري في «بُصْرَى الشّام»

يقع المسجد العمري المعروف محليًا بمسجد العروس في مدينة «بُصْرَى الشّام» وسط البلدة القديمة، وعلى مقربة من القلعة الرومانية الأثرية.

بُني أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويعرف بالمسجد العمري نسبة إليه، ويتألف من صحن مكشوف تتوسطه «ميضأة» مربعة، داخلها نافورة ماء، ويحيط بها عمود رخامي وتاج دوري ارتفاعه متران.

هذا، ويوجد في مدينة «بُصْرَى» عديد من المساجد الأثرية القديمة كمسجد «فاطمة» الذي تعود عمارته إلى النصف الأول من القرن السابع الهجري (العصر الأيوبي)، ويقع بين «الكاتدرائية» و «دير الراهب بحيرا»، وتعود مئذنته التي يصل ارتفاعها إلى (١٩) مترًا إلى عهد السلطان المملوكي الناصر محمد أمر الأمير أيوب بن مجد الدين عيسى النجراني.

ومسجد «مبرك الناقة»، وله أهمية خاصة في تاريخ العمارة الإسلامية، حيث يعتبر أقدم مبنى أثري في سوريا، أنشئ ليكون مدرسة دينية، ولا يوجد نماذج أقدم منه قائمة في سورية، ويعود تاريخ بنائه إلى بداية العهد الإسلامي، ويقع في الزاوية الشمالية الشرقية من مدينة بصرى.

ويعتقد أن هذا المسجد أقيم في المكان الذي بركت فيه ناقة النبي ﷺ عند زيارته لمدينة «بُصْرَى» مع عمه (أبو طالب) قبل البعثة، وهذه الرواية يؤكدها العلامة ابن كثير في كتابه السيرة النبوية، والعلامة علي بن محمد بن حبيبي الماوردي في كتابه أعلام النبوة، والعلامة تقي الدين أحمد بن علي المقريزي في كتابه إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، حيث قال رحمه الله: «... خرج أبو طالب إلى الشام، وخرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرة الأولى وهو ابن ثنتي عشرة سنة، فلما نزل بصرى من الشام، وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له...».

التاريخ الثقافي للمسجد العمري بـ «دَرْعَا البَلَد»

تميزت «دَرْعَا» حضاريًا وثقافيًا عبر التاريخ، حيث شهدت أرضها الدورات الحضارية المتعاقبة، ويكاد لا يخلو مكان في «دَرْعَا» إلا وبه الآثار والأوابد الشاهدة على تواصل الثقافة والحضارة.

وقد أنجبت هذه المدينة المئات من العلماء والأدباء والساسة والقياديين وكان المسجد العمري هو منطلقهم العلمي والثقافي، فمنهم من وفد إلى المسجد للالتقاء بعلمائه، ومنهم من أمّه وخطب فيه، أو دَرَسَ ودرّس فيه، ومن أشهرهم:

١- «الإمام النووي» أبوزكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني النووي الشافعي، علامة الفقه والحديث، مولده ووفاته في مدينة «نوى» (٤٠كم إلى الغرب من دَرْعَا) وإليها نسبته.

٢- «ابن قيم الجوزية» الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُرَعي نسبة إلى مدينة « إزْرَع» (٣٥كم إلى الشمال من دَرْعَا)، وهو من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهذب كتبه ونشر علمه، وسُجِن معه في قلعة دمشق.

٣- «ابن كثير الدمشقي» الإمام الحافظ المحدث إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البُصْرَوي نسبة إلى مدينة «بصرى» (٤٥كم إلى الشرق من دَرْعَا) ثم الدمشقي، أبو الفداء: حافظ ومؤرخ وفقيه، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل إلى دمشق سنة: (٧٠٦هـ)، ورحل في طلب العلم، ومن أشهر مصنفاته: البداية والنهاية، شرح صحيح البخاري، طبقات الفقهاء الشافعية، تفسير القرآن الكريم المعروف بتفسير ابن كثير، توفي رحمه الله تعالى بدمشق سنة: (٧٧٤هـ).

٤- إسحق بن إبراهيم الأذرعي، أحد الثقات من عباد الله الصالحين، حدث عن محمد بن الخضر بن علي الرافعي، ويحيى بن أيوب بن ناوي العلاف، وأبي زرعة، وأبي عبدالرحمن النسائي، وأبي الحسن الرازي وغيرهم، وقال أبوالحسن الرازي: كان الأذرعي من أجلّة أهل دمشق وعبادها وعلمائها، ومات يوم عيد الأضحى سنة (٣٤٤هـ).

٥- الإمام شهاب الدين، أبو العباس، الأذرعي، نزيل حلب ومفتيها وشيخ الشافعية فيها، ولد في «دَرْعَا» سنة: (٧٠٨هـ)، وهو شيخ البلاد الشمالية، وفقيه تلك الناحية، ومفتيها، والمشار إليه بالعَلَم، قال عنه الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله: «أمتع الله ببقائه، واشتهرت فتاويه في البلاد الحلبية».



٦- القاضي محمد بن محمد بن أبي العز الأذرعي، ولد في «دَرْعَا» سنة: (٦٦٣هـ) و درس بالمدرسة الظاهرية، وكان إمامًا فقيهًا شاعرًا مفتيًا، توفي بدمشق سنة: (٧٢٢هـ).

٧- «ابن وهيب الأذرعي» قاضي القضاة شمس الدين ابن وهيب الأذرعي، ولد في «دَرْعَا» سنة: (٥٩٥هـ) وعاش بدمشق، وسمع من حنبل وابن طبرزد والكندي وابن ملاعب والموفق الحنبلي، وتفقه ودرس وأفتى، وصار مشارًا إليه في المذهب.

قال عنه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: «كان من العلماء الأخيار كثير التواضع قليل الرغبة في الدنيا». توفي في دمشق سنة: (٦٧٣هـ).

٨- أحمد بن محمد بن إبراهيم بن إبراهيم بن داود بن حازم الأذرعي أبوالعباس ابن قاضي القضاة أبي عبد الله محمد، كان إمامًا مفتيًا فاضلًا تصدر بالجامع الحاكمي وناب في الحكم، ومات سنة: (٧٤١هـ).

٩- مفتي الحنابلة الصدر شهاب الدين أبوالعباس أحمد بن سالم بن أبي الهيجاء الأذرعي الحنبلي ابن قاضي نابلس بدمشق، مات بدمشق ودفن بقاسيون سنة: (٧٤٧هـ)، سمع من ابن البخاري ثلاثيات مسند أحمد وبعض المشيخة.

١٠- ومن أبرز المعاصرين الذين وفدوا إلى المسجد العمري الإمام الشيخ «أحمد نصيب المحاميد» من قرية نصيب (١٠كم إلى الشرق من دَرْعَا)، التحق بحلقة الشيخ علي الدقر (ت:١٣٦٢هـ)، وأخذ من محدث الشام الحافظ محمد بدر الدين الحسني (ت: ١٣٥٤هـ)، وقرأ عليه من صحيحي البخاري ومسلم، وأخذ على شيخه الشيخ محمود العطار (ت:١٣٦٢هـ) مسند الإمام الشافعي وسمع على شيخه أبوالخير الميداني (ت١٣٨٠هـ)، حديث الرحمة المسلسل بالأولية الإضافية و المسلسل بالدمشقيين، توفي رحمه الله تعالى في دمشق سنة (١٤٢١هـ).

١١- ومن أبرز مَنْ وفد إلى المسجد ودرّس فيه مفتي «دَرْعَا» العلامة الشيخ عبدالعزيز بن جبر أبا زيد الأذرعي رحمه الله تعالى (ت:١٤٢٣هـ)، ولد ونشأ في مدينة «دَرْعَا»، ورحل إلى دمشق وطلب العلم فيها على علامتها الشيخ علي الدقر، ومحدث الشام ومفتيها العلامة بدر الدين الحسني رحمه الله تعالى.

هذا ولا يزال المسجد العمري يؤدي دوره الرائد في مدينة «دَرْعَا»، فالداخل إليه ينبهر بتَحَلّق طلاب العلم حول مشايخهم، ويطرب سمعه بأصوات الناشئة في حلقات القرآن الكريم، وهذا عهد من أهالي مدينة «دَرْعَا» لخليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن هذا المسجد سيبقى كما أراده رضي الله عنه منارة للعلم والهدى، وينطلق من أعلى منارته صوت الحق قائلًا: «الله أكبر، الله أكبر...لا إله إلا الله».

الهرمونات والعزف على أوتار الجسد

د. يحيى سنبل

الهرمون كلمة إغريقية تعني باعث النشاط، والهرمونات رسائل كيميائية تنتجها الغدد الصم، وتنتقل في الدورة الدموية إلى الخلايا المستهدفة، حيث تنظم عمليات الأيض، ومصطلح الأيض يعني حرفيًا التغيير (chanje) ويستخدم للإشارة إلى جميع التحولات الكيميائية، والمتعلقة بالطاقة التي تحدث في الجسم.

هناك عدد كبير من الغدد الصم التي تفرز الهرمونات تتمثل في الغدة النخامية الموجودة داخل الجمجمة والتي تفرز هرمونات تتحكم في نشاط بقية الغدد الصم، ومصطلح غدة صماء يعني غدة ليس لها قناة تصب فيها ما تفرزه، وإنما يصل إفرازها إلى الدم مباشرة، والغدة الدرقية وما تحويه من الغدد الجار درقية، وهي موجودة في العنق، والغدتان الكظريتان، واحدة فوق كل كلية، والبنكرياس الذي يفرز عددًا من الهرمونات أهمها هرمون الإنسولين، والمناسل، ونعني بها الخصيتين والمبيضين، كما أن هناك هرمونات تحرض أو تكبح إفراز هرمونات الفص الأمامي من الغدة النخامية، ويفرزها الهيبو ثلامس Hypoth alamus أحد تراكيب المخ المهمة، ويقوم الغشاء المخاطي المبطن للجهاز الهضمي بإفراز عدد من الهرمونات، والغدة الزعترية Thymus gland تفرز هرمونًا أو أكثر يتحكم في الخلايا اللمفاوية، وهي من أهم خلايا الجهاز المناعي، والكلية kideny تفرز ثلاثة هرمونات:١ و ٢٥ داي هيدروكسي كوليكالسيفيرول، والرينين Renin، وإريثروبويتين، كما أن القلب يفرز هرمونات الببتيد الأذيني المدر للصوديوم ANP الذي يزيد من إخراج الصوديوم بواسطة الكليتين، والغدة الصنوبرية Pineal bady تفرز الميلاتونين melatonin هذا الإندول الذي يعتقد أنه يمتلك وظيفة هرمونية.

هذه الهرمونات تعمل مع بعضها في حالة من التناغم، ليبدو الجسم ملائمًا لظروف الحياة، متوافقًا مع الحالات المختلفة التي يتعرض لها، إنه عزف جماعي منسجم على أوتار الجسد، ولنأخذ مثالًا على ذلك، وهو تطور الثديين وإدرار اللبن عند الإناث، يقوم هرمون الإستروجين estrogen بزيادة عدد القنوات الموجودة في الثديين، ويقوم هرمون البروجستيرون بنمو وتطور الفصوص الصغيرة lobules التي يتكون منها الثدي، وأثناء العمل يزداد مستوى هرمون البرولاكتين prolactin في الدم، وتحت تأثير هرمون البرولاكتين بالإضافة إلى المستويات العالية من الإستروجين والبروجستيرون يحدث النمو والتطور الكامل للفصوص الصغيرة والحويصلات الموجودة بالثديين، ثم يأتي دور هرمون آخر وهو الأوكسيتوسين oxytocin الذي يؤدي إلى انقباض الخلايا العضلية التي تبطن جدران القنوات الثديية، وبالتالي يحدث قذف اللبن من حلمة الثدي.

ومن العجيب أن هذه الهرمونات توجد في الجسم بنسب دقيقة، إذا قلت أو زادت أدى ذلك إلى حدوث خلل أو مرض، فإذا زاد هرمون النمو على سبيل المثال، قبل سن البلوغ أدى ذلك إلى العملقة gigantism، أي إن جسم الشخص المصاب يزاد في الطول بطريقة غير طبيعية، وإذا زاد هذا الهرمون بعد سن البلوغ أدى ذلك إلى مرض التضخم الطرفي Acromegaly، والهرمونات تعكس هذا التواصل بين أجهزة الجسم المختلفة، وتلفت النظر إلى معنى لا يمكن إدراكه على وجه الحقيقة إلى أن أجهزة الجسم تمثل كيانات عاقلة تتبادل رسائل كيميائية تفهمها جميع الأطراف وتستجيب لها بدقة، وغياب الهرمون (الرسالة) أو نقصه يؤدي إلى مشكلة صحية كبيرة، كما يحدث مع هرمون الإنسولين، ولهرمون الإنسولين تراكيب تسمى مستقبلات الإنسولين Insulin Receptors مسؤولة عن قراءة الرسالة التي هي هرمون الإنسولين نفسه وفهمها، وقد يكون الخلل في هذه المستقبلات وليس في الهرمون، ويحدث مرض السكر نتيجة لهذا الخلل.

فالهرمونات إذن رسائل توجه، ومواهب تعزف، وحوارات تدور، تجلو لنا عظمة الخالق-جل شأنه- وقدر هذا المخلوق- الإنسان- المستخلف لعمارة الأرض، والمكلف، والمسؤول عن أفعاله، وقد يصل بنا العجب إلى غايته عندما نعلم أن خلايا الجسم تتصرف بطريقة عاقلة، فغشاء الخلية يمتلك خاصية النفاذية الاختيارية، حيث يسمح بمرور بعض العناصر من دون البعض الآخر، فعلى سبيل المثال عندما يصل هرمون الإنسولين إلى أنسجة الجسم المختلفة فإنه يؤدي إلى دخول الجلوكوز إلى خلايا العضلات الهيكلية، وعضلة القلب، والعضلات الملساء، والأنسجة الدهنية، وخلال الدم الأبيض، وعدسة العين، والخلايا المكونة للألياف Fibroblast، وغدد الثدي، والأورطى، وخلايا جزر البنكرياس، في حين أن هناك خلايا لا تتأثر بالإنسولين وهي خلايا المخ، ما عدا جزء من الهيبوثلامس، والأنابيب الكلوية، والغشاء المخاطي المعوي، وخلايا الدم الحمراء، كما أن الإنسولين يؤدي إلى زيادة نمو الخلايا بصفة عامة، إذن هناك نظام، ونظام عجيب، من عناصره هذه الهرمونات التي تعزف على أوتار الجسد.

* طبيب مصري



فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

٦/٤٧/٨٤ـ...إفطار المسافر في الطائرة

... كنا على سفر بالطائرة من جدة إلى الكويت، وبعد إقلاع الطائرة بعشر دقائق حان موعد أذان المغرب والذي كان بحدود الساعة السابعة إلا عشر دقائق، وكنا نرى الشمس وحان موعد أذان المغرب في الساعة السابعة وخمس دقائق في الكويت، وغابت الشمس في الساعة السابعة واثنتين وعشرين دقيقة، وكنا على ارتفاع ٢٧ ألف قدم.. فما حكم موعد الإفطار؟

● أجابت اللجنة بما يلي:

إن المسافر لا يراعي في موعد فطره توقيت بلده الأصلي الذي غادره، ولا توقيت البلد الذي يقصده، وإنما يراعي مشاهدته غروب الشمس عليه، سواء كان على الأرض أو على جبل أو مرتفعًا في الهواء، ولكن إذا ترتب على توجه طائرته نحو الغرب تأخر الغروب وطول الزمن بحيث يجهده البقاء صائمًا فإنه يفطر للمشقة وعليه الإعادة. والله أعلم.

٩/١٦/٧٧ـ...إفطار المسافر في الطائرة

عرض على اللجنة مقال نشرته مجلة أسبوعية وفيه عرض لواقعة وقعت في طائرة متجهة من الكويت إلى القاهرة في رمضان. وفيه: أن المضيفة قدمت طعام الإفطار قبل غياب الشمس، وأن بعض الصائمين قد أفطر على اعتبار أن الشمس كانت قد غربت في الكويت، وإن كانت لا تزال ظاهرة مرئية من نوافذ الطائرة، وتساءل البعض هل ضاع صيام هؤلاء الذين أفطروا؟ وهل العبرة بغروب الشمس على بلد الانطلاق، أو الأرض التي تكون فوقها الطائرة، أو على الطائرة نفسها؟ وتقترح أن يعمم الجواب على شركات الطيران وخاصة الخطوط الكويتية.

● أجابت اللجنة:

...أن العبرة في الإفطار بغياب الشمس على الصائم في المكان الذي هو فيه، ففي هذه المسألة العبرة بغياب الشمس على الطائرة لا بغيابها عن المكان الذي انطلقت منه ولا عن الأرض التي فوقها الطائرة، وهذا مادام الإنسان في مكان تابع للأرض وفي حيزها، أما المنطلقون في رحلات فضائية فلا ينطبق هذا الحكم عليهم، وأما الذين أفطروا في تلك الحال أي قبل أن تغيب الشمس عنهم فيلزمهم إعادة صوم ذلك اليوم. والله أعلم.

١/٣٢/٨٣ـ...هل للصائم أن يأكل بعد طلوع الفجر؟

نشرت إحدى الجرائد اليومية فتيا بجواز الأكل والشرب بعد أن يؤذن لصلاة الفجر استنادا إلى حديث رواه أحمد والطبري وصححه الألباني «إذا سمع أحدكم النداء والإناء على يده فلا ينزله حتى يقضي حاجته». فما مدى صحة هذه الفتيا وهل هي موافقة لمذاهب الأئمة الأربعة؟ ومتى تنتهي هذه الحاجة، هل لها وقت محدد أو هي مطلقة؟ وهل يجوز للإنسان إذا سمع الأذان أن يقضي حاجته من الجماع؟

أجابت اللجنة بما يلي: لم يأخذ أحد من العلماء بظاهر هذا الحديث فيما نعلم، وهو محمول عند الجمهور على أن المراد بالأذان في هذا الحديث إن صح هو الأذان الأول، أو يحمل على حالة من لم يتأكد من طلوع الفجر، أما إذا تأكد من طلوع الفجر فليس له أن يأكل أو يشرب لقوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر

قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي رقم ١٨٣ (١٩/٩) بشأن مرض السكري والصوم

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي الذي انعقدت دورته التاسعة عشرة في دولة الإمارات العربية المتحدة من ١-٥ جمادى الأولى ١٤٣٠هـ الموافق ٢٦-٣٠ أبريل ٢٠٠٩م بناء على وثيقة التعاون القائم بين المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ومجمع الفقه الإسلامي الدولي، وذلك انطلاقا من الاتفاقية الموقعة بين الجهتين، وبعد تكليف المجمع للمنظمة بالقيام بدراسة «داء السكري وصيام رمضان»، وبناءً على معطيات الندوتين اللتين عقدتهما المنظمة.

وبعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص استكمال بحث موضوع داء السكري والصوم، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله، وبعد عرض الجوانب الطبية والفقهية لأثر الصوم على المصابين بالسكري، قرر ما يلي:

أولاً: تعريف موجز لداء السكري

هو اختلال في نسبة السكر في الدم اختلالاً مرضيًا وعلى وجه الخصوص ارتفاع النسبة فوق المعدل الطبيعي، وينتج داء السكري عن فقدان هرمون الإنسولين الذي تفرزه خلايا البيتا في البنكرياس أو عن قلة كميته او قلة استجابة خلايا الجسم له في بعض الحالات.

ثانيا: أنواع المصابين بالسكري: يندرج تحت ما يسمى بداء السكري عدة أنواع تختلف عن بعضها اختلافا كبيرا في الأسباب وطرق العلاج، وهي كما هو متفق عليه من تسميات وتصنيفات لدى المؤسسة الطبية العالمية المتخصصة في داء السكري:

١- السكري من النوع الأول: المعتمد على الانسولين ولجرعات متعددة في اليوم.

٢- السكري من النوع الثاني: غير المعتمد على الانسولين.

٣- سكري الحمل.

٤- أنواع أخرى نادرة.

ثالثا: تصنيف داء السكري طبيًا

تم تصنيف المصابين بالسكري طبيًا إلى اربع فئات على النحو الآتي:

الفئة الأولى

المصابون بالسكري ذوو الاحتمالات الكبيرة جدا



للمضاعفات الخطيرة بصورة مؤكدة، وتتميز اوضاعهم المرضية بحالة أو اكثر مما يأتي:

• حدوث هبوط السكر الشديد خلال الأشهر الثلاثة التي تسبق شهر رمضان.

• المصابون بالسكري الذين يتكرر لديهم هبوط وارتفاع السكر بالدم.

• المصابون بالسكري (المصابون بحالة فقدان الإحساس بهبوط السكر) وهي حالة تصيب بعض المصابين بالسكري، وخصوصا من النوع الاول الذين تتكرر لديهم حالات هبوط السكر الشديد ولفترات طويلة.

• حدوث مضاعفة (الحماض السكري الكيتونى) او مضاعفة (الغيبوبة السكرية) خلال الشهور الثلاثة التي تسبق شهر رمضان.

• السكري من النوع الأول.

• الأمراض الحادة الأخرى المرافقة للسكري.

• المصابون بالسكري الذين يمارسون مضطرين أعمالا بدنية شاقة.

• المصابون بالسكري الذين يجرى لهم غسيل كلى.

• المرأة المصابة بالسكري اثناء الحمل.

الفئة الثانية

المصابون بالسكري ذوو الاحتياجات الكبيرة نسبيا للمضاعفات نتيجة الصيام والتي يغلب على ظن الأطباء وقوعها، وتتمثل أوضاعهم المرضية بحالة أو أكثر مما يأتي:

• الذين يعانون من ارتفاع السكر في الدم كأن يكون المعدل (١٨٠-٣٠٠مغم/دسل) ونسبة الهيموغلوبين المتراكم (المتسكر) تجاوز ١٠٪.

• المصابون بقصور كلوي.

• المصابون باعتلال الشرايين الكبيرة (كأمراض القلب والشرايين).

• الذين يسكنون بمفردهم ويعالجون بواسطة حقن الأنسولين أو الأقراص الخافضة للسكر عن طريق تحفيز الخلايا المنتجة للأنسولين في البنكرياس.

• الذين يعانون من أمراض أخرى تضيف أخطارًا إضافية عليهم.

• كبار السن المصابون بأمراض أخرى.

• المصابون بالسكري الذين يتلقون علاجات تؤثر على العقل.

حكم الفئتين الأولى والثانية:

حالات هاتين الفئتين مبنية على التأكد من حصول الضرر البالغ أو غلبة الظن بحصوله بحسب ما يقدره الطبيب الثقة المختص، فيتعين شرعًا على المريض الذي تنطبق عليه إحدى الحالات الواردة فيهما ان يفطر ولا يجوز له الصيام، درءًا للضرر عن نفسه، لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾(البقرة: ١٩٥)، وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء: ٢٩)، كما يتعين على الطبيب المعالج ان يبين لهم خطورة الصيام عليهم، والاحتمالات الكبيرة لإصابتهم بمضاعفات قد تكون- في غالب الظن- خطيرة على صحتهم أو حياتهم. وعلى الطبيب ان يستنفد الإجراءات الطبية المناسبة التي تمكن المريض من الصوم دون تعرضه للضرر.

تطبق أحكام الفطر في رمضان لعذر المرض على أصحاب الفئتين الأولى والثانية عملاً بقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ (البقرة من الآية: ١٨٤). ومن صام مع تضرره بالصيام فإنه يأثم مع صحة صومه.

الفئة الثالثة

المصابون بالسكري ذوو الاحتمالات المتوسطة للتعرض للمضاعفات نتيجة الصيام، ويشمل ذلك المصابين بالسكري ذوي الحالات المستقرة والمسيطر عليها بالعلاجات المناسبة الخافضة للسكر التي تحفز خلايا البنكرياس المنتجة للأنسولين.

الفئة الرابعة

المصابون بالسكري ذوو الاحتمالات المنخفضة للتعرض للمضاعفات نتيجة الصيام، ويشمل ذلك المصابين بالسكري ذوي الحالات المستقرة والمسيطر عليها بمجرد الحمية أو بتناول العلاجات الخافضة للسكر التي لا تحفز خلايا البنكرياس للأنسولين بل تزيد فاعلية الأنسولين الموجود لديهم.

حكم الفئتين الثالثة والرابعة

لا يجوز لمرضى هاتين الفئتين الإفطار، لأن المعطيات الطبية لا تشير إلى احتمال مضاعفات ضارة بصحتهم وحياتهم بل إن الكثير منهم قد يستفيد من الصيام. وعلى الطبيب الالتزام بهذا الحكم وأن يقدر العلاج المناسب لكل حالة على حدة.

ويوصى بما يأتي:

- الأطباء مطالبون بالإحاطة بقدر مقبول من معرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بهذا الموضوع، وهذا يقتضي إعداد هذه المعلومات من الجهات ذات الصلة وتعميمها على المعنيين بها.

- الفقهاء والدعاة مطالبون بإرشاد المصابين بالسكري الذين يتوجهون إليهم طالبين الرأي الشرعي، بضرورة استشارة أطبائهم المعالجين الذين يتفهمون الصيام بأبعاده الطبية والدينية، ويتقون الله لدى إصدار النصح الخاص لكل حالة بما يناسبها.

- نظرًا للأخطار الحقيقية الناتجة عن مضاعفات داء السكري على صحة المصابين بالسكري وحياتهم، فإنه يجب اتباع جميع الوسائل الممكنة للإرشاد والتثقيف، بما فيها خطب المساجد ووسائل الإعلام المختلفة، لتوعية المصابين بالسكري بالأحكام السابقة، ذلك أن زيادة مستوى الوعي بداء السكري وأصول التعامل معه يخفف كثيرًا من آثاره، ويسهل عملية تقبل الأحكام الشرعية والنصائح الطبية لمعالجته.

- أن تتولى المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالتعاون مع مجمع الفقه الإسلامي الدولي إصدار كتيب ارشادي حول هذا الموضوع باللغة العربية وغيرها والعمل على نشره بين الأطباء والفقهاء، وعرض مادته العلمية على صفحة الانترنت ليطلع عليه المصابون بالسكري للاستفادة منه.

- مطالبة وزارات الصحة في الدول الإسلامية بتفعيل البرامج الوطنية في مجال الوقاية والمعالجة والتوعية بداء السكري وأحكامه الشرعية.



إعداد: خالد خلاوي

قوة التفكير.. وصناعة النجاح

إن صناعة النجاح عملية متكاملة تعتمد على عدد من القوانين والمؤثرات من داخل الإنسان تتيح له حسن التعامل مع ما يحيط به من مؤثرات خارجية، ومن هذه المؤثرات قوة الوعي الداخلي من خلال التفكير العميق الإيجابي لتحسين الذات، ولقد اهتم بهذا الموضوع الكاتب والمحاضر جو كيهو، وهو ما دفعه إلى الاعتكاف ثلاث سنوات ليضع كتابه الشهير «قوة العقل في القرن الحادي والعشرين».

يقول كيهو في كتابه عن قوة الأفكار: «إن الأفكار تحاول دائما أن تبحث لها عن صورة تتشكل فيها، وأن تجد لها منفذًا وأن تكشف عن نفسها فتلك هي طبيعتها.. وعلى الرغم من أن الفكرة الواحدة غير المدعومة بأي شيء لا تنطوي على قدر كبير من القوة، فإنه مع تكرار الأفكار تصبح الأفكار مركزة وموجهة كما يمكن تضخيمها لمرات عديدة»، ويقول: «الأفكار الواهنة المتفرقة هي قوى واهنة متفرقة، والأفكار الشديدة المركزة هي قوى شديدة ومركزة»، وينبه كيهو إلى أن أفكارك المتواصلة بشأن نفسك هي ما تصنع الشخص الذي ستكون عليه..

أفكار الخوف تصنع شخصًا سمته الخوف.

أفكار الثقة تصنع شخصًا يتمتع بالثقة.

أفكار الضعف تصنع شخصًا يعاني من الضعف.

أفكار القوة تصنع شخصًا لديه القوة.

الأفكار الهادفة تصنع شخصًا ذا هدف.

أفكار النجاح تصنع شخصًا ناجحًا.

ويضع كيهو في كتابه مجموعة من القواعد والتمارين التي تعلمك كيفية توجيه أفكارك، وتكوين أي وعي تتخيره، ولن يتغير واقعك إلا حين تكوّن بداخلك وعيًا جديدًا وليس قبل ذلك، على سبيل المثال: ما الذي تحتاج إليه في حياتك؟ أجب عن السؤال ثم كون وعيًا داخليًا بما تحتاجه، أتحتاج إلى مزيد من الصحة فكون بداخلك وعيًا بالصحة... وهكذا.

ويشرح كيهو في فصول الكتاب خطوات ومراحل تكوين الوعي من خلال العقل والتفكير الجيد وألخصها في الآتي:

التخيل: يتمثل التخيل في أن ترحل بمخيلتك إلى عالم ترى فيه نفسك في وضع لم تكن فيه من قبل، وأن تتصور نفسك تقوم بالأشياء التي ترغبها، أو تحقق النتائج المنشودة التي ترغبها في النجاح.

الغرس: ويعني الشعور بأنك تمتلك ما ترغبه، وأنك بالفعل قد حققته، وعليك أن تمارس الغرس بوتيرة منتظمة يوميًا على الأقل لمدة خمس دقائق ليتم الغرس.

التأكيدات: وهي عبارة عن جمل بسيطة تكررها بينك وبين ونفسك صمتًا أو جهرًا حسبما يكون مريحًا وعمليًا لك، في الوقت الذي تريد، ومن الممكن أن تكرر هذه الجمل في أي مكان، ولتكن تأكيداتك دائمًا في صيغة إيجابية مثبتة مثل «سأكون الأفضل في المرة القادمة» و«يمكنني الفوز» و«أشعر بقدرتي على النجاح» و«لدي القدرة على تحقيق أهدافي».

الإقرار بالنجاح: أقر ثم أقر بنجاحك وإنجازاتك، فالوعي يصنع الواقع، وأنت من يصنع الوعي، فأعد قائمة بكل نجاحاتك مثل: إنني ناجح في التعامل مع الناس، إنني منظم في عملي، إنني مجتهد في تخصصي... وهكذا، فالنجاح يثمر مزيدًا من النجاح.

وبعد ذلك احتفظ بهذه النقاط في ذهنك:

كن واعيًا بما تفكر، فإنك تشكل خبرات وأحداث المستقبل من خلال أفكار الحاضر.

غير رد فعلك تجاه أي ظروف لا ترغبها في حياتك.. فإذا كنت تعاني من وظيفتك، أو بدون وظيفة، أو تعاني من أمر ما، فأول شيء يمكنك أن تفعله هو أن تتقبل ظروفك وأوضاعك، وألا تحاول التظاهر بعدم وجودها، بل وجودها أمر واقع، ولا تضيع الوقت في الشعور بالأسف أو في محاولة التصدي لهذه الظروف، بل تفاعل معها من خلال أساليب قوة العقل.

خصص لنفسك فترة يومية داخلية «للإبداع» متحررًا من كل المتطلبات والمهمات اليومية ومصادر التشويش، إنها هذه الفترة الإبداعية الداخلية التي ستمنحك القوة.

صور من حياة المتميزين

التأكيد الإيجابي

يروي جون كيهو إحدى التجارب التي مر بها في إحدى رحلاته لإلقاء محاضرات فيقول: اطلعت على جدول مواعيدي في الأشهر التالية، ولم أصدق عيني، فقد كان من المفترض أن أنتقل من مدينة لأخرى دون أن أنال أي قسط من الراحة، بل كان من المفترض أن أكون في مدينتين مختلفتين في اليوم نفسه! وبدأت أشعر بأن الشهر التالي سيكون مستحيلًا، وسيكون مكتظًا بالضغوط الموهنة، وهذا ما بدأت أخبر نفسي به «سأتعرض لضغط لا يطاق» وازداد لدي ليومين أو ثلاثة أيام تالية الشعور بالتوتر والعصبية، حيث كنت أترقب الجزء الرهيب التالي من الرحلة، وأخذت أسيء للشخص الذي وضع جدول المواعيد هذا لي.

وعندئذ ضبطت نفسي متلبسًا، ولم أجد بدًا من أن أضحك؛ فهنا كنت أدرس مادة قوة العقل، ووجدت نفسي بشكل عفوي أقع في فخ صنعته بنفسي، إنه التأكيد السلبي الذي كنت أكرره «سأتعرض لضغط لا يطاق»، ولذا كوّنت تأكيدًا جديدًا.. كنت أركز على ثلاث كلمات: منظم، مسترخ، ومرح.. وكررت بيني وبين نفسي كلما فكرت في هذه الجدول المثير للقلق، وفي خلال أيام قليلة تالية أخذت أفكر بيني وبين نفسي.. إنني كلما كنت منظمًا ومسترخيًا فلعل السباق اللاهث هذا يصير أكثر إمتاعًا، فما الذي كنت أشعر بالانزعاج منه؟ وفي النهاية أحدثت هذه الكلمات الثلاث اختلافًا هائلًا، فلم يتغير جدول مواعيدي، ولكن ما تغير هو توجهي، فقد تحولت رحلتي التي من المفترض أن تشكل عليّ ضغطًا كبيرًا إلى مصدر ارتياح وراحة لي، فقد كنت منظمًا، كما كنت مسترخيًا، وشعرت بالمتعة مع انطلاقي لمواجهة التحدي بمجرد أن غيرت التأكيد السلبي إلى تأكيد إيجابي، واقتنعت بأنني في كل يوم، وبكل طريقة أكون أفضل وأفضل، ومن الممكن لك أيضًا أن تصيغ تأكيدا وأن تستخدمه خلال اليوم لكي يعينك على إنجاز المهام التي ترغبها.

كلمات في التميز

التفكير الجيد

الفكرة الإيجابية هي بذرة النتيجة الإيجابية، وأفضل طريقة للحصول على فكرة جيدة أن يكون عندك الكثير من الأفكار.

لينوس بولينج

فكّر على الورق، لأن من يفكر على الورق يمسك القلم وينجح أكثر من غيره.

أليكس اوسبورن

إن قوة الفكر قادرة على إحداث المرض والشفاء منه.

ابن سينا

من المحتمل ألا تستطيع التحكم في الظروف، ولكنك تستطيع التحكم في أفكارك، فالتفكير الإيجابي يؤدي إلى الفعل الإيجابي والنتائج الايجابية.

إبراهيم الفقي

حين تحتفظ في ذهنك بصورة واضحة عن هدفك، يصير تحققه على نحو ملموس ومرئي مجرد مسألة وقت، فدائمًا ما يسبق التخيل الإدراك.

ليليان ويتنج

إن التفكير القوي الواضح في داخل المكتب شيء جميل جدًا، إلا أن التفكير بمثل هذه القوة والوضوح وسط الأعاصير هو الممارسة المثالية للقدرات الإنسانية.

غوفيون سان سير

إعداد: هالة محمد

الطيور لإطفاء الحرائق وعمليات البحث الجنائي!





أثبتت دراسة حديثة أجريت في ألمانيا أن زقزقة الطيور يمكن أن تصبح وسيلة مساعدة لإنقاذ من حاصرتهم حرائق الأنفاق القاتلة، وقالت الدراسة إن الظلام والدخان وفقدان القدرة على اختيار الاتجاه الصحيح تمثل الكابوس الأكبر لأي قائد سيارة يواجه حريقًا في أحد الأنفاق، وقال «بيرتولد فيربر» قائد الفريق الذي أعد الدراسة إن بالإمكان استخدام أصوات الطيور لدلالتهم على المخارج، إذ يمكن أن تكون وسيلة ناجحة للغاية في هذا الموقف، حيث تتعذر الرؤية والقدرة على اختيار الاتجاه الصحيح بسبب الدخان والظلام السائد.

ومن جانب آخر جلبت الشرطة الألمانية الصيف الماضي صقرين من حديقة للحيوان في النمسا، أحدهما يدعى «ميس ماريل» والآخر يدعى «كولومبو» للانضمام إلى الصقر «شارلوك» ذي الأعوام الخمسة الذي كان بدأ تدريبه منذ عامين، وذلك لمساندته من ناحية، ومن ناحية أخرى لأن هذه الطيور تجوب مسافات أطول فقط من خلال مجموعات، وتتمتع هذه الصقور بقوة بصر حادة، بالإضافة إلى حاسة شم قوية، مقارنة بغيرها من الطيور، حيث تقوم نظرية الاستعانة بهذه الجوارح على أن أداءها سيكون أسرع من الكلاب البوليسية في حال كانت منطقة البحث كبيرة للغاية أو يصعب الوصول إليها.

البحر يرتفع مترًا!

قد يرتفع مستوى مياه البحر مترًا واحدًا بحلول القرن الجديد، نتيجة للاحترار المناخي الذي يهدد بمضاعفة الفيضانات الجارفة في المناطق الساحلية وفق ما خلص إليه تقرير أسترالي.

وأوضح التقرير الذي أصدرته اللجنة الأسترالية للمناخ أن الأدلة دامغة على احترار الأرض، وهذه الدراسة ترتكز على أحدث البيانات العلمية التي تم جمعها من حول العالم تبين أن الغازات الدفيئة من دون شك مسؤولة عن ارتفاع درجات الحرارة وعن احترار المحيطات وارتفاع مستوى مياه البحار، وفي تمهيد التقرير كتب البروفيسور «ويل ستيفن» رئيس اللجنة: أعتقد أن متوسط ارتفاع مستوى البحار في عام ٢١٠٠م مقارنة بعام ١٩٠٠م سيسجل بين ٥٠سم ومتر واحد.



زلزال اليابان أحدث انحرافًا في قاع المحيط

كشف جهاز وضع في قاع البحر بالقرب من السواحل اليابانية أن الزلزال الضخم الذي ضرب البلاد في شهر مارس الماضي أحدث انحرافًا بأكثر من ٢٠ مترًا في مقر المحيط، ويزيد هذا القياس المباشر عن تقديرات حجم الإزاحة التي تم التوصل إليها بناء على معلومات جمعت من الأرض فقط، وقد سجل هذا الرقم الجديد بواسطة حرس السواحل الياباني الذين أكدوا أن هذا المعدل المسجل بواسطة أجهزة قاع البحر يقرب من ضعف المعدل الذي قدر وفقًا للمعلومات الأرضية.

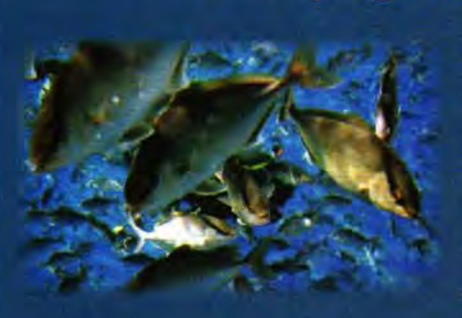
يذكر أن قوة الزلزال الذي ضرب اليابان في ١١ مارس الماضي بلغت ٨,٩ درجات على مقياس ريختر.



صدق رسول الله: تيامنوا

قال باحثون أميركيون إن أغلبية البشر القدماء الذين عاشوا قبل ٥٠٠ ألف سنة كانوا يستخدمون اليد اليمنى، وربطوا بين هذه الظاهرة وتطور اللغة عند الإنسان، وقال الباحث ديفيد فراير من جامعة كنساس: «نستخدم اليد اليمنى لأن الجزء الأيسر من الدماغ يتحكم بالجهة اليمنى من الجسم حيث تتم عملية اللغة، وأوضح فراير أن استخدام معظم البشر لليد اليمنى قد يشير إلى أنهم تمكنوا من تطوير اللغة فالمتحجرات والآثار التي تم العثور عليها وعلامات الأسنان تظهر جميعها أن معظم أسلاف البشر كانوا يستخدمون اليد اليمنى ولم يظهر لدى أي حيوان عدا البشر هذا الميل لاستخدام اليد اليمنى، وقال الباحثون: إن الدراسة قد تساهم في إثبات أن اللغة كانت موجودة بالفعل قبل حوالي نصف مليون سنة.

أسماك تتغذى على النباتات



قال علماء دوليون من بيرو والولايات المتحدة الأميركية في دراسة جديدة نشرتها مجلة «بروسيد نجز» التابعة للجمعية الملكية البريطانية إن سمك الباكوس الأسود يحمل بذور بعض الأشجار والنباتات لمسافة تصل إلى خمسة كيلو مترات في بعض الأحيان، وأنها تلعب بذلك دورًا مهمًا في الحفاظ على غابات الأمازون، ويتغذى هذا السمك بشكل كبير على ثمار نباتات مختلفة تنضج غالبًا في موسم الفيضان في حوض الأمازون وتسقط في مياه النهر بعد نضوجها.

سرعة الضوء ليست واحدة

أكد باحثون في معهد الأبحاث العلمية الفرنسي، لأول مرة في التاريخ، أن سرعة الضوء ليست واحدة، بل هي تتغير تحت تأثير الحقل الكهرومغناطيسي بحسب اتجاهها.

وقام العلماء بقياس الفرق بين سرعة انتشار الضوء في اتجاهين متعاكسين لتأكيد هذه النظرية، وتفتح هذه النتائج الدقيقة جدًا المجال واسعًا أمام الباحثين الذين يسعون إلى تطوير النموذج الذي يصف التفاعلات بين الجزيئات، وينتظر أن تسمح هذه الدراسة التي نشرت في منتصف مايو في المجلة العلمية فيزيكال ريفيو لينرز، باستعمال هذه النتائج في تطبيقات جديدة في مجال الضوء.

وينتشر الضوء في الفراغ المطلق بسرعة ثابتة تساوي ٢٩٩٧٩٢٤٥٨ مترًا في الثانية، وكان العلماء يعتقدون أنه ينتقل بالسرعة ذاتها في كل الاتجاهات، إلى أن تم الإنجاز الأخير.

من هنا وهناك

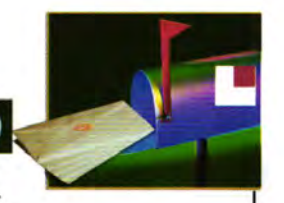
■ سمحت أحافير اكتشفت في المغرب بالعثور على أثر حيوان بحري مفترس (عملاق) عاش لفترة أطول مما كان يعتقد بحسب دراسة تلقي ضوءًا جديدًا على حقبة أساسية في تطور حياة الأرض، وهذه الحيوانات المفترسة من أضخم حيوانات كوكب الأرض خلال الانفجار الكامبري، أي الفترة التي تعود إلى ٥٤٠ أو ٥٠٠ مليون سنة عندما تنامى التنوع الحيوي بشكل كبير.

■ اخترع العلماء غلافًا غشائيًا شفافًا وحساسًا جدًا لدرجة أنه يتغير لونه من اللون الأصفر بمجرد أن يبدأ المنتج الغذائي المغلف بهذا الغشاء في الفساد سواء كان لحمًا أو سمكًا أو حتى حبوبًا وخضارًا.

■ قال مكتب المسح الأميركي إن مساحة اليابسة في الولايات المتحدة الأميركية تتقلص بشكل متواصل منذ عام ١٩٤٠م، وأوضح المكتب أن مساحة اليابسة الأميركية بلغت في عام ١٩٤٠م ٣,٥٥٤,٦٠٨ أميال مربعة وفي عام ١٩٩٠م تراجعت إلى ٣,٥٣٦,٢٧٨ ميلًا مربعًا وفي عام ٢٠٠٠م تقلصت بـ ١٢٠٠ ميل مربع، ولكن منذ ذلك الوقت تقلصت بـ ٥٥٠٠ ميل مربع.

■ قالت منظمة الصحة العالمية إن مرض الملاريا تسبب في وفاة ما يقرب من مليون شخص عام ٢٠٠٨م معظمهم من الأطفال.

■ أظهرت دراسة أميركية جديدة أن الرجال الذين ينامون أقل من خمس ساعات في الليلة الواحدة على مدى أسبوع تنخفض لديهم بشكل ملحوظ معدلات الهرمون الذكري، مقارنة بمن يأخذون قسطًا وافيًا من النوم الليلي.





إعداد: التحرير

الخطاب القرآني.. والوقاية الحضارية

قد يرتكب الإنسان ذنوبًا وآثاما تتعدى اضرارها للآخرين، كأن يقتل، أو يسرق، أو يؤذي بدون دليل شرعي، ويعد هذا الإنسان ظالمًا للناس لأنه اعتدى على حقوق الآخرين وطبيعة جرائمه تخالف شرع الله.

والإنسان يرتكب جرائمه، وهو واقع تحت تأثيرات هوى النفس، وإغراءات الشيطان بتزيين الشر له، والتحرك بجوانب العصيان.

والإنسان بطبيعته وفطرته التي فطره الله عليها يسعى لأن ينسجم مع مبادئ الحق، وقيم الفضيلة والعدل، وهو حتى في حالة الخروج عليها، يحاول أن يوهم نفسه، ويختلق الأعذار والمبررات، ليقنع نفسه بأن ما يفعله هو عمل صحيح ومشروع.

قال تعالى: ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون. ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ (البقرة: ١١-١٢).

وقال تعالى: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً. الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا﴾ (الكهف:١٠٣-١٠٤).

الخطاب القرآني بين للإنسان سبل الوقاية الحضارية باتباع منهج الله عز وجل، لسيادة القيم الأخلاقية، لتحقيق عوامل التكافل والتعاون بين أفراد المجتمع، والله عز وجل فتح باب التوبة لكل إنسان.

قال تعالى: ﴿ يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير﴾ (التحريم: ٨).

وتعبر التوبة عن عناية ولطف الله عز وجل بعباده، وهي تبين عظمة الله المطلقة، والله عز وجل هو الذي يلغي الآثار المترتبة للذنوب من صفحة الوجود والحفظ ويستر على عباده.

قال تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم﴾ (الزمر: ٥٣).

■ والإنسان واجب عليه أداء الأمانة، لقوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولاً﴾ (الأحزاب: ٧٢).

وتلك الأمانة، تهدف لتحقيق منهج الله عز وجل في الأرض، وقد يكون الإنسان جهولا بتلك الأمانة، لذلك خص الله الإنسان بالعقل، والعقل أساس رقي حياة الإنسان، كما أن العقل مناط التكليف، وبالعقل يفعل الإنسان الخير والشر، ومن هنا فالعقل والوجدان هما عينان للإنسان، كي يمعن النظر في سنن الكون.

● **يحيى السيد النجار**

ما دليل خيريتكم؟

يا أمة ضحكت منها الكثير من المخلوقات، حيث طال رقودها وطول سبات، وصارت بين العالمين من النكرات، حتى وإن عرضت الجغرافيا بأرضها وملئت بالثروات، فالعدالة بديارها موءودة وحقوق الإنسان في الغيابات، والثروة بيد قلة استغلتها في المنكرات، وحبستها عن كثير من الفئات، وبالتالي حرمتها من الضرورات، وألقت لغيرها بالنفايات، وكأنما سلطت هذه القلة على ثروات الأمة فأودت بها في المهلكات.

أما الشباب ففي الأغلب الأعم يلهو ويعبث في معظم الأوقات، بطالة ومخدرات وجهل وكثير من الصفات الباطلات منها التحرش والشذوذ وأحاديث الشات.

والمال والبنون عنصرا الحياة ألقت بهما الأمة في الشهوات، وتكالب على الأمة توحش في السلطات، وكل المشهد لا يجدي معه منبر وكبير عظات، حتى وإن بدا فيه كثرة مآذن وباسق العمارات، فالأمة اليوم تنكرت لماضيها حتى وإن قرئ بديارها الكثير من الآيات، وانتشرت في بيوتها كتب الصحاح والمصاحف المزركشات.

فالأمة المقصودة اليوم لم تشارك في حديث الحضارات، والقلة النادرة التي شاركت فبجهد فردي بعد هجرات، وصارت هذه الأمة عبئًا على العالم بل على المخلوقات، وتتجاهل هذه الأمة أن رسول الله ﷺ يقول: «أمتي أمتي فيقال له لا تدري ماذا أحدثوا بعدك؟ فيا لها من مخجلات، أمة تستحق اليوم مرثية موحدة القافية من طويل المعلقات.

هل هذه خير أمة أخرجت للناس؟ بأي أمارة أو علامة تستحق الآن خير الصفات؟

● **الحسين محمد**

اللبن المسكوب

تفرقت السبل بالمسلمين وشغلتهم حياتهم الدنيا، وبالتالي فلا وقت للدعوة الحقة لدينهم ولا البحث عمن ضاعت هويتهم.

أقول هذا في الوقت الذي تحيي فيه الديانات والأقليات ذكريات المآسي لتظل محفورة وحية ويقظة أمام العالم واستعادة لبعض المواقع والحقوق، ومحاولة تصحيح التاريخ كما يفعل الأرمن بل وعصابات بني صهيون.

إذا بنا نجد المسلمين قد تغاضوا عما حدث للإسلام والمسلمين في الأندلس ولم يسعوا حتى لتصحيح التاريخ ونجدة ونصرة الموريسكيين، هذه الأسر التي مازالت تدين بدين الإسلام ومازالت تذكر التاريخ الأليم عام ١٦٠٩ يوم أن أمر فيليب الثالث بطرد المسلمين من إسبانيا.

وأذاق المسلمين ويلات العذاب والتمثيل بالأجساد والدفن أحياء تحت القباب، والعالم الإسلامي اليوم مطالب بالاتصال بهذه الأسر والعائلات خصوصًا وأن بعضها هاجر إلى أميركا قبل وصول كريستوفر كولمبس إليها.

ولقد تنصر البعض ولكن غالبية الموريسكيين في شغف شديد وتعطش بالغ لتعلم صحيح الإسلام والتفاعل مع المسلمين والأبحاث الحقيقية التي تصحح التاريخ وتعطي للموريسكيين هناك وضعهم الصحيح.

● **عصام حميد**

السمات العشر لليلة القدر

لقد شاء الله عز وجل أن يفضل بعض المكان على بعض، وبعض الزمان على بعض.

ففضل من المكان: مكة والمدينة وبيت المقدس، وفضل من الزمان يوم الجمعة وشهر رمضان ويوم عرفة وليلة القدر التي فضلها الله عز وجل على الليالي جميعها، وجعل لها خصائص وسمات، تتميز بها عن سائر الليالي.

السمة الأولى: ليلة القدر هي الليلة التي أنزل فيها القرآن

يقول الله عز وجل ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ (القدر:١).

أي أنزلنا هذا القرآن في ليلة القدر جملة واحدة، من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا.

السمة الثانية: ليلة القدر هي ليلة الشرف الرفيع

﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ (القدر: ٢)، ومعنى ليلة القدر: أي ليلة الشرف والرفعة والمنزلة العظيمة.

السمة الثالثة: ليلة القدر هي الليلة المباركة: إن هناك من المكان ما هو مبارك، كما قال الله عز وجل عن البيت الحرام ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين﴾ (آل عمران: ٩٦)، هناك من الزمان كذلك ما هو مبارك كما قال تعالى عن ليلة القدر ﴿إذ أنزلنا في ليلة مباركة إنا كنا منذرين﴾.

السمة الرابعة: ليلة القدر فيها يفرق كل أمر حكيم

يقول ابن كثير: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ أي: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها.

السمة الخامسة: ليلة القدر خير من ألف شهر

عن مجاهد قال: كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي، ففعل ذلك ألف شهر، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل.

السمة السادسة: الملائكة في ليلة القدر على الأرض عدد الحصى

﴿تنزلُ الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾.

السمة السابعة: ليلة القدر ينزل فيها جبريل ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ الروح هو جبريل عليه السلام.

قال ابن كثير: وأما الروح فقيل: المراد به هاهنا جبريل عليه السلام فيكون من باب عطف الخاص على العام.

السمة الثامنة: ليلة القدر هي ليلة السلام التام

﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾ عن مجاهد في قوله: ﴿سلام هي﴾ قال: هي سالمة، لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا أو يعمل فيها أذى.

وقال قتادة وابن زيد في قوله: ﴿سلام هي﴾ يعني: هي خير كلها، ليس فيها شر إلى مطلع الفجر.

السمة التاسعة: ليلة القدر هي ليلة الرحمة والمغفرة

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من يقم ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»، وقيل: «الروح»: الرحمة ينزل بها جبريل عليه السلام مع الملائكة في هذه الليلة على أهلها، دليله: ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده﴾ (النحل: ٢)، أي بالرحمة.

السمة العاشرة: ليلة القدر هي الليلة التي من حُرِمَ خيرها فقد حُرِمَ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ: «قد جاءكم رمضان، شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرِمَ خيرها فقد حُرِمَ».

● **نجاح عبدالقادر**

إعداد: التحرير

شهر رمضان

رمضان.. سمي بذلك حيث يبدأ الحر، وترمض الأرض برملها وحجارتها من وهج الشمس، وكان أهل الجاهلية يعظمونه.

في هذا الشهر المبارك أنزل القرآن الكريم، وسمي شهر الصبر، وجرت فيه غزوة بدر، وفتح مكة، ومعركة حطين، وعين جالوت، ومعركة السادس من أكتوبر، ورمضان هو الشهر الوحيد الذي ورد اسمه صراحة في القرآن الكريم.

الصيام جُنّة

الصيام جُنّة من النار، وفضيلة من درجات الأبرار، إذا صبر عليه الصائم فحفظ جوارحه فيه من المآثم، فإذا أمرحها في الآثام كان كالتائب المتردد الناقض للميثاق لم تكن توبته نصوحًا، ولا كان صوم هذا صالحًا وصحيحًا.

(الوعظ المطلوب من قوت القلوب ص٨٦)

إلا الصوم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ عملِ ابن آدم له، إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به. والصيام جُنّة، فإذا كان يومُ صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابّه أحدٌ أو قاتله فليقل: إني صائمٌ. إني صائمٌ، والذي نفس محمد بيده لخلوفُ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه»

(البخاري ومسلم)

من روائع الدرر

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

- مَن تعلم القرآن عظمت قيمته، ومَنْ نظر في الفقه نبل قدره، ومَنْ كَتَبَ الحديث قويت حجته، ومَنْ نظر في اللغة رقّ طبعه، ومَنْ نظر في الحساب جزل رأيه، ومَنْ لم يصن نفسه لم ينفعه علمه.

وقال أيضًا:

- مَنْ لا يحب العلم لا خير فيه، ولا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة.

(ديوان الإمام الشافعي)

الرجال أربعة

قال حكيم: الرجال أربعة: جواد، وبخيل، ومسرف، ومقتصد.
فالجواد: مَنْ أعطى نصيب دنياه لنصيبه من آخرته.
والبخيل: هو الذي لا يعطي واحدًا منهما نصيبه.
والمسرف: هو الذي يجمعهما لدنياه.
والمقتصد: هو الذي يعطي كل واحد منهما نصيبه.

(موسوعة أقوال الحكماء)

قيل في الجود

- قيل لأحد الحُكماء: مَنْ أجود الناس؟
قال: مَنْ جادَ مِنْ قِلّة، وصانَ نفسه عن المذلّة.
- وقيل: أكملُ الخِصالِ ثلاث: وقارٌ بلا مهابةٍ، وسماح بلا طلب مكافأة، وحلمٌ بغير ذُلّ.
- وقيل: لقد انتهى الجود في الجاهلية إلى ثلاثة نفر: حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، وهَرِم بن سِنان المُرّي، وكعب بن مامة **الإيادي**. **(أخبار العرب** ١٣/١)

يا باغي الخير أقبل

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان: صُفّدت الشياطين ومردة الجن، وغُلّقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفُتّحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، و ينادي منادٍ يا باغيَ الخير أقبل و يا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلةَ» **(الترمذي)**

أوّل مَنْ سن قيام رمضان

عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثاني الخلفاء الراشدين، وأوّل مَنْ لُقب بأمير المؤمنين، الصحابي الجليل صاحب الفتوحات، يُضرب بعدله المثل، تولّى الخلافة بعد الصدّيق وبعهد منه، وهو أوّل مَنْ عَسّ بالمدينة المنوّرة ليلاً، وهو أوّل مَنْ حمل الدِّرّة وضرب بها، وهو أوّل مَنْ سنّ قيام شهر رمضان، وهو أوّل مَنْ أرّخ بالتاريخ الهجري، وهو أوّل مَنْ قدّر رواتب العمال وحدّدها.

(الأوائل لأبي الهلال العسكري معجم الأوائل)



استقبال رمضان

كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال في رمضان يقول: «اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام هلال خير ورشد ربي وربك الله» وفي بعض الروايات أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول: «الله أكبر اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله»

(الترمذي)

ثلاثة

● ثلاثة تنفع في الدنيا مع ثوابها في الآخرة: الحج ينفي الفقر، والصدقة ترد البلاء، والبر يزيد في العمر.

● ثلاثة من كن فيه فقد أصاب البر: سخاء النفس، والصبر على الأذى، وطيب الكلام.

● ثلاث خلال مَنْ برئ منهن نال ثلاثة: من برئ من الشهرة نال العز، ومن برئ من البخل نال الشرف، ومن برئ من الكبر نال الكرامة.

● ثلاث من لم يرغب فيهن بُلي بست: مَن لم يرغب في الإخوان بلي بالعداوة والامتحان، ومن لم يرغب في السلامة بلي بالشدائد والامتهان، ومن لم يرغب في المعروف بلي بالندامة والخسران.

(إحياء التراث في ما جاء في السبع والثلاث)

باب الريّان

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق زوجين في سبيل الله، نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة». فقال أبوبكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟. قال ﷺ: «نعم، وأرجو أن تكون منهم» (البخاري).

(حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم)

الأغنياء أفضل أم العلماء؟

قيل لحكيم: الأغنياء أفضل أم العلماء؟

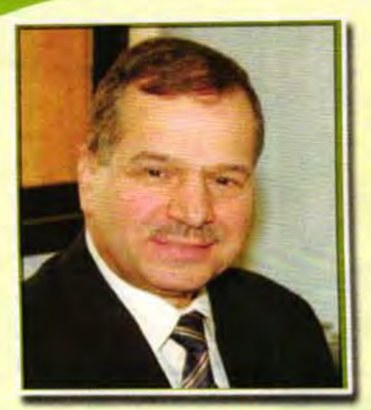
فقال: العلماء أفضل.

فقيل له: فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء، ولا نرى الأغنياء يأتون أبواب العلماء؟

فقال: لأن العلماء عرفوا فضل المال، والأغنياء لم يعرفوا فضل العلم!.

(موسوعة أقوال الحكماء)





د. محمد حسان الطيان

بيان القرآن

نزل القرآن على أمة ما كانت تقدر شيئًا تقديرها للكلمة، ولا كانت تحسن شيئًا إحسانها للبيان، حتى قيل في حقها: إنها أمة سجدت للبيان قبل سجودها للأوثان، وحقًا ما قيل وعدلًا، فقد سمعنا بمن استخف منهم بالأوثان، لكنا لم نسمع أبدًا بأحد منهم استخف بالبيان، ألم يأتك نبأ بني حنيفة؟ أولئك الذين اتخذوا ربًا من تمر فلما جاعوا أكلوه فقال الشاعر في حقهم:

أكلت حنيفة ربها
زمن التقَحُّم والمجاعَةْ

على حين أولت العرب شعر شعرائها كل العناية والرعاية، فأقامت له أسواقًا ومهرجانات، واحتفت بالنابغين والنابهين فيه، واصطفت أجمله وأروعه ليكتب بماء الذهب ويعلق في أستار الكعبة، ويطلق عليه من الأسماء والألقاب ما يليق بمنزلته وشرف مكانته كالمعلقات والمسمَّطات والمذهبات والمشهورات.

ثم ماذا كان؟

لقد نزل القرآن، نزل على أمة البيان، فلامس أسماعها ببيان لا أحلى ولا أعذب ولا أجمل ولا أروع! بيان يمتزج بأجزاء النفس لطافة، وبالهواء رقة، وبالماء عذوبة، وبالنغم العلوي الأصيل إيقاعًا وجرسًا. ما إن سمعوه حتى خالوه السحر يدبُّ في أجسادهم.

بيانٍ سجدت له أسماعهم وأفئدتهم قبل جباههم ورؤوسهم، بيان حلق بهم في دنيا لا عهد لهم بها، بل في سماء لا تدانيها سماء، حتى قال قائلهم لما سمع أثارةً منه:

«إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وما هو بقول بشر».

وهو الوليد بن المغيرة لما سمع من رسولنا الكريم ﷺ قوله جل وعلا:

﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾

إنه البيان الذي ما لبثت الجن حين سمعته أن قالت:

﴿إنا سمعنا قرآنا عجبًا. يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدًا﴾

بل هو البيان الذي أفحم أهل البيان وتحداهم بقوله:

﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا﴾

فأذعنوا و انقادوا، وكان قصارى أمر الجاحدين منهم أن قالوا: «إنْ هذا إلا سحر يؤثر»

ونهوا قومهم وغلمانهم عن سماعه خشية أن يتأثروا به: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾

أما المؤمنون فتغنَّوا به، ورشفوا من رحيقه، وتضلعوا من منهله، وتعلموا من مأدبته «إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته».

وأما أهل البيان واللسَن والفصاحة والشعر فقد هجر بعضهم لأجله شعره، واستعاض عنه بكلام ربه، هذا لبيد بن عامر، وهو من فحول الشعراء، ومن أصحاب المعلقات، قيل إنه لم يقل في الإسلام إلا هذا البيت:

فَالحمدُ لِلّهِ إذ لَم يأتني أَجَلي
حَتّى لَبستُ مِنَ الإسلامِ سِربالا

وفي هذا يقول شيخنا الشيخ صالح الفرفور:

أتيتَهُم بكتاب الله معجزة
أخجَلتَ قُسًّا وسحبانًا وحسانا

ألقى لبيدُ عصاه حين أعجزه
قولٌ بليغ بآيات لعمرانا

ولم تَجُد بَعدُ في شعر قريحَتُهُ
شَتّانَ شعر وآيُ الله شتّانا

ذاكَ البيانُ الذي تبقى عجائبه
رغم الأنوفِ وإن شانوه بُهتانا



وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
قطاع الشئون الثقافية
سارع
باقتناء نسختك من
إدارة الثقافة الإسلامية
أول إصدار مرئي
للصم والبكم
فقه
الطهارة
فقه
الحج والصيام
هدية من
إدارة الثقافة الإسلامية
ألبوم
أول إصدار صوتي
منتقى المحاضرات
إدارة الثقافة الإسلامية
2011
نحو ثقافة متميزة.. لمجتمع متميز
متوفر
DVD - CD
كاسيت
جوائزنا
30000 دينار
شارك معنا في أكبر مسابقة رمضانية على موقع الإدارة
www.islam.gov.kw/thaqafa 99255322 - 22487310

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة
www.alwaei.com
العدد (٥٥٤) شوال ١٤٣٢هـ - أغسطس - سبتمبر - ٢٠١١م

د. الأحمدي أبوالنور:
مشاكل المسلمين تحتاج لخطاب جديد

قيمة الزمن في الحياة

متى يُقبل الغرب على الإسلام؟

الأسلوب القرآني في التعبير الاقتصادي



أسست عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م
الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة
وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
قطاع الشؤون الثقافية
عيد مبارك
٤٧ عاماً من العطاء
المجموعة الكاملة المصورة
لمجلة الوعي الإسلامي
الجزء الأول
الكشاف العام
من العدد (١) إلى (٢١٢)
الإشراف العام
فيصل يوسف العلي
www.alwaei.com
للاشتراك
١٨٤٤٤٤

الافتتاحية

للزمن قيمة

ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه ، وقدر وقته ، فلا يضيع منه لحظة في غير منفعة ، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل ، من غير فتور بما يعجز عنه البدن من العمل . . وهل الأعمار إلا أعوام؟ وهل الأعوام إلا أيام؟ وإن عمرا ينقضي مع الأنفاس لسريع الانصرام ، وإذا كملت العقول ، اكتمل اغتنام الزمان ، وتم إدراك شرفه ، ومن عرف قيمة الزمن لا يكون إلا صاحب قصد واعتدال ، فالزمن هو عمر الحياة ، وميدان وجود الإنسان ، ومساحة ظله وبقائه ونفعه وانتفاعه ، بل أنفس من الذهب والفضة ، وكل ساعة ودقيقة تمر فهي تدني من نهاية الإنسان ، ولذا عليه أن يعرف قيمة الزمن فيستغله بما ينفعه ويبعده عما يضره ، فقد حث النبي ﷺ أمته على اغتنام العمر ، فللزمن قيمة ، اعتبرتها الشريعة ، فيزداد الثمن بالأجل تقديرا للزمن ، فهو رأس مال الإنسان في حياته ، فإنه إذا ضاع لا يعوض ، فالمبالغ المالية التي تقع على شرط الزمن لها قيمة مختلفة ، وإن استوت من حيث الكم والمقدار ، فالحاضر خير من المؤجل ، والعين خير من الدين ، وهذا يدل على أن للزمن قيمة .

والفراغ مفسدة ، فلا تُمضي يومك في غير منفعة ، فالفراغ هو الباب الذي تلج منه الشهوات كما قيل «من الفراغ تكون الصبوة»

لقد هاج الفراغ عليه شُغْلا

وأسباب البلاء من الفراغ

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

في هذا العدد

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت

مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٥٤

شوال ١٤٣٢ هـ

العام الثامن والأربعون

أغسطس - سبتمبر - ٢٠١١ م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

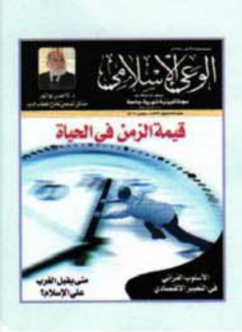
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
manager@alwaei.com

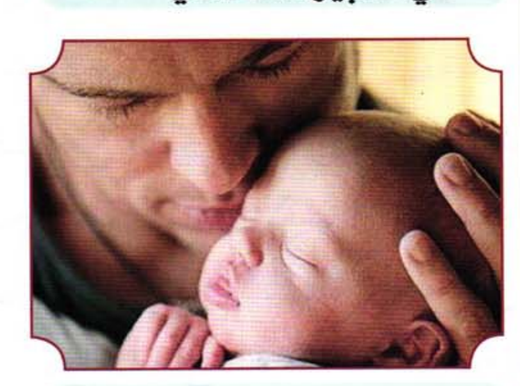
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.com



موضوع الغلاف



إدارة الوقت فيما ينفع الفرد والأمة قاعدة إسلامية ومسؤولية سيحاسب المسلم عليها يوم القيامة «وعن عمره فيم أفناه» وهي طريق أمتنا نحو الريادة والمساهمة الإيجابية في المسيرة الحضارية.





التوزيع

وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١ - ٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت:١٨٣٤٩٥٧٧٠ (٠٠٢٤٩)
• اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
• لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات ت- ٢٧٧٠٠٧ (٠٠٩٦١١) ف - ٢٧٧٠٨٨ (٠٠٩٦١١)
• سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
• الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
• مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم. - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
• المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
• مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
• الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
• المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
• سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
• قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
• المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

• الكويت : ٥٠٠ فلس • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان : ٥٠٠ جنيه • موريتانيا : ٢٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير • اليمن : ٧٠ ريالا • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠ دراهم • ليبيا : دينار واحد • اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله • اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

المحتويات

كلمة العدد

العيد.. محطة تربوية

بمناسبة عيد الفطر السعيد تتقدم إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» إلى المسلمين في شتى أرجاء العالم بأجمل التهاني وأطيب الأماني والتبريكات.. داعين الله عز وجل أن يكون هذا العيد منطلقًا لاجتماع المسلمين وتوحيد الأهداف وصفاء القلوب وتصالح المتخاصمين وتبادل التهاني ونشر المحبة والوئام.

إن المسلمين اليوم في أمسّ الحاجة لتحويل أعيادهم من أوقات للفرح والسرور مع التحرر من المسؤوليات إلى محطة تربوية يستفيدون من دروسها وعظاتها وينطلقون منها بطاقة جديدة تمكنهم من استئناف مسيرتهم الحضارية، وفي هذا الإطار جعلنا ملفنا لهذا العدد حول أهمية الوقت في حياة المسلم آملين من إخواننا الكتاب والقراء إثراء هذا الموضوع نظرًا لأهميته.. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل وكل عام والمسلمون بخير.

التحرير

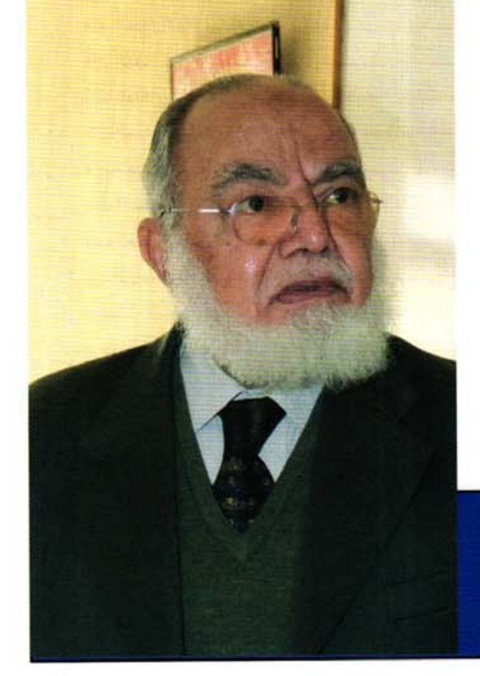
الاشتراكات

- داخل الكويت: للأفراد ٥,٧دنانير.للمؤسسات١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

د. الأحمدي أبو النور وزير الأوقاف المصري الأسبق في حوار خاص:

مشاكل المسلمين تحتاج إلى خطاب جديد يتواكب مع تطلعات الشباب



القاهرة - دار الإعلام العربية

متغيرات عديدة شهدها العالم العربي خلال الشهور الأخيرة، دعت د. محمد الأحمد أبوالنور، وزير الأوقاف المصري الأسبق وعضو مجمع البحوث الإسلامية، إلى المطالبة بخطاب إسلامي جديد يستوعب هذه المتغيرات، ويعزز سماحة الإسلام ودعوته للبناء لا الهدم.. وطالب في هذا الصدد بضرورة استعادة علماء الدين والدعاة مكانتهم واحترامهم بين الناس، داعيًا إلى تسخير كل وسائل العصر في خدمة الدعوة الإسلامية وعدم الانغلاق.. وأكد في حوار خاص مع «الوعي الإسلامي» أن الأمة الإسلامية تمر بنفق مظلم، وأنه لا سبيل إلى اجتيازه بغير نبذ عوامل الفرقة، وتقوية الوازع الإيماني، وامتلاك عوامل القوة والتقدم في جميع المجالات.. واليكم نص الحوار:

الحملة على الإسلام يجب أن تستنهض هممنا للالتفاف حول كتاب الله وسنة نبيه

● أكد كثير من المعنيين أن أمة الإسلام تمر بنفق مظلم.. فكيف لأمتنا أن تخرج من هذا النفق؟

■ على الأمة أن تبدأ أولا بتحليل أسباب الدخول في هذا النفق أو المأزق الشديد الذي تعاني منه، والعمل على تجنب هذه الأسباب، مع ضرورة النأي بأنفسنا عن كل عوامل الفرقة والصراع، وتقوية الوازع الإيماني، وتوثيق الصلة بالله عبر الأصول الإيمانية التي توثق صلات المؤمن بجذوره التراثية من كتاب الله تعالى وسنة نبيهﷺ.. أيضا علينا بامتلاك عوامل القوة والتقدم في جميع المجالات، مع الوضع في الاعتبار أن حالة التشرذم التي نعاني منها لن تجعل أحدًا يلتفت إلينا، وأقول بشكل حاسم إن التمسك بتعاليم ديننا، ونفض غبار التخلف على الصعيد العلمي، سيعيد الاعتبار إلينا وينهي تداعي الأمم علينا التي تنهب ثرواتنا وتحتل أراضينا وتحولنا إلى أكبر مصدر للاجئين، وهي أوضاع لا نستطيع التغلب عليها بالتباكي على مجد زائل، بل باستحضار كل أسباب القوة؛ لتتبوأ أمتنا الإسلامية المقام المناسب لها، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران:١٣٩).

خطاب عصري

● ربما كان من الأسباب أيضا تراجع وعي المسلم وثقافته الدينية.. فكيف نتصدى لمثل هذه المشكلة؟

■ ليس خافيا ما شهدته بعض البلدان العربية في الفترة الأخيرة من ثورات شعبية جراء تقاعس حكومات هذه الدول عن الاستجابة لمطالب هذه الشعوب، ويقف تراجع دور المؤسسات الدينية وافتقارها إلى خطاب ديني متجدد يستوعب روح الشباب ويراعي متغيرات العصر، ربما كان ذلك من بين الأسباب التي أفضت بهذه الدول إلى ما آلت إليه؛ لذلك لابد من تخصيص خطاب ديني يناسب فكر الشباب، على أن يستند إلى أسلوب علمي جذاب يعتمد على الحقائق وليس العاطفة، ليعيدهم مجددا إلى المساجد ويجعلهم يقبلون

على تلقي علوم دينهم من قبل الدعاة الذين يتحدثون لغتهم، شريطة أن يكون الداعية ملمًا بمجريات الأمور، وتغيرات العصر التي أحدثتها ثورة الاتصالات والتكنولوجيا، فشبابنا عانوا كثيرا بسبب عدم وجود خطاب ديني موجه لهم بشكل سمح، وعدم وجود دعاة عصريين يقدمون أصول الدين بلغة عصرية سهلة تجنبهم الانخراط في فكر ضال، أو تجعلهم أسرى لفضائيات مغرضة، وهذا ما يفرض على الدعاة تطوير خطابهم بشكل يناسب التطورات الحديثة مع الحفاظ على ثوابت ديننا واحترام تراثنا ونهج سلفنا الصالح.

● لم تحدد لنا معالم هذا الخطاب بصورة محددة، وكيفية تعاطي الشباب معه بشكل إيجابي؟

■ يجب أن يعتمد الخطاب على الحقائق، وتكون لغته لغة مقنعة، بل إن الداعية يجب أن يكون قدوة في علمه وسلوكه حتى يتمتع بالمصداقية لدى من يستمعون له، خصوصا أن افتقاد الداعية لكونه «قدوة» ومرجعية جعل كثيرًا من الشباب وفي مقدمتهم من لا يملكون ثقافة دينية رصينة يقعون فريسة لأفكار مضللة، من هنا أيضا أدعو أولياء الأمور في العالم الإسلامي إلى ضرورة امتلاك مكتبة صغيرة في كل منزل، ليتم الرجوع إليها في حالة التباس الأمر، مع ضرورة الرجوع إلى العلماء الثقات في تصحيح أي معلومة يعتريها التشويش.

● طرح البعض خلال الفترة الأخيرة إمكانية الاستفادة من تطبيقات التكنولوجيا فيما يتعلق بخطبة الجمعة عبر وضع شاشات عملاقة وغيرها لنقل الخطبة إلى خارج المسجد.. فما تعليقكم؟

■ تسخير التكنولوجيا فيما يخدم الإسلام أمر ننادي به دوما، وربما هذه الفكرة تصلح للمساجد الكبيرة التي

صحيح البخاري من أفضل الكتب خدمة لسنة الرسول ﷺ والمشككون دعاة شهرة

يحتشد خارجها آلاف المصلين، أما المساجد الصغيرة فلا حاجة بها لهذه الفكرة. قال ربنا سبحانه وتعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ(١)الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ(٢)﴾ (المؤمنون: ١-٢).

حملات تشكيك

● باعتباركم أحد أبرز المتخصصين في علم الحديث والسنة النبوية.. ماذا تقول في حملات الافتراء والتشكيك من قبل ما يطلق عليهم «القرآنيون» والفرق الضالة؟

■ العلاج الناجح لمثل هذه المسائل يتم عبر طريقين، الأول هو الثقافة المتخصصة في علوم القرآن والسنة سواء عبر اقتناء المراجع المتعلقة بهذا الموضوع، أو توجيه الأسئلة للمتخصصين في علوم القرآن والسنة، وأرى أن الحملة على السنة النبوية والتشكيك في أهلية الصحابة ما هي إلا جزء من الحملة على القرآن الكريم، باعتبار أن الصحابة هم من كتبوا القرآن وتولوا جمعه حتى صار على الصورة التي بين يدينا حاليا، ما يعني أن الحملة على السنة هدفها القضاء على الدعوة الإسلامية بشكل عام، ومما يرد على مزاعم هؤلاء أن الله تعالى لم ينزل القرآن وحده، بل كان والسنة متلازمين، مصداقا لقوله تعالى ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٣١)، ونحن لا نستطيع أن نفهم القرآن إلا بدراسة السنة ولا يمكن أن نستغني عن سنة نبينا أبدا، وقد حسم القرآن الأمر ودحض افتراءات ما يطلق عليهم القرآنيون، حيث قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الحشر:٧)، أيضا قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل:٤٤)، فالسنة النبوية الشريفة تبيان لكتاب الله تفصل مجمله وتقيد مطلقه وتخصص عامه.

● في هذا السياق أعلن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف عن إنشاء مركز متخصص لدراسات السنة والسيرة النبوية.. فماذا عن مهامه؟

■ هدفه التصدي لجميع حملات التشكيك في السنة والسيرة النبوية الشريفة، وإعداد ردود علمية موثقة، كما بدأ المركز بمخاطبة الدول الإسلامية لإرسال ما لديها من نسخ أصلية من كتب الحديث والسيرة النبوية لتحقيقها، وهي المهمة التي شرفني المجمع بالمشاركة فيها.

تفعيل الوقف

● من آن إلى آخر يثير البعض بعض الشكوك ضد الوقف الإسلامي رغم أن الثوابت التاريخية تؤكد دوره في مسيرة التنمية والعدالة في المجتمعات الإسلامية؟

■ هذا الأمر يقتضي أن ننظر إلى الوقف على أنه مال الله، وعلى أن المجتمع المسلم مؤتمن عليه لاستثماره والحيلولة دون أكله بالباطل، حيث يتوخى بهذا المال الموقوف أن يكون -بقدر الإمكان- مستثمرا استثمارا دائما بحيث يتم في هذا المال تطبيق ما توخاه النبي ﷺ، من أول وقف في الإسلام وهو وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث خاطب النبي ﷺ، الفاروق بقوله: «حبس الأصل وسبل الثمرة» بمعنى أن يظل أصل رأس المال

محافظا عليه؛ ليدر ما استثمر فيه وليكون كالنهر الجاري الذي لا ينضب، وهذا الأمر يقتضي أن يكون ناظر الوقف حريصا على استثماره كما قصد الواقف، وهذه المنهجية تشجع أهل الخير والميسورين أن يتنافسوا في الوقف تحقيقا للفائدتين الدنيوية والأخروية، وقد قال رسولنا الكريم في الصحيح: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»، وكلما كان الوقف مستثمرا في المشاريع الإنتاجية كان إسهامه كبيرا في التنمية والقضاء على البطالة وتحفيز الناس على العمل والإنتاج.

ويختلف الوقف من بلد إلى آخر، فبعض البلاد تكتفي بتوزيع عائده في صورة أموال سائلة تشعر الموقوف عليهم بأنهم اليد السفلى التي تأخذ هذا المال وسرعان ما يستهلك ولا يبقى له أثر، وهذا النمط ينشئ جيشا من العاطلين بدلا من أن يقضي على البطالة رغم وجود أوعية كثيرة يمكن الاستفادة من الوقف عليها لتأمين وضع اقتصادي جيد لهذه الأسر كماكينات الحياكة والتطريز وبطاريات تربية الطيور والدجاج وغيرها.

• إذن توجيه الوقف إلى نمط إنتاجي هو الأفضل؟

■ استخدام عائدات الوقف أو ريعه في مشروعات إنتاجية هو الكفيل بخلق الوعي باستدامة الوقف من ناحية واستثماره في مشروعات التنمية، لاسيما تنمية الأسر المحتاجة من جهة أخرى؛ مما يدعونا إلى رفع شعار «نعم للوقف الإنتاجي ولا للوقف الاستهلاكي»، وفي المجمل يجب أن يدرك الجميع أنهم مؤتمنون على الوقف أو مؤدون لثمرته للفقير والمسكين، لكنَّ هناك فرقا بين أن أعطيها لاستهلاكها وبين إعطائها في صورة وسيلة إنتاج للأسرة، وأذكر

الحكومات لا تستطيع وحدها حل كل مشاكل الفقر.. لذا يجب تفعيل الوقف الإسلامي

هنا أن سيدنا عمر بن رضي الله عنه، كان ناظر وقفه طوال حياته، فلما توفي كانت أم المؤمنين حفصة -رضي الله عنها- ناظرة هذا الوقف، ومن الرائع والجميل أنها عندما تقلدت نظارة الوقف زادت عليه من حصتها الخاصة، ولما توفيت تولى إدارة النظارة أخوها عبدالله بن عمر -رضي الله عنهم جميعا- فزاده أيضا من ماله الخاص، وهو ما يشير إلى وجود قناعة تامة بأهمية الوقف وشرعيته من قبل الخليفة العادل.

• إذا كان أمير المؤمنين قد عمل على تنمية الوقف في حياته وسار أبناؤه على نفس الدرب.. فكيف نقارن بين فعل السلف الصالح وما يحدث الآن؟

■ لا يقارن ما أقدم عليه السلف الصالح بما يحدث حاليا، حيث تشهد عديد من الأسر ثورة على عائلها إن وقف بعض ماله لذوي القربى واليتامى وطلاب العلم، فهي إما أن تحارب الواقف في حياته باعتباره يستقطع من حصة كل وارث، أو تهمل رعاية الوقف بعد وفاته فلا يؤدي الغرض منه، ونحن هنا نهيب بالمسلمين ألا يكون هذا موقفهم من الوقف. ومن المؤسف أنه لا توجد سياسة دائمة لدعم الوقف وتحفيز المواطنين على تقديمه لتحقيق غايات شرعية وأهداف نبيلة تتمثل في رعاية الفقراء والمساكين وطلاب العلم، ويجب أن يكون الحض على دعم الوقف سياسة ثابتة لعلماء الإسلام والمؤسسات الدينية، وليعلم من أوقفوا أموالهم أن كل جزء من مالهم يتم وقفه لوجه الله به مثوبة قائمة ودائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذا أمر ينبغي أن يكون مشجعا على تنامي الوقف لا على التباطؤ فيه أو التساهل حياله أو إهماله إن وجد، خصوصا أن هناك تراجعا ملحوظا في وقف الأموال على أوعيتها الشرعية خلال السنوات الأخيرة، وهو أمر غير مقبول جملة وتفصيلا في ظل الدوافع الدينية للوقف التي تبرز في تعدد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تحث على الإنفاق في سبيل الله بوجه عام.

• أشعر من حديثك بما يمثله الوقف من أهمية في تحقيق العدالة الاجتماعية وإيجاد نوع من الشراكة بين الحكومات ومؤسسات المجتمع المدني في قيادة مسيرة التنمية.

■ بالفعل نحن نعلم أن الحكومات لا تستطيع وحدها النهوض بكل المشروعات الخيرية، وبالتالي هناك واجب كبير على مؤسسات المجتمع المدني والميسورين بالإسهام الواضح مع الدولة فيما يكون معينا ودافعا لعملية التنمية الشاملة في ظل ما تواجهه الأمة الإسلامية من مشاكل عديدة فيما يتعلق بالفقر والجهل والأمية والمرض، ناهيك عن تفشي داء العنوسة بين الشباب، على أن يسبق ذلك استقراء لمشكلات المجتمع وقضاياه الملحة، بشرط أن تكون جهة إنفاق الوقف مرتبطة بنص الواقف وبشكل صريح على إسهام أموال وقفه في حل هذه المشكلات ولا بأس أن ينص الواقف على أن يخصص جزءا من مال وقفه للمبادرة بحل مشكلة العنوسة، انطلاقا من قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور:٣٢).

إعــــــلان

يسر مكتب التربية العربي لدول الخليج أن يعلن عن جائزته للدورة المالية ١٤٣٢و١٤٣٣هـ (٢٠١١و٢٠١٢م) وقيمتها ٢٠٠٠٠٠ مئتا ألف ريال سعودي تمنح لفائز واحد أو لمجموعة فائزين وشهادة تقدير. وقد خصصت للغة العربية: تعليمها وتعلمها في مراحل التعليم العام.

أولاً : موضوعات الجائزة:

١. التجارب والمشروعات التربوية الميدانية المرتبطة بمناهج اللغة العربية وطرائق تدريسها.
٢. البحوث والدراسات التي تعالج مشكلات تعليم اللغة العربية وتعلمها.
٣. التأليف والنشر المرتبط بالقضايا والموضوعات ذات الصلة باللغة العربية.

ثانياً: شروط التقدم:

١. أن يعالج العمل المقدم قضية تربوية مهمة في موضوعات الجائزة.
٢. أن يكون المرشح أو المرشحون من مواطني الدول الأعضاء في مكتب التربية العربي لدول الخليج.
٣. يتحمل الباحث الذي يتقدم برسالة علمية إعادة صياغتها، بحيث يمكن إخراجها في كتاب يفيد الساحة التربوية في الدول الأعضاء.
٤. تقديم وصف متكامل للتجارب والمشروعات مع شرح واف لآلية الاستفادة والمستهدفين، مع إرفاق جميع الوثائق ذات العلاقة.
٥. ألا يكون المرشح قد نال جائزة عن الإنتاج المقدم.
٦. أن يكون الإنتاج باللغة العربية ويمكن قبوله بلغة أخرى شريطة أن يرفق معه مستخلص باللغة العربية.
٧. ألا يكون العمل المقدم قد أعد تنفيذاً لأحد برامج مكتب التربية العربي لدول الخليج أو مشروعاته أو نشر عن طريقه.
٨. يمكن قبول الأعمال من فرد أو مجموعة أفراد أو مؤسسات في الدول الأعضاء، وكذلك الأعمال الممولة من مؤسسات بعد الحصول على إذن من المؤسسة الممولة.
٩. يمكن قبول الترشيح من الجامعات ومراكز البحوث للأعمال البحثية والمشروعات التربوية المتميزة في الدول الأعضاء بالمكتب.
١٠. تعد قرارات لجنة الجائزة نهائية، ولا تقبل الاعتراض.

ثالثاً: إجراءات التقديم للجائزة:

- أن يتم تقديم نسختين من الإنتاج المرشح للجائزة إحداهما مطبوعة والأخرى إلكترونية.
- أن يتم تقديم السيرة الذاتية للمرشح، مع ذكر عناوين المراسلة: (العنوان البريدي للمرشح، رقم هاتفه وبريده الإلكتروني).
- أن يملأ النموذج المعد للترشيح للجائزة.
- أن يتم توجيه طلبات الترشيح إلى:

المدير العام لمكتب التربية العربي لدول الخليج
ص.ب: ٩٤٦٩٣ الرياض ١١٦١٤
المملكة العربية السعودية
email: prize@abegs.org
وللمزيد من المعلومات
www.abegs.org

على أن تصل طلبات الترشيح إلى المكتب في موعد لا يتجاوز الأول من جمادى الأولى ١٤٣٣هـ الموافق الرابع والعشرين من شهر مارس ٢٠١٢م







ARAB BUREAU OF EDUCATION FOR
THE GULF STATES

نظرات في مفهومي «الإفساد» و«الإصلاح»

أحمد عبدالجواد زايدة

الناظر في كتاب الله وآياته يجد أن مفهوم الفساد والإفساد وكذلك ضده مفهوم الصلاح والإصلاح يتجليان في صور متعددة تتخطى الأفكار والأفراد إلى الأفعال والجماعات والأمم! وتتجاوز الإنسان لتصل إلى «الإفساد الاقتصادي» و«الاستبداد السياسي» في ظاهرة «قارون» و«فرعون» وبطانته المتمثلة في «هامان وملئه»!

حين تحدث القُرآن عن «الإصلاح» لم يقصد به الإصلاح بالمفهوم الغربي «التدريجي» الذي تُقابله «الثورة»، لأن مُصطلح الإصلاح في القرآن لا يُقابله مُصطلح «الثورة»، بل يُقابله مُصطلح «الإفساد»، فالإصلاح بالنظرة القُرآنية إنما هو «إصلاح جذري»، وانظر كخير مثال إلى الإصلاح الذي أحدثته الرسالة حين نزلت في مُجتمع مكة وما صنعته «لا إله إلا الله» حين نزلت على أهل مكة في بادئ الأمر! فكان هذا المفهوم ثورة تحرير للعقول والقلوب والأبدان! ثورة على الفساد والإفساد بكل مُستوياته العقائدية والمُعاملاتية والخُلقية.

مستويات الفساد

حين تحدث القُرآن عن الفساد تحدث عنه عبر مستويات عدة، فهناك فساد الأفكار المتضمن لفساد العقائد وفساد المفاهيم وفساد منهج التفكير والتدبر، وفساد منهج المُحاججة والمُجادلة، وهُناك فساد القلوب حيث الأهواء والأحقاد والكبر، وهُناك فساد الأعمال الناتج إما من فساد الأفكار والعقائد وإما من فساد القلوب حيث تضعف سلطة الفكرة أمام سلطة الهوى! أو فساد العمل الناتج عن فساد الفكرة والقلب معًا! لذا فهي ثلاثية مُطردة في أغلب الأحوال «الأفكار- التصورات- التصرفات»!

وانظر إلى دعوة الأنبياء لأقوامهم، فقد كانت كلها في بدايتها تبدأ بالدعوة إلى التوحيد وعدم الشرك بالله! وإصلاح العقائد والتصورات! وكانت كلها مرتبطة بإصلاح عملي ومواجهة إفساد عملي واقع! فكان الأمر بالتوحيد مُرتبطًا بالأمر بإصلاح الفساد ومواجهته! وكأنها نتيجة مبنية على مقدمة! بل هي كذلك! فجاء سيدنا لوط داعيًا قومه إلى التوحيد ومُحاربة الفواحش! فأصر قومه على غلق عقولهم، فكان فسادًا وإفسادًا بل وتجاوز الأمر ذلك فأفسدوا المفهوم ذاته والفطرة ذاتها، وأمروا بإخراجه وأتباعه من القرية «لأنهم أُناس يتطهرون»!

وجاء سيدنا شعيب داعيًا قومه إلى الله وإلى الوفاء بالكيل والميزان وأمرهم بالقسط وألا يعثوا في الأرض مُفسدين، فكان جوابهم ﴿إنما أنت من المُسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظُنك لمن الكاذبين﴾ (١٨٤-١٨٦: الشُعراء)، وفي آية أُخرى: ﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء...﴾، فلم يستطيعوا تصور أن هذه الدعوة وتلك الرسالة سوف تتجاوز تغيير عقائدهم وأفكارهم إلى تغيير جذري في مُعاملاتهم الفاسدة التي تظلم المجتمع وتخل بتوازناته وتجعله مُضطربًا مما يضر بمصالحهم وأهوائهم الشخصية الذاتية!

ولما جاء سيدنا صالح إلى قومه داعيًا إياهم كذلك ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾، مُذكرًا إياهم بنعم الله وآلائه ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوّأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورًا وتنحتون الجبال بيوتًا﴾! فكان جوابهم ﴿إنا بالذي آمنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم﴾.

بل وتعدى الأمر إلى فساد منهج التفكير ومنهج المُحاججة، فبدلًا من أن يُفكروا ويُمحصوا الكلام في عقولهم كانت ردودهم ناضحةً بالاستكبار وسد سُبل التفكير وجعل الموروث القديم حجة على الدعوة والحُجة! ﴿قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كُنت من الصادقين﴾، ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ ﴿وإذا قيل لهمُ اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون﴾.

أما فساد القلوب والأهواء فقد يؤدي إلى فساد الأفكار وكذلك فساد الأعمال أو إلى كليهما، فإبليس لعنه الله رفض أن يسجد لآدم عليه السلام لكِبره! ﴿أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين﴾، فآثر كِبره وهواه ومرض قلبه على أفكاره ومِن ثَم أفعاله!

وحين يَفسدُ القلب ويضل تفسد البصيرة وتبور الفطرة ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ (الحج: ٤٦)، ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾، (الأعراف: ١٧٩)

وهناك علاقة وتلازم بين التدبر وإصلاح القلوب وبين الفساد والإفساد، قال تعالى: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن

* باحث دراسات إسلامية

تفسدوا في الأرض وتُقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصرهم أفلا يتدبرون القُرآن أم على قلوب أقفالها﴾، (٢٢-٢٤: مُحمد).

وحينَ تفسد القلوب والعقول يحدث فساد الذوق والشعور والجمال والأفكار! فيظهر الفساد والشر والقُبح! وقد أشار الدكتور فريد الأنصاري- رحمه الله- إلى أثر جمالية العقيدة في جمالية الحضارة! وأجادَ- رحمه الله- أيما إجادة حيث أشار إلى أن المسيحية حين تأثرت بفكرة «التجسيد» ظهر هذا في حضارتها! فاهتموا بنحت التماثيل ورسمها، وظهر هذا في حياتهم! في حين أن الناظر في الحضارة الإسلامية يلمح جيدًا أثر التوحيد وتجلياته في الحضارة الملموسة، حيث تجد كثيرًا من التُراث المعماري، والفن يميل إلى التجريد والرسم بالزخرفة الممتلئة بعبق الروح، بعيدًا عن التجسيد!

وللمفكر المغربي المقرئ الإدريسي أبي زيد عبارة جميلة ألقاها في محاضرة له بعنوان «صناعة الحضارة» عن العلاقة بين العقيدة والعمارة! فقال «فقر العقيدة يؤدي إلى فقر العمارة»!

كذلك فإن فساد الأفكار والقلوب يؤدي إلى فساد الواقع والمُجتمع وتهارجه واختلال التناسب والتوازن في نسبه ولو تراءى للناظر غير ذلك.

وهناك الفساد المُتمثل في تزوير المفاهيم وإفسادها والخروج بها من تطبيقاتها السليمة لخدمة مصالح شخصية أو ذاتية، فتم تحويل مفهوم «السمع والطاعة» من كونه مفهومًا للتعاون والالتزام في المعروف إلى إطلاقه في الصلاح والفساد وفي طاعة الله ومعصيته تحت تبريرات عدة وإسكات الناس تحت مظلته! وبدلًا من أن يتحدث الناس عن مفهوم «الحق» والسعي إلى تحقيقه وتطبيق العدل ودفع ثمن ذلك والصبر على الأذى في سبيل ذلك والخوف من الله حين يتم السكوت عن الظلم وانتهاك الحقوق! انتشرت مفاهيم

الإسلام عمل على مقاومة الفساد والإفساد بتقديم البدائل من حيث الإصلاح

مُزيفة حول الصبر على الظُلم وانتهاك الحقوق وغياب العدل! وكأن الصبر ما أتى إلا ليكون تُربةً خصبة تُفرخ للاستبداد وتُطيل في عمره!

وخدمةً لذلك قام نفرٌ بترويج نصوص تخدم هذا الجانب بدون منهجية أصولية صادقة في التعامل مع النصوص وفي كيفية الجمع بينها، فكثر الترويج لأحاديث من قبيل «لو جلد ظهرك وأخذ مالك»، وغيبوا أحاديث «إذا رأيت أمتي لا يقولون للظالم منهم أنت الظالم فقد تودع منها»، «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه يوشك أن يعمهم الله بالعقاب»، «سيد الشُهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»، وهكذا... فلم يتم التعامل بمنهج أصولي فقهي منضبط حتى تستقيم الأمور وتوضع في نصابها الصحيح.

وهُناك الفساد في تعريف الفساد!

وليس المثال هُنا هو مثال قوم لوط! فهؤلاء يتبجحون بفسادهم! بل المثال هُنا هو مثال فرعون حين قال لقومه عن نبي الله موسى عليه السلام ﴿ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يُبدل دينكم أو أن يُظهر في الأرض الفساد﴾، وكقوله تعالى:﴿وإذا قيل لهم لا تُفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مُصلحون ألا إنهم هُم المُفسدون ولكن لا يشعرون﴾.

وفي سورة القصص نماذج للفساد الاقتصادي والسياسي! وذكر لعواقبهما! فقارون كنز المال وقال ﴿أوتيته على علم عندي﴾، فكان عاقبته ﴿فخسفنا بهً وبداره الأرض﴾، وفرعون لما قال: ﴿أليس لي مُلك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي﴾، ﴿واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يُرجعون﴾ (القصص- ٣٩)، فكان جزاؤه ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليمّ فانظر كيف كان عقبة الظالمين﴾ (القصص-٤٠)، ﴿فاليوم نُنجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية﴾!

وإذا زاد الفساد في أمة ففسدت أخلاقها وضاعت قيمها وغابت مقاصدها العالية عن الترسخ في جذورها وفشلت في مأسسة هذه القيم والمقاصد وبلورتها في أنظمتها كانت هذه هي بداية نهايتها، ولذا يقول تعالى: ﴿وإذا أردنا أن نُهلك قرية أمرنا مُترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرًا﴾.

مواجهة الإفساد بالإصلاح

وقد عمل الإسلام على مقاومة الفساد والإفساد بتقديم البدائل من حيث الإصلاح الذي يدافع الإفساد ويُقلله ويُحجمه! فعمل الإسلام على بناء الإنسان (الجنان- الوجدان- البنيان)، فأمره بالتدبر والتفكر والسير والنظر (إصلاح منهج التفكير وطاقاته وقدراته)، كذلك بإحكام المفاهيم والتصورات عن طريق القصص والعبر والأمثال! والوجدان بالتزكية (تزكية النفوس وترقيتها) والبنيان (بالعمل والإنتاج وصناعة النهضة والحضارة)، وللعلامة الشيخ الطاهر بن عاشور كتاب بديع سماه «النظام الاجتماعي في الإسلام»، وتحدث فيه عن أربعة محاور (أصول إصلاح الأفراد- الإصلاح الإجتماعي- مكارم الأخلاق- ما على ولاة الأمور)، فتحدث في الفرع الأول عن إصلاح الاعتقاد- إصلاح التفكير- إصلاح العمل- إيجاد الوازع النفساني- آثار الوازع النفساني في الإصلاح الفردي والاجتماعي، وفي الإصلاح الاجتماعي: «إيجاد الجامعة الإسلامية- تكوين جامعة المسلمين- الأخوة الإسلامية- أصول نظام سياسة الأمة القائمة على أخلاق ومقاصد وضوابط»!

تهديد هوية أمتنا قديمًا وحديثًا

د. غازي التوبة

إن التهديد لهوية الأمة لم يتوقف منذ أن كوّن محمد صلى الله عليه وسلم هذه الأمة العربية الإسلامية، وجاءت هذه التهديدات في مرحلة مبكرة، وخلال الخلافتين الأموية والعباسية، وكان أبرز الحركات التي هددت الهوية ثلاث حركات هي: الحركة الشعوبية وحركة الزندقة والحركة الباطنية.

أولًا: الحركة الشعوبية:

هي حركة قامت على ازدراء اللغة العربية وبيانها، والتعالي على العرب واحتقار محصولهم الحضاري، وقد تولدت هذه الحركة في نهاية القرن الأول الهجري، وتضخمت في القرون العباسية الأولى، وأبرز من قادها رجالات من العرق الفارسي، تولّد حقدهم على العرب والدين الإسلامي لأنهما استطاعا إسقاط الدولة الفارسية، وخير من تصدى لها الجاحظ في كتابه عن البيان وغيره من الكتب الأخرى.

ثانيًا: حركة الزندقة:

وهي حركة تقوم على التشكيك في القرآن الكريم وتدّعي تناقض آياته الكريمة، وتباين بعض معانيه، وتقدم على ذلك بعض الأدلة من خلال استعراض بعض الآيات الكريمة من خلال قراءة زائفة فيها الكثير من المغالطات والأكاذيب. وتقوم دعوة الزندقة أيضا على القول بأن العقل وحده يكفي لهداية البشرية، وأنه لا حاجة لدعوة الأنبياء.

ومما يدل على خطورة حركة الزندقة هذه، وتهديدها للخلافة العباسية في بواكير نشوئها، تشكيل ديوان تابع للخليفة مباشرة لمحاسبة أولئك الزنادقة، وقد تشكل هذا الديوان في عهدي محمد المهدي وموسى الهادي ثالث ورابع الخلفاء العباسيين.

ثالثًا: الحركة الباطنية:

وهي حركة قامت على تأويل أحكام الإسلام وآيات القرآن الكريم تأويلًا باطنيًا، واستندت في تأويلاتها تلك إلى المواريث الباطنية التي كانت قائمة في المنطقة قبل الإسلام. وانبثقت عن الحركات الباطنية حركات سياسية في بعض الأحيان، وزعزعت هذه الحركات السياسية الخلافة العباسية في مناطق متعددة.

الفكر القومي العربي قاد التغريب في مرحلة الاستقلال

وكان أبرز هذه الحركات الباطنية الزنج والقرامطة وبابك الخرمي الذي استولى على شرقي الخلافة العباسية، وهدد العاصمة بغداد، ثم استطاعت الخلافة العباسية التغلب عليه ودحره بصعوبة شديدة في أيام الخليفة المعتصم.

كما تصدى علماء الأمة للشعوبية -وكان أبرزهم الجاحظ- واستطاعوا دحضها، كذلك تصدى علماء الأمة لأصول حركات الزندقة والباطنية، وكان أبرز من كتب في هذا المجال أحمد بن حنبل، وتصدى لحركتي الزندقة والباطنية، فألف كتابين هما: رسالة الرد على الزنادقة والجهمية، وكتاب الزهد.

ويعتبر هذان الكتابان من أهم الكتب التي واجهت هاتين الحركتين وأصّلا لمواجهتهما واعتبرا مرجعًا، واستفاد منهما عشرات العلماء في العصور الثانية من أجل مواجهة فروع هذه الحركات، ومن أجل التأصيل في مجال بناء العقيدة وبناء الباطن على أسس سليمة.

أما عن تهديد هوية الأمة حديثًا، فتتركز في حركتين:

الأولى: حركة التغريب

وجاء التغريب من الاستعمار الغربي الذي احتل معظم البلاد العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، وحاول فرض نموذجه الغربي في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية... إلخ.

وبالفعل تأثرت طائفة من الأمة بهذا النموذج، وحملته ودعت إليه، واحتلت قمة الهرم السياسي والاجتماعي والثقافي في مجتمعنا، ورفضت طائفة أخرى تغريب الأمة، واحتدمت المعركة بين الفريقين، وكانت الأمور خلال القرنين الماضيين بين مد وجزر، ولم تحسم لصالح طرف من الأطراف، وإن كانت هناك محطات بارزة في مسيرة التغريب في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وأبرز هذه المحطات -التي نستطيع تسجيلها، والتي تعتبر انتصارًا للتغريب، والتي جاءت نتيجة ضغوط مادية ومعنوية من الدول الغربية على مختلف مكونات الأمة ومؤسساتها ورجالاتها، وأبرز هذه المحطات، هي:

١- إصدار السلطان العثماني خط كلخانة عام ١٨٣٩، الذي يعتبر بمثابة إعلان حقوق إنسان في الخلافة العثمانية، كما أصدر السلطان العثماني الخط الهمايوني الشريف عام ١٨٥٦ الذي ألحق اقتصاد الخلافة العثمانية باقتصاد السوق كما أصدر السلطان العثماني دستورًا عام ١٨٧٦ نص على وجود مجلس النواب وآخر

أكاديمي فلسطيني



للأعيان وعلى انتخابات تشريعية، وبالفعل جرت عدة انتخابات في أوقات متعددة... إلخ، كما أنشأت الحكومة نظامين من التعليم: أحدهما ديني والآخر مدني.

٢- إسقاط الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤، وقد أدى سقوط الخلافة العثمانية إلى خضوع معظم البلاد العربية للاستعمارين الإنجليزي والفرنسي، ونقل هذا الاستعمار حركة التغريب من حركة ثقافية كانت تقوم على دعوة بعض الأفراد إلى حركة تقوم بها الدولة، وتفرض أحكامها بقوة التشريع والقانون وبقوة السلطة من وزارات وهيئات، وبهذا دخلت معظم الشعوب العربية التي كانت مستعمرة تحت معطيات التغريب الإجباري.

٣- قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ في فلسطين بعد اقتلاع شعبها الأصلي وطردهم، ليصبحوا لاجئين خارج فلسطين، وقد مثلت إسرائيل قاعدة متقدمة للغرب، حضاريًا من جهة وعسكريًا من جهة أخرى، يهدد بها كل من لا يخضع لسياساته ومخططاته، وقد حرص الغرب على أن تكون إسرائيل دائما هي الأقوى والأغنى في المنطقة.

ثم جاءت مرحلة الاستقلال فاستقلت معظم الدول العربية بعد الحرب العالمية الثانية، ومن الجدير بالذكر أن الفكر القومي العربي والأحزاب القومية العربية، والشخصيات القومية العربية هي التي قادت التغريب في مرحلة الاستقلال، ونفذت ذلك من خلال المناهج التي صاغتها في مختلف المجالات الفكرية والتربوية والثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية... إلخ. وذلك بعد أن حكمت معظم الدول العربية بعد الحرب العالمية الثانية، ومن أبرزهم جمال عبدالناصر في مصر وحزب البعث في سوريا والعراق وهواري بومدين في الجزائر ومعمر القذافي في ليبيا وجعفر النميري في السودان وعبدالله السلال في اليمن... إلخ.

لكن الفكر القومي العربي وأحزابه وشخصياته خسرت قيادة الأمة إثر هزيمة عام ١٩٦٧، حين احتلت إسرائيل سيناء والجولان والضفة الغربية، وبرزت الصحوة الإسلامية، يقودها التيار الإسلامي، وحاولت هذه الصحوة أن تدحض مشروع التغريب بشكل كامل، ولكنها لم تنجح إلى الآن وهي في معركة مستمرة معه.

الثانية: الحركة القطرية

والقطرية هي التهديد الثاني لهوية الأمة، وقد جاء ذلك من خلال تجزيء الأمة إلى أقطار متعددة، كما حدث بعد الحرب العالمية الأولى فقد كانت بلاد الشام وحدة جغرافية واحدة، فتجزأت رسميًا إلى أربع دول هي سورية ولبنان والأردن وفلسطين.

والأخطر في قضية القطرية هو تحويل هذه الأقطار إلى أمم مستقلة، وهذا ما يعمل عليه الغرب ودعاة القطرية، فهم يؤصلون لهذه القطرية في مختلف المجالات الثقافية والاقتصادية والسياسية... إلخ، لتصبح هناك أمة أردنية وهناك أمة عراقية وهناك أمة مصرية، وهناك أمة سورية... إلخ. ولتصبح الحدود القائمة بين هذه الدول حدودًا نهائية، كالحدود بين دولتي فرنسا وألمانيا مثلًا، وهذا ما تراهن عليه المخططات الخارجية من أجل إنهاء وجود هذه الأمة الواحدة.

ومن الجدير بالتسجيل أن هناك فرقين بين التهديدات القديمة والجديدة لهوية الأمة، وهما:

الأول: وجود علماء مطلعين على الدين الإسلامي بشكل عميق في القديم من جهة، ومطلعين على ثقافة الخصوم بشكل تفصيلي من جهة ثانية، وهو ما لاحظنا مثالًا دقيقًا عليه في أحمد بن حنبل الذي تصدى لأكبر هجومين على هوية الأمة وهما اللذان صدرا عن الزنادقة والباطنية، ورأينا أن العاملين اللذين ساعداه على النجاح في مواجهة تلك التهديدات ليس هذا فحسب، بل في التأصيل للمواجهة لكل العصور التالية، هما وعيه العميق بالإسلام من جهة، وإدراكه التفصيلي لمحتوى ثقافة الخصوم من زنادقة وجهمية وباطنية من جهة ثانية، وهو ما نفتقده في المرحلة الحاضرة، فتجد أن كثيرا من العلماء لديهم اطلاع على الثقافة الإسلامية، وليس لديهم اطلاع على الثقافة الغربية، وقليل من العلماء المعاصرين هم من توفر فيهم الاطلاع على الثقافتين الإسلامية والغربية.

الثاني: وجود تدخل دول وهيئات خارجية في توجيه التغريب وتشجيعه ومتابعة شؤونه وقيام دعم خارجي له بالمال والإعلام والسلاح إن اقتضى الأمر، وغياب هذا التدخل الخارجي في دعم الحركات المهددة لهوية الأمة قديمًا.

ومما يزيد في وتيرة هذين الخطرين التدخل الخارجي السافر في كل شؤون حياتنا الثقافية والاجتماعية والتربوية... إلخ. ويقتضي هذا الوضع من أصحاب الفكر والرأي والعلماء الغيورين على هذه الأمة أن يتصدوا لهذه الأخطار بكل إمكاناتهم، وينبهوا الأمة عليها.

متى يُقبِل الغرب على الإسلام؟

محمد الفاتح حمدي

يعتبر الدين الإسلامي من أكثر الديانات انتشارًا في العالم، وإقبالًا عليه من قبل المعتنقين له، ويعتبر هذا الدين الوحيد الذي جمع بين ما هو مادي وروحي في الوقت نفسه من خلال ما جاء به القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة، يقول عز وجل في محكم تنزيله: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ (فصلت: ٩).

الملاحظ على المجتمعات الغربية أنها رغم ما وصلت إليه من تقدم وازدهار في الجانب المادي فإنها مازالت بعيدة في جانبها الروحي و المعنوي، الذي أهملته في بناء حضارتها الجديدة والقديمة، وهذا ما يجعلها مهددة بالانهيار والزوال مع مرور الأيام، مثلما وقع مع العديد من الإمبراطوريات التي صنعت لنفسها مكانة في الماضي، مثل الحضارة الرومانية، والتي شهد لها التاريخ بالتفوق والسيطرة على العالم، ولكن في وقتنا الحاضر لم يبق منها سوى الاسم فقط.

فإذا كانت الحضارات الغربية أساس بنائها مادي بحت فإن الحضارات الإسلامية كان عمادها وأساسها مبنيين على شقين: الروحي والذي كان مصدره الإسلام، والشق الثاني أساسه المادة والوسيلة، وهذا ما جاء به سيد الخلق أجمعين ﷺ في رسالته المحمدية التي كانت موجهة إلى جميع سكان هذه القرية العالمية دون تمييز، وما يميز هذه الرسالة الإسلامية أنها جمعت بين الجانب الروحي والمادي في الوقت نفسه، فهي رسالة فريدة في معانيها ومنهجها الرباني الشامل لكل المعاملات والعلاقات الإنسانية وامتدادها الدنيوي والأخروي، قال تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ (الأنعام: ١٦٢)، فهذه الرسالة موجهة للناس كافة دون تمييز بين ألوانهم وأشكالهم وأعراقهم، وإنما جمعت بين أفراد هذه الأمة تحت غطاء واحد اسمه الدين الإسلامي.. ولكن السؤال الذي يتبادر إلى ذهننا: كيف عرف الغرب الإسلام؟

الإسلام دخل إلى أوروبا عبر بوابات تاريخية عدة أهمها الفتوحات الإسلامية وخصوصًا الأندلس

كيف عرف الآخر (الغرب) الإسلام؟

لقد دخل الإسلام إلى أوروبا من بوابات تاريخية عدة، فكان الفتح الأندلسي أول باب يدخل منه الدين الإسلامي إلى بلاد الغرب سنة (١٣٢هـ-٤٢٤م) عن طريق الفتوحات التي كان قائدها طارق بن زياد الذي فتح الأندلس، وكان لهذا الفتح تأثير كبير في تعريف الناس بالدين الإسلامي في تلك الفترة، فدخل في الإسلام العديد من الذين استطاعوا أن يتعرفوا على ما جاء به الإسلام من قيم تدعو إلى العدل والمساواة ونبذ التمييز العنصري وتدعيم حرية الرأي، وثاني بوابة دخل منها الإسلام هي إقامة المسلمين لمملكة في شمال إيطاليا والتي دامت مائة سنة في جبال الألب غرب فرنسا، وحسب بعض الدراسات الأوروبية كان عدد المسلمين في هذه المملكة لا يتعدى٨٠ شخصًا، ولكن رغم قلتهم فإنهم عملوا على نشر الإسلام في هذه المملكة.

كما عرف الآخر الإسلام عن طريق فتح جزيرة صقلية سنة ١٢١٢م، وظل فيها الحكم الإسلامي مدة قرنين من الزمن، وقد تلقى المسلمون معاملة حسنة من قبل أهل هذه الجزيرة إلى أن هاجمهم الجرمن، أما البوابة الثالثة فكانت من خلال موجة العثمانيين في القرن الثامن الهجري، وكان أكبر فتح قام به العثمانيون هو فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣م من قبل السلطان الخامس محمد الفاتح، كما كان للتجار الذين كانوا يقطعون نهر الفولقا دور في نشر الإسلام في بلاد الغرب.

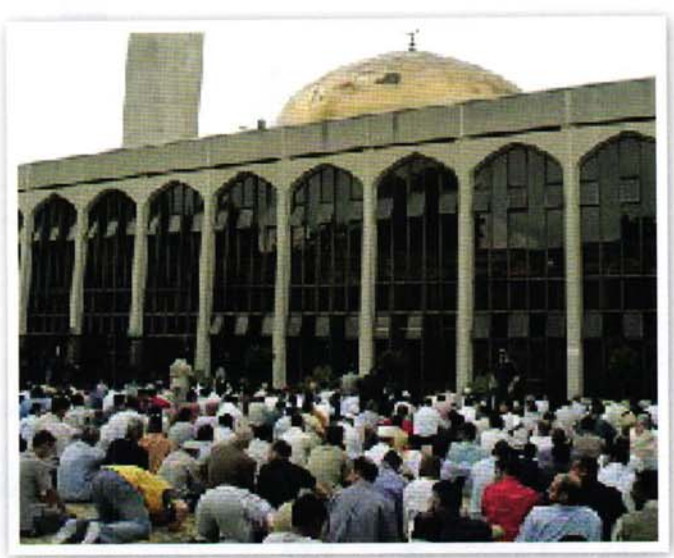
والبوابة الرابعة كانت من خلال الاستعمار الحديث ودخوله للعديد من البلدان العربية والإسلامية(١)، ومن خلال هذه الحملات تعرف الآخر على ما جاء به الدين الإسلامي من قيم ومعان تدعو إلى التسامح والتعارف والمحبة والمودة: ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾(الحجرات: ١٣). فإذا كان الغرب قد عرف الإسلام من بوابات عدة وفي فترات مختلفة وبآليات متنوعة، فإن الغرب مازال إلى وقتنا الحاضر معرضًا عن الدين الإسلامي، ورغم الجهود

الدعوية التي بذلت فإنها فشلت في إبلاغ الآخر رسالة الدين الإسلامي، وإيضاح حقيقة ما جاء به من أفكار ومبادئ وقيم تدعو في مجملها إلى نبذ العنف والعدوان، كما أن الآخر لم تسمح له الفرصة المواتية من أجل الاطلاع على المنهج الرباني المستقيم، ولهذا قد نتساءل مرة أخرى: ما هي رسالة المسلم في المجتمع الغربي؟

فهذه المجتمعات بلغت من الاكتشافات العلمية والتكنولوجيا الحديثة حدا لم يبلغه مجتمع من المجتمعات الإنسانية، سواء في الحاضر أو في الماضي القريب والبعيد، وفي مقابل ذلك نجد أن رسالة المسلم رسالة عقدية اجتماعية، لأن الأزمة الاجتماعية في هذه المجتمعات بلغت حدًّا أصبحت تهدده بالدمار الكامل، وستنتهي به إن استمرت إلى ما انتهى إليه المجتمع الروماني من قبل، فالصيحات تتوالى من علماء الاجتماع والنفس ورجال الدين ودوائر الأمن ومؤسسات الإصلاح الاجتماعي، معترفة بالفشل، منذرة بسوء المصير، والإنسان غريب حائر مرعوب يفترسه الخوف والضياع والانحلال، ويكفي أن نقدم ما كتبه باحث أميركي حيث قال: «إن أميركا مفككة إلى حد لا يطاق، ونحن في أمس الحاجة إلى الإحساس بالحياة الاجتماعية، ومن السهل أن نفهم أميركا الضائعة الأرواح حيث لا يرتبط الفرد بشيء، فهو يبحث عن هويته، يبحث في العمل وفي المهنة وفي التقدم الاقتصادي عن علامة تميزه وتخبره من هو» (٢).

وهذه الأزمات التي تجتاح المجتمعات الغربية تحتاج إلى نوع من الإنسان يقوم وجوده أصلًا على حمل رسالة الإصلاح في العالم كله، بشكل يشغله عن أي هدف آخر في الدنيا، فالقرآن الكريم يقرر أن المسلمين أخرجوا للناس كافة، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، والقوم الذين يقصرون في هذا الواجب يستبدلهم الله بقوم آخرين لا يكونون مثلهم، فالرسول ﷺ يقرر أن الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أبرهم بعياله، وهو ينذر المسلمين في أحاديث كثيرة بأن بقاءهم مرهون بحملهم لرسالة الإصلاح، فإن تقاعسوا لم يستجب الله لهم إذا دعوه، ولم ينصرهم إذا استنصروه، ولم يعطهم إذا سألوه، وإذا كانت رسالة الإسلام بدأت في غار حراء، فإن رسالة المسلم ومسؤوليته لن تتوقف حتى لا تكون فتنة في الأرض وفساد، ويكون الدين كله لله.

إذا كانت رسالة المسلم هي تبليغ هذه الرسالة المحمدية إلى جميع أقطار المعمورة، فقد وفق العديد من الدعاة في حمل مشعل الدعوة الإسلامية خارج البقاع العربية نحو المجتمعات الغربية، وخير قدوة الرسول الكريم ﷺ الذي وهب حياته وماله ونفسه وكل ما يملك في حياته من أجل نصرة الدين الإسلامي ورفع كلمة الله عز وجل لتكون هي العليا وكلمة المنافقين هي السفلى، كما كان ﷺ مؤسس جيل من الدعاة كانوا جديرين بحمل مشعل الدعوة الإسلامية خارج شبه الجزيرة العربية، ولكن ما نلاحظه اليوم في الواقع هو فشل وتراجع لدور دعاتنا في تبليغ هذه الرسالة التي منهجها القرآن والسنة النبوية الشريفة، كما أنهم فشلوا في عرض هذه الرسالة على المجتمع الغربي، وعلى ذلك فسؤالنا هذه المرة: كيف نوفق في عرض الإسلام في المجتمعات الغربية؟ وما هو المنهج الأصلح والأنسب لذلك؟



أسباب فشل المسلمين في تبليغ الغرب الدين الإسلامي

إن فشل المسلمين في إيصال وتبليغ الغرب وتعريفه بالدين الإسلامي يرجع إلى أمور عدة، وأسباب ترسخت في نفوس و عقول دعاتنا، فلم يستطيعوا التخلص من الخرافات والأساطير التي أصبحت تؤرق حياتهم، وجعلتهم عاجزين عن التقدم خطوة نحو دعوة الآخر للدخول في الإسلام، إلا من رحم ربي، فإذا كان المسلم ما زال مصابًا بداء اتهام الاستعمار بأنه سبب فشلنا وتخلفنا عن الركب الحضاري وعن مسايرة عصر المعلومات والتكنولوجيا الحديثة.. فهذا خطأ ولابد من إزاحته من أذهاننا، وأول من يجب اتهامه وتحميله مسؤولية تخلفنا هي أنفسنا، فإذا كنا اليوم أمة إسلامية وعربية غير متحدة في علاقاتها الخارجية والداخلية، فكيف ننجح في كسب الآخر ودعوته إلى الدخول في دين الإسلام؟ وخير مثال يصف لنا حالتنا الواقعية ما يحدث لإخوتنا في غزة بين البارحة واليوم، مئات القتلى من الأطفال والنساء والشباب، بين مساء يوم وصبيحة يوم تال أطفال ونساء يعانون الجوع والمرض والفقر تحت حصار

مدفعيات اليهود أعداء الله! إنه من العار علينا ومن الخزي على أمة إسلامية غنية كل هذا الغنى أن يترك إخواننا في غزة يأكلون علف الحيوانات! وهذا خير دليل على الفرقة التي يعاني منها المسلمون والعرب في أمة واحدة دينها الإسلام ولغتها العربية لغة القرآن، أبهذه الطريقة نثبت للآخر أننا أمة إسلامية متماسكة ومتحدة؟!

دعوة الآخر

من أجل دعوة الآخر إلى الدخول في الإسلام لابد من التجرد الكامل من الهوى وعدم تدخل الغايات والأهداف ذات المصلحة الشخصية، لأن هناك العديد من دعاتنا جعلوا من الدعوة طريقا من أجل الوصول إلى تحقيق أهداف وأغراض دنيوية، كالتجارة والدراسة وكسب المال، ونسوا رسالتهم التي ذهبوا من أجلها إلى الغرب، وصدق الإمام أبوحامد الغزالي حين قال: «طلبنا العلم لغير الله فأبى العلم إلا أن يكون لله»، وكمثال للدعاة المخلصين في هذا العصر أذكر ذلك الداعية المتواضع الذي ترك الطب والدراجات العليا في العلم وفي كسب المال والثروات وفضل أن يكون مع أطفال أدغال إفريقيا، والذي أسلم على يديه أكثر من ثمانية مليون شخص، إنه الداعية الطبيب عبدالرحمن السميط.

ثم تأتي الموازنة بين الدراسة النظرية والتطبيق العملي للإسلام، فالإسلام ليس عرضًا نظريًا، بل هو سلوك عملي في حياة المسلمين، ولهذا يجب على دعاتنا أن يعيشوا الإسلام في حياتهم وسلوكاتهم قبل دعوة الغرب إليه مع الحذر من الذوبان في ثقافة الآخر.

أما المبدأ الثالث، فيتمثل في التواضع والشفقة على الآخرين؛ لأن المطلوب من دعاة هذا العصر أن يكونوا أحسن خلف لصحابتنا رضوان الله عليهم، وأن يجعلوا التواضع سمة لهم أثناء دعوتهم للآخرين، وأن يهتموا بأوضاعهم وشؤونهم الحياتية؛ لأن إعطاء قدر من الاهتمام للآخر يجعله يتخذك قدوة في حياته.

وكذلك يجب التركيز على الأصالة والتميز، لأن من الأمور التي يجب أن يحتاط منها الدعاة في بلاد الغرب الحذر من جعل الإسلام انتماء عرقيًا، لأن هذه السمة تعد عائقا في كسب الآخر ودعوته للإسلام، ولهذا يجب علينا في بلاد الغرب أن نجعل من بيوت الله أماكن توحد الجاليات المسلمة، وتجمع الطوائف والأقليات المختلفة تحت مظلة واحدة هي مظلة الإسلام، لأن الطائفية تزرع في مخيلة الآخر صورة سلبية عن الإسلام، كما يجب أن نحذر من التقاليد المحيطة التي تتعارض مع روح الإسلام في الأخلاق والأعمال و الممارسات الإدارية والعلاقات مع أفراد المجتمع.

أما المبدأ الخامس، فيتمثل في اجتهاد الدعاة في إدخال مفاهيم ومصطلحات جديدة إسلامية إلى المجتمع الغربي في وسائله الإعلامية، ولهذا يجب أن نعد العدة من أجل جعل وسائلنا الإعلامية تعطي صورة مشرقة عن الإسلام والمسلمين، واستغلال اللقاءات الشخصية، وعمل الجمعيات الخيرية واتحاد الطلبة وترجمة المعاني الإسلامية إلى اللغات الأجنبية، كما تلعب هذه الوسائل دورا رئيسيا في نقل المؤتمرات واللقاءات إلى الآخر، ورغم تعدد الوسائل المستخدمة في الدعوة الإسلامية فإن الهدف واحد وهو الدعوة إلى الإسلام بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة في حوارنا مع الآخر، وهذا ما جاء في محكم التنزيل، يقول الله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (النحل: ١٢٥).

إن التزام دعاتنا بهذه المبادئ في دعوة الآخرين إلى معرفة دين الحق، يجعلهم يتقربون من هذا الدين خطوة خطوة، ويجعلهم مقبلين عليه عندما يدركون أنه منقذهم من الهلاك والضياع والانتحار والجريمة، ويوفر لهم الراحة النفسية والطمأنينة التي مازالوا يبحثون عنها إلى يومنا هذا، فوجدوها في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة العطرة، إنه القرآن الكريم.. المنهج والمسلك المستقيم الذي يجب أن نسير عليه حتى نلقى الله عز وجل.



الهوامش

١- انظر أحمد عيساوي، محاضرات علمية في الدعوة الإسلامية، الجزائر: جامعة باتنة، كلية الشريعة، ٢٠٠٨ـ ٢٠٠٧، بتصرف.

٢- ماجد عرسان الكيلاني، رسالة المسلم في المجتمع الأميركي، كتاب الأمة، عدد ٢٨، الدوحة، ١٩٩١، ص: ١٢٨.

إنَّ أساس علاقة المسلمين مع غيرهم يتمثَّل في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿لا ينهاكم الله عن الَّذين لم يقاتلوكم في الدِّين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرُّوهم وتقسطوا إليهم إنَّ الله يحبُّ المقسطين. إنَّما ينهاكم الله عن الَّذين قاتلوكم في الدِّين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولَّوهم ومن يتولَّهم فأولئك هم الظَّالمون﴾. (الممتحنة: ٨، ٩).

معاملة النَّبيِّ ﷺ لغير المسلمين

شيرين علي

البِر والقسط مطلوبان من المسلم تجاه كل الناس، ما لم يقفوا في وجهه ويضطهدوا أهله. ولأهل الكتاب من بين غير المسلمين منْزلة خاصة في المعاملة، فالقرآن ينهى عن مجادلتهم إلا بالحسنى، ويبيح مؤاكلتهم والأكل من ذبائحهم ومصاهرتهم، وهذا هو أصل التسامح.

ولأهل الذِّمة في دار الإسلام حقُّ الحماية من كلِّ عدوان خارجي، ومن كلِّ ظلم داخلي. يقول رسول ﷺ. رواه أحمد في مسنده.

الله عزل وجل: «مَن ظلم معاهدًا، أو انتقصه حقًا، أو كلَّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة» (رواه البيهقي وأبوداود).

ويقول عل وجل: «من آذى ذمّيًا فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله» (رواه الخطيب بإسناد حسن).

وفي عهد النبي ﷺ لأهل نجران أنَّه لا يؤخذ منهم رجل بظلم آخر (رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن).

ودماء أهل الذِّمة وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم معصومة باتّفاق المسلمين، وقتلهم حرام بالإجماع: «مَن قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا» (فيض القدير ٦/١٥٣).

وقال ﷺ: «إنَّ الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدُّنيا» (السنن الكبرى للبيهقي ٩/٢٠٥).

ويحمي الإسلام حريَّة حقِّ الاعتقاد، فلكل ذي دين دينه ومذهبه: ﴿لا إكراه في الدِّين﴾. (البقرة: ٢٥٦). وقد اشتمل عهد النبيﷺ إلى أهل نجران، أنَّ لهم جوار الله وذمَّة رسول الله على أموالهم وملَّتهم وبيعهم.

وصان الإسلام لغير المسلمين معابدهم وشعائرهم، وكل ما يطلبه الإسلام من غير المسلمين أن يراعوا مشاعر المسلمين. يقول المفكر الفرنسي المعروف غوستاف لوبون: «إنَّ مسامحة محمَّد لليهود والنصارى كانت عظيمة للغاية». ويقول روبرتسن: إنَّ المسلمين وحدهم جمعوا بين الغيرة لدينهم، وروح التسامح نحو أتباع الديانات الأخرى .

ولأهل الذِّمة الحقّ في تولّي وظائف الدولة كالمسلمين، إلا ما غلب عليه الصبغة الدينية، إذا تحققت فيهم شروط الكفاية والأمانة والإخلاص.

وتتجلَّى سماحة الإسلام في معاملة الرسول ﷺ لأهل الكتاب يهودًا كانوا أو نصارى، فقد كان ﷺ يزورهم ويكرمهم ويحنّ إليهم، ويعود مرضاهم، ويأخذ منهم ويعطيهم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنَّ النَّبيّ ﷺ عاد يهوديًا، وعرض عليه الإسلام فأسلم، فخرج وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار» (رواه البخاري).

ومرَّت به ﷺ جنازة، فوقف لها، فقيل له: إنَّها جنازة يهودي، فقال عليه الصلاة والسلام: «أليست نفسًا» (رواه البخاري).

وقال ﷺ: «دعوة المظلوم . وإن كان كافرًا . ليس دونها حجاب» (رواه أحمد في مسنده).

وفي يوم الفتح المبين، حين مكَّن الله رسوله الكريم من رقاب مَن آذوه وسعوا لاغتياله، وقف أمامهم وقال: «لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطُّلقاء». هكذا بمنتهى البساطة ينسى الإساءة، ويتجاوز عمَّن دبَّروا أبشع المؤامرات لسفك دمه ﷺ، ودون أي شرط.

وحين رأى ﷺ عمَّه حمزة وقد بُقرت بطنه، ومُثِّل به أسوأ تمثيل هو وبعض الصحابة، بكى وغضب وعزم على أن ينتقم ويُمثِّل بسبعين منهم إن مكَّنه الله منهم، فنَزلت الآية الكريمة: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾. (النَّحل: ١٢٦).

فآثر النَّبيّ ﷺ وأصحابه الصبر الجميل، وعفوا عمَّا سلف من تمثيل بقتلاهم، فما كان للمؤمنين أن ينْزلوا إلى تلك الهوَّة العميقة من جرائم الحقد الأسود، ولا أن يجرهم عدوهم إلى مثل هذه الميادين الدونية من التعامل، ولو في الحرب..

* كاتبة صحفية



قيمة الزمن في الحياة

إضاعة الوقت وعدم استغلاله فيما يفيد سمة غالبية المسلمين، وللأسف في عصرنا الحاضر، ولو أجريت إحصائية دقيقة عن نسبة الوقت المستفاد منه عمليًا في حياة المسلم لوجدناها نسبة ضئيلة جدًا مقارنة مع نسبة استغلال الوقت عند الأمم المتقدمة، مما يفسر لنا سر تخلفنا وتراجعنا عن ركب الحضارة بعد أن كنا روادها لقرون عديدة.

إن نعمة الوقت من أجلَ النعم وأعظمها قدرًا ومكانة، وسيسأل المسلم عنها يوم القيامة.. حفظ أم ضيع؟

والله سبحانه وتعالى أقسم بالعصر، الذي هو الزمن، لما فيه من الأعاجيب.. ففيه تحصل السراء والضراء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، يقول رسولنا الكريم محمد ﷺ: «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه...» (رواه الترمذي).

لقد كان السلف الصالح ومن سار على منهجهم من الخلف أحرص الناس على كسب الوقت وملئه بالخير، وكانوا يسابقون الساعات، ويبادرون اللحظات ضنا منهم بالوقت وحرصًا على ألا يذهب هدرًا.

لقد حاولنا من خلال هذا الملف الذي نضعه بين أيديكم تسليط الضوء على هذه النعمة العظيمة، وكلنا أمل أن يحرص المسلمون عليها أشد من حرصهم على دنانيرهم ودراهمهم، فالوقت أمانة، وهو الحياة.. وهو سبيلنا إلى نهضة شاملة مفقودة في شتى مناحي الحياة.

التحرير

الانتفاع بالزمن

د. علي عبدالمنعم (يرحمه الله)

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة» (رواه البخاري)[1]

البقاء في الدنيا قليل مهما طال، فمادام الأجل محدودا، والعيش موقوتا، ولكل نهايةٌ مؤكدةٌ، وغاية ينتهي إليها، فالزمن الموصل إلى الهدف لا يفوّق العد ولا يتجاوز ما له من حد، وبين البدء والخاتمة، غدو الموجود ورواحه يستطيع بيقظته وجده وتقديره في لياليه وأيامه.. يجعلها عريضة أكثر منها طويلة فلا يدع لحظة تمر دون فائدة يجتنيها وثمرة يقتطفها، وعمل نافع يؤديه.. يدرس بنفسه ميول نفسه، ويعرف حقيقة وجوده من وجوده، ويتفاءل مع إنسانيته، فيروضها على الحسن من الانطباعات ويأخذها بالحسنى ليغرس فيها ما جناه حلوٌ شهي، ويدرب تفكيره على سلوك دروب الأنبياء والراشدين من عباد الله، ويتجافى عما ينزل بآدميته إلى درك العجماوات، وبهذا يؤثر في بيئته بالخير، ويقود مجتمعا يعيش فيه إلى النور، إلى الحق الأبلج، معرضا ما يلاقي من معوقات، صامدا للأحداث والخطوب، إذا مر باللغو مر به كريما وإذا خاطبه الجاهلون قال سلاما، فيعلو على المثبطات، ويصبح أهلا لتحمل أعباء العبودية لله، والتمسك بحريته كاملة غير منقوصة فيما وراء ذلك، وحين يفيض عليه ربه رضاه ويمنحه عونه فسيصبح كل صعب لديه سهلا، وكل عظيم هينا:

إذا صح عون الله للمرء لم يجد
عسيرا من الآمال إلا ميسرا

ورسول الله ﷺ هو المثل والقدوة، وهو المصطفى لرسم الخطة المثلى للحياة الكريمة في هذه الدار الحائلة، وقد استطاعت تعاليمه الموحاة إليه من رب كل شيء أن تحول طبائع المخلوقين من ضعف إلى قوة، ومن جزع إلى صبر، ومن عجز إلى سلطان وسطوة، ومن استكانة وانطواء في رقعة معينة من صحراء العرب إلى انطلاق لا يعرف الحدود ولا القيود، ومن معرفة محدودة وثقافة ضيقة إلى علوم وإبداعات، فكان ممن أنطوى تحت لوائه القائد المحنك والعالم المدرك والسياسي الفطن، وتطورت معارفهم وتنوعت فلم تدع بحرا إلا خاضته ولا لجا إلا اقتحمته ولا ميدانا إلا جالت فيه، وشعر الذين انتفعوا بتراثهم أنهم لو غابوا عن الوجود لما ارتقى فكر إلى ما إليه ارتقى، أو على أحسن الفروض لاقتضى الوصول إلى درجتهم زمانا يطول، وجهدا يضني، ورأيا يعيا به أولو العزم.

وكان منهم عمر ومنهم من اخترمته منيته في ريعان الصبا، ولما يتجاوز الأربعين خريفا.

وفي الحديث الشريف موضوع الدرس حث أكيد على اغتنام فرص الحياة للتزود منها بكل ما يستطاع من عمل الخير الدنيوي فعن طريقه ينمو الجنى في الدار الآخرة، ولا يتفوق الإنسان على غيره إلا

المقال نشر في العدد: (٥٩) ذي القعدة: (١٣٨٩هـ)، كانون الثاني: (١٩٧٠م).



بنفاذ بصيرته، وصفاء روحه، وتساميه عن الانغماس في المادية القاتلة، وليس معنى هذا أن يتعلق بأهداب الخيال ويبني قصورا من رمال، وإنما في عمل سيدنا رسول الله الأسوة دائما، فهاهو ذا - كما ورد في سيرته المطهرة - يحفر بنفسه الخندق مع أصحابه، وبعضهم يحمل التراب ويلتفت إليهم في رحمة رحيمة، وحب عميق، ويقول: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة.. فأكرم الأنصار والمهاجرة».

وفي لقاءاته الكريمة معهم، وما كان ليفارقهم أبدا، يغرس في نفوسهم النفور من التواكل والضعف ويحملهم حملا على اغتنام لحظات العافية والقوة للانتفاع بنتاجها ساعة الضعف والحاجة فيقول ﷺ معلما وهادياً ومرشدا: فيما أخرجه الحاكم عن ابن عباس مرفوعا: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» فما أسماه من توجيه، وما أحكمه من قول فهاهي ذي فرص في الحياة خمس إن استغلت أثمرت وأينعت وآتت أكلها سعادة في العاجلة والآجلة.

ونص على الستين لأن استكمالها مظنة لانتهاء الأجل، فقد قيل إن المراحل الحياتية التي يجتازها المرء في عبوره أربع هي: الطفولة ثم الشباب، ثم الكهولة، ثم الشيخوخة، وغالباً ما تكون الأخيرة بين الستين والسبعين حيث يظهر ضعف القوة بالنقص والانحطاط وفيما أخرجه أبو يعلى عن أبي هريرة:

«معترك المنايا ما بين ستين وسبعين» فمن بلغها ينبغي له الإقبال على الآخرة، واللياذ بباب الله وطلب المغفرة مما أسرف فيه على نفسه، في شباب مضى، وعافية ذهبت ولن تعود.

وفي هذه السن يقوى العقل ويشتد، وكثير من العلماء على اختلاف نزعاتهم كان إنتاجهم الدسم الغزير الفائدة بعد الستين، بل منهم من استنارت بصيرته وانفتحت على مغلقات الكون بعدها فجاء بما صار مضرب الأمثال في الجودة العلمية والإتقان

من بلغ الستين ولم يكن له قدم صدق عند الله في حقل الدعوة فلا يلومن إلا نفسه

الفكري ومثالا للنبوغ الإنساني، وإن كان بعض من اخترعوا قبل هذه السن عبقريًا لا يبلغ شأوه، ولا يسبق في ميدانه.

ومن الميول الغريزية التي لا تفارق الإنسان مهما طال به الزمان ما نصت عليه أحاديث أخرى، تلك هي حب الدنيا وطول الأمل، قال ﷺ: «لا يزال قلب الكبير شابا في اثنتين: في حب الدنيا وطول الأمل».

وفسر الأمل هنا بالرغبة في طول العمر، وحب الدنيا بالعكوف على جمع المال، وقال ابن الجوزي: الأمل مذموم إلا للعلماء فلولا أملهم لما صنفوا ولا ألفوا، ولكن هذا شيء مطبوع في جميع بني آدم، وفي الأمل سر لطيف فلولاه ما نعم أحد بعيش ولا شرع في عمل، وفي الحديث الشريف: «لولا الأمل ما أرضعت والدة ولدها ولا غرس غارس شجرا» وقد مدح رسول الله ﷺ طول العمر مع حسن العمل فقال: «خيركم من طال عمره وحسن عمله».

والباحث الفاقه لأصول الإسلام وقضاياه، العارف المتعمق في دراسته لكتاب الله وسنة رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، مع إلمامه بما صارت إليه حال المجتمعات المادية المعاصرة، وما آل إليه أمرها من اضطراب عقائدي، وانهيار روحي، وانفصام عرى الصلات الإنسانية والروابط الروحية بين أهلها، لا يجد لها مناصا من سلوك الطريق الوسط السوي الذي حددته آيات الله في القرآن العظيم وأفاضت في تفصيله الأحاديث الشريفة، ولكن أنى يكون ذلك وأبناء الإسلام لا يفقهونه ولا يدركون مراميه فقد جهلوا كل شيء عنه إلا القشور التي لا تسمن ولا تغني من جوع عقلي وضياع فكري، وما يردهم إلى صوابهم إلا أن يعوا ويدرسوا من جديد

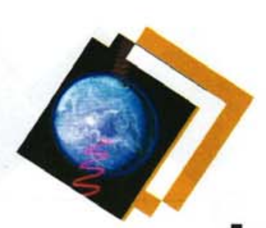
كتاب الله فهو الوحي المنزل الذي لا تعتوره شبهة نفع مادي أو بحث وراء فائدة شخصية، وإنما يرجى بتطبيق أحكامه تحرير العقول من الشرك الحاصل والناجم في أزمنة بعيدة، ورفع الظلم الإنساني الذي استشرى حين تخلى البشر عن تعاليم السماء وركنوا إلى أنفسهم يستوحونها الهداية، وأنى لهم التناوش من مكان بعيد.

والحديث الشريف موضوع البحث يدعو إلى استغلال لحظات الحياة فيما يخدم القضايا الإنسانية وذلك عن طريق الإسلام، وإذا بلغ الرجل الستين ولم يكن له قدم صدق عند الله في حقل الدعوة فلا يلومن إلا نفسه التي بين جنبيه فعليه وحده تقع مسؤولية ما سيلقى من جزاء عادل يوم القيامة: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (الإسراء: ٧).

والإسلام لا يحتاج في إظهار عدالة قضاياه إلى الاستدلال بآراء أعدائه وإن كان الفضل ما شهدت به الأعداء كما هو المأثور، وإنما يحتاج بالدرجة الأولى إلى همة أبنائه فهو يستصرخهم صباح مساء أن هلموا إلى رحابي واحملوا رايتي، وتولوا القيادة التي ضل أهلها يوم أهملتموها، وإني لشديد الأمل واسع الرجاء في الجيل المعاصر إذا أحسن توجيهه، وإذا فتَّح عيونه على حقيقة ما يتردى فيه البعيدون عن نور الله من شقاق وخلاف و تفرق وتناحر وضياع في تيه الحياة لا آخر له ولا منقذ منه إلا قيادة عربية إسلامية واعية، فالعربي هو أول من جاهد ورفع لواء الحق يوم بدا له نور الله لأول مرة، وسيكون هو الذي يتولى ردع الناس وردهم إلى لواء الإسلام آخر الأمر فهو الذي يستطيع فقه كتاب الله، واستخلاص الأحكام منه، وصنع الدواء لكل داء عياء في الأوساط الإسلامية المعاصرة، وإن غدا لناظره قريب، والتوفيق من الله وحده هو حسبنا عليه نتوكل وإليه ننيب.

الهوامش

١- الإعذار - إزالة العذر، والمراد أنه لم يبق له عذر كأن يقول: لو طال أجله لفعلت كذا وكذا من الخيرات، وقيل: إن معناه، أن الله لم يترك للعبد سببا في الاعتذار يستمسك به.





عمر الحياة

عبدالفتاح أبوغدة (يرحمه الله)

لهذا العنوان الصغير أطراف كثيرة وكبيرة من المعاني والمواضيع، تتجاذب الكلام فيها، فللزمن قيمة عند الفلاسفة غير قيمته عند التجار، وغيرها عند الزراع، وغيرها عند الصناع، وغيرها عند العسكريين، وغيرها عند السياسيين، وغيرها عند الشباب، وغيرها عند الشيوخ، وغيرها عند طلبة العلم وأهل العلم.

وأخص بحديثي (قيمة الزمن) عند طلبة العلم وأهل العلم فحسب، رجاء أن يكون ذلك حافزًا لهمم أصحاب العزائم من شبابنا طلاب العلم، في هذه الأيام التي فترت فيها همم الطالبين، وتقاعست غايات المجدين، وندر فيها وجود الطلبة المحترقين بالعلم، فمات النبوغ وساد الكسل والخمول، وبرز من جراء ذلك الضعف والتأخر في صفوف أهل العلم وآثارهم، فأقول:

إن نعم الله تعالى على عباده كثيرة لاتحصى، ولا يمكن للبشر أن يحصوها

أستاذ الشريعة في المملكة العربية السعودية

أويدركوها على حقيقتها، وذلك لكثرتها، واستمرارها، ويسرها، وتتابع إنعام الله بها، وتفاوت مدارك الناس بها، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وإن تعدو نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾ (إبراهيم: ٣٤).

للنعم أصول وفروع

وإن للنعم أصولاً وفروعًا، فمن فروع النعم مثلًا: البسطة في العلم والجسم والمال، والمحافظة على نوافل العبادات، مثل قيام الليل والإكثار من تلاوة القرآن، وذكر الله تعالى، والمحافظة على سنن الفطرة في الوجه واليدين والأطراف، وسنن الأعمال مثل التطيب للرجال عند الاجتماع، والمصافحة عند اللقاء، ودخول المسجد باليمنى، والخروج منه باليسرى، وإماطة الأذى عن الطريق، وما إلى ذلك من الآداب والسنن والمستحبات وبعض الواجبات، فكل أولئك من فروع النعم،، وما أجلها من فروع عند عارفيها.

أصول النعم

وأما أصول النعم فكثيرة أيضًا لا تحصى، وأول أصول النعم: الإيمان بالله تعالى وبماجاء من عنده، والعمل بمقتضى ذلك على ما أوجبه الله تعالى



وأمر سبحانه.

ومن أصول النعم أيضًا: نعمة الصحة والعافية، التي منها سلامة السمع والبصر والفؤاد والجوارح، وهي محور حركة الإنسان وقوام استفادته من وجوده.

ومن أصول النعم أيضًا: نعمة العلم، فهي نعمة كبرى يتوقف عليها رقي الإنسانية وسعادتها الدنيوية والأخروية جميعًا، فالعلم نعمة جُلى، كيفما كان، فتحصيله نعمة، والانتفاع به نعمة، والنفع به نعمة، وتخليده ونقله للأجيال المقبلة نعمة، ونشره في الناس نعمة، وهكذا.

وهناك أمثلة كثيرة لأصول النعم، لا أطيل بذكرها مراعاة لقيمة الزمن.

من أجل أصول النعم

ومن أصول النعم أيضًا، بل من أجل أصولها وأغلاها: نعمة (الزمن)، الذي جمعت هذه الصفحات للحديث عن قيمته، في جنب طلبة العلم وأهل العلم خاصة.

فالزمن هو عمر الحياة، وميدان وجود الإنسان، وساحة ظله وبقائه ونفعه وانتفاعه، وقد أشار القرآن الكريم إلى عظم هذا الأصل في أصول النعم، وألمع إلى علو مقداره على غيره، فجاءت آيات كثيرة ترشد إلى قيمة الزمن، ورفيع قدره وكبير أثره.

الغيرة القاتلة على الوقت عند العابد والعاقل

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، في كتابه «مدارج السالكين»(٣/٤٩) وهو يتحدث عن منزلة الغيرة وشمولها لكثير من الأمور، فذكر منها الغيرة على الوقت بقوله:

الغيرة على وقت فات! وهي غيرة قاتلة، فإن الوقت وحي التقضي- أي سريع الانقضاء- أبي الجانب، بطيء الرجوع، والوقت عند العابد: هو وقت العبادة والأوراد، وعند المريد: هو وقت الإقبال على الله، والجمعية عليه،

الزمن ... عمر الحياة وميدان الإنسان وساحة بقائه ونفعه وانتفاعه

والعكوف عليه بالقلب كله، والوقت أعز شيء عليه، يغار عليه أن ينقضي بدون ذلك! فإذا فاته الوقت لايمكنه استدراكه ألبتة، لأن الوقت الثاني قداستحق واجبه الخاص، فإذا فاته وقت فلا سبيل له إلى الاستدراك، وأيضًا فالغيرة على التفويت تفويت أخر، كما يقال: الاشتغال بالندم على الوقت الفائت تضييع للوقت الحاضر! ولذلك يقال: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك (١).

فالوقت منقض بذاته، منصرم بنفسه، فمن غفل عن نفسه تصرمت أوقاته، وعظم فواته، واشتدت حسراته، فكيف حاله إذا علم عند تحقق الفوت مقدار ما أضاع! وطلب الرجعى فحيل بينه وبين الاسترجاع! وطلب تناول الفائت، وكيف يرد الأمس في اليوم الجديد؟ ﴿وأنى لهم التناوش من مكان بعيد﴾ (سبأ: ٥٢)(٢)، ومنع مما يحبه ويرتضيه، وعلم أن ما اقتضاه ليس مما ينبغي للعاقل أن يقتنيه، وحيل بينه وبين ما يشتهيه!

فيا حسرات، ما إلى رد مثلها
سبيلٌ! ولو ردت لهان التحسر!

والواردات سريعة الزوال، تمر أسرع من السحاب، وينقضي الوقت بما فيه، فلا يعود عليك منه إلا أثره وحكمه، فاختر لنفسك ما يعود عليك من وقتك، فإنه عائد عليك لا محالة، لهذا يُقال للسعداء في الجنة: ﴿كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ (الحاقة: ٢٤)، ويقال للأشقياء المعذبين في النار: ﴿ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون﴾(غافر: ٧٥)، انتهى بتصرف يسير.

جميع المصالح تنشأ من الوقت، فمن أضاعه لم يستدركه أبدًا.

وقال الإمام ابن القيم أيضًا، في كتابه «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»: «أعلى الفكر وأجلها وأنفعها ما كان لله والدار الآخرة، فما كان لله فهو أنواع... النوع الخامس: الفكرة في واجب الوقت ووظيفته، وجمع الهم(٣)، كله عليه، فالعارف ابن وقته، فإن أضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها، فجميع المصالح إنما تنشأ من الوقت، فمتى أضاع الوقت لم يستدركه أبدًا».

قال الشافعي رضي الله عنه: صحبت الصوفية، فلم أستفد منهم سوى حرفين، أحدهما قولهم: الوقت سيف، فإن لم تقطعه قطعك، وذكر الكلمة الأخرى و:نفسك إن شغلتها بالحق وإلا شغلتك بالباطل.

الهوامش

١- قال ابن أبي جمرة في كتابه «بهجة النفوس» (٩٦:٣): «معناه: اقطع الوقت بالعمل، لئلا يقطعك بالتسويف» انتهى، ويمكن أن يقال معناه : «أنك إذا لم تكن يقظًا للاستفادة من الوقت والانتفاع به هلكت كما يهلك من وجهت اليه الضربة بالسيف، فإن لم يكن يقظا لردها والسلامة منها قطعته وأهلكته، فإن الوقت سيف قاطع وبرق لامع، ولهذا قال القائل:

وكن صارمًا كالوقت فالمقت في عسى
وإياك علا فهي أخطر علة!

وقالوا: من علامة المقت، اضاعة الوقت.

٢- والتناوش: التناول.. والآية الكريمة تتحدث عن حال الكفار في الآخرة الذين فوتوا على أنفسهم في الدنيا: الإيمان بالله تعالى. أي: ومن أين لهم في الآخرة تناول الإيمان والتوبة من الكفر؟ وقد كان ذلك قريبًا منهم في الدنيا فضيعوه!، وكيف يقدرون على الظفر به في الآخرة وهي بعيدة من الدنيا؟!

٣- أي الهمة والعزم.



رجال القول ورجال العمل

عبدالعزيز بن صالح العسكر

«إن الفتى من يقول هأنذا» هذه كلمة لم يقلها الشاعر فقط، وإنما قالها الآباء والخلفاء والأمراء والقادة والمخلصون جمعيهم، ويقولها اليوم شباب مخلص من أبناء بلادنا، هأنذا مستعد للعمل، هأنذا تتحدث أعمالي قبل أقوالي، يقدمني فعل حسن، وإنجاز فريد وإبداع غير مسبوق، هأنذا أكمل نقصًا وأسد خللًا، وأعالج جرحًا، وأصل جديدًا بقديم.

هذا النوع من الشباب موجود بيننا، بهم تسعد البلاد وتحمى الحرمات، وتصان المكاسب وتنجح المشاريع وتتحقق الآمال، رأيناهم في السيول يدفعون خطرها، وفي التعليم يحققون أهدافه، وفي الأمن يبسطون سعادته، وفي الصحة ينشرون أثرها وإنجازها، كما رأيناهم في البيوت يصونون حرمتها ويرعون أمانتها، كما رأيناهم في المصانع والمتاجر والمزارع يدفعهم إخلاصهم، وتشهد بصدقهم أفعالهم، أكثر الله من هؤلاء وبارك في جهودهم ونفع بهم البلاد وأهلها.

وبجانب أولئك الكرام وجدنا «تجار الكلام» و«أعلام القول» و«رواد الخطابة» و«فرسان الثرثرة» يقول أحدهم: يجب أن يفعل الناس، ويقول الثاني: العلاج غير ممكن، ويقول الثالث: الإصلاح غير ممكن، وآخر يقول: لم أجد من يعمل غيري! وآخر: أريد عملًا مريحًا، وآخر: هذا عمل فات أوانه... سلسلة من الأعذار والأوهام يسوقها العاجزون ويرددها المنهزمون، ويتسلى بها القاعدون، وكل واحد من أولئك يكذب على نفسه ويستغفل غيره!

العاجزون عبء ثقيل على أمتهم، والمنهزمون أحجار عثرة في الطريق، والقاعدون أصفار على شمال العدد لا ينفعونه شيئًا، ولا أجد للعاجزين والمهزومين والقاعدين دورًا سوى التخذيل وبث الرعب في الأمة وإعاقة نهضتها.

أبطال الأفعال محبوبون من القاصي والداني متحررون من النفاق والشفاعات الزائفة

وهم قبل ذلك صيد ثمين للأعداء يوظفونهم لتحقيق مآربهم ويكثرون سوادهم، ففي إحدى معارك المسلمين مع أعدائهم جاء رجل إلى القائد المسلم وقال له: ما أكثر الروم وأقل المسلمين، قالها ذلك المسلم وقد هَالَه جيش الأعداء، فماذا كان جواب القائد المسلم؟

قال كلمة واحدة واضحة مشرقة: وددت لو برئ الأشقر وضاعفوا من عددهم! والأشقر فرسه وكان قد حفي من طول الطريق وأحجاره وأشجاره، فكان يتمنى أن يشفي الله فرسه ولو ضاعف الأعداء عددهم، المقاييس ليست في العدد، والميزان ليس في الكثرة، ولكنه الكيف والحال، فقد تعلمنا من الأحداث وأحوالها أن الكثرة مع الباطل، وأن الخمول فرسانه كثيرون وعُشَّاقه يزيدون، وأبطاله يتنافسون.

أبطال الأفعال ناجحون في دراستهم وعلاقاتهم، محبوبون من القاصي والداني، متحررون من الرشود والتزوير والنفاق والكذب والشفاعات الزائفة، وكما نتمنى أن يبعد الله تجار القيل والقال، ويقلل عددهم نسأل الله تعالى أن يبارك في العاملين من علماء الشريعة وعلماء العلوم جميعًا، وأن يعين العاملين في خدمة بلادهم وأمتهم، وأن يبارك في جهودهم.

إن قيام الممالك جاء بالعمل لا بالقول.. والمحافظة عليها يكون بالعمل لا بالقول.

وبناء الأسر والمجتمعات يكون بالعمل لا بالخطب والمواعظ، مع ما للخطب والمواعظ من دور كبير ورائع في التنبيه والتذكير، بالعمل بُني الإيمان، وبُني المجد، وعزَّ السلطان، وارتقت الأوطان، وبالاكتفاء بالقول فقط ضعف الإيمان وهُدم المجد وذل السلطان، وتأخرت الأوطان وأصبح المرء دُمية في يد أعدائه يلعبون به ويحققون أمانيهم وآمالهم.

قال الرسول ﷺ فيما رواه أبوهريرة: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وآمالكم» (رواه مسلم) الصور والأشكال والآمال والأماني والوعود الكاذبة لا تنفع

• كاتب سعودي







في الدنيا والآخرة، قال الرسول ﷺ: «الكَيِّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله» (رواه الترمذي).

فالعاجز كل بضاعته أقوال وأماني ووعود وكذب! والعاقل هو الذي يتبع القول العمل أو يسبق عمله قوله، قال الرسول ﷺ: «حينما سأله سفيان بن عبدالله رضي الله عنه: قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غيرك: قال: «قل آمنت بالله ثم استقم» (رواه مسلم)، ولا يمتدح طول العمر إلا مع كثرة الأعمال الصالحة.. وإلا فإنه وبال على صاحبه قال رسول الله ﷺ: «خير الناس من طال عمره وحسن عمله» (رواه الترمذي)، والعمل وإن كان صغيرًا خير من كثير القول والنقد وتجريح الناس ولومهم، وفي ذلك العمل الصغير القليل عظيم الأجر وجزيله.

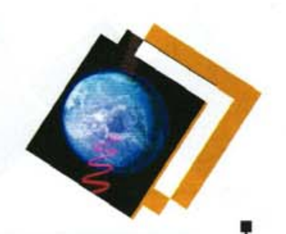
قال ﷺ: «لقد رأيت رجلًا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين» (رواه مسلم)، ومما تقرر في الشريعة الإسلامية أن إماطة الأذى عن الطريق صدقة، وهذا مشروع في حق كل فرد في الأمة وفي كل مكان.

والإسلام يدعم العمل ويؤيده ويدعو إليه، بل إنه يجعل ما يعين على العمل الصالح ويوصل إليه عملاً صالحًا فيه عظيم الأجر والمثوبة، فالبعد عن المسجد فرصة لكسب عظيم الأجر بكثرة الخطوات ومشقة الوصول إلى المسجد، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: «أراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال لهم: «إنه قد بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد؟» فقالوا: نعم يا رسول الله، قد أردنا ذلك، فقال: «بني سلمة دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم» (رواه مسلم).

واستجاب أصحاب رسول الله لتوجيه رسولهم وسعدوا بطاعة ربهم، وعلت هممهم، وزاد شغفهم بالأجر وتكثيره، وهذا واحد منهم يضرب مثلاً أعلى في ذلك السمو الإنساني الكبير، وذلك حينما يرفض أن يركب ويصر على المشي إلى المسجد على قدميه وتأتيه البشرى من نبي الهدى بأن الله تعالى قد كتب له خطاه ذهابًا للمسجد وإيابًا، رضي الله عنهم وألحقنا بهم في الصالحين، تلك قصة حكاها الحديث الشريف، قال أبي بن كعب رضي الله عنه كان رجلًا لا أعلم رجلًا أبعد من المسجد منه، وكان لا تخطئه صلاة فقيل له، أو فقلت له: لو اشتريت حمارًا تركبه في الظلماء، وفي الرمضاء؟ فقال: ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد، إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي، فقال رسول الله ﷺ: «قد جعل الله لك ذلك كله» (رواه مسلم).

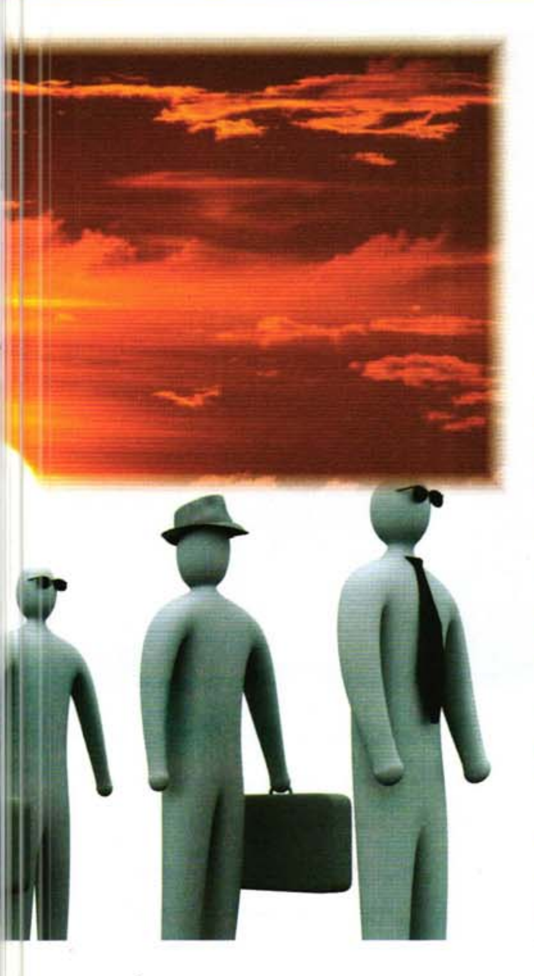
هذا هو دين العمل، عمل ينفع الفرد وينفع الأمة، عمل يقطع الطريق على القيل والقال، وتدافع المسؤولية وأن يُحَمِّل كل فرد أخطاءه على الآخرين، وما أسعد مجتمعًا وأمةً يتسابق أفرادها إلى العمل ويهجرون التَّواكل والثرثرة والجدل.

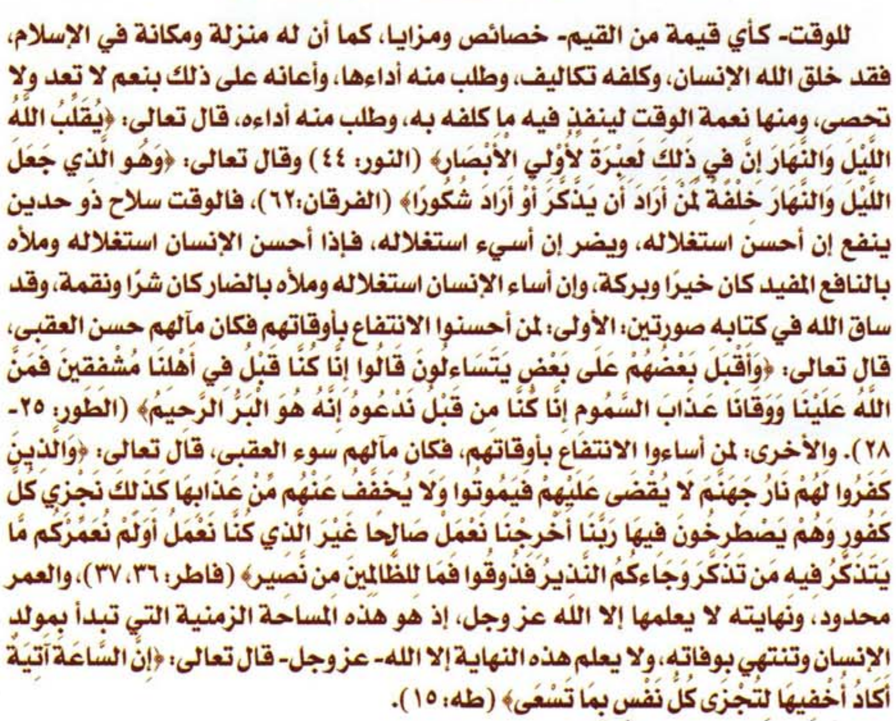
إنَّ واحدًا من رجال العمل خير وأنفع للبلد من ألف من رجال الثرثرة والتنظير والتكسل.



الوقت في حياة المسلم

د. سيد نوح (يرحمه الله)





للوقت- كأي قيمة من القيم- خصائص ومزايا، كما أن له منزلة ومكانة في الإسلام، فقد خلق الله الإنسان، وكلفه تكاليف، وطلب منه أداءها، وأعانه على ذلك بنعم لا تعد ولا تحصى، ومنها نعمة الوقت لينفذ فيه ما كلفه به، وطلب منه أداءه، قال تعالى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (النور: ٤٤) وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ (الفرقان:٦٢)، فالوقت سلاح ذو حدين ينفع إن أحسن استغلاله، ويضر إن أسيء استغلاله، فإذا أحسن الإنسان استغلاله وملأه بالنافع المفيد كان خيرًا وبركة، وإن أساء الإنسان استغلاله وملأه بالضار كان شرًا ونقمة، وقد ساق الله في كتابه صورتين: الأولى: لمن أحسنوا الانتفاع بأوقاتهم فكان مآلهم حسن العقبى، قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ (الطور: ٢٥-٢٨). والأخرى: لمن أساءوا الانتفاع بأوقاتهم، فكان مآلهم سوء العقبى، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (فاطر: ٣٦، ٣٧)، والعمر محدود، ونهايته لا يعلمها إلا الله عز وجل، إذ هو هذه المساحة الزمنية التي تبدأ بمولد الإنسان وتنتهي بوفاته، ولا يعلم هذه النهاية إلا الله- عز وجل- قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ (طه: ١٥).

إن الوقت سريع المرور والانقضاء، ولا يعود أبدًا إذ هو حركة الأفلاك، وتلك لا تتوقف أبدًا، فهو يمر بمرورها، وينقضي بانقضائها، ويبدأ مروره وانقضاؤه من لحظة الولادة، وإذا مر أو انقضى كله أو بعضه ولو يسيرًا، فلا يعود أبدًا، ولذا جاء عن الحسن البصري قوله: «ابن آدم أنت أيام كلما ذهب يوم ذهب بعضك» (١)، وجاء عن ابن عباس قوله: «ما من يوم طلعت شمسه إلا يقول: من استطاع أن يعمل في خيرًا فيعمله، فإني غير مكرر عليكم أبدًا» (٢).

وقال بعضهم: «يقال: الوقت من ذهب، وهذا صحيح من حيث القيم المادية للذين لا يقيسون الوجود إلا بها، ولكن الوقت هو الحياة للذين ينظرون إلى أبعد من ذلك، وهل حياتك أيها الإنسان في هذا الوجود شيء غير الوقت الذي يمضي بين الميلاد والوفاة؟ وقد يذهب الذهب وينفد، ولكنك تستطيع أن يكون معك منه أضعاف ما فقدت، ولكن الوقت الذاهب، والزمن الفائت لا تستطيع له إعادة أو إرجاعًا، فالوقت إذن أغلى من الذهب، وأغلى من الماس، وأغلى من كل جوهر وعرض، لأنه هو الحياة» (٣).

منزلة الوقت في الإسلام

وللوقت في الإسلام منزلة رفيعة، ومكانة سامية تتلخص في إقسام الله عز وجل بالزمن في مختلف أطواره في كتابه العزيز، إشعارًا بقيمة الزمن، وتنبيهًا إلى أهميته، إذ أقسم- سبحانه- بالليل، والنهار، والفجر، والصبح، والشفق، والضحى، والعصر، فقال: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ (الليل:١-٢)، وقال كذلك: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ (المدثر: ٣٣-٣٤)، وقال أيضًا: ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ (الفجر: ١-٢).

وبيّن النبي ﷺ أن المستفيدين من الزمن قلة، وأن الكثير مفرط مغبون، فقال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ» (٤)، يقول الحافظ أبوالفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ): «قد يكون الإنسان صحيحًا، ولا يكون متفرغًا يشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنيًا ولا يكون صحيحًا، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه، وصحته

أستاذ الحديث في جامعة الكويت





في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملها في معصية الله فهو المغبون، لأن الفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السقم، ولو لم يكن إلا الهرم لكفى» (٥).

وربط الإسلام بين نتائج العبادات، والأعمال الصالحات، وبين الأوقات حيث يقول النبي ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه...» (٦)، ودعا الإسلام إلى استغلال المتاح منه الآن قبل فواته إيذانًا بأهميته وقيمته، يقول النبي ﷺ: «اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل مماتك.

السبيل القويم لاستغلال الوقت

السبيل القويم لاستغلال الوقت أحسن استغلال تتمثل في اتباع هذه الخطوات:

هل حياة الإنسان في هذا الوجود شيء غير الوقت الذي يمضي بين الميلاد والوفاة؟

١- تحليل الوقت على ما هو عليه الآن، بأن يتعرف المسلم على مناشطه المختلفة، والزمن الذي يقضيه في كل منشط، والعلاقة بينهما، ليدرك أين الخلل، ويسعى نحو العلاج، ويحسن عمل جدول يدون فيه كل المناشط التي يقوم بها يوميًا وبالتفصيل لمدة أسبوع، مع تدوين الزمن الذي يستغرقه كل منشط، ومدى تناسب الزمن مع المنشط، وسيظهر له إن كانت هناك أزمنة مهدرة أم لا، ثم يبحث عن سبب الهدر إن وجد وطريق العلاج.

٢- تحديد وقت ذروة النشاط، بأن يتعرف المسلم على منحنى نشاطه، إذ كثير من الناس يعظم نشاطهم في الصباح، وبعضهم يعظم نشاطه في المساء، وإذا تعرف المسلم على منحنى نشاطه، وجدد وقت ذروة نشاطه أمكنه تنظيم المناشط التي يقوم بها وفق ذلك، فيجعل المناشط الأهم في وقت الذورة، ويؤجل المناشط العادية أو التي لا تحتاج إلى جهد عقلي إلى وقت الفتور أو التراخي.

٣- تخطيط الوقت، ويكون ذلك عن طريق حصر الأهداف المطلوب تحقيقها، وتحديد الأساليب والوسائل الموصلة لهذه الأهداف، والزمن اللازم لذلك، وتاريخ البدء بالتنفيذ، ولا بأس أن تتضمن الخطة عدة مستويات، سنوية- شهرية- أسبوعية- يومية، وأن تكون مكتوبة، وفي متناول اليد، وألا يستغرق إعدادها فوق ما تستحق من وقت ومجهود، وأن يوضع في الاعتبار الظروف المحيطة، والعقبات والمعوقات، وسبيل تجاوز هذه العقبات والمعوقات، وأن تغطي الطموحات، وأن تكون قابلة للقياس، وأن يقدم فيها الأهم فالمهم.

٤- ترتيب وتنسيق مكان العمل، ذلك أن ترتيب وتنسيق مكان العمل لن يساعد فقط على توفير الوقت بل سيساعد كلك على إنجاز العمل بهدوء، ودون انقطاع، وهذا يتطلب:

أ- وضع كل شيء في مكانه مع ترك فراغات كافية بين محتويات المكان تسمح بحرية الحركة، ثم الحرص على نظافة المكان، وعدم وضع شيء على الأرض.

ب- لا يوضع شيء على المكتب إلا ما يحتاج إليه الآن، أو خلال اليوم نفسه، بحيث تترك مساحة كبيرة على المكتب للاستخدام الشخصي، وماعدا ذلك يكون في مكانه الخاص، أو في سلة المهملات إن لم تكن هناك حاجة إليه.

جـ- المحافظة على وجود إضاءة جيدة فوق المكتب.

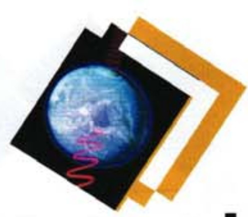
د- التأكد من ترتيب المكتبة إن وجدت، مع تصنيف الكتب حسب موضوعها، ومع جعل مكان خاص للكتب ذات الاستخدام الأكثر.

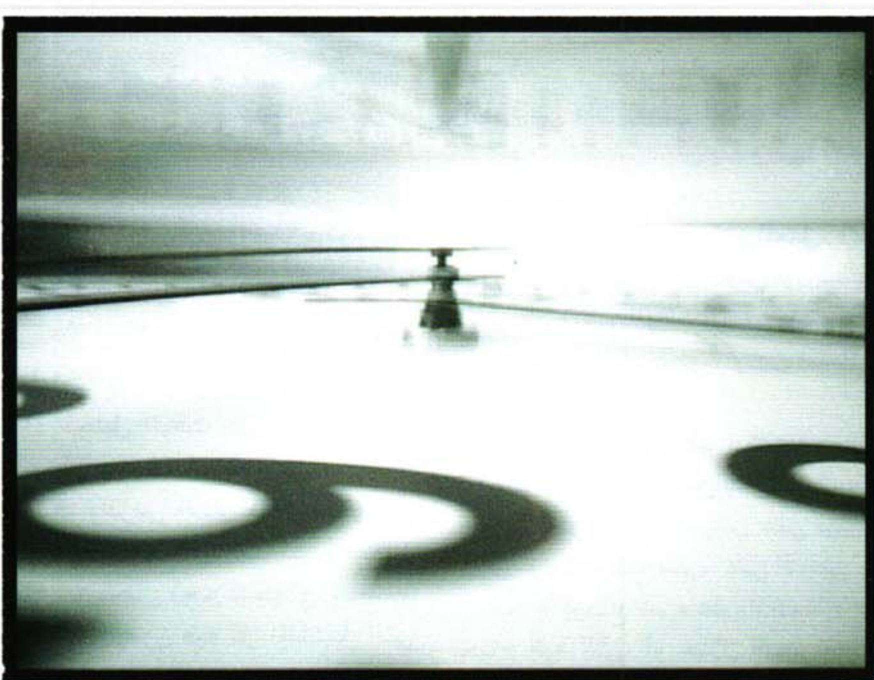
هـ- توضع الأدوات مرتبة في أماكنها بحيث يكون لكل منها مكان خاص.

٥- تنفيذ الخطة هو المحك العملي الذي ينتقل به المرء من العشوائية إلى الحياة العملية المنظمة، وهذا يحتاج إلى البدء الفوري، وعدم التسويف، إذ هذه هي القوة الحقيقية، والعزيمة الصادقة كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

«من القوة ألا تؤخر عمل اليوم إلى الغد» (٧).

٦- المتابعة: وهي مقارنة ما سبق تخطيطه بما تم تنفيذه، وإنجازه للوقوف على السلبيات، والبحث عن طريق العلاج والخلاص، ولابد أن تكون فورية، ومستمرة دون انقطاع، ولا تأخذ فوق ما





تستحق من وقت وجهد ومرونة وواقعية، وهذه نماذج أو صور استغلال الوقت أحسن استغلال يمكن محاكاتها، والنسج على منوالها.

هذا الحافظ العلامة أبوالفرج ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) يقول عن نفسه: «وإني أخبر عن حالي، ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتابًا لم أره، فكأني وقعت على كنز، فلو قلت إني قد طالعت عشرين ألف مجلد ما كان أكثر، وأنا بعد في طلب الكتب، فاستفدت بالنظر فيها ملاحظة سير القوم، قدر هممهم، وحفظهم، وعاداتهم، وغرائب لا يعرفها من لم يطالع» (٨)، وكانت له تجربة رائعة مع عقبات، ومعوقات تضييع الوقت إذ يقول:

«لقد رأيت خلقًا كثيرًا يجرون معي فيما قد اعتاده الناس من كثرة الزيارة، ويسمون ذلك التردد خدمة، ويطلبون الجلوس، ويجرون معه أحاديث الناس، وما لا يعني، ويتخلله غينة، وهذا شيء يفعله في زماننا كثير من الناس، وربما طلبه المزور، وتشوق إليه واستوحش

الحسن البصري: يابن آدم أنت أيام كلما ذهب يوم ذهب بعضك

من الوحدة، خصوصًا في أيام التهاني، والأعياد، فتراهم يمشي بعضهم إلى بعض، ولا يقتصرون على الهناء والسلام، بل يمزجون ذلك بما ذكرته من تضييع الزمان، فلما رأيت أن الزمان أشرف شيء، والواجب انتهازه بفعل الخير، كرهت ذلك وبقيت معهم بين أمرين: إن أنكرت عليهم وقعت وحشة لموضع قطع المألوف، وإن تقبلته منهم ضاع الزمان، فصرت أدافع اللقاء جهدي، فإذا غلبت قصرت في الكلام لأتعجل الفراق، ثم أعددت أعمالاً لا تمنع من المحادثة لأوقات لقائهم لئلا يمضي الزمان فارغًا، فجعلت من المعد للقائهم قطع الكاغد- الورق- وبري الأقلام، وحزم الدفاتر، فإن هذه الأشياء لابد منها، ولا تحتاج إلى فكر، وحضور قلب، فأرصدتها لأوقات زيارتهم، لئلا يضيع شيء من وقتي» (٩).

وهذا عمر بن عبدالعزيز تصفه زوجته فاطمة بنت عبدالملك فتقول: «ما رأيت أحد أكثر صلاة، ولا صيامًا منه، ولا أشد فرقًا من ربه منه، كان يصلي العشاء، ثم يجلس يبكي حتى تغلبه عيناه، ثم ينتبه، فلا يزال يبكي حتى تغلبه عيناه، ولقد كان معي في الفراش، فيذكر الشيء من أمر الآخرة، فينفض كما ينتفض العصفور من الماء، ويجلس يبكي، فأطرح عليه اللحاف» (١٠).

الهوامش

١- انظر: تاريخ الإسلام للذهبي ص٥٦ وفيات ١٠١ - ١٢٠هـ.

٢-أورده السيوطي في جمع الجوامع بهذا اللفظ، وعقب عليه بقوله: «أخرجه البيهقي في الشعب عن عثمان بن محمد بن المغيرة الأخنس مرسلًا، والديلمي عنه، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس.

٣-انظر: قيمة الزمن عند العلماء للشيخ عبدالفتاح أبي غدة ص١٢٢- ١٢٣.

٤-الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الرقاق: باب ما جاء في الرقاق والأعيش إلا عيش الآخرة ١٠٩/٨ من حديث ابن عباس مرفوعًا بهذا اللفظ.

٥- انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٢٣٠/١١.

٦- الحديث أخرجه الترمذي في: السنن: كتاب صفة القيامة: باب في القيامة ٦١٢/٤ رقم ٢٤١٧ من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه مرفوعًا به، وقال عقيبة: «حديث حسن صحيح».

٧-انظر: سوانح وتأملات في قيمة الزمن لخلدون الأحدب ص٣٦-٣٧.

٨-انظر: سوانح وتأملات في قيمة الزمن لخلدون الأحدب ص٣٦-٣٧.

٩-انظر: سوانح وتأملات في قيمة الزمن لخلدون الأحدب ص٣٦-٣٧.

١٠-انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٢٠٤/٩.



عشر قواعد لإدارة الوقت الناجح

الوقت من ذهب.. كيف تستثمره؟!

ليلى محمد محمد

يقول المثل الشائع عالميًا «الوقت من ذهب»، فهل يمكن شراؤه؟! حيث يشير بعض المراقبين إلى أن نحو ٤٣٪ من العاملين في الدول الصناعية يشكون عدم كفاية الوقت المتاح لهم لأداء مهامهم الوظيفية وضخامة الأعمال الموكلة إليهم.

من ناحية أخرى، نجد الأشخاص الناجحين، الذين يعد نجاحهم متمثلاً في قدرتهم على السيطرة على الوقت وعدم ترك الوقت يسيطر عليهم، يقومون بأداء أعمالهم على الوجه الأكمل.. ليس هذا فقط ولكنهم يجدون الوقت الكافي لممارسة أنشطتهم الرياضية أو السفر لقضاء العطلات.

وانطلاقًا مما تقدم فثمة حقائق لابد أن تؤخذ في الاعتبار:

أولاً: أن الوقت لا يشترى فلا أحد يستطيع شراءه، لأنه موزع على الجميع ولكلٍ نصيب منه. ولا تأتي ظواهر عدم المساواة إلا لفشل البعض في اتباع الأسس السليمة لإدارة الوقت، بل إن البعض منا قد يتفنن في كيفية إضاعة الوقت وإهداره.

ثانيًا: إن الوقت لا يدخر، وذلك لأن الزمن يجري دون توقف وليس هناك من يستطيع إيقافه أو إيداعه في أحد المصارف.

ثالثًا: إن الزمن لا يمكن إيقافه والوقت المهدر غير قابل للاستعادة وذلك- مع الأسف- قانون الحياة الذي يحكم الجميع.

هناك خمس بدهيات ضرورية لابد من الالتزام بها لكل من يحاول إدارة وقته، وهي:

الأولى: «عادة استخدام الوقت»، إذ ان استخدامنا للوقت هو عادة طبيعية وممارسة يومية.

الثانية: «تحديد الأهداف المطلوبة»: فالوقت المتاح لنا موزع على اهتمامات شتى متعلقة بكل واحد منا وبالجو المحيط به وظيفيًا واجتماعيًا وروحيًا، ولكل منها مساحتها الخاصة بها ويجب ألا يطغى زمن



إحداهما على غيرها.

الثالثة: «تصنيف الأولويات»: إذ لا يمكنك الاستمرار في تأجيل التعامل مع قضاياك، وإلا ستجد نفسك غارقًا في هموم صنعتها بنفسك، ومثال ذلك: تأجيل البت في الأوراق والمراسلات داخل محيط عملك، مما يؤدي إلى ظهور جبل من الأوراق فوق طاولتك، فتحاول الاقلال منها، إلا أنك ستصادف صعوبات شديدة، وستجد نفسك غارقًا في ورطة كبيرة، إذ كلما طلبت منك ورقة ستبدأ في رحلة مضنية للبحث عنها بين جبل الأوراق هذا، ثم ستحاول أن تفعل ما وسعك تجاهها وستصادفك بخصوصها صعوبات ولوم من محيطك الوظيفي.

إن وقوعك في هذه الورطة ما كان ليتم لو أنك عالجت أوراقك بسرعة وذكاء، فكان باستطاعتك تنظيم أوراقك وتقسيمها إلى نوعين: يحوي الأول تلك الأوراق التي تحتاج إلى اتخاذ قرار فوري بخصوصها، وهذه عليك التصرف نحوها بسرعة أكبر، والثاني: تلك الأوراق التي تتطلب منك قراءة أو إجابة أو حفظًا في الملفات، وهذه لابد من توزيعها سريعًا إلى أوراق من أجل الحفظ، وأخرى يجب أن يطلع عليها زملاؤك ومرؤوسوك، حذار من تركها هكذا، إذ إنها ستؤدي إلى إضعاف تركيزك في الوصول إلى الهدف الذي تسعى إليه، ثم إنك كلما حاولت إنجاز مهمة ما، ستغوص في رحلة مضنية بين تلك الأوراق، وستجد نفسك مضطرًا شيئًا فشيئًا للقبول بهذا الضغط، وسيصبح التأجيل عنوانًا واضحًا لعملك، مقابل ذلك، وكي تكون ناجحًا في محيطك العلمي، حاول- ما استطعت- التخلص من كل الأوراق- الصادرة والواردة- الموجودة فوق سطح طاولتك بأسرع وقت ممكن، لكن لا تضعها في درج واحد بل وزعها ورتبها وفق أهميتها ونوعها على أدراج طاولتك واتجه نحو الإجابة عليها والتصرف سريعًا معها.

الرابعة: «عنصر الاتصالات»: إذ كثيرًا ما تتجه أصابع الاتهام نحو عنصر الاتصالات

• كاتبة صحافية



كمثبط ضد نجاح المؤسسة، فيما يشير الآخرون إلى بطء الاتصالات وعجزها تحت عنوان «إنه الروتين»، إن اعتماد نظام اتصالات مرن وفاعل هو السبب الأول في نجاح المؤسسة، وهو أمر لابد من تطبيقه بذكاء في المستويات الادارية شتى كي يستطيع الجميع إنجاز المهام المطلوبة منهم.

الخامسة: «التأجيل»: وهو عقبة كأداء جاهزة في أي لحظة لبعثرة ما خططت للقيام به، إذ غالبًا ما نضع جدولًا للأعمال وأهدافًا مطلوبة وبرامج طموحة، لكن كل هذا لا جدوى منه إذا لم ينفذ فعلًا.. وللتأجيل أسباب ثلاثة هي:

١- عدم الرضى والتعامل مع المهام غير السارة.

٢- وجود صعوبة في العمل.

٣- التردد وعدم القدرة على اتخاذ القرار خوفًا من النتائج غير المرضية.

إن التأجيل سبب حاسم في إضاعة الوقت، أضف إلى ذلك أن العديد منا ينظر كل حين إلى عقارب ساعته على أمل أن تصل إلى تلك الوضعية المفرحة التي تشعره بوصول لحظة مغادرة موقع العمل، فينطلق مسرعًا خارج المكتب، ويبدأ بتسويغ تأجيل تنفيذ بعض مهامه تحت شكوى ضغط العمل وتذمره من مديره وزملائه ومرؤوسية، إضافة إلى ضيق الوقت المتاح له!

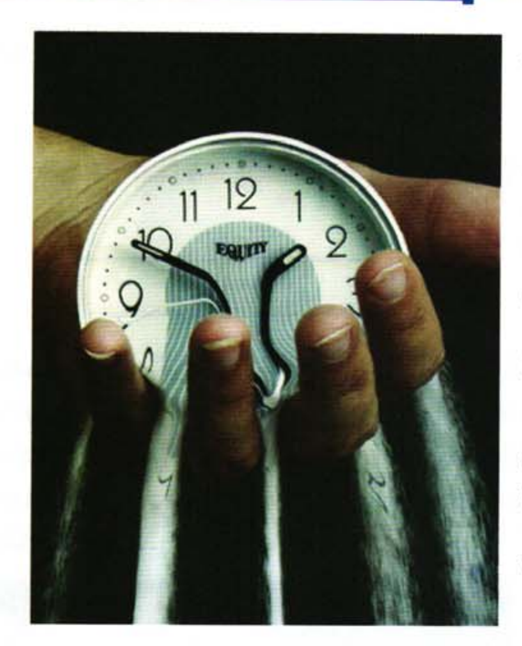
إن أفضل سبيل لتجنب التأجيل هو توضيح أهداف العمل واعتماد مبدأ التخطيط اليومي وكتابة تفاصيل الأعمال اليومية، وإنجاز المهام المطلوبة أولاً بأول.

ضياع الوقت

يوجد عدد من الأسباب لقلة ونقصان الوقت وأسباب ضياع الوقت منها: الاضطرابات وهي إما خارجية أو ذاتية، وبتحليل الحالة الذاتية أولًا يمكن عندها تحديد الأوقات الضائعة والمفقودة.

عوامل الاضطرابات الخارجية لضياع الوقت

-التوقف والانقطاع بسبب الرؤساء أو



الزملاء.

-التنسيق غير الكامل أو المعلومات غير الوافية.

-الإكثار من المحادثات والمؤتمرات غير الضرورية أو سيئة التحضير.

-معوقات غير مرئية.

-ضجيج أو جو بيئي غير مريح في مكان العمل.

- عوامل الاضطرابات الداخلية لضياع الوقت:

عدم وجود هدف.

تنظيم ذاتي غير كاف.

نقص في الدوافع الذاتية.

عدم القدرة على قول لا.

البدء بمهام وعدم إكمالها.

تأجيل الأعمال غير السارة.

المغالاة ضد التناغم الذاتي.

كيفية الاستفادة من الوقت وإدارته

إن فن إدارة الوقت لا يمكن اكتسابه عبر الدراسة في الأكاديميات، ولكنه حصيلة لتجارب عديدة قام بها أفراد على نماذج مختلفة من البشر والمؤسسات، ونعرض هنا لبعض مظاهر الإدارة السيئة للوقت:

-الشعور الدائم بضخامة وجسامة أعباء العمل الذي يأخذ شكل عمل إضافي في العضلات.

-امتداد فترة الدوام العادي إلى أكثر من ٥٥ ساعة أسبوعيًا.

-العجز عن الالتزام بالمواعيد الضرورية.

- معالجة الموضوعات بشكل سطحي دون النفاذ إلى أعماقها وأسرارها.

- اتخاذ قرارات مستعجلة على الرغم من المخاطر التي قد تترتب عليها.

- عدم إعطاء العاملين بعض الصلاحيات وذلك لضعف الإدراك والإحساس بأهمية تشجيع المبادرة الحرة والخلاقة.

- المراهنة على المكاسب القريبة عوضًا عن المكاسب طويلة الأجل، فيما يسمى بسياسة إطفاء الحرائق، أي إدارة الأزمة بدلاً من وضع خطط طويلة الأجل تمنع حدوثها.

- فقدان السيطرة على مجمل المهام والواجبات الفرعية التابعة لها.

- تزايد الضغوط النفسية والعصبية.

- إهمال الحياة العائلية والعلاقات مع الأصدقاء.

ولكي تتضح الصورة أكثر فقد قام الباحثون في مجال العلوم الإدارية وعلم النفس الاجتماعي والطب المهني بعمل استطلاع للرأي روعي فيه الاستجابة لاحتياجات جميع الوظائف والمهن والتخصصات، وهو عبارة عن مجموعة من الأسئلة يمكن من خلالها لكل شخص القيام بإجراء تقويم ذاتي لأدائه الوظيفي، وإليكم جانبًا من تلك الأسئلة:

- هل حددت بشكل واضح الأهداف التي تنوي تحقيقها أثناء حياتك؟

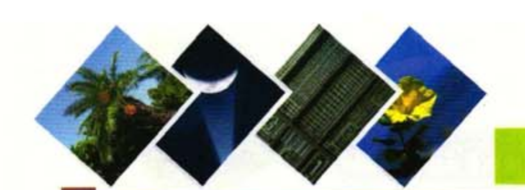
- هل لديك أهداف قصيرة الأجل أي خلال الأشهر الستة المقبلة؟

- ما الأشياء الملموسة التي أنجزتها توًا؟ وما تأثيرها المباشر أو غير المباشر على مجمل خططك؟

- هل لديك برنامج واضح لما تنوي إنجازه في الأسبوع المقبل؟

- هل تعرف بدقة ذلك الجزء من اليوم الذي يكون فيه معدل إنتاجك أعلى من بقية أجزاء اليوم؟

- خلال أي ساعة من ساعات النهار



تتجز المهام الأكثر إلحاحًا وأولوية؟

-هل تقيم أداءك حسب الأهداف المحققة؟ أم حسب حجم الواجبات الوظيفية؟

- هل تحدد الأولويات على أساس الأهمية أم كيفما اتفق؟

- هل تمنع مرؤوسيك من الاتصال بمن هم أرفع منهم وظيفة؟

- هل تكلفهم بالأعمال الروتينية أم ببعض الأمور المهمة؟

- هل تعرف جيدًا حدود الصلاحيات والمسؤوليات التي تنطوي عليها عملية التكليف؟

- هل اتخذت أي إجراء تجاه المطبوعات والتقارير غير المفيدة المتراكمة على مكتبك؟

- هل تراجع الملفات لإزالة كل المستندات والمعلومات غير المجدية؟

- هل تستطيع إدارة الاجتماعات بشكل ناجح؟

- هل تستخدم الهاتف بشكل فعال لإنجاز المهام دون الرجوع للوثائق إلا نادرًا؟

- هل تستغل وقت الانتقال من البيت إلى المكتب وبالعكس بصورة فعالة؟

وبعد إجابتك عن هذه الأسئلة تستطيع أن تعرف، هل أنت سيد وقتك؟ وهل تستفيد منه إلى أقصى درجة ممكنة؟ أم إن إدارتك لوقتك تحتاج إلى تغيير وإعادة نظر؟

ومع ذلك إليك بعض الملاحظات المفيدة في إدارة الوقت:

- تحكم في استثمار الوقت المتاح لك.

- حاول أن تكون صبورًا، كلما كان مطلوبًا منك اتخاذ قرار ما، لأن من أحد أهم أسباب نجاح الإدارة اليابانية هو «التفكير بصبر أكثر والتنفيذ بسرعة أكبر».

- تعلم أداء مهامك بنجاح.

- اعتمد على تفويض المهام، وحاول إيجاد نظام اتصالات فعال، وحاول أيضًا اختيار نوع الاجتماعات حيث إن هناك الكثير من أنواع الاجتماعات التي تكون سببًا في ضياع الوقت، وخاصة أن الاجتماعات الروتينية لا فائدة ترجى منها.

- حاول فرز البريد وفق أهميته، وركز انتباهك على التعامل مع البريد الأكثر أهمية، وفوض أحد مساعديك أو مرؤوسيك في الرد على البريد الآخر.

- لا تستقبل جميع الزوار، حاول أن تتقيد بجدول خاص بالمواعيد وفي حال الضرورة، أن تستقبله داخل المكتب، أن تقول له: لدي اجتماع ومرتبط بأعمال ولكن لا مانع لبضع دقائق، ومحاولة وضع كتب وأوراق على أماكن الجلوس في مكتبك، لكي لاتشجع الآخرين على الجلوس.

-استخدام الاستراحة لفترة محددة، ومحاولة اختصار المكالمات الهاتفية لأن استخدام الهاتف سيدفعك فيمابعد إلى بعثرة ساعات من الوقت الضائع، بهدف محو سوء الفهم الذي حدث أثناء المكالمة الهاتفية.

الزمن لا يمكن إيقافه والوقت المهدر غير قابل للاستعادة

عشر قواعد لإدارة الوقت الناجح

- تحليل ذاتي للوقت وتحديد الأوقات الضائعة.

- صياغة الرغبات، وتحديد وتثبيت الأهداف الخاصة والمهنية بشكل واضح وتوزيع الخطة، البرنامج الزمني، على أهداف طويلة- متوسطة وقصيرة الأجل.

- ضع أولوياتك ونظم قائمة بترتيب نشاطاتك.

- خطط كل شيء خطيًا، ونظم برنامجًا منطقيًا محددًا لكافة نشاطاتك، واستخدم لذلك مذكرة خاصة لتخطيط الوقت.

- نسق خططك اليومية مع ذروة إنجازك، منحنى إنجازك، وتناغمك وتواترك اليومي.

- خطط يوميًا بحيث يتضمن برنامجك اليومي وقتًا احتياطيًا للطوارئ وللأشياء والأحداث غير المتوقعة، أو للنشاطات التي تحتاج لوقت أطول مما هو مخطط.

- أنجز المهام الصعبة أو غير المحببة والسارة أولاً ويستحسن في أثناء قمة إنجازك.

- أكمل المهمة التي بدأتها قبل الشروع للبدء في مهمة جديدة.

- اختر الأوقات الخالية من الاضطرابات بحيث تتمكن من التركيز على المهام الهامة.

- حيثما أمكن، جرب أن تبسط روتين العمل، ووزع العمل كرئيس على مرؤوسيك قدر الإمكان.

خاتمة

إن الاهتمام بالوقت يعني الاهتمام بالأساسيات والأولويات في العمل، وتستطيع أن تقيّم أي فرد أو مجموعة أو جهة من خلال العناية الفائقة بالوقت، لأن تلك العناية إنما تعني الإخلاص ومثالية الأداء وحسن التخطيط المالي والبشري والإدارة، فلماذا لا تحاول أن تبحث عن أنسب طريقة ممكنة لتمضية ساعاتك، واستثمار وقتك بنجاح، والله من وراء القصد.

المراجع

١-محمد المدني البخاري: أفكار رئيسية في إدارة الوقت (طرابلس) الدار الجماهيرية للنشر، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

٢- الدكتور نادر أحمد أبو شيخة: إدارة الوقت- دار مجد لاوي عام١٩٩١م.

٣- سهيل فهد سلامة: إدارة الوقت (عمان) المنظمة العربية للعلوم الإدارية ١٩٨٨م.

٤- تيمب دايل: إدارة الوقت، ترجمة: د.وليد عبداللطيف هوانة، معهد الإدارة العامة، ١٩٩١م - الرياض- المملكة العربية السعودية.

٥- بيترز، دوم، ثورة في عالم الإدارة: كيف نتغلب إداريًا على الفوضى؟ ترجمة: محمد الحديدي، الدار الدولية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٥، القاهرة- مصر.

٦-ويهلين، توماس، الإدارة الاستراتيجية، ترجمة: محمود عبدالحميد مرسي وآخرين، معهد الإدارة العامة، ١٩٩٠، الرياض- المملكة العربية السعودية.

٧- مجلة:الشبكات، العددان ٢٨-٢٩- دمشق ١٩٩٩، إدارة الوقت، إعداد: المهندس معن عقل.



الزمن في الشعر العربي

عامر أحمد عامر

ليس ثمَّ شيء من الغرابة أن يحضر الحديث عن الزمن (ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا) في شعرنا العربي، بله في الأدب العربي كله، ذلك أن قضيته ما برحت تؤرق الأنام، فضلًا عن الأدباء والشعراء أصحاب الحس المرهف والعيون المبصرة لما لا يراه غيرهم، ولما كان الأدب الصادق مرآة تعكس ما في نفس صاحبها كان الحديث عن الأعمار والآجال والأزمنة الغابرة والذكريات الخالدة واستشرافات المستقبل يشغل مساحة لا بأس بها فيه.

الحديث عن الزمن في الشعر العربي عبر مراحله المختلفة تقولب في أشكال عدة وسلك مسالك شتى، منها الحديث عن الزمن الماضي، وتمثل في بكاء الأطلال والتغني بأجمل الذكريات، والحسرة والندم على ما مر من عمر الشباب دون بلوغ المراد، أو إحساس الشاعر بأنه أنفق من عمره في اللهو والضياع.

بلغ هذا الملمح في الشعر مبلغًا عظيمًا، لاسيما في الشعر الجاهلي، إذ كان بكاء الأطلال والحسرة على ما قد كان في الأيام الخوالي ركنًا ثابتًا في بناء القصيدة في الجاهلية، فهذا امرؤ القيس مثلًا يستهل خالدته به:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وهذا طرفة بن العبد يستهل معلقته به أيضًا فيقول:

لخولة أطلال ببرقة ثهمد
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وليس ذلك بالخفي ولا بالقليل ولا يحتاج إلى جهد كبير للتنقيب عنه، سواء في العصر الجاهلي أو فيما جاء بعده، وإن كان بصورة أقل في العصور المتأخرة.

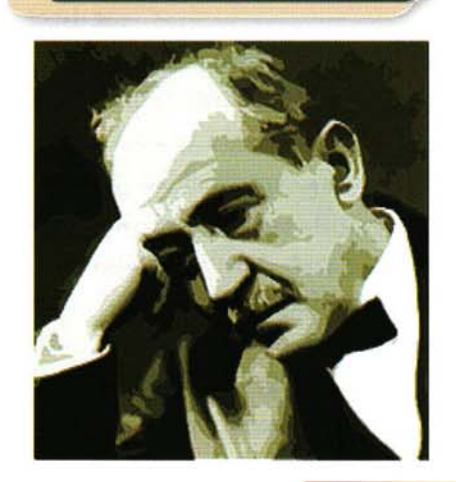
أما الحديث عن الشباب والشيب فقد كان حاضرًا بقوة في مراحل الشعر العربي المختلفة دون تمييز بينها، لاسيما في شعر الحكمة والشعر الديني، ولعل

• باحث لغوي

أول ما يقفز إلى الذهن في هذا الصدد الشعر المنسوب إلى أبي العتاهية:

ألا ليت الشباب يعود يومًا
فأخبره بما فعل المشيب

الزمن تمثل في الشعر في بكاء الأطلال والتغني بالذكريات والتحسر على الشباب



وهذا البوصيري صاحب البردة الشهيرة في مدح الرسول ﷺ والذي استهل بردته أيضًا بالحديث عن الأطلال والذكريات القديمة:

أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعًا جرى من مقلة بدم

يقول عن الشيب:

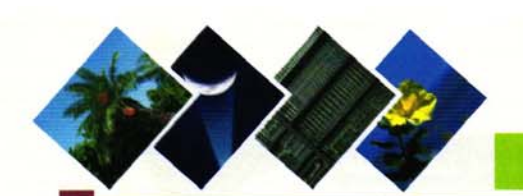
فإن أمارتي بالسوء ما اتعظت
من جهلها بنذير الشيب والهرم
ولا أعدت من الفعل الجميل قرى
ضيف ألمَّ برأسي غير محتشم

«وجميل رأي ابن الفارض في الشيب، إذ يقول:

أهلًا وسهلًا بالمشيب فإنه
سمة العفيف وحلية المتحرج
ضيف ألمَّ برأسي فقريته
رفض الغواية واقتصاد المنهج

ومنهم من استعجله كابن دقيق العيد، وهو خير من تحدث في الشيب إذ قال:

تمنيت أن الشيب جاور لمتي
وقرب مني في صباي مزاره





لآخذ من عصر الشباب نشاطه

وآخذ من عصر المشيب وقاره»(١).

ومن صور الحديث عن الزمن في الشعر العربي ما جاء من الكلام عن الزمن الحاضر، وذلك إما بالسآمة منه وتمني انقضائه عاجلًا أو العكس، ومن أشهر ما جاء في النوع الأول قول امرئ القيس:

وليل كموج البحر أرخى سدوله

علي بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت له لما تمطى بصلبه

وأردف أعجازًا وناء بكلكل

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي

بصبح وما الإصباح منك بأمثل

ومن النوع الثاني قول الشاعر:

يا ليل طل يا نوم زل

يا صبح قف لا تطلع

ومن ذلك (الحديث عن الزمن الحاضر) ما يخاطب به أبوالطيب المتنبي يومًا يمر به من المفترض أن يكون من أسعد الأيام، وهو يوم العيد، إلا أنه يراه غير ذلك، فلا يتمنى مجيئه، بل يطلب أن تحول بينهما صحار شاسعة، ذلك أنه يذكره بأحبابه الذين من المفترض أن يكونوا معه فيه:

عِيدٌ بأيّةِ حالٍ عُدْتَ يا عيدُ

بِمَا مضى أمْ لأمرٍ فيكَ تجديدُ

أمّا الأحبةُ فالبيداءُ دُونَهُمُ

فليتَ دُونَكَ بيدًا دونها بيدُ

ومن صور الحديث عن الوقت الكلام عن قيمته وأهميته، ولعل أشهر ما جاء في هذا قول أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته في رثاء مصطفى كامل التي مطلعها:

المشرقان عليك ينتحبان

قاصيهما في مأتم والداني:

دقات قلب المرء قائلة له

إن الحياة دقائق وثواني

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها

فالذكر للإنسان عمر ثانِ

الحديث عن الزمن في آداب العرب..ظاهرة تتطلب دراسات كاملة لأنه متشعب الفروع متعدد الأنماط متفرق الزوايا

وختامًا فإن الحديث عن الزمن في آداب العرب، شعرًا ونثرًا، ظاهرة يستغرق الحديث عنها دراسات كاملة، لأنه متشعب الفروع، متعدد الأنماط، متفرق الزوايا، مختلف بالطبع عند كل شاعر أو أديب عن غيره، وبالتالي تتعدد حوله الفلسفات والرؤى، وتختلف النظرة إليه باختلاف البيئات والعقائد والمذاهب الفكرية، وقد أعدت بالفعل دراسات حول هذا الغرض غير أن القضية مازالت ظمأى إلى المزيد، من هذه الدراسات قضية الزمن في الشعر العربي.. الشباب والمشيب للدكتورة فاطمة محجوب، والزمن في الشعر السعودي بين عامي ١٤٠٠هـ-١٤٢٠هـ.. دراسة تحليلية، وهي عبارة عن رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب إعداد أسماء بنت عبدالعزيز بن محمد الجنوبي- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الهوامش

(١) كتاب أطايب الكلام لحمد عيسى الكندري صـ٢٧ و٢٨



صناعة الساعات عند المسلمين

جميل حسين الأحمد

اهتم المسلمون بالساعات لأجل تحديد أوقات الصلاة والأعمال الفلكية وغيرها منذ بداية الدولة الإسلامية فقد ذكر الجاحظ أن حكام المسلمين وعلماءهم كانوا يستعملون بالنهار الإسطرلاب وبالليل البنكامات (مصطلح فارسي معناه الساعات) وهي الساعة المائية الدقاقة وكان هناك نوعان منها نوع كبير الحجم وتملأ معداته غرفة كبيرة والآخر صغير قابل للنقل ويسمى صندوق الساعات ومثال ذلك الساعة التي أهداها هارون الرشيد إلى شارلمان ملك فرنسا (٧٤٢-٨١٤م) وهي ساعة مائية دقاقة صنعت من الجلد والنحاس الأصفر المنقوش وكانت تدل على الوقت بفرسان من المعدن يفتحون كل ساعة بابًا يسقط منه العدد المطلوب من الكرات على صنجة ثم ينسحبون ويغلقون الباب وقد أثارت هذه الساعة دهشة بلاط شارلمان وظنوا أن بها عفاريت يقومون بتحريك أجزائها وجعلها تدق في الوقت المناسب مما يدل على أن العرب كانوا على جانب كبير من المهارة الآلية الفنية وأن الأوروبيين كانوا على جانب كبير من الجهل والتخلف في ذلك الوقت ووصف الغزالي هذه الساعات بقوله «فيه آلة على شكل أسطوانة تحوي قدرًا معلومًا من الماء وآلة أخرى مجوفة موضوعة في هذه الأسطوانة فوق الماء، وخيط مشدود أحد طرفيه في هذه الآلة المجوف وطرفه الآخر في أسفل ظرف صغير موضوع فوق الآلة المجوفة وفيه كرة وتحته طاس بحيث لو سقطت الكرة وقعت في الطاس وسمع طنينها ثم ثقب أسفل الآلة الأسطوانية ثقبًا بقدر معلوم ينزل الماء فيه قليلًا قليلًا فإذا انخفض الماء انخفضت الآلة المجوفة الموضوعة على وجه الماء فامتد الخيط المشدود بها فحرك الظرف الذي فيه الكرة تحريكًا يقربه من الانتكاس إلى أن ينتكس فتتدحرج منه الكرة وتقع في الطاس وتطن وعند انقضاء كل ساعة تقع واحدة وانما يتقدر الفصل بين الوقتين بتقدير خروج الماء وانخفاضه وذلك بتقدير سعة الثقب الذي يخرج منه الماء».

شاع استخدام الساعات المائية الدقاقة في كل أنحاء الدولة الإسلامية وكانت من عجائب الدنيا في ذلك الوقت وكانت مقصد الزوار والرحالة وقد وصف ابن جبير ساعة باب جيرون وهو الباب الثاني للمسجد الأموي بدمشق والذي سمي «باب الساعات» فقال: «وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي أمامه غرفة ولها هيئة طارق كبير مستدير فيه طيقان (أقواس) صفر (نحاس) فقد فتحت أبوابًا صغارًا على عدد ساعات النهار ودبرت تدبيرًا هندسيًا فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان (كرتان) من صفر (نحاس) من فمي بازيين مصورين من صفر قائمين على طاستين من صفر تحت كل واحد منهما: إحداهما تحت أول باب من تلك الأبواب والثاني تحت آخرها والطاستان مثقوبتان فعند وقوع البندقتين (الكرتين) فيهما تعودان داخل الجدار إلى الغرفة وتبصر البازيين يمدان أعناقهما بالبندقتين في الطاستين ويقذفانهما بسرعة بتدبير عجيب تتخيله الأوهام سحرًا وعند وقوع البندقتين في الطاستين يسمع لهما دوي وينغلق الباب الذي هو لتلك الساعة للحين بلوح من الصفر لا يزال كذلك عند كل انقضاء ساعة من النهار حتى تنغلق الأبواب كلها وتنقضي الساعات ثم تعود إلى حالها الأول ولها بالليل تدبيرًا آخر وذلك أن في القوس المنعطف على تلك الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من النحاس مخرمة وتعترض في كل دائرة زجاجة من داخل الجدار في الغرفة، مدبر ذلك كله منها خلف الطيقان المذكورة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة فإذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وفاض على الدائرة أمامها شعاعها فلاحت للأبصار دائرة محمرة ثم انتقل ذلك إلى الأخرى حتى تنقضي ساعات الليل وتحمر الدوائر كلها وقد وكل بها في الغرفة متفقد لحالها درب بشأنها وانتقالها يعيد فتح الأبواب وصرف الصنج إلى موضعها وهي التي يسميها

> **هارون الرشيد أهدى ملك فرنسا ساعة مائية دقاقة وظن بلاط الملك أن بها عفاريت يحركون أجزاءها!**

* كاتب صحافي



الناس المنجانة أي الساعة.

الجدير بالذكر أن هذه الساعة من صنع رضوان بن محمد الساعاتي المتوفى سنة (٦١٧ هـ) وقد تعرضت لحريق سنة (٦١٨ هـ) وقد جددت بعد ذلك وحينما زار دمشق الرحالة ابن بطوطة سنة (٧٢٦ هـ) وصف ساعات كانت على الباب الشرقي للجامع الأموي وقد اختلف وصف ابن بطوطة لتلك الساعات عن الوصف الذي ذكره ابن جبير فقال ابن بطوطة:

وعن يمين الخارج من باب جيرون وهو باب الساعات غرفة لها هيئة طاق كبير فيه طيقان صغار مفتحة لها أبواب على عدد ساعات النهار والأبواب مصبوغ باطنها بالخضرة وظاهرها بالصفرة فإذا ذهبت ساعة من النهار انقلب الباطن الأخضر ظاهرًا والظاهر الأصفر باطنًا ويقال إن بداخل الغرفة من يتولى قلبها بيده عند مشي الساعات.

ومن بين العلماء العرب الذين اهتموا بدراسة الساعات والمسائل العلمية المتعلقة بعلم السوائل والآلات الميكانيكية ابن الرزاز الجزري الذي ذاع صيته في القرن السادس الهجري وكان معاصرا لرضوان بن محمد الخراساني وصنع الجزري ساعة أثبتها في أول كتابه الجامع «بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل» ثم ذكر كيفية صنعها هذا بالإضافة إلى عدد كبير من الذين صنعوا ساعات في بغداد وديار بكر ومالطة ومصر وتونس والرباط وغيرها وقد صنع ساعة فاس السلطان أبوعنان الديني في سنة (٧٥٨ هـ) وكانت هذه الساعة تسقط أوتوماتيكيًا كل ساعة زمنية صنجة من النحاس في كأس من النحاس أيضًا وفي نفس الوقت ينفتح الطاق الدال على الساعة الزمنية.



ومازالت بقايا هذه الساعة ماثلة في مدينة فاس في المغرب ويقصدها السائحون من أنحاء الدنيا ولا غرو فقد كانت من أعاجيب الزمان في عصرها وتمثل قمة التقدم التكنولوجي في القرن الرابع عشر الميلادي.

وقد طور تكنولوجيا الساعات علي بن إبراهيم المعروف بابن الشاطر (٧٧٧ هـ / ١٣٧٥ م) فأخرجها من دائرة الماء إلى دائرة الميكانيكا ومن دائرة الخشب إلى دائرة المعدن وصنع ساعة صغيرة لا تزيد عن (٣٠ سم) بعد أن كانت تبلغ عدة أمتار وأدخل فيها الآلات المعدنية واستغنى عن الماء وآلاته الخشبية الكبيرة.

ونقل الفلكي والرياضي المصري علي بن عبدالرحمن يونس (٣٩٩ هـ/ ١٠٠٩ م) تكنولوجيا الساعات نقلة نوعية وذلك باختراعه البندول (رقاص الساعة) وكان يستعمل لحساب الفترات الزمنية أثناء الرصد كما استعمل في الساعات الدقاقة وسبق العربُ بهذا الاختراع جاليليو الإيطالي (١٥٦٤ - ١٦٤٢ م) بستة قرون وكانت لدى العرب فكرة عن قانون البندول الذي استنبطه جاليليو بعد تجارب عملية وأثبت من خلالها أن مدة ذبذبة الرقاص (البندول) تتوقف على طول الرقاص وقيمة عجلة التثاقل وساعد هذا القانون على توسيع مجال استعمالِ الرقاص.

وظل العرب يحسنون الساعات ويختصرون حجمها ويزيدون في دقتها حتى جعلوها ساعة حائط لا يزيد حجمها عن نصف ذراع بعد أن كانت آلات الساعة المائية غير المتنقلة تحتاج إلى غرفة لا تقل مساحتها عن ١٤×١٤ مترا مثل ساعة باب جيرون بالمسجد الأموي (وتعرف أيضًا بساعة الوزير الساعاتي نسبة إلى صانعها وهو رضوان بن محمد الساعاتي الخراساني الدمشقي (٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م) أحد وزراء دمشق أيام الملك عيسى بن الملك العادل).

ثم أخذ الأوروبيون تكنولوجيا الساعات عن العرب وأخذوا يدخلون عليها التحسينات حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن.



المراجع

- رضوان بن محمد الساعاتي: مقدمة في علم الساعات والعمل بها - تحقيق محمد أحمد دهمان مكتبة الدراسات الإسلامية، دمشق ١٩٨١.
- رحلة ابن بطوطة - دار التراث - بيروت ١٩٦٨.
- رحلة ابن جبير - دار مكتبة الهلال - بيروت ١٩٨٦.
- كتاب الحيوان لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ - شرح عبدالسلام محمد هارون - مكتبة الحلبي.
- وتاريخ العلوم والتكنولوجيا - د.مصطفى محمود سليمان - الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٦.

حكم زواج المصلحة في ضوء المقاصد الشرعية للزواج

د. وصفي عاشور أبوزيد

زواج المصلحة هو نوع حديث من عقود الزواج قائم على قضاء المصالح فقط دون لقاء بين الزوجين، فلا يجمع الزوجين فيه بيتٌ واحد، ولا يتعاشران معاشرة الأزواج.
عُرف في بلاد الغرب، وليس الغرض منه أن يكون زواجًا مستقرًا كالزواج الذي نعرفه، وله صور عديدة منها:

الصورة الأولى: يتفق رجل وامرأة على عقد زواج مقابل مبلغ من المال يدفعه إليها، وقد يكون هذا المبلغ مقطوعًا أو موزعًا على سنوات- حسب الاتفاق- وذلك في مقابل أن تذهب معه إلى مصلحة شرطة الأجانب عند تجديد الإقامة كل سنة، إلى أن يحصل على الإقامة الرسمية، ومن ثم يفسخ العقد، وفي تلك الأثناء إما أن يعيش الرجل مع هذه المرأة عيشة الزوجين؛ فيضمهما بيت واحد يتعاشران فيه معاشرة الأزواج غير أنهما يتفقان على فسخ العقد عند حصول الزوج على الإقامة الرسمية، وهذا الاتفاق لا يصرح به طبعًا عند الجهة العاقدة، لأن القانون لا يسمح بذلك.

الصورة الثانية: لا يعيش الرجل مع المرأة التي عقد عليها أمام السلطات، ولا يخالطها ولا تخالطه، بل يتفقان على أن تذهب معه عند تجديد الإقامة كل سنة، كي تقول للسلطات إنها مرتبطة به كزوج، وتأخذ المبلغ المتفق عليه، ويذهب بعد ذلك كل واحد إلى حال سبيله، مع العلم بأن هذا اللون من ألوان الزواج قد يقدم عليه الرجل لأجل أن يحصل هو على الإقامة، وبالمقابل قد تفعله المرأة مع الرجل لتحصل على الإقامة، ويمكن أن يكون أحدهما غير مسلم، ويمكن أن يكون الاثنان مسلمين! وفي كل الأحوال فإنه خلال هذه المدة تكون الزوجة محسوبة على زوجها من الناحية القانونية، ويكون هو محسوبًا عليها من الناحية القانونية كذلك، ولو افترضنا أن هذه المرأة عاشرت رجلا آخر، وأنجبت منه، فإن المولود يسجل باسم الزوج المؤقت، ولو جاء هو يطالبها بحق المعاشرة الزوجية فإنها لا تستطيع أن تمتنع عن ذلك قانونًا، وخاصة إذا كانت هي المحتاجة إلى الإقامة.

وهذا العقد بصورتيه المذكورتين إنما يتم في البلدية كسائر العقود المدنية في هذا البلد، وقد يكون عقدًا شرعيًا بشروطه الشرعية المعتبرة، ولكن الجانبين لا يصرحان بذلك الاتفاق في صلب العقد، وإنما هو اتفاق بينهما بحضور بعض أفراد العائلتين: (عائلة الزوج، وعائلة الزوجة).

الصورة الثالثة: أن يتزوج الرجل المرأة بصداق، ولكنه مضمرٌ في نفسه، ويصرح لأصدقائه وأقاربه أن غرضه ليس الزواج، وإنما هو الحصول على الإقامة، فمتى حصل على الإقامة طلق زوجته هذه، وهو لا يستطيع أن يصرح بهذا أمام المرأة، خوفًا من أن تطرده قبل الحصول على الإقامة .

آراء للفقهاء المعاصرين

اختلف الفقهاء المعاصرون في هذا الزواج بصوره المذكورة ما بين محلل ومحرم، وقد التزمنا بإيرادها؛ لأن المسألة معاصرة، وخاصة ببلاد الغرب، حيث لم ترد هذه الصور عند الفقهاء القدماء.

أولا: رأي المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث

فصل المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث القول في الصور الثلاث، لأنه هو الذي أوردها، فقال:

الصورة الأولى: حرام يأثمان عليه؛ وذلك بسبب منافاة هذا العقد لمقصد الشريعة في الزواج، إذ هو عقد صوري مقصود به أمر آخر غير الزواج، فهو لو استوفى شروط العقد، فإنه لا يحل لهذا المعنى، وكذلك لأجل أن قانون البلاد لا يسمح به، يتأكد المنع بمجيء هذه الصورة مخالفة لقانون البلد، والقانون هنا متفق مع المقصد الشرعي، كما أن هذه الصورة

باحث في المركز العالمي للوسطية - الكويت

لا تخلو من شبه بنكاح المتعة الذي حرمه النبيﷺ كما في حديث سبرة بن معبد أنه كان مع رسول اللهﷺ فقال: «يأيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا» (١)، من جهة التوقيت الذي فيه إلى فترة الحصول على الإقامة ثم يفسخ العقد بعد ذلك.

والصورة الثانية: مثل الأولى في التحريم وفيها قضية مقطوع بحرمتها وهي زواج المسلمة بغير المسلم، فإن مجرد العقد فاسد، سواء للغاية المذكورة في السؤال، أو لمجرد الزواج.

وأما الصورة الثالثة: فالعقد وإن كانت صورته صحيحة، إلا أن الزوج آثم بغشه المرأة، وذلك لإضماره نية الطلاق من حين العقد، والزواج في الإسلام يعنى الديمومة والبقاء والاستقرار للحياة الزوجية، والطلاق طارئ بعد العقد، ولهذا السبب حرم الزواج المؤقت واعتبر فاسدًا.

كذلك فإن الإيجاب والقبول في الزواج شرطان أساسيان فيه، والمرأة حين قبلته زوجًا، فإنما كان مقصدها حقيقة الزواج ولو علمت أنه قبلها زوجة مؤقتة يطلقها متى شاء لرفضت ذلك، فإذا كان عازمًا الطلاق عند العقد أثر ذلك في صحة العقد، لأن المرأة بنت قبولها على غير ما أراد (٢).

ثانيًا: رأي الشيخ عبدالله بن بية

أما الشيخ عبدالله بن بية فقد نقل الحالات التي أوردها المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، ونقل إجابة المجلس عليها، ثم عقب قائلا: «قلتُ: إن بطلان هذا العقد ليس صحيحًا؛ فالزواج في الإسلام ليس مقصودًا منه الديمومة والبقاء، وإنما له قصود مختلفة ذكرها النبي ﷺ في قوله: «تنكح المرأة لأربع خصال لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها..» (٣) ولهذا فلا عبرة بقصد الطلاق عند النكاح لتحقق هذه القصود أو بعضها بالنكاح، ثم إن الزواج إذا وقع بشروطه فإنه زواج صحيح حتى ولو نوى عدم الاستمتاع بها»(٤) والذي تطمئن إليه النفس أن ما ورد في حديث أبي هريرة لا يعبر عن مقاصد الزواج، وإنما عن الأسباب التي تدعو الناس للزواج، وهو عرض من النبي ﷺ لأحوال الناس وعاداتهم في الخصال التي بسببها يكون الإقبال على اختيار الزوجة، ثم فيه إرشاد للظفر بذات الدين، أما مقاصد الزواج وغاياته فأمر مختلف عن هذا.

> **زواج المصلحة اشتهر في بلاد الغرب وليس الغرض منه أن يكون زواجًا مستقرًا**

الرأي المختار

لمناقشة هذه المسألة وترجيح رأي فيها، فإنه يجب علينا أن نتحدث عن أمرين:

الأول: عرض موقف الفقهاء من مسألة الألفاظ والقصود عند التعاقد، وموقفهم من قاعدة: «العبرة في العقود للمقاصد والمعاني لا للألفاظ والمباني» إذ الزواج عقد من العقود.

الثاني: عرض مقاصد الشريعة من الزواج، ودور ذلك في الحكم على هذه المسألة.

أولا: آراء فقهاء المذاهب في معتمد العقود بين الألفاظ والمقاصد

اختلف الفقهاء في أثر القصود في صحة التصرفات والعقود، فمنهم من اعتبرها دون التفات إلى ظاهر الألفاظ والشروط والموانع، إذ إن الألفاظ موضوعة لمقاصدها ومعانيها، ومنهم من أهدرها ولم يعتبرها واكتفى بالظاهر فقط دون رعاية لمآلات العقود وتحقيق مضامينها ومعانيها.

فالحنفية يغلب عليهم الأخذ بظاهر الألفاظ في العقود، والأهم هو استجماع الشروط دون اعتبار للمعاني والقصود والبواعث، ومن هنا رأوا أن نكاح المحلل صحيح، قال السرخسي: «فإن تزوج بها الثاني على قصد أن يحللها للزوج الأول من غير أن يشترط ذلك في العقد صح النكاح ويثبت الحل للأول إذا دخل بها الثاني وفارقها، فإن شرط أن يحللها للأول فعند أبي حنيفة رحمه الله تعالى. الجواب كذلك ويكره هذا الشرط، وعند أبي يوسف رحمه الله تعالى النكاح جائز ولكن لا تحل به للأول، وعند محمد رحمه الله تعالى النكاح فاسد» (٥).

ومن يبيع العصير لمن يتخذه للخمر أجازوا بيعه، قال السرخسي: «بيع الكرم ممن يتخذ الخمر من عينه جائز لا بأس به، وكذلك بيع الأرض ممن يغرس فيها كرمًا ليتخذ من عنبه الخمر، وهذا قول أبي حنيفة وهو القياس، وكره ذلك أبويوسف ومحمد- رحمهما الله- استحسانًا؛ لأن بيع العصير والعنب ممن يتخذه خمرًا إعانة على المعصية وتمكين منها، وذلك حرام» (٦).

وأما المالكية فإنهم يعتبرون البواعث والقصود في العقود، ويحكمون بحلها

أو حرمتها، أو بطلانها وصحتها، انطلاقًا من بواعثها ومقاصدها، ولا يتوقفون عند شروطها الظاهرة لنشوئها؛ ولهذا أبطلوا نكاح المحلل، قال ابن جزي: «ولا- أي لا يحل الزوجة- نكاحُ التيس، وهو المحلل الذي يتزوجها ليحلها لزوجها اتفاقًا، ونكاحه باطل مفسوخ خلافًا لهما- يعني أبا حنيفة والشافعي- والمعتبر في ذلك نية المحلل لا نية المرأة ولا نية المحلل له وقال قوم من نوى ذلك منهم أفسد» (٧).

وكذلك نكاح المريض والمريضة لا ينعقد، ولا يترتب عليه توارث بينهما، جاء في المدونة: «قلت: أرأيت المرأة تتزوج وهي مريضة أيجوز تزويجها أم لا؟ قال: لا يجوز تزويجها عند مالك، قال: فإن تزوجها ودخل بها الزوج وهي مريضة؟ قال: إن ماتت كان لها الصداق إن كان مسها، ولا ميراث له منها، وإن مات هو وقد مسها فلها الصداق ولا ميراث لها، وإن كان لم يمسها فلا صداق لها ولا ميراث» (٨).

وأما الشافعية فإنهم يعتمدون الظاهر دون النظر للمعاني في العقود، قال الإمام الشافعي: «أصل ما أذهب إليه أن كل عقد كان صحيحًا في الظاهر لم أبطله بتهمة ولا بعادة بين المتبايعين، وأجزته بصحة الظاهر، وأكره لهما النية إذا كانت النية لو أظهرت كانت تفسد البيع».

ويضرب لذلك أمثلة فيقول: «كما أكره للرجل أن يشتري السيف على أن يقتل به ولا يحرم على بائعه أن يبيعه ممن يراه أنه يقتل به ظلمًا؛ لأنه قد لا يقتل به، ولا أفسد عليه هذا البيع، وكما أكره للرجل أن يبيع العنب ممن يراه أنه يعصره خمرًا، ولا أفسد البيع إذا باعه إياه؛ لأنه باعه حلالا، وقد يمكن أن لا يجعله خمرًا أبدا، وفي صاحب السيف ألا يقتل به أحدًا أبدًا، وكما أفسد نكاح المتعة ولو نكح رجل امرأة عقدًا صحيحًا وهو ينوي ألا يمسكها إلا يومًا أو أقل أو أكثر لم أفسد النكاح، إنما أفسده أبدًا بالعقد الفاسد» (٩).

وأما الحنابلة فإنهم يعتبرون البواعث والمقاصد في العقود، ولهذا حرموا نكاح المحلل، قال ابن قدامة: «نكاح المحلل حرام باطل في قول عامة أهل العلم، منهم: الحسن والنخعي وقتادة ومالك والليث والثوري وابن المبارك والشافعي، فإن شرط عليه التحليل قبل العقد ولم يذكره في العقد ونواه في العقد أو نوى التحليل من غير شرط، فالنكاح باطل أيضًا» (١٠).

وقال في كشاف القناع عبارة صريحة واضحة: «لا يصح نكاح المحلل؛ لأنه ليس المقصود منه بقاء المرأة مع زوجها، والعقد لا يقصد به نقيض مقصوده» (١١).

وأما الظاهرية فمذهبهم مثل الشافعية، حيث يهدرون القصود في العقود ويقيمونها على ظاهرها؛ إذ إنهم يتركون الرأي والقياس، ويتوقفون عند ظواهر النصوص؛ ولهذا أباحوا نكاح المحلل وغيره، قال ابن حزم: «والذي نقول به- وبالله تعالى التوفيق-: إن كل نكاح انعقد سالمًا مما يفسده، ولم يشترط فيه التحليل والطلاق فهو نكاح صحيح تام لا يفسخ، وسواء اشترط ذلك عليه قبل العقد أو لم يشترط؛ لأن كل ناكح لمطلقة ثلاثًا فهو محلل ولا بد، فالتحليل المحرم هنا هو ما انعقد عقدًا غير صحيح، وأما إذا عقد النكاح على شرط التحليل ثم الطلاق فهو عقد فاسد، ونكاح فاسد، فإن وطئ فيه فإن كان عالمًا أن ذلك لا يحل فعليه الرجم والحد؛ لأنه زنا، وعليها إن كانت عالمة مثل ذلك، ولا يلحق الولد، فإن كان جاهلًا فلا حد عليه ولا صداق، والولد لاحق، وبالله تعالى التوفيق، وهكذا القول في كل عقد فاسد بالشغار، والمتعة، والعقد بشرط ليس في كتاب الله تعالى، أي شرط كان، وبالله تعالى التوفيق» (١٢).

يتبين من ذلك أن الحنفية والشافعية والظاهرية لا يعتبرون البواعث والقصود في العقود، وإنما يحكمون بالصحة على العقد بناء على ظاهر ألفاظه واستجماع شروطه وانتفاء موانعه، أما المالكية والحنابلة فإن مبنى الأمر عندهم على النيات والبواعث والقصود متى اتضحت وظهرت، حتى لو توافرت الشروط وانتفت الموانع.

والذي يترجح من هذه الأقوال هو ما ذهبت إليه المالكية والحنابلة باعتبار النيات والبواعث والقصود، وأن العبرة في العقود للمقاصد والمعاني لا للألفاظ والمباني، ولا يعني هذا إهمال تحقق الشروط وانتفاء الموانع، بل لابد من مسايرة الشروط والظواهر للمعاني والمقاصد؛ وذلك لعدة أمور:

الأول: أن هذا الرأي يتسق مع روح الإسلام ومقاصد الشريعة ومقرراتها العامة.

الثاني: أن هناك نصوصًا شرعية تقضي بهذا الرأي، ولا يمكن تجاوزها، من ذلك: قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ

ضِـرَارًا لِتَعْتَدُوا﴾ (البقرة: ٢٣١)، وقوله:﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾. (النساء: ١٢)، فبينت الآيتان الكريمتان حرمة هذه التصرفات إذا كانت بقصد الإضرار، وحديث: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى....»)، وهو أصل في إبطال الحيل وتحريم الوصول إلى أشياء محرمة، وإن كانت الذرائع إليها مشروعة، أو بوسائل ظاهرها الصحة، وقد سبقت الإشارة في فصل الوظائف إلى أنه من المعلوم أن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم أطالا النفس في الحديث عن الحيل، قال ابن تيمية: «الحيل يستحلها من لم يفقه حكمة الشارع، وهو أبعد الناس عن فهم مقصود الشارع ومعرفة العلل، وعن الفقه في الدين» (١٣)، وفصل فيه ابن القيم بما لا مزيد عليه، وبخاصة في كتابيه: إعلام الموقعين، وإغاثة اللهفان، وعقد البخاري في جامعه الصحيح كتابًا للحيل، وأخرج فيه الأحاديث الدالة على إبطالها، وتحدث عنها السرخسي في آخر مبسوطه في أكثر من مائة صفحة، والإمام الشاطبي في موافقاته، والطاهر بن عاشور في مقاصده، وغيرهم.

والثالث: أننا لو قلنا إن العقود تصح بشروطها وظواهرها دون النظر إلى معانيها ومقاصدها يلزم منه أمور تنزهت عنها الشريعة، إذ «الشريعة قبل أن تكون ألفاظًا وعبارات، هي معان وأغراض ومقاصد تعبر عن إرادة المشرِّع» (١٤)، ومن هذه الأمور إباحة نكاح المحلل، وهو الذي لعن النبي فيه المحلِّل والمحلَّل له، وإباحة بيع العينة، ومنها قبول الولاة للهدية من الرعية، ومنها قبول الدائن الهدية من المدين، وهي ربا، إلا إذا كانت عادة بينهما، والله تعالى لعن اليهود حينما تحايلوا على حكمه؛ إذ حرم عليهم الصيد يوم السبت، وحينما دبغوا الجلود فباعوها... وهكذا.

مقاصد الزواج تتلخص في طلب النسل الصالح وتحقيق عمارة الله في الأرض

والخلاصة أن القول بإهدار القصود والمعاني في العقود يفتح النوافذ أمام ارتكاب الحرام، ويفسد الحياة الاجتماعية والأخلاقية والسياسية، ويفرغ الأحكام الشرعية من مضمونها.

وهذا لا يعني التوسع في الأخذ بالقصود بما يهدر النصوص أو ظواهرها، وإنما يلزم الأخذ بالمقاصد والمعاني حين يكون المقصد ظاهرًا ومكشوفًا، أما إذا لم تظهر المقاصد ولم تتكشف فالحكم يكون على ظاهر الألفاظ، وبهذا فإن بناء الحكم على قصد قد ظهر يكون بناء على ظاهر معلوم لا على مغيب مجهول (١٥).

ثانيًا: مقاصد الشريعة من الزواج،

ودور ذلك في الحكم على للمسألة التي نحن بصددها، وللحكم على زواج المصلحة وبيان دور المقاصد الجزئية في الاستدلال على حكمه ينبغي أولًا أن نعرف مقاصد الزواج، وقد تحدث الإمامان الغزالي والشاطبي عن ذلك.

أما الإمام الغزالي فقد أورد في كتابه العظيم: «إحياء علوم الدين» كلامًا عن حكم وأسرار ومقاصد وفوائد الزواج نورده باختصار من إحيائه؛ حيث قال: «وفيه فوائد خمسة: الولد، وكسر الشهوة، وتدبير المنزل، وكثرة العشيرة، ومجاهدة النفس بالقيام بهن» (١٦).

وأما الإمام أبوإسحاق الشاطبي فقد تحدث عن مقاصد الزواج عرضًا، وهو يتكلم عن أن للشارع في شرع الأحكام العادية والعبادية مقاصد أصلية ومقاصد تابعة، ومثّل لذلك بالنكاح فقال: «إنه مشروع للتناسل على المقصد الأول، ويليه طلب السكن والازدواج، والتعاون على المصالح الدنيوية والأخروية، من الاستمتاع بالحلال، والنظر إلى ما خلق الله من المحاسن في النساء، والتجمل بمال المرأة، أو قيامها عليه وعلى أولاده منها أو من غيرها أو إخوته، والتحفظ من الوقوع في المحظور من شهوة الفرج ونظر العين، والازدياد من الشكر بمزيد النعم من الله على العبد».

قال: «وعند ذلك يتبين أن نواقض هذه الأمور مضادة لمقاصد الشارع بإطلاق، من حيث كان مآلها إلى ضد المواصلة والسكن والموافقة، كما إذا نكحها ليحلها لمن طلقها ثلاثًا، فإنه عند القائل بمنعه مضاد لقصد المواصلة التي جعلها الشارع مستدامة إلى انقطاع الحياة من غير شرط، إذ كان المقصود منه المقاطعة بالطلاق، وكذلك نكاح المتعة، وكل نكاح على هذا السبيل، وهو أشد في ظهور محافظة الشارع على دوام المواصلة، حيث نهى عما لم يكن فيه ذلك» (١٧).

وهذه المقاصد- كما لا يخفى- مستخرجة من التأمل في النصوص الشرعية التي تحدثت عن الزواج، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم

مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ". (النحل: ٧٢)، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١).

وقول النبيﷺ فيما رواه مسلم بسنده عن عبدالله قال: قال لنا رسول اللهﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»(١٨) ، وعن معقل بن يسار قال: جاء رجل إلى النبيﷺ فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال، وإنها لا تلد أفأتزوجها؟ قال: «لا». ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال: «تزوجوا الودود الولود فإنِّي مكاثرٌ بكم الأمم» (١٩).

يمكن من خلال ما سبق القول إن مقاصد الزواج تتلخص في: طلب النسل الصالح، وتحقيق عمارة الله في الأرض، وهو مقصد مترتب على طلب النسل، لأنه بكثرة النسل تكون العمارة، وتحقيق السكن النفسي، والإشباع الجنسي، والتراحم بين الزوجين، وإعفاف الزوج نفسه؛ فالزواج أغض للبصر وأحصن للفرج، وإعفاف الطرف الآخر؛ فهو من التعاون على البر والتقوى، وإقامة الأسرة الصالحة التي تقام فيها أحكام الشرع، وتحقيق الاستقرار في المجتمع نفسيًّا وخلقيًّا، وتقوية أواصره، وهو ما يؤدي إلى حفظ نظامه الكلي وأمنه العام؛ حيث إن الشهوة لها ضرام في ظهر الإنسان، وما لم يتيسر لها الطريق؛ فتُصْرَفَ في مسارها المشروع، فإن ذلك يؤدي إلى سلوك طرق غير مشروعة، ومسايرة الفطرة وعدم مصادمتها، فاستبقاء الفطرة نقية صافية كما خلقها الله، والحفاظ عليها، والسير مع مقتضياتها وفق الشرع، وعدم مصادمتها لا شك أنه مقصد عام من المقاصد المهمة.

الحكم المختار لزواج المصلحة في ضوء مقاصد عقد الزواج

ومن خلال ما سبق يمكن الاتفاق مع المجلس الأوربي للإفتاء، أو مع المالكية والحنابلة؛ خلافًا لرأي العلامة ابن بية، أو الحنفية والشافعية؛ فزواج المصلحة بصوره التي سبق إيرادها لا يجوز بناء على أنها فرغت العقد من مضمونه ومعانيه ومقاصده، بناء على أن المقصد منه مكشوف وواضح، وإذا كان كلام الفقهاء وخلافهم الذي سبق ذكره في العقود عامة، فكيف بعقد الزواج الذي وصفه الله بـ «الميثاق الغليظ» في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا . وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾. (النساء: ٢٠-٢١).

فلا شك أن الاحتياط لهذا العقد أولى، والحرص عليه والورع فيه يكون أكثر، وإجراءه على معانيه ومقاصده يكون أدعى وأعلى، ولذلك فإن الصورة الثالثة من صور زواج المصلحة وإن أجازها المجلس الأوربي للإفتاء لاكتمال شروطها وانتفاء موانعها فإنه أثّم الزوج في هذه الصورة؛ لأنه يضمر في نفسه الطلاق بعد قضاء مصلحته، ولأن هذا غش للزوجة وأهلها.

وكذلك يحظر هذا الزواج؛ لأن هذا العقد بصوره يُنافي ما شرع الزواج لأجله؛ ولهذا وجدنا ابن قدامة «يحرم»، ويبطل نكاح المحلل، سواء شرط فيه التحليل قبل العقد ولم يذكره في العقد ونواه في العقد أو نوى التحليل من غير شرط، ورأينا الشاطبي يقول إن الزواج مشروع للتناسل على المقصد الأول، وذكر مقاصد تبعية ثم قال: «نهى- يعني الشارع- عما لم يكن فيه ذلك».

إذا أضيف لذلك أن إجراء قصد الزواج للمصلحة فقط يشوه صورة المسلمين في الغرب، ويُعرِّض الإسلام- دينًا وملة- للقيل والقال هناك في وقت لسنا بحاجة فيه إلى مزيد مطاردة ومزيد اتهامات تبين بما لا تردد فيه أن هذا الزواج غير جائز، وبهذا يتضح دور مقصد الحكم في الاستدلال على حكمه، والإفادة منه في الاستدلال للتوصل إلى حكم في نوازله ومستجداته.

الهوامش

١- صحيح مسلم.
٢- قرارات وفتاوى المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، المجموعتان الأولى والثانية: ٥٧-٥٨.
٣- متفق عليه.
٤- صناعة الفتوى وفقه الأقليات: ٥٠٨، ٥١١.
٥- المبسوط: ١٦/٦.
٦- المبسوط: ٤٩/٢٤، وحاشية ابن عابدين: ٥٩٢/٤.
٧- القوانين الفقهية:١٤٠، والكافي في فقه أهل المدينة: ٥٣٣/٢.
٨- المدونة: ١٧٠/٢. دار الكتب العلمية. بيروت.
٩- الأم: ٧٤/٣. محمد بن إدريس الشافعي أبوعبدالله. دار المعرفة. بيروت. ١٣٩٣هـ.
١٠- المغني: ٥٧٤/٧.
١١- كشاف القناع عن متن الإقناع: ٢٣١/٥.
مكان النشر بيروت
١٢- المحلى: ٢٤٩/١١-٢٥٠.
١٣- بيان الدليل على بطلان التحليل: ٣٤٢.
١٤- مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية: ٢٠٨. لأستاذنا د.محمد المنسي.
١٥ - مجموعة بحوث فقهية: ٢٦٧-٢٦٨. د. عبدالكريم زيدان.
١٦- إحياء علوم الدين للغزالي: ٢٤/٢.
١٧-الموافقات: ١٣٩/٣-١٤٠.
١٨- صحيح مسلم.
١٩- سُنَنُ أبي دَاوُد.



الأسلوب القرآني في التعبير الاقتصادي

د. عبدالحميد البعلي*

الأصل في الاقتصاد أنه وفق أصول المنهج الإسلامي، ولذلك لم نحرص على أن ننعت الاقتصاد بالإسلامي فهذا هو الأصل، وعلى هذا الأساس نقدم المقصود بالاقتصاد على أنه إسلامي وما سواه يجب أن ينعت فيقال الاقتصاد الاشتراكي أو الشيوعي، والاقتصاد الرأسمالي، وهكذا أما إذا أطلق الاقتصاد على ذلك الأصل فيه فهو الاقتصاد الإسلامي.

لقد تعددت وتنوعت الأساليب القرآنية في التعبير عن المسائل الاقتصادية مما يعكس طريقة قرآنية فذة تفيد وتخدم أساليب التناول والتحليل الاقتصادي المعاصر بأنواعها وأشكالها المختلفة.

فالقرآن الكريم يستخدم:

١- الأسلوب القصصي.

٢- ويستخدم أسلوب ضرب الأمثال.

٣- ويستخدم أسلوبٍ الإشارة.

كما أن هناك ألفاظًا ومصطلحات وتراكيب تدل على خصوصية قرآنية في التعبير الاقتصادي.

أولًا: أسلوب القصص القرآني ونموذج التخطيط الاقتصادي الرشيد

إن الله سبحانه وتعالى يحكي لنا في القصص القرآني حكاية لكي نحاكيها، وننسج على منوالها باعتبارها نموذجا عمليا، تم تطبيقه فعلا، وأثبت فعاليته فصار نموذجا لنا نأخذ منه ما يناسبه ويحل مشاكلنا.

يقول الله تعالى: ﴿يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع الى الناس لعلهم يعلمون. قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلًا مما تأكلون. ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلًا مما تحصنون. ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾(يوسف: ٤٦-٤٩).

يقول الألوسي في روح المعاني: (١)

* خبير اقتصادي

«لعلهم يعلمون» أي يعلمون بما أفتى ويعملون بمقتضاه. و«دأبا» تنشأ من مداومة العمل اللازم له التعب وانتصابه على الحال من ضمير (تزرعون) أي: دائبين، و«إلا قليلا مما تأكلون» أي اتركوا ذلك في السنبل إلا ما لا غنى له من القليل الذي تأكلونه في تلك السنين وفيه إرشاد إلى التقليل في الأكل.

و«يأكلن ما قدمتهم لهن» أي ما ادخرتم في تلك السنين من الحبوب المتروكة في سنابلها لأجلهن. «إلا قليلاً مما تحصنون» أي تحرزونه وتخبئونه لبذور الزراعة مأخوذ من الحصن، وهو الحرز والملجأ.

– وعلى أساس هذا النموذج القرآني في التعبير الاقتصادي نقول:

ثانيًا: المكونات الأساسية للنظام الاقتصادي وقطاعاته

تتمثل المكونات الأساسية للنظام الاقتصادي في ثلاثة:

١- ما يطلق عليه الاقتصاديون «المدخلات» أو عوامل الإنتاج، وتشمل الموارد والطاقات المتاحة للاستغلال والاستثمار من أجل إنتاج السلع والخدمات التي يحتاجها المجتمع.

وتأتي القوة العاملة في مقدمة تلك الموارد باعتبارها قوة الإنتاج الأساسية في الاقتصاد، وكذلك رأس المال يمثل موردًا رئيسيًا لجهود التنمية والإنتاج، ويشتمل بالطبع على الموارد والثروات الطبيعية بكل أشكالها، ويكون الهدف من العملية الاقتصادية هو تعظيم الافادة من الموارد وعلاج المشكلات الاقتصادية.

٢- العمليات الاقتصادية الرئيسية الثلاث وهي ما يسمى «بالأنظمة» وهي: الاستثمار – الادخار – الاستهلاك.

ويكون الهدف هو كيف أن هذه العمليات الاقتصادية الأساسية تعمل في توافق واتساق لتحقيق التوازن المستهدف للاقتصاد.

العمليات الاقتصادية الرئيسة هي «الاستثمار والادخار والاستهلاك»

٣- «المخرجات» حيث يقاس نجاح الاقتصاد:

– بمدى قدرته على إنتاج السلع والخدمات التي تشبع حاجات الناس في المجتمع.

– وقدرته كذلك على عملية «التكوين الرأسمالي» لأغراض الاستثمار.

وينقسم النظام الاقتصادي في الأغلب الى القطاعات التالية:

١- قطاع الاستثمار والإنتاج.

٢- قطاع الاستهلاك أو العائلي.

٣- القطاع الحكومي.

٤- القطاع الخارجي.

ويشتمل قطاع الأعمال أو القطاع الخارجي على الوحدات والمشروعات الاقتصادية الإنتاجية من أجل السوق النهائية.

ويشتمل القطاع العائلي أو المستهلكين على جميع أفراد المجتمع بوصفهم من المستهلكين من جهة ومن أصحاب عناصر الإنتاج من جهة أخرى ويشتمل كذلك على المنشآت الخاصة التي لا تهدف إلى الربح مثل الجمعيات الخيرية.

أما القطاع الحكومي، فيشتمل على جميع المرافق العامة التي تقدم الخدمات العامة مجانًا أو بمقابل لا يتناسب مع التكلفة ولا يدخل فيه المشروعات الحكومية التي تدخل في نطاق قطاع الأعمال، وقطاع المؤسسات المالية، مثل البنوك والمصارف وشركات الاستثمار والتأمين.

والقطاع الخارجي، يشتمل على المعاملات التي تجريها مختلف القطاعات في الاقتصاد مع العالم الخارجي، وقد تكون هذه العمليات تجارية أو مالية وخدمات... الخ.

وتنقسم قطاعات السوق الكويتي إلى:

١- قطاع البنوك.

٢- قطاع الاستثمار.

٣- قطاع الخدمات.

٤- القطاع العقاري.

٥- قطاع التأمين.

٦- القطاع الصناعي.

٧- قطاع الأغذية.

ثالثًا: التخطيط ومتطلباته

أ- التخطيط منهج للتفكير وأسلوب للعمل

وفي إطار النظام الاقتصادي بمكوناته المختلفة يأتي التخطيط كمدخل أساسي يعمل وفق آلية النظام الاقتصادي، ومن هنا كان التخطيط منهجًا للتفكير وأسلوبا للعمل في آن واحد.

والتخطيط يسفر دائما عن وضع خطة ذات اهداف محددة في عدة مستويات باعتبار ان التخطيط عملية تفكير، ومفاضلة، واختيار بين بدائل وصولا الى هدف، أو أهداف كنتيجة محددة مطلوب الوصول إليها من خلال تقدير الفرص المتاحة، والعمل على استثمارها، والتنبؤ بالمشكلات، والإعداد لمواجهتها، وتجنبها، والعمل أيضا على توفير الظروف والأوضاع المناسبة والمساعدة على تحقيق الأهداف، ومتابعة وتقييم المنجزات.

ب- متطلبات نجاح الخطة الاقتصادية

إن نجاح الخطة الاقتصادية يشترط طائفة من الشروط اللازمة لضمان نجاحها ومن أهمها:

١- واقعية الأهداف ووضوحها إذ يساعد ذلك في تحديد أنواع

الأعمال والأنشطة المرغوبة وتوضيح «المستلزمات الضرورية» كما يعتبر أساسًا للمتابعة والتقييم.

٢- التناسق بين الأهداف بعضها البعض، وبين الوسائل بعضها البعض، وبين الوسائل والأهداف.

٣- تحديد الأهداف العامة الأولية ثم الأهداف الخاصة المشتقة.

في قصة يوسف انطبق كل ذلك ومنها نستخلصه.

رابعًا: المؤشرات الاقتصادية في هذا النموذج اليوسفي

ونموذج التخطيط القرآني في قصة سيدنا يوسف عليه السلام - تتضمن العديد من المؤشرات منها ما يلي:

١- التخطيط في حالة الرواج الاقتصادي بظروفها، والتخطيط في حالة الكساد الاقتصادي بظروفها على السواء، فكلا الحالين لا يغني عن التخطيط الرشيد والسديد لإمكان معاملة حالة الغني ومعالجة حالة الفقر والرمادة والحرمان، فلا يضل الناس بغناهم، ولا يشقى الناس بفقرهم ويحل بهم الضيق والحرج بسبب سوء التخطيط والتدبير والترتيب.

٢- القدرة والقوة على «التخطيط» للمستقبل، وهو ما أخبر به سيدنا يوسف، فلا تخطيط اقتصادياً رشيداً ولا خطة سوية بغير قدرة فائقة على «التنبؤ» بالمشكلات ووضع الحلول لها عن روية وبصيرة.

وجاء في تفسير الألوسي (٢) إن هذه البشارة منه عليه السلام لم تكن عن وحي بل لأن العادة جارية بأن انتهاء الجدب يعقبه الخصب، أو لأن السنة الإلهية على أن يوسع على عباده سبحانه بعد ما ضيق عليهم، ثم إنه عليه السلام بعد ان فقههم وارشدهم وبشرهم كان يتوقع وقوع ما أخبر به ونقول وهذا شأن التنبؤ الصادق.

بل إن ابن كثير فسر البقر بالسنن لأنها تثير الأرض التي تستغل منها الثمرات والزروع وهن السنبلات الخضر (٣).

في قصة «السبع العجاف» تشير الآيات إلى ضرورة وضع «السياسات» اللازمة لتنفيذ الخطط الاقتصادية

٣- الاهتمام القطاعي في النظام الاقتصادي «بالزراعة» أو بالنشاط الزراعي كنموذج لتحديد الهدف في الخطة الاقتصادية الرشيدة.

٤- تتضمن خطة سيدنا يوسف القرآنية الاهتمام بعوامل الإنتاج الاقتصادي بعناصرها الاستثمارية والادخارية، والقوة البشرية العاملة والمنتجة والمستهلكة ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿لعلي أرجع الى الناس لعلهم يعلمون﴾.

بل كلمة يعلمون تدل على القوة البشرية المدربة العاملة، حتى لا تهدر الموارد إنتاجا أو استهلاكا أو توزيعا، وكذلك تدل كلمة «دأبا» على العمل المتواصل الدؤوب.

كما يشير الاهتمام القطاعي في النظام الاقتصادي الى «الصناعة» المتمثلة في قوله تعالى: ﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾، أي: يعصر الناس ما كانوا يعصرونه على عادتهم من زيت ونحوه، وسكر ونحوه، حتى قال بعضهم يدخل فيه حلب اللبن أيضًا، ويقول الألوسي وفيه يعصرون من العصر المعروف أي يعصرون ما من شأنه أن يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمسم ونحوها من الفواكه لكثرتها، أو كما قيل للإشعار باختلاف ما يقع فيه زمانا وعنوانًا.

٥- تشير خطة سيدنا يوسف عليه السلام الى ضرورة وضع «السياسات» اللازمة لتنفيذ الخطط الاقتصادية يدل على ذلك الإجراءات المحددة التي ذكرتها الخطة متمثلة في قول الله تعالى: ﴿فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون﴾ ﴿الا قليلا مما تحصنون﴾ وما تدل عليه من عدم الإسراف بل التقليل في الأكل، وترشيد الطاقة الادخارية سواء كان ذلك الادخار لأغراض الاستهلاك والمتمثل في قوله تعالى: ﴿فذروه في سنبله﴾ إلى قوله: ﴿يأكلن ما قدمتم لهن﴾ أي ادخرتم. أو لأغراض الإنتاج أو الاستثمار المتمثل في ﴿إلا قليلا مما تحصنون﴾ أي تحرزونه وتخبئونه لبذور الزراعة.

وهكذا اشتمل هذا النموذج من المنهج القرآني في الاقتصاد على ما يلي:

١- المكونات الأساسية للنظام الاقتصادي من المدخلات والعمليات والمخرجات.

٢- القطاعات الاقتصادية.

٣- التخطيط ومتطلب نجاح الخطة الاقتصادية.

٤- المؤشرات الاقتصادية لقياس الأداة وتحقيق الأهداف في هذا النموذج اليوسفي الرشيد الذي جاء به القرآن الكريم ليكون نموذجًا علميًا ومثالا تطبيقيًا عمليًا للخروج من الأزمات الاقتصادية وصدق الله العظيم القائل ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ (محمد: ٢٤).

الهوامش

١- ج١٢ص٢٥٤-٢٥٥- انظر أيضا تفسير ابن كثير ٣١٨/٤- تفسير القرطبي ٢٠٢:٩ وما بعدها.

٢- روح المعاني ج١٢ ص٢٥٦، ٢٥٧.

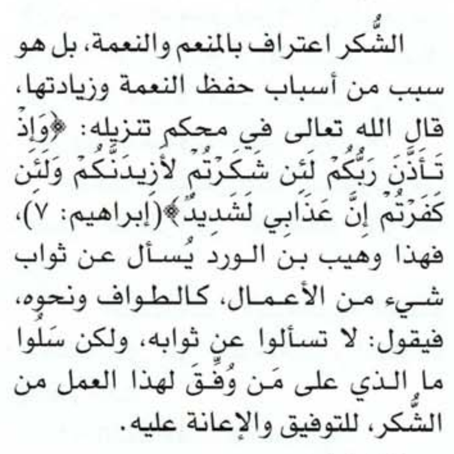
٣- ٣١٨/٤

الشكر

لا ريب أن نعم الله تعالى على عباده كثيرة لا تحصى؛ إذ إن إحصاءها خارج عن مقدور البشر؛ مصداقًا لقول الله عز وجل في محكم تنزيله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النحل: ١٨)، وكثرة النعم من المنعم، والإنسان لا يمكنه أن يُؤدي حقها إلا بالشُّكر عليها ومن هذه النعم أنه تبارك وتعالى أحسن إلينا بإتمام فريضة الصيام، ثم إقامة شعيرة صلاة العيد في يوم أعظمَ اللهُ قدرَه، والذي نسأله جل في علاه القبول والتوفيق للتمسك بالدين وشرائع الإسلام.



د . صالح النهام



الشُّكر اعتراف بالمنعم والنعمة، بل هو سبب من أسباب حفظ النعمة وزيادتها، قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾(إبراهيم: ٧)، فهذا وهيب بن الورد يُسأل عن ثواب شيء من الأعمال، كالطواف ونحوه، فيقول: لا تسألوا عن ثوابه، ولكن سَلُوا ما الذي على مَن وُفِّق لهذا العمل من الشُّكر، للتوفيق والإعانة عليه.

وقد قيل:

إذا أنت لم تَزْدَدْ على كُلِّ نعمةٍ
لموليكَها شُكرًا فلسْتَ بشاكرٍ

فكل نعمة على العبد من الله في دين أو دنيا تحتاج إلى شكر عليها، ثم التوفيق للشُّكر عليها نعمة أخرى تحتاج إلى شكر ثان، ثم التوفيق للشُّكر الثاني نعمة أخرى تحتاج إلى شكر آخر، وهكذا أبدًا فلا يقدر العباد على القيام بشكر النعم.

ولأهمية موضوع الشكر في حق الله والعباد، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى للوقوف على حقيقته وبيانه، جعلته في عدة مسائل أسوقها على النحو التالي:

المسألة الأولى: التعريف بالشكر:

الشُّكر لغةً: مصدر شَكَرَ يَشكُرُ، وهو مأخوذ من مادة: (ش ك ر) التي تدل على: «الثناء على الإنسان بمعروف يُوليكَهُ»، قال الراغب: الشُّكر تصور النِّعمة وإظهارُها(١)، وقال ابن منظور: الشُّكر عرفانُ الإحسان ونشرُه، والشُّكر من الله: المجازاةُ والثناءُ الجميلُ(٢). قال الفراء: شكرتك وشكرت لك، ونصحتك ونصحت لك، والفصيح الأول، والشُّكر معرفة الإحسان والتحدث به؛ وأصله في اللغة: الظهور.

وقد ذكر القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾(البقرة: ١٥٢)، أن شكر العبد لله تعالى ثناؤه عليه بذلك إحسانه إليه، وشكر الحق سبحانه للعبد ثناؤه عليه بطاعته له؛ إلا أن شكر العبد نطقٌ باللسان، وإقرارٌ بالقلب بإنعام الرب مع الطاعات(٣).

الشُّكر اصطلاحًا:

قال المناوي: الشُّكر شُكران: شُكر باللسان وهو الثناء على المنعم، والآخر شُكر بجميع الجوارح، وهو مكافأة النِّعمة بقدر الاستحقاق، والشكور الباذل وسعه في أداء الشُّكر بقلبه ولسانه وجوارحه اعتقادًا واعترافًا (٤).

وقال ابن القيم: الشُّكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبةً، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعةً(٥).

المسألة الثانية: الأدلة الشرعية على الشُّكر:

لا غرو أن الأدلة الشرعية على الشُّكر كثيرة جدًا، وردت في كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ، وأيضًا في آثار السلف الصالح رحمهم الله تعالى، إليك بعضًا منها:

القرآن الكريم:

لقد قرن الله تعالى الشُّكر بالذكر في كتابه مع أنه قال سبحانه: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾(العنكبوت: ٤٥)، فقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾(البقرة: ١٥٢).

وقال سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ من طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾(البقرة: ١٧٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَابًا مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِه مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِه مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٥).

وقال جل جلاله إخبارًا عن إبليس اللعين: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(الأعراف: ١٦)، قيل: هو طريق الشُّكر، ولعلو رتبة الشُّكر،

المراقب في مجلة الوعي الإسلامي

طعن اللعين في الخلق فقال: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٧).

الأحاديث النبوية:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده، وقال: «يا معاذ، والله إني لأحبك، والله إني لأحبك، فقال: أوصيك يا معاذ، لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» (٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن للطاعم الشَّاكر من الأجر مثل ما للصائم الصابر»(٧).

وعن صهيب الرومي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»(٨).

أقوال السلف الصالح:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إن النعمة موصولة بالشُّكر، والشُّكر يتعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشُّكر من العبد» (٩).

قال مُطَرِّفٌ رحمه الله: «لأَن أُعافى فأشكُر، أحبُّ إلي من أن أُبتلى فأصبر»(١٠).

من الأشعار التي قيلت بالشُّكر:

قال رجل من غطفان:

الشُّكر أفضل ما حاولت ملتمسًا
به الزيادة عند الله والناس

وقال آخر:

إذا كان شُكري نعمةَ الله نِعمةً
عليَّ له في مثلِها يجبُ الشُّكرُ
فكيف بُلُوغُ الشُّكرِ إلا بفضله
وإن طالت الأيامُ واتَّصلَ العُمُرُ

وقال الإمام الشافعي:

وشاكِرُها يحتاجُ شُكرًا لشُكرِها
كذلكَ شُكرُ الشُّكرِ يحتاجُ للشُّكرِ

قال بعض أهل العلم: «مَن أُعطي أربعًا لم يُمنع أربعًا: مَن أُعطي الشُّكر لم يُمنع المزيدَ، ومَن أُعطي التوبةَ لم يُمنع القَبولَ، ومَن أُعطي الاستخارةَ لم يُمنعَ الخِيَرَةَ، ومَن أُعطي المشورةَ لم يُمنعِ الصَّوابَ»(١١).

المسألة الثالثة: معنى اسم الله الشَّكور:

قال ابن منظور: الشَّكور من صفات الله- جل اسمه- معناه: أنه يزكو عنده القليل من أعمال العباد، فيضاعف لهم الجزاء، وشكره لعباده: مغفرته لهم وإنعامه على عباده وجزاؤه بما أقامه من العبادة، وقد فرق المناوي بين الشَّاكر والشَّكور، بقوله: إن الشَّاكر من يشكر على الرخاء، والشَّكور من يشكر على البلاء. وذكر غيره: أن الشَّاكر من يشكر على العطاء، والشَّكور من يشكر على المنع.

المسألة الرابعة: القواعد التي يقوم عليها الشُّكر:

قال الفيروز آبادي: الشُّكر أعلى منازل السالكين، وفوق منزلة الرضا، فإنه يتضمن الرضا وزيادة، والرضا مندرج في الشُّكر، إذ يستحيل وجود الشُّكر بدونه، وهو نصف الإيمان ومبناه على خمس قواعد: (خضوع الشَّاكر للمشكور- حبه له- اعترافه بنعمته- الثناء عليه بها- ألا يستعملها فيما يكره)، فمتى فُقِد منها واحدة اختلت قاعدة من قواعد الشُّكر(١٢).

المسألة الخامسة: أنواع الشُّكر:

للشُّكر أنواع ثلاثة: شكر بالقلب، وشكر باللسان، وشكر بالجوارح.

الأول: الشُّكر بالقلب: وهو أن يقصد الخير، ويضمره للخلق كافة.

والثاني: الشُّكر باللسان: وهو إظهار الشُّكر لله بالتحميد.

والثالث:الشُّكر بالجوارح: وهو استعمال نعم الله في طاعته، والتوقي من الاستعانة بها على معصيته، فمن شكر العينين أن تستر كل عيب تراه لمسلم، ومن شكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه، فهذا يدخل في جملة شكر هذه الأعضاء.

والشُّكر باللسان: إظهار الرضا عن الله تعالى، وهو مأمور به، قال رسول الله ﷺ: «التحدث بالنعم شكر، وتركها كفر»(١٣).

المسألة السادسة: العلاقة بين الشُّكر والصبر:

قال ابن حجر: الشُّكر يتضمن الصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية، وقال بعض الأئمة: الصبر يستلزم الشُّكر ولا يتم إلا به، وبالعكس فمتى ذهب أحدهما ذهب الآخر، فمن كان في نِعمة ففرْضُه الشُّكر، والصبر، أما الشُّكر فواضح، وأما الصبر فعن المعصية، ومن كان في بلية ففرْضُه الصبر والشُّكر، أما الصبر فواضح، وأما الشُّكر فالقيام بحق الله في تلك البلية، فإن لله على العبد عبوديةً في البلاء، كما له عليه عبوديةً في النَّعماء(١٤).

وقد اختلف الناس في بيان أيهما أفضل: الصبر أم الشُّكر؟ وقد نتج عن ذلك أقوال عدة(١٥):

القول الأول: اعتبر أن الصبر أفضل من الشُّكر. والقول الثاني: عد الشُّكر أفضل. والقول الثالث: قال: هما سيان. والقول الرابع: بين أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال.

وقد استدل كل قول بما عنده من دليل، إلا أن خلاصة تلك الأقوال في ذلك:

إن لكل واحد من الصبر والشُّكر درجات: فأقل درجات الصبر: ترك الشكوى مع الكراهية، ووراءها الرضا، وهو مقام وراء الصبر، ووراء ذلك الشُّكر على البلاء، وهو وراء الرضا.

ودرجات الشُّكر كثيرة، فإن حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شُكْرٌ، ومعرفته بتقصيره عن الشُّكر شُكْرٌ،

والمعرفة بعظيم حلم الله وستره شُكْرٌ، والاعتراف بأن النعم ابتداء من الله بغير استحقاق شُكْرٌ، والعلم بأن الشكر نعمة من نعم الله شُكْرٌ، وحسن التواضع في النعم والتذلل فيها شُكْرٌ،...وتلقي النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شُكْرٌ، فما يندرج من الأعمال والأقوال تحت اسم الشكر والصبر لا ينحصر، وهي درجات مختلفة، فكيف يمكن إجمال القول بتفضيل أحدهما على الآخر؟

لكن يقال: إذا أضيف الصبر إلى الشكر الذي هو صرف المال إلى الطاعة، فالشكر أفضل؛ لأنه تضمن الصبر أيضًا، وفيه فرح بنعمة الله عز وجل، وفيه احتمال ألم في صرفه إلى الفقراء، وترك صرفه إلى التنعم المباح، فهو أفضل من الصبر بهذا الاعتبار.

وأما إذا كان شكر المال ألا يستعين به على معصية، بل يصرفه إلى التنعم المباح، فالصبر هنا أفضل من الشكر، والفقير الصابر أفضل من الممسك ماله الصارف له في المباحات، لأن الفقير قد جاهد نفسه وأحسن الصبر على بلاء الله تعالى، وجميع ما ورد من تفضيل أجزاء الصبر على الشكر، إنما أريد به هذه الرتبة على الخصوص، لأن السابق إلى أفهام الناس من نعمة الأموال والغنى بها، والسابق إلى الأفهام من الشكر أن يقول الإنسان: الحمد لله.

إذن فالصبر الذي يعتمده العامة أفضل من هذا الشكر الذي يفهمونه، ومتى لحظت المعنى الذي ذكر، علمت بأن لكل واحد من القولين وجهًا في بعض الأحوال، فرب فقير صابر أفضل من غني شاكر كما ذكر، ورب غني شاكر أفضل من فقير صابر، وذلك هو الغني الذي يرى نفسه مثل الفقير الذي لا يمسك لنفسه من المال إلا قدر الضرورة، ويصرف الباقي في الخيرات، أو يمسكه على اعتقاده أنه خازن للمحتاجين، وإنما ينتظر حاجة تسنح حتى يصرف إليها، وإذا صرفه لم يصرفه لطلب جاه ولا تقليد منه، فهذا أفضل من الفقير الصابر(١٦).

إلا أن شيخ الإسلام ابن تيمية لما سئل عن أيهما أفضل الفقير الصابر أم الغني الشاكر؟ أجاب: بأن أكرمهم عند الله اتقاهم؛ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(الحجرات: ١٣).

المسألة السابعة: الفرق بين الشكر والحمد:

الشكر كالحمد في أنهما وصف باللسان بإزاء النعمة، إلا أن الحمد يكون باللسان وبالقلب، بخلاف الشكر فإنه يقع بالجوارح، والنعمة مقيدة في الشكر بوصولها إلى الشاكر بخلافها في الحمد، ويختص الشكر بالله تعالى، بخلاف الحمد(١٧). فالشكر يكون بالجنان واللسان والأركان، كما قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة

يدي ولساني والضمير المحجبا

أي أن الشكر يكون بالقول والفعل والنية، ومتعلق الشكر النعم دون الأوصاف الذاتية، فلا يقال: شكرنا الله على حياته وسمعه وبصره وعلمه، وهو المحمود عليها كما هو محمود على إحسانه وعدله، والشكر يكون على الإحسان والنعم، فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس، وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس، فإن الشكر يقع بالجوارح، والحمد يقع بالقلب واللسان.

ولهذا قال أهل العلم: في الفرق بين الشكر والحمد أن الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه، وأخص من جهة متعلقاته، والحمد عكسه.

المسألة الثامنة: أحكام الشكر:

● شكر الله تعالى: حكمه واجب شرعًا من حيث الجملة، فلا يجوز تركه بالكلية؛ إذ إن الإكثار منه مستحب؛ وذلك في مواضع، منها: أن تحمد الله عز وجل على الطعام والشراب واللباس والصحة.

● شكر العباد: لقد شكر الله جل جلاله عباده المحسنين وهو سبحانه غني عنهم، فمن باب أولى أن يشكر العبد من أحسن إليه بمعروف، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ: «من صُنع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيرًا فقد أبلغ في الثناء»(١٨). ولا يخفى أن الله تعالى أمر بالشكر للوالدين وقرن ذلك بالشكر له؛ وذلك لعظم فضلهما، فقال سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾(لقمان: ١٤).

المسألة التاسعة: مواضع الشكر ثلاثة(١٩):

الشكر لله تعالى على جلب نعمة.

الشكر لله تعالى على دفع نقمة.

الشكر لله تعالى عند المصائب.

الهوامش

(١) انظر: المفردات: (ص: ٢٦٥).
(٢) انظر: لسان العرب: (٤/٢٣٠٥-٢٣٠٨).
(٣) انظر: الجامع للقرطبي: (٢/١٧٢).
(٤) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف: (ص: ٢٠٦-٢٠٧).
(٥) انظر: مدارج السالكين لابن القيم: (٢/٢٤٤).
(٦) أخرجه أبو داود، برقم: (١٥٢٢)، والنسائي، برقم: (١٢٣٦).
(٧) أخرجه الترمذي، برقم: (٢٤٨٦)، واللفظ له، وأحمد في المسند، برقم: (٧٧٩٣).
(٨) أخرجه مسلم، برقم: (٢٩٩٩).
(٩) انظر: عدة الصابرين لابن القيم: (ص: ١٢٣).
(١٠) انظر: مختصر منهاج الصابرين لأحمد بن قدامة المقدسي: (ص: ٢٩٥).
(١١) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي: (١/١٦٠).
(١٢) انظر: بصائر ذوي التمييز: (٣/ ٣٤، ٣٣٤).
(١٣) أخرجه أحمد في المسند. برقم : (١٨٤٧٢).
(١٤) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: (١١/٣١١).
(١٥) انظر: تفصيل ذلك في إحياء علوم الدين: (٤/٤٠٢ وما بعدها).
(١٦) انظر: الكليات للكفوي: (ص: ٥٣٥).
(١٧) انظر: مختصر منهاج القاصدين: (ص: ٥٣٥).
(١٨) أخرجه الترمذي، برقم: (٢٠٣٥)، واللفظ له، النسائي، برقم: (٧٥).
(١٩) انظر: تفصيل ذلك في الموسوعة الفقهية الكويتية: (٣٦/١٧٤-١٨٢).

نظرات في رسالة أبي داود إلى أهل مكة

أشرف صلاح علي

تعد نصوص أبي داود في رسالته إلى أهل مكة من النصوص المهمة عند أهل الحديث، وذلك لما تضمنته من إشارات في بيان منهج أهل الحديث في التصحيح والتضعيف، ولمكانة أبي داود رحمه الله تعالى، مع بيان خطته في كتابه السنن، ولما كنت قد شرحت تلك الرسالة لبعض طلبة الحديث فقد لفت نظري بعض نصوص الرسالة، حتى ظننت أن فيها سقطا أو تحريفا مما حداني إلى جمع مخطوطاتها ومطبوعاتها، فتبين لي بعد البحث أن الرسالة على ضوء ما تيسر لنا من مخطوطات وما رأيت في نصوصها من إشكالات في ثبوتها عن أبي داود وقفة، وهاك أدلتي على ما أقول:

الأول: لم أر حسبما تيسر لي لهذه الرسالة بعد البحث سوى مخطوطتين بإسنادين:

المخطوطة الأولى: من محفوظات المكتبة الظاهرية، رواية الحافظ عبدالغني المقدسي بإسناده.. قال: سمعت أبا الحسين محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جميع الغساني بصيدا فأقر به، قال: سمعت أبا بكر محمد بن عبدالعزيز بن محمد بن الفضل بن يحيى بن القاسم بن عون بن عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب الهاشمي بمكة يقول: سمعت أبا داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد السجستاني (بالبصرة) (١) وسئل عن رسالته التي كتبها إلى أهل مكة وغيرها جوابا لهم، فأملى علينا: سلام عليكم.. فذكر الرسالة.

قلت: ومحمد بن عبدالعزيز الهاشمي لم يترجمه- بحسب اطلاعي- إلا ابن جميع الصيداوي(٢) راوي الرسالة عنه عريا عن الجرح والتعديل ولم يذكره إلا برسالته تلك، وبهذا الإسناد رواها من وقعت له كابن حجر والسيوطي وغيرهما.

السيوطي وصف رسالة أبي داود إلى أهل مكة بأنها مشهورة لكنها عزيزة الوجود

المخطوطة الثانية: من محفوظات جامعة برنستون- مجموعة يهوذا- رقم: ٥٩٧، أميركا، وقد عُلق إسنادها هكذا: رواها أبوجعفر أحمد بن عيسى بن ماهان الهمذاني، (قال: نـي) حامد بن بشر أبوالعباس، قال: أملى علي أبوعبدالله محمد بن أيوب من كتاب أبي داود بخط يده رحمه الله تعالى، قال أحمد: يعني ابن عيسى (وني) حمدان بن أحمد أبوالحسن التمار قال: كتب إليَّ أبوداود وهو بمكة يزيد كلام بعضهم على بعض.. وذكر الرسالة.

قلت: وأحمد بن عيسى فيه كلام شديد، فقد قال أبونعيم: صاحب غرائب وحديث كثير(٣)، وقال السمعاني: تكلموا فيه وفي رواياته(٤)، وذكره الذهبي في الميزان(٥) لروايته حديث كذب، وأورده ابن عراق في تنزيه الشريعة(٦) في أسماء الوضاعين والكذابين ومن كان يسرق الأحاديث ويقلب الأخبار ومن اتهم بالكذب والوضع من رواة الأخبار.

وحامد بن بشر وحمدان بن أحمد أبوالحسن التمار لم أعثر لهما على ترجمة، وللآن لم أقف على نسخ أخرى- بأسانيد مختلفة- مع حرصي وسؤالي لأهل العلم بالمخطوطات.

الثاني: أني لم أر من تابع محمد بن عبدالعزيز المكي ولا أحمد بن عيسى مع جهالة الأول وضعف الثاني على رواية تلك الرسالة عن أبي داود، وبخاصة من رواة السنن مع أهميتها القصوى في بيان منهج أبي داود في كتابه.

الثالث: أن أبا بكر بن داسة روى مثل هذا الكلام عن أبي داود فلم يذكر فيه إلا ما جاء في آخر الرسالة، فقد قال الخطيب: ..سمعت أبا بكر بن داسة يقول: سمعت أبا داود يقول: كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب، يعني كتاب السنن، جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث، ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه ويكفي الإنسان لدينه

باحث دراسات إسلامية

من ذلك أربعة أحاديث: أحدها: قوله عليه السلام: «الأعمال بالنيات»، والثاني: قوله: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، والثالث: قوله: «لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لأخيه ما يرضى لنفسه»، والرابع: قوله: «الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتبهات» الحديث(٧).

وابن داسة حافظ ومن كبار رواة السنن، ولم يذكر ما ذكره محمد بن عبدالعزيز الهاشمي وأحمد بن عيسى الهمداني، وهذه مخالفة شديدة، إذ كيف يهمل ابن داسة ما جاء في رواية الهاشمي وأحمد بن عيسى رغم أهميته البالغة في بيان مذهب أبي داود في السنن.

والملفت للنظر إن المزي روى هذه الرسالة في أول كتابه تهذيب الكمال قائلا: وقال أبوبكر محمد بن عبدالعزيز الهاشمي المكي: سمعت أبا داود السجستاني بالبصرة وسئل عن رسالته التي كتبها إلى أهل مكة جوابا لهم فأملى علينا: سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله ﷺ. أما بعد: عافانا الله وإياكم، فهذه الأربعة آلاف والثمانمائة حديث كلها من الأحكام، فأما أحاديث كثيرة من الزهد والفضائل وغيرها من غير هذا فلم أخرجها والسلام عليكم ورحمة الله وصلى الله على محمد النبي وآله(٨).

فهل اختصر المزي الرسالة؟ ولماذا يختصرها وهي الأصل في معرفة منهج أبي داود في سننه وكان ينبغي أن يسوقها بكاملها، وخصوصا إن كتابه تهذيب الكمال خاص بالكتب الستة ورجالها، أم أنها وقعت إليه كذلك، ويكون محمد بن عبدالعزيز قد رواها مرة مختصرة ومرة مطولة، ومن في حال محمد بن عبدالعزيز لا يحتمل منه ذلك والله أعلم.

الرابع: أن سياق النص يظهر أن الرسالة كانت قد بعث بها إلى أهل مكة وإن أبا داود إنما سئل عن نص ما أرسله سلفا ففي أول الرسالة: .. محمد بن عبدالعزيز .. بمكة يقول: سمعت أبا داود .. (بالبصرة) وسئل عن رسالته التي كتبها إلى أهل مكة وغيرها جوابا لهم فأملى علينا سلام عليكم... .

قلت: فظاهر السياق إنه كان قد بعثها قبل، والسؤال: أين تلك الرسالة التي بعثها وأين رواتها من مكيين وغيرهم؟ ومحمد بن عبدالعزيز مكي، وقد سمع حكاية أبي داود لنص الرسالة في البصرة، ولم يوقف على روايتها عن غيره من المكيين، وسواء سمعها بالبصرة أو بمكة أو بغيرهما فالسؤال: أين المكيون من تلك الرواية وهم الذين ابتدأوه بالسؤال عن منهجه في السنن؟ أيتكلفون إرسال تلك الرسالة ثم يضربون عن روايتها بأجمعهم؟!

الخامس: أن أبا داود ما استُخْبِرَ من أهل مكة وحدها بل ومن غيرها من الأمصار، فقد قال محمد بن عبدالعزيز: سمعت أبا داود.. بالبصرة وسئل عن رسالته التي كتبها إلى أهل مكة وغيرها..، وعبر عنها الزركشي بقوله: وقد حكى أبوداود.. في رسالته التي كتبها إلى أهل الأمصار في سبب كتابة السنن(٩)، والسؤال: أين الرسائل المرسلة إلى أهل تلك الأمصار؟ حتى يتفرد بحكايتها رجل شبه مجهول، بل وعلى الهيئة السابق ذكرها.

السادس: احتواء تلك الرسالة على أشياء مناقضة لما عرف عن أهل الحديث والأثر كقول أبي داود رحمه الله تعالى: إن أهل الحديث كانوا على الاحتجاج بالمرسل حتى جاء الشافعي فتكلم فيه وتبعه أحمد وغيره، وهذا مناقض لإجماعهم على رد المرسل، فقد قال مسلم: والمرسل من الروايات في أصل قولنا وقول أهل العلم بالحديث ليس بحجة(١٠)، وقال ابن عبدالبر: وقال سائر أهل الفقه وجماعة أصحاب الحديث في كل الأمصار فيما علمت: الانقطاع في الأثر علة تمنع من وجوب العمل به(١١)، وهذا كالإجماع كما استظهر ابن حجر (١٢)، وأبوداود من كبار أهل الحديث فكيف فاته ذاك الإجماع حتى يحكي ضده تماما.

السابع: نصه على أن الشافعي يرد المرسل مطلقا وهذا مخالف لنص الشافعي في الرسالة وتصرفاته.

الثامن: نصه في الرسالة على أن الأوزاعي ومالكا يحتجان بالمرسل وهذا معارض بقول الحاكم: والمراسيل واهية عند جماعة أهل الحديث.. ومالك بن أنس الأصبحي، وعبدالرحمن الأوزاعي.. (١٣) وهم من أئمة أهل الحديث الداخلين في دعوى مسلم الإجماع على ردهم للمرسل.

التاسع: أن الرسالة تنص على أن العلماء كانوا على الاحتجاج بالمرسل- بإطلاق- وأن الشافعي هو أول من تكلم فيه- بإطلاق- وأن أحمد تابعه على هذا الكلام، فيلزم على هذا أن الشافعي خرق إجماع الناس قبله في الاحتجاج بالمرسل، وأن أحمد تابعه على هذا، وهو القائل للميموني محذرا ومشفقا: إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام(١٤)، وأن

أبا داود تكلم بلا علم حيث إن رد العلماء للمرسل من قبل الشافعي مستفيض مشهور، وتفصيل الشافعي في المرسل في كتابه الرسالة متيقن موجود، وقد كتبها قديما لعبدالرحمن بن مهدي إبان شبابه كما يظهر في رواية جعفر ابن أخي أبي ثور: سمعت عمي يقول: كتب عبدالرحمن بن مهدي إلى الشافعي وهو شاب أن يضع له كتابا فيه معاني القرآن.. فوضع له كتاب الرسالة..(١٥)، فهل يعقل أن أبا داود لم يطلع على رسالة الشافعي وقد طار بها أهل الحديث والعلم كل مطار؟! فإن علمت أن عبدالرحمن وأبا داود بصريان زاد استغرابك.

العاشر: وجود دعاوى في الرسالة على خلاف الواقع وذلك كقوله: .. فإن ذكر لك عن النبي صلى الله عليه وسلم سنة ليس مما خرجته فاعلم أنه حديث واه... وهذا حصر عجيب وخطأ من جهتين:

أ - الحكم بالوهاء على كل ما خرج من سنن أبي داود من أحاديث الأحكام وهذه دعوى خطأ.

ب - الادعاء بأن أحاديث الأحكام في سنن أبي داود كافية للمجتهد وهذا أيضا خطأ.

وقد رد كلا الخطأين الحفاظ والفقهاء فقال النووي رحمه الله تعالى رادا للقول بكفاية سنن أبي داود للمجتهد: لا يصح التمثيل بسنن أبي داود فإنها لم تستوعب الصحيح من أحاديث الأحكام ولا معظمها، وكم في صحيح البخاري ومسلم من حديث حكمي ليس في سنن أبي داود(١٦).

الحادي عشر: حكى ابن حجر في النكت أن ابن كثير قال في مختصره إنه رأى في بعض نسخ الرسالة ما نصه: وما سكت عليه فهو حسن وبعضها أصح من بعض(١٧)، هذا على الرغم من أن النسخة التي كانت بحوزة ابن حجر والسيوطي والنسخ التي بأيدينا ليس فيها هذا الكلام، وقد وصف ابن حجر نسخته التي بيديه بقوله: النسخ المعتمدة التي وقفنا عليها ليس فيها هذا...، ونسخة ابن حجر كما في معجمه المؤسس هي نسخة الظاهرية برواية الصيداوي، فإن صح بأن ابن كثير رأى نسخا من الرسالة فهذا اضطراب لا يخفى لمخالفته ما جاء في الروايات المتداولة بإقرار ابن حجر نفسه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن أبا داود يسكت عن أحاديث ضعيفة وبعضها منكر والضعيف والمنكر لا تجامع الحسن.

الثاني عشر: أن ابن كثير لما حكى كلام أبي داود في مختصره أطلقه وما قيد بأنه في رسالته إلى أهل مكة ولا غيرها بل قال: رُوي عنه أنه يذكر في كل باب أصح ما عرفه فيه، وقال: ويروى عنه أنه قال: وما سكت عنه فهو حسن، ثم أشكل قائلا: فقوله: وما سكت عليه فهو حسن، ما سكت عليه في سننه فقط أو مطلقا؟

قلت: وهذا يفيد أن كلام أبي داود الذي ساقه ابن كثير لم يكن في الرسالة وإلا ما جاز لابن كثير أن يشكل ذاك الإشكال والرسالة أصلا وموضوعا لخطة أبي داود في كتاب السنن، ولاحظ تصديره الكلام بقوله: روي عنه، ويروى عنه، وتلك اللفظة غالبا ما تستخدم للتمريض كما هو معلوم.

الثالث عشر: أن السيوطي وهو المتوفى ٩٠٥ هـ وصف الرسالة بأنها عزيزة الوجود، فقال: رسالة أبي داود إلى أهل مكة في وصف سننه مشهورة لكنها عزيزة الوجود فلنسقها هنا لتستفاد(١٨).. فإن علمنا أن وفاة ابن جميع الصيداوي والذي انتشرت عنه الرسالة كانت سنة ٤٠٢ هـ، علمت ما يلقيه تعبير السيوطي بأن الرسالة نادرة الوجود من ظلال الشك على ثبوت تلك الرسالة.

وقد يشكل على ما تقدم احتمال وجود نسخ أخرى بأسانيد صحيحة ولم نقف عليها وذلك لصغر الرسالة حيث لا تبلغ وجهًا ونصف الوجه كما في نسخة برنستون، فيجوز أن تكون موجودة في وسط مجموع أو مجاميع من المخطوطات المتناثرة في أرجاء المعمورة ولم تفهرس على الوجه الأمثل.

ونقول: رغم أن هذا الاحتمال قائم فلا يصلح الاعتراض به على ما حققناه، فإن ثبت بعد ذلك أن للرسالة أسانيد أخرى صحيحة، فلهذا شأن وبحث آخر، هذا والله تعالى أعلم(١٩).

الهوامش

١-من تهذيب الكمال (١/١٣٦) والبحر الذي زخر (٣/١١١٣) وطبعة الشيخ عبدالفتاح أبي غدة، وليست في مخطوطتي الظاهرية وبرنستون، ولا في طبعة الكوثري ولا الصباغ ولا النورستاني.

٢-معجم ابن جميع الصيداوي (١٢٦) .

٣- أخبار أصبهان (١/١١٧).

٤- الأنساب للسمعاني (٢/١٠٤) .

٥- تنزيه الشريعة المرفوعة (١/١٧).

٦- ميزان الاعتدال (رقم ٥١٣) .

٧-تاريخ بغداد (١٠/٧٨) .

٨- تهذيب الكمال (١/٣٦)

٩- النكت على كتاب ابن الصلاح (١/٤٩٣) .

١٠- السابق (١/٣٠) .

١١- التمهيد (١/٥) .

١٢-النكت على كتاب ابن الصلاح (١/٤٩١) .

١٣- المدخل إلى الإكليل (٩) والنكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (٢/٥٦٨).

١٤- المسودة (٥٤٣) .

١٥- معرفة السنن والآثار (٨٣) .

١٦- إرشاد الفحول للشوكاني (٢/٢٠٨)

١٧- النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (١/٤٣٢) .

١٨- البحر الذي زخر (٣/١١١٠) .

١٩-هذه المقالة مختصرة من بحث طويل في تلك المسألة وقد ضمنته كتابي: التوقيف على ما في «التعريف بأوهام من قسم السنن إلى صحيح وضعيف» من الخطأ والمجازفة والتحريف، يسر الله إخراجه.

علم النبات عند العلماء العرب

محمد مروان مراد

يشير المؤرخون المنصفون بإعجاب وتقدير إلى ريادة العلماء العرب المسلمين في ميادين العلوم المختلفة، وإلى اقتباس علماء الغرب الكثير من أفكارهم ومنجزاتهم التي تعد في الواقع أساسًا للنهضة الأوروبية الحديثة، ويعددون في هذا المجال أسبقية العشرات من علمائنا في ميادين التقنية والابتكار وفي القائمة الطويلة أسماء الخوارزمي في علم الجبر واللوغاريتمات، والبيروني في الحساب والهندسة والفلك، وابن الهيثم في العلوم الطبيعية والرياضيات والرازي في الطب، والزهراوي في الجراحة، وجابر بن حيان في الكيمياء، والكندي وابن الشاطر في الفلك وابن خلدون في علم الاجتماع، والإدريسي في الجغرافيا، وغيرهم كثيرون.. كذلك تطول القائمة حين يكون محور الدراسة أسبقية العلماء العرب في علم النبات.

بدأ اهتمام العلماء بتدوين أنواع الزرع والأشجار والأثمار والأعشاب والبقول وغيرها في بغداد والبصرة والكوفة التي كانت مراكز عمل للعلماء المشتغلين في هذا المجال، باعتبارها موئلًا لفصحاء العرب يغدون إليها من البادية وهم يحملون فصيح اللغة وصحيحها، وبالعكس راح العلماء بدورهم ينزلون من الأمصار إلى البادية للتحقيق والتمحيص، ولاسيما فيما يختص بأسماء الأعشاب والنباتات.

على أن اهتمام العرب الفعلي بعلم النبات، بدأ في مطلع العصر العباسي، حين ترجم العلماء مؤلفات اليونان الخاصة بعلم النبات و«الأقرابازين»، وكان مفتتح ذلك العمل نقل زمن الخليفة المتوكل. وفي عام ٣٣٧هـ/٩٤٨م أهدى ملك القسطنطينية إلى الخليفة الناصر بالأندلس مؤلف «ديسقوريوس» باليونانية، ولم يكن في الأندلس من يجيد هذه اللغة، فطلب الخليفة الناصر من الإمبراطور أن يرسل إليه مترجمًا ماهرًا في اللغتين اليونانية واللاتينية، فاستجاب لطلبه وأوفد الراهب «نيقولا» في أواخر القرن العاشر الميلادي، وبتعاون مع الأطباء المحليين الذين يعرفون اللاتينية والعربية، وضعت الأسماء العربية التي تركها «ابن باسيل» دون ترجمة لجهله بها، ومع مطلع القرن الحادي عشر ألف الطبيب الأندلسي «ابن جلجل» كتابًا ضمنه المعلومات التي أغفلها «ديسقوريدس» وضم هذا الكتاب إلى كتاب «ابن باسيل» المترجم عن «ديسقوريدس» فجاء الكتابان مؤلفًا كاملًا.

وقد استند العرب في دراساتهم لعلم النبات على دقة الملاحظة والمعاينة واستمرار المتابعة، واعتمادًا على هذا المنهج التجريبي تمكن العلماء العرب من دراسة الكثير من النباتات الطبيعية التي لم تسبق دراستها، وأدخلوها في العقاقير الطبية واستولدوا نباتات لم تكن معروفة كالورد الأسود، وتمكنوا من أن يكسبوا بعض النباتات خصائص العقاقير في أثرها الطبي، وفي عصر المقتدر بالله نقل العرب «الأترج» المدور من الهند وزرعوه في عُمان ثم نقلوه إلى البصرة والعراق والشام.

يحفل سجل الريادة في علم النبات - عملًا وتأليفًا - بعشرات أسماء العلماء العرب الذين دونوا في مؤلفاتهم النباتات والأعشاب، وبينهم أبوعبيدة البصري والأصمعي، وأبوزيد الأنصاري، وابن الأعرابي الكوفي، وابن السكيت، وتألق بشكل خاص أبوحنيفة الدينوري - ت٢٨٢هـ/٨٩٥م، وهو أول من ألف بالعربية في علم النبات، وأبوجعفر الغافقي الأندلسي (ت ٥٦١هـ/١١٦٥م) وأبومحمد ابن البيطار المالقي (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م) أبرز علماء النبات العرب ومؤلف كتاب «الجامع في الأدوية المفردة» الذي يعد أفضل الكتب في فن المداواة بالأعشاب والأغذية، وأبوبكر أحمد بن وحشية أول من كتب من العرب عن الزراعة في كتابه «الفلاحة النبطية»، والطبيب الضرير داوود الأنطاكي (ت ١٠٠٨هـ/١٥٥٩م)، ومن المتميزين في هذا المجال أيضًا: رشيد الدين الصوري، وأبوزكريا يحيى بن العوام، وأبوالعباس بن الرومية، وسنعرض فيما يأتي صفحات من سير الأعلام الثلاثة الذين أسهموا بشكل واضح في تقدم علوم النبات والأعشاب والأدوية.

• رشيد الدين الصوري (٥٧٣هـ - ١١٧٧م)

ولد رشيد الدين بن أبي الفضل بن علي الصوري في مدينة صور بالشام سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م، ونشأ فيها، وعكف في مرحلة مبكرة على دراسة علوم الأوائل دراسة متأنية، ثم تنقل بين بعض

• باحث تراثي

المدن العربية ودرس الطب في دمشق على مشاهير العلماء كموفق الدين عبدالعزيز، وموفق الدين عبداللطيف البغدادي والشيخ أبي العباس الجياني وغيرهم، وقد أظهر في عمله سعة اطلاع ودقة في الملاحظة، وغزارة في التجارب والبحوث، وكانت دراسات «الصوري» لأنواع النبات دراسة دقيقة اتبع فيها المنهج العلمي الحديث الذي سبق في تطبيقه علماء الغرب بسبعة قرون، وكانت بحوثه في ذلك المجال رائدة بكل معنى الكلمة، وأكد فيها إخلاصه في البحث عن الحقيقة العلمية وتكريسه الجهد والوقت لعلمه المتميز، لقد كانت من أبرز مميزات «الصوري» استناده في دراسته علم النبات على دقة الملاحظة والمعاينة ودوام المتابعة وقد تجسد ذلك في تصويره للنبات تصويرًا ملونًا في سائر مراحل عمره، منذ أن يكون بذرة وحتى مرحلة الجفاف الأخيرة، فقد اعتمد على رسام يصحبه في رحلاته الميدانية ومعه الأوراق والألوان المتنوعة فيتنقل بين مناطق النباتات - كسهول لبنان وجباله - فيشاهد أصنافها ويحقق فيها، ويريها للرسام، فيدرس شكلها ولونها وأصولها ومقدار أغصانها وورقها، فيجتهد في تصويرها ومحاكاة طبيعتها وسماتها.. ثم يقوم «الصوري» في ضم تلك الدراسة والصور إلى كتابه القيم «الأدوية المفردة» الذي اشتمل على البحث في ٥٨٥ معقارًا بينها ٤٦٦ عقارًا من أصل نباتي و٤٤ عقارًا من أصل حيواني و٧٥ عقارًا من أصل معدني، وقد أرفقت الرسوم بتعليقات وفوائد طبية كثيرة، وكشف هذا المصنف عن ثقافة «الصوري» الموسوعية في علم الأدوية المفردة وماهيتها واختلاف صفاتها وأسمائها، وتحقيق خواصها وتأثيرها.

نبغ رشيد الدين الصوري إضافة لجهوده في علم النبات، في الطب أيضًا،

الصوري وابن الرومية وابن العوام: الرواد الأوائل في علم النبات

وقد عمل طبيبًا للملك العادل أبي بكر بن أيوب عام ٦١٢هـ/١٢١٥م، واصطحبه معه إلى القدس ومصر، وبعد وفاته عمل طبيبًا لابنه الملك الناصر داود بن الملك المعظم الذي عهد له برياسة الطب، ثم عاد أخيرًا إلى دمشق وأقام فيها، حيث راح المشتغلون بالطب وصناعته يترددون إلى مجلسه ويأخذون عنه تراكيب أدوية الترياق الكبير الذي يمنع آليًا امتصاص السم، وغيرها من التراكيب المبتكرة التي لم يسبقه أحد إلى معرفتها. كذلك وفد إلى مجلسه طلاب العلم والطب في دمشق للاستفادة من خبرته وشروحه. وقد أفاض المحققون في ذكر فضل «الصوري» وبحوثه العلمية الرائدة ومن بينهم: قدري طوقان، وأحمد شوكت الشطي، وعمر رضا كحالة، وأنور الرفاعي، وخير الدين الزركلي، كما أفرد له ابن أبي أصيبعة في كتابه «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» صفحات للحديث عن مآثره في علم النبات والصيدلة والطب.. وتحدث المؤرخون في الأدوية المفردة، وللصوري مخطوطة بعنوان «تذكرة الكحالين» المشهورة بالكافي في طب العيون، موجودة بمكتبة الأسد الوطنية بدمشق، ومخطوطة «الشامل في الأدوية المفردة» بمكتبة السلطان أحمد الثالث في إسطنبول.

توفي رشيد الدين الصوري عام ٦٣٩هـ/١٢٤١م بدمشق، وبقي إرثه العلمي خالدًا في مؤلفاته الباقية، وفي اقتباسات كثيرة في مؤلفات علماء الغرب.

• يحيى بن زكريا بن العوام

تنظم الحكومات ومؤسسات المياه خاصة، وجمعيات حماية البيئة في العالم، حملات لا تهدأ تدعو فيها إلى ترشيد استهلاك الثروة المائية، والكف عن هدر هذه النعمة الغالية، صونًا لها من النضوب، وعجزها عن توفير حاجات الناس، وترسم تلك الحملات أساليب عديدة لترشيد استهلاك الماء ومن بينها استخدام أسلوب الري بالتنقيط الذي انتشر بشكل واضح في أيامنا.. ولكن علماء المسلمين الرواد كانوا السباقين إلى هذه الدعوة، وتفصيل طريقتها بشكل علمي دقيق.

يعد «يحيى بن زكريا بن العوام» أشهر علماء عصره، ويعود له الفضل في تأسيس علم الفلاحة والزراعة والبيطرة، وأول من شرح طريقة الري بالتنقيط وكذلك أول من وضع ما يُعرف اليوم بالتقويم الزراعي.

• ابن العوام الأندلسي من مواليد إشبيلية في القرن السادس الهجري، ولد في أسرة غنية امتلكت ضيعة خاصة بها أطلق عليها اسم «ضيعة آل العوام» على الضفة اليمنى لنهر الوادي الكبير.

انهمك ابن العوام في تأليف الكتب، لكن أكثر مصنفاته ضاعت خلال هجمات الأوروبيين على الأندلس، ولهذا لم يتبق للمكتبة العربية من مؤلفاته سوى: رسالة في تربية الكرم (العنب)، عيون الحقائق وإيضاح الطرائق، والفلاحة الأندلسية، الذي يعد أشهر مؤلفاته فهو يمثل موسوعة زراعية اجتمعت فيها خلاصة معارف الأندلس والمغرب ومصر والعراق في الزراعة والبيطرة وصار مقررًا لدراسة طلاب الزراعة في جامعاتها لعدة قرون، كما نقل منه الأوروبيون، وترجم أكثر من مرة إلى الإسبانية والفرنسية.

● أبو العباس أحمد (ابن الرومية)

في مدينة «إشبيلية» ظهرت عبقرية علمية أخرى، أسهمت بدورها في تقدم علم النبات والأعشاب، إضافة إلى عملها في مجالات المعرفة الأخرى كعلم الحديث ومعرفة رجاله والتأليف فيه.

ولد أبوالعباس أحمد بن محمد بن مفرج سنة ٥٦١هـ-١١٦٥م بمدينة إشبيلية، وكان جده مولى لبني أمية، وواحدًا من أطباء قرطبة، مارس العشابة والعلاج بها، ثم تعلم أبوه محمد علم النبات الطبي، وتزوج من امرأة رومية من نصارى الأندلس، فأنجبت له «أحمد» ومن هنا لقب بابن الرومية.

اتخذ أبوالعباس أحمد من الصيدلة حرفة له، ومارسها في دكان لبيع الأعشاب والعلاج بها، والتفت إلى دراسة علم النبات والأعشاب وقواها الطبية، وفوائدها الصيدلانية، في الوقت الذي اهتم فيه بدراسة علم الحديث وضبطه وحفظه والتأليف فيه.. وراح خلال تنقله بين مدن الأندلس وأقاليمه يلازم المحدثين ويستمع إلى الحديث منهم، ويحصل الإجازات عن الشيوخ، فتنقل بين غرناطة وقرطبة، وإلى إقليم الشرف بظاهر إشبيلة، وحبل شلبر (سيرانيفادا) قرب غرناطة ومدن جيان ورندة وجبالها وجبال غلزا شرقي الأندلس، وفيها شاهد الأعشاب وتفحصها متعرفًا إلى خصائصها وطبيعتها..

في عام ٥٨٠هـ - ١١٨٤م توجه أبوالعباس ابن الرومية إلى سبتة بالمغرب للقاء الشيخ أبي محمد ابن الحجري (ت ٥٩٢هـ - ١١٨٦م) ولكنه لم يحظ بالاجتماع إليه.. وإن كان قد حصل على الإجازة منه كتابة خلال رجوعه إلى الأندلس، وكانت رحلة «ابن الرومية» الثانية إلى بلاد المشرق سنة ٦١٢هـ - ١٢١٥م بهدف أداء فريضة الحج وطلب العلم، فاجتاز البحر إلى المغرب ونزل بميناء «بجاية»، وانصب اهتمامه على تحصيل علم الحديث من علمائها، ثم قام بجولات في ريف المدينة الجبلي، لجمع أنواع النبات، وتحري أصنافه فحصل معرفة واسعة عن أعشابها الطبية.

انتقل «ابن الرومية» بعد ذلك إلى تونس وفيها التقى بوزير الموحدين فأخذ هذا منه كتاب «تعليم المتعلم» في أربعين مجلدًا، كان قد حمله معه عند انطلاقه من إشبيلية. وواصل رحلته إلى مصر، فمر بالقيروان والمهدية وقابس وطرابلس وبرقة، وفحص فيها أصناف النباتات والأعشاب.. ولما وصل أخيرًا إلى الإسكندرية (٦١٣هـ - ١٢١٦م) التقى فيها بكوكبة من العلماء والمحدثين، وطوف في أرجائها يعاين الأعشاب ويدرس خصائصها، وقد تناهى إلى سمع الملك العادل أبوبكر بن أيوب، سلطان الشام ومصر، وصول «ابن الرومية» وبلغه ما يمثله هذا العالم من مكانة وشهرة ذائعة، فاستدعاه إلى «القاهرة» فأقام فيها عامين، أعد خلالهما مجموعة من الأدوية النافعة..

واصل «ابن الرومية» رحلته إلى القدس، حيث توقف يدرس كعادته نباتات بيت المقدس وضواحيه وجباله، ثم توجه إلى الحجاز فتجول فيها وتعرف إلى أعشابها.. وبعد أدائه الفريضة، يمم شطر العراق، وهناك تعرف إلى رجال الحديث ببغداد، كما اتصل بالعديد من أصحاب الخبرة في نباتات وأعشاب العراق، وتابع سفره من ثم إلى الشام مرورًا بحران وحلب وكان كلما تجول يضيف إلى معارفه معلومات عن النباتات الطبية واستخداماتها، والتقى بابن القفطي (توفي ٦٤٦هـ - ١٢٤٨م) ودارت بينهما محاورات عن النبات والأعشاب ووصل «ابن الرومية» بعدها إلى دمشق، ثم من جديد إلى القدس فمصر لتنتهي رحلته أخيرًا بعد ثلاث سنوات من الاطلاع والبحث وجمع المعلومات عن أنواع الأعشاب والنبات.

عاد «ابن الرومية» إلى «إشبيلية» وفي جعبته مخزون ثر من المعلومات حصلها من مشاهداته ومعايناته ودراسته للنباتات في بلاد المغرب والمشرق التي تنقل فيها أثناء تطوافه في الأقاليم والمدن، وقد أغنى تلك المحصلة بما استمع إليه من علماء الأعشاب والعطارين، وما جمعه من أفواه الأعراب والبربر وسكان تلك الأقاليم بما يخص أسماء تلك النباتات وخواصها الطبية واستخداماتها في علاج العديد من الأمراض، وأثبت تلك المعلومات في كتاب فريد في بابه سماه «الرحلة».

استقر «ابن الرومية» في إشبيلية، وتوزع نشاطه العلمي فيها على ثلاثة محاور:

١- ممارسة حرفته كعشاب متخصص في النباتات الطبية، في دكانه بالمدينة.

٢- تدريس النبات والأعشاب الطبية، حيث تقاطر إليه طلاب العلم في الشريعة والعلوم الطبيعية، وكان من بينهم العالم العربي الشهير «ابن البيطار» (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م).

٣- انصرافه إلى تأليف عدد من الكتب والرسائل تضمنت معلومات وشروح وتعليقات في أكثر من مجال علمي، وقد ضاع أكثرها وبالذات مؤلفه المهم «الرحلة النباتية» الذي حفظ ابن البيطار مقتطفات منه أوردها في كتابه «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» وقد بلغ عددها ٨٥ اقتباسًا رتب ابن الرومية فيها أسماء النباتات ترتيبًا هجائيًا على حروف المعجم. وقد أشار «ابن أبي أصيبعة» في مؤلفه: «طبقات الأطباء» إلى كتاب ابن الرومية «تفسير أسماء الأدوية المفردة» من كتاب «ديسقوريدس» وإلى مقالة في تركيب الأدوية.

توفي ابن الرومية بإشبيلية سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م، وبقيت معلوماته عن النباتات ومواطنها ومعارفه عن الأدوية وقواها ومنافعها مصدرًا لمعارف علماء الغرب وبحوثهم إلى زمن طويل.



أطفالنا وتراثنا الأدبي

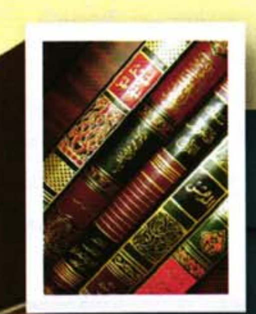
يقول الأستاذ أحمد حسين أبوعرقوب في كتابه محاضرات في أدب الأطفال:

لا يمكن فصل أدب الأطفال عن أدب الكبار، من حيث إنه يؤدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح، فأدب الأطفال هو كل ما يحتاج إليه عقل الطفل وخياله، ويكتبه الكبار بمستويات فنية إبداعية، تناسب قدرات الطفل، وتغذي نواحي الخيال فيه، فالكلمة المنطوقة والمكتوبة، التي تسعد الأطفال وتسليهم، وتطور وعيهم وطريقة فهمهم للحياة، وتنمي إدراكهم الروحي، ومحبتهم للجمال ولروح المرح، وتوسع أفق القراءة عندهم، وتعمق أبعاد استمتاعهم بها، سواء كانت خرافة أو أسطورة، أو قصة واقعية ربما أغرب من الخيال، أو مغامرة غنائية، أو قصة شعرية، في صورة حكمة، أو لغزا على لسان الإنسان أو الحيوان أو الجماد، هي دائمًا مفاتيح في أيدي الأطفال لفهم الجنس البشري، ولمعرفة نمو الإنسان على درب التاريخ وعبر مختلف الحضارات، تمكن الأطفال من التصدي لمخاوفهم واقتلاعها، وتطلق لأحلامهم وطاقاتهم الإبداعية العنان.

ومما تقدم ذكره نقول:

إن تراثنا الأدبي تراث غني بروائع الأدب القصصي الهادف التي يمكن لمؤسساتنا الأدبية والثقافية والتربوية استلهامها وتقديمها لأطفالنا بأسلوب عصري يمكنه التصدي للثقافة الوافدة التي تستهدف عقول أبنائنا لغرس مفاهيم تتعارض وقيمنا الإسلامية.

«محاضرات في أدب الأطفال»
أحمد أبو عرقوب



النهضة الفكرية والأدبية في عصر الموحدين بالمغرب

محمد القاضي

كانت بداية ظهور دولة الموحدين بالمغرب حوالي سنة ٥١٥هـ وذلك على يد محمد بن تومرت، الملقب بالمهدي، وقد تزعم في بداية الأمر دعوة تقوم على الإصلاح الديني والاجتماعي جعل شعارها «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» ويكاد يتفق جميع المؤرخين والباحثين أن هذه الدعوة اكتسبت طابعًا دينيًا محضًا.

لقد استغل المهدي بن تومرت جميع الميادين من أجل نجاح دعوته وتحقيق غايته، فادعى المهدوية وقال بالعصمة والإمامة وسفك الدماء دون تورع ولا توقف، وخاض معارك طاحنة ضد المرابطين، تمخض عنها انهزام المرابطين وقيام دولة الموحدين.

لقد اعتمد الموحدون منذ بداية ظهورهم على القوة العسكرية في نشر دعوتهم وتأسيس دولتهم، فاعتنوا بتنظيم الجيش تنظيمًا لم يعرفه المغرب من قبل، وسهروا على تدريبه وتسليحه، ولا نبالغ إذا قلنا إن فترة التحول من الدولة المرابطية إلى الدولة الموحدية- وخصوصًا فترة حكم عبدالمؤمن وخليفته يوسف- كانت فترة من أزهى عصور المغرب الإسلامي من النواحي العسكرية والسياسية والفكرية والعمرانية.

وفي مجد عظمتهم الدينية والحضارية يذكر التاريخ أن الملك «جون» ملك الإنجليز بعث سنة ١٢١١م وفدًا رسميًا لمفاوضة الخليفة عبدالله محمد الناصر لإعلان الإسلام في بريطانيا وإلحاقها بدولة الموحدين، ويتحد معها ويطبق شريعتها ويقدم لها الولاء والطاعة مقابل حمايتها ضد البابا والبارونات.

المستوى الفكري الأدبي

لقد أصبح للمغرب في عهد الموحدين حضارة متميزة لأنها ظهرت بروح جديدة تخالف أساليب الدولة المرابطية قبلها، فقد أسس الموحدون المدارس بمراكش وسلا وفاس وسبتة وجعلوا التعليم إجباريًا في الحواضر والبوادي على السواء واعتنوا بتأسيس المكتبات العامة، واهتموا بالجيل الناشئ وتوجيهه توجيهًا خاصًا يطابق النهج العقائدي للدولة الموحدية، وتميز عهدهم بالحرية الفكرية وتشجيع رجال الفكر وتقديرهم والعناية بهم، ويذكر صاحب «المعجب» أن عبدالمؤمن كان مؤثرًا لأهل العلم محبًا لهم، محسنًا إليهم يستدعيهم من البلاد إلى الكون عنده والجوار بحضرته ويجري عليهم الأرزاق الواسعة، ويظهر التنويه بهم والإعظام لهم (١).

> **الأدب الموحدي لم يكن إلا انطلاقة لأسس ثقافية إسلامية لها منظورها الخاص**

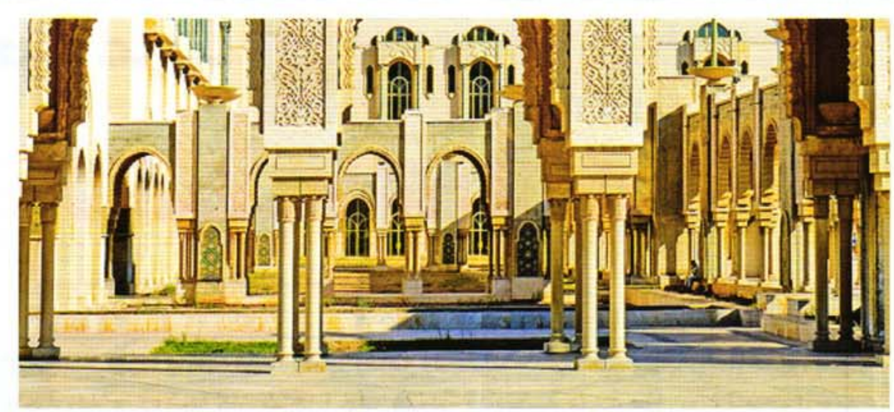
وقد ساعدت هجرة العلماء وأقطاب الفكر العربي وخصوصًا من الأندلس والقيروان (تونس) على ازدهار الحركة الفكرية بالمغرب ونشطت نشاطًا منقطع النظر في مختلف الميادين منها الفلسفية والدينية واللغوية والأدبية والعلمية، وأصبحت مراكش أيام ازدهار الحضارة الموحدية مدينة علم وفكر وفن وأدب تضج بأعلام كبار في كل فن أمثال: ابن طفيل وابن باجة وابن رشد وبني زهر وغيرهم كثير.

لقد كان النشاط الفكري موازيًا للتوسع الإمبراطوري والتطور الحضاري، ويذكر الباحث المغربي محمد المنوني أن فضل الموحدين على المعارف كان عظيمًا، فإنهم حافظوا على ما اختاروه منها إلى حد كبير وشجعوها كما شجعوا كثيرًا من العلوم التي لم تكن رائجة أو كان محظورًا رواجها في العهد المرابطي وطبعوا كل ذلك بطابعهم الثلاثي الخاص: العظمة، الدين، التجديد، وإن تشجيعهم للمعارف التي كانت شائعة في عهدهم بلغ مبلغًا عظيمًا وكان تشجيعًا ماديًا وأدبيًا (٢).

مما لاشك فيه أن الحركة الأدبية في عهد الموحدين قد استفادت من النهضة الأدبية التي ورثوها عن المرابطين، وحاولوا أن يطبعوها بطابع دولتهم الفتية، فازدهرت في عهدهم المعارف وتوافرت لديهم عوامل ازدهار الأدب وكثر الإقبال عليه، وتمتنت العلاقة أكثر من ذي قبل مع رجال الفكر بالأندلس الذين وفدوا على بلاط الموحدين بمراكش، وكان لاهتمام الخلفاء بالأدب والأدباء الأثر الواضح في نهضة الأدب العربي على أرض المغرب في هذا العصر، وكان أهم ما امتاز به هذا الأدب هو البساطة والطابع الديني والابتعاد عن سفاسف القول والتحرر- نسبيا- من بعض الموضوعات التي كانت شائعة في الأدب العربي، وهكذا نجد اختفاء شعر الغزل والخمريات من الساحة الشعرية، وذلك تماشيًا مع طابع الدولة الديني الذي يحرم ذلك.

* أكاديمي مغربي





وكـان المـدح والـفـخـر والحـمـاسـة من أهم الأغراض رواجًا في حضرة الخلفاء، وأصبح الشعراء في عهدهم أول أجهزة إعـلام عـرفـهـا المـغـرب، فـقـد اجتهدوا فـي إرضـاء الخلفاء برسمهم هـالات من العظمة والتقدير حولهم، فخلدوا المآثر وشـادوا بالذكر الحكيم وحققوا ما كانت تطمح إليه نفوس القائمين على تسيير شؤون الـدولـة، وقـد أغـدق الخلفاء على هؤلاء الشعراء الجوائز الكثيرة حتى بلغ الأمر بالخليفة عبدالمومن أن منح الشاعر التيفاشي ألف دينار على بيت واحد من الشعر أنشده إيـاه، كما جـاء فـي وفيات الأعيان لابن خلكان (٣):

ما هز عطفيه بين البيض والأسل

مثل الخليفة عبدالمومن بن علي

ويذكر التاريخ الأدبـي أنـه حينما عبر عبدالمومن إلى الأندلس للمرة الأولى ونزل بجبل طارق الذي سماه هو «جبل الفتح» تقاطر عليه الشعراء من كل حدب وصوب، وأنشده شعراء عديدون، منهم شاعر فاس ابن حبوس الذي أنشده قصيدة جاء فيها:

بلغ الزمان بهديكم ما أملا

وتعلمت أيامه أن تعدلا

ويحسبه إن كان شيئًا قابلًا

وجد الهداية صورة فتشكلا

وكـان الشاعر «الجـراوي» الـذي لقب بشاعر الخلافة الموحدية كثيرًا ما يتباهى أمام أقرانه بالقولة الشهيرة التي خصه بها الخليفة عبدالمؤمن وهو في جبل الفتح «يا أبا العباس إنا نباهي بك أهل الأندلس».

وتـذكـر المـصـادر الأدبـيـة أن الخليفة المنصور أعطى لابـن منقذ رسـول صلاح الـديـن الأيـوبـي ألـف دينـار لكل بيت من القصيدة التي مدحه بها وتضم أربعين بيتًا منها:

سأشكر بحرا إذا عباب قطعته

إلى بحر جود ما لآخره ساحل

إلى معدن التقوى إلى كعبة

إلى من سمت بالذكر منه الأوائل

إليك أمير المؤمنين ولم تزل

إلى بابك المأمول تزجى الرواحل

قطعت إليك البر والبحر موقنًا

بأن نداك الغمر بالنجح كافل (٤)

لقد كان هذا الضرب من الشعر سجلًا وافيًا ووثيقة تاريخية مهمة استعان به المـؤرخـون والـبـاحـثـون فـي الـوقـوف على أحـداث ووقـائـع مـهـمـة، تعتبـر خلاصة اللحظات التي كانت تصاحب مسيرة هذه الدولة في تطورها وازدهارها.

ويتضمن كتـاب «المـن بـالإمـامـة» لابن صاحب الصـلاة ديوانًا من الشعر المتين السليم شارك فيه كل من ابن حبوس وابن سيد المالقي وأبي العباس اللص والشاعر الطليق وابن حربون والمواعيني وابن طفيل وابن الحكم البلنسي وغيرهم، وأكثر هذا الشعر الرسمي متأثر بالأسلوب والوزن المعروفين في المشرق على عهد أبي تمام والمتنبي، وجلها يدور حول الشعر السياسي الذي أرادوه أن يكون بمنزلة مكبر صوت تـذاع عبـره وجـهـات نـظـرهـم السياسية والعقائدية بشكل مباشر.

ولئن كـان الشعر قد عبر عن هموم الـدولـة وسعيها إلـى إبـراز وجودهـا، فإن الـنـثـر قـد صـار بمـحـاذاة الـشـعـر يسجل مفاخرها ويركز على خصوصيات طابعها العقائدي من خلال تراكم الرسائل التي خطها ناثرو ذلك العصر كأبي جعفر بن عطية الأديب الوزير، فقد وصلتنا بعض من رسائله النثرية ذات أهمية تاريخية وأدبية حققها ونشرها المستشرق الفرنسي «ليفي بروفنسال» في كتاب «مجموع رسائل موحـديـة» الـصـادر عـن مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية سنة ١٩٤١م حيث يـرى أن هـذه الـرسـائـل تـعـرض لنـا بيانا مباشرا دقيقًا منظمًا لأهم الحوادث التي وقعت في أيام الموحدين من تدابير سياسية وإصلاحات اجتماعية وغزوات وانتصارات حربية، كما أنها تمكن الدارس من الوقوف على تطور الآداب بالديار الغربية الإسلامية من نماذج شتى عن فن الكتابة الرسمية في العهد الموحدي.

إن الأدب الموحـدي الـذي بـرز بشكل واضـح فـي تـاريـخ الفكر المغربي لم يكن إلا انطلاقة لأسس ثقافية إسلامية لها منظورها الخاص من تاريخ الفكر العربي والإسلامي.

الهوامش

١- المعجب، عبدالواحد المراكشي، ص ٢٩٣.

٢- انظر كتاب الآداب والعلوم والفنون على عهد الموحدين، محمد المنوني، ص ١٥.

٣- انظر وفيات الأعيان لابن خلكان، ص ٣٩١، ج١.

٤- انظر الأبيات في كتاب: نفح الطيب، المقري، ت: إحسان عباس، ج١، ص ٤٤٥.



يفتقد معناه الصحيح عربيًا

أدب السيرة الذاتية.. ما له وما عليه

القاهرة- دار الإعلام العربية

ليست مجرد أوراق تتوالى لتكون كتابًا أو مجلدًا مليئًا بالمعلومات، لكنها وقائع وتجارب حفرت في وجدان صاحبها، تتراوح بين نشوة وألم، رضا وندم، انتصار وهزيمة، راحة وبلاء، بعضها كان شاهدًا على فترات تاريخية مهمة مثل سيرة محمد مهدي الجواهري التي رصدت نشوء الحركات الأدبية في العراق، وسيرة الشاعر التشيلي «بابلو نيرودا» الذي عاصر فترات عصيبة من تاريخ دولته، وبعضها كشف عن صور مؤسفة لظلم البشر مثل ثلاثية «السجينة»، «الغريبة» «حدائق الملك» للكاتبة المغربية مليكة، والبعض الآخر نقل خبرات وتجارب حياتية استمدت قيمتها من قيمة أصحابها مثل «الأيام» لطه حسين، و«عشت لأروي» لصاحب نوبل الكولومبي ماركيز وغيرهما كثير.

يقول الناقد والأديب الفلسطيني إحسان عباس: إن كاتب السيرة الذاتية قريب إلى قلوب الناس، لأنه إنما كتب تلك السيرة من أجل أن يوجد رابطة ما بينهم وبينه، متحدثًا عن دخائل نفسه وتجارب حياته حديثًا يلقى آذاناً واعية، لأنه يثير في الناس رغبة في الكشف عن عالم يجهلونه.

ويضيف عباس: كل سيرة إنما هي تجربة ذاتية لفرد من الأفراد، فإذا بلغت هذه التجربة دور النضج، وأصبحت في نفس صاحبها نوعًا من القلق الفني فلابد أن يكتبها.

اعترافات صادقة

لكن مثلما حوت محاولات كتابة السيرة الذاتية، خاصة في عالمنا العربي، جوانب إيجابية كثيرة، سواء من خلال ما كشفت عنه من وقائع وما قدمت من وثائق للتاريخ، أو ما نقلته من تجارب تحمل العظة والعبرة للقارئ، فقد شابها جانب من القصور أفصح لنا عنه بعض الكتاب الذين كان لهم باع في قراءة وكتابة هذا الفن، فيقول الروائي خيري شلبي: السيرة الذاتية لابد أن تكون اعترافات صادقة بحيث يضع الكاتب ماضيه كله ووقائع حياته على المشرحة، يحلل مواقفه في الحياة، ليأخذ منها العبرة والعظة من أخطائه قبل أخطاء الآخرين، وعليه ألا يحاول تجميل نفسه حتى يصدقه القارئ، وحين ينتهي الكاتب من سيرته الذاتية ويرى أن نجاحه كان مبنيًا على أسس الكفاءة يستريح لذلك، أما إذا كان نجاحه مبنيًا على طرق غير شرعية فإنه بذلك يكون قد قام بعملية تطهير خادعة.

خيري شلبي: سيرة المبدع ليست مُلْكًا له وحده

ويضيف: إن أهم ما يميز أدب السيرة الذاتية أنه يعلم الصدق في مواجهة النفس، وللأسف هذا ما يفتقر إليه كثير من المبدعين العرب حين يشرعون في كتابة سيرهم الذاتية، فعندما كتب أبوحامد الغزالي سيرته «المنقذ من الضلال» لم يكتب وقائع من حياته، وعندما كتب توفيق الحكيم «عصفور من الشرق» و«زهرة العمر» كان ينقصهما القدر الأكبر من الصراحة والموضوعية.

حياة غير عادية

ويرى شلبي أن طه حسين كان أكثر صراحة وتجردًا حينما كتب رواية «الأيام»، يليه كتاب «سبعون» لميخائيل نعيمة الذي عرض فيه خبرته الذاتية، وما حدث له في المهجر وملحمة نضاله مع جبران خليل جبران، كذلك يعتبر كتاب «أوراق العمر» للويس عوض كتابًا متقدمًا في السيرة الذاتية، و«حملة تفتيش» للطيفة الزيات وسيرة المؤرخ رؤوف نظمي وعصمت سيف الدولة.

وعن سمات كاتب السيرة الذاتية يوضح أنه إذا كان الكاتب قد عاش حياة غير عادية أو تقليدية، وشغل فيها مناصب هامة، وترتب على وجوده تقدم وإفادة للمجتمع، فمن حقه، بل من واجبه كتابة سيرته الذاتية.

أما عن سيرته الذاتية فيقول: عكفت على كتابة فصول من سيرتي الذاتية التي ستصدر قريبًا، لأنها ليست سيرتي وحدي، فهناك أطراف كثيرة شاركوا فيها ولا أزعم أنني أستطيع التعبير عن وجهة نظرهم.

صدق وبناء جيد

بدوره، يرى الناقد وأستاذ الأدب العربي





سيد البحراوي: الصدق والبناء الجيد شرطان أساسيان

سيد بحراوي أن الصدق والبناء الجيد شرطان أساسيان لكتبة السيرة الذاتية، فلابد أن يكون الكاتب فنانًا محترفًا يجيد ربط الأشياء ببعضها وتجميع العلاقات بين أجزاء العمل بحيث لا تكون مجرد يوميات، خاصة أن الكاتب في المجتمعات العربية لا يملك الحرية الكاملة عند كتابة مذكراته بسبب الرقابة الداخلية التي تمنعه من أن يصل إلى أعماق الأشياء عند كتابتها.

ومن المهم أن تكون هذه السيرة لشخصية اعتبارية قدمت إسهامات حقيقية للمجتمع، وفي حياتها تجربة إنسانية مفيدة للآخرين.

جوانب لا تذكر

ويختلف الكاتب يوسف الشاروني مع خيري شلبي حول محاولات كتابة السيرة الذاتية بشكل تظهر فيه ذاتية الكاتب، موضحًا أن كتاب «التعريف بابن خلدون» لم ينقل تجارب شخصية، بينما كتاب «المنقذ من الضلال» للإمام أبوحامد الغزالي كان فيه ذاتية أكثر حينما رصد تجربته في التحول إلى الإيمان، والتي شبهها البعض باعترافات القديس أوجستين في الغرب، كذلك كتاب أسامة بن المنقذ أحد الفرسان في صفوف جيوش نورالدين الزنكي ضد الصليبيين الذي تحدث فيه عن تجربته في الحملات على الصليبيين.

وعن سيرته الخاصة «ومضات الذاكرة» أوضح الكاتب يوسف الشاروني قائلا: كتبت عن تجربتي في الكتابة وتجربتي العاطفية القديمة ومع زوجتي، وأشركت الآخرين في كتابة سيرتي، فنقلت نقد ورسائل الأصدقاء، فضلا على هجاء بعض الأشخاص لي وردي عليهم، لكن أيضًا لم أكتب كل شيء، فهناك جوانب بالطبع لا يستطيع الكاتب ذكرها.

وأردف قائلا: علينا كعرب أن نعترف بأن المدرسة الغربية كانت أكثر صراحة في كتابة السيرة الذاتية، فالأديب الفرنسي «جان جاك رسو» كتب في مذكراته كيف عانى من الفقر، حتى إنه لجأ إلى كنيسة، والبعض لم يخجل من ذكر اعترافات جنسية، لكني من أنصار المدرسة الوسطية في كتابة السيرة الذاتية التي لا يقدم فيها الكاتب نفسه بصورة ملائكية وفي نفس الوقت لا يتحول إلى قدوة سيئة للقراء.

ثمرات المطابع



في سلسلة إصدارات مجلة الوعي الإسلامي صدرت الطبعة الأولى من الاصدار الثامن عشر في مجلد فاخر تحت عنوان «الحوالة» وهذا الاصدار يقع في ٢٧٠ صفحة من القطع المتوسط ويتضمن بحثًا أعده بالاشتراك مع خبراء الموسوعة الفقهية الكويتية عام ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م العلامة الفقيه الدكتور مصطفى أحمد الزرقا «يرحمه الله» ويعد الكتاب من أرصن البحوث المعاصرة في باب خطير من الابواب الفقهية وهو موضوع الحوالة وطبيعتها وخلاف أئمة الفقهاء في شتى تفاصيلها وجزئياتها إضافة الى ترجيح وتقويم في بعض المسائل.

كما وزعت المجلة مع عدد شهر رمضان الماضي الاصدار الثالث والعشرون حول فقه المريض في الصيام وهذا الاصدار الجديد عبارة عن كتيب في ١٦ صفحة من القطع الصغير يحوي في طياته أحكامًا شاملة تتعلق بصيام المريض.



■ (ثقافتك التربوية والتعليمية) كتاب تربوي يقع في حوالي مائة وعشر صفحات من القطع المتوسط وهو من تأليف د. بدر عبدالرزاق الماص والكتاب لبنة مضيئة للدعاة والمصلحين وطلاب العلم كي يجددوا ثقافتهم.

■ عن الدار العربية للعلوم صدر كتاب (قصة تكنولوجيا الالكترونيات) وهذا الكتاب جزء من سلسلة قصة تكنولوجيا وتضم كل جزء من هذه السلسلة مناقشة للتصورات التكنولوجية مع وصف لتأثير التكنولوجيا على النطاق الواسع للمجتمع والثقافة.

الكاتب والناقد د. صلاح فضل:

الإبداع ليس جزيرة معزولة عن المتلقي

القاهرة - دار الإعلام العربية

ناقد بصير بفنون الأدب العربي، يتميز بلغته الفصيحة الرشيقة، ومتابعته الدؤوبة لما ينتجه الأدباء من شعر وقصة ومسرحية، معايش لكل اتجاهات الأدب العالمي وتياراته النقدية.. هذا هو الناقد والمفكر المصري د.صلاح فضل، الذي التقته «الوعي الإسلامي» متحدثا عن واقع النقد العربي، وانتشار ثقافة المدونات، والسبيل إلى تشكيل نظرية نقدية عربية، إلى غير ذلك من التفاصيل التي نتعرف إليها في سياق السطور التالية:

● دائما ما تثار مشكلة بين الناقد والمتلقي بسبب المصطلحات والأساليب النقدية الغامضة.. إلى أي مدى اتسعت أو تقلصت هذه المشكلة؟

■ للأسف المشكلة اتسعت، وأصبحت الفجوة لا تتمثل في المسافة الكبيرة ما بين الناقد والمتلقي فقط بقدر ما تتمثل في فجوات أخرى تزيد القضية صعوبة، منها أن الأجيال السابقة كان لها طرائقها ووسائلها في كسر هذه الفجوة، وكان هناك بشكل مستقر ومنتظم المجلات الأدبية والصفحات الأدبية ومنابر ثقافية يطل منها النقّاد عادة ليقوموا بواجبهم في إضاءة الأعمال الإبداعية، وترتيب قيم المبدعين وتعزيز ومقاومة أحكام الجمهور عليهم في القبول أو الرفض، وبث بعض الأفكار النقدية التي تساعد المتلقين على تبين طبيعة الأدب وعلاقته بالحياة، وقيمه الجمالية والإنسانية، والجيل الماضي السابق عليَّ مباشرة وعلى جيلي استقر عند شكل معين من هذه العلاقة؛ لأن النقاد كانوا منشغلين بتكوين الرأي العام الثقافي وكانوا يجمعون بين موهبة الإبداع الأدبي وبين النقد مثل طه حسين وكثير من أبناء جيله.

ثم جاء النقاد المتخصصون أمثال لويس عوض وعلي الراعي وكانت لهم منابرهم المنتظمة وطرائق تواصلهم مع الجمهور، صحيح كان مدى رؤيتهم متسعًا ليشمل الوطن العربي كله، حيث إن إبداعاتهم غير قاصرة على المحيط الإبداعي المصري، وهذه ميزة أساسية أتحدى الناقد العربي الآن أن يتسع مجال رؤيته ليشمل الوطن العربي بأكمله، لكن المهتمين والمشتغلين بالثقافة والأدب والنقد في عمومهم قلة معينة يمثلون الطليعة الفكرية في المجتمع.

> **أتحدى الناقد العربي الآن أن يتسع مجال رؤيته ليشمل الوطن العربي بأكمله**

جيل المدونات

● هذا قديما.. فماذا عن الآن؟

■ الوضع الآن أصبح أكثر صعوبة؛ لأنه حدثت فجوة كبيرة بين الأجيال، فلم تعد الصحف ولا المجلات هي منتديات اللقاء الأدبي، إنما أصبحت المنتديات والمدونات على النت والفيسبوك والمواقع الأخرى، وهذا العالم الفوار يتضح كل يوم خطورة انتشاره وسعة تأثيره، فقد أفرز العديد من الكُتّاب الذين لا أستطيع توصيف أنواع كتاباتهم ولا أجرؤ أن أسميها بأنها أدبية أو ثقافية؛ لأنها كتابة ذات خصائص جديدة، ولم تتحدد معالمها بالتحديد مع وجود معلقين ومشاركين ومتفاعلين مع هذه الكتابات، ولا يمكن أن نصفهم بأنهم نقاد، وأصبح هناك حالات مختلفة تمامًا في تكييف طبيعتها وفي محاولة استخلاص نظامها وقوانينها وفي إضاءة جوانبها المختلفة من التواصل الثقافي والأدبي والاجتماعي المختلط بشدة بعناصر سياسية وتواصلية متعددة، في مثل هذه الظروف الجديدة لم يعد الأدب أدبًا، وإنما أصبح لونًا من المواقع والمنتديات التي يلتقي فيها المنتجون بعضهم بالبعض الآخر، ويمكن أن تشبه هذا بالسوق التي يبيع فيها كل واحد ويشتري في الآن ذاته، أستطيع أن أعرف الموقع وأميزه عن المواقع الأخرى بعدد زائريه وبسرعة انتشاره، لكن ليس بقيمتهم وعددهم، مثلما كان عدد النسخ المنشورة في زمن المطبوعات والتي كانت مؤشر المستوى أو عظمة الكتابة، الآن عدد الزائرين لا يدل إلا على درجة إثارة الموضوع وحماسة التعليقات بغض النظر عن مسألة القيمة، وهذه واحدة

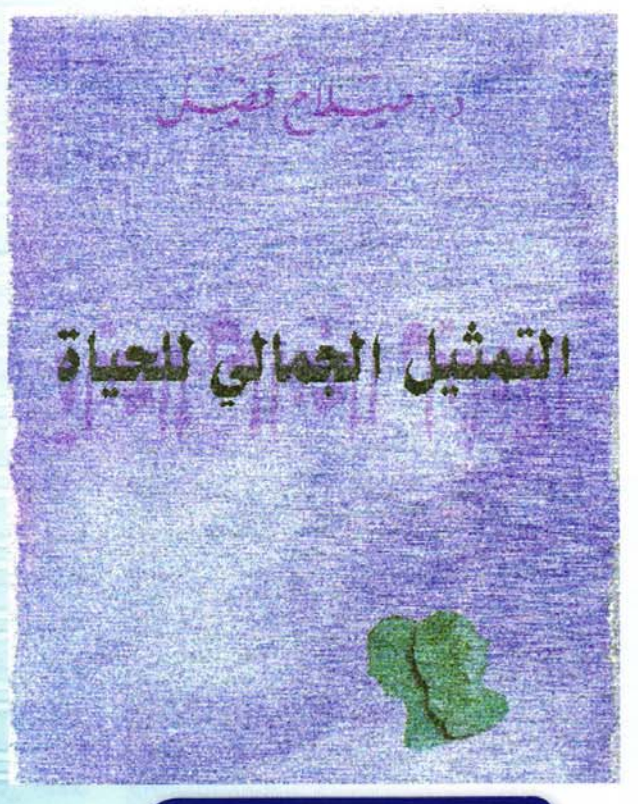


من مظاهر الاختلاط التي لم يستطع المنظمون والمشاركون في هذه الأسواق أن يربطوها بالقيمة الجمالية أو الفكرية.

والأمر الثاني اختلط فيها بعضها بالبعض الآخر، لا نستطيع أن نميز فيها -كما كنا نميز- الأشكال الأدبية (شعرًا أو قصة أو رواية أو مقالا)، حيث إن كلا منها له معالم محددة، فالكتابات الأخرى كتابات مهجنة يختلط بعضه بالآخر، لاشك أن فيها عناصر شعرية جيدة لكنها ليست صافية، فهي عناصر فردية مرتبطة بالحكاية والحواديت، وفيها عناصر سخرية وفيها أيضا عناصر حادة لاذعة وأخرى فاضحة، وفيها أمزاج من عناصر كثيرة لا تصنع تقاليدها ولم تكشف عن وجهها النقدي وكذلك القوانين التي تحكمها.

●يدفعنا هذا إلى السؤال عن الخريطة الشعرية العربية.. كيف تقرأ ملامحها؟

■ هناك بعض الظواهر اللافتة في الخريطة الشعرية العربية تنبهنا إليها حركة الإنتاج الإبداعي كما تتجلى في المتقدمين لمسابقة أمير الشعراء، بعضها يتصل بالتوزيع الجغرافي المرن لهم، وبعضها يتعلق بغلبة بعض التيارات على إنتاجهم، وقد لاحظت مبدئيا أن البيئات العربية التي أصبحت خصبة في إنتاج الشعر الفصيح امتد فضاؤها لدى الأجيال الشابة لتغمر مناطق كانت خارج المنافسة المحتدمة بين العواصم المركزية، ومن أهمها منطقة الشمال الإفريقي في الجزائر والمغرب وتونس، وموريتانيا بوضعها الخاص في إيثار التقليد واعتبار الشعر ميراثًا ثقافيًا مميزًا، بهذا الترتيب المختلف عن نسقها الإبداعي من قبل، فحركة التعريب



«المدونات والفيسبوك» أفرزت كتابات لا أجرؤ أن أصفها بأنها أدبية أو ثقافية!

العارمة في الجزائر وتأصل روح الحماسة للثقافة العربية غمر طائفة من الشباب الساعي إلى تأكيد هويته، في مقابل العجمة التي كانت سائدة لدى الأجيال السابقة.

الشباب والمحتوى الرقمي

● أشرت إلى جيل المدونات.. فكيف ترى التجاء الشباب إليها في ظل عدم وجود مطبوعات ورقية تهتم بكتاباتهم وآدابهم؟

■ في ظني الشباب يلجأون إلى المحتويات الجديدة الرقمية أكثر من محتويات الإبداع العادية المطبوعة؛ لأن هذا تطور مرتبط «بالميديا» ذاتها، وبروح العصر الذي يعيشون فيه، وليس لأن المطبوعات الورقية أو القائمين عليها يديرون للشباب ظهورهم.. فضلا عما توفره هذه المواقع والمدونات من سرعة انتشار تختزل المكان والزمان، وتمنح المبدع الشاب فضاءات واسعة من الحرية التي لا يوفرها مجال النشر التقليدي.

● برأيك.. ما الذي يحتاجه القارئ من الأدب؟

■ هذا السؤال يجعلني أفرق بين الحياة اليومية والإبداع الأدبي، لنقل إن في الحياة الإنسانية جوانب لا يستطيع أداء وظائفها إلا من ينتج وينجم عن الأدب، وأكتفي بذكر ثلاثة عناصر أساسية: أولها الخيال، فالخيال شرط فارق للإنسانية كلها وهو الحد الفاصل بين الإنسان وغيره من المخلوقات، والخيال لا يتمثل في القدرة على استحضار الماضي وتجاربه والقدرة على توهم المستقبل وآفاقه فحسب، إنما القدرة أيضًا على الوصول إلى حلول عديد من المشكلات، والخيال هو أكبر مظهر في إبداع الإنسان سواء كان خيالاً علميًا أو أدبيًا.. أما العنصر الثاني فهو الفكر والعقل، وهنا ارتباط جوهري بين ارتفاع نسبة الذكاء وبين القدرة اللغوية، ليس هنا ملكة من مجال ودينامية تنمي طاقة الإنسان في تشغيل اللغة وابتكار أشكال فيها واختلاف تشكيلات منها مثل الأدب الذي هو من صناعة اللغة وفن صناعة الذكاء؛ إذن هو فن صناعة العقل وفن صناعة التقدم.

والعنصر الثالث هو الأدب؛ الابتكار البشري العظيم الذي يسيطر على غرائز الإنسان، فالأدب هو ثمة العواطف

النبيلة فكلها صناعة أدبية.

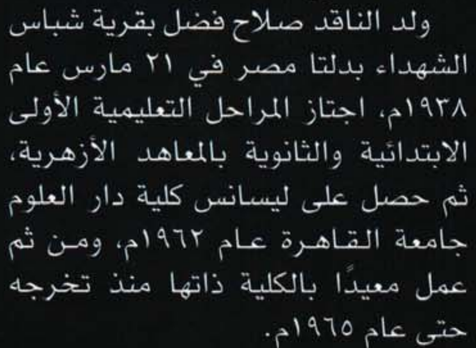
نظرية عربية

● أخيرا.. إلى أي مدى استطاع النقد العربي أن يتجاوز النظرية البنيوية ويشكل نظريته العربية؟

■ النظرية البنيوية كانت منطقة عبور أو انتقال من نوع معين من النقد إلى نوع آخر، كان السابق عليها قبل البنيوية ما نطلق عليه النقد الإيديولوجي مثل النقد الماركسي الذي يعبر عن صراع الطبقات، والنقد الوجودي الذي يرى أن القضية الأساسية هي قضايا الحريات، والأدب لابد وأن يكون ملتزمًا بقضايا المجتمع.. وفي البلاد المستعمرة لابد أن يكون مناضلًا من أجل حريتها واستقلالها، والنقد النفسي الذي يرى أن الأدب صورة للنفس وتتعرف إليه بتحليلاتنا للأعمال الأدبية من منظور نفسي، كذلك أشكال عديدة من النقد ذات صبغة أيديولوجية، ومعنى ذلك أن الأدب له وظيفة محددة يرتفع بنسبة أدائه لهذه الوظيفة وينخفض إذا قصر عنها، لكن دائمًا كانت هناك معضلة لم يستطع النقد الإيديولوجي أن يجيب عليها ويتجاوزها، وهي أن كثيرًا من الأعمال التي لا تتوفر فيها هذه الخواص الإيديولوجية كانت أعمالاً خالدة؛ ولم يكن النقد الإيديولوجي قادرًا على أن يربط بين ارتفاع مستوى القيم للأعمال الإبداعية من ناحية وبين إشباع الحاجات الاجتماعية المباشرة من ناحية أخرى، بل كان يفاجأ هذا النقد الإيديولوجي بأن أشد الأعمال استجابة لمتطلبات المجتمع كانت الرديئة منخفضة القيمة، وأن الأعمال العظمى ترتفع عن عصرها وعن مستوى القيمة وتظل خالدة مع الأجيال مع اختلاف الظروف اختلافًا قاطعًا.

وهناك ثلاثة عناصر ضرورية لتشكل نظرية النقد العربي الآن؛ العنصر الأول لابد وأن يكون جامعًا بين تاريخ وثقافة وتراث الإبداع العربي، ومن ينفصل عن تاريخ عقله وثقافته وإبداعه لا يستطيع أن يفهم إنتاجه المعبر؛ لأنه مغروس في قلب جذوره في قلب هذا التاريخ، الأمر الثاني أن يدرك ماذا يكتب العالم العربي الآن بكتابته؟ ولا نستطيع أن نحفظ كل التاريخ القديم ونعمى عن رؤية ما تم إنتاجه الآن، أما الأمر الثالث فهو أن نعرف القوانين الإنسانية التي انتهت إليها علوم الأدب مما يتجاوز إليها الفنون والثقافات المختلفة مثل قوانين العلم، لا يستطيع أن يكون هناك ناقد كبير إلا إذا امتزجت الثلاثة أمور السابقة لتشكل منظومته ومنظوره النقدي والوعي العميق بتاريخه الثقافي والتراث العربي والانفتاح الحقيقي على نتاج الفكر الإنساني، إذا طمس أمامه باب من هذه الأبواب الثلاثة سيظل النقد العربي أعور.

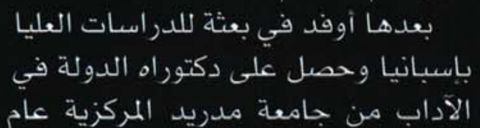




صلاح فضل في سطور

ولد الناقد صلاح فضل بقرية شباس الشهداء بدلتا مصر في ٢١ مارس عام ١٩٣٨م، اجتاز المراحل التعليمية الأولى الابتدائية والثانوية بالمعاهد الأزهرية، ثم حصل على ليسانس كلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٦٢م، ومن ثم عمل معيدًا بالكلية ذاتها منذ تخرجه حتى عام ١٩٦٥م.

بعدها أوفد في بعثة للدراسات العليا بإسبانيا وحصل على دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة مدريد المركزية عام



١٩٧٢م، عمل في أثناء بعثته مدرسًا للأدب العربي والترجمة بكلية الفلسفة والآداب بجامعة مدريد منذ عام ١٩٦٨م حتى عام ١٩٧٢م، تعاقد خلال الفترة نفسها مع المجلس الأعلى للبحث العلمي في إسبانيا للمساهمة في إحياء تراث ابن رشد الفلسفي ونشره، وعمل بعد عودته أستاذًا للأدب والنقد بكليتي اللغة العربية والبنات بجامعة الأزهر، وعمل أستاذًا زائرًا بكلية المكسيك للدراسات العليا منذ عام ١٩٧٤م حتى عام ١٩٧٧م. أنشأ خلال وجوده بالمكسيك قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة المكسيك المستقلة عام ١٩٧٥م. وانتقل للعمل أستاذًا للنقد الأدبي والأدب المقارن بكلية الآداب جامعة عين شمس منذ عام ١٩٧٩م حتى الآن، وللدكتور نشاط أكاديمي وثقافي واسع في مصر وخارجها، ومؤلفات عديدة أثرت المكتبة العربية في الأدب والنقد الأدبي والأدب المقارن وزودت الباحثين برؤى جديدة في الشعر والمسرح والرواية.



همهمة.. يطرحها زمني

يس الفيل

حتى متى يستبيح الغدر مسرانا؟

وكيف نتركه يلهو بأسرانا؟

وكيف نأمنه ذئبًا.. كم افترست

أنيابه السود في الوديان حملانا؟

وكيف نمنحه في رحلة ثقة؟

وقد أثار المدى سلمًا وعدوانًا

إنّا لنعجز عن إدراك مقصده

وإن هو اشتاقنا موجًا وشطآنا

إنّ الذي أدمن الإيذاء نمقته

حتى وإن هو بالكفين أعطانا

يا رحلة الغدر ماذا فيك يجذبنا

وقد عبرناك آلامًا وأحزانًا؟

هذي خطانا.. بنا تمضي مؤكدة

أنّا بها نكتسي عزمًا وسلطانًا

وتلك حكمتنا.. لم تنحرف أبدًا

منذ استقر الهدى يومًا بدنيانا

وحسبنا أننا.. حتى وإن جنحت

بنا المقادير، واجتاحت مطايانا

فلن نسلم للأحقاد أفئدة

تهفو إلى الحب أرواحًا وأبدانًا

حتى متى لا نرى والقتل صادقنا

والانتماء إلى الأحياء عادانا

وكيف نغفل عن ليل يحاصرنا

وكيف لم نصح من نوم تغشانا؟

وكيف نبرأ يا أبناء جلدتنا

من كل ما سرنا يومًا وأبكانا؟

إن المآذن لم تبرح تمد يدًا

لمن كبا منهجًا واختل ميزانًا

والويل إن لم نواجه عصرنا ثقة

تستعذب الموت.. إن لم ترتفع شأنًا

منذ افترقنا ومدّ الليل خنجره

للقلب منا.. قبعنا في زوايانا

كلٌ يغازل أوهامًا به انغرزت

ولا يبالي إذا ما كان قد خانا

يا رحلة الغدر خلّي عنك وارتحلي

إن المرافئ لم تنكر عطايانا

هذي مشاعرنا.. حتى لمن كرهوا

وقد غدت في كتاب الحب عنوانًا

والعار إن لم نجمل وجه حاضرنا

حتى يظل به الإنسان إنسانًا

حتى متى لم نفتش في ضمائرنا

عن الذنوب استحت منها خطايانا

إن اعترافاتنا بالذنب تنقذنا

مما تراكم عمرًا في حنايانا

وقد تعيد إلينا سطوة نهضت

يومًا بنا.. قبل أن يختل مسعانا

إن التناقض لم يدفع تحفزنا

إلاّ لموقف سوء فيه كم عانى

ونحن بالملتقى نجتاز ما فعلت

ريح الخداع بمسرانا وأسرانا

شاعر مصري

صَوَابٌ مَهْجُورٌ

تصوير ونص: حياة الياقوت

قيل قديمًا «خطأ مشهور، خير من صواب مهجور»، وإذا كان المعيار هو الشهرة، فألم يأنِ للصواب أن يكون مشهورًا ومعمولا به؟ في هذه الزاوية نقبض على خطأ لغوي مشهور سوّل له إهمالنا أو جهلنا أن يظهر على اللافتات أو المنتجات أو في وسائل الإعلام، هذا، لننبّه وننوّه ونصحّح، لا لنفضح، ليكون الصواب هو المشهور، وليستقيم درب لساننا العربي.

من سن
ست شهور

ذكّروا الشهور

الخطأ: ست شهور.

الصواب: ستة شهور.

شهر كلمة مذكرة، ولهذا يجب أن يكون العدد مؤنثًا. فنظام الأعداد في اللغة العربية يقضي بأن الأرقام من ٣ إلى ٩ تخالف الشيء المعدود في جنسه، وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿ستة أيام﴾ (لأن اليوم مذكر)، و﴿سبع سموات﴾ (لأن السماء مؤنثة).

أما الرقمان ١ و٢ فيوافقان المعدود، وجاء في القرآن الكريم: ﴿نفس واحدة﴾، و﴿بماء واحد﴾، ورجلان اثنان، وامرأتان اثنتان.

أما الرقم عشرة، فيشابه الأرقام من ٣ إلى ٩ حينما يدخل على المعدود وحده، فنقول ﴿عشرة مساكين﴾، و﴿بعشر سور﴾، أما إذا كان مركبًا (معه عدد ثانٍ) فيوافق المعدود في جنسه، جاء في القرآن الكريم: ﴿أحد عشر كوكبًا﴾ (فالكوكب مذكر)، و﴿اثنتا عشرة عينًا﴾ (لأن العين مؤنثة).

ولا يفوت القارئ الكريم وجود خطأ آخر هو كتابة «المرحلة» بهاء بدلًا من التاء المربوطة.

لطلبة المرحلة المتوسطة
وذلك في الفترة من ٧/١ حتى ٢٠٠٧/٨/٣١
خاصة بطلبة المرحلة المتوسطة (بنين/ بنات)

تنبيهات في أمر البنين والبنات

الخطأ: بنين/بنات.

الصواب: فتيان أو غلمان/فتيات.

البنون والبنات هم ذرية الإنسان، فبنو فلان هم أبناؤه من الذكور، وبناته هن ذريته من الإناث. والمفرد هو ابن، وابنة أو بنت.

جميع الطلبة هم قطعًا بنون وبنات بالنسبة لأهاليهم، لكن استعمال الكلمتين للدلالة بشكل عام على جنس معين لا يصح، فحين نستخدم كلمة بنات مثلا في قولنا «مدرسة للبنات» أو«ناد للبنات»، فهذا غير صحيح، وإن كان شائعًا في لهجاتنا العامية، والصحيح هو أن تطلق كلمة الصبايا على الصغيرات (المرحلة الابتدائية مثلًا)، والفتيات على من هن أكبر منهن، وكذلك الأمر مع الذكور، فيسمى الصغار منهم صبيانًا وصبية، ومن هم أكبر غلمانًا أو فتيانًا.

والطريف أن اللهجة الكويتية تسمى الصغير «صَبَي»، لكنها تسمي الخادم «صبي»، وفي اللهجة اللبنانية تطلق كلمة «صبية» على الشابة في حين أنها لغة تطلق على الصغيرة!

باحثة كويتية



قصة العدد

الفَرَج

محمد عبدالشافي القوصي

مِنْ أقصاها إلى أقصاها لَمْ تعرف البلدة كلها أفْصَحَ منه لسانًا، ولا أبلغَ منه بيانًا.. لكنَّ أزماته كانت مستعصية، ومشاكله لا تنتهي! وأغلب المقربين منه كانوا على خلاف معه؛ بسبب تفريطه في حق الله، وَعُقُوقِهِ لأُمِّه العجوز، وطموحاته المادية الشَّرِهَة!

لَمَّا كانَ أول يوم في العام الدراسي الجديد، تَوَجَّه إلى عمله باكرًا فإذا بشخص مجهول يمسك به ويضربه ضربًا مبرحًا حتى كَاد يُودي به.. فرآه أحد زملائه المدرسين، فَأَسْرَعَ لِيُخَلِّصَه منه، فقال له: ارجعْ، وَدَعْه يضربني؛ فإنِّي قد ضَربتُ أُمِّي في هذا المكان!

عندما اسْتَرَدَّ عافيته بعد بضعة أيام، خرج إلى السوق ليشتري حاجاته، فتشاجرَ مع بعض الباعة، فصفعه أحدهم على وجهه حتى سقط على الأرض، وأخذ يَجُرُّه من ثيابه بلا هوادة.. فَظَلَّ يَتَوَسَّل إليه، ويسكب الرجاء عند قَدَمَيْه، وَيَصِيحُ به: كفاكَ، كفاكَ هذا.. فإنِّي قدْ جَرَرْتُ أُمِّي إلى هنا فقط!

حُمِلَ بعدها إلى البيت مُعْتَلًا، فَمَكَثَ في غيبوبة، وطال به المرض، حتى يَئِسَ الأطباء من علاجه! فنادى بصوت مُنكسر محزون: إلهي، عَجزَ المداوون.. وَلَمْ يَبْقَ إلا أنت، فداوني، فإنِّي لا أعودُ لمعصية.. فعافاه الله، فرجع إلى المعاصي أشدّ مما كان!

فبينما هو كذلك أصابه المرض مرةً ثانية، فقال: إلهي، أَقِلْني عثرتي، وأقمني من صرعتي، فلا أقترف بعدها خطيئة، فأقامه الله من صرعته، فرجع أشدّ مما كان من الخطايا!

فبينما هو كذلك، وقد استحوذ الشيطان عليه أخذه المرض مرةً ثالثة واشتدَّ عليه بقوة، فقال بصوت ضعيف: إلهي وسيدي، ارحمني وعافني مِمَّا نزل بي، فإنِّي لا أعودُ أبدًا لشيء يُغضبك، فسمع هاتفًا يقول: جَرَّبنَاكَ مرارًا، فوجدناكَ كاذبًا!

فَرَاحَ يرتجف ممَّا سمع، ويتلوَّى من شدة التوبيخ! ثمَّ صَرَخَ مذعورًا:

العفو يا صاحب العفو! يا مَنْ يَغْضَب على من لا يسأله، لا تمنع مَنْ قدْ سألك!

في تلك اللحظة دخل عليه صاحبه، فقال له: هَلْ أنْتَ صادق فيما تقول؟ قال: نعم. فَتَفَرَّسَ في وجهه، ثمَّ قال: أرجوكَ أنْ تفتح صفحةً جديدةً، شِعارها «القناعة»! فَلَسْتَ بحاجة إلى أنْ أُذَكِّرك بأنَّ يوسف كانت معه خزائن الأرض، ومع ذلك كان يَصُومُ يومًا ويفطرُ يومًا، حتى لا يَنْسَى الجائع! وأبوالزهراء راودته جبال مَكَّة على أنْ تصيرَ له ذَهَبًا فَأَبَى، وقال: اللَّهُمَّ اجعل رزق آل مُحَمَّد كَفَافا!

فاستيقظَ مِنْ غفلته، وأفاقَ من غيبوبته، وَتَمْتَم: ماذا أفعل إذَنْ؟ فأسرعَ به صاحبه إلى الساحة العمرية وهناكَ حكى للشيخ ما كان من أمره.

فأجلسه بجواره على سجادة لا شرقية ولا غربية كسجَّادة الخضر! ثمَّ قرأَ عليهِ بعضًا مِنْ آي القرآن الكريم، ثمَّ مَسَحَ على رأسه، وقال: كُنْ واثقًا في فَرَج الله وعفوه، فنوح كان يُضْرَب حتى يُغْشَى عليه، ثمَّ بعد قليل نجا في السفينة! والخليل ألقيَ في النَّار، ثمَّ بعد قليل خرج سالمًا! والذبيح يضطجعُ مُسْتَسْلمًا، وفجأة أتاه الفداء، وَبَقيَ مدحه إلى الأبد! ويعقوب ذهب بصره بسبب الفراق، ثمَّ عاد إليه قبل الوصول! ومُوسَى يشتغل بالرعي، ثمَّ يَرْقَى إلى التكليم! ومُحَمَّد كان يُقَالُ له بالأمس اليتيم، ثمَّ جاء اليوم الذي أَتته الملوك والقياصرة مُكَبَّلِين!

ما إنْ سمع هذه البشارات حتى عادتْ إليه روحه، وَدَبَّتْ فيه الحياة، وشَعَرَ كأنه في حلم بهيج.. فشكر الشيخ وقَبَّل رأسه مِرارًا. ثمَّ طلب منه وصيةً يَخُصُّه بها فَأَخْرَجَ ورقةً، وكتب له فيها: احذر لُجَّة البحر، ولا تَغْتَرَّ بسكونه، وعليكَ بالساحل، ولازِمْ حِصْن التقوى!

فالتقطها من يده، وأخذ يتأمل فيها كأنَّها مِن ألواح مُوسَى! وقبل أنْ يغادره، قال: إنَّ أُمِّي هجرتني منذ سنين بعيدة، ولا أعرفُ لها سبيلًا وأخشى ما أخشاه أنْ أموتَ عاقًا لها!

فتغيَّرَ وجه الشيخ في الحال، ونهض مُنزَعِجًا، ثمَّ رَفَعَ أكفه نحو السماء، ودعا بصوت خاشع نَديّ كأنه من مزامير آل داود: سَيِّدي ومولاي، أسألك بالرحمة التي رَحِمْتَ بها إسرائيل فَجَمَعْتَ بينه وبين ولده، وأسألك بالرحمة التي رَحِمْتَ بها أيوب فكشفتَ عنه البلاء، وأسألكَ بالرحمة التي رَحِمْتَ بها «يونس» فَنَجَّيته من الغَمِّ، وأسألكَ بالرحمة التي رَحِمْتَ بها زكريا فَوَهَبْتَ له يَحْيَى.. إلا رَدَدْتَ قلبَ هذا الشاب على أُمِّه، ورَدَدْتَ قلبها عليه!

فَأَجْهَشَ الحاضرون بالبكاء لكنَّ الشاب اهْتَزَّ فرحًا وابتهج، وعند خروجه من الساحة، رأى الغَيْثَ يهطل بغزارة، فأصابته رَعْشَةٌ من أصوات الرعد، فأوجس خيفة، وتراجع قليلًا.. لكن لهيب الوجد، لَمْ يجعله ينتظر طويلًا.. فَشَعَرَ كأنَّ أحدًا يحمل خُطاه، ويسوقه إلى الأمام.. فاندفع مُهَرْولًا نحو الباب العمومي، فَفُوجئَ بأُمِّه تعانقه بشوق جارف! فَخَرَّ يُقَبِّل رِجْلَيْها، ويتململ تحتَ قَدَمَيْها.

ناقد أدبي

الإسلام عقيدة وعبادة وأخلاق وتشريع

أ.د. أحمد الحجي الكردي*

ذهب كثير من الناس في الآونة الأخيرة، وربما منذ مدة طويلة أيضًا، إلى الخوف من تطبيق أحكام الدين الإسلامي في حياة الناس، ومن جعلها قانونًا يتفرد في سياسة الأمة وحكمها في البلاد الإسلامية، لأمور كثيرة:

١- خوفًا منهم على أهل الديانات الأخرى الذين يساكنون المسلمين في ديارهم، ويشاركونهم في حياتهم منذ الأزمنة الأولى، وهم على عقيدة غير عقيدتهم، وعبادة غير عبادتهم.

٢- وخوفًا منهم أيضًا أن يصادر ذلك حرية الناس في اختيار ما يرونه صالحًا لهم من الشرائع والقوانين، وهو ما تقضي به الديموقراطية التي يتبناها المتحضرون من الناس، ويتباهى بالتزامها القادة وكبار القوم.

٣- واشتباهًا منهم كذلك بقدرة الدين الإسلامي على حسن إدارة الأمور كلها في الدولة، داخلها وخارجها، لتقادم زمانه، ومرور قرون كثيرة على بزوغ نجمه.

وحق لهم ذلك، في نظري، وهم معذورون في تخوفهم، فمن يرضى بفرض دين معين على أصحاب الديانات الأخرى في سياستهم التي يختارونها، وتعاليم دينهم الذين يعتقدونه وعقيدتهم التي ارتضوها لأنفسهم، وجعلوها أغلى ما يملكون؟ فإن الدين للمتدين هو أغلى ما يحرص عليه، وأكرم ما يحافظ عليه، سواء في ذلك المسلمون وغيرهم من أهل الديانات الأخرى، سماوية كانت أو وضعية، ثم من يعدل عن الحرية التي هي سمة العصر، ورمز الحضارة والتقدم؟ ومن يرضى بتطبيق تشريع مهترئ مضى عليه الزمان ولم يعد صالحًا لحياة الناس؟ كل ذلك نراه في أفواه كثيرين، وعلى ألسنتهم، وفي كتاباتهم، ومحاضراتهم، ومؤلفاتهم، وفي عامة مجالسهم.

والحقيقة أن كل ذلك قد ينطبق على كثير من الديانات الأخرى غير الدين الإسلامي، أما الدين الإسلامي فهو منزه عن الوقوع في كل ما تقدم، وليس ذلك مني قولًا بلا دليل، وعاطفة بلا تعقل، وخاطرة عابرة تذهب مع الرياح، أو تزمتا وتجمدًا، وانغلاقًا في الفكر، فالدليل عندي واضح على ما أقول وضوح الشمس في رابعة النهار.

فالإسلام دين كامل، ونظام شامل لكل مناحي الحياة، يعالج كل حاجات البشرية، على اختلاف أعرافها وألسنتها وأزمنتها، بموضوعية تامة، تؤمن للجميع رغد العيش، وحرية الاختيار في كل ما يحتاجون إليه، على أرقى الأسس، دون إجبار أو إعنات بما يخالف العقل السليم، والمصالح الحقيقية، إنه ليس عقلًا مبدعًا ولا نظامًا راقيًا ولا تشريعًا متحضرًا، بل هو حكم رب العالمين، خالق البشر جميعًا، الأعرف بما ينفعهم وما يضرهم، ما يؤذيهم وما يوفر لهم مصالحهم، ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (فصلت: ٤٢).

> **الإسلام يحمي العقائد الأخرى المخالفة له ويمنع انتهاكها أو الإساءة إلى دور العبادة لها**

والإسلام ينظم الفكر والعقيدة، ويقيم بين الناس الأخلاق والقيم، وينظم العبادة والطاعة للخالق البارئ المصور، ويضع التشريع الحكيم الذي يضمن للبشر جميعًا العدالة والمساواة وتحقيق المصالح، في أسرهم، وبين جيرانهم، وشركائهم، ومن يتعامل معهم، وفي آدابهم الاجتماعية، وعلاقاتهم الاقتصادية، ويشرع لهم من العقوبات ما يردع المجرم عن إجرامه، ويحفظ حق المحسن.

وهو من حيث العقيدة والأخلاق والعبادة خاص بمن يرتضيه ويؤمن به، ولا يفرض نفسه على غير المسلمين، مهما كان دينهم وعقيدتهم وعبادتهم، قال تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾ (البقرة:٢٥٦)،

ويقول ﷺ من ظلم معاهدًا أو كلفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة» (انظر كنز العمال)، وفي رواية الخطيب عن ابن مسعود رضي الله عنه، «من آذى ذميًا فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة» (فيض القدير).

بل إن الإسلام- فوق ذلك كله- يحمي العقائد الأخرى المخالفة له، ويمنع من انتهاكها أو السب والشتم فيها، ويحمي دور العبادة لغير المسلمين من الاعتداء

* خبير الموسوعة الفقهية - الكويت

الله ورسوله فقد ضل ضلالًا مبينًا﴾ (الأحزاب: ٣٦)، وقوله تعالى: ﴿إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين﴾ (الأنعام:٥٧)، وقوله جل من قائل: ﴿إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (يوسف:٤٠)، ولم لا، وشرع الله تعالى هو الأعدل والأحكم، وهم قد عرفوا ذلك وآمنوا به.



فأي مشكلة بعد بيان ذلك كله في إقامة الدولة الإسلامية التي يستظل بظلها جميع سكانها من المسلمين وغير المسلمين، فتطبق على المسلمين أحكامها كلها، ويترك لغير المسلمين الاختيار الكامل في اختيار الأحكام التي يرونها ملائمة لدينهم وتشريعاتهم، مهما كان دينهم، سماويًا كان أو وضعيًا، سواء في ذلك العقائد والعبادات والأخلاق والتشريعات، وسواء منها ما يتعلق بأمور الأحوال الشخصية أو الاقتصادية أو غيرها.

مع الانتباه الى أن غير المسلمين يتركون لأمور دينهم في ذلك كله إذا كانت العلاقة محصورة بينهم فقط، أما إذا كانت بين مسلمين وغير مسلمين، فالحكم الواجب التطبيق عليهم في هذه الحال هو الحكم الإسلامي، وليس في ذلك غبن لغير المسلمين أبدًا، لأنهم مسبقًا يعلمون ذلك، وبوسعهم أن يتعاملوا مع المسلمين على هذا الأساس، أو يتركوا التعامل مع المسلمين، ويكتفوا بالتعامل مع بعضهم، مثلهم في ذلك مثل أي أجنبي يدخل بلدًا غير بلده، فإذا خالف قواعد السير مثلًا أو غيره، طبق عليه قانون البلد الذي هو فيه، ولا اعتراض لأي عاقل على ذلك، لأن بوسع هذا الأجنبي أن يدخل ويقبل بذلك، أو لا يدخل أصلًا.

شاهد على ذلك، فما نعم غير المسلمين به من الحرية في ظل عيشهم في دولة الإسلام أول عهدها في حياة رسول الله ﷺ إلى العصور المتأخرة خير دليل على ذلك، بل إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بينما كان يطوف في شوارع المدينة مرة يتفقد أحوال الناس، وجد رجلًا عجوزًا من أهل الكتاب يطرق أحد الأبواب يطلب الصدقة، فقال له عمر رضي الله عنه: «ماأنصفناك، إن كنا أخذنا منك الجزية في شيبتك ثم ضيعناك في كبرك» (حياة الصحابة للكاندهلوي).

وفي التطبيق المعاصر نرى كثيرًا من الدول الإسلامية تعلن في دستورها أنها دولة إسلامية، وفي الوقت نفسه ترعى مصالح غير المسلمين بمقدار رعايتها لمصالح المسلمين، ونرى غير المسلمين فيها ينعمون بالحرية الكاملة التي ينعم بمثلها المسلمون من غير فارق.

أما المسلمون الذين التزموا الإسلام طائعين مختارين، فهم ملزمون بتطبيق شرع الله سبحانه وتعالى على أنفسهم بكل جزئياته، سواء في العقيدة، أو العبادة، أو الأخلاق، أو التشريع، ولا يجوز لأي منهم أن يخرج عن ذلك، لقوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص

عليها أو هدمها أو الإساءة إليها أو منع أتباعها منها، مهما كان دينهم، ويحمي أعراضهم وأموالهم، فقد زار عمر بن الخطاب رضي الله عنه القدس يوم فتحها المسلمون، ودخل كنيسة القيامة، ولما أذن للصلاة خرج منها وصلى خارجها، فلما سئل عن ذلك قال: أخشى إن صليت فيها أن تنزع منهم بعدي.

وقد قضى رسول الله ﷺ على يهودي محصن زنى بالرجم، فقال اليهودي: يا محمد: تقضي علي بما يمليه دينك؟ قال بل أقضي عليك بتوراتك، فأتوا بالتوراة وانظروا فيها، فلما أتوا بها وجدوا فيها الرجم للزاني المحصن.

ومن قواعد الشريعة العامة أن المسلمين أمروا أن يتركوا غير المسلمين المقيمين بين المسلمين وما يدينون به، ولا يلزموهم بأحكام الإسلام، إلا أن يطلبوها بأنفسهم طائعين، وكثيرًا ما كان غير المسلمين يطلبون من المسلمين الحكم عليهم بالإسلام، لما يرون فيه من العدالة والحكمة والموضوعية، وهو ما شهد به العلماء والمشرعون في العالم القديم والحديث، في مؤتمراتهم وندواتهم وكتاباتهم، فتطبق عليهم بطلبهم ورغبتهم، وبذلك فاق الإسلام الديموقراطية التي هي حكم الأغلبية للأقلية، وذلك التاريخ الإسلامي الطويل

تعقيب على كتاب «القرضاوي: الإسلام والحداثة»

د. رفيق حسن الحليمي *

صدر عن مركز أبحاث تابع لجامعة تل أبيب اليهودية (مركز موشيه ديان للدراسات الشرق أوسطية والإفريقية) كتاب بعنوان: «يوسف القرضاوي: الإسلام والحداثة» من تأليف «صمويل هيلفونت» أستاذ اللغات الأجنبية بجامعة برينستون الأميركية، وقد نشرت جريدة «الراي» الكويتية ٢٠١١/٣/٧م عرضًا لهذا الكتاب بقلم: عبدالعليم الحجار.

أود أن أسجل ابتداء في هذا التعقيب أن الكتاب لو كان قد صدر عن مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر الشريف، أو عن أي مركز إسلامي للبحوث الفقهية، أو عن أي عالم من علماء المسلمين ممن نثق بهم ونطمئن إليهم لاستثار الحفيظة، ودفع إلى التساؤل والاستغراب والدهشة، ولجعل الكثير من النخب المثقفة دينيًا تتوقف وتتأمل، وتعترض أولًا على الجانب الشكلي لعنوان الكتاب: «الإسلام والحداثة»، فضلًا عن الجانب الموضوعي، كما سيأتي بيانه فيما بعد، فما بالنا عندما يكون هذا الكتاب قد صدر عن مركز تابع لجامعة يهودية وأن مؤلفه يهودي، وهو ما يؤكده اسمه (صمويل) أو (السموءل)، فماذا ننتظر أن يقول ذلك المؤلف في د. يوسف القرضاوي الذي سطع نجمه على مستوى العالم العربي والإسلامي والعالمي بأسره؟

كم كنت أود أن يرد الشيخ القرضاوي بنفسه على الكتاب وألا يتركه يمرّ من دون وقفة تحليلية اعتراضية عميقة، فيتبرأ من الكثير مما فيه سواء على مستوى شكل الكتاب أو على مستوى مضمونه، وأنا أهيب بشخصه أن يتصدى لهذا «الإفك» المغلف بورق ناعم، فالإطراء الظاهر من جانب الأعداء يخفي وراءه مقاصد وأهدافًا لا تغيب عن فضيلة الشيخ، ويكفي الكتاب إثمًا وجناية أنه ربط بين الإسلام والحداثة ربطًا قويًا، جعله في ذمة القرضاوي وفي رقبته

> **الكتاب صادر عن مركز تابع لجامعة يهودية ومؤلفه يهودي**

إلى أن يعلن البراءة منها!

في تقديري أن ذلك الكتاب يمثل حلقة جديدة بأسلوب عصري جديد من حلقات الغزو الثقافي المقنع بشعارات وعبارات خلابة، ومصطلحات أخاذة على مستوى العامة ممن لا يدركون حقيقتها ولا يعرفون مدلولاتها والأهداف غير المعلنة التي تنطوي عليها كلمة «حداثة»، وهذا هو المكر بعينه! وهل هناك أجمل وأكثر وقعًا وأسهل لفظًا من كلمة «حداثة»؟ مع أن الذي عرض للكتاب نبه إلى شيء من فحش معناها، ومدى ما تحمله من مظاهر التبعية والتغريب، ولكي يخفي المؤلف ما ينطوي عليه هذا المصطلح راح يمتدح القرضاوي من دون تفريق متعمد بين الحداثة والتحديث بمعنى التجديد، من ذلك قوله أن الكتاب: «يصور توجهات وأفكار القرضاوي باعتبارها نموذجًا مثاليًا وإيجابيًا لما ينبغي أن يكون عليه الإسلام المعاصر»!! فهذه العبارة مضللة أكبر تضليل، «فالإسلام المعاصر» هو الإسلام ذاته، ذلك الدين القيّم الذي آمن به الرسول ﷺ وصحابته الأجلاء، وتناقله السلف جيلًا بعد جيل، فالإسلام كل لا يتجزأ بالأمكنة ولا بالأزمنة ولا بالأشخاص، ولو أننا اخذنا بهذه العبارة وصدقناها وعملنا بها- وهو ما يسعى إليه المؤلف- لأصبح هناك إسلام قديم، وآخر وسيط وثالث حديث «معاصر» أو حداثي على حد زعمه، وهل يعني مصطلح «الإسلام المعاصر» إسلامًا آخر غير الإسلام الذي ندين به جميعًا، ودانت به الأمم والشعوب الإسلامية في المشارق والمغارب منذ عهد النبي ﷺ؟

لا أحد ينكر أن هناك عنصر «الاجتهاد» وهو إلى جانب القرآن والسنة والقياس أحد مكونات «الإسلام»، كما لا ينكر أحد أن الاجتهاد في المسائل الفقهية بدأ منذ عهد النبي ﷺ وبدأت تتسع دائرته وفقًا لما يجدّ من أمور ولما يطرأ من مسائل، ومن هنا ظهرت المدارس الفقهية والمذاهب الشرعية، ولكن يبدو أن المؤلف أراد أن يطري الشيخ القرضاوي ويمتدحه بهذه العبارة المضللة لحاجة في نفسه، وهي اجتذاب أكبر عدد ممكن من العلماء الآخرين إلى منهج القرضاوي والسير على أسلوبه، واتباع أفكاره التي عدّها مؤلف الكتاب «نموذجًا مثاليًا وإيجابيًا»، أنا لا أقلل من شأن القرضاوي ولا من أفكاره ولا من اجتهاداته- حاشا لله- ولكن من يتأمل مجمل ما صدر عنه من مؤلفات وندوات وحوارات يجد أنها موصولة باجتهادات الفقهاء القدامى السابقين، ولا تنفصل عنها ولا تبعد كثيرًا منها.

الكتاب الذي نحن بصدده يضع المطبات وأشواك الغرب والصهاينة في طريق الشيخ الجليل القرضاوي، ولعل أخطر ما في الكتاب أنه يعلل منهج القرضاوي في أفكاره وطروحاته واجتهاداته بتأثره بمفاهيم الحداثة، فـ «يسلط الكتاب الضوء

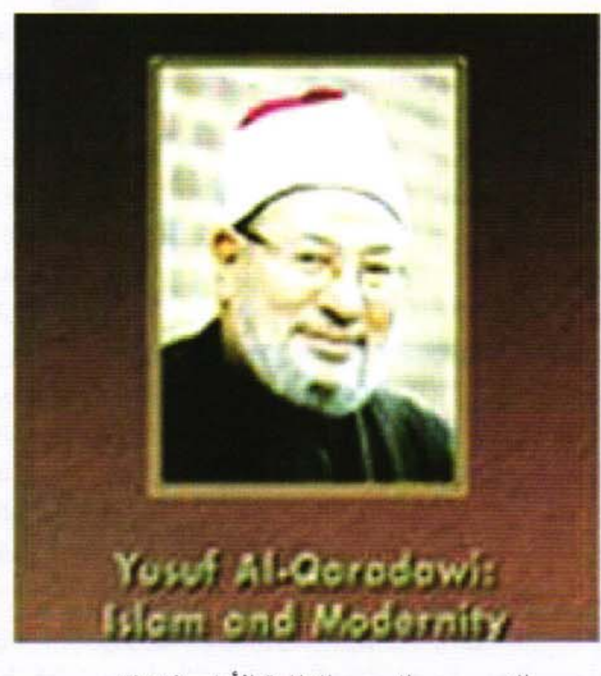
* كاتب وأكاديمي فلسطيني

التحليلي على جوانب فكرية، تبين كيف أن مفاهيم الحداثة قد أسهمت في صياغة وتشكيل وجهات النظر المعاصرة التي يتبناها المفكر الإسلامي البارز يوسف القرضاوي»، بمعنى أن الحداثة- وحدها- هي التي أسهمت في صياغة وجهات النظر المعاصرة لديه، وهي التي شكلت منهجه، لذلك يقترح المؤلف ضرورة «إطلاق مناقشة حول الحداثة من خلال مراجعة أفكار فلاسفة بارزين من أمثال كانط وهيجل، بالاضافة إلى أفكار علماء اجتماع معاصرين، ويقول: «واستنادًا إلى فهم هؤلاء للحداثة فإن هذا العمل (منهج القرضاوي) يوضح كيف أسهم تزايد التعليم ووسائل الاتصال والهجرة في تغيير الطريقة التي ينظر بها المسلمون إلى دينهم» ويرى «أن مفهوم الحداثة قد تطور في العالم الإسلامي على مدى المائتي عام الفائتة».

مؤلف هذا الكتاب يخلط - كما ذكرت من قبل - بين الحداثة والتحديث بمعنى التجديد، فالتجديد قديم في عالمنا الإسلامي، ولكن بعض المنظرين يربطونه بالحملة الفرنسية (١٧٩٨- ١٨٠١م) على مصر وبلاد الشام التي مضى عليها مائتا عام، أما الحداثة بمفهومها الغربي فلم يمض عليها في عالمنا العربي أكثر من نصف قرن - كما سيأتي- وهذه مغالطة مقصودة.

مؤلف الكتاب يسعى من خلال هذا الخلط المتعمد إلى ترسيخ مبدأ الحداثة بمفهومها الغربي كوسيلة من وسائل البحث الديني المتميز، والاستناد إليها كركيزة من ركائز مناهجه، وكأنه يلقي باللائمة على غير الحداثيين من علماء المسلمين الذين - بسبب عدم أخذهم بالحداثة- ظلوا بمنأى عن اللحاق بالركب والتطوير المنشود لدى الغرب، وظلوا بعيدين كل البعد عن المنهج النموذجي المثالي الإيجابي الذي يتمتع به القرضاوي على حد زعمه.

يذهب بعض الباحثين إلى أن الحداثة ظهرت كمصطلح أيديولوجي فلسفي في



الغرب بعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨م) ، أي أن عمرها لا يزيد عن مائة عام، ويعزون ظهورها إلى استفاقة أوروبا على ما خلفته الحرب من فجيعة كبرى، حيث راح ضحيتها أكثر من خمسين مليون ناهيك عن الجرحى والمشوهين، وانتابت مفكري أوروبا وفلاسفتها- بعد تلك الحرب- حالة من الذهول والإحباط النفسي، ما دفع إلى اليأس والقنوط والعبثية وهو ما يصاب به كثير ممن يستشعرون الفشل وعدم إدراك النجاح والفوز، فينكفئون على ذواتهم، لذلك راح يعزو المفكرون تلك الحرب الضروس إلى العقائد والموروث الديني والأيديولوجيات التي كانت سائدة ظانين أنها كانت الأسباب الرئيسية في إشعال تلك الحرب القذرة، ومن هنا- كما يرى هؤلاء الباحثون - نشأت فكرة الحداثة كمعطى معرفي جديد، ومخلص يتقاطع مع الماضي بكل ما يحمله من موروثات عقدية وفلسفية، فالحداثة نشأت «في حالة تضاد مع كل ما يمت إلى الماضي الرجعي بصلة، لأن أفكار الماضي هذه سبب الخراب والقتل، فكان لابد من تدميرها واستبدالها بنظم فكرية وفلسفية جديدة، ومن هنا نشأت فكرة التدمير التي تعتبر المحور الأساسي لمصطلح الحداثة، وتعني تدمير كل ما كان قديمًا، وإحداث قطيعة معرفية ونفسية معه، لصالح بناء أفكار جديدة، فليس تدميرًا فقط، بل هو تدمير وبناء، وتدمير للسابق المتخلف، وبناء لجديد مبتكر» (د.مصطفى عطية، مفهوم الحداثة، الراي ٢٠٠٧/٣/١٢م ع ١٠١١٥).

ويرى آخر أن الحداثة بدأت على يدي بودلير منذ أواخر القرن التاسع عشر الماضي، وكانت امتدادًا للفلسفات والنظريات قبل ذلك في القرن الخامس عشر، حين ثارت المجتمعات الأوروبية على الكنيسة، تلك الفلسفات والنظريات انطلقت في تصورها للكون والحياة والإنسان من غير قاعدة ولا ثوابت، تكون محورًا لتقدمهم المادي ورقيهم الفكري والحضاري، فكانت كلها مادية ملحدة ترفض الدين وتتسلخ منه بالكلية (الحداثة والإبداع، د.هشام النجار، جريدة الراي).

ولعل في هذه السطور عن الحداثة ما يكشف القليل مما تقوم عليه فلسفة الحداثة كمذهب فلسفي وأيديولوجي ترك آثاره على الحياة الاجتماعية، وما أصابها من تداعيات أخلاقية يضيق المقام عن الحديث عنها، وقد امتدت آثارها إلى الآداب الغربية، كما امتدت عدواها ومظاهرها إلى بعض الشعراء والكتاب العرب منذ خمسينيات القرن الماضي.

لذلك جاء هذا الربط الغريب بين فتاوى القرضاوي التي يراها مؤلف الكتاب معتدلة أو متقدمة أو متطورة أو «حداثية» وبين المهذب الحداثي الغربي! يقول المؤلف: «إنني أحاول من خلال هذه الدراسة أن أفهم القرضاوي باعتباره عالمًا إسلاميًا أن العلاقة بين هذه المفاهيم وبين الإسلام هي الجانب الأبرز في أفكاره»، مؤلف هذا الكتاب- لحاجة في نفسه- يريد أن يزج القرضاوي في «الحداثة» زجًا، بقوة القلم واللسان، مع أن الأمر لا يعدو عند الشيخ القرضاوي- كما أرى- من خلال كتبه وما

صدر عنه من أفكار واجتهادات، كونها إعادة إنتاج للفتاوى الإسلامية السابقة، وللمخزون الثقافي الإسلامي القديم الذي استوعبه الشيخ بذكاء ووعاه جيدًا، وأخذ يوظفه لخدمة القضايا الإسلامية المعاصرة، والذي حاول الشيخ القرضاوي- في إعادة إنتاجه لها- أن يستخدم لغة عصرية تستند إلى بعض المصطلحات الحديثة كالديموقراطية في معادل موضوعي لمفهوم الشورى في الإسلام، وهذا لا يعني وضع الشيخ مع زمرة الحداثيين، ولا في دائرتهم، تلك الدائرة التي أصبحت مرفوضة ومنبوذة منذ زمن بعيد في أوساط المثقفين والنخب العربية التي انقلبت انقلابًا ثوريًا على الحداثة وأدب الحداثة والحداثيين.

لكن المؤلف يمضي قدمًا في كتابه بفصوله الخمسة، بحيث لا يخلو فصل من الربط بين الحداثة وبين قضايا متعددة كان للشيخ القرضاوي رأي بل آراء فيها، وأبرز ما جاء من ذلك في الفصلين الأول والثاني، فالفصل الأول: «الحداثة في منطقة الشرق الأوسط» والفصل الثاني «منهج القرضاوي إزاء الحداثة».

المؤلف لا يخفي الأسباب المتعددة التي دفعته إلى اختيار القرضاوي ليكون موضوعًا للدراسة، ومحورًا أساسيًا فيها، يقول: «إن أي بحث حول مسألة الحداثة سيفضي دون شك إلى اسم واحد أكثر من كل الأسماء الأخرى ألا وهو اسم يوسف القرضاوي، فالقرضاوي كان القوة الدافعة وراء تشكيل الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، كما أنه يشغل منصب رئيس المجلس الأوروبي للإفتاء والأبحاث، وأنه هو الذي يضبط نغمة الخطاب الديني السني في شتى أرجاء العالم، كما أن المجلس الإسلامي يرى أنه هو العالم الإسلامي الأكثر هيمنة على مستوى العالم حاليًا»، ويضيف قائلًا: «ربما يشتهر القرضاوي أكثر بكونه مؤسس ما يعرف بالمدرسة الوسطية في الفكر الإسلامي»، كما أنه يرى «دمج المعارف والعلوم الغربية في نسيج الإسلام أمرًا واجبًا من الناحية الشرعية شرط ألا يذوب الفكر الإسلامي في غمار الفكر الغربي»، ولذلك يدعو- مؤلف الكتاب بكل جرأة- «إلى بلورة وتطور شكل عصري جدًا من الإسلام (ليصبح أكثر ارتباطًا وتفاعلًا مع العصر الراهن وأكثر تطلعًا إلى المستقبل» !! انظر كيف بدأ ذلك المؤلف ينصب نفسه مرشدًا عامًا وموجهًا للإسلام والمسلمين، وأكثر من ذلك يرى أن القرضاوي: «لا يختلف عن غيره من المفكرين الحداثيين، سواء أكانوا إسلاميين أم غربيين» كما يجد القرضاوي أنه «يسعى دائمًا إلى رسم حد فاصل واضح بين الحداثة الإسلامية والحداثة الغربية».

> **يكفي الكتاب إثمًا وجناية أنه ربط بين الإسلام والحداثة وجعله في ذمة القرضاوي حتى يعلن البراءة منه**

ومن أجل البرهنة على ذلك نجد المؤلف يتوقف عند تفسير القرضاوي للآية الكريمة: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون﴾ (النحل: ٨)، في إشارة من القرضاوي إلى «السيارات والقطارات والطائرات والمركبات الفضائية» التي لم تكن معروفة فترة نزول القرآن الكريم، كما يتوقف عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ (الأنفال:٦٠)، «فالخيول كانت بمثابة المركبات العسكرية في وقت نزول الآية، لذلك فإن خيول الحروب المعاصرة هي الدبابات والمدرعات».

ويحضرني في هذه المناسبة أن أستاذًا لنا في المرحلة المتوسطة في أوائل الخمسينيات من القرن الفائت كان يفسر هذه الآيات بما فسره القرضاوي، كما أن إمام المسجد الذي نصلي معه هذه الأيام كثيرًا ما فسر الآية ﴿وأرسل عليهم طيرًا أبابيل﴾ بأن (الأبابيل) أشبه بقنابل «النابالم»، فهل يعد أستاذنا وإمامنا الذي نصلي معه من الحداثيين؟!

والذي يبدو أن المؤلف قد غاب عنه الكثير والكثير من الثقافة الإسلامية المعاصرة، ولم يطلع على شيء ذي أهمية منها، ففي أوائل الستينيات صدر كتاب تحت عنوان «التفسير العلمي للآيات الكونية» للدكتور حنفي أحمد، اشتمل على تفسير مئات الآيات ذات الصلة بالكون والفضاء الخارجي، فهل نعد مؤلف الكتاب حداثيا على الطريقة الغربية لمجرد أنه اجتهد في تفسير بعض الآيات تفسيرًا علميًا؟ مع ملاحظة أن التفسير العلمي لكثير من الآيات كان مطروحًا في مدارس التفسير منذ أقدم العصور، غير أن دائرته اتسعت في العصر الحديث مع اكتشاف الكثير من النظريات العلمية، وفي دائرة المعارف الإسلامية التي لم تكتمل حتى أيامنا هذه، عند مادة «تفسير» يوجد حديث مفصل لما يسمى التفسير العلمي، مع أن العلماء يتحفظون على هذا المسلك (وهو التفسير العلمي للقرآن الكريم) لأن كثيرًا من النظريات العلمية غير ثابتة ثبوتًا مطلقًا ودائمًا.

تلك الأسباب مجتمعة دفعت بمركز موشي ديان- التابع لجامعة تل أبيب إلى تكليف أستاذ جامعي (وبالطبع هو يهودي) للكتابة عن الشيخ القرضاوي، ووجد الفرصة سانحة للربط العشوائي عن عمد وإصرار بين مفهوم الحداثة الغربية وبين القرضاوي، من خلال معطيات فكرية وفتاوى شرعية.. وهي في مجملها فتاوى إسلامية محضة، وليست حداثية، ويبقى السؤال بل الأسئلة تلاحق هذا الكتاب الذي لم يطلع القارئ العربي إلا على عرض مختصر قدمته جريدة الراي الكويتية، فما الهدف من إصداره واختيار شخصية القرضاوي، وزجها في أتون الحداثة التي تعد فرزًا غربيًا لمفهوم أكبر وهو العولمة التي تقضي بفصل الدين عن الدولة وأنظمة الحكم؟ وهو ما أخذت به الدول الغربية في سياساتها، وبناء مجتمعاتها، على أن الخلط يظل واضحًا عند مؤلف ذلك الكتاب بين الحداثة وبين التحديث.



الوظائف التربوية للألعاب

تعد اللعب والدمى عاملًا مهمًا في تنمية شخصية الطفل وتنظيم سلوكاته وانفعالاته وتسهم إسهامًا بالغًا في بناء الشخصية السوية والنمو العقلي للناشئة، إضافة إلى ذلك تمثل الألعاب جانبًا مميزًا من ثقافة الشعوب، فهي الرابطة التي تجمع بين أفراد الجيل الواحد والأجيال المتعاقبة، والأكثر من ذلك أنها تضع كل شعب- بما له من ألعاب خاصة- في مصفوفة الألعاب الشعبية التي تتعارف من خلالها الشعوب، وتحمل الألعاب أبعادًا قيمية تشكل نسيج هذه الثقافات حتى قد يصل الأمر لاعتبار لعبة معينة «سفيرًا» للنوايا الحسنة (أو السيئة) تجاه شعب ما، ولذلك كله وأكثر، فإن صناعة الألعاب واختيارها يقوم بدور مهم في تنمية العلاقات بين الشعوب، وبين أفراد الجيل الواحد داخل الأسر.

التحرير



ادفعي زوجك دومًا إلى النجاح

منى السعيد الشريف

الحياة ليست سهلة، والكفاح هو أحد جوانب الحياة المثيرة والممتعة، فلا تتركي شريك حياتك وحده في رحلة كفاحه ونجاحه، وإياك والسلبية التي تجعلك تفقدينه ويفقدك، وبالتالي تفقدان معًا كل معنى جميل للحياة، فعيشي كفاح زوجك وليكن كفاحكما شريفًا من أجل غايات نبيلة لتشعرا بأنكما دائمًا وللأبد معًا.

● ذكري زوجك دائمًا باستحضار النية الصالحة في كل عمل، ولا تدفعيه لشيء فوق طاقته، فيلجأ لطريق حرام، أو فيه شبهة لتلبية طلباتك، ولتكن وصيتك دائمًا له كوصية تلك المرأة الصالحة التي قالت لزوجها: «اتق الله فينا، ولا تطعمنا إلا حلالًا، فإننا نصبر على الجوع في الدنيا، ولا نصبر على النار في الآخرة».

● لا تضجري من عمل زوجك، فإن أسوأ ما تصنع بعض النساء هو إعلان الضجر من عمل الزوج، والإعلان يكون عادة في خلق النكد، والدأب على الشكوى، واتهام الزوج بإهمالها، واللجوء إلى بيت أمها غضبى.

● الزوجة الذكية هي القادرة على القيام بأدوار متعددة في حياة زوجها ، فهي أحيانًا أم ترعى طفولته الكامنة، وأحيانًا أنثى توقظ فيه رجولته، وأحيانًا صديقة تشاركه همومه وأفكاره وطموحاته، وأحيانًا ابنة تستثير فيه مشاعر أبوته... وهكذا وكلما تعددت وتغيرت أدوار المرأة في مرونة وتجدد فإنها تسعد زوجها، كأي طفل يسأم لعبة بسرعة ويريد تجديدًا دائمًا، أما إذا ثبتت الصورة، وتقلصت أدوار المرأة فسيكون هذا نذيرًا بتحول اهتمامه نحو ما هو جذاب ومثير وجديد.

> **الزوجة الذكية هي القادرة على القيام بأدوار متعددة في حياة زوجها**

● احرصي على أن تملكي لسانًا حلوًا عذبًا يدفع إلى النجاح والسعادة الزوجية، وابتعدي قدر ما تستطيعين عن الألفاظ المحبطة التي تثبط العزيمة وتجعل الحياة الزوجية تتراجع إلى الوراء، وإليك بعضًا من العبارات المتميزة لتتحدثي بإحداها أو جميعها مع زوجك بصدق وإخلاص: «إنني فخورة وسعيدة لأنك زوجي»، فكل رجل يزهو بإطراء زوجته له، «حسن تعاملك مع الناس واحترامك لهم سيوصلك حتمًا إلى أعلى الدرجات في عملك»، هذا التشجيع يدفعه لتحقيق النجاح بأقصى جهده، «أهناك شيء أستطيع أن أفعله لأجلك اليوم؟»، هذا الزوج الذي يشعر بكل هذا الاهتمام كل صباح قبل خروجه إلى العمل حتمًا ستصبح زوجته شيئًا مهمًا بالنسبة له، «أنا أفتخر بمزاياك، فأنت طيب وخلوق وحكيم» عددي صفاته الحسنة الحقيقية، فهذا مدعاة إلى الاحترام والاستقرار حتمًا.

● انتبهي لأفعاله لا لمظهره، لأن الرجال بحكم أنهم يتنافسون فيما يفعلون ومقدار ما يحققون من إنجازات مهنية فإنهم يميلون نحو المديح الذي يستهدف إنجازاتهم أكثر من ملامحهم التي خرجوا إلى الدنيا بها أو ملابسهم التي يشترونها، بحسب ما تقول «جوان إليسون» مؤلفة كتاب «الجنس.. تاريخ طبيعي»، وبعبارة أخرى، فإن مديحك لزوجك على عمل أنجزه بنجاح يجعله يشعر أفضل مما لو تكلمت عن شعره المجعد.

● من الطبيعي أن الرجل يأتي إلى البيت للاستراحة من إرهاق العمل والضوضاء والصياح، معنى هذا أن الزوجة يجب أن تحافظ على الهدوء في البيت قدر الإمكان ولا تثير الضجيج والصياح، وأن تتكلم بهدوء ووقار.

وإذا كان لديها أمر يستلزم رفع صوتها، فمن الأفضل أن تقترب حتى تتكلم بصوت منخفض.

● توفير الجو الملائم للزوج لمساعدته على إنجاز مهمة التخطيط للعمل، وهو هادئ النفس، مرتاح البال.. ساعديه في حصر كل ما يحتاج إليه لإنجاز العمل الذي يقوم به، وشاركيه في وضع خطة مرحلية يتم فيها إنجاز شيء مهم للأسرة خلال فترة مناسبة.

● دعوة المساواة في تحمل المسؤوليات هي دعوة تخلو من أي فهم لطبيعة

باحثة مصرية







العلاقة بين الزوج والزوجة، فلا ينبغي أن ينظر كل طرف للآخر على أنه ند، فالعلاقة الزوجية الطبيعية خالية من أي شبه تحد أو ندية، ولا يمكن أن يكون هناك تطابق في طبيعة المرأة والرجل، فهما مختلفان تشريحيًا وفسيولوجيًا ونفسيًا، والرجل يهتدي لمسؤولياته كرجل بفطرته السوية، وكذلك المرأة، فليتحمل كل منكما مسؤولياته، وليحمل أي منكما الآخر على كتفيه إذا كان هذا الآخر عاجزًا عن تحمل قدر من مسؤولياته، فالزواج ليس شركة وليس مؤسسة وليس تجارة، وإنما هو حب وتعاون وتكامل وحياة مشتركة.

● لا تدخلي معه في الصباح في مناقشات أسرية، فهذه الفترة المحددة من الوقت لا تسمح بأي مجادلات قبل توجهه للعمل، فأي مشكلة يمكن مناقشتها معه في فترة ما بعد الظهر بعد تناول طعام الغذاء وأخذ قسط من الراحة، وتمني له يومًا سعيدًا قبل مغادرته المنزل، مع رسم ابتسامة مشرقة على ملامح وجهك، تمده بشحنة من القوة طوال اليوم، وعند عودته احرصي على استقباله بوجه بشوش، واعلمي أن الرجل طفل كبير يسعده أن يشعر باهتمامك، وبحرصك على إرضائه.

● كوني دقيقة في فهم احتياجاته ليسهل عليك المعاشرة الطيبة دون إضاعة وقت.

● كوني متفاعلة مع أحواله ولكن ابتعدي عن التكلف.

● اضبطي مناخ البيت وفق مواعيده هو، ولا تشعريه بالارتباك في أدائك للأمور المنزلية.

● احرصي على إيجاد علاقة طيبة بين الأولاد والأب مهما كانت مشاغله، ولكن بحكمة دون تعطيل أعماله.

● أشعريه رغم انشغاله عن البيت بأنك تتحملين رعاية الأولاد بفضل دعائه لك وباستشارته في ما يخصهم.

● اهتمي بأوراقه وأدواته الخاصة وحافظي عليها، ونسقي كتبه وأوراقه بدقة وبشكل طبيعي دون أن تتفقدي ما يخصه مادام لم يسمح لك.

● أشعريه دائمًا أن واجباته هي الأولوية الأولى مهما كانت مسؤولياتك وأعمالك، وتفقدي مواطن راحته سواء بالحركة أو الكلمة، واسعي إليها بروح جميلة متفاعلة.

● احذري التردد أو التباطؤ عندما يطلب منك شيئًا، بل احرصي على تقديمه بحيوية ونشاط.

● أكثر ما يغيظ الأزواج إشعار الزوجات لهم أن محاولتهم لكسب الرزق هو دور طبيعي لا يستحقون الشكر عليه، فلا تكوني تلك الزوجة.

● كوني قانعة واحرصي على عدم الإسراف بحيث لا تتجاوز المصروفات الواردات.

● حافظي على أموال زوجك، ولا تنفقي شيئًا من ماله إلا بإذنه، وبعد أن تستوثقي من رضاه، قال رسول الله ﷺ: «لا تنفق امرأة شيئًا من بيت زوجها إلا بإذنه.. قيل يا رسول الله ولا الطعام؟ قال: ذلك أفضل أموالنا» (رواه الترمذي بسند جيد)، وإذا أعسر زوجك فتصدقي عليه من مالك، وإن لم يكن لك مال، فاصبري على شظف العيش معه لعل الله تعالى يفرج عليكما.

● إذا حصل زوجك على مبلغ إضافي خلال الشهر منحة أو مكافأة أو غير ذلك فلا تصرفي هذه الزيادة، بل اقتصديها، ووفريها للاحتياجات المستقبلية غير المتوقعة.



الأبناء يتعلمون بالحنان والقدوة أكثر مما يتعلمون بالأمر والقسوة!



كيف تصبح أبًا ناجحًا؟

تحقيق: نجاح إبراهيم

لعلَّ مطلب الآباء جميعًا وحلمهم في تربية أولادهم؛ أن يصيروا آباءً ناجحين، فيحسنون تربية أولادهم ويخرجون جيلًا صالحًا يفخرون به ويشعرون بسعادة نجاحهم في تلك المهمة!

لكن من أسف، فإن كثيرًا ما يتمنى الآباء ذلك، وهم في حالة أشد بعدًا عما هو مطلوب منهم أن يكونوا عليه للوصول إلى مبتغاهم وهدفهم؛ فالناظر المتفحص لأحوال الآباء وأساليبهم ليدرك كم هو مقدار ذلك البون الشاسع بين المرجو والواقع وبين الأمل والحال.

كيف أصبح أبًا ناجحًا؟

للإجابة على هذا السؤال، نجد أنفسنا في حاجة إلى الوقوف عند محاور عدة مهمة:

أولًا: الفعل قبل القول

لأهمية عنصر القدوة في حياة الناس، ولكون الإنسان بطبيعته يحتاج إلى نموذج تطبيقي حي أمامه حتى يتصور الخلق المعين والسلوك الموجه فيصدق به ويتمثله في حياته.

فالفعل أبلغ من القول، وفعل رجل في ألف رجل خير من قول ألف رجل في رجل!

فالعمل أهم من القول المجرد.. وكثير من يتكلم ولكن قليل من يفعل!

فالقدوة الصالحة من أعظم المعينات على تكوين العادات الطيبة، حتى إنها لتيسر معظم الجهد في كثير من الحالات، ذلك أن الابن يحب المحاكاة من تلقاء نفسه، وأطفال المسلمين يحاكون أبويهم في الصلاة حتى قبل أن يتعلموا النطق ويصبح تعويدهم عليها أمرًا سهلًا في الموعد المحدد.

والأبناء في استقائهم الخلق وتشربهم بالسلوك لا يقنعون بالظاهر منها فحسب، بل يتعدون ذلك إلى مستويات أعمق بكثير مما يظن الآباء.. فالأب يعيش في بيته على طبيعته بغير تكلف، وهو الأمر الذي يجعله يتصرف بما وقر في نفسه، والولد يقلد أباه فيما رآه منه على الحقيقة لا على التكلف، والأبناء يلحظون الصغير الدقيق من السلوك والأخلاق كما يلحظون كبيرها، وتؤثِّر فيهم صغائر الأحوال كما تؤثِّر فيهم كبائر الوقائع.

ثانيًا: رحمة الأب تولد الاستقرار النفسي لدى الابن

الأب الناجح هو الأب الرحيم



«الزوج الناجح» هو الذي يهيئ لأولاده البيئة الأسرية الخالية من الأزمات

العطوف بأبنائه وأسرته الذي يمنحهم الحب والعطف والحنان ويشملهم برعايته ويحتويهم بقلبه الكبير ويشعرون معه بالسعادة والأمان، والأب القاسي هو المتسبب الأول في الأمراض النفسية لدى أبنائه، والمشجع الأول على الأمراض القلبية لهم من غل وحقد وحب ذات وغيره.

ومن الآباء من لا يراعي الرحمة مع أبنائه ولا الرقة في معاملتهم، فيكون أشد عليهم من الغرباء، فيترك في أنفسهم جروحًا غائرة لا تزول بمرور السنين.

وليس معنى الرفق والحب والرحمة أن يتهاون الأب مع أولاده في مواطن الحزم، فوضع السيف موضع الندى مضر كوضع الندى موضع السيف! والحكمة فعل ما ينبغي كما ينبغي في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي! ولا يمكن أن يرى الأب ابنه يفعل السيئات أو المخالفات وبدعوى الحكمة والرحمة والرفق يتركه أو يقره على ما هو عليه، ولكن الحزم والحكمة تستدعي من كل أب أن يقف مع ولده وقفة حازمة قوية يضع له فيها الحدود ويبين له القواعد التي ينبغي ألاَّ يحيد عنها، وليعلم كل أب أن وقفاته مع ولده لا تنسى، ولكنها تحفر في ذهن الولد.. فإن وجد فيما يستقبل من عمره قدوة صالحة من أبيه زاد ترسخها وصارت خلقًا ثابتًا فيه وصفة أكيدة من صفاته.

ثالثًا: توجيهات ومحاذير للآباء في معاملة أبنائهم

١- ليعلم الأب أنه في بيته قائد لمدرسة تربوية لها منهج ووسائل كما أن لها محددات وأطرًا، فلا ينبغي الجمود والتشنج في تطبيق ضوابط تلك المدرسة، فهي مدرسة محببة للولد تسعد البيت وتنشئ الأسرة السعيدة.

٢- يجب على الآباء تثقيف أنفسهم وتعليمها فن التربية وأساليبها، ومداومة سؤال المربين والخبراء والعلماء في ذلك، كما يستحب لهم متابعة الإصدارات التربوية الحديثة والوقوف على ما ينفع منها.

٣- تعلُّم الصبر على تربية الأولاد من المهارات الأبوية الهامة، وقد حذر المربون من كثرة معاملة الأولاد بالغضب، خصوصًا إذا كانت طبيعة الأب عصبية أو سريعة الغضب، وليحذر الآباء من ضرب أولادهم في لحظات الغضب، فإن ذلك من الأخطاء الخطيرة التي لا تؤدي إلى تعليم ولا توجيه ولكنها عبارة عن تفريغ غيظ فحسب.

٤- ليعلم كل أب أن أبناءه يتعلمون بالحب قبل أن يتعلموا بالأمر والشدة، فاحرص أيها الأب على توليد المحبة بينك وبين أبنائك.

٥- كل أب بحاجة إلى أن يخلو بولده كل مدة ليمازحه ويكلمه ويسأله ويتقرب منه ويسأله عما يحزنه أو يؤرقه أو لا يعجبه ويسأله عن آماله وأحلامه وطموحاته، فلقاءات المصالحة والمصارحة هي تفريغ نفسي وجداني هام للغاية في تربية الأولاد، ولئن اشتكى معظم الآباء من عدم قدرتهم على التقرب من أولادهم فلأنهم قد قصروا في لقاءات المصارحة تلك في الصغر، فصعب عليهم ذلك في الكبر وبنيت الجدران بينهم وبين أولادهم!!

٦- هناك علاقة قوية جدًا بين كون الأب ناجحًا، وبين كونه زوجًا ناجحًا، فالزوج الناجح هو الذي يهيئ لأولاده البيئة الأسرية الخالية من المشكلات والأزمات.

علاقات الإنترنت.. عندما ينكسر إناء الحياء

تسنيم الريدي

يتميز عالم الإنترنت بالخصوصية وإمكانية إقامة علاقات دون معرفة الشخصية الحقيقية، حيث إن برنامج المراسلة Chat أشد خطرًا على الشباب من المواقع الإباحية الموجودة في الإنترنت، وتبدأ غالبًا هذه العلاقات بشكل مسلسل التنازلات، فتنازل أولا عن قراءة القرآن، وبعدها ترك الصلاة في وقتها، ثم يستمر الحال إلى أن يترك فرض الصلاة كليًا، ثم بعد ذلك تراجع في سلوك والتزام وتعليم الشباب حتى تغرقهم في بحر من المعاصي.

يدخل الشباب إلى المواقع للتعرف عليها- فقط للتسلية- وفي وقت الفراغ، وبعدها تبدأ مدة الجلوس أمام الانترنت في الزيادة، في حين يمر الوقت سريعًا، وأثناء تلك المتعة يأخذ الإدمان يستحوذ على عقل الشباب أكثر وأكثر، ثم تأخذ المعصية تجر المعصية، فما دام الشاب قد تنازل عن صلاته فما المانع أن أتعرف على برنامج المراسلة في الانترنت، وهذا البرنامج أشد خطرًا على الشباب من المواقع الإباحية الموجودة في الانترنت.

من خلال برنامج المراسلة، يغرقون في بحر من المعاصي، ساعات طوال بدون فائدة تذكر، فبعد المراسلة الكتابية يبدأ تبادل أرقام الهواتف لتتحول إلى تعارف ومكالمات عبر الهاتف ونسج قصص من الحب الوهمي (الشيطاني)، وهذه المكالمات الهستيرية المدمرة أخلاقيًا واقتصاديا والتي مازال يقع في شباكها المئات، سرعان ما تتحول إلى لقاءات آثمة.

علاقات الإنترنت بالأرقام

وقد ارتفع عدد الأشخاص الذين يدخلون مواقع الغرام والمواعيد على شبكة الإنترنت خلال السنوات الماضية بطريقة ملفتة للنظر، فهناك حوالي ١,٦ مليون امرأة و ٢,١ مليون رجل دخلوا مواقع المواعدة في العام ٢٠٠٩، وقد أدى الدخول إلى تلك المواقع إلى جني أرباح من قبل الشركات بما يعادل ٦٤٢ مليون دولار، ولاحظت إحدى المواقع على الإنترنت زيادة نسبة المشتركين إلى أكثر من ١٥٠٪ سنويًا.

وتحتل العلاقات غير الشرعية ٧٠٪ من محتويات مواقع الدردشة وفقًا لإحصاءات موقع «ياهو»، وفي تفسير لهذا الاندفاع اللافت نحو الجنس يرى علماء الاجتماع أن هؤلاء الشباب يعانون الإحباط والكبت الجنسي الناجم عن محظورات عائلية أو اجتماعية او تربوية أو اخلاقية، ولذا فهم يلجأون إلى الإنترنت لإفراغ ما لديهم من مخزون جنسي في ظل غياب أي من أنواع الرقابة دون رغبة صادقة في الزواج أو الارتباط.

وقد أكدت الدراسة التي أجريت حول استخدام الشباب العربي لبرامج المحادثة وغرف الشات، أن ٥٪ فقط من غرف المحادثة تتناول موضوعات ذات قيمة فكرية وثقافية هادفة وقضايا الأمة وأحوالها، أما ٨٦٪ من هذه الغرف فهي تعتبر أبواق دعارة وهدم أخلاقي وثقافي يمارس بشكل منظم وممنهج وخاصة ضد الفتيات عن طريق العلاقات الخاصة التي تقوم بين أفرادها، في حين أن ٩٪ من هذه الغرف تتباين في حواراتها وآليات تناولها من جيد إلى سيئ.

تجارب مؤلمة

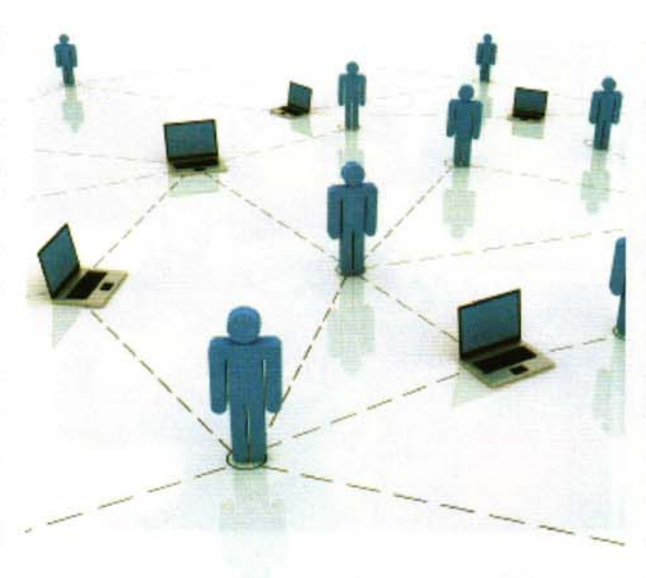
حاولنا رصد بعض التجارب حيث تقول ف.م من مصر: « تعارفت عليه عبر جروب سياسي على الفيس بوك وكنا نتحدث في بعض الأمور العامة وتطور الحديث حتى اعتقد كل منا أنه يحب الآخر، وكانت هناك تجاوزات شرعية خلال الحديث، وكنا نحاول أن نقطع تواصلنا حتى نتزوج – على حد وعده – لكن العلاقة ظلت سنة ونصف دون شيء إلا أنني كنت ارفض الخطاب لأجله، لكنني تأكدت أنه لا ينوي الزواج إنما كان يسلي وقته، وأنا من تأذيت كثيرًا وأصبت بحالة من الاكتئاب الشديد وعانيت فترة نقاهة طويلة حتى شفيت من التواصل معه».

وقد تكون للعلاقة آثار أكثر إيلامًا حيث تقول خ.ي من الجزائر: «كان



تواصلنا عبر أحد المنتديات الإسلامية، ثم سمحت له بالاتصال بي هاتفيًا وقابلته في الجامعة، كان في البداية مهذبًا معي لأقصى درجة وأكد لي رغبته في الزواج فور أن ننتهي من الدراسة، لكن طالت علاقتنا حتى بدأ يطلب مني بعض الصور وكانت هناك بعض المحادثات الجنسية، كنت أشعر باحتقار نفسي، فقد رميت بنفسي في بئر وحل، وكلما حاولت النهوض تكبلت بأنني أحبه، وكلما حاولت الانقطاع عنه أعود، وذات مرة طلبت من إحدى صديقاتي المقربات أن تطلب منه ألا يعاود الاتصال بي مجددًا، لكنها فوجئت به يراسلها ببعض المحادثات التي تمت بيننا وكانت أسلوب ابتزاز جرحتني كثيرًا، وقتها تأكدت أنه لم يكن صادقًا في شيء وتحدثت مع أخي في الأمر وانقطع الاتصال وبقي مرضي النفسي الذي اتعالج منه إلى الآن، أكره كل شيء، أكره نفسي، أكره كل الرجال ولا أثق في أحد».

كما يقع بعض الملتزمين في هذه المشكلة لكن بشكل مختلف حيث يقول فادي من البحرين: «تحدثنا كثيرًا عبر الانترنت عبر غرفة محادثة دعوية على البالتوك، وعندما قررنا الزواج سافرت إليها في مصر، رغم اعتراض أهلي المستمر أن من تتحدث مع شاب غريب على الإنترنت لا تصلح لأن تكون زوجة وأمًا، عندما قابلتها وجدت فتاة غير التي كنت أتحدث معها على الإنترنت، هي لم تقصد أن تخدعني في شيء، لكنني لم أشعر براحة نهائيًا، وعندما قررت إنهاء العلاقة وجدت منها تهديدًا معنويًا بكل الوسائل حتى لا أتركها، فقد مرضت ونقلت للمستشفى، وكانت تقول إنني



العلاقات غير الشرعية تحتل ٧٠ في المائة من محتويات الدردشة

دمرتها وظلمتها، لكن للأسف علاقات الإنترنت وهمية لا تعطي الانطباع الحقيقي حتى إذا كان أصحاب العلاقة على صدق بالنية في الزواج».

شروط نجاح علاقات الانترنت

وتختلف صفاء معهم بعض الشيء حيث تقول: «علاقات الإنترنت لها شروط حتى تكون ناجحة، أولها أن يكون التعارف الأولي فقط عبر الإنترنت، لكن الخطوات اللاحقة والتي تسميها فترة الخطبة وما قبلها، يجب أن تكون هذه الخطوات على أرض الواقع، لأن التعامل عبر الانترنت سواء كتابيًا أو حتى بالصوت والصورة لا يعطي الانطباعات الصحيحة عن كل طرف، والخلوة يكون لها عامل أساسي في تخريب العلاقة قبل أن تبدأ وبالتالي تأخذ منحنى غير شرعي».

ويتفق معها محمود قائلا: «اعجبتني إحدى الفتيات على منتدى الجامعة الذي كنت أشارك فيه، وتحدثت مع أهلي في الأمر ووجدت منهم قبولا، فطلبت من أختي أن تتواصل مع إحدى صديقاتها على المنتدى وتأكدنا أنها ليست مخطوبة، وحصلت مباشرة على رقم أهلها وتمت الخطبة والزواج على أرض الواقع بعيدًا عن الانترنت».

الانطواء الاجتماعي للمراهقين

توجهنا إلى المستشار الدكتور محمد القاضي أستاذ التربية بجامعة عين شمس والذي يتحدث عن علاقات المراهقين على الانترنت: «علاقات الإنترنت تسبب اتساع الفجوة بين الشباب وأهلهم، فهم في مشاكل دائمة معهم وفي شجار مع الآباء والأمهات، وتنقلب شخصياتهم رأسًا على عقب، حتى إن مصروفهم يزداد بشكل ملحوظ،، ويدفعون مبالغ طائلة في ساعات الانترنت على الهواتف الجوالة، أو حتى ثمن المكالمات في الجوال، مع تراجع في مستوى التحصيل الدراسي، والكذب يصبح عادتهم، والمدهش في الأمر أن هذا التعلق الجنوني «السحري» بهذا الشكل من وراء الشاشة دون أن يقابل كل طرف الطرف الآخر وجهًا لوجه، حيث يكون التعارف عبر الأصدقاء غالبًا، فقد يكون الشاب- غالبا- على اتصال بعدة فتيات على الإنترنت في آن واحد، نتائجها تجارب قاسية تسلب الفتاة خاصة كل شيء صحتها وسعادتها ودراستها ونفسها وحتى ذاكرتها وتفكيرها.

نحن لا ننفي وجود التعارف بين الشاب والفتاة، لكن يجب أن يكون هذا

الأمر داخل نطاق الأسرة وفي بيت الأهل، فلو حصل أن عرض أحد الشباب أنه يريد أن يتعرف على الفتاة، أو أنه معجب بها ويريد خطبتها لا تقبل اقتراحه أو التواصل معه نهائيًا إلا في بيت أهلها، هكذا تتأكد من نواياه، ومدى أمانته، وهكذا يكون اسلم للطرفين، إننا اليوم في مجتمع لا يرحم الفتاة، ونحن اليوم في مجتمع ذكوري فبمجرد أن تقبل أي علاقة دون خطبة، أو خارج نطاق الأسرة، فمهما كانت نواياها فهي الخاسرة، فالشاب الفاسد يعامل الفتاة كسلعة يستمتع بها، خاصة هؤلاء الذين لا يجدون مانعًا في اللعب بمشاعر الفتيات، وفي مثل هذه العلاقات تكون الفتاة هي المذنبة وهي المسؤولة، أما الشاب فلا أحد يسأله فبعد أي مشكلة يكون هو السبب فيها يخرج بريئًا كأنه لم يفعل شيئًا.

انتكاسات نفسية

وعن الأعراض النفسية التي تصاحب العلاقات الفاشلة عبر الانترنت تضيف د. حنان الماوردي الأستاذ بجامعة مصر واستشاري الطب النفسي بمستشفى الأمل قائلة: «مع انتهاء علاقة حب فاشلة عبر الإنترنت تشعر الفتاة في داخلها بفراغ وشرخ كبير جدًا، تكره الحياة، فتاة لا تتحلى بالصبر، لا تملك أي نوع من أنواع الطموح، لا تملك القوة لفعل أي شيء، حتى التفكير يصعب عليها، لم يعد باستطاعتها تحمل أي مسؤولية كما كانت، تملك القدرة للتقدم في تعليمها لكنها قدرة مدمرة، لا تتمكن من استخدامها مما يؤدي إلى فشلها في التعليم، تشعر أنها فتاة عديمة الشخصية في أغلب الأحيان، تكره المجتمع، تفكر



بالانتقام بأي وسيلة، فتاة تملك بداخلها طفلة بحاجة إلى العناية والمداعبة والنمو من جديد، تكره نفسها وهي غاضبة جدًا من نفسها، لم تعد راضية عن نفسها وجمالها ومستواها التعليمي والثقافي، فتاة لا تعرف تنظيم حياتها، ولا تملك القدرة على ذلك، حتى مجرد التفكير في البداية غير موجود، عصبية جدًا، تقلل من الجلسات الاجتماعية».

تشعر كأنها تعيش في أحداث فيلم وأن ما يدور حولها لا يهمها، لا تدرك ما الذي تريده، تفقد روحها النقية، تفقد الرغبة في ممارسة حياتها اليومية بشكل طبيعي، تفكر بالطرق السيئة، لم تعد تملك تلك الطريقة اللبقة في الكلام، لم تعد تحب القراءة والثقافة، تفضل الانزواء، يصعب عليها التركيز، تفشل كلما حاولت التقدم حتى ولو تقدمت قليلا لتعود إلى حالة اليأس والإحباط والكآبة، تشعر دائمًا أنها فاشلة وهذا الشعور يلاحقها، وهي لا تتقبل هذا الوضع، أنها فاشلة، وأن ذلك الشاب المستهتر واللامبالي هو الذي أدى بها إلى الوصول لتلك الحالة، وهو السارق الذي سرق أجمل ما فيها، وتحاول أن تنجح للتخلص مما هي فيه، وربما تنجح قليلا لكن هذا النجاح لا يدوم طويلا، لكنها تدرك أنها مازالت بحاجة لمن يساعدها على الظهور من جديد.

الآباء سبب للتوجه الخاطئ

وعن دور الأهل في وقوع الأبناء في هذه المشكلات يضيف المستشار الاجتماعي حمدي محسن: «لا نرى للمتحابين غير النكاح» وهنا يأتي دور الأهل لأنهم يضعون مئات العقبات والمطالب أمام الشاب الذي أحب ابنتهم وتقدم لخطبتها بشكل رسمي بدلا من العلاقات الخاطئة والتي في الغالب لا يحتاجها الشاب ولا الفتاة إلا لإرضاء المجتمع، وبعض الآباء يقفون حجر عثرة أمام مستقبل بناتهم فقد رفض أحدهم تزويج ابنته الصغرى قبل الكبرى لينتهي الأمر بالصغرى كأختها التي فاتها القطار عدة محطات، ليصل بها إلى محطة العنوسة، وآخر لا يستغني عن راتب ابنته التي تملأ جيبه نهاية كل شهر، والفتاة تكبر والأيام تمضي والسنون تمر وليس على لسانه إلا عبارات الرفض لكل طارق يطرق بابه طالبا ابنته، وكل مرة يتذرع بذريعة ويقدم حججا واهية لرفضه من يتقدمون لابنته، وعندما ضاقت ابنته بهذا الحال وحاولت أن تكلمه بهذا الأمر، وبخها ونهرها واتهمها بقلة الأدب وسوء الأخلاق وعدم الوعي وأنه أدرى بمصلحتها منها، فلم يكن منها إلا الزواج السري والذي يكون الانترنت هو الوسيلة الوحيدة للعثور على رجل الأحلام كما تعتقد.



مع افتتاح العام الدراسي

أميرة سليمان أبوجبة

بداية خطوات طفلك إلى المدرسة لاشك أنها مثيرة لك وله أيضا، ولمواجهتها وضع علم التربية والنفس في العالم أسسًا وتوجيهات ونصائح لمساعدته على التكيف والخوف.

• اصحبي طفلك في بداية العام الدراسي ولا مانع من الانتظار معه حتي يدق الجرس وخلال تلك الفترة تجاذبي معه الحديث ووجهي نظره بهدوء إلى زملائه وزميلاته الصغار في محاولة للتقريب بينهم وبينه.

• إذا كان طفلك سيذهب إلى المدرسة بالباص يجب أن تصطحبيه حتى يركب وتقومي بعمل التعارف اللازم مع المشرفة والسائق حتى يطمئن قلبه.

• أشعري طفلك انك متعلقة به أكثر من تعلقه بك فالطفل يشعر في تلك اللحظات بأنك تتخلين عنه وأن العالم كله ينسحب من تحت قدميه.

• اشرحي له أنه في المدرسة سوف يقوم بكل أنواع الاكتشافات الجديدة والمثيرة وسوف يشترك في كل أنواع النشاطات الذهنية والبدنية.

• تأكدي من حفظ طفلك لاسم مدرسته ورقم فصله، وضعي في حقيبته الجديدة لعبته المفضلة أو كتابًا أو كراسة التلوين التي يحبها فهذا يعطيه المزيد من الطمأنينة.

• احذري أن تشعري طفلك بأن المدرسة وسيلة عقاب له حتى لا يكرهها أو يبدأ في التمارض فالانطباع الأول عن المدرسة الذي يكتسبه الطفل يؤثر تأثيرًا كبيرًا على نفسيته ويظل يلازمه فترة طويلة.

ويؤكد خبراء التربية أن الأبناء في الأيام الأولى للدراسة يحتاجون إلى قضاء وقت حميم معهم بعد عودتهم من المدرسة للاستماع إلى انطباعاتهم وتقبل مشاعر القلق والعمل على حلها وإيجاد البدائل المطمئنة لهم.

• يمكنك كتابة خطاب رقيق أو كارت أو رسم كاريكاتير وضعيه في محفظة أقلامه لتكون مفاجأة سارة له في المدرسة.

• شجعي طفلك أن يقدم بعض الهدايا البسيطة لمدرسته واصدقائه، مثلا هدايا من الأقلام والورود أو الأعمال الفنية من صنع يديه.

• عودي طفلك من أول يوم على عادات التنظيم والتخطيط مثل تحضير حقيبة المدرسة ليلًا وكتابة ما يريد تناوله في الصباح أو أخذه معه في المدرسة في مكان ظاهر في حجرته، وقريب من المكان الخاص بحفظ احتياجاته.

• احرصي أن تكوني على اتصال دائم بمدرسته ومدرسيه في الأيام الأولىحتي يشعر طفلك بالاطمئنان والراحة.





• باحثة تربوية

العطاء مفتاح الحياة الزوجية السعيدة

د. خالد سعد النجار

ليس أفضل لدوام الحياة الزوجية في سعادة وسرور من «العطاء» تلك الكلمة الواسعة التي تحمل في داخلها العديد من الأفعال والتصرفات والكثير من المعاني والمشاعر، إن الطاقة الهائلة التي تكمن في قلب أحد الزوجين تجاه الآخر تظهر وتتضح في صورة هذا العطاء الذي لا يمكن حصره، ولاشك أنه عامل مهم في بقاء الحياة الزوجية واستمرارها، على نحو يحمل السكينة والراحة والسعادة والسرور لكل من الزوجين.

النوايا الحسنة وحدها لا تكفي في العلاقات الزوجية، فكون الزوجة تحب زوجها أو الزوج يحب زوجته، ولا يترجمان ذلك إلى واقع عملي يتمثل في العطاء المتنوع، لا يمكن لمثل هذه المحبة الداخلية والنوايا الحسنة أن تقيم العلاقات الزوجية على حال جيدة، بل إن من أهم ما يسبب التوتر في العلاقة بين الأزواج المتحابين، وجود طرف في تلك العلاقة معطاء ومحب، بينما الطرف الآخر ليس على المستوى نفسه، وأفضل علاج هو أن يتعلم الزوجان كيف يتعادلا في الحب والعطاء ماديا ومعنويًا.

العطاء الحقيقي

هناك فرق كبير بين أن نقوم بالعطاء دون انتظار أي مقابل، وبين أن نقوم بالعطاء ونحن نتوقع أن نحصل على شيء بالمقابل، لذلك إذا قمنا بالعطاء الحقيقي فإننا لا نكون متوقعين أن نحصل على شيء بالمقابل، وبالتالي لن نصاب بخيبة أمل، إضافة إلى ذلك سنحصل على متعة ذاتية ونحن نقدم العطاء.

وفي كل شركة لابد أن يكون لك شريك له حقوق وعليه واجبات حتى تستقيم الأمور، وكذلك فعل الإسلام بالنسبة للبيت، فقد جعل لكل من الزوجين حقوقًا ورتب عليها واجبات، ولن تتحقق السعادة إذا أهمل أحد الطرفين أداء واجبه وراح يطالب الآخر بحقوقه عليه، وإنما ينبغي لكل منهما أن يبادر بتأدية ما عليه من واجبات، ورغبة في إسعاد شريكه وإدخال السرور في نفسه، وعلى الآخر مثل ذلك، ولقد تكفل الله سبحانه وتعالى - وهو أحكم الحاكمين- بتحديد تلك الحقوق والواجبات حتى لا يتظالم الشريكان فتتبخر السعادة، ووفق قاعدة متوازنة دقيقة من صنع العليم الحكيم تقرر الأمر على أساس العدل حيث يقول سبحانه: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم﴾ (البقرة: ٢٢٨).

> **التسامح أفضل طريقة للتخلص من الشعور بالتعاسة أو المعاناة التي قد تواجهها في رحلة الحياة**

ولاننسى في خضم الحقوق والواجبات أن التسامح أفضل طريقة للتخلص من الشعور بالتعاسة أو المعاناة التي قد نواجهها في رحلة الحياة، لكن البعض يجد صعوبة في التسامح بل واستحالته، في الوقت الذي يؤكد فيه علماء النفس على أن الحياة يمكن أن تسير بلا عواصف أو زوابع إذا فتح كل طرف أذنيه ليسمع الطرف الآخر، ويحاول أن يجد إجابة لأسئلة شريك حياته، ولا يلقي بها وراء ظهره، لأن حسن الاستماع من الشروط الأساسية للتواصل الجيد بين الزوجين وهو دليل على الاهتمام والتقدير.

التضحية المتبادلة

التضحية المتبادلة بين الزوجين ركن مهم من أركان السعادة الزوجية، ذلك لأن الحياة الزوجية بمعناها الحقيقي حياة





عطاء، حياة قوامها واجبات على كل طرف من الأطراف قبل أن تكون حقوقًا لكل من الزوجين، ومن ذلك كان لزامًا على كل من الزوجين أن يتنازل طوعًا عن كل ما كان ينعم به من حرية شخصية ومن استقلال قبل الزواج، وعلى كل منهما أن يضحي عن طيب خاطر، وأن يكون شعار الحياة الزوجية التضحية المشتركة، فلا يشعر أحد الزوجين بأنه يضحي في حين أن الآخر يضن بالتضحية، ومن لم يكن لديه القدرة على التضحية، فعليه أن ينتحي ناحية من الجبل وينعزل عن الناس، وأن لا يطرق باب الزواج.

الإعجاب الإعجاب

قد تحظى بإعجاب كل الناس، ولكن إذا افتقدت إعجاب رفيق حياتك فإنك ستفقد إعجابك بنفسك، فأنت لا يهمك إلا إعجاب هذا الرفيق، وهو فقط الذي يهمك أن تظهر له مواطن جمالك وقوتك وإبداعك وتفوقك، ونجاحك، وهو الذي يهمك أن تسمع منه كلمة مدح، وهي



التضحية المتبادلة بين الزوجين ركن مهم من أركان السعادة

ليست ككلمات الآخرين، وإنما هي كلمة تعبر عن فهمه لك وعن سعادته لأنه معك وأنك تستحق الحب والتقدير، ولذلك يجب أن تسمو وترقى كلمات الإعجاب فلا تكون تقليدية تتناول الشكل والجمال الخارجي والأناقة والإمكانات المادية فقط، وإنما تمتد لتشمل الذكاء والفكر والنجاح والتفوق.

تعدد الأدوار

تتعدد أدوار الزوجة في حياة زوجها، فهي أم وصديقة وأخت وابنة وحبيبة، فكوني كل النساء في حياة زوجك، فهو يحتاج منك أحيانًا إلى عناية الأم واحتوائها ورعايتها وقدرتها على التوجيه، كما يحتاج إلى أن يعبر عن الطفل بداخله، والطفل في حاجة إلى أم وليس زوجة، وهذا محور مهم يجدد ذكريات الطفولة ويثير مشاعر كانت موجودة وتتعدد أدوار الزوج في حياة زوجته، فهو الأب والأخ والابن والحبيب، فلتكن أيضًا الأب الذي يحرك طفولة زوجته، والأب بتوفيق الله عز وجل- هو الحماية، القوة، الرأي السديد، الحزم، المسؤولية، فتأوي إليك وتنتصر بك.

فعلى كلا الطرفين إدراك أنهما يكملان بعضهما البعض، وأن كلا منهما مهم لحياة الآخر، وعليهما أن يحولا الخلافات بينهما إلى تعاون من شأنه تقوية الأواصر بينهما، كي يستطيعا مواجهة أعباء الحياة ومشكلاتها بشكل أفضل.

المرأة العاقلة

ستظل مشكلة العطاء تتكرر في كل زمان وفي أكثر من بيت، ولن يكون لها حل ولا علاج إلا بتزوج امرأة عاقلة تفكر بعواقب الحياة، فكوني هذه المرأة العاقلة، وكوني عونًا له في السراء والضراء، واستغلي الفرصة، وشاركي زوجك في فرحته بنجاحه الذي حققه في حياته العملية، فهذه هي اللحظة التي ينتظر فيها مشاركة حقيقية من شريكة حياته لتبث في نفسه روح التفاؤل والإقدام دائمًا، وحاولي أن تطلعي على الموضوعات التي تتصل بمجال عمله لكي تصبحي ذات نفع له عندما يطلب منك المشورة والرأي، وأحسني الاستماع إليه، وتناقشي معه في تنظيم ميزانية البيت ومحاولة اقتصاد المال لمواجهة الاحتمالات المستقبلية، وبهذا سيجعلك زوجك في منزلة الزوجة المثالية العاقلة.

الملاطفة من أسباب دوام المحبة

على كل من الزوج والزوجة الحرص على ملاطفة الآخر وملاعبته والمزاح معه، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه برغم جديته وحزمه يقول: «ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصبي فإن كان في القوم كان رجلًا».

وروت عائشة (رضي الله عنها): «أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفرة وهي جارية، قالت لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال لأصحابه تقدموا، ثم قال: «تعالي أسابقك! فسابقته فسبقته، فلما كان بعد وحملت اللحم وبدنت ونسيت، خرجت معه في سفر، فقال لأصحابه: تقدموا فتقدموا ثم قال: «تعالي أسابقك! ونسيت الذي كان، وقد حملت اللحم، فقلت: كيف أسابقك يا رسول الله وأنا على هذه الحال؟! فقال: «لتفعلن» فسابقته فسبقني، فجعل يضحك وقال: «هذه بتلك».

خمسون قصة تحكيها لطفلك

دعاء حاتم آدم

البشر بطبيعتهم - كبارا وصغارا - يحبون القصص، فعندما تطلب من صديقك قرضا ماليا غالبا لا تطلب ذلك منه مباشرة كأن تقول له: أقرضني مبلغا من المال. لكنك تقص عليه حكاية: الراتب أخذته.. والولد مرض وحصلت لي بعض الظروف.. وهكذا، وعندما يشتكي الابن لوالده من ظرف ما غالبا ما يحكي له الوالد حكاية: عندما كنت في مثل عمرك حدث معي كذا.. وفعلت كذا.. وهكذا. والأم عندما تكافئ أبناءها تحكي لهم «حدوتة»، وهكذا.. وهذا الميل الفطري للقصة يجعل منها وسيلة من وسائل التربية والتقويم. بهذا يستهل الكاتبان د/ عبدالله محمد عبدالمعطي، و د. سيد عبدالعزيز الجندي كتابهما «٥٠ قصة تحكيها لطفلك في البيت والروضة والمدرسة».

أيها الوالد انك عندما تجمع اطفالك وتحكي لهم قصة هادفة فأنت بذلك تأخذ ثواب تربية الأبناء وقضاء الوقت في خير، كما انك أيضا تطبق سنة تربوية مهمة تأخذ من خلالها ثواب الاقتداء بالنبي ﷺ.. هكذا تبدو القصة في عين المؤلف، ويستدل على ذلك بأن النبي كان كثيرا ما يقص على أصحابه قصص السابقين وقد كان ما يحكيه مقدما بقوله «كان فيمن قبلكم» ثم يبدأ القصص وما انتهت إليه مستجيبا لتوجيه الهي كريم ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ (الأعراف: ١٧٦).

فحكى النبي ﷺ لأصحابه قصة أصحاب الغار وأصحاب الأخدود وقصة الأعمى والأبرص وغير هذه القصص كثير.

ومن هنا يرى المؤلف اهتمام الإسلام بالقصص للكبار والصغار على حد سواء، ويقول: اذا طلب منك ابنك أو ابنتك وهما في سن العشرين ان تحكي لهما «حدوتة» فيا ترى ماذا سيكون ردك؟ لا تتسرع في الإجابة واستمع لما رواه الحاكم عن سعد بن أبي وقاص انه قال:

النبي ﷺ حكى لأصحابه قصة أصحاب الغار وأصحاب الأخدود وقصة الأعمى والأبرص وغيرها



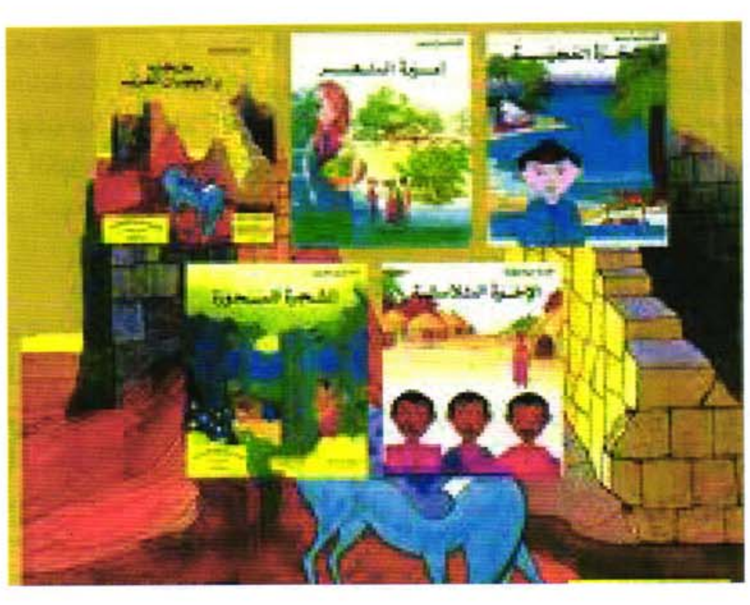
نزل القرآن على رسول الله ﷺ فتلا عليهم زمنا، فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا، فنزل قوله تعالى ﴿الر تلك آيات الكتاب المبين. إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون. نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ (يوسف ١-٣).

لقد أراد الصحابة القصص فدلهم الله على أحسن القصص، وشغلت القصة مساحة واسعة من كتاب الله تتراوح ما بين الربع والثلث، وتعلم الصحابة من القرآن أهمية القصص وكيف يستعملونه في غرس قيم الحق والخير في نفوس الصغار، لذا علينا أن نربي أطفالنا بالقصة كما فعل أصحاب محمد ﷺ وألا نترك غيرنا يحتل عقول أطفالنا بقصة سامة أو «حدوتة» مهلكة، ويضيف الكاتب: انظروا إلى سعد بن أبي وقاص وهو يقول: «كنا نعلم أولادنا مغازي رسول الله كما نعلمهم السورة من القرآن».

وعن اسماعيل بن محمد بن سعد بن ابي وقاص انه قال: كان ابي يعلمنا المغازي والسرايا ويقول يا بني إنها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكراها، وقال زين العابدين بن الحسن بن علي رضى الله عنهم: كنا نعلم مغازي رسول الله ﷺ كما نعلم السورة من القرآن.

كاتبة صحفية





أسعدي طفلك:

ويحث الكاتب كل أب وأم أن يكونا مصدر سعادة للأطفال فيقول:

يجب ان نكون لأبنائنا مصدر فرح وسرور ومتعة وليس فقط مصدر توبيخ وعقاب، حتى اذا ما لعبت شياطين الإنس او الجن بعقولهم قائلين: أبوك لا يحبك او امك تكرهك، يتذكرون حينها تلك الجلسات القصصية الممتعة التي تبث السعادة في نفوسهم.

ويذكر الكاتب قصة فتاة في العشرين من عمرها تقول: ان من احلى ذكريات الطفولة تلك الأوقات السعيدة التي كنت أقضيها مع أبي وأمي يقصان علي بعض القصص اللطيفة.. وتضيف: لقد كانت هذه القصص مصدرا عظيما للمعلومات التي عرفتها عن النبي ﷺ وعن انبياء الله الكرام، ويحدثنا آخر عن ذكرياته فيقول: عندما كنت طفلا كنا ننتظر بفارغ الصبر إلى أن تنتهي جدتي من صلاة العشاء وتطوي سجادتها لكي نسارع بالالتفاف حولها وتقول: «صلوا على النبي»، فنرد بسرعة: «عليه الصلاة والسلام»، فتستحضر كل ليلة حكاية مسلية وذات مغزى عميق، كنت ساعتها أستمتع فقط بالأحداث، لكن عندما كبرت أدركت تلك القيم التي تركزت بعمق في وجداني.

وإذا كانت القصة مصدر سعادة فهي ايضا مصدر يعلم الطفل كيف يتعايش مع ظروفه وكيف يتغلب على أحزانه، فالطفل الذي يعاني مشكلة ما يمكن للوالدين اختيار قصة او تأليفها بحيث تحتوي على نفس مشكلة الطفل وكيف تمكن البطل من حلها او التعايش معها، كذلك يمكن للوالدين معالجة اخطاء الصغار بقصة خفيفة، فالأطفال ينصتون باهتمام اذا قرأت عليهم قصة، أما إذا أعطيتهم محاضرة في الخلق الحسن فقد لا تجذب اهتمامهم لوقت طويل، ويسرد الكاتب قول احدى الأمهات: عندما تخلد ابنتي إلى فراشها أحرص على أن أقص عليها حكاية تدور حول مشكلة صادفتني معها في النهار، وأجعل أبطال القصة ينطقون بها، بينما اقف انا وابنتي في صف واحد نستمع لهم وهم يتحدثون، وهنا اكون مع ابنتي في صف واحد ولم تعد في وضع التحدي بالنسبة لي، واضمن حكايتي رسالة تربوية قد ترفض ابنتي سماعها بشكل مباشر ولطالما لمست نتائج رائعة في هذه الطريقة من العلاج لأخطاء ابنتي العنيدة.

لا تحرم طفلك:

ايها المربي الفاضل لا تحرم طفلك لذة سماع صوتك، هكذا يهيب الكاتب بالآباء، ويقول: ان فترة الطفولة ليس فيها قراءة ولا كتابة، وهذا يعني ان الطفل يتلقى حوالى ٧٠٪ من تواصله مع العالم من حوله من عملية السماع والتلقي، واذا كان الطفل يحتاج الى من يشبع مسامعه ويملأ صفحات عقله النقية فليكن صوتك ذاك الذي يشبعه وينير له الطريق، فبادر بالقصة او لب نداء طفلك بها، وإذا طلب منك طفلك حكاية وأنت مشغول عنه فإياك ان تنهره بطريقة قاسية مهما ألح عليك فليس هناك مانع ان تقول له: أنا الآن مشغول وبعد نصف ساعة سأحكي لك على أن تفي بما تعده به.

وانتبه.. فإنك ان لم تحكِ له اليوم فلن يحكي لك عن نفسه غدًا، وان لم يسمع منك فسيسمع من غيرك..

لا تحرم نفسك:

يقول الرسول ﷺ إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول يا رب أنى لي هذا؟ فيقول «باستغفار ولدك لك». فإذا اردت ان يستغفر لك ولدك غدا فاغرس في نفسه اليوم من الذكريات الرائعة التي يتذكرك بها دائما، فأنت اليوم تصنع ذكريات الغد.

متى يستفيد طفلك؟

يذكر الكاتب ان قراءة القصص المصورة للطفل من سن سنة فأكثر من اهم العوامل التي تساعد على تنمية قدراته على التعلم واكتساب المهارات اللغوية، وقد ثبت ان أفضل طريقة لقراءة القصة المصورة للطفل تكون بجلوسه على حجر أمه أو أبيه، وبذلك يكون الطفل ووالدته يطالعان القصة معا، ومن الأفضل ان تضع الأم إصبعها وتمشي تحت الكلام المكتوب الذي تقرؤه، وذلك لأن الطفل مع انه

لم يعرف القراءة بعد إلا أنه سيعرف ان الكلام الذي يسمعه من فم أمه تلتقطه من تلك الحروف السوداء المطبوعة تحت الصورة او بجوارها، وأن الكتابة تتم من أعلى إلى أسفل أو من اليمين إلى اليسار.. وهكذا.

قبل أن تحكي:

وإذا كنت أيها المربي قد عزمت على أن تمضي قدما في طريق القصص الهادف فإن الكاتب ينصحك بالآتي:

- اقرأ لطفلك بعيدا عن المشتتات المغرية له، فلا تجلس أمام التلفاز وتروي له، فبالطبع لن يلتفت إليك بل ستجذبه الرسوم المتحركة.

- اقرأ له وهو شبعان وإلا فسيفكر في الطعام او الحلوى اكثر من استمتاعه بقصتك.

- لا تقرأ له وهو متعب او يشعر بالإرهاق.

- لا تقرأ له وأنت متعب او تشعر بالإرهاق حتى تتمكن من تقديم القصة بصورة جيدة.

- اقرأ له في أي صورة ممكنة (جالسا او نائما او قائما)، فالمهم ان يكون أسلوبك ممتعا.

- قبل ان تقرأ القصة مع طفلك اقرأها انت وحدك حتى تتعرف عليها وتحدد الهدف منها.

ابدأ القصة:

وقبل ان تبدأ القراءة افتح حوارا مع طفلك واجعله يستنبط المعلومة بنفسه، فعلى سبيل المثال اسأله عن صورة الغلاف فيقول لك عصفورة، فاسأله عن المكان الذي تقف عليه ولونه وعدد العصافير المحيطة.. الى غير ذلك ثم اتبع ذلك بقولك: هيا نتعرف على القصة ونعرف ما حدث مع العصفورة، وافعل ذلك ايضا في منتصف القصة حتى لا يمل منك الطفل أو يشرد بعيدا.

استخدم عند سرد القصة لغة مناسبة لا هي بكلمات معقدة ولا هي مبتذلة دارجة، فلغتنا العربية سهلة وجميلة وبها الفاظ بسيطة تستطيع من خلالها ان توصل المعنى ببساطة وسهولة، ولا تنس ان تنفعل بأحداث القصة وحاول دائما ان تتقمص شخصياتها عند الإلقاء.

لا تمل من التكرار:

بعد ان تنتهي من القصة اطلب من طفلك اعادة روايتها وان لم يستطع فاحك له نصفها واتركه يكمل الباقي، وقد تفاجئ بطفلك يطلب منك تكرار القصة اكثر من مرة في ذات الوقت أو في أوقات لاحقة، فلا تمل منه، فالطفل الذي يحب شيئا يتعلق به ويعيش معه، والتكرار هو مبدأ العلماء الكبار، فالعقاد يقول: «قراءة كتاب ثلاث مرات افضل من قراءة ثلاثة كتب».

هكذا يرى الكاتب، ويدلل على ذلك أن معظم قصص القرآن مكرر في كثير من السور والآيات، فليس هناك ما يمنع من تكرار القصة الواحدة للطفل مرات ومرات مع محاولة التجديد في أسلوب حكايتها.

بصمات لا تنسى:

ما أجمل ان يحيط المربي حكاياته بسياج من الحنان والحب عن طريق اقترابه من الطفل والمسح على شعره اضافة الى نظرة حانية وابتسامة صافية وصوت عطوف مما يثبت في قلب الطفل الشعور بالراحة والأمان، هكذا يدعو الكاتب كل ام وكل اب، فهو يحث على جعل «الحدوتة» عملا فنيا عاطفيا تربويا لا تعد فوائده وثمراته على الطفل.

ويضيف قائلا: كما يمكن للأم والمعلمة التي تحكي القصة ان ترسم لوحة للقصة أثناء حكيها او تعدها مسبقا، ومن الممكن ان تشرك الأطفال معها في ذلك وهو ما يمكنهم من اعادة روايتها مرة أخرى، وهذا يزيد من المهارات الفنية واللغوية للطفل في ذات الوقت، وبهذه التشويقات فإن القصة او «الحدوتة» يمكن ان تكون وسيلة للثواب، كما يمكن ان تكون وسيلة للعقاب، فمن يخطئ يحرم من سماع القصة ومن يفعل عملا جميلا يكافأ بسماع قصة يحبها.

وبعد ان تحكي يقول تعالى ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾.

ومن هنا يرى الكاتب انه من الواجب على المربي ان يسأل طفله في نهاية القصة عما استفاده منها ويستخرج له واجبات عملية بسيطة يتابع معه تنفيذها، وبهذا تكتمل المنفعة من القصة.

وهكذا يختم المؤلفان الباب الأول من الكتاب، ليأتي بعد ذلك الباب الثاني، وهو عبارة عن ٥٠ قصة أبطالها من الحيوانات.. حمامة ، حمار، اسد، ثعلب، تتناسب مع اعمار الأطفال من سن ٣ -١٢ سنة، وقد أعد المؤلفان هذه القصص ليقرأها المربون على اطفالهم، والى جانب كل قصة جدول صغير كتبا فيه باختصار العبر والعظات من القصة وسؤالا يطرحه المربي للنقاش مع الأطفال حتى تؤتي القصة ثمارها بإذن الله.

وهذا الكتاب يتميز بميزة الاختصار المفيد، إذ ينطبق عليه المثل «خير الكلام ما قل ودل»، وهو معين في عصر يضيق فيه الوقت على المربين ليقرأوا ويتعلموا فنون تربية صغار صالحين، فيأتي هذا الكتاب ليقدم زادا كثيرا في صفحات قليلات، وما قل و كفى خير مما كثر وألهى.

والله نسأل ان يتقبله من الكاتبين ويجعله في ميزان حسناتهما.



وتسألني ابنتي

د. عبدالمنعم عبدالله حسن

أن يقرأ القرآن الكريم في البيت، ويصدح به في غرفاته، ويدوى به في جنباته، فهذا عطاء من الله كبير، وخير وفير.

أن يتعود أبناؤنا تلاوة الذكر الحكيم، ينهلون طهره، ويقتبسون نوره، ويعيشون بركته، فهذا فيض عميم وفضل عظيم.

أن تكون القراءة بتدبر، والتلاوة بتفكر، فهذا مفتاح الفتوح، وباب الوصول، وطريق القبول، ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ (محمد: ٢٤).

إن تدبر القرآن الكريم معايشة لجلاله، وتفاعل مع تجلياته، وتذوق لآياته، وإنه لأمارة على تشرب القلب لهذا الشعاع المبين، وانشراح الصدر لهذا الضياء الساطع، واستجابة الشعور لهذا النور، وتنعم الوجدان بهذا الأمان.

إن تدبر القرآن الكريم مرحلة تخطف القراءة باللسان إلى الوعي بكل الكيان ليستوعب إيحاء المعنى، ويعايش اجواء المغزى، في حالة قرآنية لا يصورها بيان، وإنما يحياها ويتذوقها الجنان.

تقرأ ابنتي سورة النور، وتصل إلى الآيتين الكريمتين اللتين ترسمان خُلق الاستئذان، وتضعان حدودًا تضمن طهارة الصلات، وتصون حمى الحرمات، وتبنيان حواجز منيعة للستر، والصون، والعفاف.

﴿يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم. وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾ (النور: ٥٨-٥٩).

وتقف ابنتي في الآيتين الكريمتين مع الذين لم يبلغوا الحلم في الآية الأولى وعند بلوغهم الحلم في الآية الثانية، فقد استوقفها حديث الآيتين عنهم في الحالتين، فما سر هذا؟

تسألني.. فأُسر، وأعلم أن القراءة تجاوزت مرحلة اللسان إلى دائرة القلب، وتخطت منطقة النطق إلى استكناه العمق، وحلقت من مجرد القراءة إلى افق التدبر والتفكير، وسرت في الوجدان نورًا، وفي العقل فكرًا، وفي المشاعر تذوقًا وحسًا.

وأعود بها إلى الآية الأولى لأتدبرها معها، إنها تضع أوقاتًا ثلاثة تحددها للاستئذان لأولئك الطوافين ممن ملكت اليمين، ومن الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم بعد، فمحظور عليهم التطواف في هذه الأوقات المحددة التي هي محل الاسترخاء، وموضع الانفكاك من القيود، فلا ينبغي أن تقتحم هذه الأوقات حتى من هؤلاء.

وأما في الآية الثانية، وقد بلغ الأطفال الحلم فالاستئذان أصبح لزامًا في كل الأوقات، لقد انطبق عليهم ما انطبق على غيرهم من البالغين المكلفين.

ومن ثم.. فالآية الأولى ترسم دائرة خاصة تلزم فيها الاستئذان حتى لأولئك الطوافين في أوقات معينة، والآية الأخرى ترسم دائرة عامة تجعل الاستئذان في كل وقت وحين.

وفي هذا بعد تربوي، اذ يتدرب هؤلاء الصغار على خلق الاستئذان في أوقات خاصة ليتعودوا عليه، ويتمرسوا وهم في مرحلة التكوين، وفترة الإعداد وسن التوجيه، وحضن التربية، وكنف التنشئة، حتى إذا نضج عقلهم، ونهض فكرهم، واشتد عودهم، وبدت عليهم أمارات الرشد، ودلائل الوعي، ألزموا به في كل وقت، فلا يكون الأمر مفاجأة لهم، فقد مارسوه من قبل ممارسة مؤقتة.

إن خلق الاستئذان أصل في البناء الخلقي، والكيان التربوي الذي ينبغي أن ينشأ عليه النشء، حتى يصبح فطرة وسجية، ومسلكًا قويمًا يتحلى به حتى تطهر المجتمعات، وتصان الحرمات، وتوصد نوافذ الشر، وتغلق ثغرات الرذيلة، ويتعود على غض البصر، والالتزام بحقوق الآخرين، ومراعاة حرماتهم وخصوصياتهم.

إن هذه التخوم الأخلاقية، وتلك الحواجز السلوكية، لتربي في النفس قيم حرمات الحدود المادية، ليتأصل أن «كل المسلم على المسلم حرام.. دمه، وماله، وعرضه» كما قال ﷺ (رواه مسلم).

وأنهي الحديث مع ابنتي فيما استوقفها.

ثم أعود إلى الآيتين من جديد، فيستوقفني فيهما شيء آخر، حيث ختمتا بقول الله تعالى: ﴿والله عليم حكيم﴾ أي عليم بما يصلح البشر، حكيم في تدبيره أمورهم، وقد سبق هذا الختام في الآية الأولى بقوله تعالى ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ بهذا العموم الذي يناسب الحديث عمن ملكت الأيمان، وعمن بلغوا الحلم، وفي الآية الثانية بقوله تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم آياته﴾ لتناسب الحديث الخاص بمن بلغ الحلم من الأطفال فقط، وهكذا.. يتنوع الأسلوب القرآني المعجز بما يوائم السياق، في بلاغة بيان لا نظير لها.

أستاذ لغة عربية

أم السعد محمد علي نجم
الشيخة المُجيزة لقراءات القرآن المتواترة

التحرير

هي أم السعد محمد علي نجم، الشيخة الحافظة المحفظة المتقنة المعمرة، أشهر امرأة معاصرة في قراءات القرآن الكريم، فهي السيدة الوحيدة التي تخصصت في القراءات العشر، وظلت طوال نصف قرن تمنح إجازاتها في القراءات العشر لجموع طلاب العلم من شتى أنحاء العالم.

نشأتها

وُلِدت أم السعد في: (١١/٧/١٩٢٥م) بقرية «البندارية» بمحافظة «المنوفية» بجمهورية مصر العربية، وقد فقدت البصر في إحدى عينيها وهي في السنة الأولى من عمرها ثم فقدت بصرها بالكليَّة.

نذرها أهلها لحفظ القرآن الكريم وخدمته فحفظت القرآن الكريم كاملًا في مدرسة «حسن صبح» بالإسكندرية وهي في الخامسة عشرة من عمرها.

خدمتها لكتاب الله

بعد أن أتمت أم السعد حفظها لكتاب الله توجهت إلى الشيخة «نفيسة بنت أبوالعلا» والتي كانت توصف بـ: «شيخة أهل زمانها» وطلبت منها تعلّم القراءات العشر، فوافقت الشيخة نفيسة ولكنها اشترطت عليها ألا تتزوج أبدًا؛ فوافقت أم السعد على شرط شيختها التي كانت معروفة بصرامتها وقسوتها على السيدات.

ذلك مع العلم بأنَّ الشيخة «نفيسة» لم تتزوج رغم كثرة من طلبوها للزواج من الأكابر، وماتت وهي بكر في الثمانين من عمرها، انقطاعًا للقرآن الكريم وخدمته.

وبعد توفيق الله عز وجل ثم بمثابرتها وانقطاعها استطاعت أم السعد إتمام هذه المهمة الشريفة وحصلت من شيختها «نفيسة» على إجازة في القراءات العشر، وهي في الثالثة والعشرين من عمرها.

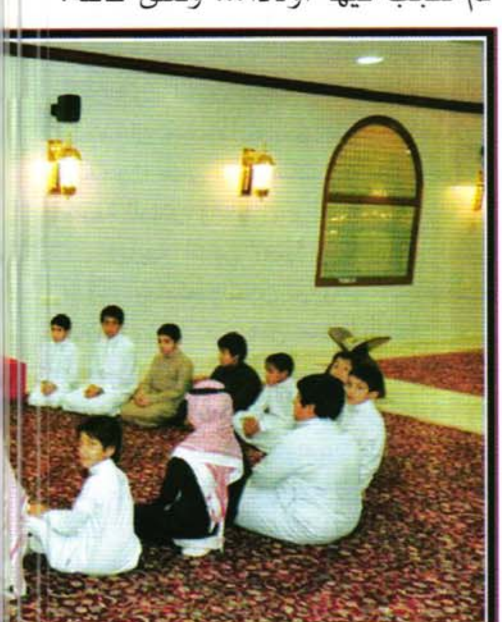
تقول أم السعد عن حفظها للقرآن: «ستون عامًا من حفظ القرآن وقراءته ومراجعته جعلتني لا أنسى فيه شيئًا... فأنا أتذكر كل آية وأعرف سورتها وجزأها وما تتشابه فيه مع غيرها، وكيفية قراءتها بكل القراءات... أشعر أنني أحفظ القرآن كاسمي تمامًا، لا أتخيل أن أنسى منه حرفًا أو أخطئ فيه... فأنا لا أعرف أي شيء آخر غير القرآن والقراءات... لم أدرس علمًا أو أسمع درسًا أو أحفظ شيئًا غير القرآن الكريم ومتونه في علوم القراءات والتجويد... وغير ذلك لا أعرف شيئًا آخر».

زواجها

لم تستطع أم السعد الوفاء بشرط الشيخة نفيسة، فقررت الزواج بعد أن تقدم لها الشيخ محمد فريد نعمان، وهو من أول من منحته «أم السعد» إجازة في القراءات، وكان من أشهر القراء في الإذاعة، «وكان ضريرًا».

تقول أم السعد عن قصة زواجها: «لم أستطع الوفاء بالوعد الذي قطعته لشيختي «نفيسة» بعدم الزواج... كان يقرأ عليَّ القرآن بالقراءات... ارتحت له... كان مثلي ضريرًا وحفظ القرآن الكريم في سنٍّ مبكرة... درَّست له خمس سنوات كاملة، وحين أكمل القراءات العشر وأخذ إجازاتها طلب يدي للزواج، فقبلت».

واستمر زواجهما أربعين سنة كاملة لم تنجب فيها أولادًا... وتعلّق قائلة:



«الحمد لله... أشعر بأن الله عز وجل يختار لي الخير دائمًا... ربما لو أنجبت لانشغلت بالأولاد عن القرآن، وربما نسيته».

سلسلة أم السعد

بينها وبين النبي ﷺ برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية (٢٧) قارئًا، حيث تلقت القراءات العشر من طريق الشاطبية والدُّرة عن: الشيخة نفيسة بنت أبي العلا، عن عبدالعزيز علي كحيل، عن عبدالله الدسوقي، عن الشيخ علي الحدادي شيخ القراء بالديار المصرية، عن الشيخ إبراهيم العبيدي، عن شيخ الجامع الأزهر محمد بن حسن السمنودي المنير، عن علي الرميلي، عن شيخ قراء زمانه محمد بن قاسم البقري، عن شيخ قراء مصر عبدالرحمن بن شحاذة اليمني، عن علي بن غانم المقدسي، عن محمد بن إبراهيم السمديسي، عن الشهاب أحمد بن أسد الأميوطي، عن الإمام الحافظ حجة القراء محمد بن محمد بن محمد بن الجزري الشافعي، عن عبدالرحمن بن أحمد البغدادي، عن شيخ القراء بمصر محمد بن أحمد



الصائغ، عن علي بن شجاع الكمال الضرير صهر الإمام الشاطبي، عن الإمام أبي القاسم عن الإمام علي بن محمد بن هذيل البلنسي، عن أبي داود سليمان بن نجاح، عن الإمام أبي عمرو الداني، عن طاهر بن غلبون، عن علي بن محمد الهاشمي، عن أحمد بن سهل الأشناني، عن أبي محمد عبيد بن الصباح، عن حفص بن سليمان، عن عاصم بن بهدلة بن أبي النجود، عن أبي عبدالرحمن عبدالله بن حبيب السلمي، عن عثمان وعلي وعبدالله بن مسعود وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، وأخذ هؤلاء عن النبي ﷺ الذي تلقى عن جبريل عن ربِّ العزة جل جلاله.

أشهر تلاميذها

تردد عليها لحفظ القرآن ونيل إجازات القراءات صنوف شتى من جميع الأعمار، والتخصصات، والمستويات الاجتماعية والعلمية، وكانت رحمها الله تخصص لكل طالب وقتًا، لا يتجاوز ساعة في اليوم يقرأ عليها الطالب ما يحفظه فتصحح له قراءته حتى يختم القرآن الكريم بإحدى القراءات، وكلما انتهى من قراءة منحته إجازة مكتوبة ومختومة بخاتمها تؤكد فيها أن هذا الطالب (خادم القرآن) قرأ عليها القرآن كاملًا صحيحًا دقيقًا، وفق القراءة التي تمنحه إجازتها؛ فكانت رحمها الله السيدة الوحيدة في وقتها التي يسافر إليها القراء وحفظة القرآن؛ من أجل الحصول على «إجازة» في القراءات العشر.

وكان أكثر ما يسعدها أن مئات الإجازات التي منحتها في القراءات العشر يبدأ سندها (تسلسل الحفاظ) باسمها، ثم اسم شيختها المرحومة «نفيسة» ليمتد عبر مئات الحفاظ وعلماء القراءات بمن فيهم القراء العشرة (عاصم، نافع أبوعمرو، حمزة، ابن كثير، الكسائي، ابن عامر، أبوجعفر، يعقوب، خلف) إلى أن ينتهي بالرسول المصطفى ﷺ.

وكانت رحمها الله من أرفق المعلمين بطلابها، وتقول عن تلاميذها: «أتذكر كل واحد منهم، هناك من أعطيته إجازة بقراءة واحدة، وهناك -وهم قليلون- من أخذوا إجازات بالقراءات العشر مختومة بختمي الخاص الذي أحتفظ به معي دائمًا، ولا أسلمه لأحد مهما كانت ثقتي فيه».

ومن أشهر طلابها

١. القارئ الطبيب «أحمد نعينع».

٢. فضيلة الشيخ «مفتاح السلطني»، وقد أجازته بالقراءات العشر وحفص من الطيبة.

٣. العديد من أساتذة وشيوخ معهد القراءات بالإسكندرية، والذين لا يعطون إجازة في حفظ القرآن إلا ويضعون اسمها في أول السند.

رحلتها إلى الحجاز

سافرت أم السعد رحمها الله إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج وتم ذلك بمساعدة أحد تلاميذها، كنوع من ردِّ الجميل، وأقامت في الأراضي الحجازية سنة كاملة، وهناك منحت إجازات في القراءات المختلفة لعشرات الحفاظ من كل البلاد الإسلامية: السعودية، باكستان، السودان، فلسطين، سورية، تشاد، أفغانستان، وغيرها، وقد منحت إجازتها لطالبة سعودية لم تتجاوز السابعة عشرة من عمرها، وكانت فرحة بها.

وفاتها

بعد حياة حافلة بالإقراء ومدارسة القرآن الكريم وخدمته، توفيت أم السعد في فجر (١٦) من شهر رمضان عام (١٤٢٧هـ)، الموافق ٢٠٠٦/١٠/٩م عن عمر ناهز واحدا وثمانين عامًا، وقد شيعت جنازتها من مسجد ابن خلدون بالإسكندرية، رحمها الله رحمة واسعة وأسكنها فسيح جناته.

أُسِّست سنة ٦٢٨هـ

المَدْرَسَةُ الصَّاحِبِيَّةُ الحَنْبَلِيَّة



تركي محمد النصر *

قال ابن بطوطة: «... ودمشق هي التي تفضل جميع البلاد حسنًا، وتتقدمها جمالاً، وكل وصف وإن طال، فهو قاصر عن محاسنها». ومن أسمائها: الشام، الفَيْحاء، الدار المَسْقيَّة، مدينة الياسمين، مملكة الشرق، وادي التين. وتُعَدُّ أقدم مدينة مأهولة في التاريخ، قال بعض المؤرخين: «إنَّ سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام ولد بعد بنائها بخمس سنوات»، كما ورد في معجم البلدان، ويعود الفضل في بنائها إلى «جيرون بن سعد بن عاد بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام». قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: «دمشق... قصبة الشام، وهي جنة الأرض بلا خلاف، لحسن عمارة، ونضارة بقعة، وكثرة فاكهة، ونزاهة رقعة، وكثرة مياه، ووجود مآرب.. قيل: سميت بذلك لأنهم دَمْشَقُوا في بنائها، أي: أسرعوا».

وعلى امتداد التاريخ تعاقبت على دمشق دول وعهود وأزمان، وسكنها العموريون، والكنعانيون، والآشوريون، والفراعنة، والآراميون وسموها: «الدار المسقيَّة»، والفرس، واليونانيون، والرومانيون وسموها: «داماسكس»، ثم ظفرت بمكانة سامية في ظل الحكم الإسلامي العربي.

والدخول إلى مدينة دمشق يجب أن يكون من أحد أبوابها، حيث تنقلنا إلى أمجادها التاريخية، وتحدثنا عن صمودها في وجه الغزاة والطامعين، فقد تم بناء سور كبير للمدينة، وفتحت فيه أبواب للدخول والخروج، وكان ذلك في بداية العصر اليوناني، وفي العصر الروماني تمت صيانته وظهرت سبعة أبواب نسبة إلى الكواكب السبعة المعروفة في حينها، ونحتت رموزها على تلك الأبواب لاعتقادهم أنها تحمي المدينة، وهي:

باب شرقي، وباب السَّلامة، وباب توما وينسب إلى أحد عظماء الروم، وقد دخل منه عمرو بن العاص رضي الله عنه، وباب كيسان: وهو باب قديم دخل منه المسلمون بقيادة يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه، وباب الفراديس، وباب الجابية: نسبة إلى المكلفين بجباية الضرائب، ومنه دخل جيش المسلمين بقيادة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى دمشق، وباب الصغير: وهو أصغر أبواب السور ويقع في الجهة الجنوبية.

وجوهرة دمشق جامعها الأموي، الذي كان معبدًا رومانيًا، ثم أصبح كنيسة ثم جامعًا في زمن الخليفة الوليد بن عبدالملك الذي أراد له أن يكون آية ساطعة من الفن والجمال، وتبلغ مساحته ١٥٧٠٠ متر مربع، وهو من أعظم المفاخر المعمارية، ويتميز بسعته وارتفاع مبناه، وجمال مآذنه الثلاث وقبته، وجمال لوحاته الفسيفسائية، ومئذنة العروس التي تعد أقدم مئذنة إسلامية قائمة حتى الآن.

قال ابن بطوطة: «وهو أعظم مساجد الدنيا احتفالاً، وأتقنها صناعة، وأبدعها حسنًا وبهجة وكمالاً، ولا يعلم له نظير، ولا يوجد له شبيه».

كما تمتاز دمشق بأسواقها القديمة التي تعود إلى آلاف السنين، ومكتباتها العامرة، وأشهرها الظاهرية، ومساجدها التاريخية وهي كثيرة، وتكثر في حاراتها المدارس الدمشقية القديمة التي امتازت بها عن بقية مدن العالم، وكانت كل مدرسة تنسب إلى المذهب الفقهي الذي يُدرَّس فيها، كمدارس الأحناف، ومدارس المالكية، ومدارس الشافعية، أما مدارس الحنابلة فكثيرة، منها: الجوزيَّة، الجاموسيَّة، الشريفيَّة، الصَّاحبيَّة، الصدريَّة، الضيائيَّة المحمديَّة، الضيائيَّة المحاسنيَّة، العمريَّة الشيخيَّة، العَالمة، المسماريَّة، المنجائيَّة، وأودُّ أن أبسط الحديث هنا عن واحدة من أعرق هذه المدارس وهي المدرسة الصَّاحبيَّة.

مدرسة الصَّاحِبَة، أو المدرسة الصَّاحبيَّة

تقع مدرسة الصاحبة خارج أسوار مدينة دمشق القديمة، على سفح جبل قاسيون من جهة الشرق بمنطقة الصالحية، (في حي ركن الدين حاليًا)، وهي من أكبر المدارس الإسلامية بحي المدارس، يحدها شرقًا المدرسة الركنية، وغربًا جامع الشيخ عبدالغني النابلسي، ومتاخمة لمسجد «أبوالنور»، وكانت المدرسة تطل من حارة العلية على حديقة جميلة على ضفاف نهر يزيد حين كان يغذي منطقة الصالحية برمتها، وتم تغطية النهر بالإسمنت المسلح.

وتعتبر هذه المدرسة آخر ما تم بناؤه بدمشق من أقرباء السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، رحمه الله تعالى.

* إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية





إنشاء المدرسة، وسبب تسميتها:

أنشأتها السيدة الجليلة الفاضلة سليلة الملوك والأمراء الأيوبيين «ربيعة خاتون» ولقبها «الصَّاحبة»، وهي أصغر أولاد نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان. وذلك سنة: (٦٢٨هـ)، الموافق: (١٢٣١م)، لتكون مدرسة للسادة الحنابلة بدمشق. وسُميت بـ «الصَّاحبيَّة» نسبة لواقفتها.

و«الصَّاحبة»: هي الشقيقة الصغرى للملوك نور الدولة شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شاذي، صاحب بعلبك، وشقيقة السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب بن شاذي، سلطان بلاد الشام، وشقيقة ظهير الدين سيف الإسلام طغتكين بن نجم الدين أيوب بن شاذي صاحب اليمن، وشقيقة المعظم شمس الدولة توران شاه بن نجم الدين أيوب بن شاذي صاحب مصر، وشقيقة ست الشام فاطمة خاتون التي كانت تلقب بـ«عِصْمَةُ الدِّين» بنت نجم الدين أيوب بن شاذي، وشقيقة الملك العادل سيف الدين بن نجم الدين أيوب بن شاذي.

ولدت الصاحبة . كما ذكر النعيمي (ت:٩٢٧هـ) في كتابه: (الدارس في تاريخ المدارس) . سنة: (٥٦٠هـ)، الموافق: (١١٦٤م).

تعتبر الصَّاحبيَّة المدرسة الدمشقية الوحيدة التي مازالت تحافظ على كافة مرفقاتها إلى اليوم

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: «في سنة: (٥٨١هـ) زوَّجها أخوها الناصر صلاح الدين أولًا بالأمير الكبير سعد الدين مسعود بن الأمير معين الدين أنر، الذي كان من الأمراء الكبار أيام نور الدين رحمهم الله تعالى جميعًا، وتزوج صلاح الدين بأخته «عصمة الدين خاتون» واقفة المدرسة الخاتونيَّة الجوانيَّة، والتي كانت زوجة الملك نور الدين الشهيد رحمهما الله تعالى.

ولما مات الأمير سعد الدين مسعود، زوَّجها من الملك مظفر الدين أبوسعيد بن زين الدين كوكبوري بن علي بن بكتكين أحد الملوك الأمجاد والكبراء الأجواد صاحب إربل الذي يعود إليه الفضل بإتمام بناء «الجامع المظفري» المعروف بـ «جامع الحنابلة» بسفح جبل قاسيون بالصالحية.

أقامت عند زوجها الملك «أبوسعيد» أزيد من أربعين سنة، ولما توفي -رحمه الله- عنها عادت إلى دمشق فسكنت بدار أبيها نجم الدين أيوب، وقامت بدور كبير في إثراء الحياة العلمية والثقافية في العصر الأيوبي، وانضمت من فورها إلى الأوساط الفكرية بدمشق، وبدأت تجذب حولها الدارسين والعلماء، وكان من أبرزهم الشيخة الصالحة العالمة الحنبليَّة «أَمَة اللطيف بنت الشيخ الناصح الحنبلي» رحمها الله تعالى، صاحبة التَّصانيف، وهي التي أشارت عليها بإنشاء مدرسة على سفح جبل قاسيون من الشرق للسَّادة الحنابلة، والتي عرفت بـ «المدرسة الصَّاحبيَّة»، وأوقفتها على الحنابلة فقط؛ وأسندت التدريس فيها إلى الشيخ «الناصح ابن الحنبلي» في عام: (٦٢٨هـ)، الموافق: (١٢٣١م).

وتجدر الإشارة أنَّ السيدة الفاضلة العالمة "أَمَة اللطيف" كانت دائمًا في خدمة ورعاية السيدة ربيعة خاتون، وكانت الصَّاحبة ترجع إليها في كثير من الأمور، لذا فقد أجزلت لها الكثير من الأموال لإنفاقها على ما تؤلِّفه من تصانيف. توفيت «الصَّاحبة» . رحمها الله تعالى . في شعبان سنة: (٦٤٣هـ)، الموافق: (١٢٤٤م)، عن عمر ناهز الثمانين، ودفنت في مدرستها، وكان أكثر الناس تأثرًا بوفاتها السيدة العالمة الجليلة «أَمَة اللطيف» التي لقيت الكثير من الشَّدائد والمتاعب بعد وفاة الصاحبة؛ فقد

صودرت أموالها، وطولبت بالأموال التي منحتها لها «الصَّاحبة»، وحُبِست، وظلَّت في حبسها حوالي ثلاث سنوات، ثمَّ مَنَّ الله تعالى عليها وتزوج بها الملك الأشرف موسى الأيوبي بن الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص، وسافرت معه إلى الرحبة (إلى الشمال من حلب).

هذا الزواج كان بمثابة رد اعتبار لهذه العالمة الفاضلة التي أسهمت هي الأخرى بدَور كبير بمصنفاتها وعلمها في إثراء الحركة العلميَّة خلال العصر الأيوبي، وقد أنشأت مدرسة للحنابلة بدمشق تقع شرقي الرباط النَّاصري غربي سفح قاسيون، وسُميت بـ (مدرسة العالمة) نسبة لها، وتوفيت - رحمها الله تعالى - سنة: (٦٥٣هـ).



وصف المدرسة الصَّاحبيَّة

تعتبر الصَّاحبيَّة المدرسة الدمشقية الوحيدة التي مازالت تحافظ على كافة مرفقاتها إلى اليوم.

ويصفها الشيخ عبدالقادر بن بدران في كتابه «منادمة الأطلال» بقوله: «... إنها المدرسة المعروفة والمشهورة في حارة الأكراد بدمشق، وبناؤها عظيم يدل على الأبهة والجلالة، وهي من الآثار التي تدل على ارتقاء الفن المعماري في ذلك الزمن».

والمدرسة مؤلفة من أربعة أواوين، ويوجد في الواجهة الشمالية صف من ثلاثة عقود متساوية الارتفاع، ويوجد في النَّاحية الجنوبية منها الإيوان الرئيسي وهو مركز المدرسة، ويحيط به نوافذ كانت تطل على الحديقة وعلى نهر يزيد، ومنه تطل على مدينة دمشق.

تتمتع المدرسة بواجهة حجرية ذات قيمة معمارية فائقة من حيث تدكيك الحجارة الجيرية وتركيبها، وبها أربعة شبابيك تطل على الغرف، ولكن ينقصها الزخارف والعناصر التزيينية التي تمتعت بها بقية المدارس في تلك المنطقة، إلا أن بوابتها لها سحر جميل أخاذ، والباب الفخم مزين بمقرنصات حجرية رائعة على شكل محراب، وهي معقودة بثلاثة صفوف من الانحناءات الأفقية الجميلة على هيئة مقرنصات محرابية الشكل، وبها ست صدفات منحوتة نحتًا جيدًا وصولًا إلى تاج البوابة.

وفي منتصف ساقفة باب المدرسة حُفرت نقوش بديعة مزخرفة بالخط الكوفي المتأخر وكتب عليها ما نصُّه:

«مدرسة الصاحبة أنشأتها ربيعة خاتون أخت السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٦٢٨ هجرية».

أخذت المدرسة شكلَ مستطيل، ومدخل بابها الرئيس من الجهة الشماليةً، مع وجود نوافذ بالجبهة الحجرية يعلوها سواقف، وفوقها يوجد أشكال حجرية مربعة محفورة حفرًا هندسيًا أخذت شكل حزام.

أما ضريح الواقفة فيوجد في الغرفة الغربية الوسطى من المدرسة، والتي تضم أيوانان: شرقي وغربي، ومسقوفة بأعمدة مزدوجة، والضريح نفسه وضع بشكل منحرف عن استقامة الغرفة كي يتناسب وجوده، ووضعه مع اتجاه القبلة.

أوقاف المدرسة الصاحبية

ذكر النعيمي - رحمه الله تعالى - في كتابه «الدارس في تاريخ المدارس» أنه عُلمَ الآن من وقفها: «غالب قرية جبة عسال، والبستان الذي تحت المدرسة، والطاحون، وحاكورة - أي حديقة صغيرة -، وغالب تلك الحارة التي بجوارها».

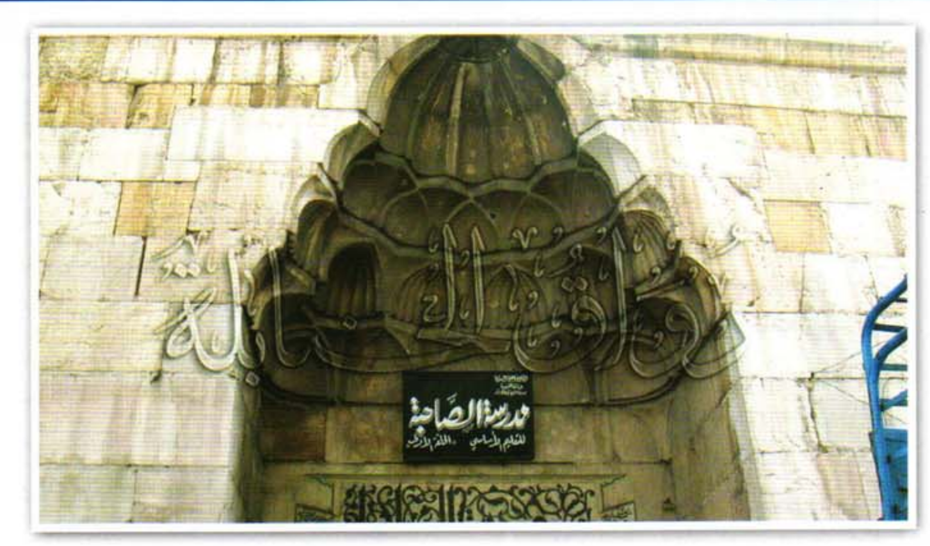
التاريخ العلمي للمدرسة الصاحبية

ذكر الشيخ ابن شداد، عز الدين الحلبي - رحمه الله تعالى - في كتابه «الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة»، وغيره، أنَّ أول من درَّس بالمدرسة الصاحبية:

١. الشيخ الكبير عبدالرحمن بن نجم بن عبدالوهاب الجزري السعدي المعروف بـ «الناصح ابن الحنبلي»، عالم بفقه الحنابلة، ومؤرخ.

وقد أكد سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان»: «أن ربيعة خاتون (الصَّاحبة) أنشأت هذه المدرسة من أجل الشيخ عبدالرحمن الناصح ابن الحنبلي للتدريس فيها،...وقد وهبتها لتدريس الفقه على المذهب الحنبلي...»

وكان قد حضر درسه الأول في المدرسة الصَّاحبيَّة - بعد افتتاحها - جمع من العلماء وطلاب العلم، كما قال بدر الدين الأسدي في كتابه «الأعلام بتاريخ الإسلام»: «ودرَّس بالصَّاحبة الناصح ابن الحنبلي في شهر رجب وكان يومًا مشهورًا وحضرت الواقفة (الصَّاحبة)



وراء الستر».

والناصح ابن الحنبلي أصله -رحمه الله- من شيراز، ولد بدمشق سنة: (٥٥٤هـ)، ورحل إلى العراق ومصر والحجاز وفلسطين، وكانت له حرمة عند الملوك والسلاطين، خصوصا ملوك الشام بني أيوب، وحضر فتح القدس مع صلاح الدين، وله كتب، منها: «أسباب الحديث» عدة مجلدات، و«الاستسعاد، بمن لقيت من صالحي العباد، في البلاد»، و«تاريخ الوعاظ» وغيرها من الخطب والمقامات، وكان رحمه الله ـ حلو الكلام مهيبًا شهمًا، توفي سنة: (٦٣٤هـ) بدمشق ودفن فيها، ثم تولى التدريس بعده بالمدرسة الصاحبية ابنه:

٢. يحيى بن عبدالرحمن بن نجم الحنبلي الشيخ الإمام سيف الدين بن الناصح ابن الحنبلي، سمع من حنبل وابن طبرزد والكندي وغيرهم بدمشق والموصل وبغداد، وهو آخر من حدَّث بالسماع عن الخشوعي، وحدث بمصر ودمشق، وسمع منه العلامة تاج الدين الفزاري، وأخوه والحافظ الدمياطي وابن العطار وجماعة، توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة: (٦٧٢هـ)، ثم تولى التدريس بعده بالمدرسة الصاحبية ابن أخيه شرف الدين محمد بن علي بن عبدالله ابن الشيخ ناصح الدين، ثم بقيت على أولاده من بعده، وينوب عنهم فيها الشيخ المحدث تقي الدين ابن الواسطي المتوفى سنة: (٦٩٣هـ)، ثم تولى التدريس بعده:

٣. الإمام العلامة محمد بن عبدالقوي بن بدران بن عبدالله المقدسي، الفقيه المحدث شمس الدين أبوعبدالله، (صاحب منظومة الآداب)، تفقه على الشيخ شمس الدين بن أبي عمر، ودرس وأفتى وصنف، ووُلّي تدريس «الصَّاحبة» مدة بعد تقي الدين ابن الواسطي، وتخرج به جماعة، وممن قرأ عليه العربية شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية، وله تصانيف، وروى عنه إسماعيل بن الخباز في مشيخته، توفي -رحمه الله- سنة: (٦٩٩هـ)، ودفن بسفح جبل قاسيون.

هذا، ويجد الباحث في تاريخ هذه المدرسة العريقة أنه لا يكاد يذكر اسم عالم من علماء دمشق أو ممن نزلوا بها . وخصوصًا الحنابلة منهم . بعد سنة (٦٢٨هـ) إلا وقد درس أودرَّس أو زار هذه المدرسة للالتقاء بكبار العلماء أو للاستفادة مما كانت تقدمه من علم تأصيلي عريق.

الخاتمة:

يقول الأستاذ عماد الأرمشي الباحث في التراث الدمشقي:

"وأثناء زيارتي الميدانية للمدرسة بصيف العام: (٢٠٠٥م) وجدت لوحة تأسيسية حديثة باللون الأسود كتب عليها: مدرسة الصاحبة، للتعليم الأساسي "الحلقة الأولى" والتابعة لوزارة التربية السورية . مديرية التربية في محافظة دمشق، وما تزال هذه المدرسة الصامدة تؤدي وظيفتها التعليمية منذ إنشائها وحتى يومنا هذا... وقد حاولت مديرية أوقاف مدينة دمشق الحفاظ عليها كمدرسة، وتم تأجيرها إلى وزارة التربية السورية،...وقد أضيف إلى بناء المدرسة غرف مغايرة للبناء الأصلي، مما أدى إلى شيء من عدم الانسجام مع الشكل الأصلي للبناء الأيوبي.

وأخيرًا فإن هذه المدرسة العريقة بعراقة التاريخ مازالت قائمة حتى يومنا هذا كمدرسة ابتدائية للبنات... وظلت صامدة ومحفوظة من العصر الأيوبي ولغاية القرن الحادي والعشرين، يستخدمها أهل الصَّالحية جيلًا بعد جيل، فرحم الله هذه السيدة الجليلة الفاضلة سليلة الملوك والأمراء الأيوبيين «ربيعة خاتون» وأجزل لها الإحسان والثواب على هذه المدرسة التي كانت . ومازالت . دار علم ونور على مرِّ العصور.

المراجع:

١- الأعلام للزركلي.
٢- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، لابن مفلح (ت: ٨٨٤هـ)
٣- رحلة ابن بطوطة.
٤- معجم البلدان لياقوت الحموي.
٥- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان.
٦- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، لابن شداد.
٧- الدارس في تاريخ المدارس، للنعيمي.
٨- منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، لابن بدران.
٩- الأعلام بتاريخ الإسلام، للأسدي.
١٠- مرآة الزمان، لسبط ابن الجوزي.
١١- المدرسة الصَّاحبيَّة للباحث عماد الأرمشي، (وقد استفدت منه كثيرًا).



فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

إعداد: التحرير

٨٣/١/٧ بيع الأجل

السؤال الأول: هل بالإمكان شراء الذهب والفضة بالأجل، وقبل حلول فترة الاستلام نقوم ببيعها فورًا بالأجل عن طريقنا؟

أجابت اللجنة: إن الأوراق المالية قائمة مقام النقدين (الذهب والفضة)، ولما كان بيع الذهب بالذهب أو بالفضة، وعكسه، لا يجوز شرعًا إلا يدًا بيد، ويشترط أيضًا أن يكون مثلًا بمثل إذا كان التقابل بين سلعتين من جنس واحد، فإن شراء الذهب والفضة بمقابلة بدل نقدي أو ذهبي أو فضي مؤجلًا حرام، وهي معاملة فاسدة يجب فسخها، وعلى هذا تعتبر المعاملة الثانية أيضًا حراما، وهي القيام ببيعه قبل حلول فترة استلامه، بل هي أوغل في الفساد لأنها تشتمل على بيع ما لم يقبضه الإنسان وهو منهي عنه أيضًا. والله أعلم.

السؤال الثاني: معلوم لديكم أن أسعار العملات تختلف قيمتها من وقت لآخر طبقًا لظروف بلدانها الاقتصادية، وتطورات الأحداث العالمية، كما تعلمون أيضًا أن كثيرًا من الشركات الاستثمارية تعمل في مجال شراء وبيع هذه العملات لتحقيق أرباح، لذا نود من إدارتكم الفتوى بخصوص هذا الأمر.

أجابت اللجنة: أن بيع العملات بعضها ببعض إن كانت من جنس واحد كالدولار الأميركي بدولار أميركي فلابد فيها من التساوي قدرًا، ولابد من التقابض في المجلس ومثل ذلك إذا كانت دنانير كويتية بدنانير كويتية، وأما إذا اختلف الجنسان كبيع الدولارات بالدنانير أو العكس أو بالين مثلًا فهو جائز بشرط التقابض في المجلس، إما حقيقة وإما بشيك حال أو بأية طريقة تدل على أن البدل أصبح في حيازته، ولا يجوز أن يكون أحد البدلين مؤجلًا مهما قلت المدة أو معلقًا بشرط. والله سبحانه وتعالى أعلم.

٨٤/ع١٣/١ ـ بيع المريض

رجل مريض بورم مثانة خبيث، ولكنه لم يرتم وبكامل قواه العقلية والجسدية، ولم يترك عمله التجاري ولو يومًا، وهو يتنقل من بلد إلى آخر بسبب أعماله التجارية، فباع نصف منزله السكني إلى زوجته وهو ينقسم إلى قسمين، فباعها قسمًا منه بيعًا قطعيًا وأمام شهود وكاتب عدل، ويرافق هذا تقرير طبي، يثبت بأنه خالٍ من الأمراض العقلية، وتم البيع والشراء وسلمها سند التمليك، وبعد أسبوع توفي الرجل، فما هو الحكم الشرعي من هذه العملية؟ وهل يحق إرجاع البيت للورثة؟ أم ثمن البيت مثلما باعه إلى زوجته؟

أجابت اللجنة: إن كان هذا المرض تزايد في أيامه الأخيرة حتى اتصل بالموت فيكون تصرفه قد صدر في مرض الموت، فإن كان البيع بأقل من ثمن المثل فيعتبر النقص وصية لا تنفذ إلا بإجازة بقية الورثة بعد الوفاة، وإن كان المرض لم يزدد وكان كما جاء في السؤال بحيث لم يقعده عن مباشرة أعماله ومصالحه المعتادة فيكون تصرفه نافذًا. والله أعلم.

٨١/١٧٢/٥ ـ استبدال المعاش التقاعدي

ما الحكم الشرعي في استبدال المعاش؟ (ما يسمى ببيع المعاش).

أجابت اللجنة: أنه إذا كان هذا الاستبدال بين صاحب المعاش والدولة فلا ترى اللجنة في ذلك بأسًا، لأن المعاش لا يأخذ حكم الدين، ولا حكم التركة، بل هو صلة من الدولة لصاحبها، ولورثته من بعده. أما إذا كان الاستبدال لغير الدولة فترى اللجنة حرمة ذلك. والله أعلم.

٨٤/ع٤١/٣ ـ أخذ الأجرة على السمسرة

عرض على اللجنة السؤال المقدم من مؤسسة للتجارة والمقاولات وأحضرت المؤسسة نموذج اتفاقية تأجير، ونموذج اتفاقية استئجار، ونص الاستفتاء كما يلي:

هل يجوز شرعًا تحرير مثل هذه الاتفاقية؟ نرجو إفادتنا جزاكم الله خيرًا بالإجابة، سواء كانت الإجابة بالنفي أو الإيجاب مع بيان دليل ذلك شرعًا؟ وما هو الحل البديل لمثل هذه الاتفاقية؟ مع الشكر وجزاكم الله خيرًا.

بعد الاطلاع على اتفاقية التأجير المتضمنة التعهد بدفع رسم يساوي نصف قيمة الإيجار الشهري حال القبول بالمستأْجَر وعدم استرداده ولو بعد ذلك.

أجابت اللجنة بما يلي: الاتفاق على ذلك جائز لأنه أجرة على عمل وهو (السمسرة) على أنه ينبغي أن يحدد هل المراد نصف قيمة إيجار الشهر الأول أم الإيجار الشهري دائمًا لأن عبارة «نصف



قيمة الإيجار الشهري» فيها جهالة تورث النزاع.

واطلعت اللجنة أيضًا على اتفاقية الاستئجار المتضمن التعهد بدفع المستأجر رسمًا يساوي نصف قيمة الإيجار الشهري، ونص الاتفاقية كما يلي:

نحن الموقعون أدناه نوكل السادة مكتب العقاري المتفاوض نيابة عنا للحصول على سكن، ونتعهد بأن ندفع لهم رسمًا يساوي نصف قيمة الإيجار الشهري حال قبولنا بالسكن، ولا يحق لنا الانتقال إلى هذا السكن قبل دفع هذا الرسم.

كما أننا نوافق أنه عندما نكون قد قبلنا بالسكن ودفعنا الرسم المستحق للوكيل فإنه لا يجوز لنا استرجاع مبلغ الرسم المذكور.

كما أننا نعلم بأن أي سكن يعطى لنا عنوانه من قبل الوكيل يجب أن يعامل بسرية تامة، فإذا أعطينا هذا العنوان إلى شخص آخر فإننا نصبح ملزمين بدفع الرسم المقرر للوكيل في حالة أخذ هذا السكن.

أجابت اللجنة: أن أخذ الرسم بهذا الشرط لا يجوز، وأن أخذ هذا المال من أكل أموال الناس بالباطل، لأنه تعويض فوات ما يتوقع من ربح وليس معهودًا في الشرع، ومع هذا فعلى من يفشي المعلومات التي تعهد بحفظها سرًا الإثم، وعلى صاحب المحل الاحتياط بألا يبوح بالمعلومات التي تنفعه إلا لمن يثق به. والله أعلم.

قرار المجمع الفقهي الإسلامي (رابطة العالم الإسلامي) بشأن برمجة القرآن الكريم في الكمبيوتر

إن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي المنعقد بدورته التاسعة في مكة المكرمة من يوم السبت ١٤٠٦/٧/١٢هـ إلى يوم السبت ١٤٠٦/٧/١٩هـ قد نظر في موضوع برمجة القرآن الكريم والمعلومات المتعلقة به وتخزينها في الجهاز الآلي (الحاسب الإلكتروني الذي يسمونه بالدماغ الإلكتروني)، وذلك لحفظ العلوم القرآنية التي قد دونها علماء الإسلام السابقون في كتب ألفوها خصيصًا في هذا المجال، وإضافة كل ما يمكن أن يضاف إليها من معلومات تتعلق بالقرآن العظيم، مما قد يحتاج الباحثون في هذا العصر إلى معرفته في الجامعات وسائر المراكز العلمية في العالم. وكان هذا الموضوع قد طلب من مجلس المجمع أن يبدي فيه رأيه من الناحية الشرعية، وأجل النظر النهائي فيه حتى يستكمل المعلومات عن هذا الجهاز، وطريقة عمله وخصائصه، والإمكانات والنتائج التي يتيحها، واللغة التي تستخدم فيه، وما إلى ذلك مما يتوقف عليه البت في حكم هذه البرمجة العلمية القرآنية فيه، وكتب المجمع إلى عدد من الجامعات والمجامع والشخصيات العلمية أن يوافوه بإيضاح هذه النواحي، وجاءت تقاريرهم في هذا الشأن. وقد قدم أيضًا فضيلة الدكتور الشيخ محمد الحبيب بن الخوجة عضو مجلس المجمع الفقهي الإسلامي تقريرًا إضافيًا وافيًا في ضوء التقارير الواردة من الجهات التي طلب المجمع منها ذلك الإيضاح. وقد تبين أن هذا الجهاز الذي هو من مبتكرات هذا العصر يمكن أن يخزن فيه بطريقة فنية خاصة- تسمى البرمجة- كل ما يراد من معلومات ونصوص يحتاج إليها الباحثون، مهما عظمت كميتها، وتنوعت أنواعها، كما يمكن إضافة معلومات جديدة للتخزين فيه، وتقوم الجهات بتصنيفها، ثم يستدعى منه ما يراد الرجوع إليه من تلك المعلومات بسرعة مذهلة آنية، فيعرضه الجهاز على لوحة ضوئية، فيرى فيه الطالب ما يشاء من المعلومات أو النصوص التي استدعاها. ونظرًا لأن مثل هذه البرمجة في هذا الجهاز قد أصبحت ممكنة باللغة العربية، كما أنه قد سبق لبعض الأساتذة المختصين في علوم الحديث النبوي والسنة المطهرة أن طبقوها على بعض كتب السنة فآتت أحسن النتائج من حفظ المعلومات في هذا الجهاز وتسهيل الرجوع إليها عند الحاجة، ولذلك وبعد المناقشة المستفيضة بين أعضاء المجلس حول الفوائد المحققة في هذا المشروع والمحاذير المحتملة فيه، تقرر بالإجماع في شأن برمجة علوم القرآن وبالأكثرية في شأن برمجة النص القرآني نفسه جواز القيام بهذه البرمجة للقرآن الكريم وعلومه في الحاسب الإلكتروني، بل استحسان ذلك بالنظر الشرعي لما فيه من خدمة جليلة لعلوم القرآن، وتسهيل عظيم على الدارسين، والباحثين، وذلك بالشروط التالية:

أولًا: الرجوع في الناحية الفنية إلى المختصين ليكون استعمال الجهاز بطريقة دقيقة وسليمة، يؤمن معها من كل خلل يؤدي إلى تغيرات بسبب سوء الاستعمال.

ثانيًا: أن تكون البرمجة باللغة العربية، وأن تضبط بالشكل الكامل نصوص القرآن، والحديث، والكلمات المحتاج إليها من غيرها، وأن يكون النص القرآني بالرسم العثماني.

ثالثًا: أن يشترك الفنيون المتخصصون مع علماء المسلمين المتخصصين في القرآن وعلومه، فيقومون معًا بمهمة البرمجة، أي في إدخال المعلومات في الحاسب الإلكتروني وتخزينها فيه.

رابعًا: أن يتولى بعد ذلك علماء ثقات مسؤولون عن الناحية العلمية مراجعة النتائج للوثوق من دقتها وسلامتها.



إعداد: خالد خلاوي

اصنع فرصتك

هل انتظرت الفرصة المناسبة في حياتك، ولم تأت هذه الفرصة؟ هل جلست يومًا على شاطئ البحر تنتظر أن يطفو لك السمك من تلقاء نفسه وتأخذه، وانتظرت طويلا ولم يظهر، يحدث ذلك لأن الفرصة المناسبة قد يطول انتظارها، وقد تأتي مرة وتذهب ولكنها تصنع ٩٩ مرة، وقيل: اللؤلؤ لا يطفو على السطح!! عليك أن تغوص من أجله والحياة فرص والفرص لا تطرق الأبواب.. إذن توكل على الله وخذ بالأسباب واصنع الفرص بنفسك.

وصناعة الفرصة تتطلب حسن اختيار مجال حياتك، فمجال الحياة هو الجانب الذي أنت مستعد أن تبذل كل عمرك فيه وتعطيه حياتك وتريد أن تضع فيه بصمتك وتبدع فيه وتصبح من أعلام ورموز هذا المجال.

ولكن كيف تحدد مجالك؟

هناك تمرين رائع يساعدك على تحديد المجال للمحاضر د.طارق السويدان، وفيما يلي ملخص هذا التمرين:

توجد ثلاثة عناصر رئيسية على أساسها تحدد تخصصك ومجالك نجمعها في كلمة: «رِفق» وتعني: «ر» الراء = الرغبة، «ف» الفاء= الفرصة، «ق» القاف= القدرة.

١- الرغبة: إياك أن تجعل تخصصك ضمن مجال لا تحبه.. فالذي يعمل فيما يُحسن سينتج.. لكنه لن يبدع إلا إذا عَمِل فيما يحب ويعشق، وعندها سيستمتع بعمله وتكون له إضافات وإبداعات، فإياك أن تستشير غيرك دون مراعاة رغبتك الشخصية، فالاستشارة في اختيار تخصصك مهمة لكن الأهم هو ما تحبه أنت لنفسك.

٢- الفرصة: إياك أن تذهب لتخصص فيه زحمة ومنافسة كبيرة، على سبيل المثال: الشاب الذي يعشق علوم الدين ويريد أن يكون عالم شريعة سيواجه مشكلة كبيرة نظرا للكم الهائل من طلاب الشريعة.. والحل الأمثل هنا أن تكون متميزًا وتصنع فرصتك بنفسك، وهنا نطرح سؤالاً مهمًا: «الفرصة.. تُصنع أم تأتي؟».. طبعًا تُصنع وتأتي في الوقت نفسه، لكن ما هي النسبة: أثبتت إحصائيات علمية أن الفرصة تأتيك بنسبة ٠,٢٪ والباقي عليك أن تصنعه لنفسك.. فمن يقول: إن فلانًا نجح لأن الحظ كان بجانبه فهو مخطئ.. عليك أن تصنع فرصتك وأن تكون مستعدًا لها في نفس الوقت.

٣- القدرة: الكثير من العلوم والتخصصات تتطلب مواهب استثنائية، فالطب يتطلب ذاكرة قوية، والهندسة تتطلب التمكن من الرياضيات، والإعلام يتطلب هيئة جسمية مقبولة والتمكن من اللغات.. ولا تكن مثل هذا الشاب الذي يريد أن يكون من أحد المقرئين الكبار لكن صوته خشن، فمن المستحيل أن يتميز فيما يريد، ويجب حساب درجة توافر هذه العوامل الثلاثة لديك، والتنسيق بين هذه العوامل الثلاثة «رفق» بالإضافة إلى عنصر رابع «درجة الندم» ويعني درجة ندمي عندما أختار تخصصًا ما، وهنا ما عليك سوى أن تختار التخصص الذي يمثل أقل درجة من الندم من بين التخصصات.

ويجب التوفيق بين المجال والهواية.. قد يسأل البعض: أنا أحب مجالين أريد أن أتخصص فيهما؟ والجواب اختر مجالا واحدًا فقط تتخصص فيه، والآخر اعتبره هوايتك الأساسية.. ولكن ما الفرق في تقسيم جهدي ووقتي بين المجال والهواية وحياتي؟ والجواب: مجالك أعطيه ٥٠٪ من وقتك وجهدك (خارج وقت النوم ٨ساعات)، بينما هوايتك الأساسية أعطيها ١٠٪، والأربعين المتبقية خصصها لأمورك اليومية (الأهل والعبادة).

ابذل المزيد من الجهد في كل ما يزيد من إمكانياتك ومهاراتك في مجالك، فإذا كنت تقرأ كتابين في الشهر عليك أن تقرأ كتابا في مجالك، حاول أن تحضر وتشاهد أكبر قدر من المحاضرات والدورات والمؤتمرات الخاصة بمجالك، كوّن علاقات مع أهل التخصص وعش معهم وبعلمهم قدر ما استطعت.

وإذا نجحت في تحديد مجالك.. فكيف تحدد مشروعك، هناك عدة معايير وهي:

١- **الانتشار**: وذلك يعتمد على انتشار مشروعك، فالبرنامج التلفزيوني هو الأكثر انتشارا ثم يليه تأليف كتاب ثم محاضرة عامة (إذا كانت في التلفزيون فهي تعتبر كبرنامج تلفزيوني) ثم دورة تدريبية.

٢- **الاستمرارية**: طبعًا الكتاب هو الأكثر استمرارية (إن كتاب العالم هو ولده المخلد) لأن الكتاب يبقى ويستمر لأجيال ولقرون كثيرة، ثم تلفزيون ثم محاضرة وهكذا.

٣- **عمق الأثر (تأثير المشروع)**: وهذا المعيار مهم، فنحن نعلم أن برنامج تلفزيوني يمكن أن تشاهده وترد على سماعة الهاتف وقد تأكل وأنت تشاهده وقد تتكلم مع من بجوارك.. فهو غير مؤثر، وحال انتهاء البرنامج ينتهي الأثر، ثم يأتي دور المحاضرة العامة.. ولذلك لا تكثروا من إشغال أوقاتكم في المحاضرات العامة أو التلفزيون لأن الأثر والاستمرارية قليل، ثم يأتي دور الكتاب ثم الأكثر أثرًا.. إنها الدورة التدريبية.. نعم، فقد تعطي دورة لـ٢٠ أو ١٢ أو ١٠٠ وهو عدد قليل بالمقارنة مع ملايين المشاهدين في التلفزيون، لكن عمق الأثر يكون في الدورة قويًا جدا لأنك تحتك بهم وتدربهم.. حسنًا، التأثير يبدأ من دورة تدريبية ثم تأليف كتاب.



صور من حياة المتميزين

الباحث عن الحقيقة

كان سلمان الفارسي رضي الله عنه أول من دخل الإسلام من بلاد فارس وقصة دخوله الإسلام مرت برحلة بحث طويلة عن الدين الذي رضيه الله لعباده دينًا، ولقد تنقل سلمان بين عدد من البلدان في رحلة بحثه حتى وصل المدينة المنورة، وهناك تعرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصل إلى مبتغاه فأعلن إسلامه.

يقول سلمان رضي الله عنه عن هذا اللقاء: أخذت بعض التمر ثم ذهبت به إلى رسول الله وهو بقباء فدخلت عليه، فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح معك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم، فقربته إليه، فقال رسول الله لأصحابه: كلوا وأمسك يده هو فلم يأكل، فقلت في نفسي: هذه أول علامة لا يأكل الصدقة.

وانصرفت عنه فجمعت شيئًا من التمر، وتحول رسول الله من قباء إلى المدينة ثم جئته به فقلت: إني رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها، فأكل رسول الله منها وأمر أصحابه فأكلوا معه، قال فقلت في نفسي: هاتان علامتان وبقيت واحدة.

ثم جئت رسول الله وهو ببقيع الغرقد قد تبع جنازة من أصحابه عليه شملتان وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي، فلما رآني رسول الله عرف أني أستثبت في شيء وصف لي، فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته فانكببت عليه أقبله وأبكي، فقال رسول الله: تحول فتحولت فقصصت عليه قصتي فأعجب رسول الله أن يسمع ذلك أصحابه.

وعده رسول الله ﷺ من السباقين إلى الإسلام فقال: السباق أربعة: أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة.

كلمات في التميز

الفرصة

العظيم لا ينتهز الفرصة بل يوجدها

كولتون

لا تنتظر سنوح الفرص بل اجتهد أنت في إيجادها.. والفرص كثيرة ولكن الذين يعلمون أنها فرص قليلون.

محمد جمال

بالنشاط واقتناص الفرص يكتسب النجاح.

حكيم

الفرصة لا تسنح إلا لمن يبحث عنها

مارتن لوثر كنج

لا تنتظر أن تسنح لك فرص خارقة.. بل انتهز الفرص العادية واجعلها عظيمة.

حكيم

كثير من حالات الفشل في الحياة كانت لأشخاص لم يدركوا كم كانوا قريبين من النجاح عندما أقدموا على الاستسلام.

توماس أديسون

الفشل هو الفرصة الوحيدة التي تتيح لك البدء من جديد على نحو أكثر ذكاء.

هنري فورد

إعداد: هيفاء حسن

ماذا تفعل إذا سقط هاتفك النقال في الماء؟



الكل يعلم أن الماء حين يدخل إلى أي من الأجهزة الكهربائية، فإنه يتلفها. ولكن أصبح بالإمكان التعامل مع جهاز الهاتف الذكي او الكاميرا الرقمية والأجهزة عالية التقنية الأخرى إذا سقطت في بركة ماء أو في مياه البحر. إذ يمكن إعادة تشغيلها من خلال القيام ببعض الخطوات.

ردة الفعل الأولى لمن يتعرض جهازه للسقوط في الماء هي إخراج البطارية ومحاولة تجفيفه المرة تلو الأخرى، وإبقاء البطارية منفصلة عن الجهاز حتى يجف تماما لتفادي حدوث «شورت».

ومن ثم استخدام منشفة لتجفيف البطارية والأجزاء الداخلية للجهاز، حيث مكان البطارية.

ولكن عليك تجنب استخدام مجفف الشعر لتجفيف الجهاز أو وضعه في أشعة الشمس.. فلابد من تجفيف الجهاز بوضعه في الهواء الطلق والهواء الجاف وليس الساخن.

ويجب ألا تتوقف عملية تجفيف الجهاز عند تنظيف المناطق المبتلة بالماء، ضع الجهاز في وعاء مغطى بالأرز الطازج والناشف لكي يمتص كل الرطوبة من الجهاز، وعليك إبقاء الجهاز منقوعًا بالأرز لمدة ٢٤ ساعة وفي بيئة باردة وجافة.

أخرج الجهاز بعد ذلك من الأرز، وحينها يفترض أن يكون قد أصبح خاليا من الرطوبة ومن المؤمل أن يعود للعمل كالمعتاد.

عشرة كواكب جديدة

قال علماء فلك دوليون إنهم استطاعوا اكتشاف ١٠ كواكب بعيدة جديدة، بينها اثنان بحجم كوكب نبتون وواحد بحجم كوكب زحل.

واكتشف الفريق الدولي، الذي ضم علماء من جامعة اوكسفورد البريطانية الكواكب العشرة عن طريق استخدام تلسكوب (corot) الفرنسي.

وأشار العلماء الى ان من بين هذه الكواكب العشرة، واحدا اكتشف في مدار حيث يبدو نجمًا صغيرًا غير عادي.

وقالت الباحثة المسؤولة عن الدراسة في جامعة اوكسفورد، سوزان ايغرين إن «إيجاد كواكب حول نجوم صغيرة هو أمر مثير، خصوصا أن الكواكب عادة تنشأ بسرعة أولا قبل أن تستقر على نمط تطور أكثر ثباتًا»، مضيفة أنه إن اردنا فهم ظروف نشأة الكواكب، فنحن بحاجة أن نكتشفها خلال فترة أول بضع مائة مليون سنة.

المحيط المتجمد الشمالي يغزو المحيط الأطلسي!

قال علماء إن طحالب دقيقة وأنواعًا من الحيتان موطنها الأصلي المحيط الهادي عبرت مياه المحيط المتجمد الشمالي الذي بدأ في الذوبان مما قد ينذر بغزو للكائنات البحرية يهدد الثروة السمكية في المحيط الأطلسي بالخطر، وأضاف العلماء أن السجلات الحفرية تشير إلى أن هذه الطحالب المجهرية ظلت غائبة عن شمال المحيط الأطلسي لمدة تقرب من ٨٠٠ ألف عام ويبدو أنها عادت إليه من المحيط المتجمد الشمالي في أعقاب التغيرات المناخية التي تضمنت ذوبان الجليد لتحملها التيارات البحرية ثانية الى مياه الأطلسي، والاسم العلمي لهذه الطحالب هو (نيو دنتيكيو لا سيماينى).

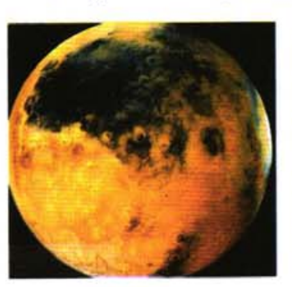


عمر العنكبوت في بيته



وجد باحثون فرنسيون أن حشرات العنكبوت الصغيرة تنسج يوميًا بيوتها بشكل محترف ودقيق وبزوايا دقيقة وأنماط منتظمة لكن مع تقدمها في السن يتراجع أداؤها فتصبح أقل احترافًا في نسج بيوتها التي تظهر فيها فجوات، وأوضح الباحثون أن حشرات العنكبوت تحيك بيوتها بحرفية وشكل منتظم ودقيق بينما يتراجع أداؤها مع التقدم في السن حيث تظهر ثقوب وقلة انتظام في بيوت العنكبوت المسنة، وقالوا: إنهم عن طريق دراسة العنكبوت كنموذج قد يؤدي بهم البحث الى اكتشاف كيف ان العمر يؤثر في سلوك الكائنات الحية الأخرى وبينها البشر.

(سبيريت) قد يعود للمريخ



أوقفت وكالة الفضاء الأميركية محاولاتها للاتصال بالروبورت سبيريت المخصص لاستكشاف كوكب المريخ في ٢٢ مارس ٢٠١٠م.

وأملت (ناسا) في الاشهر العشرة الأخيرة أن يستعيد سبيريت قواه مع ازدياد الطاقة الشمسية بعد نهاية فصل شتاء طويل في المريخ لم تسطع فيه الشمس كثيرًا، فمن دون مصدر كاف من الطاقة التي توفرها الألواح الشمسية للروبوت لتشغل نظام التدفئة فيه، وكان سبيريت قد حط على كوكب المريخ في الثالث من شهر يناير عام ٢٠٠٤م في مهمة كان يفترض أن تدوم ثلاثة أشهر، وبعدما أنجز المهمات المبرمجة حقق سبيريت أهدافًا أخرى وعمل لمدة ست سنوات.

القناعة كنز لا يفنى

هذا المثل العربي الشهير «القناعة كنز لا يفنى» أكدته الآن دراسة جديدة أجرتها جامعة بريطانية، جاء فيها أن الاكتئاب والقلق كما هو معروف يضعان الناس في خطر اكبر للاصابة بالأمراض الفتاكة، غير ان العلماء اثبتوا الآن منافع القناعة والحياة المرْضية في تعزيز صحة القلب، وأضافت الدراسة ان القناعة في مجالات معينة في الحياة وخاصة الوظيفة والأسرة والحياة الجنسية هي اصول صحية إيجابية، وحذرت من أن التدخلات الرامية من خلال العقاقير الطبية الى تحسين الحالة النفسية وجعلها إيجابية وليس فقط تخفيف الحالات النفسية السلبية قد تسبب مخاطر عالية للأفراد.

من هنا وهناك

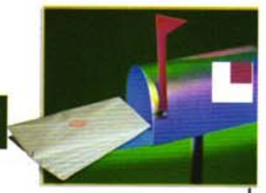
- أكد علماء فرنسيون أن الانسان يفهم أساسيات الهندسة بالفطرة أي من دون دروس في الهندسة، وبرهن الباحثون من جامعة باريس على هذه الحقيقة من خلال إخضاع شعب (موندورو كو) بمنطقة الغابات المدارية في البرازيل لاختبار مدى قدراتهم الهندسية.

- يعمل العلماء في جامعات ادنبرة وكامبريدج وشيفيلد في بريطانيا الآن على بناء أجهزة تحاور الناس وتتفاعل معهم بطريقة طبيعية وذكية وسيساعد الذكاء الصناعي هذه الأجهزة على أن تصبح قادرة على الفهم والتحدث والتصرف مثل بني البشر.

- شيخوخة المجتمع من التحديات الكبيرة التي تواجهها ألمانيا وأكثر دول أوروبا داعية وزير الداخلية الألماني عن تشككه ازاء المطالب التي تنادي بتشجيع الهجرة الى المانيا لسد العجز في العمالة المتخصصة.

- قال باحثون اميركيون ان على الأطفال أن يذهبوا في العد أبعد من الرقم ثلاثة كي يستوعبوا المفهوم الحقيقي للحساب.

- قدم عدد من العلماء في فرنسا بحثًا جديدًا حول الميول السلوكية للطيور قالوا فيه: إن طيور الحمام لديها القدرة على تذكر الأشخاص الذين يتعرضون إليها بالإساءة بل ويمكنها أن تخطط في وقت لتجنبهم بحيث تنجو من تصرفاتهم نحوها.



إعداد: التحرير

الموروث الثقافي الإسلامي وانفتاحه على الثقافات العالمية

يعد الموروث الثقافي في الثقافة الإسلامية إشكالية قديمة اهتم بها علماء وفقهاء الأمة الإسلامية في كل العصور ومع مرور الأجيال المتعاقبة على الحضارة الإسلامية العريقة، وسيستمر هذا التواصل إلى المستقبل بحول الله، فالتفاعل بين مختلف التصورات أمر مطلوب ومرغوب فيه، لأنه يخلق تكاملًا وانسجامًا من أجل سيرة ثقافية شاملة تحافظ على هويتها وتبرز مواهبها وأنشطتها للتجاوب مع متطلبات العصر الحاضر، وقد أكد الفيلسوف المشهور ابن رشد منذ ثمانية قرون في هذا المضمار أن «النظر في كتب القدماء واجب بالشرع»، ويقصد بهذا فلاسفة اليونان الذين كانوا يمثلون الثقافة المحلية، وينطبق هذا على الثقافة المستوردة ويستوجب على الأفراد والباحثين والمهتمين أن يفتحوا الأبواب على مصارعها لاستقبالها لخلق برامج ثقافية ذات تفعيل جديد من المستوى المتميز الذي يبث ثقافة تتلاءم مع ظروف العصر الجديد ومتطلباته في جميع المجالات والميادين المنوطة به، ولتقييم يؤدي إلى استفادة أمتنا الإسلامية من جميع أنواع المدارك والمعارف لأجل تقدمها ونهضتها، ويمكن القول إن الاتجاه الذي سلكه الفلاسفة العرب كان اتجاهًا في محله، بل كان اتجاهًا صائبًا يهدف إلى الحفاظ على الموروث الثقافي الذي يعبر عن الحضارة الإسلامية المتشعبة ذات الأمجاد كالحضارة الإغريقية والحضارة البابلية والحضارة الهيلينية والحضارة العباسية التي انبثق من صلبها اندماج في شتى المعطيات الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، مما شكل لدى الأمة الإسلامية تراثًا عربيًا أصيلًا يعبر عن الأصالة العربية الإسلامية.

إن انفتاح الأمة الإسلامية العربية على باقي الثقافات جعل منها أمة قوية من ناحية الكم والكيف وذات سلاح فكري فتاك جعل منها أمة تزخر برصيد ثقافي هائل شكل لديها موروثًا ثقافيًا مهمًا يهتم بدراسة جميع أنواع الفنون والعلوم، فالعقيدة الإسلامية بالنسبة للأمة الإسلامية تشكل في حد ذاتها موروثًا ثقافيًا رسميًا بالنسبة لها، منها ما هو يتلاءم مع ظروف العقيدة، ومنها ما هو يتنافى مع ظروفها كالشرك بالله تعالى وتصديق ما هو متناف مع الأخلاق والعادات والتقاليد والأعراف الإسلامية.

كاتب غيور

صنف من المخلوقات

ذكر الأستاذ الدكتور أحمد عكاشة أن الإنسان يتميز عن الحيوان بجزء مخه الأمامي، حيث فيه مشاعر الاكتئاب وبعض الاضطراب، ومن لم يكتئب ويضطرب في بعض حياته يتساوي بالحيوان.

وقد يصل الأمر بالبعض إلى الانتحار، واستفيد من هذا التشخيص الطبي بأن الجبابرة والطغاة تعطل عندهم حالة الإحساس في مقدمة أمخاخهم، وذلك بسبب طغيانهم والتأليه من قبل خدمهم ودهس شعبهم والنكاية بمعارضيهم والتمثيل بمن لا يروق لهم، وهذا ولاشك سلوك يتفق وسلوك الوحوش في الغابة.

وهذا يتفق ودلالة الإعجاز في الآية الكريمة ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾، حيث يتفق التفسير الطبي مع الحال الواقعي مع النص القرآني.

وتدعيمًا لقولي واستنباطي هناك فئة من هذه الفئات أقل من الحيوان، حيث تعيش تمارس القسوة بمنتهى الامتهان قال تعالى: ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾.

وهذا هو الواقع في دول الإسلام، وللأسف هذه الفئة في كثير من المواقع، وبيدها مصالح المسلمين، ولهذه المصالح مستغلين، وبمن تحت أيديهم باطشون، وعليهم وزرهم ووزر المعذبين.

■ **عصام الحسين حميد**

واصبر نفسك

لا يختلف اثنان على أن الصبر لغة هو الحبس ومعناه حبس النفس عن الجزع أو الشكوى، ويقوي هذا المعنى قول المولى عز وجل ﴿ واصبر نفسك﴾ أي احبس نفسك، وقال ذو النون المصري الصبر هو تلقي البلاء بالوجه الضاحك.

والصبر ثلاثة أنواع، أولها الصبر على طاعة الله، وثانيها الصبر على أقدار الله، أما ثالثها فهو الصبر عن محارم الله، فالصبر على طاعة الله معناه أن يحبس الإنسان نفسه على العبادة ويؤديها كما أمره الله ولا يتهاون في أدائها، وما أجمل قول البوصيري «إذا حلت الهداية قلبًا نشطت الأعضاء للعبادة»، فأما الصبر على أقدار الله فمعناه التسليم لما يقع على الإنسان من الهموم والبلاء، وألا يقابل ذلك بالضيق والشكوى لغير الله، ويعلم أن نزول البلاء بأسباب وأن له أحكامًا لا يعلمها إلا الله، فأما الصبر عن محارم الله فهو تجنب الوقوع فيما حرمه الله، سواء ما يتعلق منها بحقوق الله أو بحقوق العباد، ومتى عرف الإنسان عاقبة الذنوب كان أحرى به أن يتجنبها خوفًا من علام الغيوب.

■ **خلف أحمد عبد العليم**

مفهوم الثقافة والمبادئ الثقافية

تعد الثقافة مجموعة من الأفكار والمعطيات التي تشكل في عمقها رصيداً ثقافيًا لدى المثقف، وتهتم في مجملها بالسلوك وأنماط العيش التي تكمن في شخصية المثقف الذي يخلق أنماط التفكير حسب مؤهلاته ونشاطاته الثقافية، والثقافة تعبر عن اهتمامات وميولات متعددة ومركبة كالاقتصاد وعلم النفس والجغرافية، ويجب على المثقف أن يحافظ عليها، لأنها تطبع شخصيته وهويته كمثقف ضمن المبدعين في ميدان الثقافة من الأدباء والشعراء والعلماء الذين اهتموا بثقافات متنوعة كالشعر والقصص والخط العربي والفنون التشكيلية، فهؤلاء جميعًا تركوا بصماتهم الثقافية موسومة في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية.

وتعتبر القيم الثقافية مبدأ من المبادئ المتعارف عليها ثقافيًا من أجل إضفاء لون عليها للتعريف بهوية المثقف ككل، والمجالات الثقافية ذاتها تستهدف خلق برامج للتوعية والتثقيف في ميادين متعددة كالتربية والتعليم والمعلوماتية والإعلام وتنظيم مهرجانات دولية ثقافية والحث على انعقاد مؤتمرات تربوية.

وقد وضعت رهن إشارة الباحثين والمثقفين الذين لديهم اهتمام بهذا المجال مؤسسات ومراكز ومكتبات ومقاهي الإنترنت لأجل إبراز مواهبهم الثقافية وتنميتها وصقلها وبالتالي إدماجهم في جميع أنواع الثقافات العالمية، والثقافة الإسلامية عرفت بدورها تقدمًا ملحوظًا لتكون موسوعات ثقافية عالمية بالنسبة لجميع المثقفين الذين ورثوا رصيدًا ثقافيًا شكل لديهم معلومات قيمة ذات طابع ثقافي واجتماعي وسياسي واقتصادي منفتح على جميع الثقافات الأوروبية والأمريكية ككل.

■ **بداوي مليكة**

الجراد المنتشر

تعودنا مع «الوعي الإسلامي» قول الحقيقة بشجاعة وواقعية، وقول الحق ولو كان مرًا وبدون مصلحة ولا منفعية، ومن هذا المنطلق فإنني أصل إلى مرادي من خلال مجلتي الواعية المستوعبة، أصل لوصف حال كثير من الدول الإسلامية ولا أجد إلا الجراد مثالاً، انظر إلى الجراد في تكاثره وإليه في هجومه على الزرع وتقاطره وإليه في الانتشار وتناثره والنتيجة أنه لا يبقي ولا يذر إلا الشر المستطر، حيث الحطام للزرع هو الأثر، والخطر يأتي من فئة قليلة عميت بصائرها قبل البصر في العالم الإسلامي كله أو معظمه.

وإذا سألت عن الثروة ومصادرها فهذه الفئة لم تبق للأمة شيئًا إلا فيما ندر، والواحد من هؤلاء على نهبه من الثروات قد سهر، واستحوذ عليها ومن يقترب منها يبطش به، وهذه الفئة بفرعون وهامان وقارون لا تعتبر، وعن قوله تعالى ﴿ما أغنى عني ماليه﴾ أعرضت ونأت وولت الدبر ولقوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ لم تطل النظر وبسبب هذه الفئة تخلف العالم الإسلامي وصادر مهيض الجناح مقطوع الوتر.

■ **ناهد السيد شعبان**

إعداد: التحرير

شهر شوال

سمي من تشويل لبن الناقة فيه، أي: جف ونقص، وقيل: إن الإبل كانت تشول بأذنابها، أي: ترفعها طلبًا للإخصاب.

ويلفظ أيضًا بالألف واللام، فيقال: الشوال، وهو أول أشهر الحج.

قوت الأتقياء

- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «القلب إذا أُكره عَميَ».
- قَال ابن مسعود رضي الله عنه: «العلم أكثرُ من أن يُؤتى على آخره، فخذ من كل شيء أحسنَهُ».
- قال الحسن رحمه الله: «حادثُوا هذه القلوب، فإنها سريعة الدُّثور، واقدَعوا هذه الأنفسَ، فإنها طُلَعَةٌ، وإنّكم إلا تَزَعُوها تَنْزِعُ بكم إلى شرّ غاية».
- وقال أَنُشَرْوانُ: «القلوب تحتاج إلى الحكْمة، كاحتياج الأبدان إلى أقواتها من الغذاء».

(الكامل في اللغة والأدب للمبرد).

ليس يكسف إلا الشمس والقمر

قال الشافعي رحمه الله تعالى:

الدَّهرُ يومان: ذا أَمْنٌ وذا خطرُ
والعيشُ عيشانِ ذا صفوٌ وذا كَدرُ
أَما تَرى البحرَ تعلو فوقَهُ جِيَفٌ
وتستقرُ بأقصى قاعه الدُّرَرُ
وفي السَّماءِ نُجومٌ لا عدادَ لها
وليس يكْسفُ إلا الشَّمسُ والقمرُ

(ديوان الإمام الشافعي)

ابتسامة

فلا تصدقه!

استأجر رجلٌ حمالًا ليحملَ له قفصًا فيه قوارير، على أنْ يعلمَه ثلاثَ خصالٍ ينتفعُ بها، فلما بَلَغَ ثُلثَ الطريقِ، قالَ الحمّالُ: هات الخصلة الأُولى.

فقال الرَّجُل: «مَنْ قالَ لكَ إنّ الجُوعَ خَيْرٌ مِنَ الشّبعِ فَلا تصدقه».

قالَ الحمّال: نعم. فلما بلغَ الثُّلثَ الثاني، قال: هات الثانية.

فقال الرَّجُل: «مَنْ قالَ لكَ إنّ المَشْي خَير مِنَ الركوبِ فلا تصدقه».

قال الحمّال: نَعم. فلمّا انتهى إلى باب الدّار، قال: هات الثالثة.

فقال: مَنْ قَال لكَ إنّه يوجَد حمّال أَجْهَل منك فلا تصدقه.

فرمى الحَمّال بالقفص فكسر جميع القوارير، و قال: مَنْ قال لكَ إنّه بَقيَ في القفص قارورة لم تكسر فلَا تصدقه.

(روائع الدرر)

لا تُحَقّر شيئًا

«لا تُحقّر شيئًا مِنْ عَمل غَد أن تحققه بأَن تعجله اليوم وإنْ قَلّ، فإنّ مِنْ قليل الأَعمال يجتمعُ كثيرها، وربما أَعجز أَمرها عند ذلك فيبطل الكل».

«ولا تحقّرن شيئًا مما ترجو به تثقيل ميزانك يوم البعث أَن تعجله الآن، وإنْ قَل، فإنّه يحط عنك كثيرًا، لو اجتمع لقذف بك في النار».

(مداواة النفوس)

أوّل مَنْ اتخذ صاحب شرطة

عثمان بن عفان رضي الله عنه ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنّة، كان غنيًّا شريفًا في الجاهلية، أسلم بعد البعثة بقليل، ومِنْ أعظم أعماله: تجهيزه نصف جيش العسرة بماله، افتتحت في أيامه أرمينية والقوقاز وخراسان وكرمان وسجستان وإفريقية وقبرص، وهو أوّل مَنْ اتّخذ صاحب شرطة اسمه «عبدالله بن قنفذ التيمي القرشي»، وهو أوّل مَنْ أَقطع القطائع مِنَ الخلفاء (والقطائع هي الأراضي التي منحها للناس).

(الأوائل لأبي الهلال العسكري - معجم الأوائل)

اصطحب رجلين واهرب من الثالث!!

قال بعض الأُدباء: «النّاس ثلاثة فاصحب رجلين واهرب من الثالث: رجلٌ أَعلم منك، فاصحبه تتعلّم منه، ورجل أنت أعلم منه، يقبل منك، فاصحبه تُعَلِّمه، ورجل مُعجَب بنفسه، ولا علم عنده ولا تعلُّم، فاهرب من هذا».

(الوَعظ المطلوب للقاسمي)

فرعون وموسى

تنبأ رجل وادعى أنه نبي الله موسى، فبلغ خبره المأمون فأحضره وقال له: من أنت؟ فقال: أنا موسى الكليم، قال: وهذه عصاك التي صارت ثعبانًا؟ قال: نعم، قال: ألقها من يدك ومرها أن تصير ثعبانًا كما فعل موسى! قال: قل أنت أنا ربكم الأعلى كما فعل فرعون وأنا أصيرها ثعبانًا، فضحك الخليفة وعفا عنه.

(روائع الدرر)



أحسن لباس

قال أبوحاتم البستي: «الفصاحة أحسن لباس يلبسه الرجل، وأحسن إزار يتزر به العاقل، والأدب صاحب في الغربة، ومؤنس في القلة، وزين في المحافل، وزيادة في العقل، ودليل على المروءة، ومن استفاد الأدب في حداثته انتفع به في كبره، لأن من غرس فسيلًا يوشك أن يأكل رطبها، وما يستوي عند أولي النهى، ولا يكون سيان عند ذوي الحجى: رجلان أحدهما يلحن والآخر لا يلحن».

(روضة العقلاء)

السّحر الحلال

عن ابن عباس قال: «اجتمع عند النبي ﷺ قيس بن عاصم والزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم، ففخر الزبرقان فقال: يا رسول الله، أنا سيد تميم، المطاع فيهم، والمجاب منهم، آخذ لهم بحقوقهم، وأمنعهم من الظلم، وهذا يعلم ذلك- يعني عمرو بن الأهتم- فقال عمرو: وإنه لشديد العارضة، مانع لجانبه، مطاع في أدانيه. فقال الزبرقان: والله لقد كذب يا رسول الله، وما يمنعه أن يتكلم إلا الحسد. فقال عمرو: أنا أحسدك؟! فوالله لبئيس الخال، حديث المال، أحمق الوالد، مبغض في العشيرة، والله يا رسول الله، ما كذبت فيما قلت أولًا، ولقد صدقت فيما قلت آخرًا؛ رضيت فقلت أحسن ما علمت، وغضبت فقلت أقبح ما وجدت؛ ولقد صدقت في الأمرين جميعًا. فقال النبي ﷺ: «إن من البيان لسحرًا»».

(أخرجه احمد وابن حبان).

الحكم الشافعية

- الآمال قطعت أعناق الرجال، كالسراب خان مَنْ رآه، وأخلف مَنْ رجاه. (الانتقاء لابن عبدالبر)
- أبين ما في الإنسان ضعفه. (تهذيب الأسماء واللغات للنووي)
- إذا ذُكِرَ الرجل في غير صنعته فقد وُهِصَ. (مناقب الشافعي للبيهقي)
- إذا كثرت الحوائج فابدأ بأهمها. (تهذيب الأسماء واللغات للنووي)
- أربعة أشياء قليلها كثر: العلة، والفقر، والعداوة، والنار. (الانتقاء لابن عبدالبر)
- أرفع الناس قدرًا من لا يرى قدره، وأكثر الناس فضلًا من لا يرى فضله.

(مناقب الشافعي للبيهقي)

فقهاء المدينة السبعة

لقد اشتهر هؤلاء الفقهاء بسبب غزارة علمهم، وتبحرهم في الفقه والفتوى وهم:

١- سعيد بن المسيب.
٢- القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق.
٣- عروة بن الزبير بن العوام.
٤. سالم بن عبدالله بن عمر.
٥. سليمان بن يسار.
٦. خارجة بن زيد بن ثابت.
٧. أبوبكر بن عبدالرحمن بن الحارث.

(موسوعة الثقافة والمعلومات)



د. محمد حسان الطيان •

العربية الخالدة

«اللغة العربية الفصحى في سبيلها إلى الموت»..

كلمة قالها أحد أدعياء الثقافة والتنوير، وأحد الرموز المستعصية على الفهم والهضم.. بَلْهَ التذوق والخَضْم والقَضْم.. بدءا من لقبه الذي تلقّفه من أسماء الآلهة المزعومة في أساطير اليونان، وانتهاء بنتاجه الذي ينضوي تحت ما يسمى شعر الحداثة وقصيدة النثر والشعر المنثور- بل النثر المشعور- وكروب أخرى جسام بلينا بها في زمن الرويبضة، وهو الرجل التافه يتكلم في أمر العامة، كما خبّر الصادق المصدوق ﷺ.

نعم، زعم هذا المغرق في الموت أن العربية في سبيلها إلى الموت، وهو لعمري ميّت وابن ميّت.. وذو نسب في الهالكين عريق، على حين تتأبى هذه العربية عليه وعلى أمثاله، بل تتأبى على القرون، وتتحدى الزمان والمكان، وتعلو رايتها فوق كل راية، وهي تجبهه وتجبه كل منبهر بالآخرين إلى حدّ كراهية الذات والتنكر للانتماء بأنها:

مخلّدةُ الشباب على الليالي
فلا يدنو مشيبٌ من حِماها

يشيخُ الدهرُ حالا بعدَ حالٍ
وما تنفكُّ تزهو في صِباها

عجبتُ لها ومنبتها الصحارى
تُغذّي إربةَ الدنيا لُغاها

حباها بارئُ الأصوات أحلى
وأعذبَ ما يرفُّ به صداها

مُنغّمةٌ كأنَّ لها رباطا
مع الإيقاع توقِعُهُ خطاها

هي الفصحى لنا وَزَرٌ وحقٌّ
علينا برُّها ومنى رضاها (١)

هي باقية خالدة لأنها لغة القرآن.. وهو ميت زائل لأنه بقية إنسان.

هي قوية راسخة لأنها هوية أمة.. وهو ضعيف واهٍ لأنه انسلخ حتى عن أمّه.

هي عزيزة أبية لأنها تأبى الذل والدنية.. وهو ذليل خانع لأنه تابع منقاد.

هي ماكثة في الأرض لأنها تنفع الناس.. وهو ذاهب جفاءً لأنه زبَد.

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ (الرعد١٧).

أمَا أنت أيها الدعيُّ المجهول فقد هانت عليك نفسك، فهانت عليك لغتك، ولم تعلم أنَّ في تحقير لغتك تحقيرًا لذاتك. وفي عداء لغتك عداء لأمتك ووجودك، وفي كراهيتك لهذه اللغة كراهية لنفسك اللاقسة، وجبلّتك الثقيلة.

ولا تنس، وما أخالك ناسيا، أن التي تطعن بها هي لغة القرآن، التي اصطفاها الباري سبحانه لتكون لغة وحيه وكلامه، وهو جل وعلا قد تكفل بحفظها حفظًا لذكره وقرآنه حيث يقول في محكم تنزيله:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر٩).

وحَقًا.. كان الخير أن تصمت.. بدلًا من أن تهرف بما لا تعرف، وتتطاول على ما لا تحسن.

مُتْ بداء الصمت خيرٌ
لكَ عن داءِ الكلامِ

إنما السالمُ مَنْ ألـ
ـجمَ فاهُ بلجامِ

• منسق مقررات اللغة العربية بالجامعة العربية المفتوحة- عضو مراسل بمجمع اللغة العربية بدمشق.

١- الأبيات للعلامة الشيخ محمد بهجة الأثري رحمه الله.



ادفع دينارين .. واكسب الدارين
أضخم مشروع طلابي خيري عالمي

ساهم معنا في بناء معهد تعليمي
أول مشروع بجهود شباب الكويت في الصين

موقع المعهد: مدينة ينتشوان بمقاطعة نينغشيا (الصين).
عدد الطلبة: 746 طالبة.
التكلفة الإجمالية: 350 ألف د.ك.
تكلفة المرحلة الأولى: 100 ألف د.ك.
مساحة المعهد: 3.765 متر مربع.
المستفيدين: طالبات من الأسر المسلمة الفقيرة بالمناطق الجبلية جنوبي نينغشيا.

التصميم المقترح لمعهد اللغات العالمية للمسلمين بنينغشيا (الصين)
- لتعليم اللغات (العربية والإنجليزية) وعلوم القرآن والحديث والتاريخ الإسلامي، وأحدث العلوم التكنولوجية



قيمة السهم 20 د.ك

يمكنكم إيداع المبلغ في حساب المشروع في بنك الكويت الدولي
082010014780
الاتصال على الخط الساخن 90004485 - 1808300









صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
البريد الإلكتروني: manager@alwaei.com - info@alwaei.com

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م



AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة
www.alwaei.com
العدد (٥٥٥) ذو القعدة ١٤٣٢هـ - سبتمبر/ أكتوبر ٢٠١١م

د. أحمد الطيب: الأزهر حافظ على ثقافة الأمة طوال ألف عام ماضية

التعليم الديني في الميزان

ألم الجوع في أفريقيا

إتحاف الأمجاد فيما يصح به الاستشهاد

الضوابط الشرعية للمعاملات المالية

المراهقة جسر العبور للرشد والنضج


الوعي الإسلامي
إصدارات
جديد
الاجتهاد بالرأي
في عصر الخلافة الراشدة
دراسة تحليلية في أصول سياسة التشريع ومقاصده وتاريخه
تأليف
الدكتور عبدالرحمن بن معمر السنوسي
الإصدار
الحادي والعشرون
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

الافتتاحية

المتعالمون

العلم أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ما طلب وجَدَّ فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب، لأن شرفه ينم عن صاحبه، وفضله ينمي عند طالبه، قال تعالى « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ» (الزمر : ٩) ، فمنع سبحانه المساواة بين العالم والجاهل، لما قد خُصَّ به العالم من فضيلة العلم، وإن كل العلوم شريفة، ولكل علم منها فضيلة، والإحاطة بجميعها محال، وإذا لم يكن إلى معرفة جميع العلم سبيل، وجب صرف الاهتمام إلى معرفة أهمها والعناية بأولاها وأفضلها.. علم الدين لأن الناس بمعرفته يرشدون، وبجهله يضلون.

واحذر المتعالمين، الذين ناموا عن العلم فما استيقظوا، وبالغوا قبل أن يبلغوا، فركبوا مطايا الخير للشر، فالواجب على العالمين ألا يقولوا إلا من حيث علموا، وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه لكان الإمساك أولى به، وأقرب من السلامة.

هذا وإني بعد ممتحن بأر — بعة وكلهم ذوو أضغان
فظ ، غليظ ، جاهل ، متمعلم — ضخم العمامة ، واسع الأردان
متفيهق ، متضلع بالجهل ، ذو — ضلع ، وذو جلح من العرفان

ومن تكلم في غير فنه أتى بالعجائب، ومن حدّث قبل حِيْنِه افتضح في حِيْنِه، ولا آفة على العلوم وأهلها أضر من الدخلاء فيها، وهم من غير أهلها، فإنهم يجهلون ويظنون أنهم يعلمون، ويفسدون ويُقدَّرون أنهم يصلحون، ونعوذ بالله من أناس تشيَّخوا قبل أن يَشِيخُوا، وذلك بكشف الأقنعة عن حقيقته، وهتك باطله وما ينطوي عليه من خسف وإفك؛ تبيانا لنزع الثقة منه، والتحذير من الاغترار به.. وهذا واجب أهل الإسلام أمام كل متعالم.

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

في هذا العدد



مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت

مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٥٥

ذو القعدة ١٤٣٢ هـ

العام الثامن والأربعون

سبتمبر - أكتوبر ٢٠١١ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

الموقع الالكتروني:

www.alwaei.com

التوزيع

وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١- ٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

- السودان. الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت:١٨٣٤٩٥٧٧٠ (٠٠٢٤٩)
- اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات ت- ٢٧٧٠٠٧ (٠٠٩٦١١) ف - ٢٧٧٠٨٨ (٠٠٩٦١١)
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم. - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

- الكويت : ٥٠٠ فلس
- السعودية : ٧ ريالات
- البحرين : ٥٠٠ فلس
- قطر : ٧ ريالات
- الإمارات : ٧ دراهم
- سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة
- الأردن : دينار واحد
- مصر : ٢ جنيه
- السودان : ٥٠٠ جنيه
- موريتانيا : ٢٠٠ أوقية
- تونس : ٢ دينار
- الجزائر : ١٠ دنانير
- اليمن : ٧٠ ريالا
- لبنان : ٢٠٠٠ ليرة
- سورية : ٣٠ ليرة
- المغرب : ١٠دراهم
- ليبيا : دينار واحد
- اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله
- اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

المحتويات

كلمة العدد

الإعلام أمانة

مفهوم الأمانة في الإسلام مفهوم عام شامل يضم مناحي الحياة كافة، والإنسان مستخلف ومؤتمن على هذه الأمانة الثقيلة ومطالب يتحمل تبعاتها ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولًا﴾ (الأحزاب: ٧٢).

ومن هذا المنطلق فإن العاملين في مجال الإعلام مهما كانت الوسيلة التي يعملون فيها مطالبون بتحقيق هذه الأمانة في سلوكهم المهني، فيوظفون وسائل الإعلام توظيفًا سليمًا يخدم دينهم ولغتهم ووطنهم، ويتحققون من صحة الأخبار قبل نشرها وإذاعتها، ويرجعون الأمر إلى أهل الخبرة والعلم والاختصاص. فالاتصال بالجمهور يحتاج إلى صدق وشفافية ومسؤولية ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ (الإسراء: ٣٦)، وكتب السنة مليئة بالأحاديث الصحيحة النافعة للأغراض الإعلامية.. «من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» (رواه الشيخان)، وعلى هذا المنوال سار الخلفاء الراشدون في خطابهم الدعوي والإعلامي القائم على الصدق والأمانة وقول الحق والتزامه ولو كان مرًا دونما خوف أو وجل.. فهل يعيد الإعلاميون في عصر الإعلام المنفتح المنهج الإعلامي الإسلامي ليستقيم فكر الأمة وتصورها تجاه كل القضايا.. هذا ما نأمله.

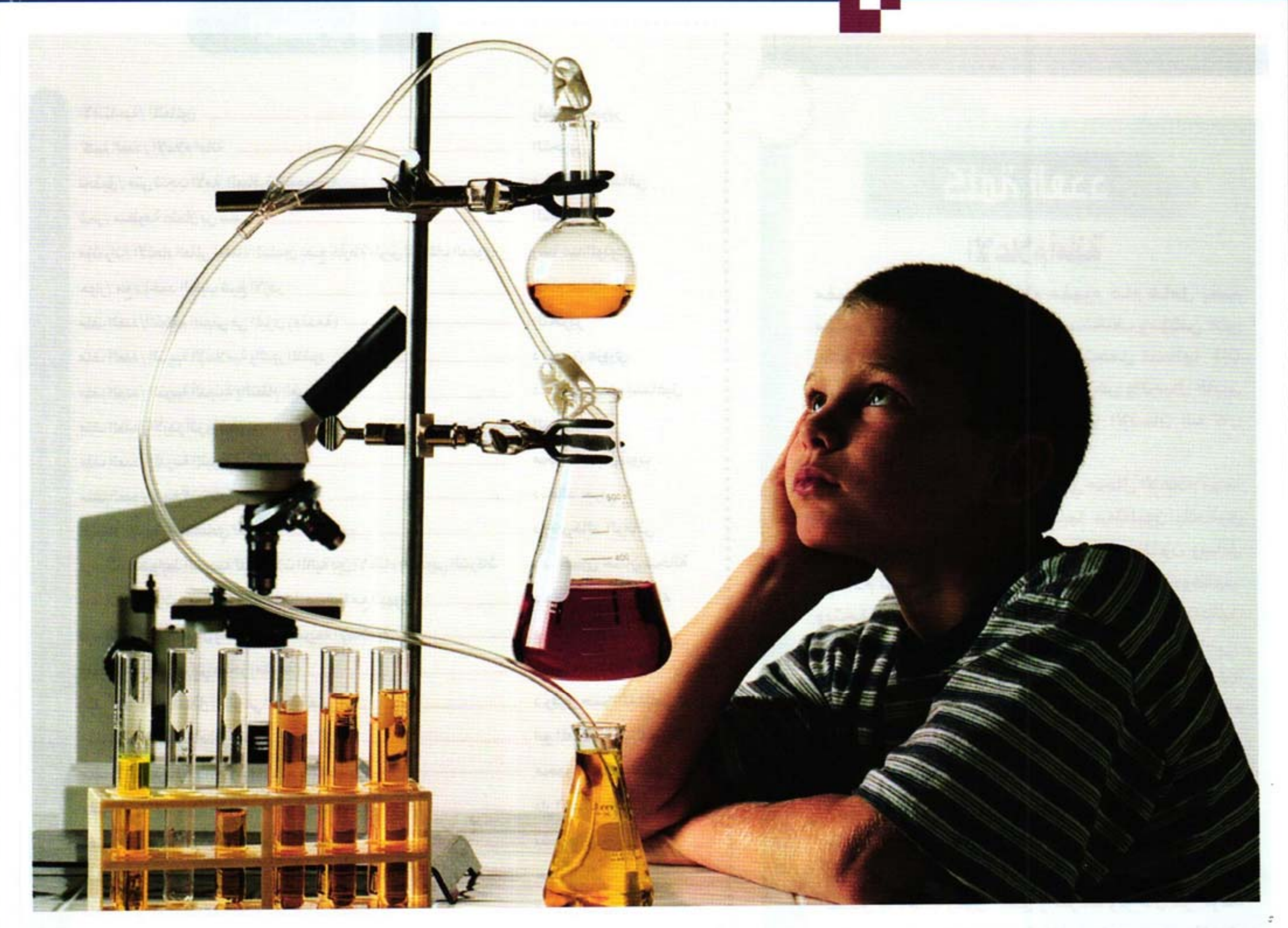
والله الهادي إلى سواء السبيل.

التحرير

الاشتراكات

- **داخل الكويت:** للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- **الدول العربية:** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم:** للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات:** ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية **(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)**



العلماء والخبراء والمفكرون يجيبون عن هذا السؤال:

متى تنجب الأمّة العباقرة والموهوبين؟!

تحقيق: محمد عبدالشافي

«اكتشاف المواهب وصناعتها في الأمة» .. هذا المفهوم الذي يدعو إليه -الآن- كثير من العلماء والمفكرين والباحثين من أبناء الأمة الغيورين، كما يسعون جاهدين إلى بلورته وتحديد مكوناته أملًا في تحويله إلى حقيقة وواقع ملموس، وأن يتحقق كممارسة وعلم ونظرة مستقبلية لأفق جديد يتبدى في ضمير الأمة، لنكون أكثر قوة، وأكثر فهمًا ووعيًا، وأكثر قدرة على تحقيق التقدم في جميع مجالاته.

وقد أثار طرح موضوع «الموهبة.. والموهوبون» تساؤلات عديدة لدى علماء النفس والاجتماع بالذات.. لماذا؟ وأين؟ ومتى؟ وكيف؟!

وهل من الممكن أن تنجح مجتمعاتنا فيما فشلت فيه قرونا طويلة؟ وهل ستكون عقول أطفالنا نسخة مغايرة لعقول وقدرات الكبار؟!

لعلّ هذا التحقيق يجيب على كثير من التساؤلات الحائرة، التي تتباين حولها الآراء وتختلف فيها وجهات النظر.. لكن، ليس من قبيل المصادفة أن تركز معظم آراء الخبراء والمتخصصين على دور المدرسة وأهميتها لأنها المؤسسة الرئيسية التي تتضافر الجهود كلها من أجل أن تصبح مناهجها وأنشطتها هي الحياة نفسها، لتربط الأطفال بمجتمعهم الذي سوف يسيرون شؤونه اعتمادًا على نور الهداية والعقل والحرية وإطلاق جميع طاقاتهم الإبداعية.

ولم تقتصر آراء الخبراء والمفكرين والتربويين على المدرسة فقط.. بل امتدت لتشمل دور الأسرة والإعلام ودور العبادة والهيئات وسائر مؤسسات المجتمع الأخرى- العامة والخاصة- وقد تفجرت قرائح الخبراء والمفكرين والباحثين بالزاد الوفير حين أشاروا إلى النظرة المستقبلية والغرض الأساسي والجوهري ألا وهو تدعيم روح الحق والعدل والمثابرة والتحدي والنصر والتقدم... إلخ.

إرهاصات الموهبة

سألنا الدكتور/ سعيد عبدالعظيم- ممثل الجمعية العالمية للطب النفسي- عن كيفية معرفة الطفل الموهوب في مقتبل عمره؟ فأجاب: إنه من السهل جدا اكتشاف إرهاصات الموهبة وملاحظة سبيل الإبداع في الإنسان منذ الطفولة، ولعل من أبرز صفات الطفل الموهوب تلك التي تظهر في سلوكه وأخلاقه كأن تجده كثير الحركة والتساؤل وقليل النوم.. أيضا لوحظ أن صفات الموهوبين الجسمية والمزاجية والاجتماعية والأخلاقية أعلى من المتوسط العام، وتكون ميولهم متعددة وواقعية، وإرادتهم قوية، ومثابرتهم ممتازة، ورغبتهم في التفوق أكثر، علاوة على ثقتهم الزائدة

الفروق بين الموهوبين وغيرهم في عدد خلايا المخ والوصلات العصبية!

بالنفس، وتفاعلهم الاجتماعي الواسع... ولهذا أيضًا فإن نزعاتهم وتفوقهم في الدراسة تكون واضحة جدا، كما يميلون إلى الثقافة والتساؤل عن المعرفة باستمرار.

بين الموهبة والذكاء!

وعن العلاقة بين الموهبة والذكاء يقول الدكتور/ أسامة الغنام- أستاذ المخ والأعصاب بطب الأزهر: في رأيي أن «الموهبة» أشبه بجينات موروثة في الإنسان منذ ولادته ولا دخل له في صناعتها، وهو الذي دفع الباحثين في هذا المجال إلى القول بأن الموهبة هي عبارة عن قوة فكرية وطاقة فطرية من نمط رفيع كتلك التي تعزى إلى من يعتبرونه أعظم المشتغلين في أي فرع من فروع الفن أو التأمل أو التطبيق.. وهم الذين يطلق عليهم «العباقرة».

كما أن الموهبة التي هي بمثابة مجموعة من القوى الدافعية العقلية تحض دائما أو تحرض على الإنجاز الذي هو أحد الملامح المميزة للعباقرة، كما أنه يتصل اتصالا وثيقا بالنمو والرخاء الاقتصاديين.

أمّا «الذكاء» فبرغم أنه يستمد تألقه ونضوجه من وجود بعض الموهبة على الأقل.. إلاّ أنه وليد التجارب وتراكم الخبرات أو هو قائم على الإبداع التخيلي أو الفكر الأصيل أو الابتكار أو الاكتشاف.

في حين أن للذكاء فائدته التنبؤية واختيار المرء لمجال سلوكي معين، وكذلك حجم الإنجاز في هذا المجال السلوكي، وهناك متغيرات وثيقة العلاقة بالذكاء لها قيمتها التنبؤية أيضا، فتنوع الاهتمامات يرتبط بشكل عام بالشهرة المتحققة لدى القيادة.

الموهبة وراثية واكتسابية

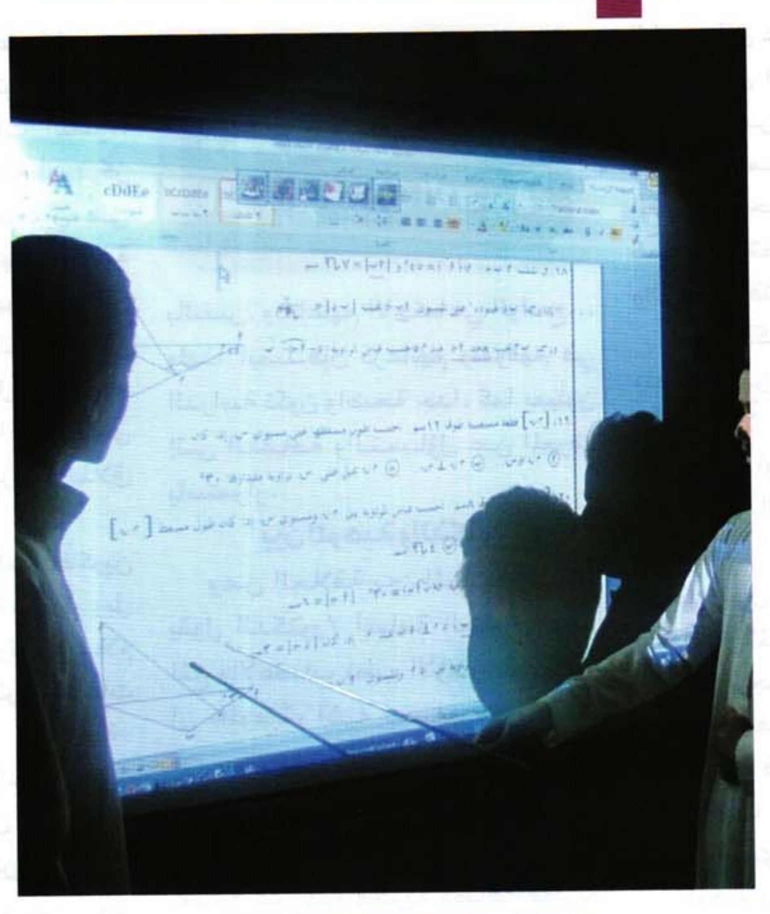
هذا، بينما يرى د.هشام أبوالنصر- أستاذ المخ والأعصاب بقصر العيني- أن الذكاء أحد ثمرات الموهبة وعلاماتها..



فكل موهوب ذكي، وليس كل ذكي موهوب. كما أن الموهبة تتمايز في نسب الذكاء أو في درجة القدرات العقلية المعرفية العليا، وذلك نتيجة للعوامل الوراثية والبيئية والشخصية. ويؤكد أن الموهبة وراثية في الدرجة الأولى واكتسابية في الدرجة الثانية، أي أن الإنسان يولد مزودا بهذه القدرة العقلية وهذا أثر الوراثة، ثم تلعب شخصية الفرد وجهوده عن طريق الرياضة الذهنية وبالتعلم على الأسس العلمية، لكن لا يمكن أن يصل الإنسان إلى الموهبة بالجهد الشخصي فقط ما لم يولد أولًا مزودًا بالقدرة العقلية الفائقة.

وقد كشفت بعض الدراسات الحديثة أن ذكاء الموهوب لا يضعف تبعا لزيادة السن كذكاء الآخرين الصناعي أو المكتسب، بل إنه يزيد ويستمر في الزيادة حتى بعد سن الستين.

ويفرق د. أبوالنصر بين الموهوبين وغيرهم في عدد خلايا المخ والوصلات العصبية وتناسق أنسجتها.



الدول العربية أظهرت اهتمامًا بالمعوقين وتجاهلت الموهوبين!

البيئة الوحيدة

وحول دور الأسرة في اكتشاف موهبة الطفل وتنميتها، تقول الدكتورة/ سامية الساعاتي- أستاذ ورئيس قسم علم الاجتماع بجامعة عين شمس: الموهبة دائما متفاوتة وقابلة للزيادة والصقل، وهذا ما يجب أن نستغله.. فالأطفال يجب أن يخضعوا منذ الصغر إلى رقابة تربوية صحيحة، وتهيأ لهم ظروف وبيئة صالحة، وأن البيئة الوحيدة التي تستطيع أن تنمي القابليات الخاصة وتستغل الطاقات الكامنة وتخرجها إلى حيز الوجود هي «الأسرة».

نعم.. فإن الآباء يمكن أن يلعبوا دورًا كبيرًا في إنجاب أبناء أذكياء أو موهوبين إذا كانوا يتمتعون بالوراثة الجيدة للعقل أولًا، ثم بابتعادهم عن جميع المسكرات والمخدرات، كما ينبغي أن يكون الآباء في حالة الإنجاب في أوج سن النضج النفسي والعقلي وهي السن التي تتراوح بين السادسة والثلاثين وبين الأربعين من العمر، وأما الأم فيجب أن تكون ما فوق العشرين من العمر على الأقل.. كما يجب على الأم تناول الأغذية اللازمة في حالة الحمل ثم تغذية الطفل بعد الولادة بالأغذية اللازمة.

دور المدرسة التهذيبي

وعن الدور الذي يمكن أن تلعبه المدرسة في صناعة المواهب وصقلها.. ترى الدكتورة/ سامية الساعاتي- أنه من المستحيل أن ننشئ أفرادا بالجملة، وأنه لا يمكن اعتبار المدرسة بديلا عن التعليم الفردي.. وتقول : نعم، إن المدرسين غالبا ما يؤدون عملهم التهذيبي كما يجب، ولكن النشاط العاطفي والجمالي والديني يحتاج أيضا إلى أن ينمى، فيجب أن يدرك الوالدان بوضوح أن دورهما حيوي ويجب أن يعدا لتأديته.

وصايا غالية للمعلمين

وفي هذا الصدد تقترح الدكتورة/ عزة كريّم- الخبيرة بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة- أنه يمكن للمدرسة زيادة عدد الموهوبين وزيادة معدل الابتكار في المجتمع كله من خلال: الاهتمام بالمبتكرين، تدريب التلاميذ على مواجهة القلق والخوف، وتجنب التعرض للأمراض بمختلف أنواعها، تقليل التأكيد على الاختلاف بين الذكر والأنثى، الاستفادة من الفرص المختلفة للتعليم والمعرفة والاحتكاك، تقليل العزلة والغربة ونزع بذورها من

نفوس التلاميذ، وتعليمهم مواجهة الفشل والمشقات والمواقف الصعبة.

كما تدعو الدكتورة/ عزة المدرسين والقائمين على العملية التربوية إلى اتباع بعض الأساليب التي من شأنها أن تساعد على تشجيع الموهبة والابتكار مثل: عدم التشدد في العقاب، وعدم المبالغة في النقد، وعدم إجبار الأطفال والتلاميذ على الالتزام بحرفية نموذج معين أو برنامج أو كتاب أو مذكرة معينة، وضرورة احترام أسئلة وأفكار الأطفال والتلاميذ، وحث الأطفال والتلاميذ على المناقشة والتقويم للأشياء، تشجيع الأطفال والطلاب على الاستقلالية، وتشجيع القراءة الحرة بين التلاميذ والطلاب، ودمج التلاميذ في الهوايات الجماعية.

إنهم النوابغ والعظماء

ومن جانبه يدعو الدكتور/ عبدالحليم عويس- مستشار رابطة الجامعات الإسلامية- إلى ضرورة توظيف الموهبة التوظيف الصحيح الذي يعود نفعه على البلاد والعباد، مشيرًا إلى أن هؤلاء النوابغ أو الموهوبين غالبا ما يكونون قلة في كل أمة من الأمم، بل ويأتون على فترات متباعدة مع اختلاف بيئاتهم وأجناسهم ومشاربهم، وأن ظهور هذه القلة من الموهوبين والمتفردين في الغالب يسبب تقدم البشرية ورقيها، حيث إن النوابغ والعظماء لا يقاسون مع سائر الأفراد من حيث إدراك الحقائق العلمية.. فالتقدم الذي نال البشرية في الحياة المادية يرجع إلى مواهب هؤلاء الرجال البارزين، فهم الذين أدركوا الحقائق العلمية بفضل مواهبهم الخاصة، وقادوا ركب الإنسانية إلى الأمام، والأمثلة على ذلك كثيرة جدا وتفوق الحصر.

ويستطرد الدكتور عويس قائلا: إنه يجب أن يستخدم كل فرد تبعًا لصفاته

> **الموهبة قوة فكرية وطاقة فطرية لا دخل فيها للتعلم**

الخاصة، واهتماماته الفردية، لذلك يجب أن ينوع البشر بدلًا من أن يصبحوا جميعًا على نسق واحد!

ويقول: لا يفوتنا في هذا الصدد أن نشير إلى أن الفكرة الجوهرية هي أن الاختراعات والإبداعات تخضع للقدر الرباني والمشيئة الإلهية أكثر من أي شيء آخر، والتاريخ يقول «الصدفة تخلق الموقف والموهوب العبقري يستغله»! وتحضرني هنا مقولة الإمام علي كرم الله وجهه: «اغتنموا فرص الخير فإنها تمر مر السحاب».

تجارب رائدة.. ولكن

وحول التجارب المحلية والعالمية من أجل رعاية الموهبة واكتشاف الموهوبين يقول د.مدحت محمود أبوالنصر- أستاذ علم الاجتماع بجامعة حلوان: بالفعل أصبح الاهتمام بالابتكار والموهبة والإبداع ضرورة تحتمها طبيعة العصر الحديث، أملًا في تغيير التاريخ وإعادة تشكيل العالم والواقع. لذا، نجد الدول الكبرى تنافست في تشجيع المواهب ورعاية المبتكرين، وذلك بهدف زيادة قوتها الاقتصادية والحربية وتطوير أبحاثها في الفضاء وحماية البيئة من التلوث.. وقد نجحت الدول الغربية في هذا المجال نجاحا كبيرا، وأحرزت تقدما منقطع النظير في هذا الميدان خاصة في أوروبا وأميركا، فضلًا عن جذبهم للعقول والأدمغة العربية والإسلامية النادرة والمتميزة من الأطباء والفنيين والمهندسين والخبراء والعلماء من مختلف التخصصات. هذا عكس ما حدث في بلادنا ومجتمعاتنا التي تنكرت لنوابغها وعلمائها الأفذاذ الذين اضطروا للهروب والهجرة قسرًا!

فمن أسف أننا نجد الجهود المبذولة في العالم العربي والإسلامي في هذا المجال قليلة جدا ونادرًا ما نسمع عنها، فلم نسمع عن معاهد لرعاية الموهوبين والمبتكرين، أو تشريعات لحمايتهم وتوفير الظروف المناسبة لتشجيعهم وحفزهم على الابتكار، بل على النقيض نجد أن هذه الدول العربية على سبيل المثال قد أعطت اهتماما واضحا بالمعوقين، وأنشأت لهم الكثير من المؤسسات لرعايتهم، وأصدرت أيضًا العديد من التشريعات لحمايتهم وتوفير فرص حياة أفضل لهم.

فعلى سبيل المثال نجد أن مصر قد أعلنت أن عام ١٩٩٠ عام الطفل المعوق، والسؤال الآن: متى سيكون هناك على سبيل المثال عام للطفل الموهوب أو المبتكر، أو تشريعات تحمي هذا الطفل وتوفر الظروف المناسبة لتشجيع الموهبة والابتكار، واستمرار هذه القدرة والموهبة لديهم على طول الحياة؟ أيضًا متى سيكون هناك تشريع يحمي الموهوبين والمبتكرين من الهجرة الخارجية ويحمي الدول من سرقة العقول؟ ومتى نرى معاهد ومراكز علمية توفر فرص الموهبة والابتكار بما يخدم خطط التنمية في الدول العربية؟!

وفي الختام يشير د. مدحت أبوالنصر إلى أن مصر قامت- أخيرًا- بتجربة ناجحة في إنشاء مدرسة للموهوبين في مدينة الإسماعيلية. كما أن هناك تجربة فريدة في هذا المجال وهي مدرسة اليوبيل الثانوية المستقلة التابعة لمؤسسة نور الحسين في عمان.. وهناك بعض التجارب الأولية في بعض بلدان دول العالم الثالث التي نتمنى لها أن تؤتي ثمارها.

منظومة عثمان بن سند (ت: ١٢٤٢هـ) •

الحَمْـــــدُ للـه الـذي تـطـوَّلاَ

وَشَـــرَعَ الـدِّيــنَ لـنَـا وَأَصــــلاَ

ثُـمَّ الـصَّـلاةُ والـسَّـلامُ أُرْسِـلاَ

عَـلَـى نَـبِـيٍّ قَـدْ أَبَـانَ الـسُّـبُـلاَ

مُـحَـمَّـدٍ وَالآلِ وَالأَصْحَـــابِ

مَـا اسْـتُـنْـبِطَ الأَحْـكَـامُ مِـنْ كِـتَـابِ

وَهَـــذِهِ قَـواعِـدٌ سَنِيَّـــةْ

تُـبْـنَـى بِـهَـا نَــوَازِلٌ شَـرْعِـيَّــةْ

فَـلاَ تُــزِلْ بِـالـشَّـكِّ مَـا تُـيُـقِّـنَـا

مَـشَـقَّـةٌ تَجْـلِـبُ تَـيْـسِـيـرًا لَـنَـا

وَلاَ تُــزِلْ لِـضَـرَرٍ بِـضَـرَرِ

وَحُـكْـمُ الْـعَـادَةِ بِـالـتَّـقَـرُّرِ

إنَّ الأُمُــورَ هُــنَّ بِـالمَـقَـاصِـدِ

وَخُـذْ لأَرْبَـعِـيـنَ مِـنْ قَـوَاعِـدِ

لَمَّـا أَتَـتْ عِـنْـدَهُـمْ كُـلِّـيَّـهْ

بَـنَـوْا عَـلَـيْـهَـا صُـوَرًا جُـزْئِـيَّـهْ

الاجْـتِـهَـادُ بِـاجْـتِـهَـادٍ مَـا انْـتُـقِضْ

غَـلِّـبْ حَـرَامًـا إنْ مَـعَ الحِـلِّ عَـرَضْ

وَيُـكْـرَهُ الإِيـثَـارُ فِـي بَـعْـضِ القُـرَبْ

وإنْ يَـكُـنْ فِـي غَـيْـرِهَـا فَـهْـوَ يُـحَـبْ

وَمَـا تَـرَى الـتَّـابِـعَ فَـهْـوَ تَـابِـعُ

تَـصَـرُّفُ الإِمَـامِ مِـنَّـا وَاقِـعُ

عَـلَـى رَعِـيَّـةٍ بِمَحْـضِ المَصْلَحَـهْ

وَشُـبْـهَـةٌ لِحَـدِّنَـا مُـزَحْـزِحَـهْ

وَالحُـرُّ لا يَـدْخُـلُ مُـلْـكًـا فِـي يَـدِ

وَكُـلُّ مَـا كَـانَ حَـرِيـمًـا اعْـدُدِ

فِـي حُـكْـمِ مَـا كَـانَ لَـهُ حَـرِيـمَـا

وَكُـلُّ أَمْـرَيْـنِ مَـتَـى أُقِـيـمَـا

بَـيْـنَـهُـمَـا اتِّـحَـادُ جِـنْـسٍ وَفُـقِـدْ

بَـيْـنَـهُـمَـا اخْـتِـلافُ مَـقْـصُـودٍ يَـرِدْ

فَـأَدْخِـلَـنَّ وَاحِـدًا فِـي الآخَـرِ

وَغَـيْـرَ هَـذَا عُـدَّهُ فِـي الـنَّـادِرِ

وَعَـامِـلِ الـكَـلامَ بِـالإِعْـمَـالِ

فَـإِنَّـهُ أَوْلَـى مِـنَ الإِهْـمَـالِ

إنَّ الخَـرَاجَ بِـالـضَّـمَـانِ يَـجِـبُ

وَمِـنْ خِـلافِ الخُـرُوجُ يُـنْـدَبُ

وَالـدَّفْـعُ أَوْلَـى عِـنْـدَهُـمْ مِـنْ رَفْـعِ

وبِـالمَـعَـاصِـي لا تُـنَـطْ بِـالـشَّـرْعِ

رُخْـصَـتُـهُـمْ وَرُخْـصَـةٌ بِـالـشَّـكِّ لا

تُـنَـاطُ والـرِّضَـا بِـشَـيْءٍ فُـعِـلا

• من الوثائق الأصلية في إدارة المخطوطات بوزارة الأوقاف الكويتية برقم: (٢١٤/٤)

رضا بِمَا مِنْهُ إذا تَوَلَّدَا
وللسُّؤالِ في الجَوابِ أَعِدَا
وَلَيْسَ للسَّاكِتِ قَوْلٌ ثَبَتَا
وَمَا تَرَى أَكْثَرَ فِعْلاً قَدْ أَتَى
فَإِنَّهُ أَكْثَرُ فَضْلاً وَنَرَى
تَعْدِيَةً أَفْضَلَ ممَّا قَصُرَا
والفَرْضَ فَاجْعَلَنَّهُ ذَا فَضْلِ
عَلَى الذي فَعَلْتَهُ مِنْ نَفْلِ
فَضِيلَةٌ تَعَلَّقَتْ بِذَاتِ
عِبَادَةٍ أَفْضَلُ ممَّا تَاتِي
بِحَسَبِ الزَّمَانِ والمَكَانِ
وَكُلَّ شَيءٍ وَاجِبُ الإِتْيَانِ
لَمْ يَتْرُكُوا إلاَّ لِوَاجِبٍ وَمَا
أَوْجَبَ مِنْ أَمْرَيْنِ أَمْرًا أعظما
بِجِهَةِ الخُصُوصِ لا لأَدْوَنَا
بِجِهَةِ العُمُومِ مُوجِبٌ لَنَا
وَثَابِتٌ بِالشَّرْعِ فَلْيُقَدَّمَا
عَلَى الذي بالشَّرْطِ مَا قَدْ حُرِّمَا
مُسْتَعْمَلاً فَبِاتِّخَاذٍ يَحْرُمُ
مَا حَرُمَ الأَخْذُ لَهُ فَحَرِّمُوا
عَطَاؤُهُ المَشْغُولُ لَيْسَ يُشْغَلُ
مُكَبَّرٌ تَكْبِيرُهُ قَدْ حَظَلُوا

مُسْتَعْجِلٌ لِلشَّيْءِ قَبْلَ آنِ
مُعَاقَبٌ بِالفَوْتِ والحِرْمَانِ
النَّفْلُ مِنْ فَرْضٍ نَرَاهُ أَوْسَعَا
ولايَةٌ خَصَّتْ مَتَى مَا تَقَعَا
أَوْلَى مِنَ الوِلاَيَةِ التي تَعُمْ
لاَ تَعْتَبِرْ بِالظَّنِّ إنْ خَطَا يَقُمْ
الاشْتِغَالُ بِسِوَى المَقْصُودِ
يُعَدُّ إعْرَاضًا عَنِ المَقْصُودِ
لاَ يُنْكَرُ الذي بِهِ قَدِ اخْتُلِفْ
إنْكَارُ مُجْمَعٍ عَلَيْهِ قَدْ أُلِفْ
قَوِيُّهُمْ عَلَى ضَعِيفٍ دَخَلاَ
والعَكْسُ لاَ يَدْخُلُ فَهْوَ حُظِلاَ
وفي الوَسَائِلِ الجَمِيعُ اغْتَفَرُوا
مَا لَيْسَ مِنْ مَقَاصِدٍ يُغْتَفَرُ
وَمَا تَرَى مِنْ كِلْمِنَا مَيْسُورِ
فَلَيْسَ بِالسَّاقِطِ بِالمَعْسُورِ
وَكُلَّ مَا لَيْسَ لِتَبْعِيضٍ قَبِلْ
فِيهِ اخْتِيَارُ البَعْضِ كَالكُلِّ جُعِلْ
إِسْقَاطُ بَعْضِهِ كَكُلِّهِ اعْتُبِرْ
وَقَدِّمَنْ مُبَاشِرًا مَتَى يَصِرْ
مَعَ الغُرُورِ وَمَعَ الأَسْبَابِ
وَذَا خِتَامُ النَّظْمِ لِلْكِتَابِ
مُحَمِّدًا مُصَلِّيًا مُسَلِّمَا
مَا بَرْدُ نَظْمٍ مِنْ كِتَابٍ خُتِمَا

الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين يضع خارطة طريق للخطاب الدعوي الإسلامي الفاعل

رضا عبد الودود

الخطاب الإسلامي الناجح والمؤثر ينبغي أن يكون له أصل ثابت في القطعيات، وأن يتسم بالاستمرار والاستقامة والاعتماد على الله، وأن يكون قائمًا على التخطيط الإستراتيجي والحكمة ووضع الشيء في محله، والاستفادة من جميع التجارب المؤثرة، والحوار بالتي هي أحسن مع مراعاة فقه الأولويات والموازنات.. تلك الرؤية التي بلورها المؤتمر العاشر للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، والذي جاء كمحاولة لتصويب الخطاب الإسلامي والدعوي لعلماء الأمة الإسلامية، حيث وضع علماء المسلمين خارطة طريق للخطاب الإسلامي.

وأوصى المؤتمر العاشر للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، الذي انعقد بالقاهرة خلال الفترة من ٢٨- ٢٩ يوليو الماضي، بتوجيه الخطاب الإسلامي إلى قضايا التنمية المستدامة.

وانعقد المؤتمر تحت عنوان «سمات الخطاب الإسلامي»، برئاسة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، وتحت رعاية الأزهر الشريف، بحضور كوكبة من العلماء وممثلي الحركات والتيارات الإسلامية على مستوى العالم، يتقدمهم د.علي القرة داغي الأمين العام للاتحاد، ود.سلمان العودة الأمين العام المساعد، د.محمد عمارة، ود.زغلول النجار، ود. محمد كمال إمام، ود.حسن شافعي رئيس المكتب الفني لشيخ الأزهر، ممثلا عنه، والشيخ راشد الغنوشي الأمين العام المساعد للاتحاد، ود.عصام البشير الأمين العام المساعد للاتحاد وأمين المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، ود.نصر فريد واصل رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في مصر ومفتي الديار المصرية الأسبق، ود.محمد المختار محمد المهدي الرئيس العام للجمعيات الشرعية، ود.علي شلبي نائبا عن مفتي الديار المصرية، بالإضافة إلى ممثلي الحركات والجماعات الإسلامية.. أمثال الشيخ محمد عبد المقصود، والشيخ محمد حسان وم.عبد المنعم الشحات ود.ناجح إبراهيم، وآخرين.

أهداف المؤتمر

وقد عالج المؤتمر خلال جلساته مجموعة من الإشكالات المتعلقة بالخطاب الإسلامي المعاصر، منها طبيعة الخطاب مع الآخر، والذي ينتج عنه إشكالات تهدد وحدة النسيج الوطني في المجتمع، بجانب إبراز حقيقة الخطاب الإسلامي حول المرأة بوصفه من الأمور التي يتم الشغب بها على الإسلام كثيرا، وحاول المؤتمر تقديم رؤية لطبيعة الخطاب التنموي الإسلامي، خاصة أن البلدان العربية والإسلامية بحاجة لمنظومة تنموية متكاملة لتعبر بها إلى آفاق أرحب، وكذا سبل تطوير الخطاب الإسلامي عبر الوسائل المعاصرة، كالإنترنت وغيرها.

التأصيل الشرعي أولى خطوات النجاح الدعوي

شدد العلماء المشاركون على أهمية التأصيل الشرعي للخطاب الدعوي الإسلامي، ومراعاة الأولويات فيه، ومدارسة سير الأئمة والسلف الصالح، كما أوصى المؤتمر بتوظيف مستجدات التكنولوجيا المعاصرة في تطوير وسائل الاتصال الاجتماعي والجماهيري بأنماطها المختلفة.

في غضون ذلك، قال د.نصر فريد واصل، مفتي الجمهورية الأسبق إن المؤتمر يخاطب العالم كله بكل طوائفه بأن الإسلام بخطابه الديني والسياسي يمثل عقول البشر وينفع حاضرهم ومستقبلهم في كل أمور الحياة، ويهدف إلى تفعيل حضاري متواصل في بيان حقيقة الإسلام عقيدة وشريعة بأنه جاء رحمة للعالمين.

نسبية العمل الدعوي رغم شمولية وقطعية الإسلام

وطالب المؤتمر الدعاة بضرورة الوعي بأنهم ليسوا قضاة ولا ولاة على الناس، والوعي كذلك بنسبية مجال العمل الدعوي والاجتهاد الفقهي والفكري، على الرغم من قطعية وشمولية الإسلام نفسه، وحذر المؤتمر الدعاة من أمراض تصيب قلوبهم، كالنشوة والاستعلاء والعناد والغرور بالكثرة، والتقليل من شأن الآخرين، خاصة من ذوي الفضل من أهل العلم والدعوة.

وفي محاولة لتأطير الجوانب الفقهة والسياسية والتنموية في الخطاب الإسلامي، دعا المؤتمر إلى ضرورة العناية بمقاصد الشريعة الإسلامية في توجيه الخطاب الإسلامي، من حيث ربطه بالتنمية الشاملة وتجديد الخطاب الإسلامي السياسي.

وأكدت أوراق المؤتمر على أن الإسلام دين شامل للحياة كلها، بما فيها السياسة والاقتصاد، وأن هذا الشمول لا يعني منع العقل من أداء دوره الاجتهادي في مجالات النصوص الظنية، ومنطقة العفو الواسعة جدا، وهكذا يجمع الفقه الإسلامي بين



الأصالة والمعاصرة ويرحب بكل قديم صالح وبكل جديد نافع.

وأوصى المؤتمر بضرورة تحديد المفاهيم والمصطلحات والضوابط في الخطاب الفقهي المعاصر، خاصة فيما يتعلق بالفقه السياسي وقضايا الأقليات الإسلامية، والتوسط في قضية المذهب الفقهي بين من يغالي فيجعله واجبا شرعيا، وبين من يهمله أو يرفضه.

كما شدد المشاركون على أهمية القاعدة الفقهية والدعوية القاضية بأنه لا إنكار في المختلف فيه، ولا حكم بالبدعة لرأي قال به عالم ثبت، موضحين أن الإسلام يتضمن منظومة متكاملة في مجال الاقتصاد والسياسة وغيرها، تحقق التنمية الشاملة والرقي والازدهار.

كما أوصى المؤتمر بالاهتمام بعلم مقاصد الشريعة، والبحث في أثره على القضايا الفقهية المعاصرة وضوابط إعماله في الاجتهاد الفقهي والأصولي والفكري.

وناقش المؤتمر عددا من الأوراق العلمية، شملتها محاور المؤتمر التي دارت حول:

- الخطاب الإسلامي الدعوي، حيث حاول المشاركون توجيهه (الخطاب الدعوي) إلى قواسم مشتركة مع توظيف الوسائل المعاصرة لتفعيله.

وفي هذا السياق، أوضح د.علي القرة داغي الأمين العام للاتحاد أن نجاح الخطاب الإسلامي الناجح والمؤثر بأن يكون له أصل ثابت من القطعيات، وأن يتسم بالاستمرار والاستقامة والاعتماد على الله، وأن يكون قائمًا على التخطيط الإستراتيجي والحكمة ووضع الشيء في محله، والاستفادة من جميع التجارب المؤثرة، والحوار بالتي هي أحسن مع مراعاة فقه الأولويات والموازنات.

- المحور الفقهي والسياسي والتنموي، استهدف المؤتمر من خلاله الدعوة إلى ضرورة العناية بمقاصد الشريعة الإسلامية في توجيه الخطاب الإسلامي، من حيث ربطه بالتنمية الشاملة وتجديد الخطاب الإسلامي السياسي.

- وركزت نقاشات محور الخطاب الإسلامي والمرأة حول دور المرأة والأسرة في الإسلام، مشددين على ضرورة إزالة الشبهات حول هذا الدور في المجال الفكري والتشريعي.

وأكد المشاركون على أن نظرة الإسلام للمرأة نظرة إنسانية سامية تقوم على أساس التوازن الكامل وتوزيع الأدوار بدقة بين ركني المجتمع «الرجل والمرأة»، وأن الإسلام قد سبق كل القوانين والنظم في منح المرأة كل حقوقها وفق هذا المنهج المتوازن.

وطالب المؤتمر الدول الإسلامية بإعادة النظر في اتفاقيتي «السيداو» و«حقوق الطفل»، وفقا للمادة ٢٦ في كل من الميثاقين سالفي الذكر، كما طالب الدول الإسلامية بتنقيح قوانين الأسر فيها من كل ما يتعارض مع الشريعة الإسلامية.

فرق كبير بين «حوار الأديان» و«حوار أهل الأديان»

وركزت الأطروحات العلمية حول محور الإسلام والآخر على رؤية الإسلام السمحة للتعامل مع الآخر أيا كان مذهبيا أو عرقيا أو دينيا أو سياسيا، مؤكدين أن الإسلام يتضمن منظومة متكاملة من المبادئ والقواعد الكلية في تحقيق التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم، بحيث تتحقق لغير المسلمين حقوق المواطنة بالكامل، مشددين على أن الحوار بالأحسن هو الطريق الوحيد

لإزالة الخلافات، إن وجدت.

وشدد المؤتمر على أن وحدة المسلمين، خاصة الحركات والجماعات الإسلامية هي الطريق الوحيد للانطلاق نحو الآخر والحوار معه حوارا مجديا ومحققا للنتائج المطلوبة.

وشدد العلماء على أن وحدة المسلمين فريضة شرعية وضرورة واقعية، منددين بكل محاولات نزع هذه الوحدة، وما يثير الفتنة بين المسلمين.

وأوصى المؤتمر بضرورة التفرقة بين ما يطلق عليه «حوار الأديان» الذي قد يحمل في طياته نوايا وأجندات استعمارية، وبين «حوار أهل الأديان»، والذي يبحث عن أسس مشتركة للتعايش والتعاون، كما أوصى المؤتمر المسلمين بأهمية الإقرار بالاختلافات القومية والعرقية والدينية، كسنة من سنن الله في خلقه، والاقتداء بهدي النبي ﷺ في التعامل مع المخالفين، وعدم تعميم الأحكام على الآخرين، وتعزيز سبل الحوار والتعايش معهم في حدود الحرية الدينية والبعد عن الصراع والتناحر.

كما دعا المؤتمر إلى تعميق فقه المواطنة في دوائر البحث الإسلامية على أساس أن «لهم ما لنا وعليهم ما علينا» وعلى التساوي في الحقوق والواجبات.

قناعات مشتركة وخطاب واقعي

كما أوصى المؤتمر الإسلاميين المشتغلين بالسياسة بضرورة فتح آفاق الحوار مع الآخر السياسي من كل الأطراف والوصول إلى قناعات مشتركة، انطلاقا من أرضية وطنية يتفق عليها الجميع.

ودعا د.محمد المختار المهدي رئيس الجمعية الشرعية وعضو مجمع البحوث الإسلامية العلماء والدعاة أن يهتموا برجل الشارع وأن يركزوا معه في القضايا الكلية وأن يقدموا الحلول العملية لقضاياه.

ميثاق شرف للتيارات الإسلامية المصرية

وعلى هامش المؤتمر، عقدت جلسة خاصة للتيارات الإسلامية المصرية، حضر فيها ممثلون عن تيارات إسلامية رئيسية في مصر، الأزهر الشريف، وجماعة الإخوان المسلمين، والدعوة السلفية، والجماعة الإسلامية، والجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة، والهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح، واستهدفت الجلسة الوصول إلى قناعات مشتركة وميثاق شرف للتعاون وفق أهداف تنطلق من السقف الذي يحتمله الوطن وليس بالضرورة الذي يريده المتحمسون للفكرة الإسلامية.

كما أوصت الجلسة بتكوين لجنة مؤقتة أو (مجلس) لمتابعة سبل التناصح والتعاون بين العاملين في الحقل الإسلامي، وتم الاتفاق على أن أعضاءها هم الحاضرون الممثلون للتيارات المختلفة، إضافة للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ممثلا بأمينه العام بصفته راعيا لتلك المبادرة، وكذلك الأزهر الشريف باعتباره مرجعية علمية عامة لكل المسلمين غير منتمية لفصيل سياسي بعينه، والاتفاق على ميثاق شرف يقوم على الحرص الشديد على كل ما يحقق وحدة الدين ووحدة الأمة، وترك كل ما يؤدي إلى الاختلاف الذي يضر بها، والعهد مع الله في إقامة الإخلاص والعدل، والالتزام بالموضوعية وعدم التجريح للمخالفين أفرادا ومؤسسات، والحفاظ على وحدة النسيج الاجتماعي الوطني، وضرورة توعية الأعضاء والأتباع في كل جماعة بأدب الخلاف والتعامل مع الآخرين.

القدس تُبكي القرة داغي

لم يتمالك الدكتور علي القرة داغي أمين عام الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين نفسه عندما تحدث عن القدس في ثنايا حديثه عن ثورات الربيع العربي والامل الذي أحيته في نفوس الأمة، حيث قال «كنا نحلم بأن يحرر أبناءنا القدس من الاحتلال ومع ثورات الربيع العربي بدأنا نحلم بأن نحررها نحن» ولم يستطع أن يتماسك مع تذكره لبطولات قادة مسلمين في الدفاع عن القدس والأمة أمثال صلاح الدين الأيوبي وسيف الدين قطز وغيرهم.

المؤتمر أكد على ضرورة العناية بمقاصد الشريعة الإسلامية في توجيه الخطاب الإسلامي وربطه بالتنمية الشاملة

ريادة مصر تبدأ بالتعلم المباشر والتلقي من العلماء

وفي كلمته أكد د.حسن الشافعي ممثل شيخ الأزهر أن الثورة في مصر فتحت آفاقا أرحب وأن عهد الإساءة للأزهر ولعلمائه قد ولى.

وأضاف الشافعي أن مصر قادرة على استعادة ريادتها ومكانتها أمام العالم كله؛ من خلال التعلم المباشر والتلقي من العلماء، خاصة علماء السنة، والإلمام بالأصول الشرعية وضرورة الاستعانة بالتراث الإسلامي وفهم لغته وقراءاته ومفرداته ومعرفة خلفياته التاريخية وعلاقاته الدينية؛ بما يحقق النضج الهادئ على نور؛ لأن زاد العالم أهم من أدائه.

وأكد د.فتحي أبوالورد مدير مكتب الاتحاد في القاهرة أن المؤتمر تم التخطيط له ليكون ملتقى لجميع العاملين للإسلام أفرادا وجماعات، سواء كانوا سلفيين أو إخوانا أو جماعة إسلامية أو جمعية شرعية وغيرهم.

وبعد تلك المتابعة لفعاليات المؤتمر وأهم توصياته.. يمكننا القول أن المؤتمر نجح إلى حد كبير في الخروج برؤية متوازنة لطبيعة الخطاب الإسلامي بين العاملين للإسلام خاصة في تلك المرحلة، بجانب قواسم مشتركة تكون محل اتفاق بين الجميع، مع احتفاظ كل فريق بقناعاته الفقهية التي يسعها الفقه الإسلامي برحابته.. وذلك ما خطط له الاتحاد من أهداف قبل انعقاد المؤتمر.

الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر في حوار لـ «الوعي الإسلامي»:

الأزهر حافظ على ثقافة الأمة طوال ألف عام ماضية

حوار: همام عبدالمعبود



أكد فضيلة الإمام الأكبر د.أحمد الطيب شيخ الأزهر رفضه زيارة المسجد الأقصى مادام تحت الاحتلال، كما أكد رفضه حضور أي مؤتمر يحضره إسرائيليون؛ غير أنه فرق بين الإسرائيليين الغاصبين للأراضي الفلسطينية، واليهود، لأنهم أتباع ديانة، مشيرًا إلى أنه لا يرفض قيام مظاهرات بالجامع الأزهر مادامت لدعم القضية الفلسطينية، أو أية قضية من قضايا المسلمين في العالم.

وقال د.الطيب، شيخ الأزهر، لـ«الوعي الإسلامي»: «حينما أبلغت بتعييني شيخًا للأزهر استشعرت خطر المسؤولية وعظمها أمام الله ثم أمام الناس، وأتمنى أن يعينني الله لإعادة الأزهر إلى ما كان عليه»، معتبرًا أن «الأزهر هو المؤسسة الدينية الوحيدة في العالم التي لم ينقطع فيها العلم طوال ألف عام»، وأنه سيسعى جاهدًا «ليكون الأزهر هو المرجعية الكبرى للمسلمين في شتى بقاع الأرض».. واليكم نص الحوار:

ديموقراطية الغرب خرجت من رحم شورى الإسلام لكن بشكل منقوص

■ **كيف ترد على الاتهامات التي تقول إن الأزهر قد تراجع دوره كثيرًا أمام منابر إسلامية أخرى أصبحت تقوم بدور ينافس دوره، وهل تقر فعلا بأن الأزهر قد تراجع دوره؟**

- هذا السؤال تصعب الإجابة عنه.. لكن ما أود قوله هو أنه ما من شك في أن دور الأزهر تراجع، لكن هذا التراجع ليس لأن الأزهر غير مؤهل، وفي لمحة سريعة أقول إن الأزهر تراجع خلال المد الاشتراكي، والفلسفة الاشتراكية تقوم على مبارزة الدين، خلافًا للرأسمالية التي تقوم على الحريات الأربع، وترجع الدين إلى حرية الشخص؛ فإذا رأى الشخص الدين حسنا فهو كذلك، فهم يتركون مساحة للتدين ليس لأن الدين عقيدة حقيقية وإنما لكونه حرية شخصية فقط، كما تنظر الفلسفة الاشتراكية إلى الدين على أنه أفيون الشعوب، وبالتالي وجبت مكافحته كما يكافحون الفقر والجهل!!.

وأضرب لك مثالا، فأنا عندما كنت صغيرًا في المدرسة كنت أرى الكتب التي تهاجم الدين تباع بأرخص الأسعار، بينما الكتب الإسلامية تباع بأسعار غالية جدا!؛ حتى لا يشتريها الناس، والحقيقة لا أدري لماذا لم يتخذ أصحاب القرار وقتها قرارا بوقف هذه التصرفات، أو حتى الاعتراض عليها؟!، وربما كانوا يرون وقتها أن الأزهر يحارب فكرة المد الاشتراكي.

وأذكر أن الشيخ شلتوت كتب تقريرًا عام ١٩٦١م، حذر فيه من تراجع دور الأزهر، وحذر مما نعاني منه الآن، وكأنه كان يتحدث بظهر الغيب!، وقال إن لم يتدارك الأزهر فستكون الطامة الكبرى، وطالب بأن يكون المسؤولون في مصر وقتها على وعي بقيمة الأزهر وأنه إذا رفع الأزهر رأسه فإن الأمة كلها وبأسرها سترفع رأسها عاليًا والعكس صحيح.

فالأزهر حافظ على ثقافة الأمة.. انظر مثلا لما حدث بين أبناء ثقافة الدين الواحد في الغرب، فإنهم كادوا أن يقتل بعضهم بعضا، لكن الإسلام لم يشهد مثل هذه الأمور إطلاقا، وذلك

بفضل الأزهر ودوره المستنير، إذ لا تجد أية صراعات بين المذاهب الأربعة، لأن الأزهر قدم دراسة هذه المذاهب على قدم المساواة حتى الآن.

ما أود قوله هو أن الحروب بين المسلمين اختفت تماما عبر التاريخ، وذلك بسبب وجود الأزهر الذي حفظ ثقافة الأمة حتى الآن، ولك أن تعلم أنه لدينا الآن أكثر من ١٦ ألف وافد ووافدة من أكثر من ١٠٢ دولة.

ما أود قوله كذلك هو أن المد الاشتراكي حين عمل على تهميش الأزهر بإظهاره على هامش المجتمع المصري كان يهدف إلى تهميش الأزهر تماما.

لكن في الحقيقة أود أيضًا أن أشير لما وقع للأزهر خلال فترة تولي فضيلة الشيخ عبدالحليم محمود - بين عامي ١٩٧٣ و١٩٧٨- من محاولات لتجفيف منابع الأزهر لينضب أثر المعاهد الأزهرية تماما، لكن الشيخ عبدالحليم جاهد لأجل بناء معاهد أزهرية في كل مكان حتى لو لم تستكمل العدد المطلوب، وذلك بهدف انتشار التعليم الأزهري في مصر، وقد نجح في ذلك- رحمه الله.

■ صرحت بأنك ستحافظ قدر الإمكان على كل ما أضافه فضيلة الإمام الأكبر الراحل الشيخ سيد طنطاوي، هل ستواصل الاعتماد على فقه طنطاوي أم ستعيد الاعتماد على فقه المذاهب الأربعة كما كان معمولا به سابقا قبل الشيخ طنطاوي؟

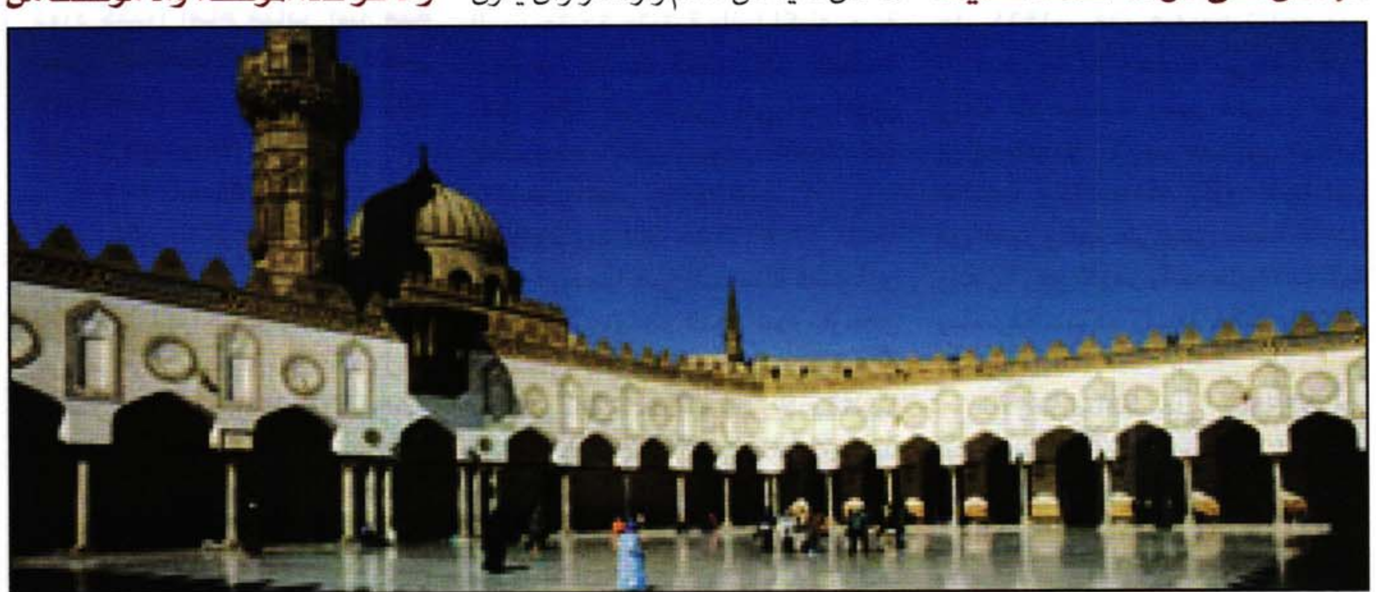
- لابد أن يعلم الجميع أنني ومعي د.أحمد عمر هاشم و د.عبدالفتاح الشيخ قمنا بمحاولات عدة لإعادة تدريس التراث الإسلامي في الأزهر كما يجب أن يعلم الجميع أننا لن نستغني عن كتب الأساتذة ومذكراتهم، لكننا لا يمكننا الاستغناء بأي حال عن كتب التراث التي درستها أثناء وجودي في كلية أصول الدين وهي الكتب التي تخرج عليها آلاف العلماء الكبار.

وأود هنا أن أقول أيضًا، إنني حينما أبلغت بتعييني شيخًا للأزهر استشعرت خطر المسؤولية وعظمها أمام الله ثم الناس، فالأزهر هو المؤسسة الدينية الوحيدة في العالم التي لم ينقطع فيها العلم طوال ألف عام مضت، وهذه نعمة من الله سبحانه وتعالى، الذي حفظه لتوصيل رسالة الدين، وأنا أتمنى أن يعيننا الله عز وجل لإعادة الأزهر إلى ما كان عليه من تقدم وازدهار وأن يكون المرجعية الكبرى للمسلمين في بقاع الأرض كافة.

■ صرحت بأن «الخطاب الديني يحتاج إلى تنقية».. كيف؟

- أولا أود القول إن كثيرا من السادة علماء الأزهر يخاطبون الناس بالأسلوب التقليدي، والشباب اليوم يحتاجون لتغيير الخطاب الديني، ولا أقصد التغيير من حيث المحتوى والمضمون لكن تقديم ما يفهمه الشباب ويحتاجون إليه خاصة أن هذا الشباب جمع ثقافته من شاشات التلفزيون وأصبح يعتمد على البرامج الدينية التي أعتبرها ضارة ويجب مطاردتها لأنها تشوه الحقائق، فالإسلام ليس الذي يقدمه هؤلاء إطلاقا؛ فهم يميلون إلى الحبكة الدرامية والتمثيل أكثر من تقديم صحيح الإسلام وما ينفع الناس، وكمثال كيف أبكي وأخشع وأنا أعلم أن أمامي كاميرا تصور، فهذا تمثيل لا أكثر.

■ إذا صادف وجودك في منتدى أومؤتمر يوجد به مسؤول إسرائيلي، فهل تفعل كما فعل الشيخ طنطاوي وتصافحه أم ستتخذ موقفا آخر، وما هو هذا الموقف؟ وما موقفك من



زيارة القدس؟

- بداية، الشيخ طنطاوي- رحمه الله- أقسم لي في مقابلة معه أنه لم يكن يعرف الرئيس الإسرائيلي حينما صافحه، وبرأيي هذا خطأ المسؤولين عن المؤتمر؛ إذ لابد أن يعرفوا المدعوين بعضهم ببعض، ولا يتركوهم هكذا، أما أنا فدائمًا إذا دعيت لأي مؤتمر أو منتدى أسأل أولا عن الحضور؛ وهل هناك إسرائيليون أم لا؟ فإذا كان هناك إسرائيليون فلا أحضر من الأساس؛ أما اليهود فطبيعي أن أتعامل معهم، لأن هناك فرقا بين الإسرائيليين واليهود، فاليهود أتباع ديانة، وبالتالي وجبت مناقشتهم من خلال هذا المعنى.

أما مسألة زيارتي للقدس فأنا أرفض ذلك تمامًا مادامت الأرض محتلة، والقدس مشوهة، وبالتالي لا يمكنني الذهاب إلى القدس، ولا يصح لأي مسلم أن يزور القدس وهيَ تحت الاحتلال؛ فالذهاب إلى هناك قد يشكل نصرًا للجانب الآخر، وهذا أمر مرفوض.

■ **الحرية السياسية في الأزهر.. هل ستترك الطلبة يعبرون عن تضامنهم مثلا مع الأقصى من خلال المظاهرات أم ستمنع المظاهرات بالأساس؟**

- لا أرفض المظاهرات؛ ولا أمنعها إطلاقا بالأزهر إذا كانت للتضامن مع الأقصى أو مع القضية الفلسطينية بشكل عام، أو مع أي قضية من قضايا المسلمين المثارة على الساحة، لكن أود القول إن هناك فرقا شاسعا بين التظاهر من أجل قضية مهمة كالأقصى، والتظاهر من أجل نشر حزب سياسي أو فكر سياسي داخل جامعة الأزهر، وتتحدث باسم هذا الحزب، فهذا بالطبع ممنوع، لأن الجامعة علمية فيما يخص التعامل مع الأحزاب، إذ تمنع تمامًا التعامل مع الأحزاب أو دخولها الجامعة، وأستغرب لمن يتلقى أوامر في حجرة مظلمة في الخارج ثم يأتي ويريد تنفيذ ما تم الاتفاق عليه داخل أسوار الجامعة، هذا بالطبع سنحاربه ونمنعه بكل قوة.

لا أرفض المظاهرات ولن أمنعها بالأزهر مادامت لدعم القضية الفلسطينية أو قضايا المسلمين

■ **هناك اتهامات تطال الأزهر الآن بوجود اختراقات خارجية له من خلال تدريس اللغات لأبناء الأزهر.. ما حقيقة هذه الاتهامات؟ وهل ترى الأزهر مصونا من مثل هذه الاختراقات أم أنه بالفعل مخترق؟ وماذا تفعل لو كان مخترقا؟**

- هذا الحديث مبالغ فيه تمامًا، نحن نحاول إعادة نظام البعثات مرة أخرى إلى الأزهر؛ لأنها الطريقة المثلى لإيصال الإسلام إلى قلب أوروبا والغرب، وبالتالي ليس لنا وسيلة أخرى سوى تعليم الأزهريين اللغات الأخرى للاعتماد عليهم في هذا الأمر، ولا يمكن بأي حال أن يكون الأزهر مسرحًا لأي خروقات أو اختراقات، ولذلك أثناء رئاستي لجامعة الأزهر اخترت أفضل ١٠٠ طالب على مستوى الجامعة من طلبة الفرقة الأولى والثانية الحاصلين على تقدير جيد جدًا وامتياز من كل التخصصات ليتم تدريبهم وتعليمهم اللغة الإنجليزية بشكل علمي ومهني حتى تخرجهم من الأزهر ليرسلوا كبعثات للخارج.

وقد تعاقدت في ذلك مع المعهد البريطاني، وبعد التجربة رأى مركز المعهد في بريطانيا استمرار التجربة ومنح ١٥ طالبًا من الـ ١٠٠ منحة دراسية مجانية في بريطانيا، وهذا لكفاءة طلاب الأزهر وسرعة تعلمهم، وعلى هذا ستكون أول بعثة مكونة من خريجي الأزهر تُرسل للخارج العام المقبل بإذن الله لتكون هي النواة التي ستنهض بحلمنا في عودة الأزهر لمكانته اللائقة كجامعة عالمية الرسالة والهدف، كان لها السبق في أن تكون أول جامعة في العالم

شيخ الأزهر في سطور

من مواليد ٦ يناير عام ١٩٤٦م، بقرية القرنة بالأقصر، حصل على الليسانس في العقيدة والفلسفة من جامعة الأزهر عام ١٩٦٩م.

حصل على الماجستير في العقيدة والفلسفة عام ١٩٧١م.

ثم حصل على الدكتوراه في العقيدة والفلسفة عام ١٩٧٧م.

عمل معيدًا بقسم العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر عام ١٩٦٩م، ثم مدرسًا مساعدًا بقسم العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر عام ١٩٧٢م، ثم مدرسًا بقسم العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر عام ١٩٧٧م، ثم أستاذًا مساعدًا بقسم العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر عام ١٩٨٢م، ثم أستاذًا للعقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر عام ١٩٨٨م، ثم عميدًا لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بمحافظة قنا عام ١٩٩٠م، ثم عميدًا لكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بمحافظة أسوان عام ١٩٩٥م، ثم عميدًا لكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية العالمية بباكستان عام ٢٠٠٠م، ثم شغل منصب مفتي جمهورية مصر العربية عام ٢٠٠٢م، ثم رئيسًا لجامعة الأزهر منذ عام ٢٠٠٣م وحتى اختياره شيخًا للأزهر.



التعليم الديني في الميزان

«اقرأ» كلمة لاتزال تتردد أصداؤها في دنيا المسلمين في الماضي والحاضر، بها بدأت رسالة الإسلام، وعليها قام بناؤه وفي ظلها انتشرت حضارته، وازدهرت في شتى مناحي الحياة، وكان من اهتمام المسلمين الأولين بالقلم والعلم أن أوجبوا أن يؤخذ العلم من شيخ لا من كتاب، وسموا من يأخذ من كتاب صحفيًا ولم يعولوا عليه. وروي عن أبي حيان قوله:

أمدعيا علما ولست بقارئ
كتابا على شيخ به يسهل الحزن
أتزعم أن الذهن يوضح مشكلا
بلا موضح كلا لقد كذب الذهن

ومع توسع الدولة الإسلامية وازدياد عدد الراغبين في تعلم العلوم الشرعية والدنيوية انتشرت مؤسسات التعليم الديني وبدأ العلماء يلقون دروسهم على طلاب العلم فيها، وأصبحت مؤسسات التعليم الديني في المدينة المنورة ودمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة وغيرها من عواصم الإسلام منارات تشع نورًا وضياء وعلومًا ومعرفة، وكانت هذه المؤسسات لا تعرف في مناهجها التربوية والتعليمية انفصامًا بين الدين والعلم حتى وهي في أوج عزتها وصدارتها، لكن ومع تراجع الأمة في العصور المتأخرة حدث الانفصام وأصبحت هذه المؤسسات في أدنى السلم التعليمي من حيث نظرة الناس والمجتمع إليها، الأمر الذي يستدعي إعادة النظر في بنيانها ومناهجها لتستعيد دورها الريادي، لتنفض عنها غبار الجمود والتحجر. إن عودة الروح لمؤسسات التعليم الشرعي أمر في غاية الأهمية، ولابد أن تتكاتف جهود العلماء والأفراد والحكومات والهيئات وكل من له اهتمام بهذا الموضوع من أجل تحقيق هذه الغاية النبيلة التي هي مطمح كل مخلص لهذا الدين وأهله.

وهذا ما دفعنا لتناول هذا الأمر من خلال ملف هذا العدد الذي سلطنا فيه الضوء على بعض جوانب التعليم الديني، ما له، وما عليه، آملين من كتابنا وقرائنا إمدادنا بالمزيد حوله لإثرائه وسد جوانب النقص فيه، وحتى تتكامل الرؤية ونصل إلى الهدف وتتحقق الغاية المنشودة والله الهادي إلى سواء السبيل.

التحرير

التربية الإسلامية والدور المنشود

د. حسن عزوزي

إذا كانت المسألة التربوية تعتبر المشكل الأساسي الذي تعاني منه كثير من الحضارات فإنه مما لاريب فيه أنها تعتبر المسؤول الأول عن كل خلل يصيب كيان أمة من الأمم، ولعل هذا هو السبب الذي جعل كثيرًا من الدول تعدل عن تسمية وزارات التعليم إلى تسميتها وزارات التربية، إذ لا يخفى على أحد أن التعليم في جميع أشكاله ومستوياته ليس إلا إحدى وسائل التربية المستمرة، ونقصد بالتربية المستمرة عدم اقتصارها على مرحلة الطفولة والشباب، ولكنها بالمقابل عملية مستمرة ومتجددة مع الإنسان مدى حياته، وقد سبق الإسلام علماء الغرب المعاصرين في تنمية هذا المفهوم، قال تعالى: ﴿وقل رب زدني علمًا﴾ وفي الحديث «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد»، ولقد كان من فضل الله على الأمة الإسلامية أن جعل لها منهاجًا شاملًا قويمًا له أثره في تربية الفرد المسلم تربية روحية وأخلاقية مستمرة لتنشأ الأجيال تنشئة إسلامية صحيحة.

ولقد لوحظ في الآونة الأخيرة انكباب كثير من المؤسسات التربوية في الأقطار الإسلامية على دراسة واقع التربية ومشكلاتها وما تعاني منه المجتمعات الإسلامية المعاصرة من انفلات صارخ من مضامين التربية الإسلامية ومبادئها الأصيلة، وتخل واضح من شبابنا عن أصول وأسس الفكر التربوي الإسلامي، وانسياقه ولهثه وراء الحضارة الغربية المجردة من كل مقومات التربية الخلقية السليمة.

وإذا كانت التربية الإسلامية قد بنيت على أسس متينة من التوجيه الرباني والإرشاد النبوي فإنها قد تميزت بخصائص ومقومات جعلتها تنفرد بالسمو والكمال عن باقي المناهج التربوية التي عرفتها الإنسانية عبر العصور التي كانت في معظمها من وضع فلاسفة التربية والأخلاق الذين ما فتئ الواحد منهم ينقض نظرية سلفه ويبرهن على تهافتها ومعلنا نظرية جديدة هي بدورها سرعان ما يتم نقضها من جديد.

أما التربية الإسلامية الصحيحة القائمة على توجيه الفرد المسلم في جمع أطوار حياته دونما إغفال أو إهمال لجانب من جوانبها فهي غير مقيدة بزمان معين أو بقوم من الأقوام، بل

• أكاديمي مغربي





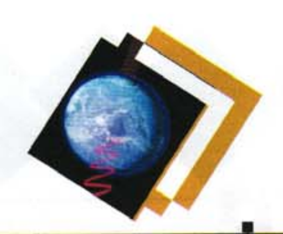
هي موضوعة لكل زمان ومكان، مرتبطة بالوجود الإنساني دومًا وأبدًا، فهي تربية خالدة مستمرة لأنها مقتبسة من نور الوحي الإلهي، ولعل في صفة الخلود والدوام التي طبعت منهاج التربية الإسلامية ما يجعلنا نتساءل عن الخصائص التي تميزها المضامين الأصيلة التي تحتوي عليها، إن التربية الإسلامية تتميز بأصالتها الواقعية المستمدة من الكتاب والسنة، والتي تتجلى في ربانية معطيات الإسلام الهادفة بالأساس إلى بناء الإنسان المسلم القويم الصالح، قال تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾، كما تتميز التربية الإسلامية بالشمولية والتكامل وهي خاصية تهدف إلى تنمية وتهذيب جميع جوانب شخصية الإنسان واستعداداته وقدراته، فهي في أصلها مبنية على الأخلاقية في السلوك التربوي وهي تقوم على أساس كون المسلم يربي روحه ونفسه على الخلق الإسلامي الجميل، أما المناهج التربوية غير الإسلامية فهي تقوم على تربية الفرد وفق سنن وقوانين الطبيعة كما يسمونها بمعزل تام عن الإيمان بالوحي والغيب والفضيلة، ولهذا نجد المؤسسات التربوية الغربية تفرز إنسانًا لا يتصف بأي ضوابط أخلاقية أو مقاييس اجتماعية، وإنما يكون في أحسن أحواله محايدًا أخلاقيًا، أي لا هو إلى جانب الأخلاق ولا هو ضدها، وإنما يتصرف طبقا لما تمليه رغباته ومصالحه المتلونة الموقوتة.

ويتمثل الدور الذي تقوم به التربية الإسلامية في تنشئة الفرد المسلم على تعشق المثل الأعلى، وتجسيدها في حياته من خلال تثبيت أسس ودعائم فقه السير، سير الأنبياء وأبطال الإسلام والعلماء ورجالات الفكر، وعلى رأس كل ذلك سيرة النبي المصطفى ﷺ، لما في ذلك من بعث وإحياء للروح الخيرة في الناشئة والتي تجسد فيهم معاني الأخلاق الفاضلة والمثل العليا.

ولعل في افتقاد القدوة المثالية والأسوة الحسنة في البيت والمجتمع ما جعل كثيرًا من شبابنا يلتجئون إلى التماس القدوة في رموز غربية وافدة زينها الإعلام الغربي في نفوس المسلمين، وإذا كنا نطمح إلى إيجاد المثل الأعلى في الساحة التربوية الإسلامية فينبغي على المربين والمعلمين أن يتصفوا بالقيم الفاضلة والمثل الرفيعة والعمل الجاد مما يهيئ المجال لانتشار القدوة الحسنة والمثل الأعلى.

وتعتبر التربية الإسلامية منهجًا وهدفًا أقرب ما تكون قابلة للتطبيق في ظل ظروف المجتمع الفاضل الصالح المتماسك والقائم على أساس من الدين والأخلاق، ولعل من مظاهر هذه الوقيعة وقابلية التطبيق التوفيق بين مطالب الروح والجسد معا وعدم تكليف الإنسان ما لا يطيق أو يفوق قدراته وإمكاناته، ولذلك قدر لمبادئ التربية الإسلامية التوفر على عنصر الثبات والخلود وصلاحية التطبيق في كل زمان ومكان، وهذه الخصائص لا يمكن أن يفهم منها جمود التربية الإسلامية في أهدافها ومناهجها وطرقها، بل إن التجديد والتطور باستمرار والديناميكية أمور تعتبر من مميزات التربية الإسلامية لكن في إطار الثوابت من أصول الإيمان والقواعد الكلية للدين.

هذه إذن بعض خصائص ومقومات التربية الإسلامية تتجلى فيها مكامن القوة والإيجابية والفاعلية في فكرنا التربوي الإسلامي، لكن يبقى السؤال المطروح حول مدى استفادتنا من كل ذلك وترجمته إلى الواقع الملموس.



التربية الدينية والنظام الغربي

د. بليغ حمدي إسماعيل

يهدف علماء التربية من هذا العلم التربوي والنفسي العميق أن يصلوا عن طريقه الى تحريك أحاسيس ومشاعر ووجدان الفرد تحريكا مباشرًا يعكس في عالم الواقع سلوكا إيجابيًا أو سلبيًا. لكنهم حين استبعدوا الدين ابتداء كعامل مؤثر في هذه الجوانب، باءت محاولاتهم التربوية الكثيرة بالفشل ولم تصب الهدف.

و لعلماء التربية اليوم بما لا يدع مجالا لشك، أن العلم والنظريات والتحاليل النفسية وغيرها لا توصل إلى تحريك مباشر للوجدان أو الضمير، بقدر ما يكون الدين الأسلوب المباشر الناجح في تحريك تلك المشاعر لتنعكس على الواقع في شكل سلوك معين.

وهذه النتيجة التي توصلوا لها أو ينبغي أن يتوصل إليها كل التربويين ترجع إلى مسلمة وبديهية في التربية الإسلامية، ذلك أن الدين الصحيح يخاطب فطرة الإنسان بينما العلم والنظريات تخاطب العقل، وفرق بين الخطابين كبير كبير، ولو قدر لعلماء التربية وصائغي ومخططي المناهج عندنا أن يفهموا هذه الجزئية، ويأخذوا بعد ذلك الدين كأسلوب تربوي سلوكي مباشر لتحقق نصر كبير بل لتحققت ثورة تربوية هادفة كتلك التي بدأها الإسلام من أول يوم واجه فيه الناس والواقع.

ولقد حان الوقت ليتخلص واضعو ومخططو المناهج التربوية وغيرهما عندنا من عقدة النقص تجاه كل ما هو وافد غربي من صالح الرأي أو فاسده، فينبغي أن نفهم قضيتنا التربوية الفهم السليم.. نفهم أن مادة التربية الدينية ليست مادة تخصصية لا تعني غير المهتمين بها.. ونفهم أن التربية الدينية تدخل كل مادة تعليمية، ونفهم أخيرًا أنها

حان الوقت ليتخلص واضعو المناهج عندنا من عقدة النقص تجاه كل ما هو وافد غربي

الأسلوب الوحيد المؤثر تأثيرًا مباشرًا في الوجدان والضمير والأحاسيس التأثير الذي ينعكس حركة إيجابية صالحة تبذر الخير وتجني السعادة والطمأنينة.

■ وإذا لم نستطع التخلص من هذا الشعور بالنقص.. وكانت قناعة بني قومنا وجلدتنا وديننا أنهم لا يؤمنون برأي صواب إلا إذا كان وافدًا غربيًا.. فها هي آراء الغربيين تتفق وما نريد.. فالعالم التربوي الحجة في هذا التخصص «جيمس دوس» يدلي برأيه في هذه القضية فيقول «إن الدين شيء يؤثر قبل كل شيء في الشعور والإرادة وفي الوجدان والنزوع».

ويبين كيف أن مادة التربية الدينية ينبغي أن تكون صبغة المواد التعليمية كلها فيقول: «إن من السخرية حقًا أن نضع في الجدول المدرسي مادة اسمها الدين، ثم نغمض أعيننا في اطمئنان ونروح في سبات عميق، كأننا قد أدينا مهمتنا، لا ينبغي أن نقنع بأن يكون الدين مادة الى جانب المواد الأخرى بل أن يكون روحًا فياضة في قوة وتوثب يطبع المنهج كله والحياة المدرسية والعمل المدرسي بجميع جوانبه ومجالاته بحيث تتهيأ الفرص الطبيعية المواتية لتلاميذنا حتى يشبوا وهم يقدمون خضوعهم وولاءهم لله من تلقاء أنفسهم وعن طيب خاطر».

وها هي لجنة السياسات التعليمية في الولايات المتحدة الأميركية تقرر وجوب تخلل القيم الخلقية والدينية جميع جوانب المنهج، وإدخالها في الحياة الكلية للمدرسة كجزء حيوي من أجزاء البرنامج المدرسي كله(١).

ومع أن أولئك القوم توصلوا إلى تشخيص دائهم التربوي إلا أنهم لم يستطيعوا حل قضيتهم ومازالت تلك القضية معلقة.. ولو أننا أخذنا تشخصيهم للمشكلة فلن نحار في حلها وبمنتهى السهولة والحيوية. والسبب في هذا الاختلاف بسيط، ذلك أن الدين الذي يرونه قادرًا على تحريك الوجدان والأحاسيس لتغيير الواقع النفسي والحياتي غير موجود في دينهم المحرف كمنهج للحياة شامل متكامل يخاطب الفطرة الإنسانية مباشرة. أما نحن فنملك ذلك المنهج المتكامل، نملك الإسلام، إسلام التربية، إسلام التوجيه، إسلام المنهج المتكامل، الإسلام الذي يحمل المؤهل الوحيد القادر على قيادة الناس وتربيتهم كما قاد حضارة الناس

● أستاذ اللغة العربية



قرونًا متطاولة حقق فيها ما لم يتحقق من قبله ولا من بعده، وها هو... مازال شامخًا يعرض نفسه كمخلص للناس مما هم فيه من هموم التربية وغيرها. فما علينا إلا أن نتناوله بعزة إيمانية كمنهج تربوي متكامل، يخاطب النفس والفطرة فيعدل السلوك.

ثم إن تبني النظام التربوي الغربي أو الشرقي يعكس شخصية مستقلة لها إطارها الفكري والعقائدي والتاريخي المستقل الذي يميزها عن سواها. وشخصيتنا المسلمة لا يمكن أن تنمو وتتبلور في إطار من تلك الأطر، لأن لها فكرها وعقيدتها وتاريخها، وإذا لم نرد إلا الانتساب لتلك النظم التربوية فلن نكون إلا واحدًا من اثنين. اما مقلدين تقليدًا محضًا وحينئذ يذوب ما لنا من فكر وعقيدة وتاريخ. وإما أن نكون بين بين، نأخذ من زادهم جزءًا ومن زادنا جزءًا آخر، فنكون شخصية مزدوجة منفصمة إلى اتجاهين، وليست مدركة ولا مستفيدة من أحدهما.

وفي ظني أننا الى الصنف الثاني أقرب من الأول، وما يعايشه ويعانيه شبابنا اليوم من التذبذب واللاانتماء، مرجعه هذا الخلط المتنافر في تركيبتنا التربوية.

فالأقسام الأدبية في مدارسنا وجامعاتنا محشوة بكثير من الأفكار الغثة والشاذة والفلسفات المادية الهابطة، وتقدم هذه البضاعة على أنها بضاعة المجتمع المتقدم الراقي الذي يتصدر حضارة هذه الأرض اليوم، وواقع الناس كلهم يشهد له بذلك. والى جانب هذا الزخم كله تعرض بضاعة الاسلام في أطر خانقة تجعل وجودها وعدمها سواء- إلى حد ما - فلا المساحة التي أعطيت لها كافية لاستعراض ما تحمله من عقيدة وفكر وتاريخ، ولم ينتصب لتدريسها القدوة المؤثرة، ولم تجد لها في واقع المجتمع حيزًا من التطبيق يساندها ويؤازرها.

هذا كله كفيل بإسدال الستار على فاعلية المنهج التربوي الإسلامي، ومع هذا كله نجد نفوس الشباب تواقة وبحماس حار لأن تسمع هذا الإسلام... تسمع هذا الغريب... لا لشيء إلا لأنه يخاطب فطرهم وأحاسيسهم خطاب العليم الخبير.

والأقسام العلمية أيضًا محتاجة منا الى نظرة، فهي ليست محشوة بباطل من الأفكار والتصورات، ولكنها وضعت في اطار تجريدي خالص، يجعل منها دائرة منفصلة عن أي رابطة أو صلة إيمانية تربوية، وإذا كان هذا مستساغًا عند الغرب فبحجة الفصل بين العلم والدين ونتيجة الحرب بين رواد الحضارة الحديثة والكنيسة.

أما نحن المسلمين فالحجة علينا لا لنا. فالدراسات العلمية التقنية أقرب طريق وأعمقه للإيمان، لأن الشاب يعاين القدرة الإلهية ويلمسها حية فيما يراه بعينه ويقلبه بيده، ويسجل مقاماتها ونتائجها، ولا تحتاج القضية سوى من يربط بين هذا العلم المشاهد وبين الإيمان بالخالق المبدع الذي يرجع اليه الأمر كله، هذا الربط هو أخطر وأهم ما في القضية، فهو كفيل بصياغة إيمانية عميقة لهذا الشباب، إنه كفيل بجعل المعمل أو المصنع معملا ومصنعًا للمواد والرجال والنساء، الذين يحملون هذه العلوم ونتائجها بعزة إيمانية خلاقة مبدعة مبتكرة.

ولا يكفينا هنا الأستاذ المؤمن فحسب، فإننا نريده قادرا على هذا الربط والبرهنة، وهذا باب من الثقافة التربوية عميق الأثر، يطل على كنوز إيمانية علمية زاخرة مستمرة لا تنفد، بل لا نبالغ إن قلنا ان هذا الربط بمثابة تحويل دفة الحضارة اليوم من مادية جافة إلى إيمانية حية.

ولذلك نرى القرآن الكريم يطلب هذا العلم ويلح في طلبه، ويطلب معه هذا الربط ويلح في طلبه: ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض...﴾ (يونس: ١٠١). ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه. أنا صببنا الماء صبًا...﴾ (عبس: ٢٤ -٢٥). ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها...﴾(ق: ٦).

وغير ذلك من الآيات لا يحصر، تلاحظ فيه هذا العلم المطلوب وذلك الربط بمصدر العلوم والحياة. فمطلوب النظر الى الطعام وما فيه من عجائب ودقائق في تركيبه ومع ذلك لا ننسى مصدر ذلك «أنا صببنا...» ومطلوب النظر والتفكر في السماء وما فيها ومحاولة معرفة كل ما يتصل بها من مدارك وعلوم، وفي نفس الوقت لا ننسى من أوجدها على هذه الشاكلة «كيف بنيناها وزيناها...» وهكذا منهج القرآن من أوله إلى آخره.

وكم هو جميل أن نستفيد من نماذج هذا الربط من مثل كتاب «الإنسان ذلك المجهول» للدكتور ألكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل عام ١٩١٢، وكتاب «العلم يدعو للإيمان» للأستاذ كريس موريسون، وكتاب «الله يتجلى في عصر العلم» لنخبة من العلماء وكتاب «مع الله في السماء» للدكتور أحمد زكي، وغير ذلك كثير...

إن قضيتنا في هذا الصدد - باختصار - تكمن في أننا ربطنا باطل الغرب بتقدمه وحضارته، والأولى أن نربط علم الغرب بتقدمه وحضارته، فنقلدهم في علمهم وندع باطلهم.

المراجع

١- نظرة في مناهج التربية الإسلامية بالتعليم العام، للدكتور محمود كامل الناقد، وهو من البحوث المقدمة في ندوة أسس التربية الاسلامية في مكة المكرمة، ١١ جمادي الثانية ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.



الأزهر.. أثر وثقافة

السيد مسعد

إذا كان جوهر الصقلي قد أتم تأسيس مدينة «القاهرة» بعد عام من فتح الفاطميين مصر، وكان أول أعماله بناء «الجامع الأزهر» الذي بدأ عمارته- كما أورد المقريزي- في يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة ٣٥٩هـ وأتم تشييده بعد عامين، حيث فتح للصلاة في شهر رمضان سنة ٣٦١هـ (يونيو- يوليو ٩٧٢م)، فلم يكن يدور بخلده أنه سيكون أكبر جامعة إسلامية، وأكبر مركز إشعاعي ثقافي وديني، لا لمصر وحدها، بل للعالم العربي والإسلامي، والعالم أجمع.

الأزهر، وهو أول عمل فني معماري أقامه الفاطميون في مصر.. ولا يزال قائمًا حتى اليوم، يقع في الجنوب الشرقي من قاهرة المعز لدين الله الفاطمي، على مقربة من القصر الكبير الذي كان موجودًا حينذاك بين حي الديلم وحي الترك في الجنوب، وقد أورد المقريزي نص النقش الذي كتبه جوهر بدائرة القبة، وإن كان قد اندثر الآن.

وكان الجامع الأزهر وقت إنشائه يتوسط العاصمة الفاطمية على النحو الذي كان متبعًا في إنشاء القواعد الإسلامية الأولى، أنشئ ليكون مسجدًا رسميًا للدولة الفاطمية في حاضرتها الجديدة، ومنبرًا لدعوتها الدينية، ورمزًا لسيادتها الروحية.

وتتبعت الباحثة د. سعاد ماهر في بحثها المستفيض المراحل التاريخية للأزهر (١) منذ تشييده وحتى عصرنا الحديث، مرورًا بالدولة الأيوبية، ودولة المماليك، والفتح العثماني لمصر.

وفكرة الدراسة في الأزهر ترتبت على فكرة الدعوة المذهبية، وغلب الحدث العارض شيئًا فشيئًا على صفته الأولى حتى أسبغ عليه ثوبه الجامعي الخالد، ففي سنة (٣٦٥هـ/ ٩٧٥م)، وفي أواخر عهد المعز لدين الله، جلس قاضي القضاة، أبوالحسن علي بن النعامي بالجامع الأزهر، وقرأ مختصر أبيه في فقه الشيعة (٢)، وأثبت أسماء الحاضرين، فكانت أول حلقة للدرس بالجامع الأزهر.

لا يخفى على أحد ما صار إليه الأزهر من شأن عظيم في عصرنا الحالي

ويعتبر الوزير يعقوب بن كلس، أول من فكر في اتخاذ الجامع الأزهر معهدًا للدراسة المستقلة، فقد استأذن الخليفة العزيز بالله سنة (٣٧٨هـ/ ٩٨٨م)، في أن يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس، كان عددهم سبعة وثلاثين فقهيًا ورتب لهم أرزاقًا (٣)، وجرايات شهرية حسنة، وأنشأ لهم دارًا للسكنى بجوار الأزهر، وعلى ذلك فإننا نستطيع القول إن الأزهر اكتسب صفته العلمية الحقيقية كمعهد للدراسة المنتظمة، وأنه بدأ حياته الجامعية الحافلة، منذ أوائل العصر الفاطمي، ولم ينافسه في ذلك إلا «دار الحكمة» التي أنشأها الخليفة الحاكم، غير أن كلا المعهدين كانت له رسالة خاصة، فبينما كان الأزهر مركزا للثقافة الدينية المختصة، إذ بدار الحكمة تقوم بجانب مهمتها في نشر المذهب الشيعي بتدريس علوم اللغة والطب والرياضيات والمنطق والفلسفة وما إليها.

وحين نصل إلى الدولة الأيوبية بمصر حيث تحول الأزهر من المذهب الشيعي إلى المذهب السني، نرى السلطان صلاح الدين الأيوبي يقتدي بما فعله الملك العادل- نور الدين زنكي- بالشام من إقامة المدارس في دمشق وحلب، نراه- أي صلاح الدين- ينشئ (المدرسة الناصرية) (٤) بجوار المسجد الجامع (جامع عمرو) لتدريس الفقه الشافعي، ثم ينشئ على مقربة منها (٥) مدرسة لتدريس الفقه المالكي، عرفت بالمدرسة (القمحية) (٦)، وهي التي تولى التدريس فيها- فيما بعد- المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون، ثم توالى إنشاء المدارس في مصر والقاهرة على أيدي السلاطين والأمراء والكبراء وكثر عددها في القرنين السابع والثامن كثرة ظاهرة، وكان إنشاؤها- في الغالب- على قاعدة التخصص، فبعضها ينشأ للشافعية، والبعض الآخر للحنفية، أو المالكية، أو الحنبلية (٧)، وينشأ البعض لتدريس الفقه أو الحديث، أو علوم القرآن، وقليل منها ينشأ على قاعدة التعميم، كالمدرسة الصالحية التي أنشأها الملك الصالح نجم الدين سنة (٦٤١هـ)، ورتب فيها دروسًا للطلاب على المذاهب الأربعة.

أثر تعدد المدارس على الأزهر

بالطبع، كان لقيام هذه المدارس وكثرتها أثر كبير على سير الدراسة بالجامع الأزهر، فقد نافسته منافسة شديدة، واجتذبت الطلاب إليها من كل صوب، كما اجتذبت

• كاتب صحفي





إليها أعلام الأساتذة، وكانت تمتاز على الأزهر بجدتها ووفرة أوقافها، واستئثارها برعاية السلاطين والكبراء من منشئيها ومن إليهم.

وكان الأزهر في هذه المدة الطويلة قد مر بفترة ركود، بيد أنه كان يضم من الطلاب دائمًا العدد الجم، نظرًا لاتساع مجال الدراسة فيه وتنوعها، إذ كان مفتوحًا للطلاب من كل مذهب، وتدرس به سائر العلوم الدينية واللغوية وهو ما لم يكن ميسورًا في مدارس أنشئت على قاعدة التخصص، ومن جهة أخرى فقد كان الأزهر مقصد الطلاب الغرباء من كل صوب، وكان يقطن في أروقته عدد كبير منهم.

ثم نرى مصر الإسلامية في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجريين، وقد بلغت الحركة العلمية والأدبية ذروتها من التقدم والازدهار وحفل القرن التاسع على الأخص بعدد كبير من الأساتذة البارزين في سائر العلوم والفنون، وأسهم الأزهر إلى جانب المدارس الأخرى بنصيبه في إعداد عناصر هذه الحركة، وفي تخريج العدد الجم من أبنائها، وهذه الفترة كانت تمثل العصر الذهبي من حيث الإنتاج العلمي الممتاز ومن حيث تبوئه مركز الزعامة والنفوذ.

وفي أواخر القرن التاسع أخذت الحركة الأدبية في مصر الإسلامية في الاضمحلال، وذلك تبعًا لاضمحلال الدولة المصرية والمجتمع المصري، وكانت دولة المماليك قد شاخت، وأخذت تسير نحو الانهيار بخطى سريعة، وتصدع بناء المجتمع المصري، واضطربت أحوال المعاهد والمدارس المصرية، وتضاءلت مواردها، وأصاب الأزهر ما أصاب المعاهد الأخرى من الذبول والركود.

نظام الدراسة بالأزهر ومصادر تمويله

لقد بدأت الدراسة بالأزهر على النمط الذي كان متبعًا في مصر وباقي العواصم الإسلامية يومئذ، ونعني به الحلقات الدراسية ومجال الدروس الخاصة، وقد اشتهر نظام الحلقات الدراسية بمصر منذ القرن الثاني للهجرة وكانت الفسطاط ومسجدها الجامع، منذ القرن الأول، مركزًا للدراسة الممتازة، وكانت هذه الدراسة في البداية دينية فقهية (كما سبق ذكره).

أما المصادر المالية التي كان الأزهر يعتمد عليها في حياته، كمسجد وكمعهد درس، فهي الأحباس (٨) العامة والخاصة، إلى جانب الأعطيات والصدقات العامة والخاصة: مالية ونوعية.

أما عن النظام التعليمي للأزهر في العصور الوسطى فيتلخص في أنه:

١- كان هناك أستاذ للمادة، يشرف على من دونه، وهؤلاء كانوا حريصين على ملازمة أستاذهم حتى الممات، وكانت كل أمانيهم أن يصلوا إلى مثل مرتبته العلمية، فالسيوطي مثلا يحدثنا عن نفسه.. فيقول: «لما حججت، شربت من ماء زمزم لأمور: أن أصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر.

٢- كان الطالب، يصح له أن يجاز في مادة، ويرجأ في أخرى، فهو في مادة أستاذ معلم، وفي أخرى طالب تحت الإجازة.

٣- كانت الشهادة تعطى من الأساتذة وتسمى «إجازة»، وكان الطالب إذا آنس من نفسه القوة في العلم، والقدرة على التدريس والإفتاء طلب من شيخه أن يجيزه.

٤- كان للطالب منتهى الحرية في اختيار المادة والأستاذ، وله الحرية- أيضًا- في الحضور والغياب.

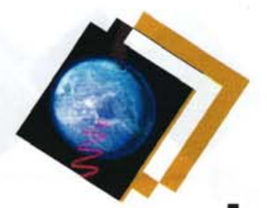
٥- كان لكل كتاب (١٠) قارئ غالبًا، وكانت هناك صلة روحية قوية بين الأستاذ والطالب.

والطلبة بالأزهر- حاليًا- ينقسمون كما كان الحال تمامًا- في السابق- إلى قسمين:

قسم داخلي: وهذا ينقسم بدوره إلى عدة أقسام إقليمية، ومازال كثير من هذه الأقسام- وهي الأروقة- (وعددها ٢٦ رواقا)، والحارات (وعددها ١٥ حارة) محتفظا باسمة حتى اليوم.

قسم خارجي: مواد الدراسة والكتب: كانت علوم الدين واللغة دائمًا في المقدمة، وكان للعلوم الدينية- بنوع خاص- أوفر نصيب، فعلوم القرآن والحديث والكلام والأصول والفقه على مختلف المذاهب، وكذلك علوم اللغة من النحو والصرف والبلاغة، ثم الأدب والتاريخ، وهذه كانت زاهرة خلال العصور السابقة، ولا تزال مع كثير من التطوير.

وقد كانت الصبغة المذهبية تغلب على الدراسة بالأزهر، ولاسيما في عهد الدولة الفاطمية، أما في عصر الدولة الأيوبية فنرى الأزهر جامعة حرة، تدرس فيها العلوم العقلية أو العلوم المدنية (١١) إلى جانب العلوم الدينية بصورة منتظمة،



فنرى- مثلا- بين أساتذة الأزهر- في هذه الفترة- العلامة عبداللطيف البغدادي، يدرس الطب والفلسفة والمنطق، بيد أن صفة الأزهر الدينية كانت ومازالت تغلب على كل صفة أخرى.

فقد كانت الكتب الأولى التي قررت للتدريس بالأزهر، هي كتب الشيعة، وهو المذهب الرسمي للدولة- آنذاك، وكذلك كان يدرس بالأزهر كثير من الكتب الفقهية التي كانت تدرس بدار الحكمة، ومصنفات أعلام الأساتذة الذين انتهت إليهم الرياسة في بعض العلوم، أو الذين تولوا التدريس بالأزهر.

وكان للجامع الأزهر خزانة من الكتب كثيرة ذات أهمية خاصة، وللأزهر الآن مكتبة فيها كتب قيمة، مابين مخطوط ومطبوع، وكانت قبل ذلك خزانة كتب.

إدارة الجامع الأزهر

كان الإشراف على شؤون الجامع الأزهر يجري على النمط الذي اتبع من قبل في الإشراف على شؤون المساجد الجامعة، أما نظام مشيخة الأزهر فإنه نظام حديث، يرجع إلى أوائل العصر العثماني، ومازال هذا النظام- نظام المشيخة- قائماً بالجامع الأزهر إلى يومنا هذا، حيث يقوم شيخ الأزهر على رياسته: الدينية والإدارية، ومنذ القرن الثاني عشر الهجري توالى على مشيخة الأزهر أئمة وعلماء كثر، نذكر هنا منهم اثنين فقط:

- أولهما: فضيلة الشيخ محمد عبدالله الخرشى (المتوفى ١١٠١ هـ) عليه رحمة الله، وهو أول شيخ للأزهر.

- وثانيهما: (الحالي) فضيلة الشيخ الدكتور أحمد محمد أحمد الطيب، (١٤٣١هـ/ ٢٠١١م) أطال الله عمره.

محاريب الأزهر

ويوجد بالأزهر ثلاثة عشر محرابًا، إضافة إلى المحاريب المجودة بالمدارس المحلقة، ومن هذه المحاريب اثنان في ديوان القبلة الجديد الذي أضافه عبدالرحمن كتخدا، الكبير منهما يصلي فيه إمام الجامع الصلوات الخمس، وأمام المحراب توجد ستة أعمدة ترتكز عليها قبة تغطي المحراب، والمحراب الثاني وهو صغير، ويوجد إلى الشمال من المنبر، وبه كثير من النقوش والزخارف، ويعرف بقبة الشيخ الدردير، وفي إيوان القبة القديم يوجد محراب واحد، وهو المحراب الأصلي القديم، أما بقية المحاريب فتسمى بأسماء بناتها أو شيوخ الأزهر السابقين أو الطوائف أو الأمراء.

صحن الأزهر ومآذنه

يتكون صحن الجامع الأزهر من مستطيل تحيط به البوائل من جهاته الأربع، وكانت أرضيته مفروشة ببلاطات من الحجر الجيري المنحوت، وتحت هذا الحجر توجد أربعة صهاريج كبيرة للماء العذب، ولهذه الصهاريج فوهات من الرخام ناتئة عن سطح الأرض بما يقرب من متر، مما يضفي على الصحن منظرًا جميلًا.

وكان بالأزهر ست مآذن، منها مئذنة خارج باب المزينين على يمين الداخل إلى الجامع، وهي من إنشاء عبدالرحمن كتخدا، وكان يتوصل إليها من باب الميضاء الصغير القريب من المدرسة الطيبرسية، وقد أزيلتا وبني مكانهما الرواق العباسي وإدارة الأزهر.

وهناك ثلاث مآذن تطل على صحن الجامع، إحداها مئذنة المدرسة القبغاوية، وهي أول مئذنة عملت بمصر من الحجر المنحوت بعد مئذنة المنصورية، وقد أنشأها الأمير علاء الدين أقبغا عند بنائه المدرسة، والمئذنة الثانية تقع على يمين الداخل، وهي التي أنشأها السلطان الأشرف قايتباي، والثالثة تلي مئذنة قايتباي، وقد أنشأها السلطان الغوري، وهي أعلى منارات الأزهر وأعظمها.

وفي الضلع الشرقي للجامع توجد مئذنتان، إحداهما عند الطرف الجنوبي الشرقي، والثانية عند الطرف الشمالي الشرقي، وهما من إنشاء عبدالرحمن كتخدا.

أبواب الأزهر

وللجامع الأزهر تسعة أبواب، أهمها الباب الرئيسي، وهو المعروف بـ«باب المزينين» وقد انشأه عبدالرحمن كتخدا، أما الباب الأصلي- وهو المواجه للداخل مما يلي الصحن- فقد جدده السلطان الأشرف قايتباي، والباب الثاني هو الباب العباسي في الواجهة الغربية للجامع، أقامته وزارة الأوقاف المصرية، والباب الثالث هو «باب المغاربة».

ويعرف الباب الرابع باسم «باب الشوام»، ثم باب «الصعايدة» وهو الخامس، أما الباب السادس فيعرف بـ«باب الحرمين»، فباب «الشوربة»، وباب «الجوهرية»، أما الباب التاسع فيعرف بباب «الميضأة» وهو يصل إلى ميضأة الجامع.

هذا، وقد صدرت مجموعة من القوانين المنظمة للأزهر أولها (١٢٨٨هـ/ ١٨٧٢م) في عهد الإصلاح الذي قاده الرائدان المصلحان جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وإلى الآن تصدر القوانين التي تهدف إلى تطوير الأزهر الشريف.

ولا يخفى ما صار إليه الأزهر، الجامع والجامعة، من شأو عظيم في عصرنا الحالي، ويكفي أن يذكر المد العلمي المتخصص الحديث في كل موقع من محافظات مصر، فلا تكاد تخلو محافظة من أثر تعليمي تابع للأزهر.

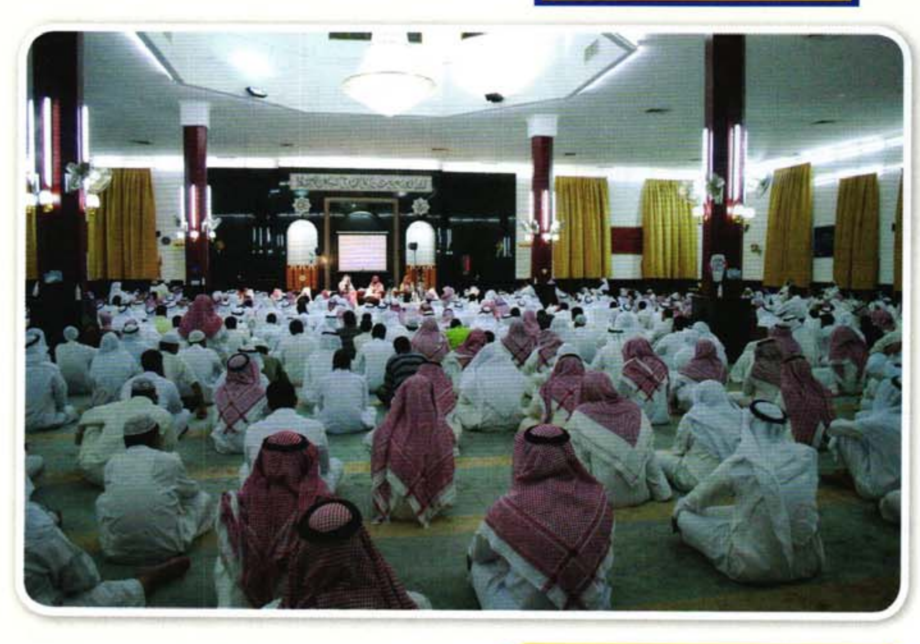
الهوامش

١- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة- جمادى الأولى (١٣٨٢هـ).
٢- كان مذهب الفاطميين.
٣- رواتب.
٤- سنة ٥٥٦هـ.
٥- في العام نفسه.
٦- لما كان يغدق على طلابها من قمح تغله ضيعتها بالفيوم.
٧- وبذلك نرى أن مصر لم تقف عند مذهب معّين انحيازا، بل فتحت الباب للمذاهب الأربعة.
٨- الأوقاف.
٩- منهج الشيخ الذي يدرس عليه.
١٠- كالرياضيات، والتاريخ، والجغرافيا، والعلوم الإنسانية الأخرى.



المدرسة النبوية في التربية.. نموذج التربية بأركان الدين!

محمد شعبان أيوب



كيف يمكن الوصول إلى النهضة المنشودة؟ سؤال يبدو سهلاً ميسورًا على كثير من المنظرين والمفكرين، بل يبدو مغريًا إن تحرينا الدقة لمن أراد أن يدلي برأيه ويبسط أدلته.. إن النهضة لأي أمة من الأمم أمل من الآمال المعقودة، وغاية من الغايات التي تصنعها الأمم الحرة لنفسها، والحق أن الأمة المسلمة كانت أمة حرة تملك زمام أمرها، وتقدر على تحريك وجهتها تجاه ما تراه مناسبًا لدينها وأبنائها ومقدراتها.

لأجل الإجابة المقنعة على ذلك السؤال الكبير، فإني أقر بأن التربية كانت من جملة الحلول المناسبة والناجعة لبلوغ ذلك المرام المنشود، ولقد كان من عناصر التفوق الرائع للمجتمع الإسلامي الأول، والذي لم يتكرر في بقية التاريخ أننا نجد عنصر «الجدة»، فكل حركة جديدة تكون في تكوّنها وتحركها أنشط وأبلغ من الأجيال التي تخلفها؛ لأن المولد الجديد يعطيها حيوية غير عادية، ولأنها تمارس البناء خطوة خطوة، ودرجة درجة، سواء البناء النفسي الداخلي أو البناء الاجتماعي الخارجي، وتبذل الجهد في كل خطوة وتتحمل المشقة، فتكون حريصة على سلامة البناء، حريصة على صيانته من كل خدش أو تشويه.

ولقد كان من جملة «الجديد» الذي جاء به هذا الدين العظيم أنه حمل معنى التربية الشمولية في طياته، إذ العبرة والمقصد والغاية التي يجب أن تتحقق فيها الإرادة الإلهية تتمثل بلا ريب في «الإنسان» والإنسان في المفهوم الإسلامي هو الذي يجب أن يحمل الأمانة بحق، والأمانة هي تحقيق العبودية التامة لله الواحد الأحد وفقًا لهديه وشريعته.

الإنسان إذن مناط الحياة، ومناط العمران الذي يحقق الغاية الإسلامية، لكن ما معالم وسمات هذا الإنسان؟ وفي أي مرحلة تبدأ التربية معه؟

من عظمة التربية الإسلامية أنها بدأت بالإنسان المسلم منذ نعومة أظافره

من عظمة التربية الإسلامية أنها بدأت بالإنسان المسلم منذ نعومة أظفاره، وقبل أن يشب عن الطوق، وتلهيه تلابيب الحياة بمشاغلها، لقد بدأت بالطفل.. نعم من الطفولة تبدأ النهضة، ولا يستغربن القارئ الكريم أن يكون محور نقاشنا في هذه المقالات عن التربية الإسلامية الحضارية للمسلمين صغارهم وكبارهم، فذلك هدف نسعى إليه بلا ريب في زماننا هذا.

لقد حرَص النبي ﷺ وأكّد على أن الأطفال جزء أصيل من الأمة المسلمة، وكما أسرع ﷺ في تعليم الإيمان والعقيدة الصحيحة في صدور وقلوب وحواس هؤلاء الأطفال، حرص- أيضًا- على تربيتهم وتعليمهم لأركان الدين.

وقد جعل الصلاة جزءًا أصيلاً من الكيان العام للطفل المسلم، فكان تأكيده

* باحث دراسات إسلامية



ﷺ بالقول والعمل، وكلاهما تشريع نبوي متّبع، قال رسول الله ﷺ: «مروا الصبيان بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها في عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع».

وشارك الصحابةُ النبيَ ﷺ هذا الحرص، من حيث معرفة وقت صلاة الطفل، والعمر المناسب، وأثر هذه الصلاة عليه، حتى إن النساء كانت أعلم من الرجال في هذا الشأن في بعض الأوقات، فهذا معاذ بن عبدالله الجهني أحد التابعين المشاهير وهو حفيد الصحابي الجليل خبيب الجهني رضي الله عنه، يدخل عليه مجموعة من طلبة العلم يسألونه عن الوقت المناسب لصلاة الصبي، فيسأل امرأته: متى يصلي الصبي؟ فتقول: نعم كان رجل منا يذكر عن رسول الله ﷺ: أنه سُئل عن ذلك فقال: متى عرف يمينه من يساره فمروه بالصلاة.

وبلغ حرص النبي ﷺ على هذه الفريضة أنه كان يُرَتِّب بنفسه ويُخَصِّص أماكن للصبيان في المسجد؛ فعن أبي مالك الأشعري أن النبي ﷺ أقام الرجال يلونه، وأقام الصبيان خلف ذلك، وأقام النساء خلف ذلك.

ولم تكن مشاغل الدعوة والحياة تُنسيه ﷺ أن يطمئن إلى حال غلمان المسلمين مع ربهم من خلال الصلاة، وامتحانهم على ذلك، وسؤاله المتكرر، فعن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: بتُّ عند خالتي ميمونة (أم المؤمنين رضي الله عنها) فجاء رسول الله ﷺ بعدما أمسى فقال: «أَصَلَّى الغلام؟» قالوا: نعم، فاضطجع، حتى إذا مضى من الليل ما شاء الله، قام فتوضأ، ثم صلى سبعًا أو خمسًا أوتر بهن لم يُسَلِّم إلاّ في آخرهن.

فهذا الغلام الحصيف عبدالله بن عباس رضي الله عنه - الذي كان تجربة حيّة لحياة الطفل والشبل المسلم- يروي لنا من خلال نومه الزائف، كيف- رغم تعب النبي ﷺ - كان ﷺ يسأل أول ما يسأل عن حال هذا الصبي مع الصلاة.

وكان للصبيان نصيب في صلوات السنن المؤكدة كصلاة العيد والجنائز وغيرها، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: خرجتُ مع النبي ﷺ يوم الفطر أو الأضحى، فصلى ثم خطب، ثم أتى النساء فوعظهن وذكرهن وأمرهن بالصدقة.

وحتى في صلوات الجنائز كان رسول الله ﷺ يُشرك هؤلاء الصغار في تشييع موتاهم، وكان لهذا الإشراك أثره في اللحمة الاجتماعية التي كانت تربط بين الصغار وبين مجتمعهم، فضلاً عن الجانب التربوي الذي كان يعود على هؤلاء بالنفع من خلال التربية على التقوى والخشية؛ فهي إحدى ثمرات صلاة الجنائز، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مرّ بقبر قد دُفن ليلاً فقال: «متى دفن هذا؟» قالوا البارحة، قال: «أفلا آذنتموني»، قالوا دفناه في ظلمة الليل فكرهنا أن نوقظك، فقام فصففنا خلفه، قال ابن عباس: وأنا فيهم فصلى عليه.

بل واشترك الصبيان في الصلاة على النبي ﷺ حين توفي، قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: لما صُلّيَ على رسول الله ﷺ أُدخل الرجال فصلّوا عليه بغير إمام أرسالاً حتى فرغوا، ثم أُدخل النساء فصلين عليه، ثم أُدخل الصبيان فصلوا عليه، ثم أُدخل العبيد فصلوا عليه أرسالاً لم يؤمهم على رسول الله ﷺ أحد.

ولعلّ من أعظم الوسائل التربوية التي أقرّها النبي ﷺ أنه كان يُوافق على إمامة الصبي الحافظ، وثمة رواية طريفة- يحكيها لنا عمرو بن سلمة الجرمي رضي الله عنه حين قَدِمَ على النبي ﷺ في أعوام الوفود- تُبَيِّن كيف أنه ﷺ رفع قدر الأطفال الذين لم يكن يُؤْبَه لهم، أو يُهتم بهم، قال: كُنا على حاضر، فكان الركبان يمرون بنا راجعين من عند النبي ﷺ، فأدنو منهم فأسمع حتى حفظتُ قرآنًا. قال: وكان الناس ينتظرون بإسلامهم فتح مكة، فلما فُتحت جعل الرجل يأتيه فيقول: يا رسول الله أنا وافد بني فلان وجئتك بإسلامهم. فانطلق أبي بإسلام قومه، فلما رجع قال: قال رسول الله ﷺ: «قَدِّمُوا أكثركم قرآنًا». قال: فنظروا فما وجدوا فيهم أحدًا أكثر قرآنًا مني، فقدّموني وأنا



غلام، فصليتُ بهم وعليّ بُردة لي، فكنتُ إذا ركعتُ أو سجدتُ فتبدو عورتي، فلما صلينا، تقول لنا عجوز دهرية: غطوا عنا إست قارئكم، قال: فقطعوا لي قميصًا من معقد النحرين، فذكر أنه فرح به فرحًا شديدًا.

وهناك رواية أخرى تبين أن صلاة الصبي عمرو بن سلمة لم تكن تقتصر على المفروضة، بل على بقية الصلوات الأخرى، قال رضي الله عنه: فما شهدتُ مجمعًا من جُرم (قبيلته) إلا كنتُ إمامهم، وكُنت أصلي على جنائزهم إلى يومي هذا.

وبعيدًا عن اختلاف الفقهاء في مسألة إمامة الصبي، وأنها يجب أن تكون عند البلوغ والأهلية، إلاّ أن هذه الرواية تبين لنا إلى أي مدى وصل الاهتمام بالأطفال والصبيان في العهد النبوي، فبمجرد أن رجعت قبيلة جرم بعدما أسلمت وهداها الله للتوحيد، لم تستنكف من إمامة صبي لها، وهم عرب أقحاح نالت التقاليد العربية منهم كل منال، لكن هداية الإسلام وتربيته القويمة أخذتهم من تلك السفاهات البالية إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

وفي زمن الخلفاء الراشدين سار المجتمع على الهدي النبوي، حتى إن بعض الصحابة قَدّم بعض الأطفال للإمامة، ومنهم الأشعث الذي لما قدّم غلامًا عاب الحاضرون ذلك عليه، فقال: «ما قدّمته، ولكنّي قدّمت القرآن».

بل إن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت تقف خلف الصبيان الحافظين للقرآن، وتأتمّ بهم، قالت رضي الله عنها: كنا نأخذ الصبيان من الكُتّاب ليقوموا بنا في شهر رمضان فنعمل لهم القلية والخشكنانج.

أما تربية الآباء للأطفال على حفظ الأذكار والمداومة عليها، فيتجلى ذلك فيما رُوي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الذي كان «يُعَلّم أولاده هؤلاء الكلمات كما يعلم المُكتّب الغلمان، ويقول: إن رسول الله ﷺ كان يتعوذ بهن دبر الصلاة: اللهم إني أعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر».

في عصر الخلفاء الراشدين قدم بعض الصحابة بعض الأطفال للإمامة

هذا عن الصلاة، أما الصوم فقد حرصت الصحابيات على تعويد أبنائهن على تحمل الصوم، وكنّ يقمن ببعض الحيل لشغل أبنائهن وبناتهن عن التفكير في الإفطار، من ذلك ما روته الصحابية الجليلة الرُّبَيّع بنت مُعَوّذ التي قالت: أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: «من أصبح مُفطرًا فليُتم بقية يومه، ومن أصبح صائمًا فليصم». قالت: فكنا نصومه بعد ونُصوّم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك، حتى يكون عند الإفطار.

وكان الغالب على صبيان وبنات المسلمين الصيام في مواعيده وأوقاته، ومن الطريف أن عمر رضي الله عنه حينما كان أميرًا للمؤمنين جاءه رجل سكران يُدعى نشوان، أُتي به إليه فاندهش عمر منه، وقال له: في رمضان؟! ويلك وصبياننا صيام، فضربه، ثم نفاه إلى الشام.

وكما رُبّي الأطفال على حب الصلاة والصيام وتحمّل مشاقهما، أشرك الصحابة أبناءهم معهم في القيام بفريضة الحج، وكان ذلك على مرأى ومسمع من النبي ﷺ، فعن عبيدالله بن أبي يزيد قال: سمعت ابن عباس- رضي الله عنهما- يقول: بعثني أو قدّمني النبي ﷺ في الثقل من جمع (أي المزدلفة) بليل، وعن السائب بن يزيد قال: حج أبي مع رسول الله ﷺ وأنا ابن سبع سنين، ورواية الإمام الترمذي تُؤكّد على أن السائب رضي الله عنه حج- أيضًا- مع أبيه، فعنه أنه قال: حج بي أبي مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع وأنا ابن سبع سنين.

وحتى المسلمون الجدد الذين لم يروا رسول الله ﷺ ولم يرهم من قبل، كانوا يحرصون على سؤاله عن حج الصبيان عند اللقاء،وقد حكى لنا ابن عباس- رضي الله عنهما- قصة رائعة فيها مشاهد تربوية جمّة رغم قصرها، قال: لقي النبي ﷺ ركبًا بالروحاء، فقال: «من القوم؟» قالوا: المسلمون. فقالوا: من أنت؟ قال: «رسول الله». فرفعت إليه امرأة صبيًا فقالت: ألهذا حج؟ قال: «نعم ولك أجر».

أي عظمة من السائلة والمسؤول هذه! فهذا النبي ﷺ بتواضعه وعدم اختلاف موكبه عن موكب العامة، تسأله إحدى المسلمات عن حج صبيها الصغير، فيُجيبها النبي ﷺ بقَبُول حجّه، بل ويُبَشّرها ﷺ بالأجر!

وانطلاقًا من هذا التبشير النبوي بقبول شعائر الأطفال، قام الصحابة بتربية أبنائهم على حب هذه الفريضة والقيام بها، فقد كان ابن عمر يُجَرّد صبيانه عند الإحرام ويقف بهم المواقف، وكانت عائشة- رضي الله تعالى عنها- تفعل ذلك، وفعله عروة بن الزبير، وقال عطاء (ابن أبي رباح، أحد التابعين): يُجَرّد الصغير، ويُلَبّى عنه، ويُجَنّب ما يجتنب الكبير، ويُقضى عنه كل شيء، إلاّ الصلاة فإن عقل الصلاةَ صلاها، فإذا بلغ وجب عليه الحج.

وبعدُ، فما مرّ بنا هو بداية طريق النهضة، وبداية تحقيق الآمال المنشودة لهذه الأمة، فهيا نبدأ الطريق من أوله، من الطفولة والصبا لنرتقي في مدارج العمران والحضارة، ومن ثم تحقيق الغاية الأكبر الموصلة لجنة رب العالمين.



تاريخ كمبريدج للإسلام (العلم)



د. خالد حربي

تعني كلمة العلم Science لغويًا، إدراك الشيء بحقيقته، وهو اليقين والمعرفة، وسمي علمًا لأنه علامة يهتدي بها العالم إلى ما قد جهله الناس، وتعني اصطلاحًا مجموعة الحقائق والوقائع والنظريات، ومناهج البحث التي تزخر بها المؤلفات العلمية، كما يعرف العلم بأنه «نسق المعارف العلمية المتراكمة أو هو مجموعة المبادئ والقواعد التي تشرح بعض الظواهر والعلاقات القائمة بينها».

يضطلع العلم بوظيفة أساسية تتمثل في اكتشاف النظام السائد في هذا الكون، وفهم قوانين الطبيعة والحصول على الطرق اللازمة للسيطرة على قوى الطبيعة والتحكم فيها، وذلك عن طريق زيادة قدرة الإنسان على تفسير الأحداث والظواهر والتنبؤ بها وضبطها.

وقد عني علماء الإسلام بتحديد العلم وصياغة مفهومه، كما عنوا بتعريف النظر والمعرفة والعقل والفكر وما إلى ذلك عناية فائقة في القرنين الرابع والخامس الهجريين خاصة، وذهبوا في ذلك مذاهب متباينة تباين اتجاهاتهم الفكرية ومذاهبهم العقدية والفقهية.

والأبستيمولوجيا الغربية المعاصرة تعالج النشاط العلمي الذي هو أرقى ما وصل إليه الإنسان من معارف، من اتجاهين متباينين: اتجاه سمي بالاتجاه العقلي النقدي الذي يتمسك بالنواة الصلبة للنشاط العلمي بعيدًا عن أنواع الخطاب المجاور، مثل الأيديولوجيا، والفلسفة، أو شبه العلم. أما الاتجاه الثاني فهو اتجاه سوسيولوجي يقوم على قراءة مختلفة تمامًا لقراءة الاتجاه الأول، لأنه يسمح بالأيديولوجيا والمسلمات التي لا برهان عليها بأن تدخل في النظام المعرفي أو الجهاز العلمي.

والاتجاه الفلسفي أو العقلي في تعريف العلم أو تفسيره يعتمد أساسًا على مبادئ أربعة: الصرامة في المنهج، الموضوعية والتعميم، تراكم المعرفة وتقدمها، بحيث تضاف معرفة جديدة إلى معارف قبلها باستمرار، فيكون تاريخ العلوم في تطور مستمر، التحقق والدحض، فكل علم جديد به أن يراقب خطابه بنقده ومناقشته ومواجهته بالوقائع بالبرهنة على نتائجه، ولهذا فإن وظيفة المنهج

* أكاديمي سعودي



العلمي هي الكشف عن الأخطاء التي تعاني منها الحقائق العلمية، ولا يتقدم العلم إلا بالنقد والمعارضة إذ إنه لا يقوم على أرض مضمونة دائمًا.

أما الاتجاه التاريخي الاجتماعي في تفسير العلم، فيعتمد على التحليل التاريخي للعلم، تحليلًا قائما على علم الاجتماع أو علم النفس، ويرى أصحابه أن العلم وإن كان ثقافة مثل سائر الثقافات، فمع ذلك تختفي وراءه- بشعور أو بدونه- مسلمات لا برهان عليها، وأيديولوجيات، وأهواء مضمرة.

وإذا كانت جماعة العلماء جماعة إنسانية مثل غيرها من الجماعات بما لها من أهواء، واعتقادات، وسلطة، فإن تاريخ الوقائع العلمية وما يكتنفها من عوامل سوسيولوجية إنما تصف لنا عملًا إنسانيًا ذا صلة بتاريخه وضغوطه الاجتماعية، ومرتبطًا بالعقليات السائدة في المجتمع أو النخبة.

ونحسب أن تطور المفاهيم العلمية حقل خصب في تاريخ العلوم، وقد يستعمل مفهوم في علم ما، ثم يهاجر إلى علم آخر أو علوم، مثل مفهوم الانتخاب والمنافسة اللذين انتقلا من البيولوجيا إلى الاقتصاد، وهكذا يتم التقدم العلمي بطريق آخر غير التراكم المعرفي المتصل، وإنما يتقدم بقطيعة وثورة يظهر إثرها نموذج جديد للعمل مباين لما قبله، فالعلم بهذا المنظار يصبح ذا صلة وثيقة بمنطق التاريخ، وبصيرورة الاجتماع البشري، وهذا لا يحط من قيمة العلم، بل يتيح له ذلك أن يتجاوز نفسه باستمرار، وهو سر ديناميكية العلم وحيويته، فالعلم بهذا يكمن تقدمه في مناقشة أخطائه وتفاديها دون توقف، وفي عدم الرضا الكلي عما نزعم أنه علمي يقيني قطعي، فالمناقشة الحرة والنظر النقدي من الوسائل الفعالة في تقدمه، وفي القرب من الحقيقة، فأخطاؤنا هي التي تعلمنا.

يرى العلماء أن العلم عبارة عن مجموعة من افتراضات لها شيء من الدعائم

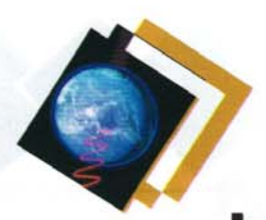
فالمناقشة الحرة تبين أنه عندما يستمع بعض العلماء إلى بعض، وينتقد بعضهم بعضًا، فإن الحظ يسعدهم أن يقتربوا من الحقيقة أكثر، ذلك أن العلم ينبت في أرض ثقافية، والمعارف مرتبط بعضها ببعض، والأفكار ترحل وتسير، والعقول تتلاقح، والنظم النظرية مفتوحة، وهذا ما يكفل لها هذا اللون من الغنى الذي ينشأ عن لقائه وتفاعلها وتقاطعها، وعن انتقالها من حدودها إلى حدود معارف أخرى من علوم الطبيعة إلى علوم الإنسان في نسيج الثقافة العلمية الإنسانية.

فالعلم البشري ليس علمًا مطلقًا، فالذي يشتغل بالعلم لا يشعر بوجود عالم من النظريات المؤكدة تمام التأكيد، ولا بحقائق مؤسسة تأسيسًا نهائيًا، ولا يرى العلماء أنها تتمتع ببراهين قاطعة مطلقة حتى تبلغ بذلك مبلغ اليقين، فهم يتصورون العلم باعتباره مجموعة من افتراضات لها شيء من الدعائم، قلت أو كثرت، في شكل نظريات موضعية لا تتخذ صيغة وحدة كاملة.

وهذا ما جعل المفهوم النسبي للعلم يسود اليوم لدى فلاسفة العلم، وعند العلماء أنفسهم إلى حد أن ادعى أحدهم، أن كل شيء في العلم جائز، وصنع لنفسه نظرية الفوضى في نظرية المعرفة، وأعلن إنكاره لما يسمى بالمنهج في العلم، واعتقد بأنه لا يمكن القول بأن العقل يصل في العلم إلي ما هو كلي، كما لا يمكن أن يستبعد اللامعقول من العلم، ويصل إلى حد الإعجاب بالصين عندما رفضت جماعة ماوتسي تونج العلم الغربي المهيمن في ثورته الثقافية.

يعد مفهوم العلم من المفاهيم الرئيسية في الدراسات المعاصرة، خاصة مع الجدل المتزايد حول حصر مفهوم العلم في الجانب التجريبي، والتساؤل بشأن علمية البحوث الاجتماعية، وإقصاء الدراسات الدينية والشرعية من وصف العلمية باعتبار المعرفة الدينية «ما ورائية» وقضاياها غيبية لا يمكن اختبارها بالتجربة المعملية التي هي مقياس ومعيار العلم التجريبي الحديث. ويلاحظ أن هذا الاتجاه هو وليد التطور التاريخي والخبرة الغربية حول هذا المفهوم، ما يجعله منفصلًا عن الخبرة والمفهوم الإسلامي. وتترجم الكلمة الانجليزية «Scence» إلى لفظة علم، ويقابلها في اللاتينية Scientia وفي الفرنسية Science، وقد دخلت كلم عالم «Scientist» إلى اللغة الانجليزية حوالي ١٨٤٠، لتميز أولئك الذين يبحثون عن قوانين تجريبية في الطبيعة عن الفلاسفة والمفكرين، وعادة ما ينظر إلى الباحثين في المنطق والرياضيات على أنهم علماء، على الرغم من توقف اعتبار الرياضيات علما تجريبيا في الفترة من سنة ١٨٩٠ إلى سنة ١٩١٠، واسم عالم يعطي أيضًا للمتخصصين في العلوم الاجتماعية تقريبا دون تقييد، والعالم في الغرب هو صاحب المعرفة العلمية الذي يضيف إلى ما هو معروف في العلم بالبحث ووضع الاكتشافات أو تدريس العلم في المؤسسات العليا للتربية.

ويكتسب العلم منزلة سامية في الإسلام، وقد تجلت هذه المنزلة الرفيعة في أول آيات نزلت من القرآن الكريم: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (العلق: ١-٥)، ومرورًا بالعديد من



الآيات القرآنية يتضح مدى سمو المكانة التي يتبوأها العلماء، واقتران العلم بالإيمان.

ولذلك اهتم المسلمون بمصادر تحصيل العلم والتي تمحورت حول النص بشقيه: الكتاب والسنة، فقد تكاثرت الشواهد من النص على اعتبار أحكام العقل والحس مصدرين للعلم مع إيضاح حدود كل منهما وضوابطه التي تكفل وصوله للنتائج الصحيحة، ويلاحظ أن النص لم يعارض التجربة العلمية كمصدر للعلم، لكنه قومها ولم يكتف بها، وقد صاغ العلماء المسلمون العديد من التعريفات لمفهوم العلم، أبرزها التعريف الأصولي أنه «الاعتقاد الجازم المطابق للواقع عن دليل»، ومنهم من عرف العلم بنسبته لصاحبه بأنه «ما يوجب كون من قام به عالما»، ويغلب الاتجاه عند تعريفه أنه يعني «صفة ينكشف بها المطلوب انكشافًا تامًا».

ويفرق الباحثون المسلمون بين العلم والمعرفة: فالعلم لا يسبقه جهل، بينما قد يسبق المعرفة جهل، وعليه يطلق على الله عالم، ولا يطلق عليه عارف. وقد شاع أن العلم قد يستخدم في موضع المعرفة والعكس، فقد يستخدمان ويراد منهما مطلق الإدراك الشامل للتصور والتصديق، وهذا الاستخدام الأخير هو المراد من العلم والمعرفة في تعريفات العلوم المدونة.

ويطلق أيضا العلم علي الفرع من المعرفة الذي له موضوع ومسائل، مثل علم الفقه وعلم الطب، ثم تطور مع بداية القرن العشرين حيث قصره الأوروبيون فيما كان على طريق الحس والتجربة فقط. وقد ارتبط مفهوم العلم بإشكالية تصنيف العلوم، ومن الملاحظ أنه نتيجة لاختلاف مصادر ورؤية العلم في الفكر الغربي عنها في الفكر الإسلامي فقد ظهرت تصنيفات متباينة ومتمايزة لدى الفريقين. فعلى سبيل المثال: قسم أرسطو العلوم إلى علوم نظرية للاطلاع مثل الرياضيات، وعلوم شعرية للإبداع مثل البلاغة، وعلوم عقلية للانتقال مثل الاقتصاد والسياسة. كما صنف «أمبر» العلوم طبقا للموضوعات التي تتناولها، وهي قسمان: العلوم الكونية وموضوعها المادة، والعلوم المعنوية وموضوعها الفكر وآثاره.

نظر الأوروبيون إلى العلوم الإسلامية كعلوم لها تأثير مهم في التطور العام للثقافة الإنسانية

والخلاصة: أوجد الإسلام شمولية لمفهوم العلم في مستويات عدة، مستوى الجمع بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية، ومستوى الجمع بين العلوم الشرعية والعلوم غير الشرعية، ومستوى التكامل بين المنهج العلمي التجريبي والمرجعية المطلقة ذات البعد الغيبي.

وجامعة كامبريدج (University of Cambridge) ثاني أقدم جامعة في العالم الناطق باللغة الانجليزية، تقع في كامبريدج بالمملكة المتحدة، وتعتبر من أكثر الجامعات تميزًا في العالم، تأسست عام ١٢٠٩، وهي عضو في مجموعة راسل للجامعات.

حصلت على ٨١ جائزة نوبل، وذلك أكثر من أية جامعة أخرى في العالم. خرجت الجامعة بعضًا من أهم العلماء في القرون الماضية من بينهم: إسحق نيوتن (نظرية الجاذبية)، تشارلز داروين (نظرية التطور)، ويليام هارفي، بول ديراك، جوزيف طومسون (مكتشف الإلكترون)، إرنست رذرفورد، جيمس ماكسويل، جيمس واطسون وفرنسيس كريك (تركيب الـ DNA)، آلان تورينغ، جاكوب برونوفسكي وغيرهم.

وفي هذا الإطار يواصل الدكتور خالد حربي اهتمامه بالتراث العربي وبعلوم الحضارة الإسلامية، فقام بترجمة القسم الخاص بالعلوم عند المسلمين من كتاب تاريخ كيمبردج للإسلام المجتمع والحضارة الإسلامية للمؤلف جورج قنواتي في محاولة لإلقاء الضوء على الإنجازات العلمية المدهشة التي ميزت العصور الوسطى الإسلامية في فروع العلوم كافة.

ويأتي هذا الكتاب في إطار الاهتمام الغربي بتاريخ العلم العربي والإسلامي منذ بداية حركة الترجمة في صقلية وحتى العصر الحديث، فصدرت الدراسات الموسوعية المتخصصة في تاريخ العلم العربي الإسلامي، منها على سبيل المثال: «العلوم عند العرب» للإيطالي ألدومييلي، والمؤلف الموسوعي «تراث الإسلام»، الذي ألفه أكثر من عشرة مستشرقين غربيين، و«تاريخ الفلسفة الإسلامية» للمستشرق الفرنسي مونك، و«تأريخ لعلم الفلك العربي الإسلامي» للمستشرق الإيطالي كارلو ألفونسو نللينو، ومازالت الدراسات والأبحاث تصدر في علوم الحضارة العربية الإسلامية وآدابها.

والبحث المترجم مأخوذ من موسوعة كبيرة عني بإخراجها الأساتذة: لامبتون، وبرنارد لويس، وهلوت، بعنوان «تاريخ كامبردج للإسلام»، وصدرت طبعتها الأولى عام ١٩٧٠ في مجلدين كبيرين، واشترك في تأليفها عشرات المستشرقين من جامعات: كامبردج ولندن ونيويورك وكاليفورنيا وكولومبيا وباريس وتورنتو وتولوز وإسطنبول، وغيرها.

وقد عنيت الموسوعة بكل ما يتعلق بالإسلام كدين ومجتمع وأمة، وحضارة أنتجت من العلوم والآداب ما أفادت منه الإنسانية على مدار تاريخها الطويل، والجزء المترجم من المجلد الثاني، الذي يحتوي على ثلاثة عشر مقالاً وبحثاً، تضمن الفصل العاشر بعنوان «العلم» في



إطار الاهتمامات من جانب د.خالد حربي بإعادة كتابة تاريخ العلم العربي الإسلامي، ومعرفة كل ما يكتبه الغرب عن الإسلام والمسلمين.

والنص المترجم يحتوي على مقدمة وعشرة مباحث وخاتمة، في المقدمة، أوضح المؤلف «جورج قنواتي» حالة العلوم في الإسلام، فأكد على أن الإسلام مدح العلم وحث على طلبه، مشيرًا إلى أن العلم المقصود هو العلم الشرعي الذي يجعل الإنسان قادرًا على فهم واستيعاب أفضل لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فالعلماء المسلمون، سواء كانوا فلكيين أو رياضيين أو فيزيائيين أو كيميائيين، لم ينشدوا إلا العمل من أجل تعظيم الله وخدمة الدين.

وقد نظر الأوروبيون إلى العلوم الإسلامية كعلوم لها تأثير مهم في التطور العام للثقافة الإنسانية، وكحلقة مهمة من حلقات تطور الحضارة الإنسانية، واعتبروا كلمة «عربي» مرادفة لكلمة «مسلم»، فاستخدم المستشرقون الغربيون المصطلحات إبان العصور الوسطى بصورة مترادفة، من دون التمييز بين الشعب العربي والشعوب غير العربية التي دخلت تحت مظلة الإسلام، كالفرس والأتراك، والبربر، والأندلسيين، والمصريين.

وقد حاول المؤلف «جورج قنواتي» التدليل على تأثير الحضارة الإسلامية في العلوم الإنسانية الغربية، فأشار إلى أن الألفاظ العربية التي انتقلت إلى اللغات الغربية، خير دليل على تأثر هذه البلدان بالحضارة العربية الإسلامية ونقلهم عنها، الأمر الذي يؤكد على المكانة الرفيعة للعلوم الإسلامية في تاريخ الثقافة الغربية والعالمية المعاصرة، ثم سلك في تقسيم العلوم عند العرب نهج كثير من المؤرخين المفكرين المسلمين، في تصنيفهم العلوم إلى دينية، ودنيوية عقلية، ثم أوضح أن بحثه منصب على سبر أغوار العلوم العقلية والبحث فيها.



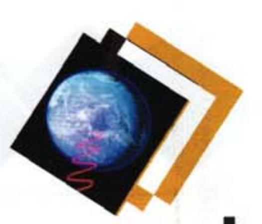
وفي المبحث الأول، تناول علم الحساب عند المسلمين كأول العلوم الرياضية التي استخدمها المسلمون، فقسموا الأعداد إلى أعداد كلية، وكسور، وأعداد غير عقلية، واستخدموا الأس واستخراج المربع والمكعب والجذور التقريبية، وعرفوا القواعد الأساسية للتلاعب العددي والمعادلة المتطابقة والتباديل والتوافيق والتكامل والجمع والقسمة، واكتشفوا خواص الأعداد المتحابة.

وخصص المؤلف المبحث الثاني لعلم الهندسة، الذي تأسس بناء على المعرفة العميقة بالأعمال اليونانية والسريانية السابقة، فاستخدم العلماء المسلمون الأجزاء المخروطية المتقاطعة في بناء المضلعات المنتظمة، والتي ظهرت في تصميم الأرابيسك، بالإضافة إلى جانبها الآخر المتمثل في العمليات الحسابية، وفي رسم الأشكال الهندسية منتظمة الأضلاع، كما وظفها العرب في التطبيقات، مثل: مشكلات المساحة، والميكانيكا، وتشييد الطواحين والنواعير، والمجاديف والمنجنيق.

أما المبحث الثالث، فقد تناول فيه علم الجبر، فأوضح أن المصطلح مستمد من المسمى العربي الذي يشير إلى إعادة شيء محطم إلى وضعه الطبيعي، أو تكبير شيء غير مكتمل، ثم أكد على أن المؤسس الحقيقي لهذا العلم هو محمد بن موسى الخوارزمي (القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي)، ثم حقق عمر الخيام تقدمًا آخر في هذا العلم، حيث قدم حلولًا لمعادلات الدرجة الثالثة، وقسمها إلى خمس وعشرين فئة، طبقًا للعدد وطبيعة العلاقات على طرفي المعادلة.

وفي المبحث الرابع، الذي تناول علم حساب المثلثات، أشار إلى أن العرب هم مخترعو حساب المثلثات الكروية والسطحية، والتي لم تكن معروفة لدى اليونانيين، فكان للبتاني الفضل في نهوض هذا العلم، ثم حقق أبوالوفاء المزيد من التقدم فيه، فكان أول من وضع نظرية جيب الزاوية للمثلث الكروي العام، مؤكدًا أن أبا الوفاء هو من اخترع القاطع، وأسماه «قطر الظل»، وليس «كوبرنيكوس» كما هو معروف لدى الغرب الأوروبي.

أما علم البصريات، فقد أفرد له المبحث الخامس، موضحًا براعة المسلمين في تصنيع المرايا والعدسات، مؤكدًا على أن أهم المتميزين في هذا العلم هو الحسن بن الهيثم، الذي ناقش طبيعة الضوء، وصرح بأن الضوء يصدر من الجسم الباعث، كما درس العدسات، مختبرًا إياها بمرايا مختلفة مسطحة وكروية ومضلعة وأسطوانية ومقعرة ومحدبة، ثم تبعه كمال الدين الفارسي في المجال نفسه، ونجح في تفسير تكون



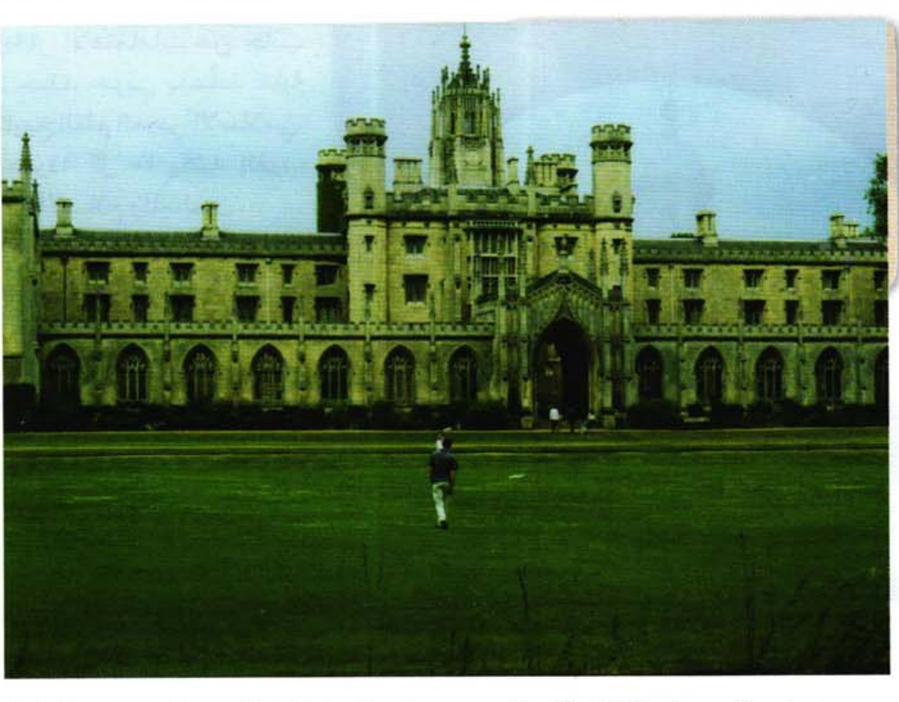
أقواس القزح الأولية والثانوية.

وخصص المؤلف المبحث السادس لعلوم الميكانيكا والهيدروليات والتكنولوجيا، فأوضح أن كتاب «الحيل» لموسى بن شاكر، يعد أول كتاب دراسي عن الآلات، ويرجع تاريخه لعام ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م، وأكمل مسيرتهم الجزري، مؤلف كتاب «في معرفة الحيل الهندسية»، أما عن أجهزة القياس، فقد استخدم «الخازن» أعمال القدماء في تقديم نظرية تفصيلية عن التوازن، بتعريف مركز الجاذبية للجسم، في كتابه «ميزان الحكمة»، كما أثبت البيروني أحد أعظم علماء الإسلام من خلال التجربة، عددًا محددًا من الجاذبات الخاصة، عن طريق «آلة مخروطية» تعد أول مثقلة عرفتها الحضارة الإنسانية.

وفي المبحث السابع تناول علم الفلك، فأوضح أن العلماء المسلمين قد صنفوا هذا العلم من العلوم الرياضية، واعتبروا الهدف الوحيد له هو دراسة الحركات الظاهرة في السماء وعرضها في مصطلحات رياضية، وعرف هذا العلم عند العرب باسم «علم الميقات».

أما كيف ومتى بدأت دراسة الفلك عند العرب باعتباره علمًا، فيذكر المؤلف رواية ابن سعيد في كتابه «طبقات العلوم» عن الخليفة المنصور العباسي الذي قابل أحد مواطني الهند ممن كان على دراية كبيرة بالحساب الذي يتعلق بحركات النجوم، ليتعرف منه على حساب الأزياج الفلكية المرتبطة بالسنة القمرية، وتوالت المؤلفات العربية معتمدة على المصادر الهندية، فظهرت العديد من المؤلفات للخوارزمي والبلخي والفزاري ويعقوب بن طارق.

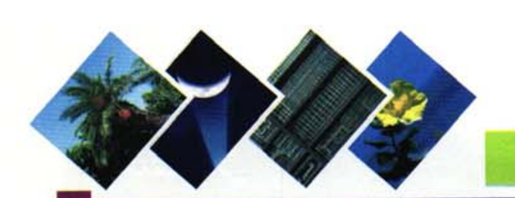
ثم كانت النقلة الكبرى في علم الفلك العربي، بترجمة أعمال المؤلفين اليونانيين في الفلك، فأحدثت طفرة كبيرة في الفلك على يدي خالد البرمكي، وثابت بن قرة، والفرجاني.



وعن خصائص علم الفلك الإسلامي، يذكر أن علماء الفلك المسلمين درسوا المركزية الأرضية ومركزية الشمس والكواكب وحركاتها، وعددوها في سبعة أفلاك (زحل، المشتري، المريخ، الشمس، الزهرة، عطارد، القمر)، ودرسوا ميل الدائرة الظاهرية للشمس مقارنة بخط الاستواء الأرضي، وامتنع علماء الفلك المسلمون عن تعريف طبيعة الأفلاك السماوية، واعتبروها مكونة من مادة واحدة هي العنصر الخامس الذي يختلف اختلافًا جوهريًا عن العناصر الأرضية الأربعة.

وفي المبحث الثامن يتناول علم الجغرافيا، فيوضح أنه بفضل جهود علماء الفلك والجغرافيا المسلمين في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، استطاع علم الجغرافيا أن يتطور في مجال الجغرافيا الأدبية حول الإمبراطورية الإسلامية الشاسعة، ثم تطور إلى علم الرحلات الجغرافية لوصف المدن والطرق التي تربط بينها، إلى أن ظهرت القواميس الجغرافية الكونية والتاريخية والخرائط، وبذا يدين علم الجغرافيا الحديث لجهود العلماء المسلمين في هذا التطور.

وأفرد المبحث التاسع لعلم التنجيم، الذي شهد مكانة وأهمية كبيرتين في حقبة العصور الوسطى، رغم ما واجهه من مناهضات كبيرة من جانب معظم الفلاسفة والمتكلمين والمفكرين الدينيين، باعتباره علمًا متناقضًا مع نفسه، وقد أتاحت ملاحظة النجوم الفرصة لأولئك الذين عرفوا كيف يقرأون هذه الإشارات وما تحمله من دلالات على الحاضر والمستقبل، وتكوينات هذه العوامل المختلفة تمكن المنجمون من التنبؤ ببعض المسائل، من قبيل: كيف يسافر بعض الأشخاص الغائبين، ومن كان مسؤولًا عن السرقة، وأين يمكن العثور على شيء ضائع، وحساب اللحظات المناسبة للقيام ببعض الأعمال، وميلاد فرد ما، أو بداية حكم طائفة أو دين، والتنبؤ بما سيحدث لهم في المستقبل... وغيرها. ويرجع هذا التطور في علم التنجيم إلى مصادره الهندسية والفارسية واليونانية ودور العرب قبل الإسلام، إلى جانب تفوق العرب في مسائل حساب المثلثات.





وفي المبحث العاشر والأخير، تناول العلوم الطبيعية، كالطب والصيدلة والكيمياء، فأوضح أن الأطباء المسلمين قد بنوا على التقدم الذي حققه قبلهم الطب الإنساني، بفضل جهود أبقراط وجالينوس وأطباء مدرسة الإسكندرية، واستفادوا من الوصفات الطبية التي كانت معروفة لدى العرب قبل الإسلام، وطوروا كل هذا، فحققوا نهضة طبية غير مسبوقة على يد عدد كبير من البارعين في هذا المجال المهم والحيوي لصحة الإنسان.

وقد بدأ علم الطب يحقق نهضة وتقدمًا سريعين إبان القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) في بغداد، حينما استقدم الخليفة العباسي المنصور أفضل أطباء مدينة جنديسابور، جورجيس بن بختشيوع، الذي أصبح الطبيب الخاص للخليفة، وكانت رغبة الخليفة المأمون في ترجمة علوم الأمم الأخرى ونقلها إلى العربية، سببًا في تحقيق نهضة أخرى في علم الطب، عندما وظف للترجمة رجلًا عبقريًا من مدينة الحيرة هو حنين بن إسحق، فترجم عددًا كبيرًا من الكتب، وألف الكثير في مجال الطب.

وأبرز الأطباء أبوبكر الرازي، صاحب كتاب «الحاوي»، الموسوعة الطبية العربية الشهيرة، التي لما تحظ بعد بالتحقيق التام والنشر المحقق المفصل، رغم كونها أهم مؤلفات الطب العربي الإسلامي وأضخمها حجمًا، فهو موسوعة طبية للمعلومات والعلوم الطبية المعروفة كافة، حتى وفاة الرازي في بداية القرن العاشر الميلادي.

ونبغ من بعده ابن سينا، الذي حقق كتابه «القانون» شهرة واسعة، وذاع صيته في جميع أرجاء العالم الإسلامي وأوروبا في العصور الوسطى وعصر النهضة الأوروبية، وإسحق بن سليمان الإسرائيلي، وابن الجزار، وفي الأندلس نبغ ابن زهر وابن رشد وأبوالقاسم الزهراوي، ووصل الطب الإسلامي على أيدي هؤلاء العلماء إلى أوج ازدهاره، فحقق نهضة غير مسبوقة.

وارتبط بعلم الطب علم الصيدلة، الذي تطور بتطور الطب، وعلى أيدي الأطباء أنفسهم، الذين أضافوا للمادة الصيدلانية الموروثة من اليونان علاجات ذات قيمة، وحقق المسلمون إنجازات عظيمة في العلوم الطبية والطبيعية والصيدلانية كافة.

أما علم السيمياء (الكيمياء)، فطبقًا لكتاب الفهرست لابن النديم، فإن الأمير الأموي خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، هو أول أمير عربي اهتم بهذا العلم، وأصبح لهذا العلم أسس مع جابر بن حيان، واتخذت الكيمياء جانبًا أكثر عملية، في وصف الأدوات والتجارب بدقة، على يدي أبي بكر الرازي، وبفضل مناقشاته وكيميائيته العملية، ورفضه الممارسات السحرية، عرف علم الكيمياء العمليات الكيميائية المتعددة، كالتقطير والتبخير والذوبان والبلورة والتصعيد والتنقية والدمج والتشميع، فبذل جهدًا كبيرًا لتأسيس علم الكيمياء يستحق امتنان الأجيال القادمة.

وفي الخاتمة، أشار المؤلف إلى أن هذه الدراسة ليست إلا «محاولة لإلقاء الضوء على الإنجازات العلمية المدهشة التي ميزت العصور الوسطى الإسلامية»، موضحًا أن المجتمع العلمي العربي لم يعرف ظاهرة الجنسية أو القومية، فقد استظلت الجنسيات المتعددة، كالفرس والأتراك والبربر بظل الدولة الإسلامية، ووجدت تربة أو بيئة صالحة لنموها، فأظهرت نبوغًا غير مسبوق.

كما أكد على أن الإسلام لم يبد أي معارضة للبحث العلمي، بل على العكس من ذلك، حث القرآن الكريم على طلب العلم، وعلى توفير المناخ المناسب للبحث العلمي وتشجيعه من قبل أولي الأمر، ولهذا حقق العلماء المسلمون في العصور الوسطى من التقدم والفضول العلمي والبحث ما يوجب على العلماء الغربيين المعاصرين ذكر هؤلاء في نصوصهم التاريخية، فهم كانوا معلمين لأجدادهم، في محاولة لربط الحاضر بالماضي العظيم.

السبق الاقتصادي للعرب

د. زيد بن محمد الرماني*

لقد تعددت المعابر التي سلكتها الحضارة العربية الإسلامية في وصولها إلى الغرب الأوروبي، فكانت ثلاثة معابر، اختلفت فيما بينها من حيث النشاط وكمية المنقول الثقافي، وهذه المعابر هي: بلاد الشام، وصقلية، والأندلس. إن نظرة فاحصة للمنقول من عناصر الحضارة العربية الإسلامية والطريق الذي عبره، تدلنا على أن الأندلس كانت الجسر الأهم في عملية انتقال الحضارة العربية، ذلك لأن الاحتكاك الأوروبي بالعرب استمر مع المشرق وصقلية فترة ثلاثة قرون، بينما استمر ثمانية قرون مع الأندلس.

في ميدان الصناعة تجلت مهارة العرب واضحة، حيث أقبلت أوروبا في العصور الوسطى على المنسوجات العربية إقبالاً كبيرًا، وقد انتقلت معظم الصناعات العربية إلى الغرب الأوروبي عن طريق عرب الأندلس وصقلية والمغرب، فصناعة الجلود اشتهرت بصورة مميزة في مدينة قرطبة حتى أطلق الأوروبيون على النوع الممتاز من الجلود اسم «الجلد القرطبي»، واهتم العرب أيضًا بالصناعات المعدنية، معتمدين على المناجم المتوافرة من نحاس وزئبق وحديد وفضة وذهب، وأتقنوا الصناعة الفولاذية، وصناعة السلاح والسيوف التي اشتهرت في طليطلة، وصناعة مفاتيح الأبواب.

لذا، يعتقد لوبون أن يكون الأوربيون قد اقتبسوا صناعة الحلي الذهبية من تلك السلع العربية التي دخلت أوروبا عن طريق التجارة أو التي جلبها الصليبيون معهم عند عودتهم من المشرق العربي.

ويذكر كريستي في كتابه «تراث الإسلام»، وغوستاف لوبون في كتابه «حضارة العرب» أنه عندما ازدهرت التجارة بين الشرق والغرب أقبل الأمراء الإيطاليون إقبالاً منقطع النظير على التحف والحلي العربية.

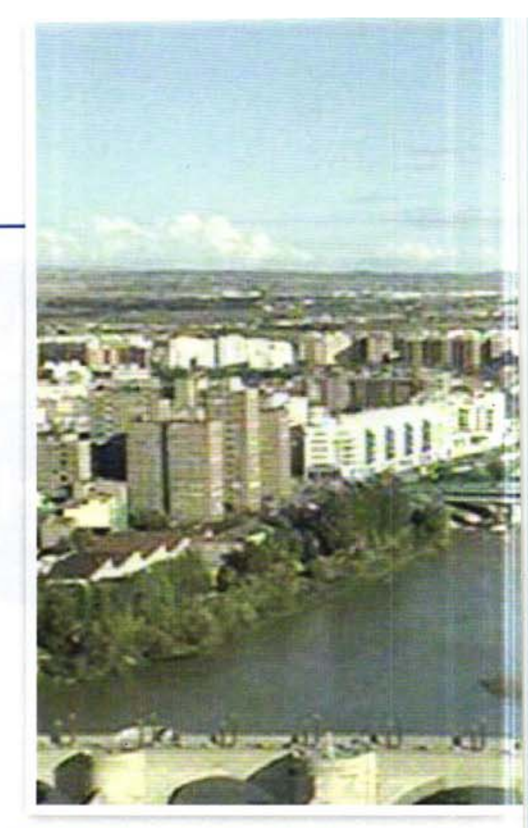
إن أهم ما استفادته أوروبا كان صناعة الورق عبر المغرب والأندلس، كما أشار إلى ذلك الإدريسي سنة ١١٥٠م.

وعندما عرف الأوروبيون الورق عن العرب في ذلك التاريخ أطلقوا عليه اسم «الصحائف الدمشقية» نظرًا لأن دمشق كانت سوقًا رئيسًا لتجارة الورق في ذلك العصر، وكان أول المصانع التي أقامها العرب لصناعة الورق في الأراضي الأوروبية في صقلية وإسبانيا.

يقول د. إبراهيم زعرور في كتابه «المؤتمرات الحضارية العربية الإسلامية»: من صقلية انتقلت صناعة الورق إلى إيطاليا، ومن إسبانيا إلى



* المستشار وعضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



عندما عرف الأوروبيون الورق عن العرب أطلقوا عليه اسم «الصحائف الدمشقية»

غرب أوروبا.

ويشهد على أثر العرب في هذا الجانب تعدد المصطلحات العربية المتعلقة بالورق وصناعته، والتي مازال بعضها مستخدمًا بلفظه العربي في اللغات الأوروبية، أيضًا نقل الغرب عن العرب صناعة الخزف التي انتشرت في إسبانيا، ومازالت المتاحف الأوروبية تحوي كثيرًا من الأواني الخزفية التي صنعت تقليدًا لأواني عرب الأندلس، ويستدل على هذا التقليد مما عليها من كتابات عربية محرفة.

كما استفاد الأوروبيون من العرب الأندلسيين على صعيد صناعة السفن التي كانت وما تزال لها أهميتها القصوى في الحياة الاقتصادية، فعن العرب أخذ الأوروبيون وخاصة في إيطاليا وإسبانيا صناعة طراز من السفن سُمّي «العشاري» أو «العشاريات» لأنها كانت تتسع لعشرة أشخاص.

ولأن العرب هم أول من استخدم السفن ذات الأشرعة الثلاثية، فقد اقتبس الغرب من العرب مبدأ الشراع المثلث وطوروه، مما مكنهم من بناء سفن ضخمة.

وللعرب في الأندلس فضل السبق في تعليم الغربيين صناعة الزجاج والكريستال التي ابتكرها ودل عليها العالِمُ العربي الأندلسي عباس بن فرناس خلال القرن التاسع الميلادي، وقد أشار إلى ذلك د.علي أحمد في كتاب «المؤتمرات الحضارية العربية الإسلامية في الغرب الأوروبي».

وقام الأندلسيون كذلك بتعليم الغرب الأوروبي طريقة تبليط الدُّور والشوارع وإنارتها في الليل، وطريقة استخدام الريح في تحريك الطواحين الهوائية.

ولم يقصّر العرب في مجال الزراعة، فعن طريق الأندلس وصقلية، عرف الغرب الأوروبي طريقة دراسة طبيعة الأرض وتحليلها، كي تزرع بالمحصول المناسب الذي يمتاز بوفرة إنتاجه وجودته.

وحتى لا تنهك الأرض بزراعات متعددة، كان العرب ينوعون الزراعات بالتناوب.

وقام العرب بتعريف الأوروبيين على مسألة العناية بالحدائق العامة والخاصة، من حيث اختيار الموقع وتنوع الأشجار والنباتات.

وقد استقل علم الزراعة العربي في إسبانيا عن مباحث الطب والنبات، ليصبح علما مستقلا.

ومما يجدر ذكره أن محاصيل عديدة زرعت في الغرب الأوروبي من خلال عرب الأندلس وصقلية، مثل محصول الذرة، والقمح القاسي، والأرز والسكاكر والحلويات وزراعة السبانخ والزعتر البري والكرز والرمان وجوز الهند والحامض واليوسفي.

وكان هناك أيضًا الياسمين والزئبق الذي تحول ليصبح شعار ملوك فرنسا، والنيلوفر والسوسن، ثم النباتات البصلية، كالزعفران والنرجس، والأقحوان.

وقد ظهرت هذه النباتات خلال القرن الخامس عشر الميلادي في كثير من مناطق أوروبا إلى جانب كثير من أنواع الفواكه كالتين والعنب والتفاح والخوخ والسفرجل والأجاس.

ولم يتوقف تأثير العرب على الغرب عند هذا الحد، بل إن العرب هم الذين علموا الأوروبيين طريقة حجز الماء وتجميعه في سدود أو مستودعات، ونقله بعد ذلك عبر قنوات مفتوحة، ورفعه بواسطة دواليب الماء والنواعير.. وصلت هذه الوسائل إلى بلجيكا وهولندا اعتبارًا من القرن الرابع عشر الميلادي.

وقد تعلم الأوربيون من العرب كيفية حفر الترع والقنوات التي كانت مجهولة قبلهم، وطوروا إلى جانب ذلك الدورات الزراعية، وفن استخدام الأراضي الزراعية من أجل محصول وفير غزير.

وهكذا فإن المؤثرات العربية في حقول الصناعة والزراعة والتجارة والحرف مازالت بارزة المعالم في أوروبا.

ختامًا أقول إن الفوائد التي أهداها العرب إلى الأوروبيين في ميدان الاقتصاد والحياة الاقتصادية والنشاط الاقتصادي بمجالاته المختلفة كثيرة لا حصر لها، وما أشرنا إليه يُثبت السبق الاقتصادي للعرب على الغرب.

الضوابط الشرعية للمعاملات المالية بين الأطباء ومندوبي شركات الأدوية.. الواجب والواقع

د. حسين حسين شحاتة

يقوم مندوبو شركات الأدوية بالمرور على الأطباء في أماكن عملهم وتعريفهم بالأدوية التي يوزعونها وتحفيزهم ماليًا ومعنويًا وبكافة السبل الأخرى لكتابة أدويتهم للمرضى، ومن وسائل تحفيز الأطباء المتواترة المعاصرة: الهدايا العينية، والدعوات المجانية لحضور الندوات العلمية، واستضافتهم إلى مصايف ومشاتي ورحلات، وأحيانًا بإعطائهم عمولات مالية ونحو ذلك.

ويختلف سلوك الأطباء مع مندوبي شركات الأدوية من طبيب إلى طبيب على النحو التالي:

هناك بعض الأطباء، وهم الغالبية العظمى، لا يتأثرون بهذه الحوافز على الإطلاق ولا يتواطأون مع مندوبي شركات الأدوية ضد المرضى، ويختارون الدواء المناسب للمريض من حيث تكلفته الأقل ومفعوله الجيد، وهؤلاء الأطباء يلتزمون بالقيم والأخلاق وسلوكات المهنة وبالميثاق الذي أقسموا عليه أمام نقابتهم.

وهناك فئة أخرى من الأطباء وهم القلة ممن يتأثرون بهذه الحوافز، ويفضلون كتابة الأدوية التي يتكسبون منها ماديًا على الأدوية الأخرى، بل إن بعضهم يطلب عمولة كنسبة مئوية من قيمة الأدوية التي كتبها لمرضاه.

وهناك نفر ثالث من الأطباء الذي يبرر أن ما يحصل عليه من حوافز من مندوبي شركات الأدوية.. بأنه حق مكتسب له، ويمثل مشاركة في أرباح أو في حصة المندوب في العمولات.

وهناك بعض من مسؤولي المشتريات في المستشفيات والمصحات والمراكز الطبية من يتفق مع مندوبي شركات الأدوية على عمولة خاصة محددة مقدمًا تدفع لهم مقابل تيسير إرسال «طلبيات» التوريد عليهم والشراء منهم بصرف النظر عن الجودة والسعر، ويبررون ذلك بأنه المتعارف عليه.

وأصبحت هذه الظاهرة من عموم البلوى حتى أن بعض شركات الأدوية تضع ضمن لوائحها التسويقية مثل هذه الحوافز وتأخذها في الحسبان عند تسعير الدواء، وهذا واقع نجده ظاهرًا ومفصحًا عنه في حسابات شركات الأدوية وميزانياتها، ولا يستطيع أحد أن ينكرها والجميع يعلم أن الذي يتحمل قيمة هذه الحوافز المعطاة للطبيب أو لمسؤول المشتريات هو المريض في صورة ارتفاع في سعر الدواء، أو أنه كان يمكن أن يعالج بدواء بديل بنفس المفعول ولكن بتكلفة أقل.

وهذه القضية تثير العديد من التساؤلات المعاصرة والمتواترة في المعاملات المالية بين مندوبي شركات الأدوية والطبيب من ناحية وبين الطبيب والمريض من ناحية أخرى.

ومن بين هذه التساؤلات ذوات العلاقة بالمعاملات المالية الشرعية ما يلي:

هل الحوافز التي تعطى للطبيب من مندوبي شركات الأدوية جائزة شرعًا في كل الحالات؟

هل هذه الإغراءات التي يقدمها مندوبو شركات الأدوية للأطباء تدخل ضمن السلوكات التسويقية الجائزة شرعًا باعتبارها من أساليب التسويق؟

هل مبررات شركات الأدوية بأن ما يقدمونه للأطباء وغيرهم من حوافز يعتبر من ضمن تكاليف التسويق المشروعة والضرورية لتعريف الأطباء بالأدوية الجديدة ومزاياها أمر صحيح؟

هل الطبيب الذي يتأثر بالحوافز ويكتب دواء معينًا للمريض مع وجود بديل له أقل تكلفة بنفس المفعول يعتبر آثما وخائنا للأمانة وغير بار بالقسم الذي أقسم عليه أمام نقابة الأطباء وعاهد الله على الالتزام به؟

هل الطبيب الذي لم يتأثر بالحوافز مهما كانت وأخذها ولكن التزم بالقيم والأخلاق والسلوك السوي وكان أمينًا وصادقًا مع المريض، هل قبوله لهذه الحوافز فيه شبهات؟

الأستاذ بجامعة الأزهر - خبير استشاري في المعاملات المالية الشرعية

هل العمولات والهدايا التي يحصل عليها مسؤولو المشتريات في المستشفيات ونحوها من شركات الأدوية جائزة شرعًا؟

هل يصبح المتعارف عليه في حوافز المعاملات بين مندوبي شركات الأدوية وبين الأطباء من الأعراف المتواترة عالميًا وإقليميًا ومحليًا يمكن قبوله شرعًا؟

حول التساؤلات السابقة تدور مقاصد هذه الدراسة، وهدفها استنباط الضوابط الشرعية للمعاملات المالية والمعنوية بين شركات الأدوية والأطباء، وبيان الواجب أن يكون ، وكيف يعالج الواقع المخالف للشرع؟

ولقد ساعدني في إعداد هذه الدراسة خبرتي المهنية كمحاسب قانوني وخبير استشاري لبعض نقابات المهن الطبية، وكذلك كمستشار مالي واقتصادي شرعي للعديد من رجال الأعمال في مجال المستشفيات والعيادات والمراكز الطبية، ومن التساؤلات التي ترد لي على موقعي على النت وغيره من وسائل الاتصالات.

الضوابط الشرعية التي تحكم العلاقة بين الطبيب والمريض.. الواجب

مهنة الطب مهنة إنسانية، ترتبط بالإنسان المريض وبالإنسان الطبيب بصرف النظر عن الديانة والجنسية، ويحكم هذه المهنة مجموعة من القيم الإيمانية والمثل الأخلاقية العليا والسلوك السوي، والمعايير الفنية للمهنة، من هذه الضوابط على سبيل المثال ما يلي:

- الالتزام بقيمة الإخلاص في التعامل مع المريض واستشعار مراقبة الله، وتمثل هذه القيمة ميثاقًا وعهدًا بين الطبيب وربه.

- الالتزام بميثاق آداب وأخلاق المهنة، ومن بنوده الصدق والأمانة والرفق والرحمة والعدل والنزاهة وغير ذلك من المثل الأخلاقية، ويوقن الطبيب بأن هذا

الأطباء الملتزمون بالقيم والأخلاق لا يتواطأون مع مندوبي شركات الأدوية ضد المرضى

الالتزام ضرورة شرعية وحاجة إنسانية وواجب مهني ومجتمعي.

وتمثل هذه القيمة الباعث الأخلاقي الذي يضبط علاقة الطبيب بالمريض ويجعله يؤدي عمله بموضوعية بعيدًا عن هوى النفس ومؤثرات وإغراءات مندوبي شركات الأدوية، ومن ثمرات ذلك البركة في عمله وفي رزقه والسمعة الطيبة.

- الالتزام بالسلوك السوي مع المريض، ومن موجبات السلوك السوي الأخوة والإنسانية والتعاون على البر والإيثار ونحو ذلك..

- الالتزام بالإتقان والكفاءة المهنية، وفقًا للضوابط والمعايير الفنية الصادرة من المنظمات والنقابات والهيئات الطبية المحلية والإقليمية والعالمية والواردة في مواثيق مباشرة المهنة.

ومن مقومات الإتقان وجودة الخدمة: الأصالة والمعاصرة وتطوير الأداء، والتي تعتبر أساس المساءلة للطبيب أمام الجهات ذات الاختصاص لحماية المريض.

ويعتبر الإتقان من الأمور التي يحرص الطبيب على الالتزام بها للمحافظة على سمعته والثقة فيه وتجنبًا للمساءلة الجنائية والمدنية والمهنية، وحينئذ لا يتأثر بحوافز شركات الأدوية، بل يختار الدواء المناسب للمريض.

- الالتزام بالتشريعات الحكومية المختلفة، فيجب على الطبيب أن يلتزم بالتشريعات الحكومية التي تضبط المعاملات بين شركات الأدوية والمستشفيات وبين العيادات والمريض، ومن غاياتها حماية المرضى من السلوكات غير القانونية التي قد تحدث من البعض.

- أثر الالتزام بالضوابط الشرعية على الطبيب والمريض

إذا ما التزم الطبيب بالضوابط الشرعية السابقة كان خيرًا له وللمريض وللمهنة وينجم عن ذلك السلوكات الحسنة الآتية:

- إتقان العمل واختيار الأدوية والأساليب والطرق الطبية المناسبة للعلاج في ضوء الأصالة والمعاصرة وعدم إرهاق للمريض دون ضرورة.

- تقديم النصيحة الخالصة الصادقة والأمينة للمريض، وعدم تضخيم حالته إلى المدى الذي يثبط من معنوياته ويزيده ألمًا على ألمه.

- الرفق بالمريض والتعامل معه بالرحمة، وهذا يلقي في نفسيته (المريض) الطمأنينة والسكينة ويرفع من معنوياته.

- تجنب إرهاق المريض فوق طاقته دون ضرورة معتبرة شرعًا وطبيًا، وتخير الدواء والعلاج المناسبين له حسب حالته، والتعفف عن الكسب غير المشروع.

- الراحة النفسية للطبيب والمريض، وهذا من أسباب العلاج ويكون شفاء المريض من حظ الطبيب.

الضوابط الشرعية للمعاملات المالية لمندوبي شركات الأدوية مع الأطباء

تقوم شركات الأدوية بتسويق منتجاتها بسبل ووسائل مختلفة، ومن أهم مقاصدها تحقيق أقصى ربحية ممكنة، وتضع مجموعة من السياسات والخطط والبرامج التسويقية، وتستخدم مجموعة من الوسائل منها: وسيلة الحوافز حيث تضع لكل مندوب بيع خطة ورقم مبيعات مستهدف مقرونين بحوافز مالية.

ويسعى كل مندوب لأن يحقق المستهدف للحصول على أقصى عمولة ممكنة، من بين هذه المساعي تحفيز

الأطباء على اختيار الدواء الذي يسوقونه عندما يكتبون تذاكر العلاج لمرضاهم، والأصل أن تكون هذه الحوافز حميدة ومشروعة وفق مجموعة من الضوابط الشرعية والمستنبطة من الفقه الإسلامي، من أهمها ما يلي:

- **المشروعية**: ويقصد بها في هذا المقام أن يكون الدواء موضوع التعامل حلالاً وطيبًا، ولقد حرمت الشريعة الإسلامية التداوي بالحرام إلا عند الضرورة التي تؤدي إلى المهلكة، وكل ضرورة تقاس بقدرها، ودليل ذلك من القرآن الكريم قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ (الأنعام: ١١٩)، والقاعدة الشرعية: «الضرورات تبيح المحظورات».

- **الصدق**: ويقصد به أن يكون مندوب شركة الأدوية صادقًا مع الأطباء في المعلومات التي يقدمها لهم، ويتجنب الكذب والغش والتدليس والكتمان، ودليل ذلك من القرآن الكريم قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩)، والدليل من السنة قول الرسول ﷺ: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما..» (رواه البخاري).

- **الأمانة**: ويقصد بها أن يكون مندوب شركة الأدوية أمينًا في التعامل مع الأطباء فيما يقدمه لهم من عينات وبيانات ومعلومات، وأن يكون أمينًا مع الشركة التي يتبعها، ويتجنب التدليس والتزوير والكتمان، ودليل ذلك من القرآن الكريم قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون: ٥)، كما أكد الرسول ﷺ على ذلك فقال: «أد الأمانة من ائتمنك ولا تخن من خانك» (أحمد وأبو داود)، وقوله ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له» (متفق عليه).

على مندوبي شركات الدواء الالتزام بالطهارة والشفافية والقناعة والبعد عن الجشع

- **النصيحة الخالصة**: ويقصد بها أن يقدم مندوب شركة الأدوية النصيحة الصادقة الخالصة للأطباء، وأن يكون موجهًا ومرشدًا إلى ما هو في مصلحة المريض، ولا يتأثر بقضية الحوافز والأرزاق، والإيمان الراسخ بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، ودليل ذلك من القرآن الكريم قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر: ٣)، والدليل من السنة النبوية الكريمة قول الرسول ﷺ: «الدين النصيحة»، قلنا لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (رواه مسلم).

- **الوفاء بالعهود والعقود**: ويقصد بها أن يلتزم مندوب شركة الأدوية بالمواصفات كما هي في العينات التي يقدمها للأطباء، وكذلك يوفي بالعهود والعقود حتى يكون موضع ثقة، ولقد أمر الله سبحانه وتعالى بالوفاء بصفة عامة في قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (النحل: ٩١)، ويؤكد الرسول ﷺ على ذلك فقال: «من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عهدًا ولا يشدنه حتى يمضي أمره، أو ينبذ إليهم على سواء» (رواه الترمذي).

- **العفة والنزاهة**: ويقصد بهما في هذا المقام أن يلتزم مندوب شركة الأدوية بالطهارة والشفافية والقناعة ويبتعد عن كل صور الجشع والطمع والنهم وتكون معاملاته مع الأطباء قائمة على الشفافية والصراحة والتبيان والعدل، ويتجنب الرشوة والتزوير ودليل ذلك من القرآن الكريم قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ (الأنعام: ١٥٢)، ويحذر رسول الله ﷺ من الكسب غير المشروع فيقول: «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقًا، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول» (رواه أبو داود)، ويقول ﷺ: «الدنيا حلوة خضرة، من اكتسب فيها مالاً من غير حله، وأنفقه في غير حله، أحله الله دار الهوان، ورب متخوض في مال الله ورسوله، له النار يوم القيامة» (البيهقي).

إن التزام مندوب شركة الأدوية بهذه القيمة الأخلاقية، يجعله عفيفًا ونزيهًا في معاملاته مع الأطباء، وبعيدًا عن المداهنة والتواطؤ بما يسبب ضررًا بالمرضى.

أثر الالتزام بالضوابط الشرعية في سلوكات مندوبي شركات الأدوية

يقود الالتزام بالضوابط الشرعية السابقة إلى سلوكات حسنة لمندوبي شركات الأدوية، ومن أهمها ما يلي:

- الثقة في معاملات مندوب شركات الأدوية وتجنب الشك والريبة فيما يقدمه من بيانات ومعلومات، ويزداد التعامل معه، فيزداد رزقه.

- الراحة النفسية للمندوب والطبيب والاطمئنان بأن التعامل بينهما تضبطه القيم والأخلاق والسلوك الطيب، وهذا بدوره يعود بالخير على المرضى.

- التعاون الصادق بين مندوبي شركات الأدوية والأطباء على البر وما فيه خير للمرضى وتجنب هوى النفس.

- استشعار مندوبي شركات الأدوية بالبركة المعنوية والمادية فيما يسوقه الله إليهم من رزق حلال طيب.

- المنافسة المشروعة بين مندوبي شركات الأدوية على الخير وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

- سد باب الذرائع إلى الوقوع في الشبهات وتطبيق وصية رسول الله ﷺ: «... فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه».

- انخفاض نسبة المشكلات التي أحيانًا قد تنشأ بين بعض مندوبي شركات وبعض الأطباء بسبب عدم الالتزام بالاتفاقيات التي قد يشوبها المخالفات القانونية والشرعية.

تعقيب

إذا لم يلتزم مندوبو شركات الأدوية بهذه الضوابط وتواطأ معهم بعض الأطباء وبعض مسؤولي المشتريات في المستشفيات والمراكز الطبية ينجم عن ذلك سلوكات سيئة على النحو الوارد في البند التالي:

سلوكات غير مشروعة يجب على مندوبي شركات الأدوية تجنبها

بسبب ضغوط الحوافز والعمولات والمكافآت، أحيانًا يمارس بعض مندوبي شركات الأدوية بعض السلوكات المحرمة شرعًا والتي تسبب ضررًا، منها على سبيل المثال ما يلي:

- **الغرر والجهالة**، فأحيانًا يقوم بعض مندوبي شركات الأدوية بالتغرير بالأطباء والمغالاة في إبراز مزايا الأدوية لإقناعهم بها وكتابتها لمرضاهم، ويخفون عنهم بعض المعلومات، وهذا محرم في الشريعة الإسلامية، ودليل ذلك قول الرسول ﷺ: «لا يحل لأحد يبيع بيعًا إلا بين ما فيه، ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا بينه» (رواه الحاكم).

ولقد ورد في أصول الفقه القاعدة الشرعية التي تقول: «الجهالة مفضية إلى النزاع».

- **التدليس والتزوير**: أحيانا يقوم بعض مندوبي شركات الأدوية بالتزوير في المستندات والوثائق وما في حكمهما بهدف التكسب من عمله دون حق، مثل استغلال أسماء بعض الأطباء والصيدليات وعمل صفقات وهمية لحسابه ليحقق المستهدف بدون واقع، وهذا نموذج من نماذج شهادة الزور التي نهى الله عنها في قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (الفرقان: ٧٢)، ويقول رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم...» وذكر منهم: «ورجل باع رجلًا بسلعة بعد العصر، فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا وصدقه وهو غير ذلك» (مسلم).

- **الاستغلال والاحتكار لبعض أصناف الأدوية**: ويتعامل فيها باسمه ويغلي سعرها واستغلال حاجة الأطباء إليها، ولقد نهى رسول الله ﷺ عن كل صور الاستغلال والاحتكار، فيقول: «لا يحتكر إلا خاطئ» (رواه مسلم)، ويقول: «الجالب مرزوق والمحتكر ملعون» (رواه ابن ماجة والحاكم).

- **الكذب**: أحيانًا يقدم بعض مندوبي شركات الأدوية بيانات ومعلومات مضللة للأطباء، ليحفزهم على اختيار الدواء الذي يتعامل فيه، ليحقق لنفسه مكاسب غير مشروعة، ولقد نهى رسول الله ﷺ عن الكذب بصفة عامة فقال: «الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة» (البخاري).

- **عدم الولاء للوطن**: والتعامل في أدوية مهربة وبيعها لبعض الأطباء والصيادلة بعيدًا عن الشركة التي يعمل فيها المندوب مع وجود البديل الوطني بنفس الكفاءة ليحقق مكاسب عالية، كما يخزن بعض الأدوية أحيانًا ليبيعها في السوق الخفية والسوداء مخالفًا القوانين والتعليمات والقرارات الحكومية والنقابية ونحوها ليحقق بالتواطؤ مع الأطباء والصيدليات مكاسب غير مشروعة على حساب المرضى.

تساؤلات معاصرة

- ما الحكم الشرعي فيما يحصل عليه الطبيب من مندوبي شركات الأدوية من هدايا مع التزامه بمصلحة المريض؟

هناك العديد من الأطباء الشرفاء كما سبق الإشارة لا يتأثرون بضغوط حوافز شركات الأدوية ويلتزمون التزامًا عقديًا وأخلاقيًا وإنسانيًا ومهنيًا بآداب المهنة وميثاقها الذي يرد فيه: حفظ حياة المريض وكرامته وأسراره وأن يكون من وسائل الرحمة والعناية وعدم إرهاقه معنويًا وماليًا ولا يكلفه فوق طاقته، وهذا هو الواجب أن يكون.

فهؤلاء الأطباء يتعففون عن الحوافز التي تقدم لهم، وإن أخذت منهم على سبيل العينات ونحوها فتوجه لخدمة المريض والمهنة وإن دعوا إلى مؤتمر أو ندوة تكون نياتهم الصادقة والخالصة الاستفادة المهنية لإفادة المرضى.

كما أن هؤلاء الأطباء الشرفاء يتعففون نهائيًا عما يسمى بالعمولات أو الحوافز المالية لأنهم يوقنون بأنها حرام، ولا يبارك الله في مال اكتسب من حرام.

في ضوء ما سبق.. إن حدث وأخذ الطبيب الشريف الطاهر هدية من شركة أدوية فلا حرج عليه لأنه سوف يوجهها لخدمة المهنة والمريض وليس لأغراضه الشخصية، ويحكم ذلك القاعدة الشرعية المذكورة في حديث النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات».

كما أنه لا توجد أي مخالفة شرعية لدعوة الأطباء لحضور المؤتمرات والندوات العلمية وما في حكمها، حيث إن مردود ذلك يعود بالنفع على المرضى والمهنة، ويسري هذا الحكم على ما يقدم للأطباء من مراجع علمية.

- ما الحكم الشرعي فيما يقبله الطبيب من مندوبي شركات الأدوية من حوافز وتسبب إرهاقًا للمريض؟

هناك نفر من الأطباء وهم قلة

يتقبلون الحوافز من مندوبي شركات الأدوية إلى المدى التي يطلبها صراحة وتؤثر عليه ويفضلها عند اختيار الدواء للمريض على الدواء المعروض من شركات أدوية لا تعطي له حوافز مع تماثلهما في المفعول ولكن ربما أعلى منها تكلفة على المريض، والتكييف الشرعي لهذه الحالة هو التحريم لأن التواطؤ بين مندوب شركة الأدوية والطبيب يسبب ضررًا بالمريض وهذا السلوك يخالف القواعد الشرعية الآتية: «لا ضرر ولا ضرار»، «الأصل تحريم المضار»، «الضرر منفي عنه»، «ترجح المصلحة العامة على المصلحة الخاصة».

أما إذا لم يترتب على قبول الحوافز أي ضرر للمريض فلا حرج شرعي تطبيقًا للقاعدة الشرعية: «الأصل في المعاملات الحل»، ويجب وضع معايير طبية وفقًا لأحكام الشريعة الإسلامية عن الإضرار.

– ما الحكم الشرعي فيما يطلبه الطبيب من مندوبي شركات الأدوية من عمولات مالية أو عينية وتسبب إرهاقًا للمريض؟

تعتبر مهنة الطب من المهن الإنسانية، ويمارس الطبيب عمله كمهني وليس كسمسار أو وسيط بين شركة الأدوية والمرضى، وليس كتاجر أدوية يشارك شركة الأدوية في أرباحها، ولا يجب أن يمارس الطبيب مهنة الوساطة أو المتاجرة على حساب المريض، فأيما طبيب تاجر على حساب مرضاه كان ظالمًا.

والتكييف الشرعي للعمولات التي يطلبها بعض الأطباء من مندوبي شركات الأدوية هو التحريم، وهو تكسب من المهنة بطريقة غير مشروعة، ودليل ذلك من القواعد الشرعية ما يلي:

– قاعدة: «وسائل الحرام حرام»، «أكل المال بالباطل حرام»، «لا ضرر ولا ضرار»، وقاعدة: «سد الذرائع مقدم على جلب المصالح».

ويشترك في الإثم مندوب شركات الأدوية الذي يسهم في إفساد الذمم والمعاملات، ويعتبر ما يحصل عليه من حوافز حرام وفقًا للقاعدة الشرعية المذكورة بعاليه: «وسائل الحرام حرام»، ولقد أكد الفقهاء على أمر هام وهو: مشروعية الغاية ومشروعية الوسيلة.

– ما الحكم الشرعي لما يطلبه بعض مندوبي المشتريات في المستشفيات من شركات الأدوية من عمولات؟

يعتبر مندوبو المشتريات في المستشفيات والعيادات والمراكز الطبية وما في حكمهم عمالاً بأجر يطبق عليهم فقه عقد العمل، ولا يطبق عليهم فقه الوساطة أو فقه السمسرة، وتأسيسًا على ذلك فإن ما يطلبونه من عمولة أو نحوها من مندوبي شركات الأدوية رشوة، والتكييف الشرعي للرشوة هو التحريم لأنها من صور أكل أموال الناس بالباطل، ومن أدلة التحريم من القرآن الكريم قول الله تبارك وتعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون﴾ (البقرة: ١٨٨)، وقوله سبحانه وتعالى في وصف اليهود: ﴿وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون﴾ (المائدة: ٦٢)، ويقول الرسول ﷺ «لعن الله الراشي والمرتشي والرائش بينهما» (رواه أحمد).

ويأثم في هذه الحالة كل من مندوب البيع في شركة الأدوية ومسؤول المشتريات في المستشفيات ونحوها، وكل من له علم بهذه الرشوة ولم يمنعها ودليل ذلك الحديث النبوي السابق: «لعن الله الراشي والمرتشي والرائش بينهما».

– ما الحكم الشرعي في قيام بعض مندوبي شركات الأدوية بإبرام صفقات شراء أدوية لحسابهم بأسماء صيدليات ملحقة بعيادات بعض الأطباء لحسابهم، وذلك لتحقيق المستهدف ثم بيعها ويستفيد من وراء ذلك لتحقيق المستهدف؟

من الشائع في سوق الأدوية أن لكل مندوب بيع مستهدفًا إذا حققه يحصل على العمولة والحوافز، لذلك يقوم بعض مندوبي شركات الأدوية بالتواطؤ مع بعض الصيدليات الملحقة بعيادات الأطباء بعمل صفقات شراء أدوية باسمهم بتسهيلات فرضًا ثلاثة شهور، ثم يقوم ببيع هذه الأدوية نقدا وبسعر أقل في السوق أو لمخازن توزيع الأدوية في أماكن أخرى ويطلق على هذا اصطلاح «حرق السعر»، وبذلك يكون قد حقق المستهدف وحصل على عمولاته وحوافزه، ومقابل ذلك يعطي للصيدلية أو للطبيب نسبة يتفق عليها.

والتكييف الشرعي لهذه المعاملات التحريم ودليل ذلك ما يلي:

– مخالفة الأفعال للمقاصد، فالهدف من قيام المندوب بذلك مستغلاً اسم الصيدلية هو تحقيق المستهدف وليس البيع والشراء وهذا يخالف القاعدة الشرعية: الأعمال والأمور بمقاصدها، وأساس هذه القاعدة مستنبطة من حديث رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى...» (رواه الستة).

– التواطؤ بين مندوب شركة الأدوية وبين الصيدلية أو الطبيب في استخدام عقود لا تمثل الواقع واستخدام وسائل غير مشروعة، وهذا يخالف القاعدة الشرعية التي تنص على وجوب مشروعية الغاية والوسيلة.

– قيام مندوب شركة الأدوية بحرق السعر ويترتب على ذلك ضرر لمندوب بيع آخر، وضرر بالشركة وإساءة لسمعة الدواء وهذا يخالف القاعدة الشرعية في حديث النبي ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار» (رواه أحمد).

– ما الحكم الشرعي في قيام بعض

الأطباء ببيع العينات المعطاة لهم من شركات الأدوية للمرضى؟

تقوم بعض شركات الأدوية بإعطاء بعض الأطباء عينات من الأدوية الجديدة بهدف التعريف والترويج والتحفيز، فيقوم بعض الأطباء في عياداتهم الداخلية ببيع هذه العينات للمرضى وإضافة قيمتها على فاتورة العلاج وبذلك يكون قد استفاد من هذه العينات لنفسه، وكان الواجب أن يعطيها إلى المرضى مجانًا وخصوصًا إذا كان بعض هؤلاء المرضى فقراء.

والتكييف الشرعي لهذه المعاملة التحريم لأن الطبيب خالف المقاصد من هذه العينات وتكسب منها لذاته، وكأنه أخذ حافزًا ماليًا بسبب بيعه لهذه العينات، ولقد سبق أن أشرنا إلى هذه المسألة من قبل بالتفصيل.

تعقيب

لقد ذكرنا بعض التساؤلات المعاصرة والمتواترة حول المعاملات المالية بين مندوبي شركات الأدوية وبين الأطباء، وتمت الإجابة عنها في ضوء القواعد الشرعية ذات العلاقة بالمعاملات المالية، وتبين الحلال من الحرام.

وليس المقصد من هذه التساؤلات التجريح أو الإساءة لأحد ولكن من النصيحة والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمشي في الأسواق ويقول: «لا يبيع في سوقنا من لا يفقه وإلا أكل الربا رضي أم أبى».

الخلاصة

في ضوء دراسة وتحليل وتقييم الواقع في المعاملات بين الأطباء ومندوبي شركات الأدوية، وفي ضوء الضوابط والقواعد الشرعية للمعاملات المالية كما استنبطت من علم أصول الفقه الإسلامي، نخلص إلى الموجبات الشرعية الآتية:

أولًا: تعتبر مهنة الطب من المهن الإنسانية السامية، تقوم على التعاون

يجب أن تكون المعاملات بين الأطباء ومندوبي الأدوية قائمة على الحلال الطيب والأمانة

الصادق والخالص بين الأطباء ومندوبي شركات الأدوية على ما هو في مصلحة المريض مصداقًا لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ (المائدة: ٢).

ثانيًا: يجب أن تكون المعاملات بين الأطباء ومندوبي شركات الأدوية قائمة على الحلال الطيب والأمانة والمصداقية والعفة والنزاهة والإتقان والإحسان والرأفة والرحمة والتراحم وعلى الأخوة والمحبة والأصالة والمعاصرة، حينئذ تتحول إلى عبادة خالصة وتتحقق البركات في رزق المندوب وفي جهد الطبيب وفي شفاء المريض.

ثالثًا: لقد حرمت الشريعة الإسلامية العديد من المعاملات المالية منها ما يتعلق بالمعاملات بين بعض الأطباء وبعض مندوبي شركات الأدوية مثل:

- أي معاملة تسبب ضررًا وإرهاقًا للمريض مصداقًا لقول رسول الله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرر» (رواه أحمد).
- التكسب من الوظيفة دون حق وبأساليب غير مشروعة وفقًا للقاعدة الشرعية: «وسائل الحرام حرام»، والقاعدة الشرعية: «مشروعية الغاية ومشروعية الوسيلة».
- التحايل على شرع الله وعدم مطابقة الأفعال للمقاصد، وفقًا لحديث رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى...» (رواه الجماعة).
- التأويل والتفسير الخاطئ للمصطلحات مثل تسمية الرشوة بالهدية، وتسمية التواطؤ بالتعاون وهكذا، لأن ذلك مخالف للقاعدة الشرعية التي تقول: «العبرة في العقود للمقاصد والمعاني لا للألفاظ والمباني»، أو: «العبرة للمعاني دون الألفاظ».
- التطبيق الخاطئ لقاعدة: «الضرورات تبيح المحظورات»، فمن الضوابط الشرعية للضرورة هي التي تؤدي إلى المهلكة وأن تكون قد سدت جميع أبواب الحلال وأن تكون ملجئة وقائمة.
- المحاكاة والتقليد الأعمى لسلوكات سيئة تحت مقولة هذا من عموم البلوى وما تعارف الناس عليه، فمن وصايا الصالحين: «عليك وطريق الحق ولو كثر الضالون».

رابعًا: لقد اختلط الحلال بالحرام في المعاملات المالية المعاصرة، وهناك اجتهادات للفقهاء المعاصرين حول القضايا التي فيها مشتبهات، والرسول ﷺ يوصينا بقوله: «إنما الحلال بين، وإنما الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام (البخاري ومسلم).

خامسًا: تفعيل قاعدة المسؤولية عن المريض، فالطبيب مسؤول أمام نفسه وأمام الله وأمام النقابة وأمام المجتمع عن مصلحة المريض، وكذلك مندوب شركة الأدوية فكل من الطبيب ومندوب شركة الأدوية مسؤولان مسؤولية تضامنية عما هو نافع للمريض وليس فيه إرهاق وتحميله ما لا يطيق.

فعندما تطبق هذه الواجبات الشرعية لرعاية المريض تتحقق البركات في الأرزاق وصدق الله القائل: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ (الأعراف: ٩٦).. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

مؤشرات حضارية حول مستقبل صراعنا مع اليهود

د. مصطفى محمد طه

مثل الإعلان الرسمي الأخير الصادر من قبل الصهيوني الأشر بنيامين نتنياهو والقاضي بضم الحرم الإبراهيمي بمدينة الخليل ومسجد بلال بن رباح- مؤذن الرسول ﷺ - والمعروف بـ«قبة راحيل» بمدينة بيت لحم إلى قائمة التراث اليهودي المنتحل في فلسطين السليبة- الأرض العربية المسلمة حضارة وتاريخا- صدمة حضارية وفاجعة دينية إنسانية بكل المقاييس، ولتبرير هذا الضم المتعسف تم إيراد حجة واهية أوهى من بيت العنكبوت، وهي «أن هذين الموقعين دفن فيهما أجدادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب وجداتنا سارة ورفقا وليا وراحيل»، لافتا الى أن هذين الموقعين يستحقان المحافظة عليهما وتجديدهما... الى آخر ما هنالك من ترهات جاءت في بيان الضم المتعسف، الذي حاول نتنياهو وحكومته بمقتضاه تزوير وتزييف حقائق التاريخ الناصعة وتحويلها إلى أساطير باطلة ما أنزل الله بها من سلطان.

إن كل هذه المواقف التي يتخذها الكيان الصهيوني في غفلة من العرب والمسلمين تفجر في النفس مكامن الحزن والأسى على ما آل اليه حالنا من الخزي والهوان، وإلا فما السبب الذي جعل هذا الموتور يقدم على ما أقدم عليه في هذا المنعطف الكئيد من مسار صراعنا مع اليهود؟! إن مثل هذه الاجراءات الاستفزازية إنما هي في الحقيقة بمنزلة إفراز نكد لحالة الغثائية والوهن التي تعيشها الأمة.

وعلى الرغم من كل ذلك، فإن ثمة بارقة أمل تلوح أنوارها وسط هذا الظلام الدامس، تشي لنا بأن صراعنا مع اليهود سيشهد في قادم الأيام انتصارًا باهرًا لنا عليهم، وذلك انطلاقًا من مبشرات السنة النبوية لنا بذلك، ولعل اول هذه المؤشرات ما حدث منذ بضع سنين عندما اندلعت شرارة انتفاضة الاقصى الأولى والثانية.

ولهذا فإن الانسان المسلم يقف خاشعًا أمام هؤلاء الأطفال الأبرار الذين خاضوا ويخوضون معركة البقاء وتحديد المصير الفلسطيني ضد الكيان الصهيوني، وذلك لأنهم أثبتوا ومازالوا يثبتون لأمتهم أن هذا العدو الغاشم لا ولن يتنازل عن تحقيق أساطيره التوراتية التي ما أنزل الله بها من سلطان. ومن هنا تأتي أهمية طرح هذا التساؤل الحائر، ألا وهو: هل فلسطين حقًا هي «أرض الميعاد»، كما يزعم اليهود المعاصرون؟! وللإجابة عن هذا التساؤل، نقول: إذا كانت فلسطين المسلمة أرضًا وتاريخًا هي أرض الميعاد، فلماذا لا يعود جنوب إسبانيا أندلسًا مسلمًا مرة أخرى. كما يمكن أن يقاس على ذلك أحقية كل الدول والحضارات التي سادت يومًا ما في أصقاع شتى من المعمورة ثم بادت- وفقًا لسنة التداول التاريخية- وبالتالي حلت محلها أقوام أخرى في الأرض التي شهدت صعودها ثم اضمحلالها.

الصراع مع اليهود هو صراع بين الحق والحقد

من هنا يمكن طرح هذا التساؤل المحير: هل إقامة اليهود في التاريخ القديم على أرض فلسطين لمدد زمنية متفاوتة، طالت أم قصرت، تخولهم ادعاء الحق التاريخي في أرض فلسطين، ومحو كل بصمة حضارية تؤكد أصالة الوجود العربي والإسلامي في هذه الأرض المباركة؟! كما جاء في قوله تعالى: «سبحان الذي أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير» (الإسراء: ١).

في الحقيقة، إن أحدًا لا يستطيع أن يكتب شهادة وفاة- كما يخيل للبعض منا- لصراعنا مع اليهود في هذا الوقت الراهن، حتى لو حدثت تسوية ما بين الصهاينة والفلسطينيين، فما بالنا ودماء أهلنا في فلسطين تسيل كل يوم لتروي هذه الأرض المباركة؟!

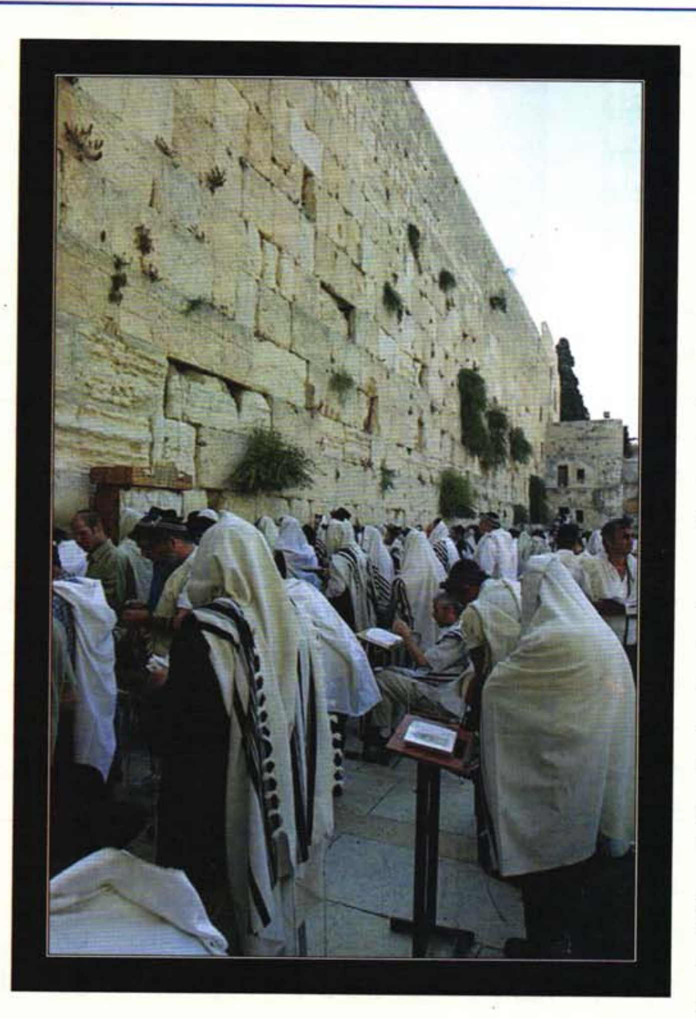
إن هذا الصراع يعد ولا ريب أطول صراع في التاريخ، حيث إنه تأجج منذ تلكم اللحظات التاريخية الحاسمة

* باحث علمي في الحضارة الإسلامية

التي انبثقت فيها الحضارة الاسلامية من رحم التاريخ لأول مرة، أي منذ ما يزيد على خمسة عشر قرنًا من الزمان، هي عمر هذه الحضارة، ومن ثم فإن هذا الصراع سوف يظل مشتعلًا الى أن يأذن الله عز وجل بنهايته الحتمية.

وفي ضوء هذا المنطلق الحضاري يمكن القول: إن الباحث العلمي المتتبع للمسار التاريخي لهذا الصراع الدامي تاريخيًا، يجد أنه قد اشتد واتخذ طابعه العنفواني المميز له في العصر الحديث، منذ أكثر من قرن من الزمان، ولهذا تأتي حيوية اعتماد المنظور الحضاري حول مستقبل هذا الصراع- بدلًا من اعتماد المنظور الآني في ضوء عمليات التسوية المرحلية التي باءت بالفشل الذريع، نتيجة لتعنت جنرالات الصهاينة- وذلك حتى يتسنى لنا معرفة مدى انعكاسات تداعيات هذا الصراع على الواقع الاسلامي المعاصر الراهن في عالم اليوم والغد المنظور واللامنظور، وذلك لأن اغتصاب الصهاينة لفلسطين السليبة قد أحدث شرخًا عميقًا في جسد الأمة الإسلامية، وسوف تبقى بصمات هذا الشرخ ما بقي الكيان الصهيوني الغاصب جاثمًا على أرض فلسطين، والأقصى المبارك مهددًا من قبل الصهاينة بالهدم.

وإزاء هذا يمكننا أن نطرح مثل هذه التساؤلات الحيوية: هل فعلًا انتهى الصراع الوجودي- ذو الأبعاد الحضارية- الدائر بيننا وبين اليهود من أجل البقاء؟! وهل هذا الاحتكاك الحربي الدائر الآن بين طرفي الصراع سوف يتوقف قبل تحديد المصير



الفلسطيني وتحرير القدس الشريف بما فيها الاقصى المبارك؟! وهل يمكن أن يرى الغد المنظور أي اتصال حضاري فاعل من نوع ما بين العرب واليهود بدلًا من الاحتكاك الحربي، حتى وإن كانوا لا يزالون يحتلون الأرض الفلسطينية ويعيثون فيها فسادًا، والأقصى الجريح لا يزال قابعًا تحت أسرهم، ويئن صارخًا صباح مساء: هل من صلاح الدين جديد ينقذني من براثن الصهيونية الغاصبة؟

في الواقع إن الإجابة الدقيقة والشافية عن كل هذه التساؤلات المصيرية المطروحة على العقل المسلم المعاصر، وغيرها من الأسئلة بشأن مستقبل هذا الصراع، هي طبعًا بالنفي القاطع، وذلك لأن شيئًا من هذا لن يحدث على الاطلاق لا اليوم ولا غدًا. فالكيان الصهيوني لا ولن يتخلى أبدًا عن الصبغة الاساسية لصراعه معنا، ولا عن أحلامه- ولعلنا نعرف أن السمة الأساسية لهذا الصراع هي ان هويته البحتة وفقًا للمنظور الصهيوني هي اليهودية الخالصة، كما جاءت معالمها في التوراة والتلمود - اي شروح التوراة- بينما نحن، أو اذا شئنا الدقة، البعض منا قد فرغوا الصراع من محتواه الديني وابعاده الحضارية، وفي هذا ما لعله يسقط حجية الدعوى الزائفة الداعية الى ضرورة عقد اواصر السلام مع هذا العدو. ان هذا السلام الهش لا يمتلك مقومات البقاء، فهو يعتمد على منطق القوة من قبل الصهاينة، تلك القوة الغاشمة، التي يحاولون من خلالها فرض شروطهم على أعدائهم وإلا فالويل كل الويل لمن يخالف شروط الكيان الصهيوني، فهل بعد هذا يمكن أن يكون هنالك سلام حقيقي بيننا وبينهم؟ والشاهد الحي على ذلك هو استهانة الصهيوني الأشر شارون - يوم ان كان رئيسًا للحكومة الصهيونية - بمقدساتنا، مما فجر شرارة الانتفاضة المباركة.

ولهذا يمكن القول: إن صراعنا مع اليهود اذن هو صراع بقاء، من أجل البقاء، أي بمعنى أن «نكون أو لا» حرفيًا، فهو ليس نزاع حدود، بل هو صراع وجود، صراع بين الحق والحقد، لا بين حق وحق كما يزيف الصهاينة، ومداره النهائي هو ان نبقى على هذه الارض او لا نبقى. انها ليست أقدارًا متصادمة كما تردد الصهيونية (كتاب كيمش مثلًا)، بقدر

ضمير الغيب خير دواء شاف لكل أمراضنا القديمة والجديدة، الداخلية والخارجية، والعبرة دائمًا بالخواتيم، إن لقاء الصهيونية هو كلقاء الصليبية، فلقد بدأت أوروبا نهضتها بعد درس الصليبيات الحضاري وتحديه الخطير، بالمثل يمكن أن يبدأ المسلمون نهضتهم الكبرى (عصر النهضة الاسلامية) بعد درس الصهيونيات وتحديه المصيري، وبذلك يكون صراعنا المرير مع الخطر الصهيوني هو آلام المخاض لميلاد دولة كبرى في عالم الإسلام الرحيب تلحق بعمالقة العصر وحضارته(٦).

وإزاء هذا يمكن أن نؤكد مرة أخرى وبشدة على أن ملامح المستقبل المنظور واللامنظور لهذا الصراع الدامي- على مدار التاريخ- إذا ما نظرنا إليها بالمنظار الإيماني البحت، فإننا سنرى بأنها تشي- لكل متابع للمسار التطوري لهذا الصراع، وكما هي سنن الله الكونية في التدافع الحضاري- بأن كلمة الفصل النهائية بشأنه لم تحن بعد وأن الوعد الحق الذي ضربه الله تبارك وتعالى لبني اسرائيل لم يأت بعد، كما قال عز من قائل: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوًا كبيرًا. فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادًا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدًا مفعولًا. ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرًا. إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرًا﴾ (الإسراء: ٤-٧).

﴿وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفًا﴾ (الإسراء: ١٠٤).

وفي ضوء الإشعاع الإيماني المنبثق من ثنايا هذه الآيات الماجدات، نستطيع أن نؤكد تأكيدًا جازمًا لا يخالجه أدنى شك بأن انتصارنا الحاسم على اليهود هو من المبشرات بانتصار الإسلام، ومن أبرز هذه المبشرات ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقاتلكم اليهود، فتسلطون عليهم، ثم يقول الحجر: يا مسلم، هذا يهودي ورائي، فاقتله» (متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان ١٨٤٩). ومثله ما رواه أبوهريرة مرفوعا: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبدالله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله» (رواه مسلم في صحيح الجامع الصغير ٧٤٢٧. فهل ينطق الحجر والشجر بلسان المقال، آية من آيات الله، وما ذلك على الله بعزيز، أو ينطقان بلسان الحال؟ بمعنى أن كل شيء يدل على اليهود ويكشف عنهم، وأيًا كان المراد فالمعنى أن كل شيء سيكون في صالح المسلمين وضد أعدائهم اليهود، وأن النصر آت لا ريب فيه، وأن أسطورة «القوة التي لا تُقهر» التي يشيعها اليهود لن تستمر، وأن الذين اغتصبوا فلسطين بقوة السلاح وسلاح القوة، سيخذلهم الله الذي يملي للظالمين ثم يأخذهم أخذًا أليمًا شديدًا، ولن تغني عنهم شيئًا، حين ينزل بهم بأس الله الذي لا يرد عن القوم المجرمين، كما قال تعالى في شأنهم (٧): ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ (الحشر: ٢).

المعركة الفاصلة مع اليهود آتية لا محال وليس بمقدور أحد إسدال الستار على هذا الصراع

إن هذه المعطيات الإيمانية الصادقة، تجعلنا نؤكد تأكيدًا جازمًا أن المشكلة التي تواجهنا الآن هي أن يتحول زوال الكيان الصهيوني عن فلسطين والأرض العربية من هدف تكتيكي إلى هدف استراتيجي، أي أننا ينبغي أن نستعد له- ما وسعتنا الطاقة- مهما طال المدى، تمامًا كما عمل اليهود لإنشاء دولتهم، والمهم هو ألا يغيب عن أنظارنا وألا تلهينا عنه أو تميته في ضمائرنا الحلول البديلة أو التسويات الوقتية وما تعد به من أمن وراحة واسترخاء، ولذا فإن زوال الكيان الصهيوني من هذا الركن من العالم أمانة في أعناق العرب والمسلمين مهما استغرق ذلك من أجيال(٨).

وفي التحليل الأخير نرى أن المعركة الفاصلة بيننا وبين اليهود آتية لا محالة، ومن هنا فليس في مقدور أحد- كائنًا من كان- أن يكتب كلمة الفصل أو أن يسدل الستار على مسرحية هذا الصراع، رغم أن بعض فصولها قد طالت أحيانًا، وذلك لأن الذي بيده، وبيده وحده إسدال الستار على هذا الصراع، على الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى ﴿ولله المثل الأعلى﴾ وفي هذا ما لعله يجعلنا نؤمن وعن يقين، بأن يومًا ما- آت لا ريب فيه- سوف تشرق شمس الإيمان الساطعة على أرض فلسطين الغالية، والأقصى المبارك، وساعتها لن يكون ثمة يهود على وجه الأرض ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الحق: ﴿وكان وعد ربي حقًا﴾ (الكهف: ٩٨).

لم يلتفت لذلك العديد من المنظمات الدولية إلا في القرن العشرين

حقوق الحيوان وحمايته في الشريعة الإسلامية

د. خالد محروس

يعيش العالم الآن وسط زخم كبير من المشكلات الدولية التي باتت تهدد البشرية بكوارث لا حصر لها وتنذر بمخاطر كبيرة لا يعلم مداها إلا الله عز وجل، ومن هذه المشكلات تلك التي تتعلق بالحيوان والأمراض الناجمة عن سوء تربيته ورعايته وتغذيته، فمن جنون البقر والحمى القلاعية والتسمم بالديوكسين وأنفلونزا الطيور وأنفلونزا الخنازير، يعيش الإنسان في قلق دائم خوفا من أن تبطش به إحدى هذه الأمراض. وهذا يعود إلى الضغط الشديد الذي يمارسه الإنسان على الحيوان وعدم إعطائه حقوقه على الوجه الذي ينبغي أن يكون، لكي يشبع هو رغباته المستمرة من غذاء وملبس وغيرها عن طريق هذا الكائن الذي يعتبر شريك الإنسان في الحياة على وجه الأرض.

يولي الإسلام مسألة الحقوق أهمية بالغة لأنها من الأمانات التي أمر الله سبحانه وتعالى أن تؤدى إلى أهلها، فللإسلام السبق في التنويه إلي ذلك وإقرار حقوق الحيوان منذ أكثر من أبعة عشر قرناً، ولم يلتفت لذلك العديد من المنظمات الدولية إلا في القرن العشرين.

فلقد خلق الله تعالى الحيوان وجعله آية من آيات عظمته وبديع صنعه، وسخَّره للإنسان، ولم يُرِدْ بذلك أن يُهْدرَ حقَّه، فكان له حظُّه في سكنى الأرض، والتنقُّل فيها، والتمتُّع بخيراتها، من ماء ومرعى وغيرها، كما قال تعالى: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُم﴾ (النازعات: ٣٠ - ٣٣)، وقال تعالى: ﴿كَمَاء أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ﴾ (يونس: ٢٤)، وهذا فضلاً عن حقوقه في معاملة الإنسان له، من إحسان وشفقة ورحمة.

فالإسلام ينظر إلى عالم الحيوان نظرة واقعيَّة ترتكز على أهميته في الحياة ونفعه للإنسان، وتعاونه معه في عمارة الكون واستمرار الحياة. ومن ثمَّ فقد حرَّم الإسلام تعذيب الحيوان، كما حرم الإسلام كذلك حبس الحيوان أو التضييق عليه، وأمر باستخدامه فيما خلق له، وعدم إرهاقه بالعمل، أو تحميله ما لا يطيق من الأثقال. وينصُّ القرآن على تكريم الحيوان، وبيان مكانته وأهمِّيَّته، وتحديد موقعه إلى جانب الإنسان، فيقول تعالى- مثلًا- بعد أنْ بيَّن قدرته سبحانه في خلق السموات والأرض، وقدرته في خلق الإنسان: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ. وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ. رَحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ٥ - ٨).

وعلى هذا يمضي القرآن الكريم للتعريف بأهمِّيَّة الحيوان، وأنه جزء من الحياة التي نعيش فيها، ولا يمكن إغفاله أو إهماله، وقد استنبط الفقهاء والمفسِّرون من هذه الآيات أنَّ الحيوان شديد الارتباط بالإنسان، وثيق الصلة به، قريب الموقع منه، ومن هنا كان للحيوان على الإنسان حرمة وذمام. والحيوان من الكائنات الحية الأرضية المهمة، فهو الذي يحول النبات إلى بروتين حيواني في صور متعددة مثل اللحم والبيض واللبن والشعر والصوف والوبر والعظام والجلود ويحمل الأثقال ويحافظ على السلاسل الغذائية الأرضية البرية والبحرية.

وقد أعطى الله سبحانه وتعالى الحيوانات القدرة على رؤية ما لا يراه الإنسان، وسماع ما لا يسمعه الإنسان، لحكمة هو يعلمها سبحانه، فبعض الحيوانات ترى الملائكة وبعضها يرى الشياطين، بل إنها لتسمع أصوات المعذبين في قبورهم، بل وقبل ذلك وبعده تشفق الحيوانات وتخاف من يوم الجمعة لعلمها أن القيامة لا تقوم إلا يوم الجمعة. وقد أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله

• قسم الدواجن، كلية الزراعة، جامعة الزقازيق، مصر.

من فضله، فإنها رأت ملكًا، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه رأى شيطانًا»، وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل فتعوذوا بالله منهن فإنهن يرين مالا ترون» (رواه الإمام أحمد وأبو داود). وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الموتى ليعذبون في قبورهم حتى إن البهائم لتسمع أصواتهم» (رواه الطبراني). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطلع الشمس ولا تغرب على أفضل من يوم الجمعة، وما من دابة إلا وهي تفزع من يوم الجمعة، إلا هذين الثقلين: الجن والإنس» (رواه ابن خزيمة وابن حبان)، وفي رواية أبي داود: «وما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس، شفقًا من الساعة إلا الإنس والجن».

والأكثر من ذلك أن هناك بعض الحيوانات التي أعطاها الله القدرة على القيام بالكثير من الأعمال التي لا يقوم بها كثير من البشر، ممن عطلوا عقولهم واتبعوا شهواتهم، ولم يمتثلوا ما أمروا به، ولم يتبعوا ما خلقوا من أجله، فهبطوا مع كل أسف إلى مستوى متدن من البهيمية ومن الحيوانية، فأصبحت حياتهم أكلًا وشربًا ولهوًا ولعبًا وسهرًا، وإتباعًا للغرائز، وانغماسًا في الرذائل، ففضّلت البهائم عليهم بتسبيحها وسجودها وخضوعها لربها، قال الله تعالى: ﴿والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوىً لهم﴾ (محمد: ١٢) وقال تعالى: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرًا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ (الأعراف: ١٧٩).

الرعيل الأول أدرك حقوق الحيوان وحرمتها وأنها مسؤولية وأمانة

انظر إلى رجاحة عقل الهدهد، ذلك الطائر الصغير عندما رأى القوم يسجدون لغير الله، فأنكر ذلك الشرك فقال لسليمان عليه السلام مستنكرًا غواية الشيطان لهم: ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون. ألاّ يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون. الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾ (النمل: ٢٤-٢٦).

والآن نلقي نظرة على بعض حقوق الحيوان في الإسلام، لندرك أن هذه الشريعة قد حفظت حقوق الحيوانات من قبل أن يتطرق إليها الإنسان:

أولًا: الإحسان إليه حتى حال ذبحه، فعن شداد بن أوس رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته» (رواه مسلم).

ثانيًا: حرمة دم الحيوان، فدم الحيوان مصان إلا ما أحل الله ذبحه لأكله أو قتله لأذيته، فإنه من الإتلاف المحظور والمنكر شرعًا: قتل الحيوانات التي لا تؤذي لغير غرض أو مصلحة مقصودة، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قتل عصفورًا عبثًا عج (صاح) إلى الله يوم القيامة، يقول: يارب، إن فلانًا قتلني عبثًا، ولم يقتلني لمنفعة». وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز قتل الفواسق الخمس وهي: الفأرة، العقرب، الحدأة، الغراب، الكلب العقور.

ثالثًا: لا يجوز تعذيب الحيوان، فقد أخرج الشيخان عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه مر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرًا وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا. وهنا نذكر أنه لا يخفى علينا جميعا ما تفتق عنه فكر الإنسان المعاصر، من تقليعات شاذة من مثل التلذذ بمشاهدة مصارعة الثيران أو مصارعة الديكة، ومثله أكلة دماغ القردة في الفلبين، أو ما يقدم في بعض مطاعم اليابان من السمك المقلي أو المشوي وهو لا يزال يتقلب حيًا.

رابعًا: يحرم حبس الحيوان والتضييق عليه، ففي الصحيحين أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها، لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض. وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى وجوب الإنفاق على البهائم المملوكة وذلك بأن يعلفها مالكها ويسقيها، وإن لم تكتف بالمرعى وجب عليه إضافة ما يكفيها من العلف والماء، كما ذهب جمهور الفقهاء إلى أن مداواة البهائم وعلاجها من الأمور المطلوبة شرعًا لأن ذلك يعد من باب الرحمة بالحيوان ومن حفظ المال.

خامسًا: عدم إرهاقه في العمل، فهذا حق للحيوان سوف تحاسب عنه يوم القيامة إذا حملته ما لا يطيق، تأمل معي قصة الجمل الذي اشتكى ما يلاقيه من تعب وجوع إلى المبعوث رحمة للعالمين صلوات ربي وسلامه عليه، فعن عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما قال: أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه فأسّر إليّ حديثًا لا أخبر به أحدًا أبدًا، وكان رسول

الله ﷺ أحب ما استتر به في حاجته هدف أو حائش نخل، فدخل يومًا حائطًا من حيطان الأنصار فإذا جمل قد أتاه، فجرجر وذرفت عيناه فمسح رسول الله ﷺ سراته وذفراه (ذفري البعير: أصل أذنه)، وهو الموضع الذي تعرق منه الإبل خلف الأذن - فسكن فقال: «من صاحب الجمل؟» فجاء فتىً من الأنصار فقال: هو لي يا رسول الله، فقال: «أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملككها الله! إنه اشتكى إليّ أنك تجيعه وتدئبه - أي تتعبه». (صححه الألباني).

وقد شدد الفقهاء على ضرورة الرفق بالدواب في السير والركوب والحمل، وعدم جواز تحميل الحيوان ما لا يطيق، استدلالًا بما رواه سهل بن الحنظلية رضي الله عنه حيث قال: «مر رسول الله ﷺ ببعير قد لحق ظهره ببطنه فقال: «اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة وكلوها صالحة» (صححه الألباني). وقد ذكر فقهاء الشافعية أنه يحرم الاستقصاء في حلب البهيمة، إذا كان ذلك يضر بها لقلة العلف، وأنه يستحب ألا يستقصي الحالب في الحلب وأن يترك في الضرع شيئًا.

سادسًا: استخدامه فيما خلق له، وعدم استخدامه في غير ما سخّر له، وفي الصحيح أن رجلًا كان يسوق بقرةً قد حمل عليها، فالتفتت إليه البقرة فقالت: إني لم أخلق لهذا، ولكني إنما خلقت للحرث، فقال الناس: سبحان الله، أبقرة تكلّم؟ فقال رسول الله ﷺ: «وإني أومن به وأبوبكر وعمر».

سابعًا: احترام مشاعر الحيوان، نعم احترام مشاعره، فقد نهى النبي ﷺ أن يحد السكين بحضرة الحيوان الذي يذبح، فمرة مر على رجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته وهي تلحظ إليه ببصرها، فقال: «أفلا قبل هذا! أتريد أن تميتها موتتين؟» (رواه الطبراني وغيره). بل إن الإسلام راعى حق الأمومة عند الحيوان، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حمرةً معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تعرّش، فجاء النبي ﷺ فقال: «من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها».

الحكم الشرعي المتعلق بالهندسة الوراثية في الحيوانات

تعرف الهندسة الوراثية على أنها مجموعة وسائل تهدف إلى إجراء تبديل أو تعديل أو إضافة انتقائية للمادة الوراثية، وهي أيضًا القدرة على إجراء عمليات التحكم بالصفات الوراثية للكائن الحي.

وقد قرر مجمع البحوث الإسلامية المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي: أنه يجوز شرعًا الأخذ بتقنيات الهندسة الوراثية في مجال الحيوان، في حدود الضوابط الشرعية، بما يحقق المصالح ودرء المفاسد. فإذا كانت عمليات الهندسة الوراثية في الحيوانات تهدف إلى زيادة النسل وتكثيره وتحسينه ومن أجل إنتاج أنواع محسنة خالية من الأمراض، أو كان من أجل الحصول على الأدوية وغيرها من المصالح التي تفيد البشر، فالأصل الشرعي هنا هو الجواز والإباحة والندب والاستحباب.

وقد انتشرت في الآونة الأخيرة ظاهرة استخدام بعض الإضافات إلى أعلاف الحيوانات والدواجن بغرض التسمين وزيادة الإنتاج ومواجهة الاحتياجات المتزايدة للبشر من اللحوم والبيض والألبان وغيرها من المنتجات الحيوانية، ومن هذه المواد استخدام روث الطيور والدم المجفف وبقايا الخبز العفن وإضافة الهرمونات والمضادات الحيوية للتعجيل بنمو الحيوانات والتي تؤثر بشكل غير مباشر على الإنسان وعلى صحته نتيجة لتراكم آثارها وما ينتج عنها من أمراض مزمنة خطيرة، ويحرم بعض العلماء إضافة هذه المواد الضارة لأنها نوع من الفساد في الأرض ولون من ألوان الضرر بالناس. ولكن ليس هناك حرج في إضافة المواد التي لا تؤدي إلى أضرار أو أخطار على صحة الإنسان.

وبعد: فهذه بعض حقوق الحيوان في الإسلام، ولقد أدرك الرعيل الأول من سلف هذه الأمة حقوق الحيوان وحرمتها وأنها مسؤولية وأمانة، ولذا لمّا ولاهم الله حقوق الإنسان رعوها حق رعايتها، تأمل في كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قال: لو أن بغلة في العراق تعثرت لخشيت أن يسألني الله عنها لمَ لمْ أسو لها الطريق. (عمر يخشى المحاسبة أمام الله عز وجل يوم القيامة لعدم تسوية الطريق لبغلة، وأين في العراق وليست عنده، لذلك لمّا تولى أمثال عمر الخلافة لم يحتاجوا إلى إنشاء منظمات لحفظ حقوق الإنسان لأن كرامة الإنسان محفوظة ابتداءً عندهم، ولم يحتاجوا إلى أن يتبجحوا في وسائل إعلامهم أنهم قد أعطوا الإنسان كامل حقوقه). وأبوهريرة نفسه رضي الله عنه ما سمي كذلك إلا لحفاوته بهرة صغيرة كان يحملها في كمه وقد قال له النبي ﷺ: «يا أبا هر».

المراجع

١. القرآن الكريم.
٢. د. محمد عبدالسلام أبوخزيم، المحافظة على البيئة في منظور الإسلام. سلسلة قضايا إسلامية، العدد (١٨٤)، تصدر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، مصر.
٣. شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت).

ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة (الوعي الإسلامي) على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يلي من الشروط:

ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته وأن تؤهله ثقافته للكتابة في الموضوع الذي يتطرق إليه.
- أن يرسل صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة لسيرته الذاتية.
- أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.
- أن يكون العنوان كاملًا، مع كتابة رقم الهاتف، والفاكس وضرورة إرسال البريد الإلكتروني.

ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تكون المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- الالتزام التام بالأمانة العلمية.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحاتA4، وأن يبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تكون الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات مقرونة بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال منشورًا في الصحف والمجلات المطبوعة والإلكترونية.

ملاحظة: المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.





نظم قرآني معجز

إنٍ وجوه النظم في القرآن تأخذ أبعادًا وطرقًا كثيرة، وكلها تحقق الإحسان، والسلامة في المباني والمعاني في كتاب أحكمت آياته لتكون نورًا تهتدي به الإنسانية في كل زمان ومكان، إن أسلوبه المتكامل في خصائصه البيانية والتركيبية، والمعبر عن أسرار القدرة الإلهية المتحكمة في كل شيء وهي قدرة لا تحد بحد ولا تقف عند زمان أو مكان، تظهر مزاياه في كل تركيب وتعبير، ولذلك تجد هذا الأسلوب يتحدى كل المدارس اللغوية والأدبية والأسلوبية في عصرنا الحديث، لكونه يختزن محاسن وأسراراً مازالت الأبحاث تكشفها وتجليها، فإذا نظرنا إلى طريقة الإسناد في قوله تعالى: ﴿وفجرنا الأرض عيونًا﴾ (القمر: ١٢)، فإننا نجد الأسلوب الإلهي الشمولي في معانيه معبرًا عن هذه القدرة المحيطة بكل شيء، منها ما هو ظاهر للعيان لا يحتاج إلى دليل وبرهان، ومنها ما ندركه بالتفحص الدقيق، والرؤية العميقة في العلاقات المترابطة والمتشابهة بين المخلوقات في هذا الكون الذي ترعاه عناية إلهية أحكمت كل شيء.

د. محمد الحجوي



من مسائل النحو والبيان العربي:

إدخال بعض حروف العطف في الاستفهام بالهمزة (أولم - أفلا - أثم) في النص القرآني

د .رفيق حسن الحليمي

لكل أسلوب في اللغات- على اختلافها- معنى يقصد إليه المتكلم، ويتخذ له المفردات اللغوية والأدوات النحوية والوسائل البلاغية التي تعبر له عن ذلك المعنى، ولكل معنى من المعاني هدف وغاية يتغياها المتكلم، وهي الإفصاح عما يجول في الخاطر من حوائج ومطالب وأفكار وآراء، وبقدر ما تدخل اللغات في حراك تاريخي وفكري بقدر ما تتقدم على غيرها، إذ إن المحك الحقيقي لحضارة اللغات وتطورها يكمن في قدرتها على التعبير عن أدق المعاني والأفكار، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال المران الطويل، والنمو الذاتي الداخلي للغة، عبر عقود وعقود من الزمن.

لغتنا العربية من بين اللغات الحية التي يحق لنا ولغيرنا من الباحثين والدارسين المنصفين أن نجعلها في مصاف اللغات التي تتمتع بقدر عال من التحضر اللغوي، ويكفي لغتنا العربية شرفًا أنها وسعت كتاب الله لفظًا وغاية، كما عبر عن ذلك شاعر النيل حافظ إبراهيم بقوله:

حفظت كتاب الله لفظًا وغاية
وما ضقت عن آي به وعظات

وسوف نتوقف في هذه العجالة عند ظاهرة، تدل على حذف جملة للإيجاز، مع الإبقاء على قرينة معنوية تدل على المحذوف، وتعد هذه الظاهرة من مسائل النحو التي تحتاج إلى توضيح، إلى جانب كونها من خصائص البيان العربي.

ولعل قارئ القرآن يجد الكثير من الآيات التي بدئت بعض جملها بهمزة استفهام «أ»، وجاء بعدها أحد حروف العطف الآتية: «و- ف- ثم» ثم جاء بعدها حرفا النفي «لم - لا» في مثل قوله تعالى: ﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا فهم لها مالكون﴾ (يس: ٧١)، وقوله: ﴿أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئًا﴾ (مريم: ٦٧)، وقوله تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون﴾ (يوسف: ١٠٩)، فأكثر ما تكون هذه الظاهرة في الاستفهام المنفي بلم أو بلا، وقد تأتي في جملة خبرية مثبتة، كقوله تعالى: ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنًا﴾ (فاطر: ٨)، وقوله تعالى: ﴿أثم إذا ما وقع آمنتم به﴾ (يونس: ٥١).

المحك الحقيقي لحضارة اللغات يكمن في قدرتها على التعبير عن أدق المعاني والأفكار

فهذه المجموعة (أ) من الآيات اقترنت الهمزة فيها بحرف العطف، سواء أكانت الجملة مثبتة أم منفية.

وهناك مجموعة ثانية (ب) جاءت الهمزة فيها من دون حرف العطف، في مثل قوله تعالى: ﴿ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا﴾ (الأعراف: ١٤٨)، وقوله: ﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله﴾ (النحل: ٧٩)، وقوله تعالى: ﴿ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن﴾ (الأنعام: ٦).

فما الفرق بين المجموعة الأولى (أ) التي وردت فيها الهمزة مقرونة بحروف العطف، وبين المجموعة الثانية (ب) التي لم ترد فيها حروف العطف؟

قد يظن ظان أن هذه الحروف ليست للعطف، وإنما هي حروف زائدة، زيدت في بعض الآيات ولم تزد في غيرها، وهذا رأي باطل وغير صحيح، وقد يتوهم آخرون أن تلك الحروف جاءت لجمال النطق ولسهولته، ولو كان الأمر كذلك لما وردت في آيات ولم ترد في غيرها- كما رأينا- ولعلي كنت واحدًا من هؤلاء فقد حملت هذه الفكرة فترة من الزمن إلى أن عدت لبعض كتب النحو المتعمقة فوجدت ما فيها صوابًا، ورأيي خطأ، فاتبعت الصواب، فالحق أحق أن يتبع.

• أكاديمي فلسطيني



جاء في مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري، أن همزة الاستفهام إذا كانت في جملة معطوفة بالواو أو بالفاء أو بثم قدمت على العاطف، تنبيهًا على أصالتها (١)، بمعنى أن همزة الاستفهام لها الصدارة في الجملة.

فالآية: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ (الحج: ٤٦)، دخلت همزة الاستفهام على الفاء، ثم دخلتا معًا على جملة «لم يسيروا في الأرض»، وهذه الجملة- كما يقرر النحاة- معطوفة على جملة محذوفة، تقدر من السياق، كأن نقول: «ليس للكافرين قلوب يعقلون بها، ولو ساروا في الأرض لعقلوا ما فيها من عظات وعبر ودروس، ولصار لهم قلوب، ولكنهم لم يفعلوا»، فجاءت الآية متضمنة جملة «أفلم يسيروا» لتشير الى جملة محذوفة تؤكد جهل الكافرين بالماضي وبتاريخ الأمم الغابرة، ولتحضهم على السير في الأرض لاستخلاص العظات والعبر.

وقوله تعالى: ﴿أفغير دين الله يبغون﴾ (آل عمران: ٨٣)، دخلت الهمزة على الفاء العاطفة: «غير دين الله يبغون» على جملة محذوفة، تقديرها «أيتولون»، فصارت في النص القرآني: «أفغير دين الله يبغون» (٢)، فالتقدير للجمل المحذوفة يستخرج من مضمون الجملة المعطوفة في النص القرآني، ومنه قوله تعالى: ﴿أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير﴾ (العنكبوت: ١٩)، قال ابن هشام في هذه الآية: «لأن إعادة الخلق لم تقع بعد، فيقرروا رؤيتها» (٣) وزاد في قوله: «ويؤيد الاستئناف فيه قوله تعالى على عقب ذلك: ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾ (العنكبوت: ٢٠).

ويستنتج من هذا أن عطف جمل (أولم يسيروا - أفغير الله - أو لم يروا) وغيرها على جمل محذوفة يعد من أساليب التوكيد، فعطف جملة على جملة يأتي لتوكيد المعنى وبيانه، فإذا كان المعطوف عليه محذوفًا - كما هو في آيات المجموعة الأولى (أ) - دفعت العقل إلى مزيد من التفكر والتأمل في دلالة المعنى المحذوف، وفي ذلك يقول ابن هشام: «الحذف الذي يلزم النحوي النظر فيه هو ما اقتضته الصناعة وذلك بأن يجد (...) معطوفًا بدون معطوف عليه» (٤)، فالبحث عن جملة المعطوف عليه المحذوفة هو ما تقتضيه صناعة النحوي وصناعة الأدب وما تقتضيه البلاغة والبيان.

هوامش

١- مغني اللبيب ج١ ص١٤.
٢- المرجع السابق ج١ ص١٥.
٣- المرجع السابق ج٢ ص٤٧.
٤- المرجع السابق ج٢ ص١٧٦.

صيحة تحذير

أبو المعاطي عطا الله

ربوا الشباب على سنا الإيمان
واسقوه طفلًا حكمة الأديان

وتعهدوا الجيل الجديد فإنه
أمل الحياة وعدة الأزمان

وهو انطلاق الخالدين وثورة الـ
متحررين ومنشئ العمران

وهو انبثاق النور في الليل الذي
يمضي ثقيل الخطو كالسكران

أنا لا ألوم على الشباب وإن طغى
ما فيه من مرض ومن أدران

قد فتشوا عن قدوة وقيادة
وضياء مصباح ورفعة شان

لم يدركوا نورًا يضيء ولم يروا
ماءً يبرِّد غُلة الظمآن

لكن ألوم القائمين بأمره
آراؤهم تجري بلا إتقان

يتصارعون على إنارة دربه
من غير علم هادفٍ وبيان

هبطوا بإحساس الشباب ليسبحوا
بالغث في بحر بلا شطآن

قد عرضوا أكبادنا لمواقفٍ
لم تخلُ من ذلٍ بهم وهوانِ

فتبددت فوق الثرى أحلامهم
والموج أغرقها إلى الآذانِ

إِتحافُ الأمجاد في ما يَصحّ بِهِ الاستشهاد

العلامة مَحمُود شُكْري الألوسي رحمه الله تعالى

الحمد لله الذي استغنى إثباتُ وحدانيته عن الشاهد والدّليل، وتَنزَّه جلَّ شأنه عن أن يكون له نظير أو يوجدَ له مثيل. والصلاةُ والسلام على سيدنا محمد المؤيد بأوضح الحجج والبينات، والمبعوث بأقوى الدلائل وأعلى المعجزات وعلى آله وأصحابه الذين يُقتدى بأفعالهم ويُستشهد بكلامهم وأقوالهم.

فهذه رسالة لطيفة وعجُالة شريفة سمَيتها «إتحاف الأمجاد في بيان ما يصح به الاستشهاد»، سائلا منه سبحانه أن ينفع بها المخلصين، ويذلل بها طرق المشتغلين، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

اعلمْ أنّ المثال هو الجُزئي الذي يذكر لإيضاح القاعدة وإيصالها إلى فهم المستفيد ولو بمثال جَعْلي، وأنّ الشاهد هو الجزئي الذي يُذكر لإثبات القاعدة، كآية من التنزيل أو قول من أقوال العرب الموثق بعربيتهم.

فالفرق بينهما بالعموم والخصوص المطلق، فإنّ كلّ ما يصلح شاهدا يصلح مثالا من غير عكس كلّي، إذ لا يلزم أنْ يكون الجزئي مذكورا بعد الحكم الكلي فضلا عن كونه مثالا أو شاهدا، فكونه مذكورا للإيضاح أو للإثبات عارض مُفارق لا يمكن اعتباره في حقيقتهما، ولو اعتبر ذلك فربما يتباينان وربما يتصادقان، فبينهما على التقدير تباين جزئي.

إذا عرفت ذلك فاعلم:

أنّ الكلام الذي يُستشهد به نوعان: شعر وغيره.

النَّوعُ الأوّل: الشِّعرُ

والقائلون للشعر على طبقات:

الطبقة الأولى:

الجاهليون، وهم الذين لم يدركوا الإسلام، كامرئ القيس، والأعشى.

الثانية:

المُخَضْرمُون، وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، كَلَبِيد وحَسّان.



الثالثة:

المتقدّمون، ويقال لهم: الإسلاميون ، وهم الذين كانوا في صدر الإسلام، كجَرير والفَرَزْدَق.

الرابعة:

المولَّدُون، ويقال لهم: المحَدَثُون، وهم من بعدهم إلى زماننا هذا، كبَشّار بن بُرد وأبي نواس.

فالطبقتان الأوليان، يستشهد بشعرهما في جميع علم الأدب، أعني اللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع وغيرهما بالإجماع.

وأما الثالثة، فالصحيحُ صحة الاستشهاد بكلامها. وقد كان أبو عَمرو بن العَلاء، وعبدالله بن أبي إسحاق، والحسن البصري، وعبدالله بن شبرُمَة، يلحّنون الفرزدق والكُميت وذا الرُّمَّة وأضْرَابهم، وكانوا يَعُدُّونهم من المولدين، لأنهم كانوا في عصرهم، والمعاصرة حجاب.

وقد نقلَ بعض الفضلاء من شُرّاح شواهد الرضي عن ابن رشيق أنه قال في «العمدة».

كل قديم من الشعراء، مُحدث في زمانه، نظرا إلى مَنْ كان قبله. وكان أبو عَمرٍو يقول:

«لقد حسن هذا المولّد حتى لقد هَمَمتُ أن آمُرَ صبياننا برواية شعره» يعني بذلك شعر جرير والفرزدق، فجعله مولّدا بالنسبة إلى شعر الجاهليين والمخضرمين، وكان لا يعتد إلاّ بشعر المتقدمين.

قال الأصمعي: جلستُ إليه عشرَ حجَج، فما سمعته يَحتجُّ ببيت إسلاميٍ.

وأما الرابعة:

فالصحيح أنه لا يستشهدُ بكلامها مطلقا، وقيل: يستشهدُ بكلام من يوثقُ به منهم، واختاره الزمخشرَي، وتبعه



المحقق الرضي، فقد استشهد كل منهما بشعر المولدين.

قال صاحب الكشاف، بعدما استشهد ببيت من شعر أبي تمام:

«هو، وإن كان مُحْدثا، لا يُستشهد بشعره في اللغة، فهو من علماء العربية، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه، ألا ترى إلى قول العلماء: «الدليل عليه بيت الحماسة»، فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه.

واعتُرِض عليه بأن قبول الرواية مبني على الضبط والوثوق، واعتبار القول مبني على معرفة أوضاع اللغة العربية والإحاطة بقوانينها. ومن البَيّن أن إتقان الرواية لا يستلزم إتقان الدِراية.

وفي الكشف: القول دراية خاصة، فهي كنقل الحديث بالمعنى.

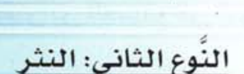
وقال المحقق التفتازانيّ:

القول بأنه بمنزلة نقل الحديث بالمعنى، ليس بسديد، بل هو بعمل الراوي أشبه. وهو لا يوجب السماع إلاّ من كان به من علماء العربية الموثوق بهم؛ فالظاهر أنه لا يخالف مقتضاها، فإن استؤنس به، ولم يجعل دليلا، لم يرد عليه ما ذكر، ولا ما قيل من أنه لو فتح هذا الباب لزم الاستدلالُ بكلّ ما وقع في كلام المحدثين، كالحريري وأضرابه، والحجه فيما رووه، لا فيما رأوه.

وقد خَطّؤوا المتنبي وأبا تمام والبحتري في أشياء كثيرة، كما هو مسطور في شروح دواوينهم.

وفي الاقتراح للسيوطي:

«أجمعوا على أنه لا يحتج بكلام المَوَلّدين والمحدثين في اللغة العربية. وفي الكشاف ما يقتضي تخصيص ذلك



ثمة إجماع على أنــه لا يحتج بكلام المولـدين والمحدثين في اللغة العربية

بغير أئمة اللغة ورواتها، فإنّه استشهد بقول أبي تمام الطائي».

وأول الشعراء المحدثين بشار بن برد، وقد احتج سيبويه ببعض شعره تقربا إليه، لأنه كان هجاه لتركه الاحتجاج بشعره، كذا نقل عن المرزباني وغيره.

ونقل عن ثعلب أنه نقل عن الأصمعي أنه قال:

«ختم الشعرُ بإبراهيم بن هَرْمَة، وهو أحسن الحجج»

وكذا عدَّ ابنَ رشيق في العمدة طبقات الشعراء أربعا، قال:

«هم جاهلي قديم، ومُخَضْرَم، وإسلامي ومُحْدث.

قال: ثم صار المحدَثون طبقات: أولى وثانية على التدريج، وهكذا في الهبوط إلى وقتنا هذا».

وجعل الطبقات بعضهم ستّاً، وقال:

الرابعة: المولَّدون، وهم من بَعْدَ المتقدمين كمن ذكر.

والخامسة: المحْدثون، وهم من بَعْدهم، كأبي تمّام والبُحْتُري.

والسادسة: المتأخرون، وهم من بَعْدَهم، كأبي الطيب المتنبي، إذ ما بعد المتقدّمين لا يجوز الاحتجاج بكلامهم، فهم طبقة واحدة، فلا فائدة في تقسيمهم.

النَّوع الثاني: النثر

وأما قول ربنا تبارك وتعالى، فهو أفصح كلام وأبلغهُ، فلا خلاف في جواز الاستشهاد بمتواتره وشاذه، كما بيّنه ابن جني في أوّل كتابه «المحتسب»، وأجاد القول فيه.

وأما بعضُ إحدى الطبقات الثلاث الأول من طبقات الشعراء التي قدّمناها، فكذلك.

وأما الاستدلال بحديث النبي، صلى الله عليه وسلم، فقد جوَّزه ابن مالك والرضي.

وقد منعه ابن الضّائع، وأبوحيان. وسندهما أمران:

أحدهما:

أنّ الأحاديثَ لم تنقل كما سُمعتْ من النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، وإنما رُويت بالمعنى.

وثانيهما:

أن أئمةَ النحو المتقدمين لم يَحتجوا بشيء منه، ورُدَّ الأول: بأن النقل بالمعنى إنما كان في الصدر الأوّل قبل تدوينه في الكتب، وقبل فساد اللغة، وغايتُه تبديل لفظ بلفظ يَصحّ الاحتجاج به فلا فرق، على أن اليقين غيرُ شرط، بل الظنّ كاف.

ورُدَّ الثانيّ: بأنه لا يلزم من عدم استدلالهم بالحديث عدمُ صحة الاستدلال به،



والصوابُ جوازُ الاحتجاج بالحديث للنحوي في الضبط للألفاظ، ويلحقُ به ما ورد عن الصحابه وأهل البيت رضي الله تعالى عنهم.

وإن شئت تفصيل ما قيل في المنع، فاستمع لما ألقيه إليك، وأقدّمه بين يديك.

قال أبو الحسن بن الضائع في شرح الجمل:

«تجويزُ الرّواية بالمعنى هو السببُ في ترك الأئمة كسيبويه وغيره – الاستشهادَ على إثبات اللغة بالحديث، واعتمدوا في ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب، ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى في الحديث، لكان الأوْلى في إثبات فصيح اللغة كلامُ النبي ، صلى الله تعالى عليه وسلم، لأنه أفصحُ العرب. قال:

وابن خروف يستشهد كثيرا فإنْ كان على وجه الاستظهار والتبرك بالمرويّ فحسَن، وإن كان يرى أن من قبله أغفل شيئا كان يجب استدراكه، فليس كما رأى» انتهى.

ونقل عن ابن حيان أنه قال في شرح التسهيل:

وقد أكثر المصنف من الاستدلال بما وقع في الأحاديث على إثبات القواعد الكلية في لسان العرب، وقال:

ما رأيتُ أحدا من المتقدمين والمتأخرين سلكَ هذه الطريقةَ غيرُهُ، على أن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرين للأحكام من لسان العرب، كأبي عمرو بن العَلاء، وعيسى بن عمر، والخليل، وسيبويه، من أئمة البصريين. والكسائي والفَرّاء، وعلي بن الأحمر، وهشام الضرير، من أئمة الكوفيين، لم يفعلوا ذلك، وتَبِعَهم على ذلك المتأخرون من الفريقين، وغيرهم من نُحاة الأقاليم كنُحاة بغداد والأندلس.

أئمة النحو تركوا الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث الشريف واعتمدوا في ذلك على القرآن وصريح النقل عند العرب

قال شارحُ شواهد الرضي:

وقد جرى الكلام في ذلك مع بعض الأذكياء فقال:

إنما تَركَت العلماءُ ذلك، لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول، صلى الله عليه وسلم، إذ لو وثقوا بذلك لجرى مَجرى القرآن الكريم في إثبات القواعد الكلية، وإنما كان كذلك لأمرين:

أحدهما: أنّ الرواةَ جَوَّزوا النقل بالمعنى، فتجد قضيةً واحدة قد جرت في زمانه، صلى الله عليه وسلم، ولم يقل بتلك الألفاظ جميعها نحو ما روي من قوله، صلى الله تعالى عليه وسلم «زَوَّجتُكَهَا بما مَعَكَ من القرآن».

«وخُذْها بما معك من القرآن»، وغير ذلك من الألفاظ الواردة.

فيعلم يقينا أنه صلى الله عليه وسلم لم يتلفظ بجميع هذه الألفاظ، بل لا يجزم بأنه قال بعضها، ويحتمل أنه قال لفظاً مُرادفا لهذه الألفاظ، فأتَت الرواةُ بالمرادف ولم تأت بلفظه، إذ المعنى هو المطلوبُ، ولاسَيَّما مع تقادم السماع، وعدم ضبطهابالكتابة، والاتكال على الحفظ. والضابطُ مَن ضبطَ المعنى. وأما من ضبطَ اللفظ، فبعيد جدّا، لاسيَّما في الأحاديث الطوال.

وقد قال سُفيان الثَّوْري:

«إن قلتُ لكم: إني أحدثكم (كما سمعت) فلا تُصَدِّقوني، إنما هو المعنى».

ومن نظر في الحديث أَدنى نظر عَلِمَ العلم اليقين أنهّم يروون بالمعنى.

لذا ترى:

أنه وقع اللحنُ كثيرا فيما رويَ من الحديث، لأن كثيرا من الرواة كانوا غير عرب بالطبع، ويتعلمون لسانَ العرب بصِناعة النحو، فوقع اللحن في كلامهم، وهم لا يعلمون. وقد وقع في كلامهم وروايتهم غيرُ الفصيح من لسان العرب، ويعلم قطعاً من غير شك أن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، كان أفصح الناس، فلم يكن يتكلم إلا بأفصح اللغات، وأحسن التراكيب، وأشهرها، وأجْزلها. وإذاَ تكلم بلغة غير لغته، فإنما تكَلم بذلك مع أهل تلك اللغة على طريق الإعجاز، وتعليم ذلك له من غير تعلّم.

ونقل عن بدر الدين بن جماعة، وكان ممن أخذ على ابن مالك أنه قال لشيخه:

«هذا الحديث رواتُه الأعاجمُ، ووقع من روايتهم ما نعلم أنه ليس من لفظ الرسول، صلى الله عليه وسلم، فلم يُجبْ بشيء».

ونقل عن ابن حيان أنه قال:

«إنما أمعنتُ الكلام في هذه المسألة، لئلا يقول مبتدئ:

ما بالُ النحويين يستدلون بقول العرب وفيهم المسلمُ والكافر، ولا يستدلون بما رُويَ في الحديث بنقل العدول، كالبخاري ومسلم وأضرابهما؟ فمن طالَعَ ما ذكرناه، أدرك السبب الذي لأجله لم يستدل النحاة بالحديث». انتهى.

وتوسط الشاطبي فجوّز الاحتجاج



مالك إثباتَهُ القواعد النحوية بالألفاظ الواردة في الحديث».

ثم نقل كلام ابن الضائع وأبي حيان.

والله سبحانه وتعالى أعلم، وهو جلَّ شأنُه أدرى وأحكم.

هذا آخرُ ما قصدناه، وغايةُ ما أردناه، ونسأل الله تعالى الهدايةَ والتوفيق، وختام أعمارنا على التصديق، وكان الفراغ من جمع هذه الرسالة وتأليفها لإحدى وعشرين ليلةً خَلَتْ من صفر الخير سنة ١٣٠١ في السابعة من ليلة الخميس.

ترجمة الكاتب

- هو جمال الدين أبو المعالي محمود شاكر الألوسي البغدادي.
- ولد العام ١٢٧٣هـ - ١٨٥٦م في رصافة بغداد
- كان أحد رجالات العصر مبرزا في جملة من العلوم محققًا بها ضاربًا منها بسهم وافر.
- كان مؤرخاً عالم بالأدب والدين، وداعياً للإصلاح.
- تأثر بتعاليم الأئمة ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية تأثرا بالغا
- توفي العام ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م.



بالأحاديث التي اعتني بنقل ألفاظها، ونقل عنه أنه قال في شرح الألفية:

لم نجد أحدا من النحويين استشهد بحديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهم يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفهائهم الذين يبولون على أعقابهم، وأشعارهم التي فيها الفحش والخنى، ويتركون الأحاديث الصحيحة، لأنها تُنقل بالمعنى، وتختلف رواتها وألفاظها، بخلاف كلام العرب وشعرهم، فإنّ رواتَه اعتنوا بشأنها لما يبتنى عليه من النحو، ولو وقفت على اجتهادهم فيه قضيت منه العجب، وكذا القرآن ووجوه القراءات.

وأما الحديث، فعلى قسمين:

قسم يعتني ناقلُه بمعناه دون لفظه، فهذا لم يقع به استشهاد أهل اللسان.

وقسم عرف اعتناء ناقله بلفظه المقصود خاصةً، كالأحاديث التي قصد بها فصاحته، صلى الله عليه وسلم، ككتابه لِهَمْدَانَ وكتابه لوائل بن حُجْر، والأمثالَ النبوية، فهذا يصحُّ الاستشهادُ به في العربية. وابن مالك، لم يفصل هذا التفصيل الضروري الذي لابد منه، وبنى الكلامَ على الحديث مطلقا. ولا يُعرفُ له سَلَف إلاّ ابن خروف، فإنه أتى بأحاديث في بعض المسائل حتى نقل عن ابن الضائع أنه قال:

«لا لا أعرفُ هل يأتي بها مستدلا بها، أم هي لمجرد التمثيل؟

قال: والحقُّ أنَّ ابنَ مالك غير مصيب في هذا، فكأنَّه بناه على امتناع نقل الحديث بالمعنى، وهو قول ضعيف». انتهى.

وقد تَبعه السيوطيُّ في «الاقتراح» حيث قال فيه:

«وأمّا كلامُه، صلى الله تعالى عليه وسلم، فيستدل منه بما ثبت أنه قاله على اللفظ المروي، وذلك نادر جدا، وإنما يوجد في الأحاديث القصار على قلّة أيضا، فإن غالبَ الأحاديث مرويٌّ بالمعنى، (وقد تداولتها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها، فرووها بما أدت إليه عبارتهم، فزادوا ونقصوا، وقدموا وأخّروا) وأبدلوا ألفاظا بألفاظ، ولهذا ترى الحديثَ الواحدَ (في القصة الواحدة) مرويا على أوجه شتّى بعبارات مختلفة، ومن ثَمَّ أنكر على ابن



الساخرون الشبان.. أدباء البسمة اللاذعة

القاهرة - دار الإعلام العربية

«أيامنا الحلوة وأيامنا الكوبيا»، «بني بجم»، «برضه هاتجوز تاني»، «مصر دي مش أمي دي مرات أبويا»، «بلد متعلم عليها»، «شكلها باظت»، «أهلا بكم في الطراوة»، «من أنتم»، «كتاب مسيَل للدموع»، «المكنة طلعت قماش»، «يوميات عيِّل مصري»، «الحب في رغيف»، «ثالثهما الاستعباط»، «مصر بتلعب»، «طلعت روحي»، «يعني إيه راجل».. هذه بعض المسميات الغريبة التي اتخذها شبان ساخرون عناوين لتجاربهم الأولى في عالم الإبداع، تجارب كسرت كثيرًا من المحظورات وقدمت ألوانًا أخرى من فنون الكتابة التي قد لا يرضى عنها كبار المبدعين... إلى التفاصيل.

بداية يجب أن نعترف أن فن الكتابة الساخرة ليس وليد السنوات الأخيرة، إنما بدأ في مصر خلال النصف الثاني من القرن الـ١٩ على يد عبدالله النديم في صحيفتي «التنكيت والتبكيت» و«الأستاذ»، إلا أن هذا الفن شهد تراجعًا كبيرًا بعد مرحلة النديم إلى أن ذاع صيت الصحافة والصحافيين الصعاليك أمثال محمود السعدني وإسماعيل النقيب وأحمد بهجت وأحمد رجب والروائي الراحل محمد مستجاب والكاتب المسرحي لينين الرملي.

وبدأت مرحلة جديدة من الكتابة الساخرة على يد يوسف معاطي وبلال فضل ومجموعة من الشبان الذين استهوتهم الكتابة بأسلوب ساخر ومضحك يستقطب القراء بعيدًا عن الأدب الروائي المعقد إلى إبداعاتهم السهلة التي تتسم بالبساطة، وتقترب من رجل الشارع من خلال المزج بين العامية والفصحى.. كما نجحوا في كسر رتابة الألفاظ، وتابوهات الكتابة، مطلقين أسماء غريبة وصادمة على كتاباتهم.

كلمة وابتسامة

إلى ذلك يؤكد إيهاب معوض، مؤلف كتاب «برضه هاتجوز تاني» أن الكتابة الساخرة ليست وليدة اليوم، بل قدَّمها الجاحظ قبل مئات السنين في كتابه «البخلاء» الذي أظهر فيه لأول مرة قدرته على نقد الأفعال والأشياء بطريقة ساخرة، ويعتبر هذا دليلًا على تاريخ الأدب الساخر العربي إلى جانب الأمثلة الشعبية والنوادر العربية التي طالما كانت تعبر عن المجتمع العربي في فتراته المختلفة من خلال كلمات بسيطة تصاحبها ابتسامة على الشفاه بمجرد سماعها أو قراءتها.

د. أماني فؤاد: فن الكتابة الساخرة ينقسم إلى سخرية واعية وأخرى لمجرد التنفيس

تفاصيل يومية

بدوره صدَّر الكاتب الشاب محمد حسن مؤلفه «ألف نيلة ونيلة» بعبارات انتقدت الأحوال المصرية قال فيها: «بلغني أيها المواطن المطحون في يوم مطلعلوش شمس ولا لون إنك بتاخد على قفاك، غلبان ندهاك نداهه، متوهاك في متاهة، تفاهه.. وفيها مسجون، وبتبني لنفسك سور، علشان ما تشوفش النور، ساقية وفيها بتدور، زي الطور مرهون».

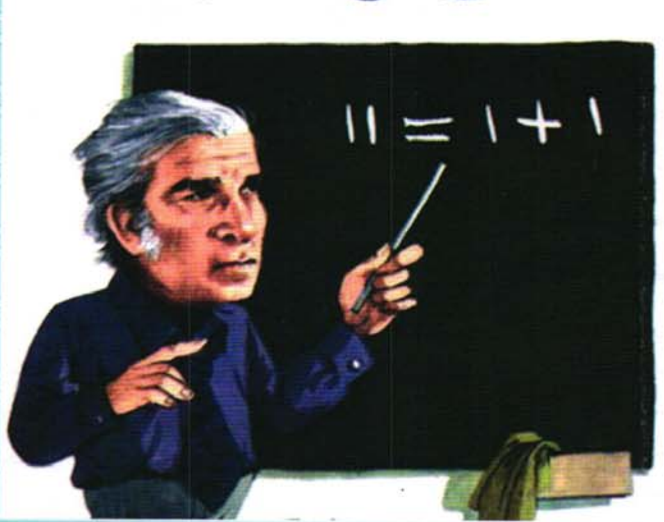
وعن سبب اختياره الكتابة الساخرة يؤكد أنها وسيلة يحاول من خلالها التعبير عن أي مأساة بالملهاة، لذا اتجه إليها عدد هائل من الأدباء لا يمتلكون هذا الحس، فخرجت نصوصهم غامضة، وتتعالى على القارئ، وتبتعد عن اهتماماته، رغم أن الكتابة الساخرة لا بد أن تتحدث عن تفاصيل يعيشها القارئ يوميًا.. ويؤكد أيضا أن الكتابة الساخرة لا تنحصر في الحديث عن السلطة والجنس والدين فقط، مؤكدًا أن كثيرًا من التجارب لجأت إلى الفانتازيا بهدف التمرد على الأنماط التقليدية التي ملَّها القراء.

موهبة وفكرة

أيضا يؤكد مصطفى شهيب صاحب كتابي «بلد متعلم عليها»، «والحب في رغيف»، أن الأدب الساخر في حد ذاته هو أدب رواية أو رؤية أو قصص أو شعر، وفكرة أن يتراجع هذا الأدب أو يندثر غير مقبولة، مؤكدًا أنه سيظل كما هو، لكن المشكلة في وجود كاتب ساخر حقيقي لديه الموهبة والقدرة على التقاط الفكرة النابعة من بين الأحداث التي يعايشها القارئ في حياته الشخصية، وليست خيالًا يعيش فيه دون ارتباط بواقعه ومجتمعه.







وأكد شهيب أن الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي مثل الـ«فيس بوك» كان لها دور في انتشار الكتابات الساخرة، لافتًا إلى أن هناك كثيرًا من الأشياء يمكن الحديث عنها حتى في حالة تمتع البلاد بمناخ أكثر حرية، وكل ما في الأمر هو الانتقال من الحديث عن الكبت والديكتاتورية إلى الحديث عن الديموقراطية قائلًا: «الأفكار سوف تتطور على حسب المرحلة وتغيراتها، والكاتب الساخر سيطور فكره في أي حال من الأحوال».

كتابة توك شو

أما حمدي عبدالرحيم صاحب كتاب «فيصل.. تحرير»، فاتهم الكتابة الساخرة في مصر بأنها تحولت إلى موضة العصر، ولم تستطع هذه الظاهرة اختراق ذاكرة وعقل المواطن، مشيرًا إلى أن الجمهور أصبح المعيار الوحيد للتقييم، فالكتابات كثيرة، لكن القليل منها هو الذي يصلح أن يطلق عليه «أدب ساخر»، مؤكدًا أن الكتابة الساخرة ليست نوعًا من أنواع الهزار، لأنها تكشف المستور والمسكوت عنه، وتقوم بتفجير مفارقات لصنع أدب جذاب، واعتبر أن ما يحدث من اتجاه أدباء الجيل الحالي إلى هذا النوع من الكتابة أشبه ببرامج «التوك شو» التي تثير الضحك، لكنها لا تمت إلى الأدب الساخر بصلة.

إيهاب معوض: الكتابة الساخرة تضفي ابتسامة على الشفاه بمجرد قراءتها

من جانبها قالت د.أماني فؤاد أستاذ النقد الأدبي بأكاديمية الفنون إن الفترات التي تعقب الثورات يكون فيها نوع من الفوضى والتخبط، لكن إذا سارت الأمور على النحو الذي نأمله ونتمناه فقد يحدث انحسار لموجة الأدب الساخر، لأننا سنكون في مرحلة بها نوع من الشفافية والصدق وسيادة القانون، وفي حاجة لمناقشة قضايا مهمة، والسخرية في هذه الحالة ستكون سخرية من النظم السابقة وممن كان يعمل تحت ظلها.

وأكدت أن الكتابة الساخرة تتسم بنوعين، السخرية الواعية، والسخرية لمجرد التنفيس، لافتة إلى كتابات أحمد رجب في جريدة أخبار اليوم المصرية تحت عنوان «نصف كلمة» تعد تمثيلًا للأدب الساخر الواعي، بينما هناك نوع آخر لا يعالج قضايا حقيقية، وتكون أقرب إلى الاسكتشات الضاحكة.

أخيرًا يؤكد كبير الساخرين الكاتب أحمد رجب أن هذا النوع من الكتابة سلاح الضعيف على القوي، والمظلوم على الظالم، لذلك فهو سلاح الأكثرية، ونقد للواقع ورفض له، لكن بشكل قادر على التعبير، وتمرير المعلومة للمتلقي، لأن السخرية ليست تنكيتًا ساذجًا، لكنها نوع من التحايل العميق.

ويضيف رجب أنه أمضى فترة من حياته في نقد الحكومات المصرية المتعاقبة بذوق وأدب جمٍّ، واتخذ لنفسه خطًّا واحدًا لم يعدل عنه، وهو انتقاد الظواهر السلبية دون تجريح شخصي، لكنه اعترف في الوقت ذاته بأن الكتابة الساخرة في عصرنا تعد ثورة على كل شيء، حتى على اللغة، فلا احترام لقواعدها، وتحولت بكل أسف في الفترة الأخيرة إلى «تهريج» غير هادف.

مقامات القامات

حسّان والأصمعي

بشير عروس

حدّث حافظُ القيِّمُ، قال: أوصدتُ بابَ المكتبة ذاتَ ليل، بعد أن أزلتُ من الأتربة ما أذاقَ صدري الويل، ثمّ استندتُ إلى جدار من أسفار يريدُ أن ينهارَ، ورُحتُ أتفكَّرُ في راياتِ المجد وزحامها، وخيلها ولُغامها، وفي الأمم التي أمَّها النقصانُ عندَ تمامها، فجَبَّ غواربَ سنامها، وخفضَ من أعلامها وهامها، ونفض جامَ القتام على أيّامها.. وفي لطائف صُنع الله بمَن كانَ تولاّه، إذ ليس يضيعُ مَن عينُه ترعاه، وإن عرَّاهُ ما عرَّاه..

وظلَّت نارُ أفكاري تتلظَّى، وشُواظُها يتشظّى، حتى لم أكد أنالُ منها حظّاً.. اللهمّ إلاّ ما وقعَ في مسمعي، ومن كلام الأصمعي: «الشعرُ نكدٌ بابُه الشرّ، فإذا دخل في الخير ضعُفَ ولان..»، وتعالت الجلبة في المكان: هذا حسّان... قلت: وما لحسّان؟!.. ولا مَن أجاب، فثنّيتُ، وأصابعي تثني الكتاب: ألا من مجيب؟ فقالوا: دُونَك ابنُ قريب.. فالتفتُّ حيثُ أشاروا، لأنظرَ من اختاروا، وإذا بشيخ كُبّار، معه أسفارٌ في أطمار، وهو ينشد:

تقوّلوا يا ويلَ لي
عن شيخهم بالبَلبلِ
قصيدةً مطلعُها:
«صوتُ صفير البُلبل»
تقلقلت أوزانُها
والرقصُ فيها قد حَلي
عَلِقتْ في أعلاقها
وعُلِّقتْ بالأعقل
بدا لقلبي قلبُها
لو يقبلون بدَلي
ونظمَها عن المَها
والعينِ والقلبِ البُلي
بكلِّ حرفٍ ضامرٍ
أو ظاهرٍ مُبَجَّلِ
وعن غرائبِ اللُّغى
ومَن لغا وما غَلي
ومن قضَوْا وما انْقَضَوْا
في الحلِّ والمُرتَحلِ...

حتى إذا تنبَّهَ لغيبَتي في حُضوره، ورقصي على طُمبوره، قلت: يا أصمعيّ! أأنت قلت عن حسّان للناس؟.. ولا قياس!، فقال: يا للرجال! يقتفون أثرَ مَن غبَر، ولا يسألون ما الخبر.. إنّما هي كلمةٌ قلتُها لما رأيتُ من كثرة الشعر قبل الإسلام، لمّا أشربوا في قلوبهم الأصنامَ والأزلامَ والآثام، فتوسّعوا فيه لهَوانها، وازّينت دَوحتُه بأفنانها.. ثمّ جاء الحقّ وزهق الباطل، وضاق الشِّقّ على المُخاتل. ولمّا عَناني المثالُ والبرهان، حلّ المقالُ عند حسّان؛ وقد كان يَقدُم على الملوك فيُقدّم، ثمّ أسلم، وصارَ شاعرَ الرسول الأكرم ﷺ.

قلتُ: فَلِمَ لم تبيّن لمَن لا يتبيّن؟ لقد توكّأ المُغرضون على كلامك، واتّخذوا كِنانتَهم من سهامك، يرمون بها الشعر في صدر الإسلام الأوّل، ويوهِمون أنّ الدينَ للإبداع يُعطّل..

فتراجع الشيخُ وتريّث، وتلبّث واسترجعَ وثلّث، ثم أنشأ:

ما كنتُ أحسبُ قولي
يُفضي إلى كلِّ هذا !
والناس تَهتِفُ: وَيلٌ
إن أنفحتُهمُ رَذاذا
إمّا وجدتَ مَجالاً
بُنيَّ، فاهرُبْ لواذا

ما إن أردتُ والله الغَضَّ من شأنه كما يزعمون، فشعرُه غَضٌّ ولكنّهم عَمون؛ لقد أخذوا عنبي طيّباً حلالا، فعصروه وخمّروه وشربوه انتهالا، فباءوا بذنبهم، بُعداً لهم.

إنما أردتُ أنّ حسّان لم يعُد يُحسنُ أن يَقول قولَه في أولادِ جفنةَ في جاهليّته:

يمشونَ في الحُلَل المُضاعَف نسجُها
مَشيَ الجمال إلى الجمال البُزّلِ
يسقون مَن وَرَدَ البَريصَ عليهمُ
بَردى يُصفقُ بالرحيق السلسلِ

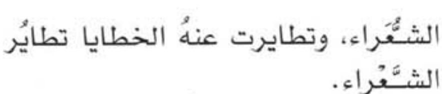
قلتُ: هذه القصيدةُ عجوز عقيم، وتالله إنّكَ لفي ضلالكَ القديم، لا تزال تخفُّ للبيت وإن تفرّد، وتَحُفُّ بالصورة وتُخطئُ المقصد.. ما كانَ شعرُ حسّان في جاهليّته إلاّ بُكاءً وتكدية، ولا كانَ دُعاؤُهُ إلاّ مُكاءً وتصدية.. فلمّا استنّ الإسلامُ ذُبابَهُ، واعتصرَ إهابَهُ؛ تكشّف عن بحر زخّار، وجيش جرّار، ينضحُ الكفرَ نبلُهُ فيُصمي، ويُلزِمُه الجُحرَ وَبلُه إذ يَهمي.

تمَلَّ يا أصمَعي معي في هذا الألمعي.. الذي باعَ ليوم إسلامه ستّينَ قضاها، فنفحهُ اللهُ ستّينَ سواها.. ونفس ما سوّاها! لقد رَبح حسّانُ البَيعَ إذ شَراها.. فدخلَ في الاستثناء من

أكاديمي جزائري



الشُّعَراء، وتطايرت عنهُ الخطايا تطايُر الشَّعْراء.



قال، وقد اكتنفه سيلٌ سَرب، واكتسحَهُ جيشٌ لَجب: هذا من دينه وقد صحب، فأين في تفنينه من العجب؟!

قلت: أرضٌ مَجهَلٌ تـألـّفها، وبئرٌ مَنهلٌ استكشفَها، سلك الطريق الجَدَد اللاحب، فكانَ الشهاب الرَّصَدَ الثاقب، يَذبُّ عن الإسلام، ويعُبُّ من هدي خيرالأنام.

شهدت له تميمُ يومَ وُفودها، وصدورُها عن الحوض دونَ وُرودها..

وقد بلغَ قولُ النبيّ ﷺ مَسمَعك: «اهجُهم وروحُ القدس معك».

والله لولا الإسلامُ لكانَ حسّانُ نسيًا مَنسيًّا، ولنبذناه وراءنا ظهريًا.. ألم تره يصبُّ على الشركِ النّكال، وهو يستعجل الفتحَ في المقال:

عدِمنا خيلنا إن لم ترَوْها
تثيرُ النَّقعَ، مَوعدُها كَداءُ
يبارين الأسنّـةَ مُصعِدات
على أكتافها الأسَلُ الظِمّاء

فترْعَدُ قريشُ قبلَ البطش، ويقعُدُ بهم السَّيرُ، كأنّ على رؤوسهم الطّير..

ولم يبلغك يا أصمَعيّ ما استنـّه في مدح النبي ﷺ، وقد كان يحفظُه كما عينه في أهدابه، حتى صار مثلاً يُتهدّى به...

كلّ ذلك، والأصمعيّ يتخاذل ويتخامل، وأنـا أجادل ولا أجامل، ثمّ تراجع القهقرَى، وقد جمعتُ عليه الورى، ممّن كانوا يسمعون.. ولو كانوا يعون، لما أمسكون.. حتى أبلغ حُجّتي وأبلغ حاجتي، على لَجاجتي.. وأنا أصارعهم: ما لكم عليّ تتكأكأون؟.. اتركوا هذا اللباس..

ثمّ انقطع الباس، وانتفض عن عينيّ النعاس، وعن قلبي الهُلواس.. فطفقتُ أقرا: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.

صَوابٌ مَهْجُورٌ

تصوير ونص: حياة الياقوت

قيل قديمًا «خطأ مشهور، خير من صواب مهجور». وإذا كان المعيار هو الشهرة، ألم يأن للصواب أن يكون مشهورا ومعمولا به؟

فيَ هذه الزاوية، نقبض على خطأ لغوي مشهور سوّل له إهمالنا أو جهلنا أن يظهر على اللافتات أو المنتجات أو في وسائل الإعلام. هذا، لننبّه وننوّه وننصَح، لا لنفضح. ليكون الصواب هو المشهور والمجهور، وليستقيم درب لساننا العربي.



الخطأ: هرمنا

الصواب: اكتهلنا

«لأننا هرمنا، هرمنا ...»

هكذا قالها التونسي، ماسحا على رأسه مرتين من الخلف إلى الأمام كما لو كان يتم جزءا من وضوء مفقود منذ ثلاثة وعشرين عاما. هكذا قالها، عارضا رأسه المشتعل شيبا.

الشيخوخة هي المرحلة التي تبدأ بعد الكهولة. ووفقا للمعاجم، فإن الشيخ هو «من أدرك الشيخوخة، وهي غالبًا عند الخمسين، وهو فوق الكهل ودون الهَرِم.»

أما الهَرم، فهي ما يأتي بعد الشيخوخة، وغالب الظن أنها تبدأ في الثمانين. فالهَرم هو «أقصى الكِبَر». وجاء في محيط المحيط: الشيخوخة «من الخمسين إلى الثمانين»، وهذا يعني أن الهَرم فعلا يبدأ في الثمانين. وجاء في الحديث الشريف «...هرما مفنّدا» أي مضعفا، وفيه يرد الإنسان إلى أرذل العمر.

يقول زهير بن أبي سلمى:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولًا لا أبا لك يسأم

إذن، هي الكهولة (من ٣٠-٥٠ عاما)، ثم الشيخوخة (من ٥٠-٨٠ عاما)، ثم الهَرِم (بعد الثمانين).



الخطأ: خالي الدسم

الصواب: خال من الدسم أو منزوع الدسم

سأحسن النية، وسأفترض أنهم يقصدون أن الزبادي فيه دسم، إلا أن دسمه خال؛ خال من شيء ما لم يحددوه! فقد يكون خاليا من الفيتامينات أو من الدهون المشبعة أو الكولسترول. والله أعلم بما يقصدون.

طبعا الصحيح هو قولنا «منزوع الدسم» أو «خال من الدسم». أما قولنا «خالي الدسم» فعبارة حمّالة أوجه، إلا إذا كان قصدهم تسلية صيام الصائمين بالتفكر في معنى العبارة الغريبة، فهذا أمر آخر يشكرون عليه!

فاروق شوشة والعقاد.. مقاربة بين عملاقين

د. أمان قحيف

كثيرًا ما يستدعي ذهني العالم الفكري للعقاد كلما شرعت أو عقدت العزم على قراءة أي عمل إبداعي للشاعر النابه والناقد الألمعي واللغوي المحنك فاروق شوشة، لا أقول إنني أضع الرجلين في مكانة واحدة من المستوى المعرفي والإبداعي، ولا أقول إنني أضعهما في موازنة بعضهما البعض، ولا أقول إن الخط الفكري عند فاروق شوشة يتماثل من حيث مساره أو عمقه مع المشروع الفكري للعقاد، ولكن أقول إن ذهني يستدعي صورة العقاد وفكره كلما يممت شطر فاروق شوشة وعالمه الإبداعي والثقافي.

والحق أن المقاربة بين العوالم الإبداعية عند فاروق شوشة والعقاد مبررة- من وجهة نظر كاتب السطور بما يلي:

أولًا: أتصور أن مبعث استدعاء ذهني للعقاد عند قراءة عمل ما، لفاروق شوشة يرجع إلى أن شاعرنا ينتمي ثقافيًا ومعرفيًا وتعليميًا إلى كلية دار العلوم، تلك المؤسسة التعليمية التي تتخذ خطًا فكريًا معينا لا يتماثل من حيث الشكل والجوهر مع كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف، ولا يستنسخ صورة أخرى من صور كليات الآداب بجامعاتنا المصرية العريقة، فلكلية دار العلوم مذاقها الخاص وطعمها المميز وخطها الفكري الذي يتصف بالتفرد والخصوصية، ولعل الفضاء الفكري للعقاد يتماشى بدرجة كبيرة مع المشروع الثقافي والتصور الذهني الذي كان يدور في رأس الراحل الكبير علي مبارك عندما كان يعمل على تأسيس وإنشاء تلك الكلية العريقة والذي تلتزم به في مسارها إلى الآن.

لقد تربى فاروق شوشة في كلية دار العلوم وتعلم على أساتذتها الذين يدين أكثرهم- إن لم يكن جميعهم- بالفضل للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد، وما إن يعلن عن إقامة ندوة فكرية أو أدبية حول العقاد إلا ويتسابق أساتذة دار العلوم على المشاركة فيها والمساهمة في فعالياتها، وبالتالي فقد انعكست الروح العقادية في الفكر والثقافة على طبيعة ومسار العملية التعليمية في دار العلوم، وأضحى كل خريج في دار العلوم هو بمثابة خريج من جامعة العقاد الفكرية والأدبية، ولعل هذا هو الرابط الذي يجعل ذهني يستدعي فكر وثقافة العقاد عند الشروع في قراءة أي عمل إبداعي للشاعر فاروق شوشة.

> **لا يمكن الزعم بأن فاروق شوشة يقف على قدم وساق مع العقاد إلا أنه تخرج من مدرسته**

ثانيًا: يلاحظ المتابع للبرامج الثقافية التي يقدمها فاروق شوشة أن شاعرنا كثيرًا ما تغنى وصدح بأشعار العقاد في برنامجه الأدبي ذائع الصيت «لغتنا الجميلة»، وكثيرًا ما أدار الحوارات واللقاءات الثقافية مع محبي العقاد وتلامذته بهدف إلقاء المزيد من الضوء على فكره، وتذكير الناس بفضله على ثقافتنا المعاصرة، ولقد شارك الرجل في العديد من الندوات والأمسيات الثقافية التي تناولت أعمال العقاد وتحدثت عن إبداعاته الأدبية والفلسفية، الأمر الذي يفيد حرص فاروق شوشة على أن يظل الفكر العقادي مطروحًا أمام الناس بما يفيد الوعي بقيمته وأهميته لثقافتنا المعاصرة.

ثالثًا: كثيرًا ما استشهد فاروق شوشة في معرض كتاباته النقدية بالعديد من الرؤى والتصورات والأطروحات النقدية التي طرحها العقاد عند تناوله لبعض الأعمال والإبداعات لأدباء عصره أو السابقين عليه بالنقد والتحليل، نعم لقد وظف فاروق شوشة الرؤى العقادية في بعض كتاباته النثرية لتعضيد وتأييد وجهة نظره في بعض الموضوعات التي أثارت اهتمامه وكانت محلًا للدرس والتمحيص من قبله، الأمر الذي يعكس لنا قناعة شاعرنا بمكانة العقاد وسموه، ويكشف النقاب عن اقتناعه بإمكانية اتخاذ فكره كمرجعية يستعان بها على إثبات سلامة الرأي ومصداقية التصور.

رابعًا: يتبين للباحث المدقق أن هناك الكثير من نقاط الالتقاء والتوافق الفكري بين فاروق شوشة والعقاد، ويمكننا أن نسوق بعض الأمثلة التي تؤكد هذا المعنى على النحو التالي:

أ: كان الشعر- وما يزال- أداة فاعلة ومحورية في كتابات فاروق شوشة وتعبيره عن همومه وأحلامه وخلجات نفسه

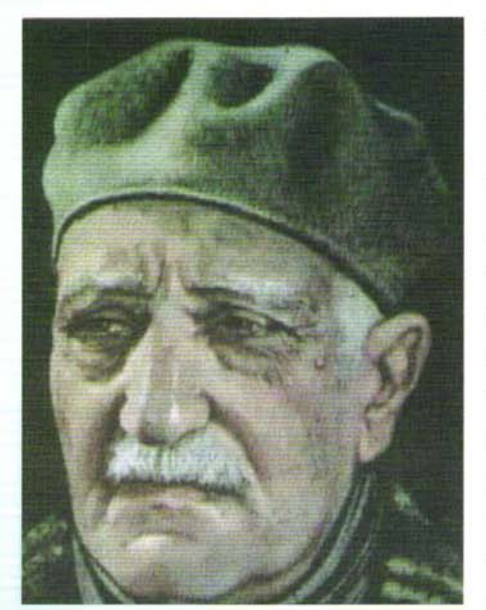
• باحث أكاديمي



وتطلعاتها، وعرفت ثقافتنا فاروق شوشة عن طريق شعره أكثر من معرفتها به عن أي طريق آخر، بل لقد بلغ الشعر في تصور فاروق شوشة مبلغًا أبعد من هذا بكثير حيث اعتبر الرجل أن ثمة إمكانية للخروج من متاعب الحياة ونكدها عن طريق الشعر فكتب دراسة عنوانها «العلاج بالشعر»، ونذكر في السياق نفسه أن العقاد كان فارسًا لا يشق له غبار في مجال القريض لدرجة أننا نشعر بعدم ارتياح لمسألة مبايعة شوقي بإمارة الشعر في ظل وجود الإبداعات الشعرية للعقاد، ونرى أن العقاد الشاعر لا يقل قيمة ولا أهمية عن العقاد المفكر والسياسي والفيلسوف، ونذهب إلى أن من أوجه القصور في ثقافتنا المعاصرة أنها ركزت على العقاد الناقد والمفكر والسياسي أكثر من تركيزها على العقاد الشاعر، وهذا عيب نأمل أن تبرأ منه الدراسات والأبحاث التي سيكتبها الباحثون في فكر العقاد مستقبلاً.

وبالتالي نخلص هنا إلى أن ثمة قاسمًا مشتركًا بين طريقة تعبير كل من الرجلين عن انفعالاته الوجدانية وحالاته الإبداعية، وهذا القاسم المشترك هو التعبير عن الهموم والانفعالات والطموحات والأحلام بالشعر أو القريض.

ب- تضمنت ثنايا بعض الأعمال الشعرية لفاروق شوشة روح التأمل والتفكر الفلسفي، ولعل من يقرأ دواوينه «في انتظار ما لا يجيء» و«الدائرة المحكمة» و«هئت لك» و«وقت لاقتناص الوقت» يتأكد لديه هذا المعنى وتتضح له هذه الرؤية، وإذا انتقلنا إلى رحاب العقاد وجدنا أن جل شعره - إن لم يكن كله- يحمل بين ثناياه رؤى فلسفية وأفكارًا عقلانية وتأملات ذاتية على مستوى عال من التفكر في الكون والوجود وحياة الناس، وثابت أن الباحث في شعر العقاد يمكنه الوقوف على جماع فلسفته من خلال هذا الشعر الذي أبدعته قريحته، إذ تبدو الروح الفلسفية للعقاد ظاهرة غاية الظهور في قصائده ودواوينه، الأمر الذي



أتاح لمفكرنا الراحل الكبير الدكتور زكي نجيب محمود أن يكتب دراسة مهمة عن العقاد نشرها في كتابه «من زاوية فلسفية» هذه الدراسة جاءت بعنوان ««فلسفة العقاد من شعره»، معنى هذا أن مفكرنا أدرك أن للعقاد رؤى فلسفية عديدة متضمنة في كتاباته وإبداعاته الشعرية، وهكذا يتأكد لدينا أن العالم الإبداعي الشعري لهذين العملاقين حمل بين طياته العديد من الرؤى والتأملات الفلسفية، ولم يصعب على كليهما صياغة أو صب الأفكار الفلسفية في قوالب شعرية تأخذ بالألباب وتحرك العقول وتثري الوجدانات الإنسانية، ولا ينفي ذلك الاعتراف بثراء العالم الشعري للعقاد في هذا المضمار.

ج- ثمة اهتمام ملحوظ في كتابات وأحاديث كل من الرجلين باللغة العربية، فقد دافع العقاد عن لغتنا أيما دفاع في العديد من المؤلفات والدراسات والأبحاث، ومن يقرأ «اليوميات» أو «اللغة الشاعرة» أو «بين الكتب والناس».. وغيرها من المؤلفات يتبين له إلى أي مدى كان العقاد مؤمنًا بحيوية اللغة العربية وبثبات جذورها تاريخيًا وبقدرتها على الصمود أمام التحديات التي تفرزها التطورات المتسارعة التي تحدث في اللغات التي تتحدث بها البشرية

في العصر الحديث، وكان العقاد يبرهن بالعديد من وسائل البرهنة على أن أثر اللغة العربية في اللغات الأوروبية الحديث لا يمكن إنكاره أو التغافل عنه من قبل أي باحث منصف أو كاتب محايد.

ونقف في نفس السياق على جهود ملموسة لشاعرنا الكبير فاروق شوشة، يحاول من خلالها الإشارة بل التأكيد على قدرة لغتنا الجميلة على مواجهة الصعاب ومقاومة الغزو الوافد إلينا من اللغات الأخرى شريطة أن يتعامل معها أبناؤها والمتحدثون بها تعاملاً واعيًا ومستنيرًا متسلحين في ذلك بمناهج البحث المتبعة في العصر الحديث، ويتضح هذا الأمر جليًا في دراسته المعنونة «لغتنا الجميلة ومشكلات العصر»، ويذكر لفاروق شوشة أنه أول من أشاع ونشر في ثقافتنا المعاصرة عبارة «لغتنا الجميلة»، فما إن تقال هذه العبارة أو تذكر في موطن من المواطن إلا وتستدعي ذاكرتنا اسم شاعرنا الكبير.

د- ثمة اهتمام واضح وملموس لدى الشخصيتين بالدفاع عن حضارتنا العربية والإسلامية ضد منتقديها، فالحضارة الإسلامية عند العقاد أثرت كل الحضارات الإنسانية سيما الحضارة الغربية الحديثة، ولقد ذهب العقاد في العديد من كتاباته إلى إبراز الدور الكبير والمحوري الذي أدته حضارة العرب والمسلمين في تطور الحضارة الإنسانية، ونحيل القارئ في هذا السياق إلى كتاب «أثر العرب في الحضارة الأوروبية» للعقاد، والحق أننا لا نعدم الوقوف على نفس الاتجاه في الكتابات المتناثرة هنا وهناك للشاعر فاروق شوشة، فهو حريص في كثير من مقالاته النثرية التي ينشرها داخل مصر وخارجها على إبراز الدور المهم الذي أدته الثقافة العربية والإسلامية في مسار تطور وحركية الفكر الإنساني بشكل عام، وإن كان لم يخصص مؤلفًا بتلك القضية غير أن المتابع لإنتاجه الفكري يلمس وضوح هذه الرؤية ويلمس أيضًا حرصه على إبرازها في كثير من

الأحيان.

هـ: أيضًا من النقاط التي يمكن الإشارة إلى وجود توافق بين الرجلين حولها هي أن كلا منهما قد اهتم إلى حد كبير بالكتابة في النقد الأدبي، فللعقاد دوره الفاعل والمعروف لدى كل الباحثين والدارسين في مجال النقد الأدبي، حيث تناول في معظم كتبه العديد والعديد من الأدباء بالدراسة والنقد والتحليل، ولا ينسى أحد الانتقادات الشهيرة والمعارك الأدبية والفكرية التي خاضها العقاد ضد الرافعي وشوقي وطه حسين وعبدالعظيم أنيس ومحمود أمين العالم وصلاح عبدالصبور... وغيرهم كثير، وتكفينا الإشارة إلى جماعة الديوان التي أسسها العقاد مع صديقيه المازني وعبدالرحمن شكري، تلك الجماعة التي حملت لواء التجديد والنقد في ثقافتنا العربية والإسلامية - في آن واحد- فترة ليست قصيرة خلال القرن العشرين، ولقد انتقد العقاد الشعر الحديث وكان له دوره البارز في ضبط حركية هذا الشعر وتطوره إذ رفض الرجل شعر التفعيلة الذي كان قد بزغ وقتها على يد بعض الشعراء المحدثين وله في ذلك واقعة شهيرة عندما قام بتحويل كتابات وإبداعات صلاح عبدالصبور إلى لجنة النثر، وأيًا كان الأمر فإن العقاد كان له دوره الراسخ في توجيه مسار حركة النقد الأدبي في ثقافتنا المعاصرة خلال القرن العشرين ويتفق على ذلك أنصاره ومعارضوه، ولا يخفى أنه كان ناقدًا متميزًا في تناوله للأفكار والفلسفات والتصورات التأملية والفكرية، فقد انتقد الرجل- على سبيل المثال - العديد من التيارات الفلسفية الغربية، ولعل أبرزها نقده للوجودية والرأسمالية والماركسية والوضعية المنطقية الأمر الذي جعل زكي نجيب محمود رائد الوضعية المنطقية في العالم العربي يتوقف طويلًا مع نقد العقاد لها ويشير إليه باعتباره أهم نقد وجه لتلك الفلسفة في العالم العربي على وجه الإطلاق، ولقد صب العقاد جم غضبه الفكري على الماركسية ووجه للوجودية العديد من الانتقادات الفلسفية العميقة، وأكثر مؤلفاته شاهدة له بالبراعة في هذا المجال.



وإذا كان العقاد قد مارس النقد الأدبي والفكري فإن الواضح والمشاهد أن جهود فاروق شوشة في هذا السياق قد توقفت عند حدود النقد الأدبي، فلم نعرف له إنتاجًا ملموسًا في مجال نقد الأفكار التأملية والفلسفية، بل الملاحظ على إنتاجه النقدي أنه تناول بالنقد- سواء في أمسياته الثقافية أو كتاباته النثرية- أولئك الشعراء الذين أعجب بهم ورضي عن إنتاجهم، الأمر الذي جعل أحاديثه وكتاباته النقدية تتسم - في كثير من الأحيان- باللطف والوداعة ولا أقول بالمدح والثناء.

و- حمل العقاد لواء التجديد في الفكر والشعر والنقد الأدبي فترة ليست قصيرة من عمر إبداعه الثقافي، فقد جدد الرجل في الفكر الإسلامي وطور مدرسة الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا حتى أضحى علامة مميزة في مسار تلك المدرسة الفكرية، وجدد في مجال الفكر الفلسفي الغربي عندما تناول بالنقد والتحليل كلا من الفلسفة التحليلية والوجودية والماركسية والرأسمالية.. على النحو الذي أشرنا إليه سابقًا.

لقد كان العقاد مجددًا من نوع خاص، فهو مثلا يجدد في الشعر لكن عندما يظهر الشعر الحديث ويتخلى عن بعض ثوابت الشعر العربي التقليدي، حيث تجهده يقف لأنصار هذا الاتجاه بالمرصاد، ويهاجمهم بل ويسفه إبداعهم، معنى ذلك أن التجديد عند العقاد لا يعني التخلي عن الأسس الموروثة أو الثوابت المتعارف عليها بل يعني تطويرها والنسج على منوال القديم بعد تطويره دون الانفلات التام منه ومن قواعده المتعارف عليها، ولقد كان هذا هو محط الاختلاف والخلاف بين العقاد وبعض المبدعين من أبناء عصره والعصور التالية عليه، والحق أن فاروق شوشة قد كتب الشعر على الطريقة التقليدية الملتزمة بالأسس التي وضعها القدماء، وكتب أيضًا الشعر الحر المتحرر من بعض تلك القواعد، لكن يظل لدى المتابع لإنتاج شاعرنا الإحساس الدائم والمتواصل بأنه لم يمش مع التجديد إلى النهاية، فهو يتوقف مع المجددين عند مرحلة معينة ولا يواصل معهم الطريق حتى منتهاه بالرغم من أنه امتدحهم كثيرًا، الأمر الذي يتيح لنا الذهاب إلى أن ثمة تماثلا وتقاربا بينه وبين العقاد في عدم الاندفاع خلف النزعات التجديدية أينما كانت وحيثما كانت من دون دراسة أو تبصر بطبيعتها أو التعرف على ما تهدف إليه.

بقي التأكيد على أن هذا المقال لا يسعى إلى المقارنة أو المقاربة التامة بين شاعرنا والأستاذ العقاد، ذلك لأنه ومن دون حرج لا يمكن لنا- ولا لغيرنا- الزعم بأن شاعرنا يقف على قدم وساق مع العقاد، بيد أن الهدف الأسمى مما كتبناه هو الإشارة إلى أن فاروق شوشة شاعر وناقد تخرج من جامعة العقاد، وهذا لا يمنعنا من أن نصفه بأنه شاعر عملاق.

شرح مشكل الوسيط لابن الصلاح

التحرير

التعريف بالكتاب:
الفن: الفقه الشافعي.
سنة النشر: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
رقم الطبعة: الأولى.
عدد المجلدات: (٤ مجلدات).
إصدار: دار كنوز إشبيليا.
التعريف بالمصنف الإمام ابن الصلاح الشهرزوري (٥٧٧ - ٦٤٣ هـ / ١١٨١ - ١٢٤٥ م)

اسمه ونسبه: هو عثمان بن عبدالرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي النصر الشهرزوري الكردي الشَّرَخاني، أبوعمر، تقيّ الدين، المعروف بابن الصلاح، أحد المقدّمين في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال، ولد في شَرَخان قرب شهرزور، ولَقَبُ أبيه الصَّلاحُ، حفظ القرآن في بلدته وجوّده، وتفقّه على والده الصلاح أبي القاسم عبدالرحمن (نحو ٥٣٩ - ٦١٨ هـ)، وكان والده عالمًا، فقيهًا، مفتيًا من جلة مشاهير شيوخ الكرد، وشيخ شهرزور في وقته، وكان قد دخل بغداد، واشتغل بها على شرف الدين أبي سعد ابن أبي عصرون، وتفقّه بها، ثم سكن حلب، وتولى فيها تدريس المدرسة الأسدية، وتوفي بها.

نشأته وثقافته: ظهرت نجابة ابن الصلاح منذ الصغر، فنقله والده إلى الموصل، فسمع الحديث من ابن السَّمين أبي جعفر عبيدالله بن أحمد الوراق، وقرأ عليه كتاب «المهذّب» لأبي إسحاق الشيرازي في فقه الشافعي، وهو غض الصبا لم يطرَّ شاربه. ومن شيوخه في الموصل: نصر الله بن سلامة الهيتي المقرئ، وعبدالمحسن بن عبدالله المعروف بـ«ابن الطُّوسي»، ثم لزم شيخه العماد أبا حامد محمد بن يونس الإربلي الموصلي، إمام وقته في المذهب والأصول والخلاف، ومدرّس النظامية، ومصنّف «المحيط» في فروع الشافعية.

وبعد أن أقام ابن الصلاح بالموصل زمنًا، سافر إلى بغداد، وله بضع وعشرون سنة، وسمع الكثير من علمائها، ثم سافر إلى هَمَذان، ونيسابور، ومَرْو في خراسان، وسمع من كبار علمائها، ثم دخل إلى بلاد الشام حوالي سنة (٦١٣ هـ)، فسمع من كبار علماء حلب ودمشق، ثم أتى بيت المقدس، فتولى التدريس بالمدرسة الناصرية المنسوبة إلى الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، وأقام بها مدة، واشتغل الناس عليه وانتفعوا بعلمه.

ثم انتقل ابن الصلاح إلى دمشق، وتولى التدريس في المدرسة الرواحية التي أنشأها الزكي أبوالقاسم هبة الله بن عبدالواحد بن رواحة الحموي، ولما بنى الملك الأشرف ابن الملك العادل بن أيوب دار الحديث بدمشق فوّض تدريسها إليه، واشتغل الناس عليه بالحديث، ثم تولى التدريس في مدرسة ست الشام زُمُرُّد خاتون بنت أيوب، وهي شقيقة شمس الدولة تَوْران شاه بن أيوب، وأخت صلاح الدين، وكانت تلك المدرسة تقع داخل البلد قبلي البيمارستان النوري، وكان ابن الصلاح في عمله مثالًا للعالم المخلص.

مكانته العلمية: نال ابن الصلاح مكانة علمية مرموقة بين علماء عصره، وبرز في علوم التفسير والحديث والفقه؛ إنه جمع في الفقه الشافعي بين طريقي المذهب (الخراساني والعراقي)، وروى في الحديث أمهات الكتب عن كبار مشايخه، وشهد له علماء عصره بغزارة العلم، وعمق النظر، وسعة الاطلاع.

> **تكمن أهمية الكتاب كونه معدودًا ضمن الكتب الخمسة التي يدور عليها الفقه الشافعي**

قال تلميذه المؤرخ القاضي ابن خلكان في «وفيات الأعيان»: «كان أحد فضلاء عصره في التفسير، والحديث، والفقه وأسماء الرجال، وما يتعلق بعلم الحديث ونقل اللغة، وكانت له مشاركة في فنون عديدة، وكانت فتاويه مسدّدة، وهو أحد أشياخي الذين انتفعت بهم».

وقال تلميذه الفقيه الحنبلي صفي الدين أبوالصفاء المراغي: «الشيخ الإمام الفقيه الحافظ ذو الفضائل... أحد الأئمة المشهورين، والعلماء العاملين، والحفاظ المذكورين، جمع بين علوم متعددة: علم الفقه، وعلم أصوله، وعلم الحديث، وعلم العربية، مع ما أوتي من التحرّي والإتقان والتحقيق، مضافًا إلى سلوك طريقة السلف، معظّمًا عند الخاص والعام، ولم أرَ مثله بعد شيخنا الإمام أبي محمد بن قدامة المقدسي».

وأشاد به الحافظ شمس الدين الذهبي في كتابه «تذكرة الحفّاظ» قائلًا: «كان ذا جلالة عظيمة، ووقار وهيبة، وفصاحة وعلم نافع، وكان متين الديانة، سلفي الجملة، صحيح النِّحلة، كافًا عن الخوض في مزلات الأقدام، مؤمنًا بالله وبما جاء عن الله من أسمائه ونعوته، حسن البِزّة، وافر الحرمة، معظّمًا عند السلطان».

وقال الحافظ ابن كثير الدمشقي في كتابه «البداية والنهاية»: «هو في عداد الفضلاء الكبار، وكان ديّنًا، زاهدًا، ورعًا، ناسكًا، على طريقة السلف الصالح كما هو طريقة متأخري أكثر المحدثين، مع الفضيلة

التامة في فنون كثيرة».

من مؤلفاته:

- المقدمة في علوم الحديث.
- شرح صحيح مسلم.
- الأمالي.
- النُكت على المهذب، لأبي إسحق الشيرازي.
- شرح مشكل الوسيط، لأبي حامد الغزالي.
- صلة الناسك في صفة المناسك.
- الفتاوى.
- أدب المفتي والمستفتي.
- طبقات فقهاء الشافعية.
- المنتخب من كتاب المذهب في ذكر شيوخ المذهب للمُطوِّعي.
- حلية الإمام الشافعي.
- الرحلة الشرقية (فوائد الرحلة).

وفاته: وتوفي ابن الصلاح سنة (٦٤٣ هـ) في دمشق، فازدحم الناس على نعشه، وصُلّي عليه مرتين، ثم شيّعوه إلى مقابر الصوفية.

منهج ابن الصلاح في كتابه المشكل

لم ينص رحمه الله في مقدمة كتابه على منهجه في الكتاب، غير أنه يمكن أن يُبرَز على النحو الآتي:

أولا: ضبط النص: حرص ابن الصلاح على تحري الصواب لضبط متن الوسيط، وإثبات الأصح فيه، ويظهر ذلك فيما يلي:

اعتماده على عدة نسخ للوسيط، ومقارنته بينها، وتوجيه ما فيها من اختلافات، مع إثبات الأصح من النُسخ.

وقوفه على نسخة للوسيط بخط الغزالي.

رجوعه في الغالب إلى أصلي الوسيط: نهاية المطلب للجويني، والبسيط للغزالي، وذلك للضبط والتقويم.

ثانيا: شرح مشكل النص: لم يذكر ابن الصلاح ضابطا اتخذه وسار عليه في استخراج المشكل من الوسيط ثم شرحه، إلا أنه يمكن أن يستشف منهجه فيه كما يلي:

- يورد من لفظ الوسيط ما ظهر فيه إشكال، ثم يزيل إشكاله.
- يبين بالصورة والأمثلة ما فيه غموض وإبهام.
- يهتم كثيرا بضبط ما قد يغلط فيه من حيث الشكل، أو الأعلام أو أسماء الأمكنة.
- يلتمس الأعذار والمخارج لما في الوسيط من مؤاخذات.
- يقوِّم ألفاظ الوسيط التي يرى أنها لا تؤدي المعنى الذي أراده منها الغزالي.
- يقيد ما يطلقه الوسيط وقد يكون في إطلاقه إشكال.
- يتمم ما يراه ناقصا من كلام الغزالي، مما يكون في نقصه خطأ أو خلل في المعنى.
- يحذف ما يراه زائدا، مما توجب زيادته خللا في ضابط أو غيره.
- يصحح ما ينسبه الغزالي من الأقوال أو الأوجه مع بيان المشهور والأصح في كثير من الأحيان.
- قد يدلل لما يذكره الغزالي من غير دليل.
- ينص في الغالب على نقولاته، فيقول مثلا: قال صاحب الحاوي أو صاحب المهذب؛ كذا وكذا.
- قد يثبت فوائد مهمة لم يتعرض لها الغزالي.
- يصحح ما وهم فيه الغزالي من نسبة أقوال وغيرها.
- ينتصر بشدة للمذهب، ويحشد الأدلة على صحته.
- ينتصر للأحاديث وإن خالفت المذهب.



ثالثا: منهجه في الأحاديث: من ذلك:

- يذكر من أخرجها، ويقتصر في الغالب على الكتب الستة، ولا يتعداها.
- يذكر راويها من الصحابة.
- يحكم عليها صحة وضعفا.
- يعتمد في أحكامه على البيهقي في كتابيه السنن الكبرى والسنن والآثار.
- يبين سبب الضعف في الغالب.
- من موارد المصنف في كتابه: هي كثيرة جدا، ومنها على سبيل الإيجاز:
- اعتمد رحمه الله على جملة مصادر منها:
- الإبانة عن أحكام فروع الديانة للفوراني.
- أحكام القرآن للشافعي.
- الأحكام للإشبيلي.
- إحياء علوم الدين للغزالي.
- اختلاف الحديث للشافعي.
- اختلاف العراقيين للشافعي.
- الاستذكار للدارمي.
- الإشراف على غوامض الحكومات للهروي.
- الإشراف على مذاهب العلماء لابن المنذر.
- الإفصاح لأبي علي الحسن بن القاسم الطبري.
- الأمالي لأبي الفرج السرخسي.
- الأم للشافعي.
- الأنساب للزبير بن بكار.

أهمية الكتاب

تكمن أهمية الكتاب في كون متنه الذي هو (الوسيط) معدودًا ضمن الكتب الخمسة التي يدور عليها الفقه الشافعي، وكتاب شرح المشكل فيه بيان لما أشكل من هذا المتن، ثم إن مؤلفه ابن الصلاح أحد كبار الأئمة المشهورين، عرف بمكانته العلمية بين علماء عصره، وشهد له الكبار بغزارة علمه وعمق نظره ودقة تحقيقه، مما يجعل الكتاب مهما في بابه، متميزا في فنه.



ثقافة الأسرة

مفهوم الثقافة يعتبر من أشمل وأعم المفاهيم، حيث تشمل كل الأمور الحياتية المجتمعية والفردية، والتربية هي الوسيلة الرئيسية لنقلها من جيل إلى جيل آخر في المجتمع.. فالثقافة هي نتاج إنساني للتفاعل الاجتماعي بين أفراد مجتمع من المجتمعات، وهي تنتقل من جيل إلى جيل في المجتمع وتتراكم نتيجة هذا الانتقال، وهي ليست فطرية وإنما يكتسبها الفرد في سياق نموه وسط الجماعة، كما أن الثقافة مادية ومعنوية في آن واحد، ولذلك فثقافة الأسرة- أو المجتمع الذي تنتمي إليه- شديدة التأثير على الحياة فيها، سواء في الجوانب الاستهلاكية أم في الجوانب الإنتاجية، وبالتالي فثقافة الأسرة تؤثر بدرجة كبيرة على اقتصادياتها.

التحرير



الفتاة المسلمة.. ومكائد أعداء الأمة

إبراهيم نويري

منذ عدة قرون و أعداء هذه الأمة يعملون ويكدّون ويخططون من أجل النفاذ إلى منابع قوتها ومنعتها. وقد وضع مفكروهم وقادتهم الإستراتيجيون خططا كثيرة في هذا السبيل. يمثل بعضها تشخيصا دقيقا لعوامل القوة وعوامل الضعف في أمتنا المسلمة؛ خذ مثالا على ذلك بما صرّح به مستر جلادستون رئيس وزراء انجلترا، إبان دورة الحركة الاستعمارية الغربية المنصرمة أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، في مجلس العموم البريطاني، وقد أمسكَ بيمينه كتابَ الله عزّ وجلّ، وصاح في أعضاءِ البرلمان قائلا: «إنَّ العقبة الكؤود أمامَ استقرارنا بمستعمراتنا في بلاد المسلمين هما شيئان، ولابد من القضاء عليهما مهما كلّفنا الأمر، أولهما هذا الكتاب (القرآن).. وسكت قليلاً بينما أشارَ بيده اليسرى نحو الشرق وقال: وهذه الكعبة»..!!

عقّبَ بعضُ المبشرين والمستشرقين المتعاونين مع الاستعمار، على تصريح مستر جلادستون، بكلام مفاده: إن ما ورد في تصريح جلادستون (المتوفى سنة ١٨٩٨م) صحيح، لكنه منقوص من عنصر أساس و رئيس، يمثل مركز عوامل القوة في الأمة المسلمة، هذا العامل هو «المرأة المسلمة».. فالمرأة إذا تمّ إعدادها وفق منهج القرآن وشريعة الإسلام، فإنها هي التي تُخرج للأمة الجيل القرآني، وهي التي تغرس في نفوس الأجيال الناشئة الشعور بوحدة الأمة، ذاك الشعور الحساس الذي تمثل الكعبة الشريفة رمزاً له.

ومنذُ حوالي القرن، كتب الكاتب الفرنسي مسيو «إيتين لامي» مقالاً خطيراً في مجلة «العالمين» الفرنسية دعا فيه إلى ما سمَّاه الخطة المثلى لهدم الإسلام حيث قال ما ترجمته:

إن مقاومة الإسلام بالقوة لا تزيده إلا انتشاراً، ومحبة في النفوس والأفئدة، أما الوسيلة الفعّالة لهدمه وتقويض بنيانه، فتتمثل في تربية أبنائه في المدارس المسيحية، وإلقاء بذور الشك في نفوسهم، منذ نشأتهم الأولى. فتفسد عقائدهم الإسلامية من حيث لا يشعرون. وإذا لم يتنصّر منهم أحد، فإنهم يقينا يصيرون لا مسلمين ولا مسيحيين! وأمثال هؤلاء يكونون أضرّ على الإسلام بكثير، مما لو اعتنقوا المسيحية وتظاهروا بها علانية!!.

إعلامي اسرائيلي: نحرص على غزو المرأة المسلمة وإفسادها فكريًا أكثر من حرصنا على صنع الدبابات



ثم تابع قائلا: إن طريقة تربية أبناء المسلمين، وإنْ كان لها من التأثير ما أوضحناه، إلاّ أن تربية البنات تحديدا، في مدارس الراهبات، أدعى لحصولنا على حقيقة القصد، ووصولنا إلى الغاية المركزية، التي لها نسعى، بل يمكنني القول بأن تربية البنات بهذه الكيفية هي الطريقة الوحيدة الممكنة للقضاء على الإسلام وكيانه الاجتماعي بيد أهله ومن داخل عرينه.

إن تربية الراهبات لبنات المسلمين من شأنها أن توجدَ للإسلام داخل حصنه المنيع عدوَّةً، لا يمكنُ للرجل قهرُها.. لأن المسلمة التي تربيها يد مسيحية تعرفُ كيف تتغلب على الرجل، ومتى تغلبت سهُل عليها أن تؤثر على إحساس زوجها وعلى عقيدته وسلوكه، ثم تُبعده تدريجياً عن الإسلام. وتُربي أولادها على غير دين أبيهم، وفي هذه الحالة نكون قد وصلنا إلى غايتنا المركزية، ألا وهي أن تكون المرأة المسلمة نفسها هي

أكاديمي جزائري





مَن تتولى هدم الإسلام نيابة عنا!!.

وفي هذه الأيام أكد هذا التوجه الكيدي الموجّه للفتاة المسلمة، والمرأة المسلمة، والأسرة المسلمة، والانحراف بها عن رسالتها الفطرية الجليلة في إعداد الأجيال، الإعلامي الإسرائيلي الدكتور «مالحوم أخنوف»، صاحب البرنامج الشهير، سيئ السمعة «ستار أكاديمي».. فقد وجه له أحد الصحافيين بعض الأسئلة، فكانت إجاباته على هذا النحو الذي يحتم على دعاة الإسلام ومفكريه و إعلامييه، أن يطيلوا التفكير، وأن يسارعوا إلى وضع البرامج الهادفة، من أجل حماية النشء المسلم عامة، والفتيات المسلمات خاصة، وفضح هذه المكائد المعدّة بدهاء وخبث، لتدمير المجتمع الإسلامي من الداخل، دون أي ضجيج أو إثارة للانتباه. ونحن نثبتها هنا ليعرف الدعاة والمربون والأكاديميون والإعلاميون المسلمون، صورة من صور التخطيط الهادئ الناعم، الذي يستهدف اختراق حصوننا من الداخل، بواسطة التأثير في الفتاة المسلمة والمرأة المسلمة، وجعلها تنحرف عن رسالتها، وتنأى عن دينها وقيمها، وتقاليدها الأصيلة.

السؤال الأول: ما شعورك اليوم وقد حققت أكبر أمانيك، وهي «ستار أكاديمي» في عقر دار الإسلام؟

الجواب: إنه شعور لا يوصف، ولكن أخذ من عمرنا الكثير، حتى تمكنّا من الوصول إلى غايتنا!!

السؤال الثاني: ما قصدك بقولك أخذ من عمرنا الكثير؟

الجواب: نعم انتظرنا سنين عدّة، حتى تمكنا من إدراجه في الدول الغربية، ثم بعد ذلك نُقل إلى بعض الدول العربية، وكنا نعلم أن فكرتنا ستتحول إلى أنجح خطة في مسيرة دولة إسرائيل!!

السؤال الثالث: لماذا كنتم متأكدين أنكم ستنجحون بهذه الفكرة؟

الجواب: لأننا نعلم أن المسلمين اليوم قد ابتعدوا عن دينهم، لكن في الوقت نفسه أصبحت بعض مجموعات الشباب المسلم تميل إلى الالتزام الإسلامي، وهذا الالتزام إذا زاد وعظم سوف يقضي على دولتنا!!

السؤال الرابع: لماذا حرصتم على أن يكون «ستار أكاديمي» وسيلة للوصول إلى المسلمين والأسرة المسلمة؟

الجواب: لأننا نريدهم أن يبتعدوا عن دينهم!!

السؤال الخامس: ما أبرز خططكم للهجوم على الإسلام بعد «ستار أكاديمي»؟

الجواب: نخطط لغزو البنات المسلمات!!

السؤال السادس: لماذا البنات المسلمات.. وليس الشباب أو الرجال المسلمون؟

الجواب: لأننا نعلم جيدا، أنه بانحراف المرأة المسلمة، سوف ينحرف جيل كامل وراءها، أو بسببها من المسلمين!!

السؤال السابع: بماذا تصفون غزوكم للمرأة المسلمة؟

الجواب: نحن اليوم نحرص على غزو المسلمة وإفسادها عقليا ووجدانيا، وفكريا وخلقيا وجسديا، أكثر من حرصنا على صنع الدبابات والطائرات الحربية!!

السؤال الثامن: وهل لكم يد في «ستار أكاديمي» المقامة حاليا في لبنان؟

الجواب: بالتأكيد.. فنحن نتبرع لهم كلّ يوم بمبلغ كبير من المال.. وهي تحت إشرافنا وتوجيهنا باستمرار!!

السؤال التاسع: في نهاية هذا اللقاء ماذا تقول لأمتنا الإسرائيلية.. وبماذا تبشرها؟

الجواب: أقول لهم: يجب أن تحسنوا استثمار نوم الأمة الإسلامية، فإنها أمة إذا صَحَتْ، سوف تسترجع في سنوات معدودة، ما سُلب منها في عقود و قرون طويلة من الزمن!!

وبعد: فمن خلال ما تمّ عرضه في السطور السابقة، ينبغي على حراس العقيدة وحماة الدين والقيم في مجتمعاتنا المسلمة، أن يُضاعفوا جهودهم، من أجل حماية الحصون من الرياح الهابّة والعواصف الهائجة، وأن يجعلوا نسبة كبيرة من تلك الجهود، موجّهة إلى الفتاة المسلمة، والأسرة المسلمة، كي لا تكون غنيمة باردة بين أيدي هؤلاء الكائدين المفسدين للأخلاق والعقائد والمسالك الصحيحة. والله وليّ التوفيق.

«إنها المراهقة».. تلك المرحلة الحرجة، وفترة المتغيرات التي يثور فيها كل شيء بدواخلنا.. هي مرحلة الحياد والغموض والحيرة، فلا هي فترات الطفولة التي نعرفها وعايشناها ردحا من الزمن، ولا هي فترة الرشد التي لا نعرف عنها شيئا.

المراهقة.. جسر العبور للرشد والنضج

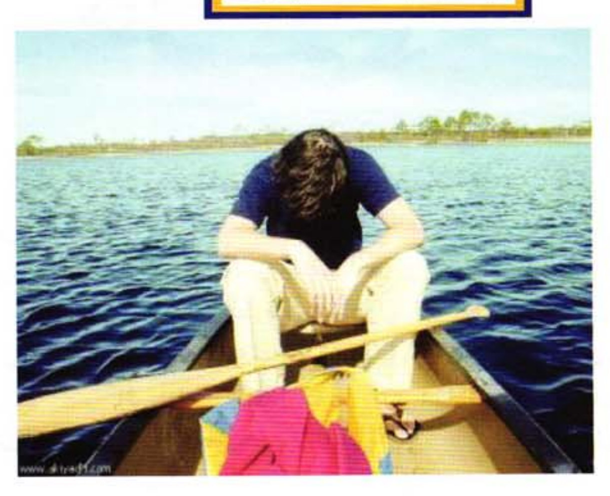
د. خالد سعد النجار

عن سمات مرحلة المراهقة يقول د.أحمد المجدوب عالم الاجتماع المصري الشهير: «الغرق في الخيالات، وقراءة القصص الجنسية والروايات البوليسية وقصص العنف والإجرام، كما يميل إلى أحلام اليقظة، والحب من أول نظرة، كذلك يمتاز المراهق بحب المغامرات، وارتكاب الأخطار، والميل إلى التقليد، كما يكون عرضة للإصابة بأمراض النمو، مثل: فقر الدم، وتقوس الظهر، وقصر النظر».

أما عند الفتاة المراهقة فسماتها: «الاندفاع، ومحاولة إثبات الذات، والخجل من التغيرات التي حدثت في شكلها، وجنوحها لتقليد أمها في سلوكاتها، وتذبذب وتردد عواطفها، فهي تغضب بسرعة وتصفو بسرعة، وشعورها بالقلق والرهبة عند حدوث أول دورة من دورات الطمث، فهي لا تستطيع أن تناقش ما تحس به من مشكلات مع أفراد الأسرة، كما أنها لا تفهم طبيعة هذه العملية».

فنون إرشادية

من المهم تفهم طبيعة مرحلة المراهقة ليسهل التعامل معها، واحتواء سلبياتها.. لقد تحول المراهق في عملية نضج عقلي وعاطفي من التفكير المادي إلى التفكير المعنوي والخيالي، ومن التفكير الفردي البحت إلى التفكير شبه الجماعي، ومن التفكير الخارجي فقط إلى نوع من التفكير ينظر إلى الذات ويشعر أنه محط أنظار الجميع، وقد تحول إلى الشخصية الإيجابية الباحثة عن المسؤولية والمثالية وتقدير قيمة الوقت، وبدأ أيضًا يفكر في المستقبل بعد أن كان لا يفكر إلا في الحاضر، وعقل المراهق يشهد تحولاً نوعيًا مهمًا حيث يبدأ الشاب بإدراك المعنويات، بعد أن كان أسيرًا للماديات والمحسوسات، ولا يستوعب الأشياء إلا بالتمثيل المادي فقط، ولا يستوعب القضايا إلا بعد اقترانها بالنماذج والأمثلة الموضحة.. إن التحول الجديد في المراهق يجعله يعي المعاني والقيم ويستطيع تفهمها، وتتجاوز تساؤلاته الإطار المادي القريب إلى الأبعاد الأعمق، المعنوية والنفسية والكونية.. ورغم ما تمنحه خاصية التفكير المجرد والتأمل المعنوي في نفسه ومن حوله والأحداث والكون وغير ذلك، فإن ذلك يثير بعض المشاكل الذهنية والاجتماعية من أهمها، المثالية والحيرة والتردد.



يقول التربويون: «المراهق إنسان يبحث عن النضج، ومهمتنا هي توضيح الطريق والإرشاد، فالمراهق يحتاج إلى إرشادنا ويتمناه، بشرط أن نقدمه له بصداقة».. إن المراهق شخصية تتمحور بدرجة كبيرة حول ذاتها، فهو يهتم بنفسه بصورة بالغة: أفكاره، ومظهره، وطريقة كلامه وتصرفاته.. ويعتقد أنه محط أنظار واهتمام الجميع، وأن كل من حوله يرقبه بحذر، كما أنه يشعر بأهميته المتزايدة، فهو مميز وفريد، ويستطيع أن يرى نفسه في أعلى قمم المجد، وهذا يفسر طموحات المراهقين التي تتناقض مع الحياة والتقاليد العائلية الاعتيادية الروتينية والمملة بنظره، والتي لا يوجد بها من يشعر به أو يفهمه.. كل هذا بالطبع يفسر حساسيته المفرطة لأي نقد أو ملاحظة توجه إليه، ولذلك لابد أن نراعي كآباء هذا جيدا، خاصة أمام الآخرين، وأن يكون كل توجيه بصورة غير مباشرة.

ومن المعلوم أن الحوارات والنقاشات أغلى أماني المراهق وأعظم متطلباته من المحيطين به، فضلا على أنها تدعم جسور التواصل، وتزيد من ثقته بنفسه، وتحمله للآراء المخالفة.. الحوار القائم على الاعتراف بأن آراءه وأقواله جديرة بالاستماع والاهتمام.. نصغي لكل تفاصيلها باهتمام بالغ، وترحاب بتعدد وجهات النظر، ومناقشة بناءة تضع النقاط فوق الحروف وتحدد المعالم بين الصواب والخطأ.. هذا



أفضل بكثير من مصادرة آرائه، وتهميش أقواله، الأمر الذي يزيد من عناده، والشرود عن رحاب التوجيهات الأبوية الحنونة.

إن عُذُوبَةُ اللفظ، وانتقاء الكلمات من أهم مفاتيح امتلاك قلب المراهق، خاصة أن تصرفاته غير المنطقية تدفعنا إلى نقده بألفاظ قاسية وبالتالي تزيد من مساحة الهوة بيننا وبينه، فلا يستجيب لأي إرشاد، ولا ننسى أن اللفظ الحسَن العذب يَسْلبُ اللبَّ ويَسْحَرُ العقْل، كيف لا، وقد قال رسول اللهﷺ: «إن من البيان لسحرًا» (رواه البخاري) وقديما قالت العرب: بيانُه يُغْني عن تبيانه.

كما أن احتكاكات وصدامات الآباء مع المراهق لا تفيد الطرفين، ويدخل الجميع في نفق مظلم، خاصة أن اختلاف وجهات النظر تظهر بصورة واضحة، فالكبير يرى الحق في جانبه باعتباره الأكثر خبرة ودراية والمسؤول عن الرعاية والحماية، والصغير يرى أنه قد شب عن الطوق وجدير بالاستقلالية وله كل الحق في إثبات ذاته، وأن الكبير من جيل مختلف تماما عن جيله، مما يُحدث بينهما شرخا نفسيا يعرف بـ «الفجوة بين الأجيال»، والأخطر من هذا ممارسة الآباء لسلطاتهم ثم تركها في بعض الأحيان، وممارسة المراهقين لصلاحياتهم في بعض الإجازات والعطلات ثم انسحابه منها باقي أيام الأسبوع. ويزيد من تعقد الموقف، المشاعر القوية الجارفة التي تميز شخصية الأبناء في هذه المرحلة إلى جانب طبيعة الآباء التي تغمرها روح الغضب والرفض.. إن التشاور في وضع وتحديد خطط عامة للعائلة والالتزام بها (القرارات المشتركة، الحل الوسط)، كفيل بحسم مادة الصراع بين كل الأطراف، وهذا لا يعني عزل الكبير عن رعاية أبنائه والعناية بهم، لكن المقصود به معاملة الأبناء على أنهم قادرون على التصرف في حياتهم وتحمل المسؤولية، مع حقنا كآباء في المراقبة والتوجيه ولكن عن بعد.

- من المهم عدم المبالغة في ردود أفعالنا تجاه المراهق (قبول المراهق).. إن قبولك لابنك بعيوبه والصبر على أخطاء المراهقة يقوي علاقتك معه بشكل يساعدك على التخفيف التدريجي من هذه العيوب، إضافة إلى أنه سوف يشعر بالأمان أكثر، ويصارحنا بهمومه ومشاكله الخاصة، عندها سنساعده على أن يحل مشكلته بنفسه.

القدوة هي خير سياج يحفظ على المراهق ثباته واستقراره النفسي

إن المراهق خيالي بطبعه حيث يميل إلى قراءة القصص الجنسية والروايات البوليسية وقصص العنف والإجرام، ولذلك يجب توجيهه نحو القراءة النافعة والبحث الجاد في الأمور المعرفية الراقية، وأهمها وأنفعها التراث الديني الإسلامي. واستغلال نزعة حب الاستطلاع لديه في تنمية القدرة على البحث والتنقيب وغير ذلك من الهوايات النافعة. ويجب الاهتمام بقدرات المراهق الخاصة والعمل على توفير فرص النمو لهذه القدرات.

- المراهقون لا يحبون كثرة النصائح، ولا كثرة الأسئلة، ولا كثرة الكلام.. احترم ذوق ابنك المراهق في الاختيار مادام لا يتنافى مع القواعد الاجتماعية العامة. تحدث معه كصديق واستمع لآرائه ومشاكله ببالغ الاهتمام. دعم جسور التواصل بممارسة العبادة والرياضة معا والتشارك في التنزه والتسوق وكافة الأنشطة الحياتية الأخرى، والسماح له باستخدام بعض أغراضك الشخصية. تفاعل مع المناسبات المهمة في حياته كيوم نجاحه أو فوزه في أحد الأنشطة الجماعية. لا تفش له سرا. ولا تكثر من نقده أو استجوابه. حذار من السخرية منه. لا تعده بشيء ثم لا تحققه له، ولا تعده بشيء لا تستطيع الوفاء به. لا تجبره على فعل شيء، بل اطلب منه المساعدة.

والقدوة العملية هي خير سياج يحفظ على المراهق ثباته واستقراره النفسي، فليس من المعقول أن نسهب في الحديث عن ترشيد الثورة الجنسية التي تعتري حياة المراهق وفي نفس الوقت يعج البيت بالعديد من القنوات الفضائية الخليعة التي تثير الغرائز، أو وجود الكمبيوتر أو الإنترنت في مكان منعزل من البيت يهيئ للشاب الانفراد به مما يسهل تلاعب الشيطان بفكره ومشاعره ويؤجج الشهوات بداخله، هذا فضلا عن غياب الكثير من السنن الدينية العظيمة كالمواظبة على صلاة الجماعة بالمسجد، والاجتماع العائلي على تلاوة القرآن كلما تيسر الوقت.. وغيرها الكثير.

لقد كبرت، ازداد طولك، عرضت، سمنت.. تلك أشهر العبارات التي يسمعها المراهق في فترة البلوغ، وهذا بالطبع شيء عادي لمن هم في سنه، لذلك فمن الأهمية بمكان الاهتمام بالتغذية المتوازنة لتلبية حاجة الجسم إلى النمو والاكتمال، لكن الإشكالية قد تكون أكبر عند الفتيات حيث يمتعضن من زيادة وزنهن، ويلجأن إلى برامج الرجيم والحمية الغذائية القاسية، وهنا مكمن الخطأ في مرحلة نمو من أهم مراحل العمر، حيث الاحتياجات الجسمية على أشدها لتوفية متطلبات النضج، ولذلك فالتغذية المتوازنة في فترات المراهقة خط أحمر لابد أن ينتبه له الجميع من آباء وفتيان وفتيات.

و خلصت دراسة أميركية إلى أن اكتساب المراهقين لعادات نوم صحية وبالتحديد ما يختص بالخلود إلى النوم في وقت مبكر، قد يسهم في وقايتهم من الاكتئاب الناجم عن الحرمان من النوم الجيد فترة طويلة. وبحسب نتائج الدراسة التي أشرفت عليها جامعة كولومبيا تبين أن المراهقين الذين يُسمح لهم -من قبل الوالدين- بالنوم في أوقات متأخرة، أكثر عرضة للمعاناة من الاكتئاب وبمقدار يصل إلى ٢٠٪. ويقول الدكتور جيمس غانجويش الذي قاد فريق الدراسة: «إن نتائجنا تتسق مع الفرضية القائلة بأن عدم كفاية النوم من عوامل الخطورة للإصابة بالاكتئاب» (القدس برس).



آثار اجتماعية خطيرة للعنوسة!

تحقيق: أميرة سليمان

ملايين من الفتيات والشباب في مصر والعالم العربي فوق سن الثلاثين لم يتزوجوا بعد.. هذا الرقم يدعونا للتساؤل: لماذا أحجم كل هؤلاء عن الزواج؟ هل تطور مفهوم الزواج، ولم يعد ضرورة في الحياة، أم هو قناعة خاصة جدًا بكل شخص، أم هو رفاهية لم تعد تناسب الجميع؟ وهل الإحجام عن الزواج ظاهرة صحية أم مرضية؟ وهل لها آثار سلبية على المدى البعيد؟!

في البداية لنتجول معًا داخل أفكار بعض الفتيات والشباب لنتعرف على سر إضرابهم أو تأخرهم عن الزواج.

● أماني (٤٠ عامًا) رقيقة لا تكاد تسمع صوتها من رقتها، تقول: «أخاف الزواج فقد اكتشفت أنه إنسان سيئ، لو صرخ في وجهي يمكن أن أنهار، أنا لا أعرف لماذا عندي هذا الخوف؟ فأمي وأبي طيبان جداً، ولكني وجدت نفسي هكذا أخاف الزواج من شخص قد يجرحني أو يهينني.

● وجدي (٤٥ عامًا) مدرس لغة انجليزية، ظل طوال عمره يرفض الزواج لأن حجته هي - على حد قوله- كيف يأتي بامرأة غريبة تشاركه حياته، وينفق عليها؟! وفي عامه الرابع والأربعين أقنعته والدته المسنة بضرورة الزواج حتى يجد من تطهو له طعامه بعد وفاتها، فتقدم لخطبة فتاة جميلة اعتادت أن تمر من أمام المقهى الذي يجلس عليه دائمًا، فرفضه والد العروس رفضًا تامًا، فالعروس تصغره بنحو ٢٠ عامًا، وكأن لسان حال والدها يقول: «ألا ينبهك الشعر الأبيض في رأسك بما وصلت إليه من عمر؟!».

● تقول سلوى عرفات التي تعمل موظفة في شركة خاصة، وتبلغ من العمر (٣٤ عامًا)، تقدم كثيرون جيدون، وصل بعضهم لدرجة أنه لا ينقصه شيء (علم وثقافة وغنى ووسامة وشخصية)، ولكنني رفضت، لا لشيء إلا بسبب عقدتي من الرجال من جراء معاملة والدي القاسية لأمي، وللأسف لو كان أحد ما تنبه منذ زمن لرفضي غير المبرر للزواج ووقف بجانبي لكنت أسعد الفتيات الآن.

الطموح هو أحد أسباب تأخر سن الزواج



● أحمد الشريف (٣٤ عامًا) شاب وسيم أسمر فارع الطول، يعمل بعدة أعمال مختلفة، يكثر من الكلمات الحلوة للفتيات ولكنه لم يتزوج، ولا يفكر في الزواج، قال مرة في لحظة صدق لن تتكرر: إنه يحب أن يصادق الفتيات بعلاقة الحب دون أن يعد إحداهن بالزواج، فهو لا يريد الزواج لأنه سعيد بحياته هكذا.

● هبة، فتاة جميلة هادئة الملامح تبدو في الثلاثين، رغم أنها في التاسعة والأربعين، أدهشتني لعدم زواجها، وجعلتني أسألها لماذا؟ قالت: لا أعرف، ولم أقصد.. كنت أبحث عن الحب والحنان ومازلت أبحث عنهما حتى الآن، الارتباط يجب أن يكون بإنسان طيب وحنون، يعطف الرجل على زوجته وإلا فلا زواج!

● نادية (٣٩ عامًا) فتاة سمراء ممشوقة القوام ترتدي أفخر الثياب، تهتم بنفسها في كل شيء، والبعض يقول إنها تريد عريسًا على «المازورة» بمقاسات معينة وخاصة، ولهذا رفضت العديد من «العرسان»، والغريب انه حتى عندما أتى لها عريس «بمقاسات» مناسبة رفضته أيضًا لأنه أراد زواجها والسفر للخارج، أما هي فرأت في ذلك غربة.



● ياسر (٤٣عامًا) يعمل بوظيفة مرموقة، حاول بث هيامه لأكثر من فتاة ولكنه لم يلق سوى الصد وعدم القبول، وكل من حوله يعرفون السبب ألا وهو... إنه دائمًا يتقدم لفتاة جميلة ورشيقة وطويلة رغم أنه قصير جدًا ويفتقر بمقياسه هو للوسامة أو الجمال الذي يبحث عنه في غيره، ولم يتطوع إلى الآن صديق مخلص لينبهه.. لماذا يهتم فقط بجمال الجسد في الاختيار؟ ولماذ لا يبحث بالأحرى عن جمال القلب والروح؟!

هل من آثار نفسية لتأخر سن الزواج؟

يقول د.محمد شعلان أستاذ الأمراض النفسية والعصبية: رفض الزواج سواء كان من جانب الإناث أو الرجال قد يعتبر ظاهرة صحية أو مرضية، فرفض الزواج يعتبر صحيًا إذا كان برغبة وإردة الشاب أو الفتاة، أما في حالة رفض الزواج بسبب ظروف قهرية، كأن تكون اقتصادية مثلًا، فهنا لا يكون عدم الزواج بإرادة الشخص نفسه، وبالتالي يعتبر حالة مرضية تؤدي إلى إحساس الشخص الذي لم يتزوج بعد بأنه مرفوض وغير مرغوب فيه.

وعن رؤية علم الاجتماع لارتفاع سن الزواج عند الشباب، يقول د.ثروت لطفي أستاذ علم الاجتماع: إن ارتفاع سن الزواج وزيادة نسبة العنوسة لدى الفتيات والشباب يرجع لأسباب عدة منها المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي تعاني منها معظم دول العالم، كما توجد عوامل مرتبطة بالطموح، وتحقيق المكانة الاجتماعية والخوف من مسؤوليات الزواج، والمسؤوليات الوالدية، وكل هذا



يؤخر سن الزواج.

الآثار السلبية والايجابية

- بالنسبة للآثار الايجابية، نجد أن الفتى أو الفتاة يصبحان أكثر نضجًا وأكثر قدرة على الاختيار السليم، لأن في العشرينات تتغلب العواطف المتعلقة بالشكل والجسم، أما في الثلاثينات فيتغلب العقل.

أما بالنسبة للآثار السلبية فنجد أنها عند الذكور تختلف عنها عند الإناث، فالشاب الذي لا يستطيع تكوين أسرة حتى سن الثلاثين وما بعدها، فهذا قد يقوده لمسالك مختلفة، مثل انضمامه «لشلة أصدقاء» ليتمكن من خلالها تحقيق أمور سلبية كمعاكسة الفتيات، أو التحرش الجنسي بهن، وهذا نراه كثيرًا في شلل النواصي في المجتمعات الشعبية، وأحيانًا يؤدي الأمر إلى اغتصاب الإناث أو الاتجاه إلى الإدمان بسبب الشعور بالنقص والعجز عن تكوين أسرة والاستقرار الجنسي في إطارها، أما الآثار السلبية لارتفاع سن الزواج على الفتيات فهي عديدة، منها ظاهرة معاكسة الفتيات للشباب حتى من خلال التلفونات، وهذا شكل من أشكال التحرش الجنسي اللفظي، أيضًا هناك فتاة تؤدي بها العنوسة والشعور بأنها غير مرغوبة إلى مصادقة الشباب والخروج معهم لاستنزافهم ماديًا، وأحيانًا تصل الفتاة إلى اشتباكات عاطفية مع الشباب.

إذا كانت الآثار السلبية لارتفاع سن الزواج بكل هذا السوء، فما الحلول الاجتماعية المقترحة للحد من مشكلات العنوسة لدى الشباب؟

الحل

الحل يكمن في ضرورة رفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي ورفع نسبة الدخل وتشجيع الشباب على الإقدام على المشروعات الصغيرة الناجحة التي تدر دخلا مناسبًا، كما يجب أيضًا على الهيئات الاجتماعية والنقابات المهنية والأندية أن يكون لها دور بإقامة حفلات ومعارض وخلق أنشطة اجتماعية للتعارف بين الشباب والفتيات حتى لا يستسلمن لليأس لأنهن وصلن لسن كبيرة، دون أن يجدن الطرف الآخر المناسب، مع التشجيع على التمسك بالقيم الأخلاقية والروحية، كالعفاف وضبط النفس والهروب من الشهوات الشبابية، كما يكمن الحل في التوجيه الاجتماعي للمجتمع ككل بضرورة التعاون والتكاتف مع الفتاة أو الشاب المقبل على الزواج بألا يكتفوا بالأمنيات السعيدة لمن يفكر في الزواج، بل بأن يشجعوه بمساعدات مالية وعملية تعين الشاب ليبدأ حياته، مع عدم التقيد بالمظاهر التي ترهق الشباب، فيما يتعلق بالشبكة وتأثيث منزل الزوجية وشكل الاحتفال بالزواج وغيرها من الأمور، فالبساطة مطلوبة والتعاون ضرورة.





حين تخرج الزوجة للعمل يكون شاغلها الأول هو كيفية تحقيق النجاح والتميز في عملها أو وظيفتها دون أن يطغى ذلك على احتياجات الزوج ومطالب الأولاد، غير أن التجربة قد تكون مخيبة لدى بعض النساء، أو تكون ناجحة لدى بعضهن، ولعل المعيار في الحالتين هو موقف الزوج من عمل زوجته ومدى تقديره لدورها في الحياة وحدود قدرته واستعداده لمساعدتها لتحقيق النجاح والتوازن الذي تسعى إليه في إطار هذا الدور.

وهنا نتساءل: هل الزوج يمكن أن يكون دافعًا لنجاح زوجته وتقدمها وتميزها، أم إنه عامل إحباط وإفشال لها؟

وفي الحالتين، كيف تتصرف الزوجة في الآتي: بيتها وزوجها وعملها... الإجابة في هذا التحقيق..



زوج المرأة العاملة مشجع أم محبط؟

تحقيق: إحسان سيد

في البداية، نستطلع واقع حياة بعض العاملات وموقف أزواجهن منهن ومن عملهن.

أماني فؤاد - صحفية- قالت: بعد ولادة طفلي الأول حصلت على أجازة رعاية طفل، وفي هذه الفترة كان زوجي خير معين لي في رعاية ابني، ثم ابنتي، وتخفيف الأعباء المنزلية لأتفرغ لهما، لكن بمجرد عودتي إلى العمل تغيرت الحال، فصار زوجي يدقق في كل شيء، ويلقي عليَّ مسؤولية أي مشكلة، سواء في البيت أو لابني وابنتي، وفي كل موقف كان يهددني بأنه سيمنعني من الذهاب إلى العمل، فكان ذلك يمثل ضغطًا شديدًا على أعصابي، فكنت ألح في الدعاء بأن يعينني الله على التوفيق بين بيتي وعملي الذي أحبه حتى لا ينفذ زوجي تهديده، ورغم زيادة الأعباء بقدوم طفلي الثالث، إلا أن زوجي ظل على حاله لا يساعدني ولا يتابع معي الأولاد في الدراسة، وعندما فكرت في الاستعانة بخادمة تساعدني في أعمال البيت حتى أتفرغ أنا له ولأولادي وعملي كان يتهكم عليَّ ويتصيد لي أي خطأ أو تقصير، ولو صغير، ويقوم بتفخيمه ويرجعه دائمًا إلى انشغالي بعملي.

واع ومتفاهم

حمدية سرور- مدرسة سابقة- قالت: زوجي رجل واع ومتفاهم إلى أقصى حد، إذ يرحب بخروجيَ للعمل، ويشجعني عليه، حتى إنه عندما يكون لديَّ أي ارتباط خارجي ذي صلة بعملي يتابع هو البيت والأولاد في فترة غيابي، ولا يرهقني بأي مطالب في البيت، فأهم شيء عنده هو الاهتمام بثقافة الأولاد ودراستهم ومتابعة عباداتهم اليومية، وقراءة القرآن، وعندما أشعر بإرهاق أو تكاسل يحفزني هو على النزول والاجتهاد في عملي وأداء رسالتي في الحياة، وعندما تركت عملي كان هذا اختياري الشخصي دون أدنى ضغط من زوجي لأتفرغ لرعاية أولادي، خاصة بعد أن انتقلنا إلى محافظة أخرى.

د .آمال سعيد- مدرس مساعد بكلية التمريض- قالت: تزوجت بعد أن التحقت بالدراسات العليا، فكان زوجي عاملاً مساعدًا جدًا لي، ففي أيام الامتحانات كان يعفيني من أعباء الطهو، وعندما وضعت ابني وتعطلت قليلاً عن دراسة الدكتوراه كان يتعجلني، ويطلب مني المسارعة باستكمال الدراسة، رغم أنه محاسب وليس له صلة بمجال عملي.

سماح كمال محمد- مخرجة فنية في إحدى دور النشر- قالت: زوجي متعاون معي في كل الأمور، فأحيانًا يشتري الطعام، أو يصطحب ابنتينا من وإلى الحضانة، وأحيانًا يرتب لي الشقة عندما أكون مرهقة، أو في انتظار ضيوف.

خلود المناوي- مسؤولة علاقات عامة- قالت: كنت مجتهدة في عملي، وبعد الزواج لم أتوان عن الحفاظ على ذات المستوى حتى لا يقال: إن الزواج عطلني أو أضعف عزيمتي، وحاولت بكل طاقتي أن ألبي مطالب زوجي وألا أهمل أو أقصر في بيتي، وكان ذلك على حساب صحتي، فكنت دائمًا متوترة وعصبية خوفًا من التقصير أو الفشل أو التعرض للنقد من قبل زوجي، أو رئيسي في العمل، وقد حدث ما كنت أخشاه؛ فقد لاحظت أن زوجي بدأ يتغير تجاهي كلما تقدمت في عملي، إذ صار يستخف بعملي ويهينني أمام الأقارب، ويدعي أن عملي بدأ يؤثر على التزاماتي الزوجية والأسرية، حتى بدأت أشعر أنه يغار من نجاحي، ويحاول أن يحبطني أو يدفعني إلى الفشل، أو اتخاذ قرار ترك العمل.



زوجي سر نجاحي

سوزان الزهراوي- محامية- قالت: منذ اللحظة الأولى من تخرجي صممت على أن أخطو نحو النجاح المهني بخطوات ثابتة دفاعًا عن الحق، وإقرار العدل والدفاع عن المظلوم، وعندما تزوجت نقلت لزوجي هذه الرغبة، فتعاون معي في تحقيقها، فكان يساعدني في تنظيم وقتي، وأحيانًا يتناوب معي أعمال المطبخ وترتيب الشقة، كما كان يتولى اصطحاب الأطفال إلى الحضانة، ويعود بهم قبل عودتي من عملي، فلولا زوجي وتفهمه لطبيعة عملي وتقديره لدوري في المجتمع لما تمكنت من النجاح أو الاستمرار في أداء رسالتي وتحقيق طموحاتي المهنية.

قد أجريت عدة دراسات عن واقع حياة النساء العاملات وموقف أزواجهن من عملهن، منها دراسة أجرتها جامعة كولومبيا البريطانية حول هذا الموضوع أظهرت أن الحياة التي تعيشها المرأة العاملة بين عملها وبيتها جعلتها ذات طبيعة مختلفة وصلبة، حيث تتحمل جميع مسؤوليات المنزل والزوج والأطفال، ولا تتذمر أو تشكو، وفي الوقت ذاته تستطيع ضبط مطالبها؛ لأنها تعرف قيمة النقود والمشقة التي تتحملها في الحصول عليها.

وفي دراسة أخرى منشورة، أجراها الباحث الأميركي «وارين فاريل» - خبير الشؤون الأسرية - على ٣ آلاف أسرة تبين أن الزيجات التي تتمتع فيها الزوجة بالاستقلالية تكون أكثر استقرارًا من غيرها، حيث إن استقلال المرأة المادي لا يهدد كيان الأسرة، بل يعود بالنفع على جميع أفرادها، فالزوجة العاملة أقدر على حل المشكلات ومواجهة الأزمات، ومن ثم إسعاد زوجها، كما أن ثقتها بنفسها تجعلها لا تحاول السيطرة عليه، فضلاً عن أن الأسرة التي يعمل فيها الزوجان تتمتع بدخل أكبر؛ مما يخفف الضغوط على الزوج، ويشعره بالاطمئنان إلى استقرار الأسرة ماديًا حتى وإن تعرض هو إلى أي مكروه.

وحول موقف الزوج من عمل زوجته وتأثير ذلك على حياة الزوجة واستقرارها، يقول د .محمد المهدي- أستاذ الطب النفسي بجامعة عين شمس- في حالات كثيرة يكون هذا الموقف مبنيًا على سلوك الزوجة، وهل أهملت واجباتها كزوجة وأم، أم أنها وازنت بين هذا وذاك؟ فإذا استطاعت الزوجة أن توازن ولم يشعر الزوج باضطراب أو خلل في البيت، أو في حياة الأولاد، فلن يكون لديه اعتراض مادام موافقًا مبدئيًا على فكرة العمل.

ويضيف د .المهدي أن الأصعب يظهر في حالة رفض الزوج مبدئيًا لعمل زوجته، فإذا أعلن رأيه قبل الخطبة، فعليها أن تلتزم بهذا الشرط، وإذا رفضت فعليها أن تلجأ إلى التفاوض معه للوصول إلى حالة التراضي والوفاق.

أما إذا كان رفضه تاليًا للخطبة والزواج، فعلى الزوجة أن تسأله: لماذا يرفض عملها؟ وهل هذا الرفض متعلق بأمور ذات صلة بطبيعة عملها، أم لأن هذا العمل مجهد جدًا ويؤثر على أدائها في البيت؟

وقد يكون الزوج معترضًا على مبدأ العمل مطلقًا مهما قدمت له الزوجة من حلول ومقترحات، وهنا يبقى على المرأة أن توازن بين موقف الزوج ورغبتها في العمل، فتحاول إقناعه في البداية؛ فإن لم تجد تلجأ إلى من يقنعه؛ فإن لم يقتنع، تقاس الأمور حسب ظروف الأسرة ومصلحة الأولاد.

الطموح الواقعي

وتعلق د .أميرة بدران- خبيرة التنمية البشرية- على هذه القضية قائلة: يتوقف الأمر على طريقة تفكير الزوج وموقفه من المرأة ونظرته لها، وليس على تعاونه أو عدم تعاونه معها، فالزوج المتعاون يجعل الحياة أسهل والتعامل معه يكون بسيطًا سلسًا، فلا يكون عائقًا أمام أداء دور زوجته المهني أو الاجتماعي، وتلفت النظر إلى أن الرجل الشرقي له طبيعة خاصة لابد أن تحترمها، فإذا كانت الزوجة طموحة ينبغي أن يكون طموحها متدرجًا وواقعيًا لا يتعارض مع طبيعة الزوج، ولا تصل هذه الطموحات إلى درجة الأنانية وتفضيل المصلحة الشخصية على مصلحة الأسرة.

أما الزوج غير المتعاون فموقفه مرتبط بطبيعته، وهل هو شخص غيور أم شكاك أم مستغل ماديًا لزوجته؟ فإذا عرفت المرأة شخصية زوجها كان عليها أن تعامله في إطار هذا الفهم.

فإذا كان غيورًا عليها أن تكون دبلوماسية في عدم نقل أو إشاعة أخبار نجاحها إليه أو على الأقل تنقلها إليه بشكل متدرج وطبيعي، بحيث تشعره أنه هو سبب نجاحها وتميزها، وأن الفضل في ذلك - بعد الله - يرجع إليه وإلى دعمه ومساندته لها ومساعدتها في البيت، وأن رضاه يأتي في المقام الأول عندها، أما إذا كان مستغلاً، فعليها أن تضحي بجزء من دخلها لتقليل مشاكلها الأسرية معه، ولابد أن تبذل جهدًا كبيرًا للحفاظ على التوازن بين البيت والعمل، ويكون لديها استعداد نفسي وتقبل داخلي لبذل هذا الجهد.

وتنصح د .أميرة كل زوجة عاملة بأن تقوم بتربية أبنائها بشكل يجعلهم أكثر تحملاً للمسؤولية، واعتمادًا على أنفسهم، مما يخفف الضغط الواقع عليها، ويكون لديها دائرة للدعم النفسي ونقل الخبرات وتبادل الأفكار والمقترحات، سواء من الصديقات أو الأقارب، أو حتى الجارات المؤتمنات، وأن تستعين بالأجهزة والأدوات وأية وسائل تسهل لها أمور الحياة، وقمة ذلك كله: الدعاء الدائم إلى الله تعالى بأن يعينها ويساندها حتى تؤدي جميع أدوارها بنجاح وكفاءة ورضا.



د.خالد أبوشادي في حوار خاص:

الزوجة هي خط الدفاع الخلفي في جبهة الزوج الدعوية

حوار: آلاء ممدوح

من الدعاة المتميزين الذين يسعون دائمًا إلى ترك بصمة خير وإيمان في نفوس الشباب، تدفق معه في رمضان آلاف الشباب والفتيات للاستماع لدروسه والصلاة خلفه.. هو د.خالد أحمد أبو شادي حيث كان لنا معه هذا الحوار:

كيف يستطيع الداعية التوفيق وقتا وجهدا بين دوره كزوج وأب في منزله وبين عمله الحياتي والدعوي؟

أولًا: اغتنام الوقت، ورحم الله من قال: الواجبات أكثر من الأوقات، فعاون غيرك على الانتفاع بوقته وإن كان لك حاجة فأوجز في قضائها، والإنجاز يشتد ومعدلاته تعلو مع كثرة الأحمال ودوام الانشغال، واغتنام الوقت هو علامة من علامات رضا الله عن عبده، والعكس بالعكس كما قال بعض الصالحين: من علامات المقت إضاعة الوقت.

ثانيًا: ليس الداعية كغيره، والداعية ليس كغيره من الناس، وليس همه ما يهم الناس من جمع مال وتحصيل رزق، بل عين قلبه مصوَّبة على رضا الله، وأكثر ما يرضي ربنا: نشر دعوته وتبليغ رسالته، وزوجة الداعية عليها أن تعلم أنه على ثغر من الثغور فتمد له يد العون وتشاركه الأجر، لتكون خط الدفاع الخلفي في جبهته الدعوية.

ثالثًا: وقت إيجابي، فيحرص الداعية على حل مشاكل الأسرة في وقته الذي يقضيه في البيت ولو كان محدودا، ولا يستسلم لنوم أو راحة، ويستمع لزوجته ويشاركها فعالياتها التي قضتها سائر اليوم.



رابعًا: ترتيب الأولويات والتخطيط، فللداعية على حسب موقعه وظروفه أن يعيد ترتيب أولوياته الأهم فالمهم، وأن يضع أهدافا سنوية يحققها ويحاسب نفسه عليها كل فترة، وبدون تخطيط تتحول الأماني إلى سراب، والآمال إلى وهم.

الالتزام مستشفى تستقبل الأصحاء فقط.. فسر البعض هذه المقولة بضرورة العمل الدعوي مع الملتزم للارتقاء بإيمانه ونشاطه، دون باقي أفراد المجتمع الذين هم أحق بالدعوة .. كيف ترون ذلك؟

أعتقد أن هذا تحد يقابل المصلحين، ولابد أن يبدأ بتغيير هذه القناعة، ثم ينطلق بعدها الداعية إلى دائرة المغيبين من أبناء المسلمين الذين لم تصلهم الرسالة، ولم تقم عليهم الحجة، وصيد الغافلين هو الطريق إلى زيادة رقعة التأثير وتوسيع دائرة الهداية، وهي لابد أن تشغل عقل كل مخلص من الدعاة، فقد كان النبي ﷺ يذهب إلى الأسواق، فذهب إلى سوق ذي المجاز قائلا: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا..».

بقدر ما تشغلنا هذه القضية بقدر ما نقرِّب تغيير الواقع المرير وحالة التأخر الشديد الذي تحياه الأمة.

والداعية المسلم عليه أن يكون له في كل موقف بصمة يهدف بها إلى غرس الخير في غيره: في عمله.. في بيته.. مع جيرانه.. مع أرحامه.. بل مع كل من يلقاه، ولو كان غلاما يعطيه كوب ماء، وانظروا إلى فعل النبي ﷺ مع عداس غلام الطائف .. هذا كل خطوة، وبذلك نحقِّق قول الله تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ (الأنعام: ١٦٢).



تشكو الكثير من الزوجات تدهور وضعهن الإيماني والدعوي بعد الزواج، حيث أعباء البيت والزوج والأبناء جعلتها بالكاد تؤدي فروضها الخمس، ونسيت القيام والقرآن الذي يهجر من رمضان إلى رمضان.. فبماذا تنصحهن؟

هذه بعض النقاط التي يجب أن تتبعها الزوجة:

عصف ذهني، كيف تستغل وقتها في سماع محاضرات، أو في دور دعوي مع جارة لها، وتستطيع في جلسة عصف ذهني مع مثيلاتها من الصالحات أن يضعن ولو ٢٠ فكرة جديدة لفنون كسب الحسنات في ظل ظروفهن، وأبواب الخير منوعة كثيرة لا تنضب.

الاحتساب، تحتسب ربة المنزل عدة نوايا.. تربية نشء مسلم، سد الثغر والقيام على تأمين بيت زوجها الداعية، وكفايته فيما يحتاج، وإعانته على دعوته، وبالعمل الواحد تنوي عدة نوايا ليتضاعف أجر العمل الواحد، ويكون الاعتماد على ذلك في الوصول إلى الأجر على بذل جوهرة ثمينة بدلا من بذل كومة ضخمة من الخرز، أعني مضاعفة الأجر عن طريق تجويد عمل واحد يسمح به الوقت بدلا من أعمال كثر لا وقت لها.

عبادة الشوق، فكلما انشغلت بعائق عن خير استحضرت النية والرغبة الشديدة للحضور، فتنال الأجر كاملا، ونية المرء أفضل من عمله، وقد قال النبي ﷺ: «إن خلفكم بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم حبسهم العذر».

هل هناك دعوة بين شاب وفتاة كما نرى في الكثير من الجامعات وأماكن العمل، شاب يتواصل مع فتاة مراهقة لدعوتها إلى الحجاب؟

كثيرا ما تستتر العلاقة وراء الشهوة، وسط غزو ثقافي يريد أن يجعل العلاقة بين الجنسين مفتوحة عادية، ويقتات على شهوة حب الحديث وإيجاد العلاقة مع الطرف الآخر، وتجر إلى مفاسد من تعلق عاطفي وإطلاق بصر وعشق وفساد إيمان وتشتت بال، وحتى إن لم تجر إلى الحرام المباشر فتمنع سدا للذريعة المفضية إلى الحرام.

وعموما فليست الدعوة باللسان بل بالسلوك، وعمل رجل في ألف رجل أبلغ من قول ألف رجل لرجل، وإذا كان الداعية متزوجا ممن يشاركه همه سهل عليه أن يوجِّه زوجته للقيام بهذا الدور وهداية بنات جنسها فهذا أكفأ وأسلم للدين وأتقى لله.

الداعية كالشجرة التي إن لم ترو ماتت.. وموته موت لأمته وهلاك لدعوته

كيف يحافظ الداعية على نفسه في وسط يدعوه.. بين المدمن والزاني؟

على الداعية أن يعلم أنه كالشجرة التي إن لم ترو ماتت، وموته موت لأمته وهلاك لدعوته.. يا معشر العلماء يا ملح البلد، ما يصلح الملح إذا الملح فسد، وإن فتح الله له مرتبط بحاله مع الله. قال يحيى بن معاذ: على قدر انشغالك بالله يكون انشغال الناس بك، وفي حال مدح الناس يجب أن يعلم أن ما ستره الله عن الناس أكثر، وأن الله من فضله عليه أن أظهر للناس ما يحب وأخفى عنهم ما يكره.

وعليه أن ينظر دوما إلى الأعلى.. إلى من هو خير منه وأتقى منه وأنشط منه وأورع فيمن يحيط به من الدعاة، أو فيمن سلف منهم وسبق، من كان حيا ومن كان ميتا، من كان من معاصريه أو من سلفنا الصالح، فهذا يجعله يستقل جهده ولا يصاب بعجب أو غرور.

يرفض بعض الدعاة الزواج من فتاة داعية نشيطة لأنها مسترجلة.. برأيكم ما هي الأمور التي تفقد الفتاة الداعية أنوثتها؟

أنا انظر إلى هذا على أنه قصور في الفهم وعلامة على عدم تشرب الإيمان بالدعوة تشربا كاملا، فهل يريد الداعية امرأته طاهية طعام وراعية أبناء ومتاعا يقضي معها شهوته؟! أم ينظر إليها على أنها شريكته في دعوته، ومعاونته في همه الذي يحمله؟ على كل داعية مقبل على الزواج أن يسأل نفسه هذا السؤال، ومن لا يفعل هذا تتحول زوجته إلى عقبة في طريق دعوته، وتفتر همته حين يجد أبواب الخير مغلقة وزوجة تثبِّطه عن الخير وتدعوه إلى الراحة.

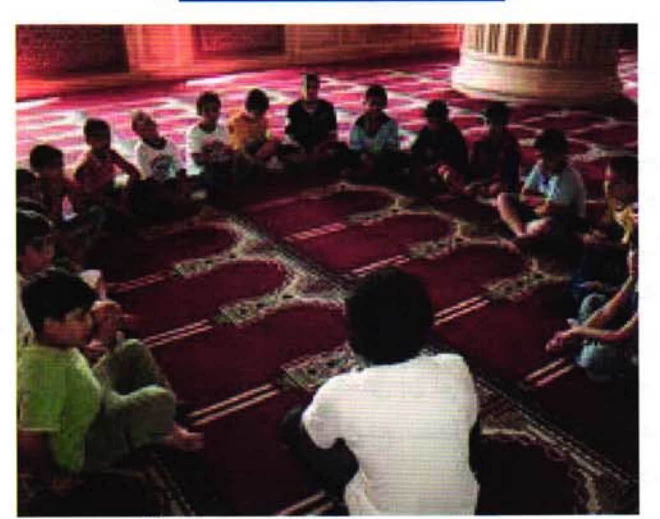
وصاحب الرسالة يختار زوجة تحمل همه نفسه، يشغلها ما يشغله، تدفعه إلى العمل ولا تُقعِده، وتكون عونًا له لا عليه، أما إن تزوج دنيوية الهوى، امرأة أقصى طموحاتها نزهة وفسحة، ومسكن وحُلة، فهذا قد أجهض بيتا مسلمًا من بيوتات الدعوة، لتشكِّل الزوجة قيدًا في رجله كلما أراد الانطلاق، وسلسلة تغل يده عن الإنفاق لدينه إذا انشرح له صدره، ومسمارًا في نعشه حين يبقى في الدعوة جسدًا بلا روح، يأخذ منها ولا يضيف، ويقتات عليها ولا تنتفع منه بشيء.



البناء الموهبي للشباب في السُّنَّة النبوية

فاطمة الحناوي

الشباب هم روح الأمة، وعنوان حيويتها، وطاقتها البانية، وليس هناك مجتمع أخذ بأسباب التقدم، ولم يجعل لشبابه الموقع الأول من اهتمامه، فهم معين الحياة الذي لا ينضب، ولم تُعرف أمة من الأمم أولت لشبابها الاهتمام والرعاية ما أولته لهم الأمة المحمدية، بقيادة مربيها وقائدها الفذ، خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، محمد بن عبدالله ﷺ، يقول سيد قطب: «إن المبادئ وحدها لا تعيش إلا أن تكون سلوكًا، ومن ثم جعل الرسول ﷺ هدفه الأول أن يصنع رجالًا، لا أن يلقي مواعظ، وأن يصوغ ضمائر، لا أن يدبج خطبًا، وأن يبني أمة، لا أن يقيم فلسفة» فأبدع ﷺ في بناء الإبداع في شباب أمته، حيث ضرب ﷺ المثل الأعلى في رعاية الموهوبين، وصقل كفاءاتهم، بالرعاية والتدريب، والتشجيع والمتابعة، ثم فوق هذا، نمى الجانب الإيماني الروحي في كل عمل ونشاط، وفي كل فكرة وشعور، فالعبادات وما يتبعها من أثر روحاني عميق توجه النفس الإنسانية نحو السمو والصلاح، والإيمان النقي روح كل نفس إنسانية متكاملة، وهو أساس متين لتربية مضمونة النتائج، لذا اهتم الرسول ﷺ بترسيخ هذا الجانب في الشباب، لتغدو منطلقاته الحياتية إيمانية الجذر، ربانية الصبغة، إلى جانب هذا اهتم ﷺ ببناء الشباب بناء نفسيًا صحيحًا سليمًا، قائمًا على بث شعور



الحب، والانسجام مع النفس والأسرة والمجتمع، واهتم بإعدادهم للحياة، حتى يؤهلهم لتجاوز كثير من الأزمات والصعوبات في مستقبل حياتهم، ويضمن لهم رغد العيش دنيا وآخرة، ويرصف بهم مستقبل الأمة الوليدة، ولأنه يريد أن يوجد الفرد القادر على تحمل المسؤولية، والقيام بواجب الأمانة والاستخلاف في الأرض، غرس ﷺ في الشباب وحدة الأمة، ووحدة القيادة، وربط طاعة الأمير بطاعته ﷺ، وطاعته ﷺ طاعة لله عز جل، ولو اكتفى ﷺ بهذا لكفى، لكنه فجر كل طاقة كامنة فيهم، وصقل كل موهبة لديهم، فحري بكل معلم أن ينهج نهج الرسول ﷺ في استكشاف مواهب الطلاب.

أما الإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، فقد كان موهوبًا في أكثر من مجال، كيف لا؟ وهو ربيب بيت النبوة، فقد نهل من شريعتها وهو غض العود، وقد برزت موهبته في أكثر من واقعة، فتراه ﷺ يعتمد عليه في معظم المهام التي تحتاج إلى قوة وجلد، وكان خير الفتيان يوم بدر وأحد وحنين، أما في خيبر فيقول ابن هشام - نقلًا عن ابن إسحاق: «... يقول سلمة: فخرج والله بها- أي الراية التي أعطاها له سيد الخلق ﷺ يأنح- يهرول هرولة - وإنا خلفه نتبع أثره، حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن».

ويقول أيضًا: «قال ابن إسحاق: حدثني عبدالله بن الحسن عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: خرجنا مع علي بن أبي طالب حين بعثه رسول الله ﷺ برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من يهود، فطاح ترسه من يده، فتناول علي بابا كان عند الحصن، فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل، حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفر سبعة معي، أنا ثامنهم، نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه».

وإن كانت سيرته ﷺ مع شباب أمته، كلها شذى وعبير، فقد اكتفيت هنا بذكر اليسير لعل اللبيب يستنير، وينهج مع تلامذته نهج الخبير، ولا يولي عنها وجهًا ولا يستشير.

* باحثة تربوية



الطريق إلى السعادة الزوجية

مي علي إبراهيم

أين نجد السعادة الزوجية؟ هل في نظرة الحب التي غابت عنا؟ أم في البسمة الصافية؟ وأين الكلمات الحلوة الرقيقة؟ لماذا تبددت وجفت المشاعر؟ ولماذا تجمدت العواطف والأحاسيس وكثرت المشكلات وتفككت الأسر وضاقت الصدور، وارتفعت نسب الطلاق بشكل مخيف؟ هل لأن الجيوب امتلأت فخلت القلوب من المودة؟ أم العكس؟

فالزوجان يحتاجان إلى الحب والمودة من بعضهما أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب، لأن غياب الحب والرحمة يولد البؤس والوجوه العابسة وتختنق معه الحياة، ان البيت الذي لا يسود فيه الحب وتسود فيه الشحناء هو أفقر بيت حتى لو كان أهله اغنياء ماديًا، فالزوجة الحنونة الودودة هي منبع الحب والحنان والرحمة، والزوج كذلك، فعندما يسود الحب يخرج الشيطان ولا يجد له مكانًا وتحل الرحمة على البيت، قال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الروم: ٢١)، إن الكلمة الطيبة من الزوج لزوجته أو الزوجة لزوجها، تبعث على التفاني والإخلاص، والإبقاء على بعضهما البعض، ان الزوجة النظيفة المنظمة في نفسها وفي بيتها تأسر قلب ومشاعر الزوج وتجعله يحبها ولا يذهب لامرأة غيرها، كما يجب على الزوج والزوجة الحرص على عدم تصيد الأخطاء لبعضهما، فالبيت الذي تكثر فيه المشكلات والمشاحنات يصبح ضيقًا بغيضًا ويكون العيش فيه مملًا.

فالمرأة الجميلة التي لا تتودد ولا تحنو على زوجها يصبح جمالها قبيحًا وينفر منها زوجها.

أيتها الزوجة.. قولي لنفسك أليس هذا الرجل الذي كنت أتمناه وأشتاق إليه وأدعو الله أن اتزوجه، وكذلك الزوج أليست هذه المرأة التي كنت تتمناها وتتحين الفرص لتراها، احرصي يا أختي على إرضاء زوجك والتودد إليه وخافي عليه وعلى مشاعره بكل وسيلة، ولا تكوني المرأة المتسلطة التي تسيطر على تصرفاته وتعمل على إلغاء شخصيته، وتراقبه في كل صغيرة وكبيرة، وتحاصره باسئلتها التي تسيطر على تصرفاته وتعمل على إلغاء شخصيته، وتراقبه في كل صغيرة وكبيرة، وتحاصره باسئلتها في الخروج والدخول لأنك بهذا التصرف تكونين امرأة أنانية وقبيحة والرجل لا يحب هذه المرأة، وأنت أيها الزوج لا تكن متسلطًا على زوجتك وتشك في كل تصرفاتها، وتراقب حركاتها، وسكناتها وتعد عليها النفس، وتحاسبها على كل شيء بدعوى الخوف عليها، فهناك من يقول: «إن الرجل مش بكلمته الرجل برعايته لبيته واسرته»، وهذا التصرف ينفر منك زوجتك ويجعلها تختلق الأكاذيب كي ترضيك أو لخوفها منك، إن الزوجة هي التي تزين الحياة وتجعل زوجها لا يلجأ إلى الملذات الأخرى في ظل زمن باتت فيه الإغراءات وإثارة الغرائز تحاصرنا من كل ناحية، فالزوجة تحب أن يتزين لها زوجها أيضًا، كما تتزين هي، فالمسؤولية تقع عليكما معا باستثارة العواطف التائهة داخلكم، واليك بعض النصائح البسيطة التي لا تكلفكما شيئًا بل تعطينا الكثير والكثير دائمًا:

اجلسا مع بعضكما وتحاورا في أمور الحياة وأفضي إليه بما في داخلك وهو يفضي اليك بما في داخله فهذا يقربكما من بعضكما أكثر.

- لابد أن تتصل بزوجتك وهي تتصل بك هاتفيا خلال النهار لأن ذلك يقوي العلاقة بينكما ويعطيكما إحساسًا بالاهتمام ببعضكما.

- دائمًا انتهز الفرصة أيها الزوج وأنت أيتها الزوجة واشتري لزوجك هدية بسيطة في المناسبات فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تهادوا تحابوا» (أخرجه البخاري في الأدب المفرد)، والهدية ليست بقيمتها المادية ولكن بقيمتها المعنوية.

وأخيرًا أتمنى أن تخرجا مع بعضكما للتنزه بدون الأولاد واستعادة الذكريات القديمة.



ألم الجوع في أفريقيا

المنشاوي الورداني

في الوقت الذي تتذوق فيه القارة السوداء ألم الجوع وتزداد وطأته هذه الأيام، ليعد الأسوأ منذ ستين عاما، هناك دول تستهلك كمًا هائلا من المواد الغذائية؛ فيقام ما يقارب ١٠٠ حفل زفاف في الهند يوميا، و يجري رمي آلاف الأطنان من الطعام الفائض في القمامة يوميا.

أما الطعام الذي يجري رميه يوميا في الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا فيكفي لإطعام أكثر من مليار شخص...

منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (FAO)، كانت تنذر دوما بتفاقم وضعية الأمن الغذائي المزعزع بمنطقة القرن الإفريقي، ففي عام ٢٠٠٩ نشرت المنظمة تقريرا خطيرا لها نشرته شبكة الـ(CNN) الإخبارية، حيث أكدت تفاقم الأزمة جراء انخفاض معدلات الأمطار، إضافة إلى استمرار النزاعات والتشرد السكاني.

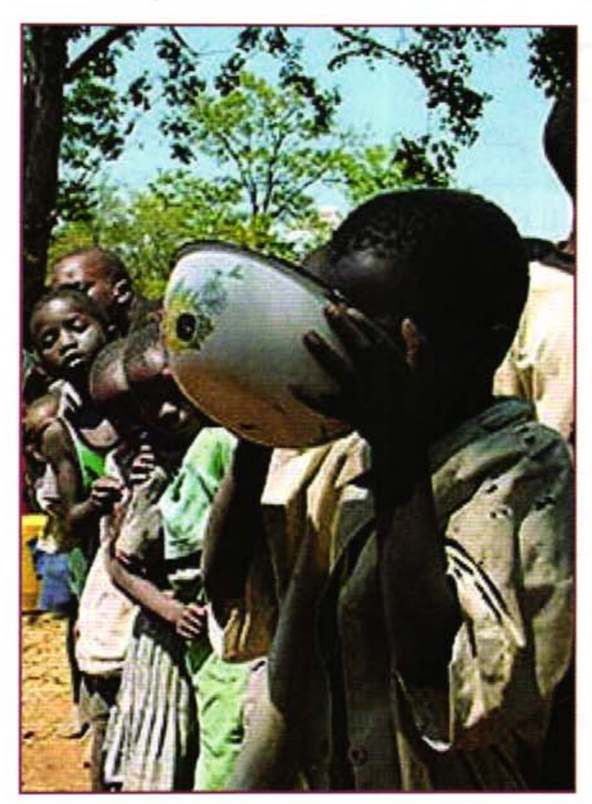
وتوقعت المنظمة زيادة عدد المعتمدين على المعونات الغذائية في تلك المنطقة من العالم، والبالغ عددهم حتى الآن ٢٠ مليون شخص، والذين يتوزعون بين المزارعين والرعاة وسكان المناطق الحضرية من ذوي الدخل المحدود.

ووفقا لما أفادت المنظمة الدولية على موقعها على الإنترنت، فإن عدد الجوعى سيزداد مع وجود الظاهرة المعروفة بـ «النينيو» وهي تيارات بحرية دافئة، تستتبع عادة هطول أمطار غزيرة جدًا، قبيل انتهاء الموسم الزراعي، ما يؤدي إلى دمار المحاصيل الزراعية ومستودعات خزن الغذاء جراء السيول والفيضانات والانهيارات الطينية التي تحدثها الأمطار.

وعلى الرغم من التذبذب الحاصل في أسعار الذرة، التي تعتبر المورد الأبرز في دول المنطقة، فإن الأسعار مازالت معقولة، وقد ارتفعت صادرات بعض الدول من محصول الذرة، إلا أن ذلك لم ينعكس على السكان، كما أن ضعف القدرة الشرائية لدى الأفراد سيزيد من تفاقم الأزمة.

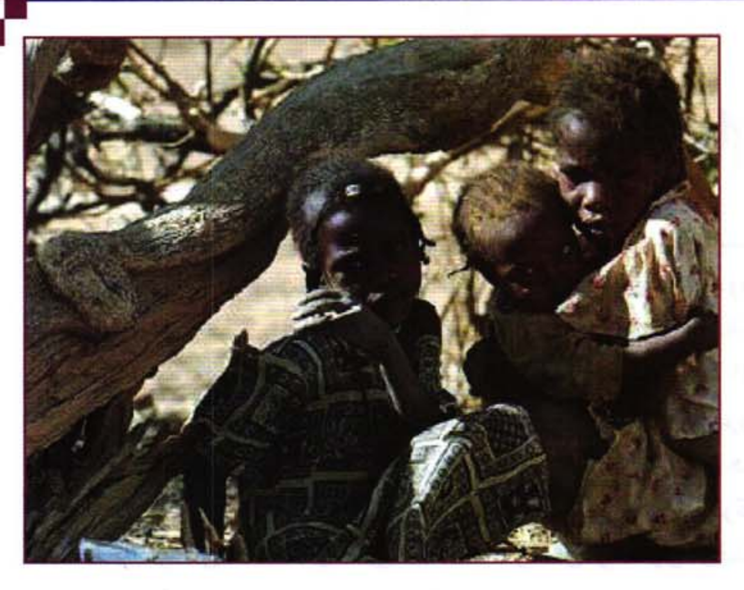
وذكرت المنظمة أن حال الرعاة مثلًا تزداد سوءًا بسبب قلة المراعي وبالتالي تَفاقُم أوضاع الماشية، وحرمانُهم من فرص تسويقها بأسعار جيدة، ما يؤدي إلى تقويض مستويات الدخل وقدرات الحصول على الغذاء.

وتشهد أغلب دول القرن الإفريقي سنوات متتالية من المواسم الرديئة، وتراجع محاصيلها بسبب الأمطار والفيضانات، كما أشارت المنظمة إلى أن الصومال يشهد أسوأ أزمة إنسانية منذ ١٨ عامًا، إذ يعيش نصفُ مجموع سكان البلاد، أي ما يقرب من ٣,٦ مليون شخص في حاجة ماسة إلى مساعدات الطوارئ لإنقاذ حياتهم وسُبل معيشتهم.



واليوم.. وكجزء من عملية الإنقاذ.. يقدم الاتحاد الأوروبي ١٨ مليون يورو، وقامت منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة «فاو» بتوريد البذور الممتازة إلى ١٠٠٠٠٠ مزارع من أضعف الفئات في بوركينا فاسو، وأفاد النظام العالمي للإنذار المبكّر لدى المنظمة، بأن الأوضاع الغذائية تَبعث على القلق والخوف في أجزاءٍ من منطقة الساحل والصحراء، حيث يواجه أكثر من ١٠

مترجم بالتلفزيون المصري





ملايين فَرد خطر الجوع، موضحًا أنه في بوركينا فاسو، أفضت نُدرة الأمطار إلى انخفاض إنتاج الحبوب خلال العام الماضي بنسبة ١٧٪.

وأعلن الخبير جان بيير رينسون، مُنسِّق عمليات الطوارئ لدى «فاو» أن الجفاف يزيد زعزعة الأمن الغذائي بعد ارتفاع أسعار المواد الغذائية. وأشار إلى أن المنظمة بدأت توزيع البذور المحسّنة على مئة ألف مزارع، تحضيرًا للموسم المقبل، ما تنعكس فوائده على ٧٠٠ ألف شخص في المجموع، متوقعًا أن تقود عمليات «فاو» إلى النهوض بمستويات الأمن الغذائي لأكثر من ٨٦٠ ألف أسرة ريفية، أي أكثر من ٦ ملايين فرد في المتوسط. ويتمثّل الهدف في تعزيز إنتاج الأغذية من خلال وضع البذور المحسّنة في متناول المزارعين المحتاجين إليها، وتشجيع عمليات إكثار البذور على أسس مُستدامة وتوثيق منشئها.

وأوضح رينسون، أن في إمكان مناطق الإنتاج المرتفع تعويض المناطق الأقل إنتاجًا، التي تنقُصها البذور وتواجه غياب الأمن الغذائي، لذا سيذهب جزء من الإنتاج إلى مناطق الأخطار المرتفعة لسَدّ مَواطن العجز؛ إذ يصارع ١٢ مليون و ٤٠٠ ألف شخص الجوع في الصومال وإثيوبيا وكينيا وجيبوتي. وتحتاج هذه الدول إلى المزيد من المساعدات الدولية لتقف أمام الجوع والجفاف الذي يعتبر الأشد منذ ٦٠ عامًا.

هذا وتعتبر الصومال أكثر الدول الإفريقية تأثرا، فقد ترك ربع الشعب منازلهم متجهين إلى مخيمات المساعدة في كينيا وإثيوبيا.

وأعلنت الأمم المتحدة أنها بحاجة إلى مليار و ٦٠٠ ألف دولار لإطعام الجياع في إفريقيا. أما تركيا فطلبت من منظمة المؤتمر الإسلامي عقد مؤتمر عاجلا لدراسة الوضع في إفريقيا. فيما تواصل منظمات المجتمع المدني في تركيا العمل من أجل جمع المساعدات وإرسالها إلى المخيمات في الصومال وكينيا.

ويبقى السؤال المهم: هل كانت سياسات المساعدة التي تتبعها الدول المتقدمة هي التي أثرت على مشكلة المجاعة في إفريقيا؟.. فإفريقيا كانت تصدر المواد الغذائية في الستينات والسبعينات من القرن الماضي.. إذن ما الذي حدث.؟!

إن العالم مطالب بكشف المخططات الإسرائيلية والغربية التي تدبر ضد القارة الإفريقية وعمليات النهب المنظم لثرواتها وكشف النفاق الغربي الذي يتحدث في مؤتمرات الدول المانحة عن تقديم مساعدات لدول القارة تبلغ اثنين ونصف المليار دولار في الوقت الذي يقدر حجم ما ينهبونه من ثروات القارة من معادن وذهب وغاز وطاقة ويورانيوم وغيرها سنويا عشرات المليارات من الدولارات.

ولعل الأسوأ من ذلك أن المساعدات المالية والإنسانية التي تقدم للقارة تقوم العصابات المسلحة التي تخضع للشركات الغربية بالاستيلاء عليها وشراء السلاح لتسليح المتصارعين والدفع بالقارة للمزيد من الحروب الأهلية.

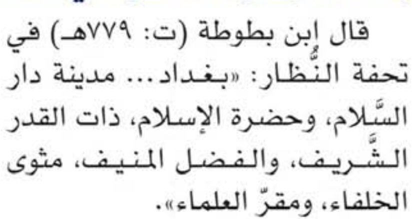
وفي نفس الإطار.. هذه المعونات تحول الإنسان الإفريقي إلى مجرد متسول لا يمكنه أن يطور نفسه أو يتحكم في ثرواته أو أن يملك القوة لاستعادتها من الناهبين والسارقين.. فهل كتب على إفريقيا أن تظل قارة سوداء جائعة.. لا تحسن إدارة مواردها.. ولا تفلح في الكشف عن ناهبيها وسارقيها؟!!

جامع الإمام الأعظم «أبو حنيفة النعمان»



تركي محمد النصر

بغداد.. المدينة المُدَوَّرة، سُرَّةُ الدُّنيا، وجنَّة الأرض، ومدينة السَّلام، وقبَّة الإسلام، ومجمع الرَّافدين، وغرَّة البلاد، وعين العراق، ودار الخلافة، ومجمع المحاسن والطيِّبات، ومعدن الطرائف واللَّطائف. بناها أبوجعفر المنصور سنة: (١٤٥هـ) بشكل دائري، وجعل داره ومسجده في وسطها، وانتقلت إليها الدَّولة العبَّاسية سنة: (١٤٩هـ). قال الأديب عبدالواحد بن نصر بن محمد، المعروف بأبي الفرج الببغاء (ت:٣٩٨) في مدح بغداد: «إنَّ هواءها أغذى من كل هواء، وماءها أعذب من كل ماء، وإنَّ نسيمها أرقُّ من كلِّ نسيم، وهي بمنزلة المركز من الدائرة، ولم تزل بغداد موطن الأكاسرة في سالف الأزمان، ومنزل الخلفاء في دولة الإسلام».



قال ابن بطوطة (ت: ٧٧٩هـ) في تحفة النُّظار: «بغداد... مدينة دار السَّلام، وحضرة الإسلام، ذات القدر الشَّريف، والفضل المنيف، مثوى الخلفاء، ومقرّ العلماء».

وقال فيها ياقوت الحموي (ت:٦٢٦هـ) في معجمه: «بغداد سيِّدة الدنيا، وأمُّ البلاد».

ومن مشهور الأقاويل فيها قول الشَّافعي (ت:٢٠٤هـ) لتلميذه يونس بن عبدالأعلى (ت:٢٦٤هـ): يا يونس: أَدَخَلتَ بغداد؟.

قال: لا. قال: يا يونس، ما رأيتَ الدُّنيا، ولا رأيتَ النَّاس!.

وقال أبوالحسن ابن زريق البغدادي (٤٢٠هـ):

سافرت أبغي لبغداد وساكنها
مثْلًا، قد اخترت شيئًا دونه الياسُ
هيهات! بغدادُ الدنيا بأجمعها
عندي، وسكان بغداد هم الناسُ

ذكر الجانب الشرقي من بغداد

قال ابن بطوطة في تحفة النُّظار: وهذه الجهة الشرقية من بغداد حافلة الأسواق عظيمة الترتيب... وفي وسط هذا السوق المدرسة النظامية العجيبة التي صارت الأمثال تضرب بحسنها، وفي آخره المدرسة المستنصرية، ونسبتها إلى أمير المؤمنين المستنصر بالله أبي جعفر ابن أمير المؤمنين الظاهر ابن أمير المؤمنين الناصر، وبها المذاهب الأربعة... وبهذه الجهة الشرقية من المساجد التي تقام فيها الجمعة ثلاثة:

أحدها جامع الخليفة (جامع الخلفاء اليوم)، وهو المتصل بقصور الخلفاء ودورهم، وهو جامع كبير في سقايات ومطاهر مثيرة للوضوء وللغسل، ولقيت بهذا المسجد الشيخ الإمام العالم الصالح مسند العراق سراج الدين أبا حفص عمر بن علي بن عمر القزويني، وسمعت عليه فيه جميع مسند الإمام الدارمي.

ومنارة جامع الخليفة، من المآذن التاريخية والمتميزة بعمارتها، وهي الأثر المعماري الوحيد الباقي من دار الخلافة العباسية ومساجدها، وقد بنيت هذه المنارة قبل أكثر من سبعة قرون، وهي من الآجر فقط، وتبدو النقوش المحيطة بالسطح الدائري بأشكالها المعينية البسيطة، كما لو كانت قد صففت لتبرز من خلال الظلال المتباينة في الخط الآجري. وكانت تعتبر أعلى منارة يمكن رؤية بغداد من على مأذنتها، وكان ارتفاعها خمسة وثلاثين مترًا، وهي تعبر عن جلال بناء قصور الخلافة العباسية، ولقد سقطت المنارة وهدم الجامع عام: (٦٧٠هـ)، وأعيد بناؤهما في عام: (٦٧٨هـ).

ثانيها جامع السلطان، وهو خارج البلد وتتصل به قصور تنسب للسلطان.

وثالثها جامع الرصافة، وبينه وبين جامع السلطان نحو الميل».

وقال رحمه الله: «وبقرب الرصافة قبر الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، وعليه قبة عظيمة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر... وبالقرب منها قبر الإمام أبي عبدالله أحمد بن حنبل رضي الله عنه ولا قبة عليه... وأكثرهم على مذهبه، وببغداد كثير من قبور الصالحين والعلماء رضي الله عنهم».

جامع الإمام الأعظم

سمي الجامع بهذا الاسم نسبة للإمام العلامة الفقيه الحجَّة «أبوحنيفة» النعمان بن ثابت الكوفي، إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السُّنَّة، غلبت كنية «أبوحنيفة» على اسمه حتى كان أشهر من نار على علم.

ولد سنة: (٨٠هـ)، في الكوفة ونشأ فيها، وأراده الخليفة المنصور العباسي على القضاء ببغداد فأبى، فحلف عليه ليفعلن، فحلف أبوحنيفة أنه لا يفعل،

إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

فحبسه إلى أن مات سنة: (١٥٠هـ) عن عمر يناهز السبعين، وكانت له جنازة حاشدة قلّ نظيرها، ودفن في مقبرة الخيزران في جانب الرصافة.

وكان رحمه الله قوي الحُجَّة، قال الإمام مالك بن أنس (ت:١٧٩هـ) رحمه الله تعالى، يصفه: «رأيت رجلًا لو كلَّمته في السارية أن يجعلها ذهبًا لَقَامَ بِحُجَّته».

وكان رحمه الله آية من آيات الله في الذكاء والحفظ والاستنباط، قال عنه الإمام الشافعي (ت:٢٠٤هـ) رحمه الله: «الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة».

وأخذ عنه كثيرون ممن نبغوا في العلم عامة «والفقه خاصة» كمحمد بن الحسن الشيباني (ت:١٨٩هـ)، وزفر بن الهذيل البصري (ت: ١٥٨هـ)، وأبويوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي (ت:١٨٢هـ)، والإمام الليث بن سعد (ت: ١٧٥هـ)، وآخرون.

ولم يكن عند قبره، رحمه الله، مسجد أول الأمر، حيث كان ما حوله مقبرة لعموم المسلمين، وفي سنة: (٣٧٩هـ) أقام أبوجعفر رواقًا على قبره، وفي سنة: (٤٥٩هـ) بنى الملك السلجوقي أبوسعد محمد بن منصور الخوارزمي قبة على قبره، كما بنى عنده مدرسة كبيرة للحنفية.

وقال ابن الجوزي في «المنتظم»: «في هذه الأيام يعني سنة: (٤٥٩ هـ) بنى أبوسعد المستوفي الملقب شرف الملك مشهد أبي حنيفة، وعمل لقبره ملبنًا وعقد القبة، وعمل المدرسة بإزائه وأنزلها الفقهاء، وعندما دخل أبوجعفر ابن البياضي إلى الزيارة قال ارتجالًا:

ألم تر أن العلم كان مضيعًا

فجمعه ذاك المغيب في اللحد

كذلك كانت هذه الأرض ميتة

فأنشرها جود العميد أبي سعد

وقال ابن جبير في رحلته: «وبالرصافة مشهد حفيل البنيان له قبة بيضاء سامية في الهواء فيه قبر الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه»

وجامع الإمام الأعظم أحد المساجد والمدارس التاريخية في مدينة بغداد، والمنطقة حول الجامع تدعى «الأعظمية» نسبة إليه رحمه الله وتقع في شمال بغداد على جهة الرصافة ويقابلها منطقة الكاظمية نسبة إلى موسى الكاظم رحمه الله تعالى..

تاريخ المسجد وبناؤه

مسجد الإمام الأعظم هو أحد المساجد التاريخية التي ذكرها ابن بطوطة أثناء زيارته لبغداد، وقد بني سنة: (٣٧٥هـ)، ثم بنيت عنده مدرسة كبيرة وكان التدريس فيها قاصرًا على العلوم الشرعية فقط، وقال المؤرخون: لولا وجود مشهد الإمام أبي حنيفة



أثناء وجود الصفويين في بغداد تم هدم مشهد جامع الإمام أبي حنيفة ومدرسته أكثر من مرّة

ومدرسته في بغداد لكانت المنطقة اندثرت وزالت بعد سقوط بغداد ودخول هولاكو، كما اندثرت مناطق عديدة منها.

وأثناء وجود الصفويين في بغداد تم ولمرات عدة هدم مشهد الإمام أبي حنيفة وتحطيم مدرسته، وهما الآن من أهم الآثار والمساجد التاريخية في عالم الإسلام، بسبب ما للإمام وتلامذته ومذهبه من فضل كبير على جميع المسلمين، هذا وقد تعرض الجامع وما حوله من آثار ومرفقات للتغيير أكثر من مرة عما كان عليه أولًا وذلك لما قام به الكثير من الملوك والأمراء ونظار الوقف، من إحداث ترميمات أو تجديد بناء أو إضافة مرافق أو استحداث بدائع.

وبعد الاهتمام البالغ الذي شهده المسجد من قبل الملك محمد بن منصور الخوارزمي كما مر سابقًا كان العثمانيون أكثر الناس اهتمامًا به، فعندما طرد السلطان سليمان القانوني الفرسَ الذين هدموا قبر الإمام رحمه الله من بغداد سنة: (٩٤١هـ)، باشر بإصلاح ما هدموه وخربوه، فأقام مسجد الإمام ومشهده، وبنى له منارة، وأعاد بناء المدرسة المجاورة له كما أمر بتعمير دار ضيافة وحمام وخان وأربعين إلى خمسين دكاناً حوله، ثم أمر بتعمير قلعة لحراسة الجامع والمدرسة والمنطقة، ووضع جنودًا بلغ عددهم نحو (١٥٠) ومعهم معدات حربية ومدافع لحماية المكان.

وكانت بعد ذلك إصلاحات أخرى على يد السلطان مراد خان الرابع عند دخوله بغداد عام: (١٠٤٨هـ)، حيث أخرج بقايا الفرس من المدينة وأعاد بناء الجامع والمشهد والمدرسة، واعتنى بالقبة التي فوق المشهد، وهي الموجودة

حاليًا وأمر بتزيينها والاعتناء بمنظرها، وجاء معه إلى الأعظمية بعض من قبيلة العبيد، وسكنوا حول ضريح الإمام أبي حنيفة لحمايته.

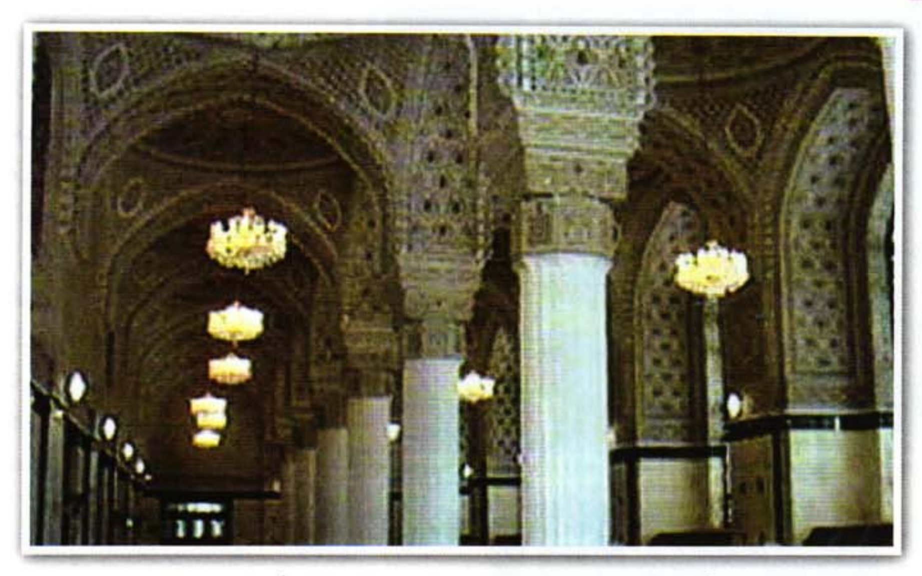
وهكذا ظل المسجد يخضع لأعمال الصيانة الجزئية، والزيادات اللطيفة على يد الخلفاء العثمانيين، كإنشاء حديقة حول المسجد، وتزويق للمنارة الشامخة وتحليتها بالذهب.

وفي سنة: (١٢٨٨هـ)، أمر السلطان العثماني عبدالعزيز بإعادة بناء المسجد بشكل كامل ما عدا المنارة والقبة، وتمت هذه العملية على مدار خمس سنوات بكلفة مالية بلغت ثمانين ألف ليرة عثمانية ذهبية، واشتمل البناء الجديد على بيت الصلاة، ورواقين، وغرف من جهة الجنوب والشرق والشمال محيطة بصحن واسع، كما اشتملت على حديقة ومصلى صيفي وساحة كبيرة ومدرسة للقرآن الكريم.

وفي عام: (١٣٢٨هـ)، قام السلطان عبدالحميد بتجديد سور الجامع من جهة القبلة وبنى فيه غرفًا للطلاب والضيوف، وبنى دورًا ثانيًا فوق الغرف الجنوبية.

وتعتبر التوسعة التي تمت في سنة: (١٣٩١هـ)، هي الأخيرة والتي أضافت إلى المسجد مساحة كبيرة تفوق مساحته الأصلية، حيث بلغت مساحته الحالية بما فيها من ساحات وصحن للمسجد أكثر من (١٥) ألف متر مربع من ضمنها كلية الإمام الأعظم الملحقة به.

وكان للجامع قبتان: إحداهما فوق المسجد، والأخرى فوق مرقد الإمام أبي حنيفة رحمه الله، ومنارة من الجهة الشرقية، فأضيفت إليه قبتان أخريان ومنارة من الجهة الغربية، كما جدد السياج الخارجي بالطابوق الأصفر



المطعم بالكاشي الأزرق المنقوش بزخارف متنوعة كتب في بعضها أسماء الله الحسنى.

المدرسة الأعظمية

المدرسة الأعظمية أو كلية الإمام الأعظم، هي مدرسة دينية تهتم بتدريس العلوم الشرعية الإسلامية، شُيِّدت بجوار مشهد أبي حنيفة رحمه الله وسُمِّيت باسمه، وشيدها شرف الملك أبوسعيد محمد بن منصور الخوارزمي، مستوفي مملكة السلطان ملك شاه السلجوقي عام: (٤٥٩هـ).

بقيت مدرسة الإمام الأعظم حتى عام: (١٩١١م) المدرسة الوحيدة في الأعظمية إلى جانب بعض الكتاتيب لتعليم القراءة والكتابة والقرآن الكريم.

وقد سميت المدرسة الأعظمية بعد عملية الترميم الأخيرة بـ «جامعة الإمام الأعظم» وذلك عندما طالب الشيخ العلامة نعمان بن أحمد الأعظمي (ت: ١٣٥٥هـ) السلطان العثماني بإنشاء كلية في الجامع، وكان للشيخ نعمان الفضل الأكبر في السعي لإنشائها وبنائها، وتعتبر من مآثره وجليل أعماله. ثم سماها «دار العلوم الدينية والعربية»، ثم «كلية الشريعة» ثم سميت مرة أخرى بـ «كلية الإمام الأعظم».

وكانت هناك بعض أعمال الترميم خلال العهد الملكي. وفي عام: (١٩٢٣م)، صدر الأمر بإعادة تسميتها بـ «الكلية الأعظمية» وجعلها تابعة لديوان وزارة الأوقاف وصارت أكبر مدرسة دينية في العراق.

وفي سنة: (١٩٥٨م) تم بناء برج أسطواني بارتفاع (٢٥ م) وكُسِيَ بالفسيفساء الأزرق والأبيض ليكون جاهزًا لاستقبال ساعة الأعظمية التي نُصبت عام: (١٩٦١م)، وبقيت تعمل بانتظام، وفي عام: (١٩٧٣م) قامت وزارة الأوقاف بكساء البرج بصفائح من الألمنيوم المضلع باللون الذهبي، وكانت هناك كذلك بعض أعمال الترميم خلال العهد الجمهوري، وكذلك خلال ثمانينيات القرن العشرين، وقد دُمِّر جزء من هذه المنارة والساعة والضريح وأجزاء أخرى داخل الجامع في أحداث الحرب الأخيرة في بغداد، وتعطلت به صلاة الجمعة عدة مرات، وكان الجامع ومرفقاته قد تعرض لأعمال تخريب من بعض ضعاف النفوس سنة: (٢٠٠٣م)، الأمر الذي دفع بعض الأهالي إلى حراسة المسجد والقيام على أعمال ترميمه التي لا تزال مستمرة حتى

الآن.

الجانب العلمي للمسجد ومدرسته

أدَّى جامع الإمام الأعظم منذ تأسيسه دورًا ثقافيًا مهمًا من خلال حلقات العلم التي انتشرت في جنباته، كما عُدَّت مدرسته نموذجًا رائدًا يحتذى به، وكانت في أول الأمر على النمط القديم المتبع في حينه، وكانت موطن العلماء ومآب الساعين من طلاب العلم في شتى فنونه، حتى حمل التاريخ أسماء ثلة من مدرسيها وطلابها، وقد درس وتخرَّج بهذه المدرسة الجامعة في مختلف مراحل تطورها الحديث قوافل من العلماء شُهد لهم بالفضل والسبق وكانوا خيرة قومهم علمًا ومسلكًا، وأصبحت النِّسبة إلى الجامعة الأعظمية وسام شرف يحملونه فيقال: فلان بن فلان «الأعظمي»، أي من خريجي كلية الإمام الأعظم، ومنهم هؤلاء:

الشيخ العلامة شجاع بن الحسن المتوفى عام: (٥٥٧هـ)، والشيخ العلامة مسعود بن الحسين القاضي المتوفى عام: (٥٧١هـ)، والعلامة عبداللطيف بن نصر الله الواسطي المتوفى عام: (٥٩٤هـ)، والشيخ ضياء الدين أبوالفضل أحمد بن مسعود التركستاني المتوفى عام: (٦١٠هـ)، والشيخ العلامة عبدالملك بن عبدالسلام اللمغاني المتوفى عام: (٦٤٨هـ)، والشيخ الإمام تاج الدين بن السباك البغدادي المتوفى عام: (٧٥٠هـ)، ونذكر منهم أيضًا:

١- الفقيه أبومعروف حسين أفندي بن الملا عبدالله بن الملا محمد الخضري (ت:١٣٢٢هـ)، درس على علماء عصره في بلده، وكان ذكيًا حاذقًا باللغة العربية، وعلومَ التفسير والفقه، والحساب والفلك، والرياضيات، تولى التدريس في كلية الإمام الأعظم عام: (١٢٦٥هـ)، وله العديد من المؤلفات، منها: برهان الهدى، وهو كتاب تفسير للقرآن، ومناقب الإمام أبي حنيفة، وشرح تشريح الأفلاك، وغيرها كثير.. وقد تخرج عليه خلق كثير وعلماء أعلام منهم الشيخ نعمان الألوسي، وقد أجازهُ عام: (١٢٩٥هـ)، واعتزل التدريس أواخر حياته وحل محلهُ في مجلسهِ ولدهُ العلامة معروف أفندي البشدري.

٢- الشيخ العلامة أبويحيى نعمان بن أحمد بن إسماعيل العبيدي الأعظمي (ت:١٣٥٥هـ)، ولد في محلة الشيوخ بالأعظمية، وكان والده يرغب في أن يجعله في سلك العلماء، فمهد له السبل ووصله مع علماء عصره ومنهم العلامة الشيخ المحدث عبدالرزاق الجلبي الأعظمي، ثم انتسب إلى مدرسة الإمام أبي حنيفة، ودرس على الشيخ أحمد السمين الألباني، والشيخ سعيد النقشبندي، والشيخ عبدالوهاب النائب، وأجازه الشيخ حسن الخانبوري، وكان قد عين معلمًا في المدرسة الأعظمية عام: (١٣١٧هـ). ترك الكثير من المؤلفات المخطوطة والمطبوعة، وله تعليقات على هوامش الكتب المحفوظة في مكتبته، ومن مؤلفاته: «إرشاد الناشئين، المواعظ الدينية الصحيحة، شقائق النعمان في مواعظ رمضان، أغاريد الهزار في الأناشيد والأشعار» وغيرها كثير.

هذا، ولا زالت كلية الإمام الأعظم تُدرس مختلف العلوم الشرعية الإسلامية، وفق أصول المذهب الحنفي، كالفقه والعقيدة والدعوة والإرشاد، وتخرج العلماء وطلاب العلم، وهي تعتبر من أقدم المدارس العلمية في بغداد التي مازالت عاملة لحد الآن.

> مازال جامع الإمام الأعظم ينشر العلم ويدرّس علوم الدين إلى يومنا هذا

وثائق ومحفوظات

تعتبر مكتبة جامع الإمام الأعظم من أكبر المكتبات وأثراها، وتحتوي بالإضافة إلى الكم الهائل من الكتب العلمية في جميع الفنون على وثائق قيمة مهداة وموقوفة من قبل بعض المتبرعين تشتمل على:

١- مصحف كبير مذهب ومزخرف، أهداه الحاج حافظ محمد أمين الرشدي للسلطان محمود سنة: (١٢٣٦هـ).

٢- المصحف المشهور بـ «قرآن أنور باشا» بخط إسطنبولي محلى بالذهب، غلافه من الذهب مرصع بالألماس، أهدي خلال الحرب العالمية الأولى.

٣- مصحف كبير الحجم مزخرف ومذهب جميعه، كل صفحة سطران كبيران بخط كبير، كتب بماء الذهب، وبعضها بحروف أصغر، يقال لهذا النوع ياقوتي، أوقفه مصطفى آغا القابولي سنة: (١٠٧٣هـ).

٤- مصحف كبير وضع داخل صندوق كبير من الفضة المزخرفة والمطعم بالأحجار النفيسة، وهو هدية ملك الأفغان محمد ظاهر شاه سنة: (١٩٥٠م).

وهناك مصاحف كثيرة جدًا بعضها مزخرف ومذهب في بدايته ونهايته والبعض الآخر بلا زخرفة أو تذهيب.

وهكذا ومما سبق يتبين لنا الدور الثقافي والاجتماعي والعلمي الرائد الذي أداه كل من جامع الإمام الأعظم ومدرسته، وذلك من خلال نشر العلم والمعرفة وتدريس علوم الدين، والعلوم الأخرى، وتخريج كوكبة من العلماء البارزين على مرِّ العصور، ومازال جامع الإمام الأعظم ومدرسته العريقة يؤديان هذا الدور الرائد حتى يومنا هذا.

أنظمة علاجية للسيطرة على سكر الدم



د. عبدالرحمن النمر

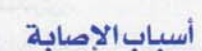
يصاب الإنسان بالسكري نتيجة عجز البنكرياس عن افراز هرمون الإنسولين، أو إفرازه بكميات غير كافية أو غير فعالة، مما يؤدي الى ارتفاع نسبة السكر (الجلوكوز) في الدم بحيث تتعدى المستوى الطبيعي والذي يتراوح ما بين (٨٠: ١٢٠ ملغم/ ١٠٠ مللتر).

ويحصل جسم الإنسان على السكر من الغذاء نتيجة هضم الطعام وامتصاصه بحيث ينتقل بواسطة الدم الى خلايا الجسم المختلفة ليستعمل في انتاج الطاقة، ويعتبر هرمون الإنسولين- الذي تفرزه غدة البنكرياس- المنظم الرئيسي لمستوى الجلوكوز في الدم، ويلعب هذا الهرمون دورا هاما في إدخال الجلوكوز إلى الخلايا.

هناك نوعان من السكري يختلفان عن بعضهما البعض في الأسباب وطرق العلاج هما:

النوع الأول: السكري المعتمد على الإنسولين، و تشكل نسبة الاصابة به ١٠٪ من حالات الاصابة بالسكري، هذا النوع من السكري يحدث في سن مبكرة اثناء مرحلة الطفولة والبلوغ، ويتميز هذا النوع بعجز كامل في افراز الإنسولين من البنكرياس، وكنتيجة لهذا الأمر يحتاج المصاب الى المعالجة بحقن الإنسولين يوميا مع برنامج غذائي متوازن.

النوع الثاني: السكري غير المعتمد على الإنسولين، وهذا النوع هو الأكثر شيوعا حيث ان نسبة الاصابة به تشكل حوالي ٩٠٪ من حالات الاصابة بالسكري، ويحدث في منتصف العمر أو بعده، ويتميز هذا النوع بنقص في افراز الإنسولين بحيث لا يكفي لتخفيض السكر في الدم، ويصاحب هذا النوع غالبية المصابين بالسمنة، وتكفي الحمية الغذائية وتخفيف الوزن لعلاجه في بعض الحالات، بينما يحتاج البعض الآخر الى الادوية المخفضة للسكر والتي تعمل على تحفيز البنكرياس لإنتاج كمية اكبر من الإنسولين.



أسباب الإصابة

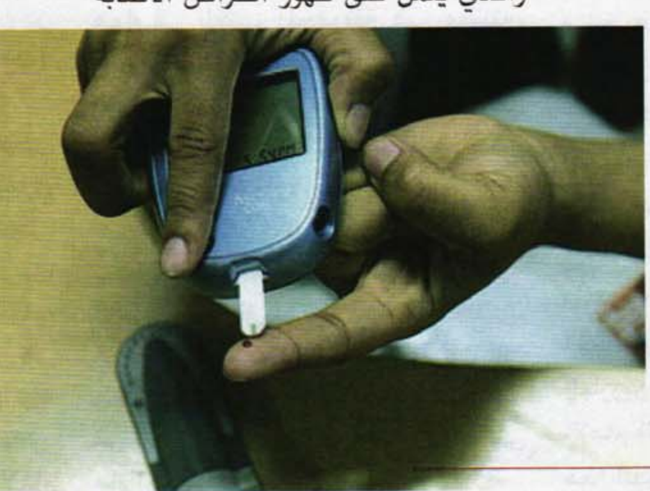
إن السبب الرئيسي للاصابة بمرض السكري غير معروف، لكن هناك عوامل عدة تساعد على ذلك منها:

الوراثة، فإذا كان أحد او كلا الوالدين مصابا بالسكري غير المعتمد على الإنسولين فان هناك زيادة في احتمالية الاصابة عند احد ابنائهم او اجيالهم القادمة.

السمنة، تتضاعف احتمالية الاصابة بالسكري- وخصوصا بالنوع الثاني من السكري -عند الأشخاص البدناء.

الحالة النفسية كالقلق والتوتر، فهما يعجلان في ظهور أعراض الإصابة، ولكنهما لا يعتبران من الأسباب المباشرة لها.

الالتهابات، مثل التهاب البنكرياس، والذي يعمل على ظهور أعراض الاصابة بمرض السكري.



الأدوية، مثل الكورتيزون وحبوب منع الحمل.

الكحول، تعمل المشروبات المسكرة على اتلاف غدة البنكرياس وبالتالي الاصابة بالسكري.

مخاطر الإصابة

يؤدي ارتفاع السكر في الدم الى مخاطر عدة، مثل الالتهابات التي تصيب الجلد واللثة والمسالك البولية، والى مضاعفات قد تسبب على المدى البعيد امراضا في جميع اعضاء الجسم ومنها: الأعصاب: حيث يؤدي عدم التحكم في مستوى السكر في الدم الى فقدان الاحساس في الاقدام، مما يؤدي الى تقرحات والتهابات بالأصابع والاطراف.

العيون: يؤثر ارتفاع السكر في الدم على العدسة والشبكية وتكون المياه البيضاء في العدسة، حيث يمكن ان تؤدي الى فقدان البصر.

الكلى: فارتفاع السكر في الدم يؤدي إلى عدم قدرة الكلى على القيام بوظائفها، مثل تصفية الدم والتخلص من المواد الضارة والاملاح الزائدة، وقد يؤدي الى قصور الكلى.

أهداف العلاج

- منع تذبذب مستوى السكر في الدم بحيث يكون ضمن

طبيب مصري



الحدود الطبيعية.

-المحافظة على الوزن المثالي للجسم، والذي يساعد على انضباط مستوى السكر في الدم.

-التمتع بحياة طبيعية لا تختلف عن اي شخص آخر.

-منع أو تأخير ظهور المضاعفات الناتجة عن عدم انتظام السكر في الدم.

كيفية العلاج

هناك ثلاثة عوامل رئيسية في معالجة مريض السكري:

النظام الغذائي -النظام الرياضي- النظام الدوائي

النظام الغذائي:

وهو الخطوة الأولى والأساسية للسيطرة على سكر الدم، وللاستفادة منه يجب الانتظام في تناول وجبات الطعام في مواعيدها المحددة بحيث تكون ثلاث وجبات أو أكثر موزعة طوال النهار، وتجنب تناول كميات كبيرة من الطعام في نفس الوقت، ويجب أن يكون الطعام المتناول متساويا -من ناحية المحتوى من العناصر الغذائية والطاقة - تقريبا في كل يوم، وتجنب تناول الأطعمة المركزة بالسكر مثل العصير المحلى، الشوكولاته، الحلاوة، المربى، الدبس، السكاكر، الكعك المحلى.... وان يكون الغذاء متنوعا ومتكاملا، وهذا يعني احتواءه على النشويات والبروتينات والدهون والفيتامينات والمعادن، والإقلال من الطعام المحتوي بكثرة على ملح الطعام مثل المخللات والمكسرات وخصوصا للمرضى المصابين بارتفاع ضغط الدم.

ويمكن تناول المشروبات التالية حسب الرغبة بدون اضافة السكر «شاي، قهوة، بابونج، يانسون..الخ»، ويمكن استعمال سكر النبات بدل السكر العادي، ويمكن استعمال البهارات التالية حسب الرغبة «فلفل اسود، قرفة، كمون، حب الهال».

النظام الرياضي:

إن النظام الرياضي مفعوله مثل الإنسولين على سكر الدم، حيث ان التمارين الرياضية المنتظمة تساعد على تخفيض سكر الدم، كما ان التمارين الرياضية تساعد على التخلص من الوزن الزائد وتنشط الدورة الدموية وتقوي عضلة القلب وتساعد على انخفاض نسبة الدهون في الدم، ويفضل اختيار التمارين الرياضية التي تكون ملائمة و غير مكلفة وغير مجهدة، بحيث تكون بحاجة الى مجهود عضلي متوسط وديناميكية تتحرك فيها جميع عضلات الجسم، مثل المشي والهرولة والسباحة، مع التخطيط لعمل برنامج أسبوعي للتمارين الرياضية، (٣-٤) مرات في الأسبوع، ولمدة نصف ساعة في كل مرة.

عند القيام بمجهود عضلي غير معتاد، يجب على المصاب تناول كمية اضافية من الطعام أو تقليل جرعة الإنسولين لتفادي انخفاض السكر في الدم الذي يحدث نتيجة الجهد العضلي الزائد.

النظام الدوائي:

إذا لم تتم السيطرة على ارتفاع سكر الدم عن طريق النظام الغذائي بالاضافة الى النشاط الحركي وازالة الوزن الزائد، عندئذ لا بد من اللجوء الى الدواء، سواء كان على شكل اقراص أو حقن انسولين.

والأقراص إما أن تساعد على تحريض البنكرياس لافراز مادة الإنسولين، أو على إدخال السكر الى خلايا الجسم.

أما حقن الإنسولين فهي أربعة أنواع تصنف وفقا لسرعة فعاليتها ومدة تأثيرها، ولكل نوع استخداماته الخاصة وفقا لحالة المصاب وحاجته من الإنسولين، فالإنسولين سريع المفعول يبدأ مفعوله بعد نصف ساعة، ويكون تأثيره الأقصى بعد ٢:٣ ساعات، وينتهي تأثيره بعد حوالي ٦ ساعات، و يستعمل هذا النوع غالبا للمعالجة داخل المستشفيات.

والإنسولين متوسط المفعول، ويبدأ مفعوله بعد ساعتين من الحقن، ويكون تأثيره الأقصى بعد ٤-٦ ساعات، ومدة تأثيره تتراوح ما بين ١٢-١٨ ساعة.

والإنسولين الممزوج وهو مزيج من الإنسولين السريع والإنسولين متوسط المفعول.

أما الإنسولين طويل المفعول فيبدأ مفعوله بعد حوالي ٤ ساعات من الحقن، ويكون اقصى تأثير له بعد حوالي ٨ :١٢ ساعة، ومدة تأثيره تتراوح ما بين ١٦:٢٤ ساعة.

نظام البدائل الغذائية

يستعمل نظام البدائل الغذائية في تخطيط وجبات الطعام لمرضى السكري، ويحتوي هذا النظام على ست مجموعات وهي: مجموعة الخبز والنشويات- مجموعة اللحوم- مجموعة الخضراوات- مجموعة الفواكه- مجموعة الحليب- مجموعة الدهون.



فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

٢/٤٢٨/٨٤ع.... سن المحرم للحج

١٩٧ أريد إرسال زوجتي لأداء فريضة الحج مع ابني البالغ من العمر ١٥ سنة كمحرم لها ولابنتي البالغة من العمر عشرين سنة، وهناك من يعترض على ذهابهم للحج، فأرجو إفتائي بذلك.

أجابت اللجنة:

إن الشاب البالغ من العمر خمس عشرة سنة، إذا سافر مع أمه أو أخته إلى الحج يتحقق به المحرم المطلوب شرعًا لسفر المرأة، وبناء عليه فلا مانع شرعًا من سفرهما معه. والله أعلم.

٥/١٩/٨٤ع.... حج المرأة مع مجموعة نساء

هل يجوز لمجموعة من النساء يصل عددهن إلى حوالي خمس عشرة امرأة أن يحججن بيت الله الحرام بدون محرم، كأن يكون صاحب الحملة هو المحرم لهن جميعًا؟

× أجابت اللجنة بما يلي:

إن السفر للعمرة من الكويت إلى الأرض الحجازية سفر طويل، ولا يحل سفر المرأة في هذه الحال إلاّ مع زوج أو محرم، وإذا كان بعض المذاهب قد رخص في خروج المرأة مع نسوة صالحات فإن هذه الرخصة قاصرة على أداء الحج المفروض. والله أعلم .

٣/٥٨/٧٩.... تجاوز الميقات بدون إحرام

هل يجوز الإحرام من مدينة جدة للمعتمر القادم من الكويت بالطائرة، وما يلزمه إن أحرم منها؟

أجابت اللجنة:

أنه إذا خرج من الكويت قاصدًا جدة، ثم بدا له أن يعتمر فلا شيء عليه، أما إذا خرج من الكويت قاصدًا الاعتمار فقد جاوز الميقات بلا إحرام، فإن لم يرجع إلى الميقات فيكون عليه فدية شاة تذبح في الحرم، وليس له أن يأكل منها. والله أعلم.

٤/٤/٧٧.... خروج المعتدة للحج

...ما حكم المعتدة من الوفاة، هل يجوز أن تذهب إلى الحج؟

أجابت اللجنة: أنه لا يجوز أن تذهب إلى الحج مادامت في عدتها، سواء أكان حجها فرضًا أو غير فرض، لأن المعتدة مأمورة بالاعتداد في منزلها ومنهية عن الخروج منه، إلاّ أن تخرج لحاجتها نهارًا، على أن تبيت في منزلها، ولأن الاعتداد يفوت بفوات وقت العدة، والحج يمكن تداركه. والله أعلم.

٤/١٣/٨٤ع.... حج الابن عن أبيه

لي أب في الصومال وعمره ٨٧ سنة، وقد حججت في المرة الأولى عن نفسي، وحججت المرة الثانية عن أبي، لظروفه الصحية وكبر سنه، وقد علمنا عن بعض الشيوخ في الصومال أنه لا يجوز أن أحج بدلا عن والدي مادام على قيد الحياة.

أجابت اللجنة: إن كانت حالته الصحية تمنعه من السفر فيجوز أن يحج عنه ابنه مادام قد حج عن نفسه. والله أعلم.

٦/٢٤/٧٨.... شرط الاستطاعة في الحج

السؤال وارد من جهة وزارة الخارجية، بإحالة صورة مذكرة الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي ومنه ما يلي:

...تتشرف الأمانة أن تشير إلى القرار المتخذ في مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامي، والمتضمن ما يلي:

(أ) تقرير دعوة الدول الأعضاء لاتخاذ الوسائل الخاصة بها لتحقيق وتأكيد شروط الاستطاعة الشرعية في الحج، ومن ذلك:

١- توفر القدرة البدنية للحجاج.

٢- توفر القدرة المالية لديهم.

٣- تطبيق جميع الاشتراطات والاستعدادات الصحية التي أوصى بتنفيذها مجلس وزراء الصحة العرب في دورته الثانية في طرابلس.

وترجو موافاتها بالرأي في شأن الدراسة المقدمة في ضوء الاستطاعة الشرعية في الحج.

أجابت اللجنة بما يلي:

لا مانع شرعًا من أن تتخذ السلطات الوسائل المشروعة التي تراها مناسبة للتحقق والتأكد من توفر شروط الاستطاعة البدنية والمالية لدى الحجاج، ومرافقة المشرفين الدينيين والصحيين لحجاج بيت الله الحرام، وذلك على ضوء الظروف والأحوال الواقعة، ليتمكنوا من أداء المناسك دون التعرض للخطر. والله أعلم.

٢/٤٢/٨٣.... حج المرأة عن الغير

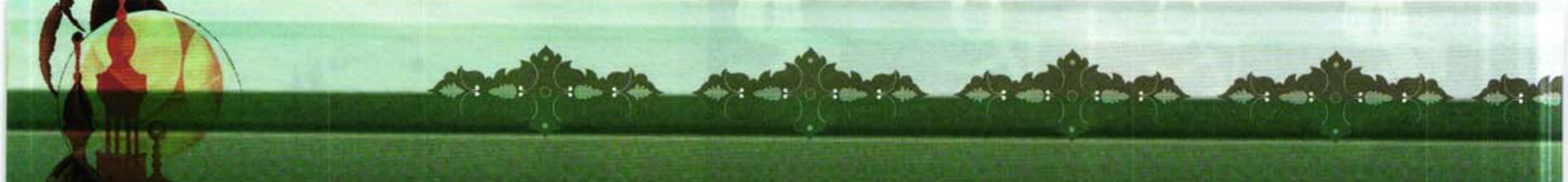
هل يجوز توكيل المرأة بالحج عن الرجل؟

أجابت اللجنة:

أنه يجوز توكيل المرأة بالحج عن الرجل إذا كانت قد أدت حجة الفرض عن نفسها. والله سبحانه وتعالى أعلم.

٢/٢٥/٨٥ع.... حج المرأة بلا محرم

امرأة قد توافر لديها جميع المقومات التي تسمح لها بالذهاب إلى أداء فريضة الحج لأول مرة (مال، ووسائل النقل وخلافه) إلا أنها لا يوجد لديها محرم سواء من الأصول الأقارب أو فروعها، ومعنى أنه لا يوجد لديها محرم، ليس



الآن فقط وإنما على الدوام، فهل يجب عليها الحج ولو أدى ذلك إلى أن تحج من غير محرم كما قيل بأنها تحج مع نسوة ثقات؟

أجابت اللجنة بما يلي:

إذا لم يتوافر للمرأة مرافقة زوج أو محرم وكانت تريد أداء الحجة الأولى فإنه لا يجب عليها الحج، ولكن يجوز لها السفر لذلك مع نسوة ثقات أو رفقة مأمونة.

أما إذا كانت قد حجت حجة الفريضة فلا يجوز لها السفر لأداء الحج إلا بصحبة زوج أو محرم. والله أعلم.

٣/٣٦ع/٨٦...... سفر المرأة بلا محرم

مؤسسة تعليمية ترغب في قيام بعض الطالبات المتفوقات علميًا برحلة لأداء مناسك العمرة وتحت إشرافها وبمرافقة عدد من المشرفات على الرحلة وبدون محرم، فما مدى جواز هذا الأمر؟

أجابت اللجنة بأنه لا يجوز سفر المرأة إلى الحج أو العمرة أو غيرهما من الأسفار الطويلة إلاّ أن يكون معها محرم لقول النبي ﷺ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفرًا يكون ثلاثة أيام فصاعدًا إلا ومعها أبوها أو ابنها أو زوجها أو أخوها أو ذو محرم منها» ولا يُستثنى من ذلك إلا حالات الضرورة.

٢/٩ع/٨٧..... هل تجب حجة المرأة على زوجها؟

س١: هل الرجل الموسر ملزم بحج زوجته المعسرة؟ وما الدليل؟

س٢: وإذا حجت من ماله وكانت معسرة ثم أيسرت، هل تلزمها حجة الإسلام أم لا وما الدليل؟

أجابت اللجنة بما يلي:

لا يلزم الزوج نفقة الحج لزوجته موسرة كانت أم معسرة لأن ذلك ليس من نفقة الزوجية، وإن كانت الزوجة معسرة لا يجب عليها الحج، لقوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾ (آل عمران: ٩٧) ولكن من حسن العشرة أن يسهل الزوج لزوجته أداء هذه الفريضة بماله إن كان موسرًا وبمرافقته لها، على أنه إذا حجت المرأة من مالها أو مال زوجها أو غيره سقطت عنها حجة الإسلام، لأن الحج لا يجب إلاّ مرة واحدة في العمر وقد حصلت ولم يرد اشتراط كون حجة الإسلام من مال الشخص نفسه، والاستطاعة المشروطة في الحج شرط للوجوب وليست شرطًا للصحة، فإذا حج غير المستطيع صحّ منه الحج وسقطت عنه الفريضة. والله أعلم.

٩/٢١ع/٩٢... طواف الوداع والإفاضة للحائض والنفساء

هل على المرأة الحائض طواف الإفاضة مع السعي أم فقط السعي وهي تريد السفر إلى بلدها؟ وماذا عليها كذلك بالنسبة لطواف الوداع؟

أجابت اللجنة بما يلي :

لا يجوز للمرأة أن تطوف بالبيت وهي حائض إلا إذا خافت فوات الرفقة فقد أجاز لها بعض العلماء أن تعتصب وتطوف بالبيت وعليها بدنة، ويسقط طواف الوداع عن الحائض والنفساء والله أعلم.

قرار هيئة كبار العلماء رقم (٣) بتاريخ ١٣٩٢/٨/١٣هـ بشأن حكم رمي جمرة العقبة قبل طلوع الشمس يوم العيد

بعد دراسة المجلس للمسائل المذكورة (حكم رمي جمرة العقبة قبل طلوع الشمس يوم العيد، وحكم رمي جمرة العقبة ليلة القر، وحكم رمي الجمار أيام التشريق قبل الزوال، وحكم رمي الجمار ليلتي اليوم الثاني والثالث من أيام التشريق) واطلاعه على أقوال أهل العلم وتداوله الرأي فيها قرّر ما يلي:

- جواز رمي جمرة العقبة بعد نصف ليلة يوم النحر للضعفة من النساء وكبار السن والعاجزين ومن يلازمهم للقيام بشؤونهم، لما ورد من الأحاديث والآثار الدالة على جواز ذلك.

- عدم جواز رمي الجمار أيام التشريق قبل الزوال؛ لفعله صلى الله عليه وسلم، وقوله: «خذوا عني مناسككم»، ولقول ابن عمر أيام التشريق: كنا نتحين الرمي فإذا زالت الشمس رمينا.

ومعلوم أن النبي ﷺ أعلم الناس وأنصح الناس وأرحمهم، فلو كان ذلك جائزًا قبل الزوال لبينه ﷺ.

- أما ما عدا ذلك من المسائل الخلافية من أعمال المناسك المشار إليها أعلاه، فإن الخلاف فيها معروف بين العلماء، ومدون في كتب المناسك وغيرها، وما زال عمل الناس جاريًا على ذلك، وينبغي للحاج أن يحرص على التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله ما استطاع إلى ذلك سبيلا؛ لقوله ﷺ: «خذوا عني مناسككم».

ويرى المجلس في هذه المسائل الخلافية أن يستفتي العامي من يثق بدينه وأمانته وعلمه في تلك المسائل، ومذهب العامي مذهب من يفتيه.





إعداد: خالد خلاوي

العزيمة تصنع المستحيلات

العزم هو الذي يقوي الإرادة، ويعين على شدائد الأمور وعقبات الطريق، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى: ٤٣).

ويعرف العزم على أنه: عَقْدُ القلب على إمضاء الأمر، والقصد على إمضائه، وتنفيذ الأمر الذي تم العزم عليه دون تراجع مع التوكل على الله سبحانه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩). فالعزيمة مع التوكل على الله وحسن الظن بالله تضاعف قوة تحملك من أجل تحقيق أهدافك إلى ما لا نهاية.

و قوة العزم في الخير من صفات الأنبياء والمرسلين والصالحين، قال الله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (الأحقاف: ٣٥).

والعزيمة الصادقة تصنع المستحيلات، وتلين الصعوبات.. وخير معين على طلب ما تريد.

قال ابن القيم: «فإن كمال العبد بالعزيمة والثبات، فمن لم يكن له عزيمة فهو ناقص، ومن كانت له عزيمة ولكن لا ثبات له عليها فهو ناقص، فإذا انضم الثبات إلى العزيمة أثمر كل مقام شريف، وحال كامل، ولهذا في دعاء النبي ﷺ الذي رواه الإمام أحمد وابن حبان في صحيحة: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد»، ومعلوم أن شجرة الثبات والعزيمة لا تقوم إلا على ساق الصبر».

وللحصول على هذا المقام الرفيع لأصحاب العزائم يجب ترويض النفس على العزيمة واكتسابها، قال أحمد بن قدامة المقدسي: «وأشد حاجة الرائض لنفسه، قوة العزم، فمتى كان مترددا بعد فلاحه، ومتى أحس من نفسه ضعف العزم تصبر، فإذا انقضت عزيمتها عاقبها لئلا تعاود، كما قال رجل لنفسه: تتكلمين فيما لا يعنيك؟ لأعاقبنك بصوم سنة».

ويناقض العزيمة ويضعفها: التردد وعدم وضوح الهدف، والخوف الدائم من الفشل، ووضع نتائج سلبية للعمل قبل تنفيذه وتوقع انتقاد الآخرين، ويجب البعد عن كل هذه العوامل السلبية وتحديها والتأسي بأصحاب العزم الصادق الذين قال الله تعالى عن عزمهم وقوتهم في مواجهة الصعوبات: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (آل عمران: ١٧٣-١٧٤)، وقال تعالى في الاقتداء بأصحاب العزيمة القوية: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ (الممتحنة: ٤).

هل فكرت يوما في تعلم لغة أجنبية وعزمت على ذلك ثم ضعفت عزيمتك ومضى الوقت دون أن تتعلم شيئًا؟ فما رأيك فيمن عزم على تعلم لغة في أقل من شهر وتعلمها، إنه الصحابي زيد بن ثابت رضي الله عنه يقول: «أمرني رسول الله أن أتعلم له كتاب يهود، قال: إني والله ما آمن يهود على كتاب، قال: فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له، قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت له، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم» (رواه الترمذي).

يقول الإمام ابن الجوزي في وصف عزيمة أنس بن النضر رضي الله عنه: «ولولا جد أنس بن النضر في ترك هواه، وقد سمعت من أثر عزمته لئن أشهدني الله مشهدا ليرين الله ما أصنع، فأقبل يوم أحد يقاتل حتى قتل فلم يعرف إلا ببنانه، فلولا هذا العزم ما كان انبساط وجهه يوم حلف والله لا تكسر سن الربيع».

ويروى أن يزدجرد كسرى فارس أرسل إلى ملك الصين يطلب المدد لمحاربة المسلمين الذين استولوا على بلاد فارس في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأرسل ملك الصين يعتذر عن نجدته بقوله: «إنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجيش أوله بمرو وآخره بالصين الجهالة بما يحق عليّ، ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك صفتهم لو يحاولون الجبال لهدوها، ولو خلي سربهم أزالوني ما داموا على ما وصف، فسالمهم وارض منهم بالمساكنة ولا تهجهم ما لم يهيجوك».

وفي كتابه قوة التحكم في الذات يقول د.إبراهيم الفقي: بعد سفري إلى كندا في عام ١٩٧٨ فإن كل من قابلتهم في البداية نصحوني بالعودة إلى بلدي، لأني لن أجد عملا، وكان أمامي خياران.. إما أن أقتنع بما يقولون وتهبط عزيمتي وأفقد الأمل، أو أن أنزل إلى سوق العمل وأقوم بحملة بحث إلى أن أجد عملا مناسبا، و قررت العمل بالرأي الثاني، وفي أقل من ٤٨ ساعة كان عندي عرضان للعمل، وبدأت سلم الكفاح كغاسل أطباق، وفي اقل من ٨ سنوات أصبحت مديرا عاما لأحد الفنادق الكبرى.

ويقول الشيخ محمد الغزالي: «إن الإسلام يكره لك أن تكون مترددا في أمورك، تحار في اختيار أصوبها وأسلمها، وتكثر الهواجس في رأسك فتخلق أمامك جوا من الريبة والتوجس فلا تدري كيف تفعل، وتضعف قبضتك في الإمساك بما ينفعك فيفلت منك ثم يذهب سدى».

إن العزم على التخلص من الصفات السلبية من شروط النجاح، كما أن العزم على ترك الذنوب والمعاصي وعدم العود إليها من شروط التوبة الصادقة.



صور من حياة المتميزين

عزيمة الإمام البخاري

حدد الإمام البخاري رسالته في الحياة بناء على ما وهبه الله من ذاكرة حديدية، وظفها في عمل جليل وهو جمع الصحيح من حديث رسول الله ﷺ في كتاب واحد، وظل يعمل لتحقيق رسالته تلك ستة عشر عامًا بجد ودأب، حتى تحقق الحلم بتمام كتاب «الجامع الصحيح» المعروف بـ«صحيح البخاري»، والذي عده العلماء أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل.

يقول الإمام البخاري في قصة تأليفه «الجامع الصحيح»: «كنت عند إسحق بن راهويه، فقال بعض أصحابنا لو جمعتم كتابًا مختصرًا لسنن النبي ﷺ، فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع هذا الكتاب».

وقع الأمر في قلبه وأصبحت له عزيمة قوية في نفسه وهمة عاليه جعلته يعمل ستة عشر عاما.. ينتقل بين البلدان في جمع الأحاديث الصحاح في دقة متناهية، وعمل دؤوب، وصبر على البحث، وكان لا يدون الحديث إلا بعد أن يغتسل ويصلي ركعتين، و يروي أحد تلامذته أنه بات عنده ذات ليلة فأحصى عليه أنه يقوم بالليل يوقد السراج يستذكر أشياء يعلق عليها في تدوين الأحاديث عدة مرات، وبلغت في ليلة ثماني عشرة مرة، وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: كان أبوعبدالله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد إلا في القيظ أحيانا فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري نارا ويسرج ثم يخرج أحاديث فيعمل عليها، وهكذا صاحب الرسالة يعيش بها ولها، ويجافي النوم من أجلها، حتى يتحقق حلمه في الدنيا وينال الأجر بمشيئة الله تعالى في الآخرة.

كلمات في التميز

العزيمة

الإرادة هي الفكرة، والعزيمة هي الروح.

آرثر شوبنهاور

إن الضربات التي لا تقصم ظهرك تقويك.

عمر المختار

الإرادة هي ما يدفعك للخطوة الأولى على طريق الكفاح، أما العزيمة فهي ما يبقيك على هذا الطريق حتى النهاية،،كل الشدائد والعقبات التي واجهتها في حياتي زادت من عزيمتي، قد لا تدرك هذا وقتما تلاقيك المحنة، ولكن ركلة على أسنانك قد تكون أفضل ما يحصل لك في العالم.

والت ديزني

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم

أبوالطيب المتنبي

يتحقق الكثير من الأشياء المهمة في هذا العالم لأولئك الذين أصروا على المحاولة على الرغم من عدم وجود الأمل.

ديل كارينجي

الفارق بين المستحيل والممكن يتوقف على عزيمة المرء وإصراره.

محمد علي كلاي

عزمت على أن أكون مجتهدا إلى الغاية القصوى لأنني أعلم أن ليس لي موهبة.

رينولدز

إعداد: هيفاء حسن

الضوء لتنشيط الجينات



اكتشف العلماء حديثاً طريقة جديدة تسمح بتنشيط الجينات بشكل فردي، على مستوى الخلايا، وذلك عن طريق استعمال الضوء.

ينتظر أن تساعد هذه التقنية في إنتاج كميات محددة من البروتينات التي تستعمل في إنتاج أدوية أو في مراقبة نشاط الجينات أو في علاج بعض الخلايا.

تعتبر مادة الميلانوبسين صبغة تتبدل بالضوء، حيث توجد على سطح بعض خلايا الشبكية وتقوم بإطلاق مجموعة من شوارد الكالسيوم في حال تعرضها لضوء أزرق. هذه الأيونات تؤدي بدورها إلى ظهور مجموعة من الإشارات التي تنشط عامل النسخ الذي يدعى أن أف أي تي. استغل باحثون فرنسيون وسويسريون هذه التقنية وقاموا بزرع جين الميلانوبسين في خلايا مستزرعة في المختبر مع جين مستهدف، بهدف تنشيطه من قبل عامل النسخ. وبالفعل قام الضوء الأزرق بتنشيط الميلانوبسين في هذه الخلايا مما أدى إلى تنشيط الجين المستهدف.

نجح الباحثون بفضل هذه الطريقة في إنتاج كمية محددة من بروتين غيليكوبروتيين، كما تمكنوا من إنتاج نوع آخر من البروتينات يدعى سي اتش جي ال بي ١ عن طريق تجارب على الفئران، ما سمح لهم بمراقبة نسبة السكر في الدم. ويقول الباحثون إن تعرض الفئران للضوء الأزرق ولعدة مرات خلال ٤٨ ساعة سيسمح بتنشيط المورثتين المسؤولتين عن إنتاج بروتين غليكروبروتين وبروتين سي اتش جي ال بي١.

خلايا جذعية من الأنف لإعادة بناء الذاكرة



سمح زرع خلايا جذعية مأخوذة من أنف الإنسان، لعدد من الفئران باسترجاع ذاكرتهم. قام عدد من الباحثين من مرسيليا ومونبوليه بدراسة تأثير زرع خلايا جذعية من أنف الإنسان على الدماغ والنخاع الشوكي لفئران تعاني من فقدان الذاكرة.

بعد أربعة أسابيع من عملية الزرع، بينت اختبارات السلوك بأن الفئران التي أخضعت للعملية، استعادت قدرتها على التعلم وتذكر مكان الأشياء.

ولاحظ العلماء أن الفئران التي لم تخضع لعملية زرع بقيت غير قادرة لا على التعلم ولا على التذكر.

وفي المقابل تم تأكيد نتائج هذه الدراسة التي نشرت في المجلة العلمية ذي جورنال أوف كلينيكال انفستيغايشون، بفضل تحليل الأنسجة، الذي أظهر أن الخلايا الجذعية لأنف الإنسان التي زرعت في المناطق المصابة، انقسمت إلى خلايا عصبية.

الاحتباس الحراري وراء الكوارث الطبيعية

يوشك العلماء على وضع حد لعشرين عاماً من الإحجام عن ربط التغيرات المناخية بالتحولات المتطرفة في حالة الطقس، كالعواصف الشديدة والفيضانات والجفاف، كجزء من التحول الراديكالي عن الموقف السابق الذي كان يتبناه العلماء وأخذ يبدو وبشكل متزايد أن من المتعذر الدفاع عنه فالباحثون في مجال الطقس من بريطانيا والولايات المتحدة وأجزاء أخرى حول العالم شكلوا تحالفاً دولياً جديداً يهدف إلى التحقيق في أحداث الطقس الاستثنائية لمعرفة ما إذا كانت مرتبطة بالاحتباس الحراري الناجم عن انبعاثات الغازات.



الحج في المتحف البريطاني





كشف المتحف البريطاني تفاصيل أول معرض متخصص في الحج في العالم الإسلامي من شأنه أن يعرف العالم الغربي بطقوس ومراسم تلك الفريضة التي يؤديها المسلمون بالتوجه إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة وستعرض في المعرض مخطوطات وصور تاريخية فضلاً عن لوحات فنية معاصرة لتجسيد شعائر هذا الركن الإسلامي السنوي وسيقام العرض الذي يحمل عنوان «الحج رحلة إلى قلب الإسلام» في الفترة من ٢٦ يناير - ١٥ إبريل وسيتيح المعرض الفرصة لغير المسلمين لاكتشاف أحد جوانب الإسلام التي تؤدي دوراً رئيسياً في تشكيل الشعور الإسلامي عالمياً وسيتناول المعرض رحلات الحجاج من مختلف بقاع العالم الإسلامي لأداء هذه الفريضة ودلالاتها فضلاً عن تقديم تصور عن مكة المكرمة والكعبة المشرفة.

اكتشاف أثري في سورية يعود للألف الثاني قبل الميلاد

عثرت بعثة أثرية تعمل بالتنقيب عن الآثار في تل حميرة بمنطقة دير عطية بريف دمشق على مبان مصنوعة من اللبن والطين تعود إلى أكثر من حقبة تاريخية تمتد من نهاية الألف الثاني قبل الميلاد وحتى الربع الأول من الألف الأول قبل الميلاد.

وقال مدير دائرة آثار ريف دمشق محمود حمود إن البعثة عثرت ضمن هذه المباني على أفران وأجران حجرية مختلفة الأحجام وأدوات وأوان بازلتية جلبت من مناطق أخرى.

وعثرت البعثة في الموقع على طبعات أختام كانت توضع على أفواه وحوامل الأواني الفخارية تدل على هوية مالك هذه الأواني. وأوضح أن أهمية الموقع تأتي من كونه يعود إلى فترة ازدهار الممالك الآرامية ووقوعه على طريق حملات الملوك الآشوريين ضد مملكة دمشق حيث عثرت البعثة في موسمها التنقيبي على كسرة فخارية عليها بعض الأحرف الآرامية التي قد تشير إلى وجود معبد في الموقع.

القناعة كنز لا يفنى

هذا المثل العربي الشهير «القناعة كنز لا يفنى» أكدته الآن دراسة جديدة أجرتها جامعة بريطانية، جاء فيها أن الاكتئاب والقلق كما هو معروف يضعان الناس في خطر اكبر للاصابة بالأمراض الفتاكة، غير ان العلماء اثبتوا الآن منافع القناعة والحياة المرْضية في تعزيز صحة القلب، وأضافت الدراسة ان القناعة في مجالات معينة في الحياة وخاصة الوظيفة والأسرة والحياة الجنسية هي اصول صحية إيجابية، وحذرت من أن التدخلات الرامية من خلال العقاقير الطبية الى تحسين الحالة النفسية وجعلها إيجابية وليس فقط تخفيف الحالات النفسية السلبية قد تسبب مخاطر عالية للأفراد.

من هنا وهناك

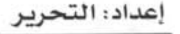
■ نجح جراحون أتراك في زرع أول رحم في العالم وذلك في جامعة «اكدينز» في مدينة أنطاليا التركية. ترأس فريق العمل الذي قام بإجراء العملية البروفيسور عمر أوكان المتخصص في جراحة التجميل الترميمية حيث زرع الرحم في أحشاء مريضة في الـ ٢١ من العمر.

■ عالم الفلك الروسي الشهير «أندريه فينكلشتاين» مقتنع بأن الإنسانية ستلتقي -حسب زعمه- موفدي وممثلي صفارات خارج الأرض في غضون السنوات العشرين المقبلة!

■ بعد عشر سنوات من البحث والتنقيب في موقع «بوكان كايا» في جنوب أوكرانيا عثر العلماء على ثلاثة كنوز تضم عظاماً بشرية وأدوات حجرية منحوتة تعود إلى أكثر من ٣٥ ألف سنة مما يعني أن هذا الموقع هو أقدم مكان سكنه الإنسان المعاصر في أوروبا.

■ يحذر العلماء من أن الملايين في أوروبا ومنطقة الشرق الأوسط وآسيا قد يواجهون خطر حدوث زلازل توقع العديد من الضحايا وقد يحدث ذلك من دون إنذار أو ترقب في مناطق زلزاليه مواقعها غير محددة على الخرائط.

■ اكتشف علماء الفضاء في ولاية أريزونا الأميركية بأن طول اليوم على كوكب نيبتون هو ست عشرة ساعة فقط ويعتبر هذا الاكتشاف فريدا من نوعه لأنه باستثناء كوكب المشتري لم تكن فترة الدوران لدى الكواكب الغازية الأخرى الموجودة في المجموعة الشمسية معروفة قبل ذلك.



إعداد: التحرير

مَن جعفر الصادق؟

هو أبوعبدالله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسن السجاد بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب.

لم يجمع الناس على حب أحد في ذلك العصر كما أجمعوا على حب الإمام جعفر بن محمد، الذي اشتهر فيهم باسم جعفر الصادق، ذلك أنه كان صافي النفس، مرهف الحس رفيع الأفق، متوقد الذهن، كبير القلب، كان يلتمس الأعذار للآخرين في حالة غضبه، حاد البصيرة، يمتاز بأنه كان ضاحك السن، مضيء القسمات عذب الحديث حلو المعشر، كان سباقًا إلى الخير، وكان صادق الوعد، وكان نقيًا، وهو من العترة الطاهرة عترة رسول الله ﷺ، اجتمع في نسبه ما لم يجتمع لغيره، كان جده لأمه هو أبوبكر الصديق رضي الله عنه، وجده لأبيه هو الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهو نسب كما أسلفنا لم يجتمع لأحد غيره.

ولد الإمام جعفر الصادق سنة ٨٠هـ وتوفي سنة ١٤٨هـ، كان حسن السيرة غزير العلم، أغنى في هذا العمر المديد الحياة والفكر، بحسن السيرة، كانت له إشراقاته الروحية، واستنباطاته.

كان مع جلال هذا النسب متواضعًا لله، لا يزدهيه مع ذلك كبرياء من يجمع في نفس واحدة أطراف ذلك المجد كله، تعلم من أبيه الإمام محمد الباقر منذ طفولته أنه ما دخل في قلب امرئ شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ما دخله، وهو صفوة جده لأمه القاسم بن محمد بن أبي بكر، بقدر ما تعهده جده لأبيه علي زين العابدين بن الحسين بن أبي طالب، فإذا به وهو صبي يحفظ القرآن ويتقن تفسيره، ويحفظ الأحاديث والسنة من أوثق مصادرها.

استطاع أن يؤسس في عصره مدرسة فقهية وتتلمذ على يده العديد من العلماء، ويقال إنه من أوائل الرواد في علم الكيمياء، حيث تتلمذ على يديه أبو الكيمياء جابر بن حيان وقد تكنى بكنى عدة منها أبوعبدالله، وأبوإسماعيل وأبوموسى، ولقب أيضًا بالصادق والفاضل والطاهر والقائم.

جبر الخالدي

العرب... نظرة تاريخية

يرى البعض أن كلمة عرب Arab تعني الصحراء Desert ومن ثم أطلقت هذه الكلمة على سكان شبه الجزيرة العربية باعتبار أن أغلب أراضيها صحراوية.

ويرى بعض علماء اللغة أن أصل كلمة «عربية» يرجع إلى أصول عبرية وهي من لفظ «عرابا» Erebh، ومعناها السهوب، أو من اللفظ عريب Arabha ومعناها حياة الفوضى أو الهمجية أو من لفظ عامر ومعناه العبور أو التحرك.

ولقد تقاربت وجهة نظر علماء اللغة مع أهالي الولايات البيزنطية، فأطلقوا على العرب اسم Saracens بسبب تعديهم على القوافل المارة ببلادهم وفرضهم الضرائب الفادحة عليها؟ وقد استمر هذا الاسم وكثر استعماله عند الغربيين حتى صار نعتًا على العرب.

أما ابن خلدون فقد ذكر أن لفظ العرب مشتق من الإعراب وهو البيان أخذًا من أقوالهم أعرب الرجل عن حاجته إذا أبان ذلك لأن الغالب عليهم البيان والبلاغة.

أما علماء الآثار فلم يجدوا مادة علمية عن العرب سوى «نقش النمارة» الذي عثر عليه في شمال شبه الجزيرة العربية حيث ورد فيه اسم «امرؤ القيس» «فلك جميع العرب» وكان ذلك بخط نبطي ترجع كتابته إلى القرن الرابع قبل الميلاد.

ويذكر السويدي أن لفظ عرب يطلق عادة على سكان البدو والحضر والأعراب هم أهل البادية والعرب هم أهل الحضر.

ولقد ورد في القرآن الكريم وصف لهؤلاء الأعراب من ذلك قوله تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

وينتهي نسب العرب إلى سام أحد أولاد نوح الثلاثة الذين نجوا من الطوفان فكانت منهم أجيال العرب وطبقاتهم.

أحمد عبدالقادر - مصر

الخط العربي «في الجاهلية والإسلام»

● يعتبر الخط الكوفي من أقدم الخطوط العربية وكان العرب قد تعلموه أثناء رحلتهم إلى الشام وبالتحديد في حوران وقد تعلموه من الأنباط ولكنه عرف بالخط الحيري نسبة إلى مدينة الحيرة، أما أول من أدخل الكتابة في مكة المكرمة فيقال إنه «بشر بن عبدالملك الكندي» الذي تعلم في الأنبار الكتابة بالحروف النبطية وبذلك فُتح عصر الكتابة في الحجاز.

● أما في العصر الإسلامي فكان القرآن الكريم هو أول دافع لحضارة الخط حيث أصبحت الحاجة ماسة إليه في كتابة الوحي والرسائل التي كان يبعثها النبي ﷺ إلى الملوك والحكام لدعوتهم إلى الإسلام.

وقد شاعت حرفة الكتابة في العصر الأموي وكانت بالخط الكوفي، أما في مصر فقد شهدت اهتماما كبيرًا بالخط وتدريسه على يد الطولونيين الذين أنشأوا المكاتب لتعليمه، أما في العصر المملوكي فقد شهد افتتاح مدرستين للخط وكانت هاتان المدرستان من ضمن ما أنشئ لتعليم فنون الكتابة والزخرفة والنقش.

● أما النهضة التي شهدها الخط العربي في تركيا بعد ذلك فكانت على يد السلطان سليم الأول، فبعد أن فتح مصر استقدم منها ومن بلاد فارس إلى تركيا أعظم الخطاطين الذين برعوا في تجويد الخطوط ولم يكتفوا بالوصول إلى أقصى درجات الكمال بل اخترعوا خطوطًا أخرى منها «الديواني والرقعة والإجازة» وهذا الأخير هو مزج لخطي الرقعة والثلث وقد توالى بعد ذلك افتتاح مدارس الخط العربي، وبزوغ نجمها في سموات الحواضر العربية مثل القاهرة والحجاز والكوفة والبصرة ودمشق.

هوامش

١- من الخطوط العربية للأستاذ محمد عبدالقادر عبدالله.

٢- الخط العربي نشأته وتطوره وقواعده للأستاذ علي راوي تقديم الأستاذ عبدالفتاح غليمة.

٣- الموسوعة العربية للخط العربي للأستاذ محمد حداد.

● خلف أحمد عبدالعليم محمد

وشهد له عدوه

شهد عدو القرآن وعدو رسوله الوليد بن المغيرة للقرآن فقال:

إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يعلى عليه.

هذه شهادة من عدو القرآن لخير كتاب أنزل في خير شهر من الزمان.

فالتكريم زمانًا ومكانًا وقولاً على مر الأعوام لخير الكتب المنزل على خير البشر لخير الأمم من حكم به أجر ومن تركه من جبار قصمه الله، ولكن للأسف فإن حكم الجاهلية يبغون وبالآخرين يتشبهون ولهذا القرآن العظيم يهجرون.

هجروا تلاوته ونسوا حلاوته ويوم القيامة يقول الرسول ﷺ: ﴿يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورًا﴾.

ومن أراد الدنيا فعليه بالقرآن ومن أراد الآخرة فعليه بالقرآن ومن أرادهما معًا فعليه بالقرآن. ويالها من جائزة بين أيدينا حيث روي عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها» (رواه الترمذي).

عصام حميد

تنبيه

من أجل وصول المستحقات المالية من دون تأخير يرجى من السادة الكتاب تزويدنا بالمعلومات والبيانات الآتية:

١- الاسم الثلاثي كاملًا باللغتين العربية والانجليزية.

٢- رقم الحساب البنكي واسم وعنوان الفرع باللغتين العربية والانجليزية.

٣- سويفت كود (swift code) فرع البنك أو رقم أبيان (iban number)

٤- العنوان البريدي بالتفصيل

٥- رقم الهاتف مع المفتاح الدولي وعنوان البريد الالكتروني إن وجد

٦- في حال عدم وجود حساب بنكي يرجى تزويدنا بالعناوين البريدية كاملة مع رقم الهاتف.

إعداد: التحرير

ذو القعدة

سمي بهذا الاسم لأن العرب كانوا يقعدون فيه عن القتال؛ لأنه من الأشهر الحرم، ومن شهور الحج، فيستعدون فيه للحج.

قوت الأتقياء

حضّ أحدُ جُلَساء محمد بن حُمَيد الطوسي على قتل من وقع في قبضته من أعدائه، إلا أنه أدخله مجلسه وأطعمه وأكرمه، ولم يعاتبه على جُرُم ولا جناية، ثم التفت إلى جلسائه وقال لهم: إن أفضل الأصحاب من حضَّ الصاحبَ على المكارم، ونهاه عن ارتكاب المآثم، وحسَّن لصاحبه أن يجازيَ الإحسان بضعفه، والإساءة بصفحه؛ إنّا إذا جازينا من أساء فأين موقع الشكر على النعمة فيما أُتيح منَ الظفر؟! إنه ينبغي لمن حضر مجالس الملوك أن يُمْسِكَ إلا عن قولٍ سديد وأمرٍ رشيد، فإن ذلك أدوم للنِّعمة، وأَجْمَعُ للألفة.

(نهاية الإرب في فنون الأدب للنويري)

روائع الدرر

رؤوس النعم ثلاثة: فأولها نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة إلا بها، والثانية نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها، والثالثة نعمة الغنى التي لا يتم العيش إلا بها.

وأولى الناس بالرحمة ثلاثة: البر يكون في تدبير الفاجر، فهو الدهر حزين لما يرى ويسمع. والعاقل يكون في تدبير الجاهل، فهو الدهر متعب مغبون. والكريم يحتاج اللئيم فهو خاضع ذليل.

وأسباب الفتن ثلاثة: عين ناظرة، وصورة ناضرة، وشهوة قادرة.

والكمال في ثلاثة: الفقه في الدين، وبر الوالدين، وحسن تدبير المعيشة.

(إحياء التراث فيما جاء في عدد السبع والثلاث)

أربعة

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:

أربعة أشياء تمرض الجسم: الكلام الكثير، والنوم الكثير، والأكل الكثير، والجماع الكثير.

أربعة أشياء تهدم البدن: الهم، والحزن، والجوع، والسهر.

أربعة أشياء تيبس الوجه وتذهب ماءه وبهجته: الكذب، والوقاحة، وكثرة السؤال عن غير علم، وكثرة الفجور.

أربعة أشياء تزيد في ماء الوجه: التقوى، والوفاء، والكرم، والمروءة.

أربعة أشياء تجلب الرزق: قيام الليل، وكثرة الاستغفار بالأسحار، وتعاهد الصدقة، والذكر أول النهار.

أربعة أشياء تمنع الرزق: نوم الصبيحة، وقلة الصلاة، والكسل، والخيانة.

وصية علي رضي الله عنه لابنه الحسن

لمَّا ضرب ابن ملجم عليًا رضي الله عنه دخل عليه الحسن وهو باك، فقال له علي: يا بني احفظ عني أربعًا، وأربعًا. قال: وما هنَّ؟

قال: أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحمق، وأحسن الوحشة العجب، وأكرم الكرم حسن الخلق.

قال الحسن: فالأربع الأخر؟

قال: إيَّاك ومصاحبة الأحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك.

وإيَّاك ومصادقة الكذاب، فإنه يقرب عليك البعيد ويبعد عنك القريب.

وإيَّاك ومصادقة البخيل، فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه.

وإيَّاك ومصادقة الفاجر، فإنه يبيعك بالتافه.

(وصايا وعظات للحموي ص: ٥٣)

يا عجباً كل العجب

قال حكيم:

يا عجبًا كل العجب: للشّاك في قدرة الله وهو يرى خلقه.

يا عجبًا كل العجب: للمكذب بنشور الموتى وهو يموت كل ليلة ويحيا.

يا عجبًا كل العجب: للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور.

يا عجبًا كل العجب: للمختال الفخور وهو إنما خلقه من نطفة قذرة، ويحمل في جوفه العذرة ثم يعود إلى جيفة مستحقرة.

(نوادر من التاريخ)

قتلة واحدة

أُتـي الحـجـاج بـرجـلٍ من أصحاب ابن الأشعث، وقد كان هرب منه، فقال: أصلحك الله، اضرب عنقي.

قال الحجاج: ولِمَ؟

قال الرجل: إني أرى في كل ليلة أنك تضرب تقتلني، فتكون قتلة واحدة أسهل.

فقال الحجاج: خلوا سبيله.

(الأجوبة المسكتة لابن أبي عون، ت:٣٢٢هـ)



مجنونٌ عاقل

قال أبوعثمان الواسطي: «خرجنا غزاةً في الصائفة، فرأيت في بعض الثغور مجنونًا يُقال له شقران، وقد ازدحـم عليه النَّـاس وهـو يـقـول: يأيُّها النَّاس، الدنيا دارُ خَرابٍ، وأَخْرَبُ منها قَلبُ من يَعْمُرها، والآخرة دار عمران، وأَعْمَر منها قَلبُ مَنْ يطلبُها». وقال أيضًا: «الدنيا دار زوال وانتقال واضمحلال، والآخرة دار جلال وجمال وكمال».

(عقلاء المجانين للحسن بن حبيب)

أبو دلامة والمنصور

كان أبو دلامة بين يدي المنصور واقفًا، فقال له: سلني حاجة.

فقال أبو دلامـة: كلب أتصيد بـه، قـال: أعطوه كلبًا. قال: ودابـة أتصيد عليها، قـال: أعـطـوه دابـة. قـال: وغـلام يصيد بالكلب ويقوده، قـال: أعطوه غلامًا. قـال: وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه، قال: أعطوه جارية.

قال: هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك، فلابد من دار يسكنونها، قال: أعطوه دارًا تجمعهم. قال: فإن لم تكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون؟ قال: أعطيتك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة. قال: وما الغامرة؟ قال: ما لا نبات فيه.

فقال: قد أقطعتك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة في فيافي بني أسد.

فضحك وقال: اجعلوها كلها عامرة. قال: فأذن لي أن أقبل يدك، قال: أما هذه فدعها. قال: والله ما منعت عيالي شيئا أقل ضررًا عليهم منها.

ضَرَّتان

تـزوج رجلٌ امـرأة جديدة على امـرأةٍ قـديمـة، فكانت الجارية الجديدة تمر على بيت القديمة، فتقول:

وما يستوي الرِّجلان رجلٌ صحيحة
وأخرى رمى فيها الزمان فَشُلَّتِ

ثم تعود وتقول:

وما يسـتوي الثوبان ثـوبٌ به البِلى
وثوبٌ بأيدي البـائعين جديد

فمرت الجارية القديمة على باب الجديدة يومًا وقالت:

نقِّل فؤادك ما اسـتطعت من الهوى
ما الحبُّ إلا للحبيـب الأوَّلِ
كم منزل في الأرض يألفه الفتـى
وحنينه أبدًا لأول مَنـزِلِ

(المستطرف للأبشيهي: ٢/ ٢٨٧)

ليست العباءة تكلمك

دخلَ النَّخَّارُ العُذْريُّ على معاوية في عباءة فاحتقره معاوية، فرأى ذلك النَّخَّارُ في وجهه فقال لهُ: يا أمير المؤمنين، ليست العباءةُ تكلمك إنما يكلمكَ من فيها. ثم تكلم فمَلأَ سمعَهُ ثم نهض ولم يسأله، فقال معاوية: ما رأيت رجلًا أحقرَ أولًا، ولا أجلَّ آخرًا منه.

(الكامل في اللغة والأدب للمبرد)



د. محمد حسان الطيان •

فن اللباقة عند المسلمين

جاء في لسان العرب: اللَّبَقُ: الظَّرْف والرِّفق، لبِق بالكسر لَبَقًا ولَباقَةً، فهو لَبِقٌ. قال سيبويه: بنوه على هذا لأنه علم ونفاذ توهم أنهم جاءوا به على فهم فهامةً فهو فَهِمٌ.

يلمح المطالع على عجل في جَنبات كتب التراث وطيّاتها نثرات وشذرات من فن اللباقة الذي يدعى اليوم «فن الإتيكيت»، ولكنه ما إن يتريَّث ويتلبَّث، ويُكتب له أن يغوص في هذه الكتب ويتعمَّق، حتى تتكشَّف له حقيقة لعلها غائبة عن كثير من الناس، لا سيما أولئك المبروعون بحضارة غيرنا، وهي أن حضارتنا أولت هذا الجانب، أعني فن اللباقة، كل عناية، بل هي لم تدع صغيرة ولا كبيرة في هذا الشأن إلا أحصتها، تنظيمًا وترتيبًا، وتقعيدًا وتبويبًا، وتفصيلًا لآداب الطعام، وآداب المضيف وآداب الضيف، والعيوب التي تؤخذ على كل منهما، الأمر الذي يؤكد ما أشار إليه سيبويه حين قال: بنوه على هذا لأنه علم ونفاذ.

فقد نزلت في ذلك آيات، ووردت أحاديث، وأُثرت أخبار، ورويت حكايات، وألفت كتب، وصنِّفت رسائل، ونُظمت قصائد. فضلًا عما اشتملت عليه موسوعاتنا القديمة من أفانين القول في هذا المجال، كإحياء علوم الدين للغزالي، والمستطرف من كل فن مستظرف للأبشيهي، وزاد المعاد لابن القيم.

أما الكتب التي أفردت لهذا فحسبي أن أشير إلى ثلاثة منها، هي:

آداب الأكل لابن عماد الأقفهسي القاهري (ت ٨٦٧هـ).

و«فص الخواتم فيما قيل في الولائم» لابن طولون الدمشقي (ت٩٥٣هـ)، و آداب المؤاكلة لبدرالدين الغزي الدمشقي (ت ٩٨٤هـ).

أما الأول فقد شرح فيه صاحبه منظومة شعرية في آداب الأكل والشرب، وما يحسن فيهما وما يقبح، وختمها بآداب النوم والدعاء، وبلغت عدة أبياتها ٣٢٨ بيتًا.

وأما الثاني فقد عرض فيه صاحبه لأنواع الولائم وأسمائها ومواسمها وآدابها وإجابتها.

وأما الثالث فقد أحصى فيه الغزي واحدًا وثمانين عيبًا من عيوب الضيف والمضيف، قال عنها إن من علمها كان خبيرًا بآداب المؤاكلة.

ولعل خير ما يختم به هذا المقال لوحة رائعة رسمتها ريشة شاعرنا البحتري، يجلو بها دهشة وحيرة وفد الروم، وقد راعه ما رأى في دار الخلافة من حسن الاستقبال، وكرم الوفادة، وأدب الضيافة، ولباقة المعشر، و«فن الإتيكيت»:

وَرَأَيــتَ وَفــدَ الــرومِ بَعدَ عِنادِهِم ... عَـرَفـوا فَضـائِـلَـكَ الَّـتي لا تُجـهَـلُ

نَـظَـروا إِلَـيـكَ فَـقَـدَّسوا وَلَـوَ انَّـهُـم ... نَطَقوا الفَصيحَ لَكَبَّروا وَلَهَلَّلوا

لَحَظـوكَ أَوَّلَ لَحـظَـةٍ فَـاستَـصـغَـروا ... مَـن كـانَ يُـعـظَـمُ فيـهِم وَيُـبَـجَّـلُ

أَحضَرتَهُم حُجَجًا لَـوِ اجتُـلِبَت بِها ... عُـصَـمُ الجِـبـالِ لَأَقـبَـلَـت تَـتَـنَـزَّلُ

وَرَأَوكَ وَضّـاحَ الجَـبـيـنِ كَـمـا يُـرى ... قَـمَـرُ الـسَـمـاءِ الـتِـمِّ لَـيـلَـةَ يَـكـمُـلُ

حَضَروا السِماطَ فَكُلَّما راموا القِرى ... مـالَـت بِـأَيـديـهِـم عُـقـولٌ ذُهَّــلُ

تَـهـوي أَكُـفُّـهُـم إِلـى أَفـواهِـهِـم ... فَـتَـجـورُ عَـن قَـصـدِ السَـبـيـلِ وَتَـعـدِلُ

مُـتَـحَـيِّـرونَ فَـبـاهِـتٌ مُـتَـعَـجِّـبٌ ... مِـمّـا يَـرى أَو نـاظِـرٌ مُـتَـأَمِّـلُ

وَبِــوُدِّ قَـومِـهِـمُ الأُلـى بَـعَـثـوا بِـهِـم ... لَـو ضَـمَّـهُـم بِـالأَمـسِ ذاكَ المَحـفَـلُ

قَد نافَسَ الغَيبُ الحُضورَ عَلى الَّذي ... شَـهِـدوا وَقَـد حَـسَـدَ الرَسولَ المُرسِلُ

عَـجَّـلـتَ رِفـدَهُـم وَأَفـضَـلُ نـائِـلٍ ... حُـبِـيَ الـوُفـودُ بِـهِ الـهَـنـيءُ الأَعـجَـلُ

• منسق مقررات اللغة العربية بالجامعة العربية المفتوحة- عضو مراسل بمجمع اللغة العربية بدمشق.

الوعي الإسلامي

إصدارات



أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م
الوعي الإسلامي
AL-Waei Al-Islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الحوالة

بحث أعدّه بالاشتراك:
خبراء الموسوعة الفقهية الكويتية
عام (١٣٩١هـ/١٩٧١م)

العلّامة الفقيه الدكتور مصطفى أحمد الزرقا رحمه الله (ت/١٤٢٠هـ)
الدكتور إبراهيم عبد الحميد إبراهيم سلامة
الدكتور جمال عطية

الإصدار
الثامن عشر
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

كتاب الحوالة، بحث قيم يتناول النصوص الشرعية والاختلافات الفقهية المتعلقة بأطراف موضوع الحوالة، إضافة إلى تسليط الضوء على المفاهيم القانونية الحديثة، وحتى تتم الفائدة من الموضوع تمت دراسة مايُعرف بـ «السَّفتجة» وبيان حقيقة كونها قرضًا محضًا أو حوالة مالية، وفي الختام صيغت الأحكام الأساسية للحوالة في مواد مقنّنة على غرار المجلّة العَدْلية.

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
البريد الإلكتروني: manager@alwaei.com - info@alwaei.com



صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
البريد الإلكتروني: manager@alwaei.com - info@alwaei.com

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م



AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة
www.alwaei.com
العدد (٥٥٦) ذو الحجة ١٤٣٢هـ - أكتوبر/ نوفمبر ٢٠١١م



وفاة العلامة القاضي
الشيخ عبدالله بن عقيل

ليشهدوا منافع لهم

الأختام الوقفية ودلالاتها الحضارية

الإنسانية في عيون الإسلام





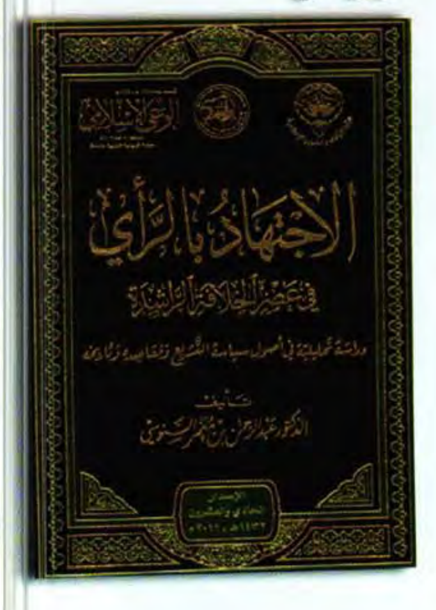




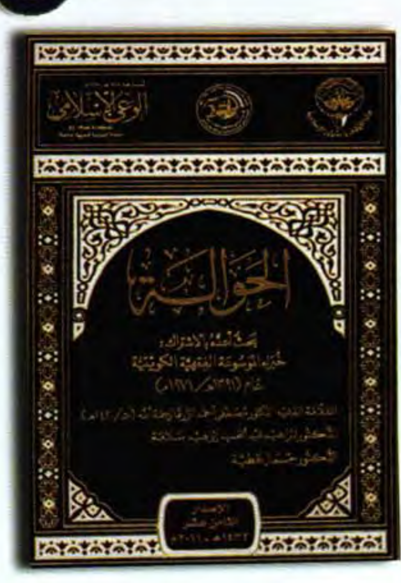












صندوق البريد: 23667 الصفاة 13097 - الكويت هاتف: 22467132 - 22470156 فاكس: 22473709
البريد الألكتروني: info@alwaei.com - manager@alwaei.com
www.alwaei.com

الافتتاحية

فَقْدُ العلماء

إن المنزلة العظيمة للعلماء والمكانة السامية الرفيعة لهم هي بفضل ما ورثوه عن الأنبياء من العلم والعمل ، فهم المخلصون الذين حفظوا هذا الدين ، وهم العلماء العاملون الذين كانوا أعلامًا يهتدى بهم في ظلمات الجهل ، وأئمة يقتدى بهم ، وبتعليمهم تضمحل غياهب الشرك ومهاوي الضلالة .

روى الإمام الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» وفي رواية له ولأبي داود : «فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر» ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض ، حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت ، ليصلون على معلمي الناس الخير» .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : «الناس أحوج إلى العلم منهم إلى الطعام والشراب ، لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرتين أو ثلاثًا ، والعلم يحتاج إليه في كل وقت» .

وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل رحمهما الله : «قلت لأبي : أي رجل كان الشافعي ، فإني سمعتك تكثر من الدعاء له؟ قال : يا بني كان كالشمس للدنيا وكالعافية للناس ، فهل لهذين من خلف أو منهما من عوض» .

فوجود العلماء في الأمة حفظ لدينها وصون لعزتها وكرامتها ، لأنهم السياج المتين الذي يحول بين الدين وأعدائه ، والنور المبين الذي تستنير به الأمة عند اشتباه الحق وخفائه ، وهم ورثة الأنبياء في أممهم ، وأمناؤهم على دينهم ، وهم شهداء الله في الأرض ؛ شهداء بالحق أنه لا إله إلا الله وحده . . قال تعالى : ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ ، وهم أهل خشية الله : ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ .

وهم الوسيلة في تبين الأحكام ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ وأهل الذكر هم العلماء الذين يستعان بفهمهم على فهم مراد الله ومراد رسول الله ﷺ ، قال تعالى : ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ ، لأنهم ورثة الأنبياء في العلم والفقه والفهم .

وما كان الله ليهلك أمة من الأمم وفيها المصلحون ، كما قال جل في علاه : ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾ .

وإذا كانت هذه منزلة العلماء في الأمة والدين ، أفلا يجدر بنا أن نأسف على فقدهم وموتهم؟ ففقدهم ليس فقدًا لرجل صالح فحسب ، ولكنه فقد لجزء من ميراث النبوة .

إن فقد العالم لا يعوض عنه مال ولا عقار ولا متاع ولا دينار ، فقد العالم مصيبة على الإسلام ورزية نزلت على المسلمين ، لا يعوض عنه إلا أن ييسر الله من يخلفه من العلماء فيقوم بمثل ما قام به من الجهاد ونصرة الحق .

في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل» ، وعند البخاري رحمه الله عن شقيق قال : كنت مع عبدالله وأبي موسى فقالا : قال النبي ﷺ : «إن بين يدي الساعة لأيامًا ينزل فيها الجهل ويرفع العلم» .

قال الإمام النووي رحمه الله : « . . . المراد بقبض العلم في الأحاديث السابقة المطلقة جهالًا يحكمون بجهالاتهم فيضلون ويضلون» .

ومصداق ما قاله الإمام النووي رحمه الله ما جاء في الصحيحين عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» .

وصدق من قال :

لعمرك ما الرزية فقد مال
ولا فرس تموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد شخص
يموت بموته خلق كثير

التحرير

في هذا العدد



مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت

مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٥٦

ذو الحجة ١٤٣٢ هـ

العام الثامن والأربعون

أكتوبر - نوفمبر ٢٠١١ م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

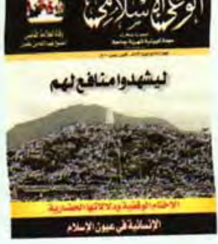
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
manager@alwaei.com

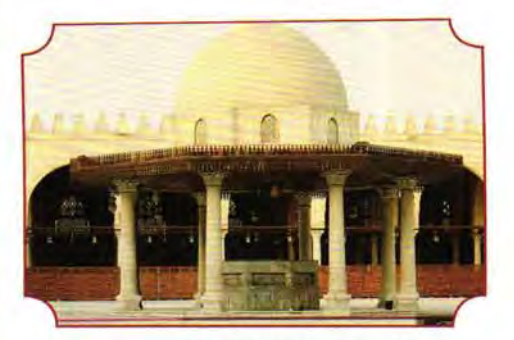
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.com



موضوع الغلاف





التوزيع

وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١ - ٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

- السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت:١٨٣٤٩٥٧٧٠ (٠٠٢٤٩)
- اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات ت- ٢٧٧٠٠٧ (٠٠٩٦١١) ف - ٢٧٧٠٨٨ (٠٠٩٦١١)
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم. - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

- الكويت : ٥٠٠ فلس • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان : ٥٠٠ جنيه • موريتانيا : ٢٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير • اليمن : ٧٠ ريالا • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠دراهم • ليبيا : دينار واحد • اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله • اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

المحتويات

كلمة العدد

الحج وطريق النهضة

تشهد أمتنا هذا الشهر حلول عيد الأضحى المبارك، أعاده الله على المسلمين جميعًا وقد تحققت أمانيهم، وارتفعت رايتهم، وقويت شوكتهم، وعز شأنهم، وانتهت فرقتهم، وبهذه المناسبة يسر إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» أن تقدم أجمل تهانيها وأطيب تبريكاتها لقرائها وكتابها وللمسلمين جميعًا، داعين الله عز وجل أن يعيد هذه المناسبة المباركة على أمتنا وقد تمثلت قولًا وفعلًا الآية الكريمة التي تلاها رسول الله ﷺ وهو على جبل عرفات في حجة الوداع: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ (المائدة: ٣).

هذه حقيقة يجب أن يعيها المسلمون جميعًا حكامًا ومحكومين، بكل ثقة واطمئنان، في طريق النهضة التي ينشدها كل مسلم لنستأنف دورنا الريادي والإيجابي في المسيرة الحضارية والإنسانية المعاصرة.. ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ (يوسف : ١٠٨).

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت: للأفراد ٥,٧ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الإسلام دين الدليل والحجّة والمسامحة

علم الجدل أو علم مقارنة الأديان- حسب المصطلح الأكثر شيوعا في الوقت الحاضر- هو علم وفن المجادلة، ومقارعة الحجة بالحجة، والفكرة بالفكرة.

وقد سار العقل المسلم- في عصور تألقه الحافلة- وفق هذا المنهج، حيث كان يحقق النصر تلو النصر للإسلام وحضارته وأمته.

وعبر أدوات هذا المنهج الفريد في مقارعة الحجة بالحجة وعرض الدليل على الدليل، اهتدت أقوام واعتنق الدين الحق أناس كثيرون من أهل الكتاب، ومن أجناس ومعتقدات مختلفة!

ويعتبر الإمام الباقلاني واحدا من العقول الجبّارة في فن المناظرة والجدل وبسط الأدلة وفق مقتضيات المنطق العقلي، ومما يروى عنه في هذا السياق أنه ناظر- ذات يوم- كبير بطارقة النصارى، فكان هذا الحوار الرائع الماتع:

• قال البطريق: هل انشق القمر لنبيكم حقا؟

• قال الباقلاني: نعم.

• قال البطريق: فلماذا لم يره إلا أهل مكة؟

• قال الباقلاني: يا هذا، هل نزلت المائدة على المسيح حقا؟

• قال البطريق: نعم.

• فقال له الباقلاني: فلماذا لم يرها أحد منكم؟ نحن قد آمنا بأن المائدة نزلت أيها البطريق، لأن الله تعالى أخبرنا بذلك في القرآن الكريم، فآمنا به كل من عند ربنا.

• قال البطريق للباقلاني: أوما سمعت عن عائشة زوج نبيكم؟

أراد اللئيم أن يطعن أم المؤمنين- رضي الله عنها- على غرار ما أثاره رأس المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول وأتباعه المعاصرون!!

ورد الباقلاني في شموخ: أيها البطريق، هما امرأتان في التاريخ: امرأة لم تتزوج ومع ذلك ولدت، وامرأة تزوجت ولم تنجب.. ونحن برأنا التي لم تتزوج وأنجبت ولدا، لأن الله برأها وقال لها: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (آل عمران: ٤٣)، وأنتم اتهمتم أم المؤمنين التي تزوجت ولم تنجب، والله برأها من فوق سبع سموات وقال: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (النور: ٢٦).

فسكت البطريق هنيهة، ثم عاد يقول أو على الأصح يهذي: نبينا أطهر من نبيكم.. عيسى أطهر من محمد.

قال الباقلاني وهو متعجب مما سمع: ولِمَ؟

قال البطريق: لأن المسيح لم يتزوج ومحمد تزوج.

وسأل الباقلاني البطريق: أمتزوج أنت أيها البطريق؟

قال البطريق: لا.. لأن الزواج نجاسة.

فقال له الإمام الباقلاني: كيف تقول: إن الزواج نجاسة، ولم تتزوج أنت، ومع ذلك قلتم: إن الله تزوج بمريم؟

فهل أنت أطهر أم الله العلي القدير أيها البطريق؟! أنت لم تتزوج بقصد الطهارة، ومع ذلك قلتم إن الله قد تزوج.. أأنت أطهر أم الله؟!

وهنا ما كان من البطريق إلا أن صرخ قائلا: وهو يرتعش من هول الحقيقة البازغة: يا إمام، والله لقد قلت حقا



إبراهيم نويري

ونطقت صدقًا، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

هذا هو الباقلاني صاحب الأسفار النفيسة «إعجاز القرآن»، «كيفية الاستشهاد في الرد على أهل الكفر والعناد»، «كشف الأسرار في الرد على الباطنية»، «المقدمات في أصول الديانات».. وهذا هو منهجه في الانتصار للحق ولعقيدة التوحيد الخالص، وهذا هو المنهج ذاته الذي التزمه العقل المسلم عبر حقب إيناع الحضارة الإسلامية السمحة وتألق الفكر الإسلامي الوضاء.

قصة أسير مسلم

وفي هذا السياق المتوهج بأشعة العقل، الطافح بمنادح النظر المؤمن، المسيج بحقائق الأدلة الغامرة نسوق - للقارئ الكريم- قصة هذا الشاب المسلم، الذي انتصر لدينه وعقيدته بسبب تضلعه في هذا الفن الإسلامي العجيب.. فن المناظرة، أو علم المجادلة، والقصة واقعية ومن حقائق تاريخ حضارتنا الرائدة.

قال التاريخ: سيق الأسرى إلى قصر الأمير، وكانت وجوههم ساهمة، طبعها الحزن بمعالمه الكئيبة، وكيف لا يألمون لهذا المصير السيئ وهم يخترقون بلاد

أكاديمي جزائري

الروم منكسرين لا منتصرين كما كانوا يأملون؟!

ونظروا إلى زميلهم «واصل» الشاب الفقيه الذي ترك دراسته بدمشق واكتتب في هذه الغزوة الفاشلة، كان واصل يبدو غير مكترث بما حدث، فقد استمع إلى حديث رسول الله ﷺ: «ما من سرية ترجع غانمة إلا تعجلت أكثر أجرها، وما من سرية تروع وتحرج إلا استوفت أجرها كله»، ولكن واصلا كان مكتئبا لأمر

واحد، فهو يعلم أن الأمير بشيرا الذي يساقون إلى قصره كان مسلما ثم ارتد، وأن ثمن ردته هذه الإمارة العريضة التي يتطاول فيها! واستعرض بشير الأسرى وكانوا ثلاثين، سألهم عن دينهم، وجادلهم في بعض عقائده، فلما جاء دور واصل أبى أن يرد عليه بشيء، فقال له: ما لك لا تجيبني؟

فقال: لست مجيبك اليوم بشيء. فقال إني سائلك غدا فأعد لي جوابا، وجاء الغد، وأدخل واصل على الأمير الذي بادره الحديث بعد حمد الله والثناء عليه قائلا: عجبا لكم معشر المسلمين، حيث تكفرون بألوهية عيسى وتقولون: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٥٩)، وما يستوي عبد ورب!

ورأى واصل أن يستأمن لنفسه قبل أن يجيب، فاستوثق لحياته قدر ما يدافع عن عقيدته، فلما اطمأن قال لمحدثه: أما حمدك الله وثناؤك عليه فقد أحسنت الصفة، وهذا مبلغ علمك واستحكام رأيك، والله أعزّ وأجلّ مما وصفت، وأما ما ذكرت من صفة هذين الرجلين عيسى وآدم فقد أسأت وأخطأت! ألم يكونا يأكلان ويشربان، ويبولان ويتغوطان، وينامان ويستيقظان ويفرحان ويحزنان؟!

قال بشير: بلى.

قال واصل: فلمَ فرقت بينهما؟

وردّ بشير: لأن لعيسى روحين اثنتين، روح يبرئ بها الأكمه والأبرص ويعلم الغيوب ويصنع بها المعجزات، وروح لما ذكرت من أحوال الناس!

- روحان اثنتان في جسد واحد؟!

قال بشير: نعم.

قال واصل: فهل كانت القوية منهما تعرف مكان الضعيفة؟

قاتلك الله! تعلم أو لا تعلم.. ماذا تريد؟

أريد إنْ كانت تعلم، فلماذا لا تطرد عنها قاذورات الضعف البشري وآفاته؟! وإن كانت لا تعلم فكيف يطلع الغيب من يجهل مجاوره في جسد؟! فسكت بشير محتارًا!!

واستطرد واصل: برضا عيسى أم بسخطه قدّستم الصليب؟!

قال بشير: هذه من تلك.. ماذا تريد؟

وأجاب واصل: إن كان بسخطه فما أنتم بعبيد يعطون ربهم ما سأل، وإلا

الإمام الباقلاني يعتبر واحدًا من العقول الجبارة في فن المناظرة وبسط الأدلة

فبالله كيف تعبدون ما لا يدفع عن نفسه العدوان؟!

قال بشير: أراك رجلا قد تعلمت الكلام فسآتيك بمن يخزيك الله على يديه، وأمر باستدعاء رجل من علماء القسس ليجادل هذا «الشيطان».

فلما حضر القس قال له بشير: هذا العربي له رأي وعقل وأصل في قومه، وأحب أن يدخل ديننا. فأقبل القس على واصل يحتفي به ويمتدحه، ثم قال: غدا أغمسك في المعمودية غمسة تخرج منها كيوم ولدتك أمك!

قال واصل: فما هذه المعمودية؟!

- ماء مقدس.

- من قدّسه؟!

- أنا والأساقفة من قبلي.

- فهل كانت لكم ذنوب وخطايا؟ أم أنت وهم مبرأون من النقص؟

- كلنا فعلنا الخطايا، وليس هناك مبرأ إلا يسوع.

- فكيف يقدّس الماء من لم يقدس نفسه؟!

وهنا اضطرب القس وحار ثم استدرك: إنها سنّة عيسى بن مريم غطسه يوحنا بالأردن ثم مسح له رأسه ودعا له بالبركة!

فقال واصل: أو احتاج عيسى إلى تعميد يوحنا وأن يمسح له رأسه ويدعو له بالبركة؟! فاعبدوا إذن يوحنا فهو خير لكم من عيسى.

فسكت القس واغتاظ بشير وامتلأ صدره على هذا القس، فصاح به كالمهووس: قم! دعوتك لتنصّره (تجعله نصرانيا) فإذا أنت قد أسلمت!

وانتشر خبر الأسير الفقيه، ومحاوراته الطريفة بسرعة فائقة حتى بلغ الملك وكبير بطارقته، فطلبه إليه وسأله: ما الذي بلغني عنك من انتقاصك لديني ووقيعتك فيه؟

قال واصل: إني لم أجد بدا من الدفاع عن ديني.

فتدخل كبير البطارقة محاولا بوقاره وهيمنته الروحية أن ينهي هذا الأمر، ونظر واصل فرأى تحت أردية الكهنوت جسدا متين البناء، عارم القوة، فسأل الملك بغتة: هل للحبْر الأعظم من زوجة وولد؟

وعرف الملك على الفور مثار التساؤل فقال له: صه.. هذا أزكى وأطهر من أن يتصل بامرأة! أو يستمتع بجسد!

فقال واصل بزباطة جأش ويقين فياض: تأخذكم الغيرة من نسبة المرأة إلى هذا، وتزعمون أن رب العالمين سكن جوف امرأة وعانى ضيق الرحم وظلمة البطن.. عجبا! تعبدون عيسى لأنه لا أب له، فلمَ لا تضمون إليه آدم فيكون لكم إلهان، أو عبدتموه لأنه أحيا الموتى؟ فعندكم في الإنجيل أن «حزقيل» مر بميت فأحياه

وتكلم معه، فضموه كذلك إلى شركة الآلهة! أو أنكم عبدتموه لأنه أراكم المعجزات؟

فهذا «يوشع» رد الشمس إلى فلكها إذ كادت تغرب، أو عبدتموه لأنه عرج في السموات؟ فهؤلاء ملائكة الله مع كل شخص أعداد يتناوبون بالليل والنهار، أو أنكم... فقاطعه البطريق: اخسأ يا شيطان.. هذا التجديف أحلّ بك القتل!

فقال واصل: إني أسير.. وثم ورائي منْ إذا بلغه خبري لم يمنعه مسلككم معي من أن يثأر لي.

أيها الملك: سل هؤلاء الأساقفة عن الأصنام التي في كنائسكم هل تجدون لها في الإنجيل مبررا؟ فإن كانت في الإنجيل فلا كلام لنا، وإلا فما أشبهكم بالوثنيين.

قال الملك: وقد أخذته دهشة وانجلت عن بصره غشاوة: صدقت، قد يعقل ما تقول!

وفي هذه الأثناء استشاط القس وامتلأ غضبا، فقال في حالة هستيرية: هذا شيطان من شياطين العرب، أخرجوه من حيث جاء، لا تقطر من دمه قطرة في بلادنا فتفسد علينا ديننا!

وعاد «واصل» ومن معه من الأسرى، وقد بدّلوا انكسارهم بانتصار.

دين الحجة والتسامح

ومن الأمارات الدالة على أن الإسلام وحده دين الحق والبرهان والخلود، جمعه البيّن بين فضيلتي قوة الحجة والمنطق، واحترام العقل والنظر، وبين خلق التسامح والحفاوة بالرأي الآخر، ووجهة النظر المغايرة، ويكفي الإسلام فخرا وسموا في هذ الخصوص أنه خلّد الرأي الآخر في محاورات أنبياء الله الكرام مع بعض أقوامهم من المشركين والكافرين والزائغين، وجعل ذلك الرأي قرآنا، وذكرا يتلى عبر كل العصور والدهور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.



ومما لاشك فيه أن التسامح عند المسلمين لم يقتصر على الجدال العقائدي والفكري والفلسفي، لما يؤمن به الآخرون من أهل الأديان، والمذاهب واتساع الصدر لمناقشة هؤلاء الأتباع في رؤية متزنة، وخلق عالٍ ومنهجية نادرة فحسب، وإنما نجد أن الأمر تجاوز هذه الحدود إلى واقع المجتمع الإسلامي ذاته، وإلى نطاق مختلف الآفاق التي يسمح بها التشريع الإسلامي في التعامل مع أهل الذمة، وتقرير حقوقهم وإنسانيتهم.

فمن مظاهر التسامح الإسلامي أن العرب والمسلمين كانوا إزاء نصارى الأندلس يسمحون لأساقفتهم بعقد مؤتمراتهم الدينية كمؤتمر إشبيلية النصراني الذي عقد سنة ٧٨٢م (أي بعد واحد وسبعين عاما من الفتح الإسلامي)، ومؤتمر قرطبة النصراني الذي عقد سنة ٨٥٢م.

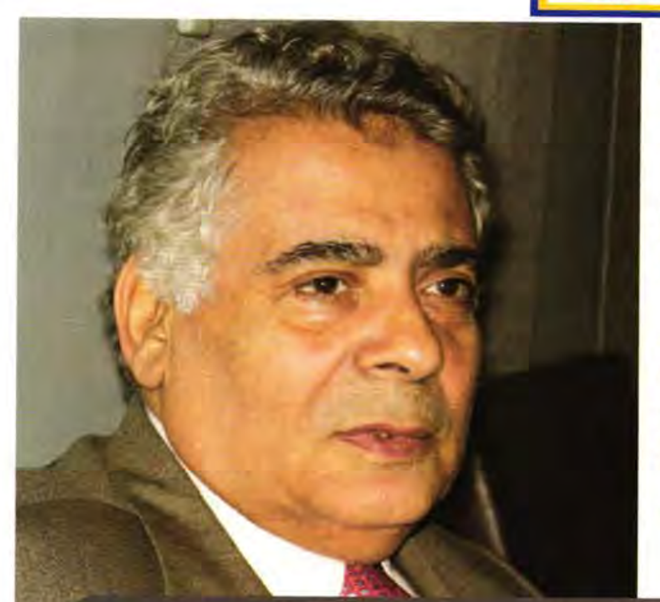
ومن الكنائس القبطية المشهورة التي بنيت في العصر الإسلامي كنيسة «مارجرس» بحلوان وكنيسة «أبي مينا» وغيرهما كثير.

وفي هذا السياق دائما يروي التاريخ أيضا أنه لما غزا التتار بلاد الإسلام، ووقع كثير من المسلمين والنصارى في أسرهم، ثم عادت الغلبة للمسلمين ودان ملوكهم (التتار) بالإسلام خاطب شيخ الإسلام ابن تيمية أمير التتار بإطلاق الأسرى فاستجاب الأمير التتري، ففك أسرى المسلمين وأبى أن يسمح بفك أسرى النصارى، فقال له شيخ الإسلام: لابد من فك الأسرى من اليهود والنصارى لأنهم أهل ذمتنا.. فأطلقهم له.

أمين عام رابطة الجامعات الإسلامية د. جعفر عبدالسلام:

المسلمون في حاجة إلى مراجعة الذات

القاهرة- دار الإعلام العربية



شدد د.جعفر عبدالسلام، الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية، على استمرار الحملة الغربية على المجتمعات الإسلامية لتذويب ذاتيتها وسلخ هويتها وصولا إلى تفتيتها وصبغها بالصبغة الغربية، لافتا إلى أن التمسك بأصول الدين الإسلامي هو الكفيل بريادة وسيادة المسلمين وتشخيص ما ألم بهم من أمراض سلوكية وفكرية واجتماعية، ودافع بشدة عن أهمية استمرار جولات حوار الأديان باعتبارها أداة للدفاع عن الإسلام وإبراز صورته السمحة، مطالبا الدول العربية برمي الكرة في الملعب الآخر من خلال التقدم بمشروع قرار للجمعية العامة للأمم المتحدة لتجريم كل مظاهر الإساءة للأديان والمقدسات.. مزيد من التفاصيل في سياق الحوار التالي:

ديموقراطية الغرب خرجت من رحم شورى الإسلام لكن بشكل منقوص

• يعول كثيرون على رابطة الجامعات الإسلامية كقناة من قنوات الدعوة في الدفاع عن الإسلام وإبراز صورته الصحيحة.. فما تقييمك لهذا الدور؟

- بفضل الله الرابطة لا تألو جهدا في الدفاع عن الإسلام، حيث تنفذ حاليا العديد من البرامج والفعاليات لتحقيق هذا الهدف، كما شاركت الجامعات الأعضاء، بل الجامعات والمؤسسات الدولية غير الإسلامية في كثير من الأعمال العلمية التي قامت بها، بالإضافة إلى عمل دؤوب لتطوير مناهج تدريس العلوم الإسلامية، وكذا العلوم الأساسية والاجتماعية؛ لكي تواكب العصر، ولكي تتحرك الجامعات الأعضاء لتبني رؤى التجديد والتطوير التي يعكف على دراستها علماء الرابطة، أيضا نعمل على نشر سلسلة «فكر المواجهة»، ووصل عدد الكتب التي صدرت في هذه السلسلة خمسة وعشرين كتابا تعالج شتى الملفات الشائكة في علاقة الإسلام بالغرب.. كذلك سلسلة الدراسات الحضارية، وسلسلة مركز دراسات الأسرة.

مراجعة الذات

• على ذكر علاقة الإسلام بالغرب.. ألا ترون أن أمتنا الإسلامية عانت طويلا من محاولات غربية لسلخ هويتها كمرحلة أولى لتفتيتها ثم السطو على مقدراتها؟

- لقد تعرض الإسلام منذ مدة طويلة لحملات تغريبية شديدة ترمي إلى سلخ المسلمين من هويتهم وصبغتهم بالصبغة الغربية في شتى مظاهر الحياة، وهو مخطط يسعى إليه الغرب سعيًا دؤوبًا ويهدف إلى فرض الثقافة الغربية بكل ما فيها من عيوب ومميزات على حد سواء، ولقد جرف الطغيان المادي تقاليد أمتنا وأعراف مجتمعنا نتيجة للاحتكاك بالغرب، ولم تقف محاولاته المستميتة لتفتيت وحدة الأمة، وإنهاك تماسكها وضربها من الداخل، لتصير أمتنا بلا هوية، وليدغدغ خصائص الذات الإسلامية وسماتها.

• لكن تقليد النموذج القيمي الغربي غدا داء عضالا تعانيه مجتمعاتنا؟

- الأمر لا يتوقف على التقليد الأعمى للنموذج القيمي الغربي فقط، بل إن هناك داء خبيثا مازلنا نعانيه ويتمثل فيما حذر منه المفكر الجزائري الراحل مالك بن نبي وهو خطورة نزعة قابلية الاستعمار المنتشرة في ثقافة الشعوب العربية والإسلامية، والتي يشاطرها كذلك وجود حالة إعجاب لا متناهي بمنظمة القيم الغربية، وهي ظاهرة مرضية يجب إخضاعها لدراسات وافية بدلا من أن نستيقظ يوما وقد تعرضت ذاتيتنا الثقافية للذوبان.

• وكيف نتجاوز هذه المرحلة المفصلية والمعقدة ونحافظ على ذاتيتنا؟

- التمسك بأصول ديننا الإسلامي هو الكفيل بعودتنا إلى الريادة والسيادة واستدعاء حضارة الإسلام التي أنقذت العالم من ظلمات الضلال والجهل والفتنة، ونحن نحتاج إلى مراجعة الذات واستعراض سلبياتنا وإيجابياتنا للخروج من النفق المظلم، وأنا هنا لا أدعو لمعاداة الغرب أو مقاطعته، بل نقدر محمود سلوكهم وتقدمهم، بينما نبتعد عن سلبياتهم وقيمهم التي لا تناسب قيمنا وثوابتنا ومقدساتنا.

الإسلام والديموقراطية

• هناك إشكالية أخفق كثيرون في تجسيدها أو صهرها وهي علاقة الإسلام بالديموقراطية.. فهل نستطيع حسم هذا الجدل؟

- لقد وضع الإسلام شكلا ناضجا ومتقدما عن الديموقراطية منذ أربعة عشر قرنا متمثلا في «الشورى» بمعنى الأخذ برأي الشعوب في المسائل الرئيسة كافة، والمشاركة في شؤون الحياة كافة، ومن بينها مسائل الحكم والسياسة الشرعية في الإسلام، ومن ثم فالديموقراطية خرجت من رحم الشورى الإسلامية وإن تم ذلك في شكل منقوص، حيث اعتمد الأوروبيون على معيار الأغلبية التي تحققها صناديق الاقتراع دون أي معايير دينية أو أخلاقية.

التسامح والعدل مع الآخر لا يعني أن نمسخ أو نخرج من عقيدتنا

• هناك من يتحدث عن وجود بعض التعارض بين الديموقراطية بشكلها الحديث ومبدأ الشورى الإسلامي؟

- لا يوجد اختلاف جوهري بين الأمرين إلا باختلاف البيئة التي خرج منها كل منهما، لكن ثمة فوارق منها أن الديموقراطية تفوض شعوبها في اختيار ممثليهم وفقا لما يرونه مناسبًا للأوضاع السائدة، وتتغاضى عما إذا كان النائب المختار متعلمًا أو عالمًا أو مشرعًا، وهو الأمر المعمول به حاليا في الدساتير العربية، حيث تشدد على إلمامه بالقراءة والكتابة وحسن السير والسلوك دون اشتراط الكفاءة أو القدرة على التشريع، في حين تشترط "الشورى" القدرة على التشريع وتحصره فيما يطلق عليه "أهل الحل والعقد" ليكونوا قادرين على الأخذ بيد شعوبهم، وتذليل أي صعوبات أمامهم، سواء فيما يتعلق بالمسائل الدنيوية أو الأخروية.

• لكن ثقافة الشورى الإسلامية مفتقدة في مناهجنا ومؤسساتنا التعليمية.. فهل تعتقد أن الوقت حان لتنمية هذه الثقافات؟

- حقوق الإنسان والعدالة والحرية تمثل ملامح بارزة في الشورى الإسلامية سواء على مستوى العقيدة أو الرأي، ولا تتحقق إلا في مجتمع صحي في ظل الارتباط الكبير بين حقوق الإنسان والشورى، لكن للأسف نفتقد أدبيات الشورى أو حتى الديموقراطية بشكل كبير، وهو الأمر نفسه الذي ينطبق على حقوق الإنسان، رغم أن الإسلام حسم الأمر منذ عقود طويلة وعززه من خلال نظرية المقاصد في الشريعة، والتي أوجبت الكليات الخمس وعملت على المحافظة عليها، وهي النفس والدين والعقل والمال والعرض؛ لذا فإن تكريس المحافظة عليها يتطلب أن تتحول إلى ثقافة عامة وعملية في المجتمع عبر محاولة تكريسها في مناهج التعليم وفقا لثوابت أمتنا.

الإسلام والآخر

• ركزت كثيرا في مؤلفاتك على مسألة التعامل مع الآخر.. فهل تلقي لنا الضوء على هذه المسألة في ضوء الاتهامات الموجهة للإسلام بمعاداته؟

- التعامل مع الآخر مسألة مهمة في النظرة الإسلامية بشكل عام، وقد أمر القرآن الكريم المسلمين في أكثر من موضع بحسن معاملة الآخر والتسامح معه، قال تعالى:﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ لكن هذا التسامح والبر والقسط والعدل مع الآخر لا يعني أن نمسخ أو نخرج من عقائدنا وأصول شريعتنا، ولا ينبغي أن نتبع الغرب في كل ما يقوله لنا، أو في كل ما يفعله، بل نحتاج إلى الحفاظ على أنفسنا وعلى ديننا وتراثنا باعتبار أن انسلاخنا عنها يعني موتنا، ويعني أيضا خسارة الإنسانية لمبادئ وتجارب وقيم لعبت دورًا مهمًا في إنقاذها من الأفكار الضالة والمضلة والعنصرية التي تحتقر الآخر وترفض التواصل معه.

• حضرت العديد من مؤتمرات حوار الأديان كان آخرها مؤتمرا مدريد والأمم المتحدة.. وهناك شعور بأنها لم تؤت أكلها.

– رغم أن مؤتمرات حوار الأديان لم تحقق ما كنا نصبو إليه، ولم تستطع إزالة حالة الاحتقان بين الإسلام والغرب، إلا إنني أعتبر أن استمرارها أفضل باعتبارها تعطي المسلمين فرصة لنفي أي علاقة بين الإسلام والإرهاب والتطرف ومعاداة الغير، والتأكيد على أن الحوار معه واحترام رأيه مبدأ إسلامي في مواضع متعددة، بل السعي إلى ممارسة ضغوط على الغرب خلالها لتبني قوانين وفي مقدمتها حظر الإساءة للإسلام، باعتباره دينًا سماويًا لا يجوز المساس به أو الإساءة إلى نبيه الكريم ﷺ.

• لكن الغرب رفض حتى التعاون معنا لاستصدار قرار دولي بحظر الإساءة إلى الرموز الدينية؟

– هذا يعود لفهمهم المغلوط للحريات، وتأكيدهم على عدم قبولهم بأي قيود على حرية الرأي، رغم مخالفة ذلك لقاعدة ذهبية تتمثل في "أن الحرية لا تعني بأي شكل من الأشكال الإساءة إلى المعتقدات والرموز الدينية" ولا يجب علينا في مثل هذا المقام الاستسلام لرغباتهم، بل التجاسر وطرح الأمر أمام المؤسسات الدولية، وصولا إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة التي نمتلك القدرة داخلها على حشد الأصوات المؤيدة لمواقفنا وعدم اللجوء لمجلس الأمن حتى لا نصطدم بالفيتو الغربي.

التعليم مشروع قومي

• رغم المحاولات المستميتة للدفاع عن الإسلام إلا أن نتاج هذه الحملات حتى الآن مازال محدودًا.. برأيك من المسؤول عن استمرار النظرة المغلوطة للإسلام في الغرب؟

– الغرب لم يضع في اعتباره يوما التعرف إلى الإسلام من مصادره الصحيحة، إنما اكتفى بالقراءة عنه من خلال المستشرقين المضللين، ومن المؤكد أننا نتحمل مسؤولية كبيرة عن قصور في مواجهة هذه الحملات، حيث كان تعاطي مؤسسات الدعوة الإسلامية بطيئًا ولم تقدم دولنا الدعم الكافي لعشرات من المراكز الإسلامية المتناثرة في بقاع العالم حتى تستطيع القيام بمهمتها في تصحيح صورة الإسلام، وكان لافتا خلال جولاتنا ولقاءاتنا مع المفكرين الغربيين شكواهم مر الشكوى من خلو المكتبات ودوائر المعارف الغربية من الكتب الخاصة بالثقافة والحضارة والشريعة الإسلامية، ما دعانا إلى توجيه دعوات لإيجاد مشروع إسلامي ضخم يتولى إعداد كتب ومؤلفات ترد على تساؤلات الغربيين وتشبع نهمهم للتعرف على الإسلام ومبادئه، وتوفر للمسلمين المقيمين في الغرب أفكارًا واضحة للتعامل مع المشاكل التي تواجههم.

• تشدد كثيرًا على حاجتنا الشديدة إلى ثورة تعليمية تعيد الاعتبار لمؤسساتنا التعليمية ولدورها كأداة للتنمية في العالم الإسلامي.. ما رؤيتك في هذا الشأن؟

– يعد التعليم في أغلب دول العالم المتقدمة مشروعًا قوميًا باعتباره مسؤولا عن الأمن الاجتماعي والقومي، وهذا ما نفتقده في أغلب دول المنطقة، من ثم فنحن بحاجة إلى خطة واضحة لتطوير التعليم تسير في عدة مسارات، أولها التخطيط لعقد مؤتمر عالمي في النصف الثاني من العام الحالي للاستفادة من الخبرات الدولية الرائدة في مجال تطوير التعليم مع عدد من المنظمات والجامعات الإسلامية والدولية.. من أجل طرح مفهوم واضح متفق عليه حول تطوير التعليم الجامعي، وإجراء حصر وتحليل لأبرز وثائق التطوير لتجويد التعليم الجامعي الصادرة عن جامعات العالم الإسلامي، ودراسة الآليات والأساليب الكفيلة بالاستفادة من هذه الوثائق المهمة وتطبيقها في جامعاتنا المختلفة، وإجراء «دراسات حالة» لبعض التجارب الناجحة في جامعات العالم الإسلامي، ودراسة إمكانية الاستفادة منها في باقي الجامعات.

• سبق أن أطلقتم دعوة للتطوير من خلال الرابطة.. فما مضمون هذه الدعوة؟ وما الهدف منها؟

– التجديد سنة من السنن الكونية، والإسلام ينبهنا إلى أهمية تجديد حياتنا باستمرار، والقرآن الكريم حث المسلمين دائما على أن يردوا ما لا يفهمونه مما يعرض أمامهم إلى الله ورسوله وإلى أولي الأمر منهم، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ كما يدعو الإسلام أتباعه إلى التجديد وإلى التدبر والتفكر في مخلوقات الله، يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾، كما يستخدم القرآن الكريم دائما آيات تشير إلى أهمية إعمال العقل، والاستفادة مما خلقه الله لنا لنفهم خلقه، فيقول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوات وَالْأَرْضِ﴾، من هذا المنطلق وجدت لجنة تطوير التعليم بالرابطة ضرورة النهوض بالتعليم الإسلامي وتطويره، خاصة فيما يتعلق بالعلوم الشرعية، والهدف من ذلك دفع العلماء والمفكرين إلى الاجتهاد والتجديد لمواجهة متطلبات العصر ومستجداته، فالإسلام هو الذي يحثنا على ذلك، وليس الغرب كما يتوهم البعض.



العلامة عبد الله العقيل وبجواره الدكتور وليد عبدالله المنيس

وفاة العلامة القاضي الشيخ عبدالله بن عقيل (رحمه الله)

(١٣٣٥- ١٤٣٢هـ/ ١٩١٧- ٢٠١١م)

أ.د. وليد عبدالله المنيس

فجع العالم الإسلامي قاطبةً ومنطقة الجزيرة العربية بخاصة بوفاة شيخنا العلامة العامل القاضي الشيخ عبدالله بن عقيل رئيس الهيئة الدائمة في مجلس القضاء الأعلى سابقًا في المملكة العربية السعودية يوم الثلاثاء ٧ شوال ١٤٣٢هـ، وبوفاة هذا الطود العلمي الشامخ ربما تكون قد طويت آخر صفحات طبقة تلاميذ الإمام العلامة الشيخ عبدالرحمن السعدي (ت ١٣٧٦)، فقد سبقه قريبًا إلى رحمة الله زميلاه في الطلب على العلامة ابن سعدي، العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، ثم العلامة الشيخ محمد بن سليمان البسام (ت ١٤٣٠) رحمهم الله تعالى أجمعين.

تنوعت أحوال العلامة ابن عقيل بين علم وعمل وعبادة وسعي في الخيرات

اسمه ونسبه

هو الشيخ العلامة العامل القاضي عبدالله بن عبدالعزيز العقيل أبو عبدالرحمن العنزي- نسبة إلى عُنيزة- يرجعون إلى العقيليين في المدينة المنورة، كانت ولادته في عنيزة في ١٣٣٥/٧/١هـ (١٣/٤/١٩١٧م).

الوظائف التي تقلدها وأبرز مشايخه

تقلد عدة مناصب بما يدل على علو همته وجده واجتهاده، فنشأ في بيئة علمية بين والده وعمه وأخيه الأكبر، وكلهم من أهل العلم والوجاهة والقضاء، أخذ العلوم الأولية في مدرسة القرعاوي وانتفع بعبدالله بن مانع وعبدالله بن صالح ومحمد بن علي التركي، حفظ القرآن الكريم ومتون العلم وعمدة الحديث وألفية ابن مالك ومتن الزاد، ولازم الشيخ الإمام عبدالرحمن بن سعدي والشيخ الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ واستفاد من المعمر المسند علي بن ناصر أبو وادي والعلامة الإمام المفسر محمد الأمين الشنقيطي، وتقلد القضاء والإفتاء طوال عمره إلى تقاعده عام ١٤٠٥هـ، كما ترأس الهيئة الدائمة في مجلس القضاء الأعلى، والمجلس الأعلى للقضاء نيابة عن الشيخ الإمام عبدالله بن حميد وغير ذلك مما يطول شرحه- رحمه الله تعالى.

أحواله وأعماله

نظرا لتعدد وتنوع أحوال العلامة ابن عقيل بين علم وعمل وعبادة وسعي في الخيرات كان لابد أن نتحدث عن طرف من أحواله في مواسم العمر للوقوف على همته لينتفع بذلك من سلك هذا الطريق الشريف المنيف.

عمله في اليوم والليلة

أما عمله اليومي كما شاهدته أنا وغيري فإنه لا يجاريه أحد إلا من وفقه الله تعالى إلى معالي الأمور.

١- كان يبدأ يومه قبل صلاة الفجر فإذا أذن الفجر خرج للمسجد ليبقى فيه إلى ما بعد شروق الشمس وفيه يقرأ القرآن ثم يصلي ثم يذكر الله ثم يباشر درسه بعد الصلاة مع طلاب العلم إلى ارتفاع الشمس فيصلي ما تيسر ثم يغادر إلى منزله ليرتاح.

٢- عند حوالي العاشرة ضحى يفتح مجلسه العلمي في منزله فيتلقى الطلاب من الضحى إلى الليل وأحيانا إلى ما يقرب من الحادية عشرة ليلا، يتخلل ذلك وقفات للصلاة والقيلولة.. يقرأ عليه فنون العلم من توحيد وفقه وحديث ولغة ونحو وأدب.

٣- ثم عند العاشرة ليلا أو ما يقاربها يدعو الجميع إلى مائدة عشائه العامرة مع تلطفه مع ضيوفه بحسن الحديث إليهم أثناء الأكل ووقوف أبنائه حولهم للعناية بهم.

٤- تنوع وتعدد الدروس التي تقرأ بين يديه في اليوم والليلة وهي ما بين توحيد وفقه وحديث وأصول ولغة وأدب، وقد شاهدت ذلك بنفسي وسجلت بقلمي ما لا أحصي من تعليقاته النافعة وشروحه الماتعة.

٥- المحافظة التامة على صلاة الجماعة والاستعداد لها قبل الأذان وتحري الصف الأول والمحافظة على الأذكار، وكان يحب أن يقرأ الإمام ويأخذ من القرآن ما تيسر من طوال المفصل.

٦- فتاوى الهاتف التي لا تكاد تنقطع أثناء دروسه فيجيب ويفتي بقدر ما يسمح به المقام.

عمله في الأسبوع

أما عمله الأسبوعي فيشتمل على عدة أعمال أبرزها:

١- استمرار عمله اليومي خلال الأسبوع من مدارسة وتعليم.

٢- مجلس الأربعاء وهو مجلس خاص بعد صلاة العشاء يستعد له بعد العصر حيث يلتقي الشيخ ببعض الوجهاء وطلاب العلم والأقارب في فناء البيت الواسع في الصيف، أما في الشتاء فيكون في قاعة واسعة متصلة بمجلسه اليومي داخل بيته، ويُقرأ بين يدي الشيخ من خلال مكبر الصوت باب من أبواب العلم على مسمع من الحضور، يعقب ذلك وليمة عشاء واسعة عليها الذبائح وأطايب الطعام.

٣- دروس خاصة لبعض الوجهاء ممن يصعب حضورهم مجالسه اليومية كالقضاة والوزراء ونحوهم يخصص لهم دروسا في بعض العلوم الشرعية.

٤- تخصيص درس أسبوعي بعد المغرب في مسجده يقرأ بين يديه أحد أبنائه قبل صلاة المغرب.

٥- يكتفي يوم الجمعة بدرس الفجر إلى الشروق ويوقف الدرس لخصوصية يوم الجمعة ويلتقي طلبته بعد ذلك بعد العصر، وكان يتحرى ساعة إجابة الدعاء آخر يوم الجمعة قبل المغرب ويخرج إلى المسجد لها ويخلو في غرفة إلى الأذان يتضرع ويسأل، ثم بعد الصلاة يواصل دروسه في مجلسه المعتاد.

عمله في الشهر

أما عمله في الشهر فتتخلله عدة أنشطة وأعمال أبرزها:

١- استمرار عمله اليومي والأسبوعي في مدارسة العلم.

٢- اجتماعاته باللجنة الشرعية في مؤسسة الراجحي المالية التي يعمل بها مستشارا.

٣- ذهابه إلى مكة معتمرا مع الصيام في أيام البيض من كل شهر فيمكث أربعة أيام يعود بعدها إلى الرياض ليواصل نشاطه في

نشر العلم.

٤- مواصلة دروسه في مكة لطلبته الذين ينتظرونه ويتحرون قدومه، وهم على ذلك من سنوات.

٥- القراءة عليه مع الإجازة في مجالس العشر الأواخر من رمضان كل عام بإشراف تلميذيه الشيخ نظام يعقوبي والشيخ محمد ناصر العجمي.

عمله في السنة

أما عمله السنوي فيشتمل على ما مر ذكره وأعمال أبرزها:

١- ذهابه للحج على عادته السنوية، وكان كشيخه العلامة ابن سعدي يحج كل عام، وقد سئل كم حجة حججت يا شيخ فقال رحمه الله تعالى: متواضعا ﴿أحصاه الله ونسوه﴾ الآية.

٢- زيارته لمكة اثنتي عشرة مرة في العام منها إحدى عشرة عمرة ويختمها بالحج كل عام.

٣- ذهابه كل عام لصيام شهر رمضان كاملا في مكة وعودته ليلة العيد وهو على هذا العمل منذ سنوات عديدة للعبادة والقيام ولتدريس العلم بعد الفجر وبعد العصر.

٤- سفره إلى خارج البلاد إجابة للدعوات التي توجه له كالدعوات التي وجهت إليه من الكويت من وزارة الأوقاف في الكويت بسعي من تلميذه الشيخ فيصل يوسف العلي مدير الشؤون الفنية في الوزارة سابقا عام ٢٠٠٥ و٢٠٠٧، أو إلى مصر لمتابعة أعماله مع الاستجمام عند ابنه الشيخ عبدالرحمن العقيل الذي يشرف على مؤسسة دار التأصيل للتحقيق والنشر.. وغيرها من البلدان.

أعمال أخرى

■ نشر الكتب والتقديم لها بقلمه وتشجيع طلبته على ذلك، فقد قدم لعدد من الكتب والرسائل، منها ما تعلق بمراسلاته مع شيخه ابن سعدي، ومنها بعض النوازل الفقهية، ومنها رسائل أعدها طلبته ممن كتب ما يستحسنه الشيخ مما يفيد، وهذا يكتف عمله في اليوم والشهر والسنة- رحمه الله.

■ زياراته الاجتماعية لرحمه وأبنائه وأحفاده وزيارته للعلماء والمرضى واتصاله بالناس والمجتمع وتفاعله معهم.

■ تقديم المحاضرات العامة في المساجد بحسب الدعوات التي توجه له كالمحاضرة التي قدمها عن شيخه العلامة ابن سعدي والتي أخرجها أحد تلامذته في رسالة خاصة.

الـدروس العلمية لابن عقيل كانت لا تتوقف إلا لصلاة أو طعام أو وضوء أو قيلولة

آداب اختص بها مجلس الشيخ

اختص مجلس الشيخ بجملة من الآداب يحسن بطالب العلم أن يتأملها ويأخذها بقوة فهي بعون الله من أسباب البركة في مجلسه العامر بالخير نعرض منها ما تيسر تقييده لتعم الفائدة..

أولًا: تأهب الشيخ للدرس واستعداده التام لتلقي طلاب العلم

كان الشيخ رحمه الله يتأهب للدرس بما يشعر الطالب بأهمية العلم ويؤصل فيه الالتزام والعناية والاهتمام.

ثانيًا: تجمله وحسن مظهره واستعداده بأحسن هيئة توقيرا لمجلس العلم

إذا جلس الشيخ في مجلسه رأيته بأحسن مظهر ومخبر يغلب على ملبسه البياض والغترة البيضاء أو الحمراء والبشت المناسب فيضفي عليه المهابة وعلى مجلسه الوقار.

ثالثًا: تواصل الدروس العلمية في مسجده ومجلسه من بعد الفجر إلى ما بعد العشاء، فلا تقف في مجلسه الدروس إلا لصلاة أو طعام أو وضوء أو قيلولة مما يدل على أن العلم ومدارسته يغشى مجلسه ولا شيء غيرهما.

رابعًا: تعليقاته وتقريراته وشرحه على الأبواب و الفصول في كتب العلم

كان الشيخ يعلق على ما يقرأ بين يديه بحسب مستوى الطالب ونوع العلم بما يثلج الصدر ويوسع الأذهان ويوقف الطالب على الفوائد العلمية.

خامسًا: إكرامه المتناهي لأهل العلم والمشايخ والوافدين إلى مجلسه

امتاز الشيخ بحسن الوفادة للوافدين إلى مجلسه فيجلسهم بقربه ويحسن السؤال عن أحوالهم ويحاورهم بأدب ويتلطف معهم ويوافقهم بتواضع ويحقق رغبتهم ويحسن مشورتهم ويباشرهم بأطايب الطعام والكلام.

سادسًا: رده المباشر والسريع لكل معروف أومروءة

فإذا ما أرسل له أحد المحبين كتابا أو هدية بادر إلى طلب هاتفه وقام بالاتصال به وشكره وتلطف معه ودعاه إلى العشاء وسأل عن أحواله.

سابعًا: حسن استقباله وتوديعه لضيوفه وعنايته بهم

وهذا عام في كل وقت وحين، ويظهر جليا في مجلس الأربعاء الذي يغشاه كبار الضيوف من علماء وأصحاب وأقران وكبار الطلاب ممن طالت ملازمتهم له فتشاهد كل ما يسر من حسن رد وطيب كلام وطعام وحسن مقام.

ثامنًا: حسن اعتذاره واستئذانه وتلطفه مع طلبته

فإذا ارتبط بموعد سابق لا يفاجئ طلابه بالمغادرة بل يجعل عندهم علما مسبقا وإذا طرأ أمر مفاجئ غادر بهدوء، ثم ما يلبث أن يعود ولا يأمر أحدا بالخروج، بل يؤكد عليهم بالبقاء ويشعرهم بقرب عودته ويأمر خدمه بمباشرتهم بالقهوة والشاي، وإذا خاطب أحد طلبته ناداه بالكنية أو بلقبه العلمي ويشعره بمكانته عنده، بل إن كل طالب ينتابه شعور

بأنه ربما كان الشيخ يحبه أكثر من غيره نظرا لتلطف الشيخ مع الجميع.

تاسعًا: حسن تقسيمه للوقت ودقته في اغتنام ساعات النهار والليل

فالشيخ دقيق جدا في استقلال الوقت يعرف ذلك طلابه وجلساؤه فكل جلسة من جلساته معروفة ومؤقتة بدقة لدرجة أن طلبته يضبطون ذهابهم وإيابهم على ذلك فنادرا جدا ألا تجد جوابا إذا سألت أين الشيخ هذه الساعة أو تلك؟ وإذا ما سألت أجابك من سمعك أنه في هذه الساعة يكون في العادة هنا أو هناك ويذكر لك مكانه!

عاشرًا: الوقار التام في مجلسه

اتصف مجلس الشيخ بالوقار والسكينة فهو مجلس علم بحق فلا تسمع استخفافا أو رفع صوت أو غيبة أو نميمة أو سخرية أو تحريض على سوء، بل هو مجلس علم بحق لا تسمع فيه إلا قال الله تعالى، وقال رسوله صلى الله عليه وسلم، أو قال المؤلف ونحو ذلك، وزاد من ذلك وقار الشيخ ومهابته بما يضفي انضباطا تاما في المجلس من غير خروج عن مألوف مجالس العلم.

حادي عشر: حسن تمثله واستشهاده

وذلك مما يدهش العقول ويستدعي الانتباه ويستجلب التأمل والإنصات، وأنى لنا أن نحصي ما تمثل به الشيخ في مجالسه العلمية، وحسبنا أن نورد طرفا منها والله المستعان.

فمن ذلك أننا ارتحلنا إليه رحمه الله في جمادى الآخرة عام ١٤٢٤هـ، وفي مجلسه كان من عادته أن يلقي أبياتا من الحكمة أو الأدب لشحذ الأذهان ودفعها للتأمل فقال:

سألت الخثعمي أبا يزيد
غداة أتى ونحن نسير سيرا
ولم أُلحف عليه ولم أكرر
فجاد به جزاه الله خيرا

ثم قال الشيخ: ماذا سأله؟

فلم يعرف أحد منا الجواب ظن البعض أنه حال أو مفعول مطلق ونحو ذلك، فأجاب الشيخ بعد قليل: سأله سيرا- وهو الذي يقد من الجلد ونحوه- وجمعه سيور!

ومن ذلك أنه رد على الهاتف وكان الذي يكلمه شخص يعتني بتسجيل وفيات الأعيان والناس فأنشده الشيخ:

مازال يكتب في التاريخ مجتهدا
حتى رأيناه في التاريخ مكتوبا

وأثناء القراءة عليه من «بلوغ المرام» من حديث عائشة رضي الله عنها الطويل في وصف صلاة النبي صلى الله عليه وسلم قولها: «وينهى أن يفترش الرجل ذراعيه افتراش السبع...» الحديث (أخرجه مسلم رقم ٢٨٩)

قال العلامة الشيخ ابن عقيل رحمه الله: نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التشبه بستة حيوانات ثم أنشد الشيخ أبياتا في ذلك فقال:

إذا نحن قمنا للصلاة فإننا
نهينا عن الإتيان فيها بستة
بروك بعير والتفات كثعلب
ونقر غراب في سجود الفريضة
وإقعاء كلب وبسط ذراعه
وأذناب خيل في جلوس التحية

وربما رغب في معرفة الذكي من طلبته قائلا:

وما شيء حقيقته مجاز
وأوله وآخره سواء
عجيب أمره متناقضات
تراه معربا وبه البناء

وربما قال ناصحًا محذرا:

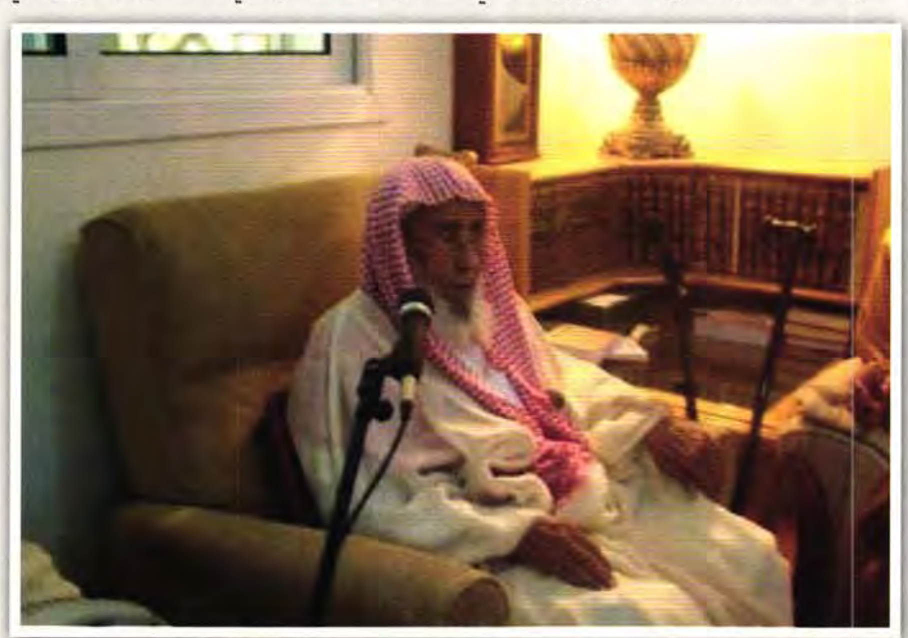
بقدر الصعود يكون الهبوط
فإياك والرتب العاليهْ
وكن في مقام إذاما سقطت
تقوم ورجلاك في العافيهْ

وقال عن مكانة كتاب «منتهى الإرادات» الذي عليه مدار الفتوى وهو آخر الكتب التى أتممناها عليه رحمه الله:

«محشو بالمسائل كحشو الرمان كل حبة متصلة بشيء يغذيها لوحدها».

أما نظمه في الفقه فمنه قوله في ضبط مقدار القلتين:

ثلاثمئين اللتر من بعد سبعة
لقلتي الماء الكثير المطهر
وخمس قرب تقديرها عند بعضهم
أي ابن جريج العالم المتبحر
وعشر تنك تقدير شيخ مبجل
أي ابن جراح الفقيه المفسر
ذراع وربع جاء طولا محددا



وعــــرضًــــا
وعـمـقـا فـافـقـه الـقـول واخـبـر
فتلك تقادير جياد تحصلت
لقلتي الماء الكثير المطهر
ونظم طبقات الأصحاب بقوله:
أوَّلـهُـم مـن الإمـام المتقي
حتى أبي يعلى الفقيه المرتقي
أوسـطـهـم مـنـه إلـى الموفق
آخرهم منه إلى من قد بَقِي
حكاه الخلْوَتيُّ وابن القاسم
وبكر كالهندي ذي المكارم
وابن حميد مُفْتيَ الحنابلهْ
كذا سمِّيه إمام السابلهْ
لكن هل العبرة بالزمان
أو الرجال يا أخا العرفانِ
أو بهما جمعا وكيف العملُ
إذ ذاك بَيِّنٌ وعداك الزللُ
وإن يخالف نطقه مفهومه
فقدم المنطوق إذ ترومه
كما حكي ذاك عن السفاري
فاحفظ وحققه ولا تماري
وقال في المفاضلة بين الزاد والدليل:
وقدموا الزاد على الدليل
لنكت تبدو على التفصيل
أهمها جمعه للمسائل
مع اختصار اللفظ والدلائل
لكنه عن اجتهاد وعدَه
بالغ في الإيجاز حتى عَقّده
وبعضهم يفضل الدليلا
لأنه يستصحب التفصيلا
يفصل الشروط والأركانا
موضحًا وواضعًا عنوانا
وسهل التعبير والتدليلا
بذاك حاز السبق والتفضيلا
ونظم أصول مذهب الإمام أحمد- رحمه الله- فقال:
أصول إمامنا خمس فخذها
مرتبة على نهج الجواب
حديث ثابت قول الصحابي
إن اختلفوا فأقرب للصواب
ورابعها الضعيف ومرسلات
وخامسها القياس فلا تحابي
وفي محظورات الإحرام قال:
فحلق وتقليم مخيط وصيدهم
وعقد نكاح والجماع مع الطيب
مباشرة مع ستر رأس فهذه
محاذير للإحرام تسع فخذها بترتيب



كان من عادته في مجلسه أن يلقي أبياتًا من الحكمة أو الأدب لشحذ الأذهان ودفعها للتأمل

أما شرحه وتعليقاته و اختياراته الفقهية أثناء القراءة عليه فلا تعد ولا تحصى فمنها:

أولا: على كتاب «دليل الطالب»:

قوله: باب الآنية، قال العلامة بن عقيل: باب الآنية ذكر هنا لأن الماء لابد له من إناء يوضع فيه، وإلا فهو مناسب في الأطعمة للحاجة أو لأنه مناسب هنا وهناك.

قوله «إلا آنية الذهب والفضة والمموه بهما» قال الشيخ قوله «إلا» أداة استثناء والمعنى يحرم ولو على أنثى لأن من عادتها التحلي، فالأنثى يباح لها التحلي لحاجة الزوج، أما الأواني فلا حاجة بها للزوج، فالاتخاذ والاستعمال حرام للذهب والفضة الخالصة.

ثانيا: على كتاب «زاد المستقنع»:

قوله في باب الحيض: «وإن ولدت توأمين فأول النفاس وآخره من أولهما» قال الشيخ ابن عقيل الصحيح من آخرهما: فقها، وأنه لا يتحدد بأربعين خلافا للمذهب.

قوله: في باب الآذان والإقامة «هما فرضا كفاية على الرجال المقيمين للصلوات الخمس» قال الشيخ: نحفظه عن مشايخنا: على الرجال المقيمين والمسافرين.

ثالثا: على كتاب «النظم المفيد الأحمد» من كتاب الصلاة:

قال الناظم:
وجلسة بعد أذان المغرب
تندب حتى تركها اكره تصب

قال العلامة الشيخ ابن عقيل: أي ترك السنة ليس مكروها إلا في هذا الموضع.

رابعًا: قال على كتاب إرشاد أولي البصائر لشيخه ابن سعدي:

قوله «ثم ما كان ممسوحا لا يشرع فيه تكرار» قال العلامة ابن عقيل: قاعدة «كل المسوحات لا تكرر الرأس، الأذنان، الخف، الجبيرة».

خامسًا: قال على كتاب أخصر المختصرات لابن بلبان:

قوله في أثناء فصل الإمامة: «وسن وقوف المأمومين خلف الإمام والواحد عن يمينه وجوبا والمرأة خلفه».

قال شيخنا العلامة ابن عقيل: ذكر شيخنا عبدالحق ٢٥ حالة تختلف فيها المرأة عن الرجل في الصلاة منها هذه الحالة.

قوله في صلاة الكسوف: وإن كثر المطر حتى خيف سُن قول: اللهم حوالينا ولا علينا.

قال الشيخ العلامة ابن عقيل: ذاك استسقاء وهذا استصحاء.

سادسًا: قال على كتاب الروض المربع:

باب مسح الخفين:

قال العلامة الشيخ العلامة ابن عقيل: المسح على الخفين من مسائل الفروع ولما خالف أهل البدع جعلوه من مسائل العقيدة.

قوله: ويكره تنكيس السور والآيات.

قال الشيخ العلامة ابن عقيل: والصحيح يحرم.

وقال على «منتهى الإرادات»:

قوله «لا بقصد طيب كحناء وعصفر وقرنفل»

قال الشيخ ابن عقيل: القرنفل ليس بطيب، ثم أنشد طرفة:

مــررت بـعـطـار يــدق قرنفلا
ومسكا وريحانا فقلت: (شهيق)
فـقـال لـي الـعـطـار رد قرنفلي
ومسكي وريحاني فقلت: (زفير)

ثم قال الشيخ: شعر بلا قافية.. وتبسم الجميع!

الرحلات العلمية إلى الشيخ

تيسر لي مع الأخ الشيخ فيصل يوسف العلي الارتحال الى الشيخ للاستفادة من علمه وثاقب فهمه وبمصاحبة الأخ الشيخ ياسر المزروعي والأخ الشيخ رائد يوسف الرومي وقد وفقنا الله تعالى بالسفر إلى مجلسه أكثر من ٢٣ رحلة من عام ١٤٢٣هـ إلى عام ١٤٣١هـ، قرأنا على فضيلته رحمه الله ما لا يحصى من الكتب والرسائل في التوحيد والفقه والحديث والقواعد الفقهية والأصول ومنظومات الأدب والنحو واللغة تم لنا جمعها بفضل من الله في مجلد عنوانه:

«الجامع للرحلة إلى ابن عقيل المشتمل على الإكليل والتكميل والتحجيل».

مرضه ووفاته رحمه الله تعالى

تعرض الشيخ بعد رمضان عام ١٤٣١هـ بعد أن صامه في مكة على عادته لضعف عام دب في بدنه وعاد إلى الرياض عليلا فمكث فترة ملازما بيته وخفف من نشاطه



ليجمع قواه وتحسن قليلا، ثم بدا لأبنائه السفر به إلى ماليزيا للعلاج هناك فترة، وقد تحسن فيها بحمد الله وعاد إلى بيته وزرناه وقد تحسن، ثم عاد ليدرس العلم مع طلبته من جديد بطريقة مخففة مراعاة لوضعه الصحي، واستمر على ذلك إلى أن قدر الله أن ينزلق أثناء الوضوء فارتطم رأسه أثناء السقوط فغاب عن الوعي، وأجريت له عملية بقي بعدها شبه غائب عن الوعي لكنه يحس بمن يزوره، وقد زرته مع الشيخ فيصل العلي وعليه الأجهزة الطبية وصافحناه وهو لا ينظر إلينا لكنه يشعرك بأنه يحس بك بأن يضغط على يدك أثناء مصافحته.

وقد ظل راقدا في المستشفى، ثم مرت عليه فترات ضعف في الآونة الأخيرة إلى أن وافاه الأجل المحتوم الساعة ٢:١١ بعد ظهر الثلاثاء الموافق ٧ شوال ١٤٣٢هـ- رحمه الله تعالى- عن حوالي ٩٧ سنة.

الصلاة عليه في مسجد أم الحمام في الرياض

غادرنا الكويت أنا والأخ الشيخ فيصل العلي بعد فجر الأربعاء ٨ شوال ١٤٣٢هـ إلى الرياض لشهود جنازة الشيخ ووصلنا الرياض قبل الظهر ثم غادرنا إلى المسجد الذي سيصلى عليه فيه واسمه مسجد (أم الحمام) وهم في العادة يصلون على الجنازة في المسجد هناك وقد شاهدنا الجثمان وقبلنا جبين الشيخ وكان بهيئة حسنة بحمد الله.

وقد تقرر الصلاة عليه عقب العصر، وقد أم المصلين سماحة المفتي العام الشيخ الإمام عبدالعزيز آل الشيخ حفظه الله، وقد ملئ المسجد عن آخره وكثر الناس وهو أكبر مسجد في الرياض بعد مسجد الإمام تركي، ثم حمل الجثمان إلى المقبرة وقد حضر الجنازة بعض أعضاء هيئة كبار العلماء وجمع غفير من الناس والوجهاء فرحمه الله رحمة واسعة وأباحه بحبوحة جنته، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

رثاء وعزاء

الأستاذ زهير الشاويش يرثي الشيخ ابن عقيل

انتقل إلى رحمة الله العلامة الشيخ عبدالله بن عقيل، شيخ البلاد النجدية في الحديث النبوي الشريف، والفقه الحنبلي، عن عمر ٩٧ سنة، وكانت له مباركات نافعات.

وإننا نقدم العزاء لابنه الشيخ عبدالرحمن، وحفيده الشيخ أنس، وجميع العائلة.

وهو الأخ الرفيق لنا، وله الفضل العميم- رحمه الله، حيث تلقى الرواية عن مشايخه، منهم الشيخ عبدالرحمن بن سعدي، سماحة العلامة المفتي السعودي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ محمد بن مانع.

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا، اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا». (البخاري ومسلم).

وهذا الذي لنا مع شيخنا، فقد تجاوز التسعين من عمره المديد الذي بارك الله فيه، والذي نفع به عباده كافة، وكان من تلامذته العدد الكبير جدًا.

وقد تمت معه ومعي المدامجة الحديثية، وذلك بفضله وكرمه، وبذلك جمع الله بيننا بالسند النبوي الشريف في البلاد الشامية وبلاد نجد والحجاز، ومعي أستاذنا الشيخ صبحي السامرائي، إلى علماء كل عصر.

وكان يجتمع بإخوانه في «اللقاء الشهري برمضان» في الحرم المكي، حيث



زهير الشاويش

يتدارس رسائل الحديث الشريف مع مجموعة من إخوانه، الذين يحضرون إلى مكة، ويكون معهم (وهو الأكبر سنًا منهم- رغم مرضه).

وإلى كل هؤلاء وزملائهم أقدم لهم أحر العزاء بوفاة شيخنا فضيلة الشيخ عبدالله بن عقيل، وأكرر العزاء لأخي الشيخ عبدالرحمن والشيخ أنس، وجميع العائلة والأهل والأولاد.

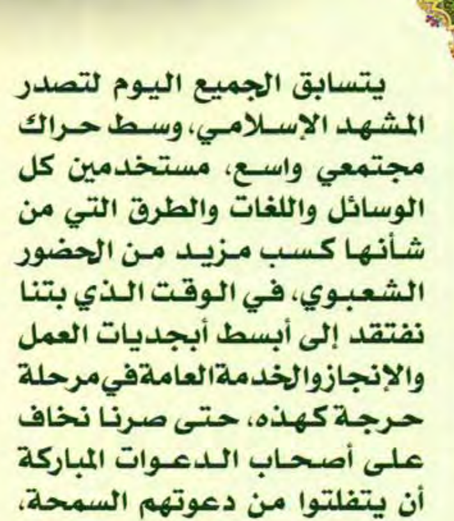
أعمال الشيخ

قام رحمه الله بأعمال كريمة مهمة.. فكان عضوًا في هيئة الإفتاء العام بالسعودية، وتنقل في عدد من المحاكم في عدد من مدن المملكة، آخيرًا أصبح قاضيًا في المحكمة الكبرى في الرياض، ثم عضوًا في مجلس القضاء الأعلى، ثم عضوًا في مجلس الأوقاف الأعلى.

وأثناء ذلك، كان في عضوية العديد من المحاكم حيثما تقتضي أعمال الدولة السعودية.

عبادة السيد نوح obadanooh@hotmail.com

الخبيئة الصالحة



يتسابق الجميع اليوم لتصدر المشهد الإسلامي، وسط حراك مجتمعي واسع، مستخدمين كل الوسائل واللغات والطرق التي من شأنها كسب مزيد من الحضور الشعبوي، في الوقت الذي بتنا نفتقد إلى أبسط أبجديات العمل والإنجاز والخدمة العامة في مرحلة حرجة كهذه، حتى صرنا نخاف على أصحاب الدعوات المباركة أن يتفلتوا من دعوتهم السمحة، ورسالتهم الحقة، ومنهجهم النقي، ويقعوا في فخ الفساد، ومرتع النفاق، وبيئة المصلحة الشخصية.

فلا يكاد يمر يوم حتى نرى كثيرًا ممن كنا نعتبرهم قادة مصلحين يحتكرون الميكروفون لأنفسهم من خلال الندوات والمؤتمرات والفضائيات وصفحات الجرائد، دونما تحرك حقيقي أو دور مؤثر بين الناس، باعتبار أنهم يعتقدون أن الشارع دائمًا ما يؤيد (أرباب الحق) ولكن هذا المنطق الظاهري لن يجدي نفعًا ولن يحي مجتمعاتنا.

ومما لاشك فيه أن الله يحب الأتقياء الأخفياء الأصفياء الأبرار، الذين إذا غابوا لم يُفتقدوا وإذا حضروا لم يُعرفوا، يعيشون حياة العبودية لله، والانصراف عن الظهور، يقدمون ولا يأخذون، يضحون ولا يُجْزَوْن، يخدمون ولا ينتظرون، مصداقًا لقول المصطفى ﷺ: «من استطاع منكم أن يكون له خبء من عمل صالح فليفعل».

ولعل أصحاب المصطفى ﷺ كانوا أنقى هذه الأمة قلوبًا، وأكثرها علمًا، وأقلها تكلفًا، أولئك هم الأتقياء الأخفياء، علت همتهم فلم تتلاعب بهم الدنيا، ولا تطلعوا لمال أو منصب أو جاه، لقد كانت حياتهم ترجمة لمعاني الرضا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا، كان شعارهم ﴿ففروا إلى الله﴾، عاشوا بالإسلام وللإسلام، مشوا بأرجلهم على الأرض وقلوبهم معلقة بخالق الأرض والسموات.

ولنا في عمر بن الخطاب مثال طيب، عندما خرج يومًا في سواد الليل وحيدًا، لا يراه أحد، ودخل بيتًا ثم خرج، ثم دخل بيتًا آخر، فرآه طلحة رضي الله عنه دون أن يعلم به عمر، فظن أن في الأمر شيئًا، فأوجس في نفسه، لماذا دخل عمر هذا البيت؟ ولماذا دخله وحده؟ ولماذا في الليل؟ ولماذا يتسلل؟ ولماذا لا يريد أن يراه أحد؟ ارتاب طلحة في الأمر.

ولما كان الصباح ذهب طلحة فدخل إلى ذلك البيت فلم يجد إلا عجوزًا عمياء مقعدة، فسألها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ وكانت لا تعرف أن الرجل الذي يأتيها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه قالت العجوز العمياء المقعدة: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا بما يصلحني، ويخرج الأذى عن بيتي، أي يكنس بيتها ويقوم بحالها، ويرعاها، فما أعجب سيدنا عمر في شدة إخفائه لهذا العمل حتى لا يراه أحد! في سواد الليل، يمشي لواذًا خشية أن يراه أحد فيفسد عليه عمله الذي هو سر بينه وبين الله.

ووسط توالي الأحداث بهذا الشكل المتسارع، نتساءل: ما الذي يقيدنا عن اللحاق بأولئك النفر؟! وما هذا العمل الذي أخفوه حتى أوصلهم إلى هذه المنزلة؟! صحبوا الخفاء حتى ألفوه، وعاشوا معه فكانوا أنقياء في أنفسهم أولًا وفي أعمالهم ثانيًا، يقول عبدالله بن داود رضي الله عنه «كانوا يستحبون- أي السلف الصالح- أن يكون للرجل خبيئة من عمل صالح لا تعلم به زوجته ولا غيرها».

إن كسب قلوب وعقول الناس ليس بالمجاهرة والصياح ليلًا ونهارًا، وتصدر المجالس والفعاليات، وإنما بالعمل الصالح المخلص النابع من قلب طاهر، يستشعره الجميع، ويتقبله بصدر رحب، لاسيما أننا في مرحلة أقرب إلى تمحيص النفوس ولفظ المنافقين والمتملقين من الصحبة الصالحة.

يجب العزم من الآن على الالتحاق بهؤلاء الربانيين، أصحاب الأيادي المتوضئة، والقلوب الطاهرة، والنفوس الكريمة، ولنجعل لنا سريرة لا يعلمها أحد من الخلق، ندخرها لأنفسنا هناك بين يديه سبحانه وتعالى، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.. والله ولي التوفيق.



ليشهدوا منافع لهم

لكل ركن من أركان الإسلام الخمسة حكمه وفضائله، ومقاصده ومراميه التي لا يدركها إلا من امتزج قلبه بروح الإيمان واليقين في كل سكناته وحركاته، وأخلص في أدائها لله رب العالمين.

وقد شاءت إرادة الله أن تكون الصلاة والحج هما الركنان اللذان يتطلبان حركة الجسم مع حضور الروح، كما أنهما متشابهان في الحكمة من تنفيذهما.. وهي الخضوع والتذلل، وقد قال ﷺ فيما رواه الترمذي «الطواف مثل الصلاة».

ومن حكمة الله سبحانه وتعالى في ركن الحج أن جعله مطهرة للذنوب الدنيوية مما ران على قلب المؤمن من أوزار الشهوات وأثقال المادة، ففيه تهفو النفس المؤمنة إلى موطن العقيدة الأول: لتمتزج الذكرى بالذكر، ويتصل النظر بالفكر، وترتبط السماء بالأرض.

أشواقنا نحو الحجاز تطلعت
كحنين مغترب إلى الأوطان
إن الطيور وإن قصصت جناحها
تسمو بفطنتها إلى الطيران

إن التجرد والإخلاص في فريضة الحج يجب أن يكونا هدف من أكرمه الله ويسر له أداء هذه الفريضة، بل يجب أن يحرص عليهما حتى من لم يحرم بالحج.. فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: «تجردوا بالحج وإن لم تحرموا»، قال إسحق بن منصور: قلت لأحمد: ما قوله تجردوا بالحج؟ قال: تشبهوا بالحاج وإن لم تكونوا حجاجًا.

التحرير

مواقف وطرائف من عيون تراثنا الأدبي

الحج والأضحية

عثمان إسماعيل •

تكاد لا تخلو كتب ومعاجم اللغة العربية من الطرائف اللغوية ومواقف الفكاهة نثرًا وشعرًا، حتى أنها نالت معظم مناحي حياة البشر وتصرفاتهم وسلوكاتهم، فنظرة الشعراء والأدباء حيال ما يرون لها عالمها الخاص وأثرها السريع على قريحتهم اللغوية، فيسارعون بالتعبير في سلامة وفصاحة ودعابة يستسلم لها المتذوق فيقع فريسة لعالم الفكاهة والضحك.

عالم «الحج» وخروف العيد (الأضحية) كان لهما نصيبهما من الأدب الفكاهي الناتج عن مواقف عفوية أو فعل مقصود استحوذ على قوافي الشعر فخضعت له عاطفة ولفظًا.

ومن عيون الأدب ما يحكيه لنا صاحب «المستطرف في كل فن مستظرف» في باب الحج، حيث إنه من المعروف عند عودة الحجيج من رحلتهم المباركة يحملون معهم الهدايا للأهل والأحبة والأصدقاء كنوع من المودة والذكرى، ولكن الشاعر «عمر بن حيان الضرير» لم يجد من يعيره اهتمامًا من الحجاج ولم يجد من يتذكره بشيء من تلك الهدايا فأنشد قائلًا:

كأن الحجيج الآن لم يقربوا مني
ولم يحملوا منها سواكًا ولا نعلا
أتونا فما جاءوا بعود أراكة
ولا وضعوا في كف طفل لنا نقلا

وقال أحد الشعراء في شأن أولئك الذين يحجون بمال يشوبه الشك والشبهات ولكنهم يعاندون أنفسهم ويتخيلون أن الله سيغفر لهم:

يحجُّون بالمال الذي يجمعونه
حرامًا إلى البيت العتيق المحرم
ويزعم كل منهم أن وزره
يُحط ولكن فوقه إلى جهنم

وفي هذا الصدد أيضًا يقول «أبوالشمشمق»:

إذا حججت بمال أصله دنس
فما حججت ولكن حجَّت العير
ما يقبل الله إلا كل طيبة
ما كل من حجَّ بيت الله مبرور

ومما ترويه كتب الأدب أن بدويًا تخاصم مع حاج عند منصرف الناس فقيل له، أتخاصم رجلًا من الحجاج فقال:

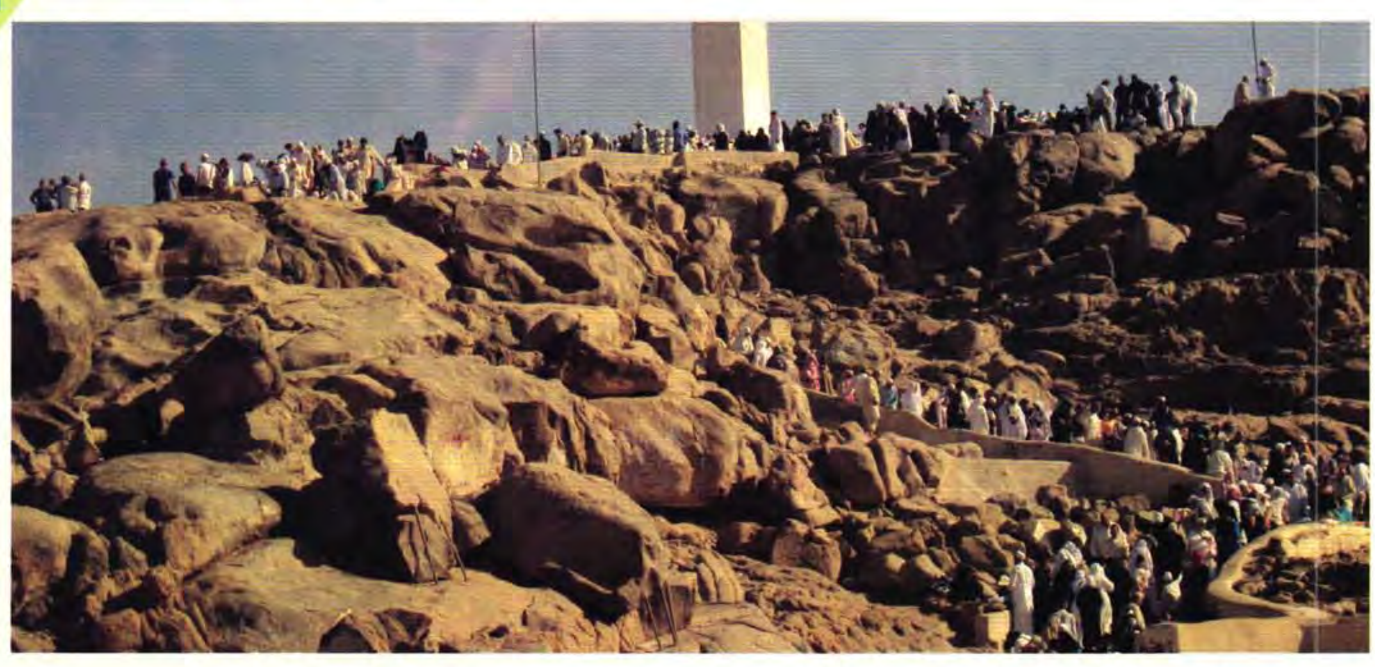
يحجُّ لكيما يغفر الله ذنبه
ويرجع وقد حطت عليه ذنوب

وقال شاعر آخر في واحد من هؤلاء الحجاج:

حجَّ في الدهر حجَّةً
حجَّ فيها وأحرما
وأتانا من الحجاز
كما راح محرمًا
فهو ذو الحجة الذي
ما توقى محرمًا

أما الأضحية أو ما يطلق عليه العامة «خروف العيد» فإنه لم يسلم من سخرية القوافي وفكاهة الشعراء إزاء

• باحث إسلامي



مواقف تدعو لذلك، فمن المعروف وحسب الشرع أن الأضحية لابد أن تكون من أجود اللحوم، خالية من أي عيب أو مكروه أو مرض، ولكن صاحب «معجم الأدباء» يروي لنا وصفًا رائعًا لخروف هزيل صاغه «محمد بن نصر الله الدمشقي الأنصاري» عندما جاء عليه عيد الأضحى وهو بمصر فقال:

أتاني خروف ما شككت بأنه
حليف هوى قد شفَّه الهجر والعزلُ
إذا قام في شمس الظهيرة خلته
خيال شرى في ظلمة ما له ظلُّ
فناشدته ما يشتهي؟ قال: حلبة
وقاسمته ما شأنه؟ قال لي: الأكلُ
فأحضرتها خضراء مجَّاجة الثرى
مسلَّمة ما مسَّ أوراقها الفتلُ
فظل يرقبها بعين ضعيفة
وينشدها والدمع في العين منهلُ

وتحكي صفحات الأدب الفكاهي في هذا الصدد بعنوان «لماذا انتحر الخروف؟» أن أحد أصدقاء الشاعر المرحوم محمد الأسمر رحمه الله أراد أن يهدي إليه خروفًا في عيد الأضحى، ولكن الخروف مات قبل إرساله إليه فقال الشاعر محمد الأسمر:

من لامه في أمره فإنني
عذرته- والله- فمن عذر
لما أحس أنه هدية
لشاعر فكر ثم انتحر

وفي موقف آخر للشاعر المرحوم محمد الأسمر يذكر أنه أرسل إلى صديق له يداعبه، بأن يرسل له خروفًا يراه فقط ويمتع عينيه منه متمنيًا مثله، آملًا أن يتحقق حلمه في واحد مثله فقال:

إن كان ذو القرنين عندك حاضرًا
فابعث له لنرى ضياء جبينه
ولكي يجاوب - لو يمأمئ مثله
في بيت جاري- مأمآت قرينه
وليطمئن الدائنون ويعلموا
أني امرؤ يقضي جميع ديونه
ونرده لك بعد ذلك سالما
بحرير فروته وعاج قرونه
وأنا الأمين عليه وهو بمنزلي
من كل جزار ومن سكينه

إنها نبرة القوافي عندما تضع الحلم أمامها وتدعو أن يتحقق هذا الحلم، فتكون القوافي متنفسًا لدى صاحبها هروبًا من سراب الأحلام التي تزعجه وتجعله في ضيق وكآبة شديدين.

لكن النثر الأدبي لم يقف مكتوف الأيدي، بل راح يخرج ما في جعبته وينطلق في عالم الحج بمواقف وحكايات مختلفة.. فتحت عنوان «ثلاثون كبشًا تفدي ديكًا» يحكي الأصمعي أن رجلًا ولي قضاء الأهواز فأبطأت أرزاقه ولم يكن عنده ما يضحي به، فشكى ذلك إلى زوجته فقالت له: لا تغتم، فإن عندي ديكًا عظيمًا قد سمنته فإذا كان يوم عيد الأضحى ذبحناه، فلما كان يوم العيد أرادت المرأة الإمساك بالديك لذبحه فطار إلى بيت الجيران، وكلما أريد إمساكه طار إلى بيت آخر، فتساءل الناس عن ذلك.. وعرفوا الضيق الذي يعاني منه القاضي فقالوا: يا سبحان الله! كيف نضحي بالكباش وقاضينا يضحي بديك؟!

فأهدوا إليه ثلاثين كبشًا وهو بالمصلى لا يعلم شيئًا عن ذلك، ولما سار إلى منزله ورأى ما فيه من الأضاحي قال لامرأته: من أين ذلك كله؟! قالت: أهدى لنا فلان وفلان حتى سمت له الجماعة فقال لها: يا هذه احتفظي بديكنا فإنه عظيم الشأن عزيز عند الله إذ فداه بثلاثين كبشًا!

هذه من مواقف الحج والأضحية في عالم الطرائف والفكاهة من عيون أدبنا العربي وتراثنا العريق شعره ونثره.



التسول في الحج.. معضلة لها حل

عثمان الجوهري

جاءت هذه الخواطر عن الحج والعمرة بدافع الحب والغيرة مع التأكيد بأنه لا يمكن إغفال أو نسيان تلك الجهود الضخمة والمتواصلة التي تقوم بها السلطات المختصة بالمملكة العربية السعودية لخدمة الحرمين الشريفين بشكل أكثر من جيد يستوعب باستمرار كل اقتراح جديد ومفيد وقبول أية إضافة، وهذا يحتم علينا جميعا الدعاء إلى الله تعالى أن يحفظ هذه البقاع المقدسة الطاهرة من كل شر ومكروه وأيضا علينا واجب الشكر والثناء الحسن لكل السادة المسؤولين القائمين بهذه الرعاية والعناية بهمة لا تفتر.

نعم التسول معضلة وأيضا لها حل لكن يلزمه بعض التخطيط ومزيد من الجهد المتواصل كأسلوب عملي للقضاء على هذه الظاهرة حيث ثبت أنها موجودة في مختلف دول العالم الثالث وأن معظم المتسولين محترفون بدرجة الإتقان بل يصل بهم الأمر لعمل بعض التشوهات المصطنعة في أجسادهم استدرارا لعطف الناس طمعا في تبرعاتهم وإجزال العطاء لهم، وهذا في حد ذاته شيء مؤثر ومؤلم في نفوس كل من يراهم ورغم أن كثيرين منا يقتنعون بأن هذا الأمر مصطنع ولكن كثيرا من الناس يشعرون بتأنيب الضمير والشعور بالذنب لأنهم بارعون في جعلك تشعر بتقصيرك نحوهم لعدم التعاطف معهم.

ومن المعروف أن هناك أشخاص بارعون يقومون بتدريبهم على فنون هذا التسول لدرجة أنك تصدقهم وتكاد تلوم نفسك على عدم التجاوب معهم.. أما في دول الغرب فقد سمعنا أن المتسولين وضعهم مختلف تماما، فهم يقومون فقط بعزف الموسيقى في الميادين العامة وهذا يكفي للإعلان عن طلبهم للعون والمساندة ويعزفون موسيقي تطرب فعلا ويرتدون ملابس جميلة ونظيفة على العكس من العالم الثالث الذي نحن جزء منه حيث يقوم المتسولون بتشويه أجسادهم واصطناع عاهات لاستدرار عطف الناس ونسوا أنهم بذلك يشوهون صورة المسلمين بهذا الشكل المنفر ويسيؤون لعظمة الدين الإسلامي، وأين؟ في أقدس وأطهر بقاع الدنيا، في الحرمين الشريفين وبالنسبة لوجودهم على هذا النحو حول الحرمين الشريفين وفي الساحات المحيطة بهما والطرق الموصلة إليهما فإن في هذا بالتأكيد تشويها للجمال والجلال الذي يغمر الحرمين الشريفين وأيضا يعطي صورة مشينة للمسلمين مع أن الإسلام لا يرضى بذلك، وهذا يقتضي بالضرورة التفكير في حل لهذه المعضلة، وعدم تواجدهم في هذه البقاع الطاهرة المقدسة والقضاء عليها بإذن الله تعالى متاح وملخصه فيما يلي:

يجب تعديل لافتة «التسول» في الحرم المكي لتصبح «مكافحة التسول»

نعم يوجد في الحرم المكي مكتب يحمل لافتة «التسول» ومن المفيد من البداية تعديل هذه اللافتة لتصبح مكتب «مكافحة التسول» لتكون اسما عمليا موحيا للقضاء على هذه الظاهرة.

والخطوة الأولى المطلوبة زيادة عدد أفراد قوة الشرطة رجالا ونساء على حدود الساحات والطرق المؤدية للحرمين الشريفين وإلقاء القبض على المتسول أو المتسولة وتسليمه لسفارة بلاده من واقع جواز سفره لتعيده لوطنه وعلى نفقتها وتغريمه مبلغا من المال مما قام بجمعه من التسول ليكون في ذلك زجرا له وعبرة لغيره، وإن ملاحظة المتسولين أولى وأهم من ملاحقة المتأخرين من عمرة رمضان ابتغاء أداء فريضة الحج، لأنهم يسيؤون للإسلام والمسلمين.

وكثيرا ما يدخل بعضهم للحرمين الشريفين يتاجرون، وهنا ينبغي ان يتم إخراجهم بهدوء وتجميعهم في مكان يخصص لتوعيتهم بآثار هذا السلوك الذي يقومون به في حق الإسلام والمسلمين، فالإسلام كما هو معروف دين تراحم وتكافل ويحافظ على كرامة الإنسان وأيضا ينبغي اقامة مراكز تدريب لهم لكسب مهارات حرفية تتناسب مع ظروف كل واحد منهم وبعد انتهاء هذا التأهيل يتم تسليمهم إلى سفارات بلادهم لترحيلهم لأوطانهم مع أخذ التعهد اللازم بعدم تكرار ذلك الفعل.

وبطبيعة الحال تتم هذه الإجراءات بعد

صحفي مصري



أن ينتهي المتسولون من أداء مناسك الحج والعمرة، ونأمل بذلك أن تخلو الساحات من زحام هؤلاء وللمحافظة على جمال وبهاء وجلال الجو المحيط بالحرمين الشريفين، ولنجاح هذا الاقتراح مطلوب شيء من الجدية مع قليل من الصبر ولو لفترة معقولة لتأخذ بشكل منظم في تطبيق التعليمات بحزم للقضاء على هذه الظاهرة خلال شهور قليلة لأنها كفيلة بتعقب كل من تسول له نفسه العودة مرة أخرى.

على جميع الأجهزة المختصة التعاون في القضاء عليها لأنها تشوه صورة الإسلام والمسلمين أمام السادة القادمين من أوروبا وأميركا وشرق آسيا ثم لا ننسى السموات المفتوحة التي تمطر العالم بعشرات القنوات الفضائية من كل شكل.

ولا مانع أيضا من زيادة رسوم الحج والعمرة والقادمين للعمل عشرة ريالات سعودية على أن يتم توجيه حصيلة هذه الزيادة خصيصا للقضاء على ظاهرة التسول في مختلف مدن المملكة إلى جانب الحرمين الشريفين.

تنظيم الساحات والأبواب

من أجل تفادي الزحام الشديد الذي يعاني منه ضيوف الرحمن معاناة شديدة ناهيكم عما يحدث من متاعب سواء للرجال أو النساء معا خاصة المسنين من الضروري تخصيص الأبواب المتجاورة والمتقاربة على النحو التالي:

يخصص باب لدخول الرجال فقط وباب آخر لخروجهم.

يخصص باب لدخول النساء وباب آخر لخروجهن.

وباب على فترات متباعدة نسبيا لدخول ذوي الاحتياجات الخاصة وآخر لخروجهم.



لماذا؟

عندما تتأمل سير السيارات في اتجاه واحد ومسافات طويلة على الطرق السريعة ستجد جميع السيارات تسير بسرعة وفي سيولة مرورية معقولة وطبعا الحال يختلف عند وجود تقاطع الطرق واختلاف الاتجاه ستجد بلاشك ارتباكا نسبيا في حركة المرور وبالقياس فإنه عندما يكون ضيوف الرحمن يدخلون من باب واحد في اتجاه واحد سيتحاشى الجميع الزحام والاختناقات وكذلك الحال عند الخروج وتخصيص باب للرجال وآخر للنساء تفاديا لمضايقات ومتاعب لا داعي لها وفيه تخفيف من المعاناة بالنسبة لكبار السن، والأمل أن يتحقق الأمن والأمان.

ومن المفيد كذلك كتابة أسماء الفنادق الكبرى وأرقام هواتفها باللغات المتداولة بالحرمين الشريفين لإرشاد التائهين وسهولة الاتصال بالمشرفين على مجموعاتهم لأخذهم أو معرفة كيفية الوصول لفنادقهم.

أما عن الساحات الواسعة المحيطة بالحرمين الشريفين فقد لوحظ وجود صهاريج مياه للسقيا مصنوعة من الصاج المجلفن وكان ذلك خلال عام ٢٠٠١ ميلادية صحيح أنها تقع خارج الحرم الشريف لتوفير مياه زمزم ولكن من المناسب تركيب صنابير مياه مرتفعة مثل تلك الصنابير التي تم تركيبها في المشاعر المقدسة في كل من منى وعرفات ولا يخفى أن رفع هذه الصهاريج ضرورة لأنها لا تتناسب مع جو الجمال والجلال الذي يغلف هذه البقاع الطاهرة والمقدسة.

وبالنسبة للمتواجدين بجوار دورات المياه الخارجية المحيطة بالحرمين الشريفين من الضروري توفير مكان آخر يقيمون فيه حتى ولو كان بالمجان خلال فترة تواجدهم لأداء مناسك العمرة أو الحج حتى يمكن الإشراف على سفرهم بعد ذلك إلى بلادهم سواء على نفقتهم أو نفقة سفارات بلادهم ثم إن تكثيف عدد رجال الشرطة والحريم كفيل بتحقيق هذه الرغبة المشروعة ولا يخفى ما يضيف هذا إلى سهولة الحركة وانتظام الدخول والخروج عند الصلاة في الحرمين الشريفين وتوفير قدر كبير من التنسيق الجمالي في هذه البقاع الطاهرة.

وللقضاء على ظاهرة افتراش الشوارع للمصلين من باب الكسل وعدم الدخول للحرمين مع أن هناك أدوار عديدة قد تكون خالية في موسم الحج وعمرة شهر رمضان المعظم على رجال الشرطة مراعاة إدخال المصلين أولا بأول لهذه الأدوار.

كل ما نطمع فيه من هذا البحث هو محاولة جادة لإبراز عظمة الدين الإسلامي وجماله على أن يظهر هذا الأثر على جميع أو مظعم الذين يعتنقونه ليكونوا عنوانا جيدا وعظيما لهذا الدين العظيم الذي أكرمنا الله سبحانه وتعالى بأننا من عباده المؤمنين به ولتحقيق ذلك يهون كل جهد وتتضاءل أية تكاليف.

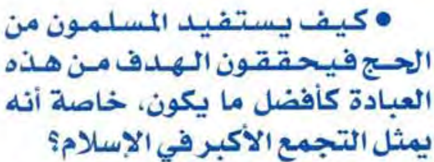
في حوار مفتوح مع الداعية د. مجدي الهلالي:

الحج فرصة الأمة الذهبية نحو الوحدة



حوار: منير أديب

تأتي فريضة الحج كل عام، وحال المسلمين كما هو، حيث يظل التغيير بطيئا في حياتهم، ولم يفلح المسلمون في استثمار هذه الفريضة وما يسبقها من أيام مباركات في تغيير مجرى حياتهم، ولذلك تظل الدعوة إلى الاستفادة من الحج قائمة، طالما بقيت هذه الفريضة، التي تعتبر زادا للمسلمين على مختلف انتماءاتهم وجنسياتهم. حاورنا الداعية د. مجدي الهلالي في كيفية استفادة المسلمين في بقاع العالم من هذه الفريضة.. وإليكم نص الحوار:



• كيف يستفيد المسلمون من الحج فيحققون الهدف من هذه العبادة كأفضل ما يكون، خاصة أنه يمثل التجمع الأكبر في الإسلام؟

- الله عز وجل خلق الإنسان وكرمه غاية التكريم وأسجد الملائكة لأبيه، وأسكنه الأرض وسخرها له ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ...﴾ (الجاثية: ١٣) كل هذا لأنه سيقوم بأداء مهمة عظيمة، مهمة عبادته سبحانه بالغيب، فالمطلوب من كل فرد ينزل إلى الأرض أن يعيش حقيقة العبودية لله عز وجل، والعبودية هي كمال الذل مع كمال الحب، بمعنى أن المطلوب منا جميعًا أن نظهر لله عز وجل عظم افتقارنا إليه، وحاجتنا الماسة له، وأنه لا قوة ولا قدرة لنا إلا به، وأننا بدونه لا نساوي شيئًا، فنحن جميعًا قد خلقنا الله من العدم، ﴿...وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ (مريم: ٩)، والذي تفضل علينا بالقوة والقدرة والنطق والسمع والإبصار هو الله، أي أن كل أمورنا مستمدة منه ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...﴾ (يونس: ٢٢)، فالعبودية المطلوبة في ذلك الموقف أن يظهر لله هذه الحقيقة.. ذل تام له، وانكسار بين يديه، وطاعة أوامره، وسؤاله حاجاتنا كلها، والاستعانة به- سبحانه- في إنجاح جميع أمورنا فهذه هي حقيقة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥)، وبالمناسبة فقد كانت سورة الفاتحة من أوائل السور التي نزلت في العهد المكي، وقبل فرض العبادات من صلاة وصيام وزكاة، أي أن العبادة في جوهرها هي تحقيق هذه المعاني.



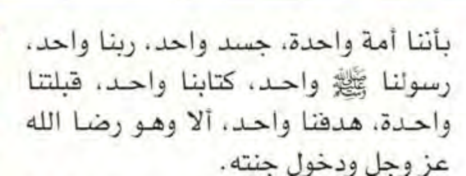
يكون الحج أداة حقيقية للتغيير في المجتمع إذا تمت الاستفادة منه في العودة الصادقة إلى الله

ولقد بيّن القرآن الكريم ذلك الأمر في قوله تعالى ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ...﴾ (الحج: ٣٧)، فليست إراقة دماء الهدي وبقية أعمال الحج هي المقصودة في ذاتها، ولكن المقصود هو تحقيق التقوى والحذر من الله، والتسربل بجلباب العبودية له.. إذن الاستفادة من الحج تكون أولاً بتذكر مقصوده، وأن الله عز وجل يريد منا القلوب المنكسرة، ومثال ذلك يوم عرفة، فالحاج لا يصوم فيه رغم فضيلة صومه، ويجمع فيه صلاتي الظهر والعصر جمع تقديم.. لماذا؟ ليتفرغ للدعاء والتمسكن لله عز وجل.

فإن غاب هذا المفهوم عن المسلم كانت حركته ببدنه فقط، وكان كل همّه هو الانتهاء من أعمال الحج وعدم الوقوع في محظوراته، وهو مهم وضروري لصحة الحج، ولكن الأهم تحقيق مقصود الحج، كما أسلفنا، والله المستعان.

• ما الدروس والعبر التي يستفيدها العالم الإسلامي من هذا التجمع السنوي؟ وهل سيكون لذلك أثر على الواقع السياسي لهم؟

- أهم هذه الدروس تعميق الشعور



بأننا أمة واحدة، جسد واحد، ربنا واحد، رسولنا ﷺ واحد، كتابنا واحد، قبلتنا واحدة، هدفنا واحد، ألا وهو رضا الله عز وجل ودخول جنته.

هذه المعاني يعرفها الجميع من الناحية النظرية، ويأتي الحج فيؤكدها ويعمقها من الناحية العملية، فيزداد تبعًا لذلك الشعور بالمسؤولية تجاه الأمة، وتجاه أبنائها ومقدساتها.

أيضًا فإن التعارف الذي ينبغي أن يتم بين المسلمين في الحج له وظيفة كبيرة في تعميق معنى الأخوة الإسلامية وترابط الأمة.

وفي الحج كذلك فرصة عظيمة للدعوة وتصحيح المفاهيم الخاطئة عند المسلمين، ومن خلال الحج يتأكد من الناحية العملية مفهوم أننا جسد واحد، شئنا أم أبينا، ليتطابق هذا المفهوم مع خطاب الله الدائم بصيغة الجمع ﴿يأيها الذين آمنوا﴾ فينعكس ذلك على طريقة تعامل المسلم مع الآخرين من المسلمين، فلا يكفي طبقًا لهذا المفهوم أن أكون صالحًا في نفسي فقط، بل لابد من إصلاح من حولي ليصبح الجسد سليمًا.

هذه المعاني وغيرها من شأنها أن يكون لها مردود إيجابي على واقع الأمة، ولعل أبرزها تحقيق مفهوم التكافل بين الأفراد والدول الإسلامية بكل صوره وأشكاله، وتذكر الأقطار المبتلاة، والمقدسات الإسلامية الأسيرة، وبذل الوسع والطاقة من أجل تفريج كرب المكروبين.

• كيف تكون هذه العبادة أداة حقيقية للتغيير في المجتمع؟

- يكون الحج أداة حقيقية للتغيير في المجتمع إذا ما تمت الاستفادة منه في العودة الصادقة إلى الله، والصلح معه، والعمل على استرضائه والتعهد أمامه بالاستقامة على أمره.

إن البلايا والمصائب التي أصابتنا، ولا تزال تصيبنا، تحدث بعلم الله وإنه ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ...﴾ (آل عمران: ١٦٦)، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ...﴾ (الأنعام: ١١٢) وهذه المصائب والفتن التي تمر بها المجتمعات الإسلامية ما هي إلا نتيجة طبيعية لمخالفتنا لأوامر الله، وضعف الإيمان في قلوبنا، وإيثار الدنيا على الآخرة، فحق علينا العقاب لعلنا نفيق ونتنبه.

الدور المنوط بالحجاج فوق عرفات هو أن يستشعروا بأنهم يمثلون الأمة التي طال رقادها

ونقطة البداية الصحيحة تتمثل في ظهور نماذج إيمانية مشعة تدل على الله بحالها قبل مقالها، وتسعى في كل مكان تحل فيه لإيقاظ الغافلين، وإنقاذ الغارقين، وإرشاد التائهين.

فإذا ما تم ذلك، وتحسنت صلة الناس بربهم، فإن المفاهيم ستتغير، ومنظومة القيم والأخلاق ستعود أفضل مما كانت، وسيبحث الجميع عما يرضي الله عز وجل فيفعلوه، وعما يغضبه فيجتنبوه.

• كيف يمكن لنا قراءة الواقع الإسلامي ومناقشة قضايا المسلمين من خلال هذه الفريضة؟

- لو نظرنا إلى عبادة الحج في وقتنا الراهن، وما يحدث فيها فإننا نستطيع قراءة الواقع الإسلامي، فالحج يعكس واقعنا بحلوه ومره، يعكس عاطفة جياشة تجاه الدين، وحرصًا على إرضاء الله عز وجل ويعكس كذلك حالة الفرقة والاختلاف التي تعيشها الأمة، وحالة الجهل، وغياب الفهم الصحيح للإسلام عن الكثير من أبنائها، وغياب فقه الأولويات والمقاصد، ويعكس الانفصام بين العلم والعمل، والواجب والواقع، والقول والفعل، ويعكس كذلك الاهتمام الذي توليه الأمة للشكل دون المضمون، ويعكس أيضًا حاجة المسلمين إلى مشروع حضاري يجمع شملهم ويوحدهم، ويخرجهم من تيههم.

• للحاج فوق عرفات دور، ولباقي المسلمين دور آخر، كيف ترى التوازن بين تلك الأدوار فيما يخدم الفكرة الإسلامية ومشروع الأمة الحضاري؟

- رب المسلمين في عرفات كمكان هو رب المسلمين في كل مكان، وأعظم فوز للمسلم في الدنيا أن يجد الله، فكما يقول ابن عطاء: ماذا وجد من فقدك، وماذا فقد من وجدك.

وكم من أناس في النجوع والكفور من الفقراء والمساكين قد وجدوا حلاوة الإيمان، ولذة القرب والوصال.

وكم من أناس ذهبوا للحج مرات ومرات ولم يشعروا بمثل هذه الحلاوة، ولم يجدوا قلوبهم مع ربهم.

أما بخصوص الدور المنوط بالحجاج فوق عرفات فعليهم أن يستشعروا بأنهم يمثلون الأمة التي طال رقادها، وأصبحت معرة الأمم، ومضرب الأمثال في التخلف والضياع، إنهم سفراء في تلك البقاع الطاهرة فعليهم أن يحسنوا توصيل الرسالة، فيجأروا إلى الله ويتضرعوا إليه، ويستغيثوا له استغاثة المشرف على الغرق، عليهم أن يمرغوا وجوههم في التراب، فيختلط دمعهم فيرى الله ذلك منهم فيرحمهم ويرحمنا جميعًا، عليهم ألا يشغلوا أنفسهم في يوم عرفات بغير الدعاء، ويكفيك في هذا أن رسول الله ﷺ سقط منه رداؤه في يوم عرفات وهو يدعو فلم يرفعه لاستغراقه التام في الدعاء.

أما باقي المسلمين وهم الأغلبية فعليهم كذلك أن يعيشوا مع هذه المعاني، ويكثروا من الدعاء والتضرع وإظهار عظيم حاجتهم لله عز وجل، وأن يعيشوا مع قول الله عز وجل ﴿...وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (طه: ٧٣).

ففي الله عوض كل فائت، فإن كانوا لم يتمكنوا من الحج إلى بيت الله، فبالإمكان تعويض ذلك وأكثر من خلال المعرفة الصحيحة لله جل وعلا، والتي تورث في القلب حبه ومهابته وخشيته سبحانه مما يعين على الاستقامة والصلاح، وهذا متاح للجميع في كل زمان ومكان شريطة الصدق في الرغبة.



فضائل الحج والعمرة.. وكيفية أداء الرسول ﷺ لمناسكهما

د. بليغ حمدي إسماعيل

قال الله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾ (آل عمران: ٩٧). وقال رسول الله ﷺ: «خذوا عني مناسككم». الحج هو الفريضة الخامسة في الإسلام، فرض على المسلمين مرة واحدة في العمر، ومن أنكره يعد كافرًا؛ لأنه ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، وله واجبات أركان وهي الفرائض، لا تجبر بالدم، فمن ترك واحدًا منها أعاد حجه(١) وواجبات ليست بأركان تجبر بالدم(٢)، وسنن ومستحبات يستحسن فعلها ولا يجب شيء على من تركها(٣).

الحج من العبادات التي تقوي الإيمان بالله، وتجعل الروابط بين العبد وخالقه متينة ومتواصلة، وتخلق الألفة والمحبة بين المسلمين، وتجلب النفع لهم، حيث يلتقون في أمكنة واحدة وفي أيام معلومة، يؤدون جميعًا المناسك بخشوع وطاعة لله سبحانه وتعالى الذي لا يعبد سواه.

والدعوة للاجتماع في هذا المكان الطاهر هي من أجل تحقيق الهدف السامي والغاية المثلى التي أراد الله أن يجعلها سمة مميزة لهذه الأمة، وهي الخيرية والتآزر والوحدة القوية التي تجعلهم أعز الناس في هذه الأرض ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا﴾(آل عمران: ١٠٣)، ولا تتحقق هذه الوحدة إلا بالتعارف واللقاء والتعاون، وتبادل المنافع والمصالح التي تصلح دينهم ومعاشهم ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالًا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق. ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير﴾ (الحج: ٢٧-٢٨).

هذه المنافع الدينية والدنيوية تهذب النفوس وتملأها بالتقوى والإيمان وهي بين يدي الخالق، عز وجل، في خشوع وتذلل وطلب للمغفرة والتوبة، كما أن التفكير في منافع الدنيا يزيدهم قوة في الثبات

التفكير في وحدة الأمة وقوتها هي الرسالة التي أراد الإسلام تحقيقها لهذه الأمة

والتعاون لمواجهة الأعداء والطامعين في أرضهم وخيراتهم، ويشعرهم بأنهم أمة واحدة، ولهم رسالة واحدة يعيشون لأجل تحقيقها وهي هداية الناس لهذا النور الذي جاء به الرسول الأمين ﷺ لينقذ الناس جميعا من ضلال الكفر والشرك.

وكل مسلم أنعم الله عليه ووفقه لأداء هذه العبادة ينبغي أن يفكر وهو ذاهب إلى هذا المكان الطاهر فيما سيفيد به أمته في دينها وأمنها واستقرارها، وبهذا التفكير يزول الشعور الضيق بالانتماء للقبيلة والعشيرة والوطن مهما بعدت الديار، ليصبح التفكير الذي يملأ قلب كل مسلم هو وحدة الأمة وقوتها ومنعتها، وهذه هي الرسالة التي أراد الإسلام تحقيقها لأمة الإسلام التي كانت قبل بزوغ هذا النور الإلهي ممزقة ومقطعة الأوصال بالحروب والثأر والأحقاد، فأنقذها الله من شفا حفرة من النار، وأصبحت أمة قوية تبسط سلطانها في الأرض بالعدل والإحسان.

إن التفكير فيما يصلح دين هذه الأمة وأخلاقها وسلوكها وأحوالها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية هو المسؤولية التي يتحملها كل مسلم أينما وجد في هذه الأرض الشاسعة الأطراف.

وتلك هي الرسالة التي أداها رسولنا الكريم ﷺ بأقواله وأفعاله وتقريره، وبجهاده وصبره وثباته حتى لقي الله، وآزره فيها أصحابه، رضوان الله عليهم، في كل المواقف والشدائد، وقد اتخذ ﷺ موسم الحج- حيث يجتمع المسلمون من كل فج عميق- مكانًا لتثبيت عقيدتهم بالوعظ والإرشاد والتوجيه إلى الطريق السوي الذي ينبغي أن يسيروا فيه بثبات، آمنين من العثرات والزلل، وذلك بتذكيرهم بتعاليم دينهم في العبادة والسلوك والمعاملات، فكانت حجة الوداع أو حجة التبليغ مبينة للمناسك، كما كانت خطبتها جامعة لتعاليم الإسلام ولما ينبغي أن يتمسك به المسلم حتى يلقى ربه راضيًا مرضيًّا، وهذه الخطبة تعد أنموذجًا للخطب البليغة المحكمة التي ينبغي أن يجعلها كل واعظ ومرشد وداع إلى الله نموذجًا له في الوعظ والتوجيه، لأنها استوحت التوجيهات من تعاليم الكتاب العزيز، ومما حرص رسولنا ﷺ على إثباته وترسيخه في عقول المسلمين وقلوبهم طيلة سنوات دعوته وجهاده في

أستاذ اللغة العربية



سبيل الله، فدعوته ﷺ المسلمين لتحريم دمائهم، وعدم أكل أموالهم بالباطل «إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا»(٤)، هو ما حرمه الإسلام تحريمًا قاطعًا؛ لكي تظل هذه الأمة موحدة وقوية وعزيزة وعصية على كل ظالم وجبار، ومن هذا التوجه الإسلامي الذي يجعل المسلمين متماسكين دعاهم ﷺ للحفاظ على الأمانة، لأن في ذلك مزيدًا من الثقة المتبادلة بينهم في التجارة والمعاملات، وحسن الجوار، فقال ﷺ: «فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها»(٥)، وأظهر ﷺ حقوق الزوجين وواجباتهما لكي تسير الأسرة المسلمة، وهي نواة المجتمع، على هدى من الله وتقواه في تربية الأبناء على النهج الإسلامي، فأوصى بالمرأة «واستوصوا بالنساء خيرًا فإنهن عندكم عوان، لا يملكن لأنفسهن شيئًا، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمات الله»(٦).

بمثل هذا التوجيه الذي يصلح المجتمع، ويقوي وحدة الأفراد ويجمعهم على الخير والاستقامة يكون توجيه المسلمين بعضهم بعضًا في كل محفل ضمهم، وفي كل موطن التقوا فيه.

وموسم الحج هو الموسم الديني الأكبر الذي يجمع المسلمين من كل جهة ومكان من أجل التناصح وتبادل الرأي، فلو أنفقوا كنوز الأرض من أجل أن يجتمعوا في غير هذا الموسم لما تحقق لهم ذلك، وهذه بعض نعم الله التي لا تعد ولا تحصى على هذه الأمة التي أراد لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس.

الغاية من الحج والعمرة؟

المناسك التي يؤديها الحاج والمعتمر في البيت العتيق والأماكن الطاهرة المحيطة به هي أعمال يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى، مثل العبادات التي يقوم بها في حياته اليومية، ولا ينبغي للمسلم أن ينظر لتلك المناسك من جهة التفكير المنطقي الضيق الذي يقيس به أموره وفق مصالحه الدنيوية، والمنافع الآنية التي يسعى إليها، إن العبادات بأعمالها وحركاتها وأقوالها شرعت لغايات أبعد مما يدركه العقل البشري، لأن هذا العقل قد يدرك بعض مقاصد الشريعة وغاياتها ولاسيما التي جلبت له المصالح، ودفعت عنه الأضرار، وكل من يستعمل عقله السليم يدرك ايجابيات تلك المصالح ومساوئ تلك الأضرار بعد الفحص والتأمل في غايات العبادات ومقاصد الشريعة، وذلك النظر في مزايا الأوامر مثل الصلاة والصيام والصدقات، وفي النواهي مثل تحريم الخمر والقمار والربا وكل الفواحش التي نهى عنها الشرع، فاستعمال العقل السليم يجعل الإنسان يتوصل إلى الحكمة من وراء تلك الأوامر والنواهي، لكن مقاصد الشريعة وفضائلها كلها، ما ظهر منها وما خفي، لا يحيط بها العقل الإنساني القاصر، فهو محدود في استنتاجه وقياسه وتأويله للأشياء الظاهرة، فبالأحرى الخفية التي غابت عنه.

إن الغاية المثلى من مقاصد الشريعة وأحكامها هي من علم الله الخبير بالنفس الإنسانية وبأسرار هذا الكون، فقد تبدو الأشياء ضارة لأول وهلة وهي أكثر نفعًا، والعكس صحيح، ولو استعمل الإنسان عقله بميزان الحساب المادي والنفعي في العبادات كلها وفي عبادة الحج خاصة التي يتحمل من أجلها مشاق الرحلة وأخطار الطريق والبعد عن الأهل والوطن لما وجد ما يقنعه بالمنطق العقلي في الأسباب التي تجعله يتحمل كل ذلك من أجل أداء تلك المناسك، لكنه لو أسلم وجدانه ومشاعره وقلبه لله سبحانه وتعالى لأدرك بنور قلبه وصفاء بصيرته أن تلك المناسك هي تطهير للقلوب والنفوس من الأدران التي تراكمت عليها، ومن كل ما يتكالب عليه الناس من حطام هذه الحياة الدنيا التي لا تساوي جناح بعوضة مقارنة بما أعده الله من نعيم خالد جزاء الاستجابة لأوامره وطاعته فيما نهى عنه، فكل كنوز الدنيا لا تساوي شيئًا أمام طمأنينة قلبه وسكينة روحه وهو واقف في تلك الأماكن الطاهرة بخشوع وضراعة أمام خالقه الذي صوره في أحسن صورة، ورزقه من الطيبات، ووهبه العقل والإحساس والقوة لكي يستجيب لنداء ربه ويصل إلى هذا المكان الذي يشهد فيه الطهر والسكينة الروحية التي لا يدركها إلا من أسلم قلبه لله وهو مؤمن، فيستشعر الإيمان الصادق الذي ملأ قلوب المسلمين الأوائل الذين





استجابوا لله والرسول في كل ما دعاهم إليه، حتى وصل هذا الدين إلى كل بقعة في الأرض، فلولا إيمان تلك الفئة القوي وتضحياتهم الجسام وصبرهم مع الرسول ﷺ، لما كان المسلمون واقفين في هذا المكان المقدس يناجون خالقهم ويسألونه المغفرة والثواب.

إن المسلم حينما يطوف بالبيت العتيق سبعة أشواط، بالطريقة التي طاف بها المصطفى ﷺ، ويسعى بين الصفا والمروة ويقف بعرفات إلى أن يتحقق غروب الشمس داعيًا ربه ومتضرعا إليه، ويرمي الجمار، ويمتثل بترك المحظورات، بألا يزيل شعره وأظافره ولا يجامع زوجه وهو محرم.. كل هذه الأمور موكول أمرها ومقصدها إلى الله الذي هو عالم بمصالح العباد، وبما يتقبل منهم من عبادات وطاعات في هذه الأماكن الطاهرة، إن المسلم ينبغي أن يلتزم العمل بتلك المناسك كما أمره الله بها، وكما بينها رسول الله ﷺ ، لأنه ﷺ أعلم بمقاصد الشريعة وبما أراد الله لهذه الأمة من صلاح وفلاح في العبادات والأعمال والسلوك والأقوال، قال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ (الأنفال: ٢٩)، وكل العبادات هي دعوة للحياة الطيبة الآمنة.

أما وجوب عبادة الحج من الكتاب ففي قوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾ (آل عمران: ٩٧)، إن العربي البليغ الفصيح يعلم أنه إذا قال: علي فعل كذا، فقد أوجب فعل ذلك الشيء على نفسه، فيكون الحج واجبًا على المسلم من دلالة هذا المعنى في الآية الكريمة. ومن السنة قول رسول الله ﷺ: «إن الله فرض عليكم الحج فحجوا»، فجعل الحج فرضا مثل الصلاة والزكاة، وأوجب على المسلمين الحج.

والقيام بهذه الفريضة مع العمرة يطلب فيهما من المسلم أداؤها على وجهها الصحيح الذي بينه الرسول ﷺ لقوله: «خذوا عني مناسككم»، وهذه العبادة مثل سائر العبادات ينبغي أن تكون خالصة لله في العمل والقول والسعي منذ أن ينوي المسلم الذهاب إلى الحج إلى عودته لبلده لقوله تعالى: ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ (البقرة: ٤٥)، أي ائتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله، وإذا كانت الآية السابقة دلت على معنى وجوب الحج، فإن اقتران الحج بالعمرة في هذه الآية الكريمة لا دليل فيه على وجوب العمرة، وإنما الاقتران هنا جاء لبيان إتمام المناسك، وقد قيل لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله، العمرة واجبة مثل الحج؟ قال: لا، ولكن أن تعتمر خير لك»، وقال أيضًا: «الحج جهاد، والعمرة تطوع».

وهذه العبادة راعى فيها الإسلام كل الأمور التي يطيقها المسلم من الجانب المادي والمعنوي والنفسي، فالمريض والشيخ والعاجز والفقير ومن لا يطيق متاعب الرحلة، أو يخشى أن يترك وراءه ذرية ضعافا يتعرضون من بعده للهلاك، كل هؤلاء غير مطالبين بأداء هذه العبادة حتى تزول تلك العوائق والأسباب، وهذا تيسير من الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة التي أراد لها اليسر في العبادات وفي كل ما تمارسه في حياتها العملية، ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ (البقرة: ٢٨٥)، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أن الشيخ والمريض يمكن أن يؤدي الحج عنه غيره، قالت امرأة لرسول الله ﷺ: يا رسول الله إن فريضة الحج أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ فقال: «أرأيت لو كان على أبيك دين أكنت تقضينه؟ قالت: نعم، قال: فدين الله أحق أن يقضى».

ومن يسر هذه العبادة أن المسلم إذا لم تكن له القدرة على القيام بنفسه ببعض المناسك فإنه ينيب عنه من يستطيع القيام بها كرمي الجمرات، أو حمله في محفة في الطواف والسعي لعدم قدرته على المشي، والتيسير ليس مقصورًا على عبادة الحج وإنما يشمل كل العبادات والمعاملات، لأن الغاية من مقاصد الشريعة هي الطاعة والامتثال لله بالقدر الذي يستطيع المسلم فعلهما، كما أن الله يسر على هذه الأمة في أن تكون عبادة الحج ذات منافع دنيوية في الكسب الحلال، فبعد أن يتم المسلم مناسكه الخالصة لله، أباح له الشرع أن يقضي أموره التي تعينه على قضاء حاجاته



بالتجارة وغيرها، قال تعالى: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم﴾ (البقرة: ١٥٨)، وهذا من التيسير أيضا، فلا يحرم المسلم من المنافع التي تصلح أحوال معيشته، والعرب كانوا يفعلون ذلك قبل مجيء الإسلام، حيث كانوا يقصدون الحج لقضاء الحوائج وحضور الأسواق، لكنهم لم يكونوا يؤدون المناسك خالصة لله، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ لتكون هذه العبادة وسائر العبادات خالصة لوجه الله، بل أظهر الله سبحانه وتعالى أنهم لم يكونوا يؤدون المناسك على وجهها الصحيح، قال تعالى: ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾ (الأنفال: ٣٥)، ومناسك الحج التي كان يقوم بها الأعراب قبل مجيء الإسلام قد وقع فيها تغيير مما لا علاقة له بسنة إبراهيم ﷺ: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا﴾ (البقرة: ١٢٦)، ﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾ (البقرة: ١٢٤).

والإسلام جاء على ملة إبراهيم حنيفًا ﴿وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾ (البقرة: ١٣٤)، فاقتضت الحكمة الإلهية أن تكون هذه الأمة على الملة الحنيفية في توحيدها وعبادتها ومناسكها، والرسول ﷺ هو الذي تكفل ببيان المناسك كما سنها أبو الأنبياء إبراهيم ﷺ، وهي لم توضح كلها في الكتاب. فكيف أدى رسول الله ﷺ مناسك الحج والعمرة؟

لقد بين الرسول ﷺ للمسلمين أن فريضة الحج ليست مقصورة على العام الذي حج فيه المسلمون بل هي للأبد، قال له أصحابه: «يا رسول الله: أحجنا هذا لعامنا هذا أو للأبد؟ فقال: بل لأبد الأبد»(٧).

المناسك هي ما يقوم به الحاج والمعتمر من عبادات وطاعات بالقول والفعل أثناء أداء الفريضة

في بيان أن حجة واحدة تجزئ

إذا كان الكتاب العزيز لم يوضح عدد المرات التي يجب فيها على المسلم الحج فإن السنة الشريفة وضحت ذلك حتى لا يبقى لبس، فقد جاء في خطبة حجة الوداع: «إن الله كتب عليكم الحج، قيل له: أوفي كل عام؟ فقال: أما إني لو قلت: نعم، لوجبت، ولو تركتكم لضللتم، اسكتوا عني ما سكت عنكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم».

هذه الإشارة من الرسول الكريم ﷺ من أجل بيان التخفيف الذي جاءت به هذه الشريعة السمحاء، لأن في الحج متاعب في الطريق وفي البعد عن الأهل، فلذلك قال لهم الرسول الكريم ﷺ: «اسكتوا عني ما سكت عنكم».

في بيان ثواب الحج

الحج من العبادات التي ينال بها المسلم ثوابا عظيمًا عند الله إذا تجنب ما يفسد حجه، قال عز من قائل: ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾ (البقرة: ١٩٦).

وقد بين رسول الله ﷺ الوسائل التي ينبغي أن يتجنبها الحاج لكي لا يفسد حجه، فقال ﷺ: «لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب»(٩).

كما أوضح ﷺ معنى الفسوق، فقال: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»(١٠).

إن تجنب المسلم كل ما يفسد حجه، وحرصه على أداء هذه العبادة خالصة لوجه الله يكون جزاؤه عليها عظيمًا ألا وهي جنة الخلد التي وعد الله بها المؤمنين، قال رسول الله ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»(١١).

فإذا حافظ المسلم على واجباته الدينية من عبادات وطاعات وفعل الخير، ثم حج حجًا مبرورًا فإنه يعود إلى ربه طاهرًا نقيًا كما ولدته أمه، قال رسول الله ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»(١٢).

هذه هي فضيلة الحج المبرور، كما بينها رسول الله ﷺ، وبقدر ما يحرص المسلم على أدائها بأركانها وواجباتها مع الابتعاد عن كل المفسدات يقبل منه الله سبحانه وتعالى هذه العبادة التي هي في جوهرها تكفير عن الذنوب، وتطهير للنفوس، والعودة إلى الله بقلب سليم.

مناسك الحج والعمرة كما بينها رسول الله ﷺ

المناسك هي ما يقوم به الحاج والمعتمر من عبادات وطاعات بالقول والفعل أثناء أدائه فريضة الحج أو العمرة، والرسول ﷺ هو الذي تكفل ببيان هذه المناسك لأنها لم تذكر في القرآن بتفصيل، فقال ﷺ: «خذوا عني مناسككم»، والكثير من العبادات بينها الرسول ﷺ لأن كتاب الله اكتفى بذكرها مجملة، فكانت السنة الشريفة متممة لما جاء في كتاب الله من أحكام وشرائع وقوانين، والإيمان لا يكتمل إلا بالاعتقاد بالكتاب والسنة، والمسلم يرد كل أمر إلى هذين المصدرين: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ (النساء: ٥٨). والمناسك كما أداها الرسول ﷺ هي:

الإحرام(١٣)

وهي النية بالدخول في أحد النسكين، الحج أو العمرة، وله زمن محدد في الحج، حيث يبدأ من أول شهر شوال إلى طلوع



الفجر من يوم النحر، أما العمرة فتكون في جميع أوقات السنة، وميقات الحجاج حدده رسول الله ﷺ، فسكان المدينة المنورة ومن مر بها من غير أهلها يحرمون من رابغ وهو من أعمال الجحفة، وقرن ميقات لأهل نجد، وذات عرق ميقات لأهل العراق، ويلملم ميقات لأهل اليمن، ومن كان بمكة المشرفة سواء كان من أهلها أو مقيمًا بها فإن إحرامه بالحج يكون من الحل وهو التنعيم، والإحرام قبل المكان الميقاتي مكروه ويلزمه الهدي، فلذلك ينبغي التزام الحاج والمعتمر بالإحرام من الميقات المحدد له، وحينما دخل رسول الله ﷺ في الإحرام اغتسل وصلى ركعتين، فأصبح الاغتسال وصلاة ركعتين سنة اقتداء بما فعله ﷺ، ثم النطق بعبارة «لبيك اللهم عمرة»، ثم أخذ رسول الله ﷺ بعد الدخول في نسك الإحرام يردد لفظ التلبية وهو «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»، وقد ثبت عنه ﷺ أنه ردد التلبية حتى وصل إلى مكة المكرمة فطاف ثم عاود التلبية حتى وصل إلى مصلى عرفة، ثم لبى حتى رمى جمرة العقبة.

الطواف

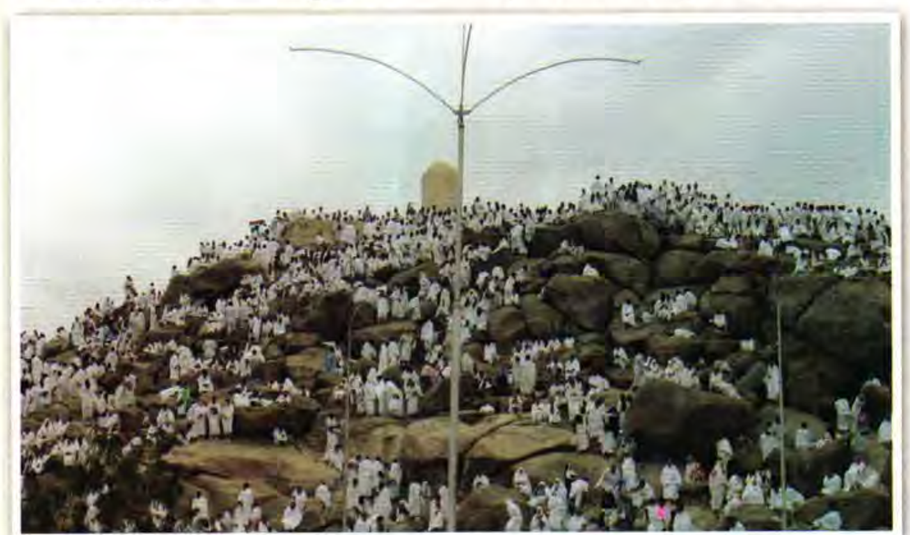
قال الله تعالى: ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ (الحج: ١٧)، والطواف منه ما هو ركن لا يجبر بالدم، وهو طواف الإفاضة، ومنه ما ليس بركن وهو طواف القدوم، وطواف الوداع مستحب ولا شيء على من تركه، وفي طواف القدوم يستحب- كما فعل الرسول ﷺ- الاغتسال، وهو اغتسال لأجل الطواف، والحائض والنفساء لا تغتسل لأنها لا تطوف، والطواف سبعة أشواط لا يفرق بينها الحاج والمعتمر، فيجعل البيت عن يساره، وإذا وصل إلى الركن اليماني، وهو الركن الذي قبل الحجر الأسود، لمسه بيده ووضعها على فيه من غير تقبيل وكبر، فإن لم يقدر كبر ومضى، وأما الركنان الشاميان، وهما اللذان يليان الحجر الأسود، فلا يقبلهما ولا يستلمهما، فإذا دار بالبيت حتى وصل الحجر الأسود فذاك شوط، ويستحب للرجل أن يرمل في الأشواط الثلاثة الأولى، والرمل فوق المشي ودون الجري، وقد بين الرسول ﷺ كيفية الطواف في عمرة القضاء، وكانت سنة سبع للهجرة، وتسمى عمرة القصاص أيضا، لأن الرسول اقتص من قريش الذين منعوه من دخول مكة سنة ست للهجرة، وفي هذه العمرة أنزل الله تعالى قوله: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحًا قريبًا﴾ (الفتح: ٢٧)، وقد ثبت عن الرسول ﷺ أنه حينما دخل المسجد اضطبع بردائه(١٤)، وأخرج عضده اليمنى ثم استلم الركن، وخرج وهرول، وأصحابه معه يهرولون، حتى إذا واراه البيت استلم الركن اليماني ثم مشى فاستلم الركن الأسود، وهرول ثلاثة أطواف، ومشى سائرها، فكان ابن عباس يقول: كان الناس يظنون أنها ليست عليهم، وذلك أن رسول الله ﷺ إنما صنعها لهذا الحي من قريش للذي بلغه عنهم، حتى إذا حج حجة الوداع لزمها فمضت السنة بها(١٥).

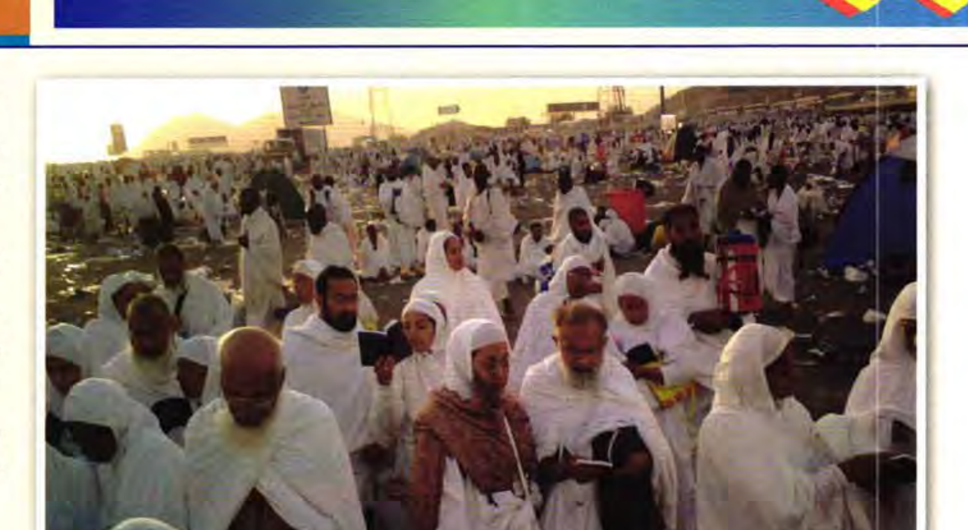
وبعد أن انتهى ﷺ من الطواف مشى إلى مقام إبراهيم ﷺ، وقرأ قوله تعالى: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ (البقرة: ١٢٥)، ثم صلى فيه ركعتين، عن جابر بن عبدالله قال: «إن رسول الله ﷺ استلم الحجر ورمل ثلاثة أشواط ومشى أربعة حتى إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾».

ويستفاد من هذا أن الصلاة تكون بعد الطواف، ولهذا فإن من ترك ركعتي طواف القدوم والإفاضة لغير نسيان وبعد عن مكة فإنه يلزمه الهدي، أما طواف الإفاضة وهو ركن في فريضة الحج فيكون بعد رمي جمرة العقبة حيث يقصد الحاج مكة فيطوف ويسعى بين الصفا والمروة إن لم يكن قد سعى من قبل، وهو سبعة أشواط مثل طواف القدوم.

المرأة الحائض والنفساء لا تطوف

إن المرأة الحائض والنفساء تقضي كل ما يقضيه الحاج من مناسك الحج والعمرة إلا الطواف فإنها لا تطوف حتى تغتسل، لكون الطواف مثل الصلاة إلا أنه يجوز فيه الكلام، وفي حجة الوداع خرجت عائشة- رضي الله عنها- مع رسول الله





ﷺ لأداء فريضة الحج، فقالت: «وحضت ذلك اليوم (١٦)، فدخل علي وأنا أبكي، فقال: مالك يا عائشة؟ لعلك نفست، قالت: قلت: نعم، والله لوددت أني لم أخرج معكم عامي هذا في هذا السفر، فقال: لا تقولين ذلك، فإنك تقضين كل ما يقضي الحاج إلا أنك لا تطوفين بالبيت»(١٧).

فأدت عائشة- رضي الله عنها- المناسك كلها باستثناء الطواف، وحينما اغتسلت أحرمت من مكان الإحرام، قالت رضي الله عنها: «حتى إذا كانت ليلة الحصبة، بعث بي رسول الله ﷺ مع أخي عبدالرحمن بن أبي بكر، فأعمرني من التنعيم، مكان عمرتي التي فاتتني(١٨)».

الوقوف بعرفة

الوقوف بعرفة ركن أساسي في الحج، لا يجبر بالدم، فمن لم يدركه فقد فاته الحج، فقال رسول الله ﷺ: «الحج عرفة، من أدرك الوقوف قبل طلوع الفجر فقد أدرك»(١٩)، وقال الله تعالى: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾ (البقرة: ١٩٨)، والإفاضة هي السير عند الدفع من عرفات، وكانت قريش في الجاهلية تقف عند المشعر الحرام، فلما حج النبي ﷺ توجه يوم التروية- وهو اليوم الثامن من ذي الحجة- إلى منى، فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، فلما طلعت الشمس أمر بقبة من شعر فضربت له بنمرة، ثم سار، ولا تشك قريش أنه واقف في المشعر الحرام على عادتها، فجازه ﷺ حتى أتى عرفة، فوجد القبة قد ضربت فنزل بها.

أما وقت الإفاضة فقد بينه رسول الله ﷺ عمليا، إذ ثبت انه وقف حتى غربت الشمس قليلا، وذهبت الصفرة، وغاب القرص.

في بيان المواقف في المناسك

كما بين ﷺ مكان الوقوف بعرفة وبالمناسك الأخرى وهي المزدلفة ومنى.

قال ابن إسحق: وحدثني عبدالله بن أبي نجيح «أن رسول الله ﷺ حين وقف بعرفة قال: هذا الموقف، للجبل الذي وقف عليه، وكل عرفة موقف، وقال حين وقف على قزح صبيحة المزدلفة، هذا الموقف، وكل المزدلفة موقف، ثم لما نحر بالمنحر بمنى قال: هذا المنحر، وكل منى منحر»(٢٠).

وفي حديث آخر قال ﷺ: «عرفة كلها موقف، وارتفعوا عن بطن عرنة- بضم العين وتسكين الراء- ومزدلفة كلها موقف، وارتفعوا عن بطن محسر- بضم الميم وفتح الحاء وكسر السين المشددة- ومنى كلها منحر، وفجاج مكة كلها منحر»(٢١).

هذا بيان وتوضيح للمواقف التي ينبغي أن يقف فيها الحاج أثناء أداء مناسكه، وثبت أنه ﷺ أخذه وقت المغرب بعرفة فأخره إلى المزدلفة حيث المشعر، فقال له أسامة: الصلاة، فقال ﷺ: «الصلاة أمامك»(٢٢).

وقال الله تعالى: ﴿واذكروا الله في أيام معدودات﴾ (البقرة: ٣٩).

قال المفسرون: إنها إشارة إلى أن الصلاة تؤخر إلى المشعر الحرام، وقد ثبت أن النبي ﷺ وقف بعرفة حتى غابت الشمس، ثم دفع فأتى المزدلفة، فصلى بها المغرب والعشاء بأذان وإقامتين، ثم اضطجع حتى طلع الفجر، فصلى حين تبين له الصبح بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة، ودعا وكبر وهلل، ولم يزل واقفاً حتى أسفر جدا، ثم دفع قبل أن تطلع الشمس.

الهدي

الهدي هو ما يذبحه الحاج من إبل أو بقر أو غنم تقربًا إلى الله، قال الله تعالى: ﴿فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي﴾ (البقرة: ١٩٩)، والآية لم تبين نوع الهدي، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه «أهدى عن نفسه وعن أصحابه البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة»(٢٣)، وقال مالك رحمه الله في قوله تعالى: ﴿فما استيسر من الهدي﴾ هو شاة أو بدنة، لأن الهدي يطلق على ذلك، وقالت عائشة رضي الله عنها: إنما هو البدنة، لأن

زيارة المدينة المنورة تشعر المسلم بمرحلة حاسمة في تاريخ الدعوة الإسلامية



الهدي لا يطلق إلا على غيرها، وقال ابن عباس: هو الاشتراك في دم، لأنه ﷺ نحر عام الحديبية البدنة عن سبعة(٢٤).

ويجوز الاشتراك في الهدي، فقد ثبت عنه ﷺ أنه أشرك علي بن أبي طالب معه في الهدي حينما أهل بالحج بعد عودته من اليمن ولم يكن معه هدي، فثبت على إحرامه مع رسول الله ﷺ حتى فرغا من الحج، ونحر رسول الله ﷺ الهدي عنهما(٢٥)، والمتمتع بالعمرة إلى وقت الحج يذبح لأجل المتعة هديًا يوم النحر، قال تعالى: ﴿فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة﴾ (البقرة: ١٩٥)، وإذا لم يكن في مقدوره شراء الهدي فيصوم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى بلده كما بينت الآية ذلك بوضوح.

والفدية هي ما يقدمه الحاج من هدي أو إطعام مساكين أو صيام كفارة لما قام به من محظورات الحج، وذلك إذا أزال شعره وهو محرم قال تعالى: ﴿ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضًا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾ (البقرة: ١٩٥)، أو تعرض للحيوان البري الذي يحرم صيده قال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدًا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صيامًا ليذوق وبال أمره﴾ (المائدة: ٩٧)، أو قام بأحد المحظورات وهو محرم مثل لبس المخيط والتطيب وقتل القمل والاغتسال وقطع الأظافر ودهن اللحية والرأس.

طواف الوداع

وهو مستحب ولا يجب شيء على من تركه، وكأن الحاج يجعله آخر عهده بالبيت الحرام ولاسيما للأفاقي الذي قد لا يتيسر له زيارة هذا المكان المقدس في المستقبل، ولذلك ينبغي له الإكثار من الطواف والدعاء في فترة وجوده في البيت العتيق.

زيارة قبر الرسول ﷺ

هذه الزيارة ليست من أركان الحج ولا من واجباته لكنها مستحبة وآكدة، وذلك أن المسلم الذي يؤدي عبادة الحج الخاصة لله ويتمها بكل أركانها وواجباتها يجب عليه، اعترافًا بالجميل، أن يزور قبر الرسول ﷺ، وقبور أصحابه الذين أبلوا البلاء الحسن في نصرة الإسلام، فبفضلهم يتمتع المسلمون الآن بنعمة الإسلام ونوره، وزيارة قبر الرسول ﷺ وأصحابه، رضوان الله عليهم، ينبغي أن تتسم بآداب وأخلاق الزيارة وهي الاعتراف لهم بالجميل والفضل على ما بذلوه من تضحيات في سبيل إعلاء كلمة الله والثبات على الحق حتى لقوا الله راضين مرضيين، وأن يدعوا لهم بالدعاء الصالح.

وزيارة المدينة المنورة والوقوف على مآثرها التاريخية تشعر المسلم بمرحلة حاسمة في تاريخ الدعوة الإسلامية حيث حقق المسلمون انتصارًا باهرًا على المشركين ومن تحالف معهم، وأسسوا الدولة الإسلامية التي قامت على العدل والمساواة.

نسأل الله أن يمتع كل مسلم بأداء هذه الفريضة، وبزيارة قبر الرسول ﷺ الذي جاءنا بهذا النور الذي ننعم به.

الهوامش

١- أركان الحج التي يجب فعلها أربعة وهي: الإحرام والسعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة ليلة عيد الأضحى وطواف الإفاضة.

٢- والواجبات التي ليست بأركان وتجبر بالدم منها: مجاوزة الإحرام من ميقاته، ترك التلبية بالكلية أو تركها أول الإحرام حتى الطواف، أو فعلها في أول الإحرام ثم تركها في بقيته، وطواف القدوم إذا تركه الحاج عمدًا، أما إذا خاف فوات الوقوف فلا يجب عليه طواف ولا يجب عليه هدي، وعدم وصل طواف القدوم بالسعي بين الصفا والمروة، وترك المشي في الطواف والسعي لغير ضرورة، وترك ركعتي الطواف الواجب عمدا، وعدم النزول بالمزدلفة بعد الرجوع من عرفة، وترك المبيت بمنى لرمي الجمار، ولبس المخيط لغير عذر، وهو خاص بالرجال، وعدم الحلق أو التقصير، وترك رمي الجمار.

٣-والمستحبات لا شيء على من تركها، لكن يستحب للحاج أن يقوم بها إن أمكن اتباعًا للسنة، وذلك كالغسل للإحرام، وتقبيل الحجر الأسود، وطواف الوداع، والدعاء في الطواف والسعي بين الصفا والمروة، والمشي دون الركوب في الطواف، ولمس الركن اليماني، والرمل في الطواف للرجال في الأشواط الثلاثة الأولى، والإسراع بين الجبلين الأخضرين، والخروج من منى إلى عرفة بعد طلوع الشمس، والمبيت بالمزدلفة مع إحيائها بالصلاة والذكر، والإكثار من الطواف والدعاء.

٤- السيرة ٢٤٨/٤.

٥- المصدر نفسه.

٦- المصدر نفسه، العوان: الأسيرات، ويقصد أنهن لا يملكن قوة.

٧- حديث رواه أحمد ومسلم والنسائي.

٨- سورة البقرة آية ١٩٦: الرفث: كل ما يذكر في موضوع النساء من جماع وغيره، والفسوق: هو جميع المعاصي.

٩- رواه الجماعة إلا البخاري.

١٠- رواه الجماعة.

١١- أخرجه الطبري.

١٢- رواه الجماعة.

١٣- وهو من أركان الحج التي لا تجبر بالدم.

١٤-اضطبع بردائه، أي ادخل بعضه تحت عضده اليمني، وجعل طرفه على منكبه الأيسر.

١٥- السيرة ١٢-١٣/٤ والهرولة: فوق المشي ودون الجري.

١٦- أي في اليوم الذي أمر رسول الله ﷺ الناس أن يحرموا من موضع سرف.

١٧- السيرة: ٢٤٨/٤.

١٨- السيرة: ٢٤٩/٤.

١٩- رواه ابن عباس.

٢٠- السيرة: ٢٥٣/٤ قزح، بضم ففتح: جبل المزدلفة.

٢١- رواه أحمد وابن ماجة.

٢٢- رواه كل الأئمة إلا الترمذي.

٢٣- حديث رواه الجماعة إلا داود.

٢٤- الأحكام الصغرى، ٣١/١.

٢٥- السيرة: ٢٤٩/٤.

استغاثة عاجلة من اتحاد الأطباء العرب في الصومال

التحرير

قاربت أزمة مجاعة الصومال على دخول شهرها الثالث، ورغم التبرعات التي وصلت من جميع دول العالم العربي والإسلامي فإن رجال الإغاثة في معاناة شديدة مع استمرار حالات الوفيات، بل تزايدها، ووجود بعض المشكلات والعوائق الميدانية واللوجستية. تواصلنا مع د.محمد الحفناوي مدير وفد اتحاد الأطباء العرب الإغاثي وكان معه هذا الحوار:

• يتساءل العديد من المتبرعين.. رغم تدفق المعونات إلى الصومال لماذا تكثر حالات الوفيات؟

■ لأن الوفاة تحدث نتيجة عدة أسباب منها الوضع الصحي وتلوث المياه والأمراض المعدية، فالوضع الصحي هو الأسوء في جميع المجالات، فلا كوادر طبية ولا أجهزة ولا معدات ولا أدوية، ونحن نعمل بكل جهدنا لتحسين كل تلك المجالات، كما تحدث حالات وفيات كثيرة في صفوف النازحين خلال عمليات السير على الأقدام لمسافات تصل إلى ٧٠٠ كيلو متر للوصول إلى جهات المعونات الإغاثية، في حين انه من المفروض أن تنتشر الهيئات الإغاثية في كل أنحاء الصومال لتصل لهم قبل النزوح وقبل أن تبدأ رحلة اللجوء أو النزوح القاتلة.

• ولماذا ترتفع حالات الوفيات بين الأطفال على وجه الدقة؟

■ الطفل لا يتحمل أيًا من مسببات الموت السابقة سواء المشي لمسافات طويلة أو سوء التغذية، فالكبار يستطيعون أكل أي شيء حتى أوراق الشجر على عكس الصغار، فتكون وفياتها أكبر، بالإضافة إلى أمراض الأطفال القاتلة والمنتشرة، ومنها ما هو بسيط لكنه يؤدي إلى الموت، فمثلا حالات الإسهال العادية في الصومال تتسبب بمقتل كثير من الأطفال لسوء الوضع الصحي بشكل رهيب.

• إذن أين دور اتحاد الأطباء العرب في إرسال الكوادر والمعدات الطبية؟



■ عندما نتحدث عن بلد كامل به كارثة مستدامة لا يمكن أن يكون الحل بإرسال كوادر طبية، بل يجب صنع الكوادر المحلية، لأنه من المستحيل إرسال كوادر طبية أو أكاديمية هناك لمدد طويلة، فكل من تم إرسالهم من الأطباء هو بشكل مؤقت، لكن اتحاد الأطباء العرب بصدد تدشين مشروع التعليم الطبي عن بعد في الصومال لتدريب وتأهيل طلاب كليات الطب الحكومية هناك كمرحلة أولى وتدريب بقية الفرق الطبية من تمريض وغيره.

وبدأ الاتحاد بإرسال أجهزة طبية على أعلى مستوى وتقنيات ولكن قابلتنا مشكلة تشغيل وصيانة تلك الأجهزة، ونحن بصدد حل تلك الإشكاليات، أما الأدوية فالمشكلة في شحنها وتوصيلها لأن البحر مغلق بالقراصنة والجو تكلفة شحنه عالية جدًا.

• تضافر جهود لجان الإغاثة من جميع دول العالم العربي ألا يستطيع حل هذه المشكلات؟

■ نحن نواجه مشكلة في التنسيق بين الجهود الإغاثية، ونواجه أيضا العوائق الميدانية في التحرك خارج العاصمة لوجود تهديد على حياة الطواقم الطبية، وحالات الاختطاف لأخذ فدية.

كما أن سوء التنسيق والترتيب بين جهات الإغاثة المختلفة يعمل على إهدار بعض الوقت والمال، كأن تأتي منظمة ما وتقيم مشروعًا إغاثيًا مماثلًا في دائرة عمل مشروع منظمة إغاثية أخرى، مما يترتب عليه عمل مشروعين بكلفتين عاليتين لنفس الشريحة والناس، لكننا بدأنا التغلب على ذلك من خلال عمل اجتماع تنسيقي أسبوعي في مقر منظمة التعاون الإسلامي لتنسيق الجهود.

كما أننا نواجه عوائق لوجستية كإمداد جهات الإغاثة بالأدوية اللازمة في مواعيدها المناسبة وبالكميات والأسعار المناسبة، فنحن بحاجة إلى توفير الأدوية والمعونات من خارج الصومال لكي لا نشتري من السوق المحلي فنقلل العرض من الدواء فيزيد سعره على المرضى في الصيدليات وغيرها من المشكلات الأخرى، وبالتالي فسوق نيروبي ودولة كينيا الآن هي الأقرب ونجد مشكلات ضخمة في عمليات الشحن والتوصيل.

عاريَّة الكتب

جزء حديثي للحافظ أبي بكر أحمد بن محمد بن جعفر بن مهريار اليزدي المتوفى بعد ٤٢٩هـ

هذا الجزء قديم يعود إلى القرن الرابع الهجري، يحتوي على حديثين وأحد عشر أثرا، وهو مخطوط مأخوذ من المجموعة الخطية من مجاميع الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية.

قال الحافظ أبوبكر أحمد بن محمد بن جعفر اليزدي، أخبرنا علي بن عمر بن عبدالعزيز، ثنا عبدالله بن محمد بن الحجاج، ثنا أبوعبدالملك المقري، ثنا سليمان بن عبدالرحمن، ثنا إبراهيم بن زكريا الربعي، عن عيسى بن حكيم، عن محمد بن كعب، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من اختانَ كتابَ علم، فهو غلول يأتي به يوم القيامة».

أخبرنا علي بن عمر بن عبدالعزيز، ثنا عبدالله بن محمد بن الحجاج، ثنا أبوعبدالملك المقري، ثنا سليمان بن عبدالرحمن، ثنا أيوب بن سويد، ثنا يونس بن يزيد قال: قال لي الزهري: إياك وغلول الكتب، قال: وما غلول الكتب؟ قال: حبسها.

أخبرنا علي بن عمر بن عبدالعزيز، ثنا أبوصالح محمد بن يعقوب الوراق، ثنا أبوسعيد الحسن بن عبدالرحمن بن عمر، ثنا عبدالصمد بن يزيد، ولقبه مردويه قال: قال الفضيل بن عياض:ليس من فعل أهل الورع، ولا من فعال الحكماء، أن تأخذَ سماعَ رجل فتحبسه عليه، فمن فعلَ هذا، فقد ظلمَ نفسه.

أخبرنا علي بن عمر، ثنا علي بن محمد بن أبان، ثنا موسى بن أحمد بن موسى قال:

سألتُ محمد بن مصطفى جزءًا من فوائده لأنظرَ إليه، وكان لا يدفعُ كتابه إلى أحد، فشقَّ عليه أن يردني، ثم أنشأ يقول:

كم من كتاب شريفٍ ضاع عاريةً
فصرتُ من بعده في الناس حيرانا

حدثنا محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم، ثنا أبويعلى أحمد بن علي الموصلي قال: سمعتُ عبدالصمد بن يزيد يقول: سمعت الفضيل يقول: ليس من فعل العلماء، أن يأخذ سماع الرجل أو كتابه فيحبسه عليه، ومن فعل ذلك فقد ظلم نفسه.

ذكر أبوزيد عمر بن عبدالله بن أحمد الفرساني، عن محمد بن يحيى الحوار يقول: سمعتُ أحمد بن علي النخشبي يقول:

كان لي سماع مع رجل من أهل بغداد، يقال له سهل بن محمد الجوهري، فامتنع على أن يعطيني، فقدمته إلى

إسماعيل بن إسحاق القاضي، فسألني القاضي عن السماع في كتبه، أبخطي أم بخط صاحبه؟ فقلت: بعضه بخطه وبعضه بخطي، فأمر الرجل أن يعطيني حتى أنسخه، فقال الرجل: أعز الله القاضي، هذا رجل غريب، أخاف أن يذهب بكتبي، توثق لي حتى أعطيه. فقال القاضي له: اكترِ رجلا بدرهمين في كل يوم، وأقعده معه حتى يفرغ من نسخ سماعه.

أخبرنا أبوعمر بن أبي بكر بن عبدالوهاب المقري، وكان لا يعير أصوله لآخر، سمعته منه غير مرة يقول: حدثنا أحمد بن محمد بن عمر العبدي، ثنا ابن أبي الدنيا، ثنا محمد بن الحسين قال: سمعت قَبيصة يقول: كنا نعدُّ عاريَّةَ الرجلِ أصلَ كتابه هُجنة.

أخبرنا أبوعمر بن أبي بكر بن عبدالوهاب المقري يقول: إني سمعت أبي يقول: سمعت محمد بن يحيى بن منده يقول: من استعار منك كتابًا فردَّه إليك، فاعلم أنه لا يحسنُ شيئا، أو كما قال.

أخبرنا أبوجعفر أحمد بن عبدالله بن العباس بن الوليد بن شجاع، ثنا محمد بن عبدالله بن الموفق أبوبكر، ثنا أبوالعباس أحمد بن يحيى الغسال، ثنا محمد بن حميد الرازي قال: سمعت جرير بن عبدالحميد الضبي يقول: سمعت حمزة بن حبيب الزيات، يقول: لا تأمننَّ قارئًا على صحيفة، ولا جمّالًا على حبل.

أنشدنا بعض أصحابنا:

أعرِ الدفترَ من جاء ... ك بالرهن الوثيقِ

إنه ليس يضرُّ ... أخذك من صديقِ

ذكر محمد بن إبراهيم المقري: إن لم أسمع حدثنا عبدالله بن محمد بن الفرج بمكة سنة ثمان وثلاثمائة، ثنا شبيب بن جعفر المصري، ثنا أيوب بن سويد، حدثني يونس بن يزيد الأيلي قال: قال ابن شهاب: إياك وغلولَ الكتب. قلت: وما غلولها؟ قال: حبسها عن أهلها.

أخبرنا العدل الثقة أبوبكر بن أبي علي إملاء، ثنا أبو العباس بن عبيدالله، ثنا عبدالرحمن بن داود بن منصور الفارسي، حدثنا عبيد بن سويد، ثنا محمد بن وهب بن أيوب بن سويد، ثنا يونس بن يزيد الأيلي قال:

سمعت الزهري رحمه الله يقول:

إياكم وغلولَ الحديث، قالوا: وما غلول الحديث؟ قال: حبس الكتب على أهلها.

حدثنا أحمد بن عبدالله بن أحمد الحافظ، ثنا أبوعلي الحسن بن أحمد بن محمد بن سعدان الخطيب التستري، ثنا أبونصر محمد بن حمدوية بن سهل المروزي، ثنا عبدالله بن حماد الأيلي، ثنا سليمان بن عبدالرحمن، ثنا إبراهيم بن زكريا الربعي، عن عيسى بن حكيم، عن محمد بن كعب، عن ابن عباس قال: قال: رسول الله ﷺ: «من اختانَ كتابَ علمٍ فهو غلول، يأتي به يومَ القيامة».

قال أحمد: غريب لم أكتبه مرفوعًا إلا بهذا الإسناد، وعيسى بن حكيم، هو عيسى بن ميمون.

آخر الجزء والحمد لله رب العالمين.

الإنسانية في عيون الإسلام

د. مسعود صبري

إن المسلم الصادق ينظر إلى هذا الكون بما فيه أنه من صنع الله تعالى، بما فيه من إنس وجان وطير وحيوان، فالكل خلقه، وكلهم يسبحون بحمده كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الإسراء: ٤٤)، وإن الله تعالى هو رب الناس ملك الناس إله الناس، فهو كما قال سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (التغابن: ٢)، وهذه الآية تدل على أن حكمة الله اقتضت أن يكون هناك تعدد في المعتقدات، كما هو التعدد والتنوع في كل ما خلقه الله تعالى، فالناس منهم الأبيض والأسود والأحمر، ومنهم الغني والفقير، ومنهم القوي والضعيف، ومنهم المؤمن ومنهم غير المؤمن، فالكل من خلق الله تعالى، فهو ربهم وإن لم يؤمنوا به كلهم.

لم يكن الاختلاف في الدين والمعتقد مانعا من التواصل الإنساني ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: ٨)، فنحن المسلمين مأمورون بالبر والقسط والإحسان إلى غيرنا؛ لأن هذه تعاليم ديننا وشرعتنا، ذلك أننا الشهداء على الناس، كما قال سبحانه ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣)، ولما كانت هذه الأمة كما قال عنها تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، كان واجبا عليها أن تتعامل مع الأمم الأخرى من منطلق أنها خير أمة، يعني أنها تتعامل معهم بالفضل قبل العدل، وبالإحسان قبل القسط، ويكون التعامل بالعدل أقل الدرجات، وهذا يعرفه الناس من سنن الله في الكون، فإن من كان سيدا، وكان كبيرا، كان أرفق الناس بهم، وكلما علا قدر الإنسان، كان أحسن سيرة، وأحكم مقالا، فإن سيادة الأمة لا تكون إلا بما تحمله من تبعات وما تؤديه من واجبات تجاه غيرها.

إن بعض المسلمين يظن أن مجرد الاختلاف في الدين أو الحكم على غير الأمة بالكفر، سبب للعداء، وهذا منطق خاطئ ما عرفه الرسول ﷺ ولا الصحابة الكرام، لأن الرسول ﷺ كان مع كل الناس كما وصفه ربه سبحانه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، وقد شهد له القاصي والداني بحسن خلقه وسموه قبل نزول الوحي عليه (الصادق الأمين).

مما يفترى به على الإسلام أنه لا يعترف بالآخرين وهذا محض افتراء

إننا اليوم في أمس الحاجة إلى معرفة منهج الإسلام في التعامل بين المختلفين في العقيدة، لما شابه هذه المعاملة من اللغط وسوء الفهم والتطبيق، حتى شوهت صورة الإسلام باسمه، وهو منها براء.

إن الرجوع إلى النبع الصافي من دستورنا وهو القرآن والسنة، والاقتداء بهدي الرسول ﷺ وصحابته الكرام ليزيل هذه الغمة عن المسلمين، ويرفع عنهم ما نسب إليهم زورا وبهتانا، كما أنه يعيد إلى الدعوة إلى الله رونقها وحقيقتها، فيتعرف عليها الناس صافية بلا شائبة، صادقة بلا تزييف، نقية بلا شوائب.

والنظر إلى كتاب الله تعالى والسنة النبوية يحتاج إلى فقه وفهم، لا أن تُتخطف الآيات والأحاديث من هنا وهناك، بل لابد من استقراء منهج القرآن والسنة في التعامل مع الغير، وكيف نظر الإسلام إلى الإنسان بوصفه مخلوقا من مخلوقات الله، وكيف تحدث القرآن إلى الناس كافة من حيث أصل الخلقة.

مبادئ الإنسانية في القرآن

ومن أهم تلك المبادئ:

الأول: التفضيل

إن من أوائل ما يطالعنا تفضيل الله تعالى لبني آدم على غيرهم، ودفاع الله تعالى عنهم في تساؤل الملائكة، كما جاء في الكتاب العزيز: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ

* باحث في المركز العالمي للوسطية

الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٣٠)، فدلت الآية أن بني آدم في الجملة أفضل من غيرهم ممن كانوا يسكنون الأرض قبلهم، سواء أكانوا من الجن أم من غيرهم من المخلوقات.

والأمر الثاني: هو تكريم الله تعالى لبني آدم في الجملة، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: ٧٠).

الأمر الثالث: طلب العمارة، فالله تعالى يوجب على بني آدم بعد أن أورثهم الأرض وجعلهم فيها خلفاء- أي يخلف بعضهم بعضا الأرض جيلا بعد جيل فلا تكون لغيرهم- أن يتعاونوا على عمارتها بالصالح والنافع، كما قال سبحانه: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (هود: ٦١).

الأمر الرابع: التعارف والتعاون على البر والتقوى، كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

الأمر الخامس: التنوع والاختلاف، فالمسلم يؤمن أن الناس لن يكونوا دينا واحدا، ولا شيئا واحدا، فاختلاف الخلق وتعددهم دليل على وحدانية الله تعالى، فكل ما سواه متعدد، وهو سبحانه وتعالى الواحد الأحد، كما قال تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ (هود: ١١٨-١١٩). يقول الإمام ابن كثير- رحمه الله: يخبر تعالى أنه قادر على جعل الناس كلهم أمة واحدة، من إيمان أو كفران كما قال تعالى: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا﴾ (يونس: ٩٩) وقوله: ﴿ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك﴾ أي: ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقاداتهم ومللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم، وهذا لا يعني أن الله خلقهم ليختلفوا، ولكنه من كسب الناس، ويؤكد هذا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

وفكرة التعددية الدينية لا تعني أن جميع الأديان متساوية فعلا؛ وذلك لاختلاف الأديان، فهناك أديان سماوية وهناك أديان وضعية، والسماوية كل منها مختلف عن الآخر، ولكن تجتمع كل تلك الأديان في حق واحد وهو حق الوجود والتعايش معًا.

مكانة الإنسان في الإسلام

وقد دعا الإسلام إلى احترام النفس البشرية أيًا كانت، حيا وميتا، وقد قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام: ١٥١)، وقال ﷺ: «من قتل معاهدا في غير كنهه حرم الله عليه الجنة» (أبو داود والنسائي وهو صحيح الإسناد).

وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ مرت به جنازة، فقام، فقيل: إنه يهودي! فقال: أليست نفسا؟

إن مما يفترى به على الإسلام أنه لا يعترف بالآخرين، وهو محض افتراء، بل إننا نعتبر من مفاخر ديننا أنه الكتاب الأوحد الذي اعترف بكل الأديان السابقة، ومن يطالع القرآن يجد حديثا طويلا عن موسى وعيسى عليهما السلام، وحديثا مفصلا ومجملا عن بقية الأنبياء، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ (مريم: ٤١)، وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾ (مريم: ٥١)، وقوله: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا. وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا. وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا. وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا. أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (مريم: ٥٤-٥٨).

بل أوجب الإسلام الإيمان بجميع الأنبياء وشرائعهم المنزلة من عند الله تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٨٤).

ومن السنة أن النبي ﷺ لما وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فقال: «ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، فقال: فأنا أحق بموسى منكم، فصامه وأمر بصيامه».

وعن عيسى عليه السلام يقول الرسول الكريم: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد». فهذا اعتراف صريح باليهودية والنصرانية، ويشبه الرسول ﷺ الأنبياء بالإخوة من أب واحد لكنهم من أمهات شتى، والمعنى أن شرائع الأنبياء متفقة من حيث الأصول وإن اختلفت فروعها.

ولا يعني هذا اعتقاد صحة الأديان الموجودة، وفرق بين الاعتراف بها، وبين اعتقاد صحتها.

وإن هذا الاعتراف من الإسلام ببقية الأديان لم يجد صدى صادقا عند أتباع الأديان الأخرى، فنحن نعترف وهم لا يعترفون، وهذا من شيم الإسلام وفضله على العالمين.

مآثر العرب والمسلمين في ميدان الفلاحة والري وحرث الأرض ومكافحة الآفات

د. بركات محمد مراد

من المسلَّم به أن الحضارة دائمة التنقل، وهي مشاع بين الناس لا يحتفظ بها إلا الأقوى والأجدر، فإذا ما أصابه الوهن أو انتابه الضعف ولت سراعًا، ومن هنا كان للعرب والمسلمين الأوائل جهدهم وفضلهم في الدفع بعجلة الحضارة إلى الأمام، وقد شهد المنصفون من الغربيين لعلماء العرب والمسلمين بما قدموه من إنجازات أسهمت في رقي المدنية وتقدم الحضارة بعد أن كان الأوروبيون أو كثير منهم ينسبون اكتشافات العرب والمسلمين أو يدعونها لأنفسهم كذبًا وزورًا، غير أن الحقيقة كالشمس لا يمكن حجبها أو إخفاؤها، فعرف الحق لذويه وعاد الفضل لأهله، وحديث اليوم عن فضل العرب ومآثرهم في مجال الزراعة وحرث الأرض ومكافحة الآفات، ودورهم في رقي الحضارة الإنسانية التي قامت في البداية على أكتاف الزراعة والمزارعين قبل أن تقوم على أكتاف الصناعة والصانعين.

العرب هم أمة أقدم من اسمها الذي تعرف به اليوم؛ لأنها على أرجح الأقوال أرومة الجنس السامي التي تفرع منها الكلدانيون والآشوريون والكنعانيون والعراقيون وسائر الأمم السامية التي سكنت بين النهرين وفلسطين وما يحيط بفلسطين من بادية وحاضرة، وقد تتصل بها الأمة الحبشية بصلة النسب القديم مع اختلاط بين السامية والحامية(١).

ويرى الباحثون أن أسلاف العرب كانوا يتمتعون بحضارة أصيلة، ويقطنون الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية، ولكن بسبب تزايد عدد السكان وتعرض تلك المنطقة لتغيرات مناخية سيئة اضطر سكان الجنوب إلى الخروج من بلادهم على شكل موجات متعاقبة، فاتجه بعضهم شرقًا إلى بلاد الرافدين، ومنهم من توجه شمالاً، وبقي في وسط الجزيرة قبائل حافظت على كيانها واستقلالها وحرمتها ولغتها(٢).

ومن البدهي أن عرب وسط الجزيرة لم يهتموا بالزراعة وكانوا يحصلون على المنتجات الزراعية التي يحتاجونها عن طريق التجارة وتبادل السلع، كما كانت شجرة النخيل أثمن النباتات لديهم لأنها تنمو في الواحات المبعثرة بين كثبان الرمل، فتعطيهم أطيب الثمر بأدنى جهد وأقل ماء، أما القاطنون في أطراف الجزيرة- وخاصة في الحجاز واليمن والعراق وبلاد الشام- فكانوا على جانب كبير من الخبرة في شؤون الزراعة والعناية بالأشجار المثمرة واستخراج المياه، لذلك لم تزل بقاع اليمامة إلى ما بعد الإسلام مشهورة بالمراعي الواسعة، والعيون والأمطار الغزيرة والمروج المعشبة التي تخلفت مما هو أخصب منها وأعمر بالإنسان والحيوان في أقدم الزمان، وقد لاحظ الرحالة الألماني شوينفرت أن القمح والشعير وجدا في حالتهما الآبدة في اليمن وبلاد العرب القديمة قبل أن تستأنس في مصر والعراق(٣)، وقد اكتشفت في أرض اليمن كتابات بالخط المسند، تعتبر قوانين صدرت عن الحكومات اليمنية قبل الإسلام نظمت بموجبها العلاقات الزراعية بين المزارعين الذين يعملون في الأرض التي تمتلكها الدولة وتقوم بتأجيرها لمن يريد استثمارها من القبائل والأفراد، كما نظمت حقوق السقي والاستفادة من الماء(٤).

ولما جاء الإسلام حث دستوره (القرآن الكريم) المسلمين على الزراعة وحرث الأرض والتصرف فيما تنبته الأرض من زروع وأشجار وثمار وأزهار قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ. يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النمل: ١٠-١١)، ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الرعد: ٣-٤)، ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ

أكاديمي مصري

(٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤)﴾ (يس: ٣٣-٣٤)، فالذين يتفكرون في النباتات وحرثها وزراعتها ويتعمقون في بحثها وفحصها يصلون إلى أسرار وآيات تشهد بعظمة مبدع الكون، والإسلام دين الجهد والجهاد والعقل والتدبر(٥)، وقد أفرد القرآن الكريم الكثير من مفردات علم النبات والزراعة ووسائلها، فمثلا أورد حقيقة على جانب كبير من الأهمية العلمية حينما قرر القرآن في سورة الحجر الآية ٢٢ قوله تعالى:﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾، وهذا ما اكتشفه علماء النبات بعد ذلك بقرون طويلة عندما قالوا إن الرياح وسيلة من وسائل التلقيح في النباتات(٦).

وفي السنة النبوية الشريفة نجد أن هناك الكثير من الأحاديث التي تحث على الزراعة وفلاحة الأرض منها: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»، يقول الإمام الشنقيطي: قال العيني: وفي الحديث أن الغرس والزرع واتخاذ الصنائع مباح وغير قادح في الزهد، وفيه أيضًا الحض للمسلم على عمارة الأرض لنفسه ولمن يأتي بعده، وفي الحديث أيضًا أن الزراعة والغرس من أفضل المكاسب(٧)، إذن العمل بالزراعة عبادة إلى جانب أنها كسب شريف.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها». وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه فإن أبى فليمسك أرضه».

وعلى نهج القرآن وهدي الرسول ﷺ سار المسلمون فتركوا لنا آثارًا كانت الشرارة الأولى في بناء حضارة العالم، من ذلك ما روي من أن يزيد بن مسيلمة كان يغرس في أرضه، فقال له عمر رضي الله عنه: «أصبت، استغن عن الناس يكن أصون لدينك وأكرم لك عليهم». وروي عن عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه انه قال: « زارعوا على الأرض بنصفها، بثلثها، بربعها.. إلى عشرها ولا تدعوا الأرض خرابًا»(٨).

عمل كثير من الصحابة في الزراعة واشتهرت المدينة المنورة بمزارعها وبساتينها

وكان لانتشار الإسلام أن ساد الوفاق بين القبائل العربية وأخذ بعضها يستقر إلى جوار القرى والمدن، وأصبحت الحاجة ملحة لتوافر كميات من المواد الغذائية في تلك المجتمعات، لذلك قام الرسول ﷺ بحض الناس على الزراعة فقال: «التمسوا الرزق في خبايا الأرض»، كما بشر الزارعين بأجر جزيل عند الله.

وقد عمل كثير من الصحابة في الزراعة، واشتهرت المدينة المنورة بمزارعها وبساتينها، وأقطع النبي ﷺ رجالًا من أصحابه الأراضي الواسعة ليعمروها ويزرعوها ويستثمروها، ومن هؤلاء: أبوبكر الصديق رضي الله عنه، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أعطي أرضًا نفيسة بخيبر، ومنهم ربيعة الأسلمي، وأعطى أبوبكر رضي الله عنه في خلافته أرضًا زراعية لطلحة بن عبيدالله، وأرضًا أخرى لعيينة بن حصن، وأرضًا ثالثة للزبير بن العوام.

وتوسع عمر في توزيع الأراضي ليقوم الناس بإحيائها وزراعتها واستثمارها، فأعطى سعد بن أبي وقاص وعبدالله بن مسعود والزبير بن العوام وعلي بن أبي طالب وأسامة بن زيد- رضي الله عنهم- وآخرين.. وكذلك فعل من بعده من الخلفاء (عثمان وعلي).

وكان الناس يزرعون أراضيهم بأنفسهم وأهليهم، أو يؤجرونها للزراعة والغراسة، أو يعطونها للزراع بالربع والثلث، قال موسى بن طلحة: رأيت سعدًا وابن مسعود وجبر بن عتيك يعطون أرضهم بالثلث والربع، وكانت بعض المزارع والبساتين تحمل في السنة مرتين، وكان يزرع فيها أنواع الحبوب وأصناف الثمار المعروفة وقتذاك، ويذهب بها إلى سوق المدينة المنورة، وأسواق الأماكن المجاورة(٩).

وفي العصر الأموي ولما استتب الأمر لبني أميه أمر الولاة بمسح الأرض الزراعية لجباية الخراج والزكاة، وقاموا بشق الترع وإصلاح المجاري وتشجيع الزراعيين على إحياء الأرض البور، وقد اشتهر زياد بن أبيه بأنه كان يقطع للرجل قطعة من الأرض ثم يمهله مدة عامين، فإذا أصلحها واستثمرها أصبحت ملكًا له وإلا استردها منه، وقد ازدادت في زمن الأمويين زراعة أنواع الحبوب والقطن وقصب السكر، كما ازداد غرس الأشجار المثمرة كالكرمة والزيتون والنخيل، وفي العصر الأموي أيضا بدأ إنشاء الحدائق والبساتين، فشيد الخليفة هشام بن عبدالملك سد طريقة وبجواره عدد من البساتين المثمرة، وفي العصر الأموي كذلك أقام الحجاج بن يوسف الثقفي الترع والجسور وأنشأ القنوات واستصلح الأراضي البور وزاد من الرقعة الزراعية في دولة بني أمية(١٠).

وفي العصر العباسي، ولازدهار ورخاء الحياة ظهرت الزراعة البستانية لتزيين القصور، وحينما بنى المعتصم مدينة سامراء لم يفته كما يقول اليعقوبي العناية بإنشاء الحدائق الغناء والبساتين، يقول المستشرق رامبو: لم يكن في عصر العباسيين أهم من مهنة الفلاحة، فقد أظهر العرب بمهارتهم مزايا فواكه الفرس وأزهار إقليم زندران، وقد أغنوا العلم- ولاسيما علم النباتات- بمسائل جديدة كثيرة.

لقد أصبح العرب في العصر العباسي أول العارفين بالزراعة وأحسن العمال، وأصبحت الزراعة التي أخذوها من أساليب بابل والشام ومصر علمًا حقيقيًا للعرب أخذوا نظرياتها من الكتب ثم وسعوها بتدفقاتهم وتجاربهم وكانوا يطبقونها بمهارة، ولا تستنكف أعلى الطبقات عن العمل بأيديهم في زراعة الأرض، وكان غيرهم يحقرها ويعدها عملًا مهنيًا، وقد روى دوزي أن ابن الخطيب لم يكتسب من غير الفلاحة مالًا، وقد أقام من أعمال العمران ما يحسده

عليه أعظم طواغيت الزمان(١١).

وفي العصر العباسي أيضًا كان هناك اهتمام بالفلاحة العلمية التجريبية، فلم يعتمدوا فقط على النظريات الزراعية بل تابعوا العملية العلمية الزراعية من أولها إلى آخرها بدءا بالحرث وإعداد الأرض والعناية بالزروع ثم الحصاد والتخزين ومعالجة الآفات والأمراض، ثم تصنيع المزروعات، وبرع العرب في تخير الأرض ثم استنباط المياه لأنها أساس العمل الزراعي(١٢).

الزراعة العربية في المغرب العربي والأندلس

كانت الأندلس والمغرب العربي متخلفين علميًا وحضاريًا عن مشرق العالم الإسلامي في مجال الزراعة حتى أول القرن التاسع للميلاد، ولما تولى الخلافة عبدالرحمن الناصر سعى إلى تدارك هذا القصور، وذلك بإرسال البعثات العلمية إلى الشرق العربي للدراسة في بغداد ودمشق والقاهرة، وجلب الكتب المؤلفة والمترجمة إلى العربية، وكانت هذه البعثات بداية لنهضة علمية زراعية في الأندلس حتى ظهر في الأندلس علماء أجلاء قاموا على علم وادخلوا الجديد في الطرق الزراعية، وفي تلك الأثناء ظهرت مدرستان في علم الزراعة في الأندلس:

الأولى، اهتمت بعلم العقاقير والنباتات الطبية، وكان من روادها ابن جلجل وابن وافد وابن سمجون والغافقي وابن ميمون وابن البيطار.

والمدرسة الثانية، اهتمت بعلم الفلاحة والنبات، وكان من روادها ابن بصال الطليطلي وابن حجاج الاشبيلي والحاج الغرناطي وابن العوام والشريف الإدريسي وأبوعباس النباتي، ثم حدثت نهضة غير مسبوقة في الأندلس في هذا المجال فعمرت المدن وكثرت الخيرات وانتشر العلم حتى كان في قرطبة وحدها دكان نسخ واحد يستخدم مائة وسبعين جارية في نقل المؤلفات لطلاب الكتب النادرة، وكان في قصر الخليفة أربعمائة ألف كتاب صنفت في شتى العلوم جميعها(١٣).

يقول رتشارلس سينوبوس في كتابه تاريخ الحضارة: جرى أمراء العرب على أصول إسقاء الأرض بفتح الترع، فحفروا الآبار وجازوا بالمال الكثير ممن عثروا على ينابيع جديدة، ووضعوا المصطلحات لتوزيع المياه بين الجيران، ونقلوا إلى أسبانيا أسلوب النواعير لتمنح المياه والسواقي التي توزعها، وان سهل «بلسنة» الذي جاء كأنه حديقة واحدة هو من بقايا عمل العرب وعنايتهم بالسقيا، كما أن العرب استعملوا جميع أنواع الزراعة التي وجدوها في مملكتهم وحملوا كثيرًا من النباتات إلى صقلية وأسبانيا، وربوها في أوروبا فأحسنوا تربيتها حتى لتظنها متوطنة وذلك مثل الأرز والبطيخ والقنب والمشمش والبرتقال والكبار والنخيل والهليون والزعفران والبطيخ الأصفر والعنب والعطر والورد الأزرق والأصفر والياسمين بل والقطن والقصب(١٤).

المؤلفات العربية في مجال الزراعة والحرث والري

مرت الحضارة العربية الزراعية بطورين من أطوار الحضارة والتمدن، أولهما بعد أن استقرت الدولة العربية الإسلامية سياسيًا بدأت النهضة العلمية بمرحلة الاكتساب البدائي- أي تجريب الخبرة المتوارثة- تلتها مرحلة الترجمة حيث اهتم الخلفاء بالحصول على المخطوطات اليونانية وترجمتها، ومن أولئك الخلفاء هارون الرشيد الذي أوفد الرسل لهذا الغرض مئات المرات إلى الإمبراطورية البيزنطية لشراء المخطوطات، كما كان الخليفة المأمون اشد تحمسًا في جمع الكتب واقتنائها، فكان على اتصال مباشر بالإمبراطور البيزنطي ليو، وقد طلب إليه أن يرسل له جميع ما لديه من المخطوطات العلمية، بهذا أصبح للمأمون الفضل الأعظم في مرحلة الاكتساب، فقد أسس بيت الحكمة وخصصه للترجمة وأضاف إليه مرصدًا فلكيًا، وعلى هذا فإن القرن العاشر الميلادي أو الرابع الهجري لم ينقض على الدولة العربية حتى كانت نهايته نهايةَ طور الاكتساب والترجمة.

أما الطور الثاني فهو طور الخبرة، ولقد أخذ العرب عن غيرهم كما أخذت كل أمة عن غيرها، لكنهم وضعوا ما اكتسبوه من خبرات وافكار في بوتقة عربية وصاغوه بصيغتهم الخاصة حتى خرج فريدًا في بابه، وظهر بمظهر نظم ومؤسسات قائمة بذاتها(١٥)، هكذا قسمت المؤلفات الزراعية عند العرب إلى قسمين: قسم معرب عن اليونانية، وقسم مؤلف بالعربية، فمن الكتابات اليونانية في الزراعة التي عرفها العرب وترجموها كتاب ديمقراط الرومي من القرن الثاني قبل الميلاد، وآخر لقيندانيوس أناطوليوس البروتي، من القرن الرابع الميلادي، وآخر للكسيانوس ياسوس، من القرن السادس الميلادي، وكتاب الفلاحة النبطية الذي نقل من السريانية إلى العربية في مطلع القرن العاشر الميلادي، غير أن العرب لم يتوقفوا عند نقل هذا التراث، بل طوروا العلوم الموروثة حتى أصبحت مؤلفاتهم بدورها أسسًا جديدة انطلقت منها العلوم الحديثة، وأول كتاب كان بمنزلة حجر الأساس في نشأة الزراعة العربية هو كتاب «الفلاحة النبطية»، والذي رغم أنه معرب من السريانية فإنه أصبح أثرًا عربيًا اقتفته سائر المؤلفات العربية في علمي الزراعة والنباتات، ويضم هذا الكتاب في صفحاته الألف سائر المعارف في أمور الفلسفة والدين والسحر والطلاسم، فضلا عن الزراعة وما تضمنه من زراعة الأزهار والأشجار المثمرة والحبوب والبقول، وفي استنباط المياه من الأرض وتطعيم الأشجار كذلك في عمل السماد واختبار الأرض لبعض المزروعات، ومعارف أخرى كثيرة تحيط بسائر أعمال الحقل مستندة كلها على خبرة عميقة وممارسة طويلة للعناية بالأرض والنبات.

أما أشهر الكتب العربية في الزراعة فهو كتاب الفلاحة لابن العوام- القرن الثالث عشر الميلادي- الذي اطلع على جميع العلوم التي كانت في عصره، ومنها العلوم الزراعية القديمة، ثم قام بتجارب عديدة في الزراعة دون نتائجها في كتابه الضخم الذي ترجم إلى الأسبانية والفرنسية في القرن التاسع عشر، ويتألف كتاب الفلاحة لابن العوام من ثلاثين فصلًا عن الزراعة تبحث في مواضع شتى، منها ما

يتعلق بطبيعة الأرض والسماد وأنواع المياه وطبيعتها وإنشاء الجناين والمشاتل وزراعة الأشجار المثمرة وعمليات التطعيم وتقليم الأشجار وعمليات التسميد والري وإخصاب الأشجار الاصطناعي ومكافحة الأمراض الزراعية وطرق تعطير الثمار وتلوين الورد وحفظ الحبوب والبذور والنباتات الصالحة للنسيج والنباتات الصابغة وغيرها(١٦). ويذكر أنه يعود الفضل لابن العوام لتعريفنا بجهود من سبقوه في هذا المجال من العلماء العرب والذين لم تصل إلينا كتبهم، مثل ابن وافد وابن سمجون وابن ميمون والحاج الغرناطي(١٧)، ولأبي حنيفة الدينوري، القرن الثالث الهجري، كتاب اسماه «النبات» حوى أنواع النباتات والتربة وكيفية شق الترع والجسور، وبه باب خاص يحتوي على شرح لغوي لأسماء النباتات التي وردت في أشعار العرب، ولابن البيطار، القرن السابع الهجري، جهود عظيمة في هذا المجال فقد سافر إلى الشام من الأندلس ودرس نباتها، ثم سافر إلى مصر فجعله الملك الكامل الأيوبي رئيسًا على العشابين وألف كتابه في النبات وهو فريد في بابه، وكان عليه معول أهل أوروبا في نهضتهم الأخيرة(١٨)، ومن علماء العرب في علم النبات رشيد الدين المتوفى سنة ٦٢٩هـ صاحب كتاب الأدوية المفردة، وكان كثير التدقيق يخرج لدرس الحشائش في منابتها وله كتاب يسمى أحوال النباتات(١٩).

مكافحة الأمراض الزراعية في الحضارة العربية والاسلامية

كان العرب والمسلمون اعلم الأمم بالزراعة إبان ازدهار حضارتهم، فقد عرفوا تفصيلاً وإجمالاً أهمية خدمة الأرض وأثرها في القضاء على الآفات الزراعية خاصة البادرات الحشرية، وذلك من خلال تقليب التربة وتعريض الآفات فيها للظروف الجوية غير الملائمة، إضافة إلى التخلص من الحشائش الضارة والأدغال النامية في الحقول(٢٠).

واستخدم العرب والمسلمون المبيدات الحشرية الكيميائية في مكافحة الآفات الزراعية والسيطرة على الحشرات الضارة في صورة طعوم أو سوائل ترش أو غازات بواسطة التدخين، وليكن طريقنا لإيضاح ذلك بمثل واحد من كل هذه الطرق.

الطعوم السامة: استخدمها العرب والمسلمون لقتل الفئران والكلاب والخنازير والذباب والجراد والنطاط والقوارض الأخرى، فقد استخدموا مبكرًا برادة الحديد مخلوطة بالدقيق أو الخبز بالسمن، كما عرفوا أن تراب الزئبق يقتل الفأر والزرنيخ الأصفر يقتل الذباب برائحته(٢١).

المبيدات المرشوشة: عرف العرب المبيدات المرشوشة واستخدموها بتوسع، فمثلًا كانوا يستخدمون ثمرة الحنظل بعد نقلها من الماء لرش البيوت بها لقتل البراغيث(٢٢)، كما كانوا يرشون البيوت بالماء المذاب به النشادر لقتل جميع الهوام(٢٣).

المواد الكمياوية الطيارة (التدخين): استخدم العرب في التدخين موادًا كيماوية طاردة طيارة سريعة التبخر من اصل نباتي، كثيرًا ما تكون غير سامة وليس لها أي تأثير ضار على الإنسان والحيوان والنبات، فقد استخدموا الكبريت المدخن لطرد البراغيث(٢٤)، وبخروا البيوت بالكزبرة لطرد الحيات والعقارب(٢٥).

المبيدات الحيوية: العرب أول من استخدم المبيدات الحيوية من ذلك ما استخدم في ربوع اليمن منذ آلاف السنين، عندما استجلبوا نوعًا من النمل الصحراوي المفترس على أنواع الحشرات التي تصيب النخيل والتمر ومازالت هذه الطريق مستخدمة في بعض الدول العربية إلى الآن(٢٦).

وفي وسع الباحثين أن يحصوا لنا آثار العرب في بعض العلوم أو بعض الصناعات، ولكن آثار العرب في الحضارة عامة لا تستقصيها الأرقام ولا الألفاظ، ولا هي موقوفة على الحصر أو الادعاء حتى في بعض العلوم التي يدعي الغرب أن العرب لم يألفوها مثل الكيمياء والهندسة والرياضيات أو حتى التكنولوجيات بمعناها الحديث.

الهوامش

١- عباس محمود العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوروبية، القراءة للجميع ١٩٩٨ ص ١٣.
٢- مجلة هنا لندن، العدد ٤٦٧ سبتمبر ١٩٨٧، عبقرية الحضارة العربية ص ٢١.
٣- عباس محمود العقاد، مصدر سابق ص١٥.
٤- مجلة هنا لندن، مصدر سابق ص٢٢ .
٥- محمود عبدالوهاب فايد، التربية في كتاب الله، مكتبة الاعتصام ١٩٧٢ ص٢٠.
٦- المصدر السابق ص٣١ .
٧- الشنقيطي، زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، الجزء الثاني ص ٢٣٣، طبعة مصر ١٩٦٩.
٨- الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، دار نهر النيل ١٩٨٣ ص ٥٨.
٩- حسن عبدالغني أبوغيدة، النشاطات الحرفية والمهنية في صدر الإسلام، مجلة الفيصل العدد٢٨٥ ص٣١.
١٠- نخبة من علماء الأزهر، الدين والحياة، وزارة الأوقاف الإدارة العامة لبحوث الدعوة، ص ٨٢.
١١- د.عبدالمتعال محمد الجبري، الحضارة والتمدن الإسلامي، بأقلام فلاسفة النصارى، مكتبة وهبة ١٩٩٣ ص٣٨.
١٢- محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية، الجزء الأول ص ٢٦٦.
١٣- عباس محمود العقاد، مصدر سابق ص٩٠.
١٤- د.عبدالمتعال محمد جبري، مصدر سابق ص٣٩.
١٥- جورجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، دار الهلال دون تاريخ، الجزء الثالث ص١٦١.
١٦- ابن الفارض تاريخ علماء الأندلس، طبعة مدريد ١٩٧٤ ص٢٤١.
١٧- المصدر السابق، ص٢٤٢.
١٨- جورجي زيدان، مصدر سابق ص٢٠٧.
١٩- المصدر السابق، ص ٢٠٨.
٢٠- د.عماد الحفيظ، مكافحة الآفات الزراعية عند العرب، مركز إحياء التراث ١٩٨٩ ص ٤١٦.
٢١- القزويني، غرائب المخلوقات والحيوانات وعجائب الموجودات، سلسة الذخائر، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٣ ص ٥٧، ٨٣.
٢٢- المصدر السابق ٨٧ .
٢٣- المصدر السابق ص ٩٥.
٢٤- المصدر السابق ص ٦١.
٢٥- المصدر السابق ص ٧٤.
٢٦- مجلة هنا لندن مصدر سابق ص٢٠.

دراسة في أبعاد العلاقة بين الهوية والمصطلح

المئذنة والمعرفة!


أ.د. خالد فهمي

(١) الهوية والمصطلح: مدخل في المفهوم

من المهم جدا أن ندخل إلى قراءة أبعاد العلاقة بين الهوية والمصطلح بما هي ترجمة أو تفسير لما يمكن أن يكون رباطا جامعا بين المئذنة بما تحمله اللفظة.. الرمز من دلالات، والمعرفة ببيان موجز لمفهوم الهوية والمصطلح معا.

ومن الممكن أن نعبر عن الهوية بالماهية، فهوية أي شخص هي مجموع أمرين يميزانه عن غيره هما: اسمه، وعمقه معا.

يقول المعجم الفلسفي في شرحه مصطلح الهوية (ص ١٠٨٤/٢٠٨): إنه: «حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره».

وهو ما يدعمه جون جوزيف في (اللغة والهوية ص ١٨ ترجمة د.عبدالنور خرافي، عالم المعرفة، الكويت ٢٠٠٧م /ع ٣٤٢٩) قائلا: «يوجد مظهران أساسيان لهوية شخص ما، أولهما: اسمه الذي يميزه عن غيره من الناس، وثانيهما: ذاك الشيء غير الملموس والأكثر تعقيدا وعمقا الذي يشكل في الحقيقة ماهية المرء».

ومن هذا المعجون المعقد يجد المصطلح مساحة له ليظهر على خريطة هذه الهوية، ذلك أن المصطلح: لفظ حامل لمعنى ناتج حقل بعينه.

ويتجلى الرابط بين الهوية والمصطلح في هذا الذي يقرره د.عبدالسلام المسدي في (قاموس اللسانيات ص ١١ الدار العربية للكتاب، تونس) قائلا: «مفاتيح العلوم ومصطلحاتها، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى، فهي مجمع حقائقها المعرفية، وعنوان ما به يتميز كل واحد منها عما سواه».

ومن هنا فإن هذا المدخل نحو تحرير مفهومي الهوية والمصطلح يشير إلى أن الهوية بما هي عمق الإنسان وما به يتميز عن غيره، ويشير إلى المصطلح الذي هو مجمع حقائق المعارف والعلوم، وهو ما يجعله المادة الأساس في بناء كيان الهويات والأعماق للإنسان والوطن معا.

(٢) المئذنة والمعرفة.. البدايات الأولى الدالة

إن تأمل تاريخ الإسلام يقود إلى استنتاج أولي ظاهر يقرر أن الإسلام بما هو رؤية متمايزة للكون والحياة أنتج منظومة لغوية اصطلاحية موجهة لهذه الرؤية، ومؤسسة لها معا.

وهذا الذي نقرره أمر مستقر في بنية الأدبيات العلمية في مجال اللسانيات أو فقه اللغة في نسخته التراثية العربية، وهو ما يبدو واضحا في الباب الذي عقده ابن فارس اللغوي في كتابه (الصاحبي في فقه العربية وسنن العرب في فهارسها، ص ٧٨ تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧٧م) بعنوان: الأسباب الإسلامية: «كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت».

ويزيد ابن فارس الأمر وضوحا عندما يقرر أن التصور الجديد الذي أوجده الإسلام ظاهره وصاحبه جهاز اصطلاحي كاشف عن حقيقته، فيقول (ص ٨٣): «فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق، وأن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان، وهو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافا بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمنا، وكذلك الإسلام والمسلم، إنما عرفت منه إسلام الشيء، ثم جاء الشرع من أوصافه ما جاء...، ولم يعرفوا في الفسق إلا قولهم: «فسقت

* أستاذ اللغة العربية بجامعة المنوفية

الرطبة»: إذا خرجت من قشرها، وجاء الشرع بأن الفسق: الإفحاش في الخروج عن طاعة الله جل ثناؤه» وهكذا.

وهذا الذي أطلنا نقله من ابن فارس اللغوي السني ليس صوتا فريدا في تاريخ فقه اللغة العربية التراثية، وإنما هو صوت متواتر ممتد يشكل اتجاها وحقيقة قائمة راسخة وقف أمامها أبوحاتم الرازي في كتابه (الزينة في الكلمات الإسلامية) والسيوطي في كتابه (المزهر في علوم اللغة) وغيرهما.

واستقرت حقيقة علمية في اللسانيات المعاصرة في دراسات الدارسين والمؤرخين للعربية من العرب وغير العرب، ومن المسلمين وغير المسلمين، بحيث يصح من جانبنا أن نقرر أن ثمة إجماعا على أثر الإسلام في تأسيس قائمة طويلة من المصطلحات الكاشفة عن رؤيته للحياة والكون، عرفت باسم جامع في هذا الحقل العلمي باسم «الكلمات الإسلامية العربية».. استقرت في بنية معجمه، وعرفت طريقها إلى معاجم الشعوب الإسلامية غير العربية.

وهذا التنبه إلى أثر التصور الإسلامي في المعجم المختص في اللسان العربي هو ما يترجم توجيه المئذنة لتاريخ المعرفة في الحضارة العربية.

(٣) الوعي بالعلاقة بين الهوية والمصطلح في تراث المعجمية الاصطلاحية العربية

عرف تاريخ المعجمية الاصطلاحية عددا كبيرا من المعاجم المختصة في المجالات المعرفية المختلفة، تبرهن على الجهد العلمي الضخم الذي بذله العلماء المسلمون، وتوالى ظهور معاجم المصطلحات المتعددة العلوم في تاريخ العلم عند العرب من القرن الرابع الهجري.

وقد وصل إلينا من هذه المعجمات التي جمعت مصطلحات العلوم المتنوعة التي عرفتها الحضارة العربية الإسلامية منذ ذلك التاريخ الباكر ما يلي:

١-مفاتيح العلوم، للخوارزمي الكاتب، ت ٣٨٧هـ.

٢-الحدود والفروق، لابن هبة الله الطبيب، ت ٤٩٥هـ.

٣- التعريفات، للجرجاني، ت ٨١٦هـ.

٤-مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، المنسوب للسيوطي، ت ٩١١هـ.

٥- التعريفات والاصطلاحات، لابن كمال باشا، ت ٩٤٠هـ.

٦-التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، ت ١٠٣١هـ.

٧- الكليات، للكفوي، ت ١٠٩٤هـ.

٨- كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي ١١٥٨هـ.

٩- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون.. دستور العلماء، للأحمد نكري، ت١١٧٣هـ.

وقد اتضح من تأمل مادة هذه المعجمات جميعا وعي أصحابها بأن ما تضمنته معاجمهم من مصطلحات يعد بمنزلة مفاتيح لفهم ما جاءت به الشريعة الإسلامية، وهو ما صرح به غير واحد من هؤلاء في مقدمات هذه المعجمات، على ما نرى ذلك صريحا

> **ثمة إجماع على أثر الإسلام في تأسيس قائمة طويلة من المصطلحات عن رؤيته للحياة والكون**

في مقدمة المناوي لمعجمه التوقيف على مهمات التعاريف.

ويظهر من مجموع المصطلحات التي ضمتها هذه المعجمات وتوزعها على ما يلي:

حقل مصطلحات العلوم الشرعية.

حقل مصطلحات العلوم العربية.

حقل مصطلحات العلوم الحكمية (التجريبية أو الأجنبية).

الوعي بهيمنة الشريعة الإسلامية وتوجيهها للجهاز الاصطلاحي للعلوم في الحضارة العربية الإسلامية، والنظر إلى العلوم العربية والحكمية باعتبارها علوم وسائل وآلات للتمكين لتنفيذ الشريعة والقيام بها.

وهذا الذي نقرره من أمر ظهور العلاقة بين الهوية المؤسسة على التصور الإسلامي للكون والحياة وبين المصطلح الناطق بهذا التصور جاء الاعتراف به نظريا في الأدبيات اللسانية التراثية كما مر بنا هنا، وجاء البناء عليه تطبيقا في المعجمات الاصطلاحية المتعددة العلوم.

وقد تجلى أمر توجيه الإسلام للمصطلح في اللسان العربي من الناحية التطبيقية في معجمات المصطلحات المتعددة العلوم التي رتبت مداخلها موضوعيا أو علميا، حيث افتتحت هذه المعاجم جميعا بأبواب لشرح معاني مصطلحات العلوم الشرعية أولا بما هي غاية، ثم توالت بشرح معاني مصطلحات العلوم الأخرى عربية وحكمية بما هي وسيلة وآلة. وهذا الذي نقرره ظاهر في ترتيب المعاجم التالية:

أ- مفاتيح العلوم للخوارزمي.

ب- مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، والمنسوب للسيوطي، حيث رتبا معجميهما مبتدئين بتعريف مجموعة المصطلحات المنتمية للعلوم الشرعية من فقه وتفسير وحديث وغيرها.

وهي العلامة التطبيقية الدالة على هيمنة الشريعة وتوجيهها لحركة المصطلحات في اللغة العربية.

(٤) تنامي الوعي بالعلاقة بين الهوية والمصطلح في العصر الحديث

والمتابع لحركة المجتمعات العربية المعاصرة يقف على عدد من العلامات الدالة على تنامي الوعي بالعلاقة بين الهوية والمصطلح بما هو مخزن للمفاهيم في العصر الحديث.

وقد اتخذ هذا الوعي مسارات متعددة يمكن إجمال أهمها فيما يلي:

أولا- حرص حركات التحرر الوطني جميعها على امتداد خريطة الوطن العربي على تعريب لغة الحياة، وتعريب لغة العلم.

ثانيا - الحرص على النص في دساتير الدول العربية على عروبة لسانها بما يعد أحد أهم مقومات هويتها.

ثالثا- ظهور حرص الرواد من العلماء في مجال العلوم التجريبية والتقنية على التأليف والتدريس بالعربية، كملمح من ملامح مقاومة آثار الاحتلال الأجنبي، وإيمانا بأن الشخصية الوطنية لا تستكمل ملامح هويتها من دون التفكير باللسان القومي، وهو الأمر الذي لا يحصل من غير تعلم بهذا اللسان.

رابعا- إلحاح مفكري النهضة في المشرق والمغرب العربي جميعا على الدعوة إلى تعريب المصطلح، توصلا إلى تحقيق الذات في مواجهة ما كان من تيارات جارفة سعت إلى استلاب العقل والوجدان العربيين زمنا طويلا.

وقد تبدت العلامات الوطنية في التعامل مع مصطلحات العلوم الحديثة منذ وقت مبكر من عمر النهضة العربية الحديثة، ولعل أهم هذه العلامات تمثلت في العودة إلى مخزون اللغة العربية الوفير، وإعادة إحياء عدد من

تبدت العلامات الوطنية في التعامل مع مصطلحات العلوم الحديثة منذ وقت مبكر من عمر النهضة العربية

ألفاظه بعد تحميلها بالدلالات الجديدة المستحدثة، وهو ما يؤكده محمد سواعي في كتابه (أزمة المصطلح العربي في القرن التاسع عشر: مقدمة تاريخية عامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٩م، ص ١٣١):«وتشمل الآليات التي استعملها الطهطاوي لاستنباط مفردات تعبر عن مواد وأفكار طارئة على المجتمع العربي في فترته.. إحياء المفردات العربية القديمة للدلالة على معان جديدة».

وهذه العودة إلى اللغة العربية معناها في النظر الواضح استبقاء الروح العربية حية بخصائصها النفسية والروحية والعقلية من خلال إعادة إحياء الألفاظ القديمة بعد تطويرها دلاليا.

وهذا الإحياء استبقى عددا من ملامح الحياة العربية المسكونة بالتصور الإسلامي للكون والحياة في الإدارة والتعليم، وسلوك الناس ومفاهيم التواصل... إلخ.

وقد وصل الأمر بعدد من الدارسين إلى أن يقرروا أن الثورة اللغوية المعاصرة في ميدان إغناء العربية بمصطلحات جديدة تحمل مواد وأفكارا ومفاهيم حضارية تولى التأسيس لها رفاعة الطهطاوي وغيره هي أقرب إلى الثورة اللغوية التي أحدثها الإسلام قديما وكان من نتائجها إغناء اللغة العربية بعدد وافر من المصطلحات، بما ارتبط بها من مفاهيم جديدة ترسخ للقيم الروحية والوجدانية والعقلية والإنسانية التي أرساها الدين الجديد يومها.

وهو الأمر الذي يؤكده مرة أخرى محمد سواعي قائلا (ص١٣١): «ولعلنا لا نكون بعيدين عن الصحة إن زعمنا أن فترة الطهطاوي تمكن مقارنتها... في تاريخ اللغة العربية بالثورة الإسلامية في القرن السابع الميلادي التي أدخلت مفردات كثيرة إلى اللغة العربية، أو حددت معاني مفردات كانت تستعمل بمعان خاصة ومعينة في فترة ما قبل الإسلام، ليصبح استعمالها لدلالات معينة جديدة في الفترة الإسلامية».

وهذه الثورة الاصطلاحية المعاصرة المرتبطة بعمل الطهطاوي لا يمكن تصور مداها من دون تصور الأصول الفكرية والأجنبية التي سكنت عقل الرجل موصولة النسب بالإسلام وحضارته وتصوراته للحياة والكون معا.

(٥) المخاطر على الهوية تبدأ من العبث بأبنية المصطلحات

إن هذا الذي ظهر هنا عنوانا جانبيا يُدرك ما يقوله عندما نقول: إن المخاطر المحدقة بالهوية تبدأ تنزلاتها على أرض الواقع من نقطة العبث بخريطة المصطلح.

وفي هذا السبيل يصح أن نتأمل صنيع حركات الاحتلال الأجنبي للعالم العربي الإسلامي في مواجهة ملامح المقاومة لصنيعه بآليات ظاهرة تمثلت في واحد من أظهر أشكالها في تبديل المصطلحات العسكرية، فلقد ظلت الحياة العربية في مفتتح عصر النهضة الحديثة محافظة على ما ورثته من مصطلحات عسكرية من مثل:

- الجهاد - والجهادية.
- المجاهد.



-المرشد،والشيخ... إلى غير ذلك من مصطلحات هذا المجال الحيوي الخطير.

وقد وقف أكثر من رائد من رواد النهضة والإصلاح المعاصر أمام المخاطر الوافدة من هذا الباب.

وقد كان مالك بن نبي (ت ١٩٧٣م) واحدا من أكثر مفكري النهضة العربية المعاصرين إدراكا للمخاطر المترتبة على تفريغ عدد من المصطلحات من شحناتها العاطفية والحضارية التي تراكمت حول معانيها خلال قرون متطاولة كانت الفكرة الإسلامية هي الحاكمة والموجهة، ويركز على المخاطر هذه من خلال ما يتعلق بعدد من الاصطلاحات المؤثرة فيقول في كتابه (مشكلة الأفكار ص١٤٢): «وهكذا تحدث الناس بالتدرج عن (الجندي) الذي كان فيما مضى المجاهد».

والتوقف أمام الكلمتين وتحليل دلالة كل منهما يدرك منه أن كلمة الجندي وترسيخها كان عملا من ترسيخ الفرنسية في الجزائر والإنجليزية في مصر بعد الاحتلال، والكلمة التي تم إهدارها واغتيالها وهي (المجاهد) ارتبطت خلال تاريخها الطويل باستحدادها شحنات متدفقة من القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، فتراث الأمة المسلمة في مواجهة العدو الغازي، فضلا عن الرصيد الدلالي الهائل الذي جمعته اللفظة المصطلح من دلالات الشرعية والقبول والتعاطف والتراحم مع من يمثلها، بالإضافة إلى الجزاء الأخروي والكرامة الدنيوية لمن يقوم بمعناها، كل تلك الشحنات الدلالية ثم اغتيالها عندما أزاحتها المفردة المترجمة (الجندي)!

ومثل ذلك يمكن ملاحظته فيما بين مصطلحي (المرشد أو الشيخ) في المجال الدلالي نفسه، وبين كلمة (كولونيل) بما هي نبت غريب الوجه واليد واللسان عن حضارتنا وديننا.

ومن الحق أن الحضارة الحديثة في الميدان العسكري في مصر تعيينا كانت بارة عندما أعادت وضع المصطلح العسكري، وتأمل باب ألقاب الرتب العسكرية لأفراد جيشها تجده دالّا على حسن وعي جيل الرواد من قادة العسكرية المصرية بضرورة الوعي بعلاقة الهوية بالمصطلح، وهو الأمر الذي انعكس على عدد كبير من مصطلحات ألقاب رجال الجيش المصري وتكويناته لنلمح فيها المصطلحات التالية:

١- النقيب. ٢- الرائد. ٣- المقدم. ٤- السرية. ٥- اللواء.

وهذه المصطلحات العسكرية التي أوردها د.خالد فهمي في كتابه (كل رجال الباشا: محمد علي وجيشه وبناء مصر الحديثة، دار الشروق، القاهرة سنة ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م ترجمة: شريف يونس، ص١٥) تظهر عليها فكرة إعادة إحياء ألفاظ إسلامية ضاربة بعمق في السيرة النبوية تعيينا، فالنقيب لقب تعود أصوله الأولى في الاستعمال لبيعة العقبة، والرائد تعود جذوره واستعمالاته لواحد من وظائف النبوة فيما ظهر من أن النبي ﷺ رائد لا يكذب أهله، والمقدم هو لفظ يتعلق بطبيعة التكوين والتشكيل للأفراد على الأرض، وبما هي رتبة دالة على شجاعة افتتاح المعارك.

وتأتي السرية علما ظاهر الاستعمال قديما فيما كان يعده النبي ﷺ من تكتلات وتجمعات لأهداف جهادية... إلخ.

ومن كل هذا ندرك إدراكا جليا وظاهرا أن الحضارة المعاصرة في هذا اللحظة الحرجة من تاريخ الأمة العربية، لاسيما وهي تفتتح صفحة جديدة من عمرها، يلزمها أن تنتج مصطلحاتها الحاملة لمفاهيم الوجود، ومعاني العلم، ودلالات المعرفة من رحم المئذنة لتستقيم لها هويتها وماهيتها.

الإصلاح ضرورة شرعية وحاجة إنسانية

د. حسين شحاتة

لقد أمر الله سبحانه وتعالى بالإصلاح كما جاء في قوله ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، ولقد أكد رسول الله ﷺ على ذلك بقوله: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم» (البخاري)، كما قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم، أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس».

يستنبط من ذلك أن الإصلاح والنهي عن المنكر والتصدي للفساد ضرورة شرعية ومن مسؤولية الجميع، ولقد اهتم الإسلام بهذا فوضع له المنهج والبرنامج وهذا ما سوف نتناوله بشيء من الإيجاز في هذه الدراسة.

تحليل مظاهر الفساد

لقد استشرى الفساد في كل نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، وصدق الله العظيم القائل: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم:٤١)، ولقد تنبأ الرسول بذلك فقال ﷺ: «يا معشر المهاجرين، خصال خمس إن ابتليتم بهن ونزلن بكم أعوذ بالله أن تدركوهم: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولا نقضوا عهد الله ولا عهد رسوله إلا سلط عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم» صدق رسول الله (رواه ابن ماجه والبزار والبيهقي).

الإصلاح ضرورة شرعية وحاجة إنسانية

يرى الفقهاء والعلماء والدعاة أن الإصلاح ضرورة شرعية ودليل ذلك من القرآن قوله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: من الآية ٨٨).

كما أوجب الله على ولي الأمر القيام بالإصلاح فقال الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج:٤١).

وتأسيسا على ذلك:

- هناك ضرورة شرعية للإصلاح الشامل لحفظ الدين والنفس والعرض والعقل والمال.
- هناك ضرورة شرعية للجهاد ضد المفسدين حتى لا يزدادوا فسادًا في الأرض.
- هناك ضرورة شرعية للتصدي لمن يعطلون تطبيق شرع الله ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا.
- هناك ضرورة شرعية لتطهير المجتمع من المفسدين والمنافقين ومن في حكمهم لأنهم رأس الفساد في المجتمع.
- هناك ضرورة شرعية لمقاومة من يعتدون على الدين والنفس ومن يهتكون الأعراض ومن يشوهون صورة الإسلام ومن يسرقون الأموال.
- هناك ضرورة شرعية للتصدي للخائنين الذين يريدون تزييف إرادة الأمة بأموالهم المنهوبة من المال العام.

ولقد أكد رسول الله ﷺ على ذلك بقوله: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم» (البخاري).

- من يقوم بالإصلاح؟ ما صفات المصلحين؟

من صفات من يقوم بالإصلاح كما وردت في كتب الفقه والدعوة:

- الصلاح.
- الحلم والرحمة.
- الإخلاص.
- الأمانة والتواضع.
- الصدق.

* خبير اقتصادي

- الوسطية.
- العفة.
- الوفاء.
- العزة.
- الشجاعة والعزيمة.

فالإصلاح جهاد ولا يقوم به إلا من يرغب أن يجاهد ويضحي ويتاجر مع الله، حتى ننتصر على الفساد لابد من جهاد، والجهاد يحتاج إلى تضحية، والتضحية تحتاج إلى رجال يؤمنون ويبايعون الله، والذين ورد فيهم قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة:١١١-١١٢).

فالإصلاح من مسؤولية الصالحين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، الذين يبايعون الله، والذين يضحون بكل عزيز لجعل كلمة الله هي العليا، وكلمة الكافرين والملحدين ومن في حكمهم السفلى.

● مشكلات عاجلة في حاجة إلى الحل

من أهم هذه المشكلات التي تستوجب الحل من أجل الإصلاح ما يلي:

● مشكلة البطالة: ومن سبل العلاج تشجيع الاستثمار وحماية الصناعة الوطنية والتركيز على الضروريات وترشيد نظام تمويل المشروعات الصغيرة و المتناهية في الصغر بالصيغ الإسلامية البعيدة عن الربا.

● مشكلة العنوسة: ومن سبل العلاج بناء مساكن شعبية ودعم وتيسير الزواج مالياً وإنشاء الصندوق الاجتماعي لتيسير الزواج.

● مشكلة المرض: ومن سبل العلاج إعطاء الأولوية لعلاج المرضى من الفقراء والمساكين.

● مشكلة التعليم: ومن سبل العلاج وضع استراتيجية جديدة لربط التعليم باحتياجات سوق العمل، وجعله حقاً لكل مواطن، وإصلاح حال المعلم، والتصدي لمشكلة الدروس الخصوصية.

● مشكلة الفساد: ومن سبل العلاج إصلاح نظام الإعلام ونظام التعليم والاهتمام بالقيم الروحية والأخلاقية.

● مشكلة العجز في الموازنة: ومن سبل علاجها الترشيد، منع الإسراف والتبذير، التركيز على الضروريات والحاجيات.

● مشكلة المديونية: ومن سبل علاجها الابتعاد عن التمويل بالفوائد الربوية، وترشيد الإنفاق والالتزام بالأولويات الإسلامية.

وهناك مشكلات أخرى يضيق المقام لعرضها وتحليلها.

ثمة ضرورة شرعية للإصلاح الشامل لحفظ الدين والنفس والعرض والعقل والمال

المنهج الإسلامي للإصلاح

يقصد بالإصلاح في المنهج الإسلامي هو تقويم المعوج والمنحرف عن شرع الله، فقد رسم الإسلام للناس الطريق المستقيم الواجب السير عليه، وأصل ذلك قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام:١٥٣)، وقال الله لرسوله محمد ﴿يس. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ. إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (يس: ١-٤). وكانت رسالة الإسلام إلى الناس جميعاً هي الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... فلم تقتصر فقط على المعروف بل ركزت على منع الناس من ارتكاب المنكر، ومن صوره الفساد، ولقد أمر الله الناس بذلك فقد قال تبارك وتعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران:١١٠)، ولقد كان منهج رسول الله ﷺ ذلك، بل أوصانا بالتصدي للمنكر بالمنع والعلاج، فقال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» (مسلم).

وكانت هناك جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتي من مقاصدها النهي عن الفساد، وفي مجال المعاملات في الأسواق أنشئ نظام الحسبة، حيث كان يقوم المحتسب بالاطمئنان على تطبيق أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، وكان سلطانه في بعض الأحيان تعذير المخالفين.

نداء من القرآن لمن يريدون الإصلاح

● ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال:٢٤).

● ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة:١١٩).

● ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ (الصف: من الآية١٤).

● ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:٢٠٠).

المؤمن عمله كله عبادة

جاد الله فرحات *

في الحديث المروي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، (وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة) والذي رواه أصحاب الكتب الستة والإمام مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال له «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها، وفي رواية «عليها» حتى ما تجعل في فيِّ (فم) امرأتك».

قال ﷺ: «إذا أنفق الرجل نفقة على أهله يحتسبها، فهي له صدقة» وكان رسول الله ﷺ جالسًا مع أصحابه فمر بهم شاب ذو صحة جيدة، فقالوا: لو كان هذا في سبيل الله، فقال لهم رسول الله ﷺ: «وما يدريكم أنه ليس في سبيل الله؟».

«إنه إن كان خرج يسعى على وُلده صغارًا فهو في سبيل الله.

وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله.

وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله.

وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرةً فهو في سبيل الشيطان».

ويقول ﷺ: «في بضع أحدكم صدقة».

قالوا يارسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أريتم لو كان وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إن وضعها في الحلال كان له أجر».

فكل عمل يعمله المؤمن يبتغي به وجه الله يكتب له به أجر

فنوم المؤمن عبادة إذا نوى بهذا النوم التقوى على عبادة الله، وكان نومه على طريقة الرسول ﷺ كما قال معاذ بن جبل رضي الله عنه لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه «إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي»، وطعام المؤمن عبادة، إذا نوى التقوى على عبادة الله سبحانه وتعالى، وكان على سنة رسول الله ﷺ.

وكل عمل يعمله المؤمن يبتغي به وجه الله تعالى يؤجر عليه، حتى اللقمة التي يضعها في فم امرأته.

وأما ما يصيب المؤمن في هذه الحياة فهو كله له خير، كما في حديث صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له» (رواه مسلم).

فالمؤمن شاكر في حالة السراء، يعلم بقلبه أن جميع النعم مصدرها من الله سبحانه وتعالى ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ (النحل: ٥٣).

حامد لله تعالى بلسانه يقول في الصباح: «اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر».

وإذا أمسى يقول مثل ذلك «اللهم ما أمسى بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر».

وإذا أكل طعامًا قال: «الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة»

إلى آخر الأذكار التي تقال عند اليقظة «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور».

وعند النوم «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وآوانا وكفانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤي» (رواه مسلم).

وهو يستغل نعم الله في طاعة الله.

وإذا أصابته ضراء صبر واحتسب؛ لأنه يعلم أنها من عند الله تعالى، قال علقمة في قوله تعالى، في سورة التغابن آية ١١﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾.

هو العبد تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم ويعلم أن هذا من إرادة الخير به.

فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ

* إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

قال: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له بالعقوبة في الدنيا وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة»

وقال ﷺ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»

يقول عبادة بن الصامت لابنه «يا بني، إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك»

والمؤمن يقول بلسانه عند المصيبة «الحمد لله إنا لله وإنا إليه راجعون»

كما قال تعالى في سورة البقرة آيتي ١٥٦-١٥٧:

﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾.

وعن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها، إلا آجره الله تعالى في مصيبته وأخلف له خيرًا منها». قالت: فلما توفي أبوسلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ، فأخلف الله لي خيرًا منه، رسول الله ﷺ. (رواه مسلم)

وعن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: فماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه بيت الحمد» (رواه الترمذي وقال: حديث حسن).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى: «ما لعبدي المؤمن إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة» (رواه البخاري).

ويقول ﷺ: «إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون» (رواه البخاري). والأحاديث كثيرة

والحاصل أن عمل المؤمن في ليله ونهاره إذا احتسب الأجر واتبع سنة رسول الله ﷺ هو عبادة يؤجر عليها، ولو كان من أعمال العادة المباحة كالنوم والطعام.

وأن أمر المؤمن كله له خير في السراء والضراء، طالما علم أن المنعم والمبتلي هو الله سبحانه وتعالى، وتصرف كما أمر الله تعالى وكما أرشد رسول الله ﷺ.

ولقد كان ﷺ المثل الكامل فحياته ومماته كلها لله تعالى، كما أخبر الله سبحانه وتعالى في سورة الأنعام (آية ١٦٢) ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾.

وبقدر الاقتراب من هذه الآية الكريمة يكون المؤمن مقتربًا من التمسك بهديه ﷺ والتشبه به في أفعاله وأقواله وفي كل هديه وسننه ﷺ.

وإذا عمل عملًا من أعمال الآخرة رياءً وسمعةً كان عليه الوزر كما في الحديث الذي يرويه أبوهريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ «إن الله إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل قتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله له: بل أردت أن يقال فلان قارئ، فقد قيل ذلك. ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم، وأتصدق، فيقول الله له: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جواد، فقد قيل ذلك، ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله: فبماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان جريء، فقد قيل ذلك. يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة». (صحيح الجامع).

ويكفينا حديث رسول الله ﷺ الذي يرويه أبوموسى الأشعري «إذا مرض العبد أو سافر كتب له من الأجر مثل ما كان يعمل مقيما صحيحًا» (رواه البخاري).

الإسلام دين الحرية

أسعد النوبي

لم يعرف في تاريخ البشرية منذ أن عرفت الدنيا أساليب الحكم وسياسة الشعوب قائدًا ومصلحًا مثل محمد ﷺ، فقد استطاع أن يغير وجه الدنيا وأن يحول مجرى التاريخ في فترة بسيطة لا تعتبر زمنًا بالنسبة لعمر الشعوب والأمم وحركات التاريخ، مما يدل على أن هذا النبي الإنسان مؤيد بقوة عليا تدير هذا الكون وتدير نظامه، ورسولنا ﷺ نبي أمي لا يكتب أو يخط بيمينه ولم يجلس إلى معلم ولكن ملأ الدنيا علمًا ونشر في ربوعها كلها حكمة وأمدها بزاد من المعرفة وبث في عقولها الصواب والرشد.

لهذا يستحق محمد رسول الله التكريم الدائم، وتذكير الناس برسالته وتعريفهم بها فقد جاء بها لتعرفها العالم.

لقد بعث ﷺ وفي المجتمع الإنساني اصنام كثيرة عملت عملها في تقويض بنيانه ونشر الفساد في كيانه، وفي علاقات العالم الاجتماعية حطم المصطفى ﷺ صنم التعصب والتفرقة العنصرية، والإسلام لا يكره شيئًا ككراهية هذا التمايز العنصري بين الناس، ويبرأ ممن يثير العصبية مصداقًا لقوله ﷺ «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل مع عصبية، وليس منا من مات مع عصبية».

وللأسف الشديد كما يقول الراحل محمد عطية الإبراشي في كتابه «روح الإسلام»: «ومازالت الأمم التي ترفع صوتها باسم الديموقراطية والحرية تقاتل عباد الله الأحرار الذين تسميهم الأجناس المكونة معاملة خاصة، فيها إذلال وسخرية وعنف واحتقار».

وقد نهى ﷺ عن مخاطبة العبد والأمة بأي عبارة يفهم منها الرق والعبودية حيث قال: «لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي، ولا يقول المملوك ربي وربتي، وليقل المالك: فتاي وفتاتي، وليقل المملوك: سيدي وسيدتي، فإنكم المملوكون والرب الله»، فالرسول الكريم يكره كلمة عبد، وكلمة أمة، لأنهما ضد الحرية، وضد الإنسانية.

ومن تعاليمه ﷺ قوله: «لقد أوصاني حبيبي جبريل بالرفق بالرقيق حتى ظننت ان الناس لا تستعبد ولا تستخدم».

يقول الابراشي في كتابه «عظمة الإسلام»: إن من يطلع على تاريخ الأمم والأديان السماوية يجد أن الإسلام قد دعا إلى تحرير الأرقاء، وإزالة الرق عن بني الإنسان، وابتغاء مرضاة الله، وتقربًا إليه جل في علاه، قال رسول الله ﷺ: «من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضوًا من النار حتى فرجه بفرجه» (البخاري ومسلم).

ولم يكتف الإسلام بالحث على العتق وتحرير الأرقاء، بل دعا إلى الإحسان إلى المملوك والخادم، قال الله تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخورًا﴾ (النساء: ٣٦).

يستحق محمد رسول الله التكريم الدائم وتذكير الناس برسالته وتعريفهم بها

ففي هذه الآية الكريمة قد أمر الله بالإحسان إلى كثيرين، وذكر منهم المماليك والخدم.

وعن المعرور بن سويد قال رأيت أبا ذر رضي الله عنه وعليه حلة، وعلى غلامه مثلها، فسألته عن ذلك فذكر أنه ساب رجلاً، على عهد رسول الله ﷺ، فعيره بأمه، فقال النبي ﷺ: «إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم» (البخاري).

وقال ﷺ : «اذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين، أو أكلة أو أكلتين، فإنه ولي علاجه» (البخاري).

وهنا نرى الإنسانية والعطف والشفقة والرحمة وحسن المعاملة جلية واضحة في الإسلام، فهو ينادي بأن تعطي الخادم أو المملوك مما تأكل، وتلبسه مما تلبس، ولا تكلفه من العمل ما لا طاقة له به، وأن تنظر إليه نظرة تحفظ له كرامته وإنسانيته، وهنا تظهر العظمة الإسلامية في المعاملة الأخوية.



إعجاز الرواية القرآنية

يقسم النص الروائي طبقًا للوحدات الزمنية؛ لمعرفة كيفية ترتيبها وتربيطها وانسجام مفاصلها، ولا أحد يستطيع أن ينكر أن القصص القرآني جزء لا يتجزأ من الإعجاز القرآني، وأن هذا القصص قد أثر في الغرب، كما أشار إلى ذلك مؤرخو الأدب الغربي.

وينقسم النص الروائي إلى مقاطع وصفية، ومقاطع سردية، تمثل المقاطع الوصفية تمثيل الأشياء الساكنة، أما المقاطع السردية فتتناول الأحداث وسريان الزمن، وبتتبعنا لسورة يوسف مثلا يمكن بسهولة أن نستخرج المقاطع الوصفية، أقصرها آية، وأطولها بضع آيات.

يقوم الوصف على مبدأين متناقضين، المبدأ الأول هو الاستقصاء، والمبدأ الثاني هو الانتقاء، يقوم الاستقصاء على تناول أكبر عدد ممكن من التفاصيل، في حين يقوم الانتقاء على تناول أقل عدد ممكن، وقامت الخلافات بين الكتاب- ولا تزال- على أيهما أكثر واقعية، وأيهما أكثر تعبيرًا؟!

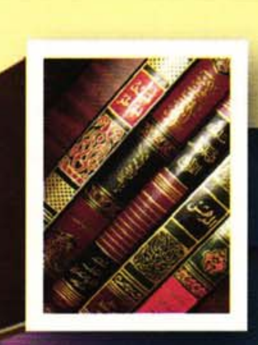
تولستوي كان يرفض الاستقصاء، وبلزاك كان من أنصار الاستقصاء، وفلوبير بين الاتجاهين.

وقد فطن النقاد العرب إلى الظاهرة، فهذا قدامة يضع بين صفات الشعر الجيد ما أسماه التتميم، وهو أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته، وتكتمل بها جودته شيئًا إلا أتى به.

وفي سورة يوسف نجد أن القرآن قد انحاز إلى الانتقاء في مواضع، وإلى الاستقصاء في مواضع، الاستقصاء على سبيل المثال وصف المراودة.. تناول تفاصيل التفاصيل في سبع آيات، من الآية ٢٣ إلى ٢٩ من السورة الكريمة، والانتقاء مثاله: ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرًا...﴾ (يوسف: ٩٣).

وإذا كان التراث العربي يعد كنزًا لا ينضب قادرًا على إمداد الكتاب بالموضوعات والأفكار، فكثيرا ما نجد فيه سبقًا لأمور كثيرة تعد من القضايا المعاصرة، فما بالنا بالقرآن العظيم!!

عبدالرحمن أبو المجد



بعد سنوات الصخب

أدب المدونات.. إلى أين؟

القاهرة - دار الإعلام العربية

خلال السنوات العشر الأخيرة، شهدت دول عربية عدة أبرزها مصر ظاهرة «أدب المدونات»، والتي حظيت بكثير من الصخب في السنوات الأولى لانطلاقها، سيما أن هذه المدونات أزالت كثيرًا من العقبات التي يواجهها المبدعون في التواصل مع جمهورهم.. لكن مع التنامي السريع لمواقع التواصل الاجتماعي الأخرى مثل فيس بوك وتويتر ويوتيوب والتي تتسم بقدر لا محدود من المرونة والتفاعل الآني مع المتلقي، تأثرت ظاهرة «أدب المدونات»، فهل تلقت ضربة قاصمة عبر هذه المواقع، أم أن الأمر مناقض لذلك.. إلى التفاصيل:

«المدونات شاركت في التغيرات السياسية في البلاد العربية بمناقشة الوضع السياسي وتبني مبادرات وتجارب وإبداعات، جزء منها جدير بالاهتمام والمتابعة، وكثير منها كغثاء السيل، ثم جاءت مواقع التواصل الاجتماعي وعلى رأسها الفيس بوك لتقلل من دور هذه المدونات بعد أن اتجه شباب المدونين لاستخدام خدمة «النوت» على الفيس لنشر أفكارهم».. هكذا لخصت آية الفقي صاحبة مدونة «قررت أكون عانس» التي تناقش العلاقة بين الرجل والمرأة من منظور إسلامي، حديثها حول واقع المدونات بعد ظهور مواقع التواصل الاجتماعي.

تذبذب

يتفق معها المدون تامر مبروك صاحب مدونة «الحقيقة المصرية» التي تحوّلت إلى موقع إلكتروني يرأس تحريره، مؤكدا أن المدونات لعبت دورًا مهمًا سواء على المستوى الثقافي أو الاجتماعي أو السياسي، مؤكدا أيضا أن تنامي دور الفيس بوك في السنوات الأخيرة لا يعني أيضا القضاء على أهمية المدونات، لاسيما أنها حققت في السنوات الأولى لانطلاقها قدرًا كبيرًا من الحرية التي لم يحلم بها المبدعون في يوم من الأيام، والذين عانوا لسنوات طويلة من الإقصاء والتهميش والاحتقار لإبداعاتهم، سواء في المنابر الإعلامية والثقافية، أو لدى دور النشر التي كانت تركز على أسماء بعينها بغض النظر عن قيمة المحتوى.

اتهامات لمواقع التواصل الاجتماعي بتهميش المدونات.. وآخرون يؤكدون العكس

ولفت إلى أن المدونات يمكنها أن تستعيد عرشها الذي تذبذب بسبب فيس بوك وتويتر ويوتيوب من خلال تفعيل سبل التواصل المباشر بين المبدع وجمهوره، لاسيما أنها تتميز أيضا بمساحة نشر أكبر من التي تتيحها مواقع التواصل الإلكتروني.

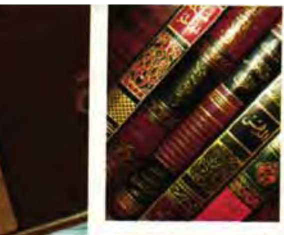
رد الجميل

بدوره، أكد المدون الفلسطيني تامر ثبانة صاحب مدونة «سباعنة» التي أنشأها على إحدى صفحات موقع التواصل الاجتماعي «الفيس بوك» أن المدونات بمختلف تخصصاتها تؤدي دورًا كبيرًا في نشر المعرفة وإثراء الساحة الثقافية بتجارب جديدة مما يساهم في تنمية وعي وفكر المواطن العربي ورفع سقف حريته وتفكيره وتعبيره عبر فضاءات رحبة.

ولفت في هذا الصدد إلى العديد من التجارب التي حققت نجاحًا كبيرًا في عالم المدونات الأدبية تحديدًا، مشيرًا إلى أن وحش العنوسة كان هو البداية التي انطلقت منها مدونة «عايزة أتجوز» للصيدلانية الشابة غادة عبدالعال، والتي أثارت ضجة كبيرة، خاصة بعد أن تحوَّلت إلى كتاب حقق مبيعات قياسية.. وهي التجربة ذاتها التي خاضتها باكينام إسماعيل، التي قاتلت الإحباط واليأس بالكتابة عبر الإنترنت من خلال مدونة «يوميات بنوته»، عبَّرت من خلالها عن حكاية كل بنت تقابل عريسها وتحدث لها مواقف طريفة ومتباينة.. أيضا رحاب أبوالعلا التي وجدت في فضاء المدونات مجالاً لإطلاق تجربتها الإبداعية التي تمخضت عنها أعمال لاقت نجاحًا كبيرًا منها «أنا مخنوقة»، «مشاكل البنات»، «كان فيه وخلص».. وأضاف أن النجاحات التي حققتها المدونات خاصة بالنسبة للمبدعين تجعل رد الجميل إليها أمرًا ضروريًا، ويتطلب ذلك ضرورة تفعيلها واتخاذ خطوات ملموسة نحو تطويرها لتواكب ما تتسم به مواقع التواصل الأخرى من جاذبية ومرونة.

إشهار مجاني

بينما يوضح المدون علي الجزائري في مدونته أن الفيس بوك من الممكن أن




يكون مصدر إشهار مجاني للمدونة إذا أحسن استخدامه، موضحا أنه من خلال الحساب الخاص يمكن التواصل ونشر آخر موضوعات المدونة في حائط الفيس بوك.

ويردف قائلا: «استفدت كثيرًا من الفيس بوك في الترويج لمدونتي والتعريف بها وجلب كثير من الزوار».

إلا أن أحمد صبري، الرئيس السابق لمجموعة الإنترنت بغرفة تنمية صناعة تكنولوجيا المعلومات، يؤكد بدوره تراجع دور المدونات أمام «الفيس بوك»، مبررا ذلك بأن المدونة تأخذ شكل الموقع ولا يوجد بها ميزة التواصل المستمر مع القراء، وهو الجانب الذي تتميز فيه مواقع التواصل الاجتماعي الأخرى وعلى رأسها الفيس بوك.

طابع خاص

أما المدونة والأديبة الشابة بسمة العوفي فتؤكد أن التدوين نوع من الإدمان لا يعوضه التواصل عبر الفيس بوك أو تويتر، موضحة أن للمدونة طابعًا خاصًا يختلف عن غيرها من أنواع الكتابة الإلكترونية، فالفيس بوك وتويتر لهما إيقاع سريع قد يكون عيبًا أكثر من كونه ميزة، فقد يشغل القارئ العديد من الصور والفيديوهات التي يتم رفعها على هذه المواقع كل لحظة، بينما جمهور المدونة دائما ما يبحث عن المعلومة أو الإبداع بكل دقة.

وتابعت قائلة: عندما أطلقت مدونتي الساخرة «ناس مبالغ فيها» لم يعلق إلا أعداد قليلة جدا، لكن عندما وضعت رابطًا لها على الفيس بوك اشتهرت، وقام بالدخول عليها المئات والتعليق على ما تتضمنه من إبداعات.

إبداع مشترك

على مستوى آخر، يوضح الشاعر والناقد مكاوي سعيد أن موقعي فيس بوك وتويتر أضافا إلى أدب المدونات نوعًا من الإبداع المشترك بين المبدع والجمهور من خلال مشاركتهم بالتعليق مباشرة على إبداعه، وكان نجاح بعض التجارب الأدبية عبر المدونات سببًا في انتشارها وتزايد الالتفاف حولها.

وأضاف أن الفضاء الإلكتروني ساعد كثيرًا على انتشار تلك التجارب الأدبية، التي شكلت قاعدة جماهيرية عريضة انتقلت من المقاهي الثقافية والنوادي الأدبية إلى العالم الافتراضي.

وتابع قائلا: إن زيادة المترددين على المدونة والتعليق على ما تتضمنه من أعمال المبدع لا يعني بالضرورة كون هذا الإبداع أدبًا حقيقيًا سواء كان شعرًا أو قصة، وقد يفتح هذا الإقبال المجال لخداع الأديب سواء في حجم موهبته أو الحكم على العمل أيضا عن طريق أصدقائه على هذه المواقع، فغالبا ما يشوب نقدهم وتعليقاتهم كثير من المجاملة والنفاق.. لذلك لابد من تقييم هذا الإبداع بواسطة ناقد متخصص.

لا تلتزم القواعد

ويعلق الروائي أحمد الشيخ قائلا: الكتابة على المدونات لا تعد أدبًا بالمعنى المعروف، لكنها نوع من الكتابة التي يجب أن يتعامل معه بحساسية وترقب، ذلك أنها نوع من الكتابة فرضته مفردات الواقع، وغالبا ما تأخذ هذه الإبداعات شكل التعبير الذاتي الذي لا يلتزم بقواعد الإبداع الحقيقية.

وتابع: إن هذه الأشكال الجديدة في الكتابة بعيدة عن المدارس المختلفة في الكتابة كالواقعية أو السريالية أو الرومانسية ولا تعد شعرًا أو قصة أو كتابة مسرحية، لافتا إلى أنها قد تعبر عن موهبة حقيقية، غير أنها في حاجة إلى مزيد من الصقل والتمكين.

فضاء إعلامي وإبداعي

أخيرا، يؤكد د.هشام عطية، الأستاذ المساعد بكلية الإعلام جامعة القاهرة، أن المدونات لعبت دورًا مهمًا في النشر لمن لم يجد قناة للتواصل مع الجمهور على وسائل الإعلام التقليدية نتيجة محدودية حرية التعبير، فساهمت المدونات والفيس بوك في إيجاد فضاء إعلامي وإبداعي كبير، أتاح وسائل غير محدودة للتعبير ونشر الخواطر والرؤى، بعيدا عن الحظر والاحتكار والتضييق الذي طالما عانى منه المبدعون في وسائل النشر التقليدية.

عالم المدونات العربي.. الكويت تحل ثالثًا

واكب ظهور هذا العالم في وطننا العربي ضجة كبرى باعتبار هذه المدونات صوت من لا صوت له، وصوت كل من تاقت نفسه للتعبير عن رأيه بحرية دون التقيد بسياسة تحريرية لصحيفة أو قناة تتبنى فكرًا معينًا. خطوات بسيطة تؤديها على أي من المواقع التي تسمح بإنشائها بعدها تكون امتلكت مدونة، لك مطلق الحرية في اختيار اسمها وموضوعاتها وصورها الثابتة أو المتحركة.

وقد لاقت هذه الظاهرة قبولاً كبيرًا بين جمهور الإنترنت عامة، والمبدعين على وجه الخصوص، حتى وصل عدد المدونات العربية وفق إحصائية عام ٢٠٠٨ إلى ٤٩٠ ألف مدونة، جاءت مصر في المرتبة الأولى من حيث عدد المدونات، تليها السعودية، ثم الكويت، ولاقت بعض المدونات شهرة كبيرة، وكان بعضها سببًا في شهرة بعض شباب المبدعين وتحولهم إلى كتاب بارزين تتسابق دور العرض التي كثيرا ما أوصدت أبوابها في وجوههم، تتسابق إلى كسب ودهم ونشر أعمالهم.

الأختام الوقفية ودلالاتها الحضارية

عبدالله محمد الكندري*

تتميز الحضارات الإنسانية على مر العصور بمجموعة من السمات تميز كل حضارة عن غيرها، فالناظر في حضارة وادي النيل يعجب من إتقان بناء الأهرام وفنون الطب القديم والتحنيط في الحضارة المصرية القديمة، والمتابع لحضارة اليونان والرومان بعدهم يلفت نظره دقتهم في بناء المدرجات والهياكل، وحرصهم على تزيين القصور والقلاع.

وأما الحضارات الشرقية في الهند وبلاد فارس فلها صور أخرى من المميزات، فهي تميل إلى الإعجاب بالزينة والزخرفة وبهاء الألوان، وهكذا تتنوع هذه الصفات وتتعدد هذه المميزات من موضع لآخر، ومن حضارة إلى أخرى.

من أشهر ما تميزت به منطقتنا الخليجية نشأة فن الأختام بها، فقد تم العثور على أقدم أشكال الأختام التي صنعها الإنسان في منطقتنا الخليجية، ومنها انتقلت إلى سائر مراكز الحضارة الإنسانية في العالم.

وقد أسفرت سلسلة الحفريات الأثرية التي بدأت سنة ١٩٥٨م في الكويت، وخاصة في جزيرة فيلكا، عن مجموعة كبيرة من الأختام يقارب عددها ستمائة ختم، ويعود أقدم هذه الأختام المكتشفة إلى فترة الألف الثاني قبل الميلاد.

وقد صُنعت معظم هذه الأختام المكتشفة في جزيرة فيلكا من الحجر الصابوني، واتخذت الشكل الدائري الشبيه بالزر المقبب من الخلف، وهو الشكل المميز لأختام المنطقة التي تُعرف بـ«أختام الخليج العربي» و«الأختام الدلمونية».

ويدل شيوع هذه الأختام في المنطقة الخليجية على رقي المستوى الحضاري عند سكانها، وأنها دليل على توجه الإنسان نحو الاهتمام بالملكية الخاصة، حيث استخدمت هذه الأختام للتعرف على الممتلكات الشخصية، وختم المقتنيات الثمينة لحفظها، وكذلك ختم العقود والبضائع التجارية.

وأما ما ورد في اتخاذ الخواتم والأختام في شريعتنا الإسلامية، فأشهر ما جاء فيها الحديث المتفق عليه، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال:

«إن النبي ﷺ أراد أن يكتب إلى كسرى وقيصر والنجاشي، فقيل: إنهم لا يقبلون كتابًا إلا بخاتم، فصاغ رسول الله ﷺ خاتمًا حلقته فضة، ونقش فيه «محمد رسول الله»».

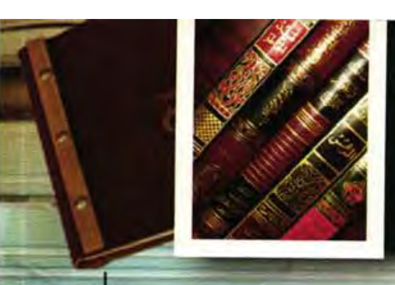
ومثله ما ورد في صحيح مسلم- رحمه الله- من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه:

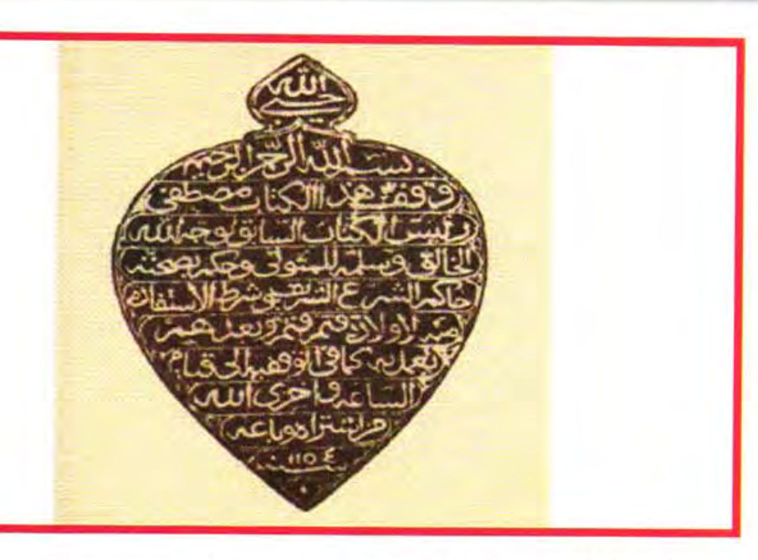
«إن النبي ﷺ اتخذ خاتمًا من فضة، ونقش فيه «محمد رسول الله» وقال للناس: «إني اتخذت خاتمًا من فضة، ونقشت فيه «محمد رسول الله» فلا ينقش أحدٌ على نقشه»».

ومن ألطف من صنف في هذه المادة الشرعية الخاصة في الفقه، الإمام زين الدين أبوالفرج عبدالرحمن بن رجب الحنبلي، رحمه الله تعالى، ت ٧٩٥ هـ،



* باحث في جامعة الكويت





الذي ألف كتابًا سماه «أحكام الخواتم وما يتعلق بها»(١).

ثم تنوعت الحاجات فيما بعد في اتخاذ الخواتيم، فمنها ما هو خاص بالعقود الشرعية من بيع وشراء وأنكحة، ومنها ما هو متصل بالقضاء وتنفيذ الأحكام، وأختام أخرى خاصة بالمراسيم السلطانية والمراسلات الملوكية، وغير ذلك من الشؤون العامة والخاصة مما يحتاج إلى ضبط وتوثيق.

ومن أشهر حاجات الأختام أختام الوقف، وللوقف أشكال وصور عديدة، فمنها ما كان وقفًا على الحرمين الشريفين مثلًا، وهناك أوقاف أخرى على المساجد والمدارس، وغير ذلك من أنواع الوقف، وهذه الوقفيات لا يزال الكثير منها مصانًا محفوظًا في مواضع وقفه، وكثير منها تعرض للضياع والتلف.

ومن اللطائف التي تُذكر لشروط الواقفين ما ذكره العلامة المؤرخ ابن العماد الحنبلي، رحمه الله تعالى، ت ١٠٨٩هـ، في كتابه الماتع «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»، في وفيات سنة سبع وسبعمائة، في ترجمة رئيس مصر الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخرالدين محمد قوله:

وقال ابن فضل الله: رأيت إلى جانب تربته مكتب أيتام، وهم يكتبون القرآن في الألواح، فإذا أرادوا مسحها غسلوا ألواحهم وسكبوا ذلك على قبره، فسألت عن ذلك، فقيل لي: هذا شرط الواقف، وهذا قصدٌ حسنٌ وعقيدةٌ حسنة (٢).

ومن أبواب الخيرات التي شارك فيها معظم طبقات المجتمع الإسلامي وقف كتب العلم، ليدخلوا من باب قوله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» (رواه مسلم)، حتى أصبح وقف كتب العلم ظاهرة اجتماعية تميز بها المجتمع الإسلامي ولا يزال.

وقد تنوعت صيغ هذه الوقفيات العلمية من الكتب، فمن الواقفين من وقفها على ولده وولد ولده خاصةً دون غيرهم، ومنهم من وقفها على أهل مذهبه دون غيرهم من المذاهب، وربما خص الواقف أهل بلد دون غيرهم، مثل وقف كتب بعينها على رواق الشوام، أو رواق الأتراك بالأزهر الشريف، أو أن يكون وقفًا عامًا شاملًا لكل طلبة العلم.

والمتابع لنوعية الأختام الوقفية على أغلفة المخطوطات الإسلامية يجد بسهولة اهتمام المجتمع المسلم بكتب العلم، والحرص على وقفها على دور العبادة والتعليم، ويكتشف من خلالها نوعية المشاركين في هذه الوقفيات.

وربما جاء الوقف عبارة عن كلمة واحدة فقط بهذه الصورة «وقف»، وتزيد في بعض الأحيان لتصبح «وقف لله تعالى»، ثم تنوعت الأختام وتعددت أشكالها، واختلفت صيغ الوقف وأساليبه بحسب غايات واقفيها وشروطهم، لتصبح مادة علمية استفاد منها المؤرخون، لتقييم التطور الحضاري لهذه الأمة المباركة.

وهذه أمثلة عملية لأختام هؤلاء الواقفين، تنوعت فيها الشروط والتواريخ بجميع طبقات المجتمع الإسلامي، فمن داخل القصر السلطاني خاتم وقف للسلطان محمود خان، وخاتم آخر للصدر الأعظم رئيس الوزراء إبراهيم باشا، وخاتم ثالث لرئيس الكتاب مصطفى، ورابع لشيخ الإسلام فيض الله أفندي.

ومن أمثلة ذلك أيضًا خاتم لنقيب الأشراف شيخ زاده محمد أسعد، وخاتم لرجل من عامة المسلمين يُدعى سليم آغا.

وللنساء نصيب أيضًا في هذا الباب الواسع من الخيرات، كما جاء في خاتم السلطانة مهرشاه سلطان أم أمير المؤمنين السلطان سليم خان، وخاتم آخر باسم امرأة تُسمى الحاجة عائشة، زوجة السيد الحاج أحمد جميل.

وللعلامة الأديب، القاضي الفقيه المالكي (٣)، أحمد بن علي بن حسين بن مشرف الوهيبي التميمي الإحسائي، رحمه الله تعالى ت ١٢٨٥هـ، قصيدةً لطيفةً في بيان فائدة أختام الوقف،





وكيف استفاد القاضي منها في إصدار أحكامه:

الحَمْدُ للهِ الذي قَدْ أبْطَلا
بِشَرْعِهِ حِيلَةَ مَنْ تَحَيَّلا
ورامَ بالحِيلَةِ أنْ يُحَلِّلا
ما حَرَّمَ الشرعُ لهُ وعَطَّلا
وبعد ذا فَأَفْضَلُ التحيهْ
نُهدي إلى ذي الشِّيَمِ المَرْضِيَّهْ
فَقِيهِ عصرِهِ بلا مُدافِعِ
ذي الفضلِ والعلمِ الشريفِ النافعِ
عبداللطيف ابْنِ أئمَّةِ الهُدى
مَنْ نُصِرَ الدينُ بهم وجُدِّدَا
وبعد ذا يا صفوةَ الإخوانِ
طُرًّا ويا نادرةَ الزمانِ
ماذا ترى في رَجُلٍ لئيمِ
يدعونَهُ الجُهَّالُ بالحكيمِ
أرادَ أن يَسْلُبَ وَقْفَ المَسْجِدِ
لِقِلَّةِ التَّقْوى وعِظَمِ الحَسَدِ
فاحْتالَ مَعْ جماعةٍ في وَرَقَهْ
مَكْذوبَةٍ مَصْنوعَةٍ مُخْتَرَقَهْ
حَوَتْ مِن كُلِّ باطلٍ مُزَيَّفا
مِثْلَ دَمٍ على قَميصِ يُوسُفا

يدل شيوع الأختام في المنطقة على رقي المستوى الحضاري لدى سكانها

فَساقنا الشيخُ إلى القاضي الذي
قَدمْتُهُ أكْرِمْ بِهِ مِن جِهْبِذِ
أحْضَرنا واسْتَنطقَ الخَصْمَ فَمَا
رَأى لَديهِ حُجَةً واسْتَعْجَمَا
حَتّى رَآهُ يُشْبِهُ المُبَرْسَمِي
يَهْذي ولَمْ يُحْسِنْ ما يُكَلِم
ولَم يَزَلْ عَنْ أَمْرِهِ يَسْتَخْبِرِ
حَتّى بَدَا الأمرُ الذي لا يُنكَرُ
صَكٌ عليهِ خَتْمُ قاضي البَلَدِ
لا يستطيعُ جَحْدَهُ مِنْ أحَدِ
أثْبَتَ أنَّ النخلَ وَقْفُ المسجدِ
فزالَ لَيْلُ الشكِ والترددِ

وقد أبانَ إنما الحكيمُ
مُزَوِّرٌ وأنَّهُ أثيمُ
بِجَحْدِهِ لذلكَ العَقارِ
وبَيْعِ مائِهِ الزُلالِ الجاري
قد باعَهُ بمائَتَيْ ريالِ
صِيغَةَ المُخادِعِ المُحْتالِ
وجاءَ بالتَّمْويهِ للعِبارَهْ
مُطَوَّلٌ لِمُدَّةِ الإجارَهْ
إلى ثلاثمائةٍ سنينا
يُخادعونَ اللهَ والذينا
تلاعُبٌ بالدينِ واسْتِهْزاءْ
كأنَّهُم لَمْ يَقْرَأوا الإحْياءْ (٤)
فما ترى في مثلِ ذا المُزَوِّرِ
هل هو بالتأديبِ والحَبْسِ حَري
أو أنَّهُ يَسْتَوْجِبُ النَّكالا
كما نَرى في ديننا مُحْتالا
فامْنُنْ علينا بالجوابِ الشافي
في رَدْعِكُمْ للظالمينَ كافي
لا زِلْتُمُ للعالَمينَ مَنْهَلا
ورادعينَ كُلَّ مَن تَحَيَّلا
ثُمَّ صَلاةُ اللهِ والسلامُ
ما اخْتَلَفَ الضياءُ والظلامُ
على النَّبيِّ العَرَبيِّ أحْمَدا
وآلِهِ ومَنْ بِهَدْيِهِ اهْتَدى

الهوامش

١. أحكام الخواتم وما يتعلق بها لابن رجب الحنبلي- دراسة وتحقيق د. محمد محمود الوائلي- ١٩٨٧م- مطابع الرحاب بالمدينة المنورة.
٢. شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي: ٨/ ٢٨- دار ابن كثير- دمشق- بيروت- ١٩٩٢م.
٣. الأعلام للزركلي: ١/ ١٨٢.
٤. كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي رحمه الله تعالى.



صَوَابٌ مَهْجُورٌ

تصوير ونص: حياة الياقوت

قيل قديمًا «خطأ مشهور، خير من صواب مهجور». وإذا كان المعيار هو الشهرة، ألم يأنِ للصواب أن يكون مشهورًا ومعمولا به؟

في هذه الزاوية، نقبض على خطأ لغوي مشهور سوّل له إهمالنا أو جهلنا أن يظهر على اللافتات أو المنتجات أو في وسائل الإعلام. هذا، لننبّه وننوّه وننصَح، لا لنفضح. ليكون الصواب هو المشهور والمجهور، وليستقيم درب لساننا العربي.

تاريخ الإنتهاء : ١١ / ٢٠١٥
الوزن الصافي : ٠,٥ غرام
معبء فى الكويت

العبء المعبّأ

الخطأ: معبء في.

الصواب: معبأ في.

الهمزة المتطرفة (في آخر الكلمة) تكتب بطريقة تناسب حركة الحرف السابق لها، بغض النظر عن حركة الهمزة نفسها.

فإذا كان الحرف السابق للهمزة مفتوحا، كما هو الحال في كلمة «معبَّأ» حيث إن الباء مفتوحة، كُتبت الهمزة على ألف لأن الفتحة تشبه الألف.

أما إذا كان الحرف السابق للهمزة مكسورا، كتبت على نبرة (تشبه في شكلها الياء، فالكسرة ياء قصيرة)، مثل شاطئ.

إما إذا كان الحرف السابق للهمزة مضموما، كتبت على واو، فالضمة واو قصيرة، مثل لؤلؤ.

وإذا كان الحرف السابق للهمزة ساكنا، كتبت على السطر. مثل بُطء وسماء.

الذهب النضار في أمر «الانتضار»

الخطأ: بانتضاركم

الصواب: بانتظاركم

الصحيح «انتظار»، وليس انتضار.. ولم أقف على كلمة «انتضار» في المعجم، لكن لو وجدت ستكون مشتقة من النُّضار وهو الذهب الخالص.

الخلط بين الضاد والظاء شائع جدا خاصة في الخليج، ويبدو أن كاتب هذا الإعلان معجب بكون اللغة العربية لغة الضاد، فحول الظاء إلى ضاد، والتفرقة بينهما ليست سهلة دائما، لكن يمكن اللجوء إلى المقامة الحلبية التي نظمها الحريري، وهي قصيدة جاء في جزء منها جمع لجذور جميع الكلمات العربية التي فيها حرف الظاء، فيكون ما عداها ضادا.. ويقول في بدايتها:

أيها السائلي عن الضّاد والظّا
ء لكَيْلا تُضلّهُ الألْفاظُ
إنّ حِفظَ الظّاءات يُغنيكَ فاسمعْ
ها استماعَ امرئٍ لهُ استيقاظُ



وهناك بعض الكلمات البسيطة الواردة في المقامة، والتي ترد بالضاد وبالظاء (مع اختلاف المعنى)، مثل ضل وظل، حضّ وحظ، لكنها قليلة ويمكن حفظها.

ويظن البعض خطأً أنه يمكن التفرقة بينها بمحاولة نطق الكلمة بلهجة أهل الشام أو مصر، فإذا نطقها ضادا، كانت كذلك وإلا كانت ظاءً.. وهذا رأي غير دقيق، فكلمات مثل عظم وظهر تنطق بالضاد في لهجات الشام ومصر.

وتظل الطريقة الأسهل والأضمن هي تعويد النفس على التفرقة بين هذا الكلمات من خلال الاطلاع، أو الرجوع إلى المعجم أو المقامة الحلبية في حال الشك.

مكر اللغة ودهاؤها

عبدالله أيت الأعشير *

ابتسار موضوع «مكر اللغة» من الموضوعات القديمة الذي حلَّقت فيه أجنحة الأوائل حتى أتوا فيه بالمتخير اللباب الذي أدرك كل الصيد في جوف الفرا. وقد بقي في بطون أمَّات الكتب والمعجمات ينتظر من يزيل عنه الأصداف التي تمنع المفنَّين وعموم القراء من إدراك خباياه وزواياه المغطشة. وفي هذا العصر الذي تداعت علينا فيه الأمم- نحن العرب- من كل جانب، يعد إهمال الاهتمام بهذا الموضوع نتيجة من نتائج الغفلة في التعامل مع ألفاظ وتعابير اللغة كخادم يساعد على تحديد المعنى، أما التعامل مع تلك الألفاظ والتعابير باعتبارها أخلاء وأخدان دُهاة ماكرين، بقدر ما يبدون مكنوناتهم، يصرون على إخفاء ما لا يصح إظهاره تأدبا وتلطفا تارة، وإمعانا في الإضمار والإخفاء لأغراض خبيثة تارة أخرى، فإنه ظل شأوا مُغرَّبا وعنقاء مُجنَّحة، لا يقدر عليهما إلا المترهيون الحذاقيون الذين عجموا عود النصوص وسبروا غور خبيئها الذي يصر مبدعوها على التعتيم واللبس والغموض، اعتمادا على طرائق تعبيرية أساسها الحذف والتقديم والتأخير والإيجاز والتعابير المجازية التي تتطلب فطنة وحذاقة ملمة بأسرار اللمحة الدالة والومضة البارقة التي تتخفى وراء غلالتها مثل تلك العبارات الساحرة.

إذ أعلن أنني لست سوى فرع من أيكة أُبَيْناء الكلام العربي المبين الذين شقوا كمَّ دهاء اللغة ومكرها، وأتوا فيه بما يعجز الطوق، فإنني أضع بين أيدي القراء هذه الكلمات والعبارات التي تعتورها الألسنة صباحا ومساء من دون أن ندرك أنها بمكرها ودهائها، تفعل في المجتمع ما يفعله السوس في الخشب. فلماذا نطوي كشحنا عن مثل هذه العبارات التي تشفع السم بالعسل، ولماذا بقيت هذه الناحية من البحث غير مستقصاة، ولماذا لوَّن الغرب اتجاهاته في هذا الموضوع ألوانا شتى وطرائق قددا؟ بينما نحن لا يمضي علينا الوقت من دون أن يقيم الشاهد على غفلتنا، كما يتجلى ذلك في غير قليل من هذه التعابير التي تجري رسْلات على الأسلات من دون أن ندرك غورها الذي يَعد قيَمنا الأصيلة بالمحو والإبادة. ولقد أنهضني إلى الخوض في هذا الموضوع كثير من معارض العبارات التي عميت علينا أنباؤها ودسائسها، ومن ثمة نتناولها محلولا منعشا، ونشربها شرابا نميرا من دون الانتباه لصميم حقيقتها التي تدعونا أن نسلك طريقهم حذو النعل بالنعل. وقد وأَيْتُ وغَزوتُ من هذا المقال أن أثير شهية المتأدبين للخوض في هذا الموضوع الذي يهدي إلى السبيل الناهجة، وأن أكون أنا النذير العريان لهذه الطرائق القدد التي تتشعب بنا إلى مزالق الرأي، ومضلات التدابير التي بدأت تمد رؤوس الشياطين في مؤسسات المجتمعات المدنية العربية. وقديما قيل: العاشية تُهيِّج الآبية.

> **لا ينتبه كثيرٌ من الصحافيين إلى خطورة استخدام عبارة «التبشير الديني» التي تحمل منتهى الخداع اللغوي**

أولا: تحديد معنى المكر

جاء في الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري: «المكر: الاحتيال والخديعة» (١) وفي لسان العرب لابن منظور: «مكر: الليث: المكر احتيال في خفية... ابن سيدة: المكر الخديعة والاحتيال... والمكر: المَغْرَة... ويقال للأسد: كأنه مُكِرَ بالمكر أي طلِيَ بالمَغْرة. والمكر سقي الأرض؛ يقال: امكروا الأرض فإنها صُلبة ثم احرثوها، يريد اسقوها... والمكر ضرب من النبات... ابن سيدة: والمكر حُسن خدالة الساقين... ابن الأعرابي: المكرة الرُّطبة الفاسدة. والمكرة: التدبير والحيلة في الحرب. ابن سيدة والمكرة الرطبة التي قد أرطبت كلها وهي مع ذلك صلبة لم تنهضم». (٢) جاء في حاشية مقدمة محقق كتاب «الترجمان عن غريب القرآن»: «يرجع معنى المكر إلى أنه تدبير أمر في خفاء، ومعلوم بداهة أن ما يدبر في الخفاء لا يلزم أن يكون شرا، بل قد يكون خيرا، ثم اكتسب المكر في تصورات العامة صورة مستهجنة، تخصيصا منهم للمكر في تدبير ما هو شر...» (٣) إننا بإزاء ما يسميه علماء اللغة تخصيص الدلالة، حيث إن دلالة المكر في البدء كانت عامة تدل على تدبير أمر في الخفاء قد يكون للخير وقد يقصد منه الشر، ثم حالت أحوال قصرت استعمال اللفظة على الخداع والاحتيال، شأنها شأن كثير من الألفاظ التي يقص الاستعمال اللغوي بعض أطرافها مبقيا على معنى خاص نتيجة للتغيرات الذوقية والسياسية والفنية والاجتماعية والدينية مثل الألفاظ

* مفتش منسق جهوي لمادة اللغة العربية الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين- المغرب



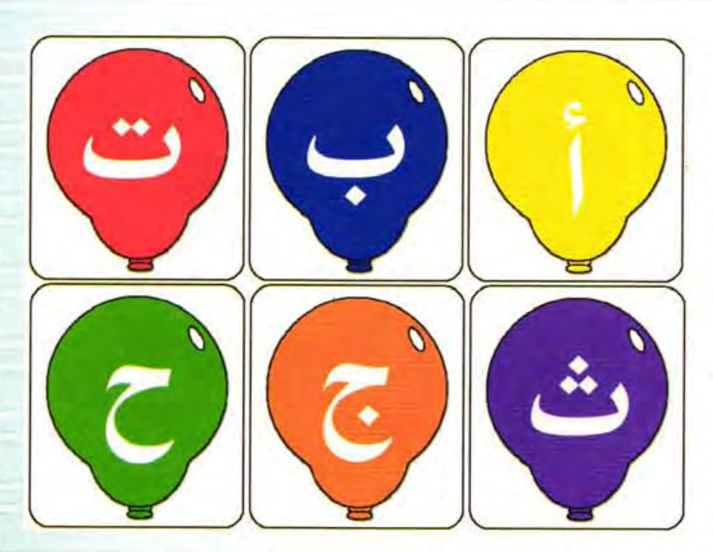

الآتية التي كانت دلالتها عامة ثم خصصت بشيء محدد: الصلاة والنفاق والفنان والسبت والمأتم والعذراء والتلاميذ والأستاذ والصفقة والكعبة وهلم على ذلك جرا وسحبا.

ثانيًا: دلالة لفظة المكر في القرآن الكريم

أورد القرآن الكريم هذه اللفظة (مكر، يمكر، مكرا، الماكرين، مكرهم، مكرهن، يمكرون، مكرتموه، مكرنا، مكروا، تمكرون...) سبعين مرة (٧٠) والملاحظ من استقراء استعمالات القرآن لهذا الجذر اللغوي، أن الله- جلَّ في علاه- تارة يبقي اللفظ من دون صفة، وتارة أخرى يلحق به صفة السوء والكُبَّار. قال تعالى من سورة فاطر آية ٤٣: ﴿استكبارا في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله...﴾ وقال من سورة نوح آية ٢٢: ﴿ومكروا مكرا كبارا﴾. وقال أيضا من سورة النحل آية ٤٥: ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض...﴾. إن الذي يقرو دلالة (المكر) ويكتلئ الاستعمالات التي وردت فيها، لا يساوره شعاع من الريب في أن القرآن الكريم أبقى على دلالة (المكر) عامة يراد بها تدبير أمر في خفاء قد يكون للخير، وقد يكون للشر. «والله تبارك وتعالى يمكر وهو خير الماكرين، ولذلك ذم الله المكر السيئ، ولم يذم مطلق المكر» (٤) وهذا يحذقه من كان دريا بلغة القرآن الكريم الذي لم يبق من روض الكلمات العربية الأبكار كلمة إلا افترعها وشق كمَّها، ولا عبارة شائقة ماتعة إلا اقتنصها بكيفية معجزة تُوَلِّد عجائب لا تحصى ولطائف لا تستقصى، تدعو الباحث إلى الاستفراء والمكابدة والاعتيام وقرع ظنبوب الاجتهاد لأجل الظفر بشعاع من شمس معرفتها.

ثالثًا: دهاء اللغة

وهو مذهب يغزو التلطيف والتليِّين تارة، والدهاء والتغليظ والتعنيف تارة أخرى، لأجل حجب المعايب وتغليف القول المراد بطبقات أسلوبية معمَّاة تفضي بالمتلقي إلى التقبل والرضا، وبالمُرسل إلى الفلج والظفر بالمراد. فهذا خليفة أراد حماية صديق له مُدْمِن على شرب الخمر فقال للوالي: «إذا أحضر أحدهم هذا السكير، فاجلد الذي أحضره مائة جلدة، ثم اجلد السكير ثمانين جلدة! فلمَّا تسامع الناس بأمر الخليفة لم يجرؤ أحد على الشكوى من السكران!» (٥) ومثل ذلك مثل المنجِّمَيْن اللذَيْن استطلعا مستقبل أحد الملوك فقال الأول للملك بأنه سيكون أول من سيتخَرَّمُه الموت من أهله، وهي حقيقة أفزعت الملك الذي أمر بطرده والإساءة إليه. ولما تسامع الآخر بخبر المنجم الأول قال للملك في حيلة ودهاء بعد أن تأكد هو الآخر من دنو أجل الملك: إنك يا مولاي لن تفجع بأحد من أهلك طوال حياتك. فسُرَّ الملك لمقالته وأكرمه، رغم أن المقالتين تتفقان في أن الملك هو أول من سيموت، لكن الثاني تلطف واحتال، ولم يقل كما قال الأول الذي لم يحترس بعقله من قوله. وفي إطار الملاطفة مع النبي ﷺ، وظف سبحانه وتعالى في سورة «المجادلة» فعلَيْن مختلفين في درجة التلطيف، فعندما تَعلق الأمر بكلام المرأة التي تشتكي زوجها للنبي ﷺ، استعمل فعل (تجادلك) وعندما اشترك معها الرسول ﷺ في الكلام تلطف القرآن قائلا: (والله يسمع تحاوركما) لأن



التحاور ألطف وألين من الجدال والمجادلة.

ويعد هذا الدهاء والتلطف الذي تجود به اللغة، طريقة أسلوبية حكيمة تنعت في البلاغة بأسلوب الحكيم، وهو ضرب لا يستطيعه إلا الحذاق المترهيون أبيناء الكلام العربي، إذ إن تتبع هذه الظاهرة اللغوية (مكر اللغة ودهاؤها) بات يتطلب فطنة وحذاقة ولوذعية قادرة على استجلاء الأغراض الخفية لبعض الألفاظ والعبارات التي تشفع السم بالعسل أملا في توجيه نظرة المجتمع نحو غايات سافلة، وقيم منحطة إن كتب لها الذيوع والانتشار فستذهب مستقبلا بالأوتاد، وتعصف بكيان الدول الإسلامية. لهذا وَأَيْتُ على نفسي وجردت العزم على هتك أستار تزيين وتلطيف بعض الأقاويل التي تروج لها بعض الدوائر التي انسلت من القيم الدينية كما تنسل الأفعى من خرشائها في مثل هذه العبارات التي تنكبت سبيل الحق في تسمية الأشياء بمسمياتها الحقيقية، مثل العبارات الآتية التي استوردناها من مدنية الغرب الذي يعوم في محيط من المفاسد الأخلاقية، التي يرجو- في إطار كونيته المسلطة على الضعفاء سيفا بتارا- أن نركب معه قاطرة العولمة بقضها وقضيضها من دون أن يسمح لنا بالتوفر على غربال واسع الثقوب يمكننا- في أثناء هزهزته- من الإطاحة بالمضلات الكثر التي تفعل في هُويتنا العربية الإسلامية ما يفعله السَّرف في المال.

أ- تعبيرات الحقل الاجتماعي

- الأمهات العازبات.
- الأمهات الوحيدات.
- الأطفال المتخلى عنهم.
- الزواج المسيار.
- المثليون.

• التحرش الجنسي.

لا ريب أن مثل هذه العبارات التي لم نسمع بها وبمثلها في آبائنا الأولين، لا تنتشر إلا في المجتمعات التي ماسحها الغرب، وختلها ختلة السِّرحان، فزين لها سوء أفعالها حتى حادت، أو كادت أن تحيد عن القيم الدينية الأصيلة، ومن ثمة أضحت البَغيُّ أمًّا عازبا، والبُهْثة ولدا مُتخلَّى عنه تأمل قوله تعالى في سورة مريم لما بشَّرها المَلَك بعيسى عليه السلام. آية ٢٠: ﴿قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا﴾ حيث سارعت إلى نفي صفة البغي عنها مثلما نفاها قومها عن أمها في السورة ذاتها. آية ٢٨: ﴿يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا﴾. وإذ ثبت بما لايدع رسيسا من الريب أن هذه العبارات وغيرها من إنتاج مجتمعات الغرب اللائكية، فإن أفضل ما نوطئ به الكلام في هذه الناحية الدعوة إلى تجفيف منابعها، ومحوها من الوجود العربي الإسلامي، لأنها عبارات من السوأة الصلعاء العارية عن الفضيلة. وإذا كان الغرب قد غرق في أوحال التفكك الأسْريِّ والاجتماعي، وجعل أنفه في قفاه حتى انتهى إلى دركات الانحلال الأخلاقي التي يلبس فيها الحق بالباطل، فإن هذا الخطب البازل المستحكم، لا يميته إلا ترك هذه المضلات، وتجفيف منابع تلك المفاسد بالعودة إلى القيم الإسلامية التي تحرم الزنا وتجرم النتائج المنكرة المتولدة عن تعاطي الفاحشة. إذ لا يخفى على الذابر الذي استوشى حقيقة هذه الاصطلاحات أنها بمثابة مقدمات الحروب الناعمة التي يدبرها الغرب اللائكي فتغنيه- في الغالب الأعم- عن تكاليف الحروب العسكرية، لأن المقاومة بالكلمة تتصدر الجيوش الحقيقية، فإذا لم تغن كلمات اللغة عن المقاومة بالفعل،



فإنها تؤسس لمرحلة التخصيب والدهاء وزرع الأجنَّة اللغوية المُعَدَّلة على شاكلة عبارات السوأة الصلعاء الآنفة، لتدمير الخصوصيات اللغوية لصالح تيار العولمة المستأسد على دول الأطراف والحواشي، تخلخل وترجرج كلماتها وما تقوله تلك الكلمات رويدا رويدا، وعندما تطمئن إلى تمظهرات سمومها التي تسري في جسد تلك اللغات، ترفع رؤوس شياطينها، وتكسر رماح الكلمات التي تدافع عن حوزتها رُمْحًا رُمْحًا حتى لا تجتمع فتتأبى على الانكسار. وقديما قيل: يُبْلغ الخَضْمُ بالقَضْم.

ب- تعبيرات الحقل الديني

وفي الميدان الديني يبدو الدهاء والمكر والاحتيال في أوضح تجلياته، إذ إن الغرب المستبد أحكم خطة بزلاء تتمظهر تارة في لباس التشدد والغلظة، لعلمه أن للقسوة موضعا لا ينبغي الاستغناء عنها، كما في عباراته المنكرة الآتية، التي تكشف عن وجهه البغيض، الذي يتقصَّدُنا بالجافي من القول، والمنكر من الصفات التي تفتقر لأدنى شرائط التأدب والكياسة، مؤكدا في إصرار أن الذي يؤثر تلك الفعال فسوف يصلى سعير نيران طائراته، وكان ذلك عليه هينا يسيرا، كما يتبدى من الصفات والعبارات الآتية:

• محور الشر.
• الإسلاموفوبيا.
• الإرهاب والتطرف.
• الانتحاريون الفلسطينيون.

وفي أحايين أخرى يتبدى في لباس اللطف والمشاورة، لعلمه أن للتلطيف واللين موضعا ينتفع به، مستفيدا من نصائح المترهيِّين الدواهي في سياسة القول «وكان يقال: قارب عدوك بعض المقاربة، تنل حاجتك، ولا تقاربه كل المقاربة، فيجترئ عليك عدوك، وتذل نفسك ويرغب عنك ناصرك» (٦)، لذلك أحكم خطة ستربها إرْبه حتى يعرف بالماسحة التي تقضي له حاجاته من دون كد، لأنه أبصر الثلم والمعايب التي يتقحَّم منها على الشعوب المتخلفة التي يعُدُّها أغر من الظبي المُقْمِر، ومن ثمة لا يتوانى في الظهور بمظهر المكر والتودد والاستمالة لأجل شرب عباراته المستفرهة المُعمَّاة شرابا سائغا نميرا، لأنه دبر خطة بزلاء أساسها انتقار المفردات والعبارات المغرية ببريقها وبرقها الخُلَّب مثل عبارة:

• «دولة إسرائيل» إذ لا امتراء أن هذه العبارة التي تنسب اليهود إلى أبيهم «يعقوب» تنبض بغير قليل من الدلالات الدينية التي توحي أولا بشرف الانتساب إلى إسرائيل، وآخرا بإقامة كيانهم على أساس ديني يدعو إلى العطف والشفقة من خلال استحضار عذابات « يعقوب» عليه السلام.

أما عبارة: «التبشير الديني» التي أصبحت تجري على ألسنة الصحافيين في كثير من وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة، من دون الانتباه إلى خطرها الإيديولوجي والديني، فإنه يسعى- من خلالها- إلى خلخلة يقينيات المسلم، من خلال التسويق للحمولة العاطفية التي تدل



عليها. إنه هو المبشر الحامل للخير والمحبة والسلام، بينما يدل غيره على التنفير والإرهاب. وهذا منتهى الخداع اللغوي الذي يركب السَّخْبر لتزيين تحويل الناس عن معتقداتهم، وكسب أنصار جدد ينضمون إلى لائحة الأقليات في المجتمعات العربية، ومن ثمة افتراء الدفاع عن حقوق معتقداتهم ولغاتهم، وهلم على ذلك جرا وسحبا.

ج- تعبيرات الحقل السياسي

- دول الطوق.
- عملية السلام.
- المستعمرات الإسرائيلية.
- محور الاعتدال.
- الشرق الأوسط الجديد.
- الاتحاد من أجل المتوسط.
- الحقوق اللغوية.

هذه العبارات التي ظاهرها الحياد، وباطنها من قبله التدليس، قد دبرت الإمبريالية والصهيونية جريانها على ألسنة الصحافيين، غايتها حجب الحقيقة التي تقولها بمكر سيئ ودهاء مدبر، تارة باعتماد التغليظ اللغوي الذي يظهر الجانب السيئ للعبارة، كما في عبارة: «الانتحاريون الفلسطينيون» الآنفة، وكأن الفلسطينيين ليست لهم قضية، ولم يفرض عليهم العدو أشد أنواع الحصار الذي لم يبق لهم سوى أن تتفتق عبقرياتهم عن طريقة جهادية فعالة لإرهاب العدو. أما عبارة «دول الطوق» فتكشف كما يؤكد د.نبيل علي في كتابه «العقل العربي ومجتمع المعرفة: مظاهر الأزمة واقتراحات بالحلول» عن إيديولوجية ماكرة مؤداها أن إسرائيل حمامة ترمز إلى السلام، ويطوقها أعداء لدٌّ يهددون كيانها، ولذلك يتعين على الغرب أن يقوي سلطانها على دول الممانعة. وإذا كانت عبارة «الحقوق اللغوية»- في ظاهرها- ترمي إلى الإنصاف والعدالة، فإنها عند إنعام النظر في خباياها، تسعى إلى تقويض التماسك المجتمعي والسِّلم اللغوي، بزرع الفتنة اللغوية بين أبناء الشعب الواحد، وتأجيج الاقتتال حول الكلمات، وما تقوله تلك الكلمات واللهجات بالنسبة إلى كل طائفة من أبناء الشعب الواحد، لضمان الحماية اللغوية، وإنقاذ اللهجة من الموت، وامتلاك الوسائل الإعلامية المروجة لها. ومن ثمة تصوير تلك اللهجات كأنها مائدة المَنِّ والسلوى، التي يجب على العرب أن يأكلوا منها لركوب قطار العولمة. هذا نذير من النذر الذي يُطل برأسه الشيطاني الليطاني على مشهد مأساة الانتحار اللغوي، والذي يقول في دهاء مدبر، وتواطؤ منكر: إن العربية الفصحى خرساء لا تكاد تبين، ومن ثمة يحسن بالعرب أن يستبدلوا بها اللهجات التي تزودها الشعوب بالخميرة اللازمة للبقاء والتواصل المفضيين إلى تفتيت وحدة اللسان، ومن ثمة فقدان الثقة باللغة العربية الفصحى، والعزوف عنها وعن استعمالها، والتهاون في فقدان كلماتها وما تقوله تلك الكلمات! ويؤكد اصطلاح «عملية السلام» بما لا يدع رسيسا من الريب أن عملية السلام لا أول لها ولا آخر، فهي عملية طويلة الذيل، قليلة النيل، بحيث إن أي حل جزئي لقضية من القضايا، تتولد عنه أمَّات قضايا أُخَر لم تكن في الحسبان. وهذا هو السر في أن عملية التفاوض تراوح مكانها لا تبغي عنه بديلا، مادامت تسمح للصهيونية بقضاء مآربها في السيطرة على أكبر قدر من الأراضي الفلسطينية التي تنبت فيها المستوطنات كما تنغش التينة بالدود.

هناك بعض الحيل الأسلوبية التي تروج لها العولمة بوسائلها الذكية وحبائلها الشيطانية

رابعًا: تأزير

هذه نغبة طائر في هذا الموضوع الذي يجب أن تتوجه إليه نابهة الأمة العربية لتبصرة شعوبها بالمُنْعِلات التي يرمينا بها الغرب المعولم، فنزيل عن أعيننا العُصاب التي تحجب عنا حقيقته كاملة. وإذ أدْرِكُ أن البحث في موضوع «مكر ودهاء اللغة» سيتشعب في قادمات الأيام بعديد التحليلات والتسويغات والترجيحات، فإنني أرجو أن أكون أنا النذير العريان في الإبانة عن بعض الحيل الأسلوبية التي تروج لها العولمة بوسائلها الذكية، وحبائلها الشيطانية، التي تجعلنا نتمتَّك محلول مصانعها اللغوية التي تمدها بلاغة الدهاء بالوقود الكافي لإلقاء عصا التفرقة بيننا، وإلهائنا بسفاسف الأمور التي تذكيها الفتن اللغوية التي بدأت تطل برؤوسها الشيطانية المشتعلة بيننا على مستوى القطر الواحد. وقانا الله شر هذه العاقبة. آمين.

الهوامش

الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية- تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق أحمد عبدالغفور عطار- الجزء الثاني. باب الراء فصل الميم- ص ٨١٩ الطبعة ٤- كانون الثاني/ يناير ١٩٩٠- دار العلم للملايين بيروت- لبنان.

لسان العرب- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور. المجلد الخامس. باب الراء فصل الميم. ص ١٨٣ و ١٨٤ الطبعة ٣- ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م- دار صادر. بيروت- لبنان.

الترجمان عن غريب القرآن. تاج الدين أبوالمحاسن عبدالباقي بن عبدالمجيد بن عبدالله اليماني. دراسة وتحقيق: موسى بن سليمان آل إبراهيم. ص ٤٦- الطبعة ١- ١٤١٩هـ- ١٩٩٨ م. مكتبة البيان- الطائف.

نفسه.

أوراق منير العجلاني. كتاب المجلة العربية. العدد ٤٠٠. ص ٩٨- جمادى الأولى ١٤٣١هـ/ مايو ٢٠١٠ م. الرياض. المملكة العربية السعودية.

٦- الأدب الكبير والأدب الصغير. عبدالله بن المقفع. ص ١٧٧. دار الجيل. بيروت.

تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان

عبدالعزيز صالح العسكر

كتاب جميل وسفر نفيس حوى معلومات نادرة، وأخبارًا كثيرة، وأرخ لأحداث مهمة، مما جعل الكتاب درة من درر العلم وجوهرة من جواهر التاريخ. ومؤلف الكتاب إمام من أئمة العلم والفقه واللغة والتاريخ، عرفه الناس قاضيًا ومعلمًا وفقيهًا وخطيبًا ومصلحًا، كان (رحمه الله) يرصد في أعماله كلها وأسفاره جميعها ما يمر به من أحداث، ومن عرفه من أئمة وحكام وعلماء، وخاصة من مات منهم في حياة الشيخ، فقد أملى الشيخ مئات الصفحات في التراجم وتوثيق أهم الأحداث.. ولكن ما أملاه لم يطبع في حياته، ثم سخر الله لتلك الأوراق والصفحات من يجمعها ويرتبها ويخرجها للناس في هذا الكتاب القيم.

حسب هذا الكتاب شرفًا ومكانة أن يكون من مؤلفات الإمام الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله باز- رحمه الله وغفر له، وقد سجل عليه رقم ٤٢ من سلسلة مؤلفات ورسائل سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز.

أما جامع الكتاب ومحققه فهو الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم بن قاسم، وأخرجت طبعته الثانية دار «أصالة الحاضر» في الرياض عام ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م، في ١١٥ صفحة.

وكتابنا هذا على صغر حجمه حوى- كما أسلفنا- دررًا ثمينة في التراجم وتوثيق الأحداث نشير في السطور التالية إلى بعض منها:

١- رجوع أبي الحسن الأشعري إلى السنة.

٢- مولد الحافظ الدارقطني.

٣- وفاة ابن جرير.

٤- وفاة الشيخ عبدالعزيز الحصين.

٥- مولد الإمام عبدالرحمن بن فيصل.

٦- مولد الشيخ عبدالعزيز أبي حبيب الشثري.

٧- مولد الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ومحمد تقي الدين الهلالي.

٨- دخول الملك عبدالعزيز الرياض، ومقتل عجلان بن محمد.

٩- وفاة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ.

١٠- وفاة الشيخ حمد بن فارس.

١١- تعيين الشيخ عبدالعزيز بن بشر في قضاء الرياض، والشيخ عبدالله بن دهيش في قضاء الإحساء.

١٢- نقل الشيخين ابن زاحم وعبدالعزيز بن صالح إلى قضاء المدينة.

١٣- قدوم الشيخ محمد الأمين الشنقيطي من إفريقيا حاجًا، واستقراره في المدينة.

١٤- تعيين الشيخ ابن صالح مساعدًا لإمام المسجد النبوي.

١٥- افتتاح المعهد العلمي في الرياض وتعيين الشيخين محمد الأمين الشنقيطي وإبراهيم الشنقيطي فيه.

١٦- وفاة الشيخ صالح الزغيبي واستقلال الشيخ ابن صالح بإمامة المسجد النبوي.

١٧- افتتاح كلية الشريعة بالرياض وانتقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي إليها.

١٨- وفاة عبدالوهاب عزام.

١٩- افتتاح الجامعة الإسلامية في المدينة وانتقال الشيخ ابن باز لها نائبًا لمديرها وانتقال الشيخين محمد الأمين الشنقيطي وإبراهيم الحصين إليها.

٢٠- وفاة ملك اليمن أحمد حميد الدين، وولاية ابنه البدر، وثورة عبدالله السلال عليه والحرب في اليمن.

٢١- بعثة مشايخ الجامعة الإسلامية لنيجيريا، والانقلاب فيها، ومقتل الزعيمين أحمدو بللو وأبوبكر تفاوا.

٢٢- إعدام سيد قطب، ووفاة الشيخ عبدالرحمن الحصين.

٢٣- وفاة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

٢٤- تولي الشيخ ابن باز رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في الرياض، وانتقال الشيخ إبراهيم الحصين معه، وتولي الشيخ عبدالله بن حميد رئاسة مجلس القضاء الأعلى.

٢٥- تولي الشيخ الحركان الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي.

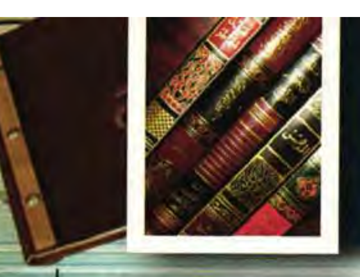
٢٦- وفاة الملك خالد، ومبايعة الملك فهد، ووفاة الشيخ عبدالله بن حميد.

٢٧- وفاة الشيخ محمد الحركان.

٢٨- وفاة الشيخ صالح بن علي الناصر.

٢٩- وفاة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي.

* كاتب سعودي



٣٠- وفاة الشيخ عبدالرزاق عفيفي، والشيخ صالح الخريصي.

ولمعرفة أسلوب الشيخ وطريقته في الترجمة نختار أنموذجًا (مثالًا) من تلك التراجم، فتحت الرقم (٦٣) قال الشيخ: «فائدة تاريخية: توفي الشيخ العلامة د.محمد تقي الدين بن عبدالقادر الهلالي الحسيني في الدار البيضاء في المغرب في يوم الثلاثاء الموافق ٢٧ شوال ألف وأربعمائة وسبعة، فرحمه الله رحمة واسعة، ورفع درجته في المهديين، وضاعف له الحسنات، وكفَّر عنا وعنه السيئات.

وكان مولده (رحمه الله) في محرم من عام ألف وثلاثمائة وأحد عشر، أخبرني بذلك (رحمه الله) مشافهة، وبذلك يكون قد عاش سبعًا وتسعين سنة إلا شهرين وأيامًا، وكان عالمًا فاضلًا باذلًا وسعه في الدعوة إلى الله سبحانه أينما كان، وقد طوّف في كثير من البلاد، وقام بالدعوة إلى الله سبحانه في أوروبا مدة من الزمن، وفي الهند، وفي الجزيرة العربية، ودرَّس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وله مؤلفات منها: «الهدية الهادية للفرقة التجانية» وكان أول حياته تجانيًا، ثم خلصه الله منها، وردَّ على أهلها، وكشف عوارها، ومن مؤلفاته الأخيرة «سبيل الرشاد» وقد خلّف ابنين وبنتين أو ثلاثًا، وفقهم الله، وأصلح حالهم، وجبر مصيبتهم، وقد صلى عليه جم غفر، ودفن في مقبرة الدار البيضاء، جمعنا الله به في دار الكرامة، وخلفه على المسلمين بأحسن الخلف، إنه جواد كريم. حرر في ٢٢/ ١١/ ١٤٠٧هـ» ص ٦٩- ٧٠- ٧١.

هذا مثال من تراجم الكتاب، وبه تتضح خصائص أسلوب الشيخ في كتابه، ونستطيع أن نستخلص من هذا المثال الخصائص التالية لأسلوب الشيخ:

١- جاء الكتاب وفاء من الشيخ لمن ترجم لهم، فمنهم الحكام والملوك الذين تولوا حكم البلاد ونفع الله بهم البلاد والعباد، ومنهم العلماء الأجلاء سواء منهم الأئمة في العصور الإسلامية السابقة، وهم غالبًا ممن يرد ذكرهم في دروس الشيخ ومناقشة طلابه.. ومن العلماء الذين ترجم لهم- كما أشرت إلى ذلك في سرد الأسماء- العلماء المعاصرون للشيخ، وقد عرفهم عن قرب وأحبهم وأحبوه.

٢- كان الشيخ يملي الترجمة من ذهنه على أحد كتابه، ثم لا يعيد فيها النظر أو يزيد عليها، فجاءت التراجم عفوية، وبعاطفة صادقة وأسلوب سهل واضح.

٣- السمة الواضحة للتراجم الإيجاز فبعضها لا تزيد على بضعة سطور ويندر أن تزيد على صفحتين.

٤- كان الشيخ منصفًا لمن ترجم لهم، فلا يعني ترجمته للعَلَم التزكية الكاملة له، وإنما يشير الشيخ (رحمه الله) إلى فضائل العَلَم وجهوده ومكانته وبذله وجهاده، مع التلميح إلى الملحوظات عليه أو المآخذ- إن وجدت، وقد يصرف النظر عنها إن كانت يسيرة وقد تغيرت في آخر حياة العَلَم.

٥- كان الشيخ جريئًا صريحًا في ذكر بعض الأحداث للتوثيق التاريخي، وقد أثبت المحقق بعض الأخبار والأسماء وحذف بعض الاستطرادات في مواطن محدودة مما له علاقة بأمور انتهت ولا مصلحة في نشرها، وذكر ذلك في مقدمة التحقيق ص ٩ م.

٦- ما أحوجنا إلى مثل هذا الكتاب من مثل ذلك الشيخ فأقواله شهادة لمن كتب عنهم، وتوثيق لأحداث وخصال ربما لا يعلمها الناس عن الأئمة والعلماء، فعسى الله أن يمد علماءنا بعونه وتوفيقه وتسديده ليكتبوا لنا مثل هذا الكتاب النفيس، وينقلوا لنا مآثر العلماء والدعاة وأخبارهم وإنتاجهم.

غفر الله لشيخنا عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ورحمه وجمعنا به في دار كرامته، وجزى الله من أخرج هذا الكتاب وأشرف عليه وشرحه وخرج نصوصه خير الجزاء وأعظم لهم الأجر والثواب، وقد قدموا بعضًا من الوفاء لشيخنا، ونفع الله بهذا الكتاب إنه جواد كريم.



قصيدة الحج في الشعر العربي الحديث

عبدالهادي صافي *

لاشك أن تجربة الحج من التجارب الإنسانية الخالدة، تلهم الشعراء والأدباء، وتمنحهم من روعتها وجلالها عواطف وأحاسيس روحية عميقة، وهي على تنوعها وألوانها وأطيافها تثير أخيلة الشعراء وتمدهم بصور حسية وواقعية، وتهيج في نفوسهم أرقى أنواع المشاعر الإنسانية، وتفتق أذهانهم عن معان كبيرة، ترتد إلى التاريخ الأول للدعوة الإسلامية في أول انطلاقها من الجزيرة العربية، وتعيش حاضر المسلمين المؤلم والمتردي مع الأسف، وتتطلع إلى مستقبل أرحب حين تتحقق أهداف الأمة الإسلامية والعربية.

إن هذه التجربة القدسية تدعو الشعراء أن يقفوا أمام مسؤوليتهم الأدبية ورسالتهم، فيعبروا بحق عما يجيش في نفوسهم من آراء سياسية وأفكار دينية عامرة منحتهم إياها المواقف المتعددة الألوان في هذه المناسبة الدينية السامية، فلبس الإحرام له معنى التجرد من زخارف الحياة، ومناسك الحج من طواف وسعي لها في كل منسك معانيه الدينية والإنسانية، والوقوف بعرفات متجردين متساوين على اختلاف عروقهم ولغاتهم وألوانهم بلباس واحد يغمره البياض الناصع كالحقيقة الواضحة.

ولغنى هذه التجربة الدينية المقدسة وخصوبتها نجد كثيرًا من الشعراء قد صوروا مشاعرهم فيها، ووصفوها لنا وصفًا دقيقًا وواقعيًا.. ونأخذ من الشعراء المحدثين الذين أبدعوا قصيدة الحج أمير الشعراء أحمد شوقي في رائعته التي يقول في مطلعها:

إلى عرفات الله يا خير زائر
عليك سلام الله في عرفات
ويوم تُوَلي وجهة البيت ناضرًا
وسيم مجالي البشر والقسمات
على كل أفق بالحجاز ملائك
تَزف تحايا الله والبركات

ثم يأخذ في وصف الكعبة الغراء، والميزاب، وزمزم في عاطفة قوية متأججة، ورمي الجمرات في صور متتابعة، وكأنها تجري حركتها أمامك هذه اللحظة:

وفي الكعبة الغراء ركن مرحب
بكعبة قصاد وركن عفاة
وما سكبَ الميزاب ماءً وإنما
أفاض عليك الأجر والرحمات
وزمزم تجري بين عينيك أعينًا
من الكوثر المعسول منفجرات
ويرمون إبليس الرجيم فيصطلي
وشانيك نيرانًا من الجمرات

وما يفتنك بشعر شوقي هو هذه الموسيقى الساحرة التي تتناسب مع جلال الموقف وروعة المشهد، هذه النجوى التي يطلقها ويناجي بها ربه معترفًا بتقصيره وطامعًا بعفوه ومغفرته:

ويا رب هل تغني عن العبد حجة
وفي العمر ما فيه من الهفوات؟
وأنت ولي العفو فامح بناصع
من الصفح ما سودت من صفحاتي

ويختلط الإحساس بجلال المكان المقدس بهموم عامة يشعر بها كل مسلم يعيش واقع أمته المتردي، وخاصة عندما يقف الحاج أمام قبر الرسول ﷺ فتكون هذه المناجاة الرائعة:

إذا زرت يا مولاي قبر محمد
وقبلت مثوى الأعظم العطرات
وفاضت مع الدمع العيون مهابة
لأحمد بين الستر والحجرات
وأشرق نور تحت كل ثنية
وضاع أريج تحت كل حصاة
فقل لرسول الله يا خير مرسل
أبثك ما تدري من الحسرات
شعوبك في شرق البلاد وغربها
كأصحاب كهف في عميق سبات
بأيمانهم نوران ذكر وسنة
فما بالهم في حالك الظلمات؟

وهناك شاعر سوري حديث، لا يقل شعره روعة عن شعر شوقي، وهو الشاعر بدوي الجبل الذي تخيل أنه يسير في رحلة إلى بيت الله الحرام، ويعتذر عن عدم تحقيقها، فيعيش بروحه وخياله هذه التجربة الكبيرة التي، كما قلت سابقًا، تدعو كل شاعر إلى وصفها، والعيش في أجوائها شعرًا وخيالًا وتصويرًا:

وأقعدني عنك الضنى فبعثتها
شوارد شعر لم ترع بضريب
أقمت وآمالي إليك مجدة
تلف شروقًا معتمًا بغروب

ويصور الكعبة الزهراء والنور المتدفق منها، والشذا والوحي، ويأتي على ذكر الأماكن المقدسة.. الحطيم وزمزم، وكلها أماكن لها ذكريات عطرة، وتترك أثرًا كبيرًا في النفس عند ذكرها، وتلهب

* باحث لغوي



القلوب لوعة وحنينا لزيارتها ورؤيتها:

هنا الكعبة الزهراء والوحي والشذا
هنا النور فافني في هواه وذوبي
ويا مهجتي: بين الحطيم وزمزم
تركت دموعي شافعًا لذنوبي
وفي الكعبة الزهراء زينت لوعتي
وعطر أبواب السماء نحيبي

ويصف في قصيدته هذه الطويلة مواكب الحجيج كالأمواج، يدعون الله ويلحون في الدعاء، تردد الصحراء صدى هذا الدعاء، وقد اجتمعوا من كل حدب وصوب يضوع الشذا من بردهم وهم جميعًا متساوون نظائر:

مواكب كالأمواج عج دعاؤها
ونار الضحى حمراء ذات شبوب
ورددت الصحراء شرقًا ومغربًا
صدى نغم من لوعة ورتوب
تلاقوا عليها من غني ومعدم
ومن صبية زغب الجناح وشيب
نظائر فيها: بردهم برد محرم
يضوع شذًا: والقلب قلب منيب
أناخوا الذنوب المثقلات لواغبًا
بأفيح - من عفو الإله - رحيب
وذل لعز الله كل مسود
ورق لخوف الله كل صليب

ويهمنا في هذه القصيدة الثناء على الإسلام الذي وحد الأمم ومحا الأحقاد من القلوب، وكان نور هداية للإنسانية جميعًا، ورحمة على العالمين، فينطلق البدوي في هذه الابتهالات:

ويا رب في الإسلام نور ورحمة
وشوق نسيب نازح لنسيب
فألف على الإسلام دنيا تمزقت
إلى أمم مقهورة وشعوب
سجايا من الإسلام: سمح حنانها
فلا شعب عن نعمائها بغريب

سبك متين، وصور فنية متلاحقة، وعاطفة إسلامية صادقة جامحة، كلها تحقق عناصر الشعر الرائع، فمن يقرأ هذه القصيدة الطويلة يحس كأنه يعيش أجواء الحج، ويشعر كأنه في رحاب الله وفي الأماكن المقدسة، وهذه مقدرة من الشاعر أن يجعلك تعيش تجربته الشعورية، وهذا من سمات نجاح القصيدة الشعرية كذلك، وهذا ما يسميه النقاد بالصدق الفني الذي يعتبر أحد الأسس الذي تقوم عليه القصيدة الشعرية، فالقصيدة متخيلة ولكنها توهمك بأنها حقيقة، لصدق مشاعرها وصدق أسلوبها الفني، تقرأ أبيات القصيدة فيشدك الحنين إلى زيارة الأماكن المقدسة، وتتبلل عيونك بالدموع حسرة، لأنك لم تكن مع جموع الحجيج تلبي معهم، وتذرف العبرات، لأنك لم تستطع أداء الحج، وتتحرق إلى زيارة الرسول ﷺ تشكو له همومك، وهموم أمتك التي رانت عليها، وسيطرت على كل حياتها، وتتوسل وتتضرع أن يكون مستقبل هذه الأمة أحسن حظا من الأيام السابقة، وأن تتوحد كلمة المسلمين على البر والتقوى.

وما يلفتنا في قصيدة البدوي نغمها العذب الذي يتوافق مع الجو الروحاني، والوزن الشعري (البحر الطويل) الذي يتلاءم مع الرحلة الطويلة وهي تجوب الصحراء والفيافي، واستخدامه لتراكيب وألفاظ صحراوية، وكأنها تنتمي إلى الشعر العربي القديم (عج دعاؤها- نار الضحى حمراء ذات شبوب - أناخوا الذنوب المثقلات لواغبًا). ونقف عند بعض الصور الفنية الجميلة مثل (وعطر أبواب السماء نحيبي)، (تلاقوا عليها من غني ومعدم ومن صبية زغب الجناح وشيب)، (ورددت الصحراء شرقًا ومغربًا صدى نغم من لوعة ورتوب).

وهناك قصائد كثيرة وردت في الشعر العربي الحديث، وكلها قصائد رائعة، تجري على هذا النسق البديع من الشعور بالشوق واللهفة لأداء فريضة الحج وتصوير واقعي لمشاهد المناسك السعي والطواف والموقف بعرفات ومزدلفة ومنى والبيت الحرام والكعبة الزهراء بجلالها وروعتها.. كما يقول احد الشعراء المحدثين يصف هذا الشوق وهذه المشاهد التي تتكرر كل عام، فهو في قصيدته يصور حالته الشعورية وقد فاتته فريضة الحج، وهو يرى الحجاج يتأهبون للرحيل، قاصدين بيت الله الحرام، فيأخذه الشوق والحنين، ويذرف الدموع حسرة وأسى، ويتراءى له البيت الحرام بجلاله ووقاره:

خلفوني مع الدموع وراحوا
ليتهم من وداعهم قد أراحوا
فجروا في الفؤاد نبع حنين
يا بروحي حنينه الوضاح
وسماء أسمو إليها وأسمو
وضياء يلفني لماح
وسحاب يقتادني ونجوم
وأغان علوية وبطاح
وتجلى البيت الحرام وقارًا
وجمالا أفياؤه والساح
وجلال الأستار في الكعبة الغراء
نور من الهدى ووشاح

ويستمر على هذا النسق الرائع في وصف المشهد المقدس: الناس المحرمون، وزحام الطواف والتلبية والجو السماوي يلف المكان الرحيب:

وبرايا والمطهر عريان يمشي
وزرتاه إيمانه والسماح
يا بر وحي الإحرام مورد تقوى
وتساو وروعة وانفتاح
وزحام الطواف نفحة حب
وحنان الدعاء روح وراح
وتعالى الصوت الحبيب جهيرًا
تلبيات ترجيعها صداح
واقع تخشع القلوب إليه
ومقام العز فيه الصلاح

ويقف أمام قبر الرسول ﷺ يشكو ذنوبه وحوادث الأيام وهموم الحياة، متمنيًا

أن يسعده الله ويأذن بسفر إلى بيت الله الحرام:

يا رسول الأنام طال ضياعي
في مسيري وزلزلتني رياح
وخيالي إثر الحجيج شفاني
وسقتني بصفوها الأقداح
أتراني أحظى بسفرة حج
في حياتي أم فاتني المصباح

ونرى أن الشعراء المغمورين الذين لم تسلط عليهم الأضواء يأتون بشعر قد يكون أروع وأعمق من شعر الشعراء المشهورين البارزين، ففيه الصدق والتواضع، بعيدًا عن حب الظهور والبروز.. فيبقى شعرهم أشد أثرًا وتأثيرًا في النفس، وجاء شعرهم- حقًّا- مزينا بثوب قشيب من الحسن والجمال.

وأريد أن أختم هذا الحديث عن قصيدة الحج بشاعر آخر، لا يقل براعة وإبداعًا عن الشعراء الذين تحدثنا عنهم، فصحيح أنهم مغمورون، ولكن إذا أتيحت لهم فرصة للظهور، وطبعت دواوينهم وآثارهم الأدبية، لعرفهم الناس ولقدروا إنتاجهم الأدبي، واستطاعوا أن يقوموه تقييمًا صحيحًا، يضعهم في مكانهم اللائق في دنيا الأدب وعالم الشعر.

أريد أن أستعرض قصيدة لشاعر امتلك كل أدوات الشعر الجيد، من خيال خصب، ومعانٍ شعرية عميقة، وتناسق في الألفاظ، وقوة في التراكيب، وسوف أدلل أثناء الحديث على مكامن القوة في الأداء، والخصوبة في الخيال، والمشاعر الدينية الصادقة، لأخلص إلى أن الشعر الإسلامي الذي يطرح أفكارا إسلامية، ويصور أحداثا دينية، ويصور مناسبات مقدسة، لا يقل روعة وجمالاً عن سائر القصائد التي تصور وتتحدث عن قضايا إنسانية أخرى غير دينية.. وأحب أن أشير في هذه الدراسة إلى أن الأدب الإسلامي إذا توافرت فيه عناصر الجمال والقيم المعنوية، يكون من الآداب الجديرة بالقراءة والمتابعة، أما إذا أهمل الجانب الجمالي في الشعر والأدب، واعتمد على رصانة المعاني التي يقدمها ويطرحها فحسب فإنه يكون بذلك قد أهمل عنصرًا مهمًا في العملية الإبداعية وهو عنصر الجمال، وينتج عن إهمال هذا الجانب أدب باهت لا حظ له من الروعة والإبداع، إذ إن أهم عنصر من عناصر الشعر هو عنصر الجمال الفني، وعليه مدار التفوق بين الشعراء، ولو فقد هذا العنصر لاقترب من النثر، ولفقد الجمال فيه، وهو- أي عنصر الجمال في الشعر- يخلب العقول ويجدد الإحساس بالروعة، ويضيف إلى القارئ المتعة النفسية، وقد يكون الجمال الصادر من الشعر يأتي عن طريق الصور الشعرية والخيال الجانح، وقد يكون من التناغم الموسيقي ومن تناسق الألفاظ وانسجامها مع المعاني والأفكار، وقد يكون من هذه العناصر جميعًا.

والشاعر الذي أعرض بعض الأبيات من قصيدته التي جاءت في ديوانه «نسيم الصباح» تحت عنوان «هنا تذرف العبرات يا عمر» يشكو في مطلعها من الهجير وقفر المرابع وذبول الزهر في الساح، ويشكو من بعض الخطوب التي نزلت به، فيطلق بعض الحكم والحقائق التي يراها ماثلة أمامنا، فليس في الأرض الواسعة وفي البهارج والأضواء التي تحيط بنا إلا حصاد هشيم يجلب السهد والهم، وقد آن للقلوب الحائرة المضطربة أن تستريح في ديار الله وتستريح من طول الجهد والعناء:

هذي ديار حباها الله منزلة
يهفو إليها.. إلى أفيائها البشر
ربوعها السحر لا يرقى لها قلم
والسحر يدرك لا يأتي به الخبر
خذني إلى (البيت) تسعى في جوانبه
نسائم بأمان الله تنتشر
في بطن (مكة) قدسي الشعاع سرى
فما تحس سوى الأنوار تنهمر

وفي كل منسك من مناسك الحج يشعر بالسعادة الروحية والوجدانية، وبالمتعة الإيمانية، فعند الطواف تظللنا سحابة من الأمن والاطمئنان فلا تحس بخوف ولا بخطر، وعند المقام ركعتان.. جنان الكون تختصر، ونرتوي من ماء زمزم وكوثره العذب الذي يغسل كل كدر وبلاء، والملتزم يلوز به الحاجون، وتقبيل الحجر الأسعد والدموع الحانيات التي تذرف في شوق وفي وله:

تعال نشرب صفاء الود كوثره
هذا المعين فلا طين ولا كدر
تعالى (نسع) إلى روض تظلله
سحابه الأمن.. لا خوف ولا خطر
وفي مقام (خليل الله) موقفنا
والركعتان: جنات الكون تختصر
تبدت الكعبة الزهراء حالية
مجلوة.. فعيون القوم تنبهر

لقد التقى في هذه الأبيات: جلال المعاني مع جمال المباني، قدسية العواطف والمشاعر مع نورانية الصور والمفردات والحروف، فجاءت القصيدة محلقة في أجوائها الإيمانية، تنطلق بجماليات إبداعية يحسها كل قارئ وذائق. والأبيات التي قدمتها تعتبر نموذجًا طيبًا وصالحًا للشعر الإسلامي الرفيع الذي نرنو إليه.

وفي الختام، فقد لاحظنا أن قصيدة الحج في الشعر العربي الحديث تتسم بسمات فنية وخصائص أسلوبية تميزها عن غيرها من القصائد التي كتبت في تجارب شعرية أخرى، وأهم هذه السمات شفافية التعبير، وحرارة الأداء، وجمال التصوير والتلوين.



التربية هي الحياة

إن العملية التربوية هي عملية بناء اجتماعي إنساني شامل ومستمر، لابد أن تقوم على موروثات اجتماعية وعقيدة معينة، فالإنسان ليس تركيبًا عضويًا فقط، بل سلسلة من القيم والسلوكات، تنحدر إليه من الماضي الذي قامت عليه بيئته، وكلما تشرَّب الإنسان من هذه البيئة صعب تغيير أفكاره ومعتقداته، قد يتغير بالشكل ولكن ذيول الماضي تلاحقه، إلا إذا كانت التربية الطارئة أقوى تأثيرًا من التربية التي نشأ عليها.

فعندما جاء الإسلام بالتربية الجديدة السامية رفضها الجاهليون بسبب تربيتهم الجاهلية المتأصلة في نفوسهم، إلا أن التربية الجديدة تغلبت عليهم لقوة الإسلام وصلابته.

وقد أرسى الإسلام قواعد تربوية كانت بحق «جامعة خصبة لشتى أنواع الفنون والعلوم والآداب، بالإضافة إلى رسالتها في تكامل البعدين الروحي والمادي لشخصية الفرد، بما يحقق خيره وصلاحه في الدنيا، وسعادته وتطهيره في الآخرة».

د. طارق البكري

د.إبراهيم رجب:

الأسرة والمدرسة شريكان في تحمل مسؤولية تدهور العلاقة بين الطالب والمعلم

حوار: تسنيم الريدي

منذ أكثر من ثلاثين عاما عرضت مسرحية «علموهم الحب» في فرنسا والتي كانت النواة لفكرة مسرحية «مدرسة المشاغبين» في مصر مع اختلاف المضمون والرسالة والهدف، فقد نجحت الأولى في التأكيد على أن الحب والاحترام يسهل التعليم، في حين زرعت الثانية كل معاني عدم الاحترام وسوء الأخلاق والسلوك في التعامل بين الطالب والمعلم وبين الأب وابنه، والتي كانت ومازالت قدوة للشباب والمراهقين في تعاملهم مع معلميهم، والتي كانت سببا من أسباب تدهور العلاقة بين الطالب والأستاذ إلى يومنا هذا.

وقد أجريت أخيرا دراسة في بيت لحم بعنوان «إشكالية العلاقة بين المعلم والطالب في المرحلة الثانوية في المدارس الخاصة في محافظة بيت لحم من وجهة نظر المعلمين والطلبة»، والتي خرجت بعدة نتائج أهمها وجود بعض المشكلات الأسرية بين الآباء والأبناء وانعكاسها على تعامل الطلاب مع أساتذتهم، وبناء على ذلك رصدت الدراسة نظرة متشائمة من معظم المعلمين إلى مستقبل التعليم بسبب تراجع قيمة المعلم وعدم احترام الطلاب له.

وقد يستطيع المعلم أن يجرب العديد من طرق التدريس ويختار ما يجده مناسبا للطلاب من خلال تفاعلهم معه بشكل جيد، وذلك لتفعيل دور الطالب في الدروس فيتعلم الطالب بذاته عن طريق التجربة من الخطأ والصواب، وأخيرا فعلى المعلم أن يكسب قلب الطالب ليكسب عقله، والمعلم الموهوب هو الذي يجذب الطالب إليه بل ويدفعه إلى الحرص على التعليم وبذل كل جهده للتفوق والتميز بين صفوف زملاءه، وذلك من خلال شعورهم برغبة المعلم الداخلية في تطوير مهاراتهم وقدراتهم العقلية، من خلال تبادل الأفكار بينهما مع الحفاظ على احترام أفكار الطلاب مهما اختلفت معه، وتقبله لأخطاء وهفوات الطلاب وعدم القسوة خلال تعامله معهم أو تعنيفهم.

توجهت «الوعي الإسلامي» إلى الدكتور إبراهيم عبدالرحمن رجب أستاذ السياسة الاجتماعية والتخطيط، قسم الخدمة الاجتماعية وتنمية المجتمع، كلية التربية، بجامعة الأزهر، ورئيس قسم الخدمة الاجتماعية السابق بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وعضو أكاديمية العلوم بنيويورك (قطاع تاريخ وفلسفة العلوم) والذي تحدث معنا حول هذه القضية في هذا الحوار:

• **زادت العلاقة بين الطالب والمعلم توترًا في الفترة الأخيرة، بما جعلها تأخذ مكانًا في ساحات المحاكم والقضاء مع ارتفاع نسبة العنف فيها.. ما تفسيركم لذلك؟**

■ لا يمكن فهم تلك الظاهرة بمعزل عما يجري في المجتمع ككل، إنها مجرد عَرَض آخر من أعراض ما يسمى علميًا بعملية «التفكك الاجتماعي» Social Disorganization التي استشرت نتائجها في كل جوانب الحياة في مجتمعنا وازدادت حدة في الحقبة الأخيرة، والتفكك الاجتماعي يعني عجز النظم الاجتماعية الأساسية في المجتمع عن أداء وظائفها بكفاءة. والظاهرة التي نحاول تفسيرها الآن (اضطراب العلاقة بين الطالب والمعلم) إنما تتصل مباشرة بحجم القصور المفزع الذي أصاب اثنين من أهم هذه النظم الاجتماعية وأضعف قدرتها على القيام بواجباتها الأساسية ألا وهما «النظام الأسري» و«النظام التعليمي». فالأسرة والمدرسة شريكان أصيلان في المسؤولية عما يحدث مما يؤدي إلى هذه الظاهرة وعشرات أخرى بجانبها. لكن المجال يقصر هنا عن البيان التفصيلي لأبعاد وطبيعة مسؤولية كل طرف منهما بالتحديد الواجب، كما أن المجال لا يتسع للحديث عن العوامل السببية المؤثرة من خارج هذين النظامين اللذين يتأثران بالضرورة بأوضاع النظم الاقتصادية والسياسية والترويحية والإعلامية في المجتمع، بل والمؤثرات التي تفد إلينا من خارج المجتمع.

• **يعتقد البعض أن وسائل الإعلام كان لها دور كبير في تشويه العلاقة بين الطالب والمعلم وإعطاء الضوء الأخضر للطلاب بعدم**



احترام المعلمين وعلى رأس ذلك ما قدم في «مدرسة المشاغبين»... ما رأيكم؟

■ لا جدال في الخطورة الكبرى للتأثيرات التي تمارسها أجهزة الإعلام والترويح التجاري على النشء والشباب بل والكبار، فالتوجهات التي تتبناها تلك الأجهزة والقائمون عليها تصبح بمثابة الزاد الفكري اليومي الذي يتم استقباله وتبنيه دون وعي خصوصًا من جانب الفئات الحساسة شديدة التقبل للإيحاء من أحداث السن، وأكتفي هنا بالإشارة إلى حالة «مدرسة المشاغبين» التي نقلها مؤلفوها ومخرجوها عن فيلم أميركي رائع يحمل رسالة تربوية راقية فحولها «أهل الفن» في بلادنا إلى مسخ مجنون لا يحمل أي قيمة راقية – بل وكأنه قد تم تصميمه خصيصا لهدم كل قيمة راقية في العلاقة بين الطالب والمعلم ! بل وفي المجتمع ككل.

• وهل «للدروس الخصوصية» دور في تضخيم حجم المشكلة؟

■ «الدروس الخصوصية» إنما هي مؤشر حاسم دال على مدى التفكك الاجتماعي الذي أصاب النظام التعليمي في البلاد. وأخطر ما فيها أنها تضع رقبة التلميذ (أي درجاته) في يد مدرس الفصل الذي يملك نجاحه ورسوبه في سنوات النقل، في نفس الوقت الذي تضع فيه رقبة المعلم في يد التلميذ وأولياء الأمور الذين يملكون المال الذي يحتاجه المعلم ليعيش هو وأسرته. لكن الأمر يتطور ويصبح أكثر تعقيدا بعد ذلك بتدخل النفوذ الاجتماعي للأهل النافذين أو المعلمين من ذوي الاتصالات.. وتلك مجرد رؤوس أقلام.

• هل للتربية في رياض الأطفال وقبلها دور الحضانة دور في تربية النشء سواء في احترام المعلم وتقديره أو على عكس ذلك؟

■ رياض الأطفال ودور الحضانة جزء لا يتجزأ من المنظومة التعليمية، لها دورها الكبير في التنشئة الاجتماعية للأطفال، وهي تتأثر بما يتأثر به النظام التعليمي ككل، ولكنها أكثر حساسية للعلاقة بين أولياء الأمور والإدارات القائمة على تلك الدور، وخصوصًا في حالة

الدروس الخصوصية مؤشر يدل على مدى التفكك الإجتماعي الذي أصاب النظام التعليمي

تقاضي مصروفات عالية تجعل الإدارة تحت رحمة أولياء الأمور، ثم إن أصحاب تلك الدور والقائمين على الإدارة ينقلون تلك الضغوط إلى المعلمين الذين تضيع هيبتهم في نظر التلاميذ وهم في بداية حياتهم التعليمية، مما ينتقل معهم إلى بقية المراحل.

• يعاني بعض المدرسين من انعدام الضمير حيث أصبحت المدرسة متنفسًا للمعلم لتفريغ ما بداخله من مشاكل شخصية، وقد انعكس ذلك سلبًا على العملية التعليمية، برأيكم ما سبب ذلك وكيف تخرج كليات التربية مدرسًا متميزًا؟

■ تلك قضية متعددة الأبعاد، ولا يجوز تبسيطها بهذا الشكل، فالمسألة تبدأ من اختيار الطلاب الذين يقبلون بكليات التربية (الذين هم بدورهم نتاج لمنظومة التعليم قبل الجامعي بكل ما فيها!) ثم نوعية وتوجهات أساتذتهم، ثم طبيعة المناهج والمقررات (المثقلة بالنظريات ذات التوجهات المادية المستوردة من ثقافات أخرى لا يمكن للطالب التوحد معها، والتي لا يذكر فيها تقوى الله أبدًا) ثم نوعية التربية العملية أو التدريب الميداني الذي يتحصل عليه الطلاب، ونوع الإشراف الذي يقوم به الأساتذة عليهم، والذي لا يتضمن بوضوح كاف الأبعاد الخلقية للطالب ولا الخوف من الله عند تقويم التربية العملية.. هذا من جهة مسألة تميز الخريجين. لكن إذا أسكن الخريج المتميز (إن وجد) في وظيفة أفقدها المجتمع تميزها، ووضع في محيط يخنق التميز ويحاصره فأنى لنا الحديث عن الضمير، إذا كان المعلم يعيش في جو عام أضاع مكان الضمير وقصّر في إعلاء شأنه بين الناس.

• أخيرًا ما مقترحاتكم العملية لإعادة هيبة المدرس والتعليم إلى الطلاب، وما دور الوالدين في ذلك؟

■ في ضوء ما سبق يتضح لنا أن إعادة هيبة المدرس والتعليم إلى الطلاب مرتبطة بإصلاح أوضاع الأسرة من جانب وإصلاح المنظومة التعليمية من جانب آخر، إضافة إلى إصلاح الأوضاع الاقتصادية والسياسية والمؤسسات الإعلامية والترويحية في المجتمع ككل، فليست هناك وصفة سحرية خاصة نستطيع أن نقدمها للأسرة لتقوم «وحدها» بإعادة هيبة المدرس والتعليم إلى الطلاب، ولو أننا أعطينا الأسرة قائمة بما يمكن لها أن تفعله في هذا السبيل لسارع الآباء والأمهات بمطالبتنا بتقديم مثلها للمعلمين الفاسدين (في رأيهم) لكي يتقوا الله في تعليم أبنائهم.





مهارات تحبيب أطفالنا في القرآن

تحقيق: آمنة محمد

منح أحد التابعين معلم ابنه مكافأة سخية، حيث حفظ الابن الفاتحة، وقال للمعلم: إنه لو كان يملك ما هو أكثر من هذه المكافأة لأعطاه إياه، لأن ما حفظه الابن أثمن من أية نقود. هكذا فهم الأولون قيمة تحبيب الأطفال في القرآن وربطهم به لسانًا وأخلاقًا، وأدركوا أهمية جعل القرآن جزءًا مهمًا في حياة هؤلاء الأبناء يشبون على تلاوته وحبه وحفظه.

نحن نعلم جميعًا فضل القرآن وفضل تعلمه وتعليمه، فقد دعا سيدنا محمد ﷺ أصحابه والتابعين من بعدهم إلى تعلم القرآن وقراءته، وشجعهم على حفظه، وكان يقدم الحافظ على غير الحافظ، ويقول: «وأحقهم بالإمامة أقرؤهم»، و«خيركم من تعلم القرآن وعلمه». (رواه مسلم)،

وقوله: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه» (رواه مسلم).

ونحن كآباء وأمهات علينا أن نحرص على تعليم القرآن لأطفالنا، واليقين بأنه عقل المؤمن ودستور حياته إذا تمسك بتعاليمه لن يضل أبدًا، كما أن القرآن هو خير ما يثبت النفس، ويفسح أمام العقل آفاق العلوم والمعارف الإنسانية.

وحب الطفل للقرآن يعينه على حفظه وبعده عن آفات اللسان كلها، كما أن الطفل إذا أحب القرآن وفهمه ثم عمل به كان هذا صدقة جارية في ميزان حسنات والديه يلبسهما الله بهما تاج الكرامة يوم القيامة.

وهناك بعض الوسائل التي تحبب الطفل في القرآن، منها:

- القراءة أمامه، وخاصة لو كان الوالدان يقرآن معًا.
- إهداء الطفل مصحفًا خاصًا به، يتجاوب معه ويشعر بملكيته ومكانته.
- تحفيزه وتشجيعه على دخول المسابقات القرآنية.
- تسجيل صوته وهو يقرأ، فهذا يشجعه ويحثه على التجويد والتحسين.
- الدفع به إلى حلقات المسجد، وحثه على إمامة المصلين في النوافل.
- الاهتمام بأسئلة الطفل حول القرآن، والحرص على الإجابة عن هذه الأسئلة بشكل مبسط وميسر.
- قص قصص القرآن على الطفل، فهو يحب القصص.

كيف يحفظ؟!

ومن واقع خبرة عملية يقول الشيخ محمود بقوش- إمام وخطيب ومحفظ-: إن أفضل مراحل تعلم القرآن الكريم هي فترة الطفولة المبكرة (٣-٦ سنوات)، حيث يكون عقل الطفل يقظًا، وملكات الحفظ لديه نقية، ورغبته في المحاكاة والتقليد قوية.

وهناك مفاتيح عدة تعين الوالدين والمربين على تحبيب الطفل في القرآن.

أولا: احترام طفولته، حيث إن الطاقة الحركية لديه كبيرة، وقد لا يستطيع الجلوس صامتًا منتبهًا طوال فترة التحفيظ، لذلك لا مانع من تركه يتحرك وهو يسمع أو يردد تحت نظر المحفظ أو أحد الوالدين.

ثانيًا: المكافأة، وذلك بإهدائه شيئًا يحبه حتى ولو قطعة حلوى، كلما حفظ قدرًا من الآيات، أو الثناء عليه أمام زملائه أو رسم نجمة في كراسته، فإن زاد في الحفظ زدنا له عدد النجوم، وهكذا.

ثالثًا: للفهم دور كبير، فشرح معاني الكلمات بأسلوب شيق، وبه دعابات وأساليب تشبيه، مما ييسر الحفظ والاستحضار.

رابعًا: احترام عقليته، فعلى الوالدين والمحفظين ألا يستهينوا بعقل الطفل، إذ إن لديه قدرة كبيرة على تخزين المعلومات، فلا تكون الإجابة عن الأسئلة سطحية هشة، بل





يجب أن تكون مقنعة حتى لا يشعر بالدونية والاستهانة به.

خامسًا: التنافس، فغرس روح المنافسة بين الأطفال مهم جدًا، فأفضل ما يمكن أن يتنافس عليه الصغار هو حفظ كتاب الله، على أن يكون المحفظ ذكيًا لا يقطع الخيط الرفيع بين التنافس والصراع، ولا يزرع في نفوسهم الحقد على زملائهم المتميزين.

سادسًا: بالحب تبلغ ما تريد.. ومن الضروري عدم الإسراف في عقاب الطفل غير المستجيب، فيكفي إظهار الغضب، وإذا استطاع المحفظ أن يحبب تلاميذه فيه، فإن مجرد شعور أحدهم بأنه غاضب منه لأنه لم يحفظ سيشجعه على الحفظ حتى لا يغضب منه المحفظ مرة أخرى.

سابعًا: مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال، على المحفظ أن يعرف سبب تعثر بعض الأطفال في الحفظ.. هل هو نقص في القدرات العقلية؟ أم وجود عوامل تشتيت في المنزل؟ وغير ذلك بحيث يحدد طريقة التعامل مع كل متعثر على حده.

ويشير الشيخ محمد إلى أن أنسب السور للطفل وأيسرها حفظًا من قصار السور؛ لأنها تقدم موضوعًا متكاملا في أسطر قليلة، فيسهل حفظها، ولا تضيق بها نفسه.

ثامنًا: لا تسأم من كثرة طلباته.. حيث تجب المسارعة إلى تلبيتها قدر المستطاع، خاصة إذا طلب الذهاب إلى قضاء الحاجة، مع العلم بأنه لن يطلبها بلسانه، بل سيكتفي بتحريك أصبعه السبابة (الإشارة المعروفة)، وكثيرًا ما يطلب الأطفال ذلك.

معايشة القرآن

وتوضح د.منى سلامة أن من أكثر مصادر قوة الأمة الإسلامية هو تقديسها وتعظيمها للقرآن الكريم، ولا خلاف على أن القرآن هو سر نهضة الأمة وريادتها وسيادتها بل وقيادتها للأمم.

وتطرح د.منى سؤالا: لماذا مع وجود القرآن بين أيدينا ومن حولنا لم نصبح قادة الأمم علميًا وإيمانيًا وأخلاقيًا؟

وتؤكد أن السبب ليس القرآن، ولكنه عدم فهم وتفعيل معانيه في الحياة، وعدم تطبيق أخلاقه ومعاملاته.

ومن هنا، جاءت فكرة مشروع يعمل على تعليم الأطفال معاني القرآن وتطبيقه في حياتهم ومعايشته ليل نهار، حتى يستشعر الطفل أن هذا القرآن قد جاء له هو في عصره الذي يحيا فيه - في غرفة نومه وملعبه وفصله- ولم يجئ لقوم سابقين ولا لعصر ماض، فيدرس القرآن بالطرق العصرية التي يحبها الأطفال، ويتفاعلون معها، ويجدون في حصة القرآن الكريم التشويق والمتعة والحركة والمناقشة والنشيد واللعبة، ولكي تستكمل الفائدة نقوم ب تدريب المعلمين والمربين من خلال دورة تدريبية تؤهلهم لتعلم مهارات التدريس الأساسية لتطبيق البرنامج، وتوصيل المعنى القرآني بالأنشطة للأطفال في مختلف الأعمار.

وتؤكد د.منى أنه ما تم مراعاته في هذا العمل السعي لغرس ثلاثة معان أساسية لدى الأطفال، وهي:

- القدرة على النقد والتمييز بين الصواب والخطأ لإعطاء صورة حقيقية عن الواقع، ليعين الطفل، ليس فقط على فعل الخير والثبات عليه، ولكن أيضًا مدافعة الشر ومقاومته.
- تغليب الجانب العملي والابتكاري على الجانب القولي والخطابي، والسعي إلى إتقان العمل وجودته والتعاون مع الآخرين من أجل تحقيقه، والتوازن في هذه الأعمال بين ما يعود مردوده عليه شخصيًا أو المجتمع المحيط به، ووصولا إلى العالم والكون.
- التفكير المستقبلي الذي يجعل الطفل متطلعًا إلى الأفضل دائمًا ومقدمًا أحسن ما لديه من أجل حياة أفضل في الدنيا وثواب أعظم في الآخرة.

أهم الوسائل

- اختيار المحفظ المناسب أو توجيهه إلى الأساليب المناسبة.
- أن يحب الطفل المحفظ ويرتبط به وجدانيًا.
- عدم العقاب على عدم الحفظ (خاصة البدني)، ولكن يمكن استخدام الحرمان.
- أن تكون لدى المحفظ مهارات شخصية جذابة تشد الطفل (بشوش -حركي - يلعب مع الأطفال).
- استخدام مقترحات مختلفة للدرس حسب ذكاء الأبناء (ماذا يحدث لو - قصة - فزورة - تمثيل حركي- تصوير مكاني).
- تنوع الأساليب وعدم التركيز على التلقين وحده.
- عدم المقارنة بين الأبناء في مهارات الحفظ والاسترجاع.
- عدم الإلزام بالحفظ قبل ٧ سنوات.
- عدم قتل طفولة الأبناء لغرض الحفظ الجيد.
- وهناك وسائل مبتكرة لتدعيم حب القرآن، يرشدنا إليها د.سعد، منها:
- الوسائل المبتكرة في التحفيظ (كمبيوتر) وليس تلقينًا فقط.
- كتابة ما تم حفظه في لوحة جميلة والاحتفاظ بها.
- توفير برامج المحفظ الآلي ليستخدمها الطفل بنفسه.
- ابتكار وسائل تتحدى قدرات الأبناء، ولكن مع الترغيب.
- إعداد لوحات شرف لكل الحافظين وما يحفظون.
- اختيار الوقت المناسب في التحفيظ، فلا يكون (بعد يوم تعب - بعد وجبة ثقيلة - بعد توتر نفسي - في وقت اللعب - بعد يوم دراسي طويل).
- ابتكار وسائل عامة لتدعيم الحفظ (قصة - رحلة - شهادة تقدير - حفلة بسيطة بعد حفظ كل جزء (دون مقارنة)- وإشعاره بأن القرآن مصدر نفع مادي له).
- تحويل احتياجات الطفل إلى محفزات على حفظ القرآن.
- تقديم المحفزات بشيء من الذكاء والإبداع والإشعار بالحب.

الطفل والحضانة

بشرى شاكر

مع انتهاء فصل الصيف وانتهاء موسم العطلة وبدء الموسم الجديد، فإن الجميع يدخل في دوامة العودة لعمله أو دراسته، وبسبب إرهاصات الحياة المعاصرة فإن أغلب الأمهات العاملات أصبحن يفضلن أن يضعن أطفالهن في الحضانة إلى حين عودتهن من عملهن، وقبل أن نتحدث عن دورها في حياة الطفل لا بأس من أن نذكر ببعض الأمور المهمة.

يولد الطفل الرضيع على الفطرة أولا، فهو يصرخ ويبكي حين خروجه من بطن أمه، وهو ما يسمى في علم النفس بصدمة الميلاد «Trauma of bird»، إذ إن الجنين ينفصل فجأة عن جسد أمه، وينتقل من مكان مظلم دافئ، يمنحه القوت والحماية إلى وسط بارد جديد عليه، هاته الصدمة هي بداية تعرف الطفل الذي كان جنينًا على العالم المحيط به وانتقاله من الفطرة إلى الرغبة في التكيف، ويقول بعض العلماء: إنها رغبة في امتصاص قوة الصدمة الأولى لدى الطفل حديث الولادة، وقد نصح الطب الحديث بالرضاعة الطبيعية في هذه المرحلة العمرية الحديثة جدًا، والتي تدوم منذ الولادة سنة ونصف أو سنتين، وهذا ليس فقط لأن لبن الأم يحوي مضادات حيوية ويساعد على تقوية جهاز المناعة لدى الطفل وما إلى ذلك من المنافع الصحية للجسم، وإنما أيضًا لما في ذلك من انعكاسات إيجابية على نفسية الرضيع، تتجلى في تعويض انفصال الطفل المفاجئ عن طريق التلامس الجسدي بينه وبين أمه، وبالتالي تقوية الصلة والترابط بينه وبينها، وقد أسمت اخصائية علم نفس الطفل الدكتورة فرانسواز دولتو هذه المرحلة بمرحلة المرآة، أي إن الطفل يبدأ بتكوين صورة عن نفسه من خلال ما يراه من تفاعل والديه معه، وبالتعرف على صوتهما، وليس غريبًا أن جاء الإسلام معلنًا هاته الحقيقة قبل قرون عدة إذ ذكر القران الكريم في سورة البقرة: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ...﴾.



فمن المستحسن إذن ومن الأفضل أن تكون العلاقة أكثر حميمية بين الأم وطفلها خلال السنتين الأوليين من عمره وأن تساعده على التعرف على محيطه الجديد، وأن تعطيه القدر الكافي من الحنان والانتباه، لأن هاته المرحلة تعد بداية تكوين النفسية المتوازنة لدى الطفل، واعترافًا من الدول المتقدمة بهذا فإن بعضها مثل فرنسا مثلا تبحث عن سن قانون لتمديد إجازة المرأة بعد الوضع إلى سنة على الأقل، ونساء عديدات بدأن يتوقفن عن عملهن لمدة سنة أو سنتين ليكن قرب أطفالهن دون الحاجة إلى وسيط ثالث قد تلعب الروضة دوره.

إذن السن المناسب لوضع الأطفال في الحضانة هو بعد السنتين، والأفضل في سن الثالثة، ولكن نحن نتحدث عن عالم تطور ولم يترك للمرأة مجالًا لأن تتفرغ كليًا لطفلها، ولذلك فهي تجد نفسها مرغمة على ترك ابنها في أيدي مربية الروضة، هنا يمكن أن ننصح الأم بألا تنسى دورها تمامًا، وإن كانت مضطرة

باحثة مغربية



لترك طفلها، فإن قلت ساعات حضورها قرب طفلها صباحًا، فيمكن أن تحسن جودة هذا الحضور مساء، بحيث تحدث توازنًا بين غيابها عنه وتواجدها قربه، فيمكنها مثلًا أن تتخلى عن قضاء بعض الأعمال المنزلية حينما تعود من عملها وتكرس وقتها للاهتمام بطفلها بدءًا من تحميمه بيدها وهي فترة يمكنها أن تستغلها أيضًا في مداعبته وتظهر له حنانها وعطفها، وأيضًا الاهتمام برضاعته وأكله والبقاء قربه إلى أن ينام، هكذا يمكنها أن تعوض ذلك الفراغ الذي تتركه في حياته حينما تتركه في أيد امرأة أخرى، وأيضا يستطيع الطفل أن يميز بين تواجد أمه وبين تواجد المربية ويفرق شيئًا فشيئًا بين دور كل منهما.

كما يمكن للأم التي تترك طفلها قبل ذهابها للعمل في دار للحضانة أن تحمل معها أشياء اعتاد عليها الطفل في البيت، مثل بعض ألعابه، وأيضًا شالًا عليه رائحة والدته مثلًا، هذه الأشياء تعد علامات مألوفة للطفل وتجعله يرتاح للمكان الجديد الذي يذهب له ويعتاد عليه شيئًا فشيئًا، بل يعتبره جزءًا من بيته.

أما داخل الروضة نفسها فيمكن للمربيات، كما قالت الاخصائية ماريا مونتسوري أن يجعلن الطفل يبني نفسه بنفسه، مع إرشاداتهن طبعًا وترك الاختيار له، فالطفل يحتاج إلى أن يكتشف عالمه الجديد وهو يضع نفسه في اختبار لطاقاته ومؤهلاته حتى يستطيع أن يندمج مع غيره من الأطفال ويعتاد على وجودهم قربه ووجود شخص ثان غير والدته في رعايته.

الجو العام لدار الحضانة أيضًا يساعد الطفل على التأقلم مع محيطه دون توجس ولا قلق، ويجعله يسعى للاختلاط بباقي الأطفال بعد أن يبتعد عن نزعته الفردية، حيث إنه يميل في بداية قدومه للدار إلى اللعب وحده والاعتماد على نفسه في الحركات التي يقوم بها ولا يحب أن يشاطره أحد لعبه ولكن شيئًا فشيئًا يمكنه أن يسمح بذلك بمساعدة المربية وبفضل محيط عام مشجع.

أما فيما يخص الأشياء التي يمكن أن تستفيد منها الأم من المربية، فيمكننا أن نذكر أهم شيء، وهو أن المربية قد تلاحظ أشياء لا تستطيع مشاهدتها الأم العاملة، وعليها أن تخبرها بذلك، مثلًا تركيز الطفل على نقطة معينة دون تحويل نظره عنها، أو عدم رغبته في اللعب وإنطوائيته حتى بعد مرور أيام عديدة،

أغلب الأمهات العاملات أصبحن يفضلن أن يضعن أطفالهن في الحضانة إلى حين عودتهن من عملهن

وكذلك قلة حركته في سن يميل فيها الطفل عادة إلى إثبات وجوده بواسطة حركيته، ولكن أيضا كثرة حركة الطفل الزائدة أو تكسيره للأشياء ورميها بحدة، كلها أمور يجب أن تعلم بها الأم، فقد تكون ناجمة عن اضطراب في السمع أو البصر لدى الطفل أو مشاكل عصبية أو جينية وأحيانًا نفسية، بما أننا قلنا إن الطفل يتأثر نفسيًا منذ أيامه الأولى بكل ما يحيط به.

كذلك من المهم جدًا أن تحب المربية ما تقوم به ولا تعتبره مجرد عمل، فحبها للأطفال وعملها في جو مريح سوف يجعلانها تعامل الأطفال بشكل صحي أكثر.

لذلك وجب ألا تكون دار الحضانة أو الروضة مجرد مكان تضع فيه الأم طفلها إلى حين عودتها، ولكن من المفترض أن تسأل عن سلوكيات طفلها وأن تحدث مربيته أمامه بابتسامة تجعله يثق فيها كما تثق أمه بها، وتنشأ بينها وبين هاته المربية علاقة طيبة، ولا يصح أن تأتي الأم لتأخذ ابنها بسرعة دون أن تمنح نفسها فرصة التعرف على تصرفاته والمحيط الذي تتركه فيه لساعات طويلة.

موسم جيد نتمناه للجميع وكل عام وأنتم بخير

هل نحن شباب مثقف؟

تحقيق: خالد محسن الحارثي

عند المساء.. كنا نلتف حول جدتي لتحكي لنا حكاية «العفريت الأحمر» و«أبو رجل مسلوخة».. وشيئًا فشيئًا نجد أننا نسحب أرجلنا لنضعها فوق الكرسي حتى لا يلتهمها العفريت. يعترينا الخوف تارة والإثارة تارة أخرى، ولا نمل أبدًا من حكاية العفريت، هكذا كانت ثقافة أطفال زمان.

لم تكن هناك وسائل إعلام متقدمة، لم يكن هناك تلفاز ولا فيديو ولا كمبيوتر، ولا «دش».. الخ، لم نكن نعرف القراءة بعد.

ويكبر الصغير ويجيد القراءة، ويشتري من الكتب ما يستطيع، ولكن المصاب بالداء لا ينساه.. نرجع دائمًا لثقافة العفاريت، والمشكلة اليوم ليست ثقافة العفاريت، ولكن هناك شرخ في جدار الثقافة العامة.. زيارة واحدة لأحد معارض الكتاب الدولية، والتي تقام سنويا بطول الوطن العربي، ربما تعطي صورة واضحة، ماذا يقول الشباب والناشرون وشركات الطباعة والمؤسسات الصحفية المشهورة ومنافذ بيع شرائط الكمبيوتر وتعلم اللغة؟! بل أيضا وباعة كتب الأزبكية؟

ما مدى إقبال الشباب على الكتب؟ وعلى الساندويتشات؟ ما مدى اهتمام الزائرين بالتقاط الصور التذكارية مع «بطوط وميكي ودبدوب»؟ تلك العرائس المتجولة بالمعارض، وما مدى اهتمامهم بحضور الندوات والمناظرات؟

ستجد المقارنة غير عادلة بين الكتب والساندويتشات! لكنها مقارنة تفرض نفسها من خلال قضية نطرحها للمناقشة، قضية تتلخص في سؤال واحد.. هل نحن شباب مثقف؟!

يقول محمد عطاالله (أحد الباعة بسور الأزبكية): أغلب الكتب التي تجد رواجًا اليوم هي الكتب التي تتحدث عن العفاريت وعالم الجن وقراءة الكف والأبراج.. وربما يرجع ذلك لمدى التشويق في المادة المعروضة، وبخاصة أن هذه المادة تباع بأسعار زهيدة بالمقارنة بكتب السياسة والأدب، لذلك أيضا نجد أن جمهور هذه المادة هم من الطبقات الشعبية الفقيرة.

يضيف رجب شلبي (بائع): أكبر مؤشر على تراجع الثقافة الحقيقية للشباب هو تراجع نسبة مبيعات كتاب «قصة الحضارة» وهو مكون من ٤٢ جزءًا ويعتبر ثمن الجزء الواحد زهيدا جدًّا، هذا الكتاب يتعرض بالشرح لجميع العصور والحضارات الشرقية والغربية والرومانية واليهودية والقبطية والإسلامية، وقصص الغزوات والحروب وقيام الدولة وتطور القوى الدولية.. للأسف الشديد أصبح المقبلون على شراء هذا الكتاب فئة تنحصر في أساتذة الجامعات والمعيدين وطلبة الدرجات العلمية كالدبلوم والماجستير والدكتوراه.

عبدالسلام الشاعر (مكتبة عالم الفكر): نظلم الشباب إذا قلنا: إن مستوى الثقافة يتراجع بشكل ملحوظ، حيث تنحصر أهم مشترياتهم في القصص البوليسية والمغامرات والكتب السطحية والصغيرة الحجم، وبتعبير أكثر دقة يمكننا القول إن سوق الكتاب يعاني ركودًا شديدًا بسبب الاهتمام بالثقافة السهلة المطروحة من خلال الصورة المرئية والكمبيوتر والنت.

علي الحاكي (صحفي): يرجع انخفاض نسبة شراء الكتب إلى ارتفاع سعر الورق، والذي يؤثر بشكل مباشر في أسعار الكتب.. ولكن رغم كل المعوقات في سوق الكتاب، فإننا لا ننكر وجود نسبة كبيرة من المهتمين بشراء كتب الأدب السياسي الساخر وأدب الرحلات.. فالكثير من الشباب يرغب في اقتناء المعلومة ولكن بشكل خفيف وظريف ومشوق، وهذا ما ينجح في تنفيذه بعض الكتاب أمثال «محمود السعدني» و«أحمد رجب».

سناء الشهاوي (الشرقية للمطبوعات): لا نجد إقبالا من الشباب على شراء الموسوعات، حيث تنخفض تماما نسبة المبيعات في هذه الفئة من الكتب، لكن كثيرًا ما نجد رب الأسرة يسعى لاقتناء تلك الموسوعات كنوع من إثراء مكتبة الأسرة.

محمد مصلحي (تكنولوجيا المعلومات): لا يوجد إقبال من الشباب على المترجم الناطق، لكن الإقبال يكون من بعض الشركات أو المؤسسات، وربما يرجع ذلك إلى قلة اهتمام كثير من الشباب بالنواحي الثقافية، وعدم رصد ميزانية خاصة لشراء الكتاب أو تنمية معرفته بلغة معنية.

محمد يوسف (دار المعارف): هناك إقبال شديد من الشباب على الكتب الدينية.. أما المرأة فتركز اهتمامها على شراء كتب الطهي والعناية بالمنزل، وهذا ليس على سبيل التعميم، فيوجد من النساء من يقبلن على مصادر الثقافة العامة وفي مجال الأسرة وتربية الأبناء.

زينب عثمان (هيئة الإذاعة): من الملاحظ إقبال الشباب على تعلم اللغات الأجنبية وبخاصة الانجليزية، ولكن لا يكون ذلك بناء على خطة يضعها الشاب لتثقيف ذاته، أو لقراءة الأدب العالمي، أو الانفتاح على صحافة الغرب، لكنه يسعى لتلك المعرفة عندما يجد أبواب الوظائف مغلقة أمامه، ويجد أن السبيل الوحيد لفتح تلك الأبواب هو التعرف على لغة أجنبية، ومحاولة إتقانها سعيا وراء وظيفة مناسبة.

يحيى إسماعيل (إحدى شركات الكمبيوتر): لا نستطيع القول اننا بصدد محو أمية الكمبيوتر في الوطن العربي..



ربما سنأخذ بعض الوقت، بسبب عدم تزايد الإقبال على شراء الكمبيوتر بمعدل منتظم، فعملية الشراء من فئة الشباب تزداد جدًا وكذلك ترتفع بالنسبة لأولياء الأمور المهتمين بتثقيف أطفالهم.

ماجدة الشربيني (كلية الآداب): للأسف الشديد يفضل الشباب اليوم رؤية الكتاب معروضًا على شاشة التلفاز أو السينما في شكل فيلم مسل يضم الأغنية والموقف والضحكة ويوفر الاسترخاء، لم يعد الشباب يتحمل عناء الجلوس أمام كتاب «يحلق» في كل صفحاته وهو منفتح الذهن لم يعد يملك القدرة على الجلوس أمام كتاب خارج المنهج الدراسي.. والنتيجة تراجع الوعي الثقافي.

رضا رياض (كلية الطب): لا أستطيع إنكار اهتمامي بالكتب الطبية أكثر من الفروع العلمية الأخرى.. وذلك بحكم تخصصي، لكني لا أهمل اقتناء الكتب الدينية ووسائل تعليم اللغة، أما إذا تناولنا القضية بشكل عام فعلينا أن نلتمس العذر قليلا للشباب.. فثورة المعلومات تتهمه في كل لحظة بأنه مقصر في المعرفة.. مقصر مهما وصل حجم قراءاته.

وعلى سبيل المثال إذا كان احدنا يهتم بالطب مثلا.. فعليه أن يطالع كل القديم وهذا يحتاج أعمارا أخرى على عمر الإنسان، ثم يصل إلى ما يطرحه القرن العشرون والقرن الواحد والعشرون، ويتابع الدوريات الطبية التي تصدر بلغات مختلفة تصل إلى العشرات، ويشتري بمئات الألوف من الجنيهات مجلات متخصصة! وهكذا الحال في الأدب والسينما والسياسة.

ولكن هذا لا يعني إهمال الثقافة العامة والخاصة، أو إهمال القراءة التي تعطي الشباب دورًا ايجابيًا في حياته، فبقدر ما يعرف الشباب بقدر ما تكون قيمته عند التقدم لوظيفة، أو الارتقاء في عمله أو التقدم إلى عروسة، أو تربية أطفاله.. بقدر ما يعرف بقدر ما يكون وعيه عند شراء الخبز والخضر والصحيفة الصباحية، وكذلك بقدر ما يعرف يقدره الناس والمثقفون.

باقة ورد

محمد محمود غدية

تعيش الحياة الاعتيادية والأحداث اليومية مع زوج تحبه وابنتين جميلتين في عمر الزهور، هدية الحياة لهما، ما جعل الاستمرارية مبهجة مع زوج حنون يحب زوجت وابنته رغم مشاغله، لا يتوانى في سكب أعذب الكلمات الطيبة في أذن زوجته طوال الوقت، حتى وهي مشغولة بإعداد الطعام، يطيب له أن يأكل من يد زوجته، المتخم بالدسم، والذي يشبه كثيرا طعام والدته. يتذكر لقاءهما الأول بمؤسسة كبرى تعمل في مجال الاتصالات، كانت تشاركه المكتب، كسكرتير ثان، تتميز بإشراقة الوجه ونضارته، مازالت تحمل مسحة من جمال قديم، رغم السنوات، ومسؤوليات البيت والزوج والبنات.

مما لاشك فيه أن الضجر والملل يستنزفان بهجة الحياة وتنوع ألوانها، بنتان في كلياتهم والزوج في عمله. وهي من اختارت بالاتفاق مع زوجها، ترك العمل والتفرغ للبيت، وتربية البنات.. تتذكر أمسياتها الحلوة، و«كوز» الذرة المشوي في ليل القاهرة القارس.

وكيف أنه لا يتردد في شراء الورد الذي تحبه بعد أن يغلفه البائع في باقة رائعة، تضعها في أصيص أعدته لهذا الغرض، يزين غرفة الصالون.

حبهما يكبر ويكبر، وهم على ثقة أن الحياة دون حب عدمية، ليست مميزة، أوراق يابسة تكنسها رياح الأيام.

شيء وحيد عكر صفو هذه الحياة الجميلة، بالتحديد في هذا اليوم الذي يشير إلى عيد زواجهما، خرج زوجها في الصباح دون تهنئتها، هل أنسته المشاغل أهم يوم في حياتهما؟! أخذت الأفكار برأسها تتناطح، وتمسك برقاب بعضها البعض.. أهو الملل الذي تسرب إليه، أم حبه لها الذي تضاءل وأصبح شحيحا؟!

هي الأخرى مشغولة طوال الوقت، لكنها ما توقفت عن حبها له، الدقائق تلتهمها الساعات، والساعات تلتهم أحشاءها التي تنفجر يأسًا وضجرًا، فتقرر هجر البيت والذهاب إلى والدتها.

ستترك له رسالة تخبره فيها أن حزنها كبير بمقدار حبها له؛ لأنه نسي عيد زواجهما، وهي التي لم تنسه قط.

استوقفها أحدهم وهي تغادر باب العمارة، يسأل عن الشقة رقم سبعة في أي الأدوار، إنها شقتها، التمعت عيناها بالفرح، وتسللت البهجة في بهو روحها.. وهو يسلمها باقة ورد، تحمل بطاقة من كلمتين: أحبك، زوجك.

- كاتب صحفي

قصة قصيرة

الــزم قــدمــيــهـا

أحمد عبد اللطيف النجار

الجنة تحت أقدام الأمهات، الجميع يعرف ذلك، لكن القليلين فقط يقدرون هذا القول حق قدره! قلة قليلة هي التي استلهمت روح الإسلام وقيمه النبيلة في معاملة الأم وتوقيرها وتقديرها، ولا أقصد هنا بالتقدير المادي فقط كما يُفعل فيما يسمى بعيد الأم وعيد الأب، بل حددوا يومًا معينًا في السنة لتكريمهم، أما باقي أيام العام فالأمر متروك للظروف والمزاج النفسي لكل فرد على حدة!!

ليتأكد كل شخص أهان والديه في حياتهما- وخصوصًا الأم- أن الله يمهل ولا يهمل وكما تدين تدان!

وهذا ما عايشته بنفسي في قصة صاحبي، الذي نشأ في أسرة ريفية بسيطة، وكان أبواه أميين متدينين، حيث التحق بكتاب القرية وحفظ أجزاء من القرآن الكريم، وتعلم في أقرب مدرسة لقريته حتى أنهى تعليمه الثانوي، وحصل على مجموع كبير فالتحق بكلية الطب، وتمر أعوام الدراسة سريعًا كما تمر أيام العمر، ويكابد أبواه شظف العيش من أجل توفير المصاريف لدراسة ابنهم.

ولأترك صاحبي يقص علينا تطورات مأساته، يقول:

خلال سنوات الدراسة تعرفت على زميلة لي في الكلية وانجذبت إليها كثيرًا، رغم نفور جميع الطلاب منها لغرورها وحدة مزاجها وتبرجها الزائد، إلى جانب أنها لم تكن جميلة إطلاقًا ورغم كل شيء فقد تعلقت بها ولم أجرؤ على مفاتحتها في شيء، وللأسف الشديد فقد كان لذلك تأثير سلبي على دراستي فرسبت في السنة الأولى بكلية الطب، وسبقتني هي دراسيا، وتدهورت حالتي النفسية كثيرًا فكان نجاحي بطيئًا، أما زميلتي فقد سبقتني في التخرج من الكلية وانقطعت أخبارها عني سنوات عدة، وإن كانت لا تغادر مخيلتي أبدًا، وأخيرًا تخرجت أنا بعد جهد جهيد وذهبت إلى المستشفى الذي سأقضي فيه فترة الامتياز، ففوجئت بزميلة الدراسة وقد عينت طبيبة نائبة في المستشفى الجامعي الذي سأعمل به وأنها سترأسني خلال فترة الامتياز، ولاحظت كذلك أن جميع العاملين بالمستشفى ينفرون منها، ووجدت نفسي ودون أن أدري أتقدم لطلب يدها فوافقت سريعًا دون أي شروط، فكنت ساعتها مذهولًا لا أصدق نفسي، وذهبت إلى أهلي في بلدتي وأخبرتهم بما أنوي عمله، فلاحظت عليهم الوجوم والحيرة ونصحوني أن أبتعد عنها لأنها كانت السبب في أزمتي النفسية من قبل، ولأنها لا تناسبني ودنياها غير دنياي!

ولكني للأسف لم أطق أي معارضة



باحث في القضايا الأسرية



وأصررت على الزواج منها حتى لو رفض أبي مساعدتي ماليًا!

ومضيت في استعدادي للزواج، وخلال هذه الفترة توترت أعصابي فأصبحت حاد الطباع مع أسرتي وآذيت أبي وأمي كثيرًا بلساني، فكانا يصبران عليّ على أمل أن يهديني الله، وكلما اقترب موعد زواجي ساءت طباعي معهما، حتى حدث قبل أسبوعين من زفافي أن نشبت مشاجرة عادية بيني وبين أمي بسبب موضوع الزواج، فأنهلت عليها لومًا وتوبيخًا أمام أبي وإخوتي، ثم أعماني الشيطان فإذا بي أرفع يدي وأهوي بها على وجهها أمام الجميع الذين أصابهم الذهول مما حدث!!

وأسرعت أنا بالخروج وصوت أمي يشيعني بالدعاء أن أرى من أولادي ما أريتها!

والله يا صاحبي مازلت أسمع رنين ذلك الدعاء في أذني على مر السنين، وعندما ذهبت إلى عروسي لاهثًا مهزوزًا، ورويت لها ما حدث، متوقعا منها أن تلومني وتوبخني، إذا بها تقول لي إن هذا هو أقل ما كان ينبغي أن أفعله مع مثل هذه الأم السمجة!!

لقد أعمى الله بصيرتي ولم أشعر بخطورة الجرم الذي اقترفته في حق أمي، وتزوجت ومرت السنون تباعًا، أنجبنا خلالها البنات والبنين، وقاطعت أهلي نهائيًا كأنهم ليسوا على وجه الأرض ولم ينفقا علي كل ما يملكان لأصبح طبيبًا!

وتوجهت كل عنايتي وحياتي واهتماماتي إلى زوجتي وأسرتها ومعارفها ثم إلى أولادي الثلاثة، وفي الواقع كانت حياتي مع زوجتي سلسلة متواصلة من

ليتأكد كل شخص أهان والديه في حياتهما وخصوصًا الأم أن الله يمهل ولا يهمل

الكآبة والشجار والمشاكل، أما أبنائي الذين صبرت من أجلهم على كل ما لاقيته من عذاب وهوان من زوجتي، فقد شب الولدان الكبيران متشبعين بأخلاق أمهما وطباعها، وكلما تقدمت بهما السن زادا شرودًا عني والتصاقا بأمهما، حتى جاء يوم كنت أوبخ فيه ولدي الأكبر على تدخينه السجائر بشراهة أمامي

فإذا به ينفجر في باللعنات فصفعته! فإذا به يبصق في وجهي!

تصور ابني يبصق في وجهي! وبالطبع اعتراني انفعال شديد وصياح عال على كل من في المنزل!

والله يا أخي وأنا في قمة انفعالي تذكرت وجه أمي المسكينة وهي مذهولة عقب تلقيها صفعتي الملعونة! وتذكرت أيضا صورة أبي وإخوتي وهم مشدوهون!

لقد خيل إلي أنني سمعت صوت أمي وهي تلاحقني بالدعاء إلى الله أن يذيقني من الكأس الذي أذقته لها!

عرفت لحظتها فقط أن ما حدث لي من أولادي بمنزلة انتقام من الله لما فعلته بأمي، وأن وقت الحساب قد آن، وأشعر الآن بالندم الشديد على سلوكي مع أمي وأبي، وأرجو الله أن يتقبل توبتي بعد أن مات والداي ولم يعد هناك سبيل لصفحهما عني!

إنه درس قاس وبليغ أرجو أن نتعلم منه جميعًا ونعرف حقًا أن الجنة تحت أقدام الأمهات، وأن ما حدث لك يا صاحبي إنما هو عقاب من الله وفاتورة من فواتير جبروتك وطغيانك على أمك وظلمك لأهلك، كان لزامًا عليك سدادها!!

وأنت في الواقع بدأت السداد في وقت مبكر جدًا من حياتك الزوجية حين انقشعت أوهام السعادة مع زوجتك حادة الطباع، المكروهة من الجميع، فتجرعت معها كؤوس الشقاء حتى الثمالة، وقد بالغت أنت كثيرًا بتوهمك إمكان تغيير طباعها مع علمك التام بسوء طباعها وكره الآخرين لها!

فلو كانت فتاة أصيلة لما قبلت الارتباط بك بعدما رأت مبلغ وفائك لأمك وأبيك! أو على الأقل لأجبرتك على الرجوع عن الخطأ، لكن فاقد الشيء لا يعطيه، فكفاك قطعًا لرحمك، وابدأ على الفور بالاتصال بإخوتك، وصِل علاقاتك المقطوعة معهم، وحاول تأدية فريضة الحج نيابة عن أبويك، لعل الله يغفر لك، ولعلنا جميعًا نعي ونفهم قرآننا الكريم بعقول واعية وقلوب سليمة، ولعلنا نطبق في حياتنا الدنيا قول الحق سبحانه وتعالى ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا﴾ (الإسراء: ٢٣).

الرياضة النسائية.. ضرورة حياتية أمْ وجاهة اجتماعية؟

تحقيق: محمد عبدالشافي

تباينت الآراء حول تدريس التربية البدنية للنساء، وهو ما أطلق عليه بـ«الرياضة النسائية» ما بين المؤيدين والمعارضين والمتحفظين أوْ من هم بين بين! فالغرب قد قطع شوطا كبيرًا في هذا المضمار، ومارست النساء الرياضة بمختلف ألوانها منذ سنين بعيدة، والمجتمعات العربية والإسلامية التي يسمونها «المجتمعات الشرقية» لها تقاليد وعادات حالت دون الاقتراب من هذا الأمر أو مجرد اقتراحه في بعض البلدان!

المؤيدون لتدريس مادة التربية الرياضية أو ممارسة النساء للرياضة لديهم من الحجج والبراهين العقلية والمنطقية والعلمية ما يثبت وجهة نظرهم، ولا يروا مانعًا في شريعة الإسلام يحول بين تعليم النساء الرياضة، أما الفريق الرافض لفكرة مزاولة النساء للرياضة يمتلكون من الأدلة الشرعية والعقلية أيضًا ما يؤيد رأيهم، ويدحض أقاويل وظنون الآخرين، وهناك فريق ثالث اشترك معنا في هذه القضية، وأدلى بدلوه، هذا الفريق الوسطي لا مع المؤيدين المنبهرين والمقلدين لغيرهم في كل حادث وجديد وغريب حتى ولو على حساب الدين والوطن، ولا هم مع الرافضين الذين يحرمون كل شيء، ويرون أن أي جديد مس شيطاني أو بدعة وضلالة.. وكل ضلالة في النار! إنما يرون أنه لا حرج في هذا الأمر، لكن التدرج فيه ومراعاة التقاليد مطلوب، كذلك الالتزام بالضوابط الشرعية. وفي هذا التحقيق نعرض القضية من جميع جوانبها، وإلى التفاصيل.

مخالفة صريحة للشرع!

في البداية، يقول عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة فضيلة الشيخ يوسف البدري: إن فكرة الرياضة النسائية واحدة من سلسلة طويلة من البدع والمنكرات الاجتماعية والأخلاقية، فضلًا عن مخالفتها الصريحة للشرع الحنيف، وقد وفدتْ هذه الفكرة إلى مجتمعاتنا مع أفكار غازية أخرى أتتْ بها ريح الشمال العاتية وساعد في تكريسها من أجل التطبيق والممارسة ذلك الضخ الإعلامي الغربي، الذي يتقبله المساكين في بلادنا بخيره وشره، وحلوه ومرّه، وما يحمد منه وما يعاب، كما نادى بذلك كبيرهم في النصف الأول من القرن العشرين!

الأصل في الأشياء الإباحة وليس هناك نص واحد يحرم الرياضة النسائية

ويرى- فضيلته- أنه ليس كل ما يصلح لمجتمع ما شرطا أن يصلح لمجتمع آخر، فلكل مجتمع ولكل أمة من الخصوصيات التي تحافظ على هويتها وعلى طابعها، فليس من الصواب إذا تعرتْ نساء الغرب أن تتعرى نساؤنا، أو إذا أدمنت نساؤهم التدخين وتعاطي المخدرات أن تفعل نساؤنا مثلهم وتحذو حذوهم، فبدلًا من أن يجرونا إلى الرذائل والمنكرات، كان الأولى بنا أن نقودهم إلى طريق الهداية واعتناق الفضائل، خاصة أننا أمة دعوة وأمة صاحبة رسالة عالمية لإنقاذ البشرية.

هذه المرأة التي يريدها العلمانيون!

ويؤيد هذا الرأي- أيضًا-الأستاذ بالجامعة الأزهرية فضيلة د. أحمد عبدالرحيم السايح- إذْ يقول: فكرة الرياضة النسائية من حبائل الشيطان وحلقة من حلقات إفساد المرأة وتخليها عما هي منوطة به من رسالة في مجتمعها، وإن الداعين لهذه الفكرة ليسوا حريصين على مكانة المرأة ولا هم الذين يتمنون صلاحها، بل أكبر همّهم أن يروها في أوساط الرجال وفي الملاهي والأندية والمحافل سافرة، وحاسرة الرأس، وشبه عارية، أو عارية إن استطاعوا إلى ذلك سبيلا!

ويقول فضيلته: إن أصحاب هذه الدعوى من فلول العلمانيين والحداثيين وبقايا الماركسيين في بلادنا بعيدين كل البعد عن القيم، جاهلين بالحديث الشريف الذي يحفظ على المرأة عفتها.. ذلك الحديث الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها، وقالت فيه أن رسول الله ﷺ قال: «أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عز وجل» (الألباني- صحيح الجامع).

درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة

ومن جانبه يرى -أستاذ ورئيس قسم الشريعة بكلية الحقوق جامعة الإسكندرية د. محمد كمال إمام

- أن المعترضين على الرياضة النسائية أقرب إلى الموضوعية والصواب من الداعين إليها والمحرضين عليها والمطالبين



بنشرها في شرق البلاد وغربها، فسد الذرائع مقدم على جلب المنافع، خاصة أن أنواعًا كثيرة من الرياضة تؤدي في كثير من الأحيان إلى ارتكاب المحرمات والخروج عن الحياء المطلوب إنْ كان بقي منه شيء في عصرنا!

ويتساءل د. كمال إمام - بحزن وحسرة: هل الرياضة النسائية هي أيضًا من وسائل التقدم والنهضة، وأن تخلفنا سببه عدم ممارسة النساء للرياضة؟ كما قيل من قبل: إن تخلفنا يكمن في اللغة العربية التي نتكلم بها! لذا أرجو أن يحسب أولياء الأمور ألف حساب لهذا الأمر، لأنه إذا فتح الباب فسيصعب سده وإغلاقه، وسيأتي منه شر مستطير.

الرياضة النسائية مطلوبة.. بشروط!

في المقابل، يرى عميد كلية أصول الدين السابق فضيلة د. عبدالمعطي بيومي أن الأصل في الموضوع هو الإباحة، وليس هناك ما يحرم تعليم التربية الرياضية للفتيات، وأن الحجج الشرعية التي استند إليها الآخرون بعيدة عن هذه القضية، وموضوعة في غير موضعها، فالتي تضع ثيابها في غير بيتها مقصود به شيئًا آخر، ليس له علاقة بالرياضة ولا السياسة، ولا نريد أن يصبح سلطان التقاليد هو الموجه لشؤون حياتنا ومعاشنا، فالرياضة مطلوبة للمرأة ما لم تخرج عن حدود الشرع والقيم والأخلاقيات المتعارف عليها، فليس من المعقول أن يخلو بالمرأة رجل أجنبي تحت ستار تعليمها الرياضة، أو ظهورها بلباس غير شرعي في أحد الأندية أو ما شابه ذلك مما لا يوافقه دين ولا منطق ولا عرف.. فالتوسط مطلوب وضروري في كل الأمور وجميع الحالات.

الرياضة النسائية «دلع» ووجاهة اجتماعية!

وتقول أستاذ علم الاجتماع بالمعهد العالي للخدمة الاجتماعية د. هالة سليمان:



نحن في حاجة لتدريس التربية البدنية لفتياتنا في مختلف المراحل التعليمية، لما فيها من أهمية للصحة النفسية والصحة البدنية للفتاة في حاضرها ومستقبلها معًا، وقد أثبتت الدراسات النفسية والاجتماعية أهمية الرياضة بالنسبة للجانب الذهني والمعلوماتي، أو كما قيل «العقل السليم في الجسم السليم» وليس هناك مبرر واحد يمنع تعليم النساء أو مزاولتهن للرياضة سواء في المدارس أو في البيوت.. حتى وإن قيل إن الرياضة عند الفتاة العربية هي بمثابة نوع من «الدلع» والوجاهة الاجتماعية، فنحن نؤيد هذا «الدلع» مادام يعود بالفائدة على المجتمع.

قوِّي ذاكرتك بالتمرينات الرياضية!

هذا، ويؤكد الأستاذ بطب عين شمس د. محمود أحمد كمال أن ممارسة الرياضة غاية في الأهمية بالنسبة للنساء في جميع الأعمار، وأوضح أن مظاهر النسيان وضعف الذاكرة عند النساء لا تعني بالضرورة بداية الإصابة بمرض الزهايمر، فقد ثبت أن حالات النسيان عند النساء في منتصف العمر قد تنتج عن التوتر والاكتئاب وضغوط الحياة. لذا، فإن تغيير نمط الحياة يمكن أن يلعب دورًا في تحقيق قوة الذاكرة مثل المواظبة على أداء التمرينات الرياضية، وأبسطها المشي لمدة نصف ساعة يوميًا مع الإقبال على تعلم مهارات جديدة مثل الشطرنج وغيرها من النشاطات الذهنية التي تنمي الذاكرة وتقويها، والمحافظة على الصحة قدر المستطاع.

ممارسة التمارين الرياضية صحة وعافية

ويدعو د. نبيل سلامة، إلى ضرورة المحافظة على ممارسة الرياضة للجنسين وفي جميع المراحل العمرية، لأن الذين يمارسون التمارين الرياضية يتمتعون بطاقة أكبر على الاستمرار والاحتمال، فقد أظهرت الدراسات أن التمارين حتى تلك التي تمارس باعتدال لمدة ساعة يوميًا ثلاث مرات في الأسبوع، يمكنها مضاعفة قوة الإنسان ومرونة جسده وجعله أكثر نشاطًا في حياته اليومية.



كيف نعزز السلوك الصحيح في أطفالنا؟!

ليلى محمد محمد

الأسرة هي البيئة التي تتعهد الطفل بالتربية، لأن غريزة الأبوة والأمومة هي التي تدفع بكل من الأب والأم إلى القيام برعاية الطفل وحمايته، ولاسيما في السنوات الأولى من طفولته..

تعتبر مرحلة الطفولة المبكرة من أهم مراحل الحياة في تاريخ النشء، كونها الأساس الذي يعتمد عليه نمو الطفل، في المراحل التالية، لدرجة أن اعتبر الإسلام الأسرة مسؤولة عن فطرة الطفل، واعتبر كل انحراف يصيبها مصدره الأول الأبوان، أو من يقوم مقامهما من المربين، فالطفل يولد صافي السريرة، سليم الفطرة، وفي هذا المعنى يقول الرسول ﷺ فيما رواه أبوهريرة رضي الله عنه: «ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء» (رواه البخاري)، ثم يقول أبوهريرة رضي الله عنه: «فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم».

وقد فهم الصحابي الجليل أبوهريرة رضي الله عنه أن الفطرة، هي استعداد المولود للدين القيم، دين التوحيد، وأن سنة الله لا تتغير في جميع المواليد البشرية، فساق الآية لإيضاح معنى الحديث.

ومن هنا يمكننا القول: إن غرس الإيمان الحقيقي في نفوس الأطفال، والإيمان المطلق بالله بصفاته الثابتة له، وحبه والخضوع له، والخوف منه، والالتجاء إليه في كل أمر هو سر السعادة للأبناء والأسرة، خاصة إذا أثبتت العقيدة بالطرق التربوية السليمة التي تقوم على العاطفة والعقل والعلم والحكمة حتى يكون الإيمان هو مصدر السلوك وموجه الإنسان نحو الحياة.

إلا أن ثمة سؤال: «كيف نعزز السلوك الصحيح ونشجعه في أطفالنا؟ مادام مصدر السلوك هو الإيمان، وموجه الإنسان في الحياة، وحتى عندما نعلم الطفل السلوك الصحيح قد يخطئ، ويكون السبب انه لم يتلق التشجيع والتعزيز لسلوكه الصحيح، مما جعل

• خبيره تربوية



ينبغي ألا يكون هناك تناقض بين المعلمين والأبوين في تعديل سلوك الطفل

احتمالات تكراره تضمحل، ثم قد يجد الطفل في الخطأ ما يشبع حاجاته ولم يجد البديل الصحيح، مما يؤدي بالطفل إلى الخطأ، ويحتاج منا أن نتفق معه على السلوك الذي ينبغي له أن يمارسه والسلوك الذي ينبغي ألا يمارسه.

وبناء على ما تقدم، إليك أهم الخطوات الواجب اتباعها من أجل تعديل سلوك طفلك:

١- تحديد السلوك الخاطئ.

٢- إيقاف السلوك الخاطئ.

٣- علّم طفلك السلوك الصحيح.

٤- عزّز السلوك الصحيح.

٥- أبرم عقدًا مع طفلك.

البداية الصحيحة والسليمة لتعديل السلوك بالنسبة لطفلك، هي تحديد السلوك الخاطئ، مما يوجب ملاحظة سلوك الطفل بدقة، مع اتخاذ الاجراءات التي تهدف الىالتحكم بالسلوك، وذلك وفق معايير صحيحة، بعيدًا عن المزاج المتقلب، وعلينا معرفة دوافع سلوك الطفل في تصرفه، قد يكون التصرف الناتج عن الطفل خطأ، وربما يهدف هذا التصرف إلى محاولة من الطفل بغية تقديم مساعدة، وعلى سبيل المثال قد تبلل الطفلة الصغيرة ملابسها بالماء، مما يلجئ الأم الى معاقبتها على هذا التصرف، في حين أنها أرادت أن تقوم بملء الإناء بالماء من أجل تنظيف المكان، كما رأت أمها تفعل ذلك، فوقعت الطفلة وانسكب الماء إلا أن اللجوء



إلى إيقاف الخطأ عن طريق العقاب البدني، يعد عملية خاطئة، وعلينا أن نتغاضى عن الخطأ الصغير الذي يحدث للمرة الأولى، ونشعر الطفلة بأننا نلاحظ سلوكه، سواء بالنظر أو الاقتراب أو اللمس أو الإشارة، وبذلك نطلب من الطفلة التوقف عن سلوكها، ونحذرها من تكرار هذه المخالفة، إلا أن الأمر قد يستوجب العقاب، ومن طرق العقاب في هذه الحالة، حرمان الطفلة من بعض الامتيازات، وان تقوم بإصلاح ما أفسدته، واللجوء الى العزل لمدة محددة، وذلك في غرفة، في حال إذا كان السلوك عدوانيا، مع بيان عدم الرضا عن هذا السلوك الناتج عن الطفلة سواء بالكلام، أو بالايماءات المختلفة.

ويجب استخدام طرق مناسبة لتعليم السلوك الصحيح للطفل منها: أن نقدم للطفل نموذجًا فعليًا للسلوك الذي نرغب في تعليمه إياه «النمذجة» وأن نلقن ما يساعد الطفل علي تعلم السلوك الجديد «التلقين» وأن نشرح للطفل سبب ما نطلبه منه من مطالب والعواقب الناتجة عن فعل التصرف غير اللائق.

وثمة نداء للآباء والمعلمين كافة: من أجل تعزيز السلوك الصحيح علينا اتباع بعض القواعد المهمة، منها: عدم الاعتماد على التعزيز المادي فقط، لكي لا يصبح الشخص ماديًا، ومن القواعد أيضًا أن يكون الثناء على السلوك وليس على الطفل وحتى لا نضيع فرصة جيدة لتثبيت ودعم وتقوية السلوك علينا آباء ومعلمين الانتباه إلى السلوك الجيد أكثر من الانتباه للسلوك الخاطئ.

إبرام عقد مع الطفل

● اتفاق مكتوب بينك وبين الطفل، يتضمن المهمة المطلوب تأديتها والمكافأة التي سيحصل عليها عند تأدية هذه المهمة.

مثال: ستأخذ طفلك إلى مدينة الألعاب، شريطة أن يحصل على درجة جيدة في الامتحان.

● اتفاق مكتوب بينك وبين الطفل يتضمن بعض الأعمال والتصرفات التي يجب على الطفل تجنبها، وبعض انواع العقاب التي سيجنيها الطفل حين القيام بتلك التصرفات.

مثال: إذا قام الطفل بضرب أخيه الأصغر مرة ثانية، فسوف تقوم بحبسه في غرفته.

وبقي أن نقول: من المفيد ذكره ألا يكون هناك تناقض بين المعلمين والأبوين في تعديل سلوك الطفل.

شهد حلقات لكبار العلماء كالشافعي والليث بن سعد والعز بن عبد السلام

جامع عمرو بن العاص.. منارة الإسلام في إفريقية

القاهرة - دار الإعلام العربية

إذا أردت أن تعيش في زمن الفتوحات الإسلامية وأن تتخيل الصحابي الجليل عمرو بن العاص وهو يفتح مصر ويطهرها من فلول الرومان.. وإذا أردت أن تصلي في مسجد حدد قبلته ثمانون صحابيًا، فما عليك إلا أن تقصد القاهرة الفاطمية، وتصلي في مسجد الصحابي عمر بن العاص، أول جامع وجامعة إسلامية في مصر والقارة الإفريقية بأسرها.. وستعيش بين باحته أجواء العصور الأولى في دولة الإسلام.

لا يمكن لأي متابع أو مؤرخ للفتح الإسلامي لمصر عام ٢٠ هجرية- ٦٤١ ميلادية إلا أن يتوقف عند هذا المسجد العتيق الذي شرع ابن العاص في بنائه بتوجيه من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وظل على مساحته الأولى حتى العام ٥١ هـ- ٦٧٢م بعدها شهد توسعات من خلال حكام مصر الذين تعاقبوا على حكم مصر الإسلامية، حتى وصلت مساحته إلى ٢٤ ألف ذراع معمارية، أما مساحته الحالية فهي ١٢٠,٥٠ × ١١٢,٥٠ مترًا.

ومثلما شهد المسجد توسعات وتحسينات متتالية تعرض أيضًا لحريقين كبيرين، شب الأول عام ٢٧٥ هجرية- ٨٨٨ ميلادية، وقام حمارويه بن أحمد بن طولون بإعادة بنائه إلى ما كان عليه، أما الحريق الثاني فشب عام ٥٦٤ هجرية- ١١٦٨ ميلادية، وذلك إثر احتراق مدينة الفسطاط في عهد آخر الخلفاء الفاطميين، لكن إحدى الروايات تقول إن الوزير شاور خاف من احتلال الصليبيين للفسطاط فأشعل فيها النار بعد أن عجز عن الدفاع عنها، وعلى إثر ذلك تهدم المسجد، بعدها قام صلاح الدين الأيوبي بضم مصر إلى دولته، وأمر بإعادة إعمار المسجد من جديد خلال عام ٥٦٨ هجرية.

لم يقتصر نشاط الجامع على الصلاة إنما كان محكمة وملاذًا لليتامى ومدرسة لمختلف العلوم

تكوَّن التخطيط الأصلي للجامع عند بنائه من مساحة مستطيلة وأرضية مفروشة بالحصباء، وكان سقفه مغطى بسعف النخيل فوق ساريات من جذوع النخيل المغطى بالطين، لم يكن له صحن ولا محراب مجوف ولا مئذنة، بل منبر فقط، وقد بنيت جدران الجامع الخارجية من الطوب اللبن، وكانت خالية من الزخارف، وله ستة أبواب في جدرانه ما عدا جدار القبلة، أما ارتفاعه من الداخل فكان نحو ثلاثة أمتار كما المسجد النبوي.



وقد بنى عمرو بن العاص لنفسه دارًا في الجانب الشرقي من المسجد أطلق عليها دار عمرو الكبرى، كان يجاورها من الشمال دار لابنه عبدالله سميت بدار عمرو الصغرى، ثم بنيت دار ثالثة للصحابي الزبير بن العوام.

أما التخطيط الحالي للمسجد فيتكون من مدخل رئيس بارز يقع في الجهة الغربية، ويتكون من صحن كبير مكشوف تحيط به أربعة أروقة ذات سقوف خشبية بسيطة، أكبر هذه الأروقة هو رواق القبلة، ويتكون من إحدى وعشرين بائكة على جدار القبلة، تتكون كل بائكة من ستة عقود مدببة مرتكزة على أعمدة رخامية، وبصدر رواق القبلة محرابان مجوفان يجاور كلا منهما منبر خشبي، كما يوجد بجدار القبلة لوحتان ترجعان إلى عصر مراد بك.

وفي الركن الشمالي الشرقي لرواق القبلة قبة يقال إن تاريخها يرجع إلى عبدالله



بن عمرو بن العاص، أما صحن الجامع فتتوسطه قبة قائمة على ثمانية أعمدة رخامية ذات تيجان مختلفة جلبت من عمائر قديمة، ويتوج واجهات المسجد من الخارج شرفات هرمية مسننة، وله مئذنة يرجع تاريخها إلى عصر مراد بك تتكون من دورة واحدة ذات قيمة مخروطية، وعلى الرغم من التجديدات العديدة التي تمت له في العصور القديمة والحديثة مازال المسجد قبلة للمصلين، ومازال مكانه يحتفظ بعبق الماضي.

عطاء بلا حدود

منذ إنشائه وحتى يومنا هذا، لم يقتصر نشاط جامع عمرو على الصلاة فقط، إنما كان محكمة لفض النزاعات الدينية والاجتماعية التي تنشب من آن إلى آخر سواء بين المسلمين، أو بين المسلمين وبعض أصحاب الديانات الأخرى، كما كان فيه بيت للمال مخصص للإنفاق على اليتامى وذوي الاحتياجات الخاصة، فضلا عن ذلك كان مدرسة لمختلف أنواع العلوم لاسيما الدينية منها، وفي العصر الحديث تواصل الدور الإشعاعي للجامع، فمع كونه ساحة رئيسة لصلاة التراويح في رمضان من كل عام، حيث يفوح عبير الماضي حول المسجد وداخله، ويمتد إلى حدود الكنيسة المعلقة والمعبد اليهودي الواقعين بالقرب منه، وأطلق على هذا المكان «مجمع الأديان» في حي مصر القديمة، فلذلك تحس أن لصلاة التراويح بالمسجد إحساسًا مختلفًا، ويحرص المسلمون على الصلاة فيه راضين بأقل مساحة تسمح لهم بالوقوف للصلاة.

أيضًا يتبنى الجامع فصول تقوية مجانية، وفيه مكتبة عامرة بعديد من الكتب والمراجع الدينية، فضلًا عن أنشطة اجتماعية أخرى من خلال المقرأة ولجنة الزكاة، ودروس العلماء مثل الدكتور إسماعيل الدفتار خطيب الجامع وعديد من الشيوخ الآخرين.

كبار العلماء

كما شهد المسجد حلقات دروس لكبار علماء المسلمين، منهم الإمام الشافعي، والإمام الليث بن سعد، والعز بن عبدالسلام البوابة العريضة التي دخل منها المصريون وكثير من العرب والعجم إلى الإسلام، حيث جاهد الأئمة والدعاة لنشر الإسلام وتعريب لسان أهل مصر، وكان أشهر من اعتلى منبره في العصر الحديث الداعية الإسلامي الراحل الشيخ محمد الغزالي والشيخ سيد سابق والدكتور عبدالصبور شاهين، رحمهم الله، كما اكتسب الشيخ الشاب محمد جبريل شهرته العريضة من خلال إمامته لصلاة القيام، لاسيما في العشر الأواخر من رمضان منذ أكثر من عشرة أعوام متتابعة.

أهمية كبيرة

ولا تتوقف أهمية المسجد على كونه أول مسجد بني في مصر وإفريقية كلها، إنما من اهتمام الخليفة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الذي كان مدركًا لأهمية هذا المسجد وضرورته في حياة المسلمين الأفارقة، مما دعا إلى اهتمام كل المسلمين في مصر والدول العربية به، ويذكر عن يزيد بن حبيب أنه اشترك في تحديد قبلة المسجد نحو ٨٠ من صحابة رسول الله ﷺ، كلهم ممن شاركوا في فتح مصر، منهم الزبير بن العوام، وعبادة بن الصامت، وعقبة بن عامر، ورافع بن مالك، وسعد بن أبي وقاص، وربيعة بن شرحبيل، وآخرون رضوان الله عليهم جميعًا، وكان هذا المسجد رابع مسجد أقيم في الإسلام، بعد مساجد المدينة، والبصرة، الكوفة.

وهناك جدل حول وجود قبر الصحابي عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه فيه، وهذا غير مؤكد ولم يوثق، خاصة في ظل اختلاف المؤرخين حول مكان دفنه وحتى في سنة وفاته، حيث لم يرد ذكر القبر في أقوال المؤرخين والرحالة في العصرين المملوكي والعثماني.

الكويت تودع أحمد بزيع الياسين رائد الاقتصاد الإسلامي

التحرير

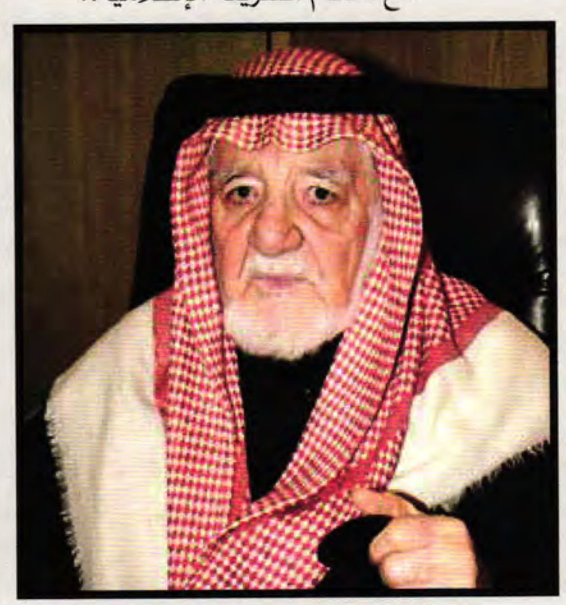
فقدت الكويت أحد أبنائها المخلصين، ورائد الاقتصاد الكويتي، ومؤسس أول بنك إسلامي في الكويت ورئيس مجلس إدارته منذ إنشائه وحتى عام ١٩٩٣ العم أحمد البزيع الياسين، عن عمر يناهز ٨٤ عامًا.

ولد أحمد بزيع الياسين في ٦ من شوال ١٣٤٦هـ الموافق ٢٨ من مارس عام ١٩٢٨م، في حي القناعات وسط الكويت، يوم موقعة الرقعي الشهيرة، ونشأ في أسرة محافظة متدينة، وكان جده ياسين محمد القناعي يمتلك سفينة شراعية، وكان هو ربانها، لنقل الحجاج من الكويت والخليج العربي إلى ميناء جدة في المملكة العربية السعودية.

أما والده فقد عمل في تجارة الإبل، وكانت لديه حملة للحج حتى عام ١٩٤٥، وكان كثير الأسفار بين الكويت والشام والسعودية على ظهور الإبل، وكان ابنه- المغفور له بإذن الله- أحمد البزيع قد شارك معه في تلك الرحلات.

قبل «بيتك»

بدأ أحمد البزيع حياته العملية بعد تخرجه في الصف الثاني الثانوي عام ١٩٤٢وهو الصف الأخير في المدرسة المباركية، حيث عمل كاتب حسابات عند أحد التجار، وهو المغفور له العم سليمان إبراهيم المسلم- أحد المؤسسين لغرفة تجارة وصناعة الكويت- وذلك لأربع سنوات، فاستفاد خبرة واسعة في التجارة والإدارة وتعرف على طرق المراسلات التجارية، وبعدها توجه بطلب من خاله المغفور له عبدالعزيز العلي المطوع، وهو من أكثر الشخصيات التي أثرت في حياة أحمد البزيع، وذهب إلى لبنان وقضى هناك عامين، حيث كان للمطوع مكتب في بيروت مختص بالأقمشة والصيرفة، ثم انتقل للعمل في المملكة العربية السعودية لمدة ٦ سنوات لإدارة الشؤون التجارية لخاله عبدالعزيز العلي المطوع، وقد عرضوا عليه تأسيس فرع لأحد البنوك التقليدية الكويتية في الخبر لكنه رفض العمل في بنك يتعامل بمعاملات لا تتوافق مع أحكام الشريعة الإسلامية،.



ثمرات المطابع

مجموع خطب ابن سعدي

ترك الشيخ ابن سعدي آثار علمية نافعة من الخطب التي ألقاها في المناسبات والأعياد والجمع، هذه الخطب تشتمل على أحكام شرعية وقضايا عصرية ومواضيع مهمة يحتاج الناس إليها، وقد قام د. وليد العلي، الأستاذ بكلية الشريعة جامعة الكويت، بجمع هذه الخطب والعناية بها، وتحقيقها وتنسيقها في كتاب اسماه «مجموع خطب الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي» طبعة دار البشائر عام ١٤٣٢هـ.

ويقع الكتاب في «٨٠٠» صفحة ذات طباعة فاخرة، وغلاف متميز، وقدم له العلامة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العقيل، تلميذ الشيخ السعدي رحمه الله تعالى، والكتاب يحتوي على أربعة أقسام أولها: الخطب النافعة المحتوية على أهم المواضيع الجامعة، وثانيها: الفواكه الشهية في الخطب المنبرية، وثالثها: الخطب المنبرية على المناسبات، وآخرها: «٨٢» خطبة من نوادر الخطب التي لم تطبع من قبل.

السيرة النبوية في الكتابات الألمانية

كتاب جديد باللغة العربية عن السيرة النبوية في الكتابات الألمانية ضمن منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) الكتاب يضم في ثناياه وثائق الندوة العلمية الدولية اليت عقدتها مجموعة البحث في السعة والسيرة وقضايا الاعجاز بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة سيد محمد بن عبدالله في فاس بالمملكة المغربية بالتعاون مع «الايسيسكو» يقع الكتاب في ٢٦٠ صفحة من القطع المتوسط.



كلمة حب ووفاء من شيخ قراء دمشق.. كريم راجح



لقد زرت الكويت من أجل التعارف العلمي، والروابط الإسلامية وتثمين العلاقات بين المسلمين بعضهم مع بعض.

وتهيأ لي أن أزور مبنى مجلة «الوعي الإسلامي»، واجتمعت برئيس تحريرها «أبي الحارث» فيصل بن يوسف العلي، كما اجتمعت بالإخوة الذين يقومون على تحريرها وإصدارها، فسررت جدًا للهمة العلية التي وجدتها عندهم في إنتاج هذه المجلة، كما سررت بالروح الإسلامي الذي يدفعهم إلى العمل، وبالهمة العلية التي يرجون من ورائها نشر الوعي الإسلامي والوحدة الإسلامية، فإن هذه المجلة فيها من الأبحاث العلمية العامة، والأبحاث الإسلامية كذلك ما يدل على الغرض المقصود وهو إيجاد الأخوة الإسلامية وتنمية روابطها؛ حتى يكون المسلمون كما قال سيدنا رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر».

وأنا أرجو الله لهذه المجلة الكريمة حسن الاستمرار على خط العلم والدين والفكر، فإنني أرى اليوم بوارق النهضة الإسلامية والوعي الإسلامي، بل وبوارق الوحدة الإسلامية أخذت تنتشر.

وإذا رأيت من الهلال غرة

أيقنت أن سيكون بدرًا كاملا

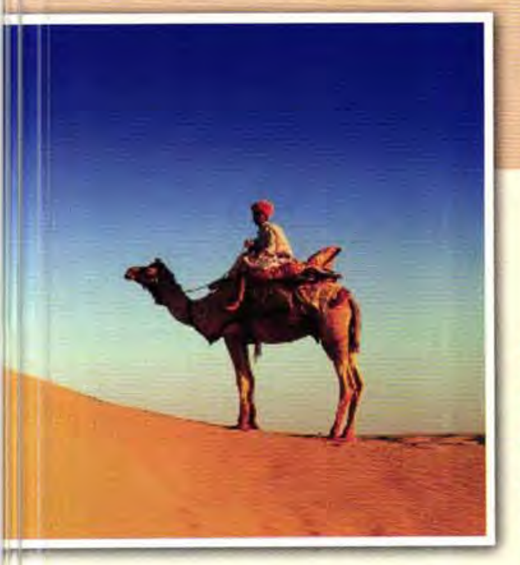
وفق الله القائمين على هذه المجلة، ووفق رئيس تحريرها.

والله ولي التوفيق.

حضارة الإسلام وصلت بلاد الصقالبة قبل ألف عام

ابن فضلان.. أول رحالة عربي في بلاد الروس (١-٣)

القاهرة - دار الإعلام العربية



لا ينكر إلا جاحد الدور التنويري الذي ساهم به الرحالة والأدباء العرب في تجسيد الانفتاح الثقافي والمعرفي على العالم الخارجي خاصة في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، وعلى رأسهم الرحالة العربي أحمد بن فضلان أشهر من طاف ببلاد «الروس» وكتب عنها في وقت كانت الحضارة الغربية تفتقر إلى من يعرِّف بها.. وعلى مدى ثلاث سنوات نقل الرحالة العربي البارز كثيرًا من ثقافات وعادات وطباع بلاد العجم والترك والصقالبة والروس وإسكندنافيا والخزر، وسجلها بدقة في كتاب اشتهر باسم «رسالة ابن فضلان».. السطور التالية تحمل مزيدًا من التفاصيل..

هو أحمد بن العباس بن راشد بن حماد، عالم إسلامي من القرن العاشر الميلادي، كتب وصف رحلته كعضو في سفارة الخليفة العباسي إلى ملك الصقالبة «بلغار الفولجا» سنة ٩٢١م.. الذي كتب أقدم وصف أجنبي لروسيا عام ٩٢٢م، ففي عام ٩٢١م (٣٠٩هـ) خرجت من بغداد بعثة دينية سياسية بتكليف من الخليفة العباسي المقتدر بالله إلى قلب القارة الآسيوية في مكان عُرف وقتها باسم «أرض الصقالبة» تلبية لطلب ملكهم في التعريف بالدين الإسلامي، لعله يجد إجابة للسؤال المثار وقتها «كيف استطاع ذلك الدين الآتي من قلب الصحراء أن يكوِّن تلك الإمبراطورية الضخمة التي لم تضاهها حتى إمبراطورية الإسكندر المقدوني؟» وفي بغداد كان أعضاء البعثة يرتبون أوراقهم بين فقيه ورجل دولة ومؤرخ، وفي مقدمتهم كان الرجل الموسوعي أحمد بن فضلان.. الذي لم يكن رجلًا موهوبًا أو صاحب رؤية سياسية فحسب؛ بل كان قد درب عينيه الثاقبتين على رؤية ما وراء المشاهد المفردة، وشاغل عقله بالتحليل دون الرصد، وحينما عمل لعقد من الزمان الساعد الأيمن للقائد العسكري محمد بن سليمان الذي قاد في نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الميلاديين حملات عسكرية امتدت إلى حدود الصين في الشرق- تعلم ابن فضلان الكثير، وأهلته معارفه المتراكمة وثقافته بالشعوب التي خالطها إلى الوصول إلى بلاط السلطان «المقتدر بالله» كرجل دولة وفقيه عالم.. استمر في الترقي في بلاط السلطان حتى عام ٩٢١م، حينما وصلت رسالة قيصر البلغار «ألموش بن يلطوار» طلبا لإرسال سفارة إلى القيصرية البلغارية لشرح مبادئ الإسلام، على أن يرسل الخليفة من يبني للقيصر مسجدًا يطل من محرابه على شعبه، وقلعة حصينة لمجابهة الأعداء، فاختار الخليفة «ابن فضلان» على رأس الرحلة تقديرًا لمكانته وقدرته على الحوار.

البعثة

ويبقى أحمد بن فضلان أشهر الرحالة الذين كان لهم السبق في الكتابة عن «الروس» وفي التعريف بهم لدى العرب، فقد ضمت البعثة إلى جانب ابن فضلان كلا من: سوسن الرسي مولى نذير الحرمي، وتكين التركي، وبارس الصقلبي، أما دليلهم فهو عبدالله بن باشتور الخزري رسول ملك الصقالبة إلى المقتدر، وانضم إلى البعثة فقيه ومعلم وغلمان.. وغادرت هذه البعثة بغدادَ في صفر عام ٣٠٩هـ- ٩٢١م، ووصلت إلى بلاد البلغار في محرم ٣١٠هـ- مايو (أيار) ٩٢٢م؛ حيث زار الوفد بلاد العجم والترك والصقالبة والروس وإسكندنافيا والخزر، ومن ثم عاد الوفد إلى بغداد، وقام ابن فضلان بتسجيل وقائع رحلة السنوات الثلاث في تقرير أو كتاب رسمي اشتهر باسم «رسالة ابن فضلان»، موثقا الرحلة التي تعد أهم مصدر لتاريخ الروس والبلاد التي زارها في بداية القرن العاشر الميلادي؛ أي في فترة يفتقر فيها العالم الغربي اليوم إلى مصادر تخصها؛ لذلك استحقت عناية استثنائية من الباحثين والمحققين؛ لأنها دونت حقائق تاريخية نادرة، وشكلت نقلة نوعية في فن كتابة الرحلة العربية التي كانت غارقة في مفاهيم السرد، فنقلتها إلى مستوى التحليل الإثنوغرافي لشعوب وقبائل لم يكن العالم يعرف عنها شيئًا، كما تضمنت معطيات ثمينة للغاية؛ لأنها استندت إلى المعاينة والملاحظة الدقيقة، وإلى شدة حب الاطلاع الذي ميز الرجل، وشملت هذه المعطيات بهرج السلطان ومراسمه في بلاط ملك البلغار وملك الروس،

استغرقت رحلته ثلاث سنوات في بلاد العجم والترك والصقالبة والروس وإسكندنافيا

استحقت كتابات ابن فضلان عناية استثنائية من الباحثين لأنها دونت حقائق نادرة

كما شملت نمط عيش السكان وظروفهم وعاداتهم الاجتماعية ومعتقداتهم الدينية.

ووصف ابن فضلان لباس الروس وزينة نسائهم وصفًا واضحًا ودقيقًا، واسترعت انتباهه هيئة الروس وتركيبتهم الجسدية، فكتب يقول: «لم أرَ أتمّ أبدانًا منهم كأنهم النخل، شقر حمر لا يلبسون القراطق (قميص يصل إلى منتصف الجسم) ولا الخفاتين (الصدريات)، ولكن يلبس الرجل منهم كساء يشتمل به على أحد شقيه ويخرج إحدى يديه منه ومع كل واحد منهم فأس وسيف وسكين لا يفارقه وسيوفهم صفائح مشطبة أفرنجية».

وأشار إلى تقليد عندهم كان منتشرًا عند الذكور منهم يتمثل في توشيح كامل الجسد بصور أشجار وأشكال شتى «ومن ظفر الواحد منهم إلى عنقه مخضر شجر وصور وغير ذلك».

أما فيما يتعلق بالحياة الاقتصادية للروس فقد أشار ابن فضلان إلى أن مورد رزقهم الرئيسي هو التجارة، ويرى أن تجارتهم كانت مربحة وموفقة، وكانت تقوم على بيع الرقيق الأبيض، خاصة النساء، وعلى الفراء الجيد الذي تعرف به حيوانات المناطق الباردة.

وذكر ابن فضلان بعض معاملاتهم الاجتماعية التي تتعلق بالمريض والسارق «وإذا مرض منهم الواحد ضربوا له خيمة ناحية عنهم وطرحوه فيها وجعلوا معه شيئًا من الخبز والماء ولا يقربونه ولا يكلمونه، بل لا يتعاهدونه في كل أيام مرضه لاسيما إن كان ضعيفًا أو مملوكًا، فإن برئ وقام رجع إليهم وإن مات أحرقوه».

أما عن معتقداتهم الدينية فما يستنتج من رسالة ابن فضلان هو أن الروس كانوا عبدة أوثان إذ يقول «وساعة توافي سفنهم إلى هذا المرسى يخرج كل واحد منهم ومعه خبز ولحم وبصل ولبن ونبيذ حتى يوافي خشبة طويلة منصوبة لها وجه يشبه وجه الإنسان وحولها صور صغار، وخلف تلك الصور خشب طوال قد نصبت في الأرض فيوافي إلى الصورة الكبيرة ويسجد لها».

قيمة علمية

ورغم مرور ما يزيد على ألف سنة على الرحلة، مازال صاحبها محط إعجاب الباحثين والمهتمين على مر العصور، وذلك بعد أن تخطى حدود القومية إلى أفق الإنسانية الرحب، فحفظ لشعوب عدة ذخيرة فريدة من ماض ما كان له حضور بينهم لولا تلك السطور الخالدة التي دونها في بغداد بعد عودته من رحلته تلك، محملا بكنز من حقائق عاشها فخلدته على امتداد الزمان، فقد ثمن الباحثون القيمة الأدبية والعلمية لرحلة ابن فضلان لما تضمنته من أسلوب قصصي ولغة ثرية، علاوة على دقة وصف مؤلفها وتسجيله الجوانب المؤثرة فيما يشاهده من مخلوقات وأشياء بأسلوب سلس دقيق الألفاظ، يتجنب القوالب ويسرد الحوار، وتعجبوا من توافر تلك الصفة في فقيه مبشر اعتاد الأسلوب القضائي الجاف.. ولفتوا كذلك إلى مصداقيته العالية وحرصه باستمرار على ما كان ينقل إليه من طباع الروس، فكل ما ورد في كتابه بشأنهم، وصف لمشاهدة مباشرة، حيث اختلط بالعامة، وعاين التجار، ودقق النظر في الألبسة والزينة، وتمعن في العادات والطقوس، علاوة على خلو رسالته من التناقضات، وذلك خلافا لما تضمنته مصنفات كثير من الرحالة من أخبار متعارضة تعبر إما عن عدم التمحيص في المعلومة، أو عن عدم استنادها إلى المعاينة الذاتية.

وإلى جانب أهمية الرحلة التاريخية والاجتماعية والحضارية، تبقى رحلته شاهدًا على أن الحضارة الإسلامية وصلت إلى بلاد الصقالبة الروس منذ القرن التاسع الميلادي، ومثلت بُعدًا من الأبعاد التاريخية لشخصيتهم وثقافتهم في حوض الفولغا (تتارستان الحالية) وجنوب جبال الأورال (في بشكيريا) وفي سيبيريا في قلب الأراضي الصقلبية قبل القوقاز، وبلدان آسيا الوسطى، وقبل دخول وانتشار المسيحية الأرثوذكسية بثلاثة قرون على الأقل في روسيا وتأثيرها في تقاليدهم وعاداتهم.

احتفاء عالمي

واعترافًا من الغرب بفضل رحلة ابن فضلان في تدوين اكتشافات حضارية نادرة، سطّروا اسمه بحروف بارزة في تاريخ التواصل الحضاري بين الإسلام و«الآخر»، وأكدوا أنه أحدث نقلة نوعية في فن كتابة الرحلة العربية.. كما كانت رحلته أساسًا لرواية مايكل كريتشتون «أكلة الموتى».. كما صدر كتاب «مغامرات سفير عربي» لأحمد عبدالسلام البقالي، من مطبوعات تهامة للنشر، وهي عبارة عن جمع لروايتين للرحلة إحداهما غربية والأخرى عربية، وقد نقل ياقوت الحموي في «معجم البلدان» أجزاء ومقاطع من رحلة ابن فضلان، وكان قد اكتشف جزء من المخطوط في روسيا عام ١٨١٧م، ونشر باللغة الألمانية من قبل أكاديمية سانت بطرسبورج في عام ١٩٢٣م، وظهرت باللغة العربية واللاتينية والألمانية والفرنسية والدانماركية والسويدية والإنكليزية فيما بعد، ومن جميع هذه النسخ قام النرويجي بير فراوس دولوس بجمع ما تناثر من الرسالة بلغات مختلفة ونقلها إلى اللغة النرويجية قبل أن يرجمها إلى الإنجليزية العالم الأمريكي ميخائيل كريكتون، ومنها ترجمت مرة ثانية إلى اللغة العربية.



فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

٤/٤٤٧/٨٤ التأمين ضد الحوادث والأخطار

ما حكم شركات التأمين؟ وما حكم التعويض الذي يتقاضاه رجل شوّهته سيارة وأحدثت له عجزًا معينًا؟ سواء أكان العاجز (المصاب) سائرًا على قدميه، أو راكبا سيارة؟ والتعويض- طبعًا- تدفعه شركة التأمين؟

أجابت اللجنة بما يلي: شركات التأمين التجارية أمرها لا يزال مطروحًا للبحث أمام المجامع الفقهية، والذي تراه اللجنة (مؤقتًا) جواز التأمين ضد الأخطار المادية، على أن يكون التعويض المستحق في حدود الضرر الفعلي.

وأما التعويض الذي يتقاضاه المصاب من شركة التأمين فيجوز أخذه في حدود الدية الشرعية التي تجب في مثل تلك الإصابة.

١/١٨/٨٣ التأمين على الحياة

نرفق لكم عرض التأمين على الحياة الذي ستقوم به إدارتنا على موظفيها، راجين البت في الموضوع من حيث الجواز ونرجو البت فيه بأسرع وقت ممكن.

وقد اطلعت اللجنة على المشروع المرفق مع الاستفتاء، والمكون من سبع صفحات، كما اطلعت على الملاحظات المتعلقة بالتأمين.

وبعد الاطلاع أجابت اللجنة: إن ما بين تلك الجهة وموظفيها تبرع محض لا غبار عليه، وإن مابين تلك الجهة الرسمية وشركة التأمين عقد تأمين على الحياة أو ضد الحوادث، ولا يزال العلماء إلى اليوم لم يبتوا في مثل هذا النوع من التأمين، على أنه يسوغ للموظفين الاشتراك لئلا تفوت فرصته المحدودة، إلى أن يتبين الأمر، ولو أن هذا التأمين صيغ بصيغة تعاونية لكان مقبولاً، ومع هذا لابد من إبداء الملاحظات التالية:

الأول: لابد من النص على أن المنتحر من غير مرض عقلي يسقط حقه في التعويض مطلقًا من غير تحديد مدة، حتى لا يكون هناك تشجيع أو تسهيل للانتحار.

الثانية: لم يبين المشروع مصير القسط الذي دفع عن موظف بلغ السن القانوني (٦٥سنة) أو انتهى عمله قبل ذلك من غير وفاة ولا حادث موجب للتعويض.

الثالثة: في أي مشروع يجب أن ينص على أن المبالغ المتحصلة من الأقساط لابد أن تستغل استغلالاً مشروعًا. والله سبحانه وتعالى أعلم.

١/٤٢١/٨٤ إنهاء عقود العمال دون إنذار

وقعت عقدًا مع شركة محدد المدة بسنتين، على أن أجتاز فترة التجربة ومقدارها ٩٠ يومًا، وبعد تجاوز فترة التجربة قامت الشركة بإنهاء خدماتي دون إنذار.

والسؤال: ما موقف الشرع من هذا الأمر؟ وما موقف الشرع من مدير الشركة إذا رفض منحي حقي كاملاً؟ الرجاء الرد كتابيًا.

● تبين للجنة بعد الاطلاع على العقد الموقع بين السائل والشركة، والخطاب الصادر من الشركة إليه، أن السائل تعاقد لمدة سنتين اعتبارًا من ١٩٨٤/١/٣م، وتضمن أحد بنود العقد أنه تسلم العمل في ذلك التاريخ، وأن الفترة التجريبية التي يحق فيها للشركة الاستغناء عنه دون إبداء الأسباب وهي تسعون يومًا تنتهي بانتهاء يوم ١٩٨٤/٤/١م. وبما أن كتاب الشركة بالاستغناء عنه مؤرخ بتاريخ ١٩٨٤/٤/١٢ يكون هذه الاستغناء قد جاء بعد انتهاء مدة التجربة، وبانتهائها يصبح العقد ساريًا لمدة سنتين، لذا أجابت بأن الشركة ملزمة بمضمون العقد (أي بتشغيله لديها لنهاية السنتين)، وليس لها التحلل منه إلاّ باتفاق الطرفين، أو بسبب آخر مما تقضي به الأنظمة واللوائح، ويطبق على سائر الموظفين.

هذا ما أجابت به اللجنة السائل على إفادته على العقد والخطاب اللذين قدمهما، واحتفظت اللجنة بصورة منهما، فإن كان للشركة وجهة نظر أخرى فعليها البيان.

٣/٤٤٨/٨٤ تحمل الشركاء الخسارة

اتفق طرفان على ما يلي:

١. يخصص الطرف الأول مبلغًا وقدره ٩٠٠,٠٠٠ دينار لشراء البن والهيل.

٢. يدفع الطرف الثاني مبلغًا وقدره٣٠٠,٠٠٠ دينار لمشاركة الطرف الأول لهذين الصنفين فقط.

٣. يتقاضى الطرف الأول ٥٠٪ من الأرباح في نهاية العام وذلك مقابل قيامه بأعمال الاستيراد والتسويق والتخزين ودفع الرواتب والإيجارات وكل ما يلزم للبيع والشراء.

٤. يتقاضى الطرف الأول كذلك ٤٠٪ من الأرباح مقابل ما دفعه من رأس المال.

٥. يتقاضى الطرف الثاني كذلك ١٠٪ من الأرباح مقابل ما دفعه من رأس المال خلال السنة.

وبعد استيراد البضائع تم بيع الهيل بالكامل، وبيع جزء من البن، وبقي مخزون قدره ١٤٧٩٧ كيس بن بلغت قيمة تكلفتها الشرائية ٣١٨,٥٠٥ دنانير. وفي هذه الأثناء شب حريق في المخزن بفعل امتداد النيران إليه من مخازن مجاورة شب فيها حريق، وأتت النيران على محتويات المخزن ومن بينها مخزون البن المشار إليه، وقد تفاوتت نسبة التلف في المواد المحترقة بين ٧٠ - ١٠٠٪.

والسؤال هو:

على ضوء ما تقدم كم نسبة ومبلغ الخسارة التي سيتحملها الطرف الثاني بسبب احتراق البضاعة (موضوع الشركة) وهي البن؟

أجابت اللجنة بما يلي:

نظرًا لأن ثلاثة أرباع رأس المال للطرف الأول، والربع للطرف الثاني فإن الخسارة المتحققة في الشركة تكون بهذه النسبة.

فيتحمل الطرف الأول ثلاثة أرباع الخسائر والطرف الثاني الربع، وتوزع الخسارة المتحققة في هذه الشركة على هذه النسبة.

قرار المجمع الفقهي الإسلامي (رابطة العالم الإسلامي) رقم (١٦/٣)
بشأن حماية الحسابات الاستثمارية في المصارف الإسلامية

في المدة من ٢١-٢٦/١٠/١٤٢٢هـ الذي يوافقه من: ٥-١٠/١/٢٠٠٢م، قد نظر المجمع في موضوع حماية الحسابات الاستثمارية في المصارف الإسلامية، وبعد استعراض البحوث التي قدمت، والمناقشات المستفيضة حول الموضوع، قرّر ما يلي:

أولاً: إن حماية الحسابات الاستثمارية في المصارف الإسلامية بوجْهيها الوقائي والعلاجي أمر مطلوب ومشروع، إذا استخدمت لتحقيقه الوسائل المشروعة؛ لأنه يحقق مقصد الشريعة في حفظ المال.

ثانيًا: يجب على المصارف الإسلامية أن تتبع في أثناء إدارتها لأموال المستثمرين الإجراءات والوسائل الوقائية المشروعة والمعروفة في العرف المصرفي، لحماية الحسابات الاستثمارية، وتقليل المخاطر.

ثالثًا: إذا وقع المصرف المضارب في خسارة، فإن المجمع يؤكد قراره القاضي بأن: «الخسارة في مال المضاربة على ربّ المال في ماله، ولا يُسأل عنها المضارب إلا إذا تعدى على المال أو قصّر في حفظه، وبذل العناية المطلوبة عرفًا في التعامل به».

رابعًا: يحثّ المجمع الجهات العلمية، والمالية، والرقابية، على العمل على تطوير المعايير والأسس المحاسبية الشرعية التي يمكن من خلالها التحقق من وقوع التعدي أو التفريط، كما يحث الحكومات على إصدار الأنظمة والتعليمات اللازمة لذلك.

خامسًا: يجوز لأصحاب الأموال مالكي الحسابات الاستثمارية التأمينُ على حساباتهم الاستثمارية تأمينًا تعاونيًا، بالصيغة الواردة في القرار الخامس للمجمع في دورته الأولى من عام ١٣٩٨هـ.

قرار مجمع الفقه الإسلامي (منظمة المؤتمر الإسلامي) رقم ١٣٦ (١٥/٢)
بشأن المشاركة المتناقصة وضوابطها الشرعية

إن مجلس المجمع بعد اطلاعه على البحوث الواردة إليه بخصوص الموضوع، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله، قرر ما يلي:

المشاركة المتناقصة: معاملة جديدة تتضمن شركة بين طرفين في مشروع ذي دخل، يتعهد فيها أحدهما بشراء حصة الطرف الآخر تدريجًا، سواء كان الشراء من حصة الطرف المشتري في الدخل أم من موارد أخرى.

أساس قيام المشاركة المتناقصة: هو العقد الذي يبرمه الطرفان، ويسهم فيه كلٌّ منهما بحصة في رأس مال الشركة، سواء أكان إسهامه بالنقود أم بالأعيان بعد أن يتم تقويمها، مع بيان كيفية توزيع الربح، على أن يتحمل كل منهما الخسارة- إن وجدت- بقدر حصته في الشركة.

تختص المشاركة المتناقصة بوجود وعد ملزم من أحد الطرفين فقط بأن يتملك حصة الطرف الآخر، على أن يكون للطرف الآخر الخيار، وذلك بإبرام عقود بيع عند تملك كل جزء من الحصة، ولو بتبادل إشعارين بالإيجاب والقبول.

يجوز لأحد أطراف المشاركة استئجار حصة شريكه بأجرة معلومة ولمدة محددة، ويظل كل من الشريكين مسؤولًا عن الصيانة الأساسية بمقدار حصته.

المشاركة المتناقصة مشروعة إذا التُزم فيها بالأحكام العامة للشركات، وروعيت فيها الضوابط الآتية:

أ- عدم التعهد بشراء أحد الطرفين حصة الطرف الآخر بمثل قيمة الحصة عند إنشاء الشركة، لما في ذلك من ضمان الشريك حصة شريكه، بل ينبغي أن يتم تحديد ثمن بيع الحصة بالقيمة السوقية يوم البيع ، أو بما يتم الاتفاق عليه عند البيع.

ب- عدم اشتراط تحمّل أحد الطرفين مصروفات التأمين أو الصيانة وسائر المصروفات، بل تحمّل على وعاء المشاركة بقدر الحصص.

ج- تحديد أرباح أطراف المشاركة بنسب شائعة، ولا يجوز اشتراط مبلغ مقطوع من الأرباح أو نسبة من مبلغ المساهمة.

د- الفصل بين العقود والالتزامات المتعلقة بالمشاركة.

ه- منع النصّ على حق أحد الطرفين في استرداد ما قدّمه من مساهمة (تمويل).





إعداد: خالد خلاوي

ناقش ولا تجادل

إذا أردت كسب قلوب من حولك والتأثير فيهم فاحرص على أسلوب التحاور معهم وانتقاء القول المناسب في الموقف المناسب، فأسلوب الحوار يمكن أن يكون سببًا في بناء أو هدم العلاقة بين المتحاورين، فحسن الحوار مطلوب لربط القلوب ببعضها بدلًا من تفريقها، وكسب القلوب مقدم على كسب المواقف، ولقد دعانا الإسلام إلى الحوار بالتي هي أحسن والقول الحسن لتقوية العلاقة بين أفراد المجتمع، وتحقيق سلامة الصدر بين أبنائه، قال الله تعالى ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة: ٨٣) . وقال تعالى ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الإسراء: ٥٣) وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ (النحل: ١٢).

فأيًا كان نوع الحوار لابد فيه من إحسان القول والإبقاء على روح المودة والألفة بين الناس، وكان هذا من أخلاق السلف الصالح في محاوراتهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله «...وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية، مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين».

وكان ابن عون رحمه الله إذا أغضبه رجل في حوار، قال له: بارك الله فيك.

وورد عن عبدالله بن قدامة أنه كان لا يناظر أحدا إلا وهو يتبسم، حتى قال بعض الناس: هذا الشيخ يقتل خصمه بالتبسم!

ولذلك كان أسلوب النقاش في الحوار أفضل من أسلوب الجدل، فالنقاش حوار هادئ يسمح باستعراض جميع وجهات النظر، والاستفادة من المعلومات المطروحة من كلا المتناقشين واستبيان الحقيقة والاتفاق على أحد الحلول، ويشترط وجود النية الحسنة من الأطراف المشاركة بالاستماع والاقتناع للوصول إلى نتيجة فيها الخير للجميع .

وعرفت المناقشة أيضًا بأنها: «قيام جماعة متعاونة فيما بينها على اختيار مشكلة معينة، وتحديد أبعادها، وتحليل جوانبها، واقتراح الحلول لها، واختيار الحل المناسب بعد ذلك عن طريق الإجماع أو عن طريق الأغلبية».

ولقد بين ابن عقيل في كتابه «فن الجدل» أسلوب النقاش بين المتحاورين فقال: «وليتناوبا الكلام مناوبة لا مناهبة، بحيث ينصت المعترض للمُستَدِلّ حتى يفرغ من تقريره للدليل، ثم المُستدِلّ للمعترض حتى يُقرر اعتراضه، ولا يقطع أحد منهما على الآخر كلامه وإن فهم مقصوده من بعضه».

أما الجدل أو الجدال أو المراء فهو حوار يتسم بالحدة والهجومية، وليس له أي قواعد تضمن مشاركة الآراء، وعقيم النتائج في جميع الأحوال، لأنه إما أن ينتهي بفرض رأي أحد الأطراف وخروج الطرف الآخر مغضبًا غير راض بالنتيجة، أو ينتهي بخلاف وعصبية، وأحيانا تنفض الجلسة دون نتيجة لتقليل الخسائر قدر الإمكان.

ويعرفه الإمام الجرجاني بقوله: «هو دفع المرء خصمه عن إفساد قوله، بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة».

وقيل: «هو لا يكون إلا بمنازعة المرء غيره».

والجدل نوعان محمود ومذموم، ولكن إذا أطلق لفظ الجدل قصد به المذموم، وهو المقصود في قول النبي ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ».

وحذرت الآثار المروية عن الصحابة والسلف الصالح من خطورة الجدل والمراء على المجتمع المسلم، ليس لأنه يوغر الصدور ويحدث الفرقة وحسب، بل لأنه أيضا يضيع الوقت فيما لا يفيد، قال الإمام الأوزاعي: «إذا أراد الله بقوم شرا ألزمهم الجدل ومنعهم العمل».

قال عبيدالله بن حنبل: «حدثني أبي قال: سمعت أبا عبدالله يقول: عليكم بالسنة والحديث وينفعكم الله به، وإياكم والخوض والجدال والمراء فإنه لا يُفلح من أحب الكلام، وكل من أحدث كلاما لم يكن آخر أمره إلا إلى بدعة، لأن الكلام لا يدعو إلا خير، ولا أحب الكلام ولا الخوض ولا الجدال، وعليكم بالسنن والآثار والفقه الذي تنتفعون به، ودعوا الجدال والكلام وأهل الزيغ والمراء، أدركنا الناس ولا يعرفون هذا، ويجانبون أهل الكلام، وعاقبة الكلام لا تؤول إلى خير، أعاذنا الله وإياكم من الفتن وسلمنا وإياكم من كل هلكة».

وقال سفيان: قيل لعبدالله بن مالك: لا تماري إذا جلست. فقال: ما تصنع بأمر إن بالغت فيه أثمت وإن قصرت فيه خصمت.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: «أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم بما هلك من كان قبلهم.. بالمراء والخصومات».

صور من حياة المتميزين

الإمام الشافعي والحوار

كان الإمام الشافعي- رحمه الله تعالى- يقدم نموذجًا راقيًا في الحوار مع أقرانه من العلماء ومع تلاميذه وكان يقول: «ما كلمتُ أحدًا قط إلا وأحببت أن يُوفق ويسدد ويعان، وما كلمت أحدًا قط إلا ولم أبال بيَّن الله الحق على لساني أو لسانه»، وقال الحسن الزعفراني: «سمعت الشافعي يقول: ما ناظرت أحدا في الكلام إلا مرة وأنا استغفر الله من ذلك» .

وروي في طبقات الشافعية العديد من الأمثلة والنماذج من حوارات الإمام الشافعي، ومن ذلك حوار جرى بين إسحاق بن راهويه رحمه الله- إمام من أئمة أهل الحديث- وبين الشافعي.. يقول إسحاق: إن الإمام أحمد لمَّا كان في مكة، قال: لماذا لا تذهب للشافعي وتستفيد منه؟ قلت له: كيف أترك ابن عيينة والمشايخ وأذهب إلى الشافعي؟ قال له: يفوت وهم لا يفوتون. قال: فذهبنا إليه فتناظرنا في كراء (أي تأجير) بيوت مكة، هل تكرى، أو لا تكرى؟ قال: فتكلمت مع الشافعي وتحمست؛ ولكن الشافعي كان متساهلاً، فتكلمت بالفارسية مع رجل جانبي، وذكر كلمة بالفارسية معناها: هذا ليس عنده كمال- يعني الشافعي-، قال: فعلم الشافعي أني أسبه، وإن كان لا يجيد اللغة، فقال: هل تريد أن تناظرني؟ قلت: من أجل المناظرة جئت!

قال: أرأيت قول الله تعالى: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ» (الحشر: ٨)، أليس الله نسب الديار إلى أربابها، أو إلى غير أربابها؟ قال: قلت: بل إلى أربابها، قال: عمر لما اشترى دار السجن بمكة، اشتراها من إنسان يملكها، أو لا يملكها؟ قلت: ممن يملكها، قال: قول النبي ﷺ: «وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دور» الدور لهم، أو ليست لهم؟ قلت: لهم.

قال إسحاق: فقلت: الدليل على صحة قولي أنه قال به من التابعين فلان وفلان وفلان، قال: فالتفت الشافعي إلى رجل بجنبه وقال: من هذا؟ قال له: هذا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، قال: أنت الذي يزعم أهل خراسان أنك فقيههم؟! قلت: هكذا يزعمون! قال: ما أحوجني أن يكون غيرك في مكانك فآمر بعرك أذنه (هذا أدب يؤدب به الطالب الصغير) قال: أقول لك: قال الله، قال رسول الله ﷺ وأنت تقول: قال: عطاء وطاوس والحسن وإبراهيم؟! وهل لأحد مع رسول الله ﷺ حجة؟

كلمات في التميز

الحوار بالتي هي أحسن

١- الحسن البصري:

«إذا جالست فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام، ولا تقطع على أحد حديثه حتى يسكت».

٢- ابن تيمية:

«المجادلة المحمودة إنما هي بإبداء المدارك وإظهار الحجج التي هي مستند الأقوال والأعمال، وأما إظهار الاعتماد على ما ليس هو المعتمد في القول والعمل، فنوع من النفاق في العلم والجدل، والكلام والعمل».

«وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين من بعدهم، إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى في قوله سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

٣- عبدالله بن الحسين:

«المراء يفسد الصداقة القديمة ويحل العقدة الوثيقة وأقل ما فيه أن تكون المغالبة، والمغالبة أمتن أسباب القطيعة».

٤- العكبري:

«إياك والتكلف بما لا تعرفه وتمحل الرأي والغوص على دقيق الكلام»

٥- أبوقلابة:

«لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة أو يلبسوا عليكم في الدين بعض ما لبس عليهم».

٦- ابن الجوزي:

«المجادلة إنما وضعت ليستبين الصواب، وقد كان مقصود السلف المناصحة بإظهار الحق، وقد كانوا ينتقلون من دليل إلى دليل، وإذا خفي على أحدهم شيء نبهه الآخر، لأن المقصود كان إظهار الحق».

إعداد: هيفاء حسن

أكبر كتاب في العالم عن حياة النبي محمد ﷺ



أعلن عن إطلاق أكبر كتاب في العالم يتناول حياة وشخصية النبي الكريم محمد ﷺ بعنوان «هذا محمد» الذي سيسجل في موسوعة جينيس للأرقام القياسية العالمية.

ويتمثل أكبر كتاب في العالم عن حياة وشخصية الرسول محمد ﷺ بأن وزنه يبلغ ١٥٠٠ كيلوجرام ويحتوي على ٤٢٠ صفحة وتتراوح أطواله بين ٤ إلى ٥ أمتار.

وقال صاحب فكرة مشروع الكتاب رئيس مجلس إدارة مجموعة مشاهد الدولية د.محمد سعيد العولقي في دبي أمام عدد من الكتاب والمفكرين والإعلاميين: إن الكتاب من إعداد الكاتب والأمين العام لمجمع بحوث الفقه الإسلامي بالرياض د.عبدالله عبدالعزيز المصلح.

وأضاف العولقي أن أهداف فكرة إطلاق مشروع أكبر كتاب في العالم جاءت في توقيت يشهد فيه وضع الأمة الإسلامية الراهن أزمات وإساءات بلغت إلى حد غير مسبوق وطالت النبي الكريم محمد ﷺ.

وأكد العولقي الحاجة لنشر الوعي عن الإسلام والمسلمين والتركيز على إبراز حياة وشخصية النبي محمد ﷺ من خلال إصدارات عالمية كهذا الكتاب وأن فترة إنجاز المشروع من المتوقع أن تتراوح بين سبعة وتسعة أشهر.

وأشار إلى وجود خطة لتسويق الحدث من خلال التعاقد مع أكثر الوكالات المتخصصة في العمل بمجال الإنتاج الإعلامي والتسويق.

بنك للدهون!



أعلن جراح تجميلي في ولاية فلوريدا الأميركية عن عزمه افتتاح «بنك للدهون» يمكن للمرضى أن يلجأوا إليه لتخزين الدهون التي شفطت من أجسامهم بغية استخدامها في المستقبل، وقال جرّاح التجميل «جيفري هارتوج»: إنه فيما يعمد جراحو التجميل عادة إلى تحويل الدهون التي تشفط مباشرة إلى أجزاء أخرى من الجسم، غالبًا الوجه أو الثديين، فإن «بنك الدهون» سيتيح للمرضى فرصة سحب الدهون وتخزينها بغية استعمالها لاحقًا مع تقدمهم في العمر، وأضاف هارتوج «سأقدم هذا الأمر كخيار لأي مريض يخضع لعملية شفط دهون»، موضحا أنه في هذا البنك سيتم تجفيف الدهون التي تشفط وتنظف ثم توضع في مستوعبات لتجميدها.

كوكب «تيشي» أكبر من المشتري بأربع مرات

ثمة عالما فضاء على الأقل يؤمنان بوجود كيان فضائي أكبر من كوكب المشتري بالقرب من منظومتنا الشمسية، ويزعم هؤلاء أن ذلك يتبين من العدد الكثير للمذنبات التي تتوجه نحونا من مكان وحيد في سحابة «أورت» التي تلفت منظومتنا الشمسية، وهذا المكان هو بمنزلة خزان للمذنبات.. الكوكب المزعوم، الذي يحمل اسم «تيشي»، هو أكبر أربع مرات من المشتري، الذي هو بدوره أكبر كواكب المنظومة الشمسية، ويقر بإمكانية وجود مثل ذلك الكوكب علماء الفيزياء الفضائية جون ماتيس ودانييل ويتماير من جامعة لويزيانا، لكن مازال عليهما إثبات نظرياتهما في هذا الخصوص من خلال الرصد والمراقبة، أما العلماء الآخرون، فلا يزالون مشككين في هذا الرأي، يعتمدون بالتالي على نظريات أخرى لتفسير الطرق غير العادية التي تسلكها المذنبات، لكن حتى لو كان كوكب «تيشي» موجودًا فعلًا، فإنه لن يكون ذلك الكوكب الأسطوري نيبيرو، ولذلك تفسير بسيط: فهو لن يتمكن حتى العام المقبل من قطع مسافة أطول بمقدار خمسة عشر ألف مرة من المسافة بين الأرض والشمس.



صاروخ جديد لاستكشاف جاذبية القمر

انطلق مؤخرًا صاروخ أميركي غير مأهول إلى الفضاء من قاعدة «كيب كنافيرال» في ولاية فلوريدا لتوصيل مسبارين فضائيين إلى القمر بغرض دراسة باطنه، وانطلق الصاروخ الذي يبلغ طوله ٣٧،٨م من قاعدة إطلاقه المطلة على المحيط الأطلسي ليتخذ مساره فوق الأطلسي قبل أن يدخل في مداره حول الأرض، ومن المقرر أن يوضع المسباران الفضائيان في نقطة في الفضاء على بعد ١،٥ مليون كم حيث تتعادل جاذبية الشمس مع جاذبية كوكب الأرض.



تشيكيا تتآكل سكانيًا!

على شاكلة معظم الدول الأوروبية، الغربية منها والشرقية، نبه أخيرًا مكتب الإحصاء التشيكي إلى أن عدد سكان تشيكيا سينخفض بمقدار ١،٨ مليون نسمة حتى عام ٢٠٦٥، إذا لم يرتفع عدد المهاجرين الأجانب على المدى الطويل.. المكتب أكد في دراسة سكانية حديثة له أن عدد سكان المحافظات التشيكية الأربع عشرة سينخفض بنسب تتراوح بين ١٣٪ و٢٣٪ في حال عدم تدفق الأجانب إليها، مشيرا إلى أن النقص الأكبر ستشهده العاصمة «براج» وسيكون بحدود ٢٨٠ ألف نسمة، ونبه إلى أن عدد الولادات سيقل عن عدد الوفيات بدءا من عام ٢٠١٦ وإلى أن معدل الأعمار سيرتفع خلال الخمسة والخمسين عاما القادمة بمقدار ١٠ سنوات، أما عدد المسنين الذين تزيد أعمارهم على ٦٥ عاما فسيتضاعف، الأمر الذي سيثقل النظامين الصحي والتقاعدي، وأشار إلى أن المعدل الوسطي لأعمار الرجال سيرتفع من ٧٤،٢ عاما إلى ٨٦،٥ عاما فيما سيرتفع المعدل الوسطي لأعمار النساء من ٨٠،٣ عاما إلى ٩١ عاما.

وعلى الرغم من أن عدد الأجانب في تشيكيا قد تضاعف خلال الـ١٢ عاما الماضية حيث كانت نسبتهم في عام ١٩٩٧م (٢،٠٤٪) فيما شكلوا نهاية العام الماضي (٢،٤٪) بعد أن ارتفع عددهم إلى ٤٣٧،٢٥١ نسمة من أصل عدد سكان البلاد البالغ ١٠،٥٠١،١٩٧ نسمة.



من هنا وهناك

■ عدد سكان الكرة الأرضية في زيادة مستمرة وخلال العام الحالي وحده سجلت البشرية نموًا صافيًا بلغ ٥١ مليون إنسان ومن المفترض أن يبلغ عدد الذين يعيشون على كوكب الأرض ٧ مليارات نسمة خلال شهر أكتوبر الجاري.

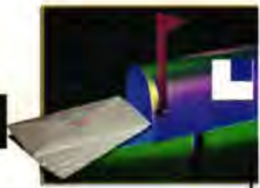
■ قال باحثون نمساويون: إن اختبارًا بالموجات فوق الصوتية يمكن أن يرصد خطر الإصابة بجلطة لدى الأشخاص الذين يعانون من ضيق في الشريان الذي يصل القلب بالدماغ والذي يزيد خطر الإصابة بالجلطة.

■ بدأت (جوجل) في توسيع خدمتها لخرائط الشوارع في بعض الأماكن الأكثر عزلة في العالم، وهي منطقة غابات الأمازون.

■ سيتم التقاط الصور لنهري الأمازون وريو نيجرو شمال غربي البرازيل في شراكة مع المؤسسة الخيرية للأمازون.

■ أعلن مدير عام الدفاع المدني السعودي الفريق سعد التويجري أن ١٧٠٠ كاميرا تلفزيونية تتابع حركة المعتمرين داخل وخارج المسجد الحرام في مكة المكرمة.

■ اقترح باحثون يابانيون إمكانية انضمام بصمات الأقدام قريبا إلى ركب الإجراءات التي تسمح بتثبيت الهوية من قبيل الكشف على شبكة العين والتعرف على الصوت والصور الأنثروبومترية، وكانت دراسات سابقة قد أظهرت أن كل فرد يتمتع بطريقة مشي فريدة من نوعها يتيسر على الحواسيب تحليلها والتعرف عليها بدقة تبلغ نسبتها ٩٠٪.



إعداد: التحرير

نبوة الرجل المؤمن من آل فرعون

نشرت صحيفة الأهـرام الغـراء مقالاً بعنوان «الوصايا المصرية العشر»، وقد ذكرت فيه عـددًا من الأنبياء الذين ينسبون إلى مصر الحبيبة، ويشير المقال إلى نبي مصري ورد ذكره في عدد من السور القرآنية في سياق الكلام عن موسى ﷺ، وذلك بعبارة: «الـرجل المؤمـن مـن آل فـرعـون» أو عبارة: «وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى»، فأما أن يكون هذا النبي من آل فرعون فمعنى ذلك أنه من خلطائه وأهل مشورته، وأما مجيئه مـن أقصـى المـديـنـة فـإن مـن شـأن الطبقة العليا أن تكون إقامتها وسكناها في ضواحي المدن، أي في أقصى المدينة، وأما أنه صاحب رسالة تعزز رسالة موسى وهـارون فيتضح من قوله تعالى: ﴿فعززنا بثالث﴾ (يس: ١٤)، كما يتضح من كلامه الذي روته عنه سورة يس وسـورة غافر وغيرهما من سـور النص القرآني الكريم، وإليك البيان:

كـان موسى بالنسبة لامـرأة فرعون في مقام الابن، إذ قالت عند العثور عليه: ﴿لا تقتلوه عسـى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا﴾ (القصص: ٩)، فكانت إقامته في بيتها في ضواحي المدينة، فإذا أراد موسى أن يذهب إلى المدينة جعل ذلك ﴿على حين غفلة من أهلها﴾ (القصص: ١٥)، تجنبا لاستطلاع العامة، لأنهم لو عرفوه لازدحموا حوله كما يفعل العـامـة عندما يـرون أحـدًا مـن علية القوم، ومع هذه الحيطة نرى موسى يندفع عندما يرى ﴿رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهـذا من عـدوه فاستغاثه الـذي من شيعته على الـذي مـن عـدوه فوكزه موسى فقضى عليه﴾ (القصص:١٥)، عندئذ تناقل الناس قصة هذه الواقعة حتى علم بها الملأ من آل فرعون، وبدأ التشاور بين فرعون وحاشيته فـي شـأن العقوبة التـي يستحقها موسـى.. فقال كل منهم ما يـراه عقابا له، كانت هذه هـي الفرصـة الأولـى للرجل المؤمـن فجاء: ﴿من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يـأتمـرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين﴾ (القصص:٢٠)، لعل إقامة موسى في حدود القصر الملكي كانت سببًا في معرفته برجال الملأ من آل فرعون ومنهم هذا الرجل المؤمن، ولهذا سارع إلى قبول هذه النصيحة ﴿فخرج منها خائفًا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين﴾ (القصص: ٢١).

كـان مـوسـى عـلـى عـلـم بـأن الصحراء الغربية لا تصلح مهربًا له لأنها غير مأهولة، وأن شمال سيناء لا يصلح كذلك لأنه طريق القـوافـل والـهـجـرات فمن الصعب على من يريد الهرب أن يختفي فيه، ومن هنا استقر رأيه على الهرب إلـى جنوب سيناء، وهكذا توجه تلقاء مدين.

كـان أهـل مدين مستقرين على مـاء في الساحل الغربي لجنوب سيناء يسمى ماء مدين ويعرف الآن باسم عيون موسى، ﴿ولما ورد مـاء مـديـن وجـد عليه أمـة مـن الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما﴾ (القصص: ٢٣-٢٤)، كانت هذه السقيا سببًا في زواجه بإحدى المرأتين واتفاقه مع أبيها على أن يكون المهر خدمة للأب تستمر قرابة عشر سنين، ﴿فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نـارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون﴾ (القصص: ٢٩)، وتدل فاصلة الآية على أن هذه الرحلة كانت في الشتاء.

كـان مـن الطبيعي أن تـكون حـركـة هـذه الرحلة إلى الشرق استمرارا للهرب من بأس فرعون بدليل قول موسى لربه حين قال له: ﴿اذهـب إلى فرعون إنه طغى﴾ (طه: ٢٤)، ﴿رب إنـي قتلت منـهـم نفـسًـا فـأخـاف أن يقتلون﴾ (القصص: ٣٣) فمن الطبيعي أن تكون بداية الرحلة من مكان يقع إلى الغرب من الطور، ويصدق هذا على عيون موسى، طمأن الله موسى وأخاه وقال لهما: ﴿لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى﴾ (طه: ٤٦)، فعادا إلى مصر ليدعو فرعون إلى عبادة الواحد الأحد وقد امتلأ قلب موسى بالأمان الذي جعله قادرًا على مجادلة فرعون في إحساس بالندية والمسـاواة، لم يـرق لفرعون أن يرى هذه الجرأة من رجل كان هو من رباه وليدًا وآواه صبيًّا، فجمع الملأ من القوم للتشاور في أمر موسى وبعد المناقشة قال للملأ: ﴿ذروني أقتل موسى وليدع ربه﴾ (غافر: ٢٦)، هنا سنحت الفرصة الثانية للرجل المؤمن للدفع عن موسى فقال وهو لا يزال يكتم إيمانه عن فرعون وملئه: ﴿أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم..﴾ (غافر: ٢٨)، فلما رأى إصـرار الـقـوم على عقاب موسى لم يجد مفرًّا من إعلان نبوته بطريقة صريحة جاء تلخيصها في سورة غافر بدءا من قوله تعالى: ﴿وقال الذي آمن يقوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب...﴾ (غافر: ٣٠-٣٥، ٣٨-٤٠).

هذا هو ملخص خبر النبي المصري الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، ويبقى بعد ذلك أن نشير إلـى أن ما ورد في سـورة يس من قوله تعالى: ﴿واضـرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث﴾ (يس : ١٣-٢٧) إنما يحكي قصة موسى وهارون والرجل المؤمـن مـن آل فـرعـون، والـدليل على ذلك مبسوط في الجزء الثاني من كتابي: البيان في روائع القرآن، تحت عنوان : «بنو إسرائيل في القرآن الكريم».

د.تمام حسان
عميد كلية دار العلوم سابقًا- عضو مجمع اللغة العربية

القصاص عقوبة قرآنية.. وتحقيق العدل من أهم مقاصد الشريعة

تحقيق العدالة بين أفراد المجتمع من أهم مقاصد الشريعة، بغض النظر عن الغنى أو الفقر، أو امتلاك السلطة أو النفوذ، ويجب علينا أن نعلم أن القصاص عقوبة قرآنية لابد من تطبيقها في المجتمعات المسلمة، لأنه يحقق الردع ويمنع الانفلات الأمني والأخلاقي، ويسهم بفاعلية في منع انتشار الجريمة.

وإذا كانت الرحمة الإسلامية هي التي جاءت بها الرسالة المحمدية فلاشك أن إقامة العدل تدخل في عموم هذه الرحمة ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾ (الحديد: ٢٥).

﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ (النحل: ٩٠).

إن العقوبة في الإسلام تتجه إلى العدالة وحماية المجتمع وحماية الفضيلة، وبالتالي يجب أن تكون العقوبة متساوية مع الجريمة وآثارها: ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص﴾ (المائدة: ٤٥).

﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾ (البقرة: ١٧٩).

والقصاص عقوبة عادلة، فالمجرم الذي يرتكب جريمة عقوبتها الإعدام إذا أحس بأنه سوف يعدم فلاشك أنه سيتردد كثيرًا قبل أن يقدم على جريمة قتل عمد أو اغتصاب أو اتجار في المخدرات.

إن الشريعة الإسلامية تعطي كل ذي حق حقه، وتفرض معايير قانونية ملزمة للجميع لا يستطيع أن يمتلكها أو يسيطر عليها أحد.. ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ (المائدة: ٤٥).

يقول الرسول ﷺ: «من لا يرحم لا يُرحم».

ولا يصح أن يذهب فرط الشفقة بالجناة إلى نسيان جريمتهم، فإن كل شفقة تمنع إنزال العقاب الرادع بهم تمكين لشرهم، وتعرض المجتمع لفسادهم، ومن العدل أن من ارتكب شيئًا استحق عقابه، وأن يتساوى الناس في العقوبات إذا ارتكبوا ما يوجبها.

﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا﴾ (المائدة: ٣٢).

إن القصاص عقوبة أساسية في الإسلام بالنسبة للجرائم الواقعة على الأشخاص؛ لأنه يحقق العدل بين الناس؛ ويشفي غيظ المجني عليه، ويغلق الباب أمام انتشار الجرائم وأمام الفتنة والفوضى بكل أشكالها.

وقانون المساواة يوجب أن تتساوى العقوبة مع الجريمة، وأن يتساوى الأذى الذي نزل بالمجني عليه مع الأذى والضرر الذي ينزل بالجاني عقوبة له على ما اقترف من جرائم.. فمن قتل نفسًا بغير حق يقتل والظلم كل الظلم في أن يترك الجاني من غير قصاص.

﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾ (البقرة: ١٧٩).

محمد السيد عامر

الدعاة ومطابقة العمل للعلم

إن الداعية في الإسلام قبل أن يكون واعظًا للناس بقوله، عليه أن يعظهم بفعله وعمله، ذلك لأن الوعظ كما قال حجة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله تعالى فيما كتبه إلى أبي حامد أحمد بن سلامة بالموصل: أما الوعظ فلست أرى نفسي أهلا له؛ لأن الوعظ زكاة نصابه الاتعاظ، فمن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة؟

وفاقد النور كيف يستنير به غيره؟ ومتى يستقيم الظل والعود أعوج؟

ويقول الإمام ابن القيم فيمن خالف فعله قوله:

«علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا، قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقًّا كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطاع طرق».

حفصة محمود محمد-

إعداد: التحرير

ذو الحجة

شهر الحج، وهو من الأشهر الحرم، وكان العرب في الجاهلية يحجون فيه إلى الكعبة ويعظمونه، فيه تقام أعمال الحج، وفيه يوم عرفة، وفيه عيد الأضحى وأيام التشريق.

قوت الأتقياء

حضّ أحدُ جُلَساء محمد بن حُمَيد الطوسي على قتل من وقع في قبضته من أعدائه، إلا أنه أدخله مجلسه وأطعمه وأكرمه، ولم يعاتبه على جُرُم ولا جناية، ثم التفت إلى جلسائه وقال لهم: إن أفضل الأصحاب من حضَّ الصاحبَ على المكارم، ونهاه عن ارتكاب المآثم، وحسَّن لصاحبه أن يجازيَ الإحسان بضعفه، والإساءة بصفحه؛ إنّا إذا جازينا من أساء فأين موقع الشكر على النعمة فيما أُتيح منَ الظفر؟! إنه ينبغي لمن حضر مجالس الملوك أن يُمْسكَ إلا عن قول سديد وأمر رشيد، فإن ذلك أدوم للنِّعمة، وأَجْمَعُ للألفة.

(نهاية الإرب في فنون الأدب للنويري)

من عاب الناس عابوه

قال أبوحاتم رحمه الله: «الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس، مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه؛ فإن من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره أراح بدنه، ولم يتعب قلبه، فكلما اطلع على عيب لنفسه هان عليه ما يرى مثله من أخيه. وإن من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمي قلبه، وتعب بدنه، وتعذر عليه ترك عيوب نفسه. وإن من أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم، وأعجز منه من عابهم بما فيه.. من عاب الناس عابوه».

(روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص: ١١٤)

الحجر الأسود

عن ابن عباس مرفوعًا: «نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضًا من اللبن، فسوَّدته خطايا بني آدم» (أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح).

وعن ابن عباس أيضًا مرفوعًا: «إن لهذا الحجر لسانًا وشفتين يشهدان لمن استلمه يوم القيامة بحق» (أخرجه ابن خزيمة، وقال الترمذي: حسن صحيح).

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «مسح الحجر والركن اليماني يحطّ الخطايا حطّا» (رواه أحمد وابن حبان).

وذكر صاحب تحفة الراكع والساجد (ص:٨٧): أن أبا طاهر القرمطي لمَّا وافى مكة اقتلع الحجر من مكانه وحمله إلى الكوفة وهلك تحته في الطريق إليها أربعون جملًا، ثم حُمِلَ الحجر إلى «هَجَر» سنة ٣١٧هـ، وبقي الحجر عند القرامطة اثنين وعشرين سنة إلا شهرًا، ثم رُدَّ إلى مكانه في ذي الحجة سنة ٣٣٩هـ.

خِصالُ اللسان

قال بعض البلغاء: في اللسان عشر خصال محمودة.. أداة يظهر بها البيان، وشاهد يخبر عن الضمير، وحاكم يفصل الخطاب، وواعظ ينهى عن القبيح، وناطق يردّ الجواب، وشافع تُدرك به الحاجة، وواصف تعرف به الأشياء، ومُعْرب يُشكر به الإحسان، ومّعزّ تذهب به الأحزان، وحامد يُذهب الضغينة.

(زهرة الآداب للقيرواني)

من حِكَم السلف

- قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «سادات النّاس في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء».
- وقال حكيم العرب أكثم بن صيفي: « ذللوا أخلاقكم للمطالب، وقوّدوها إلى المحامد، وعلّموها المكارم، ولا تقيموا على خُلُق تذمونه منْ غيركم، وصلوا من رغَب إليكم، وتحلّوا بالجود يُكسِبكمُ المحبّة، ولا تقتعدوا البخل فتتعجلوا بالفقر».

(أخبار العرب ١/١٢).

ضحك وبكت

اشترى رجل جارية بديعة في الحسن، وكان في غاية القبح، فلما صارت في داره، نظر إليها فضحك، ونظرت إليه فبكت، فقال لها كالمغضب: أنظر إليك فأضحك وتنظرين إلي فتبكين؟ فقالت: نظرتَ أنت إلى ما يسرك فضحكت، ونظرت أنا إلى ما يسوؤني فبكيت!

(روائع الدرر)



أجوبة مسكتة

قيل لعيسى عليه السلام: من أدَّبك؟ فقال: ما أدَّبني أحد، رأيت جهل الجاهل فاجتنبته.

أُتي هشام برجل له جناية، فأقبل يحتج، فقال هشام: وتتكلم أيضًا؟!

قال الرجل: إنَّ الله عز وجل يقول: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (النحل: ١١١)، أفيُجَادَلُ اللهُ جدالاً ولا تُكَلَّمُ أنت كلامًا؟!

قال: تكلَّم بما أحببت.

(الأجوبة المسكتة لابن أبي عون، ت: ٣٢٢هـ)

فضل الإعادة والحفظ

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: «تأملت حالة تدخل على طلاب العلم توجب الغفلة عن المقصود: وهو حرصهم على الكتابة-خصوصًا المحدثين- فيستغرق ذلك زمانهم عن أن يحفظوا ويفهموا، فيذهب العمر وقد عروا عن العلم إلا اليسير.

فمن وفق جعل معظم الزمان مصروفًا في الإعادة والحفظ وجعل وقت التعب من التكرار للنسخ فيحصل له المراد.

والموفق مَنْ طلب المهم، فإن العمر يعجز عن تحصيل الكل، وجمهور العلوم الفقه. وفي الناس من حصل له العلم وغفل عن العمل بمقتضاه، وكأنه ما حصل شيئًا، نعوذ بالله من الخذلان».

(صيد الخاطر)

إمام النّحو

قال الخطيب البغدادي: تعلّم الكسائي النحو على كِبَر، وسببه أنه جاء إلى قوم وقد أعيا، فقال: قد عييت، فقالوا له: تجالسنا و أنت تلحن؟! قال: وكيف لحنت؟ قالوا: إن كنت أردتَ من انقطاع الحيلة فقل: عييت، وإن أردت من التعب فقل: أعييت؛ فأنف من هذه الكلمة، وقام من فَوْره، وسأل عَمّن يُعَلِّمُ النحو، فأُرشِد إلى معاذ الهراء، فلزِمَه حتى أنفد ما عنده، ثم خرج إلى البصرة فلقي الخليل، وجلس في حَلْقته، فقال له رجل من الأعراب: تركت أسَد الكوفة وتميمًا وعندهما الفصاحة، و جئت إلى البصرة؟!

فقال للخليل: من أين أخذت علمك هذا؟ فقال: من بوادي الحجاز و نَجْد وتهامة، فخرج ورجع؛ وقد أنفد خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب، سوى ما حفظ، فقدم البصرة فوجد الخليل قد مات وفي موضعه يونس، فجرت بينهما مسائل أقرّ له فيها يونس، وصدّره موضعه.

(نوادر الفوائد: ١/ ١٢)

تسعة تحتاج إلى تسعة

العقل محتاج إلى التجارب، والعمر محتاج إلى الصحة، والمال محتاج إلى الكفاية، والنجدة محتاجة إلى الأمن، والشرف محتاج إلى التواضع، والحب محتاج إلى الأدب، والقرابة محتاجة إلى الصداقة، والسؤدد محتاج إلى الكفاية، والاجتهاد محتاج إلى التوفيق.

(روائع الدرر)

خطبة الوداع.. ضرورة عصرية

عندما أذن الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم ﷺ أن يؤدي شعائر الحج (حجة الوداع) استشعر الرسول الكريم ﷺ، أن المسلمين في أمس الحاجة إلى من يوقظهم من غفلتهم ويجدد لهم إيمانهم ومبادئ حياتهم حتى يواجهوا أنفسهم أولا وأعداءهم ثانيًا، فكانت خطبة الوداع التي وضع بها الرسول الكريم ﷺ، أروع المواثيق وأقوى الوصايا البشرية لبناء الإنسان المسلم وبقاء تلك الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس، تلك الخطبة التي أيقن الرسول ﷺ، أنه لو تمسكت بها أمته لكان لها حياة العزة والشموخ بقوة دينها وعقيدتها وسيادتها على الأمم الأخرى تميزًا وتفوقًا.

لقد وضع الرسول الكريم ﷺ في خطبته التاريخية- بما أوتي من جوامع الكلم- المفاهيم الصحيحة والمبادئ الحقة السليمة دستورًا ومنهجًا وطريقًا يسلكه كل من أحب الله وسار على هدي رسوله الكريم، فكانت تلك المفاهيم واضحة جلية تنير طريق من يتمسك بها قولا وعملا.

وبالقراءة المتأنية لعناصر تلك الخطبة نجد أنها توحي بالدلالة الواضحة أن صاحبها قد فرغ من الدنيا وأنه يتهيأ للحياة الجديدة في الدار الآخرة رغبة وانتظارًا لما وعده سبحانه وتعالى حيث يقول ﴿وللآخرة خير لك من الأولى. ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾(الضحى: ٤-٥) فنجد الرسول الكريم ﷺ، قد شرح ما يريد وما يتمناه من خير وفلاح وصلاح لأمة الإسلام والمسلمين حيث بين لهم مناسكهم وأعلمهم بأحكام دينهم وكيفية ممارستها في حياتهم قولا وعملا بناء على ما تركه لهم من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، فما كان من السماء إلا أن تشاركه وجدانه وتنزل عليه بقرآن الخالق عز وجل ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا﴾ (المائدة: ٣).

والمتأمل.. قراءة وفهمًا وتدبرًا- لتلك الخطبة يجد أنه أمام محاور فكرية متباينة مستنيرة ترسي دعائم قيام المجتمع الإنساني كما يريد خالق البشر، ومن هنا تظل خطبة الوداع بمفاهيمها ومبادئها وثيقة أبدية لحقوق الإنسان قبل أن تعرف المجتمعات المتحضرة وثائق الحقوق والواجبات، وذكرت المسلمين بما بين دفتي كتاب الله عز وجل من مبادئ إنسانية سامية لم يشهد التاريخ حتى اليوم لا أسمى ولا أنفع منها للإنسانية، فهي بقدر ما كانت خطبة في شكلها وهيئتها بقدر ما كانت وصية رائعة تشير كل فقرة منها إلى ما كان يحسُّ ويشعر به الرسول الكريم من قرب الأجل ونهاية العمر فهو يبرئ ذمته حتى لا تعظم مسؤوليته أمام رب الناس وهو يشهد الناس في كل فقرة أنه قد أدى الأمانة وبلغ الرسالة.

لقد باتت خطبة الوداع وما تحويه من تلك القوانين والمبادئ الإنسانية ضرورة في بناء المجتمعات سياسيًا واجتماعيًا ودينيًا وثقافيًا وأخلاقيًا، وعلى المجتمعات أن تضع تلك الوثيقة أمامها كطريق للتقدم والرقي وبناء الإنسان المسلم بناء عقليًا وفكريًا ونفسيًا يضمن له حياة كريمة حرة عزيزة، يشعر الإنسان من خلالها أنه خليفة الله في الأرض بما ناله من تكريم إلهي يحيا من خلاله حياة آدمية كما ينبغي أن تكون.

عثمان حسين



إصدارات







القِسمة

بحث أعده خبير الموسوعة الفقهية الكويتية
عام ١٣٩١هـ - ١٩٧١م

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عبد الحميد إبراهيم سلامة



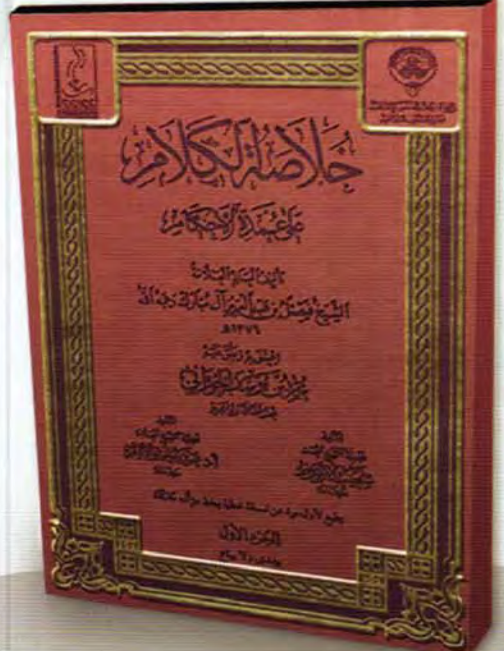
يبحث هذا الكتاب قضية، كثيرًا ما يقع التنازع والاختلاف بسببها، تلك هي آلية القسمة وتكييفها، وتسليط الضوء على مشروعيتها وحكمتها، وبيان اعتبارات أنواعها، وشرائط القائم بها (القاسم) وأجرته، وكذا المقسوم له، وهو كتاب أكثره فائدة للمتخصصين وعموم القارئين.

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
البريد الإلكتروني: manager@alwaei.com - info@alwaei.com

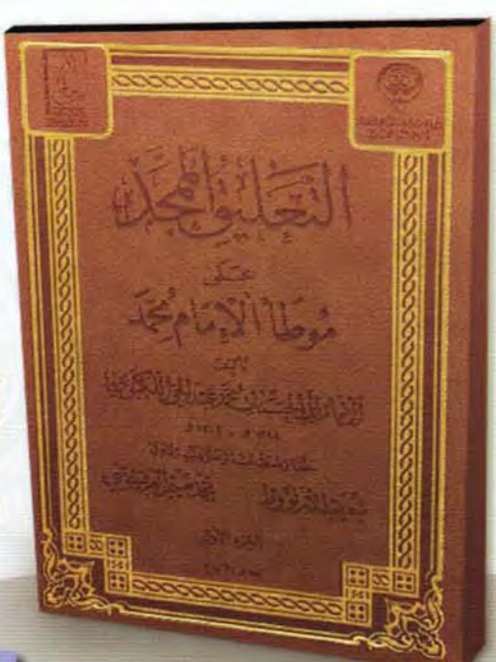




صدر حديثا













www.islam.gov.kw/thaqafa 99255322 - 22487310